الرَّوْضُ الأُنُفُ

في تفسير السِّيرة النَّبويّة لابن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
الخثعمي السُّهيلي
المتوفّى سنة ٥٨١ هـ

ومعه

السِّيرة النَّبويّة

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفّى سنة ٢١٣هـ

علّق عليه ووضع حواشيه
مجدي بن منصور بن سيد الشورى

تنبيه

وضعنا نصّ السِّيرة النبويّة لابن هشام في أعلى الصفحات
ووضعنا أسفل منها نصّ الرَّوض الأُنُف
وفصلنا بينهما بخطٍّ

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الرَّوْضُ الأُنُفُ

في تفسير السِّيرة النَّبويّة لابن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
الخثعمي السُّهيلي
المتوفّى سنة ٥٨١ هـ

ومعه

السِّيرة النَّبويّة

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفّى سنة ٢١٣هـ

علّق عليه ووضع حواشيه
مجدي بن منصور بن سيد الشورى

تنبيه

وضعنا نصّ السِّيرة النبويّة لابن هشام في أعلى الصفحات
ووضعنا أسفل منها نصّ الرّوض الأُنُف
وفصلنا بينهما بخطّ

الجزء الأوّل

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه مَن يهده الله فلا مُضِلّ له، ومَن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا رسول الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومَن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾.

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

بين يديك أخي في الله خير ما تقرأ بعد كتاب الله جلّ وعلا، بين يديك أفضل القصص وأجملها، بين يديك السيرة العطرة التي تفوح منها أزكى وأنفس أنواع الطيب، إنها سيرة خاتم المرسلين وسيد ولد آدم وخير ما أخرجت الأرض وطوت، إنها سيرة خير مَن وطئت قدماه الأرض، إنه الشافع المشفع سيدنا وحبيبنا ومولانا وقدوتنا رسول الله - ﷺ -.

بين يديك أخي في الله العظمة والعبرة والحكمة في سيرة رسول الله ﷺ.

بين يديك أخي في الله السيرة النبوية فاحرص على قراءتها ودراستها دراسة متأنية واضعًا قول الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمَن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾ نصب عينيك، وستجد فيها السلوى لما تراه وتسمعه اليوم من هو أن أتباع صاحب السيرة العطرة، وإنهم في ذيل القائمة، أصبحوا وقد تعلقوا بأذيال أحفاد القردة والخنازير، آخذين منهم القدوة والإمامة والقيادة، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ترجمة ابن إسحٰق

هو: محمد بن إسحٰق بن يسار المطلبي، مولى قيس بن مخرمة، أبو عبد الله المدني أحد الأئمة، لا سيما في المغازي والسِّيَر.

ولد رحمه الله تعالى عام خمس وثمانين من هجرة صاحب السيرة العطرة ـ ﷺ ـ بالمدينة. وتوفي سنة إحدى وخمسين ومائة.

روى عن الأئمة، وأخرج له مسلم والبخاري استشهادًا، وأصحاب السُّنن الأربعة.

وقد اختلف فيه جرحًا وتعديلاً، فمن أهل العلم مَن جرحه كالإمام مالك وأحمد بن حنبل وابن معين والدارقطني وغيرهم.

ومن أهل العلم مَن ذهب إلى تعديله كابن عيينة وأبي زرعة وابن معين أيضًا. وقد ألّف رحمه الله تعالى ـ السيرة ـ بأمر أبي جعفر المنصور تعليمًا لابنه المهدي. يقول ابن عدي فيه:

«لو لم يكن لابن إسحٰق من الفضل إلا أنه صرف الملوك من الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحٰق، وقد فتشت أحاديثه الكثيرة فلم أجدها تهيىء أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ واتهم في شيء بعد الشيء كما يخطىء غيره».

قلت: نعم كفاه فضلاً وشرفًا أنه ألّف لنا هذه السيرة العطرة والتي قلّ أن تجد مثيلاً لها.

ترجمة ابن هشام

هو: صاحب السيرة والتي جمعها من مغازي وسِيَر رسول الله ﷺ لابن إسحٰق، فهذبها الأخير ولخّصها. وإليه تُنسب.

توفي رحمه الله تعالى وجزاه الله عنّا كل خير سنة ثلاث عشرة ومائتين من هجرة صاحب السّيرة.

ترجمة الإمام السهيلي

هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن، واسمه أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فَتُّوح، وهو الداخل إلى الأندلس، أبو القاسم وأبو زيد.

قال تلميذه ابن دحية: «هكذا أملى عليّ نسبه، وقال: إنه من ولد أبي رُويحة الخثعمي الذي عقد له رسول الله ﷺ لواء علم الفتح» [انظر المطرب من أشعار المغرب: ٢٣٠].

وقد عُرِفَ السهيلي رحمه الله تعالى بثلاث كِنى، اثنتان منها ذكرهما ابن دحية كما تقدم والثالثة هي: أبو الحسن. انظر التكملة لابن الأبار (٣/ ٥٧٠).

وفي الوفيات: السُّهَيْلِيُّ: بضم السين المهملة وفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها لام ثم ياء، هذه النسبة إلى سُهَيْل، وهي قرية بالقرب من مالقة سُمِّيَت باسم الكوكب، لأنه لا يُرى في جميع الأندلس إلا من جبل مطلّ عليها. ويقول الحميري سبب تسميتها [مالقة] بذلك: «وهناك جبل مُنيف عالٍ يزعم أهل تلك الناحية أن النجم المسمّى سهيلاً يُرى من أعلاه، ولذلك سمّى أبو القاسم الأستاذ الحافظ مؤلف الروض الأنف: السهيلي» انظر صفة جزيرة الأندلس: ١٨٠.

مولـده:

ولد رحمه الله تعالى عام ثمانٍ وخمسمائة بمدينة مالقة، وتوفي في السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. انظر المطرب (٢٣٢ـ ٢٣٣).

نشـأته:

يقول تلميذه ابن دحية: «نشأ بمالقة، وبها تَعرَّف، وفي أكنافها تصرَّف، حتى بزغت في البلاغة شمسه، ونزعت إلى مطامح الهِمم نفسه». السابق (٢٣٠).

عمـــاه:

اتفقت أغلب المصادر على أن أبا القاسم قد أضرّ وهو في السابعة عشرة من عمره، ولكن ابن دحية لا يشير إلى هذا، كما أن كلامه في الروض كما سيأتي يدفع هذا. وانظر بغية الملتمس (٢٥٤).

تـــلاميذه:

كثير. منهم: أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبين (٥٦٢ ـ ٦٤٥).

أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية (توفي سنة ٦٣٣).

أبو علي عمر بن عبد المجيد الرُّبذي (توفي سنة ٦١٦).

مـؤلفاته:

ورغم عمل السهيلي بالتدريس إلا أن هذا لم يأخذه عن التصنيف والتأليف، فأخرج المصنفات الكثيرة والمسائل العديدة. ومنها:

١ ـ التعريف والإعلام بما أُبهِمَ في القرآن من الأسماء والأعلام.

٢ ـ كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية.

٣ ـ نتائج الفكر في النحو.

٤ ـ الأمـالي.

٥ ـ مسألة السرّ في عور الدجّال.

٦ ـ مسألة رؤية النبي ﷺ في المنام.

٧ ـ الروض الأنف والشرع الرِّوَى في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى. وهو الذي نقدمه لك. وهو يعتبر بحق من أجل كتبه وأنفعها.

منهج السهيلي رحمه الله تعالى في الشرح:

يعرض السهيلي رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنّا كل خير سيرة ابن هشام، شارحًا ما أبهم منها من كلمات ومعاني، ويزيد أكثرها إيضاحًا وبيانًا، ثم هو كثيرًا ما يتعرّض لنسب غامض فيُزيل غموضه، ثم نراه يتعرّض لإعراب بعض الكلمات فيأتي بالدّرر من أعماق اللغة واضعًا إياها بين يديك بلا عناء أو مشقة.

وقد زاد شرحه للسيرة حُسْنًا فوق حسن، وجمالاً فوق جمال، فجاءت السيرة النبوية سهلة يسيرة متدفقة في نعومة بين يدي القارىء.

عملي في الكتاب

يعلم ربّ السمٰوات والأرض ـ العليم الحكيم ـ قلّة زادي من تقوى وعلم وفكر، وهو الغفور الرحيم، فقمت بالتحقيق الموجز الذي لا يُخرِج قارىء السيرة من متابعته لحياة سيّد البَرِيَّة ـ ﷺ ـ إلى مصطلحات أهل الحديث من قولهم: هذا حديث معضل أو مرسل أو مضطرب أو ضعيف أو موضوع أو حسن لذاته أو لغيره، فأتى له بالشواهد والمتابعات التي قد تشتّت ذهنه وتقطع عليه أنس الصحبة مع سيرة النبي ﷺ، فجاء التحقيق موجزًا، وأدعو الله أن يكون مع إيجازه مفيدًا، فأقوم بتخريج الحديث من ثلاث أو خمس مصادر ـ دون الإطالة، وقد أزيد القارىء فأُحيله على بعض المصادر التي تتحدث بإفاضة في المسألة المُشار إليها فأقول: وانظر كذا وكذا وكذا. هذا وقد قمت بتحقيق النسخة التي قام بتحقيقها والتعليق عليها وشرحها فضيلة الشيخ: عبد الرحمن الوكيل ـ الرئيس العام لجماعة أنصار السُّنّة المحمدية ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنّا كل خير ـ والشيخ رحمه الله تعالى غنيٌّ عن التعريف بمجهوداته في الدعوة ومؤلفاته العديدة النافعة.

وقد وجدته رحمه الله تعالى قام بالتعليق والشرح والتحقيق على خير وجه، إلا أنه رحمه الله تعالى قد يطيل في بعض المسائل مما يُخرِج قارىء السيرة عمّا هو بين يديه، وقد وجدته أيضًا رحمه الله تعالى يخرّج الحديث فيقول: رواه أحمد مثلاً ـ دون أن يشير إلى الجزء أو الصفحة، مما يعسر معه الوقوف على الحديث، خاصة إذا كان الحديث لم يأتِ به الشارح كاملاً، أيضًا قد يكون الحديث في الصحيحين فأُحيل القارىء إلى مكانه في الجزء والصفحة إذا أراد أن يقرأه كاملاً أو شرحه لابن حجر أو النووي رحمهما الله تعالى.

ويجري على ما سبق أيضًا قوله: «في اللسان. . .» دون الإشارة إلى الجزء والصفحة أو الطبعة مما ييسّر على القارىء الوقوف عليه بسهولة ويُسْر.

ثم إنه يُخرِّج الحديث دون الإشارة إلى صحته أو ضعفه إذا كان في غير الصحيحين، فقمت بهذا حسبما يسّر الله تعالى، فأُصدِّر الحديث ببيان درجته ثم تخريجه دون الكلام على الشواهد أو المتابعات إذا كان حسنًا أو ضعيفًا. . .الخ.

هذا وقد أبقيت الكثير من تعليقاته كما هي أو مختصرة جدًا، مع زيادة بيان وإيضاح كما تقدم.

هذا وقد فاته رحمه الله تعالى تخريج بعض الأحاديث فقمت بتخريجها، وكذا بعض الآيات.

هذا وقد وقع في الطبعة المحقّقة بعض الأخطاء المطبعية فقمت بتصحيحها، وكذا وقع الخطأ في بعض «ملازمه» فقمت بوضعها في مكانها الصحيح والحمد لله ربّ العالمين. هذا وقد وقع في الطبعة السابقة أن يقع الشرح في صفحات تَلِي متن السيرة مما يجعل قارىء السيرة يتصفّح عدد من الصفحات حتى يضع يده على شرح السهيلي. كما وقع هذا في نهاية الجزء الأول وأول الجزء الثاني!!!. فجاء في نهاية الجزء الأول شرح ما في أول الجزء الثاني. فأدعو الله تعالى ألاّ يقع مثل ما سبق في هذه الطبعة.

هذا وقد وقع في شرح السهيلي عند ذكر ـ النبي ﷺ ـ أن تكتب بدلاً من ـ ﷺ ـ: «ص». وأظنها من المطبعة، ثم إني قد وجدت الشيخ رحمه الله تعالى سلك نفس المسلك ـ أو سلك «الطابع» نفس المسلك. فنبّهت عليه مرة بعد مرة ثم تركت التنبيه، وكذا فعلت عند بيان ترجمة البكائي، نبّهت مرة تلو الأخرى ثم تركت التنبيه إذ قد وصل ما أُريده إلى عقل القارىء.

هذا ويمكن تلخيص عملي في الكتاب في:

١ ـ تخريج الآيات القرآنية ـ التي لم تُخَرّج قبل.

٢ ـ تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها، مع بيان صحيحها من سقيها ما أمكن ذلك.

٣ ـ التعليق على بعض الكلمات بالعودة بها إلى أصلها في اللغة العربية في اللسان لابن منظور ـ ط. دار الكتب العلمية، ومقاييس اللغة لابن فارس، ط. مصطفى الحلبي ـ بتحقيق وشرح فضيلة الشيخ عبد السلام محمد هارون رحمه الله تعالى.

٤ ـ تصحيح ما وقع من أخطاء ـ يسيرة ـ في الطبعة السابقة.

٥ - عمل ترجمة لابن هشام.

٦ - عمل ترجمة لابن إسحٰق.

٧ - عمل ترجمة للسهيلي رحمهم الله تعالى.

المؤلفات في السيرة

إليك أخي في الله بعض المؤلفات في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ لمَن أراد مزيد بيان وإيضاح.

١ ـ البداية والنهاية، لابن كثير، مطبعة دار السعادة، ١٩٣٢.

٢ ـ تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، ط. الدار.

٣ ـ الكامل في التاريخ، لابن الأثير.، ط. الدار.

٤ ـ خلاصة السِّيَر، محبّ الدين أبو الجعفر بن عبد الله الطبري، دلي برنتينك بريس دلس ١٣٤٣هـ.

٥ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم، المطبعة المصرية، الأولى، ١٣٤٧.

٦ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ ﷺ ـ. للقاضي عياض، مطبعة عثمانية، إستانبول ١٣١٢هـ.

٧ ـ طبقات ابن سعد، محمد بن سعد، مطبعة بريل ليدن، ١٣٢٢.

٨ ـ مختصر سيرة الرسول ـ ﷺ ـ لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٩ ـ مروج الذهب، أبو الحسن علي المسعودي، مطبعة الشرق الإسلامية.

١٠ ـ الرحيق المختوم، صفيّ الرحمن المباركفوري.

١١ ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي.، ط. الدار.

نداء إلى أصحاب الطرق الصوفية

نداء أوجهه إلى أصحاب «الطرق» الصوفية: هذا هو «طريق» نبيّكم ورسولكم محمد ﷺ، وهذه هي سيرته عليكم بها. تعلّموها وعلّموها الناس، اعكفوا على دراستها بدلاً من العكوف على دراسة سِيَر البدوي والشاذلي والدسوقي والرفاعي، أقطاب الأرض الأربعة الموكلون بحفظ الأرض والقيام على ساكنيها بالرزق والمرض والحياة والموت!!!.

أفيقوا أيها الناس من غفلتكم وكفانا ذلاً وهوانًا عانيناه منكم ومن خرافاتكم سنوات وقرون طويلة، هذه هي سيرة نبيّكم احفظوها كما تحفظون حزب البحر والحزب الكبير والصغير والأوراد الشركية التي ما أنزل الله بها من سلطان. هذه هي سيرة نبيّكم تعلّموا منها كيف جاهد وعلّم أصحابه كيف يكون الجهاد مع النفس والجهاد أيضًا باللسان والبنان.

اعلموا أيها الناس «القوم» أن طريق محمد ـ ﷺ ـ واحد «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتّبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين» اقرأوا أيها الناس هذه الآية مرة بعد مرة وسَلوا أنفسكم هل عملتم بها وأنتم تزعمون أنكم تحبونه وتتبعون سنتَكم، وهو القائل كما حكى القرآن ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾.

أقول لكم: لم تعملوا بها. ولا أقول هذا افتراء ـ بل هذا هو الواقع المؤلم المُشاهَد منكم، فهو يقول: ﴿هذه سبيلي﴾ فجعلتموها سُبل وطرق شتى، ولو كان ما تدعون إليه حقًّا لكانت طريقًا واحدًا وليست طرقًا شتى ـ بيومية ونقشبندية ورفاعية ودسوقية وشاذلية وبرهانية وبرهامية و. . . و. . . و. . . ، والكل يدّعي زورًا وبهتانًا أنه على «الطريق» المستقيم، بل ووصل الأمر ببعضهم أن زعم أن رسول الله ﷺ كان صوفيًا ـ وهو يقول في دعاء الاستفتاح «وأنا أول المسلمين» فسلبوا منه هذا الوصف العظيم

ونحلوه وألبسوه خرقة الصوفية، بل ويقول بعض أعلام ورؤوس الصوفية أن محمدًا هو الله مفسّرًا قول الله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك تحت الشجرة إنما يبايعون الله﴾ فقال: «إن الله حلَّ بالنبي في هذا الوقت» - ﴿سبحانك ربّي هذا بهتان عظيم﴾، وكفر وإلحاد يُخرِج صاحبه ومَن اهتدى بهديه من دائرة الإسلام بالكلية.

أقول لكم: لم تعلموا أيضًا بقوله: ﴿ادعوا إلى الله على بصيرة﴾. فلم تدعوا إلى الله تعالى، سلمًا أو حربًا، بل انزويتم في كهوفكم وفي خيامكم تاركين الأمة الإسلامية فريسة سهلة في أيدي أهل الكفر والإلحاد والزندقة، وإذا دعوتم إلى الله لم تدعوا على بصيرة ونور وهدى من القرآن والسُّنّة، إنما أتيتم وخرجتم علينا بالخزعبلات والأوهام والجبت، وعشتم في عالم مليء بالأساطير والخيالات الفاسدة، فالنبي عندكم لا زال حيًّا والخضر والأولياء الصالحين والطالحين وأنهم يفعلون كذا وكذا وكذا، حتى سلبتم ربّ السمٰوات والأرض أوصافه بل وأخصّ أوصافه من خلق ورزق وإحياء وإماتة وأمر ونهي فقدتم رأي شيوخكم على كلام الله تعالي وعلى سُنّة نبيّه ﷺ، وأنتم تزعمون أنكم على «الطريق» المستقيم.

أفيقوا أيها الناس فالأمة الإسلامية في حاجة إليكم - موحّدين مسلمين - وليس صوفيين - داعين إلي الله تعالى علي بصيرة وكلنا داعٍ إلى الله تعالى كما قال: ﴿أنا ومَن اتّبعني﴾، أفيقوا أيها الناس من غفلتكم ومن شرككم، وصحّحوا منهجكم وعقيدتكم من قبل وليكن طريقنا واحد - هو طريق النبي ﷺ.

هذه سيرة نبيّكم - اقرأوها وتعلّموا منها دون تعصّب وحمية لشيخ بعينه وتقديم النظر على الأثر. هداني الله وإياكم إلى «صراطه» المستقيم. آمين.

وبعد: بقي أن أنقل إليك أخي في الله قول علي بن الحسين: «كنا نُعَلَّم مغازي النبي ﷺ كما نُعَلَّم السورة من القرآن». هذا والله أعلى وأعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل.

أخوكم في الله
مجدي بن منصور بن سيد الشورى
القاهرة/ مدينة السلام - ٢٨١٢٨٥١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ[1]

مقدمة الروض الأنف[2]

حمدًا لله المُقدَّم على كل أمرٍ ذي بالٍ، وذكرُه ـ سبحانه ـ حَرِيٌّ ألاَّ يفَارِقَ الخَلَد والبال، كما بدَأنا ـ جلَّ وعلا ـ بجميل عوارفِه قبل الضراعة إليه والابتهال، فله الحمد ـ تعالى ـ حمدًا لا يزال دائم الاقتبال. ضافِيَ السِّرْبال[3]، جديدًا على مَرِّ الجديدين[4] غير بالٍ. على أن حمده ـ سبحانه ـ وشكره على نعمه، وجميل بلائه مِنَّةٌ من مِننه. وآلاء من آلائه. فسبحان مَن لا غاية لجوده ونعمائه! ولا حَدَّ لجلاله، ولا حَصْر لأسمائه[5] والحمد لله الذي ألحقنا بعصابة[6] الموحدين، ووفقنا للاعتصام بعُروة هذا الأمر المتين،

---

(١) بدأ المصنف رحمه الله تعالى ـ وجزاه الله عنا كل خير ـ بالبسملة اقتداء بكتاب الله تعالى وبسُنّة نبيّه ﷺ، حيث بدأ تعالى كتابه الكريم بالبسملة فقال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين﴾ فبدأ بالبسملة وثنى بالحمد، ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله﴾. أما قول: ﴿كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر أو أجذم﴾. فهو قول ضعيف. وكان ﷺ يبدأ كتبه بالبسملة أيضًا.

(٢) الروض الأنف: أي دائم البهجة والجمال والرائحة الطيبة الكثير القطاف.

(٣) السربال: هو القميص والدرع.

(٤) الجديدين: أي الليل والنهار لتجددهما كل يوم وليلة.

(٥) حيث يقول ﷺ في الحديث الصحيح: «اللّهمّ إني عبدك وابن عبدك وابن أُمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدلٌ في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...» الحديث. (صحيح، أخرجه أحمد ١/ ٣٩١، والحاكم ١/ ٥٠٩، والبيهقي في الصفات ص ٦ـ بتحقيقي) فدلّ هذا الحديث على أن الله تعالى أسماء حُسنى استأثر بها في علم الغيب عندها لا يعلمها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. أما الحديث الذي أخرجه الشيخان «إن لله تسعة وتسعون اسمًا مَن أحصاها دخل الجنة». أي إن من أسماء الله تعالى تسعة وتسعين اسمًا مَن أحصاها ـ فعلِمَها وعَلِمَ معناها ومقتضاها وأثار هذه الأسماء ودعا الله بها كلٌ في موضعه، دخل الجنة. «انظر القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى للمحقّق.

(٦) أي جماعة الموحّدين.

وخلقنا في إبّان الإمامة الموعود ببركتها على لسان الصادق الأمين، إمامة سيدنا الخليفة أمير المؤمنين ابن أميرِ المؤمنين ابن أميرِ المؤمنين[١]، الساطعةِ أنوارُها في جميع الآفاق. المطفِئة بصوب سحائبها، وَجَوْب[٢] كتائبها جمراتِ الكفر والنفاق:

في دولةٍ لحظ الزمان شعاعها فارْتَدَّ منتكِصًا بعينَيْ أرْمَدِ

مَن كان مولدهُ تقدّم قبلَها أو بعدها، فكأنه لم يُولد

فله الحمد ـ تعالى ـ على ذلك كلّه، حمدًا لا يزال يتجدد ويتوالى، وهو المسؤول ـ سبحانه ـ أن يخصّ بأشرف صلواتهِ، وأكثف بركاته، الْمُجْتَبى من خليقتهِ، وَالْمَهدِي بطريقته، المؤدِّي إلى اللَّقَم الأفْيَح[٣] والهادي إلى معالم دين الله مَن أفلح، نبيِّه محمدًا ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ كما قد أقام به الملةَ الْعَوْجَاءَ، وأوضح بهديه الطريقة الْبَلْجَاءَ[٤]، وَفَتح بهِ آذانًا صُمًّا وعيونًا عُمْيًا، وقلوبًا غُلْفًا[٥]. فصلّى الله عليه، وعلى آله صلاة تُحلُّه أعلى منازلِ الزُّلفى.

الغاية من تأليف الكتاب:

(وبعد) فإني قد انتحيت في هذا الإملاء بعد استخارة ذي الطَّوْلِ[٦]، والاستعانة بمَنْ له القدرة والْحوْل. إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله ـ ﷺ ـ التي سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحٰق الْمطَّلبي، ولخَّصها عبدُ الملِك بن هشام الْمَعافِري[٧] المِصْرِي النسَّابة[٨] النحوي[٩] مِمَّا بلغني علمُه، وَيُسِّر لي فهمُهُ: من لفظ غريب، أو إعرابٍ غامضٍ، أو كلام مُسْتَغْلِق[١٠]، أوْ نَسَبٍ عَوِيصٍ، أوْ موضِعِ فقهٍ ينبغي التنبيهُ عليه، أو خبرٍ ناقص يوجد السَّبيل إلى تتمته، مع الاعتراف بكُلُول الْحَدِّ[١١]، عن مبلغ ذلك

---

(١) يعني رحمه الله تعالى: أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذي تولى دولة الموحّدين عام ٥٥٨ هجرية بالمغرب. وقد كان الرجل رحمه الله فقيهًا حافظًا متقنًا. قاله ابن خلكان. وقد بدأ السهيلي رحمه الله تعالى في إملاء هذا الكتاب في المحرّم من عام ٥٦٩هـ، وانتهى من إملائه في جمادى الأولى من نفس العام.

(٢) الجوب: القميص تلبسه المرأة. والصوب: المطر بقدر ما ينفع.

(٣) اللقم الأفيح: الطريق الواضح البيّن.

(٤) البلجاء: الواضحة.

(٥) غلفًا: عليها غشاوة. انظر مقاييس اللغة (٤/ ٣٤٠)

(٦) ذي الطول: صاحب الغنى والفضل.

(٧) المعافري: نسبة إلى معافر بن يعفر، وهم قبيل كبير نزح إلى مصر.

(٨) النسابة: العلم بالأنساب.

(٩) النحوي: العلم بالنحو.

(١٠) كلام مستغلق: يصعب فهمه.

(١١) كلول الحدّ: أي الضعف.

الْحَدّ[1]، فليس الغرضُ المعتَمَدُ أن أستوليَ على ذلك الأمَدِ[2]، ولكن لا ينبغي أن يُدَعَّ الْجَحْشُ[3] من بَذِهِ[4] الأعْيَار[5]، ومَن سافرت في العلم همّتهُ، فلا يُلق عصا التّسْيَار، وقد قال الأول:

افعلِ الخيرَ ما استطعتَ، وإن كا ... ن قـليـلاً فـلـن تُـحـيـطَ بـكُـلِّـهْ
ومتَى تبلغ الكثيرَ مِنَ الْفَضل ... إذا كـنـت تـاركـًا لأقـلِّـهْ؟!

نسأل اللّهَ التوفيق لما يرضيه، وشكرًا يَسْتَجْلِبُ المزيدَ من فضله ويقتضيه.

لماذا أتقن التأليف:

قال المؤلف أبو القاسم: قلت هذا؛ لأني كنت حين شرعت في إملاء هذا الكتاب خُيّل إليَّ أن المرامَ عسير، فجعلت أخطو خَطْوَ الْحَسِير[6]. وأنهض نَهْضَ الْبَرَقِ[7] الْكَسِير، وقلت: كيف أرِد مَشرَعًا[8] لم يسبقني إليه فارطٌ[9]. وأسالُك سبيلاً لم تُوطَأْ قبلي بِخُفٍّ ولا حَافر، فبينا أنا أتردد ترددَ الحائر، إذ سَفَعَ لي هنالِك خاطِر: أنَّ هذا الكتابَ سَيَرِدُ الْحَضْرَة الْعَلِيّة الْمُقَدَّسَة الإمَامِيَّة[10]. وأنَّ الإمامة ستلحظه بعينِ القبولِ، وأنه سَيُكْتَتَب للخزانة المباركة - عَمَّرها الله - بحفظه وكَلاَءَته، وأمَدَّ أميرَ المؤمنين بتأييده ورعايته، فينتظم الكتاب بِسِلِكْ أعْلاَقِها[11]، ويتَّسِقُ مع تلك الأنوار في مطالع إشرافها، فعند ذلك امتطيتُ صَهْوة الْجِدِّ، وَهَزَزْتُ نَبْعَةَ الْعَزْمِ. وَمَريْتُ أخْلاَفَ الحفظ، وَاجْتَهَرْتُ[12] ينابيعَ الفكر، وعصرتُ بُلاَلَة الطبع، فألفيْتُ - بحمد الله - البابَ فُتُحًا[13] وسلَكتُ سُبُلَ رَبّيَ ذُلُلاً، فَتَبَجَّسَتْ لي - بِمَنِّ الله تعالى - من المعاني الغريبة عُيُونُهَا، وانثالتْ عَلَيّ من الفوائد اللطيفةِ أبكارُها وعُونُهَا، وَطَفَقَتْ عقائلُ[14] الْكَلِم يَزْدَلِفْنَ[15] إليَّ بأَيّتِهِنَّ أبداً، فأعرضت عن بعضها إيثارًا للإيجاز، ودفعت في صدورِ أكثرِها خشية الإطالة والإملال، لكن تحصَّل في هذا الكتابِ من فوائد العلوم والآداب، وأسماءِ الرجال

---

(١) الحدّ: أي النهاية.
(٢) الأمد: أي النهاية.
(٣) الجحش: ولد الحمار.
(٤) بذّه: غلبه وسبقه.
(٥) الأعيار: جمع عير وهو الحمار الوحشي.
(٦) الحسير: المنقطع.
(٧) البرق: الحَمَل.
(٨) المشرع: مورد الماء.
(٩) فارطٌ: سابق.
(١٠) كتابة عن الإمام أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن.
(١١) أعلاقها: جمع علق - وهو الشيء النفيس.
(١٢) اجتهرت: أي نقيت.
(١٣) أي مفتوحًا.
(١٤) العقائل: جمع عقيلة وهي: السيدة الكريمة المخدّرة.
(١٥) يزدلفن: ازدلف: أي دنا وتقدم.

والأنساب، ومن الفقه الباطن اللُّبَاب[1]، وتعليل النحو، وصنعة الإعراب، ما هو مُستَخرَجٌ من نَيِّفٍ على مائة وعشرين ديوانًا، سوى ما أنتجه صدري، وَنَفحَه فِكري. وَنَتَجه نظري، وَلَقِنْتُه عن مشيختي، من نُكَتٍ[2] عِلْمِيَّةٍ لم أُسْبَق إليها، ولم أُزْحَم عليها، كل ذلك بِيُمْنِ الله، وبركة هذا الأمر الْمُخْبِي لخوَاطِرِ الطالبين والموقظِ لِهِمَم الْمُستَرْشِدين، والمحرِّك للقلوب الغافلة إلى الاطِّلاع على معالم الدين، مع أني قَلَّلْتُ الفُضُولَ، وَشَذَّبتُ أطرافَ الفصول، ولم أتتبع شُجُونَ الأحاديث، وللحديث شُجُونٌ، ولا جَمَحَتْ بي خَيْلُ الكلامِ إلى غاية لم أَرِدها، وقد عَنَّت[3] لي منه فُنون، فجاء الكتابُ من أصغر الدواوين حَجْمًا. ولكنه كُنَيْفٌ[4] مُلِيء علمًا، ولو أَلَّفه غيري لقلت فيه أكثر من قَوْلِي هذا.

وكان بَدْءُ إملائي هذا الكتابَ في شهرِ المحرم من سنة تسع وستين وخمسمائة، وكان الفراغ منه في جُمادى الأولى من ذلك العام.

سنده:

فالكتابُ الذي تَصَدَّينا له من السِّيَر هو ما حدَّثنا به الإمام الحافِظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن الْعَرَبِيِّ سماعًا عليه قال: ثنا أبو الحسن الْقَرَافِيّ الشافعي، قال: ثنا أبو محمد بن النحاس، قال: ثنا أبو محمد عبد الله بن جَعْفَر بن الورد، عن أبي سعيد: عبد الرحيم بن عبد الله، بن عبد الرحيم بن أبي زرعة الزُّهري البَرْقِيّ، عن أبي محمد عبد الملك بن هشام، وحدّثنا به أيضًا ـ سماعًا عليه ـ أبو مَرْوَان عبد الملك بن سعيد بن بُوْنُهْ القرشي الْعَبدري عن أبي بَحْرٍ سُفْيَان بن العاص الأسدي عن أبي الوليد، هشام بن أحمد الكناني.

وحدّثني به أيضًا أبو مَرْوَانَ، عن أبي بكر بن بُرْآلٍ، عن أبي عمر أحمد بن محمَد المُقْرِي الطَّلَمَنْكِي، عن أبي جعفر أحمد بن عون الله بن حُدَير، عن أبي محمد بن الورد عن البرقي عن ابن هشام.

وحدّثني به أيضًا ـ سماعًا وإجازة ـ أبو بكر محمد بن طاهر الأشْبِيلِيّ عن أبي علي الغساني، عن أبي عمر النَّمَرِيّ وغيره عن أشياخه عن الطَّلَمَنْكِيّ بالإسناد المتقدم.

---

(١) اللباب: لبّ الشيء: خالصه.

(٢) النكتة: هي المعلومة المستخرجة بإعمال العقل.

(٣) عنت: أي خضعت. قال تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحيّ القيّوم﴾.

(٤) الكنيف: وعاء العلم.

ترجمة ابن إسحٰق:

(فصل) ونبدأ بالتعريف بمؤلف الكتاب، وهو: أبو بكر محمد بن إسحٰق بن يسار الْمُطَّلِبِيّ بالولاء؛ لأن ولاءَه لقيس بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان جدّه يسار من سبي عين التمر(١)، سباه خالدُ بن الوليد.

ومحمد بن إسحٰق هذا ـ رحمه الله ـ ثبْتٌ في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسِّيَر، فلا تُجهل إمامته فيها. قال ابن شهاب الزُّهْرِيّ(٢): مَن أراد المغازي، فعليه بابن إسحٰق. ذكره البخاري في التاريخ، وذكر عن سفيان بن عينيه(٣) أنه قال: ما أدركت أحدًا يتهم ابن إسحٰق في حديثه، وذكر أيضًا عن شُعبة بن الحجاج أنه قال: ابن إسحٰق أميرُ المؤمنين يعني: في الحديث، وذكر أبو يحيىٰ الساجي ـ رحمه الله ـ بإسنادٍ له عن الزُّهْرِيِّ أنه قال: خرج إلى قريته باذام، فخرج إليه طلاب الحديث، فقال لهم: أين أنتم من الغلامِ الأحول: أو: قد خلَّفت فيكم الغلامَ الأحول يعني: ابن إسحٰق، وذكر الساجي أيضًا قال: كان أصحاب الزهري يَلْجؤون إلى محمد بن إسحٰق فيما شكُّوا فيه من حديث الزهري، ثقة منهم بحفظه، هذا معنى كلام الساجي نقلته من حفظي، لا من كتاب.

وذكر عن يحيىٰ بن مَعِين(٤)، وأحمد بن حنبل(٥)، ويحيىٰ بن سعيد القطان(٦) أنهم

---

(١) عين التمر: بلد فتحه المسلمون عام ١٢هـ.

(٢) الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله القرشي الزهري الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإمامته وهو من رؤوس الطبقة الرابعة. مات سنة خمس وعشرين [ومائة] وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. أخرج له أصحاب الكتب الستة. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: أصحّ الأسانيد: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه عليّ. وقال البخاري: أصحّ الأسانيد: الزهري عن سالم عن أبيه. التهذيب (٩/ ٤٤٥).

(٣) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكّي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، إلا أنه تغيّر حفظه بآخره، وكان ربما دلس، لكن عن الثقات، من رؤوس الطبقة الثامنة، وكان أثبت الناس عن عمرو بن دينار. مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة وله إحدى وتسعون سنة. أخرج له أصحاب الكتب الستّة. انظر ترجمته في تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧)، التهذيب (٤/ ١١٧)، التقريب (١/ ٣١٣).

(٤) هو يحيىٰ بن معين بن عون الغطفاني مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ، إمام الجرح والتعديل، من الطبقة العاشرة. وله الكتاب آلام في الجرح والتعديل الموسوم بهذا الاسم. مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة بالمدينة النبوية وله بضع وسبعون سنة. أخرج له أصحاب الكتب الستة. انظر ترجمته في التهذيب (١١/ ٢٨).

(٥) هو إمام أهل السُّنّة، الإمام المبتلي أحمد بن حنبل وكفاه فخرًا أنه الإمام أحمد بن حنبل.

(٦) هو الثقة الحافظ المتقن الإمام القدوة: يحيىٰ بن سعيد القطان البصري من كبار التاسعة، مات سنة=

وثَّقوا ابن إسحٰق، واحتجوا بحديثه، وذكر علي بن عمر الدارَقُطني في السُّنن حديث القُلَّتين من جميع طرقه[1]، وما فيه من الاضطراب، ثم قال في حديث جرى: وهذا يدل على حفظ محمد بن إسحٰق، وشدة إتقانه.

قال المؤلف: وإنما لم يخرج البخاري عنه، وقد وثَّقه، وكذلك وثَّقه مسلم بن الحجاج، ولم يخرج عنه أيضًا إلا حديثًا واحدًا في الرَّجم، عن سعيد المقبري عن أبيه، من أجلِ طعْن مالكٍ فيه، وإنما طعن فيه مالك ـ فيما ذكر أبو عمر رحمه الله، عن عبد الله بن إدريس الأُودِي ـ لأنه بلغه أنَّ ابن إسحٰق قال: هاتوا حديث مالك، فأنا طبيبٌ بعِلَلِه، فقال مالك: وما ابن إسحٰق؟! إنما هو دَجَّال من الدجاجلة، نحْن أخرجناه من المدينة، يشير ـ والله أعلم ـ إلى أنَّ الدَّجال لا يدخل المدينة[2]. قال ابن إدريس: وما عرفت أنَّ دجَّال! يُجمع على دجاجلة، حتى سمعتها عن مالك، وذكر أن ابن إسحٰق مات ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة، وقد أدرك مَن لم يدركه مالك، روى حديثًا كثيرًا عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِيِّ، ومالك إنما يُروَى عن رجل عنه، وذكر الخطيبُ أحمدُ بن علي بن ثابت في تاريخه[3] ـ فيما ذكر لي عنه ـ أنه ـ يعني ابن إسحٰق ـ رأى أنسَ بن مالك، وعليه عمامة سوداء، والصبيان خلفه يَشْتَدُّون[4]، ويقولون: هذا صاحبُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ لا يموت حتى يلقى الدجال، وذكر الخطيب أيضًا أنه رُوِيَ عن سعيد بن المُسَيِّبِ، والقاسم بن محمد، وأبي سلمة بن عبد الرحمن.

وذكر أن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري شيخَ مالك روى عن ابن إسحٰق قال: وروى عنه سفيان الثوري، والحمادان: حمادُ بن سَلَمة بن دينار، وحماد بن زيد بن درهم، وشُعبة. وذكر عن الشافعي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: مَن أراد أن يتبحَّر في المغازي، فهو عيال على محمد بن إسحٰق، فهذا ما بلغنا عن محمد بن إسحٰق ـ رحمه الله[5].

= ثمان وتسعين ومائة وله ثمان وسبعون سنة. أخرج له أصحاب الكتب الستة.

(١) أخرجه الدارقطني (١/ ٢٦) بتحقيقي.

(٢) يشير إلى حديث مسلم: أن مكة والمدينة محرّمتان على الدجال أن يدخلهما.

(٣) انظر تاريخ بغداد (١/ ٢١٤). (٤) يشتدون: أي يسرعون.

(٥) يقول الحافظ في تقريبه عن محمد بن إسحٰق: صدوق مدلس رُمِيَ بالتشيّع والقدر. التقريب (٥٧٤٣). وفي التهذيب: رأى أنسًا وسعيد بن المسيب وأبا سلمة بن عبد الرحمن وروى عن أبيه وعمّيه عبد الرحمن وموسى والأعرج و... ثم قال: وروى عنه يحيىٰ بن سعيد الأنصاري ويزيد بن أبي حبيب وهما من شيوخه وجرير بن حازم و... ثم قال: قال المفضل الغلابي سألت يحيىٰ بن معين عنه فقال: كان ثقة وكان حسن الحديث. فقلت: إنهم يزعمون أنه رأى ابن المسيب. فقال: إنه لقديم. وقال ابن شهاب وسُئِلَ عن مغازيه [أي مغازي ابن إسحٰق] فقال: هذا=

رواة الكتاب عن ابن إسحٰق:

وأما الرواة الذين رووا هذا الكتاب عنه فكثير. منهم: يونُس بن بكير الشَّيْبَاني[1]، ومحمد بن فُلَيْح[2]، والبَكَّائِي[3]، وإبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن إدريس، وسلمة بن الفضل الأسدي، وغيرهم. ونذكر البَكَّائِي لأنه شيخ ابن هشام، وهو: أبو محمد زياد بن عبد الله بن طُفَيْل بن عامر القيسي العامري، من بني عامر بن صَعْصَعَة، ثم من بني البكاء، واسم الْبَكَّاءِ: ربيعة، وسُمِّي الْبكَّاء لخبر يَسْمُج ذِكرُه، كذلك ذكر بعض النسابين. والبَكَّائِيُّ هذا ثقةٌ، خرج عنه البخاري في كتاب الجهاد، وخرج عنه مسلم في مواضعَ من كتابه، وحَسْبُك بهذا تَزْكيةً.

وقد روى زيادُ عن حميد الطويل، وذكر البخاري في التاريخ عن وَكيع قال: زيادُ

= أعلم الناس بها. وقال البخاري: رأيت علي بن عبد الله يحتجّ بحديث ابن إسحٰق قال: وقال علي [يعني ابن المديني] ما رأيت أحدًا يتّهم ابن إسحٰق قال: وقال لي إبراهيم بن المنذر ثنا عمر بن عثمان أن الزهري كان يتلقف المغازي عن ابن إسحٰق فيما يحدّثه عن علم بن عمر بن قتادة. والذي يُذكر عن مالك من ابن إسحٰق لا يكاد يتبين. وكان إسماعيل بن أبي أُويس من أتبع مَن رأينا لمالك أخرج إليّ كتب ابن إسحٰق عن أبيه في المغازي وغيرها فانتخبت منها كثيرًا. قال: وقال لي إبراهيم بن حمزة: كان عند إبراهيم بن سعد عن ابن إسحٰق نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي وإبراهيم بن سعد من أكثر أهل المدينة حديثًا في زمانه. قال: ولو صحّ عن مالك تناوله من ابن إسحٰق فلربما تكلم الإنسان فيرمي صاحبه بشيء ولا يتهمه في الأمور كلها. قال ولم ينجُ كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم نحو ما يُذكَر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي وكلام الشعبي في عكرمة ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان وحجة. وقال عبيد بن يعيش ثنا يوسف بن بكير سمعت الشعبي يقول: ابن إسحٰق أمير المؤمنين لحفظه قال: وقال لي علي بن عبد الله: نظرت في كتب ابن إسحٰق فما وجدت عليه إلا من حديثين ويمكن أن يكونا صحيحين. وهو في التهذيب (٩/ ٤١). وقال ابن عدي: لو لم يكن له من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء إلا الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومبدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق إليها وقد صنفها بعده قوم فلم يبلغوا مبلغه قال أحمد: هو حسن الحديث. وقال ابن المديني: حديثه عندي صحيح. أخرج له مسلم مقرونًا وفي التابعات وعلّق له البخاري. انظر ترجمته في تذكرة الحفّاظ (١/ ١٦٣)، الميزان (٣/ ٢١)، التهذيب (٩/ ٣٨)، إرشاد الأريب (٦/ ١٩٩)، تاريخ بغداد (١/ ٢١٤)، التاريخ الكبير (١/ ٦١)، الكاشف (٣/ ٤٧٨٥)، الجرح (٧/ ١٠٨٧).

(١) انظر ترجمته في التهذيب (١١/ ٤٣٤)، التقريب (٢/ ٣٨٥) وهو صدوق يخطىء.

(٢) انظر ترجمته في التهذيب (٩/ ٤٠٧)، التقريب (٢/ ٢٠١) وهو صدوق يهم.

(٣) هو: زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري البكائي ـ بفتح الموحدة وتشديد الكاف: أبو محمد الكوفي صدوق ثبت في المغازي وفي حديثه عن غير ابن إسحٰق لين ولم يثبت أن وكيعًا كذبه وله في البخاري موضع واحد متابعة. التقريب (١/ ٢٦٩).

أشرف من أنْ يَكْذِب في الحديث، ووَهِمَ التِّرمِذِيّ فقال في كتابه عن البخاري: قال وكيعٌ: زيادُ بن عبد الله ـ على شرفه ـ يكذب في الحديث، وهذا وَهْمٌ، ولم يقل وكيع فيه إلا ما ذكره البخاري في تاريخه، ولو رماه وكيع بالكذب ما خرج البخاري عنه حديثًا، ولا مسلم، كما لم يخرجا عن الحارث الأعور[1] لما رماه الشَّعْبيُّ بالكذب، ولا عن أبَان بن أبي عَيَّاش[2] لما رماه شُعْبة بالكذب، وهو كوفي توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة.

ترجمة ابن هشام[3]:

وأما عبد الملك بن هشام، فمشهور بحمل العلم، متقدِّم في علم النسب والنحو، وهو حِمْيَرِيٌّ مَعَافِرِيٌّ من مصر، وأصله من البصرة، وتوفي بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين، وله كتاب في أنسَاب حِمْيَر وملوكِها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السِّيَر من الغريب ـ فيما ذكر لي ـ والحمد لله كثيرًا، وصلواته على نبيّه محمد وسلامُه.

---

(١) هو الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور: ضعيف. اتهمه ابن المديني بالكذب.
(٢) أبان بن أبي عياش: متروك. التقريب (١/ ٣١).
(٣) انظر ترجمته في وفيات الأعيان (١/ ٢٩٠).

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلواته على سَيِّدِنا محمد وآلهِ أجمعين.

ذكر سرد النسب الزكي
«من محمدٍ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلم ـ إلى آدم عليه السلام»

قال أبو محمد عبدُ الملك بن هشام:

هذا كتاب سيرة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلّم ـ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب: شَيْبة بن هاشم، واسم هاشم: عَمْرو بن عبدِ مَناف،

تفسير نسب رسول الله ﷺ

قد ذكرنا في كتاب التعرِيف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام معانيَ بديعة، وحكمةً من الله بالغةً في تخصيص نبيه محمدٍ ـ ﷺ ـ بهذين الاسمين: محمدٍ وأحمَدَ، فلتُنظر هناك، ولعلنا أنْ نعودَ إليه في باب مولِده من هذا الكتابِ ـ إن شاء الله تعالى[1].

عبد المطلب:

وأما جدّه عبد المطلب، فاسمه عامر في قول ابن قُتَيْبة[2]، وشَيْبَة في قول ابن إسحٰق وغيره، وهو الصحيح. وقيل: سُمِّي شَيْبَةَ لأنه ولد، وفي رأسه شَيْبَة[3]، وأما غيره من العرب ممَّن اسمه شيبة، فإنما قُصد في تسميتهم بهذا الاسم التفاؤُل لهم، ببلوغ سنّ الْحُنْكَةِ

---

(١) وأنا بدوري سأُرجىء الكلام حول هذين الاسمين إلى ما أشار إليه رحمه الله تعالى.

(٢) انظر كتاب المعارف لابن قتيبة.

(٣) انظر تاريخ الطبري (١/ ٥٠١). ويقول ابن كثير في البداية (٢/ ٢٣٥): «وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشمًا لما مرّ في تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حزام بن خداش بن خندف بن عدي بن النجار الخزرجي البخاري وكان سيد قومه فأعجبته ابنته سلمى فخطبها إلى أبيها فزوّجها منه واشترط عليه مقامها عنده، وقيل بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة فلما رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى فتركها بالمدينة=

....

والرأي، كما سُمُّوْا بِهَرِمٍ وكبير، وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وكان لِدَةَ[1] عُبَيْدِ بن الأبْرَصِ الشاعرِ، غير أنّ عُبَيْدًا مات قبله بعشرين سنة، قتله المنْذِرُ أبو النُّعْمان بن المنذِر، ويقال: إن عبد المطلب أول مَن خَضَب بالسَّواد من العرب، والله أعلم.

وقد ذكر ابن إسحٰق سَبب تلقيبه بعبد المطلب. والمطلب مُفْتَعِل من الطَّلَب.

هاشـم:

وأما هاشم فعَمْرٌ ـ كما ذكر ـ وهو اسم منقول من أحد أربعة أشياء من الْعَمْرِ الذي هو العُمْرُ، أو الْعَمْرِ الذي هو من عُمُور الأسنان، وقاله القُتَبيُّ: أو الْعَمَر الذي هو طرف الكُمِّ، يقال: سجد على عَمَرَيْهِ أي: على كُمَّيْه، أو الْعَمْر الذي هو الْقُرْط، كما قال التَّنُوخِيُّ:

وعَـمْـرُو هِـنْـدٍ كـأن الـلّـهَ صـوَّره   عَـمْرَو بن هندٍ يَسُومُ الناس تَعْنيتا

وزاد أبو حَنيفة وجهًا خامسًا، فقال في الْعُمْر الذي هو اسم لنخل السكر، ويقال فيه عَمْرٌ أيضًا، قال: يجوز أن يكون أحد الوجوه التي بها سُمّي الرجل: عَمْرًا وقال: كان ابن أبي ليلى يَسْتاك بعَسيب[2] الْعُمْر[3].

عبد مناف:

وعبدُ منافٍ اسمه: المغيرةُ ـ كما ذكر ـ وهو منقول من الوصف، والهاء فيه للمبالغة، أي: إنه مُغيرٌ على الأعداء أو مُغير من أغار الْحَبْلَ، إذا أحكمه، ودخلته الهاءُ، كما دخلت في علاَّمة ونسَّابة؛ لأنهم قصدوا قصْدَ الغاية، وأجرَوْه مَجرى الطَّامَّة والدَّاهية، وكانت الهاء أولى بهذا المعنى لأن مَخْرَجها غايةُ الصوت، ومنتهاه، ومن ثَمَّ لم يُكَسَّر ما كانت فيه هذه الهاء، فيقال في عَلاَّمة: عَلالِيم، وفي نَسَّابة: نساسِيب؛ كي لا يذهبَ اللفظ الدالّ على المبالغة، كما لم يُكَسَّر الاسم المُصَغَّرُ؛ كي لا تذهب بِنْيَةُ التصغير وعَلاَمته.

= ودخل الشام فمات بغزة ووضعت سلمى ولدها فسمّته شيبة، فأقام عند أخواله بني عدي بن النجار سبع سنين ثم جاء عمّه المطلب بن عبد مناف فأخذه خفية من أمه فذهب به إلى مكة، فلما رآه الناس ورأوه على الراحلة قالوا مَن هذا معك؟ فقال: عبدي. جاؤوا فهنئوه به وجعلوا يقولون له عبد المطلب لذلك فغلب عليه وساد في قريش سيادة عظيمة وذهب بشرفهم ورئاستهم» اهـ.

(١) اللِّدة: من ولد معك في وقت واحد.   (٢) العسيب: جريد النخل.

(٣) وقيل سُمّي هاشمًا؛ لأنه أول مَن هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه. قال الشاعر:

عَـمْـرُو الـذي هَـشَـمَ الـثَّـرِيدَ لـقـومِـهِ   ورجـالُ مـكـةَ مُـسْـنِـتُـون عِـجَـافُ

وإليه ذهب القسطلاني في المواهب اللدنية. وانظر البداية لابن كثير. والطبري في تاريخه.

واسم عبد مناف: المغِيرة بن قصي، بن كِلاب، بن مرة بن كَعْب بن لُـؤَيٍّ بن

ويجوز أن تكون الهاءُ في مُغِيرة للتأنيث، ويكون منقولاً من وصف كَتِيبةٍ، أو خيل مُغيرة، كما سُمُّوا بعسكر. وعبد مناف هذا كان يُلَقَّب قَمَر الْبَطْحاء ـ فيما ذكر الطبري[1] ـ وكانت أمُّه حُبيٌّ قد أَخْدَمَتْهُ مَنَاةَ[2]، وكان صَنَمًا عظيمًا لهم، وكان سُمِّي به عبد مناة، ثم نظَر قُصيٌّ فرآه يوافق عَبْدَ مَنَاة بن كِنانَة، فحَوَّله: عَبْدَ منافٍ. ذكره الْبَرْقِيُّ والزبير أيضًا، وفي الْمُعَيطِي عن أبي نعيم قال: قلت لمالكٍ: ما كان اسم عبد المطلب؟ قال: شيبة. قلت: فهاشم؟ قال: عَمْرو، قلت: فعبدُ مناف؟ قال: لا أدري[3].

قصـــي:

وقُصَيٌّ اسمه: زَيْدٌ، وهو تصغير قَصِيّ أي: بعيد لأنه بَعُد عن عشيرته في بلادِ قُضَاعَةَ حين احتملته أُمه فاطمة مع رَابِّه[4] ربيعَة بن حَرام، على ما سيأتي بيانُه في الكتاب ـ إن شاء الله تعالى ـ وصُغِّر على فُعَيْل وهو تصغير فَعِيل، لأنهم كَرِهوا اجتماع ثلاث ياءات، فحذفوا إحداهنّ وهي الياء الزائدة الثانية التي تكون في فعيل نحو قضيب، فبقي على وزن فُعَيْل، ويجوز أن يكون المحذوف لامَ الفعل، فيكون وزنه فُعَيًا، وتكون ياء التصغير هي الباقية مع الزائدة، فقد جاء ما هو أبلغ في الحذف من هذا، وهي قراءة قُنْبُل: يا بُنَيْ ببقاء ياء التصغير وحدها، وأما قراءة حفص يا بُنيِّ فإنما هي ياء التصغير مع ياء المتكلم، ولام الفعل محذوفة، فكانِ وزنه فُعَيّ ومَن كسر الياء: قال يا بُنَيِّ فوزنه: يا فُعَيْل، وياء المتكلم هي المحذوفة في هذه القراءة[5].

كـــلاب:

وأما كِلاب فهو منقول: إما مِن المصدر الذي هو معنى المكالبة نحو: كالَبْتُ العَدُوَّ مُكالبةً وكلابًا، وإما من الكِلاَب جمع كلْب، لأنهم يريدون الكثرةَ، كما سَمَّوا بسباعٍ

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٢٣٧) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) أخدمته مناة: أي وهبته لخدمة «مناة» الصنم الجاهلي.

(٣) وقيل أن مناف اسم صنم لهم في الجاهلية. من ناف ينوف إذا ارتفع وعلا. قاله ابن دريد في الاشتقاق.

(٤) الراب: هو زوج الأم يربي ابنها من غيره، ومنه أيضًا: الربيبة. يقول تعالى: ﴿وربائبكم اللاتي في جحوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ﴾ [النساء: ٢٣].

(٥) يعني ما جاء في سورة هود آية رقم (٤٢) وهي قوله تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قال لابنه محذّرًا له الطوفان: «يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين».

....

وأنمارٍ[1]. وقيل لأبي الرُّقَيْشِ الكلابي الأعرابي: لِمَ تُسَمُّون أبناءكم بِشَرِّ الأسماء نحو: كلب وذئب، وعبيدَكم بأحسن الأسماء نحو: مَرْزوق ورَباح؟ فقال: إنما نسمّي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدَنا لأنفسنا، يريد أن الأبناءَ عدة الأعداء، وسهام في نحورهم، فاختاروا لهم هذه الأسماء[2].

مُـــرّة:

ومُرَّة منقول من وصف الحنظلة والعَلْقَمَة، وكثيرًا ما يسمون بحَنْظَلَة وعَلْقَمَة، ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة، فيكون منقولاً من وصف الرجل بالمرارة، ويقوّي هذا قولُهم: تميم بن مُرّ، وأحسبه من الْمُسَمَّين بالنبات، لأن أبا حنيفة ذكر أن الْمُرَّة بَقْلَةٌ تُقْلع، فتؤكل بالخلّ والزيت يشبه ورقها ورقَ الْهِنْدَباء.

كعـــب:

وأما كَعْبٌ فمنقولٌ إما من الكعب الذي هو قطعة من السمن، أو من كَعْبِ القدَم وهو عندي أشبَهُ، لقولهم: ثَبتَ ثُبوت الكعب، وجاء في خبر ابن الزُّبَيْر أنه كان يُصلّي عند الكعبة يوم قُتِلَ، وحجارةُ الْمَنْجَنِيقِ[3] تمر بأذنيه، وهو لا يلتفت كأنه كَعْبٌ راتبٌ[4].

وكعبُ بن لُؤَيّ هذا أول من جمع يوم الْعَروبة ولم تُسَمَّ الْعَرُوبة[5]. الجمعةَ إلاَّ منذ جاء الإسلام في قول بعضهم، وقيل هو أول مَن سَمَّاها الجمعة، فكانت قُرَيْشٌ تجتمع إليه في هذا اليوم، فيخطبهم ويذكّرهم بمبعث النبي - ﷺ - ويُعْلمهم أنه مِنْ ولده، ويأمرهم باتّباعِه والإيمان به، وينشد في هذا أبياتًا منها قوله:

يـا لـيـتـنـي شـاهـدٌ فَـحْـواءَ دَعْـوَتِـهِ   إذا قُـرَيْـشٌ تُـبَـغّـي الْـحَـقَّ خِـذْلانـا[6]

---

(1) أنمار: جمع نَمِر. وقيل المطالب هو: الجريء. قال ابن دريد في الاشتقاق عن أهل الحجاز.

(2) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الأدب حديث رقم (٢١٣٩) أن النبي ﷺ غير اسم عاصية وقال: «أنت جميلة». وأخرج البخاري في الأدب (٨/ ٥٣) أنه ﷺ غيّر اسم جدّ سعيد بن المسيب من «حزن» إلى «سهل» إلا أن الرجل أبى وقال: «لا السهل يُوطأ ويُمتهَن». قال سعيد [راوي الحديث] فظننت أنه سيصيبنا بعده حزونة. أخرجهما أيضًا أبو داود رقم (٤٩٥٢/ ٤٩٥٦ ـ بتحقيقي) إلى غير هذا من الأحاديث الدالّة على اختيارِ أحسن الأسماء واجتناب سيئها. والترغيب في أسماء بعينها والنهي عن أسماء بعينها.

(3) المنجنيق: آلة من آلات الحرب، وكانت تستعمل في قذف الأحجار على الأسوار لهدمها.

(4) راتبٌ: أي ثابت مستمر على شأنه.   (5) العروبة: اسم ليوم الجمعة في الجاهلية.

(6) هذا الكلام مردود إذ أن البشارة بنبي آخر الزمان كانت معروفة عندهم متلقاة من أهل الكتاب، ولكن=

وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأحكام له:

لــؤي:

وأما لُؤَيّ، فقال ابن الأنبارِيّ هو تصغير الّلأي، وهو الثَّوْرُ الوحشي وأنشد:

يَـعْـتَـادُ[1] أدْحِـيَـةً[2] بَـقِـيـنَ بِـقَـفْـرَةٍ مَيْثَاءَ[3] يسكنُها الّلأي والْفَرْقَدُ[4]

قال أبو حنيفة: الّلأَي هي البقرة، قال: وسمعت أعرابيًا يقول: بكم لاءك هذه، وأنشد في وصف فلاة:

كَظَهْرِ الّلأي لو يَبْتَغي رِيَّةً بها نهارًا لأعْيَتْ في بُطُون الشَّواجِن[5]

الشواجنُ: شُعَبُ الجبال، والرِّية: مَقْلوبٌ من وَرَى الزَّنْدُ[6]، وأصله: وِرْيَة، وهو الْحُرَاقُ الذي يُشْعَل به الشررة من الزَّنْد، وهو عندي تصغيرُ لأْيٍ، والَّلأْيُ: الْبُطء، كأنهم يريدون معنى الأناة، وترك الْعَجَلَةَ، وذلك أني أَلْفَيْتُه في أشعار بَدْرٍ مُكَبَّرًا على هذا اللفظ في شعر أبي أُسامة، حيث يقول:

فَـدُونَـكُـمُ بَـنِـي لأْيٍ أخَـاكـم ودونَـكِ مـالـكًـا يـا أُمَّ عَـمْـرِو[7]

مع ما جاء في بيت الْحُطَيْئَة[8] في غيره:

أتـت آلَ شَـمَّـاسِ بـن لأْيٍ، وإنـمـا أتاهـم بهـا الأحلامُ والْحَسَبُ الْعِد

وقوله أيضًا:

فـمـاتـت أُمُّ جـارة آل لأيٍ ولـكـنْ يَـضْـمَـنُـون لـهـا قـرَاهـا

وفي الحديث من قول أبي هريرة.

والرَّاوِيةُ يومئذ يُسْتَقَى عليها أَحَبُّ إليّ مِنْ شاءٍ وَلاءٍ، فاللاءُ هٰهُنا جمع اللأْيِ، وهو الثور، مثل الباقِر والجامِل، وتوهَّم ابن قُتَيْبَةَ أن قوله: لاءٍ مثل ماء فخطَّأ الرواية، وقال: إنما

= جميعهم يجهل نسبته إلى أيّ قبيلة من قبائل العرب يكون نبي آخر الزمان ـ ﷺ ـ.

(١) يعتاد: أي ينتاب.
(٢) الأدحِيَة: أمكنة بيض النعام.
(٣) ميثاء: لينة سهلة.
(٤) الفرقد: ولد البقر.
(٥) البيت للطرماح. كما في لسان العرب (١٤/ ٣٥١). ط. دار الكتب العلمية.
(٦) ورى الزَّند: خرجت ناره.
(٧) ستأتي القصيدة كاملة في قتلى بدر.
(٨) الحطيئة هو: أبو مليكة جرول الشاعر المعروف.

فِهر بن مالك بن النَّضر بنِ كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة، واسم مدركة: عامر بن الْياس بن

هو ألآء مثل: ألعاع جمع لأي، وليس الصوابُ إلا ما تقدم، وأنه لاء مثل جاء[1].

فهر وغيره:

وأما فِهْرٌ[2] فقد قيل: إنه لَقَبٌ، والْفِهر من الحجارة: الطويلُ، واسمه قُريش، وقيل: بل اسمُه فِهر، وقريشٌ لقب له على ما سيأتي الاختلاف فيه - إن شاء الله تعالى - ومالكٌ والنَّضْرُ وكِنَانة لا إشكال فيها:

خــزيمة:

وخُزَيْمةُ والدُ كِنَانَة تصغيرُ خَزَمَة، وهي واحدة الْخَزَم[3]، ويجوز أن يكون تصغير خَزَمَة، وكلاهما موجود في أسماء الأنصار وغيرهم، وهي الْمَرَّةُ الواحدة من الْخَزْمَ، وهو: شدّ الشيء وإصلاحه، وقال أبو حنيفة: الْخَزَم مثل الدَّوْم تُتَّخَذُ من سَعَفِه الحِبال، ويُصْنَع من أسافله خلايا للنحل، وله ثمر لا يأكله الناس، ولكن تألفه الغربان وتستطيبه.

مدركة وإلْياس:

وأما مُدرِكة[4] فمذكورٌ في الكتاب، وإلياسُ أبوه، قال فيه ابن الأنباريّ: إلياس بكسر الهمزة، وجعله موافقًا لاسم إلياسَ النبي - ﷺ -، وقال في اشتقاقه أقوالاً منها: أن يكون فِعْيَالاً من الألْسِ[5]، وهي الخديعة وأنشد: من فَهَّةِ الْجَهْلِ والألْسَة[6].

ومنها أن الألْسُ: اختلاط العَقْل، وأنشدوا:

إنـي إذًا لَـضَـعِـيـفُ الـعـقـلِ مـألـوسُ

---

(١) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٣٠٩).

(٢) الفهر: الحجر الأملس. ويقولون الفهر: أن يجامع الرجل المرأة ويفرغ في غيرها. مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٤٥٦).

(٣) الخزم: الخاء والزاء والميم أصل يدل على انثقاب الشيء. فكل مثقوب مخزوم. والطير كلها مخزومة؛ لأن وترات أنفها مخزومة. ومنه خزمت البعير إذا جعلت في وترة أنفه خزامة من شعر والحبال خزمات، والشجرة خزمة وذلك أن لها لحاء يُفتل منه الحبال. السابق (٢/ ١٧٨).

(٤) مدركة: عامر أو عمرو بن إلياس وقيل في تسميته مدركة: أن إبلاً له نفرت فخرج إليها فأدركها. فسُمّي مدركة. الطبري (١/ ٥١٣).

(٥) ألس: الهمزة واللام والسين كلمة واحدة وهي: الخيانة. العرب تسمّي الخيانة ألْسًا. يقولون: «لا يُدالس ولا يُؤَالس» مقاييس اللغة (١/ ١٣١).

(٦) فهة الجهل والألسة: العي والزلل.

ومنها: أنه إفعال من قولهم: رَجَلٌ أَلْيسُ، وهو الشجاع الذي لاَ يَفِرُّ. قال العجاج:

أَلْيَسُ عن حَوْبَائِهِ[1] سَخِي

وقال آخر:

أَلْيَسُ كالنَّشْوانِ وهْوَ صاح

وفي غريب الحديث للقُتَبِيِّ[2] أن فلانًا: أَلْيَسُ أَهْيَسُ[3] أَلَدُّمِلْحَسُ[4]. إن سُئِل أَرَزَ[5]، وإن دُعِي انْتهَزَ. وقد فسّره، وزعم أن أَهْيَسُ مقلوبُ الواو، وأنه مرة من الْهَوَسِ، وجُعِلت واوُه ياءً لازدواج الكلام، فالأَلْيَسُ: الثابت الذي لا يَبْرَح، والذي قاله غير ابن الأنْبَارِيِّ أصحُّ، وهو أنه الياسُ سُمِّي بضدّ الرجاء، واللام فيه للتعريف، والهمزةُ همزة وصل، وقاله قاسِمُ بن ثابت في الدلائل[6]، وأنشد أبياتًا شواهد منها قول قُصَيّ:

إنِّي لَدَى الْحَرْبِ رَخِيُّ اللَّبَبِ[7] أُمَّهَتِي خِنْدِفُ[8] وَالْيَاسُ أَبِي

ويقال: إنما سُمِّي السُّلُ داءَ يَاسٍ؛ وداءَ إِلْيَاسِ، لأن إِلْيَاسَ بن مُضَرَ مات منه. قال ابن هَرْمة:

يقول العاذلون إذا رَأَوْني أُصِبْت بداءِ يَاسٍ، فهو مُودِي

وقال ابن أبي عاصية:

فلو كان داءُ إِلْيَاسِ بي، وأعانني طبيبٌ بأرواح العَقِيق شفانيا

وقال عُرْوة بن حِزام:

بي إِلْيَاسُ أو دَاءُ الْهُيامِ أصابني فإِيَّاكِ عَنِّي لا يَكُنْ بكِ ما بيا

---

(١) الحوباء: النفس.

(٢) يعني ابن قتيبة. قاله في غريب الحديث (١/ ٣٤) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) أهيس: كثير الأكل. (٤) ملحس: حريص.

(٥) الأرز: الممتلىء.

(٦) هو ابن حزم الأندلسي الفقيه المتوفّى سنة ٣٠٢ هـ.

(٧) رخي اللبب: أي واسع البال لا يضيق بها.

(٨) أمّهتي خندف: روى الطبري بسند منقطع عن هشام بن محمد قالوا: خرج إلياس من نُجعة له، فنفرت إبله من أرنب فخرج إليها عمرو فأدركها فسُمِّي مدركة، وأخذها عامرًا فطبخها فسُمِّي طابخة، وانقمع عمير في الجفاء فلم يخرج فسُمِّي قمعة، وخرجت أُمهم تمشي فقال لها: إلياس أين تخندفين؟ فسُمِّيت خندف. والخندفة ضرب من المشي. (الطبري ١/ ٥١٣).

ويُذكر عن النبي ﷺ أنه قال: لا تَسُبُّوا إلياسَ، فإنه كان مؤمنًا[1] وذكر أنه كان يسمع في صُلبِهِ تَلْبية النبي - ﷺ - بالحج[2]. يُنْظَر في كتاب المولد للواقدي.

وإلياسُ أول مَن أهدى الْبُدْنَ للبيت. قاله الزبير. وأُم إلياس: الرَّبابُ بنت حُمَيْرَةُ بن مَعَدّ بن عدنان قاله الطبري، وهو خلاف ما قاله ابن هشام في هذا الكتاب[3].

وأما مُضَر، فقد قال القُتَبيُّ[4] هو من الْمَضِيرَة، أو من اللبن الماضِر، والْمَضِيرةُ شيء يُصنع من اللبن، فسمّي: مُضَر لبياضِه، والعربُ تسمّي الأبيضَ أحمرَ، فلذلك قيل: مُضَرُ الحمراءُ، وقيل بل أوصى له أبوه بقُبَّة حمراءَ، وأوصى لأخيه ربيعةَ بِفَرسٍ، فقيل: مضر الحمراء، وربيعةُ الفَرس.

ومضر أول مَن سَنَّ للعرب حُداء الإبلِ[5]، وكان أحسنَ النَّاسِ صوتًا فيما زعموا - وسنذكر سبب ذلك فيما بعدُ - إن شاء الله تعالى -، وفي الحديث المروي: «لا تَسُبُّوا مُضَرَ ولا ربيعة، فإنهما كانا مؤمنين»[6] ذكره الزُّبَيْر بن أبي بكر.

نـزار ومعدّ:

وأمَّا نِزار، فمن النَّزْرِ وهو القليلُ، وكان أبوه حين وُلد له، ونظر إلى النور بين عينيه، وهو نورُ النُّبوةِ الذي كان ينتقل في الأصلاب[7] إلى محمد - ﷺ - فرح فرحًا شديدًا به،

---

(١) روى ابن سعد في طبقاته (١/١/٣٠) عن عبد الله بن خالد مرسلاً أن النبي ﷺ قال: «لا تسبّوا مضر فإنه كان قد أسلم».

(٢) لا أصل له ولا حاجة بنا إلى الكذب من أجله ﷺ - وكفانا تشريف القرآن له واصطفاء الله عزّ وجل له وإرساله إلى الثقلين الجنّ والإنس، ويقول ﷺ في الحديث الصحيح: «مَن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار». ويقول أيضًا: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم» وإنما وقع ودبّ الشرّ لا في بني آدم عند مغالتهم في الصالحين. انظر تفسير سورة الجن لابن كثير وغيره.

(٣) قال الطبري: «وأمه الرباب بنت حيدة بن معد (١/٥١٣) فلا وجه للمخالفة.

(٤) يعني ابن قتيبة كما مرّ.

(٥) ذكر ابن الأثير في الكامل (١/٤١٠): أن مضر سقط عن بعيره فجعل يقول: يا بداء - فأتته الإبل.

(٦) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٩/١١٠) وفي الكنز (٣٤١١٩) والفتح (٧/١٤٦).

(٧) كذب وافتراء لا أصل له - أُسطورة طفحت بها بعض كتب السيرة تحكي أن النبي ﷺ كان نورًا في جبهة آدم عليه السلام، ثم لمّا حضرته الوفاة انتقل النور إلى جبهة ولده ثم إلى ولد ولده وهكذا - وخيالات وأوهام فاسدة تجعل من سيرة ولد آدم ضرب من القصص الطفولي و«الخيال العلمي» الذي لا يرفضه العقل ويأباه - كقولهم أنه ﷺ «نور عرش الله» وأنه لولاه ما خلق الله الأفلاك والسمٰوات والأرض» وأنه كذا وكذا وكذا حتى صيَّروه إلـٰهًا، بل منهم [الصوفية] مَن صرّح بأنه «الله»=

ونَحَرَ وأطعم، وقال: إن هذا كله نَزْرٌ لحقِّ هذا المولود، فسُمِّي: نِزارًا لذلك[1].

وأما مَعَدٌّ أبوه فقال ابن الأنبارِي: فيه ثلاثةُ أقوالٍ، أحدها، أن يكونَ مَفْعَلاً من الْعَدِّ، والثاني أن يكونَ فَعَلاً من مَعَد في الأرض أي: أفسد كما قال:

وخـاربَـيْـنِ خَـرَبَـا فَـمَـعَـدَا ... مـا يَـحْـسِـبان الـلّـهَ إلاَّ رَقَـدَا[2]

وإن كان ليس في الأسماء ما هو على وزن فَعَل بفتح الفاء إلا مع التضعيف، فإن التضعيف يُدخل في الأوزان ما ليسَ فيها كما قالوا. شَمَّر وقُشَعْريرة، ولولا التضعيف ما وُجِد مثل هذا، ونحو ذلك الثالث أن يكونَ من الْمعَدَّيْن، وهما موضع عَقِبَي الفارسِ من الفَرَسِ[3] وأصله على القولين الأخيرين ممن الْمعْد بسكون العين، وهو القوة، ومنه اشتقاق المعدة.

عـدنـان:

وأما عَدْنَانُ فَفَعْلاَن من عَدَنَ إذا أقام، ولعدنان أخوان: نَبْتٌ وعَمْروٌ فيما ذكر الطبري[4].

النسب قبل عدنان:

وأُدَدٌ مَصْروفٌ. قال ابن السراج. هو من الْوُد وانصرف، لأنه مثل ثُقَب، وليس مَعْدولاً كعُمَرَ، وهو معنى قول سيبويه.

= فقال: يقول تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح: ١٠] فقالوا: إن الله قد حلّ في محمد ﷺ في ذلك الوقت ـ تعالى الله عمّا يقول الظالمون والكافرون علوًا كبيرًا ـ وقد حذّرنا ﷺ من هذه المغالاة، وقد حذّر الله قومًا من المغالاة فقال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ [النساء: ١٧١]، ولكن إنها السُّنن والتقليد إذ كيف يقول النصارى عليهم لعائن الله المتتالية: أن المسيح هو ابن الله ـ وعند البعض هو «الله». كيف يقولوا هذا ولا يقول الصوفية أن محمدًا هو الله ـ فالحذر الحذر من هذه الترّهات والخرافات التي قضت على عقيدة أكثر المسلمين حتى صاروا عُبّاد قبور ملتمس البركة والمدد من راقديها.

(١) وقيل سُمّي بذلك لضعفه إذ كان مهزول البدن وفي الفارسية: نزار أي مهزول.

(٢) وقيل وعد من الأرض إذا أبعد في الذهاب. وقال ابن فارس في مقاييسه (٥/ ٣٣٦) الميم والعين والدال أصلٌ صحيح يدل على غلظ في الشيء ـ والمعدّ: شدّ الشيء وانجذابه.

(٣) في اللسان: المعدان: الجنبان من الإنسان وغيره.

(٤) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ٥١٥).

....

وقد قيل في عدنان: هو ابن مَيْدَعَة وقيل ابن يخْشُم[1] قاله الْقُتَيبيُّ وما بعد عدنان من الأسماء مُضطَرب فيه، فالذي صحّ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوزه، بل قد رُوِيَ عن طريق ابن عباس أنه لما بلغ عدنان. قال: «كَذَبَ النَّسَّابُون مرتين أو ثلاثًا»[2]، والأصح في هذا الحديثِ أنه من قول ابن مسعود[3]، ورُوِيَ عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إنما ننتسب إلى عدنانَ، وما فوق ذلك لا ندري ما هو وأصحُّ شيءٍ رُوِيَ فيما بعدَ عدنانِ ما ذكره الدَّوْلَابي[4] أبو بشر من طريق موسى بن يعقوب، عن عبد الله بن وهب بن زَمْعَة الزَّمْعِيِّ، عن عَمَّته، عن أُمّ سَلمة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: مَعَدُّ بن عَدنانَ بن أُدَد بن زَنْد ـ بالنون ـ بن الْيرَى بن أعراقِ الثَّرى»[5] قالت أُمّ سَلَمة. فزَنْدٌ هو الْهَمَيْسَعُ، والْيرَى هو: نبتٌ، وأعراقُ الثَّرى هو: إسماعيل؛ لأنه ابن إبراهيمَ، وإبراهيمُ لم تأكُله النارُ، كما أن النارَ لا تأكل الثَّرى.

وقد قال الدَّارَقُطْنِيُّ: لا نعرف زَنْدًا إلا في هذا الحديث، وزَنْد بن الْجَوْنِ وهو أبو دُلَامَةَ الشاعر.

قال المؤلف: وهذا الحديث عندي ليس بمعارض لما تقدم من قوله: كذب النسابون[6]، ولا لقول عمر ـ رضي الله عنه ـ لأنه حديث مُتَأَوَّل يحتمل أن يكون قولُه: «ابن

---

(١) قاله ابن قتيبة في المعارف: «يجثوم».

(٢) «ضعيف» أخرجه ابن سعد (١/١/٢٨) وابن عساكر (١/ ٢٨٠) والقرطبي في تفسيره (٩/ ٣٤٤) عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعًا ـ به ـ. فيه هشام بن محمد بن السائب متروك. ووالده محمد بن السائب: كذاب. قال سفيان الثوري: قال لي الكلبي: كلّ ما حدّثتك به عن أبي صالح فهو كذب.

(٣) أخرجه القرطبي في السابق (٩/ ٣٤٤).

(٤) هو: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد الأنصاري الدولابي ـ متكلم فيه.

(٥) «إسناده ضعيف». أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٥) والطبراني في الصغير (٢/ ٦٢) عن موسى بن يعقوب عن عمّه الحرث بن عبد الله عن أبيه عن أُم سلمة. وموسى بن يعقوب: ضعيف. ترجمه الحافظ في التقريب فقال: صدوق سيىء الحفظ. وقد تفرّد به. وأخرجه الطبري في تاريخه (١/ ٥١٦) كما ذكر المصنف. وفيه أيضًا موسى بن يعقوب. وقال ابن دحية: «أجمع العلماء على أن رسول الله ﷺ إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه». ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى في «الزاد»: «إلى هاهنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسّابين، ولا خلاف فيه البتّة، وما فوق «عدنان» مختلف فيه. ولا خلاف بينهم أن «عدنان» من ولد إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومَن بعدهم» (١/ ٧١).

(٦) تقدم تخريج الحديث وسابقه وبيان ضعفهما فلا حاجة بنا إلى التأويل.

....

اليرى، ابن أعراقِ الثَّرى» كما قال: «كُلُّكُمْ بنو آدمَ، وآدمُ من تراب»[1] لا يريد أن الهَمَيْسَعَ ومَنْ دونه ابنٌ لإسماعيلَ لصُلْبِه، ولاَ بُدَّ من هذا التأويلِ أو غيره؛ لأن أصحابَ الأخبارِ لا يختلفون في بُعْد المدة ما بين عدنان وإبراهيم، ويستحيل في العادة أن يكون بينهما أربعةُ آباءٍ أو سبعةٌ، كما ذكر ابن إسحٰق، أو عشرةٌ أو عشرون؛ فإن المدة أطولُ من ذلك كُلِّه، وذلك. أن مَعَدّ بن عَدْنان كان في مدة بُخْتَنَصَّرَ[2] ابنَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سنةً.

قال الطبري: وذُكِر أن الله تعالى أوْحَى في ذلك الزمانِ إلى إرمياء بن حَلْقيا[3] أنِ اذْهَبْ إلى بُخْتَنَصَّرَ، فأعلمه أني قد سلّطته على العرب، واحمِلْ مَعَدًّا على الْبُرَاقِ كيلا تصيبه النِّقمةُ فيهم، فإني مُسْتَخْرِجٌ من صُلبِه نبيًّا كريمًا أختم به الرسلَ، فاحتمل مَعَدًّا على البُراق إلى أرضِ الشامِ، فنشأ مع بني إسرائيلَ، وتزوج هناك امرأةً اسمها: مُعَانة بنت جَوْشَنَ من بني دُبِّ بن جُرْهُم، ويقال في اسمها: ناعمة. قاله الزبير، ومن ثَمَّ وَقَع في كتاب الإسرائيليين نسبُ معدّ، ثبّته في كتبه رخيا، وهو يورخ[4] كاتب إرمياء. كذلك ذكر أبو عمر النَّمَرِيُّ[5] حدثت بذلك عن الْغَسَّانِي عنه، وبينه وبين إبراهيم في ذلك النسب نحو من أربعين جدًّا، وقد ذكَرهم كلُّهم أبو الحسن المسعودي على اضطراب في الأسماءِ، ولذلك - والله أعلم - أعرض النبي - ﷺ - عن رفع نسب عدنان إلى إسماعيل، لما فيه من التَّخْليط، وتغيير في الألفاظ، وعَواصَة تلك الأسماء مع قلة الفائدة في تحصيلها. وقد ذكر الطبري نسبَ عدنان إلى إسْماعيلَ من وُجُوه ذكر في أكثرِها نحوًا من أربعين أبًا، ولكن باختلافِ في الألفاظِ، لأنها نُقلت من كتب عِبْرَانِيَّةٍ، وذكر من وجهٍ قويٍّ في الرواية عن نُسَّابِ العرب، أن نسبَ عدنانَ يرجع إلى قَيْذَرَ بن إسماعيلَ، وأن قيْذَرَ كان المِلكَ في زمانه، وأن معنى قَيْذر: الملك إذا فُسِّر، وذكر الطبري في عَمُودِ هذا النسبِ بُورَا بن شُوحَا، وهو أَوَّلُ من عَتَرَ الْعَتِيرَة، وأن شُوحَا هو: سَعْدُ رَجَب، وأنّه أولُ مَن سَنَّ رَجَبًا للعربِ. والعتيرةُ هي الرَّجَبِيَّةُ[6].

(١) «حسن». أخرجه البزار (٢/ ٤٣٥) (٤/ ٢٢٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) هو أحد ملوك بابل.

(٣) ذكره الطبري في تاريخه (١/ ٣٢٦) وإسناده منقطع. والقصة مستقاة من العهد العتيق. وهي في حاجة إلى إثبات صحة ما جاء فيها.

(٤) هو يروخ كما في سفر أرميا.

(٥) هو أبو عمر بن عبد البر الحافظ المحدّث المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

(٦) تاريخ الطبري (١/ ٥١٧) وفيه أن قيذر: أي صاحب ملك. وكان أول مَن ملك من ولد إسماعيل.

يَعْرُبَ بن يَشْجُبَ بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم ـ خليل الرحمن ـ بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عَيْبَر بن شالَخ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوح بن لَمْك بن مَتُوشَلَخَ بن أخْنوخ، وهو إدريس النبيّ ـ فيما يزعمون ـ والله أعلم، وكان أول بني آدم أُعطي النبوّة، وخطّ بالقلم ـ ابن يَرْد بن مهْلَيِل بن قَيْنَن بن يانِش بن شيث بن آدم ﷺ.

وذكر في هذا النسب عُبَيْدَ بن ذي يَزَن بن هَمَاذَا، وهو الطَّعَّان، وإليه تُنسَبُ الرِّمَاحُ الْيَزَنِيَّةُ[١]، وذكر فيهم أيضًا دَوْسَ الْعُتُق، وكان من أحسنِ الناس وَجْهًا، وكان يقال في المثل: أعْتَقُ مِنْ دَوْسٍ[٢]، وهو الذي هزم جَيْشَ قَطُورَا بن جُرْهُم.

وذكر فيهم إسماعيلَ ذا الأعْوَج، وهو فرسه، وإليه تُنسب الْخَيْلُ الأعْوَجِيَّةُ[٣]، وهذا هو الذي يشبه، فإن بُخْتَنَصَّرَ كان بعد سليمان بمئتين من السنين، لأنه كان عاملاً على العراق «لكي لهراسب» ثم لابنه «كي بستاسب» إلى مدة بهمن قبل غلبة الإسْكَنْدر على دارا بن دارا بهمن، وذلك قريب من مدة عيسى ابن مريمْ فأين هذه المدة من مدة إسماعيل؟ وكيف يكون بين مَعَدٍّ وبنيه مع هذا سبعةُ آباءٍ، فكيف أربعة والله أعلم؟.

وكان رجوع معدّ إلى أرض الحجاز بعد ما رفع الله بأسَه عن العرب ورجعت بقاياهم التي كانت في الشواهِقِ إلى مَحَالِّهم ومِياهِهِم بعد أن دَوَّخ بلادَهم بُخْتَنَصَّرُ، وخرب المعمور، واسْتأْصَل أهل حَضُور[٤]، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وكَمْ قَصَمْنَا من قَرْيَة﴾[٥] الأنبياء الآية؛ وذلك لقتلهم شُعَيْب بن ذي مَهْدَم نبيًا أرسله الله إليهم[٦]؛ وقبْرُه بِصِنِّين جبل باليمن، وليس بشُعَيْبِ الأول صاحِب مَدْيَنَ. ذلك شُعَيْب بن عَيفي، ويقال فيه ابن صَيْفُون، وكذلك أهل عَدَنٍ، قتلوا نبيًا أُرسِل إليهم اسمه: حَنْظَلَةُ بن صفوان، فكانت سَطْوَةُ الله بالعربِ لذلك، نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.

عود إلى النسب:

ثم نعود إلى النسب. فأمَّا مُقَوِّم بكسرِ الواو، وأبو أُدَدٍ فمفهوم المعنى، وتيرَح فَيْعَل مِن التَّرْحَةِ إن كانَ عربيًا. وكذلك ناحُور من النَّحْرِ، ويَشْجُب من الشَّجَبِ، وإن كانَ المعروف أن يقال: شجب بكسر الجيم يشجَب بفتحها[٧]، ولكن قد يقال في المغالبة: شاجَبْتُه،

---

(١) في الطبري (١/ ٥١٧): «هو عبيد وهو يزن الطعان وهو أول مَن قاتل بالرماح فنسبت إليه».
(٢) مثَل يُضرب في الكلام والشرف.
(٣) الأعوج: فحل كريم تُنسَب إليه الخيل الكرام.
(٤) حَضور: بلدة باليمن.
(٥) سورة الأنبياء آية رقم (١١).
(٦) لم يصرّح القرآن بنبوّة شعيب.
(٧) الشجب: الحزن.

....

فَشجَبْته أشْجُبُه بضم الجيم في المستقبل، وفتحِها في الماضي؛ كما يقال من العِلم: عالمته فَعلَمْتُه بفتح اللام أعْلُمه بضمها. وقد ذكرهم أبو العباس الناشىء في قصيدته المنظومة في نسب النبي - ﷺ - إلى آدم كما ذكرهم ابن إسحٰق.

وإبراهيمُ معناه: أبٌ راحمٌ، وآزر قيل: معناه: يا أعوجُ، وقيل: هو اسم صَنَم، وانتصب على إضمار الفعلِ في التلاوة، وقيل: هو اسم لأبيه؛ كان يسمى تارح وآزر، وهذا هو الصحيح لمجيئه في الحديث منسوبًا إلى آزر وأُمُّه: نونًا، ويقال في اسمها. ليوثي، أو نحو هذا وما بعد إبراهيم أسماءٌ سُرْيانية فسّر أكثَرَها بالعربية ابنُ هشام في غير هذا الكتاب، وذكر أن فالع معناها: القسام، وشالَخ معناها: الرسول، أو الوكيلَ، وذكر أن إسماعيل تفسيره: مطيع الله، وذكر الطبري أن بين فالغ وعابر أبًا اسمه: قَينَن[1] أسقط اسمه في التوراة؛ لأنه كان ساحرًا، وأرْفَخْشَذُ تفسيره: مصباحٌ مُضيء، وشاذٌ مخفف بالسريانية «الضياء ومنه: حم شاذ» بالسُّرْيانِيّة وهو رابع الملوك بعد «جيومرث»، وهو الذي قتله الضحَّاك، واسمه «بيوراسب بن إندراسب» والضَحَّاكُ مُغَيَّرٌ من ازْدِهاق. قال حبيب:

وكأنَّه الضَّحَّاكُ في فَتَكَاتِهِ ... بالعالمين وأنت أفْريدون

لأن أفريدون هو الذي قتل الضحاك، بعد أن عاش ألف سنة في جَوْرٍ وعَتُوٍّ وطُغيان عظيم؛ وذلك مذكور على التفصيل في تاريخ الطبري وغيره.

نوح ومَن قبله:

وذكر نُوحًا - عليه السلام - واسمُه: عبدُ الغفار؛ وسُمِّيَ نُوحًا لِنَوْحِه على ذنبِه[2]، وأخوه: صابىءُ بن لامِك؛ إليه يُنسب دينُ الصابئين[3] فيما ذكروا واللَّهُ أعلم.

وذكر أن لامِكَ والدُ نوح عليه السلام. ولامِكُ أول مَن اتخذ العودَ للغناءِ بسببِ يَطُول ذِكرُه، واتخذ مصانعَ الماءِ. وأبوه: مُتُوشَلَخُ. وذكره الناشىءُ في قصيدته[4] فقال: مَتُّوشَلَخ، وتفسيره: مات الرسول؛ لأن أباه كان رسولاً وهو[5] خنوخ؛ وقال ابن إسحٰق وغيره: هو

---

(١) الطبري في تاريخه (٥١٨/١).

(٢) أما اسمه «عبد الغفار» ففي حاجة إلى دليل قاطع، وأما وجه تسميته نوحًا لنَوْحِهِ على ذنبه، وقبل أن يُذنب تُرى ماذا كان اسمه؟!!.

(٣) الصابئين: هم عبدة الملائكة والكواكب، الخارجين من دين إلى دين.

(٤) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الناشىء. والقصيدة ذكرها ابن كثير في البداية والقصد والأمم لابن عبد البر. رحمهم الله تعالى.

(٥) في الطبري: «خنوخ».

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدّثنا زِياد بن عبد الله البَكّائي، عن محمد بن إسحٰق المطّلبي بهذا الذي ذكرتُ من نَسَب محمَّد رسول الله صلّى الله وآله وسلم إلى آدم عليه السلام، وما فيه من حديث إدريس وغيره.

قال ابن هشام: وحدّثني خَلاَّد بن قُرّة بن خالد السَّدُوسيّ، عن شَيْبان بن زُهَيْر بن شقيق بن ثَوْر عن قَتَادة بن دِعامة، أنه قال:

إدريس النبي - عليه السلام - وروى ابن إسحٰق في الكتاب الكبير عن شهرِ بن حَوْشَب عن أبي ذَرٍّ عن النبي - ﷺ - أنه قال: «أولُ مَنْ كتب بالقلم إدريسُ»[١] وعنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «أوَّلُ مَنْ كتب بالعربية إسماعيلُ»[٢] وقالَ أبو عُمَر: وهذه الرواية أصحّ من رواية مَن روى: أن أولَ مَنْ تكلم بالعربية إسماعيلُ؛ والخلاف كثير في أول مَن تكلّم بالعربية. وفي أول مَن أدخل الكتابَ العربيَّ أرضَ الحجازِ. فقيل: حَرْبُ بن أُمَيَّةَ. قاله الشعْبيُّ. وقيل: هو شعبان بن أُمَيَّةَ. وقيل: عَبْدُ بن قُصَيّ تعلّمه بالحيرةِ أهلُ الحيرة من أهل الأنبَار[٣].

إدريـــس:

قال المؤلف: ثم نرجع الآن إلى ما كنّا بِصَدَدِه. فنقول: إن إدريسَ - عليه السلام - قد قيل: إنه إلْيَاسُ، وإنه ليس بجَدٍّ لِنُوحٍ. ولا هو في عمودِ هذا النسبِ. وكذلك سمعتُ شيخَنا الحافظَ أبا بَكْرٍ[٤] - رحمه الله - يقول - ويستشهد بحديث الإسراء - فإن النبي - ﷺ - كُلَّما لَقيَ نبيًّا من الأنبياءِ الذين لَقِيَهُمْ ليلةَ الإسراء، قال: مَرْحبًا بالنبيِّ الصالح والأخ الصالح. وقال له آدَمُ: مرحبًا بالنبي الصالح، والابنِ الصالِح. كذلك قال له إبراهيم. وقال له إدريس: والأخ الصالِح. فلو كان في عمودِ نسبِه، لقال له كما قال له أبوه إبراهيم، وأبوهُ آدمُ، ولَخَاطَبَهُ بالبُنُوَّةِ، ولم يخاطبه بالأُخوّة. وهذا القول عندي أنْبَلُ، والنفس إليه أمْيَلُ لما عَضَده من هذا الدليل.

وقال: إدريسُ بن يَرْد[٥]، وتفسيرُه: الضابط. ابن مَهْلاَئيل، وتفسيره: الْمُمَدَّحُ، وفي زمنه كان بدءُ عبادة الأصنامِ.

---

(١) أخرجه أحمد، وشهر بن حوشب: ضعيف. (٢) أخرجه ابن عبد البر في القصد والأمم.

(٣) الأنبار: مدينة قرب بلخ بخُرَاسان.

(٤) يعني القاضي أبا بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري. المتوفى سنة ٥٤٣ هـ.

(٥) في الطبري: يارد. (١/٥١٨).

إسماعيل بن إبراهيم - خليل الرحمن - ابن تارِح - وهو آزر - بن ناحور بن أسرغ بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوح بن لَمْك بن مَتُوشَلَخ بن أخنوخ بن يَرْد بن مهْلائِيل بن قاين بن أنُوش بن شيث بن آدم ﷺ.

عمل ابن هشام في سيرة ابن إسحٰق

قال ابن هشام: وأنا إن شاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومَن

«ابن قَيْنَان» وتفسيره: المستوى. «ابن أنوش» وتفسيره: الصادقُ، وهو بالعربية: أنش؛ وهو أول مَن غَرَس النخلة، وبَوَّبَ الْكَعْبَة[1] وَبذر الْحَبَّةَ فيما ذكروا، «ابن شيث» وهو بالسريانية: شاث. وبالعبرانية: شيث. وتفسيره: عِطِيَّةُ الله «ابن آدم».

آدم:

وفيه ثلاثة أقوال: قيل: هو اسمٌ سُرْيَانِيٌ وقيل: هو أفْعَل من الأُدْمَةِ. وقيل: أُخِذ من لفظ الأدِيم[2]. لأنه خُلق من أدِيم الأرضِ. ورُوِيَ ذلك عن ابن عباس. وذكر قاسمُ بن ثابتٍ في الدلائل عن محمد بن الْمستَنِير. وهو: قُطْرُبٌ أنه قال: لو كان من أديمِ الأرضِ لكان على وزن فاعِل، وكانت الهمزةُ أصْلِيَّةٌ فلم يكن يمنعه من الصرف مانعٌ، وإنمَا هو على وزن أفْعَل من الأُدْمَة. ولذلك جاء غيرَ مجرى[3].

قال المؤلف: وهذا القول ليس بشيء؛ لأنه لا يَمْتنع أن يكونَ من الأديم ويكون على وزن أفْعَل. تدخل الهمزةُ الزائدةُ على الهمزة الأصْلية كما تدخل على همزة الأُدْمَة. فأول الأُدمة همزة أصلية. فكذلك أولُ الأديمِ همزَةٌ أصْلِيَّة. فلا يُمْتَنَع أن يُبْنَى منها أفْعَلُ. فيكون غير مَجْرى. كما يقال: رجل أعْيَنُ وَأَزْأَسُ من العين والرأس. وأسْوَقُ وأغْنَق من السَّاقِ والعُنُق. مع ما في هذا القول من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم منه لسانًا، وأذكى جَنَانًا.

حكم التكلّم في الأنساب

قال المؤلف: وإنَّما تَكَلَّمْنا في رَفْع هذا النسب على مذهب مَنْ رأى ذلك من العلماءِ.

---

(١) بوَّب الكعبة: أي جعل لها أبواب. وهذا مخالف للصحيح من الأخبار التي تثبت أن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام هما أول مَن أقاما الكعبة.

(٢) الأديم: الجلد. وروى الطبري في تاريخه (١/ ٦٣) عن سعيد بن جبير قال: إنما سُمِّي آدم لأنه خلق من أديم الأرض.

(٣) غير مجرى: أي ممنوع من التنوين.

وَلدَ رسولَ الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ مِن ولدِه، وأولادهم لأصلابهم، الأوّلَ فالأوّل، من إسماعيل إلى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وما يَعْرض من حديثِهم، وتاركٌ ذِكْرَ غيرهم مِنْ ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وتاركٌ بعضَ ما ذكره ابن إسحٰق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سببًا لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيرًا له، ولا شاهدًا عليه؛ لما ذكرت من الاختصار وأشعارًا ذكرها لم أرَ أحدًا من أهل العلم بالشِّعر يعرفها، وأشياءَ بعضُها يَشْنُع الحديثُ به، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكْرُه، وبعضٌ لم يُقِرّ لنا الْبَكّائيُّ بروايته، ومستقصٍ ـ إن شاء الله تعالى ـ ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به.

ولم يكرهه كابن إسحٰق والطَّبَرِي والبُخَاريّ والزُّبيْريِّين، وغَيرهم من العلماء. وأما مالك ـ رحمه الله ـ فقد سُئل عن الرجل يرفع نسَبَه إلى آدمَ فكرِه ذلك. قيل له: فإلى إسماعيلَ، فأنكر ذلك أيضًا. وقال: وَمَنْ يخبره به؟!! وكره أيضًا أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال: إبراهيم بن فُلان بن فُلان. قال: وَمَنْ يُخبره به؟ وقع هذا الكلامُ لمالكٍ في الكتاب الكبير المنسوب إلى الْمُعِيطِيّ وإنما أصله لعبد الله بن محمد بن حُنَيْن[1]. وتمّمه الْمُعِيطِيُّ، فنسب إليه. وقولُ مالك هذا نحو مِمَّا رُوِيَ عن عُرْوَة بن الزُّبَيرِ أنه قال: ما وجدنا أحدًا يعرف ما بين عدنان وإسماعيل، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبًا لا يعرفون.

---

(١) في شرح المواهب للزرقاني «ابن جبير».

سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

أبناء إسماعيل عليه السلام:

قال ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائيّ[١]، عن محمد بن إسحٰق الْمُطَّلبي قال:

وَلَدَ إسماعيلُ بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ اثني عشر رجلاً: نابتًا ـ وكان أكبرَهم ـ وقيْدَر، وأذْبُل[٢]، ومنشا، ومِسْمَعا، وماشى، ودِمًّا، وأذر، وطيما، ويَطُورا، ونَبِش، وقَيْذُما. وأمهم: بنت مُضَاض بن عمرو الجُرْهُمي[٣] ـ قال ابن هشام: ويقال: مِضاض. وجُرْهُم بن قَحْطان ـ وقحطان أبو اليمن كلها، وإليه يجتمع نسبُها ـ ابن عابر بن شالخ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوح.

قال ابن إسحٰق: جُرْهم بن يَقْطَن بن عَيْبَر بن شالخ، ويقطن هو قَحْطان بن عَيْبَر بن شالخ.

ذكر إسماعيل صلّى الله عليه وبنيه

وقد كان لإبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ بَنُونَ سِوى إسحٰقَ وإسماعيلَ منهم ستة من قطورا بنتِ يَقْطر وهم: مَدْيانُ وَزَمْرَانُ وسِرج بالجيم ونِقْشَانُ ـ ومن وَلِد نِقْشَانَ الْبَرْبَرُ في أحد الأقوالِ ـ وأُمُّهم رِغْوَة. ومنهم نَشق ولَه بَنُون آخرون من حَجُّون بنت أهين، وهم: كِيسان وسُورَج وأُمَيْم ولوطان ونافس. هؤلاء بنو إبراهيم.

---

(١) تقدمت ترجمة البكائي وبيان ضعفه.

(٢) في الطبري: «أدبيل» ومنشا ومسمع ودما وماس وأدد ووطور ونفيس وطما وقيدمان» (١/ ١٨٩).

(٣) قال الطبري: «وهي التي قال لها إبراهيم إذ قَدِمَ مكة وهي زوجة إسماعيل: قولي لزوجك إذا جاء: قد رضيت لك عتبة بابك» (١/ ١٨٩).

وفاة إسماعيل، وموطن أمه:

قال ابن إسحٰق: وكان عُمْر إسماعيل ـ فيما يذكرون ـ مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات ـ رحمة الله وبركاته عليه ـ ودُفن في الْحِجْر مع أُمه هاجَر، رحمهم الله تعالى.

قال ابن هشام: تقول العرب: هاجر وآجَر، فيبدلون الألف من الهاء، كما قالوا: هَرَاقَ الماءَ، وأراق الماءَ وغيره: وهاجر من أهل مصر.

وقد ذكر ابن إسحٰق أسماءَ بني إسماعيل، ولم يذكر بنته، وهي نَسْمَة[١] بنت إسماعيل، وهي امرأةُ عيصو بن إسحٰق[٢]، وولدت له الرومَ وفارِسَ ـ فيما ذكر الطبري[٣] ـ وقال: أشك في الأشبان هل: هي أُمهم، أم لا؟ وهم من ولد عِيصو، ويقال فيه أيضًا: عِيصًا، وذكر في ولد إسماعيل طِيما، وقيّده الدارَقُطْنِي: ظميًا بظاء منقوطة بعدها ميم كأنها تأنيثَ أظمى، والظَّمَى مَقْصُورٌ: سُمْرَةٌ في الشَّفَتَيْنِ.

وذكر دِمًّا، ورأيت للبكْرِيِّ أن دُومَةَ الجَنْدَلِ عُرفت بدُوما بن إسماعيلَ وكان نَزَلها، فلعل دِمًّا مُغَيَّر منه، وذكر أن الطورَ سُمِّيَ بيَطور بن إسماعيلَ، فلعله محذوفُ الياءِ أيضًا ـ إن كان صحّ ما قاله ـ والله أعلم.

وأما الذي قاله أهل التفسير في الطور، فهو كل جبل يُنبت الشجر، فإن لم يُنْبت شيئًا فليس بطورٍ[٤]، وأما قَيْذَرُ فتفسيره عندهم: صاحبُ الإبل، وذلك أنه كان صاحبَ إبلِ إسماعيل. قال: وأمه: هاجَر. ويقال فيها: آجر، وكانت سُرِّيَّةً[٥] لإبراهيمَ، وهبتها له سارة بنت عمّه، وهي سارة بنت تُوبِيل بن ناحور، وقيل: بنت هاران بن ناحور، وقيل: هارانُ بنت تارح.

وهي بنتُ أخيه على هذا، وأُخت لوط. قاله الْقُتَبِيُّ في المعارف، وقاله النقاش في التفسير، وذلك أن نكاح بنت الأخ كان حلالاً إذْ ذاكَ فيما ذُكر، ثم نقض النَّقاشُ هذا القولَ في تفسير قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لكم من الدين مَا وَصَّى به نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]. إن هذا يدل على تحريمِ بنت الأخِ على لسانِ نوحٍ ـ عليه السلامُ ـ وهذا هو الحق، وإنما توهموا

---

(١) في الطبري: «يسمة».
(٢) عند الطبري «عيص» وفي سفر التكوين: «عيسو».
(٣) الطبري في تاريخه (١/ ١٩٠).
(٤) الطور: الطاء والواو والراء أصل صحيح يدلّ على معنى واحد وهو الامتداد في شيء من مكان أو زمان. والطور جبل. مقاييس اللغة (٣/ ٤٣٠) بتصرّف.
(٥) سُرِّيَّة: أي أمة مملوكة.

حديث في الوصاة بأهل مصر:

قال ابن هشام: حدّثنا عبد الله بن وَهب عن عبد الله بن لَهِيعة، عن عمر مولى غُفرة أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال:

«اللَّهَ اللَّهَ في أهل الذِّمَّة، أهل المَدَرةِ السوداء، السُّحْمِ الْجِعَادِ، فإن لهم نسبًا وصهرًا»[1].

أنها بنت أخيه، لأن هاران أخوه، وهو هارانُ الأصغر، وكانت هي بنتَ هارانَ الأكبرِ، وهو عمّه، وبِهارَانَ سُمِّيت مدينة حَرَّان؛ لأن الحاءَ هاءٌ بلسانهم، وهو سُرْيَانِيّ وذكر الطبري أنَّ إبراهيمَ إنما نطق بالعِبْرانِيَّةِ حين عَبَرَ النهر فارًّا من النمروذ، وكان النمروذ قد قال لِلطَّلَبِ[2] الذين أرسلهم في طلبه: إذا وجدتم فتًى يتكلم بالسُّرْيانِيَّةِ، فرُدُّوه، فلما أدركوه استنطقوه، فحوّل اللَّهُ لسانَه عِبْرانِيًا، وذلك حين عَبَر النهر، فَسُمِّيت الْعِبْرَانِيَّةَ بذلك[3]، وأما السُّرْيَانِيَّةُ فيما ذكر ابن سَلام ـ فسميت بذلك؛ لأن الله ـ سبحانه ـ لمّا علّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها، عَلَّمَهُ سِرًّا من الملائكةِ! وأنطقه بها حينئذ[4]، وكانت هاجرُ قبل ذلك لملك الأُرْدُنّ، واسمه صَادُوق ـ فِيما ذكر القُتَبِيُّ ـ دفعها إلى سَارَّةَ حين أخذَها من إبراهيمَ عَجَبًا منه بجمالِها، فَصُرِع مكانَه، فقال: ادْعِي اللَّهَ أن يُطْلِقني. الحديث، وهو مشهور في الصِّحَاحِ، فأرسلَها، وأَخْدَمها هاجر، وكانت هاجرُ قبل ذلك الملكِ بنتَ ملكٍ من ملوك الْقِبط بمصرَ ذكره الطبري من حديث سيف بن عمر أو غيره أن عمرو بن العاصِ حين حاصر مصرَ، قال لأهلها: إن نَبِيَّنا عليه السلامِ قد وعدنا بفتحها، وقد أمرنا أن نَسْتَوْصِيَ بأهلها خيرًا، فإنَّ لهم نَسَبًا وصِهْرًا، فقالوا له: هذا نسبٌ لا يَحْفظ حقَّه إلا نبيٌّ، لأنه نسبٌ بعيدٌ. وَصَدقَ، كانت أُمُّكم امرأةً لملك من ملوكنا، فحارَبَنا أهلُ عين شمسٍ، فكانت لهم علينا دَوْلَةٌ، فقتلوا الملك واحتملوها، فمن هناك تَصَيَّرتْ إلى أبيكم إبراهيمَ ـ أو كما قالوا ـ وذكر الطبري أن الملكَ الذي أراد سَارَّةَ هو سِنَانُ بن عُلْوانَ، وأنه أخو الضحَّاك الذي تقدّم ذكره، وفي كتابِ التيجانِ لابنِ هشامٍ أنه عَمْرُو بن امرىءِ الْقيسِ بن بابِلْيُون بن سَبَأ، وكان على مصرَ والله أعلم.

وهاجرُ أولُ امرأةٍ ثُقِبتْ أُذُناها، وأول مَن خَفَض من النساء[5]، وأول مَنْ جَرَّت ذيلها، وذلك أن سَارَّة غضبت عليها، فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها، فأَمَرَها إبراهيمُ

---

(١) إسناده ضعيف. فيه عبد الله بن لهيعة: ضعيف. وعمر مولى غفرة: ضعيف كثير الإرسال. التقريب (٢/ ٥٩) وقد أرسله.

(٢) للطَّلَبِ: أي طالبيه.

(٣) الطبري (١/ ١٨٥).

(٤) تأويل بعيد جدًا.

(٥) الخفض: أي الختان.

قال عمر مولى غُفْرة: نسبهم: أنّ أم إسماعيل النبيّ ـ ﷺ ـ منهم. وصِهْرهم، أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ تَسرّر فيهم.

قال ابن لَهيعَة: أم إسماعيل: هاجَرُ، من «أُمّ العَرَب» قريةٍ كانت أمام الفَرَما من مصر.

وأُم إبراهيم: مارية سُرِّيّة النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ التي أهداها له المُقَوْقِس من حَفْن، من كُورة أنْصِنا.

قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد بن مُسْلِم بن عُبَيد الله بن شهاب الزُّهْرِيّ: أنّ عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، ثم السُّلَمي حدّثه أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال:

«إذا افتتحتم مصر، فاستوصُوا بأهلها خيرًا؛ فإنّ لهم ذِمَّةً ورَحِمًا» فقلت لمحمد بن مسلم الزهري: ما الرحم التي ذكر رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ لهم؟ فقال: «كانت هاجَرُ أُمُّ إسماعيل منهم»[1].

ـ عليه السلام ـ أن تَبَرَّ قَسَمَها بثقب أُذُنيها وخفاضِها، فصارت سُنَّة في النساء، ومِمَّنْ ذكر هذا الخبر ابن أبي زيد في نوادره.

وإسماعيل عليه السلام نبي مرسل، أرسله الله تعالى إلى أخواله من جُرْهُم وإلى العماليق الذين كانوا بأرض الحجاز، فآمن بعض وكفر بعض.

وقوله: وأُمهم بنت مِضَاض، ولم يذكر اسمهَا. واسمُها: السيدة ذكره الدَّارَقُطْنِي. وقد كان له امرأةٌ سواها من جُرْهُم، وهي التي أمره أبوه بتطليقها حين قال لها إبراهيم: قولي لزوجكِ: فَلْيُغَيِّر عتبتَه[2] يقال اسمُها: جداء بنت سعد، ثم تزوج أخرى، وهي التي قال لها إبراهيم في الزَّوْرةِ الثانية قولي لزوجك: فليثبّت عتبة بيته: الحديث، وهو مشهور في الصِّحاح أيضًا يقال اسم هذه الآخرة: سَامَة بنت مُهَلْهِل، ذكرهما، وذكر التي قبلها الواقدي في كتابِ «انتقال النور» وذكرها المسعودي أيضًا[3] وقد قيل في الثانية: عاتكة.

---

(١) «إسناده مرسل». أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ١٥٠) عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ـ مرسلاً. والحاكم (٢/ ٥٥٣) عن الزهري عن ابن كعب عن أبيه وصححه على شرطهما.

(٢) أخرج البخاري في كتاب «الأنبياء» أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يزور ولده إسماعيل، وفي مرة لم يجده فسأل زوجته عن عيشهم فقالت: نحن في ضيق وشدة، فقال لها: أخبري زوجك أن يغيّر عتبة داره [كناية عن فارقها] وحضر إسماعيل عليه الصلاة والسلام فأخبرته زوجته بما حدث فقال لها: «هذا أبي وقد أمرني أن أُفارقك».

(٣) ذكرها المسعودي في مروج الذهب (٢/ ٤٧).

أصل العرب وأولاد عدنان ومعدّ وقضاعة:

قال ابن هشام: فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، ويقول: إسماعيل أبو العرب كلها.

قال ابن إسحٰق: عادُ بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح، وثمود وجَديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح، وطَسْم وعِمْلاق وأُمَيْم بنو لاوَذ بن سام بن نوح. عربٌ كلهم فولَدَ نابتُ بن إسماعيل: يَشْجُبَ بن نابت، فولَدَ يشجبُ يَعْرُبَ بن يشجب، فولَدَ يعرب: تَيْرَح بن يعرب، فولد تيرح: ناحورَ بن تيرح، فولَدَ ناحور: مُقَوّم بن ناحور: فولَدَ مُقَوِّم أُدَد بن مقوِّم: فولَدَ أدد: عدنان بن أُدَدَ. قال ابن هشام: ويقال: عدنان بن أُدّ.

هدايا المقوقس:

وقوله: في حديث عُمَر: مولى غُفْرة[1]، وغفرة هذه هي أُخت بلال بن رَبَاح. وقول مولى غفرة هذا: إن صِهْرهم لكون رسول الله ـ ﷺ ـ تَسَرَّر[2] منهم، يعني: مارِيَةَ بنت شَمْعُون التي أهداها إليه الْمُقَوْقِسُ، واسمُه: جُرَيْج بن ميناء، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ قد أرسل إليه حاطِبَ بن أبي بَلْتَعَةَ وجَبْرًا مولى أبي رُهْم الغِفَارِي، فقَارب الإسلاَمَ وأهدى معهما إلى النبي ـ ﷺ ـ بغلته التي يقال لها دُلْدُل، والدُّلْدُلُ: الْقُنْفُذُ العظيمُ، وأهدى إليه مارِيَة بنت شَمْعُونَ، والماريةُ: بتخفيف الياء: البقرة الْفَتِيَّة بخطِّ ابن سراجِ يذكره عن أبي عَمْرو المطرز.

وأما المارِيَّة بالتشديد، فيقال قَطاةٌ مارِيَّة أي: مَلْسَاءُ قاله أبو عبيد في الغريب المصنف.

وأهدى إليه أيضًا قَدَحًا من قوارِيرَ، فكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ يشرب فيه. رواه ابن عباس، فيقال: إن هِرَقِلَ عزله لما رأى من ميله إلى الإسلام. ومعنى المقوقِس: الْمُطَوِّلُ للبناء، والْقُوسُ: الصَّوْمَعَة العالية، يقال في مَثَلٍ: أنا في الْقَوسِ وأنت في الْقَرْقُوسِ متى نجتمع؟ وقولُ ابن لَهِيعَةَ بالْفَرمَا من مصرَ. الْفَرمَا: مدينة كانت تنْسَبُ إلى صاحبِها الذي بناها، وهو الْفَرمَا بن قيلقوس، ويقال فيه: ابن قليس، ومعناه: مُحِبُّ الغرس، ويقال فيه: ابن بليس. ذكره المسعودي. والأول قول الطبري، وهو أخو الإسكندر بن قليس اليوناني، وذكر الطبري أن الإسكندر حين بنى مدينة الإسكندرية قال: أبني مدينةً فقيرة إلى الله، غَنِيَّةً

---

(١) تقدمت ترجمته وبيان ضعفه.

(٢) تسرّر منهم: أي اتخذ منهم سرية ـ أمة لفراشه.

قال ابن إسحٰق: فمن عدنان تفرّقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - فولَدَ عدنانُ رجلَيْن: معدّ بن عدنان، وعكّ بن عدنان.

عن الناس، وقال الفرما: أبني مدينة فقيرة إلى الناس، غنية عن الله، فسلَّط اللَّهُ على مدينة الفرما الخرابَ سريعًا، فذهب رَسْمُها، وعفا أثرُها، وبقيت مدينة الإسكندر إلى الآن، وذكر الطبري أن عَمْرو بن العاص حين افتتح مصرَ، وقف على آثارِ مدينةِ الفرما، فسأل عنها، فَحُدِّثَ بهذا الحديث، والله أعلم.

مصر وحفن:

وأما مِصْرُ فسميت بمصر بن النبيط، ويقال: ابن قبط بن النبيط من ولد كُوش بن كَنْعان[1]. وأما حَفْن التي ذكر أنها قريةُ أُمّ إبراهيمَ بنِ النبي - ﷺ - فقرية بالصعيد معروفة، وهي التي كلّم الحسنُ بن علي - رضي الله عنهما - معاويةَ أن يضَع الخراجَ عن أهلِها، ففعل معاويةُ ذلك حفظًا لوصية رسول الله - ﷺ - بهم، ورعاية لِحُرمة الصهر، ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال[2]: وذكر «أنْصِنَا» وهي قرية بالصعيد يقال: إنها كانت مدينة السَّحَرَةِ. قال أبو حنيفةَ: ولا ينبت اللَّبَخُ إلا بأنْصِنا، وهو عود تُنْشَر منه ألواحٌ للسفنِ، وربما، رَعَفَ ناشرُها، ويباعُ اللوحُ منها بخمسينَ دينارًا، أو نحوها، وإذا شُدّ لوحٌ منها بلوحٍ، وطرح في الماء سنةً الْتَأَما، وصارا لوحًا واحدًا.

عَـــكّ:

فصل: وذكر عَكَّ بن عَدْنَانَ، وأنْ بعضَ أهل اليمن يقول فيه: عَكُّ بن عَدْنان بن عبد الله، بن الأزدِ، وذكر الدَّارَقُطْني في هذا الموضع عن ابن الحباب أنه قال فيه: عَكُّ بن عبد الله، بن عُدْثان بالثاء المثلثة، ولا خلافَ في الأولِ أنه بنُونَيْن، كما لم يُختلف في دَوْسِ بن عُدثان، أنه بالثاء، وهي قبيلة من الأزدِ أيضًا، واسم عَكّ: عامرٌ. والدِّيثُ الذي ذكره هو بالثاء، وقاله الزبير: الذِّيب بالذال والياء، ولعدنان أيضًا ابن اسمه: الحارث، وآخر يقال له الْمُذْهَبُ[3]، ولذلك قيل في المثل: أجْمَلُ من الْمُذْهَب، وقد ذكر أيضًا في بَنِيه الضَّحَّاك وقيل في الضَّحَّاكِ إنه ابن مَعَدٍّ، لا ابنُ عَدْنان، وقيل إنَّ عَدَن الذي تُعرف به مَدينةُ

---

(١) ذكر الطبري (١/١٢٧) أن القبط هم أولاد قوط بن حام بن نوح، وفي رواية أن مصرايم بن حام بن نوح هو والد المصريين. وفي مروج الذهب للمسعودي (١/٣٥٧) أن الأقباط هم أولاد قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح وأنه قيل لكل قبط مصر.

(٢) الأموال لأبي عبيد (٣٧٥).

(٣) المذهب: أي المملوء ذهبًا.

قال ابن هشام: فصارت عكّ في دار اليمن، وذلك أن عكًّا تزوّج في الأشعريِّين، فأقام فيهم، فصارت الدار واللغة واحدةً، والأشعريون: بنو أشعر بن نَبْت بن أُددَ بن زيد بن هَمَيْسَع بن عمرو بن عَرِيب بن يَشْجُب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قحطان، ويقال: أشعرُ: نَبْتِ بن أُددَ، ويقال: أشعر: بنُ مالك، ومالكٌ: مَذْحِجُ بن أُددَ بن زيد بن هَمَيْسع. ويقال أشعر: بنُ سبأ بن يَشْجُب.

عدن، وكذلك أبْيَنُ هما: ابنا عدنانَ، قاله الطبري. ولِعدنانَ بن أُدَدِ أخوان: نَبْتُ بن أُددِ، وعَمْرُو بن أُدَدِ. قاله الطبري أيضًا[1].

ذكر قحطان والعرب العاربة:

أَما قَحْطَانُ فاسمهُ مِهْزَمٌ - فيما ذكر ابن مَاكولا - وكانوا أربعةَ إخوةٍ فِيما رُوِيَ عن ابن مُنَبِّهٍ: قحطانُ وقاحِطُ ومِقْحَط وفَالِغٌ. وقحطانُ أولُ مَن قيل له: أَبَيْتَ اللَّعنَ[2]، وأول مَن قيل له: عِمْ صَبَاحًا[3]، واختلف فيه، فقيل: هو ابن عابِر بن شالِخ، وقيل: هو ابنُ عبدِ الله أخو هود، وقيل: هو هُودٌ نفسُه، فهو على هذا القولِ من إرَمَ بن سام، ومَنْ جعل العربَ كلَّها من إسماعيلَ قالوا فيه: هو ابن تَيْمَنَ بن قَيْذَرَ بن إسماعيلَ. ويقال: هو ابنَ الْهَمَيْسَع بن يَمَن وبيمن سُمِّيت اليمن في قول، وقيل: بل سُمِّيَتْ بذلك لأنها عن يمينِ الكعبة. وتفسيرُ الْهَمَيْسَع: الصَّرَّاع. وقال ابن هشام: يَمن هو. يَعْرُبُ بن قحطانَ، سُمِّي بذلك؛ لأن هودًا عليه السلامِ قال له: أنت أيْمَنُ ولديّ نَقيبةً[4] في خبر ذكره. قال؛ وهو أول مَن قال الْقَرِيضَ والرَّجَزَ، وهو الذي أجْلَى بني حامٍ إلى بلاد المغرب بعد أن كانوا يأخذون الجزية من وَلَدِ قُوطة بن يافثٍ. قال: وهي أول جِزْيَةٍ وخراجٍ أُخِذَتْ في بني آدمَ. وقد احتجوا لهذا القول أعني: أن قحطانَ من ولد إسماعيل[5] عليه السلام يقول النبي - ﷺ -: «ارْمُوا يا بَنِي إسماعيل فإن أباكم كان راميًا»[6] قال هذا القول لقوم من أَسْلَمَ بن أفْصَى، وأسلم أخو خُزاعة وهم بَنُو حَارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهم من سبأ بن يَشْجب بن يَعْرُب بن قحطانَ، ولا حُجَّة عندي في هذا الحديث لأهل هذا القولِ: لأنَّ اليمنَ لو كانت من إسماعيل - مع أن عدنان كلها من إسماعيل بلا شكٍّ - لم يكن لتخصيصِ هؤلاء القوم بالنسب إلى إسماعيل معنى؛ لأن غيرَهم من العرب أيضًا أبوهم إسماعيلُ، ولكنْ في الحديث دليلٌ

---

(١) الطبري في تاريخه (١/ ١٥٠).
(٢) أي أبيت إلا اللعن.
(٣) عم صباحًا: أي أنعم الله صباحك أو نعم صباحك.
(٤) نقيبة: أي نفسًا.
(٥) انظر الطبري (١/ ١٢٧) والإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر (ص ٥٥ - ٥٧).
(٦) «صحيح». أخرجه البخاري (٦/ ٥٩) وأحمد (٤/ ٥٠) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٧).

وأنشدني أبو محرزٍ خلف الأحمر، وأبو عبَيْدة، لعباس بن مِرْداس، أحد بنِي سُلَيم بن منصور بن عِكْرِمَة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان، يفخر بعكّ:

وعكّ بنُ عدنان الذين تَلَقَّبوا ... بغَسَّان حتى طُرّدوا كل مَطرَد

وهذا البيت في قصيدة له. وغسّان: ماء بِسَد مأرِب باليمن، كان شِرْبًا لولد مازن بن الأسدْ بن الغَوْث، فسُمُّوا به، ويقال: غَسان: ماء بالمُشَلَّل قريب من الجُحْفة، والذين شربوا منه تحزبوا، فَسَمَّوا به قبائل من وَلَد مازن بن الأسْد بن الغَوْث بن نَبْت، بن مالك، بن زَيد بن كَهْلان، بن سبأ، بن يَشْجُب بن يَعْرُب، بن قَحْطان.

ـ والله أعلمُ ـ على أن خزاعةَ من بني قَمَعَةَ[1] أخي مُدْركة بن إلْياسِ بن مُضَرَ، كما سيأتي بيانه في هذا الكتاب عند حديث عمرو بن لُحَيٍّ ـ إن شاء اللَّهُ ـ وكذلك قولُ أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ «هي أُمُّكُمْ يا بني ماءِ السَّماء»[2] يعني: هاجرَ، يَحتملُ أن يكونَ تأوَّلَ في قحطانَ ما تأوَّلَهُ غيرُه، ويَحتملُ أن يكونَ نَسبهُم إلى «ماءِ السماءِ على زَعْمِهِمْ» فإنهم يَنْتَسِبون إليه، كما ينتسب كثيرٌ من قبائل العرب إلى حاضِنتهم وإلى رَابِّهِم، أي: زوجِ أُمِّهم ـ كما سيأتي بيانه في باب قضاعَةَ إن شاء اللَّهُ.

سبأ وأُميم ووبار:

وسبأ اسمُه: عبدُ شمس ـ كما ذكر ـ وكان أولَ مَن تَتَوَّج من ملوك العرب، وأول مَن سَبَى فسُمِّي سَبَأً، ولست من هذا الاشتقاقِ على يقينٍ؛ لأن سبأ مهموزٌ وَالسَّبْيُ غير مهموز.

وذكر أُمَيْمًا، ويقال فيه: أَمِيم: ووجدت بخط أشياخٍ مشاهير: أَمِّيم، وأَمِّيم بفتح الهمزة وتشديد الميم مكسورة، ولا نظير له في الكلام، والعربُ تضطرب في هذه الأسماء القديمة قال المعرّي[3]:

يراه بنو الدهر الأخير بحاله ... كما قد رأته جُرْهُمٌ وأَمِيمُ

فجاء به على وزن فَعيل، وهو الأكثر، وأُمَيم ـ فيما ذكروا ـ أول مَن سَقَفَ البيوت بالخشب المنشور، وكان ملكًا، وكان يُسَمَّى: آدم، وهو عند الفُرسِ: آدمُ الصغير، وولده:

---

(١) قمعة: لقبٌ لعمير بن إلياس بن مضر.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٦/٥٩).

(٣) هو: أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المصري التنوخي الشاعر الفيلسوف ـ توفي سنة ٤٤٩هـ.

....

وَبَارِ[١]، وهم أُمة هلكت في الرَّمل، هالت الرِّياحُ الرملَ على فِجَاجِهم ومَنَاهِلِهم فهلكوا. قال الشاعر:

وكـــرّ دَهْـــرٌ عـــلـــى وبـــارِ فَـــأُهْـــلِـــكَـــتْ عَـــنْـــوَةً وَبَـــارُ

والنسب إليه أبَارِيّ على غير قياسٍ، ومن العماليقِ[٢] ملوكُ مصرَ الفراعنةُ[٣]، منهم: الوليد بنُ مُصْعَبٍ صاحبُ موسى[٤] وقابوسُ بن مُصْعَب بن عَمْرو بن مُعاوية بن إِرَاشَةَ بن معاوية بن عِمْلِيق أخو الأول، ومنهم: الرَّيَّانُ بن الوليد صاحبُ يوسفَ عليهِ السلام، ويقال فيه: ابن دَوْمَعٍ فيما ذكر المسعودي[٥].

وأما طَسْمٌ وَجَديسٌ فأفنى بعضُهم بعضًا قتلت طَسْمٌ جَديسًا لسوء مَلَكَتِهِمْ إيَّاهم، وجَوْرِهم فيهم، فأفلت منهم رجلٌ اسمه: رَبَاحُ بن مُرَّةَ، فاسْتَصْرَخَ بَتُبَّعِ، وهو حسَّان بن تُبَّان أَسْعَد، وكانت أُختُه اليمامةُ، واسمها عَنَزُ ناكحًا في طَسْم، وكان هواها معهم، فأنذرتهم، فلم يقبلوا، فَصَبَّحَتْهُم جنودُ تُبّع فأفنَوْهُمْ قَتْلاً، وصَلَبوا اليمامة الزَّرْقَاءَ بباب جَوّ، وهي المدينة، فسميت جَوٌّ باليَمَامة من هنالك إلى اليوم وذلك في أيام ملوك الطوائفِ، وبقيت بعد طَسْم يَبَابًا[٦] لا يأكل ثَمَرَها إلاَّ عَوافِي الطيرِ والسِّباعِ، حتى وقع عليها عُبَيْدُ بن ثَعْلَبَةَ الحنفي، وكان رائدًا لقومِه في البلاد، فلما أكل الثمرَ قال: إن هذا لَطَعَامٌ، وَحَجَّر بعصاه على موضع قَصَبَةِ اليَمَامَة، فَسُمِّيت: حِجْرًا[٧]، وهي منازلُ حَنيفَةَ إلى اليومِ، وخبرُ طَسْمٍ وجَديسٍ مشهورٌ اقتصرنا منه على هذه النُّبْذَةِ لشهرته عند الإخباريين.

---

(١) وبار: أرض باليمن.
(٢) العماليق: هم ولد عمليق أو عملاق ابن لاوذ بن إرم بن سام. وقد تفرّقوا في الشام والحرم وفارس وغيرهم.
(٣) الفرعون: لقب يطلق على كل مَن يملك مصر.
(٤) ليس هناك دليل صحيح يعتمد عليه أن الوليد بن مصعب أو رمسيس الثاني هو صاحب موسى عليه الصلاة والسلام.
(٥) ذكره المسعودي في مروج الذهب (٣٠٨/١) واختلاف الناس في فرعون.
(٦) اليباب: أي الخراب.
(٧) حجر: هي ديار ثمود بوادي القرى وهي مدينة بين الشام والحجاز.

نسب الأنصار

قال حسَّان بن ثابت الأنصاريّ ـ والأنصار بنو الأوس والخزرج، ابْنَيْ حارثة، بن ثعلبة بن عمرو، بن عامر، بن حارثة، بن امرىء القيس، بن ثعلبة بن مازن بن الأسْد بن الغوث:

إمَّا سألتِ فإنَّا مَعْشَرٌ نُجُبٌ ... الأسْدُ نِسبتُنا والماء غَسَّان

وهذا البيت في أبيات له.

ذكر نسب الأنصار

وهم الأوْسُ وَالْخَزْرَجُ، والأوسُ: الذِّئْبُ وَالْعَطِيَّة أيضًا[1]، والخزرجُ[2]: الريحُ الباردة، ولا أحسب الأوسَ في اللغة إلا الْعَطِيَّةَ خاصةً، وهي مصدر أُسْتُهُ وأمَّا أوْسٌ الذي هو الذئب فَعَلَمٌ كاسمِ الرَّجُل، وهو كقولِك: أُسَامةَ في اسمِ الأسَدِ. وليس أوسٌ إذا أردتَ الذئب، كقولك: ذئبٌ وأسدٌ، ولو كان كذلك لَجُمِعَ وعُرِّف ـ قال ـ كما يُفعل بأسماء الأجناس، ولقيل في الأنثى: أوْسَة كما يقال: ذِئْبة، وفي الحديث ما يقوِّي هذا، وهو قوله عليه السلام: «هذا أُوَيْسٌ يَسْأَلُكمْ من أمواكم» فقالوا: «لا تطيبُ له أنفُسُنا بشيءٍ»[3] ولم يقُل: هذا الأوْسُ فتأمَّله، وليس أوس على هذا من الْمُسَمَّيْنَ بالسِّباع، ولا منقولاً من الأجناسِ إلا من العطية خَاصة.

---

(١) أوس: الهمزة والواو والسين كلمة واحدة وهي العطية، وقالوا: أُسْتُ الرجل أؤوسه أوسًا أعطيته. ويقال الأوس: العوض. وأوسٌ: الذئب. مقاييس اللغة (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

(٢) الخزرج: الريح الباردة. وقال ابن سيده: ريح الجنوب. وقال الفراء: هي الجنوب غير مجراة. والخزرج اسم رجل. والخزرج قبيلة الأنصار. لسان العرب (٢/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٠).

وفيه عَمْرو، وهو مُزَيْقِياءُ، لأنه ـ فيما ذكروا ـ كان يُمزِّق كل يوم حُلَّةً. ابنُ عامر، وهو: ماءُ السماء. ابن حارثةَ الْغِطْرِيف[1] بن امرِىء القيسِ، وهو: الْبُهْلولُ بن ثعْلَبة الصَّنَم ابن مازِن السَّراج ابن الأسد، ويقال لثعلبة أبيه: الصَّنَم، وكان يقال لثعلبة ابن عَمْرٍو جدّ الأوس والخزرج: ثَعْلَبَةُ الْعَنْقَاءُ[2]، وكأنهم ملوكٌ مُتَوَّجون، ومات حارِثَةُ بن ثعلبة الْعَنْقَاءُ والدُ الأوسِ والخزرجِ بالمدينةِ بعدَ ظهورِهم على الرومِ بالشامِ، ومُصالحةِ غسَّانَ لملِكِ الروم، وكان موتُ حارثةَ وجِذْعِ بنِ سِنَان من صَيْحةٍ كانت بينَ السماء والأرض سُمع فيه صَهيلُ الخيل، وبعد موت حارثَةَ كان ما كان من نَكْثِ يَهُودَ الْعُهودَ، حتى ظهرت الأوسُ والخزرجُ عليهم بمَن استنصروا به من ملوك جَفْنَةَ ويقال في الأسْدِ: الأزْد بالسين[3] والزاي واسمُه: الازْدِرَاءُ[4] بن الغوث. قاله وَثِيمَةُ بن موسى بن الفرات. وقال غيره: سُمِّي أسْدًا لكثرة ما أسْدى إلى الناس من الأيادي[5]. ورفع في النسب إلى كهلانَ بن سبأ، وكهلانُ كان ملكًا بعد حِمْيَر، وعاش ـ فيما ذكروا ـ ثلاثمائة سنة ثم تحوّل الْمُلْكُ إلى أخيه حِمْيَر، ثم في بنيهم، وهم: وائِل[6] ومالك وعَمْرو وعامر وسَعْد وعوف.

وذكر لَطْمَةَ وَلدِ عَمْرو بن عامر لأبيه، وأنه كان أصغرَ ولدِه. قال المسعودي: واسمه: مالك، وقال غيره: ثعلبةُ. وقال: ويقال إنه كان يتيمًا في حِجْره.

وقول حسان[7]:

إمَّا سألتِ فإنّا مَعْشَرٌ أُنُفٌ ... الأَسْدُ نِسْبَتُنَا، والماءُ غَسَّانُ

يا أُخْتَ آلِ فراسٍ إنني رَجُلٌ ... مِنْ مَعْشَرٍ لَهُم في المجد بُنْيانُ

واشتقاقُ غَسَّانَ اسمُ ذلك الماء من الغُسّ، وهو الضعيف كما قال:

غُسُّ الأمانة صُنبورٌ فَصُنْبُور[8]

---

(١) عند ابن دريد في الاشتقاق (٤٣٥): «البطريق». وعند الطبري (١/ ٣٦٠): كما ذكر المصنف.

(٢) لُقِّب بهذا لطول عنقه: قاله الخليل. انظر مقاييس اللغة (٤/ ١٦١).

(٣) وهو الأفصح.

(٤) في نهاية الأرب (ص ٢/ ٣١١): دِراء أو دِزء.

(٥) من الأيادي: من النعم.

(٦) في نهاية الإرب: وائلة.

(٧) هو: حسان بن ثابت صاحب وشاعر رسول الله ﷺ.

(٨) غس: الغين والسين ليس فيه إلا قولهم: رجل غس إذا كان ضعيفًا. ومنه قول أرس:

مُخَلَّفُون ويقضي الناسُ أمرَهُم ... غُسُّو الأمانة صُنبورٌ فَصُنْبُور

انظر مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٢).

فقالت اليمن: وبعض عكّ، وهم الذين بخراسان منهم: عكّ بن عدنان بن عبد الله بن الأسْد بن الغوث، ويقال: عُدْثان بن الدِّيث بن عبد الله بن الأسْد بن الغَوْث.

قال ابن إسحٰق: فولد معدّ بن عدنان أربعة نفر: نزار بن معدّ، وقضاعة بن معدّ، وكان قضاعة بكرَ معدٍّ الذي به يكنى ـ فيما يزعمون ـ وقُنُص بن معدّ، وإيادَ بن معدّ.

فأمَّا قُضاعة فتيامنت إلى حِمْير بن سَبأ ـ وكان اسم سبأ: عبدَ شمس، وإنما سمّي سبأ؛ لأنه أول مَن سَبَي فِي العرب ـ ابنِ يشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان.

قال ابن هشام: فقالت اليمن وقُضاعة: قضاعة بن مالك بن حمير. وقال عمرو بن مرّة الْجُهَنِيّ، وجُهَينة بن زيد، بن ليث بن سَوْدِ، بن أسْلُمِ، بن الحاف بن قُضاعة:

نحن بنو الشيخ الْهِجَانِ الأزْهَرِ ... قضاعة بن مالكِ بن حِمْيرِ

النَّسب المعروفِ غيرِ المُنْكَر ... في الحَجَر المنقوش تحت المِنْبرِ

ويُروَى غُسِّي، ويقال لِلْهِرّ إذا زُجِر: غِسْ بتخفيف السين قاله صاحب العين. والْغَسِيسَةُ من الرطب: التي يبدأها الإرطاب من قِبَل مِغلاقها، ولا تكون إلا ضعيفة ساقطة.

سبأ وسيل العرم:

فصل: وذكر تَفَرُّقَ سبأ. والعرب تقول: تَفَرَّقُوا أيدي سَبَأ وأيادي سَبَأ نَصْبًا على الحال، وإن كان معرفة في الظاهرِ لأن معناه: مثل أيْدِي سبأ والياء ساكنة فيه في موضع النصب، لأنه صار بمنزلة اسمين جُعِلا اسْمًا واحدًا مثل: مَعْدِي كَرِبَ، ولم يسكنوها في ثمانيَ عَشْرَةَ، لأنها متحركة في ثمانية عشَرَ.

فصل: وذكر سَيل الْعَرِم، وفي الْعَرِم أقوال[1]: قيل: هو الْمُسَنَّاةُ أي: السد وهو قول قتادة، وقيل: هو اسم للوادي، وهو قول عطاء، وقيل: هو الْجُرَذُ الذي خَرَّب السد، وقيل: هو صِفَةٌ للسيل من الْعَرَامَة، وهو معنى رواية عَليّ بن أبي طَلْحَة عن ابن عباس، وقال البخاري: الْعَرِمُ: ماءٌ أحمرُ حفر في الأرضِ حتى ارتفعت عنه الجَنَّتَان، فلم يَسْقهما، حتى يَبِستْ، وليس الماءُ الأحمر من السَّدِّ، ولكنه كان عذابًا أُرسِلَ عليهم. انتهى كلام البخاري.

---

(١) عرم: العين والراء والميم أصل صحيح واحد، يدلّ على شدة وحدّة. يقال: عَرُم الإنسان يعرُم عَرَامةً وهو عارم، وأما سيل العرم فيقال: العَرِمَةُ: السُّكر، وجمعها عَرِم. وهذا صحيح، لأن الماء إذا سُكِرَ كان له عُرَامٌ من كثرته، ومحتمل أنْ يكون العَرِمة الكُدْس المَدُوس الذي لم يذَرّ يُجعَل كهيئة الأزَج. مقاييس اللغة (٤/ ٢٩٢ـ ٢٩٣). واللسان (١٢/ ٣٩٤).

....

والعرب تضيف الاسمَ إلى وَصْفِه، لأنهما اسمان، فَتُعَرِّف أحدَهما بالآخر. وحقيقة إضافة الْمُسَمَّى إلى الاسم الثاني، أي: صاحب هذا الاسم كما تقول: ذو زيد أي. المسمى بزيد، ومنه سَعْدُ ناشِرَة وعَمْرُو بَطَّةَ.

وقول الأعشى[1]:

ومأرِب عفَى عليها الْعَرِمْ

يقوى أنه السَّيْلُ. ومأْرب بسكون الهمزة: اسم لقصر كان لهم، وقيل: هو اسمٌ لكل ملك كان يلي سَبَأ، كما أن تُبَّعًا اسمٌ لكل مَن وَلِيَ اليمن، وحَضْرَمَوْت والشِّحْر. قاله المسعودي. وكان هذا السَّد من بناءِ سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب، وكان ساق إليه سبعين واديًا، ومات قبل أن يستتمه، فأتمته ملوكُ حِمْيَر بعده. وقال المسعودي: بناه لقمانُ بن عاد، وجعله فَرْسخًا، وجعل له ثلاثين مَثْقَبًا[2].

وقول الأعشى:

إذا جاء مَوَّارُهُ لَم يَرِمْ

من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾[3]. فهو مفتوح الميم، وبعضهم يَرْويه مضمومَ الميم، والفتح: أَصَحُّ. ومنه قولهم: دَمٌ مائرٌ أي: سائل. وفي الحديث: «أَمِرَّ الدَّمَ بما شئت»[4] أي أرسلْه، ورواه أبو عبيد أَمِرِ بسكون الميم، جعله من مَرَيْتُ الضَّرع. والنفسُ إلى الرواية الأولى أَمْيَلُ من طريق المعنى، وكذلك رواه النقاش، وفسّره.

وقوله: لم يَرِمْ، أي لم يُمسكه السدّ حتى يأخذوا منه ما يحتاجون إليه. وقوله: فأروى الزروع وأعنابها أي: أعناب تلك البلاد، لأن الزروعَ لا عنب لها.

وأنشد لأُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ:

من سبأ الحاضرينَ مأرِبَ إذ ... يبنون مِنْ سَيْلِه الْعَرِما[5]

---

(١) هو: أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل، وشطر البيت تجده في ديوانه (ص ٤٣).

(٢) وقيل أنها بلقيس.

(٣) سورة الطور آية رقم (٩).

(٤) «صحيح». أخرجه أبو داود (٢٨٢٤) وأحمد (٤/٢٥٦/٢٥٨/٣٧٧) والبيهقي في الكبرى (٧/٢٧٩) والحاكم (٤/٢٤٠).

(٥) البيت في اللسان (١٢/٣٩٦):

من سبإ الحاضرين مأرب إذ ... شَرَّدَ من دون سيله العَرِما

قال: أنشد ابن برّي للجعدي.

قنص بن معدّ ونسب النعمان

قال ابن إسحٰق: وأمّا قُنُص بن معدّ فهلكت بقيّتهم ـ فيما يزعم نُسَّاب معدّ ـ وكان منهم النُّعمان بن المنذر ملك الحِيرة.

قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهاب الزُّهري: أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معدّ. قال ابن هشام: ويقال: قَنَص.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرةَ بن الأخْنَس، عن شيخ من الأنصار من بَني زُرَيق أنه حدّثه: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين أتى بسَيْف النعمان، بن المنذر، دعا جُبَير بن مُطْعِم بن عَدِيّ بن نَوْفل بن عبد مناف بن قُصَيّ ـ وكان جبير من أنسب قريش لقريش، وللعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذتُ النسبَ من أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وكان أبو بكر الصدّيق أنسبَ العرب ـ فسلّحه إياه، ثم قال: ممَّن كان يا جُبير: النُّعْمَانُ بن المنذرُ؟ فقال: كان من أشْلاء قُنُص بن معدّ[1].

قال ابن إسحٰق: فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلاً من لخْم، من ولد ربيعة بن نصر، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

وهذا أبين شاهدِ على أن الْعَرِم هو السد، واسم أبي الصلت: ربيعةُ بن وَهْب بن عِلاَجِ الثَّقَفِيّ وأمه: رُقيّة بنت عبد شمس بن عبد مناف.

ذكر معد وولده

قوله: وَوَلَد مَعَدٌ أربعة نفر، أما نزارٌ فمتَّفَقٌ على أنه ابنُ مَعَدّ، وسائرُ ولدِ مَعَدّ فمختلفٌ فيه، فمنهم جُشَمُ بن معد وسِلْهِم بن مَعَدّ وجُنَادَةُ بن معد، وقُنَاصة بن مَعَدّ، وقَنَصُ بن معدٌ وسَنَامُ بنُ معدّ، وعَوْف ـ وقد انقرض عقبُه ـ وَحَيْدانُ، وهم الآن في قُضاعة، وأوْد، وهم في مَذْحِج ينسبون بني أوْدِ بن عَمْرو، ومنهم عُبَيْد الرَّمَّاحُ وَحَيْدَة وَحَيَادَة وجُنَيْد وقَحْم، فأما قُضَاعَةُ فأكثر النَّسابين يذهبون إلى أن قُضاعَة هو: ابنُ مَعَدٌ، وهو مذهبُ الزُبَيْرِيِّينَ، وابن هِشام، وقد رُوِيَ من طريقِ هشام بن عُرْوة عن عائشة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه سُئِل عن قُضاعة، فقال: هو ابنُ مَعَدٌ، وكان بِكْره. قال أبو عَمَر: وليس دون هشام بن عُرْوَةَ مَنْ يُحتَجُّ به في هذا الحديث[2]، وقد عارضه حديثٌ آخر عن عقبة بن عامر الْجُهَنِيّ. وجُهَيْنة:

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٣٦١) والإنباه (ص ١٠٥).

(٢) الإنباه لابن عبد البر (ص ٥٩).

هو ابن زَيْد بن لَيْث بن سَوْد بن أَسْلُم - بضم اللام - ابن الْحَافِ بن قُضاعة أنه قال: يا رسول الله: لمَن نحن؟ فقال: «أنتم بنو مالك بن حِمْير»[1]. وقال عَمْرو بن مُرَّة - وهو من أصحاب رسول الله - ﷺ - ويُكنى أبا مريم:

يـأيُّـهـا الـداعـي ادْعُـنَـا وأبْـشـر وكُـنْ قُـضـاعِـيًّـا ولا تَـنَـزَّرِ

نحن بـنـو الـشـيـخ الْـهِـجَـانِ الأَزْهَـر قـضـاعـة بـن مـالـك بـن حِـمْـيَـر

قال ذو الْحَسَبَيْنِ: قال الزبير: الشعر لأفلحَ بن الْيَعْبُوب. وعمْرو بن مُرَّة هذا له عن رسول الله - ﷺ - حديثان أحدهما: في أعلام النُّبُوَّةِ، والآخَرُ: «مَنْ وَلِيَ أمرَ الناس، فسَدَّ بَابه دون ذَوِي الحاجَةِ، والْخَلَّةِ والمسكنةِ سدّ الله بابَه دون حاجته وخَلته ومسْكنته يوم القيامة»[2]. ومما احتجّ به أصحاب القول الأول أيضًا قول زهير[3]:

قُـضَـاعِـيَّـةٌ أو أُخْـتُـهـا مُـضَـرِيَّـةٌ يُحَرَّق في حافاتها الْحطَبُ الْجَزْلُ

فجعل قُضاعة ومُضَر أخوين: وأشعار كثيرة للَبيد وغيرِه، وقد قال الْكُميت[4] يعاتب قضاعة في انتسابِهم إلى اليمن:

عــلامَ نَـزَلْـتُـم مـن غـيـرِ فَـقْـرٍ ولا ضَـرَّاءَ مـنـزلَـةَ الـحـمـيـلِ[5]

والحميلُ: الْمَسْبِيُّ لأنه يُحْمَل من بلد إلى بلد. قال الأعْمَشُ: كان أبي حَميلاً فورَّثَه مَسْرُوقٌ[6]. أراد أن مسروقًا كان يرى التوارث بولادة الأعاجم. وقال ابن الماجِشُون: كان أبي ومالكٌ وابن دِينار والمغيرةُ يقولون في الحميلِ - وهو المسْبِيُّ - يقول ابن هُرْمُز ثم رجع مالك قبل موته بيسير إلى قول ابن شهاب، وأنهم يتوارثون بشهادةِ العُدولِ، ولما تعارضَ القوْلان في قُضَاعَةَ، وتكافأت الحجاج نَظَرنا فإذا بعضُ النَّسَّابينَ - وهو الزُّبَيْر - قد ذكر ما يدلّ على صدقِ الفريقين وذكر عن ابن الكلْبيّ أو غيره أن امرأة مالك بن حِمْيرَ،

(١) «ضعيف». أخرجه الطبراني (١٧/ ٣٠٤) من حديث عقبة بن عامر. وفيه ابن لهيعة: ضعيف. وشيخه معروف بن سويد: يقول.

(٢) «حسن». أخرجه أبو داود (٢٩٤٨) بتحقيقي بنحوه.

(٣) هو: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني. توفي سنة ٤١هـ.

(٤) هو: أبو المستهل الكميت بن زيد الأسدي الكوفي - توفي سنة ١٢٦هـ.

(٥) الحميل: الدَّعي - أي المطعون في نسبه المنسوب إلى غير أبيه. والحميل أيضًا هو الطفل المنبوذ. انظر الإنباه (٦٣).

(٦) مسروق هو ابن الأجدع بن مالك من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه.

....

واسمها: عُكْبُرَةُ[١] آمَتْ منه[٢] وهِي تُرضع قُضاعةَ، فتزوّجها مَعَدٌّ، فهو رَابُّه[٣]، فتبنَّاه، وتكنَّى به، ويقال: بل ولدته على فراشه، فنُسب إليه، وهو قول الزبير، كما نُسب بنو عَبْد مَنَاةَ بن كِنَانَةَ إلى عليّ بن مسعود بن مازنِ بن الذِّئب الأسَدي، لأنه كان حاضِنَ أبيهم، وزوج أُمِّهم، فيقال لهم: بنو عليٍّ إلى الآن، وكذلك عُكْل[٤]، وهو حاضن بني عوف بن وُدِّ بن طابخة، ولكن لا يُعرفون إلا بِعُكْل، وكذلك سعدُ بن هُذَيم[٥] إنما هم بنو سَعْدِ بن زيد بن قُضَاعَةَ، وهُذَيم كان حاضنَ سعدٍ، فَنُسِب إليه، وهذا كثيرٌ في قبائِل العرب، وسيأتي منه في الكتاب زيادةٌ - إن شاء الله - وتفسير قضاعة فيما ذكر صاحب العين: كَلْبُ الماء، فهو اسم منقولٌ منه، وهو لقب له، واسمه: عَمْرو، ويُكنى أبا حَسن وكُنيتُه: أبا حكم فيما ذكروا[٦].

وقول ابن إسحٰق: كان بكرَ معدٍّ، فالبكر أولُ ولدِ الرجلِ، وأبوه بكر والثِّنْيُ ولده الثاني، وأبوه ثِنْيٌ، والثِّلْثُ ولده الثالث، ولا يقال للأب ثِلْثٌ، ولا يقال فيما بعد الثالث شيءٌ من هذا، قاله الخطاب. ومما عوتبت به قُضاعة في انْتسابهم إلى اليمن قول أعشى بني تغلب، وقيل هي لرجل من كلْب، وكلْب من قضَاعَة:

أزَنَّيْتُمْ عجوزَكم، وكانت ... قديمًا لا يُشَمّ لها خِمار

عجوز لو دنا منها يمان ... للاقى مثل ما لاقى يَسَارُ

يريد: يَسَار الكواعب الذي هم بهنّ فَخَصَيْنَه[٧]، وقال بعض شعراء حِمْير في قُضَاعة:

مَرَرْنا على حَيَّيْ قضاعة غُدْوَةً ... وقد أخذوا في الزَّفْنِ والزَّفَنان[٨]

فقلت لهم: ما بال زَفْنِكُم كذا ... لِعُرْسٍ نرى ذا الزَّفْنَ أو لِخِتَانِ

---

(١) عكبرة: أي المرأة الجافية الخلق. (٢) آمت منه: أي فقدت زوجها.

(٣) رابُّه: أي رباه.

(٤) عكل: هو عوف بن عبد مناة، حضنته أمة تدعى: عكل فلُقِّب به.

(٥) هو: سعد بن زيد، حضنه عبدٌ أسود يسمى هذيم، فلُقب به.

(٦) قضاعة: القاف والضاد والعين أصلٌ صحيحٌ، وقياسه القهر والغلبة. قالوا: القضع: القهر. قال الخليل: وبذلك سُمِّيت قضاعة. وذكر ناسٌ أن قضاعة سُمِّي بذلك لأنه انقضع عن قومه أي انقطع، فإن كان هذا صحيحًا فهو من باب الإبدال، تكون الضاد مبدلةً من طاء. وقال ابن دريد: «تقضَّع القوم: تفرقوا» وهذا من الإبدال أيضًا. مقاييس اللغة (٥/ ٩٨). وفي القاموس: قضاعة: كلبة الماء وغبار الدقيق.

(٧) انظر الإنباه (ص ٦٢). (٨) الزفن: الرقص. مقاييس اللغة (٣/ ١٤).

فقالوا: ألا إنّا وَجَدْنا لنا أبًا   فقلتُ: لِيَهْنِئْكُمْ! بأيّ مَكانِ؟!
فقالوا: وجدناه بِجَرْعَاء مالك[1]   فقلت: إذًا ما أُمُّكُمْ بحَصَانِ[2]
فما مَسَّ خُصْيًا مالكٍ فَرْجَ أُمِّكُمْ   ولا باتَ منه الْفَرْج بِالْمُتَدَاني
فقالوا: بلى والله حتى كأنّما   خُصْيَاه في بابِ اسْتِها جُعَلانِ[3]

ذكره أبو عُمَر ـ رحمه الله ـ في كتاب الإنباه له[4]، وقال جميل بن مَعْمَرٍ[5]، وهو من بني حُنّ بنِ ربيعة من قُضاعة يصف بُثَيْنَة، وهي من حُنّ أيضًا:

رَبَتْ[6] في الرَّوابِي[7] من مَعَدٍّ، وفُضِّلَتْ   على المُحْصَنَاتِ الْبِيضِ وهْيَ وَلِيدُ[8]

وقال جميل أيضًا وهو يحدو بالوليد بن عبد الملك:

أنا جميلٌ في السَّنامِ من مَعَدْ   الضاربين الناسَ في الرُّكْنِ الأَشَدْ[9]

ذكر قنص بن معدّ

وكان قُنُصُ بن مَعَدٍّ قد انتشر ولدُه بالحجاز، فوقعت بينهم وبين أبيهم حرب، وتضايقوا في البلاد، وأجْدَبَتْ لهم الأرض، فساروا نحو سواد العراق، وذلك أيام ملوك الطوائف فقاتلهم الأَرْدَانِيُّون[10] وبعضُ ملوك الطوائف، وأجْلَوْهُمْ عن السوادِ، وقتلوهم إلاَّ أشْلاءَ لحقت بقبائل العرب، ودخلوا فيهم، وانتسبوا إليهم.

فصل: وذكر ابن إسحٰق حديث جُبَيْر بن مُطْعِم حين أُتِيَ عُمَرُ بسيفِ النُّعْمانِ بن الْمُنْذر، وكان جبير أنسبَ الناس ـ الحديث. وذكر الطبري أن سيف النعمانِ بنِ المنذر إنما

---

(١) جرعاء مالك: الجرعاء: الرملة التي لا تُنبت شيئًا ـ مقاييس اللغة (١/ ٤٤٤).
(٢) الحصان: العفيفة.
(٣) جعلان: مثنى جُعل. وهو حيوان صغير يشبه الخنفساء، يكثر في المواضع النديّة.
(٤) الإنباه (ص ٦٣). وفيه: «من تحت» بدلاً من: «في باب».
(٥) هو: جميل بن عبد الله بن معمر المعروف بجميل بثينة.
(٦) ربت: أي شبّت.   (٧) الروابي: البيوت الشريفة.
(٨) البيت من البيان والتبيين (١/ ٢٢٣) ولفظه:
نمت في الروابي من معد وأفلجت   على الخفرات الغرّ وهي وليد
(٩) انظر الأغاني (٨/ ٩٠/ ١٣٤).
(١٠) الأردانيون: طائفة ملكت بابل وهم أنباط السواد، والأنباط قوم من الساميين، يرجعون إلى أصلين أحدهما: آرامي والآخر عربي. انظر تاريخ الطبري (١/ ١٣٠) وتاريخ ابن خلدون (٧/ ٣٤١).

لخم بن عدي:

قال ابنُ هشام: لخم بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُددَ بن زَيْد بن هَمَيسع بن عمرو بن عَرِيب بن يشجب بن زَيْد بن كهلان بن سبأ؛ ويقال: لَخْمُ بن عديّ بن عمرو بن سبأ، ويقال: ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر، وكان تخلّف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن.

أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سدّ مأرب:

وكان سبب خروج عَمْرو بن عامر من اليمن - فيما حدّثني أبو زَيْد الأنصاريّ أنه رأى جُرَذًا يحْفِر في سدّ مأرب الذي كان يَحبس عليهم الماءَ فيُصرّفونه حيث شاؤوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النُّقلة من اليمن، فكاد قومَه، فأمر أصغرَ ولده إذا أغلظ له، ولطمه أن يقوم إليه فيلطِمه، ففعل ابنُه ما أمره به، فقال

أُتي به عُمر حين افْتُتِحَتْ المدائن -، وكانت بها خرائبُ كِسرى وذَخائرُه، فلما غُلب عليها فَرَّ إلى إصْطَخْرَ[1]، فأخذت أموالُه ونفائسُ عُدَدِه، وأخذ له خمسة أسيافٍ لم يُرَ مثلُها. أحدُها: سيف كِسْرَى أبرويز، وسيفُ كسرى أنوشِرْوَانَ وسيف النعمانِ بنِ الْمُنذر الذي كان اسْتَلبه منه، حين قتله غَضَبًا عليه، وألقاه إلى الْفِيَلةِ فخبطته بأيديها، حتى مات. وقال الطبري: إنما مات في سجنه في الطاعون الذي كان في الفرس، وسيفُ خَاقانَ مَلِكِ التُرْك، وسيفُ هِرَقْل، وكان تصيُّر إلى كِسْرى أيام غَلَبَته على الرُّوم في المدة التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿أَلَم غُلِبت الرُّومُ في أدنى الأرض﴾[2] الآية. فهذا كان سببَ تَصَيُّر سيفِ النعمان إلى كِسْرى أبَرْوَيْزَ، ثم إلى كسرى يَزْدَجِردْ، ثم إلى عُمَر - رضي الله عنه - وكان الذي قتل النعمانِ منهم أَبَرْوَيْز بن هُرْمُز بن أنو شِرْوَانَ[3] وكان لأَبَرْوَيْز فيما ذكر ألفُ فيل، وخمسون ألف فرسٍ، وثلاثة آلاف امرأةٍ - فيما ذكر الطبري[4] - وتفسير أنو شروان بالعربية: مُجَدِّدُ الْمُلكِ - فيما ذكروا والله أعلم - وكذلك تفسير أبَرْوَيْز: الْمُظَفَّر. قاله المسعودي والطبري أيضًا، وزاد الطبري في حديث جبير حين سأله عُمَر عن نسب النعمانِ قال: كانت العربُ تقول إنه من أشْلاءِ قُنُصِ بن مَعَدّ، وهو ولد عَجَمِ بن قُنُص إلاّ أنَّ الناسَ لم يدروا ما عَجَمٌ فجعلوا مكانه لَخْمًا: فقالوا: هو من لخم، ونسبوا إليه. وأبَرْوَيْزُ هو الذي كتب إليه النبيُّ - ﷺ - فمَزَّق كتابه، فدعا عليهم النبي - ﷺ - أن يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّق.

---

(١) إصطخر: بلد بفارس.

(٢) سورة الروم آية رقم (١).

(٣) أنو شروان: ملك فارس.

(٤) الطبري في تاريخه (١/ ١٦٣) والمسعودي في مروج الذهب (١/ ٢٧٩).

عمرو: لا أُقيم ببلد لَطَم وجهي فيه أصغرُ ولدي، وعرض أموالَه، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنِموا غَضْبة عمرو فاشتروا منه أمواله. وانتقل في ولده وولد ولده. وقالت الأزد: لا نتخلّف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم، وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عكٍّ مجتازين يرتادون البُلدان. فحاربتهم عكٌّ، فكانت حربهم سِجالاً. ففي ذلك قال عباس بن مِرْداس البيت الذي كتبنا، ثم ارتحلوا عنهم، فتفرَّقوا في البُلدان، فنزل آلُ جَفْنة بن عمرو بن عامر الشامَ، ونزلت الأوسُ والخزرج يثربَ، ونزلت خُزاعة مَرًّا، ونزلت أزدُ السَّراةِ السَّراةَ. ونزلت أزدُ عُمَان عُمانَ. ثم أرسل الله تعالى على السدّ السيلَ فهدمه، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد ـ ﷺ ـ: ﴿لقد كان لِسَبَأٍ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عن يَمين وشِمالٍ كُلوا من رِزْقِ رَبِّكم واشْكُرُوا له بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وربٌّ غَفُورٌ فأعرضوا فأرْسَلْنا عليهم سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهم بجنتَيْهم جنتين ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشَيْءٍ منْ سِدْرٍ قَليل﴾ [سبأ: ١٥، ١٦].

والعَرِمْ: السدّ، واحدته: عَرِمة، فيما حدّثني أبو عُبيدة.

قال الأعشى: أعشى بني قَيْس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن هِنْب بن أفْصَى بن جَدِيلة بن أسَد بن ربيعة بن نِزار بن معَدّ قال ابن هشام: ويقال: أفصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلَةَ، واسم الأعشى: ميمون بن قيس بن جَنْدَل بن شَرَاحِيل بن عوف بن سَعْد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة:

وفـي ذاك لـلـمُـؤتـسِـي أُسْـوةٌ ... ومـأرِبُ عَـفَّـى عـلـيـهـا الـعَـرِمْ
رُخـامٌ بَـنَـتْـهُ لـهـم حِـمْـيَـرٌ ... إذا جـاء مَـوَّارُه لـم يَـرِمْ
فـأروى الـزُّروعَ وأعْـنَـابَـهـا ... عـلـى سَـعـةٍ مـاؤهـم إذ قُـسِـم
فـصـاروا أيـاديَ مـا يـقـدِرو ... ن منه عـلـى شُرْبِ طِفـلٍ فُطِـمْ

وهذه الأبيات في قصيدة له.

وقال أُمَيَّة بن أبي الصلت الثَّقفي ـ واسم ثَقيف: قَسِيُّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بنِ نزار بن معدّ بن عدنان.

مِـنْ سـبـأ الـحـاضـريـن مـأربَ إذ ... يَـبْـنـون من دون سَـيْـلـه الـعَـرِمـا

....

وهذا البيت في قصيدة له. وتُروى للنابغة الجعدي، واسمه: قَيْس بن عبد الله أحد بني جَعْدة بن كعب بن رَبِيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن.

وهو حديث طويل، منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار.

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة: قال ابن إسحٰق: وكان ربيعة بن نَصْر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته، وفَظِعَ بها، فلم يدع كاهنًا، ولا ساحرًا، ولا عائفًا، ولا مُنَجِّمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رُؤْيا هالتني، وفَظِعْتُ بها، فأخبروني بها وبتأويلها، قالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلَها إلا مَنْ عرفها قبل أن أُخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فلْيبعث إلى سَطِيحٍ وشِقٍّ، فإنه ليس أحدٌ أعلمَ منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

واسم سَطِيحٍ: رَبيع بن رَبيعة بن مَسْعود؛ بن مازن، بن ذئب، بن عديّ، بن مازن غسَّان.

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

وبعضُهم يقول فيه: نصر بن ربيعة، وهو في قول نُسَّاب اليمن: ربيعةُ بن نصر بن الحارث بن نُمَارَةَ بن لَخم. وقال الزُّبَيْر في هذا النسب: نَصْر بن مالك بن شَعْوَذ بن مالك بن عَجْم بن عَمْرو بن نُمَارة بن لَخم[1] ولَخْمٌ أخو جُذام، وسُمِّي لَخمًا لأنَّه لخم أخاه، أي: لطمه، فعضّه الآخر في يده فجذمها، فسمي جُذامًا، وقال قُطْرُبٌ: اللُّخْم سَمَكة في البحر بها سُمِّي الرجل لَخمًا وأكثر المؤرخين يقولون فيه: نَصْرُ بن ربيعة وقد تقدم ما قاله سعيد بن جُبَيْر في نسب النعمانِ، وهو من ولد ربيعة، وأن لَخمًا في نسبه تَصْحِيفٌ من عُجْم بن قَنَص.

وذكر رؤياه وسَطيحًا الكاهنَ[2] ونسبه، وقد خالفه محمد بن حبيب النَّسَّابة في شيء

---

(١) لخم: غلظ وجفا.

(٢) الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار. قاله ابن الأثير في مفرداته. وقد نهى النبي ﷺ عن إتيان الكهان فقال: «مَن أتى عرّافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». أخرجه أبو داود «٣٩٠٤ ـ بتحقيقي وهو صحيح» وفي مسلم في السلام (١٢٥) قوله ﷺ: «مَن أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تُقبَل له صلاة أربعين ليلة».

وشِقّ: بن صَعْب بن يَشكر، بن رُهْم، بن أَفْرَك بن قَسْر بن عَبْقَرَ بن أنمار بن نزار، وأنمار أبو بَجيلة وخَثْعَم.

نسب بجيلة: قال ابن هشام: وقالت اليمن: وبجيلة: بنو أنمار، بن إراش بن لِحْيان، بن عمرو، بن الغَوْث، بن نَبْت، بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال: إراش بن عمرو بن لِحْيَان بن الغوث. ودار بجيلة وخثعم يمانية.

قال ابن إسحٰق: فبعث إليهما، فقَدِمَ عليه سَطِيحٌ قبلَ شِقٍّ، فقال له: إني رأيت رؤيًا هالتني، وفَظِعتُ بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتَها أصبتَ تأويلها. قال: أفعلُ. رأيتَ حُمَمه، خرجت من ظُلُمَة، فوقعت بأرض تَهمَه، فأكلَتْ منها كلَّ ذات جُمْجُمة، فقال له الملك: ما أخطأتَ منها شيئًا يا سطيح، ما عندك في تأويلها، فقال: احلف بما

من هذا النسبِ في كتابِ المُحَبَّر، وكان سَطيحٌ جَسَدًا مُلْقًى لا جوارح له - فيما يذكرون - ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس، وكان شِقٌّ شِقَّ إنسان - فيما يذكرون - إنما له يدٌ واحدة، ورِجْلٌ واحدة، وعينٌ واحدةٌ[1]، ويُذكَر عن وَهْب بن مُنَبِّه[2] أنه قال: قيل لسطيح: أنَّى لك هذا العلم؟ فقال: لي صاحبٌ من الْجن استمع أخبار السماءِ من طورِ سَيْنَاءَ حين كلَّم الله تعالى منه موسى - عليه السلامُ - فهو يؤدِّي إليّ من ذلك ما يؤدِّيه.

ووُلد سَطيحٌ وشِقٌّ في اليوم الذي ماتت فيه طريفةُ الكاهنة امرأةُ عَمْرو بن عامر، وهي بنت الخَيْرِ الْحِمْيَرِيَّة، ودَعَتْ بسطيح قبل أن تموت، فأُتِيَتْ به، فتفَلَتْ في فِيْه، وأخبرت أنه سَيَخْلُفها في علمها، وكهانتها، وكان وجهُه في صدره لم يكن له رأس ولا عُنقٌ ودعت بِشقٍّ، ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح، ثم ماتت، وقَبْرُها «بالْجُحْفَة»[3]، وذكر أبو الفرج أن خالدَ بن عبد الله الْقَسْرِيّ[4] كان من وَلد شِقٍّ هذا، فهو خالدُ بن عبد الله بن أَسَد بن يزيد بن كُرْز، وذكر أنَّ كُرْزًا كان دَعِيًّا، وأنه كان من اليهود، فجنى جناية فَهَرَبَ إلى بَجِيلَة[5]، فانتسب فيهم، ويقال: كان عبدًا لعبد الْقَيْسِ، وهو ابن عامر ذي الرُّقْعَةِ، وسُمّي بذي الرقعة؛ لأنه كان أعورَ يُغَطِّي عينه برقعة. ابنِ عَبْد شمس بن جُوَيْن بن شِقٍّ الكاهن بن صَعْب.

---

(١) وانظر مروج الذهب (٢/ ١٧٩/ ١٩٢).
(٢) وهب بن منبّه أحد رواة الحديث الذين أكثر من ذكر الإسرائيليات وأخبار أهل الكتاب.
(٣) الجحفة: قرية كبيرة على طريق مكة.
(٤) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، أمير الحجاز ثم الكوفة.
(٥) بجيلة: هم إخوة خثعم. وبجيلة هي: أُمهم. انظر تاريخ ابن خلدون (٨/ ٥٢٦).

بين الحرّتين[1] من حَنَش، لتهبطنّ أرضَكم الحَبش، فليملكُنّ ما بين أبْيَن إلى جُرَش، فقال له الملك: وأبيك يا سَطِيح، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني هذا، أم بعده؟ قال: لا، بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين قال: أفيدوم ذلك من مُلْكهم أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين؛ قال: ومَن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟.

وقوله في حديث الرؤيا: أكلت منها كلَّ ذات جُمْجُمَة، وكلّ، ذاتِ نَسَمَةٍ. نصْبُ كلِّ أصحُّ في الرواية، وفي المعنى؛ لأنَّ الْحُممة نار، فهي تأكل، ولا تؤكل، على أن في رواية الشيخ برفع كُلّ، ولها وَجْهٌ، لكنْ في حاشية كتابه أن في نسخة الْبَرْقِيّ التي قرأها على ابن هشام: كلَّ ذات، بنصْب اللام.

وقوله: «خرجت من ظُلُمة» أي من ظُلْمة، وذلك أن الْحُمَمَةَ قطعةٌ من نار، وخروجها من ظُلُمة يشبه خروج عَسْكر الْحَبَشة من أرض السودان، والْحُمَمَةُ: الْفَحْمَةُ، وقد تكون جَمْرةً مُحْرقة، كما في هذا الحديث، فيكون لفظها من الحميم، ومن الْحُمَّى أيضًا لحرارتها، وقد تكون مُنْطفئة، فيكون لفظُها من الْحُمَّة، وهي السواد، يقال حَمَّمْتُ وَجْهَه إذا سَوَّدته، وكِلا المعنيين حاصل في لفظ الْحُمَمَة هٰهُنا.

وقوله: بين رَوْضَة وأكَمَة؛ لأنها وَقَعَتْ بين صَنْعَاءَ وأحْوَازِها[2].

وقوله: في أرض تَهَمَةٍ أي: مُنْخَفضة، ومنه سُمِّيَتْ تهامة.

وقوله أكَلتْ منها كلَّ ذاتِ جُمْجُمة، ولم يقُلْ كلَّ ذِي جُمْجُمة، وهو من باب قوله تعالى سبحانه: ﴿ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وإنْ تَدْعُ مُثْقَلةٌ إلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنه شيء﴾ [فاطر: ١٨].

لأن القصدَ إلى النَّفْسِ والنَّسَمَة، فهو أعمّ، ويدخل فيه جميعُ ذَواتِ الأرواح، ولو جاء بالتذكير، لكان إمَّا خاصًا بالإنسان، أو عَامًّا في كل شيء حيٍّ أو جَماد، ومنه قوله ـ ﷺ ـ: «[تَنَحَّ عني، فإن] كُلَّ بائلةٍ تَفيخُ»، أي: يكون منها إفاخة، وهي الحدَثُ، وقال النحاس: هو تأنيث الصِّفة والخلقة.

وقوله: لَيَهْبِطَنَّ أرضكم الحبشُ هم: بنو حَبَشِ بن كُوش بن حامِ بن نوح، وبه سُمِّيَت الحبشةُ.

---

(١) الحرّتين: الحرة: أرض ذات حجارة سوداء. (٢) أحوازها: نواحيها.

قال: يليه إرَم ذي يَزَن، يخرج عليهم من عَدَن، فلا يترك أحدًا منهم باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه، أم ينقطع؟

قال: لا، بل ينقطع.

قال: ومَنْ يقطعه؟ قال: نبيّ زكيّ، يأتيه الوحي من قِبَل العليّ، قال: وممَّن هذا النبي؟.

قال: رجل من ولد غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

وقوله: ما بين أبْين إلى جُرَش ذكره سيبويه بكسرِ الْهَمزة على مثل إصْبَع، وجَوَّز فيه الفتحَ، وكذلك تقيد في هذا الكتاب، وقال ابن ماكولا: هو أبْيَن بن زُهَير بن أيْمنَ بن الْهَمَيْسَع من حمير، أو من ابن حمير سُمِّيَت به البلدةُ، وقد تقدم قول الطبري أن أبْيَنَ وعَدَنَ ابنا عدن، سُمِّيَت بهما البلدتان.

وقوله: بغلامٍ لا دَنِيٍّ ولا مُدَنٍّ. الدنيُّ مَعْروف، والْمُدَنّ الذي جمع الضَّعْفَ مع الدنَاءَةِ. قاله صاحبِ العين.

وقوله: لَحَقٌّ ما فيه أمْضٌ: أي: ما فيه شك ولا مُسْتراب، وقد عمر سَطيحٌ زمانًا طويلاً بعد هذا الحديث، حتى أدرك مَولدَ النبي - ﷺ - فرأى كَسْرَى أنو شِرْوَانَ بن قُباذ بن فيرُوزَ ما رأى من ارتجاس الإيوان[1] وخمود النيرانِ، ولم تكن خَمَدَت قبل ذلك بألف عام[2]، وسقطت من قَصْرِه أرْبَعَ عَشْرَةَ شُرفة، وأخبره الْمُوبَذَانُ، ومعناه: القاضي، أو المفتي بلغتهم أنه رأى إبلاً صِعابًا، تقود خيلاً عِرابًا[3]، فانتشرت في بلادهم، وغارت بُحَيرة سَاوَة[4]، فأرسل كسرى عبدَ المسيح بن عَمْرو بن حَيَّان بن نُفَيْلَةَ الغَسَّاني إلى سطيح، وكان سطيح من أخوال عبد المسيح، ولذلك أرسله كِسْرى فيما ذكر الطبري[5] إلى سطيح يستخبره علمَ ذلك، ويَسْتَعْبِره رُؤيا الْمُوبَذَان، فقَدِمَ عليه، وقد أشْفَى على الموت، فسلَّم عليه فلم يُحْرِ إليه سطيحٌ جوابًا فأنشأ عَبدُ المسيح يقول:

أَصَمٌّ أم يسمعُ غِطْريفُ اليَمنْ ... أم فادَ فازْلَمَّ به شَأْوُ العَنَنْ

---

(١) الإيوان: بوزن الديوان وهو بناء أزج غير مسدود الوجه.

(٢) وفي هذا معجزة للنبي ﷺ أعلى مرتبة من خمود النار حين أُلقي فيها إبراهيم عليه السلام، فإنها أطفئت وخمدت بملامسته لها، ونار كسرى خمدت وطفئت على بُعد ما بينها وبين النبي ﷺ.

(٣) خيلاً عرَابًا: أي عربية.

(٤) ساوة: إحدى قرى فارس، وكانت بحيرة ساوة بحيرة كبيرة بين همذان وقم.

(٥) الطبري في تاريخه (٥/٣٩ - ١٠٥).

قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يومٌ يُجْمع فيه الأوَّلون والآخرون يَسْعد فيه المحْسنون، ويشقَى فيه المسيئون، قال: أحقّ ما تخبرني؟ قال: نعم. والشَّفق والغسق، والفَلَق إذا اتَّسق، إن ما أنبأتُك به لحقّ.

ثم قَدِمَ عليه شقّ، فقال له كقوله لسَطيح، وكَتمه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان، فقال: نعم، رأيتَ حُممة، خرجت من ظُلْمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كلَّ ذات نسمة.

قال: فلما قال له ذلك، عرف أنهما قد اتفقا، وأن قولهما واحد إلا أن سَطيحًا قال: «وقعت بأرض تَهمَة، فأكلت منها كلَّ ذات جُمْجمة».

يا فاصلَ الْخُطَّةِ أعْيَتْ مَن ومَن	أتاك شيخ الحيِّ من آلِ سَنَن
وأمُّه من آلِ ذِئبِ بنِ حَجَنْ	أبيضُ فَضْفَاضُ الرِّداءِ والبَدَن
رسولُ قَيْلِ العُجْم يَسْري للوَسَنْ	لا يرهبُ الرَّعْدَ، ولا رَيْبَ الزَّمن
تجوبُ بي الأرض عَلَنْدَاةٌ شَزَنْ	ترفعني وَجْنًا وتهوي بي وَجَنْ
حتى أتى عاري الجآجي والْقَطَنْ	تَلُفُّه في الريح بَوغاءُ الدِّمَنْ

كأنما حُثْحِثَ من حِضْنَيْ ثَكَنْ[1]!

ثكن: اسم جبل، فلما سمع سطيحٌ شِعرَه رفع رأسه، فقال: عبدُ المسيح على جملٍ مُشيحٍ[2] جاء إلى سطيح، حين أوفى على الضريح، بعثك مَلكُ بني سَاسَانَ لارتجاس الإيوانَ، وخمود النيران، ورؤيا الْمُوبَذَان. رأى إبلاً صِعابًا، تقود خيلاً عِرابًا، قد قطعت دِجْلَةَ، وانتشرتْ في بلادها. يا عبد المسيح: إذا كثُرت التّلاوةُ، وظهر صاحبُ الهِراوة، وخمدت نارُ فارس، وغارت بحيرة سَاوَة، وفاض وادي السَّماوةِ[3] فليست الشّامُ لسطيح شامًا، يملك منهم مُلوكٌ ومَلكاتٌ، على عدد الشُّرُفَاتِ، وكل ما هو آتٍ آت، ثم قضى سطيحٌ مكانه.

وقوله: فازْ لَمّ به معناه: قُبِضَ، قاله ثعلب، وقوله: شَأْوُ العَنن. يريد: الموت، وما عَنَّ منه قاله الخطابي. وفاد: مات. يقال منه: فاد يَفُود، وأما يَفِيدُ فمعناه: يَتَبَخْتَرُ.

وقول ابن إسحٰق في خبر ربيعةَ بن نَصْرٍ، فجهَّز أهله وبنيه إلى الحيرة، وكتب لهم إلى ملكٍ يقال له: سابورُ بن خُرَّزاذ.

---

(١) انظر الطبري (٢/ ١٦٧) واللسان (٢/ ٤٨٣). (٢) جمل مشيح: أي مسرع.

(٣) وادي السماوة: وادي بين الكوفة والشام.

وقال شقّ: «وقعت بين روضة وأكمة، فأكلتْ منها كلُّ ذات نسمة.

فقال له الملك: ما أخطأت يا شِقّ منها شيئًا، فما عندك في تأويلها؟.

قال: أحلف بما بين الحَرّتين من إنسان، لينزلنّ أرضَكم السودان، فَلَيَغْلِبُنَّ على كل طَفْلَة البَنان، وليملكُنّ ما بين أبْيَن إلى نَجْران.

من تاريخ ملوك الفرس:

قال المؤلف الشيخ الحافظ أبو القاسم ـ عفا الله عنه ـ ولا يعرف خُرَّزَاذ في ملوكِ بني سَاسَانَ من الفرس، وهم من عهد أزْدَشير بن بابكٍ إلى يَزْدَجِرْد الذي قُتِل في أول خلافة عثمانَ ـ رضي الله عنه ـ معروفون مُسَمَّوْنَ بأسمائِهم، وبمقادير مُدَدِهم. مَشْهورٌ ذلك عند الإخباريين والمؤرخين[1] ولكنه يحتمل أن يكونَ ابنَ خُرَّزَاذَ هذا مِلكًا دون الملِكِ الأعظم منهم، أو يكون أحدَ ملوكِ الطوائف، وهو الظاهر في مدة ربيعة بن نصر لأنه جَدُّ عَمْرو بن عَدِيٍّ وابنُ أُختِ جذيمَةَ الأَبْرش[2]، وكان مُلكُ جذيمة أولُه فيما أحسب في مدة مُلوكِ الطّوائِفِ، وآخرُه في مدة الساسانيين، وأول مَن مَلك الحيرة من السَّاسَانيَّة: سابورُ بن أزدَشير، وهو الذي خَرَّبَ الحَضْر، وكانت ملوكُ الطوائف متعادين يُغير بعضُهم على بعض، قد تحصَّن كلُّ واحد منهم في حصنٍ، وتَحَوَّزَ إلى حَيِّز منهم عَرَبٌ. ومنهم أشغانيون على دين الفرس، وأكثرُهم ينتسبون إلى الفرس من ذُرِّيَّةِ دارا بن دارا، وكان الذي فرَّقهم وشتَّت شملَهم، وأدخل بعضَهم بين بعضٍ؛ لئلا يَسْتَوْثِق لهم مُلْكٌ، ولا يَقُومُ لهم سُلْطانٌ: الإسكندر بن فيلبش اليوناني، حين ظهر على دارا، واستولى على بلاد مملكته، وتزوج بنته روشنك. بوصية أبيها دارا له بذلك حين وجده مُثْخَنًا في المعركة، ولم يكن الإسكندر أراد قتله؛ لأنه كان أخاه لأُمّه فيما زعموا، فوضع الإسكندرُ رأسَه على فخذِهِ ـ فيما ذكروا ـ وقال: يا سيد الناس لم أُرِدْ قتلَك، ولا رضيته، فهل لك من حاجةٍ؟ قال: نعم. تَزَوَّج ابنتي روشنك، وتقتل مَن قتلني، ثم قِضى دارا، ففعل ذلك الإسكندر، وفرَّق الفرس، وأدخل بينهم العَربَ. فتحاجزوا، وسُمُّوا: ملوك الطوائف؛ لأن كل واحد منهم كان على طائفة من الأرض، ثم دام أمْرُهم كذلك أربعمائة وثمانين سنة في قول الطبري، وقد قيل أقل من ذلك[3]، وقال المسعودي: خمسمائة وعشرين سنة، وفي أيامهم بُعث عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ وذلك بعد موت الإسكندر بثلاثمائة سنة. فابن خُرَّزَاذ هذا ـ والله أعلم ـ من أولئك. وبنو ساسان القائمون بعد ملوكِ الطوائفِ، وبعد ملوكِ الأشغانيين: هم بنو

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٣) وتاريخ ابن خلدون (٢/ ١٠١).

(٢) ويلقّب أيضًا بالوضاح.

(٣) انظر تاريخ الطبري (١/ ٣٣٦).

فقال له الملك: وأبيك يا شِقّ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني، أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يَسْتنقذكم منهم عظيمٌ ذو شأن، ويُذِيقهم أشدَّ الهوان.

ساسان بن بهمن. وهو من الكينية، وإنما قيل لهم الكينية؛ لأن كل واحد منهم يضاف إلى كِي، وهو البَهاء. ويقال معناه: إدراك الثار. وأوّل مَن تَسَمَّى بِكِي: أفريذُونُ بن أثفيان قاتل الضحاكِ بثأر جدِّه جَم، ثم صار الملك في عَقِبه إلى منوشهر الذي بُعث موسى - عليه السلام - في زمانه إلى كي قاووس. وكان في زمن سليمان - عليه السلام - وسيأتي طرف من ذكره في الكتاب إلى كي يستاسب الذي وَلِيَ بُخْتُنَصَّرَ ومَلَّكه. وبُخْتُ نَصَّرَ هو الذي حَيَّر الحيرة حين جعل فيها سَبَايا العربِ، فتحيَّروا هناك، فسُمِّيت الحيرة[1]، وأُخِذَ اسمه من بُوخت وهي النخلة؛ لأنه وُلد في أصل نخلةٍ. ثم كان بعد كي يستاسب بهمن بن إسبندياذ بن يستاسب.

وكان له ابنان: دارا وساسان، وكان ساسان هو الأكبر، فكان قد طمع في الملك بعد أبيه، فصرف بهمن الأمر عنه إلى دارا لخبر يطول ذكره حَمَلَتْه على ذلك «خمانا أُم دارا»، فخرج «ساسان» سائحًا في الجبال، ورفض الدنيا، وهانت عليه، وعهد إلى بنيه متى كان لهم الأمر: أن يقتلوا كل أشغاني وهم نسل «دارا»، فلما قام «أزدشير بن بابك» وقيده الدَّارَقُطْنِيُّ «أردشير» بالراء المهملة، ودعا ملوك الطوائف إلى القيام معه على مَن خالفه، حتى ينتظم له مُلك فارس، وأجابه إلى ذلك أكثرُهم، وكانوا يدًا على الأقل، حتى أزالوه، وجعل «أزدشير» يقتل كلَّ مَن ظهر عليه من أُولئك الأشغانيين، فقتل ملكًا منهم يقال له: الأزْدَوَان، واستولى على قصره، فألفى فيه امرأة جميلة رائعة الحُسْن، فقال لها: ما أنت؟ فقالت: أَمَةٌ من إماء الْملِكِ، وكانت بنت الْملِكِ الأزْدَوَان لاذت بهذه الحيلة من القتل، لأنه كان لا يُبْقي منهم ذَكَرًا ولا أُنثى، فصدق قولها، واسْتَسَرَّها[2] فحملت منه، فلما أَثْقَلَتْ اسْتَبْشرت بالأمان منه، فأقرَّت أنها بنت الأشغاني الذي قُتل، واسمه أزْدَوَان - فيما ذكروا - فدعا وزيرًا له ناصحًا - وقد سمّاه الطبري في التاريخ[3] - فقال: اسْتَوْدِعْ هذه بطنَ الأرض، فكره الوزيرُ أن يقتلَها، وفي بطنها ابنٌ للملك، وكره أن يعصي أمره، فاتخذ لها قصرًا تحت الأرض، ثم خَصَى نفسه، وصَبَّر مذاكيره، وجعلها في حريرة، ووضع الحريرةَ في حُقٍّ، وخَتَم عليه، ثم جاء به الملك فاستودعه إياه، وجعل لا يدخل إلى المرأة في ذلك القصر سواه، ولا تراها إلا عينُه،

---

(١) عند الطبري (١/ ٣٣١): أن تبع خرج على جبل طيىء ثم سار يريد الأنبار، فلما انتهى إلى الحيرة - وذلك ليلاً - تحير، فأقام وسُمِّي ذلك الموضع الحيرة اهـ بتصرّف.

(٢) استسرّها: أي اتخذها سَرِيّة له.

(٣) الطبري في تاريخه (١/ ٣٤١).

قال: ومَنْ هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بِدَنيّ، وَلا مُدَنّ، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن، فلا يترك أحدًا منهم باليمن.

حتى وضعت المولودَ ذكرًا، فكره أن يسمّيه قبل أبيه، فسماه: شاهَبُورَ، ومعناه: ابن الملك، فكان الصبي يُدعى بهذا، ولا يعرف لنفسه اسمًا غيره، فلما قبل التعليمَ نظر في تعليمه، وتقويم أوَدِه. واجتهد في كل ما يصلحه إلى أن ترعرع الغلام. فدخل الوزير يومًا على أزدشير، وهو واجم، فقال: لا يسوءك الله أيها الملك! فقد ساءني إطراقك ووجومك، فقال: كبرتْ سنّي، وليس لي ولد أُقلّده الأمر بعدي، وأخاف انتثار الأمر بعد انتظامه، وافتراقَ الكلمة بعد اجتماعها، فقال له: إن لي عندك وديعة أيها الملك، وقد احتجت إليها، فأخرج إليه الْحُقَّةَ بخاتمها، ففضّ الخاتمَ، وأخرج المذاكير منها، فقال له الملك: ما هذا؟ فقال: كرهت أن أعصي الملك حين أمرني في الجارية بما أمر، فاسْتَوْدَعْتُها بطنَ الأرض حَيَّةً، حتى أخرج الله منها سليلَ الْمَلِكِ حَيًّا، وأرضعته وحضنته، وها هو ذا عندي، فإن أمرَ الملكُ جئتهُ به، فأمره أزدشير بإحضاره في مائة غلام من أبناء فارس، بأيديهم الصوالج[1] يَلْعَبُون الكرة، فلعبوا في القصر، فكانت الكرة تقع في إيوان الملك، فيتهيبون أخذَهَا حتى طارت للغلام، فوقعت في سرير الملك، فتقدم حتى أخذها، ولم يهب ذلك، فقال الملك: ابني والشمسِ!! متعجّبًا من عزّة نفسه وصرامته، ثم قال له: ما اسمك يا غلام؟ فقال له: شَاهَبُور، فقال له: صدقتَ! أنت ابني. وقد سميتك بهذا الاسم، وبور: هو الابنُ، وشاه: هو الملك بلسانهم، وإضافتهم مقلوبة، يقدّمون المضاف إليه على المضاف، كما تقدم في «الكي» الكلمة التي كانت في أوائل أسماء الملوك الكينية، فكانوا يضافون إلى الكي، ثم إن أزدشير عهد إلى ابنه شَاهَبُورَ، وسيأتي في الكتاب في قول الأعشى:

أقـام بـه شَـاهَـبُـورُ الـجـنـودَ حَـوْلَـيْـن يـضـرب فـيـه الـقـدُم

ثم غيّرت العرب هذا الاسم، فقالوا: سابور، وتسمّى به ملوك بني ساسان منهم: سابور ذو الأكتاف الذي وطىء أرض العرب، وكان يخلع أكتافهم، حتى مرّ بأرض بني تميم، ففرّوا منه، وتركوا عَمْرَو بن تميم. وهو ابن ثلاثمائة سنة، لم يقدر على الفرار، وكان في قُفَّة مُعَلَّقًا من عمود الخيمة من الْكِبَرِ، فأُخذ، وجيء به المَلِكَ، فاسْتَنْطَقَهُ سابور، فوجد عنده رأيًا ودهاءً، فقال له: أيها الملك: لِمَ تفعل هذا بالعرب؟ فقال: يزعمون أن مُلْكنا يصل إليهم على يدِ نَبِيٍّ يُبعَث في آخرِ الزمان، فقال عمرو: فَأَيْنَ حِلْمُ الملوكِ وعقلُهم؟! إن يكن هذا الأمرُ باطلاً فلا يضرّك، وإن يكن حقًّا ألفاك، وقد اتخذتَ عندهم يدًا، يكافئونك عليها،

---

(١) الصوالج: جمع صولج. وهي عصًا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة.

قال: أفيدوم سلطانه، أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مُرسَل يأتي بالحقّ والعدل، بين أهل الدّين والفضل، يكون المُلك في قومه إلى يوم الفَصْل؛ قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تُجزَى فيه الوُلاة، ويُدعى فيه من السماء بدَعَوات، يسمع منها الأحياءُ والأمواتُ، ويُجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمَن اتقى الفوز والخيرات.

ويحفظونك بها في ذَويك، فيقال: إن سابور انصرف عنهم، واستبقى بقيَّتهم، وأحسن إليهم بعد ذلك والله أعلم.

وأما أبْروَيْز بن هُرْمُز ـ وتفسيره بالعربية: مُظفَّر ـ فهو الذي كتب إليه النبي ـ ﷺ ـ وسيأتي طرف من ذكره، وهو الذي عُرض على الله تعالى في المنام[1]، فقيل له: سلِّم ما في يديك إلى صاحب الْهِراوة، فلم يزل مَذْعورًا من ذلك، حتى كتبَ إليه النعمانُ بظهور النبي ـ ﷺ ـ بتِهامَة، فعلم أن الأمْرَ سيصير إليه، حتى كان من أمره ما كان، وهو الذي سُئِل عنه رسول الله ـ ﷺ ـ مَا حُجَّةُ الله على كسرى؟ فقال: إن الله تعالى أرسل إليه مَلَكًا، فسَلَك يدَه في جِدار مجلسه، حتى أخرجها إليه، وهي تَتَلألأُ نُورًا، فارتاع كسرى، فقال له المَلك: لم تُرَعْ يا كسرى. إن الله قد بعث رسولَه، فأسلم تسلم [دنياك وآخرتك][2]، فقال: سأنظر. ذكره الطبري، في أعلام كثيرة من النبوة[3]، عُرضت على أبْروَيْز أضربنا عن الإطالة بها، في هذا الموضع، وتَسَمَّى أيضًا سابورَ بعد هذا سابورُ بن أبْروَيْز أخو شيرَويه، وقد ملك نحوًا من شهرين في مدة النبي ـ ﷺ ـ وملك أخوه شيرويه نحوًا من ستة أشهر، ثم ملكت بُورانُ أُختُهما، فبلغ ذلك النبي ـ ﷺ ـ فقال: «لا يُفلح قوم ملكتهم امرأة»[4] فملكت سنةً، وهلكت وتشتّت أمرُهم كُلَّ الشتات. ثم اجتمعوا على يَزْدَجِرْدَ بن شَهْريار، والمسلمون قد غلبوا على أطراف أرضهم، ثم كانت حروبُ القادسية معهم إلى أن قهرهم الإسلام، وفتحت بلادَهم على يديْ عُمَر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، واسْتُؤْصِل أمرُهم، والحمدُ لله.

وسابور تُنسبَ إليه الثياب السَّابِرِيَّة[5] قاله الخطابي، وزعم أنه من النَّسب الذي غُيِّر، فإذا نَسبوا إلى نيسابور المدينة، قالوا: نَيسَابُورِيّ على القياس، وزعم بعضهم أن: ني هي: القصب، وكانت مَقْصَبَةً، فبناها سابور مدينة، فَنُسِبت إليه، والله أعلم.

---

(١) أي رأى «الله» تعالى في المنام. وهو قول باطل فاسد.

(٢) ما بين القوسين زيادة من الطبري.

(٣) أُسطورة لا صحة لها وهي ظاهرة البطلان.

(٤) «صحيح». أخرجه البخاري (٦/ ١٠) (٩/ ٧٠) والترمذي (٢٢٦٢) والنسائي (٨/ ٢٢٧) ورغم النهي الصريح الذي تضمنه الحديث بألاّ تُوَلّى المرأة ملك البلاد إلا أن أحد أصحاب العمائم في مصر الحبيبة فسّر الحديث تفسيرًا غريبًا أباح فيه أن تكون المرأة وزيرة وسفيرة!!.

(٥) الثياب السابرية: نوع من أجود الثياب وأرقها.

قال: أحقّ ما تقول؟ قال: إي وربّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفْعٍ وخَفْض، إن ما أنبأتك به لَحَقٌّ ما فيه أمْضٌ.

قال ابن هشام: أمض. يعني: شكًّا، هذا بلغة حمير، وقال أبو عمرو. أمْض أي: باطل.

فوقع في نفس رَبيعة بن نَصْر ما قالا، فجهَّز بنيه، وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصْلِحُهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له: سابور بن خُرَّزاذ فأسكنهم الحِيرة.

نسب النعمان بن المنذر:

فمن بقيَّة ولد ربيعة بن نصر النُّعمان بن المنذر، فهو في نسب اليمن وعِلمهِم: النعمان بن المُنْذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عديّ بن ربيعة بن نصر، ذلك الملك.

قال ابن هشام: النعمان بن المنذر بن المنذر، فيما أخبرني خلف الأحمر.

رجوعه إلى حديث سطيح وذي يزن:

فصل: وقول سطيح في حديث ربيعة: إرَمَ ذي يَزَنَ، المعروفُ: سيفُ بن ذي يَزَنَ، ولكن جعله إرَمًا، إمَّا لأن الإرَمَ هو الْعَلَمُ فمدحه بذلك، وإمَّا شبهه بعاد إرم في عِظَمِ الْخَلْقِ والْقُوة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ألم ترَ كيف فعل ربُّك بعادٍ إرَمَ ذاتِ الْعِمادِ﴾(١).

وربيعةُ بن نَصْرٍ هذا هو: أحد ملوكِ الحِيرة، وهم آلُ الْمُنْذر، والمنذرُ هو: ابنُ ماءِ السماء، وهي: أُمه عُرف بها، وهي من النَّمِرِ بنِ قاسط وابْنُهُ عَمْرُو بن هنْد عُرِفَ بأُمِّه أيضًا، وهي بنت الحارث آكل الْمُرَارِ جَدُّ امرىء القيس الشاعرِ، ويُعرف عَمْرو بمُحَرِّق لأنه حَرَّق مدينة، يقال لها: مَلْهَم، وهي عند اليمامة، وقال الْمبرِّدُ والْقُتَبِيُّ سُمِّي: مُحَرِّقًا، لأنه حَرَق مائةً من بني تميم، وذكر خبرَهم(٢).

وولدُ نصرِ بنِ ربيعةَ هو: عَدِيٌّ، وكان كاتبًا لِجَذِيمَةَ الأَبْرَشِ، وابْنُه: عَمْرو، وهو ابن أُخت جَذِيمَةَ، ويُكنّى جَذِيمة: أبا مالك في قول المسعودي، وهو منادم الْفَرْقَدَيْن، واسمُ أُختُ جذيمة: رَقَاشِ بنت مالك بن فَهْمِ بن غَنْم بن دَوْس، وهو الذي اختطفته الجنُّ، وفيه

---

(١) سورة الفجر آية رقم (٦ ـ ٧).

(٢) انظر الاشتقاق (٤٣٥) والجمهرة لابن حزم (٢٢).

استيلاء أبي كرب تبان أسعد
على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحٰق: فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلْك اليمن كله إلى حسان بن تُبَّان أسعد أبي كرب ـ وتُبَّانَ أسعد هو: تُبَّع الآخِر ـ ابن كُلْكِي كَرِبَ بن زيد، وزيد هو تُبَّع

جرى المثل: شَبَّ عَمْرٌو عن الطَّوْقِ[1]. وهو قاتل الزَّبَّاء بنت عَمْرو واسمها: نائلة في قول الطَّبَري وَيعْقُوب بنِ السِّكِّيت، ومَيْسُونُ في قول دُرَيْد، واستشهد الطبري بقول الشاعر[2]:

أتـعـرف مَـنْـزِلاً بَـيْـن الْـمُـنَـقَّـى وبَـيْـن مَـجَـرِّ نـائِـلَـة الْـقَـدِيـم

وقد أملينا في غير هذا الموضع ذكر نسبها وطرفًا من أخبارها.

وأخو عمرو بن هند: النعمانُ بن المُنْذر، وهو ابن مَامَة، وكان ملكه بعد عمرو، وفي مُلْكِ عَمْرِو وُلد رسول الله ـ ﷺ[3] ـ وفي زمن كسرى أنو شروان بن قباذ.

وأسقط ابن إسحٰق من هذا النسب رجلين، وهما: النعمان بن امرىء القيس وأبوه: امْرؤُ الْقَيْس بن عَمْرو بن عَدي. وقد قيل، إن النعمان هذا هو أخو امرىء القيس، وملك بعدَه، وسيأتي ذكر النعمان بعد هذا عند ذكر صاحب الْحَضْرِ إن شاء الله تعالى، وأنه الذي بنى الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِير.

قـوم تُبَّع

فصل: وقوله في نسب حَسَّانٍ: بن تُبَّان أسعد: هو تُبَّانُ أسعد. اسمان جُعلا اسمًا واحدًا، وإن شئت أضفتَ كما تضيف معدي كرب، وإن شئت جعلت الإعراب في الاسم الآخر، وتُبَّان من التَّبَانَةِ، وهي: الذكاء والفطنة. يقال: رجل تَبِنٌ وَطَبِنٌ.

وكلْكي كَرِبُ اسمٌ مركَّب أيضًا وسيأتي معنى الكَرِب في لغة حِمْير عند ذكر مَعْدِي كرب ـ إن شاء الله تعالى ـ وكان ملك كلكي كَرِبَ خمسًا وثلاثين سنة، وكان مُضْعَفًا ساقط الْهِمَّة لم يَغْزُ قَطّ.

وقوله: في نسب حَسَّان: ابن تبّان أسعد وتُبَّان الأسعد [هو] تُبَّعٌ. [الآخرُ] نقص من النسب أسماءً كثيرةً وملوكًا؛ فإن عَمْرًا ذا الأذعار[4] كان بعده ناشرُ بن عَمْرو، ويقال له:

---

(١) الطوق: حليّ للعنق. وفي قصة خطف الجنّ للناس: نظر.

(٢) هو: القعقاع بن الدرّ ماء الكلبي. انظر تايخ الطبري (١/ ٣٦٤).

(٣) المشهور أن النبي ﷺ ولد عام ٥٧١ ميلادية، وقتل عمرو في الغارة على الشام سنة ٥٦٧ ميلادية.

(٤) ذو الأذعار: قيل أنه لُقّب بهذا لأنه جلب النسناس إلى اليمن فذعر الناس منه. انظر الاشتقاق لابن=

الأوَّلُ بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرّيش ـ قال ابن هشام: ويقال: الرائش ـ قال ابن إسحٰق: بن عديّ بن صيفي بن سبأ الأصغر، بن كَعْب، كَهْف الظُّلْم بن زَيْد بن سَهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شَمْس بن وائل بن الغَوْثِ، بن قطَن، بن عَرِيب بن زهَير، بن أيمنَ بن، الهَمَيْسع بن الْعَرَنْجَجِ، والْعَرَنْجَجُ: حِمْير بن سبأ الأكبر بن يَعرُب، بن يَشْجُب بن قَحْطَان.

قال ابن هشام: يَشْجُب بن يعرب بن قَحطان.

قال ابن إسحٰق: وتُبَّان أسعد أبو كَرِب الذي قَدِمَ المدينة، وساق الحِبْرين من يهود المدينة إلى اليمن، وعمَّر البيت الحرام وكساه، وكان ملكه قبل مُلْك ربيعة بن نصر.

ناشر النِّعم، [ابن عمرو بن يَعْفُر][1] وإنما قيل له ناشر؛ لأنه نَشَر الْمُلْكَ، واسمه مالك. مَلَك بعد قتل رجعيم بن سُلَيْمان عليه السلام بالشام، وهو الذي انتهى إلى وادي الرَّمْل، وماتت فيه طائفةٌ من جنده جرّت عليهم الرِّمال، وبعده: تُبَّع الأقْرَنُ وأفريقيس بن قَيْس الذي بنى إفريقية: وبه سميت، وساق إليها الْبَرْبَرَ من أرض كَنْعان، وتُبَّع بن الأقْرَنِ وهو التُّبَّعُ الأَوْسَطُ، وشَمِرُ بن مالكٍ الذي سُمِّيت به مدينة سَمَرْقَنْد، ومالك هو: الأُمْلُوك، وفي بني الأُمْلُوك يقول الشاعر:

فَنَقِّبْ عن الأُمْلُوكِ واهتِف بِيَعْفُرِ   وعِشْ جَارَ عِزٍّ لا يـغـالـبُـه الـدَّهْـرُ

وقد قيل: إن الأُمْلُوكَ كان على عهد منوشهر، وذلك في زمن موسى ـ عليه السلام ـ كل هؤلاء مذكورون بأخبارهم في غير هذا الكتاب.

وعَمْرٌو ذو الأذعار كان على عهد سليمان، أو قبله بقليل، وكان أَوْغَل في ديار المغرب، وسبا أمَّةً وجوهُها في صُدورها، فذُعِر الناسُ، منهم فسُمِّي: ذا الأذعار[2]، وبعده ملكت بنت بِلْقِيسُ هُداهِد بن شُرَحْبِيلَ صاحبة سليمان ـ عليه السلام ـ واسم أُمها يَلْمَقَه بنت جني، وقيل: رَوَاحَةُ بنت سُكَيْن. قاله ابن هشام. وزعم أيضًا أنها قتلت عَمْرًا ذا الأذعار بحيلةٍ ذكرها، وأنه سُمِّي ذا الأذعارِ لكثرةِ ما ذُعر الناس منه لجوْرِه، وأنه ابن أبْرهة ذِي المنار بن الصَّعْبِ، وهو ذو القرنين بن ذي مراثل الحِميري، وأبوه: أَبْرهَةُ ذو المنار سُمِّي

= دريد (٥٤٢).

(١) عند الطبري (١/ ٣٣١): ياسر بن عمرو بن يعفر.

(٢) والتأويل الأول مقبول كما تقدم ذكره في الاشتقاق. أما أن سبأ أُمة وجوهها في صدورها. فقول مردود بصريح القرآن.

قال ابن هشام: وهو الذي يقال له:

لـيـتَ حـظِّـي مـن أبـي كَـرِب ... أن يَـسُـدّ خَـيْـرُه خَـبَـلَـه

سبب غضب تبان على أهل المدينة:

قال ابن إسحٰق: وكان قد جعل طريقه ـ حين أقبل من المشرق ـ على المدينة، وكان قد مرّ به في بَدْأته، فلم يَهِج أهلَها، وخلَّف بين أظهرهم ابنًا له، فقُتِل غِيلة، فقَدِمها وهو مُجمع لإخرابها، واستئصال أهلها، وقطع نخلها، فجمع له هذا الحيُّ من الأنصار، ورئيسهم عَمْرو بن طَلَّة أخو بني النجّار، ثم أحد بني عمرو بن مَبْذول، واسم مَبْذُولٍ: عامر بن مالك بن النجّار، واسم النجار: تيم الله بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر.

بذلك؛ لأنه رفع نيرانًا في جبالٍ؛ ليهتدي بها[1].

وأمّا حَسَّانُ الذي ذكَر فهو الذي استباح طَسْمًا، وصَلَب الْيَمَامَةَ الزَّرْقَاءَ، وذلك حين اسْتَصْرَخَهُ عليهم رَبَاحُ بن مُرّةَ أخو الزرقاء، وهو من فَلِّ جديسٍ، وقد تقدم الإيماء إلى خبرهم.

ومعنى تُبَّع في لغة اليمن: الملك المتبوع، وقال المسعودي: لا يقال للملك: تُبَّع حتى يغلبَ اليمن والشِّحْر وحَضْرَمَوت. وأولُ التَّبابعة: الحارثُ الرائش، وهو ابن هَمَّال بن ذي شَدَد وسُمِّي: الرائش، لأنَّه راشَ الناسَ بما أوسعهم من العطاء، وقسم فيهم من الغنائم، وكان أول مَنْ غَنِم، فيما ذكروا.

وأما الْعَرَنْجَجُ الذي ذكر أنه حِمْير بن سَبَأ، فمعناه بالحمَيرية: العتيق. قاله ابن هشام، وفي عهد زَمَن تُبَّع الأوسط ـ وهو حَسَّان بن تُبَان أسعد ـ كان خروج عَمْرو بن عامر من اليمنِ من أجل سيل الْعَرِم، فيما ذكر الْقُتَبيُّ.

وأما عَمْرو أخو حسَّان الذي ذكر ابن إسحٰق قصتَه، وقتلَه لأخيه. فهو المعروف: بمَوْثَبَان. سُمِّي بذلك للزُومه الوثاب وهو [السرير] الْفِراش وقلة غَزْوه. قاله الْقُتَبيُّ.

وأما ما ذكره من غَزْو تُبَّع المدينة، فقد ذكر الْقُتَبِيُّ أنه لم يقصد غَزْوها، وإنما قصد قتلَ اليهود الذين كانوا فيها، وذلك أن الأوْسَ والخزرج كانوا نزلوها معهم، حين خرجوا من اليمن على شروطٍ وعهودٍ كانت بينهم، فلم يفِ لهم بذلك يهودُ، واستضاموهم، فاستغاثوا

---

(١) قيل أنه أول مَن ضرب المنار على طريقه في مغازيه. انظر القاموس.

عمرو بن طلّة ونسبه:

قال ابن هشام: عمرو بن طَلَّةَ: عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجّار، وطَلَّةُ: أمه، وهي: بنت عامر بن زُرَيق، بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج.

بتُبَّع، فعند ذلك قَدِمها وقد قيل: بل كان هذا الخبرُ لأبي جُبَيْلَةَ الْغَسَّانِيّ، وهو الذي اسْتَصْرَخَتْه الأوسُ والخزرج على يهود، فالله أعلم.

والرَّجُل الذي عدا على عَذْقِ الملك، وجَدُّهُ من بني النجارِ هو: مالك بن الْعَجْلانِ فيما قال الْقُتَبِيُّ، ولا يصحّ هذا عندي في القياس لبُعد عهد تُبَّعٍ من مدة ملك ابن العجلان.

وخَبَرُ ملك ابن العَجْلان إنما هو مع أبي جُبَيْلَةَ الْغَسَّانِي حين اسْتَصْرَخت به الأنصار على اليهود، فجاء حتى قَتَل وجُوهًا من يهود. وأما تُبَّع فحديثه أقدمُ من ذلك. يقال: كان قبل الإسلام بسبعمائة عام، والصحيح في اسم أبي جُبَيْلَةَ: جُبَيْلَةُ غير مَكْنى، ابنُ عَمْرو بن جَبَلة بن جَفْنَة، وجَفْنَة هو: عَلَبَةُ ابن عَمْرو بن عامر ماء السماء. وجُبَيلةُ هو: جدّ جبلة بن الأيْهَم[1] آخر ملوك بني جَفْنة، ومات جُبَيْلةُ الغساني من عَلَقَةٍ شَرِبها في ماء، وهو مُنصرف عن المدينة.

وذكر أن تُبَّعًا أراد تخريبَ المدينة، واسْتئصال اليهود، فقال له رجل منهم، له مائتان وخمسون سنةً: الملك أجَلُّ من أن يطير به نَزَقٌ[2]. أو يستخِفَّه غَضَب، وأمْره أعظمُ من أن يضيقَ عنّا حِلْمُه، أو نُحْرَمَ صَفْحَه، مع أن هذه الْبَلْدَةَ مُهَاجَرُ نَبِيٍّ يبعث بدين إبراهيم. وهذا اليهودِيُّ هو أحد الْحَبْرَينِ اللَّذَيْن ذكر ابن إسحٰق، قال: واسمُ الْحَبْرَين: سُحَيْتٌ، والآخر: مُنَبِّهٌ. ذكر ذلك قاسمُ بن ثابت في الدَّلائل[3]، وفي رواية يونس عن ابن إسحٰق، قال: واسمُ الْحَبْرِ الذي كلّم الملكَ: بليامين، وذكر أن امرأةً اسمُهَا: فُكَيْهَةُ من بني زُرَيْق كانت تحملُ له الماءَ من بئر رُومَة[4] بعدما قال له الْحَبْرَانِ ما قالا، وكفَّ عن قتالِ أهْلِ المدينة، ودَخلُوا عَسْكَره، فأعطى فُكَيْهَةَ، حتى أغناها، فلم تَزَلْ هي وعشيرتُها من أغنى الأنْصار حتى

---

(١) جبلة بن الأيهم هو الذي ارتدّ [عياذًا بالله من الردّة] ولحق بالروم. انظر الإنباه (١١١).

(٢) النزق: النون والزاء والقاف كلمة تدلّ على عجلة. من ذلك النزق: الخفّة والعجلة. ويقولون: أنزق فلان بالضحك. مقاييس اللغة (٥/ ٤١٦).

(٣) وعند الطبري (١/ ٤٢٦): أن اسم الحبرين هما: كعب وأسد، وكانا من بني قريظة، وكانا ابن عمّ.

(٤) بئر رومة: بئر بالمدينة المنورة.

جاء الإسلامُ، ولما آمن الملكُ بمحمد - ﷺ - وأُعلم بخبره، قال:

شَهِدتُ على أحمد أنَّه ... نبيٌّ من الله بارِي النَّسَمْ
فلو مُدَّ عُمري إلى عُمرِه ... لكُنتُ وَزيرًا له، وابنَ عَمْ
وجاهَدْتُ بالسَّيفِ أعداءَه ... وفَرَّجتُ عن صَدْرِه كُلَّ هَمْ[1]

وذكر ابنُ أبي الدُّنيَا في كتابِ الْقُبورِ، وذكره أيضًا أبو إسحٰق الزَّجَّاج في كتاب المغازي له، أن قبرًا حُفِر بصَنْعَاءَ، فوُجد فيه امرأتان، معهما لَوْحٌ من فِضَّةٍ مَكْتوبٌ بالذَّهَبِ، وفيه: هذا قبر لَمِيس وحُبَّى ابْنَتَيّ تُبَّع ماتا، وهما تشهدان: لا إلٰه إلاّ الله وحدَه، لا شريكَ له، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما[2]، وقال رسول الله - ﷺ -: «لا أدري أتُبَّعٌ لعينٌ أم لا»[3] ورُوِي عنه - ﷺ - أنه قال: «لا تَسُبُّوا تُبَّعًا؛ فإنه كان مؤمنًا»[4]، فإن صحّ هذا الحديث الأخير، فإنما هو بعدما أُعلِم بحاله، ولا ندري: أيّ التبايعة أراد، غير أن في حديث مَعْمَر عَن هَمَّام بن مُنَبِّه عن أبي هُرَيْرَة أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا تَسُبُّوا أَسْعَدَ الْحِمْيَرِيَّ، فإنه أولُ مَن كسا الكعبة»[5] فهذا أصح من الحديث الأول، وأبْيَنُ، حيث ذكر فيه أسعد. وتُبَّان أسعد الذي تقدّم ذكره، وقد كان تُبَّعٌ الأولُ مؤمنًا أيضًا بالنبي - ﷺ - وهو الرائش، وقد قال شعرًا يُنْبِىءُ فيه بمبعث النبي - ﷺ - يقول فيه:

ويأتي بعدَهم رَجُلٌ عظيمٌ ... نبيءٌ لا يُرَخِّصُ في الحرام

وقد قيل إنه القائل:

مَنَعَ البقاءَ تَصَرُّفُ الشَّمس ... وطلوعُها من حيث لا تُمسي
اليومَ أعلَمُ ما يجيء به ... وَمَضَى بفصل قضائه أمْسِ
وطلوعُها بيضاءَ مُشرقةً ... وغروبُها صفراء كالْوَرْسِ
تجري على كَبِدِ السماءِ، كما ... يجري حِمَامُ الموتِ في النفسِ

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٥٤) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا من «القبور» (٣١).

(٣) أخرجه ابن عساكر (٥/ ٢٥٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) «ضعيف جدًا». أخرجه الطبراني (١١/ ٢٩٦) وابن عساكر في تهذيبه (١٠/ ٤٠٩) والخطيب (٣/ ٢٠٥) وأحمد (٥/ ٣٤٠). فيه عمرو بن جابر متهم بالكذب.

(٥) ذكره ابن كثير البداية (٢/ ١٥٤) نقلاً عن المصنف. وأورده السيوطي في الدرّ (٦/ ٣١).

قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة

قال ابن إسحٰق: وقد كان رجل من بني عديّ بن النجار، يقال له: أحمر عدا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وجده في عَذْقٍ له يَجُدُّهُ، فضربه بمِنْجَله فقتله، وقال: إنما التمر لمن أبَّرَهُ، فزاد ذلك تُبَّعًا حَنقًا عليهم، فاقتتلوا، فتزعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويَقْرُونَه بالليل، فيعجبه ذلك منهم، ويقول: والله إن قومنا لكرام.

فبينا تُبَّعُ على ذلك من قتالهم، إذ جاءه حَبْران من أحبار اليهود، من بني قُرَيْظَةَ - وقُرَيْظة والنَّضير والنَّجّام وعمرو - وهو هَدَلْ - بنو الخزرج بن الصريح بن التَّوْمان، بن السِّبط بن اليَسَع، بن سعد، بن لاويّ، بن خَيْر، بن النَّجّام، بن تَنْحوم، بن عازَر، بن

وقد قيل: إن هذا الشعر لِتُبَّعٍ الآخر [وقيل لأسقف نجران]، فالله أعلم، ومن هذا أخذ أبو تمام قوله:

أَلقى إلى كعبة الرَّحْمٰنِ أرْحُلَه   والشَّمْسُ قد نفضتْ وَرْسًا على الأُصُلِ

غريب حديث تُبَّع

ذكر فيه: فَجدَّ عَذْقَ الملك. العَذْق: النخلة بفتح العين، والعِذق بالكسرة: الكِباسة بما عليها من التمر[1]، وذكر في نسب قُرَيظَةَ والنضير عَمْرًا، وهو هَدَل بفتح الدال، والهاء، كأنه مصدر هَدَل هَدْلاً إذا استرخت شفتُه، وذكره الأميرُ ابن ماكولا عن أبي عبدة النَّسّابة فقال فيه: هَدْل بسكون الدال.

وذكر فيه ابن التَّوْمان على وزن فعلان، كأنه من لفظ التُّوَم[2]، وهو الدُّرُّ أو نحوه.

وفيه ابن السِّبط بكسر السين، وفيه ابن تَنْحُوم بفتح التاء وسكون النون والحاء المهملة، وهو عِبْرانيٌّ، وكذلك عازَر، وعِزْرى بكسر العينِ من عِزري.

وقاهث، وبالتاء المنقوطة باثنتين. وهكذا وقع في نسخة الشيخ أبي بحر. وفي غيرها بالثاء المثلثة، وكلها عِبْرَانِيَّةٌ. وكذلك إسرائيل، وتفصيله بالعربية: سَرِيُّ الله[3].

---

(١) عذق: العين والذال والقاف أصلٌ واحدٌ يدل على امتداد في شيء وتعلق شيء بشيء. من ذلك العِذْق عِذْق النخلة، وهو شمراخ من شماريخها. انظر مقاييس اللغة (٤/ ٢٥٧).

(٢) التُّوَم: مفردة تومة بضم التاء وفتح الميم.

(٣) وقيل المؤتمر بأمر الله.

عِزْرَى، بن هارون، بن عمران، بن يَصْهر، بن قاهث، بن لاوي، بن يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ بن إسحٰق بن إبراهيم خليل الرحمن ـ صلَّى الله عليهم ـ عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك، لا تفعل، فإنك إن أبيتَ إلا ما تريد حِيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجلَ العقوبة، فقال لهما: ولِمَ ذلك؟ فقالا: هي مُهاجَرُ نبيّ يخرج من هذا الحرَم من قريش في آخر الزمان، تكون دارَه وقرارَه، فتناهى عن ذلك، ورأى أن لهما علمًا، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، وأتبعهما على دينهما، فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة بن عمرو بن عبد بن عَوف بن غَنْم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طَلَّة:

أَصَحا أم قد نهى ذُكَرَه ... أم قَضَى مِن لَذَّةٍ وَطَرَه

أم تذكَّرتَ الشَّبابَ، وَما ... ذِكْرُكَ الشبابَ أو عُصُرَه

إنها حَرْبٌ رَباعِيَةٌ ... مِثْلُها آتى الفتى عِبَرَه

فاسألا عِمْران، أو أسدا ... إذ أتت عَدْوًا مع الزُّهَرَه

فَيْلَقٌ فيها أبو كَرِبٍ ... سُبَّغ أبدانُها ذَفِرَه

وقوله في شعر خالد بن عبد الْعُزَّى: أصحا أم قد نهى ذُكَرَه. الذُّكَرُ: جمعُ ذُكْرَة. كما تقول: بُكْرة وبُكَر، والمستعمل في هذا المعنى ذكرى بالألف، وقلّما يجمع فعلى على فُعَل، وإنما يجمع على فِعال، فإن كان أراد في هذا البيت جمع: ذِكرى، وشَبَّه ألفَ التأنيث بهاءِ التأنيث، فله وَجْهٌ: قد يحملون الشيء على الشيء إذا كان في معناه.

وقوله: ذكرُكَ الشبابَ أوْ عُصُرَه، أراد: أو عَصْره. والعَصْر والعُصُر لغتان. وحرك الصَّاد بالضَّم[1] قال ابن جنّي: ليس شَيْءٌ على وَزْن فَعْل بسكون العين، يمتنع فيه فُعُل.

وقوله: إنها حربٌ رَباعِيَة. مَثَلٌ. أي: ليست بصغيرة ولا جَذَعة[2]. بل: هي فوق ذلك، وضُرِب سنُّ الرَّباعِيَة مَثَلاً، كما يقال: حرب عَوَان[3]. لأن العَوان أقوى من الْفَتِيَّةِ وأذْرَبُ.

وقوله: عَدْوًا مع الزُّهَرَة. يريد: صَبَّحهم بغلَسٍ قبل مغيب الزُّهَرَةِ[4] وقوله: أبدانُها ذَفِرة،

---

(١) العصر: أي الدهر ويجمع على أعصار وعصور وأعصر وعُصُر.

(٢) جذعة: الجذعة قبل الثني، والثني هي التي ألقت بثنيّتها في السنة الثالثة إذا كانت من ذات الظلف والحافر، وفي السنة السادسة إذا كانت من ذات الخف.

(٣) العوان: النصف في سنّها في كل شيء.

(٤) الزهرة: يعني كوكب الزهرة.

ثـم قـالـوا: مَـن نَـؤُمّ بـهـا ... ابـنـي عَـوْفٍ، أم الـنَّـجَـره؟
بـل بـنـي الـنـجَّـار إنّ لـنـا ... فـيـهـمُ قـتـلـى، وإنَّ تِـرَه
فـتـلـقَّـتـهـم مُـسَـايِـفَـة ... مـدُّهـا كـالـغَـبْـيـة الـنَّـثِـره

يعني: الدُّروع. وذَفِرة من الذَّفَر. وهي سُطوع الرائحة طيبةً كانت، أو كريهةً. وأما الدَّفر، بالدال المهملة، فإنما هو فيما كره من الروائح، ومنه قيل للدنيا: أُمُّ دَفْر، وذكره القالي في الأمالي بتحريك الفاء، وغلط في ذلك، والدَّفْرُ بالسكون أيضًا: الدفع.

وقوله: أم النَّجَرة. جمع ناجر، والناجر والنجار: بمعنى واحد، وهذا كما قيل: المناذرة في بني الْمُنْذِر والنجار، وهم: تَيْم الله بن ثَعْلَبَة بن عَمْرو بن الْخَزْرَجِ، وسُمِّي النجار؛ لأنه نَجَرَ وَجْهَ رجل بقدُوم فيما ذَكَر بعضُ أهل النسب.

وقوله: فيهم قَتْلى وإنَّ تره. أظهر إن بعد الواو. أراد: إن لنا قَتْلى وَتِرَةً، والتِّرة: الْوِتْرُ، فأظهر المضمَر، وهذا البيت شاهد على أن حُروف العطف يُضْمَر بعدها العامل المتقدِّم نحو قولك: إن زيدًا وعَمْرًا في الدار، فالتقدير: إن زيدًا، وإن عمرًا في الدار، ودلَّت الواو على ما أردت، وإن احتجتَ إلى الإظهار أظهرتَ؛ كما في هذا البيت إلاَّ أن تكونَ الواوُ الجامعة في نحو اختصم زيد وعَمْرٌو، فليس ثَمَّ إضمار لقيام الواو مقامَ صيغةِ التثنية، كأنك قلت: اختصم هذان، وعلى هذا تقول: طلع الشمس والقمر، فتغلِّب المذكَّر، كأنك قلت: طلع هذان النيران، فإن جعلتَ الواو، هي التي تُضْمِر بعدها الفعلَ، قلتَ: طلعت الشمسُ والقمرُ، وتقول في نفي المسألة الأولى: ما طلع الشمسُ والقمر، ونفي المسألةِ الثانية: ما طلعت الشمس، ولا القمرُ تُعيد حرف النفي. لينتفي به الفعل المضمرَ. ويتفرّع من هذا الأصل في النحو مسائل كثيرة، لا نُطَوِّلُ بذكرها.

وقوله: فتلقتهم مُسايفة بكسر الياء أي كتيبة مسايفة. ولو فتحت الياء، فقلت: مسايَفة لكان حالاً من المصدر التي تكون أحوالاً مثل: كلَّمته مُشَافَهة، ولعل هذه الحال أن يكون لها ذكر في الكتاب، فنكشف عن سرّها، ونبيّن ما خَفِيَ على الناس من أمْرِها، وفي غير نسخة الشيخ: فَتَلَقَّتْهُمْ مُسابقَةً بالباء والقاف. والْغَبْيَةُ: الدَّفْعَةُ من المطر[1].

وقوله: النَّثِرة أي: المنتشرة، وهي التي لا تُمْسِك ماء. وقوله: [مَلّى] الإلـه من قولهم:

---

(١) الغبية: الغين والباء والحرف المعتل (غبي) أصل صحيح يدل على تستّر شيء حتى لا يهتدى له. من ذلك الغَبْيَة وهي الزُّبية، وسُمِّيت لأن المصيد جهلها حتى وقع فيها. ومنه: غَبِيَ فلانٌ غباوة إذا كان قليل الفطنة وهو غبن، وغبيت عن الخبر: إذا جهلته. ويقال: جاءت غَبْيَة من مطر، وذلك إذا جاءت بظلمة واشتداد وتكاثف. مقاييس اللغة (٤/ ٤١١).

فيهمْ عَمْرو بن طَلَّةَ مَـ ... ـلَّى الإلـهُ قومَه عُمُرَه

سَيِّدٌ سامَى الملوكَ ومَنْ ... رامَ عَمْرًا لا يكن قَدَرَه

وهذا الحيّ من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تُبَّع على هذا الحيّ مِنْ يهود

تَمَلَّيْتُ حينًا أي: عشت معه حينًا، وهو مأخوذ من الْمَلاَوَةِ والْمَلَوَيْنِ[1] قال ابن أحْمَر:

ألاَ يا ديارَ الْحَيِّ بالسَّبُعَان[2] ... أمَلَّ عليها بالبلى الْمَلَوَان

ألاَ يا ديارَ الْحَيِّ لا هَجْرَ بيننا ... ولا كُنَّ روعات من الْحَدَثَانِ

نهارٌ وليلٌ دائبٌ مَلَوَاهُما ... على كُلِّ حالِ الناسِ يختلفان

معنى قول الشاعر: دائبٌ ملواهما. والْمَلَوانِ: الليل والنهار. وهو مُشكل؛ لأن الشيءَ لا يُضاف إلى نفسه. لكنه جاز هٰهنا لأن الْمَلاَ هو: المتَّسَعُ من الزمان والمكان، وسُمِّي الليل والنهار: مَلَوَيْن، لانفساحهما، فكأنه وَصْف لهما، لا عبارة عن ذاتيهما؛ ولذلك جازت إضافته إليها، فقال: دائب ملواهما أي: مداهما وانفساحهما. وقد رأيت معنى هذا الكلام في هذا البيت بعينه لأبي عَليٍّ الفسوري في بعض مسائله الشيرازية.

وقوله: لا يَكُن قَدَرَه. دعاءٌ عليه: والهاء عائدة على عَمْرو. أراد لا يكن قَدَر عليه. وحذف حرف الجر، فتعدَّى الفعل، فنصب، ولا يجوز حذف حرف الجرّ في كل فعل، وإنما جاز في هذا، لأنه في معنى: اسْتطاعَه، أو أطَاعه، فحُمل على ما هو في معناه، ونظائره كثيرة، والبيت الذي أنشده:

ليتَ حَظِّي من أبي كَرِبٍ[3] ... أنْ يَسُدَّ خَيْرُه خَبَلَه

قال الْبَرْقِيُّ: نُسب هذا البيت إلى الأعشى، ولم يصحّ قال: وإنما هو لعجوز من بني سالم. أحبه قال في اسمها: جميلة، قالته حين جاء مالِك بن الْعَجْلاَن بخبر تُبَّع، فدخل سرًّا، فقال لقومه: قد جاء تُبَّع، فقالت العجوزُ البيتَ.

وقوله في حديث تُبَّع: وقومٌ يزعمون أن حَنَقَه إنما كان على هذين السِّبْطَيْن من يهودَ يقوّي ما ذكرناه قبل هذا عنه.

---

(١) ملى: الميم واللام والحرف المعتل كلمة واحدة هي: الزمن الطويل. وأقام مليًا أي دهرًا طويلاً. وتملّيت الشيء إذا أقام معك زمانًا طويلاً. والملوان: طرفا الليل والنهار. والملاوة: الحين. مقاييس اللغة (٥/٣٤٦).

(٢) السبعان: مكان من ديار بكر أو ديار قيس.

(٣) هو: ابن ملك كرب بها من الذي كان على اليمن سنة (٣٧٨) ميلادية.

الذين كانوا بين أظْهُرِهِم، وإنما أراد هلاكهم، فمنعوهم منه، حتى انصرف عنهم، ولذلك قال في شعره:

حَنقا على سِبْطَيْن حَلاً يثربا ... أوْلى لهم بعقاب يومٍ مُفْسِد[1]

قال ابن هشام: الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع، فذلك الذي منعنا من إثباته.

والشعر الذي زعم ابنُ هشام أنه مصنوع قد ذكره في كتاب التيجان، وهو قصيدٌ مطوّل أوّلهُ:

ما بال عينك لا تنامُ، كأنما ... كُحِلَتْ مَآقيها بسُمّ الأَسْوَدِ

حَنَقًا على سِبْطَيْن حَلاً يَثْرِبًا ... أوْلى لهم بِعِقابِ يَوْم مُفْسِدِ

وذكر في القصيدة ذا القرنين، وهو الصَّعْبُ بن ذي مَرَائِد، فقال فيه:

ولقد أذل الصعب صَعْب زمانه ... وأناط عُروَةَ عزّه بالْفَرْقَدِ

لم يدفع ٱلمقْدُورَ عنه قُوَّةٌ ... عند ٱلمنُونِ، ولا سموّ ٱلمحْتِدِ

والصنعة بادية في هذا البيت، وفي أكثر شعره، وفيه يقول:

فأتى مغارَ الشمس عند غُروبها ... في عَيْن ذي خُلُب وَثَأْط حَرْمَد

والخُلُبُ: الطينُ، والثَّأْطُ الحَرْمدُ: وهو الحَمأُ الأسْودِ، وروى نَقَلَة الأخبار أن تُبّعًا لمّا عمد إلى البيت يريد إخرابه رُمِيَ بداء تمخَّض منه رأسه قيحًا وصديدًا يَثُجُّ ثَجًّا، وأنْتن، حتى لا يستطيع أحدٌ أنْ يدنو منه قِيدَ الرُّمح، وقيل: بل أرسلت عليه ريح كَتَّعَتْ منه يديه ورجليه، وأصابتهم ظلمة شديدة حتى دَفَّتْ خَيْلَهم، فسُمِّيَ ذلك المكانُ: الدُّفّ، فدعا بالحُزَاة[2] والأطباء، فسألهم عن دائِه، فهالهم ما رأوا منه، ولم يجد عندهم فَرَجًا. فعند ذلك قال له الحبْرانِ: لعلك هممت بشيء في أمر هذا البيت، فقال: نعم أردت هَدْمه. فقالا له: تُب إلى الله مما نَوَيت فإنه بيت الله وحرمه، وأمراه بتعظيم حُرمته ففعل فبرىء من دائه، وصَحَّ من وَجَعِه. وأخْلِقْ بهذا الخبر أن يكون صحيحًا فإن الله ـ سبحانه ـ يقول: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم نُذِقْهُ مِنْ عذاب أليم﴾ [الحج: ٢٥]. أي: ومَن يُسْهِم فيه بظلم. والباءُ في قوله: بظلم تدل على صحة المعنى، وأن مَنْ هَمَّ فيه بالظلم ـ وإن لم يفعل ـ عُذِّب تشديدًا في حقه وتعظيمًا لحُرمته، وكما فعل الله بأصحاب الفيل أهلكهم قبل الوصول إليه.

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٢٨).

(٢) الحزاة: جمع حازي وهو الكاهن أو الذي ينظر في النجوم ويقضي بها.

تُبّع يعتنق النصرانية ويدعو قومه إليها:

قال ابن إسحٰق: وكان تُبّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجَّه إلى مكة، وهي طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عُسْفان، وأمَج، أتاه نفر من هُذَيل بن مُدْركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ، فقالوا له: أيها الملك، ألا ندلك على بيت مال دائر، أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزَّبَرْجَدُ والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبده أهلُه، ويصلون عنده. وإنما أراد الْهُذَلِيُّون هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك مَنْ أراده من الملوك وَبَغَى عنده. فلما أجمَع لما قالوا، أرسل إلى الْحِبْرَيْنِ، فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القومُ إلا هلاكَك وهلاكَ جندك. ما نعلم بيتًا لله اتخذه في الأرض لنفسه غيرَه، ولئن فعلت ما دَعَوْك إليه، لتهلكنّ، وليهلكنّ مَن معك جميعًا، قال: فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قَدِمت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله: تطوف به وتعظِّمه وتكرّمه، وتحلق رأسك عنده وتذِلّ له، حتى تخرج من عنده، قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكنّ أهلَه حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حولَه، وبالدماء التي يُهْرِيقون عنده، وهم نَجَس أهل شرك - أو كما قالا له - فعرف نصحَهما وصِدْقَ حديثهما فقرّب النفرَ من هُذَيل، فقطع أيديهم وأرجلَهم، ثم مضى حتى قَدِمَ مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام - فيما يذكرون - ينحر بها للناس، ويُطعم أهلها، ويسقيهم العسل، وأُرِيَ في المنام أن يكسوَ البيتَ، فكساه الْخَصَفَ ثم أُرِيَ أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المَعافر، ثم أُرِيَ أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المُلاء والوصائل، فكان تُبّع - فيما يزعمون - أول مَن كسا البيت، وأوصى به وُلاتَه من جُرْهم، وأمرهم بتطهيره وألاَّ يُقرّبوه دمًا، ولا ميتة، ولا

وقوله: فكسا البيتَ الخَصَفَ. جَمْعُ: خَصَفَة، وهي شيءٌ يُنسَج من الخوصِ والليف، والخَصَفُ أيضًا: ثيابٌ غِلاظ. والخَصَفُ لغة في الخَزَف في كتاب العين. والخُصْف بضم الخاء وسكون الصاد هو: الجَوْز[1]. ويُروَى أن تُبَّعًا لمّا كسا البيتَ المسوح والأنْطَاع. انتفض البيتُ فزال ذلك عنه، وفعل ذلك حين كساه الخَصَف، فلما كساه الْمُلاَءَ والوصائل قَبِلها. وممّن ذكر هذا الخبرَ: قاسم في الدلائل. وأما الوصائل فثيابٌ موصلة من ثياب اليمن. واحدتُها: وصِيلة.

وقوله: ولا تقربوه بمثْلاَتٍ، وهي: المحائض. لم يُرِدِ النساء الحُيَّضَ؛ لأنَّ حائضًا لا

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٢/ ١٨٦).

مثلات، وهي المحايض، وجعل له بابًا ومفتاحًا، وقالت سُبَيعة بنت الأَحَبّ، بن زَبِينة، بن جذيمة، بن عوف، بن معاوية، بن بكر، بن هَوازِن، بن منصور، بن عِكْرِمة، بن خَصَفة بن قيس بن عيلان وكانت عند عبد مناف، بن كعب، بن سعد، بن تَيْم، بن مُرّة، بن كعب بن لؤيّ، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، لابنٍ لها منه يقال له: خالد: تُعَظِّم عليهِ حُرْمة مكة، وتنهاه عن البغي فيها، وتذكُر تُبَّعًا وتَذَلُّلَه لها، وما صنع بها:

أبُنَيَّ: لا تظلِم بمكَّة لا الصغيرَ ولا الكبيرْ
واحفظ مَحارِمَها بُنَيَّ ولا يغرنْك الغَرورْ
أبُنَيّ: مَن يظلم بمكَّة يَلق أطْرافَ الشُّرورْ
أبُنيّ: يُضربْ وجهُه ويلُحْ بخدّيه السّعيرْ
أبُنيّ: قد جَرّبْتُها فوجدتُ ظالمها يبور
اللّهُ أمَّنها، وَمَا بُنيت بعَرْصَتها قُصورْ
ولقد غزَاها تُبَّع فكسا بَنِيَّتها الحَبير
وأذلّ ربي مُلْكَه فيها فأوْفى بالنُّذُورْ
يَمْشي إليها - حافِيًا بفنائها - ألْفا بَعيرْ
يَسْقِيهمُ العسلَ المُصَفَّى وَالرَّحِيضَ من الشعيرْ
والفيل أُهلك جَيْشه يُرْمَوْنَ فيها بالصخورْ
والملْك في أقصى البلاد وفي الأعاجم والخزير
فاسمع إذا حُدِّثتَ، وافهم كيف عاقبة الأمورْ

قال ابن هشام: يوقف على قوافيها لا تعرب.

يجمع على محائض[1]، وإنما هي جمع مَحِيضة، وهي خِرْقة المحيض، ويقال للخرقة أيضًا: مثلاة، وجمعها: المآلي قال الشاعر[2]:

كأن مُصَفَّحاتٍ[3] في ذُرَاهُ وأنواحًا عليهنّ المآلي

---

(١) المرأة تحيض حيضًا ومحيضًا ومحاضًا فهي حائض وحائضة وجمعها: حوائض وحيض.
(٢) هو: لبيد. (٣) المصفحات: السيوف.

أصل اليهودية باليمن:

ثم خرج منها متوجهًا إلى اليمن بمَن معه من جنوده وبالْحَبْرَيْنِ حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبَوْا عليه، حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

قال ابن إسحٰق: حدّثني أبو مالك بن ثَعْلَبة بن أبي مالك القُرَظي، قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدّث: أن تُبَّعًا لمّا دنا من اليمن ليدخلها حالت حِمْيَرُ بينه وبين ذلك، وقالوا: لا تدخلها علينا، وقد فارقت دينَنَا، فدعاهم إلى دينه وقال: إنه خير من دينكم، فقالوا: فحاكمنا إلى النار. قال نعم. قال: وكانت باليمن - فيما يزعم أهل اليمن - نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالمَ ولا تضرّ المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقرّبون به في دينهم، وخرج الحَبْران بمصاحفهما في أعناقهما متقلّدَيْها، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فذَمَرهم مَنْ حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها، فصبروا حتى غَشِيَتْهم، فأكلت الأوثانَ وما قرّبوا معها، ومَنْ حمل ذلك من

وهي هنا خِرَقٌ تمسكهنّ النوّاحات بأيديهنّ، فكان المثلاتُ كلَّ خِرْقةٍ دَنِسةٍ لحيضٍ كانت، أو لغيره وَزْنها مِفْعَلة من ألَوْتُ: إذا قَصَّرت وضيَّعت، وجعلها صاحب العين في باب الإليَة والألْيَّة، فلام الفعل عنده ياء على هذا، والله أعلم، ويُروَى في هذا الموضع: مثلاثًا بثاءٍ مثلثة، ومن قوله حين كسا البيت:

وكَسَونا البيت الذي حَرَّم اللّهُ	مُلاءً مُعَضَّدًا وبرودا[(١)]
فأقمنا به من الشهر عَشْرًا	وجعلنا لبابه إقْلِيدا[(٢)]
ونحرنا بالشِّعب ستَّةَ ألْفٍ	فترى الناسَ نحوهنّ ورودا
ثم سرنا عنه نؤُمُّ سُهَيلاً	فرفعنا لواءنا معقودا

وقال القُتَبِيُّ، كانت قصة تُبَّع قبل الإسلام بسبعمائةِ عامٍ[(٣)].

وقوله بنت الأحَبّ بالحاء المهملة ابن زَبِينَةَ: بالزاي والباء والنون: فَعِيلة من

---

(١) برودًا: نوع من الثياب المخططة.
(٢) إقليدًا: أي مفتاحًا.
(٣) وقيل قبله بأقل من ذلك.

رجال حِمْير، وخرج الْحَبْران بمصاحفهما[1] في أعناقهما تَعْرَق جباههما لم تضرّهما، فأصفقت عند ذاك حمير على دينه، فمن هنالك، وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن. قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني محدّث[2] أن الحَبْرين، ومَنْ خرج من حمير، إنما اتبعوا النار، ليردّوها، وقالوا: مَن ردّها فهو أولى بالحق، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم، ليردّوها فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها، ودنا منها الحَبْران بعد ذلك، وجعلا يتلوان التوراة وتنكُص عنهما، حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما. والله أعلم أيّ ذلك كان.

الزَّبْن[3]، والنسب إليه زَبَانيٌّ على غير قياسٍ. ولو سُمِّي به رجلٌ لقيل في النسب إليه. زَبَنيٌّ على القياس. قال سيبويه: الأَحب بالحاء المهملة. يقوله أهل النسب، وأبو عُبَيْدة يقوله بالجيم، وإنما قالت بنت الأحب هذا الشعرَ في حربٍ كانت بَيْن بني السَّبَّاقِ بن عبد الدار، وبين بني علي بن سَعْد بن تميم حتى تَفَانَوْا. ولحقت طائفة من بني السّباق بَعكٍّ. فهمُ فيهم. قال: وهو أول بَغْيٍ كان في قريش. وقد قيل: أول بغي كان في قريش بغي الأقايِش، وهم بنو أُقَيْش من بني سَهْم، بغى بعضُهم على بعض، فلما كثر بغيُهم على الناس أرسل الله عليهم فأرةً تحمل فَتيلَةً، فأحرقت الدار التي كانت فيها مساكنُهم، فلم يَبق لهم عَقِبٌ.

كسوة الكعبة:

وقولها: وكسا بَنِيَّتها الْحَبِير. تريد: الْحَبِرَاتِ[4] والرحيضُ من الشعير أي الْمُنَقَّى والمصفّى منه، وقال ابن إسحٰق في غير هذا الموضع: أول مَن كسا الكعبة الديباجَ: الحجاجُ، وذكر جماعةٌ سواه مِنهم الدَّارَقُطْنِيّ. فُتَيْلَة بنت جَنَاب أم العباس بن عبد المطلب. كانت قد أضلَّت العباسَ صَغيرًا، فنزرت: إن وجدتْه أنْ تكسوَ الكعبةَ الديباجَ، ففعلت ذلك حين وجدته. وكانت من بيت مملكةٍ، وسيأتي ذكر نسبها فيما بعدُ ـ إن شاء الله.

وقال الزبير النسَّابة: بل أول مَن كساها الدِّياج عبدُ الله بن الزُّبير[5].

---

(١) بمصاحفهما: أي بكتبهما. وهي التوراة.
(٢) مجهول.
(٣) الزبن: الدفع. يقال: الحرب تزبّن الناس إذا صدمتهم. انظر مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤٦).
(٤) الحبرات: جمع حبرة ـ نوع من الثياب المخططة.
(٥) وذكر الواقدي أن أول مَن كساها الديباج هو يزيد بن معاوية، واتّبع ابن الزبير أثره.

مصير رئـام

قال ابن إسحٰق: وكان رئام بيتًا لهم يعظِّمونه، وينحرون عنده، ويكلِّمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحَبْران لتُبَّع: إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخلِّ بيننا وبينه، قال: فشأنكما به، فاستخرَجا منه ـ فيما يزعم أهل اليمن ـ كلبًا أسود فذبحاه، ثم هدما ذلك البيت، فبقاياه اليوم ـ كما ذُكر لي ـ بها آثار الدماء التي كانت تُهَراق عليه.

ملك حسان بن تبان وقتل عمرو أخيه له:

فلما ملك ابنه حسان بن تُبان أسعد أبي كَرِب، سار بأهل اليمن، يريد أن يطأ به أرضَ العرب، وأرضَ الأعاجم، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق ـ قال ابن هشام: بالبَحْرين، فيما ذَكَر لي بعضُ أهل العلم ـ كرهتْ حِمْير وقبائلُ اليمن المسيرَ معه، وأرادوا الرّجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلَّموا أخًا له يقال له عمرو، وكان معه في جيشه، فقالوا له: اقتل أخاك حسَّان، ونملِّكك علينا، وترجع بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعت على ذلك إلاّ ذا رُعَين الحميريّ، فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه. فقال ذو رُعَين:

ألا مَـنْ يَـشْـتـرِي سَـهَـرًا بـنـوْمٍ سَـعـيـدٌ مَـن يـبـيـت قـريـرَ عَـيْـن

رئـام

وذكر البيت الذي كان لهم يقال له: رِئام، وهو فِعال من رَئِمت الأُنْثى ولدها تَرْأَمُه رِئْمًا ورِئَامًا: إذا عطفت عليه ورحمته. فاشْتقّوا لهذا البيتِ اسمًا لموضِع الرحمة التي كانوا يلتمسون في عبادته، والله أعلم.

وفي رواية يونس عن ابن إسحٰق أن رِئامًا كان فيه شيطان، وكانوا يَمْلؤون له حياضًا من دماء القربانِ، فيخرج فيصيب منها، ويكلمهم، وكانوا يعبدونه، فلما جاء الْحَبْران مع تُبَّع نشرا التوراةَ عنده، وجعلا يقرآنها؛ فطار ذلك الشيطانُ حتى وقع في البحر.

لغة ونحو: وقوله في حديث عَمْرو أخي حسان وهو الذي كان يقال له: مَوْثَبَان[1] وقد تقدم: لِمَ لُقِّب بذلك. وقول ذِي رُعَيْن له في البيتين:

ألاَ مَـنْ يـشـتـري سـهـرًا بـنـوم سَـعـيـدٌ مَـنْ يـبـيـت قـرير عَـيْـن[2]

(١) عند الطبري (١/ ٤٣٣) أنه سُمّي بذلك لأنه وثب على أخيه حسان لقتله.

(٢) انظر الطبري (١/ ٤٣٢).

فإمَّا حِمْيَرٌ غدرتْ، وخانت فمعذرةُ الإلٰه لذي رُعَيْنِ[1]

ثم كتبهما في رقعة، وختم عليها، ثم أتى بهما عَمْرًا، فقال له: ضع لي هذا الكتاب عندك، ففعل، ثم قتل عمرو أخاه حسَّان، ورجع بمَن معه إلى اليمن. فقال رجل من حمير:

لاهِ عينا الذي رأى مثل حسان قتيلاً في سالف الأحقابِ[2]

معناه: أمَنْ يَشْتري، وحَسُن حَذْف ألِف الاستفهام هٰهنا لتقدم همزةِ ألا. كما حَسُن في قول امرئِ القيس: أحَارِ تَرى بَرْقًا أريكَ وَميضَه. أراد: أترى وفي البيت حَذْفٌ تقديرُه: بل مَنْ يبيت قرير عين هو السعيد. فحذف الخبر لدلالةِ أول الكلام عليه. وفي كتاب ابن دريد: سَعيدٌ أمْ يَبيت بحذف مَنْ، وهذا من باب حذف الموصوف، وإقامة الصفةُ مقامه؛ لأن من هٰهنا نكرة موصوفة، ومثله قول الراجز:

لو قلت ما في قَوْمِها لم تأثم يَفْضُلها في حَسَبِ ومِيسَم

أي: مَن يَفْضُلها، وهذا، إنما يوجد في الكلام إذا كان الفعل مضارعًا لا ماضيًا، قاله ابن السراج وغيرُه.

وذُو رُعَيْنِ تصغيرُ رَعْن، والرَّعْنُ: أنفُ الْجبل، ورُعَيْن جَبَل باليمن قاله صاحب العين، وإليه يُنسب ذُو رُعَيْن[3].

وقوله في الأبيات بعد هذا: لاهِ[4] مَن رأى مثل حَسَّان أراد لِلَّهِ وحذف لامَ الْجَرِّ واللامَ الأُخرى مع ألف الوصل، وهذا حذف كثير. ولكنه جاز في هذا الاسم خاصةً لكثرة دوره على الألسنة. مثل قول الفرّاء: لِهَنَّك مِنْ بَرقٍ علي كريم. أراد: والله إنَّكَ. وقال بعضهم: أراد لأنَّك وأبدل الهمزة هاءً. وهذا بعيد، لأن اللامَ لا تجمع مع إنّ، إلا أن تؤخَّر اللام إلى الخَبر، لأنهما حرفان مؤكدان، وليس انقلاب الهمزة هاءً بمُزيلِ العلةَ المانعةَ من اجتماعهما.

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٣٢).
(٢) الأحقاب: الأزمان. قال تعالى: ﴿لابثين فيها أحقابًا﴾ [النبأ: ٢٣].
(٣) انظر مقاييس اللغة (٢/ ٤٠٧).
(٤) لاه: أي تحيّر. انظر «اللباب في تفسير فاتحة الكتاب» للمحقق.

قتلتْه مَقاوِل خشيةَ الحَبس غداةَ قالوا: لبَابِ لبَابِ
مِيتُكُمْ خيرُنا وَحَيُّكم ربٌّ علينا، وكُلُّكُمْ أربابي[1]

قال ابن إسحٰق: وقوله: لباب لباب: لا بأس لا بأس، بلغة حمير. قال ابن هشام: ويروى: لِباب لِباب.

هلاك عمرو:

قال ابن إسحٰق: فلما نزل عمرو بن تُبَّان اليمنَ مُنع منه النوم، وسُلِّط عليه السهر، فلما جَهَدَه ذلك سأل الأطباءَ والحُزاة من الكهّان والعرّافين عما به، فقال له قائل منهم: إنه ما قتلِ رجل قطُّ أخاه، أو ذا رَحِمه بغيًا على مثل ما قتلتَ أخاك عليه، إلا ذهب نومُهُ، وسُلِّط عليه السهر، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كلَّ مَن أمره بقتل أخيه حسَّان من أشراف اليمن، حتى خلَص إلى ذي رُعَين، فقال له ذو رُعَين: إن لي عندك براءةً، فقال: وما هي؟ قال: الكتاب الذي دفعتُ إليك، فأخرجه فإذا البيتان، فتركه، ورأى أنه قد نصحه. وهلك عمرو، فَمَرِج أمْرُ حِمير عند ذلك وتفرَّقوا.

المقــاول[2]:

وقوله: قتلته المقاول: يريد الأقيالَ، وهم الذين دون التَّبابعة واحدهم: قَيْل مثل سيّد، ثم خفّف واستعمل بالياء في إفراده وجمعه، وإن كان أصله الواو، لأنّ معناه: الذي يقول ويُسمع قولُه، ولكنهم كرِهوا أن يقولوا: أقوال، فيلتبس بجمع قول، كما قالوا: عِيد وأعياد، وإن كان مَن عادَ يعُود لكن أماتوا الواوَ فيه إماتة، كي لا يُشبه جمعَ العود، وإذا أرادوا إحياء الواو في جمع قيل، قالوا: مَقاول كأنه جمع مِقْوَل، أو جمع: مَقال ومقالة، فلم يبعدوا من معنى الْقول، وأمِنوا اللَّبْسَ، وقد قالوا: محاسن ومذاكر لا واحدَ لها من لفظها، وكأنهم ذهبوا أيضًا في مقاول مذهب الْمَرازِب، وهم ملوك العجم، والله أعلم.

على أنهم قالوا: أقيال وأقوال، ولم يقولوا في جمع عيد إلا أعياد، ومثل عيدٍ وأعياد. ريح وأرياح في لغة بني أسدٍ، وقد صَرَّفوا من الْقَيْلِ فعلاً، وقالوا: قال علينا فلان، أي: مَلَك والقِيالة: الإمارة، ومنه قول النبي ـ ﷺ ـ في تسبيحه الذي رواه التِّرمِذي: «سبحان

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٣٢).

(٢) المقاول: القاف والياء واللام أصلُ كلمة الواو، وإنما كُتِب هاهنا للفظ. فالقيل: الملك من ملوك حمير وجمعه أقيال. ومَن جمعه على الأقوال فواحدهم قَيِّل بتشديد الياء. انظر مقاييس اللغة (٥/ ٤٤ ـ ٤٥).

خبر لخنيعة وذي نواس

فوثب عليهم رجل من حِمْير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له: لَخْنيعة ينوف ذو شَناتر، فقتل خيارَهم، وعبِث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قائل من حِمْير للخنيعة:

تُقتِّلُ أبناءها وتَنْفي سَرَاتَهَا ... وتبني بأيديها لَهَا الذلَّ حِمْيَرُ

تُدَمِّر دُنْياها بطَيْش حُلُومها ... وما ضيِّعت من دينها فهوِ أكثر

كذلك القُرون قبل ذاك بظُلمها ... وإسرافها تأتي الشرورَ فتخسَر

الذي لبس العزَّ، وقال به»[1]. أيْ مَلَك به وقهر. كذا فسره الْهَرَوِيُّ في الْغَريبين.

خبر لخنيعة وذي نواس

وقال فيه ابن دريد: لخَنيعة وقال: هو من اللَّخع، وهو استرخاءٌ في الْجسم[2]، وذُو شَنَاتر. الشَّنَاتِرُ: الأصابع بلغة حِمْير، واحدُها: شُنْتُرةُ، وذُو نواس[3] اسمه: زُرْعَة، وهو من قولهم للغلام: زَرَعك اللَّهُ، أي أنبتك، وسُمُّوا بزارِع كما سُمُّوا بنابت، وقال الله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونه أمْ نحن الزارعون﴾ [الواقعة: ٦٤] أي: تنبتونه، وفي مُسْنَد وكيع بن الجراح عن أبي عبد الرحمن الْجَبْليّ أنه كان يكره أن يقول الرجل: زَرَعت في أرضي كذا وكذا، لأن اللَّهَ هو الزارع، وفي مسند الْبَزَّار - مرفوعًا - إلى النبي - ﷺ - النهيُ عن ذلك أيضًا[4]، وقد تكلمنا على وجه هذا الحديث، في غير هذا الإملاء فقد جاء في الصحيح: «ما من مُسْلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا» الحديث[5]. وفي كتاب الله أيضًا قال: ﴿تَزْرَعُون سَبْع سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: ٤٧]، وسُمِّي ذا نواس بغديرتين كانتا له تَنوسان، أي ضفيرتان من شعر، والنَّوْسُ: الحركة والاضطرابُ فيما كان متعلِّقًا، قال الراجز:

لو رأتني والنعاسُ غالِبي ... على البعير نائسًا ذَبَاذِبي

---

(١) «إسناده ضعيف». أخرجه الترمذي (٣٤١٩) من حديث ابن عباس. مطوّلاً. وفيه «سبحان الذي تعطف العز وقال به، سبحان الذي لبس المجد وتكرّم به». قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي ليلى من هذا الوجه. وفيه ابن أبي ليلى: ضعيف. وداود بن علي بن عبد الله بن عباس. مقبول. التقريب (١/ ٢٣٣).

(٢) لخع: اللام والخاء والعين كلمة واحدة. قال ابن دريد: اللخع: استرخاء في الجسم. مقاييس اللغة (٥/ ٢٤١).

(٣) نوس: النون والواو والسين أصلٌ يدل على اضطراب وتذبذب. وسُمِّي أبو نواس لذؤابتين له كانتا تنوسان. مقاييس اللغة (٥/ ٣٦٩).

(٤) أخرجه البزار (٢/ ٩٦).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٥) ومسلم في المساقاة (١٢) والترمذي (١٣٨٢) وأحمد (٣/ ٢٢٩).

فسوق لخنيعة:

وكان لخنيعة امرأً فاسقًا يعمل عملَ قوم لوط، فكان يُرسل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيقع عليه في مَشْرُبة له قد صنعها لذلك، لئلاً يَمْلِك بعد ذلك ثم يطلُع من مشرُبته تلك إلى حَرَسه ومَن حضر من جنده، قد أخذ مِسْواكًا، فجعله فِي فِيْه، أي: ليُعَلمهم أنه قد فرغ منه، حتى بعث إلى زُرْعةَ ذي نُواس بن تُبان أسعد أخي حسَّان، وكان صبيًا صغيرًا حين قُتل حسَّان، ثم شبّ غلامًا جميلاً وسيمًا، ذا هيئة وعقل، فلما أتاه رسولُه، عرف ما يريد منه، فأخذ سكينًا جديدًا لطيفًا، فخبَّأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس، فَوَجَأَهُ حتى قتله. ثم حزّ رأسه، فوضعه في الكُوّة التي كان يُشرف منها، ووضع مِسْواكَه في فيه، ثم خرج على الناس، فقالوا له: ذا نواس أرَطْب أم يَباس؟ فقال: سَلْ نَخْماس اسْتُرْطُبان ذو نواس. استرطبان لا بأس. قال ابن هشام: هذا كلام حِمْير. ونخماس: الرأس. فنظروا إلى الكوّة فإذا رأس لَخْنيعة مقطوع، فخرجوا في إثر ذي نواس حتى أدركوه، فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك، إذ أرَحْتنا من هذا الخبيث.

يريد: ذَبَاذِبَ الْقميص، وقال ابن قتيبة: أراد بالذَّبَاذِب مَذاكيرَه، والأَوَّلُ أشبهُ بالمعنى.

وذكر قول ذي نواس للحرس حين قالوا له: أَرَطْبٌ أم يَبَاسُ، والْيَبَاسُ والْيَبيسُ: مثل الكِبار والْكَبير فقال لهم: سَلْ نَخماسَ، والنَّحماسُ في لغتهم هو الرَّأس كما ذكر، ووقع في نسخة أبي بحر التي قيّدها على أبو الوليد الوقشي: نَخْماس بنون وخاء منقوطة، ولعل هذا هو الصحيح إذ يحتمل أن يكون النخماس في لغتهم هو: الرأس ثم صُحِّف وقيده كراع بالتاء المنقوطة باثنتين من فوق والحاء المهملة ـ فيما ذُكر لي ـ وقوله: اسْتُرْطُبَان إلى آخر الكلام مُشكِل يفسّره ما ذكره أبو الْفَرَج في الأغاني قال: كان الغلامُ إذا خرج من عند لَخْنيعة، وقد لاَطَ به قطعوا مَشافِرَ ناقته وذَنبهَا: وصاحوا به: أَرَطْبٌ أم يبَاس، فلما خرج ذو نواس من عنده، وركب ناقةً له يقال لها: السَّراب؛ قالوا: ذا نواس أرَطْبٌ أم يَبَاس، فقال: «ستعلم الأحراسُ اسْتَ ذي نُواس اسْت رَطْبَان أم يَبَاسَ» فهذا اللفظ مفهومٌ. والذي وقع في الأصل هذا معناه، ولفظه قريب من هذا، ولعله تغيير في اللفظ ـ والله أعلم ـ وكان ملك لَخْنِيعَة سبعًا وعشرين سنةً، وملك ذو نواس بعده ثمانيًا وستين سنة. قاله ابن قُتَيْبَة[1].

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٣٣). الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/ ٣٢٨).

ملك ذي نواس:

فملَّكُوه، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخرَ ملوك حمير. وهو صاحب الأخدود، وتسمَّى: يوسف، فأقام في ملكه زمانًا.

بقايا من أهل دين عيسى بنجران:

وبنَجْران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل. أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له: عبد الله بن الثامر. وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلُها وسائرُ العرب كلها أهل أوثان يعبدونها، وذلك أن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين يقال له: فَيْمِيُون، وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه. فدانوا به.

ابتداء وقوع النصرانية بنجران

حديث فيميون

قال ابن إسحٰق[1]: حدّثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخْنَس عن وهب بن مُنَبِّه اليماني أنه حدّثهم أن موقع ذلك الدين بنجران كان أنَّ رجلاً من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فَيْمِيُون، وكان رجلاً صالحًا مجتهدًا زاهدًا في الدنيا، مُجاب الدعوة،

حديث فيمؤن

ويُذكَر عن الطبري أنه قال فيه: قيمؤن بالقاف، وشك فيه، وقال الْقُتَبِيُّ فيه: رجل من آل جَفْنَةَ من غَسَّان جاءهم من الشام، فحملهم على دين عيسى ـ عليه السلام ـ ولم يسَمِّه، وقال فيه النقاش: اسمُه: يحيىٰ، وكان أبوه ملكًا فتوفي، وأراد قَومُه أن يملِّكوه بعد أبيه، ففر من الملك، ولزم السِّيَاحة[2]، وذكر الطبري قصة الرَّجُلِ الذي دعا لابنِه، فشُفي بأتم مما ذكرها ابنُ إسحٰق، قال: فيمؤن حين دخل مع الرجل، وكشف له عن ابنه: «اللَّهمَّ عبدٌ من عبادك دخل عليه عدوُّك في نعمتك، ليفسدَها عليه، فاشفه وعافه وامنعه منه»[3]، فقام الصبي: ليس به بأس، فتبين من هذا أن الصبيَّ كان مجنونًا لقوله: دخل عليه عدوُّك، يعني: الشيطان، وليس هذا في حديث ابن إسحٰق.

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٣٤).
(٢) السياحة في الأرض: الانتقال فيها من بلد إلى بلد.
(٣) الطبري (١/ ٤٣٤).

وكان سائحًا ينزل بين القرى، لا يُعْرَف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كَسْب يديه. وكان بنَّاء يعمل الطين، وكان يعظِّم الأحد، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئًا، وخرج إلى فَلاة من الأرض يصلّي بها حتى يُمسي. قال: وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيًا، ففَطِن لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له: صالح، فأحبَّه صالح حبًّا لم يحبَّه شيئًا كان قبله. فكان يتبعه حيث ذهب. ولا يفطن له فَيْميون، حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض. كما كان يصنع، وقد اتّبعه صالح وفَيْميُون لا يدري ـ فجلس صالح منه منظر العين مستخفيًا منه. لا يحبّ أن يعلم بمكانه، وقام فيميون يصلّي، فبينما هو يصلّي إذ أقبل نحوه التِّنّين ـ الحية ذات الرؤوس السبعة ـ فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالح ولم يدرِ ما أصابها، فخافها عليه. فعِيلَ عَوْلُه. فصرخ: يا فَيْمِيُون! التنين قد أقبل نحوك، فلم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى، فانصرف، وعَرَف أنه قد عُرِف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه. فقال له: يا فيميون! تعلم والله أني ما أحببت شيئًا قطّ حبَّكَ، وقد أردت صحبتك، والكَينونة معك حيث كنت، فقال: ما شئت. أمري كما ترى، فإن علمتَ أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبدُ به الضُّرّ دعا له فشُفي، وإذا دُعِيَ إلى أحد به ضرّ لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير، فسأل عن شأن فَيميون، فقيل له: إنه لا يأتي أحدًا دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجْر فعمد الرجل إلى ابنه ذلك، فوضعه في حُجرته، وألقى عليه ثوبًا، ثم جاءه فقال له: يا فيميون، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً، فانطلِق معي إليه حتى تنظر إليه، فأُشارطك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل في بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتَشَطَ الرجلُ الثوبَ عن الصبيّ ثم قال له: يا فيميون، عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له، فدعا له فَيْمِيُون، فقام الصبيّ ليس به بأس، وعرف فيميون أنه قد عُرِف، فخرج من القرية، واتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض

وذكر ابن إسحٰق في الرواية الأُخرى عن محمد بن كعب القُرَظِيّ، وعن بعض أهل نَجْران، وما ذكروه من خبر فيمؤن، قال: ولم يُسَمُّوه لي بالاسم الذي سمّاه ابن مُنَبِّه. قال المؤلف رحمه الله: يحتمل أنهم سَمَّوْه: يحيىٰ، وهو الاسم الذي تقدم ذكرُه، وما قاله النقاش والقُتَبيُّ.

وفيه ذكر قرية نجران في هذا الحديث، ونجرانُ اسمُ رجل كان أول مَن نزلها، فسُمِّيت به، وهو نَجْران بن زَيْد بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان. قاله البكري.

الشام، إذ مرَّ بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال: يا فيميون. قال: نعم. قال: ما زلتُ أنظرك، وأقول: متى هو جاء؟ حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو. لا تَبْرَحْ حتى تقوم عليّ، فإني ميت الآن. قال: فمات، وقام عليه حتى واراه ثم انصرف، وتبعه صالح، حتى وطئا بعضَ أرض العرب، فعدوا عليهما، فاختطفتهما سيّارة من بعض العرب، فخرجوا بهما، حتى باعوهما بنَجْران، وأهلُ نجران يومئذ على دين العرب، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد في كل سنة، إذا كان ذلك العيد علَّقُوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحليّ النساء ثم خرجوا إليها، فعكفوا عليها يومًا.

فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم، وابتاع صالحًا آخرُ، فكان فيميون إذا قام من الليل - يتهجَّد في بيت له أسكنه إياه سيده - يصلّي، استسرج له البيت نورًا، حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيدُه، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه، فأخبره به، وقال له فَيْمِيُونُ: إنما أنتم في باطل. إن هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلٰهي الذي أعبده، لأهلكها، وهو الله وحده لا شريك له، قال: فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما نحن عليه. قال: فقام فيميون، فتطهَّر وصلَّى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحًا فجَعَفَتْها من أصلها فألقتها فاتبعه عند ذلك أهلُ نَجْران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بِنَجْرَان في أرض العرب.

قال ابن إسحٰق: فهذا حديث وَهْب بن مُنَبِّه عن أهل نجران[١].

وذكر أصحاب الأُخدود، وما أنزل الله تعالى فيهم، وقد روى ابن سنجر عن جُبَيْر بن نُفَيْر، قال: الذين خددوا الأُخدود ثلاثةٌ: تُبَّعٌ صاحب اليمن، وقُسْطَنْطِينُ بن هِلاني - وهي أُمُّه حين صرف النصارى عن التوحِيد، ودينِ المسيح إلى عبادة الصليب، وبُخْتُنَصَّرُ من أهل بابل حين أمر الناس أن يَسْجدوا إليه، فامتنع دانيالُ وأصحابُه، فألقاهم في النار، فكانت بردًا وسلامًا عليهم، وحرق الذين بغَوا عليهم.

---

(١) انظر الطبري (١/ ٤٣٤ - ٤٣٥) وتاريخ ابن الأثير (١/ ٣٢٨ - ٣٣٠).

أمر عبد الله بن الثامر، وقصة أصحاب الأخدود

فيميون والساحر:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرَظيّ، وحدّثني أيضًا بعض أهل نَجْران عن أهلها: أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريبًا من نَجْران ـ ونجرانُ: القرية العُظْمى التي إليها جِمَاعُ أهل تلك البلاد ـ ساحرٌ يعلِّم غلمان أهل نجران السحرَ، فلما نزلها فَيْمِيُون ـ ولم يسمُّوه لي باسمه الذي سمّاه به وَهْب بن مُنَبِّه، قالوا: رجل نزلها ـ ابتنى خيمة بين نجران، وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يُرْسِلون غلمانهم إلى ذلك الساحر، يعلِّمهم السحر، فبعث إليه الثَّامرُ ابنَه عبدَ الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه حتى أسلم، فوحّد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فَقُه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ـ وكان يعلَمه ـ فكتمه إياه وقال له: يا بن أخي إنك لن تحملَهُ،

خبر ابن الثامر

التفاضل بين الأسماء الإلٰهية:

وذكر فيه الاسم الأعظم، وقول الراهب له: إنك لن تطيقَه. أي: لن تطيق شروطَه، والانتهاض بما يجب من حقه، وقد قيل في قوله الله تعالى: ﴿وقال الذي عنده عِلمٌ من الكتاب﴾ [النمل: ٤٠] إنه أُوتي الاسمَ الأعظمَ الذي إذا دعى اللّهُ به أجاب، وهو آصف بن برخيا في قول أكثرهم، وقيل غير ذلك. وأعجب ما قيل فيه: إنه ضَبَّةُ بن أُدّ بن طابخ قاله النقاش، ولا يصحّ، وهي مسألة اختلف فيها العلماء، فذهبت طائفة إلى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى، وقالوا: لا يجوز أن يكون اسمٌ من أسمائه أعظمَ من الاسم الآخر، وقالوا: إذا أمر في خبر، أو أثر ذكرُ الاسم الأعظم، فمعناه: العظيم؛ كما قالوا: إني لأَوْجَل أي: وَجِلاً، وكما قال بعضهم في أكبر من قولك: الله أكبر: إن أكبرَ بمعنى كبير، وإن لم يكن قول سيبويه، وذكروا أن أهونَ بمعنى: هَيِّن من قوله عزّ وجل: ﴿وهو أَهْوَنُ عليه﴾ [الروم: ٢٧] وأكثروا الاستشهادَ على هذا ونسب أبو الحَسنِ بن بَطّال هذا القولَ إلى جماعةٍ منهم: ابن أبي زيد، والقابسي وغيرهما، ومما احتجّوا به أيضًا: أن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يكن ليحرِّم العلمَ بهذا الاسم، وقد علمه مَنْ هو دونه مَن ليس بنَبيٍّ؛ ولم يكن ليدعو حين اجتهدَ في الدعاء لأُمته ألاَّ يجعل بأسَهم بينهم، وهو رؤوف بهم، عزيز عليه عَنَتُهم إلا بالاسم الأعظم، ليُسْتَجابَ له فيه، فلما منع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله إلا وهو

أخشَى عليك ضعفَك عنه ـ والثامر أبو عبد الله لا يظنّ إلا أنّ ابنَه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبدُ الله أنّ صاحبَه قد ضنّ به عنه، وتخوّف ضعفَه فيه، عَمَد إلى قداح فجمعها، ثم لم يُبْقِ لله اسمًا يعلمه إلاّ كتبه في قِدْح، لكلّ اسمٍ قِدْحٌ، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارًا، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحًا قِدْحًا، حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدْحه، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم تضرّه شيئًا. فأخذه ثم أتى صاحبَه،

كسائر الأسماء في الحكم والفضيلة، يستجيب الله إذا دُعِيَ ببعضها إن شاء، ويمنع إذا شاء، وقال الله سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرحمـٰنَ أَيًا مَّا تدعوا فَلَهُ الأسماءُ الحسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وظاهرُ هذا الكلامِ: التسويةُ بين أسمائه الحسنى، وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهُم من العلماء إلى أنه ليس شيء من كلام الله تعالى أفضل من شيء، لأنه كلام واحد من رب واحد، فيستحيل التفاضل فيه.

قال الشيخ الفقيه الحافظ أبو القاسم ـ عفا الله عنه: وجه استفتاح الكلام معهم أن يقال: هلْ يستحيل هذا عقلاً، أم يستحيل شرعًا؟ ولا يستحيل عقلاً أن يفضّل الله سبحانه عملاً من البرّ على عمل، وكلمةً من الذّكر على كلمة، فإن التفضيلَ راجع إلى زيادة الثوابِ ونُقصانه، وقد فُضّلت الفرائضُ على النوافل، بإجماع، وفُضّلت الصلاةُ والجهاد على كثير من الأعمال والدعاء، والذكرُ عملٌ من الأعمال، فلا يبعد أن يكونَ بعضُه أقربَ إلى الإجابة من بعض، وأجزلَ ثوابًا في الآخرة من بعض، والأسماءُ عبارة عن المسمَّى، وهي من كلامِ الله سبحانه القديم[1]، ولا نقول في كلامِ الله: هُو هُو، ولا هُو غيره، كذلك لا نقول في أسمائه التي تضمنها كلامُه: إنهَا هُوَ، ولاَ هِي غيره فإن تكلمنا نحن بها بألسنتنا المخلوقةِ وألفاظنا المُحدَثة، فكلامُنا عمل من أعمالنا، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿واللَّهُ خلقكُمْ وما تعملون﴾ [الصافات: ٣]، وقُبْحًا للمعتزلة[2]؛ فإنهم زعموا أن كلامَه مخلوق فأسماؤه على أصلهم الفاسد مُحْدَثة غير المُسَمَّى بها، وسَوَّوا بين كلامِ الخالق، وكلام المخلوق في

---

(١) القديم: ليس اسمًا من أسماء الله تعالى. انظر للمحقِّق «القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى» والقواعد المثلى لفضيلة الشيخ العثيمين حفظه الله تعالى. والأولى والصحيح أن نقول أنه تعالى هو: «الأول» إذ هو الاسم الذي ورد به القرآن. والله أعلى وأعلم.

(٢) المعتزلة: أتباع واصل بن عطاء، وسبب تسميتهم بهذا لاعتزالهم مجلس الحسن البصري، وهم القائلون بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، إنما هو في منزلة بين منزلتين. فخالفوا بهذا الخوارج القائلين بكفره وخلوده في النار، والمرجئة القائلين بأنه كامل الإيمان [كإيمان النبي ﷺ] وإن ارتكب ما ارتكب إذ الإيمان عندهم هو تصديق القلب أو إقراره فقط، مخالفين أيضًا أهل السُّنّة والجماعة القائلين بعصيانه أو فسقه أو كفره مع الإيمان أيضًا. انظر حكم تارك الصلاة لابن القيم رحمه الله تعالى. آمين.

فأخبره بأنه قد علِم الاسمَ الذي كتمه، فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا، قال: وكيف عَلِمْته؟ فأخبره بما صنع، قال: أي ابنَ أخي، قد أصبتَه فأمسِك على نفسك، وما أظنّ أن تفعل.

الْغَيْرِيَّة والحدوث، وإذا ثبت هذا، وصحّ جواز التفضيل بين الأسماء إذا دعونا بها، فكذلك القولُ في تفضيل السور، والآي بعضها على بعض، فإن ذلك راجع إلى التلاوة، التي هي عملنا، لا إلى الْمَتْلُوّ الذي هو كلام ربّنا، وصفة من صفاته القديمة، وقد قال - ﷺ - لأُبَيٍّ: «أيُّ آيةٍ معك في كتاب الله أعظم»؟ فقال: ﴿الله لا إله إلا هو الحيّ القيّوم﴾، فقال: «لِيَهْنِكَ العلمُ أبا الْمُنْذِر»[1]، ومُحال أن يريد بقوله: أعظم معنى عظيم؛ لأن القرآن كله عظيم، فكيف يقول له: أيّ آية في القرآن عظيمة، وكل آية فيه عظيمة كذلك؟ وكل ما استشهدوا به من قولهم: أكبر بمعنى كبير، وأهْون بمعنى هَيِّن باطل عند حُذَّاق النحاة، ولولا أن نخرج عمّا نحن بصدَدِه، لأوضحنا بطلانَه، بما لا قِبلَ لهم به، ولو كان صحيحًا في العربية، ما جاز أن يُحْمل عليه قوله: «أيّ آية معك في كتاب الله أعظم»، لأن القرآنَ كله عظيم، وإنما سأله عن الأعظمِ منه، والأفضل في ثواب التلاوة، وقرب الإجابة، وفي هذا الحديث دليل أيضًا على ثبوت الاسم الأعظمِ، وأن لِلَّه اسمًا هو أعظم أسمائه، ومُحالٌ أن يَخْلُوَ القرآن عن ذلك الاسم، والله تعالى يقول: ﴿ما فَرَّطْنَا في الكتابِ منْ شيء﴾[2] [الأنعام: ٣٨]، فهو في القرآن لا مَحَالَة. وما كان الله لِيحرمَه محمدًا، وأمتَه، وقد فضّله على الأنبياءِ، وفضَّلهم على الأُمم، فإن قلتَ: فأين هو في القرآن؟ فقد قيل: إنه أُخفي فيه، كما أُخفيت الساعة في يوم الجمعة، وليلةُ الْقَدْرِ في رمضان؛ ليجتهدَ الناسُ ولاَ يتّكلوا. قال الفقيه الحافظ أبو القاسم - رضي الله عنه - في قول النبي - ﷺ - لأُبيٍّ: أيّ آية معك في كتاب الله أعظم، ولم يقل: أفضل إشارة إلى الاسم الأعظم أنه فيها، إذ لا يُتَصَوَّرَ أن تكون هي أعظم آيةٍ، ويكون الاسُمُ الأعظمُ في أُخرى دونها. بل: إنما صارت أعظمَ الآياتِ؛ لأن الاسمَ الأعظمَ فيها. ألا ترى كيف هَنَّأَ رسولُ الله - ﷺ - أُبَيًا، بما أعطاه الله تعالى من العِلْم، وما هَنَّأه إلا بعظيم بأن عرف الاسمَ الأعظم، والآية العُظمى التي كانت الأُمم قبلنا لا يعلمه منهم إلا الأفراد، عبدُ الله بن الثامر، وآصف صَاحب سليمان عليه السلام، وبَلعُوم قبل أن يتبعه الشيطان[3] فكان من الغاوين، وقد جاء مَنصوصًا في حديث أُم سلمة - رضي الله عنها - الذي خرَّجه الترمُذي وأبو داود، ويُروَى أيضًا عن أسماء بنت يزيد - وكنيتها: أم سلمة -

---

(١) أخرجه مسلم في المسافرين (٢٥٨). (٢) وقيل هو اللوح المحفوظ.

(٣) قوله أن عبد الله بن الثامر وآصف صاحب سليمان وبلعوم قبل أن يتبعه الشيطان كانوا على علم باسم الله الأعظم في حاجة إلى دليل صحيح يعضده.

ابن الثامر يدعو إلى الإسلام:

فجعل عبد الله بن الثَّامر إذا دخل نَجْران لم يَلْقَ أحَدًا به ضرّ إلا قال: يا عبد الله، أتوحّد الله، وتدخل في ديني، وأدعو الله، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحّد الله ويُسلم، ويدعو له فَيُشفَى، حتى لم يبق بنجْران أحدٌ به ضرٌّ إلا أتاه فاتَّبعه على أمره، ودعا له فعُوفي، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدتَ عَليَّ

فلعل الحديث واحد أنها سألت رسول الله - ﷺ - عن الاسم الأعظم، فقال رسول الله - ﷺ -: «هو في هاتين الآيتين ﴿الله لا إله إلاّ هو الحيُّ القَيُّوم﴾ و﴿ألَم الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم﴾»[1]. وقال سبحانه: ﴿هوَ الْحَيُّ لا إله إلا هو فادعوهُ مخلصين له الدين﴾ الآية أي: فادعوه بهذا الاسم، ثم قال: ﴿الحمدُ لله ربّ العالمين﴾ تنبيهًا لنا على حمده وشكره، إذ علَّمنا من هذا الاسمِ العظيمِ ما لم نكن نعلم، فإن قلت: فقد روى أبو داود والترمذي أيضًا أن رسول الله - ﷺ - سمع رجلاً - وهو زيد أبو عَيَّاشٍ الزُّرَقِيّ - ذكر اسمه الحرْث بن أبي أُسامة في مسنده - يقول: «اللَّهمَّ إني أسألك، بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الْمَنَّان بديع السمٰوات والأرض ذو الجلال والإكرام، فقال: لقد دعا الله باسمه الأعظم»[2]. ويُروَى أنه قال له في هذا الحديث: غفر الله له غفر الله له. وروى الترمذي نحو هذا فيمن قال: «اللَّهمَّ إنِّي أسألك؛ فإنك الله الذي لا إله إلا أنتَ الأحد الصمد الذي لم تلد ولم تُولد»[3] وهذا معارض لحديث أُم سلمة، قلنا: لا مُعارضة بين هذا، وبين ما تقدم، فإنّا لم نقل: إن الاسمَ الأعظَمَ، هو الحيُّ القيُّوم، بل: الحيُّ القيومُ: صفتان تابعتان للاسم الأعظم. وتتميم لذكره، وكذلك الْمَنَّان. وذو الجلال والإكرام في حديث أبي داود، وقد خرّجه الترمذي أيضًا في الدعوات، وكذلك الأحد الصَّمَدُ في حديث الترمذي. وقولك: الله لا إله إلا هو: هو الاسمُ، لأنه لا سَمِيَّ له، ولم يَتَسَمَّ به غَيْرُه، وقد قال بعضُ العلماء في التسعة والتسعين اسمًا: إنها كلها تابعة للاسم الذي هو الله، وهو تمام المائة، فهي مائةٌ على عَدَد درج الجنة، إذ قد ثبت في الصحيح أنها مائةُ دَرجةٍ[4] بين كل دَرجتين مسيرةُ مائة عام، وقال في الأسماء: «مَن أحصاها دخل الجنة»[5] فهي على عدد درج الجنة، وأسماؤه تعالى

---

(١) «إسناده ضعيف». أخرجه الترمذي (٣٤٧٢) وأبو داود (١٤٩٦) بتحقيقي وابن ماجة (٣٨٥٥) وفيه شهر بن حوشب ضعيف وعبيد الله القداح متكلّم فيه.

(٢) «حسن». أخرجه النسائي (٣/ ٥٢) وأبو داود (١٤٩٥).

(٣) «حسن». أخرجه أبو داود (٤٨٥) والنسائي (٣/ ٥٢) والترمذي (٣٤٧١) وابن ماجة (٣٨٥٧).

(٤) انظر البخاري في الجهاد باب رقم (٤) ومسلم في الإمارة (١١٦) وفي الفتن (١١٠).

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ٢٥٩) ومسلم في الذكر والدعاء (٦) والترمذي (٣٥٠٦).

أهلَ قَرْيتي، وخالَفت ديني ودين آبائي، لأمثِّلنَّ بك، قال: لا تقدر على ذلك. قال: فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل، فيُطْرَح على رأسه، فيقع إلى الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنَجْران، بُحورٍ لا يقع فيها شيء إلا هلك، فيُلْقَى فيها، فيخرج

لا تُحصَى، وإنما هذه الأسماء هي المفضلة على غيرها، والمذكورةُ في القرآن. يدلّ على ذلك قولُه في الصحيح: «أسألك بأسمائك الحُسْنى ما علمتُ منها وما لم أعلم»[1] ووقع في جامع ابن وَهْب: «سبحانك لا أُحصي أسماءَك» ومما يدل على أنه الاسم الأعظم أنك تضيف جميع الأسماء إليه، ولا تضيفه إليها. تقول: العزيز اسم من أسماء الله، ولا تقول: اللَّهُ اسمٌ من أسماء العزيز، وفُخِّمت اللامُ من اسمه ـ وإن كانت لا تُفَخَّم لام في كلام العرب إلا مع حروف الإطباق نحو الطلاق، ولا تُفخَّم لام في شيء من أسمائه، ولا شيء من الحروف الواقعة في أسمائه التي ليست بمستعلية إلا في هذا الاسم العظيم المنتظم من ألفٍ ولامَيْن وهاء. فالألف من مبدأ الصوت، والهاء راجعة إلى مخرج الألف، فَشاكل اللفظُ المعنى، وطابقه، لأن المسمَّى بهذا الاسم منه المبدأ، وإليه المعاد. والإعادةُ أهون من الابتداء عند المخاطبين، فكذلك الهاء أخفّ وألين في اللفظ من الهمزة التي هي مبدأ الاسم. أخبرت بهذا الكلام أو نحوه في الاسم وحروفه عن ابن فَوْرك رحمه الله. ذكره أبو بكر شيخُنا في كتاب شرح الأسماء الحسنى له. فإن قيل: فأين ما ذكروه عن الاسم الأعظم، وأنه لا يُدعى الله به إلاَّ أجاب، ولا يُسْأل به شيئًا إلا أعطاه.

قلنا: عن ذلك جوابان، أحدهما: أن هذا الاسمَ كان عند مَن كان قبلنا ـ إذا علمه ـ مصونًا غير مبتذلٍ، معظَّمًا لا يمسّه إلا طاهر، ولا يلفظ به إلا طاهر، ويكون الذي يعرفه عاملاً بمقتضاهُ مُتَألِّهًا مُخْبِتًا، قد امتلأ قلبُه بعظمة المسمَّى به لا يَلتفت إلى غيره، ولا يخاف سواه، فلما ابْتُذِل وتُكلِّم به في مَعْرِض البَطَالات والهزل، ولم يُعمل بمقتضاه ذهبت من القلوب هيبتُه، فلم يكن فيه من سرعة الإجابة، وتعجيل قضاء الحاجة للداعي ما كان قبل. ألا ترى قولَ أيوب عليه السلام في بلائه: «قد كنت أمرّ بالرجلين يتنازعَان، فيذكران اللَّهَ ـ يعني في تنازعهما، أي تخاصمهما ـ فأرجع إلى بيتي، فأُكفِّر عنهما كراهةَ أن يُذكرَ اللَّهُ إلا في حق» وفي الحديث عن النبي ـ ﷺ ـ: «كرهت أن أذكر الله إلا على طُهْر»[2] فقد لاح لك تعظيم الأنبياء له.

---

(١) وفي الحديث: «أسألك بكل اسم هو لك سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك». أخرجه أحمد (١/٣٩١) والبيهقي في الصفات (٦) بتحقيقي.

(٢) «صحيح». أخرجه أبو داود (١٧) وابن ماجة (٣٥٠) والنسائي (١/٣٣).

ليس به بأس، فلما غلبه، قال له عبد الله بن الثامر: إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحِّد الله، فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت ذلك، سُلِّطت عليّ فقتلتني. قال: فوحَّد الله تعالى ذلك الملكُ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصًا في يده، فشجَّه شجَّة غير كبيرة، فقتله، ثم هلك الملك مكانَه، واستجمع أهلُ نَجْران على دين عبد الله بن الثامر ـ وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكْمِهِ ـ ثم أصابهم مثلُ ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنَجْران، والله أعلم بذلك.

قال ابن إسحٰق: فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظِيّ وبعضِ أهلِ نَجْران عن عبد الله بن الثامر، والله أعلم أيّ ذلك كان[١].

والجواب الثاني: أن الدعاء به إذا كان من القلب، ولم يكن بمُجَرَّد اللسان استُجيب للعبد، غير أن الاستجابة تنقسم كما قال ـ عليه السلام ـ إمَّا أن يُعَجِّل له ما سأل وَإمَّا أنْ يُدَّخر له، وذلك خيرٌ مما طلب، وإما أن يُصرَف عنه من البلاء بقدر ما سأل من الخير[٢]، وأما دعاء النبي ـ ﷺ ـ لأمته ألاّ يجعلَ بأسهم بينهم[٣]، فَمُنِعَهَا، فقد أُعطِيَ عِوضًا لهم من ذلك: الشفاعة لهم في الآخرة، وقد قال: «أُمتي هذه أُمة مرحومة، ليس عليها في الآخرةِ عذابٌ، عذابُها في الدنيا: الزلازِلُ وَالْفِتَنُ». خرّجه أبو داود[٤]، فإذا كانت الفتنُ سببًا لصرْف عذاب الآخرة عن الأمة، فما خاب دعاؤه لهم. على أنني تأمَّلت هذا الحديث، وتأملت حديثه الآخر حين نزلت: ﴿قُلْ هو القادر على أن يَبْعثَ عليكم عَذابًا من فوقِكم﴾ [الأنعام: ٦٥]. فقال: أعوذ بوجهك. فلما سَمِع: ﴿أوْ مِنْ تحتِ أرجلِكم﴾ قال: أعوذ بوجهك، فلما سمع ﴿أوْ يَلبسَكُمْ شِيَعًا ويذيقَ بعضَكم بأسَ بعض﴾. قال: هذه أهون[٥].

فَمِنْ هاهنا ـ والله أعلم ـ أُعيذت أُمته من الأُولى والثانية، ومنع الثالثة، حين سألها بعدُ. وقد عرضت هذا الكلامَ على رجلٍ من فقهاء زمانِنا، فقال: هذا حسن جدًّا، غير أنَّا لا

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٣٥) والكامل في التاريخ لابن الأثير (١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣ والبداية والنهاية (٢/ ١١٩ـ ١٢١).

(٢) يشير إلى قوله ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله ثلاث: إما أن يعجّل له دعوته وإما أن يدّخرها...» الحديث. أخرجه أحمد (٣/ ١٨) والبخاري في الأدب (٧١٠).

(٣) انظر مسلم في كتاب الفتن (٢٠) وأحمد (١/ ١٨٢) والطبراني في الكبير (١/ ٦٥).

(٤) «حسن». أخرجه أبو داود (٤٢٧٨ ـ بتحقيقي) والحاكم (٤/ ٤٤٤).

(٥) «صحيح». أخرجه البخاري (٦/ ٧١).

....

ندري: أكانت مسألته بعد نزول الآية، أم لا؟ فإن كان بعد نزول الآية، فأخْلِقْ بهذا النظرِ أن يكون صحيحًا. قلت له: أليس في الْمُوَطَّأ أنه دعا بها في مسجد بني معاويةَ، وهو في المدينة، ولا خلاف أن سورةَ الأنعامِ مكيّة؟ فقال: نعم، وسلَّم وأذعن للحق، وأقرَّ به. رحمه الله.

هل الشهداء أحياء في قبورهم؟

فصل: وذكر من وجدان عبد الله في خَرِبَةٍ من خِرَبِ نجران. يصدقه قولُه تعالى: ﴿ولا تحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيلِ اللَّهِ أمواتًا بل أَحْياءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية وما وجد في صدرِ هذه الآيةِ من شهداءِ أحد، وغيرِهم على هذه الصورةِ لم يتغيروا بعد الدُّهُورِ الطويلةِ كحمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ فإنه وُجد حين حفر معاويةُ العينَ صحيحًا لم يتغير، وأصابت الفأسُ أصبعَه، فدمِيت، وكذلك أبو جابر عبد الله بن حَرام، وعَمْرو بن الْجَمُوح، وطلحة بن عبد الله ـ رضي الله عنهم ـ استخرجته بنتهُ عائشةُ من قبره حين رأته في المنام، فأمرهَا أن تنقله من موضعه، فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنةً لم يتغير. ذكره ابن قتيبة في المعارف. والأخبار بذلك صحيحةٌ. وقد قال ـ عليه السلام ـ: «إن اللَّهَ حرّم على الأرض أن تأكلَ أجساد الأنبياءِ»[1]. خرّجه سُلَيْمَان بن الأشعث. وذكر أبو جَعْفر الداوودي في كتاب الناس هذا الحديث بزيادة: ذكر الشهداءِ والعلماءِ والمؤذِّنين، وهي زيادة غريبة لم تقع لي في مسند، غير أن الداوودي من أهل الثقة والعلم. وفي المسند من طريق أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الأنبياء أحياءٌ يصلّون في قبورهم»[2]. انفرد به ثابت الْبُنَانِيُّ عن أنسٍ، وقد رُوِيَ أن ثابتًا الْتُمس في قبره بعدما دُفن، فلم يوجد، فذكر ذلك لِبنته. فقالت: كان يصلّي فلم تَرَوْه، لأني كنت أسمعه إذا تهجَّد بالليل يقول: «اللّهمَّ اجعلني مِمَّن يُصَلِّي في قبره بعد الموت». وفي الصحيح: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «مررت بموسى ـ عليه السلام ـ وهو يصلّي في قبره»[3].

---

(١) «صحيح». أخرجه ابن ماجة (١٠٨٥) وأبو داود وأحمد (٤/٨) والبيهقي (٣/٢٤٩) والحاكم (٤/٥٦٠).

(٢) «ضعيف». أخرجه البيهقي في «حياة الأنبياء» (٤). فيه أحمد بن علي الحسنوي متّهم بالكذب ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: ضعيف.

(٣) «صحيح». أخرجه مسلم في الإيمان (٢٧٦) وفي الفضائل (١٦٥) والنسائي (٣/٢١٦). وهذه خصوصية لموسى عليه السلام. وما حاول السهيلي رحمه الله تعالى إثباته من حياة الشهداء في قبورهم يفتقر إلى الأثر الصحيح أو النقل الصريح، ولكنهم «أحياء عند ربهم ـ وليس في قبورهم ـ يرزقون».

فسار إليهم ذو نُواس بجنوده، فدعاهم إلى اليهوديَّة، وخيَّرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل، فَخدّ لهم الأخدودَ، فحرَّق مَنْ حرق بالنار، وقتل مَن قتل بالسيف، ومثَّل بهم، حتى قتل منهم قريبًا من عشرين ألفًا، ففي ذي نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى ما يَفْعَلُونَ بالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَما نَقَمُوا مِنهُمْ إلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج].

أصحاب الأُخدود

وحديث عبد الله بن الثامر إنما رواه ابن إسحٰق موقوفًا على محمد بن كعب الْقُرَظِيّ عن بعض أهل نجران، ليصل به حديث فيمؤن، وهو حديث ثابت عن رسول الله ـ ﷺ ـ من طريق ابن أبي ليلى عن صُهَيْب عن رسول الله ـ ﷺ ـ فهو أولى أن يُعتمَد عليه: وهو يخالف حديث ابن إسحٰقَ في ألفاظ كثيرة. قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا حدّث بهذا الحديث يعني حديثًا تقدم قبل هذا الحديث يحدّث بهذا الحديث الآخر. قال: كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهنٌ يَكْهَنُ له، فقال الكاهن: انظروا لي غلامًا فَهِمًا أو قال: فَطْنًا لَقِنًا؛ فأُعَلِّمه علمي هذا، فإني أخاف أن أموتَ؛ فينقطعَ منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم مَن يعلمه، قال: فنظروا له غلامًا على ما وصف، فأمروه أن يَحْضُرَ ذلك الكاهن وأن يختلف إليه، فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهبٌ في صَوْمعة قالَ مَعْمر: أحسب أن أصحابَ الصوامع يومئذ كانوا مسلمين[1]. قال: فجعل الغلامُ يسأل الراهب كُلَّما مرّ به، فلم يزل به حتى أخبره، فقال: إنما أعبد الله، قال: فجعل الغلام يمكث عند الراهب، ويبطىء على الكاهن، فأرسل الكاهنُ إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغُلام الراهبَ بذلك، فقال له الراهب: إذا قال لك الكاهنُ: أين كنتَ، فقل: كنتُ عند أهلي، فإذا قال لك أهلُك: أين كنت؟ فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن، قال: فبينما الغلام على ذلك إذ مرّ بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابّةٌ، فقال بعضُهم: إن تلك الدّابّة كانت أسدًا، فأخذ الغلامُ حجرًا، فقال: اللّهمَّ إن كان ما يقول الراهب حقًّا فأسألك أن تقتله، قال: ثم رمى، فقتل الدابّةَ، فقال الناسُ: مَنْ قتلها؟ فقالوا: الغلامُ، ففزع الناس، وقالوا: لقد علم هذا الغلامُ علمًا لم يعلمه أحدٌ. قال: فسمع به أعمى، فقال له: إن أنت رَدَدْت بصري فلك كذا وكذا، فقال له: لا أُريد منك هذا، ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرُك أتؤمن بالذي ردّه؟

---

(١) المسلم: كلّ مَن استسلم لأمر الله تعالى وانقاد له بلا مقاومة.

....

قال: نعم. قال: فدعا الله، فردّ عليه بصَره فآمن الأعمى، فبلغ الملكَ أمرُهُمْ، فبعث إليهم، فأتي بهم، فقال: لأقتلنَّ كل واحد منكم قتْلة لا أقتل بها صاحبَه، فأمر بالراهب وبالرَّجل الذي كان أعمى، فَوَضعَ الْمنشارَ على مَفرِق أحدهما فقتله، ثم قتل الآخر بقتلة أُخرى، ثم أمر بالغلام، فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا، فألقوه من رأسه، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل، فلما انْتَهَوْا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يُلقوه منه، جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل، ويتردَّوْن منه، حتى لم يبقَ منهم إلا الغلام، قال؛ ثم رجع فأمر به الملكُ أن ينطلقوا به إلى البحر، فيلقونه فيه، فانطُلِقَ به إلى البحر، فغرَّق الله الذين كانوا معه، وأنجاه، فقال الغلام للملك: إنك لا تقتلني حتى تصلبني وترميني، وتقول إذا رَمَيْتني: «باسم الله ربِّ هذا الغلام». قال: فأمر به، فَصُلب ثم رماه، فقال: باسم الله ربِّ هذا الغلام: فوضع الغلام يدَه على صُدْغه حين رمي ثم مات، فقال الناس: لقد علم هذا الغلامُ علْمًا مَا عَلِمه أحدٌ، فإنّا نؤمن بربّ هذا الغلام، قال: فقيل للملك: أجزعت أن خالفك ثلاثةٌ، فهذا العالم كلُّهم قد خالفوك، قال؛ فخدَّ أُخْدُودًا، ثم ألقى فيه الحطب والنار، ثم جمع الناسَ، فقال: مَن رجع عن ذنبه تَركناه، ومَن لم يرجع ألقيناه في هذه النار، فجعل يلقيهم في ذلك الأُخدود. قال: يقول الله سبحانه ـ: ﴿قُتِل أصحابُ الأُخْدُودِ النارِ ذات الْوَقُودِ﴾ حتى بلغ: ﴿العزيز الحميد﴾ [البروج]. قال: فأما الغلامُ فإنه دُفن. قال: فيذكر أنه أُخرِج في زمن عُمَر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وأُصبعُه على صُدغه، كما وضعها حين قُتل. رواه الترمذي عن محمود بن غَيْلان عن عبد الرزاق عن مَعْمر، ورواه مُسلم عن هَدَّاب بن خالد عن حَمَّاد بن سَلَمة، ثم اتفقا عن ثابت، عن ابن أبي ليلى عن صُهَيْب غير أن في حديثِ مسلم أن الأعمى الذي شُفِيَ، كان جليسًا للملك، وأنه جاءه بعد ما شُفِيَ، فجلس من الملك كما كان يجلس فقال: مَنْ ردّ عليك بَصرك، قال: رَبِّي، قال: وهل لك رَبٌّ غيري؟! فقال: الله ربّي وربُّك، فأمر بالمِنشارِ، فجُعل على رأسه حتى وقع شِقَّاه، وأمر بالراهب ففعل به، مثل ذلك، وزاد مسلم في آخر الحديث. قال: فأُتي بامرأةٍ لتُلْقى في النار، ومعها صبي يرضع فقال لها الغلام: يا أُمّه لا تجزعي، فإنك على الحق، وذكر ابن قتيبة أن الغلام الرضيع كان من سَبعة أشهر[١].

حديث الحبشة:

وذكر فيه دَوْسًا ذا ثَعلبان الذي أتى قيصرَ. ودوس: هو ابن تُبَّع الذي قتله أخوه، قاله ابن إسحٰق في غير رواية ابن هشام.

---

(١) أخرجه مسلم في الزهد (٧٣) والترمذي في التفسير (٨٥) وأحمد في مسنده (٦/ ١٧).

وذكر فيه قيصرَ وكتابَه للنجاشي. وقيصر اسم علَم لكل مَن وَلِيَ الروم وتفسيره بلسانهم: البقير الذي بُقِر[1] بَطنُ أُمِّه عنه، وكان أول مَن تَسَمَّى به بُقَيْرًا، فلما ملك وعُرف به، تَسَمَّى به كل مَن ملك بعده. قاله المسعودي. وإنما كتب بذلك إلى النجاشِيِّ؛ لأنه على دينه، وكان أقرب إلى اليمن منه، وذكر غير ابن إسحٰق أن ذا نُواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن، حين رأى أن لا قِبَلَ له بهم، بعد أن اسْتَنفَر جميعَ الْمَقَاوِلِ، ليكونوا معه يدًا واحدة عليهم، فأبوا إلا أن يحمى كلُّ واحد منهم حَوْزَته على حدته، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله، على أن يُسالموه ومَن معه، ولا يقتلوا أحدًا فكتبوا إلى النجاشي بذلك، فأمرهم أن يَقْبَلوا ذلك منهم، فدخلوا صنعاءَ ودفع إليهم المفاتيح، وأمرهم أن يَقْبضوا ما في بلاده من خزائن أمواله، ثم كتب هو إلى كل موضع من أرضه: أن اقْتُلوا كل ثور أسودَ، فقتل أكثر الحبشة، فلما بلغ ذلك النجاشيَّ وجّه جيشًا إلى أبرهة، وعليهم أرياطُ وأمره أن يقتل ذا نُواس، ويخرب ثلث بلاده، ويقتل ثلث الرجال، ويسبي ثلث النساء والذرية ففعل ذلك أبرهة. وأبْرهة بالحبشة: هو الأبيض الوجهِ، وفي هذا قوة لقول مَن قال: إن أبرهة هذا هو أبْرهَةَ بن الصُّبَاح الحميري! وليس بأبي يَكْسُوم الْحَبَشِيّ، وإن الحبشةَ كانوا قد أمَّروا أبْرهَة بن الصُّبَاح على اليمن، وهذا القول ذكره ابن سلام في تفسيره، واقتحم ذو نُواس البحر، فهلك وقام بأمره من بعده ذو جَدَن، واسمه: عَلَسُ بن الحارثِ أخو سُبَيْع بن الحارث، والْجَدَنُ: حُسن الصوت، يقال: إنه أول مَن أظهر الغناء باليمن فسُمِّي به، وجَدَن أيضًا: مفازة باليمن، زعم البكري أن ذا جَدَنٍ إليها يُنسب، فحارب الحبشة بعد ذي نُواس فكسروا جُنْدَه، وغلبوه على أمره، فَفَرَّ إلى البحر كما فعل ذو نُواس، فهلك فيه، وذكروا سبب منازعة أبْرهَة لأرياط، وأن ذلك إنما كان، لأن أبرهة بلَّغ النجاشِيَّ أنه استبدّ بنفسه، ولم يرسل إليه من جباية اليمن شيئًا، فوجّه أرياطًا إلى خلعه، فعند ذلك دعاه أبرهة إلى المبارزة ـ كما ذكر ابن إسحٰق ـ وذكر الطبري[2] أن عَتْوَدَةَ الغلام الذي قتل أرياطًا. والْعَتْوَدَةُ: الشدة، وقد قيل في اسمه أرْيَجْدَةُ. قال له أبرهة: احتكم عليَّ، قال: أحتكم: أن لا تزفّ امرأة إلى بعلها، حتى أكونَ أنا الذي أبدأ بها قبله، ففعل ذلك أبرهة، وغَبَر العبدُ زمانًا يفعل ذلك، فلما اشتد الغيظُ بأهل اليمن، قتلوا عَتْوَدة غِيلة، فقال لهم الملك: قد أنى لكم يأهل اليمن أن تفعلوا فعل الأحرار، وأن تغضبوا لِحُرَمِكُمْ، ولو علمت أن هذا العبد يسألني هٰذا الذي سأل ما حكَّمتهُ، ولكن والله لا يؤخذ منكم فيه دِية، ولا تُطلبون بذَحل[3]،

---

(١) بقر: شق.

(٢) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٣٧).

(٣) الذحل: الحقد والثأر.

قال ابن هشام: الأخْدُودُ: الحفر المستطيل في الأرض، كالخندق والجدول ونحوه، وجمعه: أخاديد. قال ذو الرُّمَة ـ واسمهُ: غَيلان بن عُقْبة، أحد بني عديّ بن عبد مناف بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر.

مِنَ العراقيّة اللاتي يُحيل لها   بين الْغَلاةِ وبين النخل أُخْدُودُ

وحيثما وقع اسم أرياط في رواية يونس، لم يسمِّه بهذا الاسم، إنما سمّاه رَوْزَنة أو نحو هذا.

وذكر الطبري[1] أن سيف بن ذي يزن لما فعل ذو نواس بالحبشة ما فعل، ثم ظفروا به بعث عظيمهمُ»[2] إلى أبي مُرَّة سيف بن ذي يزن، فانتزع منه ريحانة بنت عَلْقَمَة بن مالك، وكانت قد ولدت له مَعْدي كرب. فملكها أبرهة. وأوْلَدَها مسروق بن أبرهة، وعند ذلك توجه سيف إلى كسرى أنو شِرْوان يطلب منه الغوث على الحبشة، فوعده بذلك وأقام عنده سنين، ثم مات وخلفه ابنهُ مَعْدِي كَرِبُ في طلب الثار، فأُدخل على كسرى، فقال له: مَن أنت؟ فقال: رجل يطلب إرث أبيه، وهو وَعْد الملك الذي وَعَد به، فسأل عنه كسرى: أهو من بيت مملكة أم لا؟ فأُخبر أنه من بيت مُلك فوجَّه معه وهْرَزَ الفارس في سبعة آلاف وخمسمائة من الفرس، وقال ابن إسحٰق: في ثمانمائة غرق منهم مائتان، وسلم ستمائة: والقول الأولُ قولُ ابن قتيبة وهو أشبه بالصواب، إذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة، وإن كان قد جمع إليهم من العرب ـ كما ذكر ابن إسحٰق ـ ما جمع. ثم إن مَعْدِ يَكرِبَ بن سيف لما قتل الحبشة وملك هو وَوَهْرَز اليمنَ أقام في ذلك نحو أربع سنين. ثم قتلته عَبيد له، كان قد اتخذهم من أولئك الحبشة، خرج بهم إلى الصيد فَزَرَقُوه[3] بحرابهم، ثم هربوا فأُتبعوا فقُتِلوا. وتفرّق أمر اليمن بعده إلى مخالف[4] عليها مقاولٌ كملوك الطوائف لا يدين بعضُهم لبعض إلا ما كان من صنعاء، وكون الأبناء فيها، حتى جاء الإسلام.

فصل: واستشهد ابن هشام في هذا الخبر على الأخدود ببيت ذي الرُّمة، وهو: غَيْلان بن عُقْبة بن بُهَيْش بضم الباء والشين: وسُمّي ذا الرُّمَّة ببيت قاله في الوتد: أشعثَ باقي رُمَّةِ التَّقْلِيدِ. وقيل إن مَيَّةَ سمّته بذلك، وكان قد قال لها: أصلحِي لي هذا الدلو، فقالت له: إني خَرْقاء[5]، فولّى وهي على عنقه برُمَّتِها، فنادته: يا ذا الرُّمَّةِ إن كنتُ خرقاءَ فإن لي أمة صَنَاعًا؛ فلذلك سمّاها بِخَرْقَاءَ، كما سمّته بذي الرُّمَّة.

---

(١) الطبري (١/٤٣٨) والكامل في التاريخ (١/ ٣٣٤).
(٢) سمّاه الطبري في تاريخه: أبرهة كما سيأتي في سياق الكلام.
(٣) زرقوه: أي طعنوه.
(٤) مخالف: أمير لبلدة أو حاكم لبلدة وما أشبه.
(٥) خرقاء: أي لا أُحسن صنعة.

يعني: جدولاً. وهذا البيت في قصيدة له. قال: ويقال لأثر السيف والسكين في الجلد وأثَر السوط ونحوه: أُخدود: وجمعه أخاديد.

مصير عبد الله بن الثامر:

قال ابن إسحٰق: ويقال: كان فيمن قتَل ذو نُوَاس، عبدُ الله بن الثامر رأسُهم وإمامُهم.

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم أنه حُدِّث: أن رجلاً من أهل نَجْران كان في زمان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حفر خَرِبة من خَرِب نَجْران لبعض حاجته، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحتَ دَفْنٍ منها قاعدًا، واضعًا يده على ضَرْبة في رأسه، ممسكًا عليها بيده، فإذا أُخِّرتْ يده عنها تنبعث دمًا، وإذا أُرْسلت يده ردّها عليها، فأمسكت دمَها، وفي يده خاتم مكتوب فيه: «ربّي الله» فكُتِبَ فيه إلى عمر بنِ الخطّاب يُخبَر بأمره، فكتب إليهم عمرُ رضي الله عنه: أن أقِرُّوه على حاله ورُدُّوا عليه الدفنَ الذي كان عليه، ففعلوا[1].

أمر دوس ذي ثعلبان، وابتداء ملك الحبشة وذكر أرياط المستولي على اليمن:

دوس يستنصر بقيصر:

قال ابن إسحٰق: وأفلت منهم رجلٌ من سبأ، يقال له دَوْس ذو ثُعْلبان على فرس له، فسلك الرملَ فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصرَ ملكَ الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بَعُدَتْ بلادُك منّا، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره.

هزيمة ذي نواس وانتحاره:

فقَدِمَ دَوْسٌ على النَّجاشيّ بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفًا من الحبشة، وأمَّر عليهم رجلاً منهم يقال له: أرياط - ومعه في جنده أبرهة الأشرم - فركب أرياط البحرَ حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دوس ذو ثُعْلبان وسار إليه ذو نُواس في حِمْير، ومَنْ أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل

....

(١) انظر تاريخ الطبري (١/٤٣٦) وفيه مجهول.

به ويقومه، وجَّه فرسَه في البحر، ثم ضربه، فدخل به فخاض به ضَحْضاح البحر، حتى أفضى به إلى غَمْرِه، فأدخله فيه، وكان آخرَ العهد به. ودخل أرْياطُ اليمن، فملكها.

ما قيل من شعر في دوس:

فقال رجل من أهل اليمن - وهو يذكر ما ساق إليهم دَوْس من أمر الحبشة:

لا كـدَوْسٍ ولا كـأعـلاق رَحْـلِـهِ[1]

فهي مثل باليمن إلى هذا اليوم. وقال ذو جَدَنٍ الحميري[2]:

هَـوْنَـكِ لـيس يَـرُدُّ الـدمعُ ما فـاتـا ... لا تَـهْلِكي أسفًا فِي إثر مَنْ ماتا

أبـعـد بَـيْـنـون لا عـيـنٌ ولا أثـرٌ ... وبعد سَلْحِين يبني النَّاسُ أبياتا[3]

فصل: وقوله: فخاض ضَحْضَاح البحر إلى غَمْرِه. الضَّحْضَاحُ من الماء: الذي يظهر منه القَعْر، وكان أصلُه من الضَّحِّ وهو حَرُّ الشمس، كأن الشمس تُداخِله لِقِلَّته[4]، فقلبت فيه إحدى الحاءين ضادًا، كما قالوا في ثَرَّة ثَرْثارة، وفي تَملَّل تَمَلْمَل وهو قول الكوفيين من النحويين، ولست أعرف أصلاً يدفعه، ولا دليلاً يردّه، ويقال له أيضًا: الرَّقْرَاق والضَّهْل، وقد يُستعار في غير الماء، كقول النبي - ﷺ - في عمّه أبي طالب حين سُئِل عنه، فقال: «هو في ضَحْضَاح من النار، ولولا مكاني لكان في الطَّمْطام»[5] وفي البخاري: وجدته في غَمْرَةٍ من النارِ، فأخرجتُه إلى الضَّحْضَاحِ، والْغَمْرُ هو الطَّمْطَام، وأما قول ذي جَدَن:

هَـوْنَـكِ لـن يَـرُدُّ الـدمـعُ مـا فـاتـا

وهكذا رُوِيَ هذا القسيم ناقصًا قاله الْبَرْقِيُّ، وقد رُوِيَ عن ابن إسحٰق من غير رواية ابن هشام: هَوْنَكُمَا لن يرد. قال: وهو من باب قول العرب للواحد: افْعَلا، وهو كثير في القرآن والكلام.

وفيـه:

أبـغـدَ بَـيْـنـونَ لا عَـيـنٌ ولا أثـر ... وبعد سَلْحِينَ يبني الناس أبياتا

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٤٣٧).

(٢) ذو جدن الحميري: لُقِّب بهذا لحُسْن صوته.

(٣) السابق.

(٤) ضحضاح: الضاد والحاء أصلٌ صحيحٌ يدلّ على رقّة شيء بعينه. من ذلك: الضحضاح: الماء إلى الكعبين. سُمِّي بذلك لرقّته. والضحضحة: ترقرق الشراب. ومنه الضَّحّ: وهو ضوء الشمس وإذا استمكن من الأرض. مقاييس اللغة (٣/ ٣٥٩)..

(٥) «صحيح». أخرجه البخاري (٥/ ٦٥) ومسلم في الإيمان (٣٥٧) وأحمد (١/ ٢٠٦). وفيه: «ولولا أنا=

بَيْنون وسَلْحِين وغُمْدان: من حصون اليمن التي هدمها أرياط، ولم يكن في الناس

فَبَيْنُون وسَلْحِين مدينتان خَرَّبهما أَرْيَاطُ كما ذكر. قال البكري في كتاب «مُعْجَم ما اسْتَعْجَمَ»: سُمِّيت بينون لأنها كانت بَيْن عُمَان والْبَحْرَين، فهي إذًا على قوله: فَعْلُون من الْبَيْن، والياء أصلية، وقياس النحويين يمنع من هذا؛ لأن الإعرابَ إذا كان في النونِ لزمت الاسمَ الياءُ في جميع أحواله، كَقِنَّسْرِينَ[1] وفِلَسْطِينَ ألا ترى كيف قال في آخر البيت: وبعد سَلْحِين، فكذلك كان القياسُ، أن يقول على هذا: أبعد بَيْنِينَ، وعلى مذهب مَن جعله مِن العرب بالواو في الرفع، وبالياء في الْخَفْض، والنَّصْب. يقول أيضًا: أبعد بَيْنِينَ، وليس للعرب فيه مذهبٌ ثالث فثبت أنه ليس من الْبَيْن، إنما هو فَيْعُول، والواو زائدة من أَبَنَّ بالمكان، وبَنَّ إذا أقام فيه، لكنه لا ينصرف للتعريف والتأنيث، غير أن أبا سعيد السيرافي ذكر وجهًا ثالثًا للعرب في تسمية الاسم بالجمع الْمسلم، فأجاز أن يكون الإعراب في النونِ، وتثبت الواو، وقال في زَيْتُون: إنه فَعْلون من الزَّيت، وأجاز أبو الفتح بن جنيّ أن يكون الزيتون فيْعُولاً من الزَّيْت، ولكن من قولهم زتَن المكان إذا أنبت الزَّيْتُون، فإن صحّت هذه الحكاية عن العرب، وإلاَّ فالظَّاهِرُ أنه من الزَّيْت، وأنه فَعْلُون، وقد كثر هذا في كلامِ الناس غير أنه ليس في كلام العربِ القدماء، ففي المعروفين من أسماء الناس: سُحْنُون وعَبْدون قال الشاعر ـ وهو ابن المعتز:

سَقى الجزيرةَ ذاتَ الظلِّ والشجر   ودَيـرَ عَـبْـدُونَ هَـطَّـالٌ مـن الـمـطـرِ

وَدَيْرُ عَبْدُون معروفٌ بالشام، وكذلك دَيْر فَيْنُونَ غير أَنَّ فينون يحتمل أن يكون فَيْعُولاً، فلا يكون من هذا الباب، كما قلنا في بَيْنُون، وهو الأظهر.

وأما حَلَزُون ـ وهو دود يكون بالعشب، وأكثر ما يكون في الرِّمثِ ـ فليس من بابِ فِلَسْطين وقِنَّسْرين، ولكن النونَ فيه أصلية، كَزَرَجُون، ولذلك أدخله أبو عبيد في باب فَعلُون، وكذلك فعل صاحب كتاب العين أدخله في باب الرُّباعي، فدلّ على أن النون عنده فيه أصلية وأنه فَعَلُول بلامين.

وقولُ ذي جدن: وبعد سَلْحِين يقطع على أن بَيْنون: فَيعول على كل حال؛ لأن الذي ذكره السيرافي من المذهب الثالث إن صحّ، فإنما هي لغة أخرى غير لغة ذي جَدَن الحميري، إذ لو كان من لغته، لقال: سَلْحُون، وأعرب النون مع بقاء الواو، فلما لم

= لكان في الدرك الأسفل من النار».

(١) قنسرين: مدينة شامية.

مثلها. وقال ذو جَدَن أيضًا:

دعيني - لا أبا لك - لن تُطيقي ... لحاكِ اللّهُ! قد أنزفتِ ريقِي
لَدَى عَزْفِ القِيان إذِ انتشَينا ... وإذ نُسْقى من الخمر الرحيقِ
وشُرْبُ الخمرِ ليس عليّ عارًا ... إذا لم يَشْكُنِي فيها رَفيقي
فإنَّ الموْتَ لا ينهاه ناهٍ ... ولو شَرِب الشفاء مع النَّشُوق
ولا مُترهِّبٌ في أُسْطُوان ... يناطح جُذرَه بَيْضِ الأَنُوقِ
وغُمْدان الذي حُدّثت عنه ... بَنَوْه مُسَمَّكًا في رأسِ نِيقِ
بِمَنْهَمَةٍ، وأسفلهُ جُرُون ... وحُرُّ المَوْحَلِ اللَّثِقِ الزليق
مصابيح السَّليط تلوح فيه ... إذا يُمْسِي كَتَوْماض البُرُوق
ونخلتُهُ التي غُرِسَتْ إليه ... يكاد البُسْر يَهْصِر بالعُذُوق
فأصبح بَعْدَ جِدَّتِه رَمادًا ... وغيَّرَ حسنَه لهبُ الحريق
وأسلَمَ ذو نُواس مُسْتَكينًا ... وحذَّر قومَه ضَنك المَضِيق[1]

يفعل علمنا أن المعتقد عندهم في بَيْنون: زيادة الياء، وأن النونين أصليتان كما تقدم.
وقوله:

دعيني - لا أبا لكِ - لن تطيقي

أيْ: لن تطيقي صَرْفي بالعذل عن شأني، وحذف النون من تطيقين للنصب أو للجزم على لغة مَن جَزم بلَنْ إن كان ذلك من لغته، والياء التي بعد القاف: اسم مضمرَ في قول سيبويه، وحرف علامة تأنيث في قول الأخفش، وللحجة لهما، وعليهما موضع غير هذا.
وقوله: قد أنْزَفْت ريقي.

أي: أكثرتِ عليَّ من الْعَذْلِ حتى أيْبَست ريقي في فمي، وقلةُ الريق من الْحَصَرِ، وكثرته من قوة النَّفس، وثباتِ الْجاش قال الراجز:

إنـي إذا زَبَّبَـتِ الأشْـداقُ
وكَثُرَ اللَّجاجُ واللَّقلاقُ
ثَبْتُ الْجَنانِ مِرْجَمٌ وَدَّاقُ

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٣٧).

....

زبَّبَت الأشداقُ: من الزَّبيبتَيْن، وهو ما ينعقد من الرِّيق في جانبي الفم عند كثرة الكلام، وقوله: ودَّاق: أيّ يسيل كالْوَدْقِ. يريد: سيلانَ الريق، وكثرةَ القول، كما قال أبو الْمخَشّ في ابنه: كان أشْدَق[1] خُرْطُمَانِيًا[2] إذا تكلم سال لعابُه. وقولُه:

ولـو شـرب الـشّـفـاء مـع الـنّـشُـوق

أي: لو شرب كل دواء يُستشفى به، وتَنَشَّق كل نَشوقٍ يُجعل في الأنف للتداوي به، ما نهى ذلك الموت عنه.

وقواله: ولا مُتَرَهِّبٌ يجوز أن يكونَ رفعه عطفًا على ناهٍ، أي: لا يردّ الموتَ ناهٍ، ولا مُتَرَهِّبٌ. أي: دُعاء مُتَرَهِّب يدعو لك، ويجوز أن يكونَ مترهبٌ رَفْعًا على معنى: ولا ينجو منهُ مُتَرهِّب. كما قال: تالله يبقى على الأَيَّام ذو حِيَدٍ. البيت. والأُسْطُوانُ: أفْعُوالُ. النون أصلية، لأن جمعه أساطين، وليس في الكلام أفاعين. وقوله:

يـنـاطـح جُـذْرَه بَـيْـضُ الأَنُـوقِ

جُذْره: جمع جدار، وهو مخفف من جُدُورٍ، وفي التنزيل ﴿أَوْ مِنْ وَراء جُدُرٍ﴾[3] تقيد بضم الجيم، والْجَذْرُ أيضًا بفتح الجيم: الحائطُ، ولكن الرواية في الكتاب هكذا كما ذكرنا. والأَنوقُ: الأُنثى من الرَّخَم[4]! يقال في المثل: أعَزُّ من بَيْضِ الأَنوقِ، إذا أراد ما لا يوجد؛ لأنها تبيض حيث لا يُدرَك بَيْضُها من شواهقِ الجبال. هذا قول المبرد في الكامل، ولا يوافَق عليه؛ فقد قال الخليل: الأَنوقُ: الذكر من الرَّخَم، وهذا أشبهُ بالمعنى؛ لأن الذكر لا يبيض، فمَن أراد بَيْضَ الأَنوق، فقد أراد المُحال، كمَن أراد: الأَبْلَق الْعَقُوقَ وقد قال القالي في الأمالي: الأَنُوقُ يقع على الذكر والأُنثى من الرَّخَم.

وقولـه:

وغُـمْـدانُ الـذي حـدثـت عـنـه

هو الْحِصن الذي كان لِهَوْذَة بن علي ملكِ اليمامة، وسيأتي طرف من ذكره. ومُسَمَّكًا: مُرَفَّعًا من قوله: سَمك السماءَ، والنِّيقُ: أعلى الجبل. وقوله: بِمَنْهَمَةٍ هو موضع الرهبان. والراهب يقال له: النَّهامِيُّ ويقال للنجار أيضًا: نِهَامِيٌّ، فتكون الْمَنْهَمَةُ أيضًا على هذا موضع نَجْرٍ.

---

(١) أشدق: بليغ.
(٢) خرطماني: كبير الأنف.
(٣) سورة الحشر آية رقم (١٤).
(٤) الرخم: نوع من الطير غزير الريش.

وقوله: وأسفلُه جُرون. جمعُ جُرْن، وهو النَّقِيرُ من جَرنَ الثوبُ: إذا لان [وانسحق]. وروايةُ أبي الوليد الْوَقْشِيِّ: جُروب بالباء. وكذلك ذكره الطبري بالباء أيضًا. وفي حاشية كتاب الوقشي: الجروب: حجارةٌ سُود. كذا نَقَل أبو بحر عنه في نسخة كتابه، فإن صحّ هذا في اللغةِ وإلا فالْجُروب: جمعُ جَريب على حذف الياء من جَريب، فقد يُجمع الاسمُ على حذف الزوائد، كما جمعوا صاحبا على أصحاب. وقالوا: طَوِيٌّ وأطْواء وغير ذلك. والجريب والجِرْبَة: المزرعة.

وقوله: وحُرُّ الْموحَل بفتح الحاء، وهو القياس لأنه من وَجِلَ يَوْجَلُ. ولو كان الفعل منه وَجَل على مثل وَعدَ، لكان القياسُ في الموجِل الكسر لا غير، وقد ذكر الْقُتَبِيُّ فيه اللغتين: الكسرَ والفتحَ، والأصل ما قدّمناه.

وقوله: وحُرّ بضم الحاء، وهو خالص كل شيء، وفي كتاب أبي بحر عن الْوَقْشِيِّ: وحَرّ الْمَوْحَل بفتح الحاء، والجيم من الموجَل مفتوحة، وفسر الْمَوْجَل، فقال: حجارَةٌ مُلْسٌ ليّنةٌ، والذي أذهب إليه أن الْموجَل هٰهُنا واحدُ المواجل، وهي مناهل الماء، وفُتحت الجيم، لأن الأصل: مأجَل كذلك قال أبو عبيد: هي المآجِل، وواحدها: مأجَل. وفي آثار الْمُدَوَّنة سُئل مالكٌ ـ رحمه الله ـ عن مَوَاجِلِ بُرْقَة، يعني: المناهِلَ، فلو كانت الواو في الكلمة أصلاً لقيل في الواحد: مَوْجِل مثل موضِع، إلا أن يراد به معنى الْوَجَل، فيكون الماضي من الفعل مكسور الجيم والمستقبل مفتوحًا، فيفتح الموجَل حينئذ، ولا معنى له في هذا الموضع.

وقوله: اللَّثِقُ الزَّلِيق. اللَّثِقُ: من اللَّثَقِ، وهو أن يخلط الماءُ بالتراب فيكثر منه الزَّلَقُ، قال بعض الفصحاء: غاب الشَّفَقُ، وطال الأرَقُ، وكثر اللَّثَقُ، فلْيَنْطِقْ مَنْ نَطَقَ. وفي حاشية كتاب أبي بحر: اللَّبِقُ بالباء المنقوطة بواحدة، وذكر أنه هكذا وجد في أصل ابن هشام، ولا معنى للَّبق هٰهنا، وأظنه تصحِيفًا من الراوي ـ والله أعلم.

وقوله في الشعر: يكاد الْبُسْرُ يَهْصِر بالْعُذوق.

أي: تميل بها، وهو جمع عِذْق بكسر العين، وهي الكِباسةُ أو جمع عَذْق بفتح العين، وهي النَّخْلَة، وهو أبلغ في وصفها بالايقار أن يكون جَمْع عَذْق بالفتح. وقوله: وأسلم ذو نواس مستكينًا. أي: خاضعًا ذليلاً، وفي التنزيل: ﴿فما اسْتَكَانُوا لرَبِّهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، قال ابن الأنبارِي فيه قولان: أحدهما: أن يكون من السكون، ويكون الأصل: اسْتَكَن على

وقال ابن الذِّئبة الثقفي في ذلك ـ قال ابن هشام: الذئبة أُمُّه، واسمه: ربيعة بن عَبْد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِيّ:

لَعَمْرُكَ ما للفتى من مَفَرّ | مع الموت يلحقه والكِبَرُ
لَعَمْرُكَ ما للفتى صُحْرَة | لَعَمْرُكَ ما إنْ له مِن وَزَرْ
أَبَعْدَ قَبائلَ مِنْ حِمْيَر | أُبيدُوا صباحًا بذات العَبَرُ
بألفِ أُلوفٍ وحَرَّابة | كمثلِ السماء قُبَيْلِ المطر
يُصِمّ صياحهُم المُقْرَبَاتِ | وينفون مَن قاتلوا بالذَّفَر

وزن افْتَعَل، ومَكَّنُوا الفتحة، فصارت ألفًا كما قال الشاعر(١):

وإنني حيثما يَثني الهوى بَصري | من حيث مَا سَلَكُوا أدنو فأنْظُور

وقال آخر: يا ليتها جَرَت على الْكَلْكَال. أراد الْكَلْكَل. والقول الآخر: أن يكونَ استفعل من كان يكون مثل: استقام من قام يقوم. قال المؤلّف رحمه الله: هذا القول الأخير جيِّد في التصريف، مستقيم في القياس، لكنه بعيدٌ في المعنى عن باب الخضوع والذلّة، والقولُ الأَولُ قريب في المعنى، لكنه بعيدٌ عن قياس التصريف؛ إذ ليس في الكلام فعل على وزن افْتَعَالَ بألف، ولكن وجدت لغير ابن الأنبارِي قولاً ثالثًا: إنه استفعل من الْكَينْ وكَيْنُ الإنسان: عَجُزُه ومُؤَخَّرُه، وكأن المستكينَ قد حنا ذلكَ منه، كما يقال: صَلَّى، أي: حنا صَلاَه، والصَّلاَ: أسفلُ الظهر، وهذا القول جيد في التصريف، قريب المعنى من الخضوع.

وذكر قول ابن الذِّئبة، واسمَه، وهو: ربيعة بنَ عبْد ياليل، وقال فيه: لَعَمْرُكَ ما للفتى صُحْرةٌ، وهو الْمُتَّسَعُ، أُخِذ من لفظ الصحراء، والْوَزَرُ: الْملْجأ، ومنه اشتق: الْوزير؛ لأن الملكَ يلْجأ إلى رأيه، وقد قيل من الْوِزرِ لأنه يحمل عن الملك أثقالاً، والْوِزْرُ: الثِّقْل، ولا يصحّ قول مَن قال: هو من أَزَرَه إذا أعانه، لأن فاء الفعل في الوزير واو، وفي الأزر الذي هو الْعوْن هَمْزة.

وذاتُ الْعَبَرِ أي: ذات الحزن، يقال: عَبرَ الرجل إذا حزن، ويقال لأُمّه الْعُبْرُ، كما يقال: لأمّه الثُّكل. والْمُقْرَبَاتُ: الخيل العِتاق التي لا تسرح في المرعى، ولكن تُحبس قرب البيوت مُعَدَّة للعدو. وقوله: ويَنْفون من قاتلوا بالذَّفَر. أي: بريحهم وأنفاسهم ينفون مَن قاتَلوا، وهذا إفراطٌ في وصفهم بالكثرة، قال البرقي: أراد ينفون مَن قاتلوا بذَفَر آباطِهم، أي

---

(١) هو: الفراء.

سَعالِيَ مثلُ عديدِ الترا ... ب تَيْبَسُ منهم رِطابُ الشجر

وقال عمرو بن مَعْدي كَرِب الزُّبَيْدي في شيء كان بينه وبين قَيس بن مَكْشُوح المُراديّ، فبلغه أنه يتوعده، فقال يذكر حِمْير وعِزّها، وما زال من مُلْكها عنها:

أتُوعِدني كأنَّك ذو رُعَيْنٍ ... بأفضلِ عِيشةٍ، أو ذو نُواس

وكائنْ كان قبلك من نعيم ... ومُلْكٍ ثابتٍ في الناس رَاسي

قديمٍ عهده من عَهْد عادٍ ... عظيمٍ قاهر الجبروت قاسي

فأمسى أهلُه بادُوا، وأمسى ... يُحوَّل من أُناسٍ في أُناس

بنتنها والذفر بالذال الْمُعْجَمة تستعمل في قوة الريح الطيبة والخبيثة. قال المؤلف - رحمه الله - فإن كان أراد هذا فإنما قصده، لأن السودان أنتنُ الناس آباطًا وأعراقًا.

وقوله: سَعَاليَ: شبّههم بالسَّعَاليَ من الْجِنّ جمع سِعْلاة [أو سعلاء]. ويقال: بل هي الساحرة من الجن، وقوله: كمثل السماء أي كمثل السحابِ لاسودادِ السحابِ، وظُلْمتهِ قُبَيْل المطر.

فصل: وقوله: عَمْرو بنُ مَعْدِي كرِبَ، ومَعْدِي كرِبُ بالحِميرية: وجهُ الفَلاَّح. الْمَعْدَي هو: الْوَجْه بلُغَتِهِم، والكَرِبُ هو: الفلاَّح، وقد تقدم أبو كرب، فمعناه على هذا: أبو الفلاح. قاله ابن هشام في غير هذا الكتاب. وكذلك تقدّم كلْكي كَرِبُ، ولا أدري ما كلْكي.

وقوله: قيس بن مَكْشُوح الْمرادِي، إنما هو حليف لمرادٍ، واسم مُراد: يَحابِر بن سعد الْعَشيرة بن مَذْحِج، ونسبه في بَجِيلة، ثم في بني أَحْمَسَ وأبوه مكشوح اسمه: هُبَيْرة بن هلاَل، ويقال: عَبْد يغوث بن هُبَيْرة بن الحارث بن عَمْرو بن عامر بن علي بن أسْلَم بن أحْمَسِ بن الْغَوثِ بن أنمَار، وأنمارٌ: هو والدُ بَجيلة وخَثْعَم، وسُمّي أبوه مَكْشوحًا، لأنه ضُرب بسيف على كَشْحه[1]، ويكنَّى قيس: أبا شَدَّاد، وهو قاتل الأَسْودِ الْعَنْسِيّ الكذاب هو وذَادَوَيه وفيروز، وكان قيسٌ بطلاً بئيسًا قُتل مع عليّ - رضي الله عنه - يوم صُفّينَ، وله في ذلك اليوم مواقف لم يُسمع بمثلها عن بُهْمةٍ[2] من الْبُهَم، وكذلك له في حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يُسمع بمثلها، عن أَحَد بعد خالد بن الوليد.

---

(١) الكشح: بضم الكاف وسكون الشين: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.
(٢) البهمة: الشجاع. انظر مقاييس اللغة (١/ ٣١١).

نسب زبيد:

قال ابن هشام: زُبَيْدِ بن سَلَمة بن مازن بن مُنَبِّه بن صَعْب بن سعد العشيرة بن مَذحِج، ويقال: زُبيد بن منبّه بن صَعب بن سَعد العشيرة، ويقال زُبيد بن صعب. ومُراد: يُحَابِرُ بن مَذْحِج.

عود إلى شعر عمرو بن معدي كرب:

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عبيدة، قال:

كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى سَلْمان بن رَبيعة الباهلي، وباهلة بن يَعْصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلان. وهو إرْمِينِيَة يأمره أن يُفَضِّلَ أصحاب الخيل العِرَاب على أصحاب الخيل المَقَارف في العطاء، فعرض الخيل، فمرَّ به فرس عمرو بن مَعْدِي كَرِب، فقال له سَلمان: فرسك هذا مُقرِف، فغضب عمرو، وقال: هجين عرف هجينًا مثله، فوثب إليه قيس فتوعّده، فقال عمرو هذه الأبيات.

وعمرو بن مَعْدِي كربَ - رضي الله عنه - يكنّى: أبا ثور تُضرب الأمثال بفروسيته وبسالته، وفيه يقول الشاعر حين مات:

فقل لزُبَيْدِ بل لِمَذْحِجَ كُلِّها ... رُزيتم أبا ثَوْرٍ قريعَكم عَمْرا

وصَمصَامَتُهُ[1] المشهورةُ كانت من حديدة، وجدت عند الكعبة مدفونة في الجاهلية، فصُنِعَ منها ذو الفَقَار[2] والصَّمْصَامة، ثم تَصَيَّرَتْ إلى خالد بن سعيد بن العاصي. يقال إن عَمْرًا وهبها له ليد كانت له عليه، وذلك أن رَيْحانة أُخت عمرو التي يقول فيها عمرو:

أمِنْ ريحانةَ الداعي السَّميعُ ... يُؤَرِّقُني وأصحابي هُجُوع

كان أصابهَا خالد بنُ سعيد في سَبْي سباه، فمَنَّ عليها، وخلّى سبيلها، فشكر ذلك له عَمْرو أخوها، وفي آخر الكتاب من خبر قيس بن مَكْشوح وعمرو بن معدي كرب أكثر مما وقع هٰهنا، والشعر السيني الذي ذكره ابن إسحٰق وأوله: أتوعدني كأنك ذو رعين. ذكر المسعودي أن عَمْرًا قاله لِعُمر بْن الخطاب - رضي الله عنه - حين أراد ضربَه بالدِّرَّة في حديث ذكره، وفي الشعر زيادة لم تقع في السيرة وهو قوله:

فلا يَغْرُرْكَ مُلْكُكَ، كُلُّ مُلْكٍ ... يصير لِذلّة بعد الشماس[3]

---

(١) الصمصام: السيف الذي لا ينثني.
(٢) سيف كان في الجاهلية للعاص بن منبّه - قتل يوم بدر كافرًا فصار إلى سيد ولد آدم - ﷺ -.
(٣) الشماس: الظهور.

عَوْد إلى شق وسطيح:

قال ابن هشام: فهذا الذي عَنَى سَطِيح الكاهن بقوله: «ليهبطن أرضَكم الحبش، فليملكُن ما بين أبْيَن إلى جُرش» والذي عنى شِقّ الكاهن بقوله: «لينزلنّ أرضَكم السودانُ، فَلَيَغْلِبُنَّ على كل طَفْلَة البنان، وليملكن ما بين أبْيَن إلى نجران».

غلب أبرهة الأشرم على أمر اليمن، وقتل أرياط:

قال ابن إسحٰق: فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشيّ، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسَل أبرهةُ إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تَلقى الحبشةُ بعضها ببعض، حتى تفنيها شيئًا، فابرز إليّ، وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبَه انصرف إليه جندُه، فأرسل إليه أرياط: أنصفتَ فخرج إليه أبرهة ـ وكان رجلاً قصيرًا لحيمًا، وكان ذا دين في النصرانية ـ وخرج إليه أرياط وكان رجلاً جميلاً عظيمًا طويلاً، وفي يده حربة له، وخلْفَ أبرهة غلامٌ له، يقال لهُ: عَتْوَدَة، يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة، فضرب أبرهة يريد يافوخه، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فَشَرَمَتْ

وذكر سَلْمَان بن ربيعةَ حين هَجَّنَ فَرَسَ عَمْرو، ونسبه إلى باهلة بن أعْصُر، وكذلك هو عند أهل النسب: باهلي، ثم أحد بني قُتَيْبَة بن مَعْنٍ، وباهلةُ: أُمُّهم[1] وهي بنت صَعْب بن سعد الْعَشِيرة بن مَذْحِج، وأبوهم يَعْصُر، وهو مُنَبِّه بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان، وسُمِّي: يَعْصُرًا لقوله:

أعُـمَـيْـر إن أبـاك غَـيَّـر لـونَـه   مَرُّ اللـيـالـي واخـتـلاف الأعْـصُـر

فيقال له: أعْصُر وَيَعْصُر، وكان سَلْمانُ بن ربيعة قاضيًا لعُمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على الكوفة، ويقال: سلمان الخيل، لأنه كان يتولى النظرَ فيها، قال أبو وائل: اختلَفتُ إلى سلمان بن ربيعة أربعين صَبَاحًا، وهو قاضٍ، فما وجدت عنده أحدًا يختصم إليه، واستشهد سلمان بإرْمِينِيَةَ سنة تسْعٍ وعشرين.

وذكر خبر عَتْوَدَةَ غلام أبرهة، وقد فرغنا من حديثه فيما مضى، وما زاد فيه الطبري وغيره، وأن العتودة: الشدةُ في الحرب.

وذكر أن أرياطًا علا بالحربة أبرهة، فأخطأ يافوخَه. واليأفوخُ: وسط الرأس. ويقال له

---

(١) وفي الاشتقاق لابن دريد (٧١): أنها حاضنتهم.

حاجبَه وأنفه وعينه وشفته، فبذلك سُمِّي: أبرهة الأشرم، وحمل عَتْوَدَة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، وَوَدَى أبرهةُ أرياط.

موقف النجاشي من أبرهة:

فلما بلغ النجاشيَّ غَضِبَ غضبًا شديدًا وقال: عدا على أميري، فقتله بغير أمري، ثم حلف: لا يدع أبرهةَ حتى يطأ بلادَه، ويجزَّ ناصيته، فحلق أبرهة رأسه، وملأ جِرابًا من تراب اليمن، ثم بعث إلى النجاشيّ، ثم كتب إليه:

«أيها الملك، إنما كان أرياط عبدَك، وأنا عبدُك، فاختلفنا في أمرك، وكُلٌّ طاعتُه لك، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة، وأضبَطَ لها، وأسْوسَ منه، وقد حلقتُ رأسي كلَّه حين بلغني قَسَمُ الملك، وبعثتُ إليه بجراب تراب من أرضي؛ ليضعه تحت قدميه، فيبرَّ قسمه فِيَّ».

فلما انتهى ذلك إلى النجاشيّ رضي عنه، وكتب إليه: أن اثبُت بأرض اليمن حتى يأتيَك أمري، فأقام أبْرَهة باليمن.

أمر الفيل، وقصة النسأة
كنيسة أبرهة

ثم إن أبرهة بَنَى القُلَّيس بصنعاء، فبنى كنيسةً لم يُرَ مثلُها في زمانها بشيء من

من الطفل: غَاذِية بالذال، فإذا اشتد وصَلُب سُمِّي: يأفوخًا بالهمز على وزن يَفْعُول، وجمعه: يآفيخ قال الْعَجَّاجُ:

ضَـرِبٌ إذا صـاب الـيـآفـيـخَ حَـفَـر

وقوله: شَرَمَ أنفَه وشفته أي: شقّهما[1].

خبر القُلَّيس مع الفيل، وذكر بنيان أبرهَةَ للقليس

وهي الكنيسة التي أراد أن يصرف إليها حجَّ العرب، وسُمِّيت هذه الكنيسة: القُلَّيس لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس، ويقال: تَقَلْنَس الرجل وتقلَّس

---

(١) شرم: الشين والراء والميم أصلٌ واحد لا يُخلف وهو يدل على خرق في الشيء ومَزق. انظر مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥).

الأرض، ثم كتب إلى النجاشِيِّ: إني قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسةً لم يُبْنَ مثلُها لملك كان قبلك، ولستُ بِمُنْتَهٍ حتى أصرف إليها حَجّ العرب، فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي، غضب رجل من النَّسأة، أحد بني فُقَيم بن عديّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

إذا لبس الْقَلَنْسُوة، وقَلَسَ طعامًا أي: ارتفع من معدته إلى فيه، وكان أبرهة قد استذلّ أهلَ اليمن في بنيان هذه الكنيسة، وجشّمهم فيها أنواعًا من السُّخْر، وكان ينقل إليها العدَدَ من الرُّخَامِ الْمُجَزَّع، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بِلْقِيس صاحبة سليمانَ ـ عليه السلام ـ وكان في موضع هذه الكنيسة على فراسخَ، وكان فيه بقايا من آثار مُلكها، فاستعان بذلك على ما أراده في هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها، ونصب فيها صلبانًا من الذهب والفضة، ومنابر من العاج والآبَنُس، وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يُشرِف منها على عَدن، وكان حُكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطَع يده، فنام رجل منهم ذات يوم، حتى طلعت الشمس، فجاءت معه أُمُّه، وهي امرأة عجوز، فتضرّعت إليه تستشفع لابنها، فأبى إلا أن يقطع يده، فقالت: اضْرِب بمِغْوَلِك اليوم، فاليومُ لك، وغدًا لغيرك، فقال: وَيْحَكِ ما قلت!؟ فقالت: نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك، فكذلك يصير منك إلى غيرك، فأخذته موعظتُها، وأعفى الناس من العمل فيها بعد. فلما هلك ومُزِّقت الحبشة كل مُمزَّق، وأقفر ما حول هذه الكنيسة، فلم يعمّرها أحد، وكثرت حولها السِّباع والحيّات، وكان كل مَن أراد أن يأخذ شيئًا منها أصابته الجنّ[1]، فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصّع بالذهب والآلات المفضّضة التي تساوي قناطير من المال، لا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئًا إلى زمن أبي العباس، فذُكر له أمرُها، وما يتهيَّب من جِنّها وحَيّاتها، فلم يَرُعه ذلك. وبعث إليها بابن الربيع عامله على اليمن معه أهلُ الحزم والْجَلادة[2]، فخرّبها، وحصلوا منها مالاً كثيرًا ببيع ما أمكن بيعُه من رُخامها وآلاتها، فعفا بعد ذلك رسمُها، وانقطع خبرها، ودرست آثارُها، وكان الذي يصيبهم من الجنّ ينسبونه إلى كُعَيْبٍ وامرأته صنمين كانت الكنيسة عليهما، فلما كُسِر كُعَيْبٌ وامرأتُه أُصيب الذي كسرة بجُذام فافتتن بذلك رَعَاع اليمن وَطَغامهم[3]، وقالوا: أصابه كعيب، وذكر أبو الوليد الأزرقي أن كُعَيْبًا كان من خشب طوله: ستون ذِراعًا[4].

---

(١) أسطورة في حاجة إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

(٢) الجلادة: يعني الشدة والقوة.

(٣) الطغام: أوغاد الناس وأرذالهم.

(٤) أسطورة وخرافة مردودة. وانظر قصة بناء الكنيسة في تاريخ الطبري (١/ ٤٤٠) والكامل لابن الأثير (١/ ٣٤٢) والمنتظم لابن الجوزي (١/ ٣٩٧) والبداية لابن كثير (٢/ ١٥٨).

النَّســـيء

والنَّسأَة: الذين كانوا ينسَؤون الشهور على العرب في الجاهلية، فيحلُّون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرّمون مكانه الشهر من أشهر الحلّ، ويؤخّرون ذلك الشَّهر، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عامًا ويُحرِّمُونَهُ عامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ﴾ [التوبة: ٣٧].

قال ابن هشام: ليواطئوا: ليوافقوا، والمواطأة: الموافقة، تقول العرب: واطأتك على هذا الأمر، أي وافقتك عليه، والإيطاء في الشعر: الموافقة، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد، وجنس واحد، نحو قول العجّاج ـ واسم العجّاج: عبد الله بن رؤبة أحد بَني سَعْد بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار:

في أُثْعُبانِ الْمَنْجَنُونِ المرسَل

ثـم قـال:

مدّ الخليج في الخليج المرسل

«وهذان البيتان في أُرجوزة له»:

قال ابن إسحٰق: وكان أوّل مَن نسأ الشهور على العرب، فأحلَّت منها ما أحلّ، وحرّمت منها ما حرم: القَلَمّس، وهو حُذَيْفَةَ بن عَبْدِ بن فُقَيْم بن عديّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيْمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبّاد بن حذيفة، ثم قام بعد عبّاد: قَلَع بن عباد، ثم قام بعد قَلَع أمية بن قَلَع، ثم قام بعد أمية:

النســيء والنســأة

وذكر النَّسَأَة وَالنَّسِيء من الأشهر. فأما النَّسْأة فأولهم: الْقَلَمَّسُ، واسمه: حُذَيْفَة بن عبد بن فُقَيم، وقيل له: الْقَلَمَّس لجوده، إذ الْقَلَمَّسُ من أسماء البحْر[1]، وأنشد قاسم بن ثابت:

إلى نَضَدٍ[2] من عَبْدِ شَمْسٍ، كأنهم ... هِضابُ أجَا[3] أركانُهُ لم تَقَصَّفِ
قلامِسة ساسُوا الامُور فأُحكمت ... سياستها حتى أقَرَّتْ لِمُرْدِفِ

---

(١) القلمس: السيد. وهذا مما زِيدت فيه اللام، وهو من القَمْس والقاموس وهو معظم الماء شُبّه بقاموس البحر. مقاييس اللغة (١١٦/٥).
(٢) النضد: الشرف.
(٣) أجا: أحد جبلي طيىء.

عَوف بن أُمية، ثم قام بعد عوف أبو ثُمامة: جُنادة بن عوف. وكان آخرَهم، وعليه قام

وذكر أبو علي القالي في الأمالي أن الذي نَسَأ الشُّهورَ منهم: نُعَيم بن ثَعلَبَة، وليس هذا بمعروفٍ[1]، وأما نَسؤُهم للشهر، فكان على ضربين: أحدهما: ما ذكر ابن إسحٰق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شَنِّ الغارات، وطلب الثارات، والثاني: تأخيرهم الحج عن وقته تَحَرّيًا منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخّرونه في كل عام أحدَ عشر يومًا، أو أكثر قليلاً، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنةً، فيعود إلى وقته، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع: «إن الزمانَ قد استدار كهيئتِهِ يوم خَلَقَ الله السمٰواتِ والأرض»[2] وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحجُّ إلى وقته، ولم يحجّ رسول الله ـ ﷺ ـ من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة، وذلك لإخراج الكفار الحجَّ عن وقته، ولطوافهم بالبيت عُراة ـ والله أعلم ـ إذ كانت مكة بحكمهم، حتى فتحها الله على نبيّه ـ ﷺ ـ قال شيخنا أبو بكر: نرى أن قول الله سبحانه: ﴿يَسأَلُونك عن الأَهِلَّةِ قل هي مواقيتُ للناس والحج﴾ [البقرة: ٣٨٩].! وخصّ الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالأوقات، تأكيدًا لاعتباره بالأهلّة دون حساب الأعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا في الحج من الاعتبار بالشهور العجمية، والله أعلم.

وذكر ابن هشام قول الْعَجَّاج:

في أُثْعُبَانِ الْمَنجَنونِ[3] الْمُرْسَلِ. الأُثْعُبَان: ما يندفع من الماء من شُعَبه. والْمَنْجَنون: أداة السَّانية، والميم في المنجنون أصلية في قول سيبويه، وكذلك النون، لأنه يقال فيه: مَنْجَنين مثل عَرْطَلِيل[4] وقد ذكر سيبوية أيضًا في موضع آخر من كتابه أن النونَ زائدة إلا أن بعضَ رواة الكتاب قال فيه: مَنْحنَون بالحاء، فعلى هذا لم يتناقض كلامُه ـ رحمه الله ـ وفي أداة السانية: الدُّولابُ بضم الدال وفتحها، والشَّهْرَقُ، وهو الذي يُلقى عليه حبل الأقداس، واحدها: قدس، والعامّة تقول: قادوس، والعَصامير: عيدان السَّانِية قاله أبو حنيفة: وقال صاحب العين: الْعُضْمورُ: عود السَّانية. وقوله: مَدَّ الخليج. الخليج: الجبل، والخليج أيضًا: خليج الماء. وذكر اسمَ العجّاج ولم يَكْنِهِ، وكُنيتهُ: أبو الشَّعْثَاءِ، وسُمّي العجّاج بقوله: حتى يَعِجَّ عندها مَن عجَجا.

---

(١) انظر الأمالي (١/ ٤) وقول السهيلي هنا: مردود.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٦/ ٨٣) ومسلم في القسامة (٢٩) وأبو داود (١٩٤٧ ـ بتحقيقي).

(٣) المنجنون: الدولاب يستقّي عليه.

(٤) العرطليل: الضخم. والعرطويل: الحسن الشباب والقدّ.

الإسلام، وكانت العرب إذا فرغت من حجّها اجتمعت إليه، فحرّم الأشهر الحرم الأربعة: رجبًا، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرّم. فإذا أراد أن يُحلّ شيئًا أحلَّ المحرّم فأحلُّوه

وقال عمير بن قيس: كرامُ الناس أنَّ لهم كِرَامًا. أي آباءً كرامًا، وأخلاقًا كرامًا. وقوله: وأيّ الناس لم نُعْلِك لجامًا. أي: لم نَقْدَعُهم، ونكفهم كما يُقْدَع الفرس باللجام. تقول: أعْلَكْت الفرسَ لجامَه: إذا رددته عن تَنَزُّعِه، فمضغ اللجام كالْعِلْك من نشاطه، فهو مقْدوع قال الشاعر:

وإذا احْـتَـبَـى قَـرَبُـوسَـه بـعِـنَـانـه[1] عَلَكَ[2] اللِّجام إلى انصراف الزائر

وكان عمَير هذا من أطول الناس، وهو مَذْكور في مقبلي الظعن، وسُمّي جِذْل الطِّعان لِثباته في الحرب، كأنه جذْلُ شجرة واقف، وقيل؛ لأنه كان يُسْتَشْفى برأيه، ويُستراح إليه، كما تَسْتَريح البهيمةُ الجَرْباء إلى الجَذِل تَحْتَكُّ به ونحو منه قول الحُباب [ابن المنذر]: أنا جُذَيْلُها الْمُحَكَّكُ، وعُذَيْقُها المُرَجَّب وقول الأعرابي يصف ابنه: إنه لِجَذْلُ حِكَاكٍ[3] ومِدْرَه[4] لِكَاكٍ. واللّكاكُ: الزّحام.

فصل: وذكر جُنادة بن عَوْف من النسأة، وعليه قام الإسلام، ولم يذكر هل أسلم أم لا، وقد وجدت له خبرًا يدلّ على إسلامه حضر الحج في زمن عمر، فرأى الناس يزدحمون على الحج، فنادى: أيها الناس إني قد أجَرْته منكم، فخفقه عمر بالدِّرَّة، وقال: ويْحَك: إن الله قد أبطل أمرَ الجاهلية. وذكر البرقي عن ابن الكلبي، قال: فنسأ قَلَعُ بن عَبَّاد سبعَ سنين، ونسأ بعده أُميةُ بن قَلَع إحدى وعشرين سنة، ثم نسأ من بعده جُنادة، وهو أبو أمامة وهو الْقَلَمَّسُ أربعين سنة.

الأشهر الحُرُم:

وقول ابن هشام: أول الأشهر الحُرُم: المحرَّم قول، وقد قيل: أَوّلُها ذو القعدة، لأن رسول الله - ﷺ - بدأ به حين ذكر الأشهرَ الحُرُم، ومَن قال: المحرَّمُ أولها، احتجّ بأنه أول السنة، وفقه هذا الخِلاَف أن مَن نذر صيام الأشهر الحُرُم، فيقال له على الأول: ابدأ بالمحرم، ثم برجب ثم بذي القعدة، وذي الحجة، وعلى القول الآخر يقال له: ابدأ بذي الْقعْدة حتى يكون آخر صِيامك في رجب من العام الثاني.

---

(١) احتبى قربوسه بعنانه: أي لبسه واشتمله. والقربوس: حنو السرج.
(٢) العلك: ما يمضغ.
(٣) الجذل الحكاك: عود يُنصَب للجري لتحتكّ به.
(٤) المدره: بكسر الميم وفتح الراء: السيد الشريف.

وحرّم مكانه صفر فحرّموه؛ ليواطئوا عدّة الأربعة الأشهر الْحُرُم. فإذا أرادوا الصَّدَر، قام فيهم فقال: «اللّهمّ إني قد أحللت لك أحد الصَّفَرين، الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل». فقال في ذلك عُمَيْر بن قَيْس «جِذْلُ الطِّعان» أحدُ بني فِراس بن غَنْم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، يفخر بالنسأة على العرب:

لقد علمتْ مَعَدٌّ أنّ قَوْمي ... كرامُ النَّاسِ أنَّ لهم كِرَاما
فأيّ النّاس فاتونا بوِتْرٍ ... وأيّ الناس لم نُعْلِك لجاما
ألسنا الناسئين على مَعَدٍّ ... شهورَ الحِلّ نجعلها حرَاما

قال ابن هشام: أوّل الأشهر الحُرُم: المحرّم.

القعود على المقابر:

وقوله: خرج الكناني حتى قعد في القُلَّيْس أي: أحدث فيها، وفيه شاهدٌ لقول مالك، وغيره من الفقهاء في تفسير القعود على المقابر المنهي عنه، وأن ذلك للمذاهب[1]، كما قال مالك، والله أعلم.

أنساب:

وذكر قول نُفَيْلِ الْخثْعَمِيّ: وهاتان يداي لك على شَهْران وناهس، وهما قبيلا خَثْعَم، أما خثعم: فاسم جَبَل سُمّي به بنو عِفْرِس[2] بن خُلْف بن أفْتَل بن أنمار؛ لأنهم نزلوا عنده، وقيل: إنهم تَخَثْعَموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم، أي: تلطخوا، وقيل: بل خَثْعَم ثلاث: شَهْرَانُ وناهس وأكْلُب غير أن أكْلب عند أهل النسب هو: ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا في خَثْعم، وانتسبوا إليهم فالله أعلم. قال رجل من خثعم:

ما أكْلُبٌ منا، ولا نحن منهمُ ... وما خَثْعَمٌ يومَ الْفَخار وأكْلُبُ
قبيلةُ سوءٍ من ربيعةَ أصلُها ... فليس لها عمٌّ لَدَينا، ولا أبُ

فأجابه الأَكْلُبِيُّ فقال:

إني من القومِ الذين نَسَبْتَني ... إليهم كريمُ الْجدّ والعمّ والأبِ
فلو كنتَ ذا علم بهم ما نَفَيْتني ... إليهم ترى أني بذلك أُثْلَبُ
فإن لا يَكُنْ عَمّاي خُلْفًا وناهِسًا ... فإني امْرُؤٌ عَمَّايَ: بَكْرٌ وَتَغلبُ
أبونا الذي لم تُرْكَبُ الخيلُ قبله ... ولم يَدْرِ مَرْءٌ قبلَه كيف يَرْكَبُ

---

(١) المذاهب: المتوضىء.

(٢) العفرس: القهر والغلبة.

سبب حملة أبرهة على الكعبة:

قال ابن إسحٰق: فخرج الكِنانيّ حتى أتى القُلَّيس فقعد فيها ـ قال ابن هشام: يعني أحدث فيها ـ قال ابن إسحٰق: ثم خرج فَلَحِقَ بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة فقال: مَن صنع هذا؟ فقِيل له: صنع هذا رجلٌ من العرَب من أهل هذا البيت الذي تحجّ العرب إليه بمكة لمَّا سمع قولك: «أصرف إليها حجّ العرب» غضب فجاء، فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل. فغضب عند ذلك أبرهة وحلف: ليسيرنّ إلى البيت حتى يهدمَه، ثم أمرَ الحبشة فتهيَّأَت وتجهَّزت، ثم سار وخَرج معه بالفيل، وسمعتْ بذلك العربُ، فأعظموه وَفظِعوا به، ورأوا جهاده حقًّا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هَدْمَ الكعبة، بيت الله الحرام.

يريد أنه من ربيعةَ، وربيعةُ كان يقال له: ربيعة الْفَرَس.

وأما ثَقيفٌ وما ذُكر من اختلافِ النسابين فيهم، فبعضُهم ينسبهم إلى إياد، وبعضهم ينسبهم إلى قيس، وقد نسبوا إلى ثَمُودَ أيضًا. وقد رُوِيَ في ذلك حديثٌ عنه ـ عليه السلام ـ رواه مَعْمَرُ بن راشد في جامعه، وكذلك أيضًا رُوِيَ في الجامع أن أبا رِغال من ثمودَ، وأنه كان بالحرمِ حين أصاب قومه الصيحةُ، فلما خرجَ من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومَه، فدُفنَ هناك، ودُفِنَ معه غصنَان من ذهب، وذُكِرَ أن رسول الله ـ ﷺ ـ مرّ بالقبر، وأمَر باستخراج الغصنين منه، فاستخرجا[1]. وقال جرير أو غيره:

إذا مـات الْـفَـرَزْدَقُ فـارْجُـمُـوه ... كَـرَجْـمِـكُـم لِـقَـبْـرِ أبـي رِغَـالِ

ووقع في هذه النسخة في نسب ثقيف الأولِ: ابنُ إياد بن معَد. وفي الحاشية أن القاضي أبا الوليد غيَّره، فجعل مكان ابنِ مَعَد: مِنْ مَعَدٍّ، وذلك ـ والله أعلم ـ لأن إياد هذا هو: ابنُ نزارٍ، وليس بابن مَعَدٍّ لصُلْبه، ولمعدٍّ ابنٌ اسمُه: إياد، وهو: ابْنُه لِصُلْبِه، وقد ذكره ابن إسحٰق، وقد قدّمنا ذكره مع بني معدّ في أول الكتاب، وهو عمّ إياد، والإيادُ في اللغة: التراب الذي يُضَم إلى الخباءِ ليقيَه من السَّيْل ونحوه، وهو مأخوذ من الأيْد، وهي القوة، لأن فيه قوةً للخِباء، وهو بين النُّؤْيِ والخباء، والنُّؤْيُ يشتقّ من النَّائي، لأنه حَفِير ينأى به المطر، أي: يبعد عن الخباء.

وأنشد لأُمَيَّة بن أبي الصَّلْت، واسم أبي الصَّلِت: ربيعَة بن وَهْب في قول الزبير:

قـومـي إيـادٌ لـو أنـهـم أَمَـمٌ ... أَوْلـو أقـامـوا، فـتُـهْـزَلَ الـنَّـعَـمُ

---

(١) لا يظهر عليه نور النبوّة. انظر البداية (٢/١٥٩).

ذو نفر ونفيل يحاولان حماية البيت:

فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له: ذو نَفْر، فدعا قومَه، ومَنْ أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهادِه عن بيت الله الحرام، وما يريد من هَدْمه وإخرابه، فأجابه إلى ذلك مَن أجابه، ثم عرَض له فقاتله، فهُزم ذو نَفْر وأصحابُه، وأُخذ له ذو نَفر، فأُتِيَ به أسيرًا، فلما أراد قتله، قال له ذو نَفر: أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرًا لك من قتلي، فتركه من القتل، وحبسه عنده في وَثاق، وكان أبرهة رجلاً حليمًا.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض له نُفَيْل بن حَبيب الْخَثْعَمِيّ في قَبيلَيْ خَثْعَم: شَهران وناهس، ومَنْ تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخذ له نُفَيْلٌ أسيرًا، فأُتي به فلما همّ بقتله قال له نُفَيل: أيها الملك، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلَيْ خثعم: شَهْران وناهس بالسمع والطاعة، فخلّى سبيلَه.

بين ثقيف وأبرهة:

وخرج به معه يدلّه، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سَعْد بن عَوْف بن ثَقِيف في رجال ثَقِيف.

واسم ثقيف: قَسِيُّ بن النَّبِيت بن منبِّه بن منصور بن يَقْدُم بن أفصى بن دُعْمِيّ بن إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان.

قال أُمية بن أبي الصَّلْت الثقفيّ:

قــومــي إيــادٌ لــو أنــهــم أمَــمُ ... أو: لــو أقــامــوا فــتُــهــزَلَ الــنَّــعَــمُ

قــومٌ لــهــم ســاحــة الــعــراق إذا ... ســاروا جــمــيــعًــا والــقِــطُّ والــقَــلــم

يريد: أي: لو أقاموا بالحجاز، وإن هُزِلت نَعَمُهم؛ لأنهم انتقلوا عنها، لأنها ضاقت عن مسارحهم، فصاروا إلى ريف العراقِ؛ ولذلك قال: والْقِطُّ والقلم، والقِطُّ: ما قُطَّ[١] من الْكَاغَد[٢] والرَّق[٣] ونحوه، وذلك أن الكتابةَ كانت في تلك البلاد التي ساروا إليها، وقد قيل لقُرَيش: مِمَّن تعلمتم الْقِط؟ فقالوا: تعلّمناه من أهل الحيرة، وتعلّمه أَهلُ الحيرة من أهل

---

(١) ما قُطَّ: أي ما قطع. (٢) الكاغد: القرطاس.

(٣) الرق: جلد رقيق يُكتب فيه.

وقال أُميَّة بن أبي الصَّلت أيضًا:

فإمَّا تَسألي عنّي - لُبَيْنَى - وعن نَسبي - أُخَبِّرْك اليَقينا
فإنَّا للنَّبيت أبي قَسِيٍّ لِمَنصور بن يَقْدُمَ الأقْدَمينا

قال ابن هشام: ثقيف: قَسِيُّ بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوازن بن مَنْصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان، والبيتان الأوّلان والآخران في قصيدتين لأُميَّة.

قال ابن إسحٰق: فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عَبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتُنا هذا البيتَ الذي تريد - يعنون اللات - إنما يريد البيتَ الذي بمكة، ونحن نبعث معك مَنْ يدلُّك عليه، فتَجاوزَ عنهم.

واللات: بيت لهم بالطائف كانوا يعظِّمُونه نحوَ تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة النحويّ لِضِرارِ بن الخطّاب الفِهْريّ:

وفَرّت ثَقيفٌ إلى لاتِها بِمُنْقَلبِ الخائب الخاسر

وهذا البيت في أبيات له.

قصة أبي رغال وقبره المرجوم:

قال ابن إسحٰق: فبعثوا معه أبا رِغال يدلُّه على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله الْمُغَمّس، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذي يَرْجُم الناسُ بالْمُغَمّسِ.

الأنبار، ونصب قوله: فَتُهزَلَ النَّعَمُ بالفاء على جواب التمنّي المضمَّن في لو، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لنا كَرَّةً فنكونَ من المؤمنين﴾ [الشعراء: ١٠٢] وأما تسمية قَسِيٍّ بثقيف، فسيأتي سبب ذلك في غَزْوَةِ الطائف - إن شاء الله تعالى.

المغمس:

وقوله: فلما نزل أبرهةُ الْمُغَمّس هكذا أَلْفَيْتُه في نسخةِ الشيخ أبي بحر المقيدة على أبي الوليد القاضي بفتح الميم الآخِرة من الْمغَمّس. وذكر البكري في كتاب المعجم عن ابن دريد وعن غيره من أئمة اللغة أنّه الْمُغَمِّس. بكسر الميم الآخرة، وأنه أصحّ ما قيل فيه، وذكر أيضًا أنه يُروى بالفتح، فعلى رواية الكسر هو: مُغَمِّس مُفَعِّل من غَمَّسْتُ، كأنه اشتق من الْغَمِيس وهو الْغَميرُ، وهو النبات الأخضر الذي يَنبت في الخريف تحت اليابس، يقال:

عدوان الأسود على مكة:

فلما نزل أبرهة المُغَمَّس، بعث رجلاً من الحبشة يقال له: الأسْوَد بن مقصود على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموالَ تِهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مِئَتيْ بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبيرُ قريش وسيِّدُها، فهمَّت قريش وكنانة وهُذَيل، ومَنْ كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقةَ لهم به، فتركوا ذلك.

رسول أبرهة إلى عبد المطلب:

وبعث أبرهة حُناطَة الحميريّ إلى مكة، وقال له: سَلْ عن سيِّد أهل هذا البلدِ وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آتِ لحربكم، إنما جئت لِهَدْمِ هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإنْ هو لم يُرِدْ حَرْبي، فأْتِني به، فلما دخل حُناطةُ مكةَ، سأل عن سيِّد قريش وشريفها، فقيل له: عبدُ المطلب بن هاشم فجاءه، فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربَه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ـ أو كما قال ـ فإن يَمْنَعْهُ منه، فهو بيتهُ وحرمه، وإن يُخَلِّ بينه وبينه، فوالله ما عندنا دَفْعٌ عنه؛ فقال له حُنَاطَةُ: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتِيَه بك.

الشافعون عند أبرهة لعبد المطلب:

فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعضَ بَنِيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نَفْر، وكان له صديقًا، حتى دخل عليه وهو في مَحْبِسِهِ، فقال له: يا ذا نَفْر هل عندك من

غَمَّس المكانُ وغَمَّر إذا نبت فيه ذلك، كما يقال؛ صَوَّحَ، وشَجَّر[1]، وأما على رواية الفتح، فكأنه من غَمَسْتَ الشيءَ، إذا غطَّيْتَه، وذلك أنه مكان مَستور إمَّا بهضابٍ وإما بِعَضاه[2]، وإنما قلنا هذا؛ لأن رسول الله ـ ﷺ ـ إذ كان بمكة، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى الْمُغَمَّسِ، وهو على ثلث فَرْسَخ منها، كذلك رواه علي بن السَّكن في كتاب السُّنن له، وفي السُّنن لأبي داود أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا أراد البراز أبْعَد[3]، ولم يُبَيِّن مقدارَ البعد، وهو مُبَيَّن في حديث ابن السكن ـ كما قدّمنا ـ ولم يكن رسول الله ـ ﷺ ـ ليأتي مكانًا لِلْمَذْهَبِ إلا وهو مَسْتُورٌ منخفض، فاستقام المعنى فيه على الروايتين جميعًا.

---

(١) صوح النبات: يبس حتى تشقّق. وشجر: أي صار شجرًا. انظر مقاييس اللغة (٣/٣١٩).
(٢) العضاة: كل شجر له شوك.
(٣) «صحيح». أخرجه أبو داود (٢) بتحقيقي. وابن ماجة (٣٣٦) والحاكم (٤/ ١٤٠).

غَنَاءٍ[1] فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نَفْر: وما غَنَاء رجل أسير بيدَيْ مَلِك ينتظر أن يقتله غُدُوًّا أو عشيًّا؟! ما عندنا غَنَاءٌ فِي شيء مما نزل بك إلا أن أُنَيسًا سائس الفيل صديق لي، وسأُرسل إليه فأُوصيه بك، وأُعظم عليه حقَّك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلِّمه بما بدا لك. ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك، فقال: حسبي. فبعث ذو نَفْر إلى أُنَيس، فقال له: إن عبد المطلب سيِّد قريش، وصاحب عِير مكة، يُطْعِم الناس بالسَّهل، والوحوشَ في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مئتي بعير، فاستأذن له عليه، وَانْفَعْه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلَّم أنيسٌ أبرهة، فقال له: أيها الملك، هذا سيِّد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عِير مكة، وهو يُطعم الناس في السهل، والوحوشَ في رؤوس الجبال، فأْذن له عليك، فيكلِّمك في حاجته، قال: فأذن له أبرهة.

عبد المطلب وأبرهة

قال: وكان عبد الْمُطَّلِبِ أوسمَ الناس وأجملَهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أَجَلَّه وأعظمه وأكرمه عن أن يُجلسه تحته، وكره أن تراه الحَبشةُ يجلس معه على سرير مُلكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لِتَرْجَمَانِه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك التُّرجُمَان، فقال: حاجتي أن يردَّ عليَّ الملكُ مئتي بَعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لِتَرْجُمَانه: قل له: قد كنتَ أعجبتَنِي

وسـامة عبد المطلب

وقوله في صفة عبد المطلب: أوسمُ الناس وأجمله. ذكر سيبويه هذا الكلام مَحْكِيًا عن العربِ، ووجههُ عندهم أنه محمول على المعنى، فكأنك قلت: أحسن رجل وأجملهُ، فأفرد الاسمَ الْمُضْمَرَ التفاتًا إلى هذا المعنى، وهو عندي مَحْمُولٌ على الْجِنسِ، كأنه حين ذكر الناسَ قال: هو أجمل هذا الجنس من الْخَلْقِ، وإنما عَدلنا عن ذلك التقدير الأول، لأن في الحديث الصحيح: «خيرُ نساءٍ رَكبْنَ الإبلَ صوالحُ نساءِ قُرَيْشٍ: أَحْنَاهُ على وَلَدِهِ في صِغَرِه، وأرْعاه على زَوْجٍ في ذات يده»[2]، ولا يستقيم هٰهُنا حملُه على الإفراد، لأن المفردَ هٰهُنا امرأة، فلو نظر إلى واحد النساءِ لقال: أحناها على وَلَدِهِ، فإذًا التقدير: أحنى هذا الجنس الذي هو النساء، وهذا الصنف، ونحو هذا.

---

(١) من غَنَاء: أي ما يُغني.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٧/ ٨٥) ومسلم في الفضائل (٢٠٠/ ٢٠١) وأحمد (٢/ ٢٦٩).

حين رأيتُك، ثم قد زَهِدْت فيك حين كلَّمتني، أتكلِّمني في مئتي بعير أصبتُها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلمني فيه؟!! قال له عبد المطلب: إني أنا ربّ[1] الإبل، وإنَّ للبيت ربًّا سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع منّي، قال: أنت وذاك.

وكان ـ فيما يزعم بعض أهل العلم ـ قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة، حين بعث إليه حُناطَة، يَعْمُرُ بْن نُفاثة بن عديّ بن الدُّئل بن بكر بن مناة بن كنانة ـ وهو يومئذ سيد بني بكر ـ وخويلدُ بن واثلة الهذلي ـ وهو يومئذ سيِّد هذيل ـ فعرضوا على أبرهة ثُلثَ أموال تِهَامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم. والله أعلم، أكان ذلك، أم لا، فردّ أبرهة على عبد المطلب الإبلَ التي أصاب له.

عبد المطلب يستغيث بالله:

فلما انصرفوا عنه، انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبرَ، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرّز في شَعَف الجبال والشِّعاب: تخوّفا عليهم من مَعَرَّة الجيش،

وذكر قول عبد المطلب:

لا هُمَّ إنِ المرءَ يمـ ... ـنع رَحْله فامنع حِلالَك

العرب تحذف الألِف واللام من اللَّهُمَّ، وتكتفي بما بقي، وكذلك تقول: لاهِ أبوكَ تريد: لله أبوك، وقد تقدم. قول مَن قال في لِهَنَّك [أو: لَهِنّك]، وأن المعنى: والله إنك، وهذا لكثرة دَوْر هذا الاسم على الألْسنة، وقد قالوا فيما هو دونه في الاستعمال: أجِنَّك تفعل كذا وكذا. أي من أجل أنك تفعل كذا وكذا والْحِلال في هذا البيت: القوم الْحُلُولُ في المكان، والحلال مَرْكب من مراكب النساء. قال الشاعر:

بغير حِلالٍ غادرته مُجَخْفَلِ

والحِلال أيضًا: متاعُ البيت، وجائز أن يستعيره هٰهُنا، وفي الرجز بيت ثالث لم يقع في الأصل وهو قوله:

وانْصُرْ على آلِ الصليـبِ ... وعابديه اليوم آلَك

وفيه حجة على النَّحاس والزبيدي حيث زعما، ومَن قال بقولهما أنه لا يقال اللَّهمَّ صَلِّ على محمد وعلى آله، لأن الْمُضْمَرَ يردّ المعتل إلى أصله، وأصله: أهلٌ فلا يُقال إلا: وعلى أهْلِه، وبهذه المسألة ختم النَّحاس كتابه الكافي. وقولهُما خطأ من وجوهٍ، وغيرُ معروف في

---

(١) ربّ الإبل: أي صاحبها.

ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحَلْقَة باب الكعبة، وقام معه نَفَر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلْقة باب الكعبة:

لا هُـمَّ إنَّ الـعَـبْـدَ يـمْــ ... ـنع رَحْـلَـه فـامـنـع حَـلالَـك

لا يَـغْـلِـبَـنَّ صَـلِـيـبُـهُـمْ ... وَمِـحـالُـهـمْ غَـدْوًا مـحَـالَـك

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له منها[1].

شاعر يدعو على الأسود:

قال ابن إسحٰق: وقال عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصيّ:

لا هُـمَّ أخْـزِ الأسْـودَ بـن مَـقْـصـود ... الآخـذَ الـهَـجْـمَـةِ فـيـهـا الـتـقـلـيـد

بـيـنَ حِـرَاءَ وثَـبِـيـرٍ فـالْـبِـيـد ... يَـحْـبِـسـهـا وهـي أُولاَتُ الـتَّـطـريـد

فَـضَـمَّـهـا إلـى طَـمَـاطِـمٍ سُـوذْ ... أخْـفِـرْه يـا ربّ وأنـت مَـحْـمـود

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له منها، والطماطم: الأعلاج.

قال ابن إسحٰق: ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة باب الكعبة، وانطلق هو ومَن معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ بمكة إذا دخلها.

قياسٍ ولا سماع، وما وجدنا قطّ مضمَرًا يردّ معتلاً إلى أصله إلا قولهم: أعْطَيْتُكُموه بردّ الواو، وليس هو من هذا الباب في وِزدٍ ولا صَدَرٍ، ولا نقول أيضًا: إن آلاً أصلُه: أهلٌ، ولا هو في معناه، ولا نقول: إن أُهَيْلاً تصغيرُ آلٍ، كما ظن بعضُهم، ولِتوجيه الحِجاج عليهم موضعٌ غير هذا، وفي الكامل من قول الكتابي لمعاوية حين ذكر عبد الملك من آلك، وليس منك.

وقول عكرمة بن عامر: الآخذُ الْهَجْمَةَ فيها التقليد[2]: الْهَجْمَة: هي ما بين التسعين إلى المائة، والمائةُ منها: هُنَيْدَة، والمائتان: هِنْد، وقال بعضهم: والثلاثمائة أُمَامة، وأنشدوا:

تَـبَـيَّـنْ رُوَيْـدًا مـا أُمَـامَـةُ مـنْ هِـنْـدِ

وكأن اشتقاقَ الهَجْمَة من الْهَجِيمَةِ، وهو: الثَّخين من اللّبَنِ، لأنه لما كَثُر لبنُها لكثرتها، لم يُمْزَجْ بماءٍ، وشُرب صِرْفًا ثَخينًا، ويقال للقدح الذي يُحلب فيه إذا كان كبيرًا: هَجْم.

---

(١) انظر البداية (٢/١٥٩) والكامل (١/٣٤٢). (٢) التقليد: أي القلائد.

أبرهة والفيل والكعبة

فلما أصبح أبرهة تهيَّأ لدخول مكة، وهيَّأ فيلَه، وَعبَّى جيشه ـ وكان اسم الفيل محمودا ـ وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجَّهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفَيل بن حَبِيب حتى قام إلى جَنْب الفيل، ثم أخذ بأذنه، فقال: ابرُكْ محمود، أو ارجع راشدًا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسلَ أُذنه. فبركَ الفيل، وخرج نُفيل بن حَبيب يشتد حتى أصْعد في الجبل، وضربوا الفيلَ ليقوم فأبَى، فضربوا في رأسه بالطَّبَرْزين؛ ليقوم فأبى، فأدخلوا مَحاجن لهم في مَرَاقِّه فَبَزَغُوه بها ليقوم فأبى، فوجّهوه راجعًا إلى اليمن فقام يهرول، ووجّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى المَشْرق ففَعَل مثل ذلك، ووجَّهوه إلى مكة فبرك، فأرسل الله تعالى عليهم طيرًا من البحر أمثالَ الخَطاطيف والبَلَسان، مع كلّ طائرٍ منها ثَلاثَةُ أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الْحِمَّص والعَدَس، لا تُصيب منهم أحدًا إلا هلك، وليس كلُّهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريقَ الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفيل بن حَبيب، ليدلَّهم على الطريقِ إلى اليمن، فقال نُفَيْلٌ حين رأى ما أنزل الله بهم من نقْمته:

أيـنَ الْـمَـفَـرُّ وَالإلـٰهُ الـطَّـالِـبُ ... والأشرمُ المَغْلوبُ ليس الغالبُ

قال ابن هشام: قوله: «ليس الغالب» عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: وقال نفيل أيضًا:

ألا حُـيِّـيـتِ عـنَّـا يـا رُدَيْـنـا ... نَـعِـمْـنـاكـم مع الإصباح عينا

رُدَيْـنَـةُ لَـو رأيـتِ ـ ولا تـرَيْـه ... لـذي جَـنْـب الـمُـحَـصَّب ما رأينا

إذًا لـعـذرْتِـنـي وحـمِـدتِ أمـري ... ولـم تـأسَـىْ عـلـى مـا فـاتَ بَـيْـنـا

حَـمِـدتُ الله إذ أبـصـرتُ طـيـرًا ... وخِـفْـتُ حِـجـارةً تُـلْـقَـى عـلـيـنـا

وَكُـلُّ الـقـوم يـسـأل عـن نُـفَـيـل ... كـأنَّ عـلـيَّ لـلـحِـبْـشـان دَيْـنـا

في حديث الفيل

وقوله: أَخْفِرْهُ يا ربّ. أي انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه، يقال: أَخْفَرْت الرجل، إذا نقضت عهدَه، وخَفَرْتُه أخْفِرُه: إذا أجَرْتُه، فينبغي أن لا يضبط هذا إلا بقطع الهمزة وفتحِها، لئلا يصيرَ الدعاءُ عليه دعاءً له.

وقولُه: إلى طَمَاطِم سود. يعني: الْعُلُوج. ويقال لكل أعجمي: طُمْطُمَانيّ وطِمْطِم ويُذكَر عن الأخفش: طَمْطَم بفتح الطاء.

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلِكون بكل مَهْلِك على كل مَنْهَل، وأُصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أُنْمُلة أُنْمُلة: كلما سقطت أَنْمُلَة، أتبعتها منه مدّة تَمثُّ قَيْحًا ودَما، حتى قَدِموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدرُه عن قلبه، فيما يزعمون.

قال ابن إسحٰق: حدّثني يعقوب بن عُتْبة أنه حُدّث: أن أول ما رؤيت الحَصْبة والجُدَرِيّ بأرضِ العرب ذلك العامَ، وأنه أول ما رُؤِيَ بها مَرائر الشجر: الْحَرْمَل والْحَنْظَل والعُشَر ذلك العامَ.

قصة الفيل في القرآن:

قال ابن إسحٰق: فلما بعث الله تعالى محمدًا - ﷺ - كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما ردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَل كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرمِيهِمْ بِحجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[1]. وقال: ﴿لِإيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِن خَوْفٍ﴾[2]. أي لئلا يغير شيئًا من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه، وأما السِّجِّيل، فأخبرني يونس النحويّ وأبو عُبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب، قال رُؤْبة بن العجّاج:

ومسَّهم ما مَسَّ أصحابَ الفيلْ ترميهمُ حجارٌ من سِجِّيلْ
ولعبتْ طيرٌ بهم أبابيلْ

وهذه الأبيات في أرجوزة له. ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتْهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سِنْجٌ وجِلٌ يعني بالسنج: الحجر، وبِالْجِلِّ: الطين، يعني: الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطين. والعَصْفُ: ورق الزرع الذي

وقوله: عَبّى جيشه. يقال: عَبّيْتُ الجيشَ بغير همزة، وعَبَأْتُ المتاعَ بالهمز، وقد حُكِيَ عَبَأْتُ الجيشَ بالْهَمْزِ وهو قليل.

---

(١) سورة الفيل. (٢) سورة قريش.

لم يُعْصَف، وواحدته عَصْفَة. قال: وأخبرني أبو عُبيدة النحويّ أنه يقال له: العُصافة والعَصيفة. وأنشدني لعَلْقمة بن عَبَدة أحد بني رَبيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم:

تَسقى مَذانبَ قد مالت عَصِيفتُها حَدُورُها من أتِيّ الماءِ مَطْمومُ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الراجز:

فصُيِّروا مثلَ كَعَصْف مأكول

قال ابن هشام: ولهذا البيت تفسير في النحو.

وقوله: فبرك الفيلُ. فيه نظر؛ لأن الفيلَ لا يَبْرُكُ، فيحتمل أن يكونَ بُروكُه: سقوطه إلى الأرض، لما جاءه من أمر الله سبحانه، ويحتمل أن يكون فَعَل فِعْلَ البارك الذي يَلْزم موضعه، ولا يبرح، فَعُبّر بالبروك عن ذلك، وقد سمعت مَن يقول: إن في الفِيلة صنفًا منها يَبْرُك كما يَبْرُك الجملُ، فإن صحّ وإلاّ فتأويلُه ما قدّمناه.

والأسودُ بن مقصود صاحب الفيل: هو الأسودُ بن مقصود بن الحارث بن مُنَبِّه بن مالكِ بن كعبِ بن الحارثِ بن كعب بن عَمْرو بن عِلَّةَ ويقال فيه: عُلَهْ على وزن عمر، ابن خالد بن مَذْحِج، وكان الأسود قد بعثه النجاشي مع الفيلة والجيش، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلاً، فهلكت كلُّها إلا محمودًا، وهو فيل النجاشي؛ من أجل أنه أبى من التوجّه إلى الحرم والله أعلم.

ونُفَيْلٌ الذي ذكره هو: نُفَيْلُ بن عبد الله بن جُزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جَليحَة بن أكْلُب بن ربيعة بن عِفْرِس بن جلف بن أفْتَل، وهو: خَثْعَم. كذلك نسبه البرقي. وفي الكتاب: نفيل بن حبيب، ونفيل من المسَمَّيْنَ بالنبات قاله أبو حنيفة. وقال: هو تصغير نَفَل، وهو نبت مُسْلَنْطِح[1] على الأرض.

وذكر النقّاش أن الطير كانت أنيابُها كأنياب السَّبُع وأكُفُّها كأكُفّ الكِلاب، وذكر البرقي أن ابن عباس قال: أصغرُ الحجارة كرأسِ الإنسان، وكبارُها كالإبل[2]. وهذا الذي ذكره البرقي ذكره ابن إسحٰق في رواية يونس عنه. وفي تفسير النقاش أن السَّيْل احْتَمل جثثهم،

---

(١) مسلنطح: أي منبسط.

(٢) جاء بعض أصحاب العمائم وأصحاب العالمية الأزهرية ليقول لنا إن ما وقع إنما هو داء ومرض دبّ في أصحاب الفيل ولا صحة لحديث الطير الأبابيل وما تحمله من حجارة، جاء مَن أنكر وكذب صريح القرآن، جاء مَن أنكر وجود نبي مرسل يسمى إبراهيم عليه السلام ويقول: إن تحدّث القرآن عن إبراهيم وإسماعيل فلا يكن هذا في إثبات وجودهما. وإنّا لله وإنّا إليه راجعون من رؤوس زماننا وعمدائها.

فألقاها في البحر، وكانت قصة الفيل أول الْمُحَرَّم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين.

وقوله: فضربوا رأسَه بالطَّبْرَزين هكذا تقيد في نسْخةِ الشيخ أبي بحر بسكون الباء، وذكره البكري في المعجم، وأن الأصلَ فيه طَبَرْزِين بفتح الباء، وقال: طَبَر هو الفأس وذكر طبَرَسْتَانَ بفتح الباء، وقال معناه: شَجَرٌ قُطع بفأسٍ؛ لأنها قبل أن تُبنى كانت شَجْراء فقُطِعَتْ، ولم يقل في طَبَرِيَّة مثل هذا. قال: ولكنها نسبت إلى طَبَاراء، وهو اسمُ الملكِ الذي بناها، وقد ألفيتهُ في شعرٍ قديم: طَبَرْزِين - بفتح الباء - كما قال البكري، وجائز في طَبَرْزِين - وإن كان ما ذكر أن تسكن الباء - لأن العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعُبًا لا يُقرُّها على حال. قاله ابن جنّيّ.

وقوله: فبزغوه، أي: أدْمَوْه، ومنه سُمِّيَ الْمِبْزَغُ، وفي رواية يونس عن ابن إسحٰق أن الفيلَ رَبَضَ، فجعلوا يقسمون بالله أنهم رَادُوه إلى اليمن، فحرَّك لهم أُذنيه، كأنه يأخذ عليهم عهدًا بذلك، فإذا أقسموا له، قام يُهرول، فيردُّونه إلى مكة، فَيَرْبِضُ، فيحلفون له، فيحرك لهم أُذُنيه كالمؤكِّدِ عليهم، ففعلوا ذلك مرارًا.

وقوله: أمثال الْحِمَّص والعَدَس يقال: حِمَّص، وحِمِّص، كما يقال: جِلَّق وجِلِّق قاله الزبيدي، ولم يذكر أبو حنيفة في الْحِمَّص إلا الْفَتْحَ وليس لهما نظير في الأبنية إلا الْحِلِّزة وهو القصير، وقال ابن الأنباري: الحِلِزُّ: البخيل بتشديد الزاي، وصوَّب القالي هذه الرواية في الغريب المصنف، لأن فِعَّلا بالتشديد ليس من الصفات عند سيبويه. ويعني بمماثلة الحجارة لِلْحِمَّص أنها على شكلِها - والله أعلم - لأنه قد رُوِيَ أنها كانت ضِخامًا تكسر الرؤوس، ورُوِيَ أن مخالب الطير كانت كأكُفِّ الكلاب - والله أعلم - وفي رواية يونس عن ابن إسحٰق قال: جاءتهم طيرٌ من البحر كرجالِ الهند، وفي رواية أخرى عنه أنهم اسْتَشْعَروا العذاب في ليلة ذلك اليوم؛ لأنهم نظروا إلى النجوم كالحةً إليهم، تكاد تكلمهم من اقترابها منهم، ففزعوا لذلك[1].

وقولُ نُفَيْل:

وَلَـمْ تـأسَـى عـلـى مـا فـات بَـيْـنـا

نصَب بَيْنا نَصْب المصدر المؤكِّدِ لما قبله، إذ كان في معناه، ولم يكن على لفظِه، لأن فات: معنى: فارق وبان، كأنه قال: على ما فات فَوْتًا، أو بان بينًا، ولا يصح لأن يكون

(١) روايات كثيرة تفتقر إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

....

مفعولاً من أجله يعمل فيه تأسى، لأن الأسى باطِنٌ في القلب، والبين ظاهر، ولا يجوز أن يكون المفعول من أجله إلا بعكسِ هذا. تقول: بكى أسَفًا، وخرج خَوْفًا، وانطلق حِرْصًا على كذا، ولو عكستَ الكلام كان خلفًا من القول وهذا أحد شروطِ المفعول من أجلِه، ولعلَ له موضعًا من الكتاب فنذكره فيه.

وقوله: نَعِمْناكمْ مع الإصباح عَيْنًا: دعاء، أي: نعِمنا بكم، فعدَّى الفعلَ لمّا حذف حرفَ الجرّ، وهذا كما تقول: أنعم الله بك عينًا. وقوله في أول البيت: ألا حُيِّيت عنّا يا رُدَيْنا. هو اسم امرأةٍ، كأنها سُمِّيتْ بتصغير رُدْنَة، وهي القطعة من الرُّدَن وهو الحرير. ويقال لمُقَدَّم الكُمّ: رُدْنٌ، ولكنهُ مذكَّر، وأما دُرَيْنة بتقديم الدال على الراء، فهو اسمٌ للأحمق[1] قاله الخليل.

وقوله: في خبر أبرهَة: تبعتها مدة تَمُثُّ قَيْحًا ودَمًا. ألْفَيْتهُ في نسخة الشيخ: تَمُثُّ، وتَمِثُّ بالضم والكسر. فعلى رواية الضم يكون الفعلُ متعديًا، ونصب قيحًا على المفعول، وعلى رواية الكسر يكون غير مُتَعدٍّ، ونَصَب قَيْحًا على التمييز في قول أكثرهم، وهو عندنا على الحال، وهو من باب: تصبَّب عرقًا، وتَفَقَّأ شَحْمًا، وكذلك كان يقول شيخنا أبو الحسين في مثل هذا، وقد أفصح سيبويه في لفظ الحالِ في: ذَهَبْنَ كَلاَكِلاً وصُدورًا. وأشْرَق كاهِلاً، وهذا مثلُه، ولكشْفِ القناع عن حقيقة هذا موضعٌ غير هذا وإنما قلنا: إن مَنْ رواه تمُثُّ بضم الميم، فهو مُتَعدٍّ، كأنه مضاعف، والمضاعَف إذا كان متعديًا كان في المستقبل مضمومًا نحو: رَدَّه يَرُدُّه إلاَّ ما شذّ منه، نحو عَلَّ يَعُل ويَعِلُّ، وهرَّ الكأس يهُرُّ ويهِرُّ، وإذا كان غير متعدٍّ كان مكسورًا في المستقبل نحو: خفَّ يخِف، وفرّ يفرّ إلا ستة أفعال جاءت فيها اللغتان جميعًا، وهي في أدب الكاتب وغيره، فغنينا بذلك عن ذكرها. على أنهم قد أغفلوا: هَبَّ يهُبُّ وخبَّ يَخُبُّ وأجَّ يَؤُجُّ إذا أسرع، وشك في الأمر يشُك، ومعنى تَمُثُّ قَيْحًا: أي: تسيل، يقال: فلان يَمُثُّ كما يمُثُّ الزِّقُّ[2].

وقوله: يسقط أنمَلَةً أنمَلَة[3] أي: ينتثر جسمُه، والأُنْمُلَةُ: طرف الأصبَع، ولكنْ قد يُعَبَّرَ بها عن طرف غير الأُصْبُع، والجزءُ الصغير. ففي مُسْنَد الحَارث بن أبي أُسامة عن رسول الله ـ ﷺ ـ: إن في الشجرة شجرةً هي مثل المؤمن، لا تسقط لها أُنْمُلَةٌ. ثم قال: هي النخلة، وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة.

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٠). (٢) الزق: وعاء من جلد يُصنَع للشراب.
(٣) أنملة: مفرد أنامل وهي أطراف الأصابع.

وقوله: مرائر الشجر يقال: شجرةٌ مُرَّةٌ، ثم تجمع على مرائر، كما تجمع: حُرَّة على حرائر، ولا تعرف فُعْلَة تجمع على فعائل إلا في هذين الحرفين[1]، وقياس جمعهما فُعَل نحو: دُرَّة ودُرر، ولكن الْحُرَّةَ من النساء في معنى: الكريمةِ والْعَقيلة، ونحو ذلك، فأجْرَوْها مَجْرَى ما هو في معناها من الْفَعِيلَة، وكذلك الْمُرُّ قياسه: أن يقال فيه: مرير؛ لأن المرارة في الشيء طبيعة، فقياسُ فِعْله: أن يكون فَعُل كما تقول: عَذُبَ الشيءُ وقَبُحَ. وعَسِرُ إذا صار عسيرًا، وإذا كان قياسُه فَعُل فقياسُ الصفة منه أن تكون على فَعيل، والأنثى: فَعِيلةٌ، والشيء المُرُّ عسيرٌ أكلهُ شديدٌ، فأجروا الجمع مجرى هذه الصفات التي هي على فعيل؛ لأنها طباع وخصال، وأفعالُ الطِّباع والخِصَال كلّها تجري هذا المجرى.

وذَكَر الْعُشَرَ. وهو شَجَرٌ مرٌّ يحمل ثَمَرًا كالأُتْرُجّ، وليس فيه مُنْتَفَع، ولبن الْعُشَرِ تُعالَج به الجلودُ قبل أن تجعل في الْمَنِيئَةِ، وهي: المدبغة كما تعالج بالْغَلْقة، وهي شجرة، وفي الْعُشَر: الْخُزَفعُ والْخِزفِعُ، وهو شبه القُطن ويُجنى من الْعُشَرِ: الْمغافير، واحدها: مُغْفُور، ومَغافِر، وواحدها: مِغْفَر، ويقال لها: سُكَّر الْعُشَر، ولا تكون المغافير إلا فيه، وفي الرِّمْثِ، وفي الثُّمام، والثُّمامُ: أكثرُهَا لَثًى، وفي المثل: هذا الْجَنَى لا أن يُكَدَّ الْمِغْفَرُ[2] من كتاب أبي حنيفة.

وذكر ابنُ هشام: الأَبابيلَ، وقال: لم يُسْمَع لها بواحدٍ، وقال غيره: واحدها: إبَّاله، وإبّوْل، وزاد ابن عزيز: وإبِّيل، وأنشد ابن هشام لرُؤْبَةَ:

وصُيِّرُوا مثل كَعَصْفٍ مأكول

وقال: ولهذا البيت تفسير في النحو، وتفسيره: أن الكاف تكون حرفَ جَرٍّ، وتكون اسمًا بمعنى: مثل، ويدلّك أنها حرف: وقوعها صِلَة للذي؛ لأنك تقول؛ رأيت الذي كزيد، ولو قلت: الذي مثل زيد لم يحسن، ويدلك أنها تكون اسمًا دخولُ حرف الجرّ عليها، كقوله: ورُحْنَا بكابنِ الماءِ ينفُض رأسَه. ودخول الكاف عليها، وأنشدوا: وصَالياتِ كَكَمَا يُؤَثْفَين[3] [أو يُؤثْفَيْن]. وإذا دخلت على مثلٍ، كقوله تعالى: ﴿لَيْس كمثلِه شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فهي إذًا حرف؛ إذْ لا يستقيم أنْ يقال: مثلُ مثلِه، وكذلك هي حرف في

---

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين (٦٣/ ٦٤) والبغوي في شرح السُّنّة (١/ ٣٠٧) وأحمد في مسنده (٢/ ١٢). بلفظ: «لا يسقط ورقها، لا يتحاتّ ورقها».

(٢) المغفر: صمغ حلو يسيل من شجر العرنج أو العرفط.

(٣) جزء من قصيدة لخطام بن نصر بن عياض بن يربوع. هو: المجاشعي.

وإيلاف قريش: إيلافهم الخروج إلى الشام في تجارتهم، وكانت لهم خَرْجتان: خَرْجة في الشتاء، وخَرْجة في الصيف. أخبرني أبو زيد الأنصاريّ: أن العرب تقول: أَلِفت الشيء إلْفًا، وآلفته إيلافًا، في معنى واحد، وأنشدني لذي الرُّمّة:

من المُؤلِفات الرملَ أدماءُ حُرةٍ شُعاع الضحى في لونها يتوضَّحُ

بيت رُؤْبة: «مثل كَعَصْفِ» لكنها مُقحمة لتأكيد التشبيه، كما أقحموا اللام من قوله: يا بُؤْسَ للحرب، ولا يجوز أن يقحم حرفٌ من حروف الجر سوى اللام، والكاف، أما اللام؛ فلأنها تعطي بنفسها معنى الإضافة، فلم تغيّر معناها، وكذلك الكاف تعطي معنى التشبيه، فأُقحمت لتأكيد معنى المماثلة، غير أن دخول مثل عليها كما في بيت رُؤبة قبيح، ودخولُها على مثل كما في القرآن أحسن شيء؛ لأنها حرف جرّ تعمل في الاسم، والاسم لا يعمل فيها، فلا يتقدم عليها إلا أن يقحمها كما أقحمت اللام.

وأنشد شاهدًا على العَصيفة قول علقمة، وآخره:

جَدُورُها من أَتِيِّ الماء مَطْمُومُ. وهذا البيت أنشده أبو حنيفة في النبات جُدورُها: هو جمع جَذر بالجيم، وهي الحواجز التي تحبس الماء، ويقال للجذر حُباسٌ أيضًا: وفي الحديث: «أمسِكِ الماءَ حتى يَبْلُغَ الْجَذرَ، ثم أرْسِلْهُ»[1]. وقد ذكر غيره رواية الجِيم، وقال: إنما قال: جُدورها من أَتِيِّ الماء مَطْمُوم. وأفرد الخبر، لأنه رَدَّه على كُلِّ واحد من الْجَذر كما قال الآخر:

ترى جوانِبها بالشَّحم مفتوقا

أي: ترى كل جانب فيها.

فصل: ويقال للعَصيفة أيضًا: أَذَنة[2]، ولما تُحيط به الْجُدور التي تمسك الماءَ دَبْرَةَ وحِبس ومَشارة، ولمَفْتَح الماء منها: آغِيةٌ بالتخفيف والتثقيل [أو أُتِيّ].

وذكر إيلافَ قريش للرحلتين، وقال: هو مصدر أَلِفتُ الشيءَ وآلَفْتُه فجعله من الإِلْفِ للشَّيء، وفيه تفسير آخر أليق، لأن السفر قطعة من العذاب، ولا تألَفه النفس، وإنما تألف الدَّعَةَ والْكَيْنُونَةَ مع الأهْلِ. قال الهروي: هي حبالٌ، أي: عهودٌ كانت بينهم وبين ملوك العجَم، فكان هاشم يؤالف إلى مَلِكِ الشام، وكان المُطَّلِبُ يؤالف إلى كِسرى، والآخران يؤالفان أحدُهما إلى مَلِكِ مصرَ، والآخر إلى ملك الحبشة، وهما: عَبْدُ شمس ونوفَلٌ. قال:

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٣/ ١٤٥) وأبو داود (٣٦٣٧) والترمذي (١٣٦٣ـ ٣٠٢٧).

(٢) أذنة: ورق الحنة.

وهذا البيت في قصيدة له، وقال مَطْرود بن كَعْب الخزاعيّ:

الْمُنْعِمين إذا النجومُ تغيَّرت والظَّاعنين لرِحْلَة الإيلافِ

وهذا البيت في أبيات له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى. والإيلاف أيضًا: أن يكون للإنسان ألف من الإبل، أو البقر: أو الغنم، أو غير ذلك. يقال: آلف فلان إيلافًا. قال الكُميت بن زيد، أحد بني أسد بن خُزَيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار معدّ:

بِعامٍ يقول له المُؤْلِفو ن هذا الْمُعِيم لنا المُرْجِلُ

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضًا: أن يَصير القوم ألفًا، يقال آلف القوم إيلافًا. قال الكُميت بن زيد:

ومعنى يؤالِف: يعاهد ويصالح، ونحو هذا، فيكون الفعل منه أيضًا آلفَ على وزن فَاعَل، والمصدر إلافًا بغير ياء مثل: قِتالاً، ويكون الفعل منه أيضًا آلَفَ على وزن أفْعَل مثل: آمن، ويكون المصدر: إيلافًا بالياء مثل: إيمانًا، وقد قرىء لإلاف قريش بغير ياء، ولو كان مِن آلَفْتُ الشيءَ على وزن أفْعَلْت إذا ألِفته لم تكن هذه القراءةُ صحيحة، وقد قرأها ابن عامر، فدلّ هذا على صحة ما قاله الهروي، وقد حكاه عمَّن تقدّمه. وظاهرُ كلام ابن إسحٰق أن اللامَ من قوله تعالى: ﴿لإيلافِ قُرَيْش﴾ متعلقة بقوله سبحانه: ﴿فجعلهم كَعَصْفٍ مَأْكُول﴾ وقد قاله غيرُه، ومذهب الخليل وسيبويه: أنها متعلقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذا البيت﴾ أي: فليعبدوه من أجل ما فعل بهم. وقال قوم: هي لامُ التعجب، وهي متعلقة بمضمر، كأنه قال: اعْجَبْ لإيلافِ قريش، كما قال - ﷺ - في سعدِ بن مُعاذ - رضي الله عنه!! - حين دفن: «سُبْحَانَ الله لهذا العبد الصالح ضمّ في قبره، حتى فَرّج الله عنه!!»[1]. وقال في عبد حبشي مات بالمدينة: «لهذا العبد الْحَبشيّ جاء من أرضه وسمائه إلى الأرض التي خُلق منها»[2]. أي: اعْجَبُوا لهذا العبد الصالح.

وأنشد للْكُمَيْت:

بعامٍ يقول له الْمُؤْلِفُو نَ: أهذا الْمُعِيمُ لنا الْمُرْجِلُ

الْمُؤْلِفُ: صاحبُ الألْفِ من الإبلِ، كما ذكر، والْمُعِيمُ بالميم: من الْعَيْمة أي: تجعل تلك السنةُ صاحبَ الألف من الإبل يَعَامُ إلى اللبن، وتُرْجِلُه، فَيمشي راجلاً، لَعَجف الدوابّ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٢٧) والحاكم (٣/٣٠٦) وصحّحه.

(٢) أحمد في مسنده (٤/١٣٠).

وآل مُـزَيـقِـيـاءَ غـداةَ لاقَـوْا   بـنـي سَـعْـد بـنِ ضَـبَّـةَ مُـؤلِـفـيـنـا

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضًا: أن تؤلِّف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه، يقال: آلفته إياه إيلافًا. والإيلاف أيضًا: أن تصيِّر ما دون الألف ألفًا، يقال: آلفته إيلافًا.

مصير الفيل وسائسه:

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارَة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «لقد رأيتُ قائدَ الفيل وسائسَه بمكة أعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْن يستطعمان الناس»[1].

ما قيل في صفة الفيل من الشعر

قال ابن إسحٰق: فلما ردّ الله الحبشةَ عن مكّة، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة، أعظمت العربُ قريشًا، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مؤونةَ عدوِّهم، فقالوا في ذلك أشعارًا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة، وما ردّ عن قريشٍ من كيدهم.

فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَي بن عَدِيّ بن قَيْس بن عَدِيّ بن سُعَيْدِ بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر:

تَـنَـكَّـلـوا عـن بَـطْـن مـكّـة، إنـهـا   كـانـت قَـدِيـمًـا لا يُـرَامُ حَـريـمُـهـا

وهُزالها.

وذكر قول ابن الزِّبَعْرَي: تَنَكَّلوا عن بَطْن مكة. البيت، ونسبه إلى عديّ بن سُعَيْد بن سَهْم، وكرر هذا النسبَ في كتابه مرارًا وهو خطأ، والصواب: سَعْد بن سهم، وإنما سُعَيْدٌ: أخو سَعْد، وهو في نسب عَمْرو بن العاص بن وائل.. وقد أنشد في الكتاب ما يدلّ على خلاف قوله: وهو قول الْمُبْرِق، وهو عبدُ الله بن الحارث بن عَديٍّ بن سَعْد:

فـإن تَـكُ كـانـت فـي عَـدِيٍّ أمـانـةٌ   عَدِي بنِ سَعْدِ في الْخطوب الأوائل

فقال: عدي بن سعد، ولم يقل: سُعَيْد، وكذلك ذكره الواقدي والزُّبَيْريُّون وغيرهم.

حول الشعر الذي قيل في الفيل

وقوله: تَنَكلوا عن بطن مكة إنها. وهذا خَرْم في الكامل، وقد وجد في غير هذا البيت

---

(١) أخرجه البزار ورجاله ثقات، قاله الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٨٥).

لم تخلق الشِّعري لياليَ حُرِّمتْ | إذْ لا عَزيزَ مِنَ الأنامِ يرومُها
سائِلْ أمير الجَيش عنها ما رَأى | ولَسَوْفَ يُنْبِي الجاهلين عليمُها
ستُّونَ ألفًا لم يئوبوا أرْضَهم | ولم يَعِشْ بعد الإياب سَقيمها
كانت بها عادٌ، وجُرْهُم قبلَهم | والله مِنْ فوق العباد يُقِيمها

قال ابن إسحٰق: يعني ابنُ الزبعري بقوله:

بعد الإياب سقيمها

أبرهة، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصنعاء.

وقال أبو قَيْس بن الأسْلَت الأنصاريّ ثم الْخَطْمِيُّ، واسمه: صَيْفِيّ. قال ابن هشام: أبو قيس: صَيْفِيُّ بن الأسلت بن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عامرة بن مرّة بن مالك بن الأوس:

ومن صُنْعه يوم فِيل الحبُو | شِ إذْ كُلَّما بعثوه رَزَمْ
مَحاجِنُهم تحتَ أقْرَابِهِ | وقد شَرَّموا أنفَه فانخرم
وقد جَعَلوا سَوْطَهُ مِغْولاً | إذا يَمَّمُوه قَفاه كُلِم
فولّى وأدْبَرَ أدْرَاجَهُ | وقد باء بالظُّلم مَنْ كان ثَمْ
فأرسلَ مَنْ فَوْقهم حاصِبًا | فلَفَّهم مثل لفّ القُزُم
تَحُضّ على الصَّبر أحبارُهم | وقد ثَأجُوا كثُؤاج الغَنَم

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

والقصيدة أيضًا تُرْوَى لأُمية بن أبي الصَّلْت.

قال ابن إسحٰق: وقال أبو قَيْس بن الأسْلت:

فَقُوموا فَصَلُّوا ربَّكم، وتمَسَّحُوا | بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعِنْدكم منهُ بَلاءٌ مُصَدَّق | غداة أبي يَكْسومَ هادِي الكتائب
كتيبتُه بالسهل تُمْسي، وَرَجْلُه | على القاذفات في رؤُوس المناقب
فلما أتاكم نَصْرُ ذي العرش رَدَّهم | جنودُ المليك بين ساف وحاصب
فولَّوْا سراعًا هاربين ولم يَؤُب | إلى أهله مِلْحِبْشِ غيرُ عصائب

....

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريّ قولَه:

على القاذفات في رؤوس المناقب

وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس، سأذكرها في موضعها إن شاء الله. وقوله: «غداة أبي يَكْسوم»: يعني: أبرهة، كان يكنى أبا يكسوم.

قال ابن إسحٰق: وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ	وجيش أبي يَكْسوم إذ مَلَؤُوا الشِّعْبا
فلولا دفاعُ الله لا شَيْءَ غيرُهُ	لأصبحتُم لا تمْنعونَ لكم سِرْبا

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بَدْر، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحٰق: وقال أبو الصَّلت بن أبي ربيعة الثَّقفي في شأن الفيل، ويذكر الحنيفيَّة دين إبراهيم عليه السلام. قال ابن هشام: تُروى لأُمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثَّقفيّ:

إنَّ آياتِ ربِّنا ثاقِباتٌ	لا يُماري فِيهنَّ إلا الكَفُورُ
خُلِقَ اللَّيل والنَّهار فكُلٌّ	مُستبينٌ حِسابُه مَقْدور
ثم يَجلو النَّهارَ رَبٌّ رحيم	بِمَهَاةٍ شُعَاعُها مَنْشُورُ
حُبِس الفيلُ بالْمُغَمَّسِ، حتى	ظلّ يحبو كأنه مَعْقُورُ
لازمًا حَلْقة الْجِرَان كما قُطِّـ	ـر من صخر كَبْكَبٍ مَحْدور
حوله من ملوك كِنْدة أبطا	لٌ ملاويثُ في الحُروب صُقُورُ
خلَّفوه ثم ابْذَعَرُّوا جميعًا	كلُّهم عَظْمُ ساقه مَكسورُ
كلُّ دين يومَ القيامة عند اللَّـ	ـه إلا دينَ الحنيفة بُور

قال ابن هشام: وقال الفرزدق ـ واسمه هَمّام بن غالب أحد بني مُجاشع بن دَارِم بن مالك بن حَنظلة بن مالك بن زَيْد مَناة بن تميم ـ يمدح سليمان بن عبد الملك بن مَرْوان، ويهجو الحجَّاج بن يوسف، ويذكر الفيل وجيشَه:

فلمَّا طغى الحَجَّاج حين طغى به	غِنًى قال: إني مُرْتقٍ في السَّلالمِ
فكان كما قال ابنُ نوحٍ: سأرتقي	إلى جبل من خَشْيَةِ الماءِ عاصمِ

....

رَمى اللَّهُ في جُثمانه مثلَ ما رَمى ... عن القِبْلة البيضاء ذاتِ الْمَحَارِمِ
جُنودًا تسوق الفِيلَ حتى أعادهم ... هَباءً، وكانوا مُطْرَخِمِّي الطَّراخِم
نُصِرْتَ كنصر البيت إذ ساق فيلَه ... إليه عظيمُ المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن قيس الرُّقَيَّاتُ. أحدُ بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهة ـ وهو الأشرم ـ والفيل:

كاده الأشرمُ الذي جاء بالفيـ ... ـل فولى وجَيْشُهُ مَهْزومُ
واستهلَّت عليهمُ الطيرُ بالجَـ ... ـندل حتى كأنَّه مَرْجومُ
ذاك من يَغْزُهُ من الناس يَرْجِعْ. ... وهوَ فَلٌّ من ٱلجيوش ذَميمُ

وهذه الأبيات في قصيدة له.

ولدا أبرهة:

قال ابن إسحٰق: فلما هلك أبرهة، مَلَكَ الحَبشة ابنهُ يَكْسُومُ بن أبرهة، وبه كان يُكْنَى، فلما هلك يَكْسوم بن أبرهة، مَلَكَ اليمنَ في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة.

في أشعار هذا الكتاب الْخَرمُ في الكامِلِ، ولا يبعد أن يدخل الْخَرْمُ في مُتَفَاعل، فيحذف من السبب حَرْفٌ، كما حُذف من الْوَتَدِ في الطويل حرف، وإذا وجد حذف السبب الثقيل كُلّه، فأحرَى أن يجوز حذفُ حرف منه، وذلك في قول ابن مُفَرِّغ:

هَامَةٌ[1] تدعو صَدَى ... بين الْمُشَقَّرِ[2] واليمامة[3]

وهو من الْمُرَفَّل، والمرفلُ من الكامل. ألا ترى أن قبله:

وشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتني ... من بعد بُرْدٍ كنت هَامَة

فالمحذوفُ من الطويل إذا خُرم حَرْف من وتَد مجموع، والمحذوف من الكامل إذا خرم: حرف من سَبَب ثقيل، بعده سَبَبٌ خفيف، ولما كان الإضمارُ فيه كثيرًا، وهو إسكان التاء من مُتَفاعِلن، فمن ثمَّ قال أبو علي: لا يجوز فيه الْخَرْمُ، لأن ذلك يؤول إلى الابتداء بساكن، وهذا الكلام لِمَنْ تدبَّره بارد غثٌّ؛ لأن الكلمة التي يدخلها الْخَرْمُ لم يكن قَطُّ فيها إضمار نحو: تَنَكَّلوا عن بطن مكةَ، والتي يدخلها الإضمار، لا يُتَصَوَّرُ فيها الْخَرْمُ نحو: لا

---

(١) الهامة: من طير الليل وهو الصدى. (٢) المشقر: حصن بين البحرين ونجران.
(٣) اليمامة: بلد بنجد.

....

يَبْعَدَنْ قومي، ونحو قوله: «لم تُخْلَق الشِّعرى ليالي حُرِّمت» فتعليلُه في هذا الشعر إذًا لا يفيد شيئًا، وما أبعد العربَ من الالتفات إلى هذه الأغراض التي يستعملها بعضُ النحاة، وهي أوهى من نسج الْخَزَرْنَقِ[1].

وقـوله:

لـم تُـخْـلَـقِ الشِّـعْـرى لـيـالِـيَ حُـرِّمـت

إن كان ابن الزِّبَعْرَي قال هذا في الإسلام فهو مُنتَزَعٌ من قول النبي ـ ﷺ ـ: «إن الله حَرَّم مكةَ، ولم يحرمها الناس»[2]. ومن قوله في حديث آخر: «إن الله حَرَّمها يوم خَلَق السمٰواتِ والأرض»[3]، والتربة خُلِقت قبل خلق الكواكب، وإن كان ابن الزِّبَعْري، قال هذا في الجاهلية، فإنما أخذه ـ والله أعلم ـ من الكتاب الذي وجدوه في الحجر بالخط الْمُسْنَد حين بَنَوا الكعبة، وفيه: أنا اللَّهُ رَبُّ مكَّة خلقتُها يوم خَلَقْتُ السمٰوات والأرضَ. الحديث.

وقوله: «ولم يَعِشْ بعد الإيابِ سقيمُها» هكذا في النسخة المقيدة على أبي الوليد المقابلة بالأصْلين اللذيْن كانا عنده، وقابلها أبو بَحْرٍ ـ رحمه الله ـ بهما مرتين، وحَسِبَ بعضُهم أنه كَسْرٌ في البيت، فزاد من قِبَل نفسه، فقال: بل لم يعش. فأفسد المعنى، وإنما هو خَزْمٌ في أول القسم من عَجُز البيت كما كان في الصَّدْر من أول بيت منها.

وقول قيس بن الأسلتِ: مثل لفّ الْقُزُم. الْقُزُم: صِغار الْغَنَم. ويقال: رُذَال المال، ورَزَم: ثبت ولزِم موضِعه، وأرزَم من الرَّزيم، وهو صوتٌ ليس بالقوي، وكذلك صَوْتُ الفيل ضئيلٌ على عِظَم خِلْقَتِه، ويَفْرَق من الْهِرّ وينفِرُ منه، وقد اختيلَ على الْفِيَلَةِ في بعض الحروب مع الهند. أُحضِرتْ لها الهِرَّة، فذُعِرت ووَلَّت، وكان سببًا لهزيمة القوم. ذكره المسعودي، ونَسَبَ هذه الحيلة إلى هٰرون بن موسى حين غزا بلادَ الهند، وأولُ مَنْ ذلّل الفيلةَ ـ فيما قال الطبري ـ أفريدون بن أثفيان، ومعنى أثفيان: صاحب البقر، وهو أول مَن نَتَجَ البغالَ، واتخذ للخيل السروج والوُكُفَ[4] ـ فيما ذكروا ـ وأما أول مَن سخَّر الخيلَ وركبها «فطمهورث» وهو الثالث من ملوك الأرضِ ـ فيما زعموا ـ وثُؤاجُ الغنم: صوتُها، ووقع في النسخة: ثَجُوا، وعليه مكتوبٌ: الصوابُ: ثأجُوا كثُؤاج الغنم.

---

(١) الخزرنق: العنكبوت.

(٢) «صحيح». أخرجه أحمد (٦/ ٢٨٥) والترمذي (١٤٠٦).

(٣) «صحيح». أخرجه البخاري (٥/ ١٩٤) وابن ماجة (٣٠٠٩) وأحمد (٤/ ٣٢).

(٤) الوكف: جمع وكاف بردعة الحمار.

....

وقول ابن الأسْلت: فقوموا، فصَلُّوا رَبَّكم وتَمَسَّحُوا. سيأتي شرحُ هذه الأبيات في القصيدة حيث يذكرها ابن إسحٰق بكمالها ـ إن شاء الله.

وذكر قول طالب بن أبي طالب: «فأصبحتُم لا تمنعون لكم سَرْبًا» ويُروى سِرْبًا بالكسر، والسَّرْب بالفتح: المالُ الراعي[1]، والسِّرب بالكسر: القطيعُ من الْبَقَر والظِّباء، ومن النساءِ أيضًا. قال الشاعر:

فـلـم تَـرَعَـيْـنـي مـثـلَ سِـرْبٍ رأيـتُـه ... خَرَجْنَ عَلَيْنَا من زُقَاق ابن واقف

وطالبُ بن أبي طالبٍ كان أسنَّ من عَقيلٍ بعشرة أعوام، وكان عَقِيلٌ أَسَنَّ من جعفر بعشرة أعوام، وجعفر أَسَنَّ من عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ بمثل ذلك، وذكروا أن طالبًا اختطفته الجنّ، فذهب، ولم يذكر أنه أسْلَم[2].

وذكر شعرَ أبي الصَّلْت، واسمه: ربيعةُ بن وَهْبِ بن عِلاج. وفيه حبس الفيل بالْمُغَمِّسِ وأن كسر الميم الآخرة أشهرُ فيه. وفيه: بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا منشور. والْمَهَاةُ: الشمسُ، سُمِّيت بذلك لصفائها، والْمَهَامِنَ الأجسام: الصافي الذي يُرى باطنُه من ظاهِره. والمهاة: الْبِلَّوْرةُ، والمهاةُ: الظَّبْيَة. ومن أسماءِ الشمس: الْغَزَالَةُ إذا ارتفعت، فهذا في معنى الْمهاةِ. ومن أسمائها: الْبُتَيْرَاءُ. سُئِل عليُّ بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ عن وقت صلاة الضحى، فقال: حتى ترتفع الْبُتَيْرَاءُ. ذكره الهروي والخطابي، ومن أسمائها: حَنَاذِ، وبَراحِ، والضِّح، وذُكاء، والجارية والبيضاء، وبُوحُ، ويقال: يوحُ بالياء، وهو قول الفارسي، وبالباء ذكره ابن الأنباري، والشَّرْقُ والسِّراج.

وقوله: «حَلْقَه الْجِران» الْجِرانُ: العُنُقُ يريد: ألقى بجرانه إلى الأرض، وهذا يقوّي أنه برك كما تقدم، ألا تراه يقول: كما قُطِّر[3] من صَخْرِ كَبْكَبٍ، وهو: جَبَلٌ. مَحدورٌ أي: حَجَرٌ حَدَرَ حتى بلغ الأرض.

وقوله: ابْذَعَرُّوا: تفرقوا من ذُعْرٍ، وهي كلمة مَنْحُوتةٌ من أصلين من الْبَذْرِ والذُّعر. وقوله: إلا دين الحنيفة. يريد: بالحنيفة: الأمة الحنيفة، أي: المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف ـ ﷺ ـ وذلك: أنه حَنَف عن اليهودية والنصرانية، أي عدل عنها، فسمِّي حنيفًا، أو حَنَفَ عمّا كان يعبد آباؤه وقومُه.

(١) المال الراعي: الماشية.
(٢) تقدم التنبيه إلى خرافة خطف الجن للإنس.
(٣) قُطِّر: رمى به على جانبه.

خروج سيف بن ذي يزن وملك وهرز على اليمن

سيف وشكواه لقيصر:

فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرَجَ سيفُ بن ذي يَزَنَ الْحِمْيَرِيُّ وكان يكنى

وقوله في شعر الفَرزدق: كما قال ابن نوح. اسمه: يام، وقيل: كنعان.

وقوله: «مُطْرَخِمِّي الطَّراخِم» الْمُطْرَخِمُّ: الممتلىءُ كبرًا أو غَضَبًا. والطَّرَاخِمُ: جمع مُطْرَخِمّ على قياس الجمع، فإن الْمُطْرخِمَّ اسمٌ من ستة أحرف، فيُحذف منه في الجمع والتصغير ما فيه من الزوائد، وفيه زائدتان: الميم الأولى، والميم المدغمة في الميم الآخرة؛ لأن الحرف المضاعف حرفان، يقال في تصغير مُطْرِخُمٍّ: طُرَيْخِمٌ، وفي جمعه: طراخم، وفي مُسْبَطِرٍّ: سَبَاطِر، وذكره يعقوبُ في الألفاظ بالغين، فقال: اطْرَغَمَّ الرجلُ، ولم يذكر الْخَاءَ.

وذكر عبد الله بن قَيس الرُّقَيَّات. واختلف في تلقيبه: قيس الرُّقيَّات، فقيل: كان له ثلاث جدّات كلهنّ: رقية، فمَن قال فيه: ابن الرُّقَيَّات، فإنه نسبه إلى جَدَّاته، ومَن قال: قيس الرقيات دون ذكر ابن، فإنه نِسْبَةٌ، وقيل: بل شَبَّبَ بثلاث نِسوة كلهنّ تسمى: رقية، وقيل: بل ببيت قاله وهو: «رُقَيَّةُ ما رُقَيَّةُ ما رُقيَّةُ أيها الرجل». وقال الزبير: كان يُشبِّب بِرُقَيَّةَ بنت عبد الواحد بن أبي السَّرح من بني ضَباب بن حُجَيْرِ بن عَبْد بن مَعيص، وبابنة عمٍّ لها اسمها رقية، وهو ابن قيس بن شُرَيْح من بني حُجَيْر أيضًا، وحُجَيْرٌ أخو حُجْر بن عبد بن مَعَيص بن عامر رهط عَمْرو بن أُمِّ مَكْتُوم الأعْمى.

وقوله: «حتى كأنَّه مَرْجُومٌ» وهو قد رُجِمَ، فكيف شَبَّهه بالمرجوم وهو مَرْجُومٌ بالحجارة، وهل يجوز أن يُقالَ في مقتول: كأنه مقتول؟ فنقول: لمّا ذكر استهلال الطير، وجعَلها كالسحابِ يَسْتَهِلُّ بالمطرِ، والمطر ليس برجْم، وإنما الرجْم بالأكُف ونحوها، شبَّهه بالمرجوم الذي يرجُمه الآدميون، أو مَن يَعْقِل ويتعمّد الرجْمَ من عدُوٍّ ونحوه، فعند ذلك يكونُ المقتولُ بالحجارة مَرْجُومًا على الحقيقة، ولمّا لم يكن جيشَ الحبشةِ كذلك، وإنما أُمطِروا حجارةً فمن ثَمَّ قال: كأنه مرجوم.

سيف بن ذي يزن وكسرى

وذكر سيف بن ذي يزن وخبره مع النعمان وكسرى، وقد ذكرنا قصته في أول حديث الحبشة، وأنه مات عند كسرى، وقام ابنهُ مقامه في الطلب، وهو سَيْفُ بن ذي يَزَن بن ذي أَصْبَح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمِس بن

بأبي مُرّة، حتى قَدِمَ على قيصر ملك الرّوم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، ويَلِيَهم هو، ويبعث إليهم مَنْ شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يُشْكِه.

شفاعة النعمان لدى كسرى:

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر ـ وهو عامل كسرى على الحيرة، وما يليها من أرض العراق ـ فشكا إليه أمرَ الحبشة، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وِفادةً في كلّ عام، فأقِمْ حتى يكون ذلك، ففعل، ثم خرج معه فأدخَله على كسرى، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه، وكان تاجه مثل القَنْقَل العظيم ـ فيما يزعمون ـ يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، مُعَلَّقًا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عُنقه لا تحمل تاجَه، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يُدخِل رأسَه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كُشِفت عنه الثيابُ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك، إلا بَرَكَ هيبةً له، فلما دخل عليه سيفُ بن ذي يزن بَرَك.

كسرى يعاون ابن ذي يزن:

قال ابن هشام: حدّثني أبو عبيدة: أن سَيْفًا لما دخل عليه طأطأ رأسَه، فقال الملك: إن هذا الأحمق يدخل عليّ من هذا الباب الطويل، ثم يطأطىء رأسَه؟! فقيل ذلك لسَيْف، فقال: إنما فعلتُ هذا لهمّي، لأنه يَضِيق عنه كلُّ شيء.

قال ابن إسحٰق: ثم قال له: أيها الملك، غَلَبَتْنا على بلادنا الأغْرِبَةُ، فقال له كِسْرى: أيّ الأغربة: الحَبشة أم السِّند؟ فقال: بل الْحَبَشَة، فجئتك لتَنْصُرني، ويكون مُلْك بلادي لك، قال: بَعُدت بلادُك مع قلّة خَيْرِها، فلم أكن لأُوَرِّطَ جيشًا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وافٍ، وكساه كُسْوةً حسنة، فلما قبض ذلك منه سَيْفُ خرج، فجعل ينثر ذلك الوَرِقَ للناس، فبلغ ذلك الملكَ، فقال: إن لهذا لشأنًا، ثم بعث إليه، فقال: عَمَدت إلى حِباء الملك تَنْثُره للناس، فقال: وما أصنع بهذا؟ ما جبال أرضي التي جئتُ منها إلا ذَهَبٌ وفضّة ـ يرغبه فيها ـ

وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أيْمَنُ بن الْهَمَيْسَع بن الْعَرَنْجَح وهو: حِمْيَرُ بن سبأ، وكسرى هذا هو: أنُو شِروان بن قُبَاذ، ومعناه مُجَدِّدُ الْمُلك، لأنه جَمَع مُلكَ فارسٍ بعد شتاتٍ. والنُّعمانُ: اسمٌ منقول من النُّعمانِ الذي هو الدمُ. قاله صاحبُ العين، والْقَنْقَلُ الذي شبّه به التاج هو مِكيال عظيم. قال الراجز يصف الْكَمْأَةَ:

مـالـك لا تَـجْـرُفُـهـا بـالْـقَـنْـقَـل لا خير في الْكَمْأَةِ إنْ لـم تَـفْعـل

فجمع كسرى مَرَازِبَتَهُ، فقال لهم: ماذا تَرَوْن في أمر هذا الرجل، وما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك، إن في سُجونك رجالاً قد حبستَهم لِلْقَتْل، فلو أنك بعثتَهم معه، فإنْ يَهْلِكوا كان ذلك الذي أردتَ بهم، وإن ظَفِروا كان مُلْكًا ازددتَه، فبعث معه كسرى مَنْ كان في سجونه، وكانوا ثمانمائة رجل.

انتصار سيف وقول الشعراء فيه:

واستعمل عليهم رجلاً يقال له وَهْرِز، وكان ذا سنّ فيهم، وأفضَلهم حسبًا وبَيْتًا، فخرجوا في ثمان سفائن، فغَرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عَدَن ستُّ سفائن، فجمع سَيْف إلى وَهرِز مَن استطاع من قومه، وقال له: رِجْلي مع رِجلك حتى نموت جميعًا، أو نظفر جميعًا. قال له وهرِز: أنصفتَ، وخرج إليه مَسْروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جندَه، فأرسل إليهم وَهْرِز ابنًا له؛ ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقُتِل ابنُ وَهْرِز، فزاده ذلك حَنَقًا عليهم، فلما تواقف الناس على مَصَافِّهم، قال وَهْرَز: أرُوني مَلِكَهم، فقالوا له: أترى رجلاً على الفِيل عاقدًا تاجَه على رأسه، بين عَيْنَيْه ياقوتةٌ حمراء؟ قال: نعم، قالوا: ذاكَ مَلِكُهم، فقال: اتركوه، قال: فوقفوا طويلاً، ثم قال: عَلام هو؟ قالوا: قد تحوّل على الفَرَس، قال: اتركوه. فوقفوا طويلاً، ثم قال: عَلام هو؟ قالوا: قد تحوّل على البغلة. قال وَهْرَز: بنتُ الحمار ذلّ وذَلَّ مُلْكُه، إني سأرميه، فإن رأيتم أصحابَه لم يتحرّكوا، فاثبتُوا حتى أُوذِنَكم، فإني قد أخطأتُ الرجل، وإن رأيتمُ القومَ قد استداروا ولاثوا به، فقد أصبتُ الرجل، فاحملوا عليهم. ثم وَتَّرَ قوسَه، وكانت فيما يزعمون لا يُوَتِّرُها غيرُه من شدتها، وأمر بحاجِبَيْه، فعُصِّبا له، ثم رماه، فصَكَّ الياقوتةَ التي بين عينيه، فتغلغلت النُّشّابَةُ في رأسه حتى خرجت من قفاه،

وفي الغربيين للهروي: الْقَنْقَل: مِكيالٌ يسع ثلاثة وثلاثين مَنًا، ولم يذكر كم الْمَنَا، وأحسبه وزن رطلين، وهذا التاجُ قد أتى به عُمَر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين استلب مِنْ يَزْدَجِرْد بن شهريار، تصيَّرَ إليه من قبل جدّه أنو شروان المذكور، فلما أتى به عمر رضي الله عنه، دعا سُراقةَ بن مالك الْمُدْلجِيّ، فحلاه بأسْوِرَةِ كسرى، وجعل التاج على رأسه، وقال له: «قل: الحمد لله الذي نَزَع تاجَ كسرى، مَلِك الأمْلاكِ من رأسه، ووضعه في رأس أعرابي من بني مُدْلِجٍ، وذلك بعزّ الإسلام وبركته لا بِقُوَّتنا» وإنما خَصَّ عمر سُراقة بهذا؛ لأنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان قال له: «يا سُراقُ كيف بك إذا وُضِع تاجُ كسرى على رأسِك وإسْوارُه في يديك»[1] أو كما قال ﷺ.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ١٣١).

ونُكِس عن دابته، واستدارت الحَبَشة ولاثت به وحملت عليهم الفُرْسُ، وانهزموا، فقُتِلوا وهربوا في كل وجه، وأقبل وَهْرِز، ليدخل صنعاء، حتى إذا أتى بابها، قال: لا تدخلُ رايتي مُنَكَّسَةً أبدًا، اهدموا الباب، فَهُدِم، ثم دخلها ناصبًا رايتَه فقال سيفُ بن ذي يَزَن الحميريّ:

يظنّ النّاس بالْمَلِكَيْنِ — أنهما قد الْتأَمَا

ومَنْ يسمع بلأمهما — فإنَّ الخَطْبَ قد فَقُما

قَتَلْنا القَيْلَ مَسْرُوقًا — ورَوَّيْنا الكَثِيبَ دَمَا

وإنَّ القَيْلُ قَيلَ النَّا — سِ وَهْرِزَ مُقْسِمٌ قَسَما

يذوق مُشَعْشَعًا حتى — يُفِيءِ السَّبْيَ وَالنَّعَمَا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له. وأنشدني خلاد بن قُرَّةَ السَّدُوسي آخرَها بيتًا لأعشى بَني قيس بن ثعلبة في قصيدة له وغيرُه من أهل العلم بالشعر يُنكرها له.

وذكر قُدومَ سيفٍ مع وَهْرِز على صَنْعَاءَ في ستمائة، وقد قدَّمنا قول ابن قُتَيْبَةَ أنهم كانوا سبعة آلافٍ وخمسمائة، وانضافت إليهم قبائل من العرب.

صنعاء:

وذكر دخول وَهْرِز صنعاءَ وهدمه بابها، وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوَال.

قال ابن الكلبي: وسُمِّيت: صنعاء لقول وهرز حين دخلها: صَنْعة صنعة، يريد أنَّ الحبشة أحْكَمَتْ صنعها، قال ابن مُقْبِلٍ يذكر أوَال:

عَمَد الحُداة بها لعارضِ قريةٍ — وكأنها سُفُنٌ بِسِيف أوال

وقال جرير:

وشبهت الْحُدُوج غداة قَوٍّ — سَفين الْهِنْدِ رَوَّح من أوَالا

وقال الأخطل:

خُوصٍ، كأنَّ شَكِيمَهُنَّ مُعَلَّقٌ — بِقَنَا رُدَيْنَة، أو جُذُوع أوالِ

وقد قيل إن صنعاء اسم الذي بناها، وهو: صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ، فكانت تُعرَف تارة بأوال، وتارة بصنعاء.

قال ابن إسحٰق: وقال أبو الصّلت بن أبي ربيعة الثّقفي، قال ابن هشام: وتروى لأمية بن أبي الصَّلْت:

لِيَطْلُب الوِتْر أمثالُ ابن ذي يَزنِ	رَيَّم في البَحرِ للأعداءِ أحوالا
يمَّمَ قَيْصَرَ لمَّا حان رِحلَتُه	فلم يجد عندَه بعضَ الذي سالا
ثم انثنى نحو كِسْرى بعد عاشرةٍ	من السنينَ يُهِين النَّفْسَ والمَالا
متى أتى بِبَنِي الأحْرار يَحْمِلُهم	إنَّك عَمْري لقد أسْرَعَتْ قِلقالا
لله دَرُّهمُ من عُصْبة خَرَجوا	ما إنْ أرَى لهمُ في الناس أمثالا
بِيضًا مَرَازِبَةً، غُلْبًا أساورةً	أُسْدًا تُرَبِّبُ في الغَيْضات أشبالا
يَرمون عن شُدُفٍ كأنها غُبُطٌ	بزَمْخَرٍ يُعجل الْمَرْمِيَّ إعجالا
أرسلتَ أُسْدًا على سُوْد الكِلاب فقد	أضحى شريدُهم في الأرْض فُلاًّلا
فاشْرَبْ هنيئًا عليك التَّاجُ مُرْتَفِقًا	في رأس غُمْدان دارًا منك مِحْلالا
وَاشرَبْ هنيئًا فقد شالت نَعامتهم	وأسْبِلِ اليومَ في بُرْدَيك إسبالا
تلك المَكارِمُ لا قُعْبانِ من لبنٍ	شِيبًا بِمَاءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له مما روى ابن إسحٰق منها، إلا آخرها بيتًا قوله:

تلك المَكارم لا قَعْبانِ من لَبَن

شرح لامية ابن أبي الصلت:

وقوله في شعر أمية بن أبي الصلت: ريَّم في الْبَحر. أي: أقام فيه، ومنه الروايم، وهي الأثافي، كذلك وجدته في حاشية الشيخ التي عارضها بكتابيْ «أبي الوليد الوقشي»، وهو عندي غلط، لأن الروايم من رَأَمت إذا عطفت، وريَّمَ ليس من رَأم، وإنما هو من الرَّيْم، وهو الدَرَجُ، أو من الرَّيْم الذي هو الزيادة والفضل، أو من رام يَريم إذا برح، كأنه يريد: غاب زمانًا، وأحوالاً، ثم رجع للأعداء، وارتقى في دَرَجات المجد أحوالاً إن كان من الرَّيْم الذي هو الدَّرَج، ووجدته في غير هذا الكتاب: خَيَّم مكان رَيَّم، فهذا معناه: أقام.

وقوله: عَمْرِي. أراد: لَعَمْري وقد قال الطائي:

عَمْرِي لقد نصح الزمانُ، وإنه	لمن العجائب ناصحٌ لا يُشْفق

وقوله: أسرعت قَلْقالاً بفتح القاف وكسرها، وكقول الآخر: «وقَلْقَل يبغي العزّ كُلَّ مُقَلْقَل» وهي شدة الحركة.

فإنه للنابغة[1] الجعديّ. واسمه: [حِبَّانُ بن] عبد الله بن قيس، أحد بني جَعْدة بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هوازن، في قصيدة له.

وقوله: «يرمون عن شُدُف كأنها غبط» الشَّدَفُ: الشخْص، ويجمع على شُدُف، ولم يرد هٰهنا إلا الْقِسِيَّ، وليس شُدفٌ جمعًا لشَدَف، وإنما هو جمع شَدُوف، وهو النشيط المرح يقال: شَدِفَ، فهو شَدِفٌ، ثم تقول: شَدُوف، كما تقول مَرُوح، وقد يستعار الْمَرَح والنشاط للْقِسِيّ لحُسْن تأتِّيها وجودة رَمْيها وإصابتها، وإنما احتجنا إلى هذا التأويل، لأن فَعَلاً لا يجمع على فُعُل إلا وَثَن وَوُثُن، فإن قلت: فيجمع على فُعول مثل: أُسُود، فتقول: شدوف، ثم تجمع الجمع، فتقول: شُدُف، قلنا: الجمع الكثير لا يجمع، وإنما يجمع منه أبْنيةُ القليل. نحو: أفعال وأفعُل وأفْعِلة، وأشبه ما يقال في هذا البيت: إنه جمع على غير قياس، هذا إن كان الشُّدُفُ: الْقِسِيَّ، ويجوز أن يكون جمع شَدَفًا على شُدْف مثل: أسد وأسْد، ثم حرّك الدال، وجائز أن يكون أراد: المرِحَ من الخيل كما تقدم. وجعلها كالْغُبُط لإشراف ظهورها وعلوها.

وقوله: يرمون عن شُدف أي: يدفعون عنها بالرمي، ويكون الزَّمْخَرُ: الْقِسِيّ[2]، أو النَّبل. والْغُبُطُ: الْهَوَادجُ، والزَّمْخَرُ: الْقَصَبُ الفارسي.

وقوله: في رأس غُمدان. ذكر ابن هشام أن غُمدان أسّسه يعرب بن قحطان وأكمله بعده، واحتله وائلُ بن حمير بن سبأ، وكان ملكًا متوّجًا كأبيه وجدّه.

وقوله: شالَت نَعَامتهم، أي: هلكوا، والنعامة: باطنُ الْقَدَم، وشالت ارتفعت، ومَن هلك ارتفعت رِجلاه، وانتكس رأسه، فظهرت نَعامة قدمه، تقول العرب: تَنَعَّمْتَ إذا مشيت حافيًا، قال الشاعر:

تَنَعَّمْتُ لما جاءني سوء فعلهم ... ألا إنما البأساء للْمُتَنَعِّم

والنعامة أيضًا: الظلمة، والنعامة: الدِّعَامةُ التي تكون عليها الْبَكَرَةُ، والنعامة: الجماعة من الناس، وابن النعامة: عرق في باطن القدم.

النابغة وعدي بن زيد:

وذكر النابغة الجعدي واسمه: قيس بن عبد الله، وقيل إن اسمه: حِبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح، والْوَحْوَح في اللغة: وسط الوادي، قاله أبو عبيد وأبو حنيفة، وهو أحد

---

(١) النابغة: الرجل العظيم الشأن.

(٢) الزمخر: المزمار والنشاب والكثير الملتفّ من الشجر.

قال ابن إسحٰق: وقال عديّ بن زَيْد الحِيرِيّ، وكان أحدَ بني تميم. قال ابن هشام: ثم أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم، ويقال: عديّ من العِباد من أهل الحيرة:

ما بعدَ صَنْعاءَ كان يَعْمُرُها ... ولاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ مواهبُها
رَفَّعَها مَنْ بَنَى لدى قَزَعِ الـ ... ـمُزْن وتَنْدَى مِسْكًا مَحَارِبُها
محفوفةٌ بالجبال دون عُرَى الـ ... ـكائِد ما تُرتَقَى غَوَارِبُها
يَأْنَسُ فيها صَوْتُ النُّهام إذا ... جاوبها بالعَشِيّ قاصِبُها
ساقَتْ إليه الأسبابُ جُنْدَ بني الأَحْـ ... ـرَارِ فرسانُها مَواكبُها
وفَوَّزت بالبغال تُوسَق بالْـ ... ـحَتْف وتَسْعَى بها توالبُها
حتى رآها الأقوالُ من طَرَف الـ ... ـمَنْقَل مُخْضَرَّة كتائبُها
يومَ يُنادون آل بَرْبر والْـ ... ـيَكْسوم لا يُفْلِحَنَّ هاربها
وكان يوم باقي الحديث وزا ... لت إمَّةٌ ثابتٌ مَرَاتبها
وبُدّل الفَيْجُ بالزرافة والأيّا ... مُ جُونٌ جَمٌّ عجائبها
بعد بَني تُبَّع نَخاوِرَةٌ ... قد اطْمأنَّتْ بِها مَرَازبها

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له. وأنشدني أبو زيد الأنصاريّ ورواه لي عن الْمُفَضَّلِ الضَّبِّيّ، قوله:

يوم ينادن آل بربر والْيَكْسوم

وهذا الذي عنى سطيحٌ بقوله: «يليه إرم ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدًا منهم باليمن». والذي عنى شقّ بقوله: «غلام ليس بدَنِيّ، ولا مُدن، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَنْ».

النوابغ، وهم ثمانية ذكرهم البكري، وذكر الأعاشي وهم خمسة عشر. والنابغة شاعرٌ مُعَمّر عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها في الجاهلية، وقدومه على رسول الله - ﷺ - وإنشاده إياه، ودعاء النبي - ﷺ - ألا يَفْضّ الله فاه مشهورٌ[1]، وفي كتب الأدب والخبر مسطور، فلا معنى للإطالة به.

---

(١) «إسناده ضعيف». أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١/ ٧٤) من طريق يعلى بن الأشدق وهو ساقط. انظر القصيدة في الأغاني (٥/ ٦) وانظر أيضًا الإصابة (٦/ ٢١٨) والمطالب العالية (٤/ ٤٠٦٥).

....

وذكر شعر عديّ بن زيد العِبادِي، نُسب إلى العِباد، وهم من عبد القيس بن أفْصَى بن دُعْمِيٍّ بن جَدِيلة بن أسد بن رَبيعة، قيل: إنهم انتسلوا من أربعة: عبد المسيح، وعبد كُلال، وعبد الله، وعبد ياليل، وكذلك سائرهم في اسم كل واحد منهم: عَبْد، وكانوا قَدِموا على ملك فَتَسَمَّوْا له، فقال: أنتم العِباد فَسُمُّوا بذلك، وقد قيل غير هذا. وفي الحديث المسند: أبعد الناس عن الإسلام الرومُ والعِبادُ[1]، وأحسبهم هؤلاء؛ لأنهم تنصروا، وهم من ربيعة، ثم من بني عبد القيس، والله أعلم. والذي ذكره الطبري في نسب عديّ بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عُصَيَّة بن امرىء القيس بن زيد مَناة بن تميم. وقد دخل بنو امرىء القيس بن زيد مناة في العِباد. فلذلك ينسَب عدي إليهم.

وقوله: صَوْتُ النُّهام، يريد ذكَر اليوم، وقاصبُها: الذي يزمر في القصب.

وقوله فيها: دُون عُرى الكائد يريد: عُرى السماء وأسبابها[2]، ووقع في نسخة الشيخ: عَرى بفتح العين، وهي الناحية، وأضافها إلى الكائد، وهو الذي كادهم، والباري ـ سبحانه وتعالى ـ كيدُه متين.

وقوله: فَوَّزَت بالبغال أي: ركبت المفاوز[3].

وقوله: تُوسَق بالحتف، أي: أوسق البغالَ الحتوف، وتَوالبُها: جمع تَوْلَب، وهو ولد الحمار، والتاء في تَولبٍ بدل من واو، كما في تَوْءَم[4] وتَوْلج[5] وفي توْراة على أحد القولين، لأن اشتقاق التَّوْلب من الوالبة، وهي ما يولده الزَّرْع، وجمعها: أوَالِبَ.

وقوله: من طرف الْمَنْقَلِ أي: من أعالي حصونها، والْمِنْقَالُ: الخَرْجُ ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية، فكأن الْمَنْقَلَ من هذا، والله أعلم.

وقوله: مخضرة كتائبها. يعني من الحديد، ومنه الكتيبة الخضراء.

وقوله: ينادون آل بربر؛ لأن البربر والْحَبَشَةَ من ولد حام. وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق.

---

(١) العِبادُ: قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانية.

(٢) العرى: ما يستر الشيء عنك.

(٣) المفاوز: الصحراء. وقيل في تسميتها مفاوز من باب التفاؤل؛ لأن مَن نجا منها فقد فاز، كما سمّوا اللديغ سليمًا.

(٤) توءَم: هو المولود مع غيره.

(٥) التولج: كناس الوحش.

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن:
مدة ملك الحبشة باليمن:

قال ابن إسحٰق: فأقام وَهْرِز والفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيشِ من الفرس: الأبناءُ الذين باليمن اليوم. وكان ملك الحبشة باليمن، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروقَ بن أبرهة وأَخْرَجَتِ الحبشة، اثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة: أرياط، ثم أبرهة، ثم يَكْسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

أمراء الفرس على اليمن:

قال ابن هشام: ثم مات وَهْرِز، فأمَر كسرى ابنَه الْمَرْزُبَان بن وَهْرِز على اليمن، ثم

وقد قيل في جالوت إنه من الْخزَرِ، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بَرْبَرَةً، وهي اختلاط الأصوات، فقال: ما أكثر بَرْبَرَتَهم!. فسُمُّوا بذلك، وقيل غير هذا.

وقوله: والغرب أراد: الغرُب بضم الراء جمع: غراب، وإن كان المعروف: أغربة وغِربان، ولكن القياس لا يدفعه، وعنى بهم السودان.

وقوله: وبدل الْفَيْج بالزرافة، وهو المنفرد في مشيته، والزرافة: الجماعة وقيل في الزرافة التي هي حيوان طويل العنق: إنه اختلط فيها النسل بين الإبل الوحشية، والبقر الوحشية والنعام، وإنها متولّدة من هذه الأجناس الثلاثة. وكذلك ذكر الزبيدي وغيره، وأنكر الجاحظ هذا في كتاب الحيوان له، وقال: إنما دخل هذا الغلط عليهم من تسمية الفُرْس لها «اشتر ـ كاو ـ ماه»[1]. والفرس إنما سمُته بذلك، لأن في خِلقتها شبهًا من جَمَلٍ ونَعامة وَبقَرة، فاشْتر هو: الجمل، وكاو: النعامة، وماه: البقرة، والفُرْس تركّب الأسماءَ وتمزج الألفاظ إذا كان في المسمّى شبه من شيئين، أو أشياء، ويقال: زرافّة بتشديد الفاء حكاه أبو عبيد عن الْقَنَانِيِّ.

وقوله: بعد بني تُبَّعٍ بَجَاوِرَةٌ. هكذا في نسخة سفيان بن أبي العاص الأسدي مصحّحًا عليه، وقد كتب في الحاشية: نَخَاوَرَةٌ في الأمين، وفي الحاشية النَّخَاوِرَةُ: الكرام، وكذلك في المسموعة على ابن هشام يعني نسختي أبي الوليد الوقشي اللتين قابل بهما مرتين، ويعني بالحاشية حاشية «تينك الأمين»! وأن فيهما: نخاورة بالنون والخاء المنقوطة، وهم الكِرام كما ذكر.

---

(١) انظر كتاب الحيوان للجاحظ (٧/ ٧٦).

مات المَرْزُبان، فأمر كسرى ابْنَهُ التَّيْنُجان بن الْمَرْزُبَانِ على اليمن، ثم مات التينُجان، فأمَّر كسرى ابن التَّيْنُجَانِ على اليمن، ثم عزله وأمَّر باذانَ، فلم يزل باذانُ عليها حتى بعث الله محمدًا النبيّ - ﷺ -.

حديث يتنبأ بقتل كسرى

فبلغني عن الزُّهْريّ أنه قال:

كتب كسرى إلى باذان: أنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة، يزعم أنه نبيّ، فسِرْ إليه فاسْتَتِبْهُ، فإن تاب، وإلا فابعث إليّ برأسه، فبعث باذانُ بكتاب كسرى إلى رسول الله - ﷺ - فكتب إليه رسول الله - ﷺ -: «إن الله قد وعدني أن يُقْتَلَ كِسْرى في يوم كذا من شهر كذا» فلما أتى باذانَ الكتابُ تَوقَّف لينظر، وقال: إن كان نبيًا، فسيكون ما قال، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله - ﷺ - قال ابن هشام: قتل على يدي ابنه شِيرَوَيْهِ، وقال خالد بن حِقّ الشَّيْبَانِيُّ:

وكِسْرَى إذْ تَقَسَّمَهُ بَنُوهُ ... بأسْيافٍ كمَا اقْتُسِمَ اللَّحَامُ
تَمَخَّضَتِ المَنُونُ له بيَوْمٍ ... أنَى، ولكُلِّ حامِلَةٍ تِمَام

باذان يسلم:

قال الزهري: فلما بلغ ذلك باذانَ بعث بإسلامه، وإسلام مَن معه من الفرس إلى رسول الله - ﷺ - فقالت الرسل من الفرس لرسول الله - ﷺ -: إلى مَنْ نحن يا رسول الله؟ قال: «أنتم منَّا وإلينا أهلَ البيت»[1].

قال ابن هشام: فبلغني عن الزهري أنه قال: فَمِنْ ثَمَّ قال رسول الله - ﷺ -: «سَلْمان منَّا أهل البيت»[2].

بـاذان وكسرى

وذكر قصةَ باذان، وما كتب به إلى كسرى، وكِسرى هذا هو أَبْرَوَيْز بن هُرْمُز بن أنو شَروان، ومعنى أَبْرَوَيْز بالعربية: المظَفَّر، وهو الذي غلبَ الروم حين أنزل الله ﴿آلَم غُلِبت الرُّومُ في أدنى الأرض﴾ [أول الروم] وهو الذي عُرض على الله في المنام، فقال

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٥٥).
(٢) «إسناده ضعيف». أخرجه الحاكم (٣/ ٥٩٨) والطبراني (٦/ ٢٦١) والطبري في تاريخه (٢/ ٩٢).

....

له: سَلِّم ما في يديك إلى صاحب الْهِرَاوَةِ، فلم يزل مذعورًا من ذلك، حتى كتب إليه النعمانُ بن المنذر بظهورِ النبي - ﷺ - بتِهامة[1]؛ فعلم أن الأمر سيصير إليه، حتى كان من أمره ما كان، وهو الذي كتب إليه النبي - ﷺ - وحفيدُه: يَزْدَجِرْدُ بن شهريار بن أبْرَوَيْز، وهو آخر ملوك الفرس، وكان سَلْبُ مُلكه، وهَدْمُ سلطانه على يدي عمر بن الخطاب، ثم قتل هو في أول خلافة عثمان، وُجِد مُسْتَخْفيًا في رَحًى[2] فقُتل وطُرِح في قناة الرحى، وذلك بِمَرْو من أرض فارس.

وذكر حديث باذان ومقتلَ كسرى، وكان مقتلُ كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة، وأسلم باذان باليمن في سنة عشر، وفيها بعث رسول الله ﷺ إلى الأبناء[3] يدعوهم إلى الإسلام، فمن الأبناء: وَهْبُ بن مُنَبِّه بن سَيْج بن ذُكْبار، وطاووس وذَادَوَيْه وفيروز اللذان قتلا الأسودَ الْعَنْسِيَّ الكذاب، وقد قيل في طاووس: إنه ليس من الأبناء، وإنه من حِمْيَر، وقد قيل: من فارس، واسمه: ذَكْوانُ بن كَيْسَان وهو مولى بُجَيْر بن ريسان؛ وقد قيل: مولى الْجَعْد، وكان يقال له طاووس القُرَّاء لجماله.

وقول خالد بن حِقٍّ:

تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ له بيومِ ... أَنَى؛ ولكل حاملةٍ تِمام[4]

الْمَنُون: الْمَنِيَّةُ، وهو أيضًا من أسماء الدهر، وهو مِن مَنَنْتُ الحبلَ إذا قطعتُه، وفَعُول إذا كان بمعنى فاعِل، لم تدخل التاءُ في مؤنثه لِسرٍّ بديع ذكرناه في غير هذا الكتاب، فيقال: امرأة صَبُورٌ وَشكُورٌ، فمعنى الْمنُون: الْمَقْطُوع، وتمخضت أي: حَمَلت، والْمخَاضُ: الحمل، ووزنه: فَعالٌ، ومَخَاضَة الماء، ومخاضة [النهر] وزنه: مَفْعَل من الْخَوْض.

وقوله: أَنَى، أي: حان، وقد قلبوه، فقالوا: آن يئين، والدليل على أنَّ آن يئين مقلوب من: أَنَى يَأْنِي، قوله: آناء الليل، وواحدها: إِنًى وأَنًى وإِنْيٌ، فالنون مقدمة على الياء في كل هذا، وفي كل ما صُرِّفَ منه نحو: الإناء، والآني: الذي بلغ أناه أي: منتهى وقته في التسخين، وهذا المعنى كقولهم في المثل: الدهر حُبلى لا يدري ما تضع، إن كان أراد

---

(١) لعله يقصد مكة.
(٢) الرحى من الأرض: مكان غليظ مستدير يكون بين رمال.
(٣) الأبناء: يعني أبناء فارس الذين استوطنوا اليمن.
(٤) وشرح البيت كما في اللسان: أن المنيّة تهيّأت لأن تلد له الموت. وهو منسوب إلى عمرو بن حسان.

عود إلى شقّ وسطيح:

قال ابن هشام: فهو الذي عنى سطيح بقوله: «نبيّ زكيّ، يأتيه الوحي من قبل العَليّ». والذي عَنى شقٌّ بقوله: «بل ينقطع برسول مُرْسَل، يأتي بالحقّ والعدل، من أهل الدين والفَضْل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفَصْل».

كتاب الحجر

قال ابن إسحٰق: وكان في حَجَر باليمن ـ فيما يزعمون ـ كتاب بالزَّبُور كُتب في

بالمنون في البيت: الدهر، وإن كان أراد بالمنون: الْمَنِيَّة، فبعيد أن يقال: تمخضت المَنُونُ له بهذا اليوم الذي مات فيه، فإن موتَه: منيتُه، فكيف تتمخض الْمَنِيَّة بالمنية إلا أن يريد أسبابها، وما مُنِيَ له، أي: قُدِّرَ من وقتها، فتصحّ الاستعارة حينئذ، ويستقيم التشبيه.

وقول ابن حِقٍّ: وَكِسْرى إذ تقسمه بنوه. وإنما كان قتله على يدي ابنه شيرويه، لكن ذكر بنيه لأن بدء الشّرِّ بينه وبينهم أن فرخان رأى في النوم: أنه قاعد على سرير الملك في موضع أبيه، فبلغ أباه ذلك، فكتب إلى ابنه شهريار ـ وكان واليًا له على بعض البلاد: أنِ اقْتُلْ أخاك فرخان، فأخفى شهريار الكتابَ من أخيه، فكتب إليه مرة أخرى، فأبى من ذلك، فعزله وولّى فرخان، وأمره بقتل شهريار، فعزم على ذلك، فأراه شهريار الكتاب الذي كتب له أبوه فيه، فتواطئا عند ذلك على القيام على أبيهما، وأرسلا إلى ملك الروم يستعينان به في خبر طويل، فكان هذا بدء الشرّ، ثم إن الفرس خلعت كسرى لأحداث أحدثها، وولّت ابنه شيرويه، فكان كسرى أبْرَوَيْز ربما أشار برأي من مَحْبِسه، فقالت المَرَازِبة لشيرويه: لا يستقيم لك الملك إلا أن تقتل أباك[1]، فأرسل إليه مَن يقتله، فيقال: إنه كان يُضرَب بالسيف، فما يعمل فيه شيئًا، ففُتِّش فَوُجِدَ على عَضِده حجر معلق كالخَرَزة، فَنُزِعَ فعملت فيه السلاحُ، وكان قبل يقول لابنه: يا قصير العمر، فلم يدم أمره بعده إلا أقل من ستة أشهر ـ فيما ذكروا ـ والله أعلم[2].

ذمار وحميرَ وفارس والحبشة

وقوله: وجد بحجر باليمن: لمن مُلْكُ ذِمار؟

وحكى ابن هشام عن يونس ذَمار بفتح الذال، فَدل على أن رواية ابن إسحٰق بالكسر،

---

(١) القصة في حاجة إلى دليل «صحيح» يثبتها.
(٢) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٨٥) والكامل (١/ ٣٨١).

الزمان الأوّل: «لمَن مُلْك ذِمار[1]؟ لِحمْير الأخيار، لمَن مُلْك ذِمار؟ للحبشة الأشرار، لمَن مُلك ذِمار؟ لفارس الأحرار، لمَن مُلك ذِمار؟ لقريش التّجار».

وذِمار: اليمن أو صنعاء. قال ابن هشام: ذَمار: بالفتح، فيما أخبرني يونس.

الأعشى ونبوءة شق وسطيح:

قال ابن إسحٰق: وقال الأعشى - أعشى بَني قَيْس بن ثعلبة في وقوع ما قال سَطيح وصاحبه:

ما نَظَرَتْ ذاتُ أشفارٍ كنَظْرتها حَقًّا كما صدق الذِّئْبِيُّ إذ سَجَعا

وكانت العرب تقول لسَطيح: الذِّئْبِيّ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له.

فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف؛ لأنه اسم لمدينة والغالب عليه التأنيث، ويجوز صرفه أيضًا؛ لأنه اسم بلد، وإذا فُتحتْ الذال، فهو مبني مثل: رَقاشِ وحَذام، وبنو تميم يعربون مثل هذا البناء فيقولون: رَقاشُ [وحَذامُ] في الرفع ورَقَاش وحَذَامَ في النصب والخفض يعربونه، ولا يصرفونه، فإذا كان لام الفعل راء اتفقوا مع أهل الحجاز على البناء والكسر. وذَمارِ: من ذَمَرْتُ الرجل إذا حَرَّضْته على الحرب.

وقوله: لحمير الأخيار؛ لأنهم كانوا أهل دين، كما تقدم في حديث فيمون وابن الثامر.

وقوله: لفارس الأحرار؛ فلأن المُلْك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت في زعمهم إلى أن جاء الإسلام، لم يدينوا لملك من غيرهم، ولا أدّوا الأتاوة[2] لذي سلطان من سواهم فكانوا أحرارًا لذلك.

وأما قوله: للحبشة الأشرار فلما أحدثوا في اليمن من الْعَيْث والفساد وإخراب البلاد، حتى همّوا بهدم بيت الله الحرام، وسيهدمونه في آخر الزمان إذا رفع القرآن، وذهب من الصدور الإيمان، وهذا الكلام المسجّع ذكره المسعودي منظومًا[3].

---

(١) ذِمار: قرية باليمن. وقيل اسم لصنعاء.
(٢) الأتاوة: الخراج أو الجزية.
(٣) انظر مروج الذهب (٢/ ٨٨).

حين شِيدتْ ذِمارِ قيل: لمَن أنـ ـت فقالت: لِحِمْيَر الأخيار

ثم سِيلت: مَنْ بعد ذاك؟ فقالت: أنا لِلْحَبْشِ أخبث الأشرار

ثم قالوا مِنْ بعد ذاك: لمَن أنـ ـت؟ فقالت: لفارس الأحرار

ثم قالوا مِن بعد ذاك: لمَن أنـ ـت، فقالت: إلى قريش التُّجارِ

وهذا الكلام الذي ذكر أنه وُجِدَ مكتوبًا بالحجر هو ـ فيما زعموا ـ من كلام هود ـ عليه السلام ـ وُجد مكتوبًا في منبره، وعند قبره حين كشفت الريح العاصفة عن منبره الرمل، حتى ظهر، وذلك قبل ملك بِلْقِيس بِيسير، وكان خَطُّه بالْمُسْنَد، ويقال: إن الذي بنى ذمار هو شَمِر بن الأُملُوك، والأُملوك هو: مالك بن ذي المنار، ويقال: ذِمَارِ وظَفارِ، ومنه المثل: مَن دخل ظفار حَمَّر أي تكلم بالحِميرية.

زرقاء اليمامة

وذكر قول الأعشى:

ما نظرت ذاتُ أشفار[1] كَنَظْرتها

البيت. يريد: زَرْقاء الْيمامة، وكانت تُبصر على مسيرةِ ثلاثة أيام، وقد تقدم طرف من ذكرها في خبر جَديس وَطسْم، وقبل البيت:

قالت: أرَى رَجُلاً في كَفِّه كَتِفٌ أو يَخْصِفُ النَّعلَ لَهْفي أيَّةَ صَنَعَا

فكذّبوها بما قالت، فصبَّحهُم ذُو آلِ حَسَّان يُزجى الْمَوتَ والسَّلَعَا[2]

وكان جيشُ حَسَّان هذا قد أُمِروا أن يُخَيِّلُوا عليها بأن يُمسكَ كلُّ واحد منهم نَعْلاً كأنه يَخْصِفُها، وكَتِفًا كأنه يأكلها، وأن يَجْعلوا على أكتافهم أغصانَ الشجر، فلما أبصرتهم، قالت لقومها: قد جاءتكم الشَّجَرُ، أو قد غزَتكُمْ حِمْيَرُ، فقالوا: قد كَبِرْتِ وخَرِفْتِ، فكذبوها، فاسْتُبِيحَتْ بَيْضَتُهم[3]، وهو الذي ذكر الأَعْشَى.

---

(١) أشفار: جمع شفر: ويعني شفر الجفن الذي ينبت عليه الهدب.

(٢) السلع: شجر مرّ ينبت في اليمن. وانظر القصيدة عند الطبري في تاريخه (١/ ٤٩٧).

(٣) بيضتهم: حماهم.

قصة ملك الحضر

قال ابن هشام: وحدّثني خَلاّد بن قُرّة بن خالد السَّدُوسيّ عن جَنّاد، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب: أنه يقال: إن النعمان بن المنذر من ولد ساطِرُون ملك الْحَضْر. والْحَضر[1]: حِصْن عظيم كالمدينة، كان على شاطىء الفرات، وهو الذي ذكر عديّ بن زيد في قوله:

وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دِجْـ ـلة يُجْبَى إليه والخابُور
شاده مَرْمَرًا وجَلَّله كِلْسًا فللطير في ذُراه وُكُور
لم يَهَبْهُ رَيْبُ الْمَنُونِ فبان الْـ ـمُلْك عنه فبابُه مهجورُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

والذي ذكره أبو دُوَاد الإياديّ في قوله:

وأرى الموتَ قد تَدَلَّى من الْحَضْـ ـر على ربِّ أهله السَّاطِرُونِ

وهذا البيت في قصيدة له. ويقال: إنها لخلف الأحمر، ويقال: لحماد الراوية.

كيف استولى سابور على الحضر

وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطِرُون ملك الْحَضْرِ، فحصره سنتين، فأشرفت بنتُ ساطِرُون يومًا، فنظرت إلى سابور، وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مُكَلَّل بالزَّبَرْجَدِ والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلاً، فدسّت إليه: أتتزوّجني إن فتحتُ لك بابَ الحضر؟ فقال: نعم، فلما أمسى ساطرون شرب حتى سَكِرَ، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيحَ بابِ الْحَضْرِ من تحت رأسه، فبعثتْ بها مع مولى لها ففتح الباب، فدخل سابور، فقتل ساطِرُون، واستباح الحَضْر وخرّبه، وسار بها فتزوّجها، فبينا هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تَتَمَلْمَلُ لا تنامُ، فدعا لها بشمع، ففُتّش فراشُها، فَوُجِدَ عليه ورقَة آس، فقال لها سابور: أهذا الذي أسْهَرِكِ؟ قالت: نعم، قال: فما كان

خبر الْحَضْر والساطِرون

ذكر فيه قول مَن قال: إن النعمان من ولد الساطِرون، وهو صاحب الْحَضْر. قال المؤلف: فنذكر شرح قصة الْحَضْر وصاحبه، وما قيل في ذلك مَلَخّصًا بعون الله. الساطِرون بالسريانية: هو الْمَلِكُ، واسمُ الساطرون: الضَّيْزَن بن معاوية. قال الطبري: هو جَرْمُقَانِيّ[2]،

---

(١) الحضر: مدينة مبنية بالحجارة.

(٢) الجرامقة: قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام. وجرمق: بلدة بفارس.

أبوك يصنع بكِ؟ قالت: كان يفرش لي الديباجَ، ويُلبسني الحرير، ويُطْعمني المخ، ويَسْقيني الخمر، قال: أفكان جزاءُ أبيك ما صنعتِ به؟ أنت إليّ بذلك أسْرع، ثُم أمرَ بها، فرُبطت قُرون رأسها بذنَب فرَسٍ، ثم رَكَض الفرس، حتى قتلها، ففيه يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

ألـم تَـرَ لـلـحَـضْـر إذ أهـلـهُ ... بـنُـعْـمَـى، وهـل خـالـدٌ مَـنْ نَـعِـمْ

أقـام بـه شـاهَـبُـورُ الـجـنـو ... دِ حَـولـيـنَ تَـضْـرِبُ فـيـه الـقُـدُمْ

فـلـمَّـا دَعـا رَبَّـه دَعْـوةً ... أنـاب إلـيـه فـلـم يـنـتـقـم

وهذه الأبيات في قصيدة له.

وقال عديّ بن زيد في ذلك:

والْـحَـضْـرُ صَـابَـتْ عـلـيـه دَاهِـيـةٌ ... مـن فَـوقـه أيِّـدٌ مـنـاكـبُـهـا

رَبِـيَّـة لـم تُـوَقَّ وَالِـدَهـا ... لِـحَـيْـنِـهـا إذ أضـاع رَاقـبُـهـا

إذْ غَـبَـقَـتْـه صَـهْـبـاءَ صـافـيـةً ... والـخـمـرُ وَهْـلٌ يَـهـيـم شـاربُـهـا

فـأسـلـمـت أهْـلَـهـا بِـلَـيْـلَـتِـهـا ... تـظـنّ أن الـرئـيـسَ خـاطـبُـهـا

فكان حظُّ العَرُوس إذ جَشَر الصـ ... ـبـحُ دمـاءَ تـجـري سَـبَـائِـبُـهـا

وخُرّب الحَضْر، واستُبيح، وقد ... أُحْـرِقَ فـي خِـدْرِهـا مشاجِـبُـهـا

وهذه الأبيات في قصيدة له.

وقال ابن الكلبي: هو قُضَاعي من العرب الذين تَنَخُوا بالسَّواد، فسُمُّوا: تَنُوخ، أي: أقاموا بها، وهم قبائلُ شَتَّى، ونسبه ابنُ الكلبي، فقال: هو ابن معاوية بن عَبِيد، ووجدته بخط أبي بحر: عُبيْد بضم العين بن أجْرَم مِنْ بني سَلِيح بن حُلْوان بن الحاف بن قُضاعة، وأُمه: جَيْهَلَة، وبها كان يُعْرف، وهي أيضًا قُضاعية من بني تَزِيدَ الذين تُنْسب إليهم الثيابُ التَزِيديةُ.

وذكر قولَ أبي دُوَادٍ:

وأرى الموتَ قد تَدَلَّى من الحَضْـ ... ـر عـلـى رَبِّ أهـلِـه الـسَّـاطِـرُونِ

واسم أبي دُوَاد: جاريةُ بن حَجّاج، وقيل: حَنْظَلَةُ بن شَرْقيّ وبعد هذا البيت:

صـرعـتـه الأيـامُ مـن بـعـد مُـلْـكٍ ... ونـعـيـم وجَـوْهـرٍ مَـكْـنُـونُ[1]

---

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي (٢/٢٥٦).

....

وكان الضَّيْزَنُ من ملوك الطوائف، وكان يَقْدُمهم إذا اجتمعوا لحربِ عَدوٌ من غيرهم، وكانت الْحَضر بين دَجلَة والفُرات، وكان ملكهُ يبلغ أطْرَارَ الشام، وكان سابور قد تغيب عن العراق إلى خُرَاسانَ، فأغار الضَّيْزن على بلاده بمَن معه من العرب، فلما قَفَل سابور، وأُخبِرَ بصنع الضَّيْزَنِ نَهَدَ إليه، وأقام عليه أربع سنين.

وذكر الأعْشى في شعره حَوْلَين لا يقدر على فتح الحصن، وكان للضيزن بنت اسمُها: النَّضِيرَةُ، وفيها قيل:

أَقْفَرَ الْحَضْرُ من نَضِيرَةَ فالمِـ ـرْبَاعُ[1] منها فجانبُ الثَّرْثَارِ[2]

وكانت سُنَّتهم في الجارية إذا عَرَكَتْ أي: حاضت، أخرجوها إلى رَبَض المدينة، فعَركت النضيرةُ، فأُخرِجت إلى رَبَض الْحَضرِ[3]؛ فأشرفت ذات يوم فأبصرت سابورَ ـ وكان من أجملِ الناس ـ فَهَوِيته فأرسلت إليه أن يتزوجها، وتفتح له الْحَضر، واشترطت عليه، والتزم لها ما أرادت، ثم اخْتُلِف في السبب الذي دلَّت عليه، فقال ابنُ إسحٰق ما في الكتاب، وقال المسعودي[4]: دلّته على نهر واسع [اسمه الثَّرْثَارُ] كان يدخل منه الماء إلى الحَضْر، فقطع لهم الماء، ودخلوا منه.

وقال الطبري[5]: دلّته على طِلَسْم[6] [أو طِلَّسْم] كان في الْحَضْرِ، وكان في علمهم أنه لا يُفتح حتى تؤخذ حمامة وَرْقَاءُ، وتُخْضَب رِجلاها بحيْضِ جارية بكر زرقاء، ثم تُرْسَل الحمامة، فتنزل على سور الْحَضرِ، فيقع الطِّلَّسْمُ، فيفتح الحَضْر، ففعل سابور ذلك، فاستباح الحضر، وأباد قبائلَ من قُضَاعَة كانوا فيه، منهم: بنو عبيد رهط الضَّيْزنِ، لم يبق منهم عقب، وحرق خزائن الضَّيْزَنِ، واكتسح ما فيها، ثم قَفَلَ بنضيرة معه، وذكر الطبري في قتله إياها حين تَمَلْمَلَتْ على الفراش الوثير، ولين الحرير: أنه قال لها: ما كان يصنع بك أبوك؟ فقالت: كان يطعمني المخ والزبد وشُهْد أبكارِ النحل وصفو الخمر. وذُكِرَ أنه كان يرى مُخّها من صفاء بشرتها، وأن ورقة الآس أذمتها في عُكْنَة[7] من عُكَنِها، وأن الفراش الذي نامت عليه كان من حريرٍ حَشْوُه القَزُّ. وقال المسعودي: كان حشوه زَغَب[8] الطير، ثم اتفقوا في صُورة قتلها كما ذكر ابن إسحٰق غير أن ابن إسحٰق قال: كان المستبيحَ للحضر سابور ذو

---

(1) المرباع: المكان ينبت نباته في أول الربيع.
(2) الثَّرثارِ: وادٍ عظيم بالجزيرة.
(3) ربض الحضر: ربض المدينة.
(4) مروج الذهب (٢/ ٢٥٦).
(5) الطبري في تاريخه (١/ ٣٩٥).
(6) نوع من التعويذات الشركية.
(7) العكنة: طرفي البطن من السمن.
(8) زغب الطير: الشعيرات الصفر على ريش الفرخ.

....

الأكتافِ، وجعله غبر سابور بن أزدشير بن بابك، وقد تقدم أن أزدشير هو أول مَن جمع ملك فارس، وأذلَّ ملوك الطوائفِ، حتى دان الملك له، والضَّيْزَنُ: كان من ملوك الطوائف، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذي الأكتافِ، وهو سابور بن هُرمز، وهو ذو الأكتاف؛ لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل، وبينهم ملوكٌ مُسَمَّون في كتب التاريخ، وهم: هُرْمُز بن سابور، وبهرام بن هُرْمُز، وبهرام بن بهرام، وبهرام الثالث، ونرسي بن بهرام، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم.

وقول الأعشى: شاهبور الجنودِ بخفض الدال يدل على أنه ليس بشاهبور ذي الأكتاف، وأما إنشاده لأبيات عدي بن زيد:

وأخــو الْــحَــضْــر إذ بــنــاه وإذ   دِجْـلـة يُـجْـبَـى إلـيـه والْـخَـابُـورُ

فللشعر خبر عجيب. حدّثنا إجازةً القاضي الحافظ أبو بكر، عن ابن أيوب عن الْبُرْقَانِيِّ، عن أبي الحسن علي بن عمر، قال: حدّثنا أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن إسحٰق بن الْبُهْلُولِ، قال: حدّثني جدّي، قال: حدّثني أبي، عن إسحٰق بن زياد من بني سلمة بن لؤي، عن شبيب بن شيبة، عن خالد بن صفوان بن الأهْتَم، قال: أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد [أهْلِ] العراق قال: فقَدِمت عليه، وقد خرج مُتَبَدِّيًا بقرابته وأهله وحشمِه وغاشيتِه من جلسائه، فنزل في أرض قاع صَحْصَح مُتَنَايفٍ[1] أفْيَح[2] في عام [قد] بَكَّرَ[3] وَسْمِيُّه[4]، وتتابع وَلْيُه[5]، وأخذت الأرضُ [فيه] زينتها من اختلاف أنوارِ نَبْتِها من نَورِ ربيع مُونِقٍ، فهو أحسن منظرًا، وأحسن مستنظرًا، وأحسن مُخْتَبَرًا بصعيد كأن ترابه قِطَعُ الكافور، حتى لو أن قطعة أُلقيت فيه لم تَتْرَبْ[6] قال: وقد ضُرب له سرادق مِنْ حِبَرَةٍ كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن، فيه فُسْطاط، فيه أربعة أفرشة من خَزٍّ أحمر، مثلها مَرَافِقها[7] وعليه دُرَّاعَةٌ[8] من خزّ أحمر، مثلها عمامتها، قال: وقد أخذ الناس مجالسهم، فأخرجت رأسي من ناحية الطاق، فنظر إليَّ شِبْهَ الْمُسْتَنْطِقِ [لي]؛ فقلت: أتمّ الله عليك يا أمير المؤمنين نعمةً سَوَّغَكَها بِشُكْرٍ، وجعل ما قلّدك من هذا الأمر رُشدًا، وعاقبة ما تؤول إليه حمدًا، وأخلصه لك بالتُّقى، وكثَّره لك بالنماء، ولا كدر عليك

---

(١) متنايف: أي مرتفع.
(٢) أفيح: واسع.
(٣) بكر: بادر.
(٤) وسميه: الوسمي: مطر الربيع الأول.
(٥) تتابع وليّه: أي الذي يليه.
(٦) لم تترب: أي لم يصبها التراب.
(٧) مرافقها: ما يتكأ عليه.
(٨) الدراعة: جبة مشقوقة المقدم وثوب من صوف.

....

منه ما صفا، ولا خالط سرورَه الردى؛ فقد أصبحتَ للمسلمين ثقة ومُسْتَرَاحًا. إليك يقصدون في أمورهم، وإليك يفزعون في مظالمهم، وما أجد يا أمير المؤمنين شيئًا ـ جعلني الله فداءك ـ هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك مما منّ الله [جَلَّ وعزَّ] به عليّ من مُجَالَسَتِكَ، والنظرِ إلى وجهك من أن أُذَكِّرك نِعَمَ الله عليك، وأُنَبِّهك لشكرها، وما أجد يا أمير المؤمنين شيئًا هو أبلغ من حديث مَن سلفَ قبلك من الملوك، فإن أذِنَ لي أمير المؤمنين أخبرته عنه. قال: فاستوى جالسًا ـ وكان متكئًا ـ ثم قال: هات يا بنَ الأهتم، [قال]: فقلت: يا أمير المؤمنين إن مَلِكًا من الملوك قبلَك خرجَ في عام مثل عامنا هذا إلى الْخَوَرْنَقِ[1] والسَّدير[2] في عام قد بكَّر وَسْمِيُّه، وتتابع وَلْيه، وأخذت الأرضُ فيه زينتها من نَوْرِ ربيعٍ مُونقٍ، فهو في أحسنِ منظرٍ وأحسن مُسْتَنظَرٍ، وأحسن مُخْتَبَرٍ بصعيد كأن ترابَه قطعُ الكافور حتى لو أن قطعَة أُلقيت فيه لم تَتْرَب. قال: وقد كان أُعْطِي فَتَاء السِّنِّ مع الكثرة والغلبة والقهر، قال: فنظر فأبعد النَّظَر، فقال لجلسائه: لِمَن [مِثْلُ] هذا؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه؟ [و] هل أُعْطِي أحد مثل ما أُعْطِيتُ؟ قال: وعنده رجل من بقايا حَمَلة الْحُجَّة، والْمُضِيِّ على أدب الحقّ ومنهاجِه. قال: ولن تخْلُوا الأرضُ من قائم لله بحجته في عباده، فقال: أيها الملِكُ إنك قد سألت عن أمرٍ: أفَتَأْذَنُ في الجوابِ عنه؟ قال: نعم. قال: أرأيتَ ما أنت فيه: أشيءٌ لم تزل فيه، أم شيء صار إليك ميراثًا من غيرك، وهو زائلٌ عنك، وصائر إلى غيرك، كما صار إليك ميراثًا من لَدُنْ غيرك؟ قال: فَكَذلك هو. قال: فلا أراك [إلا] أُعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً، وتغيب عنه طويلاً، وتكون غدًا بحسابه مُرْتَهَنًا. قال: وَيْحك فأين المهرب؟ وأين الْمَطْلَبُ؟ قال: إما أن تقيم في ملكك، تعمل فيه بطاعة [اللّهِ] رَبِّك على ما ساءَك وسَرَّك، ومَضَّك[3] وأرْمَضَك[4]، وإمَّا أن تضعَ تاجَك، وتضعَ أطْمارك[5]، وتلبسَ أمْساحَك[6]، وتَعْبُدَ رَبَّك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلُك. قال: فإذا كان في السَّحَرِ فاقْرَعْ عليّ بابي، فإنّي مختارٌ أحد الرَّأْيين، فإن اخْتَرْتُ ما أنا فيه كنت وزيرًا، لا تُعْصَى، وإن اخترْتُ خلواتِ الأرض وقَفْر البلاد كنت رفيقًا، لا تُخالَف. قال: فقرع عليه بابَه عند السحر، فإذا هو قد وضع تاجَه، [وخلع أطماره] ولبِس أمساحه، وتهيأ للسياحة، قال: فلزِما ـ والله ـ الجبلَ حتى أتتهما آجالهما، وهو حيث يقول أحدُ بني تميم: عديُّ بن

---

(١) الخورنق: قصر كبير بناه النعمان بن امرىء القيس.

(٢) السدير: موضع بالحيرة. وقيل: قصر قريب من الخورنق، وهو أشبه.

(٣) ومضك: آلمك. (٤) أرمضك: أوجعك.

(٥) أطمار: جمع طمر. وهو الثوب الخلق. (٦) المسوح: كساء من شعر.

[زيد] بن سالمٍ الْمُرّيّ الْعَدَوِيّ:

أيها الشامِت الْمُعَيِّر بالد هر أأنتَ الْمُبرَّءُ الْمَوْفورُ؟!
أمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الوثيقُ من الأيا م؟! بل أنت جاهلٌ مَغرور
مَنْ رأيت الْمَنُونَ خلَّدْنَ، أم مَّنْ ذا عليه من أن يُضام خَفير!
أين كسرى كسرى الملوك أنو شِرْوان أم أين قبله سابور؟!
وبنو الأصْفرِ الكرامُ ملوكُ الر وم؟! لم يبق منهم مَذْكور
وأخو الْحَضْرِ إذ بناه وإذ دَجْـ لَةُ تُجْبَى إليه والخابور[1]
شاده مَرْمَرًا[2]، وَجلَّله كِلْسًـ ـا[3] فَلِلطَّيرِ في ذُراه وُكور
لم يَهَبْهُ رَيْبُ الْمَنُون فبا ن الْمُلْكُ عنه، فبابه مَهْجور
وتذكّر ربَّ الْخَوَرْنَق إذ أشرف يومًا، ولِلْهُدى تفكيرُ
سَرَّه مالُه وكثرةُ ما يملك والبحرُ مُعْرِضًا والسَّدير
فارْعَوَى قلبهُ[4]، وقال: وما غِبْطَةُ حَيٍّ إلى الممات يصير؟!
ثم أضحَوْا كأنهم وَرَقٌ جَفْـ فألْوَتْ به[5] الصَّبا والدَّبور
ثم بَعْدَ الفلاح والْمُلْك والإِمَّةِ[6] وارتْهمُ هناك الْقُبور

قال فبكى [والله] هشام حتى أخْضَل[7] لِحْيَتَه، وبلَّ عمامته، وأمر بِنَزْع أبنيتِه، وبنقلان قَرابَتِه وأهلِه وحَشَمِه وغاشِيَتِه من جلسائه، ولزم قَصْرَه. قال: فأقبلت الموالي والحشَمُ على خالد بن صفوان بن الأهتم، وقالوا: ما أردت إلى أمير المؤمنين؟! أفسدت عليه لذَّتَه، ونغَّصت عليه مأدبته. قال: إليكم عني فإني عاهدت الله [عزّ وجل] عهدًا ألاَّ أخلوَ بملك إلاَّ ذكّرته الله عزّ وجل.

والذي ذكره عديّ بن زيد في هذا الشعر هو: النعمان بن امرىء القيس جدّ النعمان بن المنذر، وأول هذا الشعر:

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أم بُكُورُ [لك] فانْظُرْ لأَيِّ ذاك تصير

---

(١) الخابور: نهر كبير مخرجه من رأس عين يصبّ إلى الفرات.
(٢) المرمر: الرخام.
(٣) الكلس: الجير.
(٤) ارعوى قلبه: أي ارتدع.
(٥) ألوت به: ذهبت به.
(٦) الإمّة: النعمة.
(٧) أخضل لحيته: أي ابتلّت.

قاله عديّ، وهو في سجن النعمان بن المنذر، وفيه قُتل وهو: عَدِيُّ بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن مَحْروب بن عامر بن عُصَيَّة بن امرىء القيس بن زيد بن مناة بن تميم. وقال عمرو بن آلة بن الخنساء:

أَلَمْ يُنْبِئْكَ والأَنباءُ تَنمى[1] بما لاقت سَراة بني الْعَبيد
ومَصْرَع ضَيْزَنٍ وبني أبيه وأحْلاس الكتائب[2] من تَزِيد[3]
أتاهم بالفُيول مُجَلَّلات وبالأبطالِ سابُورُ الجُنُودِ
فهدَّم من أواسِي[4] الْحَضْرِ صَخْرًا كأنَّ ثِقالَه زُبَرُ الْحَديد[5]

وقال الأعشى:

أقام به شَاهبورُ الجنو دِ حولين تضرب فيه الْقُدُمْ

وقد قدّمنا أنَّ شاهبور معناه: ابنُ الملك، وأن بور هو: الابنُ بلسانهم، وفي هذا البيتِ دليل على ما قلناه من أن سابورَ مُغَيَّرٌ عن شاهبور. والقُدُم: جمع قَدُوم، وهو الفأس ونحوه، والقَدوم: اسمُ موضع أيضًا اخْتَتَن فيه إبراهيمُ عليه السلام الذي جاء في الحديث أن إبراهيم اخْتَتَن بالقَدُوم[6] مُخفف أيضًا، وقد رُوِيَ فيه التشديد. وبعده:

فهل زادَه ربُّه قُوَّةً ومثل مُجاوره لم يقُمْ
وكان دعا قومه دعوة هلُمُّوا إلى أمركم قد صُرِم
فموتوا كرامًا بأسيافكم أرى الموتَ يجْشَمُه من جَشِمْ[7]

وفي الشعر: وهلْ خالدٌ مَنْ نَعِمْ. يقال: نَعِمَ يَنْعِم وَيَنْعَم مثل حَسِب يحسِب ويَحْسَبُ. وفي أدب الكاتب أنه يقال: نَعِم يَنْعُم مثل فَضل يَفضُل. حُكِي ذلك عن سيبويه، وهو غلط من الْقُتَبِيّ، ومَنْ تأمله في كتاب سيبويه تبيَّن له غَلطُ القُتَبِيِّ، وأن سيبويه لم يذكر الضمَّ إلا في فَضل يفضُل.

(١) تنمى: تنتشر.
(٢) أحلاس الكتائب: شجعانها الملازمون لها.
(٣) تزيد: هو ابن حلوان.
(٤) أواسي: جمع آسية. وهو الأساس.
(٥) زبر الحديد: أي قطع الحديد الضخمة.
(٦) «صحيح». أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (٤/ ١٧٠) ومسلم في الفضائل (١٥١) وأحمد في مسنده (٢/ ٤١٨) والطبري في تاريخه (١/ ١٧٢) والبخاري في الأدب (١٢٤٤).
(٧) الأبيات للأعشى ميمون بن قيس. انظر تاريخ الطبري (١/ ٣٩٥).

وقول عدي بن زيد: رَبِيَّة لم تُوقّ والدَها. يحتمل أن تكون فَعيلة من ربيتُ إلا أن القياس في فَعيلة بمعنى: مفعُولة أن تكون بغير هاء، ويحتمل أنه أراد معنى الرِّبو والنماء، لأنها رَبَتْ في نِعمة فتكون بمعنى فاعلة، ويكون البناء موافقًا للقياس، وأصحّ من هذين الوجهين أن يكون أراد: ربيئة بالهمز، وسَهَّل الهمزة فصارت ياء، وجعلها ربيئة؛ لأنها كانت طليعة حيث اطَّلعت، حتى رأت سابور وجنودَه، ويقال للطليعة[1] ذَكَرًا كان أو أُنثى: ربيئة، ويقال له: رباء على وزن فعال وأنشدوا: رباءُ شماء لا يأوي نقلتها، البيت.

وقوله أضاع راقبُها، أي أضاع الْمَرْبَأَةَ الذي يرقبها ويحرسها، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أي: أضاعها حافظُها.

وقوله: والخمر وَهْل. يقال: وَهِل الرجلُ وَهْلاً وَوَهَلاً إذا أراد شيئًا، فذهب وهمُه إلى غيره. ويقال فيه: وَهَم أيضًا بفتح الهاء، وأما وهِم بالكسر، فمعناه: غلط، وأوهم بالألف معناه: أسقط.

وقوله: سبائبُها. السبائب جمع: سَبِيبةٍ، وهي كالعمامة أو نحوها، ومنه السِّبُّ وهو: الخِمارُ.

وقوله: في خِدْرها مشاجبُها. المشاجبُ: جمع مِشْجَب، وهو ما تُعلَّق منه الثياب، ومنه قول جابر: وإن ثيابي لَعَلى الْمِشْجَب[2] وكانوا يسمّون القربة: شَجْبًا؛ لأنها جلْد ماءٍ قد شَجِب أي: عَطِب، وكانوا لا يمسِكون القربة وهي الشَّجْبُ إلاّ مُعَلَّقةً، فَالْعَود الذي تُعَلّق به هو الْمِشْجَبُ حقيقة، ثم اتسعوا، فَسمُّوا ما تُعلَّقُ به الثيابُ مِشْجَبًا تشبيهًا به.

وفي شعر عَدِيٍّ المتقدم ذكر الخابور، وهو وادٍ معروفٌ، وهو فاعول من خَبَرْتُ الأَرْضَ إذا حرثتها، وهو وادٍ عظيمٌ عليه مزارع. قالت ليلى أُختُ الوليد بن طَرِيف الخارجي الشَّيبانِي، حين قتل أخوها الوليدُ: قتله يزيدُ بن مَزِيد الشَّيْبَانِيّ أيام الرشيد، فلما قتل قالت أُخته:

أيا شَجَر الْخابور مالك مُورقًا ... كأنك لم تَحْزَن على ابن طَرِيف
فقدناه فُقْدَانَ الربيع وليتنا ... فَدَيْنَاه من ساداتنا بألوف

(١) الطليعة: الذي يرقب العدو من مكانٍ عالٍ لئلا يدهم قومه.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري في الصلاة. حديث رقم (٣٥٢) وأحمد (٢/ ٢٣٩).

ذكر ولد نزار بن معدّ

قال ابن إسحٰق: فولد نزار بن معدّ ثلاثة نفر: مُضَر بن نِزار، ورَبيعة بن نزار، وأنمار بن نزار.

قال ابن هشام: وإياد بن نزار. قال الحارثُ بن دَوْس الإيادي، ويُروَى لأبي دُوَاد الإيادي، واسمه: جارة بن الحجاج:

وفُتُوّ حسنٌ أوجُهُهُمْ مِنْ إيادِ بنِ نِزَارِ بْنِ معدّ

وهذا البيت في أبيات له.

فأُمُّ مضر وإياد: سَوْدَة بنت عكّ بن عَدْنان. وأُمُّ ربيعة وأنمار: شُقَيقة بنت عكّ بن عَدْنان، ويقال: جُمْعة بنت عكّ بن عَدنان.

أولاد أنمار:

قال ابن إسحٰق: فأنمار: أبو خَثْعَم وبَجيلة. قال جَرير بن عبد الله البَجَلِيّ وكان سيِّد بَجيلة، وهو الذي يقول له القائل:

لولا جَريرٌ هَلَكَتْ بَجيلَهْ نِعْمَ الفَتى، وبئستِ القَبِيلَهْ

وهو ينافر الفُرافِصةَ الكَلْبيّ إلى الأقرَع بن حابس التَّميمِي.

يا أقرعُ بنَ حابِسٍ يا أقرعُ إنَّكَ إن تَصْرع أخاكَ تُصْرعُ

وأما الخافُور بالفاء فنباتٌ تخفُر ريحُه أي: تقطع شهوة النساء، كما يفعل الْحَبَقْ، ويقال له الْمَرْو، وبهذا الاسم يعرفه الناس وهو الزَّغْبَرُ أيْضًا[1].

ذكر نزار بن معدّ ومَن تناسل منهم

قد ذكرنا أولادَ معدّ العشرة فيما تقدم، فأما مُضَر فقد تقدم ذكره في عمود نسب النبي - ﷺ - وذكرنا أنه أول مَن سَنّ حُداء الإبل، وسببُه - فيما ذكروا - أنه سقط عن بعير، فوثبت يدُه، وكان أحسنَ الناسِ صوتًا، فكان يمشي خلف الإبل، ويقول: وايديّاه وايَدَيّاه، يترنّم بذلك فأعْنَقَتِ الإبل، وذهب كَلالُها؛ فكان ذلك أصل الْحُدَاء عند العرب، وذلك أنها تُنشِّط بحدائها الإبل، فتسرع.

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٣٩٥).

فقال عمرو: بل أطبُخ، فَلَحِق عامرٌ بالإبل فجاء بها، فلما راحا على أبيهما حدّثاه بشأنهما، فقال لعامر: أنت مُدْرِكة، وقال لعمرو: وأنت طابخة.

وأما قَمَعة فيزعُم نُسَّاب مضر: أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَيّ بن قَمعة بن إلياس.

قـال:

ابْـنَـيْ نِـزَارٍ انْـصُـرا أخـاكـمـا إنّ أبـي وَجَـدْتُـهُ أبـاكـمـا
لـن يُـغـلَـب الـيـومَ أخٌ وَالاكُـمـا

وقد تيامنتْ، فلَحِقتْ باليمن.

قال ابنُ هشام: قالت اليمن: وَبَجِيلة: أنمارُ بن إراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغَوْث بن نبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ، ويقال: إراش بنُ عمرو بن لِحْيان بن الغَوث. ودار بجَيلَة وخَثْعم: يمانية.

أولاد مضر:

قال ابن إسحٰق: فولد مُضَر بن نزار رَجُلَيْن: إلياس بن مُضَر، وعَيْلان بن مضر.
قال ابن هشام: وأُمهما: جُرْهُمِيَّة.

أولاد إلياس:

قال ابن إسحٰق: فولد إلياسُ بن مُضَر ثلاثة نفر: مُدركة بن إلياس، وطابخة بن إلياس، وقَمَعة بن إلياس وأُمهم: خِنْدِف: امرأة من اليمن.

قال ابن هشام: خِنْدِف بنت عِمْران بن الحاف بن قُضاعة.

قال ابن إسحٰق: وكان اسم مُدْرِكة عامرًا، واسمُ طابخةَ عمْرًا، وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يَرْعيانها، فاقتنصا صيدًا، فقَعدا عليه يطبخانه، وعَدَتْ عاديةٌ على إبلهما، فقال عامر لعَمْرو: أتدرك الإبلَ، أم تطبخ هذا الصيدَ؟

وأما أنمار بن نِزار، وهو أبو بَجيلة وخَثْعَم فسُمِّي: بالأنمار جمع نَمِر، كما سُمُّوا بسِباع وكلاب، وأُم بنيه: بَجِيلة بنت صَعْب بن سَعْد الْعَشِيرَة ولد له من غيرها أَفْتَلُ وهو: خَثْعَمُ، وولدت له عَبْقَر في خَمْسة عشر، سمّاهم أبو الفرج، عنهم تناسلت قبائلُ بَجِيلةَ وهم: وَدَاعة وخُزَيمة وصُهيبة [في الأصل: صحيم] والحارث ومالك وشَيْبة وطريفَة وَفهْمٌ

....

والغوث وسهل وعبْقر وأشهل كلهم بنو أنمار، ويقال: إن بَجِيلة حبشية حضنَت أولاد أنمار الذين سَمَّينا، ولم تَحْضُنْ أفتل، وهو: خَثْعم، فلم يُنسبَ إليها. روى التِّرْمِذِيُّ من طريق فَرْوَة بن مُسَيْكٍ أنه لما أنزل الله في سبأ ما أنزل، قال رجل: يا رسول الله ما سبأ: امرأة أم أرض؟ قال: «ليس بامرأة ولا أرضٍ، ولكنه رجل وَلَد عشرةً من العرَب، فتيا من مِنهم ستة، وتشاءم[1] أربعة، فأما الذين تشاءموا: فَلخْمٌ وجُذام وعامِلة وغَسَّان، وأما الذين تيامنوا[2]: فالأزْدُ والأشعرون وحِمير ومَذْحِج وكِنْدة وأنمار»، قال الرجل: ومَنْ أنمار؟ قال: «الذين منهم خَثْعم وبَجِيلة»[3]. وقوله:

لـولا جَـريـرٌ هـلـكـت بـجـيـلـة نـعـم الـفـتـى، وبـئـسـت الْـقَـبـيـلـهْ

قال لما سمع هذا: ما مُدح رجُلٌ هُجِيَ قومُه، وجرير هذا هو: ابن عبد الله بن جابر، وهو: الشُّلَيْل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشَم بن عُوَيْف بن جَذِيمَة بن عديّ بن مالك بن سعد بن يزيد بن قَسْرٍ، وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث، يكنّى: أبا عمرو، وقيل: أنا عبد الله، وفيه قال النبي ﷺ: «يطلع عليكم خيرُ ذي يَمَنٍ، عليه مَسْحَة ملك»[4] وكان عمر يسمّيه: يوسف هذه الأمة، وكان من مقبلي الظعن، وكانت نعله: طولُها: ذراعٌ فيما ذكروا. ومن النذير بن قسر: الْعُرَنِيُّون الذين قَدِموا على رسول الله - ﷺ - فاجتَوَوا[5] المدينة، وحديثهم مشهور، وهم بنو عُرَيْنة بن النذير، أو بنو عُرَينة بن ربيعة بن نذير، لأنهما عُرَينتان، وأحدهما: عمّ الآخر.

وقال ابن إسحٰق في السيرة: مَن بني قيس: كُبَّة من بجيلة.

وقوله: وهو ينافر الفُرافِصة [بن الأحوص] الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي. ينافر: أي يحاكم. قال قاسم بن ثابت: لفظ المنافَرة مأخوذ من النَّفر، وكانوا إذا تنازع الرجلان، وادَّعى كل واحد منهم أنه أعزّ نفرًا من صاحبه، تحاكموا إلى العَلاَّمة، فمَن فضَّل منهما قيل: نفَّره عليه أي: فضل نفره على نَفَرِ الآخر: فمن هذا أُخِذت المنافرة،

(١) تشاءم: قصدوا الشام.

(٢) تيامن: قصدوا اليمن.

(٣) «حسن» أخرجه الترمذي (٣٢٢٠) وأبو داود (٣٩٨٨ - بتحقيقي).

(٤) «إسناده ضعيف جدًا». أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن السائب الكلبي. كذاب. انظر كنز العمال (٣٦٩٢٩) والحميري مطوّلاً (٨٠٠) وأحمد (٤/ ٣٦٠/ ٣٦٤).

(٥) اجتووا: أي أصابهم الجوى. وهو داء يصيب الجوف.

....

وقال زُهَير:

فــإن الــحــقَّ مــقــطــعُــه ثــلاثٌ يــمــيــنٌ، أو نِــفــارٌ أو جَــلاءٌ[1]

والفُرافِصة بالضم: اسمُ الأسد، وبالفتح اسم الرجل، وقد قيل: كل فُرافصة في العرب بالضم إلا الفَرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح.

وقوله: إنك إن تَصرَع أخاك تُصْرَعُ. وُجِدت في حاشية أبي بحر، قال: الأشهر في الرواية: إنْ يُصْرَع أخوك، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط؛ لأنه في نيّة التقديم عند سيبويه، وهو على إضمار الفاء عند المبرد، وما ذكر في أنمار من قول أهل اليمن يشهد له حديث الترمذي المتقدّم.

وذكر أُم إلياس، وقال فيها: امرأة من جُرْهُم، ولم يسمِّها، وليست من جرهم، وإنما هي الرِّباب بنت حَيْدةَ بن معدّ بن عدنان فيما ذكر الطبري، وقد قدّمنا ذلك في نسب النبي - ﷺ -.

وأما عَيْلان أخو إلياس، فقد قيل: إنه قيس نفسه لا أبوه، وسُمِّي بفرس له اسمُه: عَيْلان، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بَجيلة عُرِفَ بكبة اسم فرسه فُرِّق بينهما بهذه الإضافة، وقيل: عَيْلاَن اسم كلب له، وكان يقال له: النَّاسُ، ولأخيه: إلياس، وقد تقدّم في أول الكتاب القول في عمود نسب رسول الله - ﷺ - وما فيه غُنْيَةٌ من شرح تلك الأسماء.

وذكر مدركة وطابخة وقَمَعة وسبب تسميتهم بهذه الأسماءِ، وفي الخبر زيادةٌ، وهو أن إلياس قال لأُمهم - وَاسمها ليلى، وأُمُّها: ضَرِيَّةُ بنت ربيعة بن نزار التي يُنسب إليها: حِمَى ضَرِيَّة، وقد أقبلت تُخَنْدِف في مشيتها: ما لَكِ تُخَنْدفين؟ فسُمِّيت: خِنْدِف، والْخَنْدَفَةُ: سُرْعَةٌ في مشي وقال لمدركة:

وأنـت قـد أدركْـتَ مَـا طَـلَـبْـتَـا

وقال لطابخة:

وأنـت قـد أنْضَـجْـت ما طبـخـتـا

وقال لِقَمَعَةَ وهو عُمَيرٌ:

وأنـت قـد قـعـدت فـانْـقَـمَـعْـتَـا

---

(1) جلاء: بيِّن.

قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب:

حديث جَرّ عمرو قُصْبَهُ في النار:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر بن محمَّد بن عَمْرو بن حَزْم عن أبيه قال:

حُدِّثت أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «رأيت عمرو بن لُحَيّ يجُرُّ قُصْبَه في النار، فسألته عمَّن بيني وبينه من الناس، فقال: هَلَكوا»[١].

وخِنْدِفُ التي عُرِف بها بنو إلياس، وهي التي ضُربت الأمثالُ بحزنها على إلياسِ، وذلك أنها تركت بنيها، وساحت في الأرض تبكيه، حتى ماتت كَمَدًا، وكان مات يوم خميس، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره فمما قيل من الشعر في ذلك:

إذا مُؤْنِسٌ لاحت خَراطِيمُ شَمْسِه	بكته به حتى ترى الشَّمْسَ تَغْرُب
فما رَدَّ بأسًا حُزنُها وعويلُها	ولم يُغْنِها حُزْنٌ ونَفْسٌ تعَذَّبُ

وكانوا يسمّون الخميس: مُؤْنِسًا قال الزبير: وإنما نُسِب بنو إلياس لأُمهم؛ لأنها حين تركتهم شُغْلاً لحزنها على أبيهم، رحمهم الناسُ فقالوا: هؤلاء أولاد خِنْدِف الذين تركتهم، وهم صغارٌ أيتامٌ، حتى عرفوا ببني خِنْدِف. وأما عَوَانة بنتُ سعد بن قيس عَيْلاَن فسُمِّيَتْ: الْعَوَانة وهي الناقة الطويلة.

وذكر حديث عَمْرو بن لُحَي بن قَمَعَة بن إلياس، وقد تقدّم في نسب خزاعة وأسْلم أنهما ابنا حارثة بن ثعلبة، وأن ربيعة بن حارثة هو أبو خزاعة من بني أبي حارثة بن عامر، لا مِن حارثة، وسيأتي ذلك. وقول النبي ـ ﷺ ـ لأسلم: «ارْمُوا يا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا»[٢] وهو معارِضٌ لحديث أكثم بن الْجَوْنِ في الظاهر، إلاَّ أن بعض أهلَ النسب ذكر أنَّ عَمْرو بن لُحَيّ كان حارثة قد خلف على أُمه بعد أن آمَتْ من قَمَعَة، ولُحَيٌّ صغيرٌ. ولُحَيٌّ هو: ربيعةُ، فتبنّاه حارثة، وانتسب إليه فيكون النسب صحيحًا بالوجهين جميعًا: إلى حارثة بالتبنّي، وإلى قَمَعَة بالولادة، وكذلك أسلم بن أَفْصَى بن حارثة، فإنه أخو خزاعة، والقول فيه كالقول في خزاعة، وقيل في أسْلَم بن أَفْصَى: إنهم من بني أبي حارثة بن عامر،

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٤/ ٢٢٤) ومسلم في الجنة (٥١) وأحمد (٢/ ٢٧٥).

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٦/ ٥٩) وأحمد (٤/ ٥٠) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٧) والطبراني (٣/ ١٧٤) (٧/ ٣٦).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِيّ أن أبا صالح السَّمان حدّثه أنه سَمع أبا هُرَيرة ـ قال ابن هشام: واسم أبي هُرَيرة. عبد الله بن عامر، ويقال اسمه: عبد الرحمن بن صَخْر ـ يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجَوْن الخُزاعِيّ: «يا أكثم، رأيت عمرو لُحَيٍّ بن قَمعَة بن خِنْدِف يجرّ قُصْبَه فِي النار، فما رأيت رجلاً أشبه برَجُل منك به، ولا بك منه. فقال أكثم: عسى أن يَضرَّني شَبَهُهُ يا رسول الله؟ قال: لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أوّل مَنْ غَيَّر دين إسماعيل، فنَصب الأوْثان، وَبحَر البَحِيرَةَ وسيَّب السَّائبة، ووَصَل الوصِيلة، وحَمَى الحامي»[1].

لا من بني حارثة، فعلى هذا لا يكون في الحديث حُجَّةٌ لمَنْ نَسَب قحطانَ إلى إسماعيل، والله أعلم. ومِنْ حُجَّةِ مَنْ نَسَب خُزاعَةَ إلى قَمعَة مع الحديث المذكور في ذلك قولُ الْمُعَطِّل [الْهُذَلِيِّ] يخاطب قومًا من خزاعةَ:

لـعـلـكـمُ مِـنْ أُسْـرَةٍ قَـمَـعِـيَّـةٍ إذا حضروا لاَ يَشْهَدُونَ الْمُعَرَّفَا[2]

وقوله في حديث أكثم الذي يرويه أبو هريرة. اسم أبي هريرة: عبد الله بن عمرو، وقيل: عبدُ الرحمن بن صَخْر، وقيل: هو الذي ذكره ابنُ هشام. وقال البخاري اسمه: عبد شمس بن عبد نُهم، وقيل: اسمه عبد غَنْم، ويحتمل أن يكون هذا اسمه في الجاهلية، فبدَّله رسول الله ـ ﷺ ـ كما بدَّل كثيرًا من الأسماء، وقد قيل اسمه: يَزيدُ بن عِشْرِقَة، وقيل: كُرْدوس، وقيل: سُكَيْن. قاله النفسوي، [لعله الْبَغَوِيُّ أو النُمُوسِي] وقيل غير هذا. وكَنَّاه أبَا هريرة رسول الله ـ ﷺ ـ لهِرَّة رآها معه، وقد ذكر أن الْهِرَّةَ كانت وَحْشِيَّة.

وأما أكثم الذي ذكره، فقد صرّح في حديثه بنسب عمرو والد خزاعة، وذكْره لقوة الشَّبه بين أكثم وبينه يدل على أنه نسبُ ولادة ـ كما تقدم ولا سيما على رواية الزبير؛ فإن فيها أنه قال: رأيت عَمْرو بن لُحَيٍّ والد خزاعة يجرّ قُصْبه في النار، وقوله لأكثم: «إنك مؤمِن، وهو كافر» قد روى الحديث الحارث بن أبي أُسامة في مسنده أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال هذه المقالة في حديث الدَّجال لعبد الْعُزَّى بن قَطَن، وأن عبدَ الْعُزَّى قال: أيَضُرُّني شبهي به يا رسول الله؟ يعني: الدجال، فقال كما قال لأكثم: إنك مؤمن وهو كافر، وأحسب هذا وهمًا في الحديث، والله أعلم كما ذكره البخاري عن الزُّهْرِيِّ. قال: ابن قَطَن رجل من خزاعة هلَك في الجاهلية، ولأكثم عن رسول الله ـ ﷺ ـ حديثان. أحدهما: «خير

---

(١) «صحيح». أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٦) والبغوي (٢/ ١٠٠).
(٢) المعرفا: يعني عرفة.

أول ما كانت عبادة الحجارة

قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَيٍّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قَدِمَ مآبَ من أرض البَلْقاء، وبها يومئذ العماليق ـ وهم ولد عِمْلاق. ويقال: عِمْلِيق ابن لاوذ بن سام بن نوح ـ رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما

الرفقاء أربعة»[1] وقد تكلمنا على معناه في كتاب التعريف والإعلام. والآخر: اغزُ مع غير قومك، تحسن خلقك»[2]، قال الإسكاف في كتاب فوائد الأخبار معنى هذا لأن الرجل إذا غزا مع غير قومه تحفَّظ، ولم يَسْتَرسِل وتكلَّف من رياضة نفسه ما لا يتكلّفه في صحبة مَن يثق باحتماله لنظرهم إليه بعين الرضى، ولصحَّة إدلاله، فلذلك تحسن خلقه لرياضة نفسه على الصبر والاحتمال، فهذا حسن من التأويل غير أن الحديث مختلف في لفظه، فقد رُوِيَ فيه: سافر مع قومك، وذكر الروايتين أبو عُمَر رحمه الله.

وذكر في الحديث عَمْرو بن لُحَيٍّ، وأنه أول مَن بحَر البحيرة، وقد رُوِيَ أيضًا أن أول مَن بَحَر البَحيرة: رجل من بني مُدلِجٍ كانت له ناقتان، فجدع[3] آذانهما، وحرّم ألبانهما. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فرأيته في النار يَخبِطَانه بأخفافهما، ويَعَضَّانه[4] بأفواههما»، وقال عليه السلام: «قد عرفت أول مَن سيَّب السائبة، ونصب النُّصب. عمرو بن لُحَيٍّ رأيته يؤذي أهل النار بريح قُصْبه»[5]. رواه ابن إسحٰق عن عبد الله بن أبي بكر مرسلاً، ولم يقع في رواية البَكَّائِيِّ عنه.

أصل عبادة الأوثان

يقال لكل صنم من حجر أو غيره: صنم، ولا يقال: وَثَنٌ إلا لما كان من غير صخرة كالنحاس ونحوه، وكان عمرو بن لُحَيّ حين غلبت خزاعةُ على البيت، ونفت جُرْهم عن مكة، قد جعلته العرب رَبًّا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شُرعة؛ لأنه كان يطعم الناس، ويكسو في الموسم، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بَدَنَة، وكسا عشرة آلاف حُلَّة حتى [قيل] إنه الَّلاتُ الذي، يَلُتُّ السَّويق[6] للحَجِيج على صخرة معروفة تسمى: صخرة اللات، ويقال إن الذي يلُتُّ كان من ثقيف، فلما مات قال لهم عَمْرو: إنه لم يمت، ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بيتًا يسمى: اللاّت، ويقال: دام أمره وأمر ولده

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٨٢٧) والبيهقي في الكبرى (٩/١٥٧) وابن عساكر في تهذيبه (٤/٣٩٦).
(٢) انظر التخريج السابق.
(٣) جدع: أي شقّ.
(٤) أخرجه عبد الرزاق (٤/٣٩٦).
(٥) تقدم تخريجه صحيحًا.
(٦) السويق: طعام من الحنطة والشعير.

هذه الأصنام التي أراكم تَعْبدون؟ قالوا له: هذه أصْنامٌ نعبدها، فنَسْتَمْطِرها فتُمْطِرنا، ونَسْتَنْصرها فتَنْصرنا، فقال لهم: أفلا تُعْطُونني منها صَنمًا، فأسيرَ به إلى أرض العرب، فيعبدوه؟ فأعْطَوه صَنمًا يقال له: هُبَل، فقَدِمَ به مكّة، فَنَصَبه، وأمَر الناس بعبادته وتعظيمه.

قال ابن إسحٰق: ويزعمون أن أوّل ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل، أنه كان لا يَظْعَن من مكة ظاعنٌ منهم، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفُسَحَ في البلاد، إلا حَمَل معه حجرًا من حجارة الحرم تعظيمًا للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه، فطافوا به كطَوافهم بالكعبة، حتى سَلَخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة، وأعجبهم، حتى خَلَف الخُلُوف، ونَسُوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيرَه، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قَبْلَهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسَّكون بها: من تعظيم البيت، والطواف به، والحجّ والْعُمْرَة والوقوف على عرفة والْمُزْدَلِفَة، وهَدْي البُدْن، والإهلال بالحجّ والعُمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه. فكانت كِنانةُ وقُريش إذا أهلُّوا قالوا: «لَبَّيْك اللَّهمَّ لَبَّيك، لَبَّيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما مَلَك». فيوحِّدُونه بالتلبية، ثم يُدْخلون معه أصنامَهم، ويجعلون مِلْكَها بيده. يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ـ ﷺ ـ: ﴿وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] أي ما يوحِّدونني لمعرفة حقِّي إلا جعلوا معي شريكًا من خَلقي.

على هذا بمكة ثلثمائة سنة فلما هلك سُمِّيت تلك الصخرة: اللاَّت مخففة التاء، واتُّخِذَ صنمًا يعبد، وقد ذكر ابن إسحٰق، أنه أول مَن أدخل الأصنام الحُرُم، وحمل الناس على عبادتها، وسيأتي ذكر إسَافٍ ونَائلة، وما كان منه في أمرهما. وذكر أبو الوليد الأزرَقي في أخبار مكة أن عَمْر بن لُحَيٍّ فقأ أعين عشرين بعيرًا، وكانوا يفقَؤُونَ عينَ الفَحْل إذا بلغت الإبل ألفًا، فإذا بلغت ألفين فقؤوا العين الأخرى قال الراجز:

وكان شُكْرُ القوم عند الْمِنَنِ   كَيُّ الصحيحات، وَفَقْأُ الأعْيُنِ

وكانت التلبيةُ من عهد إبراهيم: لَبَّيك، لا شريك لك لبّيك، حتى كان عمرو بن لُحَيٍّ، فبينما هو يُلَبِّي تمثَّل له الشيطانُ في صورة شيخ يلبّي معه، فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكًا هو لك، فأنكر ذلك عمرو، وقال: ما هذا؟ فقال الشيخ قل: تملكه وما ملَكَ، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو، فدانت[1] بها العربُ.

---

(١) دانت بها العرب: أي اتخذته دينًا وشريعة ومنهاجًا.

أصنام قوم نوح:

وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ قد عكفوا عليها، قصّ الله ـ تبارك وتعالى ـ خبرَها على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: ﴿وقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٢، ٢٣].

أصنام القبائل العربية:

فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم، وسمّوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل: هُذَيلَ بن مُدْركة بن إلياس بن مضر، اتخذوا سُواعًا، فكان لهم بِرُهاط. وكلب بن وَبْرة من قُضاعة، اتخذوا وَدًّا بدُومَةَ الجَنْدل.

وذكر ابن إسحٰق ما كان في قوم نوح ومن قبلهم من عبادة الأصنام: وتلك هي الجاهلية الأولى التي ذكر الله في القرآن في قوله: ﴿ولاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّة الأولى[١]﴾ [الأحزاب: ٣٣] وكان بدء ذلك في عهد مهلايل بن قَيْنَان فيما ذكروا، وقد ذكر البخاري عن ابن عباس قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، وهي أسماء قوم صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انْصِبُوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وَتُنُوسِخَ العلم عُبدت». وذكر الطبري هذا المعنى وزاد أن سواعًا كان: ابن شيث، وأن يغوث كان: ابن سواع، وكذلكَ يَعُوقُ ونَسْر كلما هلك الأول صُوِّرت صورته[٢]، وعُظِّمت لموضعه من الدين، ولما عَهِدوا في دعائه من الإجابة، فلم يزالوا هكذا حتى خَلَفَتْ الْخُلوفُ، وقالوا: ما عَظَّم هؤلاءِ آباؤُنا إلا لأنها ترزُق وتنفع وتضر، واتخذوها آلهة، وهذه أسماء سُرْيانية وقعت إلى الهند، فَسَمَّوْا بها أصنامهم التي زعموا أنها صُوَرُ الدَّرَارِي السبعة، وربما كلّمتهم الجنُّ من جوفها ففَتَنَتْهُمْ، ثم أدخلها إلى العرب عَمْرو بن لُحَيٍّ كما ذكر أو غيره، وعلّمهم تلك الأسماءَ، وألقاها الشيطانُ على ألسِنتهم موافقَةً لما كانوا في عهد نوح.

وذكر ابنُ إسحٰق أن كلب بن وَبْرة من قُضاعة. وَبْرَةُ بِسكون الباء تقيد في نسخة الشيخ، وهي الأُنْثَى من الْوَبرِ[٣] اتخذوا وَدًّا في دُومَة الْجَنْدَل، ودومة هذه ـ بضم الدال ـ

---

(١) وانظر تفسير ابن كثير والطبري والرازي.

(٢) وقالوا: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصوروهم. ودبّ من هنا الشرك في ذريّة آدم عليه السلام من باب «المغالاة في الصالحين».

(٣) الوبرة: دويبة على قدر السنور.

قال ابن إسحٰق: وقال كعب بن مالك الأنصاريّ:

وَنَنْسَى اللاَّتَ والعُزَّى ووَدًّا ... ونَسْلُبها القلائِدَ والشُّنُوفا

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله.

قال ابن هشام: وكَلْب بنُ وَبْرَةَ بن تَغْلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قضاعة.

قال ابن إسحٰق: وأنْعُم من طَيِّىء، وأهل جُرَش من مَذْحِج اتخذوا يغوث بِجُرَش.

قال ابن هشام. ويقال: أنعَم. وَطيِّىء بن أدد بن مالك، ومالك: مَذْحِجُ بن أُدَد، ويقال: طيىء بن أُدَدِ بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ.

قال ابن إسحٰق: وخَيْوانُ بَطْنٌ من هَمْدان، اتخذوا يَعُوقَ بأرض هَمْدان من أرض اليمن.

ذكروا أنها سُمِّيَتْ بدُومى بني إسماعيل كان نزلها، ودُومة أخرى بضم الدال عند الكوفة، ودَوْمة ـ بفتح الدال ـ أُخرى مذكورة في أخبار الرِّدة، كذا وجدته للبكري [في مُعْجَم ما استعجم] مقيَّدًا في أسماء هذه المواضع.

وذكر طيىء بن أُدَد، أو ابن مالك بن أُدَد على الخلاف، ومالك هو: مَذْحِج، وسُمُّوا مَذْحِجًا بأكمة نزلوا إليها. [وطَيِّ] من الطَّاءَةِ[1]، وهي بُعد الذهاب في الأرض. قاله ابن جِنِّي، ولم يرض قول القُتَبيِّ إنه أول مَن طَوَى المناهل، لأنَّ طيئًا مهموز، وطوَيْت غير مهموز[2].

وذكر جُرَش في مَذْحِج. والمعروف أنهم في حِمْير، وأن مَذْحِج من كَهْلان بن سبأ، ويقال: إن المُلْكَ كان لكهلانَ بعد حمير، وأن ملكه دام ثلثمائة سنة، ثم عاد في بني حِمْير، قاله المسعودي[3]. وذكر الدَّارَقُطْنِيُّ أن جُرَشَ وحُرَشَ بالحاء أخوان، وأنهما ابنا عُلَيْمِ بن جَنَابِ الكلبي، فهما قَبِيلان من كَلْب ـ والله أعلم.

---

(١) الطاءة: الإبعاد في الأرض.
(٢) انظر الاشتقاق لابن دريد (٣٨٠).
(٣) انظر مروج الذهب للمسعودي (٢/ ٧٤).

قال ابن هشام: وقال مالك بن نَمَطٍ الهَمْداني:

يَـرِيـشُ الله فـي الـدنـيـا ويَـبْـرِي ... وَلا يَـبْـرِي يَـعُـوقُ ولا يَـريـشُ

وهذا البيت في أبيات له:

قال ابن هشام: اسم هَمْدان: أوْسَلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوْسَلَة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كَهْلاَن بن سبأ، ويقال: أوسَلة بنُ زيد بن أوْسَلة بن الخيار. ويقال: هَمْدان بنُ أوْسَلة بن ربيعة بن مالك بن الخِيار بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ.

قال ابن إسحٰق: وذو الكَلاع من حِمْير، اتخذوا نَسْرًا بأرض حِمْيَر.

وكان لِخَوْلاَنَ صَنمٌ يقال له: عُمْيانِس بأرض خَوْلان، يَقْسمون له من أنعامهم وحروثهم قسمًا بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حقّ عُمْيانِسَ من حَقِّ الله تعالى الذي سمّوه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حقّ عُمْيانِس ردّوه عليه، وهم بطن من خوْلاَنَ، يقال لهم: الأديم، وفيهم أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ فيما يذكرون: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ ممَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثَ والأنعام نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكائنا فَمَا كانَ لِشُرَكائهم فَلا يَصِلُ إلى الله وَمَا كانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إلى شُركائِهِمْ ساءَ ما يحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

قال ابن هشام: خَوْلان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، ويقال: خَوْلان بنُ عمرو بن مرة بن أُدَد بن زيد بن مِهْسَع بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلاَن بن سبأ، ويقال: خَولان بن عمرو بن سَعْدِ الْعَشِيرَةِ بن مَذْحِج.

وذكر مالك بن نَمَط الْهَمْدانيّ [الخارِفِيّ]، وهو أبو ثور يلقّب ذا الْمِشْعَار، وهو من بني خارف، وقد قيل. إنه من يَامِ بن أصي، وكلاهما من هَمْدان وقوله:

يَـرِيـشُ[1] الـلّـهُ فـي الـدنـيـا ويَـبْـري

هو من رِشتُ السهم وَبَرَيْته، استعير في النفع والضرّ. قال سُوَيد:

فَـرِشْـنِـي طـالـمـا قَـدْ بَـرَيْـتَـنِـي ... وخيرُ الموالي مَنْ يريش ولا يَبْرى

(١) يريش: رشت فلانًا إذا أعنته وقوّيته.

قال ابن إسحٰق: وكان لبَني مِلْكان بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر صنم، يقال له: سَعْد: صَخْرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني مِلْكان بإبلٍ له مُؤَبَّلة؛ ليقفها عليه، التماسَ بركته ـ فيما يزعم ـ فلما رأته الإبل وكانت مَرْعِيَّة لا تُركَب، وكان يُهْراق عليه الدماء نفرتْ منه، فذهبتْ في كل وجه، وغَضِب ربها المِلْكاني، فأخذ حجرًا فرماه به، ثم قال: لا بارك الله فيك، نفَّرت عليّ إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أتَيْنا إلى سَعْدٍ، ليجمَعَ شَملنا ... فَشتَّتَنا سعدٌ، فلا نَحْنُ من سَعْدِ

وهل سَعْدُ إلاّ صخرةٌ بتَنُوفَةٍ ... من الأرْضِ لا تدْعو لِغَيٍّ ولا رُشْدِ

وكان في دَوْس صنم لعمرو بن حُمَمة الدَّوْسيّ.

قال ابن هشام: سأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله.

ودَوس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسْد بن الغوث. ويقال: دوس بنُ عبد الله بن زهران بن الأسد بن الغوث.

وذكر حديث المِلكاني وقوله:

فشَتَّتَنا سَعْدٌ، فلا نَحْنُ من سَعْد

ويمتنع في العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار: لا، مثل أن تقول: لا زيدٌ في الدار ولا عَمْرو، وذكر سيبويه قولهم: لا نَوْلُكَ أن تفعل، وقال: إنما جازَ هذا؛ لأن معناه معنى الفعل، أي: لا ينبغي لك أن تفعل، وكذلك ينبغي أن يقال في بيت المِلْكاني: أي: لم يقلها على جهة الخبر، ولكن على قصد التَّبَرِّي منه، فكان معنى الكلام: فلا نتولى سعدًا، ولا ندين به، فهذا المعنى حَسَّن دخولَ لا على الابتداء كما حَسن: لا نَوْلُك.

وقوله: إلا صخرة بتَنُوفَةٍ. التَّنوفة: الْقَفْرُ، وجمعها: تنائف بالهمز، ووزنها: فَعُولة، ولو كانت تَفْعله من النَّوْف، وهو الارتفاع لجمعت تناوف، ولكنه لا يجوز أن تكون تفعلة إلاَّ أنْ تُحرَّكَ الواو بالضم؛ لئلا يشبه بناء الفعل، ولو قيل فيها: تُنوفة بضم التاء لاحتمل حينئذ أن تكون فعولة أو تُفْعُله على مثال تنفلة؛ إذ ليس في الأفعال تُفعلِ بالضم، وهذا من دقيق علم التصريف.

وأما مِلْكان بن كِنانة فبكسر الميم. قال أبو جعفر بن حبيب النَّسَّابة: كل شيء في العرب فهو مِلْكان بكسر الميم ساكن اللام، غير مَلَكان في قضاعة، ومَلكان في السَّكُون،

هُبَل وإساف ونائلة:

قال ابن إسحٰق: وكانت قريش قد اتخذت صنمًا على بئر في جوف الكعبة يقال له: هُبَل.

قال ابن هشام: سأذكر حديثَه إن شاء الله في موضعه.

قال ابن إسحٰق: واتخذوا إسافًا ونائلة، على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جُرْهم ـ هو: إساف بن بَغْي ونائلة بنت دِيك ـ فوقع إسافٌ على نائلة في الكعبة، فمسخهما الله حَجَرَيْن.

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارَةَ أنها قالت: سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: ما زلنا نسمع أن إسافًا ونائلة كانا رجلاً وامرأة من جُرْهم، أحْدثا في الكَعْبة، فمسخهما الله تعالى حَجَرَيْن، والله أعلم.

فإنهما بفتح الميم واللام فَمَلَكَانُ قضاعة هو: ابن جَرْم بن رَبَّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة، ومَلَكان السَّكُونِ هو: ابن عبَّاد بن عِيَاضِ بن عُقْبة بن السَّكُون بن أشرس من كندة، وكذلك قال الهمداني في مَلَكان بن جَرْم، وقال: مثل غَطَفَان، وقال ابن حبيب: مشايخ خزاعة يقولون: مَلَكان بفتح اللام: قال أبو الوليد يعني ابن حبيب: ملكان بن أفصى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، وذكر أبو علي القالي في أماليه عن أبي بكر بن الأنباري، عن أبيه، عن أشياخه: أن كل ملكان في العرب فهو مِلكان بكسر الميم إلاَّ مَلَكان في جَرْم بن زَبَّان.

قال المؤلف: وابن حبيب النسَّابة مصروفٌ اسم أبيه، ورأيت لابن المغربي قال: إنما هو ابن حَبيبَ بفتح الباء غير مجرى، لأنها أُمه، وأنكر ذلك عليه غيره، وقالوا: هو حبيب بن الْمُحَبَّر معروف غير منكر، وإنما ذكرناه هاهنا لما حكينا قوله في ملكان.

فصل: وذكر إسافًا ونائلة، وأنهما رجل وامرأة من جرهم، وأن إسافًا وقع عليها في الكعبة فمسخا[1]، وأخرجه رزين في فضائل مكة عن بعض السلف: ما أمهلهما الله إلى أن يفجُرا فيها، ولكنه قَبَّلها، فمسخا حجرين، فأُخْرِجا إلى الصفا والمروة، فنصبا عليهما، ليكونا عبرةً وموعظة، فلما كان عَمْر بن لُحَيّ نقلهما إلى الكعبة، ونصبهما على زَمْزَم، فطاف الناس بالكعبة وبهما، حتى عُبدا من دون الله.

---

(١) وذكر المسعودي في مروج الذهب (٢/ ٥٠) أنهما حجرين نُحِتا ومُثِّلا.

قال ابن إسحٰق: وقال أبو طالب:

وحيثُ يُنيخ الأشعَرُونَ رِكَابَهم ... بمُفْضَى السُّيول من إسافٍ ونائل

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحٰق: واتخذ أهل كل دار في دَارِهم صنمًا يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفرًا تمسَّحَ به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قَدِمَ من سفره تمسَّح به، فكان ذلك أولَ ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله رسوله محمدًا ـ ﷺ ـ بالتوحيد، قالت قريش: ﴿أجَعَلَ الآلهة إلـٰهًا واحدًا إن هذا لشَيءٌ عُجاب﴾ [صٓ: ٥] وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طَواغيت، وهي بيوت تعظِّمها كَتعظيم الكعبة، لها سَدَنَة وحُجَّاب، وتُهْدِي لها كما تُهْدِي للكعبة، وتطوف بها كَطَوافها بها وتَنحر عندها، وهي تعرف فضلَ الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عَرَفت أنها بيتُ إبراهيم الخليل ومسجدُه.

وأما هُبَلُ فإن عَمْرو بن لُحَيّ جاء به من هِيت[1]، وهي من أرض الجزيرة حتى وضعه في الكعبة. وذكر الواقدي أن نائلة حين كسرَها النبيُّ ـ ﷺ ـ عام الْفَتْح خرجت منها سَوْداء شَمْطَاء تَخْمُشُ وجهَها، وتنادي بالوَيْلِ والثُّبورِ، وذكر باقي الحديث.

وقولُ عائشة: أحْدَثا في الكعبة، أرادت الْحَدَثَ الذي هو الْفُجور كما قال ـ عليه السلام ـ: «مَنْ أحْدَثَ [فيها] حَدَثًا، أو آوى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لعنةُ الله [والملائكة والناس أجمعين]»[2]. وقال عمر حين كانت الزلزلة بالمدينة: أحدثْتُمْ. والله لئن عادت لأَخْرُجَنَّ من بين أظهركم.

وقولُ أبي طالب: من إسافٍ ونائل، وهو ترخيمٌ في غير النداء للضرورة، كما قال: أمالِ بن حَنْظَل.

وذكر قول الشاعر:

رأى قَدَعًا في عَينِها. والْقَدَع: ... ضَعف البصر من إدمان النظر

وقوله في الْغَبْغَب: وهو الْمَنْحَر ومراق الدم[3]، كأنه سُمِّي بحكاية صوتِ الدم عند

---

(١) هيت: بلدة على الفرات سُمِّيت باسم بانيها هيت بن البندي.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٣/٣١٣) ومسلم في الحج (٤٦٣/٤٦٧) وأحمد (٢/٥٢٦).

(٣) قيل أنه كان لمعتب بن قبيس، بيت كانوا يحجّون إليه.

العزّى واللاّت ومناة:

فكانت لقريش وَبني كنانة: العُزَّى بنَخْلة، وكان سَدَنَتَها وحُجَّابَها بنو شَيْبان من سُلَيم، حلفاء بني هاشم.

قال ابن هشام: حلفاء بني أبي طالب خاصّة، وسُليمٌ: سُلَيْم بن مَنْصُور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان.

قال ابن إسحٰق: فقال شاعر من العرب:

لقد أُنكِحَتْ أسماءُ رأسَ بُقَيْرةٍ ... من الأُدْم أهداها امرؤ من بني غَنْم

رأى قَدَعًا في عينها إذ يسوقها ... إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع في القَسْم

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْيًا قسَّموه في مَنْ حضرهم. والغَبْغَبُ: المنحر، ومُهْراق الدماء.

قال ابن هشام: وهذان البيتان لأبي خِرَاشٍ الْهُذَلِي واسمه: خُوَيْلِدُ بن مُرَّة في أبيات له.

وَالسَّدَنَةُ: الذين يقومون بأمر الكعبة. قال رؤبة بن العجاج:

فلا وربِّ الآمناتِ القُطَّن ... [يَعْمُرْنَ أمْنًا بالْحَرَامِ الْمأمَنِ]

بمَحْبَسِ الهَدْي وبيْتِ الْمَسْدَن

وهذان البيتان في أُرجوزة له، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه.

قال ابن إسحٰق: وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سَدَنَتَها وحُجَّابَها بنو مُعَتِّب من ثقيف.

قال ابن هشام: وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه.

انبعاثِه، ويجوز أن يكون مقلوبًا من قولهم: بئر بُغْبُغٌ وبُغَيْبِغٌ إذا كانت كثيرة الماء. قال الراجز: بُغَيْبِغٌ قصيرةُ الرِشاءِ. ومنه قيل لعين أبي نَيْزَر: الْبُغَيْبِغَةُ. ومعنى هذا البيت: الذَّمُّ وتشبيهُ هذا الْمَهْجُوِّ برأسِ بقرةٍ قد قربت أن يذهب بصرُها، فلا تصلح إلا للذبح والقسم.

وذكر قلسًا في بلاد طيىء بين أجأ وسَلْمَى. ويذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن أجأ اسمُ رجلٍ بعينه، وهو: أجَأُ بن عبد الحيّ، وكان فَجَرَ بسَلْمَى بنت حام، أو اتُّهِم بذلك، فَصُلِبا في ذَيْنِك الْجَبَلَين، وعندهما جبل يقال له: الْعَوْجاء، وكانت الْعَوْجَاءُ حاضِنة سلمى ـ فيما ذكر ـ وكانت السفيرَ بينها وبين أجأ، فَصُلِبت في الجبل الثالث، فسُمِّي بها.

قال ابن إسحٰق: وكانت مَنَاة للأوس والخزرج، ومَن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية الْمُشَلَّل بقُدَيْد.

قال ابن هشام: وقال الكُمَيت بن زيد أحد بني أسد بن مُدْركة.

وقــد آلــتْ قــبــائــلُ لا تُــولِّــي   مَــنَــاةَ ظُــهُــورَهــا مُــتَــحَــرِّفِــيــنــا

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: فبعث رسولُ الله ـ ﷺ ـ إليها أبا سفيان بن حَرْبٍ فهدمها، ويقال: عليّ بن أبي طالب.

ذو الْخَلَصَةِ وفلس ورضاء وذو الكعبات:

قال ابن إسحٰق: وكان ذو الخَلَصَة لدَوْس وخَثْعم وَبَجِيلة، ومَن كان ببلادهم من العرب بتَبَالة.

قال ابن هشام: ويقال: ذو الخُلُصة. قال: رجل من العرب:

لـو كـنـتَ يـا ذا الـخَـلَـص الْـمَـوْتُـورَا   مِـثْـلِـي وكـان شـيْـخُـك الْـمَـقْـبُـورَا

لـم تَـنْـهَ عـن قَـتْـلِ الـعُـداة زُورَا

قال: وكان أبوه قُتِل، فأراد الطلبَ بثأره، فأتى ذا الخَلَصَة، فاسْتَقْسَم عنده بالأزلام، فخرج السهم بنَهْيه عن ذلك، فقال هذه الأبيات. ومن الناس مَن يَنْحَلُهَا امرأ القيس بنَ حُجْر الكِنْدي، فبعث إليه رسول الله ـ ﷺ ـ جريرَ بن عبد الله الْبَجَلِيّ، فهدمه.

وذكر ذا الْخَلَصَةِ، وهو بيت دوسٍ. والْخَلَصُ في اللغة: نبات طيبُ الريحِ يتعلق بالشجر، له حَبٌّ كعنب الثعلب. وجَمْعُ الْخَلَصَةِ: خَلَصٌ[1]. وأن الذي اسْتَقْسَم بالأزلام هو: امْرُؤ الْقَيْسِ بن حُجْر. ووقع في كتابِ أبي الفرج أن امرئ القيس بن حُجْر حين وَتَرَتْهُ بنو أسَدٍ بقتل أبيه اسْتَقْسَم عند ذي الْخَلَصَةِ بثلاثة أزلام[2]، وهي: الزاجر والآمر والْمُتَرَبِّص، فخرج له الزاجرُ، فسَبَّ الصنمَ، ورماه بالحجارة، وقال له: اعْضُضْ ببَظْرِ أُمِّك، وقال الرَّجَزَ الذي ذكره ابن إسحٰق: لو كنت يا ذا الْخَلَصِ الْمَوْتُورا. إلى آخره، ولم يَسْتَقْسِمْ أحدٌ عند ذي الْخَلَصَةِ بعدُ حتى جاء الإسلام، وموضعُه اليومَ مسجدٌ جامعٌ لبلدةٍ يُقال لها: الْعَبَلاَت من

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٢/٢٠٨).

(٢) الأزلام: جمع زلم وهو: القدح. أو السهم من سهام الاستقسام.

....

أرض خَثْعَم. ذكره المبرد عن أبي عُبَيْدَةَ. واسمُ امْرِىءِ القيس: حُنْدُج، وَالْحُنْدُجُ: بَقْلَةٌ تنبت في الرمل[1]. والقَيْسُ: الشِّدَّةُ والنَّجْدَةُ. قال الشاعر:

وأنت على الأعداءِ قَيْسٌ ونَجْدَةٌ وأنت على الأدنى هِشامٌ وَنَوْفَلُ

والنَّسَبُ إليه: مَرْقَسِيٌّ، وإلى كل امرىء القيس سواه: امْرِئِيٌّ. وقد قيل: إن حُنْدُجًا اسمُ امرىء القيس بن عابِس، وله صُحْبَةٌ، وهو كِنْدِيٌّ مثل الأول، فوقع الغلط من هٰهُنا.

وقوله: لم تَنْهَ عن قَتْل العُداة زُورًا. نصب: زورًا على الحال من المصدر الذي هو النَّهْيُ. أراد: نَهْيًا زُورًا. وانتصابُ المصدر على هذه الصورة إنما هو حال، أو مفعول مطلق، فإذا حذفت المصدر، وأقمت الصفة مقامه، لم تكن إلا حالاً، والدليل على ذلك أنَّك تقول: ساروا شديدًا، وساروا رُوَيْدًا، فإن رددته إلى ما لم يُسَمَّ فاعلُه لم يجز رفعه؛ لأنه حال، ولو لفظت بالمصدر، فقلت: ساروا سيرًا رُوَيْدًا لجاز أن تقول فيما لم يُسَمَّ فاعلُه: سِير عليه سَيْرٌ رُوَيْدٌ هذا كله معنى قول سيبويه، فدلّ على أن حُكْمَه إذا لُفِظ به غير حُكمه إذا حُذِف، والسرّ في ذلك أن الصفة لا تقوم مقامَ المفعول إذا حذف. لا تقول: كلَّمْتُ شديدًا، ولا ضربت طويلاً، يقبُح ذلك إذا كانت الصفةُ عامّةً، والحالُ ليست كذلك؛ لأنها تجري مجرى الظرف، وإن كانت صفةً فموصوفُها معها، وهو الاسم الذي هي حالٌ له، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُم عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وذكر بعثَ جريرِ الْبَجَلِيّ إلى هدم ذي الْخَلَصَةِ، وذلك قبل وفاة النبي - ﷺ - بشهرين أو نحوهما، قال جرير: بعثني رسولُ الله - ﷺ - في مائة وخمسين راكبًا من أحْمَسَ إلى ذي الخَلَصَة، فقلت: يا رسولَ الله إني لا أَثْبُتُ على الخيل، فدعا لي، وقال: «اللّهمّ ثَبِّتْهُ واجعله هاديًا مَهْدِيًّا» وفي كتاب مسلم في هذا الحديث: «وكان يقال له: الكعبة اليَمَانِيّة والشآمِيَّة»[2]، وهذا مشكل، ومعناه: كان يقال: الكعبة اليَمَانِيّة والشآمِيَّة يعنون بالشآمية: البيت الحرام، فزيادة له سَهْوٌ، وبإسقاطه يصِحُّ المعنى. قاله بعض المحدّثين والحديث في جامع البخاري بزيادة: له كما في صحيح مسلم، وليس هذا عندي بسَهْو، وإنما معناه كان يقال له: أي يقال من أجله الكعبةُ الشَّآمِية للكعبة، وهو الْكَعْبَةُ اليَمَانِيّة، وله بمعنى من أجله لا تُنْكَرُ، كما قال ابن أبي ربيعة:

وقُمَيرٌ مِنْ آخرِ الليلِ قد لا حَ، له قالت الفتاتان قُوما

---

(١) الحندج: هو أيضًا الكثب من الرمل.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٤/٧٦) ومسلم في فضائل الصحابة (١٣٥/١٣٧) وابن ماجة (١٥٩).

قال ابن إسحٰق: وكانت فَلْس لِطَيِّيءٍ، ومَن يليها بجَبَلَي طيىء، يعني سَلْمى وأجأ.

قال ابن هشام: فحدّثني بعض أهل العلم أنّ رسول الله - ﷺ - بعث إليها عليَّ بن أبي طالب فهدمها، فوجد فيها سَيْفَيْن، يقال لأحدهما: الرَّسوب، وللآخر: المِخْذَم. فأتى بهما رسول الله - ﷺ - فَوَهبهما له، فهما سَيْفا عليّ رضي الله عنه.

قال ابن إسحٰق: وكان لِحِمْيَر وأهلِ اليمن بيتٌ بصنعاءَ يقال له: رئام.

قال ابن هشام: قد ذكرت حديثَه فيما مضى.

رُضاءُ والمستوغر:

قال ابن إسحٰق: وكانت رُضاء بيتًا لبني رَبيعة بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول الْمُسْتَوْغِرُ بن ربيعة بن كَعْب بن سَعْد حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددتُ على رُضاءِ شَدَّةً ... فتركتُها قَفْرًا بقاع أسْحَما

قال ابن هشام: قوله:

فتركتها قَفْرًا بقاع أسْحَما

عن رجل من بني سَعْد.

وذو الخُلُصة بضم الخاء واللام في قول ابن إسحٰق، وبفتحهما في قول ابن هشام، هو صنم سَيُعْبَد في آخر الزمان، ثبت في الحديث أنه: «لا تقومُ الساعة حتى تَضْطَفِقَ أَلَياتُ نساءِ دَوْسٍ وخَثْعَم حول ذي الْخَلَصَة»[1].

فصل: وذكر الْمُسْتَوْغِرَ بن ربيعة، واسمه: كَعْبٌ. قال ابن دُرَيْدٍ: سُمِّي مُسْتَوْغِرًا بقوله:

يَنِشُّ الماءُ في الرَّبَلات منه ... نَشيشَ الرَّضْف في اللَّبَنِ الْوَغِيرِ[2]

والْوغير: فعيل من وَغْرَة الحرّ وهي شدته، وذكر الْقُتَبيُّ أن الْمُسْتَوغِرَ حضر سوق عكاظ، ومعه ابن ابنه، وقد هَرِم، والْجَدُّ يقوده، فقال له رجل: ارفُق بهذا الشيخ، فقد طال

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٩/ ٧٣) ومسلم في الفتن (٥١) وأحمد (٢/ ٢٧١) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٥٣) وعبد الرزاق في مصنفه أيضًا (٢٠٧٩٥). ومعنى الحديث: أي حتى يرتدّوا عن دينهم والعياذ بالله، إلى عبادة الأصنام مرة أخرى.

(٢) البيت في كتاب الأصنام (٣٠) لابن الكلبي.

ويقال: إن الْمُسْتَوغِر عُمِّر ثلثمائة سنة وثلاثين سنة، وكان أطول مُضَر كلِّهَا عمرًا، وهو الذي يقول:

ولقد سئِمْتُ من الحياة وطُولِها   وعَمِرْتُ من عَدد السنين مِئِينا
مَائةٌ حَدَثْها بعدها مِئَتان لي   وازْدَدْتُ من عدد الشهور سنينا
هل ما بَقي إلا كما قَدْ فاتنا   يومٌ يَمُرّ، وليلةٌ تحْدُونا

وبعض الناس يَرْوِي هذه الأبياتَ لزُهَير بن جَناب الكَلْبي.

قال ابن إسحٰق: وكان ذو الكَعَبات لبكر وتَغْلب ابني وائل وإياد بِسَنْدَاد، وله يقول أعشى بني قَيْس بن ثَعْلبة:

بَيْنَ الْخَوَرْنق والسَّديرِ وبارِقٍ   والبيتِ ذي الكَعَبات من سَنْدادِ

قال ابن هشام: وهذا البيت للأسود بن يَعْفُر النَّهشلي: نهشل بن دارم بن مالك بن حَنظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تَمِيم في قصيدة له، وأنشدنيه أبو مُحْرِزٍ خَلَفُ الأحمر:

أهْلِ الْخَوَرْنَق والسَّدِير وبارقٍ   والبيتِ ذي الشُّرفات مِنْ سِنْداد

ما رَفق بك، فقال: ومَن تراه؟ فقال: هو أبوك أو جدّك، فقال: ما هو إلا ابن ابني، فقال: ما رأيت كاليوم! ولا المستوغر بن ربيعة! فقال: أنا المستوغر. والأبيات التي أنشدها له:

ولقد سَئِمْتُ مِن الحياة وطُولها   وَعَمَرْتُ من عدد السنين مِئِينَا

إلى آخره. ذكر أنها تُروى لِزُهَيْرِ بن جَنَابِ الكَلْبِيّ، وهو زُهَيْرُ بن جَنَاب بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بَكْر بن عَوْف بن عُذْرَةِ بن زَيد اللاَّت بن رُفَيدة بن ثَوْر بن كَلْب بن وَبْرَة. وزُهَير هذا من الْمُعَمَّرين، وهو الذي يقول:

أَبُنيَّ إن أهْلِكْ فإني   قد بَنَيْتُ لكم بَنِيَّه
وتركتُكم أولاد سادا   تِ زِنادُهُم وَرِيَّة
مِنْ كُلِّ ما نال الفتى   قد نِلْتُهُ إلا التَّحِيَّة[1]

يريد بالتحية: البقاء، وقيل: المُلْكُ، وأعقب هو وإخوته قبائل في كَلْب وهم: زُهَيرٌ وعَدِيٌّ وحارثةُ ومالكٌ، ويعرف مالك هذا بالأصمّ لقوله:

---

(١) فأصل كلمة التحية من الحياة: أي البقاء. ومنه قول المصلّي في تشهّده وقيل خروجه من بين يدي مالك الملك: «التحيات لله» أي الحياة الكاملة التي لا يعتريها نقص، التي لم تُسبَق بعدم ولا يلحقها فناء: الحياة الكاملة لله. «التحيات لله».

أَصَمُّ عن الخَنا[1] إن قيل يومًا وفي غير الخَنَا أُلْفَى سَمِيعا

وأخوه: حارثة بن جَنَابٍ، وعُلَيم بن جَنَابٍ، ومن بني عُلَيْم: بنو زَيْدَ غير مصروفٍ. عُرِفُوا بأُمهم: زَيْد بنت مالك، وهم: بنو كعب بن عُلَيْمٍ منهم: الرَّباب بنت امرىء القيس امرأة الحسين بن علي، وفيها يقول:

أُحِبُّ لِحُبِّها زَيْدًا جميعًا وَنَثْلة كلَّها، وبني الرَّبابِ

وأُخْرى لأنَّها من آلِ لأم أُحِبهم وطُرَّ بني جَنَابِ

فمن المعمّرين من العرب سوى الْمُسْتوغر مما زادوا على المائتين والثلاثمائة: زهير هذا، وعبيد بن شَرْيَة، ودَغْفَل بن حَنْظَلَةَ النسَّابة، والربيع بن ضبع الفَزَارِيُّ، وذو الإِصْبَع [حُرثَان بن مُحَرِّثٍ] العَدْوَانيّ، ونصر بن دُهْمَان بن أشجَع بن رَيْث بن غَطَفَان، وكان قد اسْوَدَّ رأسُه بعد ابيضاضِه، وتقوّم ظهرُه بعد انحنائه، وفيه يقول القائل:

لِنَصْر بن دُهْمَان الْهُنَيْدَة[2] عاشها وتسعين حَوْلاً ثم قُوِّم فانصاتا[3]

وعاد سوادُ الرأس بعد ابيضَاضِهِ ولكنه من بعد ذلك قد ماتا

وأمره عند العرب من أعجب العجب، ومن أطول الْمُعَمَّرين عُمْرًا: دُوَيْد، واسمه: زيد بن نَهْدِ من قضاعة، وأبوه: نَهْدٌ إليه ينسب الحي المعروفون من قضاعة: بنو نَهْد بن زيد[4] عاش دَوَيدٌ أربعمائة عام ـ فيما ذكروا ـ وكان له آثار في العرب، ووقائع وغارات، فلما جاء الموت قال:

اليوم يُبْنَى لِدُوَيدٍ بيتُه وَمَغْنَمٍ، يوم الوغَى حويتُه

ومِعْصَم مُوَشَّم لويته لو كان للدهر بِلًى أبليته

أو كان قِرْنِي واحدًا كَفَيْتُهْ

وقول الْمُستَوْغِرِ:

ولقد شَدَدْتُ على رُضَاءٍ شَدَّةً فتركتها قَفرًا بقاع أسْحَمَا

يريد: تركتُها سَحْماءَ من آثار النار، وبعده:

(١) الخنا: أي الفحشاء.

(٢) الهنيدة: اسم لكل مائة ناقة من الإبل. وقيل هي المائتان.

(٣) انصاتا: استوى.

(٤) هو: نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

وأعانَ عبد الله في مكروهها ... وبمثل عبد الله أغشَى الْمَحْرَمَا

ذكر ذا الكَعَبَات بيت وائل، وأنشد للأسود بن يَعْفُر:

أرض الْخَوَرْنَقِ والسَّدير ودَارم ... والبيت ذي الشُّرُفَات من سِنْدَاد[1]

وَالْخَوَرْنَقُ: قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور، ليكون ولده فيه عنده، وبناه بنيانًا عجميًّا لم ترَ العرب مثله، واسم الذي بناه له: سِنِمَّار، وهو الذي رُدِّي من أعلاه، حتى قالت العرب: جزاني جزاءَ سِنِمَّار، وذلك أنه لمّا تمَّ الْخَوَرْنَقُ، وعجب الناس من حُسنه، قال سِنِمَّار: أمَا والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس، حيث دارت، فقال له الملك: أإنَّك لتُحسن أن تَبنيَ أجملَ من هذا؟ وغارت نفسُهُ أن يُبتنى لغيره مثلُه، وأمر به فَطُرِح من أعلاه، وكان بناه في عشرين سنة، قال الشاعر [عبد العُزَّى بن امرىء القيس الكَلْبِيّ]:

جزاني جَزاه الله شَرَّ جزائه ... جزاءَ سِنِمَّارٍ، وما كان ذا ذنب

سوى رَصِّهِ البنيانَ عشرين حِجَّةً ... يُعَلَّى عليه بالقَرامِدِ[2] والسَّكْب[3]

فلما انتهى البنيان يومًا تمامَه ... وآض[4] كمثل الطَّوْدِ والباذخ الصَّعْب

[وظَنَّ سِنِمَّارٌ به كل حَبْوَةٍ ... وفاز لديه بالمودة والْقُرْبِ]

رمى بِسِنِمَّار على حَاقِ رأسه ... وذاك لَعَمْرُ والله من أقبح الخَطْب

ذكر هذا الشعرَ الجاحظُ في كتاب الحيوان، والسِّنِمَّارُ من أسماء القمر، وأول شعر الأسود: ذهب الرقاد فما أحسّ رقادي[5].

وفيها يقول:

ولقد عَمِرْت، وإن تطاول في الْمَدَى ... إن السبيل سبيل ذي الأعواد

قيل: يريد بالأعواد النعش، وقيل: أراد عامر بن الظَّرِب الذي قُرعت له العصا بالعود من الْهَرَمِ والْخَرَفِ، وفيها يقول:

ماذا أُؤَمِّلُ بعد آلِ مُحَرِّقٍ ... تركوا منازلهم وبعد إياد

---

(١) البيت فيه مخالفة لما مضى السيرة.
(٢) القرامد: الآجر.
(٣) السكب: النحاس أو الرصاص.
(٤) آض: أي تحوّل.
(٥) انظر تاريخ الطبري (١/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥).

أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي

قال ابن إسحٰق: فأمَّا البَحيرة فهي بنت السَّائبة، والسَّائبة: النَّاقة إذا تابعت بين عَشر إنَاثٍ ليس بيْنهنّ ذَكَر، سُيِّبَتْ فلم يُرْكَب ظهرُها، ولم يُجزّ وَبرُهَا، وَلم يَشْرَب لبنَهَا إلا ضيفٌ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقَّت أُذُنها، ثم خُلّيَ سبيلُها مع أُمِّها، فلم يُرْكَب ظَهْرُهَا، ولم يُجزّ وَبرُهَا، ولم يَشْرب لبَنَها إلا ضيفٌ، كما فُعِل بأُمِّها، فهي البَحيرة بنت السائبة. والوَصِيلة: الشاةُ إذا أَتْأَمَتْ عَشْرَ إناثٍ مُتتابعات في خَمْسة أبْطُن، ليس بينهنّ ذَكَرٌ، جُعلت وَصِيلةً. قالوا: قد وَصَلَتْ، فكان ما وَلَدَتْ بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلا أن يَموت منها شيءٌ، فيشتركوا في أكْله، ذكورُهُم وإناثُهم.

قال ابن هشام: ويُروَى: فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم.

قال ابن إسحٰق: والحامي: الفَحْلُ إذا نُتِجَ له عَشْرُ إناث مُتتابعات ليس بينهنّ ذَكَرٌ، حُمِي ظَهْرُه فلم يُرْكَب، ولم يُجزّ وَبَرُه، وخُلِّيَ في إبله يَضْرِب فيها، لا يُنتفَع منه بغير ذلك.

قال ابن هشام: وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامي، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحٰق. فالبحيرةُ عندهم: الناقَةُ تُشَقُّ أُذُنها فلا يُركب ظهرُها، ولا يُجزّ وَبرُها، ولا يَشرب لبنَها إلا ضيفٌ، أو يُتصدَّق به، وتُهمَل لآلهتهم. والسائبة: التي يَنْذِرُ الرجل أن يُسَيِّبها إن بَرِىء من مرضه أو إن أصاب أمرًا يَطْلُبه. فإذا كان أساب

نزلوا بأنْقِرَةٍ يسيل عليهم ... ماءُ الفرات يجيء مِن أطواد

أرض الْخَوَرْنَقِ والسَّدير وبارق ... والبيت ذي الْكَعَبَاتِ من سَنْدَادِ

جَرت الرياحُ على مَحل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد

وأرى النَّعِيمَ، وكُلّ ما يُلْهَى به ... يومًا يصيرُ إلى بِلًى ونَفادِ

ومعنى السدير بالفارسية: بَيت الملك. يقولون له: «سِهْدِلِيّ» أي: له ثَلاث شعب، وقال البكري: سُمّي السَّديرَ؛ لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه، فَتَسْدَر من عُلُوِّه، يقال: سَدِرَ بصره إذا تَحيَّر.

البحيـرة والسائبة

فصل: وذكر الْبَحِيرَةَ والسائبة، وفسر ذلك، وفسره ابنُ هشام بتفسير آخر. وللمفسرين في تفسيرهما أقوالٌ منها: ما يَقرُبُ، ومنها ما يَبْعُد من قولهما، وحَسْبُك منها ما وقع في الكتاب؛ لأنها أُمورٌ كانت في الجاهلية قد أبْطلَها الإسلامُ، فلا تمسّ الحاجةُ إلى علمها.

ناقة من إبله، أو جملاً لبعض آلهتهم، فسابت فَرَعَتْ لا يُنتفع بها. والوَصِيلة: التي تَلِد أُمُّها اثنين في كل بطن، فيَجعل صاحبُها لآلهته الإناث منها، ولنفسه الذكور منها: فتلدُها أمها ومعها ذكر في بطن، فيقولون: وَصَلت أخاها؛ فيُسيَّب أخوها معها، فلا يُنتفع به.

قال ابن هشام: حدّثني به يونس بن حَبيب النحوي وغيرُه. روى بعضٌ ما لم يَرْوِ بعض.

قال ابن إسحٰق: فلما بعث الله تبارك وتعالى رسولَه محمدًا - ﷺ - أنزل عليه: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَام وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]. وأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩]. وأنزل عليه: ﴿قُلْ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرامًا وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]. وأنزل عليه: ﴿ومن الأنعَام حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلوا مما رزقَكم اللَّهُ، ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشيطان إنه لكم عَدُوٌّ مُبِينٌ ثمانيةَ أزواج مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثنين قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَر اثْنَيْن قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٢ - ١٤٤].

قال ابن هشام: قال الشاعر:

حُولُ الوصائلِ في شُرَيفٍ حِقَّةٌ ... والحاميات ظُهورها وَالسُّيَّبُ

وذكر ما أنزل الله في ذلك، منها قوله تعالى: ﴿خالِصَةٌ لِذُكُورِنَا ومُحَرَّمٌ على أزواجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] وفيه من الفقه: الزَّجْرُ عن التَّشَبُّهِ بهم في تخصيصهم الذكورَ دون الإناث بِالْهِبَاتِ. روت عمرة عن عائشة عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: يَعْمِد أحدُكم إلى المال، فيجعله عند ذكور وَلَدِه. إنْ هذا إلاَّ كما قال الله تعالى: ﴿وقالوا ما في بُطُون هذه الأنعامِ خالصةٌ لذكورنا﴾ رواه البخاري في التاريخ من حديث سُليمان بن حجاج.

وقال تميم بن أُبَي بن مُقْبل أحد بني عامر بن صَعْصَعَة:

فيـه مـن الأخْـرَجِ الـمِـرْبـاعِ قَـرْقَـرَةٌ   هَدْرَ الدِّيافِيِّ وسْط الْهَجْمة البُحُر

وهذا البيت في قصيدة له. وجمع بحيرة: بحائر وبُحُرٌ. وجمع وصيلة: وصائل ووصل. وجمع سائبة الأكثر: سوائب وسُيَّب، وجمع حام الأكثر: حوام.

وأنشد في البحيرة:

فيـه مـن الأخْـرَجِ الـمِـرْبَـاعِ قَـرْقَـرةٌ   هَـدْرَ الدِّيَافيِّ وَسْط الْهَجْمَةِ الْبُحُرِ

هكذا الرواية: المِربَاعِ بالباء من الربيع، والمرباعُ هو: الفحل الذي يُبَكِّر بالإلقاح، ويقال للناقة أيضًا: مِرباعٌ إذا بكَّرت بالنِّتاج، وللروضة إذا بَكَّرَت بالنَّبات.

يصف في هذا البيت حمار وَحش يقول: فيه من الأخرج، وهو: الظَّليمُ الذي فيه بياضٌ وسوادٌ، أي: فيه منه قَرْقَرَةٌ أي صَوْتٌ وهَدْر مثل هَدْر الدِّبَافي أي: الْفَحل المنسوب إلى دِياف بلد بالشام، والْهَجْمَةُ من الإبل: دون المائة، وجعلها بُحُرًا لأنها تأمن من الغارات، يصفها بالْمَنَعَةِ والحماية، كما تأمن من الْبَحِيرَةُ من أن تُذْبح أو تُنحر، ورأيت في شعر ابنِ مُقْبل: من الأخرج المرياع بالياء أُخت الواو، وفسّره في الشرح من راع يَرِيع إذا أسرع الإجابة، كما قال طرفةُ: «تَرِيعُ إلى صوت الْمُهيب[1] وتَتَّقِيَ[2]».

والنفس إلى الرواية الأُولى أسكن، وحُكِيَ عن ابن قُتَيبة أنه قال: في الْبُحُر: هي الغزيرات اللَّبَن لا جمع بَحِيرة، كأنها: جمع بُحُورٍ عنده، فَظَنُّ هذا يُذْهِبُ المعنى الذي ذكرنا من أَمْنِها وَمَنَعَتِها؛ إذ ليس هذا المعنى في الْغَزِيرات اللَّبَن، لكنه أظهرُ في العربية؛ لأن بَحيرة: فَعِيلة، وفعِيلةٌ لا تُجمع على فُعلِ إلاَّ أن تُشبَّه بسفينةٍ وسُفُن، وخريدة وخُرُدٍ، وهو قليل. وقيل البيت في وصف روض:

بـعـازِبِ الـنَّـبْـت[3] يـرتـاحُ الـفـؤادُ لـه   رَأْدَ النَّـهـارِ[4] لأصْواتٍ من النُّغَرِ[5]

وبعد البيتِ الواقع في السيرة:

والأزرق الأخْضر السِّربَالِ مُنتصبٌ   قَـيْـد الْـعَـصـا فَـوْقَ ذيَّـالٍ مـن الـزَّهَـر

يعني بالأزرق: ذُبابَ الرَّوض، وكذلك النُّغَر. وقولُه في البيت الآخر: حُولُ الوصائل:

---

(١) المهيب: داعي الإبل.

(٢) تتقي: أي تتّقي بذنب ذي خصل.

(٣) نبت عازب: لم يُرع قط ولا وطيء.

(٤) رأد النهار: نور الضحى.

(٥) النغر: فراخ العصافير.

عدنا إلى سياقة النسب

نسب خزاعة

قال ابن إسحٰق: وخزاعة تقول: نحن بنو عَمْرو بن عامر من اليمن.

قال ابن هشام: وتقول خزاعة: نحن بنو عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عمْرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثَعْلَبة بن مازن بن الأسد بن الغَوْث، وخِنْدِف أُمها، فيما حدّثني أبو عُبيدة وغيره من أهل العلم. ويقال: خُزاعة: بنو حارثة بن عمرو بن عامر. وإنما سُمِّيت خزاعة، لأنهم تخزّعوا من ولد عمرو بن عامر، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمرِّ الظَّهْران، فأقاموا بها. قال عون بن أيوب الأنصاريّ أحد بني عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة من الخزرج في الإسلام:

فلما هبطْنا بَطْن مَرٍّ تَخَزَّعت — خُزاعة مِنَّا في خيول كَرَاكِرِ
حَمَتْ كلَّ وَادٍ من تِهَامَةَ واحتمتْ — بِصُمِّ القَنَا والمُرْهَفات البواتر

وهذان البيتان في قصيدة له.

جمع حائِل، ويقال في جمعها أيضًا: حُوَلَلٌ، ومثله: عائِطٌ وعُوطَطٌ على غير قياس. والشُّرَيْفُ[1] اسم موضع.

نسب خزاعة

وقوله في نَسَبِ خُزَاعَة: تقول خُزَاعَة: نحن بنو عَمْرو بن عامر إلى آخِر النسب، وقد تقدم أن عَمْرًا يقال له: مُزَيْقِيَاءُ. وأمَّا عامرٌ فهو: ماءُ السماءِ، سُمِّي بذلك لجودِهِ وقيامِهِ عندهم مقامَ الْغَيْث. وحارثةُ بن امرىء القيس بن ثَعلَبة وهو الْغِطْرِيفُ[2].

بطن مرّ:

وقول عون: فلما هَبَطْنَا بَطْنَ مَرٍّ. يريد: مَرَّ الظَّهْرانِ، وسُمِّي مَرًّا لأن في عرقٍ من الوادي من غير لون الأرْضِ شِبه الْميم الممْدودة، وبعدَها را خُلِقَتْ كذلك، ويذكر عن كثير أنه قال: سُمِّيت: مَرًّا لمرَارتها، ولا أدري ما صحة هذا.

---

(١) الشريف: ماء لبني نمير.

(٢) الغطريف: السيد. والغطريف الكبير: عامر من بغي مبشر.

وقال أبو المطهَّر إسماعيل بن رافع الأنصاريّ، أحدُ بَني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس:

فلمَّا هبطنا بطنَ مكة أحْمَدَت ... خُزاعةُ دار الآكل المُتَحامِلِ

فحلَّت أكاريسًا، وشَتَّت قنابلاً ... على كلّ حيٍّ بين نَجْد وساحل

نَفَوْا جُرْهُمًا عن بطن مكة، واحْتَبَوا ... بِعِزٍّ خُزاعيٍّ شديد الكواهل

قال ابن هشام:

وهذه الأبيات في قصيدة له، وأنا إن شاء الله أذكر نَفْيَها جُرْهُمًا في موضعه.

فلما هبطنا بطن مَرٍّ البيتين وبعدهما:

خُزَاعَتُنَا أهْلُ اجتهادٍ وهجْرةٍ ... وأنصارُنا جندُ النَّبيِّ المهاجر

وسِرْنا إلى أن قَدْ نزلنا بيَثْرِب ... بلا وَهَنٍ منا وغير تَشاجُرِ

وسارت لنا سَيَّارَةٌ ذات منظَرِ ... بكُوم[1] المطايَا والخيول الجُمَاهِر[2]

يؤُمُّون أهْلَ الشام حين تمكَّنوا ... ملُوكًا بأرض الشام فوق الْبَرَابِرِ

أولاكَ بنو ماءِ السماءِ توارثوا ... دِمَشْقًا بمُلكٍ كابرًا بعدَ كابر

الحلُولُ، جمع: حَالٌ، والكراديس جمع: كُرْدُوس: الخيل.

دمشـــق:

وقوله: دِمَشْقًا، سُمِّيت مدينة الشام باسم الرجل الذي هاجر إليها مع إبراهيم، وهو: دامشق بن النُّمْرُوذِ بن كَنْعان[3]، أبوه: الملكُ الكافرُ عدُوُّ إبراهيم، وكان ابنه دامشق قد آمن بإبراهيم، وهاجر معه إلى الشام. كذلك ذكر بعض النُّسَّاب، وذكره البكْري في كتاب المعجم. والدِّمَشْقُ في اللغة: الناقةُ الْمُسِنَّة - فيما ذكر بعضهم - وكان يقال لِدِمَشْقَ أيضًا: جَيْرُونُ سُمِّيت باسم الذي بناها، وهو: جَيْرونُ بن سعد [بن عادٍ]، وفيها يقول أبو دَهْبَل [الجُمَحِيّ]:

صاحِ: حَيَّا الإلهُ حَيًّا ودارا ... عند شَرْق القَناة من جَيْرُون[4]

---

(١) كوم: جمع كوماء. وهي الناقة العظيمة السنام.

(٢) الجماهر: الضخم.

(٣) وقيل: دمشق، دِمشاق، دامشقيوش، دماشق بن كنعان.

(٤) جيرون: سقيفة مستطيلة على عُمد وسقائف. بدمشق.

أولاد مدركة وخزيمة وكنانة والنَّضْر

قال ابن إسحٰق: فولد مُدْرِكة بن إلياس رجلَيْن: خُزَيمة بن مُدْرِكة، وهُذَيل بن مُدْركة، وأُمُّهما: امرأة من قُضاعة [قيل: سلمى بنت أسد بن ربيعة بن نزار ـ كما في نسب قريش]. فولد خُزَيمة بنُ مُدركة أربعةَ نفر: كِنانة بن خُزَيمة، وأسَد بن خُزَيمة، وأسَدَة بن خُزَيمة، والهُون بن خُزَيمة، فأُمُّ كِنانة: عَوَانَةُ بنت سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضر.

قال ابن هشام: ويقال الهَوْن بن خُزيمة.

قال ابن إسحٰق: فولد كنانة بن خُزَيمة أربعةَ نفر: النَّضْر بن كِنانة، ومالك بن كِنانة، وعبد مناة بن كِنانة، ومِلْكان بن كِنانَة فأُمُّ النضر: بَرَّةُ بنتُ مُرّ بن أدّ بن طابِخَة بن إلياس بن مُضر، وسائر بَنيه لامرأة أخرى.

قال ابن هشام: أُم النضر ومالك ومِلْكان. بَرّةُ بنت مُرّ، وأُم عبد مَنَاةَ: هالة بنت سُوَيد بن الغِطْريف من أزد شَنُوءَة. وشنوءَة: عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأسْد بن الغوث، وإنما سُمُّوا شَنُوءَةَ؛ لِشَنَآنٍ كان بينهم. والشنآن: البغض.

قال ابن هشام: النَّضْرُ: قُرَيْشٌ، فَمَنْ كان من ولده فهو قُرَشِيّ، ومَن لم يكن من ولده فليس بقرشيّ. قال جرير بن عطيّة أحد بني كُلَيْبِ بن يَرْبُوع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تميم يمدح هشامَ بن عبد الملك بن مروان:

فما الأُمُّ التي وَلَدَتْ قريشًا ... بِمُقْرِفَةِ النِّجَار ولا عَقيم
وما قَرْمٌ بأنْجَبَ من أبيكم ... وما خالٌ بِأكْرَمَ من تميم

بنو كنانة

وذكر بني كِنانة الأربعة: مالِكًا ومِلْكان والنَّضْر وعَبْد مناة. وزادَ الطَّبريُّ في وَلد كنانة: عامرًا والحارث والنُّضير وغَنْمًا وسَعْدًا وعَوْفًا وجَرْوَلَ والْحُدَالَ وغَزْوان. كلهم بنو كنانة.

قريش:

فصل: وذكر النَّضرَ بن كِنانة، وقول مَن قال إنه: قُرَيْش، والقول الآخر في أن فِهْرًا هو: قُرَيْشٌ، وقد قيل: إن فِهْرًا لقبٌ، واسمه الذي سُمِّي به: قُرَيْشٌ[1].

---

(١) وانظر فتح الباري (٦/ ٤١٥) ونسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري (ص ١٣). مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٧٠).

يعني: بَرَّة بنت مُرّ أُخت تميم بن مرّ، أُم النضر. وهذان البيتان في قصيدة له.

وأما يَخْلدُ بن النَّضر، فذكر أبو عبد الله الزبير بن بَكّارٍ في أنساب قريش له، قال: قال عمّي: وأما بَنُو يَخْلُدُ بن النضر، فَذُكر[وا] في بني عَمْرو بن الحارث بن ملك بن كنانة، ومنهم: قريش بن بَدْر بن يَخْلُدُ بن النَّضر، وكان دليلَ بني كِنَانة في تجاراتهم، فكان يقال: قدمَتْ عِيرُ قريش، فسُمِّيت قُرَيْشٌ به، وأبوه: بَدْرُ بن يَخْلُد صاحبُ بدرِ الموضِع الذي لَقِيَ فيه رسول الله - ﷺ - قريشًا.

وقال عن غيرعمه: قريش بن الحارث بن يَخْلُدُ، وابنه: بدر الذي سُمِّيتْ به بدر، وهو احْتَفَرها. قال: وقد قالوا: اسمُ فهر بن مالك: قريش، ومَن لم يلده فهرٌ، فليس مِنْ قُرَيْشٍ، وذكر عن عمه أن فِهْرًا هو: قُرَيْشٌ.

وقال أبو عبد الله: حدّثني عَمْرُو بن أبي بكر الْمؤَمّلي عن جدّي عبد الله بن مصعب - رحمه الله - أنه سمعه يقول: اسْمُ فِهرِ بن مالكٍ: قُرَيْشٌ، وإنما فِهْرٌ لقب، وكذلك حدّثه الْمؤَمّليُّ عن عُثمان بن أبي سليمان في اسم فِهْر بن مالك: أنه قريش، ومثل ذلك ذكر عن الْمؤَمّليّ عن أبي عُبَيْدة بن عبد الله في اسم فهر بن مالك: أنه قريش. قال: وحدّثني إبراهيم بن الْمُنْذِر، وقال: حدّثنا أبو الْبَخْتَرِيّ: وَهْبُ بن وَهْبٍ، قال: حدّثني ابن أخي ابن شهاب عن عمّه أن اسم فِهْر بن مالك الذي أسمته أمه: قريش، وإنما نَبَزَتْه فِهْرًا، كما يُسمى الصبي: غِزارة وشَمْلة، وأشباه ذلك، قال: قال: وقد أجمَع النُّسَّابُ من قريشٍ وغيرهم أن قريشًا إنما تفرقت عن فِهْرٍ، والذي عليه من أدركتُه من نُسَّاب قريش وغيرهم أن ولَدَ فِهْر بن مالك: قُرَيْشٌ، وأن مَن جاوز فِهْر بن مالك بنسبه، فليس من قريش.

وذكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي فيما حدّثه أبو الحسن الأثْرَمُ عنه أن النضر بن كنانة هو: قريش، وذكر عنه أنه قال في موضِع آخر: ولد مالك بن النضر فِهْرًا، وهو جُمّاعُ قريش، وقال: قال محمد بن حسن عن نَضر بن مُزَاحم، عن عَمْرو بن محمد عن الشَّعْبي، قال: النضر بن كنانة هو قريش، وإنما سُمِّي قريشًا؛ لأنه كان يُقَرِّش عن خَلَّةِ الناس وحاجتهم، فيسدّها بماله، والتَّقْرِيش. هو التفتيش، وكان بنوهُ يَقَرِّشُون أهلَ الموسم عن الحاجة، فَيَرْفِدُونهم بما يبلغهم، فسُمُّوا بذلك من فعلهم، وَقرشِهِمْ: قريشًا. وقد قال الحارث بن حِلِّزَةَ في بيان الْقَرْش:

أيها الناطقُ الْمُقَرِّش عنا ... عند عَمْرٍو، فهل له أنفاء

وحدّثه أبو الحسن الأثرم عن أبي عُبَيْدَة مَعْمَر بن الْمُثنى [التَّيْمِي]، قال: منتهى مَن وقع عليه اسم قريش: النضر بن كنانة، فولدُه: قريشٌ دون سائر بني كنانة بن خُزَيمة بن

ويقال: فِهْرُ بنُ مالكٍ: قريش، فمَن كان من ولده فهو قُرَشيٌّ، ومَن لم يكن من ولده فليس بقرشيّ، وإنما سُمّيت قريش قريشًا من التَقَرُّشِ، والتَّقَرُّش: التجارة والاكتساب. قال رؤبة بن العَجّاج:

قد كان يُغنيهم عن الشُّغُوشِ وَالْخَشْلِ مِن تساقط القُرُوش
شَحْمٌ ومَحْضٌ ليس بالْمَغْشوشِ

قال ابن هشام: والشغُوش: قمح يسمى: الشُّغوش. والخشل: رؤوس الخلاخيل والأسْوِرَةِ ونحوه. والقروش: التجارة والاكتساب، يقول: قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومَحْض، والْمَحْضُ: اللبن الحليب الخالص.

مُدْرِكة، وهو عامر بن إلياس بن مُضَر، فأما مَن ولد كنانة سوى النَّضْر فلا يقال لهم: قريش، وإنما سُمّي بنو النضر قُرَيشًا لتجمعهم، لأن التَّقَرُّش هو التجمع. قال: وقال بعضهم: التجار يتقارشون: يتجرون، والدليل على اضطراب هذا القول أن قريشًا لم يجتمعوا حتى جمعهم قُصَيُّ بن كِلَابٍ، فلم يجمع إلا ولد فهر بن مالك لا مِزية عند أحد في ذلك، وبعد هذا فنحن أعلم بأمورنا، وأرعى لمآثرنا، وأحفظ لأسمائنا، لم نعلم ولم ندع قريشًا، ولم نُهَمِّمْ إلا ولد فهر بن مالك.

قال المؤلف: في جميع هذا الكلام من قول الزبير، وما حكاه عن النسّابين نقلته من كتاب الشيخ أبي بحر ـ رحمه الله ـ ثم أَلْفَيْته في كتاب الزبير كما ذكره، ورأيت لغيره أنَّ قُرَيْشًا تصغيرُ القَرش، وهو حُوتٌ في البحر يأكل حيتانَ البحر، سُمّيت به القبيلة، أو سُمّي به أبو القبيلة ـ والله أعلم ـ وردَّ الزبيرُ على ابن إسحٰق في أنها سُمّيت قريشًا لتجمعها، وأنه لا يُعْرف قريشٌ إلا في بني فهر رَدًّا لا يلزم؛ لأن ابن إسحٰق لم يقل: إنهم بنو قُصَيٍّ خاصة، وإنما أراد أنهم سُمُّوا بهذا الاسم مذ جمعهم قُصَيّ، وكذا قال المبرّد في الْمُقْتَضَب: إن هذه التسمية إنما وقعت لُقُصَيٍّ ـ والله أعلم ـ غير أنّا قدّمنا في قول كَعب بن لؤيٍّ ما يدل على أنها كانت تسمى قريشًا قبل مولد قُصَي وهو قوله: إذا قُرَيْشٌ تُبَغّي الحقَّ خِذْلانا.

وذكر قول رُؤْبة: قد كان يُغنيهم عن الشُّغُوش. وفسره: ضربٌ من القمح، وفسر الْخَشْل: رؤوس الخلاخيل. وفي حاشية الشيخ عن أبي الوليد قال: إنما الْخَشْلُ: الْمُقْلُ[1]،

---

(١) خشل: الخاء والشين واللام أصل واحد يدل على حقارة وصغر: وأصله الصغار من المُقْل. انظر مقاييس اللغة (٢/ ١٨٣).

وهذه الأبيات في أُرْجوزَةٍ له. وقال أبو جِلْدَة الْيشكُرِيّ، ويَشْكُرُ بن بكر بن وائل:

إخوةٌ قَرّشوا الذُّنوبَ علَيْنا   في حديث من عُمْرِنا وقَديمِ

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحٰق: ويقال: إنما سُمِّيت قريش: قريشًا لتجمعها من بعد تفرُّقِها.

ويقال للتجمع: التَّقَرُّشُ.

فولد النَّضْرُ بنِ كِنَانَة رجلين: مالكَ بن النضر، ويَخْلُدَ بن النضر، فأُمُّ مالك: عاتكةُ بنت عَدْوان بن عمرو بن قَيْس بن عَيْلان، ولا أدري أهي أُمّ يَخْلُد أم لا.

قال ابن هشام: والصَّلْت بن النَّضرِ ـ فيما قال أبو عمرٍو المَدَنِيّ ـ وأُمهم جميعًا: بنت سعد بن ظَرِب العَدْواني. وعَدْوان: بن عمر بن قيس بن عَيْلاَنِ. قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن ـ وهو كُثَيِّر عَزّة أحد بني مُلَيح بن عَمْرو، من خُزاعة:

أليس أبي بالصَّلْت أمْ ليس إخوتي   لكلّ هِجَانٍ من بَني النَّضر أزْهَرَا
رأيت ثيابَ الْعَصْبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى   بنا وبهمْ والْحَضْرَمِيَّ الْمُخصَّرا
[إذا ما قَطعْنا من قريش قَرَابَةً   بأيّ نِجَادٍ يحمل السيف مَيْسَرا]
فإن لم تكونوا من بني النَّضْر، فاتركوا   أرَاكًا بأذناب الفَوَائِجِ أخضرا

وهذه الأبيات في قصيدة له.

والذين يُعْزَوْنَ إلى الصَّلت بن النَّضْر من خزاعة: بنو مُلَيح بن عمرو، رَهْط كُثَيِّر عَزّة.

والقروش: ما تساقط من حُتَاته، وتقشر منه، وأنشد لكُثَيِّر بن عبد الرحمن: أليس أبي بالصَّلْت أم ليس إخوتي. البيت وبعده:

رأيت ثيابَ الْعَصْبِ مُخْتَلِطَ السَّدي   بنا وبهم والْحَضْرَمِيَّ الْمُخَصَّرَا

والعَصْبُ: بُرُودُ اليمن، لأنها تصبغ بالْعَصْبِ، ولا ينبت الْعَصْبُ، ولا الْوَرْس إلا باليمن، وكذلك اللُّبَان. قاله أبو حَنِيفة. يريد: إن قدودَنا من قُدُودِهِمْ، فَسَدَى أثوابنا، مُخْتلطٌ بسدي أثوابهم. والْحَضْرَمِيُّ: النعالُ الْمُخَصَّرَةُ التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة

أولاد مالك وابنه فهر:

قال ابن إسحٰق: فولد مالكُ بن النضر: فِهْرَ بن مالك، وأُمُّه: جَنْدَلَةُ بنت الحارث بن مُضاض الْجُرْهُمِيِّ.

قال ابن هشام: وليس بابن مِضَاضٍ الأكبر.

قال ابن إسحٰق: فولد فِهْر بن مالك أربعةَ نفر: غالب بن فهر، ومُحارب بن فهر، والحارث بن فهر، وأسَد بن فهر، وأُمُّهم: ليلى بنت سعد بن هُذَيْل بن مُدْرِكة.

قال ابن هشام: وجَنْدَلَةُ بنت فهر، وهي أُم يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مَنَاة بن تميم، وأُمها: ليلى بنت سَعْد. قال جَرير بن عَطِيَّة بن الخَطَفى. واسم الخَطَفى: حُذَيْفَةُ بن بَدر بن سَلَمَة بن عَوْف بن كُليب بن يَرْبوع بن حَنْظَلَةَ.

وإذا غَضِبْتُ رَمَى ورائي بِالْحَصَى أَبْنـاءُ جَنْـدلـةٍ كَـخيـر الْـجَنْـدَل

وهذا البيت في قصيدة له.

الْخَصْرَيْنِ كما يقال: رجل مُبَطَّنٌ، أي: ضامر البَطن، وجاء في صفة نعل النبي - ﷺ - أنها كانت مُعَقَّبَةً مُخَصَّرةً مُلَسَّنَةً مُخَتْرَمة. والمخترمة التي لها خترمة، وهو كالتحدير في مقدمها وكانت نعله - عليه السلام - من سِبْتٍ، ولا يكون السِّبْتُ إلا من جلد بقر مَدبوغ. قاله أبو حنيفة عن الأصْمَعِيّ وأبي زيد.

وذكر قول جرير بن الْخَطَفَى:

يَـرْفَـعْـنَ بـالـلَّـيْـل إذا مـا أسْـدَفـا
أعـنــاق جِـنَّــانٍ وهــامًــا رُجَّــفَــا
وعَـنَـقًـا بـاقـي الـرَّسِـيـم خَـيْـطَـفَـا

والْخَيطَفَةُ: سُرعةٌ في العَدْو، فإذا وصفت به العَنَق والْجَرْي قلت: عَنَقٌ خَيْطَفٌ، وإذا سَمَّيْت به الرجل قلت: خَطَفَى، وكذلك إن جعلته اسمًا للمِشْية: فهو مثل: الْجَمَزَى والْبَشَكى[1].

---

(١) جمزى وبشكى: أي خفيف الحركة.

غالب وزوجاته وأولاده

قال ابن إسحٰق: فولد غالبُ بن فِهر رجلَين: لؤيّ بن غالب، وتَيْم بن غالب، وأمهما: سَلمى بنت عمرو الْخُزَاعِيّ - وَتَيْم بن غالب الذين يقال لهم: بنو الأدْرَمِ.

قال ابن هشام: وقَيْس بن غالب، وأمه: سَلْمى بنت كَعْب بن عمرو الخُزاعيّ، وهي أمّ لؤيّ وَتَيْم ابني غالب.

نسـل لـؤي

قال ابن إسحٰق: فولد لؤيّ بنِ غالب أربعةَ نفر: كَعْب بن لُؤيّ، وعامر بن لُؤَيّ، وسامة بن لُؤَيّ، وعَوف بن لُؤَيّ، فأُمّ كعب وعامر وسامة: ماوِيَّةُ بنت كعب بن الْقَيْن بن جَسْرِ، من قُضاعة.

بنـو الأدرم

وقوله: وتيم بن غالب وهم: بنو الأدْرَم[١]. والأَدْرَم: المدفون الكَعْبين من اللحم، يقال: امرأة دَرْمَاءُ وكعب أدرَم. قال الراجز:

قـامـت تُـريـه خَـشْـيَـةً أنْ تُـصْـرَمَـا   سـاقًـا بَـخَـنْـدَاةً وكَـعْـبًـا أدْرَمَـا

وكَـفَـلاً مـثـل الـنَّـقَـا أو أعْـظَـمـا[٢]

والأَدْرَمُ أيضًا: الْمَنْقُوض الذَّقن، وكان تيم بن غالب كذلك، فسُمّي: الأدْرَم، قاله الزبير. وبنو الأدرم هؤلاء هم: أعرابُ مكّة، وهم من قُريش الظواهر، لا من قريش الْبِطَاح[٣]، وكذلك بنو مُحارب من فهر، وبنو مَعِيص بن عامر.

ماوية امرأة لؤي

وذكر بني لؤي، فقال: أُمُّ عامر: مَاوِيَّةُ بنت كعب بن القَيْنِ. سُمِّيت بالماوِيَّةِ، وهي: المرآة، كأنها نُسبت إلى الماء لصفائها، وقُلِبَت همزةُ الماء واوًا، وكان القياس أن تقلبَ

---

(١) درم: الدال والراء والميم أصلٌ يدل على مقاربة ولين. يقال درغٌ دِرِقةٌ: أي لَيِّنَة متّسقة. والدَّرَمان: تقارب الخطو. ومن الباب الدَّرَم: وهو استواء في الكعب تحت اللحم حتى لا يكون له حجم. يقال له كَعْبٌ أدْرَمُ. انظر مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٠) واللسان (درم).

(٢) البيت للحجاج كما في اللسان والمقاييس.

(٣) قريش البطاح: هم قبائل عبد مناف. بنو عبد الدار، بنو عبد العزى، وبنو عبد بن قصي، وبنو زهرة وبنو مخزوم وبنو تيم بن مرة وبنو جمع وسهم وبنو عدي وبنو عتيك.

قال ابن هشام: ويقال: والحارث بن لُؤَيّ، وهم: جُشَم بن الحارث، في هِزّان من رَبيعة. قال جرير:

بني جُشَمٍ لستم لِهِزَّانَ، فانْتَمُوا　　لأعلى الرّوابي من لُؤَيّ بن غالب

ولا تُنْكِحوا في آل ضَوْرٍ نساءَكم　　ولا في شُكَيْس بئس مَثْوى الغَرائب

وسَعْد بن لؤيّ، وهم بُنانة: في شَيْبان بن ثَعْلبة بن عُكَابَةِ بن صَعْبِ بن عليّ بن بَكْر بن وائل، من ربيعة.

وبُنَانَةُ: حاضنةٌ لهم من بَني الْقَيْنِ بن جَسْر بن شَيْع الله، ويقال: سَيْع الله، بن الأسْد بن وَبْرَة بن ثعلبة بن حُلوان بن عِمْرَان بن الْحَافِ بن قُضاعة. ويقال: بنت

هاء[1] فيقال: ماهِيَّة، ولكن شبّهوه بما الهمزة فيه منقلبة عن ياء أو واو، لَمَّا كان حكم الهاء أن لا تُهمز في هذا الموضع، فلما شُبِّهت بحروف المدّ واللين، فَهَمزُوها لذلك، اطَّرد فيها ذلك الشَّبَه، ويحتمل اسم المرأة أن يكونَ من أوَيْتَهُ، إذا ضَمَمْتَه إليك، يقال: أوَيْت مثل: ضَمَمْت، وآوَيْته مثل: آذَيْته، ثم يقال في المفعول من أوَيْته على وزن فَعَلت: مَأوِيّ والمرأة مأوِيَّةٌ، ثم تُسهَّل الهمزة، فتكون ألفًا ساكنة.

وخالفه ابن هشام في أم عامر فقال: مَخْشِيّة بنت شَيْبان بن مُحارب بن فهر، وماويّة: أُم سائر بنيه غير عامر.

بنانة وعائذة وبنو ناجية وذبيان وسامة:

وذكر سعد بن لؤي وأنهم: بُنَانَةُ في شَيْبان، عُرِفوا بحاضِنَةٍ لهم اسمها: بُنَانة، وكان بنو ضُبَيْعَة قد ادعوهم، وهو ضبيعة أضْجَم بن ربيعة، لا ضُبَيْعَة بن أُقَيْش بن ثعلبة، فلما كان زمن عمر، قَدِموا عليه، وفيهم سيد لهم يقال له: أبو الدَّهْمَاء، فكلم أبو الدَّهْمَاءِ عمر أن يُلحقهم بقريش، فأنكر عمر ذلك، فأخبره عثمان عن أبيه عفّان: أنه حدّثه بصحة نسبهم إلى قريش، وسبب خروجهم عنهم، فواعدهم أن يأتوه العام القابل، فيلحقهم، فقُتل أبو الدّهماء عند انصرافه، وشُغِلوا بأمره، حتى مات عمر، فألحقهم عثمان بقريش، فلما كان عليٌ نفاهم عن قريش، وردّهم إلى شيبان فقال الشاعر:

ضَرَب التُّجِيبيُّ[2] الْمُضَلل ضَرْبَةً　　رَدَّت بُنَانَةَ في بني شيبانا

والعائذِيُّ لمثلها مُتَوَقّع　　لما يكن، وكأنه قد كانا

---

(١) لأن الهاء هي أصل الهمزة في هاء.　　(٢) التجيبي: بطن من كندة.

النَّمِرِ بن قاسط، من رَبيعة. ويقال: بنت جَرْم بن رَبَّانِ بن حُلوان بن عِمْران بن الحافِ بن قُضاعة.

وخُزَيْمَةُ بن لُؤَيّ بن غالب، وهم عائِذة في شَيْبَان بن ثَعْلبة. وعائِذة امرأة من اليمن، وهي أم بني عُبَيْدَة بن خُزيمة بن لُؤَيّ.

وأُم بني لُؤَيّ كلِّهم ـ إلا عامر بن لُؤَيّ: ماوِيَّةُ بنت كعب بن الْقَيْن بن جَسْر. وأم عامر بن لُؤَيّ: مَخْشِية بنت شَيْبان بن مُحارب بن فِهْر، ويقال: لَيْلى بنت شيبان بن مُحارب بن فِهْر.

أمــر سامة:

قال ابن إسحٰق: فأما سامة بن لُؤَيٍّ فخرَج إلى عُمَان، وكان بها. ويزعمون أن عامرَ بن لُؤَيٍّ أخْرجه، وذلك أنه كان بينهما شيءٌ، ففقأ سامةُ عينَ عامر، فأخافه عامرٌ،

لخصت هذا الخبر من حديث ذكره البَرْقِيُّ عن ابن الكلبي، والبُنانة في اللغة: الرائحة الطيبة. وقال أبو حنيفة: البُنانة: الروضة الْمُعْشِبَة الحالِيَة، أي: قد حُلِّيَت بالزهر.

وذكر خُزَيْمَةَ بن لُؤَيٍّ، وأنهم انتسبوا في شَيْبَان، ويعرفون بأُمهم عائذة، قال: وعائذة من اليمن، وقال غيره: هي بنْت الْخِمْس بن قُحَافَة من خَثْعَم ولدت لعُبيد بن خزيمة مالكًا وحارثًا، فهم بنو خزيمة عائذة [قريش]، ومن بني خزيمة أيضًا: بنو حرب بن خُزَيمة، قتلتهم الْمُسَوِّدة في قريتهم بالشام، وهم يحسبونهم بني حرب بن أُمية.

وذكر بنت جَرْم بن رَبَّان. وبنت جَرْم هي: ناجية، واسمها: ليلى، وجَرْم أبو جُدَّة الذي نزل جُدَّة من ساحل الحجاز، فعرفت به، كما عُرِفت كثيرٌ من البلاد بمَن نزلها من الرجال، وقد تقدّم طرف من ذلك، وسيأتي في الكتاب كثير إن شاء الله تعالى. وربان هو: عِلاَفٌ الذي تُنسب إليه الرِّحال العِلاَفِيَّةُ.

وذكر سَعْد بن ذُبْيَان، وقصته مع عوف بن لؤي وذُبْيَان بن بَغِيضٍ: بكسر الذال وضمها، والكسر أفصح، وهم أربعة أحياء من العرب: ذِبيان بن بَغِيض في قيس، وذِبيان بن ثعلبة في بَجِيلَةَ، وذبيان في قضاعة، وذبيان في الأزْدِ.

وذكر ابن دريد في كتاب اشتقاق الأسماء له: أن ذُبْيَان فُعْلاَن [أو فِعْلان] من ذَبَى العودُ يَذْبِي [ذَبْيًا إذا لانَ وَاسْتَرْخَى]. يقال: ذبى العودُ، وذَوى بمعنى واحد.

وذكر حديث سَامَة بن لؤي حين قَدِم على رسول الله ـ ﷺ ـ أحد بنيه، فانتسب له إلى سامة، فقال له عليه السلام: آلشاعر بخفض الراء من الشاعر، كذا قيده أبو بحر على أبي

فخرج إلى عُمَان. فيزعمون أنّ سامة بن لُؤَيّ بينا هو يَسير على ناقته، إذ وضعت رأسَها تَرْتع، فأخذتْ حَيَّةٌ بمِشْفَرِها، فَهَصَرَتْها حتى وقعت الناقة لِشِقِّها، ثم نهشتْ سَامَةَ فقتلته. فقال سامةُ حين أحسّ بالموت فيما يزعمون:

عـيـن فـابـكِـي لـسـامـة بـن لُـؤَيّ ... عَـلِـقَـتْ مـا بـسـامـة الْـعَـلاَّقـه
لا أرى مـثـلَ سـامـة بـن لـؤَيّ ... يـوم حَـلُّـوا بـه قـتـيـلاً لـنـاقـه
بـلِّـغـا عـامـرًا وكَـعْـبًـا رسـولاً ... أنّ نـفـسـي إلـيـهـمـا مُـشـتـاقـه

الوليد بالخفض، وهو الصحيح؛ لأنه مردود على ما قبله، كأنه مقتضب من كلام المخاطب، وإن كان الاستفهام لا يعمل ما قبله فيما بعده، ولكن العامل مُقَدَّرٌ بعد الألف، فإذا قال لك القائل: قرأت على زيدٍ مثلاً، فقلت: آلعالِم بالاستفهام، كأنك قلت له: أعلى العالم، ونظير هذا ألف الإنكار إذا قال القَائلُ: مررت بزيد، فأنكرت عليه، فقلت أزَيْدِنيه بخفض الدال، وبالنصب إذا قال: رأيت زيدًا، قلت: أزَيْدَنِيه، وكذلك الرفعُ. ومِنْ بني سامة هذا: محمد بن عَرْعَرَة بن اليزيد شيخ البخاري، وبنو سامة بن لؤي: زعم بعض النسّاب أنهم أدعياء، وأن سامة لم يعقّب، وقال الزبير: ولد سامةُ: غالبًا والنبيتَ والحارثَ. وأمُّ غالب: ناجيةُ بنت جَرْمَ بن زَبَّان، واسمها: ليلى سُمِّيت: .ناجية؛ لأنها عَطِشت بأرض فلاة، فجعل زوجها يقول لها: انظري إلى الماء، وهو يُريها السرابَ حتى نجت، فسُمِّيت: ناجية، وإليها يُنسَبُ [بَكْرُ بن قَيْسٍ] أبو الصِّدِّيقِ النَّاجِي الذي يَروي عن أبي سعيد الْخُدْرِيّ، وأبو المتوكل الناجِيّ، وكثيرًا ما يخرج عنه الترمذي، وكان بنو سامة بالعراق أعداء لعليّ ـ رحمه الله ـ والذين خالفوا عليًّا منهم: بنو عَبد الْبَيْت، ومنهم: علي بن الْجَهْمِ الشاعر قيل: إنه كان يلعن أباه لمّا سمّاه عليًّا بُغْضًا منه في عليّ ـ رحمه الله ـ ذكره المسعودي[1].

الرسول والمرسل:

وقوله: بَلِّغَا عامرًا وكَعْبًا رَسُولاً. يجوز أن يكون رسولاً مفعول: بِبَلِّغا إذا جعلتَ الرسول بمعنى: الرسالة، كما قال الشاعر:

لقد كذَبَ الواشُون ما بُحتُ عندَهم ... بِـلـيْـلَـى، ولا أرسـلـتـهـم بـرسُـول

أي: برسالة، وإنما سَمَّوا الرسالة: رسولاً إذا كانت كتابًا، أو ما يقُوم مَقَام الكتاب من شعرٍ منظوم، كأنهم كانوا يُقيمون الشعر مَقَامَ الكتاب، فتبلغه الرُّكبان: كما تبلغ الكتابَ يُغرب

---

(١) انظر مروج الذهب (٢/٤١٨).

إنْ تكُن في عُمَانَ داري، فإنّي غالِبِيٌّ، خرجتُ من غير ناقه
رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يابن لُؤَيّ حَذَرَ الْمَوْتِ لم تَكُن مُهراقه
رُمتَ دفعَ الْحتُوف يابن لؤَيّ ما لِمَنْ رام ذاك بالحَتْفِ طاقه
وَخَروسِ السُّرَى تركْتَ رذِيًّا بعد جِدٌّ وجِدَّةٍ ورَشاقه

قال ابن هشام: وبلغني أن بعضَ ولده أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فانتسب إلى سامة بن لؤَيّ، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «آلشاعِرِ»؟ فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قولَه:

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا بن لؤَيّ حَذَر الموت لم تَكُن مُهْراقه

قال: «أجل»(١).

عن ضمير الكاتب كما يُعْرِب الرسولُ، وكذلك الشعرُ الْمُبَلِّغ، فسمّي: رسولاً. وبين الرسول والْمُرْسَل معنى دقيقٌ يُنتفعُ به في فهم قولِ الله عز وجل: ﴿وأرسلناك للنَّاسِ رَسُولاً﴾ [النساء: ٧٩] فإنه لا يَحْسُن في مثل هذا أن يقال: أرسلناك مُرْسَلاً، ولا نَبَّأْناكَ تَنبيئًا، كما لا يحسن: ضَرَبْنَاكَ مَضروبًا، ولكشفِ هذا المعنى وإيضاحِه موضعٌ غير هذا، واختصار القولِ فيه: أنْ ليس كلُّ مُرْسَلٍ رَسُولاً، فالرِّياحُ مُرْسَلاتٌ، والحاصِبُ مُرْسَلٌ، وكذلك كلُّ عذابٍ أرسله الله، وإنما الرسولُ اسمٌ للمُبَلِّغ عن الْمُرْسِل.

ويجوز أن يكون رسولاً حالٌ من قوله: بلِّغا عامرًا وكَعْبا رسولاً؛ إذ قد يعبّر بالواحد عن الاثنين والجماعة في مثل هذا اللفظ، تقول: أنتم رَسُولي، وهي رَسُولي، تُسَوِّي بين الجماعة والواحد والمذكر والمؤنث. وفي التنزيل: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْن فَقولا إنَّا رسُولُ رَبِّ العالمين﴾ [الشعراء: ١٦] فيكون المفعول على هذا: أنَّ نفسي إليهما مُشْتاقةٌ، ويكون أن على القول الأوَّلِ بدلاً من رسولٍ أي: رِسَالة.

وقوله: وخَرُوس السُّرى تركتَ رَذِيًّا. إن خفضت فمعناه: رُبَّ خَرُوسِ السُّرى تركت، فتركت في موضع الصفةِ لِخَرُوسٍ، وإن نصبتَ جعلتها مَفْعُولاً بتركتُ، ولم يكن تركت في موضع صفةٍ؛ لأن الصفة لا تعمل في الموصوف، والسُّرَى: في موضِع خفضٍ لِخَرُوسٍ على المجازِ كما تقول: نام ليلُك. يريد: ناقةً صَمُوتًا صَبُورًا على السُّرى، لا تَضْجَر منه، فَسُرَاها كالأَخْرس، ومنه قولُ الكُمَيْتِ:

كَتُومٌ إذا ضَجَّ الْمَطِيُّ، كأنما تَكَرَّمُ عن أخلاقهنّ وتَرْغَبُ

---

(١) ذكره ابن هشام بلاغًا. أي بلا سند.

أمر عوف بن لؤي ونقلته:

قال ابن إسحٰق: وأما عَوف بن لُؤَيٍّ فإنه خرج ـ فيما يزعمون ـ في ركْب من قُرَيْشٍ، حتى إذا كان بأرض غَطَفَان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان، أُبطِىءَ به، فانطلق مَن كان معه مِنْ قومه، فأتاه ثعلبة بن سَعْد، وهو أخوه في نسب بني ذُبيان ـ ثعلبة بن سعد بن ذُبيان بن بغيض بن ريْث بن غطفان. وعوف بن سعد بن ذُبْيان بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفَانَ ـ فحبسه وزوّجه والتاطه وآخاه، فشاع نسبُه في بني ذُبيان. وثعْلبة ـ فيما يزعمون ـ الذي يقول لعوف حين أُبْطِىءَ به، فتركه قومُه:

اِحْبِسْ على ابنِ لُؤَيٍّ جَمَلَكْ　　　تَرَكَكَ القومُ ولا مَتْرَكَ لَكْ

مكانة مُرّة ونسبه وسادات مُرّة:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، أو محمدُ بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصَين أنّ عمر بن الخطاب قال: لو كنت مُدَّعيًا حَيًّا من العرب، أو مُلْحقهم بنا لادّعيت بَني مُرّة بن عَوْف، إنَّا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف مِنْ موقع ذلك الرجل حيث وقع، يعني: عوفَ بن لؤيّ.

وقول الأعشى:

كَتُومُ الرُّغَاءِ إذا هَجَّرَت　　　وكانت بَقِيَّةَ ذَوْدٍ[1] كُتُمْ[2]

وإنما قال: خَرُوس في معنى الأخرس؛ لأنه أراد كَتُوم، فجاء به على وزنه. قال البَرْقِيُّ وكنت ماوِيّة بنتُ كعبٍ تحب سَامَةَ أكثر من إخوته، وكانت تقول، وهي تُرَقِّصُه صغيرًا:

وإن ظَنِّي بابني إنْ كَبَنْ　　　أنْ يَشْتري الحمدَ، ويُغْلِي بالثَّمَنْ

ويهزم الجيشَ إذا الجيشُ ارْجَحَنْ[3]　　　ويُرَوِّي الْعَيْمَانَ[4] مِن مَحْض اللَّبَنْ

يقال: كَبَنَ وأكْبَنَ: إذا اشتد.

---

(١) ذود: تقال عن ثلاثة أبعرة إلى العشرة أو خمس عشرة أو عشرين أو ثلاثين. أو ما بين الثنتين والتسع مؤنث، ولا يكون إلا من الإناث.

(٢) كُتُم: جمع كتوم: وهي الناقة لا تشول بذنبها.

(٣) ارجحن: مال واهتز.

(٤) العيمان: العَيمة: شهوة اللبن والعطش.

قال ابن إسحٰق: فهو في نسب غَطَفَان: مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبْيَان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان. وهم يقولون إذا ذُكر لهم هذا النسب: ما ننكره، وما نجْحَدُه، وإنه لأحبُّ النسب إلينا.

وقال الحارث بن ظالم بن جَذيمة بن يَرْبوع ـ قال ابن هشام: أحد بني مُرّة بن عوفٍ حين هرب من النعمان بن المنذر، فلحق بقُريش:

فمَا قَوْمي بثَعْلَبَة بن سَعْدٍ ... ولا بِفَزارة الشُّعْرِ الرِّقابا

وقَومي ـ إن سألت ـ بنو لؤيّ ... بمكّة علّموا مُضَر الضِّرابا

سَفِهْنا باتّباع نبي بَغيض ... وتَرْكِ الأقربين لنَا انْتِسابا

سفاهةَ مُخْلِفٍ لَمَّا تَرَوّى ... هَراق الماءَ، واتّبع السَّرَابا

فلو ـ طُووِعْت ـ عَمْرَكَ ـ كنت فيهم ... وما أُلْفِيتُ أنْتَجِعُ السَّحابا

وخش رَوَاحةُ القُرَشيّ رَحْلي ... بناجِيَةٍ ولم يَطْلُب ثوابا

قال ابن هشام: هذا ما أنشدني أبو عُبيدة منها.

وذكر قول جرير لبني جُشَم بن لؤي:

بَنِي جُشَمٍ لستم لِهِزّان، فانْتَمُوا ... لأعلى الرّوابِي من لُؤَيّ بن غالب

يقال إنهم أعْطَوْا جريرًا على هذا الشعر ألفَ عير رُبيّ، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة، فما انتسبوا بعد إلا لقُريش.

وذكر شِعْرَ الحارث بن ظالم. وقوله: سفاهة مُخْلِفٍ، وهو الْمُسْتَقِي [للماء]، وفيه لم يذكر:

لَعَمْرُكَ إنني لأُحِبُّ كَعْبًا ... وسامة إخوتي حُبّي الشَّرابَا

وقوله: وخَشَّ رَوَاحةُ القُرَشِيُّ رَحْلي بناجيةٍ. أي: بناقةٍ سريعة يقال: خَشَّ السهمَ بالريش، إذا راشَه به، فأراد: راشني وأصلح رحلي بناجية، ولم يطلب ثوابًا بمدحه بذلك. ورواحةُ هذا: هو رَوَاحة بن مُنْقِذِ بن مَعِيص بن عامر كان قد رَبَع في الجاهلية أي: رأس، وأخذ الْمِرْبَاعَ.

وقوله: لو طُووعت عَمْرَك كنت فيهم، ونصب عمرَك على الظرف.

وقوله: وما أُلفِيتُ أنْتَجِع السحابا. أي: كانوا يغنونني بِسَيْبِهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب، وارتياد المراعي في البلاد.

قال ابن إسحٰق: فقال [أبو زيد] الحُصَين بن الْحُمَام [بن ربيعة] الْمُرّي ثم أحد بني سَهْم بن مُرّة يردّ على الحارث بن ظالم، وينتمي إلى غَطَفان:

ألاَ لستم مِنّا، ولَسْنا إليكم   بَرِئْنا إليكم من لُؤَيّ بن غالب

أقَمْنا على عزّ الحجاز، وأنتُم   بِمُغْتَلج الْبَطْحَاءِ بين الأخاشب

يعني: قريشًا. ثم ندم الحُصَيْن على ما قال، وعرف ما قال الحارث بن ظالم، فانتمى إلى قُرَيش، وأكْذَب نَفْسَهُ، فقال:

نَدِمْت على قَوْلٍ مَضَى كنتُ قلتُهُ   تَبَيَّنْت فيه أنه قول كاذب

فليتَ لساني كانَ نصْفين منهُما   بَكيمٌ، ونصْفٌ عند مَجْرى الكواكب

أبونا كِنانِيّ بمكّة قَبْرُهُ   بمُغْتَلجِ الْبَطْحاء بين الأخاشب

لنا الرُّبع من بَيْتِ الحرام وِرَاثَةً   وربع البِطَاحِ عند دار ابن حاطب

أي أن بَني لؤيّ كانوا أربعة: كعبًا، وعامرًا، وسامة، وعوفًا.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني مَن لا أتّهم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجال من بني مُرّة: إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم، فارجعوا إليه.

وقول الحصين: بِمُغْتَلِجِ البطحاء: أي حيث تَغْتَلِج السيول، والاغْتِلاَجُ عملٌ بقوة، قال الشاعر:

لو قلت للسَّيْلِ دعْ طريقك والـ   ـسَّيْلُ كمثلِ الهضابِ يَغْتَلِجُ

وفي الحديث: إنكما عِلْجان[1]، فعالجا عن دينكما[2]، وفي الحديث: إن الدعاء ليلقى البلاءَ نازلاً من السماء، فيَغْتَلِجَان إلى يوم القيامة[3]، أي: يتدافعان بقوة.

وقوله: لنا الرُّبع بضم الراء، يريد: أن بني لؤي كانوا أربعة: أحدهم: أبوهم، وهو عوف، وبنو لؤي هم: أهل الحرم، ولهم وراثة البيت. والأخاشب: جبال مكة، وقد يقال لكل جبل: أخشب، أنشد أبو عبيد:

كأن فوق مَنْكِبَيْهِ أخْشَبا

وذكر خارجة بن سِنان الذي تزعم قيسٌ أن الجِنّ اختطفته لِتَسْتَفْحِلَهُ نساؤها لبراعته

---

(١) العلج: الرجل الضخم.
(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (٧/٢٥٦) وأبو داود في الطهارة (٩٠) وأحمد (١/١٠٧).
(٣) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٠) والترمذي (٣٥٤٨).

قال ابن إسحٰق: وكان القوم أشرافًا في غَطَفَان، هم سادتهم وقادتهم. منهم: هَرِم بن سِنَان بن أبي حارثة، وخارجة بن سِنَان بن أبي حارثة، والحارث بن عَوْف، والحُصَين بن الحُمَام، وهاشم بن حَرْمَلَةَ الذي يقول له القائل:

أحـيـا أبـاه هـاشـمُ بـن حَـرْمَـلَـهْ

يـوم الْـهَـبَـاءات ويَـوْم الْـيَـعْـمَـلَـهْ

تَـرَى الْـمُـلـوكَ عـنـدَهُ مُـغَـرْبَـلَـهْ

يقتل ذا الذَّنب، ومَنْ لا ذَنْبَ له

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبَيْدة هذه الأبيات لعامر الْخَصَفيّ: خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان:

أحْـيـا أبـاهُ هـاشـمُ بـنُ حَـرْمَـلَـهْ

يَـوم الـهـبـاءات ويَـوم الْـيَـعْـمَـلَـهْ

تـرَى الـمُـلـوكَ عـنـدَه مُـغَـربـلـه

يقتل ذا الذّنب، ومَنْ لا ذَنْبَ له

ورُمْـحُـه لـلـوالـدات مَـثْـكَـلَـهْ

ونجدته[1]، ونجَابة نسله، وقد قَدِمَت بِنْتُهُ على عُمَرَ، فقال لها: ما كان أبوك أعطى زُهَيرًا حين مدحه، فقالت: أعطاه مالاً ورقيقًا وأثاثًا أفناه الدهر، فقال: لكن ما أعطاكُم زُهَيْرٌ لم يُفْنه الدهرُ، وكان خارجة بَقِيرًا أمَرَت أُمُّه عند موتها أن يُبْقَرَ بطنُها عنه، ففعلوا فخرج حَيًّا، فسُمِّي خارجَة، ويقال للبقير: خِشْعَة، قال الْحُطَيْئَةُ يَعني خارجة بن سنان:

لقد عَلِمَتْ خَيلُ ابن خِشْعَة أنها ... متى ما يكن يومًا جِلادٌ تُجَالد

وقول عامر: ترى الملوك حوله مُغَرْبَلة[2]. قيل معناه: مُنْتَفِخَة، وذكروا أنه يقال: غربلَ القتيلُ إذا انتفخ، وهذا غير معروف وإن كان أبو عبيد قد ذكره في الغريب المصنف، وأيضًا: فإن الرواية بفتح الباء مُغَرْبَلة، وقال بعضهم: معناه: يتخير الملوكَ فيقتلهم، والذي أراه في ذلك أنه يريد بالغربلة اسْتِقْصَاءَهم، وتتبعهم، كما قال مَكْحُولٌ الدِّمَشْقِيُّ: ودخلت الشام، فغَرْبَلْتُهَا غَرْبَلَةً، حتى لم أدع عِلْمًا إلاَّ حَوَيته، في كل ذلك أسأل عن البقل.

---

(١) أي لتجعله كلٌّ منهنّ زوجًا لها. والقصة خرافة تفتقر إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

(٢) مغربلة: أي مقتولة.

وحدّثني أن هاشمًا قال لعامر: قل فِيَّ بيتًا جيِّدًا أُثِبْكَ عليه، فقال عامر البيتَ الأوّل، فلم يعجب هاشمًا، ثم قال الثاني، فلم يعجبه، ثم قال الثالث، فلم يعجبه، فلما قال الرابع:

يَـقْـتُـلُ ذا الـذَّنْـب   ومَـنْ لا ذَنْـبَ لـه

أعجبه، فأثابه عليه.

قال ابن هشام: وذلك الذي أراد الْكُمَيْتُ بن زَيد بن الأَخْنَسِ الأسدي في قوله:

وهـاشـمُ مُـرَّةَ الْـمُـفْـنِـي مـلـوكًـا   بـلا ذَنْـبٍ إلـيـه ومُـذنـبـيـنـا

وهذا البيت في قصيدة له. وقول عامر: يوم الهباءات. عن غير أبي عبيد.

قال ابن إسحٰق: قوم لهم صيت وذِكْر في غَطَفان وقَيس كلها، فأقاموا على نسبهم، وفيهم كان الْبَسْلُ.

وذكر الحديث، فمعنى هذا: التَّتَبُّعُ والاسْتِقْصاء، وكأنه من غَرْبَلْتُ الطعام. إذا تتبعته بالاستخراج، حتى لا تبقى إلا الْحُثَالَة. وقوله:

يـقـتـل ذا الـذَّنْـبِ ومَـنْ لا ذَنْـبَ لـه

إنما أعجب هاشمًا هذا البيت؛ لأنه وصفه فيه بالعز والامتناع، وأنه لا يخاف حاكمًا يُعْدِي عليه، ولا تِرَةً من طالب ثأر. وهاشم بن حَرْمَلَة هذا هو: جدّ مَنْظُور بن زَبَّان بن يَسَار الذي كانت بنته زُجْلَة عند ابنِ الزُّبَيْر، فهو جدّ منظور لأُمه، واسمها: قِهْطِمُ بنت هاشم. كانت قِهْطِمُ قد حملت بمنظور أربَع سنين[1]، وولدته بأضراسه، فسُمِّي منظورًا لطول انتظارهم إيّاه، وفي زَبَّان بن سَيَّارٍ والد منظور يقول الْحُطَيْئَةُ:

وفـي آلِ زَبَّـان بـن سَـيَّـارَ فِـتْـيَـةٌ   يرَوْن ثَنَايا الْمَجْد سَهْلاً صِعَابُها

ولم يَصْرِفْ سيارًا لما سنذكره بعد ـ إن شاء الله.

مــزينة:

وذكر زُهَيْرًا ونسبَه إلى مُزَيْنَة، وهم بنو عُثْمان بن عَمْرو بن الأُطَم بن أُدّ بن طابخة. قال حَسَّانُ بن ثابت:

فـإنّـك خيـرُ عـثـمـان بـن عَـمْـرو   وأسـنـاهـا إذا ذُكِـرَ الـسَّـنَـاءُ

(١) ورد في بعض كتب السُّنن كالبيهقي وغيره أن هناك مَن حملت أربع سنين.

أمر البسل

والبَسْلُ[1] ـ فيما يزعمون ـ نَسِيئُهُمْ ثمانية أشهر حُرُم، لهم من كلّ سنة من بين العرب قد عرفت ذلك لهم العربُ لا ينكرونه، ولا يدفعونه، يسيرون به إلى أيّ بلاد العرب شاؤوا، لا يخافون منهم شيئًا. قال زُهير بن أبي سُلْمَى، يعني بني مُرّة.

قال ابن هشام: زُهَيْرٌ أحد بني مُزَيْنَة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، ويقال: زُهَير بن أبي سُلْمَى من غَطَفَانَ، ويقال: حليف في غَطَفَانَ.

تأمّل، فإن تُقْوِ الْمَرَوْرَاةُ منهمُ ... وداراتها لا تُقْو منهم إذًا نَخْلُ

بلادٌ بها نادمتُهم وأَلِفْتُهم ... فإن تُقْوِيا منهم فإنهمُ بَسْلُ

أي: حرامٌ. يقول: ساروا في حَرمهم.

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: وقال أعشى بني قَيْس بن ثعلبة:

أجارَتُكم بَسْلٌ علينا مُحَرَّمٌ ... وجارتُنا حِلٌّ لكم وحَليلُها

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له.

يمدح رجلاً من مُزَيْنَة، ومُزَيْنَةُ: أُمُّهُمْ، وهي بنت كَلْب بن وَبْرة، وأُختُها: الْحَوْأَبُ بنت كَلْب التي يُعرَف بها ماء الْحَوْأَب المذكور في حديث عائشة: أَيَّتُكُنَّ صاحبة الجمل الأَدْبَبِ[2] تنبحها كلابُ الْحَوْأَبِ[3].

البسل

وذكر الْبَسْل وهو الحرام، والْبَسْلُ أيضًا: الحلال، فهو من الأضداد ومنه: بُسْلَةُ الراقي، أي ما يحلُّ له أن يأخذه على الرُّقْية، وَبَسْلٌ في الدعاءِ بمعنى: آمين، قال الراجز [الْمُتَلَمِّسُ]:

لا خابَ مِنْ نَفْعِك مَنْ رَجَاكَ ... بَسْلاً، وعادى اللَّـهُ مَنْ عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول في أثر الدعاء: آمين وبَسْلاً، أي: استجابة.

---

(١) بسل: الباء والسين واللام أصلٌ واحد تتقارب فروعه وهو المنع والحبس، وذلك قول العرب للحرام: بَسْلٌ. وكل شيء امتنع فهو بسل. والبسالة: الشجاعة من هذا؛ لأنها الامتناع على القِرْن. انظر مقاييس اللغة (١/ ٢٤٨ـ ٢٤٩).

(٢) الأدبب: كثير الوبر.

(٣) «صحيح». أخرجه أحمد (٦/ ٩٧).

أولاد كعب ومُرّة وأُمهاتهم

قال ابن إسحٰق: فولد كعب بن لؤَيّ ثلاثة نفر: مُرّة بن كعب، وعَدِيّ بن كعب، وهُصَيْص بن كعب. وأُمهم: وَحْشِيَّة بنت شَيْبان بن مُحارب بن فهر بن مالك بن النضر.

فولد مُرّة بن كَعْب ثلاثة نَفرٍ: كِلابَ بن مُرّة، وتَيْم بن مُرّة، ويَقَظة بن مُرّة.

فأُمُّ كلاب: هِنْد بنت سُرَيْر بن ثَعْلبة بن الحارث بن [فِهْر بن] مالك بن كِنانة بن خُزَيمة. وأُم يَقَظة: البارقية، امرأة من بارق، من الأسْد من اليمن. ويقال: هي أُم تَيْم. ويقال: تَيْم هِنْد بنت سُرَيْر أُم كلاب.

وقول زُهَير: فإن تُقْوِ الْمَرَوْرَاةُ منهم. البيت وقع في بعض النسخ الْمَرَوْرَاتُ بتاء ممدودة، كأنه جمع مَرَوْر، وليس في الكلام مثل هذا البِناء، وإنما هو الْمَرَوْرَاة بهاء مما ضُوعفت فيه العينُ واللامُ، فهو فَعَلْعَلَة مثل صَمَحْمَحَة، والألف فيه مُنقَلِبة عن واو أصلِيَّة، وهذا قول سيبويه جعله مثل: شَجَوْجَاة، وأبطل أن يكون من باب عَثَوْثَل، وقال ابنُ السراج في قَطَوْطَاة: وهو مثل: مَرَوْرَاة، هو فَعَوْعَل مثل: عَثَوْثَل، وقال سيبويه فيه: إنه من باب صَمَحْمَحَة، فالواو زائدة على قول ابن السراج، ووزنه عنده: فَعَوْعَلَة[1].

أعلام وأنساب

وذكر هُصَيْص بن كعب، وهو: فُعَيْل من الْهَصّ، وهو: الْقَبْض بالأصابع. من كتاب العين[2].

وذكر يَقَظَة بن مُرّة بفتح القاف، وقد وجدته بسكون القاف في أشْعَارٍ مُدح بها خالد بن الوليد، فمنها قول الشاعر:

وأنت لِمَخْزُومِ بنِ يَقْظَة جُنَّةٌ كلا اسْمَيك فيها ماجدٌ وابنُ ماجد

وأُم مَخزوم بن يَقَظَة جَدّ بني مخزوم: كَلْبَةُ بنت عامر بنِ لُؤَيٍّ. قاله الزبير[3].

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٥/ ٢٧٠/ ٣١٤).

(٢) هص: الهاء والصاد كلمة تدل على غمز الشيء. يقولون للذئب: هُصْهُص. وهصهصت الشيء: غمزته. انظر مقاييس اللغة (٦/ ١٠).

(٣) انظر (ص ٢٩٩) من نسب قريش.

نسب بارق:

قال ابن هشام: بارق: بَنُو عَدِيّ بن حارثة بن عَمْرو بن عامر بن حارثة بن امرىء الْقَيْس بن ثَعْلبة بن مازن بن الأسْد بن الْغَوْث، وهم في شَنُوءة. قال الكُمَيت بن زَيْد:

وأزد شَنُوءَةَ انْدَرَؤُوا علينا ... بِجُمٍّ يحسبون لها قُرُونا
فما قُلْنا لبارقَ: قد أسأتم ... وما قُلْنا لبارقَ: أعْتِبُونا

قال: وهذان البيتان في قصيدة له. وإنما سُمّوا ببارق؛ لأنهم تَبِعوا البَرْق.

ولدا كلاب وأمهما:

قال ابن إسحٰق: فولد كِلاب بن مُرّة رجلين: قُصَيّ بن كلاب، وزهرة بن كلاب. وأُمهما: فاطمة بنت سَعْد بن سَيَل أحد الْجَدَرَة، مِنْ جُعْثُمة الأزد، من اليمن، حلفاء في بني الدِّيل بن بكر بن عَبْد مناة بن كِنانة.

نسب جعثمة:

قال ابن هشام: ويقال: جُعْثمة الأسْد، وجُعْثمة الأزْد، وهو جُعْثُمة بن يَشْكُر بن

وذكر بارق، وهم: بنو عديّ بن الأزْد، وقال: سُمُّوا: بارق؛ لأنهم اتبعوا البرق، وقد قيل: إنهم نزلوا عند جَبَل يقال له: بارقٌ، فسُمُّوا به.

وقول الكُمَيْت: بِجُمّ يَحْسَبُون لها قُرونًا. أي: يُنَاطِحُون بلا عُدَّة ولا مُنَّةٍ[1] كالكِباش الْجُمّ التي لا قرون لها، ويحسبون أن لهم قوةً. والكميت هذا هو: ابنُ زيد أبو الْمُسْتَهِلّ من بني أسد.

وفي أسد: الْكُمَيْت بن معرُوف، كان قبل هذا، وفيهم أيضًا الكميتُ بن ثعلبة، وهو أقدم الثلاثة، وابن معروف هو الذي يقول:

[خُذُوا الْعَقْل إن أعطاكم القومُ عَقْلَكُم ... وكونوا كَمَنْ سِيم الهوانَ فأرْبَعَا]
ولا تُكْثِروا فيه الضَّجاج، فإنه ... محا السَّيْفُ ما قال ابنُ دَارَةَ[2] أجمعا

الجـدرة:

وذكر الْجَدَرَةَ، وقال: هم بنو عامر بن خُزَيْمَةَ بن جُعْثُمَةَ، وفي حاشية الشيخ أبي بحر

---

(١) لا مُنّة: لا قوة.

(٢) ابن دارة: هو سالم بن سافع بن يربوع. دارة هي أُمه.

مُبَشِّر بن صَعْب بن دُهْمان بن نَصْر بن زَهْران بن الحارث بن كَعْب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأسْد بن الغَوْث، ويقال: جُعْثمة بن يَشْكُر بن مُبَشِّرِ بن صَعْب بن نَصْر بن زَهْران بن الأسْد بن الغوث.

وإنما سُمُّوا الْجَدَرَة؛ لأن عامر بن عمرو بن جُعْثُمة تزوّج بنت الحارث بن مُضَاض الجُرْهمي، وكانت جُرهم أصحابَ الكعبة. فبنى للكعبة جدارًا، فسُمِّي عامر بذلك: الجادر، فقيل لولده: الْجَدَرة لذلك.

قال ابن إسحٰق: ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر:

ما نرى في الناس شخصًا واحدًا ... مَن عَلِمْناه كسَعْد بن سَيَلْ

فارسًا أضْبطَ، فيه عُسْرةٌ ... وإذا ما واقَفَ القِرْن نَزَلَ

فارسًا يَسْتَدْرِج الْخَيْلَ كما اسْـ ... ـتَدْرَجَ الْحُرُّ القَطامِيُّ الحَجَل

قال ابن هشام: قوله: كما استدرج الحرّ. عن بعض أهل العلم بالشعر.

زيادة خزيمة خطأ، إنما هو: عمرو بن جُعْثُمَةَ، وذكر غير ابن إسحٰق أن السَّيْلَ ذات مرة دخل الكعْبة، وصدع بنيانها، ففزعت لذلك قريش، وخافوا انهدادَها إن جاء سيل آخر، وأن يذهب شرفُهم ودينُهم، فبني عامر لها جدارًا، فَسُمِّي: الجادر. وقوله في الجدرة: حُلفاء بني الدِّيلَ. المعروف عند أهل النسب: أن الدِّيل في عبد القيس، وهو الدِّيلُ بن عمرو بن وديعة [بن أفصى بن عبد القيس]، والدِّيل أيضًا في الأزد، وهو ابن هَدْهَاد بن زيد مناة، والدِّيل أيضًا في تغلب وهو: ابن زيد بن عمرو بن غَنم بن تغلب، والدِّيل أيضًا في إياد، وهو ابن أُمية بن حذافة بن زهير بن إياد، وأما الذي في كنانة، وهم الذين ينسب إليهم أبو الأسود الدُّؤليّ، وهو: ظالم بن عمرو، وهم حلفاء الْجَدَرَةِ، فابن الكلبي ومحمد بن حبيب وغيرهما من أهل النسب يقولون فيه: الدُّئِل بضم الدال وهمزة مكسورة، وينسبون إليه دُؤَلِيّ، وطائفة من أهل اللغة، منهم الكسائي ويونس بن حبيب والأخفش يقولون فيه: الدِّيل بكسر الدال، وينسبون إليه الدِّيليّ، واختاره أبو عبيدة، قال محمد بن حبيب: ابن الْكَلْبِي وغيره من أهل النسب أقْعَدُ بهذا، وإليهم يرجع فيما أشكل من هذا الباب.

قال المؤلف: وأما الدُولُ، فالدُولُ بن حنيفة، واسم حنيفة: أُثَال بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وهم رهط مسيلمة الكذاب، وفي ربيعة أيضًا، ثم في عمرة: الدُّول بن صباح، وفي الرِّباب: الدُول بن جَلّ بن عدي بن عبد مناة بن أُد، بن طابِخَة، وفي الأَسْدِ: الدُّول بن سعد مناة بن غامد.

عود إلى أولاد كلاب:

قال ابن هشام: ونُعم بنت كلاب، وهي أُم سعد وسُعَيد ابني سهم بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كَعب بن لُؤَيّ، وأُمها: فاطمة بنت سَعْدِ بن سَيَلٍ.

أولاد قصي وعبد مناف وأُمهاتهم:

قال ابن إسحٰق: فولد قُصَيّ بن كِلاب أربعةَ نَفرٍ وامرأتين: عبدَ مناف بن قُصَيٍّ، وعبدَ الدار بن قصيّ، وعبد العُزَّى بن قصيّ، وعبد بن قصيّ، وتَخْمُر بنت قُصي، وَبرَّة بنت قُصَي. وأُمهم: حُبَّى بنت حُلَيل ابن حَبَشِيَّة ابن سَلُول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

قال ابن هشام: ويقال: حُبْشِيَّة ابن سَلول:

قال ابن إسحٰق: فولد عبدُ مناف ـ واسمه: الْمُغِيرة بن قُصَيّ ـ أربعة نفر: هاشم بن عبد مناف، وعبد شمس بن عبد مناف، والمطَّلِب بن عبد مناف، وأُمهم: عاتكة بنت مُرّة بن هلال بن فالج بن ذَكْوان بن ثَعْلَبَة بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكْرمة، ونوفل بن عبد مناف، وأُمه: واقدة بنت عمرو المازنية. مازن بن منصور بن عكرمة.

قال ابن هشام: فبهذا النسب خالفهم عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نُسَيْب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرِمَةَ.

قال ابن هشام: وأبو عمرو، وتُماضر، وقِلاَبة، وحَيَّة، ورَيْطَة، وأُم الأَخْثَم [واسمها: هالة]، وأُم سفيان: بنو عبد مناف.

فأُم أبي عمرو: رَيطة، امرأة من ثقيف، وأُم سائر النساء: عاتكة بنت مُرَّة بن هلال [بن فَالج بن ذَكْوَان بن ثَعْلَبة بن بُهْثَة بن سُلَيْم بن منصور]، أُم هاشم بن عبد

والذي تقيد عن ابن إسحٰق في الدِّيل بن بكر بكسر الدال والياء الساكنة وقد وافقه على ذلك من النُّسَّاب: العَدوي وابن سالم الْجُمَحِيّ، ومَن تقدم ذكره من أهل اللغة، والدَّأل على وزن فَعْل من: دَأَل يَدْأَلُ إذا مشى بعجلة، وأما الديل بغير همز، فكأنه سُمّي بالفعل من ديل عليهم من الدَّولة على وزن ما لم يُسَمَّ فاعله. وقد قيل: إن الدُّئل بن بكر سُمّي بالدُّئل، وهي دُوَيبة صغيرة، وأنشدوا لكعب بن مالك [الأنصارِيّ]:

جاءوا بجيش لو قِيسَ مُعْرَسُه ما كان إلا كَمُعْرَس الدُّئِلِ

وأنشد في سعد بن سَيَل، واسم سَيَل: خير بن حَمَالَةَ، قاله الطبري، والسَّيَلُ هو: السنبل، وهو أول مَن حَلَّى السيوف بالذهب والفضة.

مناف، وأُمُّها صَفيَّة بنت حَوْزة بن عَمْرو ابن سَلُول [واسمه: مُرَّة] بن صَعْصعة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوازن، وأُم صَفِيَّة: بنت عائذ الله بن سَعْد العَشِيرة بن مَذْحج.

أولاد هاشم وأُمهاتهم:

قال ابن هاشم: فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر، وخَمْسَ نسوة: عبد المطلب بن هاشم، وأسد بن هاشم، وأبا صَيْفِيّ بن هاشم، ونَضْلة بن هاشم، والشِّفاء، وخالدة، وضعيفة، ورُقَية، وحَيَّة. فأُم عبد المطلب ورقية: سَلْمى بنت عمرو بن زيد بن لَبيد بن خِدَاش بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النجار. واسم النجار: تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

وأُمها: عُمَيْرة بنت صخر [بن حبيب] بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجّار. وأم عُمَيْرة: سلمى بنت عبد الأشهل النجّارية. وأُم أسد: قَيْلة بنت عامر بن مالك الخزاعيّ. وأُم أبي صَيْفي وَحَيَّة: هند بنت عمرو بن ثعلبة الْخَزرجية. وأُم نَضْلة والشِّفاء: امرأة من قضاعة. وأُم خالدة وضعيفة: وافدةُ بنت أبي عديّ المازِنيَّة.

أولاد عبد المطلب بن هاشم:

قال ابن هشام: فولد عبدُ المطلب بن هاشم عشرةَ نفر، وستَّ نِسْوة: العباس وحمزة، وعبد الله، وأبا طالب ـ واسمه: عبد مناف ـ والزُّبير، والحارث، وجَحْلاً، والمقوِّم، وضِرَارًا، وأبا لهب ـ واسمه عبد العُزَّى ـ وصَفِية، وأُم حَكِيم البيضاء، وعاتكة، وأُمَيْمة، وأروَى، وبَرّة.

فارسًا أضبَطَ، فيه عُسْرة:

الأضبط: الذي يعمل بكلتا يديه، وهو من صفة الأسد أيضًا، قال الْجُمَيْحُ: [مُنْقِذ بن الطَّمّاح الأسدي]:

ضَبْطَاء تسكن غَيْلاً غير مقروب

وقوله: فيه عُسْرة من هذا المعنى أيضًا، والاسم منه: أعسر.

وذكر حُلَيْل بن حُبْشِية، والْحُبْشِيَّةُ: نملة كبيرة سوداء، وأن قُصَيًّا تزوج ابنتَهُ حُبّى، فولدت له عبد مناف وإخوته، وقال غيره: بل أُم عبد مناف: عاتكة بنت هلال بن بالج [أو فالج] بن ذَكْوان، وأُم هاشم: عاتكة بنت مُرَّةَ، فالأولى: عمّة الثانية، وأُم وهب جدّ النبي ـ عليه السلام ـ لأمه: عاتكة بنت الأَوْقَص بن مُرَّة بن هلال، فهنّ عواتك. وَلَدْنَ النبيَّ عليه

فأُمّ العبَّاس وضِرار: نُتَيْلَةُ بنت جَناب بن كليب بن مالك بن عَمْرو بن عامر بن زَيْد مناة بن عامر - وهو الضَّحْيان - بن سعد بن الخَزْرج بن تَيْم اللات بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن جَديلة بن أسد بن رَبيعة بن نزار.

ويقال: أفصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة.

وأُمّ حمزة والمقوّم وجَحْل - وكان يلقَّب بالْغَيْداق لكثرة خيره، وسعة ماله - وصَفِيَةَ: هالة بنت أهَيْب بن عبد منَاف بن زُهْرة بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ.

وأُم عبد الله، وأبي طالب، والزُّبير، وجميع النساء غير صفية: فاطمة بنت عمرو بن عائِذ بن عِمْرَان بن مَخْزُوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لؤَي بن غالب بن فِهْرِ بن مالك بن النَّضر.

وأُمها: صخْرة بنت عبد بن عِمْران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر.

وأُم صخرة: تخْمُر بنت عبد بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر.

وأُم الحارث بن عبد المطلب: سَمْراء [أو صفية] بنت جُنْدب بن جُحَير بن رِئَابِ بن حُبَيْبِ بن سُوَاءَة بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن مَنصور بن عِكْرمة.

وأُم أبي لَهب: لُبْنى بنت هاجِر بن عبد مناف بن ضَاطِر بن حُبشية ابن سَلول بن كعب بن عَمْرو الْخُزَاعيّ.

السلام، ولذلك قال: «أنا ابن العواتك من سُلَيْم»[1]، وقد قيل في تأويل هذا الحديث: إن ثلاثَ نِسوةٍ من سُلَيم أرضعنه، كلُّهن تُسَمَّى: عاتكة، والأول أصح. وأُم عاتكة بنت مُرّة ماوية[2] بنت حَوْزَة بن عَمْرو بن مُرّة أخي عامر بن صَعْصَعة، وهم بنو سلُول، وأُم ماوية: أُم أناس الْمَذْحِجيّة.

وقال في أُمهات بني عبد مناف: وأما صَفِيَّةُ فأُمها: بنت عبد الله بن سعد العشيرة بن مَذْحِج، وهو وَهْمٌ، لأن سعد العشيرة بن مَذْحِج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مَذْحِج إلا

---

(١) «صحيح». أخرجه ابن عساكر (١/ ٢٨٩) والطبراني (٧/ ٢٠١) وسعيد بن منصور (٢٨٤٠/ ٢٨٤١).

(٢) في نسب قريش: «مارية».

....

أقلها، فيستحيل أن يكون في عصر هاشم مَن هو ابْنٌ لهُ لِصُلْبِه، ولكن هكذا رواه البَرْقِيُّ عن ابن هشام ـ كما قلنا ـ ورواه غيره: بنت عبد الله من سعد العشيرة، وهي رواية الغَسَّانِيِّ، وقد قيل فيه: عائذُ الله، وهو أقرب إلى الصواب. ولسعد العشيرة ابن لِصُلْبِه، واسمه: عيذ الله، وهي قبيلة من قبائل جَنْبٍ من مَذْحِج[1]، وقد ذكرت بطون جَنْبٍ، وأسماءَ ولدِ سعد العشيرة، أو أكثرهم في هذا الكتاب، ولِمَ سُمِّيت تلك القبائل بِجَنْبٍ، وأحسب الوهم في رواية البرقي إنما جاء من اشتراك الاسم؛ لأن أُم صفية المذكورة بنت عيذ الله[2]، ولكن ليس بعيذ الله الذي هو ابن سعد العشيرة لصلبه، ولكنه من سعد العشيرة.

وذكر عبد شمس بن عبد مناف، وكان تلوا لهاشم، ويقال: كانا توأمين، فوُلد هاشم، ورجلُه في جبهة شمس ملتصقة، فلم يقدر على نزعها إلاَّ بدم، فكانوا يقولون: سيكون بين ولدهما دماء، فكأن تلك الدماء ما وقع بين بني هاشم، وبين بني أُمية بن عبد شمس. وأما سلمى أم عبد المطلب، فقد ذكر نسبها، وأُمها: عُمَيرة بنت صَخر[3] المازنية، وابنها: عمرو بن أُحَيْحَة بن الجُلاَح، وأخوه: معبد ولدتهما لأُحَيْحَةَ بعد هاشم، وكان عمرو من أجمل الناس وأنطقهم بحكمة، وقال رجل من بني هاشم للمنصور: أرأيتَ إن اتَّسَعنا في البنين، وضِقنا في البنات فإلى مَن تدفعنا، يعني: في المصاهرة، فأنشد:

عبد شمس كان يتلو هاشمًا ... وهما بعدُ لأُمٍّ ولأبْ

وذكر الدَّارَقُطْنِيُّ: أن الحارث بن حبش السُّلَمِيّ، كان أخا هاشم وعبد شمس والمطلب لأُمهم، وأنه رثى هاشمًا لهذه الأُخوَّة، وهذا يقوّي أن أُمهم عاتكة السُّلَمِية.

فصل: وذكر ابن إسحٰق أن أُمّ حَيَّة بنت هاشم، وأُم أبي صَيْفِيٍّ: هند بنت [عمرو بن] ثعلبة [بن الخَزْرَج]، والمعروف عند أهل النسب أن أُم حَيَّةَ: [أُمُّ عَدِيٍّ]: جَحْل بنت حُبَيْب بن الحارث بن مالك بن حُطَيْط الثقفية، وحَيَّة بنت هاشم تحت الأجحم بن دِنْدِنة [بن عمْرو بن القَيْن بن رِزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو] الخزاعي ولدت له: أُسَيْدًا، وفاطمة بنت الأجحم التي تقول:

يا عَيْنُ بَكِّي عند كل صَبَاحِ ... جُودي بأربعة على الجَرَّاح

قد كنتَ لي جبلاً ألُوذُ بظله ... فتركتني أضحى بِأجْرَدَ ضاح

---

(١) مذحج: هو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد. انظر الجمهرة (٣٨٣).

(٢) وفي الجمهرة (٣٨٨): «عائذ الله».

(٣) ضحر: هو ابن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار.

قد كنتُ ذاتَ حَمِيَّةٍ ما عِشت لي	أَمْشِي البَرازَ، وكنتَ أنت جناحي
فاليومَ أخْضَعُ للذليلِ، وأتَّقِي	منه، وأدفع ظالمي بالرَّاح
وأغُضُّ من بَصَرِي، وأعلم أنه	قد بان حَدُّ فوارسي ورِماحي
وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنًا لها	يومًا على فَنَنٍ دعوْتُ صَبَاحي

وقع هذا الشعر لها في الحماسة وغيرها.

وذكر أُم العباس، وهي، نُتَيْلة بنت جناب بن كُلَيب، وهي من بني عامر الذي يُعرَف بالضَّحْيَان، وكان من ملوك ربيعة، وقد ذكرنا في خبر تُبَّعٍ، أنها أول مَن كسا البيت الدِّيبَاجَ، وذكرنا سبب ذلك، ونزيد هاهنا ما ذكره الماوردي، قال: أول مَن كسا البيتَ الديباجَ: خالدُ بن جعفر بن كلاب أخذ لَطِيمَةً[1] من الْبَزِّ[2]، وأخذ فيها أنماطًا[3]، فعلّقها على الكعبة، وأم نُتَيْلة: أم حُجْرٍ، أو أم كُرْز بنت الأزَبّ من بني بَكِيل من هَمْدَانَ، وهي نُتَيْلة بتاء منقوطة باثنتين وهي تصغير: نَتْلة واحدة: النَّتْل، وهم بيض النعام، وبعضهم يصحفها بثاء مثلثة.

وذكر في بني عبد المطلب جَحْلاً بتقديم الجيم على الحاء، هكذا رواية الكتاب. وقال الدَّارَقُطْنِي: هو حَجْلٌ بتقديم الحاءِ. وقال: جَحْلٌ بتقديم الجيم هو: الْحَكَمُ بن جَحْلٍ يَرْوِي عن عَلِيٍّ، ومن حديثه عنه أنه قال: مَن فضَّلَني على أبي بكر جَلَدْتُه حَدَّ الْفِرْيَة. والْجَحْلُ: السِّقاء[4] الضَّخْمُ. والجَحْل: الْحِرْبَاءُ. وذكر ابن دُرَيْدٍ أن اسم جَحْلٍ: مُصْعَب. وقال غيره: كان اسمُه: مُغِيرة، وجَحْلٌ: لَقَبٌ له. والْجَحْلُ: ضَرب من الْيَعَاسِيب، قاله صاحبُ العين. وقال أبو حنيفة: كلُّ شَيْءٍ ضَخْم فهو: جَحْل، وجَحْلٌ: هو الْغَيْدَاقُ، والْغَيْداقُ: ولدُ الضَّبِّ، وهو أكْبَرُ من الْحِسْلِ[5]. ولم يُعْقِبْ، وكذا الْمُقَوِّم لم يُعْقِبْ إلا بنتًا اسمها: هند. وأُمُّ الغَيْداق ـ فيما ذكر الْقُتَبِيُّ: مُمَنَّعَةُ بنت عمرو الْخُزَاعِية، وهذا خلاف قول ابن إسحٰق.

وذكر في أعمامه أيضًا: الزبير، وهو أكبر أعمامِ النبي ـ ﷺ ـ وهو الذي كان يُرْقِصُ النبي ـ ﷺ ـ وهو طِفل، ويقول:

---

(١) اللطيمة: عِير تحمل المسك والبزّ وغيرهما. (٢) البزّ: الثياب.
(٣) أنماط: نوع من البسط.
(٤) جحل: الجيم والحاء واللام يدلّ على عِظَم الشيء. فالجحل: السقاء العظيم. والجيحل: الصخرة العظيمة. والجحل: اليعسوب العظيم. والجحل: الحرباء. انظر مقاييس اللغة (١/٤٢٨ ـ ٤٢٩).
(٥) الحسل: ولد الضبّ حين يخرج من البيضة.

أمهات رسول الله ـ ﷺ ـ

قال ابن هشام: فولد عبدُ الله بنُ عبد المطلب رسولَ الله ـ ﷺ ـ سيِّدَ ولد آم، محمدَ بنَ عبد الله بن عبد المطلب، صلواتُ الله وسلامه ورحمتُه وبركاته عليه وعلى آله. وأمه: آمنةُ بنت وَهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهْر بن مالك بن النَّضر.

مُـحَـمَّـد بـن عَـبْـدَم   عِـشْـتُ بـعـيـشٍ أنْـعَـمِ
فـي دَوْلَـةٍ وَمَـغْـنَـمِ   دام سَـجِـيـسَ الأزْلَـمِ

وبنته: ضُبَاعَةُ كانت تحت المِقدادِ. وعبدُ الله ابنه: مذكورٌ في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وكان الزُّبَيْرُ ـ رضي الله عنه ـ يُكْنَى أبا الطاهر بابنه: الطاهر، وكان من أظرف فتيانِ قريش، وبه سَمَّى رسولُ الله ـ ﷺ ـ ابنَه الطاهر. وأُخْبِرَ الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات، فقال: بأيِّ عُقوبةٍ كان موتُه؟ فقيل: مات حَتْفَ أنفه، فقال: وإن! فلا بُدَّ من يوم يُنْصِفُ اللَّهُ فيه المظلومين، ففي هذا دليلٌ على إقراره بالبعث.

وذكر أبا طالب، واسمه: عبدُ منافٍ، وله يقول عبدُ المطلب:

أُوصيكَ يا عبدَ منافٍ بَعْدِي   بِـمُـؤْتَـمٍ[1] بـعـد أبـيـه فَـرْدِ
مـات أبـوه وهـوَ حِـلْـفُ الْـمَـهْـدِ

وذكر أبا لهب، واسمُه: عَبْدُ الْعُزَّى، وكُنِّيَ: أبا لهب لإشراق وجهِه وكان تَقْدِمَةً من الله ـ تعالى ـ لما صار إليه من اللهب، وأُمه: لُبْنَى بنت هاجِر بكسر الجيم من بني ضَاطِرَة بضاد منقوطة. واللُّبْنَى في اللغة: شيءٌ يَتَمَيَّع من بعض الشجر، قاله أبو حنيفة. ويقال لبعضه: الْمَيْعَة، وَالدُّوَدِم: مثل اللُّبْنَى يسيل من السَّمُر، غير أنه أحمر، فيقال: حاضت السَّمُرَةُ[2] إذا رَشَحَ ذلك منها.

أُمهاتُ النبي ـ ﷺ ـ

ذكر في آخرهنّ: بَرَّةَ بنت عوف بن عُبَيْد[3] بن عُوَيج بن عَدِيّ وهُنَّ كُلُّهنّ قُرَشِيَّاتٌ؛ ولذلك وقف في بَرَّة، وإن كان قد ذكر أهلُ النسب بعد هذا: أُمّ بَرَّة، وَأُمّ أُمِّها، وَأُمّ أُمّ الأُمّ، ولكنهنّ من غير قريش. قال محمد بن حبيب: وأُمُ بَرَّةَ: قِلاَبَةُ بنت الحارث بن

---

(١) مؤتم: أي يتيم.
(٢) السمرة: نوع من شجر الطلح.
(٣) في نسب قريش (٢١): برّة بنت عدي.

وأُمها: بَرّة بنت عبد العُزّى بن عثمان بن عَبْد الدار بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤَي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر.

وأم بَرّة: أُمُّ حَبيب بنت أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيٍّ بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر.

وأم أُم حَبِيب: برّة بنت عَوْف بن عُبيد بن عُويج بن عديّ بن كعب بن لؤَيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

قال ابن هشام: فرسول الله ـ ﷺ ـ أشرفُ وَلد آدم حسبًا، وأفضلهم نسبًا من قِبَل أبيه، وأُمه ﷺ.

مالك بن طابخة بن صَعْصَعَة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لِحْيَان بن هُذَيْل، وأُم قِلابة: أُمَيْمَةُ بنت مالك بن غَنْم بن لِحيان بن غادية بن كعب، وأُم أميمة: دَبَّة بنت الحارث بن لِحْيان بن غادية[1]، وأُمها: بنت [يَرْبُوع بن ناضرة بن غاضرة] كَهْفِ الظُّلْم من ثقيف، وذكر الزبير قَلاَبَة بنت الحارث، وزعم أن أباها الحارث كان يكنى: أبا قلابة، وأنه أقدم شعراء هذيل، وذكر من قوله:

لاَ تَـأْمَـنَنَّ وَإنْ أمْسَـيْـتَ فـي حَـرَمٍ   إنَّ الْـمَـنَـايَـا بِـجَـنْـبَـيْ كـلِّ إنـسَـانِ
وَاسْلُك طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْر مُخْتَشِعٍ   حتَّى تـلاَقِـيَ مَـا مَـنَّى لَـكَ الْـمَـانِـي

---

(١) انظر نسب قريش لمصعب الزبيري (ص ٢١).

حديث مولد رسول الله ﷺ

إشارة إلى ذكر احتفار زمزم: قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: وكان من حديث رسول الله - ﷺ - ما حدّثنا به زياد بن عبد الله البكّائي[1]، عن محمد بن إسحٰق المُطَّلِبي: بينما عبد المطَّلِب بن هاشم نائمٌ في الحِجْر، إذ أُتِيَ، فأُمِر بحَفْر زَمْزَم، وهي دَفْن بين صَنَميْ قُريشٍ: إسافٍ ونائلة، عند مَنْحر قريش. وكانت جُرْهم دَفَنْتها حين ظَعنوا من مكة، وهي: بئر إسماعيل بن إبراهيم - ﷺ - التي سقاه الله حين ظَمِيء وهو صغير، فالتمست له أُمُّه ماءً فلم تجده، فقامت إلى الصَّفا تدعو الله، وتستغيثه لإسماعيل، ثم أتت المَرْوة ففعلت مثل ذلك. وبعث اللَّهُ تعالى جبريل عليه

باب مولد النبي ﷺ

ذكر نسبَ أُمه آمنة بنت وَهب بن عَبْدِ مناف بن زُهْرَة، وأن زُهْرَةَ هو: ابن كلاب، وفي المعارف لابن قتيبة: أن زُهْرَةَ اسم امرأة عُرِف بها بنو زُهْرَةَ، وهذا مُنكرٌ غير معروف، وإنما هو اسمُ جدّهم - كما قال ابن إسحٰق والزُّهْرَةُ في اللغة: إشراقٌ في اللون، أي لونٍ كان من بياضٍ أو غيره، وزعم بعضهم أن الأزْهَرَ هو الأبيض خاصّة، وأن الزهر اسمٌ للأبيض من النُّوَّار، وخطَّأ أبو حَنِيفة مَن قال بهذا القول، وقال: إنما الزُّهْرَة إشراق في الألوان كلها، وأنشد في نَوْر الْحوْذَانِ، وهو أصفر:

تـرى زَهـرَ الْـحَـوْذَانِ[2] حَـوْلَ رياضـه ... يُضيءُ كَلَوْن الأتْحَمِيِّ[3] الْمُوَرَّسِ[4]

وفي حديث يوم أُحُد: نظرت إلى رسول الله - ﷺ - وعَيْنَاه تزْهِران تحت الْمِغْفَر.

---

(١) تقدمت ترجمة البكائي وبيان ضعفه. وانظر البداية (٢/ ٢٢٧).

(٢) الحوذان: نبات عشبي من ذوات الفلقتين. (٣) الأتحمي: ضرب من البُرْد.

(٤) مورس: أي مصبوغ بالورس. وهو نبات ينبت باليمن يُصبغ به.

السلام، فَهَمَز له بعَقِبه في الأرض، فظهر الماء، وسمعت أُمه أصواتَ السِّباع فخافتْها عليه، فجاءت تشتدّ نحوه، فوجدته يَفْحص بيده عن الماء من تحت خدّه ويشرب، فجعلته حِسْيًا [الحسي: الحفيرة الصغيرة].

زمـــزم[١]:

وذكر فيه خبر إسماعيلَ، وأُمّه، وقد تقدم طرفٌ منه. وذكر أن جِبْريلَ ـ عليه السلام ـ هَمَزَ بعقبه في موضع زَمْزَم، فنبع الماء، وكذلك زَمْزَم تسمى: هَمْزَة جبريل بتقديم الميم على الزاي، ويقال فيها أيضًا: هَزْمة جبريل، لأنها هَزْمَةٌ[٢] في الأرض، وحُكِيَ في اسمها: زُمَازِمُ وزَمْزَم. حُكِيَ ذلك عن الْمُطرز، وتسمى أيضًا: طعَام طُعْم، وشِفَاء سُقْم. وقال الْجُزبِيُّ: سميت: زمزم، بِزَمْزَمَةِ الماء، وهي صوته، وقال المسعوديّ: سُمّيتْ زمزم؛ لأن الفُرْسَ كانت تحج إليها في الزمن الأوّل، فَزَمْزَمَتْ عليها. والزَّمْزَمَةُ: صوتٌ يُخرجه الفُرْسُ من خياشيمها عند شرب الماء. وقد كتب عمرُ ـ رضي الله عنه ـ إلى عماله: أن انهو الفرسَ عن الزَّمْزَمَةِ[١]، وأنشد المسعودي:

زَمْـزَمَـتِ الْـفُـرْسُ عـلـى زَمْـزَم وذاك فـي سـالِـفـهـا الأقْـدَم[٣]

وذكر البرقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنها سُمّيت: زَمْزَم لأنها زُمّتْ بالتراب؛ لئلا يأخذ الماءُ يمينًا وشمالاً، ولو تُركت لساحت على الأرض حتى تملأَ كلَّ شيء. وقال ابنُ هشام: والزمزمة عند العرب: الكثرة والاجتماع قال الشاعر:

وباشـرتْ مَـعْـطَـنَـهـا[٤] الْـمُـدَهْـثَـمـا وَيَـمَّـمَـتْ زُمْـزُومَـهـا[٥] الْـمُـزَمْـزِمَـا

سبب نزول هاجر وإسماعيل مكة:

الْمُدهثَم: اللَّيِّنُ، وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليها من الشام أنَّ سارّة بنت عمّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ شجر بينها وبين هاجر أمر، وساء ما بينهما، فأُمِرَ إبراهيمُ أن يسير بها إلى مكة، فاحتملها على الْبُراق[٦] واحتمل معه قِرْبة بماءٍ ومِزْوَد تمرٍ،

---

(١) زمزم: قال ابن برّي: لزمزم اثنا عشر اسمًا: زمزم، مكتومة، مضنونة، شُباعة، سقيا، الرّواء، ركضة جبريل، هَزْمَةَ جبريل، شِفاء سُقْم، طَعام طُعم، حفيرة عبد المطلب، ويقال: ماء زمزم، وزمزام، وزوازم، وزوزم إذا كان بين الملح والعذب. انظر اللسان (١٢/ ٢٧٢ـ ٢٧٥).

(٢) هزمة: أي نقرة.

(٣) انظر مروج الذهب (١/ ٢٤٢).

(٤) المعطن: مبرك الإبل.

(٥) زمزومها: جماعتها. أي من الإبل.

(٦) الأشهر أنهم ساروا إلى هناك.

أمر جرهم، ودفن زمزم

قال ابن هشام: وكان من حديث جُرهم، ودَفْنها زمزم، وخروجها من مكة، وَمَنْ ولِيَ أمرَ مكة بعدها إلى أن حَفَرَ عبدُ المطلب زمزم، ما حدّثنا به زِياد بن عبد الله البكّائي عن محمد بن إسحٰق المُطَّلِبِيّ، قال: لما توفي إسماعيل بن إبراهيم وَلِيَ البيت بعده ابنُه نابت بن إسماعيل ـ ما شاء اللّهُ أن يَليه ـ ثم ولِيَ البيتَ بعده: مُضاض بن عمرو الجُرْهميّ.

وسار بها حتى أنزلها بمكة في موضع البيت[١]، ثم وَلّى راجعًا عوده على بدْئه[٢]، وتبعته هاجر وهي تقول: آللّهُ أمرك أن تدعني، وهذا الصبيُّ في هذا البلد الموحش، وليس معنا أنيسٌ؟! فقال: نعم، فقالت: إذًا لا يضيعنا[٣]، فجَعَلت تأكل من التّمْر، وتشرب من ماء القربة، حتى نَفِدَ الماء، وعَطِشَ الصبي، وجعل يَنْشَغُ[٤] للموت، وجعلت هي تسعى من الصفا إلى المروة، ومن الْمَرْوَةِ إلى الصفا؛ لترى أحدًا، حتى سمعت صوتًا عند الصَّبيِّ، فقالت: قد سَمِعْت، إن كان عندك غوْثٌ، ثم جاءت الصبيَّ، فإذا الماءُ ينبع من تحت خدّه، فجعلت تغْرِف بيديها، وتجعل في الْقِرْبة. قال النبي ـ ﷺ ـ: «لو تركتْه لكانت عيْنًا»، أو قال: «نهرًا مَعِينًا»، وكلّمها المَلَك، وهو جبريلُ ـ عليه السلام ـ وأخبرها أنها مقر ابنها وولده إلى يوم القيامة، وأنها موضعُ بيت الله الحرام[٥]، ثم ماتت هاجرُ، وإسماعيلُ ـ عليه السلام ـ ابنُ عشرين سنة، وقبرُها في الْحِجْر، وثَمّ قبر إسماعيل ـ عليه السلام ـ وكان الحِجْرُ قبل بناء البيت زَرْبًا لغنم إسماعيل ﷺ ويقال: إن أول بلد ميرت[٦] منه أُمُّ إسماعيل عليه ـ السلام ـ، وابنها التمْر: القريةُ التي كانت تُعرف بالفُرْع من ناحية المدينة، والله أعلم.

قطورا وجرهم والسميدع

فصل: وذكر نزول جرهم، وقَطُورا على أُم إسماعيل هاجر، وجُرْهم: هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوحٍ، ويقال: جُرْهُمُ بن عابرٍ، وقد قيل: إنه كان مع نوح عليه السلام في السفينة، وذلك أنه منَ ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلّم إسماعيلُ العربية. وقيل: إن الله تعالى أنطقه بها إنطاقًا، وهو ابن أربع عشرة سنة.

---

(١) الذي في البخاري (٣/٣١٣): أنه «وضعها عند البيت عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد».
(٢) أي كما بدأ ـ عائدًا إلى الشام.
(٣) وفي رواية: أنها نادته ثلاث مرات. وفي قولها من التوكل على الله تعالى ما تُسطر فيه الكتب.
(٤) ينشغ: يتهيأ. (٥) في البخاري بنحوه.
(٦) ميرت: تزودت بالميرة: أي الزاد. قال أخوة يوسف لأبيهم عليه السلام: «ونمير أهلنا».

قال ابن هشام: ويقال: مِضاض بن عمرو الجُرْهُميّ.

قال ابن إسحٰق: وبنو إسماعيل، وبنو نابت مع جدّهم: مُضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرْهم، وجُرْهم وقَطُوراء يومئذ أهلُ مكة، وهما ابنا عمّ، وكانا ظَعنا من اليمن، فأقبلا سيَّارةً، وعلى جُرْهم: مُضاض بن عمرو، وعلى قطوراء: السَّمَيْدع رَجُلٌ منهم. وكانوا إذا خَرَجوا من اليمن لم يَخْرجوا إلا ولهم مَلِكٌ يُقِيم أمرَهم. فلما نزلا مكة رَأيا بلدًا ذا ماءٍ وشَجَرٍ، فأعجبهما فَنَزَلا به. فنزَل مُضاض بن عَمْرو بمَنْ معه من جُرْهم بأعْلى مكة بقُعَيْقِعان، فما حازَ. ونزل السَّمَيْدع بقَطُوراء، أسفل مكة بأجْياد، فما حاز. فكان مُضاضٍ يَعْشُر مَنْ دَخَل مكة من أعلاها، وكان السَّمَيْدع يَعْشُر مَنْ دخل مكة من أسفلها، وكلٌ في قومه لا يدخل واحدٌ منهما على صاحبه. ثم إن جُرْهم وقَطُوراء بَغَى بعضُهم على بعض، وتنافسوا المُلْك بها، ومع مُضاض يومئذ: بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولايةُ البيت دون السَّمَيْدع. فسار بعضُهم إلى بعض، فخرج مُضاض بن عَمْرو من قُعَيْقِعان في كتيبته سائرًا إلى السَّمَيْدع، ومع كتيبته عُدَّتُها من الرِّماح والدَّرَق والسُّيوف والجِعَاب، يُقَعْقع بذلك معه، فيقال: ما سُمِّي قُعَيْقِعان بقعيقعان إلا لذلك. وخرج السَّمَيْدع من أجياد، ومعه الخيل والرجال، فيقال: ما سمى أجياد: أجيادًا إلا لخروج

وأما قَطُورا، فهو قَطُورا بن كَرْكَر.

وأما السَّمَيْدَعُ الذي ذكره، فهو السميدع بن هوثر - بثاء مثلثة - قيدها البكري - بن لاي بن قَطُورا بن كَرْكَر بن عِمْلاق، ويقال: إن الزَّبّاء الملكة كانت من ذُرِّيته، وهي بنت عمرو بن أُذَيْنة بن ظَرِب بن حسَّان، وبين حسان، وبين السَّمَيْدَع آباء كثيرةٌ، ولا يصح قول مَن قال: إن حسان ابنُه لصُلْبه، لِبُعْدِ زمن الزباء من السَّميْدع، وقد ذكرنا الاختلاف في اسمها في غير هذا الموضع، وذكر الحارث بنِ مُضاضٍ الأكبر بن عمْرو بن سعدْ بن الرَّقيب بن هيِّ بن بنت[1] جُرْهُم.

جياد وقعيقعان:

فصل: وذكر ولاية جُرْهُم البيت الحرام دون بني إسماعيل إلى أن بغَوْا في الحرم، وكان أول بغي في الحرم ما ذكره من حرب جُرهم لِقَطُورَا.

وأما أجياد فلم يسمّ بأجياد من أجل جياد الخيل، كما ذكر لأن جياد الخيل لا يقال فيها: أجياد، وإنما أجياد: جمع جِيد[2].

---

(١) في اللسان: «ابن هيِّ بن بيٍّ».

(٢) الجيد: أي العنق.

الجياد من الخيل مع السَّمَيْدع منه. فالْتَقَوْا بفاضِح، واقتتلوا قتالاً شديدًا، فقُتل السَّميدع، وفُضِحت قطوراء. فيقال: ما سمّي فاضح فاضحًا إلا لذاك. ثم إن القوم تداعَوْا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا الْمَطابخ: شِعْبًا بأعلى مكة، واصطلحوا به، وأسْلموا الأمرَ إلى مُضاض. فلما جُمع إليه أمْر مكة، فصار مُلْكُها له نَحَر للناس فأطعمهم، فاطَّبخ الناسُ وأكلوا، فيقال: ما سمِّيت المَطابخ: المطابخ إلا لذلك. وبعضُ أهل العلم يزعمُ أنها إنما سُمِّيت المطابخ، لِمَا كان تُبَّع نحر بها، وأطعم، وكانت منزلَه، فكان الذي كان بين مُضاض والسَّمَيدع أول بَغْي كان بمكة فيما يزعمون.

ثم نشر الله وَلَدَ إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جُرْهُم وُلاة البيت والحكام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك لخئولتهم وقرابتهم، وإعظامًا للحُرْمة أن يكون بها بَغْي أو قتال. فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد، فلا يناوئون قومًا إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فَوَطِئوهم.

استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم

بنو بكر يطردون جرهمًا

ثم إن جُرهمًا بَغَوْا بمكة، واستحلُّوا خِلالاً من الحرمة، فظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهْدى لها، فرقَّ أمرهم. فلما رأت بنو بَكْر بن عَبْد مَناة بن كِنانة، وغُبْشان من خُزاعة ذلك، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة. فآذنوهم

وذكر أصحابُ الأخبار أن مُضاضًا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجلٍ من العمالقة، فسمّي الموضع: بأجياد، وهكذا ذكر ابنُ هشام في غير هذا الكتاب، ومن شِعْبِ أجياد تخرج دابة الأرض التي تُكَلِّمُ الناس قبل يوم القيامة، كذلك رُوِيَ عن صالح مولى التَّوْأَمَةِ عن عَبد الله بن عَمْرو بن العاص[١]، وذكر غيره في أخبار مكة أن قُعَيْقِعان سُمّي بهذا الاسم حين نزل تبع مكة، ونحر عندها وأطعم، ووضع سلاحه وأسلحة جنده بهذا المكان، فسُمِّي قُعَيْقِعَان بقَعْقَعَةِ السِّلاح فيه ـ والله أعلم.

جرهم تسرق مال الكعبة

فصل: وذكر استحلالَ جُرْهُم لحُرْمة الكعبة، فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام، كان احْتَفر بئرًا قريبة القَعْر عند باب الكَعْبة، كان يُلْقى فيها ما يُهدى إليها، فلما فسد أمر جرهم

---

(١) ورد القرآن بخروجها وكذا وردت السُّنّة. دون تحديد مكان خروجها.

بالحرب فاقتتلوا، فغلبتهم بنو بَكْر وغُبْشان، فنفوهم من مكة. وكانت مكة في الجاهليّة لا تُقِرّ فيها ظُلْمًا ولا بَغْيًا، ولا يَبْغي فيها أحد إلا أخرجته، فكانت تسمى: النَّاسَّة[1]، ولا يريدها ملك يستحلُّ حُرْمَتها إلا هلك مكانه، فيقال: إنها ما سُمِّيت ببكَّة إلا أنها كانت تَبُكّ أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئًا.

قال ابن هشام: أخبرني أبو عُبيدة: أن بكة اسم لبطن مكة، لأنهم يتباكُّون فيها، أي: يزدحمون، وأنشدني:

إذا الشَّرِيبُ أخذتهُ أكّه[2] فخلِّهِ حتَّى يَبُكّ بَكَّهْ

سرقوا مال الكعبة مرَّةً بعد مرة، فيذكر أن رجلاً منهم دخل البئر ليسرقَ مال الكعبة، فسقط عليه حجرٌ من شَفِير البئر فحبسه فيها، ثم أُرْسِلَتْ على البئر حيَّةٌ لها رأسٌ كرأس الْجَدْي، سوداء الْمَتْنِ، بيضاء البطن، فكانت تهيب مَن دنا من بئر الكعبة، وقامت في البئر ـ فيما ذكروا ـ نحوًا من خمسمائة عام، وسنذكر قصة رفعها عند بنيان الكعبة إن شاء الله.

بين جرهم وخزاعة

فصل: فلما كان من بغي جُرْهُم ما كان، وافق تفرُّق سبأ من أجل سيل العَرِمِ، ونزول حارثة بن ثعلبة بن عَمْرو بن عامر أرض مكة، وذلك بأمر طَريفةَ الكاهنةِ، وهي امرأة عَمْرو بن مُزَيْقِيَاء[3] وهي من حمير، وبأمر عِمْران بن عامر أخي عمرو، وكان كاهنًا أيضًا، فنزلها هو وقومه، فاستأذنوا جُرْهُمًا أن يقيموا بها أيامًا، حتى يرسلوا الرُّوَّاد، ويرتادوا منزلاً حيث رأوْا من البلاد، فأبت عليهم جُرْهُمٌ، وأغضبوهم، حتى أقسم حارثة ألاّ يبرحَ مكة إلا عن قتالٍ وغَلَبَةٍ، فحاربتهم جُرْهُمٌ، فكانت الدَّوْلَة لبني حارثة عليهم، واعتزلت بنو إسماعيل، فلم تكن مع أحد من الفريقين، فعند ذلك ملكت خُزَاعةُ ـ وهم بنو حارثة ـ مكة، وصارت ولايةُ البيت لهم، وكان رئيسُهم عَمْرُو بن لُحَيٍّ الذي تقدم ذكرُه قبل، فشرّد بقية جُرْهُم، فسارَ فَلُّهُمْ في البلاد، وسُلِّط عليهم الذَّرُّ[4] والرُّعاف[5]، وأهلك بقيتَهم السيلُ بإضَم، حتى كان آخرهم موتًا امرأةٌ رِيئت تطوف بالبيت بعد خُروجهم منها بزمان، فعجبوا من طولها وعظم خلقتها، حتى قال لها قائل: أجِنّيّة أنت أم إنسية؟! فقالت: بل إنسية من جُرهم،

---

(١) الناسة: مكة. قيل سُمِّيت بذلك لقلة الماء بها. إذا أن «نس» تدل على قلة الماء. انظر مقاييس اللغة (٥/ ٣٥٥).

(٢) أكّة: الهمزة والكاف تدلاّن على شدة الحرّ وغيره. والأكة سوء خلق والبيت في المقاييس (١/ ١٧).

(٣) في الجمهرة (٤٥٣): «عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء».

(٤) الذر: صغار النمل.

(٥) الرعاف: الدم.

أي: فدعه حتى يَبُكَّ إبِلَهُ، أي يُخَلِّيها إلى الماء، فتزدحم عليه، وهو موضع البيت والمسجد. وهذان البيتان لعامان بن كعْب بن عمرو بن سعْد بن زيد مناة بن تميم.

قال ابن إسحٰق: فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهميّ بغزالي الكعبة وبحجر الركن، فدفنهما في زمزم، وانطلق هو ومَن معه من جُرْهم إلى اليمن، فحزنُوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلْكها حزنًا شديدًا، فقال عمرو بن الحارث بن مُضاض في ذلك، وليس بمُضاض الأكبر:

وقائلةٍ والدمعُ سَكْبٌ مُبادرُ ... وقد شَرِقتْ بالدمع منها الْمَحَاجِرُ
كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّة سامرْ
فقلتُ لهَا والقلبُ منّي كأنما ... يُلَجْلِجُه بين الجناحين طائر
بلى نحن كُنَّا أهلها، فأزالنا ... صُروفُ اللَّيالي، والْجُدود العِواثر
وكنَّا ولاة البيت من بَعْد نابتٍ ... نطوفُ بذاك البيت، والخيرُ ظاهر
ونحن وَلِينا البيتَ من بعد نابت ... بعزٍّ، فمَا يحظى لدينا الْمُكاثر
ملكْنا فعزَّزْنا فأعْظِمْ بمُلكنا ... فليس لحيٍّ غيرنا ثَمَّ فاخرُ

وأنشدت رَجَزًا في معنى حديثهم، واسْتَكْرتْ بعيرًا من رجلين من جُهَيْنَة، فاحتملاها على البعير إلى أرض خَيْبَر، فلما أنْزلاها بالمنزل الذي رسَمَتْ لهما، سألاها عن الماء، فأشارت لهما إلى موضع الماء، فولَّيا عنها، وإذا الذَّرُّ قد تعلَّق بها، حتى بلغ خياشيمها وعينيها، وهي تنادي بالويْل والثُّبُور حتى دخل حلقها، وسقطت لوجهها، وذهب الْجُهَنِيَّانِ إلى الماء، فاسْتوْطَناه، فمن هنالك صار موضع جُهيْنة بالحجاز وقُرْب المدينة، وإنما هُمْ من قُضاعة، وقُضاعةُ: من ريف العراق.

غربة الحارث بن مضاض:

فصل: رجع الحديث. وكان الحارث بن مُضاض بن عمرو بن سَعْد بن الرَّقيب بن هيّ بن نبت بن جُرْهُم الْجُرْهُمي قد نزل بِقَنَوْنَا من أرض الحجاز، فَضَلَّت له إبلٌ، فبغاهَا حتى أتى الحرم، فأراد دخوله، ليأخذ إبله، فنادى عمرُو بن لُحَيّ: مَنْ وجد جُرْهميًّا، فلم يقتله، قطعت يده، فسمع بذلك الحارث، وأشرف على جبل من جبال مكة، فرأى إبله تُنْحر، ويُتوزَّعُ لحمُها، فانصرف بائسًا خائفًا ذليلاً، وأبعد في الأرض، وهيَ غُرْبة الحارث بنِ مُضَاض التي تضرب بها المثل، حتى قال الطائي:

غُرْبةٌ تقْتدي بغُرْبة قَيْس بـ ... ـن زُهَيْرٍ والحارث بن مُضاض

ألم تُنْكحوا من خير شخص علمته	فأبناؤه منّا، ونحن الأصاهر
فإنْ تَنْثَن الدُّنيا علينا بحالِهَا	فإنَّ لهَا حالاً، وفي التَّشاجرُ
فأخرجَنا منها المليكُ بقُدْرة	كذلك - يا للنَّاس - تجري المقادر
أقول إذا نام الخليّ، ولم أنَمْ:	إذا العرش: لا يَبْعَدْ سُهيل وعامر
وبُدِّلْت منها أوجُها لا أُحبُّها	قبائلُ منها حِمْيَرٌ وَيُحابِر
وصِرْنا أحاديثًا وكُنَّا بغبْطةٍ	بذلك عَضّتنا السِّنون الغوابر
فسحَّت دمُوعُ العين تبْكي لِبَلْدَةٍ	بها حَرَمٌ أمْنٌ، وفيها المشاعر
وتبْكي لبيتٍ ليس يُؤْذَى حمامُه	يظلّ به أمْنًا، وفيه العَصافر
وفيه وُحوش - لا تُرام - أنيسةٌ	إذا خرجتْ منه، فليست تُغادر

وحينئذ قال الحارث الشعر الذي رسمه ابن إسحٰق وهو قوله:

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا

الشعر وفيه:

وَنَبْكي لبيتٍ ليس يُؤْذَى حمامُهُ	تظلُّ به أمنًا، وفيه الْعَصافرُ

أراد: العصافير، وحذف الياء ضرورة، ورفع العصافير على المعنى، أي: وتأمن فيه العصافير، وتظل به أمْنًا، أي: ذات أمْن، ويجوز أن يكون أمْنًا جمع آمِن مثل: ركْب جمع: راكب، وفيه: ولم يَسْمُرْ بمكة سامر: السامر: اسمُ الجماعة يتحدثون بالليل، وفي التنزيل: ﴿سامِرًا تَهْجُرون﴾ [المؤمنون: ٦٧] والْحَجُون[1] بفتح الحاء على فرسخ وثلثٍ من مكة، قال الْحُمَيْدِيُّ: كان سُفْيَانُ ربما أنشد هذا الشعر، فزاد فيه بعد قوله: فليست تغادر:

ولم يَتَرَبَّعْ واسطًا وجَنُوبه	إلى السِّرِّ من وادي الأراكة حاضر
وأبدلني ربِّي بها دار غُرْبةٍ	بها الجوعُ باد، والعدوُّ الْمُحاصِرُ[2]

واسط وعامر وجرهم:

قال الْحُمَيْدِيُّ: واسط: الجبل الذي يجلس عنده المساكين، إذا ذهبت إلى مِنى. وقوله فيه:

لا يَبْعُدْ سُهَيلٌ وعامر

---

(١) الحجون: بأعلى مكة عند مقبرة أهلها. (٢) انظر نهاية الأرب (١٦/ ٣٤).

قال ابن هشام: «فأبناؤه منا»، عن غير ابن إسحٰق.

عامرٌ: جبلٌ من جبال مكة، يدل على ذلك قولُ بلال رضي الله عنه: وهل يَبْدُوَنْ لي عامرٌ وطَفِيلُ[1]. على رواية مَن رواه هكذا، وجُرْهُمٌ هذا هو الذي تتحدَّث بها العربُ في أكاذيبها، وكان من خرافاتها في الجاهلية أن جُرْهُمًا ابنٌ لِمَلَكٍ أُهبط من السماء لذنب أصابه، فغُضب عليه من أجله، كما أُهبط هارُوتُ وماروت[2]، ثم أُلقيَت فيه الشهوة، فتزوج امرأة، فولدت لهُ جُرْهُمًا، قال قائلهم:

لا هُـمَّ إن جُـرْهُـمًـا عـبـادُكـا ... الـنـاسُ طُـرْفٌ، وهُـمْ تِـلادُكـا

[بـهـم قـديـمًـا عَـمِـرَت بـلادُكـا]

من كتاب الأمثال للأصبهاني:

مكة[3] وأسماؤها:

فصل: وذكر مكة وبكَّة، وقد قيل في بكَّة ما ذكره من أنهَا تَبُك الجبابرة، أي تكسرهم وَتَقْدَعُهُمْ، وقيل: من التَّبَاكِّ، وهو: الازدحام، ومكَّة من تمكَّكْت العظم، إذا اجتذبت ما فيه من المخ، وتمكَّك الفصيلُ ما في ضَرْع الناقة، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الناس والأقوات التي تأتيها في المواسم، وقيل: لما كانت في بطن وادٍ، فهي تَمَكَّكُ الماءَ من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر، وتنجذب إليها السيولُ، وأما قول الراجز الذي أنشده ابن هشام:

إذا الـشَّـرِيـبُ أخـذتْـه أكَّـةْ ... فـخـلِّـه حـتـى يـبـكَّ بـكَّـةْ

فالأكَّة: الشدة، وإكاكُ الدهر: شدائده.

وذكر أنه كان يقال لها: النَّاسَّة، وهو من نُسْت الشيءَ إذا أذهبته، والرواية في الكتاب بالنون، وذكر الخطابي [في غريبه] أنه يقال لها: الباسَّة أيضًا بالباء، وهو من بُسَّت الجبالُ بَسًّا، أي: فُتَت وثُرِّيتْ، كما يُثَرَّى السَّويقُ، قال الراجز:

لا تَـخْـبِـزَا خَـبْـزًا وبُـسَّـا بـسَّـا

---

(١) طفيل: جبل بمكة.

(٢) لا أصل صحيح لقصة هاروت وماروت من كونهما ملكين نزلا إلى الأرض وجرى منهما ما جرى من زنا وشرب الخمر ولواط وغيره. انظر تفسير ابن كثير.

(٣) مكة: الميم والكاف أصل صحيح يدل على انتقاء العظم. انظر مقاييس اللغة (٥/ ٢٧٤ـ ٢٧٥).

قال ابن إسحٰق: وقال عمرو بن الحارث أيضًا يذكر بَكْرًا وغُبْشَان، وساكني مكة الذين خَلَفُوا فيها بعدهم:

يـأيـهـا الـنَّاس سيـرُوا إن قَـصْـرَكـم   أن تُـصْبحـوا ذات يـوم لا تَـسِيرُونا

يقول: لا تشتغلا بالخبز، وثَرِّيا الدقيق والتقماه. يقال: إن هذا البيت للص أعجله الهرب.

وذكر أبو عبيدة أن الْخَبْزَ: شدة السَّوْق، والْبَسُّ: ألين منه، وبعده:

مـا تـرك الـسَّـيـرُ لـهـن نَـسًّـا

ومن أسماء مكة أيضًا، الرأسُ، وصَلاَحُ، وأُمُّ رُحْم، وكُوثى، وأما التي يخرج منها الدجال، فهي: كُوثى رَبًّا ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام، وقد تقدم اسمها، وأبوها هو الذي احتفر نهر كُوثَى، قاله الطبري[1].

أسطورة:

فصل: وذكر قول الحارث بن مُضاض:

يـأيـهـا الـنـاسُ سِيـروا إن قَـصْـرَكُـمُ   أن تُصبحوا ذات يوم لا تسيرونا[2]

وذكر ابن هشام أنها وجدت بِحَجَرٍ باليمن، ولا يعرف قائلها، وألفيتُ في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبرًا لهذه الأبيات، وأسنده أبو الحرث محمد بن أحمد الْجُعْفِيّ عن عبد الله بن عبد السلام البصْري، قال: حدّثنا إسحٰق بن إبراهيم بن سليمان التَّمَّار، قال أخبرني ثقة[3] عن رجل[3] من أهل اليمامة، قال: وجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بئر طَسْم وجَدِيس في قرية يقال لها: مُغنِق، بينها وبين الْحِجْرِ ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تُبَّعٌ، فقتلهم، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبًا:

يـأيـهـا الـمـلـك الـذي   بـالْـمُـلْـكِ سـاعـده زمـانـه

مـا أنـت أول مَـن عـلا   وعـلا شـؤونَ الـنـاس شـانـهُ

أقْـصِـرْ عـلـيـك مـراقـبًـا   فـالـدهـر مَـخْـذولٌ أمـانـهُ

كـم مـن أشَـمَّ مُـعَـصَّـب   بـالـتـاج مـرهـوب مـكـانـهُ

قـد كـان سـاعـده الـزمـا   ن، وكَـان ذا خَـفْـضٍ جـنـانـهُ

---

(١) الطبري (١/ ٥٣٣).

(٢) الطبري (١/ ٥٢٤).

(٣) مجهول.

حُثُّوا الْمَطِيَّ، وأرْخُوا من أزِمَّتها قبل الممات، وقَضُّوا ما تُقَضُّونا
كُنَّا أُناسًا كما كنتم، فغيَّرنا دهرٌ، فأنتم كما كنَّا تكونونا
قال ابن هشام: هذا ما صحّ له منها. وحدّثني بعضُ أهل العلم بالشعر: أن هذه

تجري الجداول حوله للجند مُتْرَعةً جِفَانُهْ
قد فاجأته مَنِيَّةٌ لم يُنجه منها اكْتِنَانُهْ
وتفرقت أجناده عنه، وناح به قِيانُهُ
والدهر من يَعْلِقْ به يَطْحَنْهُ، مُفْتَرِشًا جِرَانه
والناسُ شَتَّى في الهوى كالمرءِ مُخْتَلِف بنانهُ
والصِّدقُ أفضلُ شِيمةٍ والمرءُ يقتله لسانهُ
والصمتُ أسْعَدُ لِلْفَتَى ولقد يُشَرِّفه بيانهُ
ووجد في الحجر الثاني مكتوبًا أبيات:
كُلُّ عيشٍ تَعِلَّهْ ليس للدهرِ خَلَّهْ
يَوْمُ بُؤسَى ونُعْمَى واجتماعٍ وقِلَّه
حُبُّنا العيشَ والتكا ثُرَ جَهْلٌ وضِلَّه
بينما المرءُ ناعم في قصورٍ مُظِلَّه
في ظلالٍ ونعمةٍ ساحبًا ذَيْلَ حُلَّه
لا يرى الشمسَ مِلْغَضَا رَةِ إذْ زَلَّ زَلَّه
لم يُقَلْها، وبَدَّلَتْ عِزَّةَ المرءِ ذِلَّه
آفةُ العيشِ والنعـ ـيمِ كُرُورُ الأهِلَّهْ
وَصْلُ يَومٍ بِلَيْلَةٍ واعتراضٌ بِعِلَّه
والمنايا جَوائِمٌ كالصُّقُورِ الْمُعِلَّه
بالذي تكرهُ النفـ ـوسُ عَلَيها مُطِلَّه
وفي الحجر الثالث مكتوبًا:
يأيُّها الناسُ سيروا إن قَصْرَكُم أن تُصْبِحُوا ذات يومٍ لا تَسِيرُونا
حُثُّوا الْمَطِيَّ، وأرْخُوا من أزِمَّتِهَا قبل المماتِ وقَضُّوا ما تُقَضُّونَا
كنا أُناسًا كما كنتُم فَغَيَّرَنَا دَهْرٌ فأنتم كما كُنَّا تكونونا

الأبيات أوّلُ شعر قيل في العرب، وأنها وُجدتْ مكتوبة في حَجَرٍ باليمن، ولم يُسمّ لي قائلها.

وذكر أبو الوليد الأزرقي في كتابه في فضائل مكة زيادَةً في هذه الأبيات وهي:

قد مال دَهْرٌ علينا ثم أهْلَكَنَا ... بالبغي فينا وَبزُّ الناسَ نَاسُونَا

إن التفكرَ لا يُجْدِي بصاحِبِه ... عند البديهةِ في عِلْمٍ له دُونَا

قَضُوا أمورَكم بالحزمِ إن لَهَا ... أمورَ رُشْدٍ رَشَدْتُمْ ثم مسنونا

واسْتَخْبِروا في صنيع الناس قبلكم ... كما استبان طريقٌ عنده الهونا

كنا زمانًا ملوك الناس قبلكم ... بِمَسْكَنٍ في حرامِ الله مَسْكُونا

ووُجد على حائطِ قصيرٍ بدمشق لبني أمية مكتوبًا:

يأيها القصرُ الذي كانت ... تَحُفُّ به المواكبْ

أين المواكبُ والمضـ ... ـاربُ والنجائبُ[1] والجنائِبُ[2]

أين العساكرُ والدَّسـ ... ـاكرُ والْمَقَانِبُ[3] والْكَتَائِبْ

ما بالُهُمْ لم يَدْفعوا ... لما أتت عنكَ النَّوَائِبْ

ما بالُ قَصْرِكَ واهيًا ... قد عادَ مُنْهَدَّ الْجَوانِبْ

ووُجد في الحائط الآخر من حِيطانها جوابُها:

يا سائلي عَمَّا مَضَى ... مِنْ دَهْرِنا وَمِنَ العَجائِبْ

والقصر إذ أوْدَى، فأضحى ... بعدُ مُنْهَدّ الجوانب

وعن الجنودِ أولى العقو ... دِ، ومَنْ بهم كنا نحارب

وبهم قَهَرنا عَنْوَةً ... مَنْ بالمشارق والمغارب

وتقول: لِمْ لَمْ يَدْفعوا ... لما أتَتْ عنك النَّوائِب

هَيْهَات لا يُنْجِي من المو ... ت الكتائبُ والمقانِب

---

(١) النجائب: النون والجيم والباء أصلان: أحدهما يدلّ على خلوص شيء وكرم، والآخر على ضعف. مقاييس اللغة (٥/ ٣٩٩).

(٢) الجنائب: الجيم والنون والباء أصلان متقاربان أحدهما: الناحية والآخر: البعد. انظره مقاييس اللغة (١/ ٤٨٣). والجنائب: النوق. انظر اللسان (١/ ٢٧٩).

(٣) المقانب: الخيل. اللسان (١/ ٦٩٠).

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحٰق: ثم إن غُبْشان من خُزاعة وَلِيتْ البيتَ دون بني بكر بن عَبْد مَنَاة، وكان الذي يليه منهم: عمرو بن الحارث الغُبْشاني، وقُرَيش إذ ذاك حُلُولٌ وصِرَمٌ، وبيوتات متفرّقون في قومهم من بني كنانة، فَوَلِيَتْ خزاعة البيتَ يتوارثون ذلك كابرًا عن كابر، حتى كان آخرهم حُلَيل بن حَبَشِيَّة ابن سَلُول بن كَعْب بن عمرو الْخُزَاعِيّ.

قال ابن هشام: يقال حُبْشية، ابن سَلول.

قصي وخزاعة وولاية البيت

فصل: في حديث قصي ذكَر فيه أن قريشًا قُرْعة ولد إسماعيل، هكذا بالقاف، وهي الرواية الصحيحة، وفي بعض النسخ: فَرْعَة بالفاء، والقُرْعَة بالقاف هي: نُخْبَةُ الشيء، وخياره، وقَريع الإبل: فَحْلُها، وقريع القبيلة: سيدها، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمّي من العرب بالأقرع.

وذكر انتقال ولاية البيت من خُزَاعَةَ إليه، ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيًّا رأى نفسه أحق بالأمر منهم، وذكر غيره أن حُلَيْلاً كان يُعطي مفاتيح البيت ابنتَه حُبَّى، حين كبر وضعف، فكانت بيدها، وكان قُصَيٌّ ربما أخذها في بعض الأحيان، ففتح البيتَ للناس وأغلقه، ولما هلك حُلَيْل أوصى بولاية البيت إلى قصي، فأبت خُزاعةُ أن تُمضي ذلك لقصي، فعند ذلك هاجت الحربُ بينه وبين خُزاعة، وأرسل إلى رِزاح أخيه يستنجده عليهم.

ويذكر أيضًا أن أبا غُبْشَان من خزاعة، واسمه: سليم - وكانت له ولاية الكعبة - باع مفاتيح الكعبة من قصيّ بزِقّ خمر، فقيل: أخسَر من صفقة أبي غُبْشان[1] ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال.

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مُضَرَ إلى خُزاعة أن الحرَم حين ضاق عن ولد نزار، وبغت فيه إياد أخرجتهم بنو مضر بن نزار، وأجْلَوْهُمْ عن مكة، فَعَمَدوا في الليل إلى الحجر الأسود، فاقتلعوه، واحتملوه على بعير فَرَزَحَ البعير به، وسقط إلى الأرض، وجعلوه على آخر، فَرَزَح أيضًا، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا، فلما أصبح أهلُ مكة، ولَمْ يَروْه، وقعوا في كَرْب عظيم، وكانت امرأةٌ من خُزاعَة قد بَصُرت به حين دُفن، فأعلمت قومَها بذلك، فحينئذ أخذت خزاعةُ على وُلاة البيت أن يتخلّوْا لهم

---

(١) كانت تُضرَب الأمثال في الحمق.

تزوج قصي بن كلاب حُبَّى بنت حليل

قال ابن إسحٰق: ثم إن قصَيّ بن كلاب خطب إلى حُلَيْلِ ابن حُبْشية بنته حُبَّى، فرغب فيه حُليل فزوّجه، فولدت له عبدَ الدار، وعبد مناف، وعبد العُزَّى، وعبدا. فلما انتشر ولدُ قصيّ، وكَثُرَ ماله، وعظم شَرَفُه، هلك حُليل.

قصي يتولى أمر البيت

فرأى قُصيّ أنه أولى بالكعبة، وبأمر مكة من خُزاعة وبني بكر، وأن قريشًا قُرْعة إسماعيل بن إبراهيم وصَريح وَلَده. فكلَّم رجالاً من قُرَيش، وبني كِنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بَكْر من مكة، فأجابوه. وكان رَبيعة بن حَرَام من عُذْرة بن سَعْد بن زَيْد قد قَدِم مكةَ بعدما هَلَكَ كِلاب، فَتَزَوّج فاطمةَ بنت سعد بن سَيَل، وزُهْرة يومئذ رجل، وقصي فَطِيم، فاحتملهما إلى بلاده، فحملت قُصَيًّا معها، وأقام زُهرة، فولدت لربيعة رِزَاحًا. فلم بلغ قُصيّ، وصار رجلاً أتى مكة، فأقام بها، فلما أجابه قومُه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أُمّه، رِزَاحِ بن ربيعة، يدعوه إلى نُصْرته، والقيام معه، فخرج رِزَاحُ بن ربيعة، ومعه إخوته: حُنّ بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلْهُمة بن ربيعة، وهم لغير أُمه فاطمة، فيمن تبعهم من قُضاعة في حاجّ العرب، وهم مجمعون لنُصْرة قُصَيْ. وخُزاعة تزعم أن حُلَيل ابن حُبْشية أوصى بذلك قُصَيًّا وأمره به حين انتشر

عن ولاية البيت، ويَدُلُّوهم على الحجرِ، ففعلوا ذلك، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيَّرَها أبو غُبْشَان إلى عبد مناف، هذا معنى قول الزبير.

نشـأة قصي

فصل: وذكر أن قصيًا نشأ في حجر ربيعة بن حَرَامٍ، ثم ذكر رجوعه إلى مكة، وزاد غيره في شرح الخبر، فقال: وكان قصي رضيعًا حين احتملته أمه مع بعْلها ربيعة، فنشأ ولا يعلم لنفسه أبًا إلا ربيعة، ولا يدعى إلا له، فلما كان غلامًا يَفَعَةً أو حَزَوَّرًا(١) سابَّه رجلٌ من قُضاعة، فعيَّرَه بالدعوة، وقال: لستَ منّا، وإنما أنت فينا مُلصَق، فدخل على أُمه، وقد وَجَمَ لذلك، فقالت له: يا بُنيَّ صدق، إنك لست منهم، ولكنْ رهطُك خيرٌ من رَهْطِه، وآباؤُك أشرفُ من آبائه، وإنما أنت قُرَشِيٌّ، وأخوك وبنو عمك بمكة، وهم جيرانُ بيت الله الحرام فدخل في سيارة حتى أتى مكةَ، وقد ذكرنا أن اسمه: زيد، وإنما كان قصِيًا أي بعيدًا عن بلده فسُمِّي: قُصَيًّا.

---

(١) حزورًا: أي غلام قوي.

له من ابنته من الولد ما انتشر. وقال: أنت أولى بالكعبة، وبالقيام عليها، وبأمر مكّة من خُزاعة، فعند ذلك طلب قُصَيّ ما طلب، ولم نسمع ذلك من غيرهم، فالله أعلم أيّ ذلك كان[1].

ما كان يليه الغوث بن مرّ من الإجازة للناس بالحج

وكان الغَوْثُ بنُ مُرّ بن أُدّ بنِ طابِخَة بنِ إلياسِ بنِ مُضَرَ يلي الإجازة للناس بالحجّ من عرفة، وولدُه من بعده، وكان يقال له ولولَده: صُوفة. وإنما وَلِيَ ذلك الغوثُ بن مرّ، لأن أُمَّه كانت امرأةً من جُرْهم، وكانت لا تَلِد، فنذرت لله إن هي ولدتْ رجلاً: أن تَصَّدَّق به على الكعبة عَبْدًا لها يخدُمها، ويقوم عليها، فولدت الغوْثَ، فكان يَقُوم على الكعبة في الدَّهر الأوّل مع أخواله من جُرْهم، فَوَلِي الإجازة بالناس من عَرَفة، لمكانه الذي كان به من الكعْبة، وولدُه من بعده حتى انقرضوا. فقال مُرّ بن أُدّ لوفاء نَذْر أُمّه:

إني جعلتُ رَبِّ من بَنِيَّه ... رَبِيطةً بمكّةَ الْعَلِيَّهْ

فباركَنَّ لي بها أَلِيَّهْ ... واجْعله لي من صَالِح الْبَرِيَّهْ

وكان الغوث بن مُرٍّ ـ فيما زعموا ـ إذا دفَع بالناس قال:

لا هُمَّ إنّي تابعٌ تَبَاعه ... إن كان إثمٌ فعلى قُضَاعَهْ

قال ابن إسحٰق: حدّثني يَحْيىٰ بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه قال:

كانت صوفة تدفع بالناس من عَرفة، وتُجيز بهم إذا نَفَروا من مِنَى، فإذا كان يوم النَّفْر أتَوْا لرَمْي الجمار، ورجل من صوفة يرمي للناس، لا يرمون حتى يرمي. فكان ذوو

الغوث بن مر وصوفة

فصل: وذكر قصة الغَوْثِ بن مُرٍّ، ودفعه بالناس من عرفة، وقال بعضُ نَقَلَةِ الأخبار أنَّ ولايَة الْغَوثِ بن مُـر كانت من قِبَلِ ملوك كِنْدَة.

وقوله: إن كان إثمًا فَعَلَى قُضَاعَةَ. إنما خَصَّ قُضَاعَةَ بهذا؛ لأن منهم مُحِلِّينَ يَسْتَحِلُّون الأشهرَ الْحُرُمَ، كما كانت خَثْعَم وطَيِّىءٌ تفعل، وكذلك كانت النَّسَأَةُ تقول إذا حَرَّمت صَفَرًا أو غيره من الأشهرِ بدلاً من الشهر الحرام ـ يقول قائلُهم: قد حُرِّمتْ عليكم الدماءُ إلا دماءَ الْمُحلِّين.

---

(١) الطبري (١/ ٥٠٥). البداية (٢/ ١٩٠). وقيل سُمّي قصيًا: لأنه قصى [أي أبعد] قومه فقصاهم إلى الشام.

الحاجات المتعجِّلون يأتونه، فيقولون له: قُمْ فازمِ حتى نرمي معك، فيقول: لا والله، حتى تميلَ الشمس، فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبُّون التعجّل يرمونه بالحجارة، ويستعجلونه بذلك، ويقولون له: ويلك! قم فارْم، فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمسُ، قام فرَمى، ورَمى الناس معه.

قال ابن إسحٰق: فإذا فرغوا من رَمْي الجمار، وأرادوا النَّفْرَ من مِنى، أخذت صُوفةُ بجانِبَي الْعَقَبَةِ، فحبسوا الناس وقالوا: أجيزي صُوفَة، فلم يَجُز أحدٌ من الناس حتَّى يَمرُّوا، فإذا نفرت صُوفَةُ ومضت، خُلِّي سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فكانوا كذلك،

فصل: وأما تَسْمِيةُ الغَوْثِ وولدِه صُوفَةَ، فاختلف في سبب ذلك. فذكر أبو عُبَيْد الله الزُّبَيْر بن أبي بكر القاضي في أنساب قريش له عند ذكر صوفَة: البيت الواقع في السيرة لأوْسِ بن مَغْرَاءَ السَّعْدِي[1]، وهو:

لا يَبْرَحُ الناسُ ما حَجُّوا مُعَرَّفَهم

البيت. وبعده:

مَجدٌ بناه لنا قِدْمًا أوائلُنا وأورثوه طِوال الدهرِ أحزانا

ومَغْرَاءُ: تأنيث أمْغَر، وهو الأحمر، ومنه قول الأعرابي للنبي - ﷺ -: أهو هذا الرَّجُل الأمْغَرُ؟ ثم قال: قال أبو عبيدة: وصُوفَة وصُوفَانُ يقال لكل مَن وَلِيَ من البيت شيئًا من غير أهْلِهِ، أو قام بشيء من خِدْمة البيت، أو بشيءٍ من أمْرِ المناسِك يُقال لهم: صُوفَة وصُوفَان. قال أبو عبيدة: لأنه بمنزلة الصُّوفِ، فيهم القصيرُ والطويلُ والأسْوَدُ والأحمرُ، ليسوا من قبيلة واحدة. وذكر أبو عبد الله أنه حدَّثَهُ أبو الحسن الأثْرَم عن هشام بن محمد بن السائب الْكَلْبيّ قال: إنما سُمّي الغوثُ بن مُرّ: صُوفَه، لأنه كان لا يعيش لأُمه ولدٌ، فنذرت: لئن عَاش لَتُعَلِّقَنَّ برأسه صُوفةً، ولَتَجْعَلَنَّه رَبِيطًا للكعبة، ففعلت، فقيل له: صوفة، ولولده من بعده، وهو: الرَّبِيط وحدّث إبراهيمُ بنِ الْمُنْذِر عن عُمر بن عبد العزيز بن عمران، قال: أخبرني عِقَالُ بن شَبَّةَ قال: قالت أُم تميم بن مُرّ - وولدت نِسْوَةً - فقالت: لله عليَّ لئِنْ ولدتُ غلامًا لأُعَبِّدَنَّه للبيتِ، فولدت الغوث، وهو أكبرُ ولدِ مُرٍّ، فلما ربطته عند البيت أصابه الْحَرُّ، فمرّت به - وقد سَقَطَ وذَوَى واسْتَرْخَى فقالت: ما صار ابني إلا صُوفَةً، فسُمّي صوفةَ.

---

(١) هو: أوس بن مغراء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بني تميم. انظر المروج (٢/٤٨٧).

حتى انقرضوا، فورثهم ذلك من بعدهم بالْقُعْدَدُ[1] بنو سعد بن زَيْد مناة بن تميم، وكانت من بني سعد في آل صَفْوان بن الحارث بن شِجْنة.

قال ابن هشام: صَفْوَان بنُ جناب بن شِجْنَة عُطارد بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مناة بن تَميم.

قال ابن إسحٰق: وكان صَفْوان هو الذي يُجيز للناس بالحجّ من عَرَفة، ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرَهم الذي قام عليه الإسلام، كَرِبُ بن صَفْوَانَ، وقال أوْس بن تميم بن مَغْراءِ السَّعْدي:

لا يَبْرَحُ النَّاسُ ما حَجُّوا مُعَرَّفهم ... حتى يُقَالَ: أجِيزُوا آل صَفْوانا

قال ابن هشام: هذا البيت في قصيدة لأوس بن مغراء.

بنو سعد وزيد مناة:

فصل: وذكر وراثة بني سَعْدٍ إجازة الحاج بالْقُعْدَدِ من بني الغوثِ بن مُرّ، وذلك أن سَعْدًا هو: ابن زَيْدِ مَنَاة بن تميم بن مُرّ، وكان سَعْدٌ أقْعَد بالغوثِ بن مُرّ من غيره من العرب، وزيدُ مَناة بن تميم يقال فيه: مَنَاة وَمَنَاءَة بالهمز، وتركه، ويجوز أن يكون ـ إذا همز ـ مَفْعَلة من ناء يَنُوء، ويجوز أن يكونَ: فَعَالة من الْمَنِيئَةِ، وهي: المدبَغة، كما قالت امرأة من العرب لأخرى: [تفول لك أُمّي]: أعْطِيني نَفَسًا أو نَفَسَيْن أمْعَسُ به مَنِيئتي، فإني أفِدةٌ. النَّفَسُ: قِطعَةٌ من الدِّبَاغ، والمنِيئَةُ: الْجِلْدُ في الدباغ، وأفدة: مُقاربةٌ لاستتمام ما تريد صلاحَه وتمامه من ذلك الدباغ وأنشد أبو حنيفة:

إذا أنـت بـاكَـرْتَ الْـمَـنِـيـئَـة بـاكـرتْ ... قَضِيبَ أرَاكٍ بات في المِسْك مُنْقَعَا

وأنشد يعقوب:

إذا أنـت بـاكـرتَ الـمـنـيـئَـةَ بـاكَـرْتَ ... مَـدَاكًـا لـهـا مـن زَعْـفَـرانٍ وإثْـمِـدَا[2]

اشتقاق المزدلفة[3]:

فصل: وأما قوله: فلأن الإفاضة من الْمُزْدَلِفَة كانت في عَدْوان فالمزدلفة: مُفْتَعِلة من

---

(١) القعدد: القريب من الجد الأكبر، أو أملك القرابة في النسب.

(٢) البيت لحميد بن ثور. انظر تهذيب إصلاح المنطق (١٤٥) والإثمد: الكحل.

(٣) زلف: الزاء واللام والفاء يدل على اندفاع وتقدّم في قرب إلى شيء. يقال: من ذلك: ازدلف الرجل: تقدَّم: وسُمّيت مزدلفة بمكة لاقتراب الناس إلى مِنى بعد الإفاضة من عرفات. والزّلف والزلفة: الدرجة والمنزلة، مقاييس اللغة(٣/ ٢١). اللسان (٩/ ١٣٩).

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة:

وأما قول ذي الإصبع العَذواني، واسمه: حُرْثان بن عمرو، وإنما سُمّي ذا الإصبع؛ لأنه كان له إصبع فقطعها.

عَذِيرَ الْحَيّ من عَدْوا ... نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ
بَغَى بَعْضُهُم ظُلْمًا ... فلم يُرْعِ على بَعْضِ
ومنهُم كانت السَّادا ... ت والْمُوفون بالقَرْضِ
ومنهُم مَنْ يُجِيز النَّا ... س بالسُّنَّة والفَرْضِ
ومنهُم حَكَمٌ يَقْضي ... فَلا يُنْقَضُ ما يَقْضي

وهذه الأبيات في قصيدة له - فلأن الإضافة من المُزدلفة كانت في عَدْوان - فيما حدّثني زياد بن عبد الله الْبَكَّائي عن محمد بن إسحٰق - يتوارثون ذلك كابرًا عن كابر. حتى كان آخرَهم الذي قام عليه الإسلام أبو سَيَّارة، عُمَيْلة بن الأعزل، ففيه يقول شاعر من العرب:

نحن دفعنا عن أبي سَيَّارهْ ... وعن مَواليه بني فَزَارَه
حتى أجاز سالِما حِمارَه ... مُسْتَقْبِلَ القبلة يدعو جارَه

قال: وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتانٍ له؛ فلذلك يقول: سالِما حِماره.

الازْدلاف، وهو الاجتماع. وفي التنزيل: ﴿وَأَزْلَفنا ثَمَّ الآخرين﴾[1] وقيل: بل الازْدِلَافُ: هو الاقتراب، والزُّلْفَةُ: الْقُرْبَةُ، فسميت مزدلفة؛ لأن الناس يَزْدَلِفُون فيها إلى الحرم، وفي الخبر: أن آدم عليه السلامُ لَمَّا هَبَطَ إلى الأرض لَم يَزَلْ يزدَلفُ إلى حَوَّاء، وتزْدلِفُ إليه، حتى تعارفا بعَرَفَة، واجتمعا بالْمُزدلفة فسميت: جمعًا، وسميت: المزدلفة.

ذو الإصبع وآل ظرب[2]:

وأما ذو الإصْبَع الذي ذكره فهو: حُرْثان بن عمرو، ويقال فيه: حُرْثان بن الحارث بن مُحَرِّثِ بن ربيعة بن هُبَيْرة بن ثعْلَبة بن ظَرِب، وظَرِبٌ هو: والد عامر بن الظَّرِب الذي كانَ حَكَمَ العرب، وذكر ابن إسحٰق قصته في الْخُنثى، وفيه يقول الشاعر [الْمُتَلَمِّس]:

لذي الْحلْم قبل اليوم ما تُقْرَعُ الْعَصَا ... وما عُلِّم الإنسان إلا لِيَعْلَما

---

(١) سورة الشعراء آية رقم (٦٤).

(٢) انظر الاشتقاق (٢٦٨).

....

وكان قد خَرِف، حتى تَفَلَّتَ ذهنُه، فكانت العصا تُقْرَع له إذا تكلم في نادي قومه تنبيهًا له؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم. وكذلك كان ذو الإِصْبَع، كان حَكَمًا في زمانه، وعَمِرَ ثلاثمائة سنة، وسُمِّي ذا الإصبع؛ لأن حَيَّةً نَهَشَتْه في أُصْبُعِهِ.

وَجدُّهم ظَربُ: هو عَمْرو بن عِيَاذِ بن يَشْكُر بن بكر بن عَدْوان، واسم عَدوان: تيم، وأمه: جَدِيلة بنت أُدّ بن طابخة، وكانوا أهلَ الطائف، وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زُهَاء سبعين ألفًا، ثم هلكوا ببغي بعضِهم على بعض، وكان ثقيف وهو قَسِيُّ بن مُنَبِّه صهرًا لعامِرِ بنِ الظَّرِبِ، كانت تحته زينب بنت عامر، وهي أُم أكثر ثقيف، وقيل: هي أُخت عامر، وأُختها ليلى بنت الظرب هي: أُم دَوْس بن عَذْنان، وسيأتي طرف من خبره فيما بعد - إن شاء الله - فلما هلكت عَدْوَان، وأَخْرَجَتْ بقيتَهم ثقيفٌ من الطائف، صارت الطائف بأسرها لثقيف إلى اليوم.

وقوله: حَيَّةَ الأرض: يقال فلان حيّة الأرض، وحية الوادي إذا كان مَهِيبًا يُذْعَر منه، كما قال حسان:

يا مُخكم بن طُفَيْلٍ قد أُتيحَ لكم ... لله دَرُّ أبيكم حيّة الوادي

يعني بحيّة الوادي: خالد بن الوليد رضي الله عنه.

فصل: وقوله: عذيرَ الْحَيِّ من عَدْوان. نصب عذيرًا على الفعل المتروك إظهارُه، كأنه يقول: هاتوا عذيرَه، أي: مَنْ يَعْذره، فيكون العذيرُ بمعنى: العاذر، ويكون أيضًا بمعنى: الْعُذر مصدرًا كالجديث ونحوه.

أبو سيارة:

وذكر أبا سَيَّارة، وهو عُمَيْلة بن الأَعْزَلِ في قول ابن إسْحَاق، وقال غيره: اسمه: العاصي. قاله الخطابي. واسم الأعزل: خالد، ذكره الأصبهاني، وكانت له أتان عَوْراء، خِطامُها ليفٌ، يقال: إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة، وإياها يعني الراجز في قوله: حتى يُجِيزَ سالمًا حماره.

وكانت تلك الأتان سوداء؛ ولذلك يقول:

لاهُمَّ مالي في الحمار الأسود ... أصبحت بين العالمين أُحْسَد

فَقِ أبا سيارةَ الْمُحَسَّد ... من شرّ كل حاسد إذ يَحْسُد

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قال ابن إسحٰق وقوله: حكم يقضي يعني: عامَ بن ظَرِبِ بن عَمْرو بن عِياذ بن يَشْكُر بن عَدْوان العَدْواني. وكانت العرب لا يكون بينها نائرة، ولا عُضْلة[1] في قضاء إلا أسْندوا ذلك إليه، ثم رضُوا بما قَضَى فيه، فاختُصِم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه، في رجل خُنثَى، له ما للرجل، وله ما للمرأة، فقالوا: أنجعله رجلاً أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضلَ منه. فقال: حتى أنظر في أمركم، فوالله ما نزل بي مثلُ هذه منكم يا مَعْشَرَ العرب! فاستأخروا عنه. فبات ليلتَه ساهرًا يُقَلِّب أمْرَه، وينظر في شأنه، لا يتوجَّه له منه وَجْه، وكانت له جارية يقال لها: سُخَيْلَة ترعى عليه غَنَمَه، وكان يُعاتبها إذا سرحت فيقول: صبَّحتِ والله يا سُخَيْل! وإذا أراحت عليه، قال: مسَّيت والله يا سُخَيل! وذلك أنها كانت تؤخر السَّرْحَ حتى يسبقها بعضُ الناس، وتؤخِّر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس. فلما رأت سَهَرَه وقلقه، وقلَّة قَرَاره على فراشه قالت: ما لك لا أبَا لَكَ! ما عَرَاك في ليلتك هذه؟ قال: وَيْلَكِ! دَعِيني، أمرٌ ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال في نفسه: عسى أن تأتِي مما أنا فيه بفَرَج، فقال: ويحكِ! اخْتُصم إليَّ في مِيراث خُنثى، أأجعله رجلاً أو امرأة؟ فوالله ما أدري ما أصنع، ما يتوجَّه لي فيه وَجْه؟

وأبو سَيَّارةَ هذا هو الذي يقول: أشرِقْ ثَبِير كيما نُغِير، وهو الذي يقول:

لا هُـــمَّ إنـــي تـــابـــعٌ تَـــبَـــاعـــه

وكان يقول في دعائه: اللَّهمَّ بَغِّضْ بين رِعائنا، وحبِّبْ بين نسائنا، واجعل المالَ في سُمَحائنا: وهو أول مَن جعل الدِّيَةَ مائةً من الإبلِ، فيما ذكر أبو اليقظان، حكاه عنه حَمْزَةُ بن الحسن الأصبهاني.

وقوله: وعن مواليه بني فَزَارة. يعني بمواليه: بني عمه، لأنه من عَدْوان وعَدْوانُ وفزارةُ: من قَيْس عَيْلاَن، وقوله: مُسْتَقْبِلَ القِبلة يدعو جارَه. أي: يدعو الله عزّ وجلّ، يقول: اللَّهمَّ كن لنا جارًا مما نخافه، أي مجيرًا.

الحكم بالأمارات

فصل: وذكر عامِرَ بن الظَّرِبِ وحُكمه في الْخُنثَى، وما أفتته به جاريتُه سُخَيْلة، وهو حكم معمول به في الشرع، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات، وله أصل في الشريعة، قال الله سبحانه: ﴿وجاءوا على قميصِه بدم كذِبٍ﴾ وجه الدلالة على الكذب في الدم أن القميصَ الْمُدَمَّى لم يكن فيه خَرْقٌ ولا أثر لأنيابِ الذئب، وكذلك قوله: ﴿إن كان

---

(١) نائرة، عضلة: يسيرة وشدة.

قال: فقالت سُبحان الله! لا أبا لَكَ! أتبعْ القضاءَ الْمَبال، أقْعِدْه، فإن بال من حيث يبولُ الرجل فهو رجل، وإن بال من حيث تبولُ المرأة، فهي امرأة. قال: مَسِّي سُخَيلُ بعدَها، أو صَبِّحي، فَرَّجْتِها والله!. ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذي أشارت عليه بـــه.

غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

قال ابن إسحٰق: فلما كان ذلك العَام، فعلتْ صوفةُ كما كانت تفعل، وقد عرفت

قميصُه قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وهو من الكاذبين﴾ [يوسف: ٢٦] الآية. وقولُ النبي ﷺ في المولود: «إن جاءت به أوْرَق جَعْدًا جُمَالِيًّا فهو للذي رُميتْ به»[١] فالاستدلالُ بالأمارات أصلٌ يَنْبني عليه كثيرٌ من الأحكام في الحدود والميراث، وغير ذلك. والحُكْمُ في الْخُنْثى أنْ يُعْتَبر الْمَبَالُ، ويُعْتَبَر بالحيض، فإن أشْكَل من كلِّ وَجْهٍ، حُكِمَ بأنْ يكونَ له في الميراثِ سَهْمُ امرأةٍ ونصف، وفي الدِّيَة كذلك، وأكثر أحكامِه مبنية على الاجتهادِ.

الشـــداخ

فصل: وذكر يَعْمَرَ الشَّدَّاخ بن عوف حين حَكَّمُوه، وأنه سُمِّي بالشَّدَّاخ لما شَدَخ من دِماءِ خُزَاعَةَ[٢] وَيَعْمَرُ الشَّدَّاخُ هو جَدُّ بني دَأْب الذين أُخذ عنهم كثيرٌ من علم الأخْبارِ والأنسابِ وهم: عيسى بن يَزيد بن [بَكْر] بن دَأْبٍ، وأبوه: يَزيدُ، وحُذَيْفَة بن دأْبٍ، ودَأْبٌ هو: ابن كُرْز بن أَحْمَر من بني يَعْمَر بن عَوْفٍ الذي شَدَخَ دماءَ خُزَاعَةَ، أي: أبطلها، وأصل الشَّدْخ: الكسر والْفَضْخُ، ومنه الْغُرَّةُ الشادخة، شُبِّهت بالضَّرْبة الواسعة. والشَّدَّاخ بفتح الشين كما قال ابن هشام، والشُّدَّاخُ بضمها إنما هو جَمْعٌ، وجائز أن يُسَمَّى هو وبنوه: الشُّدَّاخ، كما يقال: الْمَنَاذِرَة في الْمُنْذِرِ وبنيه، والأشعَرُون في بني الأشْعَر[٣] من سبأ وهو بابٌ يكثُر ويطول. وأُمُّ يَعْمَر الشَّدَّاخ اسمُها: السُّؤْمُ بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم، وسيأتي ذكر جِرَّة بالكسر ذكره ابن ماكولا. ومِن بني الشَّدَّاخ: بَلْعَاءُ بن قَيس بن عبد الله بن يَعْمَرَ الشَّدَّاخ الشاعر المذكور في شعر الحماسة، اسمُه: حُمَيْضَةُ، ولُقِّبَ: بلْعاء لقوله:

أنـا ابـنُ قَـيـسٍ سَبُـعًـا وابـن سَـبُـعْ ... أَبَـارَ مـن قـيـسٍ قـبـيـلاً فـالْـتَـمـع

كـأنـمـا كـانـوا طـعَـامًـا فـابْـتُـلِـعْ

ولاية قصيّ البيت

---

(١) «إسناده ضعيف». أخرجه أبو داود (٢٢٥٦) وأحمد (٢١٣١) والطيالسي (٢٦٦٧). صححه الشيخ أحمد رحمه الله تعالى وجزاه الله عنّا كل خير. قلت: فيه عباد بن منصور الناجي: صدوق رُمِيَ بالقدر وكان يدلس وتغير بآخره. التقريب (١/ ٣٩٣).

(٢) وانظر الاشتقاق (٣٧).

(٣) الأشعر: هو نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ.

ذلك لها العربُ، وهو دِينٌ في أنفسهم في عهد جُرْهم وخُزاعة وولايتهم. فأتاهم قُصَيّ بن كلاب بمَن معه مِنْ قومه من قريشٍ وكِنانة وقُضاعة عند العَقبة، فقال: لَنَحْنُ أولى بهذا منكم، فقاتلوه، فاقتَتل الناس قتالاً شديدًا، ثم انهزمت صُوفةُ، وغلبهم قُصَيٌّ على ما كان بأيديهم من ذلك.

وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بَكْر عن قُصَيّ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صُوفة، وأنه سَيَحُول بينهم وبين الكَعبة وأمر مكّة. فلما انحازوا عنه باداُهم، وأجمع لحَربهم، وخرجتْ له خُزَاعة وبنو بَكْر فالْتَقَوْا، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، حتى كثرت القتلى في الفريقَيْن جميعًا، ثم إنهم تداعَوْا إلى الصلح، وإلى أن يُحَكِّموا بينهم رجلاً من العَرب، فحكَّموا يَعْمَر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنانة، فقضى بينهم بأن قُصَيًّا أولى بالكعبة، وأمْرِ مكة من خُزَاعَةَ، وأن كل دَم أصابه قُصَيٌّ من خُزاعة وبني بَكر: موضوع يَشْدَخُه تحت قدميه، وأنّ ما أصابت خُزاعَةُ وبنو بَكْر من قُرَيشٍ وكِنانة وقُضاعة، ففيه الدِّيَة مُؤدّاة، وأن يُخلَّى بين قُصَيّ وبين الكعبة ومكة.

فسُمِّي يَعْمَر بن عَوف يومئذ: الشَّدَّاخ، لِمَا شَدَخ من الدماء ووضع منها.

قال ابن هشام: ويقال: الشُّدَّاخ.

قال ابن إسحٰق: فَوَلِيَ قصيٌّ البيت وأمر مكة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتَمَلَّك على قومه وأهلِ مكة فملَّكوه، إلا أنه قد أقرَّ للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه دِينًا في نفسه لا ينبغي تغييرُه، فأقرَّ آلَ صَفوان وعَدْوان والنَّسَأَةَ ومُرَّة بن عَوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام، فهدم الله به ذلك كلَّه. فكان قصيّ أولَ بني كَعب بن لُؤَيّ أصاب مُلْكًا أطاع له به قومُه، فكانت إليه الحِجَابة، والسِّقَاية، والرِّفادة، والنَّدْوة، واللِّواء، فحاز شَرفَ مكة كلَّه. وقطع مكة رِباعًا بين قومه، فأنزل كلَّ قوم من قُرَيش منازلَهم من مكة التي أصبحوا عليها، ويزعمُ الناسُ أن قريشًا هابوا قَطْعَ الحَرم في منازلهم، فقطعها قصيّ بيده وأعوانه، فَسَمَّته قريشٌ: مُجَمِّعًا لما جمع من أمرها، وتيَمَّنَت بأمره، فما تُنْكَحُ امرأةٌ، ولا يتزوّج رجلٌ من قريش، وما يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يَعْقِدون لواء لحرب قومٍ من غيرهم إلا في داره، يعقده لهم بعضُ ولده، وما تَدَّرِعُ جارية إذا بلغت أن تَدَّرِع من قريش إلا في داره، يُشَقُّ عليها فيها درعها ثم تدَّرِعه، ثم ينطلق بها إلى أهلها. فكان أمره في قومه من قُريش في حياته، ومن بعد موته، كالدِّين المُتَّبع لا

....

يُعمل بغيره. واتخذ لنفسه دار النَّدوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تَقْضي أمورَها: قال ابن هشام: وقال الشاعرُ:

قُصَيٌّ لَعَمْرِي كَان يُدعى مُجَمِّعًا   بـه جَمَّـع الله الـقـبـائـلَ من فِـهْـرِ

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الملك بن راشد عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خَبَّابٍ صاحب المقصورة يحدّث، أنه سمع رجلاً يحدّث عمر بن الخطاب، وهو خليفة، حديث قُصَيٍّ بن كِلاب، وما جَمَع من أمر قومه، وإخراجه خُزاعةَ وبني بكر من مكَّة، وولايته البيتَ وأمر مكة، فلم يردَّ ذلك عليه ولم ينكره.

ذكر فيه أمرَ قُصَيٍّ وما جمع من أهل مكةَ، وأنشد:

قُصَيٌّ لَعَمرَي كان يُدْعَى مُجَمِّعَا

البيت وبعده:

هُمُوا ملؤوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وسُؤْدُدًا   وهُـمْ طَـرَدُوا عـنـا غُـواةَ بَـنـي بَـكْـر

ويذكر أن هذا الشعر لحُذَافَةَ بن جُمَح.

وذكر أن قُصَيًّا قَطَّعَ مَكَّةَ رِبَاعًا[1]، وأن أهلها هابوا قَطْع شجر الحرم للبنيان. وقال الواقدي: الأصَحُّ في هذا الخبر أن قريشًا حين أرادوا البنيانَ قالوا لِقُصيٍّ: كيف نصنع في شَجَرِ الْحَرَمِ، فحذَّرهم قَطْعَها وَخَوَّفهم العقوبة في ذلك، فكان أحدهم يَحوف بالبنيانِ حول الشجرةِ، حتى تكونَ في منزله. قال: فأوَّلُ مَن تَرَخَّصَ في قطع شجر الحرم للبنيان عبدُ الله بن الزُّبَير حين ابتَنى دُورًا بِقُعَيْقِعَانَ، لكنه جَعَل دِيَةَ كلِّ شجرةٍ: بقرةً، وكذلِك يُرْوى عن عمر ـ رضي الله ـ أنه قطع دَوْحَةً كانت في دارِ أسدِ بن عبد الْعُزّى، كانت تنال أطرافُها ثيابَ الطائفين بالكعبة، وذلك قبل أن يُوسِّع المسجد، فقطعها عمر ـ رضي الله عنه ـ وَوَدَاها بقرةً، ومذهبُ مالك ـ رحمه الله ـ في ذلك: ألاَّ دِيَةَ في شجرِ الحرم. قال: ولم يبلغني في ذلك شيءٌ. وقد أساء مَن فعل ذلك، وأما الشافعي ـ رحمه الله ـ فَجعل في الدَّوْحَة بقرةً، وفيما دونها شاةً. وقال أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ إن كانت الشجرةُ التي في الحَرَم مما يغرسها الناسُ، ويَسْتَنْبِتُونَها، فلا فِدْيَة على مَن قَطع شيئًا منها، وإن كان مِن غيرها، ففيه القِيمةُ بالغًا ما بلغتْ.

وذكر أبو عُبَيد: أن عبدَ اللّهِ بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أفتى فيها بعتق رقبةً.

---

(١) رباعًا: أي دورًا.

قال ابن إسحٰق: فلمَّا فَرَغ قُصَيٌّ من حَرْبه، انصرف أخوه رِزَاحُ بن ربيعة إلى بلاده بمَنْ معه من قومه، وقال رِزَاحُ في إجابته قُصَيًّا:

لـمَّـا أتـى مـن قُـصَـيٍّ رسـول فـقـال الرَّسولُ: أجيبوا الخليلاَ
نَـهَـضْـنـا إلـيـه نَـقـود الـجـيـادَ ونـطـرح عـنَّـا الْـمَـلُـولَ الـثَّـقـيـلا
نـسـير بـهـا الـلـيـلَ حتـى الـصباح ونَـكْـمِـي الـنـهـار؛ لِـئَـلاً نـزولا
فَـهُـنَّ سِـراعٌ كَـوِرْدِ الْـقَـطـا يُـجِـبْـنَ بـنـا مِـنْ قُـصَـيٍّ رسـولا

دار الندوة:

وذكر أن قُصَيًّا اتخذ دار الندوة، وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور، ولفظها مأخوذ من لفظ النَّدِيّ والنادي والمُنْتَدَى، وهو مجلس القوم الذي يَنْدُون حَوْله، أي: يَذْهَبُون قريبًا منه، ثم يَرْجِعون إليه، والتَّنْدِية في الخيل. أن تُصْرفَ عن الوِرْد إلى المرعى قريبًا، ثم تعاد إلى الشُّرْب، وهو الْمُنَدَّى[1]، وهذه الدارُ تصيرت بعد بني عبد الدار إلى حكيم بن حِزَامِ بن خُوَيْلِد بن أَسَد بن عَبْد العُزَّى بن قُصَيٍّ، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم، وذلك في زمن معاوية، فلامه معاويةُ في ذلك، وقال: أبِعْت مَكْرُمَةَ آبائك وشرفَهم، فقال حكيم: ذهبت المكارمُ إلا التقوى. والله: لقد اشتريتها في الجاهلية بِزِقِّ خمر، وقد بعتها بمائة ألف درهم، وأُشْهدكم أن ثمنهَا في سبِيل الله، فأيُّنا المغبُون؟! ذكر خبر حكيم هذا الدارَقُطْني في أسماء رجال الموَطَّأ له.

من تفسير شعر رزاح:

فصل: وذكر شعر رِزَاح، وفيه: ونَكْمِى النهارَ أي: نَكْمُنُ ونستتر، والكَمِي من الفرسان، الذي تَكَمَّى بالحديد. وقيل: الذي يَكْمِي شجاعَته، أي: يسترها، حتى يظهرَها عند الوغى. وفيه: مررنًا بعَسْجَر، وهو: اسم موضع، وكذلك: ورقان اسم جبل، ووقع في نسخة سفيان: وَرَقان بفتح الراء، وقيده أبو عبيد البكري: وَرِقان بكسر الراء، وأنشد لِلأَحْوَصِ:

وكيف نُرجِّي الوصلَ منها وأصبحت ذُرَى وَرِقـانٍ[2] دُونَـهـا وحَـفِـيـر

ويخفف، فيقال: وَرْقان. قال جميل:

يـا خَـلـيـلـيَّ إنَّ بَـثْـنَـةَ بـانَـتْ يـوم وَرْقـانَ بـالـفـؤاد سَـبِـيًّـا

---

(١) المندى: أي النادي.
(٢) ورقان: جبل أسود بين العَرْج والرويثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة.

جَمَعْنا من السرّ من أشْمَذَيْن | ومن كلّ حيٍّ جمعنا قَبيلا
فيا لكِ حلْبةَ ما ليلة | تزيد على الألف سَيْبًا رَسيلاً
فلمَّا مَرزن على عَشْجَرٍ | وأسْهلْنَ من مُسْتَناخ سَبيلا
وجاوزن بالركن من وَرِقان | وجاوزن بالعَرْج حيّا حُلُولا
مررن على الْخَيْلِ ما ذُقْنَه | وعالجن مَن مَرَّ ليلاً طويلا
نُدَنّي من العُوذ أفلأَها | إرادة أنْ يسترقن الصَّهيلا
فلمَّا انتهَيْنا إلى مكَّة | أبَحنا الرجال قبيلاً قبيلا
نُعاورهم ثَمَّ حدّ السيوف | وفي كلّ أوْبٍ خَلَسْنا المقولا

وذكر أنه من أعظم الجبال، وذكر أن فيه أوْشَالاً وعُيونًا عِذابًا، وسُكانهُ: بنو أوْس بن مُزَيْنة.

وذكر أيضًا الحديث، وهو قول النبي - ﷺ -: «ضِرْسُ الكافر في النار مثلُ أُحُدٍ، وفَخِذُه مثل وَرِقَان»[1]. وفي حديث آخر أنه عليه السلام ذكر آخر مَن يموت من هذه الأمة، فقال: رجلان من مُزَيْنة ينزلان جبلاً من جبال العرب، يقال له: وَرِقان[2] كل هذا من قول البكري في كتاب مُعْجَم ما اسْتَعْجَم.

فصل: وذكر أشمذين بكسر الذال، وفي حاشية كتاب سفيان بن العَاص: الأشْمَذَانِ: جبلان [بين المدينة وخيبر]، ويقال: اسم قبيلتين، ثم قال في الحاشية: فعلى هذا تكون الرواية بفتح الذَال وكسر النون من أشمَذَيْنِ - قال المؤلف رحمه الله - فإن صحّ أنهما اسم قبيلتين، فلا يبعد أن تكون الرواية كما في الأصل: أشْمَذِين بكسر الذّال، لأنه جَمْعٌ في المعنى. واشْتقاق الأشْمَذ من شَمَذَاتِ الناقةُ بذَنبها أي: رفعته، ويقال للنحل: شُمذ، لأنها ترفع أعجازَها.

وفيه: مَررن على الْحَيْل[3] وفسره الشيخ في حاشية الكتاب، فقال: هو الماء المستنقع في بطن واد، ووجدت في غير أصل الشيخ روايتين، إحداهما: مَرَزْنَ على الْحِلّ والأخرى: مَرَزْنَ على الحِلْي، فأما الْحِلُّ: فجمْع حِلة، وهي بَقْلةٌ شَاكَّةٌ. ذكره ابن دُرَيْدٍ في الجَمْهَرَةِ. وأما الْحِلْي، فيقال: إنه ثمر القُلْقُلاَن وهو نَبْتٌ.

---

(١) «حسن». أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٨) والحالكم (٤/ ٥٩٥) وصححه على شرطهما.
(٢) «حسن» أخرجه الحاكم (٤/ ٥٩٥).
(٣) الحيل: القطيع من الغنم.

نُخَبِّزهم بِصِلابِ النُّسو ... رِ خَبْزَ القويّ العزيزِ الذَّليلا
قَتَلْنا خُزاعَةَ في دارها ... وبَكْرًا قتَلْنا وجِيلاً فجِيلا
نفيناهُم من بلاد الْمَلِيك ... كما لا يَحلُّون أرْضًا سُهولا
فأصبح سَبْيُهمُ في الحديد ... ومِنْ كلِّ حَيٍّ شَفَينا الغَليلا

وقال ثَعْلَبَةُ بن عبد الله بن ذُبْيَان بن الحارث بن سَعْدِ بن هُذَيْم القُضَاعِي في ذلك من أمر قصي حين دعاهم فأجابوه:

جَلبنا الْخَيلَ مُضْمرةً تَغَالى ... من الأعراف أعراف الْجِنَاب
إلى غَوْرى تِهامة، فالتقينا ... من الْفَيْفَاء في قاع يَباب
فأمّا صُوفَة الْخُنثَى، فَخَلّوا ... منازِلهم مُحاذرةَ الضِّراب
وقام بنسر على إذ رأونا ... إلى الأسياف كالإبل الطِّراب

وقال قُصَيّ بن كِلاب:

أنا ابنُ العاصِمِين بني لُؤَيّ ... بمكَّة مَنْزِلي، وبها رَبيتُ
إلى الْبَطْحَاءِ قد علمتْ مَعَدٌّ ... ومَرْوَتُها رَضيت بها رَضيتُ
فلَسْتُ لغالب إن لم تَأَثَّل ... بها أولاد قَيْذَرَ، والنَّبيتُ
رِزَاحٌ ناصِري، وبه أُسامِي ... فلستُ أخافُ ضَيْمًا ما حَيِيتُ

وقوله فيها: نُخَبِّزُهُمْ. أي: نسوقهم سَوْقًا شَدِيدًا، وقد تقدم قول الراجز. لا تَخْبِزَا خَبْزًا وبُسًّا بَسًّا.

وذكر شعر رِزَاح الآخر، وفيه: من الأعراف أعراف الجِناب. بكسر الجيم، وهو موضِعٌ من بلادِ قُضاعَةَ.

وفيه: وقام بنو عَليّ، وهُمْ بنو كِنانة، وإنما سُمُّوا ببني علي؛ لأنَّ عبد مناة بن كِنانة كان ربيبًا لعليّ بن مسعود بن مازِن من الأزْد جَدّ سَطيح الكاهن، فقيل لبني كِنانة: بنو عَليٍّ، وأحسَبه أراد في هذا البيت بني بَكْرِ بن عَبْد مناةَ؛ لأنهم قاموا مع خُزَاعَةَ.

شعر قصي والعذرتاق:

وذكر شعر قُصَيٍّ:

أنا ابن العاصِمين بَني لُؤَيٍّ

الأبيات، وليس فيها ما يشكل.

فلما استقر رِزاحُ بن ربيعة في بلاده، نَشَرَه الله ونَشَر حُنًّا، فهما قَبيلا عُذْرَةَ اليوم. وقد كان بين رِزَاح بن رَبيعة، حين قَدِم بلاده، وبين نَهْدِ بن زَيْد وحَوْتَكَة بن أسْلمُ، وهما بطنان من قُضاعة شيء، فأخافهم حتى لحقوا باليمن، وأجْلوا من بلاد قضاعة، فهم اليوم باليمن، فقال قُصَيّ بن كِلاب، وكان يحب قُضاعة ونماءَها واجتماعَها ببلادها، لما بينه وبين رِزاح من الرَّحِمِ، ولبلائهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نُصْرته، وكَرِه ما صنع بهم رِزاحٌ:

ألا مَـن مُـبْـلـغ عَـنِّـي رِزاحـا ... فإنـي قـد لَـحَـيْـتُـكَ فـي اثـنـتـيـن
لَـحَـيـتُـك فـي بـنـي نَـهْـدِ بـن زَيْـد ... كـمـا فـرَّقـتَ بـيـنـهـمُ وبَـيْـنـي
وحَـوْتـكـة بـن أسْـلـمَ إنّ قـومًـا ... عَـنَـوْهـم بـالْـمَـسـاءة قـد عَـنَـوْنـي

قال ابن هشام: وتُرْوى هذه الأبيات لزُهير بن جَناب الكَلْبي.

قال ابن إسحٰق: فلما كبر قُصَيٌّ ورقّ عظمه، وكان عبد الدار بِكْرَه، وكان عبدُ مناف قد شَرُفَ في زمان أبيه، وذهب كلّ مذهب، وعبدُ العزّى وعَبْدٌ. قال قصيٌّ

وذكر أن رِزَاحًا حين استقر في بلادِه نشر الله ولدَه وولدَ حُنّ، ابنِ ربيعة، فهما حَيًّا عُذْرةَ.

قال المؤلف: في قُضَاعَةَ: عُذْرَتَان: عُذْرَةُ بن رُفَيْدة، وهم من بني كلْب بن وبْرة. وعُذْرَةُ بن سَعْد بن سُودِ بن أسْلمُ بن الحَافِ بن قُضاعة، وأسلُم هذا هو بضم اللام من ولد حُنّ بن ربيعة أخي رِزَاحِ بن ربيعة جَدُّ جميل بن عبدِ الله بن مَعْمَر صاحبِ بثينة، ومَعْمَرٌ هو ابن ولد الحَارث بن خيبر بن ظَبْيَانَ، وهو الضِّبِيسُ بن حُنٍّ. وبُثَيْنَةُ أيضًا من ولد حُنٍّ، وهي بنت حِبَّان بن ثعلبة بن الْهَوْذِي بن عَمْرو بن الأحَبُّ بن حنٍّ [وفي قضاعة أيضًا عُذْرَةُ بن عدي، وفي الأزد: عذرة بن عداد].

حوتكة وأسلم:

وذكر حَوْتَكة بن أسْلُم وبني نَهْد بن زيد وإجلاء رِزَاح لهم وَحوْتكةُ هو: عمُّ نَهْدِ بن زَيْدِ بن أسْلُم، وليس في العربِ أسلُم بضم اللام إلا ثلاثة. اثنان منها في قُضاعة، وهما: أسْلُم بن الحافِ هذا، وأسلُم بن تَدُول بن تَيْم اللاتِ[1] بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كَلْبِ، والثالث في عَكٍّ أسْلُم بن القَيَاتة بن غَابن[2] بن الشاهد بن عَكٍّ، وما عدا هؤلاء فأسلَم بفتح اللام. ذكره ابن حبيب في المؤتلف والمختلف.

---

(١) من الاشتقاق (٥٤٣): زيد اللات.
(٢) في الجمهرة: أسلم بن القيانة بن غافق.

لعبد الدار: أما والله يا بُنَيّ لأُلحقنّك بالقوم، وإن كانوا قد شَرُفُوا عليك: لا يدخل رجلٌ منهم الكعبة، حتى تكون أنت تَفْتحها له، ولا يَعقِد لقُريش لواءً لحربِها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلا من سِقَايتك، ولا يأكل أحَدٌ من أهل الْمَوْسم طَعامًا إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمرًا من أمورها إلا في دارك، فأعطاه داره دار الندوة، التي لا تقضي قريش أمرًا من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحِجابة واللواء والسِّقاية والرِّفادة.

مَن فرض الرفادة:

وكانت الرِّفادة خَرْجًا تُخرجه قريش في كلّ مَوسم من أموالها إلى قُصيّ بن كِلاَب، فيصنع به طعامًا للحاجّ، فيأكله مَن لم يكن له سَعة ولا زاد. وذلك أن قُصَيًّا فَرَضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به: يا مَعْشَرَ قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهلُ بيته، وأهل الحَرَم، وإن الحاجّ ضَيْفُ الله وزوّار بيته، وهم أحق الضَّيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيامَ الحجّ، حتى يَصْدُرُوا عنكم، ففعلوا، فكانوا يُخرجون لذلك كلّ عام من أموالهم خَرْجًا، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعامًا للناس أيام مِنًى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كلّ عام بمِنى للناس حتى ينقضي الحجّ.

قال ابن إسحٰق: حدّثني بهذا من أمْر قُصَيٍّ بن كِلاب، وما قال لعَبْد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده: أبي إسحٰق بن يَسار، عن الحسن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال:

سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار، يقال له: نُبَيْهُ بن وَهْب بن عامر بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ.

قال الحسن: فجعل إليه قُصيٌّ كلَّ ما كان بيده من أمر قومه، وكان قصيّ لا يُخالَف، ولا يُردّ عليه شيء صَنَعه.

ذكر ما جرى
من اختلاف قريش بعد قصيّ وحلف المطيبين

قال ابن إسحٰق: ثم إنَّ قصَيّ بن كِلاب هَلَك، فأقام أمرَه في قومه، وفي غيرهم

عن حلف المطيبين

فصل: وذكر تنازُعَ بني عبد مناف، وبني عبد الدار فيما كان قُصَيٌّ جعلَ إليهم، وذكر في ذلك حِلْف المطَيِّبين، وسماهم، وذكر أن امرأة من نساء عبد مناف هي التي أخرجت لهم

بنوه من بعده، فاختَطُّوا مكة رِباعًا - بعد الذي كانَ قَطَع لقومه بها - فكانوا يَقْطعونها في قومهم، وفي غيرهم من حُلفائهم ويَبيعونها فأقامت على ذلك قريشٌ معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع، ثم إنَّ بني عبد مناف بن قُصيّ عبدَ شمس وهاشمًا والمُطَّلِبَ ونَوْفلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصَيّ ممَّا كان قُصَيٌّ جعل إلى عبد الدار، من الحجابة واللواء والسِّقَاية والرِّفادة، ورَأَوْا أنهم أوْلى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلِهم في قومهم، فتفرّقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يَرَوْنَ أنهم أحقّ به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار. يَرَوْن أن لا يُنْزَعَ منهم ما كان قُصَيٌّ جعل إليهم.

جَفْنَه مِن طيب، فَغَمَسُوا أيديَهم فيها، ولم يُسمِّ المرأة، وقد سماها الزبيرُ في موضعين من كتابه، فقال: هي أُمُّ حَكيم البيضاءُ بنتُ عبد المطلب عمة رسول الله - ﷺ - وتَوْأَمَةُ أبيه. قال: وكان المطَيَّبُون يُسَمَّوْن: الدَّافَة جمع دائف بتخفيف الفاء؛ لأنهم دَافو الطِّيب.

السناد والإقواء:

وذكر أن القبائل سُوند بعضُها إلى بعض، لتكفي كلُّ قبيلةٍ ما سُوند إليها، فسُوند: من السِّناد، وهي مقابلة في الحرب بين كلِّ فريق، وما يليه من عَدوِّه، ومنه أُخذ سِناد الشِّعر، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت، فيكون قبل حَرْفِ الرَّوِيِّ حرفُ مدٍّ ولينٍ، ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرف الرَّوِيِّ حرفُ لين، وهي ياء أو واو مفتوحٌ ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم:

ألا هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبِحِينَا

ثم قابله في بيت آخر بقوله: - تُصَفِّقُها الرياحُ إذا جَرَيْنَا - فكأن الياء المفتوح ما قبلها قد سُوندت بها إلى الياء المكسور ما قبلها، فتقابلتا، وهما غير متفقتين في المدّ، كما يتقابل القَبِيلتان، وهما مختلفتان متعاديتان، وأما الإقواء فهو أن يَنْقُصَ قُوّة من المِصْراع الأول، كما تَنْقُص قُوّة من قُوى الْحَبْل، وذلك أن يَنْقُصَ من آخر المصراع الأول حرفٌ من الْوَتَدِ كقوله:

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مالِكِ بنِ زُهَيْرٍ ... ترجو النساءُ عَوَاقِبَ الأطهار

وكقوله الآخر:

لما رأت ماءَ السَّلَى[1] مَشْرُوبًا ... والفَرْثُ يُعْصَرُ في الإناءِ أَرَنَّت[2]

---

(١) السّلى: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفًا فيه.

(٢) البيت الحجل بن نضلة. كما في اللسان (١/٥٣٣).

فكان صاحبَ أمر بني عبد مناف: عبدُ شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أسَنَّ بني عبد مناف، وكان صاحبَ أمر بني عبد الدار: عامِرُ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. فكان بنو أسد بن عبد العُزّى بن قصي، وبنو زُهْرَة بن كِلاب، وبنو تَيْم بن مُرَّة بن كعب، وبنو الحارث بن فِهر بن مالك بن النَّضر، مع بني عَبْد مناف.

وكان بنو مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب، وبنو جُمَحٍ بن عمرو بن هُصَيْصٍ بن كَعب، وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار، وخرجت عامر بن لُؤَيّ ومحارب بن فِهرٍ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فعقد كلّ قوم على أمرهم حِلْفًا مؤكَّدًا على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسلم بعضُهم بعضًا ما بَلَّ بَحرٌ صوفة.

فأخرج بنو عبد مناف جَفْنَة مملوءة طيبًا، فيزعمون أن بعض نساء بني عَبْد منافٍ، أخرجَتْها لهم، فوضعوها لأحْلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غَمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفسهم، فسُمُّوا المُطَيَّبين.

وتعاقد بنو عبد الدار، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفًا مؤكدًا، على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسْلِم بعضُهم بعضًا، فسُمُّوا الأحلاف.

ثم سُونِدَ بين القبائل، ولُزّ بعضُها ببعض، فَعُبِّيَتْ بنو عبد مناف لبني سَهْم، وعُبِّيت بنو أسد لبني عبد الدار وعُبِّيَتْ زُهْرة لِبَنِي جُمَح، وعُبِّيَت بنو تيم لنبي مَخْزُومَ، وعُبِّيت بنو الحارث بن فِهرِ لبني عَديّ بن كعب، ثم قالوا: لِتُفْنِ كلُّ قبيلة مَن أسند إليها.

فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح، على أن يُعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والقوة لبني عبد الدار كما كانت، ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب، وثبت كلُّ قوم مع مَن حالفوا، فلم يزالوا على ذلك، حتى جاء الله تعالى بالإسلام، فقال رسول الله - ﷺ -: «ما كان مِنْ حِلْفٍ في الجاهِلِيَّة، فإنَّ الإسْلامَ لَمْ يَزِدْهُ إلاّ شِدَّة»[1].

وكان الأصْمَعِيُّ يُسَمّي هذا الإقواء: الْمُقْعَد، ذكره عنه أبو عبيد، وقال عَدِيّ بن الرِّقاع [العامِلي] في السِّناد:

وقصيدة قد بِتُّ أجمَعُ بَيْتَها ... حتى أُثَقِّف مَيْلها وسِنَادَها

---

(1) «حسن» أخرجه أحمد (١/٣١٧/٣٢٩) (٥/٦١) والطبراني (١٨/٣٣٧) والطبري في تفسيره=

حلف الفضول

قال ابن هشام: وأما حِلف الفضول فحدّثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحٰق قال: تداعت قبائل من قريش إلى حِلْف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن

حلف الفضول

وذكر ابن هشام الحِلفَ الذي عقدته قريشٌ بينها على نُصْرةِ كلِّ مظلوم بمكة قال: ويُسَمَّى حِلْفَ الْفُضُولِ، ولم يذكر سببَ هذه التسمية، وذكرها ابنُ قُتَيْبَة، فقال: كان قد سبق قُريشًا إلى مثل هذا الحلف جُرْهُم في الزمن الأول، فتحالف منهم ثلاثةٌ هُم، ومَن تبعهم، أحدهم: الفضلُ بن فَضالة، والثاني: الفضل بن وَداعة، والثالث: فُضَيْل بن الحٰرث. هذا قول القُتَبيّ. وقال الزبير: الفُضَيْلُ بن شُراعَة، والفضل بن وَدَاعة، والفَضْلُ بن قُضاعة، فلما أشبه حلفُ قريش الآخر فعلَ هؤلاء الْجُرْهُمِيين سُمِّي: حلفَ الفُضُول، والفُضول: جمع فَضْل، وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم. وهذا الذي قاله ابن قُتَيْبَة حَسَنٌ، ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى. روى الحُمَيْدِيُّ عن سُفْيَان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر، قالا: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لقد شهدت في دار عَبْد الله بن جُدْعَانَ حِلفًا لو دُعيتُ به في الإسلام لأجبت. تحالفوا أن تُردَّ الفُضول على أهلها، وألا يَعُزَّ ظالمٌ مَظلومًا». ورواه في مُسْنَدِ الحٰرث بن عبد الله بن أبي أُسَامَة التَّمِيمِيِّ، فقد بَيَّن هذا الحديثُ: لم سُمِّي حلفَ الفُضول، وكان حِلْفُ الفُضولِ بعد الفِجار، وذلك أن حرب الفِجَارِ[1] كانت في شَعْبَان، وكان حِلْفُ الفضول في ذي القَعْدَة قبل المبعث بعشرين سنة، وكان حِلف الفضول أكرَم حِلْفٍ سُمع به، وأشرفه في العرب، وكان أولَ مَنْ تكلم به ودعا إليه: الزبيرُ بن عبدِ المطلب، وكان سببه أن رجلاً من زُبَيْد قَدِمَ مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قَدْرٍ بمكة وشَرَفٍ، فحَبس عنه حقَّه، فاستَعْدَى عليه الزُّبَيْدِيُّ الأحلافَ: عبدَ الدار ومَخْزُومًا وجُمَح وسَهْمًا وعَدِيَّ بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل، وزَبَرُوه، أي: انتهروه، فلما رأى الزُّبَيْدِيُّ الشر، أوْفى على أبي قُبَيْس[2] عند طلوع الشمس، وقُريشٌ في أنديتهم حولَ الكعبة، فصاح بأعلى صوته:

يا آلَ فِهْرٍ لمظلوم بضاعته ... ببطن مَكَّةَ نائِي الدار والنَّفَر

ومُحْرِمٍ أشعَثٍ لم يَقْضِ عُمْرتَه ... يَا للرِّجال وبين الْحِجْر والحَجَر

إن الحَرامَ لمن تَمَّت كرامتُه ... ولا حَرامَ لثوب الفاجِر الْغُدَر

= (٣/ ٣٦) والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٣٥).

(١) انظر الكامل لابن الأثير (١/ ٥٣٤).

(٢) أبو قبيس: جبل بمكة.

جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْمِ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ، لشرفه وسِنِّه، فكان حِلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العُزَّى، وزُهْرة بن كِلاب،

فقام في ذلك الزبيرُ بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مَتْرك، فاجتمعت هاشمٌ وزُهرةُ وتَيْمُ بن مرة في دار ابن جُدْعانَ، فصنع لهم طَعامًا، وتحالفوا في ذي القَعْدَة في شهرٍ حرام قيامًا، فتعاقدوا، وتعاهدوا بالله: ليكونُنَّ يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يُؤَدَّى إليه حقُّه ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفةً، وما رسا حِراءُ وثَبِيرٌ مكانَهما، وعلى التَّأَسِّي في المعاش، فسمَّت قُريشٌ ذلك الحلفَ: حلفَ الفُضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فَضْلٍ من الأمر، ثم مَشَوا إلى العاصي بن وائل، فانتزعوا منه سِلْعَة الزُّبَيْدِي، فدفعوها إليه، وقال الزبير رضي الله عنه:

حَلَفْتُ لنَقْعِدَنْ حِلْفًا عليهم ... وإن كُنَّا جميعًا أهلَ دارِ

نُسَمِّيه: الفضولَ إذَا عقدنا ... يَعِزُّ به الغريبُ لَدَى الجِوارِ

وَيعْلَم مَنْ حَوالي البيتِ أنَّا ... أُبَاة الضَّيْمِ نمنَعُ كلَّ عار

وقال الزبير بن عبد المطلب:

إن الفُضُولَ تحالفوا، وتعاقدوا ... ألاَّ يقيمَ ببطن مكةَ ظالمُ

أمرٌ عليه تعاهدوا، وتواثَقُوا ... فالجار والْمُعْتَرُّ فيهم سالم

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلاً من خَثْعَم قَدِمَ مكة مُعْتَمِرًا، أو حاجًّا، ومعه بنتٌ له يقال لها: القَتُول من أوْضأ نساء العالمين، فاغتصبها منه نُبَيْهُ بن الحَجَّاج[(١)] وغيَّبها عنه، فقال الْخَثْعَمِيُّ: مَن يُعْدِيني على هذا الرجل، فقيل له: عليك بحلف الفضول، فوقف عند الكعبة، ونادى: يا لَحِلْف الفضول، فإذا هم يُعْنِقون إليه من كل جانبٍ، وقد انْتَضَوْا أسيافَهم يقولون: جاءك الغَوْث، فما لك؟ فقال: إن نُبَيْهًا ظلمني في ابنتي، وانتزعها مِنِّي قَسْرًا، فساروا معه، حتى وقفوا على باب الدار، فخرج إليهم، فقالوا له: أَخرج الجاريةَ وَيْحَك، فقد علمت مَنْ نحن، وما تعاقدنا عليه!! فقال: أفعل، ولكن متِّعُوني بها الليلة، فقالوا له: لا والله، ولا شُخْبَ[(٢)] لِقْحَة[(٣)]، فأخرجها إليهم، وهو يقول:

راح صَحْبي ولم أُحَيِّ القَتُولا ... لم أُوَدِّعْهُمُ وَدَاعًا جميلا

---

(١) هو: نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم. انظر التجريد (١٨١٠) ونسب قريش للزبيدي (٤٠٤).

(٢) الشخب: ما خرج من الضرع من اللبن إذا احتلب. اللسان (١/ ٤٨٥).

(٣) اللقحة: الناقة الغزيرة اللبن.

وتَيم بن مُرَّة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظَلَمَه حتى تردّ عليه مَظْلمته، فسمّت قريش ذلك الحلفَ: حلفَ الفُضُولِ.

إذ أجَدَّ الفُضُول أن يَمْنَعُوها قد أراني، ولا أخافُ الفُضولا

لا تَخالِي أنّي عَشِيَّةَ راح الرَّ كْبُ هُنْتُم عليّ ألاَّ أقولاَ

في أبياتٍ غيرِ هذه ذكرها الزبير، وذكر من قوله فيها أيضًا:

حَلَّت تِهامَةَ حِلَّة من بَيْتِها وَوِطائِها

ولها بمكةَ منزلٌ مِنْ سَهْلِها وحرائِها

أخذَتْ بَشَاشَةَ قَلْبِهِ ونأت فكيف بنَأيِها[1]

الحلف وابن جدعان:

فصل: وذكر قولَ رسولِ الله ﷺ: «لَقد شَهِدْتُ في دارِ عبدِ الله بن جُدْعَانَ حِلفًا ما أُحِبُّ أنَّ لي به حُمْرَ النَّعَم، ولو دُعيت إليه في الإسلام لأجَبْت»[2] وعبدُ الله بن جُدْعان هذا تَيْميٌّ هو: ابن جُدْعَان بن عَمْرو بن كعب بن سعد بن تَيم، يكنى: أبا زُهير ابن عمّ عائشة - رضي الله عنها - ولذلك قالت لرسول الله - ﷺ -: إن ابن جُدْعان كان يُطْعِمُ الطعامَ، وَيَقْرِي الضيفَ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: «لا إنه لم يقل يومًا: ربِّ اغفِرْ لي خطيئتي يوم الدين»[3] أخرجه مسلم. ومن غريب الحديث لابن قتيبة أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: كنتُ أسْتَظِلُّ بِظِلِّ جَفْنَةِ عبدِ الله بن جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَيٍّ[4]، يعني: في الهاجرة، وسُمِّيت الهاجِرة: صَكَّةَ عُمَيٍّ لخبرٍ ذكره أبو حنيفة في الأنواء: أن عُمَيًّا رجلٌ من عَدْوَان، وقيل: من إيادٍ، وكان فقيهَ العربِ في الجاهلية، فقدِم في قوم مُعْتَمِرًا أو حاجًّا: فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه، وهم في نَحْرِ الظهيرة: مَن أتى مكةَ غدًا في مثل هذا الوقت، كان له أجْرُ عُمْرَتَيْن، فصَكُّوا الإبلَ صَكَّةً شديدةً حتى أتوا مكةَ من الغدِ في مثل ذلك الوقت، وأنشَد:

وَصَكَّ بها نَحْرَ الظَّهِيرَةِ صَكَّة عُمَيٌّ وما يَبْغِين إلا ظِلالَها[5]

---

(١) انظر التجريد (١٨١٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (٣٦٥) وأبو عوانة (١/ ١٠٠) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٨) والحاكم (٢/ ٤٠٥) وصححه وأخرجه الذهبي.

(٤) وانظر غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٥٩٨) والفائق (٢/ ٣٠٨) والنهاية (٣/ ٤٣).

(٥) البيت من اللسان (١٠/ ٥٣٨).

قال ابن إسحٰق: فحدّثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ يقول: قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار

في أبياتٍ، وعُمَيٌّ: تصغير أعمى على الترخيم، فَسُمِّيَت الظهيرةُ صَكَّةَ عُمَيٍّ به. وقال البكري في شرح الأمثال: عُمَيّ: رجل من العماليق أوقع بالعدوّ في مثل ذلك الوقتِ، فسمى ذلك الوقت: صَكَّةَ عُمَيّ، والذي قاله أبو حنيفة أولى، وقائلُه أعلى. وقال يعقوب: عَمِيَ الظبيُ: يتحيَّرُ بصرُه في الظَّهيرة من شدّة الحرّ. قال ابن قُتَيْبَة: وكانت جَفْنَته يأكل منها الراكبُ على البعير، وسقط فيها صبي، فَغرق أي: مات. وكان أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ قبل أن يمدَحَه قد أتى بني الدَّيَّان من بني الحٰرث بن كعب، فرأى طَعَامَ بني عبد الْمَدَانِ منهم لُبَابَ الْبُرِّ والشُّهدَ والسَّمْنَ، وكان ابنُ جُدْعانَ يُطعمُ التَّمرَ والسَّوِيقَ ويُسْقَى اللَّبَنَ، فقال أمية:

ولقد رأيتُ الفاعِلين وفِعْلَهُمْ فرأيتُ أكرمهم بَني الدَّيَّانِ
البُرُّ يُلْبَكُ[1] بالشِّهادِ طَعَامُهم لا ما يُعَلِّلُنَا بنُو جُدْعَانَ

فبلغ شِعْرُه عبدَ الله بن جُدعانَ، فأرسل ألْفَيْ بعير إلى الشام، تحمل إليه البُرَّ والشُّهْدَ والسَّمْنَ، وجعل مناديًا ينادي على الكعبة: ألا هَلُمُّوا إلى جَفْنَة عبد الله بن جُدْعَان، فقال أمية عند ذلك:

لـه داعٍ بـمكة مُشْمَعِلٌّ[2] وآخرُ فوق كَعْبَتِها يُنادي
إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى عليها لُبَابُ[3] البُرِّ يُلْبَكُ بالشِّهاد

وكان ابن جُدْعان في بدء أمْرِه صُعْلوكًا تَرِب اليدين، وكان مع ذلك شرِّيرًا فاتكًا، ولا يزال يَجْني الجنايات، فيَعْقِل عنه أبوه وقومه، حتى أبغضته عشيرته، ونفاه أبوه وحلفَ: ألا يؤويه أبدًا لما أثقله به من الغُرم، وحمله من الدِّيَات، فخرج في شِعَابِ مكة حَائرًا بائرًا، يتمنى الموتَ أن ينْزل به، فرأى شَقًّا في جبل، فظن فيه حَيَّة، فتعرض للشَّقّ يرجو أن يكونَ فيه ما يقتله فيَستريح، فلم يَرَ شيئًا، فدخل فيه، فإذا فيه ثُعْبانٌ عظيم له عينان تَقِدَان كالسراجين. فحمل عليه الثعبانُ، فأفْرَجَ له، فانساب عنه مستديرًا بدَارةٍ عندهَا بيْت، فخطا خطوة أخرى، فَصَفَر به الثعبَانُ، وأقبل عليه كالسَّهْم، فأفرَج عنه، فانساب عنه قُدُمًا لا ينظر إليه، فوقع في نفسه أنه مَصنُوع، فأمسكه بيده، فإذا هو مصنُوعٌ من ذهب، وعيناه ياقوتتان،

---

(١) يلبك: يخلط.

(٢) مشمعل: المشمعل: المتفرق، والمشمعل: السريع يكون من الناس والإبل. والبيت أيضًا في اللسان (١١/ ٣٧٢). وفيه «دارَته» بدلاً من «كعبتها».

(٣) اللباب: الخالص والصافي.

عبد الله بن جُدْعان حلفًا، ما أُحِبُّ أنّ لي به حُمْر النَّعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت»[1].

فكسَره، وأخذ عينيه، ودخل البيت، فإذا جُثَثٌ على سُرُر طِوال لم يُرَ مثلهم طُولاً وعظمًا، وعند رءوسهم لوحٌ من فضَّة فيه تاريخُهم، وإذ هُمْ رجالٌ من مُلوكِ جُرْهُم، وآخرهم موتًا: الحرث بن مُضاضٍ صاحبُ الغربة الطويلة، وإذا عليهم ثيابٌ لا يُمسُّ منهَا شيءٌ إلا انتثر كالهباءِ مِن طولِ الزمن، وشِعرٌ مكتوبٌ في اللوح فيه عِظَات، آخر بيتٍ منه:

صَاحِ هـل رَيْـتَ أو سـمعـتَ بـراعٍ ... ردَّ في الضَّرْع ما قَرَى في الحِلاَب

وقال ابن هشام: كان اللوحُ من رُخامٍ، وكان فيه: أنا نُفَيْلَةُ بن عبد الْمَدَانِ بن خَشْرَم بن عبد ياليل بن جُرْهم بن قَحْطان بنَ هود نبي الله، عشت خمسمائةَ عام، وقطعت غَوْر الأرضِ باطِنها وظاهرِها في طلب الثروة والمجد والملك، فلم يكن ذلك يُنجيني من الموت، وتحته مكتوب:

قد قطعتُ البلادَ في طَلَبِ الثَّرْ ... وَةِ والمجدُ قالصُ الأثوابِ

وَسَرَيْتُ البِلادَ قَفْرًا لقَفْرٍ ... بقَناتي وَقُوَّتي واكتسابي

فأصاب الرَّدَى بَنَات فؤادي ... بسهامٍ من المنايا صِيَاب[2]

فانقضت شِرَّتي، وأقْصَر جَهْلي ... واستراحت عواذلي من عِتابي

ودفعت السَّفاهَ[3] بالحِلم لما ... نزل الشَّيْبُ في مَحَلِّ الشباب

صاحِ هل رَيْت أو سمعتَ براعٍ ... رَدَّ في الضَّرع ما قَرَى في الحِلاب[4]

وإذا في وسط البيت كَوْمٌ عظيمٌ من الياقوتِ واللُّؤلؤ والذهب والفِضة والزَّبَرْجَدِ، فأخذ منه ما أخذ، ثم عَلَّم على الشقّ بعلامةٍ، وأغلق بابه بالحجارة وأرسَل إلى أبيه بالمال الذي خرج به يَسْتَرْضيه ويستعطفه، ووصل عشيرتَه كلَّهم، فسادَهم وجعل يُنفق من ذلك الكنز ويُطعِم الناسَ، ويفعل المعروفَ. ذَكر حديثَ كنز ابن جُدْعان موصولاً بحديث الحرْث بن مُضاض: ابنُ هشَام في غير هذا الكتاب، ووقع أيضًا في كتاب رِيِّ العاطش، وأُنس الواحش لأحمد بن عمار[5].

---

(١) أخرجه البيهقي (٦/ ١٦٧) والقرطبي في تفسيره (٦/ ٣٣) (١٠/ ١٦٩). وانظر قصة حلف الفضول في البداية (٢/ ٣٩٣) وطبقات ابن سعد (١/ ١٢٨).

(٢) صياب: جمع صائب كصاحب وصحاب.

(٣) سفاه: خفة الحلم.

(٤) انظر اللسان (١/ ٣٢٩).

(٥) قصة تحتاج إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِيّ حدّثه: أنه كان بين الْحُسَين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وبين الوليد بن عُتْبة بن أبي سُفْيان. والوليدُ يومئذ أمير على المدينة، أمَّره عليها عمه مُعاوية بن أبي سفيان - منازعة في مال كان بينهما بذي الْمَرْوة، فكان الوليد تحامل على الحسين - في حقِّه لسلطانه، فقال له الحسين: أحلف بالله لتنصفني من حقي، أو لآخُذَنَّ سيفي، ثم لأقومنّ في مسجد رسول الله - ﷺ - ثم لأَدْعُوَنَّ بحلف الفضول قال: فقال عبد الله بن الزبير، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضي الله عنه - ما قال: وأنا أحلف بالله لَئِنْ دعا به لآخذنّ سيفي، ثم لأقومنّ معه، حتى يُنصَف من حقه أو نموت جميعًا. قال: فبلغت الْمِسْوَر بن مَخْرَمَةَ بن نوفل الزهريّ، فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التَّيْمِيّ، فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليدَ بن عتبة أنصف الحسينَ من حقه حتى رضي.

وابن جُدْعان ممن حَرَّم الخمر في الجاهلية بد أن كان مُغْرًى بها، وذلك أنه سَكِر، فتناول القمرَ ليأخذه، فأخبر بذلك حين صحا، فحَلف: لا يشربها أبدًا، ولما كَبِر وهَرِم أراد بنو تَميم أن يمنعوه من تبديد مالِه، ولاموه في العَطاءِ، فكان يدعو الرجلَ، فإذا دنا منه، لطَمَه لَطْمَةً خَفيفة، ثمّ يقول له: قم فانْشُدْ لَطْمَتَك، واطلب دِيتها، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مالِ ابن جُدعانَ حتى يرضى، وهو جَدُّ عُبَيْدِ الله بن أبي مُلَيْكَةَ الفقيه. والذي وقع في هذا الحديث من ذكر نُفَيلة، أحسبه: نفيلة بالنون والفاء، لأن بني نُفَيْلَة كانوا ملوك الحيرة، وهم من غَسَّان، لا من جُرْهُمٍ، والله أعلم.

موقف الإسلام من الحلف:

فصل: وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة، وقوله: لآخذنّ سيفي، ثم لأدْعُوَنَّ بحلف الفُضول إلى آخر القصة، وفيه من الفقه: تخصيصُ أهل هذا الحلفِ بالدعوة وإظهار التعصب، إذا خافوا ضَيْمًا، وإن كان الإسلامُ قد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم: يا لَفلانٍ عند التَحزُّب والتعصب، وقد سمع رسول الله - ﷺ - يوم الْمُرَيْسِيع[1] رجلاً يقول: يا لَلْمُهاجرين! وقال آخر: يَا للأنصار! فقال رسول الله - ﷺ -: «دعوها فإنها مُنْتِنة»[2] وقال - ﷺ -: «مَن ادَّعى بِدَعْوى الجاهلية، فأعِضُّوه بِهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا»[3]، ونادى رجل

---

(١) المريسيع: بئر ماء لخزاعة. وقد وقعت الغزوة عام ستٍّ من الهجرة.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٤/ ٦٢٣) (٦/ ١٩١/ ١٩٢) ومسلم في البرّ والصلة (٦٣/ ٦٤) والترمذي (٣٣١٥) وأحمد (٣/ ٣٣٨/ ٣٣٩).

(٣) «حسن». أخرجه أحمد (٥/ ١٣٦).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن عبد الله بن أُسامة بن الهادي الليثي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: قدم محمد بن جُبير بن مُطْعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف ـ وكان محمد بن جبير أعلم قريش ـ فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير، واجتمع الناس على عبد الملك، فلما دخل عليه قال له: يا أبا سَعيد، ألم نكن نحن وأنتم، يعني بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن عبد مناف في حلف الفضول؟ قال: أنت أعلم، قال عبد الملك: لتخبرني يا أبا سعيد بالحقّ من ذلك، فقال: لا والله، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، قال: صدقت.

بالْبَصْرَةِ: يا لعَامر! فجاءه النابعةُ الْجَعْدِيُّ بِعَصَبَةٍ له، فضربه أبو موسى الأشْعَرِيُّ ـ رضي الله عنه ـ خمسين جَلْدةً، وذلك أن اللّهَ عزّ وجل جعل المؤمنين إخوةً، ولا يُقال إلا كما قال عمر رضي الله عنه: يا للّهِ ويا لَلْمسْلمين؛ لأنهم كُلهمْ حِزبٌ واحد، وإخوة في الدين إلا ما خَصَّ الشرعُ به أهلَ حِلْفِ الْفُضُولِ، والأصْلُ في تخصيصه قوله ـ ﷺ ـ ولو دُعيت به اليوم لأجبتُ[1] يريد: لو قال قائل من المظلومين: يا لَحِلْفِ الفضولِ لأجبتُ، وذلك أنّ الإسلام إنما جاء بإقامة الحقّ ونُصْرةِ المظلومين، فلم يَزْدَدْ به هذا الحلفُ إلاّ قوةً، وقولُه عليه السلام: «وما كان من حِلْفٍ في الجاهِلِيَّة، فلن يزيدَه الإسلام إلاّ شِدَّة»[2] ليس معناه: أن يقول الحليف: يا لَفُلانٍ لحلفائِهِ، فيجيبوه، بل الشِّدة التي عنى رسولُ الله ـ ﷺ ـ إنما هي راجعةٌ إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف، وأما دَعْوَى الجاهلية، فقد رفعها الإسلام إلا ما كان من حلف الفضول كما قدّمنا، فحكمه باقٍ، والدعوةُ به جائزةٌ، وقد ذهبت طائفةٌ من الفقهاء إلى أن الحليفَ يَعْقِل مع العَاقِلة إذا وَجَبَتْ الدِّيةُ لقوله ـ ﷺ ـ: «وما كان من حِلْفٍ في الجاهلية، فلم يَزِدْه الإسلام إلا شِدَّةً»، ولقوله أيضًا للذي حَبَسه في المسجد: «إنما حبستك بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِك»[2].

عن أولاد عبد مناف:

فصل: وذكر بني عبد مَنافٍ الأربعة، وقد كان له ولدٌ خامسٌ، وهو أبو عَمْرو، واسمه: عُبَيْدٌ، دَرَج[3]، ولا عَقِب له، ذكره البرقي والزبير، وكذلك ذكر البرقي أن قُصَيًّا كان سَمَّى ابنه عبدَ قُصَيّ، وقال: سميتُه بنفسي وسميت الآخرَ بدارِ الكعبةِ، يعني: عبدَ الدار، ثم إن الناسَ حَوَّلوا اسمَ عبدِ قُصَيّ، فقالوا: عبد بن قُصَيّ، وقال الزبير أيضًا: كان اسمُ عبدِ الدار عبدَ الرحمن.

---

(١) تقدم تخريجه غير مرة.

(٢) «صحيح». أخرجه مسلم في النذر (٨) وأحمد (٤/ ٤٣٠/ ٤٣٣).

(٣) درج: أي لم يعقب، كما قال رحمه الله تعالى.

قال ابن إسحٰق: فوَلِيَ الرِّفادةَ والسِّقايةَ هاشمُ بن عبد مناف، وذلك أن عبدَ شمس كان رجلاً سَفَّارًا قلَّما يقيم بمكة، وكان مُقِلاً ذا وَلَدٍ، وكان هاشم مُوسِرًا فكان ـ فيما يزعمون ـ إذا حضر الحجُّ، قام في قريش فقال: «يا معشر قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهلُ بيتِهِ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زُوَّارُ اللَّهِ وحُجَّاجُ بيته، وهم ضَيْفُ الله، وأحَقُّ الضَّيْفِ بالكرامة: ضَيْفُه، فاجْمَعُوا لهم ما تصنعون لهم به طَعَامًا أيامَهم هذه التي لا بُدَّ لهم من الإقامة بها؛ فإنه ـ والله ـ لو كـان مـالي يسَع لذلك ما كلَّفْتُكُمُوهُ». فيخرجون لذلك خَرْجًا من أموالهم، كلّ امرىء بقدر ما عنده، فيُصنع به للحُجَّاج طعامٌ، حتى يَصْدُرُوا منها.

وذكر هاشِمًا وما صنع في أمرِ الرِّفَادَةِ[1] وإطعام الْحَجِيجِ، وأنه سُمِّيَ هاشِمًا لِهَشْمِهِ الثَّريدَ لقومه، والمعروفُ في اللغةِ أن يقال: ثَرَدْتُ الخبزَ، فهو ثَرِيد ومَثْرُودٌ، فلم يُسَمَّ: ثارِدًا، وسُمِّيَ هَاشِمًا، وكان القياسُ ـ كما لا يُسَمَّى الثريدُ هَشِيمًا، بل يقالُ فيه: ـ ثريدٌ وَمَثْرُودٌ ـ أنْ يقال في اسمِ الفاعل أيضًا كذلك، ولكن سبب هذه التسميةِ يحتاج إلى زيادة بيانٍ. ذكر أصحابُ الأخبارِ أن هاشمًا كان يستعين على إطعام الحاجِّ بقُرَيْشٍ، فَيَرْفِدُونه بأموالهم، ويُعِينونه، ثم جاءت أزمةٌ شديدةٌ فكَرِهَ أن يُكلِّف قريشًا أمرَ الرِّفادةِ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمعَ كَعْكًا ودقيقًا، ثم أتى الموسم فهشَم ذلك الْكَعْكَ كُلَّه هَشْمًا، ودَقَّه دَقًّا، ثم صنع للحجاج طعامًا شِبه الثريدِ، فبذلك سُمِّي هاشمًا لأن الكعكَ اليابس لا يُثْرَدُ، وإنما يُهْشَمُ هَشْمًا، فبذلك مُدِح، حتى قال شاعرُهُم فيه، وهو عبد الله بن الزِّبَعْرَى:

كـانـت قُـرَيْـشٌ بَـيْـضَـةً فَـتَـفَـقَّـأَتْ ... فـالـمُـحُّ[2] خـالِـصُـه لِـعَـبْـدِ مَـنـافِ
الـخـالـطـيـن فـقـيـرَهُـمْ بـغـنـيِّـهـمْ ... والـظـاعـنـيـن لـرحـلـة الأضْـيَـافِ
والـرَّائـشـيـنَ ولـيـس يُـوجَـدُ رائِـشٌ ... والـقـائِـلـيـنَ: هَـلُـمَّ لِـلأضْـيَـافِ
عَـمْـرُو الـعُـلا هَـشَـمَ الـثـريـدَ لـقـومِـه ... قـومٍ بـمـكـةَ مُـسْـنِـتِـيـنَ[3] عِـجَـافِ[4]

---

(١) الرفادة: هي مال كانت تخرجه قريش لإطعام الحجّاج.
(٢) المح: صفرة البيض. مقاييس اللغة (٥/ ٢٦٩).
(٣) مستتين: أصابتهم سنة مجدبة. وقد فرّق القرآن بين «السنة» و«العام». فالسنة هي الزمن الذي يكون فيه الخير قليل والرزق غير وفير، والعلم عكسه. قال تعالى في سورة يوسف حكاية عن يوسف قوله في تأويل الرؤيا: «تزرعون سبع سنين دأبًا...» ثم قال: «ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد» ثم قال: «ثم يأتي عام فيه يُغاث الناس وفيه يحصرون». فتأمل.
(٤) في أمالي المرتقى (٤/ ١٧٨) وفي اللسان الأبيات لمطرد بن كعب الخزاعي.

وكان هاشم ـ فيما يزعمون ـ أول مَن سنّ الرّحلتين لقريش: رحلتي الشتاء والصيف، وأوّل مَن أطعم الثريدَ للحجاج بمكة، وإنما كان اسمه: عَمرًا، فما سُمّي هاشمًا إلا بِهَشْمه الخبز بمكة لقومه، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب:

عَمْرو الذي هَشَم الثريد لقومه   قوم بمكة مُسْنِتِينَ عِجَافِ

سُنَّت إليه الرحلتان كلاهما   سَفَرُ الشتاءِ، ورِحلةُ الإيلاف

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز:

قوم بمكة مسنتين عجاف

قال ابن إسحٰق: ثم هلك هاشمُ بن عبد مناف بغَزّة من أرض الشام تاجرًا، فوَلِيَ السقاية والرّفادة من بعده المطَّلبُ بن عبد مناف، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرف في قومه وفَضْل، وكانت قُرَيش إنما تُسَمِّيه: الفيضَ لسماحته وفضله.

وكان سببُ مدح ابنِ الزِّبَعْرى بهذه الأبياتِ، وهو سَهْمِيٌّ لبني عبدِ مناف ـ فيما ذكره ابن إسحٰق في رواية يونس ـ أنه كان قد هَجَا قصيًّا بشعرٍ كتبه في أستارِ الكعبةِ، أولُه:

ألْهَى قُصَيًّا عن المجدِ الأساطيرُ   ومِشيةٌ مثل ما تَمْشِي الشَّقَارِيرُ[1]

فاسْتَعْدُوا عليه بني سهم، فأسلموه إليهم، فضربوه وحلَقوا شَعرَه، وربطوه إلى صَخْرَة بالحَجُون، فاستَغاث قَومَه فلم يُغِيثُوه، فجعل يمدح قُصَيًّا وَيَسْتَرْضيهِم، فأطلقه بنو عبد منافٍ منهم، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعرِ، وبأشعارٍ كثيرةٍ، ذكرها ابن إسحٰق في رواية يونس.

عبد المطلب وابن ذي يزن:

فصل: وذكر نكاحَ هاشم سَلْمى بنت عَمْرو النَّجارِيَّة وولاَدَتها له عبدَ المُطَّلِبِ بن هاشم، ومن أجل هذه الوِلادة قال سَيْفُ بن ذِي يَزَنْ أو ابنُه مَعْدِي كربُ بن سيف ملك اليمن لعبد المطلب حين وَفَد عليه رَكْبٌ من قُرَيْشٍ: مَرْحَبًا بابن أُخْتِنا، لأن سَلْمَى من الخزرج، وهُمْ من اليمن من سبأ، وسَيْفٌ من حِمْير بن سبأ، ثم قال له: مَرْحَبًا وأَهْلاً، ونَاقَةً وَرَحْلاً، ومَلِكًا سِبَحْلاً، يُعْطِي عَطَاءً جَزْلاً. ثم بشّره بالنبي ـ ﷺ ـ وأنّه مِنْ وَلَده[2]، فقال له عبدُ المطلب: مثلُك أيها الملك سِرٌّ وبِرٌّ، ثم أجزل الملكُ حِباءَه، وفَضّله على أصحابه، وانصرف مَغْبُوطًا على ما أعطاه الملك، فقال: والله لَمَا بَشّرني به أحَبُّ إليّ من كل ما أعطاني. في خبر فيه طول.

---

(١) الشقارير: الديوك.

(٢) لا يعتدّ بمثل هذا إلا بدليل «صحيح».

وكان هاشم بن عبد مناف قَدِم المدينة، فتزوّج سَلْمى بنت عَمرو أحد بني عديّ بن النجّار، وكانت قبله عند أُحَيْحَة بنِ الجُلاَح بن الحَرِيش. قال ابن هشام: ويقال: الحريش بن جَحْجَبى بن كُلْفة بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس، فولدت له عمرو بن أُحَيْحَة، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أنّ أمرها بيدها، إذا كرهت رجلاً فارقَتْه.

فولدت لهاشم عبدَ المطب، فسمَّته: شَيْبة، فتركه هاشم عندها حتى كان وَصِيفًا، أو فوق ذلك، ثم خرج إليه عمه المطلب؛ ليقبِضَه، فيُلحقه ببلده وقومه فقالت له سَلْمى: لستُ بمُرْسلته معك، فقال لها المطلب: إني غيرُ منصرف حتى أخرجَ به معي، إنّ ابن أخي قد بلغ، وهو غَريب في غير قومه، ونحن أهل بيت شرف في قومنا، نَلِي كثيرًا من أمرهم، وقومُه وبلده وعشيرته خيرٌ له من الإقامة في غيرهم، أو كما قال. وقال شيبة لعمِّه المطلب ـ فيما يزعمون ـ لستُ بمفارقها إلا أن تأذَن لي، فأذِنَتْ له، ودفعَتْه إليه، فاحتمله، فدخل به مكة مُرْدِفه معه على بعيره، فقالت قُريش: عبدُ المطلب ابتاعه، فبها سُمِّي: شَيْبَة عبدَ المُطَّلب. فقال المطَّلب: وَيْحَكم! إنما هو ابن أخي هاشِم، قدمتُ به من المدينة.

ثم هلك المطَّلب برَدْمان من أرض اليمن، فقال رجل من العرب يَبْكيه:

قد ظمِىءَ الحجيجُ بعد المطَّلبْ ... بعد الجِفان والشَّراب المُنْثَعِبْ
ليت قريشًا بعده على نَصَبْ

وقال مَطْرود بن كَعْب الخُزاعيّ، يبكي المطَّلب وبني عبد مَناف جميعًا حين أتاه نَعْيُ نَوْفل بن عبد مناف، وكان نوفل آخرَهم هُلْكا:

يا ليلة هَيَّجتِ ليلاتي ... إحدى ليالِيَّ القَسِيَّات

نسب أحيحة:

وذكر نسب أُحَيْحَة بن الجُلاح بن الْحَرِيشِ بن جَحْجَبَى، وقال ابن هشام: هو الْحَرِيسُ يعني. بالسين المُهْمَلة ـ وقال الدّارَقُطني عن الزبير بن أبي بكر: أن كلَّ ما في الأنصارِ فهو: حَريس بالسين غير مُعْجَمة إلا هذا، ووجدت في حاشيةِ كتابِ أبي بحرٍ ـ رحمه اللّهُ ـ صوابَ هذا الاسم يعني في نسب أُحَيْحَة بن الجُلاحِ بن الْحَرِيش بالشين المعجمة على لفظ الْحَرِيش بن كَعْب البطنِ الذي في عامر بن صَعْصَعَة.

فصل: وأنشد لمطرود بن كعب:

يا ليلةً هَيَّجتِ لَيْلاَتي ... إحدى ليالِيَّ القَسِيَّاتِ

وما أقاسي من هُمُومٍ، وما عالجتُ من رُزْءِ المنيَّات
إذا تذكَّرتُ أخي نوفلاً ذَكَّرَني بالأوَّليَّات
ذَكَّرني بالأُزُرِ الحُمْرِ والْـ ـأرْدِيةِ الصُّفْرِ القَشِيبات
أربعة كلُّهمُ سَيِّد أبناء سادات لسادات
مَيْتٌ بردْمان وميْتٌ بسَلْـ ـمان وميت بين غَزّات
وميِّت أُسْكِن لَحْدًا لدى الْـ ـمَحْجوب شَرْقيّ البنيَّات
أخْلصُهم: عبدُ مناف فَهُمْ مِنْ لَوْم مَنْ لامَ بمَنْجاة
إنَّ المُغيراتِ وأبناءَها مِنْ خَيْر أحياءِ وأموات

أي: أنت إحدى لياليّ الْقَسِيَّاتِ. فَعِيلات من الْقَسْوَة، أي: لا لِينَ عندهن، ولا رَأفة فيهن، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم الْقَسِيّ، وهو الزائف، وقد قيل في الدرهم الْقَسِيّ: إنه أعْجَميٌّ مُعَرَّب، وقيل: هو من الْقَسَاوة لأنَّ الدرهمَ الطَّيِّبَ أليَنُ من الزائفِ، والزائفُ أصْلَبُ منه. ونصب ليلةً على التمييز كذلك، قال سِيبَوَيْه في قول الصَّلَتَان العَبدِيّ[1]:

أيا شاعرًا لا شاعِرَ اليومَ مِثْلُه

وذلك أن في الكلام معنى التعجب.

وقوله: وَمَيْت بِغَزَّاتِ. هي: غَزَّةُ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل رَبَضٍ[2] من البلدة اسمَ البلدةِ، فيقولون: غَزَّات في غَزَّة، ويقولون في بغدان: بَغادِين، كما قال بعضُ الْمُحْدَثين:

شَرِبْنَا في بغَادِين على تلك الْمَيَادِين

ولهذا نظائر ستمر في الكتاب ـ إن شاء اللّهُ ـ ومن هذا البابِ: حكمهم للبغضِ بحكم الْكُلِّ، كما سَمَّوْهُ باسمه، نحو قولهم: شَرِقَتْ صَدْرُ القناةِ من الدَّم، وذهبت بعض أصابعه، وتواضعت سورُ المدينة. وقد تركبت على هذا الأصلِ مسألةٌ من الفقه: قال الفقهاء، أو أكثرهم: مَنْ حلف ألاَّ يأكلَ هذا الرغيف، فأكلَ بعضَه، فقد حَنِثَ، فحكموا للبعضِ بحكم الكل، وأطلقوا عليه اسمَه. وفيه:

إن الْمُغيراتِ وأبناءَها مِنْ خير أحياء وأمواتِ

---

(١) الصلتان العبدي: هو قثم بن خبيئة.
(٢) ربض المدينة: أي حولها.

وكان اسمُ عبد مناف: الْمُغِيرةَ، وكان أوّلَ بني عبد مناف هُلْكًا: هاشمٌ، بِغَزَّةَ من أرض الشام، ثم عبدُ شمس بمكة، ثم المطلب برَدْمان من أرض اليمن، ثم نَوْفلاً بسَلْمان من ناحية العراق.

فقيل لمطرود ـ فيما يزعمون ـ: لقد قلتَ فأحسنت، ولو كان أفحل مما قلتَ كان أحسن، فقال: أنْظِرني ليالي، فمكث أيامًا، ثم قال:

يا عين جُودِي، وأذْرِي الدمعَ وانهمري	وابكي على السِّرّ من كَعْب الْمَغِيراتِ
يا عين، واسْحَنْفِري[1] بالدمع واحتفلي	وابكي خبيئةَ نفسي في الْمُلِمَّات
وابكي على كلّ فيّاض أخي ثِقَةٍ	ضَخْمِ الدَّسِيعةِ وهّابِ الْجَزِيلات
مَحْضِ الضَّريبةِ، عالي الْهَمِّ، مُخْتَلَق	جَلْدِ النَّحِيزة، ناءٍ بالعظيمات
صَعْب البديهة لا نِكْس[2] ولا وَكَلٍ[3]	ماضي العَزيمة، مِتْلاف الكَريمات
صَقْرٍ توسَّط من كَعْب إذا نُسِبوا	بُحْبُوحَةَ الْمَجْد والشُّمّ الرفيعات
ثم اندُبي الفيضَ والفيّاض[4] مُطَّلبا	واسْتَخْرطي[5] بعد فَيْضاتٍ بِجَمّات

فالْمُغَيراتُ: بنو المغيرة، وهو عبد مناف، كما قالوا: المناذرة في بني الْمُنْذِر، والأشْعَرُون في بني أشْعَر بن أُدَد، كما قال عَلِيُّ بن عبدِ الله بن عباس في ابن الزبير: آثر عَلَيَّ الْحُمَيْدَاتِ والتُّوَيْتَاتِ والأسَامَاتِ، يعني: بني حُمَيْد، وبني تُوَيت، وبني أسامة، وهم من بني أسد بن عبد العُزَّى[6].

وأنشد له في القصيدة التاوية: محض الضريبة، عالي الهمّ مُخْتَلق: أي عظيم الخلق: جَلْد النَّحيزة ناءٍ بالعظيمات. ليس قوله: ناءٍ من النأي، فتكون الهمزةُ فيه عينَ الفعل، وإنما هو من ناء يَنُوء إذا نهض فالهمزة فيه لام الفعل، كما هو في جاء عند الخليل، فإنه عنده مقلوب، ووزنه: فالع، والياء التي بعد الهمزة هي: عين الفعل في جاء يجيء.

---

(١) الحنفري: أكثري بالدمع وصبي. انظر اللسان (٤/ ٣٥٢).

(٢) لا نكس: النون والكاف والسين أصل يدل على قلب الشي. والنِّكْسُ: السهم الذي ينكسر فوقهُ فيجعل أعلاه أسفله. مقاييس اللغة (٥/ ٤٧٧).

(٣) وكل: أي غير معتمد على غيره. والوكل: الرجل الضعيف. مقاييس اللغة (٦/ ١٣٦).

(٤) الفيض: الفاء والباء والضاد أصل صحيح يدل على جريان الشيء بسهولة ثم يقاس عليه. السابق (٤/ ٤٦٥).

(٥) استخرطي: ألحّي واستمري.

(٦) هم: حميد بن أسامة بن زهير بن الحارث، وأسامة بن زهير بن الحارث.

أمسَى برَذمان عنَّا اليومَ مُغْترِبا ... يا لَهفَ نَفسي عليه بين أمْوات

وأبكي - لك الويلُ - إمَّا كنت باكية ... لِعَبْد شَمْس بِشَرْقيّ البَنِيَّات[1]

وهاشم في ضَرِيح وَسْطَ بَلْقَعَةٍ ... تَسْفي الرياحُ عليه بين غَزّات

ونوفل كان دون القوم خالِصتي ... أمسَى بسَلْمان في رَمْس[2] بِمَوْمَاة

لم ألْقَ مثلَهُمُ عُجمًا ولا عَرَبًا ... إذا استقلَّت بهم أُدْم الْمَطِيَّات

أمسَتْ ديارُهُمُ منهم مُعَطَّلة ... وقد يكونون زَيْنا في السَّرِيَّات

أفْناهُمُ الدَّهرُ، أم كلَّت سيوفُهُمُ ... أم كلُّ مَنْ عاش أزوادُ الْمَنيَّات

أضبحتُ أرْضى من الأقوام بعدَهُم ... بَسْطَ الوجوه وإلقاءَ التحيَّات

يا عينُ فابكي أبا الشُّعثِ الشَّجيَّات ... يَبْكينه حُسَّرًا مثل البَلِيَّات

يبكين أكرمَ مَنْ يَمْشي على قَدَم ... يُعْوِلْنه بدُموع بعد عَبرات

يبكين شخصًا طويلَ الباع ذا فَجَرٍ[3] ... آبي الهَضِيمة[4]، فراج الجَليلات[5]

يبكينَ عَمْرو العُلا إذ حان مَصْرعُه ... سَمْحَ السَّجِيَّة، بسَّامَ الْعشِيَّات[6]

يبكينه مُستكينات على حَزَن ... يا طولَ ذلك مِنْ حزن وعَوْلات

يبكين لمَّا جلاهنّ الزَّمانُ له ... خُضْر الخدود كأمثال الحَمِيَّات

مُحتزمات على أوساطِهِنّ لِمَا ... جرّ الزَّمان مِنَ أحْداث الْمُصيبات

أبِيتُ لَيْلي أُراعي النَّجم من ألمٍ ... أبكي، وتبكي معي شَجْوِي بُنيَّاتي

ما في القُروم[7] لهم عِدْل ولا خَطَر ... ولا لمن تركوا شَرْوى بَقيَّات

أبناؤهم خيرُ أبناءٍ، وأنفُسُهم ... خيرُ النُّفوس لدى جَهْد الألِيَّات

كم وَهَبوا من طِمِرٍّ[8] سابح أرِنٍ[9] ... ومن طِمِرَّةٍ نَهْبٍ في طِمِرَّات

ومن سُيوف من الهِنْديّ مخلَصَةٍ ... ومِنْ رِماحٍ كأشطان الرَّكِيَّات

....

(1) شرقي البنيات: أي الكعبة.

(2) الرمس: التراب.

(3) الفجر: الجود.

(4) الهضيم: الظلم.

(5) الجليلات: الأمور العظام.

(6) بسام العشيات: أي ضاحك مبتسم.

(7) القروم: الأسياد الأشراف.

(8) طمر: أي فرس.

(9) أرن: نشيط.

ومن توابع ممَّا يفضِلون بِها عِندَ المسائل مِنْ بَذْل العطيّات

فلو حَسِبْتُ وأحصَى الحاسبون معي لم أقضِ أفعَالهم تلك الْهَنِيَّات

هُمُ المُدِلُّونَ إمَّا مَعْشَر فَخَروا عند الفَخَارِ بأنسابٍ نَقيَّات

زَيْنُ البيوت التي خَلوا مساكنَها فأصبحت منهمُ وحشًا خَلِيَّات

أقولُ والعينُ لا ترقا مدامعُها: لا يُبْعد اللَّهُ أصحابَ الرَّزِيَّات

قال ابن هشام: الفَجَرَ: العطاء: قال أبو خِراش الهُذَليّ:

عَجّف أضيافي جميلُ بنُ معمر بذي فَجَر تأوي إليه الأرامِلُ

قال ابن إسحٰق: أبو الشُّعث الشَّجيّات: هاشم بن عبد مناف.

قال: ثم وَلِيَ عبدُ المطلب بن هاشم السِّقايةَ والرِّفادة بعد عمِّه المطَّلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يُقيمون قبلَه لقومهم من أمرهم، وشَرُف في قومه شرفًا لم يَبْلُغه أحدٌ من آبائه، وأحبَّه قومُه وعظم خَطَره فيهم.

وفيه «شرقي البَنِيَّات» يعني: البَنِيَّة، وهي: الكعبة، وهو نحو مما تقدم في غزَّات.

وفيه الشُّعث الشَّجِيَّات. فشدد ياءَ الشجيّ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: ياء الشَّجِي مخففة، وياء الخليّ مشددة، وقد اعترض ابن قتيبة على أبي تمام الطائي في قوله:

أيا ويح الشَّجِيّ من الخَلِيّ وَوَيْح الدمع من إحدى بَلِيّ

واحتج بقول يعقوب في ذلك، فقال له الطائي: ومَن أفصح عندك: ابن الْجُرمُقانيَّة يعقوب، أم أبو الأسود الدُّؤَليّ حيث يقول؟!:

وَيْلُ الشَّجِيّ من الخَليّ فإنه وَصِبُ الفؤادِ بشَجْوِه مَغْمُومُ

قال المؤلف: وبيت مطرود أقوى في الحجة من بيت أبي الأسود الدُّؤلي، لأنه جاهِلي مُحَكَّكٌ، وأبو الأسود: أول مَن صنع النحو، فشعرُه قريب من التوليد، ولا يمتنع في القياس أيضًا أن يقال: شَجِيٌ وشَجٍ، لأنه في معنى: حَزِنٌ وحزين، وقد قيل: مَن شدَّد الياء، فهو فعيل بمعنى مفعول[1].

وفيه بعد قوله: أبا الشعث الشَّجِيَّاتِ. يبكينه حُسَّرًا مثل البَلِيَّات. الْبَلِيَّةُ: الناقة التي كانت تُعْقَل عند قبر صاحبها إذا مات، حتى تموت جوعًا وعطشًا، ويقولون: إنه يُحشر راكبًا

---

(١) شجي: انظر مقاييس اللغة (٣/ ١٧٨).

....

عليها، ومَن لم يُفعَل معه هذا حُشِر راجِلاً، وهذا على مذهب مَن كان منهم يقول بالبعث، وهم الأقل، ومنهم زُهَيْرٌ، فإنه قال:

يُؤَخَّرْ فيُوضَعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ ليوم الحسابِ، أو يُعَجَّل فيَنْقَم

وقال الشاعر في البَلِيَّة:

والبَلايا رُؤوسُها في الوَلايا ما نحات السَّموم حُرَّ الخُدود

والولايا: هي البَراذِع، وكانوا يَثْقُبون البَرْذَعةَ، فيجْعلونها في عُنُق البَلِيَّة، وهي مَعْقُولَةٌ، حتى تموت، وأوصى رجلٌ ابنَه عند الموت بهذا:

لاَ تَتْرُكَنَّ أباكَ يُحْشَر مرةً عَدْوًا يَخِرُّ على اليدين، ويَنْكُب

في أبيات ذكرها الخطابي.

وقوله: قيامًا كالحَمِيَّاتِ. أي: مُحْترِقات الأكبادِ كالبَقَر أو الظباء التي حمِيت الماءَ وهي عاطشة، فحمِيَّة بمعنى: مَحْمِيَّة، لكنها جاءت بالتاء، لأنها أُجريت مجرى الأسماء كالرَّمِيَّةِ والضَّحِية والطَّرِيدة وفي معنى الحَمِي قول رؤبة: قَواطِنٌ مكة من وُرْقِ الحَمِي يريد الحمام، المَحْمِيَّ، أي: الممنوع.

وقوله: في رَمْسٍ بِمَوْماة: الأظهرُ فيه أن تكونَ الميم أصلية، ويكون مما ضوعفت فاؤه وعينه، وحمله على هذا الأصل أولى لكثرته في الكلام، وإن كان أصل الميم أن تكون زائدة، إذا كانت أولَ الكلمة الرُّباعِيَّة أو الخماسية، إلا أن يَمنَعَ من ذلك اشتقاقٌ، ولا اشتقاق هٰهُنا، أو يَمْنَعَ من ذلك دخولُه فيما قَلَّ من الكلام نحو: قَلِق وسَلِس. قال أبو علي في المَرْمَر: حَمْلُه على باب: قَرْقَر وَبَرْبر أولى من حملِه على باب: قَلِق وسَلِس، يريد: إنك إن جعلتَ الميمَ زائدةً كانت فاءُ الفعل ـ وهي الراء ـ مضاعفةً دون عينِ الفعل، وهي الميم، وإذا جعلت الميمَ الأولى في مَرْمَر أصلِية، كان من باب ما ضوعفت فيه الفاءُ والعينُ، وهذا معنى قول سيبويه في المَرْمَرِ: مر، وهو القياس المُسْتَتِبُ، والطَّريقُ المَهْيَعُ دون ما ضوعفت فيه الفاء وحدها، فتأمله[1].

وقوله: طَويلَ الباعِ ذا فَجَرِ. الفَجَرُ: الجودُ، شُبِّه بانفجار الماء. ويُروى ذا فَنَعٍ، والفَنَع: كثرة المال، وقد قال أبو مِحْجَنٍ الثَّقَفِيّ:

---

(١) انظر تصريف المازني (٥٦) وشرح الشافية (١/ ٥٩) وابن جني في الخصائص (٢/ ٢).

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إنّ عبد المطلب بينما هو نائم في الْحِجْر إذ أُتي، فأُمِر بحفر زمزم.

قال ابن إسحٰق: وكان أوّل ما ابتدىء به عبدُ المطلب من حَفْرها، كما حدّثني يَزِيد بن أبي حبيب المصري عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنيّ عن عبد الله بن زُرَيْر الغافقي: أنه سمع عليَّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحدّث حديث زمزم حين أُمِرَ عبدُ المطلب بحَفْرها، قال:

قال عبدُ المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال: احْفِر طِيبَة. قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي فنِمْت فيه، فجاءني فقال: احفِر بَرَّة. قال: فقلت: وما برّة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعتُ إلى مَضْجعي، فنِمت فيه، فجاءني فقال: احفر الْمَضنونة. قال: قلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي، فنِمْت فيه، فجاءني فقال: احْفِرْ زمزم. قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تَنْزِف أبدًا ولا تُذَمّ، تسقي الحَجيجَ الأعظم، وهي بين الفَرْث والدم، عند نُقْرة الغراب الأعْصم، عند قَرْية النَّمل.

وقد أجودُ وما مالي بذي فَنَعٍ[1] وأكْتُمُ السِّرَّ فيه ضَرْبَةُ الْعُنُقِ

وقوله: بَسَّام العشيات: يعني: أنه يضحك للأضيافِ، ويَبْسِمُ عند لقائهم كما قال الآخر، وهو حاتم الطائي:

أُضاحك ضَيْفِي قبل إنْزَال رَحْلِه ويَخْصِبُ عندي، والْمَحَلّ جَدِيبُ
وما الْخِصْبُ للأضيافِ أن يَكْثُر القِرى ولكنما وَجهُ الكريم خَصِيبُ

حديث زمزم

وكانت زَمْزَم - كما تقدم - سُقْيا إسماعيلَ، عليه السلامُ، فجرّها له رُوحُ القُدُسِ بعقِبِه، وفي تفجيره إيَّاهَا بالعَقِبِ دون أن يُفجِّرها باليدِ أو غيرِه: إشارةٌ إلى أنها لعقِبِه وِراثةً، وهو محمد - ﷺ - وأمته، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَها كلِمَةً باقيةً في عَقِبِه﴾ [الزخرف: ٤٣]. أي: في أُمَّةِ محمدٍ - عليه السلام - ثم إن زَمْزَم لما أحدثَت جُرْهُمُ في الحَرَم، واسْتَخَفُّوا بالمناسِك والْحُرَم، وبَغى بعضُهم على بعضٍ واجْتَرَم، تَغَوَّرَ ماءُ زَمْزَم واكْتُتِم، فلما أخرج الله جُرْهُمَ من مكةَ بالأسبابِ التي تقدم ذكرُها عَمَد الحٰرثُ بن مِضاض الأصْغَرُ إلى ما كان عنده

---

(١) الفنع: الكلام والجود.

من مالِ الكعبة، وفيه غَزالان من ذَهَبٍ وأسيافٍ قَلْعِيَّة[1] كان سَاسانُ مَلِكُ الْفُرْسِ قد أهداها إلى الكعبةِ، وقيل: سابورُ، وقد قدّمنا أن الأوائلَ من مُلوكِ الْفُرْسِ كانت تحجّها إلى عهدِ ساسانَ، أو سابُورَ، فلما علم ابن مِضاضٍ أنه مُخْرَجٌ منها، جاء تحت جُنْحِ الليل حتى دَفن ذلك في زَمْزَم، وعَفَّى عليها، ولم تَزَلْ دَارِسَة عافيًا أثرُها، حتى آنَ مولدُ الْمُبَاركِ الذي كان يُسْتَسْقَى بوجْهِه غَيْثُ السَّماءِ وتَتَفجّر من بنَانِه ينابيعُ الماءِ، صاحبِ الْكَوْثرِ والْحَوضِ الرَّوَاءِ، فلما آن ظهورُه أذِن الله تعالى لِسُقْيَا أبِيه أن تظهر، ولِما انْدَفَنَ من مائها أن تُجتَهَر[2]، فكان - ﷺ - قد سقت الناسَ بَرَكَتُه قبل أن يُولَد وسُقوا بدعوته، وهو طِفل حين أجْدَبَت البلد، وذلك حين خرج به جدّه مُسْتَسْقيًا لقُريش[3]، وسيأتي بيان ذلك - فيما بعد إن شاء الله - وسُقِيت الْخَلِيقَةُ كلُّها غُيوثَ السماءِ في حياته الْفَيْنَةَ بعد الْفَيْنَةِ، والْمَرَّة بعد المرة، وتارة بدعائه، وتارة من بَنَانه، وتارةً بإلقاء سَهْمه، ثم بعد موته - عليه السلام - اسْتَشْفَعَ عُمَرُ بعمِّه - رضي الله عنهما - عامَ الرَّمَادَةِ[4].

وأقسم عليه به وبنبيه[5]، فلم يَبْرَحْ، حتى قَلَصُوا لمازِرَ، واعْتَلَقوا الحِذاء، وخاضوا الغُدْرَان، وسَمِعَت الرِّفَاقُ المقبلةُ إلى المدينة في ذلك اليوم صائحًا يصيح في السَّحاب: أتاكَ الغوثُ أبَا حَفْص، أتاك الغوث أبا حَفْص[5]، كل هذا ببركة الْمُبْتَعث بالرحمتين، والداعي إلى الحياتين الموعود بهما على يديه في الدارين - ﷺ - صلاة تصعد ولاَ تَنْفَدَ، وتتَّصِل ولاَ تنفصِل، وتُقِيم، ولا تَرِيمُ[6]، إنه مُنْعِمٌ كَرِيم.

أسماء زمزم:

فصل: فأُرَى عبدُ المطلب في منامِه: أن احْفِرْ طِيبَة، فسُمِّيت طيبة، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وقيل له: احْتَفِرْ بَرَّة، وهو اسم صادق عليها أيضًا، لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفُجار، وقيل له: احفِرْ الْمَضْنُونة. قال وهب بن مُنَبِّه: سُمِّيَتْ زمزم: الْمَضْنُونَة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلاَ يَتَضَلَّع منها

---

(١) قلعية: نسبة لقلعة بالهند. (٢) تجتهر: أي تنزح وتنقى.

(٣) لا صحة لهذه القصة ولا حاجة لنا إلى المغالاة وكفاه ﷺ تشريف ربّ السمٰوات والأرض باصطفائه نبيًا رسولاً إلى الثقلين - ﷺ -.

(٤) انظر استسقاء عمر بالمطلب رضي الله عنهما عند البخاري في الاستسقاء (٣) وفضائل الصحابة (١١).

(٥) لا صحة لما قال رحمه الله تعالى، وانظر الحدث في موضعه المشار إليه آنفًا.

(٦) تريم: تنقص.

منافق، وروى الدَّارَقُطْنِي ما يقوّي ذلك مُسْندًا عن النبي - ﷺ -: «مَن شرب من زمزم فَلْيَتَضَلَّع[1]، فإنه فَرْقُ ما بيننا وبين المنافقين، لا يستطيعون أن يَتَضَلَّعوا منها[2]»، أو كما قال. وفي تسميتها بالْمَضْنُونة روايةٌ أخرى، رواها الزبيرُ: أن عبدَ المطلب قيل له: احْفِر الْمَضْنُونَة ضَننت بها على الناس إلا عليك، أو كما قال.

العلامات التي رآها عبد المطلب وتأويلها:

ودُلَّ عليها بعلاماتٍ ثلاثٍ: بنُقرةِ الغُراب الأعْصَم[3]، وأنها بين الفَرْث[4] والدم، وعند قرية النَّمل، ويُروَى أنه لمَّا قام ليَحْفِرَها رأى ما رُسِمَ مِن قرية النمل ونُقْرَةِ الغراب، ولَمْ يَرَ الْفَرْثَ والدم، فبينا هو كذلك نَدَّت بَقَرةٌ بجازرها، فلم يُدْرِكها؛ حتى دخلت المسجدَ الحرام، فنحَرها في الموضِع الذي رُسم لعبد المطلب، فسالَ هناك الْفَرْثُ والدمُ، فحفَر عبدُ المطلب حيث رُسِم له.

ولم تَخصّ هذه العلامات الثلاث بأن تكون دليلاً عليها إلا لحكمةٍ إلٰهيَّةٍ، وفائدةٍ مُشاكِلةٍ في علم التعبير، والتَّوسُّم الصادق لمعنى زمزَم ومائِها. أما الْفَرْثُ والدَّمُ، فإن ماءها طعَامُ طُعْم، وشِفاءُ سُقْم[5]، وهي لما شُرِبت له[6]، وقد تَقَوَّت من مائها أبو ذر - رضي الله عنه - ثلاثينَ بَيْنَ يوم وليلة، فَسَمِنَ حتى تكسَّرت عُكَنُه[7]، [وما وجد على كبده سَخْفَة[8] جوع][9] فهي إذًا كمَا قال رسول الله - ﷺ - في اللبن: إذا شرب أحدكم اللبن، فليقل: اللَّهمَّ بارك لنا فيه وزِدْنَا منه، فإنه ليس شيء يَسُدُّ مَسَدَّ الطعام والشَّراب إلا اللبن[10]، وقد

---

(١) تضلع: شبع وري.

(٢) «حسن». أخرجه الدارقطني (٢/ ٢٨٨ - بتحقيقي) وابن ماجه (٣٠٦١). في الزوائد: هذا إسناد صحيح. رجاله موثقون.

(٣) الأعصم: الذي في جناحيه بياض.

(٤) الفرث: الفاء والراء والثاء أصيل يدل على شيء فتفتت. يقال فرث كبده: فَتَّها. والفَرْث: ما في الكرش: ويقال على معنى الاستعارة: أفرث فلانٌ أصحابه، إذا سعى بهم وألقاهم في بليّة. مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٨).

(٥) ماءها طعام طُعم وشفاء سُقم: معنى حديث لرسول الله ﷺ. وتقدم تخريجه.

(٦) «ماء زمزم لما شرب له» حديث أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢) وأحمد (٣/ ٣٥٧) والبيهقي (٥/ ٢٠٢) والحاكم (١/ ٣٧٣) والدارقطني (٢/ ٢٨٩ - بتحقيقي). والحديث «حسن».

(٧) العكن: الطي الذي في البطن من السمن. (٨) السخفة: الهزال.

(٩) «صحيح». أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (١٣٢) وأحمد (٥/ ١٧٥).

(١٠) «حسن». أخرجه أبو داود (٣٧٣٠) بتحقيقي والترمذي (٣٤٥١) وأحمد (١/ ٢٢٥) وانظر: «زبدة=

....

قال الله تعالى في اللبن: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ ودَمٍ لَبنًا خالِصًا سَائِغًا للشاربين﴾ [النحل: ٦٦]. فظهرت هذه السُّقْيا المباركة بينَ الْفَرْث والدَّم، وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها.

وأما قوله: الْغُرَابُ الأعْصَمُ، قال الْقُتَبِيُّ: الأعْصَمُ من الْغِربان الذي في جناحيه بَيَاضٌ، وَحَمَلَ على أبي عبيد لقوله في شرح الحديث: الأعصم الذي في يديه بياض، وقال: كيف يكون للغراب يَدَان؟. وإنما أراد أبو عُبَيْدٍ أن هذا الوصْف لذواتِ الأربع؛ ولذلك قال: إن هذا الوصْفَ في الغِربانِ عزيزٌ، وكأنه ذهب إلى الذي أراد ابنُ قَتَيْبَة من بياض الجناحين، ولولا ذلك لقال: إنه في الغربان مُحال لا يتصور. وفي مُسْند ابن أبي شَيْبَة من طريق أبي أُمامَةَ عن النبي - ﷺ - ما يُغْني عن قوليهما، وفيه الشِّفاء: أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «المرأة الصالِحَةُ في النساءِ كالغرابِ الأعْصَم». قيل: يا رسول الله، وما الْغُرَابُ الأعْصَمُ؟ قال: «الذي إحدى رجليه بَيْضاء»[1]. فالغراب في التأويل: فاسق، وهو أسود، فَدَلَّت نُقْرَتُه عند الكعبة على نُقْرَةِ الأسْوَدِ الْحَبَشِيِّ بِمِعْوَله في أساس الكعبة يَهْدِمها في آخر الزمانِ، فكان نَقْرُ الغرابِ في ذلك المكان يُؤذن بما يفعله الفاسقُ الأسودُ في آخر الزمانِ بِقِبْلَةِ الرَّحْمٰن، وسُقْيا أهل الإيمان، وذلك عندما يُرفع القرآنُ، وتحيا عبادةُ الأوثان، وفي الصحيح عن رسول الله - ﷺ -: «لَيُخَرِّبَنَّ الكعبة ذو السُّوَيْقَتَيْنِ من الحبشة»[2]. وفي الصحيح أيضًا من صفته: أنه [أسود] أفْحَجُ، [يقلعها حجرًا حَجَرًا] وهذا أيضًا ينظر إلى كون الغراب أعْصَمَ؛ إذِ الْفَحَجُ: تباعُدٌ في الرِّجْلين، كما أن الْعَصَمَ اختلافٌ فيهما، والاختلافُ: تباعُدٌ وقد عُرِف بذي السُّوَيْقَتَيْنِ، كما نُعت الغرابُ بصفةٍ في ساقيه، فتأمَّلْهُ، وهذا من خَفِيِّ علم التأويلِ، لأنها كانت رُؤْيَا، وإن شِئتَ: كان من باب الزَّجْرِ والتَّوَسُّم الصَّادقِ والاعتبار والتفكيرِ في معالم حكمة - الله تعالى - فهذا سعيدُ بنُ الْمُسَيِّب، وهو مَنْ هُو عِلْمًا ووَرَعًا حين حُدِّث بحديث البئر في البستانِ، وأن رسول الله - ﷺ - قعد على قُفِّها[3]، وَدَلَّى رجليه فيها، ثم جاء أبو بكر - رضي الله عنه - ففعل مثل ذلك، ثم جاء عمَرُ - رضي الله عنه - ففعل مثلَ ذلك، ثم جاء عثمانُ، فانْتَبَذَ منهم ناحية؛ وَقَعَدَ حَجْرةً[4]. قال سعيدُ بن الْمُسَيِّبِ: فأوَّلتُ ذلك قبورَهم، اجتمعت قبورُ الثلاثة، وانفرد قبرُ عثمان - رضي الله عنه[5] - والله سبحانه

= اللبن» للسيوطي.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٣).

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري في الحج (٤٧) ومسلم في الفتن (٥٧/ ٥٨/ ٥٩) وأحمد (٢/ ٢٢٠).

(٣) القُفّ: الدكّة حول البئر. (٤) حجرة: ناحية.

(٥) انظر الأمر باستفاضة الكتاب القيم لابن القيم رحمه الله تعالى «الطرق الحكمية».

يقول: ﴿إن في ذلك لآياتٍ للْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]. فهذا من التَّوَسُّم والْفِراسَةِ الصادقة، وإعمالِ الفكرِ في دلائلِ الحكمة، واستنباطِ الفوائدِ اللطيفة من إشارات الشريعة. وأمَّا قريةُ النملِ، ففيها من الْمُشَاكَلَةِ أيضًا، والمناسبة: أن زَمْزَمَ هي عينُ مَكَّة التي يَرِدُها الحجيجُ والعُمَّارُ من كل جانب، فيحملون إليها الْبُرَّ والشَّعِيرَ، وغير ذلك وهي لا تحرث ولا تزرَعُ، كما قال سبحانه خبرًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إني أسْكَنْتُ من ذُرِّيَّتي بواد غير ذي زَرْع﴾. إلى قوله: ﴿وارزُقْهُمْ من الثَّمراتِ لعلهم يشكرون﴾ [إبراهيم: ٣٧] وقرية النمل لا تحرثُ ولا تَبْذُر، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب، وفي مكَّة قال الله سبحانه: ﴿وَضَرَب اللَّهُ مَثَلاً قَرْية كانت آمنة مُطْمَئِنَّةً يأتيها رزقُها رَغَدًا من كُلِّ مكان﴾ [النحل: ١١٢]. مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماءَ في الْحَوْضِ: إذا جمعتُهُ، والرُّؤيا تُعبَّر على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى، فقد اجتمع اللفظُ والمعنى في هذا التأويل - والله أعلم[١].

من صفات زمزم:

وقد قيل لعبد الْمطَّلِب في صفة زَمْزَمَ: لا تَنْزِفُ[٢] أبدًا، ولا تُذَمُّ، وهذا بُرْهَانٌ عظيم، لأنها لم تَنْزِفْ من ذلك الحين إلى اليوم قطّ، وقد وقع فيها حَبَشِيٌّ فَنُزِحَتْ من أجله، فوجَدُوا مَاءَها يَثور من ثلاثة أعْيُن، أقواها وأكثرها ماء: من ناحية الْحَجَر الأسْوَدِ، وذكر هذا الحديثَ الدَّارَقُطْنيُّ.

وقوله: ولا تُذَمُّ، فيه نظرٌ، وليس هو على ما يَبْدُو من ظاهر اللفظ من أنها لا يَذُمُّها أحدٌ، ولو كان من الذَّمِّ لكان ماؤُها أعذبَ المياه، ولَتضَلَّعَ منه كُلُّ مَنْ يشربُه، وقد تَقَدَّم في الحديث أنه لا يتَضَلَّعُ منها منافقٌ، فماؤها إذًا مَذْمُومٌ عندهم، وقد كان خالدُ بن عَبْد الله الْقَسْرِيّ أميرُ العراق يذمُّها، ويسميها: أُم جِعْلاَن[٣]، واحتفر بئرًا خارجَ مكة باسم الوليد بن عبد الملك، وجعل يُفَضِّلها على زَمْزَم، ويحمل الناس على التبرُّكِ بها دون زَمْزَم جُرْأة منه على الله - عزّ وجلّ - وقلّة حياء منه، وهو الذي يُعْلن ويفصح بلعن عليّ بن أبي طالب - رضوان الله عليه - على المنبر[٤]، وإنما ذكرنا هذا، أنها قد ذُمَّت، فقوله إذًا: لا تُذَمُّ من قول العرب: بئر ذَمَّة أي: قليلة الماء، فهو من أذمَمْت البئر إذا وجدتَها ذَمَّة: كما تقول: أجْبَنْتُ الرجل: إذا وجدتَه جبانًا، وأكْذَبْتُه إذا وجدته كاذبًا، وفي التنزيل: ﴿فإنهم لا

(١) تأويل طيب ومقبول. ورحم الله السهيلي. (٢) لا تنزف: أي لا تنزح.
(٣) الجعل: دابة سوداء صغيرة من دواب الأرض. (٤) كلام يحتاج إلى دليل «صحيح» يعتضده.

قال ابن إسحٰق: فلمّا بُيّن له شأنها، ودُلّ على موضعها، وعَرَف أنه قد صُدِق، غَدَا بِمِعْوله ومعه ابنُهُ الحارث بن عبد المطلب، ليس له يومئذ ولدٌ غيرَه فَحَفَرَ فيها. فلما بدا لعبد المطلب الطَّيُّ، كَبَّرَ، فعرفت قريشٌ أنه قد أدرك حاجتَه، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبدَ المطلب، إنها بئرُ أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقًّا فأشرِكْنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمرَ قد خُصِّصْتُ به دونكم، وأُعْطيته من بينكم، فقالوا له: فأنصفنا، فإنَّا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم مَن شئتم أُحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سَعْد هُذَيْم، قال: نعم، قال: وكانت بأشراف الشام، فركب عبدُ المطلب ومعه نَفَر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كلّ قبيلة من قريش

يُكَذِّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يَجْحدُون﴾ [الأنعام: ٣٣] وقد فسَّرَ أبو عبيد في غريب الحديث قوله: حتى مررنا ببئر ذَمَّة. وأنشد:

مُخَيَّسَةٌ[١] خُزْرًا[٢] كأن عيونَها ... ذِمَامُ الرَّكايا[٣] أنْكَزَتْها المواتح[٤]

فهذا أوْلى ما حمل عليه معنى قوله. ولا تُذَمّ؛ لأنه نفي مطلق، وخبر صادق والله أعلم - وحديث البئر الذَّمَّة التي ذكرها أبو عُبَيْد، حدّثنا به أبو بكر بن العربي الحافظ، قال: أخبرنا القاضي أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبي الرجاء قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خَلاَّد قال: حدّثنا الحرٰث بن أبي أسامة. قال: حدّثنا أبو النضر، قال: حدّثنا سليمان عن حُمَيْدٍ عن يونس عن الْبَرَاءِ قال: كنّا مع رسول الله - ﷺ - في مَسِيرٍ فأتينا على رَكِيٍّ ذَمَّة، يعني: قليلة الماء، قال: فنزل فيها ستةٌ - أنا سادسُهم - ماحَةٌ[٥]، فأُدْلِيَتْ إلينا دَلْوٌ، قال: ورسول الله - ﷺ - على الرَّكِيِّ، فجعلنا فيها نصفَها، أو قريب ثُلُثَيها، فرفعت إلى رسول الله - ﷺ - قال: فجئت بإنائي. هل أجد شيئًا أجعله في حلقي، فما وجدتُ، فَرُفعت الدَّلوُ إلى رسول الله - ﷺ - فغَمَس يده فيها، فقال ما شاء الله أن يقول - قال: فأُعيدت إلينا الدّلو بما فيها، قال: فلقد رأيت أحدَنا أُخرِجَ بثوب خَشْيَةَ الغرَق. قال: ثم ساحت، يعني: جَرَتْ نهرًا[٦].

---

(١) مخيسة: الإبل المخيسة هي التي لم تسرح.
(٢) خزرًا: الخزر هو كسر العين بصرها خلقة أو ضيقها وصغرها.
(٣) الركايا: جمع ركية وهي البئر. (٤) المواتح: جمع متح وهو المستقى.
(٥) ماحة: قليلة الماء.
(٦) «صحيح». أخرجه مسلم في التوبة. حديث رقم (٥٩) بنحوه مختصرًا وانظر غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٤١٢ـ ٤١٣) (٢/ ٣٤٠).

نَفَر. قال: والأرضُ إذ ذاك مَفَاوز. قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفَاوز بين الحجاز والشام، فَنِي ماءُ عبد المطلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالْهَلَكَة، فاسْتَسْقَوْا مَنْ معهم منْ قبائل قُرَيش، فأبَوْا عليهم، وقالوا: إنَّا بمفازَة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القومُ، وما يتخوَّف على نفسه وأصحابه، قال: ماذا تَرَوْن؟ قالوا: ما رأيُنَا إلا تَبَعٌ لرأيك، فمُرنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفِر كلُّ رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوّة - فكلَّما مات رجل دَفعه أصحابُه في حُفْرته ثم وارَوْه - حتى يكون آخركم رجلاً واحدًا، فضَيْعة رجل واحد أيسر من ضَيْعة ركب جميعًا، قالوا: نِعْم ما أمرت به. فقام كلّ واحد منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشًا، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا، لَعَجْز، فعسى الله أن يَرْزقنا ماءً ببعض البلاد، ارْتَحِلُوا، فارتحلوا حتى إذا فَرَغُوا، ومَنْ معهم من قبائل قُرَيش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تقدّم عبد المطَّلِب إلى راحلته فَركبها. فلما انبعثت به، انفجرت من تحتها خفها عين ماء عذب، فكبر عبد المطلب، وكَبَّر أصحابه، ثم نزل فشَرِب، وشَرِب أصحابُه، واسْتَقَوْا حتى ملؤوا أسْقِيَتهم، ثم دعا القبائل من قُرَيش، فقال: هَلُمَّ إلى الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقُوا، فجاءوا، فشَرِبوا واسْتَقَوْا. ثم قالوا: قد - والله - قُضِي لك علينا يا عبد المطَّلِب، والله لا نخاصمك في زَمْزم أبدًا، إن الذي سقاك هذا الماءَ بهذه الفَلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدًا. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلَّوا بينه وبينها.

اشتقاق مفازة:

وذكر حديث عبد المطلب في مسيره مع قريش إلى الكاهنة، وذكر الْمَفَاوِزَ التي عطشوا فيها. المفاوز: جمع مَفَازَةٍ، وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال. رُوِيَ عن الأَصْمَعِيِّ أنها سُمِّيَتْ مَفَازَةً على جهة التفاؤل لراكبها بالفوز والنجاة، ويُذكَر عن ابن الأعرابي أنه قال: سألت أبا المكارم: لِمَ سُمِّيَت الفلاة مفازة؟ فقال: لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز. وقال بعضهم: معناها: مَهْلَكة لأنه يقال: فاز الرجل، وفَوَّزَ وفَادَ وفَطَسَ: إذا هلك. وذكر في غير رواية علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - ثم ادع بالماء الرّويّ غير الكدَر يقال: ماءٌ رِوًى بالكسر والقصر، ورَواء بالفتح والمد وفيه:

الجمع واسم الجمع:

يُسقَى حَجِيج الله في كل مَبَرّ. الحجيج: جمع حاج. وفي الجموع على وزن فَعِيل كثير كالعَبِيد والبَقِير والمَعِيز والأبيل!! وأحسبه اسمًا للجمع؛ لأنه لو كان جمعًا له واحد من

قال ابن إسحٰق: فهذا الذي بلغني من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم، وقد سمعتُ مَن يُحدّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمِر بحَفْر زَمزم:

ثم ادعُ بالماء الرَّوِيِّ غير الكَدِر　　يَسْقي حجيجَ الله في كل مَبَرّ

ليس يُخاف منه شيء ما عَمَرْ

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال: تعلَّموا أني قد أُمِرت أن أحْفِرَ لكم زمزم، فقالوا: فهل بُيِّن لك أين هي؟ قال: لا. قالوا فارجع إلى مَضجَعك الذي رأيتَ فيه ما رأيتَ، فإن يك حقًّا من الله يُبَيِّن لك، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك. فرجع عبدُ المطَّلِب إلى مَضجعه، فنام فيه، فأتى فقيل له: احْفِر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندم، وهي تراث من أبيك الأعظم، لا تَنْزِفُ أبدًا ولا تُذَمّ، تسقي الحَجيجَ الأعظم، مثل نعَام جافل لم يُقْسَم، يَنْذِر فيها ناذرٌ لِمُنْعِم، تكون ميراثًا وعَقْدًا محكم، ليستْ كبعض ما قد تعلم، وهي بين الفَرْث والدم.

قال ابن هشام: هذا الكلام، والكلام الذي قبله، من حديث عليّ في حفر زمزم من قوله: «لا تُنْزَفُ أبدًا ولا تُذَمّ» إلى قوله: «عند قرية النمل» عندنا سجع وليس شعرًا.

قال ابن إسحٰق: فزعموا أنه حين قيل له ذلك، قال: وأين هي؟ قيل له عند قرية النمل، حيث ينقُر الغراب غدًا. والله أعلم أيّ ذلك كان.

فغدا عبد المطلب ومعه ابنهُ الحارث، وليس له يومئذ ولدٌ غيره، فوجد قرية النمل، ووجد الغراب ينقُر عندها. بين الوثَنَيْن: إساف ونائلة، اللذين كانت قُريش تنحر عندهما ذبائحها. فجاء بِالْمِعْوَلِ وقام ليحفِرَ حيث أُمِر، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدّه،

لفظه، لجرى على قياس واحد كسائر الجموع، وهذا يختلف واحِدُه فحجيج واحده: حاج، وعبيد واحده: عبْدٌ، وبقِير واحده: بقرة، [ومَعِيز: واحده: مَاعِز] إلى غير ذلك، فجائز أن يقال: إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة؛ ولذلك لا يُصَغَّر على لفظه، كما تصغَّر أسماء الجموع، فلا يقال في العبيد: عُبَيِّد، ولا في النخيل: نُخَيِّل، بل يرد إلى واحده، كما ترد الجموع في التصغير، فيقال: نُخَيْلاَتٌ وعُبَيْدُون، وإذا قلت: نخيل أو عَبيد، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس، قال الله سبحانه: ﴿وزَرْعٌ ونخيلٌ﴾ وقال: ﴿وما ربُّكَ بِظَلاَّمٍ للعبيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] وحين ذكر المخاطبين منهم قال: العباد، وكذلك قال حين ذكر الثمر من النخيل: ﴿والنَّخْلَ باسقاتٍ﴾ [قٓ: ١٠] وقال: ﴿أعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] فتأمل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام، وأما في مذهب أهل اللغة، فلم يفرّقوا هذا التفريق، ولا نبّهوا على هذا الغرض الدقيق.

فقالوا: والله لا نتركك تحفر بين وثَنَيْنا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبد المطلب لابنه الحارث: ذُدْ عني حتى أحفِر، فوالله لأمضينّ لمَا أُمرت به. فلما عرفوا أنه نازع خلَّوا بينه وبين الحَفر، وكفُّوا عنه، فلم يَحْفِرَ إلا يسيرًا، حتى بدا له الطَّيُّ، فكَبَّر وعرف أنه قد صُدِق فلما تمادى به الحفرُ وجد فيها غَزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دَفنت جُرْهُم فيها حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافًا قَلْعِيَّة وأدراعًا فقالت له قريش يا عبدَ المطلب، لنا معك في هذا شِرْك وحق، قال: لا، ولكن هَلُمَّ إلى أمرٍ نَصَفٍ بيني وبينكم، نضرب عليها بالقِداح، قالوا: وكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قِدْحين، ولي قِدْحين، ولكم قِدْحين، فمَن خرج له قِدْحاه على شيء كان له، ومَن تخلَّف قِدْحاه فلا شيءَ له قالوا: أنصفتَ، فجعل قِدْحين أصفرين للكعبة، وقِدْحين أسودين لعبد المطلب، وقِدْحين أبيضَين لقريش، ثم أعطوا صاحبَ القِداح الذي يضرب بها عند هُبَل ـ وهُبَل: صنم في جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم، وهو الذي يَعْني أبو سفيان بنُ حَرْب يوم أُحُدٍ حين قال: أعْلِ هُبَل أي: أظهر دينك ـ وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجلّ، فضرب صاحبُ القِداح، فخرج الأصفران على الغَزالَيْن للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف، والأدراعُ لعبد المطلب، وتخلَّف قِدْحا قُرَيش. فضرب عبد المطلب الأسياف

شــروح:

وقوله: في كل مَبَر: هو مَفْعَل من البِرّ، يريد: في مناسك الحج ومواضع الطاعة.

وقوله: مثل نعام جافل لم يقسم. الجافل: من جَفَلت الغنم: إذا انقلعت بجملتها، ولم يُقْسَم أي: لم يُتَوَزَّع، ولم يتفرق.

وقوله: ليس يخَاف منه شيءٌ ما عَمَر. أي: ما عمر هذا الماءُ، فإنه لا يؤذي، ولا يُخاف منه ما يُخاف من المياه إذا أفرط في شربها، بل هو برَكة على كل حال، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله: لا تَنْزِفُ، ولا تُذَم عاقبة شربها، وهذا تأويلٌ سائغٌ أيضًا على ما قدّمناه من التأويل، وكلاهما صحيح في صفتها.

وقوله: وضرب [في الباب] الغزالين حلية الكعبة، وهو أول ذهبٍ حُلِّيَت به الكعبة، وقد قَدَّمنا ذكر الغزالين، ومَن أهداهما إلى الكعبة، ومَن دفنهما من جُرْهم، وتقدم أن أول مَن كسا الكعبة: تُبَّع، وأنه أول مَن اتخذ لها غَلَقًا إلى أن ضرب لها عبدُ المطلب بابَ حديد من تلك الأسياف، واتخذ عبدُ المطلب حوضًا لزمزم يُسقَى منه، فكان يُخرَّبُ له بالليل حَسَدًا له، فلما غَمَّه ذلك قيل له في النوم: قل: لا أُحلّها لمغتسل، وهي لشارب حِلٌّ وبِلٌّ وقد كُفِيتم، فلما أصبح قال ذلك، فكان بعدُ مَن أرادها بمكروه رُمِي بداء في جَسَدِه، حتى انتهوا عنه. ذكره الزهري في سيره.

بابًا للكعبة، وضرب في الباب الغزالين من ذهب، فكان أوّلَ ذهب حُلِّيَتْه الكعبة ـ فيما يزعمون ـ ثم إن عبدَ المطَّلب أقام سِقاية زمزم للحجّاج.

ذكر بئار قبائل قريش بمكة

قال ابن هشام: وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بِئَارًا بمكة، فيما حدّثنا زياد بنُ عبد الله البكّائي[1] عن محمد بن إسحٰق، قال:

حفر عبدُ شمس بن عبد مناف الطَّوِيَّ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند البَيْضاء، دار محمَّد بن يوسف.

وحَفَر هاشم بن عبد مناف بَذَّر، وهي البئر التي عند الْمُسْتَنْذَرِ، خَطْم الْخَنْدَمَة على فم شِعْب أبي طالب، وزعموا أنه قال حين حَفَرها: لأجعلنَّها بلاغًا للناس.

قال ابن هشام: وقال الشاعر:

سقى اللّٰهُ أمْواهًا عرفتُ مكَانها　　　جُرابًا وَمَلْكُوما وَبَذَّرَ والغَمْرا

قال ابن إسحٰق: وحفر سَجْلَة، وهي بئر المُطْعِم بن عَدِيّ بن نَوْفل بن عَبْدَ مَناف التي يَسْقون عليهَا اليوم. ويزعمُ بنو نوفل أنّ المُطْعِم ابتاعها من أسَد بن هاشم، ويزعُم بنو هاشم أنه وَهَبها له حين ظهرت زمزم، فاسْتَغْنَوْا بها عن تلك الآبار.

بئار قريش بمكة

وقوله: وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بِئارًا بمكة. ذكروا أن قصَيًّا كانَ يسقي الْحَجِيجَ في حياضٍ من أدَم، وكان ينقُل الماءَ إليها من آبارٍ خارجةٍ من مكة منها: بِئْرُ مَيْمُون الحَضْرَمِيّ، وكانَ يَنْبِذُ لهم الزبيبَ، ثم احتفر قُصَيٌّ العَجُولَ في دار أُمّ هانىء بنت أبي طالب، وهي أول سِقاية احْتُفِرت بمكة[2]، وكنت العربُ إذا اسْتَقَوْا منها ارْتَجَزُوا، فقالوا:

نُرْوى على العَجُول، ثم ننطلِقْ　　　إن قُصَيًّا قد وَفَى وقد صَدق

[بِشِبَعِ الحج وريّ مُغْتَبِق][3]

---

(١) تقدمت ترجمته غير مرة وبيان ضعفه.

(٢) وقيل كما في المراصد: أن العجول هي أول بئر حفرت بمكة.

(٣) غبق: الغين والباء والقاف كلمة واحدة وهي: الغبوق: شرب العشي. يقال: غبقت القوم غبقًا. واغتبق اغتباقًا. مقاييس اللغة (٤/ ٤١١).

وحفر أُميَّةُ بنُ عبد شَمْس الحَفْرَ لنفسه، وحفرت بنو أسَد بن عبد العُزّى: سُقَيَّة، وهي بئر بَني أسَد. وحفرت بنو عبد الدار: أمَّ أحْرَاد. وحفرت بنو جُمَح: السُّنْبُلَة، وهي بئر خَلَف بن وَهْب. وحفرت بنو سَهْم: الغَمْرَ، وهي بئر بني سَهْم، وكانت آبار حفائر خارجًا من مكَّة قديمة من عهد مُرَّة بن كَعب، وكِلاب بن مُرَّة، وكُبَراء قريش الأوائل منها يَشْربون، وهي رُمّ، ورُمّ: بئر مُرَّة بن كَعْب بن لؤيّ. وخُمُّ، وخُمّ. بئر بني كِلاب بن مُرَّة، والحَفْرُ. قال حُذَيفَة بن غانم أخو بني عَديّ بن كَعْب بن لُؤَيّ:

قال ابن هشام: وهو أبو أبي جَهْم بن حُذَيفة:

وقِدْمًا غنَينا قبل ذلك حَقْبةً ... ولا نَستقي إلا بخُمّ[1] أو الْحَفْرِ[2]

فلم تزل العَجُول قائمةً حياةَ قصيٍّ، وبعد موته، حتى كَبِرَ عبدُ مناف بن قُصيٍّ، فسقط فيها رجلٌ من بني جُعَيْل، فعَطَّلوا الْعَجُول، واندفنت، واحْتَفَرَتْ كلُّ قبيلة بئرًا، واحتفر قُصَيٌّ سَجْلة، وقال حين حفرها:

أنا قُصيّ، وحفرت سَجْلَهْ ... تُروى الحَجِيجَ زُغْلة[3] فَزُغْلَهْ

وقيل: بل حفرها هاشم، ووهبها أسد بن هاشم لعَدِيّ بن نوفل، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم:

نحن وَهَبْنا لعَدِيٍّ سَجْلَه ... تُروِي الحجيج زُغْلَةً فَزُغْلَهْ

وأما أُم أحراد التي ذكرها، فأحراد: جمع: حِرْد، وهي قطعة من السَّنام[4]، فكأنها سُمِّيَتْ بهذا، لأنها تُنبِت الشحم، أو تُسَمِّن الإبل، أو نحو هذا والحُرْد: القَطا الواردة للماء، فكأنها تَرِدُها الْقَطا والطيرُ، فيكون أحْرَاد جمع: حُرْد بالضم على هذا. وقالت أُمَيَّة بنت عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبدِ الدار امرأةُ العَوَّام بن خُوَيْلد حين حفرت بنو عبد الدار أمَّ أحْراد:

نحن حَفَرْنا الْبَحر أمَّ أحْرَادِ ... ليست كَبَذْر البرور الْجَمَادِ

فأجابتها ضَرَّتُها: صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنه:

نحن حَفَرْنا بَذَّرْ ... نسقي الحجيج الأكبرْ

من مُقبِل ومُدْبِرْ ... وأم أحْرادَ شَرْ

---

(١) خم: أي مُنقى. (٢) الحفر: أول الشيء.

(٣) زغلة: الزاء والغين واللام أصل يدل على رضاع وزَقّ وما أشبهه. السابق (٣/ ١٢- ١٣).

(٤) حرد: أي المنحاة أو المقصودة. الحاء والراء والدال أصول ثلاثة: القصد والغضب والتنحي. السابق (٢/ ٥١).

قال ابن هشام: وهذا البيتُ في قصيدة له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

قال ابن إسحٰق: فعفَّت زمزم على البِئار التي كانت قبلها يَسْقي عليها الحاج وانصرف الناسُ إليها لمكانها من المسجد الحرام؛ ولفضلها على ما سواها من المياه؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وافتخرتْ بها بنو عبد مناف على قُرَيش كلِّها، وعلى سائر العرب، فقال مُسافر بن أبي عَمْرو بن أُمية بن عبد شمس بن عَبْد مناف، وهو يَفْخر على قريش بما وَلُوا عليهم من السِّقاية والرِّفادة، وما أقاموا للناس من ذلك، وبِزَمْزَمَ حين ظَهرتْ لهم، وإنما كان بنو عَبْد مناف أهلَ بيت واحد، شَرفُ بعضهم لبعض شرفٌ، وَفَضْلُ بعضِهم لبعض فَضْل:

وَرِثْــنــا الــمــجْــد مِــنْ آبــا ئِــنَــا فــنــمَــى بِــنــا صُــعُــدَا

وأما جُراب، فيحتمل أن يكون بمعنى: جَرِيب[1] نحو: كبار وكبير، والجريب: الوادي، والجَرِيبُ أيضًا: مِكْيالٌ كبير، والجريب أيضًا: المزرعة.

وأما مَلْكوم فهو عندي مقلوب[2]، والأصل: مَمكُول من: مَكَلْتُ البئر: إذا استخرجت ماءها، والْمَكْلَة: ماء الرَّكِيَّة، وقد قالوا: بئر عَمِيقة، ومَعِيقة، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه: مَمْكول ومَلْكوم، والْمَلْكُومُ في اللغة: المظلوم إذا لم يكن مقلوبًا.

وأما بَذَّر فمن التبذير، وهو التفريق، ولعل ماءها كان يخرج متفرقًا من غير مكان واحد، وهذا البناء في الأسماء قليل، نحو: شَلَّم وخَضَّم وبَذَّر، وهي أسماء أعلام، وشَلَّمُ: اسم بيت المقدس، وأما في غير الأعلام، فلا يعرف إلا البَقَّم، ولعل أصله أن يكون أعجميًا، فعرب.

وأما خُمّ وهي بئر مرة، فهي من خَمَمْتُ البيتَ إذا كنستهُ، ويقال: فلان مَخْمُومُ القلبِ أي: نَقِيُّه، فكأنها سُمِّيت بذلك لنقائها.

وأما غَدِيرُ خمّت الذي عند الْجُحْفَة، فسُمِّيَت بغَيْضَةٍ عنده، يقال لها: خُمّ فيما ذكروا. وأما رُمّ بئرُ بني كلاب بن مُرَّةَ، فمن رَمَمْتُ الشيءَ إذا جَمَعْته وأصْلَحته، ومنه الحديث: كنا أهل ثُمَّةٍ ورُمَّةٍ[3]، ومنه: الرُّمّان في قول سيبويه، لأنه عنده فُعْلَان، وأما الأَخْفَشُ فيقول فيه: فُعَّالٌ، فيجعَل فيه النُّونَ أصْلِيَّة، ويقول: إن سَمَّيتَ به رجلاً صَرَفته. ومن قول

---

(١) الجريب: المقدار من الطعام وغيره.

(٢) مَلْكوم: اسم ماء بمكة شرّفها الله تعالى. اللسان (١٢/ ٥٤٧).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٥٦٣).

أَلَـمْ نَـسْـقِ الـحَـجِـيـجَ وَنَـنْـ ... ـحَـرُ الـدَّلأَفَـةَ الـرُّفُـدَا

عبدِ شَمْسِ بن قُصَيٍّ:

حَـفَـرْتُ رُمَّـا، وحَـفَـرْتُ خُـمَّـا ... حتى تـرى الـمـجدَ بـهـا قـد تَـمَّـا

وأما شُفَيَّةُ بئرُ بني أَسَدٍ، فقال فيها الْحُوَيْرِثُ بن أَسَدٍ:

مـاءُ شُـفَـيَّـة كـمـاءِ الْـمُـزْنِ ... ولـيـس مـاؤُهـا بـطَـرْقٍ أجْـنِ[1]

وأما سُنْبُلَةُ: بئر بني جُمَح، وهي بئرُ بني خَلَفِ بنِ وَهْبٍ ـ فقال فيها شاعرهم:

نـحـن حَـفَـرْنـا لـلـحـجـيجِ سُـنْـبُـلَـهْ ... صَـوْبَ سَـحَـابٍ ذو الـجـلال أنْـزَلَـهْ

ثـم تـركـنـاهـا بـرأس الْـقُـنْـبُـلَـهْ ... تَـصبُّ مـاءً مثـلَ مـاءِ الـمـعـبلـه[2]

نـحـن سَـقَـيْـنَـا الـنـاسَ قـبـل الْـمَـسْـأَلَـهْ

من شرح شعر مسافر:

وأما الغَمْرُ: بئر بني سَهْمٍ، فقال فيها بعضُهم:

نـحـن حـفـرنـا الْـغَـمْـرَ لِـلْـحَـجِـيـجِ ... تَـثُـجُّ مَـاءً أَيَّـمـا ثَـجِـيـجِ

ذكر أكثرَه أبو عُبَيْد الْبَكْرِي، وبعضُ هذه الأرْجَازِ أو أكثره في كتاب الزُّبَيْرِ بن أبي بكر رحمة الله عليه.

فصل: وذكر شعرَ مُسَافِرِ بن أبي عَمْرو بن أُمَيَّةَ. واسمُ أبي عمرو: ذَكْوَان، وهو الذي يقول فيه أبو سفيان:

لَـيْـت شِـعْـرِي مُـسَـافِـرَ بن أبي عَـمْـ ... ـرو، ولَـيْـتٌ يـقـولـهـا الْـمَـحْـزُونُ

بُـورك الْـمَـيْـتُ الـغـريـبُ كـمـا بُـو ... رك نَـضْـحُ الـرُّمَّـانِ والـزَّيْـتُـون[3]

في شعرٍ يرثيه به، وكان مات من حُبِّ صَعْبَة بنت الْحَضرَمِيِّ.

وفي الشعر: ونَنحر الدَّلأَفَةَ[4] الرُّفُدا.

---

(١) أجن: ماء متغيّر.

(٢) المعبلة: العين والباء واللام (عبل) أصلٌ صحيح يدل على ضَخَمٍ وامتلاء وشدة. مقاييس اللغة (٤/ ٢١٤).

(٣) في اللسان (٢/ ٦٢٠) يُنسب الشعر لأبي طالب بن عبد المطلب.

(٤) الدلافة: الإبل السمين.

ونُلغى عندَ تَصريفِ المـ ـنايا شُدَّدًا رُفُدا
فإنْ نَهلِكْ، فلم نُملَكْ وَمَنْ ذَا خالِدٌ أبَدا
وزَمزَم في أرُومتِنَا ونفقأُ عَينَ مَنْ جَسَدَ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: وقال حُذَيفة بن غانم أخو بني عَديّ بن كَعب بن لؤيّ.

وساقي الحَجيج، ثم للخُبْز هاشم وعبد مناف ذلك السيِّد الفِهْري
طَوَى زمزَما عند المقام، فأصبحتْ سقايتُه فَخْرًا على كلّ ذي فَخْرِ

قال ابن هشام: يعني عَبْدَ المطَّلب بن هاشم. وهذان البيتان في قصيدة لحُذَيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

الرُّفُدُ: جمع رَفُود من الرِّفد، وهي التي تملأ إناءين عند الحلب.

وقوله:

ونُلفَى عند تَصريفِ المنايا شُدَّدًا رُفُدًا

هو جمع رَفُود أيضًا من الرِّفد وهو: العون؛ والأول من الرِّفد بفتح الراء [وبكسرها] وهو إناء كبير قال الشاعر:

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُه ذلك اليَوْ م وأسْرَى من مَعْشَرٍ أقْتَالِ

وذكر أُمَّ عبدِ اللَّه بن عَبْدِ المطلبِ، وهي: فاطمة بنتُ عَمْرو بن عائِذِ بن عِمْرَان هكذا قال ابن هشام. وقال ابن إسحٰق: عائِذُ بن عَبْدِ بن عمران بن مَخْزُوم، والصحيح ما قاله ابنُ هِشام؛ لأنَّ الزُّبيريِّينَ ذكروا أن عَبْدًا هو أخو عائِذ بن عِمْرانَ، وأنّ بنتَ عبدٍ هي: صَخْرَةُ امرأةُ عَمْرو بن عائذٍ على قول ابن إسحٰق؛ لأنها كانت له عَمَّةً، لا بنتَ عمٍّ، فتأمله، فقد تكرر هذا النسَب في السيرة مرارًا، وفي كل ذلك يقول ابن إسحٰق: عائذ بن عَبْد بن عِمْران، ويخالفه ابنُ هِشام[1]. وصَخْرَةُ بنت عبدٍ أم فاطمة، أُمها: تَخْمُرُ بنتُ عبد بن قُصَيٍّ، وأُم تَخْمُر: سَلْمَى بنت عُمَيْرَةَ بن وَدِيعة بن الحارث بن فِهْرٍ. قاله الزُّبَيْر[2].

---

(١) انظر نسب قريش للزبيري (١٧) ونسب قريش للسدوس (٥).
(٢) انظر نسب قريش للزبيري (١٧) وفيه: «سلمى بن عامر بن عميرة».

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحٰق: وكان عبدُ المطَّلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نَذَر حين لَقِي من قُريش ما لقي عند حَفْر زمزم: لئن وُلد له عشرةُ نَفَر، ثم بلغوا معه حتى يَمْنَعوه، لَيَنْحَرنّ أحدَهم لله عندَ الكعبة. فلما توافى بنوه عشرةً، وعرف أنهم سيمنعونه، جَمَعهم، ثم أخبرهم بنَذْره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نَصْنَع؟ قال: ليأخذ كلّ رجل منكم قِدْحًا ثم يكتب فيه اسمَه، ثم ائتوني، ففعلوا، ثم أَتَوْه، فدخل بهم على هُبَل في جَوْف الكعبة، وكان هُبَل على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة.

وكان عند هُبَل قِداح سَبْعة، كل قِدْح منها فيه كتاب. قِدْح فيه العَقْل، إذا اختلفوا في العَقْل مَنْ يَحْمِله منهم، ضربوا بالقداح السَّبعة، فإن خرج العَقْل فَعَلى مَنْ خرَجَ حَمْلُه. وقِدْح فيه: نعم. للأمر إذا أرادوه يُضرب، به في القِداح، فإن خرَج قِدْح نعم، عملوا به. وقِدْح فيه: لا، إذا أرادوا أمرًا ضربوا به في القِداح، فإن خرج ذلك القِداح لم

نذر عبد المطلب

فصل: وذكر نذَر عبد المطلبِ أن ينحَر ابنه إلى آخر الحديث. وفيه أن عبدَ الله، يعني: والدَ رسول الله - ﷺ - كان أصغَر بني أبيه، وهذا غيرُ معروف، ولعلَّ الروايةَ: أصغر بني أُمّه، وإلا فحمزَةُ كان أصغَر من عبد الله، والعباسُ: أصغُر من حَمْزَةَ، ورُوِيَ عن العباس - رضي اللّهُ عنه - أنه قال: أذكر مولد رسولِ الله - ﷺ - وأنا ابنُ ثلاثةِ أعوام أو نحوِها، فجيء بي حتى نظرت إليه، وجعل النِّسْوةُ يقلن لي: قَبِّلْ أخاك، قَبِّلْ أخاك، فقبلْتُه، فكيف يصحّ أن يكونَ عبدُ الله هو الأصغر مع هذا؟! ولكن رواه البَكَّائِيُّ كما تقدم، ولروايته وجه، وهو أن يكونَ أصغرَ ولد أبيه حين أرادِ نحرَه، ثم وُلد له بعد ذلك حَمْزَةُ والعباسُ.

وسائرُ حديث عبد المطلب ليس فيه ما يُشْكِل. وفيه أن الدِّيةَ كانت بِعشْرِ من الإبل قبل هذه القصة: وأول مَن وُدِي بالمائة إذًا: عبد الله. وقد قَدَّمْنَا ما ذكره الأَصْبَهَانِيُّ عن أبي اليَقْظَانِ أن أبا سَيَّارة هو أول مَن جَعَلَ الدِّيَةَ مائةً من الإبل، وأما أولُ مَنْ وُدِي بالإبل من العربِ: فَزَيْدُ بن بَكْر بن هَوَازِن قتله أخوه معاويةُ جَدُّ بني عامر بن صَعْصَعَةَ.

وأما الكاهنةُ التي تحاكموا إليها بالمدينة فاسمها: قُطْبَةُ. ذكرها عبد الغني في كتاب الغوامض والمبهمات، وذكر ابن إسحٰق في رواية يونس أن اسمها: سَجَاح[1].

(١) انظر البداية (٢/ ٢٣٠).

يفعلوا ذلك الأمر، وقِدْح فيه: مِنكم، وقِدْح فيه مُلْصَق: وقدح فيه: مِنْ غيرِكم. وقِدْح فيه: المياه، إذا أرادوا أن يَحْفِروا للماء ضَرَبوا بالقِداح، وفيها ذلك القِدْح، فحيثما خرَج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا، أو يُنْكِحوا منكحًا، أو يَدْفنوا مَيْتًا، أو شكّوا في نسب أحدهم، ذَهبوا به إلى هُبَل وبمِئة درهم وجَزور، فأعْطَوْها صاحبَ القِداح الذي يَضْرب بها، ثم قرّبوا صاحبَهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلٰهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا، فأخْرِج الحقَّ فيه. ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب، فإن خرج عليه: منكم، كان منهم وسيطًا، وإن خَرَج عليه: من غيرِكم، كان حَليفًا، وإن خَرَج عليه: مُلْصَق، كان على مَنْزلته فيهم، لا نَسَب له، ولا حِلف، وإن خرج فيه شيء، مما سِوَى هذا ممَّا يَعمَلون به: نعم عملوا به، وإن خرج: لا، أخَّروه عامَه ذلك، حتى يأتوه به مرّةً أُخْرى، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجتْ به القِداح.

فقال عبدُ المطلب لصاحب القِداح: اضربْ على بنيَّ هؤلاء بقِداحهم هذه، وأخبَره بنذره الذي نَذَر، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغَر بني أبيه، كان هو والزُّبير وأبو طالب لفاطمة بنت عَمْرو بن عائذِ بن عبد بن عِمْران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فَهْر.

قال ابن هشام: عائذ بنُ عِمْران بن مَخْزوم.

قال ابن إسحٰق: وكان عبد الله ـ فيما يزعمون ـ أحبَّ وَلَدِ عبد المطَّلب إليه، فكان عبدُ المطلب يرى أن السَّهْمَ إذا أخطأه فقد أشْوَى. وهو أبو رسول الله ـ ﷺ ـ فلما أخذ صاحبُ القِداحِ القداحَ ليضرب بها، قام عبدُ المطلب عند هُبَل يدعو الله، ثم ضرب صاحبُ القِداح، فخرج القِدْحُ على عبد الله، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشَّفرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قُرَيش وبَنوه: والله لا تذبحه أبدًا، حتى تُعْذَر فيه. لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبَحَهُ، فما بقاء الناس على هذا؟! وقال له المُغيرة بن عبد الله بن عَمْرو بن يَقَظة ـ وكان عبد الله ابنَ أُخت القوم: والله لا تذبحه أبدًا، حتى تُعْذِر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فَدَيْناه. وقالت له قريش وبَنوه. لا تفعل، وانطلق به إلى الحجاز، فإنَّ به عَرَّافة لها تابع، فسَلْها، ثم أنت على رأس أمْرك، إن أمرتكَ بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فَرَج قَبِلْته.

....

فانطلقوا حتى قَدِموا المدينةَ، فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخَيْبر. فركبوا حتى جاؤوها، فسألوها، وقصّ عليها عبدُ المطَّلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونَذْره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عني اليومَ حتى يأتيني تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم غَدَوْا عليها، فقالت لهم: قد جاءني الخبرُ، كما الدّية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قرِّبوا صاحبَكم، وقرّبوا عشرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها، وعليه بالقِداح، فإن خرجت على صاحبكم، فزيدُوا من الإبل حتى يَرْضى ربُّكم، وإنْ خرجتْ على الإبل فانحروها عنه، فقد رَضِي ربُّكم، ونجا صاحبُكم.

فخرجوا حتى قَدِموا مكةَ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر، قام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم قرّبوا عبدَ الله وعشرًا من الإبل، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هُبَل يدعو الله عزّ وجلّ!! ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبلُ عشرين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجلّ، ثم ضربوا فخرَج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبدُ المطَّلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرَج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل أربعين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل خمسين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرَج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل ستِّين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل سبعين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضرَبوا فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبدُ المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل تِسْعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبد الله، فزادوا عشرًا من الإبل، فبلغت الإبل مئة، وقام عبدُ المطَّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرَج القِدْح على الإبل، فقالت قريش ومَنْ حضر: قد انتهى رِضا ربِّك يا عبدَ المطلب، فزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات، فضربوا على عبد الله، وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله، فخرج القِدْح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فخرج القِدْح على الإبل، ثم عادوا الثالثة، وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدْح على الإبل: فنُحِرَت: ثم تُركت لا يُصَدّ عنها إنسان ولا يُمْنع.

....

قال ابن هشام: ويقال: إنسان ولا سَبُعٌ.

قال ابن هشام: وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصحّ عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر.

ذكر المرأة المتعرّضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحٰق: ثم انصرف عبدُ المطلب آخذًا بيد عبد الله، فمرّ به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أَسَد بن عبد العزى بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهر: وهي أُخت وَرَقة بن نَوفل بن أسد بن عبد العُزّى: وهي عند الكعبة: فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أي تذهب يا عبد الله؟ قال: مع أبي. قالت: لك مثلُ الإبل التي نُحِرتْ عنك: وقَعْ عليّ الآن. قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خِلافَه. ولا فراقه.

تزويج عبد الله

فصل: وذكرَ تزويجَ عبدِ اللّهِ بن عبدِ المطلبِ آمنةَ بنت وَهْب، وذكر الْبَرْقِيُّ في سَبَبِ تَزويجِ عبدِ اللّهِ آمنةَ: أن عبدَ المطلبِ كان يأتي اليمنَ، وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم، فنزل عنده مَرّةً، فإذا عندَه رجلٌ مِمَّن قرأ الكتبَ، فقال له: ائْذَنْ لي أَقِسْ مَنْخِرَكَ[1]، فقال: دُونَك فانظر، فقال: أرى نُبُوّةً ومُلْكًا، وأراهما في الْمَنَافَيْن: عبدِ منافِ بن قُصَيّ، وعبدِ مَنَافِ بن زهرة، فلما انصرف عبدُ المطلب انطلق بابنه عبدِ الله، فتزوج عبدُ الْمُطّلِبِ هالَة بنتَ وُهَيْبٍ، وهي أُم حمزة - رضي الله - عنه، وزَوّج ابنَه عبدَ اللّهِ آمنةَ بنت وَهْبٍ، فولدت له رسول الله - ﷺ -.

حول أُمهات النبي ﷺ:

وذكر أُمَّها وأُمّ أُمّها، والثالثةَ وهي: بَرّةُ بنت عَوْفٍ، وقد قدّمنا في أول المولدِ ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة ونسبهنّ، فلْيُنْظَر هنالك.

وأمّا أُمُّ هالة فهي: الْعَبْلَةُ بنت المطلب، وأُمها خديجة بنت سُعَيْد بن سَهْم، وقد أُشكل على بعض الناسِ في هذا الخبر أن عبدَ المطلب نَذَر نَحر أحدِ بنيه إذا بلغوا عشرة، ثم ذكر ابنُ إسْحَٰق أن تزويجَه هالَة أُمّ ابنةِ حَمزةَ كان بعد وفاته بِنذره، فحمزةُ والعباس - رضي الله عنهما - إنما وُلدا بعد الوفاء بنذره، وإنما كان جميعُ أولاده عشرة. ولا إشكال

---

(١) منخرك: أنفك.

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهر - وهو يومئذ سيِّد بني زُهرة نسبًا وشرَفًا - فزوّجه ابنته آمنة بنتَ وَهْب، وهي يومئذ أفضلُ امرأة في قُرَيش نسبًا وموضعًا.

وهي لِبَرّة بنت عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَيّ بنِ كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر. وبَرّة: لأمّ حَبيب بنت أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأُمّ حَبيب: لِبَرّة بنت عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عَديّ بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر.

فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكها مكانَه، فوَضع عليها، فحملتْ برسول الله - ﷺ - ثم خرج من عندها، فأتى المرأة التي عرضتْ عليه ما عرضتْ، فقال لها: مالك لا تَعْرِضين عليّ اليومَ ما كنتِ عرضْتِ عليّ بالإمس؟ قالت له: فارقك النورُ الذي كان معك بالأمس[1]، فليس [لي] بك اليومَ حاجةٌ. وقد كانت تَسْمع من أخيها ورقةَ بن نَوْفل - وكان قد تنصَّر واتَّبع الكُتُبَ: أنه كائنٌ فِي هذه الأمة نبيّ.

في هذا، فإن جماعةً من العلماء قالوا: كان أعمامُهُ - عليه السلام - اثْنَيْ عشرَ، وقاله أبو عُمَر، فإن صحّ هذا فلا إشكالَ في الخبر، وإن صحّ قولُ مَن قال: كانوا عشرةً بلا مزيدٍ، فالولدُ يقع على البنين وبنيهم حقيقةً لا مجازًا، فكان عبدُ المطلب قد اجتمع له من وَلَدِه وَوَلَدِ وَلَدِه عشرةُ رجالٍ حين وَفى بنذرِه.

المرأة التي دعت عبد الله:

ويروى أن عبدَ اللّهِ بن عبد المطلب حين دعته المرأةُ الأسَدِيَّة إلى نفسها لِمَا رأت في وجهِ من نورِ النُّبُوّة، ورجت أن تحملَ بهذا النبي، فتكون أُمَّه دون غيرها، فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا:

أمـا الْـحَـرَامُ فـالْـحِـمَـامُ دونَـهْ ... والـحِـلُّ لا حِـلَّ فـأَسْـتـبـيـنَـهْ

فـكـيـف بـالأمْـرِ الـذي تَـبْـغـيـنَـه ... يـحـمـي الـكريـمُ عِـرْضَـه ودينَـهْ؟!

واسم هذه المرأة: رقيةُ بنت نَوْفل أُختُ ورقة بن نَوْفل؛ تُكَنّى: أُمَّ قتال، وبهذه الْكُنْيَةِ وقع ذكرُها في رواية يُونُسَ عن ابن إسحٰقِ، وذكر الْبَرْقِيُّ عن هِشام بن الْكَلْبيِّ، قال: إنما مرّ على امرأةٍ اسمها: فاطمة بنت مُرٍّ، كانت من أجمل النساء وأعفّهنّ، وكانت قرأت

---

(١) تقدم الكلام على خرافة النور المحمدي الذي كان في جبهة أبينا آدم عليه السلام وانتقال هذا النور عند احتضاره إلى ولده شيث، وهكذا حتى وصل إلى عبد الله بن المطلب ثم إلى النبي ﷺ.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبي إسحٰقُ بن يَسار: أنه حُدّث، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وَهْب، وقد عمل في طين له، وبه آثارٌ من الطين، فدعاها إلى نفسه، فأبطأت عليه لِمَا رأت به من أثَر الطين، فخرج من عندها فتوضّأ وغَسَل ما كان به من ذلك الطين، ثم خرج عامدًا إلى آمنة، فمرّ بها، فدعَتْه إلى نفسها، فأبَى عليها، وعَمَد إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها، فحملتْ بمحمد ـ ﷺ ـ ثم مرّ بامرأته تلك: فقال لها: هل لك؟ قالت: لا، مررتَ بي وبين عَيْنَيك غُرّة بيضاء، فدعوتُك فأبيتَ عليّ، ودخلتَ على آمنة فذَهَبَتْ بها.

قال ابن إسحٰق: فزعموا أن امرأته تلك كَانت تحدّث: أنه مرّ بها وبين عَيْنيه غُرّةٌ مثل غُرّة الفَرَس، قالت: فدعوتُه رَجاءَ أن تكون تلك بي، فأبَى عليّ، ودخل على آمنة، فأصابها، فحملتْ برسول الله ـ ﷺ ـ فكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ أوْسَطَ قومه نسبًا، وأعظمَهم شرفًا من قِبَل أبيه وأُمّه ـ ﷺ ـ.

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله ﷺ:

ويزعمون ـ فيما يتحدّث الناس والله أعلم ـ أنّ آمنة ابنة وَهْب أُمّ رسول الله ـ ﷺ ـ كانت تحدّث:

أنها أُتِيَتْ، حين حمَلتْ برَسول الله ـ ﷺ ـ فقيل لها: إنك قد حملتِ بسيِّد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض، فقُولي: أُعِيذه بالواحد، من شرّ كلّ حاسد، ثم سمّيه: محمدًا. ورأتْ حين حملت به أنه خرَج منها نورٌ رأتْ بَه قُصور بُصْرى، من أرض الشام[1].

ثم لم يلبثْ عبدُ الله بن عبد المطلب، أبو رسول الله ـ ﷺ ـ أنْ هلَك، وأُمُّ رسول الله ـ ﷺ ـ حاملٌ به.

الكتبَ، فرأت نورَ النُّبُوّةِ في وجهِه، فدعته إلى نكاحِها، فأبى، فلما أبى قالت:

إنــي رأيــتُ مُـخِـيـلَـةً نَـشَـأَتْ ... فَـتَـلألأَتْ بِـحَـنـاتِـم[1] الْـقَـطْـرِ

فَـلَـمَـأْتُـهـا[2] نُـورًا يُـضـيء بـه ... مـا حَـولَـه كـإضـاءَةِ الْـفَـجْـرِ

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٩٨) وابن الجوزي في المنتظم (٢/٢٤٨) والطبري في تاريخه (١/٤٥٣) وأبو نعيم في الدلائل (٩٤). وقال الحافظ: صححه الحاكم وابن حبان. وانظر الكامل (١/٣٥٥) والخصائص للسيوطي (١/٧٨).

(٢) الحناتم: السحاب السوداء لامتلائها بالماء. (٣) فلمأتها: أي أبصرتها.

ورأيتُ سُقْيَاهَا حَيَا بَلَدٍ وَقَعَتْ به وعِمَارَةَ الْقَفْرِ
ورأيتُه شَرَفًا أبوء به ما كُلُّ قادِحِ زَنْدِه يُورِي
لِلَّهِ ما زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ منك الذي اسْتَلَبَتْ وما تَدْرِي

وفي غريب ابن قتيبة: أن التي عرضت نفسها عليه هي: ليلى الْعَدَوِيَّة[1].

(١) انظر الفتح (٤١٧/١١). والبداية لابن كثير (٢/ ٢٣١- ٢٣٣) والطبري في تاريخه (٤٥٣/١) والكامل لابن الأثير (١/ ٣٥٥) وطبقات ابن سعد (٩٨/١) والمنتظم لابن الجوزي (٢٤٢/٢) والخصائص للسيوطي (٦٨/١). والحديث أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٩١).

ولادة رسول الله ﷺ

قال حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحٰق قال: وُلد رسول الله - ﷺ - يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأوّل، عامَ الفيل[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني المطّلب بن عبد الله بن قَيْس بن مَخْرَمَةَ عن أبيه عن جَدّه قيس بن مَخْرَمَةَ. قال:

ولدتُ أنا ورسولُ الله - ﷺ - عامَ الفيل: فنحن لِدَتَانِ[2].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف، عن يحيىٰ بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَعْدِ بن زُرَارَةَ الأنصاريّ. قال: حدّثني مَن

فصل في المولد

في تفسير بَقِيّ بن مَخْلَد أن إبليسَ - لعنه اللّهُ - رَنَّ أربعَ رَنَّاتٍ[3]: رَنَّة حين لُعِن، ورَنَّة حين أُهْبِطَ، ورَنَّة حين وُلِد رسولُ الله - ﷺ - ورَنَّة حين أُنزلت فاتحةُ الكتاب. قال: والرَّنينُ والنُّخارُ[4] من عملِ الشيطانِ. قال: ويُكرَه أن يقال: أُمّ الكتابِ، ولكن: فاتحةُ الكتاب[5]. ورُوِيَ عن عُثْمانَ بن أبي العاص عن أُمه أُمّ عثمان الثَّقَفِيَّة، واسمُها: فاطمةَ بنت عبد الله،

---

(١) إسناده ضعيف - لضعف البكائي - تقدمت ترجمته غير مرة. وانظر في تاريخ الولادة طبقات ابن سعد (١/ ١٠٠ - ١٠١) والبداية (٢/ ٢٤٢) والمنتظم (٢/ ٢٤٥) والدلائل لأبي نعيم (١١٠).

(٢) أخرجه أحمد والبيهقي.

(٣) الرنة: الصيحة.

(٤) النخار: صوت يخرج من الخياشيم.

(٥) انظر للمحقّق: «اللباب في تفسير فاتحة الكتاب».

شِئْت[1] من رجال قومي عن حسَّان بن ثابت، قال: والله إني لغلام يفَعَة، ابن سبع سنين أو ثمان، أعْقِل كلَّ ما سمعت، إذ سمعتُ يهوديًا يصرخ بأعلى صوته على أطَمَةٍ بيَثْرِبَ: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك ما لك؟! قال: طَلَع الليلةَ نجمُ أحمد الذي وُلد به[2].

قال محمد بن إسحٰق: فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت، فقلت: ابْنُ كَمْ كان حسَّان بن ثابت مَقْدَمَ رسول الله - ﷺ - المدينة؟ فقال: ابن ستِّين، وقَدِمَها رسول الله - ﷺ - وهو ابن ثلاث وخَمْسين سنةً، فسمع حسَّانُ ما سَمِع، وهو ابن سبع سنين.

قال ابن إسحٰق: فلما وضعتْه أُمُّهُ - ﷺ - أرسلت إلى جدّه عبدِ المطلب: أنه قد وُلد لك غلام، فأْتِه فانظر إليه، فأتاه فنظر إليه، وحدَّثَتْه بما رأت حين حَمَلتْ به، وما قيل لها فيه، وما أُمرتْ به أن تُسمِّيه.

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه، فدخل به الكعبةَ، فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أُمِّه فَدَفعه إليها، والتمس لرسول الله - ﷺ - الرضعاء.

قالت: «حضرتُ ولادَةَ رسولِ الله - ﷺ - فرأيتُ البيتَ حين وُضعَ قد امتلأ نورًا، ورأيت النجومَ تدنو حتى ظننتُ أنها ستقع عَلَيّ»[3]. ذكره أبو عُمَر في كتاب النساء. وذكره الطَّبَرِيُّ أيضًا في التاريخ. ووُلِد رسولُ الله - ﷺ - مَعْذُورًا مَسْرُورًا، أي: مَخْتُونًا مَقْطوع السُّرَّة يقال: عُذِرَ الصَّبِيُّ وأُعْذِر. إذا خُتِن[4]، وكانت أُمُّه تحدِّث أنها لم تجد حين حَمَلَتْ به ما تجده الحوامِلُ من ثِقَلٍ ولا وَحَمٍ، ولا غير ذلك، ولما وضعته - ﷺ - وقع إلى الأرضِ مَقْبُوضَة

---

(١) مجاهيل.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٤٨٦) أخرجه أبو نعيم (٩٩) والبيهقي (١/ ١١٠) كلاهما في الدلائل.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٩٣) والبيهقي في الدلائل (١/ ١١١) وأورده الهيثمي من المجمع (٨/ ٢٢٠) وقال: رواه الطبراني وفيه: عبد العزيز بن عمران وهو متروك. والطبري في تاريخه (١/ ٤٥٤). وأورده ابن الجوزي في المنتظم (٢/ ٢٤٧) وابن الأثير في الكامل (١/ ٣٥٦). وفي شرح المواهب (١/ ١٦٣): «والصحيح أن ولادته عليه الصلاة والسلام كانت نهارًا لا ليلاً».

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم وابن عساكر من طرق متعددة أن النبي ﷺ قال: «من كرامتي على ربي أني ولدت مختونًا ولم يرَ أحد سوأتي». وعن ابن عمر أنه قال: «ولد النبي ﷺ مسرورًا مختونًا». وقد صحّحه الحافظ المقدس من «المختارة» وحسّنه الحافظ مغلطاي. وضعف الحافظ ابن كثير في البداية (٢/ ٢٤٧) أحاديث الختان. ويقول ابن القيّم رحمه الله تعالى في الزاد (١/ ٨١): «ليس فيه حديث ثابت، وليس هذا من خواصّه، فإن كثيرًا من الناس يولد مختونًا». وانظر الخصائص للسيوطي (١/ ٩٠).

أصابعُ يديه، مُشيرًا بالسَّبَّابَةِ كالْمُسبِّح بها، وذكر ابنُ دُرَيْدٍ أنه أُلقيت عليه جَفْنَةٌ لئلا يراه أحدٌ قبل جدّه، فجاء جدُّه، والْجَفْنَةُ قد انفَلَقَتْ عنه، ولما قيل له: ما سَمَّيْتَ ابنَك؟ فقال: محمدًا، فقيل له: كيف سَمَّيْت باسمٍ ليس لأحدٍ من آبائك وقومِك؟ فقال: إني لأرجو أنْ يَحْمَدَه أهلُ الأرضِ كلُّهم[1]، وذلك لرؤيا كان رآها عبدُ المطلب، وقد ذكر حديثَها عَلِيٌّ الْقِيرَوَانِيُّ العابِر في كتابِ الْبُستان. قال: كان عبدُ المطلبِ قد رأى في منامه كأنَّ سِلْسِلَةً من فِضَّةٍ خرجت من ظَهْرِه لها طَرَفٌ في السماءِ وطَرَفٌ في الأرضِ، وطرف في المشرقِ، وطَرَف في الْمَغْرِب، ثم عادت كأنها شَجَرةٌ، على كُلِّ ورقة منها نورٌ، وإذا أهلُ المشرِقِ والْمَغرِبِ كأنهم يَتَعَلَّقُون بها، فقَصَّها، فَعُبِّرت له بمولودٍ يكون من صُلْبِه يَتَّبِعه أهلُ المشرقِ والمغربِ، ويَحْمَدُه أهلُ السماءِ والأرضِ، فلذلك سَمَّاه: محمدًا مع ما حَدَّثته به أُمه حين قيل لها: إنك حَمَلْتِ بسيد هذه الأُمَّةِ، فإذا وَضَعْتِه فسَمِّيه مُحمدًا. الحديث[1].

اسم محمد وأحمد[2]:

قال المؤلف: لا يُعْرَفُ في العربِ مَن تَسَمَّى بهذا الاسم قبله ـ ﷺ ـ إلا ثلاثة طمع آباؤهم ـ حِين سمعوا بذكر محمد ـ ﷺ ـ وبقرب زمانه، وأنه يُبعث في الحجاز ـ أن يكون ولدًا لهم. ذكرهم ابنُ فَوْرَكٍ في كتابِ الفصول، وهم: محمد بن سفيان بن مُجاشع، جَدُّ جَدِّ الْفَرَزْدَقِ الشاعرِ، والآخرُ: مُحمَّد بن أُحَيْحَة بن الجُلاَحِ بنِ الْحَرِيشِ بن جمحى بن كُلْفَة بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بنِ مالك بن الأَوْسِ، والآخر: محمد بن حُمْران بن رَبيعة، وكان آباءُ هؤلاء الثلاثة قد وَفَدوا على بعضِ الملوكِ، وكان عنده عِلمٌ من الكتابِ الأوَلِ، فأخبرهم بمبعثِ النبي ـ ﷺ ـ وباسمه، وكان كلُّ واحدٍ منهم قد خَلَّف امرأته حاملاً، فنذَر كلُّ واحدٍ منهم: إن وُلد له ذَكَر أن يُسَمِّيَه محمدًا، ففعلوا ذلك.

قال المؤلف: وهذا الاسم منقول من الصفة، فالْمُحَمَّدُ في اللغة هو الذي يُحْمَد حَمْدًا بعد حمد، ولا يكون مُفَعَّل مثل: مُضَرَّب ومُمَدَّح إلا لمَن تكرر فيه الفعلُ مرة بعد مرة.

---

(١) أخرجه أبو نعيم (٨٥).

(٢) انظر في وجه تسمية النبي ﷺ «محمد وأحمد» أيضًا ـ «جلاء الأفهام» للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى. آمين. وله أيضًا بحث طبي في نفس الموضوع فانظره ـ في الزاد (٨٦/١). ومن أسمائه أيضًا ﷺ كما ورد في الصحيح أنه هو: الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وهو العاقب الذي ليس بعده نبي، وهو أيضًا الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه ـ ﷺ ـ. انظر البخاري (٨/ ٤٩٢) ومسلم في الفضائل (٢٣٥٤) والترمذي (٢٨٤٢). وقد قام بعض سَفَهَة الصوفية بتسميته تسعة وتسعين اسمًا وقالوا إن هذا «من» أسمائه!!!.

وأما أحمد فهو اسمُه - ﷺ - الذي سُمِّيَ به على لسان عيسى وموسى - عليهما السلام -، فإنه منقول أيضًا من الصِّفَة التي معناها التَّفْضيلُ، فمعنى أحمد: أي أَحْمَدُ الحامدين لربه، وكذلك هو المعنى؛ لأنه تُفْتَح عليه في المقام المحمود مَحامد لم تُفْتَح على أحد قبله، فيحمَد ربَّه بها؛ ولذلك يُعْقَد له لواءُ الحمد.

وأما محمد فمنقول من صِفة أيضًا، وهو في معنى: مَحْمود. ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار، فالمحمَّدُ هو الذي حُمِد مرة بعدَ مَرَّة، كما أن الْمُكَرَّمَ مَنْ أُكرِم مرة بعد مرة، وكذلك: الْمُمَدَّح، ونحو ذلك. فاسم محمد مطابق لمعناه، والله - سبحانه - وتعالى سمّاه به قبل أن يُسَمِّي به نَفسه، فهذا عَلَم من أعلام نبوّته؛ إذ كان اسمه صادقًا عليه، فهو محمود - عليه السلام - في الدنيا بما هَدَى إليه، ونَفَع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشَّفَاعَةِ، فقد تكرر معنى الحمدِ كما يقتضي اللفظُ، ثم إنه لم يكن محمَّدًا، حتى كان أحْمَدَ حُمِّدِ رَبَّه فنبَّأه وشرَّفه؛ فلذلك تقدم اسمُ أحمدَ على الاسم الذي هو مُحمَّدٌ، فذكره عيسى - ﷺ - فقال: اسمُه أحمدُ، وذكره موسى - ﷺ - حين قال له ربُّه: تلك أمة أحمدَ، فقال: اللَّهمَّ اجعلني من أمة أحمدَ[1]، فبأحمد ذُكر قبل أن يُذْكر بمحمد؛ لأن حمدَه لربه كان قبلَ حَمْدِ الناسِ له، فلما وُجد وبُعث، كان محمدًا بالفعل.

وكذلك في الشفاعة يَحْمَد رَبَّه بالمحامدِ التي يفتحها عليه، فيكون أحمدَ الحامدين لربه، ثم يُشَفَّع فيُحْمَد على شفاعته. فانظر: كيف ترتب هذا الاسمُ قبل الاسم الآخر في الذكرِ والوجودِ، وفي الدنيا والآخرة تَلُحْ لك الحِكمةُ الإلـٰهيةُ في تخصيصِه بهذين الاسمين، وانظر: كيف أُنزلت عليه سورةُ الحمد وخُصَّ بها دون سائر الأنبياء[2]، وخصّ بلواء الحمد، وخصّ بالمقام المحمود، وانظر: كيف شرع لنا سُنَّةً وقرآنًا أن نقولَ عند اختتام الأفعال، وانقضاء الأمور: الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وقُضي بينهم بالحقِّ وقيل الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين﴾[3] [الزمر: ٧٥]. وقال أيضًا: ﴿وآخرُ دَعْواهم أنِ الحمدُ للَّهِ

---

(١) حديث ضعيف. وما كان لموسى الكليم عليه السلام أن يعقب أو يردّ قدر الله تعالى الذي «لا معقب لحكمه».

(٢) يعني فاتحة الكتاب.

(٣) وقيل: قال بعضهم إن هذه الكلمة «الحمد لله رب العالمين» يقولها أهل الجنة وأهل النار بعد دخول كلٍّ منهم إلى داره التي أسكنه الله إياها. فيحمده أهل النار على أن قضى بينهم بالحق ولم يظلمهم شيئًا، بل كانوا أنفسهم يظلمون، وقيل: أن «قيل» إشارة إلى أن السمٰوات والأرض والكون كله يقولها.

ربُّ العالمين﴾ [يونس: ١٠]. تنبيهًا لنا على أن الحمدَ مَشروعٌ لنا عند انقضاءِ الأمور. وسَنَّ - ﷺ - الحمدَ بعد الأكل والشرب، وقال عند انقضاءِ السفر: آيِبُون تائبون عابِدون لِرَبِّنَا حامدُون[١].

ثم انظر لكونه - عليه السلامُ - خاتَمَ الأنبياءِ، ومؤذنًا بانقضاء الرسالة، وارتفاعِ الوحي، ونذيرًا بقرب الساعة وتمامِ الدنيا مع أن الحمد كما قدّمنا مقْرُونٌ بانقضاءِ الأمورِ، مشروعٌ عنده - تجدْ معانِيَ اسْمَيْهِ جميعًا، وما خُصّ به من الحمد والمحامد مُشَاكلاً لمعناه، مطابقًا لصفتِه، وفي ذلك بُرهانٌ عظيمٌ، وعَلَمٌ واضِحٌ على نُبُوّتِهِ، وتخصيصُ الله له بكرامتِه، وأنه قَدَّم له هذه الْمُقَدِّماتِ قبل وجوده تَكْرِمَةً له، وتَصْدِيقًا لأمره - ﷺ - وشرف وكرم.

تعويذ عبد المطلب:

وذُكِرَ أن عبدَ المطلبِ دخل به الكعبةَ وعَوّذه، ودعا له. وفي غير روايةِ ابنِ هشامٍ أنَّ عبد المطلب قال وهو يعوذه:

الحمدُ لله الذي أعطاني ... هذا الغلامَ الطَّيِّبَ الأرْدَانِ
قد ساد في المهْدِ على الغِلْمان ... أُعيذُه بالبيتِ ذِي الأركَانَ
حتى يكونَ بُلْغَةَ الفِتيان ... حتى أراه بالغَ الْبُنْيانِ
أُعيذُه من كل ذي شَنَآن ... من حاسِد مُضْطَرِبِ العِنان
ذِي هِمَّةٍ ليس له عينان ... حتى أراه رافعَ السَّان
أنت الذي سميتَ في القرآنِ ... في كتبٍ ثابتةِ الْمثاني
أَحْمَدُ مكتوبٌ على البيان[٢]

تاريخ مولده:

فصل: وذكر أن مولدَه عليه السلام كان في ربيع الأول، وهو المعروف وقال الزبير: كان مولده في رمضانَ، وهذا القول موافق لقول مَن قال: إن أُمّه حملت به في أيامِ التَّشْرِيقِ، والله أعلم[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٩) ومسلم في الحج (٤٢٨/٤٢٩) والترمذي (٣٤٤٠) وأحمد (١/٢٥٦).

(٢) الطبقات لابن سعد (١/١٠٣) وابن الجوزي في المنتظم (٢/٢٤٩). والبداية لابن كثير (٢/٢٤٩) ولا صحة لهذا كما يظهر بيّنًا لكل ذي عينين. فتأمل.

(٣) والأول أشهر وأرجح.

وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم، وأنه ـ ﷺ ـ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يومًا، وهو الأكثر والأشهر، وأهلُ الحِسابِ يقولون: وافق مولدُه من الشهورِ الشمسية نيسانَ، فكانت لعشرينَ مضت منه، وولد بالْغَفْر من المنازل، وهو مولد النبيين، ولذلك قيل: خير منزلتين في الأبد بين الزُّنَابَا والأسَد، لأن الغَفْرَ يليه من العقرب زُنَاباها، ولا ضَرَرَ في الزُّنَابا إنما تضرّ العقربُ بذَنبِها، ويليه من الأسد ألْيَته، وهو السِّماك، والأسدُ لا يضرّ بألْيَته إنما يضر بِمخْلَبه ونابِه[1].

ووُلد بالشِّعبِ، وقيل بالدارِ التي عند الصفا، وكانت بعدُ لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، ثم بنتها زُبَيْدةُ مَسْجِدًا حين حجّت.

تحقيق وفاة أبيه:

وذكر أنه مات أبوه، وهو حَمْلٌ، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد. ذكره الدَّوْلابي وغيره، قيل: ابن شهرين، ذكره [أحمد] ابن أبي خَيْثَمَةَ، [زهير بن حرب] وقيل: أكثر من ذلك، ومات أبوه عند أخواله بني النجار، ذهب لِيَمْتَارَ لأهله تمرًا، وقد قيل: مات أبوه، وهو ابن ثمانٍ وعشرين شهرًا، وأنشدوا رَجَزًا لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب:

أوصيك يا عبدَ مَنَافِ بَعْدِي ... بموتم بعد أبيه فَرْدِ

فارقه وهو ضَجِيعُ المهد

وكان بينه وبين أبيه ـ عليه السلام ـ في السن ثمانيةَ عشرَ عامًا.

أبوه من الرضاعة:

وذكر الحارث بن عبد العُزّى أبا رسول الله ـ ﷺ ـ من الرضاعة، ولم يذكر له إسلامًا، ولا ذكره كثير ممّن ألّف في الصحابة، وقد ذكره يونُس بن بكير في روايته، فقال: حدّثنا ابن إسحٰق قال: حدّثني والدي إسحٰق بن يَسار، عن رجالٍ من بني سعد بن بكر[2]، قال: قَدِمَ الحارث بن عبد العُزّى، أبو رسول الله ـ ﷺ ـ من الرضاعة على رسول الله ـ ﷺ ـ بمكةَ حين أُنزل عليه القرآن، فقالت له قريش: ألا تسمع يا حارِ[3] ما يقول ابنُك هذا؟ فقال: وما

(١) لا حاجة بنا إلى هذا الكلام الذي لا طائل تحته إلا الاعتقاد أو التصديق في ربط الإنسان بنجم أو كوكب معين وصلة رزقه وسعادته وتعاسته به.

(٢) مجاهيل.

(٣) ترخيم لحارث ـ كما أن عائش ـ ترخيم عائشة.

قال ابن هشام: المراضع. وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وحَرَّمْنَا عَلَيْه المرَاضع﴾[1].

يقول؟ قالوا: يزعم أن الله يَبعث بعد الموت، وأن لِلّهِ دارين يعذّب فيهما مَن عصاه، ويكرم فيهما مَن أطاعه، فقد شتَّت أمرَنا، وفرّق جماعتنَا. فأتاه، فقال: أيْ بُنَيِّ ما لَك ولقومِك يشكونك، ويزعمون أنك تقول: إن الناسَ يُبعثون بعد الموت، ثم يصيرون إلى جنةٍ ونار؟ فقال رسول الله - ﷺ -: «نعم أنا أزعم ذلك، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت، لقد أخذت بيدِك، حتى أُعرّفك حديثَك اليوم»، فأسلم الحارثُ بعد ذلك، وحَسُن إسلامه، وكان يقول حين أسلم: لو قد أخذ ابني بيدِي، فعرّفني ما قال، ثم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلَني الجنة[2].

تحقيق اسم ناصرة بن قصية:

وذكرنَا صِرَة بن قُصَيَّةَ في نسب حليمة. وهو عندهم: فُصَيَّةُ بالفاءِ تصغير: فَصَاة، وهي النَّواة. ووقع في الأصل في جميع النسخ: قُصَيَّة بالقاف. وقال أبو حَنيفةَ أيضًا: الْفَصَا: حَبُّ الزَّبيبِ، وهو من هذا المعنى.

الشيماء:

وذكر الشَّيْماءُ أُختَ رسولِ الله - ﷺ - من الرضاعة، وقال في اسمها: خِذامة بكسر الخاءِ المنقوطة، وقال غيره: حُذَافَة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحٰق، وكذلك ذكره أبو عُمَرَ في كتاب النساء.

شرح ما في حديث الرضاع:

الرضعاء والمراضع:

قال ابن إسحٰق: فالتمس لرسول الله - ﷺ - الرُّضَعَاء. قال ابنُ هشام: إنما هو الْمَراضِع. قال: وفي كتاب الله سبحانه: ﴿وحَرّمنا عليه الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢] والذي قاله ابنُ هشام ظاهر؛ لأن المراضِع جمعُ: مُرْضِع، والرُّضَعَاءُ: جَمْعُ رَضيع، ولكن لرواية ابن إسحٰق مَخْرَجٌ من وجهين، أحدهما: حذف المضافِ كأنه قال: ذَوَات الرُّضَعاءِ، والثاني: أن يكونَ أراد بالرُّضَعَاءِ: الأطْفَالَ على حقيقةِ اللفظ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرضِعة تُرضِعه، فقد وجدوا له رضيعًا، يَرضَع معه، فلا يبعد أن يقال: الْتَمِسُوا له رَضِيعًا، عِلْمًا بأنَّ الرضيعَ لا بدَّ له من مُرْضِع.

---

(١) سورة القصص آية رقم (١٢).

(٢) لم يبرّزه أحد من أصحاب الصحاح.

قال ابن إسحٰق: فاسترضع له امرأةً من بني سَعْدِ بن بكر، يقال لها: حليمة ابنةُ أبي ذُؤَيب.

وأبو ذؤيب: عبد الله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر بن رِزَام بن ناصرة بن فُصَيّة بن نَصْر بن سَعْدِ بن بكر بن هوَازن بن مَنْصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان [بن مضر].

واسم أبيه الذي أرضعه - ﷺ - الحارثُ بن عَبْدِ العُزّى بن رفاعة بن مَلاّن بن ناصرة بن فُصيَّة بن نَصْر بن سَعْدِ بن بَكْر بن هَوازن.

قال ابن هشام: ويقال: هلال بن ناصرة.

قال ابن إسحٰق: وإخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأُنَيْسة بنت الحارث، وخِدامة بنت الحارث، وهي الشَّيْمَاءُ، غلب ذلك على اسمها فلا تُعرف في قومها إلا به. وهم لحَليمة بنت أبي ذُؤَيب، عبدِ الله بن الحارث، أمّ رسول الله - ﷺ -.

ويذكرون أن الشَّيْمَاءَ كانت تَحْضُنُهُ مع أُمها إذا كان عندهم.

مرضعاته عليه السلام:

وأرضعتْه - عليه السلام - ثُوَيْبة قبلَ حليمةَ. أرضعته وعمَّه حمزةَ وعبدَ اللّهِ بن جحش، وكان رسولُ الله - ﷺ - يعرف ذلك لثُوَيْبَة، ويصلها من المدينة، فلما افتتح مكةَ سأل عنها وعن ابنها مَسْرُوح، فأُخْبِر أنَّهما ماتا، وسألَ عن قَرابتها، فلم يجد أحدًا منهم حَيًّا. وثُوَيْبَةُ كانت جارِيةً لأبي لَهبٍ، وسنذكر بقيةَ حديثها - إن شاء اللّهُ - عند وفاة أبي لهبٍ.

يغذّيه أو يغدّيه:

وذكر قولَ حَليمةَ: وليس في شارِفنا ما يُغَذِّيه. وقال ابنُ هشام: ما يُغَذِّيه بالذال المنقوطة، وهو أتَمُّ في المعنى من الاقتصار على ذكر الغَداء دون الْعَشَاءِ، وليس في أصل الشيخ روايةٌ ثالثة، وعند بعض الناس روايةٌ غير هاتين وهي يُعْذِبه بعينٍ مُهْمَلة وذال منقوطة وباء مُعَجَمة بواحدة، ومعناها عندهم: ما يُقنعه حتى يرفعَ رأسَه، وينقطعَ عن الرضاع، يقال منه: عَذَبْتُه وأعْذَبْتُه: إذا قطعته عن الشُّرب ونحوه، والعَذُوبُ: الرافعُ رأسَه عن الماء، وجمعه: عُذُوبٌ بالضم، ولا يُعرف فَعُول جُمع على فُعول غيرُه: قاله أبو عُبَيْد والذي في الأصل أَصَحُّ في المعنى والنقل(١).

---

(١) خطّأ الأزهري أبا عبيدة لأن فعولاً لا يكسر على فعول بضم الفاء. وانظر حديث حليمة في البداية=

قال ابن إسحٰق: وحدثني جَهْم بن أبي جَهْم مولى الحارث بن حاطب الْجُمَحِيّ: عن عبد الله بن جَعْفر بن أبي طالب، أو عمَّن حدّثه عنه قال:

كانت حليمة بنت أبي ذُؤَيب السَّعْدية، أُمُّ رسول الله ـ ﷺ ـ التي أرْضعته، تحدّث: أنها خرجتْ من بَلَدها مع زوجها، وابن لها صغير تُرضعه في نِسْوة من بني سَعْد بن بَكْر، تلتمس الرضعاء، قالت: وذلك في سنة شَهْباء، لم تُبْق لنا شيئًا. قالت: فخرجت على أتان لي قَمْرَاء، معنا شارف لنا، والله ما تَبِضّ بقَطرة، وما ننام ليلَنا أجمعَ من صَبيِّنا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثدييّ ما يُغْنيه، وما في شارفنا ما يُغَدِّيه ـ قال ابن هشام: ويقال: يُغَذِّيه ـ ولكنَّا كنَّا نرجو الغيثَ والفرج، فخرجت على إتاني تلك، فلقد أدَمْتُ بالرَّكْب، حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفًا وعَجَفًا، حتى قَدِمْنا مكة نلتمس

من شرح حديث الرضاعة:

وذكر قولها: حتى أذْمَمْتُ بالركب. تريد: أنَّها حَبَسَتْهُم، وكأنه من الماءِ الدائم، وهو الواقفُ، ويروى: حتى أذَمَّتْ. أي: أذَمَّت الأتانُ، أي: جاءت بما تُذَمُّ عليه، أو يكون من قولهم: بِئْرٌ ذَمَّةٌ، أي: قليلةُ الماء، وليست هذه عند أبي الوليد، ولا في أصل الشيخ أبي بَحرٍ، وقد ذكرها قاسمُ في الدلائلِ، ولم يذكر روايةً أخرى، وذكر تفسيرها عن أبي عُبَيْدَةَ: أذَمَّ بالركب: إذا أبطأ، حتى حَبَسَتْهُمْ: من البئر الذَّمَّةِ، وهي القليلةُ الماء.

وذكر قولَ حليمةَ: فلما وضعتُه في حِجْري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيَ.

وذكر غير ابن إسحٰق أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ كان لا يقبل إلا على ثديها الواحِدِ، وكانت تعرِض عليه الثديَ الآخر، فيأباه كأنه قد أُشعِر ـ عليه السلام ـ أنَّ معه شريكًا في لِبانها، وكان مَفْطورًا على العدل، مَجْبُولاً على المشارَكة والفضل ـ ﷺ ـ.

التماس الأجر على الرضاع:

قال المؤلف: والتماسُ الأجر على الرِّضَاع لم يكن محمودًا عند أكثر نساءِ العربِ، حتى جرى المثلُ: تجوع المرأة ولا تأكل بِثَدْيِيها، وكانَ عند بعضِهنّ لا بأسَ به، فقد كانت حليمةُ وَسِيطة في بني سعد، كريمةٌ من كرائم قومِها، بدليلِ اختيارِ اللّهِ ـ تعالى ـ إيَّاهَا لِرَضاع نبيِّه ـ ﷺ ـ كما اختار له أشرفَ البُطونِ والأصلابِ. والرَّضاعُ كالنسبِ؛ لأنه يُغَيِّر الطباعَ.

= (٢/ ٢٧٣) والبيهقي (١/ ١٣٣) وأبي نعيم (١١١ ـ ١١٣) كلاهما في الدلائل وابن الجوزي في الوفا (١١٩) وابن الجوزي في المنتظم (٢/ ٢٥٩). وحديث ثويبة في البخاري (٩/ ١٢٤).

الرضعاء، فما منّا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله ـ ﷺ ـ فتأباه، إذا قيل لها إنه يَتيم، وذلك: أنّا إنما كنّا نَرْجو المعروفَ من أبي الصبيّ، فكنّا نقول: يتيم! وما عسى أن تَصْنع أُمُه وجَدُّه! فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قَدِمتْ معي إلا أخذتْ رضيعًا غيري، فلمَّا أجْمعنا الانطلاقَ قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجعَ من بين صَواحبي ولم آخذْ رضيعًا، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليَتيم، فلآخذنَّه، قال: لا عليكِ أن تَفْعلي، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً. قالت: فذهبتُ إليه فأخذته، وما حَمَلني على أخذه إلا أني لم أجد غيرَه. قالت: فلما أخذتُه، رجعت به إلى رَحْلي فلما وضعته في حِجْري أقبلَ عليه ثَدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيَ، ثم ناما، وما كنّا ننام معه قبلَ ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لَحَافِلٌ، فحَلب

في المسندِ عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ ترفعه: «لا تَسْتَرْضِعُوا الحَمْقَى؛ فإن اللَّبَنَ يُورث»[1] ويحتمل أن تكونَ حليمةُ ونساءُ قومها طلبن الرُّضَعَاءَ اضطرارًا للأزمة التي أصابتهم، والسَّنَة الشَّهْباء التي اقْتَحَمَتْهم.

لِمَ كانت قريش تدفع أولادها إلى المراضع؟

وأما دَفْع قريشٍ وغيرِهم من أشرافِ العربِ أولادَهُم إلى المراضع، فقد يكون ذلك لوجوهٍ. أحدُها: تفريغُ النساءِ إلى الأزواجِ، كما قال عَمَّارُ بن ياسر لأمِّ سَلَمَةَ ـ رضي الله عنها ـ وكان أخاها من الرضاعة، حين انْتَزَعَ من حِجْرِها زينبَ بنت أبي سَلَمَةَ، فقال: «دَعِي هذه الْمَقْبُوحَة الْمَشْقُوحةَ[2] التي آذيتِ بها رسولَ الله ـ ﷺ ـ» وقد يكون ذلك منهم أيضًا لِيَنْشأ الطفلُ في الأعرابِ، فيكونَ أفصحَ لِلسانِهِ، وأجْلَدَ لِجِسْمِه، وأجدَرَ أن لا يفارقَ الهيئةَ الْمَعَدِّيَّةَ[3] كما قال عُمَرُ رضي الله عنه: تَمَعْدَدُوا وتَمَعْزَزُوا[4] واخْشَوْشِنُوا [رواه ابن أبي حَدْرَد][5]. وقد قال ـ عليه السلام ـ لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ حين قال له: ما رأيت أفصحَ منكَ يا رسولَ اللّهِ، فقال: وما يمنعني، وأنا من قريش، وأُرضِعْتُ في بني سَعْدٍ؟! فهذا ونحوه كان يحملُهم على دَفْع الرُّضَعَاءِ إلى المراضع الأعرابِيّات. وقد ذكر أن عبدَ الملك بن مَرْوانَ كان يقول: أضرَّ بنا حُبُّ الوليد؛ لأنَّ الوَليدَ كان لَحَّانًا، وكان سُلَيْمَانُ

---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٥٢) بلفظ: «لا تسترضعوا الورهاء». والبزار (٢/ ١٦٩) وإسنادهما ضعيف. وأخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٨٠٣) (٧/ ٢٧٣٩) مثله. وهو ضعيف أيضًا.

(٢) المشقوحة: المكسورة أو المبعدة.

(٣) المعدية: نسبة إلى معدّ. وهم أهل غلظة.

(٤) تمعزز: تعزز لحمه.

(٥) أخرجه ابن عساكر (٧/ ٣٥٢) وابن أبي شيبة (٩/ ٢٢) مرفوعًا وإسنادهما ضعيف.

منها ما شَرب، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبَعًا، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصْبحنا: تَعلَّمي والله يا حَليمة، لقد أخذت نَسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أتاني، وحملتُه عليها معي، فوالله لقطعتْ بالرَّكب ما يقدر عليها شيء من حُمُرهم، حتى إنَّ صَواحبي ليقلْن لي: يا ابنة أبي ذُؤَيب، ويحك! ارْبَعِي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأنًا. قالت: ثم قَدِمنا منازلَنا من بلاد بني سَعد. وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدَب منها. فكانت غنَمي تروح عليّ حين قَدِمْنا به معنا شِباعًا لُبَّنًا. فنحلُب ونشرب. وما يحلُب إنسان قَطْرَةَ لبن، ولا يجدها في ضَرْع. حتى كان الحاضرون من قَوْنا يقولون لرُعْيانهم: ويلكم اسْرَحوا حيث يسرَح راعي بنت أبي ذُؤَيب فتَروح أغنامُهم جِياعًا ما تَبِضُ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لُبَّنًا، فلم نزل نتعرّف من الله الزيادةَ والخير حتى مضت سنتاه وفصلتُه؛ وكان يشِبُّ شَبابًا لا يشِبُّه الغِلمان، فلم يبلغ سنَتيْه حتى كان غلامًا جَفْرًا. قالت: فقَدِمْنا به على أُمِّهِ ونحن أحرصُ شيء على مُكثه فينا؛ لما كنَّا نرى من بَرَكته. فكلَّمنا أُمَّه، وقلت لها: لو تركتِ بُنَيّ عندي حتى يغلُظَ، فإني أخشى عليه وبَأمكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردّته معنا.

قالت: فرجعنا به، فوالله إنه بعد مَقْدَمنا بأشهر مع أخيه لفي بَهْم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يَشْتد، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القُرَشي قد أخذه رجُلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقَّا بطنَه، فهما يَسُوطانه قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائمًا مُنْتَقِعًا وجهُه. قالت: فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بنيّ، قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقَّا بطني، فالتمسا شيئًا لا أدري ما هو. قالت: فرجعنا إلى خبائنا.

قالت: وقال لي أبوه: يا حَليمة، لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أُصيب

فصيحًا؛ لأن الوليد أقام مع أُمِّه، وسليمانُ وغيرُه من إخوته سكنوا الباديةَ، فَتَعَرَّبُوا، ثم أُدِّبُوا فَتَأدَّبوا، وكان من قُرَيْش أعرابٌ، ومنهم حَضَرٌ، فالأعرابُ منهم: بنو الأدْرَم وبنو مُحَارب، وأحْسَبُ بني عامِرِ بن لُؤَيّ كذلك؛ لأنهم من أهل الظواهرِ، وليسوا من أهل البِطاح.

شقّ الصدر:

وذكر قول أخيه من الرضاعة: نزل عليه رَجُلاَن أبيضان، فَشَقَّا عن بطنه، وهما يَسُوطانه، يقال: سُطْتُ اللَّبَنَ أو الدَّمَ، أو غيرَهما، أسُوطه: إذا ضَرَبْتَ بعضَه ببعض. والمِسْوَطُ: عُودٌ يُضْرَب به.

فألحقيه بأهلِه قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه، فقَدمْنا به على أمّه، فقالت: ما أقْدمك به يا ظِئْرُ، وقد كنتِ حريصةً عليه، وعلى مُكْثه، عندك؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله يا بني وقضتُ الذي عليَّ، وتخوّفت الأحداث عليه، فأدّيته إليك كما تحبين. قالت: ما هذا شأنك، فأصدقيني خَبرك. قالت: فلم تدعْني حتى أخبرتُها. قالت: أفتخوّفت عليه الشيطانَ؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كلا. والله ما للشيطان عليه من سَبيل، وإن لبُنَيَّ لشأنًا، أفلا أخبرُكِ خبرَه. قالت: بلى. قالت: رأيت حين حملت به: أنه خرَج مني نورٌ أضاء لي قُصورَ بُصْرَى من أرض الشام. ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حَمْل قطُّ كان أخفَّ ولا أيسرَ منه، ووقع حين ولدته، وإنه لواضعٌ يَدَيْه بالأرض، رافع رأسَه إلى السماء. دعيه عنك، وانطلقي راشدةً.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني ثَور بن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن مَعْدان الكَلاعي: أنّ نفرًا من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ قالوا له: يا رسول

وفي رِوَايةٍ أخرى عن ابن إسحٰقٍ أنه نَزَل عليه كُرْكِيّان[1]، فشقّ أحدُهما بمنقارِه جوفَه، ومَجَّ[2] الآخرُ بمنقارِه فيه ثَلْجًا، أو بَرَدًا، أو نحو هذا، وهي رواية غريبة ذكرها يونُس عنه، واختصر ابن إسحٰق حديثَ نُزول المَلَكين عليه، وهو أطول من هذا.

وروى ابن أبي الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أبي ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: «قلت: يا رسولَ الله كيف علمتَ أنك نبيٌّ، وبِمَ علمت حتى استَيْقَنْتَ؟ قال: يا أبا ذَرٍّ أتاني ملَكان، وأنا بِبَطْحَاءِ مَكّة، فوقع أحدُهما بالأرضِ، وكان الآخرُ بين السماء والأرضِ، فقال أحدُهما لصاحبه: أهو هُوَ؟ قال: هُوَ هُوَ: قال: فَزِنْهُ برجلٍ، فوزَنَني برجلٍ، فَرَجَحْته، ثم قال: زِنْه بعشرة، فَوَزَنَني فرَجَحْتُهمْ، ثم قال: زِنْه بمائةٍ، فوزَنَنِي، فرجحتهم، ثم قال: زِنْه بألفٍ، فوزنني فَرَجَحْتُهم، حتى جَعَلوا يَتَثَاقَلُونَ عليّ من كِفّة الميزانِ، فقال أحدُهما لصاحبه: شُقَّ بطنَه، فشقّ بطني، فأخرج قلبي، فأخرج منه مَغْمَزَ الشيطانِ وعَلَقَ الدَّم، فَطَرَحهما، فقال: أحدُهما لصاحبه: اغسِل بطنَه غَسْلَ الإناءِ، واغسِل قلبَه غسل الْمُلاَءِ، ثم قال أحدُهما لصاحبه: خِطْ بطنَه، فخاطَ بَطْني، وجعل الخاتم بين كَتِفَيّ كما هو الآن، وولَّيا عنّي، فكأني أعاين الأمْرَ معاينة»[3] ففي هذا الحديث بيان لما أبهم في الأول، لأنه قال: فأخرج منه مَغْمَزَ

---

(١) الكركي: طائر كبير طويل العنق والرجلين أبتر الذنب.

(٢) مج: لَفَظ.

(٣) «صحيح». وأخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/٣٥٩) والدارمي (١/٩١) والطبري في التاريخ (١/٥٣٤) والحاكم (٢/٦٠٠) بنحوه وصححه وأقرّه الذهبي. وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/١٣٩) من حديث أُبيّ بن كعب بنحوه. وأصله في صحيح مسلم.

الله. أخبِرْنا عن نَفسك؟ قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرى أخي عيسى، ورأت أُمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قُصورَ الشام، واستُرْضعتُ في بني سَعْد بن بَكْر. فبينا أنا مع أخٍ لي خلفَ بيُوتنا نرعى بَهْمًا لنا. إذ أتاني رجلان عليهما ثيابٌ بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجًا. ثم أخذاني فشقًّا بطني، واستخرجا قَلْبي، فشقَّاه فاستخرجا منه عَلَقةً سوداء فطرحاها. ثم غَسَلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى

الشيطانِ، وعَلَق الدَّم، فبيَّن أن الذي التمس فيه هو الذي يغمزه الشيطانُ من كلِّ مَوْلودٍ إلا عيس ابن مريم وأمَّه[1] - عليهما السلام - لقول أمها حَنَّة: ﴿وَإني أُعِيذُها بكَ وذُرِّيَّتَها من الشيطانِ الرجيم﴾ [آل عمران: ٣٦]. فلم يصل إليه لذلك، ولأنه لم يُخْلَق من مَنِيِّ الرِّجالِ فأعيذه من مَغْمَز، وإنما خُلِق من نَفْخَةِ رُوح الْقُدُس، ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد - ﷺ - لأن محمدًا - ﷺ - قد نُزِع منه ذلك الْمَغْمَزُ، ومُلِيء قلبهُ حكمةً وإيمانًا، بعد أن غسَله روحُ الْقُدُسِ بالثَّلْجِ والْبَرَدِ، وإنَّما كان ذلك الْمَغْمَزُ فيه لموضع الشَّهْوَةِ الْمُحَرِّكة للْمَنِيِّ، والشهواتُ يحضرها الشياطينُ، لا سيما شهوةُ مَنْ ليس بمؤمِن، فكان ذلك الْمَغْمَزُ راجعًا إلى الأب، لا إلى الابنِ المطهَّر - ﷺ -.

وفي الحديث فائدة أخرى، وهي مِنْ نفيسِ العِلم، وذلك أن خاتَم النُّبُوَّة لم يدر هل خِلق به، أم وُضع فيه بعدما وُلد، أو حين نُبِّيء، فبيّن في هذا الحديث متى وُضع، وكيف وُضع، ومَنْ وضعَه، زادنا الله علمًا، وأوْزَعَنا شُكْرَ ما عَلَّم، وفيه البيانُ لما سأل عنه أبو ذر - رضي الله عنه - حين قال: كيف علِمت أنك نبي، فأعلمه بكيفية ذلك، غير أن في هذا الحديث، وَهْمًا من بعضِ النَّقَلة، وهو قوله: بينما أنا بِبَطْحَاءِ مكَّة، وهذه القصة لم تَعْرِض له إلا وهو في بني سَعْدٍ مع حليمة، كما ذكر ابنُ إسحٰقِ وغيره، وقد رواه الْبَزَّار من طريق عُرْوَةَ عن أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - فلم يذكر فيه بَطْحَاءَ مكة.

حديث السكينة:

وذكر فيه أنه قال: وأُوتِيتُ بالسَّكِينةِ كأنها رَهْرَهَةٌ، فوُضِعَتْ في صَدْرِي. قال: ولا أعلم لعُرْوةَ سماعًا من أبي ذر. وذكر من طريق آخر عن أبي ذر، أن رسول الله - ﷺ - قال له: «يا أبا ذر، وُزنتُ بأربعين، أنت فيهم فرجحتُهم» والرَّهْرَهَةُ: بَصيصُ البشَرة، فهذا بيانُ وضعِ الخاتَم متى وُضع.

---

(١) يشير إلى قول الله عزّ وجل: ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن﴾. وإلى قوله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهلّ صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه» أخرجه البخاري (٦/ ٤٢) ومسلم (١٨٣٨) وأحمد (٢/ ٢٣٣).

أنقَياه، ثم قال أحدُهما لصاحبه: زِنْه بعشرة من أُمَّته، فوزَنَني به فوزنتهُم، ثم قال: زِنْه بمئة مِن أُمَّته. فوزنني بهم فوزنتهُم، ثم قال: زنه بألف من أُمَّته، فوزنني بهم فوزنتهم. فقال: دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها[1].

مسألة شقّ الصدر مرة أخرى:

وأما متَى وَجَبَتْ له النُّبُوَّةُ، فرُوِيَ عن مَيْسرة أنه قال له: متى وَجَبَتْ لك النُّبُوَّة يا رسولَ الله؟ فقال: «وآدمُ بين الرُّوحِ والجسد»[2]، ويُرْوى: وآدمُ مُجَنْدَلٌ في طينته[3].

وهذا الخبر يُرْوى عنه ـ عليه السلامُ ـ على وجهين، أحدهما: أنه شُقَّ عن قلبه، وهو مع رابَّتِهِ ومُرْضعته في بني سعد، وأنه جيء بطَسْتٍ من ذهب، فيه ثلج فغسل به قلبه، والثاني فيه: أنه غُسِل بماءِ زمزم، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عُرج به إلى السماء بعدما بُعث بأعوام، وفيه أنه أُتي بطَسْتٍ من ذهبٍ ممتلىءٍ حكمةً وإيمانًا، فأُفرغ في قلبه. وذكر بعضُ مَن أَلَّف في شرحِ الحديث أنه تعارضٌ في الروايتين، وجعَل يأخذ في ترجيح الرُّوَاة وتغليطِ بعضِهم، وليس الأمرُ كذلك، بل كان هذا التقديسُ وهذا التطهيرُ مرتين.

الأولى: في حالِ الطُّفُوليَّة لِيُنَقَّى قلبُهُ من مَغْمَز الشيطان، وليُطَهَّر ويُقَدَّسَ من كل خُلُقٍ ذَميم، حتى لاَ يَتَلَبَّس بشيءٍ مما يُعاب على الرِّجالِ، وحتى لا يكونَ في قلبه شيءٌ إلا التوحيد؛ ولذلك قال: فوليًا عني، يعني: الملكين، وكأني أُعاين الأمر مُعَايَنَةً.

والثانية: في حال الاكْتِهالِ، وبعدما نُبِّىء، وعندما أراد اللّهُ أن يرفعَه إلى الحضرة الْمُقَدَّسَةِ التي لا يصعد إليها إلا مُقَدَّس، وعُرِجَ به هنالك لتُفْرَضَ عليه الصلاةُ، وليُصَلِّي بملائكةِ السمٰواتِ، ومن شأنِ الصلاةِ: الطُّهور، فقُدِّس ظاهرًا وباطنًا، وغُسِل بماء زمزم.

وفي المرة الأولى بالثلج لِما يُشْعِر الثلجُ من ثَلْج اليقين وبَرْدِه على الفؤاد، وكذلك هناك حصل له اليقينُ بالأمر الذي يُراد به وبوحدانيةِ ربه.

وأما في الثانية، فقد كان مُوقِنًا مُنَبَّئًا، فإنما طُهِّر لمعنى آخر، وهو ما ذكرناه من دخول حَضْرَة الْقُدُسِ والصلاةِ فيها، ولقاء الملِكِ الْقُدُّوسِ، فغسَله روحُ الْقُدُسِ بماء زمزم التي هي

---

(١) «صحيح». أخرجه ابن عساكر (١/ ٢٦٥) من حديث عبادة بن الصامت. وفيه بشر بن عمارة والأحوص بن حكيم: ضعيفان. وللحديث شواهد تصل به إلى الصحيح.

(٢) «صحيح». أخرجه الترمذي (٣٦٠٩) وأحمد (٥/ ٤) والحاكم (٢/ ٦٠٩) وابن أبي شيبة (١٤/ ٢٩٢).

(٣) «صحيح». أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧) وابن سعد (١/ ١/ ٩٦) والطبراني (١٨/ ٢٥٢) وأبو نعيم من الدلائل (١/ ٨٠/ ٨١).

....

هَزْمَة رُوحِ القُدُسِ، وهَمْزَة عَقِبه[1] لأبيه إسماعيل عليه السلام ـ وجيء بطَسْتٍ مُمْتلِيء حكمةً وإيمانًا، فَأُفرِغ في قلبِه، وقد كان مؤمنًا، ولكن الله تعالى قال: ﴿لِيَزْدادوا إيمانًا مع إيمانهم﴾ [الفتح: ٤] وقال: ﴿ويَزْدَادَ الذين آمنوا إيمانًا﴾ [المدثر: ٣١]. فإن قيل: وكيف يكونُ الإيمانُ والحِكمةُ في طَسْتٍ من ذَهَبٍ، والإيمانُ عَرَض، والأعراضُ لا يوصف بها إلا مَحَلُها الذي تقوم به، ولا يجوز فيه الانتقال، لأن الانتقال من صِفَةِ الأجسام، لا من صفة الأعراض؟ قلنا:

إنما عُبِّر عما كان في الطَّسْتِ بالحكمة والإيمان، كما عُبِّر عن اللبنِ الذي شَرِبه، وأُعطِيَ فضلَه عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ بالعلم، فكان تأويلُ ما أُفرِغَ في قلبِه حِكْمةً وإيمانًا، ولعل الذي كان في الطَّسْتِ كان ثَلْجًا وبَردًا ـ كما ذكر في الحديث الأول ـ فعبّر عنه في المرة الثانية بما يَؤُول إليه، وعبّر عنه في المرة الأولى بصُورته التي رآها، لأنه في المرة الأولى كان طفلاً، فلما رأى الثلجَ في طَسْتِ الذهبِ اعتقده ثَلْجًا، حتى عَرَف تأويلَه بعد. وفي المرةِ الثانيةِ كان نَبيًا، فلما رأى طَسْتَ الذهب مملوءًا ثَلْجًا علم التأويل لِحِينِه واعْتقده في ذلك المقام حكمةً وإيمانًا، فكان لفظُه في الحديثين على حَسَب اعتقاده في المقامين.

مناسبة الذهب للمعنى المقصود:

وكان الذهبُ في الحالتين جميعًا مناسبًا للمعنى الذي قُصِدَ به. فإن نظرتَ إلى لفظِ الذهبِ، فمطابق للإذهابِ، فإن الله ـ عزّ وجل ـ أراد أن يُذْهبَ عنه الرِّجْسَ، ويُطَهِّرَه تطهيرًا، وإن نظرتَ إلى معنى الذهب وأوصافِه وجدْتَه أنقى شيءٍ وأصفاه، يقال في المثل: أنقى من الذهب. وقالت بَرِيرَةُ في عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما أعلم عليها إلا ما يَعْلَم الصَّائغُ على الذَّهبِ الأحمر. وقال حُذَيفة في صِلَةَ بن أشيَم رضي الله عنهما: إنما قلبُه من ذهب، وقال جرير بن حازم في الخليلِ بن أحمد: إنه لرجلٌ من ذهب، يريدون: النقاءَ من العُيوبِ، فقد طابق طَسْتُ الذهب ما أُريد بالنبي ـ ﷺ ـ من نقاءِ قلبِه. ومن أوصاف الذهب أيضًا المطابِقةِ لهذا المقامِ ثقَلُه ورُسُوبُه، فإنه يُجعل في الزِّيبَقِ الذي هو أثقلُ الأشياءِ، فيرسب، والله تعالى يقول: ﴿إنَّا سنُلْقي عليك قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزّمل: ٥]. وقال عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إنما ثقُلت موازينُ المُحِقِّين يوم القيامة، لاتباعهم الحقَّ، وحُقَّ لميزانٍ لا يُوضَعُ فيه إلا الحقُّ أن يكونَ ثَقيلاً، وقال في أهلِ الباطلِ بعكس هذا. وقد رُوِيَ: أنه أُنزِلَ عليه الوحي، وهو على ناقتِه، فَثَقُل عليها حتى سات قوائمُها في الأرض، فقد

---

(١) همزة عقبه: نقرة عقبه.

تطابقت الصفةُ المعقولةُ والصفةُ المحسوسةُ. ومن أوصافِ الذهبِ أيضًا أنه لا تأكله النارُ، وكذلك القرآنُ: لا تأكل النارُ يومَ القيامة قلبًا وعاه، ولاَ بَدَنًا عَمِلَ به، قال النبي - ﷺ -: «لو كان القرآنُ في إهابٍ[1]، ثم طُرِح في النار ما احترق»[2] ومن أوصاف الذهب المناسبةِ لأوصافِ القرآن والوحي: أنَّ الأرض لا تُبليه، وأن الثرى لاَ يَذْرِيه، وكذلك القرآن لا يَخْلَق على كَثْرة الرَّدِّ، ولا يُستطاع تغييرُه ولا تبديلُه، ومن أوصافه أيضًا: نفاستُه وعِزَّتُه عند الناسِ، وكذلك الحقُّ والقرآنُ عزيزٌ، قال سبحانه: ﴿وإنه لَكِتَابٌ عَزِيز﴾ [فُصِّلت: ٤١]. فهذا إذا نظرت إلى أوصافِه ولفظِه، وإذا نظرت إلى ذاتِه وظاهره، فإنه زُخْرُفُ الدُّنيا وزينتُها، وقد فُتح بالقرآنِ والوحيِ على محمد - ﷺ - وأمته خزائنُ الملوكِ، وتصيَّر إلى أيديهم ذهبُها وفضتُها، وجميعُ زُخْرُفِها وزينتها، ثم وُعِدوا باتباع القرآن والوحي قُصُورَ الذهبِ والفضةِ في الجنة. قال - ﷺ -: «جنَّتَانِ من ذَهبٍ، آنيتُهما وما فيهما من ذهب»[3]، وفي التنزيل: ﴿يُطاف عليهم بِصِحَافٍ من ذَهَبٍ﴾ [الزُّخْرُف: ٧] ﴿وَيُحَلّوْنَ فيها من أَسَاوِرَ مِن ذهب ولُؤْلُؤًا وَلِباسُهم فيها حرير﴾ [الحج: ٢٣؛ وفاطر: ٣٣] فكان ذلك الذهبُ يُشعر بالذهب الذي يصير إليه مَن اتبع الحقَّ، والقرآنُ وأوصافه تُشعِر بأوصاف الحق، والقرآن ولفظُه يُشعِر بإذهاب الرِّجس، كما تقدم، فهذه حِكَم بالغة لمَن تأمل، واعتبار صحيح لمَن تدبر، والحمد لله.

وفي ذكر الطَّسْتِ وحروفِ اسمه حكمة تنظر إلى قوله تعالى: ﴿طَس تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مبين﴾ [النمل: ١][4] ومما يُسأل عنه: هل خُصّ هو - ﷺ - بغسل قلبه في الطست، أم فُعِل ذلك بغيره من الأنبياء قبله، ففي خبر التابوت والسكينة، أنه كان في الطَّسْتُ التي غُسِلتْ فيها قلوبُ الأنبياء عليهم السلام. ذكره الطبري[5]، وقد انتزع بعضُ الفقهاء من حديث الطَّسْت حيثُ جُعِل مَحَلاً للإيمان والحكمةِ جوازَ تحليةِ المُصْحَف بالذهب، وهو فقه حَسَن[6]، ففي حديث أبي ذر - رضي الله عنه - هذا الذي قدّمناه، متى علم أنه نبيّ.

---

(١) إهاب: جلد.

(٢) «حسن». أخرجه أحمد (٤/ ١٥٥) والطبراني في الكبير (٦/ ٢١٢) (١٧/ ٣٠٨) والبيهقي في الصفات (٢٦٤) بتحقيقي. والبغوي في شرح السُّنة (٤/ ٤٣٦).

(٣) «صحيح». أخرجه البخاري (٦/ ١٨١) ومسلم في الإيمان (٢٩٦) وابن ماجه (١٨٦) والبيهقي في الصفات (٣٠٢) بتحقيقي.

(٤) التفسير والتأويل الأول جميل يشهد لصاحبه بالعلم الجمّ والتدبّر الذكي لحديث النبي ﷺ. أما تفسيره لسورة النمل فبعيد. والله أعلى وأعلم.

(٥) الطبري في تاريخه (١/ ٥٤٠).

(٦) تأويل بعيد ردّه غير واحد من أهل العلم.

عود على حديث ابن إسحٰق:

قال ابن إسحٰق: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «ما مِنْ نبِيٍّ إلاَّ وَقَد رَعَى الغَنَم»،

الحكمة في ختم النبوّة:

والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لمَّا مُلِىء قلبُه حكمةً ويقينًا، خُتِم عليه كما يُختَم على الْوعاءِ المملوءِ مِسْكًا أو دُرًّا، وأما وَضْعُه عند نُغْض كتفهِ[1]، فلأنّه معصومٌ من وَسْوَسة الشيطان، وذلك الموضع منه يُوسْوِس الشيطانُ لابن آدم. روى مَيْمُون بن مهران عن عُمَر بن عبدِ العزيز أن رجلاً سَأل ربّه أن يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشيطان منه، فأُرِيَ جَسَدًا مُمَهًّى[2] يُرى داخلُه من خارجِه، والشيطانُ في صُورة ضِفْدع عند نُغْض كتفه حِذَاءَ قلبِه، لهُ خُرْطُوم، كخُرْطُومِ البَعُوضَة، وقد أدخله إلى قلبِه يوسوس، فإذا ذكر اللّهَ تعالى العبدُ خَنَس[3].

ردّ حليمة للنبي ـ ﷺ ـ:

فصل: وكانَ ردُّ حليمةَ إيَّاه إلى أُمِّه وهو ابنُ خمسِ سنينَ وشهر، فيما ذكر أبو عُمَرَ[4]، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين: إحداهما بعد تَزْويجه خديجة ـ رضي اللّهُ عنها ـ جاءته تشكو إليه السَّنَة، وأن قومَها قد أَسْنتُوا[5] فكلَّم لها خديجةَ، فأعْطتْها عِشرينَ رأسًا من غَنَم وبَكَرَاتٍ، والمرة الثانية: يوم حُنَينٍ وسيأتي ذكرُها إن شاء الله.

تأويل النور الذي رأته آمنة:

فصل: وذكر النورَ الذي رأته آمنة، حين ولدته عليه السلامُ، فأضاءت لها قصور الشام، وذلك بما فتح اللّهُ عليه من تلك البلاد، حتى كانت الخلافةُ فيها مدة بني أمية، واستضاءت تلك البلادُ وغيرُها بنورِه ـ ﷺ ـ وكذلك رأى خالِدُ بنُ سَعيد بن العاصِي قبلَ الْمَبْعَثِ بيسيرِ نُورًا يخرج من زَمْزَم، حتى ظهرت له الْبُسْرُ[6] في نخيلِ يَثْرِب، فقصَّها على أخيه عَمْرٍو، فقال له: إنها حَفِيرَةُ عبدِ الْمُطَّلِبِ، وإن هذا النورَ منهم، فكان ذلك سببَ مُبادَرَته إلى الإسلام.

رعيه الغنم:

فصل: وذكر قولَ النبيِّ ـ ﷺ ـ: «ما مِنْ نَبِيٍّ إلا وقد رَعَى الْغَنَم». قيل: وأنت يا

---

(١) نغض الكتف: أعلى غضروف الكتف.

(٢) ممهى: أي مُصفى أو مُخلى.

(٣) خنس: هرب وابتعد.

(٤) يعني ابن عبد البرّ. صاحب التمهيد وغيره.

(٥) استنوا: أجدبوا.

(٦) البسر: البلح المشوب بصفرة.

قيل: وأنت يا رسولَ الله؟ قال: «وأنا»[1].

قال ابن إسحٰق: وكان رسول الله - ﷺ - يقول لأصحابه: «أنا أعرَبكُم، أنا قُرَشِيٌّ، واستُرْضِعْت في بني سَعْد بن بكر»[2]. [حديث ضعيف].

قال ابن إسحٰق: وزعم الناسُ فيما يتحدثون، والله أعلم: أنّ أُمَّه السعدية لمّا قَدِمَت به مكة أضلَّها في الناس، وهي مقبلة به نحو أهله، فالتمسته فلم تجده، فأتت عبد المطَّلِب، فقالت له: إني قد قَدِمت بمحمد هذه الليلة، فلما كنت بأعلى مكّة أضلّني، فوالله ما أدري أين هو، فقام عبد المطَّلِب عند الكعبة يدعو الله أن يردّه، فيزعمون أنه وجدَه ورقةُ بنُ نوفل بنِ أسَد، ورجل آخر من قريش، فأتَيا به عبدَ المطلب، فقالا له: هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة، فأخذه عبد المطلب، فجعله على عُنقه، وهو يطوف بالكعبة يُعوّذه ويدعو له، ثم أرسل به إلى أُمه آمنة.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعض أهل العلم[3]، أن مما هاج أُمه السعدية على ردّه إلى أمه، مع ما ذكرتْ لأُمه مما أخبرتها عنه، أن نفَرًا من الحبشة نصارى رأوْه معها حين رجعتْ به بعدَ فِطامه، فنظروا إليه، وسألوها عنه وقلَّبوه، ثم قالوا لها: لَنَأْخُذَنَّ هذا الغلامَ، فَلَنَذْهَبَنَّ به إلى مَلِكنا وبَلدنا؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمرَه، فزعم الذي حدّثني أنها لم تكَدْ تنفلت به منهم.

رسول الله؟ قال: «وأنا». وإنما أراد ابنُ إسحٰق بهذا الحديثِ رِعَايته الغَنَم في بني سَعْدٍ مع أخيه من الرَّضاعة، وقد ثبت في الصحيح أنه رعاها بمكةَ أيضًا على قراريطَ لأهلِ مكةَ. ذكره البخاري، وذكر البخاري عنه أيضًا أنه قال: ما هَمَمْتُ بشيءٍ من أمرِ الْجَاهِلِيَّةِ إلاَّ مرتينِ، وروى أن إحدى المرتين كان في غَنَمٍ يرعاها هو وغُلامٌ من قُرَيْشٍ، فقال لصاحبه: اكْفِنِي أمرَ الغَنَمِ حتى آتيَ مكةَ، وكان بها عُرْسٌ فيها لَهْوٌ وزَمْرٌ، فلما دنا من الدارِ ليحضرَ ذلك، أُلْقِي عليه النومُ، فنام حتى ضربته الشمسُ عِصمةً من اللَّهِ له. وفي المرة الآخرةِ قال لصاحبه مثلَ ذلك، وأُلقي عليه النومُ فيها، كما أُلقِي في المرةِ الأولى[4]. ذكر هذا المعنى ابنُ إسحٰق في غير رواية البَكّائِيِّ. وفي غريبِ الحديث لِلْقُتَبِيِّ: «بُعِث موسى - ﷺ - وهو راعي غنمٍ،

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري في الإجارة (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) ضعيف جدًا. أخرجه ابن سعيد (١/ ١/ ٧١) والقاري في الأبرار (١١٦). فيه مبشر بن عبيد: متروك.

(٣) مجاهيل. والرواية السابقة فيها نظر أيضًا.

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ٥٢٠) والبيهقي في الدلائل (١/ ٥٨) والحاكم (٤/ ٢٤٥).

....

وبُعث داودُ - ﷺ - وهو راعي غنم، وبعثُ، وأنا راعي غنم أهلي بأجْيَاد»[1] وإنما جعل اللّهُ هذا في الأنبياءِ تَقْدِمَةً لهم، ليكونوا رعاةَ الْخَلْقِ، ولتكونَ أُمَمُهُمْ رعايا لهُم، وقد رأى رسولُ الله - ﷺ - أنه يَنْزع على قَلِيبِ وَحَوْلها غَنَمٌ سُودٌ، وغَنَمٌ عُفْرٌ[2]. قال: ثم جاءَ أبو بكر - رضي الله عنه - فنزَعَ نَزْعًا ضعيفًا، واللّهُ يَغْفِرُ له، ثم جاء عمرُ فاسْتَحالَتْ غَرْبًا يعني: الدَّلْوَ، فلم أرَ عَبْقَرِيًا يَفْرِي فَرِيَّهُ[3] فأوَّلها الناسُ في الخلافةِ لأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما[4]، ولولا ذِكْرُ الْغَنَم السود والْعُفْرِ لَبَعُدت الرُّؤيَا عن معنى الخلافةِ والرعاية؛ إذِ الْغَنَمُ السُّودُ والْعُفْرُ عبارةٌ عن العَربِ والْعَجَم، وأكثرُ الْمُحَدِّثين لم يذكروا الغنَمَ في هذا الحديثِ. ذكره الْبزَّارُ في مُسْنَدِه، وأحمدُ بن حنبلِ أيضًا، وبه يصحّ المعنى، والله أعلم.

---

(١) أجياد: جبل بمكة. والحديث أخرجه ابن سعد (١/ ١/ ٨٠) وأحمد (٣/ ٩٦) والدولابي في الكِنى (١/ ٩٢) وابن المبارك في الزهد (٤١٥).

(٢) العفر: جمع عفراء. ما يعلو بياضها حمرة. (٣) يفري فرية: يعمل عملاً عظيمًا.

(٤) متفق عليه.

وفــاة آمنــة

وحال رسول الله ﷺ مع جدّه عبد المطلب بعدها

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - مع أُمّه آمنة بنت وَهب، وجدّه عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحِفظِه، يُنبته الله نباتًا حسنًا، لما يريد به من كرامته فلما بلغ رسولُ الله - ﷺ - ستَّ سنين، توفيت أُمُّه آمنة بنت وَهْب.

في كفالة العمّ

فصل: وذكر كَوْنَ النبي - ﷺ - في كفالة عمه يَكْلَؤه ويَحْفَظه. فَمِنْ حفظ الله له في ذلك أنه كان يتيمًا ليس له أبٌ يرحمه، ولا أُمٌّ تَرْأَمُه[1] لأنها ماتت، وهو صغيرٌ، وكان عِيَالُ أبي طالبٍ ضَفَفًا[2]، وعَيْشُهم شَظَفًا[3]، فكان يوضع الطعامُ له ولِلصِّبْيَةِ من أولادِ أبي طالبٍ، فيتطاولون إليه، ويتقاصر هو، وتَمْتَد أيديهم، وتَنْقَبِض يدُه تكرُّمًا منه واسْتِحياءً ونزاهةَ نفسٍ وقَنَاعَةَ قلبٍ، فيصبحون غُمْصًا رُمْصًا، مُصْفَرَّةً ألوانُهم ويُصبحُ هو - عليه السلامُ - صَقِيلاً دَهِينًا كأنه في أنْعَمِ عَيْشٍ، وأعز كِفايَةٍ، لُطْفًا من اللَّهِ - عزّ وجل - به. كذلك ذكره الْقُتَبِيُّ في غريبِ الحديث.

موت آمنة وزيارته لها

فصل: وذكر موت أُمه آمنة بالأبواء، وهو مَوْضع مَعْروفٌ بين مكةَ والمدينة، وهو إلى المدينةِ أقرب كأنه سُمِّي بجمْعِ بَوٍّ، وهو جِلْد الْحُوار[4] الْمَحْشُوّ بالتبن وغيرِه، وقيل: سُمِّيَ بالأبواءِ لتَبَوُّء السُّيُولِ فيه، وكذلك ذكر عن كثير. ذكره قاسم بن ثابت.

---

(١) ترأمه: تعطف عليه وتلزمه. انظر اللسان (١٢/ ٢٢٣).
(٢) ضفف: أي كثير. السابق (٩/ ٢٠٧).
(٣) شظف: الشظف: يُبس العيش وشدته. السابق (٩/ ١٧٦).
(٤) الحوار: ولد الناقة حتى يفصل. اللسان (٤/ ٢١٧).

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم:

أن أُمّ رسول الله - ﷺ - آمنة تُوفِّيت ورسولُ الله - ﷺ - ابن ستّ سنين بالأبْواء، بين مكة والمدينة، كانت قد قَدِمت به على أخواله من بني عديّ بن النَّجّار، تُزيره إيَّاهم، فماتت، وهي راجعة به إلى مكّة.

قال ابن هشام: أُمّ عبد المطلب بن هاشم: سَلْمى بنت عمرو النجّارية فهذه الخُؤولة التي ذكرها ابنُ إسحٰق لرسول الله - ﷺ - فيهم.

قال ابن إسحٰق: وكان رسول الله - ﷺ - مع جدّه عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضع لعبد المطلب فراش في ظلّ الكعبة، فكان بَنوه يجلسون حول فِرَاشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له، قال: فكان رسول الله - ﷺ - يأتي، وهو غُلام جَفْر، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامُه، ليؤخّروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دَعُوا ابْني، فوالله إنّ له لشأنًا، ثم يُجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده، ويسرّه ما يراه يصنع[1].

وفي الحديث أن رسول الله - ﷺ - زار قبرَ أُمِّه بالأبواءِ في ألْفِ مُقَنَّع، فبكي وأبكى، وهذا حديث صحيح[2]، وفي الصحيح أيضًا أنه قال: استأذنت ربي في زيارة قبر أُمي، فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها، فلم يأذن لي[3]. وفي مُسْنَد الْبَزَّار من حديث بُرَيْدَةَ أنه - ﷺ - حين أراد أن يستغفرَ لأُمه، ضرب جبريلُ عليه السلام في صَدْرِه، وقال له: لا تستغفر لمن كان مُشْرِكًا، فرجَع وهو حزين[4].

وفي الحديث زيادةٌ في غير الصحيح أنه سُئِل عن بُكائه، فقال: ذكرت ضَعْفَها وشدةَ عذابِ الله، إن كان صَحَّ هذا.

وفي حديثٍ آخرَ ما يُصَحِّحُهُ، وهو أن رجلاً قال له: يا رسولَ الله: أين أبي؟ فقال: «في النار»، فلما وَلَّى الرجلُ، قال عليه السلام: «إن أبي وأباك في النار»[5]، وليس لنا أن

---

(١) انظر الطبقات (١/ ١١٧) والوفا لابن الجوزي (١٣٩).

(٢) «صحيح». أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٥) وابن شاهين في الناسخ (٤٢٤) بسند ضعيف. ومقنع أي مغطى بالسيف. وقيل هي الخوذة.

(٣) «صحيح». أخرجه مسلم في الجنائز (١٠٨) وابن ماجه (١٥٧٢) وأحمد (٢/ ٤٤١).

(٤) أخرجه البزار (١/ ٦٦).

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان (٣٤٧) وأحمد (٣/ ١١٩) وأبو عوانة (١/ ٩٩).

....

نقولَ نحن هذا في أبويه - ﷺ[1] - لقوله عليه السلام: «لا تُؤذُوا الأحياءَ بِسَبِّ الأمواتِ»[2]، واللَّهُ عزَّ وَجلَّ يقول: ﴿إن الذين يُؤذُونَ الله وَرَسُولَه [لعنهم اللَّهُ في الدنيا والآخرةِ]﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وإنما قال النبي - ﷺ - لذلك الرجل هذه المقالة، لأنه وَجَد في نفسِه، وقد قيل: إنه قال: أين أبوك أنت؟ فحينئذٍ قال ذلك، وقد رواه مَعْمَرُ بن راشدٍ بغير هذا اللفظ، فلم يذكر أنه قال له: إن أبي وأباك في النار، ولكن ذَكَرَ أنه قال له: «إذا مَرَرْتَ بقبرِ كافرٍ، فبشّره بالنار»، ورُوِيَ حديثٌ غريبٌ لعله أن يصحَّ. وجدّته بخط جَدّي أبي عِمْران أَحْمد بن أبي الْحَسَن القاضي - رحمه الله - بسندٍ فيه مجهولون، ذكر أنه نقله من كتابِ، انْتُسِخَ مِن كتابِ مُعَوِّذِ بن داود بن مُعوِّذ الزاهِد يرفعه إلى [عبد الرحمن بن] أبي الزناد عن [هشام بن] عُروة، عن [أبيه عن] عائشةَ - رضي الله عنها - أخبرت أن رسول الله - ﷺ - سأل ربَّه أن يُحْيِيَ أبويه، فأحياهما له، وآمنا به، ثم أماتهما، والله قادر على كُلِّ شيء، وليس تعجز رحمتُه وقدرتُه عن شيءٍ، ونبيُّه عليه السلام أهلٌ أن يَخُصَّه بما شاء من فضله، ويُنْعِم عليه بما شاء من كرامته - صلوات الله عليه وآله وسلّم - قال القرطبي في تذكرته: جزم أبو بكر الخطيب في كتاب: السابقِ واللاحق، وأبو حفص عُمَرُ بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: حَجَّ بنا رسول الله - ﷺ - حجة الوداع، فمرّ على قبر أُمه، وهو باكٍ حزين مُغْتَمٌ، فبكيت لبكائه - ﷺ - ثم إنه نزل فقال: «يا حُميراء استمسكي»، فاستندتِ إلى جَنْبِ البعير، فمكث عني طويلاً مَلِيًّا، ثم إنه عاد إليّ، وهو فَرِحٌ مُتَبَسِّم، فقالت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي، وأنت باكٍ حزين مُغْتَمٌ. فبكيت لبكائِك. ثم عدتَ إليَّ، وأنت فَرِحٌ مبتسم، فَمِمَّ ذا يا رسول الله، فقال: «ذهبت لقبر آمنة أُمي، فسألت أن يحييها، فأحياها فآمنت بي»؛ أو قال: فآمنت. وردّها الله عزّ وجل[3].

---

(١) بل لنا أن نقول كما قال هو في أبيه ﷺ، ولا يقدح هذا فيه صلوات الله وسلامه عليه.
(٢) انظر الكنز (٣٧٤١٧) وهو حسن.
(٣) إسناده ضعيف. أخرجه ابن شاهين في الناسخ (٤٢٥) وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد: ضعيف.

وفاة عبد المطلب: وما رثي به من الشعر

فلما بلغ رسولُ الله - ﷺ - ثماني سنين هلَك عبدُ المطَّلِب بنُ هاشم، وذلك بعد الفيل بثماني سنين.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني العبَّاس بن عبد الله بن مَعْبد بن عَباس، عن بعض أهله: أن عبد المطَّلِب تُوفي ورسولُ الله - ﷺ - ابنُ ثماني سنين.

قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد بن سَعيد بن الْمُسَيَّب: أن عبد المطلب لما حضرته الوفاةُ، وعَرَف أنه ميت جمع بناتِه، وكنَّ ستّ نِسْوة: صفية، وبَرَّة، وعاتكة، وأُمّ حكيم البَيْضاء، وأُمَيْمة، وأرْوَى، فقال لهنّ: ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلْن قبل أن أموت.

قال ابن هشام: ولم أرَ أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سَعيد بن المسيب، كتبناه:

فقالت صَفِيَّة ابنة عبد المطَّلِب تَبْكي أباها:

أرِقْتُ لِصَوت نائحةٍ بلَيْلِ   على رَجُل بقارعَة الصَّعيد[1]
فَفاضَتْ عند ذَلكُمْ دُموعي   على خَدي كمُنْحَدِرِ الفَريدِ

وفاة عبد المطلب

قول صفية:

ففاضت عند ذلكم دُموعِي   على خَدّي كَمُنْحَدِر الْفَرِيدِ

---

(١) الصعيد: التراب.

على رَجُل كَرِيم غير وَغْل[1] | له الفَضْلُ الْمُبِين على العَبيد
على الفَيَّاض شَيْبَةَ ذي المعَالي | أبيكِ الخَيْرِ وارِثِ كلّ جُود
صَدُوق في المَواطِن غير نِكْس | ولا شَخْت[2] المقام ولا سَنِيد[3]
طَوِيلِ الباع، أرْوَع شَيْظَمِيّ[4] | مُطاعٍ في عَشِيرته حَمِيد
رَفيعِ البيت أبْلَجَ ذي فُضُول | وغَيْثِ النَّاس في الزَّمن الْحَرُودِ
كريمِ الْجَدِّ ليس بذي وُصُوم | يَرُوقُ على المُسوَّد والْمَسُودِ
عظيمِ الْحِلْم مِنْ نَفَر كِرَام | خَضَارِمَةٍ[5] مَلاوِثَةٍ أُسُودِ
فلوْ خَلَّد امْرؤٌ لقديم مجْد | ولكنْ لا سَبيلَ إلى الْخُلُودِ
لكانَ مُخَلَّدًا أخرَى اللَّيالي | لِفَضْلِ المَجد والْحَسبِ التَّلِيد

يروى: كمنحدِر بكسر الدال أي: كالدرّ المنحدِر، وَمُنْحَدَر بفتح الدال فيكون التشبيهُ راجعًا للفيضِ، فعلى روايةِ الكسر: شَبَّهت الدمْعَ بالدُّرِّ الفريد، وعلى رواية الفتحِ شبَّهت الفيضَ بالانحدار.

وقولها: أبيك الْخَيْرِ. أرادت: الخيِّر فخففت، كما يقال: هَيْنٌ وَهَيِّنٌ، وفي التنزيل: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]. وكان اسم أُمّ الدَّرْدَاءِ: خَيْرَةَ بنت أبي حَدْرَد وكذلك أم الحسن بن أبي الْحَسَنِ البصري، اسمُها: خَيْرَةُ، فهذا من المخفَّف، ويجوز أن يكونَ الْخَيْرُ هٰهُنا هو ضد الشَّرّ، جعلته كلَّه خيرًا على المبالغة كما تقول: ما زيدٌ إلاَّ عِلْمٌ أو حُسْنٌ، وما أنت إلا سَيْرٌ، وهو مَجاز حَسَنٌ، فعلى هذا الوجهِ لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع ولا يُؤَنَّث، فيقال: خَيْرَة.

وقولها: ولا شَخْت المقام ولا سَنِيد: الشَّخْتُ: [الدقيق الضامِرُ لا هُزَالاً] ضِدُّ الضَّخم، تقول: ليس كذلك، ولكنه ضَخْمُ المقام ظاهرُه. والسَّنيدُ: الضَّعيفُ الذي لا يَسْتَقِلُّ بنفسه، حتى يَسْنُدَ رأيَه إلى غيره.

وقولها: خَضَارِمَةٍ مَلاَوِثَةٍ. ملاوثه: جَمْعُ مِلْوَاث من اللَّوْثَة، وهي القوة، كما قال المُكَعْبَر:

عند الحَفِيظَةِ إنْ ذو لَوْثَةٍ لاثا

(١) وغل: الوغل: الذي لا يصلح لشيء. أو السيىء الغذاء. مقاييس اللغة (٦/١٢٧).
(٢) الشخت: الهزيل القليل. (٣) السنيد: الضعيف.
(٤) شيظمي: فتيّ الجسم قوي. (٥) خضارمة ملاوثة أسود: كثير العطاء.

وقالت بَرَّة بنت عبد المطلب تبكي أباها:

أعَــيْــنــيّ جُــودَا بِــدَمْــعٍ دِرَرْ ... عـلـى طَيِّب الْخِيمِ والـمُـعْـتَـصَرْ

عـلـى مـاجـد الـجـدّ واري الزِّنـاد ... جمـيـل الـمُـحَـيَّا عَـظـيـم الـخـطَرْ

على شَيْبَة الحمْد ذي المَكْرُمات ... وذي الـمَـجْـد والـعِـزّ والـمُـفْـتَـخَرْ

وذي الحلم والفَصل في النَّائبات ... كـثـيـر الـمَـكـارِم، جَـمّ الـفَـجَـرْ

لـه فَـضْـل مَـجْـد عـلـى قَـومـه ... مُـنـيـر، يـلـوحُ كَـضَـوْءِ الـقَـمَـرْ

أتَـتْـهُ الْـمَـنـايـا، فـلـم تُـشْـوِهِ ... بصَرْف الـلّـيَالي، ورَيْب الـقَـدَرْ

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباها:

أعَـيْـنـيّ جُـودَا، ولا تَـبْـخَـلا ... بـدمْـعِـكـمـا بَـعْـدَ نَـوْم الـنـيـامْ

أعَيْنَيَّ وَاسْتحنْفِرَا وَاسْكُبا ... وشُـوبـا بـكـاءَكـمـا بـالْـتِـدامْ

أعَيْنيّ، وَاسْتَخْرِطا وَاسْجُما ... عـلـى رَجُـلٍ غـيـر نِـكْـس كَـهَـامْ

على الْجَحْفَلِ الغَمْر في النَّائبات ... كـريـم الْـمَـسَـاعي، وفيّ الـذِّمـامْ

على شَيْبَة الْحَمْدِ، وَارِي الزِّناد ... وذي مَـصْـدق بـعْـدُ ثَـبْـت الْـمَـقَـامْ

وَسَيْف لدَى الحرب صَمْصامَة ... ومِرْدَى الْمُخَاصِم عنْد الخصام

وقد قيل: إن اسْمَ الليثِ منه أُخذ، إلاَّ أنَّ وَاوَه انقَلَبَتْ ياء؛ لأنه فَيْعَلٌ، فخُفّف كما تقدم: في هَيْنٍ وَهَيِّنٍ، ولَيْنٍ ولَيِّنٍ.

وقول بَرَّةَ:

أتـتـه الـمـنـايـا فـلـم تُـشْـوِهِ

أي: لم تُصِبِ الشَّوَى[١]، بل أصابتِ الْمَقْتَلَ، وقد تقدم في حديث عبد المطلب وضرْبه بالقِدَاحِ على عبد الله، وكان يَرَى أن السَّهْمَ إذا خرج على غيره أنّه قد أُشْوِيَ، أي: قد أخطأ مقتلَه، أي: مقتلَ عبد المطلب وابنه، ومَن رواه: أشْوَى بفتح الواو فالسَّهْم هو الذي أشْوَى وأخطأ، وبِكِلا الضبطين وجدتُه، ويقال أيضًا: أشْوَى الزَّرْعُ: إذا أفْرَكَ[٢] فالأول من الشَّوَى، وهذا من الشَّيّ بالنارِ، قاله أبو حنيفة.

وقول عاتكة: ومِرْدَى الْمُخَاصِم، الْمِرْدَى: مِفْعَل من الرَّدَى، وهو الحجر الذي يَقتل

---

(١) الشوى: جلد الرأس.

(٢) أفرك: أي صلح.

وسَهْل الْخَلِيقة طَلْق اليديْنِ | وَفِ عُذمِلِيّ صَمِيم لُهَام
تَبَنَّكَ في باذخٍ بَيْتُه | رفيعُ الذُّؤابة صَعْب الْمَرام

وقالت أُم حَكِيم البَيْضاء بنت عَبْد المطَّلِب تَبْكي أباها:

ألاَ يا عينُ جُودِي واسْتَهِلِّي | وبَكِّي ذا النَّدَى وَالْمَكْرُمات
ألا يا عَيْنُ وَيْحَكِ أسْعِفِينِي | بدمْع من دُمُوع هاطِلات
وَبَكِّي خيرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطايا | أباكِ الْخَيْرَ تَيَّارَ الفُرات
طَوِيل الباع شَيْبة ذا الْمَعالي | كريم الْخِيم مَحمود الْهِبَات
وَصُولاً للقَرَابة هِبْرِزِيًّا | وغَيْثًا في السِّنِين الْمُمْحِلات
وَلَيْثًا حين تَشْتَجِرُ العَوَالي | تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاظِرَات
عَقيلَ بَني كِنَانة والْمُرَجَّى | إذا ما الدَّهْرُ أقْبَل بالْهِنَات
ومَفْزَعَها إذا ما هاجَ هَيْجٌ | بداهية، وخَصْم الْمُغْضلات
فَبَكِيه، ولا تَسَمِي بِحُزن | وبكِّي، ما بَقيتِ، الباكيات

وقالت أُمَيْمة بنت عبد المطَّلِب تبكي أباها:

ألا هَلَك الراعي العشيرةَ ذو الفَقْد | وساقي الْحَجِيجِ، والمحامي عن المجد
ومَن يُؤلف الضَّيفَ الغريبَ بيوتَه | إذا ما سماءُ الناس تَبْخَلُ بالرَّعد
كسبتَ وليدًا خير ما يَكْسِبُ الفتى | فلم تَنفِكْ تزدادُ يا شَيْبة الحَمْد
أبو الحارث الفَيَّاض، خلَّى مكانه | فلا تَبْعُدَنْ، فكل حيّ إلى بُعْدِ
فإني لَباكٍ - ما بقيتُ - وَمُوجَعٌ | وكان له أهلاً لما كان من وَجْدي
سقاكَ وَلِيُّ النَّاس في القَبر مُمْطِرًا | فسوف أبكِّيه، وإن كان في اللَّحْد
فقد كانَ زَيْنًا للعَشِيرَة كُلِّها | وكان حَميدًا حيثُ ما كان من حَمْد

مَنْ أصِيب به، وفي المثل: كُلُّ ضَبٌ عنده مِرْدَاتُه [أي: يقرب منه حتفه، لأنه يُرمى به فيقتَل].

وقولُها: وَفِ. أي: وَفِى، وخفف للضرورة، وقوله: عُذمُلِيّ. الْعُذمُلِيّ: [وَالْعُذَامِلُ وَالْعُدامِلي] الشديد. واللُّهامُ: فُعَالٌ من لَهِمْتُ الشيءَ ألْهمهُ: إذا، ابْتَلَعته، قال الراجز: [رُؤْبَةُ بن العَجَّاج]:

كالحوت لا يُرْويه شيءٌ يَلْهَمُهُ | يُصبح عَطْشَانًا وفي البحرِ فَمُهْ

وقالت أزوى بنتُ عبد المطَّلب تَبْكي أباها:

بكَتْ عَيْني، وحُقّ لهَا البُكاءُ ... عَلى سَمْحٍ، سَجِيَّتُهُ الْحَياءُ
عَلى سَهْلِ الْخَلِيقَة أبْطَحِيّ ... كَريم الخِيم، نِيَّتُه العَلاءُ
عَلى الفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذي المعالي ... أبيكِ الْخَيْرِ ليسَ له كِفاءُ
طَويل الباع أمْلس، شَيْظَمِيٌّ ... أغرّ كأنّ غُرّته ضِياءُ
أقَبُّ الكَشْح، أزوع ذي فُضُول ... له المَجْدُ الْمُقَدَّمُ والسَّناء
أبيّ الضَّيْم، أبْلَجَ هِبْرِزِيّ ... قَديم الْمَجْد ليسَ له خَفاء
ومَعْقِلِ مالكٍ، ورَبيع فِهْر ... وفاصِلِها إذا التُمِس القَضاء

ومنه سمّي الجيش: لُهَامًا.

وقولها: على الْجَحْفَلِ. جعلته كالْجَحْفَلِ، أي: يقوم وحده مقامه، وَالْجَحْفَلُ: لفظ مَنْحوتٌ من أصلين، من: جَحَفَ وَجَفَلَ، وذلك أنه يَجْحَفُ ما يمر عليه أي: يَقْشُره، وَيَجْفِل: أي يَقْلَع، ونظِيرُه نَهْشَلُ: الذئبُ، هو عندهم منحوت من أصلين أيضًا، من: نَهَشْتُ اللحمَ ونَشَلْتُه، وعاتكةُ: اسمٌ منقول من الصِّفَات، يقال: امرأةٌ عاتِكَةٌ[1]، وهي الْمُصَفَّرة لبدنها بالزَّعْفَرَانِ والطِّيبِ. وقال الْقُتَبِيُّ: عَتَكت القوسُ: إذا قَدَمَتْ وبه سُمِّيت المرأةُ. والقول الأولُ قولُ أبي حنيفة.

وقول أزوَى: ومَعْقِلُ مالكٍ وربيع فِهْر. تريد: بني مالكِ بن النضْر بن كِنَانَةَ. وقولها: بذي رُبَدٍ. تريد: سَيْفًا ذا طرائقَ. والرُّبَدُ: الطرائقُ. وقالَ صَخْرٌ الْغَيُّ [الْهُذَلِيُّ]:

وصارِمٌ أُخْلِصَتْ خَشِيبَته ... أبيضُ مَهْوٌ في مَتْنِه رُبَدُ

وقول عاتكة: تَبَنَّك في باذخ بيتُه. أي: تَبَنَّك بيتُه في باذخ من الشَّرَفِ، ومعنى تَبَنَّك: تأصَّل من الْبُنْك وهو: الأصْلُ. وَالْبُنْكُ أيضًا: ضَرْبٌ من الطِّيب، وهو أيضًا عود السوس [شجر يغمى به البيوت، ويدخل عصيره في الأدوية، وفي عروقه حلاوة شديدة، وفي فروعه مرارة].

وقوله: فأشار إليهنّ برأسِه، وقد أصْمَت بفتح الهمزة والميم، هكذا قيده الشيخُ عن أبي الوليد، ويقال: صَمَتَ وأصْمَتَ، وسَكَت وأسْكَت بمعنى واحد، [وسَمَح وأسمح، وعصفت الريح وأعصفت، وطلعت على القوم وأطلعت. ابن قتيبة في أدب الكاتب].

---

(١) عاتكة: احمرت القدم.

وكان هُوَ الفَتَى كَرَمًا وجُودًا وبأسًا حين تَنْسكب الدّماء

إذا هابَ الكُماةُ الْمَوْتَ حتى كأنّ قُلُوبَ أكثرهم هَواء

مضَى قُدُمًا بذي رُبَد خَشيب عليه حينَ تُبْصره البَهاء

قال ابن إسحٰق: فزعم لي محمد بن سَعيد بن الْمُسَيِّب أنه أشار برأسه، وقد أصْمَت: أنْ هكذا فابكِينني.

قال ابن هشام: المسيِّب بنُ حَزْن بن أبي وَهب بن عمْرو بن عائذ بنِ عمْران بن مخزوم.

قال ابن إسحٰق: وقال حُذَيفة بن غانم أخو بَني عَديّ بن كَعْب بن لُؤَيّ يبكي عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف، ويَذكر فضله، وفضلَ قُصيّ على قُريش، وفضلَ وَلَده من بعده عليهم، وذلك أنه أُخِذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة، فوقف بها فمرّ به أبو لهَبٍ عبدُ العُزّى بن عبد المطَّلب، فافْتَكَّه:

أعَيْنَيَّ جُودَا بالدُّموع على الصَّدر ولا تَسأما، أُسْقِيتُما سَبَل القَطْر

وجُودا بدَمعٍ، واسْفَحا كُلَّ شارق بُكاء امرِئٍ لم يُشْوِه نائبُ الدَّهر

وسُحَّا، وجُمَّا، واسْجُمَا ما بَقيتما على ذي حَيَاءٍ من قُرَيش، وذي سِتْر

أبو جهم:

وذكر شِعْر حُذَيْفَة بن غانم الْعَدَوِيّ، وهو والد أبي جَهْم بن حُذَيفة، واسمُ أبي جَهْم: عُبَيْدٌ، وهو الذي أهدى الْخَمِيصَة لرسول الله - ﷺ - فنظر إلى عَلَمها. الحديث. وقد رُوِيَ أيضًا هذا الحديثُ على وجهٍ آخَرَ، وهو أنَّ رسولَ الله - ﷺ - أُتِيَ بِخَمِيصَتَيْنِ، فأعطى إحداهما أبا جهم، وأمسك الأُخرى، وفيها عَلَمٌ، فلما نظر إلى عَلَمِها في الصَّلاةِ أرسلها إلى أبي جَهْم، وأَخَذ الأُخرى بدلاً منها، هكذا رواه الزُّبَيْرُ[1]. وأُم أبي جَهْم: يُسَيْرةُ بنتُ عبد الله بن أذَاة بن رِياح، وابن أذَاة: هو خالُ أبي قُحَافة، وسيأتي نَسبُ أُمِّه، وقد قيل: إن الشعرَ لِحُذَافَة بن غانم، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة، وله يقول فيه: أخارِجُ إنْ أهْلِكْ. وفي الشعر: غيرُ نِكس ولا هَذْر. النِّكسُ من السهام: الذي نُكِّسَ في الكِنَانَة ليميزَه الرامي، فلا يأخذه لرداءته. وقيل: الذي انكسر أعلاه، فنُكِس وَرُدَّ أعلاه أسفله، وهو غير جيد للرمي.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصلاة (باب ١٤) ومسلم في المساجد (٦١/ ٦٣) وأحمد (٦/ ٣٧).

على رجل جَلْد القُوى، ذي حَفِيظة | جميلِ الْمُحَيَّا غير نِكْس ولا هَذْرَ
على الماجد البُهلُول ذي الباع واللُّهى | رَبيع لُؤَيّ في القُحُوط وفي العُسْر
على خَيْر حَافٍ من مَعدٍّ وناعلٍ | كَرِيم المساعي، طيب الخِيم والنَّجْر
وخَيْرهم أصْلاً وفرْعًا ومَعْدِنا | وأحْظاهُمُ بالمَكْرُماتِ وَبالذّكْر
وأوْلاهُمُ بالْمَجْدِ والحِلْم والنُّهَى | وبالفَضْل عند المُجْحِفات من الغُبْر
على شَيْبَة الْحَمْد الذي كان وجهُه | يُضيء سَوَادَ اللَّيل كالقَمر البدْر
وساقي الحَجِيج ثم للخُبْزِ هاشم | وعبدُ مناف، ذلك السَّيِّد الفِهْري
طوَى زَمْزَ ما عند المقام، فأصبحتْ | سِقايتُه فَخْرًا على كل ذي فَخْر
لِيَبْكِ عَلَيْه كُلُّ عانٍ بكُرْبة | وآلُ قُصَيٍّ من مُقِلٍّ وذي وَفْر
بَنُوه سَرَاةٌ، كَهْلُهُمْ وشبابهم | تفلَّق عنهمْ بيضة الطائِر الصَّقر
قُصَيُّ الذي عادَى كِنانة كلَّها | ورابطَ بيتَ الله في الْعُسْر واليُسر
فإن تكُ غالتْهُ الْمَنايا وَصَرْفُها | فقد عاشَ مَيْمُونَ النَّقِيبَة والأمر
وأبقَى رِجالاً سادةً غيرَ عُزَّل | مَصاليتَ، أمثالَ الرُّدَيْنِيَّة السُّمْر
أبو عُتْبَة المُلْقِي إليّ حِبَاءه | أغرّ، هِجان اللَّوْن من نَفرغُرّ
وحَمزة مِثل البَدرِ، يهتزُّ للنَّدى | نقيّ الثياب والذّمام من الغَدر
وعبدُ مناف ماجد ذو حَفيظة | وصَولٌ لذي القُرْبى رَحيم بذي الصِّهْر
كُهُولُهمُ خيرُ الكُهول، ونَسْلهم | كنَسْل المُلوك، لا تَبُور ولا تَحْرِي

وقوله: لا تَبُور ولا تَحْرِي. أي: لا تَهلِكُ ولا تَنْقُص، ويقال للأفعى: حَارِيَةٌ لرقَّتِها وفي الحديث: ما زال جسم أبي بكر يَحْرِي حُزنًا على رسول الله ﷺ، أي: يَنْقُص لحمه، حتى مات، والإجْرِيَّاء: السيرة وهي إفْعيلاَء من الْجَزْي، وليس لها نظِيرٌ في الأبنية إلا الإهْجِيرا في معنى الهِجِّيرى.

وفيها قوله: وليس بها إلا شيوخ بني عمرو. يريد: بَني هاشِم؛ لأن اسمَه عَمْرٌو.

وفيها: غَيْر عُزَّل، وهو: جمع أعْزَل، ولا يُجمع أفْعَل على فُعَّل، ولكن جاء هكذا؛ لأن الأعزَلَ في مقابلة الرامح وقد يحملون الصفة علَى ضدّها، كما قالوا: عَدُوَّة ـ بتاء التأنيث ـ حَمْلاً على صديقة، وقد يجوز أن يكون أجراه مَجْرى: حُسَّرٍ جمع: حاسِر[1]؛

---

(١) الحاسر: مَن لا مغفر له ولا درع.

متى ما تُلاقي منهمُ الدّهرَ ناشِئًا تـجِـدْه بـإجْـرِيًّـا أوائـلِـه يـجـري
هُـمُ مَلؤوا الـبَـطْـحاء مـجْدًا وعزَّة إذا استُبِق الخيرات في سالف العَصْر
وفـيـهـم بُـنـاةٌ لـلـعُـلا، وعِـمـارةٌ وعبدُ مناف جدّهمْ، جابرُ الكَسْر
بـإنْـكـاح عَـوْف بـنـتَـه، لـيُـجـيرَنـا من أعدائنا إذ أسْلَمَتْنَا بنو فِهْر
فَسِـرْنـا تِـهـامِـيَّ الـبِـلادِ ونَـجْـدَهـا بأمْنِهِ حتى خاضت العِيرُ في البَحْر
وهُـمْ حَـضروا والنَّاسُ بَادٍ فريقُهم وليس بها إلا شُيُوخ بني عَمْرو
بَـنَـوْهـا دِيـارًا جَـمَّـةً، وطَـوَوْا بِـهـا بئارًا تَسُحّ الماء من ثَبَج الْبَحْرِ
لكي يشربَ الحُجّاج منها، وغيرُهم إذا ابْتدرُوها صُبْحَ تابعة النَّحْر
ثـلاثَـةُ أيّـامٍ تَـظَـلّ رِكـابُـهُـمْ مُخَيَّسة بينَ الأخاشِب والحِجْر

لأنه قريبٌ منه في المعنى.

تهام وشآم:

وقوله: فسِرنا تهَامِيَ البلاد مخففًا مثل يمانِيَا، والأصلُ في يَمانٍ: يَمَنيٌّ، فخففوا الياء، وعوّضوا منها ألفًا، والأصل في تَهَام: تِهامِيّ بكسر التاء من تهَامِيّ لأنه منسوب إلى تِهامة ولكنهم حذفوا إحدى الياءَين، كما فعلوا في يَمانٍ وفتحوا التاء من تَهام لما حذفوا الياء من آخره، لتكون الفتحة فيه كالعوض من الياء، كما كانت الألف في يَمانٍ، وكذلك الألف في شَآم بفتح الهمزة، وألف بعدها عِوَضًا من الياء المحذوفة، فإنْ شَدَّدْتَ الياء من شآم قلتَ: شأمِيّ بسكون الهمزة، وتذهب الألف التي كانت عوضًا من الياء لرجوع الياء المحذوفة، ولا تقول في غير النسب: شَآم بالفتح والهمز، ولا في النسب إذا شددت الياء شَأمي. وسألت الأستاذ أبا القاسم بن الرماك ـ وكان إمامًا في صنعة العربية عن البيت الذي أملاه أبو علي في النوادر، وهو قوله:

[أتَـظْـعَـن عـن حـبـيـبك ثـم تَـبْـكي عـلـيه، فَـمَـنْ دعـاك إلـى الـفـراق]
[كـأنـك لـم تَـذُق لِـلْـبَـيْـن طَـعْـمًـا فـتـعـلـم أنـه مُـرُّ الْـمَـذاق]
[أقِـمْ وانـعَـمْ بـطـول الـقـرب مـنـه ولا تَـظْـعَـن فـتُـكْـبَـت بـاشـتـيـاق]
فـمـا اعْـتَـاضَ الـمفـارِقُ من حَـبـيـب ولـو يُـعـطـى الـشـآمُ مـع الـعِـراق

فقال: مُحَدّث، ولم يره حُجّةً. وكذلك وَجَدْتُ في شِعْر حبيب: الشَآمَ بالفتح كما في هذا البيت. وليس بحجة أيضًا.

وقِدما غَنِينا قبْلَ ذلكَ حِقْبَةً ... ولا نَسْتقي إلا بخُمٍّ أو الحَفْرِ
وهُمْ يَغْفِرُون الذَّنبَ يُنقَم دونَه ... ويَعْفُون عن قولِ السَّفاهة والهُجْرِ
وهم جَمعوا حِلْف الأحابيش كلَّها ... وهم نَكَّلوا عنَّا غُواة بني بَكْر
فَخارِجَ، إمَّا أهْلِكنَّ، فَلا تَزَل ... لهم شاكرًا حتى تُغَيَّب في القَبْر
ولا تنسَ ما أسدَى ابنُ لُبنى؛ فإنه ... قد أسْدَى يدًا مَحْقُوقة منك بالشُّكْر
وأنت ابن لُبْنى من قُصَيٍّ إذا انْتَمَوْا ... بحيث انتهى قصدُ الفؤاد من الصَّدْر
وأنتَ تَناوَلْتَ العُلا فجمَعْتَها ... إلى مَحْتِدٍ للمَجْدِ ذي ثَبَج جَسْرَ
سبقتَ، وفُتَّ القومَ بَذْلاً ونائلاً ... وسُدت وليدًا كلَّ ذي سُؤدَد غَمْر
وأُمُّك سِرٌّ مِنْ خُزَاعَة جَوْهَر ... إذا حَصَّل الأنسابَ يومًا ذَوُو الخُبْر
إلى سَبَإِ الأبطال تُنمى، وتَنْتَمي ... فأكْرِمْ بها منسوبةً في ذُرَا الزُّهر

[في اللسان: «وقد جاء الشآم لغة في الشأم قال المجنون:

وخُبِّرتُ ليلى بالشآم مريضةً ... فأقبلت من مصر إليها أعودها

وقال آخر:

أتتنا قريش قضُّها بقضيضها ... وأهل الحجاز والشآم تَقَصَّف]

وقوله:

حذف الياء من هاء الكناية:

حذف الياء من هاء الكناية بِأَمْنِهِ:

حتى خاضت العِيرُ في البحر

ضرورة، كما أنشد سيبويه[1]:

سأجعل عينيه لِنَفْسِه مَقْنَعَا

في أبيات كثيرة أنشدها سيبويه، وهذا مع حذف الياء والواو، وبقاء حركة الهاء، فإن سكنت الهاء بعد الحذف، فهو أقل في الاستعمال من نحو هذا، وأنشدوا:

ونِضْوَاي[2] مُشْتاقَان لَهُ أرِقَان

وهذا الذي ذكرناه هو في القياس أقوى؛ لأنه من باب حمل الوصل على الوقف نحو قول الراجز:

لما رأى أن لا دَعَهْ ولا شِبَعْ

---

(١) وقيل: مالك بن خزيم الهمذان.

(٢) النضوي: البعير المهزول.

أبُو شَمِرٍ منهمْ، وعَمْرو بنُ مالك وذو جَدنٍ من قومها وأبو الجَبْر

وأسْعد قادَ النَّاسَ عشرين حِجَّةً يُؤَيَّد في تلك المواطنِ بالنَّصْر

قال ابن هشام: «أُمُّك سِرّ من خزاعة»، يعني: أبا لهب، أمه: لُبْنى بنت هاجر الخُزَاعي. وقوله: «بإجْرِيًا أوائله» عن غير ابن إسحٰق.

ومنه في التنزيل كثير نحو إثبات هاء السكت في الوصل، وإثبات الألف من أنا، وإثبات ألف الفواصل نحو: ﴿وَتَظُنُّون باللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠٠] وهذا الذي ذكره سيبويه من الضرورة في هاء الإضمار إنما هو إذا تحرك ما قبلها نحو: بِه ولَه، ولا يكون في هاء المؤنث الْبَتَّةَ لخفة الألف، فإن سكن ما قبل الهاء نحو: فيه وبنيه كان الْحَذْفُ أحسنَ من الإثباتِ؛ فإن قلت فقد قرأ عيسى بن مينا: نُصْلِه[١] ويُؤدِّه[٢] وأرْجِه[٣] ونحو ذلك في اثني عشر موضعًا بحذف الياء، وقيل الهاء متحرك، فكيف حسن هذا؟ قلنا: إن ما قبل الهاء في هذه المواضع ساكن، وهو الياء من نُصْلِيه ويُؤدِّيه ويُؤتيه، ولكنه حذف للجازم، فمَن نظر إلى اللفظ، وأنَّ ما قبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتها في: به وله، ومَن نظر إلى الكلمة قبل دخول الجازم، رأى ما قبل الهاء ساكنًا، فحذل الياء، فهما وجهان حَسَنَان بخلاف ما تقدم.

من شرح قصيدة حذيفة:

وذكر في هذا الشعر: وأسعدُ قاد الناس. وهو أسعد أبو حَسَّان بن أسعد، وقد تقدم في التَّبَابِعة، وكذلك أبو شَمِرٍ، وهو شَمِرٌ الذي بنى سَمَرْقَنْد، وأبوه: مالك، يقال له: الأَمْلُوك[٤]، ويحتمل أن يكونَ أراد أبا شَمِرٍ الغَسَّانِيَّ والدَ الحٰرث بن أبي شَمِرٍ.

وعَمْرو بن مالك الذي ذَكر أحْسَبه عَمْرًا ذا الأذعار، وقد تقدم في التبابعة، وهو من ملوك اليمن، وإنما جعلهم مَفْخَرًا لأبي لهب؛ لأن أمه خُزاعية من سبأ، والتبابعة كُلُّهم من حِمْير بن سَبَإٍ، وقد تقدم الخلاف في خُزَاعَة.

وأبو جَبْرٍ الذي ذكره في هذا الشعر: ملكٌ من مُلوك اليمن ذكر الْقُتَبِيُّ أن سُمَيَّة أم

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ومَن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وهذه الآية هي التي استدلّ بها الشافعي رحمه الله تعالى على الإجماع.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ومنهم مَن إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا﴾ [الأعراف: ٧٥].

(٣) في قوله تعالى: ﴿قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين﴾ [الأعراف: ١١١].

(٤) الأملوك: جمع ملك.

قال ابن إسحٰق: وقال مَطْرود بن كَعْب الخُزاعي يَبْكي عبدَ المطلب وبَني عبد مناف:

يٰأيُّـهـا الـرَّجُـلُ الْـمُـحَـوِّلُ رَحْـلَـهُ هـلاَّ سـألْـتَ عـن آل عَـبْـدِ مَـنـاف

هَبَلَتْكَ أُمُّك، لو حَلَلْتَ بدَارهم ضَـمِـنُـوك مِـنْ جُـرْمٍ ومـن إقْـراف

زياد، كانت لأبي جَبْر ملكٍ من ملوكِ اليمنِ، دفعها إلى الحرْث بن كَلَدَة الْمُتَطَبِّبِ في طِبِّ طَبِّه.

زيد أفضل إخوته:

وذكر ولايةَ العباس ـ رضي الله عنه ـ السِّقَاية، وقال: كان من أحْدَثِ إخْوَتِهِ سِنًّا، وكذلك قال في صفةِ النبي ـ ﷺ ـ: كان من أفضل قومِه مُرُوءةً، وهذا مما منعه النحويون أن يقال: زيد أفضل إخوته، وليس بممتنع، وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب، وغيره، وحسُن لأن المعنى: زيد يَفْضُلُ إخوتَه، أو يَفْضُلُ قومَه؛ ولذلك ساغ فيه التنكير، وإنما الذي يمتنع بإجماعٍ: إضافة أفعل إلى التثنية مثل أن تقول: هو أكرم أخويه، إلا أن تقول: الأخوين، بغير إضافة.

من شرح شعر مطرود:

فصل: وذكر في شعر مطرود: منعوك من جَوْرٍ ومن إقراف، أي: منعوك من أن تُنكِح بناتِك أو أخَوَاتِك من لئيم، فيكون الابن مُقْرِفًا لِلؤم أبيه، وكرم أُمه، فيلحقك وصْمٌ من ذلك، ونحو منه قول مُهَلْهِلَ[1]:

أنـكـحَـهـا فـقـدُهـا الأراقِـمَ فـي جَـنْـبٍ، وكـان الـحِـبـاءُ مـن أَدَمِ

أي: أُنْكِحت لغربتها من غير كُفْءٍ. قال مَبْرَمَان[2]: أنشدنا أبو بكر بن دريد: وكان الخِبَاء من أدَم[3]، بخاء معجمة الأعلى، وهو خطأ وتصحيف، وإنما هو بالحاء المهملة، وهو معدود في تصحيفات ابن دريد، وفيه قول الْمُفَجَّع [البصري] ردًا على ابن دُرَيْدٍ:

ألـسـتَ قِـدْمًـا جـعـلـتَ تَـغْـتَـرِقُ م الـطَّـرْفَ بـجَـهْـلٍ مـكـان تَـغْـتـرق[4]

وقـلـت: كـان الـخِـبـاءُ مـن أدَمِ وهـو حِـبـاءُ يُـهْـدَى، ويُـصْـطَـدَقُ

---

(١) هو: امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر.

(٢) برمان: لقب لأبي بكر الأزمي. (٣) أدم: جلد.

(٤) تغترق الطرف: تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحُسنها.

الـخـالِـطِـيـنَ غـنِـيَّـهُـم بـفَـقـيـرهـم | حتـى يَـعُـودَ فـقـيـرُهُـمْ كـالـكـافي
الْـمُـنْـعِـمـيـن إذا الـنُّـجـومُ تـغَـيَّـرت | والـظَّـاعـنـيـن لـرِحْـلـة الإيـلاف
والْـمُـنْـعِـمـيـن إذا الـرِّيـاحُ تَـنَـاوَحَـتْ | حتـى تـغـيـبَ الـشَّـمـسُ فـي الـرَّجَّـاف
إمَّـا هـلـكْـتَ أبـا الـفَـعَـال فـمَـا جَـرَى | من فـوق مـثـلـك عِـقْـد ذات نِـطـاف
إلا أبـيـك أخِـي الْـمَـكـارِم وحـدَه | والـفـيـض مُـطَّـلـب أبـي الأضـيـاف

وذلك أن مُهَلْهِلاً نزل في جَنْبٍ، وهو حَيٌّ وضيعٌ من مَذْحِج. فخطبت ابنته، فلم يستطع مَنْعَها، فزوَّجَها، وكان نقدُها من أدَمٍ، فأنشد:

أنـكَـحَـهـا فَـقْـدُهـا الأراقِـمَ فـي | جَـنْـبٍ، وكـان الـحِـبـاء مـن أدَمِ
لـو بـأبـانَـيْـنِ[1] جـاء خـاطِـبُـهـا | ضُـرِّجَ مـا أنـفُ خـاطـبٍ بـدَم

وقوله: حتى تغيبَ الشمسُ بالرَّجَّافِ، يعني: البحر. لأنه يَرْجُف. ومن أسمائه أيضًا: خُضَارَة، [سُمِّي بذلك لخُضْرَة مائه]. والدَّأْمَاء [سُمِّي بذلك لتداؤم أمواجه أي: تراكمها، وتكسر بعضها على بعض] وأبو خالد.

وقوله: عِقْدُ ذاتُ نِطافِ. النُّطَفُ: اللؤلؤ الصافي. ووصِيفةٌ مُنَطَّفَةٌ [ومَتَنَطِّفَة] أي: مُقَرَّطَة بِتُومَتَيْنِ [والتُّومَة: اللُّؤلؤة، أو حبة تعمل من الفضة كالدُّرَّةِ] والنَّطَفُ في غير هذا: التَّلطُّخُ بالعَيْب، وكلاهما من أصل واحد، وإن كانا في الظاهر متضادين في المعنى؛ لأن النُّطْفَةَ هي الماء القليل، وقد يكون الكثير، وكأن اللؤلؤَ الصّافي أُخِذ من صفاء النُّطْفَةِ. والنَّطَفَ الذي هو العيب: أُخذ من نُطْفَة الإنسان، وهي ماؤه، أي كأنه لُطِّخ بها.

وقوله: والْفَيْض مُطَّلب أبي الأضياف. يريد: أنه كان لأضيافه كالأب. والعرب تقول لكل جواد: أبو الأضياف. كما قال مُرَّةُ بن مَحْكَان [السَّعْدِي التَّمِيمِيّ سيد بني رُبَيْع]:

أُدْعَـى أبـاهـم، ولـم أقْـرِف بـأُمِّـهِـمُ | وقد عَـمِـرْت. ولم أعْـرِفْ لـهـم نَـسَـبًـا

اللهبي العائف:

فصل: وذكر خَبَرَ اللِّهْبِيِّ العائفِ. قال ابن هشام: ولِهْبٌ: حَيٌّ من الأزْدِ: وقال غيره: وهو لِهْبُ بنُ أحْجَن بن كَعْب بن الحارثِ بنِ كعب بن عبدِ الله بن مالِكِ بن نَصْر بن الأزْد. وهي القبيلة التي تُعْرفُ بالعِيافة[2] والزَّجْرِ. ومنهم اللِّهْبِيُّ الذي زَجَر حين وقعت

---

(١) الأبانان: جبلان بالبادية واسم أحدهما: أبان والآخر: متالع.
(٢) العيافة: معرفة الأثر.

قال ابن إسحٰق: فلما هَلك عبدُ المطَّلب بنُ هاشم وَلِيَ زمزمَ والسِّقَاية عليهما بعده العبَّاسُ بنُ عبد المطلب، وهو يومئذ من أحدث إخوته سِنًّا، فلم تزل إليه، حتى قام الإسلامُ وهي بيده. فأقرّها رسولُ الله - ﷺ - له على ما مَضَى من ولايته، فهي إلى آل العبَّاس، بولاية العبّاس إياها، إلى اليوم.

الحصاةُ بِصَلْعَةِ عُمَرَ رضي الله عنه - فأدْمَتْه، وذلك في الحج، فقال: أُشْعِر أميرُ الْمُؤمنين. والله لا يَحُجُّ بعد هذا العام، فكان كذلك[1] واللِّهْبُ: شَقٌّ في الجبلِ[2] [والجمع: أَلْهاب ولُهُوبٌ] وبنو ثُمَالَةَ رَهطُ الْمُبَرّدِ الثُّمَالِيِّ: هُمْ بنو أَسْلَم بن أحْجَن بن كَعْبٍ. وثُمَالَةُ: أُمُّهم. وكانت العِيافة والزجر في لِهْب قال الشاعر[3]:

سـألـتُ أخـا لِـهْـبٍ لِـيَـزْجُـرَ زَجْـرَةً ... وقَـد رُدَّ زَجْـرُ الـعـالـمـيـن إلـى لِـهْـبِ

وقوله: لِيَعْتَافَ لهم: وهُو يَفْتَعِل من الْعَيْفِ. يقال: عِفْتُ الطيرَ. واعْتَفْتُها عِيَافَة واعْتِيافًا: وعِفْتُ الطعامَ أعافُه عَيْفًا. وعافت الطيرُ الماءَ عِيَافًا.

---

(١) لا صحة لهذا.
(٢) اللهب: المضيف بين الجبلين. مقاييس اللغة (٣/ ٢١٣).
(٣) هو: كُثَيِّر عزّة.

كفالة أبي طالب لرسول الله ﷺ

وكان رسولُ الله - ﷺ - بعد عبد المطَّلب مع عَمِّه أبي طالب، وكان عبدُ المطَّلب - فيما يزعمون - يُوصي به عَمَّه أبا طالب، وذلك لأنّ عبدَ الله أبا رسول الله - ﷺ -، وأبا طالب أخوان لأب وأمٍّ أُمُّهُمَا: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بنِ عِمْران بن مَخْزُوم [بن يَقَظَةَ بن مُرَّة].

قال ابن هاشم: عائذ بن عِمْران بن مَخْزوم.

قال ابن إسحٰق: وكان أبو طالب هو الذي يَلي أمرَ رسول الله ﷺ بعد جدّه، فكان إليه ومعه.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير، أن أباه حدّثه: أنّ رجلاً من لِهْب - قال ابن هشام: ولِهْب: من أَزْدشَنُوءَةَ - كان عائفًا، فكان إذا قَدِمَ مكَّة أتاه رجالُ قُرَيش بغِلْمانهم ينظر إليهم، ويَعْتَاف لهم فيهم. قال: فأتى به أبو طالب، وهو غلام مع مَن يأتيه، فنظر إلى رسول الله - ﷺ -، ثم شغله عنه شيء، فلما فَرغ قال: «الغلام. عليّ به»، فلَمَّا رأى أبو طالب حِرْصَه عليه غَيَّبَه عنه، فجعل يقول: «وَيْلَكُمْ! رُدُّوا عليَّ الغلام الذي رأيت آنِفًا، فوالله لَيَكُونَنَّ له شأن». قال: فانطلق أبو طالب.

قصة بحيرى[1]

قال ابن إسحٰق: ثم إنّ أبا طالب خرج في ركْبٍ تاجرًا إلى الشام، فلما تهيَّأ للرحيل، وأجمع المسيرَ صَبَّ به رسولُ الله ﷺ - فيما يزعمون - فَرَقَّ له، وقال: والله

قصة بحيرى

فصل: في قصة بحيرى وسَفَر أبي طالبٍ بالنبي - ﷺ - وقع في سِيَر الزُّهرِيِّ أن

(١) انظر البداية (٢/ ٢٦٣). الخصائص للسيوطي (١/ ١٤١) والطبري في تاريخه (١/ ٥١٩).

لأَخْرُجَنَّ به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبدًا، أو كما قال. فخرج به معه، فلما نزل الركبُ بُصْرَى من أرض الشام، وبها راهب يقال له: بَحِيرَى في صَوْمَعَة له، وكان إليه عِلْمُ أهْلِ النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قَطّ راهبٌ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ـ فيما يزعمون يتوارثونه كابرًا عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام بِبَحِيرَى، وكانوا كثيرًا ما يمرّون به قبلَ ذلك، فلا يكلِّمهم، ولا يَعْرِض لهم، حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريبًا من صَوْمعته صنع لهم طعامًا كثيرًا، وذلك ـ فيما يزعمون ـ عن شيء رآه وهو في صومعته، يزعمون أنّه رأى رسولَ الله ـ ﷺ ـ وهو في صَوْمعته في الرَّكْب حين أقبلوا، وغَمَامة تُظِلُّه من بين القوم. قال: ثم أقبلوا فنزلوا في ظلّ شجرة قريبًا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشجرة، وتَهصّرت أغصانُ الشجرة على رسول الله ـ ﷺ ـ حتى استظلّ تحتها، فلما رأى ذلك بَحِيرى نَزل من صَوْمعته وقد أمر بذلك الطعام فصُنع، ثم أرسل إليهم، فقال: إني قد صنعتُ لكم طعامًا يا معشرَ قُريش، فأنا أُحبُّ أن تحضُروا كلُّكم، وصغيرُكم وكبيرُكم، وعبدُكم وحُرُكم، فقال له رجل منهم: والله يا بَحِيرَى إنّ لك لشأنًا اليومَ! ما كنتَ تصنع هذا بنا، وقد كنَّا نَمُرّ بك كثيرًا، فما شأنك اليومَ؟! قال له

بَحيرَى كان حَبْرًا من يَهُودِ تَيْماءَ[1]، وفي المسعودي: أنه كان من عبد الْقَيْسِ، واسمُه: سَرْجِسُ، وفي المعارف لابن قُتَيْبَةَ[2]، قال: سُمِع قبل الإسلام بقليلٍ هاتفٌ يهتف: ألاَ إن خيرَ أهلِ الأرضِ ثلاثة: بَحيرَى، ورِبابُ بنُ الْبَرَاء الشَّنّيّ والثالثُ: الْمُنتظَرُ، فكان الثالثُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال الْقُتَبِيُّ: وكان قَبْرُ رِبَاب الشَّنّيّ، وقبر ولدِه من بعده، لا يزال يُرى عليها طَشٌّ، والطَّشُّ: المطرُ الضّعيفُ[3].

وقال فيه: فَصَبَّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ بعمه. الصَّبَابَةُ: رِقَّةُ الشوقِ، يقال: صَبِبْتُ ـ بكسر الباء ـ أَصَبُّ، ويذكر عن بعض السَّلَفِ أنه قرأ: ﴿أَصَبُّ إليهِنَّ وأَكُنْ من الْجاهِلين﴾ [يوسف: ٣٣]. وفي غير رواية أبي بَحْرٍ: ضَبَثَ[4] به رسولُ الله ـ ﷺ ـ أي: لَزِمه قال الشاعر:

كأن فؤادي في يد ضَبَثَتْ به ... مُحاذِرةَ أن يَقْضِبَ الحبلَ قاضبُه

فكان رسول الله ـ ﷺ ـ إذ ذاك ابنَ تسعِ سنين فيما ذكر بعضُ من أَلَّف في السِّيَرِ، وقال الطبري: ابنِ ثِنْتَيْ عشرة سنة[5].

---

(١) بلد صغير في أطراف الشام. (٢) المعارف (ص ٣٠).
(٣) طش: الطاء والشين: أصل يدل على قلّة في مطر. انظر مقاييس اللغة (٣/ ٤١٠).
(٤) وفي الطبري: ضَبَّ. (٥) وفي الطبري: ابن تسع سنين.

بحيرَى: صدقتَ، قد كان ما تقول، ولكنَّكم ضَيْفٌ، وقد أحببتُ أن أكرمكم، وأصنَع لكم طعامًا، فتأكلوا منه كُلُّكم. فاجتمعوا إليه، وتخلَّف رسولُ الله - ﷺ - من بين القوم، لحداثة سنّه، في رِحال القوم تحت الشجرة، فلما نَظَرَ بَحيرَى في القوم لم يَرَ الصِّفَةَ التي يعرِفُ ويَجدُ عنده، فقال: يا معشر قُريش: لا يتخلَّفنّ أحدٌ منكم عن طعامي، قالوا له: يا بَحيرَى، ما تخلَّف عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيكَ إلا غلامٌ، وهو أحدثُ القوم سنًّا، فتخلَّف في رِحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه، فليحضُر هذا الطعامَ معكم، قال: فقال رجل من قُرَيش مع القوم: واللّات والعُزَّى، إن كان لَلُؤمٌ بنا أن يتخلَّف ابن عبد الله بن عبد المطَّلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتَضَنَه، وأجلسه مع القوم. فلما رآه بَحيرَى، جعل يَلْحَظُه لَحْظًا شديدًا، ويَنْظُرُ إلى أشياء من جَسَده، وقد كان يَجِدُها عنده من صفته، حتى إذا فَرَغ القومُ من طَعامهم وتفرّقوا، قام إليه بَحيرَى، فقال: يا غلام، أسألك بحقّ اللّات والعُزَّى إلا ما أخبرتني عمَّا أسألكَ عنه، وإنما قال له بَحيرَى ذلك؛ لأنه سَمِع قَومه يَحلِفون بهما، فزَعموا أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسألني باللّات والعُزّى شيئًا، فوالله ما أبغضتُ شيئًا قطُّ بُغضَهما»، فقال له بَحيرَى: فبالله إلاّ ما أخبرتَني عما أسألك عنه، فقال له: «سَلْني عمَّا بدا لك». فجعل يسأله عن أشياء من حالِهِ من نَوْمه وهَيْئته وأُموره، فجعل رسولُ الله ﷺ يُخبره، فيوافق ذلك ما عند بَحيرَى من صِفَتِهِ، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتَمَ النبوّة بين كَتِفَيْه على موضعه من صفَته التي عنده.

قال ابن هشام: وكان مثلَ أثر المِحْجَم.

من صفات ختم النبوة:

وذكر فيه خاتَمَ النبوة وقول ابن هشام: كان كأثر المِحْجَم يعني: أَثَرَ المِحْجَمَةِ القابضةِ على اللحم، حتى يكون ناتِئًا. وفي الخبر أنه كان حوله حِيلاَن فيها شَعَراتٌ سُودٌ. وفي صفته أيضًا أنه كان كالتفاحة، وكَزِرِّ الْحَجَلَةِ وفسره الترمذي تفسيرًا وهِم فيه فقال: زِرُّ الْحَجَلَة يقال: إنه بَيْضٌ له فتوهَّم الْحَجَلَةَ من الْقَبَجِ وإنما هي حَجَلَة السَّرير، واحدةُ: الْحِجَال، وزِرُّها الذي يدخل في عُرْوَتها - قال عليّ - رِضوانُ اللّهِ عليهِ - لأهل العراق: يا أَشْبَاهَ الرجال، ولا رِجَالَ، ويَا طَغَامَ الأحلامِ، ويا عقولَ رَبَّات الْحِجَالِ[1]. وفي حديث آخر: كان كبيضَة الحمامة، وفي حديث عَيَّاذِ بن عَبْدِ عَمْرٍو، قال: رأيت خاتَمَ النبوة، وكان كَرُكْبَةِ الْعَنْز. ذكره النَّمَرِيُّ مُسْنَدًا في كتاب الاسْتِيعاب، فهذه خمس رواياتٍ في صفةِ الخاتم:

---

(١) انظر نهج البلاغة (١/ ١٦٤).

قال ابن إسحٰق: فلما فَرَغَ، أقبل على عَمِّه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلامُ منك؟ قال: ابني. قال له بَحيرَى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا، قال: فإنه ابنُ أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبْلَى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحْذَر عليه يَهُودَ، فوالله لئن رأوْه، وعرفوا منه ما عرفتُ لَيَبْغُنَّه شرًّا، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم، فأسْرِع به إلى بلاده.

كالتفاحة وكَبَيْضَةِ الحمامةِ[1]، وكَزِرِّ الْحَجَلَة[2]، وكأثر الْمِحْجَم وكرُكْبَةِ الْعَنْز ورواية سادسة: وهي رواية عبد الله بن سَرْجِس: قال: رأيت خاتم النبوة كالْجُمْع[3] يعني: كالْمِحْجَمَة، [وفي الآلة التي يجتمع بها دمُ الْحِجامة عند المصّ] لا كجُمْع الْكَفّ، ومعناه كمعنى الأول أي كأثر الْجُمْعِ. وقد قيل في الجُمْع: إنه جُمْعُ الكَفّ: قاله القُتَبِيُّ: والله أعلم.

وروايةٌ سابعة عن أبي سعيد الْخُدْري ـ رضي الله عنه ـ وقد سئل عن خاتم النبوة: فقال: بِضْعَة ناشزة[4] هكذا: ووضع طَرَف السَّبَّابة في مَفْصِل الإبهام، أو دون الْمَفْصِل، ذكرها يونس عن ابن إسحٰق، وفي صفته أيضًا رواية ثامنة، وهي رواية من شبهه بالسِّلْعة[5]، وذلك لِنُتُوِّه، وقد تقدم حديث، فيه عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا بيانُ وَضْعِ الخاتم بين كتفيه متى كان. وروى التِّرْمِذِيُّ في مصنفه، قال: حدّثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي، حدّثنا عبدُ الرحمن بن غَزْوَان أبو نوح، أخبرنا يونس، عن أبي إسحٰق، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي ـ ﷺ ـ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا، فَحَلُّوا رحالهم: فخرج إليهم الراهبُ، وكانوا قبلَ ذلك يمرون به، فلا يخرج إليهم، ولا يلتفت: فجعل يَتَخَلَّلُهُمْ الرَّاهبُ: وهم يَحلُّون رِحَالَهم: حتى جاء فأخذ بِيَدِ رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسولُ ربِّ العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخٌ من قريش: ما عَلَّمَك؟. فقال: إنكم حين أشرفتم من العَقَبَةِ لم يبق حَجَرٌ، ولا شجر إلا خَرَّ ساجِدًا: ولا يسجُدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غُضْرُوف كتفه. ويقال: غُرضُوف مثل التفاحة. ثم رجع: فصنع لهم طعامًا، فلما أتاهم به ـ وكان هو في رِعْيَة الإبل ـ قال: أرسِلوا إليه. فأقبل وعليه غَمامة تُظِلُّه، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَيْءِ الشجرة، فلما جلس مال فَيْءُ الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيءِ الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم

---

(١) «صحيح». أخرجه مسلم والترمذي في الشمائل (٣٦٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل (١١١) وأحمد (٥/ ٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في السابق (١١٢). (٤) أخرجه مسلم في الشمائل (٣٥).

(٥) السلعة: زيادة في البدن كالغدة. والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (١١٧).

فخرج به عمُه أبو طالب سريعًا، حتى أقدَمه مكة حين فَرَغَ من تجارته بالشام فزعموا فيما رَوى الناسُ: أن زُرَيْرًا وتَمَّامًا ودَرِيسًا ـ وهم نَفَر من أهل الكتاب ـ قد كانوا رأوْا من رسول الله ـ ﷺ ـ مثل ما رآه بَحِيرَى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمِّه أبي طالب، فأرادوه، فردّهم عنه بحيرى، وذكَّرهم اللَّهَ وما يجدون في الكتاب من ذِكْرِه وصفَتِه، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلُصوا إليْه، وَلَمْ يَزلْ بهم، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدّقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه. فشَبّ رسول الله ـ ﷺ ـ والله تعالى يَكْلؤُه، ويحفظه ويحوطُه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومه مُرُوءةً، وأحسنَهم خُلقًا، وأكرمَهم حَسَبًا، وأحسنَهم جِوَارًا، وأعظمهم حِلْمًا، وأصدقَهم حديثًا، وأعظمَهم أمانةً، وأبعدَهم من الفحش والأخلاق التي تُدنِّسُ الرجال، تَنَزُّهًا وتَكَرُّمًا، حتى ما اسمه في قومِهِ إلا الأمين، لِمَا جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

عليهم، وهو يناشدُهم ألاَّ يذهبوا به إلى الروم، فإن الرومَ إن رأوْه عرفوه بالصفة، فيقتُلُونه، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم فقالوا: جئنا أن هذا النبيَّ خارجٌ في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بُعِث إليه بِأُناسٍ، وإنّا قد اخترنا خيرة بعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خَلْفكم أحدٌ هو خير منكم، فقالوا: إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا، قال: أفَرَأَيْتُمْ أمرًا أراد الله أن يقضيه: هل يستطيع أحدٌ من الناس رَدَّه؟ قالوا: لا، قال: فبايَعُوه وأقاموا معه. قال: أنشُدُكمْ باللَّهِ أيُّكم وليُّه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يُناشِدُه حتى ردّه أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بلالاً ـ رضي الله عنهما ـ وزوّده الراهبُ من الكَعْكِ والزيت، قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه[1]. ومما قاله أبو طالب في هذه القصة:

أَلَمْ تَرَني من بعدِهَمٌ هَمَمْتُه ... بفُرْقَة حُرّ الوالدين كِرامِ
بأحمدَ لما أنْ شَدَدْتُ مَطِيَّتي ... لترحلَ إذْ ودَّعتُه بسلامِ
بكى حَزَنًا والعِيسُ قد فَصَلَتْ بنا ... وأمسكت بالكفين فَضْلَ زِمامِ
ذكرت أباه، ثم رَقْرَقْتُ عَبْرَةً ... تجود من العينين ذاتَ سِجَامِ
فقلت: تروح راشدًا في عُمُومةٍ ... مواسين في البَأْسَاءِ غير لئامِ
فرُحْنا مع العِير التي راح أهلها ... شآمِي الهوى، والأصْلُ عيرُ شآمِي
فلما هَبَطْنَا أرضَ بُصْرى تَشَرَّفوا ... لنا فوق دُورٍ ينظرون جِسامِ

---

(١) ضعيف مضطرب. أخرجه الترمذي (٣٩٢٠).

وكان رسولُ الله ﷺ - فيما ذُكر لي - يُحَدّث عما كان الله يحفظه به في صِغَرِهِ وأمر جاهليته، أنه قال:

لقد رأيتُنِي في غِلْمانِ قُريش نَنْقُلُ حجارةً لبعض ما يلعب به الغلْمانُ، كلُّنا قد تَعَرَّى، وأخذ إزارَه، فجعله على رَقَبته، يحمل عليه الحجارة، فإني لأُقبل معهم كذلك وأُدْبر، إذ لَكَمَني لاكِمٌ ما أراه، لكمةً وَجِيعةً، ثم قال: شُدَّ عليك إزارك. قال: فأخذتُه وشددتُه عليّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عَلَيّ من بين أصحابي[1].

حرب الفجار[2]

قال ابن هشام: فلما بلغ رسولُ الله - ﷺ - أربعَ عشرةَ سنةً، أو خمسَ عشرةَ سنةً

فجاء بَحيرَى عند ذلك حاشدًا　　　لنا بشراب طيِّبٍ وَطَعامِ

فقال: اجْمَعُوا أصحابكم لطعامنا　　　فقلنا: جمعنا القوم غير غلاَمِ

ذكره ابن إسحٰق في رواية يونس عنه، وذكر باقي الشعر.

حفظه في الصغر:

فصل: وذكر ما كان الله سبحانه وتعالى يحفظه به: أنه كان صغيرًا يلعب مع الغلمان، فَتَعَرَّى فَلَكَمَهُ لاكمٌ. الحديث. وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بُنْيان الكعبة، وكان رسولُ الله - ﷺ - يَنْقُلُ الحجارة مع قومه إليها، وكانوا يجعلون أُزُرَهُمْ على عواتقهم لِتَقِيَهم الحجارةَ، وكان رسولُ الله - ﷺ - يحملها على عاتقه، وإزارُه مَشْدُودٌ عليه، فقال له العباس رضي الله عنه: يا بن أخي! لو جعلتَ إزَارك على عاتقك، ففعلَ فسقَط مَغْشيًّا عليه، ثم قال: إزاري إزاري! فَشَدَّ عليه إزَارَه، وقام يحمل الحجارة، وفي حديث آخر: أنه لما سقط، ضَمَّه العباسُ إلى نفسِه، وسأله عن شأنه، فأخبره أنه نُودي من السماء: أنِ اشْدُدْ عليك إزارَكَ يا محمد، قال: وإنه لأوّلُ ما نُودِي. وحديثُ ابن إسحٰق، إن صحّ أنه كان ذلك في صغره، إذ كان يلعب مع الغلمان: فَمَحْمَلُه على أن هذا الأمرَ كان مرتين: مَرَّةً في حال صغره، وَمَرَّةً في أولِ اكْتِهالِه عند بنيان الكعبة.

قصة الفجار

والفِجار بكسر الفاء بمعنى: الْمُفاجَرة كالقتالِ والمُقَاتَلَة، وذلك أنه كان قِتالاً في الشهرِ

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) انظر المنتظم (٢/٢٩٦)/ الطبقات لابن سعد (١/١٢٦)/ الكامل (١/٤٦٨)/ البداية (٢/٢٦٨).

- فيما حدّثني أبو عُبيدة النحويّ، عن أبي عمْرو بن العلاء - هاجت حربُ الْفِجَار بين قُريش، ومَن معها من كِنانة، وبين قَيْس عَيْلانَ. وكان الذي هاجها أنَّ عُرْوَة الرَّحّال بن عُتْبَة بن جَعْفَر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوَازن، أجار لَطِيمةً للنعمان بن الْمُنْذر، فقال له الْبَرّاض بن قَيْس، أحد بني ضَمْرة بن بَكْر بن عَبْد مَنَاة بن كِنانة: أتُجيرها على كِنانة؟ قال: نعم، وعلى الخَلْق، فخرج فيها عُرْوَةُ الرَّحّال، وخرج الْبَرّاض يَطْلب غَفْلته، حتى إذا كان بتَيْمِنَ ذي طَلاَّل بالعالية، غَفل عُرْوَةُ، فَوثب عليه الْبَرّاض، فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سُمّي: الفِجَار. وقال الْبَرّاض في ذلك:

وداهِـيَـةٍ تُـهِـمُّ الـنَّـاس قَـبْـلـي	شَدَدْتُ لها - بني بَكْر - ضُلوعي
هـدَمْـت بـهـا بُـيُـوتَ بـنـي كِـلابٍ	وأرْضَـعْـتُ الْـمَـواليَ بـالـضُّـروع
رفَـعْـتُ لَـه بِـذي طَـلاَّلَ كَـفِّـي	فَـخَـرَّ يـمـيـدُ كـالْـجِـذْع الـصَّـرِيـع

الحرامِ، فَفَجَرُوا فيه جميعًا، فسمي: الْفِجَارَ، وكانت للعرب فِجَارَاتٌ أربع، ذكرها المسعودي، آخرُها: فِجَارُ الْبَراضِ المذكور في السيرة، وكان لكنانةَ ولِقَيْس فيه أربعةُ أيام مَذْكورة: يوم شَمْطة، ويوم الشَّرِبِ، وهو أعظمُها يومًا، وفيه قَيَّد حَرْبُ بنُ أُمَيَّةَ وسُفْيَان وأبو سُفْيانَ أبناءُ أُمَيَّةَ أنفُسَهم كي لا يَفِرُّوا، فَسُمُّوا: الْعَنابِسَ[1]، ويوم الْحُرَيْرَةِ عند نَخْلَة، ويوم الشَّرِبِ انهزمت قيسٌ إلاَّ بني نَضرٍ منهم، فإنهم ثبتوا، وإنما لم يقاتل رسولُ الله - ﷺ - مع أعمامِه، وكان يَنْبُلُ عليهم، وقد كان بلغ سِنَّ القتالِ؛ لأنها كانت حَرْبَ فِجارٍ، وكانوا أيضًا كلُّهم كُفَّارًا، ولم يأذنِ اللَّهُ تعالى لمؤمن أن يقاتلَ إلاَّ لتكونَ كلمةُ اللَّهِ هي العُلْيا.

واللَّطِيمةُ: عِيرٌ تَحْمِلُ الْبَزَّ والْعِطرَ.

وقوله: بذي طَلاَّلَ بتشديد اللام، وإنما خففه لَبِيدٌ في الشعر الذي ذكره ابن إسحٰق هٰهنا للضرورة.

منع تنوين العلم:

وقول البرّاضِ: رفعتُ له بذي طَلاَّلَ كَفِّي. فلم يَصْرفه، يجوز أن يكونَ جعله اسمَ بُقعةٍ، فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف، فإن قلت: كان يجب أن يقول: بذاتِ طَلاَّل، أي: ذات هذا الاسم للمؤنث، كما قالوا: ذو عَمْرٍو أي: صاحبُ هذا الاسمِ، ولو كانت

---

(١) العنابس: جمع عنبس وهم أولاد أمية بن عبد شمس. والعنبس من أسماء الأسد.

وقال لَبيد بن مالك بن جَعْفَر بن كِلاب:

أَبْلِغْ - إنْ عَرَضْت - بني كِلابٍ وعامرَ وَالخُطُوبُ لها مَوَالي

وبلغ إنْ عرضت بني نُمَيْرٍ وأَخْوَالَ القَتيل بني هِلال

بأنّ الوَافِدَ الرَّحَّال أمسى مُقيمًا عندَ تَيْمِنَ ذي طَلالا[1]

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابنُ هشام. قال ابن هشام: فأتى آتٍ قريشًا، فقال: إنّ الْبَرَّاض قد قَتل عُرْوَةَ، وهم في الشهر الحرام بعُكَاظ، فارتحلُوا، وهَوازنُ لا تَشْعُرُ، ثم بلغهم الخبرُ فأتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، ودخلوا الحرمَ، فأمسكت عنهم هَوازن، ثم التَقَوْا بعد هذا اليوم أيامًا، والقومُ

أُنثى، لقالوا: ذاتُ هذا، فالجواب: أن قوله: بذي يجوز أن يكون وَصْفًا لطريق، أو جانب مضافٍ إلى طَلاَل اسم البقعة. وأحسنُ من هذا كُلِّه أن يكونَ طَلاَلُ اسْمًا مذكّرًا علَمًا، والاسمُ العلَمُ يجوز تركُ صرفِه في الشعرِ كثيرًا، وسيأتي في هذا الكتاب من الشواهدِ عليه ما يدلُّك على كثرته في الكلام، ونؤخرُ القولَ في كشْفِ هذه المسألةِ وإيضاحِها إلى أن تأتيَ تلك الشواهدُ - إن شاء الله - ووقع في شعر البَرّاضِ مُشَدَّدًا، وفي شعر لَبِيدٍ الذي بعد هذا مُخُفَّفًا، وقلنا: إن لبيدًا خففه للضرورة، ولم يُقَل: إنه شَدَّدَ للضرورة، وإن الأصلَ فيه التخفيف، لأنه فَعَّال من الطَلِّ، كأنه موضعٌ يكثر فيه الطَّلُّ، فَطَلاَل بالتخفيف لا معنى له، وأيضًا؛ فإنّا وجدناه في الكلام المنثورِ مُشَدَّدًا، وكذلك تقيد في كلام ابن إسحٰق هذا في أصلِ الشيخ أبي بَحْرٍ.

من تفسير شعر البراض:

وقوله في البيت الثاني: وألحقتُ المواليَ بالضُّروع. جمع: ضرْع، هو في معنى قولهم: لئِيمٌ راضعٌ، أي: ألحقتُ المواليَ بمنزلتهم من اللُّؤْمِ ورَضاع الضُّرُوع، وأظهرت فَسَالتَهُمْ[2] وهَتَكْتُ بيوتَ أشرافِ بني كِلابٍ وصُرَحَائِهِم[3].

وقول لبيد: بَيْن تَيْمَنَ ذي طَلاَلٍ. بكسر الميم وبفتحها، ولم يَصْرِفْهُ لِوَزْنِ الفِعل، والتعريف؛ لأنه تَفْعِل، أوْ تَفْعَل من الْيُمْن أو الْيَمين.

---

(١) ذي طلال: وادي بفدك وقيل بنجد.

(٢) الفسل: الفاء والسين والام أصلٌ صحيح يدل على ضعف وقلّة. من ذلك: الرجل الفسل: وهو الرديء من الرجال. مقاييس اللغة (٤/٥٠٣).

(٣) صرحائهم: جمع صرح.

مُتساندون، على كلّ قَبِيل من قريش وكِنانة رئيسٌ منهم، وعلى كلّ قَبيل من قَيْس رئيسٌ منهم.

وشهد رسولُ الله - ﷺ - بعض أيامهم، أخرجه أعمامُه معهم، وقال رسول الله - ﷺ -: «كنت أُنَبِّلُ على أعمامي»، أي: أرُدّ عنهم، نَبْلَ عدوّهم، إذا رَمَوْهم بها[1].

قال ابن إسحٰق: هاجت حربُ الفِجَار، ورسولُ الله - ﷺ - ابنُ عشرين سنة، وإنما سمّي يوم الفِجَار، بما استحلّ هذان الحيّان: كنانةُ وقَيْسُ عَيْلان فيه الْمَحارم بينهم.

وكان قائدَ قريش وكنانة حَرْبُ بني أميّة بن عَبْد شَمْس، وكان الظَّفر في أوّل النهار لقَيْس على كِنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظَّفَرُ لكنانة على قيس.

قال ابن هشام: وحديثُ الفِجار أطول ممّا ذكرت، وإنما منعني من استقصائه قَطْعُه حديثَ رسول الله ﷺ.

آخر أمر الفجار:

وكان آخرُ أمرِ الفِجارِ أن هَوَازِنَ وكِنانة تواعدوا للعام القابِل بعُكَاظَ فجاؤوا للوعدِ، وكان حَرْبُ بن أُمَيَّةَ رَئيسَ قُرَيْشٍ وكِنانة، وكان عُتْبَةُ بن رَبِيعَة يتيمًا في حِجْرِه، فضَنَّ به حَرْبٌ، وأشفق من خُروجه معه، فخرج عُتْبَةُ بغير إذْنِه، فلم يَشْعُروا إلاّ وهو على بعيرِه بين الصَّفَّين ينادي: يا مَعْشَرَ مُضَرَ، عَلامَ تقاتلون؟ فقالت له هَوازِنُ: ما تدعو إليه؟ فقال: الصلح، على أن ندفعَ إليكم دِيَةَ قَتْلاكُمْ، ونَعْفو عن دمائِنا، قالوا: وكيف؟ قال: ندفع إليكم رَهْنًا مِنَّا، قالوا: ومَنْ لنا بهذا؟ قال: أنا. قالوا: ومَنْ أنت؟ قال: عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شَمْس، فرَضُوا ورضيت كِنانةُ، ودفعوا إلى هَوازِنَ أربعين رَجُلاً: فيهم: حكيمُ بن حِزَام [بن خُوَيْلد]، فلما رأت بنو عامر بن صَعْصَعَة الرَّهْنَ في أيديهم، عَفَوْا عن الدماءِ، وأطلقوهم وانقضت حَرْبُ الفِجَار، وكان يقال: لم يَسُدْ من قريشٍ مُمْلِقٌ إلاّ عُتْبَةُ وأبو طالب، فإنهما سادا بغير مال.

---

(١) أورده ابن كثير في البداية (٢/٢٦٩) وفي الطبقات لابن سعد (١/١٢٦).

حديث تزويج

رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها[1]

قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله - ﷺ - خمسًا وعشرين سنة، تزوّج خديجةَ بنتَ خُوَيْلد بن أسَد بن عَبد العُزّى بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب، فيما حدّثني غيرُ واحد من أهل العِلْم عن أبي عمرو المَدَني.

قال ابن إسحٰق: وكانت خديجةُ بنتُ خُوَيْلد امرأةً تاجرة، ذاتَ شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتُضاربهم إياه، بشيء تجعلُه لهم، وكانت قُرَيش قومًا تِجَارًا، فلما بلغها عن رسول الله - ﷺ - ما بلغها، من صدْق حديثه، وعِظَم أمانته، وكَرَم أخلاقه، بعثَتْ إليْه، فعَرضَتْ عليه أن يَخْرُج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتُعطيه أفضلَ ما كانت تُعطي غيرَه من التُّجّار، مع غُلام لها يقال له: مَيْسَرَة، فقَبِله رسولُ الله - ﷺ - منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامُها مَيْسَرَة، حتى قَدِم الشام.

فنزل رسولُ الله - ﷺ - في ظِلّ شجرة قريبًا من صَوْمَعَةِ راهب من الرّهبان، فاطّلع الراهبُ إلى مَيسرة، فقال له: مَنْ هذا الرجلُ الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له مَيْسرة: هذا رجلٌ من قريش من أهل الحَرَم، فقال له الراهبُ: ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلاَّ نبيٌّ[2].

فصل في تزويجه عليه السلام خديجة رضي الله عنها

شرح قول الراهب:

ذكر فيه قول الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلاَّ نَبِيٌّ. يريد: ما نزل تحتها هذه

(١) انظر المنتظم (٢/ ٣١٣)/ الكامل (١/ ٥٦٩)/ البداية (٢/ ٢٧٢)/ الطبري (١/ ٥٢١).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (٢/ ٣١٣) وابن سعد في الطبقات (١/ ١٢٩) وأبو نعيم في=

ثم باع رسولُ الله - ﷺ - سِلْعَته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافِلاً إلى مكة، ومعه مَيْسَرَة، فكان مَيْسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الْهَاجِرَةُ، واشتدّ الحرّ، يرى مَلَكَيْن يُظِلاَّنه من الشمس - وهو يسير على بعيره، فلما قَدِمَ مكةَ على خديجة بمالها، باعتْ ما جاء به، فأضْعف أو قريبًا. وحدّثها مَيْسرةُ عن قول الراهب، وعمَّا كان يرى من إظلال المَلَكَيْن إياه، وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها مَيْسرةُ بما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله - ﷺ - فقالت له - فيما يزعمون: يا بْنَ عَمّ، إني قد رَغِبتُ فيك لقَرابتك، وَسِطَتِك في قومك وأمانتك، وحُسْن خلقك، وصِدْق حديثك، ثم عرضت عليه نفسهَا، وكانت خديجة يومئذ أوسطَ نساء قريش نسبًا، وأعظمَهُنَّ شرفًا، وأكثَرَهُنَّ مالاً، كلّ قومها كان حريصًا على ذلك منها لو يقدُر عليه.

الساعةَ إلا نَبِيٌّ، ولم يُرِد: ما نزل تحتها قطّ إلاَّ نَبي؛ لبعد العهد بالأنبياءِ قبل ذلك، وإن كان في لفظ الخبر: قَطّ، فقد تكلم بها على جهةِ التوكيد للنفي، والشجرةُ لا تُعَمَّر في العادة هذا الْعُمُرَ الطويلَ حتى يَدْرِي أنه لم يَنْزِلْ تحتها إلا عيسى، أو غيرُه من الأنبياءِ - عليهم السلام - ويَبْعُدُ في العادة أيضًا أن تكون شجرةٌ تخلو من أن يَنْزِلَ تحتها أحدٌ، حتى يجيء نبي إلاَّ أنْ تَصِحَّ روايةُ مَن قال في هذا الحديث: لم يَنْزِل تحتها أحدٌ بعد عيسى ابن مريمَ - عليه السلام - وهي روايةٌ عن غير ابن إسْحٰق، فالشجرةُ على هذا مخصوصةٌ بهذه الآيةِ والله أعلم. وهذا الراهبُ ذكروا أن اسمه نَسْطُورًا ولَيْس هو بحيرا المتقدم ذكره.

تحقيق معنى الوسط:

وقول خديجة - رضي الله عنها: لِسِطَتِك في عشيرتك، وقوله في وصفها: هي أوْسَط قُريش نَسَبًا. فالسِّطَةُ: من الوَسَطِ، مَصْدَرٌ كالعِدة والزِّنة، والْوَسَطُ من أوصاف المدح والتفضيل، ولكن في مقامين: في ذكر النسب، وفي ذكر الشهادَة. أما النسب؛ فلأن أوْسَطَ القبيلة أعْرَقُها، وأولاها بالصميم وأبعدُها عن الأطراف والوسيط، وأجدرُ أن لا تضاف إليه الدعوة؛ لأن الآباءَ والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب، فكَان الْوَسَطُ من أجل هذا مَدْحًا في النسب بهذا السبب، وأما الشَّهادة فنحو قوله سبحانه: ﴿قال أوسطُهم﴾[1] وقوله: ﴿وكذلكَ جَعَلْنَاكم أُمَّةً وَسَطًا لتكونوا شُهَداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣] فكان هذا مدحًا في الشهادة؛ لأنها غاية الْعَدالة في الشاهد أن يكون وَسَطًا كالميزان، لا يميل مع أحد، بل

= الدلائل (١٣١).

(١) سورة القلم آية رقم (٢٨).

وهي خديجة بنت خُوَيلد بن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأُمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ بن رَوَاحة بن حَجَرِ بن عَبْد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرِ. وأمّ فاطمة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُنْقِذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فهر. وأم هَالَةَ: قِلاَبَةُ بنت سُعَيد بن سَعْد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر.

فلما قالت ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ ذَكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمُّه حمزة بنُ عبد المطلب ـ رحمه الله ـ حتى دخل على خُوَيلد بن أسَد فخطبها إليه، فتزوجها.

يُصَمِّمُ على الحقّ تصميمًا، لا يَجذِبُه هَوى، ولا يميل به رغبةً، ولا رَهْبةٌ من هٰهنا، ولا من هٰهنا، فكان وصفه بالْوَسَطِ غايةً في التزكية والتعديل، وظن كثير من الناس أن معنى الأوْسط: الأفضلُ على الإطلاق، وقالوا: معنى الصلاة الْوُسْطَى: الْفُضْلى، وليس كذلك، بل هو في جميع الأوصاف لاَ مَدْحٌ ولا ذَمٌّ، كما يقتضي لفظ التَّوَسُّطِ، فإذا كان وَسَطًا في السِّمَنِ، فهي بين الْمُمِخَّةِ[1] والْعَجْفَاء. والوسطُ في الجمال بين الحسناء والشَّوْهَاء، إلى غير ذلك من الأوصاف، لا يعطي مدحًا، ولا ذمًّا، غير أنهم قد قالوا في المثل: أثقل من مُغِنٍّ وَسَطٍ على الذمّ؛ لأن المغني إن كان مُجيدًا جدًّا أمْتَعَ وأطْرَبَ، وإن كان باردًا جدًّا أضحك وألْهى، وذلك أيضًا مما يُمتِع. قال الجاحظ: وإنما الكَرْبُ الذي يَجْثُمُ على القلوب، ويأخذ بالأنفاس الغناءُ الفاتر الْوَسَطُ الذي لا يُمتِع بِحُسْن، ولا يُضحِك بلَهْو، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال في رسول الله ـ ﷺ ـ هو: أوْسَطُ الناس. أي: أفضلهم، ولا يوصف بأنه وَسَطٌ في العِلْم، ولا في الجود، ولا في غير ذلك إلا في النسب والشهادة، كما تقدم، والحمد لله، والله المحمود.

مَن الذي زوّج خديجة؟

فصل: وذكر مشي رسول الله ـ ﷺ ـ إلى خُوَيلدِ بنِ أسدٍ مع عمه حمزة ـ رضي الله عنه ـ وذكر غيرُ ابن إسحٰق أن خُوَيلدًا كان إذ ذاك قد أهلك، وأن الذي أنكح خديجةَ ـ رضي الله عنها ـ هو عمُّها عَمْرو بن أسد، قاله المبرد وطائفة معه، وقال أيضًا: إن أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الذي خَطَب خُطْبَة النكاح، وكان مما قاله في تلك الخطبة: «أما بعد: فإن محمدًا مِمَّنْ لا يُوازَن به فتى من قريش إلا رَجَحَ به شرفًا ونُبْلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال قُلٌّ، فإنما ظل زائل، وعارية مُسْترجَعة، وله في

---

(١) الممخة: السمينة.

قال ابن هشام: وأصْدَقَها رسولُ الله - ﷺ - عشرين بَكْرةً، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله - ﷺ - ولم يتزوج عليها غيرَها حتى ماتت، رضي الله عنها.

خديجةَ بنت خُوَيلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك» فقال عمرو: هو الفَحْل الذي لا يُقْدَعُ أنفُه، فأنكحها منه، ويقال: قاله وَرَقَةُ بن نَوْفل، والذي قاله المبرد هو الصحيح؛ لما رواه الطَّبَرِيُّ عن جُبَيْر بن مُطْعِم، وعن ابن عباس، وعن عائشةَ - رضي الله عنهم كلهم - قال: إن عَمْرو بن أسد هو الذي أنكَح خديجةَ رسولَ الله - ﷺ - وأن خُوَيلدًا كان قد هلك قبل الفِجَار، وخُوَيلد بن أسد هو الذي نازَع تُبَّعًا الآخر حين حَجَّ، وأراد أنْ يحتمل الركنَ الأسودَ معه إلى اليمن، فقام في ذلك خُوَيلد، وقام معه جماعةٌ، ثم إنَّ تُبَّعًا رُوِّع في منامه تَرويعًا شديدًا حتى ترك ذلك، وانصرف عنه والله أعلم.

فصل: وذكر الزُّهْرِيُّ في سِيَره، وهي أول سيرة أُلِّفت في الإسلام، كذا رُوِيَ عن [عبد العزيز بن محمد بن عبيد] الدَّرَاوَرْدِي أن رسول الله - ﷺ - قال لشريكه الذي كان يَتَّجِرُ معه في مالِ خديجة: هَلُمَّ فَلْنَتَحَدَّثْ عند خديجة، وكانت تُكْرِمُهما وتُتْحِفُهما، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مُسْتَنْشِئة - وهي الكاهنة - كذا قال الخطابي في شرح هذا الحديث، فقالت له: جئت خاطبًا يا محمد، فقال: كلا، فقالت: ولِمَ؟! فوالله ما في قريش امرأة، وإن كانت خديجة إلا تراك كُفئًا لها، فرجع رسول الله - ﷺ - خاطبًا لخديجة مُسْتَحْيِيًا منها، وكان خويلدٌ أبوها سكرانَ من الخمر، فلما كُلِّم في ذلك أنكحها، فألقت عليه خديجة حُلَّة وَضَمَّخَته بخَلُوقٍ[1] فلما صحا من سُكْره قال: ما هذه الحُلَّةُ والطِّيب؟ فقيل: إنك أنكحت محمدًا خديجة، وقد ابتنى بها، فأنكر ذلك، ثم رَضِيَهُ وأمضاه، ففي هذا الحديث أن أباها كانَ حَيًّا، وأنه الذي أنكَحَها. كما قال ابن إسحٰق. وقال راجزٌ من أهل مكة في ذلك:

لاَ تَزْهَدِي خَديجَ في محمدِ ... نَجْمٌ يضيء كإضاء الفَرْقَدِ[2]

وقيل: إن عمرو بن خُوَيد أخاها هو الذي أنكحها منه، ذكره ابن إسحٰق في آخر الكتاب[3].

---

(١) الخلوق: الطيب. (٢) الفرقد: النجم.

(٣) ومن القصص الذي يُدرّس في «مصر المحروسة»، قصة أُم المؤمنين خديجة بنت خويلد. ويدرسه أبناء الصف الثامن من التعليم الأساسي وقد حوى الكتاب بين دفّتيه سوس ينخر في عقيدة أبناء الإسلام، فالقصة تتحدّث بطرق ملتوية كيف كانت «أُم المؤمنين» خديجة رضي الله عنها. تستقبل الرجال في بيتها وكيف كانت تجالسهم وتختلط بهم. دون بيان الحكم الشرعي من هذا، وكيف أن «خديجة» رضي الله عنها كلما تقدمت بها السنّ زادت في أعين الرجال حلاوة، ثم تجد الكتاب يدعو في ثناياه وبين سطوره إلى ترك الزواج والعمل بالتجارة فتقول خديجة لورقة: «علمت يا ورقة=

أولاده ﷺ منها

قال ابن إسحٰق: فولدت لرسول الله ﷺ وَلَدَه كلَّهم إلا إبراهيم: القاسمَ، وبه كان يُكْنَى ﷺ، والطاهر، وَالطَّيِّب، وزينبَ، ورُقية، وأم كُلثوم، وفاطمةَ، عليهم السلام.

قال ابن هشام: أكبرُ بَنيه: القاسم، ثم الطَّيِّب، ثم الطَّاهر، وأكبر بناته: رُقية، ثم زينب، ثم أُم كُلثوم، ثم فاطمة.

قال ابن إسحٰق: فأما القاسمُ، والطَّيِّب، والطاهرُ فهلكوا في الجاهلية.

وأما بناتُه فكلَّهنّ أدركْنَ الإسلام، فأسلمن وهاجرنَ معه ﷺ.

أولاده من خديجة

فصل: وذكر ولده منها ـ ﷺ ـ فذكر البنات، وذكر القاسمَ والطاهر والطيبَ، وذكر أن البنين هلكوا في الجاهلية، وقال الزبير ـ وهو أعلم بهذا الشأن ـ ولدت له القاسم وعبدَ الله، وهو الطاهر، وهو الطَّيِّبُ سُمِّي بالطاهر، والطيبِ لأنه ولد بعد النبوة، واسمه الذي سُمِّي به أوَّلُ هو: عبد الله، وبلغ القاسمُ المشيَ، غير أن رضاعَتَه لم تكن كملت،

= أنني تركت الرجال والتفتّ إلى ما هو «أهم»، وهبت نفسي لتجارتي»، ثم يصف لقاء رسول الله ﷺ بخديجة فيقول الكتاب أن محمدًا ﷺ ذهب للقاء خديجة في بيتها «فجلس ولم يطل به المقام حتى دخلت عليه خديجة ـ وتأمل ما يقوله الكتاب ـ فيصفها: مستديرة الوجه، واسعة العينين، طويلة الشعر، نافذة النظرات، بيضاء البشرة، تكسو شفتيها ابتسامة عريضة، ترتدي ثوبًا من الحرير الخالص المطرز بالنقوش الجميلة، وفي قدميها خفاف من الجلد الغالي، يحيط عنقها عقد من الجوهر ويتدلّى من أُذنيها قرط من الدرّ، لا أدري من أين جاء هذا الكاتب بكل هذه الأوصاف من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها رضي الله عنها وأرْضَها، من أين جاء بكل هذا ـ إنه الخيال الفاسد النتن الذي يصف أُمّنا أُمّ المؤمنين بكل هذا، تُرى هل قال هذا النبي ﷺ وقصّ قصة هذا اللقاء وكيف كانت خديجة ـ حاشا وكلا ـ وبالطبع لم يبيِّن الكاتب هل لقاء الرسول ﷺ بخديجة ـ على زعمه ـ وانفراده بها جائز شرعًا أم لا؟!!! ثم يصف الكاتب حفل العرس فيقول: «وقد انبعث من جوانب الدار غناء رقيق، أجادته جواري خديجة ـ الكاسيات العاريات طبعًا ـ ومحباتها. . . ثم دارت أكواب الشراب. . . .» كل هذا على مرأى ومسمع من النبي ﷺ دون إنكار منه!!! ثم دون بيان الكاتب لحكم الشرع من الغناء وأكواب الشراب التي دارت. إلى غير هذا الكثير والكثير من هذه الأفكار المسمومة المحمومة التي ينفثها كل يوم أهل «التربية والتعليم» في مصر المحروسة. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. (انظر سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية للدكتور جمال عبد الهادي وغيره).

وقع في مُسْنَد الْفِرْيابي أن خديجةَ دخل عليها رسولُ الله - ﷺ - بعد موت القاسم، وهي تبكي: فقالت: يا رسول الله دَرَّت لُبَيْنَة القاسم فلو كان عاش حتى يستكملَ رضاعة لهوَّن عليَّ، فقال: إن له مُرْضِعًا في الجنة تستكمل رضاعته، فقالت: لو أعلم ذلك لهوّن عليّ، فقال: إن شئت أسمعتُك صوته في الجنة. فقالت: بل أصدق الله ورسوله. قولها، لُبَيْنة هي تصغير لَبَنَة، وهي قِطعة من اللبن، كالْعُسَيْلَة، تصغير عَسَلَةٍ ذكر سيبويه اللَّبَنَة والْعَسَلَة والشُّهْدة على هذا المعنى. قال المؤلف: وهذا من فقْهها - رضي الله عنها - كرهت أن تُؤمن بهذا الأمر مُعَاينَة، فلا يكون لها أجْرُ التصديق والإيمان بالغيب، وإنما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب. وهذا الحديثُ يدل أيضًا على أن القاسمَ لم يهلك في الجاهلية. واختلفوا في الصُّغرى والكبرى من البنات، غير أن أُمّ كلثوم لم تكن الكبرى من البنات، ولا فاطمة، والأصحُّ في فاطمةَ أنها أصغرُ من أُم كلثومَ.

خديجة وبحيرى ونسبها:

وخديجة بنت خُوَيلد تسمى: الطاهرة في الجاهلية والإسلام، وفي سِيَرِ التَّيْمِي. أنها كانت تسمى: سيدة نساء قريش، وأن النبي - ﷺ - حين أخبرها عن جبريل، ولم تكن سمعت باسمه قطّ، ركبت إلى بَحيرى الراهب، واسمُه سَرْجِس فيما ذكر المسعودي، فسألته عن جبريل، فقال: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ يا سيدةَ نساء قُرَيْش أنّى لك بهذا الاسم؟! فقالتْ: بعْليّ وابنُ عمّي محمد أخبرني أنه يأتيه، فقال: قُدُّوس قُدُّوسٌ ما عَلم به إلا نَبيٌّ مُقرَّب، فإنه السفير بين الله وبين أنبيائه، وإن الشيطان لا يجترىء أن يَتَمثَّل به، ولا أن يَتَسمَّى باسمه، وكان بمكة غلامُ لِعُتْبَةَ بن ربيعة سيأتي ذكره، اسمه: عَدَّاس عنده علم من الكتاب، فأرسلت إليه تسأله عن جبريل، فقال: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ!! أنّى لهذه البلاد أن يُذْكَرَ فيها جبريلُ يا سيدةَ نساء قريش، فأخبرته بما يقول النبي - ﷺ - فقال عَدّاس مثل مَقالة الراهب، فكان مما زادها اللّهُ تعالى به إيمانًا ويقينًا.

وذكر ابن إسْحٰق نسبَ أُمها فاطمة بنت زائدة بن الأصَمّ، ولم يذكر اسم الأصم، وذكره الزبير وغيره، فقال: جُنْدُب بن هِدْم بن حَجَر، بفتح الحاء والجيم من حَجَر، كذا قيده الدّارَقُطْنِي، وأخوه: حُجَيْرُ بن عبد بن مَعِيص بن عامر، وأما حَجْر بسكون الجيم ففي حيّ ذي رُعَيْنٍ وإليه ينسب الْحَجْرِيُّون، وأما حجر بكسر الحاء، ففي بني الدَّيَّان: عبدُ الْحِجْر بن عبد الْمَدَانِ، وهم من بني الحارث بن كعب بن مَذْحج، وذكر يونس عن ابن إسحٰق نسب أم خديجة، كما ذكر في رواية ابن هشام، وزاد فقال: كانت أُم فاطمة بنت

قال ابن هشام: وأما إبراهيم فأُمه: مارِيَةُ القبطية. حدّثنا عبد الله بن وَهْب عن ابن لَهِيعة، قال: أُمّ إبراهيم: مارِيَةُ سُرِّيَّةُ النبيِّ ﷺ التي أهداها إليه الْمُقَوْقِسُ من جَفْن من كُورَة أنْصِنا.

زائدة: هالةَ بنت عبد مناف بن الحارث بن عَبْد بن مُنْقِذ بن عَمْرو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ، وأُمها قِلابَة، وهي الْعَرِقَة بنت سُعَيْد بن سَعْد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَيّ وأُمُّها: أُمَيْمَةُ بنتُ عامرِ بن الحارث بن فِهْرٍ.

مَن تزوّجت خديجة قبل الرسول؟:

وكانت خديجة قبل رسول الله - ﷺ - عند أبي هالةَ، وهو هند بن زُرَارَة، وقد قيل في اسمه: زُرَارَة، وهند: ابنه، ابن النَّبَّاشِ من بني عَدِيِّ بن جِرْوَةَ بن أُسَيِّد بن عمرو بن تميم، فهو أُسَيْدِي بالتخفيف، منسوب إلى أُسَيِّد بالتشديد، كذا قال سيبَوَيه في النسبِ إلى أُسَيِّد. وعديّ بن جِرْوة، يقال إن الزُّبَيْرَ صَحَّفه، وإنما هوى عِذَيُ بن جِرْوَةَ، وكانت قبل أبي هَالَةَ عند عَتيق بن عائذِ بن عبد الله بن عَمْرو بن مَخْزوم، وولدت له عبد مَناف بن عَتيق، كذا قال ابن أبي خَيْثَمَةَ، وقال الزُّبَيْرُ: ولدت لعَتيقِ جاريةً اسمُها: هندُ وولدت لهند أبي هالة ابنًا اسمُه: هِنْدُ أيضًا، مات بالطاعون طاعونِ الْبَصْرَة، وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين ألفًا، فشُغِل الناسُ بجنائزهم عن جِنازته، فلم يوجد مَن يحملها، فصاحت نادبتُه: واهِنْد بن هِنْداه!! وارَبِيبَ رسول الله - ﷺ - فلم تبق جِنازةٌ إلاّ تُركت، واحْتُمِلَتْ جِنازتُه على أطرافِ الأصابع إعظامًا لربيب رسول الله - ﷺ - ذكره الدَّوْلاَبِي، ولخديجةَ من أبي هالةَ ابنان غير هذا، اسم أحدهما: الطاهرُ، واسم الآخر: هَالةُ. واختلِف في سِنّه - ﷺ - حين تَزَوَّج خديجةَ فقيل ما قاله ابن إسحٰق، وقيل: كان ابن ثلاثين سنةً، وقيل ابن إحدى وعشرين سنة.

مارية وإبراهيم:

فصل: وذكر أن خديجةَ - رضي الله عنها - ولدت للنبي ﷺ ولدَه كلَّهم إلا إبراهيمَ، فإنه من مارِيَةَ التي أهداها إليه الْمُقَوْقِس، وقد تقدّم اسمُ الْمُقَوْقِس، وأنه جُرَيْجُ بن مِينا، وذكرنا معنى الْمُقَوْقِس في أول الكتاب، وذكرنا أنه أهدى مارِيَةَ مع حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعَةَ، ومع جَبْر مَوْلى أبي رُهْم الْغِفَارِيّ، واسم أبي رُهْم: كُلْثُوم بن الْحُصَيْن. وذلك حين أرسلها إليه رسولُ الله - ﷺ - يدعوه إلى الإسلام، وأهدى معها أُختَها سِيرِينَ، وهي التي وهبها رسولُ الله - ﷺ - لِحَسَّان بن ثابتٍ - رضي الله عنه - فأوْلَدها عبدَ الرحمن بن حسان، وأهدى معها الْمُقَوْقِسُ أيضًا غلامًا خَصِيًّا اسمُه: مأبورُ، وبغلةً تسمى: دُلْدُلَ، وقدحًا من قَوارِيرَ كان

رسولُ الله - ﷺ - يشرب فيه، وتُوفيت مارِيَةُ - رضي الله عنها - سنة ستَّ عَشْرَةَ في خلافةِ عُمَرَ - رضي الله عنه - وكان عُمر هو الذي يَحْشُر الناسَ إلى جِنازتها بنفسِه، وهي مارِيَةُ بنت شَمْعُونَ الْقِبْطِيَّة من كُورَةِ حَفْن. وأما إبراهيمُ ابن رسولِ الله - ﷺ - فمات، وهو ابن ثمانيةَ عَشَرَ شَهْرًا في سنة عَشْرٍ من الهجرة في اليوم الذي كُسِفَتْ فيه الشمسُ، وكانت قابلتَهُ، سَلْمَى امرأة أبي رافعٍ، وأرضعته أمّ بُرْدَةَ بنت الْمُنْذِر النَّجّارية امرأة الْبَرَء بن أوْس، وسَلْمَى: هي مَوْلاةُ رسول الله - ﷺ - وقابلةُ بني فاطمةَ كلِّهم، وهي غَسَّلتها مع أسماء بنت عُمَيْس الْخَثْعَمِيَّة، وغسلها معهما عليُّ بن أبي طالب - كرَّم الله وجهَه - وفي الْمُسْنَد من طريقِ أنَسٍ أنَّ رسول الله - ﷺ - حين ولدت له مارِيَةُ ابنَه إبراهيم وقع في نفسِه منه شيءٌ، حتى نَزَل جبريلُ عليه السلامُ، فقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم[1].

ترجمة ورقة:

وذكر ورقةَ بن نَوْفل بن أسد بن عَبْد الْعُزَّى، وأُم ورقة: هندُ بنتُ أبي كبير بن عَبْدِ بن قُصَيّ، ولا عَقِبَ له، وهو أحد مَن آمن بالنبي - ﷺ - قبل الْبَعْثِ[2]، وروى التِّرمِذِيُّ أن رسولَ الله - ﷺ - قال: «رأيته في المنام، وعليه ثيابٌ بيضٌ، ولو كان من أهلِ النار، لم تكن عليه ثيابٌ بيضٌ»[3]، وهو حديث في إسنَاده ضَعْفٌ. لأنه يدور على عُثْمان بن عبد الرَّحمن، ولكن يُقوّيه ما يأتي بعد هذا من قوله عليه السلام: «رأيت الْقَسَّ» يعني، وَرَقَةَ وعليه ثيابُ حرير، لأنه أولُ مَن آمن بي، وصدقني، وسيأتي بقيةٌ من خبره[4] فيما بعد - إن شاء الله - وقد أَلْفَيْت للحديث الذي خَرَّجه الترمذيُّ في وَرَقَةَ إسنادًا جيدًا غير الذي ذكره التِّرْمِذِيُّ، وهو ما رواه الزُّبَيْرُ بن أبي بكر عن عبد الله بن مُعَاذ الصَّنْعَانِيّ عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر - رضي الله عنه - قال: سُئِلَ رسولُ الله - ﷺ - عن ورقة بن نوفل، كما بلغنا فقال: «رَأَيْتُه في المنام، عليه ثيابٌ بيضٌ، فقد أظن أنْ لو كان من أهلِ النارِ لم أرَ عليه البياضَ»[5]، وكان يذكر اللَّهَ في سفره في الجاهلية، ويسبِّحه، وهو الذي يقول:

لقد نصحتُ لأقوام، وقلتُ لهم: أنا النذيرُ، فلا يَغْرُرْكم أحَدُ

(١) أخرجه البزار (٢/ ١٨٩) وانظر الزاد (١/ ١٠٣) والمنتظم (٢/ ٣١٦).
(٢) الصواب أن يقال: صدَّق. وليس آمن.
(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩٧١٩). وإسناده ضعيف.
(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (١/ ١١٥) وفيه انقطاع.
(٥) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٢) وإسناده ضعيف أيضًا وأخرجه ابن الجوزي في المنتظم (٢/ ٣٧٣).

لا تَعْبُدُنَّ إلٰهًا غيرَ خالقِكم فإن دَعَوْكُمْ فقولوا: بيننا جَدَدُ[1]
سُبْحَانَ ذي العرشِ سُبْحانًا يدوم له وقبلنا سَبَّحَ الْجُودِيُّ والْجُمُدُ
مُسَخَّر كلُّ ما تحت السماءِ له لا ينبغي أن يُنَاوِي مُلْكَه أحدُ
لا شَيْء مما ترى تبقى بشاشتُهُ يَبْقَى الإلٰهُ ويُودِي المالُ والْوَلَدُ
لم تُغن عن هُرْمُز يومًا خزائنُهُ والخُلد قد حاولت عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سُلَيْمان إذْ تجري الرياحُ به والإنْسُ والْجِنُّ فيما بينها مرد
أين الملوكُ التي كانت لعزتِها من كل أوْب إليها وافدٌ يَفِدُ
حَوْضٌ هنالك مَوْرودٌ بلا كذبٍ لا بُدَّ من وِرْدِه يومًا كما وَرَدُوا

نسبه أبو الفرج إلى وَرَقَة، وفيه أبياتٌ تُنسب إلى أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ، ومن قوله فيما خبرته به خديجةُ - رضي الله عنها - عن رسول الله - ﷺ -:

يا للرِّجالِ لِصَرْفِ الدَّهْرِ والْقَدَرِ وما لِشَيْءٍ قضاه اللّٰهُ من غِيَر
حتى خديجةُ تدعوني لأُخْبِرَها أمرًا أراه سيأتي الناسَ من أُخُر
فخبَّرَتْنِي بأمرٍ قد سمعت به فيما مضى مِنْ قديم الدهر والعُصُر
بأن أحمدَ يأتيه فيخبره جبريلُ: إنك مبعوثٌ إلى الْبَشَرِ
فقلت: عَلَّ الذي تَرْجِين ينجزه لك الإلٰهُ فَرَجِّي الخيرَ وانتظري
وأرسلته إلينا كي نسائله عن أمْرِهِ ما يَرَى في النوم والسَّهَر
فقال حين أتانا منطِقا عَجَبًا يَقِفُّ منه أعالي الجِلْد والشَّعَر
إني رأيتُ أمينَ اللّٰهِ واجهني في صورة أكملت في أهْيَبِ الصُّوَرِ
ثم استمر فكان الخوف يَذْعَرُني مما يُسَلِّم مِنْ حَوْلي مِن الشَّجَرِ
فقلت: ظني وما أدري أيَصْدُقني أنْ سوف تُبْعث تَتْلو مُنْزَلَ السُّورِ
وسوف أُبْليك إن أعْلَنْتَ دعوتَهم من الجهاد بِلاَ مَنٍّ ولا كَدَرِ

---

(1) في الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٣/ ١١٥) وفي البداية (٢/ ٢٧٦): «حدد». بالحاء. وفيهما بعض الاختلاف.

قال ابن إسحٰق: وكانت خديجة بنت خُوَيلد قد ذكرت لوَرَقَةَ بن نَوْفل بن أسَد بن عبد العُزّى ـ وكان ابنَ عمها، وكان نصرانيًا قد تتبَّع الكتب، وعَلِم من عِلْم الناس ـ ما ذكر لها غلامُها مَيْسَرَةُ من قولِ الراهب، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكَان يُظلانه، فقال وَرَقَةُ: لئن كان هذا حقًّا يا خديجةُ، إن محمدًا لنبيّ هذه الأمة، وقد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمّة نبيّ يُنتَظر، هذا زمانُه، أو كما قال:

فجعل وَرَقَةُ يستبطىءُ الأمرَ ويقول: حتى متى؟ فقال ورقةُ في ذلك:

لَجِجْتُ[1] وكنتُ في الذكرى لَجُوجًا ... لِهَمٍّ طالما بعث النَّشيجا[2]

وَوَصْفٍ من خديجةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فقد طَال انتِظارِي يا خَديجا

بِبَطْنِ الْمَكَّتَيْن على رجائي ... حَدِيثَكَ أن أرَى مِنْهُ خُروجَا

بِمَا خَبَّرتِنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ ... مِنَ الرُّهْبانِ أكْرَهُ أنْ يَعُوجا

بأنَّ محمدًا سيَسُود فِينا ... وَيخْصِم مَنْ يكُونُ لهُ حَجيجا

مثنى يقصد به المفرد:

فصل: وفي شعر وَرَقَة:

بِبَطْنِ الْمكَّتَيْن على رَجَائي ... حديثك أن أرَى منه خُرُوجا

ثَنَّى مكة، وهي واحدةٌ؛ لأن لها بِطَاحًا وظواهرَ، وقد ذكرنا مَنْ أهلُ البِطاح، ومَنْ أهلُ الظواهر فيما قبل، على أن للعرب مَذْهَبًا في أشعارِها في تثنية الْبُقْعة الواحِدة، وجمعِها نحو قوله: وَمَيْتٌ بِغزَّاتِ. يريد: بغزَّةَ وبغادينَ في بَغْدَاد، وأما التثنية فكثير نحو قوله:

بالرَّقْمَتَيْنِ[3] له أجرٍ[4] وأعْراسُ[5] ... والحمَّتَيْنِ سَقَاكِ الله مِنْ دَار

وقول زهير: ودار لها بالرَّقْمَتَيْنِ. وقول ورقة من هذا: ببطن الْمكَّتَيْن. لا مَعْنَى لإدخال الظواهرِ تحت هذا اللفظ، وقد أضاف إليها الْبَطْنَ، كما أضافه الْمُبْرِقُ حين قال:

ببطن مكةَ مَقْهُورٌ وَمَفْتُونُ

وإنما يقصد العربُ في هذا الإشارةَ إلى جانبي كل بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى، وقد قالوا: صِدنا بقَنَوَيْنِ وهو قنا اسم جبل،

---

(١) لجحت: الولوج: الدخول في الشيء.
(٢) النشيج: الصوت والنشيج: أشد البكاء.
(٣) الرقمة: الروضة.
(٤) جمع جرو.
(٥) جمع عروس. وتطلق على الرجل والمرأة.

وقال عَنْتَرة:

شَربَتْ بِمَاء الدُّحْرُضَيْنِ[1]

وهو من هذا الباب في أصَحّ القولين، قال عنترة أيضًا:

بِعُنَيْزَتَيْنِ[2] وأهلُنا بالْعَيْلَم[3]

وعُنَيْزة اسم موضع، وقال الفرزدق:

عشِيَّةَ سال الْمِرْبَدان[4] كلاهما

وإنما هو مِرْبد البصرة. وقولهم:

تسألني برامَتَين[5] سَلْجَمَا[6]

وإنما هو رامَة وهذا كثير. وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان، فتسميها جنتين في فصيح الكلام، إشعارًا بأن لها وجهين، وأنك إذا دخلتها، ونظرت إليها يمينًا وشمالاً رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قُرَّةً، وصدْرَكَ مَسَرَّة، وفي التنزيل: ﴿[لقد كان لِسَبَإٍ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتان عَن يمين وشمال﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وبدَّلْناهُم بجنَّتَيْهم جنتين﴾ [سبأ: ١٥]. وفيه: ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾ [الكهف: ٣٢] الآية. وفي آخرها: ﴿ودخل جَنَّتَه﴾ فأفرد بعدما ثنّى، وهي هي[7]، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خاف مقام ربّه جَنَّتان﴾ [الرحمن: ٤٦]، والقول في هذه الآية يتسع، والله المستعان.

النور والضياء:

فصل: وقال في هذا الشعر: ويظهر في البلادِ ضياءُ نور. هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء، وأن الضياءَ هو المنتشر عن النور، وأن النور هو الأصل للضوء، ومنه مبدؤه، وعنه يصدر، وفي التنزيل: ﴿فلما أضاءت ما حولَه ذهب اللَّهُ بنورهم﴾ [البقرة: ١٧]. وفيه: ﴿جعل الشمسَ ضياء والقمرَ نورًا﴾ [يونس: ٥] لأن نور القمر، لا

---

(١) الدحرضين: اسم موضع.
(٢) عنيزتين: اسم موضع بين البصرة ومكة.
(٣) العيلم: بالغين. موضع في شعر عنترة.
(٤) المربد: اسم المكان الذي تُحبَس فيه الإبل.
(٥) برامتين: رامة منزل من طريق البصرة إلى مكة.
(٦) السلجم: قيل نوع من البقول. وقيل غير ذلك.
(٧) وقيل: إنما قال هذا المؤمن تقليلاً لشأنهما بما عند الله تعالى.

فيَلْقى مَنْ يُحارِبُه خَسَارًا ... ويَلْقى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلوجا
فيا لَيْتِي إذَا ما كانَ ذاكُمْ ... شَهِدْتُ فكنت أوَّلَهُم وُلُوجَا
وُلُوجًا في الذي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ ... ولَوْ عَجَّتْ بمكَّتِها عَجِيجا
أُرَجِّي بالذي كرهوا جميعًا ... إلى ذي العرش إن سَفَلوا عُرُوجا
وهَلْ أمْرُ السَّفالَةِ غيرُ كُفر ... بمَنْ يختار مَنْ سمكَ البُرُوجا
فإنْ يَبْقَوْا وَأبْقَ تَكُنْ أمورٌ ... يَضِجُّ الكافِرُونَ لها ضَجِيجا
وإنْ أهْلِكْ فَكلُّ فتى سَيَلْقَى ... مِنَ الأقْدَارِ مَتْلَفَةً خَرُوجا[1]

ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس، [و] لا سيما في طرفي الشهر، وفي الصحيح: «الصلاة نور، والصبر ضياء»[2]، وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام، وهي ذكر وقرآن، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالصبر عن المنكرات، والصبر على الطاعات هو: الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن، والذكر، وفي أسماء الباري سبحانه ﴿الله نور السمٰوات والأرض﴾ [النور: ٣٥] ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه ـ سبحانه ـ وقد أمليت في غير هذا الكتاب من معنى نور السمٰوات والأرض ما فيه شفاء، والحمد لله.

نون الوقاية في إن وأخواتها:

فصل: وفي شعر ورقة: فيا لَيْتني إذا ما كان ذاكم. بحذف نون الوقاية، وحذفها مع ليت رديء، وهو في لعل أحسن منه، لقرب مخرَج اللام من النون، حتى لقد قالوا: لعلَّ وَلعَنَّ ولأن بمعنى واحد، ولا سيما وقد حكى يعقوبُ أن من العرب مَن يخفض بلعل، وهذا يؤكد حذف النون من لعلني، وأحسن ما يكون حذف هذه النون في إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأن لاجتماع النونات، وحسَّنه في لعل أيضًا كثرة حروف الكلمة، وفي التنزيل: ﴿لَعَلِّي أرجع إلى الناس﴾ [يوسف: ٤٦]. بغير نون، ومجيء هذه الياء في ليتي بغير نون مع أن ليت ناصبة، يدلّك على أن الاسم المضمر في ضربني هو الياء، دون النون كما هو في: ضربك، وضربه حرف واحد، وهو الكاف، ولو كان الاسم هو النون مع الياء ـ كما قالوا في المخفوض: منِّي وعنِّي بنونين نونِ: من، ونون أخرى مع الياء، فإذًا الياء وحدها هي الاسم في حال الخفض، وفي حال النصب.

---

(١) انظر البداية (٢/ ٢٧٥).

(٢) «صحيح». أخرجه مسلم في الطهارة (١٠٠) والترمذي (٣٥١٧) وابن ماجه (٢٨٠) وغيرهم في غيرهم.

....

حول تقدم صلة المصدر عليه:

فصل: وفيه: حديثك أن أرى منه خروجًا. قوله منه الهاء راجعة على الحديث، وحرف الجر متعلق بالخروج، وإن كره النحويون ذلك؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم، فلا يتقدم عليه؛ لأن المصدر مقدَّر بأنْ والفعل، فما يعمل فيه هو من صلة أنْ، فلا يتقدم، فمَن أطلق القول في هذا الأصل، ولم يخصّص مصدرًا من مصدر، فقد أخطأ الْمَفصِل، وتاه في تُضُلِّلٍ؛ ففي التنزيل: ﴿أكان للناس عَجَبًا أنْ أوْحَيْنا إلى رجُلٍ منهم﴾ [يونس: ٢]. ومعناه: أكان عجبًا للناس أن أوحينا، ولا بدّ للام هاهنا أن تتعلق بعجب؛ لأنها ليست في موضع صِفة، ولا موضع حال لعدم العامل فيها، وفيه أيضًا: ﴿لا يَبْغُون عنها حِوَلا﴾ [الكهف: ١٠٨] ﴿ولم يَجِدوا عنها مَصْرِفا﴾ [الكهف: ٥٣]. وفيه أيضًا: ﴿لولَّيت منهم فرارًا﴾ [الكهف: ١٨]. وتقول: لي فيك رغبة، وما لي عنك مُعَوَّلٌ، فيحسُن كلُّ هذا بلاَ خلاف، وقد أجاز ابن السراج أبو بكر، و[محمد بن يزيد] الْمُبَرِّد أيضًا في ضَرْبًا زيدًا، إذا أردت الأمر: أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر، وقال: لأن ضَرْبًا هاهنا في معنى: اضرب، فقد خصص لك ضربًا من المصادر بجواز تقديم معمولها عليها فإن كان المصدر غير أمر، وكان نكرة لم يتقدّم المفعول خاصة عليه، بخلاف المجرور والظرف، فالواجب إذًا رَبْطُ هذا الباب وتفصيله.

متى يجوز تقديم معمول المصدر؟

فنقول: كل مصدر نكرة غير مضاف إلى ما بعده يجوز تقديم معموله عليه إلا المفعول لأن المصدر النكرة لا يتقدّر بأن والفعل؛ لأنك إن قدّرته بأنْ والفعل بقي الفعل بلا فاعل، وما كان مضافًا إلى ما بعده، فالمضاف إليه فاعل في المعنى أو مفعول؛ فلذلك يصير المصدرُ مقدَّرًا بأن والفعل، فقف على هذا الأصل، فمنه حُسن قول ورقة: أن أرى منه خُروجًا، أي: أرى خروجًا منه، وكذلك لو ذكر الدخولُ، فقال: أرى فيه دخولاً، يريد: دخولاً فيه، لكان حسنًا، وتقول: اللَّهمّ اجعل من أمرنا فَرَجًا ومَخْرجًا، فمِن أمرِنا: متعلقٌ بما بعده، وهو مصدر، ولا خَفَاء في حُسْن هذا التقديم لما ذكرناه.

ومن قول وَرَقَةَ بن نوفل في معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن إسحٰق:

أَتُـبْـكِـرُ أم أنـت الْـعَـشِـيَّـةَ رائـحُ ... وفي الصدر من إضْمَارِكَ الحزنَ قادح

لِـفُـرْقـةِ قـومٍ لا أحـب فِـرَاقَـهُـمْ ... كـأنـك عـنـهـم بـعـد يـومـيـن نـازح

وأخبارِ صِدْقٍ خَبِّرَت عن محمد ... يـخـبـرهـا عـنـه إذا غـاب نـاصـح

....

فتاك الذي وجّهت يا خيرَ حُرَّةٍ	بِغَوْرٍ[1] وبالنَّجْدَيْنِ حيث الصَّحاصِحُ[2]
إلى سُوقِ بُصْرَى في الركاب التي غدت	وَهُنَّ من الأحمال قُعْصٌ[3] دَوَالح[4]
فخبَّرنا عن كلِّ خير بِعلمه	وللحق أبوابٌ لَهُنَّ مفاتح
بأن ابنَ عبدِ الله أحمدَ مُرْسَلٌ	إلى كلِّ مَنْ ضُمَّتْ عليه الأباطح
وظنِّي به أنْ سوف يُبْعَث صادقًا	كما أُرْسِلَ العبدان هُودٌ وصالح
وموسى وإبراهيمُ حتى يُرى له	بهاءٌ ومنشورٌ من الذكر واضح
ويتبعه حَيَّا لُؤَيٍّ جماعة	شيابُهم والأشْيَبُون الْجَحَاجِحُ[5]
فإن أبْقَ حتى يُدركَ الناسَ دَهرُه	فإني به مُسْتَبْشِرُ الْود فارح
وإلا فإني يا خديجة ـ فاعلمي	عن أرضِك في الأرض العريضة سائح

(١) غور: موضع ما بين ذات عرق إلى البحر، وكل ما انحدر مغربًا عن تهامة.
(٢) الصحاصح: الأرض الجرداء.
(٣) القعص: داء يصيب الصدر.
(٤) الحمل الثقيل.
(٥) الجحجاح: السيد.

حديث بنيان الكعبة

وحكم رسول الله ﷺ بين قريش في وضع الحجر[1]

قال ابن إسحٰق: فلما بلغ رسول الله ـ ﷺ ـ خمسًا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكان يَهُمُّون بذلك، ليُسقِّفُوها ويهابون هَدْمها، وإنما كانت رَدَمًا فوق القامة، فأرادوا رَفعها وتَسْقِيفها، وذلك أن نفرًا سرقوا كنزًا للكعبة، وإنما كان يكون في

بنيان الكعبة

ففي خبرها أنها كانت رَضمًا فوق القامة. الرَّضمُ: أن تُنَضَّدَ الحجارة بعضها على بعض من غير مِلاَطٍ[2] كما قال:

رُزِئْتُهُمْ في ساعةٍ جَرَّعَتْهُمْ كُؤُوسَ المنايا تحت صَخْرٍ مُرَضَّمِ

وقوله: فوق القامة، كلامٌ غيرُ مُبَيِّن لمقدارِ ارتفاعها إذ ذاك، وذكر غيره أنها كانت تِسْعَ أذرع من عهد إسماعيل، ولم يكن لها سقف، فلما بنتها قريشٌ قبل الإسلام زادوا فيها تسعَ أذرع، فكانت ثمان عشرة ذراعًا، ورفعوا بابها عن الأرض، فكان لا يُصعَد إليها إلا في دَرَجٍ أو سُلَّم، وقد ذكرنا أول مَن عمل لها غَلَقًا، وهو تُبَّع. ثم لما بناها ابنُ الزبير زاد فيها تسع أذرع، فكانت سبعًا وعشرين ذراعًا، وعلى ذلك هي الآن، وكان بناؤها في الدهر خمس مرات. الأولى: حين بناها شيثُ بن آدم، والثانية: حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى[3]، والثالثة: حين بنتها قريشٌ قبل الإسلام بخمسة أعوام، والرابعة: حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس، فوقعت في أستارها، فاحترقت، وقيل إن امرأة

---

(١) انظر البداية (٢/٢٧٧)/ المنتظم (٢/ ٣٢٠)/ الطبري (١/ ٥٢٣).

(٢) الملاط: الطين.

(٣) وقيل أن أول مَن بناها هو إبراهيم ـ وهو الأرجح.

بئر في جوف الكعبة، وكان الذي وُجد عنده الكنز دُوَيْكًا مولى لبني مُليح بن عمرو من خزاعة. قال ابن هشام: فقطعت قريشٌ يده. وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْك وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّةَ لرجل من تجّار الروم، فتحطَّمت، فأخذوا خَشَبها فأعدّوه لتسْقيفها، وكان بمكة رجل قبطيّ نجار، فتهيأ لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصْلحها وكانت حَيَّةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطْرَح فيها ما يُهدَى لها كل يوم، فتَتَشرَّقُ على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَألَّتْ وَكَشَّتْ، وفتحت فاها، وكانوا يهابونها، فبينا هي ذات يوم تَتَشرَّق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع بعث الله إليها طائرًا فاختطفها، فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجو أن يكون الله قد رَضِيَ ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا اللَّهُ الحيَّةَ.

فلما أجمعوا أمرَهم في هَدْمها وبنائها، قام أبو وَهْب بن عمرو بن عائذِ بن عبد بن عِمران بن مخزوم. قال ابن هشام: عائذ بنُ عمران بن مخزوم. فتناول من الكعبة حجرًا، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه. فقال: يا مَعْشَرَ قريش، لا تُدْخلوا في بنائها من كَسْبكم إلا طَيِّبًا، لا يدخل فيها مَهْرُ بَغِيٍّ ولا بيعُ رِبًا، ولا مَظْلَمَةُ أحد من الناس، والناس يَنْحَلون هذا الكلام الوليدَ بن المُغِيرَة عبد الله بن عُمر بن مخزوم.

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني عبد الله بن أبي نَجيح المكّيّ أنه حُدّث[1] عن عبد الله بن صَفْوان بن أُميَّة بن خَلَفِ بن وهب بن حُذَافَةَ بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَيّ. أنه رأى ابنًا لجعدة بن هُبَيرة بن أبي وَهْب بن عَمْرو يطوف بالبيت، فسأل عنه، فقيل: هذا ابنٌ لَجَعْدَةَ بن هُبَيْرَة، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك: جدُّ هذا، يعني: أبا وهب الذي أخذ حجرًا من الكعبة حينِ أجمعت قريش لهدمها، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يا معشر قريش: لا تُدْخِلُوا في بنائها من كسبكم إلا طيبًا. لا تدخلوا فيها مهر بَغِيٍّ، ولا بيع ربًا، ولا مظلمة أحد من الناس.

قال ابن إسحٰق: وأبو وهب: خالُ أبي رسول الله ـ ﷺ ـ وكان شريفًا، وله يقول شاعر من العرب:

ولو بأبى وَهب أنختُ مَطِيَّتي ... غَدَتْ من نَدَاهُ رَحْلُها غيرُ خائبِ

....

---

(١) انقطاع.

بأبيضَ من فَرْعَيْ لُؤَيّ بن غالب إذا حُصِّلت أنسابُها في الذّوَائبِ

أبِيٍّ لأخْذِ الضَّيم يرتاح للنَّدى تـوسَّـط جَـدّاه فُـرُوعَ الأطـايِـبِ

عـظـيـم رَمَاد الـقِـدْر يـمـلا جِفـانَـه من الخُبز يغْلوهنَّ مثلُ السَّبائبِ

ثم إن قُريشًا تَجَزَّأت الكعبة، فكان شِقُّ الباب لبني عبد مناف وزُهْرَةَ وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم، وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَحٍ وسهم، ابني عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لَؤَي. وكان شِقُّ الحِجْرِ لبني عبد الدار بن قُصَيّ، ولبني أسَد بن العُزَّى بن قُصَيّ، ولبني عَدِيٍّ بن كعب بن لَؤَيّ وهو الحَطِيمُ.

ثم إن الناس هابوا هَدْمها وفَرِقُوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هَدمها، فأخذ الْمِعْوَلَ، ثم قام عليها، وهو يقول: اللَّهمَّ لم تُرَعْ[1] ـ قال ابن هشام: ويقال: لم نَزِغْ ـ اللَّهمَّ إنّا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنَيْن، فتربَّص الناسُ تلك اللَّيلةَ، وقالوا: ننظرُ، فإن أُصيب لم نهدم منها شيئًا ورددْناها كما كانت، وإنْ لم يُصِبه شيء، فقد رضي الله صُنْعَنا، فهدَمْنا. فأصبح الوليدُ من ليلته غاديًا على عمله، فهَدَمَ وهَدَمَ الناسُ معه، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس أساسِ إبراهيم عليه السلام أفضَوْا إلى حجارة خُضْر كالأسْنِمة آخذٍ بعضُها بعضًا.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني بعض مَنْ يَرْوي الحديث[2]: أنّ رجلاً من قُرَيش، ممن كان يهدمها، أدخل عَتَلَةً بين حَجَرين منها ليقْلَعَ بها أحدهما، فلما تحرّك الحجر تَنَقَّضَت مكةُ بأسرها، فانتَهوا عن ذلك الأساس.

أرادت أنْ تُجْمِرها، فطارت شرارة من الْمِجْمَرِ[3] في أستارها، فاحترقت، فشاور ابنُ الزبير في هدمها مَنْ حضره، فهابوا هدمها، وقالوا: نرى أن تصلح ما وهَى، ولا تهدم. فقال لو أن بيتَ أحدِكم احترق لم يرض له إلا بأكمل صلاح. ولا يكمل إصلاحُها إلا بهدمها. فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيمَ، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر. فحرّكوا حَجَرًا فرأوا تحته نارًا وهَوْلاً[4]. أفزعهم فأمرهم أن يُقِرُّوا القواعِد، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفرُ.

(١) ترع: كلمة تقال لتسكين النفس من الفزع وغيره. أي لم تفزع مكة ولم نُرِد بها شرًا. والله أعلى وأعلم.

(٢) مجهول. وأخرجه الطبري في تاريخ (٥٢٦/١) من طريق ابن إسحٰق ـ به.

(٣) المجمر: ما يوضع فيه الجمر. وهو العود أيضًا.

(٤) حديث النار التي وجدت تحت الحجر فيها نظر.

....

وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعِد، فطاف الناس بتلك الأستار، فلم تخْل قَطُّ من طائف حتى لقد ذُكِر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحربُ، واشتغل الناس فلم يُرَ طائف يطوف بالكعبة إلاَّ جملٌ يطوف بها، فلما استتمّ بنيانها، ألصَق بابها بالأرض، وعمل لها خَلْفًا أي: بابًا آخر من ورائها، وأدخل الْحِجْرَ فيها، وذلك لحديث حدّثته به خالتهُ عائشة، عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «ألم تَرَيْ قومَك حين بَنَوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة»، ثم قال عليه السلام: «لولا حِدْثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها، وجعلت لها خَلْفًا وألصقت بابها الأرض، وأدخلت فيها الْحِجْرَ» أو كما قال - عليه السلام[1] - قال ابن الزبير: فليس بنا اليوم عجز عن النفقة، فبناها على مقتضى حديث عائشة، فلما قام عبد الملك بن مروان، قال: لسنا من تخليط أبي خُبَيْب[2] بشيء، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله - ﷺ - فلما فرغ من بنيانها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر، ومعه رجل آخر، فحدّثاه عن عائشة، عن رسول الله - ﷺ - بالحديث المتقدم، فندم، وجعل يَنْكُتُ في الأرض بِمِخْصَرَةٍ في يده، ويقول: وَدِدْتُ أني تركت أبا خُبَيْب، وما تحمَّل من ذلك، فهذه المرة الخامسة، فلما قام أبو جعفر المنصور، وأراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير، وشاور في ذلك، فقال مالك بن أنس: أَنْشُدك الله يا أمير المؤمنين، وأن تجعل هذا البيتَ مَلْعَبَةً للملوك بعدك، لا يشاء أحد منهم أن يُغَيّره إلا غيَّره فتذهب هيبتُه من قلوب الناس، فصرفه عن رأيه فيه[3]، وقد قيل: إنه بُنِيَ في أيام جُرْهم مرة أو مرتين؛ لأن السيل كان قد صدع حائطه، ولم يكن ذلك بنيانًا على نحو ما قدّمنا، إنما كان إصلاحًا لما وَهَى منه، وجِدارًا بُنِيَ بينه وبين السيل، بناه عامر الجارود، وقد تقدم هذا الخبر، وكانت الكعبة قبل أن يبنيها شيثُ عليه السلام خيمةً من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم، ويأنَس إليها؛ لأنها أُنزلت إليه من الجنة، وكان قد حج إلى موضعها من الهند، وقد قيل: إن آدم هو أول مَن بناها، ذكره ابن إسحٰق في غير رواية البَكّائي. وفي الخبر أن موضعها كان غُثَاءَةً على الماء قبل أن يخلق اللَّهُ السمٰوات والأرض، فلما بدأ الله بخلق الأشياء خلق التُّرْبَةَ قبل السماء، فلما خلق السماء، وقضاهن سبع سمٰوات دحا الأرض، أي: بسطها، وذلك قوله سبحانه: ﴿والأرض بعد ذلك

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٢/ ١٨٠) ومسلم في الحج (٣٩٨) والنسائي (٥/ ٢١٥) وأحمد (٦/ ٥٧) وابن خزيمة (٢٧٤٢).

(٢) أبو خبيب: يعني عبد الله بن الزبير.

(٣) ذكر النووي والقاضي عياض أن القائل هو الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة للرشيد أو لأبيه.

....

دحاها﴾ [النازعات: ٣]. وإنما دحاها من تحت مكة؛ ولذلك سُمِّيَتْ أُم القرى، وفي التفسير أن الله سبحانه حين قال للسمٰوات والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أو كَرْهًا قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم[١]، فلذلك حرّمها. وفي الحديث: أن الله حرّم مكة قبل أن يخلق السمٰوات والأرض[٢]، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن، لأن المؤمن إنما حرُم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه، وأرض الحرم لما قالت: أتينا طائعين، حرُم صيدُها وشجرُها وخَلاها إلا الإذْخِر، فلا حُرْمَةَ إلا لذي طاعةٍ، جعلنا الله مِمَّن أطاعه.

سبب آخر لبنيان البيت:

ورُوِيَ في سبب بنيان البيت خبر آخرُ، وليس بمُعارِضٍ لما تقدم، وذلك أن الله سبحانه لما قال لملائكته: ﴿إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً قالوا أتجعل فيها مَن يُفْسِد فيها﴾ [البقرة: ٢٩].

خافوا أن يكون الله عاتبًا عليهم لاعتراضهم في علمه، فطافوا بالعرش سبعًا، يسترضون ربَّهم، ويتضرعون إليه، فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة، وأن يجعلوا طوافهم به، فكان ذلك أهونَ عليهم من الطواف بالعرش، ثم أمرهم إن يبنوا في كل سماء بيتًا، وفي كل أرض بيتًا، قال مجاهد: هي أربعةَ عَشَر بيتًا، كل بيتٍ منها مَنَا صاحِبه، أي: في مقابلته، لو سقطت لسقطت بعضها على بعض[٣].

حول بناء الكعبة مرة أخرى:

رُوِيَ أيضًا أن الملائكة حين أسّست الكعبة انشقت الأرضُ إلى منتهاها، وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل، فتلك القواعد من البيت التي رفع إبراهيم وإسماعيل، فلما جاء الطوفان رفعت، وأودع الحجر الأسود أبا قبيس.

وذكر ابن هشام أن الماء لم يَعْلُها حين الطوفان، ولكنه قام حولها، وبقيت في هواء إلى السماء[٣]، وأن نوحًا قال لأهل السفينة، وهي تطوف بالبيت: إنكم في حرم الله، وحول بيته، فأحرموا لله، ولا يمسّ أحد امرأة، وجعل بينهم وبين السماء حاجزًا، فتعدّى حام،

(١) كلام لا أصل له ليردّه الآية الصريحة التي لم تستثنِ أرضًا ولا سماءً.
(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٤) وأحمد (٤/ ٣٢) وابن ماجه (٣٠٠٩).
(٣) كلام يفتقر إلى الدليل الصحيح وكذا الخبر الآتي بعدُ.

....

فدعا عليه نوح أن يَسْوَدَّ لون بنيه، فاسْوَدَّ كُوشُ بن حام ونسله إلى يوم القيامة، وقد قيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا[1]، والله أعلم.

وذكر في الخبر عن ابن عباس، قال: أول مَن عاذ بالكعبة حوتٌ صغير، خاف من حوف كبير، فعاذ منه بالبيت، وذلك أيام الطوفان[2]. ذكره يحيىٰ بن سلام، فلما نَضَبَ ماءُ الطوفان، كان مكان البيتِ رَبْوةً من مَدَرَةٍ[3] وحجّ إليه هود وصالح، ومَن آمن معهما، وهو كذلك[4].

ويُذْكر أن يَعْرُبَ قال لهودٍ عليه السلام: ألا نَبنيه؟ قال: إنما يبنيه نبي كريم يأتي من بعدي يتخذه الرحمن خليلاً، فلما بعث الله إبراهيم وشبَّ إسماعيل بمكة أُمِرَ إبراهيمُ ببناء الكعبة، فدلّته عليه السَّكِينة[5]، وظَلَّلَتْ له على موضع البيت، فكانت عليه كالْجُحْفة[6]، وذلك أن السَّكِينة من شأن الصلاة، فجُعِلت عَلَمًا على قِبلتها حكمةً من الله سبحانه، وبناه عليه السلام من خمسة أَجْبُل، كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها، وهي: طَورُ تَيْنا، وطَور زَيْتا اللذين بالشام، والْجُودِيّ وهو بالجزيرة، ولُبْنَان وحِراء وهما بالحرم، كل هذا جمعناه من آثار مروية. وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل، فشاكل ذلك معناها؛ إذ هي قِبلة للصلاة الخمس وعمود الإسلام، وقد بُنِيَ على خمس، وكيف دلّت عليه السكينة؛ إذ هو قِبلة للصلاة، والسَّكينةُ من شأن الصلاة. قال عليه السلام: «وأْتُوها وعليكم السَّكينة»[7] فلما بلغ إبراهيمُ الركن جاءه جبريلُ بالحجر الأسود من جوف أبي قُبَيس، وروى الترمذي عن ابن عباس عن رسول الله - ﷺ - قال: «أُنزِل الحجر الأسودُ من الجنة أشد بياضًا من اللبن، فسوَّدته خطايا بني آدم»[8]، وروى الترمذي أيضًا من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعًا أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة، ولولا ما طُمِسَ من نورهما لأضاءَتا ما بين المشرق والمغرب، وفي رواية غيره: لأَبْرَءَا مَن استلمهما

---

(1) السابق. وقيل لأن حام رأى عورة أبيه فلم يسترها فغضب عليه، وستراها أخواه فدعا لهما. انظر سفر التكوين ١ صحاح رقم (٩).

(2) تقدم أنها كانت من هواء وقت الطوفان، فتأمل.

(3) المدر: الطين إذا يبس.

(4) كلام يفتقر إلى الدليل الصحيح من قرآن أو سُنّة «صحيحة».

(5) قيل هي ريح شديدة والقصة كلها في حاجة إلى دليل «صحيح» يقوّيها.

(6) الجحفة: بقية الماء في جوانب الحوض.

(7) «صحيح». أخرجه البخاري (١/ ١٦٤) وأحمد (٢/ ٥٣٢) والبيهقي في الكبرى (٣/ ٩٣).

(8) «ضعيف». أخرجه الترمذي (٨٧٧). فيه عطاء بن السائب: صدوق اختلط. التقريب (٢/ ٢٣).

. . . .

من الْخَرسِ والْجُذَامِ والْبَرَصِ[1]، وروى غير الترمذي من طريق علي رحمه الله أن العهدَ الذي أخذه الله على ذريّة آدم حين مسح ظهرَه ألا يُشركوا به شيئًا كتبه في صَكٍّ، وألقمه الحجَر الأسوَد؛ ولذلك يقول المستلم له: إيمانًا بك، ووفاء بعهدك[2]، وذكر هذا الخبر الزبيرُ، وزاد عليه أن الله سبحانه أجرى نهرًا أطيب من اللبن، وألين من الزبد، فاستمدّ منه القلمُ الذي كتب العهدَ، قال: وكان أبو قُبَيْس يسمى: الأمين؛ لأن الركن كان مُودَعًا فيه، وأنه نادى إبراهيمَ حين بلغ بالبنيان إلى موضع الركنِ، فأخبره عن الركْن فيه، ودلّه على موضعه منه[2]، وانتبه من هٰهنا إلى الحكمة في أن سوَّدته خطايا بني آدم دون غيره من حجارة الكعبة وأستارِها، وذلك أن العهدَ الذي فيه هي الفِطْرة التي فُطِر الناسُ عليها من توحيد الله، فكل مولود يولد على تلك الفطرة، وعلى ذلك الميثاقِ، فلولا أن أبويه يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه ويُمجِّسَانه، حتى يسودَّ قلبُه بالشرك، لما حال عن العهد، فقد صار قلب ابن آدم مَحَلاً لذلك العهد والميثاق، وصار الحجرُ محلاً لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق، فتناسبا، فاسْوَدَّ من الخطايا قلبُ ابنِ آدم بعدما كان وُلد عليه من ذلك العهد، واسودّ الحجرُ بعد ابيضاضه، وكانت الخطايا سببًا في ذلك حِكْمةً من الله سبحانه، فهذا ما ذُكر في بنيان الكعبة ملخصًا، منه ما ذكر الْمَاوَرْدِيُّ، ومنه ما ذكره الطبري، ومنه ما وقع في كتاب التمهيد لأبي عُمر[3]، ونبذ أخذتها من كتاب فضائل مكة لِرَزِين بن معاوية، ومن كتاب أبي الوليد الأزرقي في أخبار مكة، ومن أحاديث في المسندات المروية، وسنورد في باقي الحديث بعض ما بلغنا في ذلك مستعينين بالله. وأما الركن اليماني فسُمّي باليماني ـ فيما ذكر القُتَبِيُّ ـ لأن رجلاً من اليمن بناه اسمه: أُبَيُّ بن سالم وأنشد:

لنا الركنُ من بيتِ الحرام وراثةً ... بقيةَ ما أبقى أُبيُّ بنُ سالم

حول بناء المسجد الحرام:

وأما المسجدُ الحرام فأول مَن بناه عمر بن الخطاب، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر: إن الكعبة بيت الله، ولا بدّ للبيت من فناء، وإنكم دخلتم عليها، ولم تدخل عليكم، فاشترى تلك الدورَ من أهلها وهدمها، وبنى المسجدَ المحيط بها، ثم كان عثمان، فاشترى دُورًا أخرى، وأغلى في ثمنها، وزاد في سعة المسجد

(١) «ضعيف». أخرجه الترمذي (٨٧٨) وإسناده ضعيف أيضًا.

(٢) لا صحة لهذا.

(٣) يأتي السهيلي رحمه الله تعالى بأساطير ثم يزيدها بيانًا ويبني عليها بنيانًا.

....

فلما كان ابنُ الزبير زاد في إتقانه، لا في سَعَته، وجعل فيه عَمَدًا من الرُّخَام، وزاد في أبوابه، وحسَّنَها، فلما كان عبد الملك بن مَرْوان زاد في ارتفاع حائطِ المسجد، وحمل إليه السَّوارِي في البحر إلى جُدَّةَ، واحتملت من جُدَّة على العجل إلى مكةَ، وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباجَ، وقد كنَّا قدَّمنا أن ابنَ الزبير كساها الديباجَ قبل الحجَّاج، ذكره الزبير بن بكار، وذكرنا أيضًا أن خالد بن جعفر بن كِلاَبٍ ممّن كساها الديباجَ قبل الإسلام، ثم كان الوليدُ بن عبد الملك فزاد في حَلْيها، وصرف في مِيزابها وسَقْفها ما كان في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهبٍ وفضةٍ، وكانت قد احتملت إليه من طُلَيْطِلَة من جزيرةِ الأندلُس، وكانت لها أطواقٌ من ياقوتٍ وزَبَرْجَدٍ، وكانت قد احتُمِلت على بغل قوي فتفسَّخ تحتها، فضَرَب منها الوليدُ حِلْية للكعبة، فلما كان أبو جعفر المنصور وابنُه محمد المهديُّ زاد أيضًا في إتقان المسجد، وتحسين هيئته، ولم يحدُث فيه بعد ذلك عملٌ إلى الآن. وفي اشتراء عمر وعثمان الدورَ التي زادا فيها دليلٌ على أن رِباعَ أهل مكة مِلْكٌ لأهلها، يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا، وفي ذلك اختلاف.

كنز الكعبة والنجار القبطي:

فصل: وذكر ابنُ إسحٰق دُوَيْكًا الذي سرق كنزَ الكعبة، وتقدَّم أن سارقًا سرق من مالها في زمن جُرْهم، وأنه دخل البئر التي فيها كنزُها فسقط عليه حجرٌ فحبسه فيها، حتى أُخرج منها، وانْتُزِع المالُ منه، ثم بعث الله حَيَّة لها رأس كرأس الْجَدْي، بيضاءَ البطن سَوْدَاءَ الْمَتْنِ[1]، فكانت في بئرِ الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين، وهي التي ذكرها ابن إسحٰق، وكان لا يدنو أحدٌ من بئر الكعبة إلا احْزَأَلَّت أي: رفعت ذَنَبها، وكَشَّت أي: صَوَّتت. وذكر ابن إسحٰق أن سفينةً رماها البحر إلى جدّة، فتحطَّمت، وذكر غيرُه عن ابن مُنَبِّهٍ أن سفينة خَجَّتْها الريح إلى الشُّعَيْبة، وهو مَرْفأ السفن من ساحل بحر الحجازِ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدّة. والشُّعيبة بضم الشين ذكره البكري، وفسّر الخطابي خجّتها: أي دفعتها بقوة، من الريح الْخَجُوج أي: الدَّفُوع.

قال ابن إسحٰق: وكان بمكة نجار قِبطي، وذكر غيره أنه كان عِلْجًا[2] في السفينة التي خَجَّتها الريح إلى الشُّعَيْبة، وأن اسمَ ذلك النجار: يا قوم وكذلك رُوِيَ أيضًا في اسم النجار الذي عمل مِنْبَر رسول الله - ﷺ - من طَرْفاء الغابة، ولعله أن يكون هذا، فالله أعلم.

---

(١) المتن: الجسد.

(٢) العلج: العجمي.

....

الحية والدابة:

فصل: وذكر خبر الْعُقَابِ، أو الطائر الذي اختطف الحية من بئر الكعبة، وقال غيره: طرحها الطائر بالْحَجُونِ؛ فالتقمتها الأرض. وقال محمد بن الحسن المقري هذا القولَ، ثم قال: وهي الدابة التي تكلم الناسَ قبل يوم القيامة، واسمها: أَقْصَى فيما ذُكِر، ومحمد بن الحسن المقري هو النَّقَّاشُ، وهو من أهل العلم ـ والله أعلم بصحة ما قال، غير أنه قد رُوِيَ في حديث آخر أن موسى عليه السلام سأل ربَّه أنْ يُرِيَه الدابة التي تُكَلِّم الناسَ، فأخرجها له من الأرض، فرأى منظرًا هالَه وأفزعه، فقال: أيْ رَبِّ: رُدَّها فرَدَّها[1].

لم ترع:

وذكر ابن إسحٰق حديثَ الحجَر الذي أُخِذَ من الكعبة، فوثب من يد آخِذه، حتى عاد إلى موضعه، وقال غيره: ضربوا بِالْمِعْوَل في حجر من أحجارها، فلمعت برقَة كادت تخطِف أبصارهم، وأخذ رجل منهم حجرًا، فطار من يده، وعاد إلى موضعه. وذكر ابن إسحٰق قولهم: اللَّهمَّ لم تُرَعْ، وهي كلمة تُقال عند تسكين الرّوع، والتأنيس، وإظهار اللين والبرّ في القول، ولا رَوْع في هذا الموطنِ فيُنْفى، ولكن الكلمةَ تقتضي إظهار قصد البِرّ؛ فلذلك تكلّموا بها، وعلى هذا يجوز التكلّم بها في الإسلامِ، وإن كان فيها ذكر الرَّوْع الذي هو مُحالٌ في حقّ الباري تعالى، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا، جاز النطقُ بها، وسيأتي في هذا الكتابِ إن شاء الله زيادة بيان عند قوله: فاغفر فداءً لك ما اقتفينا.

ويُروَى أيضًا: اللَّهمَّ لم نَزِغْ، وهو جَليٌّ لا يشكل.

من تفسير حديث أبي لهب:

وذكر قولهم: لا تُدخِلوا في هذا البيت مهرَ بَغِيٍّ وهي الزانية، وهي فَعُول من البِغاء، فاندغمت الواو في الياء، ولا يجوز عندهم أن يكون على وزن فَعيل، لأن فَعيلاً بمعنى: فاعل يكون بالهاء في المؤنث كرحيمة وكريمة، وإنما يكون بغير هاء إذا كان في معنى: مفعول نحو: امرأة جَريح وقتيل.

وقوله: ولا بيع رِبًا يدل على أن الرِّبا كان محرَّمًا عليهم في الجاهلية، كما كان الظلم والبغاء، وهو الزنا محرّمًا عليهم، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع إبراهيم عليه السلام، كما

---

(١) كل هذا يفتقر إلى الدليل «الصحيح» الذي يعتضده.

قال ابن إسحٰق: وحُدِّثت[1] أن قريشًا وجدوا في الركن كتابًا بالسُّرْيانية، فلم يدروا ما هو، حتى قرأه لهم رجل من يَهود، فإذا هو: «أنا الله ذو بَكَّة، خلقتها يوم خلقتُ السمٰوات والأرض، وصوّرتُ الشَّمْس والقمر، وحَفَفْتُهَا بسبعة أملاكٍ حُنَفَاء، لا تزول حتى يزولَ أَخْشبَاها، مُبَارَكٌ لأهلها في الماء واللبن».

قال ابن هشام: أخشباها: جبلاها.

قال ابن إسحٰق: وحُدِّثت[1] أنهم وجدوا في المقام كتابًا فيه: «مكة بيت الله الحرام يأتيها رِزْقُها من ثلاثة سُبُل، لا يُحلُّها أَوّلُ مِنْ أهلها».

قال ابن إسحٰق: وزعم ليثُ بن أبي سُلَيم أنهم وجدوا حجرًا في الكعبة قبل مَبْعث النبيّ ﷺ بأربعين سنة ـ إنْ كان ما ذكر حقًّا ـ مكتوبًا فيه: «مَنْ يَزْرَعْ خيرًا، يحصِدْ غِبْطَةً، ومَن يزرع شرًّا، يَحصِدْ نَدَامَةً. تعملون السيئات، وتُجْزَوْن الحسنات! أَجَل، كما لا يُجتنى من الشَّوك العِنَب».

كان بقي فيهم الحجُّ والعُمْرة وشيء من أحكام الطلاق والعِتْقِ وغير ذلك. وفي قوله سبحانه: ﴿وأحَلَّ الله البَيْعَ وحرَّم الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥] دليل على تقديم التحريم.

الحجر الذي كان مكتوبًا:

فصل: وذكر الحجر الذي وُجد مكتوبًا في الكعبة، وفيه: أنا الله ذو بكّة لحديث. روى مَعْمَرُ بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال: بلغني أن قريشًا حين بَنَوْا الكعبة، وجدوا فيها حجرًا، وفيه ثلاثةُ صُفُوحٍ[2] في الصَّفح الأول: أنا الله ذُو بَكَّةَ صُغْتُها يوم صُغْت الشمسَ والقمر إلى آخر كلام ابن إسحٰق، وفي الصَّفح الثاني: أنا الله ذو بَكّة، خلقت الرَّحِمَ، واشتققت لها اسمًا من اسمي، فمَن وصلها وصلته، ومَن قطعها بَتَتُّهُ، وفي الصَّفح الثالث: أنا الله ذو بَكّة، خلقت الخير والشر، فطُوبَى لمَن كان الخير على يديه، وويْلٌ لمَن كان الشر على يديه[3]، وفي حديث ابن إسحٰق: لا يُحِلُّها أولُ من أهلها، يريد ـ والله أعلم ـ ما كان من استحلالِ قريشٍ القتالَ فيها أيام ابن الزبير، وحُصَيْنِ بن نُمَيْرٍ ثم الحجاج بعده، ولذلك قال ابن أبي ربيعة:

ألا مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ ... بِحُبِّ المُحِلَّةِ أُختِ المُحِلّ

يعني بالمحل: عبدَ الله بن الزبير لقتاله في الحرم.

---

(١) فيه مجاهيل.
(٢) صفوح: أي جوانب.
(٣) أورده ابن كثير في البداية (٢/ ٢٨١) عن الزهري مرسلاً.

قال ابن إسحٰق: ثم إنَّ القبائل من قُرَيش جَمَعَت الحجارةَ لبنائها، كلُّ قَبيلة تجمع على حِدَةٍ، ثم بَنَوْها، حت بلغ البُنيان موضعَ الركن، فاختصموا فيه، كلُّ قبيلة تُريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تَحَاوَرُوا وتحالفوا؛ وأعدّوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جَفْنَةً مَمْلُوءَةً دمًا، ثم تعاقدوا هم وبنو عديٍّ بن كَعْب بن لُؤَيّ على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فَسُمُّوا: لَعَقَة الدم، فمكثت قُرَيش على ذلك أربعَ ليال أو خمسًا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد، وتشاوروا وتناصفوا.

فزعم بعضُ أهل الرواية: أن أبا أُميَّة بن الْمُغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخْزُوم، وكان عامَئِذٍ أسنَّ قُرَيش كلها، قال: يا معشرَ قُرَيش! اجعلوا بينكم ـ فيما تختلفون فيه ـ أوّلَ مَن يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا: فكان أولَ داخل عليهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رَضِينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبرَ، قال ﷺ: «هَلُمَّ إليَّ ثوبًا»، فأُتي به، فأخذ الركن فوَضَعه فيه بيده، ثم قال: «لِتَأْخُذْ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا»، ففعلوا، حتى إذا بلغوا موضعَه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه.

حول الحجر الأسود وقواعد البيت:

فصل: وذكر اختلافَهم في وضع الركن، وأن رسول الله ـ ﷺ ـ هو الذي وضعه بيده، وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نَجْدِيٍّ، وأنه صاح بأعلى صوته: يا معشر قريش: أرضيتم أن يضع هذا الركنَ، وهو شرفكم غلامٌ يتيمٌ دون ذوي أسنانكم، فكان يثير شرًّا فيما بينهم، ثم سكنوا ذلك. وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام ابن الزبير، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزةُ بنُ عبد الله بن الزُّبَيْر، وأبوه يصلّي بالناس في المسجد اغتنم شُغْلَ الناس عنه بالصلاة لمّا أحسّ منهم التنافسَ في ذلك، وخاف الخلافَ، فأقرّه أبوه. ذكر ذلك الزبيرُ بن أبي بكر. وذكر ابن إسحٰق أيضًا أنهم أفْضَوا إلى قواعد البيت، وإذا هي خُضْرٌ كالأسْنِمَة، وليست هذه رواية السيرة، إنما الصحيح في الكتاب: كالأسِنَّة، وهو وهم من بعض النَّقَلة عن ابن إسحٰق والله أعلم؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره، وقد ذكر البخاري في بنيان الكعبة هذا الخبر، فقال فيه عن يزيد بن رُومان: فنظرت إليها، فإذا هي كأَسْنِمة الإبل، وتشبيهُها بالأسِنة لا يشبه إلا في الزُّرْقة، وتشبيهها بأسنمَة الإبل أولى، لعظمها، ولما تقدم في حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا.

وكانت قُرَيش تسمِّي رسول الله - ﷺ - قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين. فلما فرَغوا من البنيان، وبنَوْها على ما أرادوا، قال الزُّبَير بن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحيّة التي كانت قريش تهاب بُنْيَانَ الكعبة لها.

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبَتِ العُقَابُ ... إلى الثُّعبان وهيَ لها اضْطِرَابُ
وقدْ كانَتْ يكُونُ لَهَا كَشِيشٌ ... وأحْيانًا يكُونُ لَهَا وِثَابُ
إذا قُمْنا إلى التَّأسيس. شَدّت ... تُهَيِّبُنا البِناءَ. وَقَدْ تُهَاب
فلما أن خَشِينا الزَّجْرَ. جاءت ... عُقابٌ تَتْلَئِبُّ لهَا انْصِباب
فضَمَّتْها إليها، ثم خَلَّتْ ... لَنا البُنْيانَ، لَيْسَ لهُ حِجاب
فقُمْنا حاشِدِينَ إلى بناءٍ ... لنا منهُ القَوَاعدُ والتُّرَاب
غَدَاةَ نُرَفِّع التَّأسيسَ منهُ ... وَلَيْسَ على مُسَوِّينا ثِياب
أعَزَّ بهِ المَلِيكُ بَنِي لُؤَيٍّ ... فَلَيْس لأصْله منهمْ ذَهاب
وقدْ حَشَدَتْ هُناك بَنو عَدِيٍّ ... ومُرَّةُ قد تَقَدَّمَها كِلاب
فَبَوَّأنا المَلِيكُ بذاكَ عِزًّا ... وعندَ الله يُلْتَمَسُ الثَّوَاب[1]

قال ابن هشام: ويُرْوَى:

ولَيسَ على مَسَاوِينا ثِياب

شعر الزبير بن عبد المطلب:

فصل: وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب: عجبت لِمَا تَصَوَّبت العُقاب. إلى قوله: تَتْلَئِبُّ لها انْصِباب. قوله: تَتْلَئِبُّ، يقال: اتْلأَبَّ على طريقه إذا لم يُعَرِّج يَمْنَة ولا يَسْرة، وكأنه مَنْحُوتٌ من أصلين كما تقدم في مثل هذا من تلا: إذا تبع، وألَبَ: إذا أقام، وأبَّ أيضًا قريبٌ من هذا المعنى. يقال: أبَّ إبابة - من كتاب العين - إذا استقام وتهيأ، فكأنه مُقيمٌ مُسْتَمِرٌ على ما يتلوه ويتبعه مما هو بسبيله، والاسم من اتْلأَبَّ: التُّلأْبِيَة على وزن الطُّمأنينة والقُشَعْرِيرة، قاله أبو عبيد.

وقوله: وليس على مُسَوِّينا ثيابُ. أي: مُسَوِّي البنيان. وهو في معنى الحديث الصحيح

---

(١) انظر البداية (٢/ ٢٨٣).

وكانت الكعبة على عهد رسول الله - ﷺ - ثماني عَشرةَ ذراعًا، وكانت تُكْسَى القَبَاطِي، ثم كُسِيَت البُرود. وأوّل مَن كساها الديباجَ: الحجّاجُ بن يوسف.

حديث الحمس[1]

قال ابن إسحٰق: وقد كانت قُرَيش - لا أدري أقبلَ عام الفيل أم بعده - ابتدعت رأي الْحُمْس رأيًا رَأَوْهُ وأداروه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهلُ الْحُرمة، ووُلاة البيت، وقُطَّان مكة وساكنُها، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حقِّنا، ولا مثلُ منزلتنا، ولا تَعْرِفُ له العربُ مثلَ ما تعرف لنا، فلا تعظّموا شيئًا من الحِلّ كما تعظّمون الحرم، فإنكم إنْ فعلتم ذلك استخفّت العربُ بِحُرْمتكم، وقالوا: قد عظّموا من الحِلّ مثل ما عظّموا من الحرم. فتركوا الوقوفَ على عَرَفة، والإفاضة منها، وهم يَعْرِفون ويُقِرون أنها من الْمَشاعر والحجّ ودين إبراهيم - ﷺ - ويَرَوْنَ لسائر العرب أن يُفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهلُ الْحَرَم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الْحُرمة، ولا نعظّم غيرها، كما نُعَظّمها نحن الحمْس، والْحُمس: أهلُ الحرم، ثم جعلوا لمَن وَلدوا من العرب من ساكن الحِلّ والحرَم مثلَ الذي لهم، بولادتهم إياهم، يَحلّ لهم ما يحلّ لهم، ويَحْرُم عليهم ما يَحْرُم عليهم. وكانت كنَانَةُ وَخُزَاعَةُ قد دخلوا معهم في ذلك.

في نقلانهم الحجارةَ إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عُراةً، ويرون ذلك دِينًا، وأنه من باب التَّشمِير، والْجِدِّ في الطاعة. وقول ابن هشام: ويُروى: مَساوِينا، يريد: السَّوْءآت، فهو جمع مَسَاءَة، مفعلة من السَّوْءَة والأصل مَسَاوِىء، فسهلت الهمزة.

الحمس

فصل: وذكر الْحُمْسَ، وما ابتدعته قريشٌ في ذلك، والتَّحَمُّس: التشدد، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهبَ التَّزَهُّدِ والتَّألُّه، فكانت نساؤهم لا يَنْسُجْنَ الشَّعَرَ ولا الْوَبَرَ، وكانوا لا يَسْلَؤُونَ السَّمْنَ، وَسَلأُ السَّمْن أن يُطْبخ الزُّبْدُ، حتى يصير سَمْنًا، قال أبرهة:

إن لنا صِرْمَةً[2] مُخَيَّسَةً[3] نشرب ألبانها ونَسْلَؤُها

---

(١) انظر البداية (٢/ ٢٨٣).

(٢) الصرمة: الإبل.

(٣) المخيسة: التي لم تسرح.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبَيدة النحويّ: أن بني عامر بن صَعْصعة معاوية بن بَكْر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك، وأنشدني لعَمْرو بن مَعْد يكرب:

أَعَبّاسُ لَوْ كانَتْ شِيارًا جِيادُنا ... بتَثْليث ما ناصَبْتَ بعدى الأحامِسا

قال ابن هشام: تثليث: موضع من بلادِهم. والشِّيار: الحسان. يعني بالأحامس: بَني عامر بن صَعْصعة. وبعبَّاس: عباسَ بن مِرْداس السُّلَمِي، وكان أغار على بَني زُبَيد بتثليث. وهذا البيت في قصيدة لعمرو.

وأنشدني لَلقِيط بن زُرَارة الدَّارِمي في يوم جَبَلَة:

أَجْذِمْ إلَيك إنها بَنُو عَبْس ... الْمَعْشَرُ الجِلَّةُ في القوْم الْحُمْس

لأن بني عَبْس كانوا يوم جَبلة حُلفاءَ في بَني عامر بن صَعْصعة.

ويومُ جَبَلة: يومٌ كان بين بني حنْظلة بن مالك بن زَيد مَنَاةَ بن تَميم، وبين بني عامر بن صَعْصعة، فكان الظَّفر فيه لبَني عامر بن صَعْصعة على بني حَنْظَلة، وقُتِل يومئذ لَقِيطُ بن زُرارَة بن عُدُس، وأُسِر حاجب بن زُرارة بن عُدُس، وانهزم عَمْرو بن عَمْرو بن

ذكر قول ابن معد يكرب: أعباسُ لو كانت شِيارًا جِيادُنا. البيت شِيارًا من الشارة الحسنة يعني: سِمانًا حِسانًا وبعد البيت:

ولكنها قِيدَتْ بصَعْدَةَ مَرَّةً ... فأصْبَحْن ما يمشين إلا تَكارُسًا[1]

وأنشد أيضًا: أجْذِم إليك إنها بنو عَبْس. أجْذِمَ: زَجْرٌ معروفٌ للخيل وكذلك: أرْحِبْ، وهَبْ وهِقِطْ وهِقط وهِقَبْ.

يوم جبلة:

وذكر يوم جَبَلة. وجَبَلَة هضبة عالية، كانوا قد أحْرَزُوا فيها عيالَهم وأموالَهم، وكان معهم في ذلك اليوم رئيسُ نَجْرانَ، وهو ابن الْجَوْنِ الْكِنْدِيّ وأخٌ للنعمان بن المنذر، أحسب اسمَه: حَسَّانَ بن وَبَرَةَ، وهو أخو النعمان لأُمِّه، وفي أيام جَبَلَة كان مولدُ رسول الله - ﷺ - ولِثِنْتَيْن وأربعين سنةً من ملك أَنوشِرْوَانَ بن قُبَاذ، وكان مولد أبيه عبد الله لأربعٍ وعشرين مَضت من ملك أنوشروان المذكور، فبينه - عليه السلام - وبين أبيه عبد الله نحوٌ من ثمانِ عَشْرَةَ سنةً.

---

(١) تكارس: تراكم.

عُدُس بن زَيْد بن عبد الله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظلة. ففيه يقول جرير للفرزدق:

كأنَّكَ لم تَشهَدْ لَقِيطًا وحاجِبا وعَمْرَ بن عَمْرٍو إذْ دَعَوْا: يا لَدارمِ

وهذا البيت في قصيدة له:

ثم التقوا يومَ ذي نَجَب فكان الظَّفر لحَنظلة على بَني عامر، وقُتل يومئذٍ حسَّان بن مُعاويَة الكِنْدِيّ، وهو أبو كَبْشة. وأُسِر يَزيد بن الصَّعِقِ الكِلابي، وانهزم الطُّفَيل بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب، أبو عامر بن الطفَيل. ففيه يقول الفرزدق:

ومنهنَّ إذ نجَّى طُفَيل بن مالك على قُرْزُل رَجْلاً رَكُوضَ الهَزَائمِ

ونحنُ ضَرَبْنا هامةَ ابن خُوَيْلد يَزيد على أُمِّ الفِراخ الجَواثِم

وهذان البيتان في قصيدة له.

فقال جرير:

ونحنُ خَضَبْنا لابن كَبْشة تاجَه ولاقى امْرَأً في ضَمَّة الخَيْلِ مِصْقَعا

وهذا البيت في قصيدة له.

وحديث يوم جَبَلة، ويوم ذي نَجَبٍ أطول مما ذكرنا. وإنما منعني من استقصائه ما ذكرتُ في حديث يوم الفِجَار.

قال ابن إسحٰق: ثم ابتدعوا في ذلك أُمورًا لم تكن لهم، حتى قالوا: لا ينبغي للحُمْس أن يَأْتَقِطوا الأقِطَ[1]، ولا يَسْأَلُوا السمن وهم حُرُم، ولا يدخلوا بيتًا من شَعَرٍ، ولا يَسْتَظِلُّوا ـ إن استظلوا ـ إلا في بيوت الأدَم ما كانوا حُرُمًا، ثم رفعوا في ذلك، فقالوا: لا ينبغي لأهل الحِلّ أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحلّ إلى الحرم إذا جاءوا حُجَّاجًا أو عُمَّارًا، ولا يطوفوا بالبيت إذا قَدِمُوا أوّل طَوافهم إلا في ثياب الْحُمْس.

عدس والحلة والطلس:

وذكر زُرارة بن عُدُس بن زيد، وهو: عدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة، فإنه كان يفتح الدال منه، وكل عُدَسٍ في العرب سواه فإنه مفتوح الدال. وذكر الحِلَّة وهم ما عدا الْحُمْس، وأنهم كانوا يطوفون عُرَاةً إن لم يجدوا ثياب أَحْمَس، وكانوا يَقْصِدون في ذلك طَرْح الثياب التي اقترفوا فيها الذنوبَ عنهم، ولم يذكر الطُّلْسَ من الْعَرب، وهم صِنْفٌ ثالث

(١) الإقط: اللبن المجفف.

فإن لم يَجدوا منها شيئًا طافوا بالبيت عُراةً، فإن تكرَّم منكم مُتَكَرِّمٌ من رجل أو امرأة، ولم يجد ثياب الْحُمْس. فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلّ، ألقاها إذا فرغ من طَوافه، ثم لم ينتفع بها، ولم يَمَسَّها هو، ولا أحدٌ غيرهُ أبدًا.

وكانت العرب تسمّي تلك الثياب: اللَّقَى، فحملوا على ذلك العربَ. فدانت به، ووقفوا على عرفات، وأفاضوا منها، وطافوا بالبيت عُراةً، أمَّا الرجال فيَطوّفون عراة. وأمّا النساء فتَضع إحداهنّ ثيابَها كلَّها إلا دِرْعًا مُفَرَّجًا عليها، ثم تَطوف فيه، فقالت امرأة من العرب، وهي كذلك تطوف البيت:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ، أو كُلّهُ ... وما بَدا منهُ فَلا أُحِلُّه

ومَنْ طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلّ ألقاها، فلم ينتفع بها هو ولا غيره، فقال قائلٌ من العرب يذكر شيئًا تركه من ثيابه، فلا يَقْرَبُه - وهو يُحبُّه -:

كفَى حَزنًا كَرِّي عليها كأنها ... لقًى بينَ أيْدي الطَّائِفينَ حَرِيمُ

يقول: لا تُمَسُّ.

غير الحِلّة، والْحُمْسِ كانوا يأتون من أقصى اليمن طُلْسًا من الْغُبَارِ، فيطوفون بالبيت في تلك الثيابِ الطُّلْسِ، فسُمُّوا بذلك. ذكره محمد بن حبيب.

اللَّقى:

فصل: وذكر اللَّقى وهو الثوب الذي كان يُطْرَح بعد الطواف فلا يأخذه أحدٌ، وأنشد:

كفى حَزَنًا كَرِّي عليه كأنه ... لَقى بين أيدي الطائفين حَرِيمٌ

حريم: أي مُحرَّم، لا يؤخذ، ولا ينتفع به، وكل شيء مُطَرَّح، فهو لَقى قال الشاعر يصف فرخ قَطًا:

تَرْوي لقًى أُلقِي في صَفْصَفٍ[1] ... تَصْهَرُهُ الشمسُ، فما يَنْصَهِر

تَرْوِى بفتح التاء أي: تَسْتَقي له، ومن اللَّقى: حديث فاختة أُم حكيم بن حزام، وكانت دخَلت الكعبة وهي حامل مُتِمٌّ بحكيم بن حزام، فأجاءها الْمَخاضُ، فلم تستطع الخروجَ من الكعبة، فوضعته فيها، فلُفَّت في الأنطاع هي وجنينُها، وطُرِحَ مَثْبِرُها وثيابُها التي كانت عليها، فجعلت لَقًى لا تقرب.

---

(١) الصفصف: المستوي من الأرض.

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدًا ـ ﷺ ـ فأنزل عليه حين أحكم له دينَه. وشَرعَ له سُنَنَ حجِّه: ﴿ثمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أفاضَ النَّاسُ واسْتَغْفِرُوا اللَّه إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]. يعني قريشًا، والناس: العرب، فرفعهم في سُنَّة الحجّ إلى عرفات، والوقوف عليها والإفاضة منها.

رجز المرأة الطائفة:

فصل: وذكر قول المرأة: اليوم يبدو بعضه، أو كله البيتين ويُذكر أن هذه المرأة، هي ضُبَاعة بنت عامر بن صَعْصَعَة، ثم من بني سَلَمَة بن قُشَيْر، وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله ـ ﷺ ـ خطبها، فذُكرت له عنها كِبْرة، فتركها، فقيل: إنها ماتت كَمَدًا وحُزنًا على ذلك قال المؤلف: إن كان صحّ هذا، فما أخّرها عن أن تكون أُمًّا للمؤمنين، وزوجًا لرسول ربّ العالمين إلا قولها: اليوم يبدو بعضهُ أو كله. تَكْرِمَةً من الله لنبيّه وعِلْمًا منه بغَيْرته، والله أغْيَرُ منه.

أُسطورة:

ومما ذُكر من تَعَرِّيهم في الطواف أن رجلاً وامرأة طافا كذلك، فانضم الرجل إلى المرأة تَلذُّذًا واستمتاعًا، فلصِق عَضُدُهُ بعُضْدِها، ففزعا عند ذلك، وخرجا من المسجد، وهما ملتصقان، ولم يقدر أحدٌ على فَكِّ عضُده من عَضُدُها، حتى قال لهما قائل: توبا مما كان في ضميركما، وأخلِصا لله التوبة، ففعلا، فانحلّ أحدهما من الآخر[1].

قرزل وطفيل:

وأنشد للفرزدق:

ومنهن إذ نجى طُفَيْل بن مالك   على قُرْزُلٍ رَجْلاً رَكُوضَ الهزائم

قُرْزُل: اسم فرسه، وكان طفيْل يسمى: فارسَ قُرْزُل، وقرزل: القيد سمى الفرس به، كأنه يقيد ما يسابقه، كما قال امرؤ القيس:

بـمُـنْـجَـرد قَـيْـدِ الأوابـدِ هَـيْـكَـل

وطُفَيْلٌ هذا هو: والد عامر بن الطفيل، عدو الله وعدو رسوله، وأخو طفيل هذا:

---

(١) أسطورة تشبه تلك القصة التي تنسب إلى الإمام أحمد أو مالك أن امرأة دخلت لتغسل امرأة فذكرت من عيوبها كذا وكذا، فإذا بها وقد التصقت يدها بيد المرأة الميتة، فشكوا ذلك إلى الإمام أحمد أو مالك ـ الشك مني ـ فأمر بجلدها حدّ القذف فانحلّت يدها!!!.

وأنزل الله عليه فيما كانوا حَرّموا على الناس من طعامهم ولبُوسهم عند البيت. حين طافوا عُراةً، وحرّموا ما جاءوا به من الحلّ من الطعام: ﴿يا بَني آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١ ـ ٣٣]. فوضع الله تعالى أمرَ الْحُمس، وما كانت قُرَيش ابتدعت منه، عن الناس بالإسلام، حين بعث الله رسوله ﷺ.

عامرٌ مُلاعِب الأسِنَّة، وسنذكر لِمَ سُمِّي ملاعب، ونذكر إخوته وألقابهم في الكتاب إن شاء الله.

الهامة:

وقوله: على أم الفِراخ الْجَواثِم. يعني: الهامة، وهي البُوم، وكانوا يعتقدون أن الرجُل إذا قُتِل خرجت من رأسِه هامةٌ تصيح: اسْقوني اسقوني، حتى يُؤْخذ بثأره. قال ذو الإصبع الْعَدْوَانِي:

أَضرِبْكَ حتى تقول الهامَةُ اسقوني

شرح بيت جرير:

فصل: وأنشد جرير:

ونحن خَضَبْنا لابن كَبْشَة تاجَه ... ولاقى أمرأ في ضَمْة الخيل مِصْقَعا

وجدت في حاشية الشيخ أبي بحر هذا البيت المعروف في اللغة أن ـ الْمِصْقَع: الخطيبُ البليغ، وليس هذا موضعه، لكن يقال في اللغةِ: صَقعه: إذا ضَرَبَه على شيء مُصْمَتٍ يابس، قاله الأصمعي، فيشبه أن يكون مِصْقَع في هذا البيت من هذا المعنى، فيقال منه: رجل مِصْقَع كما يقال: مِحْرَب وفي الحديث: إن سعدًا لَمِحْرَبٌ، يعني [ابن] أبي وقاص.

ما نزل من القرآن في أمر الحمس:

فصل: وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الْحُمْسِ، وهو قوله تعالى: ﴿يا بني آدمَ خُذُوا زينَتكم عند كلِّ مَسْجِد وكلوا واشربوا﴾ الآية [الأعراف: ٣٠]. فقوله: وكلوا واشربوا إشارةٌ إلى ما كانت الْحُمْسُ حرمته من طعام الحج إلا طعامَ أَحْمَس، وخذوا زينَتكم: يعني اللباسَ، ولاَ تَتَعَرَّوا، ولذلك افتتح بقوله: يا بني آدم، بعد أن قصّ خبر آدم وزوجَه، إذْ يخْصِفان عليهما من وَرَق الجنة، أي: إنْ كنتم تحتجّون بأنه دينُ آبائكم، فآدم أبوكم، ودينه: سترُ

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبدُ الله بنُ أبي بَكْر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم، عن عثمان بن أبي سُلَيمان بن جُبير بن مُطْعَم، عن عَمِّه نافع بن جُبَيْر عن أبيه جُبَير بن مُطْعِم. قال: لقد رأيت رسول الله - ﷺ - قبل أن ينزل عليه الوحيُ، وإنه لواقفٌ على بَعير لَه بعرَفات مع الناس من بين قومه حتى يدْفع معهم توفيقًا من الله له، ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أخبار الكهان من العرب
والأحبار من يهود والرهبان من النصارى

قال ابن إسحٰق: وكانت الأحبار من اليَهود، والرُّهبان من النصارى، والكُهَّانُ من

الْعَوْرة، كما قال: ملّة أبيكم إبراهيم، أي: إن كانت عبادَةُ الأصنام دينَ آبائكم، فإبراهيم أبوكم، ولم يكن من المشركين، ومما نزل في ذلك: ﴿وما كان صلاتُهم عند البيت إلا مُكَآءَ وتَصْدِية﴾[1] [الأنفال: ٣٥]. ففي التفسير أنهم كانوا يطوفون عُراة، ويصفقون بأيديهم ويصفِّرون، فالمكآء: الصفير، والتصْدِية: التصفيق. قال الراجز: وأنا من غَروِ الهوى أَصَدِّي. ومما نزل من أمر الحمس: ﴿وليس البِرُّ بأنْ تَأْتُوا البيوتَ من ظُهورها﴾ [البقرة: ١٨٩]. لأن الْحُمْسَ لا يدخلون تحت سقف، ولا يحول بينهم وبين السماء عتبةُ باب ولا غيرها، فإن احتاج أحدهم إلى حاجة في داره تسنَّم البيتَ من ظهره، ولم يدخل من البابِ، فقال الله سبحانه: ﴿وأْتوا البيوتَ من أبوابِها واتَّقوا الله لَعلكم تُفْلِحون﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقوف النبي بعرفة قبل الهجرة والنبوة:

وذكر وقوف النبي ﷺ بعرفةَ مع الناس قبل الهجرة، وقبل النبوة توفيقًا من الله، حتى لا يفوته ثوابُ الحج، والوقوف بعرفة قال جبيرُ بن مُطْعِم حين رآه واقفًا بعرفةَ مع الناس: هذا رجل أحْمَسُ، فما باله لا يقف مع الْحُمْس حيث يقفونَ[2]؟!.

فصل في الكهانة

رُوِيَ في مأثور الأخبار أن إبليسَ كان يخترق السَّمٰواتِ قبل عيسى، فلما بُعث عيسى،

---

(١) كحال الكثير من أهل الصوفية أصحاب «الطرق»، فما صلاتهم وذكرهم إلا صياح وتصفير وتصفيق وصريخ وترنّح يمنة ويسرة ثم التشنّج من أثر الجنّ الذي يتلبس بهم إثر ما يترنحون به طلاسم وخزعبلات!!!.

(٢) أخرجه أحمد بسند صحيح.

العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله - ﷺ - قبل مَبْعثه، لما تقارَب من زمانه. أمّا الأحبار من يَهود، والرهبان من النصارى. فعمَّا وَجدوا في كُتُبهم من صِفته وصِفة زمانه، وما كان من عَهْد أنبيائهم إليهم فيه، وأمّا الكُهّان من العَرب: فأتتهم به الشّياطينُ من الجنّ فيما تَسْتَرِق من السمع إذ كانت وهي لا تُحجَب عن ذلك بالقذْف بالنجوم، وكان الكاهنُ والكاهنة لا يزال يَقَع منهما ذِكْرُ بعضِ أموره، لا تُلْقي العربُ لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يَذْكرون. فعرفوها.

فلما تقارب أمْرُ رسول الله - ﷺ - وحَضَر مَبْعثه. حُجبت الشَّياطينُ عن السَّمْع، وحِيل بينها وبين الْمَقاعد التي كانت تَقْعُد لاستراق السمع فيها، فَرُمُوا بالنُّجوم، فعرفت الجنّ أن ذلك لأمْرٍ حَدث من أمر الله في العباد، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمدٍ ﷺ حين بعثه، وهو يقُصّ عليه خبر الجنّ إذ حُجبوا عن السَّمع، فعرَفوا ما عرفوا، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوْا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إليَّ أنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ فقالُوا إنّا سَمِعْنا قُرآنًا عَجَبًا يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أحَدًا وَأنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا ما اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا وَأنَّهُ كانَ يَقُول سَفِيهُنا على الله شَطَطا وَأنّا ظَنَنَّا أنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ والجِن على اللّهِ كَذِبًا وأنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنْسِ يَعُوذُونَ بِرجالٍ من الجن فَزَادُوهُمْ

أو وُلد حُجِب عن ثلاث سماوات، فلما وُلد محمدٌ حُجِب عنها كلِّها، وقُذفت الشياطينُ بالنجوم وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم: قامت الساعة، فقال عُتْبة بن ربيعة: انظروا إلى الْعَيُوق[1] فإن كان رُمِيَ به، فقد آن قيامُ الساعة، وإلاّ فلا. وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر.

رمي الشياطين:

وذكر ابن إسحٰق في هذا الباب ما رُمِيَت به الشياطين، حين ظهر القذفُ بالنجوم، لئلا يلتبِسَ بالوحي، وليكون ذلك أظهر للحجة، وأقطع للشبهة، والذي قاله صحيح: ولكن القذفَ بالنجوم قد كان قديمًا، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية. منهم: عَوْفُ بن أجْرع، وأوْسُ بنُ حَجَر، وبِشْر بن أبي خازم، وكلهم جاهلي، وقد وصفوا الرمي بالنجوم، وأبياتُهم في ذلك مذكورة في مُشْكِل ابن قُتَيْبَة في تفسير سورة الجن[2]، وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن مَعْمَرٍ عن ابن شهاب أنه سُئِلَ عن هذا الرمي بالنجوم: أكان في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلِّظَ وشُدِّد، وفي قول الله سبحانه: ﴿وأنّا لَمَسْنَا السماءَ فوجدناها مُلِئت حَرَسًا شديدًا وشُهُبًا﴾ [الجن: ٨] الآية ولم يقل: حُرست دليل على

---

(١) العيوق: نجم أحمر كبير.

(٢) انظر كتاب القرطين (٢/ ١٨٤) لابن مطرف.

رَهَقًا﴾ . . . إلى قوله: ﴿وأنَّا كُنَّا نَقْعُدُ منها مقاعدَ للسَّمْعِ فَمَنْ يستمعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا وأنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأرضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١ـ ٦ ثم ٩، ١٠].

فلما سمعت الجنّ القرآن عرَفتْ أنها إنما مُنعت من السَّمْعِ قبل ذلك، لئلا يُشْكِل الوحيُ بشيء خَبر السماء، فيَلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه، لوُقوع الحُجَّة، وقَطْع الشبهة. فآمنوا وصدقوا، ثم: ﴿وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قالوا يا قَوْمَنا إنَّا

أنه قد كان منه شيء، فلما بُعث النبي ـ ﷺ ـ مُلِئَتْ حرسًا شديدًا وشُهبًا، وذلك لِيَنْحَسِمَ أمرُ الشياطين، وتخليطُهم، ولتكون الآية أبينَ، والحجة أقطعَ، وإن وجد اليوم كاهن، فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمنَ النُّبُوّةِ، ثم بقيت منه، أعني من استراقِ السمع بقايا يسيرة بدليل وجودِهم على النُّدُور في بعض الأزمنة، وفي بعض البلاد. وقد سُئِل رسول الله ـ ﷺ ـ عن الكُهَّان فقال: ليسوا بشيء، فقيل: إنهم يتكلمون بالكلمة، فتكون كما قالوا، فقال: تلك الكلمة من الجن يحفظها الجِنّي، فيُقِرُّها في أُذُن وَلِيِّه قَرَّ الزُّجاجة، فيخلط فيها أكثرَ من مائةِ كذبة[1]، ويُروى: قَرَّ الدَّجاجَةَ بالدال، وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت في الدلائل. والزجاجة بالزاي أولى؛ لما ثبت في الصحيح، فيُقِرّها في أُذُن ولِيِّه، كما تُقِرُّ القارورة، ومعنى يُقِرُّها: يَصُبُّها ويُفْرغها، قال الراجز:

لا تُـفْـرِغَـنْ فـي أُذُنِـي قَـرَّهـا ... مـا يَـسْـتَـفِـزُّ فـأُريـك فـقـرهـا

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس، قال: إذا رمى الشهابُ الْجِنيَّ لم يُخْطِئْه، ويحرق ما أصاب ولا يقتله، وعن الحسن قال: في أسرع من طرفة العين، وفي تفسير ابن سلام أيضًا عن أبي قَتَادَة أنه كان مع قوم، فرُمِيَ بنجم، فقال: لا تُتْبِعوه أبصارَكم، وفيه أيضًا عن حَفصٍ أنه سأل الحسَن: أيُتْبِعُ بصرَه الكوكب. فقال: قال سبحانه: ﴿وجعلناها رُجُومًا للشياطين﴾ [الملك: ٥]. وقال: ﴿أوَلَم يَنظروا في مَلَكُوت السَّمٰواتِ والأرض﴾ [الأعراف: ١٨٥]. قال: كيف نعلم إذا لم ننظر إليه، لأُتْبِعَنَّه بصري[2].

الجنّ الذين ذكرهم القرآن:

وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن والذين: ﴿ولَّوْا إلى قومهمْ مُنذرين قالوا:

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٨/ ٥٨) ومسلم في السلام (١٢٣) وأحمد (٦/ ٨٧) والطحاوي في المشكل (٣/ ١١٤).

(٢) انظر تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي.

سَمِعْنا كتابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِما بينَ يَدَيْهِ يَهْدي إلى الحَقّ وإلى طَرِيق مُسْتَقِيم﴾. . . الآية [الأحقاف: ٣٠].

وكان قولُ الجنّ: ﴿وأنَّهُ كانَ رجالٌ مِنَ الإنْسِ يعُوذُونَ بِرِجال مِنَ الجِنّ فَزَادُوهمْ رَهَقًا﴾. أنه كان الرجلُ من العَرب من قُرَيش وغيرهم إذا سافر فنزل بَطْنَ وادٍ من الأرض ليَبِيتَ فيه، قال: إني أعوذ بعَزيز هذا الوادي من الجنّ الليلةَ من شرّ ما فيه.

قال ابن هِشام: الرهق: الطغيان والسَّفه. قال رؤبة بن العجّاج:

إذ تَسْتَبي الهَيَّامَةَ المُرَهَّقا

[بِمُقْلَتَيْ رِيمٍ وجِيدٍ أرشَقا]

يا قومنا إنّا سَمِعْنا كتابًا أُنزِل من بعدِ موسى﴾ [الأحقاف: ٣٠]. وفي الحديث أنهم كانوا من جِنّ نَصِيبين. وفي التفسير أنهم كانوا يَهُودًا؛ ولذلك قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا من بعد عيسى ذكره ابن سلام[١]. وكانوا سَبْعَةً، قد ذُكِروا بأسمائهم في التفاسير والمُسْنَدات، وهم: شاصر، وماصر، ومنشى، ولاشى، والأحقاب، وهؤلاء الخمسةُ ذكرهم ابن دُرَيدٍ، ووجدتُ في خبر حدّثني به أبو بكر بن طاهر الإشبيلي القَيْسِيّ عن أبي عَلِيٍّ الغَسّاني في فضل عمر بن عبد العزيز قال: بينما عمرُ بن عبد العزيز يمشي في أرض فلاةٍ فإذا حَيَّةٌ مَيِّتةٌ فكفَّنها بفَضْلَة من رِدَائه، ودفنها فإذا قائلٌ يقول: يا سُرَّق اشهد، لَسَمِعْتُ رسول الله - ﷺ - يقول لك: «ستموت بأرض فلاةٍ، فيكفنك ويدفنك رجلٌ صالح»، فقال: مَن أنت - يرحمك الله - فقال: رجل من الجِنّ الذين تسمّعوا القرآن من رسول الله - ﷺ - لَم يبق منهم إلا أنا وسُرَّقٌ، وهذا سُرَّقٌ قد مات[٢]. وذكر ابن سلام من طريق أبي إسحٰق [عَمْرو بنِ عبد الله بن علي] السَّبِيعِي عن أشياخِه عن ابن مَسْعُودٍ أنه كان في نَفَرٍ من أصحاب رسول الله - ﷺ - يمشون فرُفع لهم إعصارٌ، ثم جاء إعصارٌ أعظمُ منه، ثم انقشع، فإذا حَيَّةٌ قتيلٌ، فعَمَدَ رجل منّا إلى ردائه فشقّه، وكفَّن الحيّة ببعضه ودفنها. فلما جَنَّ الليلُ إذا امرأتان تتساءلان: أيُّكم دفن عَمْرو بن جابر؟ فقلنا: ما ندري مَنْ عمرو بن جابر؟ فقالتا: إن كنتم ابتغيتم الأجرَ فقد وجدتموه. إن فَسَقَةَ الجِنّ اقتتلوا مع المؤمنين منهم، فقُتِلَ عمرو، وهو الحيَّة التي رأيتم، وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد - ﷺ - ثم وَلَّوْا إلى قومهم مُنذرين!!.

---

(١) وقالوا لأن عيسى جاء مصدقًا لموسى ولم ينسخ شريعته كما قال: «لم أجيء لأنقض الناموس». أما القرآن فقد نسخ كل كتاب سبق. والله أعلى وأعلم.
(٢) انظر كتاب «عالم الجن» للإشبيلي والسيوطي.

وهذا البيت في أُرجوزة له. والرَّهَقُ أيضًا: طَلبك الشيء حتى تدنو منه، فتأخذه، أوْ لا تأخذه. قال رؤبة بن العجّاج يصف حَمير وَحْش:

بَصْبَصْن واقْشَعرَرْن من خَوْف الرَّهَقْ

[يَمصَعْن بالأذناب من لَوْح وَبَقْ]

وهذا البيت في أُرجوزة له. والرهق أيضًا: مصدر لِقَول الرجل: رَهِقت الإثمَ أو العُسْرَ، الذي أرهقتَنِي رَهَقًا شديدًا، أي: حملتُ الإثم أو العسر الذي حملتني حملاً شديدًا، وفي كتاب الله تعالى: ﴿فخَشِينا أنْ يُرْهِقَهُما طُغيانًا وكُفرًا﴾ [الكهف: ٨٠] وقوله: ﴿وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يَعْقوب بن عُتْبة بن المُغِيرة بن الأخنس أنه حُدِّث[1] أن

ابن علاط والجن:

فصل: وأما ما ذكره في معنى قوله سبحانه: ﴿وأنه كان رِجالٌ من الإِنْسِ يعوذون برجالٍ من الْجِنّ﴾ الآية؛ [الجن: ٦]. فقد رُوِيَ في معنى ذلك عن حجاج بن عِلاَطٍ السُّلَمِي، وهو والد نَصْرِ بن حَجّاج الذي قيل فيه:

أم لا سبيلَ إلى نصرِ بن حَجّاج

أنه قَدِم مكة في ركب، فأجَنَّهم الليلُ بواد مَخُوفٍ مُوحش، فقال له الركب: قم خذ لنفسك أمانًا، ولأصحابك، فجعل يطوف بالركب ويقول:

أُعِيذ نفسي وأُعيذ صَحْبي

مِن كل جِنِّيٍّ بهذا النَّقْب

حتى أءوبَ سالمًا ورَكْبي

فسمع قارئًا: ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنّ والإِنْسِ إن اسْتَطَعْتُمْ أن تَنْفُذوا من أقطارِ السَّمٰوات والأرض فانْفُذُوا لا تَنفُذُون إلا بسلطان﴾ الآية [الرحمن: ٣٣]. فلما قَدِمَ مكة خبَّرَ كفارَ قريش بما سمع، فقالوا: أصبت يا أبا كِلابِ. إن هذا يزعم محمد أنه أُنزِل عليه، فقال: والله لقد سمعتُه وسمعه هؤلاء معي، ثم أسلم وحَسُنَ إسلامُه، وهاجر إلى المدينة، وابْتَنَى بها مَسْجدًا فهو يُعْرَف به[2].

---

(١) فيه مجهول.

(٢) قصة تفتقر إلى الدليل «الصحيح» يعتضدها ويقوم بها. فتأمل ولا تغترّ.

أوّل العرب فَزِع للرّمي بالنجوم ـ حين رُمِيَ بها ـ هذا الحيُّ من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية أحد بني عِلاَجٍ ـ قال: وكان أدهى العرب وأنْكَرَها رأيًا ـ فقالوا له: يا عمرو: ألم تَرَ ما حدث في السماء من القَذْف بهذه النجوم؟ قال: بلى فانظروا، فإن كانت معالم النُّجُوم التي يُهتدى بها في البرّ والبحر، وتُعرَف بها الأنْوَاءُ من الصَّيف والشتاء، لِمَا يُصلح النَّاس في معايشهم، هي التي يُرمى بها، فهو والله طَيُّ الدنيا، وهلاكُ هذا الخَلْق الذي فيها، وإن كانت نجومًا غيرها، وهي ثابتة على حالها، فهذا لأمْرٍ أراد اللّهُ به هذا الخَلْق، فما هو؟

وقال ابن إسحٰق: وذكر محمد بنُ مسلم بن شهاب الزهريّ، عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عن عبد الله بن العبَّاس، عن نفر من الأنصار: أن رسول الله ﷺ، قال لهم: «ماذا كنتم تقولون في هذا النَّجم الذي يُرمى به»؟ قالوا: يا نبيّ الله كنَّا نقول حين رأيناها يُرمى بها: مات مَلِك، مُلِّكَ مَلِكٌ، وُلد مولود، مات مَوْلودٌ، فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك كذلك، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خَلْقه أمرًا سمعه حَمَلَةُ العرش، فسبَّحوا، فسبَّح مَن تحتهم، فسبّح لتسبيحهم من تحت ذلك، فلا يزال التَّسْبيح يَهْبِط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، فيسبِّحوا ثم يقول بعضهم لبعض: مِمَّ سبَّحتم؟ فيقولون: سبّح مَن فوقنا فسبَّحنَا لتسبيحهم، فيقولون: ألا تسألون مَن فوقكم: مِمَّ سبَّحوا؟ فيقولون مثل ذلك، حتى ينتهوا إلى حَمَلَةِ العرش، فيقال لهم: مِمَّ سبَّحتم؟ فيقولون: قضى الله في خَلْقه كذا وكذا، للأمر الذي كان، فيهبِطُ به الخبرُ من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، فيتحدّثوا به، فَتَسْتَرِقُه الشياطين بالسَّمع، على توهّم واختلاف، ثم يأتوا به الكهّان من أهْلِ الأرض، فيحدّثوهم به، فيخطئون

حول انقطاع الكهانة:

فصل: وذكر ابن إسحٰق حديث ابن عباس وفيه: كنا نقول إذا رأيناه: يموت عظيمٌ أو يولد عظيم، وفي هذا دليل على ما قدَّمناه من أن القذف بالنجوم كان قديمًا، ولكنه إذ بُعث الرسول عليه السلام وغُلِّظ وشُدِّد ـ كما قال الزهري ـ وملئت السماءُ حرسًا. وقوله في آخر الحديث: وقد انقطعت الكهانةُ اليوم، فلا كهانةَ. يدل قولُه: اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه، والذي انقطع اليوم، وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطينُ ما كانت تدركه في الجاهلية الْجَهْلاء، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء، وما يوجد اليوم من كلام الجنّ على ألسنة المجانين إنما هو خَبَرٌ منهم عما يَرَوْنه في الأرض، مِمَّا لا نراه نحن كسرقة سارقٍ، أو خبيئته في مكان خَفِيٍّ، أو نحو ذلك، وإن أخبروا بما سيكون كان تَخرُّصًا وتَظَنِّيًا، فيصيبون قليلاً، ويخطئون كثيرًا.

ويصِيبون، فيتحدّث به الكُهّان، فيصيبون بعضًا ويُخطئون بعضًا. ثم إن الله عزّ وجلّ حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقذفون بها، فانقطعت الكَهانةُ اليومَ، فلا كهانة»[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عَمْرو بن أبي جعفر، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لَبيبة، عن عليّ بن الحسين بن عليّ رضي الله عنه بمثل حديث ابن شهاب عنه.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعض أهل العلم[2]: أن امرأة من بني سَهْم يقال لها الغَيْطَلَةُ، كانت كاهنةً في الجاهلية، فلما جاءها صاحبها في ليلةٍ من الليالي، فأنْقَضَ

وذلك القليل الذي يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة في الْعَنان، كما في حديث البخاري، فيُطْرَدُون بالنجوم، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائةِ كذبة ـ كما قال عليه السلام ـ في الحديث الذي قدّمناه، فإن قلت: فقد كان صافُ بن صَيَّاد، وكان يَتَكَهَّنُ، ويدَّعي النبوة، وخَبَأَ له النبيُّ ـ ﷺ ـ خَبِيْئًا، فعلمه، وهو الدُّخُّ[3] فأين انقطاع الكهانة في ذلك الزمان؟ قلنا: عن هذا جوابان، أحدهما ذكره الخطابي في أعلام الحديث قال: الدُّخُّ نبات يكون من النخيل، وخَبَأَ له عليه السلام: ﴿فارْتَقِبْ يوم تأتي السماءُ بدُخانٍ مُبينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خَبَأَ له النبي ـ ﷺ ـ.

الثاني: أن شيطانه كان يأتيه بما خَفِي من أخبار الأرض، ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم، فإن كان أراد بالدُّخّ الدخانَ بقوة جُعِلت لهم في أسماعهم ليست لنا، فألقى الكلمة عن لسان صافٍ وحدها، إذ لم يُمكن سماع سائر الآية؛ ولذلك قال له النبي ـ عليه السلام ـ: اخْسَأْ فلن تَعْدُو قدر الله فيك أي: فلن تعدو منزلتك من الْعَجْز عن علم الغيب؛ وإنما الذي يمكن في حقه هذا القدرُ دون مزيد عليه، على هذا النحو فسّره الخطابي.

الغيطلة الكاهنة وكهانتها:

فصل: وذكر حديث الْغَيْطَلة الكاهنة، قال: وهِيَ من بني مُرَّة بن عَبْد مَناة بن كِنانة أخي مُدْلِجٍ، وهي: أمُّ الغَياطل الذي ذكر أبو طالب، وسنذكر معنى الْغَيْطَلة عند شعر أبي طالب إن شاء الله. ونذكرها هٰهنا ما ألفَيْتُه في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر في هذا الموضع. قال: الغيطلة بنت مالكِ بن الحارثِ بن عمرو بن الصَّعِق بن شَنُوق بن مُرَّةَ، وشَنُوق أخو مُدْلِجٍ، وهكذا ذكر نسبَها الزبيرُ.

---

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في السلام (١٢٤) مختصرًا.

(٢) مجاهيل.

(٣) الدخ: الدخان. وانظر الحديث في البخاري في كتاب الجنائز ـ باب (٧٩) ومسلم في كتاب الفتن (٨٧/ ٩٥) وأبو داود في الملاحم ـ باب (١٥) بتحقيقي ـ وأحمد (١/ ٣٨٠).

تحتها، ثم قال: أذرِ ما أذرِ، يوم عَقْر ونَحْر، فقالت قُرَيش حين بلغها ذلك: ما يريد؟ ثم جاءها ليلة أخرى، فأنقَضَ تحتها، ثم قال: شُعُوبٌ، ما شُعُوبْ، تُصرع فيه كَعْبٌ لِجُنُوب: فلما بلغ ذلك قريشًا، قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن، فانظروا ما هو؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بَدْر وأُحُد بالشِّعب، فعرفوا أنه الذي كان جاء إلى صاحبته.

قال ابن هشام: الْغَيْطَلَةُ: من بني مُرَّةَ بن عَبْد مناة بن كِنانة، إخوة مُدْلِج بن مرة، وهي أُم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله:

لقَد سَفُهَتْ أحلامُ قَوْمٍ تَبَدَّلوا ... بَني خَلَف قَيْضًا بنا والغَيَاطِلِ

فقيل لولدها: الغياطل، وهم من بَني سهم بن عَمْرو بن هُصَيْص. وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عليّ بن نافع الْجُرَشِيّ: أنَّ جَنْبًا بَطْنًا من اليمن، كان لهم كاهنٌ في الجاهلية، فلما ذُكر أمر رسول الله ﷺ، وانتشر في العرب، قالت له جَنْب: انظرْ لنا في أمر هذا الرجل، واجتمعوا له في أسفل جبله، فنزل عليهم حين طلعت الشمس، فوقف لهم قائمًا مُتَّكِئًا على قوس له، فرفع رأسه إلى السماءِ طويلاً، ثم جعل

وذكر قولها: شُعُوب وما شعوب، تُصرَع فيها كَعْبٌ لجُنُوب. كعبٌ هٰهنا هو: كَعْبُ بن لُؤَيّ، والذين صُرِعوا لجنوبهم ببدرٍ وأُحُدٍ من أشرافِ قريش، معظمهُم من كعب بن لُؤَيّ، وشُعُوبٌ هٰهنا أحسبه بضم الشين، ولم أجده مقيدًا، وكأنه جَمْعُ شِعب، وقول ابن إسحٰق يدل على هذا حين قال: فلم يُدْرَ ما قالت، حتى قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ببدرٍ وأُحُدٍ بالشِّعب.

وذكر قول التابع: أذرِ ما أذرِ، وقيد عن أبي عَلِيّ فيه رواية أخرى: وما بَدْر؟ وهي أبْيَنُ من هذه، وفي غير رواية الْبَكَّائِيِّ عن ابن إسحٰق أن فاطمةَ بنت النعمان النَّجَّارية كان لها تابعٌ من الجن، وكان إذا جاءها اقتحم عليها في بيتها، فلما كان في أول البعث أتاها، فقعد على حائطِ الدار، ولم يدخل فقالت له: لِمَ لا تدخل؟ فقال: قد بُعث نبي بتحريم الزِّنا، فذلك أول ما ذُكر النبي ﷺ بالمدينة[1].

---

(١) قصة في حاجة إلى دليل «صحيح» يعتضدها. وقد لاحظ أخي القارىء تكرار هذه الكلمة السابقة مرارًا. وذلك أن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ. وما خرج عنهما فنقول للقائل «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» ونحن والحمد لله أمة السند والدليل عباد الله وحده، ولسنا عباد للعلماء والشيوخ. وقد أخرج أبو نعيم في الدلائل الحديث بنحوه (٦٩).

يَنْزُو، ثم قال: أيها الناس، إن الله أكرم محمدًا واصطفاه، وطهَّر قلبه وحشاه، ومُكْثُه فيكم أيها الناس قليل، ثم اشْتَدَّ في جبله راجعًا من حيث جاء.

ثقيف ولهب والرمي بالنجوم:

فصل: وذكر إنكارَ ثقيفٍ للرَّمْي بالنجوم، وما قاله عَمْرو بن أُمَيَّة أحد بني عِلاَجٍ إلى آخر الحديث، وهو كلام صحيح المعنى، لكنّ فيه إبهامًا لقوله: وإن كانت غير هذه النجومِ فهو لأمرٍ حدث، فما هو وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لِهْبٍ عند فزعهم للرمي بالنجوم، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له: خَطر، فبيّن لهم الخبر، وما حدث من أمر النبوّة. روى أبو جَعْفر العَقِيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لِهْبٍ يقال له: لِهْبٌ أو لُهَيْب. وقد تكلمنا على نسب لِهْبٍ في هذا الكتاب. قال لُهَيْب: حضرت مع رسول الله ﷺ، فذكرت عنده الكهانة، فقلت: بأبي وأمي: نحن أول مَن عرف حراسة السماء، وزجْرَ الشياطين، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم، وذلك أنّا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له: خَطَر بن مالك، وكان شيخًا كبيرًا، قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة، وكان من أعلم كهّاننا، فقلنا: يا خَطَرُ هل عندك علم من هذه النجومِ التي يُرمى بها، فإنّا قد فزعنا لها، وخشينا سوء عاقبتها؟ فقال:

إئْـتُـونـي بِـسَـحَـر
أُخْـبِـرْكُـمُ الـخَـبَـر
أبِـخَـيْـرٍ أم ضَـرر
أو لأمْـنٍ أو حَـذر

قال: فانصرفنا عنه يومنا، فلما كان من غد في وجه السَّحَر أتيناه، فإذا هو قائم على قدميه، شاخص في السماء بعينيه، فناديناه: أخَطَرٌ يا خَطَرُ؟ فأومأ إلينا: أنْ أمسكوا، فانقضّ نجم عظيم من السماء، وصرخ الكاهن رافعًا صوته:

أصـابَـهُ إصـابَـهْ خَـامَـرَهُ عِـقَـابُـهُ
عـاجَـلَـه عـذابُـه أحـرقـه شـهـابُـه
زايَـلَـه جـوابُـهُ
يـا وَيْـلَـه مـا حـالـه بَـلْـبَـلَـه بَـلْـبـالُـه
عـاوده خَـبَـالُـه تَـقَـطَّـعَـتْ حِـبـالُـه
وغُـيِّـرت أحـوالـه

ثم أمسك طويلاً وهو يقول:

يا مَعْشَرَ بني قَحْطَانِ ... أُخبركُم بالحقّ والبيان

أقسمت بالكعبةِ والأركانِ ... والبلدِ الْمُؤْتَمنِ السُّدَّان

لقد مُنِع السمعَ عُتَاةُ الجان ... بثاقبٍ بِكَفِّ ذي سلطان

من أجْلِ مَبْعوثٍ عظيم الشانِ ... يُبْعث بالتنزيل والقرآن

وبالهدى وفاصلِ القرآن ... تَبْطُل به عبادةُ الأوثان

قال: فقلنا: وَيْحَكَ يا خطر إنك لتذكر أمرًا عظيمًا، فماذا ترى لقومك؟ فقال:

أرى لِقَوْمِي ما أرى لِنَفْسِي ... أن يَتْبَعوا خَيرَ نَبِيِّ الإنس

بُرهانهُ مثلُ شُعاعِ الشمس ... يُبعثُ في مكةَ دارِ الْحُمْس

بِمُحْكَمِ التَّنزيلِ غيرِ اللَّبْس

فقلنا له: يا خَطَرُ، ومِمَّن هو؟ فقال: والحياة والعَيْش. إنه لمن قريش، ما في حِلْمِهِ طَيش، ولا في خلقه هَيْش[1] يكون في جَيْشٍ، وأي جَيْش، من آل قَحْطانَ وآل أَيْش، فقلت له: بيّن لنا: من أي قريش هو؟ فقال: والبيت ذي الدعائم، والركن والأحائم، إنه لَمِنْ نجل هاشم، من معشر كرائم، يُبْعَثُ بالْمَلاَحِمْ، وقتل كل ظالم، ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجان، ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر ـ ثم سكت وأُغمي عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاثة، فقال: لا إلـه إلا الله؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لقد نطق عن مثل نُبُوّة، وإنه ليُبْعَثُ يوم القيامة أُمة وحده[2].

أصل ألف إصابة:

قال المؤلف: في هذا الخبر قوله: أصابه إصابة، هكذا قيّدته بكسر الهمزة من إصابة عَلَى أبي بكر بن طاهر، وأخبرني به عن أبي علي الغَسَّانِيِّ، ووجهه أن تكون الهمزة بدلاً من واو مكسورة مثل وِشاح وإشاح [ووسادة وإسادة]، والمعنى: أصابه وصَابه جمع: وَصَب مثل: جَمل وجِمَالة.

---

(١) أي شيء قبيح.

(٢) أورده الحافظ في الإصابة (٣/ ٣٧١) وفيه عمارة بن زيد متهم بالوضع.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني مَن لا أتّهم[1] عن عبد الله بن كَعْب، مولى عثمان بن

معنى كلمة أيش والأحائم:

وقوله: من آل قحطان وآل أيْشٍ، يعني بآل قحطان: الأنصار؛ لأنهم من قحطان، وأما آل أيش، فيحتمل أن تكون قبيلة من الجِن المؤمنين، ينسبون إلى أيْش، فإن يكن هذا، وإلا فله معنى في المدح غريب، تقول: فلان أيش هو وابن أيش، ومعناه: أي شيء أي شيء عظيم فكأنه أراد من آل قحطان، ومن المهاجِرين الذي يقال فيهم مثل هذا، كما تقول: هم، وما هم؟ وزيد ما زيد، وأيّ شيء زيد، وأيش في معنى: أي شيء، كما يقال وَيْلُمِّه في معنى: ويل أُمه على الحذف لكثرة الاستعمال، وهذا كما قال: هو في جيش أيما جيش، والله أعلم. وأحسبه أراد بآل أيش: بني أُقَيش، وهم حلفاءُ الأنصار من الجن؛ فحذف من الاسم حرفًا، وقد تفعل العرب مثل هذا، وقد وقع ذكر بني أُقَيش في السيرة في الحديث البَيْعَةِ.

وذكر الركن والأحائم يجوز أن يكون أراد: الأحاوم بالواو، فهمز الواو لانكسارها، والأحاوم: جمع أحوام والأحوام جميع حَوْم، وهو الماء في البئر، فكأنه أراد: ماء زمزم، والْحَوْم أيضًا: إبل كثيرة ترد الماء، فعبّر بالأحائم عن وُرَّاد زمزم، ويجوز أن يريد بها الطير وحمامَ مكة التي تحوم على الماء، فيكون بمعنى الحوائم، وقلب اللفظ، فصار بعد فواعل: أفاعل، والله أعلم.

حيّ جنب:

فصل: وذكر أن جَنْبًا وهم حَيٌّ من اليمن اجتمعوا إلى كاهن لهم، فسألوه عن أمر النبي - ﷺ - حين رمي بالنجوم إلى آخر الحديث: جَنْبٌ هم من مَذْحِج، وهم: عَيْذُ الله، وأنس الله، وزَيْدُ الله، وأوْسُ الله، وجُعْفِي، والحَكم، وجِزْوة، بنو سعد العشيرة بن مَذْحِج، ومَذْحِج هو: مالك بن أُدَد، وسُمُّوا: جنبًا لأنهم جانبوا بني عمهم صُدَاء ويزيدا بني سعد العشيرة بن مَذْحِج. قاله الدارَقُطْنِي. وذكر في موضع آخر خلافًا في أسمائهم، وذكر فيهم بني غَلِيّ بالغين، وليس في العرب غَلِيٌّ غيره، قال مهلهِل:

أنكحها فَقْدُها الأراقِمَ في جَنْبٍ، وكان الحِباءُ من أدَم

معنى خلت في وشيعة:

فصل: وذكر حديث عمر، وقوله للرجل: أكنت كاهنًا في الجاهلية؟ فقال الرجل:

---

(١) مجهول.

عفَّان، أنه حدَّث: أن عمر بن الخطاب، بينما هو جالس في مَسْجد رسول الله ﷺ، إذ أقبل رجل من العرب داخلاً المسجدَ، يريد عمرَ بن الخطاب، فلما نَظر إليه عمر رضي الله عنه، قال: إن هذا الرجلَ لَعَلَى شِرْكه ما فارقه بعدُ، أو لقد كان كاهنًا في الجاهلية. فَسَلَّم عليه الرجلُ، ثم جلس، فقال له عمر - رضي الله عنه: هل أسلمتَ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال له: فهل كنت كاهنًا في الجاهلية؟ فقال الرجل: سُبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خِلْتَ فِيَّ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رَعِيَّتِك منذ وَلِيتَ ما وليتَ، فقال عمر: اللَّهمَّ غَفْرًا، قد كنَّا في الجاهلية على شرٍّ من هذا، نعبد الأصنام، ونَعْتَنِق الأوثان، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام، قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين، لقد كنتُ كاهنًا في الجاهلية، قال: فأخبرني ما جاءك به صاحِبُك، قال: جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِه، فقال: ألم تَرَ إلى الجنّ وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولُحوقها بالقِلاص وأحْلاسها.

قال ابن هشام: هذا الكلام سجع، وليس بشعر.

قال عبد الله بن كعب: فقال عمرُ بن الخطاب عند ذلك يُحَدِّث الناس: والله إني لَعِنْدَ وَثَنٍ من أوثان الجاهلية في نَفَر من قريش، قد ذَبح له رجل من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قَسْمه ليَقْسِم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتًا ما سمعت صوتًا قَطُّ أَنْفَذَ منه، وذلك قُبَيل الإسلام بشهر أو شَيْعه، يقول: يا ذَرِيح، أمرٌ نَجِيح، رجل يَصيح، يقول: لا إله إلا الله[1].

سُبْحانَ الله يا أمير المؤمنين لقد خِلْتَ فيَّ، واستقبلْتَني بأمر ما أراك استقبلت به أحدًا منذ وليت! وذكر الحديث، وقوله: خِلت فيَّ هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خِلت وظننت، كقولهم في المثل: مَنْ يسمع يَخَل، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر، فإذا حذفت الجملة كلها جاز؛ لأن حكمهما حكم المفعول، والمفعول قد يجوز حذفه، ولكن لا بدّ من قرينة تدل على المراد، ففي قولهم: مَن يسمع يَخَل دليل يدلّ على المفعول، وهو يسمع، وفي قوله، خِلْتَ فِيَّ دليل أيضًا، وهو قوله: فِيَّ، كأنه قال: خِلتَ الشَّرفِيَّ أو نحو، هذا وقوله: قبل الإسلام بشهر أوْ شَيْعة أي: دونه بقليل، وشَيْع كل شيء: ما هو تَبَع له، وهو من الشِّياع وهي: حَطب صغار تجعل مع الكبار تَبَعًا لها، ومنه: الْمُشَيِّعة، وهي: الشاة تتبع الغنم، لأنها دونها من القوة.

---

(1) «صحيح». أخرجه البخاري في مناقب الأنصار - حديث رقم (٣٨٦٦).

قال ابن هشام: ويقال: رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول: لا إلٰه إلا الله. وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر.

عَجِبْتُ للجِنّ وإبْلاسِها ... وَشَدِّها العِيسَ بأحْلاسِها
تَهْوِي إلى مكّة تبغي الهُدى ... ما مُؤمِنو الجِنّ كأنجاسِها

جليح وسواد بن قارب:

والصوت الذي سمعه عمر من العجل يا جَلِيح سمعت بعض أشياخنا يقول: هو اسم شيطان، والجليح في اللغة: ما تطاير من رؤوس النبات، وخفّ نحو القطن وشبهه، والواحدة: جليحة، والذي وقع في السيرة: يا ذريح، وكأنه نِداءٌ للعِجل المذبوح لقولهم: أحمر ذَرِيحِيٌّ، أي: شديد الحمرة، فصار وصفًا للعجل الذبيح من أجل الدم: ومَن رواه: يا جليح، فمآله إلى هذا المعنى؛ لأن العجل قد جُلح أي: كشف عنه الجلد، فالله أعلم، وهذا الرجل الذي كان كاهنًا هو سواد بن قارب الدوسِيّ في قول ابن الكلبي، وقال غيره: هو سَدُوسِيّ وفيه يقول القائل:

ألاَ لِلّهِ علم لا يُجَارَى ... إلى الغايات في جَنْبي سواد
أتيناه نسائله امتحانا ... فلم يَبْعَل، وأخبر بالسَّدَاد

وهذان البيتان في شعر وخبر ذكره أبو علي القالي في أماليه، وروى غير ابن إسحٰق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه، وأن عمر مازحه، فقال: ما فعلت كهانتُك يا سواد؟! فغضب، وقال: قد كنت أنا وأنت على شرٍّ من هذا من عبادة الأصنام وأكل المَيْتَاتِ، أفتُعيرني بأمر تُبْتُ منه؟! فقال عمر حينئذ: اللَّهُمَّ غَفْرًا. وذكر غير ابن إسحٰق في هذا الحديث سِيَاقَةً حسنة وزيادة مفيدة، وذكر أنه حَدَّث عمر أن رَئِيَّه جاء ثلاث ليال متواليات، هو فيها كلها بين النائم واليقظان، فقال: قم يا سَوَادُ، واسمع مقالتي، واعقِل إن كنت تعقل، قد بُعث رسول الله ـ ﷺ ـ من لُؤَيِّ بن غالب يدعو إلى الله وعبادته، وأنشده في كل ليلة من الثلاث الليالي ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة:

عجبت لِلْجِنّ وتَطْلابها ... وشَدِّها العِيسَ بأقْتَابِها
تَهوِي إلى مكةَ تبغي الهدى ... ما صادقُ الجنّ كَكَذّابها
فارحَل إلى الصَّفْوَة من هاشم ... ليس قُدامَاها كأذْنابها

وقال له في الثانية:

عَجِبْتُ للجنّ وإبلاسِها ... وشَدِّها العِيسَ بأحْلاسِها

قال ابن إسحٰق: فهذا ما بلغنا من الكُهّان من العرب.

تهوي إلى مكة تبغي الْهُدى ... ما طاهرُ الْجِنِّ كأنجاسِها
فارْحَل إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... ليس ذُنَابى الطيرِ من رأسِها

وقال له في الثالثة:

عجبت لِلْجِنِّ وتَنْفارِها ... وشَدِّهَا العِيسَ بأكْوارِها
تَهوِي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنُ الجن ككُفَّارِها
فارحَل إلى الأتقينَ من هاشمٍ ... ليس قُداماها كأدبَارِها

وذكَر تمام الخبَر، وفي آخر شعر سواد قدم على رسول الله - ﷺ - فأنشده ما كان من الجنّي رِئيّة ثلاث ليال متواليات، وذلك قوله:

أتاني نَجيِّي بعد هَدْءٍ وَرَقْدَةٍ ... ولم يك فيما قد بَلَوْتُ بكاذب
ثلاثَ لِيالٍ قولُه كل ليلة ... أتاك نَبِيٌّ من لُؤَيِّ بن غالب
فرفَّعتُ أذيال الإزار وشَمَّرَتْ ... بِيَ العِرْمِسُ الْوَجْنَا هُجُول السَّبَاسِب
فأشهد أن اللَّهَ لا شيءَ غيرُه ... وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدْنَى المرسلين وَسِيلَةً ... إلى الله يا بن الأكرمين الأطايب
فَمُرْنَا بما يأتيك من وحي رَبِّنا ... وإن كان فيما جئت شَيْبُ الذَّوائِب
وكن لي شفيعًا يوم لاذُو شفاعةٍ ... بِمُغْنٍ فَتِيلاً عن سَوادِ بن قارب[1]

سواد ودوس عند وفاة الرسول «ﷺ»:

ولسَوَادِ بن قارب هذا مقامٌ حميدٌ في دَوْسٍ حين بلغهم وفاةُ رسول الله - ﷺ - فقام حينئذ سوادٌ، فقال: يا معشر الأزْدِ، إن من سعادة القوم أن يتّعظوا بغيرهم، ومن شقائهم ألاَّ يتعظوا إلا بأنفسهم، ومَن لم تنفعه التجارب ضرّته، ومَن لَمْ يَسَعْه الحقُّ لم يسعه الباطلُ، وإنما تُسْلِمون اليوم بما أسلمتم به أمس، وقد علمتم أن النبي - ﷺ - قد تناول قومًا أبْعَدَ

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (٢/ ٣٤٣) والصالحي في السيرة (٢/ ٢٨١) وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (٧٣) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٤٨) وأورده السيوطي في الخصائص (١/ ١٧٠) ونسبه للبيهقي مع اختلاف في بعض ألفاظه. والعرمس: الناقة الصلبة الشديدة. اللسان (٦/ ١٣٨). والهجل: المطمئن من الأرض نحو الغائط. السابق (١١/ ٦٨٩). والسباسب: المفاوز، أي الصحراء. السابق (١/ ٤٦٠).

إنذار يهود برسول الله ﷺ:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن رجال من قومه[1]، قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهُداه، لِمَا كنَّا نسمع من رجال يَهود، كنَّا أهلَ شِرْك أصحابَ أوثان، وكانوا أهلَ كتاب، عندهم علمٌ ليس لنا، وكانت لا تزال

منكم فَظفِر بهم، وأوْعَد قومًا أكثر منكم فأخافهم، ولم يمنعه منكم عُدَّة ولا عدد، وكل بلاء مَنسِيٌّ إلا بقي أثره في الناس، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكَر من أهل العافية للعافية، وإنما كَفَّ نبيُّ الله عنكم ما كفُّكم عنه، فلم تزالوا خارجين مما فيه أهلُ البلاء، داخلين مما فيه أهلُ العافية، حتى قَدِمَ على رسول الله - ﷺ - خطيبُكم ونقيبُكم فَعَبَّر الخطيبُ عن الشاهد، ونقَّب النقيب عن الغائب، ولست أدري لعله تكون للناس جَوْلَةٌ فإن تكن، فالسَّلاَمَةُ منها: الأنَاةُ، والله يُحبُّها، فأحِبُّوها، فأجابه القوم وسمعوا قوله، فقال في ذلك سوادُ بن قارب:

جَلَّت مصيبتُك الغداةَ سوادُ ... وأرى المصيبةَ بعدها تَزْداد
أبقى لنا فَقْدُ النبي محمدٍ ... - صلّى الإلٰه عليه - ما يَعْتَاد
حُزْنًا لَعَمْرُك في الفؤادِ مُخَامِرًا ... أو هل لمَن فقد النبيَّ فؤاد؟
كنا نَحُلُّ به جَنَابًا مُمْرِعًا ... جَفَّ الجنابُ، فأجدب الرُّوَّادُ
فبكت عليه أرضُنا وسماؤنا ... وتَصَدَّعت وَجْدًا به الأكباد
قَلَّ المتاعُ به، وكان عِيانُه ... حُلُمًا تضمَّنَ سَكْرَتَيْه رُقاد
كان العِيان هو الطَّريفَ وحزنُه ... باقٍ لَعَمْرُكَ في النفوسِ تِلاَد
إن النبيَّ وفاته كحياتِه ... الحقُّ حَقٌّ والجهادُ جِهَادُ
لو قيل: تَفْدُون النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ... بُذِلت له الأموالُ والأولاد
وتسارعت فيه النفوسُ ببذلِها ... هذا له الأغياب والأشهاد
هذا، وهذا لا يرد نَبِيَّنَا ... لو كان يَفْديه فداه سَواد
أنّى أُحاذر والحوادثُ جَمَّةٌ ... أمرًا لِعاصفِ ريحه إرْعَادُ
إن حَلَّ منه ما يُخاف فَأنْتُم ... للأرض - إن رجفت بنا - أوتاد
لو زاد قومٌ فَوْق مُنْية صاحبٍ ... زِدْتُم، وليس لِمُنْيَةٍ مزدادُ

---

(١) مجاهيل.

بيننا وبينهم شرور، فإذا نِلْنا منهم بعضَ ما يكرهون، قالوا لنا: إنه تقارب زمانُ نبيّ يُبعَث الآن نقتلُكم معه قَتْلَ عادٍ وإرَم، فكنَّا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بَعث الله رسولَه ﷺ أجَبْناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرَفنا ما كانوا يتوعَّدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنَّا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نَزل هؤلاء الآياتِ من البقرة: ﴿وَلَما جاءَهُمْ كِتَابٌ مِن عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وكانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ على الَّذِين كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَةُ اللَّهِ على الكافِرِين﴾ [البقرة: ٧٩].

قال ابن هشام: يستفتحون: يستنصرون، ويستفتحون أيضًا: يتحاكمون، وفي كتاب الله تعالى: ﴿رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وَبينَ قَوْمِنا بالحق وأَنتَ خَيْرُ الفاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني صالحُ بن إبراهيم بن عَبْد الرحمن بن عَوْف عن محمود بن لَبيد أخي بَني عَبْد الأشْهل عن سَلَمة بن سَلاَمة بن وَقْش ـ وكان سَلَمَةُ من

كاهنة قريش:

فأعجب القومَ شِعْرُه، وقولُه: فأجابوا إلى ما أحب، ومن هذا الباب خَبَرُ سَوْدَاء بنت زُهرَة بن كلاب، وذلك أنها حين وُلدت ورآها أبوها زَرْقَاءَ شَيْمَاءَ[1] أمر بِوأْدِها، وكانوا يَئِدُون مِنَ البناتِ ما كان على هذه الصفة فأرسلها إلى الْحَجُون لتدفن هناك، فلما حفر لها الحافرُ، وأراد دفنها سمع هاتفًا يقول لا تَئِدْن الصَّبِيَّة، وخَلّها في الْبَرِيَّة، فالتفت فلم يرَ شيئًا، فعاد لدفنها، فسمع الهاتفَ يهتف بسجْع آخر في المعنى، فرجع إلى أبيها، فأخبره بما سمع، فقال: إن لها لشأنًا، وتركها، فكانت كاهنةَ قُرَيْش، فقالت يومًا لبني زُهْرة: إن فيكم نذيرةً، أو تلد نذيرًا، فاعْرِضوا عَلَيَّ بناتكم، فعُرِضْنَ عليها، فقالت في كل واحدة منهنّ قولاً ظهر بعد حين، حتى عُرِضت عليها آمنةُ بنتُ وَهْبٍ، فقالت: هذه النذيرةُ، أو تلد نذيرًا، وهو خبر طويلٌ ذكر الزُّبَيْرُ منه يسيرًا، وأورده بطوله أبو بكر النَّقَّاشُ، وفيه ذكر جَهَنَّمَ ـ أعاذنا اللَّهُ منها ـ ولم يكن اسمُ جَهَنَّمَ، مَسُوغًا به عندهم، فقالوا لها: وما جَهَنَّم، فقالت: سيخبركم النذيرُ عنها[2].

حديث سلمة:

فصل: وذكر ابن إسحٰق حديث سَلَمَةَ بن سَلاَمة بن وَقْشٍ، وما سمع من اليهودي حين ذكر الجنةَ والنار، وقال: آية ذلك نَبِيٌّ: مبعوثٌ قد أظلَّ زمانُه إلى آخر الحديث، وليس فيه إشكال، وابن وَقْشٍ يقال فيه: وَقَش بتحريك القاف وتسكينِها، والْوَقْش: الحركة.

---

(١) شيماء: أي فيه شامة تميزها.

(٢) قصة في حاجة إلى دليل «صحيح» يعتضدها، وظاهرها يشهد بوضعها.

أصحاب بَدْر ـ قال: كان لنا جارٌ من يَهُودَ في بني عَبْد الأشهل، قال: فخرج علينا يومًا من بيته، حتى وقف على بني عَبْد الأشهل ـ قال سَلَمَةُ: وأنا يومئذ أحْدثُ مَن فيه سِنًّا، عليَّ بُرْدةٌ لي، مُضطَجِعٌ فيها بفِناء أهلي ـ فذكر القيامةَ والبَعْث والحِساب والميزان والجنَّة والنار، قال: فقال ذلك لقوم أهلِ شِرْكٍ أصحاب أوثان لا يَرَون أنّ بعثًا كائنٌ بعد الموت، فقالوا له: وَيْحَكَ يا فلَان!! أوَ ترى هذا كائنًا، أنّ الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنَّة ونار، يُجزَون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يُحلَف به، ويَوَدُّ أن له بحظِّه من تلك النار أعظم تَنُّورٍ في الدار، يُحْمُونه ثم يُدخلونه إياه فيُطَيِّعونه عليه، بأن يَنْجو من تلك النار غدًا، فقالوا له: وَيْحَكَ يا فلان! فما آية ذلك؟ قال: نبيّ مَبْعوث من نحو هذه البلاد ـ وأشار بيده إلى مكة واليمن ـ فقالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إليَّ، وأنا مِن أحدثهم سِنًّا، فقال: إن يَسْتنفِدْ هذا الغلامُ عمرَه يُدْركه. قال سَلَمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدًا رسوله ـ ﷺ ـ وهو حيٌّ بين أظهرنا، فآمنّا به، وكفر به بَغْيًا وحسدًا. قال: فقلنا له: وَيْحَكَ يا فلان!! ألست الذي قلتَ لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى. ولكنْ ليس به[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عُمر بن قَتادة عن شيخ من بني قُرَيظة[2] قال: قال لي: هل تدري عَمّ كان إسلام ثَعْلبة بن سَعْية وأسِيد بن سَعْية وأسَد بن عبيد نَفَرٍ من بني هَدَلْ، إخوة بني قُريظة، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الإسلام. قال: قلت: لا، قال: فإن رجلاً من يَهُودَ من أهل الشام، يقال له: ابن الهَيِّبَان، قَدِمَ علينا قُبَيل الإسلام بسنين، فحلّ بين أظْهُرِنا، لا والله ما رأينا رجلاً قَطُّ لا يصلي الخمس

حديث ابن الهيبان وبنو سعية:

فصل: وذكر حديث ابن الْهَيِّبَان، وما بَشّر به من أمْرِ النبي ـ ﷺ ـ وأن ذلك كان سببَ إسلامِ ثعلبة بن سَعْية وأسِيد بن سَعْية وَأسَدَ بن سَعْيَة، وهم من بني هَدْل، والْهَيِّبَانُ من المسمّين بالصفات، يقال قُطْن هَيِّبان أي: منتفش، وأنشد أبو حنيفة:

تُطِيرُ اللُّغَامَ[3] الْهَيِّبَانَ، كأنه　　　جَنَى عُشَرٍ[4] تَنفِيه أشْداقُها الْهُدْل[5]

والْهَيِّبَان أيضًا: الجبان، وقد قدّمنا الاختلاف في هَدْلٍ، وأما أسِيد بن سَعْية، فقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني، عن ابن إسحٰق، وهو أحد

---

(١) «حسن». أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٧).
(٢) مجهول.
(٣) اللغام: زبد أفواه الإبل.
(٤) العشر: ضرب من الشجر.
(٥) الهدل: استرخاء المشفر الأسفل من الجمل.

أفضل منه، فأقام عندنا فكنا إذا قَحطَ عنّا المطرُ قُلْنا له: اخرُج يا بن الهَيِّبان فاسْتَسْق لنا، فيقول: لا والله، حتى تُقَدِّموا بين يدي مَخْرَجكم صدقةً، فنقول له: كم؟ فيقول: صاعًا من تَمر: أو مُدَّين من شَعِير. قال: فنُخرجها، ثم يَخْرج بنا إلى ظاهر حَرّتنا، فيستسْقي اللّهَ لنا. فوالله ما يَبْرَحُ مَجْلسه، حتى تمرّ السحابة ونُسْقَى، قد فعل ذلك غيرَ مرّة ولا مرتين ولا ثلاث. قال: ثم حَضَرَتْه الوفاةُ عندنا. فلما عَرَف أنه ميِّت، قال: يا معشر يَهُودَ، ما ترونه أَخْرَجني من أرض الْخَمَرِ والْخَمِيرِ إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم، قال: فإني إنما قَدِمتُ هذه البلدةَ أتوكَّف خروجَ نبيّ قد أَظَلَّ زمانهُ، وهذه البلدة مُهاجَره، فكنت أرجو أن يُبعثَ، فأتبعه، وقد أظلَّكم زمانه، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود، فإنه يُبعث بسَفْك الدماء، وسَبْي الذَّراري والنساء مِمَّن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه. فلما بُعث رسول الله - ﷺ - وحاصَر بني قُرَيظة، قال هؤلاء الفِتْية، وكانوا شبابًا أحداثًا: يا بني قَرَيظة، والله إنه لَلنَّبِيُّ الذي كان عَهِد إليكم فيه ابنُ الهَيِّبان، قالوا: ليس به

رواة المغازي عنه أُسَيد بن سعية بضم الألف، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحق، وهو قول الواقدي وغيره أَسِيد بفتحها قال: الدارَقُطْنِي: وهذا هو الصواب، ولا يصحّ ما قاله إبراهيم عن ابن إسحق، وبنو سَعْيَةَ هؤلاء فيهم أنزل الله عزّ وجل ﴿من أهل الكتاب أُمَّةٌ قائمةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] الآية، وسَعْية أبوهم يقال له: ابن العريض، وهو بالسِّين المهملة، والياء المنقوطة باثنين.

سُعْنَة الحبر وإسلامه:

وأما سُعْنَةُ بالنون، فزيد بن سُعنة حَبْر من أحبار يهود، كان قد داين النبيَّ - ﷺ - فجاءه يتقاضاه قبل الأجَل، فقال: ألا تَقْضِيني يا محمد، فإنكم يا بني عبد المطلب مُطْلٌ، وما أردت إلا أن أعلم علمكم، فارتعد عمر، ودار، كأنه في فَلَك، وجعل يلحظ يمينًا وشمالاً، وقال: تقول هذا لرسول الله يا عدُوَّ الله؟! فقال له رسول الله ﷺ: «إنّا إلى غير هذا منك أحوجُ يا عمر: أن تأمرَني بحسن الأداء، وتأمرَه بحسن التَّبِعَة، قم فاقْضِهِ عني، فوالله ما حلّ الأجَلُ، وزده عشرين صاعًا بما رَوَّعتَه»، وفي حديث آخر: أنه قال: «دعه؛ فإن لصاحب الحق مقالاً»، ويُذكَر أنه أسلم[1] لِما رأى من موافقة وصف النبي عليه السلام لِما كان عنده في التوراة، وكان يجده موصوفًا بالحلم، فلما رأى من حِلمه ما رأى أسلم، وتوفِّي غازيًا مع رسول الله - ﷺ - في غزوة تَبُوك، ويقال في اسمه: سَعْية بالياء كما في الأول، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون.

---

(١) «حسن». أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٥٢).

قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته، فنزلوا وأسلموا، وأحرزوا دماءَهم وأموالَهم وأهليهم.

قال ابن إسحٰق: فبهذا ما بلغنا عن أخبار يَهود.

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصمُ بن عُمر بن قَتادة الأنصاري، عن محمود بن لَبيد، عن عبد الله بن عبّاس، قال: حدّثني سَلْمان الفارسي مِنْ فيه قال: كنتُ رجلاً فارسيًا من أهل إصْبَهان من أهل قَرْية يُقال لها: جَيّ، وكان أبي دِهْقانَ قَرْيته، وكنتُ أحَبَّ خَلْق اللّهِ إليه، لم يزل به حُبُّه إياي حتى حَبسني في بيته كما تُحْبَس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنتُ قَطَنَ النار الذي يوقدها، لا يتركها تَخْبو ساعةً. قال: وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمة، قال: فشُغل في بُنيانٍ له يومًا، فقال لي: يا بني، إني قد شُغِلت في بُنياني هذا اليوم عن ضَيْعتي، فاذهب إليها، فاطَّلعها ـ وأمَرني فيها ببعض ما يُريد ـ ثم قال لي: ولا تَحْتَبِسْ عني؛ فإنك إن احتبستَ عني كنتَ أهم إليَّ من ضَيْعتي، وشَغَلْتني عن كل شيء من أمري. قال: فخرجت أُريد ضيعتَه التي بعثني إليها، فمررتُ بكنِيسة من كنائس النَّصارى، فسمعت أصواتَهم فيها وهم يصلُّون، وكنت لا أدري ما أمْرُ الناس، لِحَبْس أبي إيَّاي في بيته، فلما سمعتُ أصواتَهم دخلتُ عليهم، أنظر ما يَصْنعون، فلما رأيتُهم، أعجبتْني صلاتهم، ورغبتُ في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما بَرِحْتُهم حتى غَرَبت الشمسُ، وتركت ضيعة أبي فلم آتِها، ثم قلت لهم: أين أصْل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلْته عن عمله كله، فلما جئته قال؛ أيْ بنيّ أين كنت؟ أو لم أكُنْ عَهِدْتُ إليك ما عهدتُ؟ قال: قلت له: يا أبتِ، مررتُ بأُناس يصلُّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زِلْت عندهم حتى غَرَبت الشمس، قال: أي بُني، ليس في ذلك الدينِ خيرٌ، دينُك، ودينُ آبائك خيرٌ منه، قال: قلت له: كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رِجْلَيَّ قيدًا، ثم حبسني في بيته.

حديث سلمان

فصل: وذكر حديث سَلْمان بطوله، وقال: كنت من أهل أصْبَهان هكذا قيده البكري في كتاب الْمُعْجَم بالكسر في الهمزة، وإصْبَه بالعربية: فَرَسٌ، وقيل: هو العسكر، فمعنى الكلمة: موضع العسكر أو الخيل، أو نحو هذا. وليس في حديث سلمان على طوله إشكال، ووقع في الأصل في هذا الحديث: فلما رآني رسول الله ـ ﷺ ـ اسْتَذْبَرْتُه، ورأيت في حاشية الشيخ: أسْتَدِيرُ به، وكذلك وقع فيه: أحييها له بالفَقِير، وفي حاشية الشيخ: الوجه التَّفْقِير.

قال: وبعثت إلى النَّصارى فقلت لهم: إذا قَدم عليكم رَكبٌ من الشام فأخبروني بهم. قال: فَقَدِم عليهم ركبٌ من الشام تُجار من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قَضَوْا حوائجَهم، وأرادُوا الرَّجعة إلى بلادهم، فآذِنوني بهم: قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم، أخبروني بهم، فألقيتُ الحديدَ من رِجليّ، ثم خرجت معهم، حتى قَدِمْت الشام فلما قَدِمتُها قلت: مَنْ أفضلُ أهل هذا الدين عِلْمًا؟ قالوا: الأُسْقُفَ في الكنيسة.

قال: فجئته، فقلت له: إني قد رَغِبْت في هذا الدين، فأحببت أن أكونَ معك، وأخدُمَك في كنيستك، فأتعلَّم منك، وأُصلّي معك، قال: ادخُل، فدخلت معه. قال: وكان رَجُلَ سَوْء، يأمرهم بالصدقة، ويرغِّبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئًا منها اكتنزه لنفسه، ولم يُعْطه المساكين، حتى جمع سَبْع قِلال من ذهب ووَرِق. قال: فأبغضتُه بغضًا شديدًا، لما رأيته يَصْنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النَّصارى، ليدفنوه، فقُلْتُ لهم: إنَّ هذا كان رجل سَوْء، يأمركم بالصدقة، ويرغِّبكم فيها، فإذا جئتموه بها، اكْتَنَزَها لنفسه، ولم يُعْطِ المسَاكينَ منها شيئًا. قال: فقالوا لي: وما عِلْمُكَ بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدُلَّنا عليه، قال: فأرَيْتُهم موضِعَه، فاستخرجوا سَبْع قِلال مملوءة ذهبًا وَوَرِقًا، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا نَدْفنه أبدًا. قال: فصَلبوه، ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه.

قال: يقول سلمان: فما رأيتُ رجلاً لا يصلي الخمس، أرىَ أنه كان أفضلَ منه، وأزهد في الدنيا، ولا أرغبَ في الآخرة ولا أدأبَ ليلاً ولا نهارًا منه. قال: فأحببته حبًّا لم أحبَّه قبله مِثْلَه. قال: فأقمتُ معه زمانًا، ثم حضرتْه الوفاةُ، فقلتُ له: يا فلان، إني قد كنت معك، وأحببتك حبًّا لم أُحبَّه شيئًا قبلك، وقد حَضَرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى مَنْ تُوصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: أيْ بُنَيّ، والله ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنتُ عليه، فقد هلك الناس، وبدَّلوا وتركوا أكْثَر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالمَوْصِل، وهو فلان، وهو على ما كنتُ عليه فالْحَق به.

---

[1] **أسماء النخلة:**

والْفَقِيرُ للنَّخلة. يقال لها في الكَرْمَةِ: حَبِيَّة، وجمعها: حَبَايَا، وهي الْحَفِيرة، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي: غَرِيسة، ثم يقال لها: وَدِيَّة، ثم فَسِيلة، ثم أَشَاءَة، فإذا فاتت اليد فهي: جَبَّارة، وهي العَضيد، والكَتِيلة، ويقال للتي لم تخرج من النواة، لكنها اجْتُثَّتْ من جنب أُمها: قَلْعَةَ وجَثِيثة، وهي الجَثائث والهِرَاء، ويقال للنخلة الطويلة: عَوَانة بلغة عمان، وعَيْدَانة بلغة غيرهم، وهي فَيْعالة من عَدَن بالمكان، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين، فجعلها تارة: فَيْعالة من عَدَن، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعْلانة.

فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب المَوْصل، فقلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحقَ بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أَقِمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمْرِ صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرتْه الوفاة، قلت له يا فلان: إن فلانًا أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى مَن تُوصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: يا بنيّ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنَّا عليه، إلا رجلاً بنَصِيبين، وهو فلان، فالحق به.

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نَصِيبين، فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبايَ، فقال: أقِمْ عندي، فأقمتُ عنده فوجدته على أمر صاحبيه. فأقمتُ مع خير رجلٍ، فوالله ما لَبِث أن نزل به الموتُ، فلما حُضِر، قلت له: يا فلان، إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى مَن تُوصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: يا بنيّ، والله ما أعلمه بَقِي أحدٌ على أمرنا آمُرك أنْ تأتيه إلا رجلاً بعَمُّورِيَةَ من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأتِه، فإنه على أمْرِنا.

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب عمورية، فأخبرته خَبري، فقال: أقِمْ عندي، فأقمت عند خيرَ رجلٍ، على هَدْي أصحابه وأمْرهم. قال: واكْتَسَبت حتى كانت لي بقرات وغُنَيمة. قال: ثم نزل به أمرُ الله، فلما حُضِر، قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان، فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى مَنْ تُوصي به؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنَّا عليه مِن الناس آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظلَّ زمان نبيّ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب مُهاجرَه إلى أرض بين حَرَّتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدِيَّة، ولا يأكل الصدقة، وبين كَتفَيْه خَاتم النبوّة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغُيِّب، ومكثت بعمُّورِيَةَ ما شاء الله أن أمكث، ثم مرّ بي نَفَر مِنْ كَلْبٍ تجّار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بَقراتي هذه وغُنَيمتي

ومن الْفَسِيلة حديث أنس: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إن قامت الساعة، وبِيَدِ أحدكم فَسِيلة، فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة، فلْيَغْرِسها»[1] من مصنّف حمّاد بن سلمة. والذين صحبوا سلمان من النصارى كانوا على الحقّ على دين عيسى ابن مريم، وكانوا ثلاثين يُداولُونه سيدًا بعد سيد.

---

(١) «صحيح». أخرجه أحمد (٣/ ١٩١) والبخاري في الأدب (٤٧٩).

هذه، قالوا: نعم. فَأَعْطَيْتُمُوها، وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القُرى ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عَبْدًا، فكنت عنده، ورأيت النخلَ، فرجوت أن يكون البلد الذي وَصَف لي صاحبي، ولم يَحِقَّ في نفسي، فبينا أنا عنده، إذ قَدِمَ عليه ابنُ عمّ له من بَني قرَيظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفتها بِصفَة صاحبي، فأقمت بها، وبُعث رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرقّ، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عَذْق لسيدي أعمل له في بعضَ العمل، وسيِّدي جالس تحتي، إذا أقبل ابنُ عمّ له، حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قَيْلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُبَاء على رجل قَدِم عليهم من مكّة اليوم، يزعمون أنه نبيّ.

قال ابن هشام: قيلة: بنت كاهل بن عُذْرة بن سَعْد بن زَيْد بن لَيْث بن سَوْد بن أَسْلمُ بن الحافِ بن قُضاعة، أم الأوس والخَزرج.

قال النعمان بن بَشير الأنصاري يمدح الأوْسَ والْخَزْرَجَ:

بها ليلُ مِنْ أولاد قَيْلة لم يَجِدْ ... عليهم خَليطٌ في مُخالطةٍ عَتْبَا
مسَاميح أبْطال يُرَاحُون للندَى ... يَرَوْنَ عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبَا

وهذان البيتان في قصيدة له:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصاريّ، عن محمود بن لَبيد، عن عبد الله بن عبَّاس، قال: قال سَلْمان: فلما سمعتُها أخذَتْني العُرَواء. قال ابن هشام: العُرَوَاء: الرِّعدة من البرد والانتفاض، فإن كان مع ذلك عَرَق فهي الرُّحَضاء، وكلاهما ممدود ـ حتى ظننتُ أني سأسقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيِّدي، فلَكمني لَكْمَةً شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقْبِلْ على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أسْتَثبِتَه عما قال.

قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيتُ أخذتُه، ثم ذهبت به إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بقُباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالح،

من فقه حديث سلمان:

وذكر في آخر الحديث أنه جمع شَيْئًا، فجاء به النبيّ ـ ﷺ ـ ليختبره: أيأكل الصدقة، أم لا، فلم يَسْأله رسول الله ـ ﷺ ـ أحُرٌّ أنت أم عَبْدٌ، ولا: من أين لك هذا، ففي هذا من الفِقْهِ: قبولُ الهديَّةِ وتركُ سؤال المُهْدِي، وكذلك الصَّدقة.

ومعك أصحاب لك غُرباء ذَوُو حاجة، وهذا شيءٌ قد كان عندي للصَّدَقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم، قال: فقرّبته إليه، فقال رسول الله - ﷺ - لأصحابه: كلوا، وأمْسَكَ يدَه، فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال ثم انصرفتُ عنه، فجَمَعت شيئًا، وتحوّل رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هَديَّة أكْرمتكَ بها. قال: فأكل رسول الله - ﷺ - منها، وأمر أصحابه، فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان ثِنْتَانِ، قال: ثم جئت رسول الله - ﷺ - وهو ببَقِيع الغَرْقَدِ، قد تَبعَ جِنازَةَ رجلٍ من أصحابه، عَليّ شَمْلَتَانِ لي، وهو جالس في أصحابه، فسلَّمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتمَ الذي وَصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله - ﷺ - اسْتَدْبَرْتُه، عَرَفَ أني أسْتَثْبِتُ في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفتُه، فأكبَبْت عليه أُقبِّله، وأبكي. فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوّل»، فتحوّلت فجلستُ بين يديه، فقصصت عليه حديثي، كما حدّثتُك يا بن عبَّاس، فأعْجب رسول الله - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - أن يسمع ذلك أصحابُه. ثم شغل سَلْمانَ الرِّقُّ حتى وفاته مع رسول الله - ﷺ - بدرٌ وأُحُد.

حكم الصدقة للنبي ومصدر مال سلمان:

وفي الحديث: مَنْ قُدِّمَ إليه طعَامٌ فليأكل ولا يَسْأل. وذكر أبو عبيد في كتاب الأموال حديث سَلْمَانَ حُجَّةً على مَن قال إن العبد لا يملِك، وقال: لو كان لا يملِك ما قبل النبي - ﷺ - صدقَتَه، ولا قال لأصحابه: كلوا صدقته. ذكر غير ابن إسحٰق في حديث سَلْمان الوجهَ الذي جمع منه سلمانُ ما أهدى للنبي - ﷺ - فقال: قال سَلْمان: كنت عبدًا لامرأةٍ، فسألتُ سيدتي أن تهبَ لي يومًا، فعملت في ذلك اليوم على صاع أو صاعين من تَمْر، وجئت به النبي - ﷺ - فلما رأيته لا يأكل الصدقة، سألت سيدتي أن تَهَبَ لي يومًا آخر، فعملت فيه على ذلك، ثم جئت به هدية للنبي - ﷺ - فقبله وأكل منه، فبيَّن في هذه الرواية الوجهَ الذي جمع منه سلمانُ ما ذَكر في حديث ابن إسحٰق، والصدقة التي قال النبي عليه السلام: لا تحِلُّ لمحمد، ولا لآل محمد هي المفروضة دون التَّطَوُّع، قاله الشافعي، غير أن رسول الله - ﷺ - لم يكن تحلّ له صدقة الفَرض ولا التطوع، وهو معنى قول مالك.

وقال الثوري: لا تَحِلُّ الصدقة لآل محمد فرضُها ولا نفلُها ولا لمواليهم، لأن مَوْلَى القوم من أنفسهم، بذلك جاء الحديث. وقال مالك: تحلّ لمواليهم، وقالت جماعة، منهم أبو يوسف: لا تَحِلُّ لآل محمد صدقة غيرهم، وتَحِلُّ لهم صدقة بعضهم على بعض، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب.

قال سَلْمانُ: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتِبْ يا سَلْمان فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أُحْييها له بالفَقِير، وأربعين أوقية. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجلُ بثلاثين وَدِيَّةً، والرجل بعشرين وَدِيةً، والرجل بخَمْسَ عشرةَ وديَّةً، والرجل بعشرٍ، يُعين الرجل بقَدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلثمائة وديَّةٍ، فقال لي رسول الله ـ ﷺ ـ: اذهب يا سَلْمان فَفَقِّر لها، فإذا فَرَغت فأْتِني، أكُنْ أنا أضعها بيدي. قال: فَفَقَّرت، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغتُ جئتُه، فأخبرتهُ، فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ معي إليها، فجعلنا نقرّب إليه الوَدِيّ، ويضعه رسول الله ـ ﷺ ـ بيده، حتى فَرَغنا. فوالذي نَفْس سَلْمان بيده، ما ماتت منها وَدِيةٌ واحِدة. قال: فأدّيتُ النخل، وبَقي عليّ المال. فأُتِيَ رسول الله ـ ﷺ ـ بمثل بَيْضة الدَّجاجة من ذهب، من بعض المَعادن، فقال: «ما فعل الفارسيّ المُكاتَب»؟ قال: فدُعيت له، فقال: «خُذْ هذه، فأدِّها ممَّا عليك يا سَلْمان». قال: قلت: وأين تَقَع هذه يا رسول الله ممَّا عليّ؟ فقال: «خُذْها، فإنّ الله سيؤدّي بها عنك». قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها ـ والذي نفسُ سَلْمان بيده ـ أربعينَ أوقية، فأوفَيْتُهم حقَّهم منها، وعَتَق سَلْمانُ. فشهدتُ مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ الخَنْدَقَ حُرًّا، ثم لَم يَفُتْني معه مَشْهَدٌ.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن أبي حَبيب، عن رجل[1] من عَبْد القَيْس عن سَلْمان: أنه قال: لمَّا قلت: وأين تقع هذه مِنَ الذي عليّ يا رسول الله؟ أخذها رسولُ الله ﷺ، فقلَّبها على لسانه، ثم قال: «خذها فأوْفِهِمْ منها». فأخذتها، فأوفيتهم منها حقَّهم كلَّه، أربعين أوقية.

أول مَن مات بعد الهجرة:

وقول سَلمان: فأتيت رسول الله وهو في جِنَازَةٍ بعض أصحابه. صاحبُه الذي مات في تلك الأيام: كُلْثُوم بن الهِدْم الذي نزل عليه النبي ـ ﷺ ـ. قال الطبري[2]: أول مَن مات من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ بعد قدومه المدينة بأيام قليلة: كُلْثُومُ بن الهِدْم، ثم مات بعده أسعد بن زُرَارَةَ.

فصل: وذكر ابن إسحٰق في مكاتبة سلمان أنه فَقَر لثلاثمائة وَدِيَّةٍ أي: حفر، وأن رسول الله ـ ﷺ ـ وضعها كلها بيده، فلم تمت منها وَدِيَّةٌ واحدة، وذكر البخاري حديث سَلْمَان كما ذكره ابن إسحٰق غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده وَدِيَّة واحدة، وغرس رسولُ الله ـ ﷺ ـ سائرها، فعاشت كلُّها إلا التي غرس سَلْمَانُ. هذا معنى حديث البخاري.

---

(١) مجهول.

(٢) تاريخ الطبري (١/ ٥٧١).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عُمَر بن قَتادة، قال: حدّثنِي مَن لا أتّهم[1] عن عُمر بن عبد العزيز بن مَرْوان، قال: حُدِّثت عن سلمان الفارسيّ: أنه قال: لرسول الله - ﷺ - حين أخبره خبرَه: إنَّ صاحبَ عمُوريَة قال له: ائتِ كذا وكذا من أرض الشام، فإنّ بها رجلاً بين غَيْضَتَيْن، يخرج في كل سنة مِن هذه الغَيضة إلى هذه الغَيضة مُسْتَجِيزًا، يعترضه ذَوُو الأسقام، فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شُفي، فاسأله عن هذا الدين الذي تبتغي، فهو يخبرك عنه، قال سَلْمان: فخرجتُ حتى أتيت حيث وصف لي، فوجدتُ الناسَ قد اجتمعُوا بمَرْضاهم هنالك، حتى خرج لهم تلك الليلةَ، مُسْتَجِيزًا من إحدى الغَيْضَتَيْنِ إلى الأخرى، فَغَشِيَه الناسُ بمَرْضاهم، لا يدعو لمريض إلا شُفي، وغلبوني عليه، فلم أخلُص إليه حتى دخل الغِيْضة التي يريد أن يدخل، إلا مَنْكِبَهُ. قال: فتناولتهُ: فقال: مَنْ هذا؟ والتفتَ إليَّ، فقلت: يرحمك الله، أخبرني عن الْحَنِيفِيَّة دين إبراهيم. قال: إنك لتسألنِي عن شيءٍ ما يسأل عنه الناسُ اليومَ، قد أظلَّك زمانُ نبيّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فأْتِه فهو يَحْمِلك عليه. قال: ثم دخل. قال: فقال رسول الله - ﷺ - لسلمان: لئن كنتَ صَدَقتني يا سلمان، لقد لقِيتَ عيسى ابنَ مَرْيَم على نبِّينا وعليه السلام[2].

أُسطورة نزول عيسى قبل بعثة النبي:

فصل: وذكر عن داود بن الْحُصَيْن قال: حدّثني مَنْ لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال: قال سلمانُ للنبي - ﷺ - وذكر خبرَ الرجل الذي كان يخرج مُسْتَجِيزًا من غَيْضَةٍ إلى غَيْضَةٍ، ويلقاه الناسُ بمرضاهم، فلا يدعو لمريض إلا شُفي، وأن النبي - ﷺ - قال: «إن كنت صَدَقْتَنِي يا سلمان، فقد رأيتَ عيسى ابن مريم». إسنادُ هذا الحديث مقطوع، وفيه رجل مجهول، ويقال: إن ذلك الرجلَ هو الحسنُ بن عمارة، وهو ضعيف بإجماع منهم، فإنْ صحّ الحديثُ[3]، فلا نَكارَةَ في مَتْنِه، فقد ذكر الطبري أن المسيح عليه السلام نزل بعدما رفع، وأُمُّه وامرأةٌ أُخرى عند الْجِذْع الذي فيه الصليب يَبْكِيَان، فكلمهما، وأخبرهما أنه لم يُقْتَل، وأن الله رفعه وأرسل إلى الحواريِّين، ووجّههم إلى البلاد، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارًا، ولكن لا يُعلم أنه هو حتى ينزلَ النزول الظاهرَ فيكسر الصليبَ ويقتل الخنزيرَ

---

(١) مجهول.

(٢) «صحيح». أخرجه أحمد (٥/ ٤٤١ - ٤٤٤) وابن سعد في الطبقات (٤/ ١/ ٥٣) والجزري في أسد الغابة (٢/ ٤١٧) والطبراني (٦٠٦٥) والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ١٩٤) وأبو نعيم في السِّيَر (١/ ٥٠٥).

(٣) لم يصح.

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى
وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحٰق: واجتمعت قُرَيش يومًا في عيدٍ لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظِّمونه ويَنْحَرُون له، ويعكِفُون عنده، ويُديرون به، وكان ذلك عِيدًا لهم، في كل سنة يومًا، فخلَص منهم أربعةُ نَفَر نَجِيًّا، ثم قال بعضُهم لبعض: تصادقُوا، وليكْتُم بعضُكم على بعض، قالوا: أجل، وهم: وَرَقة بن نَوْفل بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بنِ كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤي، وعُبيد الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزَيْمَة، وكانت أُمه أُمَيْمَةَ بنت عبد المطلب. وعثمان بن الحُوَيْرِث بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ، وَزَيْد بن عَمْرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاحِ بن رِزَاح بن عديّ بن كَعْب بن لؤيّ، فقال بعضهم لبعضٍ: تعلَّموا والله ما قومُكم على شيء! لقد أخْطَؤُوا دينَ أبيهم إبراهيم! ما حَجَرٌ نُطيف به، لا يسمع ولا يُبْصر، ولا يضرّ ولا ينفع؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرّقوا في البُلْدان يلتمسون الحنيفية، دينَ إبراهيم.

كما جاء في الصحيح والله أعلم، ويُروى أنه إذا نزل تزويج امرأة من جُذام، ويدفن إذا مات في الرّوضة التي فيها النبي عليه السلام[1].

ذكر حديث ورقة بن نوفل

فصل: وذكر حديث وَرَقَة بن نوفل، وعبيد الله بن جَحْش، وعثمان بن الْحُوَيْرِث، وزَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل وما تَنَاجَوْا به، وقال: زيد بن عمرو بن نفيل إلى آخر النسب، والمعروفُ في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب: نُفَيل بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رِزاح بتقديم رياح على عبد الله، ورِزاح بكسر الراء قيده الشيخُ أبو بحر، وزَعم الدارَقُطْني أنه رَزاح بالفتح، وإنما رِزاح بالكسر: رِزاح بن ربيعة أخو قُصَيٍّ لأُمه الذي تقدم ذكره.

الزواج من امرأة الأب في الجاهلية:

وأُمُّ زيد هي: الحَيْدَاء بنت خالد الفَهْمية، وهي امرأة جدّه نُفَيْل ولدت له الخَطّابَ فهو

---

(١) أسطورة كما قال رحمه الله تعالى، أما كونه عليه السلام ينزل فيتزوج امرأة من جذام ويدفن في الروضة الشريفة فهذا كلام يفتقر إلى دليل «صحيح» يعتضده - والله أعلى وأعلم.

فأمّا وَرَقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية، واتَّبَعَ الكتبَ من أهلها، حتى علم علمًا من أهل الكتاب، وأمّا عُبيد الله بن جَحْش، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأتهُ أُمّ حَبيبة بنت أبي سُفيان مُسْلِمَةً، فلما قدمها تنصَّر، وفارق الإسلام، حتى هلك هنالك نَصْرانيًا.

أخو الخطاب لأمه، وابن أخيه، وكان ذلك مُبَاحًا في الجاهلية بشرع متقدِّم[1]، ولم تكن من الْحُرُمَاتِ التي انْتَهَكُوها، ولا من العظائم التي ابتدعوها، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله ـ ﷺ ـ فكِنَانة تزوج امرأة أبيه خُزَيْمة، وهي بَرَّةُ بنت مُرٍّ، فولدت له النَّضْرَ بن كنانة، وهاشمٌ أيضًا قد تزوج امرأة أبيه وافدة فولدت له ضعيفة، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله ـ ﷺ ـ لأنها لم تلد جَدًّا له، أعني: واقِدة، وقد قال عليه السلام: أنا من نكاح لا من سِفاح[2]، ولذلك قال سبحانه: ﴿ولا تَنْكِحُوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاَّ ما قد سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]. أي: إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام: وفائدة هذا الاستثناء ألاَّ يُعاب نسبُ رسول الله ـ ﷺ ـ وليعلم أنه لم يكن في أجداده مَن كان لِغَيَّةٍ[3] ولا من سِفاح. ألا نرى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن: إلا ما قد سلف، نحو قوله: ﴿ولا تقربوا الزِّنا﴾ ولم يقل إلا ما قد سلف: ﴿ولا تقتلوا النفسَ التي حَرَّم الله﴾ [الإسراء: ٣٠] ولم يقل إلا ما قد سلف، ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه، وفي الجمع بين الأُختين؛ لأن الجمع بين الأختين قد كان مُباحًا أيضًا في شرع مَن قبلنا، وقد جمع يعقوبُ بين راحِيل وأُختها لِيَا فقوله: إلا ما قد سلف الْتِفَاتَةٌ إلى هذا المعنى، وتنبيه على هذا المغزَى[4]، وهذه النكتة لَقِنْتُها من شيخنا الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن العربي ـ رحمه الله ـ وزيد هذا هو: والد سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شُهِد لهم بالجنة، وأُم سعيد: فاطمة بنت نَعْجَة بن خلف الْخُزاعي [عند الزبير: بَعْجَة بن أُمَيَّة بن خُوَيْلِد بن خالد بن اليمعر بن خزَاعة].

تفسير بعض قول ابن جحش:

وذكر قول عبد اللَّهِ بن جحش حين تنصّر بالحبشة: فقَّحْنا وصَأْصَأْتُم، وشرح فَقَّحْنا بقوله: فقَّح الجِروُ: إذا فتح عينيه، وهكذا ذكره أبو عبيد، وزاد: جَصَّص أيضًا، وذكر أبو

---

(١) أي شرع هذا الذي يبيح ما قاله. وانظر نسب قريش للزبيري (١٧).

(٢) «ضعيف». أخرجه الطبري في تاريخه (١١/٥٧) وابن عساكر (١/٣٤٧) وابن أبي شيبة (١/٤٣٢) والبيهقي (٧/١٩٠) وابن سعد (١/١/٣٢) وغيرهم.

(٣) لغية: أي زنًا.

(٤) والآية تحتمل تفسيرًا آخر، فلا يقتصر على هذا بعينه.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير؛ قال: كان عُبَيد الله بن جَحش - حين تنصَّر - يَمُرّ بأصحاب رسول الله ﷺ، وهم هنالك من أرض الحبشة، فيقول: فقَّحْنا وصَأْصَأْتُم، أي: أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر، ولم تُبصروا بعد، وذلك أن وَلَد الكَلْب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر، صأصأ؛ لينظر. وقوله: فقَّح: فتح عينيه.

قال ابنُ إسحٰق: وخَلَف رسول الله ﷺ بعده على امرأته أم حَبيبة بنت أبي سفيان بن حَرْب.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن عليّ بن حسين: أن رسول الله ﷺ بعث فيها إلى النَّجَاشيّ عَمْرو بن أُميّة الضَّمْريّ. فخطبها عليه النجاشي؛ فزوّجه إياها، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار. فقال محمد بنُ عليّ: ما نرى عبدَ الملك بن مَرْوان وَقَفَ صَدَاقَ النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك. وكان الذي أمْلكها للنَّبيّ ﷺ خالدُ بن سَعيد بن العاص.

قال ابن إسحٰق: وأمّا عثمان بن الحَوَيرث، فَقَدِمَ على قَيْصَرَ ملك الروم فتنصَّر، وحسنت منزلته عنده. قال ابن هشام: ولعثمان بن الحَوَيرث عند قيصر حديثٌ، منعني من ذكره ما ذكرتُ في حديث حرب الفِجَار.

عبيد: بَصَّص بالباء حكاها عن أبي زيد، وقال القالي: إنما رواه البصريون عن أبي زيد بياء منقوطة باثنتين، لأن الياء تبدل من الجيم كثيرًا كما تقول: أيل وأجل، ولرواية أبي عبيد وَجْهٌ، وهو أن يكون بَصَّص من البصيص، وهو البريق.

بعض الذين تنصّروا:

فصل: وذكر عثمان بن الْحُوَيْرِث مع زيد، وورقة وعبيد الله بن جحش، ثم قال: وأما عثمان بن الحويرث فإنه ذهب إلى الشام، وله فيها مع قيصر خبر، ولم يذكر ذلك الخبر، وذكر الْبَرْقِيُّ عن ابن إسحٰق أن عثمان بن الْحُوَيْرِث قَدِمَ على قيصر، فقال له: إني أجعل لك خَرْجًا على قريش إن جاءوا الشام لتجارتهم، وإلا منعتهم، فأراد قيصر أن يفعل فخرج سعيد بن العاصي بن أُمَيّة وأبو ذئب، وهو: هشام بن شُعْبَة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر إلى الشام، فأُخذا فحبسا، فمات أبو ذئب في الحبس، وأما سعيد بن العاصي، فإنه خرج الوليد بن المغيرة، وهو أُمية فتخلصوه في حديث طويل، رواه ابن إسحٰق عن يعقوب بن عُتْبَة بن المغيرة بن الأَخْنَسِ. وأبو ذئب الذي ذكر هو: جدّ الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، يُكْنَى: أبا الحارث من فقهاء المدينة، وأمه بُرَيْهَةُ بنت عبد الرحمن بن أبي ذئب، وأما الزبير فذكر أن

قال ابن إسحٰق: وأمَّا زيد بن عَمْرو بن نُفَيل فوقف، فلم يدخل في يهوديَّة ولا نَصْرانية، وفارق دينَ قومه، فاعتزل الأوثان والميْتَة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان، وَنهَى عن قتل الْمَوءودة، وقال: أعْبدُ ربَّ إبراهيم، وبادَى قومَه بعَيْبِ ما هم عليه.

قيصر كان قد توّج عُثمانَ، وولاّهُ أمر مكة، فلما جاءهم بذلك أنِفوا من أن يدينوا لملك، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى: ألا إنَّ مكة حَيٌّ لَقَاحٌ لا تدين لملك، فلم يتمّ له مرادُه، قال: وكان يقال له: الْبِطْرِيق، ولا عقب له، ومات بالشام مسمومًا، سمّه عَمْرُو بن جَفْنَة الغَسّاني الملك.

اعتزال زيد بن عمر بن نفيل الأوثان:

فصل: وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه طواغيتَهم، وتركه أكل ما نُحِر [على الأوثان] والنُّصُبِ. روى البخاري عن محمد بن أبي بكر، قال: أخبرنا فُضَيْل بن سليمان، قال: أخبرنا موسى، قال: حدّثني سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر: أن النبي ـ ﷺ ـ لقي زيدَ بن عَمْرو بن نُفَيْل بأسفل بَلْدَح[1] قبل أن ينزل على النبي ـ عليه السلام ـ الوحي، فقُدِّمت إلى النبي ـ ﷺ ـ، سُفرةٌ أو قَدَّمها إليه النبيُّ ﷺ، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكلُ إلا ما ذُكر اسمُ الله عليه، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاةُ خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض الْكَلأَ، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟! إنكارًا لذلك، وإعظامًا له[2]. قال موسى بن سالم بن عبد الله: ولا أعلم إلا ما تُحدِّث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نُفَيْل خرج إلى الشام يسأل عن الدين، ويَتْبعُه، فلَقِيَ عالِمًا من اليهود فسأله عن دينهم، وقال له إني لعلّي أن أدين بدينكم، فأخبِرُوني، فقال: لا تكون على ديننا، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا، وأنّى أستطيعه، فهل تدلّني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديًا ولا نَصْرانيًا، ولا يعبد إلا الله، فخرج زيد فلَقِيَ عالِمًا من النصارى، فذكر مثله، فقال لن: تكون على ديننا، حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، قال: ما أفرّ إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله، ولا من غضبه شيئًا أبدًا، وأنّى أستطيع، فهل تدلّني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا، قال: وما الحنيف؟

---

(١) بلدح: وادٍ قبل مكة.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري في مناقب الأنصار. حديث رقم (٣٨٢٦).

قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا، ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج، فلما برز رفع يديه، فقال: اللَّهمَّ إني أُشهِدُك أني على دين إبراهيم[1]. وقال الليث: كتب إليّ هشام بن عُرْوَةَ عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيْل قائمًا مُسنِدًا ظهرَه إلى الكعبة، يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري، وكان يُحْيِي الْمَوْءُودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، أكفيك مَؤُنتها، فيأخذها، فإذا تَرعْرَعَت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مُؤُنتها[2]. إلى هاهنا انتهى حديث البخاري. وفيه سؤال يقال: كيف وفّق الله زيدًا إلى ترك أكل ما ذبح على النُّصُب، وما لم يذكر اسْمُ الله عليه، ورسول الله - ﷺ - كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله؟ فالجواب من وجهين، أحدهما: أنه ليس في الحديث حين لقيه بِبَلْدَح، فقُدِّمت إليه السُّفْرَة أن رسول الله - ﷺ - أكل منها، وإنما في الحديث أن زيدًا قال حين قُدِّمت السفرة: لا آكل مما لَمْ يُذكَر اسم الله عليه: الجواب الثاني: أن زيدًا إنما فعل ذلك برأي رآه، لا بشرع متقدّم، وإنما تقدّم شرْع إبراهيم بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذُبح لغير الله، وإنما نزل تحريمُ ذلك في الإسلام، وبعض الأصوليين يقولون: الأشياء قبل وُرود الشرع عَلَى الإباحة[3]، فإن قلنا بهذا، وقلنا إن رسول الله - ﷺ - كان يأكل مما ذُبح على النصب، فإنما فَعَل أمرًا مُباحًا، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال، وإن قلنا أيضًا: إنها ليست على الإباحة، ولا على التحريم، وهو الصحيح، فالذبائح خاصةً لها أصل في تحليلِ الشرع المتقدم كالشاة والبعير، ونحو ذلك، مما أحلَّه الله تعالى في دين مَن كان قبلنا، ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه، حتى جاء الإسلام، وأنزل الله سبحانه: ﴿ولا تأكُلوا ممَّا لم يُذكر اسمُ الله عليه﴾ [الأنعام: ١٢١]. ألا ترى كيف بَقِيت ذبائحُ أهل الكتاب عندنا على أصلِ التحليل بالشَّرْع المتقدِّم، ولم يقدَحْ في التحليل ما أحدثوه من الكُفرِ، وعبادة الصُّلْبان، فكذلك كان ما ذبحه أهلُ الأوثانِ مُحَلاً بالشرع المتقدّم، حتى خصّه القرآن بالتحريم.

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار معلقًا - رقم (٣٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار معلقًا - رقم (٣٨٢٨).

(٣) الرأي الأول هو المقبول المتقبل من رسول الله ﷺ ويقول الخطابي: «كان النبي ﷺ لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام، ويأكل ما عدا ذلك، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه؛ لأن الشرع لم يكن نزل بعد، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يُذكَر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة. انظر الفتح (٩/ ١٣٧).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني هشام بن عُرْوَة عن أبيه، عن أُمّه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قال: لقد رأيت زيدَ بن عمرو بن نُفَيل شيخًا كبيرًا مُسْنِدًا ظهرَه إلى الكعبة، وهو يقول: يا مَعْشَرَ قريش، والذي نفسُ زيدِ بن عمرو بيده: ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيمَ غيري، ثم يقول: اللّٰهمّ لو أني أعلم أيّ الوجوه أحبّ إليك عَبدتك به، ولكني لا أعلمه، ثم يسجد على راحته[1].

قال ابن إسحٰق: وحُدِّثت أن ابنَه سعيدَ بن زَيْد بن عمرو بن نُفَيْل وعُمَر بن الخطاب، وهو ابن عمِّه، قالا لرسول الله ﷺ: أَنَسْتَغْفِر لزيد بن عمرو؟ قال: «نعم، فإنه يُبعث أمّةً وحده».

زيد وصعصعة والموءودة:

فصل: وذكر خبر الْمَوْءُودَةِ، وما كان زيد يفعل في ذلك، وقد كان صَعْصَعَةُ بن معاويةَ جدّ الفَرَزْدَقِ رحمه الله يفعل مثل ذلك، ولمّا أسلم سأل رسولَ الله ﷺ: هل لي في ذلك من أجر؟ فقال في أصحّ الروايتين: «لك أجرُه إذا مَنَّ الله عليك بالإسلام»[2]، وقال الْمُبَرِّد في الكامل عن النبي - ﷺ - كلامًا لم يصحّ لفظُه ولا معناه، ولا يشهد له أصل. والأصول تشهد له بهذه الرواية التي ذكرناها؛ لما ثبت أن الكافر إذا أسلم، وحَسُن إسلامُه، كُتب له كلُّ حسنة كان زَلَفَهَا، وهذا الحديث أخرجه البخاري، ولم يَذْكر فيه: كل حسنة كان زَلَفها، وذكرها الدارَقُطْني وغيره، ثم يكون القِصَاص بعد ذلك: الحَسَنَةُ بعَشر أمثالِها، والموءودةُ مَفْعُولَةٌ من وَأَدَه إذا أثقله قال الفرزدق:

ومِنَّا الذي مَنَعَ الوائداتِ، وأحيا الوَئِيدَ، فلم يُوأَدِ

يعني: جدَّه صَعْصَعة بن مُعاوية بن ناجية بن عِقَال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع. وقد قيل: كانوا يفعلون ذلك غَيْرةً على البنات، وما قاله الله في القرآن هو الحق من قوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾[3] وذكر النقاش في التفسير: أنهم كانوا يَئِدون من البنات، ما كان منهنّ زَرْقَاءَ[4] أو بَرْشَاءَ[5] أوْ شَيماءَ[6] أو كَشْحَاءَ[7] تشاؤمًا منهم بهذه الصفاتِ قال الله تعالى: ﴿وإذا الْمَوْءُودةُ سُئِلَتْ بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلت﴾ [التكوير: ٨ - ٩].

---

(١) سيأتي في الشرح وهو عند البخاري.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير والبزار. وفيه الطفيل بن عمرو التميمي. قال البخاري لا يصح حديثه. وقال العقيلي لا يتابع عليه. قاله الهيثمي في المجمع (١/ ٩٥).

(٣) سورة الإسراء آية رقم (٣١).

(٤) الزرقاء: العمياء.

(٥) البرشاء: مَن كان في وجهها نقط حمراء وأخرى سوداء.

(٦) الشيماء: مَن كثرت بها الشامات.

(٧) الكشحاء: أي الكسحاء أو غير ذلك.

وقال زيد بنُ عمرو بن نُفَيْلٍ في فِراق دين قومه، وما كان لَقِيَ منهم في ذلك:

أرَبًّا وَاحِدًا، أمْ ألْفَ رَبٍّ ... أدِينُ إذا تُقُسِّمت الأمُورُ
عَزَلْتُ اللاَّت والعُزَّى جميعًا ... كَذَلك يَفْعَل الجَلْدُ الصَّبُورُ
فَلا العُزَّى، أدينُ ولا ابْنَتَيْها ... ولا صَنَمَيْ بني عمرٍو أزُورُ
ولا هُبَلاً أدينُ، وكانَ رَبًّا ... لَنَا في الدَّهر إذْ حِلْمِي يَسِيرُ
عَجِبْتُ. وفي اللَّيالي مُعْجَبَاتٌ ... وفي الأيَّامِ يَعْرِفُها البَصِيرُ
بأنَّ اللَّهَ قَدْ أفْنَى رِجالاً ... كثيرًا كان شأنَهُمُ الفُجُورُ
وأبقى آخرين بِبَرِّ قَوْمٍ ... فيَرْبُلُ منهُمُ الطفلُ الصَّغيرُ

العزّى:

فصل: وذكر شِعْرَ زيد بن عَمْرو وفيه: عَزَلْتُ اللاَّت والعُزَّى جميعًا. فأما اللاَّتُ فقد تقدم ذكرها، وأما الْعُزَّى، فكانت نخلاتٍ مجتمعةً، وكان عَمْرُو بن لُحَيٍّ قد أخبرهم - فيما ذكر - أن الربَّ يُشَتِّي بالطائف عند اللات، ويُصَيِّف بالْعُزَّى، فعظّموها وَبَنَوْا لها بيتًا، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة، وهي التي بَعَثَ رسولُ الله - ﷺ - خالدَ بن الوليد ليكسِرها، فقال له سادتها: يا خالد احْذَرْها؛ فإنها تَجْدَع وتُكَنِّع[1]، فهدمها خالدٌ وترك منها جَذْمَها[2] وأساسها، فقال قَيِّمُها: والله لتعودَنَّ ولتنتقِمَنَّ مِمَّن فعل بها هذا، فذُكر - والله أعلم - أن رسولَ الله - ﷺ - قال لخالد: «هل رأيت فيها شيئًا»؟ فقال: لا، فأمره أن يرجع، ويستأصل بقيتَها بالهدم، فرجع خالد، فأخرج أساسَها، فوجد فيها امرأة سَوْداءَ مُنْتَفِشَة الشعر تَخْدِش وجهَها، فقتلها[3]، وهرب القَيِّمُ، وهو يقول: لا تُعْبَد الْعُزَّى بعد اليوم. هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النَّيسابوري في الْمَبْعَث. وذكره الأزْرَقِي أيضًا ورَزِين.

معنى يربل[4]:

وقوله: فَيَرْبُل منهم الطفلُ الصغير. ألفيت في حاشية الشيخ أبي بحر رَبَل الطفلُ يَرْبل

---

(١) تكنع: الكاف والنون والعين أصل صحيح يدلّ على تشنج وتفيض وتجمع. انظر مقاييس اللغة (٥/ ١٤٢).

(٢) جذمها: أصلها.

(٣) انظر أحمد (٤/ ٨٨/ ٣٥١) وسير أعلام النبلاء (١/ ٣٧٠).

(٤) ربل: الراء والباء واللام أصل واحد يدل على تجمّع وكثرة في انضمام. يقال: ربل القوم يَرْبُلون. والربيلة: السمن. ومن الباب الرَّبلة: باطن الفخذ. وامرأة مربلة: كثيرة اللحم. مقاييس اللغة (٢/ ٤٨٢).

وَبَيْنا الْمَرْءُ يعثُرُ ثاب يومًا كما يَتَرَوّح الغُصْن الْمَطيرُ
وَلَكِنْ أعْبُدُ الرَّحمنَ رَبّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِيَ الرَّبُّ الغَفُورُ
فتَقْوَى الله رَبّكُمُ احْفَظُوها مَتى ما تَحْفَظُوها. لا تَبُورُوا
تَرَى الأبْرَارَ. دَارُهُمُ جِنَان ولِلْكُفَّارِ حامِيَةً سَعِيرُ
وخِزْيٌ فِي الحَيَاةِ وَإنْ يَمُوتوا يُلاقُوا ما تَضيقُ بِه الصُّدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضًا ـ قال ابن هشام: هي لأُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ في قصيدة له. إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتًا. وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحٰق:

إذا شبّ وعظم. يربَل بفتح الباء أي يكبر وينبت، ومنه أخذ تَرْبيل الأرض. وقوله: كما يَتَرَوَّحُ الغصنُ: أي: يَنْبُت ورقه بعد سقوطه.

إعراب نعت النكرة المتقدم:

وقوله: وللكفار حاميةً سَعِير. نصب حاميةً على الحال من سعير؛ لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها نصب على الحال، وأنشد سيبويه في مثله:

لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ[1]

وأنشد أيضًا [لذي الرُّمَّة]:

وتحت الْعَوالِي والْقَنَا مُسْتَكِنَّةً ظِباءٌ أعارَتْها العيونَ الجَآذِرُ

والعامل في هذا الحال: الاستقرارُ الذي يعمل في الظرفِ، ويتعلَّق به حرف الجرّ، وهذا الحال على مذهب أبي الحسن الأخْفَشِ لا اعتراضَ فيها؛ لأنه يجعلُ النكرة التي بعدها مرتفعةً بالظرف ارتفاعَ الفاعل، وأما على مذهب سيبويه، فالمسألة عَسيرةٌ جدًّا؛ لأنه يلزمه أن يجعَلها حالاً من المضمَر في الاستقرار؛ لأنه معرفة، فذلك أولى من أن يكون حالاً من نكرة، فإن قدر الاستقرار آخر الكلام، وبعد المرفوع كان ذلك فاسدًا؛ لتقدم الحال على العامل المعنوي وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا.

---

(١) البيت ينسب لكُثَيِّر عَزَّة. وانظر أمالي ابن الحاجب.

إلى اللّهِ أُهْدِي مِدْحتي وثَنائِيا وقَوْلاً رَصِينًا لا يَنِي الدَّهرَ بَاقيَا
إلى المَلِك الأعلى الذي ليس فوقه إلـٰه، وَلا رَبٌّ يكونُ مُدَانِيا
ألا أيها الإنسانُ إيَّاك والرَّدَى[1] فإنَّك لا تخْفِي مِنَ اللّهِ خافِيَا
وإيَّاكَ لا تجعَلْ معَ الله غيرَه فإنَّ سَبيلَ الرُّشْد أصبحَ بادِيَا
حَنَانَيْكَ[2] إن الجن كانت رَجاءَهم وأنتَ إلـٰهي رَبُّنا وَرَجائِيَا
رضيتُ بكَ - اللَّهم - رَبًّا فلن أُرَى أدينُ إلـٰهًا غيرك اللَّهُ ثانِيا
وأنت الذي مِنْ فضل مَنٍّ ورحمة بعثتَ إلى موسى رسولاً مُنَادِيَا
فقلت له: يا اذْهَبْ وهارون فادْعُوَا إلى الله فِرْعَوْنَ الذي كان طاغيًا
وقولا له: آأنتَ سَوّيت هذه بلا وَتَدٍ، حتى اطمأنَّتْ كما هيا
وقولا له: آأنت رفَّعت هذه بلا عَمَدٍ، أرْفِقْ - إذًا - بك بانيَا
وقولا له: آأنت سوّيت وَسْطها مُنِيرًا، إذا ما جَنَّه اللَّيلُ هادِيا
وقولا له: مَن يُرْسلُ الشمسَ غُدوةً فيُصْبح ما مسَّت من الأرض ضاحيا
وقولا له: مَن يُنْبت الحَبَّ في الثَّرَى فيُصبح منه البَقْلُ يَهْتزّ رابيا
ويُخرج منه حبَّه في رءوسه وفي ذاك آياتٌ لمَن كان وَاعِيا
وأنت بفَضْل منكَ نَجَّيْت يُونُسًا وقد بات في أضعاف حُوتٍ لياليا
وإني لو سَبَّحْتُ باسمِكَ رَبَّنا لأُكْثِر - إلا ما غفرتَ - خَطائيا
فربَّ العِبادِ أَلْقِ سَيْبًا ورحمَةً عليّ، وبارك في بَنِيَّ وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرميّ.

قال ابن هشام: واسم الحضرميّ: عبدُ الله أحد الصَّدِف، واسم الصَّدف: عمرو بن مالك أحد السَّكُون بن أشْرَس بن كِنْدِيّ، ويقال: كِنْدة بنُ ثَوْر بن مُرَتِّع بن عُفَيْر بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَدَ بن زيد بن مِهْسَع بن عمرو بن عَريب بن زيد بن كَهْلاَن بن سبأ، ويقال: مُرْتِع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

من معاني شعر زيد:

فصل: وأنشد أيضًا لزيد: إلى الله أُهدي مِدْحَتي وثنائيًا. وفيه: ألا أيها الإنسان إيَّاك

---

(١) الردى: الموت.
(٢) حنانيك: أي حنان بعد حنان. مقاييس اللغة (٢/ ٢٥).

....

والرَّدَى. تحذير من الردى، والردى هو الموت، فظاهر اللفظ متروكٌ، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموتُ، ويبديه ويكشفه من جزاء الأعمال؛ ولذلك قال: فإنك لا تخفي من الله خافيًا. وفيه:

وإني وإن سَبَّحْتُ باسمك رَبَّنا لأُكْثِرُ إلا ما غفرت خَطَائِيا

معنى البيت: إني لأُكْثِر من هذا الدعاءِ الذي هو باسمِك رَبّنا إلا ما غفرتَ «وما» بعد إلا زائدة، وإن سبحت: اعتراضٌ بين اسم إن وخبرها، كما تقول: إني لأُكْثِر من هذا الدعاءِ الذي هو باسمك رَبّنا إلا والله يغفر لي لأفعل كذا، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة، أي: لا أعتمد وإن صلّيت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي.

تفسير حنانيك:

وقوله: حَنَانَيْك بلفظ التثنية، قال النحويون: يريد حنانًا بعد حنان، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد. قال المؤلف رحمه الله: ويجوز أن يريد حنانًا في الدنيا، وحنانًا في الآخرة، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طَرَفَةَ:

أبا مُنْذرٍ أفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعضَنا حَنَانَيْك بعضُ الشَّرِّ أهون من بعض

فإنما يريد: حنانَ دَفْعٍ، وحَنان نَفْعٍ؛ لأن كل مَن أمّل ملكًا، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضَيرًا، أو ليجلب إليه خيرًا[1].

شريعة أدين:

وقوله: فلن أرى أدين إلـٰهًا. أي: أدين لإلـٰهٍ، وحذَف اللامَ وعدَّى الفعل؛ لأنه في معنى: أعبد إلـٰهًا.

حول اسم الله:

وقوله: غيركَ اللّهُ برفع الهاء، أراد: يا ألله، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام، إلا أن حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الأسماء، ألا ترى أنك تقول: يأيها الرجل، ولا ينادى اسم الله بيأيُّها، وتقطع همزته في النداء، فتقول: يا ألله، ولا يكون ذلك في اسمٍ غيره إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعرفة،

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٢/ ٢٥).

ولعل بعض ذلك أن يُذكر فيما بعد ـ إن شاء الله ـ وقد استوفيناه في غير هذا الكتاب، وفيه بيت حَسَن لم يذكره ابن إسحٰق، وذكره أبو الفرج[1] في أخبار زيد وهو:

أدِيـن إلـٰهًـا يُـسـتـجـار، ولا أرى　　أديـن لـمـن لـم يـسـمـع الـدهْـرَ داعـيـا

حذف المنادى مع بقاء الياء:

وفيه: فقلت: ألا يا اذهب على حذف المنادى، كأنه قال: ألا يا هذا اذهب، كما قرىء: ألا يا اسجدوا، يريد: يا قوم اسجدوا، وكما قال غَيْلان[2]:

ألا يا اسْلَمِي يا دارَ مَيٍّ على البِلى

وفيه: اذهب وهارونُ، عطفًا على الضمير في اذهب، وهو قبيح إذا لم يؤكد، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدًا.

تصريف اطمأنت وأشياء:

وقوله: اطمأنت كما هيا، وزنه افلَعَلّت، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف، لأنه من تطأمن أي: تطأطأ، وإنما قدّموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل، فتكون أخفّ عليهم في اللفظ كما فعلوا في أشياء حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فرارًا من تقارب الهمزتين. كما هيا. ما: زائدة لِتَكُفَّ الكاف عن العمل، وتهيئها للدخول على الجمل، وهي: اسم مبتدأ، والخبر محذوفٌ، التقدير: كما هي عليه، والكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذي دلّ عليه، اطمأن، كما تقول: سِرْتَ مثلَ سير زيد؛ فمثلٌ حالٌ من سَيْرِك الذي سرته، وفيه: أرْفِقْ إذًا بك بانيًا. أرْفِقْ تعجب، وبك في موضع رفع لأن المعنى: رفُقْت، وبانيًا تمييز، لأنه يصلح أن يجرّ بمن، كما تقول: أحْسِنْ بزيدٍ مِنْ رجلٍ، وحرف الجرّ متعلق بمعنى التعجب؛ إذ قد علم أنك متعجب منه، ولِبَسْطِ هذا المعنى وكشْفه موضع غير هذا ـ إن شاء الله ـ وبعد قوله:

وقـد بـات فـي أضـعـاف حُـوتٍ لـيـالـيـا

بيت لم يذكره ابن إسحٰق، ووقع في جامع ابن وهب وهو:

وأنـبـت يَـقْـطِـيـنًـا[3] عـلـيـه بِـرَحْـمَـةٍ　　مـن الله لـولا ذَاك أصـبـح ضَـاحـيـا

(١) هو الأصبهاني في كتابه «الأغاني».　(٢) هو غيلان بن عقبة المعروف بذي الرّمّة.

(٣) اليقطين: كل نبت ينبسط على ظهر الأرض. ومنه القرع وغيره.

قال ابن إسحٰق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروجَ من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ﷺ، فكانت صَفيَّة بنت الحضرميّ كلما رأته قد تهيأ للخروج، وأراده؛ آذنت به الخطّاب بن نُفَيل، وكان الخطّاب ابن نُفَيل عمه وأخاه لأمه، وكان يُعَاتبه على فِراق دين قومه، وكان الخطّاب قد وكّل صفيّة به، وقال: إذا رأيتيه قد همَّ بأمر فآذِنيني به ـ فقال زيد:

لا تَحبسيني في الهَوا	نِ صَفيَّ ما دابي ودابُهْ
إني إذا خِفْت الهَوا	ن، مُشَيَّعٌ ذُلُلٌ رِكابه
دُعْمُوصُ أبوابِ المُلو	ك وجائِبٌ للخَرْقِ نابُه
قَطَّاع أسباب تَذِل	بغير أقرانِ صِعابه
وإنَمَا أخَذ الهَوا	نَ العَيْرُ إذ يُوهَى إهابه
ويقول: إنّي لا أذلّ	بصكّ جَنْبيه صِلاَبه
وأخي ابن أُمّيَ، ثم عَمّـ	يَ لا يُواتيني خطابه
وإذا يُعاتبُني بسُو	ءٍ قلت: أعياني جَوابه
ولو أشاء لقُلْت: ما	عندي مَفاتِحُهُ وبابه

قال ابن إسحٰق: وحُدِّثت عن بعض أهل زَيْد بن عمرو بن نُفَيل: أن زيدًا إذا كان استقبل الكعبة داخل المسجد، قال: لبَّيك حقًّا حقًّا، تعبُّدًا ورِقًّا[1].

صفية بنت الحضرمي:

وذكر صفيةَ بنت الْحَضْرَمِيّ، واسم الحضرمي: عبد الله بن عمار[2]، وسيأتي ذكر نسبها عند ذكر أخيها بَعْدُ.

الدعموص والخرم في الشعر:

وقوله: دُعموص أبواب الملوك. يريد: ولاَّجًا في أبواب الملوك، وأصل الدُّعموص: سمكة صغيرة كَحَيَّةِ الماء، فاستعاره هنا، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة يرفعه: صغاركم دَعاميص الجنة[3]، وكما استعارت عائشة العصفور حين نظرت إلى طفل صغير قد مات،

(١) فيه مجاهيل.
(٢) وقيل عباد، وقيل عماد وهو الصواب. قاله الخشني وابن الدباغ.
(٣) «صحيح». أخرجه مسلم في البرّ والصلة (١٥٤) وأحمد (٢/٤٨٨) والبخاري في الأدب (١٤٥)=

عُذْت بِما عاذ به إبراهِيم، مستقبلَ القِبلة، وهو قائمٌ إذ قال:

أنـفِي لـك الـلَّـهُـمَّ عـانٍ راغـمُ مـهـمـا تُـجَـشِّـمْـني فإنـي جـاشـمُ

الـــبِـــرَّ أبْـــغـــي لا الـــخــــال لـيـس مُـهَـجِّـرٌ كـمَـن فـال

قال ابن هشام: ويقال:

الـــبـــرّ أبْـــقَـــى لا الـــخــــال لـيـس مُـهَـجِّـرٌ كـمـن قـال

قال: وقوله: «مستقبل الكعبة» عن بعض أهل العلم.

قال ابن إسحٰق: وقال زيد بن عمرو بن نُفيل:

وأسلَمْت وَجْهي لمَن أسلمت له الأرضُ تحمِلُ صَخْرًا ثِقَالاً

دَحــاهــا فــلــمَّــا اسْــتــوَت على المَاء، أرْسى عليها الجبالا

وأسلَمْت وَجْهي لمَن أسلمتْ له الْمُزْنُ تَحمِل عَذْبًا زُلَالا

إذا هـي سِـيـقَـت إلـى بَـلْـدَةٍ أطاعَت، فَصَبَّت عليها سِجالا

فقالت: طُوبَى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءًا، فقال لها النبي ﷺ: «وما يدريك؟ إن الله خلق الجنة، وخلق لها أهلاً، وخلق النار، وخلق لها أهلاً»[1] أخرجه مسلم، وفي هذه الأبيات خَرْم في موضعين، أحدهما قوله:

ولـــو أشـــاء لـــقـــلـــت مـــا عـــنـــدي مَـــفَـــاتِـــحُـــهُ وبـــابـــه

والآخر قوله:

وإنـــمـــا أخـــذ الـــهـــوانَ الـــ ـعَـيْـرُ إذ يُـوهـى إهـابـه

وقد تقدم مثل هذا في شِعر ابن الزِّبَعْرَى، وتكلمنا عليه هنالك بما فيه كفاية. وقوله: ويقول: إني لا أذِلُّ أي: يقول العيْر ذلك بِصَكِّ جَنْبَيْه صِلابُهُ، أي: صِلاب ما يوضع عليه، وأضافها إلى العَيْر لأنها عِبْؤه وحمله.

لغويات ونحويات:

وذكر قوله: البِرَّ أبغى لا الخال قال ابن هشام: البرَّ أبغى: بالنصب، والخال:

= والبيهقي (٤/ ٦٧).

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في القدر (١٠/ ٣١) وأحمد (٩/ ٤١).

وكان الخطاب قد آذى زيدًا، حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حِرَاءَ مقابل مكة، ووكَّل به الخَطابُ شبابًا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم، فقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سرًّا منهم، فإذا علموا بذلك، آذَنوا به الخطَّاب، فأخرجوه، وآذَوْه كراهيةَ أن يُفسد عليهم دينَهُم، وأن يُتابعه أحدٌ منهم على فِرَاقه. فقال - وهو يعظِّم حُرْمته على مَن اسْتَحَلَّ منه ما استحل من قومه:

لاَ هُـمَّ إنِّـي مُـحْـرِمٌ لا حِـلَّـهْ　　وإنّ بَـيْـتـي أوْسَـطَ الْـمَـحِـلَّـهْ

عـنـد الـصَّـفَـا لـيـس بـذي مَـضَـلَّـهْ

ثم خرج يطلب دينَ إبراهيم عليه السلام، ويسأل الرهبان والأحبار، حتى بلغ المَوْصِلَ والجزيرة كلَّها، ثم أقبل فجال الشَّامَ كلَّه، حتى انتهى إلى راهب بِمَيْفَعَةَ من أرض البَلْقَاء، كان ينتهي إليه عِلْمُ أهلِ النَّصرانية فيما يزعمون، فسأله عن الحَنِيفِيَّةِ دين إبراهيم، فقال: إنك لتطب دينًا ما أنت بواجِدٍ مَنْ يَحْمِلُك عليه اليومَ، ولكن قد أظلَّ زمانُ نبيّ يخرج من بلادك التي خرجت منها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفيَّة، فالْحَق بها، فإنه مبعوثٌ الآن، هذا زمانه، وقد كان شامَّ اليهوديةَ والنَّصرانيةَ، فلم يَرْضَ شيئًا منهما، فخرج سريعًا، حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكة، حتى إذا توسَّط بلاد لَخْمٍ، عَدَوْا عليه فقتلوه - فقال وَرَقَةُ بن نوفل بن أَسَد يبكيه:

رَشَدْت، وأنعمتَ ابنَ عمرو، وإنمَا　　تـجنَّبْت تَنُّورًا من النَّار حامِيا

بِـدِينِك ربًّـا لـيـس ربٌّ كـمِـثْـلـه　　وتَرْكِكَ أوثانَ الطَّواغي كما هِيَا

وإدْرَاكِكَ الـديـنَ الـذي قـد طلبتَه　　ولـم تَكُ عن تَوْحيد ربِّك ساهيا

فـأصبحت في دارِ كـرِيـمٍ مُقامُها　　تُـعَـلَّـلُ فـيـهـا بـالـكـرامَـة لاهـيـا

تُلاقي خَلِيلَ الله فيها، ولـم تَكُنْ　　من النَّاس جَبَّارًا إلى النار هاويا

وقـد تُـدرِكُ الإنـسـانَ رحـمـةُ ربِّـه　　ولو كان تَحت الأرض سبعين واديا

قال ابن هشام: يُروى لأُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْت البيتان الأولان منها، وآخرها بيتًا في قصيدة له. وقوله: «أوثان الطواغي» عن غير ابن إسحٰق.

الْخُيَلاءُ والكِبر: وقوله: ليس مُهَجِّر كمَن قال، أي: ليس مَن هَجَّر وَتكيَّس، كَمَنْ آثر القائِلة والنوم، فهو من: قال يَقِيل؛ وهو ثلاثي، ولكن لا يُتعجَّب منه. لا يقال: ما

....

أقيله!! قال أهل النحو: استَغْنَوْا عنه: بما أنْوَمه، ولِذكر السر في امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا. وقول زيد: إني مُحْرِمٌ لا حِلَّة. مُحْرِمٌ أي: ساكن بالحرَم، والْحِلَّة: أهلُ الْحِلّ. يقال للواحد والجميع: حِلَّة. ذكر لقاءَ زيد الراهبَ بِمِيْفَعَة هكذا تقيد في الأصْل بكسر المِيم من مِيْفَعة، والقياس فيها: الفتحُ؛ لأنه اسمٌ لموضعٍ أخذ من الْيَفَاع، وهو المرتفع من الأرض. وقوله: شامٌّ اليهوديةَ والنصرانية، هو فاعل من الشَّمّ كما قال يزيد بن شَيْبان حين سأل النَّسَّابة من قُضَاعَةَ، ثم انصرف، فقال له النَّسَّابة: شامَمْتنا مُشامَّة الذئبِ الغنمَ، ثم تنصرف. في حديث ذكره أبو عَليٍّ في النوادرِ، ومعناه: استَخْبَرَ، فاستعاره من الشم، فنصب اليهوديةَ والنصرانيةَ نَصْبَ المفعول، ومن خفض جعل شامّ اسم فاعل من شَمَمت، والفعل أولى بهذا الموضع، كما تقدم، وقول ورقة: رَشِدْت وأنعمت ابن عمرو، أي: رَشَدْت وبالغت في الرشد، كما يقال: أمْعَنت النظر وأنعمته، وقوله: ولو كان تحت الأرض سبعين واديًا بالنصب. نصب سبعين على الحال، لأنه قد يكون صفةً للنكرة، كما قال: فلو كنت في جُبٍّ ثمانين قامة وما [يكون] صفة للنكرة يكون حالاً من المعرفة، وهو هنا حال من البعد، كأنه قال: ولو بَعُد تحت الأرض سبعين. كما تقول: بَعُد طويلاً، أي: بعدًا طويلاً، وإذا حذفت المصدر، وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلا حالاً، وقد تقدم قولُ سيبويه في ذلك في مسألة: ساروا رُوَيْدًا ونحو هذا: داري خَلْفَ دارِك فَرْسَخًا، أي: تقرب منها فَرْسَخًا إن أردت القربَ، وكذلك إن أردت البعد، فالبعد والقرب مقدَّران بالفرسخ، فلو قلت: داري تقرب منك قربًا مقدَّرًا بفرسخ، لكان بمنزلة مَن يقول: قُرْبًا كثيرًا أو قليلاً، فالفرسخ موضوع موضع كثير أو قليل فإعرابه كإعرابه، وكذلك قول الشاعر:

لا تعجبوا فلو أن طول قَنَاته ... مِيلٌ إذا نظم الفوارسَ مِيلاً

أي: نظمهم نظمًا مستطيلاً، ووضع مِيلاً موضعَ مُسْتَطِيلاً، فإعرابُه كإعرابه، فهو وَصْفٌ للمصدر، وإذا أُقيم الوصفُ مقام الموصوف في هذا البابِ لم يكن حالاً من الفاعل، لكن من المصدر الذي يدلّ الفعلُ عليه بلفظه نحو: ساروا طويلاً، وسقيتها أحْسَنَ من سَقْيِ إبلك، ونحو ذلك.

صفة رسول الله ﷺ من الإنجيل

قال ابن إسحٰق: وقد كان ـ فيما بلغني عما كان وضَعَ عيسى ابنُ مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل ـ من صفَةِ رسول الله ﷺ، مما أثبت يُحَنَّس الحواريُّ[1] لهم، حين نَسخ لهم الإنجيلَ عن عهد عيسى ابن مريمَ عليه السلام في رسول الله ـ ﷺ ـ إليهم أنه قال: «مَن أبغضني فقد أبغض الربّ، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائعَ لم يصْنعها أحدٌ قبلي، ما كانت لهم خطيئةٌ، ولكن من الآن بَطِرُوا وظَنُّوا أنهم يَعُزُّونني، وأيضًا للربّ، ولكن لا بُدّ من أن تتم الكلمة التي في النّاموس: أنهم أبغضوني مَجّانًا، أي: باطلاً. فلو قد جاء المُنْحَمَنَّا هذا الذي يُرسله الله إليكم من عند الربِّ، وروح القدس هذا الذي من عند الربّ خَرَج، فهو شَهيدٌ عليّ وأنتم أيضًا؛ لأنكم قديمًا كنتم معي في هذا، قلتُ لكم: لكيما لا تشكوا.

يحنس الحواري

فصل: وذكر يُحَنَّس الْحَوارِيّ وسيأتي في آخر الكتاب ذكرُ الْحَوَارِيِّينَ كُلِّهم بأسْمائهم وذكر قوله: أبْغضتموني مَجّانًا، أي: باطلاً، وكذلك جاء في الحكمة: يا بْنَ آدمَ علِّم مَجّانًا، كما عُلِّمت مَجّانًا، أي: بلا ثمن، وفي وصايا الحكماء: شاوِرْ ذَوي الأسْنان والعقول يُعطُوك من رأيهم مَجّانًا ما أخذوه بالثمن، أي بطول التجارب، ومن صفة النبي ـ ﷺ ـ يقول الله سبحانه: أنت عَبْدي ورسولي سَمَّيْتُكَ المتوكلَ، ليس بِفَظّ[2] ولا غليظ[3]، ولا سَخّاب[4] في الأسْواق، ولا يَدْفع السَّيِّئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضَه الله حتى يقيم به الْمِلَّة الْعَوْجَاءَ، فيفتح به عيونًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا؛ بأن يقولوا: لا إله إلاّ اللّهُ[5].

من صفات النبي عند الأحبار

ومما وجد من صفته ـ ﷺ ـ عند الأحبار ما ذكره الواقدي[6] من حديث النعمان

---

(١) هو يوحنا صاحب أحد الأناجيل الأربعة المنسوبة زورًا وبهتانًا إلى عيسى عليه السلام. وانظر معنى الكلام في إنجيل يوحنا ١ صحاح رقم (١٥ـ ١٦). وانظر في صفة النبي ﷺ في العهدين القديم والجديد. انظر نظرات في إنجيل برنابا ـ وإظهار الحق لرحمت الله الهندي.

(٢) أي ليس سيىء الخلق جافيًا. (٣) أي: ليس غليظ القلب.

(٤) سخاب: بتشديد الخاء بعد السين وهي لغة في صخاب ـ أثبتها الفراء وغيره. والصخاب أشهر وهو الذي يرفع صوته على الناس لسوء خلقه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٦/٦) وانظر شرح القسطلاني (٤/ ٥١ـ ٥٢).

(٦) تقدمت ترجمته غير مرة وهو ضعيف.

والمُنْحَمَنَّا بالسُّريانيَّة: محمد: وهو بالرومية: الْبَرَقْلِيطِس، صلّى الله عليه وآله وسلم.

التَّيْمي. قال: وكان من أحبار يهودَ باليمن، فلما سمع بذلك النبي - ﷺ - قَدِمَ عليه، فسأله عن أشياء، ثم قال: إن أبي كان يختم على سِفرٍ، ويقول: [لا تقرأه] على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيَثْرِبَ، فإذا سَمِعْتَ به فافتحه. قال نعمان: فلما سمِعتُ بك فتحت السفر، فإذا فيه صِفَتُك كما أراك الساعة، وإذا فيه: ما تُحِلُّ وما تُحَرِّم، وإذا فيه: إنك خيرُ الأنبياء وأُمتُك خير الأمم، واسمك: أحمد، وأمتك الحامدون. قُرْبانهم: دماؤُهم، وأناجيلُهم: صُدورُهم، وهم لا يحضرون قتالاً إلا وجبريلُ معهم، يتحَنّن الله عليهم كتَحَنُّن النَّسْر على فراخه، ثم قال لي: إذا سمعت به فاخرج إليه، وآمِنْ به، وصدِّق به، فكان النبي - ﷺ - يحب أن يسمع أصحابُه حديثه، فأتاه يومًا، فقال له النبي - ﷺ -: «يا نُعْمَانُ حدِّثنا»، فابتدأ النعمانُ الحديث من أوله،فرُؤِيَ رسول الله - ﷺ - يومئذ يتبسم، ثم قال: «أشهد أني رسول الله، وهو الذي قتله الأسودُ الْعَنْسِيُّ، وقطَّعه عضوًا عضوًا، وهو يقول: إن محمدًا رسولُ الله، وإنك كذاب مُفْتَرٍ على الله، ثم حَرَّقه بالنار».

مبعث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم تسليمًا

قال: حدَّثنا أبو محمد عبدُ الملِك بن هشام، قال: حدّثنا زِيادُ بنُ عبدِ الله الْبَكَّائِي[1] عن محمد بن إسحٰق المطلبي قال: فلما بلغ محمدٌ رسولُ الله - ﷺ - أربعين سنةً بعثه الله تعالى رحمةً للعالمين، وكافَّةً للناس بشيرًا، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبلَه بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على مَن خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدّوا ذلك إلى كل مَنْ آمن بهم وصدقهم، فأدَّوْا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه. يقول الله تعالى لمحمد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: ﴿وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ

كتاب المبعث

متى بعث رسول الله؟

ذكر ابن إسحٰق أن رسولَ الله - ﷺ - بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام، وهذا مَرْوِيٌّ عن ابن عباس، وجُبَيْر بن مُطْعِم وقَبَاثِ بن أَشْيَم، وعطاء وسعيد بن الْمُسَيَّب، وأنس بن مالك وهو صحيحٌ عند أهل السِّيَر والعلم بالأثَر، وقد رُوِيَ أنهُ نُبِّىءَ لأربعين وشهرين من مولده، وقيل لقباث بن أشْيَم: مَن أكبر، أنت أم رسول الله - ﷺ -؟ فقال: رسولُ الله أكبرُ مني، وأنا أسَنُّ منه، ووُلد رسول الله - ﷺ - عام الفيل، ووقفت بي أُمي على رَوْثِ الفيلِ ويُرْوى: خَزْقِ الطير، فرأيته أخْضَرَ مُحِيلاً، أي: قد أتى عليه حَوْل، وفي غير رواية البَكَّائي من هذا الكتاب أن رسول الله - ﷺ - قال لبلال: لا يَفُتْكَ صيامُ يوم الاثنين؛ فإني قد وُلدت فيه، وبُعثت فيه، وأموت فيه[2].

---

(١) تقدمت ترجمته مرارًا وهو ضعيف. وانظر البداية (٢/ ٢٨٤)/ الكامل (١/ ٥٧٥)/ تاريخ الطبري (١/ ٥٢٨)/ المنتظم (١/ ٣٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام (١٩٧) من حديث أبي قتادة. بنحوه.

مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصُرُنَّهُ قال أأقْرَرْتُمْ وأخَذْتُمْ على ذَلِكُمْ إصْرِي﴾: أي ثِقَل ما حمَّلتكم من عَهْدِي: ﴿قالُوا أقْرَرْنا قال فاشْهَدُوا وأنا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِين﴾ [آل عمران: ٨١] فأخذ الله ميثاق النَّبيِّين جميعًا بالتصديق له، والنصر له ممّن خالفه، وأدَّوْا ذلك إلى مَنْ آمن بهم، وصدقهم من أهل هذين الكتابين.

قال ابن إسحٰق: فذَكرَ الزُّهريّ عن عُرْوة بن الزُّبير، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدّثته: أن أوّل ما بُدِىء به رسولُ الله ﷺ من النُّبوّة، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به: الرُّؤيا الصادقة، لا يرى رسولُ الله - ﷺ - رؤيًا في نومه إلا جاءت كفَلَق الصبح. قالت: وحَبَّب اللَّهُ تعالى إليه الْخَلوة، فلم يكن شيء أحبَّ إليه من أن يخلوَ وحدَه[1].

إعراب لما آتيتكم[2]:

وذكر ابن إسحٰق قول الله سبحانه: ﴿وإذ أخَذَ اللَّهُ ميثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتيتُكم من كتابٍ وحِكْمةٍ﴾ الآية. وما في هذه الآية: اسمٌ مبتدأ بمعنى: الذي، والتقدير: لَلَّذِي آتيناكم من كتاب وحكمة، ولا يصحّ أن تكون في موضع نصب على إضمار فعل، كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل بضميره، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز إن يعمل فيما قبلها، وما لا يجوز أن يعمل فيه ما قبله، فلا يجوز أن يكون تفسيرًا لما يعمل فيه، وقد قيل: إن ما هذه شَرْط. والتقدير: لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمِنُنَّ به، وهو ظاهر قول سيبويه، لأنه جعلها بمنزلة: إن، وقول الخليل: إنها بمنزلة الذي، أي: إنها اسم لا حرف، ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا، فتكون اسمًا، وتكون شرطًا، ويحتمل أيضًا أن تكون على قول الخليل: خبرية في موضع رفع بالابتداء، ويكون الخبر: لَتُؤْمِنُنَّ به ولتنصُرُنّه، وإن كان الضميران عائدين على الرسول، لا على الذي، ولكن لما قال: رسول مُصَدِّقٌ لما معكم، ارتبط الكلام بعضه ببعض، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ، وله نظير في التنزيل منه قوله تعالى: ﴿والذين يُتَوَفَّوْن منكم﴾ [البقرة: ٢٣٤] خبره: يَتَربَّصْنَ بأنفسهن، ولم يعد على المبتدأ شيء، لتشَبُّث الكلام بعضه ببعض، وقد لاح لي بعد نظري الكتابَ أن الذي قاله الخليل وقول سِيبَوَيْه قَوْلٌ واحد، غير أنه قال: ودخول اللام على ما، كدخولها على إن، يعني: في الجزاء، ولم يرد أن يعمل ما جزاء، وإنما تكلم على اللام خاصّة والله أعلم.

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري في بدء الوحي (٣) ومسلم في الإيمان (٢٥٢) وأحمد (٦/ ١٥٣).

(٢) وانظر «ما منّ به الرحمن» للعكبري.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الملك بن عُبَيْد الله بن أبي سُفْيان بن العَلاَء ابن جارية الثَّقَفِيّ، وكان واعيةً، عن بعض أهل العلم:

أنّ رسول الله - ﷺ - حين أراده الله بكرامته، وابتدأه بالنبوّة، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى تَحسَّرَ عنه البيوتُ، ويُفضِي إلى شِعَاب مكة وبُطون أوْديتها، فلاَ يمرُّ رسول الله - ﷺ - بحجَر ولا شَجَر، إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. قال: فيلتفت رسولُ الله ﷺ حولَه، وعن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجَر والحِجارة. فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله، وهو بحراء في شهر رمضان[١].

النبوءة وأُولو العزم:

وذكر قول ابن إسحٰق: والنُّبُوءة أثقال ومُؤْنة لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهلُ القوة والعزم من الرّسُلِ، ووقع في رواية يونس عن ابن إسحٰق في هذا الموضع عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: سمعت وهب بن مُنَبِّهٍ وهو في مسجد مِنى - وذُكر له يونُس النبي - ﷺ - فقال: كان عبدًا صالحًا، وكان في خُلُقه ضيق، فلما حُمِلت عليه أثقالُ النُّبوءة، ولها أثقال تَفَسَّخَ تحتها تَفَسُّخ الرُّبَعِ[٢] تحت الحِمْل الثقيل، فألقاها عنه وخرج هاربًا، وفي رواية عن ابن إسحٰق: إن أُولي العَزم من الرُّسُل منهم: نوحٌ وهودٌ وإبراهيمُ أما نوحٌ فلقوله: ﴿يَا قَوْم إنْ كان كَبُر عليكم مَقَامي وتذكيري بآياتِ الله﴾ [يونس: ٧١] وأما هود فلقوله: ﴿إني أُشْهِد الله واشهدوا أنّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشركون﴾ [هود: ٥٤] وأما إبراهيم، فلقوله هو والذين معه: ﴿إنّا بُرَآءُ منكم ومِمَّا تَعْبدون من دون الله﴾ وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء[٣].

أول ما بُدِيء به النبي ﷺ من النبوءة:

فصل: وذكر ابن إسحٰق: ما بدىء به النبي - ﷺ - من النُّبُوءة، إذ كان لا يمرّ بحجر، ولا شجر إلا قال: السلامُ عليك يا رسول الله، وفي مصنّف التِّرمِذِي ومسلم أيضًا أن رسول الله - ﷺ - قال: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلّم عَليَّ قبل أن يُنَزّل عَلَيَّ»[٤]، وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجرَ الذي كان يُسَلِّم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم:

---

(١) أخرجه الطبري بنحوه في تاريخه (٥٢٩/١) من حديث برّة بنت أبي نجراة.

(٢) الرُّبَع: الفصيل.

(٣) والأشهر أن أُولي العزم هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(٤) «صحيح». أخرجه مسلم في الفضائل (٢) وأحمد (٨٩/٥) والدارمي (١٢/١).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني وَهب بنُ كَيسان، مولى آل الزبير. قال: سمعتُ عبد الله بن الزُّبير وهو يقول لعُبَيد بن عُمَير بن قتَادة الليثيّ: حدِّثْنا يا عُبيد، كيف كان بدءُ ما ابتُدىء به رسولُ الله ﷺ من النبوّة، حين جاءه جبريلُ عليه السلام؟ قال: فقال عبيدٌ ـ وأنا حاضرٌ يُحدّث عبدَ الله بن الزبير، ومَنْ عنده من الناس: كان رسول الله ﷺ يُجاور في حِرَاء من كلّ سنة شهرًا، وكان ذلك مما تَحَنَّثُ به قريشٌ في الجاهلية. والتَّحَنُّث: التَّبَرُّرُ.

قال ابن إسحٰق: وقال أبو طالب:

وثَـوْرٍ ومَـنْ أرْسَـى ثَـبِـيرًا مكـانَـه ... وراقٍ لـيَـرْقـى فـي حِـراءَ ونـازِلِ

قال ابن هشام: تقول العرب: التحنُّث والتحنُّف، يريدون الْحَنِيفية فيُبْدِلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جَدَفٌ وجَدَثٌ، يريدون القبر. قال رؤبة بن العَجَّاج[1]:

لـو كـان أحْـجَـاري مـع الأجْـدَاف

يريد: الأجداث: وهذا البيت في أُرجوزة له. وبيت أبي طالب في قصيدة له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

الأظهر فيه أن يكون حقيقةً، وأن يكون الله أنطقه إنطاقًا كما خلق الْحَنينَ في الْجِذْع، ولكن ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف: الحياةُ والعلمُ والإرادة، لأنه صوتٌ كسائِرِ الأصوات، والصوتُ: عَرَض في قول الأكثرين، ولم يخالف فيه إلا النَّظَّام، فإنه زعم أنه جِسْمٌ، وجعله الأشعريُّ اصْطِكاكًا في الجواهر بعضها لبعض، وقال أبو بكر بن الطيب: ليس الصوت نفسَ الاصطكاك، ولكنه معنًى زائد عليه، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا، ولو قَدَّرت الكلام صفةً قائمة بنفس الحَجَر والشَّجر، والصوتَ عبارة عنه، لم يكن بُدٌّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام، والله أعلم: أي ذلك كان، أكان كلامًا مقرونًا بحياة وعلم، فيكون الحجر به مؤمنًا، أو كان صوتًا مجرّدًا غير مقترن بحياة؟ وفي كِلا الوجهين هو عَلَمٌ من أعلام النُّبوءة، وأما حَنِين الجِذْع فقد سُمّي حنينًا، وحقيقة الحنِين يقتضي شرط الحياة، وقد يحتمل تسليمُ الحجارة أن يكون مضافًا في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن، يَعْمُرُونها، فيكون مجازًا من قوله تعالى: ﴿واسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ والأول أظهر، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها عَلَمٌ على نبوّته ـ عليه السلام ـ غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تَحدَّى به الخَلْقَ، فعجزوا عن معارضته.

---

(١) انظر ديوانه (ص ١٠٠).

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة أن العرب تقول: فُمَّ، في موضع: ثُمَّ، يبدلون الفاء من الثاء.

قال ابن إسحٰق: حدّثني وهب بنُ كَيْسان قال: قال عُبيد [بن عمير]: فكان رسول الله ﷺ يجاور ذات الشهر من كل سنةٍ، يطعِم مَنْ جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره، من شهره ذلك، كان أوّلَ ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبةُ،

مدلول تفعل:

وذكر حديث عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ أن رسول الله - ﷺ - كان يجاور بغار حِرَاء ويتحَنَّثُ فيه، قال: والتَّحَنُّثُ: التَّبَرُّرُ. تَفَعُّلٌ من الْبِرِّ، وتَفَعُّلٌ: يقتضي الدخول في الْفِعل، وهو الأكثر فيها مثل: تَفَقّه وتَعَبّد وتَنَسّك وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء واطِّراحه، كالتَّأَثُّم والتَّحَرُّج. والتَّحَنُّثُ بالثاء المثلثة، لأنه من الْحِنث، وهو الْحِمْل الثَّقِيلُ، وكذلك التَّقَذُّر، إنما هو تَبَاعُدٌ عن الْقَذَرِ، وأما التَّحَنُّفُ بالفاء، فهو من باب التَّبَرُّر؛ لأنه من الحنيفيَّة دين إبراهيم، وإن كان الفاء مُبْدَلَةً من الثَّاء، فهو من باب التَّقَذُّر والتأَثُّم، وهو قول ابن هِشَام، واحْتَجَّ بجَدَف وجَدَث، وأنشد قول رُؤْبَةَ: لو كان أَحْجَارِي مع الأَجْدَاف، وفي بيت رُؤْبَة هذا شاهدٌ وردٌّ على ابن جِنِّي حيث زعم في سِرِّ الصناعة أن جَدَف بالفاء لا يجمع على أجدَاف، واحتجّ بهذا لمذهبه في أن الثاء هي الأصل، وقول رُؤْبَة ردٌّ عليه، والذي نذهب إليه أن الفاءَ هي الأصل في هذا الحرف، لأنه من الْجَدْف وهو القَطْع، ومنه مِجْدَافُ السفينة، وفي حديث عمر في وصف الجنّ: شرابهم الْجَدَفُ وهي الرَّغْوَة، لأنها تُجْدَف عن الماء، وقيل: هي نبات يقطع ويؤكل. وقيل: كل إناء كشف عنه غطاؤه: جَدَفٌ، والْجَدَفُ: القبْر من هذا، فله مادة وأصل في الاشتقاق، فأجْدِر بأن تكون الفاءُ هي الأصل والثاء داخلة عليها.

حول مجاورته في حراء:

وقوله: يُجاور في حراء إلى آخر الكلام. الجِوار بالكسر في معنى المجاورة وهي الاعتكاف، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف إلا من وجه واحد، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد، والجِوارُ قد يكون خارجَ المسجد كذلك قال ابن عبد البرّ، ولذلك لم يُسَمَّ جوارُه بِحِراءَ اعتكافًا، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه من جبال الحرم، وهو الجبل الذي نادى رسولَ الله - ﷺ - حين قال له ثَبِيرٌ وهو على ظهره: اهبط عنّي؛ فإني أخاف أن تُقْتَل على ظهري فأعذَّب، فناداه حِراء: إليَّ إليَّ يا رسولَ الله[1].

---

(١) قصة من حاجة إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

قبل أن يدخل بيتَه، فيطوف بها سَبْعًا، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد اللَّهُ تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السَّنَة التي بعثه اللَّهُ تعالى فيها، وذلك، الشهر: شهر رمضان، خرج رسول الله ﷺ إلى حِراء، كما كان يخرج لجِواره ومعه أهلهُ، حتى إذا كانت اللَّيلةُ التي أكْرمه اللَّهُ فِيها برسالته ورَحِم العبادَ بها، جاءه جبريلُ عليه السلام بأمر الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «فجاءني جبريلُ، وأنا نائم،

كيفية الوحي:

فصل: وذكر نزول جبريل على رسول الله ـ ﷺ ـ قال: في الحديث: فأتاني وأنا نائم، وقال في آخره: فهببت من نومي، فكأنما كُتِبَتْ في قلبي كتابًا، وليس ذكرُ النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ، كان في اليقظة؛ لأنها قالت في أول الحديث: أول ما بُدىء به رسول الله ـ ﷺ ـ: الرؤيا الصادقة، كان لا يرى رؤيًا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح، ثم حَبَّبَ الله إليه الخَلاء ـ إلى قولها ـ حتى جاءه الحقُّ، وهو بغار حراء، فجاءه جبريلُ. فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي ـ عليه السلام ـ بالقرآن، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي ـ ﷺ ـ جاءه جبريلُ في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة تَوْطِئةً وتيسيرًا عليه ورفقًا به، لأن أمر النُّبوءة عظيم، وعِبْؤها ثقيل، والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإسْراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه، وقد ثبت بالطرق الصِّحاح عن عامر الشَّعبي أن رسول الله ـ ﷺ ـ وكّل به إسرافيلُ، فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكّل به جبريلُ فجاءه بالقرآن والوحي[1]، فعلى هذا كان نزولُ الوحي عليه ـ ﷺ ـ في أحوال مختلفة، فمنها: النوم كما في حديث ابن إسحٰق، وكما قالت عائشة أيضًا: أول ما بدىء به رسول الله ـ ﷺ ـ: الرؤيا الصادقة[2] وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إني أرى في المنام أني أذْبَحُك فانْظُرْ ماذَا تَرى﴾ فقال له ابنه: ﴿افعَلْ ما تُؤمَر﴾ [الصافات: ١٠٢]، فدلّ على أن الوحي كان يأتيهم في المنام، كما يأتيهم في اليقظة.

ومنها: أن يُنفثَ في رُوعه الكلام نَفْثًا، كما قال عليه السلام: إن رُوح القُدُس نَفَث في رُوعِي أن نفسًا لن تموتَ، حتى تَستكملَ أجَلَهَا ورزقَها، فاتقوا الله وأجْمِلوا في الطلب[3]

---

(١) بل الذي وكّل به من البداية هو جبريل عليه السلام كما صرّح بذلك القرآن وجاءت به السُّنّة الصحيحة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «صحيح». أخرجه البغوي في شرح السُّنّة (١٤/ ٣٠٤) وفي مسند الشهاب (١١٥١/ ١١٥٢) وابن عبد البرّ في التمهيد (١/ ٢٨٤).

وقال مجاهد، وأكثر المفسرين في قوله سبحانه: ﴿وما كان لبشَرٍ أن يُكلِّمَهُ الله إلا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]. قال هو أن ينفُثَ في رُوعه بالوحي.

ومنها: أن يأتيه الوحي في مثل صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وهو أشدُّه عليه، وقيل: إن ذلك لِيَسْتَجْمِعَ قلبه عند تلك الصلصلة، فيكون أوعى لما يسمع، وألْقَنَ لما يلقى.

ومنها: أن يتمثل له الملكُ رجلاً، فقد كان يأتيه في صورة دِحْية بن خليفة، ويُروى أن دِحْية إذا قَدِمَ المدينة لم تبق مُعْصِرٌ[1] إلاَّ خرجت تنظر إليه لفرط جَمَاله. وقال ابن سلام في قوله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارةً أو لَهْوًا﴾ [الجمعة: ١١]. قال: كان اللهو نظَرَهم إلى وجه دِحْيةَ لجماله[2].

ومنها: أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها، له ستمائة جناح، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوتُ.

ومنها: أن يكلِّمه الله من وراء حجابٍ: إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء، وإمَّا في النوم، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي، قال: أتاني ربِّي في أحسن صورة، فقال: فِيمَ يختصم الملأ الأعلى، فقلت: لا أدري. فوضع كفَّه بين كتفيَّ، فوجدت بَرْدَها بين ثُنْدُوَتَيَّ[3] وتجلى لي علم كل شيء، وقال: يا محمد، فِيمَ يختصم الْمَلأُ الأعلى، فقلت: في الكفَّارات، فقال: وما هُنَّ!؟ فقلت: الوضوءُ عند الْكريهات، ونَقْل الأقدام إلى الحسنات، وانتظار الصلوات بعد الصلوات، فمَن فعل ذلك عاش حَميدًا، ومات حَميدًا، وكان من ذنبه كَمَنْ ولدته أُمُّه، وذكر الحديث[4]. فهذه ستة أحوال، وحالة سابعة قد قدّمنا ذكرَها، وهي نزول إسرافيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل فهذه سبعُ صور في كيفية نزول الوحي على محمد - ﷺ - لم أرَ أحدًا جمعها كهذا الجَمْع، وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غُنْيَة، وقد أملينا أيضًا في حقيقة رؤيته عليه السلام ربَّه في المنام على أحسن صورة، ويُروَى: على صورة شاب مسألةً بديعةً كاشفة لقناع اللَّبْس، فلتُنْظر هنالك.

---

(١) المعصر: المرأة الشابة.

(٢) أحد التفاسير.

(٣) ثندوتي: لحمة الثدي.

(٤) «حسن». أخرجه الترمذي (٣٢٣٤) وأحمد (١/٣٦٨) والطبراني (٨/٣٤٩) والطبري في تفسيره (٧/١٩٢) وابن أبي عاصم في السُّنّة (١/٢٠٤).

بنَمَط من دِيبَاجٍ فيه كتابٌ، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغَتَّني به، حتى ظننتُ

من تفسير حديث الوحي:

فصل: وذكر في الحديث أن جبريل أتاه بِنَمَطٍ[1] من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ، قال بعض المفسرين في قوله: ﴿آلَم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ إنها إشارة إلى الكتابِ الذي جاءه به جِبْريلُ حين قال: اقرأ، وفي الآية أقوال غير هذه، منها: أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه: آلَم؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله، فهي كالترجمة له.

معنى اقرأ باسم ربك:

وقوله: ما أنا بقارىء، أي: إني أُمّيٌّ، فلا أقرأ الكتب، قالها ثلاثًا فقيل له: اقرأ باسم ربك، أي: إنك لا تقرؤه بِحَوْلِكَ، ولا بصفة نفسك، ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ مفتتحًا باسم ربك مستعينًا به، فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك عَلَقَ الدم، ومَغْمَزَ الشيطان بعدما خلقه فيك، كما خلقه في كل إنسانٍ[2]. والآيتان المتقدمتان لمحمد، والآخرتان: لأُمته، وهما قوله تعالى: ﴿الذي علَّم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلَمْ﴾ لأنها كانت أُمَّةً أُمّيَّةً لا تكتب، فصاروا أهل كتابٍ، وأصحابَ قلمٍ، فتعلّموا القرآن بالقلم، وتعلّمه نبيُّهم تلقينًا من جبريل نزّله على قلبه بإذن الله، ليكون من المرسلين.

حول بسم الله:

فصل: وفي قوله: اقرأ باسم ربك من الفقه: وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم، غير أنه أمْرٌ مُبْهَم لم يبين له بأيّ اسم من أسماء ربّه يفتتح، حتى جاء البيان بعدُ في قوله: ﴿بسم الله مَجْرِيها﴾ [هود: ٤١] ثم قوله تعالى: ﴿وإنه بِسْم الله الرحمن الرحيم﴾ [النمل: ٣٠]. ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة، وقد ثبتت في سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك، وما ذكره البخاري من مصحف الحسن البصري، فشذوذ، فهي على هذا من القرآن، إذ لا يكتب في المصحف ما ليس بقرآن، ولا يلتزم قول الشافعي أنها آية من كل سورة، ولا أنها آية من الفاتحة، بل نقول: إنها آية من كتاب الله تعالى، مقترنة مع السورة، وهو قول داود وأبي حنيفة، وهو

---

(١) نمط: وعاء.

(٢) قلت: وفيه أيضًا أي أقرأ الكتاب وهذا القرآن باسم الذي أنزله ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وأنت تعرف يا محمد مَن هو ربك إنه ﴿ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق﴾ واعلم يا محمد أن ﴿ربك هو الأكرم الذي علَّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ وها هو تعالى يمُنّ عليك بهذا القرآن ويعلّمك إياه من طريق جبريل القوي الأمين. والله أعلى وأعلم.

أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغَتّني به، حتى ظننت أنه الموت. ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ماذا أقرأ؟ قال: فغتّني به، حتى ظننتُ أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿اقرأ باسْم رَبِّك الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرأ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بالقَلمِ عَلَّمَ الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾: قال: فقرأتها، ثم انتهى، فانصرف عني، وهببتُ من نومي، فكأنما كُتِبتْ في قلبي كتابًا. قال: فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وسط من الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله، وأنا

قول بيِّن القوة لمَن أنصف، وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبَّحت الجبال، فقالت قريش: سَحَرَ محمد الجبال ذكره النقاش[1]، وإن صحّ ما ذكره، فلمعنًى مَّا سبَّحت عند نزولها خاصة، وذلك أنها آية أُنزلت على آل داود، وقد كانت الجبال تسبِّح مع داود، كما قال الله تعالى: ﴿إنَّا سخَّرنا الجبالَ معه يُسَبِّحْن بالعَشِيِّ والإشراق﴾ [صَ: ١٨] وقال: ﴿إنه من سُلَيْمانَ وإنه بِسْم الله الرحمن الرحيم﴾ [النمل: ٣٠][2].

وفي الحديث ذكر نَمَطَ الديباج من الكتاب، وفيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكِتابَ يفتح على أُمَّته مُلك الأعاجم، ويسلبونهم الديباجَ والحرير الذي كان زِيَّهم وزينَتهم، وبه أيضًا ينال ملكُ الآخرة ولباسُ الجنة وهو الحرير والديباج، وفي سِيَر موسى بن عقبة، وسِيَر سليمان بن المعتمر زيادة، وهو أن جبريلَ أتاه بُدرْنُوكٍ[3] من ديباج مَنسوج بالدُّر والياقوت، فأجلسه عليه، غير أن موسى بن عقبة قال: ببساط، ولم يقل: دُرْنُوك، وقال في سِيَر ابن المعتمر: إن الله تعالى أنزل عليه: ﴿أَلَمْ نَشْرَح لك صَدْرَكَ﴾ الآيات، كأنه يشير به، فمسح جبريلُ صدره، وقال: اللَّهمَّ اشرحْ صدرَه، وارفع ذكره، وضع عنه وِزْرَه، ويصحّح ما رواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ الآيات، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذي كان من جبريل، والله أعلم.

الغــط:

وقوله في الحديث: فغطّني، ويُروَى: فَسَأَبَني، ويُروى: سَأَتَني، وأحسبه أيضًا يُروى: فَذَعَتَني وكلها بمعنى واحد، وهو الخَنْق والغَمّ، ومن الذَّعْتِ حديثه الآخر: أن الشيطانَ عرض له، وهو يصلّي قال: فَذَعَتُّه، حتى وجدت بَرْدَ لِسانه على يدي، ثم ذكرت قول أخي

---

(١) قوله: «وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبّحت الجبال فقالت قريش: سحر محمد الجبال». قول في حاجة إلى دليل صحيح يعتضده.

(٢) تأويل بعيد.

(٣) الدرنوك: ضرب من البُسط.

....

سليمان: «رَبِّ هَبْ لي مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بَعْدِي» الحديث[1]، وكان في ذلك إظهارٌ للشدّة والجِد في الأمر، وأن يأخذ الكتابَ بقوة، ويترك الأناةَ فإنه أمر ليس بالْهُوَيْنَى، وقد انتزع بعضُ التابعين وهو شُرَيْحٌ القاضي من هذا: ألاّ يُضرَب الصبي على القرآن إلا ثلاثًا كما غَطَّ جبريلُ عليه السلام محمدًا ـ ﷺ ـ ثلاثًا، وعلى رواية ابن إسحٰق أن ذلك في نومه[2] كان، يكون في تلك الغَطَّات الثلاث من التأويل ثلاثُ شدائد، يُبْتلى بها أولاً، ثم يأتي الفرج والرَّوْح، وكذلك كان لَقِيَ هو وأصحابه، شدةً من الجوع في شِعْب الخِيف، حين تعاقدت قريش ألاّ يبيعوا منهم، ولا يتركوا مِيرَةً تصل إليهم، وشدةً أخرى من الخوف والإيعاد بالقتل، وشدةً أخرى من الإجلاء عن أحبِّ الأوطان إليه، ثم كانت العاقبة للمتقين، والحمد لله ربّ العالمين.

ما أنا بقارىء:

وقوله في حديث ابن إسحٰق: اقرأ، قال: ما أقرأ، يحتمل أن تكون ما استفهامًا، يريد: أيّ شيء أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفيًا، ورواية البخاري ومسلم تدلّ على أنه أراد النفي، أي: ما أُحسِن أن أقرأ، كما تقدم من قوله: ما أنا بقارىءٍ[3].

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١/ ١٢٤) ومسلم في المساجد (٣٩) وأحمد (٢/ ٢٩٨) وأبو عوانة (٢/ ١٤٤) والبغوي في شرح السُّنّة (٣/ ٢٩٩).

(٢) بل في اليقظة كما جاءت الرواية في الصحيحين وغيرهما.

(٣) قلت: ويلحظ أن قوله ﷺ: «ما أنا بقارىء» جاء بصيغة اسم الفاعل: أي أنه ليس من صفاتي القراءة. كما في قوله تعالى حكاية عن الشيطان قوله يوم القيامة: «وما أنا بمصرخكم» أي ليس من صفاتي أن أغيثكم أو أساعدكم، وكما في قوله تعالى عن السّحرة: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ فليس من صفاتهم الضرّ، إنما هو بإذن الله تعالى، وكما نفى أخوة يوسف عن أنفسهم تهمة السرقة فلم يقولوا وما نحن بالذين يسرقون، ولكنهم قالوا: ﴿وما نحن بسارقين﴾ أي إننا لم نسرق بالأمس ولن نسرق اليوم ولن نكون سارقين غدًا ﴿فما نحن بسارقين﴾ فنفوا تهمة السرقة عنهم بصيغة اسم الفاعل، وهكذا النبي محمد ﷺ لما لم يكن قد قرأ بالأمس ولم يكن وعدًا للقراءة اليوم أو غدًا لفقده مقوّمات القراءة قال: «ما أنا بقارىء»، فلذلك قال له جبريل عليه السلام ﴿اقرأ﴾ ولكن ليس بقوتك أنت ولا بصفاتك وإعدادك ولكن ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾. فقرأ ـ ﷺ ـ.

جبريل. قال: فرفعت رأسي إلى السماء أنظرُ، فإذا جبريلُ في صورة رجل صافٌ قَدَمَيْهِ في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسولُ الله وأنا جبريل. قال: فوقفت أنظر إليه فما أتقدّم وما أتأخّرُ، وجعلت أصْرِف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتُه كذلك، فما زلتُ واقفًا ما أتقدّم أمامي، وما أرجع ورائي، حتى بَعثتْ خديجةُ رُسلَها في طلبي، فبلغوا أعْلى مكة، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني.

وانصرفتُ راجعًا إلى أهلي، حتى أتيت خديجةَ، فجلست إلى فخذها مُضيفًا إليها، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنتَ؟ فوالله لقد بعثتُ رُسُلي في طلبك، حتى بلغوا مكة ورجعوا لي، ثم حدّثتها بالذي رأيتُ، فقالت: أبشر يا بنَ عمِّ واثبُتْ فوالذي نفسُ خديجةَ بيَدِهِ إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمّة.

رؤية جبريل ومعنى اسمه:

وذكر رؤيتَه لجبريل، وهو صَافٌّ قدميه، وفي حديث جابر أنه رآه على رَفْرَفٍ[١] بين السماء والأرض، ويُروى: على عرش بين السماء والأرض، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فَتَرَ عنه الوحي، كان يأتي شواهق الجبال يهمّ بأن يُلقي نفسه منها، فكان جبريل يَتَراءَى له بين السماء والأرض، يقول له: أنت رسول الله، وأنا جبريل[٢]. واسم جبريل سُرْياني، ومعناه: عبد الرحمن، أو عبد العزيز. هكذا جاء عن ابن عباس موقوفًا ومرفوعًا أيضًا، والوقف أصله. وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله، وهو: إيل، وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة، وكذلك الإضافة في كلام العجم، يقولون في غلام زيدٍ: زيد غلام، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد، ويكون أولُ الاسم عبارةً عن اسم من أسماء الله تعالى، ألا ترى كيف قال في حديث ابن عباس: جبريل وميكائيل، كما تقول: عبد الله وعبد الرحمن، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد، والأسماء ألفاظها مختلفة.

حول معنى إل وخرافة الرهبان:

وأما إلٌّ بالتشديد من قوله تعالى: ﴿إلاًّ ولا ذِمَّة﴾ [التوبة: ١٠] فَحَذَارِ حَذار من أن تقول فيه: هو اسم الله، فتسمى الله باسم لم يُسَمِّ به نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى

---

(١) الرفرف: ضرب من البساط. والحديث أخرجه الترمذي في التفسيرة سورة (٥٣) وأحمد في مسنده (١/ ٣٩٤/ ٤١٨/ ٤٤٤). وانظر البخاري في التفسير سورة رقم (٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في التعبير حديث رقم (٩٩٨٢) وهو في ثنايا حديث بدء الوحي السابق.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابَها، ثم انطلقت إلى ورَقَة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصَّر، وقرأ الكتبَ، وسَمِع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرتْه بما أخبرها به رسولُ الله ﷺ، أنه رأى وسمع، فقال ورقةُ بن نوفَل: قُدُّوس قُدُّوس، والذي نفس ورقةَ بيده، لئن كنتِ صَدقْتِيني يا خديجةُ لقد جاءه النامُوسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسَى، وإنه لنبيُّ هذه الأمة، فقولي له: فليثبُتْ. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته بقول ورَقة بن نوفل، فلما قضى رسول الله ﷺ جِوارَه وانصرف، صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة، فطاف بها، فلَقيه ورقةُ بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا بن أخي أخْبرني بما رأيتَ وسمعتَ،

معرفة، و«إلّ» نكرة، وحاشا لله أن يكون اسمه نكرة[1]، وإنما الألُّ كل ما له حُرْمة وحق، فَمِمَّا له حق ويجب تعظيمه: القرابة والرَّحِمُ والجوار والعهد، وهو من ألَلت: إذا اجتهدت في الشيء وحافظت عليه، ولم تضيعه، ومنه: الألُّ في السير وهو الجِد، ومنه قول الكُمَيت [يصف رجُلاً]:

وأنتَ ما أنت في غَبْراءَ مُجْدِبةٍ ... إذا دَعَتْ أَلَلَيْهَا الكاعبُ الْفُضُل

يريد: اجتهدت في الدعاء، وإذا كان الألُّ بالفتح المصدرَ، فالإلُّ بالكسر: الاسم كالذِّبح في الذَّبح، فهو إذًا الشيءُ المحافَظ عليه، وقول الصِّدِّيق: [عن كلام مُسَيْلِمَةَ]: هذا كلام لم يخرج من إلّ ولا برّ، أي: لم يصدر عن ربوبية، لأن الرُّبوبية حقُّها واجبٌ مُعظَّمٌ، وكذلك فسَّره أبو عُبَيْد، واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه، وإن كان أعجميًّا، فإن الجبرَ هو إصلاح ما وهَى، وجبريل موكل بالوحي، وفي الوحي إصلاح ما فسد، وجَبْر ما وَهَى من الدين، ولم يكن معروفًا بمَكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبيُّ ﷺ خديجة به انطلقت تسأل مَنْ عنده علمٌ من الكتاب كعَدَّاس ونَسْطُور الراهِب، فقال لها: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ! أنّى لهذا الاسم أن يُذكر في هذه البلاد، وقد قدّمنا هذا الخبرَ عنها، وهو في سِيَرِ التَّيْمِي لما ذكرناه قبل، وفي كتاب الْمُعَيْطِي عن أشهب قال: سُئِلَ مالك عن التسَمِّي بجبريل أو مَن يُسَمِّي به ولدَه، فكره ذلك، ولم يعجبه.

---

(١) بل من أسمائه تعالى أنه «أحد» كما في سورة الإخلاص﴿قل هو الله أحد﴾ ولكن هذا الاسم إذا أطلق في حال الإثبات فإنما يختص بالله عزّ وجل وحده، ألا ترى لما قال بلال رضي الله عنه وهو يُعذّب: «أحدٌ أحدٌ» فهم الكفار أنه يعني - يعني - الله تعالى - وأما إذا جاء هذا الاسم أو هذه اللفظة في النفي أو الإضافة فهي تعمّ وتشمل كما في نهاية السورة نفسها، وفي حال الإضافة كقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ وكقوله تعالى: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾. انظر للمحقّق القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى.

فأخبره رسولُ الله ﷺ، فقال له ورقةُ: والذي نفسي بيده، إنك لنبيّ هذه الأمة، ولقد جاءك النّاموسُ الأكبرُ الذي جاء موسى، وَلتُكذِّبَنَّهْ ولتُؤذَيَنَّهْ، ولتُخْرجَنَّهْ، ولَتُقَاتَلَنْهْ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليوم لأَنْصُرَنَّ الله نصرًا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه، فقبّل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني إسماعيل بن أبي حَكيم مولى آل الزبير: أنه حُدِّث[2] عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: أي ابْنَ عمّ، أتستطيع أن تُخْبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: «نعم». قالت: فإذا جاءك فأَخْبرني به. فجاءه جبريلُ عليه السلام، كما كان يصنع، فقال رسولُ الله ﷺ لخديجة: «يا خديجة، هذا جبريلُ قد جاءني»، قالت: قم يا بن عمّ فاجلس على فخذي اليسرى، قال: فقام رسول الله - ﷺ - فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، قالت: فتحوّلْ، فاجلس على فخذي اليمنى، قالت فتحوّل رسول الله ﷺ، فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، قالت: فتحول فاجلس في حجري، قالت: فتحول رسول الله - ﷺ - فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، قال: فَتَحسَّرت وألقت خِمارها - ورسول الله ﷺ جالس في حِجرها -، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: «لا»، قالت: يا بن عمّ، اثْبُتْ وأبْشِر، فوالله إنّه لَمَلَكٌ وما هذا بشيطان.

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثتُ عبدَ الله بن حسن هذا الحديث، فقال: قد سمعتُ أُمي فاطمة بنت حُسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أني سمعتها تقول: أدخلتْ رسول الله ﷺ بينها وبين درْعها، فذهب عند ذلك جبريلُ، فقالت لرسول الله ﷺ: إن هذا لَمَلَكٌ، وما هو بشيطان.

معنى الناموس:

وقول ورقة: لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسى. الناموس: صاحب سِرّ الْمَلِكِ، قال بعضُهم: هو صاحبُ سِرّ الخيْر، والجاسوسُ: هو صاحبُ سرّ الشرّ، وقد فسّره أبو عبيد وأنشد:

فـأبْـلـغ يَـزيـدَ إنْ عَـرَضْـتَ ومُـنْـذِرًا ... عَـمَّـهُـمَـا والْـمُـسْـتَـشِـزَّ الْـمُـنَـامِـسَـا[3]

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٣٧) ومسلم (١/ ١٣٩) وأحمد (٦/ ٢٣٢/ ٢٣٣) مع اختلاف يسير.
(٢) فيه انقطاع.
(٣) المنامس: أي الداخل في الناموس. والبيت للكميت كما في اللسان (٦/ ٢٤٤).

....

لِمَ ذكر موسى ولم يذكر عيسى:

وإنما ذكر ورقةُ موسى ولم يذكر عيسى، وهو أقرب، لأن وَرَقَةَ كان قد تنصَّر، والنصارى لا يقولون في عيسى: إنه نبيٌّ يأتيه جبريلُ، إنما يقولون فيه: إن أُقْنُومًا[1] من الأَقَانيم الثلاثة اللاَّهُوتيَّة حلّ بناسُوتِ[2] الْمَسيح، واتَّحَدَ به على اختلافِ بينهم في ذلك الحلول، وهو أُقنومُ الكلمة، والكَلِمةُ عندهم: عبارةٌ عن العِلم، فلذلك كان المسيحُ عندهم، يعلم الغيب، ويخبر بما في غد، فلما كان هذا من مذهب النصارى الْكَذَبة على الله، المدّعين المحال، عدل عن ذكر عيسى إلى ذكر موسى لعلمه، أو لاعتقاده أن جبريلَ كان ينزل على موسى، لكن وَرَقَةَ قد ثبت إيمانُه بمحمد عليه السلامُ[3] وقد قدّمنا حديث الترمذي أن رسول الله ـ ﷺ ـ رآه في المنام، وعليه ثياب بيضٌ إلى آخر الحديث[4].

حول هاء السكت والفعل تدرك:

وقول ورقة: لتُكَذِّبَنَّهْ، وَلَتُؤْذَيَنَّهْ، ولا يُنطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت، وليست بهاء إضمار. وقوله: إن أُدركْ ذلك اليوم أنصرْكَ نصرًا مُؤَزَّرًا، وقال في الحديث: إن يُدْركني يومُك وهو القياسُ، لأن ورقةَ سابقٌ بالوجودِ، والسابقُ هو الذي يُدْركه مَن يأتي بعدَه، كما جاء في الحديث: أشقى الناس مَن أدركته الساعة وهو حيّ، ورواية ابن إسحٰق أيضًا لها وَجْهٌ، لأن المعنى: أترى ذلك اليوم، فسمَّى رؤيتَه إدراكًا، وفي التنزيل: ﴿لا تُدْرِكُه الأبصارُ﴾[5] أي: لا تراه على أحد القولين. وقوله: مُؤَزَّرًا من الأزْر وهو القوة والعون.

شرح: أو مخرجي؟

فصل: وفي حديث البخاري أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لورقةَ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هم. لا بُدَّ من تشديد الياء في مخرجي، لأنه جمع، والأصل مُخْرجُويَ فأُدْغمت الواوُ في الياء وهو خبر ابتداء مقدَّم، ولو كان المبتدأ اسمًا ظاهر الجاز تخفيفُ الياء، ويكون الاسمُ الظاهرُ فاعلاً لا مبتدأ، كما تقول: أضارب قومُك، أخارجٌ إخوتُك فَتُفرِد، لأنك رفعت به فاعلاً، وهو حَسَنٌ في مذهب سيبويه والأخفش، ولولا الاستفهام ما جاز الإفراد إلا على مذهب الأخفش، فإنه يقول: قائم الزيدون دون استفهام، فإن كان الاسم المبتدأ من المُضْمَرات نحو: أخارجٌ أنت،

(١) أقنومًا: أي أصل من الأصول الثلاثة.
(٢) أي بجسد المسيح عليه السلام.
(٣) لم يثبت هذا.
(٤) تقدم تخريجه وبيان ضعفه.
(٥) سورة الأنعام آية رقم (١٠٣).

....

وأقائم هو؟ لم يصحّ فيه إلا الابتداء، لأن الفاعلَ إذا كان مُضْمَرًا لم يكن منفصلاً لا تقول: قام أنا، ولا ذهب أنت وكذلك لا تقول: أذاهب أنت على حدّ الفاعل ولكن على المبتدأ، وإذا كان على حَدّ المبتدأ، فلا بدّ من جمع الخبر، فعلى هذا تقول: أَمُخْرِجِيَّ هم، تريد: مخرجون، ثم أضف إلى الياء، وحذف النون، وأدغمت الواو كما يقتضي القياس.

حول اليافوخ والذهاب إلى ورقة:

فصل: وذكر أن ورقة بن نوفل لَقِيَ النبي عليه السلام، فقبّل يافُوخَه قد تقدّم ذكر اليافوخ، وأنه يَفْعُول مهموز، وأنه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يشْتَدَّ وإنما يقال له: الغاذية، وذكرنا قول العجاج:

ضَربٌ إذا أصاب اليآفيخ حَفَر. ولو كان يافوخ فَاعُولاً، كما ظن بعضهم لم يجز همزةُ في الواحد. ولا في الجمع وفي رواية يونس عن ابن إسحٰق بسنده إلى أبي مَيْسرةَ عمرو بن شُرَحْبِيل أن رسول الله ﷺ. قال لخديجة: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً، وقد خشيتُ والله أن يكونَ لهذا أمرٌ». قالت: مَعَاذَ اللَّهِ ما كان الله ليفعلَ ذلك بك. فوالله إنك لتؤدّي الأمانة وتصل الرحمَ. وتَصْدُقُ الحديث، فلما دخل أبو بكر، وليس [عندها] رسول الله - ﷺ - ثم ذكرت خديجةُ له ذلك، فقالت: يا عَتيقُ اذهبْ مع محمد إلى وَرقَةَ، فلما دخل رسول الله - ﷺ - أخذ أبو بكر بيده. فقال: انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل. فقال: «ومَن أخبرك»؟ قال: خديجة، فانطلقا إليه، فقَصَّا عليه، فقال: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي: يا محمد يا محمد، فأنطلقُ هاربًا في الأرض». فقال له: لا تفعل، إذا أتاك فاثبُت، حتى تسمع ما يقول لك. ثم ائتِني، فأخبرني، فلما خلا ناداه: يا محمد قل: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين. حتى بلغ: ولا الضالّين. قل: لا إلٰه إلا الله. فأتى ورقةَ، فذكر ذلك له، فقال له ورقة: أَبْشِر، ثم أَبْشِر فأنا أشهد أنك الذي بشّر به ابنُ مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل، وأنك ستُؤمَر بالجهاد بعد يومك هذا. ولئن أدركني ذلك لأجاهدَنَّ معك. فلما تُوفِّيَ ورقةُ قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت القَسّ في الجنة، وعليه ثياب الحرير، لأنه آمن بي وصدّقني»[1]، يعني: وَرَقَة، وفي رواية

(١) تقدم تخريجه وبيان ضعفه، والذي ذهب مع النبي ﷺ إنما هي خديجة رضي الله عنها وأرضاه كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، ولا صحة لزعمه أن الذي ذهب معه هو أبو بكر، وإلا ما الحاجة إلى عرض الإسلام عليه مرة أخرى وتأخر إسلامه إن كان شهد ما دار مع ورقة.

....

يونسٍ أيضًا أنه عليه السلام قال لرجل سَبَّ ورقة: أما عَلِمْتَ أني رأيت لورقة جَنَّةً أو جنتين، وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار[١].

لقد خشيت على نفسي:

فصل: وفي الصحيح أنه قال لخديجة: لقد خشيت على نفسي، وتكلم العلماء في معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة، فذهب أبو بكر الإسماعيلي[٢] إلى أن هذه الخشيةَ كانت منه قبل أن يحصل له العلمُ بأن الذي جاءه مَلَك من عند الله، وكان أشقّ شيء عليه أن يقال عنه: مجنون، ولم يرَ الإسماعيلي أن هذا مُحال في مبدإ الأمر؛ لأن العلمَ الضروري قد لا يحصل دفعة واحدة، وضرب مثلاً بالبيت من الشعر تسمع أوله، فلا تدري أنَظْمٌ هو أم نثر، فإذا استمر الإنشاد، علمت قطعًا أنه قُصِد به قَصْد الشعر، كذلك لما استمر الوحيُ واقترنت به القرائن المقتضية للعلم القطعي، حصل العلم القَطْعِيّ، وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال: ﴿آمن الرسولُ بما أُنزِل إليه من ربه والمؤمنون﴾ إلى قوله: ﴿وملائكته وكتبِه ورُسُله﴾ فإيمانه بالله وبملائكته إيمان كسْبِيٌّ موعود عليه بالثوابِ الجزيل، كما وعد على سائر أفعاله الْمُكتَسَبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح، وقد قِيل في قوله: «لقد خشيت على نفسي»، أي: خشيت ألاّ أنهض بأعباء النبوّة، وأن أضعف عنها، ثم أزال الله خشيته، ورَزَقه الأيْدَ والقوة والثبات والعصمة، وقد قيل: إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه، ولا غَرْوَ، فإنه بشر يَخْشى من القتل والإذاية الشديدة ما يخشاه البشر، ثم يُهوّن عليه الصبرُ في ذات الله كلَّ خشية، ويجلب إلى قلبه كلَّ شجاعة وقوة، وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه، رغبت عن التطويل بذكرها[٣].

---

(١) «ضعيف» وأخرجه الحاكم (٣/ ١٣٤).
(٢) هو: أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني ـ أحد الحفّاظ المحدّثين ـ توفي سنة ٣٧١هـ.
(٣) انظر فتح الباري (١/ ٢٧).

ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحٰق: فابتُدِيء رسولُ الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان، بقول الله عزّ وجلّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرآن هُدًى للنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى والفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال الله تعالى: ﴿إنَّا أنزَلْناهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ ومَا أدْرَاكَ ما ليْلَةُ القَدْر لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ ألفِ شَهْرٍ تنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بإذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أمْرٍ سَلامٌ هِيَ حتى مَطْلَعِ الفَجْرِ﴾ القدر. وقال الله تعالى: ﴿حَم والكِتابِ المُبِين إنَّا أنْزَلْناهُ فِي لَيْلةٍ مُبارَكَةٍ إنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيم أمْرًا مِنْ عِنْدِنا إنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ١ ـ ٥]. وقال تعالى: ﴿إنْ آمَنتُمْ باللَّهِ وما أنْزَلْنا على عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ﴾ [الأنفال: ٤١]. وذلك مُلْتقى رسول الله ﷺ والمُشركين ببدر.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبو جَعْفَر محمد بن عليّ بن حُسَين: أنَّ رسول الله ﷺ، التقى هو والمُشركون ببدْر يومَ الجمعة. صبيحَة سَبْعَ عَشْرَةَ من رمضان.

متى نزل القرآن؟

فصل: وذكر قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنزِل فيه القرآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. إلى آخر الآية، مستشهدًا بذلك على أن القرآن أُنزل في شهر رمضان، وفي ليلة القدر من رمضان، وهذا يحمل تأويلين: أحدهما: أن يكون أراد بدء النزول وأوله؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان وغيره، والثاني: ما قاله ابن عباس: أنه نزلَ جملة واحدة إلى سماء الدنيا، فجُعل في بيت العزَّةِ مَكْنونًا في الصحف المكرَّمة، المرفوعة الْمُطَهَّرة، ثم نزلت منه الآية بعد الآية، والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين، والنوازل الحادثة إلى أن توفي ـ ﷺ ـ وهذا التأويل أشبه بالظاهر، وأصح في النقل والله أعلم[1].

(١) وهو الأرجح والأشهر. والله أعلى وأعلم.

قال ابن إسحٰق: ثم تَتَامّ الوحيُ إلى رسول الله ﷺ. وهو مؤمنٌ بالله مُصَدّق بما جاءه منه، قد قبلَه بقَبوله، وتحمَّل منه ما حُمِّلَه على رضا العباد وسَخَطهم، والنبوّةُ أثقال ومُؤْنة، لا يحملها، ولا يستطيع بها إلا أهل القوّة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يَلْقَوْن من الناس، وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى.

قال: فمضى رسولُ الله ﷺ على أمْرِ الله، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى.

حول إضافة شهر إلى رمضان:

فصل: وفي قوله تعالى: ﴿شهر رمضان﴾ فذكر الشهر مضافًا إلى رمضان، واختار الكتاب والموثقون النطق به بهذا اللفظ دون أن يقولوا: كتب في رمضان، وترجم البخاري والنَّسَوِيُّ[1] على جواز اللفظين جميعًا وأوردا حديث رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَن صام رمضان، وإذا جاء رمضان»، ولم يقل: شهر رمضان، وقد بيّنت أن لكل مقام مقامه، ولا بدّ من ذكر شهر في مقام، ومن حذفه في مقام آخر، والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن، والحكمة أيضًا في حذفه إذا حذف من اللفظ، وأين يصلح الحذف، ويكون أبلغ من الذكر، كل هذا مبين في كتاب «نتائج الفكر»[2]، فهناك أوردنا فيه فوائد تعجز عنها هِمَم أهل هذا العصر. أدناها تساوي رِحْلة عند مَن عرف قدرها، غير أنّا نشير إلى بعضها، فنقول: قال سيبويه: ومما لا يكون العمل إلا فيه كله: المحرم وصفر، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله، وذلك إذا قلت: الأحد أو الاثنين، فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفًا، ولم يجرِ مجرى المفعولات، وزال العموم من اللفظ، لأنك تريد: في الشهر وفي اليوم، ولذلك قال عليه السلام: مَن صام رمضان، ولم يقل شهر رمضان؛ ليكون العمل فيه كله، وهذه إشارة إلى بعض تلك الفوائد التي أحكمناها في غير هذا الكتاب.

حبّ الرسول «ﷺ»[3] وطنه:

بقية من حديث ورقة، وذلك أنه قال لرسول الله ﷺ: لتُكَذَّبَنَّهْ، فلم يقل له النبي ﷺ شيئًا، ثم قال: وَلَتُؤْذَيَنَّهْ، فلم يقل له شيئًا، ثم قال: ولَتُخْرَجَنَّهْ، فقال: «أو مُخرِجِيَّ هم»؟ ففي هذا دليل على حبّ الوطن وشدة مفارقته على النفس، وأيضًا فإنه حرَم الله وجوار بيته،

---

(١) هو: أبو العباس الحسين بن سفيان النسوي. له مسند النسوي.

(٢) مطبوع بعنوان «أمالي السهيلي» مطبعة دار السعادة. انظر ص (٦٣).

(٣) بالمطبوع بدلاً من «ﷺ»: «ص» وهو اختصار لـ «ﷺ» وهو اختصار سخيف باستعمالهم أيضًا «صلعم» وما هي إلا فكرة أختها يهودية أو نصرانية أو علمانية كما مرّ. فانتبه.

إسلام خديجة بنت خويلد

وآمنت به خديجةُ بنتُ خُوَيلد، وصدقت بما جاءه من الله، ووازرتْه على أمره، وكانت أوّلَ مَن آمن بالله وبرسوله، وصدق بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئًا مما يكرهُه مِنْ رَدٍّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرّج الله عنه به إذا رجَعَ إليها، تُثَبِّته، وتخفِّف عليه، وتصدقُه وتهوّن عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى.

وبلدة أبيه إسماعيل، فلذلك تحرّكت نفسه عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك، فقال: «أو مُخرِجيَّ هم»؟ والموضع الدالّ على تحرّك النفس وتحرّقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه، وذلك أن الواو تُرَدّ إلى الكلام المتقدّم، وتُشعِر المخاطَب بأن الاستفهام على جهة الإنكار، أو التفجّع لكلامه أو التألّم منه.

ذكر عبد الله بن حسن:

فصل: وذكر عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وقوله: حدّثتني أُمي فاطمة بنت الحسين أن خديجة أدخلته بين ثوبها. الحديث عبد الله هذا هو: عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وأُمُّه: فاطمة بنت الحسين أُخت سُكَيْنة، واسمها: آمنة، وسكينة لقب لها التي كانت ذات دُعَابةٍ ومَزْح، وفي سكينة وأُمها الرباب يقول الحسين بن علي - رضي الله عن جميعهم:

كأن الليلَ موصولٌ بلَيْلٍ … إذا زارت سُكينةُ والرَّباب[1]

أي: زادت قومها، وهم: بنو عُلَيم بن جَنابٍ من كَلْبٍ، ثم من بني كَعْبِ بن عُلَيْمٍ، ويعرف بنو كعب بن عُلَيم ببني زَيدَ غير مصروف؛ لأنه اسم أُمهم، وعبد الله بن حسن هو والد الطالِبِيِّينَ القائمين على بني العباس، وهم: محمد ويحيىٰ وإدريس مات إدريس بإفريقية فارًا من الرشيد، ومات مسمومًا في دُلأعةٍ[2] أكلها، ووقع في كتاب الزبير بن أبي بكر قال: قال عبد الرحمن بن زيد: قال آدم عليه السلام: مما فُضِّل به عليّ ابني صاحبُ البعير أن زوجَه كانت عونًا له على تبليغ أمر الله، وأن زوجي كانت عونًا لي على المعصية[3].

حديث عبد الله بن جعفر وغيره عن خديجة

فصل: وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسولَ الله - ﷺ - أمر أن

---

(١) انظر الأغاني للأصفهاني ونسب قريش (٥٩). (٢) ضرب من محار البحر.
(٣) كذب والنداء على آدم وزوجه عليهما السلام.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني هشام بن عُرْوة، عن أبيه عُرْوة بن الزبير، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: أُمِرْتُ أنْ أُبَشِّرَ خديجة ببيتٍ من قَصب، لا صَخَب فيه ولا نَصَب[١].

قال ابن هشام: القصب هٰهنا: اللؤلؤ المجوَّف.

يبشّر خديجة ببيت من قَصَبٍ، لا صَخَب فيه، ولا نَصَب. هذا حديث مُرْسل، وقد رواه مسلم متصلاً عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما غِرْتَ على أحد ما غِرْتَ على خديجة، ولقد هَلَكَتْ قبل أن يتزوجني رسول الله - ﷺ - بثلاث سنين، ولقد أُمِرَ أن يبشّرها ببيت من قَصَبٍ في الجنة[٢].

وفي حديث آخر أن عائشة قالت: ما تذكُر من عجوزٍ حمراء الشِّدْقين هلكت في الدهر، قد أبْدَلَكَ الله خيرًا منها، فغضب، وقال: «والله ما أبدلني الله خيرًا منها؛ آمنت بي حين كذّبني الناس، وواسَتْنِي بمالها حين حَرَمني الناس، ورُزِقت الولد منها، وحُرِمته من غيرها»[٣]، وروى يونس عن عبد الواحد بن أيمن المخزومي، قال: حدّثنا أبو نجيح قال: أُهْدِيَ لرسول الله ﷺ جَزُورٌ أو لحمٌ، فأخذ رسول الله - ﷺ - عظمًا منها، فناوله الرسول بيده؛ فقال: اذهب بهذا إلى فلانة، فقالت عائشة: لِمَ غَمِرَتْ[٤] يدُك؟ فقال رسول الله - ﷺ - مغضَبًا: «إن خديجَةَ أوصتني بها»، فغارت عائشة، وقالت: لكأنه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة، فقام رسول الله - ﷺ - مغضَبًا، فلبث ما شاء الله ثم رجع، فإذا أُم رُومان قالت يا رسول الله: ما لك ولعائشة؟! إنها حَدَثةٌ، وإنك أحقّ مَن تجاوز عنها، فأخذ بِشِدْقِ عائشة، وقال: ألست القائلة: «كأنما ليس على الأرضِ امرأةٌ إلا خديجة، والله لقد آمنت بي إذ كفر قومُك، ورزقت مني الولد وحُرِمتموه»، وفي صحيح مُسْلم أن رسول الله - ﷺ - قال: «خير نسائها: مريمُ بنتِ عِمران، وخير نسائها: خديجة»[٥]، والهاء في نسائها حين ذكر مريم عائدةٌ على السماء، والهاءُ في نسائها حين ذكر خديجة عائدةٌ على الأرض، وذلك أن هذا الحديثَ رواه وَكِيعٌ وأبو أُسَامة وابن نُمَيْر في آخرين، وأشار وكيعٌ من بينهم حين حدّث بالحديث بإصبعه إلى السماء عند ذكر مريم، وإلى الأرض عند ذكر

(١) «صحيح». أخرجه أحمد (١/ ٢٥) والحاكم (٣/ ١٨٤/ ١٨٥) والخطيب (١٢/ ٢٣٤).
(٢) «صحيح». أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٧٤) والبخاري في مناقب الأنصار (٣٨١٦).
(٣) «صحيح». أخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٢١) ومسلم في فضائل الصحابة (٧٨) الجزء الأول منه.
(٤) الغمر: دسم اللحم.
(٥) «صحيح». أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٦٩).

....

خديجة، وهذه إشارة ليست من رأيه، وإنما هي زيادة من حديثه عن النبي - ﷺ - وزيادة العدل مقبولة، ويحتمل أن يكون معنى إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرهما، أي: هما خير نساءٍ بين السماء والأرض وهذا أثبت عندي بظاهر الحديث. ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء في التفضيل بين مريم وخديجة وعائشة - رضي الله عنهن - وأزواج النبي - ﷺ - وما نَزَع به كلٌّ فريق منهم.

حول ما بُشِّرت به خديجة:

وأما قوله: ببيتٍ من قَصَبٍ، فقد رواه الخطّابي مفسّرًا، وقال فيه: قالت خديجة: يا رسولَ الله، هل في الجنة قَصَبٌ؟ فقال: «إنه قَصَبٌ من لُؤلؤَ مُجَبّى. قال الخطابي: يجوز أن يكون معناه: مُجَوّبًا من قولك: جُبْت الثوبَ إذا خرقته، فيكون من المقلوب، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّبًا بباءين من الجَبِّ وهو القطع أي: قطع داخله، وقلبت الباء ياء، كما قالوا: تظنَّيت من الظَّنِّ، وتقصَّيت أظفاري، وتكلم أصحاب المعاني في هذا الحديث، وقالوا: كيف لم يبشّرها إلا ببيتٍ، وأدنى أهل الجنة منزلةً مَن يُعطَى مسيرة ألف عام في الجنة، كما في حديث ابن عمر، خرَّجه الترمذي، وكيف لم ينعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفي الصَّخَب وهو: رفع الصوت، فأما أبو بكر الإسْكَاف، فقال في كتاب فوائد الأخبار له: معنى الحديث: أنه بُشِّرت ببيت زائد على ما أعدّ الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها؛ ولذلك قال: لا صَخَب فيه ولا نَصَب، أي: لم تَنْصَب فيه، ولم تَصْخَب. أي: إنما أُعْطِيَتْه زيادة على جميع العمل الذي نصبت فيه. قال المؤلف رحمه الله: لا أدري ما هذا التأويل، ولا يقتضيه ظاهر الحديث، ولا يوجد شاهد يعضده، وأما الخطابي، فقال: البيت هاهنا عبارة عن قصر، وقد يقال لمنزل الرجل: بيته، والذي قاله صحيح، يقال في القوم: هم أهل بيت شرف وبيت عزّ، وفي التنزيل: ﴿غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] ولكن لذكر البيت هٰهنا بهذا اللفظ ولقوله: ببيت، ولم يقل: بقصر معنًى لائق بصورة الحال، وذلك أنها كانت رَبَّةَ بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلاَّ بيتها حين آمنت، وأيضًا فإنها أول مَن بنى بيتًا في الإسلام بتزويجها رسول الله - ﷺ - ورغبتها فيه، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل، وإنْ كان أشرف منه لما جاء: «مَن كَسَا مسلمًا على عُرْيٍ كساه الله من حُلَلِ الجنة، ومَن سقى مسلمًا على ظمإٍ سقاه الله من الرحيق[2]، ومن

---

(١) سورة الذاريات آية رقم (٣٦).

(٢) «صحيح». أخرجه مسلم وأبو داود (١٦٨٢) والترمذي (٢٤٤٩) والبيهقي في الآداب (٩٤) بتحقيقي بنحوه.

....

هذا الباب قوله عليه السلام: «مَن بنى لله مَسْجِدًا بنى الله له مثله في الجنة»[1] لم يرد مثله في كونه مسجدًا، ولا في صفته ولكن قابل البنيان بالبنيان، أي كما بَنى يُبنى له، كما قابل الكُسْوَة بالكُسْوة وَالسُّقيا، بالسُّقيا، فهاهنا وقعت المماثلة، لا في ذات الْمَبْنِيّ أو الْمَكْسُوّ، وإذا ثبت هذا، فمن هٰهنا اقتضت الفصاحة أن يُعَبَّر لها عمّا بُشِّرت به بلفظ البيت، وإن كان فيه مالا عينٌ رأته، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْه، ولا خَطَر على قلب بشر، ومِن تَسْمِية الجزاء على الفعل بالفعل في عكس ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿نَسُوا الله فنَسِيَهُم﴾[2]، ﴿ومَكَروا ومَكَر اللَّهُ﴾[3].

وأما قولُه: لا صَخَب فيه، ولا نَصَب، فإنه أيضًا من باب ما كنّا بسبيله، لأنه ـ عليه السلام ـ دعاها إلى الإيمان، فأجابته عَفْوًا، لم تحوِجه إلى أن يَصْخَب كما يصخب الْبَعْل إذا تعصَّت عليه حليلَتُه، ولا أن ينْصَب، بل أزالت عنه كل نصب، وآنَسَتْه من كل وحشة، وهَوَّنت عليه كل مكروه، وأراحته بمالها من كل كَدٍّ ونصَب، فوصف منزلها الذي بُشِّرت به بالصفة المقابلة لفَعالِها وصورته.

وأما قوله: من قَصَب، ولم يقل: من لؤلؤ، وإن كان المعنى واحدًا، ولكن في اختصاصه هذا اللفظَ من الْمُشاكلة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها ـ رضي الله عنها ـ كانت قد أحرزت قَصَب السَّبْقِ إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنِّسْوان. والعربُ تسمّي السابقَ مُحْرِزًا للْقَصَب. قال الشاعر:

مَشَى ابن الزُّبَيْر الْقَهْقَرَى، وتقدمت أُمَيَّةُ حتى أحرزُوا القَصَبَاتِ

فاقتضت البلاغةُ أن يعبّر بالعبارة المشاكِلة لعملها في جميع ألفاظ الحديث فتأمله.

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١/ ١٢٢) ومسلم في الزهد (٤٣/ ٤٤) وفي المساجد (٢٤) وأحمد (١/ ٦١/ ٧٠) والترمذي (٣١٨) وابن ماجه (٧٣٦).

(٢) سورة التوبة آية رقم (٦٧).

(٣) سورة آل عمران آية رقم (٥٤).

قال ابن هشام: وحدّثني مَنْ أثق به[1]، أنّ جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ؛ فقال: أقرىء خديجةَ السلامَ من ربها، فقال رسول الله ﷺ: «يا خديجة، هذا جبريلُ يُقرئك السلام من

الموازنة بين خديجة وعائشة:

فصل: وذكر قول رسول الله ﷺ لخَدِيجة: «هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك». الحديث يُذْكَر عن أبي بكر بن داود أنه سُئِل: أعائشة أفضلُ، أم خديجة؟ فقال: «عائشةُ أقرأها رسولُ الله ﷺ السلامَ من جبريل، وخديجة أقرأها جبريلُ السلامَ من ربِّها على لسان محمد ـ ﷺ ـ فهي أفضل»، قيل له: فمَن أفضلُ، أخديجةُ أم فاطمةُ؟ فقال: إن رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «إن فاطمةَ بَضْعَةٌ مني[2] فلا أعْدِل ببَضْعَة من رسول الله أحدًا»، وهذا استقراء حَسَنٌ، ويشهد لصحة هذا الاستقراء أنَّ أبا لُبَابَةَ حين ارْتَبَطَ نفسَه، وحلف ألاّ يَحُلَّه إلا رسولُ الله ـ ﷺ ـ فجاءت فاطمةُ لِتَحُلَّهُ، فأبى من أجل قَسَمه، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنما فاطمة مُضْغَةٌ مني»، فحلّته وسنذكر الحديث بإسناده في موضعِه، إن شاء الله تعالى، ويدلّ أيضًا على تفضيل فاطمة قولُه ـ عليه السلام ـ لها: «أما تَرْضَيْن أن تكوني سيدة نساءِ أهل الجنة إلاّ مريم»[3]؟ فدخل في هذا الحديث أُمُّها وأخواتُها، وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به فاطمةُ غيرَها دون أخواتها، فقيل: إنها وَلَدت سيدَ هذه الأمة، وهو الحسنُ الذي يقول فيه النبي ـ ﷺ ـ: «إن ابني هذا سيد»[4]، وهو خليفةٌ، بَعْلُها خليفة أيضًا، وأحسن من هذا القول قول مَن قال: سادت أخواتها وأمَّها، لأنهن مُتْن في حياة النبي ـ ﷺ ـ فكنّ في صحيفته، ومات أبوها وهو سيّد العالمين، فكان رُزْؤه في صحيفتها وميزانِها، وقد روَى البَزّار من طريق عائشةَ أنه ـ ﷺ ـ قال لفاطمة: «هي خير بناتي؛ إنها أُصيبت بي»[5]، فحقٌّ لمَن كانت هذه حاله أن يسودَ نساءَ أهل الجنة، وهذا حَسَنٌ، والله أعلم. ومن سُؤْدُدِها أيضًا أن المهدي المُبشَّر به آخر الزمان من ذُرِّيتها، فهي مخصوصةٌ بهذا كله والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة، وقد جمعها أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ فأكثر، ومن أغربها إسنادًا ما ذكره أبو بكر الإسكاف في فوائد الأخبار مسندًا إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن كَذَّب

---

(١) مجهول.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٥/ ٢٦) ومسلم في فضائل الصحابة (٩٦).

(٣) «صحيح». أخرجه البخاري (٨/ ٧٩) ومسلم في فضائل الصحابة (٩٩).

(٤) «صحيح» أخرجه البخاري (٣/ ٢٤٤) وأحمد (٥/ ٣٨) وابن عساكر (٤/ ٣١٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بعضه ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح. قاله الهيثمي في المجموع (٩/ ٢١٣).

ربك»، فقالت خديجة: اللَّهُ السلامُ، ومنه السلامُ، وعلى جبريل السلام[1].

بالدَّجَّال فقد كفر، ومَن كذَّب بالمَهْدِيِّ فقد كفر»[2]، وقال في طلوع الشمس من مغربها مثلَ ذلك فيما أحسب.

الله السلام:

وقول خديجة: الله السلامُ، ومنه السلام، وعلى جبريل السلامُ، علمت بفقهها أن الله سبحانه لا يُرَدُّ عليه السلام، كما يُرَدّ على المخلوق؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها: الله السلام، فكيف أقول عليه السلام، والسلام منه يُسْئَل، ومنه يأتي؟ ولكن على جبريلَ السلامُ، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثَّنَاءُ عليه، فجعلت مكان ردّ التحية على الله ثناءً عليه، كما عملوا في التشهّد حين قالوا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقيل لهم: لا تقولوا هذا، ولكن قولوا: التحياتُ لله، وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب فوائد جمّة في معنى التحيات إلى آخر التشهد. وقولها: ومنه السلام، إن كانت أرادت السلامَ التحية، فهو خَبر يُراد به التشكّر، كما تقول: هذه النعمة من الله، وإن كانت أرادت السلام بالسلامةَ من سوء، فهو خبرٌ يراد به المسألة، كما تقول: منه يُسْأَل الخير. وذهب أكثرُ أهل اللغة إلى أن السلامَ والسلامةَ بمعنى واحد كالرَّضَاع والرَّضَاعة، ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاءُ التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فُرْقَانًا عظيمًا، وأن الْجَلال أعمّ من الْجلالَة بكثير، وأن اللَّذاذ أبلغ من اللَّذاذة، وأن الرَّضاعة تقع على الرَّضعة الواحدة، والرَّضاع أكثرُ من ذلك، فكذلك السلامُ، والسلامةُ، وقِسْ على هذا: تَمْرة وتَمْرًا، ولَقَاة ولَقًى، وضَرْبَة وضَرْبًا، إلى غير ذلك، وتسمّى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة، وعمّهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جارٍ على نظام الحكمة، كذلك سَلِم الثَّقَلان من جَوْر، وظلم أن يأتيهم من قِبَله سبحانه، فإنما الكُلُّ مُدَبَّرٌ بفضلٍ أو عدل، أما الكافر فلا يجري عليه إلا عدله، وأما المؤمنُ فيغمره فضلُه، فهو سبحانه في جميع أفعاله سلامٌ، لا حَيْفَ ولا ظلم، ولا تفاوت ولا اختلال، ومَن زعم من المفسِّرين لهذا الاسم أنه تسمّى به لسلامته من الآفات والعيوب، فقد أتى بشنيع من القول، إنما السلامُ من سُلِم منه، والسالم مَنْ سَلِم من غيره، وانظر إلى قوله سبحانه: ﴿كوني بَرْدًا وسلامًا﴾[3]

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٤/١٣٦) ومسلم في فضائل الصحابة (٩١) بنحوه من حديث عائشة رضي الله عنها. وابن عساكر (٥/٣٦٤).

(٢) أورده السيوطي في الحاوي (٢/١٦١) وابن حجر الهيثمي في كتاب «الفتاوى الحديثية» ص (٣٧) بتحقيقي - وهو منسوب إليه - وإنما هو مستقى من بعض مؤلفات السيوطي كما بيّنت هناك. فانظره.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم (٦٩).

قال ابن إسحٰق: ثم فَتَر الوحي عن رسول الله - ﷺ - فترة من ذلك، حتى شقّ ذلك عليه، فأحزنه، فجاءه جبريلُ بسورة الضحى، يُقسم له ربه، وهو الذي أكرمه بمَا أكرمه به، ما ودّعه وما قلاه، فقال تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾. يقول: ما صَرَمك فتركك، وما أبغضكَ منذ أحبّكَ. ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾ أي: لَمَا عندي من مَرْجعك إليّ، خيرٌ لك مما عَجَّلْت لك من الكرامة في الدنيا. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ من الفَلْج في الدنيا، والثواب في الآخرة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ يعرّفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره، ومنّه عليه في يُتمه وضَلالته، واستنقاذه من ذلك كله برحمته.

قال ابن هشام: سجَى: سكن. قال أمية بن أبي الصَّلْتِ الثقفي:

إذْ أتـى مَـوْهِـنًـا وقـد نـام صَـحْـبـي ... وسَـجـا الـلّـيـلُ بـالـظَّـلام الـبَـهـيـمِ

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال للعَيْن إذا سكن طرْفُها: ساجية، وسجا طرفها.

وإلى قوله: ﴿سلام هي﴾[1] ولا يقال في الحائط: سـالم من الْعَمى، ولا في الْحَجَرِ أنه سالم من الزكام، أو من السُّعال إنما يقال: سالم فيمن تجوز عليه الآفة، ويتوقعها ثم يَسْلَم منها، والقُدُّوسُ سبحانه مُتَعَالٍ عن توقع الآفات مُتَنَزِّهٌ عن جواز النقائص، ومَن هذه صفته لا يقال: سَلِم، ولا يَتَسمَّى بسالم، وهم قد جعلوا سلامًا بمعنى سالم، والذي ذكرناه أولُ، هو معنى قول أكثر السلف والسَّلامة: خَصْلَةٌ واحدة من خِصال السلام[2].

فترة الوحي:

فصل: وذكر فترة الوحي عن رسول الله - ﷺ - ولم يذكر مقدار مدة الفترة، وقد جاء في بعض الأحاديث الْمُسْنَدة أنها كانت سنتين ونصفَ سنة، فمن هنا يتّفق ما قاله أنس بن مالك أن مُكْثه بمكة كان عشر سنين، وقول ابن عباس: ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً، وكان قد ابتدىء بالرؤيا الصادقة ستة أشهر، فمَن عَدَّ مدة الفترة، وأضاف إليها الأشهر الستة، كانت كما قال ابن عباس، ومَنْ عَدَّها من حين حَمِيَ الوحي وتتابع، كما في حديث جابر كانت عشر سنين. ووجهٌ آخر في الجمع بين القولين أيضًا، وهو أن الشعبي قال: وكّل أسرافيلُ بنبوّة محمد - ﷺ - ثلاث سنين، ثم جاءه بالقرآن جبريلُ وقد قدّمنا هذا الحديث[3]، ورواه أبو عمر في كتاب الاستيعاب، وإذا صحّ فهو أيضًا وجه من الجمع بين الحديثين، والله أعلم.

---

(١) سورة القدر آية رقم (٥).
(٢) انظر للمحقّق «القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى».
(٣) وتقدم معه الكلام أن هذا لا صحة له.

قال جرير بن الخطفي:

ولقد رَمَيْنَك - حين رُحن - بأعينٍ   يَقتُلن من خَلَل السُّتُور سَواجِي

وهذا البيت في قصيدة له. والعائل: الفقير: قال أبو خِرَاش الْهُذلي:

إلى بيتهِ يأوي الضَّريكُ إذا شتَا   ومُسْتنبِحٌ بالِي الدِّريسيْن عائلُ

وجمعه: عالة وعُيَّل، وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها - إن شاء الله، والعائل أيضًا: الذي يعول العيال. والعائل أيضًا: الخائف. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]. وقال أبو طالب:

بِميزانِ قِسْطٍ لا يُخِس شَعيرةً   له شاهدٌ من نفسِه غيرُ عائل

وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها - إن شاء الله - في موضعها. والعائل أيضا: الشيء المُثْقِلِ المُعيي. يقول الرجل: قد عالني هذا الأمر: أي أثقلني وأعياني، قال الفرزدق:

تَرَى الغُرَّ الجَحاجِحَ من قُرَيْشٍ   إذا ما الأمْرُ في الحَدثَانِ عالا

وهذا البيت في قصيدة له.

شرح شعر الهذلي والفرزدق:

فصل: وذكر ابن إسحٰق قول أبي خِراشٍ خُوَيْلد بن مُرّة الْهُذَلِي:

إلى بيته يَأوِي الضَّريكُ إذا شتا   ومُسْتَنْبحٌ بالي الدِّريسيْن عائل

الضريك: الضعيف المُضْطَر والمُستنبح الذي يضلّ عن الطريق في ظلمة الليل، فينبح ليسمعَ نُباح كلْبٍ والدِّريس: الثوبُ الْخَلَقُ، وقول الفرزدق:

تَرى الغُرَّ الْجَحَاجِحَ[1] من قُرَيشٍ   إذا ما الأمر في الْحَدَثَانِ عَالاَ

قيامًا ينظرون إلى سعيد   كأنهم يرون به هِلالا

يعني: سعيدَ بن العاصي بن أمية، ويقال: إن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حسده، فقال له: قل: قعودًا ينظرون إلى سعيد يا أبا فراس. فقال له الفرزدق: والله يا أبا عبد الملك: إلا قيامًا على الأقدام. وذكر سببَ نزول سورة الضحى، وأن ذلك لفترة الوحي عنه، وخرّج البخاري من طريق جُنْدُبِ بن سفيان أن رسول الله ﷺ

---

(١) الجحاجح: جمع جحجح وهو السيد، وأيضًا هو: الغسل من الرجال.

﴿فأمَّا اليَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وأمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾: أي لا تكن جبَّارًا ولا متكبرًا، ولا فحَّاشًا فَظًّا على الضعفاء من عباد الله. ﴿وأمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النُّبوّة فحدّث، أي اذكُرها، وادْعُ إليها، فجعل رسولُ الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه، وعلى العباد به من النبوّة سِرًّا إلى مَنْ يطمئنّ إليه من أهله.

اشتكى، فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فقالت له امرأةٌ: إني لأرجو أن يكون شيطانُك قد تركك، فأنزل الله تعالى سورة الضحى[1].

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري في التفسير حديث رقم (٤٩٥٠).

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ من الصلاة وأوقاتها

وافتُرِضت الصلاة عليه، فصلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني صالح بن كَيْسان عن عُرْوة بن الزُّبير، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: افترِضت الصلاة على رسول الله ﷺ أوّل ما افتُرِضت عليه ركعتين ركعتين، كلّ صلاة، ثم إن الله تعالى أتمّها في الحضر أربعًا، وأقرّها في السفر على فرضها الأول ركعتين[1].

فرض الصلاة

وذكر حديث عُرْوَةَ عن عائشة: «فُرِضت الصلاة ركعتين ركعتين، فزِيدَ في صلاة الحضر، وأُقِرّت صلاةُ السفر»، وذكر الْمُزَنِيُّ أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاةً قبل غروب الشمس، وصلاةً قبل طلوعها، ويشهد لهذا القول قوله سبحانه: ﴿وَسَبِّح بحمد ربك بالْعَشِيِّ والإبكار﴾[2] [غافر: ٥٥]. وقال يحيىٰ بن سلام مثله، وقال: كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجر بعام، فعلى هذا يحتمل قول عائشة: فزيد في صلاة الحضر، أي: زيد فيها حين أُكملت خمسًا، فتكون الزيادة في الركعات، وفي عدد الصلوات، ويكون قولها: «فُرِضت الصلاة ركعتين» أي: قبل الإسراء، وقد قال بهذا طائفة من السَّلَفِ، منهم: ابن عباس، ويجوز أن يكون معنى قولها: فُرِضَت الصلاةُ: أي ليلة الإسراء، حين فُرِضت الخمسُ فُرِضت ركعتين ركعتين، ثم زِيدَ في صلاة الحضر بعد ذلك، وهذا هو المروي عن

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١/ ٨) ومسلم في المسافرين (٣) والنسائي (١/ ٢٢٦).

(٢) ليست دليلاً وسيأتي الحديث عنها في نهاية الجزء عند الإسراء.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعضُ أهل العلم[1]: أن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله ﷺ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهَمَزَ له بعَقبه في ناحية الوادي، فانفجرتْ منه عين. فتوضأ جبريل عليه السلام، ورسول الله ﷺ ينظر إليه، ليُرِيَه كيف الطُّهور للصلاة، ثم توضأ رسولُ الله ﷺ كما رأى جبريلَ تَوَضأ، ثم قام به جبريلُ، فصلّى به، وصلّى رسولُ الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريلُ عليه السلام.

فجاء رسولُ الله ﷺ خديجة، فتوضأ لها ليُريها كيف الطُّهور للصلاة، كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسولُ الله عليه الصلاة والسلام، ثم صلّى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما صلّى به جبريلُ، فصلَّت بصلاته.

بعض رواة هذا الحديث عن عائشة، ومَن رواه هكذا الحسن والشَّعْبيُّ أن الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام، أو نحوه، وقد ذكره أبو عمر، وقد ذكر البخاري من روايةِ مَعْمَر عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَة عن عائشة قالت: فُرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ففُرضت أربعًا، هكذا لفظ حديثه وهٰهنا سؤال يُقال: هل هذه الزيادة في الصلاةِ نَسْخ أم لا؟ فيقالُ: أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة، فنَسْخٌ لأن النسخَ رفع الحكم، وقد ارتفع حكم الإجزاء من الركعتين، وصار مَن سَلَّم منهما عامدًا أفسدهما، وإن أراد أن يتمّ صلاته بعدما سلّم، وتحدّث عامدًا لم يُجْزه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها، فقد ارتفع حكم الإجزاء بالنَّسْخ، وأما الزيادة في عدد الصلوات حين أكملت خمسًا بعدما كانت اثنتين، فيسمَّى نسْخًا على مذهب أبي حنيفة، فإن الزيادة عنده على النص نسخ، وجمهورُ المتكلمين على أنه ليس بنسخ ولاحتجاج الفريقين موضع غير هذا.

الوضوء:

فصل: وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين هَمزَ له بعقبه، فأنبع الماء، وعلّمه الوضوء، وهذا الحديث مقطوع في السيرة، ومثله لا يكون أصلاً في الأحكام الشرعية، ولكنه قد رُوِيَ مسندًا إلى زيد بن حارثة ـ يرفعه ـ غير أن هذا الحديث المسنَد يدور على عبد الله بن لَهِيعة وقد ضُعِّف، ولم يخرج عنه مُسْلِم ولا البخاري[2]؛ لأنه يقال: إن كتبه احترقت، فكان يحدّث مَن حفظه، وكان مالك بن أنس يُحسِن فيه القول، ويقال إنه

---

(١) مجاهيل.

(٢) أخرج له مسلم ولكن مقرونًا بغيره، فيقول مثلاً: حدّثني فلان وغيره ـ يعني ابن لهيعة.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عُقْبَةُ بن مُسْلم، مولى بني تميم، عن نافع بن جُبَير بن مُطْعِم - وكان نافع كثير الرواية - عن ابن عباس قال: لما افتُرِضت الصلاة على رسول الله ﷺ أتاه جبريلُ عليه السلام، فصلّى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلّى به العصر حين كان ظلُّه مثله، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلّى به الصبحَ حين طلع الفجر، ثم جاءه، فصلّى به الظهر من

الذي رُوِيَ عنه حديثَ بيْع الْعُرْبَانِ في الموطأ مالك، عن الثقة عنده، عن عَمْرو بن شُعَيْب، فيقال: إن الثقة هٰهنا ابن لَهِيعَة[1]، ويقال: إن ابنَ وَهْب حدّث به عن ابن لَهِيعَة، وحديث ابن لَهِيعَة هذا، أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد بن العربي قال: نا أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء، عن أبي نعيم الحافظ قال: نا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال: نا الحارث بن أبي أسامة، قال: نا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة، عن عقيل بن خالد عن الزهري، عن عروة عن أسامة بن زيد، قال: حدّثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله - ﷺ - في أول ما أُوحِيَ إليه أتاه جبريل عليه السلام، فعلّمه الوضوء، فلما فرغ من الوضوء أخذ غُرْفة من ماء، فنَضَح بها فَرْجه، وحدّثنا به أيضًا أبو بكر محمد بن طاهر، عن أبي علي الغساني عن أبي عُمَر النَّمَرِيِّ، عن أحمد بن قاسم، عن قاسم بن أَصْبَغ، عن الحارث بن أبي أسامة بالإسناد المتقدم، فالوضوء على هذا الحديث مَكِّيٌّ بالفَرْض، مَدَنِيٌّ بالتِّلاوة، لأن آية الوضوء مدنية، وإنما قالت عائشة: فأنزل الله تعالى آية التيمم، ولم تقل: آية الوضوء، وهي هي؛ لأن الوضوء قد كان مفروضًا قبلُ، غير أنه لم يكن قرآنًا يُتلى، حتى نزلت آيةُ المائدة.

إمامة جبريل:

وذكر حديث عبد الله بن عباس في إمامة جبريل للنبي - ﷺ - وتعليمه إيَّاه أوقات الصلوات الخمس في اليومين، وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الوضع؛

---

(١) أخرجه مالك في البيوع حديث رقم (١) عن الثقة عنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع العربان. قال مالك: وذلك فيما نرى والله أعلم أن يشتري الرجل العبد أو الوليدة أو يتكارى الدابة، ثم يقول للذي اشترى منه أو تكارى منه: أعطيك دينارًا أو درهمًا أو أكثر من ذلك أو أقل. على أني إن أخذت السلعة أو ركبت ما تكاريتُ منك، فالذي أعطيتك هو من ثمن السلعة، أو من كراء الدابّة، وإن تركت ابتياع السلعة، أو كراء الدابّة فما أعطيتك لك باطل بغير شيء. قال مالك: والأمر عندنا أنه لا بأس بأن يبتاع العبدَ التاجرَ الفصيح، بالأعبد من الحبشة أو من جنس من الأجناس ليسوا مثله في الفصاحة ولا في التجارة. وأخرجه ابن ماجه (٢١٩٢) وأبو داود (٣٥٠٢) بتحقيقي.

غدٍ حين كان ظلّه مِثْلَه، ثم صلّى به العصر حين كان ظلُّه مثليه، ثم صلّى به المغربَ حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلّى به العشاءَ الآخرةَ حين ذهب ثلثُ الليل الأوّل، ثم صلّى به الصبح مُسْفِرًا غير مشْرِق، ثم قال: يا محمد، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم، وصلاتك بالأمس.

ذكر أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أول ذَكَرٍ أسلم

قال ابن إسحٰق: ثم كان أوّلَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصلّى معه، وصدّق بما جاءه من الله تعالى: عليُّ بنُ أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ـ رضوان الله وسلامه عليه ـ وهو يومئذ ابن عَشْر سِنِينَ.

وكان مما أنعم الله على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه كان في حِجْر رسولِ الله ﷺ قبل الإسلام.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح، عن مجاهد بن جَبْر بن أبي الحجّاج، قال: كان من نعمة الله على عليّ بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخَيْر، أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عِيَالٍ كثير، فقال رسولُ

لأنَّ أهلَ الصحيح متفقون على أن هذه القصة، كانت في الغدِ من ليلة الإسراء، وذلك بعدما نُبِّىء بخمسة أعوام، وقد قيل إن الإسراءَ كان قبل الهجرة بعام ونصف، وقيل: بعام، فذكره ابن إسحٰق في بدء نزول الوحي، وأول أحوال الصلاة.

أول مَن آمن

وذكر أن أول ذَكَرٍ آمن بالله عَليٌّ ـ رضي الله عنه ـ، وسيأتي قولُ مَن قال: أول مَن أسلم أبو بكر، ولكن ذلك ـ والله أعلم ـ من الرجال؛ لأن عليًا كان حين أسلم صَبِيًا لم يدرك، ولا يختلف أن خديجة هي أول مَن آمن بالله، وصدق رسوله، وكان عليٌّ أصغر من جَعْفر بعشرِ سنين، وجعفرٌ أصغر من عَقِيل بعشر سنين، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين، وكلهم أسلم إلا طالبًا اختطفته الجن[1]، فذهب ولم يعلم بإسلامه، وأُمُّ عليٍّ: فاطمة بنت أسد بن هاشم، وقد أسلمت، وهي إحدى الفواطم التي قال فيهنّ رسول الله ـ ﷺ ـ لعليٍّ رضي الله عنه: اقْسِمْه بين الفواطم الثلاثِ، يعني ثوبَ حَريرٍ، قال القُتَبيُّ. يعني:

---

(١) تقدم الكلام غير مرة على أسطورة خطف الجن للإنس.

الله ـ ﷺ ـ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم: يا عبّاس، إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب النَّاسَ ما ترى من هذه الأزمة، فانطلقْ بنا إليه، فَلْنُخَفِّفْ عنه من عياله، آخذُ من بَنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنَكِلُهما عنه، فقال العبَّاس: نعم، فانطلقا، حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنّا نريد أن نخفّف عنك مِنْ عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عَقِيلاً، فاصنعا ما شئتما. قال ابن هشام: ويقال: عقيلاً وطالبًا.

فأخذ رسول الله ﷺ عليًا، فضمَّه إليه، وأخذ العبَّاسُ جعفرًا فضمَّه إليه، فلم يزل عليّ مع رسول الله ﷺ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيًّا، فاتَّبعه عليّ رضي الله عنه، وآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفرُ عند العبَّاس، حتى أسلم واستغنى عنه.

أبو طالب يكتشف إيمان عليّ:

قال ابن إسحٰق: ذكر بعضُ أهل العلم أنّ رسولَ الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاةُ خرج إلى شِعاب مكة، وخرج معه عليّ بن أبي طالب مُستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومِنْ جميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان الصلواتِ فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك إلى ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصلّيان، فقال لرسول الله ﷺ: يا بن أخي! ما هذا الدينُ الذي أراكَ تَدِين به؟ قال: «أي عمّ هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رُسُله، ودين أبينا إبراهيم» ـ أو كما قال ﷺ ـ: «بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عمّ، أحقُّ مَنْ بذلتُ له النصيحةَ، ودعوته إلى الهدى، وأحقُّ مَنْ أجابني إليه، وأعانني عليه»، أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابنَ أخي، إني لا أستطيع أن أُفارق دينَ آبائي، وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخْلَص إليك بشيءٍ تكرهه ما بقيتُ.

وذكروا أنه قال لعليّ: أي بُنَيّ، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبتِ، آمنت بالله وبرسول الله، وصدّقته بما جاء به، وصلّيتُ معه لله واتّبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلاّ إلى خيرٍ فالزمْه.

فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت أسد، ولا أدري مَن الثالثة، ورواه عبد الغني بن سعيد: اقْسِمه بين الفواطم الأربع، وذكر فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا، وقال: لا أدري مَن الرابعة، قاله في كتاب الغوامض والمبهَمات.

إسلام زيد بن حارثة ثانيًا

قال ابن إسحٰق: ثم أسلَمَ زَيدُ بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كَعْب بن عبد العُزّى بن امرىء القَيْس الكلبي، مولى رسول الله ﷺ، وكان أوّل ذَكَرٍ أسلم، وصلّى بعد عليّ بن أبي طالب.

قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شَرَاحيل بن كَعْب بن عبد العُزّى بن امرىء القيس بن النعمان بن عامر بن عَبْد وُدّ بن عَوْف بن كِنانة بن بكر بن عَوْف بن عُذْرة بن زيد اللّاتِ بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب بن وَبَرة. وكان حكيم بن حزام بن خُويلد قَدِمَ من الشام برقيق، فيهم زيدُ بن حارثة وصيف. فدخلتْ عليه عمّتُه خديجة بنت خُوَيلد، وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ فقال لها: اختاري يا عمَّة أيَّ هؤلاءِ الغلمان شِئْتِ فهو لك، فاختارت زيدًا فأخذته، فرآه رسول الله ﷺ عندها، فاسْتَوْهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسولُ الله ﷺ وتبنّاه، وذلك قبل أن يُوحَى إليه.

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعًا شديدًا، وبكى عليه حين فقده، فقال:

بكَيْتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فَعَلْ ... أحَيٌّ، فَيُرجَى أم أتى دونَه الأجَل

فوالله ما أدْرِي، وإني لسائِلٌ ... أغالَكَ بعدي السَّهْل، أم غالك الْجَبَلْ

ويا ليتَ شِعْري هل لك الدهرَ أوْبَةٌ ... فَحَسْبِي من الدنيا رجوعُك لي بَجَلْ

تُذكِّرُنيه الشَّمسُ عند طُلوعها ... وتَعْرِضُ ذِكْراه إذا غَرْبُها أفَل

إسلام زيد

فصل: وذكر حديث زيد بن حارثة، وقال فيه: حارثة بنُ شُرَحْبِيل، وقال: ابن هشام شَراحيل، قال أصحاب النسب كما قال ابن هشام، ورفع نسبه إلى كلب بن وَبرة، وَوَبَرَة هو: ابن ثعلب بن حُلوان بن الحافِ بن قضاعة، وأُم زيد: سُعْدَى بنت ثعلبة [بن عبد عامر] من بني مَعْنٍ من طيِّىء، وكانت قد خرجت بزيد لتزيرَه أهلَها، فأصابته خيل من بني الْقَيْنِ بن جِسْر، فباعوه بسوق حُبَاشَة، وهو من أسواق العرب، وزيدٌ يومئذ ابن ثمانية أعوام، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحٰق، ولما بلغ زيدًا قول أبيه: بكيت على زيدٍ، ولم أدرِ ما فعل. الأبيات. قال بحيث يسمعه الرُّكبان:

أحِنّ إلى أهلي، وإن كنتُ نائيًا ... بأنى قعيدُ البيت عند المشاعر

فكُفّوا من الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تغملوا في الأرضِ نَص الأباعر

فإني بحمد اللّهِ في خَيْر أُسْرَةٍ ... كرام مَعَدٌ كابرًا بعد كابِر

وإن هبَّت الأرواح هَيَّجن ذكْرَه ... فيا طُول ما حزنِي عليه وما وَجَل
سأعمِل نَصَّ العِيس في الأرض جاهدًا ... ولا أسأم التَّطْواف أو تَسأم الإبل
حياتيَ أو تأتي عليَّ مَنيّتي ... فكُلّ امرىءٍ فانٍ، وإن غرّه الأمَل

ثم قَدِمَ عليه - وهو عند رسول الله ﷺ - فقال له رسول الله - ﷺ -: «إن شئتَ فأقِمْ عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك»، فقال: بل أقيم عندك. فلم يزل عند رسول الله - ﷺ - حتى بعثه الله فصدّقه وأسلم، وصلّى معه، فلما أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ادْعوهمْ لآبائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] قال: أنا زيد بن حارثة[1].

فبلغ أباه قوله، فجاء هو وعمه كعب، حتى وقفا على رسول الله - ﷺ - بمكة، وذلك قبل الإسلام، فقالا له: يا بن عبد المطلب، يا بن سيد قومه، أنتم جيران الله، وتفكّون العاني، وتطعمونَ الجائع، وقد جئناكم في ابننا عبدك، لتُحسِن إلينا في فدائه، فقال: «أوَ غير ذلك»؟ فقالا: وما هو؟ فقال: «أدعوه وأُخيّره، فإن اختاركما فذاك، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على مَن اختارني أحدًا»، فقالا له: قد زدت على النَّصَف، فدعاه رسول الله - ﷺ - فلما جاء قال: «مَن هذان»؟ فقال: هذا أبي حارثة بن شَرَاحيل، وهذا عمّي: كعب بن شراحيل، فقال: «قد خيّرتك إن شئت ذهبت معهما، وإن شئت أقمت معي»، فقال: بل أُقيم معك، فقال له أبوه: يا زيد أتختار العبودية [على الحرية و] على أبيك وأُمك وبلدك وقومك؟! فقال: إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا، وما أنا بالذي أُفارقه أبدًا فعند ذلك أخذ رسول الله - ﷺ - بيده، وقام به إلى الملأ من قريش، فقال: «اشهدوا أن هذا ابني، وارثًا وموروثًا»، فطابت نفس أبيه عند ذلك، وكان يدعى: زيد بن محمد، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥].

وفي الشعر الذي ذكره ابن إسحٰق لحارثة بعد قوله:

حياتي وإن تأتي عليَّ مَنيَّتي ... فكل امرىءٍ فانٍ وإن غرّه الأمل
سأُوصي به قيسًا وعمرًا كليهما ... وأُوصي يزيد ثم أُوصي به جَبَل

يعني: يزيد بن كعب [بن شراحيل] وهو ابن عمّ زيد وأخوه [لأُمه] ويعني بجبل: جَبَلة بن حارثة أخا زيد، وكان أسنّ منه. سُئِلَ جبلة: مَن أكبر أنت أم زيد؟ فقال: زيدًا أكبر مني، وأنا ولدت قبله، يريد: أنه أفضل منه بسبقه للإسلام.

---

(١) انظر ترجمته في تهذيب الكمال (١٠/ ٣٤) وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٠١) أسد الغابة (٢/ ٢٨١) الاستيعاب (٥٤٤) طبقات ابن سعد (٣/ ١/ ٢٧) طبقات خليفة (٦) تاريخ خليفة (٨٦/ ٨٧) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٢٠) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٢٩/ ١) وفي التهذيب له (٥/ ٤٥٤).

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1]

قال ابن إسحٰق: ثم أسلم أبو بَكْر بن أبي قحافة، واسمه: عتيق، واسم أبي قحافة: عثمان بن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤَيّ بن غالب بن فهر.

قال ابن هشام: واسم أبي بكر: عبد الله، وعَتيق: لقب لحسن وَجْهه وعتقه.

قال ابن إسحٰق: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه: أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله.

وكان أبو بكر رجلاً مُؤَلّفًا لقومه، محبَّبًا سَهْلاً، وكان أنسَب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشرّ، وكان رجلاً تاجرًا، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه، ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحُسْن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله، وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه، ممَّن يغشاه ويجلس إليه.

إسلام أبي بكر

فصل: وذكر إسلام أبي بكر ونسبه، قال: واسمه: عبدُ الله، وسُمّي عَتِيقًا لِعَتَاقَةِ وجهه، والعَتِيقُ: الْحَسَنُ كأنه أُعتِق من الذمّ والعَيب ـ وقيل: سُمّي عتيقًا؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد، فنذرت إن وُلِد لها ولدٌ أن تسمّيه: عبدَ الكعبة، وتتصدّق به عليها، فلما عاش وشبَّ، سُمّيَ: عتيقًا، كأنه أُعتق من الموت، وكان يسمى أيضًا: عبد الكعبة إلى أن أسلم، فسمّاه رسول الله ـ ﷺ ـ: عبد الله، وقيل: سُمّي: عتيقًا؛ لأن رسول الله ـ ﷺ ـ قال له حين أسلم: «أنت عتيقٌ من النار»[2]، وقيل: كان لأبيه ثلاثة من الولد: مُعْتَق ومُعَيْتِقٌ وعَتِيقٌ، وهو: أبو بكر، وسُئِلَ ابن مَعِين عن أم أبي بكر فقال: أُم الخير عند اسمها، وهي: أُمّ الخير بنت صَخْر بن عَمْرو بنت عمّ أبي قُحَافة، واسمها: سلمى، وتُكْنَى: أُم الخير، وهي من المبايعات، وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأُمُّه: قَيْلَةُ ـ بياء باثنتين منقوطة من أسفل ـ بنت أذاة بن رِياح بن عبد الله بن قُرْطِ بن رَزاح بن عدي بن كعب. وامرأة أبي بكر أم ابنه

---

(١) انظر ترجمته في أسد الغابة (٦/ ٢٧) تاريخ الإسلام (٢/ ٩٧) الرياض المستطابة للمحبّ الطبري (١٤٠) صفة الصفوة (١/ ٢٣٥) الكنى والأسماء (١/ ٦) الاستيعاب (٢٩٣) الإصابة (٤/ ١٠١) التحفة اللطيفة (٢/ ٣٥٨) تهذيب الكمال (٣/ ١٥٨٩) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣) ديوان الإسلام (ت ٦٦) تذكرة الحفاظ (١/ ٢) الكامل (١/ ٥٨٢).

(٢) «صحيح». أخرجه الترمذي (٣٦٧٩) والدولابي في الكنى (١/ ٦) وابن حبان (٢١٧١ ـ موارد) والطبراني (١/ ٦) والطبري في تاريخه (٢/ ٣٥٠).

الذين أسلموا بدعوة أبي بكر

فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب، والزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاَب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤيّ.

وعبدُ الرحمن بن عَوْف بن عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ.

وسَعْدُ بن أبي وقّاص، واسم أبي وقّاص: مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ.

وطَلْحةُ بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ، فجاء بهم إلى رسول الله - ﷺ - حين استجابوا له، فأسلموا وصلَّوْا، وكان رسول الله - ﷺ - يقول فيما بلغني: «ما دعوتُ أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبْوة، ونَظَر وتردّد، إلا ما كان من أبي بَكْر بن أبي قُحافة، ما عَكَم عنه حين ذكرتُه له، وما تردّد فيه»[١].

عبد الله وأسماء: قَتْلَة بنت عبد الْعُزّى بتاء منقوطة باثنتين من فوق، وقيل فيها: بنت عبد أسعد بن نصر بن حِسْل بن عامر وهو قول الزبير وذكر أن رسول الله - ﷺ - عرض عليه الإسلام، فما عَكَمَ عند ذلك، أي: ما تردّد، وكان من أسباب توفيق الله إياه - فيما ذكر - رؤيا رآها قبل ذلك، وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة، ثم رآه قد تفرّق على جميع منازل مكة وبيوتها، فدخل في كل بيت منه شُعبَة، ثم كأنه جُمِع في حِجْره، فقصَّها على بعض الكتابيين، فعبّرها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه تتبعه، وتكون أسعدَ الناس به، فلما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، لم يتوقف، وفي مدح حَسّان الذي قاله فيه، وسمعه النبي ﷺ، ولم ينكره دليل على أنه أول مَن أسلم من الرجال، وفيه:

خير البرية أتقاها، وأفضلها ... بعد النبي، وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مَشْهَدُه ... وأول الناسِ قدمًا صَدَّق الرُّسُلا[٢]

إسلام أبي عبيدة وسعيد بن زيد

وذكر إسلام أبي عُبَيْدة بن الْجَرّاح واسمَه، وقد اختلف فيه، فقيل: عبد الله بن عامر،

---

(١) انظر الرياض النضرة للطبري (١/ ٧٥). (٢) انظر نسب قريش للزبيري (٢٧٦).

قال ابن هشام: قوله: «بدعائه» عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن هشام: قوله: عكم: تلبَّث. قال رُؤْبة بن العَجَّاج:

وانـظـاع وثَّـابٌ بـهـا ومـا عَـكَـم

قال ابن إسحٰق: فكان هؤلاء النَّفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلَّوا وصدّقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله.

ثم أسلم أبو عُبَيْدة، واسمه: عامر بن عبد الله بن الجرّاح بن هِلال بن أُهَيْبِ بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْرٍ. وأبو سَلَمَة، واسمه: عبد الله بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ.

والأرقم بن أبي الأرْقم. واسم أبي الأرقم: عبد مناف بن أسَد ـ وكان أسَد يُكَنّى: أبا جُنْدُب ـ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ. وعثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤيّ. وأخواه: قُدامة وعبد الله ابنا مَظْعون بن حبيب.

وعُبَيدة بن الحارث بن الْمُطَّلِب بن عبد مناف بن قصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ، وسَعيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاحِ بنِ رَزَاح بن عديّ بن كَعْب بن لؤيّ، وامرأته: فاطمة بنت الخطَّاب بن نُفَيلِ بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رَزَاحِ بن عديّ بن كَعْب بن لؤيّ، أُختُ عُمر بن الخطَّاب. وأسماءُ بنت أبي بَكْر. وعائشةُ بنت أبي بكر، وهي يومئذ صغيرة. وخَبَّاب بن الأرَتّ، حليف بني زهرة.

قال ابن هشام: خبَّاب بن الأرَتّ من بني تَمِيم، ويقال: هو من خزاعة.

وقيل: عامر بن عبد الله. وأُمه: أُمَيْمَةُ بنت غَنْم بن جابر بن عبد الْعُزّى بن عامرة بن وَدِيعة بن الحارث بن فِهْرٍ، قاله الزبير[١].

وذكر إسلام سعيد بن زيد، وقد ذكرناه فيما مضى، وذكرنا أُمّه فاطمة بنت بَعْجَة بن خَلَفِ الْخُزاعية، وما وقع في نسبه من التقديم والتأخير، ومن الفتح في رِزَاح بن عدي والكسر، وأن رِزاح بن ربيعة هو الذي لم يختلف في كسر الراء منه، ويكنّى سعيد: أبا الأعور، توفي بأرضه بالعقيق، ودفن بالمدينة في أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى

(١) في نسب قريش (ص ٤٤٥).

قال ابن إسحٰق: وعُمَيْرُ بن أبي وقَّاص، أخو سَعْد بن أبي وقَّاص. وعبدُ الله بن مَسْعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُذيل حليف بني زُهْرَة، ومسعود بن القارِي، وهو مَسْعود بن رَبيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العُزَّى بن حَمَالَةَ بن غالب بن مُحلِّم بن عائذة بن سُبَيع بن الهُون بن خُزَيْمَةَ من القارَة.

وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، روى عنه ابن عُمَر، وعَمْرو بن حُرَيْث، وأبو الطُّفَيْل عامر بن وَاثِلَةَ وجماعة من التابعين، ولم يروِ عن رسول الله ـ ﷺ ـ إلا حديثين. أحدهما: «مَن غَصَب شبرًا من أرض طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين»[1] وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ـ ﷺ ـ بالجنة، وأحد الذين رجف بهم الجبل، فقال له النبي ﷺ: «اثْبُتْ حِراءُ؛ فإنما عليك نبيّ أو صديق أو شهيد»[2]. ويُروى: «اثبت أُحُدُ»[3]، وأن القصة كانت في جبل أُحُدٍ، ويُروى أنها كانت في جَبل ثَبِير ذكره الترمذي، وأنهم كانوا أربعة مع رسول الله ﷺ، وهم الخلفاء الأربعة، ولعل هذا أن يكون مرارًا، فتصحّ الأحاديث كلها، والله أعلم.

إسلام سعد وابن عوف والنحام

وذكر فيمن أسلم بعد أبي بكر سعدَ بن أبي وَقَّاص، واسم أبي وقاص: مالك بن أُهَيْب، وأُهَيْب: هو عمّ آمنة بنت وهب أم النبي ـ ﷺ ـ والوقاص في اللغة، هو واحد الوَقَاقيص وهي شباك يصطاد بها الطير، وهو أيضًا فَعَّال من وَقَص إذا انكسَر عنقه، وأُمُّ سعد: حَمْنَةُ بنت سفيان بن أُمية بن عبد شمس، يكنَى: أبا إسحٰق، وهو أحد العشرة، دعا له النبي ـ ﷺ ـ أن يُسَدِّدَ الله سهمه، وأن يُجيب دعوته، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة[4].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «احذروا دعوة سعد». مات في خلافة معاوية.

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٣/ ١٧٠) ومسلم في المساقاة (١٤٢) وأحمد (٦/ ٦٤) والدارمي (٢/ ٢٦٧) والبيهقي (٦/ ٩٩).

(٢) «صحيح». أخرجه الترمذي (٣٧٥٧) وابن ماجة (١٣٤) وأحمد (١/ ١٨٩) والحاكم (٣/ ٤٥١) وأبو داود (٤٦٤٨) بتحقيقي.

(٣) «صحيح». أخرجه البخاري (٥/ ١٤) والترمذي (٢٦٩٧) وأحمد (٢/ ٣٣١) وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٠١).

(٤) «صحيح». أخرجه الترمذي (٣٧٥٢) وابن حبان (٢٢١٥ ـ موارد) والحاكم (٣/ ٤٩٩) وصححه وأخرجه الذهبي. وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٣/ ١/ ٩٧) نسب قريش (٩٤) طبقات خليفة (١٥/ ١٢٦) وتاريخ خليفة (٢٢٣) حلية الأولياء (١/ ٩٩ـ ٩٥) تاريخ بغداد (١/ ١٤٤)=

قال ابن هشام: والقارَة: لقب، ولهم يقال:

قد أنصفَ القارَةَ مَنْ راماها

وكانوا قومًا رُماةً.

قال ابن إسحٰق: وسَليطُ بن عمرو بن عَبد شَمْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْلِ بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر. وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ. وامرأته أسماء بنت سَلامَة بن مُخرِّبة التميمية. وخُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عَدِيّ بن سعد بن سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤيّ. وعامر بن رَبيعة بن عَنْز بن وائل، حليف آل الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى.

قال ابن هشام: عَنْز بن وائل أخو بَكْر بن وائل، من ربيعة بن نزار.

قال ابن إسحٰق: وعبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرَة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة. وأخوه: أبو أحمد بن جَحْش، حليفا بني أُمَيَّة بن عبد شمس. وجعفرُ بن أبي طالب، وامرأته: أسماء بنت عُمَيس بن النعمان بن كَعْب بن مالك بن قُحافة، من خَثْعَم، وحاطبُ بن الحارث بن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤيّ، وامرأته فاطمة بنت الْمُجَلَّل بن عبد الله أبي قَيْس بن عبد ودّ بن نَضر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. وأخوه خَطَّاب بن الحارث، وامرأته فُكَيهة بنت يَسار. ومَعْمَر بن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ. والسائب بن عثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب. والمطَّلِب بن أزْهر بن عَبْد عَوْف بن عَبْد بن الحارث بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ، وامرأته: رَمْلة بنت أبي عَوْف بن صُبيرَة بن سُعَيد بن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَيّ. والنَّحَّام، واسمه: نُعَيم بن عبد الله بن أَسِيد، أخو بني عديّ بن كَعْب بن لؤيّ.

وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرَة، وهو أيضًا أحد العشرة يكنّى: أبا محمد، أُمُهُ: الشّفاء بنت عوف بنَ عَبْد بن الحَارث وهي بنت عمّ عوْفِ والدِ عبد الرحمن بن عوف، فأبوها: عَوْف عم عوف وأخو عبد عوف.

= أسد الغابة (٢/ ٣٦٦) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٨١) العبد (١/ ٦٠) العقد الثمين (٤/ ٥٣٧) النجوم الزاهرة (١/ ١٤٧).

قال ابن هشام: هو نُعَيم بن عبد الله بن أَسِيد بن عبد الله بن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عديّ بن كَعْب بن لُؤَيّ، وإنما سُمّي النَّحّامَ، لأن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لقد سمعت نَحْمَة في الجنة».

قال ابن هشام: نحمه: صوته وحِسُّه.

وذكر نُعَيْم بن عبد الله النَّحّام، وقول النبي ـ ﷺ ـ: «سمعت نَحْمَة في الجنة»، ولم يفسّر النَّحم ما هو، وهي سُعْلة مستطيلة، ويقال للبخيل: نَحّام؛ لأنه يَسْعُل إذا سُئِل يتشاغل بذلك، وأنشد الزبير:

مـا لـك لا تـنـحِـم يـا رَواحـهْ　　　إن الـنَّـحـيـمَ لـلـسُّـقَـاة راحـهْ

قال: ويقال للنُّحمة: نَحطَة، وقال غيره: النَّحطَة في الصدر، والنَّحْمَة في الحلق، والنُّحَام أيضًا طائر أحمر في عظم الإوَزّ.

عبد الله بن مسعود ومسعود القاري

وذكر عبد الله بن مسعود بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل حليف بني زهرة، وقال في نسبه: كاهَل، وقيده الوقشِي بفتح الهاء من كاهَل، كأنه سُمّي بالفعل من كَاهل يُكَاهِلُ، كما قال ـ عليه السلام لرجل استأذنه في الجهاد ـ واسمه: جَاهِمَةُ ـ فقال: هل في أهلك مِنْ كَاهِلٍ أي: من قَوِيّ على التصرف، والاكتهال: القُوة. وقال أبو عبيد: كاهَل أي: أَسَن، وقال ابن الأعرابي: إنما لفظ الحديث هل في أهلك من كاهن، وغيَّره الراوي له، فقال: مِنْ كاهِل، قال: وكاهن الرجال، هو الذي يخلف الرجل في أهله يقوم بأمرهم بعد، يقال منه: كَهَنَ يَكْهُن كهانة.

وذكر في نسبه أيضًا شَمْخًا وهو من شَمَخ بأنفه إذا رفعه عزةً. وأم عبد الله هي: أُم عبد بنت سَوْدِ بن قديم بن صاهلة هذلية.

وذكر مسعودًا القاري، وهو: مسعود بن ربيعة ورفع نسبه إلى الهَوْن بن خُزَيمة، وهم القارَة وفيهم جرى المثل المثل: قد أنصف القارة من راماها. قال الراجز:

قد علمت سَلْمى، وَمَنْ والاها　　　أنـا نـرد الـخَـيـلَ عَـنْ هـواهـا

نـــردّهـــا دامـــيَـــةً كُـــلاَهـــا　　　قـد أنـصـف الـقَـارَة مَـن راماهـا

إنّـا إذا مـا فِـئَـةٌ نَـلـقَـاهـا　　　نَـرُدُّ أُولاهـا عـلـى أُخْـراهـا

وسُمّي بنو الْهُون بن خُزَيمة قارَةً لقول الشاعر منهم في بعض الحروب:

دَعُـونـا قَـارةً لا تُـذْعِـرونـا　　　فـنُـجْـفِـلَ مـثـل إجـفـال الـظَّـلـيـم

....

هكذا أنشده أبو عُبَيْد في كتاب الأنسابِ، وأنشده قاسمٌ في الدلائل:

دَعُـونـا قـارة لا تُـذْعِـرونـا فَـتَـنْـبَـتِـكَ الـقَـرابَـةُ والـذِّمـامُ

وكانوا رُمَاةَ الحَدَق، فمَن راماهم فقد أنصفهم، والقارَة: أرضٌ كثيرة الحجارة، وجمعها قُور، فكأن معنى المثل عندهم: أن القارَة لا تَنْفَدُ حجارتُها إذا رمي بها، فمَن راماها فقد أنصف.

وهم في نسب أبي حذيفة:

وذكر أبا حذيفة بن عتبةَ. قال ابن هشام: واسمه: مِهْشَم، وهو وَهْم عند أهل النسب، فإن مِهْشَمًا إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم، وهشام ابني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه: قيس فيما ذكروا.

عميس:

وذكر أسماء بنت عُمَيْس امرأة جعفر بن أبي طالب، وعُمَيْس أبوها هو: ابن مَعْد بن الحارث بن تَيْم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن زيد بن مالك بن نَسْر بن وَهْب بن شَهْران بن عِفْرِس بن حُلْف بن أَفْتَل، وهو: جماعة خَثْعَم بن أنمار على الاختلاف في أنمار هذا، وقد تقدم. وأمها: هِند بنت عوف بن زهَيْر بن الحارث من كِنانة، وهي أُخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي ـ ﷺ ـ. أمهما واحدة، وأُخت لُبابة أم الفضل امرأة العباس، وكنّ تسع أخوات، فيهنّ قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الأخوات مؤمنات»[1] وكانت قبل جعفر عند حَمْزة بن عبد المطلب، فولدت له أمةَ الله، ثم كانت عند شداد بن الهاد، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن، وقد قيل: بل التي كانت عند حمزة، ثم عند شداد هي أُختها: سلمى، لا أسماء، وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق، فولدت له محمدَ بن أبي بكر، وتزوجها بعده عليُّ بن أبي طالب، فولدت له يحيىٰ. قال الكلبي: ولدت له مع يحيىٰ عونَ بن علي، ولم يختلف أنها ولدت لجعفر ابنًا اسمه: عون، وولدت له أيضًا عبد الله بن جعفر، وكان جواد العرب في الإسلام، وبنات عُمَيْس: أسماء وسلامة وسلمى، وهنّ أخوات ميمونة وسائر أخواتها لأُم.

تصويب في نسب بني عديّ:

وذكر ابن إسحٰق في السابقين إلى الإسلام من بني سَهْم: عبدَ الله بن قيس بن

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢) والطبري في الكبير (١١/ ٤١٥) وابن سعد (٨/ ٩٨).

قال ابن إسحٰق: وعامر بن فُهَيرة، مولى أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه.

الحارث بن عديّ بن سُعَيْد بن سهم، وحيثما تكرر نسب بني عديّ بن سعد بن سهم يقول فيه ابنُ إسحٰق: سُعَيد، والناس على خلافه، وإنما هو سَعْدٌ، وسيأتي في شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك، وإنما سُعَيْدُ بن سَهْم أخو سعد، وهو جدّ آل عمْرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سهم وفي سهم: سُعَيْدٌ آخر، وهو ابن سعد المذكور، وهو جدّ المطلب بن أبي وَدَاعَةَ، واسم أبي وداعة: عوف بنُ صُبَيْرة، ابن سُعَيْد بن سعد، وقد قيل في صُبَيْرة: ضُبَيْرة بالضاد المعجمة، وهو الذي كان شابًا جميلاً يلبس حلّة، ويقول للناس: هل ترون بي بأسًا إعجابًا بنفسه، فأصابته المنيّة بغتة، فقال الشاعر فيه:

مَنْ يأمن الْحِدْثَانَ بعد صُبَـ ... ـيْـرَة الـقـرشـي مـاتـا

سبقت منيته المَشيـ ... ـبَ وكان مَنيَته افتِلاتا[1]

عنـز:

وذكر عامر بن ربيعة، وقال: هو من عَنْزِ بن وائل. عنْز بسكون النون، ويذكَر عن عليّ بن الْمَدِينِي أنه قال: فيه عَنَز بفتح النون، والسكون أعْرفُ. ذكر أهل النسب أن وائلاً [بن قاسط] كان إذا وُلِدَ له وَلَد، خرج من خبائه، فما وقعت عينه عليه سمّاه به، فلما وُلد له بكر وقعت عينهُ على بَكْرِ من الإبل، فسمّاه به، فلما وُلِدَ له تغلب رأى نفسين يتغالبان، فسمّاه تَغْلِب، فلما وُلِدَ له عَنْزٌ، رأى عَنْزًا ـ وهي الأُنثى من المعز ـ فسماه عَنْزًا، فلما وُلد له الشُّخَيْص خرج فرأى شخصًا على بُعدٍ صغيرًا، فسماه: الشُّخَيْص، بهؤلاء الأربع، هم قبائل وائل، وهم معظم ربيعة، وهو عامر بن ربيعة العَنْزِيّ الْعَدَوِيُّ حليف لهم، ويقال: هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رُفَيْدة بن عَنْز بن وائل بن قاسط، وقيل: عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حُجَيْر بن سلامان بن هِنب بن أَفْصَى بن دُعْمِي بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعَة بن نزار بن مَعَدّ بن عَدْنان.

إسلام عامر بن فهيرة

وذكر عامِرَ بن فُهَيْرة مولى أبي بكر، وفُهَيْرَة: أُمُّه، هي تصغير فِهْر، لأن الْفِهْرَ مؤنثة، وكان عبدًا أسود للطُّفَيْل بن الحارث بن صَخْرَة اشتراه أبو بكر فأعتقه، وأسلم قبل دخول النبي ـ ﷺ ـ دار الأرْقَمِ، وسيأتي في الكتاب نُبَذٌ من أخباره، منها: أنه قتله عامرُ بن الطفيل

---

(١) افتلاتًا: أي فجاة.

قال ابن هشام: عامر بن فُهَيرة مِوَلَّد من مُوَلَّدي الأسْد، أسْوَدُ اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم.

قال ابن إسحٰق: وخالد بن سَعيد بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ، وامرأته أُمَيْنة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بَياضة بن سُبَيع بن جِعْثِمَة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو، من خُزاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هُمَينة بنت خَلف.

قال ابن إسحٰق: وحاطب بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْرِ. وأبو حُذَيفة، واسمه: مِهْشَمٌ - فيما قال ابن هشام - بن عُتبة بن رَبيعة بن عبد شَمْس بن عَبْد مناف بن قُصيّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤَيّ. وواقدُ بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِين بن ثعلبة بن يَرْبوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، حليف بني عديّ بن كَعْب.

قال ابن هشام: جاءت به باهلةُ، فباعوه من الخطّاب بن نُفيل، فتبنّاه، فلمّا أنزل الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] قال: أنا واقد بن عَبْدِ الله، فيما قال أبو عمرو المدني.

قال ابن إسحٰق: وخالدٌ وعامر وعاقل وإياس بنو البُكَير بن عبد ياليل بن ناشب بن غِيَرة من بني سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة حلفاء بني عديّ بن كعب. وعَمَّار بن ياسر، حليف بني مخزوم بن يقَظَة.

قال ابن هشام: عمَّار بن ياسر عَنسِيّ من مَذْحِج.

يوم بئر معُونَةَ، فلما طعنه خرج من الطعنة نورٌ، وكان عامر يقول: مَنْ رَجلٌ لما طعنته رُفع، حتى حالت السماء دونَه، هذه رواية البَكّائِيّ عن ابن إسحٰق، وفي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحٰق أن عامرًا سأل رسول الله - ﷺ - حين قَدِمَ عليه، وقال: يا محمد مَنْ رَجلٌ من أصحابك لما طعنتُه رُفع إلى السماء؟ فقال: «هو عامر بن فُهَيْرة»، وروى هشامُ بن عُرْوةَ عن أبيه: أن عامرًا التُمِسَ في القتلى يومئذ فلم يُوجد، فكانوا يرون أن الملائكة رفعته، أو دفنته ذكره ابن المبارك[1].

---

(١) أخرج البخاري في المغازي (٤٠٩٣) في حديث طويل قول عمرو بن أمية: «هذا عامر بن فهيرة فقال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع».

قال ابن إسحٰق: وصُهَيب بن سِنَان، أحد النَّمرِ بن قاسط، حليف بني تَيْم بن مُرّة.

قال ابن هشام: النَّمرِ بنُ قاسط بن هِنْب بن أفصى بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نزار، ويقال: أفصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد، ويقال: صُهَيب: مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْدَ بن تيم.

اصدع بما تؤمر وما المصدرية والذي:

فصل: وذكر قول الله سبحانه: ﴿فَٱصْدَعْ بما تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]. والمعنى: اصْدَع بالذي تؤمر به، ولكنه لمّا عَدَّى الفعل إلى الهاء حَسُن حذفُها، وكان الحذفُ هٰهنا أحسَن من ذكرها؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه الذي، وقولهم: ما مع الفعل بتأويل المصدر، راجِعٌ إلى معنى الذي إذا تأملته، وذلك أن الذي تصلح في كل موضع تصلح فيه ما التي يسمّونها المصدرية نحو قول الشاعر(١):

عســى الأيــامُ أن يَــرْجِــعْـــ ـــنَ يَــوْمًــا كــالــذي كــانــوا

أي: كما كانوا، فقول الله عزّ وجل إذًا: ﴿فاصْدَع بما تُؤْمَرُ﴾ إمَّا أنْ يكونَ معناه: بالذي تؤمر به من التبليغ ونحوه، وإما أن يكون معناه: اصدع بالأمر الذي تؤمره، كما تقول: عجبت من الضرب الذي تضربه، فتكون ما هٰهنا عبارة عن الأمر الذي هو أمرُ الله تعالى، ولا يكون للباء فيه دخولٌ، ولا تقدير، وعلى الوجه الأول تكون ما مع صلتها عبارة عمّا هو فعل للنبي - ﷺ - والأظهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذي هو قول الله ووحيه، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى: ما، وإن كانت بمعنى الذي في الوجهين جميعًا، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف إلا الهاء وحدها، وإذا أردت معنى المأمور به، حذفت باءً وهاءً، فحذْفٌ واحد أيسر من حذفين مع أن صَدْعَه وبيانه إذا علقته بأمر الله ووحيه، كان حقيقة، وإذا علقته بالفعل الذي أمر به كان مجازًا، وإذا صرَّحت بلفظ الذي، لم يكن حذفُها بذلك الحسن، وتأمله في القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى: ﴿وأعلم ما تُبدون وما كنتم تَكتمون﴾ [البقرة: ٣٣] ﴿ويعلم ما تسرّون وما تعلنون﴾ [التغابن: ٤]. و﴿لما خلقْتُ بيَديّ﴾ [صَ: ٧٥]. و﴿لا أعْبُدُ ما تعبدون﴾ [الكافرون]. ولم يقل: خلقتُه، وحذف الهاء في ذلك كله، وقال في الذي: ﴿الذين آتيناهم الكِتاب﴾ [البقرة: ١٢١] و﴿الذي جعلناه للناس سواء﴾ [الحج: ٢٥] وما أشبه ذلك، وإنما كان الحذف مع ما أحسنَ لما قدَّمناه من

---

(١) هو: شبل بن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك المشهور بالفند الزماني. وانظر القصيدة في كتاب «الحيوان» للجاحظ (٦/ ١٤٠) والأمالي للقالي (١/ ٢٦٠).

ويقال: إنه رُوميّ. فقال بعضُ مَنْ ذُكر أنه من النَّمِرِ بن قاسط: إنما كان أسيرًا في أرض الروم، فاشْتُرِي منهم، وجاء في الحديث عن النبيّ ﷺ: صُهَيب سابق الروم[1].

إبهامها، فالذي فيها من الإبهام قَرَّبها مِن ما التي هي شرط لفظًا ومعنى، ألا ترى أن ما إذا كانت شرطًا تقول فيها: ما تَصْنَعْ أصنعْ مثله، ولا تقول: ما تصنعه؛ لأن الفعل قد عمل فيها، فلما ضارعتها هذه التي هي موصولة، وهي بمعنى الذي أُجريت في حذف الهاء مجراها في أكثر الكلام، وهذه تفرقة في عود الضمير على ما، وعلى «الذي» يشهد لها التنزيل، والقياس الذي ذكرناه من الإبهام، ومع هذا لم نرَ أحدًا نبَّه على هذه التفرقة، ولا أشار إليها، وقارىء القرآن محتاج إلى هذه التفرقة. وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذي؛ لأنه أوجز، ولكنه ليس كحُسْنِه مع مَنْ وَما، ففي التنزيل: ﴿والنور الذي أنزلنا﴾ [التغابن: ٨] فإن كان الفعل متعديًا إلى اثنين كان إبرازُ الضمير أحسنَ من حذفه، لئلا يتوهم أن الفعل واقع إلى المفعول الواحد، وأنه مقتصر عليه، كقوله تعالى: ﴿[والمسجدِ الْحَرام الذي] جعلناه للناس سَواء﴾ [الحج: ٢٥] و﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ [البقرة: ٢١] وشرح ابن هشام معنى قوله: اصدع شرحًا صحيحًا، وتتمته أنه صَدْع على جهة البيان، وتشبيه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل. والقرآنُ نور، فصدَع به تلك الظُّلْمة، ومنه سُمِّي الفجر: صديعًا، لأنه يصدع ظلمةَ الليل، وقال الشَّمَّاخُ:

ترى السِّرْحانَ مُفْتَرِشًا يديه ... كأن بياضَ لَبَّته صَدِيعُ

على هذا تأوّله أكثر أهل المعاني، وقال قاسم بن ثابت: الصديع في هذا البيت: ثوبٌ أسود تلبسه النَّوَّاحة تحته ثوب أبيض، وتصْدع الأسودَ عند صدرها فيبدو الأبيض، وأنشد:

كأنهن إذْ وَرَدْنَ لِيعا ... نَوَّاحةٌ مُجْتَابةٌ صَدِيعا

تمّ الجزء الأول من الروض الأُنُف
ويليه إن شاء الله الجزء الثاني
وأوله: مباداة رسول الله ﷺ قومه

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ١٦١) والطبري في تفسيره (٢٢/ ٦٦) وابن عساكر في تهذيبه (٣/ ٣٠٩) (٦/ ٤٥٠).

الفهـــرس



الروض الأنف

في تفسير السيرة النبوية لابن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
الخثعمي السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفى سنة ٢١٣هـ

علّق عليه ووضع حواشيه
مجدي بن منصور بن سيد الشورى

تنبيه

وضعنا نص السيرة النبوية لابن هشام في أعلى الصفحات
ووضعنا أسفل منها نص الروض الأنف
وفصلنا بينهما بخط

الجزء الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مبادأة رسول الله ﷺ قومه

قال ابن إسحٰق: ثم دخل الناس في الإسلام أرْسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتُحُدِّث به. ثم إن الله - عزّ وجلّ - أمر رسولَه - ﷺ - أن يصدع بما جاءه منه، وأن يباديَ الناسَ بأمره، وأن يدعوَ إليه، وكان بين ما أخفَى رسولُ الله - ﷺ - أمرَه، واستتَر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاثُ سنين - فيما بلغني - من مَبْعثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وأعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. وقال تعالى: ﴿وأنْذِرْ عَشِيرتَكَ الأقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وقُلْ إنّي أنا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[١] [الشعراء: ٢١٥ - ٢١٧].

قال ابن هشام: فاصدع: افرُق بين الحقّ والباطل. قال أبو ذُؤَيب الهذليّ، واسمه: خُويلد بن خالد، يصف أُتُن وَحْش وفَحْلَها:

وكأنهنَّ رِبابَةٌ، وكأنَّه ... يَسَرٌ يَفِيض على القِداح ويَصْدَعُ

مبادأة رسول الله ﷺ قومه

أصل الصلاة لغة:

ذكر في الحديث: أن أبا طالب حَدِبَ على رسول الله - ﷺ - وقام دونه: أصل الْحَدَبِ: انحناءٌ في الظهر، ثم استُعِير فيمن عطف على غيره، ورقّ له كما قال النابغة:

حَدِبَتْ عليّ بطونُ ضَبَّة كلها ... إنْ ظالمًا فيهم، وإنْ مظلوما

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٩٩) والوفا (٢٤٠) والمنتظم لابن الجوزي (١/ ٣٦٤).

أي: يُفرّق على القِداح ويبيّن أنصباءها. وهذا البيت في قصيدة له. وقال رؤبة بن العجّاج:

أنتَ الحَليمُ، والأميرُ المُنتَقم تَصْدَعُ بالحق، وتنفِي مَن ظَلَمْ

وهذان البيتان في أُرجوزة له.

صلاة الرسول وأصحابه في الشعاب:

قال ابن إسحٰق: وكان أصحابُ رسول الله ﷺ إذا صلّوا، ذهبوا في الشِّعاب، فاسْتَخْفَوْا بصلاتهم من قومهم، فبينا سَعْد بن أبي وقّاص فِي نَفَرٍ من أصحاب رسول الله - ﷺ - في شِعْبٍ من شِعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين - وهم يصلُّون - فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعدُ بن أبي وقّاصٍ يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْي بعير، فشجَّه، فكان أوّلَ دم هُريق في الإسلام[1].

عداوة الشرك للرسول ومساومته لعمّه:

قال ابن إسحٰق: فلما بادى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قَومه بالإسلام وصدَع به كما أمره الله، لم يبعد منه قَوْمُه، ولم يردّوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خِلافَه وعداوتَه، إلا مَنْ عَصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مُستخفُون، وحَدِب على رسول الله ﷺ عمُّه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، ومضى رسولُ الله - ﷺ - على أمر الله، مُظْهرًا لأمره، لا يردّه

ومثل ذلك الصلاة، أصلها: انحناء وانعطاف من الصَّلَوَيْن وهما: عرقان في الظهر إلى الفخذين، ثم قالوا: صَلَّى عليه، أي: انحنى عليه، ثم سمُّوا الرحمة حُنُوًّا وصلاة، إذا أرادوا المبالغة فيها، فقولك: صلّى الله على محمد، هو أرقّ وأبلغ من قولك: رحم الله محمدًا في الحنوّ والعطف. والصلاة أصلها في المحسوسات عُبِّر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيدًا كما قال الشاعر:

فما زِلت في لِيني [له] وتعطُّفي عليه، كما تحنو على الولد الأمّ

ومنه قيل: صَلَّيت على الميت أي: دعوت له دعاء مَن يحنو عليه ويتعطّف عليه. ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق: لا تقول: صَلَّيتُ على العدو، أي: دعوت عليه. إنما يقال: صَلَّيتُ عليه في معنى الْحُنُوّ والرحمة والعطف؛ لأنها في الأصل

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الوفا (٢٦٣) وذكره ابن الجوزي في المنتظم (١/ ٣٦٧) ونسبه لابن برير.

عنه شيء. فلما رأت قريش، أن رسول الله ﷺ لا يُعْتبهم مِنْ شيء، أنكروه عليه، مِن فراقهم وعَيْب آلهتهم، ورأوْا أن عمَّه أبا طالب قد حَدِب عليه، وقام دونه، فلم يُسْلمه لهم، مشى رجالٌ من أشراف قُريش إلى أبي طالب، عُتبةُ وشَيْبة ابْنا ربيعة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب. وأبو سفيان بن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهر.

قال ابن هشام: واسم أبي سفيان: صَخْر.

قال ابن إسحٰق: وأبو البَخْتَرِيّ، واسمه: العاص بن هشام بن الحارث بن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤَيّ.

انعطاف، ومن أجل ذلك عُدِّيت في اللفظ بعلَى، فتقول: صلّيت عليه، أي: حَنَوْتُ عليه، ولا تقول في الدعاء إلا: دعوتُ له، فتُعَدِّي الفعل باللام، إلاَّ أنْ تريد الشرَّ والدعاءَ على العدو، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء، وأهْلُ اللغة لم يفرقوا، ولكن قالوا: الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقًا، ولم يَفرقُوا بين حالٍ وحالٍ، ولا ذكروا التعدّي باللام، ولا بعلى، ولا بدّ من تقييد العبارة، لما ذكرناه، وقد يكون الْحَدَبُ أيضًا مستعملاً في معنى المخالفة إذا قُرن بالْقَعَسِ كقول الشاعر:

وإن حَدِبُوا، فأقعَس[1] وإن هم تقاعسوا ... لينتزعوا ما خَلْفَ ظهرك فاحْدَب

وكقول الآخر:

ولن يُنَهْنِه[2] قومًا أنت خائِفَهم ... كمثل وَقْمِك[3] جُهّالاً بِجُهّال

فاقْعَسْ إذا حَدِبوا، واحدب إذا قَعِسوا ... ووازن الشرَّ مِثْقَالاً بمثقال

أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان له.

أبو البختري:

فصل: وذكر مجيء النفر من قريش إلى أبي طالب في أمر النبي ﷺ، وذكر أنسابهم،

---

(١) القعس: دخول الظهر وخروج الظهر. والقصيدة في كتاب الحيوان للجاحظ (٥/ ١٧٤) منسوبة لأبي الأسود الدؤلي. والقاف والعين والسين أصل صحيح يدل على ثبات وقوة، والأقعسان: جبلان طويلان، وليل أقعس: أي طويل ثابت. انظر مقاييس اللغة (٥/ ١٠٩).

(٢) نهنه: زجر.

(٣) وقم الرجل: أكرهه وأذله.

قال ابن هشام: أبو البَخْتَرِيِّ: العاص بن هاشم.

قال ابن إسحٰق: والأسود بن المطَّلب بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤَيّ. وأبو جهل ـ واسمه عمرو، وكان يُكْنى أبا الحَكَم ـ ابن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم بن يقَظَة بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ. والوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مرّة بن كعب بن لؤي، ونُبيه ومُنبِّه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤَيّ. والعاص بن وائل.

قال ابن هشام: العاص بنُ وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤَيّ.

قال ابن إسحٰق: أو مَنْ مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلَّل آباءنا، فإمَّا أن تُكفَّه عنَّا، وإما أن تُخلِّي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنَكْفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقًا، وردّهم ردًّا جميلاً، فانصرفوا عنه.

ومضى رسولُ الله ﷺ على ما هو عليه، يُظهِر دينَ الله، ويدعو إليه، ثم شَرِيَ الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجالُ، وتضاغنوا، وأكثرت قُرَيشٌ ذِكْرَ رسول الله ـ ﷺ ـ بينها، فتذامروا فيه، وحضَّ بعضُهم بعضًا عليه، ثم إنهم مَشَوْا إلى أبي طالب مرّة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سِنًّا وشرفًا ومنزلةً فينا، وإنّا قد اسْتَنْهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنَّا، وإنّا والله لا نَصْبر على هذا مِنْ شَتم آبائنا، وتَسْفيه أحلامنا، وعَيْب آلهتنا، حتى تكفَّه عنا، أو نُنازله وإيَّاك في ذلك، حتى يَهْلِك أحدُ الفريقين، أو كما قالوا له. ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراقُ قومه وعَداوتهم، ولم يَطِبْ نفسًا بإسلام رسول الله ـ ﷺ ـ لهم ولا خِذْلانه[1].

وذكر فيهم أبا البَخْتَرِيّ بن هشام، قال: واسمُه: العاصي بن هشام، وقال ابن هشام: هو العاصي بن هاشم، والذي قاله ابن إسحٰق هو قول ابن الكلبي، والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبي بكر وقول مُصْعَبٍ[2] وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر: سفيان بن العاصي.

---

(١) البيهقي في الدلائل (٢/ ١٨٧) وابن الجوزي المنتظم (١/ ٣٦٨) الكامل لابن الأثير (١/ ٥٨٥).
(٢) انظره في نسب قريش (٢٠٩).

مناصرة أبي طالب للرسول ﷺ

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنس أنه حُدِّث: أنَّ قُريشًا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله - ﷺ - فقال له: يا بن أخي، إنّ قومك قد جاؤوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبْقِ عليّ، وعلى نفسك، ولا تُحَمِّلني من الأمر ما لا أُطيق: فظنّ رسول الله - ﷺ - أنه قد بدَا لعمه فيه أنه خاذِله ومُسْلمه، وأنه قد ضعُف عن نصرته والقيَام معه. قال: رسول الله - ﷺ -: «يا عمّ، والله لو وضعوا الشمسَ في يَميني، والقمرَ في يَساري على أن أترك هذا الأمر

لو وضعوا الشمس في يميني

فصل: وذكر قول النبي - ﷺ - «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أدعَ هذا الذي جئت به ما تركته»، أو كما قال[1]. خَصَّ الشمسَ باليمين؛ لأنها الآية الْمُبْصِرةُ، وخصّ القمر بالشمال لأنها الآية الْمَمْحُوَّة، وقد قال عمر - رحمه الله - لرجل، قال له: إني رأيت في المنام كأن الشمسَ والقمر يقتتلان، ومع كل واحد منهما نُجُومٌ، فقال عمر: مع أيّهما كنت؟ فقال: مع القمر، قال: كنت مع الآية الْمَمْحُوَّة، اذهب، فلا تعمل لي عملاً، وكان عاملاً له، فعزَلَه، فقُتل الرجل في صِفِّينَ مع معاوية، واسمه: حابس بن سعد، وخصّ رسول الله - ﷺ - النَّيِّرين[2] حين ضَرب المثل بهما؛ لأن نورَهما محسوسٌ، والنورُ الذي جاء به من عند الله - وهو الذي أرادوه على تركه - هو لا مَحَالَة أشرفُ من النور المخلوقِ، قال الله سبحانه: ﴿يُريدون أنْ يُطْفِئوا نُورَ الله بأفواهِهِم ويأبى اللَّهُ إلاَّ أن يُتِمَّ نورَه﴾ [التوبة: ٣٣]. فاقتضت بلاغة النبوة - لما أرادوه على ترك النور الأعلى - أن يقابله بالنور الأدنى، وأن يخصّ أعلى النيِّرين، وهي الآية المبصِرة بأشرف اليدين، وهي اليمنى بلاغةٌ لا مثلها، وحكمة لا يَجهل اللبيبُ فضلها[3].

البـداء:

وقول ابن إسحٰق: ظنّ رسول الله - ﷺ - أن قد بَدَا لعمّه بَداء، أي: ظهر له رأي،

---

(١) «ضعيف». أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ٥٤٥) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٨٧) وابن إسحٰق في المغازي (١/ ٢٨٤). وهو معضل.

(٢) النيرين: الشمس والقمر.

(٣) تقدم تخريج الحديث وبيان ضعفه وبين السهيلي على بعض الأحاديث الضعاف كلام كثير وإن كان حسنًا وتأويل وتفسير مقبول، ولكنه يزداد حُسنًا إذا كان الحديث صحيح. فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنّا كل خير.

حتى يُظهره الله، أو أَهْلِكَ فيه، ما تركتُه». قال: ثم اسْتَعْبَرَ رسول الله ـ ﷺ ـ فبكى ثم قام، فلما ولّى ناداه أبو طالب، فقال: أقْبِل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببتَ، فوالله لا أُسْلِمك لشيء أبدًا.

قال ابن إسحٰق: ثم إن قريشًا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبَى خذلان رسول الله ـ ﷺ ـ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشَوْا إليه بعُمارة بن

فسمّى الرأي بَداء، لأنه شيء يبدو بعد ما خفي، والمصدر البَدْء والبُدُوّ والاسم: البَدَاء، ولا يقال في المصدر: بَدا له بُدُوٌّ، كما لا يقال: ظهر له ظهورٌ بالرفع؛ لأن الذي يظهر، ويبدو هاهنا هو الاسم: نحو الْبَدَاء وأنشد أبو علي:

لعلك والموعودُ حَقٌّ وَفاؤُه ... بدا لك في تلك الْقَلُوصِ[1] بَدَاء

ومن أجل أن البُدُو هو الظهور، كان البَداء في وصف الباري ـ سبحانه ـ مُحالاً؛ لأنه لا يبدو له شيء كان غائبًا عنه، والنَّسْخُ للحكم ليس ببَدَاء كما توهمت الجَهَلَة من الرافضة واليهود، إنما هو تبديل حكم بحكم بقدَر قدَّره، وعلم عِلمه، وقد يجوز أن يقال: بَدَا له أن يفعل كذا، ويكون معناه: أراد. وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب الشرع، وقد صحّ في ذلك ما خرّجه البخاري في حديث الثلاثة: الأعمى والأقرع والأبرص، وأنه عليه السلام قال: بدا لله أن يبتلِهم[2]، فبدا هنا بمعنى: أراد، وذكرنا الرّافضة، لأن ابن أعين، ومَن اتبعه منهم، يُجيزون البَدَاء على الله تعالى، ويجعلونه والنسخَ شيئًا واحدًا، واليهود لا تُجيز النسخ يحسبونه بَدَاءً، ومنهم مَن أجاز البَدَاء كالرافضة، ويُروَى أن عليًا ـ رحمه الله ـ صلّى يومًا، ثم ضحك فَسُئِل عن ضَحِكه فقال: تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة، ورآني أُصلّي مع رسول الله ـ ﷺ ـ بنخلة فقال: «ما هذا الفعل الذي أرى»؟ فلما أخبرناه، قال: «هذا حسن، ولكنْ لا أفعله أبدًا، لا أُحبّ أنْ تعلُوني اسْتِي» فتذكرت الآن قوله، فضحكت[3].

عرض قريش على أبي طالب:

فصل: وذكر قول الْمَلأ من قريش لأبي طالب: هذا عُمَارة بن الوليد أنْهَد فتًى في قريش، وأجمله، فخذه مكان ابن أخيك. أنْهدُ. أي: أقوى وأجلد، ويقال: فرسٌ نَهْدٌ للذي يتقدّم الخيل، وأصل هذه الكلمة: التقدم، ومنه يقال: نَهدَ ثديُ الجارية، أي: برز قُدُمًا.

---

(١) القلوص من الإبل: الشابة.
(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٣/ ١٣٧).
(٣) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (١/ ٣٥٩).

الوليد بن الْمُغِيرة، فقالوا له ـ فيما بلغني ـ: يا أبا طالب، هذا عُمَارَةُ بن الوليد، أنْهَدُ فَتى في قريش وأجملُه، فخذْه فلك عَقْله ونَصْرُه، واتخذْه ولدًا فهو لك، وأسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا، الذي قد خالف دينَك ودينَ آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفَّه أحلامهم، فنقتله فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تَسُومونني! أتُعطونني ابنَكم أغذوه لكم، وأُعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدًا. قال: فقال المُطْعِم بن عَدِيّ بن نوفل بن عبد مناف بن قُصَيّ: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك، وجهدوا على التخلّص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا، فقال أبو طالب للمُطعم: والله ما أنصفوني، ولكنَّك قد أجمعتَ خذلاني ومُظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بَدَا لك، أو كما قال. قال: فحَقِبَ الأمر، وحَميت الحربُ، وتنابذ القومُ، وبادى بعضُهم بعضًا.

فقال أبو طالب عند ذلك ـ يُعَرّض بالمُطْعِم بن عديّ ـ ويَعُمُّ مَن خذَله من بني عَبْد مناف، ومَنْ عاداه من قبائل قُرَيش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم:

وعمارة بن الوليد هذا المذكور هو: الذي أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة فسُحر هناك، وجُنّ، وسنزيد في خبره شيئًا بعد هذا إن شاء الله.

وذكَروا أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عُمارة بدلاً من محمد ﷺ: أرأيتم ناقة تحنّ إلى غير فصيلها وترْأَمُه[1] لا أُعطيكم ابني تقتُلونه أبدًا، وآخذ ابنَكم أكفله، وأغذوه، وهُو معنى ما ذكر ابن إسحٰق قال ابن إسحٰق فَحقِب الأمرُ عند ذلك، يريد: اشتد، وهو من قولك: حِقب البعير إذا راغ عنه الحَقَب من شدة الجهد والنصب، وإذا عسر عليه البول أيضًا لشدّ الْحَقَبِ[2] على ذلك الموضع، فيقال منه: حَقِب البعير، ثم يستعمل في الأمر إذا عَسِرَ، وكذلك قوله: فشَرِي الأمر عند ذلك، أي: انتشر الشرّ، ومنه الشَّرَى، وهي قُروح تنتشر على البدن[3]، يقال منه: شَرِي جلدُ الرجل، يَشْرَى شَرًى[4].

شعر أبي طالب:

فصل: وذكر شعر أبي طالب:

---

(١) ترأمه: تحبه وتحنو عليه.
(٢) الحقب: الحزام يلي حقو البعير.
(٣) كالبثور الصغار.
(٤) انظر مزيد إيضاح للقصة في تاريخ الطبري (١/ ٥٤٥) ط. دار الكتب العلمية. وكذا المنتظم لابن الجوزي (١/ ٣٦٧).

ألا قُلْ لعَمْرو والوليد ومُطْعِمٍ	ألا ليتَ حظِّي من حِيَاطَتِكم بَكْرُ
من الْخُور حَبْحابٌ كثيرٌ رُغاؤه	يُرَشّ على الساقين من بَوْله قَطْرُ
تخَلَّف خَلْف الوِرْد ليس بلاحق	إذا ما عَلا الفَيْفَاءَ قيل له: وَبْر
أرَى أخَوَيْنا من أبِينا وأُمِّنا	إذا سُئلا قالا: إلى غيْرنا الأمْر
بَلى لهما أمْرٌ، وَلَكِنْ تَجَرجُمَا	كما جَرْجَمَتْ من رأس ذي عَلَقٍ صَخر

ألا قُلْ لعمرو والوليد. إلى آخر الشعر.

وفيـه:

ألا ليت حَظِّي من حِياطتكم بَكْر

أي: إن بكرًا من الإبل أنفع لي منكم، فليته لي بدلاً من حياطتكم كما قال طرفة في عَمْرو بن هند:

فَلَيت لنا مكان الْمَلْكِ عَمْرو رَغُوثًا[1] حولَ قُبَّتِنا تَخُور

وقوله: من الخُوُر حَبْحَابُ. الخُور: الضِّعَاف، والحَبْحَابُ بالحاء: الصغير. وفي حاشية كتاب الشيخ أبي بحر: جَبْجَاب بالجيم، وفسّره فقال: هو الكثير الْهَذر، وفي الشعر:

إذا ما علا الفيفاء قيل له: وَبْرُ

أي يُشبَّه بالْوَبْر لصغره، ويحتمل أن يكون أراد: يَصْغُرَ في العين لعلو المكان وبعده، والْفَيْفاء فَعْلاء، ولولا قولهم: الفيْف، لكان حمله على باب القَضْقَاضِ[2] والجَرْجَارِ[3] أوْلَى، ولكن سُمع الْفَيْفُ، فعلم أن الألفين زائدتان، وأنه من باب قَلِقَ وسَلِسَ الذي ضوعفتِ فيه فاء الفعل دون عَيْنه، وهي ألفاظ يسيرة نحو قَلَقٍ وسَلسٍ وثُلُثٍ وسُدُسٍ، وقد اعتنينا بجمعها من الكلام، ولعل لها موضعًا تذكر فيه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، ولا تكون ألف فَيْفَاء للإلحاق فيصرف؛ لأنه ليس في الكلام: فعلال، فإن قيل: يكون ملحقًا بقَضْقَاض وبابه، قلنا: قَضْقَاض ثنائي مضاعف، فلا يُلْحق به الثلاثي، كما لا يلحق الرُّباعي بالثلاثي، ولا الأكبر بالأقل، وقد حكي فيفاة بالقصر وليست ألفها للتأنيث، إذ لا يجمع بين علامتي تأنيث، فهي إذا من باب أرطاة ونحوها، كأنها ملحقةٌ بسَلْهَبة[4]. وفي الشعر:

كما جَرْجَمَتْ من رأس ذِي عَلَق صَخْرُ

(١) الرغوث: هي كل مرضعة.
(٢) القضقاض: شجر من الحمض.
(٣) الجرجار: ضرب من النبات.
(٤) السلهبة: الجسيمة من النساء.

أَخُصّ خُصُوصًا عبد شَمس ونَوْفلاً هُمَا نَبَذانا مِثْلَ ما يُنبَذُ الجمر
هُمَا أغْمَزَا للقَوْمِ في أخوَيْهما فقد أصْبحا منهم أكفُّهما صِفر
وتَيْمٌ وَمَخْزوم وزُهرة منهُمُ وكانوا لنا مولى إذا بُغِي النَّصْر
فوالله لا تنفكّ منَّا عَداوَةٌ لا منهم ما كان من نَسْلنا شَفْر
فقَدْ سَفُهَتْ أحلامُهم وعُقولُهُمْ وَكانوا كَجَفْرٍ بئس ما صنعت جَفر

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

قال ابن إسحٰق: ثم إن قريشًا تذامروا بينهم على مَنْ في القبائل منهم من أصحاب رسول الله - ﷺ - الذين أسلموا معه، فوثبتْ كلُّ قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذّبونَهم، ويفْتِنُونهمْ عن دينهم، ومَنَع الله رسولَه - ﷺ - منهم بعمِّه أبي طالب، وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشًا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه، مِنْ مَنْع رسول الله - ﷺ - والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب، عدوّ الله الملعون.

وترك صَرْف عَلَق، إما لأنَّه جعله اسم بقعة، وإما لأنه اسمٌ علم، وترْك صرف الاسم العلم سائغٌ في الشعر، وإن لم يكن مُؤنثًا ولا عَجَميًا نحو قول عبَّاس بن مِرْداس:

وما كان حِصْنٌ ولا حابسٌ يفوقان مِرْداسَ في المَجْمعِ

ونحو قول الآخر:

يا مَن جَفَاني ومَلاً نسيتَ أهْلاً وسَهْلاَ
وماتَ مَرْحَبُ لما رأيتَ مَا لِيَ قَلاً

فلم يصرف مَرْحَبًا، وسيأتي في هذا الكتاب شواهدُ كثيرة على هذا، ونشرح العِلَّة فيه إن شاء الله تعالى[1]، ولو رُوِيَ: من رأس ذي عَلَق الصخر بحذف التنوين لالتقاء الساكنين، لكان حَسَنًا، كما قُرِىء: ﴿قل هو الله أحدُ الله الصَّمَدُ﴾ بحذف التنوين من أحد، وهي رواية ابن أبي عمرو بن العلاء، وقال الشاعر:

حميد الذي أمج داره

---

(١) انظر ألفية الإمام مالك (٣/ ٢٢٤ - ٢٢٨).

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه في جَهْدهم معه، وحَدَبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمَهم، ويذكر فضلَ رسول الله - ﷺ - فيهم ومكانَه منهم، ليشُدّ لهم رأيَهم، وليَحْدَبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعَتْ يوْمًا قُرَيشٌ لِمَفخَرٍ ... فعَبْدُ مناف سِرُّها وصَميمُها

فإن حُصّلت أشرافُ عبْدِ مَنافها ... ففِي هاشم أشْرَافُها وقَديمُها

تَداعَتْ قُرَيش غَثُّها وسَمِينُها ... علَينا فلم تَظْفَر وطاشتْ حلومُها

وكُنَّا قَديمًا لا نُقِرُّ ظُلامَةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْر الْخُدود نُقيمها

ونحمي حِماها كلَّ يَوْمِ كَرِيهة ... ونَضرِبُ عن أجحارها مَن يَرُومُها

بنا انْتَعَش العود الذَّوَاء، وإنما ... بأكْنافنا تندَيَ وتَنْمِي أرُومُها

موقف الوليد بن المغيرة من القرآن[1]

ثم إن الوليدَ بن المُغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قُرَيش - وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضَر

وقال آخر:

ولا ذاكر الله إلا قليلا

وأنشد قول أبي طالب:

إذا اجتمعت يومًا قُريش لِمَفْخَز ... فعبْدُ مَناف سِرُّها وصَمِيمُهَا

قوله: سرّها، أي: وَسَطُها، وسرّ الوادي وَسِرَارتهُ: وَسَطه، وقد تقدّم متى يكون الوسط مدحًا، وأن ذلك في موضعَين: في وصف الشهود، وفي النسب، وبيَّنَّا السرّ في ذلك.

وقال في القصيدة: ونضرب عن أحجارها مَنْ يرُومها. أي ندفع عن حصونها ومعاقلها، وإن كانت الرواية: أجحارها بتقديم الجيم، فهو جمع جُحْر والْجُحْر هنا مُستعار، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها.

موقف الوليد من القرآن

وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله: فيما جاء به النبي - ﷺ - من الوحي والقرآن: قد سمعنا الشعر فما هو بهَزَجِه، ولا رَجَزَه. والهَزجُ من أعاريض الشِّعر معروفٌ عند

---

(١) انظر الكامل (١/٥٩٢).

الموسمُ، فقال لهم: يا معشَر قرَيْش، إنه قد حضر هذا الموسمُ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سَمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمِعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا، فيكذّب بعضُكم بعضًا، ويردّ قولُكم بعضُه بعضًا، قالوا: فأنتَ يا أبا عبد شمس، فقُلْ، وأقِمْ لنا رأيًا نقول به، قال: بل أنتم، فقولوا أَسْمَعْ، قالوا: نقول: كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكُهَّان، فما هو بزَمْزَمة الكاهن ولا سَجْعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجُنون وعرفناه، فما هو بخنْقه، ولا تَخالِجُه، ولا وَسْوستِه، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشِّعر كلَّه: رجزَه وهَزجه وقَريضَه ومَقْبوضه ومَبْسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحَّار وسِحْرَهم، فما هو بنَفْثهم ولا عَقْدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لِقوله لحلاوةً، وإن أصلَه لَعَذْق، وإن فَرْعه لجَناة - قال ابن هشام: ويقال لغَدَق - وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرِف أنه باطل، وإن أقرب القول

العَروضيين، ولا أعرفُ له اشتقاقًا إلا أن يكون من قولهم في وصف الذباب: هَزِجٌ، أي: مُتَرَنم[1]، وأما الرَّجَزُ[2] فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرِّجازة، وهو شيء يعدل به الحمل، وكذلك الرَّجَزُ في الشعر أشطار مُعَدَّلة، ويجوز أن يكون من رَجَزَتْ الناقةُ إذا أصابتها رِعْدَةٌ عند قيامها، كما قال الشاعر: حتى تَقومَ تَكَلُّفَ الرَّجْزاء فالْمُرْتَجِزُ كأنه مُرْتَعِدٌ عند إنشادِهِ لِقِصَرِ الأبيات.

وقوله: قد سمعنا الكهان، فما هو بزَمْزَمَةِ الكاهِنِ ولا سَجْعه: الزَّمْزَمَةُ صوت ضعيف كنحو ما كانت الفُرْسُ تفعله عند شربها الماءَ، ويقال أيضًا: زَمْزَم الرَّعْد، وهو صوت له قبل الْهَدْرِ، وكذلك الْكُهَّان، كانت لهم زَمْزَمَةٌ الله أعلم بكيْفِيَّتها، وأما زَمْزَمَةُ الْفُرْس، فكانت من أُنوفهم.

وقول الوليد: إن أصله لَعَذْقٌ، وإن فَرْعَه لَجَناة. استعارة من النَّخْلة التي ثبَتَ أصلُها،

---

(١) هزج: الهاء والزاء والجيم: أصل صحيح يدل على صوت. يقولون الهزج: صوت الرعد، وبه شُبِّه الهَزَج من الأغاني. قال: كأنها جارية تهزج. انظر مقاييس اللغة (٦/ ٥٢). وفي اللسان (٢/ ٣٩٠). الهزج: صوت مطرب، والهزج: نوع من أعاريض الشعر، وهو مفاعيلن مفاعيلن، على هذا البناء كله أربعة أجزاء سُمِّي بذلك لتقارب أجزائه.

(٢) رجز: الراء والجيم والزاء أصل يدل على اضطراب، من ذلك الرجز داء يصيب الإبل في أعجازها، فإذا ثارت الناقة ارتعشت فَخِذاها، ومن هذا اشتقاق الرجز من الشعر؛ لأنه مقطوع مضطرب. مقاييس اللغة (٢/ ٤٨٩). وفي اللسان (٥/ ٣٥٠): قال ابن سيدة: «الرجز شعر ابتداء أجزائه سيان ثم وتد، وهو وزن يسهل من السمع ويقع في النفس. . .».

فيه لأنْ تقولوا: ساحر، جاء بقولٍ هو سحر يُفَرّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بِسُبُل النَّاس حين قَدِموا الموْسِمَ، لا يمرّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه إياه، وذكروا لهم أمرَه.

ما نزل في حق الوليد من القرآن

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المُغيرة، وفي ذلك من قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مالاً مَمدُودًا وبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلاَّ إِنَّهُ كانَ لآياتِنا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١١ ـ ١٦] أي خَصيمًا.

قال ابن هشام: عنيدًا: معاند مخالف. قال رؤبةُ بن العجَّاج:

ونــحــن ضَــرَّابــون رأس الـعُـنَّـدِ

وقوي وطاب فرعها إذا جنى[1]، والنخلة هي: الْعَذْقُ بفتح العين، ورواية ابن إسحٰق أفصح من رواية ابن هشام؛ لأنها استعارة تامّة يشبه آخرُ الكلام أولَه، ورواية ابن هشام: إن أصله لَغدقٌ، وهو الماء الكثير، ومنه يقال: غَيْدَق الرجلُ إذا كثر بصاقُه، وأحدُ أعمام النبي ـ ﷺ ـ كان يُسَمّى: الْغَيْداق لكثرة عطائه، والْغَيْدقُ أيضًا ولدُ الضَّبِّ، وهو أكبر من الْحِسْلِ قاله قُطْرُبٌ في كتاب الأفعال والأسماء له[2].

﴿ذرني ومَن خلقت وحيدًا﴾

فصل: وذكر ابن إسحٰق قول الله تعالى: ﴿ذَرْني ومَنْ خَلَقْتُ وحيدًا﴾ الآيات التي نزلت في الوليد، وفيها له تهديد ووعيد شديد، لأن مَعْنى: ﴿ذَرْني وَمَنْ خلقتُ﴾ أي دَعْني وإياه، فسترى ما أصنع به، كما قال: ﴿فَذَرْني ومَنْ يُكَذِّبُ بهذا الحديث﴾ [القلم: ٤٤] وهي كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغضبُه، وكرِه أن يُشْفَعَ لمَن اغتاظ عليه، فمعنى الكلام: أي: لا شفاعةَ تنفع لهذا الكافرِ، ولا استغفار يا محمدُ منك، ولا من غيرك[3] وقوله: ﴿وبنين شهودًا﴾ أي: مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه، لأن ماله ممدودًا والمالُ الممدود عندهم: اثنا عشر ألف دينار، فصاعدًا ﴿وَمَهَّدْتُ له تمهيدًا﴾ أي: هَيَّأْتُ له، وقدّمت له مقدمات اسْتِدْراجًا له، وقوله تعالى: ﴿سأُرْهِقُه صَعُودًا﴾ هي عَقَبَةٌ في جهنم، يقال لها: الصَّعُود مسيرُها سبعين سنةً، يكلَّفُ الكافر أن يَصْعَدَها، فإذا صعدها بعد

---

(١) جنى: أي طاب.
(٢) انظر نواد أبي زيد (ص ٩٢).
(٣) قوله: «وهي كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغضبه» لا تليق وصفًا لغضب الله تعالى وتفسيرًا لقوله.

وهذا البيت في أُرجوزة له:

﴿سأُرْهِقُهُ صَعُودًا إنَّهُ فكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وبَسَرَ﴾ [المدثر: ١٧ - ٢٢].

قال ابن هشام: بسر: كره وَجْهه. قال العجّاج:

مُضَبَّرِ اللَّحْيَيْنِ بَسْرًا مِنْهَا

يصف كراهية وجهه. وهذا البيت في أُرجوزة له:

﴿ثُمَّ أدْبَرَ واسْتَكْبَرَ فَقَالَ إن هذا إلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إنْ هَذَا إلاَّ قَوْلُ البَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٣ - ٢٥].

قال ابن إسحٰق: وأنزل الله تعالى: في رسوله - ﷺ - وفيما جاء به من الله تعالى، وفي النفر الذين كانوا معه يُصنِّفون القول في رسول الله ﷺ، وفيما جاء به من الله تعالى: ﴿كما أنزلْنا على المُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ فوَرَبِّك لَنسْأَلَنَّهُمْ أجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُون﴾ [الحجر: ٩٠ - ٩٣].

قال ابن هشام: واحدة العِضين: عِضَة، يقول: عَضَّوْه: فرقوه[١]. قال رؤبة بن العجّاج:

وليس دينُ اللَّهِ بالمُعَضَّى

عذاب طويل صُبَّ من أعلاها، ولا يتنفس، ثم لا يزال كذلك أبدًا، كذلك جاء في التفسير[٢].

وقوله سبحانه: ﴿فقُتِل كيف قَدَّر﴾ أي: لُعِن كيفما كان تقديرُه فكيف هاهنا من حروف الشرط، وقيل معنى قتل: أي هو: أهل أن يُدْعى عليه بالقتل، وقد فسّر ابنُ هشام: بَسَر والْبَسْرُ أيضًا: القهر، والْبَسْر حمل الفحل على الناقة قبل وقت الضِّراب. وفسّر عِضين،

---

(١) وقد وقع في هذا بعض الرعاة الذين جعلوا القرآن مناسبات ومواسم، فإذا جاء الحج أخذوا بعضه وإذا جاء رمضان أخذوا بعضه وإذا جاء الإسراء أخذوا بعضه وهكذا...، ثم لا تجدوا أكثرهم يأخذ قوله تعالى: ﴿ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ فلا تكاد تسمعها أو تسمع لها تفسيرًا وكأنها ليست من كتاب الله تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾، فأظهروا وبينوا بعض الكتاب وأضعفوا البعض الآخر، فلا مناسبة لذكره!!!.

(٢) «ضعيف الإسناد». أخرجه الترمذي (٣٣٢٦). وفيه ابن لهيعة: ضعيف. ودراج: ضعيف الرواية عن أبي الهيثم.

وهذا البيت في أُرجوزة له.

قال ابن إسحٰق: فجعل أولئك النفرُ يقولون ذلك في رسول الله - ﷺ - لِمَنْ لَقُوا من الناس، وصدرت العربُ من ذلك الموْسِم بأمر رسول الله - ﷺ - فانتشر ذكره في بلاد العرب كلِّها.

أبو طالب يفخر بنسبه وابن أخيه

فلما خَشي أبو طالب دَهْماءَ العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تَعَوَّذَ فيها بحَرَم مكة وبمكانه منها، وتودَّد فيها أشرافُ قومه، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم في ذلك من شعره أنه غير مُسْلِمِ رسولَ الله - ﷺ - ولا تاركه لشيء أبدًا حتى يهلِك دونه، فقال:

ولـمَّـا رأيـتُ الـقَـوْمَ لا وُدّ فـيـهـمُ ... وقـد قـطـعـوا كـلّ الـعُـرَى والـوَسـائـل

وقـد صـارَحُـونـا بـالـعَـدَاوَةِ والأذَى ... وقـد طـاوَعُـوا أمْـرَ الـعَـدوّ الـمُـزايـل

وقـد حـالَـفـوا قَـوْمًـا عَـلَـيْـنـا أظِـنَّـةً ... يَـعَـضُّـونَ غَـيْـظًـا خَـلْـفـنـا بـالأنـامـل

صَـبَـرْتُ لـهـم نَـفْـسي بـسَـمْـراء سَـمْـحةٍ ... وأبـيـضَ عَـضْـب مـن تُـراث الـمَـقَـاول

وجعله من عَضَّيت أي فَرَّقت، وفي الحديث: «لا تَعْضِيَة في ميراث إلا ما احتمله الْقَسَمُ»[1] ومعنى هذا الحديث موافقٌ لمذهب ابن القاسم ورأيه في كل ما لا ينتفع به إذا قسم أو كان فيه ضرر على الشريكين ألاّ يقسم، وهو خلاف رأي مالك، وحجة مالك قول الله تعالى: ﴿مِمَّا قلّ منه أو كَثُر نصيبًا مَفْروضًا﴾ [النساء: ٧]. وقد قيل في عِضِين إنه جمع عِضَة، وهي السِّحر وأنشدوا:

أعـوذ بـربـي مـن الـنـافـثـا ... ت في العقَد العاضِه الْمُعْضِه

ومنه قولهم:

يا لِلْعَضِيهَةِ ويا لِلأَفيكَة [ويا لِلْبَهيتة]

شرح لامية أبي طالب

فصل: وذكر قصيدة أبي طالب إلى آخرها، وفيها: وأبيض عَضْبٍ من تُراث الْمَقاول.

---

(١) «ضعيف». أخرجه البيهقي في الكبرى (١/ ١٣٣) والدارقطني (٤/ ٢١٩) بتحقيقي. فيه صديق بن موسى بن عبد الله: ليس بحجة.

وأحضرتُ عند البيت رَهْطي وإخوتي | وأمسكت من أثْوَابِهِ بالوَصَائل
قِيامًا مَعًا مُسْتقبِلينَ رِتاجَه | لديّ حيثُ يُقْضى حَلْفَه كلُّ نافل
وحيثُ يُنيخ الأشْعَرون رِكَابهم | بمُفضى السُّيولِ من إسافَ ونائل
مُوَسَّمةُ الأعْضَادِ، أوْ قَصِرَاتها | مُخَيَّسةٌ بينَ السَّديس وبازل

قد شرحنا الأقيال والمقاول، فيما تقدم، وتراث أصله: وُراث من وَرِثت، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا في مواضع محفوظة، وعِلتها كثرة وجود التاء في تصاريف الكلمة، فالتراث مال قد تُوُورث. وتَوارثه قوم عن قوم، فالتاء مستعملة في التوريث والتوارث، وكذلك تجاه البيت، التاء مستعملة في التَوَجُّهِ والتَّوْجيه ونحوه، فلما ألفَوْها في تصاريف الكلمة لم ينكروا قلبَ الواو إليها، كما فعلوا في ريحان وهو من الرَّوْح لكثرة الياء في تصاريف الكلمة، كما قدّمنا قبل، وهي في تراث وبابه أبعد؛ لأن الياء المألوفة في مادة الكلمة زائدة، وياء ريحان ليست كذلك، وكذلك التُكَأة من توكأت وتَتْرَى من التَّواتر، والتَّوْلَج من التَّوَلُّج والْمُتَّلِج، لأنهم يقولون: اتَّلَجَ بالتشديد، فتصير الواو تاءً للإدغام، حتى يقولوا: مُتَّلِج فيجعلونها تاء دون الإدغام، وهذا أشبه بقياس رَيْحان وبابه؛ فإن التاء الأولى من مُتَّلِج أصلية وهي في مُتَّلج إذا ضُعِّفت أصلية أيضًا، فهي هي، فقف على هذا الأصل؛ فإنه سرّ الباب[1]. وأراد بالمقاول: آباءه، شبّههم بالملوك، ولم يكونوا ملوكًا، ولا كان فيهم مِنْ ملكٍ بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل: هل كان في آبائه من ملك؟ فقال: لا. ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكر أبو طالب من هِبَات الملوك لأبيه، فقد وهب ابنُ ذي يزن لعبد المطلب هباتٍ جَزْلة حين وفد عليه مع قريش، يهنئونه بظفره بالحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله - ﷺ - بعامين.

وقوله:

مُوسَّمة الأعضاد أو قَصَراتها

يعني [مُعَلَّمَة] بسمة في أعضادها، ويقال لذلك الوسم السِّطَاع والخِبَاط في الفخذ والرَّقْمَة أيضًا في العُضُد، ويقال للوسم في الْكَشْحِ: الكِشاح ولما في قَصَره العُنُقِ: العِلاط، والْعَلْطَتَانِ والشُّعْب أيضًا في العنق، وهو كالمِحْجَن، وفي الْعُنُقِ وسم آخر أيضًا يقال له قَيْدُ الفَرَس. قال الراجز:

كُومٌ على أعناقها قَيْدُ الْفَرَسْ | تنجو إذا الليل تدانى، والْتَبَس

---

(١) انظر شرح الشافية للرضي (٣/ ٨٠).

....

ولوسُوم الإبل أسماء كثيرة وباب طويل، ذكر أبو عبيد أكثره في كتاب الإبل، فمنها الْمُشَيْطَنَةُ والْمُفَعَّاة والقُرْمَة وهي في الأنف، وكذلك الْجُرْف والخُطَّاف وهي في العنق، والدَّلْو وَالْمُشط وَالْفِرْتاج والثُّؤْثُور والدِّمَاع في موضع الدمع، والصِّداغ في موضع الصُدْغ واللِّجَام من الخدّ إلى العين، يقال منه: بعير مَلْجوم، والهِلال والخِرَاش وهو من الصُدغِ إلى الذقن.

وقوله: أو قَصَراتها جمع قَصَرَة، وهي أصل العنق، وخفضها بالعطف على الأعضاد، ولا يجوز أن تكون في موضع نصب كما تقول: هو ضارب الرجل وزيدًا في باب اسم الفاعل؛ لأن قوله: موَسَّمة الأعضاد من باب الصفة المشبهة، وهي لا تعمل إلا مُضمرة، واسم الفاعل يُضْمر إذا عطف على المخفوض، وذلك أن الصفة لا تعمل بالمعنى، وإنما تعمل بشبَهٍ لفظي بينها، وبين اسم الفاعل، فإذا زال اللفظ، ورجع إلى الإضمار لم تعمل، وتخالف اسم الفاعل أيضًا؛ لأن معمولها لا يتقدم عليها، كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل، وذلك أن منصوبها فاعل في المعنى، والفاعلُ لا يتقدم، والصفة لا يُفصل بينها وبين منصوبها بالظرف، ويجوز ذلك في اسم الفاعل، والصفة لا تعمل إلا بمعنى الحال، واسمُ الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال، نعم ويعمل بمعنى الماضي إذا دخلت عليه الألف واللام، ولو رُوِيَ: موسمة الأعضادَ بنَصب الدال على معنى: موسمةٌ الأعضادَ بالتنوين، وحذفه لالتقاء الساكنين، لجاز كما رُوِيَ في شعر خُنْدُجٍ:

كَبِكْرِ مُقَانَاة البياضَ

بالنصبِ وبالرفع أيضًا، أي: البياض منهم على نيّة التنوين في مقاناة، وحذفه لالتقاء الساكنين، وأما الخفض فلا خفاء به. وإذا كانت القَصَراتُ مخفوضةً بالعطف على الأعضاد، ففيه شاهد لِمَن قال: هو حسن وَجْهِهِ كما روى سيبويه حين أنشد:

كُمَيْتا[١] الأعالي[٢] جَوْنَتا[٣] مُصْطَلاهُما[٤]

وفي حديث أم زرع: صُفْرُ ردائِها، ومِلْءُ كسائها[٥] مثل حسنةُ وجهِها، وفي الأمالي

---

(١) كميتًا: مثنى كميت وهي الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد.

(٢) أعالي: الجارتين. (٣) الجونة: السوداء.

(٤) مصطلي: أي محترق بالنار.

(٥) «صحيح». أخرجه البخاري (٧/ ٣٥) ومسلم في فضائل الصحابة (٩٢) وابن أبي عاصم (٩/ ١٧١).

تـرى الـوَدْع فـيـهـا، والـرُّخـامَ وزيـنـةً	بِـأعْـنـاقِـهـا مَـعْـقُـودَةً كـالْـعَـثـاكـل
أعُـوذُ بـرَبِّ الـنَّـاسِ مِـن كـلِّ طـاعـنٍ	عـلَـيْـنـا بـسُـوءٍ، أوْ مُـلِـحٍّ بـبـاطـل
ومِـنْ كـاشِـحٍ يَـسْـعَـى لـنـا بِـمَـعِـيـبَـةٍ	ومن مُلْحِقٍ في الدين ما لم نُحاول

من صفة النبي ﷺ: شَثْنُ الكفّين طويلُ أصابعِه[1]، أعني: مثل صِفْر ردائها.

وقوله: ترى الودع فيه. الْوَدَع، والْوَدْع بالسكون والفتح: خرزات تنظم، ويتحلى بها النساء والصّبيان كما قال:

[السّنُّ من جَلْنَزِيزٍ[2] عَوْزَمٍ[3] خَلَقٍ]	والْحِلْمِ حلْم صبي يَمرُس[4] الوَدَعه

وقال الشاعرُ:

إن الـرُّواة بـلا فَـهْـمٍ لـمـا حـفـظـوا	مثل الجمال عليها يُحْمَل الْوَدَعُ
لا الـوَدْعُ يـنـفـعـه حـمـلُ الـجِـمـال لـه	ولا الـجِـمَـالُ بـحـمـل الْـوَدْع تَـنـتـفـع

ويقال: إن هذه الخرزات يقذفها البحر، وأنها حيوان في جوف البحر، فإذا قذفها ماتت، ولها بريق ولون حسن، وتصلب صلابة الحجر، فتثقب، ويتخذ منها القلائد، واسمها مشتق من وَدَعْته أي: تركته، لأن البحر ينضب عنها ويدعها، فهي وَدَع مثل قَبَض[5] ونفَض[6]، وإذا قلت الْوَدْع بالسكون فهي من باب ما سُمّي بالمصدر.

وقوله: والرُّخام أي: ما قطع من الرُّخام، فنظم وهو حجر أبيض ناصع: والعثاكل: أراد العثاكيل[7]، فحذف الياء ضرورة كما قال ابن مُضَاض: وفيها العصافر، أراد: العصافير، وفي أول القصيدة: وقد حالفوا قومًا علينا أظِنَّة [جمع ظَنِين] أي مُتّهم، ولو كان بالضاد مع قوله، علينا، لعاد معناه مَدْحًا لهم، كأنه قال: أشِحَّةً علينا، كما أنشد عمرو بن بَحْر [الجاحظ][8]:

لـو كـنـت فـي قـوم عـلـيـك أشِـحَّـةً	عـلـيـك ألا إن مَـنْ طـاح[9] طـائـحُ

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٧/ ١٣٣).
(٢) الجلنز: الغليظ الشديد.
(٣) العزوم: الناقة السمينة وفيها بقية شباب، كنّى بها عن النساء كما كنّى عنهنّ بالقوارير.
(٤) المرسة: الجبل لتمرّس الأيدي به.
(٥) قبض: بمعنى مقبوض.
(٦) نفض: مصدر نفضت الثوب.
(٧) العثاكيل: جمع عثكال وهو: العِذْق. اللسان (١١/ ٤٢٥).
(٨) انظر (١/ ٥٠). مع اختلاف يسير في الألفاظ.
(٩) الطح: البَسْطُ. اللسان (٢/ ٥٢٨).

وثَـوْرٍ، وَمَـنْ أرْسَـى ثَـبِـيرًا مـكـانَـه | وراقٍ لِـيَـرْقـى فـي حِـرَاءَ ونـازل
وبالبيت، حَقَّ البيت، من بطن مكة | وبـالـلَّـهِ إنَّ الـلَّـهَ لـيـسَ بـغـافِـل
وبـالـحَـجـر الـمُـسْـوَدّ إذ يـمْـسَـحُـونـه | إذا اكْـتَـنَـفُـوه بـالـضُّـحـى والأصـائـل[1]

يودون لو خاطوا عليك جُلودهم | وهل يدفع الموتَ النفوسُ الشحائحُ

وفيهـا:

وثَـوْرٍ ومَـن أرسـى ثَـبِـيرًا مـكـانَـه | وراقٍ لـيـرقَـى فـي حِـرَاء ونـازلِ

ثور: جبل بمكة، وثَبير: جبل من جبالها ذكروا أن ثبيرًا كان رجلاً من هُذيل مات في ذلك الجبل، فعرف الجبل به، كما عرف أبو قبيس[2] بقُبَيْس بن شَالح رجل من جُرْهم، كان قد وشى بين عمرو بن مُضاض، وبين ابنة عمّه مَيَّة، فنذرت ألا تكلمه، وكان شديد الكَلَف بها، فحلف ليقتلَنّ قُبَيْسًا، فهرب منه في الجبل المعروف به، وانقطع خبرُه فإمَّا مات، وإما تردَّى منه، فسمى الجبل: أبا قبيس وهو خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الكتاب.

وقوله: وراق ليرقى قد تقدم القول فيه، وأصحّ الروايتين فيه: وراق لبِرٍّقي حراء ونازل. قال الْبَرْقِيُّ: هكذا رواه ابن إسحٰق وغيره، وهو الصواب. قال المؤلف: فالوهم فيه إذًا من ابن هشام، أو من البكائي، والله أعلم.

وقوله: وبالحجر الأسود، فيه زحاف يسمى: الكَفّ، وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول حُنْدُجٍ:

ألا رُبَّ يـوم لـك مـنـهـنّ صـالـح

وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك.

وقـولـه:

إذا اكـتـنـفـوه بـالـضُّـحـى والأصـائـل

الأصائل: جمع أصيلة، والأُصُل جمع أصيل، وذلك أن فعائل جمع فعيلة، والأصيلة: لغة معروفة في الأصيل، وظن بعضهم أن أصائل: جمع آصال على وزن أفعال، وآصال: جمع أُصُل نحو أطناب وطُنُب، وأُصُل: جمع أصيل مثل رُغُفٍ: جمع رغيف، فأصائل على قولهم: جَمْعُ جَمْعِ الْجَمْعِ، وهذا خطأ بيِّن من وجوه منها: أن جمعَ جمعِ الجمعِ لم يوجد

---

(١) الأصائل: جمع أصيلة، والأُصُل: جمع أصيل.
(٢) جبل مشرف على مكة. وفي التهذيب: جبل مشرف على مسجد مكة.

قطّ في الكلام، فيكون هذا نظيره، وعن جهة القياس إذ كانوا لا يجمعون الجمع الذي ليس لأدنى العدد، فأحْرَى ألا يجمعوا جمعِ الجمع، وأبين خطأ في هذا القول غفلتُهم عن الهمزة التي هي فاء الفعل التي في أصيل وأُصُل، وكذلك هي فاء الفعل في أصائل، لأنها فعائل، وتوهّموها زائدة كالتي في أقاويل، ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل، وإنما هي عينه، كما هي في أصيل وأصل، فلو كانت أصائل جمع آصال، مثل أقوال وأقاويل لاجتمعت همزة الجمع مع همزة الأصل ولقالوا فيه: أواصيل بتسهيل الهمزة الثانية، ووجه آخر من الخطأ بيِّنٌ أيضًا، وهو أن أفاعيل جمع أفعال، لا بُدَّ من ياءٍ قبل آخره، كما قالوا في أقاويل، فكان يكون أواصيل، وليس في أصائل حرف مَدٍّ ولِينٍ قبل آخره إنما هي همزة فعائِل، ومن الخطأ في قولهم أيضًا: أن جعلوا أُصُلاً جمعًا كثيرًا مثل رُغُف، ثم زعموا أن آصالاً جمعٌ له، فهم بمنزلة مَن قال في رُغُفٍ جمع أرغاف، فإن قيل: فجمع أي شيء هي آصال؟ قلنا: جمع أصُل الذي هو اسم مُفْرد في معنى الأصائل لا جمع أُصُل الذي هو جمع، فإن قيل: فهل يقال أُصُلٌ واحد، كما يقال أصيلٌ واحد؟ قلنا: قد قال بعضُ أرباب اللغة ذلك، واستشهدوا بقول الأعشى:

يومًا بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ولا بأحْسَنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ

أي: دنا الأصيل، فإن صحّ أن الأصلُ بمعنى الأصيل، وإلا فآصال جمع أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طَوِيٍّ[1] وأطْواء، ولا أعرف أحدًا قال هذا القول، أعني: جَمْعَ جَمْعِ الْجَمْعِ غير الزَّجَّاجِيِّ وابن عزيز.

وقوله:

ومَوطئ إبراهيم في الصخر رطبة

يعني موضع قدميه حين غسلت كَنَّتُه[2] رأسَه، وهو راكب، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسَه ليُغسلَ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهدًا حين استأذنها في أن يطالع تَرِكَتَه[3] بمكة، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابّته، ولا يزيد على السلام، واستطلاع الحال غَيْرَةً من سارة عليه من هاجر، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آيةً. قال الله سبحانه: ﴿فيه آياتٌ بَيِّناتٌ مَقَامُ إبراهيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] أي: منها مقام إبراهيم، ومَن

(١) طوي: بئر.
(٢) كَنَّته: أي امرأة ابنه إسماعيل عليها الصلاة والسلام، وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام.
(٣) أي من تركتهما بمكة وهما: إسماعيل وأمه هاجر عليها السلام.

وأشْواطِ بين المَرْوتين إلى الصَّفا	وما فيهما من صُورة وَتَمَاثِلِ
ومَنْ حَجَّ بيتَ اللَّهِ مِنْ كل راكب	ومِنْ كل ذي نَذْر ومِنْ كل راجل
وبالمَشْعَر الأقْصَى إذا عَمَدوا له	إلآلِ إلى مُفْضَى الشِّراج القَوابل
وَتَوْقافِهم فوْقَ الجِبال عَشِيَّةً	يُقيمون بالأيدي صُدورَ الرّواحل
وليلةِ جَمْعٍ والمنازل مِن مِنى	وهَلْ فوقها من حُرْمة ومَنازل
وَجَمْع إذَا ما المُقْرَبات أجَزْنَه	سِراعًا كما يَخْرُجْنَ من وَقْع وابِل

جعل مَقامًا بدلاً من آياتٍ، قال: الْمَقامُ جمع مقامة، وقيل: بل هو أثر قدمه حين رفع القواعدَ من البيت وهو قائم عليه.

وقوله: بين الْمَرْوَتَيْنِ: هو كنحو ما تقدم في بطن المكّتين والْحَمَّتَيْن وعُنَيْزَتَيْن، مما ورد مُثَنًّى من أسماء المواضع، وهو واحد في الحقيقة، وذكرنا العلة في مجيئه مثنى ومجموعًا في الشعر. وفيها قوله:

وبالْمَشْعَرِ الأقْصَى إذا قَصَدُوا له ألاَلا

البيت. فالمشعر الأقصى: عَرَفَةُ، وألالا: جبل عَرَفة. قال النابغة:

يَزُرْنَ ألاَلاً سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ

وسُمِّي: ألالاً لأن الحجيج إذا رأوه ألُّوا في السير أي: اجتهدوا فيه؛ ليدركوا الموقف قال الراجز:

مُهْرَ أبي الْحَبْحَابِ لا تَشَلِّي ... بارك فيكَ الله من ذي ألِّ[1]

والشِّراج: جمع شَرْج، وهو مسيل الماءِ، والقوابلُ: المتقابلة. وفيها قوله: وحَطْمِهُمُ سُمْرَ الصِّفَاحِ: جمع صَفْح، وهو سَطْح الجبل، والسُّمْر يجوز أن يكون أراد به السَّمُرَ، يقال فيه: سَمُر وسَمْر بسكون الميم، ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين، كما قالوا في حَسُنَ: حُسْنَ، وكذا وقع في الأصل بضم السين، غير أن هذا النَّقل إنما يقع غالبًا فيما يُراد به المدح أو الذمّ نحو حَسُن وقبُح، كما قال: وحُسْنَ ذا أدبا. أي حَسُن ذا أدَبًا، وجائز أن يراد بالسُّمْر هٰهنا جمع: أَسْمَرَ وسَمْراء ويكون وصفًا للنبات، والشجر كما يوصف بالدُّهْمَة إذا كان مُخْضَرًّا، وفي التنزيل: ﴿مُدْهَامَّتَان﴾ [الرحمٰن: ٦٤] أي: خضراوان إلى السواد.

---

(١) انظر إصلاح المنطق لابن السكّيت (ص ٢٣).

وبالجمْرة الكُبْرَى إذا صَمَدوا[1] لها ... يَؤُمُّون قَذْفًا رأسَها بالجَنادِل
وكِنْدَةَ إذْ هُم بالْحِصاب عَشِيَّةً ... تُجيز بهم حُجَّاجُ بَكْر بن وائل
حَليفان شَدًّا عَقْدَ ما احْتَلفا له ... ورَدًّا عليه عاطفات الوَسائِل
وَحَطْمِهِمُ سمَرْ الرِّمَاحِ وَشَرْحَهُ ... وشِبْرِقَهُ وَخْدَ النَّعَام الحوامل
فهَل بعْد هذا من مَعاذٍ لعائذٍ ... وهل مِنْ مُعيذ يتَّقي اللَّهَ عاذل
يُطاع بنا أمْرُ العِدَا وَدّ أنَّنا ... تُسَدُّ بنا أبوابُ تُرْك وكابُل
كذَبْتُمْ وبيتِ اللَّه نَتْرك مكَّةً ... ونظْعَن إلا أمْرُكم في بَلابِل
كذبتم ـ وبيتِ الله ـ نُبْزَى محمدًا ... ولمَّا نُطاعِن دونَه ونُناضل
ونُسْلِمُه حتى نُصرَّع حولَه ... ونَذْهل عن أبْنائِنا والحَلائل
ويَنْهَضَ قومٌ فِي الحديد إليكُمُ ... نُهوضَ الرَّوايا تحت ذات الصَّلاصل
وحتى ترى ذا الضِّغْن يركب رَدْعه ... من الطَّعْنِ فِعْل الأنْكَبِ[2] الْمُتَحامل

وقوله: وشِبْرِقَه. وهو نبات يقال ليابسه: الْحَلِيّ، والرطبة: الشِّبْرِق.

وقوله: نبذي محمدًا أي نسلبه ونُغْلب عليه.

وقوله: نُهوضَ الرَّوايا. هي الإبل تحمل الماءَ واحدتها: راوية، والأسْقِيَةُ أيضًا يقال لها: روايا، وأصل هذا الجمع: رَوَاوِي ثم يصير في القياس: رَوائي مثل حوائل جمع: حول، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعدما قدّموا الياء قبلها، وصار وزنه: فوالع، وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين، واو فواعل، الواو التي هي عين الفعل، ووجه آخر، وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة في الجمع لوقوع الألف بين واوين، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء، كما فعلوا في خطايا وبابه، مما الهمزة فيه معترضة في الجمع، والصَّلاصل. المزادات لها صَلْصَلة بالماء[3].

(١) صمدوا لها: أي توجهوا لها. و«الصمد» اسم من أسماء الله تعالى كما ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾. والصمد: قيل هو الذي لا جوف له، وقيل: أي السيد، وقيل: الذي توجه إليه في قضاء الحوائج، وقيل الصمد: هو الذي «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد». ويطلب الاسم غير معرّف على الله وعلى خلقه، ولا يطلق معرفًا إلا على الله تعالى، ولذا جاء في التنزيل بالتعريف، بخلاف اسمه تعالى الأحد. وانظر للمحقق «القول الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى».

(٢) الأنكب من الإبل: كأنما يمشي في شِقّ.

(٣) وقيل الصلصلة: بقية الماء.

وإنّا ـ لَعَمْرُ الله ـ إنْ جَدَّ ما أرى لَتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثل

بكَفَّيْ فَتًى مثلِ الشّهاب سَمَيْدَعٍ أخِي ثقةٍ حامي الحقيقة باسل

شُهورًا وأيّامًا وحَوْلاً مُجَرَّما علَينا وتأتي حِجَّةٌ بعدَ قابل

وما تَرْكُ قومٍ ـ لا أبا لك ـ سيِّدًا يَحُوط الذِّمار غير ذَرْبٍ مُواكِل

وأبيضَ يُسْتسقى الغَمامُ بوجْهِه ثِمَالَ اليَتامى عِصْمةً للأرامل

يلُوذ به الهُلاَّكُ من آل هاشم فهُمْ عنده في رَحْمة وفَواضِل

لَعَمْري لقد أجْرى أسِيدٌ وبِكْرُه إلى بُغْضنا وجَزَّآنا لآكل

وعثمانُ لم يَرْبَع علينا وقُنْفُذٌ ولكن أطاعا أمْرَ تلك القبائل

أطاعا أُبَيًّا، وابنَ عَبْدِ يَغُوثِهِم ولم يَرْقُبا فينا مقالةَ قائل

كما قد لَقِينا مِنْ سُبَيْع ونَوفَل وكُلٌّ تَولى مُعْرِضًا لم يُجامِل

فإن يُلْفَيا، أو يُمْكنِ الله منهما نَكِلْ لهما صاعًا بِصَاعِ المُكايل

وذاك أبو عَمْرو أبى غيرَ بُغْضنا لِيُظْعِننا في أهْل شاءٍ وجامل

يُناجِي بنا في كلّ مُمْسًى ومُصْبَح فناجِ أبا عَمْرٍ بنا ثم خاتل

ويُؤْلِي لنا بالله ما إنْ يَغُشُّنا بَلى قد تراهُ جَهْرَةً غير حائل

وفيها قوله: غير ذَرْبٍ مواكل. وهو مخفف من ذَرِب والذَّرِبُ: اللسان الفاحش المنطق، والمواكل الذي لا جِدّ عنده فهو يَكِل أموره إلى غيره.

وفيها قوله: ثِمالَ اليتامى، أي: يَثْمُلُهُم، ويقوم بهم، يقال: هو ثِمال مالٍ أي يقوم به.

وفيها قوله:

لِيُظْعِنَنَا في أهل شاء وجامل

الشّاء والشَّوِيُّ: اسم للجمع مثل الباقر والبقير، ولا واحد لشاء، والشَّوِيُّ من لفظه، وإذا قالوا في الواحد: شاة، فليس من هذا؛ لأن لام الفعل في شاة هاء بدليل قولهم في التصغير: شُوَيْهة، وفي الجمع شياه، والجامل اسم جمع بمنزلة الباقر.

وقوله: وكنتم زمانًا حَطْبَ قِدرٍ: حَطْب اسم للجمع مثل رَكْب، وليس بجمع، لأنك تقول في تصغيره: حُطيْب ورُكَيْب.

وقوله: حِطابُ أقدُرٍ: هو جمع حَاطب فلا يُصغَّر، إلا أن ترده إلى الواحد، فتقول: حُوَيْطبون، ومعنى البيت: أي: كنتم متفقين لا تَحْطِبون إلا لقِدْرٍ واحدةٍ، فأنتم الآن بخلاف ذلك.

أضاق عليه بُغْضُنا كلَّ تَلْعة / من الأرض بين أخْشُبٍ فَمَجَادِل
وسائِلْ أبا الوَليد ماذا حَبَوْتَنا / بسَعْيِكَ فِينا مُعْرِضًا كالمُخاتِل
وكُنْتَ امْرءًا مِمَّنْ يُعاش برَأْيه / ورَحْمتِه فينا ولستَ بجاهِل
فعُتْبةُ لا تَسْمع بنا قولَ كاشِحٍ / حَسودٍ كَذوب مُبْغض ذي دَغاوِل
وَمَرَّ أبو سُفْيانَ عَنّيَ مُعْرِضًا / كما مرَّ قَيْلٌ من عِظام المَقاول
يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وَبَرْدِ مِياهِهِ / ويزعمُ أني لسْتُ عنكم بغافِل
ويُخبرنا فعلَ المُناصِحِ أنَّهُ / شَفيقٌ، ويخفى عارمات الدَّوَاخل
أمُطْعِمُ لم أخْذُلْك في يومِ نَجْدَةٍ / ولا مُعْظِم عند الأمور الجلائل
ولا يوم خَصْم إذ أتَوْكَ أَلِدَّة / أُولِي جَدَلٍ من الخُصوم الْمَسَاجِلِ
أمُطْعِمُ إنَّ القَوْمَ ساموك خُطَّة / وإني متى أُوكَلْ فَلَسْتُ بوائِل

وفيها قوله:

من الأرض بين أخْشُبٍ فَمَجَادِل

أراد الأخاشب، وهي جبال مكة[1]، وجاء به على أخْشُب، لأنه في معنى أجْبُل، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغّرونه كذلك، والْمَجَادِل: جمع مِجْدل وهو: القصر، كأنه يريد ما بين جبال مكة، فقصور الشام أو العراق، والفاء من قوله: فمجادل تعطي الاتصال بخلاف الواو، كقوله بين الدَّخُول فَحَوْمَل، وتقول: مُطِرْنا بين مكَّة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى.

وقوله:

أُولِي جَدَلٍ من الْخُصُوم الْمَسَاجِل

يُروى بالجيم وبالحاء فمَن رواه بالجيم فهو من الْمُسَاجَلة في القول، وأصله في استقاء الماء بالسَّجْل، وصبّه فكأنه جمع مَساجِل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل، أو جمع مِسْجَل بكسر الميم، وهو من نعت الخصوم، ومَن رواه المساحِل بالحاء، فهو جمع مِسْحل وهو اللسان، وليس بصفة للخصوم، إنما هو مخفوض بالإضافة، أي: خصماء الألسنة، وقال ابن أحمر:

مَنْ خطيبٌ إذا ما انحلَّ مِسْحَله

أي: لسانهُ وهو أيضًا من السَّحْل وهو الصَّبُّ، ومنه حديث أيوب حين فرج عنه، فجاءت سحابة فسَحَلَتْ في بَيْدَرِه ذهبًا، وجاءت أخرى فسَحَلت في البيدرِ[2] الآخر فضة.

---

(١) أخاشب مكة: جبالها.

(٢) البيدر: الجرن.

جَزَى اللَّهُ عنَّا عبدَ شمس ونَوْفلاً — عُقوبة شرّ عاجلاً غيرَ آجِل
بميزان قِسْط لا يُخِسُّ شَعيرةً — له شاهدٌ من نفسِه غير عائل
لقد سَفُهت أحلامُ قوم تبدَّلوا — بني خَلَفٍ قَيْضًا بنا والغَياطل
ونحنُ الصَّميمُ من ذُؤابة هاشِم — وآلِ قُصَيٍّ في الْخُطوب الأوائل
وسَهْمٌ وَمخْزُوم تَمالَوْا وألَّبوا — علينا العِدَا من كلِّ طِمْلٍ وخامِلِ

فصل: وفيها:

لقد سَفُهَت أحلامُ قوم تبدلوا — بني خَلَفٍ قَيْضًا بنا والغَيَاطِل

قَيْضًا أي: معاوضة، ومنه قول النبي عليه السلام لذي الْجَوْشن[١]: إن شئت قايَضْتُك به المختارَ من دُروع بَدْرٍ، فقال: ما كنتُ لاقِيضَه اليوم اليوم بشيء[٢] يعني: فَرَسًا له، يقال له: ابن الْقَرحَاء. وقال أبو الشِّيص:

لا تنكري صَدِّي ولا إعراضي — ليس المُقِلُّ عن الزمان براضِ
بُدِّلت من بُرْدِ الشباب مُلاءَةً — خَلَقًا، وبئس مَثُوبة الْمُقْتَاضِ

والغياطل: بنو سهم، لأن أُمهم الْغَيْطَلَةُ، وقد تقدم نسبها، وقيل: إن بني سهم سُمُّوا بالغياطل، لأن رجلاً منهم قتل جَانًّا طاف بالبيت سَبْعًا، ثم خرج من المسجد فقتله، فأظْلمت مكةُ، حتى فزِعوا من شدة الظلمة التي أصابتهم، والْغَيْطَلَةُ: الظُّلْمة الشديدة، والْغَيْطَلَةُ أيضًا: الشجرُ الملتف، والْغَيْطَلَةُ: اختلاط الأصوات، والغيطلة: البقرة الوحشية، والغيطلة: غَلَبَة النعاس، وقوله: يُخِسُّ شعيرةً، أي: ينقص، والْخَسيسُ: الناقص من كل شيء، ويُروَى في غير السيرة: يَحُصُّ بالصاد والحاء مهملةً من حَصِّ الشَّعر: إذا أذهبه.

وقولُه: من كل طِمْلٍ وخاملِ: الطِّمْلُ: اللص، كذا وجدته في كتاب أبي بحر، وفي العين: الطِّمْل الرجل الفاحش، والطِّمل والطِّمْلالُ: الفقير، والطِّمْلُ: الذئب[٣]. وقوله: لِقْحَةٌ غير باهل: الباهل: الناقة التي لا صِرَارَ على أخْلافها، فهي مباحة الحَلْبِ يقال: ناقة مَصْرورة، إذا كان على خَلْفِها صِرار يمنع الفصيل من أن يرضع، وليست الْمُصَرَّاةُ من هذا المعنى، إنما هي التي جُمع لَبنُها في ضَرْعِها، فهو من الماء الصَّرَى[٤]، وقد غلط أبو علي

---

(١) هو: أرس بن الأعور، وقيل شرحبيل. وهو أشهر.
(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد (٢٧٣٩).
(٣) انظر اللسان (١١/ ٤٠٨).
(٤) الصرى: أي الذي طال مكثه.

فعَبْدَ مَناف أنتمُ خيرُ قومكم فلا تُشركوا في أمْركم كلَّ واغل
لَعَمْري لقد وَهَنْتُمُ وعَجَزْتُمُ وجِئْتم بأمرِ مُخْطِىء للمفاصِل
وكنتم حَديثًا حَطْبَ قِدْرِ وأنتمُ ألآنَ حِطابُ أقدُرِ ومَراجل
ليَهْنىءْ بني عَبْد مَناف عُقوقُنا وخِذْلانُنا، وتركُنا في المَعاقل
فإنْ نَكُ قومًا نَتَّئِرْ ما صنعتُمُ وَتَحْتَلِبُوها لِقْحة غيرَ باهِل
وسائطُ كانت في لؤَيِّ بن غالبِ نَفاهم إلينا كلُّ صَقْر حُلاحِل[1]
ورهط نُفَيل شَرُّ مَن وطىء الحَصى وألأَمُ حافٍ مِن مَعَدٍ وناعِل
فأبلِغ قُصَيًّا أن سيُنشر أمرُنا وبَشِّر قُصَيًّا بعدَنا بالتَّخاذل
ولو طرَقت ليلاً قصيًّا عظيمةٌ إذًا ما لجأنا دونهم في الْمَداخل
ولو صَدَقوا ضَرْبًا خِلال بُيوتهم لكنَّا أُسًى عند النساء المَطافل[2]
فكلُّ صديقٍ وابنِ أُخت نَعُدُّه لَعَمْري ـ وَجَدنا غِبَّه غيرَ طائل
سوى أنّ رَهطًا من كِلاب بن مُرَّة بَراءٌ إلَينا من مَعَقَّةِ خاذِل

في البارع، فجعل الْمُصَرَّاة بمعنى الْمَصْرُورَةِ، وله وجه بعيد، وذلك أن يُحْتَجَّ له بقلبِ إحدى الراءين ياءً مثل: قَصَيْتُ أظفاري، غير أنه بعيد في المعنى، وقالت امرأةُ المغيرةِ تعاتب زوجَها، وتذكر أنها جاءته كالناقة الباهِلةِ التي لا صِرار على أخلافِها: أطعمتُك مَأْدُومي وأَبْثَثْتُكَ مَكْتومي، وجِئتُك باهلاً غيرَ ذاتِ صِرَارٍ، وفي الحديث: لا تورد الإبِل بُهْلاً [أو بُهَّلاً]، فإن الشياطينَ تَرْضَعُها[3]، أي: لا أصِرَّةَ عليها.

وفيها قوله:

بُرَاءٌ إليْنا من مَعَقَّةِ خاذل

يقال: قومٌ بُراءٌ [بالضَّمِّ] وبَراءٌ بالفتح، وبِراء بالكسر، فأما بِراء بالكسرِ، فجمعُ بريءٍ، مثل كريم وكِرام، وأما بَراء فمصدر، مثل سَلاَم والهمزةُ فيه، وفي الذي قبله لام الفعلِ، ويقالُ: رجلٌ بَراء ورجلان بَرَاء، وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز إلا في الجمع، وأما بُراء بضم الباء، فالأصل فيه بُرَآءُ مثل كُرَمَاء فاستثقلوا اجتماعَ الهمزتين، فحذفوا الأولى، وكان وزنه فُعَلاَء، فلما حَذَفوا التي هي لام الفعل صار وزنه فُعَاء، وانصرف لأنه أشبه فُعالاً،

---

(١) حلاحل: موضع، والجيم أعلى اللسان (١١/ ١٧٤).
(٢) أي أصحاب الأطفال.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٣٠).

وَهَنَّا لَهُم حتى تبَدَّد جمْعُهمُ ... وَيخسُرَ عنَّا كلُّ باغٍ وجاهل
وكان لَنا حوض السِّقاية فيهم ... ونحنُ الكُدَى من غالب والكَواهل
شَباب من الْمُطَيَّبين وهاشِم ... كبِيض السُّيوفِ بين أيدي الصَّياقل[1]
فما أدركوا ذَحْلاً ولا سَفَكوا دمًا ... ولا حالَفوا إلا شِرَّ القَبائل
بضربٍ ترَى الفِتْيان فيه، كأنهُم ... ضَوَاري أُسُود فوق لَحْمٍ خَرادِل
بني أُمَةٍ مَحْبوبةٍ هِنْدِكيَّة ... بني جُمح عُبَيدِ قيسِ بن عاقل
ولكننَّا نسلٌ كِرامٌ لِسادةٍ ... بهم نُعِيَ الأقوام عند البَواطل
ونعم ابنُ أُخت القوم غيرَ مُكذَّب ... زهيرٌ حُسامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمائل
أشَمُّ مِنَ الشُّمّ البَهاليل يَنتمي ... إلى حسب في حَوْمة المجْد فاضل
لعَمْري لقد كَلِفْتُ وجدًا بأحمد ... وإخوته دَأبَ المحِبُّ المواصل
فلا زال في الدُّنيا جمالاً لأهلها ... وزَيْنًا لمَن والاه ربّ المشاكل
فمَنْ مِثْلُه في النَّاس أيُّ مؤمَّل ... إذا قاسه الحُكَّام عند التَّفاضل
حليمٌ رشيد عادل غيرُ طائش ... يُوالي إلٰهًا ليسَ عنه بغافِل
فوالله لولا أنْ أجيء بسُبَّة ... تُجَرُّ على أشياخِنا في المحافل
لكنَّا اتبعْناه على كلّ حالَة ... من الدَّهر جِدًّا غير قول التَّهازل
لقد عَلِموا أنَّ ابنَنا لا مُكَذَّبٌ ... لَدَيْنا، ولا يُعْنَى بقَوْل الأباطل
فأصبح فينا أحمدٌ في أرُومَة ... تُقَصِّر عنه سَوْرةُ الْمُتَطاول
حَدِبْتُ بنفسي دونه وحَمَيْتُه ... ودافعتُ عنه بالذُّرا والكَلاكِل[2]
فأيَّدَه ربُّ العِباد بنَصْره ... وأظهر دينًا حقُّه غيرُ باطل
رجالٌ كِرامٌ غيرُ مِيلٍ نَمَاهُم ... إلى الخَيْرِ آباءٌ كِرامُ المَحاصل

والنسب إليه إذا سمّيت به: بُراوى، والنسب إلى الآخرين بَرائِيّ وبِرَائي، وزعم بعضهم إلى أن بُراء بضم أوله من الجمع الذي جاء على فُعال، وهي ثمانية ألفاظ: فَرير وفُرار وعَزَن وعُزان، ولم يصنع شيئًا، وقال النحاس: بُراء بضم الباء.

---

(١) الصيقل: شَحّاذُ السيوف وجَلاؤها. والجمع صياقل وصياقلة. اللسان (١١/ ٣٨٠).

(٢) الكلاكل: الكلكل والكلكال: الصدر من كل شيء، والكلكل من الفرس ما بين محزمه إلى ما مسّ الأرض منه إذا ربض. اللسان (١١/ ٥٩٧).

فـإن تـكُ كـعـبٌ مـن لـؤيّ صُـقَـيْـبـةً   فــلا بــدَّ يــومًــا مَــرَّة مِــنْ تَــزايُــلِ

قال ابن هشام: هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

قال ابن هشام: وحدّثنِي مَنْ أثق به، قال: أقحط أهلُ المدينة، فأتَوْا رسولَ الله ـ ﷺ ـ فشَكَوْا ذلك إليه، فصَعَد رسولُ الله ﷺ المنبرَ فاستسقى، فما لبث أنْ جاء من المطر ما أتاه أهلُ الضواحي يشكون منه الغَرقَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنا ولا علينا»، فانجاب السحابُ عن المدينة، فصار حوَاليْها كالإكليل؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لو أدركَ أبو طالب هذا اليومَ لسرّه»، فقال له بعضُ أصْحابه: كأنك يا رسولَ الله أردت قولَه:

وأبيضَ يُسْتسقى الغمامُ بوَجْهه   ثِمَالَ اليَتامى عِصْمةً للأَرامِلِ

قال: أجل[1].

الاستســقاء:

فصل: وذكر حديث استسقاء رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة، وهو حديث مَرْوِي من طرق كثيرة، وبألفاظ مختلفة.

وقوله: حتى أتاه أهلُ الضواحي يشكون الغَرق. الضواحي: جمع ضاحية، وهي الأرض البَرازُ التي ليس فيها ما يُكِنُّ من المطر، ولا مَنْجاة من السيول، وقيل: ضاحية كل بلد: خارجه. وقوله عليه السلام: «اللَّهمَّ حَوَالَيْنَا، ولا علينا»، كقوله في حديث آخر: «اللَّهمَّ مَنَابِتَ الشجر، وبطون الأودية، وظهور الآكام»، فلم يقل: اللَّهمَّ ارفعه عنّا ـ هو من حُسْن الأدبِ في الدعاء؛ لأنها رحمة الله، ونعمته المطلوبة منه، فكيف يُطلَب منه رفع نعمته، وكشف رحمته، وإنما يُسْأَل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء. وقال: اللَّهمَّ مَنَابِتَ الشجر، ولم يقل: اصْرِفها إلى منابت الشجر؛ لأن الربّ تعالى أعلم بوجه اللطف، وطريق المصلحة كان ذلك بمطرٍ أو بِندًى أو طَلٍّ، أو كيف شاء، وكذلك بطون الأودية، والقدر الذي يحتاج إليه من مائها.

فصل: فإن قيل: كيف قال أبو طالب:

وأبْـيَـضَ يُسْتَسْقَـى الـغَـمـامُ بـوجـهـه

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٢/ ١٥) ومسلم في الاستسقاء (٨/ ٩) والنسائي (٣/ ١٦٠) دون «لو أدرك أبو طالب هذا اليوم...».

قال ابن هشام: وقوله «وشِبْرِقَهُ» عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: والغياطل: من بني سهم بن عمرو بن هُصَيص، وأبو سفيان بنُ حرب بن أُمَيَّة. ومُطْعِمُ بن عديّ بن نَوْفل بن عبد مناف. وزُهير بن أبي أُمَيَّة بن المغيرة بنِ عبد الله بن عُمَر بن مخزوم، وأُمه: عاتكة بنت عبد المطلب. قال ابن إسحٰق: وأَسِيدٌ، وبِكْرهُ: عتَّابُ بن أسيد بن أبي العِيص بن أميَّة بن عبد شَمْس بن عَبد مناف بن قصيّ. وعثمان بن عُبيد الله: أخو طلحة بن عُبيد الله التَّيميّ. وقُنفذ بن عمير بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة. وأبو الوليد عُتْبةُ بنُ ربيعة. وأُبيٌّ: الأخنس بن شَرِيق الثقفيّ، حليف بني زُهْرة بن كلاب.

قال ابن هشام: وإنما سُمِّي الأخنس؛ لأنه خَنس بالقوم يوم بدْر، وإنما اسمُه: أُبيٌّ، وهو من بني عِلاج، وهو عِلاج بن أبي سَلَمة بن عوْف بن عُقْبَة. والأسود بنُ عَبد يَغُوث بن وَهْب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب. وسُبَيع بنُ خالد، أبو بَلْحارث بن فِهْر. ونوفل بنُ خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزى بن قُصَيّ، وهو ابن العَدَوِيَّة. وكان من

ولم يَرَهُ قطّ استسقى، وإنما كانت استسقاءاته عليه السلام بالمدينة في سفر وحَضَر، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له.

فالجواب: أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضًا في حياة عبد المطلب ما دلّه على ما قال، روى أبو سُلَيْمان حَمَد بن محمد بن إبراهيم [بن الخطاب الخطابي] البُسْتِي النيسابوري[1]، أن رُقَيْقَةَ بنت أبي صَيْفِيِّ بن هاشم قالت: تتابعت على قريش سِنُو جَدْبٍ قد أقْحلَتْ الظُّلفَ، وأرَقَّت العظم، فبينا أنا راقدة اللَّهمَّ، أو مُهَدَّمة، ومعي صِنوى إذ أنا بهاتفٍ صَيِّتٍ يصرخ بصوتٍ صَحِلٍ يقول: يا معشر قريش إن هذا النبيَّ المبعوثَ منكم، هذا إبَّانُ نُجومِه، فَحَيَّ هَلاً بالْحَيَا والخصب، ألا فانظروا منكم رجلاً طُوَّالاً عُظَّامًا أبيضَ فَظًا، أشَمَّ الْعِرْنين، له فخر يَكْظِمُ عليه[2]. ألاَ فلْيَخْلُص هو وولدُه، ولْيُدْلِفْ إليه من كل بَطْنٍ رجلٌ، ألا فَلْيَشُنُّوا من الماءِ، ولْيَمَسُّوا من الطيب، وَليطوفوا بالبيت سَبْعًا، ألاَ وفيهم الطيب الطاهر لذاته، ألا فليدْعُ الرجلُ، وليؤمِّن القومُ، ألا فَغِثْتُم أبدًا ما عشتم. قالت: فأصبحتُ مذعورة قَد قَفَّ جلدي، ووَلِه عَقلي، فاقْتَصَصْتُ رُؤياي، فوالحُرمةِ وَالحَرَم إنْ بقي أبْطَحِيٌّ إلاَّ قال: هذا شَيْبَةُ الْحَمْدِ، وَتَتَامَّت عنده قريشٌ، وَانفض إليه الناس من كُلِّ بَطْنٍ رجلٌ، فَشَنُّوا وَمَسُّوا وَاستلموا وَاطَّوَّفُوا، ثم ارْتَقَوا أبا قُبَيْسٍ، وطَفِقَ القوم يَدِفُّون

---

(١) هو الإمام الخطابي صاحب شرح سنن أبي داود «معالم السنن» توفي سنة ٣٨٨هـ.
(٢) يكظم عليه: أي لا يظهره.

شياطين قُرَيش، وهو الذي قَرَن بين أبي بكر الصدّيق وطَلْحة بن عُبَيْد الله رضي الله عنهما في حَبْل حين أسْلما، فبذلك كانا يُسمَّيان: القَرينين، فقتله عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام يوم بَدْر. وأبو عمرو: قُرَظَة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف. «وقوم علينا أظِنَّة»: بنو بكر بن عبد مَنَاة بنت كنانة، فهؤلاء الذين عَدَّد أبو طالب في شعره من العرب.

ذكر الرسول «ﷺ»[1] ينتشر:

فلما انتشر أمرُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ في العرب، وبَلَغ البُلْدانَ، ذُكر بالمدينة، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلمَ بأمر رسولِ الله ـ ﷺ ـ حين ذكر، وقبلَ أن يُذكر من هذا الحيّ من الأوْس والخَزْرَج، وذلك لِمَا كانوا يسمعون من أحبار اليهود، وكانوا لهم حلفاء، ومعهم في بلادهم. فلما وقع ذِكْره بالمدينة، وتحدّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف. قال أبو قَيْس بن الأسْلت، أخو بني واقف.

حولَه، ما إن يدركَ سعيُهُمْ مُهَلةً، حتى قَرُّوا بذروة الجبل، وَاسْتَكَفُّوا جَنَابَيه، فقام عبدُ المطلب، فاعْتَضَد ابنَ ابنِهِ محمدًا ـ ﷺ ـ فرفعه على عاتِقه، وَهو يومئذ غُلام قد أيْفَع، أو قد كَرَبَ، ثم قال: اللّهمَّ سادَّ الْخَلَّة، وكاشفَ الكُرْبة أنت عالم غير مُعلَّم، ومسؤول غيرُ مُبَخَّلٍ، وهذه عِبدَّاؤُكَ، وإماؤك بِعَذِراتِ حَرَمِك يشكون إليك سَنَتَهم، فاسْمَعَنَّ اللّهمَّ، وأمطِرنَّ علينا غَيْثًا مَرِيعًا مُغْدِقًا، فما راموا والبيت، حتى انفجرت السماءُ بمائها، وكَظَّ الوادي بثَجِيجِه[2]. رواه أبو سليمان عن ابن الأعرابي. قال: حدّثنا محمد بن علي بن البُخْتُرِيّ، نا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، نا عبد العزيز بن عِمْران، عن ابن حُوَيِّصَةَ، قال يحدّث مَخْرَمة بن نُفَيل عن أُمه رُقَيْقَة بنت أبي صَيفيٍّ.

وذكر الحديث، ورواه بإسناد آخر إلى رُقَيْقَة، وفيه: ألا فانظروا منكم رجلاً وَسيطًا عُظَامًا جُسَامًا أوْطَف الأهداب، وأن عبد المطلب قام ومعه رسول الله ـ ﷺ ـ قد أيْفَعَ أو كرَبَ، وذكر القصة.

---

(١) بالمطبوع «ص» بدلاً من ﷺ. وقد تقدم التنبيه على مثلها.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير وفيه زهير بن حصن قال الذهبي: لا يُعرف. قاله الهيثمي في المجمع (٢/ ٢١٥). وأخرجه البخاري في الاستسقاء (١٠٠٨) عن ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

أبو قيس بن الأسلت ونسبه وشعره في الرسول «ﷺ»

قال ابن هشام: نَسَب ابنُ إسحٰق أبا قَيْس هذا هٰهنا إلى بني واقف، ونسبه في حديث الفِيل إلى خَطْمة؛ لأن العرب قد تنسب الرجلَ إلى أخي جدّه الذي هو أشهر منه.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة أنّ الحَكم بن عَمْرو الغِفاريّ من ولد نُعَيلة أخي غِفار، وهو غِفار بن مُلَيل، ونُعَيْلة بنُ مُليل بن ضَمْرة بن بَكْر بن عبد مناة، وقد قالوا: عُتْبة بنُ غَزْوان السُّلَميّ، وهو من ولد مازن بن منصور وسُليم بن منصور.

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلت: من بني وائلٍ، ووائلٌ، وواقف وَخَطْمَةُ إخوة من الأوس.

قال ابن إسحٰق: فقال أبو قَيْس بن الأسلت ـ وكان يحبّ قريشًا، وكان لهم صِهرًا، كانت عنده أرْنب بنت أسَد بن عبد العُزّى بن قُصيّ، وكان يُقيم عندهم السنينَ بامرأته ـ قصيدةً يعظِّم فيها الحُرْمة، وينهي قُرَيشًا فيها عن الحَرب، ويأمرهم بالكفّ بعضهم عن بعض، ويذكر فضلَهم وأحلامَهم، ويأمرهم بالكَفّ عن رسولِ الله ﷺ، ويذكِّرهم بلاءَ الله عندهم، ودَفْعَه عنهم الفِيل وكيدَه عنهم، فقال:

ابن الأسلت وقصيدته

فصل: وذكر ابنُ هشام كلّ مَن سمّاه أبو طالب في قصيدته، أو أشار إليه، وعرف بهم تعريفًا مُسْتغنيًا عن الزيد. وذكر قصيدة أبي قيس صَيْفِي بن الأسْلَت، واسمُ الأسلتِ: عامرٌ، والأسْلَتُ: هو الشديد الْفَطَس يقال: سَلَتَ اللّهُ أنفه، ومن السلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله، فلما كتب له عهدَه أبي أن يقبله، وقال: لا حاجة لي به. إني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إن الوُلاةَ يُجاء بهم يوم القيامة، فيقفون على جِسْرِ جَهَنَّم، فمَن كان مُطاوِعًا لله تناوله بيمينه حتى ينجيه، ومَن كان عاصيًا لله انخرق به الجسر إلى وادٍ من نارٍ تلتهب التهابًا»، قال: فأرسل عمرُ إلى أبي ذَرّ، وإلى سَلْمانَ، فقال لأبي ذَرّ: أنت سمعت هذا من رسول الله ـ ﷺ ـ قال: نعم والله، وبعد الوادي وادٍ آخر من نارٍ. قال: وسأل سَلْمانَ، فكره أن يخبره بشيء، فقال عمر: مَن يأخذها بما فيها؟ فقال أبو ذر: مَن سَلَت اللّهُ أنْفَه وعينيه، وأضْرَعَ خَدَّه إلى الأرض ذكره ابن أبي شيبة[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/٢١٧). وذكره الحافظ في المطالب (٢٠٤٧).

يـا راكـبًـا إمَّـا عَـرَضَـت فَـبَـلِّـغَـن مُـغَـلـغَـلـةً عـنّـي لُـؤَيَّ بـن غـالـبِ
رسـول امـرىءٍ قـد راعـه ذاتُ بَـيْـنِـكـم عـلـى الـنـأي مَـحْـزونٍ بـذلـك نـاصـبِ
وقـد كـانَ عـنـدي لـلـهُـمـوم مُـعَـرَّسٌ[1] فـلـم أقْـضِ مـنـهـا حـاجـتـي ومـآربـي
نُـبَـيِّـتُـكُـم شَـرْجَـيْـن كـل قـبـيـلـة لـهـا أزمَـلٌ مِـن بـيـن مُـذْكٍ وحـاطـب
أُعـيـذكُـمُ بـالله مِـنْ شـرّ صُـنْـعـكـم وشَـرِّ تَـبـاغِـيـكـم ودَسِّ الـعَـقـارب
وإظْـهـار أخـلاقٍ، وَنَـجْـوَى سَـقـيـمـةٍ كَـوَخْـز الأشـافـي وَقـعُـهـا حـقٌّ صـائـب
فـذَكِّـرْهُـمُ بـالله أوَّلَ وَهْـلـةٍ وإحـلال أحـرام الـظِّـبـاء الـشَّـوازب
وقُـلْ لـهُـم والله يـحـكـم حُـكْـمَـه ذَرُوا الحربَ تذهب عنكم في المَراحب
متـى تَـبْـعـثـوهـا، تـبـعـثـوهـا ذَمـيـمـةً هـي الـغُـول لـلأقْـصَـيْـن أو لـلأقـارب

وأول القصيدة:

يـا راكـبًـا إمَّـا عَـرَضـت فَـبَـلِّـغَـنْ

البيت. الْمُغَلْغَلَةُ: الداخلة إلى أقصى ما يراد بُلوغه منها، ومنه تغلغل في البلاد: إذا بالغ في الدخول فيها، وأصله: تَغَلَّلَ وَمُغَلَّلَة، وَلكن قلبوا إحدى اللامين غينًا، كما فعلوا في كثير من المضاعَف، وَأصله من الْغَلل وَالْغِلاَلَةِ، فأما الْغَلَلُ فماءٌ يستره النباتُ والشجرُ، وأما الْغِلاَلَةُ فساترةٌ لما تحتها.

وفيها. نُبَيِّتُكم شَرْجَيْن. أي: فريقين مختلفين، وَنُبِّئْتُكم لفظٌ مشكل وَفي حاشية الشيخ: نبيتكم شَرْجَين، وَهو بيِّن في المعنى، وَفيه زِحاف خَرْم، وَلكن لا يعاب المعنى بذلك، وَأما لفظ التَّبَيُّت في هذا البيت، فبعيد من معناه، وَالأزمَلُ: الصوت، وَالْمُذْكي: الذي يوقد النار، وَالحاطب: الذي يَحْطِب لها، ضُرِب هذا مثلاً لنار الحرب، كما قال الآخر:

أرى خَـلَـلَ الـرَّمـادِ وَمـيـضَ جَـمْـرٍ وَيـوشـك أن يـكـونَ لـهـا ضِـرام
فـإن الـنـارَ بـالـعُـوديـن تُـذْكَـى وإن الـحـربَ أولُـهـا الـكـلامُ[2]

وقوله: وهي الغُول للأدنى، أي: هي الهلاك، يقال: الغضبُ: غول الحِلْم، أي يهلكه، والْغَوْلُ بفتح الغين: وَجَعُ البطن، قاله البخاري في تفسير قوله: ﴿لا فيها غَوْلٌ﴾. وقوله: وإحلالُ إحرامِ الظباء الشَّوازِب[3]. أي: إن بلدَكم بلدٌ حَرَامٌ تأمن فيه الظباء الشوازِبُ

---

(١) المُعَرِّس: الذي يسير نهاره ويُعَرِّس أي ينزل أول الليل.
(٢) انظر مروج الذهب (٣/٢٥٦).
(٣) التي يحرم صيدها في الحرم.

تُـقَـطِّـع أرحـامًـا، وتُـهْـلِـكُ أُمَّـةً وتَبْري السَّديف[1] من سَنام وغارب

وتَسْـتـبـدلـوا بـالأتْـحَـمِـيَّة بـعـدهـا شَـلـيـلاً وأصـداءَ ثـيـابَ الْـمُـحَـارب

وبـالمِسْـك والـكـافـور غُـبْـرًا سَـوابـغـا كـأنّ قَـتِـيـرَيْـهـا عـيـونُ الـجَـنـادب

فـإيَّـاكُـم والـحـربَ لا تَـعْـلَـقَـنَّـكـم وحَـوْضًـا وخِيـم الـمـاء مُرَّ المشارب

تَـزَيَّـنُ لـلأقـوام، ثُـمَّ يَـرَوْنَـهـا بـعـاقـبـةٍ إذ بَـيَّـنـت، أُمَّ صـاحـب

تُحَرِّق، لا تُشْوِي ضعيفًا، وتَنتَحي ذوي العِزِّ منكم بالْحُتُوف الصَّوائب

ألم تعلموا ما كان في حرب دَاحسٍ فتَعْتبروا أو كان في حَرْب حاطب

التي تأتيه من بُعْدٍ، لتأمنَ فيه، فهي شازِبة أي: ضامرة من بعد المسافة، وإذا لم تَحِلُّوا بالظباءِ فيه، فَأَحْرَى ألاّ تَحِلُّوا بدمائكم، وإحرامُ الظباءِ: كونُها في الحرم، يقال لمَن دخل في الشهر الحرام، أو في البلد الحرام: مُحْرِمٌ. والأتْحَمِيَّةُ: ثيابٌ رِقاقٌ تصنع باليمن، والشليل: دِرْعٌ قصيرة، والأصْدَاء: جمع صَدَأ الحديد، والقَتِير: حَلَقُ الدِّرْع شبهها بعيون الْجَرَادِ، وأخذ هذا المعنى التَّنُوخِيُّ فقال:

كـأثـوابِ الأراقـم مَـزَّقـتـهـا فـخـاطـتـهَـا بـأعـيـنـهـا الـجَـرادُ

وقوله في وصف الحرب:

تَـزَيَّـن لـلأقـوام، ثـم يَـرَوْنَـهـا بـعـاقـبـةٍ إذْ بَـيَّـنـت أُمَّ صـاحـب

هو كقول عمرو بن معدي كرب:

الـحـربُ أولُ مـا تـكـون فَـتِـيَّـةً تـسـعـى بِـبَـزَّتِـهَـا لـكـل جَـهُـول

حتى إذا اشـتـعـلـت وشَـبَّ ضِرامُـهـا ولَّـت عـجـوزًا غـيـرَ ذاتِ خـلـيـل

شَـمْـطـاءَ جَـزَّت رَأسَـهـا، فـتـنـكـرت مـكـروهـةً لـلـشَّـمِّ والـتَّـقـبـيـل

فقوله: أُم صاحب، أي: عجوزًا كأُم صاحب لك، إذ لا يصحب الرجلَ إلا رجُلٌ في سنّه، وفي جامع البخاري: كانوا إذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ هذه الأبيات، يعني: أبيات عمرو المتقدمة.

وقـولـه:

ألـم تـعـلـمـوا مـا كـان فـي حـرب داحـسٍ

---

(١) السديف: لحم السَّنام.

وكم قد أصابتْ من شَريف مُسوَّد طويلِ العِماد، ضيفُه غيرُ خائب

عظيمِ رَمادِ النَّارِ يُحْمَد أمرُه وذي شِيمةٍ مَحْضٍ كريم المَضارب

وماءٍ هُريق في الضَّلال كأنما أذاعت به ريح الصَّبا والجَنائب

يخبّركم عنها امرؤٌ حقٌّ عالمٍ بأيَّامها والعِلْمُ عِلْمُ التَّجارب

فبِيعُوا الحِرابَ مِلْمُحَارب، واذكُروا حِسابَكُمُ، وَاللّهُ خيرُ مُحاسِب

ولِيّ امرىءٍ، فاختار دِينا، فلا يكُنْ عليكم رقيبًا غيرَ رَبّ الثَّواقب

أقيمُوا لَنا دينًا حَنِيفًا فأنتمُ لنا غايَةٌ قد يُهتدى بالذَّوائبِ

وأنتم لهَذا النَّاسِ نور وعِصْمةٌ تُؤَمُّون، والأحلام غير عَوازب

وأنتم - إذا ما حُصِّل الناسُ - جَوْهرٌ لكم سُرَّة البَطْحاء شُمُّ الأرانب

تَصونون أجسادًا كِرامًا عَتيقةً مُهذَّبة الأنسَاب غيرَ أشائبِ

يُذْكَر معنى داحسٍ إذا ذكره ابن إسحٰق بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى.

وقوله فيها: وَلِيّ امرىءٍ فاختار دينًا فإنما. أي: هو وليّ امرىءٍ اختار دينًا، والفاء زائدة على أصلِ أبي الحسن، قال في قولهم: زيدًا فاضرِب: الفاءُ مُعَلَّقة أي: زائدة، ومَن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر، كأنه قال: ولي امرىء تَدَيَّن، فاختار دينًا، أو نحو هذا، وقد تقدّم شرح باقي القصيدة في آخر قصة الحبشة.

وقال فيها: كريم المضارب، وفي حاشية كتاب الشيخ: لعله الضرائب، يريد: جمع ضريبة، ولا يبعد أيضًا أن يكون قال: المضارب. يريد أن مضارب سيوفهِ غير مذمومة، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم.

وفيها قوله: وماء هُريق في الضلال. ويُروى: في الصَّلال جمع صَلَّة، وهي الأرض التي لا تمسك الماء، أي رُبَّ ماءٍ هُريق في الضلال من أجل السراب، لأنه لا يُهْريقُ ماءً من أجلِ السَّرابِ إلا ضالّ غير مميز بمواضع الماء، وأذاعت به، أي: بدّدته، فلم ينتفع به، وهذا مثل ضربه للنظر في عواقب الأمور، ويُروى: وما اهْرِيق في أمر، ومعناه: والذي أُهْرِيق في أمر الضلال، فوصل ألف القطع ضرورة، ويقال: أُرِيق الماء، وأُهْرِيق بالجمع بين الهمزة والهاء، وهي أقلّها، ولتعليلها موضع غير هذا.

يرى طالبُ الحاجات نحو بُيوتكم عصائبَ هلْكى تَهتَدِي بعَصائب
لقد علم الأقوامُ أنّ سَراتَكم على كلّ حال خيرُ أهل الْجَبَاجِب
وأفضله رأيًا، وأعلاه سُنَّة وأقْوَلُه للحقّ وَسْط المواكب
فقوموا، فصَلُّوا رَبَّكُم، وتمَسَّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاؤٌ ومَصْدَق غَدَاةَ أبي يَكْسُوم هادِي الكَتَائب
كتيبتُه بالسَّهل تُمْسِي، ورَجْلُه على القاذفات في رُؤوس المناقب
فلما أتاكم نَصرُ ذي العَرْش، ردَّهم جُنودُ المليك بين سافٍ وحاصِب
فولَّوْا سِرَاعًا هاربينَ، ولم يَؤُبْ إلى أهله مِ الْحُبْشِ غيرُ عَصائب
فإن تَهْلِكوا، نَهْلِكْ وتَهلِكْ مَواسم يُعاش بها، قولُ امرىءٍ غيرِ كاذب

قال ابن هشام: أنشدني بيتَه: «وماءٍ هُرِيق»، وبيتَه: «فبيعوا الحراب»، وقولَه: «ولِيُّ امرىءٍ فاختار»، وقوله:

على القاذفات في رؤوس المناقب

أبو زيد الأنصاريّ وغيره.

حرب داحس

قال ابن هشام: وأما قوله:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس .

وقوله فيها: بين سافٍ وحاصب: السافي: الذي يَرْمي بالتراب، والحاصب الذي يَقْذف بالحصباء.

وفيها ذكر الجَبَاجِب، وهي منازل مِنى. كذا قال ابن إسحٰق، وقال البَرْقِيُّ: هي حُفَر بمِنى، يجمع فيها دم الْبُدْن، والهدايا، والعرب تعظمها وتفخر بها، وقيل: الجباجب: الكُروش. يقال للكَرِشِ: جَبْجَبة بفتح الجيم، والذي تقدّم واحدُه: جُبْجُبَة بالضم[١].

حرب داحس[٢]

فصل: وذكر حديث حرب داحس مختصرًا، وداحس: اسم فرس كان لقيس بن أبي

---

(١) في الراصد: الجبجبة: ماء معروف بنواهي اليمامة.

(٢) انظر الكامل (١/ ٤٤٩) النقائض بين جرير والفرزدق لأبي عبيدة (١/ ٧٦).

فحدّثني أبو عُبيدة النحويّ: أن داحسًا فَرَس كان لقَيْس بن زُهير بن جَذيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان، أجراه مع فرس لحُذَيفة بن بَدْر بن عَمْرو بن زيد بن جُؤية بن لَوْذان بن ثَعْلَبَةَ بن عدي بن فزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان، يقال لها: الغَبْراء. فدسَّ حُذيفة قومًا وأمرهم أن يضربوا وَجْه داحس، إن رأوه قد جاء سابقًا، فجاء داحس سابقًا، فضَربوا وجهَه، وجاءت الغبراء. فلما جاء فارس داحس أخبر قيسًا الخبرَ، فوثب أخوه مالك بن زُهَير، فلطم وجهَ الغبراء، فقام حَمَلُ بنُ بدر، فلطم مالكًا. ثم إن أبا الجُنَيْدِب العَبْسيّ لقي عوفَ بن حُذيفة فقتله، ثم لقي رجلٌ من بني فَزارة مالكًا فقتله فقال حَمَلُ بن بَدْر أخو حُذيفة بن بَدْر:

قَتَلْنا بعَوفٍ مالكًا وهو ثَأْرُنا ... فإن تطلبوا منَّا سوى الحقّ تَنْدَموا

زهير، ومعنى داحس: مدحوس كما قيل: ماء دافق، أي: مدفوق، والدَّحْسُ: إدخال اليد بقوة في ضيق، كما رُوِيَ أن رسول الله ـ ﷺ ـ مرّ بغلام يسلخ شاة، فأمره أن يتنحي لِيُريه، ثم دَحَس عليه السلام بيده بين الجِلْد واللحم، حتى بلغ الإبطَ ثم صلّى، ولم يتوضأ[1]. فَدَاحِسٌ سُمِّي بهذا الاسم؛ لأن أُمه كانت لرجل من بني تَمِيم، ثم من بني يَرْبُوع اسمه: قِرْواش بن عَوْف، وكان اسم الفرس: جَلْوَى، وكان ذو العُقَّال فرسًا عتيقًا لِحَوْطِ بن جابر، فخرجت به فتاتان له، لتسقياه، فبصر بجلْوَى، فأدْلَى حين رآها، فضَحِك غِلْمةٌ كانوا هنالك، فاستحيت الفتاتان، ونكَّستا رأسيهما، فأفلت ذو العُقَّال حتى نَزَا على جَلْوى، وقيل ذلك لِحَوْطِ فأقبل مغضبًا، وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب، ثم دَحَسها في رَحم الفرس، فسطًا عليها، فأخرج ماءَ الفحل منها، واشتملت الرحمُ على بقية الماء، وحملت بمهر فسَمَّوه: داحِسًا، وأظهرُ ما فيه أن يكون مِثْلَ: لابِنٍ وتامِرٍ، وأن لا يكون فاعِلاً بمعنى مفعول، فهو داحس بن ذي العُقَّال بن أعْوَج الذي تُنْسب إليه الخيل الأعْوَجِيَّة[2] في قول بعضهم، وقد تقدم غير هذا القول ـ ابن سَبَلٍ[3]، وكان لغني بن يَعْصُر، وفيه يقال:

إن الجواد بن الجواد بن سَبَل ... إنْ دَايَمُوا جاد، وإن جادَ وَبَل

وفي ذي العُقَّال يقول جرير:

تمسي جيادُ الخيل حول بيوتنا ... من آل أعوجَ، أو لذي العُقَّال

---

(١) «حسن». أخرجه أبو داود (١٨٥) بتحقيقي. وابن ماجة في الذبائح (٣١٧٩).

(٢) أعوج: فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات.

(٣) سبل: هي أم أعوج سالف الذكر.

وهذا البيت في أبيات له. وقال الربيع بن زياد العَبْسي:

أَفَبَعْدَ مقْتل مالكِ بن زُهَير ترجو النِّساءُ عواقبَ الأطهار

وهذا البيت في قصيدة له.

فوقعت الحرب بين عَبْس وفَزارة، فقُتِلَ حُذيفة بن بدر وأخوه حَمَل بن بدر، فقال قيس بن زُهَير بن جَذيمة يرثي حُذيفة، وجَزِع عليه:

كم فارسٍ يُدْعى وليس بفارسٍ وعلى الهَباءة فارسٌ ذو مَصْدَقِ
فابكوا حُذيفة لن تُرثَوا مثلَه حتى تَبيد قبائلٌ لم تُخْلَق

وهذان البيتان في أبيات له. وقال قيس بن زهير:

على أنّ الفتى حَملَ بنَ بَدْرٍ بَغَى، والظُّلمُ مَرْتَعهُ وخيم

وهذا البيت في أبيات له: وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير:

تركتُ على الهَباءة غيرَ فخرٍ حُذَيفةَ عنده قِصَدُ العَوالي

وأنشد:

أَفَبعْد مَقْتَلِ مالكِ بن زُهَيْرِ ترجو النساءُ عواقبَ الأطهار

وفيه إقواء، وهو حذف نصف سبب من القسم الأول، وقد تكلمنا على معنى الإقواء قبل، وأما اختلاف القوافي فيسمى: اكتفاء، وإقواء أيضًا لأنه من الكُفْء، فكأنه جعل الرفع كفئًا للخفض، فسوّى بينهما، وفيها قوله:

ترجو النساءُ عواقبَ الأطهار. كقول الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال: إن حرب داحس دامت أربعين سنة، لم تحمل فيها أُنثى، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين، وذكر الأَصْبهَانِيُّ أن حرب داحِس كانت بعد يوم جَبَلة بأربعين سنة، وقد تقدّم يوم جَبَلة، وأن رسول الله ﷺ ولد في تلك الأيام، وقال لبيد:

وغَنِيتُ حَرْسًا قبل مَجْرى داحسٍ لو كان للنفسِ اللَّجُوجِ خُلُودُ

وكان لبيدٌ في حربِ جَبَلَة ابنَ عَشْرِ سنين، وقوله: حَرْسًا أي: وقتًا من الدهر، وَيروى سَبْتًا وَالمعنى وَاحد، وَكان إجراء داحس وَالغبراءِ على ذاتِ الإصادِ موضعِ في بلاد فَزَارَةَ،

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: ويقال: أرسل قيسٌ داحسًا والغَبْراء، وأرسل حُذَيفةُ الخطَّارَ والحَنفاء، والأوّل أصحّ الحديثين. وهو حديث طويل مَنعني من استقصائه قَطْعُه حديثَ سيرة رسول الله ﷺ.

حرب حاطب:

قال ابن هشام: وأما قوله: «حرب حاطب». فيَعْني حاطبَ بن الحارث بن قَيْس بن هَيْشَة بن الحارث بن أُميَّة بن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس، كان قتل يهوديًا جارًا للخَزْرج، فخرج إليه يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمرَ بن حارثة بن ثَعْلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ـ وهو الذي يقال له: ابن فُسْحُم، وفُسْحم: أمّه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر ـ ليلاً في نفر من بَني الحارث بن الخزرج فقتلوه، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فكان الظفر للخزرج على الأوس، وقُتل يومئذٍ سُوَيد بن صامت بن خالد بن عطيَّة بن حَوْط بن حَبيب بن عَمْرو بن عوف بن مالك بن الأوس، قَتله المُجذَّر بن ذَيَّادٍ البلوي، واسمه عبد الله، حليف بني عَوْف بن الخزرج. فلما كان يوم أُحُد خرج المجذّر بن ذَيَّاد مع رسول الله ـ ﷺ ـ وخرج معه الحارث بن سُوَيد بن صامت، فوجد الحارثُ بن سُوَيد غِرَّة من الْمُجَذَّر فقتله بأبيه. وسأذكر حديثَه في موضعه ـ إن شاء الله تعالى ـ ثم كانت بينهم حروب منعني من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس.

وَكان آخرُ أيام حرب داحس بقَلَهَى من أرضِ قيس، وَهناك اصطلحت عبس وَمنُولة: وَهي أُم بني فَزارة: شَمْخ وَعَدِي وَمازن، فيقال لهذا الموضع: قَلَهَى، وَأما قَلَهِّي فموضع بالحجاز، وَفيه اعتزل سعدُ بن أبي وَقاص حين قُتل عثمان، وَأمر ألاّ يُحَدَّث بشيء من أخبار الناس، وَألا يسمع منها شيئًا، حتى يصطلحوا، وَيقال: إن الْحَنفَاءَ كانت فرسَ حُذَيْفَةَ، وَأنها أُجريت مع الغبراء ذلك اليوم. قال الشاعر:

إذا كان غيرُ الله للمرء عُدَّةً	أتته الرَّزايا من وُجوه الفوائد
فقد جَرَت الْحَنفَاءُ حَتفَ حُذَيْفَةٍ	وَكان يراها عُدَّةً للشدائدِ

وَأما حرب حاطب الذي ذكرها، فهي حربٌ كانت على يد حاطب بن الحارث بن قَيس بن هَيْشَة بن الأوسِ، فنُسبَت إليه، وَكانت بين الأوس وَالْخَزْرج.

حكيم بن أمية ينهي قومه عن عداوة الرسول:

قال ابن إسحٰق: وقال حكيم بن أُميَّة بن حارثة بن الأوْقص السُّلميّ، حليف بني أُميَّة وقد أسلم، يورّع قومَه عَمَّا أجمعوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم شريفًا مُطاعًا:

هل قائلٌ قولاً من الحقّ قاعدٌ ... عليه، وهل غضبانُ للرُّشْد سامعُ

وهل سَيِّدٌ تَرجو العشيرةُ نَفْعَه ... لأقصَى الموالي والأقارب جامعُ

تبرأتُ إلا وجهَ مَنْ يملك الصَّبا ... وأهْجُركم ما دام مُدْلٍ ونازع

وأُسْلِم وَجْهِي للإلٰه ومنْطِقِي ... ولو راعني مِنَ الصَّديق روائع

ذكرى ما لقيه رسول الله ﷺ من قومه

مفتريات قريش وإيذاؤهم للرسول ﷺ:

قال ابن إسحٰق: ثم إن قريشًا اشتدّ أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ، ومَنْ أسْلم معه منهم، فأغْرَوْا برسول الله ﷺ: سفهاءَهم، فكذّبوه، وآذَوْه، ورموه بالشِّعر والسِّحر والكَهانة والجنُون، ورسولُ الله ﷺ مُظْهِرٌ لأمر الله لا يُسْتخفى به، مُبادٍ لهم بما يكرهون من عَيْب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إيَّاهم على كفرهم.

ما لقي رسول الله (ﷺ) من قومه

فصل: فيما لقي رسول الله ﷺ من قومه، ذكر ابن إسحٰق والواقدي والتَّيمِي، وابن عُقْبَة وغيرهم في هذا الباب أُمورًا كثيرةً تتقارب ألفاظها ومعانيها، وبعضهم يزيد على بعض، فمنها حَثْوُ سفهائهم الترابَ على رأسه، ومنها أنهم كانوا يَنْضِدُون. الْفَرْثَ والأفْحَاث[1] والدمَاء على بابه، ويطرحون رحم الشاة في بُرْمَتِه، ومنها: بَصْقُ أُميَّة بن خلف في وجهه، ومنها: وطء عقبة بن أبي مُعَيْط على رقبته، وهو ساجد عند الكعبَة حتى كادت عيناه تبرزان، ومنها أخذُهم بِمُخَنَّقِه حين اجتمعوا له عند الحِجْر، وقد ذكره ابن إسحٰق، وزاد غيره الخبر أنهم خنقوه خنقًا شديدًا وقام أبو بكر دونه فَجَبَذُوا رأسَه ولحيته حتى سقط أكثرُ شَعره، وأما السَّبُّ والْهَجْو والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبائه، وهو ينظر، فقد ذكر من ذلك ابن إسحٰق ما في الكتاب، وقد قال أبو جهل لسُمَيَّة أُمِّ عَمَّار بن ياسر: ما آمنتِ بمحمد إلا لأنك عَشِقْتِه لجمالِه، ثم طعنها بالحِرْبة في قُبُلها حتى قتلها، والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) الأفحاث: جمع فحث: بعض ما في الكرش.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني يَحْيىٰ بنُ عروة بن الزبير، عن أبيه عُرْوة بن الزبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثرُ ما رأيتَ قريشًا أصابوا من رسول الله ـ ﷺ ـ فيما كانوا يُظْهرون من عداوته؟ قال: حضرْتُهم، وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثلَ ما صَبرْنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ: سفَّه أحلامَنا، وشتم آباءنا، وعاب دِيننا، وفرّق جماعَتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا، فبينا هم في ذلك إذ طلع رسول الله ـ ﷺ ـ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفًا بالبيت، فلما مرّ بهم غَمَزُوه، ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفتُ ذلك في وجه رسول الله ـ ﷺ ـ ثم مرَّ بهم الثالثةَ فغمزوه بمثلها، فوقف، ثم قال: «أتسمعون يا معشرَ قُريش؟! أما والذي نفسي بيده، لقد جِئْتُكم بالذَّبح». قال: فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع، حتى إن أشدّهم فيه وَصَاةً قَبْل ذلك ليَرْفَؤه بأحسن ما يجدُ من القول، حتى إنه ليقول: انصرفْ يا أبا القاسم، فوالله ما كنتَ جهولاً. قال فانصرف رسولُ الله ﷺ، حتى إذا كان الغدُ اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضُهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ فوثبوا إليه وثبةَ رجلٍ واحد، وأحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، لِمَا كان يقول من عَيب آلهتهم ودينهم؟! فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك»، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه. قال: فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أنْ يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشدّ ما رأيتُ قريشًا نالوا منه قطُّ.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعضُ آل أُمّ كُلْثوم ابنة أبي بكر، أنها قالت: رجع أبو بكرٍ يومئذٍ وقد صَدَعوا فَرْق رأسه، ممَّا جَبَذُوه بلِحْيته، وكان رجلاً كثيرَ الشعر.

قال ابن هشام: حدّثني بعض أهلِ العلم: إن أشدّ ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يومًا فلم يَلقه أحدٌ من الناس إلا كذّبه وآذاه، لا حُرٌّ ولا عَبْد، فرجع رسولُ الله ﷺ إلى منزله، فتدثَّر من شدَّة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يا أيُّها المُدَّثِرُ قُمْ فأنذِرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٢].

السبب في تلقيبه بالمدّثر والنذير العريان:

وذكر ابن إسحٰق قول رسول الله ـ ﷺ ـ: «دَثِّروني دَثِّروني» فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيُّها الْمدَّثِر قُمْ فأَنْذِر﴾ قال بعض أهل العلم: في تسميته إياه بالْمدَّثِر في هذا المقامِ

مُلاَطَفَةٌ وتأنيسٌ، ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمّي المخاطَب باسم مُشْتَقٍّ من الحالة التي هو فيها، كقوله عليه السلام لحذيفة: قم يَا نَوْمان[1]، وقوله لعليّ بن أبي طالب ـ وقد تَرِب جنبُه: قم أبا تُرَابٍ[2] فلو ناداه سبحانه، وهو في تلك الحال من الكرب باسمه، أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لَهَالَهُ ذلك، ولكن لما بُدِيء، بيأيّها المدثر أنِسَ، وعلم أن ربّه راضٍ عنه، ألا تراه كيف قال عندما لَقِيَ من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب ما لقي: رَبِّ إن لم يكن بك غَضَبٌ عَلَيَّ فلا أُبالي[3] إلى آخر الدعاء، فكان مطلوبُه رضا ربه، وبه كانت تهوّن عليه الشدائد. فإن قيل: كيف ينتظم يأيّها المدّثر مع قوله: قم فأنذر، وما الرابط بين المعنيين، حتى يلتئما في قانون البلاغة، ويتشاكلا في حكم الفصاحة؟ قلنا: من صفته عليه السلام ما وَصَف به نفسَه حين قال: أنا النذير العُرْيان[4]، وهوَ مَثَلٌ معروف عند العرب، يقال لمَن أنْذَرَ بقُرب العدو، وبالغ في الإنذار، وهو النذير العُرْيان، وذلك أن النذير الجادَّ يُجَرّد ثوبه، ويُشير به إذا خاف أن يسبق العَدوُّ صوتَه، وقد قيل: إن أصل المثل لرجل من خَثْعَم سلَبه العدُوُّ ثوبَه، وقطعوا يده، فانطلق إلى قومه نذيرًا على تلك الحال، فقوله عليه السلام: «أنا النذير العريان» أي: مثلي مثل ذلك، والتدثر بالثياب مُضادٌّ للتَّعَرّي، فكان في قوله: ﴿يأيها المدّثر﴾ مع قوله: ﴿قم فأنذر﴾ والنذيرُ الجادُّ يسمى: الْعُرْيان: تشاكل بَيِّنٌ، والتئام بديعٌ وَسَمَاقَةٌ في المعنى، وجَزَالة في اللفظ.

تقديم المفعول على الفعل:

وقوله بعد هذا: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: ربّك كبّر، لا غيره لا يَكْبُر عليك شيء من أمر الخلْق، وفي تقديم المفعول على فعل الأمر إخلاصٌ، ومثله قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإياك نستعين﴾ أي: لا نعبد غيرك [ولا نستعين إلا بك]، ولم يَقُل: نعبدك ونستعينك، وفي الحديث: إذا قال العبد: إياك نعبد، وإياك نستعين، يقول الله تعالى: أخلص لي عبدي العبادةَ، واستعانني عليها، فهذه بيني وبين عبدي.

---

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في الجهاد (٩٩) والبيهقي (٩/ ١١٩) وفي الدلائل له (٣/ ٤٥٠).

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (١/ ١٢٠) ومسلم في فضائل الصحابة (٣٨) والبيهقي (٢/ ٤٤٦).

(٣) انظر القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢١١) والبغوي (٦/ ١٦٧).

(٤) «صحيح». أخرجه البخاري (٩/ ١١٥).

....

عتبة بن ربيعة والرَّئي:

فصل: وذكر قول عتبة: إن كان هذا رَئِيًّا تراه. ولغةُ بني تميم: رِئِيّ بكسر الراء، وكذلك يقولون في كل فعيل عين الفعل منه همزة، أو غيرها من حروف الْخَلْق، يكسرون أوله، مثل: رحيم وشهيد والرِّئِيُّ: فَعيل بمعنى مَفْعول، ولا يكون إلا من الْجِنّ، ولا يكون فَعِيل بمعنى مفعول في غير الجنّ. إلا أن يؤثر فيه الْفِعْل نحو: جريح وقتيل وذبيح وطحين، ولا يقال من الشكر: شكير، ولا ذكرته فهو ذكير، ولا فيمن لُطِم: لطيم إلا أن تغير منه اللطمة، كما قالوا: لطيم الشيطان. قال ابن الزبير حين قُتل عَمْرُو بن سعيد الأشْدَق [بن العاص]: ألاَ إن أبا ذِبَّانَ قتل لطيمَ الشيطان: ﴿كذلك نُوَلِّي بعضَ الظالمين بَعْضًا بما كانوا يكسبون﴾ [الأنعام: ٢٩]. وقالوا من الحمد: حميد، ذهبوا به مذهب كريم، وكذلك قالوا في الجنّ: رَئِيٌّ، وإن كانت الرؤيا لا تؤثّر في الْمَرْئِيّ؛ لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونَجِيّ.

إسلام حمزة رضي الله عنه[1]

قال ابن إسحٰق: حدّثني رجل من أسْلم، كان واعيةً: أنّ أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ عند الصَّفا فآذاه وشتمه، ونال منه بعضَ ما يكره من العَيْب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلِّمه رسولُ الله - ﷺ -، ومَوْلاةٌ لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة في مَسْكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعَمَد إلى نادٍ من قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقْبل مُتَوَشِّحًا قوسَه، راجعًا من قَنَصٍ له، وكان صاحبَ قَنَصٍ يَرْميه، ويخرج له، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله، حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قريش إلا وقف، وسلّم، وتحدّث معهم، وكان أعزّ فتًى في قريش، وأشدّ شَكِيمة، فلما مرّ بالمَوْلاةِ، وقد رجع رسولُ الله ﷺ إلى بيته قالت له: يا أبا عُمارة، لو رأيتَ ما لقي ابنُ أخيك محمدٌ آنفًا من أبي الحَكَم بن هشام: وَجَده هٰهنا جالسًا، فآذاه وسبَّه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه، ولم يكلِّمه محمدٌ ﷺ.

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى، ولم يَقِفْ على

إسلام حمزة

فصل: وذكر إسلام حمزةَ، وأُمُّه: هالةُ بنت أُهَيْب بن عبد مناف بن زُهرة، وأُهَيْبٌ: عمُّ آمنة بنت وهب تزوجها عبدُ المطلب، وتزوج ابنُه عبدُ الله آمنة في ساعةٍ واحدة، فولدت هالةُ لعبد المطلب حمزة. وولدت آمنةُ لعبد الله رسولَ الله - ﷺ - ثم أرضعتهما ثُوَيْبَةُ كما تقدم، وزاد غير ابن إسحٰق في إسلام حمزة أنه قال: لما احتملني الغضب، وقلت: أنا على

---

(١) انظر الكامل (١/ ٦٠١) والمنتظم لابن الجوزي (٢/ ٣٨٤) والطبري في تاريخه (١/ ٥٤٩).

أحد، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لَقِيه أن يُوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القومِ فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس، فضربه بها، فشجّه شجَّةً مُنكرة، ثم قال: أتشتمه، فأنا على دينه أقول ما يقول؟! فَرُدَّ ذلك عليّ إن استطعت. فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حَمْزة، لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعُوا أبا عُمارة، فإني والله قد سَبَبْتُ ابن أخيه سَبًّا قبيحًا، وتَمَّ حمزةُ رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قومه. فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشٌ أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

عتبة بن ربيعة يذهب إلى الرسول (ﷺ)[1]:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كَعْب القُرَظيّ، قال: حُدّثت أن عُتبة بن ربيعة ـ وكان سيِّدًا ـ قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ورسولُ الله ـ ﷺ ـ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلِّمَه،

قوله، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبتّ من الشَّكّ في أمر عظيم لا أكتحل بنوم، ثم أتيت الكعبة، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدري للحق، ويُذهِب عني الريْب فما اسْتَتْمَمْتُ دعائي حتى زَاحَ عني الباطِلُ، وامتلأ قلبي يقينًا ـ أو كما قال ـ فغدوت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يُثَبِّتَنِي الله، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم:

حَمِدْتُ اللّهَ حين هَدى فُؤَادي	إلى الإسلامِ والدينِ الْحَنِيفِ
الدِّين جاء من رَبٍّ عزيزٍ	خبيرٍ بالعبادِ بهم لطيفِ
إذا تُلِيتْ رسائِلُه علينا	تحدَّر دمعُ ذي اللُّبِّ الْحَصِيفِ
رسائلُ جاء أحمدُ مِن هداها	بآياتٍ مُبَيَّنَةِ الْحُروف
وأحمد مُصْطَفَى فينا مطاعٌ	فلا تَغْشَوْه بالقول العنيف
فَلا واللّهِ نُسلِمه لقوم	ولَمَّا نَقْضِ فيهم بالسيوف
ونترك منهم قَتْلى بقاعٍ	عليها الطيرُ كالوِرد العَكُوف
وقد خُبِّرت ما صنعت ثقيف	به، فجزى القبائلَ من ثقيف
إلٰهُ الناس شَرّ جَزاءِ قومٍ	ولا أسقاهم صَوْبَ الخريف

---

(١) بالمطبوع «ص» وقد تقدم الكلام عليه غير مرة.

وأعْرِضَ عليه أمورًا لعلَّه يقبل بعْضَها، فنعطيه أيَّها شاء، ويكفّ عنّا؟ وذلك حين أسلم حمزةُ، ورأوْا أصحابَ رسول الله ـ ﷺ ـ يَزيدون ويكْثُرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قُم إليه، فكلِّمه، فقام إليه عُتبةُ حتى جلس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا بن أخي، إنك منّا حيثُ قد علمتَ من السِّطَة في العشيرة، والمكان في النَّسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فَرَّقْتَ به جماعتهم، وسفَّهت به أحلامهم، وعِبْت به آلهتهم ودينَهم، وكفّرت به مَن مضى من آبائهم، فاسمع منّي أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضَها. قال: فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ: «قلْ يا أبا الوليد، أسمَع»، قال: يا بن أخي إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفًا سوّدناك علينا، حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به مُلْكًا ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًا[1] تراه لا تَستطيع ردَّه عن نفسك، طَلَبْنا لك الطبَّ، وبذَلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه، فإنه ربما غلب التابعُ على الرجل حتى يُداوَى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبةُ، ورسولُ الله ـ ﷺ ـ يستمع منه، قال: «أقد فرغتَ يا أبا الوليد»؟ قال: نعم، قال: «فاسمَعْ مني»، قال: أفعل، فقال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ حَم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأعْرَضَ أكْثَرُهُمْ فهم لا يَسْمَعُونَ وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إلَيْه﴾ [فصلت: ١ ـ ٥]. ثم مضى رسول الله ـ ﷺ ـ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبةُ أنصت لها، وألْقى يَدَيْهِ خَلْفَ ظهره معتمدًا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: «قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضُهم لبعض: نحلف بالله: لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوَجْه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعتُ قولاً والله ما سمعت مثلَه قطُّ، والله ما هو بالشِّعر، ولا بالسِّحر، ولا بالكهانة. يا معشرَ قُريش! أطيعوني واجعلوها بي، وخلُّوا بين هذا الرجل، وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأٌ عظيم، فإن تُصبْه العربُ فقد كُفِيتُموه بغيركم، وإن يَظْهَرْ على العرب، فمُلْكُه مُلْككم، وعزّه عزُّكم، وكنتم أسعدَ الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعُوا ما بدا لكم.

....

(١) أي مسّ من الجن.

بين النبي (ﷺ)[1] وبين قريش

قال ابن إسحٰق: ثم إن الإسلام جعل يَفْشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنِّساء، وقُريش تحْبِس مَنْ قَدَرت على حَبْسه، وتَفْتن مَن استطاعت فِتْنَتَه من المسلمين، ثم إن أشراف قُريش من كل قَبيلة ـ كما حدّثني بعضُ أهل العلم عن سَعيد بن جبير، وعن عِكْرِمة مولى ابن عبَّاس، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:

اجتمع عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو سُفيان بن حَرْب، والنَّضر بن الحارث، أخو بني عبد الدَّار، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام، والأسودُ بن المطَّلِب بن أسدٍ، وَزَمَعة بن الأسود، والوليد بن المُغيرة، وأبو جهل بن هشام ـ لعنه الله ـ وعبد الله بن أبي أُمية، والعاصُ بن وائل، ونُبيه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج السَّهميَّان، وأمية بن خلف، أو مَن اجتمع منهم. قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهْر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصموه حتى تُعْذِروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلِّموك، فأْتهم، فجاءهم رسول الله ـ ﷺ ـ سريعًا، وهو يظنّ أنْ قد بَدَا لهم فيما كلَّمهم فيه بَدَاء، وكان عليهم حريصًا يحب رشدَهم، ويعزّ عليه عَنَتُهم، حتى جلس إليهم، فقالوا له يا محمد، إنّا قد بعثنا إليك؛ لنكلِّمك، وإنَّا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدْخل على قومه مثلَ ما أدخلتَ على قومك، لقد شتمتَ الآباء، وعِبْتَ الدينَ، وشتمتَ الآلهة، وسفَّهت الأحلامَ، وفرّقت الجماعة، فما بقي أمرٌ قَبيحٌ إلا قد جِئْتَه فيما بيننا وبَيْنك ـ أو كما قالوا له ـ فإن كنتَ إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشَّرَف فينا، فنحن نُسَوِّدك علينا، وإن كنت تريد به مُلكًا ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمّون التابع من الجنّ رَئِيًّا ـ فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالَنا في طَلَب الطبّ لك حتى نُبرئك منه، أو نُعْذِر فيك، فقال لهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ما بي ما تقولون، ما جئتُ بما جئتكم به أطلبُ أموالكم، ولا الشرفَ فيكم، ولا المُلْك عليكم. ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتابًا،

طـلب الآيات

فصل: وذكر ما سأله قومُه من الآيات وإزالة الجبال عنهم، وإنزال الملائكة عليه،

---

(١) بالمطبوع: «ص». تقدم الكلام عليه مرارًا. واكتفى هنا بما تقدم من تعليق، وما يأتي بعد فهو كما سبق.

وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلَّغتكم رسالات ربي، ونصحتُ لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليَّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»، أو كما قال ـ ﷺ ـ قالوا: يا محمد، فإن كنت غيرَ قابل منّا شيئًا مما عَرَضْناه عليك، فإنك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلدًا، ولا أقلَّ ماء، ولا أشدّ عيشًا منّا، فسَلْ لنا ربَّك الذي بعثك بما بعثك به، فليُسَيرْ عنّا هذه الجبالَ التي قد ضَيَّقَت علينا، وليبسط لنا بلادَنا، وليفجِّر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا مَن مضى من آبائنا، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم: قُصيّ بن كلاب، فإن كان شيخَ صِدْق، فنسألهم عمّا تقول: أحقٌّ هو أم باطل، فإن صدَّقوك، وصنعتَ ما سألناك، صَدَّقناك، وعرفنا به منزلَتَك من الله، وأنه بعثك رسولاً ـ كما تقول ـ فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: «ما بهذا بُعِثْتُ إليكم، إنما جئتُكم من الله بما بَعثني به، وقد بلَّغتكم ما أُرسِلْت به إليكم، فإن تقبلوه، فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله تعالى، حتى يحكم الله بيني وبينكم»، قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سَلْ ربَّك أن يبعث معك مَلَكًا يصدّقك بما تقول، ويراجعنا عنك وسَلْه، فليجعل لك جنانًا وقُصورًا وكنوزًا من ذهب وفضَّة يُغنيك بها عمّا نراك تَبْتغي، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرفَ فضلك ومنزلَتك من ربّك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا

وغير ذلك، جهلاً منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلقَ، وتَعَبُّدِهِمْ بتصديق الرسل، وأن يكون إيمانُهم عن نظر وفكر في الأدلة، فيقع الثواب على حسب ذلك، ولو كشف الغطاء، وحصل لهم العلْم الضروري، بَطَلَتْ الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب، إذ لا يُؤْجَر الإنسان على ما ليس من كسبه، كما لا يؤجر على ما خُلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك، وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتضي النظَرُ فيه العلْمَ الكَسْبي، وذلك لا يحصل إلا بفعل من أفعال القلب، وهو النظر في الدليل، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول، وإلا فقد كان قادرًا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعونه، ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين، فجعل الأمْرَ يُعْلَم في الدنيا بنظرٍ واستدلال وتفكّر واعتبارٍ؛ لأنها دار تعبّد واختبار، وجعل الأمْرَ يُعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار، لا يُستحَق به ثواب ولا جزاء، وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى، حكمة دبرها، وقضية أحكمها، وقد قال الله تعالى: ﴿وما منعنا أن نُرْسِلَ بالآيات إلاّ أنْ كَذَّبَ بها الأوّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]. يريد ـ فيما قال أهل التأويل ـ إن التكذيب بالآيات نحو ما سألوه من إزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة يوجب في حكم الله، ألاَّ

بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربَّه هذا، وما بُعِثْت إليكم بهذا، ولكنّ الله بعثني بشيرًا ونذيرًا» ـ أو كما قال ـ: «فإن تقبلوا ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليّ أصبرْ لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم»، قالوا: فأسقط السماء علينا كِسَفًا كما زعمت أن ربَّك لو شاء فعل، فإنَّا لا نؤمن لك إلا أن تفعل، قال: فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل»، قالوا: يا محمد، أفما عَلِم ربُّك أنَّا سنجلس معك، ونسألك عمّا سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم إليك فيُعلمك ما تُراجعنا به، ويخبرك ما هو صانعٌ في ذلك بنا، إذا لم نقبل منك ما جئتنا به! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلِّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له: الرَّحمٰن، وإنَّا والله لا نؤمن بٱلرَّحمٰن أبدًا، فقد أعْذرنا إليك يا محمد، وإنَّا والله لا نتركك وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله وبالملائكة قَبيلاً.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ، قام عنهم، وقام معه عبدُ الله بن أبي أُمَيَّة بن

يُلَبِّث الكافرين بها، وأن يعاجِلَهم بالنقمة، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون، فلو أُعطيت قريشٌ ما سألوه من الآيات، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يَلْبَثُوا، ولكن الله أكرم محمدًا في الأمة التي أرسله إليهم؛ إذ قد سبق في علمه أن يكذِّب به مَن يكذب، ويصدق به مَن يصدق، وابتعثه رحمة للعالمينَ بَرٍّ وفاجرٍ، أما الْبَرُّ فرحمته إياهم في الدنيا والآخرة، وأما الفاجر، فإنهم أمنوا من الْخَسْفِ والغرَق وإرسال حاصب عليهم من السماء. كذلك قال بعض أهل التفسير في قوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] مع أنهم لم يسألوا ما سألوا من الآيات إلا تَعَنُّتًا واستهزاءً، لا على جهة الاسترشاد، ودفع الشك، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوّة ما فيه شفاء لمَن أنصف، قال الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أنزلنا عليك الكتاب﴾ [العنكبوت: ٥١] الآية، وفي هذا المعنى قيل:

لو لم تكن فيه آياتٌ مبيّنة   كانت بداهتهُ تُنْبيك بالخبر

وقد ذكر ابن إسحٰق في غير هذه الرواية أنهم سألوا أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فَهَمَّ رسولُ الله ـ ﷺ ـ أن يدعو الله لهم، فنزل جبريل، فقال لهم: ما شئتم إن شئتم فعلت ما سألتم، ثم لا نُلْبِثُكُمْ إن كذبتم بعد معاينة الآية، فقالوا: لا حاجة لنا بها[1].

عبد الله بن أبي أمية:

فصل: وذكر قول عبد الله بن أبي أُمية له، واسم أبي أُمية: حُذَيْفَةُ: والله لا أُومن بك

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٣١٦) بنحوه.

المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمَّته فهو لعاتكة بنت عبد المطلب - فقال له: يا محمد، عَرَض عليك قومُك ما عَرضوا فلم تقبلْه منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا، ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدّقوك ويتّبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذَ لنفسك ما يَعْرفون به فضلَك عليهم، ومنزلَتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجِّل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب، فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أومن بك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سُلَّمًا، ثم ترقى فيه، وأنا أنظر إليكَ حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول. وأيْم الله أنْ لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أني أصدّقك، ثم انصرف عن رسول الله - ﷺ - وانصرف رسولُ الله - ﷺ - إلى أهله حزينًا آسفًا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوه، ولِمَا رأى من مُباعدتهم إياه.

فلما قام عنهم رسولُ الله - ﷺ - قال أبو جهل: يا معْشَرَ قريش، إن محمدًا قد أبى إلا ما تَرَوْنَ من عَيْب ديننا، وشَتْم آبائنا، وتَسْفِيه أحلامنا، وشتْم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجْلسَنَّ له غدًا بحَجَر ما أطيق حَمْله - أو كما قال - فإذا سجدَ في صلاته، فَضَخْتُ به رأسه، فأسلِموني عند ذلك، أو امنعوني، فليصنَعْ بعد ذلك بنو عبد مَنَاف، ما بَدَا لهم، قالوا: والله لا نُسْلمك لشيء أبدًا، فامْضِ لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجرًا كما وصف، ثم جلس لرسول الله - ﷺ - ينتظره، وغدا رسول الله - ﷺ - كما كان يغدو، وكان رسول الله - ﷺ - بمكّة وقِبْلَتُهُ إلى الشام، فكان إذا صلَّى صَلَّى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعلَ الكعبة بينه وبين

حتى تتخذَ سُلَّمًا إلى آخر الكلام، وقد أسلم عبد الله بن أبي أُمية قبل فتح مكة، وسيأتي ذكر إسلامه.

همّ أبي جهل بإلقاء الحجر:

وذكر خبر أبي جهل، وما همّ به من إلقاء الحجر على رسولِ الله - ﷺ - وهو ساجد، وقد رواه النَّسَوِيُّ بإسناد إلى أبي هُرَيْرَةَ قال: قال أبو جهل، وذكر الحديث إلى قوله: فنكَص أبو جهلِ على عَقِبَيْه، فقالوا: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لَخَنْدَقًا من نار، وهَوْلاً وأجنِحةً، فقال رسول الله - ﷺ -: «لو دنا لاختطفته الملائكة عُضوًا عضوًا»، وخَرَّجه أيضًا مسلم[1]

---

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في صفات المنافقين (٣٨) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٨٩) والطبري في تفسيره (٣٠/ ٦٥).

الشام. فقام رسولُ الله ـ ﷺ ـ يُصَلِّي وقد غَدَتْ قُريش، فجلسوا في أَنْديتهم يَنْتظرون ما أبو جهل فاعل. فلما سَجَد رسولُ الله ـ ﷺ ـ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رَجَع منهزمًا. مُنْتَقَعًا لونُه مرعوبًا. قد يَبِست يداه على حَجَره. حتى قَذَف الحَجَر من يده. وقامت إليه رجال قُريش. فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمتُ إليه لأفعلَ به ما قلتُ لكم البارحةَ، فلما دنوتُ منه عَرَض لي دونه فَحْلٌ من الإبل، لا والله ما رأيت مثلَ هامَتِه، ولا مثل قَصَرته، ولا أنيابه لفَحْلٍ قطُّ. فَهَمَّ بي أن يأكلني.

قال ابن إسحٰق: فذُكِر لي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ذلك جبريلُ عليه السلام، لو دنا لأخذه».

فلما قال لهم ذلك أبو جَهْل. قام النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدَة بن عَلْقَمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ.

قال ابن هشام: ويقال النضرُ بنُ الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف.

قال ابن إسحٰق: فقال: يا معشر قريش. إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتمْ له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلامًا حَدَثًا، أرْضاكم فيكم. وأصدَقكم حديثًا. وأعظمكم أمانة. حتى إذا رأيتم في صُدْغيه الشَّيبَ، وجاءكم بما جاءكم به. قلتم: ساحرٌ، لا والله ما هو بساحر. لقد رأينا السحرة ونَفْثهم وعَقْدهم، وقلتم: كاهن. لا والله ما هو بكاهن؛

وذكر النَّسَوِيُّ أيضًا بإسناده إلى ابن عباس أن أبا جهل قال له: ألم أَنْهَكَ؟ فوالله ما بمكة نادٍ أعزّ من نادِيَّ، فأنزل اللّهُ تعالى: ﴿أرأيتَ الذي ينهى عَبْدًا﴾ إلى قوله: ﴿فَلْيَدْعُ ناديه سَنَدْعُ الزَّبَانِيَة﴾ [العلق: ١٧ ـ ١٨].

تفسير أرأيت:

قال محمد بن يزيد: في الكلام حذفٌ، تقديرُه: ﴿أَرَأَيْتَ الذي ينهى عبدًا إذا صَلَّى﴾، أمُصِيبٌ هو أو مُخْطِئٌ؟ وكذلك في قوله: ﴿أرأيتَ إن كان على الهدى﴾ [العلق: ١١] كأنه قال: أليسَ مَن ينهاه بضالٍّ؟ وقوله: ﴿لَنَسْفَعًا بالنَّاصِية﴾ [العلق: ١٥] أي لنأخُذَنَّ بها إلى النارِ، وقيل معنى السَّفْع هٰهنا: إذلالُه وقَهْرُه، والنادي والنَّدِيُّ والمُنْتَدى بمعنى واحدٍ، وهو: مجلسُ القوم الذين يَتَنَادَوْن إليه، وقال أهل التفسير فيه أقوالاً متقاربةً، قال بعضهم: فَلْيَدْعُ حَيَّه، وقال بعضهم: عشيرتَه، وقال بعضُهم: مجلسَه، وفي أرأيتَ معنى: أَخْبِرْني، ولذلك قال سيبويه: لم يجز إلغاؤها، كما تُلغى: علمتُ إذا قلتَ: علمت أَزَيْدٌ عندك أم عَمْروٌ، ولا يجوز هذا في: أرأيت، ولا بُدَّ من النَّصْبِ إذا قلت: أرأيت زَيْدًا، أَبُو مَنْ هو؟ قال سيبويه: لأن دخولَ معنى أخبرني فيها لا يجعلها بمنزلة: أخبرني في جميع أحوالها، قال

قد رأينا الكهنة، وتخالُجَهُمْ وسَمِعْنا سَجْعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر؛ قد رأينا الشعرَ، وسَمِعْنا أصنافَه كلَّها: هَزجَه ورَجزه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنونَ، فما هو بخَنْقه، ولا وَسْوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم.

وكان النَّضْر بن الحارث من شياطين قُريش، وممّن كان يؤذي رسول الله ـ ﷺ ـ وينصب له العداوةَ، وكان قد قَدِمَ الحِيرةَ، وتعلَّم بها أحاديثَ ملوك الفرس، وأحاديث رُسْتُم وإسفنديار، فكان إذا جلس رسولُ الله ـ ﷺ ـ مجلسًا فذكَّر فيه بالله، وحذّر قومه ما أصاب مَنْ قبلَهم من الأمم من نقمة الله، خَلَفَه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قُريش، أحسنُ حديثًا منه، فهَلُمَّ إليَّ، فأنا أُحدّثكم أحسنَ من حديثه، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورُستم وإسفنديار. ثم يقول: بماذا محمدٌ أحسنُ حديثًا مني؟

قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثلَ ما أنزل الله.

قال ابن إسحٰق: وكان ابن عبَّاس رضي الله عنهما يقول ـ فيما بلغني: نزل فيه

المؤلف: وظاهرُ القرآن يقضي بخلافِ ما قال سيبويه إلاَّ بعد البيان، وذلك أنها في القرآن مُلْغاةٌ؛ لأن الاستفهامَ هو مطلوبُها، وعليه وقعت في قوله: ﴿أرأيتَ إن كَذَّبَ وتولى أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١٣]. فقوله: أَلَمْ يعلم: استفهامٌ، وعليه وقعت: أرأيت، وكذلك: أَرَأَيْتُمْ، وأَرَأَيْتُكُمْ في الأنعام، فإن الاستفهام واقع بعدها نحو: ﴿هلْ يُهلَكُ إلا القوْمُ الظالمون﴾ [الأنعام: ٤٧]. وهذا هو الذي منع سيبويه في: أرأيتَ وأرأيتُك أبو مَن أنت؟ وأما البيانُ فالذي قاله سيبويه صحيح، ولكن إذا ولّى الاستفهامُ: أرأيتَ، ولم يكن لها مَفْعُولٌ سوى الجملة، وأما في هذه المواضع التي في التنزيل، فليست الجملةُ المستفهَمُ عنها هي مَفْعُول: أرأيت، إنما مَفْعُولها محذوفٌ يدلّ عليه الشرطُ، ولا بد من الشرط بعدها في هذه الصور؛ لأن المعنى: أرأيتم صنيعكم إن كان كذا، وكذا، كما يقول القائل: أرأيت إن لقيت العدو أتقاتله أم لا؟ تقدير الكلام: أرأيتَ رأيك أو صنيعك إن لقيت العدو فحرف الشرط، وهو: إن، دالٌّ على ذلك المحذوف، ومُرْتبط به، والجملة المستفهَمُ عنها كلامٌ مُسْتأنَف منقطِع، إلا أن فيه زيادةَ بيانٍ لما يستفهم عنه، ولو زال الشَّرط، ووليها الاستفهامُ لَقَبُحَ كما قال سيبويه، ويحسُن في: علمت، وهل علمت وهل رأيت، وإنما قُبْحُه مع أرأيت خاصة، وهي التي دخلها معنى: أخبرني فتدَبَّرْه.

الأساطير وشيء عن الفرس:

فصل: وذكر حديثَ النَّضر بن الحارث، وما نزل فيه من قول الله تعالى: ﴿قالوا

ثمان آيات من القرآن: قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿إذَا تُتْلَى عَلَيْه آياتُنا قالَ أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥] وكلّ ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن.

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عُقْبة بن أبي مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سَلاهم عن محمد، وصفا لهم صِفَته، وأخبراهم بقَوْله، فإنهم أهلُ الكتاب الأوّل، وعندهم عِلمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرَجا حتى قَدِما المدينةَ، فسألا أحبارَ يهود عن رسول الله ـ ﷺ ـ وَوَصَفا لهم أمْره. وأخبراهم ببعض قوله. وقالا لهم: إنكم أهلُ التَّوراة. وقد جِئْناكم لتُخْبِرونا عن صاحبنا هذا. فقالت لهما أحبار يهود: سَلُوه عن ثلاث نَأمُركم بهنّ. فإن أخبركم بهنّ، فهو نبيّ مُرْسَلٌ. وإن لم يفعل فالرجل مُتقوِّل. فَرَوْا فيه رأيكم. سَلُوه عن فِتْيَةٍ ذهبوا في الدَّهر

أسَاطِيرُ الأوَّلين﴾ واحد الأساطير: أُسْطُورة كأُحْدُوثة وأحاديث، وهو ما سَطَّره الأوَّلون، وقيل: أساطير: جمع أسطار، وأسطارٌ جمعُ: سَطَر بفتح الطاء، وأما سَطْرٌ بسكون الطاء، فجمعه: أسْطُرٌ، وجمع الجمع: أساطر بغير ياء، وذكر أن النضر بن الحارث كان يُحَدِّث قريشًا بأحاديث رُسْتُمَ وإسفندياذ، وما تعلّم في بلاد الفرس من أخبارهم، وذكر ما أنزل الله في ذلك من قوله، وقد قيل فيه نزلت: ﴿ومَن قال سَأُنْزِلُ مثلَ ما أنزل الله﴾ [الأنعام: ٩٣]. وأما أحاديث رستم، ففي تاريخ الطبري[١] أن رُسْتُم بن ريسان كان يحارب كي يستاسب بن كي لهراسب، بعدما قتل أباه لطراسب ابن كي أجو. وكي في أوائل هذه الأسماء عبارة عن البهاء، ويقال: عبارة عن إدراك الثأر، ويقال لهؤلاء الملوك: الكينية من أجل هذا، وكان رُسْتُم الذي يقال له: رُسْتُم سَيِّد بني ريسان من ملوك الترك، وكان كي يستاسب قد غضب على ابنه، فسجنه حسدًا له على ما ظهر من وقائعه في الترك، حتى صار الذكر له، فعندها ظهرت الترك على بلاد فارس، وسبَوا بنتين: ليستاسب، اسم إحداهما: خمانة، أو نحو هذا، فلما رأى يستاسب ألاَّ يدَين له بقتالهم أطلق ابنه من السجن، وهو إسفندياذ، ورضي عنه وولاّه أمر الجيوش، فنهد إلى رستم، وكانت بينهما ملاحم يطول ذكرها، لكنه قتل رستم، واستباح عساكره، ودوّخ في بلاد الترك، واستخرج أُختيه من أيديهم، ثم مات إسفندياذ قبل أبيه، وكان ملك أبيه نحوًا من مائة عام، ثم عهد إلى بهمن بن إسفندياذ، فولاّه الأمر بعد موته وبهمن بلغتهم: الحسن النيّة، ودام ملكه نيّفًا على مائة عام، وكان له ابنان: ساسان ودارا، وقد أملينا في أول الكتاب طرفًا من حديث ساسان وبنيه، وهم الساسانية الذين قام عليهم الإسلام، ورُسْتُم آخرُ مذكور أيضًا قبل هذا

---

(١) الطبري في تاريخه (١/ ٢٩٧/ ٢٩٨/ ٢٩٩/ ٣٢٩).

الأوّل ما كان أمرهم، فإنه قد كان لهم حديثُ عجب، وسَلوه عن رجل طَوّاف قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها ما كان نَبؤُهُ، وسلوه عن الرُّوح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فاتَّبعوه، فإنه نبيّ. وإن لم يفعل، فهو رجلٌ متقوّل. فاصنعوا في أمره ما بَدَا لكم. فأقبل النَّضر بن الحارث، وعُقْبة بن أبي مُعيط بن أبي عمرو بن أُمَيَّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصَيّ حتى قَدِما مكّة على قُريش. فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفَصْل ما بينكم وبين محمدٍ. قد أخبرَنا أحبارُ يهود أنْ نسأله عن أشياء أمَرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيّ، وإن لم يفعل فالرجلُ مُتَقَوّل. فرَوْا فيه رأيكم.

فجاؤوا رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: يا محمد، أخْبرنا عن فِتْية ذهبوا في الدَّهر الأوّل قد كانت لهم قصَّة عَجَبٌ، وعن رجل كان طوّافًا قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها، وأخْبرنا عن الرُّوح ما هي؟ فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: «أخبركم بما سألتم عنه غدًا»، ولم يستثْنِ، فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ـ ﷺ ـ فيما يذكرون ـ خمسَ عشَرةَ ليلة لا يُحدث الله إليه في ذلك وَحْيًا، ولا يأتيه جبريل، حتى أرْجف أهل مكة وقالوا: وَعدنا محمدٌ غدًا، واليوم خمس عشرةَ ليلةً. قد أصبحنا منها لا يخْبرنا بشيء ممَّا سألناه عنه، وحتى أحزنَ رسول الله ـ ﷺ ـ مُكثُ الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلَّم به أهلُ مكة، ثم جاءه جبريلُ من الله عزّ وجلّ بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حُزْنه عليهم، وخبرُ ما سألوه عنه من أمر الفِتْيَة، والرجل الطَّوّاف، والروح.

في أحاديث كي قباذ، وكان قبل عهد سليمان، ثم كان رستم وزيرًا بعد كي قباذ لابنه كي قاووس، وكانت الجنّ قد سُخّرت له. يقال إن سليمان أمرهم بذلك، فبلغ ملكُه من العجائب ما لا يكاد أن يصدقه ذوو العقول لخروجها عن المعتاد لكن محمد بن جرير الطبري ذكر منها أخبارًا عجيبة[1].

وذكر أنه هَمَّ بما همَّ به نمروذ من الصعود إلى السماء، فطرحته الريح، وضَعْضَعَتْ أركانه، وهدمت بنيانَه، ثم ثابَ إليه بعض جنوده، فصار كسائر الملوك يغلب تارة، ويُغلب بخلاف ما كان قبل ذلك، وسار بجنوده إلى اليمن فنَهَد إليه عمرو ذو الأذْعَار، فهزمه عَمْرو، وأخذه أسيرًا، وحبسه في مَحْبِس حتى جاء رُسْتَم، وكان صاحب أمره، فاسْتَنْقَذَه من عَمْرٍو، إمَّا بَطْوعٍ، وإمَّا بإكراه، وردّه إلى بلاد فارس. ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب، وكان رستم هو القيِّم على شاوخش والكافل له في

---

(١) انظر التخريج السابق. وفيه بعض الاختلاف عما هنا. وفي تسخير سليمان الجن لرستم ـ نظر ومقال.

قال ابن إسحٰق: فذُكر لي أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبستَ عني يا جبريل حتى سُؤتُ ظنًّا، فقال له جبريل: ﴿ومَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا وما بينَ ذلكَ ومَا كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. فافتتح السورة ـ تبارك وتعالى ـ بحَمده وذكر نُبُوَّةَ رسوله، لِما أنكروه عليه من ذلك، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي أنْزَلَ على عَبْدِهِ الكِتابَ﴾ [الكهف: ١ ـ ٢٦] يعني: محمدًا ﷺ، إنك رسول مني: أي تحقيق لما سألوه عنه من نبوّتك. ﴿ولَمْ يجعل له عِوَجًا قيمًا﴾: أي معتدلاً، لا اختلاف فيه. ﴿ليُنْذِرَ بَأسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾: أي عاجل عقوبته في الدنيا، وَعَذَابًا أليمًا فِي الآخِرةِ من عند ربك الذي بعثك رسولاً. ﴿ويُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالحاتِ أنَّ لهُمْ أجْرًا حَسنًا ماكِثِينَ فِيهِ أبَدًا﴾: أي دار الخلد لاَ يَمُوتُونَ فِيها الذين صدَقوك بما جئت به مما كذّبك به غيرهم، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال. ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يعني: قريشًا في قولهم: إنا نعبد الملائكة، وهي بنات الله. ﴿ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبائِهِمْ﴾ الذين أعظموا فراقهم وعَيْب دينهم. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تخرُجُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ﴾ أيَ: لقولهم: إن الملائكة بناتُ الله. ﴿إنْ يَقُولُونَ إلاَّ كَذِبًا فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ﴾ يا محمد ﴿على آثارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذا الحَدِيثِ أسَفا﴾: أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم، أي: لا تفعل.

قال ابن هشام: باخعٌ نفسَك، أي: مُهْلِك نفسَك، فيما حدّثني أبو عُبيدة قال ذو الرُّمَّة:

ألا أيُّهـٰذَا البـاخـع الـوَجْـدُ نـفـسَـه لـشَـيْءٍ نَـحَـتْـه عـن يَـدَيْـه الـمَـقـادِرُ

صغره، وكان آخر أمر شاوخش بعد عجائب أن قتله قراسيات، وقام ابنه كي خسرو يطلب بثأره، فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثلها، وكان الظفر له، فلما ظفروا رأى أمله في أعدائه ما ملأ عينه قُرَّة، وقلبه سرورًا زهد في الدنيا، وأراد السياحة في الأرض، فَتَعَاتَّ به أبناء فارس، وحذرته من شَتَات الشَّمْلِ بعده، وشماتة العدو، فاستخلف عليهم: كي لهراسب، بن كي اجو، بن كي كينة، بن كي قاووس المتقدم ذكره، ولا أدري: هل رستم الذي قتله إسفندياذ هو رُسْتَم صاحب كي قاووس، أم غيره، والظاهر أنه ليس به، لأن مدة ما بين كي قاووس وكي يستاسب بعيدة جدًّا، وأحسبه كما قدّمنا أنه كان من الترك، وهذا كله كان في مدة الكينية، وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بُخْتَ نَصَّرَ البابلي على العراق، فكان من أُموره مع بني إسرائيل وإثخانه فيهم، وهدمه لبيت المقدس وإحراقه للتوراة وقتله لأولاد الأنبياء، واسترقاقه لنساء

وجمعه: باخعون وَبَخَعة. وهذا البيت في قصيدة له. وتقول العرب: قد بخعتُ له نُصْحي ونَفْسي، أي جَهَدْت له. ﴿إنّا جَعَلْنا ما على الأرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

قال ابن إسحٰق: أي: أيّهم اتّبع لأمري، واعمل بطاعتي. ﴿وإنّا لَجَاعِلونَ مَا عَلَيْها صَعِيدًا جُرُزًا﴾: أي الأرض، وإنّ ما عليها لفانٍ وزائل، وإن المرجع إليَّ، فأجزي كُلاًّ بعمله، فلاَ تَأْسَ، ولا يَحْزنك ما تسمع وترى فيها.

قال ابن هشام: الصعيد: الأرض، وجمعه: صُعُد. قال ذو الرُّمَّة يصِف ظَبْيًا صغيرًا:

كأنّه بالضُّحى تَرْمي الصعيدَ به ... دَبَّابةٌ فِي عِظام الرأسِ خُرْطومُ

وهذا البيت في قصيدة له. والصعيد أيضًا: الطريق. وقد جاء في الحديث: «إياكم والقعودَ على الصُّعَدات» يريد الطرق. والجُرز: الأرض التي لا تُنبت شيئًا، وجمعها: أجراز. ويقال: سَنة جُرز، وسنون أجراز، وهي التي لا يكون فيها مطر، وتكون فيها جُدُوبة ويُبس وشدّة. قال ذو الرُّمَّة يصف إبلاً:

طوى النَّحزُ والأجْراز ما في بُطونها ... فما بقيتْ إلا الضّلوعُ الجَراشعُ

وهذا البيت في قصيدة له.

ملوكهم ولذراريهم مع عيشه في بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم، ما هو مشهور في كتب التفاسير، ومعلوم عند أصحاب التواريخ.

فهذه جملة مختصرة تشرح لك ما وقع في كتاب ابن إسحٰق من ذكر رستم وإسفنديار، وكانت الكينية قبل مدة عيسى ابن مريم، أولهم في عهد أفرِيدُون قبل موسى عليه السلام بمئين من السنين، وآخرهم في مدة الإسكندر بن قليس والإسكندر هو الذي سلب ملكهم، وقتل دارا بن دارا، وهو آخرهم، ثم كانت الأشغانية مع ملوك الطوائف أربعمائة وثمانين عامًا، وقيل: أقل من ذلك في قولِ الطبري، وقولُ المسعودي: خمسمائة وعشر سنين في خلال أمرهم بُعِث عيسى ابن مريم، ثم كانت الساسانية نحوًا من ثلاثين ملكًا حتى قام الإسلام، ففض خَدَمَتَهُمْ. وخَضَدَ شوكتَهم، وهدم هياكلَهم، وأطفأ نيرانهم التي كانوا يعبدون، وذلك كله في خلافة عمر.

حول سورة الكهف

قال ابن إسحٰق: ثم استقبل قصّة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفِتْية، فقال: ﴿أمْ

عن سورتي الكهف والفرقان ـ سبب نزول الكهف

فصل: وذكر ابن إسحٰق إرسال قُرَيْشٍ النضرَ بن الحارث وعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط إلى يهود، وما رجعا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبي ﷺ، فسألوه عن الأمورِ الثلاثة التي قالت اليهود: إن أخبركم بها فهو نبي وإلا فهو مُتَقَوِّل، فقال لهم: سأخبركم غدًا، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عنه الوحي في قول ابن إسحٰق خمسة عشر يومًا، وفي سِيَر التَّيمي وموسى بن عُقْبَةَ أن الوحيَ إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام، ثم جاء جبريل بسورة الكهف.

لِمَ قدّم الحمد على الكتاب[1]؟!:

وذكر افتتاحَ الربِّ سبحانه بحمد نفسه، وذكر نبوّة نبيّه حمْدُه لنفسه تعالى خبرٌ باطِنُه الأمْرُ والتعليمُ لعبده كيف يَحمدُه، إذ لولا ذلك لاقتضت الحالُ الوقوف عن تسميته، والعبارات عن جلاله، لقصور كلِّ عبارةٍ عمّا هنالك من الجلال، وأوصافِ الكمال، ولمّا كان الحمدُ واجبًا على العبد قُدِّم في هذه الآيةِ ليقترِن في اللفظِ بالحمد الذي هو واجبٌ عليه، وليستشعرَ العبدُ وجوبَ الحمدِ عليه، وفي سورة الفرقان قال: ﴿تبارَك الذي نَزَّل الفُرقانَ على عبده﴾ وبدأ بذكر الفُرقانِ الذي هو الكتابُ المبَارك. قال الله سبحانه: ﴿وهذا كتابٌ أنزلناه مُبَاركٌ﴾ فلما افتتح السورة بتباركَ الذي، بدأ بذكر الفرقان، وهو الكتاب المبارك، ثم قال: على عبده، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب، وتقديم ذكر الكتاب عليه في سورة الفرقان، وما في ذلك من تشاكُلِ اللفظ والتئامِ الكلامِ نرى الإعجازَ ظاهرًا، والحكمةَ باهرةً، والبرهانَ واضحًا، وأنشد لذي الرُّمَّةِ.

---

(١) وقيل في تفسير فاتحة الكتاب: أن التسبيح مقدّم على التحميد، وأن الرجل بعد الصلاة يسبّح الله ثلاثة وثلاثون ويحمد الله ثلاثة وثلاثون. . . ، فكيف بدأ القرآن كله بالحمد ولم يبدأ بالتسبيح؟ قالوا: إن الحمد يتضمن في طياته التسبيح، إذا التسبيح من: سبّح، أي بعُد، فالتسبيح هو المباعدة بين الله وبين كل نقص وعيب، ولما كان ذلك كذلك فهو مستحق للحمد إذ هو المنزّه عن النقص والعيوب، وقالوا: إن أول كلمة قالها آدم حين نفخت فيه الروح. قال: الحمد لله، فكانت هذه أول كلمة يقولها أبو البشر آدم عليه السلام، وآخر كلمة يقولها المؤمنون يوم القيامة ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾. ﴿وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ فكان أول كلمة قيلت هي: الحمد لله، وآخر ما يقال: الحمد لله، فلا حرم أن يكون أول الكلام المنزّل على آخر الرسل: الحمد لله. والحمد لله ربّ العالمين. وانظر للمحقق «اللباب في تفسير فاتحة الكتاب».

حَسِبْتَ أنَّ أصحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا﴾: أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُجَجي ما هو أعجب من ذلك.

قال ابن هشام: والرقيم: الكتاب الذي رُقِم فيه بخبرهم، وجمعه: رُقُم. قال العَجّاج:

ومُسْتَقَرُّ المُصْحَفِ المُرقَّمِ

وهذا البيت في أُرجوزة له.

شرح شواهد شعرية:

كأنه بالضُّحى ترمي الصعيدَ به دَبَّابَةٌ في عظام الرأس خُرْطُومُ

يصف ولدَ الظبية: والخُرْطُومُ: من أسماء الخمر، أي: كأنه من نشاطه دَبَّتِ الخمرُ في رأسه. وأنشد له أيضًا:

طوى النَّحْزُ والأجرازُ. البيت. والنَّحْزُ: النَّخْسُ، والنُّحازُ: داء يأخذ الإبلَ والنحيزَةُ: الغَريزَةُ، والنحيزة: نسيجة كالحزام: والضلوعُ الجَرَاشِعُ. هو جمع جُرْشُع. قال صاحب العين. الجُرْشُعُ: العظيم الصدر، فمعناه إذًا في البيت على هذا: الضلوعُ من الهزال قد نَتَأَتْ، وبرزت كالصدر البارز.

الرقيم وأهل الكهف:

فصل: وذكر الرَّقِيمَ وفيه سوى ما قاله أقوال. رُوِيَ عن أنس أنه قال: الرقيمُ: الكلبُ، وعن كعب أنه قال: هو اسم القرية التي خرجوا منها، وقيل: هو اسم الوادي وقيل: هو صخرة، ويقال: لوح كتب فيه أسماؤهم ودينُهم وقصتُهم، وقال ابن عباس: كل القرآن أعلم إلا الرقيمَ والغِسْلَين وحنانًا والأوّاه[1]، وقد ذكرت أسماؤهم على الاختلاف في بعض ألفاظها وهي: مليخا، كسليما، مرطوش بن أنس، أريطانس، أيونس، شاطيطوش[2]. وقيل في اسم مدينتهم: أفوس، واختلف في بقائهم إلى الآن، فرُوِيَ عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقي شيء منهم، بل صاروا ترابًا قبل مبعث النبي ﷺ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا، وأن الأرضَ لم تأكلهم، ولم تغيرهم، وأنهم على مَقْرُبة من القُسْطَنطينِيَة، فالله أعلم. رُوِيَ

---

(١) فيه نظر.

(٢) معرفة أسمائهم «علم لا ينفع وجهل لا يضر». وإن كان في معرف أسمائهم خير لعرَّفهم الله تعالى في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ. فلا حاجة بنا إلى البحث عن أسمائهم وطولهم وغير هذا.

قال ابن إسحٰق: ثم قال تعالى: ﴿إذْ أوَى الفِتْيَةُ إلى الكَهْفِ فقالُوا رَبَّنا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنا مِنْ أمْرِنا رَشَدًا فَضَرَبْنا على آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أيُّ الْحِزْبَيْنِ أحْصَى لِمَا لَبِثوا أمَدًا﴾. ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بالحَقِّ﴾: أي بصدق الخبر عنهم. ﴿إنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنا على قُلوبِهِمْ إذْ قامُوا فَقَالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّمٰواتِ والأرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إلٰهًا لَقَدْ قُلْنا إذًا شطَطًا﴾: أي لم يُشرِكوا بي كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم.

قال ابن هشام: والشطط: الغلو ومجاوزة الحق. قال أعشى بني قَيْس بن ثعلبة:

لا يَنْتهون، ولا يَنْهَى ذَوِي شَطَط ... كالطَّعْن يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنا اتَّخذُوا مِنْ دُونِهِ آلهَةً لَوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهم بِسُلْطانٍ بَيِّن﴾.

قال ابن إسحٰق: أي بحجة بالغة.

أنهم سيحجّون البيتَ إذا نزل عيسى ابن مريم. ألفيتُ هذا الخبرَ في كتاب البدء لابن أبي خَيْثَمة(١).

إعراب أحصى:

وذكر قول الله تعالى: ﴿لنعلَم أيُّ الحِزْبَيْن أحْصى لما لبثوا أمدا﴾ [الكهف: ١٢] قد أمْلينا في إعراب هذه الآية نحوًا من كرّاسة، وذكرنا ما وهم فيه الزَّجّاجُ من إعرابها؛ حيث جعل أحصى اسمًا في موضع رفع على خبر المبتدأ، وأمَدًا: تمييز وهذا لا يصح؛ لأن التمييز هو الفاعل في المعنى، فإذا قلت: أيّهم أعلم أبًا، فالأب هو العالم، وكذلك إذا قلت أيُّهم أفرَهُ عَبْدًا، فالعبد هو الفارهُ، فيلزم على قوله إذًا أن يكونَ الأمَدُ فاعلاً بالإحصاء، وهذا محال، بل هو مفعول، وأحصى: فعل ماضٍ، وهو الناصب له، وذكرنا في ذلك الإملاء أنَّ أيهم، قد يجوز فيه النصبُ بما قبله إذا جعلته خبرًا، وذلك على شُرُوط بيّنّاها هنالك لمَن أراد الوقوف على حقيقتها، أي: ومواضعها، وكشفنا أسرارها.

عن الضرب وتزاور الشمس وفائدة القصة:

وقوله سبحانه: ﴿فضربنا على آذانهم﴾ أي: أنَمْناهم، وإنما قيل في النائم: ضُرِب على

---

(١) ترى كم يكون عمرهم آنذاك؟! وكيف يبقى هؤلاء أحياء إلى زمن ليس عليه السلام، أي إلى قيام الساعة وقد مات سيد ولد آدم ـ محمد ﷺ؟!!!.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللَّهِ كَذِبًا وإِذِ اعْتَزَلْتُموهُمْ وما يَعْبُدونَ إلا اللَّهَ فأْوُوا إلى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَته ويُهَيِّىءْ لَكمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا وَتَرى الشَّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُم ذَاتَ الشِّمالِ وَهُمْ في فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾.

أذنه؛ لأن النائم ينتبه من جهة السَّمع، والضربُ هنا مُستعار من ضربت الْقُفْلَ على البابِ، وذكر قوله تعالى: ﴿تَزَاوَرَ عن كهْفِهم ذاتَ اليمين﴾ الآية. وقيل في تَقرِضُهم: تحاذيهم، وقيل: تتجاوزهم شيئًا فشيئًا من الْقَرْضِ، وهو القطع، أي: تقطع ما هنالك من الأرض، وهذا كله شرح اللفظ، وأمّا فائدة المعنى، فإنه بيّن أنهم في مَقْنُوَةٍ من الأرض، لا تدخل عليهم الشمسُ، فتحرقهم، وتبلي ثيابهم، ويقلَّبون ذات اليمين وذات الشمال. لئلا تأكلَهم الأرضُ، والفائدة العُظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم في الكهف، وحال كلبهم، وأين هو من الكهف، وأنه بالْوَصيد منه، وأن باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت، وأن هذا البيان لا يكاد يعرفه مَن رآهم، فإن المُطّلع عليهم يُمْلأ منهم رُعبًا، فلا يمكنه تأمُّل هذه الدقائق من أحوالهم، والنبي عليه السلام لم يرَهم قطّ، ولا سمع بهم، ولا قرأ كتابًا فيه صفتُهم؛ لأنه أُمّيٌّ في أُمة أُميّة، وقد جاءكم ببيان لا يأتي به مَن وصل إليهم حتى إن كلبَهم قد ذكر، وذُكِر موضعُه وبسطُه ذراعيه بالْوَصيد، وهم في الفجوة، وفي هذا كله برهانٌ عظيم على نبوّته، ودليلٌ واضح على صدقِه، وأنه غير مُتَقَوِّلٍ، كما زعموا، فقِفْ بقلبِك على مضمون هذه الأوصاف، والمراد بها تُعْصَمْ إن شاء الله مما وقعت فيه الْمُلْحِدةُ من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله، وقولهم: أيّ فائدة في أن تكون الشمسُ تَزَاوَرُ عن كهفهم، وهكذا هو كل بيت يكون في مَقْنُوَةٍ، أي: بابه لجهة الشمال، فنبَّه أهلَ المعاني على الفائدة الأولى المُنبِئة عن لطف الله بهم، حيث جعلهم في مَقْنُوَةٍ تزاور عنهم الشمسُ فلا تؤذيهم[1]، فقال: لمَن اقتصر من أهل التأويل على هذا: فما في ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة، وما فيه من معنى اللطف بهم؟ فالجواب: ما قدّمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئًا، حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذّر على مَن اطّلع عليهم من أجل الرعب، فكيف مَن لم يرهم، ولا سمع بهم، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي، والبرهان الكافي، والرعب الذي كان يلحق المُطَّلِعَ عليهم، قيل: كان مما طالت شعورهم وأظفارهم[2]. ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه: ﴿في فَجْوَةٍ

---

(١) وقيل: حتى لا تتغير أجسامهم وملابسهم فيصيبها العفن.

(٢) لو صحّ هذا وغيره من الكلام الذي طفحت به بعض كتب التفسير من وصف شكلِهم وهيآتهم ما تعجبوا عند استيقاظهم من نومهم إذا شاهد بعضهم بعضًا وقد تغير حاله، بل بقي شكلهم وسمتهم=

قال ابن هشام: تزاور: تميل، وهو من الزَّوَر: وقال امرؤ القيس بن حُجْر:

وإني زَعيمٌ إن رجعتُ مُمَلَّكًا ... بسَيْرٍ ترى منه الفُرانِقَ أزْوَرا

وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو الزّحف الكُليبي يصف بلدًا:

جَأْبُ المُنَدَّى عن هَوانا أزورُ ... يُنْضِي المَطايا خِمْسُه العَشَنْزَرُ

وهذان البيتان في أرجوزة له. و﴿تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمالِ﴾: تجاوزهم وتتركهم عن شمالها. قال ذو الرّمة:

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْن أقوازَ مُشْرِفٍ ... شِمَالاً وعن أيمانهنّ الفوارسُ

وهذا البيت في قصيدة له. والفجوة: السَّعة، وجمعها: الفِجاء قال الشاعر:

أَلْبَسْتَ قَوْمَك مَخْزَاةً ومَنْقَصةً ... حتى أُبيحوا، وخَلَّوْا فجوةَ الدارِ

﴿ذلكَ مِنْ آياتِ اللّهِ﴾ أي في الحُجة عَلى مَنْ عَرف ذلك من أُمورهم من أهل الكتاب، مِمَّن أمَر هؤلاء بمسألتك عنهم في صِدْق نبوَّتِك بتَحْقيق الخبر عنهم. ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا وتَحْسَبُهُمْ أيْقاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمالِ وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ﴾.

قال ابن هشام: الوصيد: الباب. قال العَبْسي، واسمه: عُبَيْد بنُ وَهْب:

بأرضٍ فَلاةٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها ... عَلَيَّ، ومَعْروفي بها غيرُ مُنْكَرِ

منه﴾ أي: في فضاء، ومع أنهم في فضاء منه، فلا تصيبهم الشمس. قال ابن سلام: فهذه آية. قال: وكانوا يقلَّبُون في السنة مرتين[1]، ومن فوائد الآية: أنه أخرج الكلب عن التقليب، فقال: باسط ذراعيه، ومع أنه كان لا يُقلَّب لم تأكله الأرض؛ لأن التقليب كان من فعل الملائكة بهم، والملائكةُ أولياءُ المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والكلبُ خارجٌ من هذه الآية. ألا تراه كيف قال: بالوصيد، أي: بفناءِ الغار لا داخلاً معهم؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب[2] فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام. قال ابن سلام: وإنما كانوا يقلَّبون في الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا.

= كما هو كحال مَن لبث في نومه يوم أو بعض يوم.

(١) لا دليل صحيح على هذا.

(٢) انظر البخاري (٧/ ٢١٦) ومسلم في اللباس (٨٥) والنسائي (٨/ ٢١٣) وأبو داود (٤١٥٥) بتحقيقي. والترمذي (٢٨٠٥) وأحمد (٤/ ٣٠) وابن ماجه (٣٦٥٠) والطبراني (٨/ ٣٤٤).

وهذا البيت في أبيات له. والوصيد أيضًا: الفِناء، وجمعه: وصائد، ووُصُد، ووُصْدان، وأُصُد، وأُصْدان.

﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾... إلى قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ أهل السلطان والملك منهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا سَيَقُولُونَ﴾ يعني: أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم: ﴿ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بالغَيْبِ﴾: أي لا علم لهم ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظاهِرًا﴾: أي لا

المتنازعون في أمرهم:

فصل: وذكر قول الله سبحانه: ﴿قال الذين غَلَبُوا على أمرهم لَنَتَّخِذَنَّ عليهم مَسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] وقال: يعني أصحاب السلطان، فاستدلّ بعض أهلِ العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله: لنتخِذَنَّ عليهم مسجدًا[١]. وذكر الطبري أن أهلَ تلك المدينة تنازعوا قبل مبعثهم في الأجساد والأرواح. كيف تَكون إعادتها يوم القيامة فقال قوم: تُعاد الأجساد كما كانت بأرواحها، كما يقوله أهل الإسلام، وخالفهم آخرون، وقالوا: تُبعَث الأرواح دون الأجساد، كما يقوله النصارى، وشَرِيَ بينهم الشرُّ، واشتد الخلاف، واشتد على مَلِكهم ما نزل بقومه من ذلك، فلبس المُسُوح، وافترش الرماد، وأقبل على البكاء والتضرّع إلى الله أن يُرِيَه الفَصْل فيما اختلفوا فيه، فأحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك، فكان من حديثهم ما عُرِف وشُهِرَ، فقال الملك لقومه: هذه آية أظهرها الله لكم لتتّفقوا، وتعلموا أن الله عزّ وجل كما أحيا هؤلاء، وأعادَ أرْوَاحهم إلى أجسادهم، فكذلك يُعيد الخلق يوم القيامة كما بدأهم، فرجع الكل إلى ما قاله الملك، وعلموا أنه الحق.

عن واو الثمانية[٢]:

فصل: وذكر قول الله سبحانه: ﴿ويقولون سَبْعَةٌ وثامنهم كلبُهم﴾ قد أفردنا للكلام على هذه الواو التي يسمّيها بعض الناس: واو الثمانية بابًا طويلاً، والذي يليق بهذا الموضع أن تعلم: أن هذه الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مُضْمَر، تقديره: نعم،

---

(١) استدل بعضهم بهذه الآية على جواز اتخاذ المساجد على القبور، وقد ورد أربعة عشر حديثًا صحيحًا في النهي عن الصلاة في المساجد المُقامَة على القبور، وانظر الأمر باستفاضة والردّ على هذه الشبهة وغيرها في كتاب فضيلة الشيخ العلاّمة ناصر الدين الألباني ـ حفظه الله ونفع به ـ آمين. فانظره لِزامًا.

(٢) أي التي تأتي بعد سبعة أشياء، ثم تذكر قبل الثامن، كما في الآية. وكما جاء في سورة التوبة (١١٢) والتحريم (٥) وانظر بدائع الفوائد للعلاّمة القيّم ابن القيّم (٢/ ١٧٤) (٣/ ٥٢).

تكابرهم. ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُم أَحَدًا﴾ فإنهم لا علم لهم بهم. ﴿ولا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إني فاعلٌ ذَلِكَ غدًا إلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾: أي ولا تقولنَّ لشيء سألوك عنه كما قلت في هذا: إني مخبركم غدًا.

وثامنهم كلبهم، وذلك أن قائلاً لو قال: إن زيدًا شاعرٌ، فقلت له: وفقيه، كنت قد صدقته، كأنك قلت: نعم هو كذلك، وفقيه أيضًا، وفي الحديث: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أيتوضأ بما أفضلت الخمر، فقال: «وبما أفضلت السباع». يريد: نعم، وبما أفضلت السباع. خرّجه الدارقطني[1]. وفي التنزيل: ﴿وارزُقْ أهلَه من الثمرات مَنْ آمَنَ منهم بالله واليوم الآخر قال ومَنْ كَفَر﴾ [البقرة: ١٢٦] هو من هذا الباب. فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم: ﴿ويقولون سبعة﴾، فقال سبحانه: و﴿ثامنهم كلبهم﴾ وليس كذلك: سادسُهم كلبهم، ورابعهم كلبهم؛ لأنه في موضع النعت لما قبله، فهو داخل تحت قوله سبحانه: ﴿رَجْمًا بالْغَيْبِ﴾ ولم يقل ذلك في آخر القصة.

آية الاستثناء:

فصل: وذكر قول الله تعالى: ﴿ولا تَقُولَنَّ لشيء﴾ وفسّره، فقال: أي اسْتَثْنِ شِيئة الله. الشِّيئة: مصدر شاء يشاء، كما أن الخِيفة مصدر خاف يخاف، ولكن هذا التفسير، وإن كان صحيح المعنى، فلفظ الآية مُشْكِل جدًا؛ لأن قوله: ﴿لا تقولَنَّ لشيء إني فاعل ذلك غدًا﴾ [الكهف: ٢٣] نهى عن أن يقول هذا الكلام، ولم ينهه عن أن يصله بإلا أنْ يشاء الله، فيكون العبد المنهي عن هذا القول منهيًا أيضًا عن أن يصله بقوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾. هذا مُحال: فقوله إذًا: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناءٌ من الله، راجعٌ إلى أول الكلام، وهذا أيضًا إذا تأملته نَقْضٌ لعزيمة النهي، وإبطالٌ لِحُكْمِه، فإن السيد إذا قال لعبده: لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم، فقد حلّ عقدة النّهي؛ لأن مشيئة الله للفعل لا تُعْلم إلا بالفعل، فللعبد إذًا أن يقوم، ويقول: قد شاء الله أن نقوم، فلا يكون للنهي معنًى على هذا، فإذا لم يكن ردّ حرف الاستثناء إلى النهي، ولا هو من الكلام الذي نهى العبد عنه، فقد تبيّن إشكاله، والجواب: أن في الكلام حذفًا وإضمارًا تقديره: ولا تقولنّ: إني فاعل ذلك غدًا إلاَّ ذاكرًا إلاَّ أن يشاء الله، أو ناطقًا بأن يشاء الله، ومعناه: إلا ذاكرًا شِيئة الله، كما قال ابن إسحٰق؛ لأن الشِّيئة مصدر، وأنْ مع الفعل، في تأويل المصدر، وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر، والعرب تحذف القول، وتكتفي بالمقول ففي التنزيل: ﴿فأما الذين اسْوَدَّتْ وجوهُهُم أكَفَرْتم﴾ [آل عمران: ١٠٦] أي: يقال لهم: أكفرتم، فحذف القول، وبقي الكلام المقول، وكذلك

---

(١) «ضعيف الإسناد». أخرجه الدارقطني (١/ ٦٢) بتحقيقي. وفيه إبراهيم بن أبي حبيبة: ضعيف.

واسْتَثْنِ مَشِيئة الله، واذكر ربك إذا نَسِيت، وقل: عسى أن يَهْدِين ربّي لخير مما سألتموني عنه رَشَدًا، فإنك لا تدري ما أنا صانع في ذلك. ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾: أي سيقولون ذلك. ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ

قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُون عليهم من كُلِّ باب سلامٌ عليكم﴾ [الرعد: ٢٤] أي يقولون: سلام عليكم، وهو كثير، وكذلك إذًا قوله: ﴿إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ هي من كلام الناهي له سبحانه، ثم أضمر القول، وهو الذكر الذي قدمناه، وبقي المقول، وهو: أن يشاء الله، وهذا القدر يكفي في هذا المقام، وإن كان في الآية من البسط والتفتيش ما هو أكثر من هذا.

ولبثوا في كهفهم:

فصل: وقد فسّر قوله تعالى: ﴿ولبثوا في كَهْفِهِم﴾ فقال: معناه أي: سيقولون ذلك، وهو أحد التأويلات فيها. وعلى هذا القول قرأه ابن مسعود: وقالوا: لبثوا، بزيادة قالوا. ثم قال ابن إسحٰق: قل: ربي أعلم بما لبثوا، وهو وهم من المؤلف أو غيره، وإنما التلاوة: ﴿قُلِ اللَّهُ أعلمُ بما لَبِثوا﴾ وقد قيل: إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار لُبْثِهم، ولكن لما علم استبعاد قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار، وعُلم أن فيه تنازعًا بين الناس، فمن ثَمَّ قال: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ وقوله: ﴿ثلاثمائة سِنين وازدادوا تسعًا﴾ أي: إنها ثلاثمائة بحساب العجم، وإن حسبت الأهلّة، فقد زاد العدد تسعًا، لأن ثلاثمائة سنةٍ بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر[1] فإن قيل: فكيف قال ثلاثمائة سنين، ولم يقل: سنة، وهو قياس العدد في العربية، لأن المائة تضاف إلى لفظ الواحد، فالجواب أن سنين في الآية بدل مما قبله، ليس على حدّ الإضافة ولا التمييز، ولحكمة عظيمة عُدِل باللفظ عن الإضافة إلى البدل، وذلك أنه لو قال: ثلاثمائة سنةٍ، لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناسِ، والناسُ فيهم طائفتان: طائفة عرفوا طول لُبْثِهم، ولم يعلموا كمية السنين، فعرَّفهم أنها ثلاثمائة، وطائفةٌ لم يعرفوا طول لبثهم، ولا شيئًا من خبرهم، فلما قال: ثلاثمائة معرّفًا للأولين بالكمية التي شكُّوا فيها، مبيِّنًا للآخرين أن هذه الثلاثمائة سنون، وليست أيامًا ولا شهورًا، فانتظم البيان للطائفتين من ذكر العدد، وجمع المعدود، وتبيّن أنه بدل؛ إذ البدل يراد به: تبيين ما قبله: ألا ترى أن اليهود قد كانوا عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأً عجيبًا، ولم يكن العجب إلا من طول لُبْثهم غير أنهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل، فأخبر أن تلك السنين ثلاثمائة، ثم لو وقف الكلام هٰهنا لقالت العرب، ومَن لم يسمع بخبرهم: ما هذه الثلاثمائة؟ فقال كالمبيّن لهم: سنين، وقد رُوِيَ معنى هذا التفسير عن الضحاك، ذكره النحّاس.

---

(١) بل تزيد عن هذا كثيرًا.

أبْصِرْ بِهِ وأسمِعْ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَليٍّ وَلا يُشرِكُ فِي حُكْمِهِ أحَدًا﴾: أي لم يَخف عليه شيء مما سألوك عنه.

السنة والعام:

فصل: وقال: سنين، ولم يقل أعوامًا، والسنة والعام، وإن اتسعت العرب فيهما، واستعملَت كُلَّ واحد منهما مكان الآخر اتساعًا، ولكنَّ بينهما في حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فَرْقًا، نَخُذه أولاً من الاشتقاق، فإن السنة من سَنا يَسْنُو إذا دار حول البئر، والدابة: هي السَّانِيَةُ، فكذلك السنة دَوْرَةٌ من دورات الشمس، وقد تسمى السنة: دارًا، ففي الخبر: إن بين آدمَ ونوح ألفَ دارٍ، أي: ألف سنة، هذا أصل الاسم، ومن ثَمَّ قالوا: أكلتهم السَّنَةُ، فَسَمَّوْا شدَّةَ القحط سَنَةً، قال الله سبحانه: ﴿ولقد أخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣] ومن ثم قيل: أسْنَتَ القومُ إذا أقحطوا، وكأن وزنه أفْعَتُوا، لا أفْعَلُوا، كذلك قال بعضهم، وجعل سيبويه التاء بدلاً من الواو، فهي عنده: أفعلوا، لأن الْجُدوبة والْخِصْب مُعتبر بالشتاءِ والصيف، وحساب الْعَجَم إنما هو بالسنين الشمسية بها يُؤَرِّخون، وأصحاب الكهف من أُمَّةٍ عجمية، والنصارى يعرفون حديثهم، ويؤرِّخون به، فجاء اللفظ في القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم، وتمم الفائدة بقوله: وازدادوا تسعًا ليوافق حساب العرب، فإن حسابَهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر ونحوهما وانظر بعد هذا إلى قوله: ﴿تَزرَعُون سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: ٤٧] الآية، ولم يقل أعوامًا، نفيه شاهد لما تقدم، غير أنه قال: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام﴾، ولم يقل: سنة عدولاً عن اللفظ المشترك، فإن السنة قد يعُبَّر بها عن الشدة والأزمة كما تقدم، فلو قال: سنة لذهب الوهم إليها؛ لأن العامَ أقل أيامًا من السنة، وإنما دلَّت الرؤيا على سَبْع سنين شدادٍ، وإذا انقضى العدد، فليس بعد الشدة إلا رخاءً، وليس في الرؤيا ما يدل على مدة ذلك الرخاء، ولا يمكن أن يكون أقل من عام، والزيادةُ على العام مشكوكٌ فيها، لا تقتضيها الرؤيا، فحكم بالأقل، وترك ما يقع فيه الشك من الزيادة على العام، فهاتان فائدتان في اللفظ بالعام في هذا الموطن، وأما قوله: ﴿وبلغ أربعين سنةً﴾ فإنما ذكر السنين، وهي أطول من الأعوام، لأنه مُخْبرٌ عن اكْتِهَال الإنسان، وتمام قوته واستوائه، فلفظ السنين أولى بهذا الموطن؛ لأنها أكمل من الأعوام، وفائدة أخرى: أنه خبر عن السنّ، والسنّ معتبر بالسنين، لأن أصلَ السِّن في الحيوان لا يعتبر إلا بالسنة الشمسية، لأن النِّتَاجَ، والحمل يكون بالربيع والصيف، حتى قِيل رِبْعيٌّ للبَكِير وصَيْفي للمؤخر، قال الراجز[1]:

إن بَـنِـيَّ صِـبْـيَـةٌ صَـيْـفِـيُّـونْ ... أفْـلَـحَ مَـنْ كـان لـه رِبْـعِـيُّـونْ

---

(١) هو: سعد بن مالك بن ضبيعة. وقيل: أكثم بن صيفي.

وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف: ﴿ويَسْأَلُونَكَ عَنْ ذي القَرْنين قُلْ سأتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وآتَيْناهُ مِنْ كلّ شيْءٍ سَبَبًا فأتْبَعَ سببًا﴾ [الكهف: ٨٣] حتى انتهى إلى آخر قصة خبره.

فاستعمله في الآدميين، فلما قيل في الفصيل ونحوه: ابن سنة وابن سنتين، قيل ذلك في الآدميين، وإن كان أصلُه في الماشية لما قدمنا، وأما قوله: ﴿وحَمْلُه وفِصَالُه في عامين﴾ فلأنه قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَك عن الأَهِلَّةِ قل هي مواقيتُ للناس والحج﴾ [البقرة: ١٨٩] فالرضاع من الأحكام الشرعية، وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهلة، وكذلك قوله: ﴿يُحِلُّونَه عَامًا ويُحَرِّمونه عامًا﴾ ولم يقل: سنةً؛ لأنه يعني شهر المحرم وربيع إلى آخر العام، ولم يكونوا يحسبون بأيلول ولا بتشرين ولا بيَنير، وهي الشهور الشمسية وقوله سبحانه: ﴿فأماته الله مائةَ عام﴾ إخبارٌ منه لمحمد ـ ﷺ ـ وأمته وحسابهم بالأعوام والأهِلَّةِ كما وقَّت لهم سبحانه، وقوله سبحانه في قصة نوح: ﴿فلبث فيهم ألْفَ سنةٍ إلا خمسين عامًا﴾ [العنكبوت: ١٤٠] قيل: إنما ذكر أولاً السنين؛ لأنه كان في شدائد مدته كلها إلا خمسين عامًا منذ جاءه الفرج، وأتاه الغوث، ويجوز أن يكون الله ـ سبحانه ـ علم أن عمره كان ألفًا، إلا أن الخمسين منها، كانت أعوامًا، فيكون عمره ألف سنة، تنقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة؛ لأن خمسين عامًا بحساب الأهلّة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف، فإن كان الله سبحانه قد علم هذا من عمره، فاللفظ موافق لهذا المعنى، وإلا ففي القول الأول مقنع، وَالله أعلم بما أراد، فتأمل هذا، فإن العلم بتنزيل الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها اللائقة بها يفتح لك بابًا من العلم بإعجاز القرآن، وابن هذا الأصل تعرف المعنى في قوله تعالى: ﴿في يوم كان مِقْداره خَمْسين ألْفَ سنة﴾ [المعارج: ٤]. وقوله تعالى: ﴿[وإن يومًا عند ربك] كألف سنة مما تعدّون﴾ [الحجر: ٤٧] وأنه كلام ورد في معرض التكثير والتفخيم، لطول ذلك اليوم والسنة أطول من العام، كما تقدم، فلفظها أليق بهذا المقام.

ذكر قصة الرجل الطواف ذي القرنين:

فصل: وذكر قصة الرجل الطواف، والحديث الذي جاء فيه عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه كان مَلِكًا مسح الأرض بالأسباب، ولم يشرح معنى الأسباب. ولأهل التفسير فيه أقوال متقاربة، قالوا في قوله تعالى: ﴿وآتيْناه من كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤] أي: علمًا يتبعه، وفي قوله تعالى: ﴿فأتْبع سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥] أي: طريقًا موصلة، وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب السببُ: حبل من نور، كان ملَكٌ يمشي به بين يديه،

وكان من خبر ذي القرنين أنه أُوتِيَ ما لم يُؤتَ أحدٌ غيره فمُدّت له الأسبابُ، حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضًا إلا سُلط على أهلها، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخَلْق.

قال ابن إسحٰق: حدّثني مَن يسوق الأحاديث عن الأعاجم، فيما توارثوا من علمه: أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر، اسمه: مَرْزُبان بن مَرْذَبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث، بن نوح.

قال ابن هشام: واسمه: الإسكندر، وهو الذي بنى الإسكندرية، فنسبت إليه.

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني ثَوْر بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعيّ وكان رجلاً قد أدرك أن رسول الله - ﷺ - سُئِل عن ذي القرنين، فقال: مَلِك مَسحَ الأرض من تحتها بالأسباب.

فيتبعه[1]، وقد قيل في اسم ذلك المَلك: زياقيل، وهذا يقرب من قول مَن قال: سببًا أي: طريقًا، ويقرب أن يكون تفسيرًا لقول النبي ﷺ: «مسح الأرض بالأسباب»، واختلف في تسميته بذي القرنين، كما اختلف في اسمه، واسم أبيه، فأصح ما جاء في ذلك ما رُوِيَ عن أبي الطُّفَيلِ عامر بن واثلة قال: سأل ابن الكَوَّاء علي بن أبي طالب، فقال: أرأيت ذا القرنين، أنبيًا كان أم ملكًا؟ لا نبيًا كان، ولا ملكًا، ولكن كان عبدًا صالحًا دعا قومه إلى عبادة الله، فضربوه على قَرْنَيْ رأسِه ضربتين، وفيكم مثلُه. يعني: نفسه، وقيل: كانت له ضفيرتان من شعر، والعربُ تسمّي الخُصْلَة من الشعر: قرنًا، وقيل: إنه رأى في المنامِ رؤيا طويلة أنه أخذ بِقَرْنَي الشمس، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب، وذكر هذا الخبر علي بن أبي طالب القِيَرواني العابد في كتاب البستان له، قال: وبهذا سُمّي ذا القرنين[2]، وأما اسمه، فقال ابن هشامٍ في هذا الكتاب: اسمه مَرْزَبَى بن مَرْذَبَة بذال مفتوحة في اسم أبيه، وزاي في اسمه، وقيل فيه: هرمس، وقيل: هرديس. وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب[3] اسمه الصَّعْب بن ذي مَرَاثِد، وهو أول التَّبَابعة، وهو الذي حكم لإبراهيم عليه السلام في بئر السبع حين حاكم إليه فيها، وقيل: إنه أفريدون بن أثفيان الذي قتل الضحاك[4]، ويُرْوَى في

---

(١) وقيل: منازل الأرض وأعلامها، وقيل العلم. وهو أقرب.

(٢) وقيل لأنه بلغ مطلع الشمس ومغربها، والشمس في شروقها وغروبها إنما تشرق وتغرب بين قرني شيطان كما صحّ الحديث عن رسول الله ﷺ، وقد نُهِيَ المسلم عن الصلاة في هذين الوقتين، فلما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس ومغربها سُمّي بذي القرنين.

(٣) في كتاب «التيجان».

(٤) انظر تاريخ الطبري (١/ ١٣٠/ ٢٢٠) ط. دار الكتب العلمية.

وقال خالد: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: يا ذا القرنَين، فقال عمر: اللَّهمَّ غَفْرًا، أما رَضِيتم أن تَسمَّوْا بالأنبياء حتى تَسمَّيتم بالملائكة؟!.

خطبة قيس بن ساعدة التي خطبها بسوق عكاظ، أنه قال فيها: يا معشر إياد! أين الصعب ذو القرنين، مَلَك الخافِقَيْنِ، وأذلَّ الثقلين، وعَمَّر ألفين، ثم كان ذلك كلحظة عين، وأنشد ابن هشام للأعشى:

والصعبُ ذو القرنين أصْبَحَ ثاوِيًا بالْحِنْوِ في جَدَثٍ أُمَيْمِ مُقيم

وقوله بالْحِنْوِ يريد: حِنْو قُرَاقِر الذي مات فيه ذو القرنين بالعراق، وقول ابن هشام في السيرة: إنه من أهلِ مِصْرَ، وإنه الإسكندر الذي بنى الإسكندرية، فعرفت به: قولٌ بعيد مما تقدم، ويحتمل أن يكون الإسكندر سُمِّي ذا القرنين أيضًا تشبيهًا له بالأول، لأنه ملك ما بين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضًا، وأذَلَّ ملوكَ فارس، وقتل دارا بن دارا، وأذلّ ملوكَ الروم وغيرهم، وقال الطبري في الإسكندر: وهو إسكندروس بن قليقوس، ويقال فيه: ابن قليس، وكانت أُمه زِنْجيّة، وكانت أُهْدِيت لدارا الأكبر أو سباها، فوجد منها نَكْهَةً استثقلها، فعولجت ببقلة، يقال لها: أندروس، فحملت منه بدارا الأصغر، فلما وضعته ردّها، فتزوّجها والد الإسكندر، فحملت منه بالإسكندروس، فاسمه عندهم مُشْتَقٌّ من تلك الْبَقْلة التي طهّرت أُمه بها فيما ذكروا، وذُكِر عن الزبير: أنه قال: ذو القرنين هو: عبد الله بن الضحاك بن مَعَدٍّ [وقال ابن حبيب في] الْمُحبَّر في ذكر ملوك الحيرة، قال: الصَّعْبُ بن قرين [بن الهمال]: هو ذُو القرنين، ويحتمل أن يكونوا ملوكًا في أوقاتٍ شَتَّى، يسمى كلُّ واحد منهم: ذا القرنين والله أعلم. والأول كان على عهد إبراهيم عليه السلام، وهو صاحب الخِضْر حين طلب عينَ الحياة[1] فوَجَدها الخِضرُ، ولم يجدها ذُو القرنين، حالت بينه وبينها الظلماتُ التي وقع فيها هو وإجنادُه في خبر طويل مذكور في بعض التفاسير مشهور عند الأخباريين.

حكم التسمّي بأسماء النبيين:

وأما قول عمر لرجل سمعه يقول: يا ذا القرنين: لم يكفِكُم أن تَتَسَمَّوْا بالأنبياءِ حتى تسمّيتم بالملائكة، إن كان عمر قاله بتَوْقيف من الرسول عليه السلامِ، فهو مَلَك، لا يقول رسول الله - ﷺ - إلا الحق، وإن كان قاله بتأويل تأوّله [فقد] خالفه عليٌّ في الخبر المتقدم، والله أعلم أيُّ الخَبَرَيْنِ أصَحّ نقلاً، غير أن الرواية المتقدمةَ عن عليّ يقوّيها ما نقله أهلُ الأخبار عن ذي القرنين، والله أعلم. وكان من مذهب عُمَرَ رحمه الله كراهيةَ التَّسمّي بأسماءِ

---

(١) قصة عثور الخضر على ما يسمى بعين الحياة تحتاج إلى دليل «صحيح» يقويها.

قال ابن إسحٰق: والله أعلم أيّ ذلك كان، أقال ذلك رسولُ الله ـ ﷺ ـ، أم لا؟ فإن كان قاله، فالحق ما قال.

الأنبياء، فقد أنكر على المغيرة تَكْنِيَتَهُ بأبي عيسى، وأنكر على صُهَيْبٍ تَكْنِيَتَه بأبي يَحْيىٰ، فأخبر كلُّ واحدٍ منهما أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ كَنَّاه بذلك، فسكت، وكأن عمر إنما كره من ذَلك الإكثارَ، وأنْ يظن أن للمسلمين شَرَفًا في الاسم إذا سُمِّي باسم نبي، أو أنه ينفعه ذلك في الآخرة، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرضَ أو نحوه، هو أعلم بما كره من ذلك. وإلا فقد سَمَّى بمحمد طائفةٌ من الصحابة منهم: أبو بكر وعليٌّ وطلحةُ وأبو حذيفة وأبو جَهْم بن حذيفة، وحاطبٌ وخطَّاب ابنا الحارث، كلّ هؤلاء المحمدين كانوا يُكْنَوْن بأبي القاسم إلا محمد بن حطاب، وسَمَّى أبو موسى ابنًا له بموسى، فكان يُكْنَى به، وأُسَيْدُ بن حُضَيْر سمّى ابنَه بيَحْيىٰ، وعلم به النبيُّ عليه السلام فلم يُنكر عليه، وكان لطلحَةَ عَشَرَةٌ من الولد، كُلُّهم يُسَمَّى باسم نَبِيٍّ، منهم: موسى بن طلحة عيسى، وإسحٰق ويعقوب وإبراهيم، ومحمد، وكان للزبير عشرةٌ، كلُّهُم يسمى باسم شهيد، فقال له طلحة: أنا أُسمّيهم بأسماء الأنبياء، وأنت تسمّيهم بأسماء الشهداء، فقال له الزبير: فإني أطمع أن يكون بنيَّ شهداء، ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء، ذكره ابن أبي خَيْثَمَةَ، وسمّى رسول الله ـ ﷺ ـ ابنه إبراهيم، والآثارُ في هذا المعنى كثيرةٌ، وفي السنن لأبي داود أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: سَمُّوا بأسماء الأنبياء[1]، وهذا محمول على الإباحة، لا على الوجوب، وأما التَّسَمِّي بمحمد، ففي مُسْنَد الحارث عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «ما كان له ثلاثة من الولد، ولم يُسَمِّ أحدَهم بمحمد، فقد جَهِلَ»[2]، وفي المُعَيْطِي عن مالكٍ أنه سُئل عَمَّن اسمُه محمد، ويكنّى أبا القاسم، فلم يَرَ به بأسًا، فقيل له: أكَنَّيْتَ ابنك أبا القاسم، واسمه محمد؟ فقال: ما كَنَّيْتُه بها ولكن أهله يُكَنُّونه بها، ولم أسمع في ذلك نَهيًا، ولا أرى بذلك بأسًا، وهذا يدلّ على أنَّ مالكًا لم يبلغه، أو لم يصحّ عنده حديث النَّهي عن ذلك، وقد رواه أهلُ الصحيح ـ فالله أعلم ـ ولعله بلغه حديثُ عائشة أنه عليه السلام ـ قال: «ما الذي أحَلَّ اسمي وحَرَّم كُنْيَتي»[3]؟ وهذا هو الناسخ لحديث النهي، والله أعلم، وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يَتَكَنَّى بأبي القاسم، كان اسمُه محمدًا، أو لم يكن. وطائفة إنما يكرهونه لمَن اسمُه محمد، وفي المُعَيْطِي أيضًا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥٠) بتحقيقي. والنسائي (٦/ ٢١٨) وأحمد (٤/ ٣٤٥) والبيهقي في الآداب (٥٠٥) بتحقيقي ـ ط. دار الكتب العلمية.

(٢) «ضعيف». يبدو هذا بينًا لمَن تذوّق حديث رسول الله ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٦٨) بتحقيقي. والبيهقي (٩/ ٣١٠) والطبراني في الصغير (١/ ١٤) والبيهقي في الآداب (٥١٧) بتحقيقي. وابن عساكر (١/ ٢٧٧).

أسباب نزول بعض الآيات وعن الروح

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح: ﴿ويَسْألُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الرّوحُ مِنْ أمرِ رَبّي وما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

أنه سُئِل عن التسميةِ بمَهْدِي فكرهه، وقال: وما علمه بأنه مَهْدِيٌّ، وأباح التسمية بالهادي، وقال: لأن الهادي هو الذي يهدي إلى الطريق، وقد قدّمنا كراهية مالك التسمّي بجبريل. وقد ذكر ابن إسحٰق كراهيةَ عُمَرَ للتسمّي بأسماء الملائكة، وكره مالك التّسمّي بياسين[١].

الـروح والنفس

فصل: وذكر سؤالهم عن الروح، وما أنزل الله فيه من قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونك عن الرُّوح﴾ الآية ورُوِيَ عن ابن إسحٰق من غير طريق الْبَكّائِيِّ أنه قال في هذا الخبر: فناداهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «هو جبريلُ»، وهذه الرواية عن ابن إسحٰق تدلّ على خلاف ما روى غيرُه أن يهودَ قالت لقريش: اسْألُوه عن الروح، فإن أخبركم به فليس بنبي، وإن لم يخبركم فهو نبي، وقال ابن إسحٰق فيما تقدم من الحديث: اسَألُوه عن الرجل الطَّوّافِ، وعن الفِتْية، وعن الروح، فإن أخبركم وإلاّ فالرجلُ مُتَقَوِّلٌ فسوّى في الخبر بين الروح وغيره، واختلف أهل التأويل في الروح المسؤول عنه، فقال بعضهم: هو جبريل؛ لأنه الروح الأمين، وروح القدس، وعلى هذا رواية ابن إسحٰق أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لقريش حين سألوه: «هو جبريل»، وقالت طائفة: الروح خَلْقٌ من الملائكة على صُوَرِ بني آدم، وقالت طائفة: الروحُ خَلْقٌ يرون الملائكة، ولا تراهم، فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم، ورُوِيَ عن علي أنه قال: الرُّوحُ مَلَكٌ له مائة ألف رأسٍ، لكل رأسٍ مائةُ ألفِ وجه، في كل وجه مائةُ ألفِ فم، في كل فمٍ مائةُ ألفِ لسان، يُسَبّح الله بلغات مختلفة[٢]، وقالت طائفة: الروح الذي سألَتَ عنه يهود هو: روح الإنسان، ثم اختلف أصحاب هذا القول، فمنهم مَن قال: لم يجبهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ عن سؤالهم، لأنهم سألوه تَعَنُّتًا واستهزاءً، فقال الله له: قُل: الروحُ من

---

(١) ياسين: ليس اسمًا من أسمائه ﷺ، وكذا طٰه، إنما حروف مقطعة كبقية الحروف المقطعة التي بدأت بها بعض سور القرآن، وكذا اسم «مصطفى» ليس من أسمائه إنما هو وصف له ﷺ أن «مصطفى» من الخلق بالنبوة والرسالة ـ صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا.

(٢) لا يصح مثل هذا عن علي رضي الله عنه، وهذا يجب هنا التنبيه على مثل هذه الأقوال التي تشبه مثل خير الباب من أن مَن قال كذا فله مائة ألف كذا لكل كذا مائة ألف كذا، كمَن توضأ ولم يمسح وضوءه فكل قطرة تسقط منه يخلق الله منها كذا ألف ملك لكل ملك ألف ألف رأس لكل رأس ألف ألف لسان. . . الخ. فمثل هذا الكلام إن لم يعتضده دليل «صحيح» فارم به.

قال ابن إسحٰق: وحُدِّثت عن ابن عبَّاس، أنه قال: لمّا قَدِمَ رسولُ الله - ﷺ - المدينةَ، قالت أحبارُ يَهود: يا محمد، أرأيتَ قولَك: ﴿ومَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلا قليلاً﴾

أمر ربي، ولم يأمره أن يُبَيِّنه لهم، وقالت طائفة: بل قد أخبرهم الله به، وأجابهم عمّا سألوا؛ لأنه قال لنَبيِّه: قُلِ الرُّوحُ من أمر ربي، وأمْرُ الرَّبِّ هو الشرع، والكتابُ الذي جاء به، فمَن دخلَ في الشرع وتفقه في الكتابِ والسُّنَّةِ عَرَفَ الرُّوحَ، فكأن معنى الكلام: ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتم، فإنه من أمر ربي، أي: من الأمر الذي جئت به مُبَلِّغًا عن ربي، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفته من جهة الطبيعة، ولا من جهة الفلسفة، ولا من جهة الرأي والقياس، وإنما يُعرف من جهة الشرع، فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسُّنّة من ذكره نحو قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ سَوَّاه ونَفَخَ فيه من رُوحه﴾ [السجدة: ٩] أي من روح الحياة، والحياةُ من صفاتِ الله سبحانه، والنفخُ في الحقيقة مضافٌ إلى مَلَكٍ ينْفخ فيه بأمر رَبِّه، وتنظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأَرْواحَ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ، وأنها تتعارف[1] وَتَتَشَامّ في الهواء، وأنها تُقْبَضُ من الأجساد بعد الموت، وأنها تُسْأَل في القبر، فتفهم السؤال وتسمع وَتَرى، وتُنَعَّم وَتُعَذَّب وَتلتذ وَتَأْلم، وَهذه كلُّها من صفات الأجسام، فتعرف أنها أجسام بهذه الدلائل، لكنها ليست كالأجساد في كثافتها وثقلها وإظلامها، إذ الأجساد خُلقت من ماءٍ وطين وحمإٍ مَسْنُون، فهو أصلُها، والأرواحُ خُلِقت مما قال الله تعالى، وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك. والملائكة خلقت من نور كما جاء في الصحيح[2]، وإن كان قد أضاف النفخَ إلى نفسه، فكذلك أضاف قَبْضَ الأرواح إلى نفسه فقال: ﴿الله يَتَوَفَّى الأنفُسَ حين مَوْتِها﴾ [الزمر: ٤٢] وأضاف ذلك إلى الملك أيضًا فقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الموتِ﴾ [السجدة: ١١] والفِعل مضاف إلى الملك مجازًا، وإلى الرب حقيقةً، فهو أيضًا جِسْمٌ، ولٰكنه من جِنْس الريح، ولذلك سُمِّي رُوحًا من لفظ الريح، ونفخُ الملك في معنى الريح غير أنه ضُمّ أوله؛ لأنه نُورانِي، والريح هواء متحرك، وإذا كان الشرعُ قد عرَّفنا من معاني الروح وصفاته بهذا القدر، فقد عُرِف من جهة أمره كما قال سبحانه: ﴿قُلِ الروحُ من أمر ربي﴾ وقوله: من أمر رَبِّي أيضًا، ولم يقل من أمر الله، ولا من أمر رَبِّكم يدل على خصوص، وعلى ما قدّمناه من أنه لا يعلمه إلا من أخذ معناه من قول الله سبحانه، وقولِ رسوله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقه في الدين، فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه، فقد أحالهم على موضع العلم به.

---

(١) انظر البخاري (٤/ ١٦٢) ومسلم في البر والصلة (١٥٩/ ١٦٠) وأبو داود (٤٨٣٤) بتحقيقي. وغيرهم.

(٢) انظر صحيح مسلم في الزهد (٦٠) وأحمد (٦/ ١٥٣) والبيهقي في الصفات (٣٤٣/ ٣٨٦) بتحقيقي.

إيّانا تريد، أم قومك؟ قال: «كُلاًّ»، قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك: ﴿أنَّا قَدْ أُوتينا التَّوْرَاة فيها بَيان كُلّ شَيْءٍ﴾. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنها في عِلْم الله قليل،

الفرق بين الروح والنفس:

فصل: ومما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف: هل هي النفسُ أو غيرها، وقد كثرت في ذلك الأقوالُ، واضطربت المذاهبُ، فتعلق قومٌ بظواهر من الأحاديث لا توجب القطع، لأنها نقل آحادٍ[1]، وأيضًا فإن ألفاظهَا محتملة للتأويل، ومجازات العرف واتساعاتها في الكلام كثيرة، فمما تعلقوا به في أن الروح هي النفس قولُ بلال: «أخذَ بنفسي الذي أخذَ بنفسك»[2] مع قول النبي عليه السلام: «إن الله قبض أرواحنَا»، وقوله ـ عزّ وجل ـ: ﴿الله يتوفّى الأنفُس﴾ والمقبوضة هي الأرواح، ولم يفرقوا بين القبض والتوفّي، ولا بين الأخْذِ في قول بلالٍ: «أخَذَ بِنَفْسِي الذي أخَذَ بِنفسِك» وبين قول النبي عليه السلام: «قبض أرواحنا»، وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول.

وقد روى أبو عُمَرَ[3] في التمهيد حديثًا يدل على خلافِ مَذهبهِ في أن النفس هي الروحُ، لكن علّله فيه أن الله خلق آدم، وجعل فيه نفسًا وروحًا، فمن الروح: عفافه، وفهمه وحلمهُ وسخاؤه، ووفاؤه، ومن النفس: شهوته وطيشه وسفَهُه وغضبه، ونحو هذا، وهذا الحديث معناه صحيح إذا تُؤُمِّل صحَّ نقله أو لم يصح، وسبيلك أن تنظر في كتاب الله أولاً، لا إلى الأحاديث التي تُنقل مرة على اللفظ، ومرة على المعنى، وتختلف فيها ألفاظ المحدّثين، فنقول قال الله تعالى: ﴿فإذا سَوَّيْتُه ونفختُ فيه من رُوحي﴾[4] ولم يقل: من نفسي وكذلك قال: ﴿ثُم سَوَّاه ونَفَخَ فيهِ من رُوحهِ﴾ [السجدة: ٩] ولم يقل من نفسه، ولا يجوز أيضًا أن يقال هذا، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام، وذلك يدل على أن بينهما فرقًا في المعنى، وبعكس هذا قوله سبحانه: ﴿تَعْلَم مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسكَ﴾ ولم يقل: تعلم ما في روحي، ولا أعلم ما في روحك، ولا يحسن هذا القول أيضًا أن يقوله غير عيسى[5]، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد، كالليث والأسد لصحّ وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه، وكذلك قوله تعالى: ﴿يقولُون في أنْفُسهمْ﴾ ولا يحسن في الكلام: يقولون في أرواحهم، وقال تعالى: ﴿أنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ ولم يقل: أن تقول روحٌ،

---

(١) من أحاديث الآحاد الكثير والكثير «صحيح». وانظر حديث «إنما الأعمال بالنيّات» وقد خصّ البخاري خبر الآحاد بكتاب خاص ضمّنه صحيحه فانظره.

(٢) «صحيح» أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) ابن عبد البر.

(٤) سورة الحجر آية رقم (٢٩).

(٥) مَن دونه في النبوة والرسالة.

وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتُموه». قال: فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه

ولا يقوله أعرابي، فأين إذًا كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبّر كلام الله تعالى؟! ولكن بقيت دقيقة يُعرف منها السرّ والحقيقة، ولا يكون بين القولين اختلاف متباين إن شاء الله، فنقول وبالله التوفيق: الروح مشتق من الريح، وهو جسم هوائي لطيف، به تكون حياة الجسد عادة، أجراها الله تعالى؛ لأن العقل يوجب ألاّ يكون للجسم حياة، حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذي هو في تجاويف الجسد، كما قال ابن فورك وأبو المعالي وأبو بكر المرادي، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعري، ومعنى كلامهم واحد أو متقارب.

الروح سبب الحياة:

فصل: فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة، أجراها الله تعالى، فهو كالماء الجاري في عروق الشجرة صُعُدًا، حتى تحيا به عادة، فنسمّيه ماء باعتبار أوّليّته، ونسمّي أيضًا هذا روحًا باعتبار أوّليته، واعتبار النفخة التي هي ريح، فما دام الجنين في بطن أُمه حيًا، فهو ذو روح، فإذا نشأ واكتسب ذلك الروحُ أخلاقًا وأوصافًا لم تكن فيه، وأقبل على مصالح الجسم كلفًا به، وعشق مصالح الجسد ولذّاته، ودفع المضارّ عنه سمّي: نفسًا، كما يكتسب الماء الصاعد في الشجرة من الشجرة أوصافًا لم تكن فيه، فالماء في العنبة مثلاً هو: ماء باعتبار الأصل والبَدْأة، ففيه من الماء الميوعة والرطوبة، وفيهِ منَ العنبة الحلاوة، وأوصاف أُخر، فتسمّيه مُصْطَارًا إن شئتَ، أو خمرًا إن شئتَ، أو غير ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الأوصاف، فمَن قال: إن النفس هي الروحُ على الإطلاق من غير تقييد، فلم يُحْسِن العبارة، وإنما فيها من الروح الأوصاف التي تقتضيها نفخة الملك، وَالمَلَكُ موصوف بكلِّ خلقٍ كريم؛ وَلذلك قال في الحديث: فمن الروح عفافه وَحلمه وَوَفاؤه وَفهمه، وَمن النفس شهوته وَغضبه وَطيشه، وَذلك أن الروح كما قدّمنا مازج الجسد الذي فيه الدم، يسمى الدم: نفسًا، وَهو مجرى الشيطان، وَقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسرٍّ لعله أن يُفهَم مما نحن بسبيله، فمنْ يعرف جوهَر الكلام، وَيُنزل الألفاظَ منازلها، لا يُسمى رُوحًا إلا ما وَقع به الفَرق بين الجماد والحيّ، وَالذي كان سببًا للحياة، كما في الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفةِ، ونفخ الروح فيها، ولا يُقال: نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع في الكلام، وتسمية الشي بما يؤول إليه، ومن هٰهنا سُمِّي جبريل عليه السلام: روحًا، والوحي: روحًا، لأن به تكون حياة القلوب، قال الله سبحانه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] وقال في الكفار: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢١] وقال في

من ذلك: ﴿ولَوْ أنَّ ما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَة أقْلامٌ وَالبَحْرُ يمُدُّه من بَعْدِه سَبْعَةُ أبحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ الله إنَّ الله عَزيزٌ حَكيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] أي: إن التوراة في هذا من علم الله قليل.

النفس ما تقدم، وقال: ﴿إن النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ولم يقل إن الرُّوحَ لأمَّارة؛ لأن الروح الذي هو سبب الحياة لا يأمر بسوء، ولا يسمَّى أيضًا نفسًا، كما قدّمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة، وما كان نحوها، والماء النازل من السماء جنس واحد، فإذا مازج أجساد الشجر كالتفاح والفِرْسِك[1] والحَنْظَلِ والعُشْرِ، وغير ذلك اختلفت أنواعه، كذلك الروح الباطنة التي هي من عند الله، هي جنس واحد، وقد أضافها إلى نفسه تشريفًا لها حين قال: ونَفَخَ فيه من رُوحه، ثم يخالط الأجساد التي خُلقت من طين، وقد كان في ذلك الطين طيب وخبيث، فينزع كلُّ فرع إلى أصله، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق في أُم الكتاب، وإلى ما دبّره وأحكمه الحكيمُ الخبير، فعند ذلك تتنافر النفوس، أو تتقارب، وتتحابُّ أو تتباغض على حسب التشاكل في أصل الخلقة، وهي معنى قول النبي - ﷺ -: «فما تَعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له: «إن نفسي غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام؛ فإنها صادفت عندك بعض جواهرها، والشيء يتبع بعضُه بعضًا».

الإنسان روح وجسد:

فصل: وقد يُعبَّر بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده، فتقول: عندي ثلاثة أنفس، ولا تقول: عندي ثلاثة أرواح، لا يعبّر بالروح إلا عن المعنى المتَقَدِّم ذكره، وإنما اتّسع في النفس، وعبّر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح، حتى صار يسمى نفسًا، وطرأ هذا الاسم بسبب الجسد، كما يطرأ على الماء في الشجر أسماءٌ على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومُرٍّ وحِرِّيفٍ، وغير ذلك فتحصَّل من مضمون ما ذكرنا ألا يقال في النفس: هي الروح على الإطلاق، حتى تُقيد بما تقدم، ولا يقال في الروح: هو النفس إلا كما يقال في الْمَنِيِّ هو الإنسان، أو كما يقال للماء المغذّي لِلْكَرْمَة هو: الخمر، أو الخل، على معنى أنه ستنضاف إليه أوصاف يسمى بها خمرًا أو خلاً، فتقييد الألفاظ هو: معنى الكلام، وتنزيل كل لفظ في موضعه، هو معنى البلاغة فافهمه.

---

(١) الفرسك: الخوج.

عن تسيير الجبال وبعث الموتى:

قال: وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومُه لأنفسهم من تَسْيير الجبال، وَتَقْطِيع الأرض، وَبَعْث مَنْ مَضَى من آبائهم من الموتى: ﴿وَلَو أنَّ قُرآنًا سُيِّرَتْ به الجبال أو قُطِّعَت به الأرض أو كُلِّمَ به الموتى بل لله الأمْرُ جَمِيعًا﴾ أي: لا أصنع من ذلك إلا ما شئت.

وأنزل عليه في قولهم: خُذْ لنفسك، ما سألوه أن يأخذَ لنفسه، أن يجعل له جِنانًا وقُصورًا وكُنوزًا، ويبعَث معه ملَكًا يصدّقه بما يقول، ويردّ عنه: ﴿وقالُوا ما لِهَذا الرَّسُول يَأْكُلُ الطَّعامَ ويمشي في الأسْوَاق لَوْلا أنزل إلَيْه مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أوْ يُلْقَى إلَيْه كَنزٌ أوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يأْكُلُ مِنْها وقال الظَّالِمُونَ إنْ تَتَّبِعُونَ إلا رَجُلاً مَسْحُورًا انْظر كَيْفَ ضَرَبُوا لك الأمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَستَطيعون سَبِيلاً تباركَ الذي إنْ شاءَ جعَل لك خَيرًا مِنْ ذلك﴾: أي من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المَعاش ﴿جَناتٍ تَجْري مِنْ تحتها الأنهارُ ويجعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ٧ ـ ١٠].

وأنزل عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَمَا أرسلنا قبلك مِن المرسَلِين إلا إنهم لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وبمْشُون في الأسْوَاق وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أتَصْبُرُونَ وكان ربُّكَ بَصيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠] أي جعلت بعضَكم لبعض بلاء، لتصبروا، ولو شئتُ أن أجعل الدنيا مع رُسلي فلا يُخالَفوا لفعلت.

النفـــس:

فصل: وإذا ثبت هذا فلم يبق إلا قولُ بلال: أخَذَ بنَفْسِي الذي أخَذَ بنفسك، فذكر النفس؛ لأنه معتذر من ترك عمل أمر به، والأعمال مضافة إلى النفس؛ لأن الأعمال جَسَدَانِيَّة، وقول النبي ـ ﷺ ـ: «إن الله قبض أرواحنا، فذكر الروح الذي هو الأصل، لأنه أنسُهُم من فزعهم، فأعلَمهم أن خالق الأرواح يقبضها إذا شاء، فلا تنبسط انبساطها في اليقظة وروح النائم وإن وُصِف بالقبض، فلا يدل لفظ القَبْضِ على انتزاعه بالكلية[1]. كما لا يدل قوله سبحانه في الظل: ﴿ثمّ قَبَضْنَاه إلينا قَبْضًا يسيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦] على إعدام الظل بالكلية، وقوله تعالى: ﴿الله يَتَوَفَّى الأنفسَ﴾ فلم يقل: الأرواح، لأنه وعظ العباد الغافلين عنه، فأخبر أنه يتوفَّى أنفسهم، ثم يعيدها حتى يتوفَّاها، فلا يُعيدها إلى الحشر لتَزْدَجِرَ النفوسُ بهذه العظة عن سوء أعمالها؛ إذ الآية مكيّة، والخطابُ للكفار، وقد تنزلت الألفاظ منازلها في الحديث والقرآن، وذلك معنى الفصاحة وسرّ البلاغة.

---

(١) وانظر تفسير الرازي «مفاتيح الغيب» في تفسير آية الباب.

وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرض يَنْبُوعًا أوْ تَكُونَ لك جَنة منْ نَخيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأنهارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا أوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفًا أوْ تأتيَ بالله وَالمَلائكة قَبِيلاً أوْ يكُونَ لك بَيْتٌ منْ زُخْرُف أوْ تَرْقى في السَّماءِ وَلَنْ نُؤمن لِرُقِيِّكَ حتى تُنزِّل عَلَيْنا كتابًا نَقْرؤُهُ قُلْ سُبْحان ربي هَلْ كُنتُ إلا بَشَرًا رَسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٥].

قال ابن هشام: الينبوع: ما نبع من الماء من الأرض وغيرها. وجمعه ينابيع. قال ابن هَرْمَة. واسمه: إبراهيم بن عبد الله الفِهْريّ.

وإذا هَـرَقْـتَ بـكـلّ دارٍ عَـبْـرَةً نُزِفَ الشُّؤونُ. ودَمْعُك اليَنبوعُ

وهذا البيت في قصيدة له. والكِسَف القِطَع من العذاب. وواحدته: كِسْفَةٌ. مثل سِدْرة وسدر. وهي أيضًا: واحدة الكِسَف. والقَبيل: يكون مقابلة ومعاينة. وهو كقوله تعالى: ﴿أوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ قُبُلاً﴾: أي عيانًا. وأنشدني أبو عُبيدة لأعشى بني قَيس بني ثعلبة:

أُصالحكم، حتى تبوؤوا بِمثْلِها كصَرْخة حُبْلَى يَسَّرتها قَبيلُها

ابن هـرمة:

فصل: واستشهد ابن هشام بقول ابن هَرْمة ونسبه فقال: فهْري: وإنما هو خُلْجِيٌّ، والْخُلْج اسمه: قيس بن الحارث بن فهر، واختلف في تسمية بني قيس بن الحارث الْخُلج، فقيل: لأنهم اختلجوا من قريش وسكان مكة، وقيل: لأنهم نزلوا بموضع فيه خُلُج من ماء، ونسبوا إليه، وابن هَرْمة واسمه: إبراهيم بن علي بن هَرْمة، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية، وبيته:

وإذا هَـرَقْـتَ بـكـلّ دار عَـبْـرَةً نُـزِفَ الـشُّؤُونُ ودمـعُـك الـيـنـبـوعُ

والشؤونُ: مجاري الدمع، وهي أطباق الرأس، وهي أربعة للرجل، وثلاثة للمرأة، كذلك ذكروا عن أهل التشريح، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل، فالله أعلم.

من شرح الآيات:

وكل ما شرح ابن هشام من الآيات التي تلاها ابن إسحٰق، فقد تقدّم ما يحتاج بيانه منه، وفي قوله سبحانه: ﴿بَيْتٌ من زُخْرُفٍ﴾ دليل على أن البيت يراد به: القصر والمنزل، وإن كان عظيمًا، فإنه يسمى بيتًا كما قدّمنا في شرح بيت القصب في حديث خديجة.

يعني: القابلة؛ لأنها تُقابلها، وتَقبل ولدها. وهذا البيت في قصيدة له. ويقال القبيل: جمعه قُبُل، وهي الجماعات، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ [الأنعام: ١١١]. فقُبل: جمع قَبيل، مثل سُبل: جمع سَبيل وسُرر: جمع سرير، وقُمص: جمع قميص. والقَبيل أيضًا: في مَثَل من الأمثال وهو قولهم: ما يعرف قَبيلاً من دَبير: أي: لا يعرف ما أقبل ممَّا أدبر، قال الكُميت بن زيد:

تـفـرَّقـت الأمُـورُ بِـوِجْـهَـتَـيْـهـم فـمَـا عَـرَفـوا الـدَّبـيـر من الـقَـبِـيـل

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنما أُريد بهذا: الفتل، فما فُتِل إلى الذراع فهو القَبيل، وما فُتل إلى أطراف الأصابع فهو الدَّبير، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرتُ. ويقال: فَتْلُ المِغْزَل. فإذا فُتل إلى الركبة فهو القَبيل، وإذا فُتِل إلى الوَرِك فهو الدَّبير. والقَبيل أيضًا: قومُ الرجل. والزخرف: الذهب. والمزخرف: المزين بالذهب. قال العجاج:

مِنْ طَلَلٍ أمْسى تخال الْمُصْحَفَا رُسـومَـه والْـمُـذْهَـب الـمُـزَخْـرَفـا

وهذان البيتان في أُرجوزة له، ويقال أيضًا لكلّ مُزَيَّنٍ: مُزَخرف.

قال ابن إسحٰق: وأُنزِل عليه في قولهم: إنّا قد بَلَغَنا أنك إنما يُعلِّمك رجل باليمامة. يقال له: الرحمٰن. ولن نؤمن به أبدًا: ﴿كَذَلِكَ أرسَلْناكَ في أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ لتتلوا عَلَيْهِمُ الَّذي أوْحَينا إلَيْك وهم يَكْفُرُونَ بالرَّحمٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إلَٰهَ إلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإليْه مَتاب﴾ [الرعد: ٣٠].

وأنزل عليه فيما قال أبو جَهْل بن هشام ـ لعنه الله ـ وما همّ به: ﴿أرأيْتَ الَّذي يَنْهَى عَبْدًا إذا صَلَّى أرأيْتَ إنْ كانَ على الْهُدَى أوْ أمَرَ بالتَّقْوَى أرأيْتَ إنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ألَمْ يَعْلَمْ بأنَّ اللَّهَ يَرَى كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بالنَّاصِيةِ ناصيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ فَلْيَدْع نادِيَهْ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ سورة العلق.

قال ابن هشام: لَنسفعًا: لنجذبن، ولنأخذن. قال الشاعر:

قـومٌ إذا سَمِعوا الـصُّراخ رأيتَـهـم من بـيـن مُـلْـجِـم مُـهْـرِهِ أو سـافِـع

والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه القومُ، ويقصُّون فيه أمورَهم، وفي كتاب الله

....

تعالى: ﴿وتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ المُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] وهو النَّدِيُّ. قال عَبِيد بن الأبرص:

اذهب إليك فإني من بني أسَد أهل النَّدِيِّ، وأهل الْجُرْدِ والنادِي

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وأحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]. وجمعه: أَنْدية. يقول: فَلْيَدْعُ أهل ناديه. كما قال تعالى: ﴿واسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يريد أهل القرية. قال سلامة بن جَنْدَل، أحدُ بني سَعْد بن زيد مَنَاة بن تميم:

يَوْمانِ: يومُ مَقاماتٍ، وأنديةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تأويب

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الكُمَيت بن زَيْد:

لا مَهَاذير في النَّدِيِّ مكاثـ ـيرَ ولا مُصْمِتِين بالإفْحَامِ

وهذا البيت في قصيدة له. ويقال: النادي: الجلساء. والزبانية: الغِلاظ الشِّداد، وهم في هذا الموضع: خَزَنة النار. والزَّبَانية أيضًا في الدنيا: أعوانُ الرجل الذين يخدمونه ويُعينونه، والواحد: زِبْنِيَة. قال ابن الزِّبَعْري في ذلك:

مَطاعيمُ في المَقْرَى، مَطاعينُ في الوَغَى زَبانيةٌ غُلْبٌ، عِظامٌ حُلُومُها

يقول: شِدَادٌ. وهذا البيت في أبيات له. وقال صَخْر بن عَبْد الله الهُذليّ، وهو صَخر الغَيّ:

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرٌ زَبانِيَهْ

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحٰق: وأنزل اللَّهُ تعالى عليه فيما عَرَضوا عليه من أموالهم: ﴿قُلْ ما سألْتُكُمْ مِنْ أجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إنْ أجْرِيَ إلاّ على الله وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧].

فلما جاءهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ بما عرَفوا من الحق، وعرَفوا صِدْقه فيما حدث، ومَوْقع نُبوّته فيما جاءهم به من علم الغُيوب حين سألوه عمّا سألوا عنه، حال الحسدُ منهم له بينهم وبين أتباعه وتصديقه فعتوا على الله وتركوا أمرَه عيانًا، ولَجُّوا فيما هم عليه من الكُفر، فقال قائلهم: لا تَسْمَعُوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلكم تَغْلبون، أي: اجعلوه

لغوًا وباطلاً، واتخذوه هُزوًا لعلّكم تَغلبونه بذلك، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصَمتموه يومًا غَلَبكم.

فقال أبو جهل يومًا - وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق: يا معشر قريش، يزعمُ محمدٌ أنَّ جنود الله الذين يعذبونكم في النَّار، ويَحْبسونكم فيها تسعةَ عشر، وأنتم أكثر الناس عددًا، وكَثْرَةً، أفيعجزُ كلُّ مائةِ رجلٍ منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله: ﴿ومَا جَعلْنا أصحَابَ النَّارِ إلاَّ مَلائِكَةً ومَا جَعلْنا عِدَّتَهُمْ إلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١] إلى آخر القصة، فلما قال ذلك بعضُهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسولُ الله - ﷺ - بالقرآن وهو يصلّي، يتفرقون عنه، ويأبون أن يَسْتمعوا له، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يَسْتمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن، وهو يُصلّي، استرقّ السمعَ دونهم فَرَقًا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يَسْتمع منه ذهب خَشْية أذاهم، فلم يستمع، وإن خَفض رسولُ الله - ﷺ - صوتَه، فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئًا من قراءته، وسمع هو شيئًا دونهم أصاخ له يَسْتمع منه[1].

خزنة جهنم وأبو الأشدين:

فصل: وذكر ابن إسحٰق قول أبي جهل مستهزئًا: يزعم محمد أن جنود ربّه التي يخوفكم بها تسعةَ عشر، وأنتم الناس، إلى آخر القصة. وأهل التفسير يعزون هذه المقالة إلى أبي الأشَدَّين الْجُمَحِيّ، واسمه: كَلَدَة بن أُسَيْد بن خلف، وأبو دَهْبَل الشاعر هو ابن أخيه، واسمه: وهْب بن زَمَعَة بن أُسيد بن خلف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح، وكانت عند أبي دَهبل التَّوْأمةُ التي يعرف بها صالح مولى التَّوْأمةِ، وهي أُخت عبد الله بن صَفوان بن أُمية، ولدت له عبد الرحمن قتل يوم الجمل، وأنه قال: اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجابًا منه بنفسه، وكان بلغ من شدته - فيما زعموا - أنه كان يقف على جلد البقرة، ويجاذبه عشرة، لينتزعوه من تحت قدمه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، وقد دعا النبي - ﷺ - إلى المصارعة، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه رسول الله - ﷺ - مرارًا، فلم يؤمن، وقد نسب ابن إسحٰق خبر المصارعة إلى رُكَانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، وسيأتي في الكتاب والله أعلم، وأما ما قال أهل التأويل في خَزَنَة جهنم التسعة عشر، فرُوِيَ عن كعب أنه قال: بيد كل واحد منهم عمود له شُعْبَتان، وإنه ليدفع بالشعبة تسعين ألفًا

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٦/ ٩٣) الدرّ المنثور (٦/ ٢٨٢).

قال ابن إسحٰق: حدّثني داود بن الْحُصَين، مولى عمرو بن عثمان، أن عكْرمة مولى ابن عبَّاس حدّثهم أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حدّثهم: إنما أنزلت هذه الآية: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بين ذٰلكَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ١١٠]. من أجل أولئك النَّفر. يقول: لا تجهر بصلاتك فيتفرّقوا عنك، ولا تُخافت بها، فلا يَسْمعها مَنْ يُحبُّ أن يَسْمعها مِمَّن يَسْتَرق ذلك دونهم، لعلَّه يَرْعَوي إلى بعض ما يسمع، فينتفع به[١].

أول صحابي جهر بالقرآن:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عروة بن الزّبير، عن أبيه، قال: كان أوّلَ مَن جَهر بالقرآن بعد رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة عبدُ الله بن مَسْعود رضي الله عنه، قال: اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: والله ما سمعتْ قريشٌ هذا القرآن يُجْهر لها به قطُّ، فمَنْ رجُل يُسْمعهموه؟ فقال عبد الله بن مَسْعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرةٌ يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دَعُونِي فإن الله سيَمْنَعني. قال: فغدا ابن مَسْعود حتى أتى المقَام في الضُّحى، وقريشٌ فِي أَنْديتها حتى قام عند المَقام ثم قرأ: ﴿بِسْمِ الله الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ رافعًا بها صوته ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ القُرآنَ﴾ قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأملوه فجعلوا يقولون. ماذا قال ابنُ أُمّ عبدٍ؟ قال: ثم قالوا: ليَتْلو بعض ما جاء به محمدٌ، فقاموا إليه، فجعلوا يَضْربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثّروا في وجهه، فقالوا له:

إلى النار[٢]، وقد أملينا في معنى أبواب الجنة وأبواب النار فائدة عددها وتسميتها، وذكر الزَّبَانِيَة، والحكمة في كونهم عددًا قليلاً مسألةً في قريب من جزء، فلتُنظَر هناك.

بهت الرسول ﷺ أن بشرًا يعلّمه:

فصل: وذكر قول قريش: إنما يعلّمه رجل باليمامة يقال له: الرحمٰن، وإنّا لا نؤمن بالرحمٰن، فأنزل الله سبحانه: ﴿وهم يَكْفُرُون بالرَّحْمٰن قل هُوَ رَبِّي﴾ كان مُسَيْلِمَةُ بن حبيب الحنفي، ثم أحد بني الدُّول قد تسمى: الرحمٰن في الجاهلية، وكان من المعمّرين، ذكر وَثِيمَةُ بن موسى أن مسيلمة تسمى بالرَّحْمٰن قبل أن يولد عبدُ الله أو رسولُ الله ـ ﷺ ـ.

---

(١) انظر الطبري في تفسيره (١٥/ ١٢٥) وابن كثير في تفسيره (٥/ ١٢٨) والسيوطي في الدر (٤/ ٢٠٧) وابن حجر في الفتح (٨/ ٢٥٨).
(٢) كعب الأحبار من مسلمي أهل الكتاب ـ كثير النقل عنهم.

هذا الذي خَشينا عليك فقال: ما كان أعداءُ الله أهونَ عليّ منهم الآن، ولئن شئْتم لأُغادينَّهم بمثلها غدًا، قالوا: لا، حَسْبُك، قد أسمعتَهم ما يكرهون[1].

الذين استمعوا إلى قراءة النبي (ﷺ)

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن مُسلم بن شِهاب الزّهري أنه حُدّث: أن أبا سفيان بن حَرْب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثقفيّ حليف بني زُهْرة، خرجوا ليلةً؛ ليستمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلّي من الليل في بيته، فأخذ كلّ رجلٍ منهم مجلسًا يستمع فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجْرُ تفرَّقوا. فجمعهم الطريقُ، فتلاوَموا، وقال بعضُهم لبعض: لا تَعودوا، فلو رآكم بعضُ سُفهائكم لأوْقعْتم في نفسه شيئًا، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كلّ رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا، فجمعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعض مثلَ ما قالوا أوّل مرّة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلةُ الثالثة أخذ كلٌّ رجل منهم مجلسَه، فباتوا يَسْتمعون له، حتى إذا طلع

كبيـــــر:

وأنشد في تفسير الزَّبانية:

ومـــن كَـبـيـــرٍ نَـــفــرٌ زَبـــانـــيـــة

وجاءت في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت: كبير: حَيٌّ من هُذَيْل قال المؤلف: وفي أسد أيضًا: كبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد، ومن ذريته: بنو جَحْش بن رَيَّان بن يَعْمَر بن صَبْرَة بن مُرَّة بن كبير ولعل الراجز أن يكون أراد هؤلاء، فإنهم أشهر، والله أعلم، وبنو كبير أيضًا: بطن من بني غامد، وهم من الأزد، والذي تقدّم ذكره من هذيل هو: كبير بن طابخة بن لِحْيان بن سعد بن هُذَيل.

حول آيات من القرآن

فصل: وذكر استماع أبي جهل وأبي سفيان والأخنس إلى قول أبي جهل: فلما تَجاذيْنا على الرُّكَب. وقع في الجمهرة: الجاذِي: المُقْعِي على قدميه قال: وربما جعلوا الجاذي والجاثِي سواء.

---

(١) هذا هو أول مَن جهر بالقرآن ـ عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ الذي شاهده الناس في أحد الأفلام [الإسلامية] فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الفجرُ تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضُهم لبعض: لا نبرحُ حتى نتعاهد ألاّ نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرّقوا.

فلما أصبح الأخنسُ بن شَريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخْبرني يا أبا حَنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعْرفها، وأعرف ما يُراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها، قال الأخنسُ: وأنا والذي حلفت به.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جَهْل، فدخل عليه بيتَه، فقال: يا أبا الحَكم، ما رأيك فيما سمعتَ من محمَّد؟ فقال: ماذا سمعتُ، تنازعْنا نحنُ وبنو عبد مناف الشرفَ، أطعَموا فأطْعمنا، وحَمَلوا فحَمَلْنا، وأعْطَوْا فأعْطَينا، حتى إذا تحاذينا على الرُّكَب، وكُنَّا كَفَرَسَيْ رِهان، قالوا: منَّا نبيّ يأتيه الوحيُ من السماء، فمتى نُدْرك مثلَ هذه، والله لا نُؤمن به أبدًا، ولا نصدّقه. قال: فقام عنه الأخنسُ وتركه.

قال ابن إسحٰق: وكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ إذا تلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله، قالوا يهزؤون به: ﴿قلُوبنا فِي أكِنَّة مما تدعونا إليه﴾ لا نفقه ما تقول: ﴿وفي آذاننا وَقْر﴾ لا نسمع ما تقول: ﴿ومن بيننا وبينك حجابٌ﴾ قد حال بيننا وبينك ﴿فاعمل﴾ بما أنت عليه ﴿إنَّنا عاملون﴾ بما نحن عليه، إنَّا لا نفقه عنك شيئًا، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَإذَا قَرَأْتَ القُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وبينَ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجابًا مَسْتُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وإذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا على أدْبارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥ ـ ٤٦] أي: كيف فَهِمُوا توحيدَك ربَّك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكِنَّةً، وفي آذانهم وقرًا، وبينك وبينهم حجابًا بزعْمهم؛ أي: إني لم أفعل ذلك. ﴿نَحْنُ أعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إذْ يَسْتَمِعُونَ إلَيْكَ وَإذْ هُمْ نَجوَى إذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧] أي: ذلك ما تواصَوْا به من تَرك ما بعثْتُك به إليهم. ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثالَ فضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سبيلاً﴾ [الإسراء: ٤٨] أي: أخطؤوا المثل الذي ضَرَبوا لك، فلا يُصيبون به هُدًى، ولا يَعْتدل لهم فيه قول ﴿وَقَالُوا أَإذَا كُنَّا عِظامًا وَرُفاتًا أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي: قد جِئْت تُخبرنا: أنَّا سنُبعث بعد موتنا إذا كنَّا عظامًا ورُفاتًا، وذلك ما لا يكون. ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أوْ حديدًا أو خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي

وذكر قول الله سبحانه خبرًا عنهم: ﴿جَعَلْنَا بينك وبين الذين لا يُؤْمِنون بالآخرةِ حِجابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] قال بعضهم: مستور بمعنى: ساتِر كما قال: «وكان وَعْدُه مأْتِيًّا» أي: آتيًا، والصحيح أن مستورًا هنا على بابه؛ لأنه حِجابٌ على القلب، فهو لا يُرى.

صُدُورِكُمْ فَسَيقولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكم أولَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٤٩ ـ ٥١]. أي: الذي خلقكم مما تعرفون، فليس خَلْقُكم من تراب بأعزّ من ذلك عليه.

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الله بن أبي نَجيح، عن مُجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ ما الذي أراد اللَّهُ به؟ فقال: الموت[1].

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحٰق: ثم إنهم عَدَوْا على مَن أسْلم، واتَّبع رسولَ الله ـ ﷺ ـ من

وذكر حديث ابن عباس حين سُئِل عن قوله: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ في صُدوركم﴾ فقال: الموت، وهو تفسير يحتاج إلى تفسير، ورأيت لبعض المتأخرين فيه، قال: أراد ابن عباس أن الموت سَيفْنى كما يفنى كل شيء، كما جاء أنه يُذبح على الصِّراط، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديدًا لأدرككم الفناء والموت، ولو كنتم الموت الذي هو كبير في صدوركم، فلا بُدَّ لكم من الفناء ـ والله أعلم ـ بتأويل ذلك، وقد بقي في نفسي من تأويل هذه الآية شيء، حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى ـ وقوله سبحانه: ﴿وَلَّوْا على أدبارهم نُفُورًا﴾ يجوز أن يكون: نفورًا: جمع نافر، فيكون نصبًا على الحال، ويجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا لوَلّوا. ومما أنزل الله في استماعهم: ﴿ومنهم مَنْ يَسْتَمِعُون إليك أفأنت تُسْمع الصُّمَّ﴾ [يونس: ٤٢] ألا ترى كيف جمع يستمعون، والحمل على اللفظ إذا قرُب منه أحسن، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وجْهَه إلى الله﴾ فأفرد، حملاً على لفظ مَنْ، وقال في آخر الآية: ولا خوْفٌ عليهم، فجمع حملاً على المعنى، لما بعد عن اللفظ، وهكذا كان القياس في قوله: ﴿ومنهم مَنْ يَسْتَمِعُون﴾، ولكن لما كانوا جماعة، ونزلت الآية فيهم بأعيانهم، صار المعنى: ومنهم نفر يستمعون، يعني أُولئك النفر، وهم أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شَرِيق، ألا ترى كيف قال بعد: ﴿ومنهم مَنْ ينظر إليك﴾ فأفرد حملاً على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم، والله أعلم.

المُكرَه على الكفر والمعصية

فصل: وذكر تعذيبَ مَن أسلم وطرحَهم في الرَّمْضَاء، وكانوا يُلبسونهم أدراعَ الحديد،

---

(١) انظر الطبري في تفسيره (١٥/١٨) الدر المنثور للسيوطي (٤/١٨٧).

أصحابه، فوثَبَتْ كلُّ قبيلةٍ على مَن فيها من المسْلِمينَ، فجعلوا يحْبِسُونهم ويعذِّبونهم بالضرب والجوع والعَطش، وبرَمْضاء مكة إذا اشتدَّ الحرّ، مَنْ استضعفوا منهم، يَفْتنونهم عن دينِهِمْ، فمنهم مَن يُفْتن من شدّة البلاء الذي يُصيبه، ومنهم مَن يَصْلُب لهم، ويَعْصِمه الله منهم.

تعذيب بلال وعتقه[1]:

وكان بلالٌ مَوْلى أبي بكر رضي الله عنهما، لبعض بني جُمَح، مُوَلَّدًا من مولديهم، وهو بلالُ بن رباح، وكان اسْمُ أُمِّه: حَمامة، وكان صادقَ الإسلام طاهرَ القَلب، وكان أُميَّة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح يُخرجه إذا حميت الظَّهيرةُ، فيطْرَحه على ظهره في بَطحَاء مكة، ثم يأمر بالصَّخرة العظيمة فتوضع على صَدْره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أوْ تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزّى؛ فيقول وهو في ذلك البلاء: أحَدٌ أحَدٌ.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني هشام بن عروة عن أبيه، قال: كان وَرَقة بن نوفل يمرّ به وهو يعذّب بذلك، وهو يقول: أحَد أحد، فيقول: أحَدٌ، أحَدٌ والله يا بلال، ثم يُقْبِل على أُميَّة بن خَلف، ومن يَصْنع ذلك به من بني جُمح، فيقول: أحلفُ بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حَنَانًا[2]، حتى مرَّ به أبو بكر الصدّيق بن أبي قُحافة ـ رضي الله عنه ـ يومًا، وهُم يصْنعون ذلك به، وكانت دارُ أبي بكر في بني جُمَح، فقال لأُمية بن خَلف: ألا تتقي الله في هذا المِسْكين؟! حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته، فأنقِذْه مما ترى، فقال أبو بكرٍ: أفعلُ عندي غلام أسودُ أجْلَدُ منه وأقوى، على دينك، أُعْطيكه به، قال:

حتى أعطوهم بألسنتهم ما سألوا من كلمة الكفرِ إلا بلالاً ـ رحمه الله ـ وأنزل الله فيهم: ﴿إلاَّ مَنْ أُكْرِه وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان﴾ ونزل في عَمَّارٍ وأبيه: ﴿إلاَّ أنْ تَتَّقُوا منهم تُقَاةً﴾[3] ولما كان الإيمانُ أصلهُ في القلب، رخص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه

---

(١) انظر ترجمته في أسد الغابة (١/٢٤٣) الإصابة (١/١٧٠) الاستيعاب (١/١٧٨) صفة الصفوة (١/٤٣٤) سير أعلام النبلاء (١/٣٤٧) حلية الأولياء (١/١٤٧) شذرات الذهب (١/٣١) الإكمال (٤/١١).

(٢) الحنان: الرحمة والعطف والرزق. وقال صاحب النهاية: أراد لأجعلنّ قبره موضع حنان أي مظنة من رحمة الله تعالى فأتمسح به تبركًا فيرجع ذلك عارًا عليكم.

(٣) الأشهر أن الآية الأولى نزلت في حق عمار بن ياسر رضي الله عنهما، والثانية لا مناسبة بينها وبين حديث الباب.

قد قبلتُ فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصديقُ رضي الله عنه غلامَه ذلك وأخذه فأعتقه[١].

من عتقاء أبي بكر:

ثم أعْتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ستّ رقاب، بلال سابعُهم: عامر بن فُهَيرة، شَهِد بدرًا وأُحُدًا، وقُتِل يوم بئر مَعُونة شهيدًا، وأُمّ شُمَيْس وَزِنِّيرة، وأُصيب بصرُها حين أعتقها، فقالت قُريش: ما أذهب بصرَها إلا اللات والعُزَّى؛ فقالت: كذَبُوا ـ وبيت الله ـ ما تضرّ اللات والعُزّى، وما تَنفعان، فردّ اللّهُ بصرَها[٢].

وأعتق النَّهدية وبنتَها، وكانتا لامرأة من بني عَبْد الدار، فمرّ بهما وقد بعثتهما سَيدتُهما بطَحين لها، وهي تقول: والله لا أُعْتقكما أبدًا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: حِلاًّ يا أُمَّ فلان، فقالت: حِلٌّ، أنت أفسدتَهما فأعْتِقهما؛ قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتُهما وهما حُرّتان، أرْجعا إليها طَحينها، قالتا: أوَ نَفْرُغ منه يا أبا بكر، ثم نردّه إليها؟! قال: وذلك إن شِئتُما.

حتى يأمن. قال ابن مسعود: ما من كلمة تدفع عني سَوْطين إلا قُلْتُها هذا في القول، فأما الفعل، فتنقسم فيه الحال: فمنه ما لا خلاف في جوازه كشرب الخمر، إذا خاف على نفسه القتل، وإن لم يخف إلا ما دون القتل، فالصبر له أفضل، وإن لم يخف في ذلك إلا كسجن يوم، أو طرف من الْهوَان خفيف، فلا تحل له المعصية من أجل ذلك، وأما الإكراه على القتل، فلا خلاف في حظْره؛ لأنه إنما رخص له فيما دون القتل، ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة، وهي نفسه، فأما إذا دَفَع عن نفسه بنفسٍ أخرى، فلا رُخْصَة، واختلف في الإكراه على الزِّنى، فذكر عن ابن الماجشُونِ أنه قال: لا رُخْصَة فيه؛ لأنه لا ينتشر له إلا عن إرادة في القلب أو شهوة، وأفعالُ القلب لا تُباح مع الإكراه، وقال غيره: بل يرخص في ذلك لمَن خاف القتل، لأن انبعاث الشهوة عند الْمُمَاسَّة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مَضْغ الطعام، وقد يجوز أكل الحرام إذا أُكره عليه.

فصل: واختلف الأصوليون في مسألة من الإكراه، وهي: هل المُكْرَه على الفعل مخاطَبٌ بالفعل، أم لا؟ فقالت المعتزلة: لا يصحّ الأمر بالفعل مع الإكراه عليه، وقالت الأشعرية: ذلك جائز؛ لأن العزم إنما هو فعل القلب، وقد يتصور منه في ذلك الحين

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/ ٥٨٩) المنتظم لابن الجوزي (٢/ ٣٧٣).
(٢) الكامل (١/ ٥٩١).

ومرّ بجارية بني مُؤَمَّل، حيّ من بني عديّ بن كعب، وكانت مسلمةً، وعمرُ بن الخطاب يُعذّ بها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشركٌ وهو يضربها، حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك، إني لم أترُكْك إلا مَلاَلَةً، فتقول: كذلك فَعل الله بك، فابتاعها أبو بكر، فأعتقها.

بين أبي بكر وأبيه:

قال ابن إسحـٰق: وحدّثني محمد بن عبد الله بن أبي عَتيق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض أهله[1]، قال:

قال أبو قحافة لأبي بكر: يا بُنَيَّ، إني أراك تُعْتِق رِقابًا ضِعافًا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلتَ أعتقتَ رجالاً جُلْدًا يمنعونك، ويقومون دونَك؟ قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبتِ، إني إنما أُريد ما أُريد، لله عزّ وجل، قال: فيُتحدّث أنه ما نزّل هؤلاء الآياتُ إلا فيه، وفيما قال له أبوه: ﴿فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بالحُسْنَى﴾ [الليل: ٥، ٦]... إلى قوله تعالى: ﴿وَما لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلاَّ ابْتِغاء وَجْهَ رَبِّهِ الأعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١٩ ـ ٢١].

العزم والنيّة، وهي القصد إلى امتثال أمر الله تعالى، وإن كان ظاهره أنه يفعله خوفًا من الناس، وذلك إذا أُكره على فرض كالصلاة مثلاً، إذا قيل: صَلِّ وإلا قُتلت، وأما إذا قيل له: إن صلّيت قُتلت، فظن القاضي أن الخلاف بيننا، وبين المعتزلة في ذلك، وغلطه بعض أصحابه، وقالوا: لا خلاف في هذه المسألة أنه مخاطَب بالصلاة مأمور بها، وإن رخّص له في تركها، فليس الترخيص مما يُخرجه عن حكم الخطاب، وإنما يرفع عنه الإكراهُ المأثَمَ، ولا يخرجه عن أن يكون مخاطبًا بها، وهذا الغلط المنسوب إلى القاضي في هذه المسألة ليس بقول له، وإنما حكاه في كتاب التقريب والإرشاد عن طائفة من الفقهاء. قالوا: لا يتصوّر القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه. قال القاضي: وهذا باطل؛ لأنه يتصوّر انكفافه عنه مع الإكراه، فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له، وبه يتعلق التكليف، فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين هذا القول الذي أبطله، وبين بطلانه، وإنما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه في المسألة، وأقف على حقيقة مذهبه، وهو بريء من الغلط فيها.

---

(١) مجاهيل.

تعذيب عمار بن ياسر

قال ابن إسحٰق: وكانت بنو مَخْزُوم يَخرجون بعمَّار بن ياسر، وبأبيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حَميتِ الظهيرةُ، يُعذِّبونهم برَمْضاء مكة، فيمرّ بهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ ،فيقول، فيما بلغني: صبرًا آل ياسر، موعدُكم الجنَّة. فأمّا أُمُّه فقتلوها، وهي تأبى إلا الإسلام(١).

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغْرِي بهم في رجال من قريش، إذا سَمِع بالرجلِ قد أسلم، له شرف ومَنَعة أنَّبه وأخْزاه، وقال: تركتَ دِين أبيك وهو خير منك: لَنُسَفِّهَنَّ حِلْمَكَ ولنُفَيِّنَنَّ(٢) رأيَك، ولنضعنّ شرفَك، وإن كان تاجرًا، قال: والله لنُكَسِّدنّ تجارتك، ولنُهلكنّ مالك، وإن كان ضعيفًا ضَربه وأغرى به.

فتنة المعذبين:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني حَكيم بن جُبير عن سَعيد بن جُبير، قال: قلت لعبد الله بن عبَّاس: أكان المشركون يَبْلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما

آل يـاسـر

فصل: وذكر فيمن عُذِّب في الله: سُميَّةَ أُمَّ عمار، وقد ذكرنا قتلَ أبي جهلٍ لها، وهي أول شهيد في الإسلام، ورُوِيَ أن عمّارًا قال لرسول الله ﷺ: لقد بلغ منّا العذابُ كلّ مبلغ، فقال له النبي ـ ﷺ ـ: «صبرًا أبا اليقظان»، ثم قال: «اللَّهمَّ لا تعذِّب أحدًا من آل عمار بالنار»، وسُمَيَّة أمه، وهي بنت خَيَّاط، كانت مَوْلاة لأبي حُذَيْفة بن المغيرة، واسمه مُهَشِّم، وهو عمّ أبي جهل، وغلط ابن قُتَيْبة فيها، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كَلَدة خلف عليها بعد ياسر، فولدت له سلَمَة بن الأزرق، وقال أهل العلم بالنساء: إنما سُمَيَّةُ أم سلمة بن الأزرق سُمَيَّةُ أخرى، وهي أُم زياد بن أبي سفيان، لا أُمّ عمار، وعمارٌ والْحُوَيْرِث وعبود بنو ياسر بن عـامر بن مالك بن كِنانة بن قيس بن الحُصَين بن لوذين، ويقال الْوَذِيم بن ثَعْلَبَةَ بن عوف بن عامر بن حارثة بن زيام بن عَنْس بن مالك بن أُدَدَ بن زيْد الْعَنسِيّ الْمَذْحِجِيّ حليف لبني مخزوم، ومن ولد عمار: عبدُ الله بن سعد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر، وهو المقتول بالأندلس، قتله عبد الرحمٰن بن معاوية.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/٣٨٣) وأبو نعيم في الحلية (١/١٤٠) وغيرها. وانظر الكامل (١/٥٨٩).

(٢) أي نحط من رأيك.

يُعذَرون به في تَرْك دينهم؟ قال: نعم، والله، إن كانوا لَيَضربون أحدهم، ويُجيعونه، ويُعطِّشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسًا من شدّة الضُّرِّ الذي نزل به، حتى يُعطيهم ما سألوه من الفِتْنة، حتى يقولوا له: آللاَّتُ والعُزّى إلـٰهُك من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إن الجُعَل[1] ليمرّ بهم، فيقولون له: أهذا الجُعَل إلـٰهُك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم ممّا يبلغون من جَهْده.

رفض تسليم الوليد لتقتله قريش:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الزبيرُ بن عُكّاشة بن عبد الله بن أبي أحمد أنه حُدِّث أن رجلاً من بني مَخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد، حين أسْلم أخوه الوليدُ بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتيةً منهم كانوا قد أسلَموا، منهم: سَلَمةُ بن هشام، وعيّاش بن أبي ربيعة. قال: فقالوا له ـ وخشُوا شرّهم: إنّا قد أردنا أن نُعاتِب هؤلاء الفِتْية على هذا الدين الذي أحدثوا، فإنّا نأمن بذلك في غيرهم. قال: هذا، فعليكم به. فعاتبوه وإياكم ونفسَه. وأنشأ يقول:

ألا لا يُـقْـتَـلَـنَّ أخـي عُـيَـيْـشٍ ... فـيـبـقـى بـيْـنـنـا أبـدًا تَـلاحِـي

زنيرة وغيرها:

فصل: وذكر زِنِّيرةَ التي أعتقها أبو بكر، وأول اسمهما: زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فِعِّيلة، هكذا صحّت الرواية في الكتاب، والزِّنِّيرَة: واحدة الزنانير، وهي الحصا الصغار، قاله أبو عبيدة، وبعضهم يقول فيها: زَنْبرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها، ولا تُعْرف زَنْبَرة في النساء، وأما في الرجال فَزَنْبَرَةُ بن زُبير بن مخزوم بن صَاهِلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر، وابنه: خالد بن زَنْبَرَة، وهو الغَرِقُ قاله الدارقطني.

أم عميس:

فصل: وذكر أُمّ عُمَيْسٍ[2]، وكانت لبني تَيْم بن مُرّة أعتقها أبو بكر، وذكر غير ابن إسحٰق هؤلاء الذين عُذِّبوا في الله لما أعطوا بألسنتهم ما سُئِلوا من الكفر، جاءت قبيلةُ كل رجل منهم بأنْطَاعِ الأُدُمِ فيها الماء، فوضعوهم فيها، وأخذوهم بأطراف الأنطاعِ، واحتملوهم إلاّ بلالاً.

---

(١) الجعل: الخنفساء.

(٢) وقيل: عبيس.

احذروا على نفسه، فأُقسم بالله لئن قتلتموه، لأقتلنّ أشرفكم رجلاً. قال: فقالوا: اللّهمّ العنه. مَن يُغرّر بهذا الخبيث، فوالله لو أُصيب في أيدينا لقُتل أشرفنا رجلاً. قال: فتركوه ونَزَعوا عنه. قال: وكان ذلك مما دفع الله به عنهم.

عـن بــلال:

وقول وَرَقَة بن نَوْفَل: لئن قَتَلْتُمُوه يعني: بلالاً، وهو على هذا الحال لأَتّخِذَنَّه حنانًا أي: لأتّخِذَنْ قبره مَنسكًا ومُسْتَرْحمًا. والحنان: الرحمة، وكان بلال رحمه الله يكنّى: أبا عبد الكريم، وقيل: أبا عبد الله، وأُخته غُفْرَة، وقد تقدم في أول الكتاب ذكر عمر مولى غُفْرَة، وهي هذه. والغُفْرَةُ: الأنثى من أولادِ الأرَاوِيّ، والذكر: غُفْر.

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة(١)

قال ابن إسحٰق: فلما رأى رسول الله ـ ﷺ ـ ما يُصيب أصحابَه من البلاء. وما هو فيه من العافية. بمكانه من الله، ومن عمّه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يَمْنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشَة، فإنّ بها مَلِكًا لا يُظلم عنده أحد. وهي أرض صِدْق، حتى يجعلَ الله لكم فرجًا ممَّا أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى أرض الحبشة، مخافةَ الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم. فكانت أوّلَ هجرة كانت في الإسلام.

أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشة:

وكان أوّلَ مَن خرج من المسلمين من بني أُمَيَّة بنِ عَبْد شَمْس بن عبد مناف بن

باب الهجرة إلى أرض الحبشة

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب، وأما النجَّاشِيُّ فاسم لكل ملك يلي الحبشة، كما أن كِسْرى اسم لمَن ملك الفرس، وخاقان اسم لملك الترك كائنًا مَنْ كان، وبَطْلَيْمُوسُ: اسم لمَن مَلَك يُونَانَ، وقد ذكرنا هذا المعنى قبل، واسم هذا النجاشي: أَصْحَمَة بن أَبْجَر، وتفسيره: عطية.

وذكر في أول مَن خرج إلى الحبشة: عثمانَ بن عَفَّان وزوجَه رقية بنت رسول الله ـ ﷺ ـ وكان حين تزوجَها يغنِّيها النساء:

أَحْسَنُ شخصين رأى إنسان ... رُقَيَّةُ وبَعْلُها عُثْمان

---

(١) انظر الكامل (١/٥٩٦) المنتظم (٢/٣٧٤).

قُصَيّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهْر: عثمانُ بن عفَّان بن أبي العاص بن أمية، معه امرأتُه: رُقيَّة بنتُ رسول الله - ﷺ - ومن بَني عبد شَمْس بن عبد مناف: أبو حُذيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس، معه امرأتهُ: سَهْلَةُ بنت سُهَيْلِ بن عمرو، أحد بني عامر بن لُؤَيّ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حُذَيفة. ومن بَني أَسَد بن عبد العُزّى بن قصيّ: الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أَسَد. ومن بَني عبد الدار بن قُصَيّ: مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبْد مناف بن عبد الدار. ومن بني زُهرة بن كِلاب: عبد الرحمن بن عَوف بنَ عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة. ومن بني مَخزوم بن يَقَظة بن مُرّة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم، معه امرأتهُ أُمُّ سَلَمة بنت أبي أُميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم. ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصيص بن كعب: عثمانُ بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب بنُ حُذافة بن جُمح. ومن بني عديّ بن كعب: عامرُ بن رَبيعة، حليف آل الخطَّاب، من عَنز بن وائل معه امرأته: لَيلى بنت أبي حَثْمة بن حُذَيْفة بن غانم بن

ولدت رقية لعثمان ابنَه عبد الله، وبه كان يكنّى، ومات عبد الله وهو ابن ستّ سنين، وكان سبب موته أن ديكًا نقره في عينه، فتورّم وجهه فمرض، فمات. وذلك في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة، ثم كنّي بعد ذلك أبا عمرو، وهذا هو عبد الله الأصغر. وعبد الله الأكبر هو ابنه من فاختة بنت غَزْوَان، وأكبر بنيه بعد هذين: عَمرو، ومن بنيه عُمر وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأبَانٌ، وفي السيرة من غير هذه الرواية أن رقية كانت من أحسن البشر، وأن رجالاً من الحبشة رأوها بأرضهم، فكانوا يُدَرْكِلون[1] إذا رأوها إعجابًا منهم بحُسْنها، فكانت تتأذى بذلك، وكانوا لا يستطيعون لغربتهم أن يقولوا لهم شيئًا، حتى خرج أولئك النفر مع النَّجَاشِي إلى عدوه الذي كان ثار عليه، فقتلوا جميعًا، فاستراحت منهم، وظهر لنجاشي على عدوّه، وروى الزبير في حديث أسنده أن رسول الله - ﷺ - بعث رجلاً بِلُطُفٍ إلى عثمان ورقية، فاحتبس عليه الرسول، فقال له عليه السلام: «إن شئت أخبرتك ما حبسك»، قال: نعم، قال: وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما».

وذكر ابن إسحٰق تسمية المهاجرين إلى أرض الحبشة، وقد تقدم التعريف ببعضهم، وذكرنا سبب إسلام عمرو بن سعيد بن العاصي، وأنه رأى نورًا خرج من زمزم أضاءت له منه نخل المدينة، حتى رأوا البُسْرَ فيها، فقصّ رؤياه، فقيل له: هذه بئر بني عبد المطلب، وهذا النور فيهم يكون، فكان سببًا لِبدارِه للإسلام.

---

(١) يدركلون: أي يرقصون.

عامر بن عبد الله بن عَوْف بن عبيد بن عُوَيج بن عديّ بن كعب. ومن بني عامر بن لُؤَيّ أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر.

ويقال: هو أول مَن قَدِمها. ومن بني الحارث بن فهر: سهيل ابن بيضاء، وهو: سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضَبَّة بن الحارث. فكان هؤلاء العشرة أول مَن خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، فيما بلغني.

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر لي بعض أهل العلم.

قال ابن إسحٰق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وتتابع المسلمون، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم مَن خرج بأهله معه، ومنهم مَن خرج بنفسه لا أهل له معه.

المهاجرون من بني هاشم وبني أمية:

ومن بني هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر: جعفرُ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، معه امرأتُهُ: أسماء بنت عُمَيس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خَثْعم، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر، رجل.

ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأتُهُ: رقية ابنة رسول الله ﷺ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، معه امرأتُه: فاطمةُ بنت صَفْوان بن أمية بن مُحَرِّث بن حَمَلِ بن شِقّ بن

رؤيا سعد وخالد ولديّ العاص:

وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذه الرؤيا إنما كانت لأخيه، وأن عَمرًا هو الذي عبّرها له، وهذا هو الصحيح فيها، والله أعلم، وأما أخوه خالد بن سعيد، فكان يرى ـ قبل أن يسلم ـ نفسه قد أشفى على نار تأجّجُ، وكأن رسول الله ـ ﷺ ـ قد أخذ بِحُجْزَتهِ[1]، يصرفه عنها، فلما استيقظ علم أن نجاته من النار على يدي رسول الله ـ ﷺ ـ فلما أظهر إيمانه ضربه أبوه بِمِقْرَعَةٍ، حتى كسرها على رأسه، وحلف ألاّ ينفق عليه، وأغرى به إخوته، فطردوه وآذوه،

(١) أي بمقدار إزاره.

رَقَبَة بن مُخْدِجِ الكناني، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، معه امرأته: أُمَيْنَةُ بنت خلف بن سعد بن عامر بن بَياضة بن سُبَيْع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو، من خزاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هُمَينة بنت خلف.

قال ابن إسحٰق: ولدت له بأرض الحبشة سَعيدَ بن خالد، وأمَةَ بنت خالد، فتزوج أمَةَ بعد ذلك الزبيرُ بن العوام، فولدت له عمرو بن الزبير، وخالد بن الزبير.

المهاجرون من بني أسد وبني عبد شمس:

ومن حلفائهم، من بني أسد بن خزيمة: عبد الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرَة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسَد؛ وأخوه عُبيد الله بن جَحْش، معه امرأته: أمّ حَبيبة بنتُ أبي سُفْيان بن حَرْب بن أُميَّة، وقيسُ بن عبد الله، رجل من بني أسد بن خُزَيمة، معه امرأتُه بَرَكة بنت يَسار، مولاة أبي سُفيان بن حَرْب بن أمية، ومُعَيْقيب بن أبي فاطمة، وهؤلاء آلُ سَعيد بن العاص، سبعة نفر.

قال ابن هشام: مُعيقيب من دَوْس.

قال ابن إسحٰق: ومن بني عَبْد شَمْس بن عَبْد مناف، أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس، وأبو موسى الأشعريّ، واسمه: عبدُ الله بن قَيْس حليف آل عتبة بن ربيعة، رجلان.

المهاجرون من بني نوفل وبني أسد:

ومن بني نَوْفل بن عَبْد مناف: عُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وهْب بن نَسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن مَنصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قَيس بن عَيْلان، حليف لهم، رجل.

ومن بني أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ: الزبيرُ بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد، والأسودُ بن نَوْفل بن خُوَيلد بن أسَد، ويزيد بن زَمْعَة بن الأسود بن المُطَّلب بن أسَد. وعمرو بن أُميَّة بن الحارث بن أسَد، أربعة نفر.

فانقطع إلى رسول الله ـ ﷺ ـ حتى هاجر إلى أرض الحبشة ـ كما ذكر ابن إسحٰق ـ وأبوه سعيد بن العاصي أبو أُحَيْحَة الذي يقول فيه القائل:

أبو أحيحة:

أبـو أُحَيْـحَـةَ مَـنْ يَـعْـتَـمُّ عِـمَّـتَـه　　　يُـضْـرَب وإن كـان ذا مـال وذَا عَـدد

المهاجرون من بني عبد بن قصيّ وعبد الدار ولدي قصيّ:

ومن بني عَبْد بن قُصَيّ: طُليب بن عُمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد [بن قُصَي] رجل.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيّ: مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عَبْد الدار، وسُوَيط بن سَعْد بن حَرْملة بن مالك بنُ عُمَيلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار، وجَهْم بن قَيْس بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عَبْد مناف بن عبد الدار معه امرأته أُم حَرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أُقَيْشِ بن عامر بن بيَاضة بن سُبيع بن جُعْثُمة بن سَعْد بن مُليح بن عمرو، من خزاعة، وابناه: عَمْرو بن جَهْم وخُزيمة بن جَهْم، وأبو الرّوم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عَبْد الدار، وفِراس بن النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة بن علْقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، خمسة نفر.

المهاجرون من بني زهرة وبني هذيل وبهراء:

ومن بني زُهرة بن كِلاب: عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف بن عَبْد بن الحارث بن زُهرة، وعامر بن أبي وقَّاص، وأبو وقاص: مالك بن أُهيب بن عَبْد مناف بن زُهْرة، والمطَّلب بن أزهر بن عبد عَوف بن عَبْد بن الحارث بن زُهرة، معه امرأته: رَمْلة بنت أبي عَوْف بن ضُبيرة بن سُعيد بن سَعْد بن سَهْم، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطَّلب.

ومن حُلفائهم من هُذيل: عبدُ الله بن مَسْعود بن الحارث بن شَمْخ بن مَخْزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأخوه: عُتْبة بن مَسْعود.

وكان إذا اعْتَمَّ لم يعتمّ قرشي إعظامًا له، وقد قيل في عِمَّتِه أيضًا ما أنشده عَمْرو بن بحر الجاحظ[1]:

وكـان أبـو أُحَـيْـحَـةَ قـد عـلـمـتـم ... بـمـكـة غـيـر مُـهْـتَـضَـمٍ ذمـيـم
إذا شَـدَّ الـعِـصَـابَـةَ ذاتَ يَـوْمٍ ... وقـام إلـى الـمـجـالـس والـخـصـوم
لـقـد حَرُمت عـلـى مَـنْ كـان يـمـشـي ... بـمـكـة غـيـر مُـخْـتَـقَـرٍ لـئـيـم

مات أُحَيْحَة الذي كان يُكْنَى به في حرب الفِجَار، وأسلم من بنيه أربعةٌ أَبَانٌ وخالدٌ

---

(١) في «البيان والتبيين» له الأبيات لأبي قيس بن الأسلت.

ومن بَهْرَاء: الْمِقْدادُ بن عمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمامة بن مَطْرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن لؤي بن ثعلبة بن مالك بن الشَّرِيد بن أبي أهْوَز بن أبي فائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهْوَد بن بَهْراء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة.

قال ابن هشام: ويقال هَزْل بن فاس بن ذرّ، ودَهِير بن ثور.

قال ابن إسحٰق: وكان يقال له: المِقداد بن الأسود بن عَبْد يَغُوثَ بن وهب بن عَبْد مناف بن زُهْرة، وذلك أنه تبنَّاه في الجاهلية، وحالفه، ستة نفر.

المهاجرون من بني تميم وبني مخزوم:

ومن بني تَيْم بن مرّة: الحارثُ بن خالد بن صَخْر بن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بنْ تَيْم، معه امرأتهُ رَيْطة بنت الحارث بن جَبَلة بن عامر بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم، وَلَدت له بأرض الحبَشة موسى بن الحارث، وعائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث، وفاطمةَ بنت الحارث، وعمرُو بن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم، رجلان.

ومن بني مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرّة: أبو سَلمة بن عبد الأسَد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم، ومعه امرأتُه: أم سَلمة بنت أبي أُميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبي سَلَمة، واسم أبي سَلَمة: عبد الله واسم أُمّ سلمة: هند. وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّريد بن سُويد بن هَرْمِيِّ بن عامر بن مَخزوم.

من سيرة الشماس:

قال ابن هشام: واسم شماس: عثمان، وإنما سُمِّي شَمَّاسًا؛ لأن شماسًا من الشماسة، قدِمَ مكّة في الجاهلية، وكان جميلاً فعجب النَّاس من جماله، فقال عتبةُ بنُ ربيعة ـ وكان خالَ شماسٍ: أنا آتيكم بشماس أحسنَ منه، فجاء بابن أُخته عثمانَ بن عثمان، فسُمِّي: شَمَّاسًا. فيما ذكر ابنُ شهاب وغيرُه.

قال ابن إسحٰق: وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم، وأخوه عبد الله بن سفيان، وهشام بن أبي حُذيفة بن المُغيرة بن عبد الله بن

وعمرو والحكم الذي سَمَّاه رسول الله ـ ﷺ ـ عبدَ الله، ومات أُحَيْحَة بن سعيد، والعاصي بن سعيد وغيرهما من بنيه على الكفر، قتل العاصي منهم يوم بدر كافرًا.

عُمر بن مَخزوم، وسَلَمة بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم، وعيَّاش بن أبي رَبيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم.

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم ومن بني جمح:

ومن حلفائهم: مُعتِّب بن عَوْف بن عامر بن الفَضْل بن عَفيف بن كُلَيب بن حَبَشية ابن سَلُول بن كَعْب بن عمرو، من خُزاعة، وهو الذي يُقال له: عَيْهامة، ثمانية نَفر.

قال ابن هشام: ويقال: حُبْشِية ابن سلول، وهو الذي يقال له مُعَتِّب بن حمراء.

ومن بني جُمح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب: عثمانُ بن مَظعون بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح، وابنه: السائب بن عثمان، وأخواه: قُدامة بن مَظعون، وعبدُ الله بن مَظْعون، وحاطب بن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح، معه امرأتُهُ: فاطمةُ بنت الْمُجَلِّل بن عبد الله بن أبي قَيْسٍ بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وابناه: محمد بن حاطب، والحارث بن حاطب، وهما لبنت المُجَلِّل، وأخوه: حطَّاب بن الحارث، معه امرأتُه فُكيهة بنت يسار، وسفيان بن مَعْمر بن حَبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمح، معه ابناه جابر بن سُفيان، وجُنادة بن سفيان، ومعه امرأته حَسَنة، وهي أُمهما، وأخوهما من أُمهما: شُرَحْبِيل ابن حَسَنة، أحد الغوث.

قال ابن هشام: شرحبيل بن عبد الله أحدُ الغوث بن مُرّ، أخي تميم بن مُرّ.

المهاجرون من بني سهم وبني عدي وبني عامر:

قال ابن إسحٰق: وعثمان بن ربيعة بن أُهْبان بن وَهْبَ بن حُذافة بن جُمَح، أحدَ عشرَ رجلاً.

أمة بنت خالد وأبوها:

وذكر أَمَةَ بنت خالد بن سعيد التي ولدت بأرض الحبشة، قال: وتزوجها الزبير بن العوام، وهي التي كساها رسول الله - ﷺ - وهي صغيرة، وجعل يقول: سَنَّاهْ، سَنَاهْ يا أُم خالد!! أي: حَسَنٌ حَسَنٌ[1] بلغة الحبشة، وكانت قد تعلمت لسان الحبشة؛ لأنها ولدت بأرضهم، وولدت للزبير عمرًا وخالدًا، يقال: إن أباها خالد بن سعيد أول مَن كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، مات بأَجْنادَيْنِ شهيدًا، وكان رسول الله - ﷺ - قد استعمله على صَنْعَاءَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٩٠) وأبو داود والحاكم (٢/ ٩٢٤) وأحمد (٦/ ٣٦٥).

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب: خَنيس بن حُذافة بن قَيْس بن عديّ بن سعد بن سَهْم، وعبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عديّ بن سعد بن سهل، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم.

قال ابن إسحٰق: وقَيس بن حُذافة بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سهم، وأبو قيس بن الحارث بن قَيْس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سَهم، وعبد الله بن حُذافة بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهم، والحارث بن الحارث بن قَيْس بن عدي بن سعد بن سَهم، ومَعْمر بن الحارث بن قَيس بن عدي بن سعد بن سَهم، وبِشْر بن الحارث بن قَيْس بن عديّ بن سعد بن سهم، وأخ له من أُمه من بني تميم، يقال له: سعيد بن عمرو، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم، والسائب بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم، وعُمير بن رِئاب بن حُذَيفة بن مُهشِّم بن سعد بن سهم، ومَحْمِيَة بن الجزاء، حليف لهم، من بني زُبيد، أربعة عشر رجلاً.

ومن بني عديّ بن كعب: مَعْمَرُ بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عديّ، وعروة بن عبد العزّى بن حُرثان بن عَوْف بن عبيد بن عويج بن عديّ، وعديّ بن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرثان بن عَوْف بن عُبيد بن عُوَيج بن عديّ، وابنه النعمانُ بن عديّ، وعامر بن رَبيعة، حليف لآل الخَطّاب، من عَنْزِ بن وائل، معه امرأتُه: ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم. خمسة نفر.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معهُ امرأتُه: أُم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نَضْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وسَلِيط بن عَمْرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نَضر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وأخوه: السَّكران بن عَمْرو، معه امرأتُهُ: سَوْدة بنت زَمْعَةَ بن قَيْس بن

واليمن، فلما توفي رسول الله ـ ﷺ ـ أراد أبو بكر أن يستعمله، فقال: لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله ـ ﷺ ـ أبدًا، ويُروى أن أباه سعيد بن العاصي مرض، فقال: إن رفعني الله من مرضي لا يعبد إلٰه ابن أبي كَبْشَة بمكة أبدًا، فقال ابنه خالد: اللَّهمَّ لا ترفعه فهلك مكانه، نهؤلاء بنو سعيد بن العاصي بن أُمية:

عبد شمْس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ومالك بن زَمْعَةَ بن قَيْس بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأته: عَمْرة بنت السَّعْديّ بن وَقْدان بن عبدِ شمس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وحاطب بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وسعد بن خَوْلة، حليف لهم. ثمانية نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خَوْلة من اليمن.

المهاجرون من بني الحارث:

قال ابن إسحٰق: ومن بني الحارث بن فِهْر: أبو عبيدة بن الجرّاح، وهو: عامرِ بن عبد الله بن الجرّاح بن هِلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر، وسُهيل ابن بَيْضاء، وهو: سُهيل بن وَهْب بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث، ولكن أُمه غلبتْ على نَسبه، فهو ينسب إليها، وهي: دَعْد بنت جَحْدم بن أُميَّة بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر، وكانت تدعى: بَيضاء، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال بِن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث، وعِيَاض بن زُهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هِلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث، ويقال: بل ربيعةُ بن هلال بن مالك بن ضبَّة بن الحارث، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبي شَدَّاد بن ربيعة بن هِلال بن مالك بن ضبة بن الحارث، وعثمان بن عَبْد غَنْم بن زُهير بن أبي شدّاد بن رَبيعة بن هلال بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر بن أُميَّة بن ظَرب بن الحارث بن فهر، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر بن أُميَّة بن ظَرِب بن الحارث بن فهر. ثمانية نفر.

عبد شمس:

وعثمان: هو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ولا يختلف في عبد شمس أنه بالدال، وأما عَبْ شمس بن سَعيد بن زَيد مناة بن تميم، فقال فيه أبو عبيد والْقُتَبيُّ: عبد شمس كما في الأول. وقال أكثر الناس فيه: عَبْ شمس، ثم اختلفوا في معناه، فقيل، معناه: عبد شمس، لكن أُدغمت الدال، وقيل: بل [عَبُّ شَمْسٍ و] عَبُّ الشمس هو ضَوْؤها أو صفاؤها، وقيل في المثل: هو أبرد من عَبْقُرّ أي: الْبَرد، وبعضهم يقول: وهو المبرد: من عَبْ قُر أي: بياضِ قُرٍّ، ومن حَبْ قُرٍّ أيضًا. وفيه قول ثالث: أعني: عَبْ شَمْس. وهو مروي عن ابن عمر. وقال معناه: عَبْءُ شمس بالهمز. ثم حُذِفت الهمزة تسهيلاً. وعَبْء الشمس. وعَبُوها مثله.

عدد الذين هاجروا إلى الحبشة

فكان جميع مَن لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارًا وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان عمَّار بن ياسر فيهم، وهو يشُك فيه.

من شعر الهجرة الحبشية

وكان مما قيل من الشعر في الحبشة، أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سَهم، حين أمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جِوار النجاشي، وعبدوا الله، لا يخافون على ذلك أحدًا، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به، قال:

يا راكبًا بَلِّغَنْ عَنّي مُغَلْغَلَةً مَنْ كان يرجو بلاغَ الله والدينِ

عمّار لم يهاجر إلى الحبشة

وشك ابن إسحٰق في عمّار بن ياسر: هل هاجر إلى أرض الحبشة، أم لا. والأصح عند أهل السِّيَر كالواقدي وابن عُقْبَة. وغيرهما أنه لم يكن فيهم.

حول بني الحارث بن قيس:

وذكر ابن إسحٰق من بني الحارث بن قيس مَن هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث. وذكره الواقدي وغيره. والحارث بن قيس كان أبوه من المستهزئين الذي أنزل الله فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

حول بني زهرة وطليب بن عبد:

وذكر من بني زُهْرة مَن هاجر إلى أرض الحبشة، وهم ستة نفر، ولم يذكر السابع، وهو: عَبد الله بن شهاب جدّ محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، وكان اسمه: عبد الجان، فسمّاه رسول الله ﷺ: عبد الله مات بمكة بعد الفتح وأخوه: عبد الله الأصغر شهد أُحُدًا مع المشركين، ثم أسلم.

وذكر المطلب بن عبد عوف ولم يذكر أخاه طليبًا، وكِلاهما هاجر إلى أرض الحبشة، ومات فيها، وهما أخوا أزهر بن عبد عوف.

من شعر الهجرة الحبشية ومسائله النحوية

فصل: وأنشد لعبد الله بن الحارث ما قاله في أرض الحبشة، وفيه قوله:

كل امرىء من عباد الله مُضطهَد	ببَطْنِ مكةَ مَقهورٍ وَمَفْتُون
أنَّا وَجَدْنا بلادَ الله وَاسِعَةً	تُنجِي من الذلّ والْمَخْزاة والهُون
فلا تُقيموا على ذلّ الحياة، وخِزْ	يٍ في الْمَمات، وعَيْب غيرِ مأمون
إنَّا تَبِعنا رسولَ الله، واطَّرَحوا	قول النَّبي، وعالُوا في الْمَوازين
فاجْعَل عذابكَ بالقوْم الذين بَغَوْا	وعائذًا بك أنْ يَغلوا فيُطْغوني

أَلْحِق عذَابك(١) بالقوم الذين طَغوْا	وعائذًا بك أنْ يَغلُو فيُطْغُوني

أنشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك إظهارُه، وذلك لحكمة، وهي أن الفعل لو ظهر لم يخلُ أن يكون ماضيًا أو مستقبلاً، فالماضي يوهم الانقطاع، والمتكلم إنما يريد أنه في مقام العائذ، وفي حال عوذ، والفعل المستقبل أيضًا يؤذن بالانتظار، وفعل الحال مشترك مع المستقبل في لفظ واحد، وذلك يوهم أنه غير عائذ، فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدلَّ على ما يريد، فإن عائذًا كقائم وقاعد، وهو الذي يسمى عند الكوفيين: الدائم، فالقائل: عائذًا بك يا رب، إنما يريد: أنا في حال عِياذٍ بك، والعامل في هذه الحال: تكلُّمه ونداؤه، أي: أقول قولي هذا عائذًا، وليس تقديره: عذت ولا أعوذ، إنما يريد أن يسمعه ربّه، أو يراه عائذًا به.

وقوله: أن يعلو يجوز أن تكون أن مع ما بعدها في موضع نصب، وفي موضع خفض عند النحويين، أما النصب فعلى إضمار الفعل، لأنه قال: عائذًا، فأعلم أنه خائف، فكأنه قال: أخاف أن يعلو فيطغوني، وأما الخفض فعلى إضمار حرف الجر، فكأنه قال: من أن يعلو، وهو مذهب الخليل وسيبويه في أن المخففة وأن المشددة نحو قوله تعالى: ﴿إن هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدة﴾ [الأنبياء: ٩٢] تقديره: لأن هذه، وجاز إضمار حرف الجر في هذين الموضعين، وإن كانت حروف الجر لا تضمر، لأنهما موصولتان بما بعدهما، فطال الاسم بالصلة، فجاز حذف الجرّ تخفيفًا.

ولقائل أن يقول: هذه دعوى ادّعيتم أن أنْ وما بعدها اسم مخفوض، وهو لا يظهر فيه الخفض، ثم بنيتم التعليل على غير أصل؛ لأن الخفض لم يثبت بعد، فنقول: إنما علمنا أنه في موضع خفض لوقوعه في موضع لا يقع فيه إلا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه: ﴿وأَجْدَرُ ألاَّ يعلموا حُدودَ ما أنزل الله﴾ [التوبة: ٩٧] ونحو قوله تعالى: ﴿أحَقُّ أنْ

---

(١) تقدم أنها: فاجعل عذابك.

وقال عبد الله بن الحارث أيضًا، يذكر نَفْي قُريش إياهم من بلادهم، ويعاتب بعضَ قومه في ذلك:

أبتْ كَبدِي لا أكْذِبَنْك قتَالهم ... علـيَّ، وتَـأباه علـيَّ أنـامِـلـي

تقوم فيه﴾ [التوبة: ١٠٨] ونحو قوله: ﴿أنْ تَضِلَّ إحداهما﴾ [البقرة: ٢٨]. فقوله تعالى: ﴿أجدر ألاَ يعلموا﴾، معناه: بأن لا يعلموا، فلو كان قبل أنْ فِعْلٌ لقلنا: حذف حرف الجر، فتعدّى الفعل، فنصب، ولكن أجدر وأحق اسمان لا يعملان، فمن هٰهنا عرف النحويون أنه في موضع خفض؛ إذ لا ناصب له، وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة، وأن ذلك هو الذي سَوَّغ لهم إضمار حرف الجر، فتعليل مدخول، ينتقض عليهم بالأسماء الموصولة كالذي ومن وما، فإنها قد طالت بالصلة، ومع ذلك لا يجوز إضمار حرف الجر فيها، لا تقول: خرجت ما عندك، ولا هربت الذي عندك أي: مِن الذي عندك، وتقول: خرجت أن يراني زيد، وفررت أن يراني عمرو، أي: مِنْ أن يراني، ولأن يراني بدل، على أن العلة غير ما قالوا، وهي أنَّ أنْ مع الفعل ليس باسم محض، وإنما هو في تأويل اسم، والاسم المحض ما دلّ عليه حرف الجر، فلا بدّ إذًا من إظهار حرف الجر إذا جئت به؛ لأنه اسم قابل لدخول الخوافض عليه، وأما أنْ فحرف محض لا يصحّ دخول حرف جرّ عليه، ولا على الفعل المتصل به فلا تقول: هو اسم مخفوض، إنما هو في تأويلِ اسم مخفوض، فمن هٰهنا فرقت العرب بينه، وبين غيره من الأسماء، فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهرًا جاز، لأنه في تأويل اسم، وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضًا التفاتًا إلى أن الحرف الجر لا يدخل على الحرف، ولا على الفعل فحسن إسقاطه مراعاة للفظ أنْ، وللفعل الفعل، وقلنا: هو في موضع خفض على معنى أنَ الكلام يَؤُول إلى الاسم المخفوض، لا أنه يظهر فيه خفض، أو يقدَّر تقديرَ المبني الذي منعه البِنَاءُ من ظهور الخفض فيه، حتى يشبه أنْ فنقول: هو اسم مبني على السكون، لا بل نقول: هي حرف، والحرف لا يدخل عليه حرف الجر، لا مضمرًا ولا مظهرًا، وإنما هو تقدير في المعنى، لا في اللفظ، فافهمه.

لا يضاف اسم إلى أن المصدرية:

فصل: واعلم أنَّ [أنْ] التي في تأويل المصدر لا يضاف إليها اسم. تقول: هذا موضع أن تقعد ويوم خروجك، ولا تقول: يوم أن تخرج؛ لأنها ليست باسم كما قدّمنا، وإنما تضاف إلى الأسماء المحضة، لا إلى التأويل، ولا يضاف إليها أيضًا اسم الفاعل، لا بمعنى المُضِيّ، ولا بمعنى الاستقبال، ولا المصدر إلا على وجه واحد نحو: مخافة أن تقوم، وذلك إذا أردت معنى المفعول بأن وما بعدها، وأما على نحو إضافة المصدر إلى الفاعل، فلا يجوز ذلك.

وكَيْفَ قِتَالِي مَعْشَرًا أدبُوكُم على الحق أن لا تَأْشِبوه بِباطِل
نَفَتْهم عبادُ الجنّ مِنْ حُرِّ أرضِهِم فأضْحَوْا على أمْر شَديد البَلابل
فإن تكُ كانت في عَدِيٍ أمانة عدي بن سَعْد عن تُقًى، أو تَواصل

وإنما تكون فاعلة مع الفعل إذا ذكرته قبلها نحو: يسرّني أن تقوم، وأما مع المصدر مضافًا إليها فلا، وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معًا، وكل هذا الأسرار بديعة موضعها غير هذا، لكني أقول هٰهنا قولاً لائقًا بهذا الموضع، فإني لم أذكر الخفض بإضمار حرف الجر، في أن وإن إلا مساعدة لمَن تقدم، فعليه بنيت التعليل والتأصيل، وإذا أبيت من التقليد فلا إضمار لحروف الجر فيها، إنما هو النصب بفعل مضمر أو مظهر، أما قوله تعالى: ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ فإنما لما قال أحق علم أنه يوجب عليه أن يقوم فيه، وكذلك أجدر ألاّ يعلموا، ومعنى أجدر: أخلق وأقرب، ولما ثبتت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك ألا يعلموا؛ فصار منصوبًا في المعنى، ولو جئت بالمصدر الذي هو اسم محض نحو: القيام والعلم لم يصح إضمار هذا الفعل؛ لأن أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان إلى ما بعدهما، فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق، فقلت: أحق قيامك، لانقلب المعنى.

ولو نصبته بإضمار الفعل الذي أضمرت مع أن لم يكن دليل عليه؛ لأن الاسم يطلب الإضافة، فيمنع من الإضمار والنصب، وإذا وقعت بعده لم يطلب الإضافة؛ لما قدّمناه من امتناع إضافة الأسماء إليها، وإنما اخترنا هذا المذهب، وآثرناه على ما تقدم من إضمار الخافض؛ لأنّا قد نجدها في مواضع مجرورة، ولا يجوز إضمار حرف الجر، كقولك: سر إلى أنْ تطلع الشمس، ولا يجوز إضمار إلى هٰهنا، وكذلك تقول: هذا خير من أن تفعل كذا، ولا يجوز أيضًا إضمار من، ولو كان حرف الجر معها للعلتين المتقدمتين لاطّرَد جواز ذلك فيها على الإطلاق، وإنما هي أبدًا إذا لم يكن معها حرف الجر ظاهرًا مفعولة بفعل مضمر، وقد تكون فاعلة، ولكن بفعل ظاهر نحو: يعجبني أن تقوم، وأما خرجت أن أرى زيدًا فعلى إضمار الإرادة والقصد، كأنك أردت: أن أراه، أو أن لا أراه؛ لأن كلّ مَن فعل فعلاً، فقد أراد به أمرًا ما، لكنك إن جعلت مكانها المصدر لم يجز الإضمار أو قَبُح؛ لأن المصدر تعمل فيه الأفعال الظاهرة إذا كانت متعدية، وتصل إليه بحرف جر إذا لم تكن متعدية، وأنْ مع الفعل لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة، تقول: رأيت قيام زيد، ولا تقول: أن يقوم، وسمعت كلامك، ولا تقول: سمعت أن تتكلم، وإنما يتعلق بها، وتعمل فيها الأفعال الباطنة نحو: خفت واشتهيت وكرهت، وما كان في معنى هذا أو قريبًا منه، فإذا سمع المخاطب أن مع الفعل لم يذهب وَهْمُه بحكم العادة إلاّ إلى هذه المعاني، فإن كانت ظاهرة فذاك، وإلا اعتقدنا أنها مضمرة، وأن الفعل الظاهر دالٌّ عليها،

فقد كنتُ أرجو أنّ ذلكَ فِيكُم بحَمْد الذي لا يُطَّبَى بالجَعائل
وبُدّلت شِبلاً شبلَ كل خبيثة بذي فَجَرٍ مأوَى الضّعاف الأرامل

وقال عبد الله بن الحارث أيضًا:

وتلكَ قُرَيشٌ تجْحَدُ الله حقَّه كما جَحَدت عادٌ ومديَنُ والحِجْرُ
فإن أنا لم أبْرِق فلا يَسَعَنَّنِي من الأرض بَرٌّ ذُو فَضاء ولا بحر

وغيرها من الأسماء ليس كذلك، إذا وقع قبلها فعل من أفعال الجوارح الظاهرة، وقع عليها إن كان متعديًا أو وُصل بحرف، إن كان غير متعدٍّ، ومَنَع من الإضمار أنه لفظي، والإضمار معنوي إلا في باب للمفعول من أجله، وقد قدّمنا فيه سرًّا بديعًا فيما سبق من هذا الكتاب.

فصل: وأنشد لعبد الله بن الحارث شعرًا فيه:

كما جَحَدت عادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرُ

أما عاد فقد تقدم نسبها، وأما الْحِجْرُ فليست بأُمّةٍ، ولكنها ديار ثمود. أراد: أهل الحجر، وأما مَدْيَنُ فأُمّة شعيب، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه السلام، وأُمهم: قطورا بنت يَقْطَان الكنعانية، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أُمم، وقد سمّيناهم في كتاب التعريف والإعلام، وفي أول هذا الكتاب.

وفيه أيضًا قوله: فإن أنا لم أُبرِقْ فلاَ يَسعنَّنِي. البيت، قال: وبه سمّي الْمُبْرِق، قال المؤلف: وفي هذا حجة على الأصْمَعِيِّ حين منع أن يقال: أرعد وأبرق، وذُكر له قولُ الْكُمَيْت:

أرْعِد وأبْرِق يا يزيد

فلم يره حجة، [وقال: الكميت جُرْمقانِيٌّ من أهل الموصل] ليس بحجة، وألحقه بالمحدّثين لتأخر زمانه، كما فعل بذي الرُّمَّةِ حين احتجّ عليه بقوله:

ذو زَوْجَةٍ بالْمِصْرِ أم ذُو خُصُومةٍ

فأبى أن يقول: زوجة بهاء التأنيث، وقال: طالما أكل ذو الرُّمَّةِ الزيتَ في حوانيت البقّالين، وبيت الْمُبْرِق في هذا حجة بلا خلاف، وقد وجد أرْعَد وأبْرَق في غير هذا البيت، مما تقوم به الحجة أيضًا، وبيت الْمُبْرِق هذا يحتمل وجهًا آخر، وهو أن يكون من أبرق في الأرض إذا ذهب بها لا من أرعد وأبرق، وكذلك وجدته في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت منسوبًا للمُصْعَب، قال: الإبراق: الذهاب، وفي العين: أبرقت الناقة بذنبها إذا ضربت

بـأرضٍ بـهـا عَـبْـدُ الإلـٰه مُـحَـمـدٌ   أُبَيِّن ما في النَّفس إذ بلغ النَّقْرُ

فسمِّي عبد الله بن الحارث ـ يرحمه الله ـ لبيته الذي قال: المُبْرِق.

وقال عثمان بن مَظْعون يُعاتب أُميَّة بن خَلَف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، وهو ابن عمِّه، وكان يُؤْذيه في إسلامه، وكان أُميَّة شريفًا في قومه في زمانه ذلك:

أتيمَ بن عَمْرو لِلَّذي جاء بِغضَةً   ومِنْ دونه الشَّرْمَانِ والبَرْكُ أكتعُ

به يمينًا وشمالاً، وهو في معنى الذهاب في الأرض، لأنه جَوَلاَن فيها، وهي البَرُوق، قال نَهْشَل بن دارمٍ لأخيه سَلِيط ـ وقد لامه على ترك الكلام في بعض المواطن: لا أُحسن تَأنَامَك، ولا تَكْذَابَك، تَشُول بلسانك شَوَلاَنَ الْبَرُوق. وذكر في الشعر:

يـلـيـن مـا فـي الـنـفـس إذ بـلـغ الـنَّـقْـرُ

ويُروى: يُلَيِّن ما في الصدر. والنَّقْر: البحثُ عن الشيء، وأكثر ما يقال فيه: التَّنْقِير، واستشهد عبدُ الله الْمُبْرِقُ في غَزْوَة الطائف، وكان أبوه الحارثُ من المستهزئين، وكان جدُّه قيس أعزَّ قريش في زمانه، يُروَى أن عبدَ المطلب كان يُنَقِّز ابنه عبد الله، والد رسول الله ـ ﷺ ـ وهو طفل، فيقول:

كـأنـه فـي الـعـز قـيـسُ بـن عـدي   فـي دار قـيـس الـنَّـديُّ يَـنْـتـدي

قاله الزبير بن أبي بكر.

حول لام التعجب:

فصل: وذكر شعر عثمان بن مَظْعُون:

أتَـيْـمَ بـنَ عَـمْـرٍو لِـلَّـذِي جـاءَ بِـغْـضَـةً

أراه: عجبًا لِلَّذِي جاء، والعرب تكتفي بهذه اللام في التعجب، كقوله عليه السلام: لِهَذا العبدِ الحبشي جاء من أرضه وسمائه إلى الأرض التي خُلق منها، قاله في عَبْدٍ حَبَشِيٍّ دُفن بالمدينة، وقال في جنازة سعد بن مُعاذ وهو واقف على قبره، وتقهقر ثم قال: سُبْحَان الله لهذا العبد الصالح ضُمَّ عليه القبرُ ثم فُرِجَ عنه، وقيل في قوله سبحانه: ﴿لإيلاف قُرَيْشٍ﴾ أقوال منها: أنها متعلقة بمعنى التعجب، كأنه قال: اعجبوا لإيلاف قريش، وبِغْضَةً نُصِبَ على التمييز كأنه قال: يا عجبًا لما جاء به من بِغْضَةٍ، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله، وروى الزبير هذا البيت:

أتَـيْـمَ بـن عَـمْـرٍ لـلـذي فـار ضِـغْـنُـهُ

أأخرجْتَني مِنْ بطْنِ مكَّةَ آمِنا وأسكنْتَني في صَرْح بيضَاءَ تقذع
تَريش نِبالاً لا يُواتيكَ ريشُها وتَبْري نبالاً ريشُها لَكَ أجْمَعُ

من معاني شعر ابن مظعون:

وكذلك رُوِيَ في هذا الشعر: في صرح بَيطَاءَ تُقْدَعُ بالطاء وفتح الباء وكسرها، وقال بِيَطاء: اسم سفينة، وتُقْدَع بالدال، أي: تدْفع، وزعم أن تَيْم بن عمرو وهو جُمَح سُمِّي جُمَحًا؛ لأن أخاه سهم بن عمرو - وكان اسمه زيدًا - سابقه إلى غاية، فَجمَحَ عنهَا تيْم، فسُمِّي جُمَحًا، ووقف عليها زيد، فقيل: قد سَهَمَ[1] زَيْدٌ فسُمِّي: سَهْمًا.

وقوله: ومن دوننا الشَّرْمَان. الشَّرم: البحر، وقال الشَّرمَان بالتثنية؛ لأنه أراد البحر الْمِلْحَ، والبحر الْعَذْب، وفي التَّنزيل: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَين﴾ والشَّرْمُ من: شَرَمْتُ الشيء إذا خَرَقْتُه، وكذلك البحر من بَحَرْتُ الأرض إذا خرقتها، ومنه سُمِّيت الْبَحِيرَة لخَرْقِ أُذُنها والْبَرْكُ: ما اطمأن من الأرض واتَّسع، ولم يكن منتصبًا كالجبال.

وقوله: في صرح بيضاء. يريد: مدينة الحبشة، وأصل الصَّرح: القصر، يريد: أنه ساكن عند صَرْح النَّجَاشِيِّ.

وقوله: تُقْذَع أي: تُكْرَه، كأنه من أقذعت الشيء، إذا صادفته قَذِعًا ويقال أيضًا: قَذَعْتُ الرجلَ إذا رميته بالفحش، يريد أن أرض الحبشة مقْذوعة، وأحسب هذه الرواية تصحيفًا، والصحيح: ما قدّمناه من قول الزبير وروايته، وأنه بِيطَاء بالطاء، وتُقْدَع بالدال.

وقوله: وأسلمك الأوباش يريد أخلاطًا من النحاس، يقال: أوشاب وأوباش، والأوباش أيضًا شجر متفرق، والوَبْش بياض في أظفار الأحداث.

أنســـــاب:

وذكر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة من بني عدي: مَعْمر بن عبد الله بن نَضْلَةَ، وقال فيه عليُّ بن الْمَدِيني: إنما هو: مَعْمَر بن عبد الله بن نافع بن نَضْلَةَ.

وقال ابن إسحٰق: نَضْلة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عَوْف بن عُبَيْد وفي حاشية كتاب الشيخ قال: إنما هو نَضْلةُ بن عوف بن عُبَيْدِ بن عُوَيْج، وذكر أنه قولُ مصْعَب في كتاب

---

(١) سهم: السين والهاء والميم أصلان. أحدهما يدل على تغيّر في اللون، والآخر على حظ ونصيب وشيء من الأشياء. فالسهمة النصيب. ويقال: أسهم الرجلان: إذا اقترعا، وذلك من السهمة، والنصيب والفوز. مقاييس اللغة (٣/ ١١١).

وحـارَبْـتَ أقـوامًـا كِـرَامًـا أعِـزَّةً وأهلكتَ أقوامًا بهم كنتَ تَفْزع
ستَعْـلـم إنْ نـابَـتْـك يـوْمًـا مُـلِـمَّـةٌ وأسلَمَك الأوْباش ما كنتَ تَصْنع

النسب[1]. وذكر في بني عَدِيٍّ: عُرْوَةَ بن عَبدِ الْعُزَّى بن حُرثان، كذا في كتاب المصعب إلا أنه قال: عمرو بن أبي أُثَاثة أو عُرْوَة بن أبي أُثَاثَة على الشَّكِّ وذكره أبو عُمَرَ في كتاب الاستيعاب فقال فيه: عروة بن أبي أُثاثة ويقال ابن أُثاثة بن عبد العزى بن حُرثان، قال: وأُمه، أُم عمرو بن العاصي، فهو أخوه لأُم[2].

قال المؤلف: وأُمهما اسمها: ليلى، وتلقّب بالنابغة، وهي من بني ربيعة ثم من بني جَلاَّنَ قال أبو عمر: ويقال فيه: ابن أبي أُثاثة، قال المؤلف: وقد قدّمنا أن المصعب الزبيري شك فيه، فقال: عروة، أو عَمْرو، وأما الزبير: فقال عمرو بن أبي أثاثة، ولم يشكَّ، ثم قال أبو عمر: لم يذكره ابن إسحٰق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة، وذكره الواقدي، وأبو معشر وموسى بن عقبة، قال المؤلف: وهذا وهم من أبي عمر ـ رحمه الله ـ فإن ابن إسحٰق ذكره فيهم، غير أنه نسَبه إلى جده عبد العُزى، وأسقط اسم أبيه أبي أثاثة، وقال حين ذكر من هاجر من بني عدي بعد ما عدّهم خمسة، قال: أربعة نفر، وهو وهم من ابن إسحٰق، وذكر فيهم مع الخمسةِ: ليلى بنت أبي حَثْمَة امرأة عامر بن ربيعة، فهم على هذا ستة، غير أنه يحتمل أنه يريد أربعة نفر دون حليفهم عامر، وما أظنه قصد هذا؛ لأن من عادته أن يعدّ الحلفاء مع الصميم؛ لأن الدعوة تجمعهم.

أُم سلمة:

وذكر أُم سَلَمة وبعلها أبا سلمة، توفي عنها بالمدينة، وخلف عليها رسول الله ـ ﷺ ـ وذكر اسمها هذا، وقيل في اسمها: رملة[3]، وأبوها أبو أُمية اسمه: حُذَيْفَة يُعرَف بزاد الراكب.

وذكر أنها ولدت بأرض الحبشة زينبَ بنت أبي سلمة، وكان اسم زينبَ بَرَّة، فسمّاها رسول الله ـ ﷺ ـ زينب، كانت زينبُ هذه عند عبد الله بن زَمْعَة، وكانت قد دخلت على رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يغتسل، وهي إذ ذاك طفلة، فَنَضَحَ في وجهها من الماء، فلم يزل ماءُ الشباب في وجهها، حتى عجزت وقاربت المائة، وكانت من أفقه أهل زمانها، وأدركت

---

(١) انظر نسب قريش للزبيري (٣٨٢/٣٨٦) والجمهرة لابن حزم (١٤٧).
(٢) انظر نسب قريش (٣٨١/٤٠٩).
(٣) وفي الإصابة: هند.

وتيم بن عمرو، الذي يدعو عثمانُ، جمحُ، كان اسمه: تَيْمًا.

وقعة الحَرَّة بالمدينة[1]، وقُتل لها في ذلك اليوم ولدان، اسم أحدهما: كبير، والآخر: يزيد بن عبد الله بن زَمْعَة، فكانت تبكي على أحدهما: ولا تبكي على الآخر، فسُئِلَت عن ذلك، فقالت: أبكيه لأنه جرّد سيفه وقاتل، والآخر لا أبكيه لأنه لزم بيته، وكفّ يده حتى قُتِل، ورُوِيَ أن رسول الله - ﷺ - حين ابتنى بأُم سلمة دخل عليها بيتها في ظلمة، فوطىء على زينب، فبكت، فما كان من الليلة الأخرى دخل في ظلمة أيضًا، فقال: «اَنظروا زُنَابَكم أن لا أطأ عليها»، أو قال: «أخّروا» ذكره الزبير، وفي هذا الحديث تَوْهين لرواية مَن روى أنه كان يرى بالليل، كما يرى بالنهار.

النور الذي كان على قبر النجاشي:

فصل: وذكر حديث عائشة: «كنّا نتحدّث أنه لا يزال يُرى على قبر النجاشي نور»[2]، وقد خرّجه أبو داود من طريق سَلَمَة بن الفَضْل، وعن ابن إسحٰق عن يزيد بن رُومان عن عائشة، وأورده في باب: النور يُرى عند الشهيد، وليس في هذا الحديث ولا غيره ما يدلّ على أن النجاشي مات شهيدًا، وأحسبه أراد: أن يشهد بهذا الحديث ما وقع في كتب التاريخ من أن عبد الرحمن بن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذي يقال له: ذو النور، وكان على باب الأبواب فقتله الترك زمانِ عمر، فهو لا يزال يُرى على قبره نور، ويعضد هذا حديثُ النجاشي، يقول: فإذا كان النجاشي - وليس بشهيد - يُرى عنده نور، فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه: ﴿والشهداءُ عند ربهم لهم أجرُهم ونورهم﴾[3] [الحديد: ١٩].

---

(١) عام ٦٣ هـ.

(٢) «ضعيف». أخرجه أبو داود (٢٥٢٣) موقوفًا.

(٣) الأوجه لربط هذا بذاك.

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها[1]

قال ابن إسحٰق: فلما رأت قُريش أن أصحاب رسول الله - ﷺ - قد أمنوا، واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها دارًا وقرارًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجُلَين من قريش جَلْدين إلى النجاشي، فيردّهم عليهم؛ ليَفْتنوهم في دينهم، ويُخْرجوهم من دارهم، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبدَ الله بن أبي رَبيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته، ثم بعثوهما إليه فيهم.

فقال أبو طالب - حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه - أبياتًا للنجاشي يحضّه على حُسْن جوارهم، والدَّفع عنهم:

ألا ليتَ شِعري كيفَ في النَّأْي جعفَرٌ ... وعمرو وأعْداء العدو الأقاربُ
وهل نالت أفعالُ النجاشي جعفرًا ... وأصحابَه أو عاق ذلك شاغب

إرسال قريش إلى النجاشي في أمر أصحاب النبي ﷺ

ذكر ابن إسحٰق أنهم أرسلوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة، وأهدوا معهما هدايا إلى النجاشي. وعبدُ الله بن أبي ربيعة هذا كان اسمه بَحِيرا، فسمّاه رسول الله - ﷺ - حين أسلم: عبد الله، وأبوه: أبو ربيعة ذو الرمحين، وفيه يقول ابن الزِّبَعْري:

بَحيرا بن ذي الرمحين قرَّب مجلسي ... وَراح علينا فضلُه وهو عاتم

(١) انظر المنتظم (٢/ ٣٨٠) الكامل (١/ ٥٩٨) سير أعلام النبلاء (١/ ١٥١) فتح الباري (٧/ ١٤٨).

تعلَّمْ - أبيتَ اللَّعن - أنَّك ماجدٌ كريمٌ فلا يَشْقى لديك الْمُجانب
تـعـلَّـمْ بـأن الـلَّـهَ زادك بَـسْـطَـةً وأسبـابَ خَـيرٍ كـلُّـهـا بـك لازب
وأنَّـك فـيـضٌ ذو سِـجـال غـزيـرةٍ يَـنـال الأعـادي نـفـعَـهـا والأقـارِب

قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد بن مُسلم الزُّهري عن أبي بَكْرِ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلَمَة بنت أبي أُميَّة بن المُغيرة زوج رسول الله ﷺ، قالت: لما نزلنا أرضَ الحبشة، جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ: النجاشي، أمِنَّا على ديننا، وعبدْنا الله تعالى، لا نُؤذَى، ولا نَسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجُلَيْن منهم جَلْدَين، وأن يُهْدوا للنجاشيِّ هَدايا مما يُستطرَف من مَتاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدَمُ، فجمعوا له أَدَمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بَطارقته بِطْرِيقًا إلا أهْدَوْا له هديَّة، ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبي رَبيعة، وعَمْرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعَا إلى كل بِطْريق هديَّته قبل أن تكلّما النجاشي فيهم، ثم قدِّما إلى النجاشي هَداياه، ثم سَلاه أن يُسْلِمَهم إليكما قبل أن يكلِّمهم. قالت: فخَرجا حتى قَدِما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار،

واسم أبي ربيعة: عَمْرو، وقيل: حُذَيْفةُ، وأُم عبد الله بن أبي ربيعة: أسماء بنت مُخَرِّبَة التميمية، وهي أم أبي جهل بن هشام، وعبدُ الله بن أبي ربيعة هذا هو والد عُمَر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر، ووالد الحارث أمير البصرة المعروف بالقُبَاعِ، وكان في أيام عمر واليًا على الجند، وفي أيام عثمان، فلما سمع بحصر عثمان، جاء لينصره، فسقط عن دابته فمات.

عمارة بن الوليد بن المغيرة:

فصل: وكان معهما في ذلك السفر عُمارة بن الوليد بن المغيرة الذي تقدم ذكره حين قالت قريش لأبي طالب: خذ عُمارة بدلاً من محمد، وادفع إلينا محمدًا نقتله، وكان عُمارة من أجمل الناس، فذكر أصحاب الأخبار أنهم أرسلوه مع عمرو بن العاصي إلى النَّجَاشِيِّ، ولم يذكره ابن إسحٰق في رواية ابن هشام، وذكر حديثه مع عمرو في رواية يونس، ولكن في غير هذه القصة المذكورة هٰهنا، ولعل إرسالهم إياه مع عمرو، كان في المرة الأخرى التي سيأتي ذكرها في السِّيرة عند حديث إسلام عمرو، وَمِمَّن ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج الأصبهاني، وذكر أن عَمْرًا سافر بامرأته، فلما ركبوا البحر، وكان عُمارة قد هَوِيَ امرأة عَمْرو وهَوِيته، فعزما على دفع عمرو، أو كان ذلك من عمارة على غير قصد فدفع عمرًا، فسقط في البحر، فسبح عمرو، ونادى أصحاب السفينة فأخذوه، ورفعوه إلى السفينة،

فلم يبق من بطارقته بِطرِيق إلا دَفعا إليه هديته قبل أن يُكلِّما النجاشي، وقالا لكلِّ بِطْريقَ منهم: إنه قد ضَوَى إلى بَلَد الملك منّا غلْمانٌ سفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مُبتدَع، لا نعْرفه نحن ولا أنتم، وقد بَعَثَنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم، ليردّهم إليهم، فإذا كلَّمْنَا الملك فيهم، فأشيرُوا عليه بأن يُسْلِمَهُمْ إلينا، ولا يكلِّمهم، فإن قومَهم أعْلَى بهم عَيْنًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قدَّما هداياهما إلى النجاشي فقَبلها منهما، ثم كلَّماه، فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منّا غِلْمان سفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدينٍ ابتدعوه، لا نَعْرفه نحن، ولا أنت، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم: لتردّهم إليهم، فهم أعْلَى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغضَ إلى عبد الله بن أبي رَبيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشي. قالت: فقالت بطارقته حوله: صَدَقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلِمْهم إليهما، فليردَّهم إلى بلادهم وقومهم. قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لاهَا الله، إذن لا أُسلمهم إليهما، ولا يُكاد قومٌ جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على مَنْ سواي، حتى أدعوهم، فأسألهم عما يقول

فأضمرها عمرو في نفسه، ولم يُبدها لعمارة، بل قال لامرأته ـ فيما ذكر أبو الفرج ـ قَبِّلي ابن عمك عُمَارة لتطيبَ بذلك نفسه، فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو، وقال: إني قد كتبت إلى بني سهم ليبرؤوا من دمي لك، فاكتب أنت لبني مخزوم ليبرؤوا من دمك لي، حتى تعلم قريش أنّا قد تصافينا، فلما كتب عُمارة، إلى بني مخزوم، وتبرؤوا من دمه لبني سهم، قال شيخ من قريش: قُتل عُمارة ـ والله ـ وعلم أنه مكر من عمرو، ثم أخذ عمْرو يحرِّض عُمارة على التعرضِ لامرأة النجاشي، وقال له: أنت امرؤ جميل، وهنّ النساء يُحْبِبْن الجمال من الرجال، فلعلها أن تشفع لنا عند الملك في قضاء حاجتنا، ففعل عُمارة فلما رأى عَمْرٌو ذلك، وتكرر عُمارة على امرأة الملك، ورأى إنابتها إليه، أتى الملكَ مُنْتَصِحًا، وجاءه بأمارة عرفها الملك، قد كان عُمارة أطلع عَمْرًا عليها، فأذركته غَيْرة الملك، وقال: لولا أنه جاري لقتلته، ولكن سأفعل به ما هو شَرٌّ من القتل، فدعا بالسَّوَاحر، فأمرهنّ أن يَسْحَرنه، فنفخْن في إحليلِهِ[1] نفْخَةً، طار منها هائمًا على وجهه، حتى لحق بالْوُحُوشِ في الجبال، وكان يَرى آدميًا فيفرّ منه، وكان ذلك آخر العهد به إلى زمن عمر بن الخطاب، فجاء ابنُ عمه عبدُ الله بن أبي ربيعة إلى عمر، واستأذنه، في المسير إليه لعله يجده، فأذِنَ له عمر فسار

---

(١) إحليله: أي ذكره.

هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان، أسلمتهم إليهما، ورددتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منَعتُهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني».

حوار بين النجاشي وبين المهاجرين

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - ﷺ - فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضُهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جِئتموه؟ قالوا: نقول: والله ما عَلِمْنا، وما أمرنَا به نبيُّنا ﷺ كائنًا في ذلك ما هو كائن، فلما جاؤوا، وقد دعا النجاشي أساقفتَه، فنشروا مَصاحفهم حولَه سألهم، فقال لهم: ما هذا الدينُ الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه المِلَل! قالت: فكان الذي كلَّمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنَّا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منَّا الضعيفَ، فكنَّا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبَه وصِدْقه وأمانتَه وعفافَه، فدعانا إلى الله؛ لنوحِّدَه ونعبدَه، ونخلَع ما كنَّا نعبد نحنُ وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمَرَنا بصِدْق الحَديث، وأداء الأمانة، وصِلة الرحم، وحُسْن الجوار، والكَف عن

عبدُ الله إلى أرض الحبشة، فأكثر النِّشْدَة عنه، والفحص عن أمره، حتى أخبر أنه - بِحَيْلٍ[1] يرد مع الوحوش، إذا وردت، ويصدُر معها إذا صدرت، فسار إليه حتى كمَن لَه في الطريق إلى الماء، فإذا هو قد غطّاه شعرُه، وطالت أظفارُه، وتمزقت عليه ثيابه، حتى كأنه شيطان، فقبض عليه عبدُ الله، وجعل يذكره بالرَّحِم ويستعطفه، وهو ينتفض منه، ويقول: أرسلني يا بَحِيرُ، أرسلني يا بُحَيْرُ، وأبى عبدُ الله أن يرسلَه، حتى مات بين يديه، وهو خبر مشهور اختصره بعض مَن أَلَّف في السير، وطوله أبو الفرج، وأوردته على معنى كلامه، متحرّيًا لبعض ألفاظه[2].

عن حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي

فصل: وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي، وما قال له جعفر إلى آخر القصة، وليس فيها إشكال، وفيه من الفقه: الخروج عن الوطن، وإن كان الوطن مكَّةَ على فضلها، إذا كان الخروج فرارًا بالدين، وإن لم يكن إلى إسلام، فإن الحبشةَ كانوا نصارى يعبدون

---

(١) بحيل: موضع.

(٢) انظر نسب قريش (٣٢٢). والقصة يبدو عليها أثر الوضع، فهي في حاجة إلى دليل «صحيح» يعتضدها.

المحارم والدماء، ونهانا عن الفَواحش، وقول الزُّور، وأكل مال اليتيم، وقَذْف الْمُحْصَنات، وأمَرَنا أن نعبد الله وحده ـ لا نُشركُ به شيئًا ـ وأمرنا بالصَّلاة والزكاة والصيام، قالت: فعدد عليه أمورَ الإسلام ـ فصدقناه وآمنَّا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشركْ به شيئًا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحْلَلْنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنَّا نستحلُّ من الخَبَائث، فلمَّا قَهرونا وظلَموناوضيَّقوا علينا،

المسيح، ولا يقولون: هو عبد الله، وقد تبين ذلك في هذا الحديث، وسُمُّوا بهذه مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق، فقال: ﴿والسابقون الأوَّلُون﴾ وجاء في التفسير: أنهم الذين صلّوا القبلتين، وهاجروا الهجرتين، وقد قيل أيضًا: هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر، لما كان فعلهم ذلك احتياطًا على دينهم، ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم، يذكرونه آمنين مطمئنين، /وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد، وأُوذي على الحق مؤمن، ورأى الباطل قاصرًا للحق، ورجا أن يكون في بلد آخر ـ أي بلد كان ـ يخلى بينه وبين دينه، ويظهر فيه عبادة ربه، فإن الخروج على هذا الوجه حَتْمٌ على المؤمن، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشرِقُ والْمَغربُ فأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

فصل: وليس في باقي حديثهم شيءُ يُشْرَح، قد شرح ابن هشام الشُّيُوم، وهم الآمنون، فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية، وأن تكون من شِمْت السيفَ إذا أغمدته، لأن الآمنَ مُغْمَدٌ عنه السيف، أو لأنه مصُونٌ في صُوانٍ وحِرْز كالسيف في غمده.

وقوله: ضَوَى إليك فِتية أي: أووا إليك، ولاذوا بك، وأما ضَوِي بكسر الواو، فهو من الضَّوَى مقصور، وهو الهزال، وقال الشاعر:

فتى لم تلده بنتُ عم قريبة ... فَيَضوَى، وقد يَضوَى رَدِيدُ الْغَرَائِب

ومنه الحديث: اغتربوا لا تضوَوْا، يقول: إن تزويج القرائب يورث الضَّوَى في الولد[1]، والضعف في القلب، قال الراجز:

إنَّ بِلالاً لَم تشِنْه أُمُّه ... لم يتناسب خالُه وعَمُّه

---

(١) كلام مردود بصريح القرآن وصحيح الحديث.

وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخْتَرْناك على مَنْ سواك، وَرَغِبْنَا في جوارك، ورَجَوْنا أن لا نُظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال النجاشي: فاقرأه عليّ، قالت: فقرأ عليه صدرًا من: ﴿كهيعصٓ﴾. قالت: فبكى والله النجاشيُّ، حتى اخضَلَّت لحيتُه، وبكت أساقفتُه، حتى أخْضَلوا مَصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلقا، فلا والله لا أُسْلمهم إليكما، ولا يُكادون.

قالت: فلما خَرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينَّه غدًا عنهم بما استأصل به خَضْرَاءهم. قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ـ وكان أتْقَى الرَجُلَين فينا: لا نفعل؛ فإنَّ لهم أرْحامًا، وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأُخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى ابنَ مريم عَبْدٌ، قالت: ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون

إضافة العين إلى الله:

وفيه: قومهم أعلى بهم عينًا، أي: أبْصَر بهم، أي: عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم، فالعين هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار، لا بمعنى العين التي هي الجارحة، وما سُمِّيت الجارحة عينًا إلا مجازًا؛ لأنها موضع العِيان، وقد قالوا: عانَه يَعِينه عَيْنًا إذا رآه، وإن كان الأشهر في هذا أن يقال: عاينه معاينة، والأشهر في عِنْت أن يكون بمعنى الإصابة بالعين، وإنما أوردنا هذا الكلام، لتعلم أن العينَ في أصلِ وضع اللغة صفةٌ لا جارحة، وأنها إذا أُضيفت إلى الباري سبحانه، فإنها حقيقة نحو قول أُم سلمة لعائشة: بعين الله مَهْواكِ، وعلى رسول الله تَرْدِّين؟ وفي التنزيل: ﴿ولِتصْنَعَ على عيني﴾ وقد أملينا في المسائل المفردات: مسألة في هذا المعنى، وفيها الرد على مَن أجاز التثنية في العين مع إضافتها إلى الله تعالى، وقاسها على اليدين، وفيها الرد على مَن احتج بقول النبي عليه السلام: إن ربَّكم ليس بأعور[1]، وأوردنا في ذلك ما فيه شفاء، وأتبعناه بمعانٍ بديعة في معنى عَوَرِ الدَّجَّال، فلْيُنظَر هنالك.

معنى أن عيسى كلمة الله وروحه:

وقول جعفر في عيسى: هو رُوح الله وكلمته، ومعنى: كلمته أي: قال له، كما قال لآدم حين خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون، ولم يقل: فكان، لئلا يتوهم وقوع

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣) وأحمد (١/ ٢٤٠) والبيهقي في الصفات (٣١١) بتحقيقي.

في عيسى ابن مَرْيم قولاً عظيمًا، فأرسِل إليهم فسَلْهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم، ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلُها قطُّ. فاجتمع القوم، ثم قال بعضُهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول - والله - [فيه] ما قال الله، وما جاءنا به نبيُّنا، كائنًا في ذلك ما هو كائن. قالت: فلمَّا دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال [له] جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا ﷺ: هو عبدُ الله ورسولُه، وروحه، وكَلِمتُهُ ألْقاها إلى مَرْيم العذراءِ البَتُولِ. قالت: فضرب النجاشيُّ بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هذا العودَ، قالت: فتناخَرَتْ بَطارِقتُه حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نَخَرْتُم والله، اذهبوا فأنتم شُيومٌ بأرضي - والشُّيوم: الآمنون - مَن سَبَّكم غَرِم، ثم قال: مَن سَبَّكُمْ غَرِم، ثم قال: مَن سبَّكم غَرِم ما أُحبّ أن لي دَبْرًا من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم - قال ابن هشام: ويقال: دَبْرَي من ذهب. ويقال فأنتم سُيُوم، والدبر - بلسان الحبشة: الجبل - ردّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ اللَّهُ مني الرّشوة حين ردَّ عليَّ مُلْكي، فآخذَ الرَّشوَة فيه، وما أطاع الناس فِيَّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مَقْبوحَيْن، مَرْدُودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار.

الفعل بعد القول بيسير، وإنما هو واقع للحال، فقوله: فيكون مُشْعِرٌ بوقوع الفعل في حال القول، وتوجه الفعل بيسير على القول، لا يمكن مستقدم ولا مستأخر، فهذا معنى الكلمة، وأما روح الله؛ فلأنه نفخَة رُوح القدس في جَيْبِ الطاهرة المقدسة، والقُدس: الطهارة من كل ما يشين، أو يعيب، أو تَقْذَرُه نفس، أو يكرهه شرع، وجبريل: روح القدس، لأنه روح لمْ يُخلق من مَنِيٍّ، ولا صدر عن شهوة، فهو مُضاف إلى الله سبحانه إضافة تشريف وتكريم؛ لأنه صادر عن الحضرة المقَدَّسة[1]، وعيسى عليه السلام صادر عنه، فهو: روح الله على هذا المعنى؛ إذ النفخ قد يسمى: روحًا أيضًا، كما قال غَيْلاَنُ [بن عقبة ذو الرُّمَّة] يصف النار:

فقلت له: ارفعها إليك، وأحْيِها   برُوحك، واقدرها لها قِيتَةً بدرا

وأضف هذا الكلام في روح القدس، وفي تسمية النفخ روحًا إلى ما ذكرناه قبل في حقيقة الروح، وشرح معناه فإنه تكملة له.

---

(١) لا تجوز مثل هذه الكلمة أن تطلق وتنسب إلى الله تعالى.

المهاجرون وانتصار النجاشي:

قالت: فوالله إنّا لعَلى ذلك، إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه في مُلْكه. قالت: فوالله ما علمتُنا حَزِنّا حزنًا قطُّ كانت أشدَّ علينا من حُزْنٍ حَزِنّاه عند ذلك، تَخَوُّفًا أن يَظْهر ذلك الرجلُ على النجاشيّ، فيأتي رجلٌ لا يعرف مِنْ حَقِّنا ما كان النَّجاشِيّ يَعْرف منه، قالت: وسار إليه النجاشيُّ، وبينهما عرضُ النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضُرَ وَقيعَة القوم، ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوّام: أنا، قالوا: فأنت - وكان مِن أحدث القوم سنًّا - قالت: فنفخوا له قِرْبةً، فجعلها في صَدره، ثم سَبَح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلْتقى القوم، ثم انطلق حتى حَضَرهم، قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشيّ بالظهور على عدوّه، والتَّمْكين له في بلاده، قالت: فوالله إنّا لعَلى ذلك مُتوقِّعون لِمَا هو كائن، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى، فلمع بثَوْبه وهو يقول: ألا أبْشروا، فقد ظفر النجاشيُّ، وأهلك اللَّهُ عدوّه، ومكّن له في بلاده. قالت: فوالله ما علمتنا فَرِحْنا فرحةً قطّ مثلَها. قالت: ورجع النجاشي، وقد أهلك الله عدوّه، ومكَّن له في بلاده، واستوثَق عليه أمر الحبشة، فكنّا عنده في خير مَنْزل، حتى قدمْنا على رسولِ الله ﷺ وهو بمكة.

قصة تملّك النجاشي على الحبشة:

قال ابن إسحٰق: قال الزهريّ: فحدّثت عُروة بن الزبير حديثَ أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أُمّ سلمة زوج النبي ﷺ، فقال: هل تدري ما قولُه: ما أخذ الله مني الرِّشوَة حين ردّ عليّ مُلْكي، فآخذ الرِّشوَة فيه، وما أطاع النَّاسَ فِيَّ، فأطيع الناسَ فيه؟ قال: قلت: لا، قال: فإن عائشة أُمّ المؤمنين حدّثتني أن أباه كان ملكَ قومه، ولم يكن له ولدٌ إلا النجاشي، وكان للنجاشي عمّ، له من صلبه اثنا عَشَر رجلاً، وكانوا أهلَ بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنّا قتلنا أبا النجاشيّ، وملّكنا أخاه فإنه لا وَلد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه من صُلبه اثني عَشَر رجلاً، فتوارثوا مُلْكه من بعده، بقيت الحبشة بعده دهرًا، فَغَدَوا على أبي النجاشي فقتلوه، وملّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حينًا.

النجاشي أصحمة:

فصل: وذكر حديثَ عائشة عن النَّجَاشِيّ حين ردّ الله عليه ملكه، وأن قومه كانوا باعُوه، فلما مَرِجَ أمرُ الحبشة، أخذوه من سيده واسْتَرَدُّوه. وظاهرُ الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتِيَ به بلادَه لقوله: خرجوا في طلبه، فأدركوه، وقد بيّن في حديث آخر

ونشأ النجاشي مع عمِّه ـ وكان لبيبًا حازمًا من الرجال ـ فغلب على أمْر عمِّه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشةُ مكانَه منه، قالت بينها: والله لقد غَلَب هذا الفتى على أمر عمِّه، وإنا لنتخوّف أن يملِّكَهُ علينا، وإن ملَّكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عَرَف أنَّا نحن قتلنا أباه. فَمَشَوْا إلى عمِّه، فقالوا: إمَّا أنْ تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنَّا قد خِفْناه على أنفسنا، قال: ويلكم! قتلتُ أباه بالأمس، وأقتله اليومَ! بل أُخرجه من بلادكم. قالت: فخرجوا به إلى السوق، فباعوه إلى رجل من التجّار بستمائة درهم، فقذفه في سفينة فانطلق به، حتى إذا كان العَشِيّ من ذلك اليوم، هاجت سَحَابةٌ من سحائب الخريف، فخرج عمُّه يَسْتمطر تحتها، فأصابته صاعقةٌ، فقتلته. قالت: ففزعت الحبشةُ إلى وَلَده، فإذا هو مُحْمِق، ليس في ولده خيرٌ، فمرج على الحبشة أمرُهم.

فلما ضاق عليهم ما هُم فيه من ذلك، قال بعضهم لبعض: تعلَّموا والله أن مَلِككم الذي لا يُقيم أمرَكم غيرُه لَلَّذِي بِعْتم غدوةً، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة، فأدركوه الآن. قالت: فخرجوا في طلبه، وطَلَبِ الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه، فأخذوه منه، ثم جاؤوا به، فعقدوا عليه التاجَ، وأقعدوه على سرير المُلْك، فملَّكوه.

فجاءهم التاجرُ الذي كانوا باعوه منه، فقال: إمَّا أن تُعطوني مالي، وإمَّا أن أُكلِّمه في ذلك؟ قالوا: لا نُعْطيك شيئًا، قال: إذن والله أُكلِّمه، قالوا: فدونك وإيَّاه. قالت: فجاءه فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعتُ غلامًا من قوم بالسوق بستمائة درهم، فأسْلَموا إليَّ غلامي، وأخذوا دراهمي، حتى إذا سرْت بغلامي، أدركوني، فأخذوا

أن سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلاً، وهو الذي يقتضيه قوله: فلما مَرِجَ على الحبشة أمْرُهم، وضاق عليهم ما هم فيه، وهذا يدلّ على طول المدة في مغيبه عنهم، وقد رُوِيَ أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي علم بها قبل مَنْ عنده من المسلمين، فأرسل إليهم، فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مِسْحًا، وقعد على التراب والرماد، فقالوا له: ما هذا أيها الملك؟! فقال: إنّا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعبده، وجب على العبد أن يحدث لله تواضعًا، وإن الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة، وهي أن النبي محمدًا ـ ﷺ ـ بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بوادٍ يقال له: بدر كثير الأراك، كنت أرعى فيه الغنم على سيدي، وهو من بني ضَمْرَة، وأن الله قد هزم أعداءه فيه، ونصر دينه، فدلّ هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب، فمن هنا ـ والله أعلم ـ تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تُليت عليه، حتى بكى، وأخْضَل لحيته، ورُوِيَ عنه أنه قال: إنّا نجد في الإنجيل أن اللعنة تقع في الأرض إذا كانت إمارة الصبيان.

غلامي، ومنعوني دَراهمي. قالت: فقال لهم النجاشي: لتُعْطُنَّه دراهمَه، أو ليضعنّ غلامُه يده في يده، فليذهبنّ به حيث شاء، قالوا: بل نُعطيه دراهمه. قالت: فلذلك يقول: ما أخذ الله مني رِشوةً حين ردّ عليّ مُلْكي، فآخذ الرّشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ، فأُطيع الناس فيه. قلت: وكان ذلك أوّل ما خُبِرَ من صَلابته في دينه، وعَدْله في حكمه.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزّبير، عن عائشة قالت: لما مات النجاشي، كان يُتحدّث أنه لا يزال يُرى على قَبره نورٌ[1].

إسلام النجاشي والصلاة عليه

قال ابن إسحٰق: وحدّثني جَعْفر بن محمد، عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة، فقالوا للنجاشيّ: إنك قد فارقتَ دينَنا، وخرجوا عليه قال: فأرسل إلى جعفر وأصحابه،

من فقه حديث الهجرة إلى الحبشة:

فصل: ومما في حديث الهجرة إلى الحبشة من الفقه أن جَعْفَر بن أبي طالب قال لرسول الله - ﷺ -: كيف نصلّي في السفينة إذا ركبنا في البحر؟ فقال ﷺ: «صلِّ قائمًا إلا أن تخاف الغرق»[2] خرّجه الدَّارَقُطْنِي، ولكن في إسناده مقال، وفي مُسْند ابن أبي شيبة: وصلّى أنسٌ في السفينة جالسًا. وذكر البخاري عن الحسن: يصلّي قائمًا إلا أنْ يَضُرَّ بأهلها.

حول كتاب النجاشي والصلاة عليه

فصل: وذكر الكتاب الذي كتبه النجاشي، وجعله بين صدره وقَبَائِه، وقال للقوم: أشهد أن عيسى لم يزد على هذا، وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكْذِب كذبًا صُرَاحًا، ولا أن يعطي بلسانه الكفر، وإن أُكْره ما أمكنه الحيلة، وفي الْمَعَاريض مَنْدُوحَةٌ عن الكذب[3]، وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام: «ليس بالكاذب مَن أصلح بين اثنين، فقال خيرًا»[4]. روته أُم كلثوم بنت عُقْبة. قالوا: معناه أن يُعَرِّضَ، ولا

---

(١) تقدم تخريجه والتعليق عليه.

(٢) «ضعيف الإسناد» الدارقطني (١/ ٢٩٤) بتحقيقي والحاكم (١/ ٢٧٥) والبيهقي (٣/ ١٥٥) وابن الجوزي في العلل (١/ ٤١٥).

(٣) أخرجه البيهقي في الآداب (٣٩٢) بتحقيقي. والبيهقي (١٠/ ١٩٩) وابن عدي (٣/ ٩٦٣). ومندوحة: أي سعة.

(٤) «صحيح». أخرجه البخاري (٣/ ٢٤٠) ومسلم في البرّ والصلة (١٠١) بنحوه والبيهقي في الآداب (١٣١) وأبو داود (٤٩٢٠) وكلاهما بتحقيقي.

فَهَيَّأ لهم سُفنًا، وقال: اركبوا فيها، وكُونوا كما أنتم، فإن هُزمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتُم، وإن ظفرتُ فاثبتُوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبدُه ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قَبَائه عند الْمَنْكِب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصَفُّوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألستُ أحقَّ الناس بكم؟ قالوا: بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبدٌ، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابنُ الله، فقال النجاشيّ، ووضع يده على صدره على قَبَائه: هو يشهد أن عيسى ابنَ مريم لم يَزِد على هذا شيئًا،

يُفْصِحَ بالكذب، مثل أن يقول: سمعته يستغفر لك، ويدعو لك، وهو يعني أنه سمعه يستغفر للمسلمين، ويدعو لهم؛ لأن الآخر من جملة المسلمين، ويحتال في التعريض ما استطاع، ولا يختلق الكذبَ اختلاقًا، وكذلك في خُدْعَةِ الحرب يُوَرِّي، ويَكْنِي، ولا يختلق الكذب يستحله بما جاء من إباحة الكذب في خُدَع الحرب، هذا كله ما وجد إلى الكناية سبيلاً.

وذكر أن رسول الله ـ ﷺ ـ صلّى على النجاشي، واستغفر له[1]، وكان موتُ النجاشي في رجب من سنة تسع، ونعاه رسول الله ﷺ إلى الناس في اليوم الذي مات فيه، وصلّى عليه بالبقيع، رُفع إليه سَريرُه بأرض الحبشة حتى رآه، وهو بالمدينة فصلّى عليه، وتكلم المنافقون، فقالوا: أيصلّي على هذا العِلْج؟! فأنزل الله تعالى:

﴿وإنَّ مِنْ أهل الكتابِ لمَنْ يُؤمِنُ بالله وما أُنْزِل إليكم وما أُنزل إليهم﴾[2] [آل عمران: ١٩٩]. ومن رواية يونس عن ابن إسحٰق أن أبا نيزر مولى علي بن أبي طالب، كان ابنًا للنجاشي نفسه، وأن عليًا وجده عند تاجر بمكة، فاشتراه منه، وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين[3].

وذكر أن الحبشة مَرِجَ عليها أمرها بعد النجاشي، وأنهم أرسلوا وفدًا منهم إلى أبي نَيْزَر، وهو مع علي ليملكوه ويتوّجوه، ولم يختلفوا عليه فأبى وقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله عليّ بالإسلام، قال: وكان أبو نَيزَر من أطول الناس قامة،

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٣/ ١٤٧) ومسلم وغيرهما.
(٢) لا صحة لقصة رفع سرير النجاشي وسبب نزول الآية.
(٣) انظر الإصابة (٣/ ١٣٣).

وإنما يعني ما كَتَب، فرضوا وانصرفوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما مات النجاشيُّ صلّى عليه واستغفر له.

وأحسنهم وجهًا، قال: ولم يكن لونه كألوان الحبشة، ولٰكن إذا رأيته قلت: هذا رجل من العرب.

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]

قال ابن إسحٰق: ولما قَدِمَ عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة على قُرَيش، ولم يُدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله - ﷺ - وردّهما النجاشيُّ بما يكرهونه، وأسلم عمرُ بن الخطّاب - وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره - امتنع به أصحابُ رسول الله ﷺ، وبحَمْزة حتى عازُّوا قُرَيشًا، وكان عبدُ الله بن مسعود يقول: ما كنّا نقدر على أن نصلّي عند الكعبة، حتى أسلم عمر بن الخطّاب، فلما أسلم قاتل قريشًا، حتى صلّى عند الكعبة، وصلّينا معه، وكان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

قال البكائي: قال: حدّثني مِسْعَرُ بن كِدَام، عن سَعْد بن إبراهيم، قال: قال عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحًا، وإن هجرته كانت نصرًا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنّا ما نصلّي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم، قاتل قريشًا حتى صلّى عند الكعبة، وصلّينا معه.

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عَيَّاش بن أبي

إسلام عمر وحديث خباب

فصل: في حديث إسلام عمر. ذكره إلى آخره، وليس فيه إشكال، وكان إسلام عمر والمسلمون إذْ ذاك بضعة وأربعون رجلاً، وإحدى عشرة امرأة.

---

(١) انظر أسد الغابة (٤/ ١٤٥) الاستيعاب (٣/ ١٤٤) صفة الصفوة (١/ ٢٦٨) الطبقات الكبرى (٩/ ١٤١) حلية الأولياء (١/ ٣٨) الكاشف (٢/ ٣٠٩) الإصابة (٤/ ٢٧٩) غاية النهاية (١/ ١٩١) المنتظم (٢/ ٣٨٤) الطبري (١/ ٥٤٩).

ربيعة، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أمه أُم عبد الله بنت أبي حَثْمة، قالت:

والله إنَّا لنترحَّلُ إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامرٌ في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطَّاب، حتى وقف عليَّ، وهو على شركه ـ قالت: وكنَّا نلقى منه البلاءَ أذًى لنا، وشدة علينا ـ قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أُمَّ عبد الله. قالت: فقلت: نعم والله، لنخرجنّ في أرض الله، آذيتمونا وقَهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجًا. قالت: فقال: صَحِبكم الله، ورأيت له رِقَّة، لم أكن أراها، ثمَّ انصرف وقد أحْزَنه ـ فيما أرى ـ خُروجنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقالت له: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمرَ آنفًا ورقَّته وحُزنه علينا! قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم، قال: فلا يُسلم الذي رأيتِ، حتى يُسلم حمار الخطَّاب؛ قالت: يأسًا منه، لِما كان يُرى مِنْ غِلْظته وقَسْوته عن الإسلام.

قال ابن إسحٰق: وكان إسلامُ عمرَ فيما بلغني أن أُختَه فاطمةَ بنت الخطّاب، وكانت عند سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلُها سعيدُ بن زيد، وهما مُستخفيان بإسلامهما من عُمر، وكان نُعيم بن عبد الله النحَّام من مكة، رجل من قومه، من بني عديّ بن كَعْب قد أسلم، وكان أيضًا يستخفي بإسلامه فَرَقًا من قومه، وكان خبَّاب بن الأرَتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطَّاب يُقرئها القرآن، فخرج عمرُ يومًا متوشِّحًا سيفَه يريد رسول الله ـ ﷺ ـ ورهطًا من أصحابه، قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيتَ عند الصَّفا، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ـ ﷺ ـ عمُّه حمزةُ بن عبد المطلب، وأبو بكر بن أبي قُحافة الصديق، وعليّ بن أبي طالب، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم، ممّن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكةِ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نُعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أُريد محمدًا هذا الصابىء، الذي فرّق أمرَ قُريش، وسفَّه أحلامَها، وعاب دِينها، وسبّ آلهتها، فأقتلُه، فقال له نُعيم: والله لقد غرّتك نفسُك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تارِكيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرَهم؟ قال: وأيّ أهلِ بيتي؟ قال: خَتَنُك وابن عمِّك سعيد بن زيد بن عمرو، وأُختك: فاطمةُ بنت الخطَّاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمدًا على دينه، فعليك بهما، قال: فرجع عمرُ عامدًا إلى أُخته وختنه، وعندهما خبَّاب بن الأرت معه صحيفةٌ، فيها: «طٰه» يقرئهما إيَّاها، فلما سمعوا حِسَّ عمر تغيَّب خبَّاب في مُخدع لهم ـ أو في بعض البيت ـ

وفيه: أن خَبَّابًا وهو ابن الأرَتّ كان يقرىء فاطمة بنت الخطاب القرآن، وخَبَّاب تميمي

وأخذت فاطمةُ بنت الخطّاب الصحيفةَ، فجعلتها تحت فخذها، وقد سَمع عمرُ حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الْهَينمةُ التي سمعتُ. قالا له: ما سمعتَ شيئًا، قال: بلى والله لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفّه عن زوجها، فضربها فشجَّها، فلما فعل ذلك قالت له أُخته وختنُه: نعم قد أسلمنا، وآمنَّا بالله ورسوله، فاصنع ما بَدَا لك: فلما رأى عمر ما بأُخته من الدم نَدِم على ما صنع، فارْعَوَى، وقال لأُخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سَمِعتُكم تقرؤون آنفًا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبًا، فلما قال ذلك، قالت له أُخته: إنَّا نَخْشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردَّنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعتْ في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نَجس، على شِركك، وإنه لا يمسّها إلا الطاهر، فقام عمرُ، فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها: «طٰه» فقرأها، فلما قرأ منها صدرًا، قال: ما أحسن هذا الكلام

بالنسب، وهو خُزاعي بالولاء لأُم أنمار بنت سباع الخزاعي، وكان قد وقع عليه سِبَاء، فاشترته وأعتقته، فولاؤه لها، وكان أبوها لعوف بن عَبْد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، فهو زُهْرِي بالحِلْف، وهو ابن الأرتّ بن جَنْدَلة بن سَعْد بن خُزَيمة بن كعب بن سعد بن زَيْدِ مناة بن تميم، كان قَيْنًا يعمل السيوف في الجاهلية، وقد قيل: إن أُمَّه كانت أُمَّ سِبَاعِ الْخُزاعِيَّة، ولم يلحقه سِبَاء، ولكنه انتمى إلى حلفاء أُمه بني زهرة، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا يحيىٰ، وقيل أبا محمد مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعدما شهد مع عَلِيٍّ صِفِّين والنَّهْرَوَان، وقيل: بل مات سنة سَبْعٍ وثلاثين. ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقي في ذات الله، فكشف ظهره، فقال عمر: ما رأيت كاليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أُوقِدَت لي نار، فما أطفأها إلا شَحْمِي.

تطهير عمر ليمسّ القرآن:

فصل: وفيه ذكر تطهير عمر ليمسّ القرآن، وقول أُخته: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُون﴾ والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة، وهو قول مالك في الموطأ، واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس، ولكنهم وإن كانوا الملائكة، ففي وصفهم بالطهارة مقرونًا بذكر الْمَسِّ ما يقتضي ألاَّ يمسّه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير، ولكنه حكم مندوب إليه؛ وليس محمولاً على الفرض، وكذلك ما كتب به رسول الله - ﷺ - لعَمْرو بن حزم: «وألاَّ يَمَسَّ القرآنَ إلا طاهرٌ»[1] ليس على الفرض، وإن كان الفرض فيه

---

(١) «مرسل». أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٣٧) وأبو داود في مراسيله (١٣٧).

وأكرَمَه! فلما سمع ذلك خبَّاب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدَعْوة نبيِّه، فإني سَمِعته أمس، وهو يقول: اللَّهمَّ أيِّد الإسلام بأبي الحَكَم بن هشام، أو بعُمر بن الخطَّاب[1]، فالله الله يا عمر: فقال له عند ذلك عمر: فدلَّني يا خَبَّابُ على محمد حتى آتيه، فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصَّفا، معه فيه نَفَر من أصحابه، فأخذ عمرُ سيفه فتوشَّحه، ثم عمد إلى رسول الله - ﷺ - وأصحابه، فضرب عليهم البابَ، فلما سمعوا صوته، قام رجلٌ من أصحاب رسول الله - ﷺ - فنظر من خلَل الباب، فرآه متوشِّحًا السيفَ، فرجع إلى رسول الله - ﷺ -

---

أبين منه في الآية؛ لأنه جاء بلفظ النهي عن مسّه على غير طهارة، ولكن في كتابه إلى هرقل بهذه الآية: ﴿يَاأَهْلَ الكتاب تعالوا إلى كلمة﴾ [آل عمران: ٦٤] دليل على ما قلناه، وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة ممن سلف، منهم الْحكمُ بن عُتَيْبَة وحماد بن أبي سُليمان إلى إباحة مسِّ المصحف على غير طهارة، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل، وقالوا: حديث عَمْرو بن حزم مُرْسَلٌ، فلم يروْه حجة، والدارَقُطنِي قد أسنده من طرق حِسان، أفواهًا: رواية أبي داود الطَّيَالِسي عن الزُّهري عن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم، عن أبيه عن جدّه، ومما يقوّي أن الْمُطَهَّرين في الآية هم الملائكة، أنه لم يقل: المتطهرون، وإنما قال الْمُطَهَّرون، وفرقُ ما بين المتطهِّر والمطهَّر: أن المتطهِّر مَنْ فعل الطُّهور[2]، وأدخل نفسه فيه كالْمُتَفَقه مَن يدخل نفسه في الفقه، وكذلك الْمُتَفَعِّل في أكثر الكلام، وأنشد سيبويه:

وقَـيْـسُ عَـيْـلان ومَـن تَـقَـيَّـسـا

فالآدميون مُتَطهِّرون إذا تطهروا، والملائكة مُطهَّرُون خِلْقَةً، والآدميات إذا تطهرن: مُتَطَهِّراتٌ، وفي التنزيل: ﴿فإذا تَطَهَّرن فأتوهن مِنْ حيث أمركم الله﴾ [البقرة: ٢٢٢] والحور العين مُطَهَّرات، وفي التنزيل: ﴿لهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرة﴾ [النساء: ٥٧] وهذا فرقٌ بَيِّن وقوة لتأويل مالك رحمه الله، والقول عندي في الرسول عليه السلام أنه مُتَطهِّر ومُطَهَّر، أما متطهِّر؛ فلأنه بشر آدمي يغتسل من الجنابة، ويتوضأ من الحَدَث، وأما مطهَّر؛ فلأنه قد غُسل باطنُه، وشُقَّ عن قلبِه، ومُلىء حكمة وإيمانًا فهو مُطَهَّر ومُتَطهِّر، واضمم هذا الفصل إلى ما تقدم في ذكر مولده من هذا المعنى، فإنه تكملة والحمد لله.

---

(١) «حسن». أخرجه الترمذي وأحمد (١/٤٥٦) والطبراني (١١/٢٥٥) وابن سعد (٣/١/١٩٢) والحاكم ٣/٨٣) وابن ماجه (١٠٥).

(٢) الطُهور: أي التطهّر، والطَهور: هو الماء.

وهو فَزِع، فقال: يا رسول الله، هذا عمرُ بنُ الخطّاب مُتَوَشِّحًا السيف، فقال حمزةُ بن عبد المطّلب: فَأْذن له، فإن كان جاء يريد خَيْرًا بَذَلْناه له، وإن كان جاء يريد شرًّا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ائذَن له»، فأذِنَ له الرجل، ونهض إليه رسولُ الله ـ ﷺ ـ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حُجْزته، أو بمجمع ردائه، ثم جبَذَه به جبذةً شديدةً، وقال: «ما جاء بك يا بن الخطّاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهِي حتى يُنزل الله بك قارعةً»، فقال عمرُ: يا رسول الله، جِئتك لأُومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله، قال: فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرةً عَرَف أهلُ البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم.

فتفرّق أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ من مكانهم، وقد عزُّوا في أنفسهم حين أسلم عُمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيَمْنعان رسول الله ـ ﷺ ـ ويَنْتصفون بهما من عدوّهم. فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطّاب حين أسلم.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نجيح المكّي، عن أصحابه: عُطاء، ومجاهد، أو عمَّن رُوِيَ ذلك: أن إسلام عمر فيما تحدّثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مُباعدًا، وكنت صاحبَ خَمْر في الجاهليّة، أحبُّها وأُسَرّ بها، وكان لنا مجلسٌ

وفي تطهّر عمر قبل أن يُظْهر الإسلام قوةٌ لقول ابن القاسم: إن الكافر إذا تطهّر قبل أن يُظهِر إسلامه، ويشهد الشهادتين أنه مُجْزِىءٌ له، وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثيرٌ من الفقهاء، وكذلك في خبر إسلام سعد بن مُعاذٍ على يدي مُصْعَب بن عُمَيْر، وقد سأله: كيف يصنع مَن يريد الدخول في هذا الدين، فقال: يتطهر، ثم يشهد بشهادة الحق، ففعل ذلك هو وأُسَيْد بن حُضيْر، وحديث إسلام عمر، وإن كان من أحاديث السِّيَرِ، فقد خرَّجه الدارقُطْني في سُننه، غير أنه خرَّج أيضًا من طريق أنس أن أُخت عمر قالت له: إنك رِجسٌ، ولا يَمَسُّه إلا المطَهَّرُون، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ، ثم أخذ الصحيفة وفيها سورة طٰه[1]، ففي هذه الرواية أنه كان وضوءًا، ولم يكن اغتسالاً، وفي رواية يونس: أن عمر حين قرأ في الصحيفة سورة طٰه انتهى منها إلى قوله: ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بما تَسْعى﴾ [طٰه: ١٥] فقال: ما أطْيَبَ هذا الكلام وأحْسَنَه، وذكر هذا الحديث بطوله، وفيه أن الصحيفة كان فيها مع سورة طٰه: ﴿إذا الشمسُ كُوِّرَتْ﴾ وأن عمر انتهى في قراءتها إلى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أحْضَرَتْ﴾.

---

(١) «ضعيف الإسناد». أخرجه الدارقطني (١/ ١٢٣) بتحقيقي. وفيه القاسم بن عثمان ـ تفرّد به. قال البخاري: له أحاديث لا يُتابع عليها.

يجتمع فيه رجال من قُرَيش بالحَزْوَرة، عند دُور آل عمر بن عَبْد بن عِمْران المخزومي، قال: فخرجت ليلةً أُريد جُلسائي أولئك في مَجْلسهم ذلك، قال: فجئتهم فلم أجدْ فيه منهم أحدًا. قال: فقلت: لو أني جئت فلانًا الخمَّار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعلِّي أجدُ عنده خمرًا فأشرب منها. قال: فخرجتُ فجِئْته فلم أجده. قال: فقلت: فلو أني جئتُ الكعبةَ، فطُفْت بها سبعًا أو سبعين. قال: فجئتُ المسجد أُريد أن أطوفَ بالكعبة، فإذا رسولُ الله - ﷺ - قائمٌ يصلي، وكان إذا صلّى استقبل الشامَ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مُصلاه بين الرُّكْنين: الركن الأسود، والركن اليماني. قال: فقلت حين رأيتُه: والله لو أني استمعت لمحمدٍ الليلةَ حتى أسمعَ ما يقول! قال: فقلت: لئن دنوتُ منه أستمع منه لأرْوِ عنه، فجِئت من قِبَل الحِجْرِ، فدخلت تحت ثيابها، فجعلتُ أمشي رُوَيدًا، ورسولُ الله - ﷺ - قائمٌ يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قِبلته مستقبله، ما بيني وبينه إلا ثيابُ الكعبة. قال: فلما سمعتُ القرآن رقّ له قلبي، فبكيت ودخلني الإسلامُ،

زيادة في إسلام عمر:

فصل: وذكر ابن سُنْجُر زيادة في إسلام عمر، قال: حدّثنا أبو المغيرة قال: نا صفوان بن عمرو، قال: حدّثني شُرَيْحُ بن عبيد، قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله - ﷺ - قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقّةِ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال: قلت: هذا والله شاعر، كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إنَّه لقَوْلُ رسولٍ كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تُؤْمِنُون﴾ قال: قُلْتُ: كاهنٌ عَلم ما في نفسي، فقال: ﴿ولاَ بِقَول كاهنٍ قليلاً ما تَذَكَّرُون﴾ إلى آخر السورة قال: فوقع الإسلامُ في قلبي كل موقع، وقال عمر حين أسلم:

الحمدُ لله ذي الْمَنِّ الذي وَجَبَتْ	له علينا أيادٍ ما لها غِيَر
وقد بدأنا فكذَّبْنا، فقال لنا	صدقَ الحديث نبيٌّ عنده الخبر
وقد ظلمتُ ابنةَ الخطابِ ثم هدى	ربي عَشِيَّة قالوا: قد صَبَا عُمر
وقد نَدِمْتُ على ما كان من زَلَلٍ	بظلمها حين تُتْلى عندها السُّور
لما دعت ربَّها ذا العرش جاهدة	والدمعُ من عينها عَجْلاَن يَبْتَدِرُ
أيقنتُ أن الذي تدعوه خالقُها	فكاد تسبقني من عِبْرَة دِرَرُ
فقلت: أشهد أن الله خالقُنا	وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبيُّ صِدْقٍ أتى بالحق مِنْ ثقةٍ	وافى الأمانةِ ما في عُوده خَوَرُ

فلم أزل قائمًا في مكاني ذلك، حتى قضى رسول الله - ﷺ - صلاتَه، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسَين، وكانت طريقه، حتى يَجْزَع الْمَسْعى، ثُم يَسْلُك بين دار عبَّاس بن المطَّلب، وبين دار ابن أزْهر بن عبد عَوْف الزُّهري، ثم على دار الأخْنس بن شَريق، حتى يدخل بيتَه، وكان مسكنُه - ﷺ - في الدار الرَّقْطاء، التي كانت بيدَي مُعاويةَ بن أبي سفيان. قال عمر رضي الله عنه: فتبعتُه حتى إذا دخل بين دار عبَّاس، ودار ابن أزهر، أدركتُه، فلما سمع رسول الله - ﷺ - حسِّي عَرَفني، فظن رسول الله - ﷺ - أني إنما تَبِعْته لأُوذيه، فَنَهمني، ثم قال: «ما جاء بك يا بن الخَطَّاب هذه الساعةَ»؟ قال: قلت: جئت لأُومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله، قال: فحَمِدَ الله رسول الله - ﷺ - ثم قال: «قدَ هَداك الله يا عمر»، ثم مَسح صَدْري، ودعا لي بالثَّبات، ثم انصرفتُ عن رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ بيتَه.

قال ابن إسحٰق: والله أعلم أيّ ذلك كان.

رواه يونس عن ابن إسحٰق. وذكر البَزَّارُ في إسلام عمر أنه قال: فلما أخذت الصحيفة، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، فجعلت أفكر: مِن أي شيء اشتق، ثم قرأت فيها: ﴿سَبَّح لِلَّه ما في السمٰوات والأرض [وهو العزيز الحكيم]﴾ أول الحديد. وجعلت أقرأ وأُفكر حتى بلغت: ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ [الحديد: ٧]. فقلت: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله[1].

من تفسير حديث إسلام عمر:

فصل: وفي حديث إسلام عمر: قال: ما هذه الهَيْنَمَة، والْهَيْنَمةُ: كلام لا يفهم، واسم الفاعل منهُ مُهَيْنِم، كأنه تصغير، وليس بتصغير، ومثله الْمُبَيْطر، والْمُهَيْمِن، والْمُبَيْقِر بالقاف، وهو المهاجر من بلد إلى بلد، والْمُسَيْطِر، ولو صغَّرت واحدًا من هذه الأسماء لحذفت الياء الزائدة، كما تحذف الألف من مفاعل، وتلحق ياء التصغير في موضعها، فيعود اللفظ إلى ما كان، فيقال في تصغير مُهَيْنم ومُبيْطِر: مُهَيْنِمٌ ومُبَيْطِرٌ، فإن قيل: فَهَلاً قلتم: إنه لا يُصَغَّر؛ إذ لا يُعْقَل تصغيرٌ على لفظ التكبير، وإلا فما الفرْق؟ فالجواب أنه قد يظهر الفرق بينهما في مواضع، منها: الجمع، فإنك تجمع مُبَيْطرًا: مَباطر بحذف الياء، وإذا كان مُصَغَّرًا لا يجمع إلا بالواو والنون، فتقول: مُبَيطِرُون، وذلك أن التصغير لا يكسر؛ لأن تكسيره يؤدّي إلى حذف الياء في الخماسي؛ لأنها زائدة كالألف، فيذهب معنى التصغير، وأما الثلاثي المصغَّر

---

(١) أخرجه البزار (١/ ١٣) (٣/ ٤٥).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن ابن عمر، قال: لما أسلم أبي عمرُ، قال: أي قريش أنقَلُ للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجُمَحِي. قال: فغدا عليه، قال عبد الله بن عُمر: فعدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلامٌ أعقِل كلَّ ما رأيتُ، حتى جاءه، فقال له: أعلمتَ يا جميلُ أني قد أسلمت: ودخلت في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه واتَّبعه عمر، واتبعتُ أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صَرَخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول باب

فيؤدّي تكسيره إلى تحريك ياءِ التصغير أو همزها، وذلك أن يقال في فُلَيْس فلائس، فيذهب أيضًا معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التي هي دالّة عليه، ولو بَنَيْت اسم فاعل من: بيأس لقلت فيه مُبَيْئس، ولو سهلت الهمزة حركت الْياء فقلت فيه: مُبَيِّس، وتقول في تصغيره إذا صغرته: مُبَيِّس بالإدغام، كما تقول [في] أبوس: أبيس، ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت، كما تنقلها في اسم الفاعل من بَيأس ونحْوه، إذا سهلت الهمزة، وهذه مسألة من التصغير بديعة يقوم على تصحيحها البرهان.

حول النهيم وهكذا:

فصل: وفي حديث إسلام عمر: فَنَهَمَه رسول الله - ﷺ - أي: زجره، والنَّهِيمُ؛ زَجْر الأسد، والنَّهامِيُّ: الحدَّاد والنُّهام: طائر، وفيه قول العاصي بن وائل قال: هكذا [خلوا] عن الرجل، وهي كلمة معناها: الأمر بالتنحّي، فليس يعمل فيها ما قبلها، كما يعمل إذا قلت: اجلس هكذا، أي: على هذه الحال، وإن كان لا بدّ من عامل فيها إذا جعلتها للأمر، لأنها كافُ التشبيه دخلت على ذا، وها: تَنْبيهٌ، فيقدر العامل إذًا مُضمَرًا، كأنك قلت: ارجعوا هكذا، وتأخروا هكذا، واستُغني بقولك: هكذا عن الفعل، كما استغنى برُوَيْدًا عن ارفق.

جميل بن معمر:

فصل: وذكر قول عمر لجميل بن مَعْمَر الْجُمَحي: إني قد أسلمت، وبايعت محمدًا، فصرخ جميل بأعلى صوته: ألا إن عمر قد صبأ. جميل هذا هو الذي كان يقال له: ذو القلبين[1]، وفيه نزلت في أحد الأقوال: ﴿ما جَعَل الله لرَجُل من قلبين في جوفه﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وفيه قيل:

وكيف ثَوَائي بالمدينة بعدما ... قَضَى وَطَرًا منها جميلُ بن مَعْمَر

---

(١) قيل: لحفظه، وقيل لعقله ونباهته.

الكعبة، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ، قال: يقول عمرُ من خلفه: كَذَب، ولكني قد أسلمتُ، وشهدتُ أن لا إلـٰه إلا الله، وأن محمدًا عبدُه ورسوله. وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويُقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطَلَح، فقَعد وقامُوا على رأسه، وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كُنَّا ثلثمائة رجل لتركناها لكم، أو لتركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخٌ من قريش، عليه حُلَّة حِبَرَة، وقميصٌ مُوشًّى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صَبَأَ عمر، فقال: فمَهْ، رجلٌ اختار لنفسه أمرًا، فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يُسلمون لكم صاحبهم هكذا؟! خلُّوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كُشِط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجلُ الذي زجر القومَ عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يُقاتلونك؟ فقال: ذلك، أي بُني، العاصُ بن وائل السهمي.

قال ابن هشام: حدّثني بعضُ أهل العلم، أنه قال: يا أبت، مَن الرجلُ الذي زَجر القومَ عنك يوم أسلمتَ، وهم يقاتلونك، جزاه الله خيرًا؟ قال: يا بني ذاك العاص بنُ وائل، لا جزاه الله خيرًا.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الرحمٰن بن الحارث عن بعض آل عُمر، أو بعض أهله، قال: قال عمر: لمّا أسلمتُ تلك الليلةَ، تذكَّرت أيَ أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتيه، فأخبره أني قد أسلمت، قال: قلت: أبو جهل ـ وكان عُمر لحَنْتَمَة بنت هشام بن المُغيرة ـ قال: فأقبلت حين أصبحتُ، حتى ضربتُ عليه بابَه. قال: فخرج إليَّ أبو جهل، فقال: مرحبًا وأهلاً يا بن أُختي، ما جاء بك؟ جئتُ لأُخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدقت بما جاء به، قال: فضرب البابَ في وجهي، وقال: قبَّحك الله، وقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ.

وهو البيت الذي تغنَّى به عبد الرحمن بن عوف في منزله، واستأذن عمر فسمعه، وهو يتغنَّى، وينشد بالركبانية، وهو غِناء يُحدى به الرِّكَابُ، فلما دخل عمرُ قال له عبد الرحمن: إنّا إذا خلونا، قلنا ما يقول الناس في بيوتهم، وقلب المبرد هذا الحديث، وجعل المنشد عُمَر، والمستأذنَ عبدَ الرحمن، ورواه الزبير[1] كما تقدم، وهو أعلم بهذا الشأن.

---

(١) انظر نسب قريش (ص ٤٤٨).

خبر الصحيفة[1]

قال ابن إسحٰق: فلما رأت قُريشٌ أنّ أصحاب رسولِ الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أمنًا وقرارًا، وأن النجاشيّ قد منع مَنْ لجأ إليه منهم، وأنّ عمر قد أسْلم، فكان هو وحَمْزة بن عبد المطّلب مع رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه، وجعل الإسلامُ يَفْشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني المطّلب، على أن لا يُنْكِحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صَحيفة، ثم تعاهدوا وتَواثقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفةَ في جَوْف الكعبة توكيدًا على أنفسهم، وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عِكرمة بن عامر بن هاشم بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار بن قُصَيّ ـ قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث ـ فدعا عليه رسولُ الله ﷺ، فَشَلّ بعضُ أصابعه.

قال ابن إسحٰق: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم: أبو لَهَب عبد العُزّى بن عبد المطّلب، إلى قريش، فظاهرهم.

موقف أبي لهب من رسول الله ﷺ:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني حُسين بن عبد الله: أنّ أبا لهب لقي هِنْد بنت عُتْبة بن

حديث الصحيفة التي كتبتها قريش

ذكر فيه قول أبي لهبٍ ليديه: تَبًّا لكما، لا أرى فيكما شيئًا مما يقول محمد، فأنزل الله

---

(١) انظر البداية (٣/٩٣) طبقات ابن سعد (١/ ٢١٠) تاريخ الطبري (٢/ ٣٤١) الكامل (١/ ٦٠٤) المنتظم (٣/٣).

رَبيعة، حين فارق قومَه، وظاهر عليهم قريشًا، فقال: يا بنت عتبة؛ هل نصرتِ اللات والعُزّى، وفارقتِ مَن فارقهما وظاهر عليهما؟ قالت: نعم: فجزاك الله خيرًا يا أبا عُتْبة.

قال ابن إسحٰق: وحُدِّثت أنه كان يقول في بعض ما يقول: يَعدني محمدٌ أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنةٌ بعد الموت، فماذا وضع في يديّ بعد ذلك، ثم ينفخ في يَدَيْه ويقول: تَبًّا لكما، ما أرى فيكما شيئًا مما يقول محمد، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

قال ابن هشام: تبّت: خسرت. والتباب: الخسران. قال حَبيب بن خُدْرة الخارجي: أحدُ بني هِلال بن عامر بن صَعْصعة:

يا طيب إنّا في مَعْشرٍ ذهبتْ ... مَسْعاتُهم في التَّبارِ والتَّببِ

وهذا البيت في قصيدة له.

تعالى: ﴿تبّت يدا أبي لهب وتب﴾، هذا الذي ذكره ابن إسحٰق يشبه أن يكون سببًا لذكر الله سبحانه يديه، حيث يقول: ﴿تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ﴾ وأما قوله: وتَبَّ، فتفسيره ما جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس، قال: لما أنزل الله تعالى: ﴿وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أتى الصفا، فصعد عليه، فهتف: «يَا صَبَاحَاهْ»، فلما اجتمعوا إليه، قال: «أرأيْتُمْ لو أخبرتُكم أن خَيْلاً تخرج من سَفْح هذا الجبل، أَكُنتُمْ مُصَدِّقيَّ»؟ قالوا: ما جَرَّبنا عليك كذبًا. قال: «فإنّي نذيرٌ لكم بين يَدَيْ عَذَابٍ شديد. فقال أبو لهب: تَبًّا لك ألهذا جمعتنا؟! فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ﴾، وقد تَبَّ[1]. هكذا قرأ مجاهد والأعمش، وهي ـ والله أعلم ـ قراءة مأخوذةٌ عن ابن مسعود، لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظًا كثيرة تُعين على التفسير قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس، ما احتجت أنْ أسأله عن كثير مما سألته، وكذلك زيادة قد في هذه الآية، فَسَّرت أنه خبر من الله تعالى، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء، كما قال تعالى: ﴿قاتلهم الله أنّى يُؤْفَكُون﴾ [التوبة: ٣٠]، أي: إنهم أهلٌ أن يقال لهم هذا، فتبّت يدا أبي لهب، ليس من باب: قاتلهم اللّهُ، ولكنه خَبَر مَحْضٌ بأن قد خسر أهله وماله، واليدان: آلة الكسبِ، وأهلُه ومالُه مما كسب فقوله: ﴿تبّت يدا أبي لَهَبٍ﴾، تفسيره قوله: ﴿ما أغنى عنه مالُه وما كَسَبَ﴾ وولَدُ الرجل من كَسْبه، كما جاء في الحديث، أي خسرت يداه هذا الذي كسبت، وقوله: وتبَّ، تفسيره. ﴿سَيَصْلى نارًا ذات لهبٍ﴾ أي: قد خَسِر

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٢١) ومسلم وأحمد (١/ ٣٠٧) والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٨١) والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٣٢٦).

شعر أبي طالب

قال ابن إسحٰق: فلما اجتمعت على ذلك قُريش، وصنعوا فيه الذي صنعوا، قال أبو طالب:

ألا أبلغا عنّي على ذاتِ بَيْننا لُؤَيًّا وخُصًّا من لُؤَيٍّ بني كَعْبِ
ألم تَعْلَمُوا أنّا وَجَدنا محمدًا نبيًّا كموسى خُطّ في أوّل الكُتْبِ

نفسه بدخوله النار، وقولُ أبي لهب: تبًّا لكما، ما أرى فيكما شيئًا، يعني: يديه: سببٌ لنزول تبَّت يدا كما تقدم.

وقوله في الحديث الآخر: تبًّا لك يا محمد، سببٌ لنُزُول قوله سبحانه: ﴿وتبْ﴾ فالكلمتان في التنزيل مبنيتان على السببين، والآيتان بعدهما تفسير للتبيِّن. تَبَابِ يديه، وتبابِه هو في نفسه، والتَّبَبُ على وزن التَّلَف لأنه في معناه، والتَّبَابُ كالهلاك والْخَسَارِ وَزْنًا ومعنى، ولذلك قيل فيه: تَبَبٌ وتبَابٌ.

من تفسير شعر أبي طالب

فصل: ذكر شعر أبي طالب:

ألا أبلغا عني على ذاتِ بيننا

قال قاسم بن ثابت: ذات بيننا، وذات يده، وما كان نحوه: صفةٌ لمحذوفٍ مؤنث، كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم كما قال الله سبحانه: ﴿وأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُم﴾ [الأنفال: ١] فكذلك إذا قلت: ذات يده. يريد أمواله، أوْ مكْتَسباته، كما قال عليه السلام: «أرْعاه على زَوْج في ذات يده»[١]، وكذلك إذا قلت: لقيته ذاتَ يوم، أي: لقاءةً أو مرَّةً ذات يوم، فما حُذف الموصوف، وبقيت الصفةُ صارت كالحال لا تتمكن، ولا تُرفع في باب ما لم يُسَمَّ فاعلُه، كما ترفع الظروف الْمُتمكِّنة، وإنما هو كقولك: سير عليه شديدًا وطويلاً، وقول الخَثْعَمِي ـ واسمه: أنس بن مالك [مدرك]: عزمت على إقامة ذات صباح، ليس هو عندي من هذا الباب، وإن كان سيبويه قد جعلها لغة لخثعم، ولكنه على معنى إقامة يوم، وكل يوم هو ذو صباح، كما تقول، ما كلمني ذو شَفَة، أي: متكلم، وما مررت بذي نفس،

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٧/٧) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٠٠/٢٠٢) وأحمد (٢/ ٢٧٥/ ٤٤٩) والبيهقي (٧/ ٢٩٣) والحميدي (١٠٤٧) وعبد الرزاق (٢٠٦٠٣) والبيهقي في الآداب (٢١) بتحقيقي. وانظر الفتح (٩/ ٥١١).

فلا يكون من باب: ذَاتَ مَرَّة الذي لا يتمكن في الكلام، وقد وجدت في حديث قَيْلَة بنت مَخْرَمة، وهو حديث طويل وقع في مسند ابن أبي شَيْبَة: أن أُختها قالت لبعلها: إن أُختي تريد المسير مع زوجها حُرَيْثٍ بن حَسَّان ذا صباح بين سَمْع الأرض وبصرها، فهذا يكون من باب: ذات مرة، وذات يوم، غير أنه ورد مذكَّرًا؛ لأنه تشتغل تاء التأنيث مع الصَّاد، وتوالي الحركات، فحذفوها، فقالوا: لقيته ذا صباح، وهذا لا يتمكن كما لا يتمكن: ذات يوم وذات حين، ولا يضاف إليه مصدر، ولا غيره. وقول الْخَثْعَمِيّ: عزمت على إقامة ذي صباح قد أضاف إليه، فكيف يضيف إليه، ثم ينصبه، أو كيف يضارع الحال مع إضافة المصدر إليه؟ فكذلك خفضه، وأخرجه عن نظائره، إلا أن يكون سيبويه سمع خثعم يقولون: سرت في ذات يوم، أو سِيرَ عليه ذاتُ يوم برفع التاء، فحينئذ يسوغ له أن يقول: لغة خثعم، وأما البيت الذي تقدم فالشاهد له فيه، وما أظن خَثْعَمَ، ولا أحدًا من العرب يُجيز التمكن في نحو هذا، وإخراجه عن النصب، والله أعلم.

لا التي للتبرئة:

فصل: وفيــه:

ولا خـيـر مـمّـن خـصّـه الله بـالـحـب

وهو مشكل جدًا لأن لا في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا مُنَوَّنًا تقول: لا خَيْرًا من زيد في الدار، ولا شرًا من فلان، وإنما تَنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بما بعده، كقوله تعالى: ﴿لا تَثْرِيب عليكم اليوم﴾ [يوسف: ٩٢]. لأن عليكم ليس من صلة التثريب، لأنه في موضع الخبر، وأشبه ما يقال في بيت أبي طالب أن خيرًا مخفف، من خيِّرٍ كَهَيْن وَمَيْت [من هَيِّن ومَيِّتٍ] وفي التنزيل: ﴿خَيْراتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] هو مخفف من خَيِّرات.

عود إلى شرح شعر أبي طالب:

وقوله: مِمَّن. من، متعلقة بمحذوف، كأنه قال: لا خَيْر أخير مِمَّن خَصَّه الله، وخَيْر وأخْيَرُ: لفظان من جنس واحدٍ، فحُسنَ الحذفُ استثقالاً لتكرار اللفظ، كما حَسُن: ﴿ولكن الْبِرَّ مَنْ آمن بالله﴾ [البقرة: ١٧٧]. و﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] لما في تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان، وأغرب من هذا قول الله تعالى: ﴿ولو يُعَجِّلُ اللَّهُ للناسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالُهمْ بالْخَيْرِ﴾ [يونس: ١١] أي: لو عجله لهم إذا اسْتعْجَلوا به اسْتِعْجَالاً مثل استعجالهم بالْخَيْر، فحسن هذا الكلامُ لما في الكلام من ثقل التكرار، وإذا حذفوا حرفًا واحدًا لهذه العلة كقولهم: بَلْحَرث بنون فلان، وظَلْتَ وأحشت فأحرى أن يحذفوا كلمة من

وأن الـذي ألـصـقـتـمُ مـن كِـتـابـكـم لَكُـم كـائـن نـحـسًـا كَـراغـيـة الـسَّـقْـبِ
أفِيقوا أفِيقوا، قبل أن يُحفَر الثَّرَى ويُصبح مَنْ لم يَجْنِ ذنبًا كذي الذنْب
ولا تَـتْـبـعـوا أمـرَ الـوُشـاة، وتَـقْـطَـعـوا أواصِـرَنـا بـعـد الـمـوَدَّة والـقُـرْبِ
وتَـسْـتـجـلـبـوا حَـرْبًـا عَـوَانًـا، وربـمـا أمـرّ عـلـى مَـن ذاقـه جَـلـبُ الـحَـرْبِ
فلسنا ـ وربّ البيت ـ نُسلمُ أحمدًا لِـعَـزَّاءَ مـن عـضّ الـزّمـان ولا كَـرْب
ولـمَّـا تَـبِـنْ مـنَّـا، ومـنـكـم سَـوالـف وأيـدٍ أُتـرّت بـالـقُـسـاسـيَّـة الـشُّـهْـب
بـمـعْـتَـرك ضَـيْـق تـرى كِـسَـر الـقَـنـا به والنسورَ الطُّخم، يَعْكُفن كالشَّرْبِ

حروف، فهذا أصل مُطَّرِدٌ، ويجوز فيه وجه آخر، وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة؛ لأن خَيْرًا من زيد إنما معناه: أخير من زيد، وكذلك: شَرٌّ من فلان، إنما أصله: أشَرُّ على وزن أفعَل، وحذفت الهمزة تخفيفًا، وأفعل لا ينصرف، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونُوِّن، فإذا توهمتها غير ساقطةٍ التفاتًا إلى أصل الكلمة، لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما يقوّيه من ضرورة الشعر.

وقوله: بالقُسَاسِيَّة الشُّهب، يعني: السيوف، نسبها إلى قُسَاس، وهو معدن حديد لبني أسد، وقيل اسم للجبل الذي فيه المعدن: قال الراجز يصف فأسًا:

أحـضـر مـن مـعـدنِ ذِي قُـسـاس[1] كـأنـه فـي الْـحَـيْـدِ ذي الأضـراس
يُـرمـى بـه فـي الـبـلـد الـدَّهَـاس

وقال أبو عبيد في القُساسِيَّة: لا أدري إلى أيّ شيء نُسِبَ، والذي ذكرناه قاله الْمُبَرِّدِ، وقوله: ذي قُساس كما حكى، ذو زيد، أي: صاحب هذا الاسم، وفي أقيال حِمْير: ذو كَلاَعٍ، وذو عَمْرو، أُضيف المسمَّى إلى اسمه، كما قالوا: زيد بَطَّة، أضافوه إلى لقبه.

وذكر فيه النسور الطخمة، قيل: هي السود الرؤوس، قاله صاحب العين، وقال أيضًا: الطُّخمةُ سواد في مقدم الأنف.

وقوله: كراغية السَّقْبِ يريد ولد الناقة التي عقرها قُدار، فرغا ولدُها، فصاح برُغائه كُلُّ شيء له صوت، فهلكت ثمود عند ذلك، فضربت العرب ذلك مثلاً في كل هَلَكة. كما قال علقمة [بن عَبَدَة]:

رغا فوقهم سَقْبُ السماء فداحِضٌ بِـشـكَّـتِـهِ لـم يُـسْـتَـلَـبْ وسـلـيـبُ

---

(١) قساس: اسم بلد تنسب إليه السيوف القاسية، وقيل اسم جبل لبني نمير.

كأنَّ مُجال الخيل في حَجَراته	ومَغمَعة الأبطال مَعركة الحَرْب
أليس أبونا هاشمٌ شَدَّ أزرَه	وأوصى بَنيه بالطِّعان وبالضَّرْب
ولسْنا نَمَلّ الحربَ، حتى تَمَلَّنا	ولا نَشْتكي ما قد يَنوب من النَّكْبِ
ولكنَّنا أهلُ الحَفائظ والنُّهى	إذا طار أرواحُ الكُماة من الرَّعْب

فأقاموا على ذلك سَنَتين أو ثلاثًا، حتى جُهِدوا لا يصل إليهم شيءٌ، إلاّ سرًّا مستخفيًا به مَنْ أراد صِلَتهم من قريش.

من جهالة أبي جهل:

وقد كان أبو جهل بن هشام ـ فيما يذكرون ـ لقِي حَكيم بن حِزام بن خُويلد بن أسَد، معه غلام يَحمل قمحًا يُريد به عمته خَديجة بنت خُويلد، وهي عند رسول الله ـ ﷺ ـ ومعه في الشِّعب، فتعلَّق به، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم!؟ والله لا تبرح أنت وطعامُك، حتى أفضحك بمكة. فجاءه أبو البَخْتري بن هاشم بن الحارث بن أسَد [بن عبد العزى]، فقال: ما لك وله؟ فقال: يحمل الطعامَ إلى بني هاشم، فقال أبو البَخْتَرِيّ: طعامٌ كان لعمَّته عنده بعثت إليه [فيه]، أفتمنعه أن يأتيها بطَعامها؟! خلّ سبيلَ الرجل، فأبى أبو جهل، حتى نال أحدُهما من صاحبه، فأخذ أبو البَخْترِيِّ لَحْيَ بَعيرٍ، فضربه به فشجَّه، ووطئه وطْأً شديدًا، وحمزةُ بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسولَ الله ـ ﷺ ـ وأصحابه، فيشمتوا بهم، ورسول الله ـ ﷺ ـ على ذلك يدعو قومَه ليلاً ونهارًا وسرًّا وجهارًا، مناديًا بأمْر الله لا يتَّقي فيه أحدًا من النّاس.

ما لقي رسول الله ﷺ من قومه:

فجعلت قريش حين منعه الله منها، وقام عمُّه وقومُه من بني هاشم وبني المطلب دونه، وحالوا بينهم، وبين ما أرادوا من البَطْش به، يَهْمِزونه، ويَسْتَهْزِئون به، ويخاصمونه، وجعل القرآن ينزل في قُريش بأحداثهم، وفيمن نصب لعداوته منهم، ومنهم مَن سُمِّيَ لنا.

وقال آخر:

لَعَمْرِي لقد لاقت سُلَيْمٌ وعامر	على جانب الثَّرْثَار[1] راغيةَ الْبِكْر

(١) الثرثار: وادٍ بالجزيرة.

أبو لهب وامرأته

ومنهم مَن نزل فيه القرآن في عامَّة مَنْ ذكر الله من الكفَّار، فكان ممّن سُمّي لنا من قُريش ممّن نزل فيه القرآن: عمّه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أُمّ جَميل بنت حَرْب بن أُميَّة، حمّالة الحطب، وإنما سمّاها الله تعالى حمّالة الحطب؛ لأنها كانت - فيما بلغني - تَحمل الشوك، فتطرحه على طريق رسول الله - ﷺ - حيث يمرّ، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿تَبَّتْ يَدا أبي لَهَبٍ وَتَبَّ ما أغْنَى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ سَيَصْلَى نارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامرَأتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ في جِيدها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[1].

قال ابن هشام: الجِيد: العنق. قال أعشى بَني قَيس بن ثعلبة:

يـومَ تُـبـدي لـنـا قَـتـيـلـة عَـنْ جِيـ ـدِ أسِـيـلِ تَـزيـنُـه الأطـواقُ

وهذا البيت في قصيدة له. وجمعه: أجياد. والمسد: شجرٌ يدِقّ كما يَدِقّ الكَتَّان، فتفتل منه حبال. قال النابغة الذبياني - واسمه: زياد بن عَمْرو بن معاوية:

مقذوفةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُهَا له صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْو بالمَسَدِ

وهذا البيت في قصيدة له، وواحدته: مَسَدَة.

ذكر أُم جميل والمسد وعذابها

فصل: وذكر أُم جميل بنت حرب عمّة معاوية، وذكر أنها كانت تحمل الشوك، وتطرحه في طريق رسول الله - ﷺ - فأنزل الله فيها: ﴿وامرأته حَمَّالة الْحَطب﴾ قال المؤلف: فلما كَنَّى عن ذلك الشوك بالحطب، والحطبُ لا يكون إلا في حبل، مِنْ ثَمَّ جعل الحبل في عنقها، ليقابل الجزاء الفعل.

وقوله: من مَسَد، هو من مَسَدْت الحبل إذا أحكمتَ فَتْله، إلا أنه قال: من مَسَدٍ، ولم يقل: حبلٌ مَسَدٌ ولا مَمْسُود لمعنى لطيف، ذكره بعض أهل التفسير، قال: المسد يُعَبَّر به في العُرْف عن حبل الدَّلو، وقد رُوِيَ أنه يُصنع بها في النَّار ما يُصنع بالدَّلو، تُرْفع بالمسد في عنقها إلى شَفِير جهنم، ثم يُرمى بها إلى قعرها هكذا أبدًا، وقولهم: إن المسد هو حبل الدلو في العُرْف صحيحٌ فإنّا لم نجده في كلام العرب إلا كذلك، كقول [النابغة] الذُّبْيَاني:

له صَرِيفٌ صريفَ الْقَعْو بالمَسَد

---

(١) سورة المسد.

....

وقال الآخر وهو يستقي على إبله:

يـا مَـسَـد الـخُـوصِ تَـعَـوَّذْ مِـنّـي إنْ تَـكُ لَـدْنًـا لَـيِّـنًـا فـإنّـي

مـا شـئـت مـن أشْـمَـطَ مُـقْـسَـئِـنِّ[1]

وقال آخر:

يـا رَبَّ عَـبْـسٍ لا تُـبَـارِكْ فـي أحَـدْ في قـائـم مـنـهـم، ولا فـيـمـن قَـعَـد

غـيـر الأُولـى شَـدُّوا بـأطـرافِ الْـمَـسَـدْ

أي: استقوا، وقال آخر[2]، وهو يستقي:

وَمَـسَـدٍ أُمِـرَّ مـن أيَـانِـقِ لـيـس بـأنـيـابٍ[3] ولاَ حَـقـائِـقِ[4]

يريد: جمع أيْنُق، وأينُق: جمع ناقة مقلوب، وأصله: أنوق، فقلب، وأُبدلت الواو ياء؛ لأنها قد أُبدلت ياء للكسرة، إذا قالوا: نياق، وقلبوه فرارًا من اجتماع همزتين لو قالوا: أنوق على الأصل، يريد أن المسد من جلودها. وفي الحديث أن رسول الله - ﷺ - قال في المدينة: «قد حرّمتها إلا لعُصْفُور قَتَبٍ، أو مَسَد مَحَالةٌ، والْمَحَالةَ: الْبَكَرَةُ. وفي حديث آخر: أنه حرّمها بريدًا في بريد إلا الْمِنْجَدَة أو مسد، والْمِنْجَدَةُ: عصا الراعي. وقال أبو حنيفة في النبات: كلُّ مَسَدٍ رِشاء، وأنشد:

وَبَـكْـرَةً وَمِـحْـوَرًا صَـرَّارَا وَمَـسَـدًا مـن أبَـقٍ مُـغَـارا

وَالأبَقُ: الْقِنَّبُ، وَالزِّبْرُ: الكَتَّانُ، وأنشد أيضًا:

أنـزِعُـهـا تـمـطـيًـا وَمـتًّـا بـالـمَـسَـد الْـمَـثْـلُـوث أو يَـزِمِـتـا

فقد بانَ لك بهذا أن الْمَسَد حبل البئر، وقد جاء في صفة جهنم - أعاذنا الله منها - أنها كَطَيِّ البئر لها قَرْنان، والْقَرْنَانِ من البئر: كالدِّعامَتَيْن لِلْبَكَرَةِ، فقد بانَ لك بهذا كله، ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابه وأليم عقابه، وبهذا تناسب الكلام، وكثرت معانيه، وتنزّه عن أن يكون فيه حَشْوٌ أو لغو - تعالى الله منزله؛ فإنه كتاب عزيز.

---

(١) أي الشيخ الكبير.
(٢) هو: عمارة بن طارق. وقيل البيت لعقبة الهجيمي.
(٣) أنياب: جمع ناب. وهي الناقة الكبيرة السنّ.
(٤) حقائق: جمع حقة. وهي الناقة في السنة الرابعة.

....

وقول مجاهد: إنها السِّلسِلة التي ذَرعها سبعون ذراعًا لا ينفي ما تقدم، إذ يجوز أن يَرْبِقَ في تلك السلسلة أُمَّ جميلٍ وغيرها، فقد قال أبو الدرداء لامرأته: يا أُمَّ الدرداء إن لِلَّهِ سلسلة تغلي بها مراجلُ جهنم منذ خلق الله النار إلى يوم القيامة، وقد نجّاك من نصفها بالإيمان بالله، فاجتهدي في النجاة من النصف الآخر بالحضّ على طعام المسكين، وكذلك قول مجاهد: إنها كانت تمشي بالنمائم لا ينفي حملها للشوك، وهو في كلام العرب سائغ أيضًا، فقد قال ابن الأسلت لقريش حين اختلفوا:

ونُبِّئْتُكم شَرْجَيْنِ[1] كل قبيلة لها زُمَّل من بينِ مُذْك وحاطب

فالْمُذكي الذي يذكي نار العداوة، والحاطب الذي يَنِمُّ ويغري كالمحتطب للنار، ومن هذا المعنى، وكأنه مُنْتَزَع منه قول النبي - ﷺ -: «لا يدخل الجنة قَتَّاتٌ»[2] والقتّات هو الذي يجمع القَتَّ، وهو ما يوقد به النار من حشيش وحطب صغار.

عن الجيد والعنق:

وقوله: في جِيدها، ولم يقل: في عنقها، والمعروف أن يُذكر العنق إذا ذُكر الغُل، أو الصَّفع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ [يس: ٨] ويذكر الجيد إذا ذُكر الحُلِيُّ أو الحسن، فإنما حَسُن هٰهنا ذكر الجيد في حُكم البلاغة؛ لأنها امرأة، والنساء تحلّي أجيادهنّ، وأم جميل لا حُلِيَّ لها في الآخرة إلا الحبل المجعول في عنقها، فلما أُقيم لها ذلك مقام الحليّ ذكر الجيد معه، فتأمله؛ فإنه معنى لطيف، ألا ترى إلى قول الأعشى:

يَوْمَ تُبدي لنا قُتَيْلَةُ عن جِيد

ولم يقل: عن عنق، وقول الآخر:

وأحسنُ من عقد المليحة جيدُها

ولم يقل: عنقها، ولو قاله لكان غَثًّا من الكلام، فإنما يحسن ذكر الجيد حيث قلنا،

---

(١) الشرج: الضرب.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٨/٢١) ومسلم في الإيمان (١٦٩) وأبو داود (٤٨٧١) بتحقيقي. والترمذي (٢٠٢٦) والنسائي (٨/٣١٨) وابن خزيمة في التوحيد (٣٥٨) والبيهقي في الآداب (١٣٧) بتحقيقي.

....

وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بعذابٍ أليم﴾ [آل عمران: ٢١] أي لا بُشرى لهم إلا ذلك، وقول الشاعر [عَمرو بن مَعْدي كَرِبَ]:

[وخَيْلٍ قد دَلَفْتُ لها بِخَيْلٍ] تَحِيَّةُ بينهم كَرْبٌ وجيعُ

أي: لا تحية لهم. كذلك قوله: في جيدها حبل من مسد، أي: ليس ثَمَّ جيد يُحَلّى، إنما هو حبل المسد، وانظر كيف قال: وامرأتُهُ، ولم يقل: وزوجه؛ لأنها ليست بزوج له في الآخرة، ولأن التزويج حِلية شَرْعية، وهو من أمر الدين يجرّدها من هذه الصفة، كما جرّد منها امرأة نوح وامرأة لوط، فلم يقل: زوج نوح، وقد قال لآدم: ﴿اسْكُنْ أنتَ وزوجُك﴾ [البقرة: ٣٥] وقال لنبيه عليه السلام: ﴿قل لأزواجك﴾، وقال: ﴿وأزواجه أُمهاتهم﴾، إلا أن يكون مساق الكلام في ذكر الولادة والحمل، ونحو ذلك، فيكون حينئذ لفظ المرأة لائقًا بذلك الموطن، كقوله تعالى: ﴿وكانت امرأتي عاقرًا﴾ [مريم: ٥ ـ ٨] ﴿فأقبلت امرأته في صَرَّة﴾ [الذاريات: ٢٩] لأن الصفة التي هي الأُنوثة هي المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كان زوجًا[1].

غلوّ في الوصف بالحُسْن:

فصل: وأنشد شاهدًا على الجيد قول الأعشى:

يَوْمَ تُبْدِي لنا قُتَيْلَةُ عن جِيدِ أسيلٍ تَزينُه الأطواقُ

وقوله: تزينه أي: تزيده حُسْنًا، وهذا من القصد في الكلام، وقد أبى الْمُولَّدُون إلا الغلوّ في هذا المعنى، وأن يغلبوه فقال في الحماسة حسين بن مُطَير [الأسَدِي]:

مُبَتَّلَةُ الأطراف زانت عقودَها بأحْسَنَ مِمَّا زَينتها عقودُها

وقال خالد الْقَسْرِي لعمر بن عبد العزيز: مَن تكن الخلافةُ زينته، فأنت زينتها، ومَن تكن شرَّفَته، فأنت شرَّفتَها، وأنت كما قال [مالِكُ ابن أسْمَاء]:

وتزيدين أطيب الطِّيبِ طِيبًا إن تَمَسِّيه، أين مثلك أينا

وإذا الدُّرُّ زان حُسنَ وجوهٍ كان لِلدُّرِّ حُسْنُ وجهك زَيْنا!

(١) وانظر مزيد إيضاح: «جلاء الأفهام» ص (١٥٠) للعلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى. وكما فرّق القرآن بين الزوجة والمرأة فرّق بين الأب والوالد، والغيث والمطر، والحركة والميد، والخوف والخشية، والريح والرياح، والسماء والسمٰوات، والدعاء والنداء ....الخ.

فقال عمر: إن صاحبكم أعطى مَقُولاً، ولم يُعْط مَعْقُولاً، قال المؤلف: وإنما لَم يحْسُن هذا من خالد لما قصد به التملّق. وإلا فقد صدر مثل هذا المعنى عن الصِّدِّيق، فحُسن لما عَضَده من التحقيق والتحرّي للحق، والبعد عن الملق والخلابة، وذلك حين عهد إلى عُمَرَ بالخلافة، ودفع إليه عهده مختومًا، وهو لا يعرف ما فيه، فلما عرف ما فيه رجع إليه حزينًا كهيئة الثُّكلى: يقول: حملتني عِبْئًا ألا أضطلع به، وأوردتني موردًا لا أدري: كيف الصَّدَر عنه، فقال له الصديق: ما آثرتك بها، ولكني آثرتها بك، وما قصدت مَسَاءتك، ولكن رجوت إدخال السرور على المؤمنين بك، ومن هٰهنا أخذ الحُطيئة قوله:

ما آثروك بها إذ قَدَّموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بها الإثَرُ

وقد سَبَك هذا المعنى في النسيب عبدُ الله بن عباس الرومي، فقال:

وأحسنُ من عِقدِ المليحةِ جيدُها ... وأحسنُ من سِربالها الْمُتَجَرِّد

ومما هو دون الغلو، وفوق التقصير قول الرَّضِيِّ:

حَلْيُه جِيدُه، لا ما يُقَلِّدهُ ... وكُحْلُه ما بعينيه من الْكَحَلِ

ونحو منه ما أنشده الثعالبي:

وما الْحَليُ إلا حِيلةٌ من نَقِيصَةٍ ... يُتَمِّمُ من حُسْنٍ إذا الحسنُ قَصَّرا

فأما إذا كان الجمال موفرا ... فحسبُك لم يحتج إلى أن يُزَوَّرا

وسمعت القاضي أبا بكر محمد بن العربي يقول: حجّ أبو الفضل الجوهري الزاهد ذات مرة، فلما أشرف على الكعبة، ورأى ما عليها من الديباج تمثّل، وقال:

ما عُلِّقَ الْحَلْيُ على صدرها ... إلا لما يُخْشى من الْعَيْنِ

تقول والدُّرُّ على نَحْرِها ... مَنْ عَلَّقَ الشَّيْن على الزَّيْنِ

وبيت الأعشى المتقدم بعده:

وشَتِيتٍ كالأُقْحُوَانِ جَلاه ... الطَّلُّ فيه عُذوبَةٌ واتِّساقُ

وأثيثٍ جَثْل النباتِ تُرَوِّيـ ... ـه لَعُوبٌ غَريرَة مِفْتاقُ

حُرَّةٌ طَفْلَةُ الأنامِلِ كالدُّمْـ ... ـيةِ لا عَانِسٌ ولا مِهْزَاقُ

قال ابن إسحٰق: فذُكر لي: أنّ أُمّ جميل: حمَّالة الحطب، حين سمعت ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن، أتت رسولَ الله ﷺ، وهو جالس في المَسْجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصدّيق، وفي يدها فِهْر من حِجارة، فلما وقفتْ عليهما أخذَ الله ببصَرها عن رسولِ الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبُك، فقد بلَغني أنه يهجوني؟ والله لو وجدته لضربتُ بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مُـذَمَّـمـا عَـصَـيْـنـا وأمْـــرَه أبَـــيْـــنـــا
ودِيـــنـــه قَـــلَـــيْـــنـــا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تُراها رأتك؟ فقال: «ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني».

قال ابن هشام: قولها: «ودينه قلينا» عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: وكانت قريش إنما تسمِّي رسول الله ـ ﷺ ـ مُذَمَّمًا، ثم يسبُّونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: «ألا تعجبون لِما يصرف الله عني من أذى قريش، يسبُّون ويهجون مذمَّمًا، وأنا محمد»!.

الفهـر:

وذكر قول أُم جميل لأبي بكر: لو وجدت صاحبك لشدخْت رأسه بهذا الفِهر. المعروف في الفِهر: التأنيثُ، وتصغيره فُهَيرة، ووقع هٰهنا مذكّرًا.

حول قولهم: مذمم وحديث خباب:

وذكر قول النبي ﷺ: «ألا ترون إلى ما يدفع الله عني من أذى قريش، يشتمون ويهجونَ مَذَمَّما وأنا محمد»[1]؟! وأدخل النَّسَوِيُّ هذا الحديثَ في كتاب الطلاق في باب: «مَن طلّق بكلام لا يشبه الطلاق، فإنه غير لازم» وهو فقه حسن لقول النبي ـ ﷺ ـ: «ألا ترون إلى ما يدفع الله عني»، فجعل أذاهم مصروفًا عنه، لما سَبُّوا مُذممًا، ومُذَمَّمًا لا يشبه أن يكون اسمًا له، فكذلك إذا قال لها: كلي واشْرَبي، وأراد به الطلاقَ لم يلزمه، وكان مصروفًا عنه؛ لأن مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق.

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٤/ ٢٢٥) وأحمد (٢/ ٢٤٤) والبيهقي (٨/ ٢٥٢) والحميدي (١١٣٦).

إيذاء أمية بن خلف للرسول ﷺ:

وأُميَّة بن خلف بن وهب بن جُذافة بن جُمَح، كان إذا رأى رسول الله ﷺ هَمَزه ولَمَزه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ ومَا أَدْرَاكَ ما الحُطَمَةُ نارُ الله المُوقَدَةُ التي تَطَّلِعُ على الأَفْئِدَةِ إنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾.

قال ابن هشام: الهُمَزة: الذي يشتم الرجلَ عَلانية، ويَكْسِرُ عينيه عليه، ويَغْمز به. قال حَسَّان بن ثابت:

هَمَزْتُكَ فاخْتَضَعتُ لذلِّ نفسٍ   بقافيةٍ تَأَجَّجُ كالشُّواظِ

وهذا البيت في قصيدة له. وجمعه: همزات. واللُّمَزَة: الذي يَعيب الناسَ سرًّا ويُؤْذيهم. قال رؤبة بن العجاج:

في ظلِّ عَصْريْ باطلي ولَمْزِي

وهذا البيت في أُرجوزة له، وجمعه: لمزات.

إيذاء العاص للرسول ﷺ:

قال ابن إسحٰق: والعاص بن وائل السهميّ، كان خَبَّاب بن الأرتّ، صاحبُ رسولِ الله - ﷺ - قَيْنًا بمكة يعمل السيوفَ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفًا عملها له، حتى كان له عليه مال، فجاءه يتقاضاه، فقال له: يا خَبَّابُ أليس يزعمُ محمد صاحبُكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلُها من ذهب، أو فضة، أو ثياب، أو خدم؟! قال خبَّاب: بلى. قال: فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب، حتى أرجع إلى تلك الدار، فأقضيك هنالك حقَّك، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خبَّاب آثرَ عند الله مني، ولا أعظم حظًّا في ذلك، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿أَفَرأيتَ الَّذِي كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الغَيْبَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ ويَأْتِينا فَرْدًا﴾ [هي وما قبلها من سورة مريم: ٧٧ - ٨٠].

فصل: وذكر حديث خَبَّاب مع العاصي بن وائل، وما أَنْزَلَ اللَّهُ فيه من قوله: ﴿أَرَأَيْتَ الذي كَفَرَ بآياتنا﴾ وقد تقدم الكلامُ على: أرأيت، وأنه لا يجوز أن يليها الاستفهام، كما يلي: علمت ونحوها، وهي هٰهُنا: عاملة في الذي كفر، وقد قدّمنا من القول فيها ما يُغني عن إعادته هٰهنا، فلينظر في سورة: اقرأ، وحديث نزولها.

إيذاء أبي جهل لرسول الله ﷺ

ولقي أبو جهل بن هشام رسولَ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ فقال له: والله يا محمد، لتتركنّ سبَّ آلهتنا، أو لنَسُبنَّ إلـٰهك الذي تعبد. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بغَيرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] فذكر لي أنّ رسول الله ﷺ كفّ عن سبّ آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله.

إيذاء النضر لرسول الله ﷺ

والنضر بن الحارث بن علْقَمة بن كَلَدَة بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار بن قُصَيّ،

سدّ الذرائع

فصل: وذكر قول أبي جهل لتكفَّن عن سبّ آلهتنا أو لنَسُبَّن إلـٰهك، فأنزل الله تعالى ﴿ولاَ تَسُبُّوا الذينَ يَدْعون من دون الله فَيَسُبُّوا الله عَدْوًا بغير عِلْم﴾ [الأنعام: ١٠٨] الآية. وهذه الآية أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومراعاتها في البيوع وكثير من الأحكام، وذلك أن سبّ آلهتهم كان من الدين، فلما كان سببًا إلى سبّهم الباري ـ سبحانه ـ نهى عن سبّ آلهتهم، فكذلك ما يخاف منه الذريعةُ إلى الربا، ينبغي الزجر عنه، ومن الذرائع ما يقرب من الحرام، ومنها ما يبعد فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك، ولم يجعل الشافعي الذريعة إلى الحرام أصلاً، ولا كره شيئًا من البيوع التي تُتّقى فيها الذريعةُ إلى الربا، وقال: تهمة المسلم وسوء الظن به حرام، ومن حجتهم: قول عمر بن الخطاب: إنما الربا على مَن قصد الربا، وقول النبي عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرىءٍ ما نوى»[1] فيه أيضًا متعلق لهم، وقالوا: ونهيه تعالى عن سبّ آلهتهم، لئلا يُسَبّ الله تعالى ليس من هذا الباب؛ لأنه لا تهمة فيه لمؤمن ولا تضييق عليه، وكما تُتّقى الذريعةُ إلى تحليل ما حرّم الله، فكذلك ينبغي أن يُتقى تحريمُ ما أحلّ الله، فكِلا الطرفين ذميم، وأحلّ الله البيع وحرّم الربا، والربا معلوم، فما ليس من الربا فهو من البيع، والكلام في هذه المسألة للطائفتين، والاحتجاج للفريقين يتّسع مجالُه ويصدّنا عن مقصودنا من الكتاب[2].

عن النضر بن الحارث ورستم

فصل: حديث النضر بن الحارث، وقال في نسبه: كَلَدة بن علقمة وغيره من النُّسّاب

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (١/ ٢) ومسلم في الإمارة (١٥٥) وأبو داود (٢٢٠١) بتحقيقي والترمذي (١٦٤٧) وابن ماجة (٤٢٢٧) وغيرهم في غيرهم.

(٢) انظر «إقامة الدليل على إبطال التحليل» للعلاّمة شيخ الإسلام ابن تيمية.

كان إذا جلس رسولُ الله ﷺ مجلسًا، فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن، وحذّر قُريشًا ما أصاب الأُمَمَ الخاليةَ، خَلفه في مجلسه إذا قام، فحدّثهم عن رُسْتم السديد، وعن إسفنديار، وملوك فارس، ثم يقول: والله يا محمد بأحسنَ حديثًا مني، وما حديثه إلا أساطير الأوّلين، اكتتبها كما اكتتبتها. فأنزل الله فيه: ﴿وقالُوا أساطيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأصِيلاً قُلْ أنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ والأرْضِ إنه كانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥، ٦]. ونزل فيه: ﴿إذا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾. ونزل فيه: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أفَّاكٍ أثِيم يَسْمَعُ آياتِ الله تُتْلَى عَلَيْهِ ثم يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كأنْ لَمْ يَسْمَعْها كأنَّ فِي أُذُنَيهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ ألِيم﴾ [الجاثية: ٧، ٨].

قال ابن هشام: الأفاك: الكذّاب. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ألا إنَّهُمْ مِنْ إفْكِهِم لَيَقولونَ وَلَد الله وإنَّهُمْ لَكاذِبونَ﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢]. وقال رؤبة:

لامْـرِىءٍ أفَّـك قـولاً إفـكَـا

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحٰق: وجلس رسولُ الله ﷺ يومًا - فيما بلغني - مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث، حتى جلس معهم في المجلس، وفي المجلس غيرُ واحد من قريش، فتكلَّم رسولُ الله ﷺ. فعرض له النضر بن الحارث، فكلَّمه رسولُ الله - ﷺ - حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً ما وَرَدُوها وكُلٌّ فيها خالِدونَ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ١٠٠].

يقول: علقمة بن كلدة، وكذلك ألفيته في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر عن أبي الوليد، وحديث النضر: أنه تعلّم أخبار رستم وإسفندياز، وكان يقول: اكتتبتها كما اكتتبها محمد، ووقع في الأصل: اكتتبها كما اكتتبها محمد، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد: اكتتبتها كما اكتتبها، ورستم الشيد بالفارسية معناه: ذو الضياء، والياء في الشيد والألف سواء، ومنه «أرفخشاذ» وقد تقدم شرحه، ومنه «جم شاذ»، وهو من أول ملوك «الأرض» وهو الذي قتله الضحاكُ «بيوراسب»، ثم عاش إلى مدة «أفريذون وأبيه جم»، وبين «أفريذون» وبين «جم» تسعة آباء، وقال له حين قتله: ما قتلتك بجم، وما أنت له بكفء، ولكن قتلتك بثور كان في داره، وقد تقدّم طرف من أخبار رستم وإسفندياز في الجزء قبل هذا.

قال ابن هشام: حصب جهنم: كلّ ما أوقدت به. قال أبو ذُؤيب الهُذليّ واسمهُ: خُويلد بن خالد:

فأطْفِىء، ولا تُوقد، ولا تَكُ مُحْصِبًا ... لـنـارِ الـعُـداةِ أن تَـطـيـر شَـكـاتُـهـا

وهذا البيت في أبيات له. ويُروَى: ﴿وَلا تَكُ مِحْضَأً﴾. قال الشاعر:

حَضَأْتُ لـه نـاري فـأبـصَـرَ ضـوءَهـا ... ومـا كـان لـولا حَـضْـأَةُ الـنـار يَـهْـتـدي

ابن الزبعرى والأخنس وما قيل فيهما

قال ابن إسحٰق: ثم قام رسولُ الله ـ ﷺ ـ وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرى السَّهْمِيُّ حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزّبعري: والله ما قام النضرُ بن الحارث لابن عبد المطّلب آنفًا وما قعد، وقد زعم محمد أنَّا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعري: أما والله لو وجدته لخَصَمْته، فسلوا محمدًا: أكلّ ما يُعْبد من دون الله في جهنم مع مَنْ عبَده؟ فنحن نَعْبُد الملائكة، واليهودُ تعبد عُزَيرًا والنَّصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما السلام، فعجب الوليد، ومَن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى، ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم. فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ من قول ابن الزِّبْعري فقال رسول الله ﷺ: «كلّ مَن أحَبَّ أن يعبد من دون الله فهو مع مَنْ عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتْهُمْ بعبادته»، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى أولَئِكَ عَنها مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَهُمْ فيما اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]: أي عيسى ابن مريم، وعُزَيرًا، ومن عُبدُوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم مَن يعبدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون الله.

حديث ابن الزبعرى وعزير

وذكر حديث ابن الزِّبَعْرَى، وقوله: إنّا نعبد الملائكة، وأن النصارى تعبد المسيح إلى آخر كلامه، وما أنزل الله في ذلك من قوله تعالى: ﴿إن الذين سَبَقَتْ لهم مِنَّا الْحُسْنَى﴾ الآية قال المؤلف: ولو تأمل ابنُ الزِّبَعْرَى وغيرُهُ من كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين:

أحدهما: أنه خطاب متوجّه على الخصوص لقريش وعَبَدَة الأصنام، وقولُه إنّا نعبد الملائكةَ حَيْدةٌ، وإنما وقع الكلام والمُحَاجَّة في اللأت والْعُزَّى وهُبَل، وغير ذلك من أصنامهم.

ونزَّل فيما يذكرون، أنهم يعبدون الملائكة، وأنها بنات الله: ﴿وقالُوا اتَّخَذَ الرَّحمٰنُ وَلَدًا سُبْحانَهُ بَلْ عبادٌ مُكْرَمُون لا يَسْبِقُونَهُ بالقَوْلِ وَهُمْ بأَمْرِهِ يعْمَلُون﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧]. إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إني إلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى ابن مريم أنه يُعبد من دون الله، وعَجِبَ الوليد، ومَن حَضَره من حُجَّته وخصومته: ﴿ولَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]. أي: يصدّونَ عن أمرك بذلك من قولهم.

ثم ذكر عيسى ابنَ مريم فقال: ﴿إنْ هُوَ إلاَّ عَبْدٌ أنْعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إسْرائِيلَ وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ وَإنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بها

والثاني: أن لفظ التلاوة: ﴿إنكم وما تعبدون﴾ ولم يقل: وَمَنْ تعبدون، فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعُزيْر والملائكة وهم يعقلون، والأصنامُ لا تعقل، ومن ثَمَّ جاءت الآية بلفظ: ما الواقعة على ما لا يعقل، وإنما تقع ما على ما يعْقل[1]، وتُعلم بقرينة من التعظيم والإبهام، ولعلنا نشرحها ونبيّنها فيما بعد إن قُدِّر لنا ذلك، وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف، وأما عبادة اليهود عُزَيْرًا، وقولهم فيه: إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم، وسببه فيما ذكر عبد بن حميد الْكَشّي، أن التوراة لما احْتَرَقَتْ أيام بُخْتَ نَصَّر، وذهب بذهابها دين اليهود، فلما ثاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظم الكرب، فبينما عزير يبكي لفقد التوراة، إذ مرّ بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعْرَها، فقال لها عزير: مَن أنت؟ قالت: أنا إيليا أم القرى أبكي على ولدي، وأنت تبكي على كتابك، وقالت له: إذا كان غدًا، فأْتِ هذا المكان، فلما أن جاء من الغد للساعة التي وعدته، إذا هو بإنسان خارج من الأرض في يده كهيئة القارورة، فيها نور، فقال له: افتح فاكَ، فألقاها في جوفه، فكتب عُزَيْرٌ التوراةَ ـ كما أنزلها الله، ثم قدر على التوراة بعدما كانت دفنت أن ظهرت، فعرضت التوراةُ، وما كان عزيرُ كَتَب، فوجدوه سواء، فمنها قالوا: إنَّه ولدُ الله تعالى عن ذلك[2].

---

(١) إن «ما» تطلق على ما لا يعلم وعلى صفات مَن يعلم، قال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ وقال تعالى: ﴿والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح مَن زكّاها﴾. وقال تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ انظر الجزء السادس عشر من مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله تعالى وجزاه الله عنّا كل خير ـ في تفسير سورة «الكافرون». والكتاب القيم لتلميذه ابن القيم: «بدائع القواعد» (١/ ١٣٦) وسيتحدّث السهيلي بعد قليل من لفظة «ما» فانتظر.

(٢) قصة تقتصر إلى الدليل «الصحيح» الذي يعتضدها.

واتَّبِعُونِ هَذَا صِراطٌ مُستَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٥٩ ـ ٦١] أي: ما وَضَعْتُ على يديه من الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلاً على علم الساعة، يقول: ﴿فَلاَ تَمْتَرُنَّ بها وَاتَّبِعُونِ هَذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

والأخنسُ بن شَرِيق بن عَمْرو بن وَهْب الثقفي، حليف بني زُهرة، وكان من أشراف القوم، وممن يُستمع منه، فكان يُصيب من رسول الله ﷺ، ويردّ عليه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١].... إلى قوله تعالى: ﴿زَنيم﴾، ولم يقل: زَنيم لعيب في نسبه؛ لأن الله لا يَعيب أحدًا بنسب، ولكنه حقَّق بذلك نعتَه ليُعرف. والزنيم: العَديد للقوم، وقد قال الخَطِيم التميميّ في الجاهلية:

زَنيم تَداعاه الرّجالُ زِيادةً كما زِيد في عَرْض الأديم الأكارعُ

حصب جهنم:

وقوله حَصَبُ جهنم، هو من باب الْقَبْض والنَّفَض والْحَصْبُ بِسكون الصاد كالقبْضِ والنفْضِ، ومنه الحاصب في قوله سبحانه: ﴿أنْ يرسِل عليكم حاصِبًا﴾ ويُروى: حَضَب جهنم بضاد معجمة في شواذ القراءات، وهو من حضبت النار بمنزلة حَضأتها، يقال: أرَّثْتها وأثْقبتها وحَشَشْتها وأذْكيتها وفسّر ابن إسحٰق قوله: يصُدُّون، ومَن قرأ: يصِدُّون فمعناه: يعجبون.

ما نزل في الأخنس:

فصل: وذكر ما أنزل الله تعالى في الأخنس بن شَرِيق ـ واسمه: أبي من قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم﴾ وقد قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقد قيل: في الأسود بن عبد يغوث الزهري، وقال ابن عباس: نزلت في رجل من قريش له زَنمتَان كَزَنَمَتي الشاة. رواه البخاري بإسناده عنه[1]. وفي رواية أخرى أنه قال: الزنيم الذي زَنَمتَان من البشر يُعرَف بها، كما تُعرَف الشاة بزنمتها، ورُوِيَ عن ابن عباس أيضًا مثل ما قال ابن إسحٰق أن الزنيم الملصق بالقوم، وليس منهم، قال ذلك ابن الأزرق الحَرُوري، وقال: أما سمعت قول حَسَّان: زنيم تداعاه الرجال البيت، وقد أنشد ابنُ هشام هذا البيْت مستشهدًا به ونسبه لِلْخَطِيم التَّمِيمِيِّ، والأعرف أنه لحسان، كما قال ابن عباس[2]، وأما الْعُتلُّ فهو الغليظ الجافي من

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٣٥).

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٩/ ١٤/ ١٧/ ١٨) الدر المنثور (٦/ ٢٥١) فتح الباري (٨/ ٥٣٠).

ما قيل في الوليد بن المغيرة وأُبيّ بن خلف وعقبة بن أبي معيط:

والوليد بن المُغيرة، قال: أيُنَزَّل على محمد، وأُترك وأنا كبير قُريش وسيدها، ويُترَك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفي سيِّد ثقيف، ونحن عظيما القريتين؟! فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني: ﴿وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣٠]... إلى قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وأُبَيّ بن خَلف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح، وعُقْبة بن أبي مُعيط، وكانا مُتصافيين، حَسَنًا ما بينهما. فكان عُقْبة قد جلس إلى رسول الله - ﷺ - وسمع منه، فبلغ ذلك أُبيًا، فأتى عُقْبة، فقال: ألم يبْلُغني أنك جالست محمدًا، وسمعتَ منه! ثم قال: وَجْهي من وجهك حَرام أن أُكلِّمك - واستغلظ من اليمين - إن أنتَ جلستَ إليه، أو سمعتَ منه، أو لم تأته، فتَتْفل في وجهه. ففعل من ذلك عدوّ الله عُقْبة بن أبي مُعيط لعنه الله. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلاً﴾... إلى قوله تعالى: ﴿لِلإِنْسانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

ومشى أُبيّ بن خلف إلى رسول الله - ﷺ - بعَظم بالٍ قد ارفَتَّ، فقال: يا محمد، أنت تزعم أن يبعث هذا بعد ما أرِمَ، ثم فتَّه بيده، ثم نفخه في الريح نحوَ رسول الله - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ -: «نعم، أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يُدخلك الله النار». فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيها الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نارًا فإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٧٩، ٨٠].

ما قيل في حق الذين اعترضوا الرسول في الطواف

واعترض رسولَ الله ﷺ، وهو يطوف بالكعبة - فيما بلغني - الأسودُ بن

قوله تعالى: ﴿خُذُوه فاعْتِلُوه [إلى سَوَاءِ الْجَحِيم]﴾ [الدخان: ٤٧]. وقال عليه السلام: «أنا أُنبئكم بأهل النار: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظ مستكبر جَمَّاع منَّاع»(١).

﴿قل يا أيها الكافرون﴾

فصل: وذكر قولهم الذي أنزل الله فيه: ﴿قل يا أيُّها الكافرون﴾ إلى آخرها فقال: ﴿لا

---

(١) «صحيح». أخرجه ابن ماجة (٤١١٩) وأحمد (٤/ ٣٠٦) وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٢) وأصله في الصحيحين.

المطَّلب بن أسد بن عبد العزّى، والوليدُ بن المغيرة، وأُميَّة بن خلف، والعاصُ بن وائل السهميّ، وكانوا ذوي أسنان في قومهم، فقالوا: يا محمد، هَلُمّ فلنعبدْ ما تعبد، وتعبدُ ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد، كنَّا قد أخذنا

أعبد ما تعبدون﴾ أي: في الحال ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أي: في المستقبل، وكذلك: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ فإن قيل: كيف يقول لهم: ولا أنتم عابدون ما أعبد، وهم قد قالوا: هَلُمَّ فلنعبد ربك، وتعبد ربّنا، كيف نفي عنهم ما أرادوا وعزموا عليه؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه علم أنهم لا يفعلون، فأخبر بما علم. الثاني: أنهم لو عبدوه على الوجه الذي قالوه ما كانت عبادة، ولا يسمى عابدًا لله مَن عبده سنةً، وعبد غيره أخرى، فإن قيل: كيف قال: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ ولم يقل: مَن أعبد، وقد قال أهل العربية: إن ما تقع على ما لا يعقل، فكيف عبَّر بها عن الباري تعالى؟ فالجواب: أنَّا قد ذكرنا فيما قبل أن ما قد تقع على مَن يعقل بقرينة، فهذا أوان ذكرها، وتلك القرينة: الإبهام والمبالغة في التعظيم والتفخيم، وهي في معنى الإبهام لأن مَنْ جلَّت عظمته، حتى خرجت عن الحصر، وعجزت الأفهام عن كُنْه ذاته، وجب أن يقال فيه: هو ما هو كقول العَرب: سُبْحَان ما سبَّح الرعدُ بحمده، ومنه قوله: ﴿والسماء وما بناها﴾ فليس كونه عالمًا مما يوجب له من التعظيم ما يوجب له أنه بنى السمٰوات، ودحا الأرض، فكان المعنى: إن شيئًا بناها لَعَظيم، أو ما أعظمه من شيء! فلفظ ما في هذا الموضع يُؤذِن بالتعجب من عظمته كائنًا ما كان هذا الفاعل لهذا، فما أعظمه، وكذلك قوله تعالى في قصة آدم: ﴿ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُد لما خَلقْتُ بِيَديَّ﴾ ولم يقل: لمَن خلقت، وهو يَعْقِل، لأن السجودَ لم يجب له من حيث كان يعقل، ولا من حيث كان لا يعقل، ولكن من حيث أُمِروا بالسجود له، فكائنًا ما كان ذلك المخلوق، فقد وجب عليهم ما أُمِروا به، فمن هاهنا حَسُنت ما في هذا الموضع، لا من جهة التعظيم له، ولكن من جهة ما يقتضيه الأمر من السجود له، فكائنًا مَن كان، وأما قوله تعالى: ﴿لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُون﴾ فواقِعةٌ على ما لا يعقل؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام، وقوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ اقتضاها الإبهام، وتعظيم المعبود مع أن الحسّ منهم مانع لهم أن يعبدوا معبوده كائنًا ما كان، فحسنت ما في هذا الموضع لهذه الوجوه، فبهذه القرائن يحسن وقوع ما على أُولي العلم وبقيت نكتة بديعة يتعيّن التنبيه عليها، وهو قوله تعالى: ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتم﴾ بلفظ الماضي، ثم قال: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ بلفظ المضارع في الآيتين جميعًا، إذا أخبر عن نفسه قال: ما أعبد، ولم يقل: ما عبدت، والنكتة في ذلك أن ما لما فيها من الإبهام ـ وإن كانت خبرية ـ تعطي معنى الشرط، فكأنه قال: مهما عبدتم شيئًا، فإني لا أعبده، والشرط يحول المستقبل إلى لفظ الماضي، تقول: إذا قام زيد غدًا فعلت كذا،

بحظّنا منه، وإن كان ما نعبد خيرٌ مما تعبد، كنت قد أخذت بحظّك منه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَأَيُّها الكافِرُونَ لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّم وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]. أي: إن كنتم لا تعبدون إلا الله، إلا أن أعبد ما تعبدون، فلا حاجة لي بذلك منكم، لكم دينكم جميعًا، ولي ديني.

ما قيل في حق أبي جهل

وأبو جهل بن هشام ـ لما ذكر الله عزّ وجلّ شجرةَ الزَّقُّوم تخويفًا بها لهم، قال: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزَّقُّوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عجوة يثرب بالزُّبد، والله لئن استمكَنّا منها لَنَتَزَقَّمَنَّهَا تزقُّمًا. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿إنَّ

وإن خرج زيد غدًا خرجت، فما: فيها رائحة الشرط من أجل إبهامها؛ فلذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضي، ولا يدخل الشرط على فعل الحال، ولذلك قال في أول السورة: ما تعبدون؛ لأنه حال لأن رائحة الشرط معدومة فيها مع الحال، وكذلك رائحة الشرط معدومة في قوله: عابدون ما أعبد؛ لأنه ـ عليه السلام ـ يستحيل أن يتحوّل عن عبادة ربه؛ لأنه معصوم، فلم يستقم تقديره بمهما، كما استقام ذلك في حقهم؛ لأنهم في قبضة الشيطان يقودهم بأهوائهم؛ فجائز أن يعبدوا اليوم شيئًا، ويعبدوا غدًا غيره، ولكن مهما عبدوا شيئًا، فالرسول عليه السلام لا يعبده؛ فلذلك قال: ولا أنتم عابدون ما أعبد في الحال وفي المآل، لما علم من عصمة الله له، ولما علم الله من ثباته على توحيده، فلا مدخل لمعنى الشرط في حقه عليه السلام، وإذا لم يدخل الشرط في الكلام بقي الفعل المستقبل على لفظه، كما تراه، ونظير هذه المسألة قوله تعالى: ﴿كيف نُكَلِّم مَنْ كان في المهد صبيًّا﴾ اضطربوا في إعرابها وتقديرها لمّا كانت مَن بمعنى الذي، وجاء بكان على لفظ الماضي، وفهمها الزجاج، فأشار إلى أن مَنْ فيها طرفٌ من معنى الشرط؛ ولذلك جاءت كان بلفظ الماضي بعده، فصار معنى الكلام: مَن يكن صبيًّا، فكيف يكلّم؟! لمّا أشارت إلى الصبي: أنْ كلّموه، ولو قالوا: كيف نكلّم مَن هو في المهد الآن لكان الإنكار والتعجب مخصوصًا به، فلما قالوا: كيف نكلّم مَن كان، صار الكلام أبلغ في الاحتجاج للعموم الداخل فيه. إلى هذا الغرض أشار أبو إسحٰق، وهو الذي أرادَ، وإن لم يكن هذا لفظه، فليس المقصود العبارات، وإنما المقصود تصحيح المعاني المتلقّاة من الألفاظ والإشارات.

الـزقّـوم

فصل: وذكر حديث أبي جهل حين ذكر شجرة الزَّقُّوم يقال: إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش، وأن رجلاً أخبره أن أهل يثرب: يقولون تَزَقَّمت: إذا أكلت التمر بالزبد،

شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الأثِيمِ كالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ كَغَلْيِ الحَمِيمِ﴾ [الجاثية: ٤٤ ـ ٤٦]. أي: ليس كما يقول.

قال ابن هشام: المهل: كل شيء أذبته، من نحاس أو رصاص، أو ما أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة.

وبلغنا عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال: كان عبد الله بن مَسعود واليًا لعمرَ بن الخطاب على بيت مال الكوفة، وأنه أمر يومًا بفضة، فأُذيبت، فجعلت تلوَّنُ ألوانًا، فقال: هل بالباب من أحد؟ قالوا: نعم، قال: فأدخِلوهم، فأُدخِلوا فقال: إن أدنى ما أنتم راؤون شبهًا بالْمُهْل لهَذا، وقال الشاعر:

يَسْقيه ربي حميمَ المُهْل يَجْرعُه   يَشْوي الوجوهَ فَهُو في بَطْنه صَهْرُ

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي:

فمَن عاش منهم عاش عبدًا وإن يَمُتْ   ففي النار يُسْقَى مُهْلَها وصديدَها

وهذا البيت في قصيدة له.

ويقال: إن المهل: صديد الجسد.

بلغنا أن أبا بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ لما حُضِر، أمَر بثوبين لَبِيسين يُغْسلان، فيكفَّن فيهما، فقالت له عائشة: قد أغناك الله يا أبت عنهما، فاشترِ كفنًا، فقال: إنما هي ساعة حتى يَصير إلى المهل. قال الشاعر:

شاب بالماء منه مُهلاً كَريهًا   ثم علّ المنون بعد النِّهال

قال ابن إسحٰق: فأنزل الله تعالى فيه: ﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ ونُخَوّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

فجعل بجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء، وقيل: إن هذا الاسم أصلاً في لغة اليمن، وأن الزقوم عندهم كلّ ما يُتَقيّأ منه. وذكر أبو حنيفة في النبات: أن شجرة باليمن يقال لها: الزقوم، لا ورق لها وفروعها أشبه شيء برؤوس الحيّات، فهي كريهة المنظر، وفي تفسير ابن سلام والماوَرْدِيّ أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أعاذنا الله منها، وأن أهل النار ينحدرون إليها. قال ابن سلام: وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر.

وقوله: الملعونة في القرآن، أي: الملعون آكلها، وقيل: بل هو وصف لها كما يقال: يوم ملعون أي مشؤوم.

قصة ابن أم مكتوم

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ، ورسولُ الله ﷺ يكلّمه، وقد طمع في إسلامه، فبينا هو في ذلك، إذ مرّ به ابنُ أُمّ مكتوم الأعمى، فكلم رسولَ الله ﷺ، وجعل يَسْتقرئه القرآن، فشقَّ ذلك منه على رسولِ الله - ﷺ - حتىٰ أضْجره، وذلك أنه شغله عمّا كان فيه من أمر الوليد، وما طَمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسًا، وتركه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جاءهُ الأَعْمَى﴾... إلى قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ أي: إنما بعثتك بشيرًا ونذيرًا، لم أخصّ بك أحدًا دون أحد، فلا تمنعه مِمَّن ابتغاه، ولا تتصدّينّ به لمن لا يريده.

حديث ابن أم مكتوم

فصل: وذكر حديثَ ابن أُمّ مكْتوم، وذكر اسمه ونسبه. وأُم مكتوم: اسمها: عاتكةُ بنتُ عبد الله بن عَنْكَثَةَ بن عامر بن مَخزوم.

وذكر الرجل الذي كان شغل رسول الله ﷺ، وأنه الوليد بن المغيرة، وقد قيل: كان أُمية بن خلف، وفي حديث الموطأ: عظيم من عظماء المشركين، ولم يسمّه[1]، وفي قوله سبحانه: ﴿أنْ جاءَه الأعمى﴾ من الفقه أن لا غِيبَةَ في ذكر الإنسان بما ظهر في خلقته من عَمًى أو عَرَج، إلاّ أن يقصد به الازدراء، فيلحق المأثم به؛ لأنه من أفعال الجاهلين، قال الله تعالى: ﴿أتتخذُنا هُزُوًا قال أعوذ بالله أن أكُونَ من الجاهلين﴾ [البقرة: ٦٧]. وفي ذكره إياه بالعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب؛ لأنه قال: ﴿أنْ جاءه الأعْمَى﴾ فذكَر المجيء مع العمى، وذلك ينبيء عن تَجَشُّم كُلْفَةٍ ومَن تَجَشَّم القصد إليك على ضعفه، فحقّك الإقبال عليه، لا الإعراض عنه، فإذا كان النبي - ﷺ - مَعْتُوبًا على تولّيه عن الأعمى، فغيره أحقّ بالْعَتْبِ، مع أنه لم يكن آمن بعدُ، ألا تراه يقول: ﴿وما يُدْرِيك لعلّه يزّكّى﴾ الآية ولو كان قد صحّ إيمانه، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسولُ الله - ﷺ - ولو أعرض لكان الْعَتْبُ أشد، والله أعلم، وكذلك لم يكن ليخبر عنه، ويسمّيه بالاسم المشتق من العمى، دون الاسم المشتق من الإيمان والإسلام، لو كان دخل في الإيمان قبل ذلك والله أعلم، وإنما دخل فيه بعد نزول الآية، ويدلّ على ذلك قوله للنبي - ﷺ -: اسْتَدْنِنِي يا محمد ولم يقل: اسْتَدْنِنِي يا رسول الله، مع أن ظاهر الكلام يدل على أن الهاء في لعله يزكّى عائدة على الأعمى، لا على الكافر؛ لأنه لم يتقدم له

---

(١) أخرجه مالك (١/ ١٧٢).

قال ابن هشام: ابن أُمّ مكتوم، أحد بني عامر بن لؤيّ، واسمه: عبد الله، ويقال: عمرو.

ذكر بعد، ولعل تعطي التَّرَجِّيَ والانتظار، ولو كان إيمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حدّ الترجّي والانتظار للتَّزَكِّي، والله أعلم.

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحٰق: وبلغ أصحابَ رسول الله ﷺ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلامُ أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دَنَوْا من مكة، بلغهم أنّ ما كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مستخفيًا.

فكان ممَّن قَدِمَ عليه مكةَ منهم، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، فشهد معه بدرًا، ومَنْ حُبس عنه، حتى فاته بدرٌ وغيرُه، ومَن مات بمكة. منهم من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ: عثمانُ بن عفَّان بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شَمْس، معه امرأته: رُقَيَّة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ. وأبو حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، امرأته سَهْلة بنت سُهَيل.

ومن حلفائهم: عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب.

قصة الغرانيق[1] وإسلام مكة

وذكر ما بلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة، وكان باطلاً، وسببه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قرأ سورة النجم، فألقى الشيطانُ في أُمْنِيَّتِهِ، أي: في تلاوته عند ذِكْرِ اللاّت والعُزّى، وإنّهم لَهُمُ الْغَرَانِقَة العُلى، وإن شَفَاعَتَهُمْ لَتُرْتَجى، فطار ذلك بمكة، فسُرّ المشركون، وقالوا: قد ذكر آلهتنا بخير فسجَد رسولُ الله ـ ﷺ ـ في آخرها، وسجد المشركون والمسلمون، ثم أنزل الله تعالى: ﴿فينسَخ اللّٰهُ ما يُلقي الشيطان﴾ الآية، فمن هٰهنا

(١) الغرانيق: جمع غرنوق: الذكور من الطير. وقصة الغرانيق ضعيفة، بل هي موضوعة فيه عليها أهل العلم سلفًا وخلفًا وقد جمع العلاّمة الألباني حفظه الله وأمتع به الكثيرين كلامهم في كتاب دحض قصة الغرانيق، وفيه على ما فيها من غثّ وعفن.

ومن بني نَوْفل بن عبد مناف: عُتْبة بن غَزْوان، حليفٌ لهم، من قَيْس عيلان.

ومن بني أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ: الزُّبير بن العوّام بن خُويلد بن أسد.

ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف وسُوَيبط بن سعد بن حَرْملة.

ومن بني عَبْد بن قُصَيّ: طُلَيْبُ بن عُمَير بن وَهْب بن أبي كبير بن عَبْد.

ومن بني زُهْرة بن كِلاب: عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة، والمِقْدادُ بن عمرو، حليف لهم، وعبدُ الله بن مسعود، حليف لهم.

ومن بني مخزوم بن يَقَظة: أبو سَلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عَمرو بن مخزوم، معه امرأته: أمّ سَلَمة بنت أبي أُميَّة بن المُغيرة، وشمَّاس بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْمِيّ بن عامر بن مخزوم. وسَلَمة بن هشام بن المُغيرة، حبسه عمّه بمكة، فلم يقدم إلا بعد بدر وأُحُد والخندق، وعياش بن أبي ربيعَةَ بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة، ولحق به أخواه لأمه: أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام، فرجعا به إلى مكة، فحبساه بها حتى مضى بدرٌ وأُحُد والخندق.

ومن حلفائهم: عمَّار بن ياسر، يُشكّ فيه، أكان خرج إلى الحبشة أم لا؟ ومُعتِّب بن عَوْف بن عامر من خزاعة.

ومن بني جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عثمانُ بنُ مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح، وابنه: السائب بن عثمان، وقُدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون.

اتصل بهم في أرض الحبشة أن قريشًا قد أسلموا، ذكره موسى بن عقبة وابن إسحٰق من غير رواية الْبَكّائِي، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة، ومَن صحّحه قال فيه أقوالاً، منها: أن الشيطان قال ذلك وأشاعه. والرسول ـ عليه السلام ـ لم ينطق به، وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لمحمد: ما أتيتك بهذا، ومنها: أن النبيَّ ـ ﷺ ـ قالها من قبل نفسه، وعنى بها الملائكة: إن شفاعتهم لَتُرْتَجَى. ومنها: أن النبي ـ عليه السلام ـ قاله حاكيًا عن الْكَفَرة، وأنهم يقولون ذلك، فقالها متعجبًا من كفرهم، والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته، والله أعلم.

ومن بني سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب: خُنَيس بن حُذافة بن قَيس بن عديٍّ، وهشام بن العاص بن وائل، حُبس بمكة بعد هجرة رسولِ الله - ﷺ - إلى المدينة، حتى قَدِمَ بعدَ بَدْرٍ وأُحُد والخَندق.

ومن بني عَديّ بن كَعْب: عامر بن رَبيعة، حليف لهم، معه امرأتُه: ليلى بنت أبي حَثْمة بنُ حذافة بن غانم.

ومن بني عامر بن لؤيّ: عبدُ الله بن مَخْرمة بن عبد العُزَّى بن أبي قَيْس: وعبد الله بن سُهَيل بن عمرو، وكان حبس عن رسول الله - ﷺ - حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يوم بَدْر، فانحاز من المشركين إلى رسول الله ﷺ، فشهد معه بدرًا، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى، معه امرأته: أُم كلثوم بنت سُهَيل بن عمرو، والسكران بن عمرو بن عبد شَمْس، معه امرأته: سَوْدة بنت زَمَعة بن قيس، مات بمكة قبل هجرة رسولِ الله - ﷺ - إلى المدينة، فخلف رسولُ الله ﷺ على امرأته سَوْدة بنت زَمعة.

ومن حلفائهم سعد بن خَوْلة.

ومن بني الحارث بن فِهْر: أبو عُبَيدة بن الجرّاح، وهو عامر بن عبد الله بن الجرّاح، وعمرو بن الحارث بن زُهَير بن أبي شدّاد، وسُهيل ابن بَيْضاء؛ وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هِلال، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال «كنيته: أبو سعد كما في الإصابة».

فجميع مَن قَدِمَ عليه مكةَ من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً، فكان مَنْ دخل منهم بجوارٍ، فيمن سُمّي لنا: عثمانُ بن مَظْعون بن حبيب الجُمحي، دخل بجوارٍ من الوليد بن المُغيرة، وأبو سَلَمَةَ بن عبد الأسَد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم، دخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطّلب، وكان خالَه. وأُمُّ أَبِي سَلمة: بَرَّة بنت عبد المُطّلب.

وسمّى الذين قَدِموا منهم من أجل ذلك الخبر، وذكر فيهم طُلَيْبًا، وقال في نسبه: ابن أبي كبير بن عبد بن قصي، وزيادة أبي كبير في هذا الموضع لا يوافق عليه وكذلك وجدت في حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا وذكره أبو عمَر ونسبه كما نسبه ابن إسحٰق بزيادة: أبي كبير، وكان بدريًا في إحدى الروايتين عن ابن إسحٰق، وكذلك قال الواقدي وابن عقبة، ومات بأَجْنَادَيْن شهيدًا لا عقب له.

قصة ابن مظعون مع الوليد:

قال ابن إسحٰق: فأما عثمان بن مَظعون، فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدّثني عمَّن حدّثه عن عثمان، قال: لما رأى عثمان بن مَظْعون ما فيه أصحابُ رسول الله ـ ﷺ ـ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المُغيرة، قال: والله إن غُدوي ورَواحي آمنًا بجوار رجلٍ من أهل الشرك ـ وأصحابي، وأهل ديني يَلْقَون من البلاء والأذى في الله ما لا يُصيبني ـ لنقصٌ كبير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المُغيرة، فقال له: يا أبا عبد شَمْس، وفتْ ذِمَّتُك، قد رددت إليك جوارك، فقال له: لِمَ يا بن أخي؟ لعله آذاك أحدٌ من قومي، قال: لا، ولكني أرْضَى بجوار الله، ولا أُريد أن أستجيرَ بغيره؟ قال: فانطلِقْ إلى المسجد، فارددْ عليّ جواري عَلانيةً، كما أجرتُك علانيةً. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجدَ، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يردّ عَلَيَّ جواري، قال: صَدَق، قد وجدتُه وَفيًا كريمَ الجوار، ولكني قد أحببتُ أن لا أستجير بغير الله، فقد رددتُ عليه جوارَه، انصرف عثمان، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كِلاب في مجلس من قُريش يُنشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لَبيد:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل

تأويل: كلّ شيء ما خلا الله باطل:

فصل: وذكر قول لَبِيد:

ألا كُلُّ شيء ما خلا اللَّهَ باطل

وقصة ابن مظعون إلى آخرها، وليس فيها ما يشكل غير سؤال واحد، وهو قول رسولِ الله ـ ﷺ ـ: «أصْدَقُ كلمةٍ قالها الشاعرُ» قولُ لَبِيد:

ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ اللَّهَ باطلُ[1]

فصدقه في هذا القول وهو ـ عليه السلام ـ يقول في مناجاته: «أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، والجنة حق، والنار حق، ولقاؤك حق»[2]. فكيف يجتمع هذا مع قوله:

ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خلا الله باطل

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٨/ ١٢٧) ومسلم في الشعر. مقدمة (٥٢٤) وأحمد (٢/ ٢٤٨) والترمذي (٢٨٤٩) وفي الشمائل له (١٢٦).

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (١/ ١٣٢) وغيره.

قال عثمان: صدقتَ، قال:

وكلّ نـعـيـم لا مـحـالـة زائـل

قال عثمان: كذبت، نعيمُ الجنة لا يزول. قال لَبيد بن رَبيعة: يا مَعْشر قريش، والله ما كان يُؤذَى جليسُكم، فمتى حَدَث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سَفيه في سُفهاء معه، قد فارقوا دينَنا، فلا تَجدنّ في نفسك مِنْ قوله، فردّ عليه عثمان حتى شَرِي أمرُهما، فقام إليه ذلك الرجلُ، فَلطَم عينَه، فخَضَّرها، والوليدُ بن المُغيرة قريبٌ يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يا بن أخي إن كانت عينُك عمَّا أصابها لغنيَّة، لقد كنتَ في ذمة مَنيعة. قال: يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أُختَها في الله، وإني لفي جوار مَنْ هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شَمْس، فقال له الوليد: هَلُمَّ يا بن أخي، إن شئت فعُدْ إلى جوارك، فقال: لا.

فالجواب من وجهين أحدهما: أن يريد بقوله: ما خلا الله: ما عداه، وعدا رحمته التي وعد بها مَن رحمه، والنار وما تَوعَّد به من عقابه، وما سوى هذا فباطل أي: مضمحل والجواب الثاني: أنَّ الجنة والنار وإن كانتا حقًا، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما، وأنه يخلق الدوام لأهلهما على قول مَن جعل الدوام والبقاء معنًى زائدًا على الذات، وهو قول الأشعري، وإنما الحق على الحقيقة مَن لا يجوز عليه الزوال، وهو القديم[1] الذي انعدامه مُحال؛ ولذلك قال عليه السلام: أنت الحق بالألف واللام، أي المستحق لهذا الاسم على الحقيقة، وقولك الحق؛ لأن قوله قديم، وليس بمخلوق فيبيد، ووعدك الحق كذلك، لأن وعده كلامه، هذا مقتضى الألف واللام، ثم قال: والجنة حق، والنار حق بغير ألف ولام، ولقاؤك حق كذلك؛ لأن هذه أمور مُحدَثات والمحدَث لا يجب له البقاء من جهة ذاته، وإنما علمنا بقاءها من جهة الخبر الصادق الذي لا يجوز عليه الخُلف، لا من جهة استحالة البقاء عليها، كما يستحيل على القديم ـ سبحانه ـ الذي هو الحق، وما خلاه باطل، فإمَّا جوهر وإما عرض، وليس في الأعراض إلا ما يجب له الفناء، ولا في الجوهر إلا ما يجوز عليه الفناء والبطول، وإن بقي ولم يبطل فجائز أن يبطل. وأما الحق ـ سبحانه ـ فليس من الجواهر والأعراض، فاستحال عليه ما يجب لهما، أو يجوز عليهما.

---

(١) القديم: ليس اسمًا من أسمائه تعالى، وقد تقدم الكلام عليه في أول الكتاب، وانظر القواعد المُثلى لفضيلة الشيخ محمد بن صالح، و«القول الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى» للمحقق.

أبو سلمة في جوار أبي طالب:

قال ابن إسحٰق: وأما أبو سَلمة بن عَبْد الأسد، فحدّثني أبي إسحٰق بنُ يسار عن سَلَمة بن عبد الله بن عُمر بن أبي سَلَمة أنه حدّثه: أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب، مشى إليه رجال من بني مخزوم، فقالوا: يا أبا طالب، لقد منعت منّا ابنَ أخيك محمدًا، فما لكَ ولصاحبنا تمنعُه منّا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابنُ أُختي، وإنْ أنا لم أمنع ابنَ أُختي لم أمنع ابن أخي، فقام أبو لهب، فقال: يا معشر قُريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهُنّ عنه، أو لنقومنّ معه في كلّ ما قام فيه، حتى يبلغَ ما أراد. قال: فقالوا: بل ننصرف عمّا تكره يا أبا عُتْبة، وكان لهم وليًا وناصرًا على رسول الله - ﷺ - فأبْقَوا على ذلك، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله - ﷺ - فقال أبو طالب يحرّض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ:

وإنّ امْرءًا أبو عُتَيبة عمُّه ... لفي رَوْضَة ما إن يُسامُ الْمَظالما
أقول له - وأين منه نَصيحتي ... أبا مُعْتب ثَبِّتْ سوادَك قائما
فلا تَقبلنَّ الدهرَ ما عشتَ خُطةً ... تُسَبُّ بها، إمَّا هَبطت المَواسما
ووَلّ سبيل العَجْز غيرَك منهمُ ... فإنك لم تُخلَق على العَجْز لازما
وحاربْ، فإن الحربَ نُصْفٌ وما ترى ... أخا الحرب، يُعطَى الخَسف حتى يُسالما
وكيف ولم يَجْنُوا عليك عَظيمةً ... ولم يخذلوك غانمًا، أو مُغارِما
جَزَى اللّهُ عنّا عبدَ شمس ونوْفلاً ... وتَيْمًا ومَخْزومًا عُقوقًا وَمأثما
بتَفْرِيقهم مِنْ بعد وُدٍّ وأُلْفَةٍ ... جماعَتنا، كيما يَنالُوا المَحارِما
كذبتم وبيتِ الله نُبزَى محمدًا ... ولما تَرَوْا يومًا لدى الشِّعب قائما

قال ابن هشام: نبزَى: نسلب. قال ابن هشام: وبقي منها بيت تركناه.

أبو بكر يردّ جوار ابن الدغنة

قال ابن إسحٰق: وقد كان أبو بكر الصدّيق - رضي الله عنه - كما حدّثني:

ذكر حديث أبي بكر مع ابن الدغنة

وذكر حديث أبي بكر حين لقي ابن الدُّغُنّة، واسمه: مالك، وهو سيد الأحابيش، وقد سمّاهم ابن إسحٰق، وهم: بنو الحارث وبنو الهُوَن من كنانة، وبنو المُصْطَلِق من خُزَاعة

محمد بن مُسلم الزُهْرِي، عن عُرْوة، عن عائشة رضي الله عنهما، حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها الأذى، ورأى مِنْ تَظاهر قُريش على رسولِ الله - ﷺ - وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله - ﷺ - في الهجرة، فأذِنَ له، فخرج أبو بكر مهاجرًا، حتى إذا سار من مكة يومًا أو يومين، لَقِيه ابنُ الدُغُنة، أخو بني الحارث بن عَبْد مناة بن كِنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش.

قال ابن إسحٰق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كِنانة، والهُوْن بن خُزيمة بن مُدركة، وبنو المُصطلق من خزاعة.

قال ابن هشام: تحالفوا جميعًا، فسُمُّوا الأحابيش للحِلْف.

ويقال: ابن الدُغينة.

قال ابن إسحٰق: حدّثني الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: فقال ابن الدُغُنة: أينَ يا أبا بكر؟ قال: أخْرَجني قومي وآذَوْني، وضيَّقوا عليّ، قال: ولِمَ؟ فوالله إنك لَتَزين العشيرةَ، وتُعين على النوائب، وتفعل المعروف وتَكْسِبُ المَعْدومَ، ارجع، وأنت في جواري، فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابنُ الدَّغِنة فقال: يا معشر قُريش، إني قد أجرتُ ابنَ أبي قُحافة، فلا يعرضنَّ له أحدٌ إلا بخير. قالت: فكفّوا عنه.

قالت: وكان لأبي بكر مَسْجِدٌ عند باب داره في بني جُمَح، فكان يصلّي فيه، وكان رجلاً رقيقًا، إذا قرأ القرآن استبكى. قالت: فيقف عليه الصبيان والعَبيد والنِّساء، يعْجبون لما يَرَوْن من هَيْئته. قالت: فمشى رجالٌ من قريش إلى ابن الدُغُنَّة، فقالوا له: يا بن الدَّغَنَةِ، إنك لم تُجزْ هذا الرجل، ليُؤْذينا! إنه رجل إذا صلّى، وقرأ ما جاء به محمدٌ يرق ويبكي، وكانَت له هيئة ونحْو، فنحن نتخوّف على صبياننا ونِسائنا وضَعَفتِنا أن يَفْتِنهم، فأْتِه فمُرْه أن يدخل بيته، فَلْيَصْنع فيه ما شاء. قالت: فمشى ابنُ الدَّغِنَّة إليه، فقال له: يا أبا بكر، إني لم أُجِرك لتُؤذي قومَك، إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه، وتأذَّوْا بذلك منك، فادخل بيتَك، فاصنع فيه ما أحببتَ، قال: أوَ أردّ عليك جوارك وأرضى بجوار

تحبَّشوا، أي: تجمعوا، فسموا الأحابيش. قيل: إنهم تحالفوا عند جُبَيل، يقال له حُبْشِيّ، فاشتق لهم منه هذا الاسم.

وقوله لأبي بكر: إنك لتَكْسِب المعدومَ، يقال: كَسبْتَ الرجل مالاً، فتعدّيه إلى مفعولين. هذا قول الأَصْمَعِي، وحكى غيره: أكسبته مالاً، فمعنى تَكْسِب المعدومَ، أي: تَكْسِب غَيْرَكَ ما هو معدوم عنده، والدَّغِنَة: اسم امرأةٍ عُرف بها الرجل، والدُّغْنُ: الغيْمُ يبقى بعد المطر.

اللهِ؟ قال: فاردد عليّ جِواري، قال: قد رددته عليك. قالت فقام ابنُ الدُّغُنَّة، فقال: يا معشر قريش، إنَّ ابنَ أبي قحافة قد ردّ عليّ جِواري، فشأنكم بصاحبكم.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبدُ الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد قال: لَقِيه سَفيه من سُفهاء قريش، وهو عامد إلى الكعبة، فحَثا على رأسه ترابًا. قال: فمرّ بأبي بكر الوليد بن المُغيرة، أو العاص بن وائل. قال: فقال أبو بكر: ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيهُ؟ قال: أنت فعلتَ ذلك بنفسك. قال: وهو يقول: أي ربّ، ما أحلَمك! أي ربّ، ما أحلمك! أي ربّ، ما أحلمك!.

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحٰق: وبنو هاشم، وبنو المطَّلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قُريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريشٌ على بني هاشم وبني المطَّلب نفرٌ من قريش، ولم يُبْلِ فيها أحد أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن رَبيعة بن الحارث بن حُبَيْب بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤيّ، وذلك أنه كان ابن أخي نَضْلة بن هاشم بن عَبْد مناف لأُمه، فكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف في قومه فكان ـ فيما بلغني ـ يأتي بالبعير، وبنو هاشم وبنو

عن الشعب ونقض الصحيفة

فصل: وذكر نقض الصحيفة، وقيام هشام فيها ونسبه، فقال: هشام بن الحارث، بن حُبَيْب، وفي الحاشية عن أبي الوليد: إنما هو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث، وهكذا وقع نسبه في رواية يونس عن ابن إسحٰق، وكان أبوه عمرو أخا نَضْلة بن هاشم لأُمه[1].

وذكر أنه كان يأتي بالبعير قد أوْقَره بَزًّا بالزاي المعجمة، وفي غير نسخة الشيخ أبي بحر: بُرًّا، وفي رواية يونس: بَزًّا أو بُرًّا على الشك من الراوي.

وذكر أن منصور بن عِكْرِمَة كان كاتب الصحيفة، فشَلَّت يدُه، وللنُّسَّابِ من قريش في كاتب الصحيفة قولان، أحدهما: أن كاتبَ الصحيفة هو: بَغِيضُ بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، والقول الثاني: أنه مَنصور بن عَبْد شُرَحْبِيل بن هاشم من بني عبدا الدار أيضًا، وهو خلاف قول ابن إسحٰق، ولم يذكر الزُّبَيْرُ في كاتبِ الصحيفة غير هذين القولين، والزُّبَيْرِيُّون أعلم بأنساب قومهم[2].

---

(١) انظر نسب قريش للزبيري (٤١٢/٤٣١). (٢) انظر نسب قريش لمصعب الزبيري (٢٢٢).

المطَّلب في الشِّعب ليلاً، قد أوْقره طَعامًا، حتى إذا أقبل به فَمَ الشِّعب، خلع خِطَامه من رأسه، ثم ضرب على جَنْبه، فيدخل الشِّعب عليهم، ثم يأتي به قد أوقره بَزًّا، فيفعل به مثلَ ذلك.

قال ابن إسحٰق: ثم إنه مشى إلى زُهير بن أبي أُميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ـ وكانت أمه: عاتكةَ بنت عبد المطَّلب ـ فقال: يا زهير، أقد رَضيتَ أن تأكل الطعامَ، وتلبس الثيابَ، وتنكح النِّساء، وأخوالُك حيثُ قد علمتَ، لا يُباعون، ولا يُبتاع منهم، ولا يَنكحون، ولا يُنكَح إليهم؟ أما إني أحْلِف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام، ثم دعوتَه إلى ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه أبدًا، قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجلٌ آخر، لقُمْت في نَقْضها حتى أنقضَها، قال: قد وجدت رجلاً قال: فمَن هو؟ قال: أنا، قال له زهير: أبْغِنا رجلاً ثالثًا.

فذهب إلى المُطْعِم بن عديّ، فقال له: يا مُطْعِم أقد رضيتَ أن يَهْلِك بَطْنان من بني عَبْد مناف، وأنت شاهدٌ على ذلك، موافق لقريش فيه! أما والله لئن أمْكنتموهم من هذه لتجدُنَّهم إليها منكم سراعًا، قال: ويحك! فماذا أصنَع؟ إنما أنا رجلٌ واحد، قال: قد وجدت ثانيًا، قال: مَنْ هو؟ قال: أنا، قال: أبْغِنا ثالثًا، قال: قد فعلتُ، قال: مَن هو؟ قال: زهير بن أبي أُميَّة، قال: أبغنا رابعًا.

وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ في الشِّعْب من ضيق الحصار لا يبايعون ولا يناكحون، وفي الصحيح: أنهم جُهِدُوا حتى كانوا يأكلون الخَبَطَ وورَقَ السَّمُر، حتى إن أحدَهم لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ، وكان فيهم سعدُ بن أبي وَقَّاص. رُوِيَ أنه قال: لقد جُعت، حتى إني وطئت ذات ليلة على شيء رطب، فوضعته في فمي وبلعته، وما أدري ما هو إلى الآن، وفي رواية يونس: أن سعدًا قال: خَرَجْت ذات ليلة لأبول، فسمعت قَعْقَعَةً تحت البول، فإذا قطعةٌ من جِلْدِ بعير يابسة، فأخذتها وغسلتها، ثم أحرقتها ثم رَضَضْتُها، وَسَفِفْتُها بالماء، فَقَوِيت بها ثلاثًا، وكانوا إذا قَدِمَت العيرُ مكة يأتي أحدُهم السوقَ ليشتري شيئًا من الطعام لعياله، فيقوم أبو لهب عدوُّ الله، فيقول: يا معشر التجار: غالُوا على أصحاب محمد، حتى لا يُدركوا معكم شيئًا، فقد علمتم ما لي ووفاءَ ذِمَّتي، فأنا ضامن أن لا خَسَارَ عليكم، فيزيدون عليهم في السِّلعة، قيمتها أضعافًا، حتى يرجعَ إلى أطفاله، وهم يَتَضاغَوْن من الجوع، وليس في يديه شيء يُطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى جُهِدَ المؤمنون، ومَن معهم جوعًا وعُرْيًا، وهذه إحدى الشدائد الثلاث التي دلّ عليها تأويل الْغَطَّات الثلاث التي غَطَّه جبريل حين قال

فذهب إلى أبي البَخْتَرِيّ بن هشام، فقال له نحوًا ممَّا قال لمطعِم بن عديّ، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم، قال: مَن هو؟ قال: زهير بن أبي أُمية، والمُطْعم بن عديّ، وأنا معك، قال: أبغنا خامسًا.

فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود بن المطَّلِب بن أَسَد، فكلَّمه، وذكر له قرابتَهم وحقَّهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تَدْعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمّى له القوم.

فاتَّعدوا خطْم الحَجُون ليلاً بأعلَى مكة، فاجتمعوا هنالك، فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القِيام في الصّحيفة، حتى يَنْقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أوّلَ مَنْ يتكلّم. فلما أصبحوا غَدوْا إلى أنْديتهم، وغدا زُهير بن أبي أمية عليه حُلَّة، فطاف بالبيت سَبْعًا، ثم أقبل على الناس، فقال: يٰأهلَ مكة، أنأكل الطعام، ونلبس الثِّيابَ، وبنو هاشم هَلْكى لا يُباع ولا يُبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تُشقَّ هذه الصحيفةُ القاطعة الظَّالمة.

قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد: كذبتَ والله لا تُشقّ، قال زَمْعة بن الأسود: أنت والله أكذبُ، ما رَضينا كتابها حيثُ كُتِبت، قال أبو البَخْترِي، صَدَق زمْعَةُ، لا نرضى ما كُتب فيها، ولا نُقرّ به، قال المطعم بن عديٍّ: صدقتُما، وكذبْ مَنْ قال غيرَ ذلك، نبْرأ إلى الله منها، ومما كُتب فيها، قال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قُضِي بليل، تُشُووِر فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، فقام المُطعِم إلى الصحيفة ليشقَّها، فوجد الأرَضَة قد أكلتها، إلاَّ: «باسمك اللّهمّ».

وكان كاتب الصحيفة مَنصور بن عِكْرمة. فشلَّت يدُهُ فيما يزعمون.

قال ابن هشام: وذكر بعضُ أهل العلم: أن رسول الله - ﷺ - قال لأبي طالب: «يا عمّ، إن رَبِّيَ الله قد سلَّط الأرَضَة على صحيفة قريش، فلم تَدَع فيها اسمًا هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منه الظُّلم والقطيعة والبُهتان»، فقال: أربُّك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال:

له: اقرأ، قال: ما أنا بقارىء، وإن كان ذلك كان في الْيَقَظَةِ، ولكن مع ذلك له في مقتضى الحكمة تأويلٌ وإيماء، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا قبل، وإلى آخر حديث الصحيفة ليس فيها ما يشكل[1].

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (١/ ٢١) وتاريخ الطبري (٢/ ٣٤١) والمنتظم (٣/ ٣) والبداية والنهاية (٣/ ٩٥) والكامل (١/ ٦٠٤).

فوالله ما يدخل عليك أحدٌ، ثم خرج إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهَلُمَّ صحيفتكم، فإن كان كما قال ابن أخي، فانتهوا عن قَطيعتنا، وانزلوا عمَّا فيها، وإن يكن كاذبًا دفعت إليكم ابنَ أخي، فقال القوم: رضينا، فتعاقدُوا على ذلك، ثم نظروا، فإذا هي كما قال رسولُ الله ﷺ، فزادهم ذلك شرًّا. فعند ذلك صنع الرَّهْط من قريش في نَقض الصحيفة ما صنعوا.

قال ابن إسحٰق: فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها. قال أبو طالب، فيما كان من أمر أولئك النَّفَر الذين قاموا في نَقْضها يمدحهم:

ألا هَـلْ أتـى بَـحْـرِيِّـنـا صُـنْـعُ رَبِّـنـا   عـلـى نَـأيـهـم والـلَّـهُ بـالـنَّـاسِ أرْوَدُ

شرح دالية أبي طالب:

وقول أبي طالب: ألا قد أتى بَحرِيِّنا، يعني الذين بأرض الحبشة، نسبهم إلى الْبَحْر لركوبهم إياه، وهكذا وجه النَّسَب إليه، وقد قال عليه السلام: إذا نشأت بَحْرِيَّة، وزعم ابن سيدة في كتاب المحكم له أن العَربَ تنسب إلى البحر: بَحْرانِيّ على غير قياس، وأنه من شَوَاذ النسب، ونسب هذا القول إلى سيبويه والخليل، ولم يقله سيبويه قطّ، وإنما قال في شواذ النسب: تقول في بَهْرَاء: بَهْرَانِيّ، وفي صنعاء: صَنْعَانِيّ، كما تقول: بَحْرَانِيّ في النسب إلى الْبَحْرَيْن التي هي مدينة، وعلى هذا تلقَّاه جميعُ النُّحاة، وتأوَّلُوه من كلام سيبويه، وإنما شبّه على ابن سيدة لقول الخليل في هذه المسألة، أعني مسألة النسب إلى البحرين، كأنهم بَنْوا البحر على بَحْران، وإنما أراد لفظ البحرين ألا تراه يقول في كتاب العين: تقول بَحْرَانِي في النسب إلى الْبَحْرَين، ولم يذكر النسب إلى البحر أصلاً للعلم به، وأنه على القياس جارٍ، وفي الغريب المصنف عن اليزيدي أنه قال: إنما قالوا: بَحْرانِي في النسب إلى الْبَحْرَين، ولم يقولوا: بَحْرِي ليفرّقوا بينه وبين النسب إلى الْبَحْرِ، وما زال ابن سيدة يعثر في هذا الكتاب وغيره [عثرات] يَدْمي منها الأظلُّ[1]، ويَدْحَضُ دَحَضات تُخرجه إلى سبيل مَنْ ضلّ ألا تراه قال في هذا الباب: وذكر بحيرة طَبَرِية، فقال: هي من أعلام خروج الدجال، وأن ماءها يَيْبَس عند خروجه، والحديث: إنما جاء في غير زُغَر، وإنما ذكرت بحيرة طَبَرِيَّة في حديث يأجوج ومأجوج، وأنهم يشربون ماءها، وقال في الجِمار في غير هذا الكتاب: [إنما] هي التي تُرمى بعرفة، وهذه هَفْوة لا تُقال، وعَثْرة [لا] لعًا[2] لها وكم له من هذا إذا تكلم في النسب وغيره، ومن النسب إلى البَحْر قوله عليه السلام لأسماء بنت عُمَيس

---

(١) الأظل: باطن الأصبع.

(٢) لعًا: صوت: معناه الدعاء للعاثر بأن يرتفع من عثرته.

فَيُخبِرَهُم أنَّ الصَّحيفَةَ مُزّقَتْ ... وأنْ كلُّ ما لم يَرْضه اللَّهُ مُفْسَد

تَراوحَها إفكٌ، وَسِحْرٌ مُجمَّع ... ولم يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدهر يَصْعد

تَداعى لها مَن ليس فيها بقَرْقَرٍ ... فَطائرُها في رأسِها يَترَدّد

وكانَتْ كِفاءَ رَقْعَةٌ بأثيمةٍ ... ليُقْطَعَ منها ساعِدٌ ومُقَلَّد

ويَظْعَن أهلُ المكّتين، فيَهرُبُوا ... فرائصُهم من خَشيَة الشَّرّ تُرْعَد

ويُتْرَك حَرّاثٌ يقَلّبُ أمره ... أيُتْهِم فيهم عند ذاك ويُنجِدُ

وتَصْعد بين الأخْشَبين كَتيبةٌ ... لها حُدُجٌ سَهْمٌ وقوس ومِرْهَد

حين قَدِمَت من أرض الحبشة: الْبَحْرِيَّة الْحَبَشِيَّة، فهذا مثل قول أبي طالب: ألا هل أتى بَحْرِيَّنا.

وقوله: والله بالناس أرْوَدُ: أي: أرْفَقُ، ومنه: رُوَيْدَك، أي: رِفقًا جاء بلفظ التصغير؛ لأنهم يريدون به تقليلاً أي: ارفُق قليلاً، وليس له مكبّر من لفظه؛ لأن المصدر: إروادا، إلا أن يكون من باب تصغير الترخيم، وهو أن تصغّر الاسم الذي فيه الزوائد، فتحذفها في التصغير، فتقول في أسود: سُوَيْد، وفي مثل إرواد: رُوَيْد.

وقوله: مَن ليس فيها بقَرقَر: أي: ليس بذليل، لأن الْقَرْقَرَ: الأرضُ الْمَوْطُوءَةُ التي لا تمنع سالكها، ويجوز أن يريد به: ليس بذي هَزْل، لأن الْقَرْقَرَةَ: الضحكُ.

وقوله: وطائرها في رأسها يتردد. أي: حظّها من الشُّؤم والشر، وفي التنزيل: ﴿ألزمناه طائرَه في عُنقه﴾ [الإسراء: ١٣]، وقوله: لها حُدُجٌ سَهْمٌ وقوْسٌ ومِرْهَد، وجدت في حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبي الوليد الكِناني على هذا البيت: لعله حُدُج بضم الحاء والدال جمع حِدْج على ما حكى الفارسي، وأنشد شاهدًا عليه عن ثعلب:

قمنا فآنَسْنا الْحُمُولَ والحُدُجْ

ونظيره: سِتْر وسُتُر، ذكر ذلك عنه ابنُ سيدة في محكمه، فيكون المعنى: إن الذي يقوم لها مقام الْحِدْج سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهد. إلى هنا انتهى ما في حاشية كتاب الشيخ. قال المؤلف: وفي العين: الحَدَجُ: حَسَك القُطْبِ[1] [ما دام رطبًا] فيكون الْحَدَجُ في البيت مُسْتَعَارًا من هذا، أي: لها حَسَك، ثم فسره فقال: سهمٌ وقوس ومِرْهَدُ[2]، هكذا في الأصل بالراء وكسر الميم فيحتمل أن يكون مقلوبًا من مَرْهَدٍ: مفْعَل مِنَ رَهَد الثوبَ إذا مزقه، ويعني

---

(١) القطب: ضرب من النبات.

(٢) مرهد: أي لين.

فمَن يَنْشَ من حُضّار مكة عِزُّه فعِزّتنا في بطن مَكّة أتْلَد

نَشَأنا بها، والنَّاسُ فيها قلائل فلم نَنْفكِكْ نزدادُ خيرًا ونحْمَد

ونُطعم حتى يترك النَّاسُ فضلَهم إذَا جعلت أيدي المُفيضين تُرَعَد

جزى الله رَهطًا بالحَجُون تَبايعوا على ملأ يَهْدِي لحَزم ويُرْشِد

قُعودًا لدى خَطْم الحَجون كأنهم مَقَاوِلة، بل هم أعزّ وأمجدُ

أعانَ عليها كلُّ صَقْر كأنه إذا ما مشى في رَفْرف الدّرع أحْرَدُ

جَرِيٌ على جُلّى الخطوب، كأنه شهاب بكَفَّيْ قابسٍ يَتوقَّد

من الأكرمين من لَؤَيّ بن غالب إذا سِيم خَسْفًا وَجهُه يتربَّدُ

طويل النِّجاد خارج نصفُ ساقِهِ على وَجْهه يُسْقى الغَمام ويُسْعد

عظيم الرماد، سيد وابن سيِّد يَحُضّ على مَقْرَى الضيوف، ويحْشِد

ويبني لأبناء العَشِيرة صَالحًا إذا نحن طُفْنا في البلاد، ويَمْهَد

ألَظَّ بهذا الصُّلح كل مُبَرًّأ عظيم اللواء أمره ثَمَّ يُحمد

قضَوْا ما قَضَوْا في ليلهم، ثم أصبحوا على مَهْلٍ، وسائر النَّاس رُقَّد

به رُمحًا أو سيفًا، ويحتمل أن يكون غير مقلوب، ويكون من الرَّهيد، وهو الناعم أي: ينعم صاحبُه بالظَّفر، أو ينعم هو بالرِّيِّ من الدَّم، وفي بعض النسخ: مَزْهد بفتح الميم والزاي، فإن صحّت الرواية به، فمعناه: مَزْهد في الحياة، وحِرْص على الممات، والله أعلم. وقوله فيها: إذا جعلت أيدي المفيضين تُرْعَد. يعني: أيدي المفيضين بالقِداح في الميسر، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلاّ سخي، ويسمّون مَن لا يدخل معهم في ذلك: البَرَمَ. وقالت امرأة لبعلها ـ وكان بَرمًا بخيلاً، ورأته يقرنَ بَضْعَتين في الأكل: أبَرَمًا قَرُونًا ويسمونه أيضًا: الحَصُور: يريد أبو طالب: إنهم يطعمون إذا بخل النَّاس. والميسر: هي الجَزُورُ التي تُقَسّم، يقال: يَسَرْتُ إذا قسمت، هكذا فسّره القُتَبِيُّ وأنشد:

أقول لهم بالشِّعبِ إذْ يَيْسِرونَني ألم ييأسوا أني ابنُ فارسِ زَهْدَمِ

قال: يَيْسِرُونَنِي أي: يَقْتَسِمُون مالي، ويُروى: يَأسِرونني من الأسْر.

وقوله: رَفْرَفِ الدِّرْع أحْرَد. رَفْرَفُ الدِّرع: فُضُولها، وقيل في معنى: رَفْرَفِ خُضْرٍ: فضول الفُرُش والبُسُط، وهو قول ابن عباس، وعن علي أنها: الْمَرافِق، وعن سَعِيد بن جُبَيْرٍ: الرفارف: رياضُ الجنة، والأحْرَدُ الذي في مشيه تثَاقُلٌ، وهو من الحَرَدِ، وهو: عَيْب في الرِّجْلِ.

هُمُ رَجَعَوا سَهْلَ ابنَ بيضاء راضيًا   وسُرّ أبو بكْر بها ومحمَّد
متى شُرّك الأقوامُ في جُلّ أمرِنا   وكُنَّا قديمًا قَبْلَها نُتودّد
وكنَّا قَديمًا لا نُقِرّ ظُلامةً   ونُدْرِك ما شئنا، ولا نتشدَّد
فيا لَقُصَيّ هَلْ لَكُمْ فِي نُفوسِكمْ   وهل لكُم فيما يجِيء به غد
فإني وإيَّاكُمْ كما قال قائلٌ   لَديك البَيانُ لو تكلمت أسود

وقال حسَّان بن ثابت يبكي المُطعِم بن عديّ حين مات، ويذكر قيامَه في نَقْض الصحيفة:

أيا عين فابكي سيِّد القوم واسفَحي   بدمعٍ، وإن أنزفتِه فاسكبي الدَّما
وبكّي عظيمَ المَشْعَرَين كليهما   على النَّاسِ مَعْرُوفًا له ما تَكلَّما
فلو كان مجدٌ يُخلد الدَّهرَ واحدًا   من الناس أبقى مجدُه اليومَ مُطْعِما

وفيه:

هم رَجعوا سَهْلَ ابن بَيْضَاءَ راضِيًا

سهل هذا هو: ابن وَهْب بن رَبيعَة بن هِلال بن ضَبَّةَ بنَ الحارث بن فِهر، يعرف: بابن الْبَيضَاء، وهي أمه، واسمها: دَعْد بنت جَحْدَم بن أُمَيَّة بن ضَرِب بن الحارث بن فِهْر، وهم ثلاثة إخوة: سَهْلٌ وسُهيل وصَفْوان بنو البَيْضاء[1]. وقوله:

وإني وإياهم كما قال قائل   لديك البيانُ لو تكلمت أسْوَدُ

أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل، فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلاً.

قول حسان في مطعم وهشام بن عمرو:

فصل: وذكر قول حَسَّان في مُطْعِم بن عَدِيٍّ، ويذكر جواره للنبي - عليه السلام - وذلك حين رجع من الطائف، وقيامه في أمر الصحيفة:

فلو كانَ مجدٌ يُخلِد الدهرَ واحدًا   من الناس أبقى مجدُه اليوم مُطْعِما

---

(١) انظر نسب قريش (٤٤٦).

أجرْتَ رسولَ الله منهم، فأصبحوا عبِيدَك، ما لَبَّى مُهِلّ وأحْرَما
فلو سُئِلَتْ عنه مَعدٌّ بأسْرِها وقَحْطان، أو باقي بَقية جُرْهما
لقالوا: هو المُوفى بخُفرة جارِه وذمَّته يومًا إذا ما تَذَمَّما
فما تطلُع الشَّمسُ المُنيرة فوقَهم على مثله فيهم أعَزّ وأعْظَما
وآبَى إذا يَأبى وألْيَنَ شِيمَةً وأنومَ عن جار إذا اللَّيْلُ أظلما

قال ابن هشام: قوله «كليهما» عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن هشام: وأما قوله: «جرت رسول الله منهم»، فإن رسول الله ـ ﷺ ـ لما انصرف عن أهل الطائف، ولم يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه، من تَصْديقه ونصرته، صار إلى

وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة، لأنه قدّم الفاعل، وهو مضاف إلى ضمير المفعول، فصار في الضرورة؛ مثل قوله:

جزى رَبُّه عني عديَّ بن حاتم[1]

غير أنه في هذا البيت أشبه قليلاً لتقدم ذكر مُطْعِم، فكأنه قال: أبقي مجدُ هذا المذكور المتقدم ذِكْرُهُ مُطْعِمًا. ووضع الظاهر موضع المضمر، كما لو قلت: إن زيدًا ضَرَبت جاريتُه زيدًا، أي: ضربت جاريتُه إياه، ولا بأس بمثل هذا، ولا سِيَّما إذا قصدت قصدَ التعظيم وتفخيم ذكر الممدوح، كما قال الشاعر:

وما لي أن أكونَ أعيب يحيىٰ ويحيَىٰ طَاهِر الأثواب بَرُّ

ويجوز نصبُه عندي على البدل مِن قوله: وَبكِّي عظيمَ المشعرين، ويكون المفعولُ من قوله: أبقى مجدُه محذوفًا، فكأنه قال: أبقاه مجدُه أبدًا، والمفعول لا قُبحَ في حذفه، إذا دلَّ عليه الكلام كما في هذا البيت.

وذكر قول حسان في هشام بن عمرو، وقال فيه: للحارث بن حُبَيِّبِ بن سُخَام، وقد تقدم نسبه، وهو حُبَيْب بالتخفيف تصغير حِبّ، وجعله حسانُ تصغِير حبِيب، فشدَّده، وليس هذا من باب الضرورَة؛ إذ لا يسوغ أن يقال في فُلَيْس: فُلَيِّس، ولا في كُلَيب: كُلَيِّب في شِعر ولا غيره، ولكن لما كان الحِبُّ والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر، وهو حَسَنٌ في الشعرِ، وسائغ في الكلام، وهشام بن عمرو هذا أسلم، وهو مَعْدود في الْمُؤَلَّفة قلوبُهم، وكانوا أربعين رجلاً فيما ذكروا.

---

(١) القائل هو: أبو الأسود الدؤلي. انظر خزانة الأدب (١/ ١٩٠).

جِرَاء، ثم بعث إلى الأخنس بن شَرِيق، ليُجيره، فقال: أنا حليفٌ، والحليف لا يُجير، فبعث إلى سُهيل بن عمرو، فقال: إن بني عامر لا تُجير على بني كَعْب. فبعث إلى المُطعِم بن عديّ، فأجابه إلى ذلك، ثم تسلح المُطعِم وأهل بيته، وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول الله ـ ﷺ ـ أن أدخُل، فدخل رسول الله ـ ﷺ ـ فطاف بالبيت، وصلّى عنده، ثم انصرف إلى منزله، فذلك الذي يعني حسانُ بن ثابت.

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا: يمدح هِشامَ بن عمرو لقيامه في الصحيفة:

هل يُوفينّ بنو أميَّة ذمَّة ... عَقْدًا كما أوْفى جِوَارُ هِشامِ
مِنْ مَعْشَر لا يَغْدِرُون بجارِهم ... للحارث بن حُبَيِّب بن سُخَام
وإذا بنو حِسْل أجارُوا ذِمَّةً ... أوفَوْا وأدَّوْا جارَهم بسلام

وكان هشام أخا سُخَام: قال ابن هشام: ويقال: شحام.

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي

قال ابن إسحٰق: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ على ما يَرى من قومه، يبذل لهم النَّصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه. وجعلت قريشٌ، حين منعه اللَّهُ منهم، يحذِّرونه النَّاس، ومَن قَدِمَ عليهم من العرب.

وقوله: ابن سُخَام، هو: اسم أُمه، وأكثر أهل النسب يقولون فيه: شُحَامِ بشين معجمة، وألفيت في حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدَة النَّسَّابة وعَوَانة يقولون فيه: سُحَام بسِين وحاء مهملتين، والذي في الأصل من قول ابن هشام: سخام بسين مهملة، وخاء معجمة ولفظ شُخَام من شَخَمَ الطعام، وخَشِم إذا تغيرت رائحته، قاله أبو حنيفة.

حول حديث طفيل الدوسي وذي الكفّين[1]

فصل: وذكر حديث طُفَيْلِ بن عمرو الدَّوْسِيّ، وهو طُفَيْل بن عَمْرو بن طَرِيف بن العاصي بن ثعلبة بن سُلَيْم بن جهْمِ بن دَوْس إلى آخره وليس فيه إشكال إلا قوله: حِنَا ذي

---

(١) انظر البخاري (٤/٥٤) (٥/٢٥٠) (٨/١٠٥) ومسلم في فضائل الصحابة (١٩٨) وأحمد (٢/٢٤٣/٤٤٨/٥٠٢) وابن عساكر (٧/٦٥/٦٦) والفتح (٨/١٠١) (١١/١٤٢/١٩٦) وابن سعيد في الطبقات الكبرى (٤/١/١٧٦) والبداية (٣/١٠٠) (٥/٦٨) (٦/٢١٤) والبيهقي في الدلائل (٥/٣٥٩).

وكان الطفيل بن عمرو الدَّوْسِيّ يحدّث: أنه قَدِمَ مكة ـ ورسول الله ﷺ بها ـ فمشى إليه رجالٌ من قُريش ـ وكان الطفيل رجلاً شريفًا شاعِرًا لَبيبًا ـ فقالوا له: يا طُفيل، إنك قدمتَ بلادنا، وهذا الرجلُ الذي بين أظهرنا قد أعْضل بنا، وقد فرّق جماعَتنا، وشتّت أمرنا، وإنما قولُه كالسِّحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجلِ وبين زوجته، وإنَّا نَخْشى عليك وعلى قومك ما قد دَخل علينا، فلا تُكَلمنَّه ولا تسمعنّ منه شيئًا.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئًا، ولا أُكلِّمه، حتى حشوتُ فِي أُذُني حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفًا فَرَقًا من أن يبلغني شيءٌ من قوله، وأنا لا أُريد أن أسمَعه. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسولُ الله ـ ﷺ ـ قائمٌ يصلّي عند الكعبة. قال: فقُمت منه قريبًا، فأبى اللَّهُ إلا أن يُسمعني بعضَ قوله. قال: فسمعتُ كلامًا حسنًا. قال: فِقلت في نفسي: واثُكل أُمّي!! والله إني لرجُل لَبيب شاعرٌ ما يخفى عليّ الحسَنُ من القبيح، فما يَمنعني أن أسمَع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبِلتُهُ، وإن كان قبيحًا تركتُه.

قال: فمكثت حتى انصرف رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى بيته فاتَّبعتُه، حتى إذا دخل بيته دَخلتُ عليه، فقلت: يا محمد، إنَّ قومك قالوا لي كذا وكذا ـ للذي قالوا ـ فوالله ما بَرِحوا يُخَوِّفونني أمرَك حتى سددت أُذُني بكُرْسُف لئلا أسمع قولَك، ثم أبى اللَّهُ إلا أن يُسمعني قولَك، فسمعتُه قولاً حسنًا، فاعرض عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ رسول الله ـ ﷺ ـ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، قال: فأسلمت، وشهدت شهادة الحقّ، وقلت: يا نبيّ الله إني امرؤٌ مُطاع في قومي، وأنا راجعٌ إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ اللَّهَ أن يجعل لي آيةً تكون لي عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال: «اللَّهمَّ اجعل له آية».

قال: فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بِثَنِيَّة تُطْلِعُني على الحاضر وَقع نورٌ بين عينيّ مِثْلُ المِصباح، فقلت: اللَّهمَّ في غير وَجْهي، إني أخشى، أن يظنُّوا أنها مُثْلة وَقعت في وجهي لفِراق دينهم. قال: فتحوّل فوقع في رأس سَوطي. قال: فجعل الحاضرُ يتراءَوْن ذلك النور في سَوْطي كالقنديل المعلّق، وأنا أهبط إليهم من الثَّنِيَّة، قال: حتى جئتُهم فأصبحتُ فيهم.

الشَّرَى، وقد قال ابن هشام: هو حِمى، وهو موضعٌ حَمَوْهُ لصنمهم ذي الشَّرى، فإن صحّت رواية ابن إسحٰق، فالنون قد تبدل من الميم، كما قالوا: حُلاَّن وحُلاَّم للجدي، ويجوز أن يكون من حَنَوْت العود، ومن مَحْنِيَةِ الوادي، وهو ما انحنى منه.

إسلام والد الطفيل وزوجته:

قال: فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخًا كبيرًا، قال: فقلت: إليك عني يا أبت، فلستُ منك، ولستَ مني، قال: ولِمَ يا بنيّ؟ قال: قلت: أسلمتُ، وتابعت دينَ محمد - ﷺ - قال: أي بنيّ، فديني دينك، قال: فقلت: فاذهب، فاغتسل، وطَهِّر ثيابك، ثم تعالَ حتى أُعلِّمك ما عُلِّمتُ. قال: فذهب فاغتسل، وطهَّر ثيابَه. قال: ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام، فأسْلَم.

قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عني، فلستُ منك ولست منّي، قالت: لِمَ؟ بأبي أنت وأُمي، قال: قلت: قد فرّق بيني وبينك الإسلام، وتابعتُ دين محمد - ﷺ - قالت: فديني دينُك، قال: قلت: فاذهبي إلى حِنَا ذي الشَّرى - قال ابن هشام: ويقال: حِمَى ذي الشَّرى - فتَطَهَّري منه.

ذو الشَّرى صنمًا لِدَوْس، وكان الحمى حِمًى حَمَوْه له، به وشَلٌ من ماءٍ يَهْبِط من جبل.

قال: قالت: بأبي أنت وأُمي، أتخشى على الصبيَّة من ذي الشَّرى شيئًا، قال: قلت: لا، أنا ضامنٌ لذلك، فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضتُ عليها الإسلام، فأسلمت.

ثم دعوت دَوْسًا إلى الإسلام، فأبطؤوا عليّ، ثم جئتُ رسول الله - ﷺ - بمكَّةَ، فقلت له: يا نبيّ الله، إنه قد غلبني على دَوْس الزّنا، فادْعُ الله عليهم، فقال: اللَّهمَّ اهْدِ دَوسًا، ارجع إلى قومك فادعهم وارفُق بهم، قال: فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ومضى بَدرٌ وأُحدٌ والخندقُ، ثم قَدِمتُ على رسول الله - ﷺ - بمَن أسْلَمَ معي مِنْ قومي، ورسولُ الله - ﷺ - بِخَيْبَر، حتى نزلتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتًا من دَوس، ثم لَحِقنا برسول الله - ﷺ - بخيبر، فأسْهم لنا مع المسلمين.

وقوله: يا ذا الْكَفَيْنِ لست من عُبَّادكا. أراد: الكفّين بالتشديد، فخفف للضرورة، غير أن في نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى: ذا الْكَفَيْنِ، وخفف الفاء بخطِّه بعد أن كانت مشددة، فدلّ أنه عنده مخفف في غير الشعر، فإن صحّ هذا فهو محذوف اللام، كأنه تثنيه كَفْءٍ، من كفأتُ الإناء، أو إذا كفء بمعنى كفء؟! ثم سُهِّلَت الهمزةُ، وألقيت حركتها على الفاء، كما يقال: الْخَبْءُ والْخَبُ، وفي الحديث: أن أهل الحاضر من دَوْسٍ كانوا يتراءونه في الثَّنِيّة، وفي سوطه كالْقِنْديلِ المعلّق، وذكره المبرّد فقال في لفظ الحديث: جعلوا ينظرون

ثم لم أزَل مع رسول الله ـ ﷺ ـ حتى إذا فتح اللّهُ عليه مكةَ، قال: قلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفَّين، صنمِ عمرو بن حُمَمَة حتى أُحْرقه.

قال ابن إسحٰق: فخرج إليه، فجعل طفيل يوقد عليه النار، ويقول:

يا ذا الكَفَّيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكا ... مِيلادنا أقْدَمُ مِنْ مِيلادكا

إنِّي حَشَوْتُ النَّار فِي فُؤَادِكا

قال: ثم رجع إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فكان، معه بالمدينة، حتى قَبض اللّهُ رسولَهُ ـ ﷺ ـ فلما ارتدّت العرب، خرج مع المسلمين، فسار معهم، حتى فرَغُوا من طُليحة، ومن أرض نَجْد كلِّها. ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ـ ومعه ابنُهُ عَمْرو بن الطُّفيل ـ فرأى رؤيا وهو متوجِّه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا، فاعبُرُوها لي، رأيتُ أن رأسي حُلِق، وأنه خرج من فمي طائرٌ، وأنه لقِيتْني امرأةٌ، فأدخلتني في فَرْجها، وأرى ابني يَطلبني طَلَبًا حَثيثًا، ثم رأيتُه حُبس عني، قالوا: خيرًا. قال: أمَّا أنا والله، فقد أوَّلتُها، قالوا: ماذا؟ قال: أمَّا حلْق رأسي فوَضْعه، وأما الطائر الذي خرج من فَمِي فَروحِي، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها، فالأرض تُحْفَرُ لي، فأُغيَّب فيها، أما طَلب ابني إياي ثم حَبْسه عني، فإني أراه سيَجْهد أنْ يصيبه ما أصابني، فقُتل رحمه الله شهيدًا باليمامة، وجُرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبَلّ منها، ثم قُتل عام اليَرْموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدًا.

من قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام: حدّثني خلاّد بن قُرّة بن خالد السَّدُوسيّ وغيرُه من مشايخ بَكْر بن وائل مِن أهل العلم: أن أعشى بني قَيْس بن ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن

إلى الجبل، وهو يهتف من شدة الضياء والنور، وروى، أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: لما قال طفيل للنبي ـ ﷺ ـ إن دَوْسًا غلب عليها الزنى والربا، فادع الله عليهم، قلنا: هلكت دوس، حتى قال رسول الله ـ ﷺ ـ اللَّهمَّ اهدِ دوسًا[1].

الأعشى وداليته وحمزة والشرف

فصل: وذكر ابن هشام حديث الأعشى وقصيدته إلى آخرها، فلما كان قريبًا من مكة لقيه بعض المشركين، فقال: إلى أين يا أبا بصير؟ الحديث، وذكر تحريمه الخمر، وتحريمه

---

(١) انظر التخريج السابق.

بَكر بن وائل، [ابن قاسط بن هِنبِ بن أفصى بن دُعْمِي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار] خرج إلى رسول الله - ﷺ - يريد الإسلام فقال يمدح رسولَ الله ﷺ:

أَلَمْ تَغتمِض عَيْناك ليلة أزمَدا وبتّ كما بات السَّليمُ مُسهَّدا
وَما ذاك مِنْ عشقِ النِّساء، وإنما تناسيتَ قبلَ اليوْم خُلَّة مَهْددا

الزنى، وقول الأعشى: أما الخمر ففي الناس منها عُلالات وقال غير ابن هشام: كان القائلَ لِلأعشى هذه المقالة أبو جهل. قالها في دار عُتْبَة بن ربيعة، وكان نازلاً عنده، قال المؤلف: وهذه غَفْلَةٌ من ابن هشام، ومَن قال بقوله، فإن الناس مُجمِعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأُحُد، وحرمت في سورة المائدة، وهي من آخرِ ما نزل، وفي الصحيحين من ذلك قصةُ حمزة حين شربها وغنّته القينتان: ألا يا حمز، للشُّرُف النِّوَاءِ، فبَقَر خواصِرَ الشارِفين، واجتنب أسنمتها.

وقوله للنبي عليه السلام: هل أنتم إلاّ عَبِيدٌ لآبائي، وهو ثَمِل. الحديث بطوله. فإن صحّ خبر الأعشى، وما ذكر له في الخمر، فلم يكن هذا بمكة، وإنما كان بالمدينة، ويكون القائل له: أما علمت أنه يحرم الخمر، من المنافقين، أو من اليهود، فالله أعلم. وفي القصيدة ما يدل على هذا قوله: فإن لها في أهل يثرب موعدًا، وقد ألْفيت للقالي رواية عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: لقي الأعشى عامر بن الطُّفَيْل في بلاد قيس، وهو مقبل إلى رسول الله - ﷺ - فذكر له أنه يحرم الخمر، فرجع، فهذا أولى بالصواب، وقول الأعشى: أتروّى منها هذا العام، ثم أعود فأسلم لا يخرجه عن الكفر بإجماع، قال الإسفراييني في عقيدته: إذا قال المؤمن سأكفر: غدًا أو بعد غد، فهو كافر لحينه بإجماع، وإذا قال الكافر: سأُومن غدًا، أو بعد فهو على كفره، لا يخرجه عن حكم الكفر إلا إيمانه إذا آمن، ولا خلاف في هذا والله المستعان.

وقوله:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيناك ليلة أزمَدَا

لم ينصب ليلة على الظرف؛ لأن ذلك يفسد معنى البيت، ولكن أراد المصدر فحذفه، والمعنى: اغتماض ليلة أرمد، فحذف المضاف إلى الليلة، وأقامها مقامه، فصار إعرابها كإعرابه، وقد رُوِيَ هذا البيت: ليلك بالكاف، ومعناه: غَمْضُ أرْمَد، وقيل: بل أرمد على هذه الرواية من صفة الليل، أي حال منه على المجاز، كما تقول: ليلك ساهر.

وقوله:

تناسيت قبل اليوم خُلَّةَ مَهْدَدَا

ولكن أرَى الدهْرَ الذي هو خائنٌ إذا أصلحتْ كفّاي عاد، فأفسدا
كُهولاً وشُبّانًا فقدتُ وثَرْوةً فلِلّه هذا الدَّهرُ كيد تَرَدّدا!!
وما زلتُ أبغي المالَ مُذْ أنا يافعٌ وليدًا وكهلاً حين شِبْت وأمْردا
وأبتذل العِيسَ المَراقيل تَغتلي مسافةَ ما بين النُّجَيْر فصَرْخَدا
ألا أيُّهذا السائِلِي أين يَمّمتْ فإنّ لها في أهلِ يثرِبَ موْعدا
فإنْ تسألي عني، فيا رُبّ سائلٍ حَفِيّ عن الأعشى به حيثُ أصْعدا
أجدّت بِرِجلَيْها النَّجاءَ، وراجعتْ يداها خِنافًا لَيِّنًا غيْرَ أحْردا
وفيها - إذا ما هجَّرت - عَجْرفيّةٌ إذا خِلْت حِرْباء الظَّهيرة أصْيدا

مَهْدَدٌ: فَعْلَل من المهْد، ولولا قيام الدليل على أن الميم أصلية لحكمنا بأنه مَفْعل؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميمًا أو همزة، فحملها على الزيادة، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية، والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف في الدال؛ إذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف، ولقلت فيه: مَهَدّ كما تقولُ: مَردّ وَمَكرٌّ ومَفرّ في كل ما وزنه مفْعَل من المضاعف، وإنما الدال في مَهْدَدَ ضوعفت ليلحق ببناء جَعْفر.

وقولـه:

إذا خِلت حِرْباء الظهيرة أصْيَدا

والأصيد: المائل العنق، ولما كانت الْحِرْباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت، كانت في وسط السماء في أول الزوال، كالأصيد، وذلك أحرّ ما تكون الرَّمْضَاء. يصف ناقته بالنشاط، وقوة المشي في ذلك الوقت.

وقوله: خِنافًا لَيِّنًا. في العين: خَنَفَت الناقة تخنِف بيديها في السير، إذا مالت بهما نشاطًا، وناقة خَنُوف قال الراجز[1]:

إن الشِّواءَ[2] والنَّسِيلَ[3] والرُّغُفْ والقَيْنَة[4] الحسناءَ، والكأسَ الأُنُفْ
للطاعنين الخيلَ، والخيلُ خُلُفْ

وقوله: لَيِّنًا غير أحْرَدا، أي: تفعل ذلك من غير حَرَد في يديها، أي اعوجاج، والنُّجَيْرُ وصَرْخَدُ بلدان، وأهل النجير أول مَن ارتدّ في خلافة أبي بكر بعد أهل دَبًا وكان أهل دبا قد

---

(١) هو: لَقيط بن زرارة.
(٢) الشواء: اللحم المشوي.
(٣) النسيل: اللحم المطبوخ بلا توابل.
(٤) القينة: المغنية.

وآلَـيْـتُ لا آوي لـهـا مـن كَـلالـة ... ولا من حَفًى حتى تلاقي محمَّدا
متى ما تُناخى عند باب ابنِ هاشم ... تُراحِي، وَتَلْقَيْ من فَواضله نَدَى
نـبـيًّـا يَـرَى مـا لا تـروْن وذكـرُه ... أغـار لـعَـمْري فـي الـبلاد وأنْـجَـدا
لـه صَـدقـاتٌ مـا تُـغِـبّ ونـائِـل ... ولـيـس عـطـاءُ الـيـوْم مـانـعَـه غـدا
أجِـدِّكَ لـم تـسْـمَـع وَصَـاةَ مـحـمـد ... نبيِّ الإلـهِ حيث أوْصَـى، وأشـهَـدا
إذا أنت لـم ترحل بزاد من التُّقَى ... ولاقيت بعد الموْت مَنْ قد تَزَوّدا

حاصرهم حُذَيْفَة بن أسَيْد، وحاصر أهل النجير زياد بن لبيد بأمر أبي بكر، حتى نزلوا على حكمه. وأما صَرْخَدُ فبلد طيب الأعناب، وإليه تنسب الخمرُ الصَّرْخَديَّة. وفي الأمالي: ولذٍّ كطعم الصَّرْخَدِي تركته.

وقـولــه:

وآلـيــت لا آوي لــهــا مــن كَــلالَــة

ولا من وَجًى، أي: لا أرق لها، يقال: آويت للضعيف إيَّة ومأْوِيَة إذا رقّت له كبدك.

وقـولــه:

أغـار لَـعَـمْـري فـي الـبـلاد وأنـجـدا

المعروف في اللغة: غار وأنجد، وقد أنشدوا هذا البيت: لعمري غَارَ في البلاد وأنجدا. والغَورُ: ما انخفض من الأرض، والنجْدُ: ما ارتفع منها، وإنما تركوا القياس في الغور، ولم يأت على أفعل إلا قليلاً، وكان قياسه أن يكون مثل أنْجَدَ، وأتْهم؛ لأنه مَن أمَّ الغور، فقد هبط ونزل، فصار من باب غار الماءُ، ونحو ذلك، فإن أردت: أشْرَف على الْغَوْر، قلت: أغار، ولا يكون خارجًا عن القياس.

وقـولــه:

ولـيـس عـطـاءُ الـيـوم مـانـعَـه غـدًا

معناه على رفع العطاء ونصب مانع، أي: ليس العطاء الذي يعطيه اليوم مانعًا له غدًا من أن يعطيه، فالهاء عائدة على الممدوح، فلو كانت عائدة على العطاء لقال: وليس عطاء اليوم مانعه هو، بإبراز الضمير الفاعل، لأن الصفة إذا جرت على غير مَن هي له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل، وذلك لِسر بيّنّاه في غير هذا الموضع لم يذكره الناس، ولو نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره، لأنه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره، ويكون اسم ليس على هذا مضمرًا فيها عائدًا على النبي ﷺ.

نَدِمتَ على أن لا تكون كمثْلِه فَتُرصِد للأمر الذي كان أرْصَدا
فإيَّاك والمَيْتاتِ لا تقربنَّها ولا تأخُذَنْ سهمًا حديدًا، لتُفْصِدا
وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكَنَّه ولا تعبد الأوثان، والله فاعبُدا
ولا تَقرَبنَّ حُرّةً كان سِرُّها عليكَ حرامًا فانْكَحَنْ أو تأبَّدا
وذا الرّحِم القُربَى فلا تَقْطَعَنَّه لعاقبة ولا الأسير المُقيَّدا
وسبِّح على حينِ العشيَّات والضّحى ولا تَحمَد الشَّيطانَ والله فاحمَدا
ولا تَسْخرا من بائس ذي ضرارة ولا تحسَبَنّ المال للمَرْء مُخْلِدا

وقوله: فانْكَحَنْ أوْ تَأَبَّدا. يريد: أو ترهَّب؛ لأن الراهب أبَدًا عَزَبٌ فقيل له: متأبدًا اشتق من لفظ الأبد.

وقوله: فالله فاعبدا، وقف على النون الخفيفة بالألف، وكذلك فانكحن أو تأبدا، ولذلك كتبت في الخط بألف، لأن الوقف عليها بالألف، وقد قيل في مثل هذا: إنه لم يُرِد النونَ الخفيفة، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين، وزعموا أنه معروف في كلام العرب، وأنشدوا في ذلك[1]:

فإن تَزْجُراني يا ابنَ عفان أزْدَجِرْ وإنْ تَدَعَاني أحْم عِرْضًا مُمَنَّعا

وأنشدوا أيضًا في هذا المعنى[2]:

وقلت لصاحبي: لا تَحْبِسَانا بنزع أُصُولها واجْتَثَّ شِيحَا

ولا يمكن إرادة النون الخفيفة في هذين البيتين، لأنها لا تكون ألفًا، إلا في الوقف، وهذا الفعل قد اتصل به الضمير، فلا يصح اعتقاد الوقف عليه دون الضمير، وحُكِيَ أن الحجاج قال: يا حرسي اضربا عنقه، وقد يمكن فيه حمل الوصل على الوقف، ويحتمل أن يريد: اضرب أنت وصاحبك: وقد قيل في قوله سبحانه: ﴿ألقيا في جَهَنَّم﴾ إن الخطاب لمالِكٍ وحده حملا على هذا الباب، وقيل: بل هو راجع إلى قوله تعالى: ﴿سائق وشهيد﴾ وفي القصيدة زيادة لم تقع في رواية ابن هشام وهي قوله في وصف الناقة:

فأما إذا ما أدْلَجَتْ، فترى لها رقيبين نجمًا لا يغيب وَفَرْقدا

---

(١) صاحب البيت هو: سويد بن كراع العكلي.
(٢) صاحب البيت هو: المضرس بن ربعي الأسدي، وقيل يزيد بن الطثرية.

مصير الأعشى:

فلما كان بمكة أو قريبًا منها، اعترضه بعضُ المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسولَ الله ـ ﷺ ـ؛ ليُسلم، فقال له: يا أبا بصير، إنه يُحرِّم الزِّنا، فقال الأعشى: والله إن ذلك لأمرٌ ما لي فيه من أرَب، فقال له: يا أبا بصير، فإنه يحرم الخمْر، فقال الأعشى: أمَّا هذه فوالله إنّ في النفس منها لعُلالَات، ولكني منصرفٌ فأتروَّى منها عامي هذا، ثم آتيه فأُسلم. فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يَعُد إلى رسول الله ﷺ.

ذلّة أبي جهل:

قال ابن إسحٰق: وقد كان عدوّ الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله ـ ﷺ ـ وبغضه إياه، وشدّته عليه، يُذلُّه الله له إذا رآه.

أبو جهل والإراشي

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي، وكان واعية، قال: قَدِمَ رجلٌ من إراش ـ قال ابن هشام: ويقال: إراشة ـ بإبل له مكةَ، فابتاعها منه أبو جهل، فمَطَله بأثمانها. فأقبل الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش، ورسولُ الله ـ ﷺ ـ في ناحية المسجد جالسٌ، فقال: يا معشر قريش، مَنْ رجلٌ يؤدّيني على أبي الحَكم بن هِشام، فإني رجلٌ غريب، ابنُ سَبيل، وقد غلَبني على حقي؟: فقال له أهلُ ذلك المجلس: أترى ذلك الرجلَ الجالسِ ـ لرسول الله ـ ﷺ ـ وهم يهزؤون به؛ لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة ـ اذْهَبْ إليه، فإنه يُؤَدّيك عليه.

وقع هذا البيت بعد قوله: لينًا غير أحردا.

وقوله في صفة النبي ﷺ:

أغار لعمري في البلاد وأنجدا

وبعده:

بـه أنقذ اللّٰهُ الأنامَ من الْعَمَى ... وما كان فيهم مَن يَرِيعُ إلى هُدى

حديث الإراشي

فصل: وذكر حديث الإراشي الذي قَدِمَ مكة، واستعدى على أبي جهل.

قال ابن إسحٰق: هو من إراش، وهو ابن الغوث أو ابن عمرو، بن الغوث بن نبت بن

فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا عبد الله إنَّ أبا الحَكم بنَ هشام قد غَلَبني على حقٍّ لي قِبَله، وأنا غريب ابن سَبيل، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجل يؤدّيني عليه، يأخذ لي حقِّي منه، فأشاروا لي إليك، فخُذْ لي حقِّي منه، يرحمك الله، قال: انطلق إليه، وقام معه رسولُ الله ـ ﷺ ـ فلما رأوْه قام معه، قالوا لرجل ممّن معهم: اتبعه، فانظر ماذا يصنع.

قال: وخرج رسول الله ـ ﷺ ـ حتى جاءه، فضرب عليه بابَه، فقال: مَن هذا؟ قال: محمد، فاخرج إليّ، فخرج إليه، وما في وجهه من رائحة، قد انْتُقِع لونُه، فقال: أعطِ هذا الرجل حقّه، قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له، قال: فدخل، فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه. قال: ثم انصرف رسولُ الله ـ ﷺ ـ وقال للإراشي: الحق بشأنك، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيرًا، فقد والله أخذ لي حقي.

قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجبًا من العجب، والله ما هو إلا أن ضَرب عليه بابَه، فخرج إليه وما معه رُوحُه، فقال له: أعطِ هذا حقَّه، فقال: نعم، لا تبرحْ حتى أُخرج إليه حقَّه فدخل فخرج إليه بحقه، فأعطاه إياه. قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: وَيْلك! ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قطُّ! قال: ويحَكم، والله ما هو إلا أن ضربَ عليّ بابي، وسمعت صوتَه، فمُلئت رعبًا، ثم خرجتُ إليه، وإنّ فوق رأسه لفَحْلاً من الإبل، ما رأيت مثلَ هامته، ولا قَصَرَته، ولا أنْيابه لفَحْلٍ قط، والله لو أبيتُ لأكلني.

مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهو والد أنمار الذي ولد، بَجيلةَ وخَثْعَم. وإراشة الذي ذكر ابن هشام: بَطْنٌ من خَثْعَم، وإراشة مذكورة في العماليق في نسب فِرْعون صَاحب مصر، وفي بَلِيٍّ أيضًا بنو إراشة، وقوله: مَنْ [رجل] يؤديني على أبي الحكم أي: يعينني على أخذ حقي منه، وهو من الأداة التي توصل الإنسان إلى ما يريد، كأداة الحرب، وأداة الصانع، فالحاكم يؤدي الخصم، أي يوصله إلى مطلبه، وقد قيل: إن الهمزة بدل من عين، ويؤدِّي ويعدي بمعنى واحد، أي: يزيل العُدْوان، والعَداء وهو: الظلم، كما تقول: هو يُشْكِيك أي: يُزيل شَكْواك، وفي حديث خباب: شكونا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ حَرَّ الرَّمْضاءِ، فلم يُشكنا معناه على أحد القولين: لم يرفع شَكْوانا ولم يُزلها.

وقوله: فخرج إليه، وما في وجهه رائحة، أي: بقية روح، فكان معناه: روح باقية، فلذلكِ جاء به على وزن فاعِله، والدليل على أنه أراد معنى الرُّوح وإن جاء به على بناء فاعلة قول الإراشي في آخر الحديث: خرج إليّ، وما عنده رُوحُه.

ركانة ومصارعته

قال ابن إسحٰق: وحدثني أبي إسحٰقُ بن يسار، قال: كان رُكَانَةُ بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشدَّ قُرَيش، فخلا يومًا برسولِ الله - ﷺ - في بعض شِعاب مكة، فقال له رسولُ الله ﷺ: «يا رُكَانة، ألا تتقي الله، وتقبل ما أدعوك إليه»؟ قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حقّ لاتبعتك، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «أفرأيت إن صرَعتك، أتعلم أنّ ما أقول حق»؟ قال: نعم، قال: «فقم حتى أصارعك». قال: فقام إليه رُكانة يصارعه، فلما بطش به رسولُ الله - ﷺ - أضْجعه، وهو لا يملك من نفسه شيئًا، ثم قال: عُدْ يا محمد، فعاد فصرعه، فقال يا محمد: والله إن هذا لَلْعَجب، أتصرعني! فقال رسولُ الله ﷺ: «وأعجبُ من ذلك إن شئت أن أُريكه، إن اتَّقيت الله واتبعت أمري»، قال: ما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرةَ التي ترى فتأتيني»، قال: ادْعُها، فدعاها، فأقبلت حتى وقفتْ بين يدَيْ رسولِ الله - ﷺ - قال: فقال لها: «ارجعي إلى مكانك». قال: فرجعت إلى مكانها!.

مصارعة ركانة[1]

فصل: وذكر حديث رُكَانة ومصارعته للنبي - ﷺ - وقد تقدم مثلُ هذا الحديث عن أبي الأشدين الْجُمَحِيّ، ولعلهما أن يكونا جميعًا صارعا رسول الله - ﷺ - وقد تقدم التعريف بأبي الأشدِّين، وباسمه ونسبه؛ ورُكَانة هذا هو: ابن عَبْد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب من مَسْلَمَةِ الفتح، وتوفي في خلافة معاوية، وهو الذي طلق امرأته ألْبتَّة، فسأله رسولُ الله - ﷺ - عن نيّته، فقال: إنما أردت واحدة، فردّها عليه[2]، ومن حديثه عن النبي ﷺ: أنه قال: «إن لكل دين خُلقًا، وخلق هذا الدين الحياء»[3]، ولابنه يزيد بن رُكَانَة صحْبَةٌ أيضًا، ويُروى عن يَزِيدَ بن رُكَانة ابنه علي، وكان علي قد أعطى من الأيْدِ والقوة ما لم يُعْطَ أحد، نَزَع في ذلك إلى جَدِّ رُكَانة، وله في ذلك أخبار ذكرها الفاكهي، منها: خبره مع يزيد بن معاوية، وكان يزيد بن معاوية من أشد العرب، فصارعه يومًا، فصرعه عليٌّ صرعة لم يسمع بمثلها، ثم حمله بعد ذلك على فرس جَمُوح لا يطلق، فعلم عليٌّ ما يراد به، فلما جَمَح به الفرس ضَمَّ عليه فخذيه ضَمَّةً نَفَقَ منها الفرسُ، وذكر عنه أيضًا أنه تأَبَّطَ رجلين أيْدَيْنِ، ثم جرى بهما، وهما تحت إبْطَيْهِ حتى صاحا: الموت الموت، فأطلقهما.

---

(١) انظر البداية (٣/١٠٣). (٢) «حسن». أخرجه أبو داود (٢٣٧٣) بتحقيقي.

(٣) «حسن». أخرجه ابن ماجه (٤١٨١) والطبراني في الصغير (١/١٢) وأبو نعيم في الحلية (٥/٣٦٣) وابن عبد البرّ في التمهيد (٩/٢٥٧).

قال: فذهب رُكانة إلى قومه، فقال: يا بني عبد مناف، ساجِرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض، فوالله ما رأيت أسحرَ منه قطُّ، ثم أخبرهم بالذي رأى، والذي صنع.

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحٰق: ثم قَدِمَ على رسول الله - ﷺ - وهو بمكة - عشرون رجلاً، أو قريبٌ من ذلك من النَّصارى، حين بلغهم خبرهُ من الحبشة، فوجدوه في المَسْجد، فجلسوا إليه وكلَّموه وسألوه، ورجالٌ من قُريش في أنديتهم حولَ الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله - ﷺ - عمّا أرادوا، دعاهم رسول الله - ﷺ - إلى الله - عزّ وجل - وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينُهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم في كتابهم من أمْره. فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جَهْل بن هشام في نَفَر من قُرَيش، فقالوا لهم: خيَّبكم الله مِنْ رَكْب! بعثكم مَن وراءكم مِنْ أهل دينكم تَرْتادون لهم؛ لتأتوهم بخَبر الرجل، فلم تطمئنّ مجالسُكم عنده، حتى فارقتم دينَكم، وصدّقتموه بمال، ما نعلم ركبًا أحمق منكم، أو كما قالوا، فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نُجَاهِلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نَأْلُ أنفسَنا خيرًا.

ويقال: إن النَّفر من النَّصارى من أهل نَجْران، فالله أعلم أيّ ذلك كان. فيقال - والله أعلم - فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿الذين آتَيْنَاهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ . . . إلى قوله: ﴿لَنا أعْمالُنا ولَكُم أعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الجاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٥].

قال ابن إسحٰق: وقد سألت ابن شهاب الزُّهريّ عن هؤلاء الآيات فيمن أُنزلن، فقال لي: ما سمعن علمائنا أنّهن أُنزلن في النجاشي وأصحابه، والآية من سورة المائدة

وفد نصارى الحبشة

فصل: وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وإيمانهم، وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى: ﴿الذين قالوا إنَّا نَصَارى﴾ ولم يقل: من النصارى، ولا سَمَّاهم هو سبحانه بهذا الاسم، وإنما حكى قولهم الذي قالوه حين عَرَّفوا بأنفسهم، ثم شهد لهم بالإيمان، وذكر أنه أثابهم الجنة، وإذا كانوا هكذا فليسوا بنصارى، هم من أمة محمد - عليه السلام - وإنما عُرف النصارى بهذا الاسم، لأن مبدأ دينهم كان من نَاصِرَةَ قرية بالشام، فاشْتُقَّ اسمُهم منهم، كما اشْتُقَّ اسم اليهود من يهُود بن يعْقوب، ثم لا يقال لمَن أسلم منهم: يهودي اسم الإسلام أولى بهم جميعًا من ذلك النسب.

من قوله: ﴿ذلكَ بأنَّ مِنهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهبانًا وأنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾. . . إلى قوله: ﴿فاكتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

قال ابن إسحٰق: وكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه: خبابٌ، وعمار، وأبو فكيهة يسار مولى صَفْوَان بن أُميَّة بن مُحَرِّث، وصُهَيب، وأشباههم من المسلمين، هَزِئت بهم قريش، وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابُه كما ترون، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بَيْننا بالهدى والحقّ! لو كان ما جاء به محمدٌ خيرًا ما سَبَقَنا هؤلاء إليه، وما خصهم اللّهُ به دُوننا. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُون رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُريدونَ وجْهَهُ ما عليكَ من حِسابِهِم مِنْ شَيْءٍ وما مِنْ حسابك عليهم مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ وكذلكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ ببَعْض لِيَقُولُوا أهٰؤلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْننا أَلَيْسَ اللَّهُ بأَعْلَمَ بالشَّاكِرِينَ وَإذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وأصْلَحَ فإنَّهُ غَفورٌ رحيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٢ ـ ٥٤].

وكان رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ كثيرًا ما يَجْلس عند المَرْوة إلى مَبِيَعَة غلام نَصْرانيّ، يقال له: جَبْرٌ، عَبْدٌ لبَني الحَضْرميّ، فكانوا يقولون: والله ما يعلِّم محمدًا كثيرًا مما يأتي به إلا جَبْرٌ النَّصراني، غلامُ بني الحضرمي، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنَّهم يقُولون إنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

قال ابن هشام: يُلْحدون إليه: يميلون، والإلحاد: الميل عن الحقّ.

عن غلام المبيعة وصهيب وأبي فكيهة:

فصل: ذكر أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يجلس إلى مَبِيعَة غُلام. المبيعة: مَفْعلة مثل المعيشة، وقد يجوز أن يكون مَفْعُلة بضم العين ـ وهو قول الأخفش، وأما قولهم: سلعة مَبِيعة فمفعولة، حُذفت الواوُ منها في قول سيبويه حين سكنوا الياء استثقالاً للضمة، وفي قول أبي الحسن الأخفش إن الياء بدل من الواو الزائدة في مَبْيُوعة، ووزنها عنده: مَفُولَة بحذف العين، وللكلام على هذين المذهبين موضع غير هذا.

وذكر صُهَيْبًا وأبا فَكِيهَة، وسنذكر اسم أبي فكيهة، والتعريف به فيما بعد لأنه بَدْرِيٌّ، وكذلك صُهَيْبُ بن سِنان، ونقتصر في هذا الموضع على ذكر اسمه وهو: يسار مولى عبد الدار.

قال رؤبة بن العَجّاج:

إذا تَبِع الضَّحَّاكَ كلُّ مُلْحِد [ونحن ضَرَّابُون هامَ الْعُنُدِ]

ابن هشام: يعني الضَّحاك الخارجيّ، وهذا البيت في أُرجوزة له.

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحٰق: وكان العاص بنُ وائل السَّهمي ـ فيما بلغني ـ إذا ذُكِر رسولُ الله ـ ﷺ ـ قال: دعوه، فإنما هو رجلٌ أبْتر، لا عَقِبَ له، لو مات لانقطع ذِكْره، واسترحتم منه، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ ما هو خير لك من الدنيا وما فيها. والكوثرِ: العظيم.

الأبتر والكوثر[1]

فصل: وذكر قول العاصي بن وَائل: إن محمدًا أَبْتَرُ إذا مات انقطع ذكره، وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة الكوثر على قول ابن إسحٰق، وأكثر المفسرين. وقيل: إن أبا جهل هو الذي قال ذلك. وقد قيل: كعب بن الأشرف، ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون سورة الكوثر مدنية، وقد روى يونس عن أبي عبد الله الْجُعْفِي عن جابر الْجُعْفِي عن محمد بن علي، قال: كان القاسم ابن رسول الله ـ ﷺ ـ قد بَلَغ أنْ يركب الدابة، ويَسير على النَّجِيبَة، فلما قبضه الله، قال العاصي: أصبح محمد أبتر من ابنه، فأنزل الله على نبيّه ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوثَرَ﴾ عِوَضًا يا محمد من مصيبتك بالقاسم: ﴿فصَلِّ لربِّك وانحر إن شَانِئَكَ هو الأَبْتَرُ﴾ ولم يقل: إن شانئك أبتر يتضمن اختصاصه بهذا الوصف، لأن هو في مثل هذا الموضع تعطي الاختصاص، مثل أن يقول قائل: إن زيدًا فاسق، فلا يكون مخصوصًا بهذا الوصف دون غيره، فإذا قلت: إن زيدًا هو الفاسق، فمعناه: هو الفاسق الذي زعمت، فدلّ على أن بالحضْرَةِ مَن يزعم غير ذلك، وهٰكذا قال الجرجاني وغيره في تفسير هذه الآية أنَّ هو تعطي الاختصاصَ، وكذلك قالوا في قوله سبحانه: ﴿وأنه هو أغْنَى وأقْنَى﴾ لما كان العباد يتوهمون أنَّ غير الله قد يغني، قال: هو أغْنَى وأقْنَى، أي: لا غيره، وكذلك قوله تعالى: ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ إذ كانوا قد يَتَوَهَّمون في الإحياء والإماتة ما توهما النمرود حين قال: أنا أُحْيي وأُميت، أي: أنا أقتل مَن شئتُ، وأَسْتَحْيي مَن شئت، فقال عزّ وجل: ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ أي: لا غيره، وكذلك قوله تعالى: ﴿وأنه هُوَ ربُّ

---

(١) انظر الطبري (٣٠/ ٢١١) وابن كثير (٨/ ٣٥٥) والبيهقي (٩/ ٢٥٩) الإتقان للسيوطي (٢/ ٥٧) والدرّ المنثور له (٦/ ٤٠٤).

....

الشِّعْرَى﴾[1] أي: هو الرَّبُّ لا غيره، إذ كانوا قد اتخَذُوا أربابًا من دونه، منها: الشِّعْرى، فلما قال: وإنه خلق الزوجين، وأنه أهلك عادًا استغنى الكلام عن هو التي تعطي معنى الاختصاص، لأنه فعلٌ لم يَدَّعِه أحدٌ، وإذا ثبت هذا، فكذلك قوله: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أي: لا أنت. والأبتر: الذي لا عَقِب له يتبعه، فعدمه كالْبَتَر الذي هو عَدَم الذَّنَب، فإذا ما قلت هذا، ونظرت إلى العاصي، وكان ذا ولد وعقِب، وولدهُ عَمْرٌو وهشام ابنا العاصي بن وائل، فكيف يثبت له الْبَتَر، وانقطاع الولد، وهو ذو ولد ونَسْلٍ، ونفيه عن نبيه، وهو يقول: ﴿ما كان مُحَمَّد أبا أحدٍ من رجالكم﴾ [الأحزاب: ٤٠] الآية. فالجواب: أن العاصي ـ وإن كان ذا ولد ـ فقد انقطعت الْعِصْمَةُ بينه وبينهم، فليسوا بأتباعٍ له، لأن الإسلام قد حجزهم عنه، فلا يرثهم ولا يَرثُونه، وهم من أتباعِ محمد عليه السلامَ، وأزواجُه أُمهاتُهم، وهو أبٌ لهم. كما قرأ: أُبَيُّ بن كعب: «وأزواجُه أُمهاتُهم، وهو أبٌ لهم[2]، والنبي أولى بهم» كما قال الله سبحانه، فهم وجميع المؤمنين أتباع النبي في الدنيا، وأتباعُه في الآخرة إلى حوضه، وهذا معنى الْكَوْثر، وهو موجود في الدنيا لكثرة أتباعه فيها، ليغذّي أرواحَهم بما فيه حياتُهم من العلم، وكثرة أتباعه في الآخرة ليسقيهم من حَوْضه ما فيه الحياة الباقية، وعدوُّ الله العاصي على هذا هو الأبتر على الحقيقة، إذ قد انقطع ذَنَبهُ وأتباعه، وصاروا تَبعًا لمحمد ـ ﷺ ـ ولذلك قوبل تَعْييرُه للنبي ـ ﷺ ـ بِالبَتَر بما هو ضده من الْكَوْثر؛ فإن الكثرة تضاد معنى الْقِلَّة، ولو قال في جواب اللعين: إنا أعطيناك الْحَوْضَ الذي من صِفته كذا وكذا لم يكن ردًّا عليه، ولا مُشاكلاً لجوابه، ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير؛ والعددَ الْجَمَّ الغفيرَ الْمُضادَّ لمعنى الْبَتَر، وأن ذلك في الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذي أعطاه، فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض، بل يجمع هذا المعنى كله، ويشتمل عليه، ولذلك كانت آنيتُه كعددِ النُّجُوم، ويقال: هذه الصفة في الدنيا: علماءُ الأمة من أصحابه ومن بعدهم، فقد قال: أصحابي كالنجوم[3]، وهو يَرْوُون العلم عنه، ويؤدّونه إليّ مَن بعدهم، كما تَرْتوِي الآنيةُ في الحوض، وتسقي الواردة عليه: تقول: رَوَيْتُ الماءَ، أي: اسْتَقَيْته كما تقول: رَوَيْتُ العلم، وكلاهما فيه حياة، ومنه قيل لمَن روى علمًا أو شعرًا: راوية تشبيهًا بالْمَزَادة أو الدَّابة

(١) سورة النجم آية رقم (٤٤ ـ ٤٩).

(٢) هذه اللفظة «وهو أب لهم» ليست آية من كتاب الله تعالى. وما ليس في القرآن من قرآن يُراد وإن قرأه أفضل الصحابة.

(٣) «ضعيف». أخرجه عبد بن حميد المنتخب (٣٧٣). وانظر الميزان (١٥١١/ ٢٢٩٩) وفي لسانه (٢/ ٤٨٨) (٢/ ٥٩٤) وتلخيص الحبير (٤/ ١٩٠) بتحقيقي وابن عساكر (٦/ ٢٨٥).

....

التي يُحمل عليها الماء وليس من باب عَلاَّمة ونَسَّابة، وفي حديث أبي بَرْزَةَ في صفة الحوض أنها تَنْزُو في أكُفِّ المؤمنين، يعني الآنيةَ، وحَصبَاءُ الحوض: اللؤلؤُ والياقوت، ويقابلهما في الدنيا الْحِكم المأثورةُ عنه، ألا ترى أن اللؤلؤَ في علم التعبير حِكَمٌ وفوائدُ علم، وفي صفة الحوض له المسك، أي: حَمأَتهُ[1] ويقابله في الدنيا: طيبُ الثناء على العلماء، وأتباع النبي الأتقياء، كما أن المسك في علم التعبير ثناءٌ حَسَنٌ، وعلم التعبير من علم النُّبوءَةِ مُقْتَبسٌ. وذكر في صفة الحوض الطيرُ التي ترده كأعناق الْبُخْتِ[2]، ويقابله من صفة العلم في الدنيا وُرودُ الطالبين من كل صُقْعٍ[3] وقُطْر على حضرة العلم وانتيابهم إيَّاها في زمن النبي - ﷺ - وبعده، فتأمل صفة الكوثر معقولَة في الدنيا، مَحْسوسةً في الآخرة مُدْرَكة بالْعِيَان - هُنالك يبين لك إعجازُ التنزيل ومطابقة السورة - لسبب - نزولها، ولذلك قال فُضَيْل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَر﴾ أي: تواضع لمَن أعطاك الكوثر بالصلاة له، فإن الكثرة في الدنيا تقتضي في أكثر الخلق الْكِبر: وتَحْدو إلى الفخر والمحيرية، فلذلك كان عليه السلام طأطأ رأسه عامَ الفتح حين رأى كثرة أتباعه، وهو على الراحلة حتى ألصق عُثْنُونَه[4] بالرَّحْلِ امْتِثالاً لأمر ربه، وكذلك أمره بالنحر شُكرًا له، ورفعِ اليدين إلى النَّحْرِ في الصلاة عند استقبال القِبلة التي عندها ينحر، وإليها يهدي معناه: الجمع بين الفعلين. النحرِ المأمور به يوم الأضحى، والإشارة إليه في الصلاة برفع اليدين إلى النَّحْر، كما أن القبلَة مَحْجُوجَةٌ مُصَلًّى إليها، فَكذلكَ ينْحَر عندها، ويُشار إلى النحر عند استقبالها، وإلى هذا التفتَ عليه السلام حين قال: مَنْ صَلَّى صلاَتَنا، واستقبل قبْلتنا، ونَسَك نُسُكَنا فهو مسلم وقد قال الله سبحانه: ﴿قل إنَّ صَلاتِي ونُسُكي ومَحْيَايَ وَمَمَاتي لِلَّهِ ربّ العالمين لا شريكَ له وبذلك أُمِرْتُ وأنا أوَّلُ المسلمين﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] فقَرن بين الصلاة إلى الكعبة، والنُّسُكَ إليها، كما قرن بينهما حين قال: ﴿فَصَلِّ لربِّك وانْحَرْ﴾ وذكر في صفة الحوض: كما بين صَنْعَاءَ وأيْلَةَ[5] وقد جاء فيه أيضًا في الصحيح «كما بين جَرْبَاء وأذْرُحَ»[6] وبينهما مسافة بعيدة، وفي الصحيح أيضًا في صفته: كما بين عَدَن أبْيَنَ إلى عَمَّانَ، وقد تقدم ذكر أبْيَنَ، وأنه ابن زهير بن أيْمَن بن حِمْير، وأن عَدَن سُمِّيت برجل من حِمْير عَدَنَ بها، أي: أقام، وتقدم أيضًا ما قاله الطبري أنَّ عَدَنَ وأبْيَنَ هما ابنا عَدْنان أخوا معدّ، وأما عَمَّانُ بتشديد الميم وفتح العين، فهي بالشام قرب دمشق، سُمِّيت بعَمَّان بن لُوط بن هَارَان، كان سَكَنها - فيما ذكروا - وأما عُمَانُ

(١) الحمأة: الطين.
(٢) البخت: الإبل طويلة العنق.
(٣) صقع: جهة وناحية.
(٤) العثنون: ما نبت على الذقن.
(٥) أخرجه الطبراني (١١/٣١٣).
(٦) متفق عليه.

الكوثر في الشعر

قالِ ابن إسحٰق: قال لَبيد بن ربيعة الكِلابيّ:

وصاحبُ مَلْحُوبٍ فُجِعنا بيَوْمِهِ وعـنـد الـرِّداعِ بـيـتُ آخـرَ كـوْثـرِ

بضم العين وتخفيف الميم، فهو باليمن سُمِّيت بعُمَان بن سِنَان، وهو من ولد إبراهيم ـ فيما ذكروا ـ وفيه نظر؛ إذ لا يُعْرَف في ولد إبراهيم لصُلبه من اسمه سِنان. وفي صفة الحوض أيضًا كما بين الكوفة ومكة، وكما بين بيت المقدس والكعبة، وهذه كلها روايات متقاربة المعاني، وإن كانت المسافات بعضها أبعدَ من بعض، فكذلك الحوض أيضًا له طول وعرض وزوايا وأركان، فيكون اختلافُ هذه المسافات التي في الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه، ولا أظمَأ أكبادَنا في الآخرة إليه. ومما جاء في معنى الكوثر ما رواه ابن أبي نَجيح عن عائشةَ ـ قالت: «الكوثر نهر في الجنة، لا يُدْخل أحد إصْبَعَيْه في أُذنيه إلا سَمِع خريرَ ذلك النهرَ»[1] وقع هذا الحديث في السيرة من رواية يونس، ورواه الدَّارَقُطْنيّ من طريق مالك بن مِغْوَلِ عن الشَّعْبِيِّ عن مَسْروقٍ عن عائشةَ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله أعطاني نهرًا يقالُ له الكَوْثَر لا يشاء أحد من أُمتي أن يسمعَ خرير ذلك الكوثر إلا سمعه»، فقلت: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: «أدْخِلِي أُصْبَعَيْك في أُذنيكِ وشُدِّي، فالذي تسمعين فيهما من خرير الكوثر»[2]. وروى الدارُقُطْنيُّ من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لعلي: «والذي نفسي بيده إنك لذائدٌ عن حَوْضي يومَ القيامة تذود عنه كُفَّار الأمم، كما تُذاد الإبلُ الضالَّة عن الماء بعصًا من عَوْسَج»[3] إلا أن هذا الحديثَ يرويه حَرَامُ بن عُثْمانَ عن ابْنَيْ جابرٍ، وقد سُئل مالك عنه، فقال: ليس بثقة، وأغلظ فيه الشافعي القول، وأما قوله ـ عليه السلام ـ: «ومِنْبَري على حوضي»، فقد قيل في معناه أقوالٌ، ويفسّره عندي الحديث الآخر، وهو قوله عليه السلام، وهو عَلَى المنبر: «إني لأنظر إلى حوضي الآن من مقامي هذا» فتأمله.

استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر

وذكر ابن هشام في الاستشهاد على معنى الكوثر قول لبيد بن ربيعة:

وصاحبُ مَلْحُوبٍ فُجِعْنَا بيومهِ وعـنـد الـرِّداعِ بـيـتُ آخر كـوْثَـرِ

---

(١) ضعيف. أخرجه الحاكم (٣/ ١٧١) وفيه انقطاع بين ابن أبي نجيح وعائشة رضي الله عنها.

(٢) «ضعيف جدًا» أخرجه الدارقطني (١/ ١٣٧).

(٣) العوسج: ضرب من الشجر له شوك. والحديث ضعيف كما سيقول السهيلي رحمه الله تعالى.

يقول: عظيم.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له. وصاحب مَلْحُوب: عَوْف بن الأحْوصِ بن جَعْفَر بن كِلاب، مات بمَلْحُوب. وقوله: عند الرِّداع بيت آخر كَوْثر: يعني شُريح بن الأحوص بن جَعْفَر بن كِلاب، مات بالرّداع. وكَوثر: أراد الكثير، ولفظه مشتقّ من لفظ الكثير. قال الكُميت بن زَيْد يمدح هِشام بن عبد الملك بن مروان:

وأنت كَثيرٌ يا بن مَرْوان طَيِّب ... وكان أبوك ابنُ العقائل كَوْثَر

وهذا البيت في قصيدة له. وقال أُميّة بن أبي عائذ الهُذليّ يصِف حمار وحش:

يُحامي الحَقيق إذا ما احتدمْن ... وحَمْحَمْنَ في كَوْثر كالجِلال

يعني بالكوثر: الغبار الكثير، شبهه لكثرته عليه بالجِلال. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: حدّثني جعفر بن عمرو ـ قال ابن هشام: هو جعفر بن عمرو بن أُميَّة الضَّمْري ـ عن عبد الله بن مُسْلم أخي محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسولَ الله ﷺ، وقيل له: يا رسول الله، ما الكوثر الذي أعطاك الله؟ قال: «نَهْر كما بين صنعاء إلى أيْلة، آنيتُه كعدد نجُوم السماء، تَرِده طيورٌ لها كأعناق الإبل». قال: يقول عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لناعمة، قال: «آكلها أنعم منها»[1].

قال ابن إسحٰق: وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال ـ ﷺ ـ: «مَنْ شَرِبَ منه لا يَظْمأ أبدًا»[2].

وبالفورة الحرّابِ ذو الفَضلِ عامرٌ ... فنعم ضياءُ الطارقِ الْمُتَنَوِّرِ

يعني عامرَ بن مالك مُلاعِبَ الأسِنَّةِ، وهو عم لَبِيدٍ، وسنذكر: لِمَ سُمِّي مُلاعِبَ الأسِنَّة إذا جاء ذكرُه إن شاء الله تعالى. وصاحبُ مَلْحُوب: عوفُ بن الأحْوَص، وقد ذكره ابن هشام. والذي عند الرِّدَاعِ: شُرَيْح بن الأحوص في قوله، وقال غيره: هو حِبَّان بن عُتْبةَ بن مالك بن جَعْفر بن كلاب. والرَّادع: من أرض اليمامة. ومَلْحُوب: مَفْعُولٌ من لَحَبْتُ العود، إذا قشرته، فكأن هذا الموضع سُمِّي مَلْحُوبًا، لأنه لا أكَم فيه ولا شَجَر.

---

(١) انظر الدرّ المنثور (٦/٤٠٢).
(٢) أخرجه الطبراني (١٠/٩٩).

نزول: ﴿وقالوا لولا نزّل عليه مَلَك﴾:

قال ابن إسحٰق: ودعا رسولُ الله - ﷺ - قومَه إلى الإسلام، وكلّمهم، فأبلغ إليهم، فقال له زَمَعَة بن الأسود، والنَّضر بن الحارث، والأسود بن عَبْد يَغوث، وأُبَيّ بن خَلَف، والعاص بن وائل: لو جُعل معك يا محمد مَلَك يحدّث عنك الناس وَيُرَى معك! فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكًا لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٨، ٩].

نزول ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾

قال ابن إسحٰق: ومرّ رسولُ الله ﷺ - فيما بلغني - بالوليد بن المغيرة، وأمية بن خَلَف، وبأبي جَهْل بن هشام، فغمزوه وهَمَزوه، واستهزؤوا به، فغاظه ذلك: فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم: ﴿وَلَقَدْ اسْتُهْزِيءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بالَّذِين سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بهِ يَسْتَهْزِئون﴾ [الأنبياء: ٤١].

ذكر حديث المستهزئين

وذكر حديث الْمُسْتَهْزئين برسول الله - ﷺ - وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى: ﴿ولقد اسْتُهْزِىءَ برُسُلٍ مِنْ قَبْلِك﴾ [الأنبياء: ٤١] الآية. فقال فيها: اسْتُهْزِىء بِرُسُلٍ ثم قال: فحاق بالذين سَخِروا منهم، ولم يقل: اسْتَهْزَءُوا، ثم قال: ما كَانوا به يستهزئون ولم يقل: يَسْخرون. ولا بدَّ في حكمةٍ في هذا من جهة البلاغة وتنزيلِ الكلام منازله، فقوله: اسْتُهْزِىء برُسُلٍ، أي: أُسْمِعُوا من الكلامِ الذي يُسَمَّى اسْتِهزاءَ ما ساءهم تأنيسًا له، ليتأسّى بمَن قبله من الرسل، وإنما سُمِّي استهزاء إذا كان مسموعًا، وهو من فعل الجاهلين: قال الله تعالى: ﴿أتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قال أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين﴾ [البقرة: ٦٧]. وأما السُّخْرُ والسُّخْرَى، فقد يكون في النفس غير مسموعٍ، ولذلك تقول: سَخِرْت منه، كما تقول: عَجِبْتُ منه إلا أن الْعجب لا يختص بالمعنى المذموم، كما يختص السُّخْر، وفي التنزيل خبرًا عن نوح: ﴿إنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كما تَسْخَرُون﴾ [هود: ٢٨] ولم يَقُل: نَسْتَهْزِىء بكم كما تَسْتَهْزِئون؛ لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء، إنما هو من فعل الجاهلين كما قدّمنا من قول موسى عليه السلام، فالنبي يَسْخَر: أي، يعجب من كُفْرِ مَن يَسْخر به، ومن سُخْر عقولهم، فإن قلت: فقد قال الله تعالى: ﴿الله يستهزىء بهم﴾، قلنا: العربُ تسمي الْجَزاءَ على الفعل باسم الفعل كما قال تعالى: ﴿نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ﴾ وهو مَجازٌ حسن[1] وأما

---

(١) النسيان هنا حقيقة لا مجاز، والنسان لغة: الترك. وانظر مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢١/٥).

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحٰق المطّلبي قال: ثم أُسرِيَ برسولِ الله - ﷺ - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيتُ المقدس من إيلياء، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش، وفي القبائل كلها.

قال ابن إسحٰق: كان من الحديث فيما بلغني عن مَسْرَاه - ﷺ - عن عبد الله بن مَسْعود، وأبي سَعيد الخُدْريّ، وعائشة زوج النبيّ ﷺ، ومعاوية بن أبي سفيان، والحسن بن أبي الحسن البصري، وابن شهاب الزُّهريّ، وقَتادة وغيرهم من أهل العلم،

الاستهزاء الذي كُنَّا بصدَدِه، فهو المسمّى استهزاءً حقيقة، ولا يرضى به إلا جهول. ثم قال سبحانه: ﴿فَحَاقَ بالذين سَخِرُوا منهم ما كانوا به يَسْتَهْزِئون﴾ أي حاق بهم من الوعيد الْمُبلَّغ لهم على ألسنة لرسل ما كانوا يستهزؤون به بألسنتهم، فنزلت كل كلمة منزلها، ولم يحسن في حكم البلاغة وضْعُ واحدةٍ مكانَ الأُخرى. وذكر أيضًا قوله سبحانه: ﴿ولو جَعلْنَاه مَلَكًا لجعلناه رَجُلاً﴾ أي: لو جعلنا الرسول إليهم من الملائكة لم يكن إلا على صُورة رجل، وَلِدَخَل عليهم من اللَّبْس فيه ما دَخَل في أمْر مُحَمَّد وقوله: ﴿لَبَسْنا﴾ يدل على أن الأمرَ كله منه سبحانه، فهو يُعْمِي مَن شاء عن الحق، ويَفْتح بَصيرةَ مَن شاء، وقوله: ﴿ما يَلْبسون﴾، مَعناه: يَلْبِسون على غيرهم، لأن أكثرهم قد عَرَفوا أنه الحقُّ، ولكن جَحَدُوا بها، واسْتَيْقَنَتْها أنفُسهم، فَجعلوا، يَلْبِسُونَ أي يَلْبِسُ، بعضُهم على بعض وَيَلْبِسُون على أهليهم وأتباعهم، أي: يخلطون عليهم بالباطِلِ، تقول العرب: لَبَسْتُ عليهم الأمْرَ أَلْبِسُه، أي: سترتُه وخلطته، ومن لُبْس الثيابِ: لَبِسْت أَلْبَسُ، لأنه في معنى كَسِيتُ، وفي مُقابلة عَرِيتُ، فجاء على وزنه، والآخر في معنى: خَلَطْتُ أو سَتَرْت، فجاء على وزنه.

شرح ما في حديث الإسراء من المشكل[1]

اتفقت الرواة على تسميته إسراءً، ولم يُسَمِّه أحَدٌ منهم: سُرًى، وإن كان أهلُ اللغة قد قالوا: سَرَى وأَسْرَى بمعنى واحد، فدلّ على أن أهل اللغة لم يُحَقِّقوا العبارة، وذلك أن القُرَّاءَ لم يختلفوا في العلاوة من قوله: ﴿سُبْحانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ولم يقل: سَرَى،

---

(١) انظر للمحقق «القول الوهاج في شرح حديث الإسراء والمعراج». وانظر المنتظم (٣/ ٢٥) البداية (٣/ ١٠٨) الكامل (١/ ٥٧٨) الدلائل للبيهقي (٢/ ٣٥٤) طبقات ابن سعد (١/ ٢١٣) وانظر البخاري كتاب مناقب الأنصار. حديث رقم (٣٨٨٧) ومسلم في الإيمان (٢٦٤) وفتح الباري (٧/ ٣٠١) وأحمد (١/ ٣٠٩) الآية الكبرى للسيوطي/ الشفاء للقاضي عياض (١/ ٢٣١) وزاد المعاد (٣/ ٣٤).

وأُمّ هانىء بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث، كلٌّ يحدّث عنه بعضَ ما ذكِر من أمره حين أُسرِي به ـ ﷺ ـ، وكان في مَسْراه، وما ذكر عنه بلاء وتمْحيص، وأمر مِنْ أمر الله في قدرته وسلطانه، فيه عبرة لأُولي الألباب، وهدًى ورحمةٌ وثبات لمَن آمن وصدّق، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين، فأُسْرِي به كيف شاء، ليُريه من آياته ما أراد، حتى عاينَ ما عاين مِنْ أمره وسُلطانه العظيم، وقُدْرته التي يَصْنع بها ما يُريد.

راوية ابن مسعود:

فكان عبدُ الله بن مسعود ـ فيما بلغني عنه ـ يقول:

أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بالبُراق ـ وهي الدّابّة التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبلَه، تضع حافرَها في منتهى طرفها ـ فحُمل عليها، ثم خرج به صاحبُه، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيمَ الخليلَ وموسى وعيسى في نَفَر من الأنبياء قد جُمعوا له، فصلّى بهم. ثم أُتِيَ بثلاثة آنية، إناء فيه لبن،

وقال: والليل إذا يَسْر، ولم يقل: يُسْرِي، فدلّ على أن السُّرَى من سَرَيت إذا سِرْت ليلاً، وهي مؤنثة تقول: طالت سُرَاكَ الليلة، والإسراءُ مُتَعَدٍّ في المعنى، ولكن حذف مفعوله كثيرًا حتى ظن أهلُ اللغة أنهما بمعنى واحد، لما رأوْهُما غير متعديين إلى مفعول في اللفظ، وإنما أسْرى بعبده، أي: جعل الْبُراقَ يَسْرِي، كما تقول: أمْضَيْتُه، أي: جعلته يَمْضي، لكن كَثُر حذفُ المفعول لقوة الدلالة عليه، أو للاستغناء عن ذِكْره، إذ المقصودُ بالخبر ذكْرُ محمد، لا ذكر الدابّة التي سارت به، وجاز في قصة لوط عليه السلام. أن يقال له: فأَسْرِ بأهلك: أي فاسْرِ بهم، وأن يقرأ فأَسْرِ بأهلك بالقَطْع، أي: فأسْرِ بهم ما يَتَحَمَّلُون عليه من دابةٍ أو نحوها، ولم يتصور ذلك في السُّرى بالنبي ﷺ، إذ لا يجوز أن يقال سَرَى بعبده بوجه من الوجوه؛ فلذلك لم تأتِ التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة فتدبره. وكذلك تسامح النحويون أيضًا في الباء والهمزة، وجعلوهما بمعنى واحد في حكم التعدية، ولو كان ما قالوه أصلاً لجاز في: أمرضْته أنِ تقول: مَرِضْت به، وفي أسْقَمْتُه: أن تقول: سَقِمْتُ به، وفي أَعْمَيْتُه أن تقول: عَمِيتُ به قياسًا عليّ: أذْهَبْتُهُ وَأذْهَبْتُ به، ويأبى الله ذلك والعالمون؛ فإنما الباء تُعطي مع التعدية طَرَفًا من المشاركة في الفعل ولا تعطيه الهمزةُ، فإذا قلت: أقعدته، فمعناه: جعلته يقعد، ولكنك شاركته في القعود، فجذبته بيدك إلى الأرض، أو نحو ذلك، فلا بدّ من طَرَفٍ من المشاركة إذا قعدت به، ودخلت به، وذهبت به بخلاف أدخلته وأذهبته.

وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء قال. فقال رسول الله ﷺ: «فسمعتُ قائلاً يقول حين عُرضت عليّ: إنْ أخذ الماء، غرق وغَرِقتْ أُمّته، وإن أخذ الخَمرَ غوَى، وغوتْ أُمته، وإن أخذ اللبن هُدِيَ، وهُدِيَت أُمته. قال: فأخذتُ إناءَ اللبن، فشربتُ منه، فقال لي جبريلِ عليه السلام: هُدِيتَ وهُدِيَت أُمتك يا محمد».

حديث الحسن:

قال ابن إسحٰق: وحُدِّثت عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم في الحِجْر، إذ جاءني جبريلُ، فهَمزني بقدمه، فجلست فلم أرَ شيئًا، فعُدت إلى مَضْجعي، فجاءني الثانيةَ فهمزني بقدمه، فجلستُ فلم أرَ شيئًا، فعدتُ إلى مَضْجعي، فجاءني الثالثةَ فهمزني بقدمه، فجلستُ، فأخذ بعَضدي، فقمت معه فخرج إلى بابِ المسجد، فإذا دابَّة أبيضُ، بين البغل ـ والحمار ـ في فَخِذيه جَناحانِ يخفِر بهما رجْليه، يضع يده في مُنتهى طرفه، فحملني عليه، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

حديث قتادة:

قال ابن إسحٰق، وحُدِّثت عن قَتادة أنه قال: حُدّثت أن رسولَ الله ﷺ قال: «لما دنوتُ منه؛ لأركبه شَمَس، فوضع جبريلُ يدَهُ على مَعْرفَته، ثم قال: ألا تَسْتَحِي يا بُرَاقُ مما تَصْنع، فوالله ما ركبك عَبْدٌ لله قبلَ محمدٍ أكرمُ على الله منه. قال: فاسْتحيا حتى ارْفَضَّ عَرَقًا، ثم قَرَّ حتى رَكبته».

من حديث الحسن:

قال الحسنُ في حديثه: فمضى رسولُ الله ﷺ، ومضى جبريلُ عليه السلام معه، حتى انتهى به إلى بيت المقدِس، فوجد فيه إبراهيمَ ومُوسى وعيسى في نَفَر من الأنبياء

فإن قلت: فقد قال الله سبحانه: ﴿ذهب الله بنورهم وذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ ويتعالى ـ سبحانه ـ عن أن يوصف بالذهاب، ويضاف إليه طرف منه، وإنما معناه: أذْهب نورهم وسمعَهم. قلنا: في الجواب عن هذا: أن النور والسمع والبصر كان بيده سبحانه، وقد قال: بيده الخير، وهذا من الخير الذي بيده، وإذا كان بيده، فجائز أن يقال ذَهَبَ به على المعنى الذي يقتضيه قوله سبحانه بيَدِه الخيرُ كائنًا ما كان ذلك المعنى، فعليه ينبني ذلك المعنى الآخر الذي في قوله: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ مَجازًا كان أو حَقيقةً، ألا ترى أنه لما ذكر الرِّجسَ كيف قال: ﴿لِيذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ولم يقلْ يَذْهَبُ به، وكذلك قال: ﴿ويُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾

فأمَّهم رسولُ الله ـ ﷺ ـ فصلّى بهم، ثم أُتِيَ بإناءين، في أحدهما: خمر، وفي الآخر: لَبن. قال: فأخذ رسولُ الله ﷺ إناءَ اللبن، فشَرب منه، وترك إناء الخمر. قال: فقال له جبريلُ: هُديت للفِطْرة، وهُديَتْ أمّتك يا محمد، وحُرِّمت عليكم الخمر، ثم انصرف رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى مكة، فلما أصبح غَدا على قريش، فأخبرهم الخبرَ. فقال أكثر الناس: هذا والله الأمْرُ البيِّن، والله إن العِير لتُطْرد شهرًا من مكة إلى الشام مُدبرة، وشهرًا مقبلة، أفيذهب ذلك محمدٌ في ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة! قال: فارتدّ كثيرٌ ممّن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بَكْر، فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك، يزعم أنه قد جاء هذه الليلةَ بيتَ المقدس، وصلَّى فيه، ورجع إلى مكَّة. قال: فقالَ لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه، فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدّث به الناس، فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صَدق، فما يُعجبكم من ذلك؟! فوالله إنه ليُخبرني أنّ الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعةٍ من ليل أو نهار فأصدّقه، فهذا أبعدُ مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسولِ الله ـ ﷺ ـ فقال: يا نبيّ الله. أحدّثتَ هؤلاء القومَ أنك أتيت المَقْدس هذه الليلةَ؟ قال: «نعم»، قال: يا نبيّ الله، فصفه لي، فإني قد جِئْته ـ قال الحسن: فقال رسولُ الله ﷺ: «فرُفع لي حتى نظرتُ إليه» ـ فجعلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ يَصِفه لأبي بكر: ويقول أبو بكر: صدقتَ، أشهد أنك رسولُ الله، كلما وصف له منه شيئًا، قال: صدقتَ، أشهد أنك رسولُ الله، حتى انتهى، قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصدّيق، فيومئذ سمّاه الصِّدّيق.

قال الحسن: وأنزل الله تعالى فيمن ارتدّ عن إسلامه لذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ إلا فِتْنَةً للناسِ والشَّجَرَةَ المَلْعُونةَ فِي القُرآنِ ونُخَوّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

فهذا حديث الحسن عن مَسْرى رسولِ الله ﷺ. وما دخل فيه من حديث قتادة.

[الأنفال: ١١] تعليمًا لعبادِهِ حُسْن الأدب معه، حتى لا يضاف إلى القُدُّوس سبحانه ـ لفظًا ومعنًى شيءٌ من الأرجاس، وإن كانت خَلْقًا له ومِلْكًا فلا يقال: هي بيده على الخصوص، تحسينًا للعبارة وتنزيهًا له، وفي مثل النور والسمع والبصر يَحْسُن أن يقال: هي بيده، فحَسُنَ على هذا أن يقال: ذَهَبَ به، وأما أسْرى بعبده، فإن دخولَ الباء فيه ليس من هذا القبيل، فإنه فعل يتعدّى إلى مفعول، وذلك المفعول المسْرى هو الذي سَرى بالعبدِ فشاركه بالسُّرى، كما قدّمنا في قَعَدْتُ به أنه يُعْطى المشاركةَ في الفعْل، أو في طَرَفٍ منه، فتأمله.

الإسراء رؤيا

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بَعضُ آل أبي بكر: أن عائشة زوجَ النبيّ ﷺ كانت تقول: ما فُقِد جَسدُ رسولِ الله - ﷺ - ولكن الله أسْرىَ بروحه.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنس: أن معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سُئِلَ عن مَسْرى رسولِ الله - ﷺ - قال: «كانت رُؤيا من الله تعالى صادقة».

فلم يُنْكَر ذلك من قولهما، لقول الحَسن: إن هذه الآية نزلت في ذلك، قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنا الرُّؤْيا التي أرَيْناك إلاَّ فِتْنَةً للنَّاس﴾ [الإسراء: ٦٠]. ولقول الله

أكان الإسراء يقظة أم منامًا

فصل: وتقدم بين يدي الكلام في هذا الباب: هل كان الإسراء في يقظةٍ بجسده، أو كان في نومه بروحه، كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حين مَوْتها والتي لم تَمُتْ في مَنَامِها﴾ [الزمر: ٤٣] وقد ذكر ابن إسحٰق عن عائشةَ ومعاويةَ أنها كانت رؤيا حقٌّ، وأن عائشة قالت: لم تفقد بدَنه، وإنما عُرِج بروحه تلك الليلة، ويحتجّ قائل هذا القول بقوله سبحانه: ﴿وما جَعَلْنَا الرُّؤيَا التي أرَيناكَ إلاَّ فِتْنَةً للناس﴾ [الإسراء: ٦٠]. ولم يقل: الرُّؤْيَة، وإنما يُسَمَّى رؤيا ما كان في النوم في عُرْف اللغة، ويحتجّون أيضًا بحديث البُخاري عن أنس بن مالك قال: ليلة أُسْرِيَ برسول الله - ﷺ - من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثةُ نفر قبل أن يُوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيّهم هو؟ فقال أوسَطُهم: هو هذا، وهو خيرهم، فقال آخرهم: خُذوا خيرهم فكان تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتَوْه ليلة أخرى، فيما يرى قلبهُ وتنام عينه ولا ينامُ قلبه، وكذلك الأنبياءُ عليهم السلامُ تنام أعينُهم، ولا تنام قلوبُهم، فلم يُكلّموه، حتى احْتَمَلُوه فوضعوه عند بئرِ زَمْزَمَ، فتولاّه منهم جبريلُ. الحديث بطوله، وقال في آخره: واستيقظ، وهو في المسجد الحرام، وهذا نص لا إشكال فيه أنها كانت رؤيا صادقة، وقال أصحابُ القول الثاني: قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة، وأنشدوا للراعي يصف صائدًا:

وكَبَّر للرُّؤْيَا، وهَشَّ فؤادُه ... وبَشَّر قلبًا كان جَمًّا بلابلُه[1]

قالوا: وفي الآية بيان أنها كانت في اليقظة، لأنه قال: ﴿وما جعلنا الرُّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاَّ فتنة للناس﴾ ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتدّ كثيرٌ ممّن أسلم، وقال

---

(١) البلابل: الوساوس والهموم.

تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه: ﴿يا بُنَيَّ إنِّي أرَى في المَنامِ أنِّي أذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. ثم مضى على ذلك. فعرفتُ أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظًا ونيامًا.

قال ابن إسحٰق: وكان رسولُ الله - ﷺ - فيما بلغني - يقول: «تنام عيناي، وقلبي يقظان». والله أعلم أيّ ذلك كان قد جاءه، وعاين فيه ما عاين، من أمر الله، على أيّ حاليه كان: نائمًا، أو يقظان، كلّ ذلك حَقّ وصدق.

الكفّار: يزعم محمد أنه أتى بيتَ الْمَقْدِس، ورجع إلى مكة ليلته، والعِير تطرد إليها شهرًا مُقْبِلةً وشهرًا مُدْبِرةً، ولو كانت رؤيا نوم، لم يستبعد أحدٌ منهم هذا، فمعلومٌ أن النائم قد يرى نفسه في السماءِ، وفي المشرقِ والمغرب، فلا يستبعد منه ذلك واحتجّ هؤلاء أيضًا بشربه الماء من الإناء الذي كان مُغَطًّى عند القوم، ووجدوه حين أصبح لا ماءَ فيه، وبإرشاده للذين نَدَّ بعيرُهم حين أنفرَهم حِسُّ الدابّة، وهو الْبُرَاقُ حتى دلّهم عليه، فأخبر أهل مكة بأمارة ذلك، حتى ذلك الغِرارَتَيْنِ السَّوْداءِ والْبَرْقَاء كما في هذا الكتاب، وفي رواية يونس: أنه وعَدَ قريشًا بقُدوم الْعِير التي أرشدهم إلى البعير، وشرب إناءهم، وأنهم سَيَقْدُمُون ويُخْبِرون بذلك، فقالوا: يا محمدُ متى يَقْدُمون؟ فقال: «يوم الأربعاء»، فلما كان ذلك اليوم، ولم يَقْدُموا، حتى كَرَبَت الشمسُ أن تَغْرُبَ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قَدِموا كما وصف، قال: ولم يحبس الشمسَ إلا له ذلك اليوم، ولِيُوشَع بن نُونٍ[1] وهذا كلُّه لا يكون إلا يَقَظةً، وذهبت طائفةٌ ثالثة، منهم: شيخُنا القاضي أبو بكر [بن العربي] رحمه الله إلى تصديق المقالتين، وتصحيح الحديثين، وأن الإسراء كان مرتين، إحداهما: كان في نومه وتوطئةً له وتيسيرًا عليه، كما كان بدء نبوّته الرؤيا الصادقة، ليسهل عليه أمر النبوّة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية، وكذلك الإسراء سهّله عليه بالرؤيا؛ لأن هولَه عظيم، فجاءه في اليقظة على تَوْطِئَةٍ وَتقْدِمَةٍ، رفقًا مِن الله بعبده وتسهيلاً عليه، ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكى هذا القولَ عن طائفةٍ من العلماءِ، وأنهم قالوا: كان الإسراء مرتين: مرةً في نومه، ومرة في يقظته ببدنه - ﷺ -.

قال المؤلف: وهذا القول هو الذي يصحّ، وبه تتفق معاني الأخبار، ألا ترى أنه قال في حديث أنس الذي قدّمنا ذكره: أتاه ثلاثة نفر قبل أن يُوحى إليه، ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة، وحين فُرضت الصلاة كما قدّمنا في الجزء قبل هذا، وقيل كان قبل الهجرة بعامٍ، ولذلك قال في الحديث: فارتدّ كثير ممّن كان قد أسلم، ورواة الحديثين حفاظ، فلا يستقيم

---

(١) يوشع بن نون: أحد أنبياء بني إسرائيل، وهو صاحب موسى عليه السلام في رحلته إلى الخضر.

....

الجمع بين الروايتين إلا أن يكون الإسراءُ مرتين، وكذلك ذكر في حديث أنس: أنه لقي إبراهيمَ في السماء السادسةِ وموسى في السابعةِ، وفي أكثر الروايات الصحيحة أنه رأى إبراهيم عند البيت المعمور في السماء السابعة، ولقي موسى في السادسةِ، وفي رواية ابن إسحٰق أُتِيَ بثلاثة آنيةٍ، أحدها ماءٌ فقال قائل: إن أخذ الماءَ غَرِقَ، وغرقت أُمته، وفي إحدى روايات البخاري في الجامع الصحيح: أنه أُتِيَ بإناء فيه عَسَلٌ، ولم يذكر الماءَ والرواةُ أثباتٌ، ولا سبيل إلى تكذيب بعضهم ولا توهينهم، فدلّ على صحة القول بأنه كان مرتين، وعاد الاختلاف إلى أنه* كان كله حقًّا، ولكن في حالتين ووقتين مع ما يشهد له من ظاهر القرآن، فإن الله سبحانه يقول: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فكان قابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى فأَوْحَى إلى عبده ما أوحى﴾ ثم قال: ﴿ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رأى﴾ [النجم: ٨ ـ ١١] فهذا نحو ما وقع في حديث أنس من قوله: فيما يراه قلبه، وعينه نائمة والفؤادُ: هو القلبُ، ثم قال: ﴿أفَتُمارُونَه على ما يَرى﴾ ولم يقل: ما قَدْ رَأى، فدلّ على أن ثَمَّ رؤيةً أخرى بعد هذه، ثم قال: ﴿ولقد رآه نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أي: في نَزْلَةٍ نَزلَها جبريلُ إليه مرة، فرآه في صورته التي هو عليها ﴿عِنْد سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى إذْ يغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال: يغشاها فراشٌ من ذَهَبٍ، وفي رواية: يَنْتَثر منها الياقوتُ، وثمرُها مثل قِلاَلِ هَجَر[1] ثم قال: ﴿ما زَاغَ الْبَصَرُ﴾ ولم يقل: الْفُؤاد، كما قال في التي قبل هذه، فدلّ على أنها رُؤْيَةُ عينٍ وبصرٍ في النَّزلَةِ الأُخرى، ثم قال: ﴿لقد رأى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الْكُبرى﴾، وإذا كانت رؤية عينٍ؛ فهي من الآياتِ الكُبرى، ومن أعظم البراهين والْعِبر، وصارت الرؤيا الأولىَ بالإضافة إلى الأُخرى ليست من الْكُبَر؛ لأن ما يراه العبدُ في منامه دون ما يراه في يقظته لا محالةَ، وكذلك قال في أكثر الأحاديث إنه رأى عند سِدْرة المنتهى نهرين ظاهرين، ونهرين باطنين، وأخبره جبريل أن الظاهرَين: النيلُ والفرات، وذكر في حديث أنس أنه رأى هذين النهرين في السماء الدنيا، وقال له الملك: هما النيلُ والفراتُ، أصلهما وعنصرهما، فيحتمل أن يكون رأى في حال اليقظةِ منبعَهما، ورأى في المرة الأُولى النهرين دون أن يرى أصلَهما والله أعلم. فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماءِ ماءً بِقَدَرٍ فأسْكَنّاه في الأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨] أنهما النيل والفرات أُنزِلا من الجنة من أسفل درجةٍ منها على جَناحِ جبريل، فأودعهما بطونَ الجبال ثم إن الله سبحانه سيرفعهما، ويذهب بهما عند رفع القرآنَ وذَهَابِ الإيمان، فلا يبقى على الأرض خير، وذلك قوله تعالى: ﴿وإنّا عَلَى ذَهَابٍ به

(١) قرية من قرى المدينة: كانت معروفة ومشهورة بقلالها الكبيرة.

....

لَقَادِرُونَ﴾[1] وفي حديثٍ مُسْنَدٍ ذكره النحاس في المعاني بأتم من هذا فاختصره، ووقع في كتاب المعلم للمَازَرِيِّ قول رابع في الجمع بين الأقوال قال: كان الإسراء بجسده في اليقظة إلى بيت المقدس، فكانت رؤيا عين، ثم أسرى بروحه إلى فوق سبعِ سَمٰوات، ولذلكِ شَنَعَ الكفارُ قوله: وأتَيْتُ بيتَ المقدس في ليلتي هذه، ولم يَشْنَعُوا قوله فيما سوى ذلك.

شماس البراق:

فصل: ومما يُسْأَل عنه في هذا الحديث شِماسُ الْبُراقِ حين ركبه النبي - ﷺ - فقال له جبريل: أما تستحيي يا بُراقُ، فما ركبك عبدٌ لله قبْل محمد هو أكْرَمُ عليه منه، فقد قيل: في نفرته ما قاله ابن بَطَّال في شرح الجامِع الصحيح، قال: كان ذلك لبُعد عهد الْبُراقِ بالأنبياء، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، وروى غيره في ذلك سببًا آخر قال في روايته في حديث الإسراء: قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شَمَسَ به الْبُراقُ: لعلك يا محمد مَسَسْتَ الصَّفْرَاءَ اليوم، فأخبره النبي - ﷺ - أنه ما مَسَّها إلاَّ أنه مَرَّ بها، فقال: تَبًّا لِمَن يعبُدك من دون الله، وما مسّها إلا لذلك، وذكر هذه الرواية أبو سعيد النَّيْسَابُوري في شرف المصطفى، فالله أعلم، وقد جاء ذكر الصَّفْراء في مُسنَدِ البَزَّار[2]، وأنها كانت صَنَمًا بعضه من ذهب فكسرها رسولُ الله - ﷺ - يوم الفتح، وفي الحديث الذي خرّجه التِّرمِذِيّ من طريق بُرَيدَة الأسْلَمي أنه - عليه السلام - حين انتهى إلى بيت المقدس، قال جبريل: بإصْبَعه إلى الصخرة، فخَرقها فَشدَّ بها الْبُراق، وصلَّى[3]، وأنَّ حُذَيْفَةَ أنكر هذه الرواية، وقال: لم يفرّ منه وقد سَخّره له عالمُ الغَيْبِ والشّهادة[4]، وفي هذا من الفقه على رواية بُرَيْدَة: التنبيهُ على الأخذ بالحزم مع صحة التوكل، وأن الإيمان بالقدَرِ كما - رُوِيَ عن وَهْب بن مُنَبِّهِ - لا يمنع الحازمَ من تَوقِّي المهالك. قال وهب: وَجَدْتُه في سبعين كتابًا من كُتُبِ الله القديمة[5]،

(١) تفسير الآية فإن مقصودها والمراد منها النيل والفرات - تفسير وتأويل بعيد. وقد أجاد النووي في شرح مسلم من بيان وتفسير نبع النيل والفرات من الجنة. فانظره هناك.

(٢) أخرجه البزار بسند متصل عن علي رضي الله عنه. قال القاري (١/٣٩٩): فيه زياد بن المنذر: كذاب.

(٣) «ضعيف». أخرجه الترمذي (٣١٣٢). وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) أخرجه الترمذي (٣١٤٧). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) تقدم التنبيه أن وهب بن منبه أحد مسلمي أهل الكتاب وكان رضي الله عنه يكثر من الرواية عنهم، وفيه ما يصادم صريح القرآن وصحيح السُّنَّة.

وهذا نحو من قوله ﷺ: «قَيِّدها وتَوَكَّل»[1] فإيمانُه ﷺ بأنه قد سُخِّر له كإيمانه بقدَرِ الله وعلمِه بأنه سبق في عِلمِ الكتاب ما سبق، ومع ذلك كانَ يَتَزَوَّدُ في أسفاره ويُعِدُّ السلاح في حُروبه، حتى لقد ظاهر بين دِرْعين في غَزْوةِ أُحُدٍ. وَرَبْطُه للبُراق في حَلْقَةِ البابِ من هذا الفن، وهو حديث صحيح، وقد رواه غير بُرَيْدَة ووقع في حديث الحارث بن أبي أُسامة من طريق أَنَس، ومن طريق أبي سعيد، وغيرهما أعني رَبْطَه للبُراق في الْحَلْقَة التي كانت تَرْبِطُه فيها الأنبياء، غير أن الحديثَ يرويه داود بن الْمُحَبِّر، وهو ضعيف.

معنى قول الملائكة: مَن معك:

معنى قول الملائكة: مَن معك ومما يُسْأَلُ عنه قولُ الملائكة في كل سماء لجبريل: مَنْ معك، فيقول: محمد، فيقولون: أوَقد بعث إليه فيقول: نعم هكذا لفظ الحديث في الصِّحاح، ومعنى سؤالهم عن الْبَعْثِ إليه فيما قال بعض أهل العلم، أي: قد بعث إليه إلى السماء، كما قد وجدوا في العلم أنه سيعرج به، ولو أرادوا بَعْثَه إلى الخلق، لقالوا: أوَقد بُعِثَ، ولم يقولوا إليه، مع أنه يبعد أن يخفى عن الملائكة بعثُه إلى الخلق، فلا يعلمون به إلى ليلة الإسراء. وفي الحديث الذي تقدم في هذا الكتاب بيانٌ أيضًا حين ذكر تسبيح ملائكة السماء السابعة، ثم تسبيح ملائكة كل سماء، ثم يسأل بعضهم بعضًا: مِمَّ سَبَّحتم حتى ينتهي السؤال إلى ملائكة السماء السابعة، فيقولون: قَضَى ربُّنا في خَلْقه كذا، ثم ينتهي الخبرُ إلى سماء الدنيا - الحديث بطوله، وفي هذا ما يدل على أن الملائكة قد علمت بنبوّة محمد - ﷺ - حين نُبِّيء، وإنما قالت: أوَقد بعث إليه، أي قد بعث إليه بالْبُرَاقِ كما تقدَّم على أن في حديث أنس أن ملائكةَ سماءِ الدنيا قالت لجبريل: أوَقد بعث، كما وقع في السيرة وليس في أول الحديث: إليه، هذا إنما جاء في حديث الرُّؤيا التي رآها بقلبه، كما قدّمنا، وأن ذلك قبل أن يُوحى إليه كما جاء في الحديث بعينه، وفي هذا قوة لما تقدم من أن الإسراء كان رُؤيا، ثم كان رؤية؛ ولذلك لم نجد في رواية من الروايات أن الملائكة قالوا: أوَقد بُعِث إليه إلا في ذلك الحديث، فالله أعلم[2].

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٢/ ٤٥٤) والرواية المتداولة «اعقلها وتوكل». أخرجها ابن حبان (٢٥٩٩) موارد - والبيهقي في الآداب (٩٩٣) بتحقيقي. وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٩٠).

(٢) وفي طرق جبريل لباب السماء وردّ الملائكة عليه، ثم سؤالهم ثم إجابته ثم سؤالهم مرة أخرى ثم إجابته عليهم السلام، يعطي النبي ﷺ فسحة من الوقت لينتظر في ملكوت الله تعالى عند طرق السماء الأولى فينظر في النجوم والكواكب والأرض وحرس السماء إلى غير ذلك من آيات الله عزّ وجل، قال تعالى: ﴿لنريه من آياتنا الكبرى﴾، ويتكرر نفس المشهد عند كل سماء ليجول=

....

باب الحفظة:

وذكر باب الْحَفَظَةِ، وأن عليه ملَكًا يقال له: إسماعيل، وقد جاء ذكره في مُسْنَدِ الحارثِ، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملَك، هكَذا لفظُ الحديث في رواية الحارثِ، وفي رواية ابن إسحٰق: اثنا عشر ألف مَلَك هكذا لفظ الحديث، وفي مُسْنَد الحارث أيضًا.

وذكر سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، فقال: لو غطيتُ بورَقة من ورقها هذه الأُمَّةُ لغطَّتهم، وفي صفتها من رواية الجميع: فإذا ثمرُها كقِلاَل هَجَر، وفي حديثِ الْقُلَّتَيْنِ من كتاب الطهارة، من رواية ابن جُرَيْج: إذا كان الماءُ قُلَّتيْن من قِلاَلِ هَجَر لم يحمل الخبث[1] قالوا: والقلّتان منها تَسعَانِ خمسمائة رطل، قال الترمذي: وذلك نحو من خَمْسِ قِرَبٍ، وفي تفسير ابن سلام قال عن بعض السلف: إنها سُمِّيَتْ سِدْرَة الْمُنتَهى، لأن روح المؤمن ينتهي به إليها، فتصلّي عليه هنالكَ الملائكةُ المقربون. قال ذلك في تفسير علّيين[2].

آدم في سماء الدنيا والأسودة التي رآها:

فصل: وفيه أنه رأى آدم في سماء الدنيا، وعن يمينه أُسودة، وعن شماله أسْوِدة، وأن جبريلَ أعلمه أن الأسْوِدة التي عن يمينه هم: أصحابُ الْيَمين، وفي رواية ابن إسحٰق: تعرض عليه أرواحُ ذُريته، فإذا نظر إلى الذين عن يمينه ضحك، وقد سُئِلَ عن هذا، فقيل: كيف رأى عن يمينه أرواحَ أصحاب اليمين، ولم يكن إذ ذاك من أصحاب اليمين إلا نَفَرٌ قَلِيل، ولعله لم يكن ماتَ تلك الليلة منهم أحد، وظاهرُ الحديثِ يقضي أنهم كانوا جماعة. فالجوابُ أن يقال: إنْ كان الإسراءُ رؤيا بقلبه، فتأويلها أن ذلك سيكون، وإن كانت رُؤْيا عين، كما قال ابن عباس وغيره بمعناه: أن ذلك أرواحُ المؤمنين رآها هنالك، لأن الله تعالى يتوفى الخلقَ في منامِهم، كما قال في التنزيل: ﴿اللَّهُ يَتَوفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِها﴾ [الزمر: ٤٣] فصعد بالأرواح إلى هنالك، فرآها ثم أُعيدت إلى أجسادها. وجوابٌ آخر: وهو أنَّ أصحابَ اليمين الذين ذكرهم اللَّهُ تعالى في سورة الْمُدَّثِر في قوله تعالى: ﴿إلا

= ببصره - ﷺ - في أرجاء كل سماء ليطّلع على آيات الله عز وجل، فيرى عدد من الملائكة لا يحصيه إلا الله عز وجل، ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾، كل هذا تقدمة للقاء ربّ هؤلاء الجند وملكهم، ربّ كل شيء ومليكه سبحانه وتعالى عزّ وجل.

(١) ليس من حديث صحيح تقييد القلتين بقلال حجر، والله أعلى وأعلم.

(٢) وقيل: لأن عندها ينتهي علم الملائكة.

الصفات التي وصف بها النبي بعض الرسل

قال ابن إسحٰق: وزعم الزُّهرِيّ عن سعيد بن المُسيِّب أن رسول الله ـ ﷺ ـ وصف

أصحابَ الْيَمِين في جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُون عن الْمُجْرِمين﴾ [٣٩: ٤٠]. قال ابنُ عباس: هم الأطفال الذين ماتوا صغارًا، ولذلك سألوا المجرمين: ﴿مَا سَلككُم في سَقَر﴾ لأنهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين، وقد ثبت في الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة إبراهيم عليه السلام، وأن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لجبريل حين رآهم في الروضة مع إبراهيم: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ فقال: أولاد المؤمنين الذين يموتون صغارًا، فقال له: وأولاد الكافرين، قال: وأولاد الكافرين. خرّجه البخاري في الحديث الطويل من كتاب الجنائز، وخرّجه في موضع آخر، فقال فيه: أولاد الناس، فهو في الحديث الأول نَصٌّ، وفي الثاني عموم، وقد رُوِيَ في أطفال الكافرين أنهم خدمٌ لأهل الجنة، فعلى هذا لا يبعد أن يكون الذي رآه عن يمين آدم من نَسَمِ ذريتِه أرواحَ هؤلاء، وفي هذا ما يدفع تَشْعيبَ هذا السؤال والاعتراض منه.

من حكم الماء:

فصل: وفيه شُرْبُه من إناءِ القوم، وهو مُغطًّى، والماءُ وإن كان لا يُمْلَكُ والناس شُرَكَاءُ فيه، وفي النار والْكَلأ كما جاء في الحديث، لكن المستقى إذا أحرزه في وعائه، فقد ملكه، فكيف استباح النبي ﷺ شُرْبه وهو مِلْكٌ لغيره، وأملاكُ الكفار لم تكن أُبيحت يومئذ، ولا دماؤهم.

فالجوابَ أن العربَ في الجاهلية كان في عُرْف العادة عندهم إباحة الرِّسْلِ لابن السبيل فَضْلاً عن الماءِ، وكانوا يعهدون بذلك إلى رِعائهم، ويشترطونه عليهم عند عقد إجارتهم: ألاّ يمنعوا الرِّسْلَ، وهو اللبن من أحدٍ مرَّ بهم، وللحكم في العُرْفِ في الشريعة أصولٌ تشهد له، وقد تَرْجم البخاريُّ عليه في كتاب البيوع، وخرج حديثَ هِندِ بنتِ عُتْبَة، وفيه: خُذِي ما يكفيك وولدَك بالمعروف[1].

عن دخول بيت المقدس وصفة الأنبياء

فصل: وذكر فيه أنه دخل بيتَ الْمَقدِس، ووجد فيه نفرًا من الأنبياء، فصلَّى بهم، وفي

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٧/ ٨٥) ومسلم في الأقضية (٧) والنسائي (٨/ ٢٤٧) وابن ماجه (٢٢٩٣) وأحمد (٦/ ٣٩) وأبو داود (٣٥٣٢) بتحقيقي.

لأصحابه إبراهيمَ ومُوسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة، فقال: أما إبراهيم، فلم أرَ رجلاً أشبهَ بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه، وأما موسى فرجل آدمُ طويلٌ ضَرْبٌ جَعْد أقْنَى كأنه من رجال شَنُوءَة، وأما عيسى ابن مريم، فرجل أحمر، بين القصير والطويل، سَبْط الشعر، كَثير خِيلان الوجه، كأنه خرج من دِيماس، تَخال رأسَه يَقْطُر ماء، وليس به ماء، أشبهُ رجالكم به عُروة بن مَسعود الثقفي[1].

حديث التِّرمِذِيّ الذي قدَّمناه عن حُذَيفَةَ أنه أنكر أن يكونَ صلَّى بهم، وقال: ما زال من ظَهر الْبُرَاقِ، حتى رأى الجنةَ والنار، وما وعده الله تعالى، ثم عاد إلى الأرض، وزيادة العدل مقبولةٌ، ورواية مَن أثبتَ مُقدَّمةٌ على رواية مَنْ نَفَى، وذكر فيه صفة الأنبياءِ، وقال في عيسى: كأن رأسُه يَقْطُرُ ماءً وليس به ماءٌ، وكأنه خرج من دِيَمَاسٍ والدِّيماسُ: الْحَمَّامُ، وأصله: دِمَّاس ويجمع على دَمَامِيس، وقد قيل في جمعه: دَيَاميس، ومثله، قيراط ودينار ودِيباج، الأصل فيها كلها: التضعيف، ثم قُلبَ الحرف المدغمُ ياء، فلما جَمَعوا وصَغَّروا، ردُّوه إلى أصلِه، فقالوا: قراريط ودنانير: [وقُرَيْرِيط ودُنَيْنِير]، غير أنهمْ لم يقولوا: دنانير ولا قياريط، كما قالوا: دَياميس، وقالوا: دَبابيج ودَبابيج، وأصلُ الدَّمْس: التغطيةُ ومنه لَيْلٌ دامِسٌ، وفي هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرِّيِّ والخِصْبِ الذي يكون في أيامه إذ أُهبِط إلى الأرض والله أعلم.

وذكر في صفة موسى أنه آدمُ طوَّالٌ، ولوصفه إياه بالأُدْمَةِ أصلٌ في كتاب الله تعالى، قاله الطَّبَري عند تفسير قوله: ﴿تَخرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ قال: في خُروج يده بيضاء آيةٌ في أن خرجت بيضاءَ مخالفًا لونُها لسائر لونِ جسدِه، وذلك دليل بيِّن على الأُدْمَة التي هي خلافُ البياض.

وذكر إبراهيمَ فقال: لم أرَ رجلاً أشبهَ بصَاحبِكم ولا صاحبكم أشْبَه به منه، يعني: نفسه، وفي آخر هذا الكلام إشكالٌ من أجل أن أشْبَهَ منصوبٌ في الموضعين، ولكن إذا فهمت معناه، عرفت إعرابَه، ومعناه: لم أرَ رجلاً أشبهَ بصاحبكم ولا صاحبُكم به منه، ثم كرر أشبه توكيدًا فصارت لغوًا كالْمُقْحَم وصاحبكم معطوفٌ على الضمير الذي في أشبه الأول الذي هو نعتٌ لرجل، وحسن العطفُ عليه، وإن لم يؤكدَ بهو، كما حسن في قوله تعالى:

---

(١) هو: عروة بن مسعود الثقفي: أرسلته قريش للنبي ﷺ يوم الحديبية، وقد أسلم على تسع من الهجرة. وهو الذي قالت فيه قريش من رجلين: ﴿لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١] والحديث مرسل. وانظر مسلم في الإيمان (١٦٧) والترمذي في المناقب (٣٦٥١) وفي الشمائل له (٢٨).

قال ابن هشام وكانت صِفة رسول الله - ﷺ - فيما - ذكر عُمر مولى غُفْرة عن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن أبي طالب، قال: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذا نعت رسولَ الله - ﷺ - قال: لم يكن بالطَّويل المُمَّغِط، ولا القصير الْمُتَرَدِّد، وكان رَبْعة من القوم، ولم يكن بالْجَعْد الْقَطَطِ ولا السَّبْطِ، كان جَعْدًا رَجْلاً، ولم يكن بالْمُطَهَّم ولا الْمُكَلْثَم وكان أبيض مُشْرَبًا، أدْعَج العينين، أهْدَب الأشْفَار، جليل الْمُشَاش الْكَتَد، دقيق الْمَسْرُبَة أجْرَدَ، شَثْن الكفَّين والقدمين، إذا مشى تَقَلَّع، كأنما يمشي في صَبَب، وإذا التفت التفت معًا، بين كتفيه خاتمُ النبوّة، وهو ﷺ خاتمُ النَّبيين، أجْوَدُ الناس كفًا، وأجرأ الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذِمَّة، وألينهم عَريكة، وأكرمهم عِشْرة، مَن رآه بديهة هابَه، ومَن خالطه أحبَّه، يقول ناعتُه: لم أرَ قبله ولا بعده مثله، ﷺ[1].

﴿ما أشرَكْنا ولا آباؤُنا﴾ من أجل الفصل بلا النافية، ولو أسقط من الكلام أشْبَهَ الثاني، لكان حَسَنًا جدًّا، ولو أخَّر صاحبكم فقال: ولا أشبه به صاحبُكم منه لجازَ، ويكون فاعلاً بأشْبَهَ الثانية، ويكون من باب قولهم: ما رأيتُ رجلاً أحسنَ في عينه الكحلُ مِنْ زَيْدٍ، وهي مسألة عَذْرَاءُ لم تَفْتَرِعْها أيدي النُّحَاةِ، بعد ولم يشف منها مُتَقَدِّمٌ منهم، ولا متأخِّرٌ مِمَّن رأينا كلامه فيها وقد أمْلَيْنَا في غيرِ هذا الكتابِ فيها تحقيقًا شافيًا.

صِفة النبي ﷺ:

فصل: وذكر في صفة النبي - ﷺ - مما نعته به عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال: لم يكن بالطويلِ الْمُمَغط بالغين المعجمة، وفي غير هذه الرواية بالعين المهملة، وذكر الأوصاف إلى آخرها وقد شرحها أبو عُبَيْد، فقال عن الأصمعي، والكسائي وأبي عَمْرو وغير واحد قوله: ليس بالطويل الْمُمَغَّط أي: ليس بالبائن الطويل، ولا القصير الْمُتَرَدِّدِ يعني: الذي تردد خلْقُه بعضُه على بعْض، وهو مجتمع ليس بسَبْطِ الْخَلْقِ يقول: فليس هو كذلك، ولكن رَبْعَة بين الرجلين، وهكذا صِفَتُه - ﷺ - وفي حديث آخر: ضَرْب اللَّحم بين الرجلين.

وقوله: ليس بالمطهم، قال الأصمعي: هو التام كل شيء منه على حدته، فهو بارع الجمال، وقال غير الأصمعي الْمُكَلْثم المُدَوَّر الوجه، يقول: ليس كذلك، ولكنه مسْنُونٌ، وقوله: مشرب يعني الذي أُشْرِب حُمْرَةً، والأدعج العين: الشديدُ سَوادِ العين قال الأصْمَعي: الدُّعْجَةُ: هي السواد، والجليل الْمُشَاشِ: العظيمُ العظام مثل الركبتين والْمِرْفَقَيْنِ والْمَنْكِبَيْنِ، وقوله: الْكَتَد هو: الكاهِلُ وما يليه من جسده، وقوله: شَثْن الكفَّينِ والقدمين يعني: أنهما

---

(١) «ضعيف الإسناد». أخرجه الترمذي في المناقب (٣٦٤٢).

حديث أم هانىء عن الإسراء:

قال محمد بن إسحٰق: وكان - فيما بلغني - عن أُمّ هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها - واسمها: هند - في مسرى رسول الله ﷺ، أنها كانت تقول: ما أُسرِيَ برسولِ الله - ﷺ - إلا وهو في بيتي، نائم عندي تلك الليلة في بيتي، فصلّى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قُبيل الفجر أَهَبَّنا رسولُ الله - ﷺ - فلما صلّى الصبح، وصلَّينا معه، قال: «يا أُمّ هانىء، لقد صلَّيت معكم العشاء الآخرة كما رأيتِ بهذا الوادي، ثم جئتُ بيتَ المقدس فصلَّيت فيه، ثم قد صلَّيت صلاةَ الغَداة معكم الآن كما ترين»، ثم قام ليخرج، فأخذتُ بطَرف رِدائه، فتكشَّف عن بَطْنه كأنه قُبطيَّة مَطْوية، فقلت له: يا نبيّ الله، لا تحدّث بهذا الناس، فيكذّبوك ويُؤذوك، قال: «والله لأُحدّثنّهموه». قالت: فقلت لجارية لي حَبشيَّة: ويحكِ اتبعي رسولَ الله - ﷺ - حتى تَسْمعي ما يقولُ للناس، وما يقولون له. فلما خرج رسول الله - ﷺ - إلى الناس أخبرهم، فعَجبوا وقالوا: ما آيةُ ذلك يا محمد؟ فإنّا لم نسمع بمثل هذا قطُّ، قال: «آية ذلك أني مَرَرْت بعِير بَني فلان بوادي كذا وكذا، فأنفرَهم حِسُّ الدابّة، فَنَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ، فَدَلَلْتُهم عليه، وأنا مُوجِّه إلى الشام. ثم أقبلت حتى إذا كنتُ بضَجْنان مررتُ بعِيرِ بني فلان، فوجدتُ القومَ نيامًا، ولهم إناء فيه ماء قد غطَّوا عليه بشيء فكشفتُ غطاءه وشربتُ ما فيه، ثم غطيتُ عليه كما كان، وآية ذلك أن عِيْرَهم الآن تَصُوب من البيْضَاء، ثَنِيَّة التَّنْعيم يقدُمها جمل أَوْرَقُ، عليه غرارتان، إحداهما سوداء، والأخرى بَرْقَاء». قالت: فابتدر القَومُ الثنيَّة، فلم يَلْقهم أولُ مِنَ الجمل كما وصف لهم، وسألوهم عن الإناء، فأخبروهم أنهم وَضَعوه مملوءًا ماء ثم غطُّوه، وأنهم هبُّوا فوجدوه مغطًّى كما غطُّوه، ولم يجدوا فيه ماءً. وسألوا الآخرين وهم بمكة، فقالوا: صدق والله، لقد أُنفرنا في الوادي الذي ذَكَره، ونَدّ لنا بعيرٌ، فسَمعنا صوتَ رجل يدعونا إليه، حتى أخذناه.

فقلت لجبريل: يا جبريل، مُرْه، فَلْيردّها إلى مكانها. قال: فأمره، فقال لها: اخبِي، فرجعتْ إلى مكانها الذي خَرجت منه. فمَا شبَّهتُ رُجوعَها إلا وقوع الظلّ. حتى إذا دخلت من حيثُ خَرجت رَدّ عليها غطاءها.

إلى الغِلَظ. وقوله: لَيْسَ بالسبط ولا الْجَعْدِ الْقَطَطِ، فالْقَطَطُ: الشديدُ الْجُعُودَةِ مثل شُعور الْحَبَشة، ووقع في غريب الحديث لأبي عبيد التامُّ كلُّ شيء منه على حِدَته. يقول: ليس كذلك، ولكنه بارع الجمال، فهذه الكلمة، أعني: ليس كذلك مخِلَّة بالشرح، وقد وجدته في رواية أخرى عن أبي عبيد بإسقاط: يقول كذلك، ولكن على نص ذكرناه آنفًا.

قال أبو سَعيد الخُدْريّ فيَ حديثه: إن رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «لما دخلتُ السماء الدنيا، رأيت بها رجلاً جالسًا تُعرَض عليه أرواح بَني آدم، فيقول لبعضها، إذا عُرضت عليه خيرًا ويُسرّ به، ويقول: روح طيِّبة خَرجت من جَسد طيب، ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه: أُفٍّ، ويَعْبِس بوجهه ويقول: روح خَبيثة خرجت من جَسد خبيث. قال: قلت: مَن هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك آدم، تُعرَض عليه أرواح ذرّيته، فإذا مَرّت به روح المُؤمن مِنهم سُرّ بها: وقال روح طيبة خرجت من جَسد طيب. وإذا مرّت به روح الكافر منهم أَفَّف منها، وكَرِهها، وساء ذلك، وقال: روحٌ خبيثةٌ خرجت من جَسد خبيث.

رؤية النبي ربه[1]:

فصل: وقد تكلم العلماء في رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء، فروى مسروقٌ عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه، وقالت مَن زعم أن محمدًا رأى ربَّه، فقد أعظم على الله الْفِرْية، واحتجت بقوله سبحانه: ﴿لا تُدْرِكُه الأبْصارُ وهو يُدْرِك الأبْصارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وفي مصنف الترمذي عن ابن عباس وكعب الأحبار أنه رآه، قال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامَه بين موسى ومحمد، وفي صحيح مسلم عن أبي ذَرٍّ قلت: يا رسول الله هل رأيتَ ربَّك؟ قال: رأيت نورًا، وفي حديث آخر من كتاب مسلم أنه قال: نورًا أنّى أراه، وليس في هذا الحديث بيان شافٍ أنه رآه، وحكي عن أبي الحسن الأشعري أنه قال: رآه بعيني رأسِه، وفي تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه سُئِلَ: هل رأى مُحمدٌ رَبَّه، فقال: رآه رآه رآه حتى انقطع صوته، وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وذكر إنكار عائشة أنه رآه، فقال الزهري: ليست عائشة أعلَم عندنا من ابنِ عباس، وفي تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذ ذكر إنكار عائشة أن يكون رسولُ الله ـ ﷺ ـ رأى ربه يشتدّ ذلك عليه، وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه؟ روى يونس عن ابن إسحٰق عن داود بن الحصين قال: سأل مروان أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم، وفي رواية يونس أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله: هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم رآه، فقال ابن عمر: وكيف رآه، فقال ابن عباس كلامًا كرهت أن أُورده بلفظه لما يُوهم من التشبيه، ولو صحّ لكان له تأويل والله أعلم، والتحصيل من هذه الأقوال ـ والله أعلم ـ أنه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه في حظِيرة الْقُدْسِ عند الكرامة العظمى والنعيم الأكبر، ولكن دون ذلك، وإلى هذا يُومي قولُه: رأيت نورًا ونورًا أني أراه في الرؤية الأخرى والله أعلم.

---

(١) انظر مزيد إيضاح في الشفاء للقاضي عياض (١/ ٢٥٠) والمزاد لابن القيم (٣/ ٣٥).

قال ثم رأيت رجالاً لهم مَشافر كمَشافر الإبل، في أيديهم قِطَع من نار كالأفهار، يقذفونها في أفواههم، فتخرج من أدبارهم. فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أَكَلة أموال اليتامى ظُلْمًا[١].

وأما الدُنُوُّ والتَدَلِّي فهما خبرٌ عن النبي - ﷺ - عن بعضِ المفسرين، وقيل إن الذي تدلى هو جبريلُ عليه السلام تدلى إلى محمد حتى دنا منه وهذا قول طائفة أيضًا، وفي الجامع الصحيح في إحدى الروايات منه: فتدَلّى الجبار، وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحدٌ من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره، أو للغفلة عن موضعه، ولا استحالة فيه؛ لأن حديثَ الإسراء إن كان رؤيا رآها بقلبه وعينُه نائمةٌ ـ كما في حديث أنس فلا إشكال فيما يراه في نومه عليه السلام فقد رآه في أحسن صورةٍ ووضع كفّه بين كتفيه، حتى وجد بَرْدَها بين ثدييه رواه الترمذي من طريق معاذٍ في حديث طويل[٢]، ولما كانت هذه رؤيا لم ينكرها أحدٌ من أهل العلم، ولا استبشعها، وقد بيّنا آنفًا أن حديث الإسراء كان رؤيا ثم كانَ يَقظة فإن كان قوله فتدلّى الجبّارُ في المرة التي كان فيها غير نائم، وكان الإسراء بجسده، فيقال فيه من التأويل ما يقال في قوله: ينزل ربُنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا، فليس بأبعدَ منه في باب التأويل، فلا نَكَارَةَ فيه كان في نوم أو يقظة، وقد أشرنا إلى تمام هذا المعنى في شرح ما تضمنه لفظ الْقَوْسَين من قوله: قَابَ قَوْسَيْنِ في جزءٍ أمليناه في شرح سبحان الله وبحمده، تَضَمَّن لطائف من معنى التَّقْديس والتسبيح، فلينظر هناك وأملينا أيضًا في معنى رؤيةِ الرب سبحانه في المنام، وفي عَرَصَاتِ القيامة مسألة لقناعِ الحقيقة في ذلك كاشفةً فمَن أراد فهم الرُّؤْية والرؤيا فلينظرها هنالك، ويقوّي ما ذكرناه من معنى إضافة التدَلّي إلى الرَّبِّ سبحانه كما في حديث البخاري ما رواه ابن سنجر مُسْندًا إلى شُرَيح بن عبيد، قال: لما صعد النبي - ﷺ - إلى السماء، فأوحى إلى عبده ما أوحى، فلما أحسّ جبريل بدُنوّ الرَّبِّ خرّ ساجد، فلم يَزَلْ يُسبِّح سُبْحَانَ رَبِّ الْجَبَرُوتِ والْمَلَكُوتِ والْكِبْرِياءِ والعظمة حتى قضى الله إلى عبده ما قضى، قال: ثم رفع رأسَه، فرأيته في خَلْقه الذي خُلِق عليه منْظُومًا أجنحتُه بالزَّبَرجَدِ واللؤلؤ والياقوت، فخُيِّل إليَّ أن ما بين عينيه قد سدّ الأفقين، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صُوَرٍ مختلفة، وكنت أكثر ما أراه على صورة دِحْيَة بن خليفة الكَلْبِي، وكان أحيانًا لا يراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجلُ صاحبَه من وراء الغربال[٣].

---

(١) وردت هذه المشاهد في رواية البيهقي كما تقدم تخريجه.

(٢) «حسن». أخرجه الترمذي (٣٢٣٤) وأحمد (١/ ٣٩٨/ ٣٧٥) (٤/ ٦٦) والطبراني (٨/ ٣٤٩).

(٣) جاءت الأحاديث «الصحيحة» المصرّحة برؤيته لجبريل في عدة صور وعلى صورته التي خلقه الله عليه له ستمائة جناح، أما كونه كان ـ ﷺ ـ يراه كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال في حاجة=

قال: ثم رأيت رجالاً لهم بُطون لم أرَ مثلَها قطُّ بسَبيل آل فرعون، يمُرّون عليهم كالإبل الْمَهْيُومة حين يُعْرَضون على النار، يطؤونهم لا يقدرون على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك. قال: قلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أَكَلَة الربا.

قال: ثم رأيتُ رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيِّب، إلى جنبه لحم غَثٌّ منتن، يأكلون من الغثّ المنتن، ويتركون السمين الطيب. قال: قلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يَتركون ما أحلَّ الله لهم من النِّساء، ويَذهبون إلى ما حرّم الله عليهم منهنّ.

قال: ثم رأيت نساءً مُعلَّقات بثديِّهنّ، فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال مَن ليس من أولادهم.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني جَعفر بن عَمْرو، عن القاسم بن محمد أن رسولَ الله - ﷺ - قال: «اشتدّ غضب الله على امرأة أدخلت على قوم مَنْ ليس منهم، فأكل حَرائبهم، واطّلع على عوراتهم»[1].

عود إلى حديث الخدري: ثم رجع إلى حديث أبي سَعيد الخُدريّ، قال: «ثم أصعدني إلى السماء الثانية، فإذا فيها ابنا الخالةَ: عيسى ابن مريم، ويحيىٰ بن زكريًّا، قال: ثم أصْعدني إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البَدْر، قال: قلت: مَن هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب. قال: ثم أصْعدني

لقاؤه للنبيين:

فصل: ومما سئل عنه من حديث الإسراء، وتكلم فيه لقاؤه لآدم في السماء الدنيا، ولإبراهيم في السماء السابعة، وغيرهما من الأنبياء الذين لقيهم في غير هاتين السماءين، والحكمةُ في اختصاص كل واحد منهم بالسماء التي رآه فيها، وسؤال آخر في اختصاص هؤلاء الأنبياء باللقاء دون غيرهم، وإن كان رأى الأنبياءَ كلهم، فما الحكمة في اختصاص هؤلاء الأنبياء بالذكر؟ وقد تكلم أبو الحسن بن بطال في شرح البخاري على هذا السؤال، فلم يصنع شيئًا، ومغزى كلامه الذي أشار إليه أن الأنبياء لمّا علموا بقدومه عليهم ابتَدَرُوا إلى لقائه ابتدار أهل الغائبِ للغائب القادم، فمنهم مَن أسرع، ومنهم مَن أبطأ. إلى هذا المعنى أشار فلم يزد عليه، والذي أقول في هذا: إن مأخذ فهمه من علم التعبير، فإنه من علم

= إلى دليل «صحيح» يعتضده.

(١) انظر المجمع (٤/ ٢٢٥) والكنز (١٣٠٠٢).

إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته: مَن هو؟ قال: هذا إدريس ـ قال: يقول رسولُ الله ـ ﷺ ـ: ورفعناه مكانًا عليًا ـ قال: ثم أصْعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كَهْل أبيضُ الرأس واللِّحية، عظيم العُثْنون، لم أرَ كَهْلاً أجملَ منه، قال: قلت: مَن هذا يا جبريل؟ قال: هذا المُحَبَّبُ في قومه هارون بن عِمران، قال: ثم أصْعدني إلى السماء السادسة، فإذا فيها رجل آدمُ طويلٌ أقْنى كأنه من رجال شَنُوءَة؛ فقلت له: مَن هذا يا

النبوءة، وأهلُ التعبير يقولون: مَن رأى نبيًا بعينه في المنام، فإن رؤياه تُؤْذِن بما يُشبه حال ذلك النبي من شِدَّةٍ أو رَخاء أو غير ذلك من الأمور التي أخبِر بها عن الأنبياء في القرآن، والحديثِ، وحديثُ الإسراء كان بمكةَ وهي حَرَم الله وأمنه وقُطّانُها جيرانُ الله، لأن فيها بيتَه، فأول ما رأى عليه من الأنبياء آدم الذي كان في أمن الله وجوارِه، فأخرجه عدوُّه إبليسُ منها، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي ـ ﷺ ـ حين أخرجه أعداؤُه من حَرَمِ الله وجوار بيته، فَكَرَبَه ذلك وغَمَّه. وأشبهت قصتُه في هذا قصة آدم، مع أن آدم تُعْرَض عليه أرواحُ ذريتِه الْبَرّ والفاجر منهم، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين، لأن أرواحَ أهلِ الشقاء لا تَلِجُ في السماء، ولا تُفْتَح لهم أبوابُها كما قال الله تعالى، ثم رأى في الثانية عيسى ويحيىٰ وهما الْممتَحنان باليهود، أما عيسى فكذبته اليهودُ وآذته، وهمُّوا بقتله فرفعه الله، وأما يحيىٰ فقتلوه، ورسولُ الله ـ ﷺ ـ بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان، وكانت محنتُه فيها باليهود، آذَوْه وظَاهَروا عليه وَهمُّوا بإلقاء الصَّخْرة عليه، ليقتلوه فَنجَّاه الله تعالى كما نَجَّى عيسى منهم، ثم سَمُّوه في الشاة، فلم تزل تلك الأَكْلَة تعاوده، حتى قطعت أبْهَرَه[1] كما قال عند الموت، وهكذا فعلوا بابنَيْ الخالة: عيسى ويحيىٰ، لأن أُمّ يحيىٰ أشياعُ بنت عمْران أُخت مريم، أُمهما: حَنَّة، وأما لقاؤه ليوسفَ في السماء الثالثة، فإنه يُؤذِن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف، وذلك بأن يوسف ظَفِر بإخوته بعدما أخرجوه من بين ظَهْرانَيْهِمْ فصفح عنهم، وقالَ: ﴿لا تَثْرِيبَ عليكم﴾ الآية، وكذلك نبينا ـ عليه السلام ـ أَسَرَ يوم بدْرٍ جُمْلَةً من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباسُ، وابن عمه عقيل، فمنهم مَن أطلق، ومنهم مَن قبِل فداءه، ثم ظهر عليهم بعد ذلك عامَ الفتح فجمعهم، فقال لهم: أقول ما قال أخي يوسف لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم، ثم لقاؤه لإدريسَ في السماء الرابعة، وهو المكان الذي سماه الله مكانًا عليًا، وإدريس أول مَن آتاه الله الخطَّ بالقلم، فكان ذلك مُؤذنًا بحالةٍ رابعة، وهي عُلُوُّ شأنه ـ عليه السلام ـ حتى أخاف الملوكَ وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته، حتى قال أبو سفيان، وهو عند ملك الروم، حين جاءه كتابٌ للنبي ـ عليه السلام ـ، ورأى

---

(١) الأبهر: عرق في الظهر.

جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عِمْران. ثم أصْعدني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كَهْل جالس على كرسيّ إلى باب البيت المَعمور، يدخله كلّ يوم سَبعون ألفَ مَلَك، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة. لم أرَ رجلاً أشبهَ بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه،

ما رأى من خَوْف هِرقل: لقد أَمِرَ أمْرُ ابنِ أبي كَبْشَة[1]، حتى أصبح يخافه مَلكُ بني الأصْفَرِ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض، فمنهم مَن اتّبعه على دينه كالنَّجاشِي، ومَلِكَ عمان، ومنهم مَن هادنه، وأهدى إليه وأتحفه كَهِرَقْل والْمُقَوْقِس، ومنهم مَن تعَصَّى عليه، فأظهره اللَّهُ عليه، فهذَا مقام عليّ، وخط بالقلم كنحو ما أُوتِيَ إدريس ـ عليه السلام ـ ولقاؤه في السماء الخامسة لهارون الْمُحَبَّبِ في قومه يؤذن بحب قريشٍ، وجميع العرب له بعد بُغْضهم فيه، ولقاؤه في السماء السادسة لموسى يؤذن بحالةٍ تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها، وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم، وكذلك غزا رسولُ الله ـ ﷺ ـ تبُوكَ من أرضِ الشام، وظهر على صاحب دَوْمَةَ حتى صالحه على الْجِزْية بعد أن أتى به أسيرًا، وافتتح مكة، ودخل أصحابه البلدَ الذي خرجوا منه، ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيمَ ـ عليه السلام ـ لحكمتين: إحداهما: أنه رآه عند البيت المعمور مُسْنِدًا ظهره إليه والبيتُ المعمورُ حيال مكة، وإليه تحجّ الملائكة، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة، وأذّن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوالِ النبي ـ ﷺ ـ حِجُّه إلى البيت الحرام، وحَجّ معه نحوٌ من سبعين ألفًا من المسلمين، ورؤيةُ إبراهيمَ عند أهلِ التأويل تؤذن بالحج، لأنه الداعي إليه والرافع لقواعدِ الكعبة المحجوبة، فقد انتظم في هذا الكلام الجوابُ عن السؤالين المتقدمين، أحدهما: السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر، والآخر: السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة، وكان الحزمُ تركَ التكلُّف لتأويل ما لم يرد فيه نصٌّ عن السلَف، ولكن عارضَ هذا الغرضَ ما يجب من التفكير في حكمة الله، والتدبّر لآيات الله، وقولُ الله تعالى: ﴿إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكّرون﴾ وقد رُوِيَ أن «تفكُّرَ ساعةٍ خيرٌ من عِبَادةِ سنةٍ»[2] ما لم يكن النظر والتفكير مجرّدًا من ملاحظة الكتابِ والسنَّةِ، ومقتضى كلام العرب، فعند

---

(١) أي ارتفع شأنه.

(٢) «ضعيف». أخرجه القرطبي في تفسيره (٤/ ٣١٤). وانظر التذكرة للفتن (١٨٨) والأسرار المرفوعة للقاري (١٦٢) والفوائد للشوكاني؛ ٢٥١). وذكره ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية (٢٨٩) بتحقيقي. وقد بيّنت هناك نسبة الكتاب لصاحبه وأنه مدسوس عليه، وأن الكتاب هو مجموعة من المسائل والأسئلة جُمعت من مؤلفات السيوطي ونسبت للهيثمي زورًا. وقد نسب الكتاب للهيثمي صاحب كشف الخفاء/ وغيره، وآخرهم ذكرًا له صاحب موسوعة أطراف الحديث. والعلاّمة الألباني حفظه الله في سلسلته الضعيفة (حديث رقم ٢٥).

قال: قلت: مَن هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. قال: ثم دخل بي الجنة، فرأيتُ فيها جاريةً لعساء، فسألتها: لمَن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيتُها، فقالت: لزيد بن حارثة، فبشَّر بها رسولُ الله ﷺ زيد بن حارثة».

ذلك يكون القولُ في الكتاب والسنة بغير علم عصمنا الله ـ تعالى ـ من ذلك، وجعلَنا من الْمُمْتَثِلِينَ لأمْرِه حيث يقول: فاعتبروا يا أُولي الأبصارْ وليدَّبروا آياتِه، ولِيَتَذَكَّر أُولو الألبابِ، ولولا إسراعُ الناسِ إلى إنكار ما جهلوه، وغِلَظُ الطباع عن فَهْم كثير من الحكمة لأَبْدَيْنَا مِنْ سِرِّ هذا السؤالِ، وكشفْنَا عن الحكمة في هؤلاء الأنبياء المسلمين في هذه المراتب أكثر مما كشَفْنَا.

البيت المعمور:

فصل: وذكر البيت المعمور، وأنه يَدْخُلُه كل يوم سبعون ألف ملَكٍ روى ابن سنجر عن علي ـ رحمه الله ـ قال: البيتُ المعمور بيتٌ في السماء السابعة يقال له: الضُّرَاحُ، واسم السماء السابعة: عَرِيبَا، روى أبو بكر الخطيب بإسناد صحيح إلى وَهْب بن مُنَبِّه قال: مَن قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له نُورٌ يملأ ما بين عَرِيبَاءَ وجريباء وجريبا، وهي الأرض السابعة، وذكر عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دِحْيَة عند كل دِحْيَةٍ سبعون ألف ملك رواه عنه أبو التَّيَّاح [يزيد الضُّبَعِيّ] قال أبو سلمة: قلتُ ما الدِّحْيَةُ؟ قال: الرئيس. وروى ابنُ سنجر أيضًا من طريق أبي هريرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: في السماءِ السابعة بيتٌ يقال له: الْمَعْمُور بِحِيالِ مَكَّةَ، وفي السماء السابعة نهرٌ يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسةً، ثم يخرج فينتفض انتفاضة، يَخرّ عنه سبعون ألف قَطْرَةٍ، يخلق الله من كل قطرة ملكًا ويؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدًا، [و] يولي عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفًا يُسَبِّحون الله [فيه] إلى أن تقوم الساعة»[1].

فرض الصلاة:

فصل: وأما فرض الصلاة عليه هنالك، ففيه التنبيه على فضلها، حيث لم تُفرض إلاَّ في الحضرة الْمُقَدَّسَةِ[2]؛ ولذلك كانت الطهارةُ من شأنها، ومن شرائط أدائها، والتنبيه على أنها مناجاةُ الربّ، وأنا الربّ تعالى مُقْبِلٌ بوجهه على المصلّي يناجيه يقول: حَمِدَني عبدي،

---

(١) «ضعيف». وقد تقدم التنبيه على مثله.

(٢) تقدم التنبيه أيضًا غير مرة على هذه اللفظة ونسبتها لله تعالى.

قال ابن إسحٰق: ومن حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - فيما بلغني: أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السمٰوات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها: مَن هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد، فيقولون: أَوَ قد بُعِث؟

أثْنَى علَيَّ عَبْدِي إلى آخر السورة، وهذا مُشاكِلٌ لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب، وناجاه، ولم يعرج به حتى طُهِّر ظاهرُه وباطنهُ بماء زمزم كما يتطهر المصلّي للصلاة، وأُخْرِج عن الدنيا بجسمه، كما يخرج المصلّي عن الدنيا بقلبه، ويحرُم عليه كل شيء إلا مناجاة ربّه وتوجهه إلى قِبلته في ذلك الحين، وهو بيت المقدس، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلّي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القِبلة العليا فهي البيت المعمور، وإلى جهة عرش مَن يناجيه ويصلّي له سبحانه.

فرض الصلوات خمسين:

فصل: وأما فرض الصلوات خمسين ثم حطّ منها عشرًا بعد عشر إلى خمس صلوات. وقد رُوِيَ أيضًا أنها حطّت خمسًا بعد خمس، وقد يُمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخمس في العشر، فقد تكلم في هذا النقص من الفريضة: أهُو نَسْخٌ أم لا؟ على قولين، فقال قوم: هو من باب نَسْخ العبادة قبل العمل بها، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين، أحدهما البناءُ على أصلِهِ ومذهبه في أن العبادة لا يجوز نسخُها قبل العمل بها، لأن ذلك عنده من البَدَاءِ، والبَدَاءِ مُحالٌ على الله سبحانه. الثاني: أن العبادةَ إن جاز نسخُها قبل العملِ بها عند مَن يرى ذلك، فليس يجوز عند أحدٍ نسخُها قبل هبوطها إلى الأرض وَوصولها إلى المخاطبين: قال: وإنما ادعى النسخ في هذه الصلوات الموضوعة عن محمد وأمته القاشاني، ليصحّح بذلك مذهبَه في أن البيان لا يتأخر، ثم قال أبو جعفر: إنما هي شفاعة شفعها رسول الله - ﷺ - لأُمته ومراجعةٌ راجعها ربّه، ليخفّف عن أمته، ولا يسمى مثل هذا نسخًا.

قال المؤلف: أما مذهبه في أن العبادة لا تُنسَخ قبل العمل بها، وأن ذلك بَدَاءٌ فليس بصحيح، لأن حقيقة البَداءِ أن يَبْدُو للآمرِ رأيٌ يتبين له الصوابُ فيه بعد أن لم يكن تبيّنه، وهذا مُحال في حق مَن يعلم الأشياء بعلم قديم[1]، وليس النسخ من هذا في شيء إنما النسخ تبديلُ حكم بحكم، والكلُّ في سابق عِلمه ومقتضى حكمته، كنسخِه المرضَ بالصحة، والصحةَ بالمرضِ، ونحو ذلك، وأيضًا بأن العبدَ المأمور يجب عليه عند توجّه الأمر إليه

---

(١) أزلي.

فيقول: نعم، فيقولون: حيّاه الله من أخ وصاحب، حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربّه، ففرض عليه خمسين صلاة في كلّ يوم.

ثلاثُ عباداتٍ: الفعلُ الذي أُمِر به، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر، واعتقاد الوجوب إن كان واجبًا فإن نُسِخ الحكم قبل الفعل، فقد حصلت فائدتان: العزمُ واعتقادُ الوجوب. وعلم الله ذلك منه، فصحَّ امتحانُه له واختباره إياه، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته، وإنما الذي لا يجوز نسخ الأمر قبل نزوله، وقبل علم المخاطب به، والذي ذكر النحاس من نَسْخ العبادة بعد العمل بها، فليس هو حقيقة النسخ، لأن العبادة المأمور بها قد مضت، وإنما جاء الخطاب بالنهي عن مثلها لا عنها، وقولنا في الخمسِ والأربعين صَلاةً الموضوعةَ عن محمد وأُمته أحد وجهين، إما أن يكون نسخ ما وجب على النبي ﷺ من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب، وهذا قد قدّمنا أنه نسخٌ على الحقيقة، ونسخ عنه ما وجب عليه من التبليغ، فقد كان في كل مرة عازمًا على تبليغ ما أمر به، وقول أبي جعفر: إنما كان شافعًا ومراجعًا ينفي النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم، فشفاعته عليه السلام لأُمته كانت سببًا للنسخ لا مُبْطِلةً لحقيقته، ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس في خاصته، وأما أُمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لا يتصور نسخ الحكم قبل بلوغه إلى المأمور، كما قدّمنا، وهذا كله أحد الوجهين في الحديث.

والوجه الثاني أن يكون هذا خبرًا لا تَعبُّدًا، وإذا كان خبرًا لم يدخله النسخُ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربُّه أن على أُمته خمسين صلاة، ومعناه: أنها خمسون في اللوح المحفوظ، وكذلك قال في آخر الحديث: هي خمسٌ وهي خمسون، والحسنة بعشر أمثالها فتأوّله رسول الله ـ ﷺ ـ على أنها خمسون بالفعل، فلم يزل يراجع ربَّه حتى بيَّن له أنها خمسون في الثواب لا بالعمل. فإن قيل: فما معنى نقصها عشرًا بعد عشر؟ قلنا: ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها، وقد جاء في الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها، وأن العبد يصلّي الصلاة، فيكتب له نصفها ربعها حتى انتهى إلى عشرِها، ووقف، فهي خمسٌ في حق مَن كتب له عشرها، وعشر في حق مَن كتب له أكثر من ذلك، وخمسون في حق مَن كَمُلت صلاتُه وأدّاها بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها.

أوصاف من الملائكة:

فصل: وذكر أنه عليه السلام لم يلقه مَلَكٌ من الملائكة إلا ضاحكًا مستبشرًا إلا مالكًا خازنَ جهنم، وذلك أنه لم يضحك لأحدٍ قبله، ولا هو ضاحك لأحدٍ، ومِصْداق هذا في

قال: قال رسولُ الله ﷺ: «فأقبلت راجعًا، فلما مررت بموسى بن عِمران ونِعْم الصاحبُ كان لكم، سألني كم فُرض عليك من الصلاة؟ فقلت خمسين صلاة كلّ يوم؛ فقال: إن الصلاة ثقيلة، وإن أُمتك ضعيفة، فارجع إلى ربّك، فاسأله أن يخفِّف عنك

كتاب الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿عليها ملائكةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦٠] وهم موكلون بغضب الله تعالى فالغضب لا يزايلهم أبدًا، وفي هذا الحديث معارضة للحديث الذي في صفة ميكائيل أنه ما ضَحِك منذ خلق الله جهنّم، وكذلك يعارضه ما خرَّج الدَّارَقُطْنِيُّ أن رسول الله - ﷺ - تبسم في الصلاة، فلما انصرف سُئِل عن ذلك، فقال: «رأيت ميكائيلَ راجعًا من طلب القوم، على جناحيه الغبارُ فضحِك إليَّ، فتبسمت إليه»[1] وإذا صحّ الحديثان، فوجه الجمع بينهما: أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله - ﷺ - فيكون الحديثُ عامًّا يُراد به الخصوص، أو يكون الحديث الأول حدَّث به رسولُ الله - ﷺ - قبل هذا الحديث الآخير ثم حدّث بعدُ بما حَدَّث به من ضَحِكِهِ إليه، والله أعلم ولَم يَرَ مالكًا على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه.

أكلة الربا في رؤيا المعراج:

وذكر أَكَلَةَ الرِّبا وأنهم بسبيلِ آلِ فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة، وهي العِطاش، والهُيَام: شدة العطش، وكان قياس هذا الوصف ألاّ يقال فيه مَهيومة، كما لا يقال معطوشة، إنما يقال هائم وَهيْمان، وقد يقال: هُيُومٌ ويجمع على هيم، ووزنه فعل بالضم لكن كُسِر من أجل الياء كما قال تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥] ولكن جاء في الحديث مَهْيُومة، كأنه شيء فعل بها كالْمَحْمُومة والْمجنُونة وكَالْمنهُوم، وهو الذي لا يَشْبع وكَان قياس الياء أن تعتل، فيقال: مَهِيمة، كما يقال: مَبِيعة في معنى مَبْيُوعة، ولكن صحّت الياء، لأنها في معنى الهيومة كما صحَّت الواو في عور لأنه في معنى أعور، كما صحّت في اجْتَورُوا لأنه في معنى: تَجَاوَرُوا، وإنما رآهم منْتَفِخَةً بطونُهم؛ لأن العقوبة مُشاكِلةٌ للذنب، فآكل الربَا يَرْبو بطنُه، كما أراد أن يرْبُو مالُه بأكل ما حُرِّم عليه، فَمُحِقَت البركَةُ من ماله، وجُعِلت نَفْخًا في بطنه، حتى يقومَ كما يقومُ الذي يتخبَّطه الشيطانُ من الْمَسِّ، وإنما جُعِلوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غُدُوًّا وعَشِيًّا لأن آلَ فرعون هم أشد الناس عذابًا يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. فَخصُّوا بسبيلِهم، ليعلَم أن الذين هم أشدّ الناس عذابًا يطئونهم فضلاً عن غيرهم من الكفار، وهم لا يستطيعون القيامَ،

---

(١) «إسناده ضعيف». أخرجه الدارقطني (١/ ١٧٥) بتحقيقي. وفيه الوازع بن نافع: ضعيف.

وعن أُمتك. فرجعتُ فسألت ربّي أن يخفِّف عنّي، وعن أُمتي، فوضع عني عشرًا. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثلَ ذلك، فرجعت فسألت ربّي، فوضع عنّي عشرًا. ثم انصرفت، فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك، فرجعت فسألته فوضع

ومعنى كونهم في طريق جهنم بحيثُ يُمَرُّ بالكفار عليهم، أن الله سبحانه قد أوقف أمرَهم بين أن ينتهوا، فيكون خيرًا لهم، وبين أن يعودوا ويصرّوا، فيدخلهم النار، وهذه صفةُ مَنْ هو في طريق النار قال الله تعالى: ﴿فمَن جاءَه مَوْعِظَةٌ من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله﴾ [البقرة: ٢٧٥]. إلى آخر الآية وفي بعض المسنَدات أنه رأى بطونَهم كالبيوت، يعني: آكَلَةَ الرِّبا، وفيها حَيَّاتٌ ترى خارج البطون. فإن قيل: هذه الأحوال التي وصفها عن أكَلَة الربا إن كانت عبارةً عن حالهم في الآخرة، فآلُ فرعون في الآخرة قد أُدْخِلوا أشدَّ العذاب، وإنما يُعْرَضُون على النارِ غُدُوًّا وعَشيًّا في الْبَرْزَخ، وإن كانت هذه الحالُ التي رآهم عليها في البَرْزَخ، فأيّ بُطون لهم، وقد صاروا عِظامًا ورفاتًا، ومُزِّقوا كُلَّ مُمَزَّقٍ فالجواب أنه إنما رآهم في البرزخ، لأنه حديثٌ عما رأى، وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت، وفيها تصحيح لمَن قال: الأرواحُ أجسادٌ لطيفة قابلة للنعيم والعذاب، فيخلق الله في تلك الأرواح من الآلام ما يجده مَنْ انتفخ بطنُه حتى وُطِيء بالأقدام، ولا يستطيع مِنْ قيام، وليس في هذا الحديث دليلٌ على أنهم أشد عذابًا من آلِ فرعونَ، ولكن فيه دليل على أنهم يَطُؤهم آلُ فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الرِّبا ما داموا في البرزخ إلى إن يقوموا يوم القيامة، كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطانُ من الْمَسِّ، ثم ينادي منادِي الله ﴿أَدْخِلُوا آل فِرْعَوْن أشدَّ العذاب﴾ [غافر: ٤٦] وكذلك ما رأى من النساء الْمُعلَّقات بثديهنّ يجوز أن يكون رأى أرواحَهُنّ، وقد خُلق فيها من الآلام ما يجده مَنْ هذه حالُه، ويحتمل أيضًا أن يكون مُثِّلَت له حالهنّ في الآخرة، وذكر الذينَ يدَعُون ما أحلّ اللَّهُ من نسائهم، ويأتون ما حرم عليهم، وهذا نص على تحريم إتيان النساء في أعجازهنّ، وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسُّنّة والإجماع، وقد ذكرنا المواضع التي يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله، ومن حديث رسول الله ـ ﷺ ـ وذكرنا ما جاء في ذلك عن ابن عباس من قوله: هو الكفر، وقول ابن عمر: هي اللُّوطيّة الصغرى، وأما الإجماع، فإن المرأةَ تُرَدُّ بداء الْفَرْج، ولو جازَ وطْؤُها في المسلك الآخر ما أجمعوا على رَدِّها بداء الفرج، وقد مهَّدنا الأدلة على هذه المسألة مُفْردة في غير هذا الإملاء بما فيه شفاء والحمد لله.

الولد لغير رشدة:

وقوله: فأكل حرائبهم: الْحَرِيبَةُ: المال، وهو من الحرب، وهو السَّلَبُ، يريد أن الولد إذا كان لغير رِشْدَةٍ نُسب إلى الذي وُلد على فراشه، فيأكل من ماله صغيرًا، وينظر إلى بناته

عنّي عشرًا، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك، كلما رجعت إليه، قال: فارجعْ فاسأل، حتى انتهيتُ إلى أن وضع ذلك عني، إلا خمس صلوات في كلّ يوم وليلة. ثم رجعت إلى

من غير أمه وإلى أخواته، ولَسْنَ بعَمَّاتٍ له، وإلى أُمِّه وليست بجدَّة له، وهذا فساد كبير، وإنما قدّم ذكر الأكل من حَرِيبته وماله قبل الاطّلاع على عَوْراته، وإن كان الاطّلاعُ على الْعَوْرَاتِ أشنع، لأن نفقته عليه أول من حال صغره، ثم قد يبلغ حدّ الاطّلاع على عَوْراته، أو لا يبلغ، وأيضًا فإن الأم أرضعته بلبانها، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزَّوْجُ أبًا له من الرضاعة، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة، وفي ذلك نقصان من الشناعة، فإن بلغ الصَّبِي، وتابت الأُم، وأعلمته أنه لغير رِشْدَة ليستعفَّ عن ميراثهم، ويكفّ عن الاطّلاَع على عَوْراتهم، أو علم ذلك بقَرينةِ حالٍ وجب عليه ذلك وإن كان شرُّ الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزِّنا، وقد تُؤُوِّلَ حديثُ شَرّ الثلاثة على وُجوهٍ، هذا أقربها إلى الصواب، لقوله عليه السلام: أكَلَ حَرائِبَهم، واطَّلَع على عَوْراتهم، ومَن فعل هذا عن عَمْدٍ وقصد فهو شرّ الناس، وإن لم يعلم فأكلُه واطلاعُه شرُّ عمل، وأبواه حين زَنَيا فارقا ذلك العمل الخبيث لحينهما والابن في عمل خبيثٍ من مَنْشَئِه إلى وفاته، فعملُه شَرُّ عمل.

حكم الحاكم لا يحلّ الحرام:

وفي هذا الحديث من الفقه أيضًا أن حكم الحاكم لا يُحلُّ حرامًا، وذلك أن الولد في حكم الشريعة للفِراش إلا أن يُنْفَى باللِّعَان، فإذا حكَم الحاكم بهذا، وعلم الولدُ عند بلوغه خلاَف ما حكم به الحاكم لم يحلّ له بهذا الحكم ما حَرَّم الله عليه من أكل الحرائب والاطّلاع على العورات، وفي هذَا ردٌّ لمذهب أبي حنيفة من قوله: إن حكم الحاكم قد يحلّ ما يعلَم أنه حرام مثل أن يشهد شاهدان على رجل أنه طلَّق، وهما يعلمان أنه لم يطلق فيقبل القاضي شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل، فإذا بانَتْ منه كان لأحد الشاهدين أن يَنْكِحَها مع علمه بأنه قد شَهِد زُورًا، لم يقل أبو حنيفة بهذا القول في الأموال لقول النبي عليه السلام: «إنما أنا بَشَرٌ وإنكم تختصمون إليَّ، ولعلَّ أحَدَكُم أن يكون أَلْحَنَ بحُجَّتِه من صاحبه، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمَن قَضَيْتُ له بشَيءٍ من حَقِّ أخيه، فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطْعةً من النار»[1] ففي هذا الحديث مع الذي تقدّمَ ردٌّ لمذهبه، ولا حجة له في أن يقول ذلك مخصوص بالأموال من وجهين: أحدهما: أن القياسَ أصل من أُصوله، وقياس المسألتين واحد، الثاني: أنه قال من حق أخيه، ولم يقل من مال أخيه، وهذا لفظ يعمّ الحقوق كلها قال المؤلف: وعندي أن أبا حنيفة رحمه الله: إنما بنى

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٩/ ٣٢) ومسلم في الأقضية (٥) ومالك (٧١٩).

موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعتُ ربي وسألته، حتى استحييتُ منه، فما أنا بفاعل»، رواه البيهقي في كتاب دلائل النبوّة وابن جرير وابن أبي حاتم.

هذه المسألة على أصله في طلاق الْمُكْرَه، فإنه عنده لازم فإذا أكره الرجلُ على الطلاق، وقلنا يلزم الطلاق له، فقد حرمت المرأة عليه، وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها مَن شاء فالإثم إنما تعلّق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح، وقد خالفه فقهاءُ الحجاز في طلاق المكرَه، وقولهم يعضده الأثر، وقول أبي حنيفة يعضده النظر، والخوض في هذه المسألة يصدُّنا عمّا نحن بسبيله.

مكان إدريس:

فصل: وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خصّ من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة، ورفعه ملَكٌ كان صديقًا له، وهو الملَك الموكَّل بالشمس فيما ذكر، وكان إدريس سأله أن يُريه الجنة، فأذِنَ له الله في ذلك، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملَكُ الموت، فعجب، وقال أُمِرتُ أن أقبِض روحَ إدريس الساعة في السماء الرابعة، فقبضه هنالك، فرفعه حيًّا إلى ذلك المكان العليّ خاصٌّ له دون الأنبياء[1].

قول الأنبياء في كل سماء:

فصل: وذكر من قول الأنبياء له في كل سماء: مَرْحَبًا بالأخ الصالح، وقول آدم وإبراهيم: بالابن الصالح وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حُجّةً لمَن قال: إن إدريسَ ليس بجدٍّ لنُوحٍ، ولا هو من آباء رسولِ الله ـ ﷺ ـ لأنه قال مَرْحَبًا بالأخ الصالح، ولم يقل: بالابن الصالح.

خرافة طلب موسى أن يكون من أمة أحمد:

وأما اعتناءُ موسى ـ عليه السلام ـ بهذه الأُمَّة وإلْحاحُه على نبيّها أن يشفع لها، ويَسأل التخفيفَ عنها، فلقوله ـ والله أعلم ـ حين قُضِيَ إليه الأمرُ بجَانِبِ الْغَربيِّ، ورأى صفات أُمة محمد عليه السلام في الألواح، وجعل يقول: إني أجد في الألواح أُمَّةً صفتُهم كذا، اللَّهمَّ

---

(١) «ضعيف». وتقدم التنبيه على ما ينقله ابن وهب وكعب الأحبار من كتب أهل الكتاب، وكما ورد في الصحيح أنه إذا حدّثنا أهل الكتاب بشيء فلا نصدقهم ولا نكذبهم، وكله تحت قاعدة «ما وافق القرآن وما خلافه».

فمَن أدّاهنّ منكم إيمانًا بهنّ، واحتسابًا لهنّ، كان له أجْرُ خمسين صلاة مكتوبة. رواه. وفي الحديث غرابة ونكارة.

اجعلهم أُمتي، فيقال له: تلك أُمة أحمد، وهو حديث مشهور[1]، فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتني بالقوم مَنْ هُو منهم، لقوله: اللّهمَّ اجْعَلْني منهم، والله أعلم.

بعض ما رأى:

ومما جاء في حديث الإسراء مما لم يذكره ابن إسحٰق في مُسْند الحارث بن أبي أُسامة أنه ـ عليه السلام ـ ناداه مُنادٍ، وهو على ظهر الْبُراق: يا محمد، فلم يعرج عليه، ثم ناداه آخر: يا محمد يا محمد ثلاثًا، فلم يعرج عليه، ثم لقيته امرأة عليها من كُلِّ زينة ناشرةً يديها، تقول: يا محمد يا محمد، حتى تَغَشَّته، فلم يعرج عليها، ثم سأل جبريلَ عمّا رأى، فأخبره، فقال: أما المنادي الأول، فداعي اليهود لو أجبْته لَتَهَوَّدَت أُمتك، وأما الآخر فداعي النصارى، ولو أجَبتَه لَتَنَصَّرتْ أُمتك، وأما المرأة التي كان عليها من كل زينة، فإنها الدنيا لو أجَبْتَهَا لآثرتَ الدنيا على الآخرة[2].

---

(١) حديث باطل لا يصح. وكيف لموسى عليه السلام أن يختار غير ما اختار الله تعالى له.

(٢) تقدم أن هذه المشاهد أخرجها البيهقي في الدلائل، وفيها نكارة، وهي منتشرة بين الناس من الحديث المنسوب إلى ابن عباس في الإسراء، وأخذها الكاتب [لويس عوض] وقال عنها: إنها نص أدبي راقٍ!!! ولكلٍّ وجهة.

كفاية الله أمر المستهزئين

قال ابن إسحٰق: فأقام رسولُ الله - ﷺ - على أمر الله تعالى صابرًا محتسبًا، مؤدّيًا إلى قومه النصيحة على ما يلقَى منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء. وكان عظماء المستهزئين - كما حدثني يزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزبير خمسةَ نَفَر من قومهم، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم.

من بني أسَد بن عبد العُزى بن قُصَيّ بن كِلاب: الأسودُ بن المطلب بن أسد أبو زَمعة، وكان رسُول الله - ﷺ - فيما بلغني - قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به، فقال: اللهمّ أغم بصره وأثْكِله ولَده.

ومن بني زُهرة بن كلاب: الأسودُ بن عبدِ يَغوث بن وَهب بن عبد مناف بن زُهرة.

ومن بني مخزوم بن يَقظة بن مُرّة: الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب: العاصُ بن وائل بن هشام. قال ابن هشام: العاصُ بن وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سَهْم.

عن المستهزئين وملكان[1]

فصل: وذكر حديثَ المستهزئين الذين أنزل الله فيهم: ﴿إِنا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئين﴾

(١) انظر الكامل لابن الأثير (١/ ٥٩٢).

ومن بني خُزاعة: الحارث ابن الطُّلاطِلة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن لُؤَي بن مِلْكان.

فلما تمادوا من الشرّ، وأكثروا برسول الله - ﷺ - الاستهزاء، أنزل الله تعالى عليه: ﴿فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعلون مَعَ اللَّه إلٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٣ - ٩٥].

قال ابن إسحٰق فحدَّثني يزيد بن رُومان، عن عُرْوة بن الزبير، أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسولَ الله - ﷺ - وهم يطوفون بالبيت، فقام، وقام رسولُ الله - ﷺ - إلى جَنْبه فمرّ به الأسودُ بن المطلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء، فعَمِيَ، ومرّ به الأسودُ بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه، فاستسقى فمات منه حَبَنا. ومرّ به الوليدُ بن المغيرة فأشار إلى أثر جُرح بأسفل كعب رجله، كان أصابه قبل ذلك بسنين، وهو يَجرُّ سَبَله، وذلك أنه مرَّ برجل من خُزاعة، وهو يَريش نَبلا له، فتعلق سهم من نبله بإزاره، فخدش من رجله ذلك الخدشَ، وليس بشيء، فانتقض به، فقتله. ومرّ به العاص بن

[الحجر: ٩٥] وذكر فيهم الحارث ابن الطُّلاَطِلةَ، والطُّلاَطِلَةُ: أُمُه، قال أبو الوليد الوقَشي، والطُّلاَطِلَةُ في اللغة: الداهية، قال أبو عبيد: كُلُ داءٍ عُضَال فهو: طُلاطِلَة، وذكر في نسبه عبدَ عمرو بن مِلْكان بالضبطين جميعًا، وفي حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبي بحر، قال: قد تقدم من قول ابن حبيب النحوي أن الناس ليس فيهم مَلَكان بفتح الميم إلا مَلَكان بن جَرْم بن زَبَّان بن حُلْوانِ عمْران بن الحَافِ بن قُضَاعَة، ومَلَكَانُ بن عباد بن عِياض بن عُقبة بن السَّكُون بن أشرس، وإخوة عدي هم: تُجِيب عرفوا بأمهم تُجِيب بنت دُهْم بن ثوبان، وهم من كِنْدة، وكل من في الناس وغيرهما مِلْكان مكسور الميم ساكن اللام، وقال مشايخ خزاعة: في خزاعة مَلَكَانُ بفتح الميم، قال القاضي: يعني ابن حبيب: مَلَكان بن أفصَى بن حارثة بن ثَعْلَبة بن عمرو بن عامر، وقال غير ابن حبيبٍ كالذي يخرج من عبارته: إن الذي في خُزاعَة إنما هو مِلْكان بن أَفْصى مثل مِلْكان بن عدي بن عَبد مناة من الرباب الذين منهم ذو الرُّمة الشاعر، ومثل مِلْكان بن عَبْد مناة من الرباب أيضًا رهط سُفْيان بن سَعِيد الثَّوري. وذكر في المستهزئين الأسود بن عَبْد يَغُوث الزهري روى أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ المُسْتَهْزِئين﴾ [الحجر: ٩٥] نزل جبريل عليه السلام فحنا ظهْرَ الأسود، فقال رسولُ الله ﷺ: خالي خالي، فقال له جبريل: خَلِّ عنك، ثم حناه حتى قتله، ذكره الدَّارَقُطِني[1].

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٤).

وائل، فأشار إلى أخمص رجله، وخرج على حمارٍ له يريد الطائف، فَرَبض به على شُبارقة، فدخلت في أَخْمَص رجله شوكةٌ، فقتلتْه ومرّ به الحارث ابن الطُّلاطِلَة، فأشار إلى رأسه، فامتخض قَيْحًا فقتله[1].

الوليد وأبو أزيهر

قال ابن إسحق: فلما حضرت الوليدَ الوفاةُ دعا بنِيهِ، وكانوا ثلاثة: هشام بن الوليد، والوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، فقال لهم: أي بَنِيّ، أوصيكم بثلاث، فلا تُضيّعوا فيهن: دَمي في خُزاعة، فلا تَطُلُّنَّهُ، والله إني لأعلم أنهم منه بُرآء، ولكني أخْشَى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم، ورِباي في ثَقِيف، فلا تدَعوه حتى تأخذوه، وعُقْرى عند أبي أُزَيْهِر، فلا يفوتَنَّكم به. وكان أبو أزَيْهر قد زوّجه بنتًا، ثم أمسكها عنه فلم يُدخلها عليه حتى مات.

فلما هلك الوليد بن المغيرة، وثبت بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد، وقالوا: إنما قتله سَهْمُ صاحبكم - وكان لبني كعب حِلْف من بني عبد المطلب بن هاشم - فأبت عليهم خُزاعة ذلك، حتى تقاولوا أشعارًا، وغَلُظ بينهم

حديث الوليد بن المغيرة

فصل: وذكر وفاةَ الوليد بن المغيرة، وقولَه لبنيه: وعُقْرى عند أبي أُزَيْهِر الدَّوْسِي لا تدعوه العَقْر: دُيَةُ الفَرْجِ المَغْصُوبِ، وأصلُه في البِكْر من أجل التَّدْمِية، ومنه عَقَر السَّرْجُ الفَرَسَ: إذا أدماه، وبَيْضَةُ العُقْرِ منه؛ لأنهم كانوا يقيسون البِكر بالبَيْضَةِ، ليعرفوا بكورتها، وقيل: عُقْر بضم العين، لأنه بمعنى بِضع.

عن مقتل أبي أزيهر وموقف دوس

وذكر قَتْل هشام بن الوليد لأبي أُزَيْهر وخبرَ أم غَيْلان مع ضِرَار حين أجارته، ومن تمام الخبر: أن دَوْسا لماَ بلغها مقتلُ أبي أزيهر الدوسي، وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم، فقتلوا منهم بجير بن العَوَّام أخا الزُّبَيْر، وأرادوا قتلَ ضِرارِ بن الخطاب، فأجَارَته أمُّ غَيْلاَن وابنُها عوف، قالَ ضرار: لقد أدخلتني بين درعها وبدنها، حتى إني لأجد تَسْبِيدَ رُكَبها، والتَّسْبِيد: موضع الحَلْق من الشعر، وكان الذي قتل بُجَيْرًا صبيحُ بن سعد أو مَلِيح بن سَعْد جد أبي هُرَيْرَة لأمه؛ لأن أمّه أميمة بنتَ مَلِيح أو صبيح.

---

(١) السابق.

الأمر ـ وكان الذي أصاب الوليدَ سهمُه رجلاً من بني كعب بن عمرو من خزاعة ـ فقال عبدُ الله بن أبي أُمَيَّة بن المُغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مُخزوم:

إني زَعيم أن تَسيرُوا، فتَهْربُوا | وأن تتركوا الظَّهْرَانَ تَعْوي ثعالِبُه
وأن تتركوا ماءً بجِزْعِة أطْرِقا | وأن تسألوا: أيّ الأراك أطايبه؟
فإنّا أناسٌ لا تُطَلّ دماؤُنا | ولا يَتعالى صاعدًا مَنْ نحاربه

وكانت الظَّهران والأراك منازلَ بني كَعْب، من خُزاعة. فأجابه الجَوْنُ بن أبي الجَوْن: أخو بني كعب بن عَمْرو الخُزاعيّ، فقال:

والله لا نُؤْتِي الوليدَ ظُلامةً | ولمَّا قَرَوْا يومًا تَزول كَواكِبُهْ
ويَصْرَعُ منكم مُسْمِنٌ بعد مُسْمِن | وتُفْتَح بعد الموْت قَسْرًا مَشاربه
إذا ما أكلتم خُبزكم وخَزِيرَكم | فكلُّكم باكي الوليدِ ونادبه

ثم إن الناسَ ترادّوا وعَرَفوا أنما يَخْشَى القومُ السُّبة، فأعطتهم خزاعةُ بعض العَقْل، وانصرفوا عن بعض. فلمّا اصطلح القومُ قال الجَوْن بن أبي الجَوْن:

عن أطرقا ومن أحكامه أن:

فصل: وذكر شعر عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وفيه:

وأن تتركوا ماءً بِجِزْعَةِ أَطْرِقا

والجِزْعَةُ والجَزِعُ بمعنى واحد[1]، وهو معظم الوادي، وقال ابن الأعرابي: هو ما انثنى منه، وأَطْرِقا اسم عَلَم لموضع[2] سمي بفعل الأمر للاثنين، فهو مَحْكِيٌّ لا يُعْرَبُ، وقيل: إن أصل تسميته بذلك أن ثلاثةَ نفر مرّوا بها خائفين، فسمع أحدهم صوتًا، فقال لصاحبيه: أَطْرِقا، أي: أَنْصتا، حتى نرى ما هذا الصوت، فسمي المكان بأطْرِقا، والله أعلم. وذكر شِعْر الجَوْنِ بن أبي الجَوْن، وفيه:

---

(١) جزع: الجيم والزاء والعين أصلان: أحدهما الانقطاع، والآخر: جوهر من الجواهر. فأما الأول فيقولون: جَزَعْتُ الرملة إذا قطعتها؛ رمته: جِزعُ الوادي، وهو الموضع الذي يقطعه من أحد جانبيه إلى الجانب؛ ويقال: هو منعطفه، والجَزع: نقيض الصبر، وأما الآخر فالجزَع وهو الخرز المعروف. انظر مقاييس اللغة (١/ ٤٥٣). اللسان (٨/ ٤٧).

(٢) اسم موضع بنواص مكة.

وقائلةٍ لمَّا اصطلحنا تَعَجُّبا لِما قد حَمَلْنا للوليد وقائلِ
ألم تُقسموا تُؤتوا الوليدَ ظُلامةً ولمَّا تَروْا يومًا كثيرَ البَلابل
فنحن خَلطنا الحربَ بالسِّلم فاستوت فأمَّ هواه آمنا كل راحل

ثم لم ينْته الجَوْنُ بن أبي الجَوْن حتى افتخر بقَتْل الوليد، وذكر أنهم أصابوه، وكان ذلك باطلاً. فلحق بالوليد وبوَلده وقَوْمه من ذلك ما حَذره.

فقال الجَوْن بن أبي الجَوْن:

ألا زَعَم المُغيرة أنْ كَعْبا بمكَّة منهمُ قَدْرٌ كَثِيرُ

ألم تُقسِمُوا تُؤتُوا الوليد ظُلاَمَةً

أراد: أن تؤتوا، ومعناه: أن لاَ تُؤتوا كما جاء في التنزيل: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لكم أن تضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] في قول طائفة، ومعناه عندي: كره لكم أن تَضِلُّوا، وقد قدمنا في الجزء قبل هذا كلام على أن، ومقتضاها وشيئًا من أسرارها فيه غنية، وإذا كان الكلامُ محمولاً على معناه فالنصب جائزٌ، والرَّفع جائز أيضًا، كما أنشدوا[١]:

ألا أيُّهذا الزَّاجِرِي أحْضُرَ الوَغى

بنصب: أحضُرَ ورفعه، وأنشد سِيبَوَيْه:

ونَهْنَهْتُ نِفسي بعدما كِدْتُ أَفْعَلَه[٢]

يريد: أن أفعلَه، وإذا رفعت في هذا الموضع لم يُذْهِب الرفعُ معنى أن فقد حكى سيبويه: مره يحفرها، وقدره تقديرين، أحدهما: أن يريدَ الحال أي: مُرْه حافرًا لها، والثاني: أن يريد: مُرْه أن يحفرَها، وارتفع الفعل لما ذهبت أن من اللفظ، وبَيَّن ابنُ جني الفرقَ بين التقديرين، وقال: إذا نويت أن فالفعلُ مستقبل، وإذا لِم تَنْوِها فالفعل حاضر، وههُنا مسألةٌ من العرب ذكرها الطبري، قال: العرب تقول لمن توجه في أمر: تصنع ماذا وتفعل؟ ماذا على تقدير: تريد أن تصنع ماذا، فإذا قالوا: تريد ماذا لم يكن إلا رفعًا، لأن المعنى الذي يجلب معنى أن الناصبة ليس في قوله: تريد؛ إذ لا يستقيم أن تقول: تريد أن تريد ماذا، يعني: أن الإرادة لا تراد.

---

(١) صاحب البيت هو: طرفة بن العبد: وفيه: ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى. والوغى أصله الصوت والجلبة ثم كنى به عن الحرب. انظر القصائد العشر للخطيب التبريزي (١٠٣).
(٢) انظر الكتاب لسيبويه (١/ ١٥٥).

فلا تَفخر مُغيرةُ أنْ تراها بها يَمْشي المُعَلْهَج والمَهِير
بِها آباؤنا، وبها وُلِدْنا كما أرْسَى بِمَثْبَتِه ثَبيرُ
وما قال المُغيرة ذلك إلا ليَعْلم شأننا أوْ يَسْتَثير
فإنَّ دمَ الوليد يُطَلّ إنّا نَطُلّ دِماءً أنت بها خبيرُ
كساهُ الفاتِكُ المَيمونُ سَهْماً زُعافاً وهو ممتلئٌ بَهِيرُ

شعر الجون:

وذكر شعر الجَوْن أيضًا، وفيه:

بها يمشي المُعَلْهَجُ والمَهِيرُ

المهير[1]: ابن المهورة الحُرَّة والمُعَلْهَجُ[2]: المتردد في الإماء كأنه منحوت من أصلين: من العِلْج لأن الأمة: عِلْجَة، ومن اللَّهَج، كأن وَاطِىءَ الأَمَةِ قد لَهِجَ بها، فَنُحِتَ لفظِ المُعَلْهَج من هذين اللفظين[3].

وفيه:

كما أرْسَى بِمَثْبَتِه ثَبيرُ

كذا صحت الرواية في أرسى بالتخفيف وهو زِحاف داخلٌ على زحاف؛ لأن تسكينَ اللام مِن مُفَاعَلْتُن في الوافر زِحاف، ولكنه حَسَنٌ كثير، فلما كثر شَبَّهه هذا الشاعرُ بمفاعيل؛ لأنه على وزنه، ومَفَاعِيلُنْ يَحْسُن حذفُ الياء منها في الطويل، فيصير فعُولن مَنَاعِلُن فلذلك أَدَخَل هذا الشاعرُ الزحافَ على مُفَاعَلْتُن لأنه بعد السكون في وزن مفاعيلن التي تحذف ياؤها حذفًا مستحسنًا، فتدبره، فإنه مليح في علم العروض.

---

(١) المهير: الحرة والمهائر الحرائر. اللسان (٥/ ١٨٦).

(٢) المعلهج: الدَّعي. والمعلهج: الذي ولد من جنسين مختلفين. وقال ابن سيده: المعلهج: الذي ليس بخالص النسب. اللسان (٢/ ٣٢٨).

(٣) علج: العين واللام والجيم: أصل صحيح يدل على تحرس ومزاولة في جفاء وغلظ. من ذلك: العلج: وهو حمار الوحش، ربه يشبه الرجل الأعجمي. وقال الخليل: سمي علجًا لاستعلاج خَلْقِهِ وهو غِلظُه. والعلج: الشديد من الرجال. وحكوا: أرض معتلجة: وهي التي تراكب نبتها وطال ودخل بعضه في بعض. مقاييس اللغة (٤/ ١٢١). والعلج: الرجل من كفار العجم، والأنثى علجة. اللسان (٢/ ٣٢٦) واللهيج: قالوا: لهيج الأمر لهجًا ولهوج وألهج كلاهما: أولع به واعتاده. واللهج بالشيء: الولوع به. اللسان (٢/ ٣٥٩).

فخَرّ ببطْن مَكَّة مُسْلَحِبًّا ... كأنَّهُ عند وجَبْته بَعير

سيَكْفيني مِطالَ أبي هشام ... صغارٌ جَعْدةُ الأوبار خُور

قال ابن هشام: تركنا منها بيتًا واحدًا أقذع فيه.

ثورة لمقتل أبي أزيهر:

قال ابن إسحٰق: ثم عدا هشامُ بن الوليد على أبي أُزَيْهر، وهو بسُوق ذي المَجَاز، وكان عند أبي سُفيان بن حَرْب بنت أُزيهر، وكان أبو أُزَيهر رجلاً شريفًا فِي قومه ـ فقتله بعُقْر الوليد الذي كان عنده، لوصيَّة أبيه إيَّاه، وذلك بعد أن هاجر رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة ومضى بدرٌ، وأُصيب به مَنْ أُصيب من أشراف قُريش من المشركين؛ فخرج يَزيد بنُ أبي سُفيان، فجمع بَني عبد مناف، وأبو سفيان بذي المَجاز، فقال الناس: أُخْفِرُ أبو سفيان في صِهْره، فهو ثائر به، فلمَّا سمع أبو سفيان بالذي صَنع ابنُه يزيد ـ وكان أبو سفيان رجلاً حليمًا مُنكرًا، يحبّ قومه حبًّا شديدًا ـ انحطّ سريعًا إلى مكة، وخشي أن يكون بين قريش حَدَثٌ في أبي أُزَيهر، فأتى ابنَه وهو في الحديد، في قَوْمه من بني عَبْد مناف والمطيّبين، فأخذ الرمحَ من يده، ثم ضرب به على رأسه ضربةً هدَّه منها، ثم قال له؛ قبَّحك الله! أتريد أن تضرب قُرَيشًا بعضَهم ببعض في رجل من دَوْس. سَنُؤتيهم العَقْل إن قَباوه، وأطْفأ ذلك الأمرَ.

فانبعث حسَّان بن ثابت يُحَرّض في دَم أبي أُزَيهر، ويعيِّر أبا سفيان خُفْرَته ويُجْبِنه، فقال:

غدا أهلُ ضَوْجَيْ ذي المجاز كِلَيهما ... وجارَ ابن حَرْب بالغَمَّس ما يغدو

ولم يمنع العيْرُ الضَّروطُ ذِمارَه ... وما منعت مخزَاةَ والِدِها هِنْد

كساكَ هشامُ بنُ الوَليدِ ثيابَهُ ... فأبْلِ وأخْلِفْ مثلَها جُدُدًا بعدُ

قَضَى وَطَرًا منه فأصْبح ماجدًا ... وأصبحتَ رخوًا ما تخبُ وما تغدُو

من أسواق العرب:

فصل: وأنشد لحسَّانِ بن ثابت:

غدا أهلُ ضَوْجَيْ ذي المجاز بسُحْرَةٍ

ضَوْجُ الوادي: جانبه، وذو المجاز: سوقٌ عند عَرَفَةَ كانت العربُ إذا حَجَّت أقامت بسوق عكاظٍ شهرَ شَوَّالٍ، ثم تنتقل إلى سوق مَجَنَّة فتقيم فيه عشرين يومًا من ذي القَعْدَة، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج، وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ

فلو أنَّ أشياخًا ببدرٍ تَشاهدوا   لَبَلَّ نعالَ القوم مُغتَبِطٌ وَرْد

فلما بلغ أبا سُفيان قولُ حسَّان قال: يريد حَسان أن يَضرب بعضَنا ببعض في رجل من دَوس! بئس والله ما ظنّ!

آية الربا من البقرة

ولما أسلم أهلُ الطَّائف كلَّم رسولَ الله ﷺ خالدُ بن الوليد في ربا الوليد، الذي كان في ثقيف، لما كان أبوه أوصاه به.

قال ابن إسحٰق: فذكر لي بعضُ أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بَقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الرّبا: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨] إلى آخر القصة فيها.

شهر شوال إذا اجتمعوا، ويقال: عَكَظَ الرجلُ صاحبَه إذا فاخره وغَلَبَه بالمفاخرة، فسُميت عُكَاظ لذلك[١].

وذكـر:

لَبَلَّ نِعالَ القوم مُغتَبِطٌ وَرْدُ

يعني: الدَّمَ العَبيطَ[٢].

ما أنزل الله في الربا

فصل: وذكر ما أنزل الله في الربا الآيات من سورة البقرة، وقد قدمنا في حديث بنيان الكعبة من قولهم: لا تنفقوا فيها رِبًا ولا مَهرَ بغِيٍّ، وأن في ذلك دليلاً على قِدَم تحريمه عليهم في شرح إبراهيمَ عليه السلام، أو في غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك أنَّه من أقبح الأعمالِ لما فيه من هَدْم جانب المروءة، وإيثار الحرص مع بعد الأمل، ونسيان بَغْتة الأجل، وترك التوسعة وحسن المعاملة، ومن تأمل أبوابَ الرِّبا لاح له شر التحريم من جهة الجَشَعَ المانع من حسن المعاشرة والذَّريعة إلى ترك القَرْض، وما فيه، وفي التوسعة من مكارم الأخلاق، ولذلك قال سبحانه: ﴿فإن لم تفعَلوا فأذَنُوا بِحَرْبٍ من الله

---

(١) عكاظ: عكظ دابته يعكظها عكظًا: حبسها، وتعكظ القوم تعكظًا إذا تحيَّسوا لينظروا في أمورهم. وعكاظ: سوق للعرب كانوا يتعاكظون فيها؛ قال الليث: سميت عكاظًا لأن العرب كانت تجتمع فيها يتعكظ بعضهم بعضًا بالمفاخرة، اللسان (٧/ ٤٤٧).

(٢) العبيط: الطري من كل شيء. مقاييس اللغة (٤/ ٢١١). اللسان (٧/ ٣٤٧).

الهمّ بأخذ ثأر أبي أزيهر:

ولم يكن في أبي أُزَيهر ثأرٌ نعلمه، حتى حَجَز الإسلامُ بين الناس، إلا أن ضِرار بن الخطَّاب بن مِرْداس الفِهْري خَرج في نَفَر من قُرَيش إلى أرض دَوْس، فنزلوا على امرأة يقال لها أمّ غَيْلان، مولاة لدَوْس، وكانت تَمْشُط النِّساء، وتجهِّز العرائس، فأرادت دَوْس قتلَهم بأبي أُزَيهر، فقامت دونهم أمُّ غيلان ونسوةٌ معهم، حتى منعتهم، فقال ضرار بن الخطاب في ذلك:

جَزَى الله عنَّا أُمَّ غَيْلان صالحا ... ونسوَتها إذ هُنَّ شُعْثٌ عَواطلُ[1]

فهنّ دَفَعن الموتَ بعد اقترابه ... وقد بَرَزَتْ للثَّائرين المَقاتل

دعتْ دعوةً دَوْسا فسالت شُعابها ... بعزّ وأدّتها الشِّراجِ[2] القَوابل[3]

وَعمْرًا جَزاه الله خيرًا فَمَا وَنى[4] ... وما بردتْ منه لديّ المَفاصِل

فجرّدتُ سَيْفي ثم قمتُ بنَصْله ... وعن أيّ نَفْس بعد نفسي أقاتل

عمل أُم غيلان:

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة: أن التي قامت دون ضِرار أُمُّ جميل، ويقال: أمّ غَيلان، قال: ويجوز أن تكونَ أُمّ غَيلان قامت مع أمّ جميل فيمن قام دونه.

فلما قام عمرُ بن الخطّاب أتته أُمّ جميل، وهي تُرى أنه أخوه: فلما انتسبت له عرف القِصّة، فقال: إني لستُ بأخيه إلا في الإسلام، وهو غاز، وقد عرفتُ مِنَّتَك عليه، فأعطاها على أنها ابنة سَبيل.

ورسوله﴾ [البقرة: ٢٧٩]. غضبًا منه على أهله، ولهذه النُّكْتة قالت عائشة لأمّ محبة مولاة زيد بن أرقم: أبلِغي زيدًا تعني زَيْدَ بن أرقم أن قد أَبْطَلَ جهادَه مع رسول الله - ﷺ - حين ذكرت لها عنه مسألةً من البيوع تشبه الربا، فقالت: أبْطَلَ جهادَه، ولم تقل صَلاتَه ولا صيامه، لأن السيئات لا تُحْبَط الحَسَناتِ، ولكن خصَّت الجهادَ بالإبطال، لأنه حرب لأعداء الله، وآكلُ الربا قد أذن بحربٍ من الله، فهو ضده، ولا يجتمع الضدان، وهذا معنًى ذكره أبو الحسن بن بطال في شرح الجامع، وتلك المسألة مذكورة في المُدَوَّنة، لكن إسنادُها إلى عائشة ضعيف.

---

(١) أي ليس لهن حلي.
(٢) الشراج: جمع شرج: وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل.
(٣) أي المتقابلات.
(٤) الونى: الضعف.

قال الراوي: قال ابن هشام: وكانَ ضِرار لحق عمرَ بن الخطاب يوم أحد، فجعل يَضْربه بعَرض الرمح، ويقول: انجُ يابن الخطَّاب لا أقتلك، فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه.

من المؤذين لرسول الله:

قال ابن إسحٰق: وكان النَّفَر يؤْذون رسولَ الله ﷺ في بيته أبا لَهَب، والحَكَم بن العاص بن أُمَيَّة، وعُقْبَة بن أبي مُعَيط، وعديّ بنْ حَمراء الثَّقفيّ، وابنَ الأَصْداء الهُذليّ، وكانوا جِيرانه لم يُسْلم منهم أحد إلا الحَكَمَ بن أبي العاص، فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه ﷺ رَحمَ الشاة وهو يُصَلّي، وكان أحدهم يطرحها في بُرْمته إذا نُصبت له. حتى اتخذ رسولُ الله - ﷺ - حجْرًا يستتر به منهم إذا صلى، فكان رسولُ الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى، كما حدثني عمرُ بن عبد الله بن عُروة بن الزبير، عن عُروة بن الزبير، يخرج به رسولُ الله ﷺ على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: يا بَني عبد مناف، أيّ جوارٍ هذا! ثم يُلقيه في الطريق.

ما عاناه الرسول ﷺ بعد وفاة أبي طالب وخديجة[1]:

قال ابن إسحٰق: ثم إن خديجة بنت خُويلد وأبا طالب هَلَكا في عام واحد، فتتابعت على رسولِ الله ﷺ المصائبُ بهُلْك خَديجة، وكانت له وَزِيرَ صِدْق على الإسلام، يشكو إليها، وبهُلْك عمّه أبي طالب، وكان له عضدًا وحِرْزًا في أمره، ومَنَعَة وناصرًا على قومه، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين. فلما هلك أبو طالب، نالت قريشٌ من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تَطْمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سَفِيهٌ من سُفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابًا.

قال ابن إسحٰق: فحدثني هشام بن عُروة، عن أبيه عروة بن الزبير، قال: لما نثر ذلك السفيهُ على رأس رسول الله - ﷺ - ذلك الترابَ دخل رسولُ الله ﷺ بيتَه والترابُ على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه الترابَ وهي تبكي، ورسول

....

(١) انظر طبقات ابن سعد (١/١٢٢) البداية والنهاية (٣/١٢٢) السيرة الحلبية (١/٤٦٦) المنتظم (٣/٧) الكامل (١/٦٠٦) السيرة الشامية (٢/٥٦٣) الدلائل للبيهقي ﷺ (٢/٣٥١) النويري (١٦/٢٧٧).

الله ﷺ يقول لها: لا تبكي يا بُنيَّة، فإن الله مانعٌ أباك. قال: ويقول بين ذلك: ما نالت مِنّي قريش شيئًا أكرهه، حتى مات أبو طالب[1].

ما حدث بين النبي ﷺ وبين أبي طالب والمشركين

قال ابن إسحٰق: ولما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشًا ثِقَلُه، قالت قريش بعضها لبعض: إن حَمْزة وعمر، قد أسْلما وقد فشا أمرُ محمّد في قبائل قُريش كلها، فانطلِقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخذ لنا على ابن أخيه، ولْيُعطِه منّا، والله ما نأمن أن يَبْتَزُّونا أمرنا.

قال ابن إسحٰق: فحدثني العبَّاسُ بن عبد الله بن مَعْبد عن بعض أهله، عن ابن عبَّاس، قال: مَشَوْا إلى أبي طالب فكلّموه، وهم أشراف قومه: عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأُميَّة بن خَلف، وأبو سفيان بن حَرْب، في رجال من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك منّا حيث قد علمتَ، وقد حَضَرَكَ ما ترى، وتخوّفْنا عليك، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعُه، فخُذْ له منّا، وخُذْ لنا منه، ليكفّ عنا، ونكفّ عنه، وليدعنَا وديننا، وندعه ودينَه، فبعث إليه أبو طالب، فجاءه فقال: يا ابن أخي: هؤلاء أشرافُ قومك، قد اجتمعوا لك، ليُعطوك، وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله ﷺ: نعم، كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب، وتَدين لكم بها العجم. قال: فقال أبو جهل: نعم وأبيك، وعشر كلمات، قال: تقولون: لا إلـٰه إلا الله، وتَخْلعون ما تعبدون من دونه. قال: فصفَّقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يا محمّد أن تجعل الآلهةَ إلـٰهًا واحدًا. إنّ أمرك لعَجب: ثم قال بعضُهم لبعض: إنّه والله ما هذا الرجل بِمُعْطيكم شيئًا ممّا تُريدون فانطلِقوا، وامْضُوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه. قال: ثم تفرّقوا.

الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب

فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: والله يا ابن أخي، ما رأيتُك سألتَهم شَطَطًا؛ فلما قالها أبو طالب طَمِع رسولُ الله ـ ﷺ ـ في إسلامه، فجعل يقول له: أيّ عمّ، فأنتَ فقُلها، أستحلّ لك بها الشّفاعة يوم القيامة. قال: فلما رأى حرصَ رسول الله ﷺ، قال:

وفاة أبي طالب ووصيته

ذكر ابن إسحٰق وفاة أبي طالب إلى آخر القصة، وفيها قال العباس: والله لقد قال أخي

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١/٥٥٣) من طريق المصنف به.

يا ابن أخي، والله لولا مخافة السُّبّة عليك، وعلى بني أبيك من بَعدي، وأن تظنّ قُرَيش إني قلتها جَزعًا من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسُرّك بها. قال: فلمّا تقارب من أبي طالب الموتُ، قال: نظر العباسُ إليه يحرّك شفتيه، قال: فأصغى إليه بأذنه، قال: فقال يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرتَه أن يقولها، قال: فقال رسول الله ﷺ: لم أسمع.

الكلمة التي أمرته بها، فقال رسول الله - ﷺ -: لم أسمع[1].

قال المؤلف: شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعدما أسلم، لكانت مقبولةً، ولم يرد بقوله لم أسمع، لأن الشاهد العدل إذا قالت: سمعت، وقال من هو أعدل منه: لم أسمع أُخِذَ بقول من أثبت السماع، لأن عدم السماع يحتمل أسبابًا منعت الشاهد من السمع، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يُسْلِمَ مع أن الصحيحَ من الأثر، قد أثبت لأبي طالب الوفاةَ على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه: ﴿ما كان لِلنَّبِيِّ والذين آمنوا أن يَسْتَغْفِروا لِلْمُشْرِكين﴾[2] [التوبة: ١١٣] وثبت في الصحيح أيضًا أن العباس قال لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب كان يَحُوطك وينصرك، ويغضب لك، فهل ينفعه ذلك؟ قال: «نعم وجدته في غَمَرَاتٍ من النار، فأخرجته إلى ضَحْضَاح»[3] وفي الصحيح أيضًا من طريق أبي سعيد، أنه - عليه السلام - قال: لعله تنفعه شَفَاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضَحْضَاحٍ من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه» وفي رواية أخرى: كما يغلي المِرْجَلُ بالقُمْقُم، وهي مُشْكِلة، وقال بعض أهل العلم: القُمْقُم: هو البُسْرُ الأخضر يُطبخ في المِرْجَل استعجالاً لنضجه، يفعل ذلك أهل الحاجة، وفي رواية يونس عن ابن إسحٰق زيادة، وهي أنه قال: يغلي منها دماغُه حتى يسيلَ على قدميه، ومن باب النظر في حكمة الله، ومشاكلة الجزاء للعمل أن أبا طالب كان مع رسول الله بجملته مُتَحَزِّبًا له، إلا أنه مثبت لقدميه على مِلّة عبد المطلب، حتى قال عند الموت: أنا على مِلّة عبد المطلب، فسُلِّط العذابُ على قدميه خاصَّةً لتثبيته إياهما على ملة آبائه، ثبتنا الله على الصراط المستقيم.

وذكر قول الله تعالى: ﴿ما كان للنَّبيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ [التوبة: ١٣] وقد استغفر عليه السلام يوم أُحُدٍ فقال: اللهم اغفر لقومي، فإنهم لاَ يعلمون،

---

(١) انظر البداية (٣/ ١٢٣).

(٢) انظر خبر وفاة أبي طالب على الكفر والشرك - والعياذ بالله تعالى - في صحيح البخاري الحديث رقم (٤٦٧٥). وفي الفتح (٨/ ٣٤١) وطبقات ابن سعد (١/ ١٢٢) المنتظم (٣/ ٧).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (١٩٥).

....

وذلك حين جَرَح المشركون وجهَه وقَتَلوا عمَّه. وكثيرًا من أصحابه، ولا يصح أن تكون الآية نزلت في عمه ناسخةً لاستغفاره يوم أُحُدٍ، لأنَّ وفاةَ عمه كانت قبل ذلك بمكة، ولا ينسخ المتقدمُ المتأخرَ، وقد أجيب عن هذا السؤال بأجوبة: أن قيل: استغفارُه لقومه مشروطٌ بتوبتهم من الشرك، كأنه أراد الدعاءَ لهم بالتوبة حتى يغفَر لهم ويُقوِّي هذا القول روايةُ من روى: «اللهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[1]، وقد ذكرها ابن إسحٰق، رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ، وقيل. مغفرة تَصْرف عنهم عقوبة الدنيا في المَسْخ والخَسْف، ونحو ذلك، ووجهٌ ثالث، وهو أن تكون الآية تأخر نزولها، فنزلت بالمدينة ناسخةً للاستغفار للمشركين، فيكون سبب نزولها متقدمًا، ونزولها متأخرًا لا سيما، وهي في سورة براءة وبراءةُ، من آخر ما نزل، فتكون على هذا ناسخةً للاستغفارين جميعًا، وفي الصحيح أن رسولَ الله - ﷺ - دخل على أبي طالب عند موته، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: يا عَمِّ قل: لا إلٰه إلا الله كلمةً أشهد لك بها عند الله، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية: أترغبُ عن مِلَّة عبد المطلب، فقال أنا على ملة عبد المطلب، وظاهر الحديث يقتضي أن عبد المطلب مات على الشرك، ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافًا في عبد المطلب، وأنه قد قال فيه: مات مسلمًا لما رأى من الدلائل على نُبوَّة محمدٍ - ﷺ - وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد[2]، فالله أعلم، غير أن في مسند البزار، وفي كتاب النسوي من حديث عبد الله بن عمرٍ أن رسول الله - ﷺ - قال لفاطمة، وقد عَزَّت قومًا من الأنصار عن مَيِّتهم: لعلك بلغت معهم الكُدَى، ويروى الكرى بالراء، يعني: القبور، فقالت: لا، فقال: لو كنت معهم الكُدَى أو كما قال، ما رأيت الجنةَ، حتى يراها جدُّ أبيك[3]، وقد أخرجه أبو داود، ولم يذكر فيه حتى يدخلها جد أبيك، وكذلك لم يذكر فيه: ما دخلت الجنة، وفي قوله: جد أبيك، ولم يقل: جدك يعني: أباه توطئة للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه، وآمنا به، فالله أعلم، ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله: حتى يدخلها جد أبيك، فتتوهم أنه الجد الكافر، ومن جدوده عليه السلام: إسماعيل وإبراهيم، لأن قوله عليه السلام حق، وبلوغها معهم الكُدَى لا يوجب خلودًا في النار، فهذا من لطيف الكناية فافهمه، وحكي عن هشام بن السائب أو ابنِه أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم، فقال: يا مَعْشَرَ قريش، أنتم صَفْوةُ الله من

---

(١) انظر مناهل الصفا (١٦) والسيوطي في الدر (٢/ ٢٩٨) (٣/ ٩٤).

(٢) لا صحة لهذا وقد تقدم التنبيه عليه غير مرة.

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٢٣) بتحقيقي دون الزيادة. وأخرجه كاملاً النسائي (٤/ ٢٧) وإسناده ضعيف.

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب

قال: وأنزل الله تعالى في الرَّهط الذين كانوا اجتمعوا إليه، وقال لهم ما قال، وردّوا عليه ما ردّوا: ﴿صَ والقُرآن ذي الذِّكْر بَل الَّذِين كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [صَ: ١، ٢].. إلى قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ وانطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أن امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَاد ما سَمِعنا بِهَـٰذَا فِي

خلقه، وقلبُ العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، والواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبًا إلا أَحْرَزْتموه، ولا شَرَفًا إلا أدركتموه، فلكم بذلكم على الناس الفضيلةُ ولهم به إليكم الوسيلة، والناسُ لكم حِزْب، وعلى حربكم أَلْبٌ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البَنِيَّة[1]، فإن فيها مَرْضاةً للرب، وقوامًا للمعاش، وَثَبَاتًا لِلْوَطأة، صِلوا أرحامَكم ولا تقطعوها، فإن في صلة الرحمِ مَنْسَأَةً في الأجل، وسِعةً في العدد، واتركوا البَغْي والعُقوقَ، ففيهما هَلَكَة القرون قبلكم، أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل، فإن فيهما شرف الحياة والممات، عليكم بصدق الحديثِ، وأداء الأمانة، فإن فيهما محبةً في الخاص، ومَكْرُمةً في العامّ، وإني أوصيكم بمحمّد خيرًا، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاء بأمرٍ قبله الجَنَانُ، وأنكره اللِّسان مخافةَ الشَّنآنِ، وأيم الله كأني أنظر إلى صَعَاليك العَرب، وأهل البر في الأطراف والمُسْتَضْعَفِين من الناس، قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمَته وعظموا أمره، فخاض بهم غَمَراتِ الموت، فصارت رؤساءُ قريش وصناديدُها أذنابًا ودورُها خرابًا، وضعفاؤها أربابًا[2]، وإذا أعظَمهم عليه، أحْوَجهم إليه، وأَبْعَدهم منه، أَحْظَاهم عنده، قد مَحَضَتْه العربُ وِدادَها، وأَصْفَتْ له فُؤادَها، وأعطته قيادَها، دونكم يا معشرَ قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاةً ولحزبه حُمَاةً، واللهِ لا يسلك أحد منكم سبيلَه إلا رَشَد، ولا يأخذ أحد بِهَدْيه إلا سَعِد، ولو كان لنفسي مدة، ولأجلِي تأخير، لكَفَفْتُ عنه الهَزَاهِز[3]، ولدافعتُ عنه الدَّوَاهي، ثم هلك.

تفسير المشي في سورة صَ

فصل: وذكر ما أنزل الله تعالى في قولهم: ﴿أنِ امْشُوا واصْبِروا على آلهتِكم﴾ وذكر بعض أهل التفسير أن قولهم: امْشُوا من المَشَاءِ، لا من المَشْيِ والمَشَاء: نَماءُ المال وزيادته،

---

(١) يعني الكعبة.

(٢) أربابًا: أي مُطاعين.

(٣) الهزاهز: الفتن.

المِلَّة الآخِرَة﴾ يعنون النصارى، لقولهم: ﴿إنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ - ﴿إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ [صٓ: ٧] ثم هلك أبو طالب.

يقال مَشَى الرجلُ، وأَمْشَى: إذا نَما مالُه قال الشاعر:

وكُـلُّ فَـتَـى وإن أَمْـشَـى وأثْـرَى ... سَـتَـخْـلِـجُـة عـن الـدُّنـيـا مَـنُـون

وقال الراجز:

والـشَّـاةُ لاَ تَـمْـشِـي عـلـى الـهَـمَـلَّـعِ

أي: لا تَكْثُر، والهَمَلَّعُ: الذئب، وقاله الخطابي في معنى الآية، كأنهم أرادوا أن المَشَاءَ والبركة في صبرهم على آلهتهم، وحَمْلُها على المَشْي أظهر في اللغة، والله أعلم.

تتابع المصائب بموت خديجة:

وذكر تَتَابُعَ المصائب على رسول الله - ﷺ - بِموت خديجة ثم بموت عمه، وذكر الزبير في حديث أسنده أن رسول الله ﷺ دخل على خديجةَ، وهي في الموت، فقال: تكرهين ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيرًا شعرت أن الله قد أعلمني أنه سَيُزَوِّجني معك في الجنة مريمَ ابنةَ عِمْران، وكُلْثُوم أخت موسى، وآسية امرأةَ فِرْعَوْن، فقالت: الله أعلمَك بهذا يا رسول الله؟ فقال: نعم، فقالت: بالرفاء والبنين، وذكر أيضًا في الحديث أن رسول الله - ﷺ - أطعمَ خديجةَ من عِنَبِ الجنة[1].

---

(١) «ضعيف». أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (١٩/٣).

الرسول يسعى إلى الطائف

قال ابن إسحٰق: ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله - ﷺ - من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمّه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، يلتمس النُّصرة من ثقيف، والمَنعة بهم من قومه، ورجاءَ أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عزّ وجلّ، فخرج إليهم وحدَه.

موقف ثقيف من الرسول ﷺ:

قال ابن إسحٰق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي، قال: لما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى الطائف، عَمَد إلى نَفر من ثقيف، هم يومئذ سادةُ ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عَبْد ياليَل بن عمرو بن عُمير، ومسعود بن عَمرو بن عُمير، وحَبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقدة بن غِيرَة بن عَوْف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قُرَيش من بني جُمح، فجلس إليهم رسولُ الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلَّمهم بما جاءهم له من نُصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه؛

خروج النبي ﷺ إلى الطائف[1]

وسنذكر السبب في تسميتها بالطائف، وأن الدمون!! رجل من الصَّدِف من حَضرَمَوْت نزلها، فقال لأهلها: ألا أبني لكم حائطًا يطيف ببلدتكم فبناه، فسميت: الطائف، وقيل: غير ذلك مما سنذكره.

---

(١) الطائف: ناحية ذات نخل وأعناب ومزارع وأودية وهي على ظهر جبل غزوان. وانظر الخبر في الكامل (١/ ٦٠٧) زاد المعاد (٣/ ٣١) المنتظم (٣/ ١٣) طبقات ابن سعد (١/ ٢١٠/ ٢١١) تاريخ الطبري (١/ ٥٥٤).

فقال له أحدهم: هو يَمرُط ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلك؛ وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا يُرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا. لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطرًا من أن أرُدّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلِّمك. فقام رسولُ الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم - فيما ذُكر لي -: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتُموا عني، وكَره رسولُ الله ﷺ أن يبلغ قومَه عنه، فيُذْئرهم ذلك عليه. قال ابن هشام: قال عَبيد بن الأبرص:

ولقَدْ أتاني عَن تَميم أنهُم ... ذَئِرُوا لقَتْلَى عامر وتعصّبوا

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعَبيدَهم، يسبونه ويَصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط لعُتبة بن ربيعة وشَيْبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثَقيف من كان يتبعه، فعَمَد إلى ظلّ حَبَلة من عنب، فجلس فيه. وابنا ربيعة ينظران

وقوله: فَيُذْئرها عليه، قد فسره ابن هشام، وأنشد:

ذَئِرُوا لقتلَى عامرٍ وتَعصَّبوا

وفي الحديث لما نهى رسولُ الله ﷺ عن ضرب النساء قال: ذئِر النساء على أزواجهن[1]، وفسره أبو عبيد بالنُّشوز على الأزواج، وأنشد البيت الذي أنشده ابن هشام، ومعنى كلامهما واحد.

وذكر ما لقي من أشراف ثَقيفٍ، وذكر موسى بن عقبة زيادةً في الحديث حين أَغْرَوْا به سفهاءَهم، قال: وكان يمشي بين سِمَاطين منهم، فكلّما نَقَلوا قدما، رَجَموا عَراقيبَه بالحجارة، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وذكر التَّيْمِيُّ كما ذكر ابن عقبة، وزاد قال: كان إذا أَذْلَقَتْه الحجارةُ، قعد إلى الأرض، فيأخذون بِعَضِديه، فيقيمونه فإذَا مشى رَجَموه، وهم يضحكون حتى انتهى إلى الموضع الذي ذكره ابن إسحٰق من حائط عُتْبة وشَيْبة.

قال ابن إسحٰق: فجلس إلى ظل حَبَلة، والحَبَلةُ الكرْمة، اشتق اسمُها من الحَبَل، لأنها تحمل بالعنب، ولذلك فتح حَمْل الشجرة والنخلة، فقيل: حَمْل بفتح الحاء تشبيهًا بحَمْل المرأة، وقد يقال فيه: حِمْل بالكسر تشبيهًا بالحَمْل الذي على الظهر، ومن قال في الكرمة حَبْلة بسكون الباء، فليس بالمعروف، وقد قال أبو الحسن بن كيسان في «نَهْي النبي ﷺ عن بَيْع حَبَلِ الحَبَلَة[2]، إنه بيع العنب قبل أن يَطيَب، كما جاء في الحديث

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٨٥) وأبو داود (٢١٤٦) بتحقيقي.

(٢) أخرجه الترمذي (١٢٢٩) وابن ماجه (٢١٩٧) وأحمد (٥٦/١).

إليه، ويَرَيان ما لقي من سُفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسولُ الله ﷺ ـ فيما ذُكر لي ـ المرأةَ التي من بني جُمَح، فقال لها: ماذا لَقِينا من أحمائك؟[1].

الآخر من نهْيه عن بيع التمر قبل أن يبدو صلاحُه، وهو قول غريب لم يذهب إليه أحد في تأويل الحديث، وقد قال عمر بن الخطاب في الأَرَضِين التي افتتحت في زمانه ـ وقد قيل له: قسمها على الذين افتتحوها ـ فقال: والله لأدعَنّها حتى يجاهدَ بها حَبَل الحَبَلَة، يريد: أولادَها في البطون. ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال، والقول الذي ذكره أبو الحسن في حَبَل الحَبلَة وقع في كتاب الألفاظ ليعقوب وإنما أشكل عليه وعلى غيره دخولُ الهاء في الحَبَلَة، حتى قالوا فيه أقوالاً كلها هَباء، فمنهم من قال: إنما قال الحَبَلَة لأنها بَهيمة أو جَنينة، ومنهم من قال: دخلت للجماعة، ومنهم من قال: للمبالغة، وهذا كله ينعكس عليهم بقوله: حَبَل الحَبَلة، فإنه لم تدخل التاء إلا في أحد اللفظين دون الثاني، وتبطل أيضًا على من قال أراد: معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم، وإنما النكتة في ذلك أن الحَبَل ما دام حَبَلاً لا يدرى: أذكرٌ هُو أم أنثى، لم يُسَمَّ حَبلاً، فإذا كانت أنثى، وبلغت حد الحمل، فحبلت فذاك الحبل هو الذي نهى عن بيعه، والأول قد علمت أنوثته بعد الولادة، فعبر عنه بالحبلة، وصار معنى الكلام أنه نهى عن بَيْع حَبَل الجَنينَة الي كانت حَبَلاً لا يعرف ما هي، ثم عرف بعد الوضع، وكذلك في الآدميين، فإذًا لا يقال لها: حبلة إلا بعد المعرفة بأنها أنثى، وعند ذكر الحبل الثاني لأن هذه الأنثى قبل أن تحبل، وهي صغيرة: رِخْلى، وتسمى أيضًا حائلاً وأشباه ذلك، وقد زال عنها اسم الحبل فإذا حبلت، وذكر حبلها وازدوج ذكره مع الحالة الأولى التي كانت فيها حبلاً فُرِّق بين اللفظين بتاء التأنيث، وخص اللفظ الذي هو عبارة عن الأنثى بالتاء دون اللفظ الذي لا يُدرى ما هو: أذكر أم أنثى، وقد كان المعنى قريبًا والمأخذ سهلاً لا يحتاج إلى هذه الإطالة لولا ما قدمناه من تخليطهم في تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذي لا يَقْدُر قَدْرَه في البلاغة إلا عالم بجوهر الكلام.

---

(١) تقدم ذكر ورود الخبر. وقد أخرجه المصنف هنا عن محمد بن كعب مرسلاً. والقصة صحيحة دون ذكر الدعاء الآتي، فقد ذكره المصنف رحمه الله تعالى بلا سند فقال كما سيأتي: «فيما ذكر لي». وقد أورد الحديث [الدعاء] الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٥) من حديث عبد الله بن جعفر وقال: رواه الطبراني وفيه ابن إسحٰق وهو مدلس وبقية رجاله ثقات. وهو كما قال رحمه الله.

فلما اطمأنّ رسولُ الله ﷺ قال: فيما ذُكِر لي: «اللَّهمّ إليك أشْكو ضَعْف قُوّتي، وقِلَّة حيلتي، وهَوانِي على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت

نور الله ووجهه(١):

فصل: وذكر دعاءَه ـ عليه السلام ـ عند الشدة، وقوله: اللهم إني أشكو إليك ضَعْفَ قُوّتي وقلةَ حيلتي إلى آخر الدعاء، وفيه: أعوذ بنور وجْهك الكريمِ الذي أشرقت به الظلماتُ، وصَلَح عليه أمرُ الدنيا والآخرة، ويُسأل عن النور هنا، ومعنى الوجه، وإشراق الظلمات، أما الوَجْه إذا جاء ذكره في الكتاب والسنة، فهو ينقسم في الذِّكر إلى موطنين: موطن تقربٍ واسترضاء بعمل، كقوله تعالى: ﴿يُريدون وَجْهَه﴾ وكقوله: ﴿إلاَّ ابْتِغاءَ وَجْه رَبِّه الأعلى﴾ فالمطلوب في هذا الموطن: رضاه وقبوله للعمل، وإقباله على العبد العامل، وأصله أن من رضي عنك، أقبل عليك، ومن غضب عليك أعرض عنك، ولم يُرِكَ وَجْهَه، فأفاد قولُه: بوجهك هٰهنا معنى الرضى والقبول، والإقبال، وليس بصلة في الكلام كما قال أبو عبيدة لأن قوله ذلك هُراءٌ من القول، ومعنى الصلة عنده: أنها كلمة لا تفيد إلا تأكيدًا للكلام، وهذا قولُ من غَلُظ طبعُه وبَعُد بالعُجْمَةِ عن فهم البلاغَةِ قلبُه وكذلك قال هو ومن قَلَّده في قوله تعالى: ﴿ويَبْقى وَجْهُ رَبِّك﴾ [الرحمٰن: ٢٧] أي يبقى رَبُّك، وكُلُّ شيء هالك إلا وجهه، أي: إلا إيَّاه، فعلى هذا قد خلا ذكر، الوجه من حِكْمةٍ، وكيف تخلو كلمةٌ منه من الحكمة، وهو الكتاب الحكيم، ولكن هذا هو الموطن الثاني من مواطن ذكر الوجه، والمعنى به ما ظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده، والوَجْهُ لغةً ما ظهر من

---

(١) الوجه صفة من صفات ربنا الرحمٰن جلّ وعلا، نؤمن أن لله تعالى وجهًا كما صرّح القرآن الكريم، وأن له تعالى يد، ولله تعالى قدم وساق وأصابع، نؤمن بكل ما صرّح به القرآن وما جاءت به السُّنّة «الصحيحة» مع إيماننا بأنه تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، ومَن فسّر وتأوّل اليد وقال هي القدرة، فقد كذب القرآن واتهم ربه إما بالجهل بنفسه تعالى، أو بالجهل بلغة العرب فلم يعلم الفرق بين اليد والقدرة، أو أنه تعالى يريد أن يضلّ عباده فيقول لهم ويأمرهم أن يؤمنوا بما لا يريده منهم، فهو تعالى يريد أن يضلّهم حينما قال تعالى في كتابه أن اليهود قالوا: ﴿يد الله مغلولة﴾ ردَّ تعالى عليهم قولهم فقال تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾، وأمر عباده أن يؤمنوا أن له يد مبسوطة، ويسألهم يوم القيامة عن هذا ثم يقول لهم: كلام لم أرد منكم أن تؤمنوا أن لي «يد» بل هي «القدرة» ـ سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا ـ أو أن التأوّل يتّهم ربه والٰهه ومعبوده بكل هذا. ثم تقول لمَن يقول إن اليد معناه القدرة، وأن الوجه معناه كذا، وأن الضحك والغضب والفرح معناهم: كذا وكذا وكذا، تقول لهم: «أنتم أعلم أم الله». إنه تعالى هو الذي قال عن نفسه هذا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ. والنور: اسم من أسماء الله تعالى قاله ابن القيم وغيره. وقد جمعت أقوالهم في كتابي «القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى» فانظره لزامًا.

ربّي، إلى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلى بعيد يتجهَّمني؟ أم إلى عدوّ مَلّكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غَضَب فلا أبالي، ولكن عافيتَك هي أوسع لي، أعوذ بنور وَجْهك الذي أشرقتْ له

الشيء معقُولاً كان أو محسوسًا، تقول: هذا وجهُ المسألة، ووجْهُ الحديث، أي: الظاهر إلى رأيك منه، وكذلك الثوب ما ظهر إلى بصرك منه، والبصائر لا تحيط بأوصاف جلاله، وما يظهر لها من ذلك أقل مما يغيب عنها، وهو الظاهر والباطن - تعالى وجَلَّ - وكذلك في الجنة نظر أهلها إلى وجهه سبحانه إنما هو نظر إلى ما يَرَوْن من ظاهر جلاله إليهم عند تجليه، ورفع الحجاب دونهم، وما لا يدركون من ذلك الجلال أكثر مما أدركوا.

وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عليها فانٍ ويبقى وَجْهُ ربك ذو الجَلاَل والإكرام﴾ [الرحمٰن: ٢٦، ٢٧] لما كانت السمٰوات والأرض، قد أظهرت من قدرته وسلطانه، ما أظهرت أخبر تعالى أَن فناءها لا يُغيِّر ما علِم من سلطانه وظهر إلى البصائر من جلاله، فقد كان ذلك الجلالُ قبل أن يخلُقَها، وهو باقٍ بعد فنائها كما كان في القِدَم، فهو ذو الجلال والإكرام، قال الحسن: معناه: تَجَلَّل بالبهاء وأكرم من شاء بالنظر إلى وجهه أما الأشعري[1] فذهب في معنى الوجه إلى ما ذهب فيه من معنى العين واليد، وأنها صِفَاتٌ لله تعالى لم تُعْلم من جهة العقُول، ولا من جهة الشرع المنقول، وهذه عُجْمةٌ أيضًا فإنه نزل بلسان عربي مبين، فقد فهمته العربُ لما نزل بلسانها، وليس في لغتها أنَ الوجهَ صفةٌ ولا إشكال على المؤمن منهم، ولا على الكافر في معنى هذه الآي التي احْتيج آخر الزمان إلى الكلام فيه مع العجمان، لأن المؤمن لم يخش على عقيدته شكًّا ولا تشبيهًا، فلم يستفسر أحدٌ منهم رسولَ الله عليه السلام، ولا سأله عن هذه الآية التي هي اليوم مشكلة عند عوام الناس، ولا الكافر في ذلك الزمان لم يتعلق بها في معرض المناقضة والمجادلة، كما فعلوا في قوله تعالى: ﴿إنكم وما تَعْبُدُون من دُون الله حَصَبُ جَهَنَّم﴾ [الأنبياء: ٩٨] ولا قال أحدٌ منهم: يزعم محمد أن الله ما يشبهه شيء من خلقه، ثُم يُثْبت له وجهًا ويدين إلى غير ذلك فدل على أنهم لم يَرَوْا في الآية إشكالاً، وتلَقَّوا معانيها على غير التشبيه، وعرفوا من سَمَانَةِ الكلام، ومَلاَحة الاستعارة أنهُ مُعْجِزٌ، فلم يَتَعَاطَوا له مُعَارضة، ولا توهَّموا فيه مُناقضة، وقد أملينا في معنى اليدين والعين مسألةً بديعة جدًا، فلتنظر هنالك.

وأما النورُ فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائقَ الإلٰهية، وبه أشرقت الظلمات، أي أشرقت محالها وهي القلوب التي كانت فيها ظلماتُ الجهالة والشكوك، فاستنارت القلوبُ

---

(١) أتباع أبا الحسن الأشعري.

الظُّلمات، وصَلَح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أنْ تُنْزل بي غضَبك، أو يحلّ عليّ سُخْطك، لك العُتبى حتى تَرْضَى، ولا حول ولا قوّة إلا بك».

قال: فلما رآه ابنا رَبيعة، عُتْبةُ وشَيْبةُ، وما لَقي، تحرّكت له رَحمُهُما فدَعَوَا غلامًا لهما نَصرانيًا، يقال له عدَّاس فقالا له: خذ قِطفًا من العنب، فضَعْه في هذا الطَّبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عَدّاسٌ، ثم أقبل به حتى وَضعه بين يدي رسول الله ـ ﷺ ـ ثم قال له: كُل، فلمَّا وضع رسولُ الله ﷺ فيه يَده، قال: «باسم الله»، ثم أكل، فنظر عَدّاس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلامَ ما يقوله أهلُ هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «ومِنْ أهل أيّ البلاد أنت يا عَدّاس، وما دينك»؟ قال: نَصْرَاني، وأنا رجل من أهل نَينوى. فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»؟ فقال له عَدّاس: وما يُدْريك ما يونسُ بن متى؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبيّ»، فأكبّ عَدّاس على رسول الله ﷺ يقبِّل رأسَه ويَدَيْه وقَدَميه.

بنور الله، وقد قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نورِه﴾ أي: مَثَلُ نوره في قِلب في المؤمن كَمَشْكَاة، فهو إذًا نور الإيمان والمعرفة: المُجْلِي لكل ظلمةٍ وشك، قال كعب: المِشكاةُ مَثَلٌ لِفَهْمِه، والمصباحُ مَثَلٌ للسانه، والزجاجة: مثلٌ لصَدْرِه، أو لقلبه أي: قلب محمّد ﷺ، وقال: أعوذ بنور وجهك، ولو قال: بنورك لحسُن، ولكن توسل إليه بما أودع قلبه من نوره، فتوسّل إلى نعمته بنعمته وإلى فَضْله ورحمته بفضله ورحمته، وقد تكون الظلماتُ هاهنا أيضًا الظلمات المحسوسة وإشراقها جلالتها على خالقها، وكذلك الأنوار المحسوسة، الكِلُّ دالٌّ عليه فهو نور النور، أي: مظهره مُنوِّر الظلمات، أي جاعلها نورًا في حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى.

خبر عداس:

فصل: وذكر خبر عَدَّاس غلام عُتْبَةَ وشَيْبَةَ ابني ربيعة حين جاء بالقِطْفِ من عندهما إلى آخر القصة، وفيه قبولُ هدية المشرك، وأن لا يَتَوَرّع عن طعامه، وسيأتي استقصاءُ ذلك إن شاء الله تعالى، وزاد التَّيْمِيُّ فيها أن عَدَّاسًا حين سمعه يذكر يُونُسَ بن مَتَّى قال: والله لقد خَرَجْت منها يعني: نينَوى، وما فيها عَشرةٌ يعرفون: ما مَتّى، فمن أين عرفت أنت مَتّى، وأنت أُميٌّ، وفي أمة أُمّيَّةٍ؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «هو أخي، كان نبيًا، وأنا نبي»، وذكروا أيضًا أن عَدَّاسًا لما أراد سيداه الخرُوج إلى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما: أقتال ذلك الرجل الذي رأيته بحائطكما تريدان، والله ما تقوم له الجبال، فقالا له: وَيْحَكَ يا عَدَّاس: قد

قال: يقول ابنا ربيعة أحدُهما لصاحبه: أمَّا غُلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عَدّاس، قالا له: ويلك يا عدّاس! ما لك تقبِّل رأسَ هذا الرجل ويدَيه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يَعلمه إلا نبيّ، قالا له: ويحك يا عَدّاس، لا يَصْرِفنَّك عن دينك، فإنّ دينَك خير من دينه.

أمر جنّ نصيبين

قال: ثم إن رسول الله - ﷺ - انصرف من الطائف راجعًا إلى مكة، حين يَئِس من خَيْر ثقيف، حتى إذا كان بنَخلة قام من جَوْف الليل يصلّي، فمرّ به النَّفر من الجنّ الذين

س حَرك بلسانه، وعندما لقي رسولُ الله - ﷺ - من أهل الطائف، ما لقي، ودعا بالدعاء المتقدم، نزل عليه جبريلُ ومعه مَلك الجبال كما رَوى البخاري عن عبد الله بن يوسف، عن يونس، عن ابن شهابٍ قال: حدّثني عُرْوَةُ أن عائشةَ زوج النبي - ﷺ - حدّثته أنها قالت للنبي عليه السلام: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليك من أُحُدٍ؟ فقال: «لقد لقيتُ من قومك، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العَقَبة إذ عَرَضْتُ نفسي على ابن عَبْدِ ياليلَ بن عَبْدِ كُلاَلٍ، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي، وأنا مهموم، فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ»[١]، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال، لتأمرَه بما شئت فيهم، فناداني مَلَكُ الجبال، فسَلَّم عَليَّ فقال: يا محمّد ذلك لك، إن شئت أطبق عليهم الأَخْشَبَيْنِ، فقال النبيّ ﷺ: «بل أرجو أن يخرج اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئًا»[٢]. هكذا قال في الحديث: ابن عَبْدِ كُلاَلٍ، وهو خلاف ما نسبه ابن إسحٰق.

جنّ نصيبين[٣]

فصل: وذكر حديث وفد جنّ نَصِيبِين، وما أنزل الله فيهم، وقد أملينا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفًا من أخبارهم وبيَّنا هنالك أسماءَهم، ونَصِيبِين مدينةٌ بالشام أثنى عليها رسولُ

---

(١) قرن الثعالب: هي ميقات أهل نجد تلقاء مكة.

(٢) «صحيح». أخرجه البخاري (٦/ ٢٢٥) ومسلم في الجهاد. حديث رقم (١٧٩٥).

(٣) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٦٢) أن جنّ نصيبين واستماعهم للقرآن كان من أول البعثة وليس بعد فقوله - ﷺ - من الطائف. وانظر فتح الباري (٨/ ٥١٤).

ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم - فيما ذكر لي - سبعة نفر من جنّ أهل نَصِيبِين فاستمعوا له، فلما فَرَغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا. فقصّ الله خبرَهم عليه ﷺ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ إلى آخر القصة من خبرِهم في هذه السورة.

الله ﷺ. رُوِي أنه قال: «رفعت إليّ نصيبين حتى رأيتُها فدعوت الله أن يَعْذُب نَهرُها، ويَنْضر شجرُها، ويطيب ثمرُها» أو قال: «ويَكْثُر ثمرُها»، وتقدم في أسمائهم ما ذكره، ابن دُرَيْد. قال: هم منشي وماشي وشاصر وماصر والأحقب، ولم يزد على تسمية هؤلاء، وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم، وفي الصحيح أن الذي أذن رسول الله - ﷺ - بالجن ليلة الجن شجرة، وأنهم سألوه الزاد، فقال: «كُلُّ عَظْم ذُكِرَ اسم الله عليه يقع في يد أحدهم. أوفر ما يكون لحمًا، وكل بَعَرٍ علفٌ لَدوابِّهم»[1]. زاد ابن سلام في تفسيره أن البَعْر يعود خَضِرًا لدوابهم، ثم نهى رسولُ الله - ﷺ - أن يُسْتَنْجى بالعظم والرَّوْث، وقال: «إنه زاد إخوانِكم من الجن»، ولفظ الحديث في كتاب مسلم كما قدمناه: «كل عظم ذُكِرَ اسمُ الله عليه»[2]، ولفظه في كتاب أبي داود: «كل عظم لم يُذْكر اسم الله عليه»، وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبي داود، وقال بعضُ العلماء روايةُ مُسْلم في الجن المؤمنين، والرواية الأُخرى في حق الشياطين منهم، وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث إلا أنا نكره الإطالة، وفي هذا رَدٌّ على من زعم أن الجنّ لا يأكل ولا يشرب، وتأولوا قوله - عليه السلام: «إن الشيطان يأكل بِشِماله، ويشرب بِشِمالِه»[3] على غير ظاهره، وهم ثلاثة أصناف كما جاء في حديث آخر: صِنفٌ على صُوَرِ الحيّات، وصِنفٌ على صُوَر الكلاب سُودٌ وصِنفٌ ريحٌ طَيّارة أو قال: هَفَّافَة ذَوُو أجنحةٍ، وزاد بعضُ الرواة في الحديث: وصِنف يَحُلُّون ويَظْعَنُون[4]، وهم السَّعَالَى، ولعل هذا الصِّنف الطَّيَّارَ هو الذي لا يأكل، ولاَ يشرب إن صح القول المتقدم والله أعلم. وروينا في حديث سمعتُهُ يقْرَأ على الشيخ الحافظ أبي بكر بن العربي بسنده إلى جابر بن عبد الله، قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ نمشي إذ جاءت حَيَّةٌ، فقامت إلى جنبه، وأدنت فاها من أذنه، وكانت تناجيه، أو نحو هذا، فقال النبي ﷺ: «نعم» فانصرفت، قال جابر: فسألته، فأخبرني أنه رجل من الجن، وأنه قال له: مُرْ أمتك لا يستنجوا بالرَّوْثِ، ولا بالرِّمَّة، فإن الله جعل لنا في ذلك رزقًا.

---

(١) أخرجه البيهقي (٢/١١/١٠٩) وانظر البخاري في مناقب الأنصار (٣٢).
(٢) أخرجه مسلم في الصلاة (١٥٠) والترمذي وأحمد (١/٣٩).
(٣) أخرجه مسلم في الأشربة (١٠٥/١٠٦). (٤) انظر أحمد (١/٢١٨).

عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل

قال ابن إسحٰق: ثم قَدم رسولُ الله ﷺ مكة، وقومُه أشد ما كانوا عليه من خِلافه وفراق دينه، إلا قليلاً مُستضعَفين، ممن آمن به. فكان رسولُ الله ﷺ يَعْرض نفسَه في المَواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبيّ مُرْسَل، ويسألهم أن يصدّقوه ويَمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني من أصحابنا، من لا أتهم، عن زَيد بن أسْلَم عن ربيعة بن عِبَادِ الدِّيلي أو مَن حدّثه أبو الزناد عنه ـ قال ابن هشام: ربيعة بن عِبَاد.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني حُسَين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عبَّاسٍ، قال: سمعت ربيعة بن عبَاد، يحدّثه أَبي، قال: إني لغلام شاب مع أبي بِمَنى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: «يا بني فلان، إنّي رسولُ الله إليكم، يأمركم أن

ذكر عرض نفسه على القبائل(١)

فصل: وذكر عَرْضَه نفسَه ـ ﷺ ـ على القبائل، ليؤمنوا به، ولينصروه قبيلةً قبيلةً، فذكر بني حنيفة، واسم حنيفَة: أُثَال بن لُجَيْم، ولجيم: تصغير اللُّجَمِ، وهي دُوَيْبَةٌ، قال قُطْرُب، وأنشد:

لـهـا ذَنَـبٌ مـثـلُ ذَيْـلِ الـعـرو　　　س إلى سَبَّةٍ مثل جَحْرِ اللُّجَمْ

ابن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل، وسمى حَنيفة لحَنَفٍ كان في رجليه، وقيل: بل حنيفة أُمهم، وهي بنت كاهل بن أسد عُرِفوا بها، وهم أهل اليمامة، وأصحاب مُسَيْلمة الكذَّاب، وقد أملينا في أول الكتاب سببَ نزولهم اليمامة وأول من نزلها منهم.

وذكر بَيْحَرة بن فراس العامري، وقولَه لرسول الله ﷺ: أَفَنُهْدِفُ نُحورَنا، للعرب دونك. نُهْدِف أي: نجعلها هَدَفًا لسهامهم، والهَدَفُ: الغرض.

وذكر قولَ الشيخ(٢): هل لها من تَلاَفٍ، أي: تَدارُك، وهو تَفاعُل من: تَلاَفَيْتُهم، وهل لذناباها من مطلب: مَثَلٌ ضُرِب لما فاته منها، وأصله: من ذُنَابَي الطائر: إذا أفلت من الحِبَالة، فطلبت الأخذ بِذُنَاباه، وقال: ما تقوَّلها إسماعيلي قط أي: ما ادعى النبوة كاذبًا أحدٌ من بني إسماعيل.

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/٥٥٦) الكامل لابن الأثير (١/٦٠٨).

(٢) هذا القول هو عند ابن إسحٰق في السيرة تحت عنوان «العرض على بني عامر».

تَعْبُدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تَخْلَعُوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنْداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدّقوا بي، وتمنعوني، حتى أُبَيِّن عن الله ما بعثني به». قال: وخَلْفه رجل أَحْوَلُ وَضيءٌ، له غَديرَتان عليه حُلَّة عَدَنيَّة، فإذا فرغ رسولُ الله ﷺ من قوله، وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بَني فلان، إنّ هذا إنما يدعوكم أن تسلُخوا اللات والعُزّى من أعناقكم، وحلفاءَكم من الجنّ من بَني مالك بن أُقَيْش، إلى ما جاء به من البِدْعة والضلالة، فلا تُطيعوه، ولا تسمعوا منه.

قال: فقلت لأبي: يا أبت، مَن هذا الذي يتبعه ويردّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمُّه عبد العُزّى بن عبد المطَّلب، أبو لهب[1].

قال ابن هشام: قال النابغة:

كأنَّك مَنْ جمال بَنِي أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ خلفَ رجلَيه بِشَن

قال ابن إسحٰق: حدثنا ابنُ شهاب الزهريّ: أنه أتى كِنْدة في منازلهم، وفيهم سيِّد لهم يقال له: مُلَيح، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرَض عليهم نفسَه، فأبَوْا عليه.

العرض على بني كلب:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن حصين: أنه أتى كَلْبًا في منازلهم، إلى بَطْن منهم يقال لهم: بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسَه، حتى إنه ليقولُ لهم: يا بني عبد الله، إن الله عزّ وجلّ قد أحسن اسم أبيكم، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

عرض نفسه على كندة:

فصل: وذكر عرضه نفسه على كِنْدَةَ، وهم بنو ثَوْر بن مُرَّة بن أُدَد بن زَيْد بن ميسع بن عمْرو بن عَريب بن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ على أحد الأقوال بين النسابين في كِنْدَة، وسمي كِنْدة لأنه كَنَد أباه، أي عَقَّه، وسمى ابنه مُرْتِعًا لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعًا، فهم بنو مُرْتع بن ثور، وقد قيل إن ثورًا هو مُرْتِع، وكندة أبوه[2].

في هذا الكتاب تتمة لفائدته:

فصل: وذكر غير ابن إسحٰق ما لم يذكر ابنُ إسحٰق مما رأيت إملاء بعضه في هذا الكتاب تتمة لفائدته. ذكر قاسمُ بن ثابت والخطابي عرضَه نفسه على بني ذهْلِ بن ثَعْلبة، ثم

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ٥٥٥) من طريق المصنف به.

(٢) انظر جمهرة ابن حزم (٣٩٤).

العرض على بني حنيفة:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعضُ أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتى بنِي حَنيفة في منازلهم، فدعاهم إلى الله وعَرض عليهم نفسه، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ عليه ردًا منهم.

العرض على بني عامر:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الزهري أنه أتى بَني عامر بن صَعْصعة، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرَض عليهم نفسَه، فقال له رجل منهم ـ يقال له: بَيْحَرة بن فِرَاس. قال ابن هشام: فِراس بنُ عبد الله بن سَلمة بن قُشير بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة: والله، لو أني أخذت هذا الفتى من قُريش، لأكلتُ به العربَ، ثم قال: أرأيتَ إن نحن تابعناك على أمرك، ثم أظهرك اللهُ على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمرُ إلى الله يَضعه حيث يشاء، قال: فقال له: أفَنُهدِف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمرُ لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك، فأبَوْا عليه.

على بني شَيْبان بن ثَعْلبة، فذكر الخطّابي وقاسم جميعًا ما كان من كلام أبي بكر مع دَغْفَل بن حَنظَلَة الذُّهلي زاد قاسم تكملة الحديث فرأينا أن نذكر زيادة قاسم، فإنها مما تليق بهذا الكتاب قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينةُ والوقار، فتقدم أبو بكر، فسلم قال علي: وكان أبو بكر مُقَدَّمًا في كل خير، فقال مِمَّن القومُ، فقالوا: من شَيْبان بن ثَعْلَبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: بأبي أنت وأمي، هؤلاء غُرَرٌ في قومهم، وفيهم مَفْرُوقُ بن عمرو وهانىء بن قَبِيصَة، ومُثَنَّى بن حارثة، والنعمان بن شَرُيك؛ وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جَمَالاً ولِسَاناً وكانت له غَدِيرَتان[1] تسقطان على تَرِيبَتَيْه[2]، وكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ قال له مَفْروق إنا لنزيد على الألف، ولن تُغْلَب ألفٌ من قِلَّةٍ فقال أبو بكر: كيف المنَعَة فيكم؟ فقال مَفْروق: علينا الجهد، ولكل قوم جد، فقال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشدُّ ما نكون غَضَبًا لحين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنُؤْثر الجيادَ على الأولاد، والسلاحَ على اللِّقاحَ[3]، والنصرُ من عند الله، يُدِيلنا مَرَّةً ويُديلُ عَلَيْنا، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر أوَقَدْ بلغكم أنه رسول الله، فها هو ذا، فقال مَفْروق: قد بلغنا أنه

---

(١) غديرتان: ضفيرتان.

(٢) تريبتيه: أي عظام صدره.

(٣) اللقاح: أي الإبل.

فلما صدر الناسُ رجعتْ بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركتْه السن، حتى لا يقدر أن يُوافِيَ معهم المواسمَ، فكانوا إذا رجَعوا إليه حدَّثوه بما يكون في ذلك المَوْسم، فلما قَدموا عليه ذلك العامَ سألهم عمَّا كان في مَوْسمهم، فقالوا: جاءنا فَتَى من قُريش، ثم أحَدُ بني عبد المطَّلب، يزعم أنه نَبيّ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقومَ معه، ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يَدَيْه على رأسه ثم قال: يا بَني عامر، هل لها من تَلاف، هل لِذُنَابَاها من مَطْلب، والذي نَفْسُ فلان بيده، ما تَقَوّلها إسماعيليّ قَطّ، وإنها لحقّ، فأين رأيُكم كان عنكم.

يذكر ذلك، فإلى م تـدعو إليه يا أخا قريش؟ فتقدم رسولُ الله ﷺ، فقال: «أدعو إلى شهادة أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسولُ الله، وإلى أن تُؤْوُوني، وتَنْصروني، فإن قريشًا قد ظاهرت على أمر الله، وكذبت رسولَه، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد»، فقال مفروق: وإلى م تـدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فتلا رسولُ الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوا أَتْلُ ما حَرَّم رَبُّكم عليكم ألاَّ تُشْرِكوا به شَيْئًا وبالوالدين إحسانًا ولا تَقْتلوا أولادكم من إمْلاَقٍ نحن نرزقكم وإيَّاهُمْ ولا تَقْربوا الفواحشَ ما ظَهَر منه وما بَطَن ولا تقتلوا النفسَ التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ [الأنعام: ١٥١] فقال مفروق: وإلى مم تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فتلا رسولُ الله ـ ﷺ ـ ﴿إنَّ اللَّهَ يأمُر بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربى ويَنْهَى عن الفَحْشاءِ والمُنْكر والبَغْي يَعِظُكُم لَعَلَّكم تَذَكَّرُون﴾ [النحل: ٩٠] فقال مفروق: دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والله لقد أَفِكَ قومٌ كذَّبوك، وظاهروا عليك، وكأنه أراد أن يَشْرَكَه في الكلام هانىءُ بن قَبِيصة، فقال: وهذا هانىء بن قَبِيصة شيخُنا، وصاحب دينِنا، فقال هانىء: قد سَمِعت مقالتَك يا أخا قريش، وإني أرى أنَّ تَرْكَنا دينَنَا واتباعنا إيَّاك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زَلَّةٌ في الرأي، وقِلَّة نظرٍ في العاقبة، وإنما تكون الزَّلَّة مع العَجَلة، ومِنْ ورائنا قومٌ نكره أن نعقد عليهم عَقْدًا، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر، وكأنه أحب أن يَشْرَكه في الكلام المُثَنَّى، فقال: وهذا المُثَنَّى بن حارثة شيخنا وصاحب حَرْبنا، فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجوابُ: هو جوابُ هانىء بن قَبِيصَة في تركنا ديننا، واتباعنا إيَّاك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، وإنا إنما نزلنا بين صَريَان اليمامة والسَّمَاوة، فقال رسول الله ـ ﷺ «ما هذان الصَّرَيان»؟ فقال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى، فذنْبُ صاحبيه غيرُ مغفور، وعُذْره غير مقبول، وأما ما كان من مياه العرب، فذنبهُ معفور وعذره مقبول، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كِسْرى أن لا نُحْدِث حَدَثًا ولا نُؤْوِي مُحْدِثًا، وإني أرى هذا الأمرَ الذي تدعونا إليه هو مما تكرهه الملوكُ، فإن أحببتَ أن نُؤْويك وننصرك مما يلي مياه العَرب، فَعَلنا فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «ما أسأتم في الرد، إذْ أفصحتم بالصِّدق،

قال ابن إسحٰق: فكان رسولُ الله ﷺ على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناسُ بالمَوْسم أتاهم يدعو القَبائلَ إلى الله وإلى الإسلام، ويَعْرِض عليهم نفسَه، وما جاء به من الله من الهُدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدَم مكةَ من العرب له اسمٌ وشرف، إلا تصدّى له، فدعاه إلى الله، وعَرَض عليه ما عنده.

حديث سويد بن صامت

قال ابن إسحٰق: وحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة الأنصاريّ، ثم الظَّفريّ عن أشياخ من قومه[1]، قالوا:

قَدم سُويد بن صامت، أخو بني عمرو بن عَوْف، مكةَ حاجًّا أو مُعتمرًا،

وإن دين الله لن ينصره إلا من حَاطَه من جميع جوانبه أَرَأَيتُم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضَهم وأموالَهم ويفرشكم نساءهم، أَتُسَبِّحون الله وتُقَدِّسونه»، فقال النعمان بن شَرِيك: اللهم لك ذا، فتلا رسولُ الله ـ ﷺ: ﴿إنا أرسلناك شاهدًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسِرَاجًا منيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] ثم نهض النبي ـ ﷺ ـ فأخذ بيدي، فقال: «يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية، ما أشرفَها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم» قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوْس والخَزْرَج، فما نهضنا حتى بايعوا النبيَّ ﷺ، وكانوا صُدَقاءَ صُبَراءَ، وروى في حديثٍ مُسْنَدٍ إلَى طارق، قال: رأيت رسول الله ﷺ مرتين: رأيته بسوقِ ذي المَجَازِ يعرضِ نفسه على القبائل، يقول: «يا أيها الناسُ قولوا: لا إلَه إلا الله تُفْلِحوا»، وخَلْفَه رجلٌ له غديرتان يَرْجُمه بالحجارة، حتى أدْمَى كَعْبيه، يقول: يا أيها الناسُ لا تسمعوا منه، فإنه كذّاب، فسألت عنه، فقيل: هو غلام عبد المطلب، قلت: ومن الرجل يرجمه؟ فقيل لي: هو عمه عَبْدُ العُزَّى أبو لهب[2]، وذكر الحديثَ بطوله. خَرَّجه الدَّارَقُطْنِي، ووقع أيضًا في السيرة من رواية يونس.

حديث سويد بن صامت

فصل: ذكر حديث سُوَيد بن صامت وشعره.

---

(١) مجاهيل.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٢) والدارقطني (٣/ ٤٥) بتحقيقي والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٠) والطبراني في الكبير (٥/ ٥٦) والبيهقي في الكبرى (١/ ٧٦).

وكان سُوَيد إنما يسمِّيه قومُه فيهم: الكاملَ، لجَلَده وشعره وشَرفه ونَسبه، وهو الذي يقول:

ألا رُبَّ مَن تدعو صَديقًا وَلَو تَرى | مقالَته بالغَيبِ ساءَك ما يَفْري
مقالَتُه كالشَّهْد ما كان شاهدًا | وبالغَيْب مأثورٌ على ثُغْرة النحر
يَسُرُّك باديه وتحت أديمِه | نميمةُ غشٍّ تَبْتَري عَقَبَ الظَّهْر
تُبين لك العَيْنان ما هو كاتمٌ | من الغِلِّ والبَغْضَاء بالنظَر الشزر
فَرِشْني بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَنِي | وخيرُ الموالي من يَرشي ولا يَبْري

وهو الذي يقول: ونافر رجلاً من بني سُلَيم، ثم أحد بني زَعْبِ بن مالك مائة ناقة، إلى كاهنة من كُهَّان العرب، فقضتْ له. فانصرف عنها هو والسُّلميّ ليس معهما غيرهما، فلما فرّقت بينهما الطريقُ، قال: ما لي، يا أخا بني سُلَيمٍ قال: أبعثُ إليك به؛ قال: فمَن لي بذلك إذا فُتَّني به؟ قال: أنا، قال: كلاّ، والذي نفس سُوَيدٍ بيده، لا تفارقَنِّي حتى أوتى

وفي الشعر:

وبالغَيْبِ مأثورٌ على ثُغرَةِ النَّحْرِ

يعني السيفَ، ومأثورٌ: من الأَثَر وهو فرِنْدُ[1] السيف، ويقال فيه: أَثْر وإِثْر. قال الشاعر[2]:

جلاها الصَّيْعَلُونِ فَأَخلَصُوها | خِفَافًا كُلُّها يَتْقِي بأَثْرِ

أراد: يَتَّقِي، وسُوَيْد: هو: الكامل، وهو ابن الصَّلْتِ بن حَوْط بن حَبِيب بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالكِ بن الأَوْسِ وأمه لَيْلَى بنت عمرو النجارية أخت سَلْمَى بنت عمرو [بن زيد بن لبيد بن خِداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار [تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج] أُم عبد المطلب بن هاشم، فَسُوَيْدٌ هذا ابن خالة عبد المطلب، وبنتُ سويد هي أمُّ عاتِكَةَ أخت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل مرأة عمر بن الخطاب، فهو جدُّها لأمِّها واسم أمها: زينب، وقيل: جليسة بنت سُوَيد، هكذا ذكره الزُّبَيْر بن أبي بكر.

---

(١) فرند السيف: جوهره.
(٢) هو: عيسى بن عمر الخفاف. كما في الأمالي للقالي (٣/ ٧٣).

بمال، فاتَّخذا فضرب به الأرضَ، ثم أوثقه رباطًا ثم انطلق به إلى دار بَني عمرو بن عوف، فلم يزل عنده حتى بعثتْ إليه سُلَيم بالذي له، فقال في ذلك:

لا تحسبَنِّي يابن زَغْبِ بن مالِك كَمَن كنتَ تُردى بالغيوب وتَخْتِلُ
تحوّلت قِرْنا إذ صُرعتَ بعزّة كذلك إنَّ الحازمَ المتحوّل
ضَرَبتُ به إبْط الشمَال فلم يَزَل على كلّ حال خدّه هو أسفل

في أشعار كثيرة كان يقولها:

فتصدّى له رسولُ الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سُوَيد: فلعلّ الذي معك مثلُ الذي معي، فقال له رسولُ الله ـ ﷺ: «وما الذي معك»؟ قال مَجَلَّة لقمان ـ يعني حكمة لقمان. فقال له رسولُ الله ﷺ: «اعرضها عليّ»، فعَرَضها عليه، فقال له: «إن هذا الكلامُ حَسَنٌ، والذي معي أفضلُ من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ، هو هُدًى ونور.» فتلا عليه رسولُ الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يَبْعُد منه، وقال: إن هذا لقولٌ حسن. ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتلته الخَزْرج، فإن كان رجالٌ من قومه لقولون: إنَّا لنراه قد قُتل وهو مُسْلم. وكان قَتْله قبل يوم بُعاث[1].

ذكر مجلة لقمان:

فصل: وذكرَ مَجلَّة لُقمان، وهي الصحيفة، وكأنها مفعلة من الجَلاَل والجَلاَلَة، أما الجَلاَلَةُ فمن صفة المخلوق، والجلال من صفة الله تعالى، وقد أجاز بعضُهم أن يقال في المخلوق جَلاَلٌ وجَلاَلَةٌ وأنشد[2]:

فَلا ذَا جَلاَلٍ هِبْنَه لِجَلاَلَةٍ ولا ذا ضَيَاع هنَّ يتْرُكْنَ لِلْفَقْرِ

ولُقْمَانُ كان نوبيا من أهل أَيْلةَ وهو لقمان بن عَنْقَاء بن سرور فيما ذكَروا وابنه الذي ذُكِرَ في القرآن هو ثأران فيما ذكر الزَّجَّاج وغيره، وقد قيل في اسمه غير ذلك، وليس بلقمان بن عاد الحِمْيَرِيّ.

---

(١) انظر تاريخ الطبري (١/ ٥٥٧) الكامل (١/ ٦٠٩).

(٢) هو: هدية بن خشرم بن كرز. كما في أمالي القالي (٢/ ٢٣).

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عَمرو بن سعد بن مُعاذ عن محمود بن لُبيد، قال: لما قَدِم أبو الحَيْسَر، أنسْ بن رافع، مكةَ ومعه فِتْية من بني عَبْد الأشْهل، فيهم إياس بن مُعاذ، يلتمسون الحِلْف من قريش على قومهم من الخزرج، سَمِعَ بهم رسولُ الله - ﷺ - فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم في خير مما جئتم له»؟ فقالوا له: وما ذاك؟ قال: «أنا رسولُ الله بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل عليّ الكتاب.» قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن مُعَاذ، وكان غلامًا حَدثًا: أي قوم، هذا والله خيرٌ مما جئتم له. قال: فيأخذ أبو الحَيْسر، أنسُ بن رافع، حَفْنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجهَ إياس بن مُعَاذ، وقال: دَعْنا منك، فَلَعَمْري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس، وقام رسولُ الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج.

قال: ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني مَن حَضَره من قومه عند موته: أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلّل الله تعالى ويكبّره ويحمده ويُسَبّحه حتى مات، فما كانوا يشكّون أنّ قد مات مسلمًا، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع.

ذكر قدوم أبي الحيسر[1]

فصل: وذكر قدوم أبي الحَيْسَرِ أنس بن رافع بن يطلب الْحِلف، وذلك بسبب الحرب التي كانت بين الأوْس والخَزْرج، وهي حرب بُعاث المذكورة، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثيرٌ من صَنَادِيدهم وأشرافهم، وبُعاث اسم أرضٍ بها عرفت.

(١) انظر الكامل (١/ ٦١٠).

الرسول مع نفر من الخزرج عند العقبة

قال ابن إسحاق: فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهارَ دينه، وإعزاز نبيّه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسولُ الله ﷺ، في المَوْسم الذي لقيه فيه النّفرُ من الأنصار، فعرض نفسَه على قبائل العرب، كما كان صنع في كلّ مَوْسم. فبينما هو عند العقبة لَقِي رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا.

بدء إسلام الأنصار

ولم يكن الأنصار اسمًا لهم في الجاهلية، حتى سمَّاهم الله به في الإسلام، وهم: بنو الأوْسِ والخَزْرَجِ، والخزرجُ: الريح الباردة وقال بعضهم: وهي الجَنُوبُ خاصَّةً، ودخول الألِف واللام في الأوس على حد دخولها في التَّيْم جمع: تَيْمِيٌّ وهو من باب: رُومِيّ ورُوم، لأن الأَوْسَ هي العطِيَّة أو العِوض، ومثل هذا إذا كان عَلَمًا لا يدخله الألف واللام، ألا ترى أنّ كل أَوْسٍ في العرب غير هذا، فإنه بغير ألف ولام كأوس بن حارثة الطَّائيّ وغيره وكذلك، أُوس وأُوَيْس: الذئب قال الراجز[1]:

يا لَيْتَ شِعْرِي عَنْه والأَمْرُ عمم ما فعل اليومَ أُوَيْسٌ بالغَنَمْ

وأبوهم حارثة بن ثعلبة [بن عمرو مُزَيْقيَاء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي]، وهو أيضًا: والدُ خُزَاعةَ على أحد القولين، وأمهم: قَيْلَةُ بنت كاهل بن عُذْرَةَ قُضَاعِيَّة ويقال: هي بنت جَفْنَة، واسمه غَلْبَةُ بن عَمْرو بن عامر، وقيل بنت سَيْع بن الهَون بن خُزَيْمَة بن مدركة، قاله الزبير بن أبي بكر في كتاب أخبار المدينة.

---

(١) هو الهذلي كما في اللسان وانظر في بدء إسلام الأنصار: تاريخ الطبري (٢/ ٣٥٣) البداية والنهاية (٣/ ١٤٥) الدلائل للبيهقي (٢/ ٤١٣) المنتظم (٣/ ٢٠).

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عُمر بن قَتادة، عن أشياخ من قومه، قالوا: لما لقيهم رسولُ الله ﷺ، قال لهم: مَن أنتم؟ قالوا: نَفَر من الخزرج، قال: أمِنْ موالي يَهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلِّمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعَرض عليهم الإسلامَ، وتلا عليهم القرآن. وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعِلْم، وكانوا هم أهلَ شرك وأصحابَ أوثان، وكانوا قد عزُّوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ قالوا لهم: إن نَبيًّا مبعوثٌ الآن، قد أظل زمانُه، نتَّبعه فنقتلكم معه قتلَ عاد وإرَم. فلما كلَّم رسولُ الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضُهم لبعض: يا قوم، تعلَّموا والله إنه للنبيّ الذي توعَّدكم به يهود، فلا تسبقُنَّكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه وقَبِلوا منه ما عَرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنّا قد تركنا قومَنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، فـ (عسى) أن يجمَعهم الله بك، فسنقدَم عليهم، فنَدْعوهم إلى أمرك، وتَعْرض عليهم الذي أَجَبناكَ إليه من هذا الدّين، فإنْ يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك.

والأنصار: جمع ناصِر على غير قياس في جمع فاعل، ولكن على تقدير حذف الألف من ناصر، لأنها زائدة، فالاسم على تقدير حذفها: ثُلاثِي والثلاثي يجمع على أَفعال، وقد قالوا في نحوه صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد.

وذكر قول النبي - ﷺ - للنَّفَر من الأنصار: «أمن موالي يهود أنتم»؟ أي من حلفائهم، والمولى يجمع: الحليفَ وابن العم والمُعْتِق والمُعْتَق لأنه مَفعَلٌ من الولاية، وجاء على وزن مفعل، لأنه مَفْزَع ومَلْجَأ لوليِّه فجاء على وزن ما هو في معناه.

وذكر النفر القادمين في العام الثاني الذين بايعوه بَيْعَةَ النساء، وقد ذكر الله تعالى بَيْعَة النساء في القرآن فقال: ﴿يُبَايِعْنَكَ على أن لا يُشرِكْنَ بالله شَيْئًا﴾ [الممتحنة: ١٢] الآية، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال، وكانت مبايعته للنساء أن يأخُذَ عليهن العهد والميثاق، فإذا أقررن بألسنَتِهِنَّ قال: قد بايَعتُكُنَّ، وما مست يدُه يدَ امرأة في مبايعة كذلك قالت عائشة[1]، وقد روى أنهن كن يأخذْن بيده في البيعة من فوق ثَوْبِ، وهو قول عامر الشعبي، ذكره عنه ابن سلام في تفسيره، والأول أصح وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن المقري النقاش في صفة بيعة النساء وجهًا ثالثًا أَورد فيه آثارًا، وهو أن رسولَ الله - ﷺ - كان يغمس يده في إناءٍ وتغمس المرأة يدها فيه عند المبايعة، فيكون ذلك عقدًا للبيعة، وليس هذا

---

(١) انظر البخاري (٧/١٥٣).

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدّقوا.

أسماء الخزرجيين الذين التقوا بالرسول عند العقبة:

قال ابن إسحٰق: وهم - فيما ذُكر لي: ستة نفر من الخزرج، منهم من بني النجار - وهو تيم الله - ثم من بني مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عَمْرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر: أسعدُ بن زُرَارةَ بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجار، وهو أبو أمامة، وعوفُ بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النَّجار، وهو ابن عَفْراء.

قال ابن هشام: وعَفْراء بنتُ عُبَيد بن ثَعْلبة بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجار.

قال ابن إسحٰق: ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضب بن جُشَم بن الخزرج: رافِع بن مالك بن العَجْلان بن عَمْرو بن عامر بن زُرَيق.

قال ابن هشام: ويقال عامر بنُ الأزرق.

قال ابن إسحٰق: ومن بني سَلِمة بن سَعْد بن عليّ بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلمة: قُطْبةُ بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد.

قال ابن هشام: عمرو بنُ سواد، وليس لسَواد ابنٌ يقال له: غَنَم.

قال ابن إسحٰق: ومن بني حَرَام بن كَعْب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمة: عُقْبةُ بن عامر بن نابي بن زَيْد بن حَرام.

ومن بني عُبَيد بن عَديّ بن غَنْم بن كَعْب بن سلَمة: جابر بن عبد الله بن رِئاب بن النُّعمان بن سِنَان بن عُبَيد.

فلما قَدِمُوا المدينةَ إلى قومهم ذَكَروا لهم رسولَ الله ﷺ ودَعَوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبقَ دارٌ من دُور الأنصار إلا وفيها ذكْرٌ من رسول الله ﷺ.

بالمشهور، ولا هو عند أهل الحديث بالثبت، غير أن ابن إسحٰق أيضًا قد ذكره في رواية عن يونس عن أَبَان بن أبي صالح، وذكر أنسابَ الذين بايعوه، وسنعيده في بيعة العقبة وغَزَاة بدر، وهناك يقع التنبيه على ما يحتاج إليه بعون الله.

بيعة العقبة الأولى[1]:

حتى إذا كان العامُ المُقْبِل وافَى المؤسم من الأنصار اثنا عشَر رجلاً، فلقوه بالعقبة؛ وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله - ﷺ - على بَيْعة النساء، وذلك قبل أن تُفترض عليهم الحرب.

منهم من بَني النَّجار، ثم بني مالك بن النجّار: أسعدُ بن زرارة بن عُدسَ بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو أبو أُمَامة؛ وعَوْف، ومعاذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهما ابنا عفراء.

وذكر في أنسابِ المبايعين له في العَقَبَةِ الأولى في بنِي سَلِمَة منهم: سادِرَة بن تَزِيد بن جُشَم، وتَزِيد بتاء منقوطة باثنتين من فوق، ولا يعرف في العرب تَزيد إلا هذا، وتَزِيد بن الحافِ بن قُضَاعَة، وهم الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية، وأما سَلِمَة بكسر اللام، فهم من الأنصار سمي بالسَّلِمَة واحدة السَّلاَم، وهي الحجارة، قال الشاعر:

ذَاكَ خَـلِـيـلـي وذو يُـعَـاتِـبـنِـي   يَرمِـي ورائي بـالـسَّـهْـمِ والـسَّـلِـمَـة

وفي جُعْفِيّ: سلمة بن عمرو بن دهل بن مروان بن جُعِفيّ وفي جُهَيْنَةَ سَلِمَةُ بن نَصْر بن غَطَفَان قاله ابن حبيب النسابة في الصحابة عَمْرو بن سَلِمَة أبو بُرَيْدة الجَرْمِيّ الذي أمَّ قومَه، وهو ابن ست سنين أو سبع، وفي الرُّواة عبد الله بن سَلِمة وينسب إلى بني سَلِمَة هؤلاء سَلِمَيّ بالفتح، كما ينسب إلى بني سَلَمَة، وهم بطنان من بني عامر يقال لهم: السَّلَمات، يقال لأحدهم سَلَمَة الخَيْر، وللآخرَ سَلَمَة الشرِّ ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر، وأما بنو سَلِيمَة بياء ففي دَوْسٍ، وهم بنو سَلِيمَة بن مالك بن فَهْم بن غَنْم بن دَوْس، وسَلِيمَةُ هذا هو أخو جَذِيمة الأبْرش، وهو الذي قتل أخاه مالكًا بسهم قَتْل خَطأٍ، ويقال في النسب إليه: سَلَمِيٌّ أيضًا وهو القياس، وقد قيل: سَلِيميٌّ كما قيل في عُمَيْرَةُ عُمَيْرِيٌّ.

وذكر بني جِدَارة من بني النجار، وجِدَارة وخُدَارة: أخوان، وغيره يقول في جِدارة: خِدَارة بالخاء المضمومة، وهكذا قيده أبو عمرو، كذلك ذكره ابن دريد في الاشتقاق، وهو أشبه بالصَّواب لأنه أخو خِدْرَة وكثيرًا ما يجعلون أسماء الإخوة مُشْتَقَّة بعضها من بعض.

---

(١) انظر خبر بيعة العقبة الأولى في تاريخ الطبري (٣٥٣/٢) البداية والنهاية (١٤٥/٣) المنتظم (٣٢/٣) طبقات ابن سعد (٢١٦/١) الدلائل (٣٤٠/٢) الكامل (٦١٠/١) تاريخ الإسلام للذهبي (١٩٢/٢).

ومن بني زُرَيق بن عامر: رافعُ بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زريق، وذَكْوان بن عبد قَيْس بن خَلَدة بن مُخْلِد بن عامر بن زُرَيق.

قال ابن هشام: ذَكْوان، مهاجريّ أنصاريّ.

ومن بني عَوْف بن الخزرج، ثم من بني غَنْم بن عوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج، وهُم القَوَاقِلُ: عُبادَة بن الصامت بن قَيْس بن أصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم؛ وأبو عبد الرحمٰن، وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أصْرم بن عمرو بن عَمَّارة، من بني غُصَينة، من بَلِيّ، حليف لهم.

وذكر القَواقِل وهم بنو عمرو بن غَنْم بن مالك، وذكر تسميتهم القَواقِل، وأن ذلك لقولهم إذا أجاروا أحدًا: قَوْقِل حَيْث شئت، وفي الأنصار: القواقِل والجَعادِرُ وهما بطنان من الأوس، وسبب تسميتهما: واحد في المعنى، أما الجَعَادِرُ فكانوا إذا أجاروا أحدًا أعطوه سَهْمًا، وقالوا له: جَعْدِزب حيث شئت، كما كانت القواقل تفعل، وهم بنو زَيد بن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعَةَ [بن زيد] يقال لهم كسر الذهب، وهما جميعًا من الأَوْس. قال الشاعر:

فـإن لـنـا بـيـن الـجـواري ولـيـدةً مُـقَـابَـلَـة بـيـن الـجَـعَـادِرِ والـكـسْـر
متى تدع في الزيدين زيدِ بن مالك وزيـدِ بـن عـمـرو تـأتِـهـا عِـزَّةُ الـخَـفْـرِ

وذكر فيهم أبا الهيثم بن التَّيْهان، ولم ينسبه، ولا نسبه في أهل العقبة الثانية، ولا في غزوة بدر، وهو مالك بن التَّيْهان، واسم التيهان أيضًا مالكُ بن عَتِيكِ بن عَمُرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زَعُونُ بن جُشَم بن الحارث بن الخَزْرَج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارِي حليف بني عبد الأشْهَلِ كان أحد النُّقَباء ليلة العقبة، ثم شهد بدرًا، واختلف في وقت وفاته، فأصح ما قيل فيه إنه شهد مع عليٍّ صِفِّين، وقتل فيها رحمه الله، وأحسب ابن إسحٰق وابنَ هشام تركا نسبه على جلالته في الأنصار وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله ـ ﷺ ـ لاختلافِ فيه، فقد وجدت في شعر عبد الله بن رَوَاحَة حين أضاف أبو الهيثم رسولَ الله ـ ﷺ ـ في منزله ومعه أبو بكر وعمر، فذبح لهم عَناقًا[1] وأتاهم بِقِنْوٍ من رُطَبَ الحديث بطوله، فقال ابن رَوَاحة في ذلك:

فـلـم أر كـالإسـلام عِـزًّا لأهـلـه ولا مـثـل أضـيـافِ لأَراشِـيِّ مَـعْـشَـرا

---

(١) العناق: هي أُنثى ولد المعز.

قال ابن هشام: وإنما قيل لهم: القواقل، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهمًا، وقالوا له: قَوْقِلْ به بِيَثْرِبَ حيث شئت.

قال ابن هشام: القَوْقَلَةُ: ضرب من المشي.

وقال ابن إسحٰق: ومن بَني سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم: العباس بن عُبادة بن نَضلة بن مالك بن العَجْلان.

ومن بني سَلِمة بن سَعْد بن عليّ بن أسد بن ساردةَ بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني حَرام بن كعب بن غَنْم بن سَلمة: عُقْبة بن عامر بن نابي بن زَيْد بن حَرام.

ومن بني سواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلمة قُطْبة بن عامر بن حَديدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد.

رجال العقبة من الأوس:

وشَهِدها من الأوس بن حارثة بن ثَعْلَبة بن عَمْرو بن عامر ثم من بني عَبْد الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخَزْرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس: أبو الهيثم بن التيِّهان، واسمه مالك.

فجعل إرَشِيًّا كما ترى، والأرَاشِيُّ منسوب إلى إراشَةَ في خُزَاعَةَ، أو إلى إراش بن لِحْيَانِ بن الغَوْثِ فالله أعلم: أهُو أنصاري بالحِلْفِ أم بالنَّسَبِ المذكور، قبل هذا، ونقلته من قول أبي عُمرَ في الاستيعاب[1]، وقد قيل: إنه بلوِيٌّ من بني إرَاشَة بن فاران بن عَمْرو بن بَلِيّ، والهيثم في اللغة: فَرْخُ [النَّسْرِ، أو] العُقَاب، والهيثم أيضًا ضَرْبٌ من العشب فيما ذكر أبو حنيفة، وبه سمي الرجل هَيْثمًا أو بالمعنى الأول وأنشد:

رَعَتْ بِقَرَان الحَزْنِ رَوْضًا منوَّرًا عَمِيمًا من الظلاع والهَيْثَم الجَعْدِ

ذكر بيعَتَهم لرسول الله - ﷺ - على بَيْعَةِ النساء ألا يَسْرِقُوا، ولا يَزْنُوا إلى آخر الآية، وقيل في قوله عزّ وجلّ خبرًا عن بيعة النساء: ﴿ولاَ يأْتِين بِبُهْتَانٍ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بَعْلِها، وليس منه، وقيل: هو الاستِمْتَاع بالمرأة فيما دُون الوَطْءِ كالقُبْلة والجَسَّة ونحوها، والأول يشبه أن يبايع عليه الرجالُ، وكذلك قيل في قوله تعالى: ﴿ولاَ يعْصِيَنَك في مَعْرُوفٍ﴾ أنه

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٧٧٧).

قال ابن هشام: التَّيْهان: يخفف ويثقل، كقوله: ميث وميِّت.

رجال العقبة الأولى من بني عمرو:

ومن بني عمرو بن عَوْفَ بن مالك بن الأوس: عُوَيم بن ساعِدة.

بيعة العقبة:

قال ابن إسحٰق: وحدثني يزيد بن أبي حَبيب، عن (أبي) مَرْثد بن عبد الله اليزني، عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصَّنابحي، عن عُبادة بن الصامت، قال: كنت فيمن حَضَر العقبةَ الأولى، وكنَّا اثْنَيْ عَشَر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بَيْعة النساء، وذلك قبل أن تُفترض الحرب، على أن لا نُشرك بالله شيئًا، ولا نَسْرق، ولا نَزْني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتيَ ببهتان نَفْتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعْصيَه في معروف. فإن وَفَّيتم فلكم الجنة. وإن غَشِيتم من ذلك شيئًا فأمرُكم إلى الله عَزّ وجلّ إن شاء عذّب وإن شاء غَفر.

قال ابن إسحٰق وذكر ابنُ شهاب الزهريّ، عن عائذ الله بن عَبد الله الخَوْلاني أبي إدريس أنّ عُبادة بن الصامت حدّثه أنه قال: بايعنا رسولَ الله ﷺ ليلةَ العَقَبَةَ الأولى على أن لا نُشْركَ بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادَنا، ولا نأتي بِبُهْتَانٍ نَفْتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نَعْصيه في معروف، فإن وَفَيتم فلكم الجَنَّة، وإن غَشِيتم من ذلك فأخِذتم بحَدّه في الدنيا، فهو كفَّارة له، وإن سُتِرْتم عليه إلى يوم القيامة فأمْرُكم إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء عذّب، وإن شاء غَفَر.

النَّوْحُ، وهذا أيضًا وليس من شأن الرجال، فدل على ضعف قول من خصه بالنَّوْح، وخص البُهتان بإلحاق الولد بالرجل، وليس منه، وقيل: يفترينه بين أيديهن يعني: الكذب وعيْبَ الناس بما ليس فيهم، وأرجلِهن يعني: المشي في معصية، ولا يَعْصِينك في معروف، أي: في خير تأمُرُهُنَّ به، والمعروف: اسم جامع لمكارم الأخلاق، وما عرف حُسْنُه ولم تنكره القلوبُ، وهذا معنى يعم الرجالَ والنساءَ، وذكر ابن إسحٰق في رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن: أن قال: ولا تَغْشُشْنَ أزواجَكن، قالت إحداهن: وما غِشُّ أزواجنا فقال: أن تَأْخُذِي من ماله فَتُحَابي به غيرَه[1].

---

(١) أخرجه أحمد.

مصعب بن عمير ووفد العقبة

قال ابن إسحٰق: فلما انصرف عنه القومُ، بعث رسولُ الله ﷺ معه مُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عَبْد الدار بن قُصَيّ، وأمره أن يُقْرئهم القرآن، ويعلِّمهم الإسلام، ويفقِّههم في الدين، فكان يُسَمى المُقرِىءَ بالمدينة: مُصْعَبُ وكان مَنْزَلُه على أسْعد بن زُرارة بن عُدَس، أبي أُمامة.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عُمر بن قتادة: أنه كان يصلي بهم، وذلك أن الأوسَ والخزرَج كَره بعضُهم أن يَؤُمَّه بعضٌ.

هجرة مصعب بن عمير[1]

فصل: وذكر هِجْرَة مُصْعَب بن عُمَيْر وهو المُقْرِىءُ، وهو أول من سُمِّي بهذا، أعني المُقْرِىءَ يُكْنَى أبا عبد الله، كان قبل إسلامه من أنْعَم قريشٍ عَيْشًا وأَعطرهم، وكانت أمه شديدة الكَلَفِ به، وكان يبيت وقَعْبُ[2] الحَيْسِ[3] عند رأسه، يستيقظ فيأكُل، فلما أسلم أصابه من الشِّدَّة ما غيَّر لونَه وأذهب لحمه، ونَهَكَتْ جسمَه حتى كان رسولُ الله - ﷺ - ينظر إليه، وعليه فروة قد رفعها، فيبكي لما كان يعرف من نَعْمته[4]، وحلفت أمُّه حين أسلم وهاجَر ألاَّ تأكُلَ ولا تشربَ ولا تَسْتَظِلَّ بظل حتى يرجع إليها، فكانت تقف للشمس حتى تسقط مَغْشِيًا عليها، وكان بنوها يحْشُون فاها بِشِجَارٍ، وهو عود فيصبُّون فيه الحَسَاءَ لئلا تموتَ، وسنذكر اسمَها ونسبَها عند ذكره في البَدْرِيِّين إن شاء الله تعالى، وكان رسول الله - ﷺ - يذكره، فيقول: ما رأيت بمكة أحسن لِمَّةً، ولا أَرَقَّ حُلَّةً ولاَ أَنْعَمَ نَعْمَةً من مُصْعَبِ بن عُمير ذكره الواقدي[5]. وذكر أيضًا بإسنادٍ له، قال: كان مُصْعب بن عمَير فتى مكة شَبَابًا وجمالاً وسِنًّا وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعْطَر أهلِ مكة يلبس الحَضْرَمِيَّ من النِّعال[6].

وذكر أنَ مَنْزَلَه كان على أَسْعَد بن زُرَارَةَ، مَنزَلٌ بفتح الزاي، وكذلك كل ما وقع في هذا الباب من مَنْزَل فلان على فلان، فهو بالفتح، لأنه أراد المصدر، ولم يُرِد المكان، وكذا قيده الشيخ أبو بحر بفتح الزاي، وأما أُمُّ قَيْس بنت مُحْصِن المذكورة في هجرة بني أسد،

---

(١) انظر الاستيعاب (٤/ ١٤٧٣). (٢) القعب: القدح الضخم.
(٣) الحيس: التمر يُخلط بسمن وأقط [لبن مجفف] فيُعجَن عجنًا شديدًا.
(٤) أخرجه الترمذي.
(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ٨٢) والحاكم (٣/ ٢٠٠).
(٦) نعال حضرمية: نسبة إلى حضرموت.

أول جمعة أُقيمت بالمدينة

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمّد بن أبي أمامة بن سَهل بن حُنيف، عن أبيه أبي أُمامة، عن عبد الرحمن بن كَعْب بن مالك، قال: كنت قائدَ أبي، كَعب بن مالك، حين ذهبَ بَصره، فكنتُ إذا خرجتُ به إلى الجُمْعة، فسمع الأذان بها صلى على أبي أُمامة، أسعد بن زُرَارَة. قال: فمكث حينًا على ذلك: لا يَسْمع الأذان للجُمعة إلا صلّى عليه واستغفر له. قال: فقلت في نفسي: والله إن هذا بي لَعَجْز، ألا أسألَه ما لَه إذا سَمِع الأذان للجمعة صلى على أبي أُمامة أسعد بن زُرَارَة؟ قال: فخرجت به في يوم جُمعة كما كنت أخرج، فلما سَمِعَ الأذانَ للجمعة صلى عليه واستغفر له. قال: فقلت له: يا أَبتِ،

فاسمها آمنة وهي أخت عكاشة، وهي التي ذكرت في المُوَّطأ وأنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ.

أول جمعة

فصل: وذكر أولَ من جَمَّع بالمدينة، وهو أبو أَمَامة، وذكر غيره أن أوّلَ من جَمَّع بهم مُصْعَبُ بن عُمَيْر، لأنه أوّل من قدم المدينة من المهاجرين، ثم قدم بعده ابنُ أُمِّ مَكْتُوم، وقد ذكرنا في أوّل الكتاب مَنْ جمع في الجاهلية بمكة فخطب وذكَّر وبَشَّر بمبعث النبي ﷺ، وحَضَّ على اتباعه، وهو كَعْب بن لُؤَيّ ويقال: إنه أول من سمى العَرُوبَةَ الجمعة، ومعنى العَرُوبَةِ الرحمة فيما بلغني عن بعض أهل العلم، وكانت قريش تجتمع إليه فيها فيما حكى الزبير بن بكار، فيخطبهم، فيقول: أما بعد فاعلموا وتعلَّموا إنما الأرضُ لله مهادٌ، والجبالُ أَوْتاد، والسماءُ بناءٌ، والنجوم سملا، ثم يأمرهم بصلَةِ الرَّحِم، ويبشرهم بالنبي ﷺ[1]، ويقول: حَرَمُكُمْ يا قوم عظِّمُوه، فسيكون لَه نَبأٌ عظيم، ويخرج منه نبي كريم، ثم يقول في شعر ذكره:

على غَفْلة يأتي النبي محمدٌ فيخبر أخبارًا صَدُوقٌ خبيرُها

صُروفٌ رأيناها تُقلِّب أهلَها لها عُقَدٌ ما يستحيل مريرها

ثم يقـول:

يا ليتني شاهدٌ فَحْوَاءَ دَعْوته إذا قُرَيْش تَبغي الحقَّ خِذْلانا

وأما أول من جمع في الإسلام فهو مَنْ ذكرنا.

---

(١) تقدم التعليق على هذه البشارة.

ما لك إذا سمعتَ الأذان للجمعة صَلَّيت على أبي أُمَامَةَ؟ قال: أَيْ بُنيّ، كان أوّل من جَمَّع بنا بالمدينة في هَزْم النَّبيت، من حَرّة بني بَيَاضَة، يقال له: نَقِيعُ الخَضِمَات، قال: قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً[1].

نقيع الخضمات:

وذكر ابن إسحٰق أنه جمع بهم أبو أمامة عند هَزْم النَّبِيتِ في بَقِيعٍ يقال له بقيع الخَضِماتِ. بقيع بالباء وجدته في نسخة الشيخ أبي بحر، وكذلك وجدته في رواية يونس عن ابن إسحٰق، وذكره البكري في كتاب مُعْجَم ما استَعْجَم من أسماد البُقَع أنه نَقِيعٌ بالنون، ذكره في باب النون والقاف، وقال: هَزْم النَّبيت: جَبَلٌ على بريد من المدينة، وفي غريب الحديث: أنه عليه السلام حمى غرز النقيع. قال الخطابي: النقيعُ: القاعُ، والغَرَزُ شبه الثُّمام وسيأتي تفسيرُه فيما بعد إن شاء الله تعالى، ومعنى الخَضِمَاتِ من الخَضْم، وهو الأكْل بالفم كله، والقَضْمُ بأطراف الأسنان، ويقال: هو أكل اليابس، والخَضْمُ: أكل الرطب، فكأنه جمع خَضِمَة، وهي الماشية التي تَخْضَم، فكأنه سمي بذاك لخضب كان فيه، وأما البقيع بالباء فهو أقرب إلى المدينة منه بكثير، وأما بقيع الخَبْجَبَة بخاء وجيم وباءين، فجاء ذكره في سُنَنِ أبي داود: والخَبْجَبَةُ: شَجَرَةٌ عُرِف بها.

الجمعة:

فصل: وتجميع أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ الجمعةَ وتسميتُهم إيَّاها بهذا الاسم وكانت تسمى العَرُوبَةَ ـ كان عن هِدايةٍ من الله تعالى لهم قبل أن يُؤْمَروا بها، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فاستقر فرضُها واستمر حكمُها، ولذلك قال ـ ﷺ ـ في يوم الجمعة: أَضَلَّته اليهودُ والنصارى، وهداكم الله إليه[2].

ذكر الكَشِّي، وهو عَبْدُ بن حميد قال: نا عبد الرزاق عن مَعْمَر عن أيوب عن ابن سيرين قال: جمع أهلُ المدينة قبل أن يَقْدَم النبي ـ ﷺ ـ المدينة، وقبل أن تنزل الجمعة، وهم الذينَ سَمَّوا الجُمْعَة، قال الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك، فَهَلُمَّ، فلنجعلْ يومًا نجتمع فيه، ونذكر الله، ونصلي ونشكر، أو كما قالوا، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوا يوم العَرُوبة، كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زُرَارَة، فصلى بهم يَوْمَئِذٍ ركعتين، فذكرهم،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٦٩) بتحقيقي.

(٢) أخرجه مسلم في الجمعة (٢٢/٢٣) والنسائي (٤/٨٧) وغيرهما ـ بنحوه.

فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه، فذبح لهم شاةً فَتَغدَّوا وتَعشَّوْا من شاةٍ، وذلك لقلتهم، فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ في ذلك: ﴿إِذا نُودِي للصلاةِ مِنْ يَوم الجُمعة فاسعَوْا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩].

قال المؤلف: ومع توفيق الله لهم إليه، فيبعد أن يكونَ فعلُهم ذلك عن غير إذن من النبي ـ ﷺ ـ لهم، فقد روى الدَّارَقُطْنِيُّ عن عُثمان بن أحمد بن السَّمَّاك، قال: نا أحمد بن محمّد بن غالب الباهِلِيّ، قال: نا محمّد بن عبد الله أبو زيد المَدَنِي، قال: نا المغِيرَةُ بن عبد الرحمٰن، قال: حدّثني مالك عن الزُّهْرِيّ عن عُبَيْدِ الله بن عبْد الله عن ابن عباس، قال: أذن النبيُّ ﷺ بالجمعة قبل أن يهاجر، ولم يستطع: رسولُ الله ـ ﷺ ـ أن يجمع بمكة، ولا يُبدي لهم، فكتب إلى مُصْعب بن عُمَيْر: أما بعد: فانظر اليوم الذي تَجْهَر فيه اليهود بالزَّبُورِ لِسَبْتهم، فأجْمَعُوا نساءَكم وأبناءَكم، فإذا مال النهارُ عن شَطْرِه عند الزَّوال من يوم الجمعة، فتقربوا إلى الله بركعتين قال: فأوّل من جَمَّع: مُصْعَبُ بن عُمَيْر، حتى قدم رسول الله ﷺ ـ المدينة، فجمع عند الزوال من الظهر[1]، وأظهر ذلك، ومعنى قول النبي ـ ﷺ ـ أضلَّته اليهودُ والنصارى، وهداكم الله إليه فيما ذكر أهل العلم أن اليهود أُمِرُوا بيوم من الأُسبوع، يعظَمون الله فيه، ويتفرغون لعبادته، فاختاروا من قِبَلِ أنفسهم السبت فأَلْزِمُوه في شرعهم، كذلك النصارى أُمِرُوا على لسان عيسى بيوم من الأسبوع، فاختاروا من قِبَل أنفسهم الأحدَ، فأُلْزِموه شرْعًا لهم.

قال المؤلف: وكان اليهودُ إنما اختاروا السبتَ، لأنهم اعتقدوه اليوم السابعَ، ثم زادوا لكفرِهم أن الله استراح فيه، تعالى الله عن قولهم، لأن بَدْءَ الخَلْق عندهم الأحد، وآخر الستة الأيام التي خلق الله فيها الخلق الجمعة، وهو أيضًا مذهب النصارى، فاختاروا الأحدَ، لأنه أول الأيام في زعمهم، وقد شهد الرسول ـ ﷺ ـ للفريقين بإضلال اليوم، وقال في صحيح مُسْلِم: «إن الله خلق التربة يوم السبت»[2]، فبيَّن أن أول الأيام التي خلق الله فيها الخلقَ السبت، وآخر الأيام الستة إذًا الخميس، وكذلك قال ابن إسحٰق فيما ذكر عنه الطبري، وفي الأثر أن يوم الجمعة سُمِّي الجمعة، لأنه جُمع فيه خَلْقُ آدم، روي ذلك عن سَلْمَان وغيره، وقد قدمنا في حديث الكَشِّي أن الأنصار سَمَّوْه جُمْعَةً لاجتماعهم فيه، فهداهم الله إلى

(١) أخرجه الدارقطني.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٤٩) وأحمد (٣٢٧٢) والبيهقي في الصفات (٢٦) بتحقيقي. وانظر ما قاله شيخ الإسلام حول هذا الحديث في الفتاوى (١٨/١٨).

التسمية، وهداهم إلى اختيار اليوم، وموافقة الحكمة أن الله تعالى لما بدأ فيه خَلْقَ أَبينا آدمَ، وجعل فيه بَدْء هذا الجنس، وهو البشر، وجعل فيه أيضًا فناءَهم وانقضاءَهم إذ فيه تقوم الساعةُ، وجب أن يكون يومَ ذِكْرٍ وعبادة، لأنه تذكرة بالمبدأ، وتذكرة بالمعاد، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فاسعَوْا إلى ذكرِ اللَّهِ وذَرُوا البَيْع﴾ [الجمعة: ٩] وخص البيعَ لأنه يومٌ يُذَكِّر باليوم الذي لاَ بيْعٌ فيه ولا خُلَّة مع أنه وِترٌ للأيام التي قبله في الأصح من القول، والله يحب الوَتْر، لأنه من أسمائه فكان من هُدَى الله لهذه الأمة أن أُلْهِمُوا إليه ثم أُقِرُّوا عليه لَمَّا وافقوا الحكمة فيه، فهم الآخِرون السابقون يوم القيامة، كما قال عليه السلام، كما أن اليومَ الذي اختاروه سابقٌ لما اختارته اليهود والنصارى، ومتقدم عليه، ولذلك كان يقرأ رسول الله ﷺ سورة السجدة في صبح يوم الجمعة رواه سَعِيد بن إبراهيم عن الأعرج عن أبي هريرة، ورواه مُسْلم البَطِينُ عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس كلاهما عن النبي - ﷺ - ورواه عن سعيد بن جبير أيضًا عُزْرَةُ بن عبد الرحمٰن ذكره البزار، ورواه الترمذي في كتاب العلل له عن الأحوص، ورواه أيضًا عن أبي الأحوص، وعن عَلْقَمَةَ عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ لما فيه من ذكر الستة الأيام واتباعها بذكر خلق آدم من طين، وذلك في يوم الجمعة تنبيهًا منه عليه السلام على الحكمة، وتذكرة للقلوب بهذه الموعظة.

وأما قراءته: ﴿هَلْ أتى على الإنسان حينٌ من الدَّهرِ﴾ في الركعة الثانية، فلِمَا فيها من ذكر السَّعْيِ وشكر الله لهم عليه يقول: ﴿وكان سَعْيُكم مَشْكورًا﴾ مع ما في أولها من ذكر بَدْءِ خلق الإنسان، وأنه لم يكن قبل شيئًا مذكورًا، وقد قال في يوم الجمعة: ﴿فاسعَوْا إلى ذكرِ الله﴾ فنبه بقراءته إياها على التأهب للسعي المشكور عليه والله أعلم، ألا ترى أنه كان كثيرًا ما يقرأ في صلاة الجمعة أيضًا بِهَلْ أتاك حديث الغَاشِية، وذلك أن فيها: ﴿لسَعْيها رَاضِية﴾ كما في سورة الجمعة، ﴿فاسْعَوْا إلى ذكر الله﴾ فاستَحَبَّ عليه السلام أن يقرأ في الثانية ما فيه رضاهم بسعيهم المأمور به في السورة الأولى.

لفظ الجمعة:

ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع، كما قدمنا وكان على وزن فُعْلَة وفُعُلَة لأنه في معنى قُرْبَة، وقُرُبَةَ والعرب تأتي بلفظ الكلمة على وزن ما هو في معناها، وقالوا: عُمْرَة، فاشتقوا اسمها من عِمَارة المسجد الحرام، وبنوه على فُعْلة لأنها وُصْلَة وقُرْبةٌ إلى الله، ولهذا الأصل فروعٌ في كلام العرب، ونظائر لهذين الاسمين يُفيتُنا تتبعه عما نحن بسبيله، وفيما قَدَّمناه ما هو أكثر منْ لَمحةٍ دالة، وقالوا في الجمعة جَمَّع بتشديد الميم كما قالوا عَيَّد إذا شهد العيد،

....

وعَرَّف إذا شهد عَرَفة، ولا يقال في غير الجُمُعَة إلا جَمَع بالتخفيف، وفي البخاري: أول من عَرَّف بالبَصْرَة: ابنُ عباس، والتعريف إنما هو بِعَرَفات، فكيف بالبصرة، ولكن معناه أنه رضي الله عنه إذا صلى العصر يوم عَرَفَة أخذ في الدعاء والذكر والضراعة إلى الله تعالى إلى غروب الشمس، كما يفعل أهلُ عَرَفة.

أيام الأسبوع:

وليس في تسميته هذه الأيام والاثنين إلى الخميس ما يشد قول من قال: إن أوّل الأسبوع: الأحدُ وسابعُها السبت، كما قال أهل الكتاب لأنها تسمية طارئة، وإنما كانت أسماؤها في اللغة القديمة شِيَار وأوَّل وأَهْوَن وجُبَار ودُبَار ومُؤْنِس والعَرُوبَةُ، وأسماؤها بالسريانية قبل هذا أبو جاد هَوَّز حُطِّي إلى آخرها، ولو كان الله تعالى ذكرها في القرآن بهذه الأسماء المشتقة من العدد، لقُلْنا: هي تسمية صادقة على المسمَّى بها، ولكنه لم يذكر منها إلا الجُمُعَة والسَّبْت، وليسا من المُشْتَقَّة من العَدَدِ، ولم يُسَمِّها رسول الله ﷺ - بالأحد والاثنين إلى سائرها إلا حاكيًا للغة قومه لا مُبْتَدِئًا لتسميتها، ولعل قومَه أن يكونوا أخذوا معاني هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم، فألقوا عليها هذه الأسماءَ اتباعًا لهم، وإلاَّ فَقَدْ قدمنا ما ورد في الصحيح من قوله عليه السلام: إن الله خلق التُّرْبَةَ يَوْمَ السبت والجبالَ يوم الأحد، الحديث، والعجب من الطَّبَرِيّ على تَبَحره في العلم كيف خالف مقتضى هذا الحديث، وأَعْنَقَ في الرد على ابن إسحٰق وغيره، ومال إلى قول اليهود في أن الأحد هو الأول ويومَ الجمعة سادسٌ لا وتر وإنما الوتر في قولهم يوم السبت مع ما ثبت من قوله عليه السلام: أضلَّته اليهودُ والنصارى، وهداكم الله إليه، وما احتج به بالطبري من حديث آخر، فليس في الصحة كالذي قدمناه، وقد يمكن فيه التأويل أيضًا، فقف بقلبك على حكمة الله تعالى في تعبد الخلق به لما فيه من التذكرة بإنشاء هذا الجنس ومبدئه، كما قدمنا، ولما فيه أيضًا من التذكرة بأَحِدِيَّة الله سبحانه، وانفراده قبل الخلق بنفسه، فإنك إذا كنت في الجمعة، وتفكرت في كل جمعة قبله حتى يترقى وهمُك إلى الجمعة التي خُلِق فيها أبوك آدم ثم فكرت في الأيام الستة التي قبل يوم الجمعة، وجدت في كل يوم منها جِنسًا من المخلوقات موجودًا إلى السَّبْت، ثم انقطع وهمُك فلم تجد في الجمعة التي تلي ذلك السبتَ وجودًا إلا للواحد الصَّمَدِ الوتر، فقد ذكرت الجمعةُ مَنْ تفكّر بوَحْدانية الله وأَوَّلِيته، فوجب أن يُؤَكَّد في هذا اليوم توحيدُ القلب للربِّ بالذكر له، كما قال تعالى: ﴿فاسعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ وذَرُوا البيعَ﴾ الجمعة. وأن يتأكد ذلك الذكرُ بالعمل، وذلك بأن يكون العملُ مشاكلاً لمعنى التوحيد، فيكون الاجتماع في مسجد واحدِ من المساجد، وإلى إمام واحد من الأئمة،

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبيد الله بن المُغيرة بنُ مُعَيْقِب، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزم: أن أسْعد بن زُرَارَةَ خرج بمُصْعَبِ بن عُمَيْر يريد به دارَ بني عَبْد الأَشْهَل، ودارَ بني ظَفَر، وكان سعدُ بن مُعاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زَيْد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زُرارة، فدخلَ به حائطًا من حَوائط بني ظَفر.

قال ابن هشام: واسم ظَفَر: كَعْب بن الحارث بن الخَزْرج بن عمرو بن مالك بن الأوس - قالا: على بِئْر يقال لها: بئر مَرَق، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ، وأُسَيْد بن حُضَير، يومئذ سيدًا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مُشْرِك على دين قومه، فلمَّا سمعا به قال سعدُ بن مُعَاذٍ لأُسَيْد بن حُضَيْر: لا أبالك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَينا ليسفِّها ضُعفاءنا،

ويخطب ذلك الإمام، فيذكِّر بوحدانية الله تعالى وبلقائه، فيشاكل الفعل القول، والقول المعتقد، فتأمل هذه الأغراض بقلبك، فإنها تذكرة بالحق، وقد زِدنا على ما شرطنا في أول الكتاب معاني لم تكن هنالك، وعدنا بها، ولكن الكلامَ يفتح بعضُه بابَ بعض، ويحدو المتكلم قصد البيات إلى الإطالة، ولا بأس بالزيادة من الخير، والله المستعان.

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير[1]

وسمع أهلُ مكة هاتفًا يهتف، ويقول قبل إسلام سعد:

فإن يسلم السَّعْدان يصبح محمدٌ ... بمكةَ لا يخشى خِلاَفَ المُخَالِفِ

فَحسِبوا أنه يريد بالسَّعْدين: القبيلتين سعد هُذَيم من قُضاعة، وسعد بن زَيْد مَنَاة بن تميم، حتى سمعوه يقول:

فيا سَعْدَ سَعْدَ الأوسِ كن أنت ناصرًا ... ويا سَعْد سعد الخَزْرَجين الغَطَارِف

أَجِيبا إلى داعي الهدى وَتَمنَّيا ... على الله في الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عارِف

فعلموا حينئذ أنه يريد سعدَ بن مُعَاذٍ وسَعْدَ بن عُبَادَة[2].

---

(١) له ترجمة في الإصابة (١/ ٣٩) تاريخ الصحابة (٣٠) الاستيعاب (١/ ٥٤) الطبقات (٣/ ٦٠٣) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (٣٦) بتحقيقي.

(٢) انظر الفتح (٧/ ٩٧).

فازجُرْهما وانهَهُما عن أن يَأْتيا دارَنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتُك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدَّمًا، قال: فأخذ أسيد بن حُضَير حَرْبته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعدُ بن زُرَارَةَ، قال لمصعب بن عمير: هذا سيِّد قومه قد جاءك، فاصدُق الله فيه، قال مصعب: إن يجلسْ أكلمه. قال: فوقف عليهما مُتَشَتِّمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أوَ تجلسُ فتسمعَ، فإن رضيتَ أمرًا قبلتَه، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره؟ قال: أنصفتَ، ثم رَكَزَ حَرْبَته وجلس إليهما، فكلَّمه مُصْعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ فقالا: فيما يذكر عنهما: والله لَعَرَفْنا في وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلَّم في إشراقه وَتَسَهُّله، ثم قال: ما أحسنَ هذا الكلامَ وأجمَله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تَشهد شهادة الحقّ، ثم تصلّي. فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه، وتشهد شهادة الحقّ، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إنّ ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلَّف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعدَ بن معاذ،

هل يغتسل الكافر إذا أسلم؟

وذكر فيه اغتسالهما حين أسلما بأمر مُصْعَبِ بن عُمَيْر لهما بذلك، فذلك السُّنَّةُ في كل كافر يسلم، ثم اختلف في نية الكافر إذا أسلم باغتساله، فقال بعضهم ينوي به رفع الجَنابة عن نفسه، وقال بعضهم: ينوي التعبُّد، ولا حُكْم للجَنَابةِ في حقِّه، لأن معنى الأمر به استباحةُ الصلاةِ، والكافرُ لا يُصَلّي، وإن كان مخاطَبًا في أصح القولين، ولكنه أمر مشروط بالإيمان، فإذا لم يكن الإيمان ـ وهو الشرط الأول ـ فأجْدِرْ بأن يكون ـ الشرط الثاني ـ وهو الغسل من الجنابةِ غيرَ مُقيَّدٍ بشيء، فإذا أسلم هدَم الإسلامُ ما كان قبلَه، فلم يجب عليه إعادةُ صلاةٍ مضت، وإذا سقطت الصلواتُ سقطت عنها شروطها، واستأنف الأحكام الشرعية، فتجب عليه الصلواتُ من حين يسلم بشروط أدائها من وضوءٍ وغسل من جنابة، إذا أجْنَب بعد إسلامه، وغير ذلك من شروط صحة الصلاة، ورأيت لبعض المتأخرين أن اغتسالَه سِنَّةٌ لا فريضة وليس عندي بالبيِّن لأن الله سبحانه يقول: ﴿إنما المشركون نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] وحكم النجاسة إنما يُرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالتَّنجِيس لموضع الجَنَابة؛ لأنه قد علق الحكم بصفة الشرك. والحكم المعلَّل بالصفة مرتبطٌ بها فإذا ارتفع حكمُ الشرْكِ بالإيمان لم يبق للجنَابة حكم كما إذا كان المسلمُ جُنُبًا، ثم بال فالطهور من الجنابة، يرفع عنه حكم الحَدَث الأصغر، وهو حَدَثُ الوُضُوءِ، لأن الطهارةَ الصُّغرى داخلةٌ في الكُبرى، وتطهُّره من تَنْجيس الشرك بإيمانه هو أيضًا بالإضافة إلى الطهر من الجنابة، الطهارة الكبرى، فينبغي أن تكون مُغْنِية عنها، كما كانت الطهارةُ من الجنابة مُغْنِيةً عن الطهارة من الحَدَث، إذ

ثم أخذ حَرْبته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سَعْد بن معاذ مُقْبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقَف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلَّمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتُهما فقالا: نفعل ما أحببتَ، وقد حُدِّثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرَارَة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليُخفروك قال: فقام سعد مُغْضَبًا مبادرًا، تخوّفًا للذي ذُكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعدٌ مطمئنين، عرف سعدٌ أن أُسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زُرارة: يا أبا أمامة، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْت هذا مني، أتَغْشانا في دارينا بما نكره - وقد قال أسعدُ بن زرارة لمصعب بن عُمير: أي مُصْعب، جاءك والله سيِّد مَنْ وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان - قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتَسمع، فإن رضيتَ أمرًا ورَغبت فيه قَبِلْتَه، وإن كرهته عَزَلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفْت ثم ركز الحربةَ وجلس، فعرض عليه الإسلامَ، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، لإشراقه وتسهُّله؛ ثم قال لهما: كيف تَصْنَعُون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهَّر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحقّ، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه، وتشهَّد شهادة الحقّ، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامدًا إلى نادي قومه ومعه أُسَيد بن حُضَير.

قال: فلما رآه قومُه مقبلاً، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلُنا رأيًا، وأيمننا نقيبةً؛ قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة، ورجع أسْعد ومُصْعب إلى منزل أسعد بن زُرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني

ليست واحدةٌ من هذه الطهارات مزيلةً لِعَيْنِ نجاسة فيها، فينبغي بعد هذا أن أمره بالاغتسال تعبُّد، والحُكم بأنه غير فرض تحكُّم والله أعلم، غير أن الترمذي خرج حديثَ قيسِ بن عاصم حين أسلم فأمره رسولُ الله ﷺ أن يغتسل. قال الترمذي: وعلى هذا العمل عند أهل العلم يَسْتحِبُّون للكافر إذا أسلم أن يغتسل، ويغسل ثيابه، فقال: يستحِبُّون، وجعلها مسألة استحباب.

أميَّة بن زيد، وخطْمة ووائل وواقف، وتلك أوس الله، وهم من الأوس بن حارثة؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت، وهو صيفي، وكان شاعرًا لهم قائدًا يستمعون منه ويُطيعون، فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجَر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، ومضى بدرٌ وأُحد والخندق، وقال فيما رأى من الإسلام، وما اختلف الناس فيه من أمره:

أَرَبَّ النَّاسِ أشياءُ أَلَمَّتْ ... يُلَفُّ الصَّعْبُ منها بالذَّلُولِ

أربَّ النَّاسِ أمَّا إذْ ضَلَلْنا ... فَيَسِّرنا لِمَعْروف السَّبيل

فلولا رَبُّنا كُنَّا يَهُودًا ... وما دين اليهود بذي شُكول

ولولا رَبُّنا كنَّا نَصارَى ... مع الرُّهْبان في جَبَل الجليل

ولَكِنَّا خُلِقْنا إذْ خُلِقْنا ... حَنِيفًا دِينُنا عن كُلّ جيل

نسوق الهَدْيَ ترسُف مُذْعنات ... مكشفةَ المَناكب في الجُلُول

قال ابن هشام: أنشدني قوله: فلولا ربنا، وقوله: لولا ربنا، وقوله: مكشفة المناكب في الجلول، رجل من الأنصار، أو من خزاعة.

من شرح شعر ابن الأسلت:

فصل: وذكر شعر أبي قيس بن الأسْلَت، وفيه قوله:

ولولا رَبُّنا كُنَّا يَهُودًا ... وما دينُ اليهود بذي شُكُول

إراد جمع: شَكْل، وشَكْلُ الشيءِ ـ بالفتح ـ هو مثلُه، والشِّكل بالكسر الدَّلُّ والحُسْنُ، فكأنه أراد أنَّ دينَ اليهود بِدْعٌ، فليس له شُكول أي: ليس له نظير في الحقائق، ولا مثِيل يعضُدُه من الأمر المعروف المقبول، وقد قال الطائي:

وقلت: أخي. قالوا: أَخٌ من قَرَابَةٍ ... فقلت لهم: إنَّ الشُّكُولَ أقاربُ

قَريبيَ في رَأيي ودِيني ومَذْهبي ... وإن باعدتنا في الخطوب المناسب

وقال فيه:

مع الرهبان في جَبَلِ الجليل

الجليلُ بالجيم الثُّمامَ، وهذا الجبل من جبال الشام معروف بهذا الاسم.

أمر العقبة الثانية[1]:

قال ابن إسحٰق: ثم إن مُصْعب بن عُمير رجَع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار المسلمين إلى المَوْسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشِّرك، حتى قَدموا مكة، فواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبةَ، من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنبيِّه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله.

البراء بن معرور وصلاة الكعبة

قال ابن إسحٰق: حدّثني مَعْبد بن كَعْب بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن، أخو بني سلمة، إن أخاه عبد الله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار، حدّثه أن أباه كعبًا حدّثه، وكان كعبٌ ممن شَهِد العقبة وبايع رسولَ الله ﷺ بها، قال: خرجنا في حُجَّاج قومنا من المُشركين، وقد صلَّينا وفَقِهنا، ومعنا البَرَاءُ بن مَعْرُور، سيِّدُنا وكبيرنا، فلما وَجَّهْنا لِسَفَرِنا، وخَرجْنا من المدينة، قال البرَاء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت رأيًا، فوالله ما أدري، أتوافقونني عليه، أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاك؟ قد رأيت أنْ لا أدع هذه البَنِيَّة مني بظَهْرٍ، يعني: الكعبة، وأن أُصَلِّي إليها. قال: فقلنا، والله ما بَلغنا أن نبيَّنا ﷺ يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه. قال: فقال: إني لَمُصَلٍّ إليها قال: فقلنا له: لَكنَّا لا نفعل. قال: فكنا إذا حضرت الصلاةُ صلَّينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة، حتى قَدِمنا مكة. قال: وقد كنا عبنا عليه ما صنع، وأبَى إلا الإقامة على ذلك فلما قَدمنا مكة قال لي: يا ابن أخي، انطلقْ بنا إلى رسول الله ﷺ، حتى نسأله عما صنعتُ في سَفري هذا، فإنه والله لقد وَقَع في نفسي منه شيءٌ، لِما رأيتُ من خِلافكم إيَّاي فيه. قال: فخرجنا نسأل عن رسولِ الله ﷺ، وكنَّا لا نعرفه، ولمْ نَرَه قبل ذلك فلقيَنا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا؛ قال: فهل تعرفان العبَّاس بن عبد المطَّلب عَمَّه؟ قال: قلنا: نعم ـ قال: وقد كنَّا نعرف العبَّاس، كان لا يزال يقدَم

ذكر البراء بن معرور، وصلاته إلى القبلة[2]

ذكر حديث كعبِ بنِ مالك حين حَجَّ في نَفَرٍ من قومه مع البَراءِ بن مَعْرُور، فكانوا يُصلّون إلى بيت المَقْدس، وكان البَرَاءُ يصلّي إلى الكعبة الحديث ـ إلى قول رسول

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٢/ ٣٦٠) تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٢٠٠) البداية والنهاية (٣/ ١٥٠) طبقات ابن سعد (١/ ٢٢١) المنتظم (٣/ ٣٤) الدلائل للبيهقي (٢/ ٤٤٢).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٢/ ٣٦) الدلائل للبيهقي (٢/ ٤٤٤) المنتظم (٣/ ٣٤) الاستيعاب (١/ ١٥١).

علينا تاجرًا - قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العبَّاس. قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالسٌ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ معه، فسلَّمنا ثم جلسنا إليه. فقال رسولُ الله ﷺ للعبَّاس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفَضْل»؟ قال: نعم، هذا البرَاء بن مَعْرور، سيِّد قومه، وهذا كعب بن مالك. قال: فوالله ما أنسى قولَ رسول الله ﷺ: الشاعر؟ قال: نعم. فقال البَرَاء بنُ مَعْرور: يا نبيّ الله، إني خرجتُ في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنِيَّة مني بظَهر، فصلَّيتُ إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شَيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: «قد كنتَ على قِبْلة لو صبرتَ عليها». قال: فرجع البَرَاءُ إلى قِبْلة رسولِ الله ﷺ، وصلّى معنا إلى الشام. قال: وأهلُه يزعمون أنه صلّى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم.

قال ابن هشام: وقال عَوْن بن أيوب الأنصاريّ:

ومِنَّا المُصَلِّي أوَّلَ الناسِ مُقْبِلاً ... على كَعْبَةِ الرَّحْمٰن بين المَشاعِرِ

يعني البَرَاءَ بن مَعْرور. وهذا البيت في قصيدة له.

الله - ﷺ -: «قد كنت على قِبْلة لو صبرت عليها» فِقْهُ قولِه: لو صبرت عليها: أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلَّى؛ لأنه كان مُتَأَوِّلاً.

قبلة الرسول ﷺ:

وفي الحديث: دليلٌ على أنَّ رسول الله ﷺ، كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس، وهو قول ابن عباس، وقالت طائفة: ما صلّى إلى بيت المقدس إلا مذ قدِم المدينةَ سَبْعَةَ عشر شهرًا أو ستة عشر شهرًا[1]، فعلى هذا يكون في القبلة نسخان نَسْخُ سُنَّةٍ بسُنَّةٍ، ونسخ سُنَّةٍ بقرآن، وقد بيَّن حديثُ ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة، فروى عنه من طرق صحاحٍ أن رسول الله ﷺ، كان إذا صلّى بمكة استقبل بيت المقدس، وجعل الكعبةَ بينه وبين بيت المقدس، فلمّا كان عليه السلام يتحرّى القبلتين جميعًا لم يَبِنْ توجُّهُه إلى بيت المقدس للناس، حتى خرج من مكة والله أعلم. قال الله تعالى له في الآية الناسخة: ﴿ومِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامَ﴾ [البقرة: ١٥٠] أي: من أي جهة جئت إلى الصلاة، وخرجت إليها فاستقبل الكعبةَ كنتَ مُسْتَدْبِرًا لبيت المقدس، أو لم تكن، لأنه كان بمكة يتحرّى في استقباله بيتَ المقدِس أن تكون الكعبةُ بين يديه، وتدبر قوله تعالى: ﴿ومِنْ

---

(١) انظر البخاري (١/ ٣٣).

إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام[1]:

قال ابن إسحٰق: حدّثني مَعْبد بن كعْب، أن أخاه عبد الله بن كعب حَدّثه أن أباه كعب بن مالك حدّثه، قال كعب: ثم خرجنا إلى الحجِّ، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق. قال: فلما فرغنا من الحجّ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول

حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وجهَك﴾ وقال لأمته: ﴿وحيْثُ مَا كُنتُم فَوَلُّوا وجوهَكم شَطْرَه﴾ ولم يقل: حيثما خَرَجْتُم، وذلك أنه كان عليه السلام إمامَ المسلمين، فكان يخرج إليهم إلى كل صلاة ليصلّي بهم، وكان ذلك واجبًا عليه إذ كان الإمام المقتدَى به فأفاد ذكرُ الخروج في خاصَّته في هذا المعنى، ولم يكن حكم غيره هكذا، يقتضي الخروج، ولا سيَّما النساء، ومن لا جماعة عليه، وكرّر الباري تعالى الأمر بالتوجُّه إلى البيت الحرام في ثلاثِ آياتٍ، لأن المُنْكِرين لتحويل القبلة، كانوا ثلاثة أصنافٍ من الناس اليهود، لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم، وأهلُ الرِّيْب والنِّفاق اشتد إنكارهم له أنه كان أولَ نسخ نزل، وكفار قُريش قالوا: ندِم محمّد على فِراق ديننا فسيرجع إليه كمَا رجع إليه قَبْلَتنا، وكانوا قبل ذلك يحتجُّون عليه، فيقولون: يزعم محمّد أنه يدعونا إلى ملّة إبراهيم وإسماعيل، وقد فارق قِبلة إبراهيم وإسماعيل، وآثر عليها قِبلة اليهود، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى الكعبة ﴿لِئلاَّ يكونَ للناس عليكُم حجةٌ إلا الذين ظلموا منهم﴾ [البقرة: ١٥٠] على الاستثناء المنقطِع، أي: لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون وقال سبحانه: ﴿الحَقُّ من ربّك فلا تكونَنَّ من المُمْتَرين﴾ [البقرة: ١٤٧] أي: من الذين شكُّوا وامْتَرَوْا، ومعنى: الحق من ربك أي الذي أمرتك به من التوجه إلى البيت الحرام، هو الحق الذي كان عليه الأنبياء قبلك فلاَ تَمْتَر في ذلك وقال: ﴿وإن الذين أُوتوا الكتابِ لَيَعْلَمُون أنه الحق﴾ [البقرة: ١٤٤] وقال: ﴿وإنَّ فريقًا منهم لَيَكْتُمُون الحَقّ وهم يَعْلَمُون﴾ [البقرة: ١٤٦] أي يكتمون ما علموا من أن الكعبة هي قبلة الأنبياء، وروى أبو داود السنجري في كتاب الناسخ والمنسوخ له وهو في روايتنا عنه بسند رفيع حدَّثنا الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي قال: أنا أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أيوب البزار، قال: أنا أبو علي بن شاذان قال: أنا أبو بكر الفقيه النجّار أحمد بن سُلَيْمان عنه، قال: نا أحمد بن صالح، قال: نا عَنْبَسة بن يونس عن ابن شهاب قال: كان سليمانُ بن عبد الملك لا يعظم إيلْيَاءَ كما يعظمها أهلُ بيته، قال: فسرت معه، وهو ولي عهد، قال: ومعه خالد بن يزيد بن معاوية، قال سليمان: وهو جالس فيه: والله إن في هذه القبلة التي صلّى إليها المسلمون والنصارى لَعَجَبًا، قال خالد بن يزيد: أمّا والله إني

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٢/ ٣٦٠) الدلائل (٢/ ٤٤٤) المنتظم (٣/ ٣٤).

الله ﷺ لها، ومعنا عبدُ الله بن عمرو بن حَرام أبو جابر، سيِّد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنَّا نكتم مَن معنا من قومنا من المشركين أمرَنا، فكلَّمناه وقُلْنا له: يا أبا جابر، إنك سيِّد من ساداتنا، وشَريف من أشرافنا، وإنَّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حَطَبًا للنار غدا، ثم دَعَوْناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة. قال: فأسلم وشَهد معنا العقَبة، وكان نقيبًا.

امرأتان في البيعة

قال: فنِمْنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مَضى ثلثُ الليل خَرَجْنا من رحالنا لمعاد رسولِ الله ﷺ، نتسلَّل تسلُّلَ القَطا مُسْتخفِين، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا نُسَيبة بنت كعب، أُمّ عُمارَة،

لأَقرأ الكتابَ الذي أنزله الله على محمّد ـ ﷺ ـ وأقرأ التوراة، فلم يجدها اليهود في الكتاب الذي أنزله الله عليهم، ولكن تابوت السَّكِينَةِ كان على الصخرة، فلما غضب الله تعالى على بني إسرائيل رفعه، فَكانت صلاتهم إلى الصَّخْرة عن مُشَاوَرة منهم»[1]، وروى أبو داود أيضًا أن يهوديًا خاصم أبا العالية في القِبلة، فقال أبو العالية: إن موسى عليه السلام كان يصلّي عند الصخرة، ويستقبل البيتَ الحرام، فكانت الكعبةُ قبلةً، وكانت الصخرة بين يديه، وقال اليهوديّ: بيني وبينك مسجدُ صالحِ النبيِّ ﷺ، فقال أبو العالية: فإني صليت في مسجد صالح وقبلتُه الكعبة، وأخبر أبو العاليّة أنه رأى مسجدَ ذي القَرْنَيْنِ وقبلته الكعبة، وروي أيضًا أن النبي ﷺ، كان يقول لجبريل: وَدِدْتُ أن الله حَوَّلني عن قبلة اليهود، فيقول له جبريل: إنما أنا عبدٌ مأمور[2]، وروى غيره أنه كان يُتْبِعُه بصرَه إذا عَرَجَ إلى السماء حِرْصًا على أن يأمره بالتوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قد نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السماء﴾ [البقرة: ١٤٤].

أُم عمارة وأُم منيع في بيعة العقبة الأخرى

وذكر بيعة العقبة، وذكر عِدَّة أصحاب بَيْعَة العقبة، وأنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، وهما: أُم عُمَارَة وهي نُسَيْبَة بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وشهدت يوم اليمامة، وباشرت القتال بنفسها، وشاركت ابنَها عبدَ الله في قتل مُسَيْلِمَة، فقُطِعتْ يدُها، وجُرِحَت اثنا عشر جُرْحًا، ثم عاشت بعد ذلك دَهْرًا، وكان

---

(١) أخرجه البزار (٢/ ٢٤٦).
(٢) انظر الدر المنثور (١/ ١٤٢).

إحدى نساء بني مازن بن النجّار، وأسماء بنت عَمْرو بن عديّ بن نابي، إحدى نساء بني سلمة، وهي أم مَنِيع.

العباس والأنصار:

قال: فاجتمعنا في الشِّعب نَنتظر رسولَ الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه العبَّاسُ بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحَبَّ أن يحضُر أمرَ ابن أخيه ويتوثّق له. فلما جلَس كان أوّل متكلّم العبَّاس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج ـ قال: وكانت العرب إنما يسمُّون هذا الحيَّ من الأنصار، الخزرج، خزرجها وأوْسها ـ: إن محمّدًا منَّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا؛ ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزّ من قومه ومَنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم، واللُّحوقَ بكم، فإن كنتم تَرَوْن أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تَحَمَّلْتم من ذلك، وإن كنتم ترَوْن أنكم مُسْلِموه وخاذِلوه بعد الخروج به إليكم، فمِن الآن فدَعُوه، فإنه في عِزٍّ ومَنَعَة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سَمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذْ لنفسك ولربِّك ما أحببتَ.

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار:

قال: فتكلّم رسولُ الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغَّب في الإسلام، ثم قال: أُبايعكم على أن تمنعوني مما تَمنعون منه نساءَكم وأبناءَكم، قال: فأخذ البرَاء بن

الناس يأتونها بمرضاهم، لِتَسْتَشْفِي لهم، فتمسح بيدها الشَّلاَّء على العليل، وتدعو له، فَقَلَّ ما مَسَحَتْ بيدِها ذا عاهَةٍ إلاَّ بَرِىءَ[1].

والأخرى: أسماء بنت عَمْرو أُم مَنِيع، وقد رفع في نسبها ونسب الأخرى ابن إسحٰق، ويُرْوى أن أُم عُمَارَة قالت لرسول الله ـ ﷺ ـ: ما أرى كلَّ شيء إلا للرجال، وما أرى للنساء شيئًا، فأنزل الله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلماتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية.

قول البراء بن معرور:

وذكر قول البَرَاءِ بن مَعْرُور، وهو أول من ضَرَبَ بيده على يد رسولِ الله ﷺ، بالبيعة على اختلافٍ في ذلك قد ذكره ابن إسحٰق، فقال: نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه

---

(١) انظر ترجمة لها في الاستيعاب (١٩٤٨/٤) الطبقات (٤١٢/٨) الإصابة (٤١٨/٤).

مَغرور بيده، ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحقّ، لنمنعنَّك مما نَمْنع منه أُزُرَنا فبايِعنا يا رسول الله، فنحن والله أهلُ الحروب، وأهل الحَلْقة، وَرِثناها كابرًا [عن كابر]. قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ، أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنَّا قاطِعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيتَ إن نحن فَعَلْنا

أُزُرَنا، أراد: نساءنَا، والعربُ تَكْنِي عن المرأة بالإزَار، وتَكْنى أيضًا بالإزار عن النفس، وتجعل الثوبَ عبارةً عن لابسه كما قال:

رَمَوْها بأثوابٍ خِفَافٍ فلا تَرَى ... لها شَبَهًا إلا النَّعَامَ المُنفَّرا

أي: بأبدانٍ خِفَافٍ، فقوله مما نمنع أُزُرَنا يحتمل الوجهين جميعًا، وقد قال الفارسي في قول الرجل الذي كتب إلى عُمر من الغزو يذكره بأهله:

ألا أَبْلِغْ أبا حفص رَسُولاً ... فِدًى لكَ من أخِي ثِقَة إزَاري

قال: الإزارُ: كناية عن الأهل، وهو في موضع نصب بالإغراء أي: احْفَظْ إزاري، وقال ابن قتيبة: الإزار في هذا البيت كناية عن نفسه، ومعناه فدًا لك نفسي، وهذا القولَ هو المَرْضِيُّ في العربية، والذي قاله الفارسي بعيد عن الصواب، لأنه أضمر المبتدأ، وأضمر الفعلَ الناصبَ للإزار، ولا دليل عليه لبعده، عنه، وبعد البيت ما يدل على صحة القول المختار وهو:

قلائصَنا هَداك الله مهلاً ... شُغِلْنا عنكم زَمَنَ الحِصَارِ

فنصب قلائصَنا بالإضمار الذي جعله الفارسي ناصبًا للإزار.

ترجمة البراء[(١)]:

والبَرَاء بن مَعْرور يُكْنَى أبا بشر بابنه بِشْر بن البَرَاء، وهو الذي أكل مع رسول الله ـ ﷺ ـ من الشاة المسمومة، فمات ومعرور اسمُ أبيه، معناه: مَقْصُود يقال: عَرَّه واعْترَّه إذا قَصَدَ، والبراء هذا ممن صَلَّى رسولُ الله ـ ﷺ ـ على قبرِه بعد موته وكبَّر أربعًا، وفي هذا الحديث الصلاةُ على القبر، وقد رُويت من سِتِّ طُرُق عن النبي ـ ﷺ ـ قاله أحمد بن حنبل، وذكرها كلَّها أبو عُمَر في التمهيد، وزاد ثلاث طرق لم يذكرها ابنُ حنبل، فهي إذًا تُروى من ـ تسع طُرُق أعني أن ـ تِسْعَةً من الصحابَة رَوَوْا صلاتَه عليه السلام على القبر،

---

(١) انظر ترجمته في الإصابة (١/ ١٤٤) الطبقات (٣/ ٦١٨) تاريخ الصحابة لابن حبان (١٠٢) الاستيعاب (١/ ١٥١).

ذلك، ثم أظْهَرَكَ الله أن ترجعَ إلى قومك وتَدَعنا؟ قال: فتبسّم رسولُ الله ﷺ، ثم قال: بل الدم الدم، والهَدْم الهَدْم، أنا منكم وأنتم مني، أُحارب مَنْ حاربتم، وأسالِم من سالمتم[1].

قال ابن هشام: ويقال: الهَدَم الهَدَم: أي ذِمَّتِي ذمَّتكم وحُرمتي حُرْمَتُكم.

قال كعب: وقد قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبًا، ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرَجوا منهم اثني عشر نقيبًا، تسعةً من الخزرج، وثلاثةً من الأوْسِ.

فمنهم ابن عباس، وأنس بن مالك وبُرَيدَة، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، وعامر بن فُهَيْرة وأبو قَتَادَة الأنصاري، وسَهْل بن حُنَيْفٍ، وعُبَادَة بن الصامت، وحديثه مُرْسَلٌ، وأصحها إسنادًا حديثُ ابن عباس وأبي هريرة.

والهدم الهدم:

وذكر قولَ النبي - ﷺ - للمبايعين له: «بل الدَّمُ الدَّمُ والهَدْمُ الهَدْمُ»، وقال ابن هشام: الهَدَم بفتح الدال. قال ابن قُتَيْبَة: كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمي دمُك وهَدْمي هَدْمك، أي: ما هَدَمْتَ من الدماء، هَدَمْته أنا، ويقال أيضًا: بل اللَّدْمُ اللَّدْمُ والهَدْمُ الهَدْم، وأنشد:

ثـم الْـحَـقِـي بِـهَـدَمِـي ولَـدَمِـي

فاللَّدَمُ: جمع لادم، وهم أهلُه الذين يَلْتَدِمُون عليه إذا مات، وهو من لَدَمْتُ صدره: إذا ضَربْته. والهدم قال ابنُ هِشَام: الحُرْمَة، وإنما كنَى عن حُرْمَة الرجل وأهلِه بالهَدْم، لأنهم كانوا أهلَ نُجْعة وارتحال، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظَعْنهم، فكلما ظَعَنُوا هَدَمُوها، والهدَم بمعنى المَهْدُوم كالقَبَض بمعنى المَقْبُوض، ثم جعلوا الهَدَم وهو البيت المهدوم عبارة عما حَوَى، ثم قال: هَدَمي هَدَمُك أي: رحلتي مع رحلتك أي لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب:

تَمْضي إذا زُجِرَتْ عن سَوْأةٍ قدُمًا كأنـها هَدَمٌ في الـجَفْرِ مُنْـقاضُ

---

(1) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٢/ ٣٢٩) والحاكم (٢/ ٦٢٤) وصححه وأقرّه الذهبي والبيهقي في الكبرى (٩/ ٩) وحسّنه الحافظ في الفتح (٧/ ١٧٧).

أسماء النقباء الاثني عشر وتمام خبر العقبة

النقباء من الخزرج

قال ابن هشام: من الخزرج ـ فيما حدّثنا زيادُ بن عبد الله البكّائي، عن محمد بن إسحٰق المطلبي ـ: أبو أُمَامَة أسْعَد بن زُرَارَة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنم بن مالك بنَ النجّار، وهو: تَيْمُ الله بن ثَعْلَبة عمرو بن الخزرج [بن حارثة]، وسَعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وعبد الله بن رَوَاحَة بن ثعلبة امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك [الأغر] بن ثَعْلَبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، ورافع بن مالك بن العَجْلاَنِ بن عمرو بن عامر بن زُرَيقِ بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزْرَجِ؛ والبَرَاء بن مَعْرور بن صخر بن خَنساء بن سِنَانِ بن عُبَيْد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمة بن سَعْد بن عليّ بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج، وعبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثَعْلَبة بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمة بن سَعْد بن عليّ بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج، وعُبَادة بن الصامت بن قَيْسِ بن أَصْرَم بن فِهْر بن ثَعْلَبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْفِ بن الخزرج.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن إسحٰق: وسعد بن عُبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي خُزَيْمَةَ بن ثعلبة بن طَرِيف بن الخَزرج بن ساعدة بن كَعب بن الخزرج، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْسِ بن

مَن وَلِي النقباء

فصل: وذكر الاثني عشر نقيبًا، وشعر كعب فيهم إلى آخره، وليس فيه ما يشكل، وإنما جعلهم عليه السلام اثْنَيْ عَشَر نقيبًا اقْتِداءً بقوله تعالى في قوم موسى: ﴿وَبَعَثْنَا منهم اثْنَي عَشَرَ نَقيبًا﴾[1] [المائدة: ١٢] وقد سمينا أولئك النقباء بأسمائهم في كتاب التعريف والإعلام، فلينظر هنالك.

---

(١) في قوله أنه ﷺ جعلهم اثني عشر نقيبًا اقتداء بالقرآن ـ نظر ـ إنما الأمر كله يجري بقدر ربّ السمٰوات والأرض ـ سبحانه وتعالى عزّ وجل ـ.

حارثة بن لَوْذان بن عبد وَدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزْرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - قال ابن هشام: ويقال: ابن خنيش.

النقباء من الأوس:

ومن الأوس أُسَيْد بن حُضَير بن سِمَاكِ بن عَتِيك بن رَافِع بن امرىء القيس بن زَيْد بن عبد الأشهل [بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة، وسعد بن خَيْثَمة بن الحارث بن مالك بن كَعْب بن النَّحّاط بن كَعْب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلَم بن امْرِىء القيس [بن ثعلبة بن عمرو بن عوف] بن مالك بن الأوس [بن حارثة] ورِفَاعَةُ بن عبد المُنْذِر بن زبير بن زيد بن أُمَيَّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

شعر كعب بن مالك عن النقباء:

قال ابن هشام: وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان، ولا يعدّون رفاعة. وقال كعب بن مالك يذكرهم، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري:

أبلغ أُبَيًّا أنّه قال رأيه ... وحان غداة الشِّعب والحينُ واقعُ
أبى الله ما مَنَّتك نفسُك إنّه ... بمرصاد أمرِ النّاسِ راءٍ وسامعُ
وأبلغ أبا سُفيان أنْ قد بدا لنا ... بأحمدَ نورٌ من هُدَى الله ساطِع
فلا تَرْغَبَن في حَشْد أمرٍ تُريده ... وألِّب وجَمِّعْ كُلَّ ما أنت جامع
ودُونَك فاعلم أنَّ نقضَ عهُودِنا ... أباه عليك الرَّهْطُ حين تبايعوا
أباه البَرَاءُ وابنُ عمْرٍو كلاهما ... وأسعدُ يأباه عليك ورَافِع
وَسَعْد أباه السَّاعديُّ ومُنْذِرٌ ... لأنفِك إن حاولت ذلك جادِع
وما ابنُ رَبيع إن تناولت عهدَه ... بمُسْلِمه لا يطمعنْ ثَمَّ طامع
وأيضًا فلا يُعْطِيكه ابنُ رَوَاحَة ... وإخْفَارُه مِنْ دُونه السمُّ ناقع
وفاء بهِ والقَوْقَلِيّ بنُ صامت ... بمَنْدُوحةٍ عما تحاول يافع
أبو هَيثم أيضًا وفِيٌّ بمثلها ... وفاءً بِمَا أعطَى من العهد خانِع
وما ابن حُضَير إن أردت بمَطْمع ... فهل أنت عن أُحْمُوقةِ الغَيّ نازع

ورُوِيَ عن الزُّهرِي أنه قال: قال النبيّ عليه السلام للأوس والخزرج حين قدم عليهم النقباءُ: «لا يغضبَنَّ أحدكم فإني أفعل ما أومر»، وجبريلُ عليه السلام إلى جنبه

وسَعْدٌ أخو عَمْرِو بن عَوْف فإنه ضَرُوحٌ لما حاولتَ مِ الأمْرِ مانعِ
أُولاكَ نجومٌ لا يُغِبُّك منهُمُ عليك بنَحْسٍ في دُجَى الليل طالِع

فذكر كَعْب فيهم أبا الهيْثَمِ بن التَّيهان، ولم يذكر رفاعة.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ﷺ قال للنُّقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء، كَكَفالة الحواريِّين لعيسى ابن مَرْيم، وأنا كَفيل على قَوْمي ـ يعني المسلمين ـ قالوا: نعم.

ما قاله العباس بن عبادة للخزرج قبل المبايعة:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصمُ بن عمرو بن قَتَادة: أن القوم لمَّا اجتمعوا لبَيْعة رسولِ الله ـ ﷺ ـ قال العبَّاس بن عُبادة بن نَضْلة الأنصاريّ، أخو بني سالم بن عَوْف: يا معشر الخزرج، هل تدرُون علامَ تُبايعون هذا الرجلَ؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تُبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم تَرَوْن أنكم إذا نُهِكَتْ أموالُكم مُصِيبة، وأشرافُكم قتلاً أسْلَمتموه، فمن الآن، فهو والله ـ إن فعلتم خِزْيُ الدنيا والآخرة، وإن كنتم تَرَوْن أنكم وافُون له بما دَعَوْتُموه إليه على نَهْكَةِ الأموال، وقَتْل الأشراف، فخُذُوه، فهو والله خَيْرُ الدنيا والآخرة، قالوا: فإنَّا نأخُذه على مُصيبة الأموال، وقَتْل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا؟ قال: «الجنَّة». قالوا: أبسُط يدَك، فَبَسط يده فبايعوه.

وأما عاصم بن عُمر بن قَتَادَة فقال: والله ما قال ذلك العبَّاس إلا ليَشُد العَقْدَ لرسول الله ﷺ في أعناقهم.

وأما عبدُ الله بن أبي بكر فقال: ما قال ذلك العبَّاس إلا ليؤخِّر القوم تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلُولٍ، فيكون أقوى لأمر القوم. فالله أعلم أيّ ذلك كان.

قال ابن هشام: سَلُول: امرأة من خُزاعة، وهي أُم أُبَيّ بن مالك بن الحارث.

يشير إليهم واحدًا بعد واحد، ورُوِيَ في المُعَيْطِيّ عن مالك بن أنس أنه روى حديث النقباء عن شيخ من الأنصار، قال مالك: وكنت أعجب كيف جاء هذا رجلان من قبيلة، ورجل من أخرى حتى حُدِّثت بهذا الحديث، وأن جبرِيلَ هو الذي ولاَّهم، وأشار عن النبيّ ـ ﷺ ـ بهم.

أول صحابي ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية:

قال ابن إسحٰق: فبنُو النجّار يزعمُون أن أبا أمامة، أسعد بن زُرارة كان أوّلَ من ضرب على يَده، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهَيْثم بن التَّيهان.

قال ابن إسحٰق: قال الزهري: حدّثني معبد بن كَعب بن مالك، فحدّثني في حديثه، عن أخيه عبد الله بن كَعْب، عن أبيه كَعْب بن مالك، قال: كان أوّل من ضَرب على يد رسولِ الله ﷺ البَرَاءُ بنُ مَعْرور، ثم بايع بعدُ القومُ.

الشيطان وبيعة العقبة

فلمَّا بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العَقَبة بأنفذ صوت سمعتُه قطُّ: «يا أهل الجَبَاجِبِ» ـ والجَبَاجِبُ: المنازل ـ هل لكم في مُذَمَّم والصُّباة معه، قد اجتمعوا على حَرْبكم. قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «هذا أَزَبُّ العَقَبة، هذا ابن أَزْبَب» ـ قال ابن هشام: ويقال ابن أَزْيَب استمع أي عدوّ الله، أَمَا والله لأفرغنّ لك[1].

تفسير بعض ما وقع في وجدته

وذكر أن الشيطانَ صَرَخَ من رأس العَقَبة بأَنفذ صوت. قال الشيخ أبو بحر: هٰكذا وقع في الأمهات، وأصلحناه عن القاضي أبي الوليد: بأبعد، قال المؤلف: ولا معنى لهذا الإصلاح، لأن وصف الصوتِ بالنفاذِ صحيحٌ هو أفصح من وصفه بالبعد، وقد مضى في حديث عُمَر مع الكاهن، قال: لقد سمعت من صوت العجل صوتًا ما سمعت أنفذَ منه، وفي الصحيح: أن الله تعالى يَحْشُر الخلقَ يوم القيامة في صَرْدَحٍ[2] واحد، فَيَنْفُذُهم البصرُ ويسمعهم الداعي. وكذلك وجدته في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحٰق: بأنفذ صوت كما كان في الأصل.

وقوله: «يا أَهْلَ الجَبَاجِبِ»[3]، يعني: منازلَ مِنًى، وأصلُه: أن الأوعية من الأَدَم

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٠) وأبو داود الطيالسي (٢/ ٩٣) من طريق المصنف ـ به. وأورده الهيثمي في المجمع (٦/ ٤٢) ونسبه لأحمد والطبراني وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحٰق وقد صرّح بالسّماع.

(٢) الصردح: الأرض المستوية. والصردحة: الصحراء التي لا تنبت، وهي غلظ في الأرض مستوٍ. اللسان (٢/ ٥١٢).

(٣) الجباجب: جمع جبجب بالضم وهو المستوي من الأرض ليس بحزن وهي هٰهنا أسماء منازل بمنى سُمِّيت به لأن كروش الأضاحي تُلقى فيها أيام الحج السابق (١/ ٢٥٣).

الرسول لا يستجيب لطلب الحرب من الأنصار:

قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضُوا إلى رِحالِكم». قال: فقال له العبَّاسُ بن عُبادة بن نَضْلة: والله الذي بعثك بالحقّ إن شئتَ لنميلنَّ على أهْل مِنى غدًا بأسْيافنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم نُؤْمَر بذلك، ولكن ارجعُوا إلى رحالكم». قال: فرَجعنا إلى مَضاجعنا، فنِمْنا عليها حتى أصْبحنا.

كالزَّبِيل ونحوه يسمى: جَبْجَبَة، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية، وقوله عليه السلام حين صرخ إبليس: «يا أهل الجَبَاجِبِ، هـذا أَزَبُّ العَقَبةِ، هذا ابن أَزْيَب». قال ابن هشام: ويقال: ابن أَزْبَب كذا تقيد في هذا الموضع أَزَبُّ العقَبةِ وقال ابن ماكولا: أُم كُرْز بنت الأَزَبِّ بن عمرو بن بَكِيل من هَمْدَان جدة العباس، أم أُمه: سيلة، وقال: لا يعرف الأَزَبُّ في الأسماء إلا هذا، وَأَزَبُّ العَقَبَةِ، وهو اسم شيطان، ووقع في هذه النسخة في غَزْوَة أُحُدٍ إِزْبُ العَقَبَةِ بكسر الهمزة وسكون الزاي، وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له حين رأى رجلاً طوله شِبْرَانِ على بَرْدَعَةِ رَحْلهِ [فأخذ السوط فأتاه]، فقال: «ما أنت»؟ فقال: أَزَبُّ، قال: «وما أَزَبُّ»؟ قال: رجل من الجن؛ فضربه على رأسِه بعود السوط، حتى باص، أي هَرَبَ، وقال يعقوب في الألفاظ: الأَزَبُّ: القصير. وحديث ابن الزبير ذكره العتْبِيُّ في الغريب، فالله أعلم أي اللفظين أصح؟ وابن أزيب في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فَعْيَلاً من الإِزْب[1] أيضًا، والأَزْيَبُ: البخيل، وأزْيَبُ: اسم ريح من الرياح الأربع، والأَزْيَبُ الفزَع أيضًا، والأَزْيَب: الرجل المتقارب المشي، وهو على وزن أفْعَل، قاله صاحب العين: ويحتمل أن يكون ابن أَزْيَب من هذا أيضًا، وأما البخيل فأزْيَبُ على وزنَ فعْيَل لأن يعقوبَ حكى في الألفاظ: امرأة أَزْيَبَة ولو كان عن وزن أفْعَل في المذكر لقيل في المؤنث زَيبًا إلا أن فَعْيَلاً في أبنية الأسماء عِزيز، وقد قالوا في ضَهْياء: وهي التي لا تحيض من النساء، فعلى جعلوا الهمزة زائدة وهي عندي فَعْيَل لأن الهمزة في قراءة عاصم لام الفعل في قوله تعالى: ﴿يُضاهُون﴾ والضَّهْيأ من هذا لأنها تُضاهِي الرجل أي: تُشْبِهه ويقال فيه: ضَهْيَاءُ بالمد، فلا إشكالَ فيها أنها للتأنيث على لغة من قال ضَاهَيْت بالياء، وقد يجوز أن يكون أَزْيَب وأَزْيَبَة مثل أَزْمَل وأَزْمَلَة فلا يكون فَعْيَلاً. وروى أبو الأشهب عن الحسن قال: لما بويع لرسول الله ـ ﷺ ـ بِمنًى صرخ الشيطان، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «هذا أبو لُبَيْنَى[2] قد أَنْذَرَ بكم، فَتَفَرَّقوا».

---

(١) أزب: اللئيم، الدقيق المفاصل، والإزب من الرجال: القصير الغليظ. والإزب: القصير الدميم. اللسان (١/ ٢١٢ ـ ٢١٣).

(٢) لُبَينى: تصغير لبنى، أو كما هو «لبينى» قيل: اسم ابنة إبليس عليه اللعنة.

مجادلة جُلّة قريش
للأنصـار في شـأن البيعة

فلما أصبحنا غدت علينا جِلّة قُرَيش، حتى جاؤونا في مَنازلنا، فقالوا: يا معشر الخَزْرج، إنه قد بَلَغنا أنكم قد جِئتم إلى صاحبنا هذا تَسْتَخْرِجُونه من بين أَظْهُرِنا، وتُبايعونه على حَرْبنا، وإنه والله ما مِن حَيٍّ من العرب أبْغَضُ إلينا، أن تَنشَب الحربُ بيننا وبينهم، منكم. قال: فانبعث مَنْ هناك مِنْ مُشْركي قَوْمنا يَحْلفون بالله ما كان مِن هذا شيءٌ، وما عَلِمْناه. قال: وقد صدَقوا، لم يَعْلَموه. قال: وبعضُنا ينظُر إلى بعض. قال: ثم قام القومُ، وفيهم الحارث بنُ هشام بن المُغيرة المَخْزوميّ، وعليه نَعْلان له جَديدان. قال: فقلتُ له كلمةً ـ كأني أريد أن أشْرَكَ القومَ بها فيما قالوا ـ: يا أبا جابر، أمَا تستَطيع أن تَتَّخذ، وأنت سيِّد من ساداتنا، مثلَ نَعْلَيْ هذا الفتى من قُريش؟ قال: فسَمِعها الحارث، فخَلَعهما من رِجْليه ثم رمى بهما إليّ، وقال: والله لتنْتَعلَنَّهما. قال: يقول: أبو جابر: مَه، أحْفَظتَ والله الفَتى، فارْدُد إليه نَعْلَيه. قال: قلت: لا والله لا أردّهما، فألٌ والله صالح، لئن صدق الفأل لأسْلُبَنَّه.

قال ابن إسحٰق: وحدّثنا عبد الله بن أبي بكر: أنهم أتَوا عبدَ الله بن أُبيّ ابن سَلُول، فقالوا له مثل ما قال كَعب من القول، فقال لهم: إنَّ هذا الأمر جَسيم، ما كان قومي ليتفوَّتوا عليّ بمثل هذا، وما علمته كان. قال: فانصرفوا عنه.

تذكير فعيل وتأنيثها

فصل: وذكر الحارثَ بن هشام حين رمى بنعليه إلى جابر: قال: وكان عليه نَعْلاَن جديدان، والنعل: مؤنثة، ولكن لا يقال: جَدِيدَةٌ في الفصيح من الكلام، وإنما يُقال: مِلْحَفَةٌ جديد لأنها في معنى مَجْدُودَة أي: مقطوعة، فهي من باب كَفٌّ خضِيب، وامرأة قَتِيل، قال سيبويه: ومن قال جَدِيدة، فإنما أراد معنى حديثة، أراد سيبويه أن حديثةً، بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى فاعِل يدخله التاء في المؤنث[1].

---

(١) انظر إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكّيت (ص ٢٨٩).

قريش تطلب الأنصار وتأسر سعد بن عبادة

قال: ونَفَر الناسُ من مِنَىً، فتَنَطَّس القومُ الخَبَر، فوجدوه قد كان، وخَرجوا في طلب القوم، فأدركوا سَعْد بن عُبادة بأذَاخِر، والمُنْذِرَ بن عمرو، أخا بني ساعدة بن كَعْب بن الخَزْرج، وكلاهما كان نقيبًا. فأما المُنْذِرُ فأعْجَز القومَ، وأما سَعْد فأخَذُوه، فرَبطوا يَدَيْه إلى عُنقه بنِسْع رَحْله، ثم أقْبَلوا به حتى أدْخلوه مكّة يَضْرِبونه، ويَجْذِبونه، بجُمَّتِه، وكان ذا شَعْرٍ كَثِير.

خلاص سعد بن عبادة

قال سعد: فوالله إني لفي أيْديهم إذ طَلع عليّ نَفرٌ من قُرَيش، فيهم رَجُلٌ وَضِيء أبيضُ، شَعْشَاع، حلو من الرجال قال ابن هشام: الطويل الحسن قال رؤبة: يَمْطُوه من شَعْشَاع غيرِ مُودَن. يعني عنق البعير غير قصير يقول: مودن اليد أي: ناقص اليد يمطوه من السير شعشاع: حلو من الرجال.

قال: قلت في نفسي: إن يكُ عند أحدٍ من القوم خَير، فعند هذا، قال: فلما دنا مني رفع يدَه فلَكمني لَكْمةً شديدة. قال: قلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خَيْر. قال: فوالله إني لفي أيديهم يَسْحبونني إذ أوَى لِي رَجُلٌ مِمَّنْ كان معهم، فقال: وَيْحَكَ! أما بينك وبين أحد من قُرَيش جوار ولا عَهْد؟ قال: قلت: بلى، والله لقد كنت أُجِير لجُبَير بن مُطْعِم بن عديّ بن نَوْفَل بن عَبد مناف تجارة، وأمنعهم ممن أراد ظُلْمَهُم ببلادي، وللحارث بن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، قال: ويحك! فاهتِف باسم الرّجلين، واذكر ما بينك وبينهما. قال: ففعلتُ، وخرج ذلك الرجلُ إليهما، فوجدَهما في المَسجْدَ عند الكعبة، فقال لهما: إن رجلاً من الخَزْرج الآن يُضْرَب بالأبطَح لَيَهْتِف بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جوارًا، قالا: مَنْ هو؟ قال: سعد بن عُبادة. قالا: صدق والله، إن كان لَيُجير لنا تِجارَنا، ويَمْنعهم أن يُظلَموا ببلده: قال: فجاءا فخَلَّصا سعدًا من أيديهم، فانطلق. وكان الذي لَكَمَ سعدًا، سُهَيْلُ بن عمرو، أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

من ألقاب الطويل

وذكر قول سعد حين أسرته قريش: فأتاني رجل وضيء شَعْشَاعٌ. والشَّعْشَعُ والشَّعْشَعَانِيُّ والشَّعْشَعَانُ: الطويل من الرجال، وكذلك السَّلْهَبُ والصَّعْقَبُ والشَّوْقَب و [الشَّرْعَبُ] والشَّرْجَبُ والخِبَقُّ والشَّوْذَبُ الطويل مع رقة في أسماء كثيرة.

قال ابن هشام: وكان الرجلُ الذي أوَى إليه، أبا البَخْتِرَيّ بن هشام.

قال ابن إسحاق: وكان أوّل شعر قيل في الهجرة بيتَيْن، قالهما ضِرَارُ بن الخطَّاب بن مِرْداس، أخو بني محارب بن فهر:

تداركتَ سَعداً عَنوَةً فأخَذْتَه ... وكان شِفَاءً لو تداركتَ مُنذِرا

ولو نِلْتُه طُلَّت هناك جِراحُه ... وكانت حَرِيًّا أن يُهانَ ويُهْدَرا

قال ابن هشام: ويُروى:

وكان حقيقًا أن يُهانَ ويُهْدَرا

قال ابن إسحاق: فأجابه حَسَّان بن ثابت فيهما فقال:

لستَ إلى سَعْدٍ ولا المرء مُنْذِرٍ ... إذا ما مَطايا القوم أصْبَحْن ضُمَّرَا

معاني الكلمات:

وقوله: أوى إليه رجل أي رقّ له، يقال: أَوَى إِيَّهْ [وأَوْيَةً] مَأْوِيَة.

وقوله فَتَنطَّس القومُ الخبرَ أي: أكثروا البحثَ عنه، والتَّنَطُّسُ، تدقيق النظر. قال الراجز: [رؤبة بن العَجَّاج]

وقد أكون عندها نِقْرِيسَا ... طِبًّا بأدواء النِّسَا نَطِّيسا

وذكر قول ضِرار بن الخطاب:

وكان شِفَاءً وتداركتَ مُنذِرَا

وضرار بن الخطاب: وضِرارٌ كان شاعرَ قُريش وفارسَها، ولم يكن في قريش أشعرُ منه، [عبد الله] ثم ابن الزِّبَعْرَى بن قيس بن عدي، وكان جدُّه مِرْدَاسُ رئيسَ بني مُحَارِب بن فِهر في الجاهلية يسير فيهم بالمِرْبَاعِ، وهو رُبْعُ الغَنِيمة، وكان أبوه أيام الفِجَار رئيسَ بني مُحاربِ بن فِهر أسلَم ضِرار عام الفتح.

حول قصيدة حسان:

وذكر قول حسان يجيبه:

لستَ إلى عَمْرٍو ولا المرءِ مُنذِرٍ ... إِذَ ما مَطَايَا القَوْم أَصْبَحْنَ ضُمَّرا

فلولا أبو وَهْبٍ لَمَرَّت قصائدٌ	على شَرَف البَرْقاءِ يَهْوِينَ حُسَّرا
أتَفْخَرُ بالكَتَّان لَمَّا لَبِسْتَه	وقد تلْبَس الأنباطُ رَيْطا مُقَصَّرا
فَلا تَكُ كالوسنان يَحلمُ أنَّه	بقَرْيَة كِسْرَى أو بقَرْيَة قيْصَر
ولا تك كالثكْلَى وكانت بمَعزل	عن الثُّكْل لو كان الفُؤَادَ تَفكَّرا
وَلا تَكُ كالشَّاةِ التي كان حَتْفها	بحَفْر ذِرَاعَيْها فلم تَرْضَ مُحْفَرا
وَلا تكُ كالعاوِي فأقبَل نحرَه	ولم يخْشَه سَهْمًا من النَّبْل مُضْمَرا
فإنَّا وَمَنْ يُهْدِي القَصائد نحْوَنا	كمُسْتَبْضِعٍ تمرًا إلى أهل خَيْبرا

يعني بعمرو عَمْرو بن خُنَيْسٍ والد المنذِر. يقول: لستَ إليه ولا إلى ابنه المنذِر أي: أنت أقل من ذلك، والمنذر بن عمرو هذا يقال له: أَعْنَق لِيَمُوتَ، هو أحد النقباء كما ذكر ابن إسحٰق، وذكر ابن إسحٰق في المواخاة أن رسول الله - ﷺ - آخى بينه، وبين أبي ذَرٍّ الغِفَارِي، وأنكر ذلك الواقدي محمدُ بن عمر، وقال: إنما آخى بينه وبين طُلَيْب بن عَمْرو. قال: وكيف يواخي بينه وبين أبي ذَرٍّ، والمواخاة كانت قبل بدر، وأبو ذر كان إذ ذاك غائبًا عن المدينة، ولم يقدم إلا بعد بدر، وقد قطعت بدر المواخاةَ ونسخها قولُه سبحانه: ﴿وأولو الأرْحَام بعضُهم أَوْلَى بِبَعْضٍ في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ [الأنفال: ٧٥] وللمنذر بن عَمْرو حديثٌ واحد عن رسول الله - ﷺ - ليس له غيره، يرويه عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذِر أن رسول الله ﷺ سجد عن السهو قبل التسليم، وعبد المهيمن ضعيفٌ. وقول حسان:

ولا تَكُ كالشاة التي كان حَتْفُها	بِحَفْرِ ذراعيها، لم ترض محفرا

تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرًا كالباحث عن المُدْية[1] وأنشد أبو عثمان [الجاحظ] عمرو بن بحر. [لِلْفَرَزْدَق]:

وكان يُجير الناسَ من سَيْفِ مالكٍ	فأصبح يَبغي نفسَه مَنْ يُجيرُها
وكان كَعَنْز السُّوءِ قامت بِظِلْفِها	إلى مُدْيةٍ تحت التراب تُثِيرُها

---

(١) انظر «الحيوان» للجاحظ (١/ ٣٤٥) والبيان والتبيين له أيضًا (٣/ ١٥٩).

قصة صنم عمرو بن الجموح

فلما قَدِموا المَدينة أظهروا الإسلامَ بها، وفي قومهم بقايا من شُيوخ لهم على دينهم من الشِّرك، منهم عَمْرو بن الجَمُوح بن زَيْد بن حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو شَهِدَ العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها، وكان عمرو بن الجَمُوح سيدًا من سادات بني سَلمة، وشريفًا من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صَنَمًا من خَشَب، يقال له: مَنَاة، كما كانت الأشراف يصنعون، تتخذه إلـٰهًا تعظِّمه وتُطَهِّره، فلمَّا أسلم فِتْيان بَني سَلَمة: مُعاذ بن جَبل وابنه مُعاذ بن عمرو، في فتْيان منهم ممَّن أسلم وشَهِد العقبة، كانوا يُدْلجون بالليل على صنم عَمْرو ذلك، فيحْملونه فيَطْرحونه في بعض حُفَر بني سَلَمة، وفيها عِذَر الناس، مُنَكَّسًا على رأسه، فإذا أصبح عمرو، قال: ويْلكم! مَن عَدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يَلْتمسه، حتى إذا وجدَه غسلَه وطَهَّره وطَيَّبَه، ثم قال: أما والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بكَ لأُخْزِيَنَّهُ. فإذا أمسى ونام عمرو، عَدَوْا عليه، ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجِده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيَغْسله ويطهِّره ويُطيِّبه، ثم يغدون عليه إذا أمسى، فيفعلون به مثلَ ذلك. فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث أَلْقَوْه يومًا، فغسلوه وطهَّره وطيَّبه، ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم مَنْ يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خيرٌ فامتنعْ، فهذا السيفُ معك. فلما أمسى ونام عمرو، غَدَوْا عليه، فأخذوا السيفَ من عنقه، ثم أخذوا كَلْبًا ميتًا فقَرنُوه به بحبل، ثم أَلْقَوْه في بئر من آبار سلمة، فيها عِذَرٌ من عِذَر الناس، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يَجِدْه في مكانه الذي كان به.

إسلام عمرو بن الجموح

فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر مُنَكَّسًا مَقْرُونًا بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلَّمه مَنْ أسْلَم من قومه، فأسلم برَحْمة الله، وحَسُن إسلامُه. فقال حين أسلم،

إسلام عمرو بن الجموح وصنمه(١)

فصل: في إسْلام عمْرِو بن الجَمُوح، وذكر صنَمه الذي كان يعبده، واسمه مَنَاة، وزنه فَعْلَة من منيت الدم وغيره: إذا صَبَبْته، لأن الدماءَ كانت تُمنَى عنده تَقَرُّبًا إليه، ومنه سُمِّيَتْ

(١) انظر ترجمته في الثقات (٢٧٦/٣) تاريخ الإصابة (٩١٢) الإصابة (٥٢٩/٢) الاستيعاب (١١٦٨/٣).

وعرَف من الله ما عرَف، وهو يذكر صَنمه ذلك وما أبصر من أمره، ويشكُر الله تعالى الذي أنقذه ممَّا كان فيه من العمَى والضلالة:

والله لـو كـنـتَ إلـٰهًـا لـم تَـكُـنْ   أنت وكـلـبٌ وَسْط بئرٍ في قَـرَنْ
أفٍّ لـمَـلْـقـاك إلـٰهـا مُـسْـتَـدَنْ   الآنَ فَـتَّـشْـنـاك عـن سُوء الـغَـبَـنْ
الـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ الـعَـلِـيّ ذي الـمِـنَـنْ   الـواهـبِ الـرَّزَّاق ديَّـان الـدِّيَـنْ
هـو الـذي أنـقـذنـي مـن قـبـل أنْ   أكـونَ فـي ظُـلْـمَـة قـبـرٍ مُـرْتَـهـنْ
بأحـمدَ المـهدي النبيِّ المُرْتهنْ

الأصنامُ الدُّمَى، وفي الحديث: لا والدُّمَى لا أرى بما تقول بأسًا، وكذلك مَنَاةُ الطاغية التي كانوا يُهلُّون إليها بقُدَيْد والحَظُّ من هذا المطلع ما في قوله تعالى: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ النجم، من الفائدة جعلها ثالثة للأَتَ والعُزَّى، وأخرى بالإضافة إلى مناة التي كان يعبدها عَمْرُو بن الجَمُوح وغيره من قومه، فهما مَنَاتَان، وإحداهما عن الأخرى بالإضافة إلى صاحبتها.

وقـولـه:

الآن فَـتَّـشْـنـاك عـن سُـوء الـغَـبَـنْ

الغبن في الرأي يقال: غَبِن رَأْيَه كما يقال: سَفِه نَفْسه، فنصبوا، لأن المعنى: خَسِر نَفْسَه، وأوْبَقَها وأفسَد رأيَه ونحو هذا.

وقوله: إلـٰهًا مُسْتَدَنْ من السَّدَانة، وهي خِدمة البيت وتعظيمه.

وقوله: دَيَّان الدِّيَن: الدِّيَنُ جمع دِينة، وهي العادة، ويقال لها دِينٌ أيضًا، وقال ابنُ الطَّثَرِيَّة، واسمه يزيد:

أرى سَبْعَةً يَسْعَوْن للوصل كُلهم   لـه عـنـد لَـيْـلَـى دِيـنَـةٌ يَـسْـتَـدِيـنُـهـا
فألقيْتُ سَهمي بَيْنهم حين أوْخَشُوا   فـما صَار لي في القَسْم إلا ثنينها

ويجوز أن يكون أراد بالدِّين: الأديان أي هو دَيَّان أهِل الأدْيان، ولكن جمعها علَى الدِّيَن، لأنها مِلَلٌ ونِحَل، كما قالوا في جمع: الحُرَّة: حرائر، لأنهن في معنى الكَرَائم والعقائل، وكذلك مَرائر الشجر، وإن كانت الواحدة مُرَّة، ولكنها في معنى فعيلة، لأنها عَسِيرة في الذَّوْق، وشديدة على الآكل، وكريهة إليه.

شروط البيعة في العقبة الأخيرة:

قال ابن إسحٰق: وكان في بيعة الحرّب، حين أذِن الله لرسوله في القتال شروطًا سوى شَرْطه عليهم في العَقبة الأولى، كانت الأولى على بَيْعة النِّساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذِن لرَسوله ﷺ في الحرب، فلما أذِن الله له فيها، وبايَعهم رسولُ الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربِّه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنَّة.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت، عن أبيه الوليد، عن جدّه عبادة بن الصامت، وكان أحدَ النقباء، قال:

بايعنا رسول الله ﷺ بيعةَ الحرب ـ وكان عُبادة من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بَيْعة النساء ـ على السَّمْع والطاعة، في عُسْرنا ويُسْرنا ومُنْشَطِنا ومُكرَهنا، وأثَرَةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَه، وأن نقول بالحقّ أينما كُنا، لا نخاف في الله لومةَ لائم.

أسماء من شهد العقبة

قال ابن إسحٰق: وهذه تسمية من شَهِد العقبة، وبايع رسولَ الله ﷺ بها من الأوس والخزرج، وكانوا ثلاثةً وسَبْعين رجلاً وامرأتين.

شهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أُسَيْد بن حُضَير بن سِماك بن عَتِيك بن رافع بن امرىء القيس بن زَيد بن عَبْد الأشهل، نقيب لم يشهد بدرًا. وأبو الهيثم بن التَّيِّهان، واسمه مالك، شهد بدرًا. وسَلَمة بن سلامة بن وَقْش بن زُغْبَة بن زعوراء بن عبد الأشهل، شهد بدرًا، ثلاثة نفر. قال ابن هشام: ويقال: ابن زعَوراء بفتح العين.

قال ابن إسحٰق: ومن بني حارثة بن الحارث بن الخَزْرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: ظُهَيْر بن رافع بن عَدِيّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة، وأبو بُرْدة بن نِيار، واسمه هانىء بن نِيَارِ بن عمرو بن عبيد بن كِلاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبيان بن هُميم بن

تفسير بعض الأنساب

فصل: وذكر ابن إسحٰق تسمية من حَضَر العَقَبة، وذكر أنسابَهم إلا أبا الهَيثَم بن التَّيهان، وقد ذكرنا اسمَه واسمَ أبيه، وما قيل في نسبه في ذكر العقَبة الأولى.

كاهَل بن ذُهْل بن دهني بن بَلِيّ بن عمرو بن الحافِ بن قُضاعة، حليف لهم، شهد بدرًا ونُهَيْر [أبو بهير] بن الهَيْثَم، من بني نابي بن مَجْدعة بن حارثة ثلاثة نفر.

ومن بني عمرو بن عوف مالك بن الأوس: سعدُ بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأَوْسِ، نقيب، شهد بدرًا، فقُتل به مع رسولُ الله - ﷺ - شهيدًا.

قال ابن هشام: ونسبه ابنُ إسحٰق في بني عمرو بن عوف، وهو من بني غَنْم بن السَّلْم، لأنه ربما كانت دعوة الرجل في القوم، ويكون فيهم فيُنسب إليهم.

قال ابن إسحٰق: ورفاعة بن عبد المُنْذر بن زَنْبر بن زيد بن أُميَّة بن زَيْد بن مالك بن عوف بن عمْرو، نقيب، شهد بدرًا. وعبدُ الله بن جُبير بن النعمان بن أميَّة بن البُرَك - واسم البُرَك: امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو شهد بدرًا، وقُتِل يوم أُحد شهيدًا أميرًا لرسولِ الله ﷺ على الرُّمة؛ ويقال: أميَّة بن البَرْك، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: ومعنُ بن عديّ بن الجد بن العَجْلان بن [حارثة] بن ضُبَيْعة [بن حرام] لهم من بَلِيّ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق، ومشاهد رسول الله ﷺ كلها، قُتِل يوم اليمامة شهيدًا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وعُويم بن ساعدة، شهد بدرًا وأحدًا والخندق خمسة نفر.

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحدَ عشرَ رجلاً.

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني النَّجّار، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج: أبو أيوب، وهو خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة بن عَبد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار شهد بَدْرًا وأُحدًا والخَنْدقَ، والمشاهد كلها، مات بأرض الروح غازيًا في زمن معاوية بن أبي سفيان. ومُعاذ بن الحارث بن رِفَاعَة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار، شهد بدرًا وأُحدًا والخندق، والمشاهد كلها، وهو ابن عَفْرَاء، وأخوه: عوف بن الحارث، شهد بدرًا وقُتل به شهيدًا، وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة، وهو لعفراء - ويقال: رفاعة بن الحارث بن سَوَاد، فيما قال ابن هشام - وعُمارة بن حزم بن زيد بن لَوْذَان بن عمرو بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجّار. شهد بدرًا وأُحدًا والخندق، والمشاهد كلها،

وذكر قُطْبَة بن عامر، والقُطْبَة فيما ذكر أبو حنيفة واحدة القُطَبِ، وهيَ شَوْكة مدحرجة فيها ثلاث شُوَيْكَات، وهي تشبه حَسَك السَّعْدَانِ، وقد بان بِنَعْتِ أبي حنيفة له أنه الذي نسميه ببلادنا حِمَّص الأمير. والقُطْبَة: طَرَف النَّصْل.

قُتل يوم اليمامة شهيدًا في خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وأسْعَدُ بن زُرَارَة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، نقيب، مات قبل بدر ومسجدُ رسول الله ﷺ يُبنى، وهو أبو أُمَامة. ستة نفر.

ومن بني عمرو بن مَبْذول ـ ومبذول: عامر بن مالك بن النجار: سَهْل بن عَتِيك بن نُعْمان بن عمرو بن عَتيك بن عمرو، شهد بدرًا. رجل.

ومن بني عمرو بن مالك بن النجّار، وهم بنو حُدَيْلة ـ قال ابن هشام: حُدَيْلَة: بنت مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ـ أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ بن عمرو بن مالك، شهد بدرًا. وأبو طلحة، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ بن عمرو بن مالك، شهد بدرًا. رجلان.

ومن بني مازن بن النجّار: قيسُ بن أبي صَعْصعة، واسم أبي صعصعة: عَمْرو بن زيد بن عوف بن مَبْذُول بن عمرو بن غَنْم بن مازن، شهد بدرًا، وكان رسولُ الله ﷺ جعله على الساقة يومئذ. وعمرو بن غُزَيَّة بن عمرو بن ثعلبة بن خَنْساء بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن. رجلان. فجميع من شهد العقبة من بني النجّار أَحَدَ عَشَر رجلاً.

قال ابن هشام: عمرو بن غُزَيَّة بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء، هذا الذي ذكره ابن إسحٰق، إنما هو غُزَيَّة بن عَطِيَّة بن خَنْساء.

من شهدها من بلحارث بن الخزرج:

قال ابن إسحٰق: ومن بَلْحارث بن الخزرج: سعدُ بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك [الأغر] بن ثَعْلَبَة بن كَعْب بن الخزرج بن الحارث، نقيب، شهد بدرًا وقُتل يوم أحد شهيدًا. وخارجةُ بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعْب بن الخزرج بن الحارث، شهد بدرًا وقُتل يوم أُحد شهيدًا وعبدُ الله بن رواحة [بن ثعلبة] بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث،

وذكَر ذكْوان بن عَبْدِ قيس، ونسبه إلى عامر بن زُرَيْق بن عامر بن زُرَيْق بن رَوَاحَة بن غَضْب بن جُشَم، والغَضْبُ في اللغة: الشَديد الحمرة، وجُشَمُ مَعْدُولٌ عن جَاشم، وهو من جَشِمْتُ الأمر [تكلفته على مشقة] كما عَدَلوا عُمر عن عامر وقد أملينا جُزْءًا في أسرار ما

نقيب، شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومشاهدَ رسول الله ﷺ كلها، إلا الفتحَ وما بعده، وقُتل يوم مُؤتة شهيدًا أميرًا لرسول الله - ﷺ - وبشيرُ بن سعد بن ثعلبة بن الجُلاسَ بن زيد بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، أبو النعمان بن بشير شهد بدرًا. وعبدُ الله بن زَيْدَ بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد [مناة] بن الحارث بن الخزرج [بن حارثة] شهد بدرًا، وهو الذي أُرِي النداء للصلاة، فجاء به إلى رسول الله - ﷺ - فأمر به. وخلادٌ بن سِوَيْدِ بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث [بن الخزرج] شهد بدرًا وأُحدًا والخندق وقُتِل يوم بني قُريْظة شهيدًا، طُرِحَت عليه رَحى من أُطُم من آطامِها فَشَدَخَتْه شَدْخًا شديدًا، فقال رسول الله - ﷺ - فيما يَذكرون - إنّ له لأجْرَ شهيدين. وعقبةُ بن عمرو بن ثعلبة بن أُسَيْرة بن عُسَيرة بن جَدَارة بن عوف بن الحارث [بن الخزرج] وهو أبو مسعود وكان أحدَث من شهد العقبة سنًّا، مات في أيام معاوية، لم يشهد بدرًا سبعة نفر.

ومن بني بيّاضة بن عامر بن زُرَيْقِ بن عبد حارثة بن مالك بنِ غَضْبِ بن جُشَم بن الخزرج: زيادُ بن لَبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عديّ بن أُمَيَّة بن بياضة، شهد بدرًا. وفَرْوَةُ بن عمرو بن وَذَفَة بن عبيد بن عامر بن بَيَاضة، شهد بدرًا. قال ابن هشام: ويقال وَدفة.

ينصرف، وما لا ينصرف شَرحْنا فيه فائدة العدل عن فاعل إلى فُعَل، وما حقيقة العَدِلْ والمَقْصُود به، ولم لَمْ يُعْدَل عن أسماء الأجناس، ولِم لَمْ يكن إلا في الصفات ولِم لَمْ يكن من الصفات إلا في مثل عامر وزَافِر وقاثم، ولم يكن في مالك وصالح وسالم، ولِمَ خص فعل هذا البناء بالعَدْل إليه، وهل عُدِل إلى بناء غيره، أم لا ولِمَ منع الخَفْض والتّنوين إذا كان مَعْدولاً إلى هذا البناء، فمن اشتاق إلى معرفة هذه الأسرار فَلْيَنْظُرْها هُنالِك، فإن ابنَ جني قد حام في كتاب الخصائص على بعضها، فما وَرَدَ، وصَأصَأ فما فَقَّحَ.

وذكر في بني بَيَاضَة عَمْروَ بن وَذَفَةَ بذال مُعْجَمة، وقال ابن هشام: وَدْفَة بدال مهملة، وهو الأصح، والوَدْفَة: الرَّوْضَة الناعمة سُمِّيت بذلك، لأنها تقطر ماء من نعمتها، والأُداف الذَّكَر، وأصله: وُدَافٌ، سُمّي بذلك الموضع قطر الماء والمني منه، ويقال للروضة النّاعمة: الدِّقَرى، وعمرو بن وَدَفَة هذا هو البَيَاضِيُّ الذي روى عنه مالك في كتاب الصلاة، ولم يُسَمِّه، وفي الأنصار [من قبائل الخزرج] بنو النّجّار، وهم تَيْمُ الله بن ثَعْلَبَة، سمي النّجّار فيما ذكروا لأنه نَجَر وجْهَ رجل بقَدُوم وقيل: كان نَجّارًا، وثعلبة في العربِ كثير في الرجال، وقَلَّ ما يُسَمُّون بثَعْلَب، وإن كان ذلك هو القياس كما يَسَمُّون بنَمِرِ وسَبُع وذِئْبِ، ولكن

قال ابن إسحٰق: وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بيَاضة، شهد بدرًا. ثلاثة نفر.

ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق، نقيب. وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق [بن عامر بن زريق بن عبد حارثة]، وكان خرج إلى رسول الله ﷺ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسولِ الله ﷺ من المدينة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري؛ شهد بدرًا وقُتل يوم أُحد شهيدًا. وعباد بن قيس بن عامر بن خَلْدة بن مُخلَّد بن عامر بن زُرَيق، شهد بدرًا. والحارث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق، وهو أبو خالد شهد بدرًا. أربعة نفر.

ومن بني سَلِمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشم بن الخزرج؛ ثم من بني عُبَيْد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كَعْب بن سلمة: البَرَاء بن مَعْرُور بن صَخر بن خَنْساء بن سِنَان بن عُبَيْدِ بن عَدِيّ بن غَنم، نقيب، وهو الذي تزعُم بنو سَلِمَة أنه كان

الثعلب اسمٌ مشتَرك، إذ يقال ثَعلَبُ الرُّمحِ، وثَعلَبُ الحَوْضِ، وهو مخرج الماء منه، وفي الحديث حتى قام أبو لبابة يسد ثَعلب مِرْبَدِه بردائه[1]، فكأنهم عَدَلوا عن التسمية بثعلب لهذا الاشتراك، مع أن الثَّعْلَبَةَ أحمى لأَدْرَاصِها[2] وأَغْيَرُ على أجرائِها من الثَّعلب.

وذكر قول رسول الله - ﷺ - لبني سَلِمَة مَن سيدكم؟ فقالوا جَدُّ بن قَيس على بُخل فيه، فقال: وأيُّ داءٍ أكبَرُ من البُخلِ؟! بل سيدكم الأبيض الجَعْدُ: بِشر بن البَرَاء[3]، وروى عن الزُّهري وعامر الشعْبِيّ أنهما قالا في هذا الحديث عن النبي عليه السلام: بل سَيِّدُكم عَمْرو بن الجَمُوح وقال شاعر الأنصار في ذلك:

وقال رَسُولُ اللهِ، والحق قولُه ... لِمَنْ قال منا مَنْ تَعُدُّونَ سَيِّدَا
فقالوا له: جَدُّ بن قَيْسٍ عَلَى الَّتِي ... نُبَخِّلُه فيها، وما كان أَسْوَدَا
فَسَوَّد عَمْرَو بن الجَمُوح لجُودِهِ ... وحُقَّ لِعَمْرٍو وعندنا أنْ يُسَوَّدَا

---

(1) انظر النسائي (٣/١٥٩) وأبو داود (١١٦٩) بتحقيقي. وابن ماجه (١٢٦٩ - ١٢٧٠) وأحمد (٤/٢٣٦) والبيهقي في الدلائل (١٦٠) وانظر الفتح (١١/١٤٣).
(2) أدراصها: أولادها.
(3) أخرجه الطبراني (١٩/١٨) وابن سعد في الطبقات (٣/٢/١١٢) والحاكم (٣/٣١٩) وانظر الفتح (٥/١٧٨/١٧٩).

أوّل من ضَرب على يد رسول الله ﷺ وشَرَط له، واشترط عليه، ثم تُوفي قبل مَقْدم رسول الله ﷺ المدينةَ. وابنه بِشْر بن البَرَاء بن مَعرور، شهد بدرًا وأُحدًا والخندق، ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله ﷺ، من الشاة التي سُمّ فيها - وهو الذي قال له رسولُ الله ﷺ، حين سأل بني سلمة: من سيِّدكم يا بني سِلَمة؟ فقالوا: الجَدُّ بن قَيس، على بُخْلِه، فقال رسولُ الله ﷺ: وأي داء أكبر من البُخل! سيدُ بني سلمَة الأبيض الجَعْد بِشْرُ بن البَرَاءِ بن مَعْرور. وسِنان بن صَيْفِي بن صَخْر بن خَنْساء بنِ سنان بن عُبَيْد، شهد بدرًا، والطُّفَيل بن النُّعْمَان خَنْسَاء بن سِنَان بن عُبيْد، شَهد بدرًا، وقُتِل يوم الخَنْدَقِ شَهِيدًا. ومَعْقِل بن المُنْذر بن سَرْح بن خُنَاس بن سِنَان بن عُبَيْد، شهد بدرًا. ويزيد بن المنذر بن سَرْح بن خُنَاس بن سنان بن عُبَيْد شهد بدرًا. ومَسْعُودُ بن يزيد بن سُبَيْع بن خَنْسَاء بن سِنَان بن عُبَيْدِ. والضَّحَّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد، شهد بدرًا، ويزيد بن خِذَام أو [ابن حرام أو خدارة] بن سبَيْع بن خَنْسَاء بن سِنَان بن عُبَيْد. وجُبَار بن صَخْر بن أُمَيَّة بن خنساء بن سِنان بن عُبَيْد [بن عَدِيِّ بن غِنْم بن كعب بن سَلِمة]، شهد بدرًا.

قال ابن هشام: ويقال: جَبَّار بن صَخْرِ بن أُمَيَّة بن خُنَاس.

قال ابن إسحٰق: والطُّفَيْل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد [وهو ابن عم الطُّفَيْل بن النعمان بن خنساء بنِ سنان]، شهد بدرًا. أحد عَشَرَ رجلاً.

ومن بني سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة، ثم من بني كعب بن سواد: كعب بن مالك بن أبي كعب بن الْقَيْن بن كَعْب. رجل.

ومن بني غَنْم بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة: سُلَيْم بن عُمرو بن حَدِيدة بن عمرو بن غنم، شهد بدرًا. وقُطْبة بن عامر بن حَدِيدة بن عَمْرو بن غَنْم، شهد بدرًا. ويزيد بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم، وهو أبو المنذر، شهد بدرًا. وأبو اليَسَر، واسمه: كعب بن عمرو بن عَبَّاد بن عمرو بن غَنْم [بن سَوادِ بن غَنم بن كعب بن

ذكر خديج بن سلامة البلوي[1]:

فصل: وذكر خَدِيجَ بن سلامة البَلَوِيّ، وهو: خَدِيج بخاء منقوطة مفتوحة ودال مكسورة، كذا ذكره الدَّارَقُطني وغيره، وذكره الطبري، وقال: شهِد العَقَبة، ولم يشهد بدرًا، وقال: يُكْنَى أبا رشيد:

---

(١) انظر الاستيعاب (١/ ٤٥٩).

سَلِمة]، شهد بدرًا. وصَيْفيّ بن سَواد بن عبَّاد بن عمرو بن غَنْم. خمسة نفر.

قال ابن هشام: صَيْفيّ بنَ أسود بن عباد بن عمرو بن غَنْم بن سواد، وليس لسواد ابن يقال له: غَنْم.

قال ابن إسحٰق: ومن بني نابي بن عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلمة: ثعلبة بن غَنَمَة بن عدِيّ بن نابي، شهد بدرًا، وقُتِل بالخندق شهيدًا. وعمرو بن غَنَمَة بن عديّ بن نابي، وعَبْس بن عامر بن عديّ بن نابي، شهد بدرًا. وعبدُ الله بن أُنَيس، حليف لهم من قُضاعة. وخالد بن عمرو بن عديّ بن نابي. خمسة نفر.

قال ابن إسحٰق: ومن بني حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلمة: عبدُ الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، نقيب، شهد بدرًا، وقُتل يوم أُحد شهيدًا، وابنه جابر بن عبد الله. ومعاذُ بن عمرو بن الجَموح بن زيد بن حرام، شهد بدرًا. وثابت بن الجِذْع ـ والجِذع: ثَعْلَبَةُ بن زيد بن الحارث بن حرام ـ شهد بدرًا، وقُتِل بالطائف شهيدًا. وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام، شهد بدرًا. قال ابن هشام: عمير بن الحارث بن لَبْدة بن ثعلبة.

قال ابن إسحٰق: وخَدُيج بن سَلامة بن أوْس بن عمرو بن الفُرافِر [أو القراقر] حليف لهم من بَلِيّ ومُعَاذُ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عَدِي بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن سَعْد بن عليّ بن أسَد، يقال: أسَد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج، وكان في بني سَلمة، شهد بدرًا، والمشاهد كلها ومات بعِمْوَاس، عام الطاعون بالشام، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنما ادعته بنو سلمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجِدِّ بن قيس بن صخر بنْ خنساء بن سنان بن عبيد بن عديّ بن غَنْم بن كعب بن سلمة. لأمه. سبعة نفر.

قال ابن هشام: أَوْسُ: ابن عباد بن عديّ بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن سعد.

قال ابن إسحٰق: ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج: عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف، نقيب، شهد بدرًا والمشاهد كلها.

وذكر مُعَاذَ بن جَبَلٍ ونسبه إلى أُدَيّ بن سعد بن علي أخي سلمة، وقد انفرض عَقِبُ أُدَيّ، وآخرُ من مات منهم عبدُ الرحمٰن بن مُعَاذ بن جَبَل، وقد يقال في أُدَيّ أيضًا: أُذُن في غير رواية ابن إسحٰق وابن هشام.

قال ابن هشام: هو غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج.

قال ابن إسحٰق: والعباس بن عُبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له: مهاجريّ أنصاريّ وقُتل يوم أحد شهيدًا. وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثَعْلَبَة بن خَزْمة بن أصْرم بن عمرو بن عَمَّارة، حليف لهم من بني غُصَينة من بَلِيّ. وعَمْرو بن الحارث بن لَبْدة بن عمرو بن ثعلبة: أربعة نفر، وهم القواقل.

ومن بني سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحُبْلَى - قال ابن هشام: الحُبْلى: سالم بن غَنْم بن عوف، وإنما سمي: الحُبْلَى - لعظم بطنه: رفاعةُ بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم، شهد بدرًا، وهو أبو الوليد.

قال ابن هشام: ويقال: رفاعة: ابن مالك، ومالك: ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جُشم بن مالك بن سالم.

قال ابن إسحٰق: وعُقبة بن وَهْب بن كَلَدة بن الجَعْد بن هِلال بن الحارث بن عمرو بن عديّ بن جشم بن عوف بن بُهْثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، حليف لهم، شهد بدرًا، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجرًا من المدينة إلى مكة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري.

قال ابن هشام: رجلان.

قال ابن إسحٰق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: سعد بن عُبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، نقيب؛ والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذان بن عَبْدِ وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن جُشم بن الخزرج بن ساعدة، نقيب، شهد بدرًا وأُحدًا، وقُتل يوم بئر معونة أميرًا لرسول الله ﷺ، وهو الذي كان يقال له: أعنق ليموت. رجلان.

وذكر أن مُعَاذَ بن جَبَلٍ مات في طاعون عَمْوَاس، هكذا تقيد في النسخة عِمْواس بسكون الميم، وقال فيه البكري في كتاب المعجم من أسماء البقع: عَمَواسَ بفتح الميم والعين، وهي قرية بالشام عُرِف الطاعون بها لأنه منها بدأ وقيل: إنما سميِ: طاعون عِمْواس لأنه عَمّ وآسى أي جعل بعض الناس أسْوَة بعض.

قال ابن إسحٰق: فجميع من شَهِد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان منهم، يزعمون أنهما قد بايعتا، وكان رسولُ الله ﷺ لا يصافح النساء، إنما كان يأخذ عليهنّ، فإن أقررن، قال: اذهبن فقد بايعتكن.

ومن بني مازن بن النجّار: نُسَيْبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذُول بن عمرو بن غنم بن مازن [بن النَّجّار]، وهي أمّ عُمَارة، كانت شهدت الحرب مع رسول الله - ﷺ - وشهدت معها أختها. وزوجُها زيد بن عاصم بن كعب. وابناها: حبيب بن زيد، وعبد الله بن زيد، وابنها حبيب الذي أخذه مُسَيْلِمَةُ الكذّاب الحنفيّ، صاحب اليمامة، فجعل يقول له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ فيقول: نعم، فيقول: أفتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع، فعجل يقطعه عضوًا عضوًا حتى مات في يده، لا يزيده على ذلك، إذا ذُكِرَ له رسولُ الله ﷺ آمن به وصلى عليه، وإذا ذُكر له مُسيلمة قال لا أسمع - فخرجتْ إلى اليمامة مع المسلمين، فباشرت الحربَ بنفسها، حتى قَتل الله مُسيلمةَ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحًا، من بين طعنة وضربة.

قال ابن إسحٰق: حدّثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيىٰ بن حبَّان، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي صَعْصعة.

ومن بني سلمة: أم مَنيع؛ واسمها: أسماء بنت عمرو بن عديّ بن نابي بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلمة.

نزول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال:

بسم الله الرحمن الرحيم. قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البَكّائيّ، عن محمد بن إسحٰق المُطّلِبيّ: وكان رسولُ الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يُؤذن له في الحرب ولم تُحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر

وذكر يَزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بسكون الزاي كذا قال فيه ابن إسحٰق وابن الْكَلْبِي، وقال الطبري فيه خَزَمة بتحريك الزاي، وهو بَلَوِيٌّ من بني عَمَّارَة بفتح العين وتشديد الميم، ولا يعرف عِمَّارَة في العرب إلا هذا، كما لا يُعْرَفُ عمارة بكسر العين إلا أُبَيّ بن عِمَارة الذي يَروي حديثًا في المسح على الخفين، وقد قيل فيه عُمارة بضم العين، وأما سوى هذين فعُمَارة بالضم، غير أنّ الدَّارَقُطْنِي ذكر عن مُحَمَّد بن حبيب عن ابن الكلبيّ في نسب قُضاعة: قال مُدرك بن عبد الله القَمْقَام بن عمارة بن دُوَيْد بن مالك. وفي النساء عُمَارة بنت نافع، وهي أُم محمّد بن عبد الله بن عبد الرزاق، وفي الأنصار خَزَمة سوى هذا المذكور بفتح الزاي كثير.

على الأذى، والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونَفَوهم من بلادهم فهم من بين مَفْتون في دينه، ومن بين معذّب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فرارًا منهم، منهم مَنْ بأرض الحبشة، ومنهم مَن بالمدينة، وفي كل وجه؛ فلما عَتَتْ قريش على الله عزّ وجلّ، وردّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذّبوا نبيَّه ﷺ، وعذّبوا ونَفَوْا مَن عَبَده ووحّده وصدّق نبيه، واعتصم بدينه، أذن الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أوّل آية أنزلت في إذنه له في الحرب، وإحلاله له الدماء والقتال، لمن بغى عليهم، فيما بلغني عن عُروة بن الزبير وغيره من العلماء، قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ على نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغيرِ حَقٍّ إلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيها اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنّاهُمْ فِي الأَرْضِ أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ وأَمَرُوا بالمَعْرُوفِ ونَهَوا عَنِ المُنْكَرِ وللَّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ أي: أني، إنما أحْللت لهم القتالَ لأنهم ظُلِموا، ولم يكن لهم ذَنْب فيما بينهم وبين الناس، إلا أن يعبدوا الله، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاةَ، وآتوا الزكاة، وأَمروا بالمعروف، ونَهوا عن المنكر، يعني النبيّ - ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿وقَاتِلُوهُمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: حتى لا يُفْتَن مؤمن عن دينه ﴿ويَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ أي: حتى يُعبد الله، لا يعبد معه غيره.

وذكر بني الحُبْلى والنسب إليه حُبُلِيٌّ بضم الحاء والباء قاله سيبويه على غير قياس، النَّسَب، وتوهم بعض من ألف في العربية أن سِيبَوَيْهِ قال فيه: حُبَلِيٌّ بفتح الباء لمَّا ذكره مع جُذَمِيٌّ في النسب إلى جَذِيمةَ ولم يذكره سيبويه معه، لأنه على وزنه، ولكن لأنه شاذ مثله في القياس الذي ذكرناه عن سيبويه من تقييده بالضمّ، ذكره أبو عَلِيٍّ القَالِي في البارع، وقال هكذا تقيد في النسخ الصحيحة من سيبويه، وحَسْبُك من هذا أن جميع المحدّثين يقولون: أبو عبد الرحمٰن الحُبُلِيّ بضمتين، لا يختلفون في ذلك، فدلّ هذا كله على غلط مَن نسب إلى سيبويه أنه فتح الباء.

الإذن لمسلمي مكة بالهجرة

قال ابن إسحٰق: فلما أذن الله تعالى له ﷺ في الحرب، وبايعه هذا الحيُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ولمن اتبعه، وأوَى إليهم من المُسلمين، أمر رسولُ الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال: إن الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها. فخرجوا أرْسالاً، وأقام رسولِ الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة.

المهاجرون إلى المدينة
هجرة أبي سلمة وزوجه، وحديثها عمّا لقيا

فكان أوّل من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، من بني مَخْزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، واسمه: عبد الله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قَدِم

متى أسلم عثمان بن أبي طلحة(1)

فصل: وذكر هجرة أُم سَلَمة وصُحْبَةُ عثمان بن طَلْحة لها، وهو يومئذ على كُفره، وإنما أسلم عُثمان في هُدْنة الحُدَيْبِيَة، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، وقتل يوم أُحُدٍ إخوتَه مُسَافِع، وكِلاب والحارث، وأبوهم وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أيضًا يوم أحد

(1) له ترجمة في الطبقات (٥/٤٤٨) الإصابة (٢/ ٤٦٠) تاريخ الصحابة (٨٧٢) الثقات (٣/ ٢٦٠) الاستيعاب (٣/ ١٠٣٤).

على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلامُ من أسلم من الأنصار، خرج إلى المدينة مهاجرًا.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني أبي إسحٰقُ بن يسار، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدّته أمّ سلمة، زوج النبيّ ﷺ، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروجَ إلى المدينة رحَل إلى بعيرَه ثم حَمَلني عليه، وحمل معي ابني سلمةَ بن أبي سلَمة في حجري، ثم خرج بي يقودُ بي بعيرَه، فلما رأته رجالُ بني المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهْط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا بُنَيَّ سلمَة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المُغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرّق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي، حتى أمسى سنةً أو قريبًا منها حتى مرّ بي رجلٌ من بني عمِّي، أحدُ بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تُخْرجون هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين وَلدها! قالت: فقالوا لي: الحقِي بزوجك إن شئتِ. قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلتُ بعيري ثم أخذتُ ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خَلْق الله. قالت: فقلت: أتبلّغ بمن لقيتُ حتى أقْدَم على زوجي، حتى إذا كنت بالتّنْعيم لَقِيتُ عثمانَ بن طَلْحة بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أميّة؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أوَ ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله، إلا الله وبُنَيّ هذا. قال: والله ما لك من مَتْرك، فأخذ بخِطام البعير، فانطلق معي يَهْوِي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قطّ، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحطّ عنه، ثم قيّده في الشجرة، ثم تنحّى إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرّواح، قام إلى بعيري فقدّمه فرَحله، ثم استأخر عنّي، وقال: اركبي. فإذا ركبتُ واستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاده، حتى

كافرًا وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسولُ الله - ﷺ - عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وإلى ابن عمه شَيْبةَ بن أبي عثمان بن أبي طلحة، وهو جد بني شَيْبَة حَجَبة الكعبة، واسم أبي طلحة جدهم: عبد الله بن عبد العُزّى، وقُتِل عثمان رحمه الله شهيدًا بأجْنَادَيْن في أول خلافة عمر.

ينزل بي. فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقْدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُباء، قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً ـ فادخُليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهلَ بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آلَ أبي سلمة، وما رأيت صاحبًا قطّ كان أكرم من عثمان بن طلحة.

هجرة عامر وزوجه وهجرة بني جحش

قال ابن إسحٰق: ثم كان أوّل من قَدِمها من المهاجرين بعد أبي سَلمة: عامر بن ربيعة، حليف بني عديّ بن كعب، معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم بن عبد الله بن عَوْف بن عُبيد بن عديّ بن كعب. ثم عبدُ الله بن جحش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبرة بن مرّة بن كثير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة، حليف بني

هجرة بني جحش

وذكر هجرة بني جَحْش، وهم: عبد الله وأبو أحمد واسمه: عبد، وقد كان أخوهم عُبَيْد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها: ﴿فلما قَضَى زيد منها وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وأم حبيب بنت جَحْش التي كانت تُسْتَحَاض، وكانت تحت عبد الرحمٰن بن عوف، وحَمْنَة بنت جحش التي كانت تحت مُصْعَبِ بن عُمَيْر، وكانت تُسْتَحَاضُ أيضًا، وقد روي أن زينب استُحيضت أيضًا، ووقع في المُوَطَّأ أن زينب بنت جَحْش التي كانت تحت عبد الرحمٰن بن عوف، وكانت تُسْتَحَاضُ، ولم تك قَطُّ زينب عند عبد الرحمٰن بن عَوْف، ولا قاله أحد والغَلَط لا يسلم منه بشر، وإنما كانت تحت عبد الرحمٰن أختها أم حبيب، ويقال فيها أم حبيبة، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح، أخبرني أن أم حبيب كان اسمها: زينب فهما زَيْنَبَان غلبت على إحداهما الكُنْية، فعلى هذا لا يكون في حديث المُوَطَّأ وَهَمٌ ولا غلط والله أعلم. وكان اسم زينب بنت جحش: بَرَّة فَسماها رسولُ الله ـ ﷺ ـ زينبَ، وكذلك زينبُ بنت أُم سَلَمَةَ رَبِيبته عليه السلام، كان اسمها بَرَّة، فسماها زينبَ كأنه كره أن تُزَكِّيَ المرأةُ نفسَها بهذا الاسم، وكان اسم جَحش بن رِئاب: بُرَّة بضم الباء، فقالت زينب لرسول الله ـ ﷺ: يا رسول الله لو غيرت اسم أبي، فإن البُرَّة صغيرة، فقيل: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لها: «لو أبوك مُسْلِمًا لسمَّيْته باسم من أسمائنا أهل البيت، ولكني قد سميته جَحْشًا والجَحْشُ أكبر من البُرَّةِ». ذكر هذا الحديث مُسْنَدًا في كتاب المؤتلف والمختلفِ أبو الحسن الدارقطني.

أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جَحْش، وهو أبو أحمد ـ وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكة، أعلاها وأسفلها، بغير قائد، وكان شاعرًا، وكانت عنده الفَرْعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمه أميمةَ بنت عبد المطلب بن هاشم ـ فغُلِّقت دارُ بني جحش هجرةً، فمرّ بها عُتبة بن ربيعة. والعبَّاس بن عبد المطلب، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة، وهي دار أَبَان بن عثمان اليوم التي بالردم، وهم مُصْعِدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عُتْبَةُ بن ربيعة تَخْفُق أبوابُها يَبَابًا ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفَّس الصُّعَداء، ثم قال:

وكلّ دار وإن طالت سلامتُها ... يومًا ستُدركها النَّكْباء والحُوب

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبي دُؤاد الإيادي في قصيدة له. والحوب: التوجع.

قال ابن إسحٰق: ثم قال عتبةُ: أصبحت: دارُ بَني جحش خلاءً من أهلها! فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قُلّ بنِ قُلّ.

قال ابن هشام: القُلّ: الواحد. قال لبيد بن ربيعة:

كلّ بني حرّةٍ مصيرُهم ... قُلّ وإن أكثرتْ من العَددِ

قال ابن إسحٰق: ثم قال: هذا عمل ابن أخي هذا، فرّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا وقطّع بيننا فكانَ منزِلُ أبي سَلَمَة بنِ عبدِ الأسَدِ، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأخيه أبي أحمد بن جحش، على مبشَر بن عبد المنذر بن نبر بقُباء، في بني عمرو بن عوف، ثم قدم المهاجرون أرْسالاً، وكان بنو غَنْم بن دُودان أهلَ إسلام، قد

الشعر الذي تمثل به أبو سفيان:

فصل: ذكر البيت الذي تمثل به أبو سفيان حين مَرَّ بدار بني جحش تَخْفُقُ أبوابُها، وهو قوله:

وكل بَيْتٍ وإن طالت سلامَتُه ... يومًا ستدركه النَّكْباءُ والحَوْب

كل امرئٍ بلقاءِ الموت مرتهن ... كأنه غَرَضٌ للموت مَنْصُوب

والشعر لأبي دُؤادِ الإيَادِيُّ واسمه: حَنظَلَة بن شرقي، وقيل: جارية بن الحجاج ذكر دار بني جحادة، وأنها عند دار أبان بن عثمان بالرَّدْم، والرَّدْمُ حَفْرِ بالقتلى في الجاهلية، فسمي: الرِدْم، وذلك في حرب كانت بين بني جُمَح، وبين بني الحارث بن فهر، وكانت الدَّبَرَةُ فيها على بني الحارث، ولذلك قَلَّ عددُهم، فهم أقل قريش عددًا.

أوعبوا إلى المدينة مع رسولِ الله ﷺ هجرةً رجالهم ونساؤهم: عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وعُكَّاشة بنِ مخصَن، وشجاع، وعقبة، ابنا وهب وأَرْبَد بن جُمَيْرة.

قال ابن هشام: ويقال ابن حُمَيْرة.

قال ابن إسحٰق: ومُنْقِذ بن نُباتة، وسعيدُ بن رُقَيش، ومحرِز بن نَضْلة، ويزيد بن رُقَيْش، وقيس بن جابر، وعمرو بن مِحْصَن، ومالك بن عمرو، وصَفْوان بن عمرو، وثَقْف بن عمرو، وربيعة بن أكثم، والزبير بن عبيد، وتمّام بن عبيدة، وسَخْبرة بن عبيدة، ومحمد بن عبد الله بن جحش.

ومن نسائهم: زينب بنت جحش، وأمّ حَبيب بنت جحش، وجُذَامَة بنت جَنْدل، وأمّ قَيْس بنت مِحْصَن، وأمّ حبيب بنت ثُمَامَة، وآمنة [أو أميمة] بنت رُقَيش، وسَخْبرة بنت تميم، وحَمْنة بنت جحش.

وقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب، وهو يذكر هجرة بني أسد بن خزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة:

ولو حلفتْ بين الصَّفا أمّ أحمد ... ومَـرْوتـهـا بـالله بـرّت يـمـيـنُـهـا
لَنَحْنُ الأُلَى كنّا بها، ثم لم نزل ... بـمـكّـة حتـى عـاد غَثًّـا سَمِينـهـا
بها خيَّمت غَنْم بن دودان وابتنتْ ... وما إنْ غَدَت غَنْمٌ وخَفّ قَطِينها
إلى الله تـغـدو بـيـن مَثْنى وواحـد ... وديـن رسـول الله بـالـحـقّ ديـنُـهـا

وقال أبو أحمد بن جَحْشٍ أيضًا:

لـمَّـا رأتـنـي أمُّ أحـمـد غـاديًـا ... بِذِمَّةَ مَن أخشى بغَيْبٍ وأَرْهَب
تـقـول: فـإما كـنـتَ لا بـدّ فـاعـلاً ... فـيَـمّم بـنـا الـبـلـدان ولـتَـنْأَ يَثْرِبُ
فقلت لها: بل يَثْرِبُ اليومَ وجهُنا ... وما يَشإِ الرَّحمٰن فالعبدُ يركب
إلى الله وَجهي والرسول ومن يُقم ... إلـى الله يـومًـا وجـهَـه لا يُـخـيَّـب
فكم قد تركنا من حَميم مُناصِح ... ونـاصـحـةٍ تَـبْـكـي بـدَمْـع وتـنـدب
تـرى أن وِتـرًا نَـأْيُـنـا عـن بـلادنـا ... ونـحـن نَـرَى أنَّ الـرَّغـائـب نـطْـلُـب

وذكر ابن إسحٰق شعر أبي أحمد بن جَحْش وفيه:

إلى الله وجهي والرسول ومن يُقِمْ ... إلـى الله يـومًـا وَجْـهَـه لا يُـخَـيَّـبِ

دعوْت بني غَنْم لِحَقْن دمائِهِم | ولِلحَق لمَّا لاحَ للنَّاس مَلْحَب
أجابوا بحَمدِ الله لمَّا دعاهُم | إلى الحقّ داعٍ والنجاح فأوْعبوا
وكنَّا وأصحابًا لنا فارقوا الهُدَى | أعانوا علينا بالسِّلاح وأجْلَبوا
كفَوْجَيْن: أمَّا منهما فمُوفَّقٌ | على الحقّ مهديّ، وفوج معذّب
طغَوْا وتمنَّوا كذبة وأزلَّهم | عن الحقّ إبليس فخابوا وخُيِّبوا
وَرُغْنَا إلى قول النبيّ محمد | فطاب وُلاة الحقّ منا وطُيّبوا
نَمُتّ بأرحام إليهم قريبةٍ | ولا قرب بالأرحام إذ لا نُقرَّب
فأيّ ابن أخت بعدنا يأمَننَّكم | وأيّة صِهْر بعد صهريَ تُرقب
ستعلم يومًا أيُّنا إذ تزايلوا | وزُيّل أمر النَّاس للحقّ أصوب

قال ابن هشام: قوله: «ولَتَنأَ يثرب»، وقوله: «إذ لا نقرب»، عن غير ابن إسحٰق.
قال ابن هشام: يريد بقوله: «إذ» إذا، كقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال أبو النجم العجليّ:

ثم جزاهُ الله عنَّا إذْ جَزَى | جنَّات عدنٍ في العلاليّ والعُلا

هكذا يروى بكسر الباء على الإقواء، ولو روي بالرفع لجاز على الضرورة ويكون تقديره: فلا يُخَيَّبُ بإضمار الفاءِ في مذهب أبي العباس، وفي مذهب سيبويه: يجوز أيضًا لا على إضمار الفاء، ولكن على نية التقديم للفعل على الشرط كما أنشدوا:

إنك إن يُصْرَعْ أخوك تُصْرَعُ

وهو مع إن أحسن، لأن التقدير إنك تُصْرَعُ إنْ يُصْرَعْ أخوك، وأنشدوا أيضًا:

مَنْ يَفْعَلِ الحسناتِ اللهُ يَشْكُره[1]

على هذا التقدير: وفي الشعر أيضًا:

ولا قرب بالأرحام إذ لا تُقرَّب

وتأول ابن هشام إذ هنا بمعنى: إذا وهو خطأ من وجهين، أحدهما: أن الفعل المضارع لا يحسُن بعد إذا مع حرف النفي، وإنما يحسُن بعد إذ كقوله سبحانه: ﴿إذ يقول المنافقون﴾ [الأنفال: ٤٩] ولو قلت: سآتيك إذا تقول كذا، كان قبيحًا إذا أخرتها، أو قدمت

(١) انظر كتاب سيبويه (١/ ٤٣٥).

....

الفعل لما في إذا من معنى الشرط، وإنما يحسن هذا في حروف الشرط مع لفظ الماضي، تقول: سآتيك إن قام زيد وإذا قام زيد، ويقبح: سآتيك إن يقم زيدٌ لأن حرف الشرط إذا أخر ألغي، وإذا ألغي لم يقع الفعل المعرب بعده، غير أنه حسن في كيف نحو قوله سبحانه: ﴿يُنْفِقُ كيف يشاء﴾ [المائدة: ٦٤]، و ﴿يَبْسُطه في السماء كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤٨] لِسِرٍّ بديع لعلنا نذكره إن وجدنا لِشَفْرَتِنا مَحَزًّا، ويحسن الفعل المستقبل مع إذا بعد القَسَم كقوله تعالى: ﴿والليل إِذا يَسْري﴾ [الفجر: ٤] لانعدام معنى الشرط فيه، فهذا وجه، والوجه الثاني: أن إذ بمعنى إذا غير مَعْروفٍ في الكلام، ولا حكاه ثَبْتٌ، وما استشهد به من قول رُؤْبَةَ ليس على مَا ظنَّ إنما معناه: ثم جزاه الله ربي إن جزى، أي من أجل أن نفعني وجزى عني، كما قال تعالى: ﴿يومًا لا تَجزِي نفسٌ عن نَفْسٍ شيئًا﴾ [البقرة: ٤٨] جزى: مضمر عائد على الرجل الممدوح، وإذ بمعنى أن المفتوحة كذا قال سيبويه في سواد الكتاب، ويشهد له قوله سبحانه: ﴿بعد إذ أنتم مُسْلِمون﴾ [آل عمران: ٨٠] وعليه يحمل قوله سبحانه: ﴿ولن يَنْفَعُكُم اليومَ إذْ ظَلَمْتُم﴾ [الزخرف: ٣٩] وغفل النسوي عما في الكتاب من هذا، وجعل الفعل المستقبل الذي بعد لن عاملاً في الظرف الماضي، فصار بمنزلة مَن يقول: سآتيك اليوم أمس، وهذا هراء من القول، وغفلة عما في كتاب سيبويه، ولَيْتَ شِعْرِي ما يقول في قوله سبحانه: ﴿وإذ لم يَهْتَدُوا به فَسَيَقُولون هذا إفْكٌ قديم﴾ [الأحقاف: ١١] فإن جَوَّز وقوع المستقبل في الظرف الماضي على أصله الفاسد، فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لا سيَّما مع السين، وهو قبيح أن تقول: غدًا سآتيك، [illegible] إن قلت: غدًا فسآتيك، فكيف إن زدت على هذا وقلت: أمسِ فسآتيك، وإذ على أصله بمنزلة أمسِ، فهذه فضائح لا غطاء عليها.

فإن قال قائل: فكيف الوجه في قوله سبحانه: ﴿ولو ترى إذْ وُقِفُوا﴾ [الأنعام: ٣٠] وكذلك: ﴿ولو تَرَى إذ المجرمون ناكسوا رُؤوسهم﴾ [السجدة: ١٢] أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى إذا التي تعطى الاستقبال؟

قيل له: وكيف تكون بمعنى إذا، وإذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر، وقد قال سبحانه: ﴿إذ المجرمون نَاكِسُوا رُؤوسهم﴾ وإنما التقدير: ولو ترى نَدَمهم وحُزنَهم في ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار، فإذْ ظرفٌ ماض على أصله، ولكن بالإضافة إلى حزنهم وندامتهم، فالحزن والندامة واقعان بعد المعاينة والتوقيف، فقد صار وقت التوقيف ماضيًا بالإضافة إلى ما بعده، والذي بعده هو مفعول ترى، وهذا نحو مما يتوهم في قوله سبحانه: ﴿فانطلقا حتى إذا رَكِبا في السفينة خَرَقَها﴾ [الكهف: ٧١] فيتوهم أن إذا

....

هاهنا بمعنى إذ، لأنه حديث قد مضى، وليس كما يتوهم، بل هي على بابها، والفعل بعدها مستقبَل بالإضافة إلى الانطلاق، لأنه بعده، والانطلاق قبله، ولولا حتى، ما جاز أن يقال إلا انطلقا إذ ركِبا، ولكن معنى الغاية في حتى دل على أن الركوب كان بعد الانطلاق وإذا كان بعده، فهو مستقبل بالإضافة إليه، وكذلك مسألتنا الحزن، وسوء الحال الذي هو مفعول لترى، وإن كان غير مذكور في اللفظ، فهو بعد وقت الوقوف، فوقف الوقوف ماض بالإضافة إليه، وإذ لم يكن بد من حذف، فكذلك نقدر حذفًا في قوله تعالى: ﴿وإذْ لم يَهْتَدوا به﴾ [الأحقاف: ١١] ونحوه لأنها وإن كانت بمعنى أن، فلا بد لها من تَعَلُّقٍ، كأنه قال: جُزيتم بهذا من أجل أن ظلمتم، أو من أجل أن لم يَهْتَدُوا به ضَلُّوا.

وذكر في نساء بني جَحْش: جُذَامة بنت جَنْدلَ، وأحسبه أراد جُذَامَة بنت وَهْب بن مِخْصَن، وهي المذكورة في حديث الرضاع في المُوَطَّأ، وقال فيها خلف بن هشام البزار: جُذَامة بالذال المنقوطة هكذا ذكر عنه مُسْلِم بن الحجاج، والمعروف: جُدَامة بالدال، وقد يقال فيها جُدَّامة بالتشديد، والجُدَامة قصب الزرع، وأملى علينا أبو بكر الحافظ، وكتبت عنه بخط يدي قال المبارك بن عبد الجبار عن أبي إسحٰق البَرْمَكِيّ عن محمد بن زكريا بن حبويه عن أبي عمر الزاهد المطرز قال: الجُدَّامة: بتشديد الدال طَرَف السَّعَفَة وبه سميت المرأة، وكانت جُدَامَةُ بنت وَهْب تحت أُنَيسِ بن قتادة الأنصاري وأما جُدَامة بنت جَنْدَلٍ، فلا تُعرف في آل جحش الأسديين، ولا في غيرهم، ولعله وَهْمٌ وقع في الكتاب، وأنها بنت وهب بن مِخْصَن بنت أخي عُكَّاشة بن مِخْصَن، كما قدمنا والله أعلم.

وذكر في بني أسد ثُقْفَ بن عمرو، ويقال فيه: ثِقَافٌ شهد هو وأخوه مِدْلاج [أو مدلج] بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا وقال موسى بن عقبة قتل يوم خَيْبر قتله أسير [بن رزام] اليهوديّ.

وذكر فيهم أُم حَبيب بنت ثُمَامة، وهي مما أغفله أبو عُمَر في كتابه، وأغفل أيضًا ذكر ثُمَام بن عبيدة، وهو ممن ذكره ابن إسحٰق في هذه الجملة المذكورين من بني أسد.

وذكر ابن إسحٰق في هذه الجملة أَرْبَدَ بن جميرة الأسدي بالجيم، وقاله ابن هشام: حُمَيْرة بالحاء، ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحٰق بخلاف ما رواه البكّائي وابن هشام، فقال فيه ابن حُمَيِّر بتشديد الياء، كأنه تصغير حمار.

وذكر فيهم مخرِز بن نَضْلَة، ولم يرفع نسبه، وهو ابن نَضْلَة بن عبد الله بن مُرَّة بن

هجرة عمر وقصة عياش معه

قال ابن إسحاق: ثم خرج عمر بن الخطّاب، وعيّاش بن أبي ربيعة المخزومي حتى قدما المدينة. فحدّثني نافع مَوْلى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: اتّعدتُ، لما أردنا الهجرةَ إلى المدينة، أنا وعَيّاش بن أبي

غَنْم بن دُودَان بن أَسَد [بن خزيمة] قتل في غزوة ذي قَرَد[1] شهيدًا، وكان قد شهد بدرًا، وكان يعرف بالأخرم، ويلقب: فُهَيْرة، وقال فيه موسى بن عقبة مُحْرِز بن وَهْبٍ، ولم يقل ابن نَضْلَة.

وذكر ابن إسحاق أيضًا يزيد بن رُقَيْش، وبعضهم يقول فيه: أَرْبَد ولا يصح، وهو ابن رُقَيْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن كبَيْر بن غَنْم بن دُودَان: وذكر فيهم رَبِيعة بن أَكْثَم، ولم ينسبه وهو ابن أكثم بن سَخْبَرة بن عمرو بن نُقَيْر بن عامر بن غَنْم بن دُودَان بن أسد يكنى: أبا يزيد، وكان قصيرًا دَحْدَحًا قُتِل يوم خيبر بالنَّطَاةِ[2] قتله الحارث اليهوديّ.

هجرة عمر وعياش[3]

ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد، كأنه جمع تَنْضُبُ [واحدته تَنْضُبة] وهو ضَرْب من الشجر، تألفه الحِرْبَاءُ. قال الشاعر:

إنّـي أُتِـيـح لـه حِـرْبَـاء تَـنْـضُـبَـةٍ ... لا يُرْسِلُ الساقَ إلاّ مُمْسِكًا ساقا

ويقال لثمره الممتع وهو فُنْعَلِل أدغمت النون في الميم وظاهر قول سيبويه: أنه فعلل وأنه مما لحقته الزيادة بالتضعيف، والقول الأول يقوّيه أن مثله الهُنْدَلِع، وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر القِسِيُّ كما تتخذ من النَّبع والشوط والشريان والسراء والأشكل، ودخان التنضب، ذكره أبو حنيفة في النبات.

وقال الجَعْدِيُّ:

كـأنَّ الـغُـبَـارَ الـذي غـادرت ... ضـحَـيـا دَوَاخِـنُ مـن تَـنْـضُـبِ

شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه. وقال آخر [عُقَيْل بن عُلفة المُرّي]:

وَهـلْ أَشْـهَـدَنْ خَـيْـلاً كـأن غُـبـارَهـا ... بـأسْـفَـلِ عـلْـكَـدٌ دواخِـنُ تَـنْـضُـبِ

---

(١) موضع على بُعْد ليلتين من المدينة. وسيأتي ذكرها.

(٢) النطاة: أرض بخيبر.

(٣) انظر البداية (٣/ ١٧٠) ط. دار الكتب العلمية.

رَبيعة [واسمه: عمرو ويلقب ذا الرمحين]، وهشام بن العاصي بن وائل السهميّ التَّناضِبَ من أَضَاة بني غِفَار، فوق سَرِف، وقلنا: أيُّنا لم يُصْبِح عندها فقد حُبِس فَلْيَمْضِ صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة عند التَّناضب، وحُبس عنا هشام، وفُتن فافتتن.

فلما قدمنا المدينةَ نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارثُ بن هشام إلى عَيَّاش بن أبي ربيعة، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قَدِما علينا المدينةَ، ورسولُ الله ﷺ بمكة، فكلَّماه وقالا: إنّ أُمّك قد نذرت أن لا يمس رأسَها مُشْطٌ حتى تراك، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك، فرقّ لها، فقلت له: يا عَيَّاش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أُمّك القملُ لامتشطت، ولو قد اشتدّ عليها حرُّ مكة لاستظلَّت. قال: فقال: أَبَرُّ قَسَمَ أُمّي، ولي هنالك مالٌ فآخذه. قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصفُ مالي ولا تذهبْ معهما. قال: فأبى عليّ إلا أن يخرج معهما؛ فلما أبى إلا ذلك؛ قال: قلت له: أمَّا إذ قد فعلتَ ما فعلت، فخُذْ ناقتي هذه، فإنه ناقةٌ نجيبة ذَلول فالْزَمْ ظهرها، فإن رابك من القوم ريبٌ، فانجُ عليها: فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا ابن أخي، والله لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعْقِبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ، وأناخا ليتحوّل عليها، فلما استَوَوْا بالأرض عدَوَا عليه، فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن.

وأَضَاةُ بني غِفَارٍ على عشرة أميال من مَكَّة، والأَضاةُ الغَدِيرُ، كأنها مقلوب من وَضْأة على وزن فَعْلَة، واشتقاقه من الوَضَاءَةِ بالمد وهي النظافة، لأن الماء ينظف، وجمع الأَضاة إضَاءٌ وقال النابغة [في صفة الدروع]:

عُـلِـيـن بِـكَـدْيَـوْنٍ وأُبْـطِـنَّ كُـرَّةً ... وهُـنَّ إِضَـاءٌ صـافـيـات الـغـلائِـل

[وأضَيَات، وأضواتٌ وأَضًا وإضُون]. وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب، فتكون الهمزة بدلاً من الواو المكسورة في وِضاء، وقياس الواو المكسورة تقتضي الهمز على أصل الاشتقاق، ويكون الواحد مقلوبًا لأن الواو المفتوحة لا تهمز، مع أن لام الفعل غير همزة، وقد يجوز أن يكون الجمع محمولاً على الواحد فيكون مقلوبًا مثله. ويقال أضاءَة بالمد، وقد يجمع أضَاة على إضين، قاله أبو حنيفة وأنشد:

مَـحَـافِـرُ كَـأَسْـرِيَـة الإضِـيـنـا

الأَسْرِيَةُ: جمع سَرِيٍّ، وهو الجَدْوَل، ويقال له أيضًا: السَّعِيد.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني به بعض آل عيَّاش بن أبي ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارًا موثقًا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسُفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي

قال ابن إسحٰق: وحدّثني نافع، عن عبد الله بن عمر، عن عمر في حديثه، قال: فكنَّا نقول: ما الله بقابلٍ ممن افتتن صَرْفًا ولا عَدْلاً ولا توبة، قوم عَرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكُفر لبلاءٍ أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. فلما قَدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ، أنزل الله تعالى فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ وأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُم العَذَابُ ثُمَّ لا تنصَرُونَ واتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[الزمر: ٥٣ ـ ٥٥].

قال عمر بن الخطاب: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاصي قال: فقال هشام بن العاصي: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوَى، صعَّد بها فيه وأصَوِّب ولا أفهمها، حتى قلت اللهمّ فَهِّمْنِيها. قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا، وفيما كنَّا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه، فلحقتُ برسول الله ـ ﷺ ـ وهو بالمدينة.

قول هشام بن العاص

فصل: وذكر نزول الآية: ﴿قُلْ يا عِبَادِيَ الذين أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهم لاَ تَقْنَطُوا من رَحْمَة الله﴾ [الزمر: ٥٣] الآية في المستضعفين بمكة، وقول هشام بن العاص: ففاجأتني وأنا بذي طُوًى. طَوًى: مقصور موضع بأسفل مكة، ذكر أن آدم لما أهبط إلى الهند، ومشى إلى مكة، وجعل الملائكةُ، تنتظره بذي طِوًى، وأنهم قالوا له: يا آدمُ ما زلنا ننتظرك هاهُنا منذ ألفي سنة[١]، وروي أن آدم كان إذا أتى البيتَ خلع نعليه بذي طُوًى، وأما ذو طُوَاء بالمد، فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البَكْرِي، وأما طوًى بضم الطاء والقصر المذكور في التنزيل، فهو بالشام اسم للوادِي المُقَدَّس، وقد قيل: ليس باسم له، وإنما هو من صفة التَّقْديس، أي: المُقَدَّس مرتين.

---

(١) لا صحة لهذا.

الوليد بن الوليد وعياش وهشام:

قال ابن هشام: فحدّثني من أثق به: أنَّ رسول الله ﷺ قال وهو بالمدينة: «مَنْ لي بعيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي»؟ فقال الوليد بن الوليد بن المُغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فقَدِمها مستخفيًا، فلقي امرأة تحمل طعامًا، فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين ـ تَعْنيهما ـ فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سَقْف له؛ فلما أمسى تسوّر عليهما، ثم أخذ مَرْوة. فوضعها تحت قَيْدَيْهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسفيه: «ذو المَرْوة». لذلك، ثم حملهما على بعيره، وساق بهما، فعثر فدَميت أصبعُه، فقال:

هل أنتِ إلا أصبعٌ دَمِيتِ وفي سبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله ـ ﷺ المدينة.

منازل المهاجرين بالمدينة:

قال ابن إسحٰق: ونزل عمر بن الخطَّاب حين قدم المدينةَ، ومَنْ لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطَّاب، وعمرو وعبد الله ابنا سُرَاقة بن المعتمر وخُنَيس بن حُذافة السّهميُّ ـ وكان صهرَه على ابنته حَفْصَة بنت عمر، فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده ـ وسعيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وواقد بن عبد الله التَّميمي، حليف لهم؛ وخَوْليّ بن أبي خَوْلِيّ، ومالك بن أبي خَوْلِيّ حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خَوْلِيّ: من بني عجل بن لُجَيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحٰق: وبنو البُكَيْر أربعتهم: إياس بن البُكَير، وعاقل بن البُكَير، وعامر بن البُكَير، وخالد بن البُكَير، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، على رفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر، في بني عمرو بن عوف بقباء، وقد كان منزل عيَّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة.

ثم تتابع المهاجرون، فنزل طَلْحةُ بن عبيد الله بن عثمان، وصُهَيْب بن سِنان على خُبيب بن إساف أخي بَلْحارث بن الخزرج بالسُّنح. قال ابن هشام: ويقال: يساف فيما

نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف:

فصل: وذكر نزول طلحةَ وصهيب على خُبَيْبِ بن إسَاف ويقال فيه يَسَاف بياء مفتوحة في غير رواية الكتاب، وهو إساف بن عِنَبَة، ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مُسلمًا في

أخبرني عنه ابن إسحٰق. ويقال: بل نزل طلحة بن عُبيد الله على أسعد بن زُرارة، أخي بني النَّجَّار.

قال ابن هشام: وذُكر لي عن أبي عثمان النَّهديّ، أنه قال: بلغني أن صُهَيْبًا حين أراد الهجرة قال له كفَّار قريش: أتيتنا صُعْلوكًا حقيرًا، فكثُرَ مالُك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك، فقال لهم صُهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فإني جعلت لكم مالي. قال: فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «رَبِحَ صُهيب رَبِحَ صُهيب»(١).

منزل حمزة وزيد وأبي مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة

قال ابن إسحٰق: ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مَرْثد كنَّاز بن حِصن.

قال ابن هشام: ويقال: ابن حُصَين ـ وابنه مرثد الغنويان، حليفا حمزة بن عبد المطلب، وأَنَسَة، وأبو كبْشة، موليا رسول الله ﷺ، على كُلْثوم بن هِدم، أخي بني

قول الواقدي بل تأخر إسلامه، حتى خرج رسول الله ـ ﷺ ـ إلى بدر، قال خُبَيْبٌ: فخرجت معه أنا ورجل من قومي، وقلنا له: نكره أن يشهدَ قومُنا مشهدًا لا نشهده معهم، فقال: أسلمتما؟ فقلنا: لا، فقال: ارجعا، فإنا لا نستعين بمشرك.

وخُبَيْبٌ هو الذي خلف على بنت خارجة بعد أبي بكر الصديق، واسمها: حَبِيبَةٌ، وهي التي يقول فيها أبو بكر عند وفاته: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية، وهي: بنت خارجة بن أبي زُهير، والجارية: أم كُلثُوم بنت أبي بكر، مات خُبَيْبٌ في خلافة عثمان، وهو جَدُّ خُبَيْبِ بن عبد الرحمٰن، الذي يروى عنه مالكٌ في مُوَطَّئِه.

أبـو كبشـــة

وذكر أَنَسَة وأبا كَبْشَة في الذين نزلوا على كُلثُوم بن الهِدْم، فأما أَنَسَةُ مولى رسول الله ـ ﷺ، فهو من مُوَلَّدِي السَّرَاة، ويُكْنى: أبا مَسْروح، وقيل: أبا مِشْرَح شهد بدرًا، والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ ومات في خلافة أبي بكر، وأبو كَبْشة اسمه: سليم يقال إنه من فارس، ويقال: من مُوَلَّدِي أرضِ دَوْس، شهد بدرًا والمشاهد كلَّها مع رسول الله ـ ﷺ ـ ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عُرْوةُ بن الزُّبير، وأما الذي كانت

---

(١) انظر الطبقات (٣/١/١٦٢) وابن عساكر في تهذيبه (٦/٤٥٢).

عمرو بن عوف بقُبَاء: ويقال: بل نزلوا على سعد بن خَيْثمة؛ ويقال: بل نزل حمزةُ بن عبد المطلب على أسعد بن زُرارة، أخي بني النجَّار. كلّ ذلك يقال:

ونزل عُبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخوه الطُّفيل بن الحارث، والحُصين بن الحارث؛ ومِسْطَح بن أُثاثة بن عبَّاد بن المطلب، وسُويبط بن سعد بن حُريملة، أخو بني عبد الدار، وطُليب بن عُمير، أخو بني عبد بن قُصَيّ، وخبَّاب مولى عُتبة بن غَزْوان، على عبد الله بن سلمة، أخي بَلْعجلان بقُباء.

ونزل عبد الرحمٰن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بَلْحارث بن الخزرج، في دار بَلْحَارِث بن الخزرج.

كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام إليه، وتقول: قال ابن أبي كَبْشَةَ وفعل ابن أبي كَبْشَة، فقيل فيه أقوال: قيل: إنها كُنْية أبيه لأُمه وَهْبِ بن عبد مناف، وقيل: كُنْية أبيه من من الرضاعة الحارث بن عبد العُزّى، وقيل: إن سَلْمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كَبْشَة، وهو عمرو بن لَبِيد، وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشِّعْرى وحده دون العرب، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه.

وذكر الدارَقُطْني اسم أبي كَبْشَة هذا في المؤتلف والمختلف، فقال: اسمه وَجْزُ بن غالب، وهو خُزَاعِيٌّ، وهو من بني غُبْشَانَ.

وذكر نزولهم بقُبَاء، وهو مسكن بني عمرو بن عوف وهو على فرسخ من المدينة، وهو يُمَد ويُقْصَر ويُؤَنَّث ويذَكَّر، ويُصْرف ولا يُصْرَف، وأنشد أبو حاتم في صَرْفه:

وَلأَبْغِيَنَّكُمْ قُبًا [و] عُوَارِضًا ولأُقْبِلَنَّ الخيلَ لاَبَةَ ضَرْغَدِ

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت في الدلائل قُبا بضم القاف و [فتح] الباء وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعًا، وإنما هو كما أنشده سيبويه: قَنًا وعُوارِضًا، لأن قَنًا جَبَلٌ عند عُوارِض يقال له، ولجبل آخر معه قَنَوَان، وبينهما وبين قباء مسافات وبلاد، فلا يصح أن يقرن قُباء الذي عند المدينة مع عُوارِض وقَنَوَيْن، وكذا قال البكري في مُعْجَم ما استعجم وأنشد: [المعقِل بن ضِرارَ بن سنان الملقب بالشَّماخ].

كأنها لما بدا عُوَارِضُ والليلُ بين قَنَوَيْنِ رَابِضُ

وقُبَاء: مأخوذ من القَبْو، وهو الضَّمُّ والجمعُ قاله أبو حنيفة، وقال: القَوَابِي: هن اللواتي يجمعن العصفر واحدتهن: قَابِيَةٌ. قال: وأهلُ العربية يسمون الضمة من الحركات قَبْوًا، وأما قولهم: لا والذي أخرج قُوبًا من قابية يعنون: الفَرْخَ من البَيْضَة فمن قال فيه:

ونزل الزبير بن العوّام، وأبو سبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزَّى، على مُنْذِر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيْحَة بن الجُلاَح بالعُصبة، دار بني جَحْجَبَى.

ونزل مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم، أخو بني عبد الدار على سعد بن مُعَاذ بن النّعمام، أخي بني عبد الأشهل، في دار بني عبد الأشهل.

ونزل أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حُذيفة.

قال ابن هشام: سالم مَوْلَى أبي حُذيفة سائبةً، لثُبَيْتة [أو نَبَيْتَة] بنت يَعَار بن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوْسِ، سَيَّبته فانقطع إلى أبي حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة فتَبَنَّاه، فقيل: سالم مَوْلَى أبي حذيفة ويقال: كانت ثُبيتة بنت يَعار تحت أبي حُذيفة بن عُتبة فأعتقت سَالمًا سائبةً. فقيل: سالم مولى أبي حُذيفة.

قابية بتقديم الباء، فهو القَبْو الذي يقدم، ومن قال فيه: قابية، فهو من لفظ القُوبِ لأنهَا تَتَقَوَّب عنه، أي تَتَقَشَّرُ قال الكميت يصف النساء:

لَـهُـنَّ ولـلْـمَـشِـيـبِ ومَـنْ عَـلاَهُ ... مِـن الأمـثـال قـابِـيـةٌ وقُـوبُ

وفي حديث عمر: فكانت قابيَةَ قُوبٍ عامها، يعني: العُمْرة في أشهر الحج، وقد ذكر أن قُبَاء اسم بئرٍ عُرِفت القرية بها.

سالم مولى أبي حذيفة:

فصل: وذكر سالمًا مَوْلى أبي حُذَيْفَة الذي كان أبو حذيفة قد تَبَنَّاه كما تبنى رسولُ الله - ﷺ - زيدًا، وكان سائبةً أي: لاَ ولاءَ عليه لأحد، وذكر المرأة التي أعتقته سائِبةً، وهي ثبيتة بنتَ يعَار، وقد قيل في اسمها بُثَيْنَة ذكره أبو عمر، وذكر عن الزُّهري أنه كان يقول فيها: بنت تَعَار، وقال ابن شيبة في المعارف: اسمها سَلْمى [وقال ابن حبان: يقال لها: ليلمة] ويقال في اسمها أيضًا: عمرة، وقد أَبطل التَّسْبيبَ في العِتْق كثيرٌ من العلماء، وجعلوا الوَلاَءَ لكل مَنْ أَعْتَقَ أخذًا بحديث النبي ﷺ في ذلك وحَمْلاً له على العموم، ولما روى أيضًا عن ابن مسعود أنه قال: لا سائبة في الإسْلاَم، ورأى مالكٌ ميراثَ السائبة لجماعة المسلمين، ولم ير ولاءه لمن سَيَّبه، فكان للتسييب والعتق عنده حكمان مختلفان، وسالم هذا هو الذي أمر رسولُ الله ﷺ سَهْلة بنت سُهَيْل أن ترضعَه ليحرُم عليها، فأرضعته وهو ذو لحية.

قال ابن إسحاق: ونزل عُتْبة بن غَزْوان بن جابر على عبَّاد بن بشرا بن وقَش أخي بني عبد الأشهل في دار عبد الأشهل.

ونزل عثمان بن عفَّان على أوس بن ثابت بن المُنذِر، أخي حسَّان بن ثابت في دار بني النجَّار، فلذلك كان حسَّان يحبّ عثمان ويبكيه حين قُتل.

وكان يقال: نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خَيْثمة، وذلك أنه كان عَزَبا، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

فإن قيل: كيف جاز له أن ينظر إلى ثديها، فقد روي في ذلك أنها حلبت له في مِسْعَط وشرب اللبن[1]، ذكر ذلك محمد بن حبيب.

---

(١) انظر الحديث في مسلم في الرضاع (٢٧/٢٨) وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد.

خبر الندوة وهجرة الرسول ﷺ

وأقام رسولُ الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذَن له في الهجرة، ولم يتخلَّف معه بمكة أحدٌ من المهاجرين إلا من حُبس أو فُتن، إلا عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قُحافة الصدّيق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسولَ الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «لا تعجل لعلَ الله يجعل لك صاحبًا»، فيطمع أبو بكر أن يكونه.

الملأ من قريش يتشاورون في أمر الرسول ﷺ

قال ابن إسحٰق: ولـمَّا رأت قريش أن رسول الله - ﷺ - قد صارت له شِيعةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا، وأصابوا منهم مَنَعة، فحَذِرُوا خروجَ رسول الله ﷺ إليهم، وعَرفوا أنهم قد أجمع لحَرْبهم. فاجتمعوا له في دار النَّدوة - وهي دار قصيّ بن كلاّب التي كانت قريش لا تَقْضي أمرًا إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، حين خافوه.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني من لا أتّهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد بن جَبْر أبي الحجَّاج، وغيره ممن لا أتهم، عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما قال: لمَّا أجمعوا لذلك، واتَّعدوا أن يدخلوا في دار النَّدوة ليتشاوروا فيها في أمر

اجتماع قريش للتشاور في أمر النبي ﷺ[1]

ذكر فيه تمثلُ إبليس - حين أتاهم - في صورة شيخ جليل وانتسابه إلى أهل نجد.

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٢/ ٣٧٠) البداية والنهاية (٣/ ١٧٣) الكامل (٢/ ٣) الدلائل (٢/ ٤٦٥) المنتظم (٣/ ٤٥) الاكتفاء (١/ ٤٣٨).

رسول الله ـ ﷺ ـ غدَوا في اليوم الذي اتَّعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يومَ الزَّحْمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بتلة، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفًا على بابها، قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سَمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يُعْدِمكم منه رأيًا ونُصحًا، قالوا: أجل، فأدخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرافُ قُرَيش، من بني عبد شمس: عُتبة بن رَبيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب. ومن بني نَوْفل بن عبد مناف: طُعَيمة بن عديّ، وجُبير بن مُطْعِم، والحارث بن عامر بن نوفل: ومن بني عبد الدار بن قصيّ: النضرُ بن الحارث بن كَلدة. ومن بني أسد بن عبد العزّى: أبو البَخْتَرِيّ بن هشام، وزَمْعَةَ بن الأسود بن المُطَّلِب، وحكيم بن حزَام. ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام. ومن بني سَهم: نبيه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج، ومن بني جُمَح: أُمَيَّة بن خَلَفٍ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش.

قوله في صورة شيخ جليل يقول: جَلَّ الرجل وجلت المرأة إذا أسَنَّت، قال الشاعر:

وما حظها أن قيل عَزَّتْ وجَلَّت

ويقال منه: جلَلْتَ يا رجل بفتح اللام، وقياسه جَلُلْتُ لأن اسم الفاعل منه: جليل، ولكن تركوا الضَّمَّ في المضاعف كلّه استثقالاً له مع التضعيف إلا في لَبُبْت، فأنتَ لبيب، حكاه سيبويه بالضَّم على الأصل.

وإنما قال لهم: إني من أهل نجد فيما ذكر بعضُ أهل السيرة، لأنهم قالوا: لا يدخلن معكم في المشاورة أحدٌ من أهل تِهَامة لأن هواهم مع محمّد، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نَجْدِي، وقد ذكرنا في خبر بُنْيان الكعبة أنه تمثَّل في صورة شيخ نجدي أيضًا، حين حكَّموا رسول الله ـ ﷺ ـ في أمر الركن: من يرفعه»، فصاح الشيخ النجدي: يا مَعْشَر قريش: أقد رَضِيتم أن يليَه هذا الغلامُ دون أشرافكم وذوي أسنانكم، فإن صح هذا الخبرُ فَلِمَعْنًى آخر تمثل نَجْدِيًا، وذلك أن نجدًا منها يَطْلُع قَرْنُ الشَّيْطانِ، كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ حين قيل له: وفي نَجْدِنا يا رسول الله؟ قال: «هنالك الزلازل والفِتن، ومنها يطلع قَرْنُ الشيطان»[1]، فلم يُبارِك عليها، كما بارَك على اليمن والشام وغيرها، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرِق، فقال: إن الفِتْنَة هاهنا من حيث يطلُع قَرْنُ الشيطان، وفي حديث ابن عمر، أنه حين قال هذا الكلام، ووقف عند باب عائشة، ونظر إلى المشرق فقاله، وفي

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٧).

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجلَ قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمِعوا فيه رأيًا. قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابًا، ثم تَرَبَّصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله، زُهيرًا والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يُصيبَه ما أصابهم، فقال الشيخ النَّجْديّ: لا والله، ما هذا لكم برأي. والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجَنَّ أمرُه من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فَلأَوْشَكوا أن يثِبوا عليكم، فينزِعوه من أيديكم، ثم يُكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: نُخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أُخرج عنَّا فوالله ما نُبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنَّا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. فقال الشيخ النجدِيّ: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تَرَوْا حُسْن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحلّ على حيّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبِّروا فيه رأيًا غير هذا. قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتى شابًا جليدًا نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطي كلَّ فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمِدوا إليه، فيضربوه بها ضربةَ رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعًا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعَقْل، فَعَقَلْناه لهم. قال: فقال الشيخ النجديّ: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره، فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

وقوفه عند باب عائشة ناظرًا إلى المشرق يحذر من الفتن، وفكِّر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة واضمُم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن: أيقظوا صَوَاحِبَ الحُجر، والله أعلم.

وذكَر تشاورَهم في أمر النبي ﷺ، وأن بعضَهم أشار بأن يُحبَس في بيت، وبعضهم بإخراجه عليه السلام من بين أظهرهم ونفيِه، ولم يُسمّ قائل هذا القول، وقال ابن سلام: الذي أشار بحبسه هو أبو البَخْتَرِيّ بن هشام، والذي أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الأسْوَد رِبيعةُ بن عمرو، أحد بني عامر بن لُؤَيّ، وقول أبي جهل: نَسِيبًا وسِيطًا، هو من السِّطة في العشيرة، وقد تقدم في باب تزويجه خديجة معنى الوَسِيط، وأين يكون مدحًا.

مما يقال عن ليلة الهجرة:

فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ، فقال: لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. قال: فلمَّا كانت عَتَمة من الليل اجتمعوا على بابه يَرْصُدُونه متى ينام فيثِبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعليّ بن أبي طالب: «نَمْ على فراشي وتَسجّ ببرْدي هذا الحَضْرميّ الأخضر، فَنَمْ فيه، فإنه لن يَخْلُص إليك شيء تكرهه منهم»، وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرْده ذلك إذا نام.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ قال: لما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال وهم على بابه: إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجُعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بُعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حَفْنة من تراب في يده، ثم قال: «أنا أقول ذلك، أنت أحدُهم»، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يَرَوْنه، فجعل ينثر ذلك الترابَ على رؤوسهم، وهو يتلو هؤلاء الآيات من يَس: ﴿يَس والقُرآنِ الحَكِيم إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ على صِراطٍ مُسْتَقِيم تَنْزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيم﴾.. إلى قوله: ﴿فأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ حتى فرغ رسولُ الله - ﷺ - من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آتٍ ممن لم

وأما قوله على بابه يتطلّعون، فيرون عَلِيًا وعليه بُرْدُ رسول الله ﷺ فيظنونه إياه، فلم يزالوا قيامًا حتى أصبحوا، فذكر بعضُ أهل التفسير السببَ المانع لهم من التَّقَحُّم عليه في الدار مع قِصَر الجِدار، وأنهم إنما جاؤوا لقتله، فذكر في الخبر أنهم همُّوا بالوُلُوج عليه، فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضُهم لبعض: والله إنها للسُّبَّةُ في العَرب أن يُتحدثَ عنا أنا تَسَوَّرْنا الحيطان على بنات العم، وهَتَكْنا سِتر حُرمتنا[1]، فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه، ثم طَمَسَتْ أبصارُهم عنه حين خرج، وفي قراءة الآيات الأُول من سورة: يَس من الفقه التَّذْكِرةُ بقراءة الخائفين لها اقتداءً به عليه السلام، فقد روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن النبي ﷺ في ذكر فضل يَس أنها إن قرأها خائف أمِن، أو جائع شَبه أو عارٍ كُسي، أو عاطش سُقِي حتى ذكر خلالاً كثيرة.

---

(١) كانت هذه هي أخلاق «أهل الجاهلية»: «إنها للسبة في العرب أن يتحدث عنّا أنّا تسوّرنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا». أين هي اليوم بين أتباع النبي ﷺ؟!!.

يكن معهم، فقال: مَا تَنتـظرون هاهنا؟ قالوا: محمدًا، قال: خَيَّبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلاّ وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كُلُّ رجل منهم يدَه على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلَّعون، فَيَروْن عليًّا على الفراش مُتَسَجِّيًا بِبُرْدِ رسولِ الله - ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائمًا، عليه بُرْدُه. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام عليّ - رضي الله عنه - عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدّثنا[1].

الآيات التي نزلت في تربص المشركين بالنبي:

قال ابن إسحٰق: وكان مما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٣٠].

قال ابن هشام: المنون: الموت. وريب المنون: ما يَرِيبُ ويعرض منها.

قال أبو ذُؤَيْبٍ الهذلي:

أمِنَ الـمَـنُـون ورَيْـبِـهـا تَـتَـوَجَّـع ... والـدهـر ليس بـمُـعْـتِـب من يجزعُ

وهذا البيت في قصيدة له.

وذكر ابن إسحٰق ما أنزل الله في ذلك، وشرح ابن هشام رَيْبَ المَنُون، وأنشد قول أبي ذُؤَيْب:

أمِـن الـمـنـونِ ورَيْـبـه تـتـفـجـع

والمَنُون يذكَّر ويؤنَّث، فمن جعلها عبارةً عن المَنِيَّة أو حوادث الدهر أنَّث، ومن جعلها عبارةً عن الدهر ذكَّر، ورَيْبُ المنون ما يَرِيبُك من تغير الأحوال فيه، سُمِّيت المَنُون لنزعِها مُنَنَ الأشياء أي: قُواها، وقيل: بل سميت مَنُونًا لقطعها دونَ الأمال من قولهم: حَبل منين أي: مقطوع، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿فَلَهُم أجر غير مَمْنُون﴾ [التين: ٦] أي غير مقطوع.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٢٧) من طريق الواقدي. وأخرجه عبد الرزاق (٥/ ٣٨٩) وأحمد (١/ ٣٤٨) من وجه آخر بنحوه.

قال ابن إسحٰق: وأذن الله تعالى لنبيه ﷺ عند ذلك في الهجرة.

قال ابن إسحٰق: وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال، فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تعجُل، لعل الله يجد لك صاحبًا»، قد طمع بأن يكون رسولُ الله ﷺ، إنما يعني نفسه، حين قال له ذلك، فابتاع راحلتين، فاحتبسهما في داره، يعلفهما إعدادًا لذلك.

....

الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحٰق: فحدّثني من لا أتهم، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أُمّ المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطىء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهري قومه، أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها.

إذن الله سبحانه لنبيّه بالهجرة

ذكر فيه أن رسول الله ـ ﷺ: أتى بيتَ أبي بكر في الظَّهيرة: قالت عائشة: وفي البيت أنا وأختي أسماءُ فقال أَخْرِجْ مَن معك، فقال أبو بكر: إنما هما بنتاي يا رسول الله.

وقال في جامع البخاري: إنما هم أهلُك يا رسول الله[1]، وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها من قبل ذلك، وكذلك روي عن أُمها أُم رُومان بنت عامر بن عويمر، ويقال في اسم أبيها: رَوْمَان بفتح الراء أيضًا، فقال ابن إسحٰق في غير رواية ابن هشام في حديث طويل ثابت اختصرته: إن أبا بكر حين هاجر مع رسول الله ـ ﷺ خلف بناتِه بمكة، فلما قدموا المدينةَ أرسل رسولُ الله ـ ﷺ ـ زيدَ بن حارثة وأبا رافع مولاه، وأرسل أبو بكر عبد الله بن أُرَيْقِط [الدِّيلي]، وأرسل معهم خمسمائة درهم، فاشتروا بها ظفرًا بقُدَيْد، ثم قدموا مكة فخرجوا بسَوْدَة بنت زَمْعَة، وبفاطمة وبأُم كُلْثُوم. قالت عائشة: وخرجتْ أُمي معهم ومع طَلْحة بن عُبَيْد الله مصطحبين، فلما كنا بقُدَيْدٍ نفر البعيرُ الذي كنت عليه أنا وأُمي: أُم رومان في مِحَفَّة، فجعلت أُمي تنادي: وَابنَيَّتَاه واعَرُوسَاه!! وفي رواية يونس عن ابن إسحٰق، وفيه قالت عائشة: فسمعت قائلاً يقول ـ ولا أرى أحدًا ـ أَلْقى خِطامَه، فألقيته

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١٨٣).

قالت: فلما رآه أبو بكر، قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدَث. قالت: فلما دخل، تأخَّرَ له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأُختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «أخْرِج عني مَنْ عندك»؛ فقال: يا رسول الله، إنما هما ابنتاي، وما ذاك؟ فداك أبي وأُمي! فقال: «إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة». قالت: فقال أبو بكر، الصحبةَ يا رسول الله؛ قال: «الصحبةَ».

من يدي، فقام البعير يستدير به، كأن إنسانًا تحته يمسكه، حتى هبط البعير من الثَّنِيَّة، فسلم الله، فقدمنا على رسول الله - ﷺ - وهو يبني المسجد وأبياتًا له، فنزلت مع أبي بكر، ونزلت سَوْدَةُ بنت زَمْعَة في بيتها، فقال أبو بكر: ألا تَبْني بأهلك يا رسول الله، فقال: «لولا الصَّدَاق»، قالت: فدفع إليه ثنتَيْ عَشْرَةَ أوقية، ونَشًا. والنَّشُّ: عشرون دِرْهَما وذكرَت الحديثَ. ورواه ابن أبي الزِّنَاد عن هشام بن عُرْوة عن أبيه عن عائشة.

لِمَ اشتريت الراحلة؟

وفي حديث ابن إسحٰق أن أبا بكر قد أعد راحلتين، فقدم لرسول الله ﷺ واحدة، وهي أفضلهما، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أركب بعيرًا ليس لي»، فقال أبو بكر: هو لك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «بالثمن»، فقال أبو بكر: بالثمن يا رسول الله فركبها[1]، فسُئِل بعضُ أهل العلم، لِمَ لَمْ يقبلها إلا بالثمن، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل؟ وقد قال عليه السلام: «ليس من أحد أَمَنَّ عليَّ في أهلٍ ومالٍ من أبي بكر»، وقد دفع إليه حين بنى بعائشة ثنتَيْ عَشْرَة أوقية ونَشًا، فلم يأب من ذلك؟ فقال المسؤول: إنما ذلك لتكون هجرتُه إلى الله بنفسه وماله رغبةً منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما، وهو قولُ حَسَنٌ حدّثني بهذا بعضُ أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبي الحسن بن اللوان رحمه الله.

ذكر ابن إسحٰق في غير رواية ابن هشام:

وذكر ابن إسحٰق في غير رواية ابن هشام: أن الناقةَ التي ابتاعها رسول الله - ﷺ - من أبي بكر يومئذ هي: ناقته التي تسمى بالجَدْعَاء، وهي غير العَضْبَاء التي جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله - ﷺ ناقةَ صالح، وأنها تحشر معه يوم القيامة فقال له رجل: وأنت يومئذ على العَضباء يا رسول الله، فقال: «لا. ابنتي فاطمة تُحْشَر على العَضْبَاء، وأُحْشَر أنا على البُرَاقِ، ويُحْشَر هذا على ناقةٍ من نُوق الجنة» وأشار إلى بلال.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ٥٧٠).

قالت: فوالله ما شَعَرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبيّ الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا، فاستأجَرا عبدَ الله بن أَرْقط ـ رجلاً من بني الدِّيل بن بكر [وهو من بني عبد بن عدي ـ هاديًا خِرِّيتًا ـ والخريت: الماهر بالهداية قد غَمَس حلفا في آل العاصي بن وائل السَّهْمِي ـ عن البخاري]، وكانت أمه امرأة من بني سَهْم بن عمرو، وكان مشركًا ـ يدلهما على الطريق، فدفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

وذكر أذانه في الموقف في حديث طويل يرويه عبدُ الحميد بن كيسان عن سُوَيْد بن عُمَيْر، وعبد الحميد مجهول عندهم.

وفي مسند البزار عن أنس قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ على العَضْباء، وليست بالجدعاء، فهذا من قول أنس: إنها غير الجدعاء، وهو الصحيح، لأنها غُنِمت، وأخذ صاحبُها العقيلي بالمدينة، فقال: بِمَ أخذتني يا محمّد، وأخذت سابقة الحاج، يعني: العَضْباء، فقال: أخذتك بجرِيرة حُلفائك[1].

بكاء الفرح من أبي بكر:

وذكر ابن إسحٰق في قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما كنتُ أرى أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح. قالت ذلك لصغر سنها، وأنها لم تكن علمت بذلك قبل، وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى، فأخذته استحسانًا له، فقال الطائيُّ يصف السحاب:

دُهم إذا وَكَفَتْ في رَوْضه طَفِقَتْ ... عيونُ أزهارِها تبكي من الفرح

وقال أبو الطيب، وزاد على هذا المعنى:

فلا تُنكِرَنَّ لها صَرْعَةً ... فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ ما يَقْتُلُ

وقال بعض المُحْدَثين:

وَرَدَ الكتابُ من الحبيب بأنه ... سيزورني فاسْتَعْبَرَتْ أجفاني
غلب السرور عليّ حتى إنه ... من فَرطِ ما قد سَرَّني أبكاني
يا عينُ صار الدمعُ عندك عادةً ... تَبْكِينَ في فَرَحٍ وفي أحْزَان

---

(١) أخرجه البيهقي (٦/ ١٢٠) وأحمد (٤/ ٤٣٣) والبغوي في شرح السُّنّة (١١/ ٨٣).

الذين كانوا يعلمون بالهجرة:

قال ابن إسحٰق: ولم يَعلم فيما بلغني، بخروج رسول الله ﷺ أحد، حين خرج، إلا عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر الصدّيق، وآل أبي بكر. أمّا عليّ فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلّف بعده بمكة، حتى يؤدّيَ عن رسول الله ﷺ الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشَى عليه إلا وضعه عنده، لما يُعلم من صدقه وأمانته ﷺ.

الرسول ﷺ وأبو بكر في الغار

قال ابن إسحٰق: فلما أجمع رسولُ الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر بن أبي قُحافة، فخرجا من خَوْخَةٍ لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عَمَدَا إلى غارٍ بِثَوْرٍ - جبل بأسفل مكة -

---

مكة والمدينة:

فصل: ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة، ووقف على الحَزْوَرَةِ[١]، ونظر إلى البيت، فقال: «والله إنك لأَحبُّ أرضِ الله إليّ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلَك أخرجوني منك ما خرجت»[٢]. يرويه الزُّهرِيُّ عن أبي سلمة عن عبد الله بن عَدِيِّ بن الحمراء يرفعه، وبعضهم يقول فيه: عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هُريرة، وهو من أصَحِّ ما يُحتج به في تفضيل مكة على المدينة، وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعًا: «إن صلاةً في المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه»[٣] فإذا كانت الأعمال تبعًا للصلاة، فكل حسنة تعمل في الحرام، فهي بمائة ألف حسنة، وقد جاء هذا منصوصًا من طريق ابن عباس عن رسول الله - ﷺ قال: «من حَجَّ ماشيًا كُتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم»، قيل: وما حسنات الحَرَم؟ قال: «الحسنة فيه بمائة ألف حسنة» [قال عطاء: ولا أحسب السيئةَ إلا مثلها][٤] أسنده البزار.

حديث الغار

وهو غار في جبل ثَوْرٍ، وهو الجبل الذي ذكره في تحريم المدينة، وأنها حرام ما بين

---

(١) الحزورة: سوق كانت بمكة.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥) وابن ماجه (٣١٠٨) والحاكم (٣/ ٧/ ٤٣١) والدارمي (٢/ ٢٣٩) وابن عساكر (٤/ ٩) وأحمد في مسنده (٤/ ٣٠٥).

(٣) انظر تلخيص الحبير (٤/ ١٧٩) بتحقيقي. وابن عساكر (٧/ ٢٢٥).

(٤) أخرجه البزار (٢/ ٢٥).

فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنَه عبدَ الله بن أبي بكر أن يتسمَّع لهما ما يقول الناس فيهما نهَارَه، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامرَ بن فُهَيْرة مولاه أن يرعى غنمَه نهاره، ثم يُرِيحها عليهما، يأتيهما إذا أمسى فِي الغار. وكانت أسماءُ بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يُصلحهما.

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم، أن الحسن بن أبيَ الحسن البصري قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ، فتلمس الغار، لينظر أفيه سبع أو حيَّة، يَقِي رسولَ الله ﷺ بنفسه.

عيْرِ إلى ثَوْر، وهو وهم في الحديث، لأن ثورًا من جبال مكة، وإنما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين عَيْر إلى كذا، كأن المحدث قد نسي اسمَ المكان، فكنى عنه بكذا[١].

وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فيما شرح من الحديث أن رسول الله - ﷺ - لما دخله وأبو بكر معه أنْبَتَ الله على بابه الرَّاءة: قال قاسم: وهي شجرة معروفة، فحجبت عن الغار أعينَ الكفار[٢].

وقال أبو حنيفة: الرَّاءة: من أَغْلاَثِ الشجر، وتكون مثل قامة الإنسان، ولها خيطان، وزَهر أبيض تُحشى به المَخَادّ، فيكون كالريش لخفته ولينه، لأنه كالقطن أنشد:

ترى وَدَكَ الشريف على لَحَاهُم ... كمثل الراء لَبَّدَه الصَّقِيعُ

وفي مُسْنَد البزار: أن الله تعالى أمر العنكبوتَ فَنَسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وحشِيَّتين، فوقعتا على وجهِ الغار، وأن ذلك مما صَدَّ المشركين عنه، وأن حمَام الحرَم من نسل تَيْنِك الحمامتين، وروي أن أبا بكر - رضي الله عنه حين دخله وتقدم إلى دخوله - قبْلَ رسول الله - ﷺ - ليقيه بنفسه، رأى فيه جُحْرًا فألْقَمَه عَقِبَه، لئلا يخرجَ منه ما يؤذي رسولَ الله ﷺ[٣]، وفي الصحيح عن أنس: قال: قال أبو بكر - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ - وهما في الغار: لو أن أحدَهم نظر إلى قدمه لرآنا، فقال له رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري وغيره.

(٢) في هذا نظر، وهو يفتقر إلى الحديث «الصحيح».

(٣) «ضعيف». أخرجه ابن الجوزي في المنتظم (٣/ ٥٣) وأورده في الوفا أيضًا (٣١٩) نحوه وفي الطبقات لابن سعد (١/ ٢٢٨) نحوه. وذكره الحافظ في الفتح (٧/ ١٨٥) وحسّنه ابن كثير وابن حجر أيضًا، مع قوله في أحد رواته وهو عثمان بن عمرو بن ساج في التقريب: فيه ضعف. وقصة الحمامتين أخرجها ابن عساكر. وقال الحافظ ابن كثير في البداية (٣/ ١٨٠) وهذا حديث غريب جدًا من هذا الوجه.

الذين قاموا بشؤون الرسول في الغار

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثًا ومعه أبو بكر، وجعلت قُريش فيه حين فقدوه مائة ناقة، لمن يردّه عليهم. وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهَم، يسمع ما يأتمرون به، وما يقولون في شأن رسولِ الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فُهيرة، مولى أبي بكر رضي الله عنه، يرعى في رُعْيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفّي عليه، حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببعيريهما وبعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسُفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عِصامًا فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة، فإذا ليس لها عصام، فتحلّ نِطاقها فتجعله عصامًا، ثم علقتها به.

«ما ظَنُّك باثنين، الله ثالثهما»[1]، وروي أيضًا أنهم لما عَمِي عليهم الأثر جاؤوا بالقَافَةِ، فجعلوا يَقْفون الأثر، حتى انتهوا إلى باب الغار، وقد أنبَت الله عليه ما ذكرنا في الحديث قبل هذا، فعند ما رأى أبو بكر رضي الله عنه القافة اشتد حزنه على رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: إن قتلتُ فإنما، أنا رجل واحد، وإن قُتلتَ أنتَ هلكت الأمة، فعندها قال له رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا»، ألا ترى كيف قال: لا تحزن، ولم يقل لا تخف؟! لأن حزنه على رسول الله ـ ﷺ شَغَله عن خوفه على نفسه، ولأنه أيضًا رأى ما نزل برسول الله ﷺ من النَّصَب، وكونه في ضيقة الغار مع فرقة الأهل، ووحْشَة الغُربة، وكان أرقَّ الناسِ على رسول الله ﷺ، وأشفقهم عليه، فحزن لذلك، وقد روي أنه قال: نظرت إلى قدميْ رسول الله ـ ﷺ في الغار، وقد تَفَطّرتا دمًا، فاسْتَبْكَيْتُ، وعلمت أنه عليه السلام لم يكن تعود الحَفَاءَ والجَفْوَةَ[2]، وأما الخوف فقد كان عنده من اليقين بوعد الله بالنصر لنبيه. ما يسكن خوفه، وقول الله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينَته عليه﴾ قال أكثر أهل التفسير: يريد على أبي بكر، وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه، وقوله: ﴿وأيَّدَه بجُنود لم تَرَوْهَا﴾ الهاء في أيده راجعة على النبي، والجنودُ: الملائكةُ أنزله عليه في الغار، فبشروه بالنصر على أعدائه، فأيده ذلك، وقواه على الصبر [و] قيل أيده بجنود لم تروها، يعني: يومَ بدر وحنين وغيرهما من مشاهده، وقد قيل: الهاء راجعة على النبي عليه السلام في الموضعين جميعًا وأبو بكر تَبَعٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٧) ومسلم في فضائل الصحابة وأحمد (١/ ٤) والترمذي (٣٠٩٦).

(٢) لا صحة لحديث القدمين هذا.

لِمَ سُمِّيت أسماء بذات النطاقين:

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر: ذات النطاق، لذلك.

قال ابن هشام: وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول: ذات النطاقين.

وتفسيره: أنها لما أرادت أن تعلّق السفرة شقّت نطاقها باثنين، فعلّقت السفرة بواحد، وانتطقت بالآخر[١].

له، فدخل في حكم السكينة بالمعنى، وكان في مصحف حَفْصَةَ: فأنزل الله سكينته عليهما[٢]، وقيل: إن حزن أبي بكر كان عند ما رأى بعضَ الكفار يبول عند الغار، فأشفق أن يكونوا قد رأوهما، فقال له النبي ﷺ: «لا تحزن، فإنهم لو رأونا لم يَسْتَقْبِلُونا بفروجهم عند البول، ولا تشاغلوا بشيء عن أخذنا»، والله أعلم.

الردّ على الرافضة فيما بهتوا به أبا بكر:

فصل: وزعمت الرافضة[٣] أن في قوله عليه السلام لأبي بكر لا تحزن غَضًّا من أبي بكر وذمًّا له؛ فإن حزنه ذلك: إن كان طاعةً فالرسولُ عليه السلام لا ينهى عن الطاعة، فلم يبق إلا أنه معصية، فيقال لهم على جهة الجدَل: قد قال الله لمحمد عليه السلام: ﴿فلاَ يَحْزُنْك قولُهم﴾ [يس: ٧٦] وقال: ﴿ولا يَحْزُنْك الذين يُسارعون في الكفر﴾ [آل عمران: ١٧٦] وقال لموسى: ﴿خُذْها ولاَ تَخفْ﴾ [طه: ٢١] وقالت الملائكة للوط: لا تخف، ولا تحزن، فإن زعمتم أن الأنبياءَ حين قيل لهم هذا كانوا في حال معصية، فقد كفرتم، ونقضتم أصلَكم في وجوب العصمة للإمامِ المعصوم في زعمكم، فإن الأنبياءَ هم الأئمة المعصومون بإجماع، وإنما قوله: لا تحزن، وقولُ الله لمحمد: لاَ يَحْزُنْك، وقوله لأنبيائه مثلَ هذا تسكينٌ لجَأشِهم[٤] وتبشير لهم وتأنيسٌ على جهة النهي الذي زعموا، ولكن كما قال سبحانه: ﴿تَتَنَزَّل عليهم الملائكةُ ألاَّ تَخافُوا ولاَ تحزَنُوا﴾ [فصّلت: ٣٠] وهذا القول إنما يقال لهم عند المعاينة، وليس إذ ذاك أمر بطاعة ولا نهي عن معصية.

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٧/ ١٨٣) وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٢٩).

(٢) لا يصح من السهيلي رحمه الله تعالى قوله أن قول «كليهما» ثابت في مصحف حفصة، فهو دليل عل نقص ما في مصحفنا الذي بين أيدينا، ولا يقول هذا إلا رافض شيعي فانتبه.

(٣) الرافضة هم الذين رفضوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه. انظر المِلل والنِحَل للشهرستاني وغيره.

(٤) الجأش: روع القلب.

راحلة النبي ﷺ:

قال ابن إسحٰق: فلما قرّب أبو بكر، رضي الله عنه، الراحلتين إلى رسولِ الله ﷺ، قدّم له أفضلهما، ثم قال: اركب، فداك أبي وأُمي؛ فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أركب بعيرًا ليس لي». قال: فهي لك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، قال: «لا، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به»؟ قال: كذا وكذا، قال: «قد أخذتها به»، قال: هي لك يا رسول الله. فركبا وانطلقا. وأرْدف أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه عامرَ بن فُهيرة مولاه خلفه، ليخدِمهما في الطريق.

ووجه آخر من التحقيق، وهو أن النّهي عن الفعل لا يقضي كونَ المنهِيِّ فيه، فقد نهى الله نبيَّه عن أشياء، ونهى عبادَه المؤمنين، فلم يقتض ذلك أنهم كانوا فاعلين لتلك الأشياء في حال النهي، لأن فعلَ النهي فعلٌ مستقبل، فكذلك قوله: لأبي بكر: لا تحزن، لو كان الحزن كما زعموا لم يكن فيه على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ما ادَّعَوْا من الغَضّ، وأما ما ذكرناه نحن من حزنه على النبي ﷺ، وإن كان طاعة، فلم ينهه عنه الرسولُ عليه السلام إلا رفقًا به وتبشيرًا له لا كراهية لعمل، وإذا نظرت المعاني بعين الإنصاف لا بعين الشهوة والتعصب للمذاهب لاحت الحقائق، واتَّضحت الطَّرائق والله الموفّق للصواب.

معية الله مع رسوله وصاحبه[1]:

وانتبه أيها العبد المأمور بتدبُّر كتابِ الله تعالى لقوله: ﴿إِذْ يقولُ لصاحبه لا تَحْزَنْ إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠] كيف كان معهما بالمعنى، وباللفظ، أما المعنى فكان معهما بالنصر والإرفاد[2] والهداية والإرشاد، وأما اللفظ فإن اسمَ الله تعالى كان يذكر إذا ذُكر رسولُه، وإذا

---

(١) وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾. قالوا فيهما: «إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا». قال بعض أهل العلم في قوله ﷺ لأبي بكر: ﴿إن الله معنا﴾ وقول موسى عليه السلام لما اتبعه فرعون وجنوده، فرأوا البحر أمامهم وفرعون من خلفهم قالوا: ﴿إنّا لمدركون﴾ قال موسى عليهم السلام ردًّا عليهم: ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾. فقدّم النبي ﷺ ذكر ربه فقال: ﴿إن الله معنا﴾ وقال موسى لقومه: ﴿إن معي ربي﴾. والكلام إنما في المخاطب بهذا الكلام؛ فلما كان قوم موسى أهل مادية وفكر عَفِن قال لهم موسى: ﴿إن معي ربي﴾، فكان قوله: ﴿إن معي﴾ لفت لنظر وانتباه أولئك النفر ثم قال: ﴿ربي﴾ ـ ﴿إن معي ربي سيهدني﴾، ومن الناحية الأخرى لما كان المخاطب هو الصديق أبا بكر رضي الله عنه ـ كان ﴿إن الله﴾ فإذا سمع اسم الله تعالى سكنت نفسه واطمأنت ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ ثم أردف النبي ﷺ بقوله: ﴿معنا﴾ وليس ﴿معي﴾ بل معنا. فتأمل.

(٢) الإرفاد: الراء والفاء والدال [رفد] أصل واحد مطّرد منقاس، وهو المعاونة والمظاهرة بالعطاء وغيره. مقاييس اللغة (٢/ ٤٢١).

أبو جهل يضرب أسماء بنت أبي بكر:

قال ابن إسحٰق: فحُدِّثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، أتانا نفر من قُرَيش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجتُ إليهم؛ فقالوا: أين أبوك يا بنتَ أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشًا خبيثًا، فلطم خدّي لطمة طرح منها قُرطي.

خبر الجنّيّ الذي تغنى بمقدم الرسول ﷺ

قالت: ثم انصرفوا. فمكثنا ثلاث ليال، وما ندري أي وجهُ رسول الله ﷺ، حتى أقبل رجلٌ من الجنّ من أسفل مكة، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس ليتبعونه، يسمعون صوته وما يَرَوْنه، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزَى الله ربُّ الناسِ خيرَ جَزائه ... رفيقَيْن حلاًّ خيْمَتيْ أمّ مَعْبَدِ

هُما نَزَلا بالبرّ ثُمّ تَروَّحا ... فأفلح من أمسى رَفِيقَ محمدِ

لِيَهْنِ بَنِي كَعْب مَكَانُ فتاتِهِمْ ... وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِين بِمَرْصَدِ[1]

نسب أُم معبد[2]

قال ابن هشام: أُمّ معبد بنت كَعبْ، امرأة من بني كَعْب، من خُزاعة. وقوله: «حلا خيمتي» و «هما نزلا بالبرّ ثم تروّحا» عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وَجْه رسول الله ﷺ، وأن وجهه إلى المدينة وكانوا أربعة: رسولُ الله ﷺ، وأبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر، وعبد الله بن أرقط دليلهما.

دُعي فقيل: يا رسول الله، أو فعل رسول الله، ثم كان لصاحبه كذلك يقال: يا خليفة رسول الله، وفعل خليفة رسول الله، فكان يُذكر معهما، بالرسالة وبالخلافة، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٩) وابن سعد (١/ ٢٣٠).

(٢) سيأتي كلام السهيلي رحمه الله تعالى بعد قليل، بعد خبر سراقة رضي الله عنه.

قال ابن هشام: ويقال: عبد الله بن أُرَيْقِط.

آل أبي بكر بعد هجرته:

قالَ ابن إسحٰق: فحدّثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عبَّادًا حدَّثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما خرج رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر مالَه كله، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه. قالت: فدخل علينا جدّي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبتِ! إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا. قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوّة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضَعْ يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترَكَ لكم هذا فقد أحْسَن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئًا ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

خبر سراقة بن مالك

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الزهري أن عبد الرحمٰن بن مالك بن جُعْشم حدّثه عن أبيه، عن عمه سُراقة بن مالكٍ بن جعشم، قال: لما خرج رسولُ الله ﷺ من مكة مُهاجرًا إلى المدينة، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم. قال: فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجلٌ منَّا، حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت رَكَبة ثلاثة مرّوا عليّ آنفًا، إني لأراهم محمدًا وأصحابه، قال: فأومأت إليه بعيني: أن اسكت ثم قلت: قليلاً، إنما هم بنو فلان، يبتغون ضالة لهم، قال: لعله: ثم سكت. قال: ثم مكثت ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي، فقيد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فأُخرج لي من دُبُر حجرتي، ثم أخذت قِداحي التي أستقسم بها، ثم انطلقت، فلبست لأَمَتِي ثم

حديث سراقة بن مالك بن جعشم الكناني[1]

ثم المُدْلِجيّ أحد بني مُدْلِج بن مرَّة بن تَميم بن عَبْد مناة بن كِنانة. وقد ذكر ابن إسحٰق حديثه حين بذلت قريشٌ مائةَ ناقة لمن رد عليهم محمدًا عليه السلام، وأن سرَاقة اسْتَقْسَم بالأزلام، فخرج السَهْم الذي يكره، وهو الذي كان فيه مكتوبًا لا تَضُرّه إلى آخر

(١) له ترجمة في الإصابة (٢/ ١٩) تاريخ الصحابة (٦٠٥) الاستيعاب (٢/ ٩١٦) أسد الغابة (٢/ ٢٣١) الطبقات (٩/ ٧٨) شذرات الذهب (١/ ٣٥) الرياض المستطابة (١/ ١١٧) الكاشف (١/ ٣٤٩) مشاهير علماء الأمصار (١٧٠) بتحقيقي.

أخرجت قِداحي، فاستقسمت بها؛ فخرج السهم الذي أكره «لا يضرّه» قال: وكنت أرجو أن أردّه على قريش، فآخذ المائة الناقة. قال: فركبت على أثره، فبينما فَرسي يشتدّ بي عثر بي، فسقطت عنه. قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره «لا يضرّه». قال: فأبيت إلا أن أتبعه. قال: فركبت في أثره، فبينا فرسي يشتدّ بي، عثر بي، فسقطت عنه. قال: فقلت: ما هذا؟، قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره «لا يضرّه» قال: فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره. فلما بدا لي القوم ورأيتهم، عثر بي فرسي، فذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دخان كالإعصار. قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع مني، وأنه ظاهر. قال: فناديت القوم: فقلت: أنا سُراقة بن جُعْشُم: انظروني أكلمكم، فوالله لا أريبكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه. قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «قل له: وما تبتغي منا»؟ قال: فقال ذلك أبو بكر، قال: قلت: تكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك. قال: «اكْتُبْ له يا أبا بكر»[1].

فكتب لي كتابًا في عَظْم، أو في رقعة، أو في خَزَفة، ثم ألقاه إليّ، فأخذته، فجعلته في كنانتي، ثم رجعت، فسكتّ فلم أذكر شيئًا مما كان حتى إذا فتحُ مكة على رسول الله ﷺ، وفرغ من حُنين والطائف، خرجت ومعي الكتاب لألقاه، فلقيته بالجِعرانة. قال: فدخلت في كَتِيبة من خيل الأنصار. قال: فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك، ماذا تريد؟ قال: فدنوت من رسولِ الله ﷺ وهو على ناقته والله لكأني أنظر إلى ساقه في غَرْزه كأنها جُمَّارة. قال: فرفعت يدي بالكتاب، ثم قلت: يا

القصة، وأن قوائم فرسه حين قَرُبَ من رسول الله ـ ﷺ ـ سَاخت في الأرض، وتبعها عُثَان، وهو: الدخان وجمعه: عَواثِن. وذكر غير ابن إسحٰق أن أبا جهل لامه حين رجع بلا شيء، فقال وكان شاعرًا:

أبا حَكم والله لو كنتَ شاهدًا ... لأمر جوادي إذ تَسُوخُ قوائمه

علمتَ ولم تَشْكُكْ بأن محمدًا ... رسول ببرْهانٍ فمن ذا يُقاومه؟!

عليك بكَفِّ القوم عنه، فإنني ... أرى أمرَه يومًا سَتبدو معالمُه

بأمرٍ يَوَدُّ الناسُ فيه بأَسْرِهم ... بأن جميعَ الناس طُرًّا يُسالمه

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٣٨) فتح. وابن الجوزي في المنتظم (٣/ ٥٥) والحاكم (٣/ ٦) ومسلم (٢٠٠٩) بعضه. وأحمد (٣/ ٢١٢).

ِسول الله، هذا كتابك لي، أنا سُراقة بن جُعْشم؛ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «يوم وفاء وبرّ، ادْنُهْ». قال: فدنوت منه، فأسلم. ثم تذكرت شيئًا أسأل رسول الله ﷺ فما أذكره، إلا أني قلت: يا رسول الله، الضالة من الإبل تَغْشَى حياضي، وقد ملأتها لإبلي، هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال: «نعم، في كلّ ذات كبد حرّي أجْر». قال: ثم رجعت إلى قومي، فسقت إلى رسول الله ﷺ صَدقتي. قال ابن هشام: عبدـالرحمٰن بنُ الحارث بن مالك بن جُعْشم.

وقد قدمنا في هذا الكتاب عند ذكر كسرى ما فعله عمر بن الخطاب حين أتى بتاج كسرى، وسوَارَيْه ومُنْطَقَته، وأنه دعا بسُرَاقَة، وكان أَزَبَّ الذراعين[1]، فحَّلاه حِلية كسرى، وقال له: ارْفَعْ يديكَ، وقل: الحمدُ لله الذي سَلَب هذا كِسرى الملك الذي كان يزعم أنه رَبُّ الناس وكساها أعرابيًا من بني مُدْلِج. فقال ذلك سراقة، وإنما فعلها عمر لأن رسولَ الله ـ ﷺ ـ كان قد بَشَّر بها سراقة حين أسلم، وأخبره أنَّ الله سيفتح عليه بلادَ فارس، ويُغَنِّمه مُلكَ كِسْرى، فاستبعد ذلك سُراقة في نفسه، وقال: أَكِسْرى ملك الملوك؟! فأخبره النبي ـ ﷺ ـ أن حِلْيَتَه ستجعل عليه تحقيقًا للوعد، وإن كان أعرابيًا بَوَّالاً على عقبيه، ولكن الله يُعز بالإسلام أهلَه، ويُسْبغ على محمد وأمته نعمته وفضلَه.

وفي السير من رواية يونس شعر لأبي بكر رضي الله عنه في قصة الغار:

قال النبي ولم يزل يُوَقِّرَني ... ونحن في سَدَفٍ[2] من ظُلْمَة الغار
لا تَخْشَ شيئًا؛ فإن الله ثالثُنا ... وقد توكَّل لي منه بإظهار
وإنما كَيْدُ من تخشى بَوادِرَه ... كيدُ الشياطينِ كَادتْه لكفار
واللهُ مُهلِكُهم طُرًا بما كَسَبوا ... وجاعلُ المُنْتَهى منهم إلى النار
وأنت مُرتَحلٌ عنهم وتاركُهم ... إما غُدُوًّا وإما مُدْلجٌ سارِي
وهاجرٌ أرضَهم حتى يكونَ لنا ... قومٌ عليهم ذَوُو عِزٍّ وأنصارِ
حتى إذا الليلُ وارَتْنا جوانبُه ... وسَدَّ مِنْ دونِ مَن تَخْشَى بأسْتَارِ
سار الأُرَيْقِطُ يَهْدِينا وأَيْنُقُه ... يَنْعَبْنِ بالقَرْم نَعْبًا تحت أكْوارِ
يَعْسِفْنَ عرض الثَّنايا بعد أطولها ... وكُلَّ سَهْب رَقاقِ التُّرابِ مَوَّارِ
حتى إذا قُلْتُ: قد أَنْجَدْن عارضَها ... مَن مدلج فارسٌ في منصب وَار

---

(١) أي طويل الذراعين.

(٢) السدف: الظلمة من الليل.

يُزْدِي به مُشرف الأقطارِ مُعْتزمٌ كالسيد ذي اللِّبْدَة المُسْتَأسِد الضَّاري
فقال: كُرُّوا فقلت: إن كَرَّتنا من دونها لك نَصْرُ الخالقِ الباري
أَنْ يَخْسِفَ الأرضَ بالأحوى وفارسه فانظر إلى أَرْبُع في الأرض غُوَّار
فَهِيلَ لما رأى أَرْسَاغَ مُقربه قد سُخْنَ في الأرِض لم يُحْفَر بمحفار
فقال: هل لكم أَنْ تُطْلِقوا فرسي وتأخذوا مَوْثِقي في نُصْح أسرار
وأصْرِفُ الحَيَّ عنكم إنْ لقيتهم وأن أُعَوِّر منهم عَين عُوَّار
فاذعوا الذي هو عنكم كَفَّ عَوْرَتَنا يُطْلِق جوادي وأنتم خير أبْرار
فقال قولا رسولُ الله مُبْتهلا يا ربِّ إن كان منه غير إخْفَار
فَنَجِّه سالمًا من شَرِّ دعوتنا ومُهْرَه مُطْلقًا من كَلْم آثار
فأظهر الله إذ يدعو حوافِرَه وفاز فارسُه من هَوْلِ أخطار[1]

حديث أُم معبد[2]

وذكر عن أسماء بنت أبي بكر حين خفي عليها، وعلى من معها أمرُ رسول الله ﷺ، ولم يدروا أين توجه، حتى أتى رجل من الجن يسمعون صوته، ولا يرونه، فمر على مكة والناس يتبعونه وهو ينشد هذه الأبيات:

جزى اللهُ رَبُّ الناسِ خيرَ جَزائِه رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ
هما نَزلاَ بالبِرِّ ثم ترحَّلا فأَفْلَح من أمسى رَفيقَ محمدِ
لِيَهْنِ بني كعب مَقَام فتاتِهم ومَقْعَدُها لِلْمؤمِنِينَ بِمرْصَدِ
فيالقُصَيٍّ ما زَوَى الله عنكُمُ به من فَعَال لا يُجازى وسُودَدِ
سَلُوا أُختَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا فَإِنَّكُمْ إنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ فَتَحَلَّبَتْ له بصريح ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِد
فغادَرها رَهْنًا لديها بحالِبٍ يُرَدِّدها في مَصْدَرٍ ثم مَوْرِد

(١) القصيدة تحتاج إلى صحة نسب.
(٢) انظر الخبر في الطبقات (١/ ٢٣٠) تاريخ الطبري (٢/ ٣٨٠) البداية والنهاية (٣/ ١٩٠) المنتظم (٣/ ٥٧) الوفا (٣٢٨) والحاكم (٣/ ٩).

ويروى أن حَسَّانَ بن ثابت لما بلغه شعرُ الجني، وما هتف به في مكة قال يجيبه:

لقد خابَ قومٌ عنهم نبيُّهم ... وقد سُرَّ مَنْ يَسْري إليهم ويَغْتدي

ترحّل عن قومٍ فضلّت عقولُهم ... وحَلَّ على قومٍ بنورٍ مُجَدَّد

هداهم به بعد الضلالة ربُّهم ... وأرشدهم مَنْ يَتْبَعِ الحقَّ يَرْشُد

وهل يَسْتَوي ضُلاَّلُ قومٍ تَسَفَّهوا ... عما يتهم هاد بها كل مهتد

لقد نَزَلتْ منه إلى أهلِ يَثْرِبٍ ... ركابُ هُدًى حلت عليهم بأسْعُدِ

نبيٌّ يرى ما لا يرَى الناسُ حولَه ... ويتلو كتاب الله في كل مَشْهدِ

وإن قال في يومٍ مقالة غائب ... فتصديقُه في اليوم أو في ضُحَى الغدِ

لِيَهْنِ أبا بكر سعادةُ جَدِّه ... بصحبته مَنْ يُسعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

وزاد يونس في روايته أن قريشًا لما سمعت الهاتفَ من الجن أرسلوا إلى أمّ معبد، وهي بخيمتها، فقالوا: هل مَرَّ بك محمّد الذي من حِلْيَته كذا، فقالت: لا أدري ما تقولون، وإنما ضافني حالبُ الشاة الحائل، وكانوا أربعةً رسول الله - ﷺ - وأبو بكر، وعامرُ بن فُهَيرة مولى أبي بكر، وقد تقدم التعريف به وطرفٌ من ذكر فضائله في هجرة الحبشة، والرابعُ عبد الله بن أُرَيْقِط اللَّيْثي ولم يكن إذ ذاك مسلمًا، ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك، وجاء في حديث أنهم استأجروه، وكان هاديًا خرِّيتًا، والخِرِّيتُ: الماهرُ بالطريق الذي يَهْتَدي بمثل خَرْتِ الإبرة، ويقال له: الخَوْتَعُ أيضًا قال الراجز:

يضل فيها الخَوْتَع المُشَهرَّ

نسب أُم معبد وزوجها

وأما أُم معبد التي مرّ بخيمتها، فاسمها: عاتكة بنت خالد إحدى بني كعب من خُزَاعَةَ، وهي أخت حُبَيْش بن خالد، وله صحبة ورواية، ويقال له الأشعر، وأخوها: حُبَيْش بن خالد سيأتي ذكره والخلاف في اسمه وخالد الأشعر أبوهما، هو: ابن خُنَيْف بن مُنْقِذ بن رَبيعة بن أصْرَم بن ضبيس بن حرام بن حُبْشِيَّة بن كَعْب بن عمرو وهو أبو خُزاعة.

وزوجها أبو معبد يقال إن له رواية أيضًا عن رسول الله ﷺ - توفي في حياة رسول الله ﷺ، ولا يُعرف اسمُه، وكان منزلُ أُمّ معبد بقُدَيْد، وقد روي حديثها بألفاظ مختلفة متقاربة المعاني، وقد رواه ابْن قُتَيْبَةَ في غريب الحديث، وتقَصَّى شرح ألفاظه، وفيه أن

....

رسول الله ﷺ قال لأم معبد: وكان القومُ مُرْمِلِين[1] مُسْنِتِين[2]، فطلبوا لبَنًا أو لحمًا يشترونه، فلم يجدوا عندها شيئًا، فنظر إلى شاة في كِسْرِ الخَيْمة[3] خلفها الجَهْدُ[4] عن الغنم، فسألها: هل بها من لبن؟ فقالت: هي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أَحْلُبَها، فقالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها، فدعا بالشاة، فاعتَقَلها، ومَسَح ضَرْعها، فتفاجَّت[5] ودَرَّت واجْتَرَّت، ودعا بإناء يُرْبِضُ الرَّهط[6] أي: يشبع الجماعة حتى يُرْبِضوا، فحلب فيه حتى ملأه، وسقى القوم حتى رَووا ثم شرب آخرهم، ثم حلَب فيه مرة أخرى عَلَلًا[7] بعد نَهْلٍ، ثم غادره عندها، وذهبوا، فجاء أبو معبد، وكان غائبًا فلما رأى اللبن قال: ما هـذا يـا أُم معبد أنَّى لكِ هذا والشاء عازب[8] حِيَالٌ[9]، ولا حَلُوبة بالبيت، فقالت: لا والله، إلا أنه مرَّ بنا رجلٌ مُبَارك، فقال: صِفيه يا أُم معبد، فوصفته بما ذكر القُتَبِيُّ وغيره في الحديث، ومما ذكره القتبي: فشربوا حتى أراضوا جعله القتَبي من اسْتَراض الوادي: إذا استنقع ومن الرَّوْضَة وهي بقيَّة الماء في الحوض وأنشد:

وَرَوْضَـةٍ سَـقَـيْـتُ فـيـه نِـضْـوي

ورواه الهَرَوِيُّ حتى آرَضُوا على وزن آمنوا، أي ضَرَبوا بأنفسهم إلى الأرض من الري، وفي حديث آخر أن آل أبي مَعْبَد كانوا يؤرخون بذلك، اليوم، ويسمونه: يوم الرجل المبارك، يقولون: فعلنا كَيْتَ وكَيْت قبل أن يأتينا الرجل المبارك، أو بعد ما جاء الرجل المبارَك، ثم إنها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله، ومعها ابنٌ صغير قد بلغ السَّعْي فمر بالمدينة على مسجِد رسول الله - ﷺ - وهو يكلم الناس على المِنبَر فانطلق إلى أمه يَشْتَدُّ، فقال لها: يا أُمَّتَاهُ إني رأيت اليوم الرجلَ المبارك، فقالت له: يا بني وَيْحَك هو رسولُ الله - ﷺ.

ومما يُسأل عنه في هذا الحديث أن يقال: هل استمرت تلك البركة في شاة أُم معبد بعد ذلك اليوم، أم عادت إلى حالها؟ وفي الخبر عن هشام بن حُبَيْش الكعبي، قال: أنا رأيت تلك الشاةَ وإنها لتأدُم أمَّ معبد وجميعَ صِرمِها، أي: أهلَ ذلك الماء، وفي الحديث

(1) مرملين: أي نفذ زادهم.
(2) مستين: من السنة، وهي الجدب.
(3) كسر الخيمة: أي جانبها.
(4) الجهد: المشقة.
(5) تفاجت: أي فتحت ما بين رجليها للحلب.
(6) يربض الرهط: ينقلهم حتى يربضوا.
(7) عللاً: مرة بعد مرة.
(8) عازب: بعيدة عن المرعى.
(9) حيال: ليست بحامل.

قال ابن إسحٰق: فلما خرج بهما دليلُهما عبدُ الله بن أرقط، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفَان، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قُدَيْدًا، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخَرَّار، ثم سلك بهما ثَنِيَّة المَرَة، ثم سلك بهما لِقْفًا.

قال ابن هشام: ويقال: لَفْتًا. قال مَعْقِل بن خُويلد الهُذلي:

نَـزِيعًـا مُـحْـلِبًـا مـن أهـل لَـفْـت ... لـحـيّ بـيـن أثْـلـة والـنِّـجَـام

أيضًا من الغريب في وصف الشاة: قال ما كان فيها بُصْرَة وهي النقط من اللبن تبصر بالعين.

بلاد في طريق الهجرة

وذكر أن دليلَهما سلك بهما عُسْفَان. قال المؤلف رضي الله عنه: وقد روى عن كثير أنه قال: سُمي عُسْفَان لتعسُّفِ السيول فيه، وسُئل عن الأبواء الذي فيه قبرُ آمنَة أُمّ النبي ﷺ: لم سُمِّي الأبواء؟ فقال: لأن السيول تَتَبَوَّءه أي: تحل به، وبعسفان فيما رُوِي كان مسكن الجُذَمَاء، ورأيت في بعض المسندات أن رسول الله ﷺ مرّ بعُسْفَان وبه الجُذَمَاء فأسرع المشي ولم ينظر إليهم، وقال: «إن كان شيء من العِلل يعدى فهو هذا»، وهذا الحديث هو من روايتي، لأنه في مسند الحارث بن أبي أسامة، وقد تقدم اتصال سندي به، وكنت رأيته قبل في مسند وَكيع بن الجراح، وليس فيه إسناد.

فصل: وذكر أن دليلَهم سلك بهم أَمَجًا ثم ثنية المَرَة، كذا وجدته مخفف الراء مقيدًا، كأنه مُسَهَّل الهمزة من المرأة.

وذِكر لَقْفًا بفتح اللام مقيدًا في قول ابن إسحٰق، وفي رواية ابن هشام: لَفْتًا، واستشهد ابن هشام بقول مَعْقِل [بن خُوَيْلِد] الهُذَليّ:

نَزِيعًا[١] مُحُلِبًا[٢] من أهل لَفْتٍ[٣] ... لِـحـيٍّ بـيـن أَثْـلَـةَ فـالـنِّـجَـام

وألفيت في حاشية الشيخ على هذا الموضع قال: لِفْتٌ بكسر اللام ألفيته في شعر مَعْقِل هذا في أشعار هُذَيل في نسختي، وهي نسخة صحيحة جدًا، وكذلك ألفاه مَنْ وثقته وكلَّفته

---

(١) النزيع: الغريب، أو المسبية أمه. (٢) المحلب: المعين من غير قومك.
(٣) لفتِ: موضع [ثنية] بين مكة والمدينة.

قال ابن إسحٰق: ثم أجاز بهما مَدْلَجة لَقْف ثمَّ استبطن بهما مَدْلَجة مِجَاج - ويقال: مَجَاج، فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مَرْجِح مَجَاج، ثم تبطَّن بهما مَرْجِح من ذي الغَضوين - قال ابن هشام: ويقال: العَضَوين - ثم بطن ذي كَشْر، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد، ثم على الأجْرد، ثم سلك بهما ذَا سَلَم، من بطن أعْداء

أن ينظر فيه لي في شعر مَعْقل هذا في أشعار هُذَيْل مكسور اللام في نسخة أبي علِي القَالي المقروءة على الزيادي، ثم على الأحول، ثم قرأتها على ابن دُرَيْد رحمه الله، وفيها صَرِيحًا مُخلِبًا، وكذلك كان الضبْطُ في هذا الكتاب قديمًا، حتى ضبطه بالفَتْح عن القاضي، وعلى ما وقع في غيرها. انتهى كلام أبي بحر. وقد ذكر أبو عُبَيْد البَكْرِي: لِفْتًا، فقيده بكسر اللام كما ذكر أبو بحر وأنشد قبله:

لَعمْرُكَ ما خشيت، وقد بلغنا جبالَ الجَوْزِ من بَلَدٍ تَهَام

صريحًا مُخلِبًا البيت.

وذكر المواضع التي سلك عليها، وذكر فيها مِجَاج بكسر الميم وجيمين، وقال ابن هشام: ويقال فيها: مَجاج بالفتح، وقد ألفيت شاهدًا لرواية ابن إسحٰق في لَقْف، وفيه ذكر مَجاح بالحاء المهملة بعد الجيم، وهو قول محمّد بن عُرْوة بن الزُّبير:

لعن الله بطْنَ لَقْفٍ مَسِيلاً وَجَاحًا وما أُحِبُّ مَجَاحَا

لَقِيَتْ ناقتي به، وبِلِقْفٍ بلدًا مُجْدِبًا وأرضًا شَحَاحَا

هكذا ذكره الزبير بن أبي بكر، ولقف آخر غير لِفْتٍ فيما قال البكري.

وذكر مَرْجِحَ الجيم على الحاء، وذكر مَدْلِجَة تِعْهِن بكسر التاء والهاء، والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فِعْلِل إلا أن يقومَ دليل من اشتقاق على زيادة التاء، أو تصح رواية من رواه تُعْهِن بضم التاء، فإن صحَّت فالتاء زائدة، كسرت أو ضمت وبِتِعْهِن صخرة، يقال لها: أم عِقْى عُرفت بامرأة كانت تسكن هناك، فمر بها النبي ﷺ واستسقاها فلم تسقه، فدعا عليها فمُسِخَت صخرة، فهي تلك الصخرة فيما يذكرون[١].

وذكر الجَدَاجِدَ بجيمين ودالين كأنها جمع جُدْجُد، وأحسبها آبارًا ففي الحديث: أتينا على بئر جُدْجُد، قال أبو عبيد: الصواب: بئر جُدّ أي قديمة، وقال الهَرَوِيُّ عن اليزيدي: وقد يقال: بئر جدجد قال: وهو كما يقال في الكم كمكُم وفي الرَّفِ رَفْرَف.

---

(١) قصة دعاء النبي ﷺ على المرأة فمسخت صخرة، في حاجة إلى دليل «صحيح».

مَدلَجَة تِعْهِن، ثم على العَبابيد. قال ابن هشام: ويقال: العَبابيب، ويقال: العِثْيانة. يريد العبابيب.

قال ابن إسحٰق: ثم أجاز بهما الفاجَّة، ويقال: القاحة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن هشام: ثم هبط بهما العَرْج، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم، فحمل رسولَ الله ﷺ رجلٌ من أسلم، يقال له: أوس بن حُجْر، على جمل له ـ يقال له: ابن الرّداء ـ إلى المدينة، وبعث معه غلامًا له، يقال له: مسعود بن هُنَيْدَة، ثم خرج بهما دليلهما من العَرْج، فسلك بهما ثَنِيَة العائر، عن يمين رَكُوبَة ـ ويقال: ثنية الغائر، فيما قال ابن هشام ـ

وذكر العبابيد كأنه جمع عبَاد، وقال ابن هشام: هي العبَابِيب، كأنها جمع: عُبَاب من عَبَبْتُ الماءَ عبًّا، فكأنها ـ والله أعلم ـ مياه تَعُبُّ عُبَابًا أو تُعَبُّ عبًّا.

وذكر الفاجَّة بفَاء وجيم، وقال ابن هشام: هي: القاحَّة بالقاف والحاء.

قصة أوس بن حجر:

وذكر قدومَهم على أوس بن حجر، وهو أَوْسُ بن عبْد الله بن حُجْر الأسْلَمِيّ، وبعضهم يقول فيه: ابن حَجَر، وهو قول الدَّارَقُطْني، والمعروف، ابن حُجْر بضم الحاء، وقد تقدم في المبعث ذكر من اسمه حجر في أنساب قريش، ومن يسمى: حُجْرًا من غيرهم بسكون الجيم، ومن يسمَّى الحِجر بكسر الحاء، فانظره هنالك عند ذكر خديجة وأمها، ولا يختلف في أوس بن حَجَر أنه بفتحتين.

وذكر أن أوسًا حمل رسول الله ـ ﷺ ـ على جَمَل له، يقال له: ابن الرداء، وفي رواية يونس بن بكير بن إسحٰق يقال له: الرَّدَاح، وفي الخطابي أنه قال لغلامه مسعود، وهو مسعود بنُ هَنَيْدَة: أسلُك بهم المخارق بالقاف، قال: والصحيح المخارِم، يعني: مخارِم الطريق، وفي النَّسَويّ أن مسعودًا هذا قال: فكنت آخذ بهم إخفاء الطريق. وفِقْه هذا أنهم كانوا خائفين، فلذلك كان يأخذ بهم إخفاءَ الطريقِ ومخارقَه، وذكر النَسَوي في حديث مسعود هذا: أن أبا بكر قال له: ائت أبا تميم، فقل له: يحملني على بعير ويبعث إلينا بزادٍ، ودليل يدلّنا، ففي هذا أن أوْسًا كان يُكَنَّى أبا تميم، وأن مسعودًا هذا قد روى عن رسول الله ـ ﷺ ـ وحفظ عنه حديثًا في الخمس وحديثًا في صلاة الإمام بالواحدُ والاثنين ذكره النَّسَوي في هذا الحديث، غير أنه قال في مسعود هذا: غلام فَرْوَة الأسْلَمي. وقال أبو عُمر: قد قيل في أوس هذا إن اسمَه تميم، ويكنى أبا أوس فالله أعلم.

حتى هبط بهما بطن رِئم، ثم قدم بهما قُباء، على بني عمرو بن عوف، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين، حين اشتدَّ الضُّحَاء، وكادت الشمس تعتدل.

النزول بقباء:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عُويمر بن ساعدة، قال: حدّثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: لما سمعنا بمَخرج رسول الله ﷺ من مكة، وتوكّفنا قدومَه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حَرّتنا ننتظر رسولَ الله ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمسُ على الظلال فإذا لم نجد ظلاً دخلنا، وذلك في أيام حارّة. حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ، جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أوّل من رآه رجلٌ من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع، وأنَّا ننتظر قدوم رسول الله - ﷺ - علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْلة، هذا جَدُّكم قد جاء. قال: فخرجنا إلى رسول الله ﷺ، وهو في ظلّ نخلة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سِنّه، وأكثرُنا لم يكن رأى رسولَ الله - ﷺ - قبل ذلك، ورَكِبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظلّ عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فأظلّهُ بردائه، فعرفناه عند ذلك[1].

وروي أن رسول الله - ﷺ - قال لمسعود حين انصرف إلى سيده: مُرْ سيّدك أن يَسِم الإبلَ في أعناقها قَيْدَ الفَرَسِ، فلم تَزَلْ تلك سِمَتَهم في إبلهم، وقد ذكرنا في شرح قصيدة أبي طالب عند قوله: مُوَسَّمة الأعضاد أسماء السِّمات كالعِراض والخِبَاط والهلال، وذكرنا قَيْدَ الفرس، وأنه سِمَةٌ فيَ أعناقها، وقول الراجز:

كُومٌ علـى أعناقِهـا قَيْـدُ الـفَـرَسِ تَـنْـجُـو إذا الـلَّـيْـلُ تـدانـى والـتَـبَـسْ

متى قدم الرسول ﷺ المدينة؟

كان قدومُ رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة من ربيع الأول، وفي شهر أيلول من شهور العَجَم، وقال غير ابن إسحٰق قدمها لثمانٍ خَلَوْن من ربيع الأول، وقال ابن الكلبي: خرج من الغار يوم الاثنين أولَ يوم من ربيعِ الأول، ودخل المدينة يوم الجمعة لِثِنْتَيْ عشرة سنة، وكانت بَيْعَة العَقَبة أَوْسَطَ أَيَّام التَّشْريق.

---

(١) انظر البداية (٣/ ١٩٤) والطبقات لابن سعد (١/ ٢٣٣) والحاكم (٣/ ١١) والبخاري (٧/ ١٨٩) بنحوه.

المنازل التي نزلت بقباء

قال ابن إسحٰق: فنزل رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ على كُلثوم بن هِدْم، أخي بني عمرو بن عَوف، ثم أحد بني عُبيد: ويقال: بل نزل على سعد بن خَيْثمة. ويقول من يذكر أنه نزل على كُلثوم بن هِدْم: إنما كان رسول الله ـ ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن هدْم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة. وذلك أنه كان عَزبا لا أهل له، وكان منزل العُزَّابِ من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين، فمن هنالك يقال: نزل على سعد بن خيثمة، وكان يقال لبيت سعد بن خَيْثَمَة: بيت العُزَّاب. فالله أعلم أيّ ذلك كان، كلاًّ قد سمعنا.

ونزل أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه على خُبَيْب بن إساف، أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنح. ويقول قائل: كان منزله على خارجة بن زيد بن أبي زُهير، أخي بني الحارث بن الخزرج.

وأقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدّى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ، فنزل معه على كُلثوم بن هِدْم.

سهيل بن حنيف[1] وامرأة مسلمة:

فكان علي بن أبي طالب، وإنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول: كانت بقُباء امرأة لا زوج لها، مسلمة. قال: فرأيت إنسانًا يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها

كلثوم بن الهدم

فصل: وذكر ابن إسحٰق نزول رسول الله ـ ﷺ ـ على كُلْثُوم بن الهِدْم، وكُلْثُوم هذا كُنْيَتُه أبو قيس، وهو كلثوم بن الهِدْم بن امْرِىء القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وكان شيخًا كبيرًا مات بعد قُدوم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينةَ بيسير، هو أول من مات من الأنصار بعدقدوم النبي ﷺ، ثم مات بعده أسعدُ بن زُرَارَة بأَيام، وسعدُ بن خَيْثَمة، وأنه كان يقال لبيته: بيت العُزَّاب هكذا روي، وصوابُه: الأعزبُ؛ لأنه جمع عَزَبٍ، يقال: رجل عَزَبٌ، وامرأة عَزَبٌ، وقد قيل: امرأة عَزَبَة بالتاء.

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات (٣/ ٤٧١) (٦/ ١٥) الإصابة (٢/ ٨٧) الاستيعاب (١/ ٦٦٢).

بابها، فتخرج إليه فيعطيها شيئًا معه فتأخذه. قال: فاستربتُ بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كلّ ليلة، فتخرجين إليه فيعطيك شيئًا لا أدري ما هو، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حُنيف بن واهب، قد عرف أني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا، فكان عليّ رضي الله عنه يَأْثِر ذلك من أمر سهل بن حُنيف، حتى هلك عنده بالعراق.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني هذا، من حديث عليّ رضي الله عنه، هندُ بن سهل بن حنيف، رضي الله عنه.

بناء مسجد قباء

قال ابن إسحٰق: فأقام رسول الله ﷺ بقُباء، في بني عمرو بن عوف، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسّس مسجده.

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة. وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أيّ ذلك كان. فأدركتْ رسولَ الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانُونَاء، فكانت أوّل جمعة صلاها بالمدينة.

تأسيس مسجد قباء

فصل: وذكر تأسيس مسجدِ قُبَاء، وأنَّ رسول الله ﷺ أسسه لبني عَمْرو بن عَوْف، ثم انتقل إلى المدينة، وذكر ابن أبي خَيْثَمة أن رسول الله ﷺ حين أسسه، كان هو أول من وضع حَجَرًا في قِبلته، ثم جاء أبو بكر بحجَر فوضعه، ثم جاء عُمَر بحجر فوضعه إلى حَجَرِ أبي بكر، ثم أخذ الناسُ في البنيان. في الخطابي عن الشَّمُوسِ بنت النعمان [بن عامر بن مجمع الأنصارية] قالت: كان النبي ﷺ حين بنى مسجد قباء يأتي بالحجر قد صَهَرَهُ إلى بَطْنه، فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يُقِلَّه فلا يستطيع حتى يأمرَه أن يَدَعَه ويأخذَ غيره. يقال: صَهَره وأَصْهَره إذا ألصقه بالشَّيء، ومنه اشتقاق الصِّهْر في القرابة، وهذا المسجد أول مسجد بني في الإسلام، وفي أهله نزلت ﴿فيه رجالٌ يُحبُّونَ أن يَتَطهَّروا﴾ [التوبة: ١٠٨] فهو على هذا المسجد الذي أسس على التقوى، وإن كان قد روى أبو سَعِيدِ الخُدْرِيّ أن رسول الله ﷺ سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى، فقال: «هو مسجدي هذا»[1]، وفي رواية

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٩) والنسائي (٢/٣٦) وأحمد (٣/٨/٨٩/٩١) (٥/١١٦/٣٣١) والخطيب =

أخرى قال: «وفي الآخر خير كثير»، وقد قال لبني عمرو عوف حين نزلت: «لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوى»، «ما الطُّهُور الذي أثنى الله به عليكم»؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاسْتِجْمَارِ بالحجر، فقال: «هو ذاكم فَعَلَيْكُموه»[1]، وليس بين الحديثين تعارضٌ كلاهما أُسِّس على التقوى، غير أن قوله سبحانه: من أول يوم يقتضي مسجد قباء لأن تأسيسه كان في أول يوم من حُلول رسول الله ـ ﷺ ـ دار معجزته والبلد الذي هُو مُهَاجَرهُ.

التاريخ العربي:

وفي قوله سبحانه: ﴿من أول يوم﴾ وقد عُلم أنه ليس أول الأيام كلها، ولا أضافه إلى شيء في اللفظ الظاهر [فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمر] فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ، فاتفق رأيهُم أن يكون التاريخُ من عام الهجرة لأنه الوقت الذي عزَّ فيه الإسلام، والـذي أَمَر فيه النبيُّ ـ ﷺ ـ وأسْس المساجدَ. وَعَبَد الله آمنًا كما يحب[2]، فوافق رأيهُم هذا ظاهر التنزيل، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله سبحانه من أول يوم أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذي يورَّخ به الآن، فإن كان أصحابُ رسول الله ﷺ أخذوا هذا من الآية، فهو الظن بأفهامهم، فهُم أعلمُ الناسِ بكتاب الله وتأويله، وأفهمُهم بما في القرآن من إشارات وإفصاح، وإن كان ذلك منهم عن رأيٍ واجتهاد، فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن يفعل، إذ لا يعقل قول القائل: فعلته أول يوم إلا بإضافةٍ إلى عامٍ معلوم أو شهرٍ معلوم، أو تاريخ معلوم، وليس هاهنا إضافة في المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حال فتدبره ففــيه معتــبرٌ لمــن اذَّكَّر وعِلْمٌ لمن رأى بعين فؤاده واسْتَبْصَر والحمد لله.

مِنْ ودخولها على الزمان:

وليس يحتاج في قوله من أول يوم إلى إضمار كما قرره بعضُ النحاة: من تأسيس أول يوم، فرارًا من دخول مِنْ على الزمان، ولو لفظ بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم، فإضماره للتأسيس لا يفيد شيئًا، ومِنْ تدخل على الزمان، وغيره، ففي التنزيل ﴿من

= (٤/ ٧٩) والحاكم (١/ ٤٨٧).

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٥) والبيهقي (١/ ١٠٥) والحاكم (١/ ١٥٥) والدارقطني (١/ ٦٢) بتحقيقي.

(٢) ردَّ ابن المنير وغيره تفسير السهيلي لقوله تعالى: ﴿من أول يوم﴾ فانظر الفتح (٧/ ٢١٤) شرح المواهب (١/ ٣٥٣).

القبائل تعترضه لينزل عندها:

فأتاه عِتْبان بن مالك، وعبَّاس بن عُبادة بن نَضلة في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله. أقم عندنا في العدد والعدّة والمَنَعَة؛ قال: «خلُّوا سبيلَها، فإنها مأمورة»، لناقته: فخلُّوا سبيلَها، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بَياضَة، تلقَّاه زياد بن لَبيد، وفَرْوة بن عمرو، في رجال من بني بَياضَة فقالوا: يا رسول الله: هلمّ إلينا، إلى العَدد والعُدّة والمَنَعَة؛ قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، فخَلُّوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرّت بدار بني ساعدة، اعترضه سعدُ بن عُبادة، والمنذر بن عمرو، في رجال من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله، هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة؛ قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، فخلُّوا سبيلَها، فانطلقت، حتى إذا وازنت دارَ بني الحارث بن الخزرج، اعترضه سعدُ بن الربيع، وخارجةُ بن زيد، وعبد الله بن رَوَاحة، في رجال من بَني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة، قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، فخلوا سبيلها. فانطلقت، حتى إذا مرّت بدار بني عديّ بن النجار، وهم أخواله دِنْيا ـ أُم عبد المطلب، سَلْمى بنت عمرو، إحدى نسائهم ـ اعترضه سَلِيط بن قيس، وأبو سَليط أُسَيرة بن أبي خارجة، في رجال من بني

قبل ومن بعد﴾ والقَبْل والبَعْد زمان، وفي الحديث: «ما من دابة إلا وهي مُصِيخَةٌ[1] يوم الجمعة من حين تطلع الشمس إلى أن تغربَ»[2]، وفي شعر النابغة [في وصف سيوف]:

تُـورِّثْـنَ مـن أزمَـانِ يـوم حَـليـمـةٍ　　إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

[تَقُد السَّلُوقيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ　　ويُـوقِـدْنَ بـالـصُّفَّاح نـارَ الـحُبَاحِـب]

وبين مِنْ الداخلة على الزمان، وبين منذ فرق بديع قد بيناه في شرح آية الوصية.

تحلحل وتلحلح[3]:

فصل: وذكر لقاء كل قبيلة من الأنصار له يقولون: هَلُمَّ إلينا يا رسول الله إلى العَدَد والعُدَّة، فيقول: «خَلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة» حتى بَرَكَت بموضع مسجده، وقال:

---

(١) مصيخة: أي مصغية.

(٢) أخرجه أبو داود وابن حبان (٥٥١/١٠٢٤ موارد) وأحمد (٤٨٦/٢) والشافعي في مسنده (٧٢).

(٣) تحلحل: التحلحل: التحرّك والذهاب، وحَلْحَلتهم: حرّكتهم، وتحلحلت عن المكان كتزحزحت، ويقال: تحلحل: إذا تحرك وذهب، وتلحلح: إذا أقام ولم يتحرك. اللسان (١١/ ١٧٣).

عديّ بن النجّار، فقالوا: يا رسول الله، هلمّ إلى أخوالك، إلى العدد والعدّة والمنعة؛ قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، فخلوا سبيلها، فانطلقت.

مبرك الناقة بدار بني مالك بن النجار:

حتى إذا أتت داز بني مالك بن النجّار، بركت على باب مسجده ﷺ، وهو يومئذ مِرْبدٌ لغلامين يتيمَيْن من بني النجّار، ثم من بني مالك بن النجّار، وهما في حِجْر مُعاذ ابن عَفْراء، سَهْل وسُهيل ابني عمرو. فلما بَرَكت - ورسولُ الله ﷺ عليها - لم ينزل، وثبت فسارت غيرَ بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زِمامها لا يَثْنيها به، ثم التفتت إلى خلفها فرجعتْ إلى مَبْرَكِها أوّل مرّة، فبركت فيه، ثم تَحَلْحَلَتْ وَرَزَمَتْ ووضعتْ جِرانها، فنزل عنها رسول الله ﷺ، فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زيد رَحْلَه، فوضعه في بيته، ونزل عليه رسولُ الله ﷺ، وسأل عن المِرْبَد «لمن هو»؟ فقال له مُعَاذ ابن عَفْراء:

تَحَلْحَلَتْ ورَزَمَتْ وألقت بِجِرَانِها أي: بعنقها، وفسره ابن قتيبة على تَلَحْلَحَ أي: لَزِم مكانه. ولم يبرح، وأنشد:

أنـاس إذا قـيـل انـفِـروا قـد أُتِـيـتُـمُ أقـامـوا عـلـى أَثْـقَـالِـهِـمْ وتَـلَـحْـلَـحُـوا

قال: وأما تَحلْحَلَ بتقديم الحاء على اللام فمعناه: زال عن موضعه، وهذا الذي قاله قوي من جهة الاشتقاق، فإن التَلحْلُح يشبه أن يكون من لَحِحَتْ عينُه: إذا التصقت، وهو ابن عَمِّي لَحًّا.

وأما التَّحَلْحُلُ: فاشتِقاقُه من الحَلِّ والانحلال بَيِّن، لأنه انفِكَاكُ شَيءٍ من شيء، ولكن الرواية في سيرةِ ابن إسحٰق: تَحَلْحَلَتْ بتقديم الحاء على اللام، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوبًا من تَلَحْلَحَتْ، فيكون معناه: لصقت بموضعها، وأقامت على المعنى الذي فسره ابن قتيبة في تَلَحْلَحَتْ.

وأما قوله: ورَزَمَت فيقال: رَزَمت الناقة رُزُومًا إذا أقامت من الكَلالَ ونُوقٌ رَزْمَى، وأما أرزَمَتْ بالألف، فمعناه: رَغتْ، ورجَّعت في رُغَائها، ويقال منه: أَرْزَمَ الرعدُ، وأَرْزَمَت الريحُ قاله صاحب العين، وفي غير هذه السيرة: أنها لما ألقت بِجِرَانها في دار بني النجار جعلَ رجُلٌ من بني سَلَمَة، وهو جَبَّارُ بن صَخْرٍ يَنْخُسَها رجاءَ أنْ تقومَ فَتَبْرُكَ في دارِ بني سَلَمة، فلم تفعل.

المربد وصاحباه:

وقوله: كان المسجد مِرْبدًا. المِرْبَدُ والجَرينُ [والجُرْنُ والمِجْرَنُ] والمِسْطَحُ وهو

هو يا رسول الله لسَهْلٍ وسُهَيْل ابني عمرو، وهما يتيمان لي، وسأرضيهما منه، فاتخذه مسجدًا[1].

المسجد والمسكن

قال: فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبنى مسجدًا، ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيُّوب حتى بنى مسجده ومساكنه، فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغِّب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار، ودأبوا فيه، فقال قائل من المسلمين:

لـئِنْ قـعـدنـا والـنَّـبِـيُّ يَـعْـمَـلُ   لَـذَاكَ مـنَّـا الـعـمـلُ الـمـضـلَّـلُ

بالفارسية: مشطاح والجوخار والبَيْدَرُ والأَنْدَر لغاتٌ بمعنى واحد للموضِع الذي يُجعَل فيه الزرع والتمرُ للتَّيْبِيسِ، وأنشد أبو حنيفة في المِسْطَح [لتميم بن مُقْبِل]:

تـرى الأَمْـعَـزَ[2] الـمَـحْـزُوَّ فـيـه كـأنـه   من الحَرِّ في نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحُ

قال: والمَحْزوُّ من: حَزَوْتُ الشيءَ: إذا أظهرته. والمِسْطَحُ هو بالفارسية: مشطح، وأما المِسْطَحُ الذي، هو عود الخَباء فَعَرَبِيَّة.

وذكر أن ذلك المِرْبد كان لِسَهْلٍ وسُهَيْل ابْني عَمْرٍو يتيمين في حِجْرِ مُعَاذ ابن عَفْراء ولم يعرفهما بأكثر من هذا، وقال موسى بن عُقْبة: كانا يتيمين في حِجْرِ أسعد بنُ زرَارَة وهما ابنا رافع بن عَمْرو بن أبي عمرو بن عُبَيْد بنَ ثَعْلَبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار شهد سُهَيْلٌ منهما بدرًا، والمشاهِدَ كلَّها، ومات في خلافة عُمْر يشهد سَهْلٌ بدرًا، وشهد غيرَها ومات قبل أخيه سُهَيْل.

حول بنيان المسجد

فصل: وذكر بُنْيَانَ المسجد إلى آخر القصة، وفي الصحيح أنه قال: يا بني النجار ثَامِنُوني بحائطكم[3] [هذا] حين أرادَ أن يتخذَه مَسْجِدًا، [فقالوا: لا، والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، وفي رواية أخرى في الصحيح أيضًا: «ثم دعا رسول الله - ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، ثم بناه مسجدًا]، وقد ترجم البخاري على هذه المسألة لفِقْهٍ، وهو أن البائع أولى بتسمية الثمن الذي يطلبه، قال أنس:

---

(١) انظر مسلم (٣/١٦٢٣) البخاري (٧/١٩٦) الطبقات (١/٢٣٧).

(٢) الأمعز: الأرض الغليظة كثيرة الصخر والحصى.

(٣) أخرجه البخاري (١/١١٧) (٣/٢٦) ومسلم في المساجد (٩) وأحمد في مسنده (٣/١٢٣) والطبري في تاريخه (٢/٨).

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لا عَـيْـشَ إلا عَـيْـشُ الآخِـرة ... اللهمّ ارحم الأنصار والمُهَاجِرة

قال ابن هشام: هذا كلام وليس برجز.

قال ابن إسحٰق: فيقول رسول الله ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار»[1].

عمار والفئة الباغية

قال: فدخل عمّار بن ياسر، وقد أثقلوه باللَّبِن، فقال: يا رسول الله، قتلوني،

وكان في موضع المسجد نَخْلٌ وخِرَبٌ ومقابر مشركين، فأمر بالقبور فنُبِشَتْ[2] وبالخِرَبُ فَسُوِّيَتْ، وبالنَّخْلِ فَقُطِعَتْ.

ويُروى في هذا الحديث نَخْل وحَرْث مكان قوله: وخِرَبٌ، وروي عن الشّفاءِ بنت عبد الرحمٰن الأنصارية قالت: كان النبي - ﷺ - حين بنى المسجدَ يُؤمُّه جبريلُ إلى الكعبة ويقيم له القبلة.

وذكر فيه قول الرجل لعَمَّار: قد سمعتُ ما تقول يا ابن سُمَيَّة. قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحٰق الرجل، وكره ابن هشام أن يسميه كي لا يُذْكَر أحدٌ من أصحاب رسول الله - ﷺ - بمكروه، فلا ينبغي إذًا البحثُ على اسمه.

سمية أم عمار[3]

وسُمَيَّة: أُم عمار وقد تقدم التعريف بها في الهجرة الأولى ونبهنا على غلط ابن قتيبة [4] فيها فإنه جعلها وسُمَيَّة أُمَّ زياد واحدةً وسُمَيَّة أُم زياد كانت للحارِث بن كَلَدَة المتَطَبِّب، والأولى: مَوْلاةٌ لبني مَخْزُوم وهي سُمَيَّة بنت خباط، كما تقدم، وكان أهدى سُمَيَّة

---

(١) انظر البخاري (٥/ ٤٢) البداية والنهاية (٣/ ٢١٦) الفتح (٧/ ١١٨).

(٢) أمره ﷺ بنبشِ القبور لبناء المسجد، دعوة إلى أصحاب المقابر والمشاهد من أصحاب الطرق الصوفية وغيرهم إلى الاقتداء برسول الله ﷺ، وقد نهى ﷺ عن الصلاة في المساجد المُقامة على القبور، بل ونهى عن فهل هذا، وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «لعن - قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم - وفي رواية - وصالِحِيهم مساجد». فهي مَن يجيب؟!.

(٣) له ترجمة في الطبقات (٨/ ٢٦٤) الإصابة (٤/ ٣٣٤) الاستيعاب (٤/ ١٨٩٣).

(٤) انظر المعارف لابن قتيبة (٧٦).

يَحْمِلون عليّ ما لا يحملون. قالت أمّ سَلَمَة زوجُ النبيّ ﷺ: فرأيت رسول الله ﷺ ينفُضُ وَفْرته بيده، كان رجلاً جَعْدًا، وهو يقول: «ويحَ ابن سُميَّة، ليسوا بالذين يتقلونك، إنما تقتلك الفئةُ الباغية»[1].

ارتجاز عليّ:

وارتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ:

لا يستوي من يَعْمُرُ المَساجدا يدأب فيه قائمًا وقاعدا

ومَنْ يُرَى عن الغبار حائدًا

قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر، عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن عليّ بن أبي طالب ارتجز به، فلا يُدْرى: أهو قائله أم غيرُه.

مشادة عمار:

قال ابن إسحٰق: فأخذها عمَّار بن ياسر، فجعل يرتجز بها.

قال ابن هشام: فلما أكثر، ظنّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أنه إنما يُعرّض به، فيما حدّثنا زياد بن عبد الله البَكّائِيُّ، عن ابن إسحٰق، وقد سمّى ابنُ إسحٰق الرجل.

الرسول ﷺ يوصي بعمار:

قال ابن إسحٰق: فقال: قد سمعتُ ما تقول منذ اليوم يا ابن سُميَّة، والله إني

إلى الحرث رَجُلٌ من مُلوك اليَمن: يقال له أبو جَبْر، وذلك أنه عالجه من داءٍ كان به فَبَرِىء، فوهبها له، وكانت قبل أبي جبر لملِكٍ من مُلوك الفرس وفَد عليه أبو جَبْر، فأهداها إليه الملكُ ذكره ابن قُتَيْبَةَ، وفي جامع مَعْمَر بن راشد أن عمارًا كان يَنْقُل في بُنْيَان المسجِد لَبِنَتَيْن، لَبِنةً عنه، ولَبِنةً عن رسول الله - ﷺ - والناس ينقلون لَبِنةً واحدة، فقال له النبي - ﷺ - للناس أجرٌ ولك أجران، وآخر زادك من الدنيا شَرْبَةُ لبن، وتقتلك الفِئةُ الباغية فلما قُتِل يوم صِفّين دخل عَمْرٌو على معاوية فَزِعا، فقال: قتِل عَمّارٌ، فقال معاوية: فماذا؟ فقال عَمْرو: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «تقتله الفئة الباغية»، فقال معاوية: دَحَضْتَ[2] في بَوْلِك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله من أخرجه[3]؟!

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٢٢) (٤/ ٢٥) وأحمد (٣/ ٩١) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٤٦).

(٢) أي زلقت.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ١٣٧) والحاكم (٣/ ٣٨٧) وصححه على شرطهما.

لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك. قال: وفي يده عصا. قال: فغضب رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «ما لهم ولعمَّار، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، إن عمارًا جِلْدة ما بين عينيّ وأنفي، فإذا بل ذلك من الرجل فلم يُسْتبق فاجتنبوه»[١].

إضافة بناء أول مسجد إلى عمار

قال ابن هشام: وذكر سُفيان بن عُيينة عن زكريا، عن الشَّعبيّ، قال: إن أوَّل من بنى مَسجدًا عمَّارُ بن ياسر[٢].

إضافة بناء المسجد إلى عمار

وذكر ابن إسحٰق في هذا الموضع الحديث الوارد في عَمَّار، وهو: أولُ من بنى لله مسجدًا عمارُ بن ياسر، فيقال: كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد، وقد بناه معه الناس؟ فيقول: إنما عنى بهذا الحديث مسجد قُبَاء، لأن عمارًا هو الذي أشار على النبي - ﷺ - ببنيانه، وهو جمع الحجارة له، فلما أسّسه رسولُ الله - ﷺ استتَمَّ بنيانَه عمارٌ.

أطوار بناء المسجد:

كذلك ذكر ابن إسحٰق في رواية يونس بن بكير عنه: وبُني مسجد رسول الله - ﷺ - وسقِف بالجريد وجعلت قبلتُه من اللَّبِن، ويقال: بل من حِجَارةٍ مَنْضُودةٍ بعضُها على بعض، وجُعِلَت عُمُدُه من جُذُوع النَّخْل، فنَخِرَتْ في خلافة عُمَر فجرَّدها، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالقَصَّة وسَقَفه بالسَّاج[٣]، وجعل قبلتَه من الحجارة، فلما كانت أيام بنى العباس بناه محمدُ بن أبي جعفر المتسمى بالمَهْدي، ووسعه وزاد فيه، وذلك في سنةِ ستين ومائةٍ، ثم زاد فيه المأمونُ بن الرَّشيد في سنة ثنتين ومائتين، وأتقن بنيانه، ونقش فيه: هذا ما أمر به عبدُ الله المأمون في كلام كثير كَرِهتُ الإطالة بذكره. ثم لم يبلغنا أن أحدًا غيَّر منه شيئًا، ولا أحدث فيه عملاً.

بيوت النبي ﷺ:

وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعةً، بعضُها من جريدٍ مُطَيَّن بالطِّين وسقفها جريد،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ١١٩) وتقدم نحوه عند البخاري (١/ ١٢٢).
(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٨٥) عن الحكم بن عتيبة والقاسم بن عبد الرحمٰن.
(٣) الساج: ضرب من الشجر ضخم.

الرسول ﷺ في بيت أبي أيوب

قال ابن إسحـٰق: فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب، حتى بُني له مسجدُه

وبعضها من حِجارة مَرْضُومَة، بعضُها فوق بعض، مسقفة بالجريد أيضًا. وقال الحسن بن أبي الحسن: كنت أدخل بيوت النبي عليه السلام، وأنا غلام مراهق، فأنال السقف بيدي، وكانت حُجَرُه ـ عليه السلام ـ أكْسِيَةً من شعر مربوطة في خشب عَرْعَر وفي تاريخ البخاري أن بابه ـ عليه السلام ـ كان يُقْرَع بالأظافر، أي لا حَلَقَ له، ولما تُوفِّي أزواجُه عليه السلام خُلطت البيوتُ والحُجَر بالمسجد، وذلك في زمن عَبْد الملك، فلما ورد كتابه بذلك ضَجَّ أهلُ المدينة بالبكاء، كيوم وفاته عليه السلام، وكان سريرُه خَشَباتٍ مشدودةً بالليف، بيعت زمن بني أُميَّة، فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم قاله ابن قتيبة. وهذا يدل على أن بيوته عليه السلام إذا أُضيفت إليه، فهي إضافة مِلْكٍ، كقوله تعالى: ﴿لاَ تَدْخُلوا بُيُوتَ النَّبي﴾ [الأحزاب: ٥٣] وإذا أضيفت إلى أزواجه كقوله: ﴿وَقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فليست بإضافةِ مِلْكٍ، وذلك أن ما كان مُلْكًا له عليه السلام، فليس بمَوْرُوثٍ عنه.

حب حباب:

فصل: وذكر حديث أم أيوب، وقولها: انكسر حُبٌّ لنا. الحُبُّ جَرَّةٌ كبيرة، جَمْعُه [أحب وحِبَاب] حِبَبَه مثل جُحْرٍ وجِحَرة [وأجحار وجِحَر] وكأنه أخذ لفظه من حَبَابِ الماء أو من حَبَبة، وحَبَابُه بالألف: ترافعه. قال الشاعر:

كأن صَلاَ جَهِيزَةَ حين تمشي ... حَبَابُ الماء يَتَّبِعُ الحَبَابَا

والحَبَبُ بغير ألِفٍ نُفَّاخَاتٌ بِيضٌ صِغار تكون على وَجْه الشراب قاله ابن ثابت.

الثـــوم:

وذكر قوله عليه السلام لأُم أيوب ـ حين رَدَّ عليها الثَّرِيدَ من أجل الثُّوم: «أنا رجل أُناجي»، وروى غيرَه حديث أُم أيوب، وقال فيه: «إن الملائكةَ تتأذَّى بما يتأذى به الإنس»(١). وروي أن خَصِيفَ بن الحارث قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله: الحديث الذي ترويه عنك أُمُّ أيوب أن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس أصحيح هو؟ قال: «نعم».

مصير منزل أبي أيوب

ومنزل أبي أيوب الذي نزل فيه النبيّ ـ ﷺ ـ تصيَّر بعده إلى أَفْلَح مولى أبي أيوب،

---

(١) انظر مسلم في المساجد (٧٢) وابن ماجه (٣٣٦٥) وأحمد (٣/ ٣٧٤).

ومساكنه، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب، رحمة الله عليه ورضوانه.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن أبي حَبيب، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَني، عن أبي رُهْم السَّماعي، قال: حدّثني أبو أيوب، قال: لما نزل عليَّ رسولُ الله ﷺ في بيتي، نزل في السُّفْلِ، وأنا وأُمّ أيوب في العُلو، فقلت له: يا نبيّ الله، بأبي أنت وأُمي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك، وتكون تحتي، فاظهَرْ أنت فكن في العُلْو، وننزل نحن فنكون في السُّفْلِ، فقال: «يا أبا أيوب، إنّ أرفق بنا وبمن يَغشانا، أن نكون في سُفْل البيت».

قال: فكان رسول الله ﷺ في سُفْلِه، وكنا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حُبّ لنا فيه ماء فقُمت أنا وأُمّ أيوبَ بقَطِيفَةٍ لنا، ما لنا لحاف غيرها، نَنْشَف بها الماءَ، تخوفا أن يَقْطُرَ على رسولِ الله ﷺ - منه شيء فيؤذيه.

قال: وكنا نصنع له العَشاء، ثم نبعث به إليه، فإذا ردّ علينا فضلَه تيمَّمْت أنا وأُمُّ أيوب موضعَ يده، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعَشائه وقد جعلنا له بصلاً أو ثُومًا، فردّه رسولُ الله ﷺ، ولم أرَ ليده فيه أثرًا قال: فجئتُه فَزِعًا، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمي رددتَ عشاءك ولم أر فيه موضع يدك، وكنتُ إذا رددته علينا، تَيَمَّمْتُ أنا وأُمّ أيوب موضع يدك، نَبتغي بذلك البركة؛ قال: «إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أُناجي، فأمَّا أنتم فكلوه». قال: فأكلناه، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد[1].

تلاحق المهاجرين

قال ابن إسحٰق: وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ، فلم يبق بمكة منهم أحد، إلا مفتون أو محبوس، ولم يُوعِبْ أهلُ هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله ﷺ إلا أهلُ دور مُسمَّون: بنو مظعون من جُمح؛ وبنو جَحْش بن

فاشتراه منه بعد ما خَرِبَ، وتَثَلَّمت حيطانُه المُغيرةُ بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام بألف دينار بعد حيلة احتالها عليه المغيرةُ ذكرها الزبير، ثم أصلح المغيرةُ ما وَهَى منه، وتصدق به على أهل بيتٍ من فقراء المدينة، فكان بعدَ ذلك ابنُ أَفْلَحَ يقول للمغيرة: خَدَعْتني، فيقول له المغيرة: لا أَفْلَحَ مَنْ نَدِم. هذا معنى ما ذكره الزُّبَيْرُ بن أبي بكر.

---

(١) أخرجه الطبراني (٤/ ١٤١).

رِئاب، حلفاء بني أُميّة؛ وبنو البُكَير، من بني سعد بن ليث، حلفاء بني عديّ بن كعب، فإن دُورَهم غُلِّقت بمكة هجرةً، ليس فيها ساكن.

قصة أبي سفيان مع بني جحش

ولما خرج بنو جحش بن رِئاب من دارهم، عدا عليها أبو سفيانَ بن حرب فباعها من عمرو بن عَلْقمة، أخي بني عامر بن لؤيّ؛ فلما بلغ بني جَحش. ما صنع أبو سفيان بدارهم، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيَك الله بها دارًا خيرًا منها في الجنة»؟ قال: بلى؛ قال: «فذلك لك». فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة كلمه أبو أحمد في دارهم، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ؛ فقال الناس لأبي أحمد: يا أبا أحمد، إن رسول الله ﷺ يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أُصيب منكم في الله عزّ وجلّ، فأمسك عن كلام رسول الله ﷺ، وقال لأبي سفيان:

أبلغْ أبا سفيان عن	أمرٍ عواقبُه ندامَه
دارَ ابن عمك بِعتَها	تَقضي بها عنك الغَرامهْ
وحليفُكم بالله ربّ	الناس مجتهد القَسامهْ
اذهب بها، اذهب بها	طُوّقتها طوقَ الحَمامه

من قصة أبي سفيان مع بني جحش

وذكر قول أبي أحمد بن جحش لأبي سُفْيَان:

دارَ ابنِ عَمِّك بَعْتَها	تقضي بها عنك الغرامه
اذهبْ بها اذهب بها	طُوِّقْتَها طَوْقَ الحَمامهْ

أو أحمد هذا اسمه عَبْد، وقيل: ثُمامة، والأول أصح، وكانت عنده الفارعةُ بنت أبي سفيان، وبهذا السبب تَطَرّق أبو سفيان إلى بيع دارِ بني جَحْش إذ كانت بنتُه فيهم. مات أبو أحمد بعد أختِه زينب أم المؤمنين في خلافة عمر.

وقوله لأبي سفيان طُوِّقتها طَوْق الحمامة مُنتزَعٌ من قول النبيّ - ﷺ - «مَنْ غَصَبَ شِبْرًا من أرضٍ طُوِّقَه يومَ القِيامة من سَبْع أرضين»[1] وقال طَوْق الحمامة، لأن طوقها لا يفارقها،

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٣/ ١٣٧) ومسلم (١٥٣٨).

انتشار الإسلام ومن بقي على شركه:

قال ابن إسحٰق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قَدِمها شهرَ ربيع الأوّل، إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بُني له فيها مسجدُه ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحيّ من الأنصار، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، إلا ما كان من خَطْمة، وواقف، ووائل، وأُميَّة، وتلك أوس الله، وهم حيّ من الأوس، فإنهم أقاموا على شركهم.

الخطبة الأولى

وكانت أوّل خُطْبة خطبها رسول الله ﷺ، فيما بلغني عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن - نعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل - أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فقدّموا لأنفسكم تَعلَّمُنَّ والله لَيُصْعَقَنَّ أحدكم، ثم لَيَدَعنّ غَنَمَه ليس لها راع، ثم ليقولنّ له ربه، وليس له تَرجمان ولا حاجبٌ يحجبُه دونه: ألم يأتك رسولي فبلّغك، وآتيتك مالاً وأفضل عليك؟ فما قدّمتَ لنفسك؟ فلَينظُرنّ يمينًا وشمالاً فلا يرى شيئًا، ثم لَينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن

ولا تلقيه عن نفسها أبدًا، كما يفعل مَنْ لِبسَ طَوْقًا من الآدميين، ففي هذا البيت من السَّمَانة وحَلاَوة الإشارة ومَلاَحة الاستعارة ما لا مزيدَ عليه، وفي قوله: طَوْق الحمامة رَدٌّ على من تأوّل قولَه عليه السلام: طُوِّقه من سبع أرضين أنه من الطَّاقة، لا من الطَّوْق في العنق، وقاله الخطابي في أحد قوليه، مع أن البخاري قد رواه، فقال في بعض روايته له: خُسِف به إلى سَبْع أرضين، وفي مسند ابن أبي شيبة: «من غَصَبَ شبرًا من أرض جاء به إسْطَامًا في عُنُقه»[1]، والإسْطَامُ كالحَلَق من الحديد، وسِطَامُ السيف حَدُّه.

الخـطبـة[2]

فصل: وذكر خُطبة رسول الله - ﷺ - وفيها يقول الله عزّ وجلّ لعبده: ألم أوتِك مالاً وأُفضِل عليك، فماذا قدَّمت. وفي غير هذا الكتاب زيادة، وهي: ألم أوتِك مالاً، وجَعَلْتُك تَرْبَعُ وتَدْسَعُ؟ وفسره ابن الأنبارِي، فقال: هو مثل، وأصله: أن الرئيس من العرب كان يَرْبَعُ قومَه أي: يأخذ المِرْباعَ إذا غزا ويَدْسَع: أي يُعْطي ويَدفع من المالِ لمن شاء، ومنه قولهم: فلان ضَخْمُ الدَّسِيعَة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٥١).

(٢) انظر تاريخ الطبري (٢/ ٣٩٤) البداية والنهاية (٣/ ٢١٣) المنتظم (٣/ ٦٥) الدلائل (٢/ ٥٢٤).

استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بِشِقّ من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طَيبة، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

الخطبة الثانية

قال ابن إسحٰق: ثم خطب رسولُ الله ﷺ الناس مرّة أخرى، فقال: «إنّ الحمدَ لله، أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له. إنّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زَيَّنه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه، أحبُّوا، ما أحبّ الله، أحبُّوا الله من كلّ قلوبكم، ولا تَمَلُّوا كلامَ الله وذكرَه، ولا تَقْسُ عنه قلوبكم فإنه من كُلّ ما يخلق الله يختار ويصطفي، قد سماه الله خِيرته من الأعمال، ومُصطفاه من العباد، الصالح الحديث، ومن كلّ ما أوتي الناس من الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتقوه حقّ تقاته، واصدُقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابُّوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن يُنكَث عهدُه، والسلام عليكم».

الحــب

وذكر خُطبة رسول الله ـ ﷺ ـ الثانية، وفيها: «أحِبُّوا الله من كل قلوبكم»، يريد أن يَسْتَغرِقَ حُبُّ الله جميعَ أجزاءِ القلب، فيكون ذكرُه وعملُه خارجًا من قلبِه خالصًا لله، وإضافةُ الحبِّ إلى الله تعالى من عبده مَجازٌ حسنٌ لأن حقيقة المحبة: إرادةٌ يقارنُها اسْتِدعاءٌ للمحبوب إمَّا بالطبع، وإمَّا بالشرع، وقد كشفنا معناها بغاية البيان في شرح قوله عليه السلام: «إن الله [تعالى] جَميلٌ يحب الجمال»[1] ونبهنا هنالك على تقصير أبي المعالي رحمه الله في شرح المحبة في كتاب الإرادة من كتاب الشامل فَلْتُنْظَرْ هنالك.

من شرح الخطبة:

وقوله عليه السلام: «لا تَمَلُّوا كلامَ الله وذكرَه، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي». الهاء في قوله: فإنه لا يجوز أن تكون عائدةً على كلام الله سبحانه، ولكنها

---

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في الإيمان (١٤٧) وأحمد (٤/ ١٣٣) والحاكم (١/ ٢٦). والله تعالى يُحب ويُحَب فهو الودود سبحانه وتعالى وعزّ وجل. وانظر مزيد بيان «روضة المحبّين» و«مدارج السالكين» للعلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى.

....

ضمير الأمر والحديث، فكأنه قال: إن الحديثَ من كل ما يخلق الله يختار، فالأعمال إذًا كلُّها من خَلْق الله قد اختار منها ما شاء قال سبحانه: ﴿وربك يَخْلُقُ ما يشاء ويَخْتار﴾ [القصص: ٦٨]، وقوله: «قد سماه خيرته من الأعمال»، يعني: الذكر، وتلاوة القرآن؛ لقوله سبحانه: «ويختار»، فقد اختاره من الأعمال.

وقوله: «والمصطَفى من عباده»، أي: وسمى المصطَفى من عباده بقوله: ﴿الله يَصْطَفِي من الملائكةِ رُسُلاً ومن الناس﴾ [الحج: ٧٥] ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أي: العمل الذي اصطفاه منهمُ واختاره من أعمالهم، فلا تكون من على هذا للتبعيض، إنما تكون لابتداء الغاية، لأنه عملٌ استخرجه منهم بتوفيقه إياهم. والتأويلُ الأولُ أقرب مأخذًا والله أعلم بما أراد رسوله.

وقوله في أول الخطبة: «إن الحمدُ لله أحمدُه» هكذا برفع الدال من قوله: الحمدُ لله وجدته مقيدًا مصححًا عليه، وإعرابه ليس على الحكاية[1]، ولكن على إضمار الأمر كأنه قال: إن الأمر الذي أذكره، وحذف الهاء العائدة على الأمر كي لا يقدِّم شيئًا في اللفظ من الأسماء على قوله: «الحمدُ لله»، وليس تقديم إن في اللفظ من باب تقديم الأسماءِ، لأنها حرف مؤكِّد لما بعده مع ما في اللفظ من التحري للفظ القرآن والتيمن به، والله أعلم.

وكانت خطبتُه في تلك الأيام على جِذْع، فلما صُنِع له المِنْبَر من طَرْفَاءِ الغابة، وصنعه له عبد لامرأة من الأنصار اسمه باقوم خار الجذع خُوارَ الناقة الخَلُوج، حتى نزل عليه السلام، فالتزمه، وقال: «لو لم ألتزمه ما زال يَخُور إلى يوم القيامة»[2]، ثم دفنه، وإنما دفنه، لأنه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه وحنينه إلى النبي ﷺ، وهذا ينظر إلى قوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] الآية، وإلى قوله عليه السلام في النخلة: «مثلُها كمثل المؤمن»، وحديثُ خُوارِ الجِذْع وحنينُه منقول نقل الواتر لكثرة من شاهد خُواره من الخلق وكلهم نقل ذلك، أو سمعه من غيره فلم ينكره.

---

(١) أي على النقل من الكلام السابق، كما تقول: إن الله وصف المؤمنين فقال إنهم هم: الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر، ثم تقول فكل من «الآمرون والناهون»، ولا تقل: فكل من «الآمرين والناهين» بالجر رغم تقدم حرف الجر «من» على اللفظتين، ولكن تقول فكل من «الآمرون والناهون» نقلاً عن قولك الأول، ويكون إعرابها: الآمرون: اسم مجرور بمن وعلامة جرّه الكسرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الحكاية.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١٥٣) وابن ماجه (١٤١٥) وأحمد (١/ ٢٤٩/ ٢٦٧/ ٣٦٣) والدارمي (١/ ١٩) والطبراني (١٢/ ١٨٧) وأبو نعيم في الدلائل (١٤٢).

كتاب الموادعة لليهود

قال ابن إسحٰق: وكتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادعَ فيه يهود وعاهدهم، وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبيّ ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة

كتاب رسول الله ﷺ فيما بينه وبين اليهود[1]

شرط لهم فيه، وشرط عليهم، وأمَّنهم فيه على أنفسِهم وأهليهم وأموالهم، وكانت أرضُ يَثْرِبَ لهم قبل نزول الأنصار بها، فلما كان سَيْلُ العَرِم، وتَفَرَّقَتْ سَبَا نزلت الأوسُ والخَزْرَجُ بأمر طَرِيفَة الكَاهِنة، وأمرِ عِمْرَان بن عامر، فإنه كان كاهنًا أيضًا وبمَا سَجَعَتْ به لكل قَبيلة من سَبَا، فسَجَعَت لبني حارثة بن ثَعْلَبَة. وهم الأوس والخزرجُ أن يَنْزِلوا يَثْرِبَ ذاتَ النخلِ فنزلوها على يَهُودَ وحالفوهم وأقاموا معهم، فكانت الدارُ واحدةً.

متى دخل اليهود يثرب؟

والسبب في كون اليهود بالمدينة، وهي وسط أرض العرب مع أن اليهودَ أصلُهم من أرض كَنْعَانَ أن بني إسرائيلَ كانت تغير علَيهم العَمَالِيقُ من أرض الحجاز، وكانت منازلهم يَثْرِبَ والجُحْفَة إلى مكة، فشكت بنو إسْرائيلَ ذلك إلى موسى، فوجه إليهم جيشًا، وأمرهم أن يقتلوهم، ولا يُبْقوا منهم أحدًا، ففعلوا وتركوا منهم ابنَ ملك لهم كان غلامًا حسنًا، فرقُّوا له، ويقال للملك: الأرقم بن أبي الأرقم فيما ذكر الزبير ثم رجعوا إلى الشام وموسى قد مات، فقالت بنو إسرائيل لهم: قد عصيتم وخالفتم، فلا نُؤويكم، فقالوا: نرجع إلى البلاد التي غُلِبْنا عليها فنكون بها، فرجعوا إلى يثرب، فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوسُ والخزرجُ بعد سيل العَرِم. هذا معنى ما ذكره أبو الفرج الأصْبَهَانِيّ في كتابه الكبير المعروف: بكتاب الأغاني، وإن كان الزُّبَيْر قد ذكره أيضًا في أخبار المدينة، ولا أحسب هذا صحيحًا لبعد عُمْرِ موسى عليه السلام، والذي قال غيره إن طائفة من بني إسرائيل لحقت بأرض الحجاز حين دَوَّخ بَخْتُ نَصَّر البَابلي في بلادهم، وجاس خِلال ديارهم، فحينئذ لحق من لحق منهم بالحجاز كقُرَيْظَة والنَّضِير، وسكنوا خَيْبَر والمدينة، وهذا معنى ما ذكر الطبري والله أعلم.

---

(١) انظر البداية والنهاية (٣/ ٢٢٢). والحديث أخرجه البخاري (٧/ ١٩٥) ومسلم (١٥٣٨).

من دون الناس، المهاجرون من قريش على رِبْعتهم يتعاقلون، بينهم، وهم يَفدون عانِيَهم بالمعروف والقِسط بين المؤمنين؛ وبنو عَوْف على رِبْعتهم يتعاقلون مَعاقلهم الأولى، كلّ طائفة تَفْدي عانِيهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على رِبْعَتهم يتعاقلون

اسم يثرب:

وأما يَثْرِبُ فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فعُرفت باسمه، وهو يَثْرِبُ بن قَاين بن عَبِيل بن مِهْلايل بن عوص بن عِمْلاق بن لاَوذ بن إِرَم، وفي بعض هذه الأسماء اختلافٌ وبنو عِبِيلٍ هم الذين سكنوا الجُحْفَةَ فأجْحَفَت بهم السيولُ وبذلك سُمِّيت الجُحْفَة، فلما احتلها رسول الله ـ ﷺ ـ كره لها هذا الاسم أعني: يَثْرِب لما فيه من لفظ التَّثْرِيب، وسماها طيبَة والمدينة.

فإن قلت: وكيف كره اسمًا ذكرها اللهُ في القرآن بِه، وهو المُقْتَدِي بكتاب الله، وأهلٌ أن لا يعْدِل عن تسمية الله؟ قلنا: إن الله ـ سبحانه ـ إنما ذكرها بهذا الاسم حاكيًا عن المنافقين؛ إذ قالت طائفة منهم: ﴿يا أهْلَ يثْرِبَ لا مُقَامَ لكم﴾ [الأحزاب: ١٣] فنبهه بما حكي عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله، وأبوا إلا ما كانوا عليه في جاهلَيتهم، والله سبحانه قد سماها: المدينة، فقال غير حاكٍ عن أحد: ﴿ما كان لأهل المدينة ومَنْ حَوْلَهُمْ من الأعراب أن يَتَخَلَّفوا عن رسول الله﴾ [التوبة: ١٢٠]، وفي الخبر عن كَعْب الأحبار قال: إنا نجد في التَّوْرَاة يقول الله للمدينة يَا طابَةُ يا طيبَةُ يا مِسْكِينة لا تقبلي الكُنوزَ أَرْفَع أَجَاجِيرَك على أَجَاجِيرَ[1] القُرى، وقد رُوي هذا الحديث عن علي بن أبي طالب يرفعه، وروي أيضًا أن لها في التوراة أَحَدَ عَشَر اسمًا: المدينة وطَابَة وطِيبة والمِسْكِينة والجابرة والمُحِبَّة والمَحْبُوبة والقَاصِمة والمَجْبُورَة والعَذْراء والمَرْحُومة، وروي في معنى قوله: ﴿وقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ [وأَخْرِجْنِي مُخْرِج صِدْقٍ]﴾ [الإسراء: ٨٠] أنها المدينة، وأن ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مَكَّة و ﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ الأنصار.

تفسير على ربعاتهم:

وفي الكتاب: بنو فلان على رِبعَاتِهم. هكذا رواه أبو عُبيد عن ابن بَكير عن عُقَيْلِ بن خالد [من عقيل الأَبْلي] عن الزهري ورواه عن عبد الله بن صالح بهذا الإسناد، فقال: رِبَاعَتِهِم. الألِف بعد الباء، ثم قال أبو عبيد: يقال: فلان على رِبَاعَه قومه إذا كان نقيبَهم ووافدَهم.

---

(١) أجاجير: جمع إجار، وهو السطح الذي ليس له سور.

معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة منهم نفدي عانِيهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُون مَعَاقِلَهم الأولى، وكلّ طائفة تفدي عانِيهَا بالمعروف والقِسْطِ بين المؤمنين، وبنو جُشَم على رِبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلَهم الأولى، وكلّ طائفة منهم تفدي عانِيهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجّار على رِبْعَتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى، وكلّ طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عَوْف على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة تفدي عانِيهَا بالمعروف والقِسط بين المؤمنين، وبنو النَّبِيت على رِبعَتِهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى، وكلُّ طائفة تفدي عانِيهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكلّ طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فِداء أو عَقْل».

قال ابن هشام: المُفْرَح: المُثْقل بالدين والكثير العيال. قال الشاعر:

إذا أنت لم تَبْرَحْ تُؤَدّي أمانةً وتحملُ أخرى أَفْرَحَتْك الودائعُ

وأن لا يحالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دَسِيعة ظُلْم، أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين؛ وأن أيديهم عليه جميعًا، ولو

قال المؤلف: وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى، لأنها ولاية، وإن جعل الرِّبَاعة مصدرًا فالقياس فتح الراء، أي على شَأْنهم وعادتهم من أحكام الدِّيَات والدماء يتعاقَلُون مَعاقِلَهم الأولى: جمع: مَعْقَلَة ومَعْقَلَةٌ من العَقْلِ وهو الدِّيَة.

من كلمات الكتاب:

وقال في الكتاب: وألاّ يُتْرَكَ مُفْرَحٌ، وفسره ابنُ هِشَام كما فسره أبو عُبَيْد أنه الذي أثقله الدَّيْن، وأنشد البيت الذي أنشده أبو عُبَيْد:

إذا أَنْتَ لم تَبْرَحْ تُؤَدّي أَمَانَةً وتَحْمِلُ أُخْرَى أَفْرَحَتْكَ الوَدَائِعُ

أي: أثقلتك يجوز أن يكون من أفعال السَّلْب، أي سَلَبَتْك الفَرَح، كما قيل: أَقْسَطَ الرجلُ إذا عَدَل، أي: أزال القِسْطَ، وهو الإعْوِجَاجُ، ويجوز أن تكون الفاءُ مُبَدَلَةً من باء، فيكون من البَرْح وهو الشدة، تقول: لقيت من فلان بَرْحًا أي: شِدَّة، وذكر أبو عُبَيْد رواية أخرى مُفْرَج بالجيم، وذكر في معناه أقوالاً، منها أنه الذي لا ديوان له، ومنها: أنه القتيل بين القريتين لا يُدْرَى من قتله، ومنها أنه في معنى المُفْرَح بالحاء أي: الذي لا شيء له، وقد أثقله الدين، أو نحو هذا فيُقْضَى عنه من بيت المال.

كان وَلَد أحدهم؛ ولا يَقْتلُ مؤمنٌ مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة، يُجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من تَبِعنا من يَهُودَ فإن له النصرَ والأُسْوَة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم؛ وإنَّ سِلْم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال. سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كلّ غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضًا، وإن المؤمنين يُبيء بعضُهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه؛ وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش، ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتبط مؤمنًا قتلاً عن بَيِّنة فإنه قَوَدٌ به إلا أن يرضى وليّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحلّ لهم إلا قيامٌ عليه، وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُحْدِثًا، ولا يُؤويه؛ وأنه مَن نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمد ﷺ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عَوف أُمَّة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظَلم وأثم، فإنه لا يُوتِغ إلا نفسَه، وأهلَ بيتِه، وإن لِيَهُودِ بني النَّجّار مثل ما ليهود بني عَوْف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بَني ساعدة مثل ما ليهود بني عَوْف، وإن ليهود بني جُشَم مثل ما ليهود بني عَوْف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثَعْلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظَلم وأثم، فإنه لا يُوتغ إلا نفسه وأهلَ بيته، وإن جَفْنة بطن من ثعلبة كأنفسهم؛ وإن لبني الشُّطَيبة مثل ما ليهود بني عَوف، وإن البِرّ دون الإثم، وإن موالي ثَعْلبة كأنفسهم؛ إن بِطَانَة يهود كأنفسهم؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وإنه لا ينحجز على ثار جُرْح، وإنه من فَتك فبنفسه فتك، وأهلِ بيته، إلا من ظَلم، وإن الله على أبرّ هذا، وإن على اليهود نفقتَهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يَثْرب حرام جَوْفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مُضارّ ولا آثم، وإنه لا يُجار حُرْمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة مِن حَدَث أو اشْتِجَارِ يُخاف فساده، فإنَّ مردّه

وفيه: ولا يُوتِغُ إلا نفسَه، أي: لا يُوبِقُ، ويهلك إلا نفسه، يقال وَتَغَ الرجلُ، وأوتغَه غيرُه، قاله أبو عبيد. ومعنى قوله: يُبيء هو من البَوَاء، أي: المساواة، ومنه قول مُهَلْهِل حين قَتَل ابنًا للحارث بْنِ عُباد: بُؤْبِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْب.

إلى الله عزّ وجلّ، وإلى محمد رسولِ الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دَهم يثرب، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويَلْبسونه، فإنهم يصلحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا مَنْ حارب في الدين، على كلّ أناس حصّتهم من جانبهم الذي قِبَلهم، وإن يهود الأوس، مواليَهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض، من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن هشام: ويقال: مع البرّ المُحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن إسحٰق: وإن البرّ دون الإثم، لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمنٌ، ومن قعد آمِن بالمدينة، إلا من ظَلم أو أثم، وإن الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحٰق: وآخى رسولُ الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال - فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يَقل، تآخَوا في الله أخَوَيْن أخوين، ثمَ أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: هٰذا أخي فكان رسولُ الله - ﷺ سيِّدَ المرسلين، وإمام

وقولَه: «إن البِرَّ دُون الإثم»، أي: إن البرَّ والوفاءَ ينبغي أن يكون حاجزًا عن الإثم.

وقوله: «وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه»، أي: إن الله وحزبه المؤمنين على الرِّضى به، وقال أبو عبيد في كتاب الأموال: إنما كتب رسول الله - ﷺ - هذا الكتابَ قبل أن تُفْرض الجِزْيَةُ، وإذ كان الإسلام ضعيفًا. قال: وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المَغْنَم إذا قاتلوا مع المسلمين، كما شرط عليهم في هذا الكتابِ النفقةَ معهم في الحروب.

المؤاخاة بين الصحابة[1]

فصل: المؤاخاة بين الصحابة: آخى رسول الله - ﷺ - بين أصحابه حين نزلوا المدينة، ليُذْهِب عنهم وَحْشَة الغُرْبَة ويُؤنسهم من مفارقة الأهل والعَشيرة، ويُشُد أَزْرَ بعضِهم ببعضٍ،

---

(١) انظر البداية (٣/ ٢٢٢) الطبقات لابن سعد (١/ ٢٣٨) الاكتفاء (١/ ٤٦٤) المنتظم (٣/ ٧٠) زاد المعاد (٣/ ٦٣).

المتقين، ورسول ربّ العالمين، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أَخَوَيْن، وكان حمزةُ بن عبد المطلب، أسدُ الله وأسدُ رسوله ﷺ، وعمُّ رسول الله ﷺ، وزيدُ بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، أَخَوَيْن، وإليه أوصى حمزةُ يوم أُحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت، وجعفرُ بن أبي طالب ذو الجناحين، الطيّار في الجنة، ومعاذُ بن جبل، أخو بني سلمة، أَخَوين.

قال ابن هشام: وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائبًا بأرض الحبشة.

قال ابن إسحٰق: وكان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، ابن أبي قُحافة، وخارجة بن زُهير، أخو بَلْحارث بن الخزرج، أخوين، وعمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وعِتْبان بن مالك، أخو بني سالم بن عَوف بن عمرو بن عَوف بن الخزرج أخوين؛ وأبو عُبيدة بن عبد الله بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله، وسعد بن معاذ بن النعمان، أخو بني عبد الأشهل، أخوين. وعبد الرحمن بن عَوْف، وسعد بن الربيع، أخو بَلحارث بن الخزرج، أخوين. والزبيرُ بن العوّام، وسلامة بن سلامة بن وَقْش، أخو بني عبد الأشهل، أَخَوَيْن. ويقال: بل الزبير وعبدُ الله بن مسعود، حليف، بني زهرة، أَخَوَيْن، وعثمان بن عفّان، وأوس بن ثابت بن المنذر، أخو بني النجّار، أخوين.

فلما عز الإسلام واجتمع الشَّمْلُ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه: ﴿وأولو الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ في كتاب الله﴾ [الأنفال: ٧٥] أعني في الميراث[1]، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال: ﴿إنما المُؤمِنُون إخْوَةٌ﴾ يعني في التَّوادّ وشُمُول الدعوة. وذكر مؤاخاته بين أبي ذَرّ والمُنْذِر بن عَمْرو، وقد ذكرنا إنكار الواقدي لذلك في آخر حديث بيعة العقبة.

نسب أبي الدرداء:

فصل: وذكر مؤاخاةَ سَلْمَان وأبي الدَّرْدَاء، وأبو الدَّرْدَاء اسمُه عوَيْمِرُ بن عامر، وقيل: عُويمِرُ بن زيد بن ثعلبة، وقيل: عُوَيْمرُ بن مالك بن ثَعْلَبة بن عمرو بن قيس بن أُمَيَّة من بَلْحَارِثِ بن الخَزْرَج، أمه: تَحِبَّةُ بنت وَقد بن عَمْرو بن الإطَنَابة، وامرأته: أم الدَّرْدَاءِ، اسمها: خَيْرَةُ بنت أبي حدْرَدٍ، وأم الدرداء الصغرى، اسمها: جُمَانَة، مات أبو الدرداء بدمشق سنة اثنين وثلاثين، وقيل: سنة أربع وثلاثين.

---

(١) لعله يعني: أن الرسول ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة، والتوارث بعد الموت فلما أعزّ الله تعالى الإسلام بعد وقعة بدر، وأنزل الله تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ نسخت هذه الآية ما قبلها وانقطعت المؤاخاة في التوارث. وهو الصحيح.

وطلحة بن عُبيد الله، وكعب بن مالك، أخو بني سلمة، أخَوَيْن. وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وأُبيّ بن كَعْب، أخو بني النجّار: أخوين؛ ومُصعب بن عُمير بن هاشم، وأبو أيُوب خالد بن زيد، أخو بني النجّار: أخوين، وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة وعبّاد بن بشر بن وَقْش، أخو بني عبد الأشهل: أخوين. وعمّار بن ياسر، حليف بني مَخْزوم، وحُذيفةُ بن اليمان، أخو بني عبد عَبْس، حليف بني عبد الأشهل: أخوين ويقال: ثابت بن قيس بن الشّمّاسِ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرَج، خطيب رسول الله ﷺ، وعمّار بن ياسر: أخوين. وأبو ذرّ، وهو بُرَير بن جُنَادة الغِفارِيّ والمُنْذِر بن عمرو، المُعْنِق ليموت، أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: أخوين.

قال ابن هشام: وسمعت غير واحد من العلماء يقول: أبو ذَرّ: جُنْدَب بن جُنادة.

قال ابن إسحٰق: وكان حاطب بن أبي بَلْتعة، حليف بني أسد بن عبد العزّى وعُوَيم بن ساعدة، أخو بني عمرو بن عوف، أخوين، وسَلْمان الفارسي، وأبو الدَّرْداء، عُوَيمر بن ثعلبة، أخو بَلْحارث بن الخَزْرج، أخوين.

قال ابن هشام: عُويمر بن عامر، ويقال: عُويمر بنُ زيد.

قال ابن إسحٰق: وبلال، مولى أبي بكر رضي الله عنهما، مؤذن رسول الله ﷺ، وأبو رُوَيْحة، عبد الله بن عبد الرحمن الخَثْعمي، ثم أحدُ الفزع، أخوين. فهؤلاء من سُمي لنا، ممّن كان رسل الله ﷺ آخَى بينهم من أصحابه.

بلال يوصي بديوانه لأبي رويحة:

فلما دَوّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام، وكان بلالٌ قد خرج إلى الشام، فأقام بها مُجاهدًا، فقال عمرُ لبلال: إلى من تجعل ديوانَك يا بلال؟ قال: مع أبي رُوَيْحة، لا أفارقه أبدًا، للأُخوة التي كان رسول الله ﷺ عقد بينه وبيني، فضمّ إليه، وضُمّ ديوان الحَبشة إلى خَثْعَم، لمكان بلال منهم، فهو في خَثْعم إلى هذا اليوم بالشام.

أبو أمامة:

قال ابن إسحٰق: وهَلك في تلك الأشهر أبو أمامة، أسعدُ بن زرارةُ، والمسجد يبنى، أخذته الذبحةُ أو الشهقة.

....

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حزم، عن يحيىٰ بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أسعد بن زُرارَة: أن رسول الله ﷺ، قال: «بئس الميتُ أَبو أمامة، ليَهود ومُنافقوا العرب يقولون: لو كان نبيًا لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئًا»[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة الأنصاريّ: أنه لما مات أبو أُمَامَة، أسعدُ بن زُرَارَةَ، اجتمعت بنو النجَّار إلى رسول الله ﷺ، وكان أبو أمامة نَقِيبَهم، فقالوا له: يا رسول الله، إن هذا قد كان منَّا حيثُ قد علمتَ، فاجعلْ منَّا رجلاً مكانه يُقيم من أَمْرنا ما كان يُقيم، فقال رسول الله ﷺ لهم: «أنتم أَخْوالي، وأنا بما فيكم، وأنا نَقِيبكم»[2]، وكره رسولُ الله ﷺ أن يخصّ بها بعضَهم دون بعض. فكان من فضل بني النجَّار الَّذي يَعُدّون على قومهم، أن كان رسولُ الله ﷺ نقيبَهم.

نسب الفزع:

فصل: وذكر مؤاخاة أبي رُوَيْحَة وبلالٍ، وسماه: عَبْدَ الله بن عبد الرحمٰن، وقال: هو أحد الفَزَعِ، لم يبينه بأكثر من هذا، والفَزَعُ عند أهل النسب، هو ابن شَهْرَان بن عِفْرِس بن حُلْف بن أَفْتَل، وأَفْتَلُ هو خَثْعَمُ. وقد تقدم في أول الكتاب: لِمَ سمي خَثْعَم وهو ابن أنمار، وقد تقدم خِلاف النسابين فيما بعد أَنْمارِ.

والفَزَع هذا بفتح الزاي، وأما الفَزْعُ بسكونها، فهو الفَزْعُ بن عبد الله بن ربيعة [بن جندل]، وكذلك الفَزْعُ في خُزَاعة، وفي كلب هما ساكنان أيضًا قاله ابن حبيب، وقال الدَّارَقُطْنِيُّ: الفَزَعُ بفتح الزاي: رَجُلٌ يَرْوي عن ابن عُمر.

وذكر آخر في الرواة أيضًا بفتح الزاي يَرْوي حديثًا في الكذب على رسول الله ﷺ، يروي أن رسول الله ﷺ عقد لأبي رُوَيْحَة الخثعمي لواءَ عام الفتح، وأمره أن ينادي: «مَنْ دخل تحت لواء أبي رُوَيْحَة، فهو آمن»[3].

مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة:

فصل: وذكر مؤاخاة حَاطِب بن أبي بَلْتَعَةَ وعُوَيْم بن ساعدة، وقال في حاطب: حليف

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٩) وأحمد (٤/ ١٣٨) والحاكم (٣/ ٢١٤) والطبراني (٦/ ١٠١) وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٥١٥) وابن سعد في الطبقات (٧٣/ ١٤١).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٩) من طريق المصنف به.

(٣) انظر جامع المسانيد (٢/ ٦٠٣).

....

بني أسد، وقال غيره: كان عَبْدًا لعُبَيْد الله بن حميد بن زُهَيْر بن أسد بن عبد العُزَّى، وقيل: كان من مِذْحِج، والأشهر: أنه من لخم بن عَدِيّ، واسم أبي بَلْتَعَةَ عَمْرو بن أَشَدّ بن مَعَاذِ. والبَلْتَعَةُ من قولهم: تَبَلْتَع الرجلُ إذا تَظَرَّف، قاله أبو عبيد في الغريب المصنف.

خبر الأذان

قال ابن إسحاق: فلما اطمأنّ رسولُ الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانُه من المُهاجرين، واجتمع أمرُ الأنصار، استحكم أمرُ الإسلام، فقامت الصلاة، وفُرضت الزكاةُ والصيام، وقامت الحُدود، وفُرض الحلالُ والحرام، وتبوأ الإسلام بين أظْهُرِهم، وكان هذا الحيّ من الأنصار هم الذين تبوّؤوا الدار والإيمان. وقد كان رسولُ الله ﷺ حين قَدِمها إنما يجتمع الناسُ إليه للصلاة لحين مَواقيتها، بغير دَعْوة فهمّ رسول الله ﷺ حين قَدِمها أن يجعل بُوقًا كبُوق يَهُودَ الذين يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالنَّاقوس، فنُحِت ليُضرب به للمسلمين للصلاة.

بدء الأذان[1]

ذكر حديث عبد الله بن زيد بن ثَعْلَبة بن عبد ربه، هكذا ذكره، وأكثر النساب يقولون: زيد بن عبد ربه، وثعلبةُ أخو زيد ذكر حديثه عندما شاور رسولُ الله ﷺ أصحابه في الأذان، فقال بعضهم: ناقوس كناقوس النصارى، وقال بعضهم: بُوقٌ كبوق اليهود، وفي غير السيرة أنهم ذكروا الشَّبُّورَ، وهو البوق. قال الأصْمَعِيُّ للمُفَضَّل، وقد نازعه في معنى بيت من الشعر، فرفع المفضل صوته، فقال الأصْمَعِيُّ لو نَفَخْتَ في الشَّبُّور ما نفعك، تكلم كلام النمل وأصِب!!.

---

(١) انظر خبر الأذان في الطبقات لابن سعد (١/ ٢٤٦) البداية والنهاية (٣/ ٢٣١) المنتظم (٣/ ٧٧) الاكتفاء (١/ ٤٦٥) وانظر حديث عبد الله بن زيد بن عبد ربه. في مسلم (٣٧٩) وأبو داود (٤٩٨ ـ ٤٩٩) بتحقيقي. وابن ماجه (٧٠٦) والترمذي (١٨٩). أخرجوه بعضهم مختصرًا وبعضهم مطوّلاً.

رؤيا عبد الله بن زيد:

فبينما هم على ذلك، إذ رأى عبدُ الله بن زيد بن ثَعْلبة بن عبد ربه، أخو بَلْحَارِث بن الخَزْرج، النداءَ، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله، إنه طاف بي هذه الليلة طائف: مرّ بي رجلٌ عليه ثَوْبان أخضران، يحمل ناقوسًا في يده، فقلت له: يا عبد الله، أتَبيع هذا النّاقُوسَ؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعوا به إلى الصلاة،

وذكروا أيضًا القُنْع وهو القَرْن، وقال بعضهم: هو تصحيف إنما هو القُبْعُ والقُنْعُ أولى بالصواب، لأنه من أقْنع صَوتَه إذا رفَعه، وقال بعضهم: بل نوقد نارًا، ونرفعها، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة، وقال بعضهم: بل نبعث رجلاً ينادي بالصلاة، فبينما هم في ذلك أُرِي عبدُ الله بن زيد الرُّؤيا التي ذكر ابن إسحٰق، فلما أخبر بها رسولَ الله - ﷺ - وأمره أن يُلْقِيهَا على بلال، قال: يا رسول الله أَنا رأيتُها، وأنا كنت أحبها لنفسي، فقال: «ليؤذِّن بلال»، ولْتُقِم أنت، ففي هذا من الفِقه جواز أن يؤذِّن الرجل، ويقيم غيره وهو معارض لحديث زِيَادِ بن عبد الله الصَّدَئِيِّ حين قال له النبي - ﷺ: «مَنْ أذَّن فهو أحق أن يُقيم»[1]، في حديث طويلٍ إلا أنه يدور على عبدِ الرحمٰن بن زيادِ بن أَنْعم الأفْرِيقِيّ وهو ضعيف، والأول أصح منه. قال أبو داود: وتزعم الأنصار أن عبدَ الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضًا، ولولا ذلك لأمره رسولُ الله - ﷺ - بالأذان، وقد تكلمت العلماءُ في الحكمة التي خصت الأذان بأن رآه رجل من المسلمين في نومه، ولم يكن عَنْ وَحْيٍ من الله لنبيه كسائر العبادات والأحكام الشرعية، وفي قول النبي - ﷺ - له: «إنها لرُؤْيا حَقٌّ»، ثم بنى حكم الأذان عليها، وهل كان ذلك عن وحي من الله له، أم لا؟ وليس في الحديث دليلٌ على أن قوله ذلك كان عن وَحْيٍ، وتكلموا: لِمَ لَمْ يُؤَذِّن رسولُ الله ﷺ؟ وهل أذن قط مَرَّةً من عُمْره دهره أم لا؟.

فأما الحكمة في تخصيص الأذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحي فلأن رسول الله ﷺ قد أُرِيَه ليلة الإسراء، وأُسْمِعهُ مَشَاهَدَةً فوق سَبْع سَمٰوات[2]، وهذا أقوى من الوحي، فلما تأخر فرضُ الأذان إلى المدينة، وأرادوا إعلام الناس بوقتِ الصلاة تَلَبَّثَ الوحي

---

(١) «ضعيف». أخرجه أبو داود (٥١٤) والترمذي (١٩٩) وابن ماجه (٧١٧) والبيهقي (١/ ٣٨١) وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١١٤). وفيه عبد الرحمٰن بن زياد الإفريقي: ضعيف.

(٢) خبر سماع الأذان أخرجه البزار (٣/ ١٦٣) بسند فيه كذاب، فارم به. وكثيرًا ما يبني السهيلي رحمه الله تعالى على الحديث، وقد يكون ضعيفًا أو موضوعًا كحديث الباب، وقد مرَّ التنبيه على هذا غير مرة، فانتبه. وسيأتي الحديث مسندًا. وفيه زياد بن المنذر وكذبه غير واحد.

قال: أَفَلاَ أدلك على خيرٍ من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إلـٰه إلا الله.

حتى رأى عبدَ الله الرؤيا، فوافقتْ ما رأى رسولُ الله ﷺ؛ فلذلك قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، وعلم حينئذ أن مُراد الحق بما رآه في السماء، أن يكونَ سُنَّةً في الأرض، وقوّى ذلك عنده موافقةُ رؤيا عمر للأنصاري مع أن السكينة تنطِق على لسان عُمَر واقتضت الحكمة الإلـٰهية أن يكون الأذانُ على لسان غير النبي ﷺ من المؤمنين، لما فيه من التَّنويه من الله لعبده، والرفع لذكره، فلأنْ يكونَ ذلك على غير لسانِه أَنْوَه به وأفخم لشأنه، وهذا معنًى بَيِّن فإن الله سبحانه يقول: ﴿ورَفَعْنَا لك ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فَمِنْ رَفْعِ ذكره أن أشاد به على لسانِ غيرِه. فإن قيل: وَمن رَوَى أنه أرِيَ النداءَ من فوق سبع سَمٰوات، قلنا: هو في مسند أبي بكر أحمد بن عَمْرو بن عبد الخالق البزار.

حدّثنا أبو بكر محمد بن طاهر الإشبيليّ سماعًا وإجازةً عن أبي علي الغَسَّاني عن أبي عمر النَّمَرِيّ بإسناده إلى البزار، قال البَزَّار: نا محمد بن عثمان بن مَخْلَد، نا أبي عن زياد بن المنذِر، عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: لما أراد الله أن يُعْلِم رسولَه الأذانَ أتاه جبريلُ ﷺ بدابَّةٍ يقال لها البُرَاق، فذهب يركبها، فاستصعبت، فقال لها جبريل: اسْكُني فوالله ما ركبك عبدٌ أكرم على الله من محمد - ﷺ - قال: فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمـٰن - تباركَ وتعالى - قال: فبينما هو كذلك، إذ خرج ملَكٌ من الحِجاب، فقال رسول الله - ﷺ -: «يا جبريل مَنْ هذا»؟ فقال: والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكانًا، وإن هذا الملَكَ ما رأيته مُنْذُ خُلِقْتُ قبل ساعَتي هذه، فقال: «الملك: الله أكبر، الله أكبر»، قال: فقيل له مِن وراء الحجاب: صدق عبْدي أنا أكبر أنا أكبر، ثم قال الملك: أشهد أن لا إلَـٰه إلا الله، قال: فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا الله لا إلـٰه إلا أنا، قال: فقال الملَك: أشهد أن محمدًا رسول الله. قال: فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أرسلت محمدًا، قال الملَك: حَيَّ على الصلاة، حَيَّ على الفلاح، ثم قال الملك: الله أكبر الله أكبر، قال: فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر، ثم قال: لا إلـٰه إلا الله، قال: فقيل مِن وَرَاء الحجاب: صَدَق عبدي أنا لا إلـٰه إلا أنا، قال: ثم أخذ الملَك بيد محمد - ﷺ - فقدمه فأمَّ أهلَ السماء، فيهم آدمُ ونوحٌ قال أبو جعفر محمد بن علي: يومئذ أكمل الله لمحمد - ﷺ - الشرف على أهل السمٰواتِ والأرض.

فلما أَخْبَرَ بها رسولَ الله ﷺ، قال: إنها لَرُؤْيَا حَق، إن شاء الله، فقم مع بلال فألْقِها عليه، فَلْيُؤَذِّن بها، فإنه أَنْدَى صوتًا منك. فلما أَذّن بها بلالٌ سَمعها عمرُ بن الخطاب، وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله ﷺ، وهو يجرّ رداءَه، وهو يقول: يا نبيّ الله، والذي بعثك بالحقّ، لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسولُ الله ﷺ: «فلِلّه الحمد على ذلك».

قال المؤلف: وأخْلِقْ بهذا الحديث أن يكون صحيحًا لما يَعْضُدُه ويُشَاكله من أحاديث الإسراء فبمجموعها يحصل أن معاني الصلاة كلها وأكثرها، قد جمعها ذلك الحديث، أعني الإسراء، لأن الله ـ سبحانه ـ رفع الصلاة الي هي مُناجاةٌ عن أن تُفْرَضَ في الأرض، لكن بالحضرة المقدَّسة المطهَّرة[1]، وعند الكعبة العليا، وهي البيت المعْمُور، وقد ذكرنَا طَرفًا من هذا الغرض، ونبذًا من هذا المقصد في شرح حديث الإسراء وينضاف إليها في هذا الحديث ذكر الأذان الذي تضمنه حديثُ البزار مع ما روي أيضًا أنه مَرَّ وهو على البراق بملائكة قِيام، وملائكةِ ركُوعٍ، وملائكةِ سُجودٍ وملائكةِ جلُوسٍ، والكلُّ يُصلّون لله، فجُمعت له هذه الأحوال في صَلاتِه، وحين مَثَل بالمقام الأعلى، ودنا فتدلى أُلْهِم أن يقول: التحياتُ لله إلى قوله: الصلواتُ لله، فقالت الملائكة: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقالت الملائكة: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأشهد أن محمدًا رسولُ الله، فجمع ذلك له في تَشهُّده[2].

وانظر بقلبِك كيف شُرِع له عليه السلاَم ولأمته أن يقولوا تسع مرات في اليوم والليلة في تسع جلسات في الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات: السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، فيحيون ويحيون تحية من عند الله مباركة طيبة، ومن قوله: السلام علينا كما قيل لهم، فسلموا على أنفسكم تحيةً من عند الله، ومن ثم قال: الطيبات المبارَكَاتُ، كما في رواية ابن عباس في التشهد انظر إلى هذا كله كيف حيا وحُيِّي تسع مرات، حَيَّته ملائكةُ كلِّ سماء، وحَيَّاهم، ثم ملائكةُ الكرسي، ثم ملائكة العرش، فهذه تسعٌ، فجُعِل التشهدُ في الصلوات على عدد تلك المرات التي سَلَّم فيها وسُلِّم عليه، وكلها تحياتٌ لله، أي: من عند الله مباركة طيبة، هذا إلى نُكت ذكرناها في شرح سُبْحَانَ الله وبحمده، فإذا جمعت بعض ما ذكرناه إلى بعضٍ عَرَفت جملة من أسرارِ الصلاةِ وفوائِدها الجلية دون الخفية، وأما بقية أسرارِها وما تضمنته أحاديثُ الإسراء من أنوارها، وما في الأذان من

---

(١) تقدم التنبيه غير مرة على هذه اللفظة ونسبتها إلى الله تعالى.

(٢) انظر التخريج قبل السابق.

رؤيا عمر في الأذان:

قال ابن إسحٰق: حدّثني بهذا الحديث محمدُ بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثَعْلَبَة بن عَبْدِ ربِّه، عن أبيه.

لطائِف المعاني والحِكم، في افتتاحه بالتكبير وختمه بالتكبير مع التكرار، وقول: لا إلٰه إلا الله في آخره، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله في أوله[1]، وما تحت هذا كله من الحِكم الإلٰهية التي تملأ الصُّدورَ هيْبة وتُنوِّر القلوب بنور المحبة، وكذلك ما تضمنته الصلاةُ في شَفْعها وَوَتْرِها والتكبير في أركانها، ورفع اليدين في افتتاحها، وتخصيص البقعة المكرَّمة بالتوجُّه إليها، مع فوائد الوضُوء من الأحداث لها، فإن في ذلك كلِّه من فوائد الحكمة، ولطائف المعرفة ما يزيد في ثَلَج الصدور، ويَكْحُل عينَ البَصِيرة بالضِّياء والنور، ونعوذ بالله أن ننزع في ذلك بمنْزَعٍ فَلْسَفِي أو مقالة بِدْعي، أو رأيٍ مجرَّد من دليل شَرْعِي، ولكن بِتَلْويحَاتٍ من الشريعة، وإشارات من الكتاب والسنة يَعْضُد بعضُها بعضًا، وينادي بعضُها بتصديق بعض: ﴿ولَوْ كَانَ من عند غيرِ الله لوَجَدوا فيه اخْتِلاَفًا كثيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. لكن أضربْنا في هذا الكتابِ عن بَثِّ هذه الأسرارِ، فإن ذلك يخرج عن الغَرض المقصود، ويَشْغَل عما صَمَدْنا[2] إليه في أول الكتاب، ووعدنا به الناظرَ فيه من شرح لغاتٍ وأنساب وآداب، والله المستعان[3].

وقد عُرفت رؤيا عبد الله بن زيد وكيفيتها برواية ابن إسحٰق وغيره، ولم تُعْرَف كيفيةُ رؤيا عمر حين أُرِيَ النداءَ، وقد قال: قد رأيت مثلَ الذي رأى، لكن في مُسْنَد الحارث بيانٌ لها. روى الحارثُ [بن أبي أَسامة] في مُسْنده أن رسول الله - ﷺ - قال: «أولُ من أَذَّن بالصلاة جبريلُ أذّن بها في سماءِ الدنيا فسمعه عُمَرُ وبلالٌ فسبق عمرُ بلالاً إلى رسول الله - ﷺ - فأخبره بها، فقال عليه السلام لبلال: «سبقك بها

---

(١) قال بعضهم: الحكمة في قول المؤذن أولاً: «أشهد أن لا إلٰه إلا الله» وفي نهايته «لا إلٰه إلا الله» دون الشهادة؛ أنه قد يكون المؤذن كاذبًا في شهادته الأولى وقوله: «أشهد أن لا إلٰه إلا الله» قال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك رسول الله﴾؛ فإنه إن كان كاذبًا في شهادته الأولى وقوله: «أشهد أن لا إلٰه إلا الله» إلا أنه صادق في قوله في نهاية الأذان: «لا إلٰه إلا الله» ولهذا كانت خاتمة الأذان هذه الكلمة وليس الشهادة. فتأمل.

(٢) صمدنا: أي توجهنا إليه. انظر للمحقق «القول الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى».

(٣) انظر لابن القيم في أسرار الصلاة وفوائدها: «الوبل الصيب» (٣٤ - ٤٢) تارك الصلاة، شفاء العليل (٤٥٢) إغاثة اللهفان (١/١٠٧/١٠٨/١٤٦/١٥٦) حكم سماع الغناء (١١٣) وللمحقق كل ما تقدم وزيادة في كتاب «الصلاة وأسرارها».

قال ابن هشام: وذكر ابن جُريج، قال: قال لي عطاء: سمعت عُبَيْد بن عُمَيْر اللَّيثي يقول: ائتَمر النبيُ ﷺ وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فبينما عمرُ بن الخطَّاب يُريد أنْ يَشْترِيَ خَشَبتين للنَّاقوس، إذ رأى عمر بن الخطاب في المنام: لا تجعلوا الناقوس، بل أذِّنوا للصلاة. فذهب عمرُ إلى النبيّ ﷺ ليُخبرَه بالذي رأى، وقد جاء النبيَّ ﷺ الوحيُ بذلك، فما راع عُمر إلا بلالٌ يؤذّن، فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك: قد سَبقك بذلك الوحي[1].

ما كان يقوله بلال في الفجر:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُروة بن الزُّبير، عن امرأة من بني النجار، قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذّن عليه للفجر كلّ غداة، فيأتي بسَحَر، فيجلس على البيت ينتظر الفَجر، فإذا رآه تمطّى، ثم قال: اللهمّ إني أحمدك وأستعينك على قريش أن يُقيموا على دينك. قالت: والله ما علمته كان يتركها ليلةً واحدَة[2].

عمرُ»[3]، وذكر باقي الحديث. وظاهرُ هذا الحديثِ أن عمرَ سمع ذلك في اليقظة، وكذلك رؤيا عبد الله بن زيد في الأذان رآها، وهو بين النائم واليَقْظانِ: قال: ولو شئت لقلت: كنت يَقْظَانًا.

فصل: وأما قولُ السائل: هل أذَّن رسُول الله ﷺ بنفسه قَطُّ، فقد روى الترمذي من طريقٍ يدور على عمر بن الرماح يرفعه إلى أبي هريرة أن رسولَ الله - ﷺ - أذَّن في سفر، وصلى بأصحابه، وهم على رَوَاحِلِهم، السماءُ من فوقهم والبِلَّة من أسفلهم[4]، فنَزَع بعضُ الناس بهذا الحديث إلى أنه أذَّن بنفسِه، وأسنده الدَّارَقُطْنِي بإسناد الترمذي إلا أنه لم يذكر عُمَر بن الرماح، ووافقه فيما بعده من إسنادٍ ومَتْنٍ، لكنه قال فيه: فقام المؤذن، فأذن، ولم يقل: أذن رسولُ الله - ﷺ - والمُتَصَّل يَقْضِي على المُجْمَلِ المُحْتمل، والله أعلم.

---

(١) انظر أيضًا مصنف عبد الرزاق (١٧٧٥) والبداية (٣/ ٢٣٣).
(٢) أخرجه أبو داود (٥١٩) بتحقيقي. وفيه مجهول. وهي المرأة من بني النجار.
(٣) أخرجه الحارث بن أبي أسامة بسند ضعيف. انظر الطالب (٢٢٤) الفتح (٢/ ٧٨).
(٤) أخرجه الترمذي.

أبو قيس بن أبي أنس

قال ابن إسحٰق: فلما اطمأنت برسول الله ﷺ دارُه، وأظْهر الله بها دينَه، وسرّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته، قال أبو قَيْس صَرْمة بن أبي أَنَسٍ، أخو بني عديّ بن النجّار.

قال ابن هشام: أبو قيس، صِرْمة بن أبي أنس بن صِرْمة بن مالك بن عديّ بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النجّار.

قال ابن إسحٰق: وكان رجلاً قد ترهَّب في الجاهلية، ولبس المُسُوح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة وتطهَّر من الحائض من النساء، وهَمَّ بالنصرانية، ثم أمسك عنها، ودخل بيتًا له، فاتخذه مسجدًا لا تدخله عليه فيه طامِثٌ ولا جُنب، وقال: أعبد رَب إبراهيم، حين فارق الأوثانَ وكرهها، حتى قدم رسولُ الله ﷺ المدينة، فأسلم وحَسُن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قَوَالاً لله عزّ وجلّ في جاهليته، يقول أشعارًا في ذلك

حديث صرمة بن أبي أنس(1)

واسم أبي أَنس: قَيْسُ بن صِرْمَة بن مالك بن عَدِي بن عَمْرو بن غَنْم بنِ عَدِيّ بن النَّجَّار الأنصاري، وهو الذي أنزل الله فيه، وفي عُمَر رضي الله عنهما: ﴿أُحِلَّ لكم ليلَة الصِّيام الرَّفَثُ إلى نِسائكم﴾ [البقرة: ١٨٧] إلى قوله: ﴿وعفا عنكم﴾ فهذه في عمر، ثم قال: ﴿وكُلوا واشرَبُوا﴾ إلى آخر الآية، فهذه في صَرْمَة بن أبي أنس، وذلك أن إتيان النّساءِ ليلاً في رَمَضَانَ كان مُحَرَّمًا عليهم في أول الإسلام بعد النوم، وكذلك الأكلُ والشُّرب كان محرمًا عليهم بعد النوم فأما عمر، فأراد امرأته ذات ليلة، فقالت له: إني قد نمت، فقال: كذبت ثم وقع عليها، وأما صِرْمَة فإنه عمل في حائِطه وهو صائم، فجاء الليل وقد جَهَده الكَلاَلُ فغلبته عينُه قبل أن يفطر، فجاءته امرأتُه بطعام كانت قد صنعته له، فوجدته قد نام، فقالت له: الخَيْبَةُ لك حَرُم عليك الطعامُ والشرابُ فبات صائمًا، وأصبح إلى حائطه يعمل فيه، فمرَّ به رسول الله ﷺ، وهو طَلِيحٌ قدَ جَهده العطشُ مع ما به من الجوع والنَّصَب، فسأله رسولُ الله - ﷺ - فأخبره بقصته فرقَّ اعليه،م السلام، ودمعت عيناه، فأنزل الله تعالى الرُّخصة، وجاء بالفرج. بدأ بقصة عمر لفضله، فقال: ﴿فالآن باشِرُوهن﴾ ثم بِصِرْمة فقال: ﴿وكُلوا واشرَبُوا﴾ قال بعض أشياخِ الصوفية: هذه العناية من الله أخطأ عمر خَطِيئة فرُحِمَت الأمة بسببها.

---

(١) انظر الاستيعاب (١/ ٧٣٧).

حِسانًا ـ وهو الذي يقول:

يقولُ أبـو قَـيْـس وأصْـبـح غـادِيًـا: ألاَ ما استطعتم من وَصَاتيَ فافعلُوا

فـأُوصيـكـم بـالله والـبِرّ والـتُّـقَـى وأعْـراضِـكـم والـبِـرُّ بـالله أوّلُ

وإنّ قوْمُكم سادوا فَلا تَحْسُدُونهم وإن كنتمُ أهلَ الرياسة فاعدلوا

وإن نزلتْ إحدى الدواهي بقَومكم فأنفَسكم دونُ العَشيرة فاجعلوا

وَإن تـاب غُـرْم فـادح فـارفقُـوهـم وما حَمَّلوكم في المُلِمات فاحملوا

وإن أنـتـمُ أَمعرتُـم فـتـعـفَّـفـوا وإن كان فضلُ الخير فيكم فأفضِلوا

من شرح شعره:

وذكر من شعر صرمة:

فـأوصيـكُـم بـالله والـبِرّ والـتُّـقَـى وأعـراضِـكـم والـبِـرُّ بـالله أَوّلُ

برفع البر على الابتداء، وأولُ خَبرٌ له، وقد يحتمل في الظاهر أن يكون ظرفًا في موضع الخبر، ولكن لا يجوز ذلك في هذه الظروف المبنية على الضَّمِّ أن تكونَ خبرَ المبتدإ، لا تقول: الصلاة، قبلُ إلا أن تقولَ: قبل كذا، ولا الخروج بعدُ إلاَّ أن تقولَ: بعد كذا، وذلك لسِرٍّ دقيق قد حَوَّم عليهما ابنُ جنّي[1] فلم يُصِبِ المَفْصِل، والذي منع من ذلك أن هذه الغايات إنما تعمل فيها الأفعال الملفوظُ بها لأنها غاياتٌ لأفعالٍ متقدمةٍ، فإذا لم تأتِ بفعل يعمل فيها، لم تكن غايةً لشيء مذكورٍ، وصار العامل فيها معنويًا، وهو: الاستقرار، وهي مضافة في المعنى إلى شيء، والشيءُ المضافُ إليه معنوي، لا لفظي، فلا يدل العاملُ المعنويُ على معنوي آخر، إنما يدل عليه الظاهرُ اللفظي، فتَأمَّلْه، فالضمة في أولُ على هذا حركة إعراب، لا حركة بناء، ولو قال: ابدأ بالبر أوَّلُ لكانت حركة بناء، لكن من رواه: والبرِّ بالله أولِ بخفض الراء من البر فأول حينئذ ظرف مبني على الضم يعمل فيه: أوصيكم.

وفيـه:

وإن أنـتـم أمْـعَـرْتُـم فـتـعـفـفـوا

الإمعارُ: الفَقْر.

---

(١) انظر الخصائص لابن جنّي (٢/ ٣٦٢).

قال ابن هشام: ويروى:

وإن نـاب أمـرٌ فـادح فـازفِـدُوهُـمُ

قال ابن إسحٰق: وقال أبو قيس صِرْمة أيضًا:

سَـبـحـوا الله شَـرْقَ كـلّ صـبـاحِ ... طـلـعـت شـمـسُـه وكُـلَّ هِـلالِ

عـالـم الـسِّـرّ والـبَـيـان لَـدَيْـنـا ... لـيـس مـا قـال ربُّـنـا بـضَـلال

ولـه الـطَّـيـرُ تَـسْـتَـزيـد وتـأوي ... فـي وُكـور مـن آمِـنـات الـجـبـال

ولـه الـوحـشُ بـالـفـلاة تـراهـا ... فِـي حِـقـاف وفـي ظـلال الـرّمـال

ولـه هَـوّدتْ يَـهـودُ ودانـت ... كـلَّ ديـن إذا ذَكـرتَ عُـضـال

ولَـه شَـمـسَ الـنَّـصـارَى وقـامُـوا ... كـلّ عِـيـدِ لـربـهِـم واحْـتِـفـال

ولـه الـرَّاهـبُ الـحـبـيـسُ تـراهُ ... رهْـنَ بُـؤسِ وكـانَ نـاعـمَ بـال

ومن شعره:

سَـبِّـحـوا الله شَـرْقَ كُـلّ صَـبَـاح ... طـلـعـت شَـمْـسُـه وكُـلَّ هِـلاَلِ

الشرق: طلوعُ الشمس، وهو من أسمائها أيضًا، وكذلكَ الشَّرَق بفتح الراء وكلَّ هلال بالنصب على الظرف، أي: وقْت كُلّ هلال، ولو قلت في مثل هذا: وكُلَّ قمر على الظرف، لم يجز، لأن الهلال قد أُجْرِي مُجْرَى المصادر في قولهم: الليلة الهلال؛ فلذلك صح أن يكون ظرفًا لأن المصادر قد تكون ظروفًا لمعانٍ وأسرارٍ ليس هذا موضعًا لذكرها، ولو خفضت وكُلِّ هلال عطفًا على صباح، لم يجز لأن الشرقَ لا يضاف إلى الهلال كما يضاف إلى الصباح.

وفيه:

ولـه شَـمَّـسَ الـنـصـارى ....

يعني دين الشَّمَامِسَة[1]، وهم الرُّهْبَانُ لأنهم يُشَمِّسُون أنفسَهم، يريدون تعذيبَ النفوسِ بذلك في زعمهم.

---

(١) الشماسة: جمع شماس، خادم الكنيسة أقل رتبة من القسيس ـ ألا لعنة على الكافرين جميعًا.

يـا بَـنـيّ الأرحـامَ لا تَـقْـطَـعـوهـا وصـلُـوهـا قَـصـيـرة مـن طِـوالِ
واتـقـوا الله فـي ضِـعـاف الـيَـتَـامـى ربـمَـا يُـسْـتـحـلُّ غـيـرُ الـحـلال
واعـلَـمـوا أنَّ لـلـيَـتـيـم وَلِـيًّـا عـالـمًـا يَـهْـتـدي بـغـيـر الـسـؤال
ثــم مــالَ الـيَـتـيـم لا تـأكُـلـوه إنَّ مـالَ الـيَـتـيـم يـرعـاه والـي

وفـيـه:

يـا بَـنِـيَّ الأرحـامَ لا تَـقْـطَـعُـوهـا

بنصب الأرحام، وهو أجود من الرفع في هذا الموضع للنهي.

وقـولـه:

وصِـلُـوهـا قـصِـيـرةً مـن طَـوال

وقد أملينا فيها في غير هذا الكتاب ما نعيده ههُنا بحول الله، وأملينا أيضًا في معنى الرَّحِم واشتقاق الأم لإضافة الرَّحم إليها، ووضعها فيه عند خلق آدم وحوّاء، وكون الأم أعظم حَظًّا في البِرِّ من الأب، مع أنها في الميراث دونه أسرارًا بديعة، ومعاني لطيفة أودعناها كتاب الفرائض وشرح آياتِ الوصية، فلتنظر هنالك.

وأما قوله: قصيرَةً مِنْ طوال، فيحتمل تأويلين أحدهما: أن يريد: صِلُوا قِصَرَها من طولِكم، أي: كونوا أنتم طوالاً بالصِّلة والبِر إن قصرت هي، وفي الحديث: أنه قال لأزواجه: «أَسْرَعُكُنَّ لُحوقًا بي: أطولُكن يدًا فاجتمعن يتطاولن، فطالتهن سَوْدَة، فماتت زينب أولهن»[1] أراد الطُّوْل بالصدقة والبر، فكانت تلك صفةُ زينب بنت جَحْش. والتأويلُ الآخر: أنْ يريد مدحًا لقومه بأن أرحامَهم قصيرةُ النسب، ولكنها من قوم طوال كما قال:

أُحـبُّ مـن الـنِّـسـوان كُـلَّ طَـويـلَـةٍ لـهـا نَـسَـبٌ فـي الـصـالـحـين قـصـيـرُ

وقال الطائي:

أنتم بَنُو النَّسَبِ القصيرِ وطُولكم بــادٍ عــلــى الــكُــبـراءِ والأشْـرَافِ

والنَّسَبُ القصير: أنْ يقول: أنا ابنُ فلانٍ فيُعْرف، وتلك: صفة الأشراف، ومَنْ ليس بشريف لا يُعْرف حتى يأتِيَ بِنسةٍ طَوِيلَةٍ يبلُغ بها رأسَ القَبِيلَة. وقد قال رُؤْبَةُ: قال لي

---

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في الفضائل (١٠١) والحاكم (٤/ ٢٥) والطحاوي في المشكل (١/ ٨٢).

يا بَنيّ، التخوم لا تَخْزلوها ... إنَّ خَزل التُّخوم ذو عُقَّال

يا بَنيّ الأيَّامَ لا تأمَنوها ... واحذروا مكْرَها ومرَّ اللَّيالي

واعلَموا أن مَرّها لنَفاد الخَلْـ ... ـلق ما كان من جَديد وبالي

واجمَعوا أمْرَكم على البرّ والتَّقْـ ... ـوى وترك الخَنا وأخذ الحلال

وقال أبو قَيْس صِرْمة أيضًا، يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الإسلام، وما خصّهم الله به من نُزول رسوله ﷺ عليهم:

ثَوى في قُريش بضْعَ عَشْرةَ حِجَّةً ... يُذَكِّر لو يَلْقى صَديقًا مُواتِيا

ويَعْرِض في أهْل المَواسم نفسَه ... فلم يَرَ من يؤوِي ولم يَر داعيا

فلمَّا أتانا أظْهر الله دِينَه ... فأصبح مَسْرورًا بطِيبةَ راضِيا

وألفَى صَدِيقًا واطمأنَّت به النَّوَى ... وكان له عَوْنًا منَ اللهِ باديا

يَقُصّ لنا ما قال نُوح لقَوْمه ... وما قال مُوسى إذْ أجابَ المنَادِيا

فأصبحَ لاَ يخْشَى من النَّاس واحدًا ... قريبًا ولاَ يخْشَى من النَّاس نائِيا

بَذَلْنا له الأموال من حلّ مالنا ... وأنفُسَنا عند الوَغى والتَّآسِيا

ونَعْلم أنَّ الله لا شَيْءَ غَيْرِه ... ونَعْلم أن الله أفضلُ هاديا

نُعادي الذي عادَى من الناس كلِّهُم ... جميعًا وإن كان الحبيبَ المُصافيا

أقول إذا أدعوك في كلّ بيعة: ... تباركتَ قد أكثرتُ لاسمك داعيا

أقُولُ إذا جاوَزتُ أرْضًا مخُوفةً ... حَنانَيك لا تُظْهر عليَّ الأعاديا

النَّسَّابةُ: مَنْ أنتَ انتسِبْ، فقلت: رُؤبَةُ بن العَجَّاج، فقال: قصَّرتَ وعُرِفتَ. وقوله:

إن خَزل التُّخُوم ذو عُقَّال

التَّخوم: جمع: تَخومَة، ومن قال: تُخُمٌ في الواحد، قال: في الجمع تُخُوم بضم التاء، وأراد بها الأزفَ [أو الأرَثَ] وهي الحدود، وقال أبو حَنيفَة: التَّخُوم والتُّخُوم: حُدود البلادِ والقرى، ولم يذكر في حدود الأحْقَال الأرَفَ. والعُقَّالَ. ما يمنع الرجل من المشي، ويَعْقِلها يريد أنَّ الظلمَ يُخَلِّف صاحبَه ويَعقِله عن السِّباق، ويَحْبِسه في مَضَايق الاخْتِقَاق.

فَطأْ مُعْرِضًا إن الحُتُوف كَثيرةٌ وإنَّك لا تُبْقِي لنَفْسِك باقيا
فوالله ما يدْرِي الفتى كيفَ يتَّقي إذا هو لم يَجعَل له الله واقيا
ولا تَحفِلُ النَّخلُ المُعِيمَة ربَّها إذا أصبحت ريًّا وأصْبح ثاويا

قال ابن هشام: البيت الذي أوله:

فطأْ مُعْرِضًا إنَّ الحُتوفَ كثيرةٌ

والبيت الذي يليه:

فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي

وذكر قصيدتَه اليائِيَّة، وقال فيها: فَطَأْ مُعْرِضًا. البيت، قال ابن هشام: هو لأفْنُونَ التَّغْلِبيّ، واسمه صُرَيْمُ بن مَعْشَر [ابن ذُهْل بن تيم بن عمرو بن عمرو بن مالك بن حَبيب بن عمْرِو بن غَنْم بن تغلب]. قال المؤلف وسمي أُفْنُونًا في قول ابنُ دُرَيْد لبيت قاله فيه:

مَنَّيْتَنا الوُدَّ يا أَفْنون مَظْنون

أو نحو هذا اللفظ. والأفنُوْن: الغُصْنُ الناعم، والأفنون أيضًا العجوز الفانية، وأفنون هو الذي يقول:

لو أنني كنتُ من عَادٍ ومن إرَمِ غَذِيَّ بَهْمِ ولُقْمَانٍ وذِي جَدَنِ
لَمَا وَقَوا بأخيهم من مُهَوِّلَةٍ أخا السَّكونِ ولا جاروا عن السَّنَنِ
أنَّى جَزَوْا عامِرًا سِوءَى بفِعْلهم أم كيف يَجْزُونَني السُّوءى من الحَسَنِ
أم كيف يَنْفَع ما تُعْطِي العَلُوقُ به رِئمانُ أَنْفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبَنِ[1]

وقول ابن هشام في البيتين: فَطَأْ مُعْرِضًا والذي بعده أنهما لأُفْنون التَّغْلِبيّ مذكور عند أهل الأخبار، ولها سبب ذكروا أن أُفنونا خرج في ركبٍ، فمروا برَبْوَةٍ تعرف: بالإلٰهةِ[2]، وكان الكاهنُ قبل ذلك قد حدّثه أنه يموت بها، فمر بها في ذلك الركب، فلما أشرفوا عليها وأُعْلِم باسمِها، كَرِه المرورَ بها، وأبوا أصحابه إلا أن يَمُرُّوا بها، وقالوا له: لا تنزل عندها، ولكن نَجُوزها سَعْيًا، فلما دنا منها بركت به ناقتُه على حيَّة، فنزل لينظر فَنَهَشَتْهُ الحيةُ، فمات، فَقَبْرُه هنالك، وقيل في حديثه: إنه مَرَّ بها ليلاً، فلم يعرف بها حتى رَبَضَ البَعِيرُ

---

(١) انظر الفضليات (٢/ ٣٠) والبيان والتبيين (٢/ ٩) وأمالي القالي (٢/ ٥١).
(٢) الإلٰهة: موضع بين ديار تغلب والشام.

لأُفنون التَّغْلِبِيّ، وهو صُرَيم بن مَعْشر، في أبيات له.

الذي كان عليه، وعلم أنه عند الإلٰهةِ فَجزع، فقيل له: لا بأس عليك، فقال: فَلِم رَبَضَ البعيرُ، فأرسلها مثلاً. ذكره يعقوب، وعندما أحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكر ابن إسحٰق وبعدهما:

كَفَى حَزَنا أن يَرْحَلَ الرَّكبُ غُدْوَةً وأُتْـرَك فـي جَـنْـبِ الإلـٰهـةِ ثـاويـا

الأعداء من يهود

قال ابن إسحاق: ونَصَبت عند ذلك أحبارُ يَهُودَ ـ لرسول الله ﷺ العداوةَ، بَغْيًا وحَسَدًا وضَغْنًا، لما خصّ الله تعالى به العرَبَ من أخْذه رسولَه منهم، وإنضاف إليهم رجالٌ من الأوْسِ والخَزرج، ممن كان على جاهليَّته فكانوا أهل نِفاق على دين آبائهم من الشِّرك والتكذيب بالبعث، إلاَّ أن الإسلام قَهرهم بظُهوره واجتماع قومِهم عليه، فظهروا بالإسلام، واتخذوه جُنَّةً[1] من القَتْل ونافقوا[2] فِي السِّرّ، وكان هَواهم مع يَهُودَ لتكذيبهم النبيَّ ـ ﷺ ـ وجُحودهم الإسلام. وكانت أحبار يهودَهُم الذين يسألون ـ رسولَ الله ﷺ ـ وَيَتَعَنَّتونه، ويأتونه باللَّبس، ليَلْبِسُوا الحقَّ بالباطل، فكان القرآنُ يَنزل فيهم فيما يسألون عنه، إلا قليلاً من المسائل في الحَلال والحرام كان المُسْلِمون يَسألون عنها.

من يهود بني النضير:

منهم: حُيَيّ بن أخْطب، وأخواه أبو ياسِر بن أخطب، وجُدَيّ بن أخطب،

تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن

ذكر فيهم جُدَيّ بن أَخْطَب، بالجيم، وهو أخو حُيَيّ بن أَخْطَبَ، وأما حُدَيّ بالحاء،

---

(١) جُنَّة: أي ساترًا وحجابًا ووقاية من القتل.

(٢) النفاق: لفظة قرآنية، والمنافق هو الذي يُظهِر الإسلام ويُبطِن الكفر، أُخذت الكلمة من نافقاء اليربوع، وهو حيوان لداه بابان يدخل من أحدهما عند الهرب من مفترسه، ثم يخرج من الآخر دون أن يراه المفترس، والنفاق نفاقان عملي واعتقادي، والعملي هو الذي جاء الحديث بالنهي عنه «آية المنافق ثلاث ـ خمس». والاعتقادي كنفاق عبد الله بن أبي سلول، والأول لا يخرج من الملة والثاني يخرج من الملة. وكان النفاق معروفًا بمكة، إنما ظهر في المدينة. والعياذ من النفاق والشقاق.

وسلاَّم بن مِشْكم، وكنانة بن الربيع بن أَبي الحُقَيق، وسَلاَّم بن أبي الحُقيْق، أبو رافع الأعور، وهو الذي قتله أصحابُ رسول الله ﷺ بخَيْبر - والربيعُ بن الربيع بن أبي الحُقَيْقِ، وعمرو بن جَحَّاش، وكعب بن الأشرف، وهو من طيىء، ثم أحد بني نبْهان، وأمُّه من بني النضير، والحجَّاج بن عمرو، حليف كَعْب بن الأشرف، وكَرْدَم بن قيس، حليف كعب بن الأشرف، فهؤلاء من بني النَّضير.

من يهود بني ثعلبة:

ومن بني ثعلبة بن الفِطْيَوْن: عبد الله بن صورِيَا الأعور، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه؛ وابن صَلُوبا، ومُخَيرِيق، وكان حَبْرَهم، أسْلَم.

من يهود بني قينقاع:

ومن بني قَيْنُقاع: زيد بن اللَّصِيت - ويقال: ابن اللُّصَيت - فيما قال ابن هشام - وسَعْد بن حُنَيْفٍ، ومحمود بن سَيْحان، وعُزير بن أبي عُزير، وعبد الله بن صَيْف. قال ابن هشام: ويقال: ابن ضَيْف.

قال ابن إسحٰق: وسُويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفِنْحَاص، وأَشيع، ونُعمان بن أضَا، وبَحْريّ بن عمرو، وشَأْس بن عديّ، وشَأْس بن قيس، وزيد بن الحارث، ونُعمان بن عمرو، وسُكَين بن أبي سُكين، وعدي بن زيد، ونُعمان بن أبي أوْفى، أبو أنس، ومحمود بن دَحْية، ومالك بن صيف. قال ابن هشام: ويقال: ابن ضيف.

فذكره الدَّارَقُطْني في نسب عُتَيْبَة بنِ الحارثِ بن شِهابَ بن حُدَيٍّ التميمي فارس العرب.

وذكر عزير بن أبي عزير وأَلفيت بخط الحافظ أبي بحر في هذا الموضع يقول عُزيز بن أبي عُزَيْز، بزايَيْنِ قَيَّدْنَاه في الجزء قبل.

وذكر ثعلبة بن الفِطْيَوْن والفِطْيَون كلمة عِبْرانِيَّة، وهي عبارة عن كل مَن وَلِي أمرَ اليهود، وملَكَهم، كما أن النَّجاشِيَّ عِبارةٌ عن كل من مَلَك الحبشَة، وخَاقَانَ ملك الترك، وقد تقدم من هذا الباب جُمْلة.

وذكر فيهم عَبْدَ اللهِ بن صُوريا الأعور، وكان أعلَمهم بالتوراةِ، ذكر النَّقَّاشُ أنه أَسلم لما تحقق من صفاتِ محمد - ﷺ - في التوراة، وأنه هو وليس في سيرة ابن إسحٰق ذكر إسلامه.

قال ابن إسحٰق: وكعب بن راشد، وعازَر، ورافع بن أبي رافع، وخالد وأزار بن أبي أزار. قال ابن هشام: ويقال: آزر بن آزر.

قال ابن إسحٰق: ورافع بن حارثة، ورافع بن حُريملة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبد الله بن سَلام بن الحارث، وكان حَبْرَهم وأعلَمهم، وكان اسمه الحُصَين، فلما أسلم سمَّاه رسولُ الله ﷺ - عبدَ الله. فهؤلاء من بني قَيْنُقَاع.

من يهود بني قريظة:

ومن بني قُرَيظة: الزُّبَيْر بن بَاطا بن وَهب، وعَزّال بن شَمْويل، وكعب بن أسد، وهو صاحب عَقد بني قُريظة الذي نُقِض عام الأحزاب، وشَمْويل بن زيد، وجَبَل بن عمرو بن سُكينة، والنَّحَّام بن زيد، وقَرْدم بن كعب، ووهب بن زيد، ونافع بن أبي نافع، وأبو نافع، وعديّ بن زَيد، والحارث بن عَوْف، وكَرْدَم بن زيد، وأسامة بن حَبِيب، ورافع بن رُمَيلَة، وجَبل بن أبي قُشَيْر، ووَهْب بن يَهُوذا، فهؤلاء من بني قُرَيْظَة.

من يهود بني زريق:

ومن يهود بني زُرَيق: لَبِيد بن أعْصم، وهو الذي أَخَذَ رسولَ الله ﷺ عن نسائه.

يهود المدينة:

فصل: وقولُه: ومن يَهُودِ بني زُرَيْقٍ، ومن يهود بني حارثة، وذكر قبائل من الأنصار، وإنما اليهودُ بنو إسرائيلَ، وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر إنما هم [بنو] قُرَيْظَة [وبنو] النَّضيرَ وبَنُو قَيْنُقَاعٍ، غير أن في الأوسِ والخَزْرَج من قد تَهوَّد، وكان من نسائهم مَن تَنْذِرُ إذا ولدت إن عاش ولدُها أنْ تُهَوِّدَه، لأن اليهودَ عندهم كانوا أهلَ علمٍ وكتابٍ، وفي هؤلاء الأبناء الذين تَهَوَّدُوا نزلت ﴿لا إكْرَاهَ في الدين﴾ [البقرة: ٢٥٦] حينَ أراد آباؤهم إكراهَهم على الإسلام في أَحَد الأقوال.

السحر المنسوب إلى النبي ﷺ[1]:

وأما لَبِيدُ بن الأعصم، الذي ذكره من يَهُودِ بني زُرَيْقٍ، وقال: هو الذي أَخَذَ رسول الله ﷺ عن نسائِه يعني من الأُخْذَة، وهي ضَرْبٌ من السحر. في الخبر أن القاسم بن

---

(١) انظر الحديث في البخاري (١٠/١٩٩) ومسلم في السلام (٢١٨٩) وانظر مزيد بيان في علاج السحر وغيره (زاد المعاد) (٤/١٢٤).

محمد ابن الحَنَفِيَّة، كان مُؤَخَذًا عن مسجدِ النبي - ﷺ - لا يستطيع أن يدخلَه، وكان لبِيد هذا قد سَحَرَ رسول الله - ﷺ، وجعل سحرَه في مُشطٍ ومُشَاطَةٍ. وروي: مُشَاقة بالقاف، وهي مُشَاقة الكتَّان، وجُفِّ طَلْعَةٍ[1] ذكرٍ، هي فُحَّالُ النخل، وهو ذُكَّارُه. والجُفُّ: غلاف للطَّلْعَة، ويكون لغيرِها، ويقال للجُفِّ القِيقَاءُ وتُصْنَع منه آنيةٌ يقال لها: التَلاتِل [جمع: تَلْتَلَةٍ] قاله أبو حنيفة ودفنه في بئرِ ذِي أَرْوَانَ، وأكثرُ أهْلِ الحديث يقولون: ذَرْوَانَ تحت رَاعُوفة البئر [أو أُرْعُوفَتها]، وهي صخرة في أسفله يقف عليها المائح[2]، وهذا الحديث مشهورٌ عند الناس، ثابت عند أهل الحديث، غير أني لم أجد في الكتب المشهورةِ: كم لَبِث - رسول الله ﷺ - بذلك السحر، حتى شُفِي منه، ثم وقعت على البيان في جامع مَعْمَرِ بنِ راشِد. رَوَى مَعْمَرٌ عن الزُّهْرِيِّ، قال: سُحِر رسولُ الله ﷺ سنةً يُخيَّل إليه أنه يفعل الفعلَ، وهو لا يفعله، وقد طَعَنت المعتزلةُ في هذا الحديث وطوائفُ من أهلِ البِدَع، وقالوا: لا يجوز على الأنبياء أن يُسْحَروا، ولو جاز أن يُسْحَرُوا، لجاز أن يُجَنُّوا. ونَزَع بقوله عزّ وجلّ: ﴿واللَّهُ يَعْصِمُكَ من الناسِ﴾ [المائدة: ٦٧] والحديثُ ثابِتٌ خَرَّجه أهلُ الصحيح، ولا مَطْعن فيه من جِهَةِ النقل، ولا من جهة العقل، لأنَّ العِصمة إنما وَجَبَتْ لهم في عقولهم وأديانِهم، وأما أبدانُهم، فإنهمُ يُبْتَلَوْنَ فيها، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل، والأُخْذَةُ التي أُخِذَها رسولُ الله - ﷺ - من هذا الفن، إنما كانت في بعض جَوارِحِه دون بعض[3].

أما قوله سبحانه: ﴿واللَّهُ يَعْصِمُك من الناس﴾ فإنه قد روي أنه كان يُحرس في الغَزْو، حتى نزلت هذه الآيةُ، فأمر حُرَّاسَه أن ينصرفوا عنه، وقال: لا حاجة لي بكم، فقد عَصَمَنِي الله من الناسِ، أو كما قال[4].

---

(١) الطلع: قطعة من النخلة. (٢) المائح: المستقي.

(٣) وفيه أيضًا الدليل على بشرية الرسول ﷺ بمعناها المعلوم عند كل ذي لب، لا كما قال كثير من أهل الطرق الصوفية: أن له بشرية ولكنها تخالف البشرية التي عليها بنو آدم، ومن ثم أنكر بعضهم حديث البخاري ومسلم السابق ذكره آنفًا في قصة السحر، هذا وكما استخدم اليهود أمس السحر في محاولة على القضاء على النبي ﷺ وعلى أتباعه عند هجرتهم من مكة إلى المدينة، عاد أعداء الله اليوم يهودًا ونصارى - على معاودة الكَرّة مرة أخرى في محاولة للقضاء على الإسلام والمسلمين، فكان من آثار هذا الاستخدام الشيطاني لتسخير الجنّ وإرساله لإيذاء المسلمين والمسلمات والأطفال ما انتشر في [مصر] من إغماءٍ للفتيات، ومن مسِّ الجنّ للإنس واعترافهم أنهم إنما أُرسِلوا من قِبَل الكنائس لإيذاء المسلمين، فانتبه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٠٤٦).

من يهود بني حارثة:

ومن يهود بني حارثة: كنانة بن صُورِيا.

من يهود بني عمرو:

ومن يهود بني عمرو بن عَوْف: قَرْدم بن عمرو.

من يهود بني النجار:

ومن يهود بني النجّار: سِلْسِلة بن بَرْهام.

فقه حديث السحر:

وأما ما فيه من الفقه، فإن عائشةَ قالت له: هَلاً تَنَشَّرتَ[1]، فقال: أما أنا فقد شفاني الله، وأكرَه أن أُثِيرَ على الناسِ شَرًّا، وهو حديث مُشْكِل في ظاهره، وإنما جاء الإشكال فيه من قِبَلِ الرُّواة، فإنهم جعلوا جوابين لكلامين كلامًا وحدًا، وذلك أن عائشة قالت له أيضًا: هَلاً اسْتَخْرَجْتَه، أي: هلا استخرجتَ السحَر من الجُفّ والمُشَاطة، حتى ينظر إليه، فلذلك قال: وأكره أن أثير على الناس شرًا، قال ابن بطال: كَرِه أن يخرجه. فيتعلّم منه بعضُ الناس، فذلك هو الشر الذي كَرِهه.

قال المؤلف: ويجوز أن يكون الشرُّ غيرَ هذا، وذلك أن الساحرَ كان من بني زُرَيْقٍ، فلو أظهر سَحرَه للناس، وأراهم إياه لأوْشَك أن يُريدَ طائفةٌ من المسلمين قتلَه، ويتعصبَ له آخرون من عَشيرته فَيَثُورَ شرٌّ كما ثار في حديثِ الإفكِ من الشَّرِّ ما سيأتي بيانُه.

وقول عائشة: هلا استخرجتَه هو في حديثين رواهما البُخاري جميعًا، وأما جوابه لها في حديث: هَلاً تَنَشرت: بقوله: أما أنا فقد شفاني الله، وجوابه لها حين قالت: هلا استخرجته: بأن قال: أكره أن أُثير على الناس شَرًا، فلما جمع الراوي بين الجوابين في حديث واحد اسْتَغْلَق الكلامُ، وإذا نُظِرت الأحاديثُ متفرقة تُبُيِّنتْ، وعلى هذا النحو شَرَحَ هذا الحديثَ ابنُ بطال.

وأما الفِقه الذي أشرنا إليه فهو إباحة النُشْرة من قول عائشة: هلا تَنَشَّرت، ولم ينكِر عليها قولها.

---

(١) النشرة: ضرب من الرُّقى.

فهؤلاء أحبار اليهود، أهل الشرور والعداوة لرسول الله - ﷺ - وأصحابه، وأصحاب المسألة، والنصب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه، إلا ما كان من عبد الله بن سَلاَم ومُخَيْرِيق.

إسلام عبد الله بن سلام

قال ابن إسحٰق: وكان من حديث عبد الله بن سَلاَم، كما حدّثني بعض أهله عنه. وعن إسلامه حين أسلم، وكان حبرًا عالمًا، قال: لما سمعتُ برسول الله ﷺ عرفتُ صفته واسمَه وزمانَه الذي كنَّا نَتوَكَّف له، فكنت مُسِرًّا لذلك، صامتًا عليه، حتى قَدِم

وذكر البخاري عن سعيد بن المُسَيَّب أنه سئل عن النُّشرة للذي يُؤخَذ عن أهلِه، فقال: لا بَأسَ لم ينه عن الصلاح، إنما نهِي عن الفساد، ومن استطاع أن يَنْفَعَ أخاهُ فَلْيفْعل. ومن الناس من كره النُّشرة على العموم، ونَزَع بحديث خرَّجه أبو داود مَرْفوعًا: «أن النُّشْرَةَ من عمَل الشيطان»[1]، وهذا - والله أعلم - في النُّشرة التي فيها الخواتِم والعَزائِم، وما لاَ يُفْهَم من الأسماء العَجمية، ولولا الإطالة المخرجَة لنا عن غَرَضنا لقدرنا الرُّخْصَة بالآثار، وهذا القدر كَاف، والله المستعان. وكانتْ عُقَدُ السِّحرِ أحدَ عَشرَ عُقْدَةً، فأنزل الله تعالى المعوذتين أحَدَ عَشَر آية، فانحلت بكل آية عُقْدةٌ[2]، قال تعالى: ﴿ومِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ في العُقَدِ﴾ ولم يقل النَّفَّاثِين، وإنما كان الذي سحره رجلاً والجوابُ: أن الحديث قد رواه إسماعيل القاضي، وزاد في روايته أن زينب اليهوديةَ أعانَتْ لَبِيدَ بن الأعْصَم على ذلك السحرِ، مع أن الأُخْذَةَ في الغالب من عمل النساء وكيدهنّ.

إسلام عبد الله بن سلام[3]

سَلاَم هو بتخفيف اللام، ولا يوجد من اسمه سَلاَم بالتخفيف في المسلمين لأن السَّلاَمَ من أسماء الله، فيقال عبد السَّلاَم، ويقال: سَلاَّم بالتشديد، وهو كثير، وإنما سَلاَمٌ بالتخفيف في اليهود، وهو والد عبد الله بن سَلاَم منهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٦٨) والبيهقي (٩/ ٣٥١) والبغوي في شرح السُّنة (١٢/ ١٥٩).

(٢) رُوِيَ مثل هذا من أسباب النزول وإسناده ضعيف.

(٣) له ترجمة في الطبقات (٢/ ٣٥٢) الإصابة (٢/ ٣٢٠) أسد الغابة (٣/ ٢٦٤) العبر (١/ ٥١) النجوم الزاهرة (١/ ١٢٥) الاستيعاب (٣/ ١٥٦١) تهذيب الكمال (١٥/ ٧٤) التهذيب (٥/ ٢٤٩) التقريب (١/ ٤٢٢) الثقات (٣/ ٢٢٨) مشاهير علماء الأمصار (٥٢) بتحقيقي.

رسول الله ﷺ المدينةَ، فلما نَزل بقُبَاءَ، في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتى أخبر بقُدومه، وأنا في رأس نَخْلَة لي أعمل فيها، وعمتي خالدةُ ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعتُ الخبرَ بقُدوم رسول الله ﷺ كبَّرتُ، فقالت لي عمَّتي، حين سمعت تكبيري: خيَّبك الله، والله لو كنتَ سمعتَ بموسى بن عمران قادمًا ما زِدْت، قال: فقلت لها: أيْ عمَّة، هو والله أخو موسى بن عِمْران، وعلى دينه، بُعِث بما بُعِث به. قال: أيِ ابنَ أخي، أهو النبيّ الذي كُنَّا نخبر أنَّه يبعث مع نَفَسِ الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذًا. قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله ﷺ، فأسلمتُ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتي، فأمرتُهم فأسلَموا.

قال: وكتمتُ إسلامي من يهود، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ له: يا رسول الله، إن يهودَ قومٌ بُهت وإني أحبّ أنْ تدْخلني في بعض بُيوتك، وتغيّبني عنهم، ثم تسألهم عني، حتى يُخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يَعْلموا بإسلامي، فإنهم إن عَلِموا به بَهتوني وعابوني. قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بُيوته، ودخلوا عليه، فكلَّموه

ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يُبْعَث مع نَفَسِ الساعة، وهذا الكلام في معنى قوله عليه السلام: إني لأجد نَفَسَ الساعة بين كتفي، وفي معنى قوله: ﴿نَذِيرٌ لكم بينَ يَدي عذابٍ شديدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] ومن كان بين يديّ طالبه، فَنَفَسُ الطالب بين كتفيه، وكأن النَّفَسَ في هذا الحديث عبارةٌ عن الفتنِ المؤذِنَةِ بقيام الساعة، وكان بَدْؤُها حين ولى أمتَه ظهرَه خارجًا من بين ظَهْرَانَيهِمْ إلى الله تعالى، ألا تراه يقول في حديث آخر: وأنا أمانٌ لأُمَّتي، فإذا ذهبتُ أتى أمتي ما يُوعَدون، فكانت بعده الفتنةُ ثم الهَرْج المتصل بيوم القيامة، ونحو من هذا قوله عليه السلام: «بُعِثْت أنا والساعة كَهَاتَيْن»[1]، يعني السَّبَّابَة والوُسْطى، وهو حديث يَرْويه أَنَسُ بنُ مالكٍ، وابنُ بُرَيْدَةَ عن أبيه، وجُبَيْرِ بن مُطْعِم، وجابر بن سَمُرَة وأبو هُرَيْرَة وسَهْل بن سعد كلُّهم عن رسول الله - ﷺ - وفي حديث سهلٍ سَبَقْتها بما سَبَقَتْ هذه هذه، يعني: الوُسْطَى والسَّبَّابَة، وفي بعض ألفاظِ الحديث: إن كادَتْ لَتَسْبِقني. ورواه أيضًا: أبو جُبَيْرَةَ فقال: قال رسولُ الله ﷺ: «جئتُ أنا والساعة كهاتين سبقتُها كما سبقتْ هَذه هذه في نَفَسٍ من الساعة، أو في نفَسِ الساعة»[2]، خرجها الطبري بجميع أسانيدها، وبعضها في الصحيحين، وفي بعضها زيادة على بعض.

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري (٧/ ٦٨) ومسلم في الفتن (١٣٢) وأحمد (٣/ ٢٢٢) والبيهقي في الصفات (١٨٨) بتحقيقي. والهرج: القتل.
(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (١/ ١٦).

وسألوه، ثم قال لهم: أيّ رجلٍ الحُصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيِّدنا وابن سيِّدنا، وحَبْرنا وعالمنا. قال: فلما فَرَغوا من قولهم، خرجتُ عليهم، فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة باسمه وصِفَته، فإني أشهدُ أنه رسولُ الله ﷺ، وأومن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا: كذبت ثم وقعوا بي، قال: فقلت لرسول الله ﷺ ألم أُخْبِرك يا رسول الله أنهم قوم بُهْتٌ، أهل غَدْر وكَذب وفُجور! قال: فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمَّتي خالدة بنت الحارث، فحَسُن إسلامها.

حديث مخيريق:

قال ابن إسحٰق: وكان من حديث مُخَيريق، وكان حبرًا عالمًا، وكان رجلاً غنيًّا كثير الأموال من النخل، وكان يَعْرف رسول الله ﷺ بصِفَته، وما يجد في عِلْمه، وغلب عليه إلْفُ دينه، فلم يزل على ذلك، حتى إذا كان يوم أُحُد، وكان يوم أحد يومَ السبت، قال: يا معشر يَهُودَ، والله إنكم لَتَعلمون أن نَصْرَ محمد عليكم لَحَقٌّ. قالوا: إن اليوم يومُ السبت؛ قال: لا سبتَ لكم. ثم أخذ سِلاحه، فخرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ بأُحُد، وعَهِد إلى مَن وَراءه من قومه: إنْ قُتِلتُ هذا اليومَ، فأمْوالي لمحمد - ﷺ - يصنع فيها ما أراه الله. فلما

وخالدة بنت الحارث قد ذكر إسلامَها، وهي مما أغفله أبو عُمَر في كتاب الصحابة، وقد استدركناها عليه في جملة الاستدراكات التي ألحقناها بكتابه.

وذكر حديث مُخَيْريق، وقال فيه: مُخَيْريقٌ خيرُ يهودَ، ومُخَيْرِيقٌ مسلم، ولا يجوز أن يقال في مسلم: هو خير النصارى، ولا خيرُ اليهود، لأن أفعل من كذا إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه[1]. فإن قيل: وكيف جاز هذا؟ قلنا: لأنه قال خير يهود، ولم يقل خير اليهود، ويَهُود اسم علم كَثَمُود، يقال: إنهم نسبوا إلى يَهُوذ بن يَعْقُوب، ثم عُرِّبت الذال دالاً، فإذا قلت: اليهود بالألف واللام، احتمل وجهين النسبَ والدينَ الذي هو اليهودية[2]، أما النسب فعلى حد قولهم التَّيْم في التَّيْميِّن، وأما الدين فعلى حَدِّ قولك: النصارى والمجوسُ أعني: أنها صِفَة، لا أنها نَسَبٌ إلى أب. وفي القرآن لفظٌ ثالث، لا يتصور فيه

---

(١) الذي قال هذا إنما هو النبي ﷺ!!!.

(٢) هو بالطبع ليس دينًا من عند الله تعالى إنما «الدين عند الله الإسلام» وهو الذي أُرسل به موسى وعيسى ومحمد ومَن سبقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولعله يعني ما اتخذه اليهود شرعًا ومنهاجًا. فهو من معاني كلمة «الدين». انظر للمحقق «اللباب في تفسير فاتحة الكتاب» عند تفسير قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾.

اقتتل الناسُ قاتل حتى قُتل. فكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ فيما بلغني ـ يَقول: «مخيريق خيرُ يهود»[١]. وقَبض رسولُ الله ﷺ أموالَه، فعامَّة صَدَقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها.

شهادة عن صفية

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حُدّثت عن صفيَّة بنت حُييّ بن أخْطب أنها قالت: كنت أحبَّ ولَدِ أبي إليه، وإلى عمِّي أبي ياسر، لم ألقهما قطّ مع ولدٍ لهُما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة، ونزل قُباء، في بني عمرو بن عوف، غَدا عليه أبي، حُيَيُّ بنُ أخطب، وعمِّي: أبو ياسر بن أخطب، مُغَلِّسَيْن. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غُروب الشمس. قالت: فأتَيا كالَّيْن كَسْلانين ساقِطين يمشيانِ الهُوَيْنى. قالت: فهشِشْتُ إليهما كما كنتُ أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحدٌ منهما، مع ما بهما من الغمّ. قالت: وسمعت عمِّي أبا ياسر، وهو يقول لأبي: حُيَيِّ بن أخْطَب: أهو هو؟ قال: نعم والله؛ قال: أتعرفه: وتُثْبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بَقيتُ.

إلا معنى واحد، وهو الدِّين دون النسب، وهو قوله سبحانه: ﴿وقالوا كونوا هُودًا أو نَصارى﴾ [البقرة: ١٣٥]. بحذف الياء، ولم يقل: كونوا يهودَ لأنه أراد التَّهَوّد، وهو التَّدَيُّن بدينهم، ولو قال: كونوا يَهُودًا بالتدين، لجاز أيضًا على أحد الوجهين المتقدمين، ولو قيل لقوم من العرب: كونوا يَهُودَ بغير تَنْوينٍ. لكان محالاً، لأن تبديلَ النَّسَبِ حقيقة محال، وقد قيل في هود: جمع هائد، وهو في معنى ما قلناه، فلتعرف الفرقَ بين قولك هودًا بغير ياءٍ، ويهودًا بالياء والتنوين، ويهودَ بغير تنوين، فإنها تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم ولم يُسْلِم من أحبار يهودَ على عهدَ رسول الله ﷺ إلا اثنان. وقد جاء في الحديث: «لو اتبعني عَشَرَةٌ من اليهود لم يبق في الأرض يهودي إلا اتبعني»[٢]. رواه أبو هريرة. وسمع كعبُ الأحبار أبا هريرة يحدِّث، فقال له: إنما الحديث: اثنا عَشَرَ من اليهود، ومِصْداقُ ذلك في القرآن (وبعثنا منهم اثْنَيْ عشر نقيبًا) فسكت أبو هريرة. قال ابن سيرين: أبو هُرَيْرَة أصدقُ من كعب. قال يحيىٰ بن سَلاَم كلاهما: (صدَق)؛ لأن رسول الله ﷺ إنما أراد: لو اتبعني عَشَرةٌ من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما[٣].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢/ ١٨٣) والبيهقي في الدلائل (١/ ١٨) وابن عساكر في تهذيبه (٣/ ٢٤٥) (١٠/ ٨٧). وانظر البداية (٣/ ٢٣٧) (٤/ ٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٩).

(٣) تأويل واستشهاد بالآية ـ بعيد ـ والله أعلى وأعلم.

مَن اجتمع إلى يهود من منافقي الأنصار

منافقو بني عمرو:

قال ابن إسحٰق: وكان مِمَّن انضاف إلى يهود، ممن سمّي لنا من المنافقين من الأوس والخزرج، والله أعلم. من الأوس، ثم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ ثم من بني لَوْذَان بن عمرو بن عوف: زُوَيّ بن الحارثِ.

منافقو حبيب:

ومن بني حُبيب بن عمرو بن عوف: جُلاس بن سُويد بن الصامت، وأخوه الحارث بن سويد.

من نفاق جلاس:

وجُلاس الذي قال ـ وكان ممن تخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبوك ـ لئن كان هذا الرجل صادقًا لنحن شرٌّ من الحُمُر. فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله ﷺ ـ عُمير بن سعد، أحدهم، وكان في حُجْر جُلاس، خَلَف جُلاسٌ على أُمه بعد أبيه، فقال له عُمير بن سعد: والله يا جُلاَس، إنك لأحبّ الناس إليّ، وأحسنهم عندي يدًا، وأعزّهم عليّ أن يصيبه شيء يكرهه، ولقد قلتَ مقالةً لئن رفعتُها عليك لأفضحنّك، ولئن صمتُّ عليها ليهلكنّ ديني، ولَإحداهما أيسرُ عليّ من الأخرى. ثم مشى إلى رسول الله ﷺ، فذكر له ما قال جُلاس، فحلف جلاس بالله لرسول الله ﷺ: لقد كذب عليّ عُمير، وما قلتُ ما قال عُمير بن سعد. فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿يحْلِفُونَ باللَّهِ ما قالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ وهَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا ومَا نَقَمُوا إلاّ أنْ أغْناهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فإنْ يَتُوبُوا يَكَ خَيرًا لَهُمْ وَإنْ يَتَوَلَّوا يُعذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا ألِيمًا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ومَا لَهُمْ فِي الأرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

قال ابن هشام: الأليم: الموجع. قال ذو الرمة يصف إبلاً:

وتَرفع من صدور شَمَرْ دَلاَتَ يَصُكّ وجوهَها وهجٌ أليمُ

وهذا البيت في قصيدة له.

ذكر المنافقين

فصل: وذكَر تبْتَلاً من المنافقين، قال: وكان أذلَم، والأَذْلَمُ الأسودُ الطويلُ من كل شيء. وقيل لجماعة النمل: ديْلَم، لسوادهم من كتاب العين.

قال ابن إسحٰق: فزعموا أنه تاب فحسُنت توبته، حتى عُرِف منه الخير والإسلام.

ارتداد الحارث بن سويد وغدره:

وأخوه الحارث بن سُويد، الذي قتل المجذَّر بن ذِياد البَلَوِيّ، وقيسَ بن زيد، أحد بني ضُبيعة، يوم أُحد. خرج مع المسلمين، وكان منافقًا، فلما التقى الناسُ عدَا عليهما، فقتلهما ثم لحَق بقريش.

قال ابن هشام: وكان المجذّر بن ذِياد قتل سُويدَ بن صامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أُحد طلب الحارث بن سويد غرّةَ المجذَّر بن ذِياد، ليقتله بأبيه، فقتله وحدَه، وسمعت غيرَ واحد منُ أهلِ العلم يقول: والدليل على أنه لم يقتل قيْس بن زيد، أنّ ابن إسحٰق لم يذكره في قَتْلي أُحُد.

قال ابن إسحٰق: قَتل سُويدَ بن صامت مُعاذُ ابن عفراء غِيلةً، في غير حرب، رماه بسَهْم فقتله قبل يوم بُعَاثٍ.

قال ابن إسحٰق: وكان رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ قد أمر عُمر بنَ الخطّاب بقَتْله إن هو ظفر به، ففاته، فكان بمكة، ثم بَعث إلى أخيه جُلاس يطلب التَّوبة، ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تبارك وتعالى فيه ـ فيما بلغني عن ابن عبّاس ـ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إيمانِهِمْ وشَهِدُوا أنَّ الرَّسُولَ حَق وجاءَهُمُ البَيِّناتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦] إلى آخر القصة.

وذكر الحارث بن سُوَيْد، وقتلَه للمُجَذَّر بن ذِيادِ. واسم المُجذَّرِ: عبدُ الله، والمُجَذَّرُ: الغليظُ الخَلْق.

وذكر أن الله تعالى أنزل في الحارث بن سُوَيد وارتداده: ﴿كيف يَهْدِي اللَّهُ قومًا كَفَروا بعد إيمانهم﴾ [آل عمران: ٨٦] فقيل إن هذه الآية مقصورةٌ على سببها مخصوصةٌ بمن سَبَق في علم الله أنه لا يَهديه من كُفره، ولا يتوب عليه مَنْ ظلمه، وإلا فالتوبة مفروضة، وقد تاب قوم بعد ارتدادِهم فقُبلت توبتُهم. وقيل: ليس فيها نَفْيٌ لقبول التوبة، فإنه قال: كيف يهدي الله، ولم يقُل لا يَهدي الله، على أنه قد قال في آخرها: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[1] وذلك يرجع إلى الخصوص، كما قدمنا أو إلى معنى الهداية في الظلمة التي

---

(١) فائدة: لا يهدي الله تعالى القوم الظالمين، ولكنه يهدي الذين ظلموا، وفرّق بين الذين ظلموا وهم الذين ظلموا أنفسهم أو غيرهم. قال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم. . .﴾ الآيات. فهؤلاء ظلموا أنفسهم بمعصيتهم، أما مَن تلبّس بالظلم حتى صار =

منافقو بني ضبيعة:

ومن بني ضبيعة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف: بِجاد بن عثمان بن عامر.

منافقو بني لوذان[1]:

ومن بني لَوْذان بن عمرو بن عوف: نَبْتل بن الحارث، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ - فيما بلغني: من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان، فلينظر إلى نَبْتل بن الحارث، وكان رجلاً جَسيمًا أذلم، ثائرَ شعرِ الرأسِ أحمرَ العينين، أَسفَعَ الخدَّين، وكان يأتي رسولَ الله ﷺ يتحدّث إليه فيسمع منه، ثم ينقل حديثَه إلى المُنافقين، وهو الذي قال: إنما محمد أُذُن، مَن حدّثه شيئًا صدّقه. فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿وَمِنهُمُ الَّذِينَ يُؤذُونَ النَّبِيَّ وَيقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤمِنُ باللَّه ويُؤمِنُ للمُؤمِنِينَ وَرَحْمَةٌ للّذِين آمَنُوا منْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعض رجال[2] بَلْعجلان أنه حُدّث[2]: أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ فقال له إنه يجلس إليك رجل أدلم، ثائر شعر الرأس، أسفع الخدّين أحمر العينين، كأنهما قِدْران من صُفر، كبده أغلظُ من كبد الحمار، ينقل حديثَك إلى المنافقين، فاحذره. وكانت تلك صفة نَبْتل بن الحارث، فيما يذكرون.

منافقو بني ضبيعة:

ومن بني ضُبيعة: أبو حَبيبة بن الأزعر، وكان ممن بنى مسجد الضرار، وثعلبةُ بن حاطب، ومُعتِّب بن قُشير، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن

عند الصراط بالنور التام يوم القيامة، فإن ذلك مُنتفٍ عمّن مات غير تائب من كفره وظلمه. والله أعلم[3].

= صفة لازمة لهم، فهؤلاء لا يهديهم الله، فجاء وصفهم باسم الفاعل ﴿الظالمين﴾ كقوله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، ولم يأتِ وصفهم بالفعل «ظلموا وكفروا». كما قال تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفَر لهم ما قد سلف﴾ فتأمل.

(١) انظر البداية (٣/ ٢٣٧).
(٢) مجاهيل.
(٣) انظر قصة ارتداده والحديث في النسائي في الكبرى (تفسير سورة آل عمران: ٨٥). وفي المجتبى (٤٠٦٨) وأحمد (١/ ٢٤٧) والطبري في تفسيره (٣/ ٢٤١) وابن حبان (١٧٢٨ - موارد) والحاكم (٢/ ١٤٢) وصححه وأقره الذهبي - وهو كما قالا - والواحدي في أسباب النزول (٨٤).

من الصالحين، الخ القصة. ومعتب الذي قال يوم أُحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ باللَّهِ غيرَ الحَقِ ظَنَّ الجاهِلِيةِ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا﴾ [آل عمران: ١٥٤] إلى آخر القصة. وهو الذي قال يوم الأحزاب: كان محمد يَعدنا أن نأكل كُنوز كسرى وقَيْصَر، وأحدُنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط. فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إلاَّ غُرُورًا﴾[1] والحارثُ بن حاطب.

معتب وابنا حاطب بدريون وليسوا منافقين:

قال ابن هشام: مُعتِّب بن قُشير، وثعلبة والحارث ابنا حاطب، وهم من بني أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم، وقد نسب ابنُ إسحٰق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بَدْر.

قال ابن إسحٰق: وعَبَّاد بن حُنيف، أخو سهل بن حُنيف؛ ويَخْرج، وهم ممن كان بَني مسجد الضِّرار، وعمرو بن خِذام، وعبد الله بن نَبْتل.

من بني ثعلبة:

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عَوْف: جاريةُ بن عامر بن العَطَّاف، وابناه: زيد ومُجمِّع، ابنا جارية، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار. وكان مجمِّع غلامًا حَدَثًا قد جمع من القرآن أكثره، وكان يصلي بهم فيه، ثم إنه لما أُخرب المسجد، وذهب رجالٌ من بني عمرو بن عوف، كانوا يصلون ببني عمرو بن عوف في مسجدهم، وكان زمانُ عمر بن الخطَّاب، كُلّهم في مجمِّع ليصلي بهم؛ فقال: لا، أوَليس بإمامِ المنافقين في مَسْجد الضِّرار؟ فقال لعمر: يا أمير المؤمنين، والله الذي لا إلٰه إلا هو، ما علمت بشيء من أمرهم، ولكني كنت غلامًا قارئًا للقرآن، وكانوا لا قرآن معهم، فقدّموني أصلي بهم، وما أرى أمرَهم، إلا على أحسن ما ذكروا. فزعموا أن عُمر تركه فصلى بقومه.

من بني أمية:

ومن بني أُميَّة بن زَيْد بن مالك: وَدِيعة بن ثابت، وهو ممَّن بَنى مسجد الضِّرار،

....

(١) سورة الأحزاب آية رقم (١٢). وانظر البداية (٣/ ٢٣٧).

وهو الذي قال: إنما كنَّا نخُوض ونَلْعب. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَلئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولنَّ إنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ قُلْ أبِاللَّهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تُسْتَهْزِءُونَ﴾ [المائدة: ٦٥]... إلى آخر القصة.

من بني عبيد:

ومن بني عُبيد بن زيد بن مالك: خِذام بن خالد، وهو الذي أُخرج مسجد الضِّرار من داره؛ وبشر ورافع، ابنا زيد.

من بني النبيت:

ومن بني النَّبِيت ـ قال ابن هشام: النَّبِيت: عَمرو بنُ مالك بن الأوس ـ قال ابن إسحٰق: ثم من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مِرْبع بن قَيْظيّ، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه ورسولُ الله ﷺ عامدٌ إلى أُحُد: لا أُحِلُّ لك يا محمد إنْ كنتَ نبيًا، أن تمرّ في حائِطي، وأخذ في يده حَفْنة من تراب، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أُصيب بهذا التراب غَيرك لرميتُك به، فابتدره القومُ ليقتُلوه، فقال رسولُ الله ﷺ: دعوه، فهذا الأعمى، أعمى القلب، أعمى البصيرة. فضربه سَعْد بن زيد، أخو بني عبد الأشهل بالقوس فشجَّه؛ وأخوه أَوْس بن قَيْظي، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ يوم الخندق: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة، فأْذَنْ لنا فلنرجع إليها. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَارًا﴾(١).

قال ابن هشام: عورة، أي مُعْورة للعدوّ وضائعة؛ وجمعها: عورات قال النَّابغة الذبياني:

مَتى تَلْقهم لا تَلْق للبيت عَوْرَةً ... ولا الجار مَحْرُومًا ولا الأمرَ ضائعا

وهذا البيت في أبيات له. والعورة (أيضًا): عورة الرجل، وهي حرمته. والعورة (أيضًا) السَّوءة.

....

(١) سورة الأحزاب آية رقم (١٣).

من بني ظفر:

قال ابن إسحٰق: ومن بني ظَفَر، واسم ظَفر: كعب بن الحارث بن الخزرج حاطبُ بن أميَّة بن رافع، وكان شيخًا جسيمًا قد عسا في جاهليته وكان له ابنٌ من خيار المُسْلمين يقال له يزيد بن حاطب أُصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات، فحُمل إلى دار بني ظَفر.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بنُ عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه مَنْ بها من رِجال المُسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يابن حاطب بالجنة. قال فنَجم نِفاقُه حينئذ، فجعل يقول أبوه أجل جنة والله من حَرْمل. غَررتُم والله هذا المسكين من نفسه.

قال ابن إسحٰق: وبَشِير بن أُبَيْرِق، وهو أبو طُعمة، سارق الدّرعين، الذي أنزل الله تعالى فيه: ﴿وَلا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أنْفُسَهُمْ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّانًا أثِيمًا﴾ وقُزْمان: حليف لهم.

ذكر حديث بشير بن أُبيرق سارق الدرعين:

وذكر أن الله أنزل فيه: ﴿ولا تُجادِلْ عن الذين يَخْتَانُونَ أنفسَهم﴾ [النساء: ١٠٧] الآية: وكان من قصة الدِّرعين، وقصة بشير أن بني أُبَيْرق، وهم ثلاثة بَشِيرٌ ومُبَشِّر وبِشْرٌ نقبوا مشْرُبةً أو نقبها بَشيرٌ وحده على ما قال ابن إسحٰق، وكانت المشْرَبة لرِفَاعة بن زَيْدٍ، وسَرقوا أدراعًا له، وطعامًا فعثر على ذلك، فجاء ابن أخيه قَتَادَة بن النُّعمان يشكو بهم إلى رسولِ الله - ﷺ - فجاء أسِيدُ بن عُرْوَةَ بن أُبَيْرِق إلى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسولَ الله، إن هؤلاءِ عَمَدُوا إلى أهل بيتٍ هم أهل صلاحٍ ودين، فأبَنُوهُم بالسرقة، ورَمَوْهم بها من غير بَيِّنة، وجعل يجادل عنهم حتى غضِب رَسولُ الله - ﷺ - على قَتَادَةَ ورِفاعة، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تُجادِل عن الذين يِخْتانُونَ أنفسَهم﴾ [النساء: ١٠٧] الآية، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ومَن يَكْسِب خَطِيئةً أو إثْمًا ثم يَرْم به بَرِيئًا﴾ [النساء: ١١٢] وكان البريءُ الذي رَمَوْه بالسرقة لبِيدَ بن سَهْلٍ: قالوا: ما سرقناه، وإنما سرقه لَبِيدُ بن سَهْلٍ، فبرّأه الله، فلما أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل، هَرَب ابنُ أبيرق السارقُ إلى مكة، ونزل على سُلافَة بنت سعد بن شُهَيْد، فقال فيها حَسَّان بن ثابت بيتًا، يعرِّض فيه بها، فقالت: إنما أهْديت لي شعرَ حسَّان، وأخذت رَحْلَه، فطرحته خارج المنزل، وقالت: حَلَقْتُ وسَلَقْتُ وخَرَقْتُ إن بتَّ في منزلي ليلة سَوْداءَ، فهرَبَ إلى خَيْبَر، ثم إنه نَقَب بيتًا ذات ليلة، فسقط الحائطُ عليه فمات. ذكر هذا الحديثَ بكثير من ألفاظه التِّرمِذيُّ، وذكره الكَشِّي والطبري بألفاظ مختلفة، وذكر قصةَ موته يحيىٰ بن سلاَّم في تفسيره ووقع اسمه في أكثر التفاسير: طُعْمَة بن أُبَيْرِق وفي

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ كان يقول: إنه لمن أهل النار. فلما كان يوم أُحد قاتل قتالاً شديدًا حتى قَتل بضعةَ نفر من المشركين، فأثبتته الجراحات، فحُمل إلى دار بني ظَفر، فقال له رجال من المسلمين: أبشر يَا قُزمان، فقد أبليتَ اليوم، وقد أصابك ما ترى في الله: قال: بماذا أُبشر، فوالله ما قاتلت إلا حمية عن قومي؛ فلما اشتدت به جراحاتُه وآذته أخذ سهمًا من كِنانته، فقطع به رواهشَ يده، فقَتل نفسه[1].

من بني عبد الأشهل:

قال ابن إسحٰق: ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم، إلا أن الضحاك بن ثابت، أحد بني كَعب، رهطِ سعد بن زيد، قد كان يُتَّهم بالنفاق وحُبّ يهود.

قال حسان بن ثابت:

مَن مُبلغٌ الضحَّاكِ أنّ عُروقه	أغيتْ على الإسْلامِ أن تَتَمَجَّدَا
أتحبّ يُهْدان الحجاز ودِينَهم	كِبدَ الحمار، ولا تحبّ محمدًا
دينًا لعمري لا يوافق دِينَنا	ما اسْتَنَّ آلٌ في الفَضاء وخَوْدَا

وكان جُلاس بنُ سويد بن صامت قَبْل توبته ـ فيما بلغني ـ ومعتِّب بن قُشير، ورافع بن زيد، وبِشر، وكانوا يُدْعون بالإسلام، فدعاهم رجال من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ، فدعوهم إلى الكُهّان، حكّام أهل الجاهلية، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يَزعمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزل إِلَيْك وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]. . إلى آخر القصة.

من الخزرج:

ومن الخزرج، ثم من بني النجّار: رافعُ بن وَدِيعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سَهْل.

كتب الحديث: بَشِير بن أُبَيْرِق، وقال ابن إسحٰق في رواية يونس بن بكير عنه: بَشِير أبو طُعْمَة فليس طعمة إذًا اسمًا له، وإنما هو أبو طُعْمَة، كما ذكر ابن إسحٰق في هذه الرواية

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (١٠٥) وأحمد (٤/ ١٣٥) والطبراني (١٩/ ٨٣).

من بني جشم:

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بَني سَلِمة: الجدّ بن قَيْس، وهو الذي يقول: يا محمد، ائذن لي، ولا تَفتني. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنِّي ألا فِي الفِتْنة سَقَطُوا وَإنَّ جَهَنم لمُحيطَةٌ بالكافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]... إلى آخر القصة.

من بني عوف:

ومن بني عوف بن الخزرج: عبدُ الله بن أبيّ ابن سَلُول، وكان رأسَ المُنافقين وإليه يجتمعون، وهو الذي قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ في غَزْوة بني المُصْطلق. وفي قوله ذلك، نزلت سورةُ المُنافقين بأسرها. وفيه وفي وَديعة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قَوْقل، وسُويد، وداعس، وهم من رهط عبد الله بن أبيّ ابن سلول؛ وعبد الله بن أبيّ ابن سلول. فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسُّون إلى بني النضير حين حاصرَهم رسول الله ﷺ: أن اثبتوا، فوالله لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحدًا أبدًا، وإن قوتلتم لننصرنكم. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نَافَقوا يَقُولُون لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطيعُ فِيكُمْ أحَدًا أبَدًا وَإنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذبُونَ﴾ ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إذْ قَالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْك إني أخافُ اللَّهَ رَبَّ العالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

من أسلم من أحبار يهود نفاقًا:

قال ابن إسحٰق: وكان ممن تعوّذ بالإسلام، ودخل فيه مع المُسلمين وأظْهره وهو مُنافق، من أحبار يَهود.

والله أعلم. وفي رواية يونس أيضًا أن الحائط الذي سقط عليه كان بالطائف لا بخيبر، كما قال ابن سَلاَّم، وأن أهل الطائف قالوا حينئذ: ما فارق محمّدًا مِن أصحابه مَن فيه خير. والأبيات التي رمى بها حَسَّان المرأة، وهي من بني عمرو بن عوف، وقد تقدم اسمها:

وما سارقُ الدِّرْعَيْن إذ كنتَ ذاكرًا ... بذي كَرَم من الرجال أوادِعهْ
وقد أنزلْته بنتُ سعدٍ فأصبحتْ ... ينازعها جَارَاسْتِها وتُنازعُه
ظننتمُ بأن يَخْفَى الذي قد صنعتم ... وفيكم نَبيٌّ عنده الوحي واضعه

من بني قينقاع:

من بني قَيْنُقاع: سعدُ بنُ حُنيف، وزَيْد بن اللُّصَيت، ونُعمان بن أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى، وزيد بن اللصَيْت، الذي قاتل عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بسوق بني قَيْنقاع، وهو الذي قال، حين ضلَّت ناقةُ رسول الله ﷺ: يزعم محمدٌ أنه يأتيه خبرُ السماء وهو لا يدري أين ناقتُه! فقال رسول الله ﷺ، وجاءه الخبر بما قال عدوّ الله في رَحْله، ودلّ الله تبارك وتعالى رسولَه ﷺ على ناقته: «إن قائلاً قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، ولا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علّمني الله، وقد دلّني الله عليها، فهي في هذا الشِّعْب، قد حبَستْها شجرةٌ بزمامها، فذهب رجالٌ من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسولُ الله ﷺ، وكما وصف» ورافعُ بن حُرَيملة، وهو الذي قال له الرسول ﷺ ـ فيما بلغنا ـ حين مات: قد مات اليوم عظيمٌ من عظماء المنافقين؛ ورفاعة بن زيد بن التابوت، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ حين هبَّت عليه الريح، وهو قافلٌ من غزوة بني المُصْطَلق، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها؛ فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «لا تخافوا، فإنما هبَّت لموتِ عَظيم من عُظماء الكفار»[1]. فلما قَدِم رسول الله ﷺ المدينةَ وجد رفاعةَ بن زَيْد بن التابوت مات ذلك اليومَ الذي هبَّت فيه الرِّيحُ وسِلْسلة بن بِرْهام. وكنانة بن صُورِيا.

طرد المنافقين من مسجد الرسول ﷺ

وكان هؤلاء المنافقون يحضُرون المسجدَ فيستمعون أحاديثَ المُسْلمين، ويَسْخَرون

وقع هذا البيتُ في كتاب سِيبَوَيْه[2]. وذكر الشعر والخبر بطوله ابن إسحٰق في رواية يونس عنه.

فصل: وأنشد ابنُ هشام:

لَدمَ الوَلِيد وراء الغَيْبِ بالحَجَرِ

والبيت لتميم بن أَبي بن مُقْبل، واللَّدْمُ: الضربُ، والغيب: العائر من الأرض.

باب إخراج المنافقين

وذكر ابن إسحٰق في باب إخراج المنافقين من المسجد أبا محمد، وقال: هو رجل من

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ١١٠) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٦١).

(٢) انظر كتاب سيبويه (١/ ٢٤٢).

ويَسْتهزئون بدينهم، فاجتمع يومًا في المَسْجد منهم ناسٌ فرآهم رسولَ الله ﷺ يتحدّثون بينهم، خافضي أصواتهم، قد لَصق بعضُهم ببعض، فأمر بهم رسول الله ﷺ فأُخْرجوا من المسجد إخراجًا عَنيفًا، فقام أبو أيُوب، خالد بن زيد بن كُلَيب، إلى عَمْرو بن قَيْس، أحدِ بني غَنْم بن مالك بن النجار ـ كان صاحبَ آلهتهم في الجاهلية فأخذ برجْله فسَحبه، حتى أخرجه من المسجد، وهو يقول: أتُخْرِجني يا أبا أيوب من مِرْبد بني ثَعْلبة، ثم أقبل أبو أيوب أيضًا إلى رافع بن وَديعة، أحد بني النجّار فلبَّبه بردائه ثم نَتَره نترًا شديدًا، ولطم وجهه، ثم أخرجه من المسجد، وأبو أيوب يقول له: أُفّ لك منافقًا خبيثًا: أدراجَكِ يا منافق من مَسْجد رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: أي ارجع من الطريق التي جئت منها. قال الشاعر:

فــولّـــى وأدْبَـــر أدْرَاجَـــه وقـد بـاء بـالـظـلْـم مـن كـان ثَـمّ

وقام عمارة بن حَزْم إلى زَيد بن عَمْرو، وكان رجلاً طويلَ اللّحية، فأخذ بِلِحْيَته فقاده بها قَوْدًا عَنِيفًا حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عَمارة يَدَيْه فَلَدَمه بهما في صدره لَدْمة خَرّ منها. قال: يقول: خدَشْتني يا عمارة؛ قال: أبعدك الله يا منافق، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك، فلا تقربنّ مسجدَ رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: اللدم: الضرب ببَطن الكفّ. قال تميم بن أُبيّ بن مُقبل:

ولـلـفـؤاد وَجِـيـبٌ تـحـت أبْـهـره لَـدْمَ الـوَلـيد وراء الغَـيْب بـالـحَـجَرِ

قال ابن هشام: الغيب: ما انخفض من الأرض. والأبهر: عِرق القلب.

قال ابن إسحٰق: وقام أبو محمد، رجل من بني النجّار، كان بدريًا، وأبو محمد مسْعود بن أوْس بن زَيْد بن أصْرم بن زَيْد بن ثَعْلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار إلى قَيْس بن عَمْرو بن سَهْل، وكان قَيْس غلامًا شابًا، وكان لا يعلم في المُنافقين شابّ غيره، فجعل يدفع في قَفاه حتى أخْرجه من المسجد.

بني النجار، ولم يُعَرّفه بأكثرَ من هذا، وهو: أبو محمد مسعود بن أوْس بن زيد بن أصْرم بن زيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار، يعدُّ في الشاميين، وهو الذي زعم أن الوِتْرَ واجب، فقال عُبَادة: كذب[1] أو محمد، وهو معدود في البَدْرِيِّين عند الواقدي وطائفة، ولم يذكره ابنُ إسحٰق فيهم.

---

(١) أي أخطأ.

وقام رجل من بَلْخُدرة بن الخَزْرج، رهط أبي سعيد الخُدْري، يقال له: عبد الله بن الحارث، حين أمَر رسول الله ﷺ بإخراج المنافقين من المَسْجد إلى رجل يُقال له: الحارث بن عمرو، وكان ذا جُمَّة، فأخذ بجُمَّته فسَحبه بها سحبًا عنيفًا، على ما مرّ به من الأرض، حتى أخرجه من المَسْجد. قال: يقول المنافق: لقد أغلظْت يابن الحارث؛ فقال له: إنك أهلٌ لذلك، أي عدوّ الله لما أنزل الله فيك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ، فإنك نَجس.

وقام رجل من بني عَمرو بن عوف إلى أخيه زُوَيّ بن الحارث، فأخْرجه من المسجد إخراجًا عنيفًا، وأفَّف منه، وقال: غلب عليك الشيطانُ وأمْره.

فهؤلاء مَن حضر المسجدَ يومئذٍ من المنافقين، وأمر رسولُ الله ﷺ بإخراجهم.

ما نزل من البقرة
في المنافقين ويهود ما نزل في الأحبار

ففي هؤلاء من أحْبار يهود، والمُنافقين من الأوس والخَزْرج، نزل صَدرُ سورة البقرة إلى المائة منها ـ فيما بلغني ـ والله أعلم.

يقول الله سبحانه وبحمده: ﴿الٓمٓ ذلكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[1]، أي لا شكّ فيه[2].

قال ابن هشام: قال ساعدة بن جُؤَية الهذليّ:

فقالوا عَهدنا القومَ قد حَصَرُوا به ... فـلا رَيْـب أنْ قـد كـان ثـمَّ لَـحِيـمُ

ذكر ما أنزل الله في المنافقين

فصل: وذكر ما أنزل اللهُ في المنافقين والأحبار ومن يَهُودَ من صَدْر سورة البقرة،

(١) وقيل: بدأ القرآن بهذه الحروف ﴿الٓمٓ﴾ دون غيرها من بقية الحروف التي بدأت بها بعض السور، لأنها أوسط وأسهل الحروف خروجًا من الفم، وفي قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى البعيد، والبقرة هي أول سور القرآن بعد الفاتحة فكيف يأتي اسم الإشارة «ذلك» وهو للبعيد؟ قالوا: ذلك: أي ما سبق من القرآن التي نزلت قبل سورة البقرة، فهي ليست أول سور القرآن نزولاً، وقالوا: إشارة إلى الفاتحة.

(٢) فائدة: الفرق بين الريب والشك: أن الريب يكون مصحوبًا بسوء الظن بخلاف الشك.

وهذا البيت في قصيدة له، والرّيب (أيضًا): الرّيبة. قال خالد بن زُهير الهُذليّ:

كـأنـنـي أُرِيـبُـه بـرَيْـب

قال ابن هشام: ومنهم من يرويه:

كـأنـنـي أرَبْـتُـه بـرَيْـب

وهذا البيت في أبيات له. وهو ابن أخي أبي ذُؤَيب الهُذلي.

﴿هُدًى للمُتَّقينَ﴾، أي الذين يحذرون من الله عقوبتَه في تَرْك ما يَعْرفون من الهدى، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ وَيُقيمُونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفقُونَ﴾ أي يُقيمون الصلاة بفَرْضها، ويُؤْتون الزكاة احتسابًا لها: ﴿والَّذِينَ يُؤْمنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنزِلَ منْ قَبْلكَ﴾، أي يصدّقونك بما جئتَ به من الله عزّ وجلّ، وما جاء به مَنْ قبلك من المُرْسلين، لا يفرّقون بينهم، ولا يجحدون ما جاءوهم به من رَبِّهم. ﴿وبالآخرَة هُمْ يُوقِنونَ﴾ أي بالبعث والقيامة والجَنة والنار والحساب والميزان، أي هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك، وبما جاءك من ربك ﴿أُولَئكَ على هُدًى منْ رَبِّهمْ﴾، أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم ﴿وأُولَئكَ هُمُ المُفْلحُونَ﴾ أي الذين أدركوا ما طلبوا ونَجَوْا من شرّ ما منه هربوا. ﴿إنَّ

واستشهد ابنُ هشام على الرَّيب بمعنى الرِّيبة بقول خالد بن زُهَير ابن أخت أبي ذُؤَيْب، واسمُ أبي ذؤيب: خُوَيْلِدُ بنُ خالدٍ، والرجز الذي استشهد ببيت منه:

يـا قـوم مـا لـي وأبـا ذُؤَيْـب ... كـنـتُ إذا أتـيـتـه مِـنْ غَـيْـبِ

يَـشُـم عَـطْـفِـي وَيَـمـسُّ ثَـوْبِـي ... كـأنـنـي أرَبْـتُـه بِـرَيْـبِ

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته، فلذلك، قال هذا.

وذكر ابن إسحٰق: والذين يقيمون الصلاة، وأغفل التلاوةَ: وإنما هو: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾ [البقرة: ٣]. وكذلك وجدته مُنبَّهًا عليه في حاشية الشيخ: وفي الإيمان بالغيب أقوال، منها أن الغيبَ هاهنا ما بعد الموت من أمور الآخرة، ومنها: أن الغيب، القَدر، ومنها قول من قال: إن الغيب القلبُ، أي يؤمنون بقلوبهم، وقيل: يؤمنون بالغيب، أي بالله عزّ وجلّ، وأحسن ما في هذه الأقوال قول الربيع بن أَنَس، أي: يؤمنون بظَهْر الغيب، أي: ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون إذا غابوا عنهم، ويُدَلُّ على صحةِ هذا التأويلِ: بسياقَةِ الكلام، مع قوله عزّ وجلّ: ﴿يخشون ربَّهم بالغيب﴾ فلا يحتمل قولُه: يخشَوْن ربَّهم بالغيب إلا تأويلاً واحدًا، فإليه يرَدُّ ما اختلف فيه.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي بما أُنزل إليك، وإن قالوا إنا قد آمنًا بما جاءنا قبلك ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ أي أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك، وجَحدوا ما أُخذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم، ممَّا جاءهم به غيرُك، فكيف يستمعون منك إنذارًا أو تحذيرًا، وقد كفروا بما عندهم من علمك. ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وعَلَى سَمْعِهِمْ وعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[1] أي عن الهدى أن يُصيبوه أبدًا، يعني بما كذّبوك به من الحقّ الذي جاءك من ربك حتى يؤمنوا به، وإن آمنوا بكلّ ما كان قبلك، ولهم بما هم عليه من خلافك عذابٌ عظيم.

فهذا في الأحبار من يهود، فيما كذّبوا به من الحقّ بعد معرفته.

وقوله سبحانه: لا رَيْبَ فيه، وقد ارتاب فيه كثير من الناس، قيل: هو على الخصوص في المؤمنين، أي لا ريب فيه عند. قال المؤلف: رَضِيَ اللهُ عنه: وهذا ضعيفٌ لأن التبرئةَ تعطي العمومَ، وأصح منه. أن الكَلامَ ظاهرُه الخبَر، ومعناه: النهي، أي: لا تَرْتابوا، وهذا النهي عامٌّ لا يُخصَّص، وأدق من هذا أن يكون خبرًا مَحْضًا عن القرآن، أي: ليس فيه ما يُريب، تقول: رابَنِي منك كذا وكذا، إذا رأيتَ ما تُنكِر، وليس في القرآن ما تُنْكِره العقولُ. والرَّيبُ، وإن كان مَصْدرًا فقد يُعبَّر به عن الشيء الذي يُريب، كما يُعَبَّر بالضيف عن الضائف، وبالطَّيْف عن الخيالِ الطائف، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿لِيَوم لا رَيبَ فيه﴾ فهذا خبر، لأن النهي لا يكون في موضع الصفة.

وقوله: لا رَيْبَ فيه في موضع الصفة ليوم، والحياةُ بعد الموت ليس فيه ما يُريبك، لأن من قدر على البَدْءَة، فهو على الإعادة أقدر، وليس الريب بمعنى الشَّكِّ على الإطلاق،

---

(١) فائدة: كثيرًا ما نسمع من الخطباء والوعّاظ: أن الله ختم الرسالات برسالة محمد ﷺ، وما أشبه، ولفظة «ختم» من لغة القرآن إنما تأتي في حالة الذّم كهذه الآية في سورة البقرة وفي الجاثية، أما إذا جاءت صفة اسم مفعول «من رحيق مختوم» «ختامه مسك» فإنها تأتي في حالة المدح. فتأمل. قال الأزهري: الختم: أصله التغطية، وختم البذر في الأرض إذا غطّاه. قال أبو إسحٰق: معنى ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية عى الشيء والاستيثاق منه فلا يدخله شيء. ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: الختم والطبع يشتركان فيما ذكر، ويفترقان في معنى آخر، وهو أن الطبع ختم يصير سجية وطبيعة فهو تأثير لازم لا يفارق. قلت: وفي اختصاص الختم على القلب وعلى السمع دون البصر فعليه غشاوة، ذلك أن السمع إذا خُتم عليه فلا يسمع وكذلك القلم إذا خُتم عليه ـ والعياذ بالله ـ فإنه لا ينفذ إليه شيء ويصير كما تقدم صفة لازمة له، بخلاف البصر فإنه يرى فالغشاوة أولى به من الختم، والغشاوة هي الغطاء، وهذا الغطاء أي الغشاوة إنما سَرَت إلى البصر عن طريق القلب الذي خُتم أولاً.

ما نزل في منافقي الأوس والخزرج:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[1] يعني المنافقين من الأوس والخزرج، ومن كان على أمرهم. ﴿يُخادِعُونَ اللَّهَ والذينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، أي شكّ ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾، أي شكا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أليم بِمَا كانُوا يَكْذِبُونَ وَإِذَا قيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[2] أي إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. يقول الله تعالى: ﴿ألا إِنَّهمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قالُوا أَنُؤْمنُ كما آمَنَ السُّفَهاءُ ألا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الذِين آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إلى شَياطِينِهِمْ﴾ من يهود، الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحقّ، وخلاف ما جاء به الرسول ﴿قالُوا إِنَّا مَعكُمْ﴾، أي إنا على مثل ما أنتم عليه. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾: أي إنما نستهزىء بالقوم، ونلعب بهم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام يَعْمُهون: يحارون. تقول العرب: رجل عَمِهٌ وعامه: أي حيران. قال رؤبة بن العَجاج يصف بلدًا:

أعمى الهُدى بالجاهلين العُمَّه

وهذا البيت في أرجوزة له. فالعُمَّه: جمع عامه؛ وأما عَمِه، فجمعه: عَمِهون. والمرأة: عمِهة وعَمْهاء.

لأنك تقول: رابني منك رائب، ولا تقول شَكَّني، بل تقول: ارتبت كما تقول شككت، فالارتِياب: قريب من الشَّكِّ.

---

(١) قوله تعالى: ﴿ومن الناس﴾ للتبعيض. وقوله تعالى: ﴿مَن يقول﴾ إنما هو مجرد قول بلا اعتقاد قلبي يصدق هذا القول وبلا عمل يصدق هذا القول، بخلاف وصف المؤمنين في الآيات الأولى من نفس السورة ﴿هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب﴾... الآيات. وليس فيه أنهم قالوا: آمنّا بالغيب.

(٢) وهذا هو حال المفسدون في الأرض، فهم يرفعون دائمًا شعار الإصلاح، فنقرأ في التاريخ: أن فلان هو صاحب حركة الإصلاح الزراعي، وفلان صاحب حركة الإصلاح التعليمي، وفلان صاحب حركة الإصلاح الديني، و... و... ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾.

﴿أُولَئِكَ الذِينَ اشتَروا الضَّلالَة بالهُدَى﴾[1]: أي الكفر بالإيمان ﴿فَمَا رَبحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

قال ابن إسحٰق: ثم ضرب لهم مثلاً، فقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الذي اسْتَوْقَدَ نارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بنُورِهِمْ وتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمات لا يُبْصِرُونَ﴾[2] أي لا يبصرون الحقّ ويقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه، فتركهم الله في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق: ﴿صُمٌّ بكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾[3]: أي لا يرجعون إلى الهدى، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْي عن الخير، لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاةً ما كانوا على ما هم عليه ﴿أوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماء فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذانهمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بالكافِرِينَ﴾.

قال ابن هشام: الصَّيِّب: المطر، وهو من صاب يصُوب، مثل قولهم: السيِّد، من ساد يسود، والميِّت: من مات يموت؛ وجمعه: صَيائب. قال عَلْقمة بن عَبَدة، أحدُ بني رَبيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم:

كأنهمُ صابت عليهم سَحابةٌ ... صواعقُها لطيرِهنّ دَبِيبُ

وفيها:

فلا تَعْدِلي بيني وبين مُغَمَّر ... سقَتْكَ رَوايا المُزْن حَيْثُ تَصوب

وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: أيِ هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل، مِنَ الذي هم عليه من الخلاف والتخوّف لَكم، على مثل ما وُصف، من الذي هو (في) ظلمة الصيِّب، يجعل أصابعَه في أُذنيه من الصواعق حَذَر الموت. يقول: والله منزل ذلك بهم

وذكر قول الله سبحانه: ﴿في قُلوبهم مَرَض﴾ وأصلُ المرض: الضعفُ وفُتور الأعضاء، وهو هاهنا ضَعْف اليقين، وفُتور القلب عن كَدِّ النظر، وعطف: فزادهم الله، وإن

---

(١) قوله تعالى: ﴿أولئك﴾ تخصيصهم بهذا الوصف، و﴿أولئك﴾ للبعيد، أي فهم البعيدون عن رحمة الله، أو في القعر البعيد من جهنم والعياذ بالله تعالى.

(٢) انظر في تفسيرها «أعلام الموقين» لابن القيم ـ الجزء الأول، والصواعق المرسلة له أيضًا. والوابل (٧٨) وشفاء العليل (٩٦) واجتماع الجيوش (١٩).

(٣) قوله تعالى: ﴿لا يرجعون﴾ في حق المنافقين، أما الكافرين فيقول عنهم «فهم لا يعقلون» فتأمل.

من النقمة، أي هو محيط بالكافرين ﴿يَكادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾: أي لشدة ضوء الحق ﴿كُلَّما أضَاءَ لهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا﴾؛ أي يعرفون الحق ويتكلّمون به، فهم من قولهم به على استقامة، فإذا ارتكسوا منه في الكفر قاموا متحيرين. ﴿ولَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بسَمْعهِمْ وأبْصَارِهِمْ﴾ أي لما تركوا من الحقّ بعد معرفته ﴿إنَّ اللَّهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ للفريقين جميعًا، من الكفار والمنافقين، أي وحّدوا ربكم ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأرْضَ فِرَاشًا والسَّماءَ بِناءً وأنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجعَلوا لِلَّهِ أَنْدادًا وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأنداد: الأمثال، واحدهم ندّ. قال لعبيد بن ربيعة:

أحْمَدُ اللهَ فلا نِدَّ لَه ... بيَدَيْه الخيرُ ما شاء فَعَلْ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: أي لا تُشركوا بالله غيرَه من الأنداد التي لا تنفع ولا تضرّ، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسولُ من توحيده هو الحقّ لا شكّ فيه. ﴿وَإنْ كُنتُمْ في رَيْب ممَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدنا﴾ أي في شكّ مما جاءكم به، ﴿فَأْتُوا بسُورة مِنْ مثْله وَادْعُوا شُهَدَاءكُمْ مِنْ دُونْ اللَّه﴾ أي من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه ﴿إنْ كُنتُمْ صادقين فإن لَمْ تَفعلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فقد تبين لكم

كان الفعلُ لا يُعطَف على الاسم، ولا على مثل هذه الجملة، لو قلت: في الدار زيد، فأعطيته دِرْهَمًا لم يجز، ولكن لما كان في معنى قوله: في قلوبهم مرض كَمَعْنى مَرِضَت، قلوبهمُ صح عطفُ الفعل عليه.

---

(١) قاعدة: من عادة القرآن أنه يتوصل بتقرير توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية، كما في الآية السابقة، فيعدّ التقرير بأن خالق السماء والأرض وخالق الناس جميعًا ومُنزِّل المطر إنما هو الربّ، ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾. أي فلا تشركوا به شيئًا وهو الذي فعل لكم وبكم كذا وكذا وكذا. وانظر أيضًا ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وإلٰهكم إلٰه واحد لا إلٰه إلا هو الرحمٰن الرحيم﴾. . . الآية وما وليها من آيات، وانظر سورة الناس ﴿رب الناس ملك الناس إلٰه الناس﴾، وانظر سورة طه في قوله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ الآيات.

الحقّ ﴿فاتَّقُوا النَّارَ التي وَقُودُها النَّاسُ والحجارَة أُعدَّتْ للْكافرينَ﴾ أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر.

ثم رغَّبهم وحذَّرهم نقضَ الميثاق الذي أخذ عليهم لنبيِّه ﷺ إذا جاءهم، وذكر لهم بَدْء خَلْقهم حين خلقهم، وشأنَ أبيهم آدم عليه السلام وأمْرَهُ، وكيف صُنع به حين خالف عن طاعته، ثم قال: ﴿يا بَني إسرائيلَ﴾[1] للأحبار من يهود ﴿اذْكُروا نِعْمَتِيَ التي أنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بلائي عندكم وعند آبائكم، لمَّا كان نجاها به فرعون وقومه ﴿وأوفُوا بعَهْدي﴾[2] الذي أخذتُ في أعناقكم لنبِيِّي أحمد إذا جاءكم ﴿أُوفِ بِعَهْدكُمْ﴾ أنجز لكم ما وعدتكم على تَصْديقه واتباعه بوَضْع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم ﴿وإيَّايَ فارْهَبُونِ﴾ أي أن أُنْزل بكم ما أنزلت بمَنْ كان قبلكم من آبائكم من النِّقمات التي قد عرفتم، من المَسخ وغيره ﴿وآمِنُوا بِمَا أنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أوَّلَ كافر به﴾ وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم ﴿وَإيَّايَ فاتَّقُون وَلا تَلْبِسُوا الحَقَّ بالباطلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به، وأنتم تَجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم ﴿أتأمُرُونَ النَّاس بالبرّ وَتَنْسَوْنَ أنْفُسَكُمْ وأنْتُمْ تَتْلُونَ الكتابَ أفَلا تَعْقِلُونَ﴾ أي أتَنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوّة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكون، أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تَصْديق رسولي وتَنْقضون ميثاقي، وتَجْحدون ما تَعْلمون من كتابي.

ثم عدّد عليهم أحداثهم، فذكر لهم العجلَ وما صَنعوا فيه، وتوْبته عليهم، وإقالَته إياهم، ثم قولَهم: ﴿أرِنا اللَّهَ جَهْرَةً﴾.

وذكر قولَه سبحانه: ﴿يا بَنِي إسرائيلَ﴾، ووهم في التلاوة، فقال: ﴿يا أهلَ الكتابِ﴾، كما وهم في أول السورة. وبنو إسرائيل: هم بنو يَعْقُوب، وكان يسمى: إسرائيل، أي سَرِيُّ

---

(١) قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل﴾ يعلّمنا أدب الخطاب والدعوة إلى الله تعالى بالحسنى، فعلى الرغم من كل ما صدر عن اليهود من كفر وإلحاد و. . . و. . . إلا أنه تعالى بدأ أول خطاب يوجّه إليهم في القرآن كله بقوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل﴾. ثم بعدها بقول تعالى: ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ وبعد نهاية السياق الموجّه إليهم نجد القول الموجّه إلى أمة النبي محمد ﷺ. ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ فكونوا دائمًا ذاكرين لي ولِنِعَمي عليكم فلا تتشبهوا باليهود الذين نسوا نِعَم الله فاحتاجوا إلى تذكير الله تعالى لهم.

(٢) العجيب أن اليهود سمّوا كتابهم «العهد القديم»، والنصارى سمّوا كتابهم «العهد الجديد» ولم يوفّ هؤلاء بالعهد القديم، ولا هؤلاء بالعهد الجديد!!!.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: جهرة، أي ظاهرًا لنا لا شيء يستره عنّا. قال أبو الأخْزر الحِمّاني، واسمُه قُتيبة:

يَـجـهـر أجـوافَ الـمِـيـاه الـسُّـدُم

وهذا البيت في أرجوزة له.

يجهر: يقول: يُظهر المَاء ويَكْشف عنه ما يستره من الرمل وغيره.

قال ابن إسحٰق: وأخذَ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرّتهم، ثم إحياءَه إياهم بعد موتهم، وتظليلَه عليهم الغمام، وإنزالَه عليهم المنّ والسَّلوى، وقوله لهم: ﴿ادْخُلُوا البابَ سجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، أي قولوا ما آمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم؛ وتبديلَهم ذلك من قوله استهزاءً بأمره، وإقالَته إياهم ذلكَ بعد هُزئهم(1).

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: المنّ: شيء كان يسقط في السَّحَر على شجرهم، فَيجتنبونه حُلوًا مثل العسل، فيَشربونه ويأكلونه. قال أعشى بني قَيْس بن ثعلبة:

لو أُطعِمُوا المنَّ والسَّلوى مكانَهمُ ما أبصر الناسُ طُعما فيهمُ نجعَا

وهذا البيت في قصيدة له. والسلوى: طير؛ واحدتها: سَلْواة؛ ويقال: إنها السُّمَاني، ويقال للعسل (أيضًا): السلوى. وقال خالد بن زهير الهُذليّ:

وقـاسـمَـهـا بـالله حَـقًّـا لأنـتـمُ أَلَـذُّ من الـسَّـلْوَى إذا ما نَـشُـورها

وهذا البيت في قصيدة له. وحِطّة: أي حُطَّ عنا ذُنوبَنا.

قال ابن إسحٰق: وكان من تَبْديلهم ذلك، كما حدّثني صالح بن كَيْسان عن صالح مولي التَّوْءَمة بنت أُميَّة بن خلف، عن أبي هُريرة ومن لا أتَّهم، عن ابن عبَّاس، عن

اللهِ لكن لم يُذكروا في القراءة إلاَّ أضِيفوا إلى إسرائيل، ولم يُسَمَّوا فيه: بنو يَعْقُوبَ، ومتى، ذُكر إبراهيمُ وإسحٰق ويعقوبُ لم يُسَمَّ إسرائيل، وذلك لحكمة فُرقَانيَّة، وهو أن القومَ لما

---

(1) في بعض كتب التفسير أنهم قالوا بدلاً من «حطة» حنطة. وقالوا: هذا هو التبديل الذي صدر منهم. وهو بعيد، إذ إنهم ما كانوا يتحدثون العربية حتى يزيدوا حرف النون هذا، بل لغتهم هي العبرية، والأرجح ما ذكره ابن إسحٰق.

رسول الله ﷺ، قال: «دَخَلُوا الباب الذي أُمروا أن يدخلوا منه سُجَّدًا يزحفون، وهم يقولون حِنط في شعير»[1].

قال ابن هشام: ويُروَى: حنطة في شعيرة:

قال ابن إسحٰق: واستسقاءَ موسى لقومه، وأمره (إياه) أن يضرب بعصاه الحَجَرَ فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينًا، لكلّ سِبْط عَيْن يَشْربون منها، قد عَلم كلُّ سِبْط عينَه التي منها يشرب؛ وقولهم لموسى عليه السلام: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلى طعَام وَاحِد فادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبتُ الأرْضُ مِنْ بَقْلِها وَقِثَّائِها وَفُومِها﴾.

قال ابن هشام: الفُوم: الحنطة. قال أُمية بن الصلت الثَّقفي:

فوقَ شِيزَي مثلِ الجَوابي عَليها قِطَعٌ كالوذِبل في نِقَى فُومِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الوذيل: قطع الفضَّة والفوم: القمح؛ واحدته: فُومة. وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وَعَدَسِها وَبَصَلِها قالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فإِنَّ لَكُمْ ما سأَلْتُمْ﴾.

قال ابن إسحٰق: فلم يفعلوا. وَرَفْعَه الطُّور فوقهم ليأخذوا ما أُوتوا؛ والمسخ الذي كان فيهم، إذ جعلهم قِردةً بأحداثهم، والبقرةَ التي أراهم الله عزّ وجلّ بها العِبرةَ في القتيلِ الذي اختلفُوا فيه، حتى بَيَّن الله لهم أمرَه، بعد التردد على موسى عليه السَّلام في صِفة البقرة؛ وقسوةَ قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ منَ الحِجارَةَ لَمَا يَتَفَجَّرُ منْهُ الأنهارُ وَإِنَّ منها لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ منها

خُوطبوا بعبادة الله، وذُكِّروا بدين أسلافِهم مَوْعِظَةً لهم، وتَنْبيهًا من غفلتهم سُمُّوا بالاسم الذي فيه تَذْكِرَةٌ بالله، فإن إسرائيلَ اسمٌ مُضاف إلى الله تعالى في التأويل. ألا تَرى: كيف نَبَّه على هذا المعنى رسولُ الله ﷺ ـ حين دعا إلى الإسلام قومًا، يقال لهم: بنو عبد الله، فقال لهم: يا بني عبدِ الله، إن الله قد حَسَّن اسم أبيكم يُحرِّضهم بذلك على ما يقتضيه اسمُهم من العُبوديَّة لله، فكذلك قولُه سبحانه: يا بني إسرائيلَ إنما ورد في مَعْرِض التَّذْكِرَةِ لهم بدين

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٢٤٠) والقرطبي (١/ ١٤١) والترمذي (٣٩٥٦) وابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٨٦).

لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[1] أي وإن من الحجارة لألينُ من قُلُوبكم عمَّا تدعون إليه من الحق ﴿وما اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْلَمُونَ﴾.

ثم قال لمحمد عليه الصلاة السلام ولمن معه من المؤمنين يُؤْيسهم منهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وليس قوله يَسْمَعُونَ التَّوْرَاةَ، أن كلَّهم قد سمعها، ولكنه فريق منهم، أي خاصة.

قال ابن إسحٰق، فيما بلغني عن بعض أهل العلم: قالوا لموسى: يا موسى، قد حيل بيننا وبين رؤية الله، فأسمعنا كلامَه حين يكلِّمك، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربِّه، فقال له: نعم، مُرْهُم فَلْيَطَّهَّرُوا، أو ليطهروا ثيابَهم، وليصُوموا، ففعلوا. ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطورَ؛ فلما غشيهمُ الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجَّدًا، وكلَّمه ربه، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى، يأمرهم ويَنْهاهم، حتى عَقلوا عنه ما سمعوا، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل، فلما جاءهم حرّف فريقٌ منهم ما أمرهم به، وقالوا: حين قال موسى لبَني إسرائيل: إن الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريق الذي ذكر الله عزّ وجلّ: إنما قال كذا وكذا، خلافًا لما قال الله لهم، فهم الذين عنى الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا﴾، أي بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة. ﴿وإذا خلا بعضُهم إلى بعض قالوا﴾: لا تحدّثوا العربَ بهذا، فإنكم قد كنتم تَسْتفتحون به عليهم، فكان فيهم. فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ قالُوا أَتُحَدِّثُونَهم بِمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ لِيُحاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم أفلا تَعْقلُونَ﴾[2]، أي تُقرُّون بأنه نبيّ، وقد عرفتم أنه قد أُخذ له الميثاق عليكم باتباعه، وهو يُخبركم أنه النبيّ الذي كنَّا ننتظر ونجد في كتابنا؛ اجحدُوه ولا تُقرُّوا لهم

أبيهم، وعُبوديَّتِهِ لله، فكان ذكرُهُم بهذا الاسم أليقَ بمقام التذكرة والتَّحْريض مِن أن يقول لهم: يا بني يعقوبَ، ولما ذكر مَوْهِبَته لإبراهيم وتبشيره بإسحٰق، ثم يعقوبَ كان لفظُ

---

(١) يشير تعالى إلى ما رآه اليهود من تفجّر الماء من الحجر اثنتي عشرة عينًا، وإلى الجبل الذي هبط ودُكَّ من خشية الله تعالى.

(٢) غباء يهودي وفكر عَفِن، كأنهم إذا لم يتحدثوا فإن الله لا يقيم عليهم الحجة يوم القيامة!!!. ولذلك عقب تعالى بقوله: ﴿أولاَ يعلمون أن الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون﴾. وتأمل قول بعضهم لبعض: ﴿أفلا تعقلون﴾. هذا هو العقل اليهودي!!!.

به. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ وَمِنْهُم أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتابَ إلاّ أَمانِيَّ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام، عن أبي عُبيدة: إلا أمانيّ: إلا قراءة، لأن الأميّ: الذي يقرأ ولا يكتب. يقول: لا يعلمون الكتاب إلا (أنهم) يقرؤونه.

قال ابن هشام: عن أبي عُبيدة ويونس أنهما تأوّلا ذلك عن العرب في قول الله عزّ وجلّ، حدّثني أبو عبيدة بذلك.

قال ابن هشام: وحدّثني يونس بن حَبيب النحوي وأبو عُبيدة: أنَّ العرب تقول: تمنى، في معنى قرأ. وفي كتاب الله تبارك وتعالى:

﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبيّ إلاَّ إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾.
قال: وأنشدني أبو عُبيدة النحويّ:

تَمَنَّى كِتابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِه ... وآخِرَهُ وافَى حِمامُ المَقادِرِ

وأنشدني أيضًا:

تَمَنَّى كتابَ الله في اللَّيلِ خالِيًا ... تَمَنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ

وواحدة الأماني: أُمنيَّة. والأماني (أيضًا): أن يتمنى الرجلُ المال أو غيره[1].

قال ابن إسحٰق: ﴿وَإِنْ هُمْ إلاَّ يَظُنونَ﴾: أي لا يعلمون الكتاب ولا يَدْرون ما فيه، وهم يَجحدون نُبوّتَك بالظنّ. ﴿وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنا النَّارُ إلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عَنْدَ اللَّهِ عِهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ على اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾.

دعوى اليهود قلة العذاب في الآخرة ورد الله عليهم:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني مولى لزيد بن ثابت عن عَكْرمة، أو عن سَعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس، قال: قَدِم رسول الله ﷺ المدينةَ واليهود تقول: إنما مدّةُ الدنيا سبعة

يعقوب أولى بذلك المقام، لأنها مَوْهِبة بعَقِب أخرى، وبُشرى عقب بها بُشرى وإن كان اسمُ يعقوب عِبْرانِيًا، ولكن لفظَه موافقٌ للعربي في العقِب والتعقيب، فانظر مُشَاكَلة الاسمين

---

(١) وهذا هو حال كثير من المسلمين اليوم، لا يعلمون الكتاب إلا أماني، مجرد أوهام وخيالات وتمنّي على الله تعالى، والقلب فاسد والعقل خرب، والعمل كفر وشرك. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

آلاف سنة، وإنما يُعذّب الله الناسَ في النار بكلّ ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعةُ أيام ثم ينقطع العذاب. فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَقالُوا لَنْ تَمَسَّنا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتم عَنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ على اللَّه ما لا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وأحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ أي من عملِ بمثل أعمالكم، وكَفر بمثل ما كفرتم به، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة ﴿فأُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالدونَ﴾ أي خُلْد أبدًا. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيها خَالِدونَ﴾: أي من آمن بما كفرتم به، وعمل بما تركتم من دينه، فلهم الجنة خالدين فيها، يُخبرهم أن الثواب بالخير والشرَّ مقيمٌ على أهله أبدًا، لا انقطاع له.

قال ابن إسحٰق: ثم قال: (الله عزّ وجلّ) يؤنبهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي ميثاقكم ﴿لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبالوَالِدَيْنِ إِحْسانًا وَذِي القُرْبى وَاليَتامى وَالمَساكِينِ وَقُولُوا للنَّاس حُسْنًا، وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي تركتم ذلك كله ليس بالتنقُّص. ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: تسفكون: تصبُّون. تقول العرب: سَفك دمَه، أي صبَّه، وسفك الزقّ، أي هَراقه. قال الشاعر:

وكنَّا إذا ما الضيفُ حلّ بأرضنا   سفكنا دِماء البُدْن في تُرْبة الحالِ

قال ابن هشام: يعني «بالحال»: الطين الذي يخالطه الرمل، وهو الذي تقول له العرب: السَّهلة. وقد جاء في الحديث: أن جبريل لما قال فرعون: ﴿آمنتُ أنَّهُ لا إلٰه إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ أخذ من حال البحر ﴿وحَمأته﴾ فضرب به وجهَ فرعون. (والحال: مثل الحمأة).

قال ابن إسحٰق: ﴿وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أن هذا حقّ من ميثاقي عليكم ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرونَ عَلَيْهِمْ بالإِثْمِ والعُدْوَانِ﴾ أي أهلِ الشرك، حتى يسفكوا دماءهم معهم، ويخرجوهم من ديارهم مع هم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارَى تُفادُوهُمْ﴾ وقد عرفتم أن ذلك عليكم في دينكم ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾: في كتابكم ﴿إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

للمقامين، فإنه من باب النظر في إعجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الكلام في منازله اللائقة به.

الكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[1]، (أي) أتفادونهم مؤمنين بذلك، وتخرجونهم كفارًا بذلك. ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلكَ مِنْكُمْ إلاَّ خِزيٌ فِي الحَياةِ الدنيا وَيَوْمَ القِيامَة يُرَدُّونَ إلى أشَدّ العَذاب وَما اللَّهُ بغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الحَياةَ الدُّنْيا بالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلا هُمْ يِنْصَرُونَ﴾ فأنّبهم الله عزّ وجلّ بذلك مِن فِعْلهم، وقد حرّم عليهم في التوراة سفكَ دِمَائهم، وافترضَ عليهم فيها فِدَاء أسراهم.

فكانوا فريقين، منهم بنو قَيْنُقاع ولَفُّهم، حلفاء الخزرج، والنَّضيرُ وقُريظة ولفُّهم، حلفاء الأوس. فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حربٌ خرجت بنو قَيْنُقاع مع الخزرج وخرجت النضيرُ وقُريظة مع الأوس يُظاهر كلٌّ واحِد من الفريقين حلفاءَه على إخوانه، حتى يَتسافكوا دماءهم بينهم وبأيْدِيهم التورةُ يَعْرفون فيها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج أهلُ شِرْكَ يَعبدون الأوثان. لا يعرفون جنَّةً ولا نارًا، ولا بعثًا ولا قيامة، ولا كتابًا، ولا حلالاً ولا حرامًا، فإذا وضعت الحربُ أوزارها افتَدوا أُساراهم تصديقًا لما في التوراة، وأخذ به بعضُهم من بعض، يَفْتدي بنو قَيْنُقاع مَنْ كان من أسْراهم في أيدي الأوس وتَفْتدي النَّضِير وقُرِيظة ما في أيدي الخَزْرج منهم ويُطِلُّون ما أصابوا من الدماء، وقَتْلى من قُتِلوا منهم فيما بينهم، مُظاهرةً لأهل الشرك عليهم. يقول الله تعالى حين أنّبهم بذلك: ﴿أَفَتُؤمِنُون بِبَعْضِ الكِتابِ وتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، أي تُفاديه بحُكم التوراة وتقتُله، وفي حكم التوراة أن لا تفعل، تقتله وتُخْرِجه من داره وتُظاهر عليه من يُشْرك بالله، ويَعْبد الأوثان من دونه، ابتغاءَ عرض الدنيا. ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج. فيما بلغني. نزلت هذه القصة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بالرُّسُلُ وآتَيْنا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ البَيِّناتِ﴾، أي الآيات التي وضعت على يديه، من إحياء الموتى، وخَلْقه من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا بإِذْنِ الله، وإبراء الأسقام، والخَبر بكثير من الغيوب مما يَدَّخرون في بيوتهم، وما ردّ عليهم من التوراة مع الإنجيل، الذي أحدث الله إليه.

....

(١) وهذا هو حال كثير من المسلمين اليوم، آمنوا بآية الزكاة وكفروا بآية تحريم الربا، آمنوا بآية الصوم وكفروا بآية الصلاة، آمنوا بآية الحج وكفروا بآية تحريم الخمر، آمنوا ببعض الشعائر وكفروا بآية الشرائع، تجد اللافتات وقد عُلّقَ عليها ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم﴾... الآية ولا تجد لافتة عليها ﴿ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. أظهروا بعض الكتاب وأخفوا البعض. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم ذكرَ كُفرهم بذلك كله، فقال: ﴿أفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقا تَقْتُلُونَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَقالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ﴾: في أكنة[1]: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الكافِرِينَ﴾.

قال ابن إسحٰق: حدّثني عاصم بن عُمر بن قَتادة عن أشياخ[2] من قومه، قال: قالوا: فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة، كنّا قد عَلَوْناهم ظَهْرًا في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا: إن نبيّا يبعث الآن نتبعه قد أظلّ زمانه، نقتلكم معه قتلَ عاد وإرم. فلما بَعث الله رسولَه ﷺ من قُرَيش فاتبعناه كفروا به. يقول الله: ﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ على الكافِرِينَ بِئْسَما اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾، أي أنْ جَعله في غيرهم: ﴿فباؤوا بغَضَبٍ على غَضب وللكافِرِينَ عَذَابٌ مَهِينٌ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: فباؤوا بغضب: أي اعترفوا به واحتملوه. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

أُصالِحكم حتى تبوؤوا بمثلها ... كَصرْخة حُبْلَى يَسَّرتها قَبِيلُها

قال ابن هشام: يسَّرتها: أجلستها للولادة. وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: فالغضب على الغضب لغَضبه عليهم فيما كانوا ضيَّعوا من التوراة، وهي معهم، وغضبٌ بكُفرهم بهذا النبي ﷺ الذي أحدث الله إليهم.

ثم أنَّبهم برَفْع الطُّور عليهم، واتخاذهم العِجْل إلٰهًا دون ربهم، يقول الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاس فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكْذَبُ عند الله، فأبَوْا ذلك

---

(١) غلف: أي على قلوبنا غشاوة فهي أوعية فلا تعي ولا تفقه ما تقول. انظر شفاء العليل لابن القيم (٤٣) رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنّا كل خير.

(٢) مجاهيل.

على رسول الله ﷺ. يقول الله جلّ ثناؤه لنبيِّه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أي بعِلْمهم بما عِنْدهم من العِلْم بك، والكفر بذلك، فيقال: لو تمنَّوه يومَ قال ذلك لهم ما بقي على وجه الأرض يهوديّ إلا مات. ثم ذكر رغبتهم في الحياة الدنيا وطول العُمْر، فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ على حَياةٍ﴾ اليهود ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾[1]، أي ما هو بمُنَجيه من العذاب، وذلك أنّ المشرك لا يرجو بعثًا بعد الموت، فهو يحبّ طول الحياة، وأن اليهوديّ قد عرف ماله في الآخرة من الخِزْي بما ضيَّع ممَّا عنده من العلم. ثم قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

سؤال اليهود الرسول، وإجابته لهم عليه الصلاة والسلام:

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبدُ الله بن (عبد) الرحمٰن بن أبي حُسين المكيّ عن شَهْر بن حَوْشب الأشعري[2]: أن نفرًا من أحبار يهود جاؤوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن أربع نسألك عنهنّ، فإن فعلتَ ذلك اتبعناك وصدّقناك وآمنّا بك. قال: فقال لهم رسولُ الله ﷺ: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه لئن أنا أخبرتُكم بذلك لتصدُقنّني؟ قالوا: نعم، قال: فاسألوا عمَّا بدا لكم، قالوا: فأخْبِرْنا كيف يشبه الولد أمَّه، وإنما النُّطفة من الرجل؟ قال: فقال لهم رسولُ الله ﷺ: أُنشدكم بالله وبأيَّامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن نُطْفَةَ الرجل بيضاءُ غليظة، ونطفَةَ المرأة صفراءُ رقيقة، فأيّتهما عَلَتْ صاحبتَها كان لها الشبهُ؟ قالوا: اللهم نعم. قالوا: فأخْبرنا كيف نومك؟ فقال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لستُ به تنام عينُه وقلبُه يقظان؟ فقالوا: اللهم نعم، قال: فكذلك نومي، تنام عيني وقلبي يقظان. قالوا: فأخبرنا عمَّا حرَّم إسرائيلُ على نفسه؟ قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه كان أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحُومها، وأنه اشتكى شكوى، فعافاه الله منها، فحرّم على نفسه أحبَّ الطعام والشراب إليه شكرًا لله، فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها؟ قالوا: اللهمّ نعم. قالوا: فأخبرنا عن الروح؟ قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمونه جِبريل، وهو الذي يأتيني؟ قالوا: اللهمّ نعم، ولكنه يا محمد لنا

---

(١) ويبدو أن الكلمة الرائدة على ألسنة كثير من الناس عند التهنئة من بعض المناسبات قولهم: «عقبال ألف سنة» أصلها هذا التمني لدى اليهود. والله أعلى وأعلم.

(٢) شهر بن حوشب: ضعيف الحديث.

عدوّ، وهو مَلَك، إنما يأتي بالشدَّة وبسفك الدماء، ولولا ذلك لاتبعناك، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿قُلْ مَن كانَ عَدُوًّا لجبريل فإنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بإذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بينَ يَدَيْه وَهُدًى وبُشْرَى للْمُؤْمِنِينَ﴾. . . إلى قوله تعالى: ﴿أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْدًا نَبَذه فَريقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ولَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَريقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ كِتابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كأنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ واتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمانَ﴾، أي السحر ﴿وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

إنكار اليهود نبوة سليمان بن داود عليه السلام ورد الله عليهم[1]:

قال ابن إسحٰق: وذلك أن رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين، قال بعضُ أحبارهم: ألا تعجبون من محمد، يزعم أن سليمان بن داود كان نبيًّا، والله ما كان إلا ساحرًا. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا﴾، أي باتباعهم السحر وعَملهم به. ﴿ومَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ﴾.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعضُ من لا أتهم عن عِكْرمة، عن ابن عبَّاس، أنه كان يقول: الذي حرّم إسرائيل على نفسه زائدتا الكَبد والكُلْيتان والشحم، إلا ما كان على الظَّهر، فإن ذلك كان يُقَرَّب للقُربان، فتأكله النار.

كتابه ﷺ إلى يهود خيبر:

قال ابن إسحٰق: وكتب رسول الله ﷺ إلى يهود خَيْبر، فيما حدّثني مولى لآل زيد بن ثابت عن عِكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسولِ الله ﷺ، صاحبِ مُوسى وأخيه، والمصّدق لما جاء به موسى: ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم لتَجدون ذلك في كتابكم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رَحَماءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُود ذلكَ مَثَلُهُم فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطأَهُ فآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى

....

(١) بالأصل: «إنكار اليهود نبوة داود عليهم السلام. . .» وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه.

سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وإني أنشدكم بالله، وأُنشدكم بما أنزل عليكم، وأُنشدكم بالذي أطْعم مَنْ كان قبلكم من أسْباطكم المنَّ والسَّلْوَى، وأنشدكم بالذي أيْبس البحرَ لآبائكم حتى أنجاهم من فِرْعون وعَمله، إلا أخبرتموني: هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كُرْه عليكم. ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ ـ فأدعوكم إلى الله وإلى نبيِّه».

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: شطؤه: فراخه، وواحدته: شطأة. تقول العرب: قد أشطأ الزرع إذا أخرج فِراخَه. وآزره: عاونه، فصار الذي قبله مثلَ الأمهات. قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنديّ:

بِمَحْنِيَةٍ قد آزر الضَّالَ نَبْتُها   مَجَرَّ جُيوش غانمين وخُيَّبِ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال حُميد بن مالك الأرْقطُ، أحد بني رَبيعة بن مالك بن زيد مَناة:

زَرْعا وَقَضْبا مُؤْزَرَ النَّباتِ

وهذا البيت في أرجوزة له. وسوقه غير مهموز جمع ساق، لساق الشجرة.

ما نزل في أبي ياسر وأخيه

قال ابن إسحٰق: وكان ممن نزل فيه القرآن، بخاصة من الأحبار وكُفّار يهود، الذي كانوا يسألونه ويتعنَّتونه ليلبسوا الحقّ بالباطل ـ فيما ذُكِر لي عن عبد الله بن عبَّاس وجابر بن عبد الله بن رئاب ـ أن أبا ياسر بن أخْطب مرّ برسولِ الله ﷺ، وهو يتلو فاتحة البقرة: ﴿الٓمٓ ذلكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾، فأتى أخاهُ حُيَيّ بن أخْطب في رجال من

حديث أبي ياسر بن أخطب

فصل: وذكر ابنُ إسحٰق حديثَ أبي ياسر بن أخطب وأخيه حيي بن أخطب حين سمعا «الٓمٓصٓ» ونحوها من الحروف، وأنهم أخذوا تأويلها من حروف أَبْجَد إلى قوله: لعله قد جمع لمحمد وأمته هذا كله. قال المؤلف: وهذا القول من أحبار يَهُودَ، وما تأوّلوه من معاني هذه الحروف محتمل، حتى الآن أن يكون من بعضِ ما دلت عليه هذه الحروف

يهود، فقال: تعلَّموا والله، لقد سمعت محمدًا يتلو فيما أنزل عليه: ﴿الٓمٓ ذلك الكتاب﴾، فقالوا: أنت سمعتَه؟ فقال: نعم، فمشى حُييّ بن أخْطب في أولئك النَّفر من يهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا له: يا محمد، ألم يُذْكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك: ﴿الٓمٓ ذلكَ الكتابُ﴾؟ فقال رسولُ الله ﷺ: بلى، قالوا: أجاءك بها جبريل من عند الله؟ فقال: نعم، قالوا: لقد بَث الله قبلك أنبياء، ما نعلمه بيَّن لنبيّ منهم ما مدّة ملكه، وما أُكْل أمَّته غيرك، فقال حُييُّ بن أخطب، وأقبل على من معه، فقال لهم: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة، أفتدخلون في دين إنما مُدّة مُلْكه وأُكُل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، هل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: ماذا؟ قال: ﴿الٓمٓصٓ﴾. قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه إحدى وستُّون ومائة سنة، هل مع هذا يا محمّد غيره؟ قال: نعم ﴿الٓر﴾ قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف

المقطَّعة، فإن رسول الله - ﷺ - لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك، ولا صدقهم[(١)]. وقال في حديث آخر: «لا تُصَدِّقوا أهلَ الكتاب، ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا: آمنا بالله وبرسوله»[(٢)]. وإذا كان في حَدِّ الاحتمال وَجَب أن يُفْحَصَ عنه في الشريعة هل يُشير إلى صحته كتابٌ أو سُنَّة، فوجدنا في التنزيل ﴿وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تَعُدُّون﴾ ووجدنا في حديث زَمْلِ الخُزَاعِي حين قص على رسول الله - ﷺ - رُؤيا، وقال فيها: رأيتك يا رسول الله على منبرٍ له سبعُ درجات، وإلى جنبه ناقة عَجْفَاء، كأنك تبعثها، ففسر له النبيُّ ﷺ الناقةَ بقيام الساعة التي أنذر بها، وقال في المِنبر: ودرجاته الدنيا: سبعةُ آلاف سنةٍ بعثت في آخرِها ألفًا، والحديث وإن كان ضَعيفَ الإسناد، فقد رُوِيَ موقوفًا على ابنِ عباس من طُرق صِحَاحٍ، أنه قال: «الدنيا سبعةُ أيام كل يوم ألف سنة، وبعث رسول الله - ﷺ - في آخر يوم منها. وقد مضت منه سنون، أو قال: مِئُون[(٣)]، وصحح أبو جعفر الطبري هذا الأصلَ، وعضده بآثار، وذكر قول رسول الله - ﷺ - «بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين، وإنما سَبَقْتُها بما سبقت هذه هذه»[(٤)]، يعني: الوسطى والسَّبَّابة، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة صححها وأورد منها

---

(١) لا صحة لهذا التأويل اليهودي.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢٣٧) والبيهقي (١٠/ ١٦٣) ومن الصفات له (٢٧٠) بتحقيقي. والحديث فيما لا يخالف عقيدة المسلمين المتلقاة عن كتاب الله تعالى وسُنّة نبيه ﷺ «الصحيحة».

(٣) «موضوع». انظر ابن الجوزي من اللآلىء (٢/ ٢٣٦) وتذكرة الموضوعات للفتن (٢٢٤) وأخرجه أبو نعيم في تاريخ جرجان (١٤٠).

(٤) تقدم تخريجه.

واحدة، واللام ثلاثون، والراء مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان، هل مع هذا غيره يا محمّد؟ قال: نعم ﴿الـمَـرَ﴾. قال: هذه والله أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة، ثم قال: لقد لُبِّس علينا أمْرك يا محمّد، حتى ما نَدْري أقليلاً أُعطيت أم كثيرًا؟ ثم قاموا عنه، فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيّ بن أخْطب ولمن معه من الأحبار: ما يُدريكم لعلَّه قد جُمع هذا كله لمحمد، إحدى وسبعون، وإحدى وستُّون ومائة، وإحدى وثلاثون ومائتان، وإحدى وسبعون ومائتان، فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة، فقالوا: لقد تشابه علينا أمرُه. فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم: ﴿مِنهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾(١).

قال ابن إسحٰق: وقد سمعت من لا أتهم من أهل العِلْم يذكر: أن هؤلاء الآيات إنما أُنزلن في أهل نَجْران، حين قَدِموا على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مَرْيَم عليه السلام.

قوله عليه السلام: «لن يُعْجِز الله أنْ يؤخِّر هذه الأمةَ نصفَ يوم»(٢)، يعني: خمسمائة عام، وقد خرَّج، هذا الحديث الأخير أبو داود أيضًا. قال الطبري: وهذا في معنى ما قبله يشهد له ويبينه فإن الوُسطى تزيد على السَّبَّابة بنصف سُبعِ أصْبَع، كما أن نصف يوم من سبعة نِصف سبع. قال المؤلف: وقد مضت الخمسمائة من وفاته إلى اليوم بنَيِّفٍ عليها، وليس في قوله: لن يُعْجِزَ الله أن يؤخِّر هذه الأمة نصفَ يوم ما ينفي الزيادة على النصف، ولا في قوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ما يقطع به على صحة تأويله، فقد قيل في تأويله غير هذا، وهو أن ليس بينه وبين الساعة نبي غيره، ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها، كما قال سبحانه: ﴿اقْتَرَبَتِ الساعةُ وانشق القمر﴾، ﴿وأتى أمرُ الله فلا تَسْتَعجِلوه﴾ ولكن إذا قلنا: إنه ـ عليه السلام ـ بُعِث في الألف الآخر بعدما مضت منه سنون، ونظرنا بعدُ إلى الحروف المقطَّعة في أوائل السور، وجدناها أربعةَ عَشَرَ حرفًا يجمعها: قولك:

ألـم يـسـطـع نـص حـق كـره(٣)

ثم نأخذ العدد على حساب أبي جادٍ، فنجد: ق مائة، و: ر مائتين، و: س ثلاثمائة، فهذه ستمائة، و: ع سبعين، و: ص ستين، فهذه سبعمائة وثلاثون، و: ن خمسين، و: ك

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٧) الطبري (١/ ٢٠٧).
(٢) «صحيح». أخرجه أبو داود (٤٣٤٩) بتحقيقي. والحاكم (٤/ ٤٢٤) والطبري في تاريخه (١/ ١٨).
(٣) ويجمعها قولك: «نص قاطع حكيم له سر».

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني محمّد بن أبي أُمامة بن سَهْل بن حُنيف، أنه قد سمع: أن هؤلاء الآيات إنما أُنزلن في نَفر من يهود، ولم يُفسِّر ذلك لي. فالله أعلم أيّ ذلك كان.

كفر اليهود به ﷺ بعد استفتاحهم به وما نزل في ذلك:

قال ابن إسحٰق: وكان فيما بلغني عن عِكْرمة مولى ابن عَبَّاس، أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عَبَّاس: أن يهود كانوا يَسْتفتحون على الأوس والخَزْرج برسول الله ﷺ قبل مَبْعثه، فلما بَعثه الله من العَرب كفروا به، وجَحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم مُعاذ بن جَبل، وبِشر بن البَرّاء بن مَعْرور، أخو بني سَلمة: يا مَعْشر يَهود، اتقوا الله وأسْلموا، فقد كنتم تَستفتحون علينا بمحمد ونحن أهلُ شِرْك، وتُخبِروننا أنه مبعوث، وتَصِفونه لنا بصفته، فقال سَلام بن مِشْكم، أحد بني النَّضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنَّا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَلمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِن عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحونَ على الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ على الكافِرِينَ﴾.

ما نزل في نكران مالك بن الصيف العهد إليهم بالنبي:

قال ابن إسحٰق: وقال مالك بن الصّيف، حين بُعث رسولُ الله ﷺ، وذكر لهم ما أُخذ عليهم له من الميثاق، وما عَهِد الله إليهم فيه: والله ما عُهد إلينا في محمد عهد، وما أُخِذ له علينا من ميثاق. فأنزل الله فيه: ﴿أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمنونَ﴾[1].

عشرين، فهذه ثمانمائة، و: م أربعين، و: ل ثلاثين، فهذه ثمانمائة وسبعون، و: ي عشرة. و: ط تسعة، و: أ واحد، فهذه ثمانمائة وتسعون، و: ح ثمانية، و: هـ خمسة، فهذه تسعمائة وثلاثة، ولم يُسَمِّ الله سبحانه في أوائل السور إلا هذه الحروف، فليس يبعد أن يكون من بعض مُقْتَضَياتها وبعض فوائدها الإشارةُ إلى هذا العدد من السنين لما قدمناه في حديث الألف السابع الذي بعث فيه عليه السلام، غير أن الحسابَ محتمل أن يكون من مبعثه، أو من وفاته، أو من هجرته، وكُلٌّ قريبٌ بعضُه من بعض، فقد جاء أشراطُها، ولكن

---

(١) دعوة إلى حكام وملوك وساسة هذا الزمان أن يتعلموا من القرآن مع مَن يتعاملون، وإلى مَن يجلسون، ومع أي عقول يتحاورون، إلى الذين يعقدون مؤامرات أو مؤتمرات السلام مع اليهود: اقرؤوا هذه الآية جيدًا وضعوها نصب أعينكم.

ما نزل في قول أبي صلوبا: «ما جئتنا بشيء نعرفه»:

وقال أبو صَلُوبا الفطْيوني لرسول الله ﷺ: يا محمّد، ما جئتَنا بشيء نَعْرفه، وما أنزل الله عليك من آية فنتّبعك لها. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّناتٍ وَما يَكْفُرُ بِها إلاَّ الفاسِقُونَ﴾.

ما نزل في قول ابن حريملة ووهب:

وقال رافع بن حُريملة، ووَهْب بن زيد لرسول الله ﷺ: يا محمّد، ائتِنا بكتاب تُنَزِّله علينا من السماء نقرؤه، وفَجِّر لنا أنهارًا نتبعك ونصدّقك. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفرَ بالإيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: سواء السبيل: وسط السبيل. قال حسّان بن ثابت:

يا وَيْحَ أنصار النبيّ ورَهْطِه ... بعد المُغَيَّب في سَواء المُلْحَدِ

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

ما نزل في صد حُيي وأخيه الناس عن الإسلام:

قال ابن إسحٰق: وكان حُييّ بن أَخْطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب، من أشدّ يهود للعَرب حسدًا، إذ خصّهم الله تعالى برسوله ﷺ، وكانا جاهدَيْن في ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَوْ يَرُودُّنَكُمْ مِن

لا تأتيكم إلا بَغْتَةً[1]، وقد روي أن المتوكل العباسي سأل جعفرَ بن عبدِ الواحد القاضي، وهو عباسي أيضًا: عما بقي من الدنيا، فحدّثه بحديث يرفعه إلى رسول الله - ﷺ - أنه قال: «إن أحسنتْ أمتي، فبقاؤها يومٌ من أيام الآخرة، وذلك ألف سنة، وإن أساءت، فنصفُ يوم»[2]، ففي هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له؛ إذ قد انقضت الخمسمائة، والأمة باقية والحمد لله.

---

(١) لا صحة لهذا التأويل البعيد جدًا عن الصحة من تفسير الآيات بالحروف، وأصل هذا عند اليهود كما تقدم. فانتبه.

(٢) «ضعيف». انظر الفتح (١١/ ٣٥١).

بَعد إيمانكم كُفارًا حَسَدًا من عند أنفسهم مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فاعفُوا وَاصْفَحُوا حتى يَأْتيَ اللَّهُ بأَمْرِهِ إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

تنازع اليهود والنصارى عند الرسول ﷺ:

قال ابن إسحٰق: ولمَّا قَدِم أهلُ نَجران من النَّصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبارُ يهود، فتَنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن حُريملة: ما أنتم على شيء، وكَفَر بعيسى وبالإنجيل، فقال رجلٌ من أهل نجْران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوّة مُوسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَقالَتِ اليَهُودِ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقالَتِ النَّصارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتابَ كَذَلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامةِ فِيما كانوا فيه يَخْتَلِفُونَ﴾، أي كلّ يتلو في كتابه تصديق ما كفر به، أي يكفر اليهودُ بعيسى، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام، من تصديق موسى عليه السلام، وما جاء به من التوراة من عند الله، وكلّ يكفر بما في يد صاحبه.

ما نزل في طلب ابن حريملة أن يكلمه الله:

قال ابن إسحٰق: وقال رافعُ بن حُريملة لرسول الله ﷺ: يا محمّد، إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله فلْيكلِّمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَقالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ كذلكَ قال الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنا الآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

معاني الحروف في أوائل السور:

فصل: ولهذه الحروف في أوائل السور معانٍ جَمَّةٌ وفوائد لطيفة، وما كان الله تعالى ليُنَزِّل في الكتابِ ما لا فائدة فيه، ولا ليخاطب نبيَّه وذوي ألبابٍ من صحبه بما لا يفهمون، وقد أنزله بيانًا للناس، وشفاءً لما في الصدور، ففي تخصيصه هذه الحروف الأربعةَ عَشَرَ بالذكر دون غيرها حكمةٌ بل حِكَمٌ، وفي إنزالها مُقطَّعة على هيئة التَّهجّي فوائدُ علمية وفقهية، وفي تخصيصه إياها بأوائل السور، وفي أن كانت في بعض السُّورِ، دون بعضٍ فوائدُ أيضًا، وفي اقتران الألف باللام، وتقدمها عليها معانٍ وفوائدُ، وفي إرداف الألفِ واللام بالميم تارةً، وبالراء أخرى، ولا توجد الألف، واللام في أوائل السور، إلا هكذا مع تكررها ثلاثَ عَشرةَ مرة فوائدُ أيضًا، وفي إنزال الكاف قبل الهاء، والهاء قبل الياء ثم العين ثم الصاد من «كَـهيعَـصَ» معانٍ أكثرُها تنبّه عليها آياتٌ من الكتاب، وتبين المرادَ بها لمن تدبَّرها.

ما نزل في سؤال ابن صوريا للنبي عليه الصلاة والسلام بأن يتهود:

وقال عبد الله بن صُوريا الأعور الفِطْيوني لرسول الله ﷺ: ما الهُدَى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمّد تُهْد، وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبد الله بن صُوريا وما قالت النصارى: ﴿وَقالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنيفًا وَما كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾[1]. ثم القصة إلى قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

مقالة اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحٰق: ولما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة، وصُرفت في رجب على رأس سبعةَ عشرَ شهرًا من مَقْدم رسول الله ﷺ المدينة؛ أتى رسولَ الله ﷺ رِفَاعةُ بنُ قيس، وقَرْدَم بن عمرو، وكَعْبُ بن الأشرف، ورافعُ بن أبي رافع، والحجَّاجُ بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، فقالوا: يا محمد، ما وَلاَّك عن قبْلتك التي كنت عليها، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبْلتك التي كنتَ عليها نَتَّبعك ونصدّقك، وإنما يريدون

والتدبُّر والتذكر واجبٌ على أولي الألباب، والخوضُ في إيراد هذه المعاني، والقَصدُ لإيضاح ما لاح لي عند الفكر والنظر فيها، مع إيراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثرٍ وعربية ونظرٍ يُخرجنا عن مقصود الكتاب وينأى بنا عن موضوعِه والمراد به، ويقتضي إفرادَ جزء أشرح ما أمكن من ذلك، ولعله أن يكون، إن ساعد القدر؛ والله المستعان، وهو ولي التوفيق، لا شريك له[2].

ذكر تحويل القبلة

فصل: وذكر تحويلَ القبلة، وما قالته جماعةُ يَهُودَ حين قالوا: يا محمد ما وَلاَّك عن قبلتك، وهم السفهاء من الناس، فيهم نزلت هذه الآية. وقال: سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بأنهم سيقولون ذلك، أي: لم آمركم بتحويلها إلا وقد علمت أن سيقولون ما

---

(١) أي قالت اليهود: كونوا هودًا تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا. وليس المراد التخيير.

(٢) وقالوا في تفسيرها: إنها للإعجاز والتحدّي، أي: إن هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ إنما هو مكوّن من نفس هذه الحروف التي برعتم أنتم أيها العرب فيها. أي في العربية، وقالوا: معناها أن نقول: الله أعلم بما أراد بها.

بذلك فتنته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ المَشْرِقُ والمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقيم وكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنا القِبْلَةَ التي كُنْتَ عَلَيْها إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي ابتلاء واختبارًا ﴿وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي من الفتن: أي الذين ثبَّت الله ﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي إيمانكم بالقبلة الأولى، وتصديقكم نبيكم، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة، وطاعتكم نبيَّكم فيها: أي ليُعطينكم أجرهما جميعًا ﴿إِنَّ اللَّهَ بالنَّاس لرؤوف رَحِيمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: شطره: نحوه وقصده. قال عمرو بن أحمر الباهلي ـ وباهلة بن يَعْصر بن سعد بن قيس بن عيلان ـ يصف ناقة له.

تعدو بنا شَطْر جَمْع وهي عاقدةٌ   قد كارَبَ العَقْدُ من إيفادها الحَقَبا

وهذا البيت في قصيدة له.

قالوه، وقد ذكرنا في حديث الهجرةِ، قصة البَرَاءِ بن مَعْرور فوائدَ في معنى تحويل القبلة، فلتنظر هنالك وأنشد في تفسير الشطر بيت ابن أحمر:

تَعْدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهي عاقِدَةٌ   قد قارب العَقْدُ من إيفادِها الحَقَبا

وألفيتُ في حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه، قال من إيفادها: من إشرافها، كذا قال محمد بن عبد الله البَرْقِيُّ، وقال: كَارَبَ موضعَ قَارَبَ، ووقع في شعر ابن أحمر:

تَعْدو بنا عُرْضَ جَمْعٍ وهي مُوفِدَةٌ   قد قارب الغَرْضُ من إيفادِها الحَقَبا

تعدو: من العَدْو بنا وبرحلي: يعني غلامه. عُرْضَ جَمْع: يعني مكة، وعَرْضَ أحب إلي، وعُرْض: كثرة الناس، عن الأصمعي، ومُوفِدةٌ، أي: مشرفة. أوفد: إذا أشرف، وروى غيره: وهي عاقدة، يريد عنقها لاويتها والغَرْضُ: البِطَانُ وهو حزام الرَّحْل. من إيفادها، أي إشرافها، وقد اقتادت: نصبت عُنقَها وعَصَرَت بذَنبها وتخامَصَت ببطنها فقرب كلُّ واحد من

وقال قيس بن خُويلد الهُذليّ يصف ناقته:

إن النَّعوسَ بها داءٌ مُخامِرها فشَطْرَها نَظَرُ العَيْنين مَحْسُورُ

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: والنَّعُوسُ: ناقته، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير، من قوله: وهو حسير.

﴿وإنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَما اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

قال ابن إسحٰق: إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾.

كتمانهم ما في التوراة من الحق:

وسأل معاذ بن جَبل، أخو بني سَلمة، وسعدُ بن معاذ، أخو بني عبد الأشهل وخارجةُ بن زيد، أخو بَلْحَارث بن الخزرج، نفرًا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه، وأبَوْا أن يُخبروهم عنه. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ البَيِّناتِ والهُدَى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّناهُ للنَّاسِ فِي الكِتابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾.

جوابهم للنبي عليه الصلاة والسلام حين دعاهم إلى الإسلام:

قال: ودعا رسولُ الله ﷺ اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغَّبهم فيه، وحَذَّرهم عذابَ الله ونقْمتَه؛ فقا له رافعُ بن خارجة، ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمّد ما وجَدْنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلَم وخيرًا منَّا. فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك من قولهما: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوْ لَوْ كَانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾.

الغَرْضِ والحَقَبِ من صاحبه بذلك. هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته وقبل البيت:

أنشأتُ أسألـه عـن حـال رُفْقَتِـه فقال: حَيَّ فإن الركبَ قد نصبا

جمعهم في سوق بني قينقاع

ولما أصاب الله عزّ وجلّ قُريشًا يوم بَدر جمع رسولُ الله ﷺ يهودَ في سوق بني قَيْنُقَاع، حين قدم المدينة، فقال: يا معشر يهود، أسْلِموا قبل أن يُصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشًا، فقالوا له: يا محمد، لا يغرّنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش، كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلَنا، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وتُحْشَرونَ إلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهادُ قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَقَتا فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وأُخْرَى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رأيَ العَيْنِ واللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إنَّ في ذلك لَعِبرَةً لِأُولي الأبْصارِ﴾ [آل عمران: ١٢، ١٣].

دخوله ﷺ بيت المدراس:

قال: ودخل رسولُ الله ﷺ بيتَ المِدْراس على جماعةٍ من يَهود، فدعاهم إلى الله، فقال له النُّعمان بن عمرو، والحارثُ بن زَيد: على أيّ دين أنتَ يا محمد؟ قال: على مِلّة إبراهيم ودينِه، قالا: فإن إبراهيم كان يهوديًا؛ فقال لهما رسول الله ﷺ: فَهَلُمّ إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم، فأبَيا عليه. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتابِ يُدْعَوْنَ إلى كِتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ذلك بأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنا النَّارُ إلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

ما أنزل الله في بني قينقاع

فصل: وذكر ما أنزل الله سُبحانه في بني قَيْنقاع، وقولهم للنبي ﷺ: لو حاربتَنا، لعلمت أنا نحن الناس: ﴿قل للذين كفروا ستُغلبُون﴾ إلى قوله: ﴿تَرَوْنَهُم مُثْلَيْهم رَأْيَ العين﴾ فمن قرأه: يَرَوْنَهم بالياء، فمعناه أن الكفارَ يرون المؤمنين مثليهم، وإن كانوا أقلَّ منهم لما كثرهم بالملائكة. فإن قيل: وكيف وهو يقول في آية أخرى: ﴿ويُقَلِّلُكُمْ في أعينهم﴾ قيل: كان هذا قبل القتال عندما حَرَزَ الكفار المؤمنين، فرأوهم قليلاً، فتجاسروا عليهم ثم أمدهم الله بالملائكة، فرأوهم، كثيرًا فانهزموا، وقيل: إن الهاء في يَرَونَهُمْ عائدة على الكفار، وإن المؤمنين رَأَوْهُم مثليهم، وكانوا ثلاثةَ أمثالِهم، فقَلَّلهُم في عيون المؤمنين، وأما من قرأها بالتاء، فيجوز أن يكونَ الخطابُ لليهود، أي تَرَوْن المشركين يوم بدر مِثْلي المؤمنين، وذلك أنهم كانوا ألفًا، فانخذل عنهم الأخْنَسُ بن شَرِيقٍ ببني زُهْرَة، فصاروا سبعمائة أو نحوها، ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين، أي: ترونَ أيها المشركون المؤمنين مثليهم، حين

اختلاف اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام:

وقال أحبارُ يهودَ ونَصارى نجْران، حين اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازَعوا، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيمُ إلا يهوديًا، وقالت النصارى من أهل نجران: ما كان إبراهيم إلا نَصْرانيًا. فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَما أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنجِيلُ إلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ها أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ما كانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلكِنْ كانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ومَا كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ﴾.

ما نزل فيما همَّ به بعضهم من الإيمان غدوة والكفر عشية:

وقال عبدُ الله بن صيف، وعديّ بن زيد، والحارث بن عوف، بعضُهم لبعض: تَعالَوا نؤمن بما أُنزِل على محمّد وأصحابه غُدوةً، ونكفر به عشيَّة، حتى نَلبسَ عليهم دينهم لعَلَّهم يصنعون كما نصنع، ويرجعون عن دينه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بالباطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقّ وأَنْتُم تَعْلَمُونَ وَقالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ آمِنُوا بالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ولا تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ما نزل في قول أبي رافع والنجراني «أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى»؟

وقال أبو رافع القُرظيّ، حين اجتمعت الأحبارُ من يهود، والنَّصارى من أهل نجْران عند رسولِ الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام: أتُريد منا يا محمّد أن نَعْبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجلٌ من أهل نَجْران نَصْرانيّ، يقال له: الرِّبِّيس، (ويروى: الريس، والرئيس): أو ذاك تُريدُ منَّا يا محمد وإليه تدعونا؟ أو كما قال. فقال رسولُ الله ﷺ: معاذَ الله أن أعْبد غيرَ الله أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بَعثني الله، ولا أمرني؛ أو كما قال. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ للنَّاسِ كُونُوا عِبادًا إليّ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ

أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام إلى المعنى الأول الذي قدمناه في قراءة من قرأ بالياء. وفي الآية تَخْليط عن الفَرَّاء أضْرَبنا عن ذكره، وجُلُّ ما ذكرناه آنفًا مذكور في التفاسير بألفاظ مختلفة.

بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. . . إلى قوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1].

قال ابن هشام: الربانيُّون: العلماء الفقهاء السادة، واحدهم: رَبانيٌّ.

قال الشاعر:

لو كنتُ مُرْتَهِنًا في القُوسِ أفتَنني ... منها الكَلامُ وربّانيّ أحْبارِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: القُوسُ: صومعة الراهب. وأفتنني، لغة تميم. وفتنني، لغة قيس.

قال جرير:

لا وَصْل إذ صَرَمتْ هِندٌ ولو وقفت ... لاسْتَنْزَلَتْني وذا المِسْحَيْن في القُوسِ

أي صومعة الراهب. والرّباني: مشتقّ من الرب، وهو اليد. وفي كتاب الله: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾، أي سيده.

وذكر ابنُ هشام في الربانيين أنهم العلماء الفقهاء السادة وفي البخاري عن بعض أهل العلم قال: الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره، وقيل: نسبوا إلى علم الرب والفقه فيما أنزل وزيدت فيه الألف والنون لتفخيم الاسم، وأنشد ابن هشام:

لو كنتُ مُرْتَهِنًا في القُوسِ أفْتَنَني ... منها الكلامُ وَربَّانِيّ أَحْبارِ

وقال: القُوسِ: الصومعة، ومن كلام العرب: أنا بالقُوسِ وأنت بالقَرقُوسِ، فكيف نجتمع؟ وقال في أفتنني: هي لغة تميم، وفرّق سيبويه بينَ فَتَنْتُه وأَفْتَنْتُه، وجعله من قول الخليل، قال أفْتَنْته: صيَّرتُه مُفْتَتِنًا أو نحو هذا، وفَتَنْتُه، جعلت فيه فِتْنَةً، كما تقول: كَحَلْتُه جعلت في عينيه كُحْلاً، ومآلُ هذا الفَرْق إلى أن فَتَنْتُه صَرَفْتُه، فجاء على وزنه، لأن المفتونَ مَصْروفٌ عن حَقٍّ، وأفتنته بمعنى أَضْلَلْتُه وأَغْوَيْتُه، فجاء على وزن ما هو في معناه، وأما فتنت الحديدة في النار، فعلى وزن فعلت، لا غير؛ لأنها في معنى: خَبَرْتها، وبَلَوْتُها ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٣٨٤) وأورده ابن كثير في الدر (٢/٤٠) وابن كثير في تفسيره (٢/٥٤).

قال ابن إسحٰق: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْبابًا أَيأْمُرُكُمْ بالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

ما نزل في أخذ الميثاق عليهم:

قال ابن إسحٰق: ثم ذكر ما أخذ الله عليهم، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتَصْديقه إذ هو جاءهم، وإقرارَهم، فقال: ﴿وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُم وأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قَالَ فاشْهَدُوا وأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ إلى آخر القصة.

سعيهم في الوقيعة بين الأنصار:

قال ابن إسحٰق: ومَرّ شأس بن قَيْس، وكان شيخًا قد عسا، عظيم الكُفْر شديد الضّغن على المُسْلمين، شديد الحَسد لهم، على نَفَر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخَزرج. في مجلس قد جَمَعهم، يتحدّثون فيه، فغاظه ما رأى من أُلفَتهم وجماعتهم، وصَلاح ذاتَ بَيْنهم على الإسْلام، بعد الذي كان بينهم من العَداوة في الجاهلية فقال: قد اجتمع مَلأ بني قَيْلة بهذه البِلاد، لا والله ما لنا مَعهم إذا اجتمع مَلؤهم بها من قَرار. فأمر فَتى شابًا من يَهُودَ كان معهم، فقال: اعمِدْ إليهم، فاجلسْ معهم، ثم اذكُر يومَ بُعاث وما كان قَبلَه وأنْشدهم بعضَ ما كانوا تَقاولوا فيه مِن الأشْعار.

شيء عن يوم بعاث:

وكان يوم بُعاث يومًا اقتتلت فيه الأوْس والخزرجُ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس عن الخَزرج، وكان على الأوس يومئذٍ حُضَير بن سِماك الأشْهلي، أبو أُسَيد بن حُضَير؛ وعلى الخَزْرج عمرو بن النُّعمان البَياضِيّ، فقُتِلا جميعًا.

قال ابن هشام: قال أبو قيس بن الأسْلت:

على أن قَد فُجِعتُ بذي حِفاظٍ ... فَعاوَدَني لَهُ حُزْنٌ رَصِينٌ

فإمَّا تَقْتُلوه فإنَّ عَمْرًا ... أعضُّ بِرأسه عَضْب سَنِين

وهذان البيتان في قصيدة له. وحديث يوم بُعاث أطولُ مما ذكرتُ، وإنما منعني من استقصائه ما ذكرت من القَطْع.

....

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: سنين: مسنون، من سنّه، إذا شحذه.

قال ابن إسحٰق: ففَعل. فتكلّم القومُ عند ذلك وتنازعُوا وتفاخروا حتى تَواثب رجلان من الحَيَّين على الرُّكب، أوس بن قَيْظي، أحد بَنِي حارثة بن الحارث، من الأوس، وجبَّار بن صخر، أحدَ بني سَلمة من الخزرج، فتَقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رَدَدْناها الآنَ جذَعة، فغضب الفريقان جميعًا، وقالوا: قد فَعَلْنا، موعدكم الظّاهرة ـ والظاهرة: الحرّة ـ السّلاحَ السّلاح. فخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المُهاجرين حتى جاءهم، فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله، أبِدَعوى الجاهليَّة وأنا بين أظْهركم بعد أن هَداكم الله للإسلام، وأكْرمَكم به، وقَطع به عنكم أمرَ الجاهلية، واستنقذكم به من الكُفر، وألَّف به بين قلوبكم»[1]، فعرف القومُ أنها نَزْغة من الشيطان، وكَيدٌ من عدوّهم، فَبَكوا وعانَق الرجالُ من الأوس والخَزرج بعضُهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مُطيعين، قد أطفأ الله عنهم كَيْدَ عَدوّ الله شأس بن قيس. فأنزل الله تعالى في شَأس بن قَيسٍ وما صَنع: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرونَ بآياتِ اللَّهِ واللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجًا وأَنْتُمْ شُهَداءُ وَما اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وأنزل الله في أوْسِ بن قَيْظي وجَبَّار بن صخْر ومن كان معهما من قومهما الذين صَنعوا ما صنعوا عمَّا أدخل عليهم شأسُ من أمر الجاهلية: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أوتُوا الكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِين وكَيْفَ تَكْفُرُونَ وأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ باللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وأُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾.

ما نزل في قولهم: «ما آمن إلاّ شرّارنا»:

قال ابن إسحٰق: ولما أسلم عبد الله بن سَلام، وثعلبة بن سَعْية، وأُسيد بن سَعية، وأسد بن عُبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا في الإسلام، ورسخوا

....

(١) انظر البخاري (٤/٢٢٣).

فيه، قالت أحبارُ يهود، أهل الكُفر منهم: ما آمن بمحمَّد ولا اتبعه إلا شِرارنا، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: آناء الليل: ساعات الليل، وواحدها: إنيٌ. قال المُتَنَخِّل الهُذَليّ، واسمه مالك بن عُويمر، يرثي أُثيلة ابنه:

حُلْو ومرّ كعَطْفِ القِدْح شيمتُه ... في كلّ إنْيٍ قَضَاه اللَّيلُ يَنْتعلُ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال لَبيد بن ربيعة يصف حمار وَحْش:

يُطَرِّبُ آناءَ النَّهارِ كأنّه ... غَويّ سَقاه في التِّجار نَديمُ

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إني مقصور فيما أخبرني يونس.

﴿يُؤْمِنُونَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ ويأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ما نزل في نهي المسلمين عن مباطنة اليهود:

قال ابن إسحٰق: وكان رجال من المسلمين يُواصِلون رجالاً من اليهود، لما كان بينهم من الجِوار والحلْف، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مُباطنتهم:

﴿يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَما تُخفي صُدُورُهُمْ أكْبَرُ قَدْ بَيَّنا لَكُمُ الآياتِ إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَأَنْتُم أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بالكِتابِ كُلِّهِ﴾، أي تؤمنون بكتابكم، وبما مضى من الكُتب قبل ذلك وهم يَكفرون بكتابكم، فأنتم كنتم أحقَّ بالبغضاء لهم منهم لكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ إلى آخر القصة.

تفسير آناء الليل:

فصل: وذكر ابنُ هشام في تفسير آناءِ الليل، قال: واحد الآناءِ إنْيٌ، واستشهد عليه بقول الهذلي، ثم أغرب بما حدّثه به يونس، فقال: ويقال إني فيما حدّثني يونس بن حبيب، وهذا الذي قاله آخرًا هو لغةُ القرآنِ، قال الله تعالى: ﴿غير ناظرين إنَاه﴾.

ما كان بين أبي بكر وفنحاص:

ودخل أبو بكر الصدّيق بيت المدراس على يَهود، فوَجد منهم ناسًا كثيرًا قد اجتمعوا إلى رجُل منهم، يقال له فِنْحاص، وكان من عُلمائهم وأحبارهم، ومعه حَبْر من أحبارهم، يقال له: أشيع، فقال أبو بكر لفِنْحاص: ويحك يا فنحاص! اتَّق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا لرسول الله، قد جاءكم بالحقّ من عنده تَجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص لأبي بَكر: والله يا أبا بكر، ما بِنا إلى الله من فَقْر، وإنه إلينا لفَقير، وما نتضرّع إليه كما يتضرّع إلينا، وإنَّا عنه لأغنياء، وما هو عنَّا بغَنيٍّ، ولو كان عنَّا غنيًا ما استَقْرضنا أموالَنا، كما يزعمُ صاحبُكم، يَنْهاكم عن الرّبا ويُعْطيناه، ولو كان عنَّا غنيًا ما أعطانا الرّبا. قال: فغضب أبو بكر، فضَرب وَجْه فِنْحاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نَفسي بيده، لولا العهدُ الذي بَيْننا وبينكم، لضربتُ رأسَك، أي عدوّ الله. قال: فذهب فِنْحاص إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا محمّد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما حَمَلَك على ما صَنعت؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدوَّ الله قال قولاً عظيمًا، إنه زَعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فلما قال ذلك غضبتُ لله ممَّا قال، وضَربتُ وجهَه. فجَحد ذلك فِنْحاص، وقال: ما قلتُ ذلك. فأنزل الله تعالى فيما قال فِنْحاص ردًا عليه، وتَصْديقًا لأبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ونحنْ أغْنِياءُ، سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَقَتْلَهُمُ الأنْبِياءَ بغيرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ﴾.

ونزل في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وما بلغه في ذلك من الغَضب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أشْرَكوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فإِنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.

ذكر جمل من الآيات المنزلة في قصص الأحبار:

فصل: وذكر ابن إسحٰق جُمَلاً من الآيات المنزلة في قَصَص الأحبار ومسائلهم كلها واضحة، والتكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب إلى تفسير القرآن، وفي جملتها قوله تعالى: ﴿أيّان مُرْسَاها﴾ وقال الفراء في أيّان: هي كلمتان، جعلت واحدة، والأصل: أي آن، والآن والأوان بمعنى واحد، كما يقال: رَاح ورَيَاح، وأنشد:

نَشَاوَى تَسَافَوْا بالرِّيَاحِ المُفَلْفل

وقد ذكر الهروي في أيّان وجهًا آخر، قال: يجوز أن يكون أصلُه: أيْوَان فاندغمت الياءُ في الواو مثل قُيَّام.

ثم قال فيما قال فِنحاص والأحبارُ معه من يهود: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا ويُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمفازَةٍ مِنَ العَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني فِنحاص، وأشيع وأشباهَهما من الأحبار، الذين يفْرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيَّنوا للناس من الضلالة، ويُحبُّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، أن يقول الناس: علماء، وليسُوا بأهْل عِلم، لم يَحْملوهم على هُدًى ولا حقّ، ويُحبون أن يقول الناس قد فعلوا.

أمرهم المؤمنين بالبخل:

قال ابن إسحٰق: وكان كَرْدَم بن قيس، حليفُ كَعب بن الأشرف، وأُسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبَحْريّ بن عمرو، وحُيَيّ بن أخْطب، ورفاعةَ بن زيد بن التابوت، يأتون رجالاً من الأنصار كانوا يُخالطونهم، يَنتصحون لهم من أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون لهم: لا تُنفِقُوا أموالكم فإنَّا نخشَى عليكم الفقرَ في ذهابها، ولا تُسارعوا في النَّفقة فإنكم لا تدْرون علامَ يكون. فأنزل الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ويَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ ويَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي من التوراة، التي فيها تَصْديق ما جاء به محمدٌ ﷺ ﴿وأعْتَدْنا للكافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ﴾ . . . إلى قوله: ﴿وكانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

جحدهم الحق:

قال ابن إسحٰق: وكان رِفاعة بن زَيْد بن التابوت من عُظماء يهود، إذا كلَّم رسول الله - ﷺ لَوى لسانَه، وقال: أرعنا سَمْعك يا محمّد، حتى نُفْهمك، ثم طعن في الإسلام وعابَه. فأنزل الله فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بأعْدَائِكُمْ وكَفَى باللَّهِ وَلِيًّا وكَفَى باللَّهِ نَصِيرًا مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنا وَعَصَيْنا وَاسمَعْ غيرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنا﴾، (أي راعنا سمعك) ﴿لَيًّا بألْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنا وأطَعْنا وأسمع وانْظُرْنا لَكانَ خَيْرًا لَهُمْ وأقْوَمَ ولكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بكُفْرِهِمْ فَلا يؤْمِنُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾.

وكلَّم رسولُ الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود، منهم: عبد الله بن صوريا الأعور، وكَعْب بن أسد، فقال لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسْلِمَوا، فوالله إنكم لتعلمونَ أنّ

الذي جِئْتُكم به لَحقّ، قالوا: ما تعرف ذلك يا محمد: فجَحدوا ما عرفوا، وأصَرُّوا على الكفر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَا أيها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَردَّها عَلَى أدْبارِها أوْ نَلْعَنَهُمْ كمَا لَعَنَّا أَصحابَ السَّبْتِ وكانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: نَطْمس: نمسحها فنسوّيها، فلا يُرى فيها عينٌ ولا أنْف ولا فَم، ولا شيء مما يُرى في الوجه، وكذلك ﴿فَطَمَسْنا أعْيُنَهُمْ﴾. المطموس العين: الذي ليس بين جَفْنيه شقّ. ويقال طَمَست الكِتابَ والأثر، فلا يُرى منه شيء. قال الأخطل، واسمه الغَوْث بن هُبيرة بن الصَّلت التَّغلبي، يصف إبلاً كلَّفها ما ذكر:

وتَكْلِيفُناها كلَّ طامِسة الصُّوى شَطونٍ تَرَى حِرْباءَها يتَمَلملُ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: واحدة الصُّوى: صُوّة. والصُوى: الأعلام التي يُستدلّ بها على الطرق والمياه.

قال ابن هشام: يقول: مُسِحَت فاستوت بالأرض، فليس فيها شيء ناتىء.

النفر الذين حزّبوا الأحزاب:

قال ابن إسحاق: وكان الذين حزّبوا الأحزاب من قُريش وغَطفان وبني قُريظة حُيَيّ بن أخْطب، وسلام بن أبي الحُقيق، أبو رافع، والرَّبيع بن الربيع بن أبي الحُقيق، وأبو عمَّار، ووَحْوح بن عامر، وهَوْذة بن قيس. فأما وَحْوح، وأبو عمَّار، وهَوذة، فمن بنى وائل، وكان سائرهم من بني النَّضير. فلما قدموا على قُريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود، وأهل العلم بالكتاب الأوّل، فَسلوهم: دينُكم خير أم دِين محمّد؟ فسألوهم، فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنْتُمْ أهْدَى منه وممن اتبعه. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَم تَرَر إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتاب يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الجِبْت (عند العرب): ما عُبد من دون الله تبارك وتعالى.

والطاغوت: كل ما أضلّ عن الحقّ. وجمع الجبت: جُبوت؛ وجمع الطاغوت: طواغيت[1].

قال ابن هشام: وبلغنا عن ابن أبي نجيح أنه قال: الجِبْتُ: السحر؛ والطاغوت: الشيطان:

﴿وَيَقُولونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾.

قال ابن إسحٰق: إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحسُدُونَ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتابَ والحِكْمَةَ وآتَيْناهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.

إنكارهم التنزيل:

قال ابن إسحٰق: وقال سُكَين وعديّ بن زيد: يا محمّد، ما نعلم أنّ الله أنزل على بَشر من شيء بعد موسى. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنا إِلى نوح والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْرَاهِيمَ وإِسْماعِيلَ وَإِسحَاقَ وَيَعْقُوبَ والأَسْباطِ وَعِيسَى وأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمَانَ وآتَيْنا دَاوُدَ زَبُورًا وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ورُسُلاً لَمْ نَقْصُصهُمْ عَلَيْكَ وكَلَّم اللَّهُ مُوسَى تَكلِيمًا رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ للنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وكانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

ودخلتْ على رسول الله ﷺ جماعةٌ منهم، فقال لهم: أما والله إنكم لَتعْلمون أنّي رسولٌ من الله إليكم؛ قالوا: ما نعلمه، وما نَشهد عليه. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وكَفَى باللَّهِ شَهِيدًا﴾.

اجتماعهم على طرح الصخرة على رسول الله ﷺ:

وخرج رسولُ الله ﷺ إلى بني النضير يَستعينُهم في دِيَة العامريَّيْنَ الَّلذين قتل عمرو بن أمية الضَّمْري. فلما خلا بعضهم ببعض قالوا: لن تَجدُوا محمّدًا أقرَب منه الآن، فَمنْ رجلٌ يَظهر على هذا البيت، فيَطْرح عليه صَخْرة فيُريحنا منه؟ فقال عَمرو بن جحاش بن كعب: أنا، فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ، فانصرف عنهم، فأنزل الله تعالى فيه،

....

(١) وقالوا: الجبت: هو الأوهام والخيالات الفاسدة التي عشّشت في عقول أهل الكفر والشّرك. والعياذ بالله تعالى.

وفيما أراد هو وقومُه: ﴿يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُم إذْ هَمَّ قَوْمٌ أنْ يَبْسُطوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أيديهم عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾.

ادعاؤهم أنهم أحبّاء الله:

وأتى رسولَ الله ﷺ نعمانُ بن أضاء، وبَحْريُّ بن عمرو، وشَأس بن عديّ، فكلَّموه وكلَّمهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الله، وحذّرهم نِقْمته؛ فقالوا: ما تُخوفنا يا محمّد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَقالَتِ اليَهُودُ والنصَارَى نَحْنُ أبناءُ اللَّهِ وأَحِبَّاؤُهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾.

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام:

قال ابن إسحٰق: ودعا رسولُ الله ﷺ يهود إلى الإسلام ورغَّبهم فيه، وحذّرهم غِيَرَ الله وعقوبَته، فأبَوْا عليه، وكفَروا بما جاءهم به، فقال لهم مُعاذ بن جَبل، وسعدُ بن عُبادة وعُقبة بن وَهْب: يا معشرَ يهود، اتَّقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبلَ مبعثه، وتَصِفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حُريملة، ووَهْب بن يهوذا: ما قلنا لكم هذا قطّ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيرًا ولا نذيرًا بعده. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿يَاأَهْلَ الكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قصّ عليهم خبرَ موسى وما لقي منهم، وانتقاضَهم عليه، وما ردّوا عليه من أمر الله حتى تاهُوا في الأرض أربعين سنة عقوبة.

وذكر آية التِّيهِ وحبس بني إسرائيل فيه أربعين سنةً عقوبةً من الله تعالى لمخالفتهم أمرَه حين فزِعوا من الجبارين لعِظَم أجسامهم، وقال لهم رجلان وهما يُوشَعُ بن نُون من سِبْطِ يوسفٍ، وكالبُ بن يوفيا من سِبْط يامين ﴿ادْخُلوا عليهم البابَ فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ فلما عَصوْهما دعا عليهم موسى، فتاهوا، أي تحيروا، وكانوا ستمائة ألف مقاتل، فتاهوا في سِتَّةِ فراسِخَ من الأرض، يمشون النهار كلَّه، ثم يُمسون حيث أصبحوا، ويُصْبحون حيثُ أَمسَوْا. وفي ذلك السنين أنزل عليهم المنُّ والسَّلْوَى، لأنهم شُغِلوا عن المعاشِ بالتِّيه في الأرضِ، وأُبقيت عليهم ثيابُهم لا تَخلَق، ولا تَتَّسخ، وتطول مع الصغير، إذا طال، وفيها استسقى لهم موسى، فأمِرَ أن يأخذَ حجرًا من الطُّور، فيضربه بعصاه، فانفجرت منه اثنتا

رجوعهم إلى النبي ﷺ في حكم الرجم

قال ابن إسحٰق: وحدّثني ابنُ شهاب الزّهريّ أنه سَمع رجلاً من مُزينة من أهل العلم، يحدّث سَعيد بن المسيب، أن أبا هُريرة حدّثهم: أن أحبارَ يهودَ اجتمعوا في بيت المِدْرَاس حين قَدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وقد زَنى رجلٌ منهم بعد إحصانه بامرأةٍ من يهودَ قد أحْصَنت، فقالوا: ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد، فَسَلُوه كيف الحكم

عَشْرَة عَينًا، وفيها ظَّلل عليهم الغَمامُ لأنهم كانوا في البَرِّيَّة، فظُلِّلوا من الشمسِ، وذلك أن موسى كان نَدم حين دعا عليهم لما رأى من جهدهم وحيرتهم في التيه، فكان يدعو الله لهم في هذه الأمور؛ لئلا يَهلكوا في التيه جوعًا أو عُرْيًا أو عَطَشًا، فلما آسى عليهم قال له: ﴿لا تَأسَ على القوم الفاسقين﴾ أي: الذين فَسَقُوا أي: خرجوا عن أمرِك. ومات في أيام التيه جميعُ كبارهم إلا يُوشَع وكالبَ فما دَخل الأرضَ على الجبارين إلا خُلوفُهم وأبناؤهم، وقيل: إن موسى مات في تلك السنين أيضًا ولم يشهد الفتحَ مع يُوشَعَ، وقيل: بل كان مع يُوشَع حين افتتحها[١].

ذكر المرجومة من اليهود[٢]

فصل: وذكر المرجومة من اليهود، وأن صاحبها الذي رُجم معها حَنَا عليها بنفسه ليقيَها الحجارةَ. حَنَا بالحاء تقيد في إحدى الروايتين عن أبي الوليد، وكذلك في الموطأ من رواية يحيىٰ، فجعل يحنى عليها، وفي الروية الأخرى عن أبي الوليد: جَنَأَ بالجيم والهمز، وعلى هذه الرواية فسره أبو عبيد، والجَناء: الانحناء، قال الشاعر عَوْفُ بن مُحَلِّم:

وبَــدلــتــنــي بــالــشَّــطَــاطِ الــجَــنَــا ... وكُــنــتُ كــالــصَّــعْــدَة تــحــت الــسِّــنَــانِ

وفي حُنُوِّه عليها من الفقه: أنهما لم يكونا في حُفْرتين، كما ذهب إليه كثير من الفقهاء في سُنَّة الرَّجْم، وكذلك رُوِي عن علي رحمه الله، أنه حفر لشُرَاحَةَ بنتِ مالكٍ الهَمْدَانِية حين رَجَمها. وأما الأحاديث فأكثرُها على ترك الحَفْرِ للمرجوم، واسم هذه المرجومة: بُسْرَةُ فيما ذكر بعض أهل العلم، وفي قصتهما أنزل الله: ﴿وكيف يُحَكِّمونك

---

(١) ذكر القرآن قصة التيه في سورة البقرة، وما أورده السهيلي رحمه الله تعالى هنا إنما هو متلقى عن أهل الكتاب.

(٢) انظر حكم الرحيم عند اليهود. سفر اللاويين. الصحاح (٢٠/ ٢٢). وحديث احتكام اليهود إلى النبي ﷺ في الرجم أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

فيهما، وولّوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما بعَملكم من التَّجْبية - والتجبية: الجلدُ بحبل من ليف مَطْلِيّ بقار، ثم تُسَوَّدُ وجوههما، ثم يُحمَلان على حمارين، وتُجعل وجوهُهما من قِبَلِ أدبار الحمارين - فاتَّبعوه، فإنما هو مَلِك، وصدّقوه، وإن هو حَكم فيهما بالرَّجْم فإنه نبيّ، فاحذَروه على ما في أيْديكم أن يَسْلَبكموه. فأتَوْه، فقالوا: يا محمّد، هذا رجل قد زَنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت، فاحكُم فيهما، فقد ولَّيناك الحكم فيهما. فمشى رسولُ الله ﷺ حتى أتى أحبارَهم في بيت المدراس فقال: يا معشر يهود أخرجوا إليَّ علماءكم فأخرج له عبد الله بن صُوريا.

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني بعضُ بني قُريظة: أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ مع ابن صُورِيا، أبا ياسر بن أخطب، ووهبَ بن يهوذا، فقالوا: هؤلاء علماؤنا. فَسألهم رسولُ الله ﷺ، ثم حصّل أمرَهم، إلى أن قالوا لعبد الله بن صُورِيا: هذا مِن أعلم مَنْ بقي بالتوراة.

قال ابن هشام: من قوله: «وحدّثني بعض بني قريظة - إلى أعلم من بقي بالتوراة» من قول ابن إسحٰق، وما بعده من الحديث الذي قبله.

فخلا به رسولُ الله ﷺ، وكان غلامًا شابًا من أحدثهم سنًّا فألظّ به رسولُ الله ﷺ المسألة، يقول له: يا ابن صُورِيا، أنشُدك الله وأُذكِّرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلَم أن الله حكَم فيمن زنى بعد إحصانه بالرَّجْم في التوراة؟ قال: اللهمّ نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لَنَبيّ مُرْسل ولكنهم يحسدونك. قال: فخرج رسولُ الله ﷺ. فأَمر بهما فَرُجِما عند باب مسجده في بني غَنْم بن مالك بن النجّار. ثم كفر بعد ذلك ابن صُورِيا، وجَحد نبوّة رسول الله ﷺ.

وعِنْدَهم التَّوْرَاةُ﴾ الآية إلى قوله: ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾، يعني محمدًا، ومَنْ حكم بالرَّجم قبله، لأنه حكم بالرَّجم لأولئك اليهود الذين تحاكموا إليه، والرَّبَّانيُّون. يعني: عبدَ الله بن سَلاَم وابن صُورِي من الأحبار بما اسْتُحْفِظُوا من كتاب الله، لأنهم حفِظوا أن الرَّجْمَ في التَوراة، لكنهم بدَّلوا وغيرِوا، وكانوا عليه شُهداءَ؛ لأنهم شَهدوا بذلك على اليهود إلى قوله: ﴿ومن لم يَحْكُم بما أنزل الله﴾ فحكم بالرَّجْم رسولُ الله ﷺ، وهذا يبين لك أن الرَّجْمَ في القرآن، وعلى هذا فسره مالكُ فيما بلغني، ولذلك قال عليه السلام للرجلين: لأحْكُمَنَّ بينكما بكتاب الله، فحكَم بالرجم، كما في الكتاب المنزَّل على موسى، وعلى مُحَمَّد صلى الله عليهما، وقد قيل في معنى الحديث أقوالٌ غير هذا، والصحيح ما ذكرنا.

قال ابن إسحٰق: فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يا أَيُّها الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الكفرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنَّا بأَفْوَاهِهِمْ ولَمْ تُؤمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: الذين بَعثوا منهم من بَعثوا وتخلّفوا، وأمروهم بما أمروهم به من تحريف الحُكم عن مَواضعه. ثم قال: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِه يَقُولُونَ إنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾، أي الرجم ﴿فاحْذَرُوا﴾ إلى آخر القصة.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن يزيد بن رُكانة عن إسماعيل بن طلحة بن إبراهيم، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله ﷺ برَجْمهما، فرُجما بباب مسجده، فلما وجد اليهوديّ مسَّ الحجارة قام إلى صاحبته، فَجَنأَ عليها، يقيها مسّ الحجارة، حتى قُتِلا جميعًا.

قال: وكان ذلك مما صنع الله لرسوله ﷺ في تحقيق الزنا منهما.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن نافع مَوْلى عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر، لمَّا حكَّوا رسولَ الله ﷺ فيهما، دعاهم بالتّوراة، وجَلَس حَبْر مِنهم يتلوها، وقد وضع يدَه على آية الرجم، قال: فضرب عبدُ الله بن سلام يد الحبر، ثم قال: هذه يا نبيَّ الله آية الرجم، يَأبى أن يَتْلوها عليك، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: ويحكم يا معشر يهود! ما دعاكم إلى ترك حُكم الله وهو بأيديكم؟ قال: فقالوا: أمّا والله إنه قد كان فينا يُعْمل به، حتى زَنى رجل منّا بعد إحْصانه، من بُيوت الملوك وأهْل الشَّرف، فمَنعه الملك من الرجْم، ثم زَنى رجلٌ بَعْدَه، فأراد أن يَرْجُمه، فقالوا: لا والله، حتى تَرْجم فلانًا، فلمّا قالوا له ذلك اجتمعوا فأصْلحوا أمْرهم على التَّجْبية، وأماتوا ذِكْر الرَّجم والعمل به. قال: فقال رسولُ الله ﷺ: فأنا أوّل من أحْيَى أمْر الله وكتابه وعَمل به، ثم أمرَ بهما فرُجما عند باب مَسْجده. قال عبد الله بن عمر: فكنت فيمن رَجَمَهما.

ظلمهم في الدّية:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني داودُ بن الحُصين عن عِكْرمة، عن ابن عبّاس: أن الآياتِ من المائدة التي قال الله فيها: ﴿فاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ

واستشهد ابنُ هشام في تفسير الجهرة بقول أبي الأخزر الحِمَّانِي، واسمه: قتيبة، وحِمَّانُ هو ابنُ كَعْب بن سَعْدِ بن زَيْدِ مَنَاةِ بنِ تَميم، فقال:

يجهر أفواه المياه السُّدُم

فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بالقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحب المُقْسِطِينَ﴾ إنما أنزلت في الديّة بين بَني النَّضير وبين بني قُرَيظة، وذلك أن قَتْلَى بني النَّضير، وكان لهم شرف، يُؤدّون الدية كاملة، وأن بني قريظة كانوا يؤدون نصف الدِّية، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم رسولُ الله ﷺ على الحقّ في ذلك، فجعل الديةَ سَواء.

قال ابن إسحٰق: فالله أعلم أيّ ذلك كان.

قصدهم الفتنة برسول الله ﷺ:

قال ابن إسحٰق: وقال كعب بن أسد، وابن صَلُوبا، وعبد الله بن صُوريا، وشَأس بن قيس، بعضُهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمّد، لعلنا نَفْتنه عن دينه، فإنما هو بشر، فأتَوْه، فقالوا له: يا محمّد، إنك قد عرَفْت أنَّا أحبارُ يهود وأشرافُهم وسادتُهم، وأنَّا إن اتبعناك اتبعتك يهود، ولم يخالفونا، وأنّ بيننا وبين بَعْض قومنا خُصومة، أفنحاكمهم إليك فتَقْضيَ لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدّقك، فأبى ذلك رسولُ الله ﷺ عليهم. فأنزل الله فيهم: ﴿وأنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ، فإِنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهِ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّة يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يوقِنونَ﴾.

جحودهم نبوّة عيسى عليه السلام:

قال ابن إسحٰق: وأتى رسولَ الله ﷺ نفرٌ منهم: أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وعازر بن أبي عازر، وخالد، وزيد، وإزار بن أبي إزار، وأشيع، فسألوه عمّن يؤمن به من الرسل؛ فقال رسولُ الله ﷺ: ﴿نُؤمِنُ باللَّهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَما أُنْزِلَ إِلى إِبْرَاهِيمَ وإِسْماعِيلَ وإِسحاقَ وَيَعْقُوبَ والأسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسَى وَعيسَى وَما أُوتيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بينَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنحن لهُ مُسْلِمُونَ﴾. فلما ذُكر عيسى ابن مريمَ جحدوا نُبوّته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى ابن مريم ولا بمن آمن به. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ

يقال: ماء سِدَامٌ إذا غطاه الرمل، وجمعه: سُدُم، وجمعه على سَدُم غريب، ويقال أيضًا سِدَامٌ وأسْدَام ونحو من قوله يَجْهر قولُ عائشة رضي الله عنها في أبيها. واجْتَهَر لهم عَيْنَ الرَّوَاءِ، وأنشد في تفسير القوم وأنه البُرُّ:

فَوْق شِيزَى مثل الجَوَابي عليها قِطَعٌ كالوَذِيلِ في نِقْبِي فُومِ

بِأَهْلَ الكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إلاَّ أَنْ آمَنَّا باللَّهِ وَما أُنْزِلَ إلينا وما أُنزِل مِنْ قَبْلُ وأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقونَ﴾.

ادعاؤهم أنهم على الحق:

وأتى رسولَ الله ﷺ رافعُ بن حارثة، وسَلاَّم بن مِشْكم، ومالك بن الصَّيف، ورافع بن حُرَيْملة، فقالوا: يا محمّد، ألستَ تَزْعُم أنك على مِلَّة إبراهيم ودينه، وتُؤمن بما عِندنا من التَّوراة، وتَشْهد أنها من الله حقّ؟ قال: بلى، ولكنكم أحدثتم وجَحدتم ما فيها ممَّا أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكَتمتم منها ما أُمرتم أن تُبَيِّنوه للنَّاس، فَبرئتُ من إحداثكم؛ قالوا: فإنَّا نأخذ بما في أيدينا، فإنَّا على الهدى والحقّ، ولا نُؤمن بك، ولا نَتَّبعك، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حتى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ والإنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إلَيْكُم مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُم إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيانًا وكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ﴾.

إشراكهم بالله:

قال ابن إسحٰق: وأتى رسولَ الله ﷺ النَّحامُ بن زيد، وقَرْدَم بن كعب، وبَحْري بن عمرو، فقالوا له: يا محمد، أما تَعلم مع الله إلـٰهًا غيرَه؟ فقال رسولُ الله ﷺ: الله لا إلـٰه إلا هو، بذلك بُعثتُ، وإلى ذلك أدْعو. فأنزل الله فيهم وفي قولهم: ﴿قُلْ أيُّ شَيْءٍ أَكْبرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وبينكم وأُوحِيَ إليَّ هَذَا القُرآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ أشْهَدُ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشرِكُونَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

نهيه تعالى للمؤمنين عن موادّتهم:

وكان رفاعة بن زيد بن التابوت، وسُويد بن الحارث قد أظْهرا الإسلامَ ونافقا فكان رجالٌ من المسلمين يوادّونهما. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الذين اتخذوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ والكُفَّارَ أَوْلِياءَ وَاتَّقُوا

الشِّيزَى: خشب أسود تُصنع منه الجفاء [مفردها: جَفْنَة، وهي القصعة، والجوابي: جمع جابية: الحوض يُجبى فيه الماء للإبل]، والوَذيل: جمع وذيلة وهي السبيكة من الفضة. قال الشاعر:

وتُريكَ وَجْهًا كالوَذِيـ ـلَة لا رَيَّان ممتلىء ولا جَهْم

اللَّهِ إنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. . . إلى قوله: ﴿وَإِذَا جاؤُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بالكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أعلَمُ بِمَا كانُوا يَكْتُمُونَ﴾.

سؤالهم عن قيام الساعة:

وقال جَبَل بن أبي قُشير، وشَمْويل بن زيد، لرسول الله ﷺ يا محمّد، أخْبرنا، متى تقوم الساعة إن كنتَ نبيًّا كما تقول؟ فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُها عَنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ في السَّمٰوَاتِ والأرضِ لا تَأْتِيكُم إِلاَّ بَغْتَةً يَسألُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ ولكن أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: أيَّان مُرْساها: متى مُرْساها. قال قَيْس بن الحُدَاديَّة الخُزاعيُّ:

فجئتُ ومُخْفَى السِّرّ بيني وبينها ... لأسألها أيَّان مَنْ سار راجعُ؟

وهذا البيت في قصيدة له. ومرساها: منتهاها، وجمعه: مَراس. قال الكُميت بن زيد الأسدي:

والمُصيبين بابَ ما أخطأ النَّا ... سُ ومُرسَى قواعد الإسلامِ

وهذا البيت في قصيدة له ومُرسَى السفينة: حتى تنتهي. وحَفِّى عنها ـ على التقديم والتأخير ـ يقول: يسألونك عنها كأنّك حَفِيّ بهم، فتُخبرهم بما لا تخبر به غيرَهم. والحفيّ: البَرّ المتعهد. وفي كتاب الله: ﴿إِنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]. وجمعه: أحفياء. وقال أعشى بَني قَيْس بن ثعلبة:

فإنْ تسألي عني فيا رُبّ سائلٍ ... حَفيّ عن الأعشى به حيثُ أصْعدا

وهذا البيت في قصيدة له. والحفيّ أيضًا: المُسْتَحْفِي عن عِلْم الشيء، المبالغ في طلبه.

ومنه قول عمرو بن العاص لمعاوية: أما والله لقد أَلْفَيْتُ أمرَك، وهو أَشَدُّ انْفِضَاحًا من حُقّ الكَهُول. كذلك رواه الهَرَوِيُّ، وقال ابن قتيبة: الكَهْدَل، فما زلتُ أَرُمُّه بوذائِله، وأصِله، بوَصَائِله، حتى تَرَكْته على مثل فَلْكَة المذر. حُقُّ الكَهُول: بيت العنكبوت، وكما قاله الهروي، قاله أبو عُمَر الزاهد في كتاب الياقوت، كما وقع في غريب الحديث للقُتَبِيّ قاله أبو عبد الله بن القزاز في الكتاب الكبير، قال: الكَهْدَلُ: العنكبوت، وقيل: في الكَهُول إنه ثَدْي

ادعاؤهم أن عزيرًا ابن الله:

قال ابن إسحٰق: وأتى رسولَ الله ﷺ سلاّم بن مِشْكم، ونعمانُ بن أوفى أبو أنس، ومحمود بن دِحية، وشأس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا له: كيف نتَّبعك وقد تركت قِبْلَتَنا، وأنت لا تَزْعم أن عُزيرًا ابنُ الله؟ فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك من قولهم: ﴿وَقالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللَّه وَقالَتِ النَّصارَى المَسِيحُ ابنُ اللَّهُ ذلكَ قَوْلُهُمْ بأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا منْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] إلى آخر القصة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: يضاهون: أي يشاكل قولُهم قولَ الذين كفروا، نحو أن تحدِّث بحديث، فيحدّث آخر بمثله، فهو يضاهيك.

طلبهم كتابًا من السماء:

قال ابن إسحٰق: وأتى رسولَ الله ﷺ محمودُ بن سَيْحان، ونُعمان بن أضاء، وبَحْريّ بن عمرو، وعُزير بن أبي عُزير، وسلاّم بن مِشْكَم، فقالوا: أحقّ يا محمّد أن هذا الذي جِئْتَ به لحقّ من عند الله، فإنا لا نراه متسقًا كما تتسق التوراة؟ فقال: لهم رسولُ الله ﷺ: أما والله إنكم لتَعْرفون أنه من عند الله. تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة، ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به؛ فقالوا عند ذلك، وهم جميع: فنحاص، وعبد الله بن صُوريا، وابن صلوبا، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وأشيع، وكعب بن أسد، وَشَمْويل بن زيد، وجَبل بن عمرو بن سُكينة: يا محمّد، أما يعلّمك هذا إنس ولا وجنّ؟ قال: فقال لهم رسولُ الله ﷺ: أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله، وإني لرسول الله، تجدون ذلك مكتوبًا عندكم في التوراة؛ فقالوا: يا محمّد، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويَقْدر منه على ما أراد، فَأَنْزِل علينا كتابًا من السماء نقرؤه ونَعْرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به. فأنزل الله تعالى فيهم

العجوز، وفي العين الوذيلة: المِرآة، وقيل في الفُوم: إنه الثُّوْمُ، واختاره ابن قتيبة، واحتج بأنه في مُصْحَف عبد الله بن مَسْعود: وثومها، ولا حجة في هذا لما ذكره أبو حنيفة في النبات: أن الثُّومَ، هو البُرّ، وأنه يقال بالفاء وبالثاء، ومن الشاهد على الفُوم وأنه البرُّ قول أبي أُحَيْحَةَ بن الجُلاَح، وقيل هو لأبي مِحْجَنِ الثَّقَفِي:

قد كنت أغنى آلناس شخصًا واحدًا   سكن المدينة عن زراعة فُوم

وفيما قالوا: ﴿قُلْ لَئِن اجْتَمَعتِ الإنسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمثْلِ هَذَا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعضُهُم لبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الظهير: العون. ومنه قول العرب: تظاهروا عليه، أي تعاونوا عليه. قال الشاعر:

يا سَميّ النبيّ أصبحتَ للدّيـ ـن قوامًا وللإمام ظَهيرَا

أي عونًا؛ وجمعه: ظهراء.

سؤالهم له ﷺ عن ذي القرنين:

قال ابن إسحٰق: وقال حُيَيّ بن أخطب، وكعبُ بن أسد، وأبو رافع وأشيع، وشَمْويل بن زيد، لعبدِ الله بن سلام حين أسلم: ما تكون النبوّة في العرب ولكنّ صاحبك مَلِك. ثم جاؤوا رسولَ الله ﷺ فسألوه عن ذي القرنين فقَصّ عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه، ممّا كان قصّ على قُريش، وهم كانوا ممن أمَر قُريشًا أن يسألوا رسولَ الله ﷺ عنه، حين بَعثوا إليهم النَّضر بن الحارث، وعُقبة بن أبي مُعَيط.

تهجمهم على ذات الله وغضب الرسول ﷺ لذلك:

قال ابن إسحٰق: وحُدِّثت عن سعيد بن جبير أنه قال: أتى رهطٌ من يهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمّد، هذا الله خَلَق، الخلقَ، فمن خلق الله؟ قال: فغضب رسولُ الله ﷺ حتى انتُقع لونُه، ثم ساوَرَهم غَضبا لربِّه. قال: فجاءه جبريلُ عليه السلام فسكّنه، فقال: خفِّض عليك يا محمد، وجاءه من الله بجَواب ما سألوه عنه: ﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أحَدٌ اللّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

قال: فلما تلاها عليهم، قالوا: فصِفْ لنا يا محمد كيف خَلْقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عَضده؟ فغَضب رسولُ الله ﷺ أشدّ من غضبه الأوّل، وساورهم. فأتاه جبريلُ عليه السلام، فقال له مثلَ ما قال له أوّل مرّة، وجاءه من الله تعالى بجوَاب ما سألوه. يقول

وأنشد في بعض ما فَسَّر بيت الأخطل، قال: وهو الغَوْثُ بن هُبَيْرَةَ بن الصَّلْت، يُكنى أبا مالكٍ، والمعروف: غِيَاثُ بن الغَوْثِ بن هُبَيْرَة بن الصَّلْت، وسُمّي: الأخطل لقوله:

لَعَمْرُك إنني وابني جُعَيْل وأُمَّهُمَا لاَسْتَارٌ لَئِيمُ

الله تعالى: ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّمـٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه سُبْحَانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال ابن إسحـٰق: وحدّثني عُتبة بن مُسلم، مولى بني تَيْم، عن أبي سَلمة بن عبد الرحمـٰن، عن أبي هُريرة، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُوشِكُ النَّاس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلُهم: هذا الله خَلق الخلْق، فمن خَلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقُولوا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولدْ ولَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ـ٤]. ثم ليتفُل الرجل عن يساره ثلاثًا، ولْيَستعذ بالله من الشيطان الرجيم».

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الصمد: الذي يُصمَد إليه، ويُفْزع إليه، قالت هِنْد بنت مَعْبد بن نَضلة تَبْكي عمرو بن مَسْعود، وخالد بن نَضْلةَ، عَمَّيْها الأسديَّين، وهما اللّذان قَتل النُّعمان بن المُنذر اللّخميّ، وبَني الغَرِيَّيْنِ اللّذين بالكوفة عليهما:

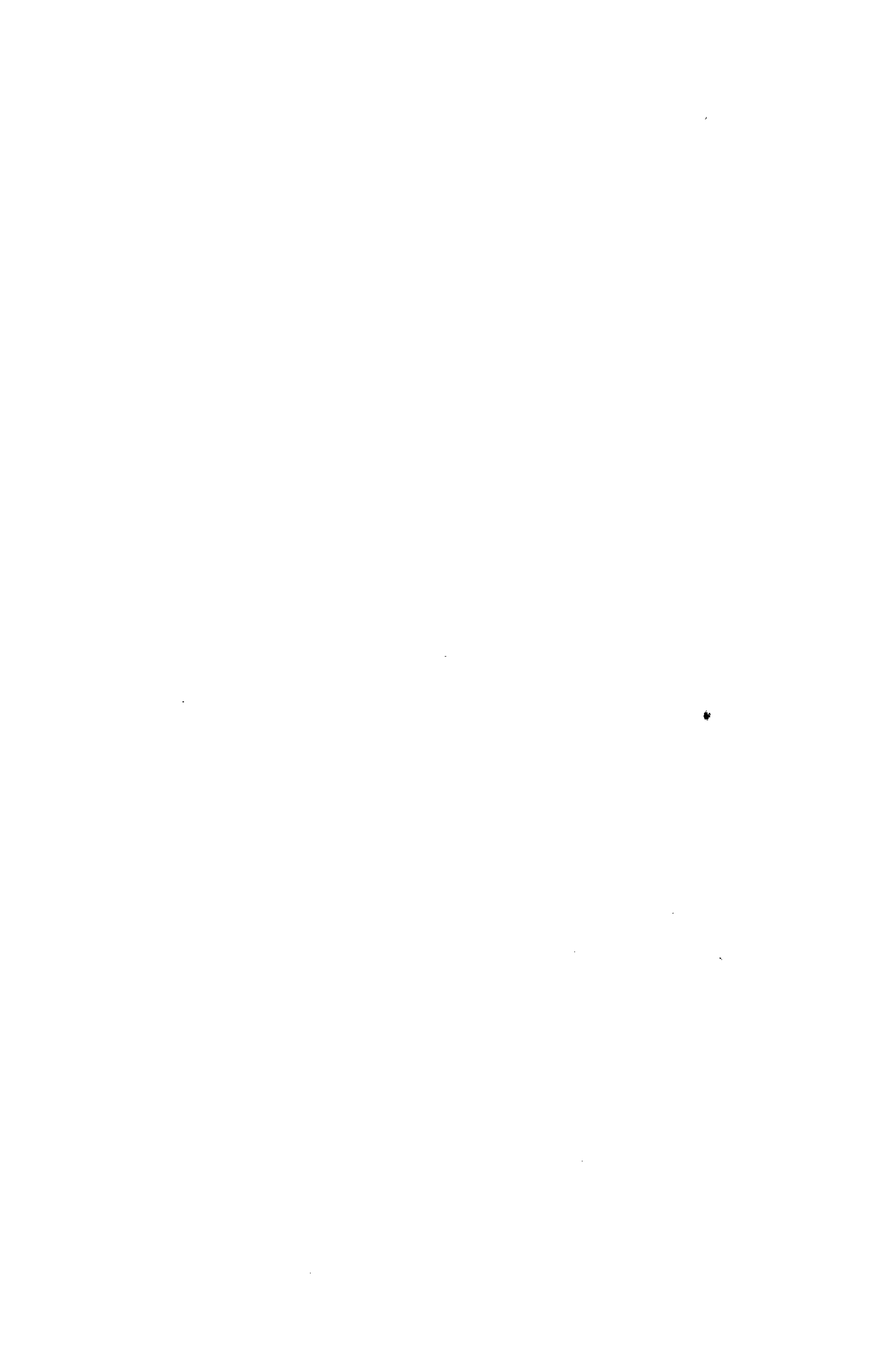
ألا بَكَرَ النَّاعي بخَيرَى بني أسدْ … بعَمْرو بن مَسْعود وبالسيِّد الصَّمَد

كل أربعة إستَارٌ قيل: إن كعبَ بنَ جُعَيل قال له في خبر جرى بينهما، والأخطل يومئذ غُلامُ يقَرْزِمُ، أي: كما يَبْتَدِي[1] يقول:

قُبِّحَ ذاك الوَجهُ غِبَّ الحُمَّه … فـقـال الأخـطـلُ، ولـم يَـكُـنِ
وفَعَلَ كعبُ بن جُعَيلٍ أُمَّه … فقال جُعَيلٌ: إنك لأخْطَلُ[2]

(١) أي بداية قوله شعرًا.

(٢) انظر الأغاني (٢٨/٨).



فهرس محتويات الجزء الثاني
مـــن
الـــروض الأُنـف



الفهرس

الرَّوْضُ الأُنُف

في تفسير السِّيرة النَّبويّة لابن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
الخثعمي السُّهيلي
المتوفّى سنة ٥٨١ هـ

ومعه

السِّيرة النَّبويَّة

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفّى سنة ٢١٣هـ

علّق عليه ووضع حواشيه
مجدي بن منصور بن سيد الشورى

تنبيه

وضعنا نص السِّيرة النبويّة لابن هشام في أعلى الصفحات
ووضعنا أسفل منها نص الرّوض الأُنُف
وفصلنا بينهما بخطّ

الجزء الثالث

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



بسم الله الرحمـٰن الرحيم

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف:

قال ابن إسحـٰق: وقَدِم على رسول الله ﷺ وفْدُ نَصارى نَجْران، ستُّون راكبًا، فيهم أربعةَ عشرَ رجلاً من أشرافهم، في الأربعةَ عَشَر منهم ثلاثةُ نفر إليهم يؤول أمْرُهم: العاقب، أميرُ القوم وذو رَأيهم، وصاحب مَشُورتهم، والذي لا يُصْدِرون إلا عن رأيه، واسمُه: عبد المسيح[1]، والسيد لهم: ثِمَالُهم، وصاحبُ رَحْلهم ومُجْتَمعهم، واسمُه: الأَيْهَم، وأبو حارثة بن عَلْقمة، أحدُ بني بَكْر بن وائل، أُسْقُفُّهم وحَبْرهم وإمامهم، وصاحب مِدْرَاسِهم.

منزلة أبي حارثة عند ملوك الروم:

وكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم، ودَرس كتبهم، حتى حَسُن علمه في دينهم، فكانت مُلوك الرّوم من النَّصرانيّة قد شرّفوه وموّلوه وأخْدموه، وبَنَوْا له الكنائس، وبَسطوا عليه الكرامات، لِمَا يَبْلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

قد تقدَّم أن نجرانَ عُرفت بنَجْرَانَ بنِ زَيْدِ بن يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطَانَ، وأما أهلها فهم: بنو الحارث بن كعب من مَذْحِج.

---

(١) لا يجوز أن يقال: عبد المسيح، وكذا عبد الرسول، وكذا عبد العال، وعبد المنصف، وعبد المنتقم، وعبد الوحيد، وعبد اللاه، وعبد الراضي، وعبد النبي... إلى غير ذلك من الأسماء التي فيها تعبيد لغير الله تعالى، أو لما ليس من أسمائه تعالى وعزّ وجلّ.

السبب في إسلام كرز بن علقمة:

فلما رجعوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ من نَجْرانَ، جَلس أبو حارثةَ على بَغْلة له موجِّهًا، وإلى جَنْبه أخٌ له، يقال له: كوز بن علقمة ـ قال ابن هشام: ويقال: كُرْز ـ فعثرت بَغْلةُ أبي حارثة، فقال كُوز: تَعَسَ الأبْعدُ، يريد: رسولَ الله ﷺ. فقال له أبو حارثة: بل أنت تَعَسْت! فقال: ولِمَ يا أخي؟ قال: والله إنه للنَّبِيُّ الذي كنَّا ننتظر، فقال له كوز: ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القومُ، شرّفونا ومَوّلونا وأكرمونا، وقد أبَوْا إلا خِلافَة، فلو فعلتُ نَزَعوا منّا كلّ ما ترى. فأضمر عليها منه أخوه كوز بن عَلْقمة، حتى أسلم بعد ذلك. فهو كان يُحدّث عنه هذا الحديث فيما بلغني.

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس منهم:

قال ابن هشام: وبلغني أن رؤساء نَجْران كانوا يتوارثون كتبًا عندهم. فكلَّما مات رئيسٌ منهم، فأفْضَتِ الرياسةُ إلى غيره، خَتم على تلك الكُتب خاتمًا مع الخواتم التي كانت قبله ولم يَكْسِرها، فخرج الرئيسُ الذي كان على عهد النبيّ ـ ﷺ ـ يَمْشي، فعَثر، فقال له ابنُه: تَعَس الأبعدُ! يريد النبيَّ ـ ﷺ ـ فقال له أبوه: لا تفعل، فإنه نبيّ، واسمُه في الوضائع، يعني. . الكتب، فلما مات لم تكن لابنه همَّة إلا أن شدَّ فكَسر الخواتم، فوجَد فيها ذكَر النبيّ ـ ﷺ ـ فأسلم فحسُن إسلامُه وحجّ، وهو الذي يقول:

إلـيـك تَـعْـدو قَـلِـقًـا وَضِـيـنُـهـا مُـعْـتـرِضًـا فـي بَـطْـنـهـا جَـنِـيـنُـهـا

مُـخـالـفًـا ديـنَ الـنَّـصـارى ديـنُـهـا

قال ابن هشام: الوضين: الحزام، حزام الناقة. وقال هشام بن عُروة: وزاد فيه أهلُ العراق:

مُـعْـتـرضًـا فـي بـطْـنـهـا جَـنـيـنُـهـا

فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه.

تأويل كن فيكون:

ذكر فيه قولهم للنبي ﷺ: مَنْ أبوه يا محمّد، يعنون عيسى، فأنزل الله تعالى: ﴿إن مَثَلَ عيسَى عندَ الله﴾ إلى قوله: ﴿كن فيكون﴾ وفيها نُكْتَة، فإن ظاهرَ الكلام أن يقول: خلقه من تراب، ثم قال له: كُن فَكان، فيعطف بلفظ الماضي على الماضي، والجواب: أن الفاءُ تعطي التَّعْقِيبَ والتَّسْبيبَ، فلو قال: فكان لم تدل الفاءُ إلا على التسبيب، وأن القولَ سَبَبٌ للكَوْن، فلما جاء بلفظ الحال دَلَّ مع التسبيب على استعقاب الكون للأَمْرِ من غير مَهَلٍ، وأن

صلاة النصارى إلى المشرق:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمّد بن جَعْفر بن الزبير، قال: لما قَدِموا على رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة، فدَخلوا عليه مَسْجده حين صلّى العصر، عليهم ثيابُ الحِبَرات، جُبَب وأرْدية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب. قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبيّ ﷺ يومئذ: ما رأينا وفدًا مِثلهم، وقد حانت صلاتُهم، فقاموا في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ يصلُّون، فقال رسولُ الله ـ ﷺ ـ دعُوهم؛ فصلَّوا إلى المشرق.

أسماء وفد نجران ومعتقدهم ومجادلتهم الرسول ﷺ:

قال ابن إسحٰق: فكانت تَسْمية الأربعةَ عشَرَ، الذين يؤول إليهم أمرُهم: العاقب، وهو عبد المسيح، والسيد وهو الأَيهم، وأبو حارثة بن عَلْقمة أخو بني بَكْر بن وائل، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه، وخُويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله ، ويُحَنَّس، في ستِّين راكبًا، فكلَّم رسولَ الله ـ ﷺ ـ منهم أبو حارثة بن عَلْقمة، والعاقب عبد المسيح، والأيهم السيِّد ـ وهم من النَّصرانية على دين المَلك، مع اختلاف من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة. وكذلك قولُ النَّصرانية.

فهم يحتجُّون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يُحْيِي الموتى، ويُبْرىء الأسقام، ويُخبر بالغُيوب، ويَخْلُق من الطين كهيئة الطير، ثم يَنْفُخ فيه فيكون طائرًا، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿ولنجعلَه آيةً للناس﴾.

ويحتجُّون في قولهم: «إنه ولد الله» بأنهم يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلَّم في المهد، وهذا لم يصنعه أحدٌ من ولد آدم قبله.

الأمْرَ بين الكاف والنون، قال له: كُنْ فإذا هو كائنٌ، واقتضى لفظُ فِعْلَ الحالِ كَونَه في الحال، فإن قيل وهي مسألة أخرى: إن آدم مكث دهرًا طويلا[1]، وهو طين صَلْصَالٌ، وقوله للشيء: كن فيكون يقتضي التعقيب، وقد خلق السمٰواتِ والأرضَ في ستة أيام، وهي ستة آلافِ سنةٍ[2]، فأين قوله: كن فيكون من هذا؟

(١) لا دليل صحيح على مكوثه دهرًا طويلاً.

(٢) يبدو أنه رحمه الله تعالى أخذ قوله تعالى: ﴿وإن يومًا عند ربّك كألف سنة مما تعبدون﴾ فجعل أيام الله على هذه المدة الزمنية، ومن ثم قال أن الله خلق السمٰوات والأرض في ستة أيّام أي ستّة آلاف سنة وهو تفسير بعيد جدًا كما يبدو.

ويحتجُّون في قولهم: «إنه ثالثُ ثلاثة» بقول الله: فَعَلْنَا، وَأَمَرْنَا، وخَلَقْنَا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحدًا ما قال إلا فعلتُ، وقضيت، وأمرت، وخلقت، ولكنه هو وعيسى ومَرْيم. ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن ـ فلمّا كلَّمه الحَبْران، قال لهما رسولُ الله ﷺ: «أسْلما»، قالا: قد أسلمنا، قال: «إنكما لم تُسْلِما، فأسْلِما»، قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك. قال: «كذبتُما، يَمْنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدًا، وعبادتُكما الصليب، وأكلُكما الخِنْزير»؛ قالا: فمَن أبوه يا محمد؟ فصَمت عنهما رسولُ الله ـ ﷺ ـ فلم يُجِبْهما[1].

تفسير ما نزل من آل عمران في وفد نجران

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كلِّه، صَدْرَ سورة آل عِمْران إلى بضع وثمانين آية منها، فقال جلّ وعَزّ: ﴿الٓمٓ اللَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾. فافتتح السورة بتَنْزيه نفسه عمَّا قالوا، وتَوْحيده إياها بالخَلْق والأمر، لا شريك له فيه، ردًّا عليهم ما ابتدعوا من الكُفر، وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجًا بقولهم عليهم في صاحبهم، ليعرّفهم بذلك ضلالَتهم، فقال: ﴿الٓمٓ اللَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ﴾ ليس معه غيره شريك في أمره ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾ الحيّ الذي لا يموت، وقد مات عيسى وصُلب في قولهم. والقيُّوم: القائم على مكانه من سلطانه في خَلْقه لا يزول، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به، وذهب عنه إلى غيره. ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكتابَ بالحَقّ﴾، أي

فالجواب: ما قال أهلُ العلم في هذه المسألة، وهو أن قول الباري سبحانه: كن يتوجه إلى المخلوقِ مُطْلقًا ومقيدًا، فإذا كان مطلقًا كان كما أراد لحِينِه، وإذا كان مقيدًا بصفة أو بزمان كان كما أراد على حسب ذلك الزمان الذي تقيد الأمر به، فإن قال له: كن في ألفِ سنة، كان في ألف سنة، وإن قال له: كن فيما دون اللحظة كان كذلك.

تأويل آيات محكمات

فصل: وذكر صَدْرَ سورة آلِ عِمْرَانَ، وفسّر منه كثيرًا، فمنه قوله سبحانه: ﴿منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ وهو ما لا يحتمل إلا تأويلاً واحدًا، وهو عندي من أحكَمْتُ الفَرسَ بحَكَمَتِه، أي: منعته من العُدولِ عن طريقه كما قال حسان:

ونُحْكِم بالقَوافِي مَنْ هَجَانا

---

(١) حديث وفد نجران أخرجه الطبري في تفسيره (٢/٤٢٨ ـ ٤٣٠) وانظر تفسير ابن كثير (٢/٤٠).

بالصدق فيما اختلفوا فيه: ﴿وأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ﴾: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، كما أنزل الكتب على من كان قبله: ﴿وأَنْزَلَ الفُرْقَانَ﴾، أي الفصل بين الحقّ والباطل فيما اختلف فيه الأحزابُ من أمر عيسى وغيره ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذو انْتِقامٍ﴾، أي: إنِ الله منتقم ممَّن كفر بآياته، بعد عِلْمه بها، ومَعْرفته بما جاء منه فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ﴾، أي قد علم ما يُريدون وما يَكيدون وما يُضاهون بقولهم في عيسى، إذ جعلوه إِلٰهًا وربًا، وعندهم من علمه غيرُ ذلك، غِرَّةً بالله، وكفرًا به. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشاءُ﴾ أي: قد كان عيسى ممن صُوِّر في الأرحام، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه، كما صُوِّر غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلٰهًا، وقد كان بذلك المَنزل؟! ثم قال تعالى إنزاهًا لنفسه، وتوحيدًا لها مما جعلوا معه: ﴿لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾، العزيز في انتصاره ممَّن كفر به إذا شاء، الحكيمُ في حجَّته وعُذْره إلى عباده. ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾ فيهنّ حُجَّة الربّ، وعِصْمة العباد، ودَفْع الخُصوم والباطل، ليس لهنّ تصريف ولا تحريف عما وُضعن عليه ﴿وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾ لهنّ تصريف وتأويل، ابتلى الله فيهنّ العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام، ألاّ يُصْرَفْن إلى الباطل، ولا يُحرَّفن عن الحقّ. يقول عزّ وجلّ: ﴿فأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أي: مَيْل عن الهدى ﴿فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ﴾، أي ما تصرّف منه، ليصدّقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا؛ لتكون لهم حجة، ولهم على ما قالوا شُبهة ﴿ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ﴾، أي: اللبس ﴿وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ﴾. ذلك على ما رَكِبوا

أي: نُلْجِمه فنمنعه، وكذلك الآية المُحْكمة لا تَتصرف بقارئها التأويلاتُ، ولا تتعارض عليه الاحتمالاتُ، وليس من لفظ الحِكْمة، لأن القرآن كلَّه حِكْمةٌ وعِلْم. والمتشابهُ يميل بالناظر فيه إلى وجوه مختلفة، وطرق متَبَاينة، وقوله سبحانه: ﴿كتابٌ أُحْكِمَت آياتُه﴾ هذا من الحِكْمَة ومن الإِحْكَام الذي هو الإتقانُ، فالقرآن كلُّه مُحْكَمٌ على هذا، وهو كله من هذا الوجه مُتَشابهٌ أيضًا، لأن بعضَه يُشبه بعضًا في بَرَاعةِ اللفظ، وإعْجاز النظم، وَجَزالة المعنى، وبدائِع الحِكْمة، فكُلُّه مُتَشَابهٌ وكُلُّهُ مُحْكم، وعلى المعنى الأول: ﴿منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ ﴿وأُخَرُ مُتَشَابهاتٌ﴾ فأهل الزَّيْغ يَعْطِفون المُتَشَابه على أهوائهم ويُجَادلون به عن آرائهم، والراسخُون في العِلْم يَرُدُّون المتشابه إلى المحكم أخْذًا بقَول الله تعالى: ﴿فإن تنازَعْتُم في شَيْءٍ فَرُدُّوه إلى اللَّهِ والرسول﴾ وعِلْمًا بأن الكُلَّ من عندِ الله، فلا يخالف بعضُه بَعْضًا. روت عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فأمَّا الذين في قُلوبِهِمْ زيْغٌ فيَتَّبِعُون ما تشابه منه ابتغَاءَ الفِتْنَة وابتِغَاءَ تأويله﴾ قال: إذا رأيتم الذين يُجَادِلون

من الضلالة في قولهم: خلقنا وقضينا. يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾، أي: الذي به أرادوا ما أرادوا ﴿إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عَنْدِ رَبِّنا﴾ فكيف يختلف وهو قولٌ واحد، من ربٍّ واحد؟! ثم ردّوا تأويل المُتشابه على ما عرفوا من تأويل المُحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، واتّسق بقولهم الكتاب، وصدّق بعضُه بعضًا، فنفذت به الحُجَّة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودَمغ به الكفرَ. يقول الله تعالى في مثل هذا: ﴿وَما يَذَّكَّرُ﴾ في مثل هذا ﴿إِلاَّ أُولُو الألْبابِ رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا﴾ أي لا تُمل قلوبنا، وإن مِلْنا بأحداثنا. ﴿وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾. ثم قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلائِكَةُ وأُولُو العِلْمِ﴾ بخلاف ما قالوا: ﴿قائِمًا بالقِسْطِ﴾، أي بالعدل (فيما يريد) ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ إِنَّ الدّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلامُ﴾، أي: ما أنت عليه يا محمد: التوحيدُ

فيه، فهُمْ أولئك فاحذَروهم[1]: وللسلَفِ في معنى المُحْكم ومعنى المتشابه أقوال متقاربة، إلا أن منهم من يرى الوقفَ على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ويرونه تمام الكلام، ويحتجون بقراءة ابن عباس ويقولُ: الرَّاسِخُون في العِلْم[2]، وهو قول عمر بن عبد العزيز أن الرّاسخين في العلم لا يعلمون التأويل، وإن علِمُوا التفسير. والتأويلُ عند هؤلاء غيرُ التفسير إنما هو عندهم في معنى قوله سبحانه: ﴿يوم يأتي تأويلُه﴾ وطائِفةٌ يرون أن قولَه: والرّاسخونَ مَعْطُوفٌ على ما قبلَه، وأنهم عالمون بالتأويل، ويحتجون بما يطول ذكره من أَثَر ونظر، والذي أرتضيه من ذلك مذهبٌ ثالث، وهو الذي قاله ابن إسحٰق في هذا الكتاب، ومعناه كلُه أن الكلامَ قد تَمَّ في قوله: وما يعلم تأويلَه إلا الله. والرّاسخون في العلم: مبتدأٌ، لكن لا نقول: إنهم لا يعلمون تأويله. كما قالت الطائفة الأولى، ولكن نقول: إنهم يَعْلَمُونه برَدِّ المتشابه إلى المُحكم، وبالاستدلال على الخَفّي بالجَلِيّ، وعلى المختلف فيه بالمُتَّفَقِ عليه، فَتَنْفُذ بذلك الحُجَّةُ، ويُزاحَ الباطل، وَتعظُم درجةُ العالم عند الله تعالى، لأنه يقول: آمنت به كُلٌّ مِنْ عِنْد رَبّي فكيف يختلف؟! ولما كان العِلْمَان مختلِفين: عَلْم الله، وعِلْمُ الرّاسخين في العِلْم لم يَجُز عطفُ: «الرّاسخون» على ما قبله، فالله يعلم تأويله العِلْم القَديم[3].

---

(١) «صحيح». أخرجه البخاري ومسلم في العلم (١) وأبو داود (٤٥٩٨) بتحقيقي. وابن ماجة (٤٧) والدارمي (١/ ٥٥).

(٢) قراءة غير متواترة تفتقر إلى السند الصحيح.

(٣) تقدم التنبيه غير مرة على أنه ليس من أسمائه تعالى «القديم»، وكذا لم يرد عن النبي ﷺ ولا في خير القرون وصف علم الله تعالى بأنه علم قديم.

للربّ، والتصديق للرسل. ﴿وما اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ﴾، أي: الذي جاءك، أي: أن الله الواحد الذي ليس له شريك. ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بآياتِ اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحسابِ فإنْ حاجُّوكَ﴾، أي: بما يأتون به من الباطل من قولهم: خلقنا وفعلنا وأمرنا، فإنما هي شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحقّ ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهيَ لِلَّهِ﴾، أي وحدَه. ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ والأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا كتاب لهم ﴿أأسْلَمْتُمْ فإنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وإنْ تَوَلَّوْا فإنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بالعبادِ﴾.

ما نزل من القرآن فيما ابتدعته اليهود والنصارى:

ثم جمع أهل الكتابَيْن جميعًا، وذكر ما أحدَثوا وما ابتدعُوا، من اليهود والنصارى، فقال: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبيِّينَ بغيرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مالكَ المُلْكِ﴾، أي: ربَّ العباد، والمَلِك الذي لا يقضي فيهم غيرُه ﴿تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بيَدِكَ الخَيْرُ﴾، أي: لا إله غيرك ﴿إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قدِيرٌ﴾، أي: لا يقدر على هذا غيرك بسُلطانك وقُدْرتك. ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ بتلك القدرة ﴿وتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بغيرِ حسابٍ﴾ لا يقدر على ذلك غيرك، ولا يصنعه إلا أنت، أي: فإن كنتُ سلّطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله، من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام والخَلْق للطير من الطين، والإخبار عن الغيوب، لأجعله به آيةً للناس، وتصديقًا له في نبوّته التي بعثته بها إلى قومه، فإن من سُلْطاني وقُدْرتي ما لم أُعطه تمليكَ الملوك بأمن النبوّة، ووَضْعها حيث شئت، وإيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وإخراج الحيّ من الميّت، وإخراج الميّت من الحيّ، ورزق من شئت من برّ أو فاجر بغير حساب؛ فكلّ ذلك لم أسَلِّط عيسى عليه، ولم أُملِّكه إياه، أفلم تكن لهم في ذلك عبرة وبيِّنة! أن لو كان إلهًا كان ذلك كلُّه إليه، وهو في علمهم يهربُ من الملوك، ويَنْتقل منهم في البلاد، من بلد إلى بلد.

لا بِتذكّر، ولا بتفكُّرٍ، ولا بِتَدْقيق نظرٍ، ولا بفحص عن دليل، فلا يعلم تأويله هكذا إلا الله، والرّاسخون في العِلم يعلمون تأويلَه بالفَحْص عن الدليل، وبتدقيق النظر وتَسْدِيد العِبر، فهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّر إلا أُولُو الألبَابِ﴾ وهذا معنى كلام ابن إسحٰق في الآية.

ما نزل من القرآن في وعظ المؤمنين وتحذيرهم:

ثم وعظ المؤمنين وحذّرهم، ثم قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحبُّونَ اللَّهَ﴾، أي: إن كان هذا من قولكم حقًّا، حبًّا لله وتعظيمًا له ﴿فاتَّبعُوني يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ﴾، أي: ما مَضى من كفركم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ قُلْ أطيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم ﴿فإِنْ تولَّوْا﴾، أي: على كفركم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ الكافرينَ﴾.

ما نزل من القرآن في خلق عيسى:

ثم استقبل لهم أمرَ عيسى: (عليه السلام)، وكيف كان بدء ما أراد الله به، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وآلَ إبْراهِيم وآلَ عِمْرَانَ عَلَى العالَمِينَ ذُرِيَّةً بَعْضُها منْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَليمٌ﴾ ثم ذكر أمر امرأة عِمْرَان، وقولها: ﴿رَبِّ إنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، أي: نذرته فجعلته عتيقًا، تعبُدُه لله، لا ينتفع به لشيء من الدنيا: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إنك أنْتَ السَّميعُ العَليمُ فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إنِّي وَضَعْتُها أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى﴾، أي: ليس الذكر كالأنثى لما جعلْتها محررًا لك نذيرة ﴿وإنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وإنِّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيم﴾. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَها رَبُّها بقبُولٍ حَسَنٍ وأنْبَتَها نَباتًا حَسَنًا وكَفَّلَها زَكَرِيَّا﴾ بعد أبيها وأمِّها.

قال ابن هشام: كفَّلها: ضمَّها.

احتجاج القسيسين للتثليث:

فصل: وذكر احتجاجَ الأحبارِ والقِسِّيسِينَ من أهلِ نَجْرانَ بقوله عزّ وجلّ: خَلَقنَا وأمَرْنَا وأشباه ذلك، وقالوا: هذا يدل على أنه ثالثُ ثلاثةٍ تعالى الله عن قولهم، وهذا من الزَّيْغ بالمُتَشَابه، دون رَدِّه إلى المُحْكم نحو قوله: ﴿وإلهُكُمْ إِلهٌ واحدٌ﴾ و: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والعجب من ضَعف عُقُولهم: كيف احتَجُّوا على محمد بما أُنْزِل على محمد، وهو أعلم بمعنى ما أُنْزِل عليه، لأن هذا اللفظ الذي احتجوا به مَجَاز عربي، وليس هو لفظ التَّوراة والإنْجِيل، وأصل هذا المجاز في العربية أن الكتاب إذا صَدَر عن حَضْرة مَلِكٍ كانت العبارةُ فيه عن الملكِ بلفظِ الجَمْع دلالةً على أنه كلامُ مَلِكٍ مَتْبُوعٍ على أمرِه، وقولِه: فلما خاطبهم الله تعالى بهذا الكتابِ العزيزِ أنزله على مذاهبهم في الكلام، وجاء اللفظُ فيه على أسلوبِ الكلام الصَّادرِ عن حَضْرة المَلِكِ، وليس هذا في غير اللسانِ العربي، ولا يتطرقَ هذا المجازُ في حُكْم العقلِ إلى الكلام القديم، إنما هو في اللفظ المنزَّل، ولذلك نجده إذا أخبر عن قولٍ قاله لنبيّ قَبْلَنا، أو خاطب به غيرَنا نحو قوله: ﴿ما مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لما خلقتُ بِيدَيَّ﴾ ولم يقل: خلَقنا بأيدينا، كما قال: مما عملته أيدينا، وقال حكاية عن وَحْيه لموسى:

آيات عن زكريا ومريم:

قال ابن إسحاق: فذكَّرها باليتْم، ثم قصّ خبرَها وخبر زكريّا، وما دعا به، وما أعطاه؛ إذ وهب له يحيىٰ ثم ذكر مريم، وقول الملائكة وطَهَّرَك واصْطَفَاكِ لها ﴿يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وطَهَّرك واصْطفاك عَلَى نِساءِ العالمِينَ يا مَرْيَمُ اقنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ذلكَ مِنْ أنباءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيهِم﴾ أي: ما كنت معهم ﴿اذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: أقلامهم: سهامهم، يعني قِداحهم التي اسْتَهَمُوا بها عليها، فخَرج قِدْح زكريَّا فضمَّها، فيما قال الحسن بن أبي الحسن البصريّ.

دعوى كفالة جريج الراهب لمريم:

قال ابن إسحاق: كفَّلها هاهنا جُرَيج الراهب، رجل من بني إسرائيل نجَّارٌ، خرج السهمُ عليه بحَمْلها، فحَملها، وكان زكريًّا قد كفَّلها قبل ذلك، فأصابت بني إسرائيل أزمةٌ شديدة، فعجز زكريًّا عن حَمْلها، فاستَهَمُوا عليها أيُّهم يكْفُلها، فخَرج السهمُ على جُرَيج الراهب بكُفولها فكَفلها. ﴿وَما كُنتَ لَدَيْهِم إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، أي: ما كنت معهم إذ يختصمون فيها. يُخْبِره بخَفيِّ ما كَتموا منه من العِلم عندهم، لتَحْقيق نُبوّته والحجَّة عليهم بما يأتيهم به ممَّا أخْفَوا منه.

﴿ولِتُصْنَع على عَيْنِي﴾ ولم يقل: كما قال في الآية الأخرى: ﴿تجري بأعْيُننا﴾ لأنه أخبر عن قولٍ قاله لم ينزله بهذا اللسانِ العربيّ ولم يَحْكِ لَفظًا أنزله، وإنما أخبر عن المعنى، وليس المجازُ في المعنى، وكذلك لا يجوز لعبدٍ أن يقولَ ربِّ اغْفِروا، ولا ارْحَمُوني، ولا عَلَيْكُمْ تَوَكَّلْتُ، ولا إليكم أَنَبْتُ، ولا قالها نَبِيٌّ قَطُّ في مناجاته، ولا نبيّ في دعائه لوجهين، أحدهما: أنه واجب على العبد أن يُشْعِرَ قلبَه التوحيدَ، حتى يشاكل لفظُه عَقْدَهُ[1]. الثاني: ما قدمناه من سَيْر هذا المجاز، وأن سبَبه صدورُ الكلام عن حضرة الملِك موافَقةً للعرب في هذا الأسلوب من كلامها، واختصاصها بعادة ملوكها وأشرافها، ولا ننظر لقول من قال في هذه المسألة، وبذلك رُوجِعوا، يعني: بلفظ الجمع، واحتج بقوله سبحانه خبرًا عَمَّن حضره الموتُ من الكفار إذْ يقولُ: «رَبِّ ارْجِعُونِ»، فيقال له: هذا خَبَرٌ عَمَّن حضرته الشياطينُ، ألا

---

(١) أي عقيدته.

ثم قال: ﴿إِذْ قالَتِ المَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ منهُ اسمُه المَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ﴾، أي: هكذا كان أمره، لا كما تقولون فيه: ﴿وَجِيهًا في الدُّنيا والآخِرَةِ﴾ أي عند الله ﴿وَمِنَ المُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يخبرهم بحالاته التي يتقلّب فيها في عُمره، كتقلُّب بني آدم في أعمارهم، صغارًا وكبارًا، إلا أن الله خصّه بالكلام في مَهْده آيةً لنبوّته، وتَعْريفًا للعباد بمواقع قُدْرته. ﴿قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لي وَلَدٌ ولَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾، أي يصنع ما أراد، ويخلُق ما يشاء من بشر أو غير بشر ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فإنَّمَا يَقُولُ له كُنْ﴾ مما يشاء وكيف يشاء، ﴿فيَكُونُ﴾ كما أراد.

ما نزل من القرآن في بيان آيات عيسى عليه السلام

ثم أخبرها بما يريد به، فقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ﴾ التي كانت فيهم من عَهْد موسى قبله ﴿والإِنْجِيلَ﴾، كتابًا آخر أحدثه الله عزّ وجلّ إليه لم يكن عندهم إلا ذِكْره أنه كائن من الأنبياء بعده ﴿ورَسُولاً إلى بَنِي إِسْرائيل أنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي يحقّق بها نبوّتي، أنّي رسول منه إليكم ﴿أنّي أَخْلُقُ لَكُمْ مَنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بإِذْنِ اللَّهِ﴾ الذي بعثني إليكم، وهو ربّي وربُّكم ﴿وأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأبرَصَ﴾.

ترى قبلَه: «وأعوذ بك رَبِّ أن يَحْضُرُونِ»، فإنما جاء هذا حكايةً عمَّن حضرتْه الشياطينُ، وحضرته زَبَانيةُ العذابِ وجرى على لسانِه في الموت ما كان يعتاده في الحياةِ من ردّ الأمر إلى المخلوقين، فلذلك خَلَط، فقال: رَبِّ، ثم قال: ارْجعُون، وإلاَّ فأنت أيها الرجلُ المجيزُ لهذا اللفظِ في مخاطَبة الربِّ سبحانه: هل قلتَ قَطُّ في دعائك: ارْحَمُون يا رَبِّ، وارزُقُون؟! بل لو سمعتَ غيرَك يقولُها لَسَطَوْتَ به، وأما قولُ مالكٍ وغيرِه من الفقهاء الأمرُ عندنا، أو رأيْنا كذا، أو نَرَى كَذا، فإنما ذلك، لأنه قول لم ينفرد به، ولو انفرد به لكان بِدْعة، ولم يقصِد به تعظيمًا لنفسه، لا هو ولا غيره من أهل الدين والدَّعَة.

احتجاجهم لألُوهية عيسى

وأما احتجاجُ القِسّيسين بأنه كانَ يُحيي الموتى، ويخلق من الطين كهيئة الطير فَيَنْفُخُ فيه، فلو تفكّروا لأبصروا أنها حُجَّةٌ عليهم، لأن الله تعالى خَصَّه دون الأنبياءِ بمعجزاتٍ تُبْطِلُ مَقالَة مَنْ كَذَّبه، وتُبْطِل أيضًا مَقالَةَ مَنْ زعم أنه إلٰهٌ أو ابنُ الإلٰه واستحال عنده أن يكونَ مخلوقًا من غير أب، فكان نفخُه في الطين، فيكونُ طائرًا حَيًّا: تنبيهًا لهم لو عَقَلُوه على أن مَثَلَه كَمَثَل آدمَ خُلِق مِنْ طِين، ثم نُفِخَ فيه الرُّوحُ، فكان بَشَرًا حَيًّا، فَنَفْخُ الُروحِ في الطائر

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأكمه: الذي يولد أعمى. قال رؤبة بن العجّاج:

هَـرَّجـتُ فـارتـدّ ارتـدادَ الأكْـمـه

(وجمعه: كمه). قال ابن هشام: هرّجت: صحت بالأسد، وجلبتُ عليه. وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿وأُحْيِي المَوْتَى بإذْنِ اللَّهِ وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَما تَدَّخِرُونَ في بُيُوتِكُمْ إنَّ فِي ذلك لآيَةً لَكُمْ﴾ أني رسول الله من الله إليكم ﴿إنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ وَمصَدِّقًا لِمَا بينَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾، أي لما سبقني عنها ﴿ولِأُحلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيكُمْ﴾، أي أخبركم به أنه كان عليكم حرامًا فتركتموه، ثم أُحله لكم تخفيفًا عنكم، فتصيبون يُسره وتخْرجوه من تِباعاته ﴿وَجِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ إنَّ اللَّهَ رَبّي وربُّكُمْ﴾ أي تبريًا من الذين يقولون فيه، واحتجاجًا لربِّه عليهم، ﴿فاعْبُدُوهُ هذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، أي هذا الذي قد حملتُكم عليه وجِئْتُكم به. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ﴾ والعدوان عليه، ﴿قالَ مَن أنْصَارِي إلى اللَّهِ قالَ الحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارِ اللَّهِ آمَنَّا باللَّهِ﴾ هذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربهم ﴿وَاشْهَدْ بأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجُونك فيه ﴿رَبَّنا آمَنَّا بِمَا أُنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنا الرَّسُولَ فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، أي هكذا كان قولهم وإيمانهم.

الذي خَلَقه عيسى من طِينٍ ليس بأعْجَبَ مِنْ ذلك، الكُلُّ فِعْل الله، وكذلك إحْياؤه للموتى، وكلامُه في المهْد، كُلُّ ذلك يدل على أنه مخلوق من نَفْخَةِ رُوح القُدُسِ في جَيْب أُمِّه، ولم يُخْلَقْ من مَنِيِّ الرجالِ، فكان معنى الرُّوح فيه - عليه السلام - أقوى منه في غيره، فكانت مُعجزاتُه رُوحانِيَّةً دَالَّةً على قوة المناسبةِ بينه وبين رُوح الحياة، ومن ذلك بقاؤه حَيًّا إلى قُرْب الساعة. ورُوِيَ عن أُبَيِّ بن كَعْبٍ أَنَّ الرُّوح الذي تَمَثَّل لها بشرًا هو الرُّوحُ الذي حملت به، وهو عيسى عليه السلام دخل مِنْ فيها إلى جَوْفها. رَواه الكَشِّي بإسناد حَسَنٍ يرفعه إلى أبيّ[1]، وخُصَّ بإبراء الأكْمَه والأَبْرَص، وفي تخصيصه بإبراءِ هاتين الآفتين مُشَاكَلَةٌ لمعناه - عليه السلام - وذلك أن فرقة عِمِيَتْ بصائرُهم، فكَذَّبوا نُبُوَّتَه، وهم اليهود وطائفةٌ غَلَوْا في تعظيمه بعدما أبيَضَّت قلوبُهم بالإيمان، ثم أفسدوا إيمانَهم بالغُلُوِّ، فَمَثلُهمْ كَمَثَلِ الأَبْرَصِ أَبْيَضَّ بياضًا فاسدًا، ومَثَلُ الآخَرينَ مَثَل الأَكْمَه الأعْمى، وقد أعطاه الله من الدلائل على

---

(١) حديث يضاد صريح القرآن، أن الذي تمثّل لها قال المفسرون: إنما هو جبريل عليه السلام، الذي خاطبها وبشرها بعيسى عليه السلام، لم يكن هو نفس الروح الذي حملت به.

الفريقين ما يُبْطِلَ المقالتين، ودلائل الحُدُوثِ تُثْبِتُ لَه العُبودِيَّة، وتَنْفي عنه الرُّبُوبِيَّة، وخصائصُ مُعْجِزَاتِه تَنْفِي عن أُمِّه الرِّيبَةَ وتُثْبِت له ولها النُّبُوَّةَ والصِّدِّيقيَّة، فكان في مَسِيح الهُدَى من الآياتِ ما يُشاكِلُ حالَه، ومعناه حَكْمَةً من الله، كما جَعَل في الصورةِ الظاهرة من مَسيح الضَّلالَة، وهو الأعورُ الدَّجَّالُ ما يشاكل حالَه، ويناسب صُورَتَه الباطِنَةَ، على نحو ما شَرَحْنا وبيَّنَّا في إملاء أَمليناهُ على هذه النُّكْتَةِ في غير هذا الكتاب والحمد لله[1].

---

(١) تعقيب: أورد فضيلة الشيخ أحمد القطان في أحد أسفاره بعض من الأسئلة على أحد قساوسة النصارى، البروفسير المتخصص في مقارنة الأديان ـ فقال فضيلته سائلاً:

١ ـ هل سمعت أو رأيت أن هناك إنسانًا نكح بقرة ـ مثلاً ـ فخرج المولود نصف إنسان ونصف بقرة؟ قال القسيس: لا. فالطبيعة العضوية لكل منهما مخالف للآخر تمامًا.

قال فضيلته معقبًا: إذن كيف ساغ عندك أن «الله» نكح مريم فأنجب منها «عيسى» فكان نصف إلٰه ونصف بشر؟!!!

٢ ـ ثم قال له: من المقرر أن الأعلى يحتوي الأدنى ـ الأكبر يحتوي الأصغر ـ بمعنى أن الحجرة وهي الأكبر تحتوي مَن بداخلها وهو الأصغر. فكيف ساغ عندك وفي عقيدتك أن رحم مريم ـ وهو الأدنى ـ احتوى الإلٰه ـ وهو عيسى عليه السلام؟!!!

٣ ـ ثم قال له: من المقرر عندك أن عيسى ـ عليه السلام ـ نصف ناسوت ونصف لاهوت. أي النصفين صُلب على الصليب ـ كما في زعمكم ـ إن كان الناسوتي فالنصف اللاهوتي خائن مجرم، إذ من المقرر أن الإلٰه يعلم الغيب، والنصف الإلٰه علم أن النصف الناسوتي سيُصلب على الصليب ـ كما تزعم ـ ولم يخبر النصف الناسوتي ـ فهو خائن له. فهل هذا هو إلٰهك الذي تعبده؟ وإذا كان النصف اللاهوتي هو الذي صلب، فكيف ساغ عندك أن تعبد إلٰهًا يصلب على الصليب.

٤ ـ ثم قال له: هنا أب لسبعة أولاد، ستّة منهم أشقياء والسابع مطيع لأبيه حليم به، قال الأب لأبنائه: إذا أردتم عفوي وصفحي ومحبتي لكم فاقتلوا أخاكم السابع. المطيع الرؤوف بأبيه. ترى أي أب هذا، لا بد وأنه مجنون، كيف ساغ عندك وفي عقيدتك أن الله أمكن اليهود من ابنه ـ المسيح ـ كما تزعم ـ فصلبوه وهو الابن المطيع لله تعالى؟!!!

٥ ـ ثم قال له: إذا كان هناك نصيب من الحق مع عيسى ومحمد فاليهود لا يؤمنون بهما، فقد فاتهم نصيب من الحق، وأنتم أيها النصارى، إذا كان هناك نصيب من الحق مع محمد، فأنتم واليهود لم تؤمنوا منه. أما أنا فإذا كان نصيب من الحق مع موسى فأنا أؤمن به، وإذا كان مع عيسى فأنا أؤمن به، وإذا كان مع محمد ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فأنا أؤمن به.

ويقول العلاّمة ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ردًا على النصارى سائلاً إياهم:

أعُبَّادَ المسيح لنا سؤال ... نريد جوابه ممن وعاه
إذا مات الإلٰه يُصنع قوم ... أماتوه فما هذا الإلٰه؟!!!
وهل أرضاه ما نالوه منه؟ ... فبشراهم إذا نالوا رضاه
وإن سخط الذي فعلوه فيه ... فَقُوَّتُهم إذًا أرهقت قواه

=

....

وضعتها أنثى:

فصل: وذَكر في تفسير ما نَزَل فيهم قَولَ حَنَّةَ أُمِّ مَرْيَم، وهي بنت ماثان: ﴿رَبِّ إنِّي وَضَعْتُها أُنثَى﴾ قال بعضُ أهل التأويل: أشارت إلى معنى الحَيْضِ أن الأُنْثى تحيض، فلا تَخْدُم المسجدَ، ولذلك قال: (وليس الذكرُ كالأُنثى) لأن الذَّكَر لا يَحيضُ، فهو أبدًا في خِدْمَة المسجد، وهذه إشارةٌ حَسَنةٌ. فإن قيل: كان القياسُ في الكلام أن يُقال: وليس الأُنْثى كالذكر، لأنها دُونه، فما باله بدأ بالذَّكَر؟ والجواب: أن الأُنثى إنما هي دُون الذَّكَرِ في نَظَر العَبْدِ لنفْسِه؛ لأنه يَهْوَى ذُكْرَان البنين، وهم مع الأموال زينة الحياة الدنيا وأقربُ إلى فتنة العبد، ونَظَرُ الربِّ للعبد خَيرٌ من نظره لنفسه، فليس الذَّكر كالأُنثى على هذا، بل الأُنثى أَفضلُ في المَوهِبَة، ألا تراه يقول سبحانه: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يشاء إناثًا﴾ فبدأ بذكرِهِنَّ قبلَ الذكور،

= وهل بقي الوجود بلا إلٰهٍ ... سميعٍ يستجيب لمن دعاه
وهل خلت الطباق السبع لما ... ثوى تحت التراب، وقد علاه
وهل خلت العوالم من إلٰهٍ ... يدبرها وقد سُمرت يداه؟
وكيف تخلّت الأملاك عنه ... بنصرهم وقد سمعوا بكاه؟
وكيف أطاقت الخشبان حمل الإلـ ... ـه الحقّ شُدَّ على قفاه؟
وكيف دنا الحديد إليه حتى ... يخالطه ويلحقه أذاه؟
وكيف تمكنت أيدي عداه ... وطالت حيث قد صفعوا قفاه؟
وهل عاد المسيح إلى حياةٍ ... أم المحيي له ربّ سواه؟
ويا عجبًا لقبر ضم ربًا ... وأعجب منه بطنٌ قد حواه
أقام هناك تسعًا من شهور ... لدى الظلمات من حيض غذّاه
وشق الفرج مولودًا صغيرًا ... ضعيفًا فاتحًا للثدي فاه
ويأكل ثم يشرب ثم يأتي ... بلازم ذاك، هل هذا إلٰه؟
تعالى الله عن إفك النصارى ... سَيُسأل كلهم عما افترّ له
أعُبَّاد الصليب لأي معنًى ... يُعَظَّم أو يُقَبَّح مَن رماه؟
وهل تقضي العقول بغير كسرٍ ... وإحراق له ولمن بغاه؟
إذا ركب الإلٰه عليه كرهًا ... وقد شُدّت لتسمير يداه
فذاك المركب الملعون حقًا ... فَدُسْهُ، لا تَبُسْهُ إذ تراه
يهان عليه ربُ الخلق طُرًا ... وتعبده؟ فإنك مِن عداه
فإن عظمته من أجل أن قد ... حوى ربَّ العباد وقد علاه
وقد فُقد الصليب فإن رأينا ... له شكلاً تَذَكرنا سناه
فهلا للقبور سجدت طرًا ... لضم القبر ربك في حشاه؟
فيا عبد المسيح أفق فهذا ... بدايته، وهذا منتهاه

رفع عيسى عليه السلام:

ثم ذكر (سبحانه وتعالى) رَفْعه عيسى إليه حين اجتمعُوا لقتله، فقال: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ واللَّه خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾. ثم أخبرهم وردّ عليهم فيما أقرّوا لليهود بصَلْبه، كيف رفعه وطهَّره منهم، فقال: ﴿إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى إنّي مُتَوَفِّيك وَرَافِعُكَ إليّ ومُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إذ همّوا منك بما همّوا ﴿وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيامَةِ﴾. ثم القصة؛ حتى انتهى إلى قوله: ﴿ذلكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ﴾ القاطع الفاصل الحقّ، الذي لا يخالطه الباطل، من الخَبر عن عيسى، وعمَّا اختلفوا فيه من أمره، فلا تقبلنّ خبرًا غيره. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ فاستمع ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، أي ما جاءك من الخبر عن عيسى ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾، أي قد جاءك الحقّ من ربك فلا تَمْترينّ فيه، وإن قالوا: خُلق عيسى من غير ذَكَر فقد خلقتُ آدم من تراب، بتلك القدرة من غير أُنثى ولا ذَكَر، فكان كما كان عيسى لحمًا ودمًا، وشَعْرًا وبشرًا، فليس خَلْق عيسى من غير ذَكَر بأعْجب من هذا. ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾، أي من بعد ما قصصتُ عليك من خبره، وكيف كان أمره، ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أبناءَنا وأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا ونِساءَكم وأَنْفُسَنا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾.

وفي الحديث: ابدؤوا بالإناثِ، يعني: في الرحمةِ وإدخال السُّرورِ على البنين، وفي الحديث أيضًا: «مَنْ عَال جَارِيَتَيْن دخلتُ أنا وهو الجنةَ كَهاتَيْن»[1] فترتب الكلامُ في التنزيلِ على حَسَبِ الأفْضَلِ في نظر الله للعبد، والله أعلم بما أراد.

المباهلة:

فصل: وذكر دُعاءَه عليه السلامُ أهلَ نَجْران إلى المُبَاهَلَة، وأنهم رَضُوا بِبَذْل الجِزْيَةِ والصّغَارِ، وأنْ لا يُلاعِنُوه، وكذلك رُوي أن بعضَهم قال لبعض: إنْ لاعَنْتُمُوهُ، وَدَعَوْتُمْ باللَّعْنة على الكاذِبِ اضْطَرم الوادي عليكم نارًا، وفي تفسير الكَشِّي أن رسولَ الله ﷺ قال: «لقد تَدَلَّى إليهم العذابُ والذي نَفْسِي بيده لو بَاهَلُوني لاسْتُؤْصِلوا من عَلَى جَدِيدِ الأَرْضِ»[2].

نكتة: في قوله: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم﴾ بدأ بالأبناء والنساء قبل الأنفس. والجواب: أن أهلَ التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم، أي لِيَدْعُ بعضُنا بَعْضًا، وهذا نحو

---

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في البر والصلة (١٤٩) والبيهقي في الآداب (٢٦) بتحقيقي. والحاكم (٤/ ١٧٧).

(٢) انظر صحيح البخاري (٥/ ٢١٧) الفتح (٨/ ٦٧) وأحمد (١/ ٤١٤).

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: قال أبو عُبيدة: نَبْتهل، ندعُو باللعنة، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَّلْتَها حَطَبا ... نَعوذُ من شَرّها يَوْمًا ونَبْتَهِل

وهذا البيت في قصيدة له. يقول: ندعو باللعنة. وتقول العرب: بهَل الله فلانًا، أي لعنه، وعليه بَهْلة الله. (قال ابن هشام): ويقال: بُهلة الله، أي لعنة الله، ونبتهل أيضًا: نجتهد، في الدعاء.

قال ابن إسحٰق: ﴿إنَّ هَذَا﴾ الذي جئتُ به من الخَبر عن عيسى ﴿لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ﴾ من أمره ﴿وَما مِنْ إلَه إلاَّ اللَّهُ وَإنَّ اللَّهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ فإنْ تَوَلَّوا فإنَّ اللَّهَ عَلَيمٌ بالمُفْسِدِينَ قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بعضنا بَعْضًا أَرْبابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. فدعاهم إلى النَّصَف، وَقَطَعَ عنهم الحجة.

إباؤهم الملاعنة:

فلما أتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من الله عنه، والفَصْلُ من القضاء بينه وبينهم، وأُمِر بما أُمر به من مُلاعنتهم إنْ ردّوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك؛ فقالوا له: يا أبا القاسم، دَعْنا نَنْظر في أمرنا، ثم نَأْتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه، ثم خَلَوْا بالعاقِب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبدَ المسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عَرَفتم إن محمّدًا لنبيّ مُرْسل، ولقد جاءكم بالفَصْل من خَبر صاحبكم، ولقد عَلِمتم ما لاعنَ قومٌ نبيًا قطّ فَبقي كبيرُهم، ولا نَبَت صغيرُهم، وإنه للاستئصالُ منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلْف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادِعوا الرجلَ، ثم انصرفوا إلى بلادكم. فأتَوْا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألاّ نُلاعِنك، وأن نَتْركك على دينك ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك تَرْضاهُ لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رِضًا.

قوله: «فسَلِّمُوا على أنفسِكم» في أحد القولين، أي: يسلم بعضُكم على بعضٍ، فَبَدَأ بذكر الأولادِ الذين هم فلَذُ الأكباد، ثم بالنساء التي جعَل بيننا وبينهم مَوَدَةً ورَحْمَةً، ثم مَنْ وراءَهم مَنْ دُعَاءُ بعضِهم بعضًا، لأن الإنسانَ لا يدعو نفسَه، وانتظم الكلام على الأسلوب المُعْتَادِ في إعجازِ القرآن. وفي حديث أهلِ نجران زيادةٌ كثيرة عن ابن إسحٰق من غير رواية ابن هِشَامٍ،

تولية أبي عبيدة أمورهم:

قال محمدُ بن جعفر: فقال رسولُ الله ﷺ: «ائتوني العشيّةَ أبعثْ معكم القويَّ الأمين» قال: فكان عمرُ بن الخطّاب يقول: ما أحببتُ الإمارةَ قطُّ حُبِّي إياها يومئذ، رجاءَ أن أكون صاحبَها، فرُحْتُ إلى الظُّهر مهجِّرًا، فلما صلّى بنا رسولُ الله ﷺ الظهرَ سلَّم، ثم نظر عن يمينه وعن يَساره، فجعلت أتَطاول له لِيرَاني، فلم يزَلْ يلتمس ببَصره حتى رأى أبا عُبيدة بن الجرّاح، فدعاه فقال: «اخرُج معهم، فاقْض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه». قال عمر: فذهب بها أبو عُبيدة[1].

منها أن راهب نَجْرَانَ حين رجع الوفدُ وأخبروه الخَبر رحل إلى النبيّ - ﷺ - فسمع منه وأهْدَى إليه القَضِيبَ[2] والقَعْبَ[3] والبُرْدَ[4] الذي هو الآن عند خُلَفاء بني العبَّاس يَتَوارَثُونه.

---

(١) انظر التخريج السابق.
(٢) القضيب: السيف.
(٣) القعب: القدح الضخم.
(٤) البرد: ضرب من الثياب.

نُبَذ من ذكر المنافقين

ابن أُبيّ وابن صيفي

قال ابن إسحٰق: وقَدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ ـ كما حدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتادَة ـ وسَيِّدُ أهلها عبدُ الله بن أُبَيّ ابن سَلُول العَوْفي ثم أحدُ بني الحُبْلَى، لا يختلف علي في شَرَفه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قَبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، حتى جاء الإسلام، غيرِه، ومعه في الأوْس رجلٌ، هو في قومه من الأوس شريفٌ مُطاع، أبو عامر عبد عَمْرو بن صَيْفيّ بن النُّعمان، أحدُ بني ضُبَيعة بن زيد، وهو أبو حَنْظلة، الغسيل يوم أُحُد، وكان قد ترهَّب في الجاهليَّة ولَبِس المُسوح، وكان يُقال له: الراهب. فَشَقِيا بشَرفهما وضَرَّهما.

سلول

فصل: وذكر قصّة عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول، وسَلولُ: هي أُم أُبَيّ، وهي خُزَاعِيَّة، وهو أُبَيُّ بن مالك من بني الحُبْلَى، واسم الحُبْلَى: سالم والنَّسَبُ إليه: حُبُلِيٌّ بضمتين، كرهوا أن يقولوا: حُبْلَوِيٌّ أو حُبْلِيٌّ أو حُبْلاَوِيٌّ على قياس النَّسَب، لأن حُبْلَى وسَكْرَى ونحوهما إذا كانا اسما لرجُل، لم يَجْرِ في الجمع على حُكم التأنيث، وكذلك فَعْلاَء بالمدّ تقول في جمع رجل اسمه: سَلْمَى أو وَرْقاء الوَرْقَاوُون والسَّلْمُون، وهذا بخلاف تاء التأنيث، فإنك تقول في طَلْحة اسم رجل طَلَحات، كما كنت تقول في غير العَلَمِيَّة، لأن التاءَ لا تكون إلا للتأنيث، والألف تكون للتأنيث وغيره، فلما كانت ألف التأنيث بخلاف تاء التأنيث في الأسماء والأعلام كان النسب إليها مخالفًا للنسب إلى ما فيه ألف التأنيث في غير الأعلام، غير أن هذا في باب النسب لا يَطَّرِد وإن اطَّردَ الجمعُ، كما قدمنا، وكانت النُّكْتَةُ التي خُصَّ بها النسبُ في بَني الحُبْلَى بمخالفة القياس كراهيتَهم لحكم التأنيث فيه لأن الحُبْلَى وصفٌ

إسلام ابن أُبيّ [نفاقًا][1]:

فأما عبد الله بنُ أُبَيّ فكان قومُه قد نَظَموا له الخَرَز ليتوّجوه، ثم يُمَلّكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ، وهم على ذلك. فلما انصرف قومُه عنه إلى الإسلام ضغن، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استَلبه مُلكًا. فلما رأى قومَه قد أبَوْا إلا الإسلام دخلَ فيه كارهًا مُصِرًا على نفاق وضِغْن.

للمرأةِ بالحَبَل، فليس كراهيتُهم لبقاءِ حكم التأنيث فيمن اسمُه سَلْمَى من الرجال ككراهيتهم لبقاء حكم التأنيث فِيمَنْ اسمُه: حُبْلَى؛ فلذلك غَيّروا النسبَ، حتى كأنهم نَسَبوا إلى حُبُل والله أعلم.

وأما سَلُولُ في خزاعة، وقد تقدم عند ذكر حُبْشِيَّة ابن سَلُول قاسمُ رَجُلٍ مصروف، وأما بنو سَلُول بن صَعْصَعَةَ إخوةُ بني عامرٍ فهم: بنو مُرَّةَ بنِ صَعْصَعَة. وسَلُولُ: أُمهم، وهي بنتُ ذُهْل بن شَيْبَان، فجميع ما وقع لابن إسحٰق في السِّيَر من سَلُول: ثلاثةٌ: واحدٌ اسمُ رجل مَصْروف، وثِنتيان غيرُ مَصْروفتين، وهما اللتان ذكرنا.

الملك في العرب:

وذكر أن الأنصار كانوا قَدْ نَظَموا الخَرَزَ لعبد الله بن أُبَيّ لِيُتوِّجُوه ويُمَلِّكُوه عليهم، وذلك أن الأنصارَ يَمَنٌ، وقد كانت الملوكُ المُتَوَّجُون من اليَمَنِ في آلِ قَحْطَانَ، وكان أوّل من تَتَوَّجَ منهم سَبأ بنُ يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ، ولم يُتَوَّجْ من العَرَب إلا قَحْطَانِيٌّ كذلك قال أبو عُبَيْدة، فقيل له: قد تَتَوَّجَ هَوْذَةُ بن عَلي الحنفيّ صاحبُ اليَمامَةِ، وقال فيه الأعْشَى:

من يرى هَوْذَةَ يَسْجُد غيرَ متَّئِبِ — إذا تَعَمَّم فوق التاج أو وَضَعا

وفي الخرزات التي بمعنى التاج يقول الشاعر: [لبيد يذكر الحارث بن أبي شِمَر الغَسَّاني].

رَعَى خَرَزَاتِ المُلْكِ عِشرينَ حِجَّةً — وعِشْرِينَ حتى فَادَ والشَّيْبُ شَامِلُ

وقال أبو عُبَيْدة: لم يَكُن تاجًا، وإنما كانت خَرَزَاتٍ تُنَظَّم، وكان سببُ تَتَوّجِ هَوْذَةَ أنه أجار لَطِيمَةً لِكِسْرى منعها مِمَّن أرادَها من العرب، فلما وفد عليه تَوَّجه لذلك ومَلَّكه.

---

(١) ما بين القوسين زيادة رأيتها لازمة.

إصرار ابن صيفي على كفره:

وأما أبو عامر فأبى إلا الكُفْر والفراقَ لقومه حين اجتمعوا على الإسلام، فخرج منهم إلى مكة ببضْعة عشَر رجلاً مفارقًا للإسلام ولرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ - كما حدّثني محمّدُ بن أبي أُمامة عن بعض آل حَنْظلة بن أبي عامر: «لا تقولوا الراهب ولكن قولوا: الفاسق».

ما نال ابن صيفي جزاء تعريضه بالرسول ﷺ:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني جعفرُ بن عبد الله بن أبي الحَكَيم، وكان قد أدرك وسَمِع، وكا راوِيةً: أن أبا عامر أتى رسولَ الله ﷺ حين قَدِم المدينة، قبل أن يخرج إلى مكة، فقال: ما هذا الدّين الذي جئْتَ بهِ؟ فقال: «جئتُ بالحنيفية دينِ إبراهيم»، قال: فأنا عليها؛ فقال له رسولُ الله ﷺ: «إنك لستَ عليها»؛ قال: بلى، قال: «إنك أدخلتَ يا محمّد في الحَنيفية ما ليس منها»، قال: ما فعلتُ، ولكني جئت بها بيضاء نقية؛ قال: «الكاذبُ أماته الله طريدًا غريبًا وحيدًا - يعرّض برسول الله ﷺ - أي أنك جئتَ بها كذلك». قال رسول الله ﷺ: «أجل، فمن كَذب ففَعل الله تعالى ذلك به». فكان هو ذلك عدوّ الله، خرج إلى مكة، فلما افتتح رسولُ الله ﷺ مكة خَرج إلى الطائف. فلما أسلم أهلُ الطائف لَحِق بالشام. فمات بها طريدًا غريبًا وحيدًا.

الاحتكام إلى قيصر في ميراثه:

وكان قد خرج معه عَلْقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحْوص بن جعفر بن كلاّب، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي، فلما مات اختَصما في ميراثه إلى قيصر، صاحب الرُّوم. فقال قيصر: يرث أهلُ المَدَر أهلَ المدر، ويرث أهلُ الوَبر أهلَ الوبر، فَورِثه كنانةُ بن عبد ياليل بالمَدر دون عَلْقمة.

هجاء كعب لابن صيفي:

فقال كعبُ بن مالك لأبي عامر فيما صنع:

مَـعـاذَ الله مـن عَـمَـلٍ خَـبـيـث ... كَسعْيك فِي العَشيرة عبد عَمْرو

فـإمـا قُـلْـتَ لـي شَـرَفٌ ونَـخْـلٌ ... فـقـدْ مـا بـعْـتَ إيـمـانًـا بـكُـفْـر

....

قال ابن هشام: ويروى:

فـإمـا قـلـت لـي شـرفٌ ومـالٌ

قال ابن إسحٰق: وأما عبدُ الله بن أُبيّ فأقام على شرفه في قومه متردّدًا، حتى غَلبه الإسلامُ، فدخل فيه كارهًا.

خروج قوم ابن أبيّ عليه وشعره في ذلك:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني محمّد بن مُسلم الزُّهريّ، عن عُروة بن الزُّبير، عن أسامة بن زَيد بن حارثة، حبّ رسول الله ﷺ، قال: ركبَ رسولُ الله ﷺ إلى سَعْد بن عُبادة يعوده من شَكْوٍ أصابَه على حمار عليه إكاف، فوقه قَطيفة فَدكية مُخْتَطمة بحبل من ليف، وأرْدَفني رسولُ الله ﷺ خَلْفَه، قال: فمرّ بعبد الله بن أُبيّ، وهو (في) ظل مُزَاحِمِ أُطُمِه.

قال ابن هشام: مزاحم: اسم الأُطُم.

قال ابن إسحٰق: وحوله رجالٌ من قومه. فلما رآه رسولُ الله ﷺ تَذَمّم من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلاً فتلا القرآن ودعا إلى الله عزّ وجلّ، وذكر بالله وحذّر، وبشّر وأنذر قال: وهو زامٌّ لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسولُ الله ﷺ من مَقالته، قال: «يا هذا، إنه لا أحْسَن من حديثك هذا إن كان حقًا فاجلس في بَيْتك فمن

مـزاحـم أطمـه:

فصل: وذكر في حديث عبد الله بن أُبيّ أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ به، وهو ظِلّ مُزاحِم أُطُمِه، وآطامُ المدينة: سُطُوحٌ، ولها أسماء، فمنها مُزَاحِم ومنها الزَّوْرَاءُ أُطُم بني الجُلاّحِ، ومنها معرض أُطُمُ بني ساعدة، ومنها: فارعُ أُطُم بني حُدَيْلَة، ومنها مِسْعَط، ومنها: واقِمٌ، وفي معرض يقول الشاعر:

ونحن دَفَعْنَا عن بُضَاعَة كُلِّها ... ونحن بنينا معرضًا فهو مُشْرِفُ

فأصبحَ مَعْمُورًا طَوِيلاً قَذَالُه ... وتَخْرَبُ آطامٌ بها وتَقَصَّفُ

وبُضَاعَةُ أرضُ بني ساعِدَة، وإليها تُنسَبُ بئرُ بني بُضَاعَةَ. والأَجَشُّ وكان بقُبَاءَ، والحميم والنواحان، وهما أُطُمَانِ لبني أُنَيف وصِرَار وكان بالجَوَّانِيَّة والرَّيَّان والشَّبْعَانُ وهو في تَمْغ. ورَاتِج والأبيض، ومنها عاصم والرَّعْلُ وكان لحُضَيْر بن سِمَاكٍ ومنها خَيْطٌ وواسط وحُبَيْش، والأغلب ومنيع، فهذه آطامُ المدينة ذكر أكثرَها الزبيرُ، والأُطُمُ: اسم مأخوذ من

جاءك له فحدّثه إياه، (و) من لم يأتك فلا تَغُتَّه به، ولا تَأْته في مجلسه بما يَكْره منه». قال: فقال عبدُ الله بن رَواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين: بَلى، فاغْشَنا به، وائتنا في مجالسنا ودُورنا وبُيتنا، فهو والله مما نحبّ ومما أكْرمنا الله به وهدانا له، فقال عبد الله بن أُبيّ حين رأى من خلاف قومه ما رأى:

متى ما يَكُنْ مَوْلاك خَصمُك لا تزل تَـذِلّ وَيَـصْـرَعْـك الـذيـن تُـصَـارِعُ

وهل يَنْهض البازي بغير جَناحه وإن جُذّ يـوْمًـا رِيشُـه فـهـو واقـع

قال ابن هشام: البيت الثاني عن غير ابن إسحٰق.

غضب الرسول ﷺ من كلام ابن أُبيّ:

— قال ابن إسحٰق: وحدّثني الزُّهريّ، عن عُروة بن الزّبير، عن أسامة، قال: وقام رسولُ الله ﷺ، فدخل على سَعْد بن عُبادة، وفي وجهه ما قال عدوّ الله ابن أُبَيّ، فقال: والله يا رسول الله إني لأرى في وَجْهك شيئًا، لكأنك سَمعْتَ شيئًا تكرهه؛ قال: «أجل» ثم أخْبره بما قال ابنُ أُبَيّ: فقال سعدُ: يا رسولَ الله، ارفُق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنّا لَنَنْظِمُ له الخَرز لنتوِّجه، فوالله إنه ليرى أن قد سلبته مُلْكًا.

اتْتَطَم: إذا ارتفع وعلا، يقال: اتْتَطَم عَلَيّ فلانٌ إذا غَضِب وانتَفَخ، والأطمات: نيران معروفة في جبالٍ لا تَخْمُد فيها، تأخذ بأعْنان السماء، فهي أبدًا باقية، لأنها في معادِنِ الكبريت، وقد ذكر المسعودي منها جملة، وذكر مواضعها، وقول عبد الله بن أُبي:

مَتَى ما يَكُنْ مَوْلاكَ خَصْمُك لا تَزَل تَـذِلّ ويَـصْـرَعـكَ الَّـذيـن تُـصَـارِعُ

يقال: إن ابن أُبَيّ تمثّل بهما، ويقال: إنهما الخُفَافِ ابن نُدْبَة وخُفَافُ هو: ابنُ عَمْرو بن الشَّرِيد أحدُ غِرْبانِ العَربِ[١]، وأُمُه. نُدْبَةُ، ويقال فيها: نَدْبَة، ونُدْبَة، وهو سلمى.

وذكر في حديث عبدِ الله أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ دخل على سَعْد بن عُبَادَة يعوده، وفي رواية يونس زيادة، فيها فقه قال: كان سعدُ قد دعاه رجلٌ من الليل فخرج إليه فضربه الرجلُ بسيف فأشْوَاه[٢]، فجاءه النبي ﷺ يعوده من تلك الضَّرْبة، ولامه على خروجه ليلاً، وهذا هو موضع الفقه.

---

(١) أحد غربان العرب: أي أحد سودانهم.

(٢) أي لم يستطع قتله.

ذكر مَن اعتلّ من أصحاب رسول الله ﷺ

مرض أبي بكر وعامر وبلال وحديث عائشة عنهم

قال ابن إسحٰق: وحدّثني هشام بن عروة، وعُمَر بن عبد الله بن عُروة، عن عُروة بن الزُّبير، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما قَدم رسولُ الله ﷺ المدينة، قدِمها وهي أوْبأ أرضِ الله من الحُمَّى، فأصاب أصحابَه منها بَلاءٌ وسُقم، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيِّه ﷺ. قالت فكان أبو بكر، وعامر بن فُهيرة، وبلال، مَوْليا أبي بكر، مع أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فدخلتُ عليهم أعُودهم، وذلك قبل أن يُضْرب علينا الحِجاب، وبهم ما لا يعلمه إلاّ الله من شدّة الوَعْك فدنوتُ من أبي بكر فقلتُ له: كيف تَجِدُك يا أبت؟ فقال:

كلّ امرىءٍ مُصَبَّح في أهله ... والموتُ أدنى من شِراك نَعْلِه

قالت: فقلت: والله ما يدري أُبيّ ما يقول. قالت: ثم دنوتُ إلى عامر بن فُهَيْرَة فقلت له: كيف تجدُك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقِه ... إنّ الجَبان حتفُه من فَوْقه

كلّ امرىء مجاهد بطَوْقه ... كالثَّور يَحْمي جِلْده بِرَوْقه

وعك أبي بكر وبلال وعامر

فصل: وذكر حديث عائشةَ حين وُعِكَ أبو بكر، وبلالٌ وعامرُ بن فُهَيْرَةَ، وما أجابوها بهْ من الرَّجَز فيذكر أن قول عامر:

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقِه

يريد: بطاقته، فيما قال ابن هشام: قالت: فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول!
قالت: وكان بلال إذا تركتْه الحمَّى اضطجع بفناء البيت. ثم رفع عَقيرتَه فقال:

ألا ليتَ شِعْري هل أبيتنّ ليلةً ... بفَجٍّ وَحَوْلي إذْخرٌ وَجَليل
وهل أرِدَنْ يومًا مياهَ مَجِنَّةٍ ... وهل يَبْدُونَ لي شامةٌ وَطفِيل

قال ابن هشام: شامة وطَفيل: جبلان بمكة.

إنه لِعَمْرو بن مَامَةَ، وفي هذا الخبر وما ذُكِرَ فيه من حَنِينهم إلى مكّة ما جُبِلَتْ عليه النفوسُ من حُبِّ الوطن والحنين إليه، وقد جاء في حديث أُصَيْل الغِفَارِيِّ، ويقال فيه: الهُذَلِيّ أنه قَدِم من مكّة، فسألته عائشةُ: كيف تركت مَكَّة يا أُصَيْلَ؟ فقال: تركتُها حين ابْيَضَّت أباطِحُها، وأَحْجَنَ ثُمَامُها، وأَغْدَق إذْخِرُها، وأَمْشَرَ سلَمُها، فاغْرَوْرَقَتْ عينا رسولِ الله - ﷺ - وقال: «لا تُشَوِّقْنَا يا أُصَيْلُ»، ويُروَى أنه قال له: «دَع القُلُوبَ تَقَر»، وقد قال الأول:

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بوادي الخُزَامَى حَيْثُ رَبَّتْنِي أَهْلِي
بلاد بها نِيطَتْ عَلَيّ تمائمي ... وقُطِّعْنَ عَنِّي حِينَ أدركني عَقْلي

وأما قول بلال:

بِفَجٍّ وحَوْلي إذْخِرٌ وجَلِيلُ

فَفَجٌّ موضع خارج مكّة به مُوَيْهٌ يقول فيه الشاعر:

ماذا بِفَجٍّ من الإشْرَاقِ والطِّيبِ ... ومِنْ جَوَارٍ نَقِيَّاتٍ رَعَابِيبِ[1]

وبِفَجٍّ اغتسل رسول الله - ﷺ - وهو مُحرم، والإِذْخِرُ من نبات مكّة. قال أحمد بن داودَ وهو أبو حَنِيفة الدينوري صاحبُ كتاب النبات: الإِذْخِرُ فيما حكي عن الأعراب الأُوَلِ له أصلٌ مُنْدِفِقٌ وقُضْبَانٌ دقَاقٌ، وهو ذَفِر الرِّيح، وهو مِثْل الأصل أصْل الكَوْلاَنِ إلاَّ أنه أعْرَضُ كُعوبًا، وله ثمرة كأنها مَكَاسِح[2] القَصَبِ إلاَّ أنها أَرَقُّ وأصغر. قال أبو زِيَاد، الأَذْخِرُ يُشَبَّه في نباته بنباتِ الأَسَلِ الذي تُعْمَل منه الحُصُرُ، ويُشْبِه نباتُه الغَرَز، والغَرَزُ ضَرْبٌ من الثُّمَام، واحدته: غَرزة، ويُتَّخَذ من الغَرَز الغرابيلُ والأذْخِر أَرَقُّ منه، والإِذْخِر يُطحَن فيدخل

---

(١) رعابيب: جارية رعبوب: أي حسناء، وقيل: الرطبة الحلوة، وقيل: هي البيضاء فقط. اللسان (١/٤٢١).
(٢) مكاسح: مكانس.

دعاء الرسول ﷺ بنقل وباءِ المدينة إلى مهيعة:

قالت عائشة رضي الله عنها: فذكرتُ لرسول الله ﷺ ما سمعتْ منهم، فقلت: إنهم لَيَهْذُون وما يَعْقلُونَ من شدّة الحمى. قالت: فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهمّ حبِّب إلينا المدينة كما حبَّبتَ إلينا مكة، أو أشدّ، وبارك لنا في مُدّها وصاعها وانقل وباءها إلى مَهْيَعَةَ»[1]، ومَهْيَعَةُ: الجُحْفة.

في الطيب، وقال أبو عَمْرو: وهو من الجَنَبَةِ، وقلَّما تنبت الإِذْخِرةُ مُنْفَرِدَةً، وقال في الجَلِيل عن أبي نصر: إن أهلَ الحجاز يُسَمُّون الثُّمَامَ الجَلِيل، ومعنى الجَنَبَةِ التي ذكر أبو عَمْرو: وهو كل نبات له أصُول ثَابتة، لا تَذْهب بذهابِ فَرْعه في الغَيْط، وتُلْقحُ في الخريف، وليست كالشُّجَر الذي يَبقى أصلُه وفرعُه في الغيط، ولا كالنَّجْم الذي يذهب فرعُه وأَصلُه، فلا يعود إلاَّ زرِّيعَتُه جانبَ النَّجْم والشَّجَر، فسُمِّي جَنَبَةً، ويقال لِلْجَنَبَةِ أيضًا: الطريفة، قاله أبو حنيفة. وَمِجَنَّة سَوقٌ من أَسواق العرب بين عُكَاظ وذِي المَجاز، وكلها، أسواق قد تقدم ذكرُها. ومَجَنَّة يجوز أن تكون مَفْعَلَة وفَعلة، فقد قال سيبويه: في المِجَنّ إن ميمه أصلية، وأنه فِعل، وخالفه في ذلك الناسُ وجعلوه مِفعلاً، من جَنَّ إذا ستر، ومن أسواقهم أيضًا حُبَاشَةُ، وهي أبعد من هذه، وأما شَامَة وطَفِيلُ، فقال الخَطَّابي في كتاب الأعلام في شَرْح البخاري: كنت أحْسَبُهما جَبَلين، حتى مررتُ بهما، ووقفت عليهما فإذا هما عَيْنَان من ماءٍ، ويقوِّي قول الخطابي إنهما عَيْنان قَوْل كُثَيِّر:

وما أنْسَ م الأَشْياءِ لا أَنْسَ مَوْقِفًا ... لنا، ولَهَا بالخَبْتِ خَبْتِ طَفيل

والخَبْتُ: مُنْخَفَضُ الأرض.

وذكر قول النبي ﷺ: «اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مَكَّةَ، وبارِكْ لنا في مُدِّها وصَاعِها» يعني الطَّعَامَ الذي يُكَال بالصَّاع، ولذلك قال في حديث آخر: «كيلوا طعامَكم يُبَارَكْ لكم فيه»[2]، وشكا إليه قومٌ سُرْعَةَ فَنَاءِ طعامِهم، فقال: أَتَهِيلون أم تَكِيلُون؟ فقالوا: بل نهيل، فقال: كِيلُوا ولا تَهِيلُوا ومن رواه: «قُوتُوا طعامَكم يُبَارَكْ لكم فيه»[3]، فمعناه عندهم: تصغير الأَرْغِفَةِ، وهكذا رواه البزار من طريق أَبي الدَّرْدَاء، وذَكَر في تفسيره ما قلناه، وذكر

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٠) ومسلم في الحج (٤٨٠) وأحمد (٦/ ٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٨٨) وابن ماجة (٢٢٣١/ ٢٢٣٢) وأحمد (٤/ ١٣١) والطبراني (٤/ ١٤٣)، وانظر الفتح (١١/ ٢٨١).

(٣) «ضعيف جدًا». أخرجه الطبراني (٣/ ١٣٧). وأورده الفتن في التذكرة (١٤٣) وابن الجوزي في اللآلىء (٢/ ١١٧). وأخرجه البزار (٣/ ٣٣٣).

ما جهد المسلمين من الوباء:

قال ابن إسحٰق: وذكر ابن شهاب الزهري، عن عبد الله بن عَمْرو بن العاصي: أن رسول الله ـ ﷺ لما قَدِم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمَّى المدينة، حتى جُهدوا مرضًا، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيِّه ﷺ، حتى كانوا ما يصلُّون إلا وهُمْ قعود، قال: فخرج عليهم رسولُ الله ﷺ وهم يصلُّون كذلك، فقال لهم: «اعلموا أن صلاةَ القاعد

أبو عُبَيْد: المُدَّ في كتاب الأموال، أعني مُدَّ المدينة فقال: هو رَطْلٌ وثُلُث، والرَّطْلُ: مائةٌ وثمانيةٌ وعِشرون دِرهمًا، والدِّرْهَمْ خمسون حَبَّةً وخُمْسَانِ.

وقوله ﷺ: «وانْقُلْ حُمَّاها، واجعلها بمَهْيَعَة»، وهي الجُحْفَةُ، كأنه عليه السلام لم يُرِدْ إبعَاد الحُمَّى عن جميع أرضِ الإسْلاَم، ولو أراد ذلك لقال: انْقُلْ حُمَّاها، ولم يَخُصَّ موضعًا، أو كان يَخُصَّ بلادَ الكفر، وذلك ـ والله أعلم ـ لأنه قد نَهَى عَن سَبِّ الحُمَّى ولَعْنِها في حديث أُم المُسَيَّب[1] وأخبر أنهَا طَهُورٌ[2]، وأنها حَظُّ كلِّ مؤمن من النار[3]، فجمع بين الرِّفق بأصحابه فدَعَا لهم بالشِّفَاء منها، وبَيَّن أَنْ لاَ يُحْرَمُوا أيضًا الأَجْر فيما يُصِيبوا منها، فلم يُبْعِدها كُلَّ البُعْد.

وأما مَهْيَعَةُ، فقد اشتدّ الوباءُ فيها بسبب هذه الدعوة، حتى قيل: إن الطائر يَمُرُّ بغدير خُمَّ فيَسْقَم، وغدير خُمَّ فيها، ويقال: إنها، ما وُلد فيها مَوْلُود فبلَغ الحُلُمَ، وهي أرضُ بُجْعَةٍ لا تُسْكَن، ولا يُقام فيها إقامة دائمة فيما بلغني والله أعلم.

وذكر تحريمَ رسول الله ﷺ المدينةَ، وفي غير هذه الرواية عن ابن إسحٰق عن شُرَحْبِيل بن سعدِ، قال: كنتُ أصطاد في حَرَم المدينة بالوَقَاقِيص، وهي شِبَاك الطَّير، فاصطدت نُهَسًا، فأخذه زيدُ بنُ ثابتٍ، وصَكَّ في قَفَايَ، ثم أرسله.

وذكر حديثَ عبدِ الله بن عَمْرو، وقولَه عليه السلام: «صلاةُ القاعِد على النِّصْفِ من صَلاَةِ القائم»[4] حين رآهم يُصلُّون قُعُودًا من الوَعْكِ، قال: فَتَجَشَّم الناسُ القيامَ على ما بهم من السُّقْم، وهذا الحديث بهذا اللفظ يقوِّي ما تأوَّله الخطابي في صلاةِ القاعد أنها على

---

(١) حديث نهى النبي ﷺ عن سب الحُمَّى: أخرجه مسلم في البرّ والصلة (٥٣) والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٧٧) بلفظ: «لا تسبى الحمى بأنها تذهب خطايا ابن آدم كما يذهب الكير خبث الحديد».

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٣٤٦) وابن حبان (٧٠٤ ـ موارد) والبيهقي في الدلائل (٦/ ١٥٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤) والطبراني في الكبير (٨/ ١١٠) والطحاوي في المشكل (٣/ ٦٨) والبيهقي في الآداب (٩٥٠) بتحقيقي.

(٤) أخرجه مسلم في المسافرين (١٢٠) والنسائي (٣/ ٢٣) وابن ماجة (١٢٢٩/ ١٢٣٠) وأحمد (٢/ ١٩٣).

على النِّصْف من صلاة القائم». قال: فتجشم المُسلمون القيامَ على ما بهم من الضُّعْف والسُّقْم التماسَ الفضل.

بدء قتال المشركين:

قال ابن إسحٰق: ثم إن رسول الله ﷺ تهيَّأ لحربه، قام فيما أَمَره الله من جهاد عدوّه، وقِتال مَنْ أمَره الله به ممَّن يَليه من المُشركين، مُشركي العَرب، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة.

النِّصْفِ من صَلاةِ القائم، ثم قال الخَطَّابي: إنما ذلك للضَّعِيفِ الذي يستطيع القيامَ بكُلْفَةٍ، وإن كان عاجزًا عن القيام البَتَّةَ، فصلاتُه مثلُ صَلاةِ القائم، وهذا كلُّه في الفريضَةِ، والنافلةِ، وخالف أبو عُبَيْد في تَخصيصه هذا الحديث بصلاة النافلةِ في حال الصِّحة، واحَتَجَّ الخطَّابي بحديث عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ، وفيه: وصَلاتُه قائمًا على النِّصفِ من صلاته قاعدًا، قال: وقد أجمعت الأمة أنْ لا يُصَلِّيَ أحدٌ مُضْطَجِعًا إلاَّ مِنْ مَرَضٍ، فدلّ على أنه لم يُرِدْ بهذَا الحديث كلّه إلا المريضَ الذي يَقْدِر على القيام بكُلْفة، أو على القُعُود بمشقة، ونسب بعضُ الناس النَّسَوِيَّ إلى التَّصْحِيفِ في هذا الحديثِ، وقالوا: إنما هو وصلاته نائمًا على النِّصفِ من صلاته قاعدًا، فتوهمه النَّسَوِيُّ قائمًا، أي مُضْطَجِعًا، فترجَم عليه في كتابه: باب صَلاةِ النائم، وليس كما قالوا، فإن في الرواية الثانية: وصلاةُ النائم على النِّصْفِ من صلاة القاعد، ومثل هذا لا يَتَصَحَّف، وقولُ الخطابي: أجمعت الأمَةُ على أن المُضْطَجعَ لا يُصَلِّي في حالِ الصِّحَّةِ نافلةً ولا غيرَها، وافقه أبو عُمَر على ادِّعاء الإجماع في هذه المسألة، وليست بمسألة إجماعٍ كما زَعَما، بل كان مِنَ السَّلَف مَنْ يُجيز للصحيح أن يتَنَفَّل مُضطجِعًا، منهم الحَسَنُ البَصْري، ذكر ذلك أبو عيسى التِّرْمِذيّ في مصنفه.

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدّم عن عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زيادُ بن عبد الله البكّائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال: قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة يوم الاثنين، حين اشتدّ الضحاء، وكادت الشمس تعتَدلَ، لثِنْتي عشرة ليلةً مضتْ من شهر ربيع الأوّل، وهو التاريخ، (فيما) قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: ورسولُ الله ﷺ يومئذ ابنُ ثلاث وخَمْسين سنة، وذلك بعد أن بَعثه الله عزّ وجلّ بثلاثَ عشْرة سنة، فأقام بها بقيَّة شهر ربيع الأوّل، وشهرَ ربيع الآخر، وجمادَيَيْن، ورجبًا، وشعبان، وشهرَ رمضان، وشوّالاً، وذا القعدة، وذا الحجة - وولي تلك الحَجَّة المشركون - والمحرَّمَ، ثم خرج غازيًا في صفر على رأس اثني عشر شهرًا من مَقْدمه المدينة.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سعدَ بن عُبادة.

غزوة ودّان
وهي أول غزواته عليه الصلاة والسلام

موادعة بني ضمرة والرجوع من غير حرب:

قال ابن إسحٰق: حتى بلغ وَدَّان، وهي غزوة الأبْواء، يريد قريشًا وبني ضَمْرة بن

تاريخ الهجرة، وغزوة ودّان[1]

ذكر قدوم رسول الله - ﷺ - المدينةَ يوم الاثنين في شهر ربيع، وقد قدَّمنا في

(١) انظر الطبقات لابن سعد (١/ ٥٩١) الطبري في تاريخه (٢/ ٢٥٩)، زاد المعاد (٣/ ١٦٤) ابن=

بَكْر بن عبد مَناة بن كِنانة، فوَادَعَته فيها بنو ضَمْرة، وكان الذي وادَعه منهم عليهم مَخشِي بن عمرو الضَّمْري، وكان سيدَهم في زمانه ذلك. ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيدًا، فأقام بها بقية صفر، وصدرًا من شهر ربيع الأول.

قال ابن هشام: وهي أَوّل غزوة غزاها.

باب الهجرة ما قاله ابنُ الكَلْبيِّ وغيرُه في ذلك، وفي أي شهر كان قدومُه من شُهُور العَجَم.

وذَكر أنه أقام بالمدينة بقيّة شهر ربيعِ الأول وشهر ربيع الآخر، وجُمَادَين وكان القياسُ أن يقول: وشَهْرَي جُمَادى، أو يقول: وبقيَّةَ ربيعِ وربيعًا الآخر، كما قال في سائر الشهور، ولكن الشهر إذا سميته بالاسم العَلَم، لم يكن ظَرْفًا، وكانت الإقامةُ أو العمل فيه كُلّه إلا أن تقولَ شَهْرُ كذا، كما تقدم من كلامنا على شَهْر رَمَضَانَ في حديث المَبْعَثِ، وكذلك قال سِيبَوَيْه، فقولُ ابن إسحٰق: جُمَادَيْن وَرَجَبًا مستقيم على هذا الأصل.

وقوله: بقية شهر ربيعٍ، فلأن العملَ والإقامة كان في بعضَه: فلذلك لم يقل: بقية ربيع الأوّل، لكنه قال: وشهر ربيع الآخر ليزدَوِجَ الكلامُ ويُشاكل ما قبله، وهذا كلُّه من فصاحتِه رحمه الله أو من فصاحة مَنْ كانَ قَبْلَه إن كان رواه على اللفظ.

وقوله: وجُمَادَيْن وَرَجَبًا. كان القياسُ أن يقول: والجُمَادَيْن بالألِف واللام، لأنه اسمٌ عَلَم، ولا يثنى العَلَم، فيكون معرفةً إلا أن تُدْخِلَ عليه الألِفَ واللام، فتقول: الزَّيْدَان والعُمَران، لكنه أجراه بفصاحته مجرى أَبَانيْن وقَنَوَين، وكل واحد من هذين اسمٌ لجبلَين، ولا تدخله الألِفُ واللام، لأن تعريفَه لم يَزُلْ بالتَّثْنية، لأنهما أبدًا متلازمان، فالتثنية لازمةٌ لهما مع العَلَميّة بخلاف الآدميين، ولما كان جُمَادَيَان شَهْرَيْن مُتَكَارِهَيْن جعلهما في الزمان كأَبَانَيِن في المكان، ولم يجعلهما كالزَّيْدَين والعُمَرَيْن اللذين لا تلازُمَ بينهما، وهذا كلامُ العرب. قال الحُطَيْئَةُ:

باتت له بكَثِيب جَرْبَةَ ليلة   وطَفَاء بين جُمَادَين دَرُور

فإن قلت: فقد قالوا: السِّمَاكَين في النجوم، وهما متلازمان، وكذلك السرطان، قلنا: إنما كان ذلك لوجود معنى الصفة فيهما، وهو عنده من باب الحارث، والعباس في الآدميين، وأكشف سرَّ العلَمية في الشهور والأيام وتقسيم أنواع العلمية، والمراد بها في

= سيّد الناس (١/ ٢٢٤) شرح المواهب (١/ ٣٩٢) البداية (٣/ ٢٤٠) المنتظم (٣/ ٨٠) البخاري (٧/ ٢١٧).

سرية عبيدة بن الحارث
وهي أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحٰق: وبعث رسولُ الله ﷺ، في مُقامه ذلك بالمدينة عُبَيدةَ بن الحارث بن المطَّلب بن عبد مناف بن قُصَيّ في ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز، بأسفل ثنيَّة المُرة، فلقي بها جَمْعًا عظيمًا من قُريش، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقَّاص قد رَمى يومئذ بسَهم، فكان أوّل سهم رُمي به في الإسلام.

مَن فرّ من المشركين إلى المسلمين:

ثم انصرف القومُ عن القوم، وللمسلمين حامية. وفرّ من المُشركين إلى المسلمين المِقْدادُ بن عمرو البَهْراني، حليفُ بني زُهْرة، وعُتْبة بن غَزْوان بن جابر المَازني، حليف بني نَوْفل بن عبد مناف، وكانا مُسْلِمين، ولكنهما خَرجا ليتوصَّلا بالكفَّار. وكان على القوم عِكْرمةُ بن أبي جَهْل.

قال ابن هشام: حدّثني ابن أبي عَمْرو بن العَلاء، عن أبي عمرو المدنيّ: أنه كان عليهم مِكْرَز بن حَفْص بن الأَخْيف، أحد بني مَعِيص بن عامر بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر.

موضع غير هذا، وإنما أعجبتني فصاحةُ ابن إسحٰق في قوله: بقيةَ شهر كذا وشهر كذا وجُمادَيْن ورجَبًا وشَعْبانَ ونزَّل الألفاظَ عند منازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها، يرحمه الله.

غزوة عبيدة بن الحارث[1]

وذكر في غزوة عُبَيْدَةَ ولقائه المشركين: وعلى المشركين مِكْرَز بن حَفْصِ بن الأَخْيَفِ، هكذا الرواية حيث وقع بكسر الميم. وذكر ابن ماكولا في المؤتلف والمختلِفِ عن أبي عبدة النسابة أنه كان يقول فيه مَكْرَز بفتح الميم، وكأنه مِفْعَلُ أو مَفْعَل من الكَرِيز، وهو الأقِطُ[2] وكذلك ذكر هو وغيره في الأَخيف ههنا أنه بفتح الهمزة وسكون الخاء، وكان ابن ماكُولا وحده يقول في الأُخَيفِ من بني أُسَيْدِ بن عَمْرو بن تَمِيم، وهو جد الخَشْخَاشِ التميمي: أُخَيْف بضم الهمزة وفتح الخاء، وقال الدارقطني: أَخْيَف كما قالوا في الأول.

---

(١) انظر المغازي للواقدي (١/ ١٠) تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٤) الطبقات لابن سعد (٢/ ٧) البداية والنهاية (٣/ ٢٣٤) المنتظم (٣/ ٨٠) الاكتفاء (٢/ ٣) الزاد (٣/ ١٦٣).

(٢) الأقط: اللبن المجفف.

شعر أبي بكر فيها

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، في غَزوة عُبيدة بن الحارث ـ قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر رضي الله عنه:

أمِن طَيْفِ سلْمى بالبِطاح الدَّمائِثِ ... أرِقْتَ وأمرٍ في العَشيرة حادثِ
تَرى من لُؤيٍّ فرْقَةً لا يصدّها ... عن الكُفر تذكيرٌ ولا بَعْثُ باعثِ
رَسُولٌ أتاهُمْ صَادِقٌ فتَكَذَّبُوا ... عليه وقالوا: لستَ فينا بماكثِ
إذا ما دَعَوْناهم إلى الحَقّ أدْبرُوا ... وهَرُّوا هَريرَ المُحْجَرات اللَّواهث
فكَمْ قد متَتْنا فيهمُ بقَرابَةٍ ... وتَرْكُ التُّقى شيءٌ لهمْ غيرُ كارِثِ
فإنْ يَرْجعوا عن كُفرهم وعُقوقهم ... فمَا طَيبات الحلّ مثلُ الخَبائث
وإنْ يَرْكبوا طُغيانهم وضلالَهم ... فليسَ عذابُ الله عنهم بلابِث
ونحن أناسٌ من ذُؤابة غالب ... لنا العزُّ منها في الفُروع الأثائث
فأُولي بربّ الرّاقِصاتِ عشِيَّةً ... حَراجِيجُ تَخْدِي في السَّريح الرثائث

شرح القصيدة المنسوبة
إلى أبي بكر وقصيدة ابن الزبعرى وأبي جهل

فصل: وذكر ابن إسحاق القصيدةَ التي تُعْزَى إلى أبي بكر، ونقيضتها لابن الزِّبَعْرَى، والزِّبَعْرَى في اللغة السَّيِّىءُ الخلُقِ، يقال: رجل زِبَعْرَى، وامرأة زِبَعْرَاة، والزِّبَعْرَى أيضًا البعير الأَزَبُّ الكثير شَعْرِ الأُذُنَيْن مع قصَرٍ، قاله الزبير. وفي هذا الشعر أو الذي بعده ذكر الدَّبَّة وهو الكَثِيبُ من الرَّمْل، وأما الدُّبَّة بضم الدال فإنه يقال: جرى فُلان على دُبَّة فُلان أي على سُنَّتِه وطريقته، والدَّبَّة أيضًا ظرف للزيت[1]، قال الراجز:

ليك بالعنف عِفَاص الدَّبَّة

والدِّبَّة بكسر الدال هيئةُ الدبيب، وليس فيها ما يشكل معناه.

وقوله:

... تَخدِي في السَّرِيح الرَّثائث

---

(١) الدُّبَّة: الحال: ورَكبتُ دُبَّتَهُ ودبّه: أي لزمت حاله وطريقته، وعملت عمله، ودبّة الرجل: طريقته من خير أو شر. اللسان (١/ ٣٧٢).

كأذم ظِباء حول مكّةَ عُكَّفِ   يَرِدْن حياضَ البئر ذات التَّبائث
لئن لم يُفيقوا عاجلاً من ضَلالهم   ولَسْتُ إذا آلَيْتُ قَوْلاً بِحانِثِ
لَتَبْتَدِرَنَّهُمْ غارةٌ ذاتُ مَصْدَقٍ   تُحرّم أطهار النِّساء الطَّوامث
تُغادر قَتْلى تَعْصِب الطيرُ حولهم   ولا تَرأفُ الكفّارَ رأفَ ابن حارث
فأبْلِغْ بني سَهْم لَدَيْك رسالةً   وكلَّ كَفورٍ يبتغي الشرّ باحث
فإنْ تَشْعَثوا عِرْضي على سُوء رأيكم   فإنيَ من أعْراضكم غيرُ شاعث

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهمي فقال:

أمِنْ رَسْم دارٍ أقْفَرَتْ بالعَثاعِث   بكيتَ بعينٍ دمعُها غيرُ لابثِ
ومِن عَجَبِ الأيّام والدَّهرُ كلُّه   له عجبٌ من سابقاتٍ وحادث
لجيْشٍ أتانا ذي عُرامٍ يَقُوده   عُبيدةُ يُدْعى في الهياج ابنَ حارث
لِنَتْركَ أصْنامًا بمَكَّةَ عُكَّفا   مَوَارِيثَ مَوْرُوثٍ كريمٍ لِوَارِث
فَلَمَّا لَقيناهم بسُمْرٍ رُدَيْنةٍ   وجُرْدٍ عِتاقٍ في العَجاجِ لَوَاهِث
وبيضٍ كأنّ المِلْحَ فوق مُتُونها   بأيدِي كُماة كاللُّيُوث العوائث

السريح: شِبْه النعل تلبسه أخفافُ الإبل، يريد: أن هذهِ الإبلَ الحَرَاجِيجَ، وهي الطِّوال تَخدِي أي: تُسرع في سَرِيح قد رَثَّ من طُول السير. قال الشاعر:

دَوَمى الأيْد يَخبِطن السريحا

وذكر العَثَاعَث، واحدها: عَثْعَث، وهو من أكرم منابت العشب، قاله أبو حنيفة، وفي العَيْن: العَثْعَث ظَهْرُ الكَثِيب الذي لاَ نبَات فيه[1].

وذكر ابنُ هشام أن قومًا من أهل العلم بالشعر أنكروا أن تكونَ هذه القصيدةُ لأبي بكر، ويشهد لِصِحَّةِ مَنْ أنكر له ما رَوَى عبدُ الرزَّاق عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوة عن عائشة قالت: «كَذَب مَنْ أخبركم أنَّ أبا بكرٍ قال بيتَ شعرٍ في الإسلام»[2] رواه محمدٌ البخاري عن أبي المتوكل عن عبد الرزاق. وقول ابن الزِّبْعرى: بين نَسْءٍ وطَامِث، والنَّسْءُ: حمل المرأة

---

(١) العثعث: قال أبو حنيفة: العثعث من مكارم المنابت، والعثعث أيضًا: التراب وعثعثه: ألقاه في العثعث، وعثعث الرجل بالمكان: أقام به، والعثعث: الفساد، والعثعث: الشدائد. اللسان (١٦٨/٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٣٧/٣).

نقِيم بها إضعار مَنْ كان مائِلاً ونشُفي الدُّخُولَ عاجلاً غيرَ لابث
فكفوا على خَوْف شدُيدٍ وهَيْبة وأعجبهم أمرٌ لهم أمرُ رائث
ولو أنَّهم لم يفْعَلُوا ناحَ نِسوَةٌ أيَامى لهم، مِنْ بين نَسْءٍ وطامِثِ
وقد غُودرتْ قَتلى يُخَبِّر عنهمُ حَفِيٌّ بهم أو غافلٌ غيرُ باحث
فأبْلغْ أبا بَكرٍ لَدَيْكَ رِسالةً فما أنت عن أعْراضِ فِهْرٍ بماكث
ولمَّا تَجِبْ مني يمينٌ غليظة تُجدّد حزبًا حَلْفَةٌ غيرَ حانِث

قال ابن هشام: تركنا منها بيتًا واحداً، وأكثرُ أهل العلمِ بالشعر يُنكر هذه القصيدة لابن الزِّبَعْرَى.

شعر ابن أبي وقاص في رميته:

قال ابن إسحٰق: وقال سعد بن أبي وقّاص في رَمْيته تلك فيما يذكرون:

ألا هَل أتى رسولَ الله أني حَمَيْتُ صحابَتي بصُدور نَبْلي
أذُود بها أوائلَهم ذيادًا بكلّ حُزُونة وبكلّ سَهْل
فما يَعْتَدُّ رامٍ في عَدُوّ بسَهْم يا رسول الله قَبْلي
وذلكَ أنَّ دينَك دينُ صِدْقٍ وذُو حَقٍّ أتيتَ به وعَدل
ينجَّى المُؤمنون به، ويُجزى به الكفَّار عند مقام مَهْل
فمَهْلاً قد غَويتَ فلا تَعِبْنِي غَويَّ الحيّ ويحك يابن جَهْل

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكِرها لسَعْد.

في أوله، والطَّامِثُ معرُوفٌ يقال: نُسِئَتْ المرأةُ [نَسأً] إذا تأخر حَيْضُها من أجل الحَمْل. من كتاب العين.

وقولُ أبي بكر: رَأْبَ ابن حارث. يعني: عُبَيْدَة بنَ الحارثِ بن عبد المطَّلب.

أسماء ممنوعة من التنوين:

وقول أبي جهل:

ووزَعَني مَجْدِي عنهم وصُحْبَتي

أول راية في الإسلام كانت لعبيدة:

قال ابن إسحٰق: فكانت رايةُ عُبيدة بن الحارث ـ فيما بلغني ـ أوّل راية عقدَها رسولُ الله ﷺ في الإسلام، لأحد من المسلمين. وبعضُ العلماء يزعُم أنّ رسولَ الله ﷺ بَعثه حين أقبل من غزوة الأبواء، قبل أن يصِل إلى المدينة.

سرية حمزة إلى سيف البحر:

ما جرى بين المسلمين والكفار:

وبعث في مَقامه ذلك، حَمزةَ بن عبد المطلب بن هاشم، إلى سِيف البَحْرِ، من ناحية العِيص، في ثلاثين راكبًا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد. فلقي أبا جَهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مائة راكب من أهل مكة. فحجز بينهم مَجْديُّ بن عَمرو الجُهنيّ. وكان مُوادِعًا للفريقين جميعًا، فانصرف بعضُ القوم عن بَعْضٍ، ولم يكن بينهم قتال.

كانت راية حمزة أوّل راية في الإسلام وشعر حمزة في ذلك:

وبعضُ الناس يقول: كانت رايةُ حمزة أوّل راية عَقدها رسولُ الله ﷺ لأحد من المسلمين. وذلك أن بعْثه وبَعْث عُبيدة كانا معًا، فشُبِّه ذلك على الناس. وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شعرًا يَذْكر فيه أنّ رايته أوّل راية عقَدها رسولُ الله ﷺ، فإنْ كان حمزة قد قال ذلك، فقد صَدق إن شاء الله، لم يكن يقول إلا حقًا، فالله أعلم أيّ ذلك كان. فأمَّا مَا سَمعنا من أهل العلم عندنا. فعُبيدة بن الحارث أوّل من عُقد له. فقال حمزة في ذلك، فيما يزعمون:

ترك صَرْف مَجْدي[1]، لأنه علَم، وترْك التنوين في المعارف كلها أَصلٌ لا يُنوّن مُضمَر ولا مُبْهَمٌ، ولا ما فيه الألف واللام ولا مضاف، وكذلك كان القياسُ في العَلَم، فإذا لم يُنَوَّن في الشِّعْر فهو الأصل فيه، لأن دخولَ التنوين في الأسماء إنما هو علامة لانفصالها عن الإضافة، فما لا يُضاف لا يَحتاج إلى تنوين، وقد كشفنا سرَّ التنوين وامتناع التنوين والخَفْضِ مما لا يَنْصَرِف في مَسْأَلَةٍ أفردناها في هذا الباب، وأتينا فيها بالعَجَبِ العُجَابِ، والشواهدُ على حذف التنوين في الشعر من الاسم العلَم كثيرةٌ جدًا، فتأمله في أشعار السِّيَر والمغازي تجدْها، وعرضُنا في شرح هذه الأشعار الواردة في كتاب السيرة أن نشرح منها ما اسْتَغْلَق لفظُه جدًّا، أو غَمضَ إعرابُه على شَرْطنا في أول الكتاب.

---

(١) هو: مجدي بن عمرو الجهني. انظر المنتظم (٣/ ٨٠).

قال ابن هشام: وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضي الله عنه:

ألا يا لَقَوْمي للتحلُّم والجَهْل ... وللنَّقْص من رأي الرّجال وللعقْلِ
وللرَّاكِبِينا بالمَظالِم لم نَطَأْ ... لهُم حُرُماتٍ من سَوَامٍ ولا أهْلِ
كأنَّا تَبَلْناهم ولا تَبْلَ عندَنا ... لهم غيرُ أمر بالعَفاف وبالعَدْل
وأمرٍ بإسلامٍ فلا يقبلونه ... ويَنزِل منهم مِثلَ منْزلة الهَزلْ
فمَا بَرِحوا حتى انْتَدبْتُ لغارة ... لهم حيث حلُّوا أبتَغي راحة الفَضْل
بأمرِ رسول الله، أوّل خافِق ... عليه لواءٌ لم يكن لاحَ من قَبلي
لواءٌ لَدَيْه النَّصرُ من ذي كرامةٍ ... إلهٍ عزيزٍ فعلُه أفضلُ الفِعْل
عشِيَّةَ سارُوا حاشِدِين وكلُّنا ... مرَاجله من غَيْظِ أصحابِهِ تَغلي
فلمَّا تَراءيْنا أناخُوا فعقَّلوا ... مَطايا وعقَّلنا مدَى غَرَضِ النَّبْل
فقُلْنا لهم: حبل الإله نَصِيرنا ... وما لكم إلا الضَّلالةُ مِن حَبْل
فثار أبو جَهْل هنالك باغِيًا ... فخابَ وردَّ الله كَيْدَ أبي جَهْل
وما نحنُ إلا في ثَلاثين راكبًا ... وهُمْ مِئتان بعد واحدةٍ فَضْلِ
فَيَا لُلؤَي لا تُطِيعُوا غُوَاتَكم ... وفيئُوا إلى الإسلامِ والمنهجِ السَّهْلِ
فإني أخافُ أن يُصَبَّ عَلَيْكُم ... عذابٌ فَتدعوا بالنَّدامة والثُّكلِ

روايـة شعـر الكفـرة:

لكني لا أعرِض لشيء من أشعار الكَفَرة التي نالوا فيها من رسول الله ﷺ إلا شعر مَنْ أسلم وتَابَ كضِرَار وابن الزِّبَعْرى، وقد كرِه كثيرٌ من أهل العلم فعل ابن إسحٰق في إدخاله الشعرَ الذي نِيلَ فيه من رسول الله ـ ﷺ ـ ومِن الناس مَن اعتذر عنه: قَال حكاية الكُفْرِ ليسَ بكفر والشعرُ كلامٌ، ولا فرقَ أن يُروى كلامُ الكفَرة ومُحَاجَّتُهم للنبي ﷺ وردُّهم عليه مَنْثورًا وبين أن يُروى منظومًا، وقد حكى ربُّنا سبحانه في كتابه العزيز مقالاتِ الأُمم لأنبيائها، وما طَعَنوا به عليهم، فما ذُكِر من هذا على جهة الحكايةَ نظْمًا أو نثرًا فإنما يُقْصَد به الاعتبارُ بما مضى، وتَذَكُّرُ نعمة الله تعالى على الهدَى، والإنقاذ من العَمَى. وقد قال عليه السلام: «لأن يَمْتَلىءَ جَوْفُ أحدِكم قيْحًا خيرٌ له من أن يَمْتَلِىءَ شِعْرًا»[1] وتأوَّلته عائشةُ رضي الله عنها في الأشعار

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٥) ومسلم في الشعر (٧/ ٨/ ٩/ ١٠) وأبو داود (٥٠٠٩) بتحقيقي. والترمذي (٢٨٥١) وابن ماجة (٣٧٥٩/ ٣٧٦٠) وأحمد (١/ ١٧٥/ ١٧٧).

شعر أبي جهل في الرد على حمزة:

فأجابه أبو جهل بن هشام، فقال:

عجِبْتُ لأسبابِ الحَفيظة والجَهل — وللشَّاغِبينَ بالخِلافِ وبالبُطْل
وللتَّارِكِينَ ما وجَدْنا جُدُودَنا — عليه ذوي الأحْساب والسُّؤدد الجَزْل
أتَوْنا بإفْكٍ كيْ يُضِلُّوا عقُولَنا — وليس مُضِلاً إفْكُهم عقلَ ذي عقل
فقُلْنا لَهُمْ: يا قومنا لا تخالِفوا — على قومكم إنَّ الخلافَ مدى الجَهْل
فإنَّكم إن تَفْعَلوا تَدْعُ نسوةٌ — لهنَّ بواكٍ بالرَّزيَّةِ والثُّكْل
وإن تَرْجِعوا عمَّا فعلتم فإنَّنا — بَنو عَمِّكم أهلُ الحَفائِظ والفَضْل
فقالوا لنا: إنَّا وَجَدْنا محمدًا — رِضًا لذوي الأحلام منا وذي العَقْل
فلمَّا أبَوْا إلا الخلافَ وزيَّنوا — جِماعَ الأُمور بالقَبيحِ مِنَ الفِعل
تَيَمَّمتهُمْ بالسَّاحِلَيْنِ بغارةٍ — لأتْرُكهم كالعَصْف ليس بذي أصْل
فَورَّعني مَجْدِي عنهم وصُحْبتي — وقد وَازَرُوني بالسُّيوف وبالنَّبْل
لإِلٍ علينا واجبٍ لا نضيعه — أمينٌ قواه غير مُنْتَكِث الحَبْل
فلولا ابنُ عَمْرو كنتُ غادرتُ منهم — مَلاحم للطَّير العُكُوف بلا تَبْل
ولكنَّه آلى بإلٍ فقَلَّصت — بأيمَاننا حدُّ السّيوف عن القَتل
فإنْ تُبْقِني الأيَّامُ أرجعْ عليهم — ببيضٍ رِقاق الحدّ مُحْدَثة الصّقْلِ
بأيْدي حُماةٍ من لُؤَيّ بن غالب — كرام المساعي في الجُدوبة والمَحْل

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبي جهل.

التي هُجِي بها رسول الله - ﷺ - وأنكرت قولَ مَنْ حمله على العُموم في جميع الشعرِ، وإذا قلنا بما رُوِي عن عائشةَ في ذلك، فليس في الحديث إلا عيب امتلاءِ الجوفِ منه. وأما رواية اليسير منه على جهة الحكاية، أو الاستشهاد على اللغة، فلم يدخل في النهي، وقد ردّ أبو عُبَيْد على من تأوَّل الحديثَ في الشعر الذي هُجِي به الإسلامُ، وقال: رواية نصف بيت من ذلك الشعر حرامٌ، فكيف يُخَصُّ امتلاءُ الجوف منه بالذم، وعائشة أعلم، فإن البيتَ والبيتين والأبيات من تلك الأشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام المنثور الذي ذَمُّوا به رسول الله - ﷺ - لا فرق وقول عائشة الذي، قدمناه ذكره ابن وَهْبٍ في جامعه، وعلى القول بالإباحة، فإن للنفسَ تَقَذُّرُ تلك الأشعارَ وتبغضها وقائليها في الله، فالإعراض عنها خيرُ من الخَوْضِ فيها والتتبع لمعانيها.

غـزوة بـواط

قال ابن إسحٰق. ثم غزا رسولُ الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل يريد قريشًا.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائبَ بن عثمان بن مَظعُون.

قال ابن إسحٰق: حتى بلغ بُواط، من ناحية رَضْوَى، ثم رجعَ إلى المدينة ولم يَلق كيدًا، فلبث بها بقيَّةَ شهر ربيع الآخر، وبعض جمادى الأولى.

غـزوة العشيرة

أبو سلمة على المدينة:

ثم غزا قريشًا، فاستعمل على المدينة أبا سَلمة بن عبد الأسد، فيما قال ابن هشام.

غـزوة بـواط[1]

وبُوَاطٌ جبلان فرْعان لأصْل، وأحدُهما: جَلْسِيٌّ، والآخر غَوْرِيّ، وفي الجلِسي بنو دِينارِ [موالي بني كُلَيْب بن كثير] يُنْسَبون إلى دينار مولى عبد الملك بن مَرْوَان.

ذكر فيه استخلافَ رسول الله - ﷺ - على المدينةِ السائبَ بنَ مَظْعُونٍ، وهو أخو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وَهْبِ بن حُذَافَة بن جُمَح، شهد بدرًا في قول ابن إسحٰق، ولم يذكره موسى بن عُقْبَة في البَدْرِيِّين، وأما السَّائب بن عثمان وهو ابن أخي هذا، فشهد بدرًا في قول جميعهم إلا ابن الكلبي، وقتل يوم اليمامة شهيدًا.

غـزوة العشيرة[2]

يقال فيها: العُشَيْرَة والعُشَيْراء وبالسين المهملة أيضًا العُسَيْرَة والعُسَيْراء، أخبرني بذلك الإمامُ الحافظُ أبو بكر رحمه الله، وفي البخاري: أن قَتَادَةَ سُئِل عنها فقال: العُشَيْر[3]، ومعنى العُسَيْرة والعُسَيْراء، أنه اسم مُصَغَّر من العَسْرَاءِ والعُسْرَى، وإذا صغر تصغير التَّرْخيم

---

(١) انظر المغازي للواقدي (١/ ١٢) البداية والنهاية (٣/ ٢٤٦) المنتظم (٣/ ٨٩) تاريخ الطبري (٣/ ٤٠٧) الطبقات لابن سعد (٢/ ١/ ٣) الاكتفاء (٢/ ٨) الزاد (٣/ ١٦٥) ابن سيد الناس (١/ ٢٢٦).

(٢) انظر المغازي للواقدي (١/ ١٢/ ١٣) البداية والنهاية (٣/ ٢٤٦) تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٨) الاكتفاء (٢/ ٨) المنتظم (٣/ ٩٠) الطبقات لابن سعد (٢/ ١/ ٤) الدلائل للبيهقي (٣/ ٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٢١٧) معلقًا.

الطريق إلى العشيرة:

قال ابن إسحٰق: فسلك على نَقْب بني دِينار، ثم على فَيْفاء الخَبار، فنزل تحت شجرة ببَطْحاءِ ابنِ أزْهَر، يقال لها: ذات الساق، فصلّى عندها. فثَمَّ مسجدُه ﷺ، وصُنع له عندها طعامٌ، فأكل منه، وأكل الناس معه، فمَوْضع أثافي البُرْمة مَعْلوم هنالك، واستُقِيَ له من ماء به، يقال له: المُشْتَرِب، ثم ارتحل رسولُ الله ﷺ فترك الخَلائِق بيسار، وسلك شُعْبة يقال لها: شُعْبة عبد الله، وذلك اسمُها اليوم، ثم صَبَّ لليسار حتى هَبطَ يَلْيَل، فنزل بمُجْتمعه ومُجْتمع الضَّبُوعة، واستقى من بِئر بالضَّبُوعة، ثم سلك الفَرْش: فَرْشَ مَلَل، حتى لَقِي الطَّريقَ بصُخَيْرات اليمام، ثم اعتدل به الطريقَ، حتى نزل العُشيرة من بطن يَنبُع. فأقام بها جُمادى الأولى ولَيالي من جُمادى الآخرة، وادع فيها بني مُدْلِج وحلفاءَهم من بني ضَمْرة، ثم رَجَع إلى المدينة، ولم يَلْق كيدًا.

قيل: عُسَيْرة، وهي بقلة تكون أُذَنَةً أي عَصِيفَة، ثم تكون سِحَاء، ثم يقال لها: العَسْرى. قال الشاعر:

وما مَنَعناها الماء إلا ضَنانَةً ... بأطْرَاف عَسْرَى شَوْكُها قد تَخَدَّدَا

ومعنى هذا البيت كمعنى الحديث: «لا يُمْنَعُ فَضْلُ الماءِ ليُمْنَع به الكَلأُ»[1]. وأما العُشَيْرة بالشين المنقوطة، فواحدة العُشَر مُصَغَّرة.

وذكر فيها الضَّبُوعَة، وهو: اسم موضع، وهو فَعُولَةَ مَنْ ضَبَعَتِ الإبلُ: إذا أمرَّت أضبَاعَها في السَّيْر[2] وفي الضَّبُوعَةِ نزل عند شَجَرة، يقال لها: ذات السَّاقِ، وابتنى ثَمَّ مَسْجِدًا، واسْتَسْقَى من ماءٍ هنالك يقال له المشيرب كذلك جاء في رواية البَكَّائِي وغيرهِ عن ابن إسحٰق.

وذكر فيه ملَلاً، وهو اسم موضع يقال: إنه إنما سُمِّي مَلَلاً؛ لأن الماشي إليه من المدينة لا يبلغه إلاَّ بعد جهد ومَلَلٍ، وهو على عشرين ميلاً من المدينة، أو أكثر قليلاً وذكر الحَلائِقَ وهي آبار معلومة.

ورواه غير أبي الوليد الخَلائِقَ بخاءٍ منقوطة، وفسرها بعضهم: جمع خَلِيقَة وهي البئر التي لا ماءَ فيها، وأكثر روايات الكتاب على هذا فالله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٤) ومسلم في المساقاة (٣٦) وأبو داود (٣٤٧٣) بتحقيقي. والترمذي (١٢٧٢) وابن ماجة (٢٤٧٨).

(٢) أي أسرعت في السير.

تكنية علي بأبي تراب

وفي تلك الغَزْوة قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام ما قال.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني يزيد بن محمد بن خَيْثَم المُحاربي، عن محمد بن كعب القَرَظيّ، عن محمد بن خيثم أبي يزيد، عن عمَّار بن ياسر، قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غَزْوة العَشِيرة، فلمّا نَزَلها رسول الله ﷺ وأقام بها، رأينا أُناسًا من بني مُدْلج يَعْملون في عَيْن لهم وفي نَخْل، فقال لي عليُّ بن أبي طالب: يا أبا اليَقْظَان، هل لك في أن تَأْتي هؤلاء القوم، فننظر كيف يعملون؟ قال: قلت: إن شئت، قال: فجئْناهم، فنَظَرْنا إلى عملهم ساعةً، ثم غَشِيَنا النَّومُ. فانطلقتُ أنا وعليّ حتى اضطجعنا في صُور من النخل، وفي دَقْعاء من التراب فنمنا، فوالله ما أهَبَّنا إلا رسولُ الله ﷺ، يُحرّكنا برِجْله. وقد تَتَرَّبْنا من تلك الدَّقْعاء التي نِمْنا فيها، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب: «ما لك يا أبا تُراب؟» لما يَرى عليه من التراب، ثم قال: «ألا أُحدّثكما بأشْقى الناس رَجُلَيْنِ؟» قلنا: بلى يا رسولَ الله، قال: «أُحَيْمر ثَمود الذي عَقَر النَّاقة، والذي يَضْربك يا عليّ على هذه ـ ووضع يده على قَرْنه ـ حتى يَبُلّ منها هذه». وأخذ بلحْيته[1].

وذكر فَرْشَ مَلَلٍ، والفَرْشُ فيما ذكر أبو حنيفة: مكانٌ مُسْتَوٍ نَبْتُه العُرْفُطُ والسَّيَالُ والسَّمُرُ يكون نحوًا من ميل أو فَرْسَخ، فإن أنبت العُرْفُطَ وحده فهو وَهْطٌ، وإن أنبت الطَّلْحَ وحده، فهو غَوْلٌ وجمعه غيلان على غير قياس، وإن أنبت النَّصِيَّ والصُّلِّيَانَ، وكان نحوًا من ميلين قيل له: لُمِعَة.

تكنية علي بأبي تراب

وذكر حديثين في تَكْنِية علي بأبي ترابٍ، وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه: وهو أن رسول الله ـ ﷺ ـ وجده في المسجد نائمًا وقد تَرِب جنبُه، فجعل يَحُتُّ الترابَ عن جنبه، ويقول: قم أبا تراب، وكان قد خرج إلى المسجد مغاضبًا لفاطمة[2]، وهذا معنى الحديث، وما ذكره ابن إسحٰق من حديث عَمَّار مخالف له، إلا أن يكونَ رسول الله ﷺ كنّاه بها مرتين، مَرَّةً في المسجدِ، ومَرَّة في هذه الغزوة، فالله أعلم.

أشقى النـاس:

وذكر أشقى الناس قال: وهو أحَيْمرِ ثمود الذي عَقَر ناقةَ صالحِ واسمه: قدَارُ بن

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/١٤١).

(٢) أخرجه البخاري (١/٤٤٦) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٩).

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ إنما سَمّى عليًا أبا تراب، أنهُ كان إذا عَتب على فاطمة في شيء لم يكلِّمها، ولم يَقُل لها شيئًا تكرَهه، إلا أنه يأخذ ترابًا فيضعه على رأسه. قال: فكان رسولُ الله ﷺ إذا رأى عليه التراب عَرَف أنه عاتِبٌ على فاطمة، فيقول: ما لك يا أبا تراب؟ فالله أعلم أيّ ذلك كان.

سرية سعد بن أبي وقّاص وذهابه إلى الخرار ورجوعه من غير حرب[1]:

قال ابن إسحٰق: وقد كان بعث رسول الله ﷺ فيما بين ذلك من غزوة سَعْد بن أبي وقّاص، في ثمانية رَهْط من المُهاجرين فخَرج حتى بلغ الخَرَّار من أرض الحجاز، ثم رجع ولم يلق كيدًا.

قال ابن هشام: ذكر بعضُ أهلِ العلم أن بَعْثَ سَعْد هذا كان بعد حمزة.

غزوة سفوان وهي غزوة بدر الأولى[2]:

قال ابن إسحٰق: ولم يُقِمْ رسول الله ﷺ بالمدينة حين قَدِم من غَزْوة العُشَيْرة إلا ليالي قَلائل لا تبلغُ العَشر، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفهْري على سَرْح المدينة، فخَرج رسول الله ﷺ في طلبه، واستَعْمل على المدينة زيدَ بن حارثة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: حتى بلغ وادِيًا، يقال له: سَفْوان، من ناحية بدْر، وفاته كُرْزُ بن جابر، فلم يُدْركه، وهي غزوةُ بدر الأولى. ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها بقيّةَ جمادى الآخرة ورجبًا وشعبان.

سالف وأُمّه قُذَيْرَة وهو من التسعة رَهْطِ المذكورين في سورة النمل، وقد ذكرت أسماءَهم في كتاب التعريف والإعلام.

موادعة بني ضمرة:

وذكر مُوادَعَته لبني ضَمْرَةَ، وهم بطن من كنانة، ثم من بني لَيْثٍ، وهم بنو غِفَارٍ وبنو نُعَيْلَةَ بني مُلَيْل بن ضمرة، وكانت نسخةُ الموادَعة فيما ذكر غيرُ ابن إسحٰق «بسم الله

---

(١) انظر المغازي للواقدي (١/ ١١) البداية والنهاية (٣/ ٣٣٤) الكامل (٢/ ١٠) الطبقات لابن سعد (٣/١/١) تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٣) المنتظم (٣/ ٨١). والخرار: أبيات عن يسار الجحفة، حين تروح من الجحفة الجامعة. انظر المنتظم.

(٢) انظر المغازي (١/ ١٢) الطبقات (٢/ ١/ ٤) المنتظم (٣/ ٨٩) تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٧) الدلائل (٣/ ٨) الاكتفاء (٢/ ٩).

سَرِيّة عبد الله بن جحش
ونزول: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ﴾
كتاب الرسول له

وبَعث رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن جَحْشٍ بن رئاب الأسدي في رجب، مَقْفَلَه من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رَهْط من المُهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتابًا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسيرَ يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، لا يَسْتكره من أصحابه أحدًا.

وكان أصحابُ عبد الله بن جَحْش من المهاجرين. ثم من بَني عَبْد شمس بن عبد مناف: أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شَمْس؛ ومن حلفائهم: عبد الله بن جَحْش، وهو أمير القوم، وعُكَّاشة بنِ مِحْصَن بن حُرْثان، أحد بني أسد بن خُزَيمة، حليف لهم. ومن بني نَوْفَل بن عبد مناف: عُتْبة بن غَزْوان بن جابر، حليف لهم. ومن بني زُهْرة بن كلاب: سعدُ بن أبي وقَّاص. ومن بني عَدِيّ بن كعب عامر بن ربيعة، حليف لهم من عَنْز بن وائل، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِين بن ثَعْلبة بن يربوع، أحد بني تميم، حليف لهم، وخالد بن البُكَير، أحد بني سَعْد بن لَيْث، حليف لهم. ومن بني الحارث بن فهر: سُهَيْل ابن بيضاء.

الرحمٰن الرحيم هذا كتابٌ من محمد رسول الله لبني ضَمْرَة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وإن لهم النصر على من رَامَهم إلاَّ أنْ يُحاربوا في دين الله مَا بلَّ بحرٌ صُوفَةً، وإن النبي إذا دعاهم لنصره، أجابوه، عليهم بذلك ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله، ولهم النصر على مَنْ بَرَّ منهم واتَّقى».

سَرِيّة عبد الله بن جحش[1]

صحة الرماية بالمناولة:

وهو المُجَدَّعُ في الله، وسيأتي حديثُه في غَزْوة أُحُدٍ وتَرْجَم البخاريُّ على هذا الحديث في كتاب العِلم احتجاجًا به على صحة الرواية بالمُنَاوَلة، لأن رسول الله ـ ﷺ ـ ناول عبدَ الله بن جَحْشٍ كتابَه، ففتحه بعد يومين فعمل على ما فيه. وكذلك العالم إذا ناول

---

(١) انظر المغازي للواقدي (١/١٣) تاريخ الطبري (٢/٤١٠) البداية والنهاية (٣/٢٤٨) الطبقات (٢/١/٥) الاكتفاء (٢/٩) المنتظم (٣/٩١) الدلائل (٣/١٧) الدرر (٩٩) الزاد (٣/١٦٧) الكامل (٢/١٢).

فلما سار عبد الله بن جَحْش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نَخْلة، بين مكة والطائف، فترصّد بها قريشًا وتعلَّم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب، قال: سمعًا وطاعة؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسولُ الله ﷺ أن أمضي إلى نَخْلة، أرصُد بها قريشًا، حتى آتيَه منهم بخبر؛ وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم. فمن كان منكم يريد الشَّهادةَ ويرغب فيها فلْيَنْطَلق، ومن كره ذلك فَليَرْجع، فأمَّا أنا فماضٍ لأمر رسولِ الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابُه، لم يتخلَّف عنه منهم أحد.

وسَلك على الحجاز، حتى إذا كان بمَعْدن، فوق الفُرُع، يقال له: بحران، أضلّ سعدُ بن أبي وقّاص، وعُتْبة بن غَزْوان بعيرًا لهما، كانا يَعْتقبانه. فتخلَّفا عليه في طلبه. ومضَى عبدُ الله بن جَحش وبقيَّةُ أصحابه حتى نزل بنخْلة، فمرّت به عيرٌ لقريش تَحْمل زبيبًا وأدَمًا، وتجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحَضْرَمي.

الخلاف حول نسب الحضرمي

قال ابن هشام: واسم الحَضْرمي: عبد الله بن عبَّاد، ويقال: مالك بن عبَّاد أحد

التلميذَ كتابًا جاز له أن يَرْوِي عنه ما فيه، وهو فِقهٌ صحيح، غير أن الناسَ جعلوا المُنَاوَلَةَ اليوم على غير هذه الصورة يأتي الطالبُ الشيخَ، فيقول: نَاوِلني كتبك، فيناوله ثم يُمْسك متاعَه عنده، ثم ينصرف الطالبُ، فيقول: حدَّثني فلانٌ مُنَاوَلَةً، وهذه رواية لا تصح على هذا الوجه، حتى يذهب بالكتاب معه، وقد أذن له أن يُحَدِّث بما فيه عنه، وممَّن قال بصحة المناولة على الوجه الذي ذكرناه مالكُ بن أَنسٍ، روى إسماعيلُ بن صالح عنه أنه أَخْرَجَ لهم كتبًا مَشْدُودَةً، فقال: هذه كتبي صححتها ورويتها، فارْوُوها عني، فقال له إسماعيل بن صالح: فنقول: حدّثنا مالكٌ؟ قال: نعم، روى قصةَ إسماعيلَ هذه الدَّارَقُطنيُّ في كتاب رُواة مالك رحمه الله.

أولاد الحضرمي

وذكر عَمْرو بن الحَضْرَمِيّ، وكانوا ثلاثةً: عَمْرًا وعامرًا والعَلاَءَ، فأما العلاءُ فمن أفاضل الصحابة، وأختهم الصَّعْبةُ أم طَلْحَة بن عُبَيْد الله، وكانت قبل أبيه عند أبي سُفيان بن حَرْب، وفيها يقول حين فارقها:

وإنـي وصَـعْـبَـةَ فـيـمـا نـرى ... بـعـيـدان والـودُّ ودٌّ قَـريـب
فـإن لا يـكـنْ نَـسَـبٌ ثـاقِـبٌ ... فـعـنـد الـفـتـاة جَـمَـالٌ وطـيـبْ
فـيـال قـصـيِ ألا تَـعْـجـبـون ... إلى الـوَبْـرِ صـار الـغـزالَ الـرَّبـيـبْ

الصَّدِف، واسم الصَّدِف: عمرو بن مالك، أحد السَّكُون بن أشرس بن كنْدة، ويقال: كنْدي.

قال ابن إسحٰق: وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة، وأخوه نَوْفَل بن عبد الله المَخْزُوميَّان، والحكم بن كَيْسان، مولى هشام بن المُغيرة.

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبًا منهم، فأشرف لهم عُكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا، وقالوا عُمَّار، لا بأس عليكم منهم. وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب فقال القومُ والله لئن تركتم القومَ هذه اللَّيلةَ ليدخلنّ الحرم، فليمتَنعُنّ منكم به ولئن قَتلتموهم لتقتُلنَّهم في الشهر الحرام؛ فتردّد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجَّعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قَدَروا عليه منهم، وأَخْذِ ما معهم. فَرمى واقدُ بن عبد الله التَّميمي عمرو بنَ الحَضْرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمانَ بن عبد الله، والحكم بن كَيْسان؛ وأفلتَ القومَ نوفلُ بنُ عبد الله فأعْجزهم. وأقبل عبدُ الله بنُ جَحْش وأصحابه بالعير وبالأسيرين، حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ المدينة[1].

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جَحش: أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غَنِمْنا الخمس وذلك أنْ يَفْرض الله تعالى الخمسَ من المغانم ـ فعَزَل لرسولِ الله ﷺ خمس العير، وقسّم سائرها بين أصحابه.

وفي نسب بَني الحَضْرَمِيّ اضطراب، فقد قيل ما قاله ابن إسحٰق، وقيل: هو عبد الله بن عَمّاد بن ربيعة، وقيل: ابن عَيَّاد، وابن عبَّاد بالباء، والذي ذكره ابن إسحٰق أصح، وهم من الصَّدِف، ويقال فيه: الصَّدِف بكسر الدال، قاله ابن دُرَيْد، والصَّدِفُ: مالك بن مُرَتِّع بن ثَوْر وهو كِنْدَة وقد قدمنا ما قيل في اسم كِنْدَة وفي معناه في المبعث، وقد قيل في الصَّدَف: هو ابن سَمَّال بن دُعمِي بن زياد بن حَضْرَمَوْت، وقيل في حَضْرَمَوْت: إنه من ولد حِمْيَر بن سَبَأ، وقيل: هو ابن قَحْطَانِ بن عابر، والله أعلم.

---

(١) انظر البيهقي (٩/ ١٢/ ٥٨).

الرسول ﷺ يستنكر القتال في الشهر الحرام

قال ابن إسحٰق: فلما قَدِموا على رسول الله ﷺ المدينة؛ قال: «ما أمرتُكم بقِتال في الشهر الحرام». فوقَّف العِير والأسيرين. وأبَى أن يأخذ من ذلك شيئًا؛ فلما قال ذلك رسولُ الله ﷺ سُقط في أيدي القوم، وظنُّوا أنهم قد هَلكوا، وعنَّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صَنعوا. وقالت قريش قد استحلّ محمد وأصحابُه الشهرَ الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأُسرُوا فيه الرجال؛ فقال: من يرد عليهم من المُسلمين ممَّن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

وقالت يهود - تفاءَل بذلك على رسول الله - ﷺ - عمرو بن الحضرميّ قتله واقدُ بن عبد الله، عمرو، عمرت الحرب؛ والحضرمي، حضرت الحرب؛ وواقد بن عبد الله، وقدت الحرب. فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

ما نزل من القرآن في فعل ابن جحش:

فلما أكثر الناسُ في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وكُفْرٌ بِهِ وَالمَسْجِدِ الحَرمِ وإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهلُه، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ﴾: أي قد كانوا يفتنون المُسلم في دينه، حتى يردُوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبرُ عند الله من القتل ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقاتِلونَكم حتى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِن اسْتَطاعُوا﴾ أي ثم هم مقيمون على أخْبث ذلك وأعظمه، غيرَ تائبين ولا

حكمة تحريم القتال في الأشهر الحُرم

وذكر الشهرَ الحرامَ، وما كان من أهل السَّرِيَّةِ فيه، وأنه سُقِط في أيديهم لِمَا أصابوا فيه من الدَّم، وذلك أن تحريمَ القتال في الأشهُرِ الحُرُم كان حُكْمًا مَعْمُولاً به من عهد إبراهيمَ وإسماعيلَ، وكان من حُرُمَات الله، ومما جعله مَصْلَحَة لأهل مكَّة، قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الكعبةَ البيتَ الحرام قيامًا للناس والشهرَ الحرامَ﴾ [المائدة: ٩٧] وذلك لما دعا إبراهيمُ لذرِّيته بمكّة، إذ كانوا بوَادٍ غيرِ ذي زَرْع أن يجعلَ أفْئِدةً من الناس تَهْوِي إليهم، فكان فيما فُرِض على الناس من حَجِّ البيتِ قِوامًا لَمصلحتِهم ومعاشِهِم، ثم جعل الأشهرَ الحُرمَ أربعةً: ثلاثةً سَرْدًا، وواحدًا فردًا، وهو رَجَب، أما الثلاثةُ فلِيَأمنَ الحجاجُ وارِدين إلى مكَّةَ، وصادِرين عنها شَهرًا قبل شهر الحج، وشهرًا بعده قدر ما يصل الراكبُ من أقْصى بلاد العرب، ثم يرجعُ، حِكمةً من الله، وأما رَجَبُ فللعُمَّارِ يَأمنون فيه مُقْبِلين وراجعين نِصْفَ

نازعين. فلما نزل القرآن بهذا من الأمر، وفرّج الله تعالى عن المُسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَقِ قبض رسولُ الله ﷺ العيرَ والأسيرَيْن، وبعثت إليه قريشٌ في فِداء عثمان بن عبد الله والحَكَمَ بن كَيْسان، فقال رسولُ الله ﷺ: لا نُفْديكموها حتَّى يقدَم صاحبانا - يعني سعدَ بن أبي وقّاص، وعُتبة بن غَزْوان - فإنَّا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما، نقتل صاحبَيْكم. فقَدم سعد وعُتبة، فأفداهما رسولُ الله ﷺ منهم.

فأما الحَكم بن كَيْسان فأسْلم فحسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قُتل يوم بئر مَعونة شهيدًا. وأما عثمان بن عبد الله فَلحِق بمكَّة، فمات بها كافرًا.

فلما تجَلَّى عن عبد الله بن جَحْش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طَمِعُوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله: أنَطْمَع، أن تكون لنا غزوة تُعْطَى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هاجَرُوا وجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فوضعهم الله عزّ وجلّ من ذلك على أعظم الرجاء.

والحديث في هذا عن الزهري ويَزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزبير.

قال ابن إسحٰق: وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جَحْش: أن الله عزّ وجلّ قسم الفيء حين أحلَّه، فجعل أربعةَ أخماس لمن أفاءَه الله، وخُمسا إلى الله ورسوله، فوقع على ما كان عبد الله بن جَحْش صنع في تلك العير.

قال ابن هشام: وهي أوّل غنيمة غنمها المسلمون. وعمرو بن الحضرمي أوّل من قتله المسلمون، وعثمانُ بن عبد الله، والحَكم بن كَيْسان أوّل من أسَر المسلمون.

ما قيل من شعر في هذه السرية:

قال ابن إسحٰق: فقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه في غزوة عبد الله بن جَحْش، ويقال: بل عبدُ الله جَحش قالها، حين قالت قريش: قد أحلّ محمدٌ وأصحابُه

الشهر للإقبال، ونصْفه للإياب، إذ لا تكون العُمْرَةُ من أقاصي بلادِ العرب كما يكون الحجُّ، ألاَ تَرَى أنّا لا نَعْتَمِر من بلاد المغرب، فإذا أردنا عُمْرةً فإنما تكون مع الحج، وأقصى منازل المُعْتَمِرين بين مَسيرة خَمْسَةَ عَشَرَ يومًا، فكانت الأقوات تأتيهم في المواسم، وفي سائر العام تنقطع عنهم ذُؤبانُ العربِ وقُطّاعُ السُّبُل، فكان في رجب أمانٌ للسالكين إليها مصلحةً لأهلها ونظرًا من الله لهم دبّره وأبقاه من ملَّةِ إبراهيم لم يُغَيِّر حتى جاء الإسلامُ، فكان القتال فيه مُحَرَّمًا كذلك صَدْرًا من الإسلام، ثم أباحته آيةُ السيف، وبقيت حُرْمةُ الأشهُر الحُرم لم

الشَّهر الحرام، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال، وأسروا فيه الرجال ـ قال ابن هشام: هي لعبد الله بن جَحْش:

تَعُدّون قتلاً في الحرام عظيمة ... وأعْظَمُ منه لو يَرى الرُّشْدَ راشد
صدودُكم عما يقول محمدٌ ... وكُفْرٌ به والله راءٍ وشاهد
وإخْراجكم من مسجد الله أهلَه ... لئلا يُرى لله في البَيْت ساجد
فإنا وإن عَيَّرْتمونا بقَتْلة ... وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسد
سَقينا من ابن الحَضْرمي رماحَنا ... بنَخْلَة لما أوقدَ الحربَ واقد
دما وابنُ عبد الله عثمان بيننا ... يُنازعه غُلّ من القدّ عاند

صرف القبلة إلى الكعبة[1]:

قال ابن إسحٰق: ويقال: صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مَقْدم رسول الله ﷺ المدينة.

تُنْسَخ، قال الله سبحانه: ﴿منها أربعةٌ حُرُمٌ فلا تَظْلِمُوا فيهن أنفسَكم﴾ [التوبة: ٣٦]، فتعظيمُ حُرْمتها باقٍ، وإن أُبيح القتال، وقد رُوي عن عطاء أن تحريمَ القتال فيها حكم ثابت لم يُنْسخ، وقد تقدم في باب نسب النبي ـ ﷺ ـ ذكر سَعْدِ رَجَب، وهو أوّل من سَنَّه للعرب فيما زعموا.

---

(١) انظر الطبقات (١/٢/٣) تاريخ الطبري (٢/٤١٥) البداية والنهاية (٣/٣٥٢) المنتظم (٣/٩٣) الدلائل (٢/٥٧١) الزاد (٣/٦٦). وانظر حديث تحويل القبلة في البخاري (١/٤٢١) والترمذي (٢٩٦٦).

غزوة بدر الكبرى

عير أبي سفيان:

قال ابن إسحاق. ثم إنّ رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حَرْبٍ مقبلاً من الشأم في عير لقُريش عظيمة، فيها أموال لقريش وتجارةٌ من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، منهم مَخْرمة بن نوفل بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهْرة، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام.

ندب المسلمين للعير وحذر أبي سفيان:

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن مُسْلم الزُّهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبدُ الله بن أبي بكر ويزيد بن رُومان عن عُروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس، كل قد حدّثني بعضَ هذا الحديث فاجتمع حديثُهم فيما سُقْت من حديث بدر، قالوا: لما سمع رسولُ الله ﷺ بأبي سُفيان مُقْبِلاً من الشام، ندَب المسلمين إليهم وقال

غـزوة بـدر(١)

وبَدْر: اسم بئرٍ حفرها رجلٌ من غِفارٍ، ثم من بني النار منهم، اسمه: بَدْر، وقد ذكرنا في هذا الكتابِ قولَ مَنْ قال: هو بَدْرُ بن قرَيشِ بن يَخْلُد الذي سميت قريشٌ به. ورَوَى يونسُ عن ابنِ أبي زكريا عن الشَّعْبِيِّ قال: بدر: اسمُ رجل كانت له بدر.

---

(١) الخبر في المغازي للواقدي (١/ ١٩) الطبقات (٢/ ١/ ٦) البداية والنهاية (٣/ ٢٥٦) تاريخ الطبري (٢/ ٤٢١) المنتظم (٣/ ٩٧) الكامل (٢/ ١٤) الاكتفاء (٢/ ١٤) الدلائل (٣/ ٢٥).

هذه عِيرُ قُريش فيها أموالُهم فاخْرُجوا إليها لعلّ الله يُنفِلُكُموها. فانتدب الناسُ فخفّ بعضُهم وثقُل بعضُهم، وذلك أنهم لم يظنُّوا أن رسول الله ﷺ يَلقى حَرْبًا، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبارَ ويسأل مَنْ لَقى من الرُّكْبان تخوُّفًا على أمْر الناس. حتى أصاب خبرًا من بعض الرُّكبان: أن محمدًا قد استَنْفر أصحابَه لك ولعيرك فحَذِر عند ذلك. فاستأجر ضَمْضَم بن عَمْرو الغفاريّ، فبَعثه إلى مكة، وأمره أن يأتِيَ قُريشًا فيَستنفرَهم إلى أموالهم، ويُخبرهم أنّ محمّدًا قد عرض لها في أصحابه. فخرج ضَمْضم بن عَمْرو سريعًا إلى مكة.

ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحٰق: فأخبرني من لا أتَّهم عن عِكْرِمة عن ابن عباس، ويزيد بن رُومان، عن عُروة بن الزُّبير، قالا: وقد رأت عاتكةُ بنت عبد المطلب، قبل قدوم ضَمْضم مكة بثلاث ليال، رُؤيا أفزعتها. فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رُؤْيا أفظَعتني، وتخوّفتُ أن يدخل على قومك منها شرّ ومُصيبة، فاكُتم عني ما أحدّثك به؛ فقال لها: وما رأيتِ؟ قالت: رأيتُ

تحسّس الأخبار:

فصل: وذكر أبا سُفْيَان، وأنه حين دنا من الحِجاز، كان يتحَسَّسُ الأخبارَ. التَّحَسُّسُ بالحاء: أن تَتَسَمَّع الأخبارَ بنفسك، والتَّجَسُّسُ بالجيم: هو أن تفحَصَ عنها بغيرك، وفي الحديث «لا تجَسَّسُوا، ولا تَحَسَّسُوا»[1].

رؤيا عاتكة[2]

وذكر رؤيا عاتكة والصارخ الذي رأته يصرخ بأعلى صوته: يا لَغُدُرِ!! هكذا هو بضم الغين والدال جمع غدُور، ولا تصح روايةُ من رَوَاه: يا لَغُدَرِ بفتح الدال مع كسر الراء، ولا فتحها، لأنه لا ينادي واحدًا، ولأن لام الاستغاثة لا تدخل على مثل هذا البناء في النداء، وإنما يقول: يا لَغُدُرُ انفروا وتَحريضًا لهم، أي: إن تخلَّفْتُم، فأنتم غُدُرٌ لقومكم وفتحت لامُ الاستغاثة، لأن المنادَى قد وقع موقع الاسم المضمَر، ولذلك بنى، فلما دخلت عليه لام الاستغاثة وهي لام جر فُتحت كما تفتح لامُ الجر إذا دخلت على المُضمَرات، هذا قول ابن السراج، ولأبي سعيد السِّيرافي فيها تعليلٌ غير هذا كرِهنا الإطالَة بذكره، وهذا القول

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٤) ومسلم في البرّ والصلة (٢٨) وأحمد (٢/ ٢٨٧).
(٢) الطبري (٢/ ٢٣).

راكبًا أقبل على بَعير له، حتى وقف بالأبْطح، ثم صَرخ بأعلى صوته: ألا انفِرُوا يا آل غُدُرُ لمصارِعكم في ثلاث، فأرى الناسَ اجتمعوا إليه: ثم دخلَ المسجدَ والناسُ يَتْبعونه، فبينما هم حوله مَثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غُدُرُ لمصارعكم في ثلاث: ثم مَثل به بعيرُه على رأس أبي قبَيس فصَرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تَهْوي، حتى إذا كانت بأسفلِ الجَبل ارفضّت، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة، ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلقة؛ قال العباس: والله إن هذه لرُؤيا، وأنتِ فاكتُميها، ولا تَذْكريها لأحد.

ذيوع الرؤيا وما أحدثت بين أبي جهل والعباس:

ثم أخرج العباس، فلقي الوليدَ بن عُتبة بن رَبيعة، وكان له صديقًا، فذكرها له، واستَكْتمه إياها. فذكرها الوليدُ لأبيه عُتبة، ففشا الحديثُ بمكة، حتى تحدّثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدّثون برُؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فَرَغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغتُ أقبلتُ حتى جلستُ معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حَدثَتْ فيكم هذه النبيَّة؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكةُ؛ قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أما رَضيتم أن يتنبَّأ رجالُكم حتى تتنبَّأ نساؤكم، قد زَعمتْ عاتكةُ في رؤياها أنه قال: انفُروا في ثلاث، فسنتربَّص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقًّا ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاثُ ولم يكن من ذلك شيء، نَكتُبْ عليكم كتابًا أنكم أكذبُ أهل بيت من العَرب. قال العبَّاس: فوالله ما كانَ مني إليه كَبيرٌ، إلا أني جحدتُ ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئًا: قال. ثم تفرّقنا.

مبني في شرح يا لَغُدُر إنما هو على رواية الشيخ، وما وقع في أصله، وأما أبو عُبَيْدة، فقال في المصنف: تقول يا غُدرُ، أي: يا غادر، فإذا جمعت قلت: يا آل غُدَر، وهكذا والله أعلم. كان الأصل في هذا الخبر، والذي تقدم تغيير.

وقوله: ثم مثل به بَعيرُه على أبي قبَيْس، سُمِّي هذا الجبل أبا قبَيْسٍ برجل هلك فيه من جُرْهُم اسمُه قبَيْسُ بن شالخ، وقع ذكرُه في حديثِ عَمْرو بن مُضَاضٍ، كما سُمِّي حُنَين الذي كانت فيه حُنَيْن بحُنَيْن بن قَالية بن مِهْلايِل، أظنه كان من العَمَالِيق، وقد ذكره البكري في كتاب مُعْجَم ما استعجم.

فلما أمسيتُ، لم تبق امرأةٌ من بَني عبد المطلب إلا أتَتْني، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يَقَع في رجالكم، ثم قد تَناول النساءَ وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غِيَرٌ لشيء مما سمعت، قال: قلت: قد والله فعلتُ، ما كان مني إليه من كَبير. وأيمُ الله لأتعرَّضن له، فإن عاد لأكْفِيَنَّكُنَّه.

قالت: فغدوتُ في اليوم الثالث من رُؤيا عاتكة، وأنا حَدِيد مُغْضب أُرَى أني قد فاتني منه أمرٌ أُحِبّ أن أُدْركه منه. قال: فدخلتُ المسجدَ فرأيته، فوالله إني لأمْشي نحوه أتعرّضه، ليعودَ لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفًا، حديدَ الوجه، حديدَ اللسان، حديدَ النظر. قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتَدّ. قال: فقلت في نفسي: ما له لعنة الله، أكل هذا فرق من أن أشاتمه! قال: وإذا هو قد سَمع ما لم أسمع: صوت ضَمْضم بن عَمرو الغفاريّ، وهو يَصْرخ ببَطْن الوادي واقفًا على بعيره، قد جَدّع بعيره، وحوّل رَحْله، وشقّ قميصَه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمةَ اللَّطيمَةَ، أموالُكم مع أبي سفيان قد عَرضَ لها محمد في أصحابه،لا أرى أن تُدْركوها، الغَوْثَ الغَوْثَ. قال: فشَغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر.

قريش تتجهز للخروج:

فتجهَّز الناس سِرَاعًا، وقالوا: أيظنّ محمّد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحَضْرمي، كلا والله ليعلَمَنَّ غيرَ ذلك. فكانوا بين رجلَيْن، إما خارج وإما باعثٌ مكانَه رجلاً. وأوْعَبت قريشٌ، فلم يتخلَّف من أشرافها أحدٌ.

إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف، وبعث مكانه العاصِي بن هشام بن المُغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفْلس بها، فاستأجَره بها على أن يجزىء عنه، بعَثَه فخرج عنه، وتخلَّف أبو لهب.

معنى اللياط:

وذَكر حديث أبي لَهبٍ، وبعثَه العاصِيَ بنَ هِشَام، وكان لاط له بأربعة آلاف دِرْهِم. لاط له: أي أرْبَى له، وكذلك جاء اللِّيَاطُ مُفسَّرًا في غريب الحديث للخَطَّابي، وهو قوله عليه السلام في الكتاب الذي كتبه لثَقيف: وما كان لهم من دَيْن لا رَهْن فيه فهو لِيَاطٌ مُبَرَّأ من الله. وقال أبو عُبَيْدٍ: وسمي الربا لِيَاطًا، لأنه مُلصَقٌ بالبيع، وليس ببيع، وقيلَ للربا لِيَاطًا لأنه، لاصقٌ بصاحبه لا يَقْضِيه، ولا يُوضَع عنه، وأصل هذا اللفظ من اللُّصوقِ.

خروج عقبة

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح: أن أُميَّة بن خَلف كان أجمع القُعودَ، وكان شيخًا جليلاً جَسِيمًا ثقيلاً، فأتاه عُقْبة بن أبي معيط، وهو جالس في المَسجد بَين ظَهْرانَيْ قومه، بِمجْمَرَةٍ يحملها، فيها نار ومِجْمَر حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علي اسْتَجْمِرْ، فإنما أنت من النساء؛ قال: قَبَحَك الله وقَبَحَ ما جئْتَ به، قال: ثم تَجَهّز فخرج مع الناس.

ما وقع بين قريش وكنانة:

قال ابن إسحٰق: ولما فرغوا من جهازهم، وأجمَعُوا المسيرَ، ذكروا ما كان بينهم وبين بَني بكر بن عبد مَناة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خَلْفنا، وكانت الحربُ التي كانت بين قُريش وبين بني بَكر - كما حدّثني بعض بني عامر بن لُؤَيّ، عن محمد بن سعيد بن المُسيَّب - في ابنٍ لِحَفْصِ بن الأخْيَف، أحد بني مَعيص بن عامر بن لُؤَيّ، خرج يَبْتغي ضالة له بضَجْنان، وهو غلام حَدَث في رأسه ذُؤابة، وعليه حُلَّة له، وكان غلامًا وضيئًا نظيفًا، فمرّ بعامر بن يَزيدَ بن عامر بن المُلوّح، أحد بني يَعْمَر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة، وهو بضَجْنان، وهو سيدُ بني بكر يومئذ، فرآه فأعجبه؛ فقال: من أنت يا غلام؟ قال: أنا ابنٌ لِحَفْص بن الأخْيف القُرَشي. فلما ولّى الغلام، قال عامر بن زيد: يا بني بكر، ما لكم في قُريش من دم؟ قالوا: بلى والله، إن لنا فيهم لدماء؛ قال: ما كان رجل ليقتل هذا الغلام برَجُله إلا كان قد استوفى دمَه. قال: فتبعه رجلٌ من بني بكر فقتله بدم كان له في قُريش؛ فتكلّمت فيه قريش، فقال عامر بن يزيد: يا معشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء، فما شِئتم. إن شئتم فأدُّوا علينا مالَنا قِبَلكم، ونؤدّي مالكُمْ قِبَلنا، وإن شئتم فإنما هي الدماء: رجلٌ برجل، فتجافَوْا عمّا لكم قِبَلنا، ونتجافى عمّا لنا قِبَلكم، فهان ذلك الغلامُ على هذا الحَيّ من قريش، وقالوا: صدق، رجل برجل. فلهَوا عنه، فلم يطلبوا به.

المجمرة والألُوة

وعَزمَ أُمَيَّة بنِ خَلَفٍ على القُعود، وأنّ عُقبَةَ بن أَبي مُعَيْطٍ جاءَه بِمجْمَرةٍ فيها نار ومِجْمَر، وقال: استَجْمِرْ فإنما أنت من النساء. المِجْمَرَةُ: هي الأداةُ التي يُجْعَل فيها البَخُور، والمِجْمَر هو البَخُور نفسُه، وفي الحديث في صفة أهل الجنة مَجَامِرُهم الألُوَّة، فهذا جَمْع مِجْمَر لا مِجْمَرة، والألُوَّةُ: هي العُود الرَّطب، وفيها أَرْبَعُ لُغَاتٍ أُلُوَّة وأَلُوَّة، ولُوَّة بغير ألف ولِيَّة، قاله أبو حنيفة.

قال: فبينما أخوه مِكْرَز بن حَفْصِ بن الأخْيَفِ يسير بمَرّ الظَّهْران، إذْ نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر المُلَوَّح على جمل له، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به، وعامرٌ متوشِّح سيفه، فعلاه مكْرز بسيفه حتى قتله، ثم خاض بَطْنه بسيفه، ثم أتى به مكة، فعلَّقه من الليل بأستار الكعبة. فلما أصبحت قريشٌ رأوا سيفَ عامر بن يزيد بن عامر معلَّقًا بأستار الكعبة، فعرفوه، فقالوا: إن هذا لسيفُ عامر بن يزيد، عدا عليه مكْرز بن حَفْص فقتله، فكان ذلك من أمرهم. فبينما هم في ذلك من حربهم، حَجز الإسلام بين الناس؛ فتشاغلوا به، حتى أجمعت قريشٌ المسير إلى بدر، فذكروا الذي بينهم وبين بني بكر فخافُوهم.

وقال مِكْرَزُ بن حَفْص في قتله عامرًا:

لَـمَّـا رأيـتُ أنَّـهُ هُـوَ عـامـرٌ ... تَذَكَّرْتُ أشْلاءَ الحَبيبِ المُلَحَّب

وقُـلْـتُ لـنـفـسي: إنَّهُ هُوَ عـامرٌ ... فلا تَرْهبيه، وانظُري أيَّ مَرْكب

وأيـقـنـتُ أنـي إن أُجَـلِّـلـه ضـرْبـةً ... متى ما أُصِبْه بالـفُرافِر يَـغْـطَب

خَفَضْتُ له جأْشي وألقيتُ كَلْكَلي ... على بَطلٍ شاكي السِّلاح مُجرِّبِ

ولـم أكُ لـمَّا التفَّ رُوعي ورُوعه ... عُـصـارةَ هُـجنٍ مـن نِـسـاءٍ ولا أب

حلـلـتُ به وِتْري ولـم أنسَ ذَحْلَه ... إذا مـا تـنـاسَـى ذَحله كـلُّ عَـيْـهـب

وذكر في شعر مِكْرَزِ:

تـذكـرت أشـلاءَ الـحـبـيـب الـمُـلَـحَّـب

شـرح شعـر مكـرز:

الأشلاء: أعضاء مُقَطَّعة، والمُلَحَّب من قولهم: لَحَبْتُ اللحم إذا قطعته طولاً ذكره صاحب العين[1].

وذكر في شعر مُكْرَزِ:

متـى مـا أُجَـلِّـلْـه الـفُـرَافِـر يَـغْـطَـبِ

---

(١) لحب: اللحب: قطعك اللحم طولاً، والملحّب: المقطّع، ولَحَبَه ولحَبَّه: ضربه بالسيف، أو جرحه. اللسان (١/ ٧٣٦).

قال ابن هشام: الفَرافر في غير هذا الموضع: الرجل الأضبط، وفي هذا الموضع: السيف. والعَيْهب: الذي لا عقل له، ويقال: تيس الظباء وفحل النعام، قال الخليل: العيهب: الرجل الضعيف عن إدراك وتره.

الشيطان وقريش:

وقال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بنُ رومان، عن عُروة بن الزبير، قال: لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذي كان بينها وبين بني بَكر، فكاد ذلك يَثْنيهم، فتبدّى لهم إبليسُ في صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجِي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كنانةُ من خلفكم بشيءٍ تكرهونه، فخرجوا سراعًا.

خــروجــه ﷺ:

قال ابن إسحٰق: وخرج رسولُ الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه - قال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلَوْن من شهر رمضان - واستعمل عمروَ ابن أمّ مَكتوم - ويقال اسمه: عبد الله ابن أُمّ مَكْتوم أخا بني عامر بنِ لُؤَيّ، على الصلاة بالناس، ثم ردّ أبا لُبابة من الرَّوحاء، واستعمله على المدينة.

اللـواء والرايتان:

قال ابن إسحٰق: ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. قال ابن هشام: وكان أبيض.

قال ابن إسحٰق: وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سَوْداوان، إحداهما مع عليّ بن أبي طالب، يقال لها: العُقاب، والأخرى مع بعض الأنصار.

إبل المسلمين إلى بدر:

قال ابن إسحٰق: وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيرًا،

وقد فسر ابن هشام الفُرَافِرَ، وقال: هو اسم سيف، وهو عندي من فَرْفَرَ اللحْمَ إذا قطعه أنشد أبو عُبَيد:

كَكَلْبِ طَسْمٍ وقد تَرَبَّبَه ... يَعُلُّه بالحَلِيبِ في الغَلَس
أَنْحَى عليه يومًا يُفَرْفِرُهُ ... إنْ يَلِغْ في الدِّماء يَنْتَهِس

ويُرْوَى: يُشَرْشِرُه. والعَيْهبُ الذي لا عَقْل له، ويقال لذَكَر النَّعَم عَيْهَب.

فاعتَقبوها، فكان رسول الله ﷺ، وعليّ بن أبي طالب، ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوِيّ يَعْتَقبون بعيرًا[1]، وكان حمزةُ بن عبد المطلب، وزَيْد بن حارثة، وأبو كَبْشَة، وأَنَسَة، مَوْلَيا رسول الله ﷺ - يَعْتَقِبون بعيرًا، وكان أبو بكر، وعُمر، وعبد الرحمن بن عَوْف يَعْتَقبون بعيرًا.

قال ابن إسحٰق: وجعل على السَّاقة قَيْسَ بن أبي صَعصعة أخا بني مازن بن النجَّار. وكانت رايةُ الأنصار معَ سَعْد بن مُعاذ، فيما قال ابن هشام.

الطـريـق إلى بـدر:

قال ابن إسحٰق: فسلك طريقَه من المدينة إلى مكة، على نَقْب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحُليفة، ثم على أولات الجَيْش.

قال ابن هشام: ذات الجَيْش.

قال ابن إسحٰق: ثم مرّ على تُرْبان ثم على مَلَل، ثم على غَميس الحَمام من مَرَيَيْنِ، ثم على صُخَيْرات اليمَام، ثم على السَّيالة، ثم على فَجّ الرَّوْحاء، ثم على شَنُوكة، وهي الطريق المُعْتدلة، حتى إذا كان بعِرْقِ الظُّبْية - قال ابن هشام: الظُّبْيَةُ: عن غير ابن إسحٰق - لقُوا رجلاً من الأعراب، فسألوه عن الناس، فلم يجدوا عنده خبرًا، فقال له الناس: سلِّم على رسول الله ﷺ، قال: أفيكم رسولُ الله؟ قالوا: نعم، فسلَّم عليه، ثم قال: إن كنتَ رسول الله فأخبرني عمَّا في بطن ناقتي هذه قال له سَلَمةُ بن سَلاَمة بن وَقَش: لا تسأل رسولَ الله ﷺ، وأقبِلْ عليّ فأنا أُخبرك عن ذلك. نزوتَ عليها، ففي بطنها منك سَخْلة، فقال رسول الله ﷺ: «مَهْ، أَفْحَشْتَ على الرجل»، ثم أعرض عن سَلَمة.

مواضع نزل فيها الرسول ﷺ:

وذكر عِرْق الظُّبْيَة، والظُّبْيَةُ: شجرةٌ شِبْه القَتَادَة يُسْتَظَلُّ بها، وجمعها: ظبيان، وكذلك ذكر السَّيَالَة في طريق بدر، والسَّيَالُ شَجَرٌ، ويقال: هو عِظَامُ السَّلَمِ، قاله أبو حنيفة.

---

(١) جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنّا كل خير (٣٩٠١/ ٣٩٦٥): أن أبا لبابة وعلي بن أبي طالب كانا زميلي رسول الله ﷺ. وأخرجه الحاكم أيضًا (٣/ ٢٠) وصححه وأقره الذهبي.

ونزل رسولُ الله ﷺ سَجْسج، وهي بئر الرّوحاء، ثم ارتحل منها، حتى إذا كان بالمُنْصَرف، ترك طريقَ مكة بَيسار، وسلك ذات اليمين على النَّازِيَةَ، يريد بدرًا، فسلك في ناحية منها، حتى جَزَع واديًا، يقال له رُحْقان، بين النازية وبين مَضيق الصَّفْراء، ثم على المضيق، ثم انصبّ منه، حتى إذا كان قريبًا من الصفراء، بعث بَسْبَس بن عمرو

وذكر النَّازِيَة، وهي رَحْبَةٌ واسعة فيها عِضَاةٌ(١) ومُروج(٢).

وذكر سَجْسَجًا، وهي بالرَّوْحَاء، وسميت سَجْسَجًا، لأنها بين جَبلين، وكلُّ شيء بين شَيْئَين، فهو: سَجْسَجٌ. وفي الحديث: إن هواء الجَنَّةِ سَجْسَجٌ، أي: لا حَرٌّ ولا بَرْدٌ، وهو عندي من لفظ السَّجَاج، وهو لَبَن غيرُ خَالِصٍ، وذلك إذا أكثر مزجه بالماء، قال الشاعر:

وَيَشْرَبُهَا مَزْجًا ويَسْقِي عِيَالَه ... سَجَاجًا كأقْرَابِ الثَّعَالِبِ أَوْرَقَا

وهذا القول جارٍ على قياس مَن يقول: إن الثَّرْثَارَةَ من لفظ: الثَّرَّةِ، ورَقْرَقْتُ من لفظ: رَقَقْتُ إلى آخر الباب.

وذكر الصَّفراء، وهي واد كبير.

أنساب:

وذكر بَسْبَسَ بن عَمْرو الجُهَنِيّ(٣)، وعَدِيَّ بن أبي الزَّغْبَاء حين بعثهما رسول الله ﷺ يتَحَسَّسَان الأَخْبارَ عن عِير قُرَيش، وفي مُصَنف أبي داود: بَسْبَسَة مكان بَسْبَسٍ وبعض رواة أبي داود يقول: بُسَيْسَة بضم الباء: وكذلك وقع في كتاب مسلم ونسبه ابن إسحٰق إلى جُهَيْنة، ونسبه غيرُه إلى ذُبْيَان، وقال: هو بَسْبَس بن عَمْرو بن ثَعْلَبَةَ بن خَرَشَة بن عَمْرو بن سَعْد بن ذُبْيان، وأما عدي بن أبي الزَّغْبَاء، واسم أبي الزغباء: سِنَان بن سُبَيْع بن ثَعْلَبَة بن رَبيعة بن بُذَيْل، وليس في العرب بُذَيْلٌ بالذال المنقوطة غير هذا، قاله الدَّارَقُطْني، وهو بُذيْلُ بنُ سَعْد بن عَدِيّ بن كاهل بن نَصْر بن ملك بن غَطَفَان بن قيس بنُ جُهَيْنَة، وجهينةُ: وهو ابن سُود بن أسلُم بضم اللام ابن الحَافِ بن قُضَاعَة، قال موسى بن عُقْبَة: عَدِيُّ بن أبي الزَّغْبَاء حَليف بني مالك بن النَّجّار مات في خلافة عُمَر، وكان قد شهد بدرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ مع رسول الله ﷺ.

---

(١) عضاة: أعظم الشجر.

(٢) مروج: المرج: الموضع الذي ترعى فيه الدواب.

(٣) انظر ترجمة له في الاستيعاب (١/ ١٩٠).

الجُهَنيّ، حليفَ بني ساعدة، وَعَدِيَّ بن أبي الزَّغْباء الجُهني، حليفَ بني النجّار، إلى بدر يَتَحسَّسان له الأخبار، عن أبي سُفيان بن حَرْب وغيره. ثم ارتحل رسولُ الله ﷺ، وقد قدِمَها. فلما استقبل الصَّفْراء، وهي قرية بين جَبلين، سأل عن جَبَلَيْهما ما اسماهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما، هذا مُسْلِح، وللآخر: هذا مُخْرِىء وسأل عن أهلهما، فقيل: بنو النار وبنو حُراق، بطنان من بني غِفار فكَرهَهما رسول الله ﷺ والمُرور بينهما، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهْلِهما. فتركهما رسولُ الله ﷺ والصَّفْراء بيسار، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له: ذَفِرَان، فجزع فيه، ثم نزل.

التطير[1] وكراهية الاسم القبيح:

وذكر أنه عليه السلام مرّ بجَبَلين، فسأل على اسميهما، فقيل له: أحدهما مُسْلِحٌ والآخرُ مُخْرِيءٌ، فَعَدل عن طريقهما، وليس هذا من باب الطِّيَرةِ، التي نَهَى عنها رسولُ الله - ﷺ - ولكن من بابِ كراهيةِ الاسم القبيحِ، فقد كان عليه السلامُ يكتب إلى امرائه: «إذا أَبْرَدْتُم إليّ بريدًا فاجعلوه حَسَنَ الوَجْه حَسَنَ الاسم»[2]، ذكره البزار من طريق بُرَيْدَةَ، وقد قال في لِقْحَةٍ: من يَحْلُب هذه؟ فقام رجل، فقال: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟» فقال: مُرَّةُ، فقال: «اقعد»، حتى قال آخرُهم: اسمي: يَعيشُ، قال: احلُبْ. اختصرت الحديثَ وفيه زيادةٌ رواها ابنُ وهب، قال: فقام عمر: فقال: لا أدري أقول أم أسكت؛ فقال له رسول الله ﷺ: «قل»، فقال له: قد كنت نَهَيْتَنا عن التَّطَيُّر، فقال عليه السلام: «ما تَطيَّرتُ، ولكني آثرتُ الاسمَ الحَسَنَ»، أو كما قال عليه السلام. وقد أمليتُ في شَرْحِ حديث المُوَطإ في الشُّؤم، وأنه إن كان ففي المرأة والفَرَسِ والدارِ تحقيقًا وبيانًا شافيًا لمعناه، وكَشْفًا عن فِقهِه لم أرَ أحدًا - والحمدُ لله - سَبَقني إلى مثلِه.

جبلا مسلح ومخريء:

وهذا الجبلان لتسميتهما بهذين الاسمين سببٌ، وهو أن عَبْدًا لبني غِفارٍ كان يَرْعى بهما غنمًا لسيده، فرجع ذات يوم عن المرعى، فقال له سيده: لم رجعتَ؟ فقال: إن هذا الجبل مسلح للغنم، وإن هذا الآخَر مخري، فسُمِّيا بذلك. وجدت ذلك بخط الشيخ الحافظ فيما نقل عن الوَقشِيّ.

---

(١) التطير: التشاؤم.

(٢) انظر البزار (٢/٤١٢) وابن أبي شيبة (١٢/٣٤٩).

قول أبي بكر وعمر والمقداد في الجهاد:

وأتاه الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليَمنَعوا عِيرهم، فاستشار الناسَ، وأخْبَرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصدّيق، فقال وأحسن. ثم قام عمرُ بن الخطّاب، فقال وأحسن، ثم قام المِقْداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امْضِ لما أراكَ الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فقاتلا إِنَّا ها هنا قاعدُونَ﴾. ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون، فوالذي بعثك بالحقّ لو سِرْت بنا إلى بَرْك الغُماد لجالَدْنا معك من دونه، حتى تَبْلُغه، فقال له رسول الله ﷺ: «خيرًا»، ودعا له به[1].

الرسول ﷺ يستشير الأنصار:

ثم قال رسول الله ﷺ: «أشِيرُوا عليَّ أيها الناس». وإنما يريد الأنصارَ، وذلك أنهم عَددُ الناس، وأنهم حين بايعوه بالعَقبة، قالوا: يا رسول الله: إنا بُرآء من ذِمَامِك حتى تَصِل إلى ديارنا، فإذا وصلتَ إلينا، فأنت في ذِمَّتنا نَمْنعك ممَّا نمنع منه أبناءَنا ونِسَاءَنا. فكان رسول الله ﷺ يَتَخوَّف ألاَّ تكونَ الأنصارُ ترى عليها نَصْره إلا ممن دَهِمَه بالمدينة من عدوْه، وأنْ ليس عليهم أن يَسير بهم إلى عدوّ من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعدُ بن مُعاذ: والله لكأنك تريدُنا يا رسولَ الله؟ قال: أجَل، قال: لقد آمنَّا بك وصدّقناك، وشَهِدْنا أن ما جئتَ به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عُهودنا ومواثيقنا، على السَّمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردتَ فنحن معك، فوالذي بَعَثَك بالحقّ، لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخُضْتَه لخُضْناه معك، ما تخلَّف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تَلْقى بنا عدوَّنا غدًا، إنا لَصُبُرٌ في الحَرْب، صُدُقٌ في اللِّقاء. لعلّ الله يُريك منَّا ما تقرُّ به عينُك، فسِرْ بنا على بَرَكة الله. فسُرّ رسولُ الله ﷺ بقول سَعْد، ونَشَّطه ذلك؛ ثم قال: سيرُوا وأبْشروا، فإن الله تعالى قد وَعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظُر إلى مَصارع القوم.

بـرك الغمـاد:

وذكر قول المِقْدادِ: ولو بلغت بنا بِرْكَ الغُمَادِ، وجدتُ في بعض كتبِ التفسير أنها مدينة الحَبَشَةِ.

---

(١) انظر قول أبو بكر وسعد بن معاذ وعمرو المقداد في البخاري (٧/ ٢٢٣) ومسلم (١٧٧٩) وأحمد في مسنده (١/ ٣٩٠/ ٤٢٨) والحاكم (٣/ ٢٤٩). وانظر الفتح (٧/ ٢٢٤).

تفرّق أخبار قريش:

ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَافِرَانَ، فسلك على ثَنايا يقال لها الأصافِر؛ ثم انحطّ منها إلى بلد يقال له: الدَّبَّة، وترك الحنَّان بيمين، وهو كَثِيب عظيم كالجَبل العظيم، ثم نزل قريبًا من بَدْر، فركب هو ورجلٌ من أصحابه.

قال ابن هشام: الرجل هو أبو بكر الصدّيق.

قال ابن إسحٰق: كما حدّثني محمد بن يحيىٰ بن حَبَّان: حتى وقف على شَيْخ من العَرَب، فسأله عن قُريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أُخْبركما حتى تُخْبِراني مِمَّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك»، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابَه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صَدَق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قُريش. فلما فرغ من خبره، قال: ممَّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف عنه. قال: يقول الشيخ: ما من ماء، أمن ماء العراق؟

قال ابن هشام: يقال: ذلك الشيخ سُفيان الضَّمْري.

قال ابن إسحٰق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعثَ عليّ بن أبي طالب، والزُّبَيْرَ بن العَوَّام، وسعدَ بن أبي وقّاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه ـ كما حدّثني يزيدُ بن رُومان؛ عن عُروة بن الزُّبير ـ فأصابوا رَاوِيةً لقُرَيْش فيها أسْلَم غلام بني الحجَّاج، وعَرِيضٌ أبو يَسَار، غلام بني العاص بن سَعيد، فأتَوْا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سُقَاة قُريش، بعثونا نَسْقيهم من الماء. فكَرِه القومُ خبَرهما، ورَجَوْا أن يكونا لأبي سُفْيان، فضَربوهما. فلما أذْلَقوهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. ورَكع رسول الله ﷺ وسجد سَجدتيه، ثم

تعوير قُلَب[1] المشركين:

وذكر القُلَبَ التي احْتَفَرها المشركون ليَشربوا منها، قال: فأمر بتلك القُلُبِ فَعُوِّرَتْ، وهي كلمة نبيلة، وذلك أن القُلَبَ لما كان عَيْنًا جعلها كَعَين الإنسان، ويقال في عَيْن الإنسان: عُرْتها فعَارت، ولا يقال: عَوّرْتها، وكذلك قال في القُلُبِ عُورَتْ بسكون الواو

---

(١) قُلَب: جمع قليب.

سلّم، وقال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذَباكم تَرَكْتموهما، صَدَقا والله إنهما لقريش، أخبراني عن قُريش؟» قالا: هم والله وراء هذا الكَثِيب الذي ترى بالعُدْوة القُصْوى ـ والكثيب: العَقَنْقَل ـ فقال لهما رسول الله ﷺ: «كم القوم؟» قالا: كثيرٌ، قال: «ما عِدَّتُهم؟» قالا: لا نَدْري، قال: «كَمْ يَنْحَرون كلَّ يوم؟» قالا: يومًا تسعًا، ويومًا عشرًا، فقال رسول الله ﷺ: «القومُ فِيما بين التسعمائة والألف». ثم قال لهما: «فمَن فيهم من أشراف قُريش؟» قالا: عُتْبَة بن رَبيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو البخْتَرِيّ بن هشام، وحَكيم بن حزام، ونَوْفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نَوْفَل، وطُعَيْمة بن عديّ بن نوفل، والنَّضر بن الحارث، وزَمْعَة بن الأسْوَد، وأبو جهل بن هِشام، وأُمَيَّة بن خَلَفِ، ونُبَيه، ومُنَبِّه ابنا الحَجَّاج، وسُهَيل بن عمرو، وعَمْرو بن عبد وُدّ. فأقبل رسول الله ﷺ على الناس، فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذَ كَبْدها».

قال ابن إسحٰق: وكان بَسْبَس بن عمرو، وعديّ بن أبي الزَّغْباء قد مَضيا حتى نزلا بدرًا، فأناخا إلى تلّ قريب من الماء، ثم أخَذا شَنًّا لهما يَسْتقيان فيه، ومَجْدِيُّ بنُ عَمْرو الجُهَنيّ على الماء. فسمع عديّ وبَسْبس جاريتين من جواري الحاضر وهما يَتلازمان على الماء، والمَلْزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غدًا أو بعد غد، فأعملُ لهم، ثم أفضيك الذي لك. قال مَجْديّ: صدقتِ ثم خلَّص بينهما. وسمع ذلك عديّ وبَسبس، فجلسا على بَعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ. فأخبراه بما سَمِعا.

نجاة أبي سفيان بالعير:

وأقبل أبو سفيان بن حَرْب، حتى تقدّم العير حذَرًا، حتى ورد الماء، فقال لمَجْديّ بن عمرو: هل أحسستَ أحدًا، فقال: ما رأيت أحدًا أُنكره، إلا أني قد رأيتُ راكبين قد أناخا إلى هذا التلّ، ثم استقيا في شَنٍّ لهما، ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مُناخَها، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففتَّه، فإذا فيه النَّوى، فقال: هذه والله عَلائف يَثْرب. فرجَع إلى أصحابه سريعًا، فضرب وَجْه عِيرِه عن الطرِيقِ فساحَل بها، وترك بدرًا بيسار، وانطلق حتى أسرع.

ولكن لما ردّ الفعَل لما لم يُسَمَّ فاعلُه ضمَّت العين، فجاء على لغة من يقول: قول القَوْل وبُوعَ المتاعُ، وهي لغة هُذيل وبني دُبَيْر من بني أَسَد وبني فقعس، وبنو دُبَيْرِ هو تصغير أَدْبَر على التَّرخيم، وإن كانت لغةً رديئة، فقد حسُنَت هنا للمحافظة على لفظ الواو، إذ لو قالوا: عيرت فأمِيتت الواو، لم يعرف أنه من العَوَر إلا بعد نظر، كما حافظوا في جمع عيد على لفظ الياء في عيد فقالوا: أعْيَاد، وتركوا القياس الذي في ريح وأرْوَاح على أن أرياحًا لغة بني

رؤيا جهيم بن الصلت:

وأقبلت قريشٌ، فلما نزلوا الجُحْفة، رأى جُهَيم بن الصَّلت بن مَخْرمة بن المطَّلب بنِ عبدَ مناف رُؤْيا، فقال: إني رأيتُ فيما يرى النائم، وإني لَبين النائم واليَقظان. إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف، ومعه بعير له؛ ثم قال: قتل عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هشام، وأُميَّة بن خلف، وفلان وفلان، فعدّد رجالاً ممن قتل يوم بدر، من أشراف قريش، ثم رأيتُه ضرب في لَبَّة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضح من دمه.

قال: فبلغت أبا جهل، فقال: وهذا أيضًا نبيّ آخر من بني المطلب، سيعلم غدًا من المَقْتول إن نحن التقينا.

كان أبو سفيان لا يريد حربًا:

قال ابن إسحٰق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحْرَزَ عِيرَه، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتَمنعوا عِيركم ورجالكم وأموالَكم، فقد نَجَّاها الله، فارجعوا، فقال أبو جهل بن هِشام: والله لا نَرْجع حتى نَرِد بدرًا ـ وكان بدر مَوْسمًا من مواسم العرب، يجتمع لهم به سُوقٌ كلَّ عام ـ فنُقيم عليه ثلاثًا، فَنَنْحرَ الجُزُر ونُطْعم الطعام، ونُسْقي الخمر، وتَعْزِف علينا القِيَان، وتسمع بنا العربُ وبمسيرنا وجَمْعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها، فامضُوا.

رجوع بني زهرة:

وقال الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهب الثَّقفي، وكان حَليفًا لبني زهرة وهم بالجُحفة: يا بني زُهْرة، قد نجَّى الله لكم أموالَكم، وخلَّص لكم صاحبَكم مَخْرَمَةَ بن نَوْفل، وإنما نَفرتُم لتَمنعوه ومالَه، فاجعلوا لي جُبْنها وارجعوا، فإنه لا حاجة لكم بأن تَخْرجوا في غير ضَيْعة، لا ما يقول هذا، يَعني أبا جهل: فرجعوا، فلم يَشْهَدْها زُهرِيّ واحد، أطاعوه وكان فيهم مُطاعًا. ولم يكن بَقِيَ من قريش بَطْنٌ إلا وقد نَفر منهم ناس،

أسد كي لا تذهب من اللفظ الدلالة على معنى العين، وإن كان من العَوْدَة، وقِسْ على هذا القول، وصحة الواو فيه، وكما حافظوا على الضمة في سبُّوح وقُدُّوس، وقياسه: أن يكون على فَعُول بفتح الفاء كتَنُّوم وشَبُّوط وبابه، ولكن حافظوا على الضَّمَّتَيْن، ليَسْلَم لفظُ القُدس والسُّبُحَات وسُبْحان الله يَسْتَشْعِر المتكلمُ بهذين الاسمين معنى القُدس، ومعنى سُبْحَانَ من أول وَهْلة، ولما ذكرناه كثيرة نظائرُ يُخرجنا إيرادُها عن الغَرَضِ.

إلا بني عديّ بن كعب، لم يخرج منهم رجلٌ واحد، فرجعت بنو زُهرة مع الأخْنَس بن شَرِيق، فلم يشهد بدرًا من هاتين القَبيلتين أحدٌ، ومشى القوم. وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم، وإن خرجتم معنا، أن هواكم لمع. محمد فرجع طالب إلى مكة مع من رجع. وقال طالب بن أبي طالب:

لا هُمَّ إمَّا يَغْزُوَنّ طالبْ في عُصْبة مَحالفٌ مُحَاربْ

في مِقْنب من هذه المَقانب فليكن المسلوبَ غيرَ السَّالب

وليكن المغلوبَ غير الغالب

قال ابن هشام: قوله فليكن المسلوب، وقوله: ولكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر.

منزل المسلمين ومنزل قريش:

قال ابن إسحٰق: ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعُدْوة القُصْوى من الوادي، خَلْف العَقَنْقَل وبطن الوادي، وهو يَلْيَل، بين بَدْرٍ وبين العَقَنْقَل، الكثيب الذي خلفه قُريش، والقُلُب ببدر في العُدْوة الدنيا من بَطْن يَلْيَل إلى المدينة. وبعث الله السماء، وكان الوادي دَهْسا، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبَّد لهم الأرضَ ولم يَمنعهم عن السير، وأصاب قريشًا منها ما لم يَقْدِروا على أن يرتحلوا معه. فخرج رسولُ الله ﷺ يُبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بَدْر نزل به.

تفسير كلمات:

وذكر قول أبي جَهْلٍ: قم فانشُدْ خُفرَتَك، أي: اطلب من قُرَيْش الوفاءَ بخُفْرَتِهم لك، لأنه كان حليفًا لهم وجارًا، يقال: خَفَرْتُ الرجلَ خُفْرَةً إذا أَجَرْته، والخَفِير. المُجِير[1]. قال: [عديُّ بن زيد] العِبَاديّ.

مَنْ رأيْتَ الأيامَ خَلَّدْنَ أمْ مَنْ ذا عليه من أنْ يُضَامَ خَفِيرُ

---

(١) خفر: الخاء والفاء والراء: أصلان: أحدهما الحياء، والآخر: المحافظة أو ضدها. فالأول الخفر: يقال خَفِرَت المرأة: استحيت، تَخفر خفرًا، وهي خفِرَةٌ. وأما الأصل الآخر فيقال: خفرت الرجل خفرة، إذا أجرته وكنت له خفيرًا، وتخفّرت بفلان إذا استجرت به، ويقال: أخفرته إذا بعثت معه خفيرًا، وأما خلاف ذلك فأخفرت الرجل: وذلك إذا نقضت عهده مقاييس اللغة (٢/ ٢٠٣).

مشورة الحباب:

قال ابن إسحٰق: فحُدِّثت عن رجال من بني سَلمة، أنهم ذكروا: أن الحُباب بن المنذر بن الجَمُوح قال: يا رسول الله، أرأيتَ هذا المنزل، أمنزلاً أنزلَكه الله ليس لنا أن نتقدّمه، ولا نتأخَّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فَننزله، ثم نعوّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبْني عليه حوضًا فنَمْلؤه ماء، ثم نُقاتل القَوم، فنَشْرَب ولا يشربون؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «لقد أشرتَ بالرأي». فنهض رسولُ الله ﷺ - ومَنْ معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نَزَل عليه، ثم أمر بالقُلُب فعُورت، وبنى حَوْضًا على القَليب الذي نزل عليه فمُلىء ماءً، ثم قذفوا فيه الآنية.

بناء العريش لرسول الله ﷺ:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث: أن سَعْدَ بنَ معاذ قال: يا نبيّ الله، ألا نَبْني لك عَرِيشًا تكُون فيه، نُعدُّ عندك ركائبك، ثم نَلْقى عدوّنا، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأُخرى، جلستَ على رَكائبك، فَلحِقْت بمَنْ وراءنا، فقد تخلّف عنك أقوامٌ، يا نبيّ الله، ما نحنُ بأشدَّ لك حبًّا منهم، ولو ظَنُّوا أنك تلقى حربًا ما تخلّفوا عنك، يَمنعك الله بهم، يناصحونك ويُجاهدون معك: فأثني عليه رسولُ الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير. ثم بُني لرسول الله ﷺ عَريشٌ، فكان فيه.

ارتحال قريش:

قال ابن إسحٰق: وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحتْ، فأقبلتْ، فلما رآها رسولُ الله ﷺ تَصوَّب من العَقَنْقَل، - وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي - قال: اللهمَّ هذه قُريش قد أقبلت بخُيلائها وفَخْرها، تُحادّك وتكذّب رسولَك، اللهمّ فنَصْرَك الذي وعدتني، اللهمّ أحِنْهم الغداةَ.

وقد قال رسول الله ﷺ - (وقد) رأى عتبةَ بن رَبيعة في القوم على جمل له أحمر -: «إن يكن في أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إن يُطيعوه يَرْشُدوا».

وقوله: حَقِبَتْ الحربُ، يقال: حَقِبَ الأمرُ إذا اشتد، وضاقت فيه المسالكُ، وهو مُسْتَعَارٌ من حَقِبَ البعيرُ إذا اشتَدَّ عليه الحَقَبُ وهو الحزام الأسفل، وراغ حتى يَبْلُغَ ثِيلَه، فضاق عليه مسلكُ البَوْل.

وقد كان خُفاف بن أيماء بن رَحَضة الغِفاريّ، أو أبوه أيماء بن رَحَضة الغِفاريّ، بعث إلى قريش، حين مرُّوا به، ابنًا له بجزائره أهْداها لهم، وقال: إن أحْبَبتم أن نُمدّكم بسلاح ورجال فعَلْنا. قال: فأرسَلُوا إليه مع ابنه: أن وصَلتْك رحم، قد قضيت الذي عليك، فَلَعمْري لئن كنّا إنما نُقاتل الناسَ فما بنا من ضَعْف عنهم، ولئن كنّا إنما نُقاتل الله، كما يزعم محمَّدٌ، فما لأحد بالله من طاقة.

فلما نزل الناسُ أقْبَل نفرٌ من قريش حتى وَردُوا حوضَ رسول الله ﷺ فيهم حَكيم بن حِزام؛ فقال رسول الله ﷺ: «دعُوهم». فما شَرِب منه رجلٌ يومئذ إلا قُتل، إلا ما كان من حَكِيم بن حزام، فإنه لم يُقتل، ثم أسلم بعد ذلك، فحسُن إسلامه. فكان إذا اجتهد في يمينه، قال: لا والذي نجّاني من يوم بدر.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يسار وغيرُه من أهل العلْم، عن أشياخ من الأنصارِ، قالوا: لما اطمأنّ القوم، بعثوا عُمَير بن وَهْب الجُمَحيّ فقالوا: احْزُر، لنا أصحابَ محمد، قال: فاستجالَ بفرسه حولَ العَسْكر ثم رجع إليهم، فقال ثلاثُ مائة رجل، يزيدون قليلاً أو يَنْقُصون، ولكن أمْهِلُوني حتى أنظُر أللقوم كمِينٌ أو مَدَد؟ قال: فضرب في الوادي حتى أبْعد، فلم يَرَ شيئًا، فرجع إليهم فقال: ما وجدتُ شيئًا، ولكني قد رأيتُ، يا معشرَ قُريش، البَلايا تحمل المنَايا، نواضح يَثْرِب تحملُ الموت الناقع، قوم ليس معهم مَنعة ولا مَلْجأ إلا سيوفهم، والله ما أرَى أن يُقتَل رجلٌ منهم، حتى يَقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك؟ فَرَوا رأيكم.

فلما سمع حَكِيم بن حِزَام ذلك مشى في الناس، فأتى عُتْبَة بن ربيعة، فقال: يا أبا الوليد، إنك كبيرُ قُرَيش وسيِّدُها، والمُطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تُذْكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حَكيم؟ قال: تَرْجع بالنَّاس، وتَحْمل أمرَ حليفك عَمرو بن الحَضْرمي، قال: قد فعلتُ، أنت عليّ بذلك، إنما هو حليفي، فعليّ عَقْلُه وما أُصِيبَ من ماله، فأتِ ابن الحَنْظليّة.

وقول عُتْبَةَ في أبي جَهْلٍ: سيعلم مُصَفِّرُ اسْتِه من انتفخ سَحْرُه. السَّحْرُ والسُّحْرُ الرِّئَةُ، والسَّحَر أيضًا بفتح الحاء، وهو قياسٌ من كل اسم على فَعْل إذا كانَ عينُ الفعل حَرْفَ حَلْقٍ، أن يجوز فيه الفتحُ، فيقال في الدُّهْر: الدَّهَر، وفي اللحْم: اللحم حتى قالوا في النَّحْو النَّحَو، ذكرها ابن جِنّي، ولم يعتمِدوا على هذا التحريك الذي من أجل حَرْف الحَلْقِ لما كان لعِلَّةٍ، فلم يقلبوا الواو من أجله ألفًا حين قالوا: النَّحَو والزَّهَد، ولو اعْتَدُّوا بالفتحة، لقلبوا الواو

نسب الحنظلية[1]:

قال ابن هشام: والحَنْظليَّة أم أبي جهل، هي أسماء بنت مخربة، أحد بني نَهْشِل بن دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تمِيم - فإني لا أخشى أن يَشْجُر أمرَ الناس غيرُه، يعني أبا جهل بن هشام. ثم قام عُتبة بن ربيعة خطِيبًا، فقال: يا معشرَ قريش، إنكم والله ما تَصنعون بأن تلْقَوا محمدًا وأصحابه شيئًا، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجلُ ينظر في وجه رجل يَكره النَّظر إليه، قَتل ابن عَمّه أو ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوا فذاك الذي أردتم، وإن كان غيرَ ألفاكم ولم تَعَرّضُوا منه ما تريدون.

قال حَكِيم: فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل، وجدتُه قد نَثَل دِرْعًا له من جِرابها، فهو يَهْنِئها قال ابن هشام: يهيئها - فقلتُ له: يا أبا الحكم إنّ عُتبة أرسلني إليك بكذا وكذا، للذي قال، فقال: انتفَخ والله سَحْرُه حين رأى محمدًا وأصحابه، كلاّ والله لا نرْجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد، وما بعُتبة ما قال، ولكنه قد رأى أن محمدًا وأصحابه أكلةُ جَزُور، وفيهم ابنُه، فقد تخوّفكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرمي، فقال: هذا حليفُك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقُم فأنْشُدْ خُفرتك، ومقْتل أخيك.

فقام عامر بن الحَضْرميّ فاكتَشف ثم صرخ: واعَمْراه، واعَمراه. فحميت الحربُ وحَقِب الناس، واستَوْسقوا على ما هم عليه من الشرّ، وأُفسد على الناس الرأيُ الذي دعاهم إليه عُتبةُ.

فلما بلغ عتبةَ قولُ أبي جهل: «انتفخ والله سحره»، قال: سيعلم مُصفِّرُ اسْتِه من انتفخ سَحرُه، أنا أم هو؟.

قال ابن هشام: السَّحْرُ: الرئة وما حولها مما يَعْلق بالحُلْقُوم من فوق السُّرة. وما كان تحت السُّرة، فهو القُصْب، ومنه قوله: رأيت عمرو بن لُحَيّ يجُرُّ قُصْبه في النار: قال ابن هشام: حدّثني بذلك أبو عُبَيْدَة.

ألفًا، كما لم يَعْتَدُّوا بها في: يَهَب ويَضَع، إذ كان الفتحُ فيه من أجْلِ حَرْف الحَلْقِ، ولو اعْتَدُّوا به، لردُّوا الواو فقالوا: يَوْضَع ويَوْهَب، كما قالوا: يَوْجَل.

---

(١) انظر الخبر في تاريخ الطبري (٢/ ٤٤٢) الأغاني (٤/ ١٨٩) المنتظم (٣/ ١٠٥).

ثم التمس عُتبة بيضةً ليُدْخلها في رأسه، فما وجد في الجَيْش بَيْضَةً تَسَعُه من عِظم هامَتِهِ، فلما رأى ذلك اعْتَجَر على رأسه بِبُرْد له.

مقتل الأسود المخزوميّ:

قال ابن إسحٰق: وقد خرج الأسودُ بن عبد الأسد المَخْزومي، وكان رجلاً شَرِسًا سَيِّىء الخُلُق، فقال: أُعاهد الله لأشْربنَ من حوْضهم، أو لأهْدِمنَّه، أو لأموتَنّ دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزةُ بن عبد المطّلب، فلما التقيا ضربه حمزةُ فأطَنَّ قَدَمَه بنِصْف ساقه، وهو دون الحَوْض، فوقع على ظهره تَشْخُب رجلُه دَمًا نحو أصحابه، ثم حَبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد (زعم) ـ أن يُبرّ يَمينه، وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله في الحوض.

دعاء عتبة إلى المبارزة:

قال: ثم خرج بعد عُتبة بن ربيعة، بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فَصل من الصفّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتْية من الأنصار ثلاثة، وهم: عَوْف، ومُعوّذ، ابنا الحارث ـ وأُمهما عَفْراء ـ ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رَواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادَى مُناديهم يا محمّد، أخْرِج إلينا أكْفاءَنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: «قُم يا عُبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة وقُمْ يا عليّ»، فلما قاموا دَنَوْا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عُبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليّ: عليّ، قالوا: نعم، أكْفاء كرام. فبارزَ عُبيدة،

من قائل أبي عذرها وما داء أبي جهل:

وقوله: مُصَفِّر اسْتِه، كلمةٌ لم يَختَرعها عُتْبَةُ، ولا هو بأبي عُذْرِها، قد قيلت قبله لقَابُوس بن النُّعْمان، أو لقابوس بن المنذِر، لأنه كان مُرَفَّهًا لا يغزو في الحروب، فقيل له: مُصَفِّر اسْتِه، يريدون: صُفْرة الخَلُوقِ والطِّيبِ، وقد قال هذه الكلمةَ قَيْسُ بن زُهَيْرٍ في حُذَيْفَةَ يوم الهَبَاءَةِ، ولم يقل أحد إن حُذَيْفَةَ كان مَسْتُوهًا، فإذًا لا يَصِحُّ قولُ من قال في أبي جهل مِنْ قولِ عُتْبَة فيه هذه الكلمة: إنه كان مَسْتُوهًا والله أعلم.

وسادةُ العَرَب لا تستعمل الخَلُوقَ والطِّيبَ إلاَّ في الدَّعَةِ والخَفْضِ وتَعِيبُه في الحرب أشَدَّ العَيْب، وأحسِب أن أبا جَهْل لما سَلِمَت العِيرُ، وأراد أن يَنْحَرَ الجزُورَ، ويشربَ الخمر ببدرٍ، وتَعْزِفَ عليه القِيَانُ بها استعمل الطيبَ أو هَمَّ به، فلذلك قال له عُتْبةُ هذه المقالة، ألا ترى إلى قول الشاعر في بني مَخْزُوم:

ومِنْ جَهْلِ أبو جَهْلِ أخُوكمْ ... غزا بَدْرًا بِمِجْمَرَةٍ وتَوْرِ

وكان أسنَّ القوم، عتبة (بن) رَبيعة، وبارز حَمزَةُ شَيْبَة بن ربيعة، وبارز عليّ الوليدَ بن عتبة. فأما حمزة فلم يُمْهِل شيبةَ أنْ قتله؛ وأما عليّ فلم يُمْهل الوليد أن قتله؛ واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضَرْبتين، كلاهما أثْبت صاحبَه؛ وكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عُتبة فذَفَّفا عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أن عُتبة بن ربيعة قال للفِتْية من الأنصار، حين انتسبوا: أكفاء كِرام، إنما نريد قومنا.

التقاء الفريقين:

قال ابن إسحٰق: ثم تزاحف الناس ودَنا بعضُهم من بعض، وقد أمر رسولُ الله ﷺ أصحابه أن لا يَحمِلوا حتى يأمرهم، وقال: «إن أكتنَفَكم القوم فانضحُوهم عنكم بالنَّبْل»، ورسولُ الله ﷺ في العَريش، معه أبو بكر الصديق.

فكانت وَقْعة بدر يوم الجمعة صَبيحة سبعَ عشرةَ من شهر رمضان.

قال ابن إسحٰق: كما حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحُسين.

ابن غزية وضرب الرسول له في بطنه بالقدح

قال ابن إسحٰق: وحدّثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان عن أشياخ من قومه: أن رسولَ الله ﷺ عدَّل صُفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قِدْح يُعدِّل به القومَ، فمرّ بسَوَّادِ بن غَزِيةَ، حليفِ بني عَدِيّ بن النجار ـ قال ابن هشام: يقال، سَوَّاد؛ مثقلة، وسَوَاد في الأنصار غير هذا، مخفّف ـ وهو مُسْتَنْتِل من الصَّفّ ـ قال ابن هشام: ويقال: مُسْتَنْصِل

يريد: أنه تَبَخّر وتَطَيّب في الحرب.

وقوله: مُصَفِّر استِه إنما أراد مُصَفِّرَ بَدَنِه، ولكنه قصد المبالغة في الذَّمّ فخص منه بالذكر ما يَسُوؤه أن يُذْكر.

حول سواد بني غزية

فصل: وذكر قصةَ سوادِ بن غَزِيَّة حين مرّ به رسول الله ـ ﷺ ـ وهو مُسْتَنْتِلٌ أمامَ الصَّفّ، قال ابن هشام: ويقال: مُسْتَنْصِلٌ. قوله: مُسْتَنْتِلٌ أمام الصف، يقال: استَنْتَلْتُ واستَنْصَلْتُ وأبْرَنْذَعْتُ وابْرَنْتَيْتُ بالراء المهملة وبالزاي، هكذا تَقيَّد في الغريبِ المصنف، كل هذا إذا تقدَّمْتَ. سَوَادُ هذا بتخفيف الواو، وكل سَواد في العَرب، فكذلك بتخفيف الواو

من الصفّ ـ فطعن في بَطْنِه بالقدْح، وقال: اسْتَو يا سَوَّاد، فقال: يا رسول الله أوْجَعْتني وقد بعثك الله بالحقّ والعدل، قال: فَأَقِدْنِي. فكَشف رسولُ الله ﷺ عن بطنه، وقال: «اسْتَقِد»، قال: فاعْتَنَقَه فقَبَّل بطنَه: فقال: «ما حملك على هذا يا سَوّاد؟» قال: يا رسولَ الله، حضَر ما تَرى، فأردتُ أن يكون آخرُ العهد بك أن يَمَسَّ جِلْدي جِلْدَك. فدعا له رسولُ الله ﷺ بخير وقال له[1].

مناشدة الرسول ربه النصر

قال ابن إسحٰق: ثم عدّل رسُول الله ﷺ الصفوفَ، ورجع إلى العَرِيش فدخله، ومعه فيه أبو بكر الصدّيق، ليس معه فيه غيرُه، ورسول الله ـ ﷺ يُناشِد رَبَّه ما وَعده من النصر، ويقول فيما يقول: «اللهمّ إن تَهْلِكْ هذه العِصَابةُ اليَوْمَ لا تُعْبَد»، وأبو بكر يقول: يا نبيّ الله: بعضَ مُناشَدَتك رَبَّك، فإن الله مُنجزٌ لك ما وعَدك[2].

وفتح السِّين، إلا عَمْرو بن سَوَادٍ أحد بني عامر بن لُؤَيّ من شيوخ الحديث، وسُوَاد بضم السين، وتخفيف الواو، هو ابن مري بن إرَاشَةَ بن قضَاعة ثم من بَلِيّ حلفاءِ الأنصار، ووقع في الأصلِ من كلام ابن هشام سَوَّاد مثقلة ابن غَزِّية، إنما الصواب ما تقدم، وسَوَاد هذا هو عامل رسولَ الله ـ ﷺ ـ على خَيْبر الذي جاءه بتَمْرٍ جَنِيبٍ، ذكره مالكٌ في المُوَطَّأ ولم يُسَمِّه.

وقول ابن هشام: مُسْتَنْصِلٌ، معناه: خارجٌ من الصَّفّ من قولك: نَصَّيْتُ الرمحَ إذا أخرجت ثَعْلَبَة[3] من السِّنَانِ.

تفسير بعض مناشدتك

وذكر قول أبي بكرٍ بعضَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّك، فإن الله مُنْجِزٌ لك ما وَعَدَك، رواه غير ابن إسحٰق كذلك مَنَاشَدَتَكَ، وفسره قاسمٌ في الدلائل، فقال: كذلك قد يُرادُ بها معنى الإغرَاءِ والأمرُ بالكَفّ عن الفِعل، وأنشد لجرير:

[تقول وقد ترامحت المطايا] كَذَاكَ القول إنَّ عليك عَيْنا

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢٢٤) ومسلم (١٧٦٣) وأحمد (١/ ٣٠/ ٣٢).

(٣) الثعلب: أي طرف الرمح.

أي: حَسْبُكَ من القول، فدعه، وفي البخاري أن النبي ﷺ قال لأنجشه: «يا أَنجشه رُوَيْدك سَوْقَك بالقَوارير»[1]، وأورده مَرَّة أخرى فقال فيه شوْفَك وإنما دخله معنى النصب كما دخل: عليك زَيْدًا معنى النصب، وفي دونك، لأنك إذا قلت دونَك زَيْدًا وهو يطلبه فقد أعلمته بمكانه فكأنك قلت: خذه، ومسألةُ كذاك من هذا الباب لأنك إذا قلت: كذاك القول أو السير، فكأنك قلت: كذاك أَمَرْتُ فاكْفُفْ ودَعْ، فأصل البابين واحد وهو ظرف بعده ابتداء، وهو خبر يتضمن معنى الأمر أو الإغراء بالشيء، أو تركه، فنصبوا بما في ضِمْنِ الكلام، وحَسُنَ ذلك حيث لم يعدلوا عن عامل لفظي إلى مَعْنَوِيٍّ، وإنما عَدَلوا عن مَعْنَوِيٍّ إلى معنوي، ولو أنهم حين قالوا: دونَك زيدًا يلفظون بالفعل فيقولون: استقر دونك زيد، وهم يريدون الإغراءَ به والأمر بأخذه لَمَا جاز النصبُ بوجه، لأن الفعل ظاهر لَفْظِي، فهو أقوى من المعنوي.

معنى مناشدة أبي بكر:

فصل: وفي هذا الحديث من المعاني أن يقال: كيف جعل أبو بكر يأمرُ رسولَ الله - ﷺ - بالكَفِّ عن الاجْتِهادِ في الدعاء، ويقوّي رجاءَه ويثبّته، ومقامُ رسولِ الله - ﷺ - هو المقام الأحمدُ ويقينُه فوق يقينِ كل أحدٍ، فسمعت شيخَنَا الحافظ[2] - رحمه الله - يقول في هذا: كان رسولُ الله ﷺ في مقام الخوف، وكان صاحبُه في مقام الرَّجَاءِ، وكلا، المقامين سواءٌ في الفِضلِ، لا يريد أن النبيَّ والصِّدِّيقَ سَوَاء، ولكن الرجاءَ والخوفَ مقامان لا بد للإيمانِ منهما، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرَّجَاءِ لله، والنبيُّ عليه السلامُ كان في مقام الخوفِ من الله، لأن لله أن يفعل ما شاء، فخاف أن لا يُعْبَد الله في الأرضِ بعدها، فخوفه ذلك عبادةٌ. وأما قاسم بن ثابت، فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا، وقال: إنما قال ذلك الصِّدِّيقُ مَأْوِيَةً للنبي عليه السلامُ ورِقَّةً عليه، لما رأى من نَصَبِه في الداعء والتَّضَرُّع حتى سقط الرداءُ عن مَنْكِبَيْه، فقال له: بعضَ هذا يا رسول الله، أي: لِمَ تُتْعِبُ نفسَك هذا التعبَ، والله قد وعدك بالنصر، وكان رقيقَ القلب شديد الإشفاق على النبي ﷺ[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٤) ومسلم في الفضائل (٧٠) والدارمي (٢/ ٢٩٦) وأحمد (٣/ ١١٧) والبيهقي في الآداب (٨١٩) بتحقيقي.

(٢) يعني القاضي أبا بكر بن العربي - علم من أعلام الحديث وأهله. دليس بن العربي النكرة الصوفي صاحب الرسائل والإشراقات.

(٣) وهذا الرأي الأخير هو الأرجح.

وقد خَفَق رسولُ الله ﷺ خَفْقة وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «أبْشِرْ يا أبا بكر، أتاكَ نصرُ الله. هذا جبريل آخذٌ بعنان فَرَسٍ يقوده، على ثَناياه النَّقْع».

جهاد النبي في المعركة:

قال المؤلف: وأما شِدَّةُ اجتهاد النبيّ - ﷺ - ونصبه في الدعاءِ فإنه رأى الملائكةَ تَنْصَبُ في القتالِ وجبْريل على ثَنَاياه الغُبَارُ، وأنصارُ الله يخوضون غِمَارَ الموْتِ. والجهادُ على ضَرْبين: جهاد بالسيف، وجهادٌ بالدُّعَاء، ومن سُنَّةِ الإمام أن يكونَ من وراء الجُنْدِ لا يقاتلُ معهم، فكان الكلُّ في اجتهاد وجِدٍّ، ولم يكن لِيُريحَ نفسَه من أحدِ الجِدَّين والجهَادين، وأنصارُ الله وملائكتُه يجتهدون، ولا لِيُؤْثِرَ الدَّعَةَ، وحزبُ الله مع أعدائِه يَجْتَلِدُون.

المفاعلة:

وقوله: بعضَ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّك، والمفاعَلة لا تكون إلا من اثنين والرَّبُّ لا يَنْشُد عَبْدَه، فإنما ذلك لأنها مُناجَاة للرَّبِّ، ومحاولة لأمْرٍ يريده، فلذلك جاءت على بناء المفاعَلة، ولا بُدَّ في هذا البابِ من فِعْلين لفاعِلين، إمَّا مُتَّفِقَيْن في اللفظ، وإمَّا مُتَّفِقَيْن في المعنى، وظن أكثرُ أهلِ اللغة أنها قد تكون من واحدٍ نحو: عاقبت العبدَ وطارَقْتُ النَّعْلَ، وسافرتُ، وعافاه الله، فنقول: أمَّا عاقبتُ العبدَ فهي مُعَامَلَةٌ بينك وبينه، عامَلَك بالذنب، وعاملْته بالعُقوبة، فأُخِذ لفظُها من العقوبة، ووزنُها من المُعَاوَنة، وأما طارقتُ النعل، فمن الطرق وهو الفوه، فقد قَوَّيْتهَا وقَوَّتْك على المَشْيِ، فلفظُها من الطرْق، وبناؤُها على وزن المُعَاوَنة والمُقاوَاة، فهذا اتِّفاقٌ في المعنى، وإن لم يكن في اللفظ، وأما سافر الرجلُ فمن سَفَرْتَ: إذا كَشَفْتَ عن وَجْهك، فقد سَفر لقوم، وسَفرُوا له، فهذه مُوَافقةٌ في اللفظ والمعنى، وأما المعافاة، فإن السيد يُعْفِي عبدَه من بَلاَءٍ فَيُعْفى العبدُ سَيِّدَه من الشَّكْوَى والإلحاح، فهذه موافقة في اللفظ، ثم تضاف إلى الله سبحانه اتساعًا في الكلام، ومجازًا حسنًا.

عصب وعصم:

فصل: وذكر قول النبيّ - ﷺ - هذا جبريلُ على ثَنَاياه النَّقْعُ، وهو الغُبَارُ وفي حديث آخر أنه قال: رأيته على فَرَسٍ له شَقْراء، وعليه عِمَامَةٌ حَمْراء، وقد عَصَمَ بِثَنِيَّتِهِ الغُبَارُ؛ قال ابن قتيبة: عَصَمَ وعَصَبَ بمعنى واحد، يقال: عَصَب الريقُ بفيه، إذا يَبِسَ وأنشد:

يَعْصِبُ فاهُ الريقُ أيَّ عَصْبِ ... عَصْبَ الجُبَابِ بشفاه الوَطْبِ

وخالفه قاسم بن ثابت، وقال: هو عُصم من العَصِيم والعُصْم، وهي كالبقية تبقى في اليد وغيرها من لَطْخ حِنَّاء أو عَرَق أو شَيْءٍ يَلْصَق بالعَضُد، كما قالت

أوّل قتيل:

قال ابن إسحٰق: وقد رُمي مِهْجَعٌ، مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتِل، فكان أوّلَ قتيل من المسلمين، ثم رُمِي حارثةُ بن سُراقة، أحد بني عديّ بن النجّار، وهو يشرب من الحوض، بسهم فأصاب نحرَه، فقُتل.

تحريض المسلمين على القتال

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم، وقال: «والذي نفسُ محمد بيده، لا يُقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقتَل صابرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلاً غيرَ مُدبِر، إلا أدخله الله الجنةَ». فقال عُمَير بن الحُمَام، أخو بني سَلمة، وفي يده تمرات يأكلهنّ: بَخ بَخ، أفمَا بيني وبين أن أدخلَ الجنَّة إلا أن يَقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التَّمرات من يده وأخذ سيفَه، فقاتل القومَ حتى قتل[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عوف بن الحارث، وهو ابن عَفراء قال: يا رسول الله، ما يُضحِك الربَّ من عبده، قال: «غَمْسه يدَه في العدو حاسرًا». فَنَزع دِرْعًا كانت عليه فقذَفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل.

امرأة من العرب لأُخرى: أعطني عُصَمَ حِنَّائِك، أي ما سَلَتَت من حِنَّائِها، وقَشَرَتْه من يدها.

حديث عمير بن الحمّام

فصل: وذكر حديثَ عمَيْر بن الحُمَام بن الجَمُوح بن زيد بن حرام حين ألقى التَّمرَاتِ من يده، وقال: بَخْ بَخْ، وهي كلمة، معناها التعجب، وفيها لغات بخ بسكون الخاء وبسكرها مع التنوين، وبتشديدها مُنَوَّنَةً، وغير مُنَوَّنة، وفي حديث مسلم والبخاري: أن هذه القصة كانت أيضًا يوم أُحُدٍ لكنه لم يُسم فيها عُمَيْرا، ولا غيره فالله أعلم.

حديث عوف ابن عفراء:

وقول عَوْف ابن عَفْراء: ما يُضْحِك الرَّبَّ من عبده يا رسول الله؟ قد قيل في عَوْف: عَوْذ بالذال المنقوطة، ويقوى هذا القولَ أن أخويه: مُعَاذٌ ومُعَوِّذٌ.

---

(١) انظر مسلم في الإمارة (١٤٥).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن مُسْلم بن شِهاب الزهريّ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذْريّ، حليف بني زُهرة، أنه حدّثه: أنه لمَّا التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض، قال أبو جهل بن هشام: اللهمّ أقْطَعُنا للرحم، وآتانا بما لا يُعْرف، فأحْنِهِ الغَدَاةَ. فكان هو المُسْتَفْتِح.

ضحك الرب:

ويضحك الربَّ، أي يُرْضيه غاية الرضى، وحقيقته أنه رِضًى معه تبشيرٌ وإظهار كرامةٍ، وذلك أن الضَّحِكَ مُضادٌّ للغَضَبِ، وقد يَغْضَب السيدُ، ولكنه يعفو ويُبْقي العَتْبَ، فإذا رَضِي، فذلك أكثر من العفو، فإذا ضَحِك فذلك غاية الرِّضى؛ إذ قد يَرْضَى ولا يُظْهر ما في نفسِه من الرِّضى، فعبَّر عن الرِّضى وإظهاره بالضَّحِك في حَقِّ الربِّ سُبْحَانه مَجَازًا وبلاغَةً، وتَضْمينًا لهذه المعاني في لَفْظٍ وَجِيز؛ ولذلك قال عليه السلام في طَلحة بن البَرَاء: «اللهم الْقَ طَلْحَةَ يَضْحَك إليك، وتضحك إليه»[1]، فمعنى هذا: الْقَه لِقَاءَ مُتَحَابَّيْن مُظْهِرَيْن لما في أنفسهما من رِضًى، ومَحَبَّةٍ، فإذا قيل: ضَحِك الربُّ لفلانٍ، فهي كلمة وجيزة تتضمن رِضًى مع محبّة وإظهَار بِشْرٍ وكرامة، لا مَزيدَ عليهما، فهي من جوامع الكِلَمَ التي أوتِيَهَا عليه السلام[2].

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٧٣) وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٢٧٣) وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٧٤) وابن سعد في الطبقات (٤/ ٢/ ٧٣).

(٢) الضحك: صفة من صفات ربنا جلّ وعلا، نؤمن بها ونعتقد، كما آمنا أن لله تعالى «وجهًا» وكما آمنا أن لله تعالى «ساق» و «قدم» و «أصابع»، وكما آمنا أنه تعالى ينزل في الثلث الأخير من الليل، وأنه تعالى: ﴿مستوٍ على عرشه﴾، وكما أنه تعالى «يغضب»، وكما أنه تعالى «يفرح». كما صرّح بهذا وغيره ـ من صفات ربنا جلّ وعلا ـ القرآن والسنّة «الصحيحة»، ونعرف كل هذا لله تعالى مؤمنين به كما نؤمن أنه قدمه وساقه وأصابعه ووجهه وضحكه وغضبه وفرحه ونزوله لا يشابه في هذا أحدٌ من خلقه إذ ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. وتفسير ضحك الله بأنه الرضى حيدة عن الحق، وقد فرّق القرآن بين الرضى والضحك كما فرّقت السنة، وإذا ما سُئل المسلم: كيف هو ضحك ربنا؟! قلنا له: السؤال عن الضحك كالسؤال عن الاستواء على العرش، فهل آمنت أن الله مستوٍ على عرشه كما صرّح القرآن في غير آية ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾؟ فإذا آمنت بهذا وأنت لا تدري كيفية الاستواء؛ إلا إذا عاندت وكيّفت، كذلك القول في الضحك والغضب والرضى والفرح وغير ذلك، ثم إن السؤال عن الصفات فرع عن السؤال عن الذات، فهل تستطيع أن تصف لنا ذات الله عزّ وجلّ؟! وبالطبع سيكون الرد بالنفي، قلنا: السؤال عن الصفات فرع من السؤال بالذات، فإذا انتفى الأول انتفى الثاني. انظر مزيد بيان وإيضاح [لزامًا]: «القواعد المثلى» لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمي ـ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ومنها «الرسالة التدمرية»

رمي الرسول للمشركين بالحصباء:

قال ابن إسحٰق: ثم إن رسولَ الله ﷺ أخذ حَفْنة من الحَصْباء فاستقبل قريشًا بها، ثم قال: شاهتِ الوجوه، ثم نَفَحَهم بها، وأمر أصحابَه، فقال: شُدُّوا، فكانت الهزيمةُ، فقتَل الله تعالى مَنْ قَتل من صَناديد قُريش، وأسَر من أسر من أشرافهم. فلما وضع القومُ أيديهم يأسِرُون ورسولُ الله ﷺ في العَرِيش، وسعدُ بن مُعاذٍ قائم على باب العَرِيش، الذي فيه رسولُ الله ﷺ، مُتَوشِّحًا السيفَ، في نفرٍ من الأنصار يحرُسُون رسولَ الله ﷺ، يخافون عليه كَرَّة العدوّ، ورأى رسولُ الله ﷺ - فيما ذُكر لي - في وجه سَعْدِ بن مُعاذ الكراهيةَ لما يَصْنعُ الناسُ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «والله لكأنك يا سعدُ تكره ما يصنع القوم»، قال: أجَلْ والله يا رسول الله، كانت أوّل وقعة أوقعها الله بأهلِ الشّرك. فكان الإِثْخَانُ في القتل بأهل الشِّرك أحبَّ إليّ من استبقاء الرجال.

نهى النبي أصحابه عن قتل ناس من المشركين:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني العباس بن عبد الله بن مَعْبد، عن بعض أهله، عن ابن عبّاس أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرِهم قد أُخْرِجوا كَرْهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتُله، ومن لقي أبا البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب، عمّ رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما أُخْرج مُسْتكرهًا». قال: فقال أبو حُذيفة: أنقتُل آباءَنا وأبناءَنا وإخوتَنا وعشيرتنا. ونترك العبَّاس، والله لَئِنْ لقيتُه لأُلْحِمَنَّهَ السيفَ - قال ابن هشام: ويقال: لأُلجمنَّهَ (السيف) - قال: فبلغت رسولَ الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطَّاب: «يا أبا حفص» - قال عمر: والله إنه لأوّل يوم كنَّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حَفْص - أيُضرب وجهُ عمّ رسول الله ﷺ بالسيف؟ فقال عمر: يا رسول الله، دعني فَلأَضْرِب عُنقَه بالسيف، فوالله لقد نافَق. فكان أبو حُذَيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذ، ولا أزال منها خائفًا، إلا أن تكفِّرها عني الشهادة. فقُتِلَ يوم اليمامة شهيدًا.

قال ابن إسحٰق: وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البَخْتَرِيّ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلُغه عنه شيء يكرهه، وكان ممَّن قام في نَقْض الصحيفة التي كتبت قريشٌ على بني هاشم وبني المُطَّلب. فلقيه المُجَذَّرُ بن ذِيادِ البَلَوِيّ، حليف الأنصار، ثم من بني سالم بن عَوْف، فقال المُجذَّرُ لأبي

....

البَخْتَرِيّ: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قد نهانا عن قَتْلِك ـ ومع أبي البَخْتَرِيِّ زَمِيلٌ له قد خرج معه من مكة، وهو جُنَادَةُ بن مُلَيْحَةَ بنتِ زُهَيْر بن الحارث بن أسد: وجنَادة رَجُلٌ من بني لَيْث. واسمُ أبي البَخْتري: العاص ـ قال: وزميلي؟ فقال له المُجَذَّر: لا والله، ما نحن بتاركي زَميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدَك؛ فقال: لا والله، إذن لأموتَنَّ أنا وهو جميعًا، لا تتحدّث عني نساءُ مكة أني تركت زَميلي حِرْصًا على الحياة. فقال أبو البَخْتَرِيّ حين نازله المجذَّر، وأبى إلا القتال، يرتجز:

لـن يُـسْـلِـمَ ابْـنُ حُـرَّةٍ زمـيـلَـه ... حـتـى يَـمُـوتَ أو يَـرى سَـبـيـلَـه

فاقتتلا، فقتله المُجَذَّرُ بن ذِياد. وقال المجذّر بن ذيادٍ في قتْله أبا البَخْتري:

إمّـا جـهِـلـتَ أو نَـسِـيـتَ نَـسـبـي ... فَـأَثْـبِـتِ الـنِّـسـبـة أنـي مـن بَـلِـي

الـطَّـاعِـنِـيـن بـرمـاحِ الـيَـزَنـي ... والـضَّـارِبين الكَبْشَ حتى يَنْحني

بَـشِّـر بـيُـتـم مـن أبُـوهُ الـبَـخْـتـرِيّ ... أو بَـشِّـرنْ بـمـثـلـهـا مِـنِّـي بـنِـي

أنـا الـذي يُـقـال أصْـلِـي مـن بَـلِـي ... أطـعُـنُ بـالـصَّـعْـدة حـتـى تَـنْـثَـنِـي

وأغْـبِـطُ الـقِـرْن بـعَـضْـب مَـشْـرَفِـي ... أُرْزِمَ لـلـمـوْتِ كـإرْزَامِ الـمَـرِي

فـلا تـرى مُـجَـذَّرًا يَـفْـرِي فَـرِي

قال ابن هشام: «المري» عن غير ابن إسحٰق. والمريّ: الناقة التي يُستنزل لبنها على عسر.

شرح كلام أبي البختري والمجذر:

فصل: وقول أبي البَخْتَرِيِّ أنا وزميل. الزَّميلُ: الرَّدِيفُ، ومنه: ازْدَمَلَ الرجُلُ بحمله إذا ألقاه على ظهره، وفي مُسَند الحارثِ عن ابن مسعود، قال: «كنّا نَتَعَاقَبُ يومَ بدْرٍ ثلاثةً على بَعِير، فكانَ عليٌّ وأبو لُبَابَةَ زَمِيلَي رسول الله ﷺ، فإذا كانت عُقْبَتُه ـ عليه السلام ـ قالا له: ارْكَبْ؛ ولنَمْشِ عنكَ يا رسول الله، فيقول: ما أنتما بأقوى على المشي مني، ولا أنا بأغْنَى عن الأجرِ منكما»[1].

وقول المُجذَّر: كإرْزَام المَرِيّ. المَريُّ: الناقة تُمْرَى للحَلَبِ، أي تُمْسَحُ أخلافُها. وإرْزَامُها: صَوْتُها وهَدْرُها، وقد تقدم الفرق بين أَرْزَمَتْ ورَزَمَت.

---

(١) تقدم تخريجه.

قال ابن إسحاق: ثم إن المجذَّر أتى رسول الله ﷺ، فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدتُ عليك أن يَسْتأسر فآتيك به، (فأبى) إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلتُه.

قال ابن هشام: أبو البختري: العاص بن هشام بن الحارث بن أسد.

مقتل أمية بن خلف:

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيىٰ بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال ابن إسحاق: وحدّثنيه أيضًا عبد الله بن أبي بكر وغيرهما، عن عبد الرحمٰن بن عوف قال: كان أمية بن خَلف لي صديقًا بمكة، وكان اسمي عَبْدَ عمرو، فتسمَّيْت، حين أسلمت، عبدَ الرحمٰن، ونحن بمكة، فكان يَلْقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عَبْدَ عَمْرو، أرغبت عن اسم سَمَّاكَه أبواك؟ فأقول: نعم، فيقول: فإني لا أعرف الرحمٰن، فاجعل بيني وبينك شيئًا أدعوك به، أمَّا أنت فلا تُجيبني باسمك الأوّل، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، قال: فكان إذا دعاني: يا عَبْد عمرو، لم أُجبه. قال: فقلت له: يا أَبا عليّ، اجعل ما شئت، قال: فأنت عبدُ الإلٰه؛ قال: فقلت: نعم، قال: فكنت إذا مررتُ به قال: يا عبد الإلٰه فأُجيبه، فأتحدّث معه. حتى إذا كان يومَ بدر، مررتُ به وهو واقِفٌ مع ابنه، عليّ بن أُمَيَّة، آخذ بيده، ومعي أدرَاع، قد اسْتَلَبْتُها، فأنا أحملها. فلما رآني قال لي: يا عَبْدَ عمرو، فلم أُجِبْه؛ فقال: يا عبد الإلٰه؟ فقلت: نعم، قال: هل لك فِيَّ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك؟ قال: قلت: نعم، ها الله ذا، قال: فطرحتُ الأدراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قطّ، أما لكم حاجة في اللبن؟ (قال): ثم خرجت أمشي بهما.

قال ابن هشام: يريد باللبن، أن من أَسَرني افتديتُ منه بإبل كثيرة اللبن.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الواحد بن أبي عَوْن، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عبد الرحمٰن بن عَوْف، قال: قال لي أُمَيَّة بن خَلف، وأنا بينه وبين ابنه، آخذٌ بأيديهما: يا عبد الإلٰه، من الرجُل منكم المُعْلَم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطَّلب؛ قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل؛ قال عبد الرحمٰن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي ـ وكان هو الذي يعذّب بلالاً بمكة على ترك الإسلام، فيُخْرجه إلى رَمْضاء مكة إذا حَميت، فيُضجِعه على ظهره، ثم يأمر بالصَّخرة العظيمة فتَوضع على صَدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تُفارقَ دين محمد، فيقول

....

بلال: أَحَدٌ أحَد[1]. قال: فلما رآه، قال: رأس الكُفر أُمَيَّةُ بن خَلَف، لا نجوتُ إن نجا. قال: قلت: أي بلال، أبأَسِيريّ قال: لا نجوتُ إن نجا. قال: قلت: أتسمع يا ابن السَّوْداء، قال: لا نجوت إن نجا. قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصارَ الله، رأس الكُفر أُميَّة بن خَلَف، لا نجوتُ إن نجا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المُسْكة وأنا أذبُّ عنه. قال: فأَخْلَف رجلٌ السيفَ، فضرب رِجْلَ ابنه فوقع، وصاح أُميَّة صيحة ما سمعتُ مثلَها قط قال: فقلت: انجُ بنفسِك، ولا نجاءَ بك فوالله ما أُغني عنك شيئًا. قال: فهبرُوهما بأسيافهم، حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمٰن يقول: يرحم الله بلالاً، ذهبت أَدْراعي وفَجَعَني بأسيريّ.

تفسير ها الله وهبّروه:

وقول عبد الرحمٰن بن عوف لِأُمَيَّةَ: هَا الله ذَا. ها: تنبيهٌ، وذا إشارة إلى نفسه، وقال بعضهم: إلى القسَم، أي: هذا قسمي، وأراها إشارة إلى المُقْسِم، وخَفْضُ اسم الله بحرفِ القسَم أضمَره، وقام التنبيهُ مقَامه، كما يقوم الاستفهام مقامَه، فكأنه قال ها أَنَذَا مُقْسِم، وفصل بالاسم المقسَم به، بين ها وذا، فعلم أنه هو المقسِم فاسْتُغْنِي عن أنا، وكذلك قول أبي بكر: لاهَا اللهِ ذا، وقول زُهَيْر:

تَـعَـلَّـمَـنْ هَـا لَـعَـمْـرُ اللهِ ذا قَـسَـمًـا

أكد بالمصدر قَسَمَه الذي دلّ عليه التقدم.

وقوله: هَبَرُوه بأسيافهم من الهَبْرة وهي القِطعة العظيمة من اللحم، أي قَطَعوه.

---

(١) أَحَدٌ: اسم من أسماء الله تعالى، صرح به القرآن كما في سورة الإخلاص، وهو من الأسماء الحسنى التي لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة في الإخلاص كما تقدم آنفاً، واسم الله «الأحد» يدل أكثر ما يدل على القوة والجمع وعدم التفرق والتجزء والانفصال، وإنما يُصرف هذا اللفظ «أَحَدٌ» إلى الله عزّ وجلّ وحده إذا جاء مفردًا، كما في حديث الباب ـ قول بلال رضي الله عنه وأرضاه. «أَحَدٌ أَحَدٌ». أيضًا يصرف هذا الاسم لله عزّ وجلّ وحده إذا جاء في حالة الإثبات غير مضاف، كما في سورة الإخلاص أيضًا ﴿قل هو الله أحد﴾. فالكلام في حالة إثبات، والاسم جاء غير مضاف، أما إذا جاء الاسم في حالة الإثبات ولكنه جاء مضافًا، فإنه لا يعرف لله عزّ وجلّ وحده، إنما يُعم ويشمل ويطلق كما في قوله تعالى في سورة الكهف ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾، أيضًا إذا في حالة النقض فهو يعم أيضًا ويشمل ويطلق، كما في نهاية سورة الإخلاص ﴿ولم يكن له كُفُوًا أحد﴾ وكما في قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ إلى غير ذلك من الآيات. انظر مجموع الفتاوى (ج ١٦) للعلاّمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنّا كل خير، وجمعنا الله وإياه في فتنة وتحت لواء نبيه ـ ﷺ ـ دون سابقة عذاب ـ آمين يا رب العالمين يا أرحم الراحمين. وانظر للمحقق «القول الأسني في تفسير أسماء الله الحسنى».

شهود الملائكة وقعة بدر:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث عن ابن عبّاس قال: حدّثني رجل من بني غِفار، قال: أقبلت أنا وابن عمّ لي حتى أصْعدنا في جبل يُشْرف بنا على بَدْر، ونحن مُشْركان، ننتظر الوَقْعة على من تكون الدّبْرة. فننتهب مع من ينتهب. قال: فبينا نحن في الجبل، إذ دنتْ منا سحابةٌ، فسَمِعنا فيها حَمْحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فأما ابنُ عمي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانَه، وأما أنا فكِدْت أهلِك، ثم تماسكتُ.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بَني ساعدة عن أبي أُسَيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدرًا، قال، بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليومَ ببدر ومعي بَصرِي لأريتُكم الشِّعب الذي خرجت منه الملائكةُ، لا أشكّ فيه ولا أتمارى.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبي إسحٰق بن يسار، عن رجال من بني مازن بن النجّار، عن أبي داود المازني، وكان شهد بدرًا، قال: إني لَأَتْبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربَه، إذ وقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري.

وذكر قول الغِفَارِيِّ حين سمع حَمْحَمَةَ الخيلِ في السَّحابة، وسَمِع قائلاً يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومْ. أَقْدُمْ بضم الدال، أي أَقْدِمَ الخيلَ؛ وهو اسْمُ فرسِ جِبْرِيلَ، وهو فَيْعُول من الحَزْم، والحَيْزُومُ أيضًا أعلى الصدر، فيجوز أن يكون أيضًا سُمِّي به؛ لأنه صَدْرٌ لخيل الملائكةِ، ومتقدِّم عليها، والحياة أيضًا فرسٌ أخرى لجبريلَ لا تمس شيئًا إلاّ حَيِيَ، وهي التي قَبَض من أثرها السَّامِرِيُّ، فألقاها في العجلِ الذي صَاغَه مِن ذهَبٍ، فكان لهُ خُوَارٌ، ذكره الزَّجَّاجُ[1].

نسب أبي داود المازني:

فصل: وذكر أبا داود المَازني وقوله: لقد أتْبَعْتُ رَجُلاً من المشركين، فسقط رأسُه قبل أن أَصِل إليه. اسم أبي داود هذا عَمْرُو، وقيل: عُمَيْر بن عامِر، وهذا هو الذي قتل أبا البَخْتَرِيِّ بن هِشَام، وأخذ سيفَه في قول طائفة من أهل السِّير غير ابن إسحٰق وقال ابن إسحٰق قتله المُجَذَّرُ كما تقدم.

---

(١) انظر مزيد بيان شرح الشافية (٢/ ٢١٣).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتهم عن مِقْسم، مولى عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن عبَّاس، قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بيضًا قد أرسلوها على ظُهورهم، ويوم حُنَين عمائم حُمْرا.

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أن عليّ بن أبي طالب قال: العمائمُ: تيجان العرب، وكانت سِيما الملائكة يوم بدر تمائم بيضًا قد أرْخَوها على ظُهورهم، إلا جبريل، فإنه كانت عليه عمامة صَفْراء.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتّهم عن مِقْسَم، عن ابن عبَّاس، قال: ولم تُقاتِل الملائكةُ في يوم سوى بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سِواه من الأيام عَدَدًا ومَددًا لا يَضربون.

مقتل أبي جهل[1]:

قال ابن إسحٰق: وأقبل أبو جهل يومئذ يَرْتجز، وهو يقاتل ويقول:

ما تَنْقِم الحَرْبُ العَوانُ مِنِّي بازل عامَيْن حديثُ سِنِّي
لِمثل هذا وَلَدَتْني أُمِّي

شعار المسلمين ببدر:

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: أحدٌ أحَدٌ.

لغويات:

وقول مُعَاذِ بن عَمْرو في مَقْتَل أبي جَهْلٍ: ما شَبَّهت رِجْلَه حين طاحَتْ إلاَّ بالنَّوَاة تَطِيحُ من تحت المِرْضَخَةِ. طاحت: ذهبت، ولا يكون إلاّ ذَهابَ هَلاكٍ، والمِرْضَخَةُ. كالإِرْزَبَّة[2] يُدَقّ بها النوى لِلْعَلف، والرَّضْخ بالحاءِ مُهْمَلَةً: كَسْرُ اليابِس، والرَّضْخ كَسْر الرَّطْبِ، ووقع في أصل الشيخ المُرْضَخَة بالحاء والخاء معًا، ويدل على أنه كسر لما صلب، وأنشد قول الطائي:

أَتَرْضَخُني رَضْخَ النَّوى وهي مُصْمتٌ ويأكُلُني أَكْلَ الدَّبَا وهو جائع

---

(١) الخبر في البخاري (٣١٤١) الفتح (٦/ ٢٤٦) ومسلم في المغازي (٤) والطبري (٢/ ٤٥٥) والمنتظم (٣/ ١١٤) وأحمد (١/ ٤٤٤).

(٢) الإرزبة: الرزبة: قطعة عظيمة من الحديد.

عود إلى مقتل أبي جهل

قال ابن إسحٰق: فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من عدوه، أمر بأبي جَهْل أن يُلتمس في القَتْلى.

وكان أوّلَ من لَقِي أبا جهل، كما حدّثني ثَورُ بنُ يزيد عن عِكْرمة، عن ابن عبَّاس، وعبد الله بن أبي بكر أيضًا قد حدّثني ذلك، قالا: قال مُعاذ بن عمرو بن الجموح، أخو بني سَلِمة: سمعتُ القومَ وأبو جهل في مثل الحَرَجة - قال ابن هشام: الحَرَجة: الشجر الملتفّ. وفي الحديث عن عمر بن الخطَّاب: أنه سأل أعرابيًّا عن الحَرَجة؛ فقال: هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها - وهم يقولون: أبو الحَكم لا يُخلص إليه. قال: فلما سمعتُها جعلتُه من شأني، فَصَمَدْت نحوه، فلما أمْكنني حملتُ عليه، فضربتُهُ ضربة أطنَّت قدمَه بنصف ساقه، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تَطِيحُ من تحت مِرْضَخَة النَّوى حين يُضرب بها. قال: وضربني ابنُه عِكْرِمَةُ على عاتقي، فَطَرَح يدي فتعلَّقتْ بجلْدة من جَنْبي، وأجْهَضَني القتالُ عنه، فلقد قاتلتُ عامَّةَ يومي، وإني لأسْحبُها خَلفي، فلما آذَتْني وضعتُ عليها قَدَمي، ثم تمطيتُ بها عليها حتى طرحتُها.

قال ابن إسحٰق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمانُ عثمان.

ثم مرَّ بأبي جَهل وهو عَقِيرٌ، مُعَوِّذ ابن عَفْراء، فضربه حتى أثْبَته، فتركه وبه رمقٌ. وقاتل مُعَوّذ حتى قُتل، فمر عبدُ الله بن مَسعود بأبي جهل: حين أمرَ رسولُ الله ﷺ أن يُلْتمس في القتْلى، وقد قال لهم رسول الله ﷺ: - فيما بلغني - «انظروا، إن خَفِي عليكم في القَتْلى، إلى أثر جرْح في رُكبته، فإني ازدحمتُ يومًا أنا وهو على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان، ونحن غلامان، وكنتُ أشفَّ منه بيَسير، فدفعتُه فوقع على ركبتيه، فجُحِش في

وإنما نحتجوا بقول الطائي، وهو حَبِيبُ بن أَوْس لعلمه، لا لأنه عَربي يُحتجُّ بلغته.

الغلامان اللذان قتلا أبا جهل

وذكر الغلامين اللَّذَيْن قتلا أبا جَهْل؛ وأنهما مُعَاذُ بن عَمْرو بن الجَمُوح ومُعَوَّذ ابن عَفْراء، وفي صحيح مسلم أنهما مُعاذ ابن عفراء ومُعَاذُ بن عَمْرو بن الجَمُوح، وعَفْراء هي بنت عُبَيْدِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُبَيْدِ بن ثَعْلَبَة بن غَنْم بن مالك بن النَّجّار عُرِفَ بها بنو عَفْراء وأبوهم الحارث بن رِفَاعَةَ بن سَوَاد على اختلاف في ذلك، ورواية ابن إدريس عن ابن إسحٰق، كما في كتابِ مسلم، قال أبو عُمَر: وأصَحُّ من هذا كلّه حديثُ أنسٍ حين قال النبيّ ﷺ: «من يأتيني بخبَر أبي جَهْلٍ»، الحديث، وفيه أن ابني عفراء قتلاه.

إحداهما جَحْشًا لم يزل أثرُه به». قال عبد الله بن مَسْعود: فوجدته بآخر رَمَق فعرفتُه، فوضعتُ رِجْلي على عُنقه ـ قال: وقد كان ضَبَث بي مَرَّةً بمكة، فآذاني ولَكَزني، ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدوّ الله؟ قال: وبماذا أخزاني، أعْمَدُ من رجل قتلتموه، أخْبِرْني لمن الدائرةُ اليوم؟ قال: قلت: لله ولرسوله.

قال ابن هشام: ضَبَثَ: قبضَ عليه ولَزِمه. قال ضابىء بن الحارث البُرْجميّ:

فأصبحتُ ممّا كان بَيْني وبينَكم ... من الودّ مثلَ الضابثِ الماءَ باليدِ

قال ابن هشام: ويقال: أعارٌ على رجل قتلتموه، أخبرْني لمن الدائرةُ اليوم؟

قال ابن إسحٰق: وزعم رجال من بني مَخْزوم، أن ابن مَسْعودٍ كان يقول:

قال لي: لقد ارتقيتَ مُرْتَقى صَعْبًا يا رُوَيْعِيَ الغنم، قال: ثم احْتززتُ رأسَه ثم جئتُ به رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأسُ عدو الله أبي جهل، قال: فقال رسول الله ﷺ: «الله الذي لا إلٰه غيره» ـ قال: وكانت يمينَ رسولِ الله ﷺ ـ قال: قلت: نعم، والله الذي لا إلٰه غيره، ثم ألقيتُ رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمِد الله.

وقولُ أبي جهل: اعْمَدُ من رجل قتلتموه، ويُرْوَى قتله قومُه، أي: هل فوق رجلٍ قتله قومه، وهو معنى تفسير ابن هشام، حيث قال: أي ليس عليه عارٌ، والأول: تفسير أبي عُبَيْدٍ في غريب الحديث، وقد [أنشد] شاهدًا عليه:

[تُقدِّمُ قَيْسٌ كُلَّ يوم كَرِيهَةٍ ... ويُثْنَى عليها في الرخاء ذُنُوبُها]

وأعْمَدُ من قوم كَفَاهُمْ أخُوهُم ... صِدَامَ الأعادي حين فُلَّت نُيُوبُها

قال المؤلّف رضي الله عنه: وهو عندي من قولهم عَمِدَ البعيرُ يَعْمَد: إذا انْفَسَّخَ سَنَامُه، فهلك، أي أَهْلَكُ من رَجُل قتله قومُه، وما ذكره ابن إسحٰق من قول أبي جهل هذا، وما ذكروه أيضًا من قوله لابن مسعود: لقد ارتَقَيْتَ مُرْتقى صَعْبًا يا رُوَيْعي الغنم. مُرْتقى صَعْبًا يعارض ما وقع في سِيَر ابن شِهَابٍ وفي مغازي ابن عُقْبَة أن ابنَ مَسْعُودٍ وجده جالسًا لا يتحرّك، ولا يتكلم فَسَلبه دِرْعَه، فإذا في بدنه نُكَتٌ سُودٌ، فحلّ تَسْبَغَةَ البَيْضَةِ، وهو لا يتكلم، واخْتَرَطَ سَيْفَه يعني سيفَ أبي جهل فضرب به عنقَه، ثم سأل رسولُ الله ـ ﷺ ـ حين احتملَ رأسَه إليه عن تلك النُّكَتِ السُّود التي رآها في بدنه، فأخبره عليه السلام أن الملائكة قتلته، وأن تلك آثارُ ضَرَبَات الملائكة، وروى يونس عن أبي العُمَيْسِ، قال: أراني القاسمُ بنُ عبدِ الرحمٰن سَيْفَ عبدِ الله بن مَسْعود، قال: هذا سيف أبي جهل حين قتله

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة وغيرُه من أهل العلم بالمغازي: أن عمر بن الخطّاب قال لسَعيد بن العاص، ومرّ به: إني أرَاك كأنّ في نفسك شيئًا، أراك تظن أني قتلتُ أباك، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتْله، ولكني قتلتُ خالي العاصَ بن هشام بن المُغيرة، فأما أبوكَ فإني مررتُ وهو يبحث بحثَ الثور بروْقِهِ فحِدتُ عنه، وقصَدَ له ابنُ عمِّه عليّ فقَتله.

خبر عكاشة بن محصن

قال ابن إسحٰق: وقاتَل عُكّاشَةُ بن مِحْصَن بن حُرْثان الأسديّ، حليف بني عبد شَمْس بن عبد مناف، يومَ بدر بسَيْفه حتى انقطع في يده، فأتى رسولَ الله ﷺ فأعطاه جِذَلاً من حَطب، فقال: قاتل بهذا يا عُكّاشَةُ، فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزّه، فعاد سيفًا في يده طويلَ القامة، شديد المَتْن، أبيض الحَديدة، فقاتَل به حتى فتح الله

فأخذه فإذا سيفٌ قصير عريض فيه قَبائِعُ فضة[1] وحَلَق فِضَّةٍ قال أبو عُمَيْسٍ، فضرب به القاسمُ عنقَ ثَوْر فقطعه، وثَلَم فيه ثَلْمًا، فرأيت القاسمَ جَزِع من ثَلْمِه جَزَعًا شديدًا.

إضمار حرف الجر:

وقول النبيّ عليه السلام آلله الذي لا إلٰه إلاّ هو، بالخفضِ عند سيبويه وغيره، لأن الاستفهامَ عوضٌ من الخافضِ عنده، وإذا كنت مُخْبِرًا قلت: الله بالنصب لا يجيز المُبرِّد غيرَه، وأجاز سيبويه الخفضَ أيضًا لأنه قَسَمٌ، وقد عرف أن المقسَم به مخفوضٌ بالباء أو بالواو، ولا يجوز إضمار حروف الجر إلاّ في مثل هذا الموضع؛ أو ما كثُر استعمالُه جدًا كما رُوي أن رُؤْبَةَ كان يقول: إذا قيل له كيف أصبحت؟ خَيْرٍ عافاكَ الله.

وقول النبيّ - ﷺ - في أبي جهلٍ حين ذكر مزاحَمتَه له في مَأْدُبَة عبدِ الله بن جُدْعَان، وقد تقدم في المولد التعريفُ بعبدِ الله بن جُدعان وذكرنا خبرَ جفْنته، وسبب غناه بعد أن كان صُعْلُوكًا بأتمّ بيان.

خبر عكاشة بن محصن[2]

يقال فيه: عُكّاشَةُ بالتشديد والتخفيف، وهو من عَكَشَ على القوم إذا حَمَلَ عليهم، قاله صاحبُ العين، وقال غيره لعُكّاشَةُ: [والعُكّاش] العنكبوت، وأما سَيْفُه الذي كان جِزْلاً

---

(١) قبائع: جمع قبيعة: وهي التي تكون على رأس السيف.

(٢) انظر الخبر في البداية (٣/ ٢٩٠). والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٩٨).

تعالى على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى: العَوْن. ثم لم يزل عنده يَشْهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في الردّة، وهو عنده، قَتله طُلَيحة بن خُوَيلد الأسدي، فقال طُليحة في ذلك:

فما ظنُّكم بالقوم إذ تقْتلونهم ... أليسُوا وإن لم يُسْلموا برجال

فإن تك أذاودٌ أُصِبْن ونسْوةٌ ... فلن تَذْهبوا فَرْغًا بقَتْل حِبال

نَصَبْت لهم صدرَ الحِمالة إنها ... معاوِدةٌ قِيلَ الكُماة نَزَال

فيومًا تراها في الجِلال مَصُونةً ... ويومًا تَراها غيرَ ذات جِلال

عشيَّةَ غادرتُ ابن أقْرَم ثاويًا ... وعُكَّاشة الغَنْمِيَّ عند حجال

قال ابن هشام: حِبالَ: ابن طَلَيحة بن خُويلد. وابن أَقْرَم: ثابت بن أقرم الأنصاري.

من حَطَبٍ، فقد قيل: إنه لم يزل مُتَوَارَثًا عند آل عُكَاشَة، وقد رُوي مثل قول عكاشة في السيف عن عَبْد الله بن جَحْش، وسيأتي، ذكرها عند غزوة أحد، وأما قوله:

فلن يذهبوا قِرْعًا بقتل حِبَالِ

فالقِرْعُ أن يُطَلّ الدمُ، ولا يطلب بثأره، وحِبالُ: هو ابن أخي طُلَيْحَة لا ابنُه، وهو حِبال بن مَسْلَمَة بن خُوَيْلِد، ومَسْلَمَةُ: أبوه هو الذي قَتَل عُكَّاشَةَ، اعتنقه مَسْلَمَةُ وضَرَبه طُلَيْحَةُ على فَرَسٍ، يقال لها: اللِّزَام، وكان ثابتٌ على فرس يقال لها: المُحَبَّر، وقِصَّتُه مشهورة في أخبار الرِّدَّة.

وذكر الواقدي في الردّة بعد قوله:

فَيَوْمًا تراها في الجلال مَصُونة ... ويومًا تراها في ظِلالِ عَوَال

إلى آخر الشعر.

وذكر في الخبر أن عُكَّاشة وثَابتَ بن أَقْرَم البَلَوِيَّ حليفي الأنصار كانا في جيش خالد حين نَهَد إلى طُلَيحة، فاستقدما أمام جيش خالد للمسلمين، فوقعا في خيل لطُلَيْحة، وهو فيهم، فاستشهدا معًا، وذلك في يوم بُزَاخَة[1]، كذلك قال كل من ألف من السِّيَر إلاّ سليمان التَّيْمي، فإنه ذكر أنَّ عُكَاشَة قتل في سَرِيَّة بعثها رسولُ الله ﷺ إلى بني أَسَد، والأول هو المعروف.

---

(١) بزاخة: موضع ماء لبني أسد، أو لطيىء.

قال ابن إسحاق وعُكَّاشة بن مِحْصَن الذي قال لرسول الله ﷺ حين قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنّة سبعون ألفًا من أمتي على صورة القمر ليلة البَدْر»، قال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يَجعلني منهم؛ قال: «إنك منهم، أو اللهمّ اجعلْه منهم»، فقام رجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يَجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عُكَّاشة وبردَت الدعوة».

وقال رسولُ الله ﷺ، فيما بلغنا[1] عن أهله: «منّا خيرُ فارس في العرب»؛ قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: «عُكَّاشة بن مِحْصَن»، فقال ضرار بن الأزْور الأسدي: ذاك رجل منّا يا رسول الله؛ قال: «ليس منكم ولكنّه منّا للحِلْف».

سبقك بها عكاشة:

وذكر قول النبيّ ﷺ لعُكَّاشَةَ حين قال: «ادعُ الله يا رسول الله أن يجعلَني منهم، فدعا له، ثم قام رجل آخر، فقال: ادْعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: سَبَقَك بها عُكَّاشة»[2]. هكذا الحديثُ في الصِّحاح، وزاد ابن إسحٰق: وبَرَدَت الدعوة.

وذكر أبو عُمر النَّمَرِيُّ عن بعض أهل العلم، ولم يُسَمِّهم أن الرجل الذي قيل له: سَبَقَك بها عُكَّاشة كان مُنافقًا، ولذلك لم يَدْع له رسولُ الله ﷺ. قال المؤلّف: وهذا لا يصح؛ لأن في مُسْنَد البَزّار[3] من طريق أبي صالح عن أبي هُرَيْرَةَ في هذا الحديث قال: فقام رجل من خيار المهاجرين، فقال: ادْعُ الله أن يجعلَني منهم، قال ابن بَطَّالٍ معنى قوله: سبقك بها عكاشة، أي: سبقك بهذه الصِفة التي هي صفَةُ السبعين ألفًا، تَرْكُ التَّطَيُّر ونحوه، ولم يقل: لستَ منهم، ولا على أخلاقهم بحسن أدبه عليه السلام، وتَلَطُّفِه في الكلامُ [و] لا سِيَّما مَع أصحابه الكرام.

قال المؤلف رضي الله عنه ـ والذي عندي في هذا أنها كانت ساعةَ إجابة عَلِمها عليه السلام، فلما انقضت، قال للرجل ما قال، يبين هذا حديثُ أبي سعيد الخُدْريِّ، فإنه قال فيه بعد ذكر عُكَّاشة، فقام رجل آخر، فقال: ادْعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: اللهم اجعله

---

(١) فيه مجاهيل.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١٧٤) ومسلم في الإيمان (٣٦٧) والترمذي (٢٤٤٦) وأحمد في مسنده (١/ ٢٧١) والدارمي (٢/ ٣٢٨). دون «وبدون الدعوة». وانظر ترجمة عكاشة بن محصن ـ رضي الله عنه ـ في الطبقات (٣/ ٩٢) الإصابة (٢/ ٤٩٤) حلية الأولياء (٢/ ١٢) تاريخ الصحابة (١٤٩) الاستيعاب (٣/ ١٨٣٧).

(٣) أخرجه البزار (١/ ٨٩).

حديث بين أبي بكر وابنه عبد الرحمٰن يوم بدر:

قال ابن هشام: ونادى أبو بكر الصدّيق ابنَه عبدَ الرحمٰن، وهو يومئذ مع المُشركين، فقال: أين مالي يا خَبيث؟ فقال عبد الرحمٰن:

لم يَبْقَ غيرُ شِكَّة ويَعْبُوبْ وصارِمٌ يَقتلُ ضُلاَّلَ الشِّيبْ

فيما ذُكر لي عن عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدي.

طرح المشركين في القليب

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن رُومان عَنْ عُرْوة بن الزُّبير عن عائشة، قالت: لمّا أمر رسول الله ﷺ بالقتْلى أن يُطرَحوا في القَلِيب طُرِحوا فيه، إلا ما كان أُمَيَّة بن خَلَف، فإنه انتفخ في دِرْعه فمَلأها، فذَهبوا ليحرّكوه، فتزايل لحْمُه، فأقرّوه، وألْقَوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة. فلمَّا ألقاهم في القَلِيب، وقف عليهم رسولُ الله ﷺ،

منهم، ثم سكتوا ساعةً يتحدّثون، ثم قام الثالث، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سَبَقَكَ بها عُكَاشة، وصاحبه، ولو قلتَ لقلتُ، ولو قلتُ لوَجَبَتْ، وهي في مسند ابن أبي شَيْبَة، وفي مسند البزار أيضًا[1]. ويقوي هذا المعنى رواية ابن إسحٰق، فإنه زاد، فقال فيها: سبقك به عُكَّاشة وبَرَدَتْ الدعوة، فقِف على ما ذكرته في تفسير حديث عكاشة، فإنه من فوائد هذا الكتاب. وممن لم يشهد بدرًا لعُذْرِ، وهو من النُّقَباء سَعْدُ بن عُبَادَة سَيِّدُ الخَزْرَج، لأنه نَهَشْته حَيَّةٌ، فلم يستطع الخروج هذا قول القُتبِيِّ، ولذلك لم يذكره ابن إسحٰق، ولا ابن عُقْبَة في البَدْرِيِّين، وقد ذكره طائفةٌ فيهم، منهم ابن الكلبي وجماعة.

نـداء أصحاب القليب[2]

مسألـة نحويـة:

وقوله عليه السلام: يا عُتْبَةُ بن رَبيعَةَ، ويا شَيْبَة بن رَبيعة: الحديث، يجوز يا شَيْبَةُ بن رَبيعة، بضم التاء ونصب النون وبنصبهما جميعًا، أما من يقول: جاءني زيدٌ ابن فلان بالتنوين، فهو الذي يقول: يا زيدُ ابن بضم الدال، ويكتب ابن بالألف على هذا، ومن يقول: جاءني زيدُ ابنُ بلا تنوين، فهو الذي يقول في النداء: يا زيدَ ابن بنصب الدال،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٢٧) والبزار (١/ ٨٩).

(٢) انظر خبر أصحاب القليب في البخاري في الجهاد (١٨٤) الفتح (٧/ ٣٠٠) ومسلم في الجنة (١٤). وانظر تاريخ الطبري (٢/ ٣٧).

فقال: «يا أهل القَلِيب، هل وجدْتم ما وَعدكم ربّكم حقًّا؟ فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا؟» قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتُكَلِّم قومًا موتي؟ فقال لهم: «لقد علموا أن ما وعدهم ربُّهم حقًّا».

قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سَمعوا ما قلتُ لهم، وإنما قال لهم رسول الله ﷺ: «لقد علموا».

قال ابن إسحٰق: وحدّثني حُمَيْدٌ الطَّويل، عن أنس بن مالك، قال: سمع أصحابُ رسول الله ﷺ، رسول الله ﷺ من جَوْف اللّيل وهو يقول: يا أهل القليب، يا عُتبَةُ بن ربيعة، ويا شَيْبةُ بن ربيعة، ويا أُميَّةُ بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام، فعدّد من كان منهم في القليب: هل وجدتم ما وعد ربّكم حقًّا؛ فإني قد وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا؟» فقال المسلمون: يا رسول الله، أتُنادي قومًا قد جَيَّفوا؟ قال: «ما أنتم بأسمع لمَا أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبوني».

ويكتب ابنا بغير ألف، لأنه جعل الابن مع ما قبله اسمًا واحدًا، فعلى هذا تقول يا حارِث ابن عمرو فتكتبه بألف، لأنك أردت يا حارثُ بالضم، لأنك لو أردت يا حارثَ ابن بالنصب لم تَرخِّمه، لأنه قد صار وسط الاسم، وقد جعله سيبويه بمنزلَة قولك: امرأ، وكذلك قوله: ويا أبا جهل بن هشام إن نوَّنت اللام من أبي جهل كتبت الابن بألفِ، وإن لم تنَوِّنه كتبته بغير ألف.

وذكر إنكارَ عائشة أن يكون عليه السلام قال: لقد سَمِعوا ما قلت، قالت: وإنما قال: لقد عَلِموا أن الذي كنت أقول حق. قال المؤلِّف: وعائشة لم تَخضر وغيرُها ممن حَضَر أحفظُ للفظِه عليه السلام، وقد قالوا له: يا رسول الله أتخاطب قومًا قد جَيَّفُوا أو أجِيفوا[1]، فقال: ما أنتم بأسْمَعَ لما أقولُ منهم، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين، جاز أن يكونوا سامعين؛ إما بآذان رُؤوسهم إذا قلنا: إن الروحَ يُعاد إلى الجسَد أو إلى بعض الجسد عند المُسَاءلة، وهو قول الأكثرين من أهل السُّنَّة، وإمَّا بإذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجُّه السؤال إلى الروح، من غير رجوع منه إلى الجسد، أو إلى بعضه، وقد رُوي أن عائشة احتجت بقول الله سبحانه: ﴿وما أنتَ بمُسْمِعٍ مَنْ في القُبورِ﴾[2] وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أفأنت تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدي العُمْىَ﴾[3] أي: إن الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظَة إلى آذانِ القلوب، لا أنت، وجعل الكفّار أمواتًا وصُمًّا على جهة التشبيه بالأموات،

---

(١) أي أنتنوا.
(٢) سورة فاطر آية رقم (٢٢).
(٣) سورة الزخرف آية رقم (٤٠).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعضُ أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال يوم هذه المَقالة: «يا أهل القَلِيب، بئس عَشِيرةُ النبيّ كنتم لنبيّكم، كذّبتموني وصدّقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتُموني نَصرني الناس؛ ثم قال: هل وجدتم ما وَعدكم ربُّكم حقًّا؟» للمقالة التي قال.

شعر حسّان فيمن ألقوا في القليب

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت:

عرفتُ ديارَ زَيْنب بالكَثِيب ... كخَطِّ الوَحْي في الوَرَق القَشِيبِ

تَداوَلُها الرِّياحُ وكل جَوْن ... من الوَسْمي مُنْهمرٍ سَكوب

فأمسَى رسمُها خَلَقا وأمسَتْ ... يَبابا بعد ساكِنها الحَبيب

فَدَعْ عنك التَّذكُّرَ كلَّ يومٍ ... ورُدَّ حرارة الصَّدْر الكَئِيب

وخبِّر بالذي لا عيبَ فيه ... بصِدْق غيرِ إخْبار الكذُوب

بما صنَع المليك غداةَ بدرٍ ... لنا في المُشركين من النَّصيب

وبالصُّمّ، فالله هو الذي يُسْمِعهم على الحقيقة، إذا شاء لا نبيُّه، ولا أحدٌ، فإذًا لا تَعلُّقَ بالآية من وجهين، أحدهما: أنها إنما نزلت في دُعاء الكفار إلى الإيمان.

الثاني: أنه إنما نفى عن نبيّه أن يكون هو المسمِع لهم وصَدَق الله فإنه لا يُسْمِعهم إذا شاء إلاّ هو، ويفعل ما شاء وهو على كل شيء قدير.

من معاني شعر حسان

فصل: وذكر شعر حسّان وقال فيه:

كَخَطِّ الوَحْي في الوَرَق القَشِيب

القشيبُ في اللغة: الجديدُ، ولا معنى له في هذا البيت، لأنهم إذا وصفوا الرسومَ وشبَّهوها بالكَتْبِ في الورق، فإنما يصفون الخط حينئذ بالدُّرُوسِ والامِّحَاءِ، فإن ذلك أدلّ عليّ عَفَاء الديار وطُمُوس الآثار، وكثرةُ ذلك في الشعر تغني عن الاسْتِشْهاد عليه، ولكن منه قول النابغة:

[وقفت فيها أُصَيْلانَا أسائلها ... عيت جوابًا وما بالرَّبع من أحد

إلا الأواري لأيامًا أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد]

غـداةَ كـأنّ جَـمْـعَـهـم حِـراءٌ ... بـدَت أركـانُـه جُـنْـح الـغُـروب
فـلاقَـيْـنـاهُـم مـنّـا بِـجَـمْـع ... كـأُسْـد الـغـابِ مُـرْدانٍ وشِـيـب
أمـام مـحـمَّـد قـد وَازَرُوهُ ... عـلى الأعـداء فـي لَـفْـح الـحُـروب

وقول زُهَيْر:

[وقفت بها من بعد عشرين حِجَّةً] ... فَـلأْيًـا عَـرَفْـتَ الـدارَ بـعـد تَـوَهُّـم

وقال آخر:

وإلاّ رُسُـوم الـدارِ قَـفْـرًا كـأنـهـا ... سُطُورٌ محاها البَاهِليُّ بن أصْمَعَا

ولكن أراد حسّان بالقشيب هاهنا الذي خالطه ما يُفْسِده، إمَّا مِن دَنَسٍ، وإما من قِدَمٍ، يقال: طَعَامٌ مُقَشَّب، إذا كان فيه السُّمُّ. وقال الشاعر: [خُوَيْلد بن مرّة أبو خِراشٍ الهُذَلِيُّ]:

[بِـه نَـدَعُ الـكَـمِـيَّ عـلـى يـديـه] ... نـحـر تـخـالُـه نَـسْـرًا قَـشِـيَـبـا

معناه: مَسْمُوم، لأن القَشْبَ هو السمّ قاله ابن قُتَيْبَة[1] في تفسير حديثِ آخرُ من يخرج من النار، وفيه قشَبَنِي ريحُها، وأحرقني ذكاها. وقال أبو حنيفة في القِشْبِ هو: نبات رَطْبٌ مَسْمُوم يُنْصَب لسباعِ الطير في لحم، فإذا أكلته ماتت، قال: والعرب يُجَنِّبونه ماشيتَهم في المرعى، كي لا تُحَطِّمَه، فيفوحَ من ريحهِ ما يقتلها، فقوله في البيت الذي استشهد به القُتبيُّ: تخاله نَسْرًا قشيبًا، أي: نَسْرًا أكل ذلك القِشب في اللحم والله أعلم، قال: والألْبُ أيضًا، ضَرْبٌ من القِشْبِ، إن وجدت ريحَه سباعُ الطير عَمِيت وصَمَّت، وإن أكلته ماتت، قال: والضَّجَاجُ أيضًا: كلُّ نباتٍ مَسْموم.

معنى ألقائهم في القليب:

فصل: فإن قيل: ما معنى إلقائهم في القَلِيبِ، وما فيه من الفقه؛ قلنا: كان من سُنَّته عليه السلامُ في مَغازيه إذا مرّ بجيفَة إنسانٍ أمر بدَفْنِه لا يَسألُ عنه مؤمنًا، كان أو كافرًا، هكذا وقع في السُّنَنِ للدَّارَقُطْنِي، فإلقاؤهم في القَليبِ من هذا البابِ، غير أنه كره أن يَشُقَّ على أصحابه لكثرة جِيَفِ الكفار أن يأمرَهم بدفنهم، فكان جرُّهم إلى القَلِيبِ أيْسَرَ عليهم، ووافق أن القليبَ حفره رجلٌ من بني النار، اسمه: بَدْرٌ، فكان. فألاً مقدّمًا لهم، وهذا على أحد القولين في بدرٍ، والله أعلم.

---

(١) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (ص ٧٣).

بـأيـدِيـهِـم صَـوارِمُ مُـرْهَـفـاتٌ	وكـلُ مـجرَّب خـاطِي الـكُـعـوب
بـنُـو الأوْس الـغَـطـارِفُ وازرَتْـهـا	بنـو الـنجّار في الـدّيـن الصـلِيـب
فـغـادَرْنـا أبـا جَـهْـلٍ صَـرِيـعًـا	وعُـتْـبَـةَ قـد تـركـنـا بـالـجَـبُـوب

عـود إلى شعر حسّان:

وفي شعر حسّان أيضًا:

بـنـو الأوْسِ الـغَـطـارِفِ وازرتـهـا

ولو قال آزرتها بالهمز لجاز، وكان من الأزْر، وفي التنزيل (فآزره) أي: شَدّ أزْرَه، وقَوّاه، ولكن أراد حسان معنى الوَزير، فإنه سمي وَزِيرًا من الوَزَرِ، وهو الثِّقْل، لأنه يَحْمِل عن صاحبه ثِقْلاً ويُعينه، وقيل: هو من الوَزَرِ، وهو الملجأ، لأن الوزيرَ يلجأ إلى رأيه، وقد ألفَيْته في نسخة الشيخ أبي بَحْر: آزَرْتُها مُصْلَحًا بغير واو إلاّ أنَّ وازرتها وزنه: فَاعَلْت، وآزرت وزنه أفْعَلْتُ.

وقـولـه:

وعُـتْـبَـةَ قـد تـركـنـا بـالـجَـبُـوبِ

معنـى الجبـوب:

الجَبُوب اسمٌ للأرضِ، لأنها تُجَبُّ أي تحفر وتَجُبُّ من دُفِن فيها، أي تقطعه، وهذا القول أولى، لأنهم قالوا: جَبُوبٌ مثل: صَبُور وشَكُور في المؤنث، ولم يقولوا: جَبُوبة، فيكون من باب حَلُوبة ورَكُوبة، ويدخلون فيها الألفَ واللام تارةً، فيقولون: الجَبُوب، كما في هذا البيت، وتارة يجعلونه اسمًا عَلَمًا، فيقولون: جَبُوب، مثل شَعُوب، قال الشاعر:

بَنَى على قـلـبي وعـيـنـي مَكَـانَـه	ثَـوَى بـيـن أَحْـجَـارِ رَهِـيـنَ جَـبُـوبِ

ومنه قيل: جَبَّانٌ وجَبَّانَةَ للأرض التي يُدْفَنُ فيها الموتى، فهو فَعْلاَن من الجَبِّ والجَبُوب، وهو قولُ الخليل في معنى الجَبَّانِ، وغيرُه يجعله فَعَّالاً من الجُبن.

مـرّة أخرى شعـر حسّان:

وقـولـه: خاطي الكُعُوب، أي: مُكتنِز الكُعُوب قَويُّها [والكُعُوب: عُقد القناة]، وقولُ حَسَّان: الغَطَارِف، أراد: الغَطَارِيف كما تقدم في شعر الجُرْهُمِيِّ:

تَـظـلُّ بـهـا أَمْـنـا وفـيـهـا الـعَـصَـافـر

أراد العصافير، وحذف الياء ضرورة.

وَشَـيْـبَـةَ قـد تَـرَكْـنـا فـي رجـال	ذوي حسـبٍ إذا نُسِبوا حَسيبِ
يُـنـاديـهـم رسـول الله لـمَّـا	قَـذَفْـنـاهُـمْ كَبـاكِـب فـي القَـلِـيب
ألـم تـجِـدُوا كـلامـي كـان حَـقًّـا	وأمْـرُ الله يـأخُـذُ بـالـقُـلـوب؟
فـمـا نَطقُوا، ولـو نطقُوا لقالـوا:	صـدقـتَ وكـنـتَ ذا رأي مُصيب!

قال ابن إسحٰق: ولمّا أمر رسول الله ﷺ أنْ يُلْقوا في القليب، أُخِذَ عُتبةُ بن ربيعة، فسُحِب إلى القَليب، فنظر رسول الله ﷺ - فيما بلغني - في وجه أبي حُذَيفة بن عُتبة، فإذا هو كَئيب قد تغير لونه، فقال: «يا أبا حُذيفة، لعلَّك قد دخلَك من شأن أبيك شيء؟» أو كما قال ﷺ؛ فقال: لا، والله يا رسول الله، ما شككتُ في أبي ولا في مضرعه، ولكنني كنتُ أعرِف من أبي رأيًا وحِلْمًا وفضلاً، فكنت أرجو أن يَهْديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيتُ ما أصابه، وذكرتُ ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنتُ أرجو له، أحْزنني ذلك، فدعا له رسول الله ﷺ بخَيْر، وقال له: خيرًا.

من نزل فيهم: ﴿إن الذين توفاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم﴾:

وكان الفِتْية الذين قُتلوا ببدر، فنزل فيهم من القرآن، فيما ذُكر لنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ في الأَرْضِ قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهاجرُوا فيها فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[1] فِتية مُسمَّين. من بني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصيّ: الحارث بن زَمْعَةَ بن الأسود بن عبد المطّلب بن أسد.

تفسير قول ابن أبي بكر:

فصل: وذكر قول أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه لابنه يوم بدر أين مالي يا خبيثُ، فقال:

لـم يَـبْـقَ إلا شِـكَّـةً ويَـعْـبُـوبْ

الشِّكَّةُ: السلاحُ، واليَعْبُوبُ من الخيلِ: الشديدُ الجَرْي، ويقال: الطويلُ، والأوَّل أصَحُّ، لأنه مأخوذ من عُبَابِ الماء، وهو شِدَّةُ جَرْيه، ويقال للجَدْوَلِ الكثير الماء: يَعْبُوبٌ، وقد كان للنبيّ ﷺ فَرَسٌ اسمه: السَّكْب وهو من سَكَبْتُ الماء، فهذا يُقوي معنى اليَعْبُوبِ، وذكر غير ابن إسحٰق أنَّ عبدَ الرحمٰن بن أبي بكر قال لأبيه بعدما أسلم: يا أَبَتِ لقد

---

(١) سورة النساء آية رقم (٩٧).

ومن بني مخزوم: أبو قَيْس بن الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزُوم، وأبو قَيْس بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني جُمَح: عليُّ بن أُميَّة بن خَلَف بنِ وَهْب بن حُذافة بن جُمَح.

ومن بني سَهم: العاصُ بن مُنبه بن الحجَّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سَعد بن سهم.

وذلك أنهم كانوا أسلموا، ورسول الله ﷺ بمكة، فلما هاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة حَبسهم آباؤهم وعَشائرهم بمكة وفَتنوهم فافتَتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بَدْر فأُصيبوا به جميعًا.

ذكر الفيء ببدر

ثم إن رسولَ الله ﷺ أمر بما في العَسْكر، مما جَمع الناسُ، فجمع، فاختلف المُسلمون فيه، فقال من جَمَعَه: هو لنا، وقال الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويَطلبونه: والله لولا نحن ما أصَبْتموه لنحن شَغلنا عنكم القوم حتى أصبْتم ما أصبتم؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يُخالِفَ إليه العدوّ: والله ما أنتم بأحقَّ به منّا، والله لقد رأينا أن نَقْتل العدوَّ إذ مَنحنا الله تعالى أكتافه، ولقد رأينا أن نَأْخذ المَتاع حين لم يكن دونه من يَمْنعه ولكنّا خِفْنا على رسول الله ﷺ كرَّة العدوّ، فقُمنا دونه، فما أنتم بأحَقّ به منّا.

أهْدَفْتَ لي يوم بدر مِرارًا فَصَدَفْتُ[1] عنك، فقال: ولله لو كنتَ أَهْدَفْت لي أنت ما صَدَفْتُ عنك.

العرش والعريش

فصل: وذكر تنازُعهم في النفل، وما احتجّت به الطائفةُ الذين كانوا يَحْمون رسول الله ﷺ في العَريش، والعَريشُ: كلُّ ما أظلّك وعلاّك من فوقك، فإن علوته أنت فهو عَرْشٌ لك، لا عَرِيش، والعَريش أيضًا فيما ذَكر أبو حَنيفة أربع نخلات أو خمس في أصل واحد.

بنو عابد وبنو عائذ:

وذكر قول أبي أُسَيْدٍ: وَجَدْتُ يومَ بدر سيف بني عابدٍ الذي يقال له المَرْزُبَان. بنو عابدٍ في بني مَخْزُوم، وهم بنو عابدِ بنِ عبدِ اللهِ بن عُمَرَ بنِ مَخزوم، وأما بنو عائذٍ بالياء والذال

---

(١) صدفت: أي جلت وابتعدت عنك.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الرحمٰن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سُليمان بن موسى، عن مَكحول، عن أبي أُمامة الباهلي ـ واسمه صُدَيّ بن عَجْلان فيما قال ابن هشام ـ قال: سألت عُبادة بن الصَّامت عن الأنفال، فقال: فينا أصحابَ بدر نزلت حين اختلفنا في النَّفَل، وساءت فيه أخلاقُنا، فنزعه الله من أيْدينا، فجعَله إلى رسوله، فقسَمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بَوَاء يقول: على السواء.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، قال: حدّثني بعض بني ساعدة عن أبي أُسيد الساعديّ مالك بن ربيعة، قال: أصبتُ سيفَ بني عائذ المُخزوميين الذي يسمَّى المَرْزُبان يوم بدر، فلما أمر رسول الله ﷺ الناس أن يردّوا ما في أيديهم من النَّفَل، أقبلتُ حتى ألقيتُه في النَّفَل. قال: وكان رسول الله ﷺ لا يَمنع شيئًا سُئِله، فعرَفه الأرقمُ بن أبي الأرقم، فسأله رسول الله ﷺ، فأعطاه إياه.

المعجّمة، فهم بنو عائذِ بن عِمْرَان بنِ مَخْزُوم رَهط آل المُسَيَّب، والأولون رَهْطُ آل بني السائب.

حـول القسـم:

وأما قوله: فقسمها رسول الله ـ ﷺ ـ عن بَوَاءٍ يقول: على سَوَاءٍ، فقد رواه أبو عُبَيْدٍ في الأموال، فقال فيه: فقسمها رسول الله ـ ﷺ ـ عن فُوَاقٍ، وفسّره، فقال: جعلَ بعضَهم فوقَ بعضٍ، أي فضَّل في القسم مَنْ رأى تفضيلَه، وفي غريب الحديث قولاً آخر، وهو أن معنى عن فُوَاق: السُّرْعة في القسم كَفُوَاق الناقة، ورواه ابن إسحٰق أشهر وأَثبَتُ عند أهل الحديث.

سبب نـزول أوّل الأنفال:

وفي الحديث الذي ذكره أبو عُبَيْد أن سَعْدَ بن أبي وقّاصٍ، قال: قتلتُ يوم بدر العاصِيَ بن سَعيد بن العاصي، وأخذتُ سيفَه، وكان يقال له: ذو الكَتِيفَة. فأتيت به رسولَ الله ـ ﷺ ـ وقُلت: يا رسول الله نَفِّلْنيه، فأمرني أن أجعلَه في القَبَضِ[1]، فأخذني ما لا يعلمه إلا الله، فقلت: قُتِل أخي عُمَيرٌ وأُخِذَ سَلَبي فأنزل الله ﴿يَسْئَلُونَك عن الأَنْفَال﴾[2] الآية، فأعطاني رسولُ الله ﷺ السيفَ[3]، قال أبو عُبَيْد وأهل السِّيَر يقولون: قَتَل العاصِيَ بنَ سعيد عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) القَبَض: أي المقبوض. (٢) سورة الأنفال آية رقم (١).

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد (٤٣/ ٤٤) والترمذي (٣٠٧٩) وأبو داود (٢٧٤٠) بتحقيقي والنسائي في=

بعث ابن رواحة وزيد بشيرين:

قال ابن إسحٰق: ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفَتْح عبدَ الله بن رَواحة بشيرًا إلى أهل العالية، بما فَتح الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبعث زيدَ بن حارثة إلى أهل السَّافلة. قال أُسامة بن زيد: فأتانا الخبرُ - حين سوَّينا التراب على رُقيَّة ابنة رسول الله ﷺ، التي كانت عند عثمان بن عفَّان. كان رسول الله ﷺ خَلَّفني عليها مع عُثمان - أن زيدَ بن حارث قد قَدِم. قال: فجئته وهو واقف بالمصلى قد غَشِيَه الناس، وهو يقول: «قُتِل عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزَمَعَة بن الأسود، وأبو البَخترِيّ والعاصُ بن هشام، وأُمَيَّة بن خَلف، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج. قال: قلت: يا أَبَتِ، أحقّ هذا. قال: نعم، والله يا بنيّ.

قفول رسول الله من بدر:

ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة، ومعه الأُسارى من المُشركين، وفيهم عُقبة بن أبي مُعَيط، والنَّضر بن الحارث، واحتمل رسول الله ﷺ معه النَّفَل الذي أُصيب من المشركين، وجعل على النَّفَل عبدَ الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذُول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النَّجّار؛ فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام: يقال: إنَّهُ عُدَيّ بن أبي الزَّغْباء:

أَقِمْ لهَا صُدُورَها يَا بَسْبَسُ ... أليس بذي الطَّلْح لها مُعَرَّسُ
ولا بصَحْراءِ غُمَيرِ مَحْبَسُ ... إنَّ مَطايا القوم لا تُخَيَّس
فحمْلها على الطَّرِيق أكْيَسُ ... قد نصر الله وفرّ الأخْنَس

ثم أقبل رسول الله ﷺ - حتى إذا خرج من مَضيق الصَّفراء نزل على كَثِيبٍ بين المَضِيق وبين النازية - يقال له: سَير - إلى سَرْحة به. فقسّم هنالك النَّفَل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ثم ارتحل رسولُ الله ﷺ، حتى إذا كان بالرّوحاء لَقِيه المسلمونُ يهنّئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سَلَمة بن سلامة - كما حدّثني عاصم بن عمر بنِ قتادة، ويَزيد بن رُومان: ما الذي

....

= الكبرى [تفسير سورة الأنفال] وأحمد (١/١٧٨) والطيالسي (٢٠٨) وأبو يعلى (٧٣٥/ ٧٨٢) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٢) والبخاري في الآداب (٢٤) وأبو عوانة (٤/ ١٠٣).

تُهنِّئوننا به؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلْعًا كالبُدْن المُعَقلة، فنحرناها، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أي ابن أخي، أولئك المَلأ.

قال ابن هشام: الملأ: الأشراف والرؤساء.

مقتل النضر وعقبة:

قال ابن إسحٰق: حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصَّفْراء قُتِل النَّضر بن الحارث، قَتله عليٌّ بن أبي طالب، كما أخبرني بعضُ أهل العلم من أهل مكة.

قال ابن إسحٰق: ثم خرج حتى إذا كان بعِرْق الظَّبْيةِ قُتل عُقْبة بن أبي مُعَيط.

قال ابن هشام: عِرْق الظَّبْية من غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: والذي أسَرَ عُقْبة: عبدُ الله بن سَلِمة أحدُ بني العَجْلان.

قال ابن إسحٰق: فقال عُقْبة حين أمر رسول الله ﷺ بقَتْله فمن للصِّبْية يا محمد؟ قال: النار. فقَتَله عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلح الأنصاري، أخو بني عمرو بن عوف، كما حدّثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر.

قال ابن هشام: ويقال قتله عليّ بن أبي طالب فيما ذكر لي ابن شهاب الزهري وغيرُه من أهل العلم.

عقبة بن أبي معيط:

فصل: وذكر أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ قَتلَ عُقْبَةَ بن أبي مُعْيطٍ، قال: وكان الذي أَسَرَهُ عبد الله بن سَلِمَةَ، وسَلِمَةُ هذا بكسر اللاّم، وهو سَلِمَةُ بن مالك أحدُ بني العَجْلاَنَ بَلَوِيّ بالنَّسَب أنصاري بالحِلْف، قُتِل يومَ أُحُدٍ شهيدًا وأما عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ، فاسم أبي مُعَيْطٍ أَبَانَ بن أبي عَمْرو، واسمُه ذَكْوَانُ بن أُمَيَّة، يقال: كان أُمَيَّةُ، قد سَاعَى أَمَةً[1] أو بَغَتْ أَمَةٌ له، فحملت بأبي عَمْرو، فاستَلْحَقَه بحكم الجاهلية؛ ولذلك قال عُمَرُ بنُ الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ لعُقْبَةَ حين قال: أَأُقتَلُ من بين قُرَيْشٍ صَبْرًا، فقال عُمَر: حَنَّ قِدْحٌ ليس منها[2]، يُعَرِّضُ بنَسَبه، وذلك أن القداح في المَيسِر ربما جُعل معها قِدْحٌ

(١) ساعى أمَة: أي زنا بها. والعياذ بالله.

(٢) حنّ قدح ليس منها: مثل يُضرب لرجل يُنسب إلى نسب ليس منه.

قال ابن إسحٰق: ولقي رسول الله ﷺ بذلك الموضع أبو هنْد، مولى فَرْوة بن عَمْرو البَياضي بحمِيت مملوء حَيْسًا.

مستعار قد جُرِّب منه الفَلَحُ واليُمْنُ فَيُسْتَعار لذلك، ويُسَمَّى: المَنِيح، فإذا حُرِّكَ في الرِبَابَةِ مع القِداح تَميَّز صوته لمخالفة جَوْهَرِه جوهَر القداح، فيقال: حينئذ حن قِدح ليس منها، فتمثَّل عُمَرُ بهذا المَثل، يريد أن عُقْبَةَ ليس من قُرَيش، وكذلك رُوي أن النبيَّ - ﷺ - قال حينَئذٍ: إنما أنتَ يَهُودِيٌّ من أهل صَفُّورِيةَ[1]، لأن الأمَة التي وَلَدت أباه كانت ليهودِيٍّ من أهلِ صَفُّورِيَةَ، واسمُها: تُرْنَى، قاله القُتَبِيُّ، وكذلك قال دَغفلُ بنُ حَنْظَلَةَ النَّسَّابة لمعاويةَ حين سأله: هل أدركت عبدَ المطلب؟ فقال نعم أدركته شَيْخًا وَسيمًا قَسيمًا جَسيمًا يحُفُّ به عَشَرَةٌ مِنْ بنيه كأنهم النجوم، قال: فهل رأيت أُميَّة بن عبد شمس؟ قال: نعم رأيته أَخَيْفِشُ[2] أُزَيْرِقُ دمِيمًا، يقوده عبدُه ذَكْوَانُ، فقال: ويْحك ذاك ابنُه أبو عمرو، فقال دَغْفَلٌ: أنتم تقولون ذلك.

الطعن في نسب بني أمية:

قال المؤلّف:

وهذا الطعن خاص بنسب عُقْبَة من بني أمية، وفي نَسَب أُميَّة نفسِه مقالةٌ أخرى تعم جميع الفَصِيلة، وهي ما رُوي عن سَفِينَة[3] مَوْلى أُمِّ سَلَمَةَ حين قِيل له: إن بني أُمَيَّة يزعمون أن الخِلاَفَةَ فيهم، فقال: كذبت استَاهُ بني الزَّرْقَاءِ، بل هم مُلوك، ومن شرّ الملوك، فيقال: إن الزَّرْقَاء هذه هي [أُمُّ] أُمَيَّة بن عَبْدِ شَمْسٍ، واسمها أَرْنبُ، قاله الأَصْبَهَانِيّ في كتاب الأمثال، قال: وكانت في الجاهلية من صَوَاحِبِ الرايات[4].

قال المؤلف رضي الله عنه: وقد عَفَا الله عن أمرِ الجاهِلِيَّة، ونهى عن الطعن في الأنساب، ولو لم يجب الكفُّ عن نَسَبِ بني أُمية إلا لموضع عُثْمان بن عَفَّان رضي الله عنه، لكان حَرًى بذلك.

---

(١) صفورية: بلدة بالأردن.
(٢) أخيفش: تصغير أخفش، وهو فساد في العين يضعف نورها.
(٣) هو مهران مولى رسول الله ﷺ.
(٤) صواحب الرايات: كانت البغايا في الجاهلية ينصبن راية تدل على أن هذا البيت هو أحد بيوت البغاء، كحال ما يجري في جاهلية اليوم من تعريف شوارع بعينها كشارع الهرم، فهو محل الراقصات وأهل الزنا والبغاء، وما أكثر شوارع الهرم في الأمصار الإسلامية!!!.

وقال ابن هشام: الحَميثُ: الزَّقّ، وكان قد تخلَّف عن بدر، ثم شهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وهو كان حجَّام رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إنما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكِحوه، وانكِحوا إليه، ففعلوا».

قال ابن إسحٰق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينةَ قبل الأسارى بيوم.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيىٰ بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أسعد بن زُرَارة، قال: قدِم بالأُسارَى حين قدِم بهم، وسَوْدةُ بنت زَمْعَة زوج النبيّ ﷺ عند آل عَفْراء، في مَناحتهم على عَوْف ومُعوّذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب.

قال: تقول سَوْدة: والله إني لعندهم إذ أُتِينا، فقيل: هؤلاء الأُسارى، قد أُتِي بهم قالت: فرجعت إلى بيتي، ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يَزيد سُهَيل بن عمرو في ناحية الحُجرة، مَجْموعةً يداه إلى عُنقه بحَبْل قالت: فلا والله ما ملكت نَفْسِي حين رأيت أبا يَزيد كذلك أن قلْت: أي أبا يزيد: أعطيتم بأيديكم، ألا مُتُّم كرامًا، فوالله ما أنبهَني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: «يا سودة، أعلَى الله ورسوله تحرّضين؟» قالت: قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ، ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني نُبيه بنُ وَهْب، أخو بني عبد الدار. أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأُسارى فرّقهم بين أصحابه، وقال: اسْتَوْصُوا بالأُسارى خيرًا. قال: وكان أبو عَزِيز بن عُمَير بن هاشم، أخو مُصْعَبِ بن عُمَيْر لأبيه وأمه في الأُسَارَى.

أبو هند الحجّام:

فصل: وذكر أبا هند الحَجَّام، وأنه لقي رسولَ الله ﷺ مُنْصَرَفَه من بَدْرٍ. أبو هند اسمُه: عبدُ الله، وهو مولى فَرْوَةَ بن عَمْرو البَيَاسيّ، وأما طيبة[2] الحَجَّام فهو مَوْلى بني حارثة، واسمه: نافع، وقيل: دُنَيْر وقيل: مَيْسَرَةُ، ولم يشهد بدرًا.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٣٩) والحاكم (٣/ ٢٢) والبيهقي (٩/ ٨٩).
(٢) قوله: وأما طيبة، لعله تصحيف صوابه: وأبو طيبة. وهي كنية نافع الحجام.

قال: فقال أبو عزيز: مرّ بي أخي مُصْعب بن عمير ورجلٌ من الأنصار يَأسِرني، فقال: شُدَّ يَدَكَ به، فإن أمّه ذاتُ مَتاع، لعلّها تَفْديه منك، قال: وكنت في رَهْطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بَدْر، فكانوا إذا قدّموا غَداءَهم وعشاءهم خصّوني بالخُبز، وأكلوا التّمر، لوصيّة رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقَعَ في يدِ رجل منهم كسرة خبْز إلا نَفَحني بها. قال: فأستحيي فأردّها على أحدهم، فيردّها على ما يمسّها.

بلوغ مصاب قريش إلى مكة:

قال ابن هشام: وكان أبو عَزيز صاحب لَواء المشركين ببدر بعد النَّضر بن الحارث، فلما قال أخوه مُصْعب بن عمير لأبي اليَسَر، وهو الذي أسره، ما قال قال له أبو عَزيز: يا أخي، هذه وَصَاتُك بي، فقال له مُصْعب: إنه أخي دونك. فسألت أمّه عن أغلى ما فُدِي به قرشيّ، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعث بأربعة آلاف درهم، ففدته بها.

قال ابن إسحٰق: وكان أوّل من قدم مكةَ بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخُزاعيّ، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتل عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو الحَكم بن هشام، وأُميّة بن خَلف، وزَمَعة بن الأسود، ونُبيه ومنبّه ابنا الحجّاج، وأبو البَختري بن هشام، فلما جعل يُعدّد أشراف قريش؛ قال صَفْوان بن أُميّة، وهو قاعد في الحِجْر: والله إن يَعْقل هذا فاسألوه عني؛ فقالوا: ما فعل صَفْوان بن أُميّة؟ قال: ها هو ذاك جالسًا في الحجْر، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا.

أسارى بدر:

ذكر فيهم أبا عَزيز بن عُمَيْرٍ حين مرَّ به، وهو أَسِيرٌ على أخيه مُصْعَبٍ، فقال مُصْعَبٌ للذي أسره: اشْدُدْ يديك به وذكر الحديث.

قال المؤلف رحمه الله: وقد تقدم في باب الهجرة خبرُ إسلام مصعب، وما كانت أُمُّه تصنع به، وأرجأت التعريف به وبإخوته إلى هذا الموضع، فأما أبو عَزِيز، فاسمه زُرَارَةُ، وأمه التي أرسلت في فدائِه أم الخُنَاسِ بنت مالك العامرية، وهي أم أخيه مُصْعَب، وأخته هند بن عُمَيْر، وهند هي أم شَيْبَة بن عُثْمانَ حاجبِ الكعبة، جد بني شَيْبَة أسلم أبو عَزِيزٍ، وروى الحديث، وأسلم أخوه أبو الروم، وأبو يَزِيدَ: ولا خَفَاءَ بإسلام مُصْعَبٍ أخيه، وغلط الزُّبَيْر بن بَكّار، فقال: قُتل أبو عزيز يومَ أُحُدٍ كافرًا، ولم يصح هذا عند أَحَدٍ من أهل الأخبار، وقد رُوي عنه نُبَيْهُ بنُ وهب وغيره، ولعلَّ المقتول بأُحُدٍ كافرًا أخٌ لهم غيره.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكْرمة مولى ابن عبَّاس، قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلامًا للعبَّاس بن عبد المطَّلب، وكان الإسلام قد دَخَلنا أهل البيت، فأسلم العبَّاس وأسلمت أُمُّ الفضل وأسلمت وكان العبَّاس يهاب قومَه ويكره خِلافهم وكان يكتُم إسلامَه، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر، فبعث مكانَه العاصي بن هشام بن المُغيرة، وكذٰلكَ كانوا صنعوا، لم يتخلَّف رجلٌ إلاّ بَعث مكانَه رجلاً، فلما جاءه الخبرُ عن مُصاب أصحاب بدر من قريش، كبته الله وأخزاه، ووجَدْنا في أنفسنا قوَّةً وعزًّا. قال: وكنت رجلاً ضعيفًا، وكنت أعمل الأقداح. أنحتُها في حُجْرة زَمْزم. فوالله إني لجالسٌ فيها أنْحَت أقداحي، وعِنْدي أُم الفَضْل جالسةٌ وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رِجليه بِشَرّ، حتى جلس على طُنُب الحُجْرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالسٌ إذ قال الناسُ: هذا أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب ـ قال ابن هشام: واسم أبي سفيان المغيرة ـ قد قدم قال: فقال أبو لهب: هَلُمَّ إليّ، فعندك لعمري الخبرُ، قال: فجلس إليه والناسُ قيامٌ عليه، فقال: يا ابن أخي، أَخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لَقينا القومَ فمَنَحْناهم أكتافَنا يقُودوننا كيف شاءُوا ويأسِرُوننا كيف شاءوا، وأيمُ الله مع ذلك ما لُمت الناس، لقينا رجالاً بيضًا، على خيْل بُلْق، بين السماء والأرض، والله ما تُلِيق شيئًا، ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفَعْت طُنُب الحُجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة؛ قال: فرفع أبو لهب يده فضَرب بها وجهي ضربةً

خبر أبي رافع حين قدم فل قريش:

اسم أبي رافع: أسلَمُ، وقال ابنُ مَعينٍ: اسمُه إبراهيمْ، وقيل: اسمه هُرْمُزُ[1]، وكان عبدًا قِبْطِيًّا للعباس، فوهبه للنبي ﷺ، فلما أسلم العباسُ وبشَّر أبو رافع رسولَ الله ـ ﷺ ـ بإسلامه، فأعتقه، فكان مولى رسول الله ـ ﷺ ـ وقيل: كان عبدًا لبني سعيد بن العاصي، وهم عشرة فأعتقوه إلا خالدَ بنَ سعيد، فإنه وَهَبَ حِصَّتَه فيه للنبي ـ ﷺ ـ فأعتقه النبيُّ ـ ﷺ ـ والأول أصح توفّي في قول الواقِدي قبل مقتل عثمان بيسير.

أم الفضل وضربها لأبي لهب:

وذكر أبا لهب وضربه لأبي رافع حين ذكر الملائكة وانتصار أُمِّ الفَضْلِ له وضربها لأبي لهب، وأُمُّ الفَضلِ هي لُبَابَةُ الكُبرى بنتُ الحارث [بن حَزْن بن بُجَير بن الهُزَم بن رُوَيْبة بن

(١) وقيل: يسار، وقيل صالح، وقيل: عبد الرحمٰن. وقيل: أسلم وهو أشهر.

شديدة. قال: وثاورتُه فاحتَملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يَضربني، وكنت رجلاً ضعيفًا، فقامت أُمُ الفضل إلى عمود من عمد الحُجرة، فأخذته فضربته به ضربةً فلَعت في رأسه شجَّةً مُنكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيدُه فقام، مُوَلِّيًا ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سَبْعَ ليالٍ حتى رماه الله بالعَدَسة فقتلْته.

عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة] الهِلالِيَّة أختُ مَيْمُونة، وأُختها لبَابَةُ الصُّغرى أمّ خالدُ بنُ الوَلِيد، ولدت أمُّ الفضل من العباس سبعةً نُجَبَاءَ قال الشاعر:

مـا وَلَـدَتْ نـجِـيـبَـةٌ مـن فَـحْـلِ   كَـسَـبْـعَـةٍ مـن بَـطْـنِ أُمّ الـفَـضْـلِ

وهم عَبْد الله وعُبَيْد الله، وعبدُ الرحمٰن، والفضل، ومَعْبدُ، وقُثَم، ويقال في السابع: كَثِيرُ بنُ العباس، والأَصَحُ في كثِير أن أُمَّه رُوميَّة، ولم تلد أُمُّ الفضل من العباس إلاَّ مَنْ سَمَّيْنا وأختًا لهم، وهي أُمُّ حَبيبٍ، وقد ذكرها ابن إسحٰق في رواية يونسٍ [ابن بكير]، وذكر أن رسولَ الله ﷺ ـ رآها وهي طِفلةٌ تَدِبُّ بين يديه، فقال: «إن بلغتْ هذه وأنا حَيٌّ تَزَوَّجتُها»، فقُبِض عليه السلامُ قبل أن تَبْلُغ فتزوجها سُفيانُ بن الأسود بن عبُد الأسد [بن هلال بن عبد الله بن عمرو] المَخْزُومي فولدت له رِزقًا ولُبَابَةَ.

وذكر ابن إسحٰق أن أبا لَهَب حين ضربته أُمُّ الفضل بالعَمُود على رأسِه قام منكسرًا، ولم يَلْبَثْ إلا يسيراً، حتى رماه الله بالعَدَسَةِ فقتله.

وذكر الطَّبَرِيُّ في كتابه[1] أن العَدَسة قَرْحَة كانت العَربُ تَتَشَاءَمُ بها، ويَرَوْن أنها تُعْدِي أَشَدَّ العَدوَى، فلما رُمِيَ بها أبو لَهَبٍ، تباعد عنه بنُوه، فبقي ثلاثًا لا تُقْرَبُ جنازتُه، ولا يُدْفَنُ، فلما خافوا السُّبَّة دفعوه بعود في حفرته ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن إسحٰق في روايةِ يُونُس: لم يَحْفُروا له، ولكن أُسْنِد إلى حائطٍ وقُذفت عليه الحجارةُ من خَلْف الحائط ووُرِيَ وذكر أن عائشةَ كانت إذا مرّت بموضعِه ذلك غطَّت وجهَها، وفي صحيح البخاري أن بعضَ أهله رآه في المنام في شَرِّ رحيبةٍ[2]، وهي الحالةُ، فقال: ما لقيتُ بَعدكم، يعني: راحَةً، غير أني سُقيتُ في مِثْل هذه بعِتْقِي ثُوَيْبَةَ، هكذا في رواية الأصيلي عن أبي زيد، وفي رواية غيره، قال: ما لقيتُ بعدكم راحة، غير أني سُقِيت في مثل هذه، وأشار إلى النُّقْرَة بين السَّبَابة والإبهام، بعِتقي ثُوَيْبَةَ، وفي غير البُخَارِي أن الذي رآه من أهله هو أخوه العباس، قال: مكثت حَوْلاً بعد موتِ أبي لهب لاَ

---

(١) الطبري في تاريخه (٢/ ٤٠) ط .دار الكتب العلمية. مع اختلاف عما حكاه السهيلي ـ رحمه الله تعالى ـ هنا.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٧) ومسلم (١٥٣٧). وفيهما «في شرّ خيبة».

نواح قريش على قتلاهم:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبَّاد، قال: ناحت قريش على قتْلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلُغَ محمدًا وأصحابَه، فيشْمتوا بكم؛ ولا تبعثوا في أُسراكم حتى تستأنوا بهم لا يأْرب عليكم محمد وأصحابه في الفداء. قال: وكان الأسود بن المطَّلب قد أُصيب له ثلاثة من ولده، زَمَعة بن الأسود، وعَقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة، وكان يحبّ أن يبكيَ على بَنيه، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل، فقال لغلام له وقد ذهب بصره: انظُر هل أُحلّ النَّحب؛ هل بكتْ قُريش على قتلاها؟ لعلّي أبكي على أبي حكيمة، يعني زمعة، فإن جوفي قد احترق قال: فلما رجع إليه الغلامُ قال: إنما هي امرأة تبكي على بَعير لها أضلَّته. قال: فذاك حين يقول الأسود:

أَتَبْكي أن يَضِلَّ لها بَعِيرٌ ... ويَمْنَعُها مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ

فَلا تَبْكي على بَكْرٍ ولكنْ ... على بَدْرٍ تَقاصَرَتِ الجُدُودُ

على بَدْرٍ سَرَاةِ بَني هُصَيْصٍ ... ومَخْزُومٍ ورَهْطِ أبي الوَلِيدِ

وبَكِّي إنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ ... وبَكِّي حارِثًا أَسَدَ الأُسودِ

وبكِّيهم وَلا تَسَمي جَميعًا ... وما لأبي حَكِيمةَ مِنْ نَدِيدِ

ألا قد ساد بَعْدَهُم رجالٌ ... ولَوْلاَ يَوْمُ بَدْرٍ لَمْ يَسُودُوا[1]

أَراه في نوم، ثم رأيته في شَرِّ حال، فقال: ما لقيتُ بعدكم رَاحَةً إلا أن العذابَ يخفّف عني كُلَّ يوم اثنين، وذلك أن رسول الله ﷺ ولِد يوم الاثنين، وكانت ثُوَيْبَةُ قد بَشَّرته بمولده، فقالت له: أَشَعَرْتَ أن آمِنَةَ وَلَدَتْ غُلامًا لأخيك عبدِ الله؟ فقل لها: اذْهَبي، فأَنْتِ حُرَّةٌ، فنفعه ذلك[2]، وفي في النار كما نفع أخاه أبا طالب ذَبُّه عن رسول الله - ﷺ - فهو أهون أهلِ النار عَذابًا، وقد تقدم في باب أبي طالب أن هذا النَّفع إنما هو نُقْصَانٌ من العذابِ، وإلا فَعَمَلُ الكافر كلّه مُحْبَطٌ بلا خِلافٍ، أي: لا يجده في ميزانه، ولا يدخلُ به جَنَّةً، وقد كان رسول الله - ﷺ - يصل ثُوَيْبَةَ من المدينة ويُتْحِفُها؛ لأنها كانت أرضعته،

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٢/ ٤١). وكذا الخبر التالي.

(٢) كل عمل حسن يعمله العبد كافرًا، فإنه يثاب عليه في الدنيا إما مالاً أو صحة أو أولاد أو غير ذلك، حتى إذا جاء يوم القيامة لم يكن له من الحسنات شيئًا. قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا﴾. وقال تعالى: ﴿وما ربّك بظلاّم للعبيد﴾. وقال تعالى: ﴿من كان يريد الدنيا وزينتها. . .﴾ الآيات.

قال ابن هشام: هذا إقواء، وهي مشهور من أشعارهم، وهي عندنا إكفاء. وقد أسقطنا من رواية ابن إسحٰق ما هو أشهر من هذا.

قال ابن إسحٰق: وكان في الأُسارى أبو وَداعة بن ضُبَيرة السهمي، فقال رسول الله - ﷺ: «إنّ له بمكة كَيِّسًا تاجرًا ذا مال، وكأنّكم به قد جاءكم في طَلَب فداء أبيه؛ فلما قالت قريشٌ لا تعجلوا بفداء أسرائكم لا يَأْرَب علكيم محمدٌ وأصحابُه»، قال المُطَّلِبُ بن أبي وَدَاعَةَ - وهو الذي كان رسولُ الله - ﷺ - عَني: صَدقتم، لا تعْجلوا وانسلّ من الليل فقَدِم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، فانطلق به.

أمر سهيل بن عمرو وفداؤه:

(قال): ثم بعثت قُريشٌ فِي فِداء الأسارى، فقدِم مِكْرَزٌ بن حَفْص بن الأخْيف في فداء سُهَيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالكُ بن الدُّخشُمِ، أخو بني سالم بن عَوْف، فقال:

أَسَـرْتُ سُـهَـيْـلاً فَـلا أبْـتَـغِـي ... أسـيـرًا بـه مِـن جـمـيـع الأُمَـمْ

وخِـنْـدِفُ تَـعْـلـم أنَّ الـفـتـى ... فـتـاهـا سُـهَـيْـلٌ إذا يُـظَّـلَـمْ

ضربتُ بذي الشَّفْر حتى انْثنى ... وأكْرهت نفسي على ذي العَلَمْ

وكان سُهَيْلٌ رجلاً أعْلَمَ من شَفته السُّفلى.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدُّخْشُم.

وأرضعت عمَّه حمزةَ، ولما افتتح مكّة سأل عنها، وعن ابن لها اسمه: مَسْرُوحٌ، فأخبر أنهما قد ماتا.

ضـبـيـرة:

وذكر المطَّلِبَ بنَ أبي وَدَاعَة بن ضُبَيْرَة، وقد ذكر الخطابي عن العَنْبَريّ أنه يقال فيه: ضُبَيْرَة بالضاد المعجمة، واسم أبي ضُبَيْرة: عَوْفٌ.

ابـن الدخشـم:

وذكر مالك بن الدُّخْشُم [بن مِرْضَخَة] ويقال فيه: الدُّخَيْش، ويقال فيه: ابن الدُّخَيْش ويقال: إنه الذي سَارَّ رسول الله ﷺ رجلٌ من الأنصار، فلم يدر ما سَارَّه به حتى جَهَر النبي ﷺ، فإذا هو يستأذنه في قَتْلِه، وهو في حديث الموطأ، والذي سارَّه هو عِتْبَانُ بنُ

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن عَمْرو بن عَطاء، أخو بني عامر بن لُؤيّ: أن عمر بنَ الخطّاب قال لرسولِ الله ﷺ: يا رسول الله، دَعْني أنْزَعْ ثَنِيَّتَيْ سُهيْل بن عمرو، ويَدْلعُ لسانُه، فلا يقوم عليك خَطيبًا في موطن أبدًا؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثل به فيُمثِّل الله بي وإن كنتُ نبيًّا»[1].

قال ابن إسحٰق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا الحديث: «إنه عسَى أن يقوم مقامًا لا تذمُّه».

قال ابن هشام: وسأذكر حديثَ ذلك المقام في موضعه إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحٰق: فلما قاولهم فيه مِكْرَزُ وانتهى إلى رضاهم، قالوا: هاتِ الذي لنا، قال: اجعلوا رجْلي مكان رجله، وخلّوا سبيلَه حتى يبعث إليكم بفِدائه، فخلّوْا سبيل سُهيل، وحبَسوا مِكْرزًا مكانَه عندهم، فقال مِكْرز:

فَـدَيـتُ بـأذوادٍ ثِـمـانٍ سِـبَـا فَـتًـى ... ينـالُ الـصَّـمِـيـمَ غُـرْمُـها لا الـمَـوَالِـيا

مالك[2]، وقد برأ النبي ﷺ مالكَ بنَ الدُّخْشُم من النفاق، حيث قال: «أليس يشهد أن لا إلٰه إلاّ الله؟ قالوا: بَلَى، قال: أليس يُصَلّي؟ قالوا: بَلَى»، فقال في حديث الموطأ: «أولئك الذين نهاني الله عنهم»[3]، وقال في حديث مُسْلِم: «فإن الله قد حرَّم على النارِ من قال: لا إلٰه إلاّ الله يبتغي بها وَجْه الله»[4].

حول شعر مكرز:

وذكر مَكرز، وقد تقدم في اسم مَكْرَزِ أنه يقال بكسر الميم وفتحها، ولكن لا يُرْوَى في السيرة إلاّ بالكسر.

وقول مَكْرَز:

فَـدَيـتُ بـأذْوَادٍ ثِـمَـانٍ سِـبَـا فَـتًـى

بكسر الثاء من ثِمَانٍ، لأنه جمع ثمين، مثل سَمِين وسمان.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٣٨٧) والطبري في تاريخه (٢/ ٤١) من طريق ابن إسحٰق به.
(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٣٧).
(٣) أخرجه مالك (١/ ١٣٧) والبيهقي (٨/ ١٩٦) وابن عبد البرفي التمهيد (١٠/ ٤٩/ ١٦٢). وعبد الرزاق (١٨٦٨٨).
(٤) أخرجه البخاري (١/ ١١٦) ومسلم في المساجد (٢٦٣) والبيهقي (١٠/ ١٢٤) وابن خزيمة (١٦٥٣) وأبو عوانة (٢/ ١٣).

رَهَنتُ يدي والمال أُيسرُ من يَدي　　عليٍّ، ولكني خَشِيت المَخازيا
وقلت: سُهَيْلٌ خَيْرُنا فاذْهبُوا به　　لأبنائنا حتى نُدِير الأمانيا

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمِكْرَز.

أسر عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بَكْر، قال: كان عمرو بن أبي سُفيان بن حَرْب، وكان لبنت عُقبة بن أبي مُعَيط ـ قال ابن هشام: أُم عمرو بن أبي سُفيان بنت أبي عَمْرو، وأُخت أبي مُعَيط بن أبي عمرو ـ أسيرًا في يدي رسول الله ﷺ، من أسرَى بَدْر.

قال ابن هشام: أسره عليُّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الله بن أبي بكر، قال: فقيل لأبي سُفيان: افْدِ عمْرًا ابنك، قال: أيُجْمع عليَّ دَمي ومالي! قتَلوا حَنْظلة، وأفْدي عَمْرًا! دعوه في أيْديهم يُمْسكوه ما بدا لهم.

قال: فبينما هو كذلك، مَحْبوسٌ بالمدينة عند رسول الله ﷺ، إذ خرج سَعْد بن النُّعْمان بن أكَّال، أخو بني عمرو بن عَوْف ثم أحدُ بني مُعاوية معتمرًا ومعه مُرَيَّة له، وكان شيخًا مسلمًا، في غَنم له النَّقيع: فخرج من هنالك معتمرًا، ولا يَخْشى الذي صُنع به، لم يظنَّ أنه يُحبس بمكة، إنما جاء معتمرًا: وقد كان عَهِد قريشًا لا يَعْرضون لأحدٍ جاء حاجًا، أو معتمرًا إلا بخير، فعدَا عليه أبو سُفيان بن حَرب بمكة فحَبَسه بابنه عمرو، ثم قال أبو سفيان:

أرهطَ ابنِ أكَّالٍ أجِيبُوا دُعاءهُ　　تعاقدتُم لا تُسْلِمُوا السَّيدَ الكَهْلا
فإنَّ بني عَمْرِو لِئامٌ أذِلَّةٌ　　لئنْ لم يَفكُّوا عن أسِيرهِم الكَبْلا

فأجابه حسَّان بن ثابت فقال:

لو كان سعدٌ يوم مكَّة مُطْلَقًا　　لأكثرَ فيكم قبلَ أن يُؤْسَر القَتْلا
بِعَضْب حُسام أوْ بِصَفْراءَ نَبْعَة　　تحنّ إذا ما أُنبِضَت تَحْفِزُ النَّبْلا

ومشى بنو عَمْرو بن عَوْف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره؛ وسألوه أن يُعطيهم

....

عمرو بن أبي سُفيان فيَفُكُّوا به صاحبَهم، ففَعل رسول الله - ﷺ - فبعثوا به إلى أبي سُفْيان، فخلَّى سبيلَ سعد[1].

أسر أبي العاص ابن الربيع

قال ابن إسحٰق: وقد كان في الأسارَى أبو العاص ابن الربيع بن عبد العُزى بن عبد شَمْس، خَتن رسول الله ﷺ، وزوج ابنته زَينب.

قال ابن هشام: أسره خِراش بن الصمَّة، أحد بني حَرام.

سبب زواج أبي العاص من زينب:

قال ابن إسحٰق: وكان أبو العاص من رجال مكَّة المعْدودين: مالاً، وأمانة، وتجارةً، وكان لهالةَ بنت خُويلد، وكانت خديجةُ خالَته. فسألت خديجةُ رسولَ الله ﷺ أن يزوّجه، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفها، وذلك قبل أن يَنْزل عليه الوحي، فزوّجه، وكانت تَعُدُّه بمنزلة ولدها. فلما أكرم الله رسولَه ﷺ بنُبوّته آمنت به خديجةُ وبناتُه، فصدَّقْنَه، وشَهِدْن أنَّ ما جاء به الحقّ، ودِنَّ بدِينه، وثبت أبو العاص على شِرْكه.

أبو العاصي ابن الربيع

وذكر أبا العاصِي ابن الرَّبيع بن عبد العُزَّى، واسم أبي العاصي: لَقِيطٌ، وقيل فيه: هاشم وقيل: مِهْشَمٌ، وقيل: هَشيم، وهو الذي يقول في أهله زَيْنَبَ بنتِ رَسُولِ الله - ﷺ - وكان بالشام تاجرًا حين قالها:

ذكرت زَيْنب لمَا يَمَّمَتْ إضَمَا[2] فقلتُ: سَقْيًا لشخصٍ يَسْكُنُ الحَرَما
بنت الأمين جَزَاها الله صالحةً وكُلُّ بَعْل سَيُثْني بالذي عَلِما

ولدت له زينبُ بنت رسول الله ﷺ أُمَامَةَ وعَليًا، مات عليٌّ وهو صغير، وتزوج أُمَامَة عليُّ بن أبي طالب، وتزوجها بعده المغيرةُ بن نَوْفَلٍ، وهي التي جاء فيها الحديثُ رواه عَمْرو بن سليم الزُّرَقي عن أبي قَتَادَةَ أن رسولَ الله ﷺ كان يصلي، وهو حامل أُمَامَة بنت زينب الحديث[3] قال عَمْرو بن سليم: كانت تلك الصلاةُ صلاةَ الصبح، هكذا رواه

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٢).

(٢) إضمًا: وادٍ دون المدينة، وقيل: موضع ماء بين مكة واليمامة.

(٣) حديثه ﷺ لأمامة في الصلاة أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

سعي قريش في تطليق بنات الرسول من أزواجهن:

وكان رسولُ الله ﷺ قد زوّج عُتْبةَ بن أبي لهب رُقَيّة، أو أُمَّ كُلْثوم. فلمَّا بادَى قُريشًا بأمر الله تعالى وبالعداوة، قالوا: إنكم قد فرَّغتم محمدًا من همّه، فردُّوا عليه بَناته، فاشغَلوه بهنّ. فمشوْا إلى أبي العاص فقالوا له: فارِقْ صاحبتَك ونحن نزوّجك أيّ امرأة من قُريْش شئتَ، قال: لا والله، إنّي لا أُفارق صاحبتي، وما أحبّ أنّ لي بامرأتي امرأةً من قريش. وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صِهْره خيرًا، فيما بلغني. ثم مَشوْا إلى عُتْبة بن أبي لهب، فقالوا له: طلّق بنتَ محمد ونحن نُنكحك أي امرأة من قريش شِئْت، فقال: إن زوّجتموني بنت أبان بن سَعيد بن العاص، أو بنت سَعيد بن العاص فارقْتها. فزوّجوه بنت سَعيد بن العاص وفارقها، ولم يكن دَخل بها، فأخرجها الله من يده كرامةً لها، وهوانًا له، وخلَفَ عليها عثمانُ بن عفَّان بعده.

أبو العاص عند الرسول وبعث زينب في فدائه:

وكان رسولُ الله ﷺ لا يُحِلّ بمكة ولا يحرّم، مغلوبًا على أمره، وكان الإسلام قد فرّق بين زَيْنب بنت رسولِ الله ﷺ حين أسلمتْ وبين أبي العاص ابن الربيع، إلا أنّ رسول الله ﷺ كان لا يَقْدِر أن يفرّق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شِرْكه، حتى هاجر رسولُ الله ﷺ، فلما صارت قريش إلى بدر، صار فيهم أبو العاص بن الربيع فأُصيب في الأسارَى يومَ بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ.

[عبد الملك بن عبد العزيز] بن جُرَيْج عن ابن عِتَابٍ عن عَمْرو بن سليم، ورواه ابن إسحٰق في غير السِّيرة عن المَقْبري عن عَمْرو بن سليم، فقال فيه: في إحدى صلاتي الظهر أو العصر، وكان الذي أسر أبا العاصي من الأنصار عبدُ الله بن جُبَيْر، ذكره غير ابن إسحٰق، وكانت رقية بنت رسول الله ﷺ تحت عُتْبَة بن أبي لهب، وأُمُّ كُلثوم تحت عُتَيْبَة، فطلّقاهما بعزم أبيهما عليهما وأُمّهما حين نزلت ﴿تَبَّت يدا أبي لَهَبٍ﴾[1] فأما عُتَيْبَة، فدعا عليه النبيّ ﷺ أن يُسَلِّط الله عليه كَلْبًا من كلابه فافترَسه الأسدُ من بين أصحابه، وهم نِيام حَوْله، وأما عُتْبَةُ ومُعَتِّب ابنا أبي لهب، فأسلما ولهما عقب.

وقوله في خبر هندٍ: فلا تَضْطَنِي مني. تَضْطَنِي، أي: لا تَنْقَبِضي عني وشاهدُه [قَوْلُ الطِّرِمّاح بن حكيم]:

إذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ والده اضْطَنَى ‏ ‏ ‏ ‏ ولا يَضْطَنِي من شَتْم أهلِ الفضَائِلِ

---

(١) سورة المسد آية رقم (١).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عباد، عن عائشة قالت: لما بعث أهلُ مكة في فِداءِ أُسَرَائهم، بعثت زينبُ بنت رسول الله ﷺ في فِداء أبي العاص ابن الرَّبيع بمالٍ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجةُ أدْخلتها بها على أبي العاص حين بَنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقَّة شديدةً وقال: إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لها أسيرَها، وتردّوا عليها مالها، فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسولَ الله. فأطلقوه، وردّوا عليها الذي لها.

خروج زينب إلى المدينة
تأهبها وإرسال الرسول رجلين ليصحباها

وكان رسولُ الله ﷺ قد أخذ عليه، أو وَعَد رسول الله ﷺ ذلك، أن يخلّيَ سبيلَ زينب إليه، أو كان فيما شَرط عليه في إطلاقه، ولم يَظْهَر ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ فيُعْلَم ما هو، إلا أنه لمَّا خرج أبو العاص إلى مكة وخُلّيَ سبيلُه، بعث رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانَه، فقال: كُونا بِبَطْن يَأْجَجَ حتى تمرّ بكما زينب، فتَصْحَباها حتى تَأْتياني بها، فخرجا مكَانهما، وذلك بعد بَدْر بشهر أو شَيْعِهِ، فلمَّا قَدِم أبو العاص مكَّة أمرها باللُّحوق بأبيها، فخرجت تجهَّز.

هند تحاول تعرف أمر زينب:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر، قال: حُدّثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهَّز بمكة لِلُحُوقِ بأبي لقيتْني هِنْدُ بنت عُتبة، فقالت: يا بنت محمد، ألم يبلغني أنّك تُريدين اللُّحوقَ بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عمِّي، لا تفعلي، إن كانت لك حاجةٌ بمتاع ممَّا يَرْفُق بك في سفرك، أو بمال تَتبلَّغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجَتك، فلا تَضْطَني مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتَفْعل، قالت: ولكني خِفْتُها، فأنكرتُ أن أكون أُريد ذلك، وتجهّزت.

ما أصاب زينب من قريش عند خروجها ومشورة أبي سُفيان

فلمَّا فرَغتْ بنتُ رسول الله ﷺ من جهازها قَدَّم لها حَمُوها كِنانةُ بن الرّبيع أخو

هكذا وجدتُه في حاشية الشيخ، وقد رُوي هذا البيت في الحماسة: يَضَّني بالضاد المعجمةَ، وكأنه يفتعل من الضنى وهو الضعف.

اتّباع قريش لزينب

فصل: وذكر خروجَ زينبَ بنت رسول الله ـ ﷺ ـ من مكّة، واتباع قريش لها، قال:

زَوْجها بعيرًا، فرَكِبَتْه، وأخذ قوسَه وكنانتَه، ثم خرج بها نهارًا يقُودُ بها، وهي في هَوْدج لها. وتحدّث بذلك رجالٌ من قُريش، فخَرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طُوى، فكان أوّلَ من سبق إليها هَبّار بن الأسود بن المُطَّلب بن أسد بن عبد العُزّى، والفِهْرِيُّ، فروّعها هبّار بالرمح وهي في هَوْدجها، وكانت المرأةُ حاملاً ـ فيما يزعمون ـ فلما رِيعتْ طَرحتْ ذا بَطْنها وبَرَكَ حموها كنانةُ، ونثر كِنانتَه، ثم قال: والله لا يدنو مني رجلٌ إلا وضعتُ فيه سهمًا، فتَكَرْكر الناسُ عنه. وأتى أبو سفيان في جلَّة من قُريش فقال: أيها الرجل، كفّ عنّا نَبْلك حتى نكلّمك، فكَفّ؛ فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه، فقال: إنك لم تُصِبْ، خرجتَ بالمرأة على رؤوس الناس علانيةً، وقد عرفتَ مُصيبتنا ونَكْبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظنّ الناسُ إذا خرجتَ بابنته إليه علانيةً على رؤوس الناس من بين أظهُرنا أنّ ذلك عن ذلّ أصابنا عن مُصيبتنا التي كانت، وأنّ ذلك منّا ضعْف ووَهْن، ولعمري ما لنا بحَبْسها عن أبيها من حاجة، وما لنا في ذلك من ثُوْرة، ولكن ارجع بالمرأة، حتى إذا هدأت الأصواتُ، وتحدّث الناس أن قد رَدَدْناها، فسُلَّها سِرًّا، وألْحِقها بأبيها؛ قال: ففعل. فأقامت لياليَ، حتى إذا هدأت الأصواتُ خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقَدِما بها على رسول الله ﷺ.

وسبق إليها هَبَّارُ بن الأسْوَدِ والفِهْرِيُّ، ولم يُسمّ ابنُ إسحٰق الفِهْرِيَّ، وقال ابنُ هشام: هو نافع بن عَبْد قيس، وفي غير السيرة أنه خالدُ بن عبد قيس، هكذا ذكره البزار فيما بلغني.

وذكر أن زَيْنبَ حين رَوَّعها هَبَّارُ بن الأسود أَلْقَتْ ذَا بَطْنها، وزاد غير ابن إسحٰق أنه نَخَسَ بها الراحلة فسقطت على صَخْرَةٍ، وهي حامل فهلك جَنِينُها، ولم تزل تُهَرِيقُ الدماءَ حتى ماتت بالمدينة بعد إسلام بَعْلِها أبي العاصي.

وذكر الزبير أن هَبَّارَ بن الأسْوَدِ لما أسلم وصحب رسول الله ـ ﷺ ـ كان المسلمون يَسُبُّونه بما فعل، حتى شكا ذلك لرسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «سُبَّ من سَبَّك يا هَبَّار»[1]، فكفّ الناسُ عن سَبِّه بعدُ. وولدت زَيْنَبُ [أمامة] وهي التي جاء فيها الحديث رواه عَمْرو بن السليم بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزُّرَقِيّ عن أبي قَتَادَة أن رسول الله ﷺ ـ كان يُصَلّي وهو حاملٌ أُمَامَةَ بنتَ زينبَ الحديث. قال عَمْرو بن سليم إلى آخر ما تقدم قريبًا.

---

(١) لا أظن أن من أخلاق صحابة النبي ﷺ أن يعبدوا مسلم بما كان منه قبل الإسلام، فضلاً أن يقول له النبي ﷺ: «سبّ من سبّك من الصحابة»!!!. والله أعلى وأعلم. وانظر ترجمة هبّار رضي الله عنه في الاستيعاب (١٥٣٦/٤).

شعر لأبي خيثمة فيما حدث لزينب

قال ابن إسحاق: فقال عبدُ الله بن رَوَاحَة، أو أبو خَيْثمة، أخو بَني سالم بن عَوْف، في الذي كان من أمر زينب، قال ابن هشام: هي لأبي خَيْثَمة:

أتاني الذي لا يَقْدرُ النَّاسُ قَدرَه	لزينَبَ فيهم من عقوق ومَأْثَمِ
وإخْراجُها لم يُخزَ فيها محمَّد	على مَأْقِط وبيننا عِطْر مَنْشِمِ
وأمسَى أبو سُفيان من حِلْفِ ضَمْضَم	ومِنْ حَربنا في رَغْم أنفٍ ومَنْدم
قَرَنَّا ابنَه عَمْرا ومَولى يمينِه	بذي حَلَقٍ جَلْد الصَّلاصل مُحْكَم
فأقسمتُ لا تَنْفك منَّا كتائبُ	سُراةُ خَميسٍ في لهَام مُسَوَّم
نزوعُ قرَيشَ الكُفرَ حتى نَعُلَّها	بخاطمةٍ فوق الأنوف بِمِيَسم
نُنَزّلهم أكْناف نجدٍ ونَخلة	وإنْ يُتْهموا بالخيل والرَّجْل نُتْهِم

تفسير قصيدة أبي خيثمة

وذكر شعر ابن رَوَاحَة، وقيل: بل قالها أبو خيثَمَة، وفيها:

على مَأْقِطٍ وبيننا عِطْرُ مَنْشَمِ

المَأْقِط: مُعترك الحرب، وعِطرُ مَنْشَم كناية عن شدّة الحرب، وهو مَثَلُ، وأصلُه ـ فيما زعموا ـ أن مَنْشَم كانت امرأةً من خُزاعَة تبيع العطر والطيب، فيُشترى منها للموتى، حتى تَشَاءَمُوا بها لذلك، وقيل: إن قومًا تحالفوا على الموتِ، فغمسوا أيديهم في طيب مَنشَم المذكورةِ تأكيدًا للحِلْفِ، فضرِب طيبُها مثلاً في شدّة الحرب، وقيل: مَنْشَمُ امرأة من غُدَانَة، وهو بطن من تميم، ثم من بني يربوع بن حَنْظَلة وأن هذه المرأةَ هي صاحبةُ يَسارٍ الذي يقال له: يَسَار الواعب، وأنه كان عبدًا لها، وأنه راودها عن نفسِها، فقالت له: أمْهِلْ حتى أُشِمَّك طيبَ الحرائر، فلمّا أمكنها من أنفِه أنْحَتْ عليه بالموسى حتى أَوْعَبَتْه جدْعًا[1]، فقيل في المثل: لاقى الذي لاَقى يَسارُ الكَواعِب، فقيل: عِطر مَنْشَم.

وفي الشعر:

بذي حلَقٍ جَلْد الصَّلاصِل مُحكَم

يعني: الغُلَّ، والصَّلاصِل جمع: صَلْصَلَة، وهي صَلْصَلةُ الحديد.

---

(١) أوعبته جدعًا: استأصلته قطع.

يدَ الدَّهْرِ حتى لا يُعوَّجَ سِرْبُنا ... ونُلْحِقهم آثار عادٍ وجُرْهُم
ويَنْدَم قومٌ لم يُطيعوا محمدًا ... على أمرهم وأيّ حين تَنَدُّم
فأبْلغْ أبا سُفيان إمَّا لَقِيته ... لئن أنت لم تُخْلِصْ سجودًا وتُسْلم
فَأبشِرْ بخزْيٍ في الحياة مُعَجَّل ... وسِرْبال قارٍ خالدًا في جهنّم

قال ابن هشام: ويروى: وسربال نار.

الخلاف بين ابن إسحٰق وابن هشام في مولى يمين أبي سفيان:

قال ابن إسحٰق: ومولى يمين أبي سُفيان، الذي يعني: عامر بن الحضرمي، كان في الأسارى، وكان حِلْف الحَضْرميّ إلى حَرْب بن أميّة.

قال ابن هشام: مولى يمين أبي سفيان، الذي يعني: عقبة بن عبد الحارث بن الحَضْرمي، فأما عامر بن الحضرمي فقُتِل يوم بدر.

شعر هند وكنانة في خروج زينب:

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتْهم هندُ بنت عُتبة، فقالت لهم:

أفي السِّلْم أعْيارًا جَفاءً وغِلْظةً ... وفي الحَرْب أشباهَ النِّساء العَوارِكِ

وذكر قول هند بنتِ عُتْبَةِ لِفَلِّ قُرَيْش حين رجعوا من بدر.

أَفِي السِّلْمِ أَعْيارًا جَفَاءً وغِلْظَةً ... وفي الحرب أشباهَ النساءِ العَوارِكِ

يقال: عَرَكَتْ المرأةُ ودَرَسَت وطَمِثتْ إذا حاضت، وقد قيل أيضًا: يقال: ضَحِكَتْ إذا حاضت، وتأوّل عليه قوله تعالى: ﴿وامرأته قائمة فَضَحِكَتْ فَبَشَّرناها بإسحٰقَ﴾[1] وقد قيل أيضًا: يقال: أكْبَرَتِ المرأةُ إذا حاضت، وحمل بعضُهم عليه قولَه تعالى: ﴿أَكْبَرْنَه وقَطَّعن أيديَهُنَّ﴾[2] والهاء على هذا القول من أَكْبَرْنه عائدةٌ على المصدر، وهو تأويلٌ ضعيف، ونَصَبَ أَعْيَارًا على الحال، والعامل فيه فِعلٌ مُخْتَزَلٌ لأنه أقام الأعْيَار مقام اسم مشْتَقٍّ، فكأنه قال: أفي السِّلم بُلدَاءَ جُفَاةً مثل الأعْيَارِ، ونصب جَفاءً وغِلْظةً نَصْبَ المصدرِ الموضوع مَوْضع الحال، كما تقول: زيد الأسَدُ شِدَّةً، أي يماثله مماثلة شديدة؛ فالشدةُ صفة للمُمَاثَلة، كما أن المشَافَهةَ صفَة للمُكالمة، إذا قلت: كَلَّمْتُه مُشافَهة فهذه حال من المصدر في الحقيقة، وتعلُّق حرفِ الجَرِّ من قولها: أفي السِّلم، بما أَدَّته الأعيار من مَعْنى الفعل، فكأنها قالت:

---

(١) سورة هود آية رقم (٧١). (٢) سورة يوسف آية رقم (٣١).

وقال كِنانةُ بن الرَّبيع في أمر زَيْنب، حين دَفعها إلى الرَّجُلين:

عَجِبْتُ لهبَّار وأوْباش قَوْمه ... يُريدون إخْفاري ببنت مُحَمَّد

ولستُ أُبالي ما حَيِيتُ عَدِيدَهم ... وما استجمعتْ قَبْضًا يَدِي بالمُهَنَّد

الرسول يحلّ دم هبار:

قال ابن إسحٰق: حدّثني يزيد بن أبي حَبيب، عن بُكَير بن عبد الله بن الأشجّ، عن سليمان بن يَسار، عن أبي إسحٰق الدَّوْسي، عن أبي هُريرة، قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيَّةً أنا فيها، فقال لنا: «إن ظَفِرتم بهبَّار بن الأسْود، أو الرجل (الآخر) الذي سبق معه إلى زينب ـ قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحٰق الرجل في حديثه (وقال: هو نافع بن عبد قيس) فحرّقوهما بالنار»[1]. قال: فلمَّا كان الغدُ بعث إلينا، فقال: إني كنت أمَرتكم بتَحْريق هذين الرجلَيْن إن أخذْتموهما، ثم رأيتُ أنه لا ينبغي لأحد أن يعذّب بالنار إلاّ الله، فإن ظفَرْتم بهما فاقتلوهما.

إسلام أبي العاص بن الربيع:

استيلاء المسلمين على تجارة معه وإجارة زينب له:

قال ابن إسحٰق: وأقام أبو العاص بمكة، وأقامت زَيْنب عند رسول الله ﷺ بالمدينة، حين فرّق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيلَ الفَتح خَرج أبو العاص تاجرًا إلى الشأم، وكان رجلاً مأمونًا، بمال له وأموال لرجال من قريش، أيضعوها معه، فلمَّا فرغ من تجارته وأقبل قافلاً، لقيته سَرِيَّة لرسول الله ﷺ، فأصَابُوا ما معه، وأَعْجَزهم هاربًا، فلمّا قَدِمَتِ السَّريَّة بما أصابوا من ماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخَل على زيْنب بنت رسول الله ﷺ، فاستجار بها، فأجارتْه، وجاء في طَلب ماله، فلمَّا خرج رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبح ـ كما حدّثني يزيد بن رُومان ـ فكبَّر وكبَّر الناس معه، صرخَتْ زينب من صُفَّة النساء: أيها الناس، إنّي قد أجرتُ أبا العاص بن الرَّبيع. قال: فلما سلَّم

أفي السِّلم تَتَبلَّدُون، وهذا الفعل المختزَل الناصب للأعيار لا يجوز إظهارُه للسر الذي نبهنا عليه في قول المبرق [عبد الله بن الحارث]:

وعَائِذًا بك أن يعلوا فَيُطْغُوني

انظره في الهجرة إلى الحبشة.

---

(١) أخرجه الدارمي (٢/ ٢٢٢) وابن أبي شيبة (١٢/ ٣٨٩).

رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس، فقال: «أيها الناس، هل سَمعتم ما سمعتُ؟» قالوا: نعم؛ قال: «أما والذي نفس محمّد بيده ما علمتُ بشيء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم، إنه يُجير على المُسلمين أدْناهم». ثم انصرف رسولُ الله ﷺ، فدخل على ابنته، فقال: «أي بُنيَّة، أكْرمي مثواه، ولا يَخْلُصنّ إليك، فإنك لا تحلّين له»[1].

المسلمون يردّون عليه ماله ثم يسلم:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ﷺ بعث إلى السَّريَّة الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: إن هذا الرجل منّا حيثُ قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تُحْسِنوا وتردّوا عليه الذي له، فإنّا نحبّ ذلك، وإن أبيتم فهو فَيْء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقّ به؛ فقالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه عليه، حتى إن الرجل ليأتي بالدّلْوا ويأتي الرجل بالشَّنّة وبالإداوة، حتى إن أحدهم ليأتي بالشِّظاظ، حتى ردّوا عليه مالَه بأسره، لا يفقد منه شيئًا. ثم احتمل إلى مكة، فأدّى إلى كلّ ذي مال من قُريش ماله، ومن كان أبْضَع معه، ثم قال: يا معشر قُريش، هل بَقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا. فجزاك الله خيرًا، فقد وجَدْناك وفيًّا كريمًا قال: فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، والله ما مَنعني من الإسلام عنده إلاّ تَخَوُّفُ أنْ تظنّوا أني أردت أن آكل أموالَكم، فلمّا أدّاها الله إليكم وفرغتُ منها أسْلمتُ. ثم خرج حتى قَدِم على رسول الله ﷺ.

زوجته تردّ إليه

قال ابن إسحٰق: وحدّثني داود بن الحُصَين عن عِكْرمة عن ابن عباس قال: ردّ عليه رسولُ الله ﷺ زينبَ على النّكاح الأول لم يُحْدث شيئًا (بعد ست سنين).

ردّ زينب على زوجها

وذكر عن دَاود بن الحُصَيْن عن عِكْرِمَةَ عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ ردَّ زينب على أبي العاصي على النكاح الأول، لم يُحْدث شيئًا بعد سِتّ سنين، ويعارض هذا الحديثَ ما رواه عَمْرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جده، أن النبيّ ﷺ ردّها عليه بنكاح جديدٍ، وهذا الحديث هو الذي عليه العملُ، وإن كان حديثُ داود بن الحُصَيْن أَصَحّ إسنادًا عند أهل الحديث ولكن لم يَقُلْ به أحدٌ من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام قد كان فرّق بينهما، قال الله تعالى: ﴿لا هُنَّ

(١) انظر الطبراني (٩/ ١٨٥).

مثل من أمانة أبي العاص:

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة: أن أبا العاص ابن الرَّبيع لما قَدم من الشام ومعه أموالُ المُشركين، قِيل له: هل لك أن تُسْلِمَ وتأخذ هذه الأموالَ، فإنها أموالُ المُشركين؟ فقال أبو العاص: بئس ما أبدأُ به إسلامي أن أخُون أمانتي.

قال ابن هشام: وحدّثني عبدُ الوارث بن سَعيد التَّنُّورِيّ، عن داود بن أبي هِند، عن عامر الشَّعْبي، بنحو من حديث أبي عُبيدة، عن أبي العاص.

الذين أطلقوا من غير فداء:

قال ابن إسحٰق: فكان ممن سُمّي لنا من الأَسارى ممَّن مَنَّ عليه بغير فِداء، من بَني عَبْد شمس بن عبد مناف: أبو العاص ابن الرّبيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس مَنَّ عليه رسول الله ﷺ بعد أن بَعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بفدائه. ومن بني مَخزوم بن يقظة: المُطَّلب بن حَنْطَب بن الحارث بن عُبيدة بن عُمر بن مَخْزوم، كان لبعض بني الحارث بن الخَزْرج، فَتُرِك في أيديهم حتى خلَّوا سبيلَه. فلَحِق بقومه.

قال ابن هشام: أسره خالد بن زيد، أبو أيُوب الأنصاري، أخو بني النجّار.

حِلٌّ لهم ولا هم يَحلُّون لهن﴾[1] ومَنْ جَمَع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس: معنى ردّها عليه على النكاح الأول، أي: على مثل النكاح الأول، في الصداق والحباء لم يُحْدث زيادة على ذلك من شرط، ولا غيره.

شعر بلال في مقتل أميّة:

وذكر قتل بلالٍ لأُمَيَّة بن خلف ولم يذكر شعره في ذلك، وذكره ابن إسحٰق في غير هذه الرواية وهو:

فلما التقيْنَا لم نُكَذِّب بحَمْلَةٍ ... عليهم بأسيافٍ لنا كالعَقَائقِ
ومَطْرُورَة حُمْرُ الظُّبَاةِ كأنها ... إذا رُفِعَتْ أشْطَانُ ذاتِ الأبارق
بني جُمَح قد حلَّ قَعْصٌ بشيخكم ... على ماءِ بَدْرٍ رأسِ كلِّ مُنَافِقِ
هَجَمْنَا عليه الموتَ واشْتَجَرَتْ به ... مَصَاليتُ لِلأنصارِ غيرُ زَوَاهِق
هَوَى حين لاقَانَا وفُرِّقَ جَمْعُه ... على وَجهه في النار مِنْ رَأْسِ حالِق

---

(١) سورة الممتحنة آية رقم (١٠).

قال ابن إسحٰق: وصَيفيُّ بن أبي رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، تُرِكَ في أيدي أصحابه، فلمَّا لم يَأْت أحدٌ في فدائه أخذوا عليه ليبعَثن إليهم بفِدائه، فخلَّوْا سبيله، فلم يَفِ لهم بشيء، فقال حسَّان بن ثابت في ذلك:

وما كان صَيفيّ ليُوفِيَ ذمَّةً ... قَفا ثَعْلَبٍ أعْيا ببعضِ المَوارِدِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحٰق: وأبو عَزّة، عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أُهَيْب بن حُذافة بن جُمَح، كان محتاجًا ذا بنات، فكلَّم رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، لقد عرفتَ ما ليَ من مالٍ، وإني لذو حاجة، وذو عِيال، فامنُن عليَّ؛ فمنّ عليه رسول الله ﷺ، وأخذَ عليه ألاَّ يُظاهر عليه أحدًا. فقال أبو عَزة في ذلك، يمدح رسول الله ﷺ، ويذكر فضلَه في قومه:

مَنْ مُبَلِّغٌ عنّي الرَّسولَ محمَّدًا ... بأنَّك حق والمَلِيك حَمِيدُ

وأنت امرؤٌ تَدْعو إلى الحقّ والهُدى ... عليك من الله العظيم شَهيد

وأنت امْرُؤٌ بُوِّئْتَ فينا مَباءَةً ... لها دَرجاتٌ سَهْلَة وصُعود

فإنَّك مَنْ حارَبْتَه لمُحارَبٌ ... شَقِيّ ومَن سالَمْتَه لسَعيد

ولكن إذا ذُكِّرْتُ بدرًا وأهلَه ... تأوَّبَ ما بي: حَسْرةٌ وقعود

ثمن الفداء:

قال ابن هشام: كان فداءُ المشركين يومئذ أربعةَ آلاف درهم للرجل، إلى ألف درهم، إلا من لا شيء له، فمنَّ رسولُ الله ﷺ عليه.

وذكر الزبير في هذا الخبر عن ابن سلاّم عن حَمّاد بن سَلَمة أن أُميَّة حين أحاطت به الأنصار، قال: يا أحَدُ رأى، أما لَكُم باللُّبّن حَاجَةٌ؟ قال: وكان أُميَّة يُذْكَر بفصاحته، ومعنى هذا الكلام: هل رأى أحَدٌ مثل هذا، ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث أسنده عن مُقَاتِلِ بن سُلَيمان، قال: قال النَّضرُ بن الحارث حين نزلت: ﴿قل إنْ كان للرَّحْمٰن وَلَدٌ فأنا أول العابدين﴾ [الزخرف: ٨١] الآية، وكان النضر قد قال: الملائكة بناتُ الرَّحْمٰنِ، فلما سَمِعَ الآية قال: ألا تَرَاه قد صَدَّقني، فقال له أُميَّة بن خلف ـ وكان أفصح منه ـ لا والله، بل كَذَّبك؛ فقال ما كان للرحمٰن من ولد، ورُوِيَ عن ثَعْلب أنه قال في قول أمية، يا أحَد: يا اسْتِفْتَاحٌ، ومعناه يا هؤلاء أجدُّ راءٍ.

إسلام عُمير بن وهـب

صفوان يحرّضه على قتل الرسول:

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بنُ جَعْفر بن الزُّبير، عن عُروة بن الزُّبير قال: جلس عُمير بن وهب الجُمحي مع صَفوان بن أُميَّة بعد مُصاب أهل بدر من قُريش في الحِجْر بيَسير، وكان عُمَير بن وَهْب شيطانًا من شياطين قُريش، وممَّن كان يُؤذي رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، ويَلْقون منه عَناء وهو بمكة، وكان ابنُه وَهْب بن عُمير في أُسارى بدر.

قال ابن هشام: أسره رفاعة بن رافع أحد بني زُرَيق.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جَعْفر بن الزُّبير، عن عُروة بن الزُّبير، قال: فذكر أصحابَ القَلِيب ومُصابهم، فقال صفوان: والله إنْ في العيش بعدهم خيرٌ؛ قال له عُمير: صدقت والله، أمّا والله لولا دَيْنٌ عليّ ليس له عندي قضاء وعيالٌ أخشى عليهم الضَّيعةَ بعدي، لركبتُ إلى محمد حتى أقتلَه، فإنّ لي قبلهم علَّةً: ابني أسيرٌ فِي أيديهم؛ قال: فاغتَنَمَها صفوان وقال عليّ دينُك، أنا أقْضيه عنك، وعيالُك مع عيالي أُواسيهم ما بقُوا، لا يَسَعني شيءٌ ويعجز عنهم، فقال له عُمير: فاكتُم شأني وشأنك؛ قال: أفعل.

رؤية عمر له وإخباره الرسول بأمره:

قال: ثم أمر عُميرٌ بسَيْفه، فشُحِذ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدِم المدينَة؛ فبينا عمرُ بن الخطّاب في نَفر من المُسلمين يتحدّثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكْرمهم الله به، وما أراهم من عدوّهم، إذ نظر عمرُ إلى عُمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشّحًا السَّيف، فقال: هذا الكلب عدوّ الله عُمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشرّ، وهو الذي حرّش بيننا، وحَزَرنا للقوم يوم بدر.

إسلام عمير بن وهب[1]

فصل: وذكر إسلام عُمَيْرِ بنِ وَهْب إلى آخره، وليس فيه ما يُشكِل.

---

(١) انظر ترجمته في الاستيعاب (٣/ ١٢٢١). وانظر الخبر في تاريخ الطبري (٢/ ٤٤) والمنتظم (٣/ ١٢٥).

ثم دخل عُمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبيّ الله، هذا عدوُّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشّحًا سيفَه؛ قال: فأدْخله عليّ، قال: فأقبل عُمر حتى أخذ بحِمالة سيفه في عُنقه فلبَّبه بها، وقال لرجال ممَّن كانوا معه من الأنصار: ادخلُوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غيرُ مأمون؛ ثم دخل به على رسول الله ﷺ.

الرسول يحدّثه بما بينه هو وصفوان فيسلم:

فلما رآه رسولُ الله ﷺ، وعمرُ آخذٌ بحمّالة سَيْفه في عُنقه، قال: أرْسله يا عمر، ادْنُ يا عُمير؛ فدنا ثم قال: انعَموا صباحًا، وكانت تحيّة أهل الجاهليَّة بينهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «قد أكْرمنا الله بتحية خير من تحيَّتك يا عُمير، بالسَّلام: تحيَّة أهل الجنَّة». فقال: أما والله يا محمد إنْ كنتُ بها لحديث عهد؛ قال: فما جاء بك يا عُمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيْديكم فأحْسِنوا فيه؛ قال: فما بالُ السيف في عُنقك؟ قال: قبَّحها الله من سُيوف، وهل أغنت عنَّا شيئًا؟ قال: اصْدُقني، ما الذي جئتَ له؟ قال: ما جئتُ إلا لذلك، قال: بل قعدتَ أنت وصفوان بن أُميَّة في الحِجْر، فذكرتما أصحابَ القَليب من قُريش، ثم قلت: لولا دَينٌ عليّ وعيالٌ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمدًا، فتحمَّل لك صفوان بدَيْنك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائلٌ بينك وبين ذلك؛ قال عُمير: أشهد أنك رسولُ الله، وقد كنَّا يا رسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما يَنزل عليك من الوحي، وهذا أمرٌ لم يحضُره إلا أنا وصَفْوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله[1]، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المَساق، ثم شهِد شهادة الحقّ. فقال رسولُ الله ﷺ: «فقِّهوا أخاكم في دينه وأقرِئوه القرآن، وأطْلِقوا له أسيرَه»، ففعلوا.

رجوعه إلى مكة يدعو للإسلام:

ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد للأذَى لمن كان على دين الله عزّ وجلّ، وأنا أحبّ أن تأذن لي، فأقدَم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى،

....

(١) شهد عمير أن الذي أخبر النبي ﷺ الخبر هو الله عزّ وجلّ، وفيه شهادة له ﷺ أنه لا يعلم الغيب كما صرّح القرآن والسنة الصحيحة، فقد أخبره تعالى خبر عمير كما في قوله تعالى أيضًا: ﴿قل نبأني العليم الخبير﴾.

وإلى رسوله ﷺ، وإلى الإسلام، لعلّ الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أُوذِي أصحابك في دينهم؟ قال: فأذن له رسول الله ﷺ، فلَحِق بمكة. وكان صفوانُ بن أُميَّة حين خرج عُمير بن وهب، يقول: أبْشروا بوَقْعة تأتيكم الآن في أيام، تُنْسيكم وقعةَ بدر، وكان صفوانُ يسأل عنه الرُّكْبان، حتّى قَدم راكبٌ فأخبره عن إسلامه، فحَلف أن لا يكلّمه أبدًا، ولا يَنْفعه بنفع أبدًا.

قال ابن إسحٰق: فلما قدم عمير مكة، أقام بها يَدْعو إلى الإسلام، ويؤذي منْ خالفه أذًى شديدًا، فأسلم على يديه ناس كثير.

هو أو ابن هشام الذي رأى إبليس وما نزل فيه

قال ابن إسحٰق: وعُمير بن وَهْب، أو الحارث بن هشام، قد ذُكر لي أحدهما، الذي رأى إبليسَ حين نَكَصَ على عَقبيه يوم بدر، فقال: أينَ، أيْ سُراق؟ ومثَلَ عدوُّ الله فذَهب، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وإني جارٌ لَكُمْ﴾[1]. فذكر استدراج إبليس إياهم، وتَشبُّهه بسُراقة بن مالك بن جُعْشم لهم، حين ذكروا ما بينهم وبين بَني بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة في الحرب التي كانت بينهم. يقول الله تعالى: ﴿فلَمَّا تَراءَتِ الفِئَتانِ﴾ ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة، قد أيّد الله بهم رسولَه ﷺ والمؤمنين على عدوّهم ﴿نَكَصَ على عَقِبَيْهِ وَقالَ إنّي بَرِيءٌ مِنكُمْ إنّي أرَى ما لا تَرَوْنَ﴾. وصدق عدوّ الله، رأى ما لم يَرَوْا، وقال: ﴿إنّي أخافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقابِ﴾. فذُكِر لي أنهم كانوا يَرَوْنه في كلّ منزل في صُورة سُراقة لا يُنكرونه، حتى إذا كان يوم بدر، والتقى الجمعان نكص على عقبيه، فأوْردهم ثم أسْلمهم.

هل تجسّد إبليس في غزوة بدر؟

وذكر في آخر الحديث أن عُمَيْر بن وهب هو الذي رأى إبليسَ يوم بدر حين نَكَص على عَقِبَيْه، وذكر غيره أن الحارثَ بن هِشَام تَشَبَّث به، وهو يرى أنه سُرَاقَةُ بنُ مالِكٍ، فقال: إليَّ أين سُرَاقَ أيْنَ تَفِرَّ فَلَكَمَهُ لَكْمَةً طَرَحَهُ على قفاه، ثم قال: إني أخاف الله رَبّ العالمين، وإنما كان تمثّل في صورة سُرَاقَةَ المدُلجِيّ، لأنهم خافوا من بني مُدْلَج أن يعرضوا لهم، فيشغلوهم من أجل الدِّماء التي كانت بينهم، فتمثَّل لهم إبليسُ في صُورَةِ سُرَاقَةَ المدْلجِيِّ، وقال: إنّي جَارٌ لكم من الناس، أي: من بني مُدْلجَ، ويُروى أنهم رأوا سُرَاقَةَ

---

(١) سورة الأنفال آية رقم (٤٨) وما وليها.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: نكص: رجع. قال أوْس بن حَجَر، أحد بني أُسيْد بن عَمْرو بن تميم:

نَكَصْتُم على أعقابكم يومَ جئتُمُ　　　تُزَجُّون أنفالَ الخَميس العَرمرمِ

وهذا البيت في قصيدة له.

شعر لحسان في الفخر بقومه وما كان من تغرير إبليس بقريش:

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت:

قَوْمي الذين همْ آوَوْا نبيَّهمُ　　　وصدَّقوه وأهلُ الأرض كُفَّارُ

إلا خَصائصَ أقْوام هُم سَلَفٌ　　　للصَّالحين مع الأنصار أنْصار

بمكّة بعد ذلك، فقالوا له: يا سُرَاقَةُ أَخَرَمْتَ الصَّفَّ، وأوقعت فينا الهزيمة؟ فقال: والله ما علمت بشيءٍ من أمْرِكُم، حتى كانت هزيمتُكم، وما شَهِدتُ، وما علمت فما صَدَّقوه، حتى أسلموا وسَمِعوا ما أنزل الله فعلِموا أنه كان إبليسَ تَمَثَّل لهم.

وقول اللَّعِين: إني أخافُ الله ربَّ العالمين، لأهل التأويلِ فيه أقوال أحدها: أنه كذب في قوله: إني أخاف الله، لأن الكافر لا يخاف الله، الثاني: أنه رأى جنودَ الله تنزل من السماء، فخاف أن يكون اليومُ الموعودُ الذي قال الله فيه: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الملائكةَ لا بُشْرَى يَوْمئِذٍ للمُجرِمين﴾[1] وقيل أيضًا: إنما خاف أن تدركه الملائكَةُ لما رأى من فِعْلها بحزبه الكافرين، وذكر قاسم بن ثابتٍ في الدلائلِ أن قريشًا حين توجّهت إلى بدرٍ مَرَّ هاتفٌ من الجنّ على مكّة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون، وهو ينشد بأنفذ صوت، ولا يُرَى شخصُه:

أزَارَ الحَنيفِيُّونَ بَدْرًا وَقيعَةً　　　سَيَنْقَضُّ منها رُكْنُ كِسْرَى وقَيصَرا

أبادَتْ رِجالاً من لُؤَيٍّ، وأبرزت　　　خَرائِد يَضرِبْنَ التَّرائب حُسَّرا

فيا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى عدوَّ مُحَمَّدٍ　　　لقد جار عن قَصْد الهدى وَتحَيَّرا

فقال قائلهم: مَنْ الحنيفيون؟ فقالوا: هم محمد وأصحابه، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحَنِيفِ، ثم لم يَلبثُوا أن جاءهم الخبرُ اليقين.

---

(١) سورة الفرقان آية رقم (٢٢).

مُستبشرين بقَسْمِ الله قولُهم لمَّا أتاهُمْ كريمُ الأصل مُختار
أهلاً وسهلاً ففي أمْنٍ وفي سَعَة نِعْم النَّبيُّ ونِعْم القَسْم والجار
فأنزلوه بدار لا يُخاف بها من كان جارَهم دارًا هي الدَّار
وقاسموه بها الأموال إذْ قدموا مهاجرين وقَسْمُ الجاحدِ النَّار
سِرْنا وسارُوا إلى بَدْر لحَيْنِهِمُ لو يعلمون يَقينَ العِلم ما ساروا
دلاّهُمُ بغُرُورٍ ثم أسْلمهم إنَّ الخَبيث لمن والاهُ غَرّار
وقال إنّي لكم جارٌ فأوْرَدَهم شرَّ المَوارد فيه الخزْي والعار
ثم التقينا فولَّوْا عَن سَراتهمُ مِنْ مُنْجدين ومنهم فرْقة غارُوا

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لما أتاهم كريم الأصل مختار» أبو زيد الأنصاري.

المطمعون من قريش:

مـن بني هاشـم:

قال ابن إسحٰق: وكان المُطْمعون، من قُريش، ثم من بني هاشم بن عبد مناف: العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

مـن بني عبد شمس:

ومن بني عَبْد شَمْس بن عبد مناف: عُتبة بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس.

مـن بني نـوفـل:

ومن بني نَوْفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر بن نَوْفل، وطُعيمة بن عَدِيّ بن نوفل، يعتقبان ذلك.

مـن بني أسـد:

ومن بني أسَد بن عبد العُزّى: أبا البَخْتَري بن هشام بن الحارث بن أسَد، وحَكيم بن حزام بن خُوَيلد بن أسد، يَعْتقبان ذلك.

....

مـن بني عبد الـدّار:

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيّ: النضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عبد مناف بن عبد الدار.

نسـب النضـر:

قال ابن هشام: ويقال: النضر بنُ الحارث بنِ عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مناف بن عبد الدار.

مـن بني مخـزوم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني مخزوم بن يَقَظة: أبا جهل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم.

مـن بني جمـح:

ومن بني جُمح: أُميَّةَ بنَ خَلف بنِ وهب بن حُذافة بن جُمح.

مـن بني سهم:

ومن بني سَهم بن عمرو: نُبَيهًا ومُنبِّهًا ابني الحجَّاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعد بن سَهْم، يَعْتقبان ذلك.

مـن بني عـامـر:

ومن بني عامر بن لؤيّ: سُهَيل بن عمرو بن عَبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر.

أسماء خيل المسلمين يوم بدر:

قال ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أنّه كان مع المُسلمين يوم بدر من الخيْل، فَرَس مَرْثَد بن أبي مَرْثد الغَنويّ، وكان يقال له: السَّبَل؛ وفرس المِقْداد بن عمرو البَهْراني، وكان يقال له: بَعْزجة، ويقال: سَبْحة؛ وفرس الزبير بن العوّام، وكان يقال له: اليَغسوب.

خيل المشركين:

قال ابن هشام: ومع المشركين مائة فرس.

....

نزول سورة الأنفال

ما نزل في تقسيم الأنفال:

قال ابن إسحٰق: فلما انقضى أمرُ بدر، أنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن الأنفال بأسرها، فكان مما نَزَل منها في اختلافهم في النَّفل حين اختلفوا فيه ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفَالِ قُلِ الأنفالُ لِلَّهِ والرَّسُولِ فاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وأطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِين﴾[1].

فكان عُبادة بن الصَّامت ـ فيما بلغني ـ إذا سُئل عن الأنفال، قال: فينا معشرَ أهل بدر نزَلت، حين اختلفنا في النَّفل يوم بدر، فانتزعه الله من أيْدينا حين ساءت فيه

ذكر ما أنزل الله في بدر

أنزل سورة الأنفال بأسْرِها، والأنفالُ هي الغنائم، وقال أبو عُبَيْد في كتاب الأموال: النَّفَلُ، إحسانٌ وتَفَضُّلٌ من المنعِم فسمِّيت الغنائمُ أنفالاً، لأن الله تعالى تَفَضَّل بها على هذه الأمة، ولم يُحِلَّها لأحد قَبْلهم. قال المؤلف: أما قوله: إن الله تفضّل بها فصحيحٌ، فقال قال عليه السلام: «ما أُحِلَّت الغنائم لأحدِ سُودِ الرُّؤوس قبلكم، إنما كانت نار تنزل من السماء فتأكلها»[2]، وأما قوله: فسُمِّيت الغنائم أَنْفَالاً لهذا، فلا أحسبه صحيحًا، فقد كانت العرب في الجاهلية الجَهْلاَءِ تسميها أنفالاً.

وقد أنشد ابن هشام لأوْسِ بن حَجَر الأَسيدي، وهو جاهلي قديم:

نَكَصْتُم على أَعْقابكم يوم جِئْتُمُ   تُزجُونَ أنفالَ الخَميسِ العَرَمْرَمِ

ففي هذا البيت أنها كانت تسمى أنفالاً قبل أن يُحِلَّها الله لمحمد وأُمتِه، فأصل اشتقاقها إذًا من النَّفْلِ، وهو الزيادة لأنها زيادة في أموال الغانمين، وفي بيت أوس بن حجر أيضًا شاهد آخر على أن الجيش كان يسمى: خَمِيسًا في الجاهلية، لأن قومًا زعموا أن اسمَ الخميس من الخمْسِ الذي يؤخذ من المغنم، وهذا لم يكن حتى جاء الإسلام، وإنما كان لصاحب الجيش الرُّبْعُ، وهو المِرْبَاع، وسيأتي القول في اشتقاقه فيما بعد إن شاء الله. قرأ ابنُ مسعود وعطاء «يَسْألونَك الأنفالَ» وقرأت الجماعةُ: ﴿يسئلونك عن الأنفالِ﴾ والمعنى صحيح في القراءتين؛ لأنهم سألوها وسألوا عنها لمن هي.

وقول عُبَادَةَ بن الصَّامت: نزلت فينا أهلَ بدر: ﴿يَسْئَلونك عن الأنفال﴾ لأنّا تَنَازعنا

---

(١) سورة الأنفال آية رقم (١) وما وليها.   (٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٢).

أخلاقُنا؛ فردّه على رسول الله ﷺ، فقسَمه بيننا عن بَواء - يقول: على السواء - وكان في ذلك تقوى الله وطاعته، وطاعةُ رسوله ﷺ، وصلاحُ ذات البين.

ما نزل في خروج القوم مع الرسول لملاقاة قريش:

ثم ذكر القومَ ومسيرَهم مع رسول الله ﷺ حين عرف القومُ أنّ قريشًا قد ساروا إليهم، وإنما خرجوا يُريدون العِير طمعًا في الغَنيمة، فقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ المُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ يُجادِلُونَك فِي الحَقِّ بَعْدَما تَبَيَّنَ كأنَّما يُساقُونَ إلى

في النَّفلَ، وساءت فيه أخلاقُنا، كذلك جاء في التفسير لعَبْد بن حميد، وغيره أن عُبادة بنِ الصامت مع الذين كانوا معه، وأبا اليَسَر كَعْب بن عَمْرو في طائفة معه، وكان أبو اليَسَرِ قد قَتَل قتيلين، وأسر أسيرين تنازعوا، فقال الذين حَوَوا المغنمَ: نحن أحَقُّ به، وقال: الذين شُغلوا بالقتال، واتباع القوم نحن أحَقُّ به، فانتزعه الله منهم وردّه إلى نَبيِّه - ﷺ - وقد تقدم حديث سَعْد بن أبي وَقَّاص، حين جاء بالسيف، فأمر أن يجعله في القَبَض، فشَقَّ ذلك عليه، وكان السيفُ للعاصي بن سَعِيد، يقال له: ذو الكَنِيفَةِ، فلما نزلت الآية أعطى رسولُ الله - ﷺ - السيفَ لسعد، وقسم الغنيمة عن بَوَاءٍ أي: على سَوَاءٍ، وقد قدّمنا الحديثَ الذي ذكره أبو عُبَيْد، وفيه أنه قسمها على فواقٍ، فأنزل الله بعد: ﴿واعْلَمُوا أنما غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ﴾ الآية فنسخت ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ وهو أصحّ الأقوال أنها مَنسُوخَةٌ[1]. وأما من زعم أن الأنفال ما شَذَّ من العدو إلى المسلمين من دَابّة، أو نحوها، فليست منسوخة عنده، وكذلك قولُ مجاهد: إن الأنفالَ، هو الخُمُسُ نَفْسُه، وإنما تكون منسوخة إذا قلنا إنها جملةُ الغنائم، وهو القول الذي تَشْهَد له الآثار، قال أبو عُبَيْد: والأنفال تَنقَسِم أربعة أقسام نَفْل لا يُخَمَّس، ونفل من رأس الغَنِيمة، ونَفْل من الخُمُس، ونَفْل السَّرَايا وهو بعد إخراج الخُمْس، ونَفْل من خُمُس الخُمُسِ، فأما الذي ليس فيه خُمُسٌ ولا يخرج من رأس الغَنِيمة، ولا من الخُمُسِ، فهو سَلَبُ القَتِيلُ يُقتَل في غير مَعْمَعَةِ الحرب، وفي غير الزَّحْفِ، فهو ملك للقاتل، وهذا القول هو قول الأوزاعي، وأهل الشام، وقول طائفة من أهل الحديث وفيه قول ثان، وهو أن السَّلَبَ من جُمْلة النَّفَلِ يُخمَّسُ مع الغنيمة، وهو قولُ مالكٍ، وهو معنى قولِ ابنِ عباس الذي في الموطأ حين سأله رجل عن الأنفال، فقال: الفرسُ من النَّفلِ والدِّرْع من النَّفَل، وقال في غير المُوطَّأ في هذا الحديث: الفَرَسُ من النفل، وفي النَّفَل الخُمُس أن الوليد بن

---

(١) وقيل: ليست بمنسوخة. انظر تفسير ابن كثير لهذه الآية.

الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: أي كراهية للقاء القوم، وإنكارًا لمَسير قُرَيش، حين ذكِروا لهم ﴿وإذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: أي الغنيمة دون الحرب ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يحِقَّ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِينَ﴾: أي

مسلم رَوى هذا الحديث، فقال في آخره: يريد أن السَّلَبَ للقاتل، ففسره على مذهب شيخه، ومن حجّتهم أيضًا أن عُمَر رضي الله عنه خَمَّس سَلَب البَراءِ بن مالك حين قتل مَرزُبَانَ الزَّأرَة فسلبه سِوَارَيْه ومِنْطَقَتَه، وما كان عليه، فبلغ ثمنُه ثلاثين ألفًا، وقال أصحابُ القول الأول لا حُجَّة في حديث عمر، لأنه إنما خَمَّس المَرزُبَانَ، لأنه استكثره، وقال: قد كان السَّلَبُ لا يُخمس، وإن سَلَبَ البَرَاءِ بلغ ثلاثين ألفًا، وأنا خامسه، واحتجوا بحديث سَلَمَة بن الأكْوَع، إذ قَتل قتيلاً، فقال رسول الله - ﷺ - له: سَلَبُه أجْمَع. ومن حُجَّة مالكٍ، ومن قال بقوله: عمومُ آية الخُمس، فإنه قال: ﴿واعْلَمُوا أنّما غَنِمْتُم من شيء فإنَّ للّهِ خُمُسَهُ وللرسول﴾ وحديثُ خالِد بنِ الوَلِيدِ الذي رواهُ مسلِمُ وأبو داود أن عَوْف بن مالك قال: قَتَل رَجُلٌ من حِمْيَر رَجُلاً من العدوّ فأراد سَلبَه، فمنعه ذلك، وكان واليًا عليهم، فأخبر عوفٌ رسولَ الله - ﷺ - فقال لخالد: ما مَنَعَك أن تُعْطِيَه سَلَبَه؟ فقال: اسْتَكْثَرتُه يا رسول الله، قال: ادْفَعْه إليه، فلقي عوفٌ خالدَ فَجَبَذ بِرِدائِه، وقال: هل أَنجزتُ لك ما ذَكرتُ لك مِنْ رسول الله - ﷺ - [فسمعه رسولُ الله ﷺ] فاستغْضِب، فقال: لا تُعْطِه يا خالد هل أنتم تارِكو إليّ أُمَرَائِي [إنما مثلُكُم ومثلهم كمثَل رجل اسْترعى إبلاً وغنمًا، فرعاها، ثم تحيَّن سَقْيها، فأوردها حوضًا فشرعت فيه، فشربت صَفْوَة وتركَت كَدَرَه فَصَفْوُه لكم وكدَرُه عليهم. رواه أحمد ومسلم][1].

ولو كان السلَب حقًّا له من رأس الغنيمة لما ردّه رسولُ الله ﷺ، فهذا هو القسم الواحد من النَّفَل.

والقِسْم الثاني: هو من رأس الغنيمة قبل تَخميسها، وهو ما يُعْطَى الأدِلاَّءُ، الذي يَدُلُّون على عَوْرة العدو، ويَدُلُّون [على] الطُرقِ، وما يُعطَى الدُّعَاةُ وغيره مما يُنْتفعُ أَهلُ الجيش به عامّةً.

والقسمُ الثالثُ ما تُنَفّلهُ السرايا، فقد كانت تُنَفَّلُ في البَدأة الرُّبُعَ بعد الخُمس، وفي العَوْدة الثُّلُثُ مما غَنِمُوه؛ كذلك جاء في حديثٍ رواه مَكْحُولٌ عن حَبِيب بن مَسْلَمَة، وأخذت به طائفة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧٣) وأحمد (٣/ ١٧٥) وسعيد بن منصور في سننه (٢٦٩٧).

بالوَقعة التي أوْقع بصَناديد قريش وقادتهم يومَ بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أي لدعائهم حين نظروا إلى كَثْرَة عدوّهم، وقلّة عددهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بدعاء رسولِ الله ﷺ ودعائكم

والقسم الرابعُ من النَّفَل: ما يُنَفِّله الإمامُ من الخمس لأهل الغِنَاءِ والمنفعة، لأنّ ما كان للرسول عليه السلام من الغَنِيمة، فهو للإمام بعده يَصْرِفه فيما كان النبيُّ عليه السلام يَصْرِفه، وهو قول مالكٍ وأكثر العلماء، وقالت طائفةٌ: هو مَقْصُورٌ على الأصناف التي ذُكِرت في القرآن، وهم ذُو القُربَى واليَتَامى والمساكين وابن السبيل، وقد أُعطِيَ المِقْدَادُ حمارًا من الخُمُس أعطاه له بعضُ الأمراء، فردّه لما لم يكن من هؤلاء الأصناف المذكورين، وأما أَنَسُ بن مالك، فإنه فعل خلاف هذا، أعطاهُ مُعاويةُ ثلاثين رأسًا من الغَنيمة، فأبى أنْ يُقبّلها، إلا أن تكون من الخُمُسِ، وأصحّ القولين: أنَّ الإمامَ له النظرُ في ذلك، فإن رأى صَرفَ الخُمُس إلى منافع المسلمين، ولم تكن بالأصناف الأربعة حاجةٌ شديدة إليه صَرَفَه؛ وإلاَّ بَدَأَ بهم، وَصَرَف بقيَّتَه فيما يَرى، واختُلِف في ذَوِي القُرْبَى مَن هُمْ، فقال ابن عباس: كنا نرى أنهم بَنُو هاشم، فأبى ذلك علينا قومُنا، وقالوا: هم قريش كلهم، كذلك قال في الكتابِ الذي كتبه إلى نَجْدَة الحَرَوْرِيِّ، واختلفوا أيضًا في قَرابة الإمام بعد النبيِّ ﷺ: «أهم داخلون في الآية أم لا؟» والصحيح: دخولهم من ذوي القربى، لقوله عليه السلام: «إذا أطعم الله نبيًا طُعْمَةً، فهي للخليفة بعده»[1]، أو قال: للقائم بعده. ومما اختلفوا فيه من معنى آية الخُمُسِ: قسم خمس الخُمُس، فقال أبو العالية في قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ أي: للكعبة، يخرجُ لها نصيبٌ من الخُمُس، وللرسول نصيبٌ، وباقي الخمس للأربعة الأصناف، وقالت طائفة: خُمُس الخُمُسِ للرسول، وباقيه للأربعة الأصناف. وقالت طائفةٌ: الخمسُ كلُّه للرسول يَصْرفه في تلك الأصناف وغيرِها، وإنما قال الله: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ تنبيهًا على شَرَفِ المكسب وطيب المَغْنَم، كذلك قال في الفَيْءِ، وهو مما أفاء الله على المسلمين من الأرضِين التي كانت لأَهْلِ الكفر فقال فيه: ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية، ولم يقل في آيات الصَّدَقَاتِ مثلَ ذلك، ولا أضافها لنفسه ولا للرسول، لأن الصدقَة أوساخُ الناس، فلا تَطِيبُ لمحمد، ولا لآل محمد، فقال فيها: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ الآية، أي: ليست لأحد إلاّ لهؤلاء، وهذا كله قول سُفْيَان الثوري، وتفسيره، وسيأتي القول في غَزْوَة حُنَينٍ فيما أعطى النبي - ﷺ للمؤلَّفة قلوبُهم، هل كان من رأس الغَنِيمة أم من الخُمُسِ أم من خُمسِ الخُمُس إن شاء الله.

---

(١) أخرجه البيهقي (٦/ ٣٠١/ ٣٠٣).

﴿أنّي مُمِدُّكُم بألفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفينَ﴾ ﴿إِذ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾: أي أنزلت عليكم الأَمَنة حين نمتم لا تخافون ﴿ويُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماء ماءً﴾ لِلمطر الذي أصابهم تلك الليلة، فحَبس المشركين أن يَسْبقوا إلى الماء، وخلّى سبيل المسلمين إليه ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِط على قُلُوبِكُمْ ويُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدامَ﴾: أي ليذهب عنكم شكّ الشيطان، لتَخْويفه إياهم عدوّهم، واستجلاد الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سَبقوا إليه عدوّهم.

عن قتال الملائكة:

فصل: وذكر قولَه سبحانَه: ﴿بألْفٍ من الملائكة مُرْدِفين﴾ وقد قال في أخرى: ﴿بثلاثةِ آلافٍ من الملائكَةِ مُنْزَلين﴾ فقيل في معناه: إن الألف أَرْدَفَهم بثلاثةِ آلافٍ، فكان الأكثرُ مددًا للأقلّ، وكان الألفُ مُرْدِفين لمن وراءهم بكسر الدال من مردِفين، وكانوا أيضًا مُرْدَفين بهم بفتح الدال، والألفُ هم الذين قاتلوا مع المؤمنين، وهم الذين قال الله لهم: ﴿فثَبِّتوا الذين آمنوا﴾ وكانوا في صور الرجال، ويقولون: للمؤمنين اثبُتُوا، فإن عدوَّكم قليل، وإن الله معكم ونحو هذا، وقول الله سبحانه: ﴿واضرِبُوا منهم كُلَّ بنان﴾ جاء في التفسير أنه ما وقَعت ضَرْبَةٌ يوم بَدْرٍ إلاّ في رأسٍ أو مَفْصِل، وكانوا يعرفونَ قتلى الملائكة من قتلاهُم، بآثار سُود في الأعناق وفي البَنَانِ، كذلك ذكر ابن إسحٰق في غير هذه الرواية، ويقال لمفاصل الأصابع وغيرِها بَنَانٌ واحدتها بَنَانَةٌ، وهو من أَبَنَّ بالمكان إذا أقام فيه وثبت، قاله الزجّاج.

وقوله: ﴿ليطهِّرَكُم به ويُذهِبَ عنكم رِجزَ الشَّيْطان﴾ الآية، كان العدو قد أحرزُوا الماءَ دون المؤمنين، وحفروا القُلُبَ لأنفسهم، وكان المسلمون قد أحدثوا وأَجْنَبَ بعضُهم، وهم لا يصِلون إلى الماء، فوسوس الشيطانُ لهم أو لبعضهم، وقال: تزعمون أنكم على الحق، وقد سَبَقَكُمْ أعداؤكم إلى الماء، وأنتم عِطَاشٌ وتُصَلُّون بلا وُضوء، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يَقْطَع العطَشُ رِقابَكم، ويُذهب قُواكم فيتحكَّموا فيكم كيف شاؤوا، فأرسل الله تعالى السماء فحلَّتْ عَزَاليهَا[1] فتطهَّروا ورَووا وتلبَّدت الأرضُ لأقدامِهم وكانت رِمالاً وسَبَخَاتٍ، فثَبَتَتْ فيها أقدامُهم وذَهَبَ عنهم رجْزُ الشيطانِ، ثم نهضوا إلى أعدائهم فغلبوهم على الماءِ، وعَاروا القُلُب التي كانت تلي العدو فعطِش الكفارُ، وجاء النصرُ من عند الله، وقَبَضَ النبيُّ ﷺ ـ قَبْضَةً من البَطْحَاء ورَمَاهم بها، فملأت عيونَ جميع العسْكرِ، وذلك قوله سبحانه: ﴿وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتِ ولكن الله رمى﴾ أي: عَمَّ

---

(١) عزلاء: مفرد عزاليها، وهو مصبّ الماء من الراوية ونحوها.

ما نزل في تبشير المسلمين بالمساعدة والنصر، وتحريضهم:

ثم قال تعالى: ﴿إذْ يُوحِي رَبُّكَ إلى المَلائِكَةِ أنّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي آزروا الذين آمنوا ﴿سأُلْقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ ذلكَ بأَنَّهُمْ شاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَه وَمَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فإنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾، ثم قال: ﴿يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمأْوَاهُ جَهَنَمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾: أي تحريضًا لهم على عدوّهم لئلا ينكُلوا عنهم إذا لقوهم، وقد وعدَهم الله فيهم ما وعدهم.

ما نزل في رَمي الرسول للمشركين بالحصباء:

ثم قال تعالى في رَمْي رسولِ الله ﷺ إياهم بالحَصْباء من يده، حين رماهم: ﴿وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمي﴾: أي لم يكن ذلك برمينك، لولا الذي جعل الله فيها من نَصْرك، وما ألقى في صدور عدوّك منها حين هزمهم الله ﴿وَلِيُبْلِي المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا﴾: أي ليُعرّف المؤمنين من نعمته عليهم في إظهارهم على عدوّهم، وقلّة عددهم، ليعرفوا بذلك حقَّه، ويشكروا بذلك نعمته.

جميعَهم، ولم يكن في قَبْضَتِك إلا ما يبلغ بعضَهم، فالله هو الذي رمى سائرهم إذْ رَمَيْتَ أنت القليل منهم، فهذا قول، وقال أحمدُ بن يحيىٰ: معناه: وما رَمَيْتَ قلوبَهم بالرُّعْبِ حين رَمَيْتَ الحَصْباءَ، ولكن الله رمى وقال هبَةُ الله بن سَلاَمة: الرَّمْي أخذٌ وإرسالٌ وإصابةٌ وتَبْلِيغٌ، فالذي أثبت الله لنبيه هو الأخذُ والإرسال، والذي نفى عنه هو الإصابة والتبليغ، وأثبتهما لنفسه.

حول التولي يوم الزحف والانتصارات الإسلامية الباهرة:

وقوله: ﴿فلا تُوَلُّوهم الأدْبارَ﴾ الآية قال الحسن: ليس الفِرار من الزَّحْفِ من الكبائر إلاَّ يَوْمَ بَدْرٍ وفي المَلْحَمَة الكُبْرى التي تأتي آخرَ الزمان[1]. وقال غيره: هو من الكبائر إذا حضر الإمَامُ ولم يتحَيَّز إلى فِئَةٍ فأمّا إذا كان الفِرار إلى الإمام، فهو مُتَحيِّزٌ إلى فئة، وقد قال عمرُ بن الخطّاب حين بلغه قتلُ أبي عبيد بن مسعود، وما أوقع الفرسُ بالمسلمين: هلا تَحيَّزَ إليَّ أبو عبيد بن مسعود، فإني فئة لكل مسلم، ورُوِي مثلُ هذا عن النبي ﷺ ـ أنه قال لأصحابه الذين رَجَعوا من غَزوة مُؤتَة، ذلك أنهم قالوا: «نحن الفَرّارُون يا رسول الله، فقال:

---

(١) بل الأمر على إطلاقه في الفرار من الزحف.

ما نزل في الاستفتاح:

ثم قال: ﴿إن تَستَفتِحُوا فَقَدْ جاءَكُم الفتحُ﴾: أي لقَوْلِ أبي جهل: اللهمَّ أقْطَعُنا للرحم، وآتانا بما لا يُعْرف، فأَحِنْه الغداة. والاستفتاح: الإنصاف في الدعاء.

يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنْ تَنتَهوا﴾: أي لقريش: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾: أي بمثل الوَقْعة التي أصبناكم بها يوم بدر: ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وإنَّ اللَّه مَعَ المُؤْمِنِينَ﴾: أي أن عددَكم وكثرتكم في أنفسكم لن تُغْني عنكم شيئًا، وإني مع المؤمنين، أنصُرهم على من خالفهم.

ما نزل في حضّ المسلمين على طاعة الرسول:

ثم قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ وَلا تَولَّوْا عَنْهُ وأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: أي لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله، وتزعُمون أنكم منه، ﴿وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾: أي كالمنافقين الذي يُظهرون له الطاعة، ويُسرّون له المعصية ﴿إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾: أي المنافقون الذين نهيتُكم أن تكونوا مثلَهم، بُكْمٌ عن الخير، صُمّ عن الحقّ، لا يعقلون: لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النِّقمة والتَّباعة﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ﴾، أي لأنفذ لهم الذين قالوا بألسنتهم، ولكنّ القلوب خالفت ذلك منهم، ولو خرجوا معكم ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ما وفوا لكم بشيء ممَّا خرجوا عليه. ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وللرَّسُولِ إِذَا دَعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: أي للحرب التي أعزّكم الله بها بعد الذلّ، وقوّاكم بها بعد الضعف، ومَنَعكم بها من عدوّكم بعد القَهْر منهم لكم، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ورَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا آماناتِكُمْ

بل أنتم العَكَّارُونَ، وأنا فِئَتُكُمْ»[1]، وهو حَدِيثٌ مشهور اختصرته، والقَدْرُ الذي يحرم معه الفرارُ الواحدُ مع الواحد، والواحدُ مع الاثنين، فإذا كان الواحدُ للثَّلاثَةِ، لم يُعَبْ على الفارّ فرارُه، كان متحيزًا إلى فِئَةٍ أو لم يكن. وذكر أبو الوليد بن رُشدٍ في مقدماته عن بعض الفقهاء، قال: إذا كان المسلمون اثنا عشر ألفًا لم يَجُزْ لهم الفرارُ من ثلاثةِ أمثالِهم، ولا من أكثرَ من ذلك، لقوله عليه السلام: «لن تُغلَبَ اثنا عَشَرَ ألفًا من قِلَّةٍ، وقد كان وقوفُ الواحدِ

(١) أخرجه أبو داود (١٣٧٣) بتحقيقي والترمذي (١٧١٦) وأحمد (٢/ ١١١) والبيهقي (٩/ ٧٨) والحميدي (٦٨٧) وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٥٧).

وأَنْتُمْ تَعْلَمونَ﴾ أي لا تُظهروا له من الحقّ ما يرضى به منكم، ثم تُخالفوه في السرّ إلى غيره، فإن ذلك هلاكٌ لأماناتكم، وخيانةٌ لأنفسكم. ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقانًا ويُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾: أي فَصْلًا بين الحقّ والباطل، ليُظهر الله به حقَّكم، ويُطفىء به باطِلَ من خالفكم.

ما نزل في ذكر نعمة الله على الرسول:

ثم ذكّر رسولَ الله ﷺ بنعمته عليه، حين مَكر به القومُ لِيَقْتُلُوهُ أَوْ يُثْبِتُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ ﴿وَيمْكُرُونَ ويمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾: أي فمكرتُ بهم بكيدي المتين حتى خلَّصتك منهم.

ما نزل في غرّة قريش واستفتاحهم:

ثم ذكر غِرَّة قُريش واستفتاحَهم على أنفسهم، إذ قالوا: ﴿اللَّهُم إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي ما جاء به محمد ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ﴾ كما أمطرتها على قوم لوط ﴿أَوِ ائْتِنا بعَذَابٍ أَلِيم﴾ أي بعض ما عذّبت به الأمم قبلنا، وكانوا يقولون: إن الله لا يعذّبنا ونحن نستغفره، ولم يعذّب أمةً ونبيُّها معها حتى يُخرجَه عنها. وذلك من قولهم ورسولُ الله ﷺ بين أظهرهم، فقال تعالى لنبيه ﷺ، يذكر جهالَتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم، حين نَعى سُوءَ أعمالهم: ﴿وما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي لقولهم: إنا نستغفر ومحمدٌ بين أظهرنا، ثم قال: ﴿ومَا لَهمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُم اللَّهُ﴾ وإن كنتَ بين أظهرهم، وإن كانوا يَستغفرون كما يقولون: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَام﴾: أي من آمن بالله وعَبده: أي أنت ومن اتبعك، ﴿وَما كانُوا أولياءَه إنْ أَوْلِياؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ﴾ الذين يُحرّمون حُرمته ويُقيمون الصلاة عنده: أي أنت ومن آمن بك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمونَ وَما كانَ صَلاتُهُمْ عَنْدَ البَيْتِ﴾ التي يزعمون أنه يُدْفَع بها عنهم ﴿إلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾.

إلى العشرة حَتْمًا في أول الأمر»، ثم خفّف الله ونسخه بقوله: ﴿الآن خَفَّفَ الله عنكم وعَلم أن فيكم ضَعْفًا﴾ الآية، كذلك رُوِي عن ابن عباس، وهو قول العلماءِ، ولكن لا يَتَبيَّن فيه النَّسْخُ، لأن قوله: ﴿إنْ يكُن منكم عشرون صابِرون﴾ إلى آخر الآية خَبَرٌ، والخبر لا يدخله النَّسْخ، وقوله: ﴿الآن خفَّف الله عنكم﴾ يدل على أن ثَمَّ حُكْمًا منسوخًا، وهو الثُّبُوت للعَشَرة، فإذًا للآية ظَهْرٌ وبَطْن، فظاهرها خبر، ووعد من الله تعالى أن تغلِب العشرةُ المائةَ، وباطنُها وجوبُ الثُّبوتِ للمائة، ويدل على هذا الحكم قولُه: ﴿حَرِّضِ المؤمنين على القِتال﴾ فتعلَّق النسخُ بهذا الحكم الباطنِ، وبقي الخبرُ وعدًا حَقًّا قد أبصره المؤمنون ـ عِيَانًا في زمن

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: المكاء: الصفير. والتصدية: التصفيق. قال عنترة بن عمرو (بن شدّاد) العَبْسي:

ولرُبّ قِرْن قد تركتُ مجَدّلاً ... تَمكُو فريصتُه كشِدْقِ الأعْلمِ

يعني: صوتَ خروج الدم من الطَّعنة، كأنه الصفير. وهذا البيت في قصيدة له. وقال الطِّرِمّاح بن حَكيم الطائي:

لها كلّما رِيعتْ صَداةٌ وركْدةٌ ... بمُصْدان أعلَى ابنَي شمَام البَوائن

وهذا البيت في قصيدة له. يعني الأرْوِيَّة، يقول: إذا فزعت قرعت بيدها الصَّفاةَ ثم ركدت تَسْمع صَدى قَرْعِها بيدها الصَّفاة مثلُ التَّصْفيق: والمُصدان: الحِرْز. وابنا شمّام: جبلان.

قال ابن إسحٰق: وذلك ما لا يُرْضي الله عزّ وجلّ ولا يحبُّه، ولا ما افترض عليهم، ولا ما أمرهم به ﴿فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: أي لما أوقع بهم يوم بدر من القتل.

المدة بين ﴿يا أيها المزمّل﴾ وبدر:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عبَّاد، عن عائشة قالت: ما كان بين نُزول: ﴿يا أَيُّها المُزَّمِّلُ﴾، وقول الله تعالى فيها: ﴿وَذَرْني والمُكَذبينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً إنَّ لَدَيْنا أَنكالاً وجَحِيمًا وطَعامًا ذَا غُصَّةٍ وعَذَابًا أَلِيمًا﴾ إلا يسير، حتى أصاب الله قُريشًا بالوَقعة يوم بدر.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأنكال: القيود؛ واحدها: نِكْل. قال رؤبة بن العجّاج:

يكفيك نِكْلِي بغْيَ كلّ نِكْلِ

وهذا البيت في أرجوزة له.

عُمَر بنِ الخطَّاب، وفي بقية خلافة أبي بكر في مُحاربة الروم وفارس بالعراق والشام، ففي تلك الملاحم هَزَمت المئون الآلافَ من المشركين، وقد هَزَم خالدُ بنُ الوليد مائةَ ألفٍ حين إقبالِه من العراق إلى الشام ولم يبلغ عسكرُه خمسةَ آلافٍ، بل قد رأيت في بعض فتوح الشام أنه كان يَوْمَئِذٍ في ألفِ فارسٍ، وكان قد أقبل من العراق مَدَدًا للمسلمين الذين بالشام، وكان

ما نزل فيمن عاونوا أبا سُفيان:

قال ابن إسحٰق: ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذين كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَموَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ يعني النفر الذين مَشَوْا إلى أبي سُفيان، وإلى من كان له مالٌ من قريش في تلك التِّجارة، فسألوهم أنْ يُقوُّوهم بها على حرب رسول الله ﷺ، ففعلوا.

ثم قال: ﴿قُلْ للَّذِينَ كَفَرُوا إنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا﴾ لحربك ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأوَّلِينَ﴾ أي من قُتل منهم يوم بَدْر.

الأمر بقتال الكفّار:

ثم قال تعالى: ﴿وَقاتِلُوهم حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: أي حتى لا يُفْتن مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصًا ليس له فيه شريك، ويُخلَع ما دونه من الأنداد ﴿فإنِ انْتَهَوْا فإنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ﴿فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاَكُمْ﴾ الذي أعزّكم ونصركم عليهم يوم بَدْر في كثرة عددهم وقلّة عددكم ﴿نِعْمَ المَوْلى وَنِعْمَ النَّصِير﴾.

ما نزل في تقسيم الفيء:

ثم أعلمهم مَقاسم الفيء وحُكْمَه فيه، حين أحلّه لهم، فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى واليَتامى وَالمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيل إِنْ كُنْتُمْ آمَنتُمْ باللَّهِ وَما أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنا يَوْمَ الفُرْقَان يَوْمَ التقى الجَمْعانِ واللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي يوم فرقتُ فيه بين الحقّ والباطل بقُدرتي يوم التقى الجَمْعان منكم ومنهم ﴿إذْ أَنْتُم بالعُدْوَةِ الدُّنيا﴾ من الوادي ﴿وَهُمْ بالعُدْوَةِ القُصْوَى﴾ من الوادي إلى مكة ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: أي عِير أبي سُفيان التي خرجتم لتأخذوها وخَرجوا ليَمْنعوها من غير مِيعاد منكم ولا منهم ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعادِ﴾ أي ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم

الرُّومُ في أربعمائة ألف، فلقي منهم خالد مائةَ ألفٍ ففضّ جمعَهم وهَزمهم، وقد هَزَم أهلُ القَادِسِيَّة جُيوشَ رُسْتَم وقَتلوه وكان رُسْتَم في أكثر من مائتي ألفٍ، ولم يكن المسلمون في عُشْرِ ذلك العدد وجاؤوا معهم بالفِيَلَةِ أمثالِ الحُصُون عليها الرجالُ ففرت الفيلة، وأطاحت ما عليها، ولم يَرُدَّها شيءٌ دون البلد الذي خرجت منه، وكذلك ما ظهر من فتح الله ونَصْره على يَدَي موسى بن نُصَير بإفريقِيَّة، والأندلس، فقد كان في ذلك أعجبُ العَجَبِ، فكان وعدُ الله مفعولاً ونَصْرُه للمسلمين ناجزًا، والحمد لله.

ثم بلغَكم كثرةُ عددهم، وقلةُ عددكم ما لَقِيتموهم ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولاً﴾ أي ليقضي ما أراد بقُدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكُفر وأهله عن غير بَلاء منكم. ففَعل ما أراد من ذلك بلُطفه، ثم قال: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي ليكفر من كفر بعد الحجَّة لما رأى من الآية والعِبْرة، ويُؤمنَ من آمن على مثل ذلك.

ما نزل في لطف الله بالرسول:

ثم ذكر لُطْفَه به وكَيْدَه له، ثم قال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كثيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إنَّه عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾، فكان ما أراك من ذلك نعمةً من نعمه عليهم، شجَّعهم بها على عدوّهم، وكفّ بها عنهم ما تُخوّف عليهم من ضَعفهم، لعلمه بما فيهم.

قال ابن هشام: تُخُوّف: مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحٰق ولم أذكرها.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنكمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ في أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولاً﴾: أي ليؤلِّف بينهم على الحرب للنِّقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على مَن أراد إتمام النِّعمة عليه، من أهل ولايته.

ما نزل في وعظ المسلمين وتعليمهم خطط الحرب:

ثم وعظهم وفهَّمهم وأعلمهم الذي ينبغي لهم أن يَسيروا به في حَرْبهم، فقال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُم فِئَةً﴾ تقاتلونهم في سبيل الله عزّ وجلّ: ﴿فاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الذي له بذلتم أنفسكم، والوفاءَ له بما أعْطيتموه من بَيْعتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وعلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾: أي لا تختلفوا فيتفرّق أمركم ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي وتذهب حدّتكم ﴿وَاصْبرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي إني معكم إذا فعلتم ذلك ﴿وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَرًا وَرِئاءَ النَّاسِ﴾: أي لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه، الذين قالوا: لا نرجع حتى نأتي بدرًا فننحر بها الجُزُر وتُسقَى بها

وقال النقاش في معنى قوله تعالى: ﴿إنْ يَكُنْ منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ معناه: إن يصبروا يغلبوا، وغلبتهم ليس بأن يسلموا كلهم، ولكن من سلم منهم رأى غَلَبَة أهل دينه، وظهورهم على الكفر، ولا يقدح في وعد الله أن يَسْتَشْهِد جملةٌ من الصابرين، وإنما هذا كقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ إلى قوله: ﴿حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يد وهم صاغرون﴾ فقد تُجز الموعودُ وغَلَبوا كما وُعِدوا. هذا معنى كلامه، والذي قدمناه أَبْيَنُ.

الخمر، وتعزف علينا فيها القِيانُ، وتَسمعُ العربُ: أي لا يكون أمرُكم رياءً، ولا سُمْعة، ولا التماسَ ما عند الناس وأخْلِصوا لله النيّة والحِسْبة في نَصْر دينكم، وموازرة نبيِّكم، لا تعمَلوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ﴾.

قال ابن هشام: وقد مضى تفسير هذه الآية.

قال ابن إسحٰق: ثم ذكر الله تعالى أهلَ الكفر، ومَا يَلْقون عند موتهم، ووَصَفهم بصِفتهم، وأخبر نبيَّه ﷺ عنهم، حتى انتهى إلى أن قال: ﴿فإمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي فنكّل بهم مِن وَرائهم لعلَّهم يعقلون ﴿وأَعدوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعدُوَّكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وما تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾: أي لا يَضِيع لكم عند الله أجره في الآخرة، وعاجل خلَفه في الدنيا. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فاجْنَحْ لَهَا﴾: أي إن دَعَوْكَ إلى السَّلم على الإسلام فصالِحْهم عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلى اللَّهِ﴾ إن الله كافيك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيم﴾.

الذين في قلوبهم مرض في بدر:

وفي هذه السورة قوله: ﴿إذْ يقول المنافقون والذين في قلوبِهم مَرَضٌ﴾ نزلت في قومٍ من أهلِ مكَّة آمنوا ولم يُهاجروا، ثم خَرَجُوا مع المشركين إلى بدر، فلما رَأَوْا قِلَّةَ المسلمينَ شكُّوا، وقالوا: غَرَّ هؤلاء دينُهم، منهم قيسُ بنُ الوليد بن المُغيرة، وقَيس بن الفاكه وجماعةٌ سمّاهم أبو بكر النَّقَّاشُ[1]، وهم الذين قُتِلوا فضربت الملائكةُ وجوهَهم وأدبارَهم.

رأي الأخنس وأبي جهل في النبي ﷺ:

وأنخَنس يَوْمَئِذٍ أُبَيّ بن شَرِيقٍ بنحو من ثلثمائة من قريش، فسُمِّي الأخْنَسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سَلَمَة بن أبي سَلَمَة بن عبد العُزَّى بن غِيرَة] وذلك أنه خلا بأبي جهلٍ حين تَراءَى الجَمْعَان، فقال: أترى أن محمدًا يكذِبُ؟ فقال أبو جهل: كيف يَكْذب على الله، وقد كنا نُسَمِّيه الأمين، لأنه ما كَذبَ قَطُّ، ولكن إذا اجتمعت في بني عبدِ منافِ السِّقَاية والرِّفادة والمَشُورَة، ثم تكون فيهم النُّبوءَةُ، فأيُّ شيء بقي لنا، فحينئذ

---

(١) منهم: الحارث بن زمعة بن الأسود، والعاص بن منبه بن الحجّاج، وعلي بن أمية بن خلف. انظر تفسير ابن كثير للآية.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: جنحوا للسَّلْم: مالوا إليك للسَّلْم. الجنوح: الميل. قال لَبيد بن رَبِيعة:

جُنوحُ الهالِكيِّ على يَدَيْه مُكِبًّا يجتلي نُقَبَ النِّصالِ

انخنس الأَخْنَسُ ببني زُهْرَةَ وحشد إبليسُ جميعَ جُنودِه، وجاء بنفسه، ونزل جبريل بألفٍ من الملائكة في صُوَرِ الرجال، فكان في خمسمائة من الملائكةِ من الميمنة، وميكائيل في خَمْسمائةٍ من الملائكة في المَيْسَرَة، ووراءهم مَدَدٌ لم يقاتلوا، وهم الآلاف المذكورون في سورة آل عمران، وكان إسرافيلُ وَسَطَ الصَّفِّ لا يقاتل، كما يقاتل غيرُه من الملائكةِ، وكان الرجلُ يرى المَلَك على صُورة رجلٍ يعرفه، وهو يُثَبِّته ويقول له: ما هُمْ بِشَيْءٍ، فكُرَّ عليهم[1]، وهذا في معنى قوله سبحانه: ﴿فَثَبِّتُوا الذين آمنوا﴾ ذكره ابن إسحٰق في غير رواية ابن هِشَام، وفي مثل هذا يقول حَسَّانُ:

مِيكالُ مَعْكَ وجِبْرئِيلُ كلاهما مَدَدٌ لِنَصْرِكَ مِنْ عزيزٍ قادِرِ

ويقال: كان مع المسلمين يومئذ سَبْعُون من الجِنِّ، كانوا قد أسلموا[2].

مَن الآخرون؟:

وَذكر قولَ الله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ به عَدوَّ اللَّهِ وعدوَّكم وآخرين من دونهم﴾ ولم يَذْكر الآخرين مَنْ هُم، وقيل في ذلك أقوالٌ قيل: هم المنافقون، وقيل: هم اليهود وأصح ما في ذلك أنهم الجن، لرواية ابن المُلَيْكيّ عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال في آخرين من دونهم قال: هم الجن ثم قال عليه السلام: «إن الشيطان لا يَخْبُلُ أحَدًا في دارٍ فيها فَرَسٌ عَتِيقٌ»[3]، ذكره الحارثُ في مُسْنَده وأنشدَ:

جُنُوحَ الهَالِكِيِّ[4] على يَدَيْه مكبًّا يجتلي نُقَبَ النِّصَالِ

الهالِكِيّ: الصَّيْقَلُ. ونُقَبُ النِّصَالِ: جَرَبُ الحديد، وصَدَؤُه، وهو في معنى النُّقَب، واحدتها نُقْبَة.

---

(١) تفسير من قِبَل السهيلي رحمه الله تعالى ينقصه الدليل «الصحيح».

(٢) انظر التعليق السابق. وقد صدَّر الكلام بقوله: «ويقال». فأحسن.

(٣) أخرجه الحارث في مسنده كما في المطالب العالية لابن حجر (٣٦٣٠). والقرطبي في تفسيره (٨/ ٣٨). وأورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣١٧) وأنكره وقال: لا يصح إسناده ولا متنه.

(٤) الهالكي: الحدّاد. وهو هنا كما قال رحمه الله تعالى: الصيقل.

وهذا البيت في قصيدة له. والسلم أيضًا: الصلح، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿فلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وأَنْتُمُ الأعْلَوْن﴾، ويقرأ: ﴿إلى السِّلمِ﴾، وهو ذلك المعنى. قال زُهير بن أبي سُلمى:

وقد قُلْتما إن نُدْرِكِ السِّلْم واسعًا ... بمالٍ ومَعروف من القَوْل نَسْلَمَ

وهذا البيتُ في قصيدة له.

قال ابن هشام: وبلغني عن الحسن بن أبي الحسن البَصْريّ، أنه كان يقول: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ﴾ للإسلام. وفي كتاب الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلمِ كافَّةً﴾ ويقرأ: ﴿في السَّلْمِ﴾، وهو الإسلام. قال أُميَّة بن أبي الصَّلْت:

فمَا أنابُوا لسَلْم حين تُنْذِرهم ... رُسْل الإلٰه وما كانوا له عَضُدَا

وهذا البيتُ في قصيدة له. وتقول العربُ لدَلْو تُعمل مُستطيلة: السَّلْم. قال طَرَفة بن العَبْد، أحدُ بني قَيْس بن ثعلبة، يصف ناقةً له:

لهَا مِرفقان أفْتَلان كأنما ... تَمُرّ بسَلْمَى دالحٍ مُتَشددِ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فإنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ هو من وراء ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ بعد الضعف ﴿وَبالمُؤمنينَ وأَلَّفَ بينَ قُلوبِهِمْ﴾ على الهدى الذي بعثك الله به إليهم ﴿لَوْ أَنْفَقتَ ما فِي الأرْضِ جَمِيعًا ما أَلَّفْتَ بينَ قُلوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بدينه الذي جمعهم عليه ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ حَسبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَك مِنَ المُؤمِنِينَ يا أيُّها النَّبِيُّ حَرّضِ المُؤمِنِينَ عَلَى القِتَالِ إنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابرُونَ يَغْلِبُوا مائتَيْن وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِن الَّذِينَ كَفَرُوا بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾: أي لا يُقاتلون على نيّة ولا حقّ ولا معرفة بخير ولا شرّ.

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الله بن أبي نجيح من عَطاء بن أبي رَباح، عن عبد الله بن عباس قال: لمَّا نزلت هذه الآية اشتدّ على المسلمين، وأعظموا أن يُقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفًا، فخفَّف الله عنهم، فنَسَختها الآية الأخرى، فقال: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِم أنَّ فيكُمْ ضَعْفًا فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مائَةٌ صَابِرَةٌ يَغلبُوا مائتَيْنِ وَإِنْ يَكُن مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبوا أَلْفَيْنِ بإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. قال: فكانوا إذا كانوا على الشَّطر

....

من عدوّهم لم يَنْبَغِ لهم أن يفرّوا منهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهُم وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم.

ما نزل في الأسارى والمغانم

قال ابن إسحٰق: ثم عاتَبه الله تعالى في الأسارى، وأخذ المَغانم، ولم يكن أحد قبلَه من الأنبياء يأكلُ مَغْنمًا من عدوّ له.

قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد أبو جعفر بن عليّ بن الحُسين، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نُصِرت بالرُّعب، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا، وأُعطيتُ جوامع الكَلم، وأُحِلَّت لي المغانم ولم تُحْلل لنبيّ كان قبلي، وأُعطيتُ الشَّفاعة، خمس لم يُؤتهنّ نبيّ قبلي».

قال ابن إسحٰق: فقال ﴿ما كان لِنَبِيّ﴾: أي قبلك ﴿أنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ مِنْ عدوّه ﴿حتى يُثْخِنَ في الأرضِ﴾ أي يثخن عدوّه، حتى يَنْفيه من الأرض ﴿تُرِيدُونَ عَرضَ الدُّنيا﴾: أي المتاع، الفداء بأخذ الرجال ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخرة﴾: أي قَتْلهم لظُهور الدين الذي يريد إظْهاره، والذي تُدرَك به الآخرة ﴿لَوْلا كتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما

حـول غنائـم بـدر

فصل: وذكر في السورة: ﴿لولا كِتَابٌ من الله سَبَقَ﴾ يعني بإحلال الغَنائِم لمحمدٍ وأمته لَمَسَّكم فيما أَخَذْتُم عذابٌ عظيمٌ، فقال النبيُّ - ﷺ -: «لقد عُرِضَ عليّ عذابُكم أدْنَى من هذه الشجرة»[١]، وقال: «لو نزل عذابٌ ما نجا منه إلاّ عُمَرُ»[٢]، لأن عُمَرَ كان قد أشار عليه بقتل الأسارَى والإثْخانِ في القَتْل، وأشار أبو بكر بالإبقاء، فأخذ رسولُ الله - ﷺ - بقول أبي بكر، ثم نزلت الآية: ﴿فكُلُوا مما غَنِمْتُم حَلالاً طَيِّبًا﴾ وروى أبو عُبَيْد من طريق عبد الله بن مَسْعُود قال: «لما كان يومُ بدر، وأخذ النبي ﷺ الأسَارَى، فقال: ماذا تَرَوْن؟ فقال عمر: يا رسول الله كَذَّبُوك وأَخْرَجُوك، اضْرِب أعناقَهم، وقال عبدُ الله بن رَوَاحَةَ: يا رسول الله أنتَ بوادٍ كثيرِ الحَطَبِ، فأضرِمْه نارًا، ثم ألقِهِمْ فيها، فقال العباس: قَطَع الله رَحِمَك، فقال أبو بكر: يا رسول اللهِ عِتْرَتُك، وأصلُك وقومُك تَجاوَزْ عنهم، يَسْتَنْقِذْهم الله بك من النار، ثم دخل رسول الله - ﷺ - فمِنْ قائلٍ يقول القولَ ما قال عمر، ومن قائل

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٣) وأحمد (١/ ٣١) والطبري في تاريخه (٢/ ٤٦) والبيهقي في الكبرى (٩/ ٦٨).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٤٧) وفي تفسيره (١٠/ ٣٤).

أَخَذْتُمْ﴾: أي من الأسارى والمَغانم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي لولا أنه سبق مني أني لا أعذّب إلا بعد النَّهْي ولم يَكُ نهاهم، لعذّبتكم فيما صنعتم، ثم أحلَّها له ولهم رحمةً منه، وعائدة من الرحمن الرحيم. فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ثم قال: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَم اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

يقول القولَ ما قالَ أبو بكر، فخرج النبيُّ ﷺ، فقال: ما قولُكم في هذين الرجلين، إنّ مَثَلهُمَا كمثلِ إخوَةٍ لكم، كانوا قَبْلَكُم، قال نوح: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ على الأرضِ﴾ الآية، وقال موسى: ﴿رَبَّنا اطْمِسْ على أموالِهم﴾ الآية، وقال عيسى: ﴿إنْ تُعَذِّبْهُم فإنهم عبادُك﴾ الآية، وقال إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعني فإنه مِنِّي﴾ الآية. وإن الله يشَدِّدُ قلوبَ رجالٍ، حتى تكونَ كالحَجَرِ، ويُلَيِّن قلوبَ رجال، حتى تكونَ أَلْيَنَ من اللبَن، ويروى من اللِّين، وإن بكم عَيْلَةً فلا يَفْلِت منهم أحدٌ إلا بفِدَاءٍ أو ضَرْبة عُنُقٍ. قال عبدُ الله [بن مسعود]: فقتلُ: إلاَّ سَهْلَ ابن بَيْضَاءَ، وقد كنت سمعته يذكر الإسْلاَمَ، قال: فجعلت أنظر إلى السماء متى تقع عليَّ الحجارةُ فقلت: أقدِّم القولَ بين يَدَيْ رسول الله فقال النبي - ﷺ - إلاَّ سهيل ابن بَيْضَاءَ، ففرحت بذلك»[1]، قال أبو عبيدة: أما أهلُ المعرفة بالمغازي، فإنهم يقولون: إنما هُو سَهْلُ ابن بَيْضَاءَ أخو سُهَيْلٍ، فأمَّا، سُهَيْلٌ، فكان من المهاجرين، وقد شَهِد مع رسول الله - ﷺ - بدرًا، ثم إن النبيَّ - ﷺ - لم يفْد بعدها بمالٍ، إنما كان يَمُنُّ أو يُفَادِي أسيرًا بأسير، كذلك قال أبو عُبَيْد: وذلك والله أعلم لقوله: ﴿تُريدون عَرَضَ الدُّنيَا﴾ يعني الفِداءَ بالمال، وإن كان قد أحلَّ ذلك وطَيَّبه، ولكن ما فعله الرسولُ بعد ذلك أفضل من المَنِّ أو المُفَادَاة بالرجال، ألا ترى إلى قولِه سبحانه: ﴿فإمَّا منًّا بعدُ وإمَّا فِدَاءً﴾ كيف قَدَّم المَنَّ على الفِداء، فلذلك اختاره رسولُ الله ﷺ وقدّمه، وأما مذاهبُ الفُقَهاء في هذا، فالأوْزَاعي وسُفيان ومالك يكرهون أخذَ المال في الأسير، لما في ذلك من تقوية العدو بالرجال، واختلفوا في الصغير إذا كان معه أُمُّه، فأجاز فِداءَهُ بالمال أهلُ العراق، واختلف فيه عن مالكٍ، والصحيحُ مَنْعُه، وكان العباسُ عَمُّ النبيّ ﷺ في الأسرى، ففَدَى نفسَه، وفدَى ابنَيْ أخيه، فقال للنبيّ ﷺ: لقد تركتني أتكفَّفُ قُرَيْشًا فقيرًا مُعْدِمًا، فقال النبي ﷺ: «أين الذَّهب التي تركتها عندَ أمِّ الفضل وعددُها كذا وكذا، وقلتَ لها: كَيْتَ وكَيْت، فقال: مَن أعلَمَك بهذا يا ابن أخي؟ فقال: الله، فقال: حديثٌ ما اطَّلع عليه إلا عالمُ الأسرارِ أشهد أنك رسولُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٨٤) والبيهقي (٦/ ٣٢١) وابن أبي شيبة (١٤/ ٣٧٢) والطبراني (١٠/ ١٧٧) والطبري في تفسيره (١٠/ ٣٣) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٣٤).

ما نزل في التواصل بين المسلمين:

وحضَّ المسلمين على التواصل، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون مَن سواهم، وجعل الكفَّار بعضَهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي يُوالِ المؤمنُ المؤمنَ من دون الكافر، وإن كان ذا رحم به ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ﴾ أي شُبهة في الحقّ والباطل، وظهور الفساد في الأرض بتولي المؤمن الكافر دون المؤمن.

الله»[1]، فحينئذ أسلم العباسُ، وكان في الأسرى من يكتب، ولم يكن في الأنصار أحدٌ يُحسن الكتابة فكان منهم مَنْ لا مال له، فيقبل منه أن يُعَلِّم عَشرةً من الغِلمان الكتابةَ، ويخلى سبيله، فيومئذ تعلم الكتابةَ زيدُ بن ثابت في جماعة من غِلْمة الأنصار، وهذه عيون أخبارٍ، وصلتها بما ذكره ابن إسحٰق في يوم بدر جمعتها من كتب التفاسير والسير ولخصتها.

خيـل بـدر:

فصل: وذكرِ ابن إسحٰق الخيلَ التي كانت للمسلمين يَوم بدر، فذكر بَعْزَجَةَ فَرَسَ المِقْدَادِ، واليَعْبُوبَ فرسَ الزُّبَيْر، وفرسًا لمرْثَدِ الغَنَوِيّ، ولم يكن لهم يومئذ خيلٌ إلا هذه، وفي فرس الزبير اختلافٌ، وقد كان للنبيّ ﷺ خيلٌ بعد هذا اليوم، منها: السَّكْبُ واللِّزاز والمُرْتَجِزُ واللَّحِيفُ، وقد ذكره البخاري من حديثِ عباس بن سَهْل عن أبيه، قال: ويقال فيه: اللَّخِيفُ بالخاء المعجمة، وقال القُتَبِيُّ: كان المُرْتَجِزُ فَرَسًا اشتراه عليه السلام من أعْرَابي، ثم أنكر الأعرابي أن يكونَ باعَه منه، فشهِد خُزَيْمَةُ بن ثابت على الأعرابي بالبيع، فقال له النبي ﷺ: «بم تشهد؟» قال: أشهد بصدقِك يا رسول الله، فجُعِلت شَهادتُه شهادَة رجلين، والحديث مشهور، غير أن في مُسْنَدِ الحارث زيادة فيه، وهي أنه، عليه السلام، ردَّ الفَرَسَ على الأعرابي، وقال: لا بارك الله لك فيها، فأصبحت من الغد شائِلة برِجْلِها، أي: قد ماتت. قال الطبري: ومن خَيْلِه الضَّرِسُ، ومُلاوِحٌ، والورَدُ وهو الذي وهبه لعُمر، فحمل عليه عمرُ رجلاً في سبيل الله، وحديثه في الموطأ، وكان له عليه السلامُ من الدروع: ذاتُ الفُضُولِ، وأخرى يقال لها: فضَّة، وراية يقال لها العُقَابُ، وقوسان أحدهما: الصَّفْراء، والأخرى: الزَّوْرَاءُ وسيفُه: ذو الفِقَارَ لفِقْرَاتٍ كانت في وَسَطه، وكان لنُبَيْه ومُنَبِّه ابْنَي الحجاج سُلِبَاه يوم بَدْرٍ، ويقال: إن أصلَه كان من حديدة وُجِدَت مَدْفونة عند الكعبة، فصُنِع منها ذو

---

(١) انظر الدرّ المنثور (٣/ ٢٠٤) وابن الجوزيّ في زاد المسير (٣/ ٣٨٣) والقرطبي في تفسيره (٨/ ٥٣).

ثم ردّ المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الوَلاية من المهاجرين والأنصار دونَهم إلى الأرحام التي بينهُم، فقال: ﴿وَالَّذِين آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَروا وَجَاهدُوا مَعَكُمْ فأُولَئِكَ مَنْكُمْ وأولُو الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى ببَعضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ﴾ أي بالميراث ﴿إِنَّ اللَّهَ بكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الفِقَار، وصَمصامة عَمْرو بن مَعْدِي كَرِبَ التي وهبها لخالد بن سعيد، وكانت مَشْهُورةً عند العرب، وكان له حَرْبَةٌ يقال لها: النَّبْعَة، وذكر العَقِيليُّ في كتاب الضُّعَفَاء جملة من آلاته عليه السلام في حديث أسنده، فمنها الجمع اسم كِنَانَتِه، والمدلة اسم لمرآة كان ينظر فيها، وقضيب يسمى: المَمْشُوق، وذكر الجَلْمَيْنِ، ونسيت ما قال في اسمه، وأما بغلته دُلْدُلُ وحمارهُ عُفَيْر، فقد ذكرناهما في كتاب الأعلام، وذكرنا ما كان في أمر الحِمَار من الآيات، وزدنا هنالك في اسْتِقْصَاءِ هذا البابِ، ورأينا أن لا نُخْلِيَ هذا الكتابَ مما ذكرنا هنالك، أو أكثره، وأما دُلْدُلُ فماتت في زمن معاوية، وهي التي أهداها إليه المُقَوْقِسُ، وأما اليَعْفُورُ فطَرَح نفسَه في بئرٍ يوم مات النبي - ﷺ - فمات، وذكر ابن فَوْرَك في كتاب الفصول أنه كان من مغانم خَيْبر، وأنه كلَّم النبيّ ﷺ، وقال له: يا رسول الله أنا زِيادُ بنُ شهابٍ، وقد كان في آبائي ستُّون حِمَارًا كلُّهم ركبه نَبِيٌّ، فاركبني أنت، وزاد الجَويني في كتاب الشامل[1] أن النبيّ - ﷺ - كان إذا أراد أحدًا من أصحابه أرسل إليه هذا الحمارَ، فيَذهب حتى يضرَب برأسِه البابَ، فيخرج الرجل، فيعلم أنه قد أرسل إليه، فيأتي النبيَّ ﷺ، وكان له تُرْسٌ فيما ذكر الطبري فيه تمثال كَرَأس الكَبْشِ وكان يكرهه فيه، فأصبح ذات يوم قد انمحى، ولم يبق منه أثر، وأما رُداؤه عليه السلام، فكان يقال له: الحَضْرمِي، وبه كان يشهد العيدين، كان طوله أرْبَعَ أَذْرُع وعرضُه ذراعان وشِبْرٌ، وكان له جَفْنَةٌ عظيمةٌ يُقَال لها الغَرَّاء يحملها أربعةُ رِجَالٍ جرى ذكرها في حديث خَرجه أبو داود، فهذه جُملة تَشْرَئِبُّ إلى معرفتها أنفُسُ الطالبين، وترتاح بالمذاكرة بها قلوبُ المتأدِّبين، وكُلُّ ما كان من باب المعرفة بنبيِّنا عليه السلام، ومتصلاً بأخبارِ سيرته مما يُونِقُ الأسماعَ، ويَهز بأرواحِ المحبةِ الطباع، والحمد لله على ما علم من ذلك[2].

---

(١) انظر الشامل (٢/ ١٧٨).

(٢) انظر مزيد بيان «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٦٧).

من شهد بدرًا من المسلمين

مـن بني هاشم والمطلب:

قال ابن إسحٰق: وهذ تَسْمية من شهد بدرًا من المُسلمين، ثم من (قريش، ثم من) بني هاشم بن عبد مناف وبني المطَّلب بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة.

محمد رسول الله ﷺ سيد المرسلين، ابن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم؛ وحمزة بن عبد المطَّلب بن هاشم، أسدُ الله وأسد رسوله، عمّ رسول الله ﷺ، وعليّ بن أبي طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم؛ وزيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كَعب بن عبد العزّى بن امرىء القيس الكَلْبي، أنعم الله عليه ورسولُه ﷺ.

قال ابن هشام: زيد بنُ حارثة بن شَراحيل بن كَعب بن عبد العُزى بن امرىء القيس بن عامر بن النُّعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوْف بن كِنانة بن بَكر بن عَوْف بن عُذْرة بن زيد الله بن رُفَيْدة بن ثور بن كَعْب بن وَبْرة.

قال ابن إسحٰق: وأَنَسَةُ مولى رسولِ الله ﷺ، وأبو كَبْشة مولى رسول الله ﷺ.

تسمية من شهد بدرًا[1]

قد تقدم التعريف بكثير منهم، ومن غيرهم مِمَّن جرى ذكرُه في السيرة والتنبيه إلى ما تَتَشَوَّف إليه نفسُ الطالب من هذا الفنِّ وسائرُهم قد نسبه ابن إسحٰق وابن هشام في هذا

---

(١) انظر المنتظم (٣/ ١٢٧) البداية والنهاية (٣/ ٣١٥) جوامع السيرة النبوية لابن حزم (١٤٨) الواقدي في المغازي (١٥١) تلقيح الفهوم لابن الجوزيّ (٢/ ٢) وابن سعد (٣/ ١/ ١) والبخاري (٦/ ٨٧).

قال ابن هشام: أَنَسةُ: حبشيّ، وأبو كَبْشة: فارسيّ.

قال ابن إسحاق وأبو مَرْثَدٍ كَنَّازُ بنُ حِصْن بن يَربوع بن عَمْرو بن يَرْبوع بن خَرْشة بن سَعْد بن طريف بن جِلاَّنَ بن غَنْم بن غَنِيّ بن يَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان.

قال ابن هشام: كَنَّاز بن حُصين.

قال ابن إسحاق: وابنه مَرْثد بن أبي مرثد، حَليفا حَمزة بن عبد المطَّلب؛ وعُبيدة بن الحارث بن المطَّلب؛ وأخواه الطُّفيل بن الحارث، والحُصَين بن الحارث؛ ومِسْطَح، واسمه: عَوْف بن أُثاثَة بن عَبَّاد بن المُطَّلِب. اثنَا عَشر رجلاً.

من بني عبد شمس:

ومن بني عبد شَمْس بن عبد مناف: عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، تخلَّف على امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ فضرَب له رسولُ الله ﷺ بسهمه، قال: وأجْري يا رسولَ الله؟ قال: وأجرُك؛ وأبو حَذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس؛ وسالم، مولى أبي حُذيفة.

قال ابن هشام: واسم أبي حُذيفة مِهْشم.

نسب سالم:

قال ابن هشام: وسالم، سائبة لثُبَيَّة بنت يَعار بن زَيْد بن عُبيد بن زَيْد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوف بن مالك بن الأوس، سَيَّبته فانقطع إلى أبي حُذيفة فتبنَّاه، ويقال: كانت ثُبَيتةُ بنت يَعَار تحت أبي حُذيفة بن عُتبة، فأعتقت سالمًا سائبةً، فقيل: سالم مولى أبي حُذيفة.

قال ابن إسحاق: وزعموا أنَ صُبيحًا مولى أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس تجهَّر للخروج مع رسول الله ﷺ، ثم مرض، فحَمل على بعيره أبا سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم؛ ثم شهد صُبَيح بعد ذلك المَشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ.

الباب، ونسَبْنَا نحن فيما تقدّم طائفةً لم ينسبهم ابن إسحاق في هذا الباب، منهم: أبو الهَيْثم [مالك] بن التَّيِّهان تقدم التعريف به في بَيْعةِ العَقَبةِ وأنه من بني إرَاش في قول ابن إسحاق، وقال ابن هشام: إرَاشَة.

من حلفاء بني عبد شمس:

وشهد بدرًا من حُلفاء بني عَبْد شَمْس، ثم من بني أسد بن خُزَيمة: عبدُ الله بن جَحْش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد؛ وعُكّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قَيْس بن مُرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسد؛ وشُجاع بن وَهْب بن ربيعة بن أسد بن صُهَيب بن مالك بن كَبِير بن غِنْم بن دُودان بن أسد، وأخوه عُقْبة بن وَهْب؛ ويزيد بن رُقَيش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد؛ وأبو سِنان بنِ مِحْصَن بن حُرْثان بن قيس، أخو عُكّاشة بنِ مِحصن؛ وابنُه سنان بن أبي سِنان، ومُحْرِز بن نَضْلة بن عبد الله بن مرّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد، وربيعة بن أكْثَم بن سَخْبَرة بن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد.

من حلفاء بني كبير:

ومن حلفاء بني كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد: ثَقْفَ بن عَمْرو، وأخواه: مالك بن عمرو، ومُدْلج بن عمرو.

قال ابن هشام: مِدْلاج بن عمرو.

قال ابن إسحٰق: وهم من بني حَجْر، آل بني سُلَيم. وأبو مخشي، حليفٌ لهم. ستّةَ عشرَ رجلاً.

قال ابن هشام: أبو مَخْشيّ طائيّ، واسمه: سُوَيد بن مَخْشي.

من بني نوفل:

قال ابن إسحٰق: ومن بني نَوْفل بن عبد مَناف: عُتبة بن غَزْوان بن جابر بن وَهْب بن نُسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان: وخَبّاب، مولى عُتْبة بن غَزْوان ـ رجلان.

وذكر في بَنِي الحارث بن فِهر عِيَاضَ بن أبي زُهَيْر، هكَذا ألْفَيْتُه في نسخة الشيخ أبي بَحر وغيرها من النُّسَخ الصِّحَاح، وهو وهم، والصواب: عياضُ بن زُهَيْر، وليس الوهم في ابن إسحٰق، لأنه قد ذكره في المهاجرين إلى الحبشة، فقال فيه ابن زهير على الصواب، وكَذل قال في ابن أخيه عَمْرو بن الحارث بن زُهَيْر، وغَنْمُ بن زُهَيْرٍ والدُ عِياضِ بن غِنْم صاحب الفتوحاتِ الذي يقول فيه ابن الرُّقَيّاتِ:

وعِيَاضٌ وما عِيَاضُ بن غَنْم ... كان مِنْ خَيْرِ مَنْ تُجِنُّ النِّسَاءُ

مـن بني أسـد:

ومن بني أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ: الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسَد؛ وحاطب بن أبي بَلْتعة، وسَعْد مولى حاطب. ثلاثةُ نفر.

قال ابن هشام: حاطب بن أبي بَلْتعة، واسم أبي بَلْتعة: عمرو، لخميّ، وسَعْد مولى حاطب، كلبيّ.

مـن بني عبـد الـدّار:

قال ابن إسحٰق: ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصَيّ، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيملة بن مالك بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار بن قُصَيّ. رجلان.

مـن بني زهـرة:

ومن بني زُهْرة بن كلاب: عبدُ الرحمٰن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة؛ وسعدَ بن أبي وقَّاص ـ وأبو وقَّاص مالك بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهْرة. وأخوه عُمَير بن أبي وقَّاص.

ومن حُلفائهم: المِقْدَادُ بن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثمامة بن مَطْرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن ثَوْر بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد بن هَزْل بن قائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهْود بن بَهْراء بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعة. قال ابن هشام: ويقال: هزل بن قاس بن ذَرّ ـ ودَهِير بن ثور.

قال ابن إسحٰق: وعبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مَخْزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تمِيم بن سعد بن هُذَيل، ومسعود بن رَبيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العُزّى بن حَمالَة بن غالب بن مُحلِّم بن عائذة بن سُبيع بن الهُون بن خُزيمة، من القارة.

قال ابن هشام: القارّة: لقب لهم. ويقال:

قَـدْ أنـصَـفَ الـقـارَةَ مَـنْ رَامـاهـا

وكانوا رماة.

والحارثُ بن زُهَيْر والدُ عَمْرِو بن الحارث بن زُهَير، وقد ذكر ابن إسحٰق عمرَو بن الحارث أيضًا؛ فقال فيه: ابن زهير لا ابن أبي زُهير والحمد لله.

قال ابن إسحاق: وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سُلَيم بن مَلكان بن أفْصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، من خُزاعة.

قال ابن هشام: وإنما قيل له: ذو الشّمالين، لأنه كان أعسر، واسمه عُمَير.

قال ابن إسحاق: وخبَّاب بن الأرتّ، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: خباب بن الأرتّ، من بني تميم، وله عقب، وهم بالكوفة؛ ويقال: خبَّاب من خُزاعة.

من بني تيم:

قال ابن إسحاق: ومن بني تَيم بن مُرّة: أبو بكر الصدّيق، واسمه عَتيق بن عُثمان بن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم.

قال ابن هشام: اسم أبي بكر: عبدُ الله، وعَتيق: لقب، لحُسْن وجهه وعتْقِه.

قال ابن إسحاق: وبلال، مولى أبي بكر - وبلال مولد من مولَّدي بني جُمح، اشتراه أبو بكر من أُميَّة بن خلَف، وهو بلال بن رَباح، لا عقب له - وعامر بن فُهَيرة.

قال ابن هشام: عامر بن فُهَيرة، مولَّد من مولدي الأسد، أسود، اشتراه أبو بكر منهم.

قال ابن إسحاق: وصُهَيب بن سِنان، من النَّمر بن قاسط.

نسب النمر:

قال ابن هشام: النمر: بنُ قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار؛ ويقال: أفصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: صُهيب، مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، ويقال: إنه

وذكر ابن إسحاق في البَدرِيِّين عاصم بن عَدِيّ لم يشهدها، لأن رسول الله ﷺ رَدّه من الرَّوْحَاء لسبب ذكره موسى بن عُقْبة وغيرُه، وذلك أن رسولَ الله ﷺ بلَغه شيءٌ عن أهلِ مسجدِ الضِّرَارِ، وكان قد استخلَفه على قُبَاءَ والعالية، فردَّه لينظرَ في ذلك، وضَربَ له بسَهْمِه مع أهلِ بدرٍ، وعاصمٌ هو المذكورُ في حديثِ اللِّعَانِ الذي يقال له: عُوَيْمرٌ العَجْلانِيُّ وهو عُوَيْمِرُ بن أَبْيَضَ، ويقال فيه: ابن أَشْقَر: سَلْ لي يا عَاصِمُ عن ذلك رسولَ الله - ﷺ تُوفِّي سَنَة خَمْسٍ وأربعين، وهو ابن عشرين ومائة يُكْنى أبا عمرو، وقيل: أبا عَبْدِ الله.

رُوميّ. فقال بعض من ذكر إنه من النَّمر بن قاسط: إنما كان أسيرًا في الروم فاشتُرِي منهم. وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «صُهيب سابقُ الروم»[1].

قال ابن إسحٰق: وطلحة بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيم، كان بالشأم، فقَدِم بعد أن رجع رسولُ الله ﷺ من بدر، فكلَّمه، فضرب له بسَهمِه، فقال: وأجْرِي يا رسولَ الله؟ قال: وأجرُك. خمسة نفر.

من بني مخزوم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني مَخْزوم بن يَقظة بن مُرّة: أبو سَلَمة بن عبد الأسد، واسمُ أبي سَلَمة عبدُ الله بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم؛ وشماس بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْميّ بن عامر بن مخزوم.

سبب تسمية الشمّاس:

قال ابن هشام: واسم شمّاس: عثمان، وإنما سمّي شمّاسًا، لأن شمّاسًا من الشَّمامسة قَدِم مكة في الجاهليَّة، وكان جميلاً، فعَجب الناسُ من جَماله. فقال عُتبة بن ربيعة، وكان خالَ شمّاس: ها أنا آتيكم بشمّاس أحسن منه، فأتي بابن أخته عثمان بن عثمان فسُمِّي شمّاسًا، فيما ذكر ابنُ شِهاب الزهريّ وغيرُه.

قال ابن إسحٰق: والأرقمُ بن أبي الأرقم، واسم أبي الأرقم: عبدُ مناف بن أسد، وكان أسد يُكْنى: أبا جُنْدب بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم؛ وعمَّار بن ياسر.

قال ابن هشام: عمَّار بن ياسر، عَنْسِيّ، من مَذْحج.

قال ابن إسحٰق: ومُعتِّب بن عَوْف بن عامر بن الفَضْل بن عَفيف بن كُلَيْب بن حُبْشيَّة ابن سَلول بن كَعْب بن عمرو، حليف، لهم من خُزاعة، وهو الذي يُدعى: عَيْهَامة، خمسة نفر.

قصّة خوّات:

وذكر ابن إسحٰق فيمن ردَّه النبيُّ - ﷺ - يوم بدر، وضَرَب له بسَهمِه خَوَّاتَ بن جُبَيْرٍ، رَدَّه من الصَّفراء، وسببُ ذلك - فيما ذكر ابن عقبة أن حَجَرًا أصابه في رِجْله فَوَرِمَتْ عليه،

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/١/١٦١) وابن عساكر في تهذيبه (٣/٦٠٩) (٦/٤٠٠) والطبري في تفسيره (٢٢/٦٦).

من بني عدي وحلفائهم:

ومن بني عديّ بن كعب: عمرُ بن الخطَّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رِزَاح بن عديّ؛ وأخوه زيد بن الخطَّاب؛ ومهجع، مولى عمر بن الخطَّاب، من أهل اليمن، وكان أوّلَ قتيل من المسلمين بين الصفين يوم بَدر، رُمي بسهم.

قال ابن هشام: مِهْجع، من عكّ بن عَدْنان.

قال ابن إسحٰق: وعمرو بن سُراقة بن المُعْتَمر بن أَنَس بن أذاة بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رَزاح بن عديّ بن كعب؛ وأخوه عبد الله بن سُراقة، وواقد بن عبد الله بن عبد مَناف بن عَرِين بن ثَعْلبة بن يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، حليف لهم، وخَوْليّ بن أبي خوليّ ومالك بن أبي خَوْليّ، حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خوليّ، من بني عجْل بن لجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بَكر بن وائل.

قال ابن إسحٰق: وعامر بن ربيعة، حليف آل الخطَّاب، من عَنز بن وائل.

قال ابن هشام: عنز بن وائل: بن قاسط بن هنْب بن أفْصى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: أفصى: بنُ دُعْميّ بن جَديلة.

قال ابن إسحٰق: وعامر بن البُكَير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة، من بني سعد بن ليث؛ وعاقل بن البُكَير؛ وخالد بن البُكَير، وإياس بن البُكَير، حلفاء بني عديّ بن كَعْب؛ وسَعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رزاح بن عديّ بن كعب، قَدِم من الشأم بعدما قدم رسولُ الله ﷺ من بدر، فكلَّمه، فضَرب له رسول الله ﷺ بسهمه؛ قال: وأجْرِي يا رسول الله؟ قال: وأجرك. أربعة عشر رجلاً.

واغتَلَّتْ، فردَّه النبيُّ - ﷺ - لذلك، وهو صاحبُ خَوْلَة ذَات النِّحْيَيْن في الجاهلية، وهي امرأة من بني تَيْم الله بن ثَعْلبة بن عُكَابة بن صَعْبِ بن عليّ بن بَكْر بن وائل، ويُروَى أن النبيَّ - ﷺ - سأله عنها وتَبَسَّمَ فقال: يا رسول الله قد رَزَق الله خيرًا، وأعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْر[1]، ويُروى أنه قال له: ما فعل بعيرُك الشَّارِدُ؟ فقال: قَيَّدَه الإسلامُ يا رسول الله،

(١) يعني: من النقصان بعد الزيادة.

من بني جمح وحلفائهم:

ومن بني جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كَعب: عثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهب بن حُذافة بن جُمح؛ وابنه السائب بن عثمان؛ وأخَواه قُدامة بن مَظْعون؛ وعبدُ الله بن مَظْعون؛ ومَعْمر بن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح. خمسة نفر.

ومن بني سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن خُنَيس بن حُذافة بن قَيْس بن عديّ بن سَعْد بن سهم. رجل.

مـن بني عامـر:

قال ابن إسحٰق: من بني عامر بن لُؤَيّ: ثم من بني مالك بن حِسْل بن عامر: أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل عبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزّى بن أبي قَيْس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك؛ وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حَسل - كانَ خرج مع أبيه سُهيل بن عمرو، فلما نزل الناسُ بدرًا فرَّ إلى رسول الله ﷺ، فشهده معه - وعُمير بن عوْف، مولى سُهيل بن عمرو؛ وسعد بن خَوْلة، حليف لهم. خمسةُ نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خَوْلة، من اليمن.

مـن بني الحـارث:

قال ابن إسحٰق: ومن بني الحارث بن فِهْر: أبو عُبيدة بن الجَراح، وهو عامر بن الله بن الجرّاح بن هلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث وعمرو بن الحارث بن زُهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث؛ وسُهيل بن وهب بن رَبيعة بن هلال بن أبي أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث؛ وأخوه صَفْوان بن وهْب، وهما ابنا بيضاء؛ وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضبَّة بن الحارث. خمسة نفر.

وقيل: معنى قوله: بعيرك الشارد: أنه مَرّ في الجاهلية بِنسْوةٍ أعجبه حُسْنُهن، فسألهن أن يَفْتِلْنَ له قَيْدًا لبعيرٍ له، زعم أنه شارد، وجلس إليهن بهذه العِلّة، فمرّ به النبيُّ - ﷺ - وهو يتحدّث إليهن، فأعرض عنه وعنهن، فلما أسلم سأله عن ذلك البعير الشارد، وهوَ يَتبسَّم له، فقال خَوّات: قَيّده الإسلامُ يا رسولَ الله، قال الواقدي: يُكْنَى أبا صالح، ورَوى النَّمَرِيُّ في

عدد مَن شهد بدرًا من المهاجرين:

فجميع من شَهد بدرًا من المُهاجرين، ومن ضرب له رسولُ الله ﷺ بسهمه وأجْره، ثلاثة وثمانون رجلاً.

قال ابن هشام: كثير من أهل العلم، غير ابن إسحٰق، يذكرون في المهاجرين ببدر، في بني عامر بن لؤيّ: وهب بن سَعد بن أبي سَرْح، وحاطبَ بن عمرو؛ وفي بني الحارث بن فِهْر: عَيَاضُ بن أبي زُهير.

الأنصار ومَن معهم من بني عبد الأشهل:

قال ابن إسحٰق: وشَهد بدرًا مع رسول الله ﷺ من المسلمين ثم من الأنصار، ثم من الأوس بن حارث بن ثَعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخَزْرج بن عمرو بن مالك بن الأوس سعدُ بن مُعاذ بن النُّعمان بن امرىء القَيْس بن زيد بن عبد الأشهل؛ وعمرو بن مُعاذ بن النُّعمان، والحارث بن أوْس بن مُعاذ بن النُّعمان، والحارث بن أَنَس بن رافع بن امرىء القيس.

من بني عبيد بن كعب وحلفائهم:

ومن بني عُبَيْدُ بن كعب بن عبد الأشهل: سعدُ بن زَيْد بن مالك بن عُبيد. ومن بني زَعُوراء بن عبد الأشهل ـ قال ابن هشام: ويقال: زَعُوراء ـ سَلمة بن سَلامة بن وَقَش بن زُغْبة، وعبَّاد بن بِشْر بن وَقَش بن زغبة بن زَعُوراء، وسَلمة بن ثابت بن وقش، ورافع بن يَزيد بن كُرْز بن سَكن بن زَعُوراء، والحارث بن خَزمة بن عديّ بن أبيّ بن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن الخَزْرج حليف لهم من بني عَوْف بن الخَزْرج ومحمدُ بن مَسْلمة بن خالد بن عديّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بني حارثة بن الحارث، وسَلَمة بن أسْلم بن حَريش بن عديّ بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة بن الحارث.

قال ابن هشام: أسلم بنُ حَرِيس بن عديّ.

قال ابن إسحٰق: وأبو الهيثم بن التَّيِّهان، وعُبيد بن التَّيِّهان.

حديث مُسْنَد إلى خَوَّات أن عُمَرَ بن الخطَّاب، كنَّاه: أبا عبد الله، وذلك أنه كان معه في رَكْب، فقال له: الرَّكبُ غَنِّنا من شِعْر ضِرَارٍ، فقال عُمر: دعوا أبا عَبْد الله يغنينا بُنَيَّاتِ فُؤَاده قال: فأنشدهم حتى السَّحَر، فقال عمر: ارْفَعْ لِسانَك يا أبا عبد الله فقد أسْحَرْنَا.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التَّيِّهان.

قال ابن إسحٰق: وعبدُ الله بن سَهْل. خمسةَ عشر رجلاً.

قال ابن هشام: عبدُ الله بن سهل: أخو بني زَعُوراء؛ ويقال: من غسَّان.

قال ابن إسحٰق: ومن بني ظَفَر، ثم من بني سَوَاد بن كَعْب، وكعب: هو ظَفَر - قال ابن هشام: ظَفَر: بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوس: قتادةُ بن النُّعمان بن زيد بن عامر بن سَواد؛ وعُبيد بن أَوْس بن مالك بن سَواد، رجلان.

سبب تسمية عبيد بمقرن:

قال ابن هشام: عُبيد بن أوس الذي يُقال له: مقرّن، لأنه قَرَن أربعة أسرى في يوم بدر. وهو الذي أسر عَقيل بن أبي طالب يومئذ.

من بني عبد بن رزاح وحلفائهم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني عَبْد بن رِزَاح بن كعب: نَصْرُ بن الحارث بن عبد؛ ومعتِّب بن عبد.

ومن حلفائهم، من بليّ: عبدُ الله بن طارق. ثلاثة نفر.

مـن بني حارثـة:

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مسعودُ بن سَعْد بن عامر بن عديّ بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة.

قال ابن هشام: ويقال: مسعود بن عبد سعد.

قال ابن إسحٰق: وأبو عَبْس بن جَبْر بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة.

ومن حلفائهم، ثم من بليّ: أبو بُردة بن نيار، واسمه: هانىء بن نيار بن عمرو بن عَبيد بن كلاب بن دُهْمان بن غَنم بن ذُبيان بن هُمَيم بن كاهل بن ذُهْل بن هُنَيّ بن بليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. ثلاثة نفر.

نسب النعمان بن عصر:

وذكر النُّعْمَانَ بن عَصَر، ولم ينسبه، وهو ابن عَصَر ابن الرَّبيع بن الحارثِ بن أديم البَلَويّ، وقيل: عَصَر بن عُبَيْد بن وائلة بن حارثة البَلَوِيّ، قتِل باليمامة.

مـن بني عمـرو:

قال ابن إسحٰق: ومن بني عَمْرو بن عَوف بن مالك بن الأوْس، ثم من بني ضُبَيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: عاصم بن ثابت بن قَيْس، وقيس أبو الأقْلح بن عِصْمة بن مالك بن أمَة بن ضُبيعة ـ ومعتِّب بن قُشَير بن مُلَيل بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبيعة؛ وأبو مُلَيل بن الأزعر بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبيعة، وعمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة.

قال ابن هشام: عُمَير بن مَعْبد.

قال ابن إسحٰق: وسهل بن حنيف بن واهب بن الحكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث: بن عمرو، وعمرو الذي يقال له: بخرج بن حَنَس بن عوف بن عمرو بن عوف. خمسة نفر.

مـن بني أميـة:

ومن بني أُميَّة بن زيد بن مالك: مُبشِّر بن عبد المُنذر بن زَنبر بن زيد بن أُميَّة، ورفاعة بن عبد المُنذر بن زَنْبر، وسعد بن عُبَيد بن النُّعمان بن قَيس بن عمرو بن زيد بن أُميَّة: وعُويم بن ساعدة، ورافع ابن عُنْجَدة ـ وعُنْجُدَّةُ أُمُّه، وفيما قال ابن هشام ـ وعُبيد بن أبي عُبيد، وثعلبة بن حاطب.

وزعموا أن أبا لُبابة بن عبد المنذر، والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله ﷺ فرجعهما، وأمَّر أبا لبابة على المدينة، فضرب لهما بسَهمين مع أصحاب بدر. تسعة نفر.

قال ابن هشام: ردّهما من الرّوحاء.

قال ابن هشام: وحاطبُ بن عمرو بن عُبَيد بن أُميّة، واسم أبي لُبابة: بَشير.

من بني عبيد وحلفائهم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني عُبيد بن زيد بن مالك: أُنَيس بن قَتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عُبيد.

تصـويـب أنسـاب:

وذكر في نسب زيد بن وَدِيعة جَزْءَ بن عَدِيٍّ.

وذكر أبو بَحْرٍ أنه قيَّده عن أبي الوليد جَزْء بسكون الزاي، وأنه لم يجده عن غيره إلا بكسر الزاي.

ومن حُلفائهم من بليّ: مَعْن بن عديّ بن الجدّ بن العَجْلان بن ضُبيعة وثابت بن أقْرم بن ثَعلبة بن عديّ بن العَجْلان، وعبد الله بن سَلمة بن مالك بن الحارث بن عديّ بن العَجْلان، وزيد بن أسْلم بن ثعلبة بن عديّ بن العجلان؛ ورِبْعيّ بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجَدّ بن العَجْلان. وخرج عاصم بن عديّ بن الجدّ بن العَجْلان، فردّه رسول الله ﷺ، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر. سبعة نفر.

من بني ثعلبة:

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: عبدُ الله بن جُبير بن النُّعمان بن أُميَّة بن البَرْك - واسم البُركِ: امرؤ القيس بن ثَعلبة - وعاصم بن قَيْس.

قال ابن هشام: عاصم بنُ قَيْس: بن ثابت بن النعمان بن أُميَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة.

قالِ ابن إسحٰق: وأبو ضَيَّاح بن ثابت بن النعمان بن أُميَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة؛ وأبو حَنَّة.

قال ابن هشام: وهو أخو أبي ضَيَّاح، ويقال: أبو حَيَّة. ويقال لامْرِىء القيس: البُرَك بن ثعلبة.

قالِ ابن إسحٰق: وسالم بن عُمير بن ثابت بن النُّعمان بن أُميَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة.

قال ابن هشام: ويقال: ثابت: بن عَمْرو بن ثَعْلَبَة.

قال ابن إسحٰق: والحارث بن النُّعمان بن أُميَّة بن امرىء القيس بن ثَعلبة وخَوَّات بن جُبَيْر بن النُّعمان، ضرب له رسول الله - ﷺ - بسهم مع أصحابِ بدرٍ. سبعة نفر.

وذكر رافَع ابن عُنجُدَةَ، وقال: هي أُمه، ولم يذكر أباه، واسمه: عَبْدُ الحارث، والعُنجُدَةُ حَبُّ الزَّبيب، ويقال: هو الزَّبيب، وأما عَجْمُ الزبيب، فهو الفِرْصِد [أو الفِرْصيدُ أو الفِرْصَادُ] قاله أبو حنيفة.

وذكر كَعْبَ بنَ جمَّازٍ بالجيم والزاي، كما قال ابن هشام، لا كما قال ابن إسحٰق، فإن أهل النسب على ما قال ابن هشام، غير أن الدَّارَقُطْنِي قَيَّد فيه روايةً ثالثة: ابن حِمَّان بنون وحاء مكسورة.

من بني جحجبى وحلفائهم:

ومن بني جَحْجَبى بن كُلْفة بن عَوف بن عمرو بن عوف: منذر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيحة بن الجلاح بن الحَريش بن جَحْجَبى بن كلفة.

قال ابن هشام: ويقال: الحَريس بن جَحْجبى.

قال ابن إسحٰق: ومن حلفائهم من بني أُنَيف: أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن بَيْحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُنَيف بن جُشَم بن عبد الله بن تَيْم بن إراش بن عامر بن عُمَيلة بن قَسْمِيل بن فَرَان بن بليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال تَميم بن إرَاشَة، وقِسْميل بن فارَان.

مـن بني غنـم:

وقال ابن إسحٰق: ومن بني غَنْم بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس سعدُ بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم؛ ومُنذر بن قُدامة بن عَرْفجة؛ ومالك بن قُدامة بن عَرْفجة.

قال ابن هشام: عرفجة: بن كعب بن النحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنم.

قال ابن إسحٰق: والحارث بن عَرْفجة؛ وتميم، مولى بني غنم. خمسة نفر.

قال ابن هشام: تميم: مولى سَعْد بن خيثمة.

مـن بني معاوية وحلفائهم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عَوف: جَبْر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أُميَّة بن معاوية؛ ومالك بن نُمَيْلة، حليف لهم من مُزينة، والنُّعمان بن عَصَر، حليف لهم من بَلِيّ. ثلاثة نفر.

وذكر فيهم أبا حُمَيْضَةَ، واسمه: مَعْبَد بن عبَّاد: قال أبو عُمَر: كذا قيَّده إبراهيمُ بن سعْد عن ابن إسحٰق، وغيره يقول فيه عن ابن إسحٰق يقول فيه: أبو خُمَيْصَة بخاء منقوطة وصاد مهملة.

وذكر في البَلَويِّين أبا عقيل، ولم يُسَمِّه وكان اسمه في الجاهلية عَبْدَ العُزَّى، فسماه النبيّ ﷺ عَبْدَ الرحمٰن عدوَّ الأوثَان ابن عبد الله بن ثَعْلَبَة قُتِل باليمامة.

عدد من شهد بدرًا من الأوس:

فجميع من شهد بدرًا من الأوس مع رسولِ اللهِ ﷺ ومن ضُرِب له بسهمه وأجره، أحد وستون رجلاً.

من بني امرىء القيس:

قال ابن إسحٰق: وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ من المسلمين، ثم من الأنصار، ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني الحارث بن الخزرج، ثم من بني امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد بن أبي زُهَير بن مالك بن امرىء القيس، وسعدُ بن رَبيع بن عمرو بن أبي زُهَير بن مالك بن امرىء القيس، وعبدُ الله بن رَواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس، وخلاَّد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس، أربعة نفر.

من بني زيد:

ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. بَشير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس بن زيد ـ قال ابن هشام: ويقال: جُلاس، وهو عندنا خطأ ـ وأخوه سِماك بن سعد. رجلان.

من بني عدي:

ومن بني عديّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: سُبيع بن قيس عَيْشة بن أُميَّة بن مالك بن عامر بن عديّ، وعبَّاد بن قيس بن عَيْشة أخوه.

قال ابن هشام: ويُقال: قيس: بن عَنَبَسة بن أُميَّة.

قال ابن إسحٰق: وعبدُ الله بن عَبْس. ثلاثة نفر.

صاحب الصاع:

وأما أبو عقيل صاحب الصَّاع الذي لَمَزهُ المنافِقُون، فاسمه حَبْحَاثٌ، وفيه أُنزِلَتْ: ﴿الذين يَلْمِزونَ المطَّوِّعين من المؤمنين﴾[1] وذلك أنه جاء بصاع من تَمْر فَوضَعه في العَرَقَةِ حين حَثَّ النبيّ ـ ﷺ ـ على النفقة في سبيل الله، فضحك منه المنافقون وقالوا: إن الله لَغَنِيٌّ عن صَاعِ أبي عقيل.

(١) سورة التوبة آية رقم (٧٩).

مـن بني أحمـر:

ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كَعْب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر، وهو الذي يُقال له: ابن فُسحم رجل.

قال ابن هشام: فُسْحُم أُمّه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر.

مـن بني جشـم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني جُشَم بن الحارث بن الخَزْرج، وزيد بن الحارث بن الخزرج، وهما التوأمان: خُبَيْب بن إساف بن عِتَبَة بن عمرو بن خَديج بن عامر بن جُشم، وعبد الله بن زيد بن ثَعْلبة بن عبد رَبِّه بن زيد، وأخوه حُرَيث بن زيد بن ثَعلبة، زعموا، وسُفْيان بن بَشْر. أربعة نفر.

قال ابن هشام: سُفيان بن نَسْر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد.

مـن بني جـدارة

قال ابن إسحٰق: ومن بني جِدَارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: تَميم بن يَعار بن قَيس بن عدي بن أُميَّة بن جِدَارة، وعبدُ الله بن عُميْر من بني حارثة.

قـريـوش أو قـريـوس:

وقع في أنساب البَدْرِيِّين ابن قِرْيُوش بكسر القاف والشين المنقوطة وقال ابن هشام: قريوس بالسين المهملة، كذا قيده أبو الوليد، وفي أكثر الروايات قَربُوس بفتح القاف والباء المضمومة المنقوطة بواحدةَ، فقِرْيُوش: فِعْيُول من التَّقَرُّشِ، وهو التَّكَسُّبُ، وبالسين فَعيول من القَرْسِ، وهو البرد، وقرْيُوشٌ بالشين المنقوطة أصح فيه لأنه من التَّقَرُّش وهو التَّكَسُّبُ، كما سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ به، قاله قُطْرب. ومِمَّن لم يَشهد بدرًا لعُذْرِ، وهو من النُّقَبَاءَ سَعْدُ بن عُبَادَةَ سيِّد الخَزرَج لأنه نَهَشَته حَيَّةٌ، فلم يستطع الخروج، هذا قول القُتَبيّ، ولذلك لم يذكره ابن إسحٰق ولا ابنُ عقبة، وقد ذكرته طائفة فيهم: ابنُ الكلبي وجماعة.

وذكر أبا الضَّيَّاحِ واسمه النُّعْمَان، وقيل: عُمَير بن ثابت بن النُّعْمَان، قتِل يوم خَيْبَر.

جـدارة أو خـدارة

وذكر في بني النجّار من ينسب إلى جِدَارة بن الحارث، وجِدَارة أخو خُدْرَةَ رهط أبي سعيد الخدْرَيّ، وغير ابن إسحٰق يقول في جدَارة خُدارة بالخاء المضمومة، قاله ابن

قال ابن هشام: ويقال: عبد الله بن عُمَير بن عديّ بن أُميَّة بن جِدارة.

قال ابن إسحٰق: وزيد بن المُزَيِّن بن قيس بن عديّ بن أُميَّة بن جِدَارة.

قال ابن هشام: زيد بن المُرَيّ.

قال ابن إسحٰق: وعبدُ الله بن عُرْفطة بن عديّ بن أُميَّة بن جِدَارَة. أربعة نفر.

مـن بني الأبجـر:

ومن بني الأبجَر، وهم بنو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رَبيع بن قيس بن عمرو بن عبَّاد بن الأبجر. رجل.

مـن بني عـوف:

ومن بني عَوْف بن الخزرج، ثم من بني عَبيد بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحُبْلى ـ قال ابن هشام: الحُبْلى: سالم بن غَنْم بن عوف، وإنما سمي الحُبْلى، لعِظَم بطنه: عبدُ الله بن عبد الله بن أُبيّ بن مالك بن الحارث بن عبيد (المشهور بابن سَلُول)، وإنما سَلُول امرأة، وهي أُم أُبيّ: وأوس بن خَوْليّ بن عبد الله بن الحارث بن عبيد. رجلان.

من بني جـزء وحلفائهم:

ومن بني جَزْء بن عديّ بن مالك بن سالم بن غَنْم: زيدُ بن وَدِيعة بن عمرو بن قَيس بن جَزْء؛ وعُقْبة بن وَهْب بن كَلَدَة، حليف لهم من بني عبد الله بن غَطَفان؛ ورفاعة بن عمرو بن زَيْد بن عمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم؛ وعامر بن سَلَمَة بن عامر، حليف لهم من أهل اليمن. قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن سلمة وهو من بليّ، من قُضاعة.

قال ابن إسحٰق: وأبو حُمَيضَة مَعْبد بن عبَّاد بن قُشَير بن المُقَدَّم بن سالم بن غَنْم.

دُرَيْد[1]، وكذلك قيده النَّمَري، فهما خُدْرَةُ وخُدَارة ابنا الحارث بالخاء المنقوطة، وقاله ابن هشام بالحاء المهملة، كذلك قال أبو عمر، وقيده الشيخ أبو بَحْر عن أبي الوليد فقال ابن هشام.

---

(١) انظر الاشتقاق لابن دريد (٤٥٥).

قال ابن هشام: مَعْبد بن عباد بن قشير بن المقدم، ويقال: عُبادة بن قيس بن القُدْم.

وقال ابن إسحٰق: وعامر بن البُكَير، حليف لهم. ستة نفر.

قال ابن هشام: عامر بن العُكَير، ويقال: عاصم بن العُكَير.

مـن بني سالـم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني سالـم بن عَوْف بن عمرو بن الخَزْرج، ثم من بني العَجْلان بن زَيد بن غَنْم بن سالم: نوفلُ بن عبد الله بن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن العجلان. رجل.

مـن بني أصـرم:

ومن بني أَصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف ـ قال ابن هشام: هذا غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج، وغنْم بن سالم، الذي قبله على ما قال ابن إسحٰق ـ: عُبادة بن الصَّامت بن قيس بن أصْرم؛ وأخوه أوْس بن الصَّامت. رجلان.

مـن بني دعـد:

ومن بني دَعْد بن فِهْر بن ثعلبة بن غنم: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد، والنعمان الذي يقال له: قَوقل. رجل.

ومن بني قِرْيُوش بن غَنْم بن أميَّة بن لَوْذان بن سالـم ـ قال ابن هشام: ويقال: قَرْيُوس بن غَنْم ـ ثابت بن هَزّال بن عمرو بن قِرْيُوش. رجل.

ومن بني مَرْضَخة بن غَنْم بن سالم: مالكُ بن الدُّخْشم بن مَرْضَخة. رجل.

قال ابن هشام: مالك بن الدُخشم: بن مالك بن الدُّخْشُم بن مَرْضَخة.

رجيلـة أو رخيلـة:

وذكر رُجَيْلَة بن ثَعْلَبَة، وقيد في رواية موسى بن عقبة رُخَيْلَة بالخاء المنقوطة، كما وقع في رواية موسى بن عقبة.

من بني لوذان وحلفائهم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني لَوْذان بن سالم: ربيع بن إياس بن عَمْرو بن غَنْم بن أميَّة بن لَوْذان، وأخوه وَرَقة بن إياس، وعَمْرو بن إياس، حليف لهم من أهل اليمن. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن إياس، أخو رَبيع وورقة.

قال ابن إسحٰق ومن حلفائهم من بَليّ، ثم من بني غُصَينة ـ قال ابن هشام: غصينة، أمهم، وأبوهم عمرو بن عُمارة ـ المجذَّر بن ذِياد بنِ عمرو بن زُمْرة بن عمرو بن عمارة بن مالك ابن عُصينة بن عمرو بن بُتيرة بن مَشْنُوّ بن قَسْرين بن تَيم بن أراش بن عامر بن عُمَيلة بن قِسْمِيل بنِ فاران بن بليّ بن عمرو بن الخفاف بن قضاعة.

قال ابن هشام: ويقال: قَسْر بن تميم بن إراشة، وقسميل بن فاران. واسم المجذّرة عبد الله.

قال ابن إسحٰق: وعُبادة بن الخَشْخاش بن عمرو بن زُمْزُمة، ونَحَّاب بن ثعلبة بن حزمة بن أصْرم بن عمرو بن عمارة.

قال ابن هشام: ويقال بحَّاث بن ثعلبة.

قال ابن إسحٰق: وعبدُ الله بن ثعلبة بن حَزَمة بن أصرم. وزعموا أن عُتبة بن ربيعة بن خالد بن مُعاوية ـ حليف لهم ـ من بَهراء، قد شهد بدرًا، خمسة نفر.

قال ابن هشام: عُتبة بن بَهْز، من بني سُليم.

من بني ساعدة:

قال ابن إسحٰق: ومن بني ساعدة بن كَعْب بن الخزرج، ثم من بني ثَعلبة بن الخزرج بن ساعِدة: أبو دُجانة، سماك بن خَرَشة.

قال ابن هشام: أَبو دُجانة: (سِماك) بن أوْس بن خَرَشة بن لَوْذان بن عَبْد وُدّ بن زيد بن ثعلبة.

تصويب نسب:

وذكر فيهم أبا شُيخ بن ثابت، واسمه: أُبَيّ وهو أخو حسّان، وقيل: بل هو ابن أُبيّ بن ثابت وحَسَّانُ عمه، ووقع في نسخة الشيخ أبي بحر غلطٌ أصلحته، وكان قبل الإصلاح أبو شيخ أُبيّ بن ثابت بن المُنذِر.

قال ابن إسحاق: والمُنْذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُد بن زيد بن ثعلبة. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: المنذر: بن عمرو بن خَنْبَش.

من بني البديّ وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني البَدِي بن عامرِ بن عَوْف بن حارثة بن عَمرو بن الخَزْرج بن ساعدة: أبو أُسَيد مالك بن ربيعة بن البَدِيّ، ومالك بن مسعود وهو إلى البَدِيّ. رجلان.

قال ابن هشام: مالك بن مسعود: بن البَدِيّ، فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم.

من بني طريف وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني طَريف بن الخَزْرج بن ساعدة: عبدُ ربِّه بن حَقّ بن أوس بن وَقش بن ثعلبة بن طَرِيف. رجل.

ومن حلفائهم، من جُهينة: كعبُ بن حمار بن ثعلبة.

قال ابن هشام: ويقال: كعب: بن جَمَّار، وهو من غُبْشان.

قال ابن إسحاق: وضَمْرة وزياد وبَسْبس، بنو عمرو.

قال ابن هشام: ضَمْرة وزياد، ابنا بِشْر.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن عامر، من بليّ. خمسة نفر.

من بني جشم:

ومن بني جُشَم بن الخزرج، من بني سَلِمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن سارِدة بن تَزِيد بن جُشم بن الخَزْرج ثم من بني حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلمة: خَراش بن الصمَّة بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام، والحُباب بن المُنذر بن الجَموح بن زيد بن حَرام، وعُمَير بن الحُمام بن الجَموح بن زيد بن حَرام، وتميم مولى خراش بن الصمّة وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، ومُعاذ بن عمرو بن الجَموح، ومعوذ بن عمرو بن الجَموح بن زيد حَرام، وخَلادّ بن عمرو بن الجَموح بن زيد بن حَرام، وعُقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حَرام، وحبيب بن أسْود، مولى لهم،

....

وثابت بن ثَعْلبة بن زيد بن الحارث بن حَرام، وثعلبة الذي يقال له: الجذع، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام. اثنا عشر رجلاً.

نسب الجموح:

قال ابن هشام: كلّ ما كان ها هنا الجَموح، (فهو الجَموح) بن زيد بن حَرام، إلا ما كان من جدّ الصمَّة (بن عمرو)، فإنه الجَموح بن حَرام.

قال ابن هشام: عُمَير بن الحارث: بن لَبْدَة بن ثعلبة.

من بني عبيد وحلفائهم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني عُبَيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، ثم من بني خنساء بن سنان بن عبيد: بشر بن البراء بن معرور بن صخر ابن مالك ابن خَنْساء، والطُّفيل بن مالك ابن خَنْساء، والطُّفيل بن النعمان ابن خَنساء، وسنان بن صَيْفيّ بن صخر ابن خَنْساء، وعبد الله بن الجَدّ بن قَيْس بن صَخْر ابن خَنْساء، وعُتْبَة بن عبد الله بن صَخْر ابن خَنْساء، وجَبَّار بن صَخْر بن أُميَّة ابن خَنْساء، وخارجة بن حُمَيِّر، وعبد الله بن حُمير، حليفان لهم من أشْجع، من بني دُهْمان. تسعة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: جبَّار بن صَخْر بن أُميَّة بن خُناس.

مـن بني خنّاس:

قال ابن إسحٰق: ومن بني خُناس بن سِنان عُبيد: يزيدُ بن المُنْذر بن سرح بن خنّاس، ومعقل بن المنذر بن سرح بن خنّاس، وعبد الله بن النعمان بن بَلْدَمة.

قال ابن هشام: ويُقال: بُلْذُمة وبُلْدُمة.

قال ابن إسحٰق: والضحّاك بن حارثة بن زَيد بن ثعلبة بن عُبيد بن عديّ، وسَوَاد بن زُرَيق بن ثعلبة بن عُبيد بن عديّ.

قال ابن هشام: ويقال: سواد: بن رِزْن بن زيد بن ثَعْلبة.

قال ابن إسحٰق: ومَعْبد بن قَيس بن صَخْر بن حَرام بن رَبيعة بن عَديّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة. ويقال: معبد بنُ قَيس: بن صَيفي بن صَخْر بن حَرام بن رَبيعة، فيما قال ابن هشام.

....

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن قَيْس بن صَخْر بن حَرام بن ربيعة بن عديّ بن غِنْم. سبعة نفر.

مـن بني النعمـان:

ومن بني النُّعمان بن سِنان بن عُبيد: عبدُ الله بن عبد مناف بن النعمان؛ وجابر بن عبد الله بن رِئاب بن النُّعمان: وخُلَيدة بن قَيْس بن النُّعمان. والنُّعمان بن سِنان، مولى لهم. أربعة نفر.

مـن بني سـواد:

ومن بني سَواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة، ثم من بني حَديدة بن عمرو بن غَنْم بن سَواد ـ قال ابن هشام: عمرو بن سَواد، ليس لسَواد ابن يقال له غنم: أبو المُنذر، وهو يَزيد بن عامر بن حَديدة؛ وسُلَيم بن عمرو بن حَديدة؛ وقُطْبة بن عامر بن حَديدة؛ وعنترة مولى سُليم بن عمرو. أربعة نفر.

قال ابن هشام: عنترة، من بني سُلَيم بن مَنصور، ثم من بني ذَكْوان.

من بني عديّ بن نابي:

قال ابن إسحـٰق: ومن بني عديّ بن نابي بن عَمرو بن سَواد بن غَنْم: عَبْس بن عامر بن عديّ، وثعلبة بن غَنَمة بن عديّ، وأبو اليَسَر، وهو كعب بن عمرو بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم بن سَواد؛ وسَهْل بن قيس بن أبي كعب بن القَين بن كَعْب بن سَواد، وعمرو بن طَلْق بن زيد بن أُميَّة بن سنان بن كعب بن غَنْم، ومُعاذ بن جَبل بن عمرو بن أَوْس بن عائذ بن عديّ بن كعب بن عديّ بن أُدَيّ بن سعد بن عليّ بن أسَد بن سارِدة بن تَزيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر. ستة نفر.

قال ابن هشام: أوس: بـن عبّاد بن عديّ بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن سعد.

قال ابن هشام: وإنما نَسب بن إسحـٰق مُعاذ بن جبل في بني سَواد، وليس منهم، لأنه فيهم.

....

تسمية من كسروا آلهة بني سلمة:

قال ابن إسحٰق: والذين كسروا آلهة بني سَلمةَ: مُعاذُ بن جَبل، وعبد الله بن أنيس، وثعلبة بن غنمةَ، وهم في بني سواد بن غنم.

مـن بني زريـق:

قال ابن إسحٰق: ومن بني زُرَيق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني مُخلَّد بن عامر بن زُرَيق - قال ابن هشام: ويقال: عامر: بن الأزرق: قَيْس بن مُخصِن بن خالد بن مُخَلَّد.

قال ابن هشام: ويقال: قيس: بن حصْن.

قال ابن إسحٰق: وأبو خالد وهو الحارث بن قَيْس بن خالد بن مخلّد وجُبَير بن إياس بن خالد بن مخلَّد، وأبو عُبادة، وهو سعد بن عثمان بن خَلَدة بن مُخلَّد وأخوه عقبَة بن عثمان بن خَلَدة بن مُخلَّد؛ وذَكوان بن عبد قَيْس بن خَلَدة بن مخلَّد؛ ومسعود بن خلَدة بن عامر بن مخلَّد. سبعة نفر.

مـن بني خـالـد:

ومن بني خالد بن عامر بن زُرَيق: عبَّاد بن قيس بن عامر بن خالد. رجل.

مـن بني خلـدة:

ومن بني خلدة بن عامر بن زُريق: أسعد بن يَزيد بن الفاكه بن زيد بن خَلدة، والفاكه بن بشْر بن الفاكه بن زيد بن خلدة.

قال ابن هشام: بُسْر بن الفاكه.

قال ابن إسحٰق: ومِعاذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدة، وأخوه: عائذ بن ماعِص بن قيس بن خلدة، ومسعود بن سَعد بن قيس بن خلدة. خمسة نفر.

مـن بني العجـلان:

ومن بني العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق: رفاعةُ بن رافع بن العجْلان وأخوه خلاَّد بن رافع بن مالك بن العَجْلان، وعُبيد بن زَيد بن عامر بن العَجْلان. ثلاثة نفر.

....

مـن بني بياضـة[1]:

ومن بني بَياضة بن عامر بن زُريق. زياد بن لَبيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عديّ بن أميَّة بن بَياضة، وفَرْوة بن عمرو بن وَذْفة بن عبيد بن عامر بن بَياضة.

قال ابن هشام: ويقال: وذْفة.

قال ابن إسحٰق: وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بَياضة، ورُجَيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بَياضة.

قال ابن هشام: ويقال: رُخَيلة.

قال ابن إسحٰق: وعَطيَّة بن نُوَيرة بن عامر بن عطية بن عامر بن بَياضة، وخَلِيفة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن عامر بن فهيرة بن بَياضة. ستة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: عَلِيفة.

مـن بني حبيـب:

قال ابن إسحٰق: ومن بني حَبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج: رافع بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عَدِيّ بن زيد بن ثَعْلبة بن زيد مناة بن حَبيب. رجل.

مـن بني النجـار:

قال ابن إسحٰق: ومن بني النجّار، وهو تَيم الله بن ثَعْلبة بن عمرو بن الخَزْرج ثم من بني غَنْم بن مالك بن النجّار، ثم من بني ثَعْلبة بن عبد عَوْف بن غَنْم: أبو أيوب خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة. رجل.

مـن بني عـسيرة:

ومن بني عُسَيرة بن عَبْد عوف بن غَنْم: ثابت بن خالد بن النعمان بن خَنْساء بن عُسَيرة. رجل.

....

(١) بني بياضة وبني حبيب: اختلطت بعض الأوراق في طبعة فضيلة الشيخ: عبد الرحمٰن الوكيل ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنّا كل خير. فتغير مكانها.

قال ابن هشام: ويقال: عُسَيْر، وعُشَيرة.

مـن بني عمـرو:

قال ابن إسحٰق: ومن بني عَمْرو بن عبد عوف بن غَنْم: عُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو، وسُراقة بن كعب بن عبد العزّى بن غَزِيَّة بن عمرو. رجلان.

من بني عبيد بن ثعلبة:

ومن بني عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم: حارثةُ بن النُعمان بن زَيد بن عبيد، وسُليم بن قَيس بن قَهْد: واسم قَهْد: خالد بن قَيس بن عبيد. رجلان.

قال ابن هشام: حارثة بن النُّعمان: بن نَفْع بن زَيد.

من بني عائذ وحلفائهم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني عائذ بن ثَعلبة بن غَنْم ـ ويقال عابد فيما قال ابن هشام: سُهيل بن رافع بن أبي عَمْرو بن عائذ، وعديّ بن الزَّغْباء، حليف لهم من جُهينة. رجلان.

مـن بني زيـد:

ومن بني زيد بن ثَعْلبة بن غَنْم: مَسْعود بن أوْس بن زيد، وأبو خُزيمة بن أوْس بن زيد بن أصْرم بن زَيْد، ورافع بن الحارث بن سَواد بن زيد. ثلاثة نفر.

من بني سواد وحلفائهم:

ومن بني سَواد بن مالك بن غنم: عوف، ومُعوّذ، ومُعاذ، بنو الحارث بن رفاعة بن سَواد، وهم بنو عَفْراء.

نسـب عـفـراء:

قال ابن هشام: عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثَعلبة بن غنم بن مالك بن النجّار، ويقال: رفاعة بن الحارث بن سَواد.

قال ابن إسحٰق: والنُّعمان بن عَمْرو بن رفاعة بن سَواد، ويقال: نُعَيمان، فيما قال ابن هشام.

....

قال ابن إسحٰق: وعامر بن مُخلد بن الحارث بن سَواد، وعبد الله بن قَيْس بن خالد بن خَلدة بن الحارث بن سَواد، وعُصَيْمة، حليف لهم من أشجع، ووَديعة بن عمرو، حليف لهم من جُهينة، وثابت بن عَمرو بن زيد بن عديّ بن سَواد. (و) زعموا أن أبا الحَمْراء، مولى الحارث ابن عَفراء، قد شهد بَدْرًا. عشرة نفر.

قال ابن هشام: أبو الحَمْراء، مولى الحارث بن رفاعة.

من بني عامر بن مالك:

قال ابن إسحٰق: ومن بني عامر بن مالك بن النجّار ـ وعامر: مَبْذول ثم من بني عتيك بن عمرو بن مَبذول: ثعلبةُ بن عَمْرو بن مِحْصَن بن عمر بن عَتيك، وسَهْل بن عتيك بن عمرو بن النُّعمان بن عَتيك، والحارث بن الصُمَّة بن عمرو بن عَتيك، كُسِر به بالرَّوْحاء فضَرب له رسول الله ﷺ بسَهْمه. ثلاثة نفر.

من بني عمرو بن مالك:

ومن بني عمرو بن مالك بن النجّار ـ وهم بنو حُدَيلة ـ ثم من بني قَيْس بن عُبيد بن زيد بن مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار.

نسب حُديلة:

قال ابن هشام: حُدَيلة بنت مالك بن زيد الله بن حَبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضب بن جُشم بن الخزرج، وهي أُم مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار، فبَنو معاويةَ يَنْتسبون إليها.

قال ابن إسحٰق: أُبيّ بن كَعْب بن قَيْس، وأُنس بن مُعاذ بن أُنس بن قَيْس. رجلان.

من بني عديّ بن عمرو:

ومن بني عديّ بن عمرو بن مالك بن النجّار:

قال ابن هشام: وهم بنو مَغالة بنت عوف بن عبد مَناة بن عمرو بن مالك بن كِنانة بن خُزَيمة، ويقال: إنها من بني زُرَيق، وهي أمّ عديّ بن عمرو بن مالك بن النجّار، فبنو عديّ ينتسبون إليها:

....

أوسُ بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَناة بن عديّ، وأبو شَيْخ أُبيّ بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ.

قال ابن هشام: أبو شيخ أُبيّ بن ثابت، أخو حسَّان بن ثابت.

قال ابن إسحٰق: وأبو طَلحة، وهو زيد بن سَهْل بن الأسود بن حَرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ. ثلاثة نفر.

من بني عديّ بن النجار:

ومن بني عديّ بن النجَّار، ثم من (بني) عديّ بن عامر بن غَنْم بن النجَّار: حارثةُ بن سُراقة بن الحارث بن عديّ بن مالك بن عديّ بن عامر، وعمرو بن ثَعْلبة بن وَهْب بن عديّ بن مالك بن عديّ بن عامر، وهو أبو حَكيم، وسَليط بن قَيْس بن عمرو بن عَتيك بن مالك بن عديّ بن عامر، وأبو سَليط؛ وهو أُسَيْرة بن عمرو؛ وعمرو أبو خارجة بن قَيْس بن مالك بن عديّ بن عامر؛ وثابت بن خَنْساء بن عَمْرو بن مالك بن عديّ بن عامر؛ وعامر بن أُميَّة بن زَيْد بن الحَسْحاس بن مالك بن عديّ بن عامر؛ ومُحْرز بن عامر بن مالك بن عديّ بن عامر؛ وسواد بن غَزيَّة بن أُهَيْب، حليف لهم من بَليّ. ثمانية نفر.

قال ابن هشام: ويقال: سَوَّاد.

من بني حرام بن جندب:

قال ابن إسحٰق: ومن بني حَرَام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النجّار: أبو زيد، قَيْس بن سَكَن بن قَيْس بن زَعُوراء بن حَرام، وأبو الأعْور بن الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حَرام.

قال ابن هشام: ويقال: أبو الأعْور: الحارث بن ظالم.

قال ابن إسحٰق: وسُلَيم بن مِلْحان؛ وحرَام بن مِلْحان ـ واسم مِلْحان: مالك بن خالد بن زيد بن حرام. أربعة نفر.

من بني مازن بن النجار وحلفائهم:

ومن بني مازن بن النجّار، ثم من بني عَوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن

....

مازن بن النجَّار: قيسُ بن أبي صَعصعة ـ واسم صَعْصعة: عمرو بن زيد بن عوف ـ وعبدُ الله بن كَعْب بن عمرو بن عَوْف: وعُصَيمة، حليف لهم من بني أسد بن خُزيمة. ثلاثة نفر.

من بني خنساء بن مبذول:

ومن بني خَنساء بن مَبْذول بن عمرو بن غنم بن مازن: أبو داود عُمير بن عامر بن مالك بن خَنساء، وسُراقة بن عَمْرو بن عطيَّة بن خَنساء. رجلان.

من بني ثعلبة بن مازن:

ومن بني ثعلبة بن مازن بن النجَّار: قيس بن مُخَلَّد بن ثَعْلبة بن صَخْر بن حَبيب بن الحارث بن ثَعْلبة. رجل.

من بني دينار بن النجار:

ومن بني دينار بن النجَّار، ثم من بَني مَسْعود بن عبد الأشْهل بن حارثة بن دِينار بن النجَّار: النُعمانُ: بن عبد عمرو بن مَسْعود، والضحّاك بن عبد عمرو بن مَسْعود، وسُليم بن الحارث بن ثَعْلبة بن كَعْب بن حارثة بن دِينار، وهو أخو الضَّحَّاك والنُّعمان ابني عبد عمرو، لأُمهما، وجابر بن خالد بن عبد الأشْهل بن حارثة، وسعد بن سُهَيل بن عبد الأشْهل. خمسة نفر.

ومن بني قَيس بن مالك بن كَعْب بن حارثة بن دِينار بن النجّار: كعب بن زَيْد بن قَيس: وبُجَير بن أبي بُجَير، حليف لهم. رجلان.

قال ابن هشام: بُجَير: من عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطفَان، ثم من بني جَذيمة بن رَوَاحة.

قال ابن إسحٰق: فجميع من شهد بدرًا من الخَزْرج مائة وسبعون رجلاً.

مَن فات ابن إسحٰق ذكرهم:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العِلْم يذكُر في الخَزْرج ببدْر، في بَني العَجلان بن زَيدْ بن غَنم بن سالم بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج: عِتْبان بن مالك بن

عمْرو بن العجْلان؛ ومُلَيْل بن وَبَرة بن خالد بن العَجْلان؛ وعِصْمة بن الحُصَين بن وبرة بن خالد بن العَجْلان.

وفي بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج، وهم في بني زُرَيق هلالِ بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عَدِيّ بن زيد بن ثعْلبة بن مالك بن زيد مناة بن حَبيب.

عـدد البدريـين جميعًا:

قال ابن إسحٰق: فجميع من شهد بَدْرًا من المسلمين، من المُهاجرين والأنصار من شَهدها منهم، ومن ضُرب له بسْهمه وأجْره، ثلاث مائة رجل وأربعةَ عشرَ رجلاً؛ من المُهاجرين ثلاثةٌ وثمانون رجلاً، من الأوس واحدٌ وستُّون رجلاً، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً.

مَن استشهد من المسلمين يوم بدر

القرشيون من بني عبد المطّلب:

واستَشهد من المسلمين يوم بدر، مع رسول الله ﷺ، من قُريش؛ ثم من بَني المُطَّلب بن عبد مناف: عُبيدة بن الحارث بن المُطَّلب قتله عُتبة بن ربيعة، قطع رجلَه، فمات بالصَّفْراء. رجل.

حول الذين استشهدوا في بدر

فصل: وذكر فيمن استشهدَ يومَ بَدرٍ: عُمَير بن أبي وَقَّاصٍ، وذكر الواقدي أن النبيّ ﷺ، كان قد ردَّه في ذلك اليوم، لأنه استصغره، فبكى عُميْرٌ، فلما رأى النبيُّ ﷺ بكاءَه أذِنَ له في الخروج معه، فقُتل وهو ابنُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنةً، قتله العاصي بن سَعيد.

وذكر ابن إسحٰق حارثة بن سراقة، فيمن قُتل يوم بدر وهو أول قتيل من المسلمين في ذلك اليوم، رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فمات، وجاءت أُمه وهي الربيع بنت النضر عمّة أنس، فقالت: يا رسول الله قد علمت موضع حارثة مني فإن يكن في الجنة اصبر واحتسب، وإن يكن غير ذلك، فسترى ما أصنع، فقال: أو جنة واحدة هي؟ إنما هي جنات وإن ابنك منها لفي الفردوس[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٩٨) (٨/١٤٢).

مـن بني زهـرة:

ومن بني زُهرة بن كلاّب. عُمَيْر بن أبي وقَّاص بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زُهرة، وهو أخو سَعْد بن أبي وقَّاص، فيما قال ابن هشام؛ وذو الشِّمالَيْن بن عبد عمرو بن نَضْلة، حليف لهم من خُزاعة، ثم من بني غُبْشان. رجلان.

مـن بني عـديّ:

ومن بن عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤيّ: عاقلُ بن البُكير، حليف لهم من بني سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة؛ ومِهجَع، مولى عمر بن الخطّاب. رجلان.

وذكر فيهم عمير بن الحمام بن الجموح، وقد قدمنا ذكره، وقتله خالد بن الأعلم.

وذكر ذا الشمالين الخزاعي الغباش حليف بني زهرة، وهو الذي ذكره الزهري في حديث التسليم من ركعتين، قال: فقام ذو الشمالين رجل من بني زهرة، فقال: أقصرت الصلاة، أم نسيت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أصدق ذو اليدين؟» لم يروه أحد هكذا بهذا اللفظ إلا ابن شهاب الزهري، وهو غلط عند أهل الحديث، وإنما هو ذو اليدين السلمي، واسمه: خرباق، وذو الشمالين قتل يوم بدر، وحديث التسليم من ركعتين، شهده أبو هريرة، وكان إسلامه بعد بدر بسنتين، ومات ذو اليدين السلمي في خلافة معاوية، وروى عنه حديثه في التسليم ابنه مطير بن الخرباق، يرويه عن مطير ابنه شعيب بن مطير[1].

ولما رأى المبرد حديث الزهري: فقام ذو الشمالين، وفي آخره أصدق ذو اليدين؟ قال: هو ذو الشمالين وذو اليدين، كان يسمى بهما جميعًا، وجهل ما قاله أهل الحديث والسير في ذي الشمالين، ولم يعرف رواية إلا الرواية التي فيها الغلَطُ، قال ذلك في آخر كتاب الكامل في باب الأذواء يوم بَدْرٍ.

ومن البَدْرِيِّين عُلَيْفَةُ بن عَدِيٍّ البَيَاضِيّ أيضًا، هكذا اسمُه عند أهل السِّيَرِ، وسماه ابن إسحٰق فقال: خِلَيْفَة بن عَدِيٍّ بالخاء. وممن شهد بدرًا، ولم يذكره ابن هشام عن البَكَّائِيِّ، وذكره ابن إسحٰق في رواية إبراهيم عن سعد عنه: عيّاض بن زُهَيْر بن أبي شَدَّاد بن رَبيعة بن هِلال بن وُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْرٍ وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة، وقد ذكره في البدريين مُوسى بن عُقْبَة وخَلِيفةُ بن خَيَّاط وجَمَاعة. وممن ذُكِر في البَدْرِيين ولم يذكره ابن إسحٰق يَزِيدُ بن الأَخْنَس السُّلَمِيُّ، وابنه مَعْن بن يَزِيد وأبوه الأخنس، ولا

---

(١) انظر حديث ذو اليدين عن البخاري (٢/ ١٨٣) ومسلم في المساجد (٩٩) وأبو داود (١٠٨) والنسائي (٣/ ٢٢) وانظر الفتح (١٠/ ٤٨٣).

من بني الحارث بن فهر:

ومن بني الحارث بن فِهر: صَفْوان ابن بَيْضاء رجل. ستة نَفر.

ومـن الأنصـار:

ومن الأنصار، ثم من بني عمرو بن عوف: سعدُ بن خَيْثمة، ومُبَشّر بن عبد المُنذر بن زَنْبر. رجلان.

من بني الحارث بن الخزرج:

ومن بني الحارث بن الخَزْرج: يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له: ابن فُسْحُم. رجل.

مـن بني سلمـة:

ومن بني سَلمة؛ ثم من بني حَرام بن كَعْب بن غنم بن كَعب بن سلمة: عُمَير بن الحُمَام. رجل.

مـن بني حبيب:

ومن بني حَبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم: رافع بن المُعلَّى. رجل.

مـن بني النجّـار:

ومن بني النجّار. حارثةُ بن سُراقة بن الحارث. رجل.

مـن بني غنـم:

ومن بني غَنْم بن مالك بن النجّار: عوف ومُعَوّذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سَواد، وهما ابنا عَفراء. رجلان. ثمانية نفر.

يُعْرَف مَنْ شَهد بَدْرًا ثلاثة أبٌ وابنٌ وجَدٌّ إلاّ هؤلاء، وأكثر أهلِ العلم بالسِّير لا يُصَحّح شهودَهم بدرًا لكن شهدوا بَيْعَة الرِّضْوان، ويزيد بن الأخنس هذا هو ابن الأخنس بن جَنَاب بن حَبيب بن جُرَّة بضم الجيم ابن زُغْبٍ من بني بُهْثة بن سُلَيم. قال ابن ماكُولا: لا يُعْرَف جُرَّة بضم الجيم إلا هذا، ولا جِرَّة بكسر الجيم إلا السَّوْم بنت عَمْرو بن جِرَّةَ من بني ضَمْرَةَ أُم الشَّدَّاخ واسمه يَعْمَرُ بن عَوْف، وقد تقدم ذكره في حديث قُصَيٍّ وَلِمَ سُمِّيَ الشدَّاخ. وممن ذكره البُخاري في البَدْرِيين خديم بن فاتك [بن الأَخْرَم] وأخوه سَبِرَةُ

من قتل ببدر من المشركين

من بني عبد شمس:

وقُتِل من المشركين يومَ بدر مِن قُريش، ثم من بني عبد شَمْس بن عبد مناف: حَنظلة بن أبي سُفيان بن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شَمْس، وقَتَله زيدُ بن حارثة؛ مولى رسول الله ﷺ فيما قال ابنُ هشام، ويقال: اشترك فيه حمزةُ وعليّ وزيد، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحٰق: والحارث بن الحَضْرميّ، وعامر بن الحَضْرميّ حليفان لهم قَتل عامرًا: عَمَّارُ بن ياسر؛ وقتل الحارث: النعمانُ بن عصر، حليف للأوس، فيما قال ابنُ هشام. وعُمَير بن أبي عُمير، وابنه: موليان لهم. قتل عُمَير بن أبي عُمير: سالمٌ، مولى أبي حُذيفة؛ فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: وعُبيدة بن سَعيد (بن) العاص بن أُميَّة بن عبد شَمْس، قتله الزبير بن العوّام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أُميَّة قتله عليّ بن أبي طالب. وعُقْبة بن أبي مُعيط بن أبي عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس، قتله عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقْلح، أخو بني عمرو بن عوف، صَبْرًا.

الأَسَدِيَّان. وممن ذكره البخاري في البدريين من بني سَلِمة جابرُ بن عبد الله بن عَمْرو بن حِزام، وقال أبو عُمر: لا يصح شهودُه بَدْرًا، وذكر اختلافَ الناس في ذلك، وفي السنن لأبي داوُد أن جابرًا قال: كنت أَمِيحُ أصحابي الماء يَوم بدرٍ، أي: كان صَغِيرًا فلم يُسْهِم له، وزعم بعضُهم أن هذه الرواية تَصْحِيفٌ، وأن الصحيح كنتُ مَنِيحَ أصحابي يوم بدر، والمَنِيحُ: السَّهْمُ، يريد أنهم كانوا يُرْسلونه في حوائجهم لِصِغَرِ سنّه. وممن شهد بدرًا وذكره ابن إسحٰق في غير رواية ابن هشام: طُلَيْبُ بن عُمَيْر مِنْ بني عَبْدِ بن قُصَيٍّ، وأُمه أَرْوى عَمَّة رسول الله - ﷺ.

من قُتل من المشركين[1]

فصل: وذكر فيمن قتل من المشركين يوم بدر العاصيَ بن سَعيد بن العاصي، وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب الحديث الذي أسنده أبو عُبَيْد إلى سَعْد بن أبي وَقَّاصٍ، قال: قتلت يومَ بدرٍ العاصي بن سعيد وأخذت سيفَه ذا الكَتِيفَة، وذكر الحديث، قال أبو

---

(١) انظر الواقدي (١٤٣) وابن سيّد الناس (٢٨٥) جوامع السيرة النبويّة لابن حزم (١٨٢).

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحٰق: وعُتبة بن ربيعة بن عبد شَمْس، قَتله عُبيدة بن الحارث بن المُطَّلب.

قال ابن هشام: اشترك فيه هو وحمزة وعليّ.

قال ابن إسحٰق: وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس، قَتله حمزةُ بن عبد المطَّلب؛ والوليدُ بن عُتبة بن ربيعة، قَتله عليّ بن أبي طالب؛ وعامر بن عبد الله، حليف لهم من بني أنمار بن بَغيض، قتلة عليُّ بن أبي طالب. اثنا عشر رجلاً.

مـن بني نـوفـل:

ومن بني نَوفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر بن نَوْفل، قتله ـ فيما يذكرون ـ خَبيب بن إساف، أخو بني الحارث بن الخَزْرج؛ وطُعَيمة بن عديّ بن نَوْفل، قتله عليُّ بن أبي طالب؛ ويقال: حمزةُ بن عبد المطَّلب. رجلان.

مـن بني أسـد:

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ: زَمْعَة بن الأسْود بن المطَّلب بن أسد.

قال ابن هشام: قتله ثابتُ بن الجِذْع، أخو بني حَرام، فيما قال ابن هشام.

ويقال: اشترك فيه حمزةُ وعليُّ بن أبي طالب وثابت.

قال ابن إسحٰق: والحارث بن زَمَعَة، قتله عمَّار بن ياسر ـ فيما قال ابن هشام ـ وعقيلُ بن الأسْود بن المطَّلب، قَتله حمزةُ وعليّ، اشتركا فيه ـ فيما قال ابن هشام ـ وأبو البَخْتَري، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد قَتله المُجَذَّر بن ذِياد البَلَوي.

قال ابن هشام: أبو البَخْتَري: العاص بن هاشم.

قال ابن إسحٰق: ونوفل بن خُويلد بن أسد، وهو ابن العَدَوِيَّة، عديّ خُزاعة، وهو الذي قَرن أبا بكر الصِّدّيق، وطَلْحة بن عُبيد الله حين أسلما في حَبْل، فكانا يُسمَّيان: القَرينين لذلك، وكان من شياطين قُريش ـ قتله عليُّ بن أبي طالب. خمسة نفر.

عُبَيْدِ: وأهل السِّيَر يقولون: قتله عليٌّ رضي الله عنه. قال المؤلف: وبعضُ أهل التفسير يقولون: قتله أبو اليَسَرِ كَعْبُ بنُ عَمْرِو. وقال أبو عبيد الله الزبير بن أبي بكر القاضي في

مـن بني عبد الـدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصي: النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عبد مناف بن عَبْد الدَّار، قَتله عليُّ بن أبي طالب صَبرًا عند رسولِ الله ﷺ بالصَّفراء، فيما يذكرون.

قال ابن هشام: بالأُثيلِ. قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث: بن عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مناف.

قال ابن إسحٰق: وزيد بن مُلَيْص، مولى عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. رجلان.

قال ابن هشام: قتل زَيْدَ بن مُليص بلالُ بنُ رَباح، مولى أبي بكر، وزيدُ حليف لبَني عبد الدار، من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، ويقال: قتله المقْداد بن عمرو.

مـن بني تيم بن مرة:

قال ابن إسحٰق: ومن بني تيم بن مُرّة: عُمَير بن عُثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعد بن تَيْم.

قال ابن هشام: قتله عليُّ بن أبي طالب، ويقال: عبد الرحمٰن بن عوف.

قال ابن إسحٰق: وعثمان بن مالك بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب، قَتله صُهيب بن سِنان. رجلان.

مـن بني مخـزوم:

ومن بني مَخزوم بن يَقظة بن مُرّة: أبو جَهْل بن هِشام ـ واسمه عَمْرو بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مَخْزوم ـ ضربه مُعاذ بن عمرو بن الجَموح، فقَطع رجلَه، وضرب ابنه عِكْرمة يدَ مُعاذ فطَرحها، ثم ضربه مُعَوّذ ابن عَفْراء حتى أثْبته، ثم تركه وبه رَمق: ثم ذَفَّف عليه عبدُ الله بن مَسْعود واحتز رأسه، حين أمَر رسول الله ﷺ

أنساب قريش له: والعاصي قتله عليُّ بنُ أبي طالب يومَ بذْرٍ كافرًا حدث إبراهيم بن حَمْزَةَ عن إبراهيم بن سَعْد عن صالِح بن كَيْسَان عن ابن شِهَابِ، قال: بينما عُمَرُ بن الخطَّاب جالسٌ في المسجد [وعُمَرُ يومئذٍ أميرُ المؤمنين] إذْ مَرَّ به سعيدُ بن العاصِي،

أن يُلتمس في القَتْلى - والعاصُ بن هِشام بن المُغيرة بن عمر بن مَخْزوم، قتله عمر بن الخطَّاب ويَزيد بن عبد الله، حليفٌ لهم من بني تميم.

قال ابن هشام: ثم أحدُ بني عمرو بن تيم، وكان شجاعًا، قتله عمّار بن ياسر.

قال ابن إسحٰق: وأبو مُسافع الأشعري، حليف لهم، قَتله أبو دُجانة الساعدي - فيما قال ابن هشام - وحَرْملة بن عَمرو، حليف لهم.

قال ابنُ هشام: قَتله خارجةُ بن زيد بن أبي زُهير، أخو بلحارث بن الخَزرج، ويقال بلْ عليّ بن أبي طالب - فيما قال ابن هشام - وحَرْملة، من الأسد.

قال ابن إسحٰق: ومَسْعود بن أبي أُميَّة بن المُغيرة، قتله عليّ بن أبي طالب فيما قال ابن هشام - وأبو قيس بن الوَليد بن المُغيرة.

قال ابن هشام: قتله حمزة بن عبد المطّلب.

قال ابن إسحٰق: وأبو قَيْس بن الفاكِه بن المُغيرة، قتله عليّ بن أبي طالب، ويقال: قتله عمَّار بن ياسر، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحٰق: ورِفاعة بن أبي رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم قَتله سعدُ بن الرَّبيع، أخو بَلْحارث بن الخَزْرج، فيما قال ابنُ هشام: والمُنذر بن أبي رِفاعة بن عابد، قتله مَعْن بن عديّ بن الجَدّ بن العَجْلان حليفُ بني عُبيد بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف فيما قال ابن هشام، وعبد الله بن المُنْذر بن أبي رِفاعة بن عابد، قَتله عليٌّ بن أبي طالب، فيما قال ابن هشام.

فسلَّم عليه، فقال له عُمَرُ: إني والله يا ابنَ أخي ما قتلت أباك يَوْم بَدْرٍ، ولكني قتلتُ خالِيَ العاصِيَ بنَ هِشَامٍ، وما بي أن أكونَ أعتذر من قَتْلِ مُشْرِكٍ، قال: فقال له: سَعِيدُ بن العاصي: [وهو يومئذ حديثُ السِّنِّ] لو قَتَلْتَه كنتَ على الحق، وكان على الباطلِ قال: فعجب عُمَرُ من قَوْله، ولَوَى كَفَّيه، وقال: قُرَيشٌ أفضلُ الناس إسْلامًا، وأَعْظَم الناس أَمَانَةً، ومن يُرِدْ بِقريش سُوءًا يَكُبُّه الله لِفِيه، وقال: قال عَمِّي مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ الله: زَعَموا أن عُمَرَ قال: رأيته يَبْحَثُ التُّرابَ كَأنه ثَوْرٌ، فصدَدْتُ عنه، وحمل له عليٌّ فَقَتَله[١].

---

(١) حمل له علي: أي توجّه إليه لقتله. وانظر نسب قريش (١٧٦).

قال ابن إسحٰق: والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عَبْد الله بن عُمر بن مَخزوم.

قال ابن هشام: السَّائب بن أبي السائب شَريك رسول الله ﷺ الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله ﷺ: نِعْمَ الشَّريك السائبُ لا يشاري ولا يُماري، وكان أسلم فحسن إسلامه ـ فيما بلغنا ـ والله أعلم.

وذكر ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس: أن السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ممن بايع رسولَ الله ﷺ من قريش، وأعطاه يوم الجِعرّانة من غَنائم حُنين.

قال ابن هشام: وذكر غيرُ ابن إسحٰق: أن الذي قتله الزُّبير بن العَوّام.

السائب بن أبي السائب:

وذكر فيمن قُتِل من المشركين: السائبَ بن أبي السَّائب، واسمُ أبي السَّائب صَيْفي بن عابِدٍ، وأنكر ابنُ هِشَام أن يكون السائب قُتِل كافرًا قال: وقد أسلم وحَسُن إسلامُه، وذكر أبو عُمَرَ عن ابن الزبير أَن السائِب قُتِلَ كافرًا يومَ بَدْرٍ، قال: وأَحْسَبُه اتَّبَعَ في ذلك قول ابن إسحٰق، قال: وقد نَقَضَ الزُّبَيْرُ ذلك في مَوْضعين من كتابه بعد ذلك، فقال: حدّثني يَحْيىٰ بن مُحَمد بن عبد الله بن ثَوْبَانَ عن جَعْفَرِ بن عِكْرِمَةَ عن يَحْيىٰ بن كَعْبٍ عن أبيه كعبٍ مَوْلَى سَعِيدِ بن العاصي، قال: مَرَّ مَعاوِيةُ وهو يَطُوف بالبيتِ، ومعه جُنْدُه، فزحموا السائبَ بن صَيْفي بن عابد، فسقط، فوقف عليه معاويةُ وهو يَوْمئِذٍ خليفةٌ فقال: ارفعوا الشيخَ، فلما قام قال: ما هذا يا معاوية؟ تَصْرعُوننَا حول البيت؟! أَمَا واللهِ لقد أردت أن أتزوّج أُمّكَ، فقال معاوية: ليتك فَعَلْتَ، فجاءت بمثْلِ أبي السائب، يعني عبدَ الله بنَ السائبِ، وهذا واضح في إدراكه الإسلامَ، وفي طول عُمْرِه، وقال في موضع آخر: حدّثني أبو ضَمْرَةَ أَنَس بن عِيَاضٍ اللَّيثِيُّ، قال: حدّثني أبو السَّائِبِ يعني: المُنَاجِزَ، وهو عبدُ الله بن السائب، قال: كان جدّي أبو السائب شريكَ النبيّ ـ ﷺ ـ فقال النبيّ ﷺ: «نِعْم الشَّريكُ كان أبو السائب، لا يُشَارِي ولا يُمَارِي [ولا يُداري]»، وهذا كله من الزبير مُنَاقَضَةٌ فيما ذكر أن السائبَ بن أبي السائب قُتِل يوم بدر كافرًا. وقال ابن هشام: السائبُ بن أبي السائب الذي جاء فيه الحديثُ عن رسول الله ﷺ ـ نِعم الشريكُ أبو السائب لا يُشَارِي[١] ولا يُمَارِي[٢]، كان قد أسلم فحسُن إسلامُه فيما بلغنا. قال ابنُ هشام: وذكر ابن شِهَابٍ عن

---

(١) المشارة: الملاجة في الأمر. (٢) يماري: يُجَادل.

قال ابن إسحٰق: والأسود بن عبد الأسَد بن هِلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم، قَتله حَمزةُ بن عبد المطَّلب، وحاجبُ بن السَّائب بن عُوَيمر بن عَمْرو بن عائذ بن عَبْد بن عِمْران بن مخزوم، قال ابن هشام: ويقال: عائذ بنِ عمران بن مَخزوم، ويقال: حاجز بن السَّائب ـ والذي قَتل حاجب بن السَّائب علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحٰق: وعُوَيمر بن السَّائب بن عُوَيمر، قَتله النُّعمان بن مالك القَوْقلي مبارزةً، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: وعَمْرو بن سُفيان، وجابر بن سفيان، حليفان لهم من طيىء، قَتل عمرًا يزيدُ بن رُقَيش، وقتل جابر أبو بُرْدة بن نيَّار، (فيما) قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: سبعة عشر رجلاً.

من بني سهم:

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤي: مُنبِّه بن الحجَّاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سَهْم، قتله أبو اليَسَر، أخو بني سَلِمة، وابنه العاصُ بن مُنبِّه بن الحجَّاج، قَتله عليُّ بن أبي طالب فيما قال ابن هشام: ونُبَيْه بن الحجَّاج بن عامر، قَتله حَمْزةُ بن عبد المطَّلب وسعدُ بن أبي وقَّاص اشتركا فيه، فيما قال ابن هشام، وأبو العاص بن قَيْس بن عديّ بن سَعْد بن سهم.

قال ابن هشام: قَتله عليُّ بن أبي طالب، ويقال: النعمانُ بن مالك القَوْقلي، ويقال: أبو دُجانة.

عُبَيْد الله بن عَبْدِ الله بن عُتْبَةَ عن ابن عباس أنَّ السائبَ بن أبي السَّائِب بن عَابِد بنِ عَبْدِ الله بن عُمَرَ بن مَخْزُومَ [بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ بن كعب بن لُؤَيٍّ] ممَّنْ هاجر مع رسول الله ـ ﷺ ـ وأعطاه يوم الجِعِرّانة من غنائم حُنَينٍ. قال أبو عُمَر: هذا أولى ما عُوِّل عليه في هذا الباب، وقد ذكرنا أن الحديثَ فيمن كان شريكَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ من هؤلاء مُضْطَرِبٌ جدًا، منهم من يجعل الشركة: للسَّائِب، ومنهم من يجعلها لأبي السائب أبيه، كما ذكرنا عن الزُّبَيْر ههنا، ومنهم من يجعلها لقَيْس بن السَّائب [بن عويمر]، ومنهم من يجعلها لعَبْدِ بن أبي السَّائِب، وهذا اضْطِرابِ لا يثْبُت به شيءٌ ولا تقوم به حُجَّةٌ والسائب بن أبي السائب من المُؤَلَّفَة قلوبُهم وممَّن حسُن إسلامُه. هذا آخر كلام أبي عُمَرَ في كتاب الاسْتيعَابِ حدّثني به أبو بكر بن طاهِرِ الإشبِيلِيّ عن أبي علي الغَسَّانِيّ عنه، كذلك اختلفت الروايةُ في هذا الكلام: كان خير شريك لا يُشَارِي ولا يُمارِي، فمنهم من يجعله من قولِ النبيِّ ﷺ في أبي السائب، ومنهم من يجعله من قول أبي السائب في النبي ﷺ.

قال ابن إسحٰق: وعاصم بن عَوْف بن ضُبيرة بن سُعَيد بن سَعْد بن سهم، قَتله أبو اليَسَر، أخو بني سَلِمة، فيما قال ابن هشام. خمسة نفر.

من بني جمح:

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤيّ: أُميَّة بن خَلف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح، قتله رجلٌ من الأنصار من بني مازن.

قال ابن هشام: ويقال: بل قَتله مُعاذ ابن عَفْراء وخارجة بن زيد وخَبيب بن إساف، اشتركوا في قَتْله.

قال ابن إسحٰق: وابنه عليّ بن أُميَّة بن خَلَف، قتله عمَّار بن ياسر؛ وأوْس بن مِغْير بن لوذان بن سعد بن جُمح، قَتله عليُّ بن أبي طالب فيما قال ابن هشام، ويقال: قَتله الحصَين بن الحارث بن المطَّلب وعُثمان بن مَظْعون اشتركا فيه، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: ثلاثة نفر.

من بني عامر:

ومن بني عامر بن لُؤيّ: مُعاوية بن عامر، حَليف لهم من عبد القَيْس، قتله عليُّ بن أبي طالب. ويقال: قتلهُ عُكَّاشة بن مِحْصن، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: ومَعْبد بن وهب، حليف لهم من بَني كَلْب بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيث، قتل معبدًا خالدٌ وإياس ابنا البُكَير، ويقال: أبو دُجانة، فيما قال ابن هشام. رجلان.

أوس بن خولي:

وذكر فيمن شَهِد بَدْرًا من الأنصار: أَوْسَ بن خَوْلِيّ أحد بني الحُبْلَى، يقال: كان من الكَمَلَة، وكان النبيّ ﷺ قد آخى بينه وبين شُجَاع بن وَهْب، والخَوْلِي في اللغة هو الذي يقوم على الخَيْل، ويخدُمها وفي الخبر أن جميلاً الكَلْبي، كان خَوْليًا لمعاوية، وفي هذا ما يدل على أن الياء في الخيل أصلها الواو.

أخو طلحة:

وذكر ابنُ هِشَام فيمن قُتِل من المشركين ممن لم يذكره ابن إسحٰق مالك بن عُبَيْدِ الله بن عُثْمَانَ وهوَ أخو طلْحة بن عُبَيْد الله.

عـددهـم:

قال ابن هشام: فجميع من أُحْصي لنا من قَتْلى قُريش يوم بدر: خمسون رجلاً.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة، عن أبي عمرو: أنّ قتْلى بدر من المُشركين كانوا سبعين رجلاً، والأسرى كذلك، وهو قول ابن عبَّاس، وسَعيد بن المسيَّب. وفي كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَيْها﴾[1] يقوله لأصحاب أُحد - وكان من استُشهد منهم سبعين رجلاً - يقول: قد أصبتم يوم بَدر مثْلي من استشهد منكم يوم أُحد، سبعين قتيلاً وسبعين أسيرًا. وأنشدني أبو زيد الأنصاري لكَعب بن مالك:

فـأقـام بـالـعَـطَـن الـمُـعَـطَّـن مـنـهـمُ   سـبـعـون، عُـتْـبـةُ مـنـهـمُ والأسْـوَدُ

قال ابن هشام: يعني قَتْلى بدر، وهذا البيت في قصيدة له في حديث يوم أُحد سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها.

مَن فات ابن إسحٰق ذكرهم:

قال ابن هشام: وممن لم يَذْكر ابنُ إسحٰق من هؤلاء السَّبعين القَتْلى.

من بني عبد شمس:

من بني عَبْد شَمْس بن عبد مناف: وهبُ بن الحارث، من بني أنمار بن بَغيض، حليف لهم، وعامرُ بن زيد، حليف لهم من اليمن. رجلان.

مـن بني أسـد:

من بني أسد بن عبد العُزّى: عُقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن، وعمير مولى لهم. رجلان.

ابـن عبد الله بـن جـذعـان:

وذكر عَمْرو بنَ عَبْدِ الله بن جُذْعَان التَّيمي، وعَبْدُ الله بن جُذْعَانَ[2] هو الجَوَاد المشهورُ صاحب الجَفْنة العظيمة التي كان يأكل منها الراكبُ على البعير، وكان النبيّ - ﷺ - يستظل بظِلّها، ووقع فيها إنسان فغرِق ومات، وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حديثَه، والسببَ في غِناه بعد أن كان صُعْلُوكًا، وسؤال عائشةَ عنه النبيّ ﷺ: «هل ينتفع بجوده أم لا».

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٦٥).   (٢) . الصواب: بالدال.

مـن بني عبد الـدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصيّ: نُبَيه بن زيد بن مُلَيص، وعبَيد بن سَلِيط، حليف لهم من قيس. رجلان.

مـن بني تيـم:

ومن بني تَيْم بن مُرّة: مالكُ بن عُبيد الله بن عُثمان وهو أخو طلحة بن عُبيد الله بن عثمان أُسر فمات في الأسارى، فعُدّ في القَتلى، ويقال: وعمرو بن عبد الله بن جُدْعان. رجلان.

مـن بني مخـزوم:

ومن بني مَخْزوم بن يَقَظة: حُذَيفة بن أبي حُذَيفة بن المُغيرة، قتله سعد بن أبي وقّاص، وهشام بن أبي حُذيفة بن المُغيرة، قتله صُهيب بن سِنان، وزهيرُ بن أبي رِفاعة قتله أبو أُسَيْد مالك بن رَبيعة، والسائب بن أبي رِفاعة قَتله عبدُ الرحمٰن بن عوْف، وعائذ بن السَّائب بن عُويمر، أُسر ثم افتُدي فمات في الطريق من جراحةٍ جرحه إيّاها حمزةُ بن عبد المطَّلب، وعُمير حليف لهم من طَيِّء، وخيار، حليف لهم من القارة. سبعة نفر.

مـن بني جـمـح:

ومن بني جُمَح بن عمرو: سَبْرة بن مالك، حليف لهم. رجل.

مـن بني سـهـم:

ومن بني سَهْم بن عمرو: الحارث بن مُنبِّه بن الحجاج، قتله صُهَيب بن سنان، وعامر بن عَوْف بن ضُبيرة، أخو عاصم بن ضبيرة، قَتله عبد الله بن سَلمة العَجْلاني، ويقال: أبو دُجانة. رجلان.

حذيفة بن أبـي حذيفة:

وذكر ابنُ هشام فيهم أيضًا حُذَيفَةَ بن أبي حُذَيْفَةَ بن المُغِيرَة، واسم أبي حُذَيْفَة هذا مُهَشِّم، وهو أخو هِشَام وهَاشم [وبه كان يُكَنَّى] ابْنَيْ المغيرة، وهِشام: والد أبي جَهل، وهاشمٌ جَدُّ عمر لأُمه، ومُهَشِّم هو: أبو حُذَيْفَةَ، وأما أبو حُذَيْفَة بن عُتْبَةَ فاسمه قيس، ولم يقل ذلك ابن إسحٰق ولا ابنُ هِشَامٍ، وإنما قالوا فيه مُهَشِّم، وهو عند أهل النَّسب غَلَطٌ إنما مُهَشِّم أبو حذيفة بن عُتْبَة.

ذكر أسرى قريش يوم بدر

مـن بني هـاشـم:

قال ابن إسحٰق: وأُسر من المُشركين من قريش يومَ بدر، من بني هاشم بن عبد مناف: عَقِيلَ بن أبي طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم؛ ونوفل بن الحارث بن عبد المطَّلب بن هاشم.

تسمية من أُسر من المشركين يوم بدر

لم يُسَمِّ ابنُ إسحٰقٍ، ولا ابنُ هشام مَنْ أسلم منهم، والحاجةُ ماسَّةٌ بقارىء السِّيرة إلى مَعْرِفة ذلك، فأوَّلهم وأفضلهم العباسُ عمُّ رسول الله - ﷺ - ولا خَفَاء بإسلامه وفضله، وقد ذكرنا سببَ إسلامِه في فَصْلٍ قبل هذا الفصلِ، وأن أبا اليَسَر كَعْبَ بن عَمْرو هو الذي أَسَره، وكان قصيرًا ذَمِيمًا، وفي مُسْنَد البزَّار أنه قيل للعباس: كيف أسرك أبو اليَسَرِ، ولو أخذتَه بكفِّك لَوَسِعْته كفُّك، فقال: ما هو إلا أن لقيته، فظهر في عَيْنَيَّ كالخَنْدَمة، والخَنْدَمَةُ جبل من جبال مكَّة.

عقيل بن أبـي طـالـب:

وعَقِيلُ بن أبي طالب ممن أسلم وحسُن إسلامُه، أسلم عام الحُدَيْبية، وقال النبيّ ﷺ: «يا أبا يَزِيد إني أُحِبُّك حُبَّيْن حُبًّا لقرابتك مِني، وحُبًّا لِمَا أَعْلَمُ مِن حُبِّ عَمِّي إِيَّاك»[1]، سكن عَقِيلُ البَصْرَةَ، ومات بالشام في خلافة مُعَاوية. رَوَى عن رسول الله ﷺ حديثًا في الوُضُوء بالمُدِّ والطُّهُورِ بالصاع، وحديثًا آخر أيضًا: «لا تقولوا بالرِّفَاءِ والبَنِين[2]، وقولوا: بارك الله لك، وبارك عليك». وكان أَسَنَّ من جَعْفَر بعشرِ سنين، وكان جعفر أَسَنَّ من عَليٍّ بعشر سنين، وكان طالبٌ أسنَّ من عَقيل بمثل ذلك.

نـوفـل بن الحـارث

ومنهم: نَوْفَلُ بن الحارث بن عَبْدِ المطَّلب، يقال: أسلم عامَ الخَنْدَقِ، وهاجَر، وقيل: بل أسلم حين أُسِر، وذلك أن النبيَّ ﷺ قال له: «افْدِ نفسَك، قال: ليس لي مال أَفْتَدِي به، قال: افْدِ نَفْسَك بأرْمَاحِك التي بجُدَّة، قال: والله ما علم أحدٌ أن لي بِجُدَّة أرْمَاحًا

---

(١) «مرسل». أخرجه الطبراني (١٧/ ١٩١) وابن سعد في الطبقات (٤/ ١/ ٣٠) والحاكم في مستدركه (٣/ ٤٥٧٦) عن ابن إسحٰق مرسلاً.

(٢) الرفاء: أي الاتفاق والوِءام.

مـن بني المطَّـلـب:

ومن بني المطَّلب بن عبد مناف: السَّائبُ بن عُبيد بن يزيد بن هاشم بن المطَّلب؛ ونُعْمان بن عمرو بن عَلْقمة بن المطَّلب. رجلان.

من بني عبد شمس وحلفائهم:

ومن بني عبد شَمْس بن عبد مناف: عمرو بن أبي سُفيان بن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شَمْس؛ والحارث بن أبي وجْزة بن أبي عمرو بن أُمية بن عبد شمس، ويقال: ابن أبي وخْرة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: وأبو العاص ابن الرّبيع بن عبد العزّى بن (عبد) شَمْس؛ وأبو العاص بن نَوفل بن عبد شَمْس.

غيرَ الله، أشهد أنك رسولُ الله»[1] وهو ممَّن ثَبَت مع رسولِ الله ـ ﷺ ـ يوم حنينٍ وأعان رسول الله ـ ﷺ ـ عند الخروج إليها بثلاثةِ آلافِ رُمْحٍ فقال له النبي ﷺ: «كأنّي أَنْظر إلى أَرْمَاحِك هذه تَقْصِفُ ظُهورَ المشركين». مات بالمدينة سنة خمسَ عَشْرَةَ، وصلّى عليه عُمَرُ بنُ الخَطّاب ـ رضي الله عنهما ـ.

أبو العاصي ابن الربيع وغيره:

ومنهم أبو العاصي ابن الربيع صِهْرُ رسول الله ـ ﷺ ـ وقد ذكرنا خبَره مع ما ذكر ابن إسحٰق من حديثه، وذكرنا الاختلافَ في اسمِه قبل هذا.

ومنهم أبو عَزيزُ بنُ عُمَيْر العَبدَرِيّ، وقد ذكرنا اسمه واسمَ أُمّه وإخوته، في أول خَبَرِ بَدْرٍ. ومنهم السائب بن أبي حُبَيْشٍ بن المُطَّلِب بن أَسَد بن عبد العُزّى، وهو الذي قال فيه عُمَرُ بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ: ذاك رَجُلٌ لا أعلم فيه عَيْبًا، وما أحد إلاّ وأنا أقدر أن أَعِيبه بعد رسول الله ﷺ ـ وقد قيل: إن هذه المقالة قالها عُمَر في ابنِه عبدِ الله بن السائب، والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أَبي حُبَيْشٍ المُسْتحَاضة.

ومنهم خالدُ بن هِشام، ذكره بعضُهم في المُؤلَّفة قلوبُهم.

ومنهم عبدُ الله بن أَبِي السائب، واسم أبي السائب: صَيْفي، وقد تقدم قولُ عمَر فيه، وفي أبيه، وعنه أخذ أهلُ مكة القراءَةَ، وعليه قرأ مجاهدٌ وغيره من قُرّاء أهلِ مكّة.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١/ ٣١).

ومن حلفائهم أبو رِيشَة بن أبي عمرو؛ وعَمْرو بن الأزرق، وعُقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي. سبعة نفر.

من بني نوفل وحلفائهم:

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عديّ بن الخِيار بن عديّ بن نوفل؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخي غَزْوان بن جابر، حليف لهم من بني مازن بن مَنْصور؛ وأبو ثَوْر، حليف لهم. ثلاثة نفر.

من بني عبد الدار وحلفائهم:

ومن بني عبد الدار بن قُصيّ: أبو عَزيز بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار؛ والأسود بن عامر، حليف لهم. ويقولون: نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو بن الحارث بن السبَّاق. رجلان.

من بني أسد وحلفائهم:

ومن بني أسد بن عبد العزّى بن قُصيّ. السائب بن أبي حُبَيْش بن المطَّلب بن أسد؛ والحُوَيرث بن عبَّاد بن عثمان بن أسد.

قال ابن هشام: هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد.

قال ابن إسحٰق: وسالم بن شَمَّاس، حليف لهم. ثلاثة نفر.

من بني مخزوم:

ومن بني مَخْزوم بن يَقْظة بن مُرّة: خالدُ بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم؛ وأُميَّة بن أبي حُذيفة بن المُغيرة والوليد بن الوليد بن المُغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم؛ وصَيْفي بن أبي رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وأبو المنذر بن أبي رفاعة بن عَبد الله بن عُمير بن مخزوم؛ وأبو عَطاء عبد الله بن أبي السَّائب بن عَبد الله بن عُمر بن مخزوم، والمُطَّلب بن حَنطَب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مَخزوم؛

ومنهم المُطَّلِبُ بن حَنطَبِ بن الحارث بن عُبَيْدِ بن عَبْدِ الله بن عُمَرَ بن مَخْزُوم، وبنو عُمَرَ بن مَخْزُومٍ ثلاثةٌ: عبدُ العُزّى، وعابدٌ، ومن أهل النَّسَبِ من ذكر فيهم عثمان بن عمر، وبنو مَخْزُوم ثلاثَةٌ: عُمَر والد هؤلاءِ الثلاثةِ، وعِمْرَان، وعامر، هؤلاء فيهم العَدد، ويذكر في بني مخزوم أيضًا عُمَيْر وعَمِيرَة ولم يعقب عَمِيرةُ إلاّ بِنْتًا اسمها: زينب، ومن حديث المِطَّلِب

وخالد بن الأعلم، حليف لهم، وهو كان ـ فيما يذكرون ـ أوّل من ولّى فارًّا منهزمًا، وهو الذي يقول:

ولسنا على الأدبارِ تَدْمي كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا يَقْطُر الدَّمُ

تسعة نفر.

قال ابن هشام: ويُروى: «لَسْنا على الأعْقابِ».

وخالد بن الأعلم، من خُزاعة، ويقال: عُقيليّ.

من بني سهم:

قال ابن إسحٰق: ومن بني سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب: أبو وَداعة بن ضُبيرة بن سعيد بن سَعْد بن سَهم، كان أوّل أسير أفتُدِي من أسرى بدر افتداه ابنُه المطَّلب بن أبي وَداعة؛ وفروة بن قَيْس بن عَديّ بن حُذافة بن سعد بن سهم، وحَنْظلة بن قبيصة بن حُذافة بن سَعْد بن سهم، والحجّاج بن قَيْس بن عديّ بن سَعْد بن سهم. أربعة نفر.

هذا عن رسولِ الله ـ ﷺ ـ أبو بكر وعُمَر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس، وفي إسناده ضَعْفٌ[1].

الحكم بن عبد المطَّلب:

ومن ولدِه الحكَم بنُ عبد المُطَّلِبِ بن عبدِ الله بن المُطَّلِبِ، وكان أكرمَ أهلِ زمانه، وأسخاهم، ثم تَزَهَّد في آخر عُمْرِه، ومات بِمَنْبِجَ، وفيه يقول [عَبَاءَةُ بن عمر] الرَّاتِجِي يرثيه:

سألوا عن الجود والمعروف ما فعلا ... فقلت إنهما ماتا من الحكم

مَاتَا مع الرَّجُلِ المُوفِي بِذِمَّتِه ... قبل السؤال إذا لم يُوفَ بالذِّمَم

وذكر الدَّارَقُطْنِيُّ عن حميد بن معروف قال: حضرت وفاةَ الحكَم بن عبدِ المطَّلب بن عَبْدِ الله بن المُطَّلِبِ بن حَنْطَبٍ، فأصابته من الموت شِدَّة، فقال قائل في البيت: اللهم هَوِّن عليه الموتَ، فقد كان، وقد كان، يُثْنِي عليه فأفاق الحَكَمُ، فقال: مَنْ المتكلم؟ فقال الرجل: أنا، فقال الحكَم: يقول، لكَ مَلكُ الموت أنا بِكُلِّ سَخِيٍّ رفِيقٌ، ثم كأنما كانت

---

(١) «حسن». أخرجه الترمذي (٣٦٧١) والحاكم (٣/٦٩) وابن أبي حاتم في العلل (٢٦٦٧).

مـن بني جمـح:

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدُ الله بن أُبيّ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح؛ وأبو عزّة عمرو بن عبد بن عُثمان بن وُهيب بن حُذافة بن جُمح، والفاكه، مولى أُميّة بن خلف، ادّعاه بعد ذلك رَباح بن المُغترف، وهو يزعمُ أنه من بني شَمّاخ بن مُحارب بن فهر ـ ويقال: إن الفاكه: بنَ جَرْوَل بن حِذْيم بن عوف بن غَضْب بن شَمّاخ بن محارب بن فِهر ـ ووَهْب بنُ عُمَير بن وهب بن خَلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح، وربيعة بن دَرّاج بن العَنْبس بن أُهْبان بن وَهب بن حُذافة بن جُمح. خمسة نفر.

مـن بني عـامـر:

ومن بني عامر بن لُؤيّ: سُهيل بن عمرو بن عبد شَمس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، أسره مالك بن الدُّخْشُم، أخو بني سالم بن عَوْف؛ وعبد بن

فَتِيلَةً فَطُفِئَتْ، وقد ذكر هذا الخبَر الزُّبيرُ بن أبي بكر أيضًا، وحين سُجِن الحكمُ في ولايَة وليها، قال فيه شاعر:

خَلِيلَيَّ إن الجودَ في السجن فابكِيَا على الجود إذ سُدَّتْ عليه مَرافِقُه

في أبياتٍ، فأعطى قائل هذا الشعر ثلاثة آلافِ دِرْهَم.

من الذين أسلموا من أسارى بدر:

ومنهم: أبو وَدَاعَة الحارث بن صُبَيْرَةَ بن سُعَيْد بن سَعْدِ بن سَهْم أسلم هو وابنُه المطَّلِبُ بن أبي وَدَاعَة يوم فتح مكّة.

ومنهم الحَجَّاجُ بن الحارثُ بن قَيْس بن عدِي بن سُعَيْد بن سَهْم، ولم يوافق الواقدي ولا غيره لابن إسحٰق على قوله: سُعَيْد بن سَهْم، وقالوا: إنما هو سَعْد، وقد تقدم هذا، وأحسب ذكر الحجاج في هذا الموضع، وَهمًا فإنه من مُهَاجِرَة الحَبَشَةِ وقدِم المدينةَ بعد أُحدٍ، فكيف يُعَدُّ في أَسْرَى المشركين يوم بدر.

ومنهم عبد الله بن أُبَيّ بنِ خَلَفِ الجُمَحِيّ أسلم يوم الفتح، وقُتِل يوم الجمل، ومنهم: وَهْبُ بن عُمَيْرِ الجُمَحِيّ أسلم بعد أن جاء أبو عُمَيْر في فِدائه فأسلما جميعًا، وقد ذكر خبر إسلامِه ابنُ إسحٰقِ قبلَ هذا.

ومنهم سُهَيْلُ بن عَمْرو أسلم ومات بالشام شهيدًا، وهو خطيب قُرَيْش، وأخبارُه مشهورة في السيرة وغيرها.

زَمَعة بن قَيْس بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبد الرحمٰن بن مَشنوء بن وَقْدان بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر. ثلاثة نفر.

مـن بني الحـارث:

ومن بني الحارث بن فِهر: الطُّفيل بن أبي قُنَيع، وعُتبة بن عمرو بن جَحْدم. رجلان.

قال ابن إسحٰق: فجميع من حُفِظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلاً.

ما فات ابن إسحٰق ذكرهم:

قال ابن هشام: وقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه.

وممن لم يذكر ابن إسحٰق من الأسارى:

مـن بني هـاشـم:

من بني هاشم بن عبد مَناف: عتبة، حليف لهم من بني فِهْر. رجل.

مـن بني المطّـلـب:

ومن بني المطَّلب بن عبد مناف: عَقيل بن عمرو، حليف لهم، وأخوه تميم بن عمرو، وابنه. ثلاثة نفر.

مـن بني عبد شمـس:

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن أسيد بن أبي العيص، وأبو العريض يَسار، مولى العاص بن أُميّة. رجلان.

ومنهم: عَبْد بن زَمْعَة أخو سَوْدَة بنتُ زَمْعَة أسلم، وهو الذي خاصمه سعدٌ في ابن وَلِيدَةِ زَمْعَة، واسم الابن المخاصَم فيه: عبدُ الرَّحمٰن، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «هو لك يا عَبْدَ بن زَمْعَةَ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٧٠) ومسلم في الرضاع (٣٩) والنسائي (٦/ ١٨٠) وابن ماجة (٢٠٠٤) وأحمد (٦/ ١٢٩) والدارقطني (٣/ ٣١٢) بتحقيقي ومالك (٧٣٩) والشافعي في مسنده (١٨٨) وغيرُهم في غيرِهم.

مـن بني نـوفـل:

ومن بني نَوفل بن عبد مناف: نَبْهان، مولى لهم. رجل.

مـن بني أسـد:

ومن بني أسد بن عبد العُزّى: عبدُ الله بن حميد بن زُهير بن الحارث. رجل.

مـن بني عبد الـدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصيّ: عَقِيل، حليف لهم من اليمن. رجل.

مـن بني تيـم:

ومن بني تَيم بن مُرّة: مُسافع بن عيّاض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، وجابر بن الزبير، حليف لهم. رجلان.

مـن بني مخزوم:

ومن بني مَخْزوم بن يَقظة: قَيْسُ بن السَّائب. رجل.

مـن بني جمـح:

ومن بني جمح بن عمرو: عمرو بن أُبيّ بن خَلف، وأبو رُهْم بن عبد الله، حليف لهم، وحليف لهم ذهب عني اسمه، ومَوْلَيان لأُمَيَّة بن خَلَف، أحدهما نِسطاس، وأبو رافع، غلام أُميَّة بن خَلف. ستة نفر.

ومنهم قَيسُ بنُ السَّائِبِ [بن عُوَيمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم] المَخْزُومي، إليه كان وَلاَءُ مُجَاهِدِ بن جُبَيْر، القارِي، ويقال: فيه مجَاهِد بن جَبْر، وهو قول ابن إسحٰق، وكان مجاهدٌ يقول: «في مَوْلاي قَيس بن السَّائِب أنزل الله سبحانه: ﴿وعلى الذين يُطيقُونه فِدْيَةٌ طعامُ مِسْكين﴾[1] فأفْطَر وأطعم عن كل يوم مِسْكِينًا، وهو الذي قال: كان رسول الله ﷺ - في الجاهلية شَريكي، فكان خير شريك لا يُشارِيني ولا يُمارِيني»[2]، وقيل: إن أباه قال هذه المقالة، وتقدم الاضطرابُ في ذلك والاختلافُ، وقوله: يُشَاريني من شَرِي الأمرُ بينهم إذا تَغَاضَبُوا.

ومنهم نِسْطَاسُ مَوْلى أُميَّةَ بن خَلَفٍ، يقال: إنه أسلم بعد أُحدٍ، وكان يُحَدِّثُ عن انْهِزَام المُشْرِكِينَ يَوْمئِذٍ، ودخول المسلمين عليه في القُبَّة وهُرُوب صَفْوان بخبر عجيب لم يذكره ابن إسحٰق، فهذه جملةُ مَنْ أسلم من الأَسَارَى الذين أُسِرُوا يوم بدر.

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في الطبقات (١/ ٣/ ٧٠).

مـن بني سـهـم:

ومن بني سهم بن عِمرو: أَسْلَم، مولى نبيه الحجَّاج. رجل.

مـن بني عـامـر:

ومن بني عامر بن لُؤيّ: حبيب بن جابر، والسائب بن مالك. رجلان.

مـن بني الحـارث:

ومن بني الحارث بن فِهْر: شافع وشَفيع، حليفان لهم من أرض اليمن. رجلان.

ممن لم يسلم من الأسارى:

وذكر فيمن لم يُسْلم منهم عبدَ الله بن حميد بن زُهَير الأَسَدِيّ، والمعروف فيه عُبَيْد الله بن حميد، كذلك ذكره ابن قُتَيْبَةَ، وأبو عُمَر، والكَلاباذِيّ أبو نَصْر، وهو مَوْلى حاطب بن أبي بَلْتَعَة.

وما ذكره ابن إسحٰق في نسب بَليٍّ بن فَارَان بن عَمرو، فإنه عند أكثَر أهلِ النسب فَران بغير أَلف غير أن منهم من يشدّد الراء، وهو ابنُ دُرَيْدٍ، وقال: هو فَعلاَن من الفِرار.

تـاريخ وفـاة رقيـة:

فصل: وذكر في السيرة تَخلّف عثمان على امرأتِه رُقَيَّة فضَرَبَ له رسول الله ـ ﷺ ـ بِسَهْمِه وأَجْرِه، كان موتها يومَ قَدِمَ زَيْدُ بنُ حَارِثةَ بَشِيرًا بوَقْعَةِ بَدْرٍ، وهذا هو الصحيح في وفاة رقية، وقد رَوَى البُخَارِيُّ في التاريخ حديثَ أَنَس أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ شهد دفن بِنتِه رُقيةَ، وقَعَدَ على قبرِها، ودمعت عيناه، فقال: «أَيُّكُمْ لم يُقَارِفْ[1] الليلة؟ فقال أبو طَلْحَة: أنا، فأمره أن ينزل في قبرها»[2]، ثم أنكر البخاريُّ هذه الروايةَ، وخرّجه في كتاب الجامع، فقال فيه: عن أَنسٍ شَهِدنا دفنَ بنتِ رسول الله ـ ﷺ ـ وذكَر الحديث، ولم يُسَمِّ رُقَيَّةَ ولا غَيْرَها ورواه الطَّبَرِيُّ، فقال فيه: عن أنس شَهِدنا دفنَ أُمِّ كُلْثُومَ بنتَ رسول الله ﷺ، فبيَّن في هذا الحديثِ، وهو كلُّه حديثٌ واحد، ومن قال: كانت رُقَيَّة، فقد وَهم بلا شك، وقال في الحديث: أَيُّكم يُقَارِفُ الليلَة، فقال: فُلَيْحُ بنُ سليمان، وهو راوي الحديث، يعني: الذَّنْبَ هكَذا وقع في الجامع، وهو خطأ لأن رسول الله ﷺ، كان أولى بهذا، وإنما أراد أَيُّكُمْ لم يُقَارِفْ أهلَه، وكذا رواه غيرُه بهذا اللفظ، قال ابنُ بَطَّال: أراد النبيُّ ـ ﷺ ـ أن يَحرِمَ عثمان

---

(١) يقارف: يجامع.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣١) معلقًا.

ما قيل من الشعر في يوم بدر

قال ابن إسحٰق: وكان ممَّا قِيل من الشعر في يوم بدر، وترادّ به القومُ بينهم لما كان فيه، قولُ حمزة بن عبد المطَّلب يرحمه الله:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها:

ألم تَرَ أمْرًا كان من عَجبِ الدهرِ   وللحَيْن أسبابٌ مبَيَّنة الأمْرِ
وما ذاكَ إلا أنّ قَوْمًا أفادَهم   فحانوا تواصٍ بالعُقوق[1] وبالكُفرِ

النزول في قبرها، وقد كان أحقَّ الناس بذلك، لأنه كان بَعْلَها، وفقَد منها عِلْقًا لا عوضَ منه، لأنه حين قال عليه السلام: «أيُّكمْ لم يُقَارِفْ الليلَة أهلَه سكت عثمان»، ولم يقل: أنا، لأنه كان قد قَارَفَ ليلة ماتَتْ بعضَ نسائه، ولم يَشْغله الهمُّ بالمصيبةِ، وانقطاعُ صِهْره من النبي ﷺ عن المُقَارَفَةِ، فَحُرِمَ بذلك ما كان حَقًّا له، وكان أولى به من أبي طَلْحَةَ وغيره، وهذا بَيِّنٌ في معنى الحديثِ، ولعل النبيَّ ﷺ قد كان علم ذلك بالوحي، فلم يقل له شيئًا، لأنه فعل فِعْلاً حَلاَلاً، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مَبْلغًا يَشْغَلُه حتى حُرِمَ ما حُرِم من ذلك بتَعْرِيض غيرِ تَصْرِيح والله أعلم.

أشعار يوم بدر

وقد قدّمنا في آخر حديثِ الهجرة: أنّا لا نعرض لشرح شيء من الشعر الذي هُجِي به المسلمون، ونال فيه من رسول الله ﷺ المشركون إلا شِعْرًا أسلم صاحبُه، وتكلمنا هنالك على ما قيل في تلك الأشعار وذكرنا قول من طعن عن ابن إسحٰق بسببها هنالك وبيَّنا الحقَّ والحمد لله.

الشعر المنسوب إلى حمزة:

الشعر المنسوب إلى حمزة فيه:

وما ذاك إلاّ أن قومًا أفادَهم

أفادَهم: أهلكهم، يقال: فاد الرجلُ وفَاظ، وفَطَسَ، وفَاز، وفوّز إذا هَلَك، ولا يقال: فاض بالضاد، ولا يقال: فاظت نفسُه إلاّ في لُغة بني ضَبَّة بن أُدّ.

وقوله: تَوَاصٍ هو تَفَاعُل من الوَصِيَّة، وهو الفاعل بأفَادَهم.

---

(١) العقوق: المخالفة في الأمر.

عَشِيَّة راحُوا نحو بَدْر بجَمْعهم ... فكانوا رهُونًا للرَّكِيَّة[1] مِن بَدْر
وكنَّا طَلبْنا العِيَر لم نَبْغِ غيرَها ... فساروا إلَيْنا فالتَقَيْنا على قَدْر
فلمَّا التَقَينا لم تَكُنْ مَثْنَويَّةٌ ... لنا غير طَعْن بالمثقَّفة[2] السُّمْر
وَضَرْبٍ ببِيضٍ يَخْتلي الهَامَ[3] حَدُّها ... مُشَهَّرَة الألوان بَيِّنة الأُثْر
ونحن تَركنا عُتْبة الغَيّ ثاويًا ... وشَيْبَة في القَتْلى تَجَرْجَمُ في الجَفْر[4]
وعَمْرو ثوى فيمن ثَوَى من حُماتهم ... فشُقَّت جُيوب النَّائحات على عمرو
جُيُوبُ نِساءُ من لُؤيّ بن غالِب ... كرام تَفرَّعْن[5] الذَّوائبَ[6] من فِهْر[7]
أولئك قَوْمٌ قُتِّلوا في ضَلالهم ... وخَلَّوا لواءً غيرَ مُحْتَضر النَّصْر
لِواء ضَلال قاد إبليسُ أهلَه ... فخاس[8] بهم، إنّ الخبيث إلى غَدْر
وقال لهم، إذ عاينَ الأمرَ واضحًا ... بَرِئت إليكم ما بيَ اليومَ من صَبْر
فإني أرَى ما لا تَرَوْنَ وإنَّني ... أخاف عِقاب الله والله ذو قَسْر
فقَدَّمهم للحَيْن حتى تورّطوا ... وكان بما لم يَخْبُر القوْمُ ذا خُبْر
فكانوا غَداةَ البِئر ألفًا وجَمْعُنا ... ثلاثُ مِئينِ كالمُسَدَّمة[9] الزُّهْر
وفينا جُنُود الله حين يُمدّنا ... بهم في مقام ثَمَّ مُسْتَوضَحِ الذِّكْر
فشدّ بهم جبريلُ تحتَ لوائنا ... لدى مأزِق فيه مناياهُم تَجْري

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة، فقال:

ألا يا لقَوْمي للصَّبابة والهَجْر ... وللحُزْن منّي والحَرارة في الصَّدْر
وللدَّمْع من عَيْنَيّ جَوْدًا كأنّه ... فريدٌ هوَى من سِلْك ناظِمه يَجْري
على البَطل الحُلْو الشَّمائل إذ ثَوى ... رَهِينَ مقامٍ للرَّكيَّة من بَدْر

وفيه يُجَرْجَمُ في الجَفْر. الجَفْرُ كل بِئْر لم تُطْوَ، ومثلُها: الجَفْرَة، ويُجَرْجَمُ: يجعل بعضُه على بَعْضٍ.

---

(1) الركية: البئر.
(2) المثقفة: الرماح.
(3) الهام: القامة.
(4) الجفر: البئر.
(5) تفرعن: جعلتها فروعًا.
(6) الذوائب: الشعر المضفور.
(7) فهر: بطن من قريش.
(8) خاس: نكث.
(9) المسدمة: بقع في الفضاء تشبه النجوم.

فلا تَبْعُدَن يا عمرو من ذي قَرابة ... ومن ذي نِدَم كان ذا خُلُق غمر

فإنْ يكُ قومٌ صادفوا منك دَوْلةً ... فلا بُدّ للأيام من دُول الدَّهر

فقد كنتَ في صَرْف الزّمان الذي مضى ... هوانًا منك ذا سُبُل وَعْر

فإلاَّ أمُتْ يا عَمْرو أتركك ثائرًا ... ولا أُبق بُقْيا في إخاءٍ ولا صِهْر

وأقطَعُ ظهرًا من رجال بمَعْشر ... كرامٍ عليهم مثل ما قطعوا ظَهْري

أغرهم ما جمَّعوا مِن وشيظة ... ونحن الصَّميم في القبائل مِن فِهْر

فيالَ لُؤيّ ذَبِّبو عن حَريمكم ... وآلهة لا تتركُوها لذي الفَخْر

تَوارثها آباؤكم وورِثْتُمُ ... أواسيَّها والبيتَ ذا السَّقْف والسِّتر

فمَا لحَلِيمٍ قد أراد هَلاَككم ... فلا تَعْذِروه آلَ غالب من عُذْر

وجِدّوا لمن عادَيتُم وتوازرُوا ... وكونُوا جميعًا في التأسّي وفي الصّبر

لَعلَّكُمُ أنْ تَثْأروا بأخِيكُمُ ... ولا شيءَ إن لم تثأروا بذَوِي عمرو

بمَطَّردات في الأكُفّ كأنَها ... وَميضٌ تُطِير الهامَ بينة الأُثْر

كأنْ مدب الذرّ فوق مُتونها ... إذا جُرّدت يومًا لأعدائها الخُزْر

قال ابن هشام: أبْدَلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابنُ إسحٰق، وهما «الفخر» في آخر البيت، و «فما لحليم» في أوّل البيت، لأنه نال فيهما من النبيّ ﷺ.

قال ابن إسحٰق: وقال عليّ بن أبي طالب في يوم بدر:

قال ابن هشام: ولم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يَعرفها ولا نَقيضتها، وإنما كَتبناهما لأنه يقال: إن عمرو بن عبد الله بن جُدْعان قُتل يوم بدر، ولم يذكره ابن إسحٰق في القَتْلى، وذكره في هذا الشعر:

ألم تَر أنّ الله أبْلَى رسُولَه ... بَلاءَ عَزيزٍ ذي اقْتدَارٍ وذي فَضْلِ

بما أنزل الكُفَّار دار مَذَلَّةٍ ... فلاقَوْا هَوانًا من إسَارٍ ومن قَتْل

فأمسى رسولُ الله قد عزّ نَصْرهُ ... وكان رسول الله أُرْسِل بالعَدْل

فجاء بفُرْقانٍ مِنَ الله مُنزَلٍ ... مَبَيَّنةٌ آياتُه لذوي العقْل

فآمَن أقوامٌ بذاك وأيْقنوا ... فأمْسَوا بحمد الله مُجْتَمِعي الشَّمْل

....

وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبُهم ... فزادهُم ذو العَرْش خَبْلاً[1] على خَبْل
وأمْكَن منهم يومَ بَدْرٍ رسولَهُ ... وقومًا غِضابًا فِعْلُهم أحسن الفِعْل
بأيْديهم بيضٌ خِفافٌ عَصَوا بها ... وقد حَادَثُوها بالجَلاء وبالصَّقْل
فكم تركوا من نَاشِىءٍ ذي حَمِيَّةٍ ... صَرِيعًا ومن ذِي نَجْدَةٍ منهُمُ كَهْل
تَبيتُ عيونُ النَّائحات عليهمُ ... تَجودُ بإسْبال[2] الرَّشاش[3] وبالوَبْل[4]
نَوائحَ تَنْعَى عُتْبَةَ الغَيّ وابنَه ... وشَيْبَةَ تَنْعاه وتَنْعَى أبا جَهْلِ
وذا الرّجلِ تَنعَى وابن جُدعان فيهمُ ... مُسَلَّبةً حَرَّى مبيَّنة الثُّكْل
ثَوَى منهم في بئر بدر عصابةٌ ... ذَوي نَجَدات في الحُروب وفي المَحْل
دعا الغَيُّ منهُم مَنْ دعا فأجابه ... وللغَيْ أسبابٌ مُرمَّقة الوَصْل
فأضْحَوا لَدَى دار الجحيم بمَعْزِل ... عن الشَّغب والعُدوان في أشغل الشُّغْل

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة، فقال:

عَجبْتُ لأقْوامٍ تَغَنَّى سَفيهُهُم ... بأمْرِ سَفاهٍ ذي اعتراض وذي بُطْل
تَغَنَّى بقَتْلَى يومَ بدر تَتابعوا ... كِرَام المَساعي من غُلام ومن كَهْل
مَصاليتَ بيضٍ من لُؤيّ بن غالب ... مَطاعينَ في الهَيْجا مَطاعِيم في المَحْل

شعر عليّ:

وقال في الشعر الذي يعزَى إلَى عليّ:

بأيديهم بيضٌ خِفافٌ عَصَوا بها

يقال: عَصَيْتُ بالسيفِ وعَصَوْتُ بالعَصا، فإذا أخبرتَ عن جماعة قلتَ: عصُوا بضم الصاد، كما يقال: عَمُوا، ومن العَصَا تقول: عَصَوْا، كما تقول: غَزَوْا.

وقوله: مُسَلَّبَة، أي قد لَبِست السِّلابَ، وهي خِرْقَة سوداء تلبَسُها الثَّكْلَى. قال لَبِيد:

وإنَّني مُلاعِب الرِّمَاحِ ... ومِدْرَه الكَتِيبَة الرَّدَاحِ
يَضْرِبْنَ حُرَّ أوْجُهٍ صِحَاحِ ... في السُّلُبِ السُّودِ وفي الأمْسَاحِ

فالسُّلُب: جمع سِلاَب.

---

(1) خبلاً: فساداً.
(2) إسبال: إرسال الدمع وكثرته.
(3) الرشاش: نزوله متفرقًا.
(4) الوبل: نزوله مجتمعًا.

أُصِيبوا كِرَامًا لم يَبِيعُوا عَشيرةً ... بقوم سِواهم نازِحي الدّار والأصْلِ
كما أصبحَتْ غَسَّانُ فيكم بطانةً ... لكم بَدلاً منَّا فيا لك من فِعْل
عُقوقًا وإثمًا بَيِّنًا وقَطيعةً ... يَرى جَوْركم فيها ذُوُو الرأي والعقل
فإن يكُ قومٌ قد مَضَوا لسبيلهم ... وخيرُ المنايَا ما يكون من القَتْل
فلا تَفرحوا أن تَقْتلوهم فقَتْلُهم ... لكم كائنٌ خَبْلاً مُقيمًا على خَبْل
فإنكم لن تَبرَحوا بعد قَتْلهم ... شَتِيتًا هَوَاكم غيرُ مجْتَمعي الشَّمل
بِفَقْد ابن جُدْعان الحميد فِعالُه ... وعُتبَةَ والمدْعُوّ فيكم أبا جَهْل
وشَيْبَة فيهم والوليد وفيهمُ ... أُميَّة مَأْوَى المُعْتَرين وذو الرِّجل
أولئك فابْكِ ثم لا تَبْك غيرَهم ... نَوائحُ تَدْعو بالرزيَّة والثُّكْل
وقُولوا لأهْل المَكَّتَيْنِ تحاشدُوا ... وسِيروا إلى آطامِ يَثْرِبَ ذي النَّخْل
جميعًا وحامُوا آل كَعْبٍ وذَبِّبوا ... بخالصةِ الألْوان مُحْدَثة الصَّقْل
وإلا فبيِّتوا خائفين وأصْبِحوا ... أذلَّ لوطءِ الوَاطئين مِنَ النَّعْلِ
على أنني واللاتِ يا قومُ فاعلمُوا ... بكم واثقٌ أن لا تُقيموا على تَبْل
سِوى جَمْعكم للسَّابغات وللقَنا ... وللبَيض والبِيضِ القواطع والنَّبل

وقال ضِرار بن الخطَّاب بن مِرْداس، أخو بني مُحارب بن فِهر في يوم بدر:

عجِبتُ لفَخْر الأوْس والحَيْنُ دائرٌ ... عليهم غدًا والدَّهر فيه بصائرُ
وفَخْر بني النَّجَّار وإن كان معشرٌ ... أُصيبوا ببَدْر كلّهم ثَمْ صابرُ
فإن تكُ قَتْلى غُودِرت من رجالنا ... فإنَّا رجالٌ بعدهم سنُغادِرُ
وتَرْدِي بنا الجُرْد العناجِيجُ وَسطكم ... بني الأوْس حتى يَشْفى النفسَ ثائر
ووَسْطَ بني النَّجار سوف نَكُرّها ... لها بالقَنا والدارعين زوافِر
فنترك صَرْعَى تَعْصِبُ الطيرُ حولهم ... وليس لَهُم إلا الأمانيَّ ناصِر
وتَبْكيهم مِن أهْل يَثْرِبَ نِسوَةٌ ... لهنّ بِهَا ليلٌ على النَّوْم ساهِر
وذلك أنَّا لا تزال سُيُوفنا ... بهنّ دَمٌ مِمَّن يحاربن مائر
فإن تَظْفروا في يوم بَدْر فإنما ... بأحمدَ أمْسَى جَدُّكم وهو ظاهر
وبالنَّفر الأخْيار هم أوْلياؤه ... يُحامُون في اللأْوَاءِ والموتُ حاضِر

يُعَدُّ أبو بكر وحمزة فيهمُ ... ويُدعى عليّ وَسْطَ مَنْ أنت ذاكر
ويُدعى أبو حَفْص وعثمانُ منهمُ ... وسَعْدٌ إذا ما كان في الحَرْب حاضر
أولئك لا مَنْ نَتَّجب في دِيارها ... بنو الأوْس والنَّجَّار حين تُفاخر
ولكنْ أبُوهم من لُؤَيّ بن غالبٍ ... إذا عُدّت الأنسابُ كَعْبٌ وعامِرُ
هم الطَّاعِنون الخَيْل في كلّ مَعْرَك ... غداةَ الهِياج الأطْيَبُون الأكاثر

فأجابه كعبُ بن مالك، أخو بَني سَلمة، فقال:

عجِبْتُ لأمْرِ اللهِ واللهِ قادرٌ ... على ما أراد، ليس لله قاهِرُ
قَضى يومَ بَدرٍ أن نلاقِيَ معشرًا ... بَغَوْا وسبيل البَغْي بالنَّاس جائرُ
وقد حَشدوا واستنْفَرُوا من يَلِيهُم ... مِن النَّاس حتى جَمْعُهم مُتكاثر
وسارت إلَينا لا نُحاول غَيْرَنا ... بأجمَعها كعبٌ جميعًا وعامر
وفينا رسولُ الله والأوسُ حولَه ... له مَعْقِلٌ منهم عزيزٌ وناصِر
وجَمْعُ بني النَّجَّار تحت لوائه ... يُمَشُّون في الماذِيّ والنَّقْعُ ثائر[١]
فلمَّا لَقِيناهم وكلٌّ مُجاهد ... لأصحابه مُستَبسلُ النَّفس صابر
شَهِدنا بأنّ الله لا ربّ غيره ... وأنّ رسولَ الله بالحقّ ظاهر
وقد عُرّيت بِيضٌ[٢] خِفافٌ كأنها ... مَقايِيسُ يُزْهِيها لعَينَيك شاهر
بهنّ أبَدنا جمعَهم فتبدّدوا ... وكان يُلاقي الحَيْن مَنْ هو فاجر
فكُبّ أبو جَهل صَرِيعًا لوَجْهه ... وعتبةُ قد غادَرنه وهو عائر
وشَيبة والتَّيْميّ غادَرْن في الوَغَى ... وما منهمُ إلا بذي العَرْش كافر
فأمْسَوْا وقُودَ النَّار في مُسْتَقرها ... وكلّ كَفور في جَهنَّم صائر
تلظّى عليهم وهي قد شبّ حَميُها ... بزُبْر الحديد والحِجارة ساجر[٣]
وكان رسول الله قد قال أقْبِلوا ... فولّوا وقالُوا: إنما أنتَ ساحِر
لأمْرٍ أراد الله أن يَهْلِكوا به ... وليس لأمرٍ حَمَّه الله زاجر

....

(١) الثائر: من يلقي الشر على الناس. (٢) البيض: السيوف.
(٣) ساجر: سيل جارف.

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهميُّ يبكي قَتْلَى بدر:

قال ابن هشام: وتروي للأعشَى بن زُرارة بن النبَّاش، أحد بني أُسَيد بن عمرو بن تميم، حليف بني نَوْفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحٰق: حليفُ بني عبد الدار:

ماذا على بَدْر وماذا حَوْله ... من فِتْيَةٍ بِيض الوُجُوه كِرَامِ

تركوا نُبَيهًا خَلْفهم ومُنَبِّهَا ... وابْني رَبيعة خَيْرَ خَصْمِ فِئام

والحارثَ الفَيَّاض يَبْرُق وَجهه ... كالبدر جَلَّى لَيْلَةَ الإظْلام

والعاصِيَ بنَ مُنَبِّه ذا مِرَّة ... رُمْحًا تَمِيمًا غيرَ ذي أوْصام

تَنْمي به أعراقُه وجُدُوده ... ومآثر الأخْوال والأعْمام

وإذا بكَى باكٍ فأعْوَل شَجْوَه ... فعَلى الرئيس الماجِد ابن هشام

حيًّا الإلٰه أبا الوَليد ورَهْطَه ... رَبُّ الأنام، وخصَّهم بسَلام

فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصاريّ، فقال:

ابْك بَكَت عيناك ثم تبادَرَتْ ... بدَم تُعَلّ غُروبُها سَجَّام

ماذا بَكيتَ به الذين تَتابعوا ... هَلا ذكَرتَ مكارِمَ الأقْوَام

وذكَرْتَ منَّا ماجدًا ذا هِمَّة ... سَمْحَ الخَلائق صادق الإقْدام

أعِني النبيَّ أخا المَكارم والنَّدَى ... وأبرُّ من يُولي على الإقْسام

فلِمثْله ولمثل ما يَدعو له ... كان المُمدَّحَ ثَمّ غيرَ كَهام

شعر لحسان في بدر أيضًا

وقال حسَّان بن ثابت الأنصاريّ أيضًا:

تَبَلَتْ فؤادَك في المَنام خَريدة[1] ... تَشفي الضَّجيعَ ببارِدٍ بسَّامِ

حول شعر حسَّان

وفي شِعْر حَسَّان:

تَبَلَتْ فؤادَك في المنام خَرِيدةٌ

(١) خريدة: حسناء بكر.

كالمِسْك تخلِطه بماءِ سَحَابةٍ ... أَوْ عاتِقٍ[1] كَدمِ الذَّبيح مُدَام
نُفُجُ الحقيبةِ[2] بُوْصُها[3] مُتَنَضِّدٌ ... بَلْهَاءُ غيرُ وَشِيكةِ الأقسام
بُنِيت على قَطَنٍ أجَمَّ كأنَّه ... فُضُلاً إذا قَعَدتْ مَدَاكُ[4] رُخام

يجوز أن يكونَ أراد بالمنام النَّوْمَ، وموضعَ النوم، ووقتَ النوم، لأنَّ مَفْعَلاً يصلُح في هذا كُلِّه في ذَوَات الواو، وقد تُسَمَّى العينُ أيضًا مَنَامًا، لأنها مَوْضِعُ النوم، وعليه تُؤَوِّل قوله تعالى: ﴿إذْ يُريكَهُمُ الله في مَنامِك قليلاً﴾ أي في عَيْنك، ويقوِّيه قولُه سبحانه: ﴿وَيُقَلِّلُكم في أَعْيُنِهم﴾.

الفرق بين مفعل وفعل:

ولا فَرْق عند النحويين بينَ مَفْعَل في هذا الباب وفَعْل، نحو مضْرَب وضَرْب، ومَنَام ونَوْم، وكذلك هما في التَّعدِية سَوَاء، نحو ضَرْبُ زَيْدٍ عَمْرًا ومَضْربُ زَيْدٍ عمرًا، وأما في حُكْم البَلاغة والعِلْم بِجوْهَر الكلام، فلا سَوَاءَ، فإن المصدَر إذا حدَّدْتَه قلت: ضَرْبة ونَوْمة، ولا يقال: مَضْربة ولا مَنامَة، فهذا فَرْقٌ، وفَرْقٌ آخر تقول: ما أنت إلاّ نَوْمٌ وإلاّ سَيْرٌ إذا قصدت التَّوكيد، ولا يجوز: ما أنت إلا مَنَامٌ وإلا مَسِيرٌ، ومن جهة النَّظَرِ أنَّ الميم لم تَزِد إلا لمعنى زائد كالزوائد الأربع في المضارع، وعلى ما قالوه، تكون زائدة لغير معنى.

فإن قلت: فما ذاك المعنى الذي تُعطيه الميم؟

قلنا: الحدَثُ يَتَضَمَّنَ زَمانًا ومكَانًا وحَالاً، فالمَذْهَبُ عبارة عن الزمان الذي فيه الذَّهَابُ، وعن المكان أيضًا، فهو يعطِي معنى الحَدَثِ وشيئًا زائدًا عليه، وكذلك إذا أردت الحَدَثَ مَقْرُونًا بالحالَة والهيْئةِ التي يقع عليها، قال الله سبحانه: ﴿ومن آياتِه مَنَامُكُمْ بالليلِ والنهار﴾[5] فأحَالَ على التَّفكُّرِ في هذه الحالة المُسْتَمِرَّة على البَشَر، ثم قال في آية أخرى: ﴿لا تأخُذُه سِنَةٌ ولا نَوم﴾[6] ولم يقل: مَنَامٌ لخلُوِّ هذا الموطِنِ من تلك الحالة، وتَعَرِّيه من ذلك المعنى الزائد في الآية الأُخْرَى، ومن لم يعرف جَوْهَر الكلام لم يعرف إعجاز القرآن.

عود إلى شعر حسّان:

وفي هذا الشِّعْرِ:

بُنِيَتْ على قَطَنٍ أَجَمَّ كأنَّه

---

(١) عاتق: جيد الشراب.
(٢) نفج الحقيبة: ضخمة العجز.
(٣) البوص: الحرير الأبيض.
(٤) مداك: حجر في رائحة الطيب.
(٥) سورة الروم آية رقم (٢٣).
(٦) سورة البقرة آية رقم (٢٥٥).

وتكاد تَكسَل أنْ تَجيء فِراشَها ... في جِسْم خَرْعَبة[1] وحُسْن قَوام
أمَّا النهارَ فَلا أُفتّر ذِكْرَها ... والليل تُوزِعني بها أحْلامي
أقْسَمْتُ أنْساها وأترُك ذِكْرها ... حتى تُغيَّبَ في الضَّريح عظامي
يا مَنْ لعاذلةٍ تَلومُ سَفاهةً ... ولقد عَصَيْتُ على الهوَى لُوّامي
بَكرتْ عليّ بسُحْرة[2] بعد الكَرَى[3] ... وتَقارُبٍ مِنْ حادِث الأيّام
زَعَمَتْ بأنّ المرْءَ يَكْرُبُ عُمْرَه ... عَدَمٌ لِمُعْتكِرٍ من الأصْرام
إن كنتِ كاذبةَ الذي حَدَّثْتِني ... فنَجَوْتُ مَنْجَى الحارثِ بنِ هشام
تَرك الأحبَّةَ أن يُقاتِلَ دونهُم ... ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ[4] ولِجام
تذر العَناجِيج[5] الجِياد بقَفْرة ... مَرَّ الدَّمُوكِ[6] بمُحْصَدٍ ورِجام[7]

قَطَنُها: ثَبَجُها وَوَسَطُها، وأَجَمُّ أي: لا عَظَام فيه.

وقوله: كأنه فُضُلاً، نَصَب فُضُلاً على الحالِ، أي: كأَن قَطَنُها إذا كانت فُضُلاً، فهو حال من الهاء في: كأنه، وإن كان الفُضُلُ من صِفَة المرأةِ لا من صِفَةِ القطَنِ، ولكن لمَّا كان القَطَنُ بعضَها صَار كأنه حالٌ منها، ولا يجوز أن يكون حالاً من الضَّمير في قَعَدتْ لاستحالةِ أن يعمل ما بعد إذَا فيما قَبْلها، والفُضُل من النّساءِ والرجال: المُتَوَشِّحُ في ثَوْب واحد، والمَداكُ صَلاءَةُ الطِّيب[8]، وهو مَفْعل من دُكْتُ أَدُوكُ، إذا دَقَقت، ومنه الدَّوْكَةُ والدُّوكَةُ[9].

وقوله: مَرَّ الدَّمُوك يقال: دَمَكَه دَمْكًا، إذَا طَحَنه طحْنًا سَرِيعًا، وبَكَرَةٌ دَمُوكٌ، أي: سريعة المَرّ، وكذلك أيضًا: رَحًى دَمُوكٌ، والمُحْصَدُ الحبْلُ المُحكَمُ الفتْلِ، والرِّجامُ: واحد الرِّجَامَيْن، وهما الخَشَبَتان اللتان تُلْقَى عليهما البَكَرَةُ، والرِّجَامُ أيضًا: جمع رُجْمَة، وهي حجارة مجتمِعة، جَمْعُ رَجَم وهو القَبْر، ومنه قول أبي الطَّيِّب:

تَمَتَّعْ مِنْ رُقَادٍ أو سُهَادِ ... ولا تَأمَلْ كَرًى تحت الرِّجَام
فإن لثالثِ الحالَيْنَ مَعْنًى ... سِوَى معنى انتِبَاهِك والمنامِ

---

(١) خرعبة: فتاة حسناء.
(٢) السحر: آخر الليل.
(٣) الكرى: النوم.
(٤) طمرة: الجوار الطويل القوائم.
(٥) العناجيج: صفة للجياد.
(٦) الدموك: التي تسير سيرًا بطيئًا.
(٧) الرجام: الإبل الشديدة.
(٨) صلاءة الطيب: الحجر الذي يُسن عليه الطيب.
(٩) الدوكة: الشر.

مَلأتْ بِه الفَرْجين فارْمَدَّتْ به وثَوَى أحِبَّتُه بشَرّ مقام

وبنو أبيه ورَهْطُه في مَعْرك نَصَر الإلٰهُ به ذوي الإسلام

طَحَنَتْهُمُ، والله يُنفِذُ أمرَه، حَرْبٌ يُشَبُّ سَعيرُها بضرام

لولا الإلٰهُ وجَرْيُها لَتَرَكْنه جَزَر السباع ودُسْنه بحَوامي[1]

مَن بين مَأسور يُشَدّ وَثاقُه صَقْرٍ إذا لاقى الأسِنّةَ حامي

ومجدَّلٍ لا يستجيب لدَعْوة حتى تَزُولَ شَوامخُ الأعلام

بالعارِ والذلّ المُبيَّن إذ رأى بيضَ السُّيوف تَسُوق كلَّ همَام

بِيدَيْ أغرَّ إذا انتمى لم يُخْزِه نَسَبُ القِصار سَمَيْدَعٍ[2] مِقْدام

بيضٌ إذا لاقتْ حَديدًا صَمَّمَتْ كالبَرْق تحت ظلال كلّ غمّام

شعر الحارث في الردّ على حسان

فأجابه الحارث بن هِشام، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

الله أعلمُ ما تركتُ قِتالهم حتى حَبَوْا مُهري بأشْقَرَ مُزبِد

وارْقَدَّتْ: أسرعت، ومصدره: ارْقِدَاد، وكذلك ارْمَدَّتْ، وافْعَلَّ في غير الألوان والخلق عزيز، وأما انْقَضَّ فليس منه في شيء، لأنك تقول في معناه: تَقَضَّضَ البِنَاء، فالقاف: فَاءُ الفِعْلَ، وكذلك تَقَضَّى البَازِي، لأنه منه، وغلط الفَسَوِيُّ في الإيضاح، فجعل يُريد أَنْ يَنْقَضَّ من باب أَحْمَرَّ، وإنما هو من باب انْقَدَّ وانْجَرَّ والنونُ زائدة، ووزنه: انفَعَل، وكذلك غَلط القالي في النَّوادر فقال في قوله: وجريها انثِرار أنه افْعِلاَل من النَّثْر، كما قال الفَسَوِيُّ في الانقِضَاضِ، وإنما هو انفِعَالٌ من عَيْنَ ثَرَّة أي كثيرة الماء.

ودسنه بحَوَام يعني: الحوافر، وما حول الحوافِر، يقال: الحَامِيَة، وجمعه حَوَام.

حول شعر الحارث بن هشام

وقول الحارث بن هِشام:

حتى عَلوا مُهري بأَشْقَرَ مُزبد

يعني: الدَّم، ومُزبد، قد علاه الزَّبَدُ.

---

(١) حوام: اسم موضع.

(٢) السميدع: الشريف الشجاع.

وعـرفـتُ أنّـي إن أقـاتـلْ واحـدًا | أُقْتَلْ ولا يَنْكِي عَدوّيَ مَشْهدي
فـصَـدَدْتُ عـنـهُـم والأحِـبَّـةُ فـيـهُـمُ | طـمَـعًـا لـهـم بـعـقـاب يـوم مُـفْـسِـد

قال ابن إسحٰق: قالها الحارثُ يعتذر من فِراره يوم بدر.

قال ابن هشام: تركنا من قصيدة حسّان ثلاثة أبيات من آخرها، لأنه أقذع فيها.

شعر لحسّان فيها أيضًا:

قال ابن إسحٰق: وقال حسّان بن ثابت:

لـقـد عـلِـمَـتْ قـريـشٌ يـوم بَـدْر | غـداةَ الأسْـر والـقَـتـل الـشّـديـد
بـأنّـا حـيـنَ تَـشْـتَـجـر الـعَـوَالي | حُـمـاةُ الـحَـرْب يـومَ أبـي الـوَلِـيد
قَـتَـلْـنـا ابْـنَـي ربـيـعـة يـومَ سـارَا | إلَـيْـنـا فـي مـضـاعَـفـة الـحَـديـد
وفـرّ بـهـا حـكـيـمٌ يـومَ جـالَـت | بـنـو الـنـجّـار تَـخْـطِـرُ كـالأُسُـودِ
وولَّـتْ عـنـد ذاك جـمُـوع فِـهْـر | وأسْـلَـمَـهـا الـحُـوَيْـرِثُ مِـنْ بـعـيـد
لـقـد لاقَـيْـتُـمُ ذُلاً وقَـتْـلاً | جَـهـيـزًا نـافـذًا تـحـتَ الـوَرِيـد
وكـلُّ الـقَـوْم وَلَّـوا جـمِـيـعًـا | ولـم يَـلْـوُوا عـلى الـحَـسَب الـتَّـلـيـد

وقال حسّان بن ثابت أيضًا:

يـا حـار قـد عَـوّلْـتَ غـيـر مُـعـوَّل | عـنـد الـهـيـاج وسـاعـةَ الأحْـسـابِ
إذ تـمْـتَـطـي سُـرُحَ الـيَـدَيـن نَـجـيـبـةً | مَـرْطَـى[1] الـجِـراء طـويـلـة الأقْـراب
والقومُ خَلْفك قد تركتَ قتالهم | تَرْجو النَّجاءَ وليس حين ذَهاب
ألاّ عَطَفْت على ابنِ أُمّك إذ ثَوَى | قَعْصَ[2] الأسنّة ضائِعَ الأسْلاب
عجلَ المَليك له فأهلَك جَمْعه | بِشَنـارٍ[3] مُخْزِيةٍ وسُوء عذاب

قال ابن هشام: تركنا منها بيتًا واحدًا أقْذع فيه.

وقولُه: والأحبةُ فيهم: يعني مَنْ قُتِل أو أُسِر: من رَهطه وإخْوَته.

---

(١) مرطى: الناقة تلقى أولادها غير تامين، ناقص الشعر.
(٢) قعص: مكسر. (٣) بشنار: بأقبح العيب والذم.

قال ابن إسحٰق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

قال ابن هشام: ويقال: بل قالها عبد الله بن الحارث السَّهميُّ:

مُسْتَشعِرِي حَلَقِ المَاذِيّ يقدُمُهم ... جَلْدُ النَّحِيزة ماضٍ غيرُ رِعْدِيدِ[1]

أغنِي رسولَ إلٰهِ الخَلْق فَضَّلَه ... على البريَّة بالتَّقْوَى وبالجُود

وقد زَعمتم بأن تَحْمُوا ذِماركم[2] ... وماءُ بَدْر زعمتم غيرُ مَوْرُودِ

ثُمَّ وَرَدْنا ولم نَسْمَعْ لقَوْلكم ... حتى شَرِبْنا رَواءً غير تَصْريد

مُسْتعْصمين بحَبْلٍ غير مُنجذم[3] ... مُسْتحكَم مِن حبالِ الله مَمْدود

فينا الرَّسولُ وفينا الحَقُّ نَتْبعه ... حتى المَمات ونَصْرٌ غيرُ مَحْدود

وافٍ وماضٍ شِهابٌ يُسْتضاء به ... بَدْرٌ أنار على كلّ الأماجِيد

قال ابن هشام: بيته: «مُستعصمين بحَبل غير مُنجذم» عن أبي زيد الأنصاريّ قال ابن إسحٰق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

خابتْ بنو أسَدٍ وآبَ غَزِيُّهم ... يومَ القَليب بسَوءةٍ وفُضوحِ

مِنهم أبو العاصي تجدَّلَ مُقْعَصًا ... عن ظَهْر صادقةِ النَّجاء سَبُوح

حَيْنا له من مانع بسلاحِه ... لمَّا ثَوَى بمقامه المَذْبوح

والمرءُ زَمْعةُ قد تَرَكْنَ ونَحرُه ... يَدْمَى بعانِد مُغْبَطٍ مَسْفُوح

مُتوسِّدًا حُرَّ الجَبِين مُعَفَّرًا ... قد عُرَّ مارِن أنفِه بقُبُوح

ونجا ابنُ قَيْسٍ في بقيَّة رَهْطه ... بشَفا الرِّماق مُوَلّيًا بجُروح

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا:

ألا ليتَ شِعْري هل أتى أهلَ مكَّة ... إبارَتُنا الكُفَّار في ساعة العُسْرِ

قَتَلْنا سَرَاة القَوْم عند مَجالِنا ... فلم يَرْجعوا إلا بقاصِمَة الظَّهْر

قَتَلْنا أبا جَهْلٍ وعُتْبَةَ قَبْلَه ... وشَيْبَة يكْبو لليَدَين وللنَّحر

....

(١) رعديد: جبان.

(٢) ذِماركم: الذمار كل ما يلزم حمايته.

(٣) منجذم: منقطع.

قَتَلْنا سُوَيْدًا ثم عُتْبَةَ بعْدَه وطُعْمة أيضًا عند ثائرة القَتْر
فكم قد قَتَلْنا مِن كَريم مُرزَّإ له حَسَبٌ في قَوْمِه نابه الذّكر
تركناهُم للعاويات يَنُبْنَهُم ويَصْلَوْن نارًا بعدُ حامية القَمر
لَعَمرك ما حامت فوارسُ مالك وأشياعُهم يوم التَقَيْنا على بَدْر

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاريّ بيتَه:

قَتَلْنا أبا جَهْل وعُتْبةَ قَبْلَه وشَيْبة يَكْبو لليَدَيْن وللنَّحرِ

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا:

نَجَّى حَكِيمًا يومَ بَدْر شَدُّهُ كَنَجاءِ مُهْرٍ من بنات الأعْوج
لمَّا رأى بَدْرًا تَسيلُ جِلاهُه بكَتيبةٍ خَضْرَاء مِنْ بَلْخَزْرج
لا يَنْكُلُون إذا لَقُوا أعداءَهم يمشون عائدة الطَّريق المَنْهَج
كم فيهمُ من ماجِدٍ ذي مَنْعَةٍ بَطَلٍ بمَهْلَكَةِ الجَبان المُحْرَج
ومُسَوَّدٍ يُعْطِي الجَزيلَ بكفِّه حَمَّال أثقال الدِّيات مُتوَّج
زَيْنِ النَّدِيّ معاوِدٍ يَوْم الوَغَى ضَرْبَ الكُماة بكلّ أبيض سَلْجَج

عود إلى حسَّان:

وقول حسَّان:

بكتيبة خَضْراء مِنْ بَلْخَزْرج

العرب تجعل الأسود أَخْضَر، فتقول: ليل أخضر كما قال: [ذو الرُّمَّة]:

قد اعْسَفَ النازحُ المجهولُ مَعْسَفُه في ظِلِّ أَخْضَرَ يدعو هامَةَ البُوم

وتسمي الأخضرَ أَسْوَدَ، إذا اشتدّت خضرتُه، وفي التنزيل: (مُدْهامَّتان)، قال أهل التأويل: سَوْدَاوان مِنْ شِدَّة الخُضْرَة.

وقوله: بكل أبْيَض سَلْجَج، وهو السيف الماضي الذي يقطع الضربَةَ بسُهُولة، ومنه المَثَل: الأَخْذ سَلَجَانَ[1] والقَضَاءُ لِيَّانُ[2]، أي الأَخْذ سَهْلٌ يَسُوغُ في الحَلْق بلا عُسْرٍ، كما قالوا: الأَخْذُ سُخرَّيْطٌ [وسُرَّيْطى] والقضاء ضُرَّيْطٌ [وضُرَّيْطى] فسُرَّيْطٌ من سَرِطْت الشيء إذا

---

(١) سلجان: سريع.
(٢) ليان: بطيء.

قال ابن هشام: قوله سَلَجج، عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: وقال حسان أيضًا:

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللهِ قَوْمًا ... وإن كَثروا وأُجمِعت الزُّحُوفُ
إذا ما أَلَّبُوا جَمْعًا عَلَيْنا ... كَفانا حَدَّهم ربٌّ رَؤُوف
سَمَوْنا يَوْمَ بَدْرٍ بالعَوالي ... سِراعًا ما تُضَعْضِعنا الحُتوف
فلَم تَر عُصْبَةً في النَّاس أنكَى ... لمن عادَوْا إذا لَقِحت كَشُوف
ولكنَّا توكَّلنا وقُلْنا ... مآثِرُنا ومَعْقِلنا السُّيوف
لَقِيناهُم بها لَمَّا سَمَونا ... ونحْنُ عِصابةٌ وهُمُ أُلوف

بَلَعته سَهْلاً، فسَلْجَجُ من هذا، إلاّ أنهم ضَاعَفوا الجيمَ، كما ضاعفوا الدَّال من مَهْدَدٍ، ولم يُدْغِمُوا إلاَّ أنهم ألحقوه بجَعْفَر.

وقوله: بَلْخَزْرَج، أراد: بني الخَزْرَج، فحذف النون لأنها من مَخْرَج اللام، وهم يَحْذِفون اللام في مثل، عَلْمَاءِ وَظِلْتُ، كراهية اجتماع اللاَّمَيْن، وكذلك أحَسْتُ كراهيةَ التضعيف، وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - تَرِبت يمينُك وأُلتِ، أرادت: أُلِلْتِ، أي طُعِنت من قولهم: ماله أُلَّ وغُلَّ، ويُروى: أُلَّتْ فتكون التاءُ عَلمًا للتأنيث، أي أُلَّتْ يدُك، وعندنا فيه رواية ثالثة في كتاب مسلم، وهي تَرِبتْ يداك وأَلْتِ بكسر التاء وتشديد اللام وهي على لغة من يقول في: رَدَدْتِ رَدَّتِ فيدغم مع ضمير الفاعل، وهي لغة حكاها سيبويه[1] [من أحكام الأفعال المبنية على صيغة المبني للمجهول]. وذكر شعر كعب وفيه:

لَعَمْرُ أبيكما يا ابنَيْ لُؤَيٍّ ... على زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وانْتِخاءِ

الانتِخاءُ: افْتِعَالٌ من النَّخْوةِ، ويقال: نُخيَ الرَّجُلُ وانْتَخى. ومن الزَّهْوِ: زُهِي وازْدَهى، ولا يكون الأمر من مثل هذا إلا باللام، لأن الفعل فيه لغير المخَاطَب، وإذا أُمِرَ مَنْ ليس بمخاطَب، فإنما يُؤمر باللام كقولك: لتزه يا فلان ولتُعْنَ بحاجتي، وكان القياس أيضًا أن لا يُقال من هذا الفعل: ما أَفعَلَه، ولا هو أَفْعَلُ مِنْ كذا، كما لا يقال في المركوب: ما أَرْكَبَه، ولا في المضروب، ما أَضْرَبه، ولكنه قد جاء في مثل هذه الأفعال: ما أَزْهَاه، وما أَعْناهُ بحاجتي، وقالوا: هو أشغَل من ذَات النِّحْيَيْن، وهو أَزْهَى من غُرابٍ، والفعل في هذا كله زُهِي وشُغِل فهو مَشْغُولٌ ومَزْهُوّ. وقيل في المجنون: ما أَجَنَّه حكاه أبو

---

(١) لغة بكر بن وائل وغيرهم.

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا، يهجو بني جُمحَ ومن أُصِيب منهم:

جَمَحَت بنو جُمَحٍ لشِقْوة جدّهم ... إنّ الذَّليل مُوكَّل بذليلِ
قُتِلَت بنو جُمَحٍ ببَدْر عَنْوَةً ... وتَخاذَلوا سَعْيًا بكلّ سَبيل
جَحدوا الكِتاب وكذّبوا بمحمَّد ... والله يُظهِر دين كلّ رَسول
لَعَن الإلٰهُ أبا خُزَيمَة وابنَه ... والخالدَيْن، وصاعِدَ بن عَقِيل

شعر عبيدة بن الحارث في قطع رجله:

قال ابن إسحٰق: وقال عُبيدة بن الحارث بن المُطَّلب في يوم بدر، وفي قَطْع رِجْله حين أُصيب، في مُبارزته هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوّهم ـ قال ابن هشام، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرها لعُبيدة:

سَتَبْلُغُ عَنَّا أهلَ مكَّة وَقْعَةٌ ... يَهُبّ لها مَن كان عن ذاك نائِيا
بعُتْبَةَ إذ ولَّى وشَيْبَة بعْدَه ... وما كان فيها بِكْرُ عُتْبة راضِيا
فإن تَقْطَعُوا رِجْلي فإنيَ مُسْلم ... أُرجِّي بها عَيْشًا مِن الله دانيا
مَع الحُور أمثال التماثيل أُخْلِصَت ... مع الجنَّة العُلْيا لمن كان عالِيا
وبِعْتُ بها عَيْشًا تعرّقْتُ صَفْوه ... وعالجتُه حتى فقدتُ الأدانيا
فأكْرَمني الرَّحمٰنُ من فَضْل مَنِّه ... بثَوْب مِنَ الإسلام غَطَّى المَساوِيا
وما كان مَكْروهًا إليَّ قِتالُهم ... غداةَ دعا الأكْفاءَ مَنْ كان داعِيا
ولم يَبْغ إذ سألوا النبيّ سواءنا ... ثَلاثَتنا حتى حَضَرْنا المناديا
لَقِيناهم كالأُسْد تَخطِر بالقَنا ... نُقاتل في الرَّحمٰن من كان عاصيا
فَمَا بَرِحَتْ أقْدامُنا من مَقامنا ... ثَلاثتنا حتى أُزِيروا[1] المَنائيا[2]

عُمَر [صالحِ بن إسحٰق] الجَرْمِي. وقال سيبويه: واعلم أن العربَ تقدم في كلامها ما هم به أهم، وهم ببيانه أَعْني، وإن كان جميعًا يهمَّانهم، ويُعْنَيانهم، فقال: أَهَم وأَعْنَى، وهو من همهم وعناهم، فهم به مَعْنِيُّون! مثل مَضْرُوبون، فجاز في هذا الأفعالِ ما ترى، وسبب جَوازِه: أن المفعول فيها فاعلٌ في المعنى، فالمَزْهُوُّ مُتَكَبِّر وكذا المَنْخُوّ والمَشْغُول مُشْتَغل وفاعِلٌ لشُغْلِه، والمَعْنيُّ بالأمر كذلك، والمَجْنُونُ كالأحْمَق، فيقال: ما أَجَنَّه، كما يقال: ما

(١) أزيروا: أحاطت به. (٢) المنائيا: المنايا.

قال ابن هشام: لما أصيبت رِجْلُ عُبيدة قال: أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أني أحقُّ منه بما قال حين يقول:

كَذبتم وبيتِ الله يُبْزَى محمدٌ ولمَّا نُطاعن دونَهُ ونُناضِلِ
ونُسْلِمه حتى نُصرَّع حَوْلَه ونذهَل عَن أبنائِنا والحلائِلِ

وهذان البيتان في قصيدة لأبي طالب، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب.

رثاء كعب لعبيدة بن الحارث:

قال ابن إسحٰق: فلما هلك عُبيدة بن الحارث من مُصاب رِجْله يوم بدر، قال كعب بن مالك الأنصاريّ يَبْكيه:

أيا عَيْنَ جُودي ولا تَبْخَلي بدمعك حقًّا ولا تَنزُرِي
على سَيِّد هَدَّنا هُلْكُه كَريمَ المَشاهِد والعنصر
جَرِيءِ المقدَّم شاكي السِّلاح كريم النَّثا طيِّب المَكْسِر
عُبَيْدة أمْسَى ولا نَرْتجيه لعُرفٍ عرَانا ولا مُنْكر
وقد كانَ يَحْمي غَداةَ القِتا ل حامِيَة الجَيْش بالمِبْتر

أَحْمَقَه، وليس كذلك مَضرُوب، ولا مَرْكُوبٌ ولا مَشْتُوم، ولا مَمْدُوح، فلا يقال في شيء منه: ما أفْعَلَه، ولا هو أَفْعَلُ من غيره.

فإن قلت: فكان ينبغي على هذا القياس أيضًا أن يُؤمَر فيه بغير اللّام، كما يُؤمَر الفاعلُ إذًا، وقد قُلتم: إنه فاعل في المعنى فالجواب: أن الأمْرَ إنما هو بلفظ المستقبَل، وهو تَضْرِب وتَخْرُج، فإذا أمرت حذفت حرف المضارَعة، وبقيت حروفُ الفعل على بنْيَتِها، وليس كذلك زُهيتَ فأنت تُزهَى، ولا شُغِلْتَ فأنت تُشْغل، لأنك لو حذفت منه حرف المضارعة لبقي لفظ الفعل على بِنْيَةٍ ليست للغائب، ولا للمخاطَب، لأن بِنْيَةَ الأمرِ للمخاطَب افعَل، وبنْيَتُه للغائب، فَلْيَفْعَل، والبِنْية التي قَدَّرْناها لا تصلح لواحدٍ منهما، لأنك كنت: تقول أزهَى من زُهيتُ، وكنت تقول: من شُغِلْتُ أشْغَل، فتخرج من باب شُغِلْتَ فأنت مشغول إلى باب شَغَلْتَ غَيْرك، فأنت شَاغِل، فلم يستقِم فيه الأمر إلا باللاَّم.

شعر لكعب في بدر:

وقال كعب بن مالك أيضًا، في يوم بدر:

ألا هل أتى غَسَّانَ في نَأي دارِها ... وأخْبَرُ شيءٍ بالأُمور عَليمها
بأن قد رَمَتْنا عن قِسِيّ عَداوةٍ ... مَعدّ معًا جُهّالُها وحَليمها
لأنّا عَبَدْنا الله لم نَرْجُ غيرَه ... رَجاء الجِنان إذْ أتانا زَعيمها
نبيّ له في قَومِه إرْثُ عِزّة ... وأعراقُ صدْق هَذَّبَتْها أُرومها[1]
فساروا وسِرْنا فالتَقَيْنا كأنّنا ... أُسُود لِقاءٍ لا يُرَجَّى كَلِيمها[2]
ضَربناهُم حتى هَوى في مَكرّنا ... لِمَنْخر سَوْءٍ من لُؤَيّ عَظِيمها
فوَلَّوْا ودُسْناهم ببيض صَوارم ... سَواءٌ عَلَيْنا حِلْفُها وصَمِيمها

وقال كعب بن مالك أيضًا:

لَعَمْرُ أبِيكُما يا ابْنَيْ لُؤَيّ ... على زَهْوٍ لدَيْكُمْ وانْتِخاءِ
لَمَا حامَتْ فوارسُكم ببدْرٍ ... ولا صَبروا به عند اللِّقاء
ورَدْناه بنور الله يَجْلو ... دُجَى الظَّلْماء عَنّا والغِطاء
رسولُ الله يَقْدُمنا بأمْر ... مِن أمْرِ الله أُحكِمَ بالقَضاء
فما ظفرتْ فوارِسكم ببدر ... وما رَجعوا إليكم بالسَّواء
فلا تَعْجَل أبا سُفْيان وارقُبْ ... جِياد الخَيْل تَطْلُعُ من كَداء[3]
بنَصْر الله روحُ القُدْس فيها ... وميكالٌ، فيا طِيبَ المَلاء

وقوله:

وميكالٌ فيا طِيبَ المَلاَءِ

أراد الملأ، وليس من باب مَدِّ المقصور، إذ لا يجوز في عَصَى عَصَاء، ولا في رَحَى: رَحَاء في الشِّعر، ولا في الكلام، وإن كانوا قد أشْبَعوا الحركات في الضَّرُورة، فقالوا: في الكَلْكَلَ الكَلْكَال، وفي الصَّيارِف: الصياريف، ولكن مَدَّ المقصود أبعدُ من هذا، لأن زيادة

---

(1) أرومها: أصولها.
(2) كليمها: جريحها.
(3) كداء: اسم موضع.

شعر طالب في مدح الرسول وبكاء أصحاب القليب:

وقال طالبُ بن أبي طالب، يمدح رسول الله ﷺ، ويبكى أصحاب القَليب من قُرَيش يوم بدر:

ألا إنّ عَيْنِي أنفدَتْ دمْعها سَكْبًا ... تُبَكّي على كعب وما إن ترى كَعبا

ألا إنّ كَعْبًا في الحروب تَخاذَلوا ... وأرْداهُم ذا الدّهرُ واجْتَرحوا ذَنبا

وعامر تَبْكي للمُلمّات غُدْوَةً ... فياليت شِعْري هل أرى لهُما قُرْبا

همـا أخَوايَ لـن يُعَدّا لِغَيّـةٍ ... تُعَدُّ ولن يُسْتام جارُهما غَضبا

فيا أخَوَيْنا عَبْدَ شمْسٍ ونَوْفَلا ... فِدًا لكما لا تَبْعثوا بَيْنَنا حَرْبا

ولا تُصْبِحُوا من بعد وُدّ وأُلْفةٍ ... أحاديثَ فيها كلُّكم يَشْتكي النَّكْبا

ألم تعلموا ما كان في حَرْب داحسٍ ... وجيش أبي يَكْسومَلؤوا الشِّعبا

فلَوْلا دِفاعُ اللهِ لا شَيْء غيرُه ... لأصْبحتُم لا تَمْنعون لكم سِرْبا

فمَا إنْ جَنينا في أُقريش عظيمةً ... سِوَى أن حَمَيْنا خيرَ مَنْ وطىء التُّرْبا

أخا ثِقَةٍ في النّائبات مُرزّأً[1] ... كريمًا نثاه لا بخيلاً ولا ذَرِبا[2]

يُطِيف به العافُون يَغْشَوْن بابَه ... يَؤُمُّون بحرًا لا نَزُورًا ولا صَرِبا

فوالله لا تنفَكّ نَفْسي حزينةً ... تَمَلْمل حتى تَصْدُقوا الخَزْرجَ الضَّرْبا

شعر ضرّار في رثاء أبي جهل:

وقال ضِرّار بن الخطّاب الفهري، يرثي أبا جَهْل:

ألا مَنْ لعينٍ باتَت اللّيلَ لم تَنمْ ... تُراقبُ نَجْمان في سوادٍ من الظُّلَمْ

كأنّ قذًى فيها وليس بها قذًى ... سوى عَبْرة من جائل الدمع تَنسَجم

فَبَلِّغْ قُرَيْشًا أنّ خيرَ نَدِيِّها ... وأكرمَ مَن يمشي بساقٍ على قَدَم

الألف تغييرٌ واحد، ومَدُّ المقْصُور تغييران، زيادةُ ألف وهَمْز ما ليس بمهموز، غير أنه قد جاء في شعر طَرَفَةَ:

وكَشْحَان لم ينقص طَوَاءَهُما الحَبَلْ

---

(١) مرزأ: مصابًا.

(٢) ذربًا: الذرب: سلاطة اللسان.

ثَوَى يوم بدر رَهْن خَوْصاءَ رَهنُها ... كريمُ المساعي غيرُ وَغْدٍ ولا برم

فـآلـيتُ لا تَـنـفـكّ عَيْـنـي بـعَـبْـرة ... على هالكٍ بعد الرَّئيس أبي الحَكَم

على هالكٍ أشْجَى لُؤَيَّ بن غالب ... أتَـتْـه الـمَـنـايـا يـوم بَـدْر فـلـم يَـرِم

تَرى كِسَر الخَطِّى في نَحر مُهْرِه ... لَدَى بائنٍ من لحمه بينها خِذَم

وما كـان لـيثٌ ساكـنٌ بَطْن بِيشَةٍ ... لدى غَلَل يَجْري ببَطْحاء في أجَم

بـأخـر أمـنـهُ حـيـن تـخْـتَـلف الـقَـنـا ... وتُدْعَى نَزَالِ في القَماقمة البُهَم

فلا تَجْزعوا آلَ الـمُغيرَة واصْبِروا ... عليه ومَنْ يَجْزع عليه فلم يُلم

وجِدُّوا فإنَّ الـمـوتَ مَكْرُمةٌ لكم ... وما بعده في آخِرِ العَيْش مِنْ نَدَم

وقـد قُـلتُ إنّ الـريح طـيِّبَةٌ لـكـم ... وعِزَّ المقام غير شكّ لذي فَهَم

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لِضرار.

شعر الحارث بن هشام في رثاء أبي جهل:

قال ابن إسحٰق: وقال الحارث بن هشام، يبكي أخاه أبا جَهل:

ألا يـا لَـهْـف نَـفْـسي بـعـد عَـمْـرو ... وهـل يُـغْـني الـتَّـلـهُّـفُ مِـن قـتِـيـلِ

يُـخـبِّـرنـي الـمُـخـبِّـر أنّ عَـمْـرًا ... أمـام الـقَـوْم فـي جَـفْـرٍ مُـحـيـل

فـقِـدْمـا كـنـتُ أحْـسـب ذاك حـقًّـا ... وأنْـتَ لِـمَـا تَـقـدَّم غـيـرُ فِـيـل

وكـنـتُ بِـنِـعْـمَـة مـا دُمْـتَ حَـيًّـا ... فـقـد خُـلِّـفْـتُ فـي دَرج الـمـسـيـل

كـأنـي حِـيـن أُمْـسِـي لا أراه ... ضـعـيـفُ الـعَـقْـد ذو هَـمّ طـويـل

عـلـى عَـمْـرو إذا أمْـسَـيْـتُ يـومًـا ... وطَـرْف مـن تَـذكُّـره كَـلِـيـلِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحارث بن هشام؛ وقوله: «في جفر» عن غير ابن إسحٰق.

لكنه حَسَّنه قليلاً في بيت طَرَفَه في أنه لم يُرد الطُّوَى الذي هو مصدر، طَوِي يَطْوِي: إذا جاع، وخَوِيَ بطنُه، وإنما أراد: رِقَّة الخَصْرِ، وذلك جمالٌ في المرأة، وكمال في الخِلْقَة، فجاء باللفظ على وزن جَمَال وكَمَال، وظهر في لفظه، كان في نفسِه، والعربُ تنحو بالكلمة إلى وزن مَا هُو في معناها، وقد مضى منه كثيرٌ وسَيَرِد عليك ما هو أكثر.

شعر ابن الأسود في بكاء قتلى بدر:

قال ابن إسحٰق: وقال أبو بكر بن الأسود بن شُعوب اللّيثي، وهو شَدّاد بن الأسود:

تُحيّي بالسَّلامة أُمُّ بَكْر ... وهل لي بعد قومي مِنْ سلامِ
فمَاذا بالقَليب قَلِيبِ بَدْر ... من القَينات والشَّرْب الكِرَام
وماذا بالقَلِيب قَلِيب بَدْر ... من الشِّيزَى[1] تُكَلَّل بالسَّنام
وكم لكِ بالطَّوِيّ طَوي بَدْر ... مِن الحَوْمات[2] والنَّعم المُسام
وكم لكِ بالطَّوي طويّ بَدْر ... من الغايات والدُّسُع[3] العَظام
وأصحابِ الكَريم أبي عليّ ... أخي الكاس الكريمة والنِّدَام
وإنَّك لو رأيت أبا عَقيل ... وأصحابَ الثَّنيَّة مِن نَعام
إذن لَظَلِلْتِ مِن وَجْدٍ عليهم ... كأمّ السَّقْب[4] جائلةِ المَرَام
يُخَبِّرُنا الرَّسُولُ لسَوْف نَحيا ... وكيف لقاءُ أصداءِ وَهام؟

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة النحويّ:

يُخبّرنا الرَّسُول بأنْ سَنَحْيا ... وكَيْف حَياةُ أصداءِ وهامِ

قال: وكان قد أسلم ثم ارتدّ.

شعر أُمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر:

وقال ابن إسحٰق: وقال أُميَّةُ بن أبي الصَّلت، يرثي من أُصيب من قُرَيش يوم بدر:

ألاَّ بَكيتِ على الكِرَا ... مِ بَني الكِرام أولِي المَمادحْ
كبُكا الحَمام على فُرو ... ع الأَيْك في الغُصُن الجَوانح

وأما المَلأُ والخَطأُ والرَّشأُ[5] والفرأُ[6] وما كان من هذا الباب، فإن هَمزته تُقلب ألفًا في الوقف بإجماعِ نعم، وفي الوَصْلِ في بعض اللُّغَات، فيكون الألِفُ عوضًا مِنَ الهَمزَةِ، وقد

---

(١) الشيزى: القطاع المملوءة بالطعام.
(٢) الحومات: أشد أماكن القتل.
(٣) الدسع: العطاء الجزيل.
(٤) السقب: ولد الناقة عند ولادته.
(٥) الرشا: الظبي إذا قوي واشتدّ.
(٦) الفرأ: حمار الوحش:

يَـبْـكِـيـن حَـرّى مُـشـتَـكِـيـ	ـنـاتٍ يـرُخْـنَ مـع الـرَّوائـح
أمـثـالـهـنّ الـبـاكِـيـا	ت الـمُـعـولاتِ مـن الـنَّـوائـح
مَـنْ يَـبْـكِـهِـم يَـبْـكِ عـلـى	حُـزن ويَـصـدُق كـلُّ مـادح
مـاذا بـبَـذر فـالـعَـقَـنْـ	ـقَل[1] من مَرازبةٍ[2] جَحاجح[3]
فـمَـدافـع الـبَـرَقَـيْـن فـالْـحَـ	ـنَّـان مـن طَـرَف الأواشِـح[4]
شُـمْـطٍ[5] وشُـبَّـان بِـهَـا	لَـيْـلٍ مَـغـاويـرٍ وَحـاوِح[6]
ألا تَـرَوْنَ لِـمَـا أرَى	ولـقـد أبـانَ لـكُـلّ لامـح
أن قـد تَـغَـيَّـر بَـطـنُ مـ	ـكّـة فَهْـي مُوحشَـا الأبـاطـح[7]
مـن كُـلّ بِـطْـرِيـقٍ لِـطـ	ـريـق نَـقـيّ الـقَـون واضِـخ
دُغـمُـوص[8] أبْـواب الـمُـلـو	ك وجـائـب لِـلْـخـرْقِ فـاتـح
مِـنَ الـسَـراطـمـة[9] الـخَـلا	جِمة[10] المَلاوثة[11] المَناجِح[12]
الـقـائِـلـيـن الـفـاعـلـيـ	ـيـن الآمـريـن بـكُـلّ صـالـح
الـمُـطْـعِـمِـيـن الـشَّـحْـم فَـوْ	ق الـخُـبْـز شَـحْـمًـا كـالأنـافـح[13]
نُـقُـل الـجِـفـان مـع الـجِـفـا	ن إلـى جِـفـانٍ كـالـمـنـاضِـح
لَـيْـسَـت بـأضْـفـار لِـمَـن	يَـغْـفـو ولا رَحّ[14] رحـاح
لـلـضَّـيْـف ثـم الـضَّـيـف بـعـد	[الضيف] والبُسط السَّلاطح[15]

يَجمعون بين العِوَضِ والمُعَوَّضِ مِنه، كما قالوا: هرَاقَ الماءَ، وإنما كانت الهاءُ بدلاً من الهمزة، فجمعوا بينهما، وقالوا في النسب إلى فَمٍ: فَمَوِيّ، وقالوا: في النسب إلى اليمن:

(١) العقنقل: الوادِ السحيق.
(٢) مرازبة: رؤساء.
(٣) جحاجح: مسارعين إلى المكارم.
(٤) أوشاح: سيوف.
(٥) شمط: شيوخ.
(٦) وحاوح: أقوياء.
(٧) أباطح: جمع أبطح. وهو ميل فيه رمل وحصى.
(٨) دعموص: بلعط.
(٩) السراطمة: جمع سرطم وهو الأكول.
(١٠) الخلاجمة: جمع خلجم. وهو صاحب الجسم الطويل الممشوق.
(١١) الملاوثة: الأقوياء.
(١٢) المناجح: القاضون حاجتهم.
(١٣) الأنافح: اللبن الصافي.
(١٤) الرحّ: الجفان الواسعة.
(١٥) السلاطح: العريضة.

وُهُب المِئِينَ[1] مِن المِئيـ ... ـنَ إلى المِئينَ من اللَّواقح
سَوْق المُؤَبَّل[2] للمُؤَبَّـ ... ـل صادراتٍ عن بَلادِح[3]
لكِرامِهِم فَوْقَ الكِرا ... م مزيَّةٌ وَزْنَ الرَّواجح[4]
كتثاقُل الأرطال بالقِـ ... ـسْطاس في الأيدي المَوائح[5]
خَذَلَتْهُمْ فِئَةٌ وهم ... يَحمُون عَوْرات الفَضائح
الضَّارِبين التَّقْدُميَّـ ... ـةَ بالمُهَنَّدة الصَّفائح
ولَقَدْ عَناني صَوْتُهُم ... مِن بين مُسْتَشْقٍ وصائح
لله دَرُّ بَنِي عَـ ... ـليٍّ أيِّم منهُم وناكِح
إن لم يُغيروا غارةً ... شَعْواءَ تُجْحِر كُلَّ نابح
بالمُقْرَبات، المُبْعدا ... ت، الطَّامحات مع الطَّوامح
مُرْدًا على جُرْدٍ إلى ... أُسْدٍ مُكالبة كوالح[6]
ويُلاقِ قِرْنٌ قِرْنَهُ ... مَشْيَ المُصافِح للمُصافِح
بزُهاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْـ ... ـفٍ بين ذي بَدَنٍ ورامِح

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ. وأنشدني غيرُ واحد من أهل العلم بالشعر بيتَه:

ويُلاق قِرْنٌ قِرْنه ... مَشْيَ المُصافح للمُصافح

وأنشدني أيضًا:

وُهُبُ المِئينَ مِنَ المئيـ ... ـينَ إلى المئين مِنَ اللَّواقحْ
سَوق المُؤَبَّل للمُؤَبَّـ ... ـل صادرات عن بلادح

يَمَنِيّ، ثم قالوا: يمانٍ، فعوَّضوا الألفَ من إحدى الياءين، ثم قالوا: يَمَانيّ بالتشديد فجمعوا بين العوض والمُعَوَّض منه، فيا طيب المَلَاءِ من هذا الباب، وكذلك قولهم: الخَطَاء في الخطأ. قال الشاعر:

فَكُلُّهُم مستَقْبِحٌ لَصَوابِ مَنْ ... يُخالِفهُ مُسْتَحْسِنٌ لخَطَائِه

---

(1) المئين: المأتين.
(2) المؤبل: المكان الكثير الإبل.
(3) بلادح: وادٍ قبل مكّة.
(4) الرواجح: الأشياء الثقيلة.
(5) الموائح: التي تغترف الماء غرفًا.
(6) كوالح: الذين انكشف شفاههم عن أسنانهم.

قال ابن إسحٰق: وقال أُميَّة بن أبي الصَّلت، يبكي زَمَعة بن الأسود، وقتْلَى بني أسَد:

عَيْنُ بَكِّي بالمُسْبِلات أبا الْحـ	ـارث لا تَذْخَرِي على زَمَعة
وابكي عقيلَ بن أسودِ أسَد البـ	ـأس ليَوْم الهِياج والدَّفَعَة
تلك بنُو أسَد إخْوَة الجَوْ	زاءِ لا خانَةٌ ولا خَدَعَة
هُمُ الأُسرَة الوسيطة من كَعْـ	ـبِ وهُم ذِرْوة السَّنام والقَمعة
أنبتوا مِن معاشرِ شَعَر الـ	ـرأسِ وهُم ألحقوهُم المَنَعَة
أمْسَى بنو عمِّهم إذا حَضَر البـ	ـأسُ أكْبادُهم عليهمُ وَجعة
وهُم المُطْعمون إذْ قَحط القَطْـ	ـر وحالَتْ فلا ترى قَزَعة

قال ابن هشام: هذه الرواية لهذه الشعر مُخْتلطة، ليست بصَحيحة البناء، لكن أنشدني أبو مُحْرز خلف الأحمَر وغيره، روى بعضٌ ما لم يَرْوِ بعض:

عَيْنُ بَكِّي بالمُسْبَلات أبا الحا	رث لا تَذْخَرِي على زَمَعة
وعَقِيلَ بن أسْوَدِ أسدَ البأ	س ليَوْم الهِياج والدَّفَعَة
فعَلى مثلِ هُلْكهم خَوَتِ الجَوْ	زاء، لا خانةٌ ولا خَدَعة
وهُمُ الأسرَةُ الوَسيطَة مِن كَعْـ	ـبٍ، وفيهم كذِرْوة القَمَعة
أنْبَتُوا مِنْ مَعاشِرٍ شَعَر الرأْ	سِ، وهم ألْحقوهم المَنَعة
فبنو عمِّهم إذا حَضَر البأْ	س عليهم أكبادُهم وجِعَة
وهُمُ المُطْعمون إذ قَحط القَطْـ	ـر وحالَت فلا ترى قَزَعة

وقد قال وَرَقةُ[1]:

إلاّ ما غَفَرْتَ خَطَائيا

(فإن قيل): فقد أنشد أبو عليّ في مدّ المقصور:

يا لَكَ من تَمْرٍ ومن شِيشَاءِ	يَنْشَبُ في المَسْعَل واللَّهَاءِ

(١) الصواب زيد بن عمرو بن نفيل. وهو سهو من السهيلي رحمه الله تعالى.

شعر أبي أسامة

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة، معاويةُ بن زُهير بن قَيْس بن الحارث بن سعد بن ضُبَيعة بن مازن بن عديّ بن جُشَم بن مُعاوية حليف بني مخزوم قال ابن هشام: وكان مُشركًا وكان مَرّ بهُبَيْرة بن أبي وَهْب وهم مُنهزمون يوم بدر، وقد أعْيَى هُبَيْرة، فقام فألقَى عنه دِرْعه وحمله فمضى به، قال ابن هشام: وهذه أصحّ أشعار أهل بدر:

ولــمَّــا أنْ رأيــتُ الــقَــوْم خَــفُّــوا وقـد شـالـت نَـعَـامـتُـهـم لـنَـفْـرِ

أرادَ: جَمْع لَهَاةٍ. قلنا: يحتمل أنْ يكون كَلامًا مُوَلّدًا، وإن كان عربيًا، فلعلّ الرواية فيه: اللِّهاء بكسر اللام، فيكون من باب أَكَمة وإكَام، وقد ذكرها أبو عبيد في الغريب المصنف بالكسر والفتح.

شـرح شعر أبي أسامـة

وذكر شعر أبي أُسامة بن زُهَيْر الجُشَمِيّ وفيه:

وقـد زالـت نَـعَـامَـتُـهـم لِـنَـفْـر

العربُ تضرب زَوَال النَّعامة مثلاً لِلفرار، وتقول: شالت نَعَامة القوم،إذا فَرُّوا وهلكوا. قال الشاعر:

يا لـيت ما أُمُّنا شَـالَـتْ نَعَامَتُهـا إمَّـا إلـى جَـنَّـة إمَّـا إلـى نَـارِ

وقال أُمَيَّة:

اشْرَبْ هَنيئًا فقد شَالَت نَعَامَتُهمْ

والنَّعَامَةُ في اللغة: باطن القَدَم، ومن ماتَ فقد شالت رِجْلُه، أي: ارْتَفَعَتْ، وظهرت نَعَامَتُه، والنَّعَامَةُ أيضًا الظُّلمةُ، وابنُ النَّعَامَةِ عِرْق في باطن القَدم، فيجوز أن يكون قوله: زالت نعامتُهم، كما يقال: زال سَوَادُه، وضَحَا ظلُّه إذا مات، وجائز أن يكون ضَرَبَ النَّعَامَة مَثَلاً، وهو الظاهر في بيت أبي أُسَامَةَ؛ لأنه قال: زالت نَعَامَتُهم لِنَفرٍ، والعرب تقول: أَشْرَدُ من نَعَامَةٍ، وأَنْفرُ من نَعَامَة قال الشاعر:

هُـمِ تـركـوكَ أَسْـلَـحَ مـن حُـبَـارَى[1] رَأَتْ صَـقْـرًا وأَشْـرِدَ مـن نَـعَـام

---

(١) الحبارى: نوع من الطيور طويل العنق.

وأنْ تُـرِكَـتْ سـرَاةُ الـقَـوْم صَـرْعَـى		كـأنّ خـيـارَهـم أذْبـاحُ عِـتْـر

وقـال آخـر:

وكُـنْـتَ نَـعَـامَـا عـنـد ذَاكَ مُـنَـفَّـرًا

فإذا قلت: زالت نعَامتُه، فمعناه: نَفَرَتْ نفسُه التي هي كالنَّعَامة في شرودها وقوله:

وأنْ تُـرِكَـتْ سَـرَاةُ الـقَـوْمِ صَـرْعَـى

سراةُ كُلِّ شيء: ما عَلاَ منه، وسَرَاةُ الفَرَسِ: ظهرُه لأنه أعلاه. قال الشاعر يصف حِمَارًا:

بِـسَـرَاتِـه نَـدَبٌ لَـهَـا وكُـلُـومٌ

وقولهم: سَرَاةُ القوم، كما تقول: كاهِلُ القوم، وذِرْوَةُ القوم، قال معاوية: إن مُضَر كاهِلُ العَرَبِ، وتَمِيمَ كاهِلُ مُضَر، وبنُو سَعْدٍ كاهِلُ تميم. وقال بعض خطباء بني تميم: لنا العِزُّ الأقْعَسُ، والعَدَدُ الهَيْضَل، ونحن في الجاهلية القُدَّام، ونحن الذُّرْوَةُ والسَّنَام، وهذا معنى صحيح بيِّن، فليس لأحد أن يقول في الذُّرْوَة، ولا في السَّنَام، ولا في الكاهل إنه جَمْع أي من أبنية الجَمْع، ولا اسمٌ للجَمْع، فكذلك ينبغي أن لا يُقَال: في سَرَاةِ القوم،إنه جَمْع سَرِيّ، لا على القياس، ولا على غيرِ القياسِ، كما لا يقال: ذلك في كاهل القوم، وسَنَام القوم، والعَجَبُ كيف خَفِي هذا على النحويين، حتى قَلَّد الخالفُ منهم السالفَ، فقالوا: سَرَاةٌ جَمْع سَرِيّ[1]، ويا سُبْحَان الله! كيف يكون جَمْعًا له، وهم يقولون في جمع سَرَاةٍ: سرَواتٍ، مثل قَطَاةٍ وقَطَواتٍ، يقال: هؤلاء من سَرَوَاتِ الناس، كما تقول: من رُؤوس الناس، قال: قَيْسُ بن الخَطِيم:

وعَـمْـرة مِـن سَـرَوَاتِ الـنِّـسـا		ء تَـنْـفَـحُ بـالـمِـسْـكِ أرْدَانُـهـا

ولو كان السَّرَاةُ جَمْعًا ما جُمع لأنه على وزن فَعْلة، ومثل هذا البناء في الجموع لا يجمع، وإنما سَرِيٌّ فَعِيل من السَّرْوِ، وهو الشَّرَفُ، فإنْ جُمِع على لفظه، قيل سُرَى وَأسْرِياء، مثل غَنِيّ وأَغْنِيَاء، ولكنه قَلِيلٌ وجودُه وقِلَّةُ وجودِه لا يَدْفَع القياسَ فيه، وقد حكاه سِيبَوَيْه.

وقوله: أذبَاحُ عِتْرٍ: جمع ذِبْح، وعِتْرٌ بِكسر العين: الصَّنَمُ الذي كان يُعْتَر له في الجاهِليَّة، أي: تُذْبَح له العتائرُ، جَمْع: عَتِيرةٍ، وهي الرَّجَبِيَّةُ، وقد ذكرنا في نَسَبِ

(١) وفي اللسان جمع سراة: سروات.

وكـانَـتْ جُـمَّـةٌ وافتْ حِـمَـامًـا ... ولُـقِّـينـا الـمَـنـايـا يَـوْمَ بَـدْرِ
نَـصُـدّ عَـنِ الـطَّـريـق وأدْرَكـونـا ... كـأنّ زُهـاءَهـم عِـيـطـان بَـحْـر
وقـال الـقـائـلـونَ: مَـنِ ابنُ قَـيْس؟ ... فـقُـلْـتُ: أبـو أُسـامَـة، غـيـر فَـخْـر
أنـا الـجُـشَـمِـيُّ كـيـمـا تَـعْـرِفُـونـي ... أُبَـيِّـنُ نِـسْـبَـتِـي نَـقْـرًا بـنَـقْـر
فـإن تَـكُ فـي الـغَـلاصِـم من قُـرَيش ... فـإنـي مِـنْ مُـعـاوِيَـة بـن بَـكْـر
فـأبْـلـغْ مـالِـكًـا لَـمَّـا غُـشِـيـنـا ... وعـنـدك مالِ ـ إن نـبَّأتَ ـ خُبْري
وأبْـلـغ إنْ بـلـغـتَ الـمرءَ عـنَّـا ... هُـبـيـرة، وهـو ذو عِـلْـم وقَـدْر
بـأنـي إذ دُعـيـت إلـى أُفَـيْـدِ ... كَـرَرْتُ ولـم يَـضِـقْ بـالـكَـرّ صَـدْري
عَـشِـيَّـة لا يُـكَـرُّ عـلـى مُـضـافٍ ... ولا ذي نَـعْـمَـة مـنـهُـم وصِـهْـر
فـدُونَـكُـم بـنـي لأْيٍ أخـاكُـم ... ودونَـكِ مـالِـكًـا يـا أُمّ عَـمْـرو

النبيّ ـ ﷺ ـ أوّلَ مَنْ سَنَّ العَتِيرَةَ، وأنه بُورُ بن صَحُورَا، وأن أباه سَنّ رَجَبًا للعَرَبِ، فكان يُقال له: سَعْد رَجَب، ولو قال: أذْبَاحَ عَتْرٍ بفتح العين لجاز لأنه مصدر.

وقوله: وكانت جُمَّةٌ. الجُمَّة: السواد، والجُمَّةُ: الفِرْقَةُ، فإن كان أرادَ بالجُمَّةِ سوادَ القوم وكثرتَهم، فله وَجْهٌ، وإن كان أراد الفِرقةَ منهم، فهو أَوْجَه، وقد ذكره صاحب العَيْنِ.

وقوله: عَطَيَانُ بَحر: فَيَضَانه.

وقوله:

أُبَـيِّـن نِـسْـبَـتـي نَـقْـرًا بِـنَـقْـر

النَّقْرُ: الطَّعْنُ في النَّسَبِ وغيره، يقول: إن طَعنتُم في نَسَبِي، وعَبْتُمُوه بَيَّنْتُ الحقَّ ونقرْتُ في أنسابِكم، أي عِبْتُها، وجازَيْتُ على النَّقْرِ بالنَّقْرِ، وقالت جارية من العرب: مُرُّوا بي على بَنِي نَظَري يعني الفِتْيَان الذين يَنْظُرُون إليَّ ولاَ تَمُرُّوا بي على بَنَاتِ نَقَرِي، يعني النِّسَاء اللَّواتي يَنْقُرْنَ أي: يَعِبْنَ.

وقوله: دُعِيتَ إلى أُفَيْدِ، تَصْغِيرُ وَفْدٍ، وهم المتقدمون من كل شيءٍ مِنْ ناسٍ أو خَيْلٍ أو أبِلٍ، وهو اسمٌ للجمع مثلُ: رَكْبٍ، ولذلك جاز تصغيرُه، وقيل: أُفَيد: اسمُ موْضِع.

وقوله: على مُضَافٍ. المضافُ: الخائف المُضْطَرُّ.

وقـولـه:

فـدونَـكُـمُ بَـنِـي لأْيٍ أخـاكـم

فَلَوْلا مَشْهدي قامَتْ عَلَيْه | مُوَقَّفَةُ القَوائِم أُمُّ أجْري
دَفُوعٌ لِلقُبُور بِمَنْكِبَيْها | كأنَّ بِوَجْهِها تَحْمِيمَ قِدْر
فأُقْسِم بالذي قد كان ربي | وأنصابٍ لَدَى الجَمرات مُغْر
لَسَوْف تروْن ما حَسَبي إذا ما | تبدَّلت الجُلُود جلودَ نِمْر

هذا شاهد لما ذكرناه في نَسَبِ النبي - ﷺ - واشتقاق تلك الأسماء، وقلنا في لؤي: إنه تصغير لأْيٍ، واخترنا هذا القول على قولِ ابن الأنْبَارِيّ وقُطْرُبٍ، وحكينا قولَه، وشاهدَه، وإنما أراد ههنا ببني لأْيٍ بَنِي لُؤَيٍّ، فجاء به مُكَبَّرًا على ما قلناه.

وقوله:

مُوَقَّفَةُ القَوائم أُمُّ أجْر

يعني: الضَّبُعَ، ومُوَقَّفة من الوَقْفِ، وهو الخَلْخَالُ، لأن في قوائمها سَوَادًا. قال الشاعر [أبو وَجْزَة السَّعْدِي](1):

وخائفٍ لِحِمٍ شَاكًا بِراشَتُه | كأنه قَاطِمٌ وَقْفَيْن من عَاجِ

وأمّ أَجْر: جَمْعُ جَرٍ، وكما نقول: دَلْو وأَدْلٍ، وهذا كقول الهُذَلِيّ(2):

وغُودِرَ ثاوِيًا وَتأَوَّبَتْه | مُوَقَّفة أُمَيْمُ لها فَلِيلُ

والفَلِيلُ: عُرْفُها، وكقول الآخر:

يا لَهْفَ مِنْ عَرْفَاءَ ذاتِ فَلِيلَةٍ | جَاءَتْ إليَّ على ثَلاثٍ تَخْمَعُ
وتَظَلُّ تَنْشِطُني وتَلْحَمُ أَجْرِيًا | وسط العَرِينِ، وليس حَيٌّ يدفعُ
لو كان سَيْفي باليمين دَفَعْتُهَا | عَنّي ولم أُوكَل وجَنْبِي الأَضْبُعُ

فوصفها أنها تَخْمَعُ، كما قال ابن المهلّب: الضَّبُعَةُ العَرْجَاء، ولَحَنَ في قوله: الضَّبْعَةَ. وقال آخر:

فلو ماتَ منهم مَنْ جَرَحْنَا لأصبحت | ضِبَاعٌ بأكْنَافِ الشُّرَيْف عَرَائِسا

---

(1) في اللسان (١٢/٤٨٩): البيت منسوب لأبي وجزة.
(2) في اللسان (١١/٥٣٢): البيت لساعدة بن جؤية. والفليل: الشعر المجتمع.

فـمـا إنْ خـادِرٌ مـن أُسْـد تَـرْجٍ　　مُدِلٌّ عَـنَـبَسٌ فـي الـغِـيـلِ مُـجْـرِي
فـقَـدْ أحْـمـى الأبَـاءة مـن كُـلافٍ　　فـمَـا يَـدْنُـو لَـهُ أحَـدٌ بـنـقْـر
بِـخَـلٍّ تَـعْـجِـزُ الـحُـلَـفـاءُ عـنـه　　يُـواثِـب كـلَّ هَـجْـهَـجَـةٍ وزَجْـر
بـأوْشَـكَ سَـوْرَةً مِـنِّـي إذا مـا　　حَـبَـوْتُ لـه بِـقَـرْقَـرةٍ وهَـدْر
بـبِـيـضٍ كـالأسِـنَّـة مُـرْهَـفَـاتٍ　　كـأنّ ظُـبـاتِـهـنّ جَـحـيـمُ جَـمْـر

وذلك أن الضَّبُعَ يَقْلِبُ القتيل على قَفاه فيما ذكر، وتَسْتَعْمِل كَمَرَتَه، لأنها أشْبَقُ البهائم، ولذلك يقال لها حين تُصْطَاد: أبْشِرِي أُمَّ عامِرٍ بجَرَادٍ عضال وكَمَرِ رِجَالٍ، يخدعونها بذلك، وهي تُكنَى أُمّ عامِرٍ، وأم عَمْرو، وأم الهِنَّبْر [وأم عِتَاب وأم طُرَيْق وأم نَوْفل]، وأمّ خِنَّوْرِ وأُم خنوْرِ معًا وتسمى: حَضَاجِرَ وجَعَار [والعَثْواء وذِيخَة وعَيْلَم وجَيْعَر، وأم جَعْوَر] وقَثَام وجَيْأَلُ وعَيْشُوم، وقَثَام أيضًا اسمٌ للغَنِيمَةِ الكثيرة يقال: أصَاب القوم قَثَامًا، قاله الزبير، وحيثل وعَيْثُوم، وأما الذَّكَرُ منها فعَيْلامٌ وعِثْيَان وذِيخٌ [وأبو كَلَدَة ونَوْفل والأعثى].

وقوله في وصف الأسد في الغِيل: مُجْرٍ، أي: ذو أَجْراء، والأَبَاءَة: الأَجَمَةُ التي هو فيها، وكذلك الغِيل والخِدْرُ والعَرِين والعِرِّيسةُ.

وقوله: أحْمَى الأبَاءَة، أي: حَمَاها، وأَحْمَى لغةٌ في حَمَى لكنها ضعيفةٌ، ولعله أراد: أحْمَى الأبَاءَة، أي: جعلها كالنار الحامية، يقال: أحْمَيتُ الحَدِيدَةَ في النار، يعني: إن أَبَاءَته قد حُميتَ به فلا تُقْربَ.

وقوله: مِنْ كُلاَفٍ، لعله أرادَ مِنْ شِدَّة كَلَفٍ بما يَحْمِيه، فجاء به على وَزْن، فُعَالٍ، لأن الكَلَف إذا اشتدّ: كالهُيَام والعُطَاشِ، وفي معنى الشُّعارِ، ولعل كُلاَفا اسمُ موضع، وقال أبو حَنِيفة: الكُلاَفُ: اسم شَجَرٍ والله أعلم.

وقوله: بَخلٍّ، هو الطريق في الرمل، والهَجْهَجَةُ من قولك: هَجْهَجْتُ بالذئب إذا زجرته. قال الشاعر(١):

لـم يُـنْـجِـه مـنـهـا صـياحُ الـهَـجْـهَـج

وقوله: بِقَرْقَرَةٍ وهَدْرِ. القَرْقَرَةُ صَوْتٌ شَدِيدٌ مُنْقَطِعٌ، وجاء في صفة عامر الحَذَّاء أنه كان قُراقِرِيّ الصوتِ، فلما كَبِر وضَعُفَ صوتُه، قال:

أَصْـبَـحَ صَـوْتُ عـامِـرٍ صَـئِـيًّـا　　أَبْـكَـم لا يُـكَـلِّـم الـمَـطِـيَّـا

---

(١) هو: عمران بن عاصم الغزي. انظر البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٤٨).

وأَكْلَفَ مُجنأٍ من جِلْد ثَوْر وصَفْراء البُرَايَةِ ذاتِ أَزْرِ
وأبيَضَ كالغَديرِ ثَوَى عليه عُمَيْرٌ بالمَدَاوِسِ نِصْف شَهْر
أُرَفِّل في حَمائِله وأمْشِي كمِشْيَة خادِر لَيْثٍ سِبَطْر
يقُولُ لي الفَتى سَعدٌ هَدِيًّا فقلتُ: لعلَّه تقريبُ غَدْر
وقلتُ أبا عَديّ لا تَطُرْ وذلك إنْ أطَعْتَ اليَوْم أمْري
كدَأْبِهِمُ بفَرْوةَ إذْ أتا فظَلَّ يُقاد مَكْتوفًا بضَفْر

قال ابن هشام: وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر:

نَصُدُّ عَنِ الطَّرِيق وأدْرَكونا كأنَّ سِراعَهم تَيَّارُ بَحْر

وقوله: مدلّ عَنبس في الغِيل مُجري - عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: وقال أبو أُسامة أيضًا:

ألا مِنْ مبلغ عني رَسولاً مُغَلْغَلةً يُثَبِّتُها نَطِيفُ
ألم تَعْلَم مَرَدّي يومَ بَدْر وقد بَرَقَتْ بجَنْبيك الكُفوف

وهو عامر بن رَبيعة الحَذَّاء التَّغْلِبيّ، وإليه يُنْسَبُ بنُو الحَذَّاء، وذكر أهل اللغة أن الكَشِيشَ أول رُغاءَ الجَمَل، ثم الكَتِيتَ ثم الهَدْر، ثم القَرْقَرة، ثم الزَّغْد، ويقال: زَغَد يَزْغُد ثم القُلاَخ [أو القَلْخ أو القَلِيخ الأخيرة عن سيبويه] إذا جعل كأنه يَتَقَلَّع.

وقوله: وأَكْنَفَ مُجْناء، يعني: التُّرْسَ، وهو من أجْنأْتُ الشيء، إذا جنيته فهو مُجْنأ، ويعني: بصَفْراء البُرَايَةِ: القوسَ، وبُرَايَتُها: ما يُرى منها، وجعلها صَفْرَاء لجِدَّتِها وقُوّتها. وقوله: وأَبْيَضَ كالغدير: أراد السيف، وعُمَيْر اسمُ صانع، والمَدَاوِسُ: جمع مِدْوَسٍ، وهي الآلة التي يدوس بها الحدَّاد، والصَّيْقَلُ ما يصنعه، ووصفُه إيَّاها بالمُغْرِ، المُغْرُ: جمع أمغر، وهو الأحمر، والخادِرُ: الداخل في الخِدْرِ ومُسْبَطِرّ: غير مُنْقبِضٍ.

وقوله:

يقول لي الفتى سَعْدٌ هَدِيًّا

الهَدِيُّ: ما يُهْدَى إلى البيت، والهَدِيُّ أيضًا العَرُوسُ تُهْدَى إلى زَوْجِها، ونَصَبَ هَدِيًّا هنا على إضمار فِعْل، كأنه أراد اهْدِ هَدِيًّا.

وقد تُرِكت سُراةُ القوم صَرْعَى كـأنّ رُؤوسَـهـم حَـدَجٌ نَـقِـيـف
وقد مالَتْ عليك ببَطْن بَذْرٍ خِلافَ القَوْم داهِيَةٌ خَصيف
فنجّاه من الغَمَرات عَزمي وعونُ الله والأمرُ الحَصِيف
ومُنقَلبي مِن الأبْواء وَجْدِي ودونك جَمْعُ أعداء وقوف

شرح القصيدة الفاوية لأبي أسامة:

وقوله في الشعر الفاويّ:

كـأن رُؤوسَـهـم حَـدَجٌ نَـقِـيـفٌ

الحَدَجُ: جمع حَدَجَة، وهي: الحَنْظَلةُ، والنَّقِيفُ: المَنقُوفُ، كما قال امْرُؤُ القَيْس:

[كأني غَداةَ البَيْنِ يوم تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُراتِ الحَيِّ] ناقِفُ حَنْظَلِ

وهو المُسْتَخْرِجُ حَبَّ الحَنظَلِ.

وقوله: داهية خَصِيفٌ، أي: مُتَراكِمة من خَصَفْتُ النَّعْلَ أو من خَصَفْتُ الليف، إذا نَسَجْته، وقد يقال: كَتِيبَةٌ خَصِيفٌ، أي: مُنْتَسِجَةٌ، بعضُها ببعضٍ، مُتَكاثِفَةٌ، وفي كتاب سيبويه: كتيبة خَصِيف أي: سوداء.

وقولُه: ومُنْقَلبي من الأَبْوَاءِ، هو: الموضِعُ الذي فيه قبرُ آمِنَةَ أُمِّ رسول الله - ﷺ - وسُمِّي الأبواءَ، لأن السُّيولَ تَتَبَوَّأه، وفي الحديث أن رسولَ الله - ﷺ - زار قبرَ أُمِّه بالأبْوَاءِ، في ألفِ مُقَنَّعٍ فَبَكَى وأبكى[1]، ووجدت على البيت المتقدم الذي فيه: حَدَجٌ نَقِيف في حاشية الشيخ، قال أبو حنيفة الحَنْظَلُ: من الأعلاثِ وهو ينبت شَرْيًا، كما ينبت شَرْي القِثَّاءِ، والشَّرْي: شَجَرُه، ثم يخرج فيه زَهْر، ثم يخرج في الزَّهْرِ جِرَاءَ مثل جِرَاءِ البطِّيخ[2]، فإذا ضَخُمَ وسَمِنَ حَبُه سَمَّوْه الحَدَجَ واحدتُه حَدَجَةٌ، فإذا وقعت فيه الصُّفرَةُ سَمَّوْهُ: الخُطْبَان، وزاد أبو حَنِيفَةَ أن الحَنظَلَة إذا اسْوَدَّت بعد الخُضْرَةِ، فهي: قَهْقَرَةٌ، وذكر في القِثَّاءِ الحَدَجَ والجِرَاءَ كما ذكر في الحَنظَلِ، وكذلك الشَّرْيَة اسم لشَجَرَتِهما، وفي القِثَّاءِ قبل أن يكون بِطِّيخًا القَحّ[3]، وقَبْل القَحِّ يكون خَضَفًا، وأصغرُ من ذلك القُشْعُر[4] والشُّغْرُور[5] والضُّغْبُوسُ[6] وثَقِيفٌ معناه: مَكْسُورٌ. لأنه يقال: نَقَفْتُ رأسَه عن دماغِه، أي: كَسَرْتَه.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ١٧٣).
(٢) جراء البطيخ: صغاره.
(٣) قال الأزهري: الصواب الفج.
(٤) القشعر: القثاء، بلغة أهل الجوف من اليمن.
(٥) الشعرور: القثاء الصغير.
(٦) الضغبوس: القثاء الصغير أيضًا.

وأنت لمن أرادك مُسْتكينٌ ... بجَنب كُراشَ مكلومٌ نَزيف
وكنتُ إذا دعاني يومَ كَرْب ... من الأصحاب داعٍ مُسْتَضِيف
فأسْمعني ولو أحْبَبْتُ نَفْسي ... أخٌ في مثل ذلك أو حَليف
أرُدّ فأكشِف الغُمَّى وأرمي ... إذا كَلَح المَشافرُ والأُنُوف
وقِرْنٍ قد تركتُ على يديه ... يَنُوء كأنه غُصْن قَصِيف
دَلَفْتُ له إذا اختَلَطوا بحَرَّى ... مُسَحْسَحةٍ لعاندها حَفِيف
فذلك كان صُنعي يومَ بَدْر ... وقَبْلُ أخو مَداراة عَزُوف
أخوكم في السِّنين كما عَلمتُم ... وحَرْبٍ لا يزالُ لها صَرِيف
ومِقْدامٌ لَكُم لا يَزْدَهِيني ... جَنانُ اللَّيْلِ والأنَسُ اللَّفيف
أخُوض الصَّرَّة الحَمَّاء خَوْضًا ... إذا ما الكَلْبُ ألجأهُ الشَّفيف

قال ابن هشام: تركت قصيدةً لأبي أُسامة على اللام، ليس فيها ذكر بَدْر إلا في أوّل بيت منها والثاني، كراهيةَ الإكثار.

شعر هند بنت عتبة

قال ابن إسحٰق: وقالت هندُ بنت عُتبة بن ربيعة تبكي أباها يوم بدر:

أعَينيَّ جُودا بدَمْعٍ سَرِبْ ... على خيرِ خِنْدِفَ لم ينقَلِبْ

وقوله: أَخُوضَ الصَّرَّةَ الحَمَّاءَ. الصَّرَّةُ: الجماعة، والصَّرَّةُ: الصِّياحُ، والصَّرَّةُ: شِدَّةُ البَرْد، وإياها عني، لأنه ذكر الشَّفِيفَ في آخر البيت، وهو بَرْدٌ وريحٌ، ويقال له: الشَّفَّان أيضًا، أنشد ابن الأنْبَارِيّ:

قِل للشَّمَال التي هَبَّتْ مُزَعْزِعَةً ... تُذْرِي مع الليل شَفَّانًا بِصُرَّادِ
اقْرِي السَّلاَم على نَجْدٍ وساكِنِه ... وحاضِرٍ باللِّوَى إن كان أوْ بَادِ
سَلاَمَ مُغْتَرِبٍ فِقْدَان منزله ... إن أنْجَدَ الناسُ لم يَهْمُمْ بإنْجَادِ

شعر هند

وفي شعر هِنْدٍ: جَمِيل المَرَاةِ، أرادت: مَرْآة العَيْن، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن، فذهبت الهمزة، وإنما تذهب الهمزةُ إذا نقلت حركتها، لأنها تبقى في تقدير ألفٍ ساكِنَةٍ، والساكنُ الذي قبلها باقٍ على حُكم السكون لأن الحركة المنقولة إليه عارضةٌ، فكأنه قد اجتمع ساكنان، فحُذِفت الألفُ لذلك، هذا معنى كلام ابن جنّي.

تَـداعَـى لـه رَهْـطُـه غُـذْوَةً ... بـنُـو هـاشـمٍ وبـنُـو الـمطَّـلِـب
يُـذيـقـونـه حَـد أسْـيـافِـهـم ... يَـعُـلُّـونـه بـعـد مـا قـد عَـطِـب
يـجـرونـه وعـفـيـرُ الـتُّـراب ... عـلـى وَجُـهـه عـاريًـا قـد سُـلِـب
وكـانَ لـنـا جَـبَـلاً راسِـيًـا ... جـمـيـلَ الـمَـرَاةِ كـثـيـرَ الـعُـشْـب
وأمَّـا بُـرَيٌّ فـلـم أغـنِـه ... فـأوتِـيَ مـن خـيـر مـا يَـحْـتَـسـب

وقالت هند أيضًا:

يَرِيب علَيْنا دَهْرُنا فَيسوؤُنا ... ويأبَى فَمَا نَأتِي بشيْءٍ يُغالبُه
أبَعد قَتيل من لُؤَيّ بن غالب ... يُراع امرؤ إنْ مات أو مات صاحبه
ألا رُبَّ يوم قد رُزِئتُ مُرَزَّأً ... تَروح وتَغْدو بالجزيل مَواهبُهْ
فأبْلغ أبا سُفيان عنّي مَألُكا ... فإن ألْقَه يومًا فسوف أُعاتِبه
فقد كان حربٌ يَسْعَر الحربَ إنَّه ... لكلّ امرىء في الناس مولًى يُطالِبه

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لهند.

قال ابن إسحٰق: وقالت هند أيضًا:

لِلهِ عَـيْـنـا مَـنْ رأى ... مُـلْـكًـا كَـهُـلْـكِ رجـالـيـة
يـا رُبّ بـاكٍ لـي غَـدا ... فـي الـنَّـائـبـات وبـاكـيَـة
كَـمْ غـادَرُوا يَـوْمَ الـقَـلِـيـ ... ـب غـداةَ تـلـك الـواعِـيَـة
مِـنْ كُـلِّ غَـيْـثٍ فـي الـسِّـنيـ ... ـن إذا الـكَـوَاكِـبُ خـاوِيـة
قـد كُـنـتُ أحْـذَرُ مـا أرَى ... فـالـيَـوْم حَـقّ حَـذاريـهْ
قـد كُـنـتُ أحْـذَرَ مـا أرَى ... فـأنـا الـغـداةَ مُـوامِـيـة
يـا رُبّ قـائِـلَـةٍ غَـدًا ... يـا وَيْـحَ أُمّ مُـعـاوِيَـة

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لهِنْد.

وقول هند:

فـأمَّـا بُـرَيٌّ فـلـم أغـنِـهِ

فهو تصغير البَرَاءِ اسم رَجُلٍ، وقولها:

قـد كـنـتُ أحُـذَر مـا أرى ... فـأنَـا الـغَـدَاةَ مُـوَامِـيـه

قال ابن إسحٰق: وقالت هند أيضًا:

يـا عَـيْـنُ بَـكِّـي عُـتُـبَـةْ ... شـيـخًـا شـديـد الـرَّقَـبَـةْ
يُـطْـعِـم يـوم الـمَـسْـغَـبَـة ... يـدفـع يـومَ الـمَـغْـلَـبَـة
إنّـي عـلـيـه حَـرِبَـة ... مَـلْـهـوفـةٌ مُـسْـتَـلَـبَـة
لَـنَـهْـبِـطَـنّ يَـثْـرِبَـة ... بـغـارةٍ مُـنْـشَـعِـبَـة
فـيـهـا الـخـيـولُ مُـقَـرَبَـة ... كُـلُّ جَـوَاد سَـلْـهَـبَـة

شعر صفيّة:

وقال صَفِيَّة بنتُ مُسافر بن أبي عمرو بن أُميَّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف. تَبكي أهلَ القَليب الذين أُصيبوا يوم بدر من قُريش: (وتذكر مُصابهم):

يا مَنْ لِعَينٍ قَذَاها عائرُ الرَّمَدِ ... حَدَّ النَّهارِ وقَرْنُ الشمسِ لم يَقِدِ
أُخْبِرْتُ أنّ سَراة الأكْرَمين مَعًا ... قد أحْرَزَتْهم مَناياهُم إلى أمَدِ
وفَرَّ بالقَوْم أصحابُ الرِّكاب ولم ... تَعْطِفْ غدائتِذٍ أُمٌّ على وَلَدِ
قَومي صَفِيّ ولا تَنْسَي قَرابَتَهم ... وإن بَكَيْتِ فما تَبْكين مِن بُعُدِ
كانُوا سُقُوب سماء البيت فانقصفت ... فأصبح السَّمْك منها غيرَ ذي عَمَد

قوله: مُوَامية، أي: ذليلة، وهو مُؤَامِيَةٌ بهمزة، ولكنها سُهِّلت، فصارت واوًا، وهي من لفظ الأَمةِ، تقول: تَأَمَّيْتُ أَمَةً أي: اتَّخَذْتُها، ويجوز أن يكونَ مَقْلوبًا من المُوَاءمَةِ، وهي الموافقة، فيكون الأصلُ مُوَائِمة، ثم قُلِب فصار مُوَامِيَة على وزن مُفَاعِلة، تريد أنها قد ذَلَّت، فلا تأبى، بل تُوافق العَدُوَّ على كُرْهٍ، ومنه اشتقاق التَوْأَم لأن وَزْنَه فَوْعَل مثل التَّوْلج والتاء فيهما جميعًا بَدَلٌ مِن: واوٍ، قاله صاحب العين.

وقـولها:

مَـلْـهُـوفـة مُـسْـتَـلَـبَـة

الأَجْوَدُ في مُسْتَلَبَةِ أن يكون بكسر اللام من السِّلاَبِ وهي الخِرْقَةُ السَّوداء التي تَخَمَّر بها الثَّكْلى، ومنه قولُ النبيّ ﷺ لأسْمَاءَ بنت عُمَيْسٍ حين مات عنها جعفر: «تَسَلَّبي ثلاثًا، ثم اصْنَعِي ما شئت»[1]، وهو حديث منسوخ بالإحْدَادِ، ومُتأوَّلٌ، ذكره الطَّبَريُّ.

---

(١) أخرجه البيهقي (٧/ ٣٤٨) والقرطبي (٣/ ١٨١).

قال ابن هشام: أنشدني بيتَها: «كانوا سقوب» بعضُ أهل العلم بالشعر.

قال ابن إسحٰق: قالت صفيَّة بنت مُسافر أيضًا:

ألا يـا مَـنْ لِـعَـيْـنٍ لـلـتَّـ ... ـبـكِّـي دَمْـعُـهـا فـان
كَـغَـرْنَـيْ دالـج يَـسْـقي ... خِـلال الـغَـيِّـث الـدَّان
ومـا لَـيْـثُ غَـرِيـفٍ ذو ... أظـافِـيـرٍ وأسْـنـان
أبـو شِـبْـلَـيْـنِ وَثـابٌ ... شـديـدُ الـبَـطْـش غَـرْثـان
كَـحِـبِّـي إذْ تـولَّـى و ... وُجُـوهُ الـقَـوْم ألْـوان
وبـالـكَـفِّ حُـسـام صَـا ... رم أبْـيَـضُ ذُكْـرَان
وأنـت الـطَّـاعـن الـنَّـجـلا ... ءِ مِـنْـهـا مُـزْبِـد آن

قال ابن هشام: ويرون قولها: «وما لَيث غريفِ» إلى آخرها مفصولاً من البيتين اللذين قبله.

شعر هند بنت أُثاثة:

قال ابن إسحٰق: وقالت هِند بنت أُثاثة بن عباد بن المطَّلب تَرْثي عُبيد بن الحارث بن المطَّلب:

لقد ضمَّن الصَّفْراءُ مجدًا وسُؤدُدًا ... وحِلْمًا أصيلاً وافِر اللُّبِّ والعَقْلِ
عُبَيدةَ فابْكيه لأضيافِ غُرْبةٍ ... وأرمَلة تَهْوِي لأشْعَثَ[1] كالجِذْل[2]
وبَكِّيه للأقْوام في كلِّ شَتْوة ... إذا احْمرّ آفاقُ السَّماء من المَحْل
وبَكِّيه للأيْتام والرِّيحُ زَفْزَفٌ[3] ... وتَشْبيب قِدْر طالما أزبدت تَغْلي
فإن تُصبح النِّيران قد مات ضَوْؤها ... فقد كان يُذْكِيهِنَ بالحَطَب الجَزْل[4]
لطارِقِ لَيْلٍ أو لمُلتمس القِرَى ... ومُسْتنبحٍ أضحَى لديْه على رِسْل

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لهِنْد.

---

(١) أشعث: مغبر الشعر.

(٢) الجذل: من يلتجأ إليه ويُشار.

(٣) زفزف: شديدة الهبوب.

(٤) الجزل: الغليظ.

شعر قتيلة بنت الحارث

قال ابن إسحٰق: وقالت قُتَيلة بنت الحارث أخت النَّضر بن الحارث، تَبْكيه:

يـا راكِـبًـا إنّ الأُثَـيْـل مَـظِـنَّـة ... من صُبْح خامِسَةٍ وأنت مُوفَّقُ
أبْلِـغْ بـهـا مَـيْـتًـا بـأنّ تَـحِـيَّـةً ... ما إنْ تَزَالُ بـها النَّجَائب تَـخْفُق
مِـنِّـي إلـيـك وعَـبْـرةً مَـسْـفـوحـةً ... جادتْ بـوَاكِـفـهـا وأُخْرى تَـخْـفُـق
هـل يَـسْـمَـعنِّي النَّضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يَسْمع ميِّتٌ لا يَنطق
أَمُـحَـمَّـدٌ يـا خَـيْـرَ ضَـنْءِ كـريـمةٍ ... في قَوْمها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرق
مـا كـان ضَـرَّكَ لـو مَـنَـنْـتَ وربـمـا ... مَنَّ الفَتى وهو المَغِيظُ المُحْنَق
أو كـنـتَ قـابـلَ فـدْيـةٍ فـلْـيُـنْـفِقَـنْ ... بـأعـزّ مـا يَـغْـلـو بـه مـا يُـنْـفـق
فـالـنَّـضـر أقـربُ مَـنْ أسَـرْتَ قَـرابـةً ... وأحـقُّـهـم إن كـان عِـتْـق يُـعْـتَـق
ظَـلَّـت سُـيُـوفُ بـنـي أبـيـه تَـنُـوشُـه ... للهِ أرْحَـامٌ هُـنَـاكَ تُـشَـقَّـق
صَـبْـرًا يُـقـاد إلـى الـمَـنِـيَّـة مُـتْـعَـبًـا ... رَسْفَ الـمُـقـيَّـدِ وهـوَ عَـانٍ مُـوثَـق

شعر قتيلة

وذكر ابنُ هشام شِعْرَ قُتَيلَة بنتِ الحارثِ تَرْثي أخاها النَّضْرَ بن الحارثِ، والصحيح أنها بنت النضر لا أُخْتُه كذلك قال الزبير[1] وغيره، وكذلك وقع في كتاب الدلائل، وقُتَيْلَةُ هذه كانت تَحْت الحارثِ بن أبي أُمَيَّةَ الأصْغَرِ، فهي جَدَّة الثُّرَيَّا بنتِ عبد الله بن الحارثِ التي يقول فيها عُمَرُ بن أبي رَبِيعَةَ حين خطبها سُهَيْلُ بنُ عبدِ الرحمٰن بن عَوْف:

أيـهـا الـمُـنـكِـحُ الـثُّـريَّـا سُـهَـيْـلاً ... عَـمْـرُكَ الله كـيـف يَـلْـتَـقـيـانِ
هـي شـامِـيَّـةٌ إذا مـا اسْـتَـقَـلَّـتْ ... وسُـهَـيـلٌ إذا اسـتـقـلّ يَـمَـانِ

وَرَهْطُ الثُّريَّا هذه يقال لهم: العَبَلاَت، لأن أُمَّهم عَبْلَةُ بنت عُبَيْد بن جاذب.

وفي شعر قُتَيْلَةَ:

أَمُـحَـمَّـدٌ هـا أنـت ضِـنْـي نَـجِـيـبَـةٍ

---

(١) انظر نسب قريش (٢٥٥).

قال ابن هشام: فيقال، والله أعلم: إن رسولَ الله ﷺ لمَّا بلغه هذا الشِّعر، قال: «لو بلغني هذا قبل قتله لمَنَنْتُ عليه».

تاريخ الفراغ من بدر:

قال ابن إسحٰق: وكان فراغُ رسولِ الله ﷺ من بدر في عَقب شهر رمضان أو في شوَّال.

قال قاسم: أرادت يا مُحمَّداه على النُّدْبة، قال: والضِّنْئُ الوَلد، والضِّنْئُ الأصلُ، يقال: ضنْت المرأة واضنئنات وضنت تضو إذا ولدت.

غزوة بني سليم بالكُدْرِ

قال ابن إسحٰق: فلما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة لم يُقم بها إلا سبعَ ليالٍ حتى غزا بنفسه، يريد بني سِلَيم.

قال ابن هشام: واستعملَ على المدينة سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِيّ، أو ابن أُمّ مَكْتُوم.

قال ابن إسحٰق: فبلغ ماءً من مياههم؛ يقال له الكُدْر، فأقام عليه ثلاثَ لَيَالٍ ثم رجع إلى المدينة، ولم يَلْق كيدًا، فأقام بها بقيّة شوّال وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جُلّ الأسارَى من قُرَيْش.

غزوة قرقرة الكدر[1]

القَرْقَرَةُ: أرض مَلْسَاءُ، والكُدْرُ: طير في ألوانها كُدْرَةٌ، عرف بها ذلك الموضعُ، وقد كان عمرُ بنُ الخَطّابِ - رضي الله عنه - يذكر مسيرَه مع رسول الله ﷺ - في تلك الغَزْوَةِ، فقال لعِمْرَان بن سَوَادَةَ حين قال له: إن رعِيَّتك تشكو منك عُنْفَ السِّيَاق، وقهر الرعيّة فدقر على الدِّرَّةِ، وجعل يَمْسَحُ سُيُورَها، ثم قال: قد كنت زَمِيلَ رسول الله ﷺ في قَرْقَرَة الكُدْرِ، فكنت أُرْتِع فأُشْبِع وأَسْقِي فأَرْوِي، وأُكْثِرُ الزَّجر، وأُقِلُّ الضربَ، وأَرُدُّ العَنُودَ، وأزجر العَرُوضَ، وأَضُم اللُّفُوتَ، وأَشْهَر العصا، وأَضرِبُ باليد، ولولا ذلكَ لأَغْذَرْتُ [بعض ما أسوق] أي: لضَيَّعْتُ فَتَرَكْتُ، يَذكر حُسْنَ سياسته، فيما وَلِي من ذلك. والعَنُود: الخارجُ عن الطريق، والعَرُوضُ المُسْتَصْعَبُ من الناس والدّوابّ.

---

(١) انظر البداية والنهاية (٣/ ٣٤٦) ابن سعد (٢/ ١/ ٢٢) الزاد (٣/ ١٨٩) جوامع السيرة (١٨٨) ابن سيّد الناس (١/ ٢٩٤) شرح المواهب (١/ ٤٥٤) المنتظم (٣/ ١٥٦) الواقدي (١/ ١٨٢) الكامل (٢/ ٣٥) تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٢).

غـزوة السويـق[1]:

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال: حدّثنا زيادُ بن عبد الله البكّائيّ، عن محمد بن إسحاق المُطلبي، قال: ثم غَزَا أبو سُفيان بن حَرْب غَزْوة السَّويق في ذي الحجّة، وولى تلك الحجة المُشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان كما حدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير، ويزيد بن رُومان ومن لا أتّهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار، حين رجع إلى مكة، ورجَع فَلُّ قُرَيش من بدر، نذَر أن لا يَمَسَّ رأسَه ماءٌ من جَنابةٍ حتى يَغزو محمدًا ﷺ، فخرج في مائتي راكبٍ من قُرَيش، ليُبِرَّ يمينَه، فسلك النَّجْديةَ، حتى نزل بصَدْرِ قَناةٍ إلى جَبَل يقال له: ثَيب، من المدينة على بَريد أو نحوه، ثم خرج من اللَّيل، حتى أتى بني النَّضِيرِ تحت اللَّيل، فأتى حُيَيَّ بن أَخْطَب، فضرب عليه بابَه، فأبَى أن يفتح له بابَه وخافَه، فانصرف عنه إلى سَلاَّم بن مِشْكَم، وكان سيِّد بني النَّضير في زمانه ذلك، وصاحبَ كنزهم، فاستأذن عليه، فأذِن له، فقَراه وسَقاه، وبَطَن له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابَه، فبعث رجالاً من قُرَيش إلى المدينة، فأتَوْا ناحية منها، قال لها: العُرَيض، فحرقوا في أصْوار من نَخل بها، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحَليفًا

وذكر أنَّ أبا سُفيان كان نَذَر ألاَّ يَمَسَّ رأسَه ماءٌ من جَنابَةٍ، حتى يَغْزُوَ محمدًا. في هذا الحديثِ أن الغُسْلَ من الجَنابَة كان معمولاً به في الجاهِليَّة بقِيَّة من دِين إبراهيمَ وإسماعيل، كما بقي فيهم الحجُّ والنكاحُ؛ ولذلك سَمَّوْها جَنابةً، وقالوا: رجُلٌ جُنُب وقوم جُنُبٌ، لمجانبتهم في تلك الحال البيتَ الحرامَ، ومواضعَ قُرُبَاتِهم، ولذلك عُرِف معنى هذه الكلمةِ في القرآن أعني قولَه: ﴿وإن كُنتُم جُنُبًا فاطَّهَّروا﴾ فكان الحدثُ الأكبرُ معروفًا بهذا الاسم، فلم يحتاجوا إلى تفسيره، وأما الحدَثُ الأصغَرُ، وهو الموجب للوضوء، فلم يكن معروفًا قبل الإسلام؛ فلذلك لم يقل فيه: وإن كنتم مُحْدِثين، فَتَوضؤوا كما قال: ﴿وإنْ كُنتُمْ جُنُبًا فاطَّهَّروا﴾ بل قال: ﴿فاغسِلوا وُجُوهَكم وأيديَكم إلى المرافِق﴾ الآية [المائدة: ٦] فبيّن الوضوءَ وأعضاءه وكيفيتَه، والسببَ الموجِبَ له كالقِيَام من النوم والمجيء من الغَائِطِ، ومُلامَسَةِ النِّساء، ولم يحتجّ في أمر الجَنابَة إلى بيانٍ أكثَرَ من وُجُوب الطَّهَارَةِ، منها: الصلاةُ.

وقولَه: أصْوَار نَخْلٍ، هي: جمع صَوْرٍ. والصَّوْرُ: نخلٌ مُجْتَمِعَةٌ.

---

(١) انظر البداية (٣/ ٣٤٤) الواقدي (١/ ١٨١) ابن سعد (٢/ ١/ ٢٠) المنتظم (٣/ ١٥٦) ابن حزم (١٥٢) السيرة الحلبية (٢/ ٢٧٧) الكامل (٢/ ٣٦) الاكتفاء (٢/ ٧٧) تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٣) الدرر (١٣٩) عيون الأثر (١/ ٣٥٤) النويري (١٧/ ٧٠) الزاد (٣/ ١٨٩) ابن سيّد الناس (١/ ٣٤٤).

له في حَرْث لهما، فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين، ونَذِرَ بهم الناسُ. فخرج رسولُ الله ﷺ في طَلبهم، واستعملَ على المدينة بَشيرَ بن عبدِ المُنْذِر، وهو أبو لُبَابة، فيما قال ابنُ هِشَام، حتى بلغ قَرْقَرة الكُدْر، ثم انصرف راجعًا، وقد فاته أبو سُفيان وأصحابُه، وقدْ رأوْا أزوادًا من أزواد القوم قد طَرحوها في الحَرْث يتخفَّون منها للنَّجاء، فقال المسلمون، حين رجع بهم رسولُ الله ﷺ: يا رسولَ الله، أتَطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: «نعم».

قال ابن هشام: وإنما سُمِّيت غزوة السَّوِيق، فيما حدَّثني أبو عُبَيدة: أنّ أكثر ما طرح القومُ من أزوادهم السَّوِيقُ، فهَجم المسلمون على سَوِيق كثير، فسُمِّيت غزوة السويق.

قال ابن إسحٰق: وقال أبو سُفيان بن حَرْب عند مُنْصَرَفِه، لما صنع به سَلاَّم بن مِشْكم:

وإني تخيَّرتُ المدينةَ واحدًا ... لحِلْفٍ فلم أنْدَمْ ولم أتَلَوَّمِ
سقاني فروَّاني كُمَيْتًا مُدامة ... على عَجَلٍ مني سَلامُ بن مشكم
ونمَّا تولَّى الجيْشُ قلت ولم أكُنْ ... لِأُفْرِحَه: أبشرْ بعزّ ومَغْنم
تأمَّلْ فإنّ القومَ سرّ وإنهم ... صريحُ لُؤَيّ لا شَمَاطِيطُ جُرْهُم
وما كان إلا بعض ليلةِ راكبٍ ... أتى ساعيًا من غير خَلَّة مُعْدِمِ

سلامة بن مشكم:

وذكر سَلاَّمَ بن مِشكمٍ، ويقال: فيه سَلاَّم، ويقال: إنه ولد شَعْثَاء التي يقول فيها حَسَّان:

لِشَعْثَاءَ التي قَدْ تَيَّمَتْهُ ... فليس لَعَقْلِه منها شِفَاءُ

وقول أبي سُفيان: شَمَاطِيط جُرْهُم. الشَّماطِيط: الخيْل المتَفَرِّقة، ويقال للأخلاط من الناس أيضًا: شَمَاطِيط، وأصلُه من الشمِيطِ، وهو اخْتِلاَطُ الظَّلام بالضوء، ومنه الشَّمَطُ في الرأس.

وقوله: ولم أكن لأُفْرِحَه، والمُفْرَحُ: الذي قد أثقله الدَّينُ، وقد تقدّم شرحه.

غـزوة ذي أمـر[1]:

فلمَّا رجع رسولُ الله ﷺ من غَزوة السّوِيق، أقام بالمدينة بقية ذي الحجّة أو قريبًا منها، ثم غزا نجدًا، يريد غَطَفان، وهي غزوة ذي أمَرَ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفَّان فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: فأقام بنَجْد صفرًا كلَّه أو قريبًا من ذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يَلْقَ كيدًا. فلَبث بها شهر ربيع الأوّل كُلَّه، أو إلا قليلاً منه.

غزوة الفرع من بحران[2]:

ثم غز (رسولُ الله) ﷺ، يريد قريشًا، واستعمل على المدينة ابنَ أُمّ مَكْتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: حتى بلغ بَحرانَ، مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرْع، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجُمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلْقِ كيدًا.

وذكر أن رسول الله - ﷺ - أتى بَحْرَانَ مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرْع، فأقام به شَهر ربيع الآخر، وجُمادى الأولى. الفُرُعُ بضمّتين، يقال: هي أول قرية مَارَتْ إسماعيلَ وأُمَّه التَّمرَ بمكّةَ، وهي من ناحية المدينة، وفيها عَيْنَان يقال لهما: الرُّبُضُ والنَّجَفُ يَسْقِيانِ عشرينَ ألفَ نخلةٍ كانت لحَمزَةَ بن عبدِ الله بن الزُّبَيْر. وتفسير الرُّبُض: منابِتُ الأَرَاكِ في الرَّمْلِ والفَرَعُ بفتحتين موضع بين الكُوفَة والبَصْرَةِ. قال سُوَيْدُ بن أَبي كَاهِل:

حَـلَّ أهْـلِيَ حـيْـثُ لا أَطْـلُـبُـهـا ... جـانِـبَ الـحَـضْـرِ وحَـلَّـتْ بـالـفَـرَع

ثم رجع إلى المدينةِ. وقول ابن إسحٰق: أقام شهر ربيع وجُمادى لأن الربيعَ مُشْتَرَكٌ بين اسم الشَّهرِ، وزمَنِ الربيع، فكان في لفظ الشَّهْر بيانٌ لما أراد. وجمادى اسْمُ عَلَمٌ ليس فيه اشتراك، وقد قدّمنا قولَ سِيبَوَيْهِ، ومما لا يكونَ العملُ إلاّ فيه كُلِّه المحرَّم وصَفَر يعني هذه الأسمَاء كُلّها، وكذلك أسماء الأيام، لا تقول: سِرْت الخميسَ ولا مشيت الأربعاء إلاّ

---

(1) انظر البداية (٤/ ٢) الطبقات (٢/ ١/ ٢٣) المنتظم (٣/ ١٥٧) الواقدي (١/ ١٩٣) الكامل (٢/ ٣٨) الاكتفاء (٢/ ٧٨) تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٧) سيرة ابن هشام (٢/ ٤٥) الدلائل (٣/ ١٦٧) النويري (١٧/ ٧٧) عيون الأثر (١/ ٣٦٢) السيرة الحلبية (٢/ ٢٧٩) جوامع السيرة (١٨٩).

(2) انظر الواقدي (١٩٥) ابن سعد (٢/ ١/ ٢٤) ابن كثير (٤/ ٢) جوامع السيرة (١٨٩) الزاد (٣/ ١٩٠) ابن سيّد الناس (١/ ٣٠٤) شرح المواهب (٢/ ١٦).

أمـر بني قينقاع

نصيحة الرسول لهم وردّهم عليه:

(قال): وقد كان فيما بين ذلك، من غَزْو رسول الله ﷺ أمرُ بني قَيْنُقَاع، وكان من حديث بني قَيْنُقَاع أن رسولَ الله ﷺ جمعهم بسُوق بني قَيْنُقَاع، ثم قال: «يا مَعْشَرَ يَهُودَ، احذروا من الله مثل ما نزل بقُريش من النَّقمة، وأسْلِموا، فإنَّكم قد عَرَفتم أنّي نبيٌّ مُرْسَلٌ. تَجِدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم»، قالوا: يا محمد، إنك تَرَى أنَّا قومُك! لا يُغرَّنك أنك لقِيتَ قومًا لا عِلْمَ لهم بالحرب، فأصبْتَ منهم فُرْصَةً، إنَّا والله لئن حاربناك لتعَلَمنَّ أنَّا نَحْنُ الناسَ.

مـا نـزل فيهـم:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سَعيد بن جبير، أو عن

والعملُ فيه كُلّه حتى تقول يوم الأربعاء، أو يَوْم كذا، وفي الشُّهور شَهْرُ كذا، فحينئذ يكون ظرْفًا لا يدلّ على وقوع العمل فيه كُلّه.

خبر بني قينقاع[1]

وقد تقدّم منه طَرَفٌ قبل غَزْوَة بَدْرٍ.

وفيه أن عبد الله بن أُبَيّ قال للنبيّ ﷺ: أَحْسِنْ في مَوَالِيّ وأن رسول الله ﷺ - غَضِبَ حتى رَأَوْا لِوَجْهِهِ ظِلاَلاً، هكَذَا في نُسْخَةِ الشيخ مُصَحَّحًا عليه، وفي غيرها ظُلَلاَ جمع ظُلَّة، وقد تُجْمَع فُعْلَة على فِعال نحو بُرْمَةٍ وبرام وجُفْرَةٍ وجِفارٍ فمعنى الرِّوَايَتَيْن إذًا واحِدٌ، والظُّلَّةُ ما حَجَبَ عنك ضوءَ الشَّمْسِ وصَحْوَ السماءِ، وكان وجْهُ رسول الله - ﷺ - مُشْرِقًا بَسَّامًا، فإذا غَضِبَ تَلَوَّن ألوانًا فكانت تلك الألوان حائلةً دون الإشْرَاقِ والطَّلاَقةِ والضِّيَاء المُنَشر عند تَبَسُّمُه، وقد روي أنه كان يَسْطَعُ على الجِدَار نورٌ من ثَغْرِه إذا تَبَسَّم، أو قال: تكلَّم، يُنْظَر في الشَّمَائِل للتِّرْمِذِيّ[2].

وذكر فيه الآية الي نزلت فيهم: ﴿قد كان لكم آيةٌ في فِئَتَيْن﴾ الفِئَةُ علىٰ وزن فِعَة من

---

(١) انظر البداية والنهاية (٤/ ٣) تاريخ الطبري (٢/ ٤٧٩) المنتظم (٣/ ١٣٦) الواقدي (١/ ١٧٦) الكامل (٢/ ٣٣) الطبقات (١/ ٢/ ١٩) ابن سيّد الناس (١/ ٢٩٤) الاكتفاء (٢/ ٧٩) ابن حزم (١٥٤) السيرة الحلبية (٢/ ٢٧٢) الشامية (٤/ ٢٦٥) الدلائل (٣/ ١٧٣) الزاد (٣/ ١٩٠) شرح المواهب.

(٢) الشمائل (٣٣).

عكرمة عن ابن عباس، قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وبِئْسَ المِهادُ قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا﴾: أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ، وقريش ﴿فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وأُخْرَى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ العَيْنِ واللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إِنَّ فِي ذلكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصارِ﴾.

كانوا أوّل من نقض العهد:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أن بني قَيْنُقَاع كانوا أوّل يهودَ نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد.

سبب الحرب بينهم وبين المسلمين:

قال ابن هشام: وذكر عبدُ الله بن جعفر بن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ، عن أبي عَوْن، قال: كان من أمر بني قَيْنُقاع أن امرأةً من العرب قَدِمتْ بجَلَب لها، فباعته بسوق بني قَيْنقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يُريدونها على كَشْف وجهها، فأبَت، فعَمد الصائغ إلى طَرف ثوبها فعَقده إلى ظَهْرها، فلما قامت انكشفت سَوْءتها، فضَحِكوا بها، فصاحتْ. فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا، وشدَّت اليهود على المُسلم فقَتلوه، فاستصرخ أهلُ المُسلم المسلمينَ على اليهود، فغَضِب المسلمون، فوَقع الشرّ بينهم وبين بني قَيْنُقاع.

ما كان من ابن أُبيّ مع الرسول:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قتادة، قال: فحاصرهم رسولُ الله ﷺ حتى نَزلوا على حُكْمه، فقام إليه عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول، حين أمْكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسنْ في مَوالِيَّ، وكانوا حُلفاء الخَزرج، قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ؛ فقال: يا محمد أحْسِنْ في مَوالِيَّ، قال: فأعرض عنه فأدْخل يدَه في جَيْب دِرْع رسول الله ﷺ.

فأَوْتُ رأسَه بالعصا إذا شَقَقْتُه، أو من الفَأْو، وهي جِبَال مُجْتَمِعةٌ، وبينهما فُسْحَةٌ من الأرض، فحقيقةُ الفِئَةِ الفِرْقَةُ التي كانت مُجْتَمِعَةً مع الأُخرى، فافترَقَتْ[1].

---

(١) فأوا: الفاء والألف والواو أصل صحيح يدل على انفراج في شيء. يقال: فأوت رأسه بالسيف فأوًا، أي فلقته. والفأو: فرجه ما بين الجبلين. مقاييس اللغة (٤/٤٦٨).

قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذاتُ الفُضول.

قال ابن إسحٰق: فقال له رسولُ الله ﷺ: أرسلني، وغَضِب رسولُ الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُلَلاً، ثم قال: ويحك! أرسلني؛ قال: لا والله لا أُرسلك حتى تُحسن في مواليّ، أربع مائة حاسر وثلاث مائة دارع قد مَنعوني من الأحمر والأسود، تِحْصدهم في غَداة واحدة، إنّي والله امرؤٌ أخشَى الدَّوائر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «هُم لك».

مـدّة حصـارهـم:

قال ابن هشام: واستعمل رسولُ الله ﷺ على المدينة في مُحاصرته إيّاهم بَشِير بن عبد المُنذر، وكانت مُحاصرته إيّاهم خمسَ عشرَة ليلة.

تبرؤ ابن الصامت من حلفهم وما نزل فيه وفي ابن أُبيّ:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبي إسحٰقُ بنُ يَسار، عن عُبادة بن الوَليد بن عبادة بن الصّامت، قال: لما حاربت بنو قَيْنُقاع رسولَ الله ﷺ، تشبَّث بأمرهم عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول، وقام دونهم. قال: ومشى عُبادة بن الصّامت إلى رسولِ الله ﷺ، وكان أحدَ بني عوف، لم من حِلفه مثلُ الذي لهم من عبد الله بن أُبيّ، فخَلعهم إلى رسولِ الله ﷺ، وتبرأ إلى الله عزّ جلّ، وإلى رسوله ﷺ من حِلْفِهم، وقال: يا رسولَ الله، أتولى الله ورسوله ﷺ والمُؤمنين، وأبرأ من حِلْف هؤلاء الكفّار وولايتهم. قال: ففيه وفي عَبد الله بن أُبيّ نزلت هذه السورة من المائدة: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أَوْلِياءَ بَعْضُهم أوْلِياءُ بعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُم فإنَّهُ مِنهُمْ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي لعبد الله بن أُبيّ وقوله: إني أخشى الدائر، ﴿يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنا دائرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى ما أَسَرُّوا فِيَ أَنْفُسِهِمْ نادِمِين وَيَقُول الَّذِينَ آمَنُوا أَهؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا باللَّهِ جَهْدَ أَيمانِهِمْ﴾، ثم القصّة إلى قوله تعالى: ﴿إنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾. وذكر لتولي عُبادة بن الصّامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بني قَينقاع وحِلفهم ووِلايتهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فإنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغالِبُونَ﴾.

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

إصابة زيد للعير وإفلات الرجال:

قال ابن إسحٰق: وسَرِيَّةُ زيد بن حارثة التي بعثَه رسولُ الله ﷺ فيها، حين أصاب عِيرَ قريش، وفيها أبو سُفيان بنُ حَرْب، على القَردة ماء من مياه نجد. وكان من حديثها: أنّ قريشًا خافُوا طريقَهم الذي كانوا يسلكون إلى الشأم، حين كان من وَقْعة بدر ما كان، فسَلكوا طريقَ العراق، فخرج منهم تُجّار، فيهم أبو سُفيان بن حرب، ومعه فضّة كثيرة، وهي عُظْم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل، يقال له: فُراتُ بن حيَّان يدُلُّهم في ذلك على الطريق.

قال ابن هشام: فُرات بن حيَّان، من بني عِجْل، حليف لبني سَهْم.

قال ابن إسحٰق: وبعث رسولُ الله ﷺ زيد بن حارثة فلَقيهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجَزه الرجالَ، فقدِم بها على رسول الله ﷺ.

سرية زيد

ذكر فيها فُرَاتَ بن حَيَّان العِجْلِيّ منسوبٌ إلى عِجْلِ بن لُجيْم بن صَعْبِ بن عَلّي بنِ بَكْرِ بن وَائِل. واللُّجَيْمُ: تَصْغِيرُ لُجَم وهي دُوَيْبَةٌ تَطَيَّرَ بها العَرَبُ، وأنشدوا:

لـهـا ذَنَـبٌ مـثـل ذَيْـلِ الـعَـرو س إلى سَبَّةٍ مِثْل جُحْرِ اللُّجَمْ

وكان عينَ قريش ودليل أبي سُفيانَ، أسلم فُرَاتُ وحَسُن إسلامُه، وقال فيه رسولُ الله - ﷺ -: «إن منكم رجالاً نكلهم إلى إسلامهم، منهم فُرَات»[1]، وأرسله رسولُ الله - ﷺ إلى ثمَامَةَ بن أثَالٍ في شَأْنِ مُسَيلِمَة، ورِدَّتِه، ومرّ به رسولُ الله ﷺ، وهو مع أبي هريرة، والرَّجَّالُ بن عُنْفُوَةَ، فقال: ضِرْس أحدِكم في النار مثل أُحُدٍ، فما زال فُرَاتٌ وأبو هُرَيْرَةَ خائفين حتى بلغتهما رِدَّة الرَّجَّالِ، وإيمانِه بِمُسَيْلِمَة، فخَرَّا ساجِدَين، واسم الرَّجَال: نَهَارُ بن عُنْفُوَةَ، والعُنْفُوَةُ ضرب من النَّبْتِ، يقال له: الصِّلِّيَان.

---

(١) «صحيح». أخرجه أبو داود (٢٦٥٢) بتحقيقي. وأحمد (٣٣٦/٤) والبيهقي (١٩٧/٨) والحاكم (٥١١/٢). وأبو نعيم في الحلية (١٨/٢).

شعر حسان في تأنيب قريش:

فقال حسَّان بن ثابت بعد أُحُد في غزوة بدر الآخرة يؤنّب قريشًا لأخذهم تلك الطريق:

دَعُوا فَلَجاتِ الشام قد حال دونها   جِلادٌ كأفواه المَخاضِ الأوَارِكِ

وفيها يقول حَسَّانُ:

دَعُوا فَلَجاتِ الشَّام قد حال دونها

الفَلَجَاتُ: جمع فَلَج، وهي العين الجارية، يقال: ماءٌ فَلَجٌ، وعين فَلَجٌ، وذكره أبو حنيفة: فَلَحات بالحاء المهملة، وقال: الفَلَحَةُ المزرعة[1].

حول كلمة المخاصمة والملك:

وقوله:

جِلادٌ كأفواه المَخَاضِ الأوَارِكِ

أي: التي أكَلَت الأرَاكَ، فَدُمِيَتْ أفواهُها، والمَخَاضُ واحدتُها خَلِفةٌ من غير لفظها، وهي الحَاملُ [من النُّوق]، وقد قيل في الواحد: مَاخِضٌ، ومنه قول الطائي:

وأخَّرْتَها عن وَقْتِها وهي مَاخِضُ

وعندي أن المخاضَ في الحقيقة ليس بجَمْعٍ، إنما هو مصدَر؛ ولذلك وُصِف به الجميعُ، وفي التنزيل: ﴿فأجاءَها المَخَاضُ﴾[2] وقولهم: ناقة ماخضٌ، كقولهم: حامِل، أي: ذاتُ مَخَاضٍ، وذَاتُ حَمْلٍ، وقد يقول الرجُل لنِسائه: أَنْتُنَّ الطَّلاَقُ، فليس الطَّلاَقُ بِجَمْعٍ، وإنما معناه: ذَوَاتُ طَلاَق، وكذلك معنى المَخَاضِ، أي ذَوَاتُ مَخَاضٍ، غير أنه قيل للواحدة: ماخِضٌ، ولم يقل: ناقة مَخَاضٌ، أي: ذاتُ مَخَاضٍ، كما يقال: امرأةٌ زَوْرٌ وصَوْمٌ، لأن المصدرَ إذا وُصِف به فإنما يُراد به الكثيرُ ولا تكثيرَ في حَمْل الواحدةِ، ألا ترى أنك تقول هي أَصْوَمُ الناس، وما أَصْوَمَهَا، ولا يُقال إذا حَبلت: ما أَحْبَلَهَا، لأنه شيءٌ

---

(١) فلج: الفاء واللام والجيم أصلان صحيحان يدل أحدهما على فوز وغلبة، والآخر على فُرجةٍ بين الشيئين المتساويين. فالأوّل: قولهم فُلج الرجل على خصمه إذا فاز، والسهم الفالج: الفائز. والأصل الآخر: الفلج في الأسنان، والفلج النهر، سمي بذلك لأنه فُلج أي كان الماء شقه شقًا فصار فُرْجة. فأما الفلوجة فالأرض المصلحة للزرع، والجمع فلاليج. السابق (٤/٤٤٨).

(٢) سورة مريم آية رقم (٢٣).

بأَيْدِي رجال هاجَروا نحو ربِّهم وأنصارِه حَقًّا وأيْدِي المَلائك
إذا سَلَكتْ للغَوزْ من بَطْن عالِجٍ فقُولا لها ليس الطَّريقُ هنالكِ

واحد، كما لا يقال في الموت: ما أمْوَتَها، فلما عُدِمَ قصدُ التَّكْثير والمبالغة لم تُوصَف به، كما لا تُوصَف بالسَّيْر إذا قلت: ما هي إلاَّ سَيْرٌ، فإذا كانت إبلاً كثيرةً حصل معنى الكثرة، فوُصِفَتْ بالمخاض، وهو المصدر لذلك، فإن قلت: فقد يقول الرجل: أنتِ الطَّلاقُ، وأنت الفِراقُ قلنا: فيه معنى التكثير والمبالغة، ولذلك جاز لأنه شيء يَتمادَى ويدوم، لا سيَّما إن أراد بالطلاقِ الطلاقَ كلَّه لا واحدةً، ولي كذلك المَخاضُ والحَمْل، فإن مُدَّته معلومةٌ ومقدارَهُ مُوَقَّتٌ.

وقـولـه:

بأيدي الملائك، هو جَمْعَ مَلَك على غير لفظِه، ولو جمعوه على لفظه لقالوا: أمْلاَك، ولكن الميم منَ ملَكٍ زائدةِ فيما زعموا، وأصلُه مَألَكٌ من الأَلُوكِ، وهي الرسالة، قال لَبِيدٌ:

وغُلام أرْسَلَتْهُ أُمُّه بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنا ما سَأَلْ

وقال الطائي:

مَنْ مُبْلِغُ الفِتْيَان عني مَألَكا أبِي متى يَتَثَلَّمُوا أتَهَدَّمُ

و [أبو تَمَّام حَبيبُ بن أَوْسٍ] الطَّائِيُّ وإن كان مُتَوَلِّدًا، فإنما يُحْتَجُّ به لِتَلَقِّي أهل العربية له بالقبول وإجماعهم على أنه لم يَلْحَن، وإذا كان الأصلُ فيه مَألَكًا فإنمَا قَلبُوه إرَادَة إلغاءِ الهمزة، إذ سهّلوا ولو سهَّلوا مَألَكا، والهمزةُ مَقدَّمَةٌ لم تسقط، وإنما تسقط إذا سَكَن قبلها، فقالوا: مَلَك، فإذا جَمَعُوا عادت الهمزة، ولم تعد إلى موضعها لئلا تَرْجع كجَمْع مَألَكةٍ، وهي الرسالة ولو قيل: إن لفظَ مَلَكٍ مَأخوذٌ من المَلَكُوتِ، فلذلك لم يُهْمَز، لأنَ أكثرَ الملائكة ليسوا برسُلٍ، ولو أريد معنى الرسالة لقالوا: مُؤْلَكٌ، كما تقول: مُرْسَلٌ، ولضُمَّت الميمُ في الواحِد، وتكون الهمزةُ على هذا زائدةً في الجميع كما زادوها في شَمْأل وهي من شَمَلَت الريحُ، لكان هذا وَجْهًا حَسَنًا، وسِرُّ زيادة الهمزة في شَمْألٍ، وهي من شملت الريح، فأطلعت الهمزةُ رأسَها لذلك، إذ قد اجتمع فيها أنها مِنْ عن شمال البيت، وأنها شامية، وكذلك الملائِكة هم من مَلَكُوتِ الله، وفيهم رُسُلٌ، ولواحد منهم من ملَكُوت الله فقط، لأنه لا يَتبَعَّضُ كما تَتبَعَّضُ الجُمْلَةُ منهم، فأما قول الشاعر:

فَلَسْتُ لإِنسِيٍّ ولكن لِمَألَكٍ تَنَزَّلَ مِن جَوِّ السماء يَصُوبُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات لحسَّان بن ثابت، نقضَها عليه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله (في) موضعها.

مقتل كعب بن الأشرف

استنكاره خبر رسولي الرسول بقتل ناس من المشركين:

قال ابن إسحٰق وكان من حديث كَعْب بن الأشرف: أنه لما أُصيب أصحاب بدر، وقدم زيدُ بن حارثة إلى أهل السَّافلة، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بَشيريْن، بعثهما رسول الله ﷺ إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفَتح الله عزّ وجلّ عليه، وقَتْل مَنْ قُتل من المُشركين، كما حدّثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة الظفري، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم، وعاصم بن عمر بن قَتادة، وصالح بن أبي أُمامة بن سَهل، كلّ قد حدّثني بعضَ حديثه، قالوا: قال كعب بن الأشرف، وكان رجلاً

فهمز مألكًا، وهو واحد، والبيت مجهولٌ قائله، وقد نسبه ابن سيدة إلى عَلْقَمَة، وأُنكر ذلك عليه، ومع هذا فقد وصف مَأْلَكًا بالرسالة لقوله: تَنَزَّلَ من جَوِّ السَّمَاءَ يَصُوب، فَحَسُن الهمزة لتضمُّنِه معنى الألُوك، كما حَسُنَ في جملة الملائكة، إذ للجُمْلَةِ بعْضُ همّ إرسالٍ، والكُلُّ من مَلَكُوتِ اللهِ سبحانه، وليس في الواحد إلاَّ معنى المَلَكُوتيَّةِ فقط حتى يَتَخَصَّصَ بالرِّسَالةِ، كما في هذا البيت المذكور، فيتضمن حينئذٍ المَعْنَيَيْنِ، فَتَطْلُع الهمزة في اللفظ، لما في ضِمْنه مَعْنى الألُوكِ، وهي الرسالة[1].

مقتل كعب بن الأشرف[2]

ذكر فيه أنه شَبَّبَ بنِسَاء المسلمين، وآذاهم، وكان قد شَبَّب بأُمّ الفضل زَوْج العَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِب فقال:

أَرَاحِلُ أنت لم ترحل لمنعبته ... وتارِكٌ أنتَ أُمَّ الفَضْلِ بالحَرَم

في أبيات رواها يونس عن ابن إسحٰق.

---

(١) انظر أيضًا تفسير الرازي والقرطبي لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾.

(٢) انظر الواقدي (١/ ١٨٤) البداية والنهاية (٤/ ٥) تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٧) المنتظم (٣/ ١٥٨) الاكتفاء (٢/ ٨٢) الطبقات (١/ ٢/ ٢١) الكامل (٢/ ٣٨) ابن حزم (١٥٤) الدلائل (٣/ ١٨٧) النويري (١٧/ ٧٢) عيون الأثر (١/ ٣٥٦) الزاد (٣/ ١٩١) جوامع السيرة لابن حزم (١٩٠). وانظر أيضًا الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

من طيىء، ثم أحدَ بني نبْهان، وكانت أُمُّه من بني النَّضير، حين بلغه الخبرُ: أحقٌّ هذا؟ أتَرَوْن محمدًا قتل هؤلاء الذين يُسمِّي هذان الرجلان - يعني زيدًا وعبد الله بن رواحة - فهؤلاء أشراف العرب وملوكُ الناس، والله لئن كان محمَّد أصابَ هؤلاء القوم لبَطْنُ الأرض خيرٌ من ظهرها.

شعره في التحريض على الرسول:

فلما تيقَّن عدوّ الله الخبرَ، خرج حتى قَدِم مكَّة، فنزل على عبد المطَّلب بن أبي وَداعة بن ضُبيرة السَّهْمي، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أُميَّة بن عبد شمْس بن عبد مناف، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرّض على رسولِ الله ﷺ، ويُنْشد الأشعار، ويبكي أصحاب القَليب من قُريش، الذين أُصيبُوا ببدر، فقال:

طَحَنَتْ رَحى بَدْرٍ لمَهْلك أهله ... ولمثْلِ بدْرٍ تَسْتَهلُّ وتَدْمَعُ
قُتلتْ سَراةُ الناس حول حياضِهم ... لا تَبْعَدوا إنَّ المُلوك تُصَرَّع
كم قد أُصِيب به منَ أبْيَض ماجدٍ ... ذي بَهجة يأوِي إلَيه الضُّيَّع
طَلْق اليَدَيْن إذا الكواكبُ أخلَفتْ ... حَمَّالُ أثقالٍ يَسُود ويُرْبَع
ويقول أقْوامٌ أُسَرُّ بسُخْطهم ... إنَّ ابنَ الأشرفِ ظلَّ كعْبًا يَجْزَع
صدقوا فليتَ الأرض ساعَةَ قُتِّلوا ... ظَلَّت تَسُوخ بأهلها وتُصَدَّع
صار الذي أثَر الخديثَ بطَعْنه ... أو عاش أعمى مُرْعَشًا لا يَسْمَعُ
نُبِّئْت أن بَني المُغيرة كلَّهم ... خَشَعوا القَتْل أبي الحَكيم وجدّعوا
وابْنا ربيعة عنده ومُنَبِّهٌ ... ما نال مثْل المُهْلكين وتُبَّع
نُبِّئْتُ أنّ الحارث بن هشامهم ... في الناس يَبْني الصَّالحات ويجْمع
لِيَزورَ يثْرِبَ بالجُمُوع وإنمَا ... يَحْمَى على الحَسَب الكريمُ الأرْوَع

قال ابن هشام: قوله: «تُبَّع»، «وأُسَرُّ بسُخطهم». عن غير ابن إسحٰق.

وذكر فيه قولَه عليه السلام: «مَنْ لِكَعْبِ [بن الأشرف]، فقد آذى الله ورسوله»[1]. فيه من الفقه: وجوبُ قتلِ مَنْ سَبَّ النبيَّ - ﷺ - وإن كان ذا عهدٍ، خلافًا لأبي حَنيفة رحمه الله فإنه لا يَرَى قَتْلَ الذمّيّ في مِثل هذا، ووقع في كتابِ شرفِ المصطفى أن الذين قتلوا

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٨٦) ومسلم في الجهاد (١١٩) والطبراني (١٩/ ٧٨) والحاكم (٣/ ٤٣٤) والطحاوي في المشكل (١٠/ ٧٦).

شعر حسَّان في الردّ عليه:

قال ابن إسحٰق: فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصاريّ، فقال:

أبَكَى لِكَعْبٍ ثم عُلَّ بعَبْرة ... منه وعاش مجدَّعًا لا يَسْمَعُ

ولقد رأيتُ ببطن بدرٍ منهُم ... قَتْلى تَسُح لها العيون وتَدْمَع

فأبكي فقد أبكيتَ عبدًا راضعًا ... شِبْه الكُلَيْب إلى الكُلَيْبة يَتْبَع

ولقد شَفَى الرحمٰن منّا سيِّدًا ... وأهانَ قَوْمًا قاتلوه وصُرّعوا

ونجا وأُفْلِت منهُم مَن قَلْبُه ... شَغَفٌ يظَلّ لخَوْفه يتصدَّع

قال ابن هشام: وأكثر أهلِ العلم بالشِّعر يُنكرها لحسَّان. وقوله: «أبَكى لكعب» عن غير ابن إسحٰق.

شعر ميمونة في الرد على كعب:

قال ابن إسحٰق: وقالت امرأةٌ من المسلمين من بني مُرَيْد، بطن من بَليّ كانوا حلفاء في بني أُميَّة بن زيد؛ يقال لهم: الجعادرة، تُجيب كَعبًا ـ قال ابن إسحٰق: اسمها

كعبَ بنَ الأشرفِ حملوا رأسَه في مِخْلاةٍ إلى المدينة، فقيل: إنه أولُ رأس حُمِل في الإسلام، وقيل: بل رأسُ أبي عَزَّة الجُمَحيّ الذي قال له النبيُّ ﷺ: «لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرِ مَرَّتَيْن»[1]، فقَتلَه واحتُمِل رأسُه في رُمْح إلى المدينة فيما ذُكِر، وأما أول مُسْلِمٍ حُمِل رأسُه في الإسلام، فعَمْرو بن الحَمِق، وله صُحْبَةٌ.

وفيه من قولِ حَسَّانَ في كَعْبِ:

بَكى كَعبُ ثم عُلَّ بَعَبْرةِ

فيه دخولُ زِحافٍ على زِحَافٍ، وذلك أنَّ أول الجُزْء سَبَبٌ ثَقِيلٌ وسَبَبٌ خَفيفٌ فإذا دخل فيه الزِّحافُ الذي يُسَمَّى الإضمارَ صارا سَبَبَيْنِ خَفِيفَيْنِ، فيعود مُتَفَاعِلُن إلى وَزْن مُسْتَفْعِلُن، وَمُسْتَفْعِلُن يدخله الخَبْنُ والطَّيُّ، وهو حَذْف الرابع منه، فشبه حسَّان مُتفاعلان في الكامِلِ بمُسْتَفْعِلُنْ لما صار إلى وزنه، فحذف الحرف الساكنَ وهو الرابع من مُتَفَاعِلُنْ إلى وزنِ مُفْتَعِلُن، وهو غريب في الزِّحاف فإنه زِحَافٌ سهل زحافًا آخر، ولولا الزِّحَافُ الذي هو الإضمار، ما جاز البَتَّة حذفُ الرابع من مُتَفَاعلن.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٣٨) ومسلم في الزهد (٦٣).

ميمونة بنت عبد الله، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها، وينكر نَقِيضَتها لكعب بن الأشرف:

تَحنَّن هذا العبدُ كلَّ تَحنُّن	يُبَكى على قَتْلي وليس بناصبِ
بكتْ عينُ من يبكي لبَدر وأهله	وعُلَّت بمثليها لُؤَيّ بن غالِب
فليتَ الذين ضُرّجوا بدِمائهم	يَرى ما بهم من كان بين الأخاشب
فيَعلَم حقًّا عن يقين ويُبْصِروا	مَجَرَّهم فوق اللِّحَى والحَواجب

شعر كعب في الرد على ميمونة:

فأجابها كَعب بن الأشرف، فقال:

ألا فازجُرُوا منكم سفيهًا لتَسْلَمُوا	عن القول يأتى منه غيرَ مُقارِبِ
أتَشْتُمني أن كنتُ أبكي بعَبْرة	لقَوْمٍ أتاني وُدُّهم غيرُ كاذب
فإني لباك ما بقيتُ وذاكر	مآثر قوم مَجْدُهم بالجباجب
لعمْري لقد كانت مُرَيْدٌ بمَعْزِل	عن الشرّ فاحتالت وُجوهَ الثَّعالب
فحُقّ مُرَيْدٌ أنْ تجَدّ أنوفُهم	بشَتْمهمُ حَيَّ لؤَيّ بن غالب
وَهَبْتُ نَصِيبي من مُرَيد لجَعْدَر	وفاءً وبيتُ الله بين الأخاشب

تشبيب كعب بنساء المسلمين والحيلة في قتله:

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فَشَبَّب بنساء المُسلمين حتى آذاهم. فقال رسول الله ﷺ، كما حدّثني عبدُ الله بن المُغيث بن أبي بُرْدة مَنْ لي بابن الأشْرَفِ؟ فقال له محمدُ بن مَسْلَمَةَ، أخو بني عَبْدِ الأشْهَل: أنا لك يا رسولَ الله، أنا أقْتُله؛ قال: فافعل إن قَدَرْتَ على ذلك. فرجع محمد بن مَسْلمة فمكث ثلاثًا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعْلِقُ به نفسه، فذُكِر ذلك لرسولِ الله ﷺ، فدعاه، فقال له: «لم تركتَ الطعام والشراب»؟ فقال يا رسولَ الله، قلت لك قولاً لا أدري هل أفِينَّ لك به أم لا؟ فقال: «إنما عليك الجهد»؛ فقال: يا رسول الله، إنه لا بدّ لنا من أن نقول، قال: «قولوا ما بدا لكم، فأنتم في حلّ من ذلك». فاجتمع في قتله محمدُ بن مَسْلمة، وسِلْكان بن سَلاَّم بنِ وَقْشٍ، وهو أبو نائلة، أحد بني عبد الأشهل، وكان

وذكر في الذين قَتَلوا كَعْبًا أبا عَبْس بن جَبْر، واسمُه: عَبْدُ الرَّحْمنِ، وذكر سِلْكَانَ بنَ سَلاَمة، واسمه: سَعْد.

أخا كَعْب بن الأشرف من الرَّضاعة، وعبَّاد بن بِشر بن وقش، أحدُ بني عَبْد الأشهل، والحارث من أوس بن مُعاذ، أحد بني عبد الأشهل، وأبو عَبْس بن جَبْر، أحد بني حارثة؛ ثم قَدَّموا إلى عدوّ الله كَعْب بن الأشرف، قبل أن يَأتوه، سِلْكان بن سَلاَّمة [بن وَقْش] أبا نائلة، فجاءَه، فتحدّث معه ساعة، وتناشدُوا شعرًا، وكان أبو نائلة يقول الشعر، ثم قال: وَيْحَكَ يا ابن الأَشْرَفِ! إني قد جئتُك لحاجة أُريد ذكرها لك، فاكتم عني؛ قال: افعلُ؛ قال: كان قُدُوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء، عادَتْنا به العربُ، ورَمَتْنا عن قوس واحد، وقَطَعت عنَّا السُّبُل حتى ضاع العِيال، وجُهِدت الأنفس، وأصْبحنا قد جُهِدْنا وجهد عيالُنا؛ فقال كعب: أنا ابنُ الأشْرَف، أما والله لقد كنتُ أُخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيَصير إلى ما أقول؛ فقال له سِلْكان: إني قد أردتُ أن تَبيعنا طعامًا ونَرْهَنك ونُوثِقَ لك، ونُحْسِن في ذلك؛ فقال: أتَرْهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردتَ أن تَفْضَحنا، إنّ معي أصحابًا لي على مثل رأيي، وقد أردتُ أن آتيَك بهم، فتَبِيعهم وتُحْسن في ذلك، ونَرْهَنُك من الحَلَقةِ ما فيه وَفاء، وأراد سِلْكان أن لا يُنْكر السِّلاح إذا جاءوا بها؛ قال: إن في الحَلْقة لوَفاء، قال: فرجع سِلْكان إلى أصحابه فأخبرهم خبرَه، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم يَنْطلقوا فيَجْتمعوا إليه، فاجتمعُوا عند رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: ويقال: أَتَرْهَنُوني نساءكم؟ قال: كيف نَرْهنُكَ نساءَنا وأنت أشبّ أهل يَثْرِب وأعْطوهم؛ قال: أتَرْهَنُوني أبناءكم؟

قال ابن إسحٰق: فحدّثني ثَوْر بن زَيْد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: مشى معهم رسولُ الله ﷺ إلى بَقيع الغَرْقد، ثم وجَّههم، فقال: انطلقوا على اسم الله؛ اللهمّ أعنهم، ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى بيته، وهو في ليلة مُقْمِرة، وأقْبلوا حتى انتهوا إلى حِصْنه، فهَتف به أبو نائلة، وكان حديث عهد بعُرْس، فوثب في مِلْحَفتِه، فأخذت امرأتُه بناحِيتها، وقالت: إنك امْرُؤٌ محارب، وإن أصحاب الحَرْب لا ينزِلون في هذه السَّاعة، قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائمًا لما أيْقظني، فقالت: والله إني لأعرف في صَوْته الشرّ؛ قال: يقول لها كَعْب: لو يُدْعَى الفتى لطعْنة لأجاب. فنزل فتحدّث معهم ساعة، وتحدّثوا معه، ثم قال: هل لك يا ابن الأشرف أن تَتماشى إلى شعْب العَجوز، فنتحدّث به بقيَّة ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم. فخرجوا يَتماشَون، فمَشَوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شامَ يده في فَوْد رأسه، ثم شمّ يده فقال: ما رأيت كالليلة طِيبًا أَعْطَرَ قطُّ، ثم مَشَى ساعة، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنّ، ثم مشى ساعةً، ثم عاد

....

لمثلها، فأخذ بفَوْد رأسِه، ثم قال: اضرِبوا عدو الله، فضربه، فاختلفت عليه أسيافُهم، فلم تُغن شيئًا.

قال محمد بن مَسْلمة: فذكرتُ مِغْوَلاً في سيْفي، حين رأيتُ أسيافَنا لا تُغْني شيئًا، فأخذتُه، وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبقَ حولنا حِصْن إلاّ وقد أُوقِدتْ عليه نارٌ، قال: فوضعته في ثُنَّته ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ عانتَه فوقع عدوُّ الله، وقد أُصِيب الحارث بنُ أوس بن مُعاذ، فجُرح في رأسه أو في رجله، أصابه بعضُ أسيافنا. قال: فخرجنا حتى سَلَكنا على بني أُميَّة بن زيد، ثم على بني قُرَيظة، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنا في حَرّة العُرَيْض، وقد أبْطأ علينا صاحبُنا الحارث بن أوْس، ونَزّفُ الدمُ، فوَقَفْنا له ساعة، ثم أتانا يَتْبَع آثارَنا. قال: فاحتملناه فجئْنا به رسولَ الله ﷺ آخرَ الليل، وهو قائم يصلِّي، فسلَّمنا عليه، فخرج إلينا، فأخبرْناه بقَتْل عدوّ الله وتَفَل على جُرح صاحبنا، فرجَع ورَجعْنا إلى أهلنا فأصْبحنا وقد خافتْ يهود لوَقْعتنا بعدوّ الله، فليس بها يهوديٌّ إلا وهو يَخاف على نفسه.

شعر كعب بن مالك في مقتل ابن الأشرف:

قال ابن إسحٰق: فقال كَعْب بن مالك:

فغُودِر منهمُ كعبٌ صريعًا ... فذَلَّتْ بعد مَصْرَعه النَّضِيرُ
على الكفَّين ثَمَّ وقد عَلته ... بأيدينا مشهرةٌ ذكُور
بأمر محمد إذ دسَّ ليلاً ... إلى كَعْب أخا كَعْب يَسِير
فما كَرَهُ فأنزله بمكر ... ومحمودٌ أخُو ثِقَة جَسُور

قال ابن هشام: وهذه الأبياتُ في قصيدة له في يوم بني النَّضير، سأذكرُها إن شاء الله في حديث ذلك اليوم.

شعر حسَّان في قتل ابن الأشرف وابن أبي الحقيق:

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت يَذكر قتلَ كَعْب بن الأشْرفِ وقَتْل سَلاَّم بن أبي الحُقَيق:

لله دَرُّ عِصابة لاقيتهم ... يا ابن الحُقَيق وأنت يا ابن الأشْرفِ

يَسْرُون بالبِيض الخِفاف إليكمُ	مَرَحًا كأُسْدٍ في عَرِينٍ مُغْرِف[1]
حتى أتوكمْ في محلّ بِلادكم	فسَقَوكم حَتْفًا بِبِيض ذُفَّفِ[2]
مُسْتَنْصرين لنَصْر دين نبيِّهم	مُسْتَصغرين لكُل أمرٍ مجحف[3]

وذكر في شِعْرِ حَسَّان الفَاوِيِّ، وفيه: بِبِيضٍ ذُفَّفِ. الذُّفَّفُ: جَمْعُ ذَفِيفٍ وهو الخَفِيفُ السَّرِيعُ، وهو جَمْعٌ على غيرِ قياسٍ، وإنما فُعَّل جمع فَاعِل ولكنّ الذَّفِيفَ من السُّيوف في مَعْنى القاطع والصارم.

وفيه: في عَرِينٍ مُغْرِفِ. العرينُ: أَجَمَةُ الأسَدِ، وهو الغَرِيفُ أيضًا، والغريفُ أيضًا الكثيرُ، فيحتمل إنْ أراد بمُغْرِفٍ مُكْثِرًا من الأُسْد، ويحتمل إنْ أراد توكيدَ معنى الغَرِيفِ، كما يقال: خَبِيثٌ مُخْبِث.

وذكر قول امرأة كعبٍ: والله إني لأَعرف في صوته الشَّرَّ، وفي كتاب البُخَارِيِّ: إني لأسمع صوتًا يقطُر منه الدَّم.

وفيه: ما رأيت عِطْرًا كاليوم، معناه: عند سِيبَوَيْهِ: ما رأيت كَعِطْرٍ أراه اليومَ عِطْرًا: كذلك قال في قول العرب: لم أر كاليوم رَجُلاً، أيْ: كَرَجُلٍ أراه اليومَ رَجُلاً، فَحُذِفَ ما دخلت عليه الكافُ، وحُذِف الفعلُ، وهو أرى، وفاعَلُه ومفعولُه، وهذا حذف كثير لا سِيَّما، وقد يقال: ما رأيت كاليوم، ولا تذكر بعده شَيْئًا إذا تَعَجَّبْتَ، فدلّ على أنهم لم يحذِفوا هذا الحذفَ الكثيرَ، ولكنهم أوقعوا التعجُّبَ على اليوم، لأن الأيام تأتي بالأعاجيب، والعربُ تَذُمُّها وتمدحها في نظمها ونثرها، .ويعلم المخاطَبُ أن اليوم لم يُذَمَّ لنفسِه ولا يُعْجَبُ منه لنفسِه، فيلتمس منكَ البيانَ والتفسيرَ لما تعجَّبتَ منه، فتأتي بالتمييز لتُبَيِّن. فعطرًا منصوبٌ على التمييز، والدليل على ذلك أنه يَحْسُن خَفْضُه بِمنْ، لأنه مُتَعجَّب منه، فتقول: لم أر كاليوم مِنْ رَجُلٍ.

ووقع في رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحٰق بعد قوله: فمشوا ساعةً، قال فجعل كَعْبٌ ينشد:

رُبَّ خالٍ لِيَ لو أَبْصَرْتَه	سَبِط المِشْيَة أَبَّاء أَنِف
لَيِّنِ الجانب في أقرَبِهِ	وعلى الأعداء كالسُّمّ الذُّعُف

---

(١) مغرف: واسع.

(٢) ذفف: خفاف سريعة.

(٣) مجحف: ناقص.

قال ابن هشام: وسأذكر قتلَ سلاَّم بن أبي الحُقَيق في موضعه إن شاء الله.

وقوله: «ذفّف» عن غير ابن إسحٰق.

أمـر محيصة وحويصة

لوم حويصة لأخيه محيصة لقتله يهوديًا ثم إسلامه:

قال ابن إسحٰق: وقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ ظَفرتم به من رجال يهود فاقتُلوه»[1]، فوثت مُحيصة بن مَسْعود ـ قال ابن هشام: ويقال: مُحَيِّصَة بن مَسْعود بن كَعْب بن

وكِـرَام لـم يَـشِـنْـهُـمْ حَـسَـبٌ ... أَهْـلُ عِـزٍّ وحِـفَـاظٍ وشَـرَفْ
يَـبْـذُلـون الـمـالَ فـيـمـا نَـابَـهـم ... لَـحُـقُـوقٍ تَـعْـتَـرِيـهِـمْ وعُـرَفْ
ولُـيُـوث حـيـن يَـشْـتَـدُّ الـوَغَـى ... غـيـر أنْـكَـاسٍ ولا مِـيـلٍ كُـشُـفْ
فَـهُـمُ أَهْـلُ سَـمَـاح وقِـرَى ... وحِـفَـاظٍ لـم يُـعَـانُـوا بِـصَـلَـفْ
سَـكَـنُـوا مِـنْ يَـثْـرِبَ كُـلَّ رُبـىً ... وسُـهُـولٍ حَـيْـثُ حَـلُّـوا فـي أُنُـفْ
وهُـمُ أَهْـلُ مَـشَـارِيـبَ بـهـا ... وحُـصُـون ونَـخِـيـلٍ وغُـرَفْ
ولـهـا بِـئْـرٌ رَوَاءٌ جَـمَّـةٌ ... مَـنْ يَـرِدْهـا بـإنـاءٍ يَـغْـتَـرِفْ
ونـخـيـل فـي تِـلاَعٍ جَـمَّـة ... تُـخْـرِج الـتَّـمْـرَ كـأَمْـثَـالِ الأَكُـفّ
وصَـرِيـر مـن مَـحَـالٍ خِـلْـتـه ... آخرَ الـلـيـلِ مَـهـارِيـجَ نُـدُفْ
تَـذْلُـجُ الـجُـونُ عـلـى أكـتـافـهـا ... بِـدِلاَءٍ ذاتِ أزْكـان صـدفْ
كُـلُّ حـاجـاتِـيَ قـد قَـضَّـيْـتُـهـا ... غـيـر حـاجـاتِـي فـي بَـطْـنِ الـجُـرُفْ

قتل محيصة اليهودي

مُحَيِّصَةُ بن مسعود كان أصغر من أخيه حُوَيِّصة، لكن سبقه إلى الإسلام، كما ذكر ابن إسحٰق، وشهد أُحُدًا والخَنْدَق، وأرسله النبيُّ ﷺ إلى أهلِ فَدَك يدعوهم إلى الإسلام، وهو الذي اسْتَفْتَى رسولَ الله ﷺ ـ في أُجرةِ الحَجَّام، فقال له النبيّ ﷺ بعدما ألحّ عليه في المَسْأَلَة: «اعْلفه نَاضِحَكَ واجْعَلْه في كَرِشِكَ»[2]، وذلك أن أبا طِيبَةَ الحَجَّامَ، كان عَبْدًا له، وقد تقدّم اسمُ أبي طِيبَة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٠٢) بتحقيقي والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٠٠) وابن سعد (٢/ ١/ ٢٢).
(٢) أخرجه الترمذي (١٢٧٧) وابن ماجة (٢١٦٦) وأحمد (٣/ ٣٠٧) ومالك (٩٧٤).

عامر بن عَدِيّ بن مَجْدَعَةَ بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس ـ على ابن سُنَينَة ـ قال ابن هشام: ويقال سُبَينة ـ رجلٍ من تجّار يهود، كان يُلابسهم ويُبايعهم فقتله، وكان حُويِّصة بن مَسْعود إذ ذاك لم يُسْلم، كان أسنَّ من مُحَيِّصة، فلما قتله جعل حُويِّصة يَضرِبه، ويقول: أي عدوّ الله، أقتلتَه، أما والله لرُبَّ شحمٍ في بطنك في ماله. قال مُحَيِّصة: فقلت: والله لقد أمرني بقتْله مَن لو أمرني بقَتْلك لضربْتُ عنقك، قال: فوالله إن كان لأوّل إسلام حُوَيِّصة، قال: آوالله لو أمرك محمَّد بقَتْلي لقتلتَني؟ قال: نعم، والله لو أمرني بَضرْب عُنقك لضربتُها! قال: والله إن دينًا بلغ بك هذا لَعَجَبٌ، فأسلم حُويِّصة.

قال ابن إسحٰق: حدّثني هذا الحديث موْلى لبني حارثة، عن ابنة مُحيِّصة، عن أبيها مُحَيِّصة.

فقال مُحَيِّصة في ذلك.

يَلُومُ ابنُ أُمّي لو أُمرتُ بقَتْله ... لطبَّقتُ ذِفْراه بأبْيضَ قاضبِ

حُسامٍ كَلَونِ الملْح أُخْلِص صَقْله ... متى ما أُصَوِّبْه فليس بكاذب

ومَا سَرّني أني قَتلتُكَ طائعًا ... وأنَّ لنا ما بين بُصْرى ومَأرِب

رواية أخرى في إسلام حُويصة:

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة عن أبي عَمرو المَدني، قال: لما ظَفر رسول الله ﷺ ببني قُريظة أخذ منهم نحوًا من أربع مائة رجلٍ من اليهود، وكانوا حلفاءَ الأوس على الخزرج، فأمر رسولُ الله ﷺ بأن تُضرب أعناقُهم، فجعلت الخزرجُ تضرب أعناقَهم ويسرّهم ذلك، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى الخزرج ووجوهُهم مستبْشرة، ونظر إلى الأوس فلم يَرَ ذلك فيهم، فظنّ أن ذلك للحلف الذي بين الأوس وبين بني قُريظة ولم يكن بقي من بني قُريظة إلا اثنا عَشَر رجلاً، فدَفعهم إلى الأوس، فدَفع إلى كلّ رجلين من الأوس رجلاً من بَني قُريظة وقال: ليضربْ فلانٌ وليذفِّف فلان، فكان ممَّن دفع إليهم كعبُ بن يَهوذا، وكان عظيمًا في بني قُريظة، فدفعه إلى مُحيِّصة بن مَسْعود، وإلى أبي بُرْدة بن

وقوله: ما بين بُصْرَى ومَأرب. بُصْرَى بالشام، ومأرِبُ باليَمَن، حيث كان السَّدُّ، ومأرِب: اسم قَصْرٍ كان لسَبأ. وقال المسعودي: مأرِبُ اسمُ كُلّ مَلك وَلِيَ أَمْرَ سَبأ، كَخاقَان في التُّرك، وكِسْرى في الفُرْس، وقَيْصَر في الرُّومَ، والنَّجَاشِيّ في الحَبَشَة.

وحِوَيِّصَةُ: تَصغير حَوْصَة من حُصْتُ الثَّوْبَ إذا خِطْته.

نَيَّار - وأبو بُردة الذي رخّص له رسولُ الله ﷺ في أن يذبح جَذْعًا من المَعْز في الأضحى - وقال: «ليضربه مُحيِّصة وليذفِّف عليه أبو بُردة»، فضَربه مُحيِّصةُ ضربةً لم تَقطع، وذفّف أبو بُردة فأجْهز عليه. فقال حُويِّصة: وكان كافرًا، لأخيه محيِّصة: أقتلتَ كعب بن يهوذا؟ قال: نعم؛ فقال حُويِّصة: أما والله لرُبَّ شَحْم قد نَبَت في بَطْنك من ماله، إنك للئيم يا مُحيِّصة، فقال له محيِّصة: لقد أمَرني بقَتْله من لو أمَرني بقتلك لقتلتك فعَجب من قوله ثم ذهب عنه متعجِّبًا. فذكَروا أنه جَعل يتيقَّظ من الليل: فيَعجب من قول أخيه مُحيِّصة. حتى أصبح وهو يقول: والله إن هذا لَدين. ثم أتى النبيَّ ﷺ فأسلم، فقال محيِّصة في ذلك أبياتًا قد كتبناها.

المدة بين قدوم الرسول بحران وغزوة أحد:

قال ابن إسحاق: وكانت إقامةُ رسولِ الله ﷺ، بعد قُدومه من بَحْران، جمادى الآخرة ورجبًا وشَعبان وشهر رمضان، وغزَتْه قُريشٌ غزوةَ أُحُد في شوَّال سنة ثلاث.

وفي حديثهما ذكر سُنَيْنَةَ المقتُولِ، كأنه تَصغِيْر سِنٍّ. وقال ابن هشام في اسمه: سُبَيْنَة بالباء كأنه مصغر تصغير الترحيم من سَبَنِيَّة، قال صاحب العين: السَّبَنِيَّة ضَرْبٌ من النبات، وأما شُنَيْنَةُ بالشِّين المنقوطة. فوالد صِقْلابِ بن شُنَيْنة قرأ على نافِع بن أبي نعيم، وقال: قال لي نافعٌ: يا صِقْلاَبُ بين النون عند الحاء والخاء والعَيْنِ والغَيْنِ والهاء والألِف.

غـزوة أحـد

وكان من حديث أُحُد، كما حدّثني محمد بن مُسْلم الزُّهْري ومحمد بن يَحْيىٰ بن حِبَّان وعاصم بن عمر بن قَتادة والحُصَين بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ وغيرهم من علمائنا، كلُّهم قد حدّث بعضَ الحديث عن يوم أُحد، وقد اجتمع حديثُهم كُله فيما سقتُ من هذا الحديث عن يوم أُحُد قالوا، أو من قاله منهم:

غـزوة أحـد[1]

فضـل أحـد:

وَأُحُدٌ الجبلَ المعروفُ بالمدينة، سُمِّي بهذا الاسم لتوحُدِه وانقِطاعِه عن جِبَالٍ أُخَرَ هُنَالكَ، وقال فيه الرسول ـ ﷺ ـ: «خذا جَبَلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه»[2]، وللعلماء في معنى هذا الحديث أقوالٌ. قيل: أراد أهلَه، وهم الأنْصَارُ، وقيل: أرَادَ أنه كان يُبشِّره إذا رآه عند القُدوم من أسفاره بالقُرْب من أهلِه ولقائهم، وذلك فعل المُحِبِّ، وقيل: بل حُبُّه حَقِيقَةٌ، وُضع الحبُّ فيه كما وُضع التسبِيحُ في الجِبَالِ المُسَبِّحَة مع دَاود، وكما وُضِعَتْ الخَشْيَةُ في الحِجارة التي قال الله فيها: ﴿وإِنَّ مِنها لَمَا يَهبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله﴾[3] وفي الآثار المُسْنَدة أن

---

(١) انظر الواقدي: (١/ ١٩٩) البداية (٤/ ٩) الطبري (٢/ ٤٩٩) الاكتفاء (٢/ ٨٧) المنتظم (٣/ ١٦١) الدلائل (٣/ ٢٠١) الطبقات (١/ ٢/ ٢٥) الكامل (٢/ ٤٤) ابن سيّد الناس (٢/ ٢) النويري (١٣/ ٨) السيرة الحلبية (٢/ ٢٨٤) الشاميّة (٤/ ٢٧١) الزاد (٣/ ١٩٢) البخاري (٥/ ٩٣) مسلم (١٢/ ١٤٧ ـ نووي).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٥٥) ومسلم في الحج (٤٦٢).

(٣) سورة البقرة آية رقم (٧٤).

التحريض على غزو الرسول:

لما أُصيب يوم بدر من كُفَّار قُريش أصحاب القَلِيب، ورَجَع فَلُّهم إلى مكّة، ورجَع أبو سُفيان بن حَرب بِعِيره، مَشَى عبدُ الله بن أبي ربيعة، وعِكْرمةُ بن أبي جَهل، وصَفْوان بن أُمَيَّة، في رجال من قُرَيش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلَّموا أبا سُفْيان بن حَرْب، ومن كانت له في تلك العِير من قُريش تجارة، فقالوا: يا مَعْشَر قُرَيْش، إن محمدًا قد وتَركم، وقَتَل خِيارَكم، فأعِينُونا بهذا المال على حَرْبه، فلعلَّنا نُدْرِك منه ثَأْرنا بمن أصاب منَّا، ففعلوا.

ما نزل في ذلك من القرآن:

قال ابن إسحٰق: ففِيهم، كما ذكر لي بعضُ أهلِ العلم، أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونها ثمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُون والَّذين كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون﴾[١].

اجتماع قريش للحرب:

فاجتمعت قريش لحرب رسولِ الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سُفيان بن حَرْب وأصحابُ العير بأحابيشِها، ومَن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة. وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ قد مَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيرًا ذا عِيال

أُحُدًا يوم القيامة عند باب الجنة مِنْ داخِلها، وفي بعضها أنه رُكْنٌ لبَابِ الجَنَّةِ[٢]، ذكره ابن سَلاَّم في تفسيره، وفي المُسْنَد من طريق أبي عبس بن جَبْر عن رسول الله ﷺ قال: «أُحُدٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه، وهو على باب الجنة، قال: وعَيْرٌ يبْغِضُنا ونُبْغضُه، وهو على باب من أبواب النار»[٣]، ويُقَوِّيه قوله ﷺ: «المرء مع مَنْ أَحَبَّ»[٤]، مع قوله: يُحِبُّنا ونُحِبُّه، فتناسبت هذه الآثارُ، وشدَّ بعضُها بعَضًا.

---

(١) سورة الأنفال آية رقم (٣٦).

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ١٨٦) ورمز له السيوطي بالضعف وأخرجه ابن عديّ في الكامل (٤/ ١٤٩٧) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٤٨).

(٣) انظر التخريج السابق والميزان (٧٢٤٧) وتنزيه الشريعة (١/ ١٩٥) والبخاري في تاريخه (٥/ ١٩٣) والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٣٠٨) والطبراني (١٧/ ١٨).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٤٨) ومسلم في البرّ والصلة (١٦٥) وأبو داود (٥١٢٧) والترمذي (٢٣٨٦) وأحمد (١/ ٣٩٢).

وحاجة، وكان في الأسارَى فقال: إني فقير ذو عِيال وحاجةٍ قد عرفتَها فامْنُنْ عليّ صلّى الله عليك وسلّم، فَمَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ. فقال له صَفْوان بن أُميَّة: يا أبا عَزّة إنك امرؤٌ شاعرٌ، فأعِنّا بلِسانك، فاخرُج معنا، فقال: إن محمدًا قد مَنَّ عليَّ فلا أُريد أن أُظاهِر عليه، قال: فأعِنّا بنفسك، فلك الله عليّ إن رجعتُ أن أُغْنِيك، وإن أُصِبْتَ أن أجعل بناتِك مع بناتي، يُصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسْر ويُسْر. فخرج أبو عَزَّة في تِهامة، ويدعو بني كِنانة ويقول:

إيـهـا بـنـي عَـبْـدِ مِـنَـاةَ الـرُّزَّام أنـتـم حُـمـاة وأبـوكـم حـامْ
لا تَـعِـدُونـي نَـصْـرَكُـم بـعـدَ الـعـامْ لا تُـسْـلِـمـونـي لا يَـحـلُّ إسـلامْ

وخرج مُسافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كنانة، يحرّضهم ويَدْعوهم إلى حرب رسولِ الله ﷺ، فقال:

يـا مـالِ، مـالِ الـحَـسَـبِ الـمُـقَـدَّمِ أَنْـشُـدُ ذا الـقُـرْبَـى وذا الـتَّـذَمُّـمِ
مَـن كـان ذا رُحْـم ومـن لـم يَـرْحَـمِ الـحِـلْـفَ وَسْـط الـبَـلَـدِ الـمُـحَـرَّم
عـنـد حـطـيـم الـكَـعْـبـة الـمُـعَـظَّـم

مشاكلة اسم الجبل لأغراض التوحيد:

وقد كان عليه السلام يحب الاسمَ الحسَنَ ولا أَحْسَنَ من اسم مُشْتَقّ من الأَحَدِيَّة، وقد سَمَّى الله هذا الجبل بهذا الاسم، تَقْدِمَةً لما أرادهُ سُبْحَانه من مُشَاكَلَةِ اسمِه، ومعناه، إذ أهلُه وهم الأنصارُ نَصَرُوا التوحيدَ والمبعوثَ بدين التَّوحيد، عنده استقرّ حَيًّا ومَيْتًا، وكان من عادته عليه السلام أن يَسْتَعْمِلَ الوِتْرَ ويُحِبُّه في شأنه كلِّه اسْتِشْعَارًا للأَحَدِيَّة، فقد وافق اسم هذا الجبل لأغراضِه عليه السلام ومقاصدِه في الأسماء، فقد بَدَّل كثيرًا من الأسماء اسْتِقباحًا لها من أَسْماء البِقاع وأسماءِ الناس، وذلك لا يُحْصَى كَثْرَةً؛ فاسمُ هذا الجبلِ من أَوْفَق الأسماءِ له، ومع أنه مُشْتَقٌّ من الأَحَدِيَّة، فحركاتُ حُروفِه الرَّفْعُ، وذلك يُشْعِر بارتفاع دينِ الأحَدِ، وعلوّه، فَتَعَلَّق الحبُّ من النبيّ ﷺ به اسمًا ومُسمًّى، فَخُصَّ من بين الجبال بأن يكون معه في الجنة[1]، إذا بُسَّتِ الجبالُ بَسًّا، فكانت هَبَاءً مُنْبَثًّا وفي أُحُدٍ قبرُ هارون أخي موسى عليهما السلام، وفيه قُبِضَ، وثَمَّ واراه موسى عليه السلامُ، وكانا قد مَرَّا بأُحُدٍ حاجَّين، أو

(١) حديث أن أُحد مع النبي ﷺ في الجنة لا صحّة لها.

ودعا جُبَيْر بن مُطْعِم غلامًا له حَبَشِيًا يقال له: وَحْشِي، يَقْذِف بحربة له قَذْف الحَبَشة، قَلَّما يُخطِىء بها، فقال له: اخرُج مع الناس، فإن أنت قَتلت حمزةَ عمَّ محمدٍ بعمِّي طُعَيْمَة بن عَدِيّ، فأنت عَتِيق.

خروج قريش معهم نساؤهم:

فخرجت قُرَيشٌ بحَدِّها وجَدِّها وحَديدِها وأحابِيشها، ومن تابعها من بني كنانة، وأهل تِهامة، وخرجوا معهم بالظُّعُنِ، التماسَ الحَفِيظَة، وألاّ يفِرّوا. فخرج أبو سُفيان بنُ حَرْب، وهو قائدُ الناس، بهِنْد بنت عتبة، وخرج عِكْرمة بن أبي جَهل بأُمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المُغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المُغيرة بفاطمة بنت الوَليد بن المُغيرة، وخرج صَفْوان بن أُميَّة بِبَرْزة بنت مَسْعود بن عمرو بن عُمير الثَّقَفيَّة، وهي أُم عبد الله بن صَفْوان بن أُميَّة.

قال ابن هشام: ويقال: رقيَّة.

قال ابن إسحٰق: وخرج عمرو بن العاص برَيْطة بنت مُنبِّه بن الحَجَّاج وهي أُم عبد الله بن عمرو، وخرج طَلْحة بن أبي طَلْحة وأبو طَلْحة عبدُ الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، بسُلافة بنت سَعد بن شُهَيد الأنصاريَّة وهي أمّ بني طَلْحة: مُسافع والجُلاّس وكِلاب، قُتِلوا يومئذ (هم) وأبوهم؛ وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضرب إحدى نساء بني مالك بن حِسْل مع ابنها أبي عزيز بن عُمَير، وهي أُمّ مُصعب بن عمير؛ وخرجت عَمْرة بنت عَلقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة. وكانت هِنْد بنت عُتْبة كلَّما مرَّت بوَحْشِيّ أو مرّ بها، قالت: وَيْها أبا دَسْمة اشْف واستَشْف، وكان وَحْشيّ يُكْنى بأبي دَسْمة، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين، بجَبل ببطن السَّبْخة من قناة على شَفير الوادي، مقابل المَدينة.

مُعْتَمِرين، رُوِي هذا المعنى في حديث أسنده الزُّبَيرُ عن رسولِ الله ـ ﷺ ـ في كتاب فضائل المدينة[١].

وذكر ابن إسحٰق مَسِيرَ قُرَيْشٍ بالظُّعُنِ التماسَ الحفِيظة، والحَفِيظةُ. الغَضَبُ لِلحُرَمِ، ويقال: أُحْفِظَ الرَّجلُ إذا أُغْضِب.

---

(١) لا صحّة لقصة دفن موسى لهارون عليهما السلام في أحد.

فلما سمع بهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيثُ نزلوا، قال رسولُ الله ﷺ للمسلمين: «إني قد رأيت والله خيرًا، رأيتُ بقرًا، ورأيتُ في ذُباب سَيْفي ثَلْمًا، ورأيتُ أني أدْخَلْتُ يدِي في درْع حَصينة، فأوّلتُها: المدينة».

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العِلم، أن رسولَ الله ﷺ قال: «رأيت بقَرًا لي تُذْبح، قال: فأمّا البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثَّلم الذي رأيتُ في ذُباب سَيْفي، فهو رَجُل من أهل بَيتي يُقتل».

مشاورة الرسول القوم في الخروج أو البقاء:

قال ابن إسحٰق: فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدعُوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشَرّ مُقام، وإن هم دَخلوا علينا قاتلناهم فيها، وكان رأيُ عبد الله بن أُبيٍّ ابن سَلُولَ مع رأي رسول الله ﷺ، يَرَى رأيَه في ذلك، وألاَّ يخرجَ إليهم، وكان رسولُ الله ﷺ يَكْرَه الخُروجَ، فقال رجالٌ من المسلمين، ممَن أكْرم الله بالشَّهادة يوم أُحُدٍ وغيره، ممَّن كان فاته بدرٌ: يا رسول الله، اخْرُج بنا إلى أعدائنا، لا يَرَوْن أنا جَبُنَّا عنهم وضَعُفنا. فقال عبدُ الله بن أُبيٍّ ابن سَلول: يا رسول الله، أقِمْ بالمدينة لا تَخْرُج إليهم،

رؤيا رسول الله ﷺ[1]

فصلٌ: وذكر رُؤْيا رسول الله ﷺ حين رأى بَقَرًا تُنحَر حوله، وثَلْمَةً في سَيْفه وفي غير السيرة قال: رأيت بقرًا تُنحر والله خَيْرٌ، فأوَّلْتُ الخَير ما جاء الله به من الخير يَوْمَ بَدْر، وقد كانت بَدْرٌ قُبَل أُحُدٍ، ولكن نفع الله بذلك الخير الذي كان في يوم بدرٍ، وكان فيه تَأْسِيَةٌ وتَعْزِيةٌ لهم، فلذلك تَضمَّنَتْه الرؤيا بقول الله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قد أَصَبْتُم مِثْلَيها﴾[2] وفي البخاري: ما جاء الله به من الخير بعد بَدْرٍ. وفي مُسْلِم: وإذا الخيرُ ما جاء الله به بعدُ وثوابُ الصِّدْق الذي أتانا الله به يوم بَدْرٍ، وهذه أَقَلُّ الرِّواياتِ إشْكَالاً.

«قال المؤلف» أبو القاسم [السهيلي]: أمَّا البقرُ فعبارة عن رجال مُسلَّحِينَ يَتَنَاطَحُون وقد رأت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ مثلَ هذا، فكان تأويلُه قتلَ مَن قُتِل معها يوم الجَمَلِ.

---

(١) «صحيح» أخرجه أحمد (١/ ٢٧١) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٠٦) والطبراني في الكبير (١١/ ٣٩٤) وانظر الفتح (٧/ ٣٤٦).

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٦٥).

فوالله ما خَرَجنا منها إلى عدوّ لنا قطُّ إلا أصاب مِنّا، ولا دخَلها علينا إلا أصبْنا منه، فدعْهم يا رسول الله، فإن أقامُوا أقامُوا بشرّ مَحْبِس، وإن دَخلوا قاتلهم الرجالُ في وجْههم، ورماهم النّساء والصِّبْيان بالحجارة من فَوْقهم، وإن رجَعُوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يَزَل النَّاسُ برسول الله ﷺ، الذين كان من أمرهم حُبُّ لِقاءِ القوم، حتى دخل رسولُ الله ﷺ بيته فَلبس لأمَتَه، وذلك يومَ الجُمعة حينَ فرغ من الصلاة. وقد مات في ذلك اليوم رَجلٌ من الأنصار يُقال له: مالك بن عمرو، أحد بني النجّار، فصلّى عليه رسولُ الله ﷺ، ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس، وقالوا: استكْرَهْنا رسولَ الله ﷺ، ولم يكن لنا ذلك. فلما خرج عليهم رسولُ الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله: استكْرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئتَ فاقعُد صلّى الله عليك، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما يَنْبغي لنبيّ إذا لَبِس لأمَتَه أن يَضَعها حتى يُقاتل»، فخرج رسولُ الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه[1].

قال ابن هشام: واستعمال ابن أُمّ مَكْتوم على الصَّلاة بالناس.

انخـذال المنافقين:

قال ابن إسحٰق: حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأُحد، انخزل عنه عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلول بثُلث الناس، وقال: أطاعهم وعَصاني، ما نَدْري علامَ نَقْتُل أنفسَنا هاهنا أيها الناس، فرَجَ بمن اتَّبعه من قومه من أهل النِّفاق والرَّيْب، واتَّبعهم عبدُ الله بن عَمرو بن حَرَام، أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أُذكِّركم الله ألاّ تخذُلوا قومَكم ونبيَّكم

وقولُه: واللهِ خَيْرٌ، أي: رأيت بقَرًا تُنْحَر، ورأيت هذا الكلامَ، لأن الرَّائيَ قد يُمَثَّل له كلامٌ في خَلَدِه، فيراه بوَهْمِه، كما يرى صَورة الأشياءِ، ومَنْ خَبَر أحوال الرُّؤيا عَرَف هذا من نفسِه، ومِنْ غيرهِ، لكنَّ الصُّوَرَ المَرْئيَّة في النوم تكون في الغالِب أمثالاً مَضروبةً، وقد تكون على ظاهرِها، وأما الكلام الذي يسمعه بسَمْعِ الوَهْم مُمَثَّلاً في الخَلَد، فلا يكون إلاّ على ظاهرِه، مثل أن يَسْمَعَ: أنْتَ سالم أَو الله خَيْرٌ لك، أو ما أَشْبَهَ هذا من الكلام، فليس له معنًى سوى ظاهره.

وذكر أن فَرَسًا ذَبّ بذَيْله، فأصاب كُلاَّبَ سَيْفٍ فاسْتَلَّه. قال ابن هشام: كُلاّب السَّيْفِ هي الحديدةُ العَقْفَاءُ، وهي التي تلي الغِمْدَ، وفي كتاب العين: الكَلْب مِسْمَار في قائم السيف.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٨٤) معلقًا بعضه. والدارميّ (٢/ ١٢٩) وأحمد (٣/ ٣٥١) والحاكم (٢/ ١٢٨/ ١٢٩/ ٢٩٦/ ٢٩٧) وصححه وأقرّه الذهبي.

عندما حَضَر من عدوّهم؛ فقالوا: لو نعلم أنّكم تُقاتِلون لمَا أسْلمناكم، ولكنّا لا نَرى أنه يكون قتالٌ. قال: فلما استَعْصَوْا عليه وأبَوا إلا الانصراف عنهم، قال: أُبعدكم الله أعداء الله، فسيُغْني الله عنكم نبيَّه.

قال ابن هشام: وذكر زياد، محمد بن إسحٰق عن الزّهري: أن الأنصار يوم أُحد، قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا نَستعين بحلفائنا من يَهود؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم.

حادثة تفاءل بها الرسول:

قال زياد: حدّثني محمد بن إسحٰق، قال: ومضى رسول الله ﷺ حتى سَلك في حَرّة بني حارثة، فذَبّ فَرَسٌ بذَنَبِه، فأصاب كُلاَّبَ سيْفٍ فاسْتَلَّه.

قال ابن هشام: ويقال: كَلاَّب سيف.

قال ابن إسحٰق: فقال رسول الله ﷺ - وكان يحبّ الفأل ولا يَعْتاف لصاحب السيف: «شِمْ سَيْفَك، فإني أرى السُّيوف سَتُسلُّ اليوم».

الفـأل والطيـرة:

قال: وكان رسولُ الله ﷺ يُحِبُّ الفأْلَ، ولا يَعْتَافُ، يفْتالُ يِفْتَعِلُ من العِيَافَةِ. وظاهر كلامِه أن العِيَافَة في المَكْرُوه خَاصَّةً، وَالفأل في المحبوب، وقد يكون في المكروه، والطِّيَرة تكون في المحبوب المَكْرُوه، وفي الحديث أنه نَهَى عن الطِّيَرة، وقال: خيْرُها الفَأْلُ، فَدلَّ على أنها تكون على وُجُوهٍ والفألُ خَيْرُها. ولفظُها يُعْطِي أنها تكون في الخَيْرِ والشرّ، لأنها من الطَّيْر، تقول العرب: جرى له الطائر بخيْر، وجَرى له بِشَرٍّ، وفي التنزيل: ﴿وكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طائِرَهُ في عُنُقِه﴾[1].

وقولُه في هذا الحديث: فإني أرى السُّيوفَ سَتُسَلُّ اليَوم، يقوّى ما قَدَّمناه من التَّوَسُّم والزَّجْرِ المصيب، وأنه غير مكْرُوهٍ لكنه غير مَقْطُوعٍ به إلاَّ أنْ يكونَ من كَلاَمِ النبيِّ ﷺ، وقد قدّمنا فيه قولاً مُقْنِعًا في حديث زَمْزَمَ ونُقْرَة الغُرَابِ الأَعْصَمِ، ولله في كُلّ شيءٍ حِكْمةٌ، وإِعْمَالُ الفكرِ في الوقوفِ على حِكْمةِ اللهِ عَبادَةٌ.

---

(١) سورة الإسراء آية رقم (١٣).

ما كان من مربع حين سلك المسلمون حائطه:

ثم قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «مَنْ رجلٌ يخرُج بنا على القوم من كَثَب: أي من قرب، من طريق لا يمُرّ بنا عليهم؟» فقال أبو خَيْثَمة أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله، فنَفذ به حَرّة بني حارثة، وبين أموالهم حتى سَلك في مال لِمِرْبَع بن قَيْظيّ، وكان رجلاً منافقًا ضرير البَصر، فلمَّا سمع حسّ رسول الله ﷺ وَمَنْ معه من المسلمين، قام يَحثي بي وجوههم التراب، ويقول: إن كنتَ رسول الله فإني لا أُحلّ لك أن تدخل حائطي. وقد ذُكر لي أنه أخذ حَفْنة من تراب في يده، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أُصِيب بها غيرك يا محمد لضربتُ بها وجهك. فابتدره القَومُ ليَقتلُوه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذَا الأعمى أعمى القَلب، أعمى البَصَر». وقد بَدَر إليه سعدُ بن زَيد، أخو بَني عبد الأشهل، قَبل نَهى رسول الله ﷺ عنه، فضربه بالقوس في رأسه، فشجَّه.

قال: ومضَى رسولُ الله ﷺ حتى نزل الشَّعب من أُحد، في عُدْوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظَهره وعسكره إلى أُحد، وقال: لا يقاتلنّ أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال. وقد سَرّحت قريش الظَّهر والكُراع في زروع كانت بالصَّمغة، من قَناة للمُسلمين: فقال رجلٌ من الأنصار حين نهَى رسولُ الله ﷺ عنِ القِتال: أتُرْعَى زُرُوعُ بني قَيْلَة ولَمَّا

المستصغرون يوم أُحُد:

وذكر المُسْتَصْغَرين يوم أُحُدٍ الذين أرادوا الخروجَ مع رسول الله - ﷺ - فردّ أصغَرهم، منهم البَراءَ بن عازِبٍ وَأُسَيْدُ بنُ ظُهَيْر وزَيْدُ بن ثَابِتٍ إلى آخرهم، ولم يذكر فيهم عَرَابَةَ بن أَوْسِ بن قَيْظِيّ، وقد ذكرته طائفةٌ فيهم، وممن ذكره فيهم القُتَبيُّ في كِتابِ المعارف[1]، وهو الذي يقول فيه الشَّمَّاخ:

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدِ ... تَلَقَّاها عَرَابَةُ بالـيَمِينِ

ولِعَرَابَةَ أخٌ اسمه: كَبَاثَةُ، له صُحْبَةٌ. ومن المُسْتَصْغَرين يوم أُحُدٍ سَعْدُ بن حَبْتَة، عُرِف بأُمِّه، وهي حَبْتَةُ بنت مالِكٍ أنْصَارِيَّةٌ، وهو سعد بن بُجَير من بَجِيلَةَ، ردَّه النبيُّ - ﷺ - يوم أُحُدٍ لِصِغَر سِنِّه، فلما كان يوم الخَنْدَقِ رآه يقاتل قِتالاً شديدًا، فدعاهُ ومَسَحَ على رأسِه، ودعا له بالبَرَكةِ في ولده ونَسْله، فكان عَمًّا لأربعين، وخالاً لأربعين، وأبًا لعِشْرين، ومن ولده أبو يُوسُفَ القَاضِي يَعْقُوبُ بن إبراهيمَ بن حَبيب بن حُبَيْشِ بن سَعْد بن حَبْتَةَ.

---

(١) المعارف (ص ١١٢).

تضَارب! وتعَبّى رسولُ الله ﷺ للقِتال، وهو في سَبْع مِائَةِ رجل، وأمّر على الرُّماة عبدَ الله بن جُبير، أخا بني عَمْرو بن عوف وهو مُعْلَم يومئذ بثياب بِيض، والرُّماة خَمْسون رجلاً، فقال: انضَح الخيلَ عنَّا بالنَّبْل، لا يأتُونا مِن خَلْفنا، إن كانت لنا أو علينا، فأثبُت مكانك لا نُؤتَيَنَّ من قِبَلِك. وظاهَر رسول الله ﷺ بين دِرْعين ودَفع اللّواء إلى مُصْعب بن عُمَيْرٍ، أخي بني عبد الدّار.

من أجازهم الرسول وهم في الخامسة عشرة:

قال ابن هشام: وأجاز رسولُ الله ﷺ يومئذ سَمُرة بن جُنْدب الفَزاريّ، ورافع بن خَدِيج، أخا بني حارثة، وهما ابنا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وكان قد ردّهما، فقيل له: يا رسولَ الله إن رافعًا رَام، فأجازه، فلما أجاز رافعًا، قيل له: يا رسول الله، فإن سَمُرَةَ يَصْرعُ رافعًا، فأجازهُ. وردّ رسول الله ﷺ: أُسَامَةَ بنَ زَيْد، وعبدَ الله بن عُمَرَ بن الخطّاب، وزيدَ بنَ ثابت، أحدَ بني مالكِ بن النجّار، والبَرَاءَ بن عَازِب، أحدَ بني حارثة، وعمرَو بنَ حَزْم، أحدَ بني مالك بن النجّار، وأُسَيْد بن ظُهَير، أحد بني حارثة، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة.

حول شعر هند بنت عتبة:

وذكر قول هِندِ بنت عُتْبَةَ:

وَيْـهًـا بـنـي عَـبْـدِ الـدَّار

وَيْهًا كلمةٌ معناها الإغراءُ.

قال الراجز:

وهـو إذَا قـيـلَ لـه وَيْـهًـا فُـلُ   فـإنـه مُـواشِـكٌ مُـسْـتَـعْـجِـلُ

وأمّا وَاهًا، فإن معناها: التَّعجُبُ، وإيهًا معناها: الأَمْرُ بالكَفِّ.

وقولها: إن تُقْبِلوا نُعَانِقْ. فيقال: إنهَا تَمثَّلَتْ بهذا الرَّجَزِ، وإنه لهِنْدِ بنتِ طَارِق بن بَيَاضَة الإيَادِيَّة، قَالته في حَرْبِ الفُرْسِ لإيَاد، فعلى هذا يكونُ إنشادُه: بناتِ طَارِقْ، بالنصب على الاختصاصه، كما قال:

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أصحابُ الجَمَلْ

وإن كانت أَرَادَتْ النَّجم فبناتٌ مَرْفُوعٌ، لأنه خبرُ مبتدأ أي: نحن شَرِيفاتٌ رَفيعات كالنجوم، وهذا التأويلُ عِندي بعيد، لأن طارقًا وَصْفٌ للنجم لطُرُوقِه، فلو أرادته لقالت:

قال ابن إسحٰق: وتَعبَّأتْ قُرَيشٌ، وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مائتا فرس قد جَنَبوها، فجعلوا على مَيْمنة الخيل خالدَ بن الوليد، وعلى مَيْسرتها عِكرمةَ بن أبي جهل.

أمـر أبـي دجانـة

وقال رسولُ الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيفَ بحقِّه؟» فقام إليه رجالٌ، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دُجانة سِمَاكُ بن خَرَشة، أخو بني ساعدة، فقال: وما حقُّه يا رسولَ الله؟ قال: أن تَشرب به العدوّ حتى يَنْحني»؛ قال: آنا أخذُه يا رسول الله بحقِّه، فأعْطاه إيّاه»[1]. وكان أبو دُجانة رجلاً شُجاعًا يختال عند الحَرب، إذا كانت، وكان إذا أُعْلِم بعصابة له حمْراء، فاعتصب بها على الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسَه، وجعل يتبختر بين الصفَّين.

بنات الطارقِ إلاَّ أَني وجدت للزُّبَيْرِ بن أبي بَكْرِ أنه قال في كتاب أنسابِ قُرَيْشٍ له أول هذا الرجز الذي قالته عند يوم أحد:

نَـحـنُ بـنـاتُ طـارِقْ   نَمْشي على النَّمارِقْ   مَشْيَ القَطَا النَّواتِقْ

إلى آخر الرَّجَزِ، قال: وحدّثني يحيىٰ بن عبد الملك الهُدَيْرِيّ، قال: جَلَسْتُ ليلةً وَرَاء الضَّحَّاك بن عُثمان الجُذَامِي في مسجدِ رسول الله ﷺ - وأنا مُتَقَنِّعٌ فذكر الضَّحَّاكُ وأصحابُه قولَ هِنْدٍ يَوْمَ أُحُدٍ: نَحنُ بناتُ طَارِقِ، فقالوا: ما طَارِقٌ؟ فقلت: النَّجْمُ، فالتفتَ الضَّحَّاكُ، فقال: أبا زَكَرِيًّا، وكيف بذلك؟ فقلت: قال الله تبارك وتعالى: ﴿والسَّمَاءِ والطَّارِقِ وما أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[2]: فإنها قالت: نحنُ بَنَاتُ النَّجم، فقال: أحسنت.

أبـو دجـانـة

وذكر أبا دُجَانَةَ، ولُبْسَهُ المُشَهَّرَة، وأبو دُجَانَة السَّاعِدي مِمَّن دافع عن النبيّ - ﷺ - وحنا عليه يوم أُحُدٍ وتَرَّس عليه بنفسِه، حتى كَثُرَتْ النَّبْلُ في ظَهْرِه، واستشهد يوم اليَمَامةِ، بعد أن شارك في قَتْل مُسَيْلِمَةَ، اشترك في قتله هو وَوَحْشِيُّ وعَبْدُ الله بن زَيْد، وسنذكر ما قاله سَيْف بن عُمَرَ في قاتل مُسَيْلِمَة في آخرِ البابِ إنْ شاء الله.

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (١٢٨) وأحمد (٣/ ١٢٣) والحاكم (٣/ ٢٣٠) وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٠٦) وابن سعد (٣/ ٢/ ١٠١).
(٢) سورة الطارق آية رقم (١ ـ ٣).

قال ابن إسحٰق: فحدّثني جعفر بن عبد الله بن أسْلم، مولى عمر بن الخطّاب، عن رجل من الأنصار من بني سَلَمة، قال: قال رسول الله ﷺ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر: «إنها لمشية يبغضها الله، إلا في مثل هذا الموطن».

أمر أبي عامر الفاسق:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتادة: أنّ أبا عامر، عبد عمرو بن صَيفيّ بن مالك بن النعمان، أحد بني ضُبيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكّة مُباعدًا لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلامًا من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسةَ عشر رجلاً، وكان يَعد قريشًا أن لو قد لقى قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان؛ فلما التقى الناسُ كان أوّل من لَقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبْدان أهل مكّة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر؛ قالوا: فلا أنعم الله بك عينًا يا فاسق ـ وكان أبو عامر يسمّى في الجاهلية: الرّاهب، فسمّاه رسولُ الله ﷺ: الفاسق ـ فلما سَمع ردَّهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شرّ، ثم قاتلهم قتالاً شديدًا، ثم راضَخهم بالحجارة.

وذكَرَ قولَ أبي دُجَانَة:

إنِّــي امْــرُؤٌ عَــاهَــدَنِــي خَــلِــيــلِــي

يَعْنِي رسولَ الله ـ ﷺ ـ وكذلك كان أبو هُرَيْرَةَ يقول: حدّثني خَلِيلي، وأنكره عليه بعضُ الصَّحَابَةِ، وقال له: متى كان خلِيلَك، وإنما أنكر عليه المُنكِر هذا لقوله عليه السلام: «لو كُنتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاتخذتُ أبا بَكْر خَليلاً، ولكن أُخوة الإسلام»[١] وليس في هذا الحديث ما يدفع أن يقول الصحابيُّ حَدَّثني خليلي، لأنهم يريدون به معنىَ الحبيب، وإنما فيه عليه أن النَّبيَّ ﷺ لم يكُن يقولها لأحَدٍ من أصحابه، ولا خَصَّ بها أحدًا دون أن يمنع غيرَه من أصحابه أن يقولها له، وما كان في قلوبهم من المَحَبَّةِ له يقتضي هذا، وأكْثَرَ منه، ما لم يكن الغُلُوُّ والقولُ المكروه، فقد قال عليه السلام: «لا تُطْرُوني، كما أَطْرَتِ النصارى المسيحَ، فإنما أنا عَبْدُ الله ورسولُه»[٢]. وقال لرجل قال له: أنت سَيِّدُنا وأَطْوَلنا طَوْلاً، وأنت الجَفْنَةُ الغَرَّاءُ، فقال: «قولوا بقولِكم، ولا يَسْتجوِيَنَّكُم الشَّيْطَانُ»[٣] أي: قولوا بقول أهل

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٤) ومسلم في فضائل الصحابة (١ ـ ٥) والترمذي (٣٦٥٩) وابن ماجة (٩٣) وأحمد (١/ ٣٧٧) والحميدي (١١٣) وعبد الرزاق (١٩٠٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٤) ومسلم في القدر (٣٤) وأحمد (١/ ٢٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٩) والنسائي بنحوه. والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣١٨) وفي الصفات (٢٢) بتحقيقي.

أسلوب أبي سُفيان في تحريض قريش:

قال ابن إسحٰق: وقد قال أبو سُفيان لأصحاب اللِّواء من بني عبد الدّار يُحرّضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدّار، إنكم قد وَلّيتم لواءَنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قِبَل راياتهم إذا زالت زالُوا، فإما أن تَكْفُونا لوَاءَنا، وإمَّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فنَكْفيكموه، فهمُّوا به وتواعدُوه، وقالوا: نحن نُسْلم إليك لواءَنا، ستعلم غدًا إذا التقينا كيف نصْنع! وذلك أراد أبو سُفيان.

تحريض هند والنسوة معها:

فلما التقى الناس، ودَنا بعضُهم من بعض، قامت هندُ بنت عتبة في النِّسوة اللاتي معها، وأخَذْن الدُّفوف يَضْربن بها خلف الرجال، ويُحرّضنهم فقالت هند فيما تقول:

وَيْــهـا بَــنـي عَـبـد الـدَّارْ ... وَيْــهــا حُــمــاةَ الأدبــارْ

ضَــرْبًــا بــكــلّ بَــتّــار

وتـقــول:

إن تُــقْــبِــلــوا نُــعــانِــقْ ... ونَــفْــرِش الــنَّــمَــارِق

أو تُــدْبِــروا نُــفــارِقْ ... فِــراقَ غَــيْــرِ وَامِــق

شعـار المسـلمين:

وكان شِعارُ أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحدٍ: أَمِتْ أَمِتْ، فيما قال ابن هشام.

تمام قصة أبي دجانة:

قال ابن إسحٰق: فاقتتل الناسُ حتى حَمِيت الحربُ، وقاتل أبو دُجَانَة حتى أمعن في الناس.

دينِكم وأهلِ ملَّتِكُمْ، كذا فسره الخَطَّابيُّ، ومعناه عندي: قولوا: بقولِكم، لا بقول الشيطان، لأنه قد جعلهم جَرِيًا له، أي: وكيلاً وَرَسُولاً، وإذا كانوا جَرِيًا له، وقالوا: ما يُرْضِيه من الغُلُوّ في المنطِق، فقد قالوا بقوله: ويَسْتَجْرِيَنَّكم من قولهم: جَرَيْتُ جَرْيًا، أي: وكَّلت وكيلاً. وقال له رجل آخر: أنت أشرفُنا حَسَبًا وأكرمنا أُمًّا وأبًا، فقال: كَمْ دُون لسانِك من طَبَق؟ فقال: أربعة أطْبَاقٍ، فقال: أما كان فيها ما يَزَعُ عني غَربَ لِسَانِك[1]. رواه ابن وَهْب في جامعه.

(١) أورده السيوطي في الدر (٣/ ١١٢) والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٤٩٧).

قال ابن هشام: حدّثني غير واحد، من أهل العلم، أن الزُّبير بن العوّام قال: وَجدْتُ في نفسي حين سألتُ رسول الله ﷺ السَّيف فمَنَعنيه وأعطاه أبا دُجانة، وقُلت: أنا ابنُ صفيَّة عمَّته، ومن قُريش، وقد قُمت إليه فسألته إياه قَبْله، فأعطاه إياه وتَركني، والله لأنظرنّ ما يصنع؛ فاتبعته، فأخرج عصابة له حَمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجانة عِصابةَ الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها، فخَرج وهو يقول:

أنــا الــذي عــاهَـدنــي خـلِـيـلـي ... ونـحـنُ بـالـسَّـفْـح لـدَى الـنَّـخـيـل

ألاَّ أقــومَ الــدهــرَ فــي الـكَـيُّـول ... أضْـرب بـسـيـف الله والـرَّسـول

قال ابن هشام: ويروى في الكبُول.

قال ابن إسحٰق: فجعل لا يَلْقى أحدًا إلا قَتله. وكان في المُشركين رجل لا يَدَع لنا جريحًا إلا ذفَّف عليه، فجَعل كل واحد منهما يَدْنو من صاحبه. فدعوتُ الله أن يَجْمع بينهما، فالتَقيا، فاختَلفا ضَرْبتين، فضَرب المُشرك أبا دُجانة، فاتَّقاه بدَرَقته، فعَضت بسيفه، وضربه أبو دُجانة فقَتله ثم رأيتُه قد حمل السيفَ على مَفْرِق رأس هِند بنت عُتبة، ثم عدل السيفَ عنها. قال الزبير: فقلتُ: الله ورسولُه أعلم.

قال ابن إسحٰق: وقال أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة: رأيت إنسانًا يَخْمش النَاس خَمْشًا شديدًا، فصمدتُ له، فلما حملتُ عليه السَّيف وَلْول فإذا امرأةٌ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

وقـول أبـي دجـانـة:

ألاَّ أقــوم الــدهــر فــي الـكَـيُّـول

قال أبو عبيد: الكَيُّول آخرُ الصفوف، قال: ولم يسمع إلاّ في هذا الحديث، وقال الهَرَوِيُّ: مثل ما قال أبو عبيد، وزاد في الشرح، وقال: سُمِّي بكَيُّول الزَّنْد، وهي سَوَادٌ ودُخان يخرج منه آخرًا، بعد القَدْح إذا لم يُورِ نَارًا، وذلك شيء لا غناء فيه، يقال منه كال الزَّنْدُ يكُول، فالكَيُّول فَيْعُول من هذا، وكذلك كَيُّول الصُّفوفِ لا يوقد نارَ الحرب، ولا يُزكِيها، هذا معنى كلامه لا لفظه. وقال أبو حنيفة نحوًا من هذا إلاّ أنه قال: كال الزندَ يكِيل بالياء لا غير.

وقوله: رأيت رجلاً يَخمِشُ الناسَ خَمْشًا شديدًا، يُروى بالشين وبالسين، فالمعنى بالسين غير مُعْجَمة في هذا المكان الشِّدَّة، كأنه قال: يشدّهم ويُشَجِّعُهم، لأنه يقال: رجل

مقتل حـمـزة:

وقاتل حمزةُ بن عبد المطَّلب حتى قتل أرْطاة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار، وكان أحد النَّفر الذين يَحْملون اللِّواء ثم مرّ به سِباعُ بن عبد العُزّى الغُبْشاني، وكان يُكنى بأبي نِيار، فقال له حَمْزة: هلمّ إليّ يا ابن مُقَطِّعة البُظور ـ وكانت أُمُّه أمّ أنمار مَولاة شَريق بن عمرو بن وهب الثَّقفي.

(قال ابن هشام: شَريق بن الأخْنس بن شَريق) وكانت خَتَّانَةً بمكّة ـ فلمَّا التقيا ضَربه حمزةُ فقتله.

قال وَحْشِيّ، غلامُ جُبير بن مُطْعم: والله إني لأنظر إلى حَمْزة يَهُدُّ الناس بسيفه ما يُليق به شيئًا، مثل الجمل الأوْرق إذ تقدّمني إليه سِباع بن عبد العُزّى، فقال له حمزة: هلمّ إليّ يا ابن مُقَطِّعة البُظور، فضَرَبه ضَربة، فكأنّ ما أخْطأ رأسَه، وهززتُ حَرْبتي حتى إذا رَضِيتُ منها دفعتُها عليه، فوقعت في ثُنَّته حتى خرجتْ من بين رِجْليه، فأقبل نحْوي، فغُلِب فوقع، وأمهلتُه حتى إذا مات جِئْت فأخذت حَرْبتي، ثم تنحَّيت إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجةٌ غيره.

وحشي يحدّث الضمريّ وابن الخيار عن قتله حمزة

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن الفَضْل بن عبَّاس بن ربيعة بن الحارث عن سُليمان بن يَسَار عن جَعْفر بن عمرو بن أُمية الضَّمْري قال: خرجتُ أنا وعُبيد الله بن عديّ بن الخيار، أخو بني نَوْفل بن عبد مناف، في زمان مُعاوية بن أبي سُفيان، فَأدْرَبْنا مع الناس، فلما قَفَلنا مَرَرْنا بحِمْص ـ وكان وَحْشيّ، مولى جُبير بن مُطعم، قد سَكَنها، وأقام بها ـ فلمَّا قَدِمْناها، قال لي عُبَيد الله بن عَدِيّ: هل لك في أن تأتي وحشيًا فنسأله عن قَتْل حمزة كيف قَتله؟ قال: قلت له: إن شئتَ. فخَرَجْنا نسأل عنه بحِمْص، فقال لنا

أحْمَسُ، أي: شجاع شَدِيد، والمعنى فيه بالشِّين مُعْجَمَةً ألاّ يقَادَ والإغضاب، لأنه يقال: أحْمَشْتُ النارَ أوْقَدْتُها وحَمَشْتُ الرجلَ، وأحْمَشْتُه: أغضبته، فيكون أَفْعَلْت من ذلك للإيقاد والإغضاب، وفَعَلْتُ للإغضاب.

حـديـث وحـشـيّ

قال فيه: فإذا شَيْخٌ كبير، كالبُغَاثِ، قال أبو عبيد: البُغَاثُ الطَّيْرُ الذي لا يُصاد به مثل الرَّخَم، والحِدَاء، واحدتُها بِغاثَة. ويقال: بغاثي وجمعه بِغَاثٌ وبُغْثَانُ. وقال ابن إسحٰق في رواية يونُسَ عند ذكر البُغَاثُ البُغَاثُ هو ذَكَر الرَّخَم إذا هَرِمَ اسْوَدَّ.

رجل، ونحن نسأل عنه: إنكما ستَجدانه بفِناء داره، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر، فإن تَجِداه صاحيًا تَجِدَا رجلاً عربيًا، وتَجدا عنده بعضَ ما تُريدان، وتُصيبا عنده ما شِئتما من حديث تَسألانه عنه، وإن تَجِداه وبه بعْض ما يكون به، فانصرفا عنه ودَعاه. قال: فخرجنا نَمْشي حتى جئناه، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له، فإذا شيخٌ كبير مثل البُغاث.

ـ قال ابن هشام: البُغَاثُ: ضرب من الطير إلى السواد.

فإذا هو صاحٍ لا بأس به. قال: فلما انتهينا إليه سَلَّمنا عليه، فرفع رأسَه إلى عُبيد الله بن عديّ، فقال: ابنٌ لعديّ بن الخيار أنت؟ قال: نعم، قال: أما والله ما رأيتُك منذ ناولتُك أُمَّك السعديَّة التي أرْضعتك بذي طُوَى، فإني ناولتُكها وهي على بَعيرها، فأخَذَتْك بعُرْضَيْك، فلمعتْ لي قَدماك حين رفعتُك إليها، فوالله ما هو إلا أن وقفتَ عليّ فعرفتُهما. قال: فجلسنا إليه، فقُلنا له: جِئْناك لتحدّثنا عن قَتْلك حَمْزة، كيف قَتلته؟ فقال: أما إني سأحدّثكما كما حدّثت رسولَ الله ﷺ حين سألني عن ذلك، كُنتُ غلامًا لجُبير بن مُطعم، وكان عمُّه طُعَيْمة بن عديّ قد أُصِيب يومَ بدر، فلمَّا سارت قُريشٌ إلى أحد، قال لي جُبير: إن قتلتَ حمزة عمّ محمد بعمِّي فأنت عَتيق. قال: فخرجتُ مع الناس، وكنتُ رجلاً حَبشيًا أقْذِف بالحَرْبة قَذْفَ الحبشة، قلَّما أُخْطِىء بها شيئًا؛ فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حَمزة وأتبصَّره، حتى رأيته في عُرْض الناس مثل الجَمل الأَوْرَقِ، يَهُدُّ الناس بسيفه هدًّا، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيَّأُ له، أُريده وأستتر منه

وقول وَحْشِيّ لعُبَيْدِ الله: ما رأيتكَ مُنْذُ نَاوَلْتُك أُمَّكَ السَّعْدِيَّة، ولم يَذْكُرْ اسمَها، وأمّ عُبَيدِ اللهِ بن عَدِيّ هي أم قِتَالٍ بنتُ أبي العِيص بن أُمَيَّة ذكرها البخَارِيُّ في هذا الخبر، ولم يقل: السَّعْدِيَّةَ فهي إذًا قُرَشيَّة أُمَويَّة لا سَعْدِيَّة إلاَّ أنْ يريد بها مُرْضِعَتَه إنْ كانت سَعْدِيَّة، وأما عُبَيْدُ الله بن عَدِيّ، فوُلِد في حياةِ رسول الله ـ ﷺ ـ ومات في خلافة الوليدِ بن عبدِ الملك، وله دار بالمدينة عند دار عليِّ بن أبي طالبِ ـ رضي الله عنه ـ يَرْوِي عن عُثمان بن عَفَّانَ ـ رضي الله عنه ـ وغيره، وله حديثٌ في المُوَطَّأ في كتابِ الصلاة.

وقوله: بذي طُوَى: مَوْضعٌ بمكَّة، وقد قدّمنا الفرق بينه وبين ذي طَوَاء بالهمز والمد، وبين طُوى بالضَّمّ والقصر فأغنى عن إعادته هاهنا.

وقول وَحْشِيّ: يَهُدُّ الناسَ بسَيْفه، ما يُلِيقُ شَيْئًا، مثل الجملِ الأَوْرَق، يريد ـ والله أعلم ـ وُرْقَة الغُبَارِ، وإنه قد نافع به إذ الأَوْرَقُ من الإبل ليس بأقوَاها، ولكنه أطْيَبُها لحمًا فيما ذكروا.

بشجرة أو حَجَر ليَدْنو مني إذ تقدمني إليه سباعُ بن عبد العُزّى، فلمّا رآه حَمْزة قال له: هلُمّ إليّ يا ابن مُقَطِّعة البظور. قال: فضربه ضربة كأنّ ما أخطأ رأسه. قال: وهَززتُ حَرْبتي، حتى إذا رَضيتُ منها، دفعتُها عليه، فوقعت في ثُنّته، حتى خرجتْ من بين رجْليه، وذَهب ليَنُوء نحوي، فغُلِب، وتركتُه وإياها حتى مات، ثم أتيتُه فأخذتُ حَرْبتي، ثم رجعت إلى العسكر، فقعدتُ فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنما قتلتُه لأُعتق. فلما قَدِمتُ مكّة أُعْتِقتُ، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسولُ الله ﷺ مكةَ هربتُ إلى الطّائف، فمكثت بها، فلما خَرج وفدُ الطّائف إلى رسولِ الله ﷺ ليُسَلّموا تَعيَّت عليّ المذاهب، فقلت: ألحق بالشأم، أو اليمن، أو ببعض البلاد؛ فوالله إني لفي ذلك من همّي، إذ قال لي رجل: ويحك! إنه والله ما يقتُل أحدًا من الناس دخَل في دينه، وتشهَّد شهادته.

وحشيّ بين يديِ الرسول يسلم:

فلما قال لي ذلك، خرجتُ حتى قَدِمتُ على رسولِ الله ﷺ المدينة، فلم يَرُعْه إلا بي قائمًا على رأسه أتشهَّد بشهادة الحقّ؛ فلما رآني قال: «أوحشيّ؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «اقعُد فحدّثني كيف قتلتَ حمزة»، قال: فحدّثته كما حدّثتكما، فلما فرغتُ من حديثي قال: «وَيْحك! غَيِّب عنّي وجهك، فلا أُرَيَنَّك». قال: فكنتُ أتنكَّب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يَراني، حتى قَبَضه الله - ﷺ.

قتل وحشيّ لمسيلمة:

فلما خرج المُسلمون إلى مُسَيلمة الكذّاب صاحب اليمامة خرجت معهم، وأخَذت

وقوله: يَهُذُّ الناسَ، هو بالذال المنقوطة، ذكره صاحب الدلائل، وفسره من الهَذِّ وهي السُّرْعَةُ وأما الهَذْمُ بالميم، فسُرْعَةُ القَطْعِ، يقال: سَيْفٌ مِهْذَمٌ، والهَيْذَامُ: الكثيرُ الأَكْلِ، وهو الشُّجَاعُ أيضًا، وفي الحديث: أكثِروا من ذِكر هاذِمِ اللَّذَّات، يُروى بالذال المنقوطة أي قاطِعها، ومما ذكر غير ابن إسحٰق في خَبَرِ وحْشِي، قال: فخرجت حين قال ليس سيدي ما قال، فنظرت فإذا رَجُلٌ عَبْعَبٌ عليه دِرْع قَضّاءُ وإذا هُو عَلِيٌّ، فقلت: ليس هذا من شَأْنِي، وإذا رَجُلٌ حُلابِسٌ، أيهَمُ غَشَمْشَمٌ يَهُذُّ الناسَ، كأنه جَمَل أوْرَقُ، فَكَمَنْتُ له إلى صَخْرَةٍ كأنها فُسْطَاطٌ، وقلت: هذا الذي أريد، وهَزَزْتُ حَرْبَةً لي عَرَّاصَةً، فَرَمَيْتُه بها، فأصبتُ ثُنَّته، وذكر باقي الحديث. العَبْعَبُ: الشاب، والدِّرْع القَضَّاءُ: المُحْكَمَةُ النَّسْج، والأَيْهَمُ: الذي لا يَرُدُّه شيءٌ. وفي الحديث: أعوذ بالله من شر الأيهمَيْنِ، يعني: السَّيْل والحَرِيقَ. والعَرَّاصَةُ: التي تَضْطَرِبُ من اللِّين.

وقوله في قتل مُسَيْلِمَةَ: سبقني إليه رجل من الأنصار، وسيأتي ذكر مُسَيلَمةَ ونسبُه،

حَرْبتي التي قتلتُ بها حمزة؛ فلما التقى الاس رأيتُ مُسيلمة الكذاب قائمًا في يده السيف، وما أعرفه، فتهيأت له، وتهيَّأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كِلانا يُريده فهززتُ حَرْبتي حتى إذا رَضيت منها دفعتُها عليه، فوقعت فيه، وشدّ عليه الأنصاريّ فضربه بالسيف، فربُّك أعلم أيُّنا قتله، فإن كنت قتلتُه، فقد قتلتُ خيرَ الناس بعد رسول الله ﷺ، وقد قتلتُ شرّ الناس.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن الفضل، عن سُلَيْمَانِ بن يَسَارٍ، عن عبدِ الله بن عُمَر بن الخَطَّاب، وكان قد شَهِد اليمامة، قال: سمعت يومئذٍ صارخًا يقول: قَتله العبدُ الأسود.

خلع وحشيّ من الديوان:

قال ابن هشام: فبلغني أن وحشيًا لم يزل يُحِدُّ في الخمر حتى خُلِع من الديوان، فكان عمرُ بن الخطَّاب يقول: قد علمتُ أن الله تعالى لم يكُن ليَدَع قاتل حَمْزة[1].

مقتل مصعب بن عمير:

قال ابن إسحٰق: وقاتل مُصْعبُ بن عُمَير دون رسول الله ﷺ حتى قُتل، وكان

وطَرفٌ من حديثه في آخر الكتاب. وأما الرَّجُلُ الذي من الأنصار الذي ذكره وَحْشِيٌّ، ولم يُسَمِّه ابن إسحٰق، فذكر محمد بن عُمَرَ الواقدي ـ رحمه الله ـ في كتاب الرِّدَّةِ، أن الرجلَ الذي شارك وَحشِيًا، في قتل مُسَيْلَمَةَ هو عَبْدُ الله بن زَيْدِ بن عَاصِمِ المَازنيّ من الأنصار، وذكر سَيْفُ بن عُمَرَ في كتابِ الفتوح أنه عَدِيُّ بن سِهْلٍ، وأنشد له:

أَلَـمْ تَـرَ أنـي وَوَحْـشِـيَّـهُـمْ ... قَـتَـلْـتُ مُـسَـيْـلِـمَـةَ الـمُـفْـتَـتَـنْ

وَيَـسْـأَلُـنِـي الـنَّـاسُ عَـن قَـتْـلِـه ... فَـقُـلْـت: ضَـرَبْـتُ، وهـذا طَـعَـنْ

في أبيات له، وقد ذكرنا قُبَيل هذا الحديث. أن أبا دُجَانَةَ أيضًا شارك في قتل مُسَيْلَمَةَ، وذكره أبو عُمَر النَّمَريّ، والله أعلم أيّ هؤلاءِ الثلاثة أرادَ وحشِيّ. وفي رواية يونسَ عن ابن إسحٰق زيادةٌ في إسلام وَحشيٍّ، قال: لما قدم المدينةَ، قال الناسُ: يا رسول الله هذا وَحْشِيٌّ، فقال: دعوه فَلإسْلامُ رجلٍ واحدٍ أحَبُّ إليَّ من قَتْلِ ألفِ رجلٍ كافرٍ.

---

(١) قوله في نسبته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ نظر ـ إذ كيف يقول له هذا وهو يعلم أن الإسلام يجب ما قبله، وأن الله غفور رحيم فيقول تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ وقد فعل عمر الكثير وصدرت منه الأفعال العظام قبل الإسلام وقد غفر الله تعالى له.

الذي قتله ابن قَمِئَةَ اللَّيثي، وهو يَظُن أنه رسولُ الله ﷺ، فرجع إلى قُريش فقال: قتلتُ محمدًا. فلما قُتل مُصْعب بن عُمير أعطى رسولُ الله ﷺ اللّواءَ عليّ بنَ أبي طالب، وقاتل عليّ بن أبي طالب ورجال من المسلمين.

قال ابن هشام: وحدّثني مَسْلمة بن عَلْقمة المازني، قال: لما اشتد القتال يومَ أُحد، جلَس رسولُ الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: أن قَدّم الرايةَ. فتقدّم عليّ، فقال: أنا أبو الفُصَم، ويقال: أبو القُصَم، فيما قال ابن هشام ـ فناداه أبو سَعْد بن أبي طَلْحة، وهو صاحب لواء المشركين: أنْ هل لك يا أبا القُصَم في البراز من حاجةٍ؟ قال: نعم. فبرزَ بين الصَّفَّيْن، فاختلفا ضَرْبتين فضربَه عليّ فصرَعه، ثم انصرف عنه ولم يُجْهز عليه؛ فقال له أصحابُه: أفلا أجْهزت عليه؟ فقال: إنه استَقبلتي بعَوْرته، فعَطَفَتْني عنه الرّحم، وعرفتُ أن الله عزّ وجلّ قد قتله.

ويقال: إنّ أبا سعد بن أبي طَلْحَةَ خرج بين الصَّفَّين، فنادى أنا قاصم مَنْ يُبارز برازًا، فلم يخرجْ إليه أحدٌ. فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجنّة، وأن قتلانا في النار، كذبْتم واللات! لو تعلمون ذلك حقًّا لخرج إليّ بعضُكم، فخرج إليه عليّ بن أبي طالب، فاختلفا ضَرْبتين فضربه عليّ فقتَله.

وذكر قول أبي سعْدِ بن أبي طُلَيْحَةَ: أنا قاصِمٌ مَنْ يُبارِزُني، فَبرزَ إليه عَلِيٌّ، فقال أبو القصَم بالقاف، قاله ابن هِشام، وهو أصَحُّ، وإنما قال عَلِيٌّ ـ عليه السلام: أنا أبو القُصَم، لقول أبي سَعْدٍ أنا قاصِمٌ مَنْ يُبَارزُني، فالقُصَم: جَمْعُ قَصْمَةٍ، وهي: العَضْلَةُ المُهلِكةُ، ويجوز أن يكون جَمْعَ القُصْمَى، أي: الدَّاهِيَة التي تَقْصِم. والدَّواهي القُصَم على وزن الكُبَر، وهذا المعنى أصح، لأنه لا يعرف قُصْمَة، ولكنه لما قال أبو سعد: أنا قاصم، قال علي: أنا أقصم منك، بل أنا أبو القُصَم، أي أبو المُعْضِلاَت القُصَم والدواهي العُظَم، والقَصْمُ كسر ببِيْنُونَةٍ، والفَصْمُ: كَسْرٌ بغير بَيْنُونَةٍ كَكَسْرِ القَضِيبِ الرَّطْبِ ونحوهِ، وفي التنزيل: ﴿وكم قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ﴾[1] وفيه ﴿لا انفِصَامَ لها﴾[2] وقولُ ابن إسحٰقِ: قَتَلَ أبا سَعْدِ بن أبي طُلَيْحَةَ سعدُ بن أبي وقاص، كذلك رَوَاه الكَشِّي في تفسيره عن سَعْدٍ، قال: لما كفَّ عنه عَلِيٌّ طَعَنْتُه في حَنْجَرَتِه، فَدَلَع لِسانَه إلَيَّ، كما يصنع الكلبُ ثم مات.

وذكر ابن إسحٰق أيضًا هذا في غير رواية ابن هشام، وقول عليّ: إنه اتَّقَاني بعَوْرَتِه، فاذْكَرَني الرَّحِمَ، فعَطَفَتْنِي عليه الرَّحِمُ، وقد فعلها عَلِيٌّ مرة أخرى يوم صِفِّيْن، حَمَل على

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم (١١).
(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٥٦).

قال ابن إسحٰق: قتل أبا سَعْد بن أبي طلحة سعدُ بن أبي وقّاص.

شـأن عاصـم بن ثابـت:

وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبي الأفلح. فقتل مُسافع بنَ طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة كلاهما يَشعره سَهمًا. فيأتي أمَّه سُلافة. فيضَع رأسَه في حجْرها فتقول: يا بُنيّ. من أصابَك؟ فيقول: سمعتُ رجلاً حين رَماني وهو يقول: خُذْها وأنا ابن أبي الأقْلح. فنذرتْ إن أمْكنها الله من رأس عاصم أن تَشرب فيه الخَمر. وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مُشركًا أبدًا. ولا يمسه مشرك.

وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ، وهو يحمل لواء المشركين:

إنّ عــلــى أهْــلِ الـلّــواءِ حَــقّــا   أن يَـخْـضِـبـوا الـصَّـعْـدة أو تَـنْـدَقّـا

فقتَله حمزةُ بن عبد المطّلب.

حنظلة غسيل الملائكة

والتقى حَنْظلة بن أبي عامر الغَسيل وأبو سُفيان، فلما استَعْلاه حَنظلةُ بن أبي عامر رآه شدّاد بن الأسود، وهو ابن شَعوب، قد علا أبا سفيان. فضربه شَدّاد فقَتله. فقال رسولُ الله ﷺ: «إن صاحبكم، يعني حنظلة لتُغسله الملائكة». فسألوا أهلَه من شأنُه؟ فسئلت صاحبته عنه، فقالت: خرَج وهو جُنُب حين سَمِع الهاتفة.

بِشر بن أَرْطَاةَ، فلما رأى أنه مقتول كشف عن عَوْرَتِهِ، فانصرف عنه، ويُرْوَى أيضًا مثلُ ذلك عن عَمْرو بن العاصِي، مع عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ يوم صِفينَ، وفي ذلك يقول الحارث بن النَّضرِ السَّهمِي، رواه ابن الكلبي وغيره:

أفـي كُـلِّ يَـوْمٍ فـارِس غـيـرُ مُـنْـتَـهٍ   وَعَـوْرَتُـه وَسْـطَ الـعَـجَـاجَـةِ بـادِيـةْ

يَـكُـفُّ لـهـا عـنـه عَـلِـيٌّ سِـنَـانَـه   وَيَـضْـحَـك مـنـه فـي الـخَـلاءِ مُـعَـاوِيَـةْ

عـن مقتـل حنظلـة

فصل: وذكر مَقْتَلَ حَنْظَلة بن أبي عامرٍ الغَسِيل، واسم أبي عامر: عَمْرو، وقيل: عَبْد عَمْرو بن صَيْفِي، وذكر شَدَّاد بن الأسْود بن شَعْوب حين قتله، بعدما كان علا حَنْظلةُ أبا سُفيان ليقتلَه، وذكر الحُمَيْدِيُّ في التفسير مكان شَدَّادٍ جَعْوَنَة بن شَعُوب اللَّيْثيّ، وهو مولى نافع بن أبي نعيم القاري.

وذكر قولَ النبيِّ ﷺ ـ إن صاحبَكم لتغسله الملائكةُ يعني: حَنْظَلَة، وفي غير السيرة،

ـ قال ابن هشام: ويقال: الهائعة. وجاء في الحديث: خيرُ النَّاس رجلٌ مُمْسك بعنان فَرسه، كلما سمع هَيْعة طار إليها. قال الطِّرمَّاح بن حَكيم الطائي، والطرمَّاح: الطويل من الرجال:

أنا ابن حُماة المَجْد من آلِ مالك　　إذا جَعلَتْ خُورُ الرِّجال تَهيعُ

(والهَيْعة: الصَّيحة التي فيها الفزع).

قال ابن إسحٰق: فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة».

شعر الأسود في قتلهما حنظلة وأبا سُفيان:

(قال ابن إسحٰق): وقال شَداد بن الأسود في قَتْله حنظلة:

لأَحْمِيَنَّ صاحبي ونَفْسي　　بطَعْنة مثلِ شُعاع الشَّمسِ

وقال أبو سُفيان بن حَرْب، وهو يذكر صَبْره في ذلك اليوم، ومعاونة ابن شَعُوب إيَّاه على حَنْظَلَةَ:

ولو شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيتٌ[1] طِمِرَّةٌ　　ولم أحْمِلِ النَّعْماء لابن شَعُوبِ

وما زال مُهْرِي مَزْجر الكلبِ منهمُ　　لدُنْ غُدْوَةً حتى دنَتْ لغُروب

قال: رأيتُ الملائكةَ تغسله في صِحَافِ الفِضَّةِ بماء المُزْنِ بين السَّماءِ والأرْضِ، قال ابن إسحٰقِ، فسُئِلَتْ صاحبتُه، فقالت: خَرَجَ وهو جُنُبٌ حين سمع الهاتِفَة[2]. صاحبتُه يعني امرأَته، وهي جَمِيلَةُ بنت أُبيّ ابن سَلُولَ أُختُ عبدِ الله بن أُبَيّ، وكان ابْتَنى بها تلك الليلة، فكانت عَرُوسًا عنده، فرأت في النوم تلك الليل كأن بابًا في السماءِ فُتِح له فدخله، ثم أُغْلِق دونَه، فعلمتْ أنَّه مَيِّتٌ من غدِه، فدعت رِجَالاً من قومها حين أصبحتْ فَأَشْهَدَتْهُم على الدُّخُولِ بها خَشْيَةَ أن يكون في ذلكَ نزاعٌ، ذكره الواقدي فيما ذُكِر لي، وذَكَر غيرُه أنه التُمِسَ في القَتْلى، فوجدوه يَقْطُر رأسُه ماءً، وليس بِقُرْبه ماءٌ تَصْدِيقًا لما قاله الرسولُ ﷺ، وفي هذا الخبر مُتَعَلَّقٌ لِمَنْ قال من الفُقهاءِ: إن الشَّهِيدَ يُغسَّل إذا كان جُنُبًا، ومن الفقهاء مَنْ يقول لا يُغَسَّل كسائر الشهداء، لأن التكليفَ ساقطٌ عنه بالموت.

شعر أبي سُفيان:

وقول أبي سُفيان:

وَمَا زال مُهْرِي مَزْجَر الكَلْبِ مِنهُمُ　　لَدُنْ غُدْوَةِ حتى دَنَت لِغُرُوبِ

---

(١) كميت: خمرة.

(٢) الهاتفة: يعني نداء الحرب.

أقـاتِـلُـهُـمْ وأدَّعِـي بـالـغَـالِـبِ وأدْفَـعُـهـمْ عـنـي بـرُكْـن صَـلِـيـب
فـبكِّـي ولا تَـرْعَـى مَـقَـالَـةَ عـاذِلِ ولا تـسْـأَمِـي مـن عَـبْـرة ونـحِـيـب
أبـاكِ وإخـوانًـا لـه قـد تَـتـابَـعـوا وحُـقُّ لـهـم مـن عَـبْـرة بـنَـصِـيـب
وسَلِّى الذي قد كان في النَّفس أنَّنِي قَـتَـلْـتُ مـن الـنَّـجَّـار كُـلّ نَـجـيـب
ومن هاشمٍ قَرْمًا كريمًا ومُصْعَبًا وكـان لَـدَى الـهَـيْـجَـاء غـيـر هَـيُـوب
فَوَلَوْ أنني لم أشْفِ نفسيَ منهمُ لكانت شجًا في القَلب ذات نُدُوب
فآبوا[1] وقد أوْدى الجَلابيبُ منهمُ بهم خَدَبٌ من مُعْطَب[2] وكَئيب
أصـابـهـم مَـن لَـمْ يـكُـن لـدمـائـهـم كِـفـاءَ ولا فـي خُـطَّـة بـضَـرِيـب

يُروى بخفض غُدْوَةٍ، ونصبها، فمن خفضه فإعرابُه بَيِّنٌ، لأن لَدُنْ بمنزلة: عِنْد، لا يكون ما بعده إلاّ مَخْفُوضًا، وأمَّا نصبه فَغَريبٌ، وشَيْءٌ خَصَّت العربُ به غُدْوَةً، ولا يُقاس عليها، وكثيرًا ما يذكرها سِيبويه، ويُمْنَعُ من القياسِ عليها، وذلك أن لَدُنْ يقال فيها: لَدُنْ وَلَدُ، فلما كانت تارةً تُنَوِّنُ، ولا تُنَوَّنُ أُخرَى، شَبَّهُوها إذا نُوِّنَتْ باسم الفاعل فَنَصَبُوا غُدْوَةً بعدها، تَشْبِيهًا بالمفعولِ، ولولا أنَّ غُدْوَةً، تُنَوَّنُ إذا نُكِّرتْ، وتُنَوَّنُ ضَرُورَةً إذا كانت مَعْرِفَةً ما عُرِف نَصْبُها، لأنها اسمٌ غير مُنْصَرِفٍ لِلْعَلَمِيَّةِ والتأنيث، فَخَفْضُها ونَصْبُها سواءٌ، فإذا نُوِّنَتْ للضَّرُورةِ، كما في بيت أبي سُفيان أوْ أردت غُدْوةً من الغدُوات تَبيَّن حينئذٍ أنهم قصدوا النَّصْبَ والتشبيه بالمفعول، ووجهٌ آخرُ من البيانِ، وهو أنهم قد رفعوها، فقالوا: لَدُنْ غُدْوَةُ غَيْر مَضروفَةٍ، كما يرفع الاسمُ بعد اسم الفاعِل إذا كان فاعلاً ويُنْصَبُ إذا كانَ مَفْعُولاً إذا نُوِّنَ اسمُ الفاعِلِ، كذلك غُدْوَة بعد لَدُنْ، لا يكون هذا فيها إلاّ إذا نُوِّنَتْ لَدُن، فإن قُلت: لَد غُدْوةٍ، لم يكن إلا الخفضُ إن نَوَّنتَها، وإن تركت صَرْفَها للتعريف، فالفتحة علامةُ خَفْضِها، ولا تكون غُدْوَة عَلَمًا إلاّ إذا أردْتَها ليوم بعينهِ، وبُكْرة مثلُها في العَلَمِيَّةِ، وليست مثلَها مَعَ لَدُنْ وضَحْوَةٌ وعَشِيَّةٌ مَضروفتَانَ، وإن أردتهما ليوم بعينه. وقد فَرَغْنا من كشفِ أسرارِ هذا البابِ في «نتائج الفِكَرِ»[3] وأوضحنا هنالك بدائع وعجائبَ لم يُبَيِّنْها أحدٌ إلاّ أنَّها مُنْتَزَعَةٌ من فَحْوَى كلام سِيبَوَيْهِ، ومن قواعدِه التي أصَّل، والحمد لله.

وقولُ أبي سُفْيَانَ في هذا الشعر: بهِمْ خَدَبٌ. الخَدَبُ الهَوَجُ: وفي الجَمْهَرَةِ طَعْنَةٌ خَدْبَاءُ إذا هَجَمَتْ على الجَوْفِ، وهذا هو الذي أراد أبو سُفيان بالخَدَبِ.

---

(١) آبوا: عادوا.

(٢) معطب: في البداية: مغبط.

(٣) انظر ص (٣٣).

شعر حسَّان في الرد على أبي سُفيان:

فأجابه حسَّان بن ثابت، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

ذَكَرْت القُروم[1] الصَّيد من آل هاشمٍ ... ولَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَه بمُصِيبِ

أتعجَب أن أقصدْت حمزةَ منهمُ ... نجيبًا وقد سَمَّيْتَه بنَجيب

ألم يقتُلوا عَمرًا وعتْبة وابنَه ... وشَيْبة والحجَّاج وابنَ حَبيب

غداةَ دَعا العاصِي عليًا فَراعَه ... بضَرْبة عَضْب بَلَّه بخَضِيبِ

قال ابن إسحٰق: وقال ابنُ شَعُوب يذكُر يدَه عند أبي سُفيان فيما دفع عنه، فقال:

ولولا دِفاعي يا ابن حَرْب ومَشْهَدي ... لأُلْفِيت يوم النَّعْف[2] غيرَ مُجيبِ

ولولا مَكرّي المُهْرَ بالنَّعف قرْقرت ... ضِبَاعٌ عليْه أو ضِرَاء كَليب

قال ابن هشام: قوله: «عليه أو ضراء» عن غير ابن إسحٰق.

وأمَّا قولُ حَسَّان:

إذا عَضَلٌ سِيقَتْ إلينا كأنها ... جَدايَةُ شُرْكٍ مُعْلَمَاتِ الحَواجِبِ

شُرْك: جَمْع شِرَاكٍ.

والجَدَايةُ: جدايةُ السَّرْج، على أن المعروفَ جَدِيَّةُ السَّرْج، لا جدابته في أقربَ من هذا المعنى أن يريد الجِدَاية من الوحْشِ، وبالشُّركِ الأشراكُ التي تُنصَب لها، ولذلك قال: دَامِياتَ الحواجب، وهذا أَصَحُّ في معناه، فقد ذكر أبو عُبَيْدٍ أن الجَدَايَة يقال للواحِد والجميع والذكر والأنثى من أَوْلاَدِ الظِّباء، ويبعد أن تكون الجَدَاية جمع جَدِيَّة، وهي جَدِيَّة السَّرْج والرَّحْل، وإن كان قد يقال في الجَمْعِ فِعال وفِعَالَة نحو جِمَال وجِمالَة، ولكنه ها هنا بعيد من طريق المعنى والله أعلم.

ويُروى شِرْك بكسر الشين، وأقرب ما يقال في معنى هذا البيت: أنه أراد الجَدَاية من الوَحْشِ، وهي أولادُ الظِّباءِ ونحوها، وقد ذكر أبو عُبَيْدٍ أنه يقال: جِدَايةٌ للواحِدِ والجَمْع والذَّكَرِ والأُنثى، فيكون الشرْكُ على هذا في معنى الأشْرَاكِ التي يُصَادُ بها، وقد قيل: إنَ شُرْكًا اسمُ مَوْضِعٍ، والله أعلم، وعَضَلٌ قَبيلَةٌ من خُزَيْمَة غَادِرَةٌ، وسيأتي ذكر غَدْر عَضَلٍ

---

(١) القروم: الأسياد.

(٢) النعف: المكان المرتفع.

شعر الحارث في الرد على أبي سُفيان أيضًا:

قال ابن إسحٰق: وقال الحارث بن هشام يُجيب أبا سُفيان:

جَزَيتهم يومًا ببَدْر كمِثْله ... على سابحٍ ذي مَيْعَةٍ وشَبِيبِ
لَدَى صَحْن بَدْرٍ أو أقمت نوائحًا ... عليك ولم تَخْفِل مُصاب حَبيب
وإنَّك لو عاينت ما كان منهمُ ... لأبتَ بقَلْب ما بقيتُ نَخِيب

قال ابن هشام: وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سُفيان لأنه ظَنَّ أنه عرّض به في قوله:

وما زال مُهري مَزْجَرَ الكلب منهم

لِفرار الحارث يوم بدر.

حديث الزبير عن سبب الهزيمة

قال ابن إسحٰق: ثم أنزل الله نَصْرَه على المسلمين وصدَقهم وَعْدَه، فحسُّوهم بالسيوف حتى كَشَفوهم عن العَسْكر، وكانت العزيمة لا شكّ فيها.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبَّاد، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير، أنه قال: والله لقد رأيتني أنظرُ إلى خَدَم هِنْد بنت عُتبة وصَواحبها مشمَّرات هوارب، ما دون أخْذهن قليلٌ ولا كثيرٌ إذ مالت الرّماةُ إلى العسكر، حين كَشَفنا القومَ عنه وخلَّوا ظهورنا للخيل، فأتِينا مِن خَلْفنا، وصَرخ صارخ: ألا إن محمدًا قد قُتل؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصَبْنا أصحابَ اللِّواء حتى ما يَدْنو منه أحدٌ من القوم.

قال ابن هشام: الصارخ: أزبّ العقبة، يعني الشيطان.

والقَارة. وقوله: مُعْلَماتِ الحواجِب، يعني: بالدماء، ويجوز أن يريدَ سَوادَها ما بَيْن أَعْيُنها، كما أنشد سيبويه [للأعشى]:

وكأنه لَهَقُ السَّرَاةِ كأنَّه ... ما حَاجِبَيْهِ مُعَيَّن بِسَوَادِ

الصارخ يوم أُحد

فصل: وذكر الصارخَ يوم أُحُدٍ بقتلِ رسول الله - ﷺ - وقولُ ابن هشام: الصارخُ إزْبُ العَقَبَةِ، هكذا قيد في هذا الموضع بكسر الهمزة وسكون الزاي، وذكرنا في بيعة

شجاعة صؤاب وشعر حسان في ذلك:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أن اللِّواء لم يزل صَريعًا حتى أخَذتْه عَمْرة بنت عَلْقمة الحارثيَّة، فرفعته لقُريش، فلاثُوا به. وكان اللِّواء مع صؤاب، غلامٌ لبني أبي طَلْحة، حبشيّ وكان آخر من أخذه منهم، فقاتَل به حتى قُطِعت يداه، ثم بَرك عليه، فأخذ اللواء بصَدْره وعُنقه حتى قُتل عليه، وهو يقول: اللهمَّ هل أعْزرت - يقول: أعذرت - فقال حسَّان بن ثابت في ذلك:

فَخرتُم باللِّواء وشَرُّ فَخرٍ ... لواءٌ حين رُدَّ إلى صُؤابِ

جَعلتم فَخركم فيه بعَبْدٍ ... وألأم مَنْ يَطا عَفَر التراب

ظننتم، والسَّفيه له ظُنون ... وما إن ذاك من أمر الصَّوَاب

بأنّ جِلادنا يومَ التَقَينا ... بمكَّة بَيْعُكم حُمْر العِياب[1]

أقرّ العينَ أن عُصِبت يدَاه ... وما إن تُعصَبان على خِضَاب

قال ابن هشام: آخرُها بيتًا يُروى لأبي خراش الهُذليّ، وأنشَد فيه خَلَفٌ الأحمر:

أقرّ العينَ أن عُصبت يدَاها ... وما إن تُعصبان على خِضاب

في أبيات له. يعني امرأته. في غير حديث أُحد. وتروى الأبيات أيضًا لمَعْقل بن خُويلد الهُذليّ.

العقبة ما قاله ابن ماكولا في أم كُرْز بنتِ الأَزَبّ بن عَمرو بن بَكِيل، وأنه قال: لا يُعْرَفُ الأَزَبَ في العرب إلاّ هذا، وأَزَبُّ العَقَبَةِ، وذكرنا حديثَ ابن الزبير الذي ذكره القُتَبيُّ إذ رأى رجلاً طوله شبران على بَرْذَعَةِ رَحْلِه، فنفضها منه، ثم عاد إليه، فقال: ما أنت؟ قال: أنا أزَبُّ، قال: وما أَزَبُّ قال: رَجُلٌ من الجنّ وذكر باقي الحديث، ففي هذا الحديث ما يدل على أنه أَزَبُّ مع قول يَعْقُوبَ في الألفاظ: الإزَبُ: الرجُل القَصير، والله أعلم هل الإزَبُ: والأَزَبُّ شيطانٌ واحدٌ أو اثنان، ويقال: الموضع الذي صرخ منه الشيطان جَبَلُ عينين، ولذلك قيل لعثمان رضِي الله عنه: أَفَرَرْتَ يوم عَيْنَيْن، وعَيْنَان أيضًا: بَلَدٌ عند الحِيَرة، وبه عُرِف خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ الشاعر.

---

(١) العياب: الثياب ملطخة بالدم.

شعر حسّان في عمرة الحارثية:

قال ابن إسحٰق: وقال حسّان بن ثابت في شأنَ عمْرة بنت عَلقمة الحارثيَّة ورَفْعها اللِّواء:

إذا عَـضَـلٌ[1] سِيقَتْ إلَيْنا كأنها	جَدَاية شُرْكٍ مُعْلَماتِ الحواجِبِ
أقَمْنا لـهُـم طَعْنًا مُبِيرًا مَنَكِّلا	وحُزْناهُم بالضَّرْب من كلّ جانب
فـلَـوْلا لـواء الـحـارثـيَّة أصبَحُـوا	يُباعون في الأسواق بيع الجَلائب

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له.

ما لقيه الرسول يوم أُحد:

قال ابن إسحٰق: وانكشف المسلمون، فأصابَ فيهم العدوّ، وكان يومَ بلاء وتَمْحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدوّ إلى رسول الله ﷺ. فدُثَّ بالحجارة حتى وقع لشِقِّه، فأُصيبت رَباعِيَتُه، وشُجّ في وجهه، وكُلِمت شَفته، وكان الذي أصابه عُتْبة بن أبي وقَّاص.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني حُميد الطَّويل، عن أنس بن مالك، قال:

كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ النبيّ ﷺ يوم أُحد، وشُجَّ في وجهه، فجعل الدمُ يَسيل على وجهه، وجعل يَمْسح الدم وهو يقول: كيف يُفلح قَوْم خَضَبوا وجه نبيِّهم، وهو يدعوهم إلى ربهم! فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْر شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾[2].

حال من رموا النبيّ:

فصل: وذَكَر ابن قَمِئَةَ، واسمُه عبدُ الله، وهو الذي قتل مُصْعَبَ بن عُمَيْرٍ، وجَرَحَ وَجْهَ رسولِ الله - ﷺ - وعُتْبَةُ بن أبي وَقّاص أخو سَعْدٍ، هو الذي كَسَرَ رَبَاعِيَّتَه - عليه السلام - ثم لم يولد من نَسْلِه وَلَدٌ، فَبَلَغَ الحُلُمَ إلاّ وهو أَبْخَر أو أَهْتَمُ يُعْرَف ذلك في عِقبِه.

وممن رماه يومئذ عبدُ الله بن شِهَابٍ جَدُّ شيخ مالكٍ مُحمَّدِ بن مُسْلِم بن عبدِ الله بنِ شهابٍ، وقد قيل لابن شهابَ: أكان جَدُّك عبد الله بن شهاب مِمَّن شَهِد بدرًا؟ قال: نعم،

---

(١) عضل: رجال دهاة.

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٢٨).

قال ابن هشام: وذكر رُبَيح بن عبد الرحمٰن بن أبي سَعيد الخُدْريّ عن أبيه، عن أبي سَعيد الخُدْريّ: أن عُتبة بن أبي وقّاص رمى رسولَ الله ﷺ يومئذ، فكَسَر رَباعيته اليُمنى السُّفلى، وجرح شفته السُّفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جَبْهته، وأن ابن قَمِئَة جَرح وَجْنته فدخلت حَلقتان من حَلَق المغفر في وَجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حُفْرة من الحُفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المُسلمون، وهم لا يعلمون؛ فأخذ عليّ بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورَفعه طَلحة بن عُبيد الله حتى استوَى قائمًا، ومصَّ مالك بن سِنَانٍ، أبو أبي سعيد الخُدري، الدمّ: عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده؛ فقال رسول الله ﷺ: «من مَسّ دمي دمَه لم تُصبه النار».

ولكن من ذلك الجانِب يعني مع الكُفّار، وعبدُ الله هذا هو عبدُ الله الأصغر، وأما عبد الله بن شِهَابٍ، وهو عبد الله الأكبرُ، فهو من مُهَاجِرَةِ الحَبَشَةِ، تُوُفِّي بمكةَ قبل الهجرة، وقد اختلف فيهما أيّهما كان المهاجرُ إلى أرضِ الحبشةِ، فقيل: الأكبر، وقيل: الأصغرُ، وكان أحدهما جَدَّ الزُّهْرِيِّ لأبيه، والآخرُ لأُمّه، وقد أسلم الذي شَهِد أُحُدًا مع الكُفّار، وجَرَحَ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ فالله ينفعه بإسلامه.

أسماء أجزاء الليل:

وذكر مالِك بن سِنَانٍ والدَ أبي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ مِنْ بَنِي خُدْرَةَ، وهو الحارِثُ بن الخَزْرَج، والخُدْرَةُ في اللغة: نحو من خُمْسِ اللَّيْلِ، وبعده اليَعْفُور، وهو خُمْسٌ آخر من الليل، وبعده الجَهْمَةُ والسُّدْفَةُ، والذي قبل الخُدْرةِ يقال له: الهَزِيعُ، كل هذا من كتابِ كُرَاع.

عن الدم والبول:

وذكر أن ابن مالكَ سِنَانٍ مَصَّ دَمَ رسول الله ـ ﷺ ـ وازْدَرَدَهُ، وقد فعل مثلَ ذلك ابنُ الزُّبَيْرِ، وهو غُلامٌ حَزَوَّرٌ حين أعطاه رسولُ الله ـ ﷺ ـ دمَ مَحَاجِمِه لِيَدْفِنَه فَشَرِبَه، فقال له النبيُّ ﷺ ـ كما قال لمالِكٍ حين ازْدَرَدَ دَم جُرْحِه: «مَنْ مَسّ دَمُه دَمِي، لم تُصِبْه النَّارُ»[1]. لكنه قال لابن الزُّبَيْر: وَيْلٌ لَكَ من الناسِ وَوَيْلٌ للناسِ منك. ذكره الدَّارَقُطْنِي في السُّنَن، وفي هذا من الفِقْهِ أن دَمَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ يخالف دَمَ غيرِه في التَّحْرِيم وكذاك بَوْلُه قد شَرِبَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ حين وجدته في إناء من عِيدانٍ تحت سَرِيرِه، فلم يُنْكِر ذلك عليها، وذلك والله أعلم للمعنى الذي بَيَّنّاه في حديث نزول المَلَكين عليه حين غَسَلاَ جوفَه بالثَّلْج في

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تهذيبه (٦/ ١١٢).

قال ابن هشام: وذكر عبدُ العزيز بنَ محمد الدَّراوردي: أن النبيَّ ﷺ قال: «من أحبَّ أن يَنظُر إلى شَهيد يَمْشي على وجه الأرض فلينظر إلى طَلْحة بن عُبيد الله»[1].

وذكر، يعني عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِي، عن إسحٰق بن يحيىٰ بن طلحة، عن عيسى بن طُلْحة، عن عائشة، عن أبي بكر الصدّيق: أن أبا عُبيدة بن الجرّاح نَزَع إحدى الحَلْقتين من وَجْه رسول الله ﷺ، فسقطت ثَنِيَّتُه، ثم نزع الأخرى، فسَقطت ثنِّيته الأخرى، فكان ساقطَ الثَّنِيَّتين.

شعر حسان في عتبة وما أصاب به الرسول:

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت لعُتبة بن أبي وقَّاص:

إذَا الله جـازَى مَـعْـشَـرًا بـفِـعـالِـهـم ... وضَرَّهـم الرَّحمَـٰن ربّ الـمَشارِقِ

فأخْزاكَ ربي يا عُتَيْبَ بن مالك ... ولقاكَ قَبْل الموت إحدى الصَّوَاعق

بَـسَـطْـتَ يـمـيـنًـا لـلـنَّـبـيِّ تـعَـمُّـدًا ... فـأدْمـيـت فـاهُ، قُـطِّـعَـت بـالـبَـوارق

فـهـلاّ ذكـرتَ الله والـمَـنْـزِل الـذي ... تَـصِـير إليـه عـنـد إحدى الـبـوائِـق

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقْذع فيهما.

ابن السكن وبلاؤه يوم أُحد:

قال ابن إسحٰق: وقال رسول الله ﷺ، حين غَشيه القومُ: «مَن رجلٌ يَشْري لنا نفسَه؟ كما حدّثني الحُصين بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو، قال: فقام زياد بن السَّكَن في نفر خَمْسة من الأنصار - وبعضُ الناس يقول: إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَن - فقاتَلوا دون رسولِ الله ﷺ، رجلاً ثم رجلاً، يُقْتَلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة، فقاتل حتى أثبَتته الجراحة، ثم فاءت فِئَةٌ من المُسلمين، فأجْهَضُوهم عنه، فقال رسولُ الله ﷺ: «أدْنُوه مني»، فأدنَوْه منه، فوسَّده قدَمه، فمات وخدُّه على قَدم رسول الله ﷺ.

طَسْتِ الذَّهَب، فصار بذلك من المتطهِّرين، وبيّنّا أيضًا هنالك أنه من المُتَطَهِّرين كأُمَّتِه لِتَطهُّرِهِ من الأحداث، والحمد لله، إلاّ أن أبا عُمَر النَّمَرِيَّ ذكر في الاستيعابِ أن رجلاً من الصَّحابة اسمه: سَالِمٌ حَجَمَ رسول الله - ﷺ - ثم ازْدَرَدَ دَمَه، فقال له رسول الله ﷺ: «أما عَلِمْت أن

---

(١) أخرجه الطبراني (١/٧٦) وابن أبي عاصم (٢/٦١٤) وابن عساكر (٧/٨).

حديث أُم سعد عن نصيبها في الجهاد يوم أُحد:

قال ابن هشام: وقاتلت أُمّ عُمارة، نُسيبة بنت كعب المازنيَّة يوم أُحد.

فذكر سَعيد بن أبي زيد الأنصاريّ: أن أُم سعد بنت سَعْد بن الرَّبيع كانت تقول: دخلتُ على أُم عُمارة، فقلت لها: يا خالة، أَخْبريني خَبرك، فقالت: خرجتُ أوّل النهار وأنا أنظرُ ما يَصْنع الناس، ومعي سِقاء فيه ماء، فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه، والدولةُ والريح للمُسلمين. فلما انهزم المُسلمون، انحزتُ إلى رسول الله ﷺ، فقُمْت أُباشر القِتال، وأذبّ عنه بالسَّيف، وأرْمي عن القَوْس، حتى خَلَصت الجراحُ إليّ. قالت: فرأيتُ على عاتقها جُرحًا أجْوَفَ له غَوْر، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قَمِئَة، أقمأه الله! لما ولّى الناسُ عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمد، فلا نَجَوْتُ إن نجا، فاعترضتُ له أنا ومُصْعَبُ بن عُمَيْر، وأُنَاسٌ ممَّن ثَبَت مع رسولِ الله ﷺ، فضَربني هذه الضَّربةَ، ولكن فلقد ضَربته على ذلك ضَربات، ولكنّ عدوّ الله كان عليه دِرْعان.

أبو دجانة وابن أبي وقّاص يدفعان عن الرسول:

قال ابن إسحٰق: وتَرّس دون رسول الله ﷺ أبو دُجَانَةَ بنفسه، يقع النَّبلُ في ظهره، وهو مُنحنٍ عليه، حتى كُثر فيه النَّبلُ. ورمى سعدُ بن أبي وقّاص دون رسولِ الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيتُه يُناولني النَّبل وهو يقول: ارمِ، فِداك أبي وأُمي، حتى إنه ليناولني السَّهم ما له نَصْل. فيقول: ارمِ به.

بـلاء قتادة وحديث عينه:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصِمُ بن عمر بن قتادة أنَّ رسولَ الله ﷺ رَمى عن قَوْسه حتى اندقَّت سِيَتُها، فأخَذها قَتَادة بن النُّعْمَانِ، فكانت عنده، وأُصيبت يومئذ عينُ قَتادة بن النُّعمان، حتى وقَعت على وَجْنته.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادة: أن رسولَ الله ﷺ رَدَّها بيده، فكانَتْ أَحْسَنَ عَيْنيه وأَحَدَّهما.

الدَّمَ كُلَّه حَرَامٌ؟» غير أنه حديث لا يُعْرَفُ له إسْنَادٌ والله أعلم وحديث ابنُ الزُّبَيْر الذي تقدم ذكره روي الزُّبَيْر بن أبي بَكْرِ ما يَشُدُّه ويُتَمِّمُ معناه. قال في حديث أسنده: لما وُلد عبدُ الله بن الزُّبَيْر نظر إليه رسولُ الله ﷺ، فقال: هو هو، فلما سمعت بذلك أسماءُ أُمُّه،

شأن أنس بن النضر:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني القاسم بن عبد الرحمٰن بن رافع أخو بني عديّ بن النجّار، قال: انتهى أنسُ بن النَّضر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطّاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المُهاجرين والأنصار، وقد ألقَوْا بأيديهم، فقال: ما يُجلسكم؟ قالوا: قُتل رسولُ الله ﷺ، قال: فماذا تُصْنعون بالحياة بعده؟ (قوموا) فمُوتوا على ما مات عليه رسولُ الله ﷺ، ثم استقبل القومَ، فقاتل حتى قُتل، وبه سمّي أُنس بن مالك.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني حُميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: لقد وجدنا بأنس بن النَّضر يومئذ سَبعين ضربة، فما عَرفه إلا أختُه، عرفتْه ببَناته.

ما أصاب ابن عوف من الجراحات:

قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم: أن عبد الرحمٰن بن عوف أُصيب فُوه يومئذ فهُتم، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضُها في رِجله فعَرج.

أوّل من عرف الرسول بعد الهزيمة:

قال ابن إسحٰق: وكان أوّل من عَرف رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة، وقولِ الناس: قُتل رسولُ الله ﷺ، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزهريّ كعبُ بن مالك، قال: عرفت عينيه تزْهران من تحت المَغْفر، فناديتُ بأعلى صَوتي: يا معشَر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليّ رسول الله ﷺ: «أن أنصِت».

قال ابن إسحٰق: فلما عرف المُسلمون رسول الله ﷺ نهَضوا به، ونهَض معهم نحو الشِّعب، معه أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطّاب، وعليّ بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوّام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصمّة، ورهْط من المسلمين.

أمسكت عن إرضاعه، فقال لها ـ عليه السلام: أرْضِعِيه، ولو بماء عينيك، كَبْشٌ بين ذِئَابٍ، وذِئابٌ عليها ثِيَابٌ لَيَمْنَعَنَّ البيتَ، أو لَيُقْتَتَلَنَّ دونه[1].

---

(١) انظر جامع المسانيد (٢/٨٠٩).

قتل الرسول لأُبيّ بن خلف

(قال): فلما أُسْنِد رسولُ الله ﷺ في الشِّعْب أدركه أُبَيّ بنُ خَلفٍ وهو يقول: أيْ محمد، لا نَجَوْتُ إن نَجَوْتَ، فقال القوم: يا رسول الله، أَيَعْطِف عليه رَجُلٌ مِنَّا؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «دَعُوه»؛ فلمَّا دنا، تناول رسولُ الله ﷺ الحَرْبَة من الحارث بن الصِّمَّةِ يقول بعضُ القوم، فيما ذُكر لي: فلما أخذها رسولُ الله ﷺ منه انْتَفَضَ بها انْتِفَاضَةً، تَطَايَرْنا عنه، تَطَايُرَ الشَّعْراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها ـ قال ابن هشام: الشعراء: ذباب له لدغ ـ ثم استقبله فطَعَنه في عُنقه طَعنة تَدَأْدأ منها عن فَرَسه مرارًا.

قتل الرسول لأُبيّ بن خلف[1]

فصل: وذكر قتلَ رسول الله ﷺ لأُبيٍّ، وفيه: تَطَايَرْنا عنه تطَايُرَ الشَّعْرَاءِ عن ظَهْرِ البَعِير. الشَّعْراءُ: ذُبَابٌ صَغِيرٌ له لَدْغٌ، تقول العَرَبُ في أمثالها: قيل للذِّئْبِ: ما تقول في غُنَيْمةٍ تَحْرُسُها جُوَيْرِيَةٌ؟ قال: شُحَيْمَةٌ في حَلْقِي، قيل: فما تقول في غُنَيْمَةٍ يحسرها غُلَيِّمٌ؟ قال: شَعْرَاءُ في إبْطي أخشى خطَواتِه الخطوات: سِهَامٌ من قُضْبَان لَيِّنَةٍ يتعلم بها الغِلْمان الرَّمْيَ وهي الجُمَّاحُ أيضًا قال الشاعر:

أَصَابَتْ حَبَّةَ القَلْبِ ... بِسَهْمٍ غير جُمَّاحِ

من كتابِ أبي حَنِيفَة، ورواه القُتَبِيُّ: تَطَايُرَ الشُّعْرِ، وقال: هي جَمْع شَعْراء، وهي ذُبَابٌ أَصْغَرُ من القَمَعِ[2]، وفي الحديثِ من غير رواية ابنِ إسحَاقٍ فَزَجَلَه بالحَرْبَة، أي رَمَاه بها.

---

(١) انظر الخبر في البداية (٤/٣٣) والطبري في تاريخه (٢/٦٧) ط. دار الكتب العلمية. وكلاهما مرسل.

(٢) القمع: جمع قمعة. ضرب من الذباب الصغير.

قال ابن هشام: تَدأدأ، يقول: تَقَلَّب عن فَرَسه، فجعلَ يتَدَحْرجُ.

قال ابن اسحٰق: وكان أُبَيّ بن خلف، كما حدّثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف، يَلْقى رسولَ الله ﷺ بمكّة، فيقول: يا محمد إن عندي العَوْذَ، فَرَسًا أعْلفه كلّ يوم فَرَقًا من ذرة، أقتلك عليه؛ فيقول رسولُ الله ﷺ: «بل أنا أقتُلك إن شاء الله». فلما رجَع إلى قُريش وقد خَدَشه في عُنقه خَدْشًا غيرَ كبير، فاحْتقَن الدمُ، فقال: قَتَلني والله محمد! قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إنْ بك من بأس؛ قال: إنه قد كان قال لي بمكّة: أنا أقتلك، فوالله لو بَصَق عليّ لقتَلني. فمات عدوّ الله بسَرِف وهم قافلون به إلى مكّة.

شعر حسّان في مقتل أُبيّ بن خلف:

قال ابن إسحٰق: فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلالةَ عَن أبيهِ ... أُبَيّ يوم بارَزه الرسول

أتَيت إليه تَحمِل رِمَّ عَظْمٍ[1] ... وتُوعِده وأنتَ به جَهول

وقد قَتَلَتْ بنو النَّجّار مِنكم ... أُمَيَّةَ إذ يَغوّثُ: يا عَقِيل

وتَبّ ابنا ربيعَة إذْ أطاعا ... أبا جَهْل، لأُمهما الهُبول[2]

وأفلَت حارثٌ لما شَغَلنا ... بأسر القَوْم، أُسْرته فَليل

قال ابن هشام: أُسرته: قبيلته.

وقال حسّان بن ثابت أيضًا في ذلك:

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عنّي أُبيًّا ... لقد أُلقيت في سُحق السَّعير

تَمنَّى بالضَّلالةِ من بَعيدٍ ... وتُقسِم إنْ قَدَرتَ مع النُّذور

تَمَنِّيكَ الأماني مِنْ بَعيدٍ ... وقَوْلُ الكفرِ يَرجع في غُرور

فقد لاقَتْك طعنةُ ذي حِفاظٍ ... كريم البيتِ ليسَ بذي فُجور

له فَضلٌ على الأحياءِ طُرًّا[3] ... إذا نابَتْ مُلِمّاتُ الأمُورِ

....

(١) رمّ عظم: أي عظم بالي.

(٢) الهبول: الثكلى.

(٣) طُرًا: جمعًا.

انتهاء الرسول إلى الشعب:

(قال): فلما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فَم الشَّعب خَرج عليّ بن أبي طالب، حتى ملأ دوقته ماءً من المِهْراس، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوَجده له ريحًا، فعافه، فلم يَشْرب منه، وغسل عن وَجهه الدم، وصبّ على رأسه وهو يقول: اشتدّ غَضبُ الله على من دمّى وجه نبيه[1].

حرص ابن أبي وقّاص على قتل عتبة:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني صالح بن كَيسان عمَّن حدّثه[2] عن سَعد بن أبي وقَّاص أنه كان يقول: والله ما حَرَصت على قَتْل رجل قطّ كحِرْصي على قَتْل عُتبة بن أبي وقَّاص، وإن كان ما علمتُ لسَيِّىءَ الخلق مبغَضًا في قومه، ولقد كَفاني منه قولُ رسول الله ﷺ: «اشتدّ غضبُ الله على من دمَّى وجه رسوله».

حول عين قتادة:

وذكر قَتَادَةَ بن النّعمان بن زَيْدٍ، وهو أخو أبي سَعِيد الخُدْرِيّ لأُمه، وهو الرَّجلُ الذي سَمِعه رسولُ الله ﷺ ـ يقرأ: ﴿قل هُوَ الله أَحَد﴾، يُرَدِّدُها، فقال: وَجَبَتْ، وحديثُه في المَوَطَّأ، وذكر أن عَيْنَه أُصيبت يوم أُحُدٍ. رُوي عن جابر بن عبد الله، قال: أُصيبت عينُ رَجُلٍ منّا يوم أُحُدٍ، وهو قَتَادَةُ بن النُّعمان، حتى وقعت على وَجْنتِه، فأتينا به رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: إن لي امرأةً أُحِبُّها، وأخشى إنْ رَأَتْنِي أَنْ تَقْذَرَني، فأخذها رسولُ الله ـ ﷺ ـ بيده وردَّها إلى مَوْضِعِها، وقال: «اللَّهُمّ اكْسُبه جَمَالاً، فكانت أَحْسَنَ عَيْنَيْه، وأحَدَّهُما نَظَرًا، وكانت لا تَرْمَدُ إذا رَمِدَت الأخرى»[3]، وقد وَفَد على عُمَرَ بن عَبْدِ العَزِيز ـ رحمه الله ـ رجلٌ من ذُرِّيَّتِهِ، فسأله عمرُ من أنت؟ فقال:

أنا ابنُ الذي سالت على الخَدِّ عَيْنُه ... فَرُدَّتْ بكفِّ المُصْطَفَى أَيَّمَا رَدِّ

فعادت كما كانت لأوّل أمرها ... فيا حُسْنَ مَا عَيْنٍ ويَا حُسْنَ ما خَدِّ

فقال عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيز رضي الله عنه:

تلك المكارِمُ لا قَعْبانِ[4] من لَبَنٍ ... شَيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاَ

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٦٧) وابن حبّان (٢٢١٢) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٦٥) والطبراني (١/ ٣٦٦) وأحمد (١/ ٢٨٨).

(٢) مجهول.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٥٢).

(٤) قعبان: القعب القدح الضخم.

صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم:

قال ابن إسحٰق: فبينا رسول الله ﷺ بالشعب، معه أولئك النَّفر من أصحابه، إذ عَلَت عاليةٌ من قريش الجبلَ.

قال ابن هشام: كان على تلك الخَيل خالد بن الوليد.

قال ابن إسحٰق: فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهمّ إنه لا ينبغي لهم أن يَعْلونا!»[1] فقاتل عمرُ بن الخطَّاب ورهَطٌ معه من المهاجرين حتى أهْبطوهم من الجبل.

ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له:

قال ابن إسحٰق: ونَهض رسولُ الله ﷺ إلى صَخْرة من الجَبل ليعلوها، وقد كان بَدَّن[2] رسولُ الله ﷺ، وظاهَر بين دِرْعين، فلما ذَهب ليَنْهض ﷺ لم يَسْتطع، فجلس تحته طَلْحة بن عبيد الله، فنهض به، حتى استوَى عليها. فقال رسول الله ﷺ، كما حدّثني يحيىٰ بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير، قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يومئذ يقول: «أوجَب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع»[3].

قال ابن هشام: وبلغني عن عِكْرمة عن ابن عبَّاس: أن رسول الله ﷺ لم يبلغ الدَّرجة المبنيَّة في الشِّعب.

صلاة الرسول قاعدًا:

قال ابن هشام: وذكر عمر مولى غُفْرة: أن النبيّ ﷺ صلّى الظهر يوم أُحد قاعدًا من الجراح التي أصابته، وصلّى المُسلمون خلفَه قُعودًا.

فَوَصَلَه عُمَرُ، وأحسن جائزته، وقد رُوي أنَ عَيْنَيْه جميعًا سَقَطَتا، فردّهما النبيُّ ـ ﷺ ـ رواه محمدُ بن أبي عثمان [أبو مَرْوان الأمَوِيّ] عن مَالكِ بن أنسٍ عن مُحَمَّدِ بن عَبْد اللهِ بن أبي صَعْصَعَةَ عن أبيه عن أبي سَعِيدٍ عن أخيه قَتَادَةَ بن النعمان قال: أُصيبت عَيْناي يوم أُحُدٍ، فسقطتا على وَجْنَتَيّ، فأتيتُ بهما النبيَّ ـ ﷺ ـ فأعادهما النبيُّ ـ ﷺ ـ مكانَهُمَا، وبَصَقَ فيهما

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٩٠) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٣٨).
(٢) بَدَّن: أي كبر سنه.
(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٣٨) وأحمد (١/ ١٦٥) والحاكم (٣/ ٢٥) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٣٨) وابن حبّان (٢/ ٢٢ ـ موارد) وابن سعد (٣/ ١/ ١٥٥) وابن أبي عاصم (٢/ ٦١٢).

مقتل اليمان وابن وقش:

قال ابن إسحٰق: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضُهم إلى المُنقَّى، دون الأعْوص.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لَبيد، قال: لما خرج رسولُ الله ﷺ إلى أُحد، رَفع حُسَيل بن جابر وهو اليمان أبو حُذيفة بن اليمان، وثابت بن وَقْش في الآطام مع النساء والصّبيان، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شَيْخان كَبيران: لا أَبَالَكَ، ما تنتَظِر؟ فوالله لا بَقِيَ لواحد منَّا من عمره إلا ظِمْء حِمار، إنما نحن هامةُ اليومِ أو غدٍ، أفلا نأخذ أسيافَنا، ثم نَلْحق برسولِ الله ﷺ، لعلّ الله يرزقنا شهادةً مع رسولِ الله ﷺ؟ فأخذَا أسيَافهما ثم خَرجا، حتى دخلا في الناس، ولم يُعْلم بهما، فأمَّا ثابت بن وَقْش فقتَله المُشركون، وأما حُسَيل بن جابر فاختلفت عليه أسيافُ المُسلمين،

فعادتا تبْرُقَان. قال الدَّارَقُطْنِي: هذا الحديثُ غَريبٌ عن مالكٍ، تفرّد به عَمَّارُ بن نَصْرٍ، وهو ثِقةٌ ورواه الدَّارَقُطْنِي عن إبراهيم الحَرْبِيّ عن عَمَّار بن نَصْر [السَّعْدِي أبو ياسر المَرْوزِيّ].

حول نسب حذيفة اليماني:

فصل: وذكر ثابت بن وَقْشٍ، والوَقْشُ: الحركة، وحُسَيْل بن جابر والد حُذَيْفَة بن اليَمَانِ، وسُمّي حُسَيْل بن جابر اليَمَانِي، لأنه من ولد جِرْوَة بن مازن بن قُطَيْعَةَ بن عَبْس [ابن بغيض] وكان جِرْوَةُ قد بَعُد عن أهله في اليَمَنِ زَمَنًا طويلاً، ثم رجع إليهم فسَمَّوْه اليَمَانِي، وحُذَيْفَةُ بن اليَمَانِ يُكْنَى أبا عَبْدِ الله حليف بني عبد الأشْهَلِ أُمُّهُ الرَّبَابُ بنتُ كَعْبٍ. قال ابن إسحٰق: فاخْتَلَفَتْ عليه: يَعْني اليَمَانِي أسيافُ المسلمين. وفي تفسير ابن عباس: إن الذي قتله منهم خطأً هو عُتْبَةُ بن مَسْعُودٍ أخو عبدِ الله بن مَسْعُودٍ، وجَدُّ عُبَيْدِ الله بن عَبْدِ الله بن عُتْبَةَ بن مَسْعُودٍ الفقيه، ذكره عَبْد بن حميد في التَّفْسِير، وعُتْبَةُ هو أوَّلُ من سَمَّى المُصْحَفَ مُصْحَفًا، فيما روى ابنُ وَهْبٍ في الجامع.

الهامة والظمء:

وقول ثابت بن وَقْشٍ وحُسَيْل: إنما نحن هَامةُ اليوم أَوْ غَدٍ، يريد: الموتَ، وكان من مذهب العربِ في الميت أَنَّ رُوحَه تصير هَامةً، ولذلك قال الآخر:

وكَيْـفَ حَيَـاةُ أَصْـدَاءٍ وهَـام

وقوله: لم يَبْقَ من عُمْرِنا إلاَّ ظمء حمَارٍ. إنما قال ذلك، لأن الحمار أَقْصَرُ الدَّوابِّ ظِمئًا، والإبل أطولُها أظْمَاءً.

فقَتلوه ولا يَعْرِفُونه، فقال حُذيفة: أبي، فقالوا: والله إنْ عرفناه، وصدَقوا. قال حُذَيفة: يَغْفِرِ الله لكم وهو أرْحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَه؛ فتصدّق حُذيفة بدِيَته على المُسلمين؛ فزَاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرًا.

مقتل حاطب ومقالة أبيه:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتادة: أن رجلاً منهم كان يُدعى حاطب بن أُميَّة بن رافع، وكان له ابنٌ يقال له: يزيد بن حاطب، أصابته جراحةٌ يوم أُحد، فأُتِي به إلى دار قومه وهو بالمَوْت، فاجتمع إليه أهلُ الدار، فجَعل المُسلمون يقولون له من الرجال والنساء: أبْشر يا ابن حاطب بالجنَّة؛ قال: وكان حاطب شيخًا قد عسا في الجاهليَّة، فنجَمَ يومئذ نفاقُه، فقال: بأيّ شيء تبشّرونه؟ بجَنَّة من حَرْمل! غررتم والله هذا الغلامَ من نفسه.

مقتل قزمان منافقًا كما حدّث الرسول بذلك:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: كان فينا رجلٌ أَتِيٌّ لا يُدرَى ممَّن هو، يقال له: قُزْمَان، وكان رسولُ الله ﷺ يقول، إذا ذُكر له: إنه لمن أهل النار، قال: فلما كان يوم أُحد قاتلَ قتالاً شديدًا، فقَتل وحدَه ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتَته الجراحة، فاحتُمِل إلى دار بني ظَفَر، قال: فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له: والله لقد أبلَيتَ اليوم يا قُزمان، فأبشِر، قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلتُ. قال: فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سَهمًا من كِنانته، فقَتل به نفسه.

حول بعض رجال أُحد:

وذكر قُزْمَانَ، وهو اسم مأخوذٌ من القَزَمِ، وهو رُذَالُ المالِ، ويقال: القُزْمَان: الرَّدِيء من كُلِّ شيء.

وذكر الأُصَيْرِمَ، وهو عَمْرو بنَ ثابت بن وقْش، ويقال فيه: وَقَش بتحريك القاف.

وقول حاطب المُنَافِق: الجَنَّةُ من حَرْمَلٍ، يريد الأرضَ التي دُفِن فيها، وكانت تُنْبِتُ الحَرْمَلَ[1] أي: ليس له جَنَّةٌ إلاَّ ذَاك.

(١) الحرمل: ضرب من النبات.

قتل مخيريق:

قال ابن إسحٰق: وكان ممن قُتل يوم أُحد مُخَيْرِيق، وكان أحدَ بني ثَعْلبة بن الفِطْيون، قال: لما كان يوم أحد، قال: يا مَعْشَر يَهُودَ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لَحقٌّ، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سَبْتَ لكم.

فأخذ سيفَه وعُدّته، وقال: إن أُصِبتُ فمَالي لمحمَّد يَصْنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قُتل؛ فقال رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغنا ـ: «مُخَيريق خير يهود».

أمر الحارث بن سويد:

قال ابن إسحٰق: وكان الحارث بن سُوَيد بن صامت مُنافقًا، فخرج يوم أُحد مع المسلمين، فلما التقى الناسُ، عدَا على المُجذَّر بن ذِياد البَلَوي، وقَيْس بن زيد، أحد بني ضُبَيعة، فقَتلهما، ثم لَحق بِمكَّة بقُريش؛ وكان رسولُ الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ قَد أمر عُمَر بن الخطَّاب بقَتْله إنْ هو ظفر به، ففاتَه، فكان بمكّة؛ ثم بَعث إلى أخيه الجُلاس بن سُويد يطلب التوبةَ، ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني؛ عن ابن عبَّاس: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إيمَانهِمْ وشَهدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وجاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَاللَّه لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمين﴾[1] إلى آخر القصّة.

تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذر:

قال ابن هشام: حدّثني مَنْ أثق به من أهل العلم[2]: أنّ الحارث بن سُويد قَتل المُجذَّر بن ذياد، ولم يَقْتل قيسَ بن زيد، والدليل على ذلك: أن ابن إسحٰق لم يذكره في قَتْلى أُحد؛ وإنما قَتل المُجذَّر لأن المُجذَّر بن ذياد كان قتل أباه سُويدًا في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، وقد ذكرنا ذلك فيما مضَى من هذا الكتاب.

فبَينا رسولُ الله ﷺ، في نفر من أصحابه، إذ خرج الحارث بن سُويد من بعض حَوائط المدينة، وعليه ثوبان مُضرَّجان، فأمر به رسول الله ﷺ عثمانَ بن عفَّان، فضَرب عُنقه، ويقال: بعضُ الأنصار.

....

(١) سورة آل عمران آية رقم (٨٦). (٢) مجهول.

قال ابن إسحٰق: قتل سويدَ بن الصَّامت معاذُ ابن عَفراء غيلةً، في غير حَرب رماه بسَهْم فقَتله قبل يوم بُعاث.

أمـر أصيـرم:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الحُصَين بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سَعْد بن معاذ عن أبي سُفيان، مولى ابن أبي أحمد، عن أبي هُرَيرة قال: كان يقول: حدّثوني عن رجل دخَل الجنَّة لم يُصلّ قطُّ، فإذا لم يعرفه الناسُ سألوه: من هو؟ فيقول: أُصَيْرم، بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وَقْش. قال الحُصين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأُصَيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه. فلمَّا كان يوم خَرج رسولُ الله ﷺ إلى أُحد، بدا له في الإسلام فأسْلم، ثم أخذ سيفَه، فعدا حتى دخل في عُرض الناس، فقاتل حتى أثْبَتَتْه الجراحة. قال: فبينا رجالٌ من بني عبد الأشهل يَلْتمسون قَتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأُصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمُنْكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحَدَبٌ على قومك أم رَغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ، ثم أخذت سَيْفي، فغدوتُ مع رسول الله ﷺ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «إنه لمن أهل الجنة».

مقتل عمرو بن الجموح

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبي إسحٰقُ بن يَسار، عن أشياخ من بني سلمة: أن عمرو بن الجَموح كان رجلاً أعْرج شديد العَرج، وكان له بَنون أربعة مثل الأسْد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أُحد أرادوا حَبْسه، وقالوا له: إن الله

ابـن الجـمـوح

فصل: وذكر خبر عَمْرو بن الجَمُوح حين أراد بنوه أن يمنعوه من الخروج إلى آخر القصّة، وزاد غيرُ ابن إسحٰق أنه لما خَرَجَ قال: اللّٰهُمَّ لاَ تَرُدَّني، فاسْتشهد، فجعلوه بَنُوه على بَعير، ليحملوه إلى المدينة، فاسْتَصْعَبَ عليهم البعِيرُ، فكان إذا وَجَّهُوه إلى كُلِّ جهةٍ سارع إلاَّ جِهة المدينة، فكان يأبى الرجوعَ إليها، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله: اللّهم لا تَرُدَّني إليها، فدفنوه في مَصْرَعَه[1].

---

(١) لا صحة لقصة البعير.

عزّ وجلّ: قد عَذَرَك، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال: «إن بنيّ يريدون أن يحْبسوني عن هذا الوجه، والخُروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعَرْجتي هذه في الجنَّة»، فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا أنت فقد عَذَرك الله فلا جهاد عليك، وقال لبنيه: ما عليكم أن لا تمنعوه، لعلّ الله أن يرزقَه الشهادة، فخرج معه فقُتل يوم أُحُد».

هند وتمثيلها بحمزة:

قال ابن إسحٰق: ووقعت هند بنت عُتبة، كما حدّثني صالح بن كَيْسان، والنسوة اللاتي معها، يمثّلن بالقَتْلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجدّعن الآذان والأنف، حتى اتخذت هنْد من آذان الرّجال وأنفهمْ خَدَمًا وقلائد، وأعْطت خَدَمها وقلائدها وقرَطتها وَحْشيًا، غلام جُبير بنُ مطعم، وبقَرت عن كَبد حمزة، فَلاكتها، فلم تستطع أن تُسيغها، فلَفَظتها، ثم عَلت على صخرة مشرفة، فصَرَخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جَزَيْناكم بيوم بَدْر ... والحرْب بعد الحَرْب ذات سُعْرِ
ما كان عن عُتْبة لي من صَبْر ... ولا أخي وعمّه وبَكْري
شَفَيتُ نفسي وقَضَيتُ نَذْري ... شَفَيتَ وَحْشِيّ غَليل صَدْري
فشُكْر وَحْشيّ عليّ عُمْري ... حتى تَرِمَّ أعظُمي في قَبْري

شعر هند بنت أثاثة في الرد على هند بنت عتبة:

فأجابتها هند بنت أَثَاثَةَ بنِ عَبَّاد بن المُطَّلِب، فقالت:

خَزِيتِ في بدر وبعد بَدْر ... يا بنتَ وقّاعٍ عظيم الكُفْرِ
صَبَّحك الله غداةَ الفَجْر ... مِلْهَاشِمِيِّين الطِّوالِ الزُّهْرِ

حكم (من) والساكن بعدها:

فصل: وقول هند بنت أثاثة:

مِلْ هاشِمِيّين الطِّوالِ الزُّهْرِ

بِحَذْفِ النُّون من حَرْفِ مِنْ لالِتقاءِ السَّاكِنَيْن، ولا يجوز ذلك إلاّ في مِنْ وَحْدَها لكثرةِ استعمالها، كما خُصَّتْ نُونها بالفَتْح إذا التقت مع لام التعريف، ولا يجوز ذلك في نُونٍ ساكنةٍ غيرها، كرهوا تَوَالِيَ الكَسْرَتَيْن مع توالي الاستعمالِ، فإن التقت مع ساكِنٍ غير لام التعريف نحو مِنِ ابْنِك، ومِنِ اسْمِك، كسرت على الأصل، والقياس المُسْتَتِبّ. قال سيبَويْه: وقد فَتَحها قَومٌ فُصَحَاءُ يعني مع غير لام التعريف.

بـكـلّ قُـطَّـاعٍ حُـسـامٍ يَـفـرِي حَـمْـزةُ لَـيْـثـي وعَـلِـيٌّ صَـقْـري

إذا رام شَـيْــبٌ وأبــوك غَــدْري فـخَـضـبـا مـنـه ضـواحـي الـنَّـحْـر

ونَــذْرك الــسُّــوء فَــشــرّ نَــذْرِ

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبيات أقْذعتْ فيها.

شعر لهند بنت عتبة أيضًا:

قال ابن إسحٰق: وقالت هند بنت عتبة أيضًا:

شَفَيتُ من حَمْزة نَفسي بأُحد حتى بَقَرْتُ بَطْنَه عن الكَبِدْ

أذْهَب عني ذاك ما كنتُ أجِد من لَذْعة الحُزن الشَّديد المُعْتمِد

والحَرب تَعْلوكم بشُؤبوب بَرِد تُقْدِم إقْدامًا عَليكم كالأسَد

تحريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني صالح بن كَيْسان أنه حُدّث: أن عمرَ بن الخطّاب قال لحسَّان بن ثابت: يا ابن الفُرَيعة ـ قال ابن هشام: الفُريعة بنت خالد بن خنيس، ويقال: خُنيس: بنُ حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ لو سمعتَ ما تقول هِند، وأريت أشرَها قائمَة على صخرة تَرْتجز بنا، وتذكر ما صنعتْ بحمزة؟ قال له حسَّان: والله إني لأنظر إلى الحَرْبة تَهْوِي وأنا على رأس فارع ـ يعني أُطُمَه ـ فقلت: والله إن هذه لسِلاح ما هي بسلاح العَرب، وكأنها إنما تهوي إلى حَمْزة ولا أدْري، لكن أسمِعْني بعض قَولها أكفكموها؛ قال: فأنشده عمرُ بن الخطّاب بعض ما قالت؛ فقال حسَّان بن ثابت:

أَشِـرَتْ لَـكـاع وكـان عـادتُـهـا لُـؤمًـا إذا أشـرتْ مـع الـكُـفْـر

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له تركناها، وأبياتًا أيضًا له على الدال. وأبياتًا أُخر على الذال، لأنه أقْذع فيها.

لـكـاع ولـكـع:

وقول حَسَّان في هِندٍ: أَشِرَتْ لَكَاعِ، جعله اسمًا لها في غير النِّداء، وذلك جائز، وإن كان في النِّداء أكثر، نحو يا غَدَارِ ويا فَسَاقِ، وكذلك لُكَعٌ، قد استعمل في غير النداء، نحو

استنكار الحليس على أبي سُفيان تمثيله بحمزة:

قال ابن إسحٰق: وقد كان الحُليس بن زبّان، أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيِّد الأبيش، قد مرّ بأبي سُفيان، وهو يضرب في شِدْق حمزة بن عبد المطّلب بزُجّ الرمح ويقول: ذُقْ عُقَقْ؛ فقال الحُلَيْس: يا بني كِنَانة، هذا سيِّد قُريش يصنع بابن عَمِّه ما تَرَون لحمًا؟ فقال: ويحك!! اكْتُمْها عني، فإنها كانت زلّة.

شماتة أبي سفيان بالمسلمين بعد أُحد وحديثه مع عمر:

ثم إن أبا سُفيان بن حَرْب، حين أراد الانصراف، أشرف على الجَبل، ثم صَرَخَ بأعلى صوته فقال: أنعمْتَ فعال، وإن الحرب سِجال يوم بيوم، أَعْلِ هُبَل، أي أظْهر دينك، فقال رسول الله ﷺ: قُمْ يا عُمر فأَجِبْه، فقل: الله أعلى وأجلّ، لا سَوَاءَ، قَتلانا في الجنَّة، وقَتْلاكم في النَّار. فلما أجاب عُمر أبا سُفيان، قال له أبو سُفيان: هَلُمّ إليّ يا عمر، فقال رسولُ الله ﷺ لعُمر: «ائته فانظر ما شَأنُه؛ فجاءه، فقال له أبو سُفيان: أنشدك الله يا عمرُ، أَقَتلْنا محمدًا؟ قال عمر: اللهمّ لا، وإنه ليسمع كلامَكَ الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قَمِئَةَ وأبَرُّ؛ لقول ابن قَمِئة لهم: إني قد قتلت محمدًا.

قال ابن هشام: واسم ابنِ قَمِئَةَ عبدُ الله.

قوله عليه السلام: «أين لُكَعٌ»[1] يعني: الحَسَن أو الحُسَيْن مُمَازِحًا لَهُمَا. فإن قيل: إن النبيّ - ﷺ - كان يَمْزَحُ، ولا يَقُول إلاّ حَقًّا، فكيف يقول: أَيْنَ لُكَعٌ وقد سمّاه سَيِّدًا في حديث آخر؟ فالجوابُ: أنه أراد التشبيهَ باللّكَع الذي هو الفَلُوّ أو المُهْرُ لأنه طفل كما أن الفَلُوَّ والمُهْر كذلك، وإذا قُصِد بالكلام قَصْدُ التشبيه، لم يكن كَذبًا، ونحوه قوله عليه السلام: «لا تَقُوم الساعةُ حتى يكون أسعدُ الناس في الدنيا لُكَعٌ بنُ لُكَع»[2]، واللُّكَعُ في اللغة: وَسَخُ الغُرْلَةِ، وهو أيضًا الفَلُوُّ الصَّغِيرُ، فمن أجل هذا جاز أن يُسْتَعْمَل في غيرِ النِّداء، لأنه على هذا الوجه غيرُ مَعْدُولِ كما عُدِل خُبَثُ عن خَبِيثٍ، وفُسَقُ عن فَاسِقٍ، وقال ابن الأنْبَارِيّ في الزَّاهر: اشتقاقُه من المَلاَكِعِ، وهو ما يخرج مع المولود من ماءِ الرَّحِم ودمِها، وأنشد:

رَمَتِ الفَلاَةَ بِمُعْجَلٍ مُتَسَرْبِلٍ ... غِرْسَ السَّلَى ومَلاَكِعِ الأمْشَاجِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢٠٥) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٢) وأحمد (٢/ ٥٣٢) والبخاري في الأدب (١١٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٠٩) وأحمد (٥/ ٣٨٩) والبخاري في تاريخه (٧/ ٩٦).

توعُّد أبي سُفيان المسلمين:

قال ابن إسحاق: ثم نادَى أبو سُفيان: إنه قد كان في قَتْلاكم مثل، والله ما رَضِيتُ، وما سَخِطْتُ، وما نَهَيْتُ، وما أَمَرْتُ.

ولما انصرف أبو سُفيان ومن معه، نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قُلْ: نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

خروج عليٍّ في آثار المشركين:

ثم بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، فقال: اخرج في آثار القوم، فانظُر ماذا يَصْنعون وما يُريدون، فإن كانوا قد جنَّبوا الخيل، وامتطوا الإبل، فإنهم يُريدون مكّة، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل، فإنهم يُريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها، ثم لأناجزنهم. قال عليّ: فخرجت في آثارهم أنظُر ماذا يصنعون؛ فجَنَّبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجَّهوا إلى مكّة.

قال: ويُقال في الواحد يا لُكَعُ، وفي الاثنين يا ذَوَيْ لَكِيعةَ، ولَكَاعَةِ، ولا تُصْرَفُ لَكِيعَةَ، ولكن تُصْرَفُ لَكَاعَةٌ لأنه مَصْدَرٌ وفي الجميع، يا ذَوِي لَكِيعَةَ ولَكَاعَةِ وفي المؤنث على هذا القياس.

قال المؤلّف: ولا يقال: يا لَكَاعَانِ، ولا فُسَقَانِ، لِسِرٍّ شرحناه في غير هذا الكتاب. وتلخيص معناه: أن العَرَبَ قَصَدتْ بهذا النَّبإِ من النِّداء قَصْدَ العَلَم، لأن الاسمَ العَلَمَ أَلْزَمُ لِلْمُسَمَّى من الوَصْفِ المُشْتَقِّ من الفِعْل نحو فَاسِق وغَادِر، كما قالوا: عُمَر، وعدلوا عن عَامِرِ الذي هُو وصف في الأصْلِ تحقيقًا منهم للعَلَميَّة، ثم إن الاسمَ العَلَم لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع وهو عَلَمٌ، فإذا ثُنِّي زال عنه تعريف العَلَمِيَّة، فَمِنْ أجلِ ذلك لم يُثَنُّوا يا فُسَقُ ويا غُدَرَ، لأن في ذلك نَقْضًا لما قَصَدُوه من تَنْزِيله مَنْزِلة الاسْم العَلَمِ، أي: إنه مُسْتَحِقٌّ لأن يُسَمَّى بهذا الاسم، فهذا أبلغ من أن يقولوا: يا فَاسِقُ، فيجيئوا بالاسم، الذي يجري مَجْرَى الفِعْل والفِعْل غير لازِم، والعَلَم ألزمُ منه، والتَّثْنِيَةُ والجَمْعُ تُبْطِل العَلَمِيَّة كما ذكرنا فافْهَمْه، ووقع في المُوطإِ من رِواية يَحْيىٰ في حديثِ عبدِ الله بن عُمَر أنه قال لمولاةٍ له: اقْعُدِي لُكعُ، وقد عِيبَتْ هذه الروايةُ على يحيىٰ، لأن المرأةَ إنما يقال لها: لَكَاعِ، وقد وجدتَ الحديث كما رواه يَحيىٰ في كتاب الدَّارَقُطْنِي، وَوَجهُه في العَرَبيَّة أنه مَنْقُولَ غير مَعْدُولِ فجائز أن يقال للأَمَةِ يا لُكَعُ كما يقال لها إذا سبّت: يا زُبَلُ ويا وُسَخُ إذ اللكع ضَرْب من الوَسَخِ، كما قدمناه وهو في كتاب العين.

أمـر القتلـى بأحـد

وفرغ الناس لقَتْلاهم، فقال رسولُ الله ﷺ كما حدّثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي صَعْصَعة المازني، أخو بني النَّجّار: «مَنْ رَجُلٌ ينظر لي ما فعل سَعْدُ ابن الربيع؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات»؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سَعْد، فنظَر فوَجده جريحًا في القَتْلى وبه رمَق. قال: فقلت له: إن رسولَ الله ﷺ أمرني أن أنظُر، أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات فأبلغْ رسولَ الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد ابن الرّبيع يقول لك: جزاك الله عنّا خير ما جزى نبيًّا عن أمته، وأبلغ قومَك عني السلام وقُل لهم: إن سعدَ ابن الربيع يقول لكم: إنه لا عُذْر لكم عند الله إن خُلص إلى نبيِّكم ﷺ ومنكم عينٌ تطرف. قال: ثم لم أبْرح حتى مات؛ قال: فجئتُ رسول الله ﷺ فأخْبرته خبره.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو بكر الزُّبيري: أنّ رجلاً دخَل على أبي بكر الصدّيق وبِنتٌ لسَعْد ابن الرَّبيع جاريةٌ صغيرةٌ على صَدْره يَرْشُفها ويقبّلها؛ فقال له الرجل: مَنْ هذه؟ قال: هذه بنتُ رجل خير مني، سَعْدُ ابن الرّبيع، كان من النُّقباء يوم العَقَبة، وشهد بدرًا، واستشهد يوم أُحد.

الرسول يسأل عن ابن الربيع

فصل: وذكر قول النبيّ ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ ينظر لي ما فَعَل سَعْدُ ابن الرَّبيع؟» فقال رجل من الأنصار: أنا[1]، وذكر الحديثَ. الرجل: هو محمد بن مَسْلَمَة، ذكره الواقدي، وذكر أنه نادى في القَتْلى: يا سَعْدُ ابن الربيع مَرَّةً بعد مَرَّةٍ، فلم يُجبه أحدٌ، حتى قال: يا سَعْدُ إن رسول الله - ﷺ - أرسلني أنظُر ما صنعتَ، فأجابه حينئذٍ بصوت ضعيفٍ، وذكر الحديث، وهذا خلاف ما ذكره أبو عُمَر في كتاب الصحابة، فإنه ذكر فيه من طريق رُبَيْحِ بن عبدِ الرحمٰن بن أبي سَعيدِ الخُدْرِيّ عن أبيه عن جده أن الرجل الذي التمس سعدًا في القَتْلى هو أُبَيُّ بن كَعْبٍ.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٥) والحاكم (٣/ ٢٠١).

حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلة:

قال ابن إسحـٰق: وخرج رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني يَتَلمّس حمزةَ بن عبد المُطَّلب، فوجَده ببَطْن الوادي قد بُقِر بطنه عن كبده، ومُثِّل به، فجُدع أنفُه وأُذُناه.

فحدّثني محمدُ بن جَعْفر بن الزبير: أن رسولَ الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: «لولا أن تَحْزَن صَفيَّة، ويكون سُنَّة من بعدي لَتركْته، حتى يكون في بطُون السِّباع، وحَواصل الطير، ولئن أظْهرني الله على قريش في مَوْطن من المَواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلاً منهم»، فلما رأى المسلمون حُزْن رسول الله ﷺ وغَيظه على مَن فعل بعَمّه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يومًا من الدهر لنمثّلن بهم مُثْلة لم يُمثّلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: ولما وقف رسولُ الله ﷺ على حَمْزة قال: «لن أُصاب بمثلك أبدًا؟ ما وقفتُ موقِفًا قطّ أغيظ إليّ من هذا!» ثم قال: «جاءني جبريلُ فأخبرني أنّ حمزة بن عبد المطَّلب مكتوبٌ في أهل السمٰوات السبع: حمزة بن عبد المطَّلب، أسد الله، وأسد رسوله».

وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سَلَمة بن عبد الأسد، إخْوة من الرضاعة، أرْضَعتهم مولاة لأبي لهَب.

ما نزل في النهي عن المثلة

قال ابن إسحـٰق: وحدّثني بُرَيدة بنُ سُفيان بن فَرْوة الأسلمي، عن محمد بن كَعْب القُرظي، وحدّثني من لا أتّهم، عن ابن عبَّاس: إن الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك، من قول رسول الله ﷺ، وقول أصحابه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعاقِبُوا بِمثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرتم لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إلاَّ باللَّهِ وَلا تحزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيقٍ مَمَّا يَمْكُرُونَ﴾[1] فعفا رسولُ الله ﷺ، وصَبَر ونَهى عن المُثلة.

قال ابن إسحـٰق: وحدّثني حُمَيْد الطويل، عن الحسن، عن سَمُرَة بن جُنْدُب،

حميد الطويل وطلحة الطلحات

وذكر عن حُمَيْدِ الطَّوِيلِ عن الحَسَنِ عن سَمُرَة عن النَّبيِّ - ﷺ - في النهي عن المُثْلَة، وحُمَيْدُ الطَّويل هو حُمَيدُ بنُ تِيرَوَيْه، ويقال: ابن تيرِي يكنى أبا حُمَيْدَةَ مَوْلى طَلْحَة

---

(١) سورة النحل آية رقم (١٢٦).

قال: «ما قام رسولُ الله ﷺ في مقام قط. ففارقه، حتَّى يأمرنا بالصَّدقة، ويَنْهانا عن المُثْلة»[1].

صلاة الرسول على حمزة والقتلى

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتهم[2] عن مِقْسَم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عبَّاس، قال: أمر رسولُ الله ﷺ بحَمْزة فسُجِّي ببردة ثم صلى عليه، فكبَّر سَبعَ تكبيرات، ثم أُتِيَ بالقَتلى فيوضعون إلى حمزة، فصلّى عليهم وعليه معهم، حتى صلّى عليه ثنتين وسَبْعين صلاة.

الطلحات، وهو حديث صحيح في النهي عن المُثْلَةِ. فإن قيل: فقد مَثَّل رسولُ الله - ﷺ - بالعُرَنِيِّينَ فَقَطَّع أيدِيَهُمْ وأرجلَهم وسَمَل أعينَهم، وتركهم بالحَرَّةِ[3].

قلنا: في ذلك جَوَابَان: أحدهما: أنه فعل ذلك قِصَاصًا لأنهم قَطَّعوا أيدي الرُّعَاءِ وأرجلَهم وسَمَلُوا أعينهم، رُوي ذلك في حديث أنسٍ، وقيل: إن ذلك قبل تحريم المُثْلَةِ. فإن قيل: فقد تركهم يَسْتَسْقُون، فلا يُسْقَوْن، حتى ماتوا عَطَشًا، قلنا: عَطَّشَهم لأنهم عَطَّشوا أَهْلَ بيتِ النبيّ - ﷺ - تلك الليلة، رُوي في حديثٍ مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهلُه تلك الليلة بِلاَ لبَن، قال: «اللَّهُمَّ عَطِّشْ مَنْ عَطَّشَ أهلَ بيتِ نَبِيِّك»[4]. وقع هذا في شرح ابن بَطَّال، وقد خَرَّجه النَّسَوِيّ.

الصلاة على الشهداء

ورَوى ابن إسحٰق عمّن لا يُتَّهَمُ عن مِقْسَم عن ابن عَبَّاسٍ أن النبيَّ - ﷺ - صلّى على حَمْزَةَ، وعلى شهداء يوم أُحُدٍ، ولم يأخذ بهٰذا الحديث فقهاءُ الحجازِ، ولا الأَوْزَاعِي لوجهين، أحدهما ضَعْفُ إسْنادِ هذا الحديث، فإن ابن إسحٰق قال: حدّثني مَنْ لا أَتَّهِمُ، يعني: الحسن بن عمارة - فيما ذكروا - ولا خلاف في ضَعْفِ الحَسَن بن عمارة عند أهل الحديث، وأكثرهم لا يَرَوْنه شيئًا، وإن كان الذي قال ابن إسحٰق: حدّثني مَنْ لا أَتَّهِمُ غير الحسن، فهو مَجْهول، والجَهْل يُوبِقه.

والوجه الثاني: أنه حديثٌ لم يصحبه العمَل، ولا يُروى عن رسول الله - ﷺ - أنه صلّى على شهيد في شيءٍ من مغازيه إلاّ هذه الرواية في غزوة أُحُدٍ، وكذلك في مدّة

---

(١) أخرجه ابن عديّ (٣/١١٦٩). (٢) مجهول.
(٣) حديث العرنيين أخرجه الترمذي ومسلم وغيرهما.
(٤) أخرجه النسائي (٧/٩٩).

صفية وحزنها على حمزة:

قال ابن إسحٰق: وقد أقبلتْ فيما بَلَغني، صفيّةُ بنت عبد المطَّلب لتنظُر إليه وكان أخاها لأبيها وأُمّها، فقال رسولُ الله ﷺ لابنها الزُّبير بن العوّام: القَها فأرجعها، لا تَرى ما بأخيها، فقال لها: يا أُمَّه، إن رسولَ الله ﷺ يأمُرُكِ أن تَرْجعي، قالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أن قد مُثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسِبنّ ولأصْبرن إن شاء الله. فلما جاء الزُّبير إلى رسولِ الله ﷺ فأخبره بذلك، قال: خلّ سبيلَها، فأتَته، فنظرتْ إليه، فصلَّت عليه واستَرْجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسولُ الله ﷺ فدُفن.

دفن عبد الله بن جحش مع حمزة

قال: فَزعم لي آلُ عبدِ الله بن جَحْش ـ وكان لأُمَيْمَةَ بنت عبد المطَّلب، حَمْزةُ خالُه، وقد كان مُثّل به كما مُثّل بحَمْزة، إلاّ أنه لم يُبْقَرْ عن كَبِده ـ أنّ رسولَ الله ﷺ دَفَنَه مع حَمْزَة في قبره، ولم أسمع ذلك إلاّ عن أهله.

الخليفَتَيْن إلاّ أن يكون الشهيدُ مُرْتَثًّا[1] من المعركة، وأما ترك غَسْلِه، فقد أجمعوا عليه، وإن اخْتَلَفوا في الصلاة إلا روايةً شَاذَةً عند بعضِ التابعين، والمعنى في ذلك ـ والله أعلم ـ تحقيقُ حياةِ الشهداءِ وتصديقُ قوله سبحانه: ﴿ولاَ تَحْسَبنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أَمْوَاتًا﴾[2] الآية مع أن في تركِ غَسْلِه معنى آخر، وهو أن دَمَه أثرُ عبادةٍ، وهو يجيء يوم القيامة وجُرْحُه يثْعَبُ دَمًا، وريحُه ريحُ المِسْكِ، فكيف يُطَهّر منه وهو طَيِّب وأثرُ عِبَادَةٍ، ومن هذا الأصلِ انتزع بعضُ العلماءِ كَرَاهِيَةَ تَجْفيفِ الوجه من ماءِ الوُضوء، وهو قول الزُّهرِيِّ، قال الزُّهري: وبلغني أنه يوزَن، ومن هذا الأصلِ انتزع كَراهية السِّوَاكِ بالعَشِيّ للصائم لئلا يذهب خُلُوفُ فَمِه، وهو أَثَر عبادةٍ، وجاء فيه ما جاء في دَمِ الشُّهَداءِ أنه أَطْيَبُ عند الله من ريح المِسْكِ، ويُرْوَى أطيبُ يوم القيامة من ريح المسك. رواه مسلم باللفظين جميعًا، والمعنى واحد، وجاءت الكراهيةُ للسِّوَاكِ بالعَشيّ للصائم عن عَلِيّ وأبي هُرَيْرَة، ذكر ذلك الدَّارَقُطْنِي.

عبد الله بن جحش المجدع

وذكر عبدَ الله بن جَحْشٍ ابن أخت حَمْزَة، وأنه مُثّل به كما مُثّل بِحَمْزَةَ، وعَبْد الله هذا يُعْرفُ بالمُجَدّع في الله، لأنه جُدِع أنفه وأذناه يَوْمَئِذٍ، وكان سعدُ بن أبي وَقَّاص يحدّث أنه لَقِيَه يومَ أُحُدٍ أوّل النهار، فَخَلاَ به، وقال له عبد الله: يا سَعْدُ هَلُمَّ فَلْنَدْعُ الله وليذكُر كلُّ

---

(١) مرتث: جريح.

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٦٩).

دفـن الشهـداء:

قال ابن إسحٰق: وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلاهم إلى المَدينة، فدَفنوهم بها، ثم نَهَى رسولُ الله ﷺ عن ذلك، وقال: «ادفنوهم حيث صُرِعوا»[١].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن مُسلم الزُّهريّ، عن عبد الله بن ثعْلبة بن صُعَير العُذْري، حليف بني زُهرة: أن رسولَ الله ﷺ لمَّا أشْرف على القَتْلى يوم أُحد، قال: «أنا شَهيد على هؤلاء، إنه ما من جَريح يُجْرح في الله، إلاّ والله يَبْعثه يوم القيامة يَدْمي جرحهُ، اللونُ لونُ دَمٍ والريحُ يرح مسك، وانظروا أكثَرَ هؤلاء جَمْعًا للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القَبرِ - وكانوا يَدْفِنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد»[٢].

قال: وحدّثني عمِّي موسى بن يسَار، أنه سمع أبا هُريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «ما من جريح يُجرح في الله إلاّ والله يبعثه يوم القيامة وجُرحه يَدْمي، اللَّون لون دم، والرّيح ريح مسك».

واحدٍ منا حاجَته في دعائه، وليُؤَمِّن الآخرُ، قال سعد: فدَعُوْتُ الله أَن أَلْقَى فارسًا شديدًا بأسُه شَدِيدًا حَرْدُه[٣] من المُشْرِكين فأقْتُله، وآخذ سَلَبُه، فقال عبدُ الله: آمين، ثم استقبل عبدُ الله القِبْلَة، ورفع يديه إلى السَّماء، وقال: اللهم لَقِّنِي اليومَ فارسًا شديدًا بأسُهُ شَدِيدًا حَرْدُه، يقتلني ويَجْدعُ أنفي وأُذُنِي، فإذا لقيتُك غَدًا تقول لي: يا عَبْدِي: فيم جُدِعَ أنفُك وأذناك، فأقول: فيك يا رب، وفي رسولك، فتقول لي: صَدَقْتَ، قل يا سَعْد: آمين، قال: فقلت: آمين، ثم مررت به آخر النهار قتيلاً مَجْدُوعَ الأنفِ والأُذُنَيْنِ، وأن أُذْنَيْهِ وأنفَه معلقان بِخيْطٍ، ولقيتُ أنا فلانًا من المشركين، فَقَتَلْتُه، وأخذتُ سَلَبَه، وذكر الزُّبَيْر أن سَيْفَ عبدِ الله بن جَحْشٍ انقطع يوم أُحُدٍ فأعطاه رسولُ الله - ﷺ - عُرْجُونًا، فعاد في يده سيفًا، فقاتل له، فكان يسمي ذلك السيفُ العُرْجُونَ، ولم يزلْ يُتَوَارَثُ حتى بيع من بغاء التركي[٤] بمائِتَيْ دينار، وهذا نحو من حديث عُكَّاشَة الذي تقدّم إلاّ سَيْف عُكَّاشَةَ، كان يُسَمَّى العَوْن، وكانت قصّة عُكَّاشَة يوم بَدْرٍ، وكان الذي قتلَ عبدَ الله بنَ جَحْشٍ أبو الحَكَم بن الأَخْنَسِ بن شَرِيقٍ وكان عَبْدُ الله حين قُتِلَ ابنَ بِضع وأربعين سنةً، فيما ذكروا ودُفِن مع حَمْزَةَ في قَبْرٍ واحد.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٧٣) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٩) والنسائي (٤/ ٧٩) وابن سعد (٣/ ٢/ ١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١١٤) والنسائي (٤/ ٦٢) والترمذي (١٠٣٦) وأبو داود (٣٠٣٨) والدارقطني (٤/ ١٧٧) بتحقيقي. وابن الجارود في المنتقى (٥٥٢) كلام بنحوه.

(٣) حرده: غضبه. (٤) بغاء التركي: أحد أُمراء المعتصم بالله.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبي إسحٰقُ بن يسار، عن أشياخ من بني سَلَمة[1]: أن رسولَ الله ﷺ، قال يومئذ، حين أمر بدَفْن القَتْلى: «انظروا إلى عَمْرو بن الجَموح، وعبد الله بن عمرو بن حَرام، فإنهما كانا مُتصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد».

حزن حمنة على حمزة:

قال ابن إسحٰق: ثم انصرف رسولُ الله ﷺ راجعًا إلى المدينة، فلقِيتْهُ حَمْنَةُ بنتُ جحش، كما ذُكر لي، فلما لقيت الناسَ نُعِي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترْجعت واستغْفَرت له، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبد المطَّلب فاسترجَعت واستغْفَرت له، ثم نُعي لها زوجها مُصْعب بن عُمير، فصاحت وَوَلْولت! فقال رسولُ الله ﷺ: «إن زَوْج المرأة منها لبكان! لِمَا رأى من تَثَبُّتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها».

بكاء نساء الأنصار على حمزة:

قال ابن إسحٰق: ومرّ رسولُ الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظَفَر، فسَمع الكباء والنَّوائح على قَتْلاهم، فذَرفت عينا رسول الله ﷺ، فبكى، ثم قال: «لكنّ حمزة لا بواكي له!» فلما رجع سعدُ بن مُعاذ وأُسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزّمن، ثم يذهبن فَيَبْكِين على عمّ رسولِ الله ﷺ.

قال ابن إسحٰق: حدّثني حكيم بن حكيم عن عَبَّاد بن حُنَيف، عن بعض رجال بني عبد الأشهل، قال: لما سمع رسولُ الله ﷺ بُكاءَهنّ على حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مَسْجده يبكين عليه، فقال: «ارجعن يَرْحمكنَّ الله، فقد آسيتنّ بأنفسكن»[2].

قال ابن هشام: ونُهِي يومئذ عن النَّوْح.

حديث عمر وأبي سُفيان:

فصل: وممَّا وقع في هذه الغَزْوَةِ من الكَلِم الذي يُسْأَلُ عنه قولُ أبي سُفْيانَ حين قال: اعْلُ هُبَلْ، أي زِدْ عُلوًّا، ثم قال: أَنْعَمَتْ، فَعَالِ، قالوا: معناه الأزْلاَمُ، وكان اسْتَقْسَم بها حين خَرَج إلى أُحُدِ، فخرج الذي يُحِبُّ وقوله: فَعَالِ: أَمْرٌ أي عالِ عَنْها وأقْصِر عن لَوْمها، تقول العرب: اعْلِ عَنّي، وعَالِ عني بمعنى: أي ارْتَفِعْ عني، ودعني. ويُرْوَى أن الزُّبَيْر قال لأبي سُفْيانَ يوم الفَتْح: أين قولُك: أنعَمتْ، فَعَالِ؟ فقال: قد صنع الله خَيْرًا، وذهب أمرُ الجاهِلية.

---

(١) مجاهيل.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٣٠٢).

إني نذيرٌ لأهل البَسْل ضاحيةً   لكلّ ذي إربةٍ منهم ومعقول

من جَيش أحمد لا وَخْشٍ[1] تَنَابِلةٍ   وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالقِيل

فثَنى ذلك أبا سُفيان ومن معه.

رسالة أبي سُفيان إلى الرسول على لسان ركب:

ومَرَّ به ركبٌ من عبد القَيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال: ولِمَ؟ قالوا: نُريد الميرة؛ قال: فهل أنتُم مُبلغون عنّي محمدًا رسالة أُرسلكم بها إليه، وأُحمِّل لكم هذه غدًا زَبيبًا بعُكاظ إذا وافيتُموها؟ قالوا: نعم؛ قال: فإذا وافيتُموه فأَخْبروه أنّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنَسْتأصل بقيتهم، فمرّ الركبُ برسولِ الله ﷺ وهو بحَمْراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سُفيان؛ فقال: ﴿حَسْبنا الله ونعم الوكيل﴾.

كفّ صفوان لأبي سُفيان عن معاودة الكرّة:

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عبيدة: أنّ أبا سُفيان بن حَرْب لمَّا انصرف يوم أُحد، أراد الرُّجوع إلى المدينة، ليَسْتأصل بقيَّة أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم صَفْوان بن أُميَّة بن خَلف: لا تَفعلوا، فإنّ القوم قد حَرِبُوا، وقد خشَينا أن يكون لهم قِتال غير الذي كان، فارجِعُوا، فَرَجَعُوا. فقال النبيّ ﷺ، وهو بحَمْراءِ الأسد، حين بلَغه أنهم هَمّوا بالرَّجعة: والذي نَفْسي بيده، لقد سُوّمت لهم حجارة، لو صُبِّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب.

وتسمية هذا سِناد عَربية لا صِناعية، قال عَدِيُّ بن الرِّقَاع:

وقَصِيدَةٍ قد بِتُّ أجمع بَيْنَها   حتى أُقَوِّم مَيْلَها وسِنَادَها

نظر المُثَقِّفِ في كُعُوبِ قَناتِه   كيما يقيم ثِقَافُه مُنْآدَها

وقوله: لا تَنَابِلة. التَّنَابِلة: القِصار، وأحدُهم: تِنبَالٌ، تَفِعَالٌ من النَّبلِ، وهي صِغَارُ الحَصَى.

---

(١) وخش: رديء.

مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة: وأخذ رسولُ الله ﷺ في جهة ذلك، قبل رُجوعه إلى المدينة، مُعاويةَ بن المُغيرة بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، وهو جدّ عبد الملك بن مَروان، أبو أُمه عائشة بنت مُعاوية، وأبا عَزّة الجُمَحِيَّ، وكان رسول الله ﷺ أسَره ببدر، ثم مَنّ عليه، فقال: يا رسولَ الله، أقِلْني، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تَمْسح عارضيك بمكّة بعدَها وتقول: خَدَعْتُ محمدًا مرّتين، اضربْ عنقه يا زُبير». فضرب عُنقَه.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المُسَيِّبِ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المؤمن لا يُلْدَغ من جُحْر مرّتين»[1]، اضربْ عُنقَه يا عاصِمُ بن ثابت، فضرب عُنقه.

مقتل معاوية بن المغيرة:

قال ابن هشام: ويقال: إن زيدَ بن حارثة وعَمّار بن ياسر قتلا مُعاوية بن المُغيرة بعد حَمْراء الأسد، كان لجأ إلى عثمان بن عفّان فاستأمن له رسولَ الله ﷺ فأمنه، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل، فأقام بعد ثلاث وتوارى، فبعثهما النبيُّ ﷺ، وقال: إنكما ستَجدانه بموضع كذا وكذا، فوجَداه فقَتلاه.

أبو عـزة الجمحي

وذكر أبا عَزَّةَ، وكان الذي أسره عُمَيْرُ بنُ عَبْدِ الله، كذا ذكر بعضُهم، وأَحسَبُه عبدَ الله بن عُمَيْرٍ أحدِ بني خُدَارَة، أو عبدَ الله بن عُمَيْرٍ الخطمي. ومن خبر أبي عَزَّةَ ما ذكر الزُّبَيْر عن ابن جُعْدُبَةَ والضَّحَّاكِ بنُ عثمان. والجُعْدُبَةُ في اللغة واحدة الجِعَادبِ، وهي النُّفَّاخَاتُ التي تكون في الماء. قالا: بَرِصَ أبو عَزَّةَ الجُمَحِي، فكانت قُرَيْشٌ لا تُؤَاكله ولا تُجالسه فقال: الموت خيرٌ من هذا، فأخذ حَدِيدةً، ودخل بعضَ شِعَابِ مَكّة فَطَعَن بها في مَعَدِهِ، والمَعَدُ مَوْضِعُ عَقِبِ الرَّاكبِ من الدَّابَّةِ، وقال ابن جُعْدُبَةَ: فمارت الحديدةُ، وقال الضحّاك: بين الجِلْدِ والصِّفَاقِ فسال منه أصفرُ فَبَرِىء، فقال:

اللَّهُمّ رَبَّ وَائِلٍ ونَهْدِ	والتَّهَمَاتِ والجِبالِ الجُرْدِ
وَرَبَّ مَنْ يَرْعَى بأرضِ نَجْدِ	أصبحتُ عبدًا لك وابنَ عَبْدِ
أَبْرأتَنِي من وَضَحٍ بِجِلْدِ	مِنْ بعد ما طَعَنْتُ في مَعَدِّي

---

(١) تقدم تخريجه. والمسند فيه انقطاع.

شأن عبد الله بن أُبيّ بعد ذلك

قال ابن إسحٰق: فلما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أُبيّ ابن سَلول، كما حدّثني ابن شهاب الزُّهري، له مقامٌ يقومه كل جمعة لا يُنْكَر، شرفًا له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفًا، إذا جلس رسولُ الله ﷺ يوم الجمعة وهو يَخْطب الناس، قام فقال: أيّها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظْهركم، أكْرمكم الله وأعزّكم به، فانصُروه وعزّرُوه، واسمعوا له وأطِيعوا ثم يَجْلسُ، حتى إذا صنع يوم أُحد ما صَنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المُسلمون بثِيابه من نَواحيه، وقالوا: اجلس، أيْ عَدُوَّ الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعتَ ما صنعتَ، فخرج يتخطّى رقابَ الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بَجْرًا أن قمت أشَدِّد أمرَه. فلَقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسْجد، فقال: ما لك؟ ويلك! قال: قمتُ أشدِّد أمره، فوَثب عليّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويُعنِّفونني، لكأنما قلت بَجْرًا أنْ قُمت أشدّد أمره، قال: ويلك! ارجَع يَسْتغفر لك رسولُ الله ﷺ، قال: والله ما أبتَغي أن يَسْتغفر لي.

كان يوم أُحد يوم محنة:

قال ابن إسحٰق: كان يوم أُحد يوم بلاء ومُصيبة وتَمْحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحن به المُنافقين ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه، وهو مُسْتخف بالكُفر في قلبه، ويومًا أكرم الله فيه مَن أراد كرامته بالشّهادة من أهل ولايته.

موصـل مقالة أبي سُفيان:

وذكر إرسال أبي سُفيانَ مَع الركب بالوعيد، وكان المُوَصِّل مقالَته للمؤمنين نُعَيمُ بن مَسْعُودٍ، ﴿فقالوا حَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل﴾، كذلك جاء في التفسير.

قول لعبد الله بن أُبيّ

وذكر قول عبد الله بن أُبَيّ حين أُخرِج من المسجد: لكأنما قلت: بَجْرًا. البَجْرُ: الأمْرُ العَظِيمُ والبَجَارِي: الدَّوَاهي، وفي وصية أبي بكر: يا هَادِيَ الطريق جُرْتَ، إنما هو الفَجْرُ أو البَجْرُ، قال الخطّابي: معناه الداهية.

وذكر ابن إسحٰق في غير هذه الرواية قول النبيّ ﷺ في قتلى أُحُدٍ: «يا ليتني غُودِرْتُ مع أصحاب نُحْصِ الجَبَلِ». نُحْصُ الجَبَل: أسفلُه، قاله صاحب العَين.

ذكر ما أنزل الله في أُحُد من القرآن

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحـٰق المطَّلبي، قال: فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أُحد من القرآن ستون آية من آل عِمْران، فيها صِفة ما كان في يومهم ذلك، ومُعاتبة من عاتَب منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وإذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوّىء المُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ للقتالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال ابن هشام: تبوّىء المؤمنين: تتخذ لهم مقاعد ومنازل. قال الكُميت بن زيد:

لَـيـتـنـي كـنـتُ قـبـلَـه قـد تـبـوأتُ مَـضـجـعـا

وهذا البيت في أبيات له.

أي: سميع بما تقولون، عليم بما تخفون.

﴿إذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أنْ تَفْشَلا﴾: أن تتخاذلا، والطائفتان: بنو سَلمة بن جُشم بن الخَزرج، وبنو حارثة بن النَّبيت من الأوس، وهما الجناحان. يقول الله تعالى: ﴿والله وليُّهما﴾: أي المُدافع عنهما ما همّتا به من فَشلهما، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعف ووَهن أصابهما غير شكّ في دينهما، فتولّى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته، حتى سَلِمتا من وُهونهما وضَعفهما، ولَحِقتا بنبيِّهما ﷺ.

قال ابن هشام: حدّثني رجل من الأسْد من أهل العلم، قال: قالت الطائفتان: ما نحب أنَّا لم نَهمّ بما هممنا به، لتولى الله إيانا في ذلك.

قال ابن إسحـٰق: يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾: أي من كان به ضَعف من المؤمنين فليتوكَّل عليّ، وليستعِنْ بي، أُعِنْه على أمره، وأدفع عنه، حتى أبلغ به، وأذفع عنه، وأقوّيه على نيَّته. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُم اللَّهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ﴾: أي فاتَّقوني، فإنه شُكر نعمتي. ﴿ولَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ وأنتم أقل عددًا

تفسير ما نزل من القرآن في أُحُد

بعض من آمن رغم الدعاء عليهم:

قد ذكر ابن إسحـٰق ما يحتاج إليه قارىءُ السيرةِ من تفسير ذلك، وذكر قولَه سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ من الأمْرِ شيءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم﴾ الآية لم يزد على ما في الكتابِ منه. وفي تفسير

إني نذيرٌ لأهل البَسْل ضاحيةً لكلّ ذي إرْبةٍ منهم ومعقول

من جَيش أحمد لا وَخْشٍ[1] تَنَابِلةٍ وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالقِيل

فثَنى ذلك أبا سُفيان ومن معه.

رسالة أبي سُفيان إلى الرسول على لسان ركب:

ومَرَّ به ركبٌ من عبد القَيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال: ولِم؟ قالوا: نُريد المِيرة؛ قال: فهل أنتُم مُبلغون عنّي محمدًا رسالة أُرسلكم بها إليه، وأُحمِّل لكم هذه غدًا زَبيبًا بعُكاظ إذا وافيتُموها؟ قالوا: نعم؛ قال: فإذا وافيتُموه فأخْبروه أنّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنَسْتأصل بقيتهم، فمرّ الركبُ برسولِ الله ﷺ وهو بحَمْراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سُفيان؛ فقال: ﴿حَسْبنا الله ونعم الوكيل﴾.

كفّ صفوان لأبي سُفيان عن معاودة الكرّة:

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عبيدة: أنّ أبا سُفيان بن حَرْب لمّا انصرف يوم أُحد، أراد الرُّجوع إلى المدينة، ليَسْتأصل بقيّة أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم صَفْوان بن أُميّة بن خَلف: لا تَفْعلوا، فإنّ القوم قد حَرِبُوا، وقد خشَينا أن يكون لهم قِتال غير الذي كان، فارجِعُوا، فَرَجَعُوا. فقال النبيّ ﷺ، وهو بحَمْراءِ الأسد، حين بلَغه أنهم هَمّوا بالرَّجعة: والذي نَفْسي بيده، لقد سُوّمت لهم حجارة، لو صُبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب.

وتسمية هذا سِناد عَربية لا صِناعية، قال عَدِيُّ بن الرِّقَاعِ:

وقَصِيدَةٍ قد بِتُّ أجمع بَيْنَها حتى أُقَوِّم مَيْلَها وسِنَادَها

نظر المُثَقِّفِ في كُعوبِ قَناتِه كيما يقيم ثِقافُه مُنَآدَها

وقوله: لا تَنابِلة. التَّنَابِلة: القِصار، وأحدُهم: تِنْبَالٌ، تَفِعَالٌ من النَّبلِ، وهي صِغَارُ الحَصَى.

---

(١) وخش: رديء.

مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة: وأخذ رسولُ الله ﷺ في جهة ذلك، قبل رُجوعه إلى المدينة، مُعاويةَ بن المُغيرة بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، وهو جدّ عبد الملك بن مَروان، أبو أُمه عائشة بنت مُعاوية، وأبا عَزّة الجُمَحِيَّ، وكان رسول الله ﷺ أَسَره ببدر، ثم مَنّ عليه، فقال: يا رسولَ الله، أقِلْني، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تَمْسح عارضيك بمكّة بعدَها وتقول: خَدَعتُ محمدًا مرّتين، اضربْ عنقه يا زُبير». فضرب عُنقَه.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المُسَيَّب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المؤمن لا يُلْدَغ من جُحْر مرّتين»[1]، اضربْ عُنقَه يا عاصِمُ بن ثابت، فضرب عُنقه.

مقتل معاوية بن المغيرة:

قال ابن هشام: ويقال: إن زيدَ بن حارثة وعَمَّار بن ياسر قتلا مُعاوية بن المُغيرة بعد حَمْراء الأسد، كان لجأ إلى عثمان بن عفّان فاستأمن له رسولَ الله ﷺ فأمنه، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل، فأقام بعد ثلاث وتوارى، فبعثهما النبيُّ ﷺ، وقال: إنكما ستَجدانه بموضع كذا وكذا، فوجَداه فقَتلاه.

أبو عـزة الجمحي

وذكر أبا عَزَّة، وكان الذي أسره عُمَيْرُ بنُ عَبْدِ الله، كذا ذكر بعضُهم، وأَحسَبُه عبدَ الله بن عُمَيرٍ أحدِ بني خُدَارَة، أو عبدَ الله بن عُمَيرٍ الخطمي. ومن خبر أبي عَزَّةَ ما ذكر الزُّبَيْر عن ابن جُعْدُبَةَ والضَّحَّاكِ بنُ عثمان. والجُعْدُبَةُ في اللغة واحدة الجِعَادِبِ، وهي النُّفَّاخَاتُ التي تكون في الماء. قالا: بَرِصَ أبو عَزَّةَ الجُمَحِي، فكانت قُرَيْشٌ لا تُؤاكله ولا تُجَالسه فقال: الموت خيرٌ من هذا، فأخذ حَدِيدةً، ودخل بعضَ شِعَابِ مَكّة فطَعَن بها في مَعَدِّهِ، والمَعَدُّ مَوْضِعُ عَقِبِ الرَّاكِبِ من الدَّابَّةِ، وقال ابن جُعْدُبَةَ: فمارت الحديدةُ، وقال الضحّاك: بين الجِلْدِ والصِّفَاقِ فسال منه أصفرُ فَبَرِىء، فقال:

الــلّــهُــمّ رَبَّ وَائِــلٍ ونَــهْــدِ	والــتَّــهَــمَــاتِ والــجِــبــالِ الــجُــرْدِ
وَرَبَّ مَــنْ يَــرْعَــى بــأرضِ نَــجْــدِ	أصــبــحــتُ عــبــدًا لــك وابــنَ عَــبْــدِ
أَبْــرأتــنِــي مــن وَضَــحٍ بِــجــلْــدِ	مِــنْ بــعــد مــا طَــعَــنْــتُ فــي مَــعَــدِّي

(١) تقدم تخريجه. والمسند فيه انقطاع.

شأن عبد الله بن أُبيّ بعد ذلك

قال ابن إسحٰق: فلما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أُبيّ ابن سَلول، كما حدّثني ابن شهاب الزُّهري، له مقامٌ يقومه كل جمعة لا يُنْكَر، شرفًا له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفًا، إذا جلس رسولُ الله ﷺ يوم الجمعة وهو يَخْطب الناس، قام فقال: أيّها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكْرمكم الله وأعزّكم به، فانصُروه وعزّرُوه، واسمعوا له وأطِيعوا ثم يَجْلسُ، حتى إذا صنع يوم أُحد ما صَنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المُسلمون بثِيابه من نَواحيه، وقالوا: اجلس، أيْ عَدُوَّ الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعتَ ما صنعتَ، فخرج يتخطّى رقابَ الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بَجْرًا أن قمت أُشَدِّد أمرَه. فلَقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسْجد، فقال: ما لك؟ ويلك! قال: قمتُ أشدِّد أمره، فوَثب عليّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويُعنِّفونني، لكأنما قلت بَجْرًا أنْ قُمت أشدّد أمره، قال: ويلك! ارجَع يَسْتغفر لك رسولُ الله ﷺ، قال: والله ما أبتَغي أن يَسْتغفر لي.

كان يوم أُحد يوم محنة:

قال ابن إسحٰق: كان يوم أُحد يوم بلاء ومُصيبة وتَمْحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحن به المُنافقين ممَّن كان يُظهر الإيمان بلسانه، وهو مُسْتخف بالكُفر في قلبه، ويومًا أكرم الله فيه مَن أراد كرامته بالشَّهادة من أهل ولايته.

موصـل مقالة أبي سُفيان:

وذكر إرسال أبي سُفيانَ مَع الركب بالوعيد، وكان المُوَصِّل مقالَته للمؤمنين نُعَيمُ بن مَسْعُودٍ، ﴿فقالوا حَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل﴾، كذلك جاء في التفسير.

قول لعبد الله بن أُبيّ

وذكر قول عبد الله بن أُبَيّ حين أُخرِج من المسجد: لكأنما قلت: بَجْرًا. البَجْرُ: الأمْرُ العَظِيمُ والبَجَارِي: الدَّوَاهي، وفي وصية أبي بكر: يا هَادِيَ الطريق جُرْتَ، إنما هو الفَجْرُ أو البَجْرُ، قال الخطّابي: معناه الداهية.

وذكر ابن إسحٰق في غير هذه الرواية قول النبيّ ﷺ في قتلى أُحُدٍ: «يا ليتني غُودِرْتُ مع أصحاب نُحصِ الجَبَلِ». نُحصُ الجَبَل: أسفلُه، قاله صاحب العَين.

ذكر ما أنزل الله في أُحُد من القرآن

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحـٰق المطّلبي، قال: فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أُحد من القرآن ستون آية من آل عِمْران، فيها صِفة ما كان في يومهم ذلك، ومُعاتبة من عاتَب منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وإذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ المُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ للقتالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال ابن هشام: تبوّىء المؤمنين: تتخذ لهم مقاعد ومنازل. قال الكُميت بن زيد:

لَيتني كنتُ قبلَه ... قد تبوأتُ مَضجعا

وهذا البيت في أبيات له.

أي: سميع بما تقولون، عليم بما تخفون.

﴿إذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنكُمْ أنْ تَفْشَلا﴾: أن تتخاذلا، والطائفتان: بنو سَلمة بن جُشم بن الخَزرج، وبنو حارثة بن النَّبيت من الأوس، وهما الجناحان. يقول الله تعالى: ﴿والله وليُّهما﴾: أي المُدافع عنهما ما همّتا به من فَشلهما، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعف ووَهن أصابهما غير شكّ في دينهما، فتولّى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته، حتى سَلِمتا من وُهونهما وضَعفهما، ولَحِقتا بنبيِّهما ﷺ.

قال ابن هشام: حدّثني رجل من الأسْد من أهل العلم، قال: قالت الطائفتان: ما نحب أنّا لم نهمّ بما هممنا به، لتولى الله إيانا في ذلك.

قال ابن إسحـٰق: يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي من كان به ضَعف من المؤمنين فليتوكَّل عليّ، وليستعِنْ بي، أُعِنْه على أمره، وأدفع عنه، حتى أبلغ به، وأدْفع عنه، وأقوّيه على نيّته. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُم اللَّهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ﴾: أي فاتّقوني، فإنه شُكر نعمتي. ﴿ولَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ وأنتم أقل عددًا

تفسير ما نزل من القرآن في أُحُد

بعض من آمن رغم الدعاء عليهم:

قد ذكر ابن إسحـٰق ما يحتاج إليه قارىءُ السيرةِ من تفسير ذلك، وذكر قولَه سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ من الأمْرِ شيءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم﴾ الآية لم يزد على ما في الكتابِ منه. وفي تفسير

وأضعف قوّة ﴿إِذْ تَقولُ للمُؤمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا ويأتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: أي إن تصبروا لعدوّي، وتُطيعو أمري، ويأتوكم من وَجْههم هذا، أُمدّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: مسوِّمين: مُعْلَمين. بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصريّ أنه قال: أعْلَموا على أذناب خَيْلهم ونَواصيها بصوف أبيض. فأما ابن إسحٰق فقال: كانت سيماهم يوم بدر عَمائم بيضًا. وقد ذكرت ذلك في حديث بدر. والسيما: العلامة. وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: أي علامتهم. و ﴿حِجارَةً مِنْ سِجِّيل مَنْضُودٍ مُسَوَّمةً﴾ يقول: مُعلَمة. بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال: عليها علامة، أنها ليست من حجارة الدنيا، وأنها من حجارة العذاب. قال رُؤبة بن العجّاج:

فالآنَ تُبلى بي الجيادُ السَّهَم ... ولا تُجاريني إذا ما سَوَّمُوا

وشَخَصت أبصارُهم وأجْذَموا

[أجذموا «بالذال المعجّمة»: أي أسرعوا: وأجدموا «بالدال المهملة»: أقطعوا].

وهذه الأبيات في أرجوزة له: والمُسوّمة (أيضًا) المَرْعيَّة. وفي كتاب الله تعالى: ﴿والخَيْلِ المُسَوَّمةِ﴾ و ﴿شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾. تقول العرب: سَوّم خَيْله وإبلَه، وأسامها: إذا رعاها. قال الكُميت بن زيد:

راعيًا كان مُسْجِحًا ففَقدنا ... هُ وفَقْدُ المُسيم هُلْكُ السَّوَامِ

قال ابن هشام: مُسجحًا: سَلِس السياسة محسن (إلى الغنم). وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وما جَعَلَهُ اللَّهُ إلاّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَما النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾: أي ما سَمّيت لكم مَنْ سَمَّيتُ من جنود ملائكتي إلا بُشرى لكم، ولتطمئنّ قلوبكم به، لما أعرف من ضَعْفكم، وما النَّصر إلاّ من عندي، لسُلْطاني وقُدرتي، وذلك أن العِزّ والحكم إليّ، لا إلى أحد من خَلْقي. ثم قال: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ﴾: أي ليقطع طرفًا من المُشْركين بقَتْل يَنتقم به

الترمذي حديث مَرْفُوع أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يدعو على أبي سُفيان والحارثِ بنِ هِشَامٍ

منهم، أو يردّهم خائبين: أي ويَرْجع مَنْ بَقِي منهم فَلا خائبين، لم ينالوا شيئًا مما كانوا يأملون.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: يَكْبِتهم: يغمّهم أشدّ الغم، ويمنعهم ما أرادوا. قال ذو الرُّمَّة:

ما أنسَ مِن شَجَنٍ لا أنسَ مَوْقِفَنا   في حَيْرة بين مَسْرور ومَكْبوتِ

ويَكْبتهم (أيضًا) يصرعهم لوجوههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال لمحمَّد رسول الله ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي، إلاّ ما أمرتُك به فيهم، أو أتُوب عليهم برحمتي، فإن شئتُ فعلت، أو أعذّبهم بذُنوبهم فبحَقّي ﴿فإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: أي قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إيّاي ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي يغفر الذنب ويَرْحم العباد، على ما فيهم.

وعمرو بن العاصي، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم﴾ قال: فَتَابوا وأَسْلَمُوا، وحَسُن إسلامهم، وهذا حديث ثابت في حسن إسلام أبي سُفيان خِلاَفًا لمن زعم غير ذلك، وأما الحارث بن هشام فلا خلافَ في حُسْن إسْلاَمِه، وفي موته شهيدًا بالشام، وأما عَمْرُو بن العاصي، فقد قال فيه النبيّ عليه السلام: «أسلم الناسُ وآمن عَمْرو»[1]، وقال في حديث جَرى: ما كانت هِجْرَتي للمال، وإنما كانت لله ورسوله، فقال له النبيّ - ﷺ -: «نِعِمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح»[2]، فسمّاه: رجلاً صالحًا، والحديث الذي جَرَى: أنه كان قال له: إني أُريد أن أبعثَك وَجْهًا يُسَلِّمُك الله فيه، ويُغَنِّمُك، وأَزْعَب[3] لك زَعبَةً من المال، وستأتي نُكَتٌ وعُيُونٌ من أخبار الحارِثِ، وأبي سُفيَانَ - فيما بعد - إن شاء الله.

معنى اتخذ:

وذكر قوله سبحانه: ﴿وَيَتَّخِذَ منكم شُهَدَاء﴾ وفيه فضل عظيمٌ للشهداءِ وتنبيهٌ على حُبِّ الله إياهم حيث قال: ﴿وَيَتَّخِذَ منكم شُهَدَاء﴾ ولا يقال: اتَّخَذْتُ ولا أَتَّخِذُ إلاّ في مُصْطَفًى

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٢٤) وأحمد (٤/ ١٥٥) والطبراني في الكبير(١٧/ ٣٠٧).
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٢) والحاكم (٢/ ٢٣٦) وابن أبي شيبة (٧/ ١٨).
(٣) أزعب: أدفع.

النهي عن الربا:

ثم قال: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أضعافًا مُضَاعَفَةً﴾؛ أي لا تأكلوا في الإسلام، إذ هداكم الله به ما كُنتم تأكلون إذ أنتم على غَيره، مما لا يحلّ لكم في دينكم ﴿واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي فأطيعوا الله لعلَّكم تَنْجُون مما حذّركم الله من عذابه، وتُذركون ما رغَّبكم الله فيه من ثَوابه، ﴿واتَّقُوا النَّارَ التي أُعِدَّتْ للكافِرِين﴾: أي التي جُعلت دارًا لمن كَفَر بي.

الحضّ على الطّاعة:

ثم قال: ﴿وأطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ معاتبةً للذين عَصَوْا رسولَ الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره. ثم قال: ﴿وَسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمٰوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّت للمُتَّقِينَ﴾ أي دارًا لمن أطاعني وأطاع رسولي: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكاظِمِينَ الغَيْظَ والعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾: أي وذلك هُوَ الإحسانُ، وأنا أُحبّ مَنْ عمل به، ﴿والَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللَّهُ ولَمْ يُصِرُّوا عَلَى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي إن أتوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم بمعْصية ذكروا نَهْي الله عنها، وما حرّم عليهم، فاستغفروه لها، وعَرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلاّ هو. ﴿ولَمْ يُصِرُّوا عَلَى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي لم يُقيموا على مَعْصيتي كفِعْل مَن أشرك بي فيما غَلَوْا به في كفرهم، وهم يَعلمون ما حرّمتُ عليهم من عِبادة غيري.

مَحْبُوبٍ، قال الله سبحانه: ﴿ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ وقال: ﴿وَلَم يَتَّخِذْ صاحِبَةً ولا وَلَدًا﴾ فالاتِّخاذُ إنما هو اقْتِنَاءٌ واجْتِبَاءٌ، وهو افتعال من الأَخْذِ، فإذا قلت: اتَّخَذْتُ كذا، فمعناه: أخذتُه لنفسي، واخترتُه لها، فالتاء الأولى بَدَلٌ من ياء، وتلك الياءُ بَدَلٌ من هَمْزَة أَخَذ، فَقُلِبَتْ تَاءً إذ كانت الواوُ تنقلب تاء في مثل هذا البناء، نحو اتَّعد واتَّزَرَ والياءُ أختُ الواو، فقُلبت في هذا الموضع تَاءً، وكثُر استعمالهم لهذه الكلمة، حتى قالوا: تَخِذْتُ بحذف إحْدى التاءين اكتفاءً بأحَدَيْهما عن الأُخرى، ولا يكون هذا الحذفُ إلاّ في الماضي خَاصَّة، لا يقال: تَتَخِذُ كما يقال: تَخِذَ، لأن المستقبلَ ليس فيه هَمْزةُ وَصْلٍ، وإنما فرّوا في الماضي من ثقل الهمزة في الابتداء، واسْتَغْنَوا بحركةِ التاء عنها، وكسروا الخاء من تَخِذْتُ لأنه لا مستقبل له مع الحذف، فحرّكوا عينَ الفعل بالحركة التي كانت له في المستقبل. وكلامُنا هذا على اللغة المشهورة، وإلا فقد حُكِيَ يَتخذُ في لغة ضعيفة ذكرها أبو عبيد، وذكرها النحاس في إعراب القرآن.

﴿أولَئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهار خالِدِينَ فِيها وَنِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ﴾: أي ثواب المُطيعين.

ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه:

ثم استقبل ذكر المُصيبة التي نزلت بهم، والبَلاء الذي أصابهم، والتَّمحيص لما كان فيهم، واتخاذَه الشُّهداء منهم، فقال: تعزيةً لهم، وتَعْريفًا لهم فيما صنعوا، وفيما هو صانِع بهم: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾: أي قد مَضت مني وقائع نقْمة في أهل التكذيب لرُسلي والشِّرك بي: عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، فرأوا مَثُلات قد مَضت مني فيهم، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك مني، فإني أمْلَيت لهم: أي لئلا يظنوا أنّ نقمتي انقطعت عن عدوّكم وعدوّي للدولة التي أدلتهم بها عليكم، ليَبتليكم بذلك، ليُعلمكم ما عندكم.

ثم قال تعالى: ﴿هذَا بَيانٌ للنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ للمُتَّقِينَ﴾: أي هذا تفسير للناس إن قَبلوا الهدى ﴿وهُدًى ومَوْعِظَة﴾: أي نور وأدب ﴿للمتَّقِين﴾ أي لمن أطاعني وعَرف أمري، ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾: أي لا تَضعفوا ولا تَبْتئسوا على ما أصابكم، ﴿وأنْتُم الأعْلَوْنَ﴾ أي لكم تكون العاقبة والظهور ﴿إنْ كُنْتُم مُؤْمِنِين﴾ أي إن كنتم صدّقتم نبي بما جاءكم به عنّي. ﴿إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾: أي جراح مثلها، ﴿وتِلْكَ الأيَّامُ نُداوِلُها بينَ النَّاسِ﴾: أي نُصرّفها بين الناس للبلاء والتمحيص ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: أي ليُميّز بين المؤمنين والمنافقين، وليُكْرِم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ﴿واللَّهُ لا يُحِب الظَّالِمِينَ﴾: أي المنافقين الذي يُظهرون بألسنتهم الطاعةَ وقلوبهم مُصِرّة على المَعْصية ﴿وليُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبَلاء الذي نَزل بهم،

أدلّة على صحّة خلافة أبي بكر:

وذكر قوله سبحانه: ﴿أفإنْ مات أو قُتِل انقَلَبْتم على أعقابكم﴾ إلى قوله: ﴿وسَيَجْزي اللَّهُ الشاكرين﴾ ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهلُ الرِّدَّةِ على أعقابهم، فلم يَضُرَّ ذلك دينَ الله، ولا أُمَّةَ نَبِيِّه، وكان أبو بكر يُسَمَّى: أمير الشاكرين لذلك، وفي هذه الآية دليلٌ على صحة خلافتِه، لأنه الذي قاتل المنقلِبين على أعقابهم حين رَدَّهم إلى الدين الذي خرجوا منه، وكان في قوله سبحانه: ﴿وسَيَجْزِي اللَّهُ الشاكرين﴾ دليلٌ على أنهم سَيَظْفَرُون بمَنْ ارْتَدَّ، وتَكْمُل عليهم النعمةُ، فيشكرون، فتحريضُه إيَّاهم على الشُّكْرِ ـ والشكرُ لا يكون إلاَّ على نعمة ـ دليلٌ على أن بَلاَءَ الرِّدَّةِ لا يَطُول، وأن الظَّفَر بهم سَرِيعٌ، كما كان.

وكيف صَبْرهم ويَقينهم ﴿ويَمْحَقَ الكافِرِينَ﴾: أي يُبْطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، حتى يظهر منهم كُفرهم الذي يَسْتترون به.

دعوة الجنّة للمجاهدين:

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: أي حسبتم أن تدخلوا الجنّة، فتصيبوا من ثوابي الكرامة، ولم أختبركم بالشدّة، وأبْتليَكم بالمَكاره، حتى أعلم صِدْق ذلك منكم بالإيمان بي، والصبر على ما أصابكم فيَّ، ولقد كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الشَّهَادَةَ على الذي أنتم عليه من الحقّ قبل أن تلقوا عدوّكم، يعني الذين اسْتَنْهضوا رسولَ الله ﷺ إلى خُروجه بهم إلى عدوّهم، لِما فاتهم من حُضور اليوم الذي كان قَبْله ببَدر، ورغبةً في الشهادة التي فاتَتهم بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنتُم تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ يقول: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: أي الموت بالسُّيوف في أيْدي الرجال قد خلِّي بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم، ثم صدّهم عنكم ﴿وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: أي لقَول الناس: قُتل محمد ﷺ، وانهزامُهم عند ذلك، وانصرافهم عن عدوّهم ﴿أفإنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ﴾ رجعتم عن دينكم كفَّارًا كما كنتم، وتركتم جهاد عدوّكم، وكتاب الله. وما خلَّف نبيُّه ﷺ من دينه معكم وعِندكم وقد بيّن لكم فيما جاءكم به عنّي أنه ميّت ومفارقكم، ﴿ومَنْ يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾: أي يرجع عن دينه ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: أي ليس ينقص ذلك عزَّ الله تعالى ولا مُلكه ولا سلطانه ولا قُدرته، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِين﴾: أي مَنْ أطاعه وعَمِل بأمْره.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفين من الأعرابِ﴾ فيه أيضًا: التصحيحُ لخلافَةِ أبي بكر، لأنه الذي دعا الأعرابَ إلى جهَادِ حَنِيفَة، وكانوا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، ولم يُقاتلوا لِجِزْيَةٍ، وإنما قُوتِلوا لِيُسْلِمُوا، وكان قتالُهم بأمر أبي بكر، وفي سلطانه، ثم قال: ﴿فإن تطيعوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ فأوجب عليهم الطاعةَ لأبي بكر، فكان في الآية كالنص على خلافته.

وكذلك قوله: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقُوا الله وكانوا مع الصادقين﴾ وقد بَيّن في سورة الحَشرِ مَن الصّادقون، وهم المهاجِرون بقوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ فأمر الذين تبوؤوا الدارَ والإيمان أنْ يَكُونوا معهم، أي: تَبَعًا لهم، فحصلت الخلافةُ في الصادقين بهذه الآية، فاستحقوها بهذا الاسم، ولم يكن في الصادقين مَنْ سمّاه الله الصِّدِّيقَ إلا أبو بكر، فكانت له خاصَّةً، ثم للصادقين بعده.

ذكره أن الموت بإذن الله:

ثم قال: ﴿وَما كانَ لِنَفسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بإِذْنِ اللَّهِ كِتابًا مُؤَجَّلاً﴾: أي أن لمحمد ﷺ أجلاً هو بالغه، فإذا أذِنَ الله عزّ وجلّ في ذلك كان. ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنها وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنها وَسَنجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾: أي من كان منكم يريد الدنيا، ليست له رَغْبة في الآخرة، نُؤته منها ما قُسم له من رزق، ولا يَعْدوه فيها، وليس له في الآخرة من حظّ ﴿ومن يُرِد ثواب الآخرة نُؤْته منها﴾ ما وُعد به، مع ما يُجزى عليه من رزقه في دُنياه، وذلك جزاء الشّاكرين، أي المتّقين.

ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء

ثم قال: ﴿وكأيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَما ضَعُفُوا وَما اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابرين» أي وكأين من نبيّ أصابه القتل، ومعه ربِّيُّون كثير: أي جماعة، فما وَهَنوا لفَقْد نبيِّهم، وما ضعفوا عن عدوّهم؛ وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم، وذلك الصبر، والله يُحبّ الصابرين ﴿وَما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وإِسْرَافَنا فِي أَمْرِنا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنا وَانْصرْنَا عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ﴾

ربِّيُّون ورفعها في الآية

وذكر قوله تعالى: ﴿وكَأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قُتِل[1] معه رِبِّيُّون كَثِيرٌ﴾ ارتفع رِبِّيُّون على تفسير ابن إسحٰقِ بالابتداءِ، والجملة في موضع الحالِ من الضمير في قُتِل، وهذا أصحُّ التَّفسِيرين، لأنه قال: فما وَهَنُوا لما أصَابَهُم، ولو كانوا هم المقتولين ما قال فيهم: ما وَهَنوا لما أصابهم أي: ما ضَعُفوا، وقد يُخَرَّج أيضًا قولُ من قال: رِبِّيُّونَ مفعولٌ لم يُسَمَّ فاعلُه بقُتِل على أن يكون معنى قوله: فما وَهَنُوا أي ما وَهَنَ الباقون منهم، لما أُصِيبوا به مِنْ قَتْلِ إخوانهم، وهذا وَجْهٌ، ولكن سبَب نزولِ الآية يدل على صحة التفسير الأوّل.

وقوله: رِبِّيُّون، وهم الجماعات في قول أهل اللغة، وقال ابن مسعود: رِبِّيُّون أُلوفٌ، وقال أَبَانُ بن تَغْلِب: الرِّبِّيُّ: عشرة آلاف[2].

---

(١) في مصحف عثمان الذي بين أيدينا «قاتل».

(٢) وقيل: الربِّيون: المُعبّدون للرب، العابدون له تعالى.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: واحد: الرِّبِّيِّين: رِبِّي؛ وقولهم: الربّاب، لولد عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس، ولضبة، لأنهم تجمَّعوا وتحالفوا، من هذا، يريدون الجماعات. وواحدة الربّاب: رِبَّة (وربابة) وهي جماعات قِداح أو عصِي ونحوها، فشبَّهوها بها. قال أبو ذؤيب الهذلي:

وكأنَّهُنَّ رِبابة وكأنَّهُ يَسَر يَفيض على القِداح ويَصْدعُ

وهذا البيت في أبيات له. وقال أُميَّة بن أبي الصَّلت:

حَوْل شَياطينهم أبابيلُ رِبِّـ يونَ شَدُّوا سَنَوّرًا مَدْسُورا

وهذا البيت في قصيدة له:

قال ابن هشام: والرِبّابة (أيضًا) الخِرقة التي تُلَفّ فيها القداح.

قال ابن هشام: والسَّنَوَّر: الدروع. والدُّسُر: هي المسامير التي في الحِلَق، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وحَمَلْناهُ على ذَاتِ ألْوَاحٍ ودُسُر﴾[1].

قال الشاعر، وهو أبو الأخزر الحِمَّاني، من تميم:

دَسْرًا بأطراف القَنا المَقَوّم

قال ابن إسحٰق: أي فقولوا مثل ما قالوا، واعلموا إنما ذلك بذنوب منكم، واستغفروه كما استغفروه، وامضُوا على دينكم كما مَضُوا على دينهم، ولا تَرتدّوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يُثبِّت أقدامكم، واستَنْصروه كما استَنْصروه على القوم الكافرين، فكل هذا من قولهم قد كان؛ وقَدْ قُتل نبيُّهم، فلم يفعلوا كما فعلتم، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظُّهور على عدوّهم، وحُسنَ ثواب الآخرة وما وَعد الله فيها، والله يحبّ المحسنين.

من تفسير آيات أُحد:

وقوله تعالى: ﴿فأثابكم غَمًّا بِغَمٍّ﴾ وعلى: تفسير ابن إسحٰق غَمًّا بعد غَمٍّ الباء متعلقة بمحذوفٍ، التقدير: غَمٌّ مقرون بغَمٍّ، وعلى تفسير آخر متعلِّقة: بأثابكم، أي: أثابكم غَمًّا بما غَمَمْتُم نبيَّه حين خالفتم أمرَه.

(١) سورة القمر آية رقم (١٣).

تحذيره إياهم من إطاعة الكفّار:

﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ﴾: أي عن عدوّكم، فتذهب دُنياكم وآخرتكم ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُو خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾، فإن كان ما تقولون بألسنتكم صدقًا في قلوبكم فاعتصموا به، وَلا تَسْتَنصروا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدّين عن دينه. ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: أي الذي به كنتُ أنصركم عليهم بما أشركوا بي ما لم أجْعل لهم من حجّة، أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نَصْر ولا ظُهور عليكم ما اعتصمتم بي، واتّبعتم أمري، للمُصيبة التي أصابتكم منهم بذُنوب قَدَّمتموها لأنفسكم، خالفتم بها أمري للمعصية، وعصيتم بها النبيّ ﷺ. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حتى إِذَا فَشِلْتُمْ وتَنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُمْ ما تُحِبّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ولَقَدْ عَفا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ﴾ أي وقد وفَّيت لكم بما وَعَدْتكم من النصر على عدوّكم، إذ تحسّونهم بالسُّيوف، أي القتل، بإذني وتَسْليطي أيْديكم عليهم، وكَفِّي أيديهم عنكم.

قال ابن هشام: الحسّ: الاستئصال: يقال: حَسَسْتُ الشيء: أي استأصلته بالسَّيف وغيره. قال جرير:

تحسُّهم السُّيوفُ كما تَسامَى ... حريقُ النّار في الأجَم الحَصِيدِ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال رُؤبة بن العَجَّاج:

إذا شَكَوْنا سَنَةً حَسُوسا

تأكُلُ بَعْدَ الأخضَر اليَبِيسا

وهذان البيتان في أُرجوزة له.

وقوله: ﴿ومنكم مَنْ يُريد الآخرة﴾ قال ابن عباس: هو عَبْدُ الله بن جُبَيْرِ الذي كان أميرًا على الرُّماةِ، وكان أمرَهم أنْ يَلْزَموا مكانَهم، وألاّ يُخالِفوا أَمْرَ نبيِّهم، فثبتت معه طائفة، فاسْتُشْهِد، واسْتُشْهِدُوا، وهم الذين أرادوا الآخرةَ، وأقبلت طائفةٌ على المَغْنَم، وأَخْذِ السَّلَبِ، فكَرَّ عليهم العدوُّ، وكانت المصيبةُ، وفي الخبر: لقد رأيت خَدَمَ هِنْدٍ وصواحبَها، وهُنَّ مُشَمِّرَاتٌ في الحَرْب. والخدَمُ: الخلاخِيلُ، وكذلك قوله حين ذكر هندًا، وأنها اتخذت من آذان الشُّهَداءِ وآنُفِهِمْ خَدَمًا وقلائد، وأعطَت خَدَمَها وقَلائِدَها وقِرَطَتَها وَحْشِيًّا، معناه: الخَلاخل أيضًا.

قال ابن إسحٰق: ﴿حتى إذا فشلتم﴾: أي تخاذلتم ﴿وتنازعتم في الأمر﴾ أي اختلفتم في أمري، أي تركتم أمرَ نبيكم وما عهد إليكم، يعني الرماة ﴿وعصَيتم مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُم ما تُحِبونَ﴾: أي الفتح، لا شكّ فيه، وهزيمة القوم عن نِسائهم وأموالهم، ﴿مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا﴾: أي الذين أرادوا النهب في الدنيا وتَرك ما أُمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ﴿وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾: أي الذين جاهدوا في الله، ولم يخالفوا إلى ما نُهوا عنه لعَرَض من الدنيا، رغبة فيها، رجاء ما عند الله من حُسن ثوابه في الآخرة؛ أي الذين جاهدوا في الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعرض من الدنيا، ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك، أن لا يُهلككم بما أتيتم من مَعْصية نبيكم، ولكني عُدت بفَضلي عليكم، وكذلكَ ﴿مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِين﴾ أن عاقب ببعض الذنوب في عاجلِ الدنيا أدبًا وموعظة، فإنه غيرُ مستأصل لكُلِّ ما فيهم من الحقّ له عليهم، بما أصابوا من مَعْصيته، رحمةً لهم، وعائدة عليهم، لما فيهم من الإيمان.

تأنبيه إيّاهم لفرارهم عن نبيهم:

ثم أنّبهم بالفرار عن نبيِّهم ﷺ، وهم يُدعون لا يَعْطفون عليه لدُعائه إيّاهم، فقال: ﴿إذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى ما فاتَكُمْ ولا ما أَصَابَكُمْ﴾: أي كَرْبًا بعد كرب، بقتل من قُتل من إخوانكم، وعلُوّ عدوّكم عليكم، وبما وقع في أنفسكم من قول مَنْ قال: قتل نبيكم، فكان ذلك مما تتابع عليكم غمًّا بغمّ؛ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم؛ من ظهوركم على عودّكم، بعد أن رأيتموه بأعينكم، ولا ما أصابكم من قَتْل إخوانكم، حتى فرّجتُ ذلك الكربَ عنكم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾. وكان الذي فرّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغمّ الذي أصابهم، أن الله عزّ وجلّ ردّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيِّهم ﷺ، فلما رأوا رسول الله ﷺ حيًّا بين أظهرهم، هانَ عليهم ما فاتهم من القَوم بعد الظُّهور عليهم، والمُصيبة التي أصابتهم في إخوانهم، حين صَرَف الله القتلَ عن نبيِّهم ﷺ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاسًا يَغشَى طائِفَةً مِنْكُمْ وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ باللَّهِ غيرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّه لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأَمْرِ شَيءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدورِكُمْ وليُمَحِّصَ ما فِي

وقوله سبحانه: ﴿لو كان لنا من الأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنَا هٰهُنا﴾ في صحيح التفسير أن عَتَّابَ بن قُشَيْر هو قائل هذه المقالة، وكان مَنْبُوذًا بالنِّفاق.

قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بذاتِ الصُّدُورِ﴾، فأنزل الله النعاس أمنةً منه على أهل اليقين به، فهم نيام لا يَخافون، وأهلُ النِّفاق قد أهمّتهم أنفسهم، يظنُّون بالله غير الحقّ ظنَّ الجاهليَّة، تخوّفَ القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة، فذَكر الله عزّ وجلّ تَلاوُمَهم وحَسْرتهم على ما أصابهم. ثم قال الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ لم تحضُروا هذا الموطنَ الذي أظهر الله فيه منكم ما أظْهر من سَرائركم ﴿لَبرزَ﴾ لأَخْرَجَ ﴿الَّذِين كُتِبَ عَلَيْهِم القَتْل إلى مَضَاجِعِهِمْ﴾ إلى موطن غيره يُصرعون فيه، حتى يبتلي به ما في صدورهم ﴿وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور﴾: أي لا يَخفَى عليه ما في صُدُورهم ممَّا استخفوا به منكم.

تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت في الله:

ثم قال: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وقالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَما قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّه يُحْيِي ويُمِيتُ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أي لا تكونوا كالمنافقين الذين يَنْهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله، والضَّرْب في الأرض في طاعة الله عزّ وجلّ، وطاعة رسوله ﷺ، ويقولون إذا ماتوا أو قُتلوا: لو أطاعونا ما ماتوا ومَا قُتلوا ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لقلَّة اليقين بربهم، ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي ويُمِيتُ﴾: أي يُعجِّل ما يشاء ويؤخّر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: أي إن الموت لكائن لا بدّ منه، فموتٌ في سبيل الله، أو قَتْل، خير لو علموا وأيقنوا مما يَجْمعون من الدنيا التي لها يتأخّرون عن الجهاد، تخوف الموت والقَتل لما جمعوا من زَهْرة الدنيا زهادةً في الآخرة ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتمْ﴾ أيّ ذلك كان ﴿لَإلى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: أي أن إلى الله المرجع، فلا تغرَّنكم الدنيا، ولا تغْتَرّوا بها، وليكن الجهادُ وما رغَّبكم الله فيه من ثوابه آثَرَ عندكم منها.

ذكره رحمة الرسول عليهم:

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فَبِما رَحْمةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: أي لتركوك ﴿فاعْفُ عَنْهُمْ﴾: أي فتجاوز عنهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ فذكر لنبيِّه ﷺ

وقوله: ﴿يَظُنُّون باللَّهِ غَيْر الحَقّ﴾ أي: يَظُنُّون أن الله خَاذِلٌ دينَه ونبيَّه.

وقوله: ﴿ظَنَّ الجاهِلِيَّة﴾ أي: أهل الجاهلية كأبي سُفيان وأصحابه.

لِينه لهم، وصَبْره عليهم، لضَعْفهم، وقلّة صَبْرهم على الغلْظة لو كانت منه عليهم في كلّ ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيِّهم ﷺ. ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فاعْفُ عَنْهُمْ﴾: أي تجاوز عنهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوبهم، من قارف من أهل الإيمان منهم ﴿وَشاوِرْهُمْ في الأمْرِ﴾: أي لتُرِيهم أنك تسمع منهم، وتَستعين بهم، وإن كنت غنيًّا عنهم، تألُّفًا لهم بذلك على دينهم ﴿فإذَا عَزَمْتَ﴾: أي على أمرٍ جاءك مني وأمر من دينك في جهاد عدوّك لا يُصلحك ولا يُصلحهم إلاّ ذلك، فامض على ما أُمِرتَ به، على خلاف من خالفك، ومُوافقة من وافقك، ﴿وتوكَّلْ على الله﴾، أي ارض به من العباد، ﴿إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ إنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإنْ يَخْذُلْكم فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي لئلاّ تترك أمري للناس، وارفُض أمر الناس إلى أمري، وعلى الله لا على الناس، فليتوكل المؤمنون.

ما نزل في الغلول

ثم قال: ﴿ومَا كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾: أي ما كان لنبيّ أن يَكْتم الناسَ ما بعثه الله به إليهم، عن رَهْبة من الناس ولا رغبة، ومن يَفْعل ذلك يأت يوم القيامة به، ثم يُجزى بكَسبه، غيرَ مَظْلوم ولا معتدًى عليه ﴿أفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ على ما أحبّ الناسُ أو سَخطوا ﴿كمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ لرضا الناس أو لسخطهم. يقول: أفمن كان على طاعتي، فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه، فكان ﴿مأواه جهنم وبئس المصير﴾ أسواء المثلان! فاعرفوا. ﴿هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ واللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ﴾ لكلٍّ درجات مما عملوا في الجنّة والنّار: أي إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته.

وذكر قوله: ﴿وشَاوِرْهُم في الأمر﴾ وفَسَّره، وقد جاء عن ابن عباس أنه قال: نزلت في أبي بكر وعُمَرَ أُمِرَ بمشَاوَرَتهما.

حكـم الغلـول

وذكر قوله: ﴿وما كان لِنَبِيٍّ أن يَغُلَّ﴾ وفسره أن يَكْتُم ما أنزل الله، وأكثر المفسرين يقولون: نزلت في الغُلول، وفي بعض الآثار أنهم فقَدوا قَطِيفَةً من المَغْنم، فقال قائل: لعلَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ أخذها، فأنزل الله الآية، ومن قرأ يُغَلَّ بضم الياء وفتح الغين فمعناه أن يُلْقَى غالاًّ، تقول: أَجْبَنْتُ الرجلَ إذا أَلْفَيْته جَبَانًا، وكذلك أَغْلَلْتُه: إذا وَجَدته. غَالاًّ، وقد قال عَمْرو بن مَعْد يكَرِب لبني سليم: قاتلناكم، فما أَجْبَنَّاكُم، وسألناكم فما أبخلناكم وتفسير ابن

فضل الله عَلَى الناس يبعث الرسل:

ثم قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا من قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾: أي لقد منّ الله عليكم يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولاً من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثْتُم، وفيما عَملتم، فيعلِّمكم الخير والشرّ، لتَعْرفوا الخير فتعملوا به، والشرَّ فتتّقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سَخط منكم من معصيته، لتتخلَّصوا بذلك من نقمته، وتُدْركوا بذلك ثوابه من جَنَّته ﴿وَإِنْ﴾ كُنْتُمْ ﴿من قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾: أي لفي عَمياء من الجاهلية، أي لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة، صمّ عن الخير، بُكم عن الحقّ، عُمي عن الهدى.

ذكره المصيبة التي أصابتهم:

ثم ذكر المُصيبة التي أَصابتهم، فقال: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفسكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي إن تك قد أصابتكم مُصيبة في إخوانكم بذُنوبكم فقد أَصَبْتُم مِثليها قبلُ من عدوتكم، في اليوم الذي كان قبله ببدر، قتلاً وأسرًا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيّكم ﷺ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾: أي إن الله على ما أراد بعباده من نِقْمة أو عَفو قدير ﴿وَما أَصابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ﴾: أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم فبإذني، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نَصْري، وصَدَقتكم وَعْدي، ليميز بين المؤمنين والمُنافقين، ﴿وليعلم الذين نافقوا﴾ منكم: أي ليظهر ما فيهم. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوُ ادْفَعُوا﴾: يعني عبد الله بن أُبيّ وأصحابَه الذين رَجعوا عن رسولِ الله ﷺ، حين سار إلى عدوّه من المُشركين بأحد، وقولهم: لو نعلم أنكم تقاتلون لسِرْنا معكم، وَلَدَفعْنا عنكم، ولكنَّا لا نظنّ أنه يكون قِتال. فأظهر منهم ما كانوا يُخفون في أنفسهم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿هُمْ للكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ للإيمَانِ يَقُولُونَ بأفْوَاههِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي يُظهرون لك الإيمان وليس في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ أَعلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ أي ما يُخفون ﴿الَّذِينَ قالُوا

إسحٰق [غير] خارج عن مُقْتَضَى اللغة. فمن كَتم فقد غلَّ، أي: ستر، وكذلك من خان في شيء وأخذه خِفيَةً، فقد ستره وكتمه، وأصلُ الكلمة: السَّتْر والإخفاء، ومنه الغِلالَةُ والغَلَلُ للماء الذي يُغَطِّيه الشجرُ والنبات، وقد أمر النبيّ ـ ﷺ ـ في بعض المغازي بإحراق متاع الغالّ، وأخذت به طائفةٌ من الفقهاء، منهم أحمد وإسحٰق.

لإِخْوَانِهِمْ﴾ الذين أُصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم: ﴿لَوْ أطاعُونا ما قُتلُوا قُلْ فادْرَؤُوا عَنْ أَنْفُسكُمْ المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقينَ﴾: أي أنه لا بدّ من الموت، فإن استطعتم أن تَدْفعوه عن أنفسكم فافعلوا، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهادَ في سبيل الله، حِرْصًا على البقاء في الدنيا، وفرارًا من الموت.

الترغيب في الجهاد

ثم قال لنبيّه ﷺ، يرغِّب المؤمنين في الجهاد، ويهوّن عليهم القتل: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتلُوا في سَبيلِ اللَّه أَمْوَاتًا بَلْ أَحْياء عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحينَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه ويَسْتَبْشِرونَ بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أي لا تظنّنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتًا: أي قد أحيَيْتهم، فهم عندي يُرزقون في رَوْح الجنّة وفَضْلها، مَسْرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه، ويَسْتبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، أي ويُسَرون بلُحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مَضَوْا عليه من جهادهم، ليَشْركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزنَ. يقول الله تعالى: ﴿يَسْتَبشِرونَ بنِعْمَةٍ منَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْر المُؤْمِنِينَ﴾ لما عايَنوا من وَفاء المَوْعود، وعظيم الثواب.

الشهـادة والشهـداء

فصل: وذكر قوله سبحانه: ﴿ولا تَحْسَبَن الذين قُتِلوا في سَبِيلِ الله﴾ الآيات، وهؤلاء هم الذين سمّاهم الله شهداء بقوله: ﴿وَيتَّخِذَ منكم شُهَدَاءَ﴾ وهذا الاسم مأخوذ من الشَّهادَةِ أو من المُشَاهَدَةِ، فإن كان من الشهادة فهو شَهِيد بمعنى مَشْهُودٍ، أي مَشْهُود عليه، ومَشْهُودٌ له بالجنة، أما مَشْهُودٌ عليه، فلأَنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ حين وقف على قَتْلى أُحُدٍ، قال: «هؤلاء الذين أَشْهَد عليهم، أي: أَشْهَدُ عليهم بالوفاء»، وقال: عليهم، ولم يقل: لهم، لأن المعنى: أجيء يومَ القيامة شَهيدًا عليهم، وهي وِلاَيَة وقيادة، فوصلت بحرف عَلَى، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون فعيلاً بمعنى فاعل، لأن الله تعالى يقول: ﴿وتكونوا شُهَدَاءَ على الناس﴾ أي: تَشْهدون عليهم، وهذا، وإن كان عامًّا في جميع أُمَّةِ محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فالشهداءُ أَوْلَى بهذا الاسم، إذ هم تَبَعٌ للصِّدِّيقين والنَّبِيِّين. قال الله سبحانه: ﴿فأولَئِك مع الذين أَنْعَمَ اللَّهُ عليهم من النَّبِيِّين والصِّدِّيقين والشُّهَدَاءَ﴾ فهذان وَجْهَان في معنى الشَّهِيد، إذا جعلتهُ مُشْتَقًّا من الشَّهَادة، وإن كان من المُشَاهَدَةِ، فهو فَعِيلٌ بمعنى: فاعل أيضًا، لأنه يشاهِد من مَلَكُوتِ الله، ويعاين من مَلاَئِكَتِه ما لا يُشَاهِدُ غيره، ويكون أيضًا بمعنى مَفْعُولٍ، وهو من المشاهدة؛ أي: إن الملائكة تشاهد قبضه، والعروج بروحه، ونحو

مصير قتلى أُحُـد:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني إسماعيل بن أُميَّة، عن أبي الزُّبير، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لمَّا أُصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضر، تَرِد أنهارَ الجنَّة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قَناديل من ذهب، في ظلّ العرش، فلما وجدوا طيبَ مَشربهم ومأكلهم، وحُسْن مَقيلهم، قالوا: يا ليت إخوانَنا يعلمون ما صَنع الله بنا، لئلا يزْهدوا في الجهاد، ولا يَنكُلوا عن الحرب»؛ فقال الله تعالى: فأنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله على رسول ﷺ هؤلاء الآيات: ﴿ولا تحسبنّ﴾...

ذلك، فيكون فعيلاً بمعنى مفعول. وأَوْلى هذه الوجوهِ كلِّها بالصِّحَّة أن يكون فعيلاً بمعنى مَفعُول، ويكون معناه. مَشهُودًا له بالجنّة، أو يشهد عليه النبيّ عليه السلام كما قال: «هؤلاء أنا شَهِيد عليهم»، أي: قَيِّمٌ عليهم بالشَّهَادَةِ لهم، وإذا حُشِروا تحت لِوائه، فهو والٍ عليهم، وإن كان شَاهِدًا لهم، فَمِنْ هاهنا اتصل الفعلُ بعليّ، فَتَقَوَّى هذا الوجهُ من جهة الخَبَر، ومن وجه آخر من العربية، وهو أن النبيّ - ﷺ - حين ذكر الشهداء قال: «والمرأة تموت بِجُمْعٍ[1] شَهِيدٌ»، ولم يقل: شَهيدةَ، وفي رواية أخرى قال: «والنُّفَساء شَهِيدٌ يَجُرُّها جنينُها بِسَرَرِه إلى الجَنَّةِ»[2]، ولم يقل: شَهِيدة وفَعِيلٌ إذا كان صِفَةً لمؤَنَّثٍ كان بغيرِ هَاء إذا كان بمعنى مَفعُول، نحو: امرأة قَتِيلٌ وجَرِيحٌ، وإن كان بمعنى فاعل، كان بالهاءِ كقولهم: امرأةٌ عَلِيمةٌ ورَحِيمة، ونحو ذلك، فدلّ على أن الشَّهيد مَشهُود له، ومَشهُود عليه، وهذا اسْتِقْرَاءٌ من اللغة صَحِيحٌ، واسْتِنْبَاطٌ من الحديث بدِيعٌ، فقِفْ عليه.

وذكر ابنُ إسحٰق حديثَ ابن عباس المرفوعَ، وفيه أن الله جعل أرواحَهم في أَجْوَافِ طَيْرِ خُضرٍ، وعن قَتَادَةَ قال: ذكر لنا أن أرواحَ الشُّهَداءِ تتعارف عند السِّدْرَةِ في أجوافِ طَيْرٍ بِيضٍ، وقد أنكر هذه الروايةَ قومٌ، وقالوا: لا يكون رُوحان في جَسَدٍ وَاحِدٍ، وإن ذلك مُحَالٌ، وهذا جَهْلٌ بالحقائق، فإن معنى الكلام بَيِّن، فإن رُوحَ الشَّهِيد الذي كان في جسده في الدنيا، يُجْعَلُ في جَسَدٍ آخر كأنه صورةُ طائر، فيكون في هذا الجسدِ الآخرِ، كما كان في الأوّل، إلى أن يُعيده الله يومَ القيامة كما خَلَقَه، وهذه الرواية لا تُعارِضُ ما رَوَوْه من قوله: في صُورِ طَيْر خُضرٍ، والشهداءُ طَيْرٌ خُضرٌ، وجميع الروايات كُلُّها متفقة المعنى، وإنما الذي يستحيل في العَقْل قيامُ حَيَاتَيْن بِجَوْهرٍ واحدٍ، فَيَحْيَا الجَوْهَرُ بهما جميعًا، وأما رُوحانِ في جَسَدٍ فليس بمُحَالٍ إذا لم نَقُلْ بِتَداخُلِ الأَجْسَام، فهذا الجَنِينَ في بَطْنِ أُمِّه وروحُه غيرُ

---

(١) بجُمع: أي حاملاً.

(٢) أخرجه الطبراني (١٨/ ٨٧).

....

رُوحِها، وقد اشتمل عليهما جَسَدُ واحد، وهذا أن لو قيل لهم: إن الطائر له رُوحٌ غيرُ رُوْح الشَّهِيدِ، وهما في جَسَدٍ واحد، فكيف، وإنما قال: في أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضرٍ، أي: في صورة طَيْرٍ خُضرٍ، كما تقول: رأيت مَلَكًا في صُورة إنسانٍ، وكذلك قوله عليه السلام: «إنما نَسَمَةُ المؤمن طائر يَعْلَق في ثَمَرِ الجنَّة»[1] تأوَّله بعضُهم مَخْصُوصًا بالشَّهيد، وقال بعضهم: إنما الشهيد في الجَنَّة يأكل منها حيث شاء، ثم يأوِي إلى قناديل مُعَلَّقَةٍ في العَرْشِ، وغير الشهيد، من المؤمنين نَسَمَتُه، أي: رُوحه طائر، لا أنَّ رُوحَه جُعِل في جَوْفِ طائر، ليأكل ويشَرب، كما فُعِل بالشَّهيد لكن الروحَ نفسَه طائرٌ يَعْلَق بشَجَرِ الجنّة، يَعْلَق بفتح اللامَ يُنشَب بها، ويَرَى مَقْعَدَه منها، ومن رواه: يَعْلُق فمعناه يُصيب العُلْقة، أي: ينال منها ما هو دون نَيْل الشهيد، فضرب العُلْقَة مثلاً، لأن من أصاب العُلْقة من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيرُه ممَّن أدرك الرَّغد، فهوَ مَثلٌ مَضروبٌ يُفْهَم منه هذا المعنى.

وإن كان أراد بِيَعْلُق الأكلَ نفسَه، فهو مخصوص بالشهيد، فتكون رواية مَنْ رواه بالضَّم للشهداء، ورواية الفتح لمن دونهم، فالله أعلم بما أراد رسوله من ذلك.

وقوله: ثم تأوِي إلى قَنَادِيلَ يُصَدِّقه قولُه تعالى عَزَّ وَجلَّ: ﴿والشُّهَداءُ عند ربهم لَهُم أجْرُهم ونورُهم﴾ [الحديد: ١٩]. وإنما تأوي إلى تلك القناديلِ ليلاً، وتَسْرحُ نهارًا، فتعلم بذلك الليلَ من النهارِ، وبعد دخول الجنّة في الآخرة، لا تأوي إلى تلك القناديل ـ والله أعلم ـ وإنما ذلك مُدَّةُ البَرْزَخِ هذا ما يدل عليه ظاهرُ الحديث. وقال مجاهد: الشهداء يأكلون من ثَمَر الجنَّة وليسوا فيها، وقد أنكر أبو عُمر قولَ مجاهد، وردَّه وليس بمنكَر عندي، ويشهد له ما وقع في مُسْنَد ابن أبي شَيْبَة وغيره عن النبيّ ـ ﷺ ـ قال: «الشهداء بِنَهَرٍ» أو «على نَهَر» يقال له: «بارقٌ عند باب الجنة في قِبَاب خُضْرٍ يأتيهم رزقُهم منها بُكْرَةً وعَشِيًّا»[2]، فهذا يبين ما أراد مجاهدٌ، والله أعلم.

وممَّا وقع السِّيرة أيضًا، ولم يذكره ابنُ هِشام حديث رواه ابن إسحٰق، قال: حدَّثني إسحٰق بنُ عبدِ الله بن أبي فروة، قال: حدّثني بعضُ أهلِ العلم أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الشهداءُ ثلاثةٌ، فأدنى الشهداءِ عند الله منزلةً رَجُلٌ خرج مسودًا بنفسه ورَحْلِه، لا يريد أن

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١٠٨) وابن ماجة (٤٢٧١) وأحمد (٣/ ٤٥٥) وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٥٦) ومالك في الموطأ (٢٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦) وابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٠) والحاكم (٢/ ٧٤) والطبراني (١٠/ ٤٠٥) وابن حبان (١٦١١ ـ موارد).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الحارث بن الفَضيل، عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشُهداء على بارق نهر بباب الجنَّة، في قُبَّة خَضراء، يخرج عليهم رزقُهم من الجنَّة بُكرة وعشيًا».

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مسعود أنه سُئل عن هؤلاء الآيات: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: أما إنَّا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أُصيب إخوانُكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجْواف طير خضر، تَرِد أنهار الجنَّة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قَناديل من ذهب في ظلّ العرش، فيَطّلع الله عزّ وجلّ عليهم إطّلاعةً فيقول: يا عبادي، ما تَشْتهون فأزيدكم؟ قال: فيقولون: ربَّنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنَّة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطَّلع الله عليهم اطلاعةً، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون، فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعْطيتنا، الجنة نأكلُ منها حيث شئنا! قال: ثم يطَّلع عليهم إطَّلاعة، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا. إلاّ أنّا نُحبّ أن تردّ أرواحُنا في أجسادنا، ثم نُردّ إلى الدنيا، فنقاتل فيك، حتى نُقتل مرّة أخرى.

يَقْتُلَ ولا يُقْتَل أتاه سَهْمٌ غَرْبٌ فأصابه، قال: فأوّلُ قَطْرَةٍ تَقْطر من دَمِه، يغفر الله بها ما تَقدَّم من ذَنْبِه، ثم يُهْبِطُ الله إليه جَسَدًا من السماء، فيجعل فيه رُوحَه، ثم يصعد به إلى الله، فمَا يمُرّ بسَماءٍ من السَّمٰواتِ إلا شَيَّعَته الملائكةُ، حتى ينتهي به إلى الله، فإذا انتهى به إليه وقع ساجِدًا، ثم يُؤْمَر به فيُكْسَى سَبْعين زَوْجًا من الاسْتَبْرَقِ»، ثم يقول رسول الله ﷺ: «كأحْسَنِ ما رأيتم من شَقَائِقِ النُّعْمَان». وحدَّث كعبُ الأَحْبَارِ عن قولِ - رسول الله عليه السلام - فقال كعب الأَحْبَار: أَجَلْ كأحْسَنِ ما رأيتم من شَقَائِق النُّعْمَانِ، ثم يقول: اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء، فاجعلوه معهم، فيؤتَى به إليهم من قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، في رَوْضَة خَضْرَاء عند باب الجنّة يخرج عليهم حُوتٌ ونَوْرٌ من الجنّة لَغدائِهم، فيلعبانهم، حتى إذا كثر عجبُهم منها طَعن الثَّوْرُ الحوتَ بقَرْنه، فبقَره لهم عما يَدَّعُون. ثم يروحان عليهم لعشائهم، فيلعبانهم، حتى إذا كثُر عجبُهم منهما ضرب الحوتُ الثورَ بذَنبه فَبقره لهم عَمَّا يَدَّعُون، فإذا انتهى إلى إخوانه سألوه تَسْألوا الراكبَ يَقْدَم عليكم ببلادكم، فيقولون: ما فعل فلانٌ؟ فيقول: أفلس، فيقولون: فما أهلَك مالَه فوالله إن كان لَكَيِّسًا جَمُوعًا تاجرًا، فيُقال لهم: إنّا لا نعدّ الفَلَسَ ما تَعُدُّون، وإنما نعدّ الفَلَسَ من الأعمال، فما فعل فلانٌ وامرأتُه فُلانة؟ فيقول: طَلَّقها، فيقولون: فما الذي نَزَل بَيْنَهما، حتى طلّقها، فوالله إن كان بها لَمُعْجَبًا؟ فيقولون: ما فعل فلانٌ؟ فيقولون: مات أيْهَات قبل بزمان، فيقولون: هلك والله ما سمعنا له بذكر، إن لله طريقين، أحدهما: علينا،

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعضُ أصحابنا، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أُبَشِّرك يا جابر؟» قال: قلت: بلى يا نبيّ الله؛ قال: «إنّ أباك حيث أُصِيب بأُحد أحياه الله عزّ وجلّ»، ثم قال له: ما تحبّ يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: أي ربّ، أحبّ أن تردّني إلى الدنيا فأُقاتل فيك، فأُقتل مرّة أخرى»[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عمرو بن عبيد، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نَفسي بيده، ما من مُؤمن يُفارق الدنيا يُحبّ أن يرجع إليها ساعة من نهار، وأن له الدنيا وما فيها إلاّ الشهيد، فإنه يحبّ أن يُردّ إلى الدنيا، فيُقاتل في سبيل الله، فيُقتل مرةً أخرى.

ذكر مَن خرجوا على الرسول إلى حمراء الأسد:

قال ابن إسحٰق: ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ والرسُولِ مِنْ بعْدِ ما أَصابَهُمُ القَرْحُ﴾ أي الجراح، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أُحد إلى حَمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح: ﴿لِلذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قال لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيمانًا وَقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا، النَّفر من عبد القيس، الذين قال لهم أبو سُفيان ما قال، قالوا إن أبا سُفيان ومن معه راجعون إليكم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعوا رِضْوانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ لما صرف الله عنهم من لقاء عدوّهم ﴿إنما ذلِّكم الشيطان﴾، أي لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ﴾: أي يرهبكم بأوليائه: ﴿فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الكُفْرِ﴾: أي المنافقون ﴿إِنَّهُمْ لَنْ

والآخر، يخالف بها عَنّا، فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا أمرَّ به علينا، فعَرفناه، وعَرَفنا متى مات، وإذا أراد الله بعبد شَرًّا خُولف به عنا، فلم نَسْمع له بذكر، هلك والله فلان، فإن هذا لأَدْنَى الشهداءِ عند الله نزلةً، وإن الآخر رجلٌ خرج مسودًا بنفسِه ورَحْلِه يحُب أن يَقْتُل، ولا يُقْتَل، أتاه سَهْمٌ غَرْبٌ فأصابه، فذلك رفيق إبراهيم خليل الرَّحمٰن يوم القيامة يَحُكُّ رُكْبَتاه رُكْبَتَيْه، وأفضل الشهداء: رجل خرج مسودًا بنفسه ورَحْله يُحِبُّ أن يَقْتُل وأن يُقْتَل، وقاتل حتى قَتَل قَعْصًا فذلك يبعثه الله يوم القيامة شاهرًا سيفَه، يتمنَّى على الله، لا يَسْألُه شيئًا إلا أعطاه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢/ ١٩٣).

يَضُرّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عذاب عظيم إن الَّذِين اشْتَرُوا الكُفر بالإيمانِ لنْ يَضرّوا اللَّهَ شيْئًا ولَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ وَلا يَحْسَبنّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُمْلي لَهُمْ خَيْرٌ لأنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُم لِيَزْدَادُوا إثْمًا ولَهُمْ عَذابٌ مُهَينِ ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ عَلَى ما أنْتُم عَلَيْهِ حتى يَميزَ الخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: أي المنافقين ﴿وما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ﴾ أي فيما يُريد أن يبتليكم به، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ أي يعلمه ذلك ﴿فآمِنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ أي ترجعوا وتتوبوا ﴿فَلَكُمْ أجرٌ عَظِيمٌ﴾.

ذكر مَن استشهد بأحد من المهاجرين[1]:

مـن بني هـاشم:

قال ابن إسحٰق: واستُشهد من المُسلمين يوم أُحد مع رسول الله ﷺ من المهاجرين من قُريش، ثم من بَني هاشم بن عَبد مناف: حَمزةُ بن عبد المطَّلب بن هاشم، رضي الله عنه؛ قتله وَحْشِيّ، غلامُ جُبير بن مُطعِم.

مـن بني أُمـيَّـة:

ومن بني أُميَّة بن عبد شمس: عبدُ الله بن جحْش، حليف لهم من بني أسد بن خُزيمة.

إيَّاه[2]. وقع في هذا الحديث ذكرُ الحوت ولَعِبه مع الثّور وقد خَرَّجه هَنَّاد بنُ السري بإسنادٍ حسنٍ في كتاب الرقاق له بأكثر مما وقع ها هنا، وفي الصحيحين منه ذُكِر أكلُ أهلِ الجنّة من كبدِ أوّلَ ما يأكلون، ثم يُنْحَر لهم ثَورُ الجنَّة، وفي هذا الحديث من باب التفكُّر والاعتبارِ أن الحوتَ لما كان عليه قررُ هذه الأرض، وهو حيوان سابح لِيَسْتَشْعِرَ أهلُ هذه الدارِ أنهم في منزلِ قُلْعةٍ، وليس بدارِ قرارِ، فإذا نُحِر لهم، قبل أن يدخلوا الجنّة، فأكلوا من كبِدِه، كان في ذلك إشعارٌ لهم بالرّاحة من دار الزّوَالِ، وأنهم قد صاروا إلى دارِ القرارِ، كما يُذْبَح لهم الكَبْشُ الأَمْلَحُ على الصِّراط، وهو صورةُ الموتِ لِيَسْتَشعروا أن لا مَوْتَ، وأما الثورُ فهو آلةُ الحَرْثِ، وأهلُ الدنيا لا يخلون من أحد الحَرْثَيْنِ، حَرْثٍ لدُنْيَاهم، وحرثٍ لأُخْرَاهُم، ففي نَحر الثَّوْرِ لهم هنالك إشعارٌ بإراحتهم من الكَدَّيْن وتَرفيهِهِم من نَصَبِ الحَرْثَيْن، فاعتبر، والله المستعان.

---

(١) انظر الواقدي (٢٩١) ابن سعد (٢/ ١/ ٢٩) تلقيح الفهوم (٢٢٤) البداية والنهاية (٤/ ٤٦) جوامع السيرة لابن حزم (٢٠٤).

(٢) أورده ابن حجر في المطالب (١٨٧٤) والهيثمي في المجمع (٥/ ٢٩١) والسيوطي في الدرّ المنثور (٢/ ٩٨). وقصة النور الذي يحمل الأرض ـ موضوعة ـ وكذلك قصة لعبه مع الحوت.

مـن بني عبد الدّار:

ومن بني عبد الدّار بن قُصيّ: مُصعب بن عُمير، قتله ابنُ قَمِئَة اللّيْثيّ.

مـن بني مخـزوم:

ومن بني مخزوم بن يَقَظة: شَمَّاس بن عُثمان. أربعة نفر.

مـن الأنصـار:

ومن الأنصار، ثم من بني عبد الأشْهل: عمرو بن مُعاذ بن النُّعمان، والحارث بن أنس بن رافع، وعُمارة بن زياد بن السَّكن.

قال ابن هشام: السَّكَن: بـنُ رافع بن امرىء القيس؛ ويقال: السَّكن.

قال ابن إسحٰق: وسَلَمة بن ثابت بن وَقْش، وعمرو بن ثابِت بن وَقْش. رجلان.

قال ابن إسحٰق: وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة: أن أباَهما ثابتًا قُتل يومئذ. ورفاعة بن وَقْش. وحُسَيْل بن جابر، أبو حُذيفة وهو اليَمان، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، فتصدّق حُذيفة بديته على مَنْ أصابه؛ وصَيْفيّ بن قَيْظِي. وحَباب بن قَيْظِي. وعَبّاد بن سَهْل، والحارث بن أوْس بن مُعاذ. اثنا عشر رجلاً.

مـن راتـج:

ومن أهلِ راتج: إياس بن أوْسِ بن عَتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زَعُوراء بن جُشم بن عبد الأشهل؛ وعُبيد بن التَّيِّهان.

قال ابن هشام: ويقال: عَتِيك بن التَّيِّهان.

وحبيب بن يَزيد بن تَيم. ثلاثة نفر.

إغفال ابن إسحٰق نسب عبيد بن التيهان:

فصل: وذكر ابن إسحٰق فيمن استشهد يوم أُحد عُبَيْدَ بنَ التَّيِّهَانِ. واسم التَّيِّهَان: مالِكٌ، ولم يرفع نَسَبَه، وكذلك فَعل في هذا النسب حيث وقع في هذا الكتاب، وهو نَسَبٌ مختلَف فيه، وقد رفعناه عند ذكر أبي الهَيْثَم، وذكرنا الخلافَ فيه هنالك.

وقـول كعب بن مـالك:

ولا مِـثْـل أَضْيَـافِ الأَرَاشِـيِّ مَـعْـشَـرا

مـن بني ظفـر:

ومن بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أُميَّة بن رافع. رجل.

مـن بني ضبيعـة:

ومن بني عمرو بن عوف، ثم من بني ضُبيعة بن زيد: أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد، وحَنظلة بن أبي عامر بن صيْفي بن نعمان بن مالك بن أمَة، هو غَسيل الملائكة، قتله شدّاد بن الأسود بن شعوب الليثي. رجلان.

قال ابن هشام: قيس: بن زيد بن ضُبيعة، ومالك: بن أُمة بن ضبيعة.

مـن بني عبيد:

قال ابن إسحٰق: ومن بني عُبيد بن زيد: أُنيس بن قتادة. رجل.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: أبو حَيَّة، وهو أخو سعد بن خيثمة لأُمه.

قال ابن هشام: أبو حَيَّة: بن عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحٰق: وعبد الله بن جُبير بن النُّعمان، وهو أمير الرماة. رجلان.

مـن بني السلـم:

ومن بني السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس: خَيْثمة أبو سعد بن خيثمة. رجل.

مـن بني العجـلان:

ومن حلفائهم من بني العَجْلان: عبدُ الله بن سَلَمة: رجل.

مـن بني معاويـة:

ومن بني مُعاوية بن مالك: سِبيع بن حاطب بن الحارث بن قَيس بن هَيْشة. رجل.

يعني: أبا الهَيْثَم، فجعله إرَاشِيًّا، وليست إراشة من الأنصار، ونسبه موسى بن عُقْبَة في جماعة معه إلى بَلِيّ، وقالوا: هو حَلِيفُ الأنصارِ، وليس من أنفسهم، وقال ابن إسحٰق والواقدي في المستهشد يوم أُحد: عُبَيْد بن التَّيِّهان، وقال ابنُ عُقبَة، وأبو معْشر، وابنُ عمارة: هو عَتِيكُ بن التَّيِّهَانِ.

مـن بني النجّـار:

قال ابن هشام: ويقال: سُوَيْبِق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشة.

قال ابن إسحٰق: ومن بني النَّجّار، ثم من بني سَوَاد بن مالك بن غَنْي: عمرو بن قَيس، وابنه قيس بن عمرو.

قال ابن هشام: عمرو بن قيس: بنُ زيد بن سواد.

قال ابن إسحٰق: وثابت بن عمرو بن زيد، وعامر بن مَخْلد. أربعة نفر.

مـن بني مبـذول:

ومن بني مَبْذول: أبو هُبيرة بن الحارث بن عَلقمة بن عمرو بن ثَقْف بن مالك بن مَبْذول، وعمرو بن مُطرّف بن عَلْقمة بن عمرو. رجلان.

مـن بني عمـرو:

ومن بني عمرو بن مالك: أوس بن ثابت بن المُنذر. رجل.

قال ابن هشام: أوس بن ثابت، أخو حسّان بن ثابت.

مـن بني عـديّ:

قال ابن إسحٰق: ومن بني عَدِيّ بن النَّجّار: أنس بن النَّضْر بن ضَمْضم بن زيد بن حَرام بن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النَّجّار. رجل.

قال ابن هشام: أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك: خادم رسولِ الله ﷺ.

مـن بني مـازن:

ومن بني مازن بن النَّجّار: قَيس بن مُخلَّد، وكيسان، عبد لهن. رجلان.

مـن بني دينـار:

ومن بني دينار بن النجّار: سُليم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو. رجلان.

أبو حنـة أو حبـة:

وذكر فيهم أبا حَبَّة الأنصاري البَدْرِيّ، وقال ابن هشام: أبو حَنَّة بن ثابت بالنون، وكذلك قال الواقدي، قال: ليس فيمن شَهِد يوم بدرٍ مَن اسمه أبو حَبَّة بالباء، وكذلك رَوى موسى بن عُقبة عن ابن شهاب: أبو حَنَّة بالنون شَهِد بدرًا، واستشهد يوم أُحد، وهو من

مـن بني الحـارث:

ومن بني الحارث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبي زُهير، وسَعْد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهير، دُفنا في قبر واحد، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب. ثلاثة نفر.

مـن بني الأبجـر:

ومن بني الأبجر، وهم بنو خُدْرة: مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، وهو أبو أبي سعيد الخُدريّ.

قال ابن هشام: اسم أبي سعيد الخدريّ: سنان، ويقال: سعد.

قال ابن إسحٰق: وسَعيد بن سُوَيد بن قَيْس بن عامر بن عَبَّاد بن الأبجر، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر. ثلاثة نفر.

مـن بني سـاعـدة:

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: ثَعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة، وثقْف بن فَرْوة بن البَديّ. رجلان.

مـن بني طـريـف:

ومن بني طَرِيف، رَهْط سعد بن عُبادة: عبدُ الله بن عمرو بن وَهب بن ثعلبة بن وقْش بن ثَعْلبة بن طريف، وضَمْرة، حليف لهم من بني جُهينة. رجلان.

مـن بني عـوف:

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني سالم، ثم من بني مالك بن العجْلان بن زيد بن غَنم بن سالم: نوفل بن عبد الله، وعبَّاس بن عُبادة بن نَضلة بن مالك بن العَجْلان، ونُعمان بن مالك بن ثَعْلبة بن فهر بن غَنْم بن سالم، والمُجذَّر بن ذِياد، حليف لهم من بَليّ، وعُبادة بن الحَسْحاسِ.

دُفن النُّعمان بن مالك، والمُجذّر، وعُبادة في قبر واحد. خمسة نفر.

الأوس، واسمه ثابت، وقيل: عَمْرو بن ثابت، والاخْتِلافُ في اسمه، وفي كُنْيَتِه كثيرٌ. وأما أبو حَبَّة المستشهد يوم اليمامة، فهو أبو حَبَّة بن غُزَيَّة بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل، ولم

مـن بني الحبلـى:

ومن بني الحُبلى: رِفاعة بن عَمْرو. رجل.

مـن بني سلمـة:

ومن بني سَلمة، ثم من بني حَرام: عبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثَعلبة بن حرام، وعمرو بن الجَموح بن زيد بن حرام، دُفنا في قبر واحد، وخلاَّد بن عَمْرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، وأبو أيمن، مولى عَمْرو بن الجَموح. أربعة نفر.

مـن بني سـواد:

ومن بني سَواد بن غَنم: سُليم بن عمرو بن حَديدة، ومولاه عَنترة، وسهل بن قَيس بن أبي كعب بن القين. ثلاثة نفر.

مـن بني زريـق:

ومن بني زُرَيق بن عامر: ذَكْوان بنُ عبد قَيْس، وعُبيد بن المُعلَّى بن لَوْذان. رجلان.

قال ابن هشام: عُبيد بن المُعَلَّى، من بني حبيب.

عـدد الشهـداء:

قال ابن إسحٰق: فجميع من استُشهد من المُسلمين مع رسول الله ﷺ من المُهاجرين والأنصار، خمسة وستون رجلاً.

مـن بني معاويـة:

قال ابن هشام: وممَّن لم يذكر ابن إسحٰق من السَّبعين الشهداء الذين ذكرنا، من الأوس، ثم من بني مُعاوية بن مالك: مالك بن نُمَيلة، حليف لهم من مزينة.

مـن بني خطمـة:

ومن بني خَطْمة ـ واسم خَطْمة: عبد الله بن جُشم بن مالك بن الأوس ـ الحارث بن عَدِيّ بن خَرَشة بن أُميَّة بن عامر بن خَطْمة.

يخالف في ذلك إلاّ من لا يُؤبه بقوله، واسمه: زَيْد بن غُزَيَّة بن عَمْرو، وهو من الخَزْرج، والأوّل من الأوْسِ، وقد قيل في الأوّل: أو حَيَّة بياء معجمة باثنتين، فالله أعلم.

مـن بني الخـزرج:

ومن الخزرج، ثم من بني سَواد بن مالك: مالك بن إياس.

مـن بني عمـرو:

ومن بني عمرو بن مالك بن النجّار: إياس بن عديّ.

مـن بني سالـم:

ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إياس.

ذكر مَن قتل من المشركين يوم أُحد:

من بني عبد الدّار:

قال ابن إسحٰق: وقُتل من المُشركين يوم أُحد من قُريش، ثم من بني عَبْد الدّار بن قُصَيّ من أصحاب الّلواء: طلحة بن أبي طَلْحة، واسم أبي طلحة: عبدُ الله بن عبد العُزَّى بن عُثمان بن عبد الدار، قتله عليّ بن أبي طالب، (و) أبو سعيد بن أبي طلحة، قتله سعدُ بن أبي وقّاص.

قال ابن هشام: ويقال: قتله عليٌّ بن أبي طالب.

قال ابن إسحٰق: وعثمان بن أبي طَلْحة، قتله حمزة بن عبد المُطّلب، ومسافع بن طلحة، والجُلاس بن طلحة، قَتلهما عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وكلاب بن طَلْحَة، والحارث بن طَلْحة، قَتلهما قُزمان، حليف لبني ظفَر.

قال ابن هشام: ويقال: قتل كلابًا عبدُ الرحمٰن بن عوف.

قال ابن إسحٰق: وأرطاة بن عَبْد شَرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار، قتله حمزة بن عبد المطّلب، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار، قتله قُزمان، وصُؤاب: غلام له حَبشيّ، قتله قُزمان.

وحَنَّة بالنون: دَيْرُ حَنَّة معروف بالشام، وحَنَّة أُمُّ مَرْيَمَ بنتِ عِمْرَان، وخَنَّة بخاء منقوطة بنتُ يَحْيَىٰ بن أَكْثَمَ القاضِي، وهي أُمُّ مُحَمَّدِ بن نَصر المَرْوَزِيّ الفقيه وجنّة بالجيم لا يعرف إلا أبو جنّة خالُ ذي الرُّمَّة الشاعر، قاله ابن ماكُولا.

قال ابن هشام: ويقال: قَتله عليُّ بن أبي طالب، ويقال: سعد بن أبي وقّاص، ويقال: أبو دُجانة.

قال ابن إسحٰق: والقاسط بن شُرَيح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار قتله قُزمان. أحد عشر رجلاً.

مـن بني أسـد:

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ: عبدُ الله بن حُميد بن زُهير بن الحارث بن أسد. قتله عليُّ بن أبي طالب. رَجل.

مـن بني زهـرة:

ومن بني زُهْرة بن كلاّب: أبو الحَكَم بن الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثَّقفي، حليف لهم، قتله علي بن أبي طالب، وسباع بنُ عبْد العُزَّى ـ واسم عبد العُزَّى: عَمْرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سليم بن مَلَكان بن أفْصى ـ حليف لهم من خُزاعة، قتله حمزةُ بن عبد المطَّلب. رجلان.

مـن بني مخـزوم:

ومن بني مخزوم بن يَقظة، هشام بن أبي أُميَّة بن المُغيرة، قتله قُزْمان، والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة، قتله قُزْمان، وأبو أُميَّة بن أبي حُذيفة بن المغيرة، قتله عليُّ بن أبي طالب، وخالد بن الأعْلم، حليف لهم، قَتله قزمان. أربعة نفر.

مـن بني جمـح:

ومن بني جُمَح بن عمرو: عمرو بن عبد الله بن عُمَير بن وهب بن حُذَافة بن جمحَ، وهو أبو عَزّة قَتله رسولُ الله ﷺ صَبْرًا، وأُبَيّ بن خَلف بن وَهْب بن حذافة بن جُمح، قتله رسول الله ﷺ بيده. رجلان.

مـن بني عامـر:

ومن بني عامر بن لؤيّ: عُبيدة بن جابر، وشيبة بن مالك بن المَضرَّب، قتلهما قُزمان. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: قتل عُبيدةَ بن جابر عبدُ الله بن مسعود.

وذكر فيمن استشهد يوم أُحد عبدَ الله بن سَلَمة العَجْلاَني، سَلَمَةُ بفتح اللام تقيد في الأصل، وفي الأصول الصِّحاح من رواية ابن هشام، وذكره الدَّارَقُطْنِي في باب سَلِمَة بكسر

عـدد قتلـى المشركين:

قال ابن إسحٰق: فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحد من المشركين، اثنان وعشرون رجلاً.

اللام، وأخبر أنها رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحٰق، وكذلك ذكر أبو عُمَر أيضًا أنها رواية إبراهيم بن سعد، والله أعلم.

ذكر ما قيل من الشعر يوم أُحُد

شعر هبيرة:

قال ابن إسحٰق: وكان مما قيل من الشعر في يوم أُحُد، قولُ هُبَيْرَةَ بن أبي وَهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مخزوم ـ قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم:

ما بالُ هَمٍّ عمِيدٍ باتِ يَطْرُقني	بالوُدّ من هندَ إذْ تَغدو عَواديها
باتَتْ تُعاتِبني هندٌ وتَعْذُلني	والحربُ قد شُغِلَت عني مواليها
مَهْلاً فلا تَعْذُليني إنَّ من خُلُقِي	ما قد عَلِمْتِ وما إن لستُ أُخْفيها
مُساعِفٌ لبَني كَعْبٍ بما كَلِفُوا	حَمَّالُ عِبْءٍ وأثْقالٌ أُعانِيها
وقد حملتُ سلاحي فوق مُشْتَرَف[1]	ساطٍ[2] سَبوحٍ[3] إذا تَجْرِي يُباريها
كأنَّه إذْ جَرى عَيْر بفَدْفَدة[4]	مُكَدَّمٌ[5] لاحِقٌ بالعُون يَحْمِيها
من آل أعوجَ يَرْتاح النَّديّ له	كجِذْع شَعْراء مُسْتَغْلٍ مَراقِيها
أعْدَدْتُهُ ورِقاقَ الحَدّ مُنْتَخَلا	ومارِنًا[6] لخُطُوبٍ[7] قَدْ أُلاقِيها

شرح ما وقع في هذه الغزوة من الأشعار

وقد شرطنا الإضراب عن شَرْح شِعْر الكَفَرة والمفاخرين بقتال النبيّ ـ ﷺ ـ إلاّ مَنْ

---

(١) مشترف: ترس كبير.

(٢) ساطٍ: بعيد الخطو.

(٣) سبوح: سريع غير مضطرب في جريه.

(٤) فدفدة: ضرب البعير بأقدامها.

(٥) مكدم: كثير العض متمرّس في القتال.

(٦) مارنًا: رمح صلب.

(٧) الخطوب: الأمور العظام.

هذا وبَيْضاءَ مثل النَّهي مُحْكَمة نيطت[1] عليّ فما تَبْدو مساوِيها
سُقْنا كِنانة من أطراف ذِي يَمَن عُرْضَ البِلاد على ما كان يُزْجِيها
قالت كِنانةُ: أنى تَذْهبون بِنا؟ قُلْنا: النُخَيل، فأمُّوها ومَن فِيها
نحن الفَوارس يوْمَ الجَرّ من أُحُد هابتْ مَعَدٌ فقُلنا نحن نَأْتِيها
هابُوا ضِرابًا وطَعْنًا صادِقًا خَذِمًا[2] ممَّا يَرَوْن وقد ضُمَّت قَواصيها
ثُـمَّـتَ رُحْنا كأنَّا عارِضٌ بَـرِدٌ وقام هامُ بَني النَّجَّار يَبْكيها
كأنّ هامَهُم عند الوَغَى فِلَقٌ من قَيْض رُبْدٍ[3] نَفَتْهُ عن أداحِيها
أو حَنْظَلَ ذَعْذَعَتْه الرّيحُ في غُصُن بالٍ تَعاوَره[4] مِنها سَوَافِيها[5]
قد نبذُلُ المَال سَحًّا[6] لا حِسابَ له ونَطْعن الخيل شَزْرًا في مآقِيها
وليلةٌ يَصْطلي بالفرْث جازِرُها[7] يَخْتصّ بالنَّقرى[8] المُثرِينَ داعِيها
ولَيْلةٍ مِن جُمادَى ذاتِ أنْدِيةِ جَرْبَا جُمادِيَّة قد بِتُّ أسْرِيها

آمَنَ منهم، لكنه ذكر في شعر هُبَيْرَة الذي بدأ به بيتين ليسا من شعره، فلذلك ذكرتهما، وهما:

ولَيْلةٍ يَصْطَلي بالفَرْثِ جازِرُها يخْتَصُّ بالنَّفري المُثْرِين دَاعِيها
في ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أَندِيةٍ جَرْبا جُمَادِيَّةٍ قد بِتُّ أَسْرِيها

قوله: يَصْطَلي بالفَرْثِ، أي: يَسْتَدْفِيءُ به من شِدَّة البرد.

حول جمع ندى وأسماء الشهور:

وقوله: يَخْتَصُّ بالنَّفَري المثرين، يريد يَخْتَصُّ الأغنياءَ طَلَبًا لمكافأتهم، وليأكُلَ عندهم، يصف شِدَّة الزمان، قاله يعقوب في الألفاظ، ونسبَهما للهُذَلِيّ، وكذلك قال ابن هشام في هذين البيتين أنهما ليسا لهُبَيْرَة ونسبهما لجَنُوبَ أختِ عَمْرو ذي الكلِب الهُذَلِيّ.

وقوله: ذات أنْدِيَةٍ[9]: جمع نَدى على غير قياس، وقد قيل: إنه جَمْع الجَمْع كأنه

---

(١) نيطت: حث.
(٢) خذمًا: قاطعًا.
(٣) ربد: غبار.
(٤) تعاوره: تداوله.
(٥) السوافي: الإبل الريضة.
(٦) سحًا: مستمرًا دون انقطاع.
(٧) جازرها: ما يُجزر من النوق.
(٨) النقرى: العيب.
(٩) انظر شرح الشافية (٤/ ٢٧٧).

لا يَنبح الكلبُ فيها غيرَ واحدة من القَريس[1] ولا تَسْري أفاعِيها
أوْقَدتْ فيها لذي الضَّرَّاء جاحمة[2] كـالـبرق ذاكيـةَ الأركـان أحمـيـهـا
أوْرَثـنـي ذاكُـم عَـمْـرٌو ووالـدُه من قبـلـه كـان بـالـمـثْنى يُغاليـهـا
كـانـوا يُبـارون أنْـواء الـنُّـجـوم فـمَـا دنَّـتْ عـن السَّوْرة العُليا مساعيها

شعر حسَّان في الردّ على هبيرة:

قال ابن إسحٰق: فأجابه حَسَّان بن ثابت، فقال:

سُقْتُمْ كِنانة جَهْلاً من سَفاهتكم إلـى الـرَّسـول فـجُـنْـدُ الله مُخْزِيـهـا
أوْرَدْتموها حِياضَ الموْت صاحِية فـالـنَّـارُ مَـوْعِـدهـا، والـقـتْـل لاقِـيـهـا
جَمَّعتُموها أحابِيشًا بلا حَسَبٍ أئـمَّـة الـكُـفْـر غَـرَّتـكـم طـواغـيـهـا
ألا اعْـتَـبـرتـم بـخَـيْـل الله إذْ قَـتَـلَـتْ أهـلَ الـقَـلـيـب وَمَـن أَلْـقَـيـنـه فِـيـهـا
كـم مـن أسِـيـرَ فَـكَـكْـنـاهُ بـلا ثَـمَـنٍ وجَـزّ نـاصِـيـةٍ كُـنَّـا مَـوَالـيـهـا

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاريّ لكَعب بن مالك:

قال ابن هشام: وبيتُ هُبيرة بن أبي وهب الذي يقول فيه:

ولَـيْـلةٍ يَـصْطَلي بـالـفَـرْث جازِرُها يَـخْـتَـصُّ بـالـنَّـقـرَى المُـثـرِين داعيـهـا

يروى لجَنوب، أخت عمرو ذي الكَلْب الهُذليّ، في أبيات لها في غير يوم أُحد.

جمع نَدَى على نداء مثل جَمَلٍ وجِمَالٍ، ثم جمع الجمع على أَفعِلة، وهذا بعيد في القياس، لأن الجمع الكثيرَ لا يُجمع، وفِعال من أبْنِية الجمع الكثير، وقد قيل: هو جَمْع نَدِيّ والنَّدِيُّ المجلس، وهذا لا يُشبه معنى البيت، ولكنه جمع جاء على مثال أَفْعِلَة، لأنه في معنى الأَهْوِية والأَشْتِيَةِ ونحو ذلك، وأقرب من ذلك أنه في معنى الرِّذَاذ والرَّشَاش، وهما يجمعان على أفعِلة، وأراد بجُمَادَى الشَّهرَ، وكان هذا الاسمُ قد وقع على هذا الشهر في زمن جُمُودِ الماء، ثم انتقل بالأَهِلَّةِ وبقي الاسم عليه، وإن كان في الصيف والقَيْظِ، وكذلك أكثرُ هذه الشهورِ العربية سمّيت بأسماء مأخوذةٍ من أحوال السنَةِ الشمسية، ثم لزمتها، وإن خَرَجَتْ عن تلك الأوقات.

---

(١) القريس: البرد الشديد.
(٢) جاحمة: جمر شديد الاشتعال.

شعر كعب في الردّ على هبيرة

قال ابن إسحٰق: وقال كعبُ بن مالك يُجيب هُبيرة بن أبي وهب أيضًا:

ألا هل أتى غسَّانَ عنَّا ودُونهم	مِنَ الأرض خَرق سَيْرُهُ مُتَنَعْنِع
صَحارٍ وأعْلامٌ كأنَّ قَتامَها[1]	من البُعْد نَقْعٌ هامدٌ مُتَقطع
تَظَلّ به البُزْلُ العرَامِيس[2] رُزَّحًا	ويَخْلو به غَيْث السِّنينَ فيُمْرِع
به جِيَفُ الحَسْرَى يَلُوح صَلِيبُها	كما لاح كَتَّانُ التِّجار المُوَضَّع
به العِينُ والآرامُ[3] يَمْشين خِلْفَةً	وبَيْضُ نَعام قَيْضُه يتَقَلَّع
مَجالِدُنا عَنْ دِيننا كُلُّ فَخْمةٍ	مُذَرَّبةٍ[4] فيها القَوانِسُ[5] تَلْمَع
وكل صَمُوتٍ في الصَّوَانِ كأنَّها	إذا لُبِسَت نَهْيٌ مِن الماء مُتْرَع[6]

شرح شعر كعب

وذكر شعر كعب بن مالك يجيب هُبَيْرَةَ وأوّله: ألا هل أتى غَسَّانَ. وقد افتتح قصيدة أخرى في أشعار بدر بهذا اللفظ، فقال:

ألا هل أتى غَسَّان في نَأيِ دَارِها

وإنما يذكر غَسَّان لأنهم بَنُو عَمِّ الأنصارِ، والأنصارُ بَنُو حارثة بن ثَعْلَبَةَ بن عَمْرو بن عَامر.

والذين بالشام بنو جَفْنَة بن عَمْرو بن عَامِر، والكُلُّ غسَّانُ، لأن غَسَّانَ ماءٌ شَرِبوا منه حين ارتحالِهم من اليَمن فسُمُّوا به.

وقوله: سَيْرَهُ مُتَنَعْنِعُ، أي: مُضطَرِبٌ. وقوله: العَرَامِيسُ: جمع عِرْمِس، وهي الناقة القوية على السير.

وقوله: قَيْضُه يَتَفَلَّع، أي: يَتَشَقَّقُ، والقَيْضُ: قُشُورُ البَيْضِ، والقَوَانِسُ: جمع قَوْنَسٍ، وهي: بَيْضَةُ السِّلاح.

وقوله: وكلُّ صَمُوتٍ في الصَّوَانِ، يعني: الدِّرْعَ جعلها صَمُوتًا لشدة نَسْجِها وإحكام

(١) قتامها: غبارها.
(٢) البزل العراميس: نوع من الوعول.
(٣) الأرام: حجارة تُنصب ليُهتدى بها.
(٤) مذربة: الذرب: هدة اللسان.
(٥) القوانس: كالقلنصوة على الرأس.
(٦) مترع: مليء.

ولكن ببَدْر سائلُوا مَن لَقِيتُمُ ... مِن النَّاس والأنباء بالغيب تَدْفع
وإنَّا بأرض الخَوْف لو كان أهلها ... سوانا لقد أجْلَوا بلَيْل فأقْشَعُوا
إذا جاء مِنَّا راكبٌ كان قولُه ... أعدّوا لما يُزْجِي ابنُ حرب وَيجمَع
فمَهْما يُهِمُّ النَّاسَ مما يَكِيدُنا ... فنحن لهُ مِن سائر النَّاس أوْسَع
فلو غيرُنا كانت جميعًا: تكيدُه الـ ... ـبريَّة قد أعْطَوْا يدًا وتوزّعوا
نُجالِد لا تَبْقى علَيْنا قَبيلَةٌ ... من النَّاس إلا أنْ يهابوا ويَفْظُعوا
ولمَّا ابْتَنَوْا بالعرْض قال سَراتُنا ... عَلامَ إذا لم تمْنعَ العِرْضَ نَزْرَع؟
وفينا رسولُ الله نَتبع أمْره ... إذا قال فِينا القَوْل لا نتطلّع
تَدَلَّى عليه الرُّوحُ من عندِ ربِّه ... يُنَزَّل مِن جَوّ السَّماء ويُرْفَع
نُشاوِره فِيما نُريد وقَصْرُنا ... إذا ما اشتهى أنَّا نُطِيع ونَسْمَع
وقال رسولُ الله لما بَدَوْا لَنا ... ذَرُوا عنكم هَوْل المنيّات واطْمعوا
وكُونوا كمَنْ يَشْرِي الحياةَ تَقرُّبًا ... إلى مَلِك يُحْيا لَدَيه ويُرْجَع
ولكن خُذُوا أسْيافكم وتوكّلوا ... على الله إنّ الأمْرَ لله أجمَعُ
فسِرْنا إليهم جَهْرَةً[1] في رِحالِهم ... ضُحَيًّا علَيْنا البِيضُ[2] لا نتخشَّع[3]
بِمَلْمُومَةٍ فيها السَّنوْرُ[4] والقَنا ... إذا ضَربوا أقْدامَها لا تَوَرَّع
فجِئْنا إلى مَوْج من البحر وَسْطَه ... أحابيشُ منهم حاسرٌ ومُقَنَّع
ثلاثة آلاف ونحنُ نَصِيَّةٌ ... ثلاث مئينٍ إن كَثُرنا وأربع
نُغاورهم تَجْري المنيَّة بيننا ... نُشارعهم حوضَ المَنايا ونَشْرع
تَهادَى قِسِيُّ النَّبْع فِينا وفِيهمُ ... وما هو إلاّ اليَثْرِبيّ المُقَطَّع
ومَنْجوفَةٌ[5] حِرْمِية صاعِدِيَّة ... يُذَرّ علَيها السَّمُّ ساعة تُصْنَع

صَنْعَتِها، والنِّهْيُ والنَّهْيُ: الغَدِيرُ، سُمِّي بذلك، لأن ماءَه قد مُنِع من الجَرَيَانِ بارتفاع الأرْضِ، فغادره السَّيْلُ، فسُمِّي غَدِيرًا، ونَهَتْه الأرضُ فسُمِّي نَهْيًا.

وقوله: ومَنْجوفَةٌ، مَفْعُولة من نَجَفْتُ: إذا حَفَرْتُ، ويكون أيضًا من نَجَفْتَ العنز إذا

---

(١) جهرة: علناً.
(٢) البيض: السيوف.
(٣) نتخشع: نخاف ونضطرب.
(٤) السنور: كل سلاح من حديد.
(٥) منجوفة: سهم له نصال عريض.

تَصُوبُ بأبدان الرِّجَالِ وَتَارَةً تَمُرُّ بأَغراضِ البِصَار تَقَعْقع[1]

وخَيْلٌ تَراها بالفَضاء كأنها جَرَاد صَبًا في قَرَّةٍ يَتَريَّع

فلمَّا تَلاقَيْنا ودارتْ بنا الرَّحى وليس لأمْرٍ حَمَّه الله مَدْفع

ضَرَبْناهُم حتى تركْنا سَرَاتَهم كأنهمُ بالقاع خُشْب مُصَرَّع

لَدُن غُدوةً حتى استَفَقْنا عشِيَّةً كأنَّ ذَكانا حَرُّ نار تلَفَّع

وراحوا سِراعًا مُوجِفين كأنهم جهَامٌ[2] هراقت ماءَه الريحُ مُقْلع

ورُحنا وأُخْرَانا بِطاءٌ كأنَّنا أسودٌ على لحم ببيشة[3] ظلَّع

فَنلْنا ونال القومُ منَّا وربما فَعلْنا ولكن ما لدى الله أوسع

ودارتْ رَحانا واستدارت رَحاهُم وقد جُعلوا كُلٌّ من الشَّرّ يَشْبَع

ونحن أُناس لا نرى القَتْل سُبَّةً على كُلّ مَنْ يحْمِي الذُّمارَ[4] ويمْنَع

جِلادٌ على رَيْب الحوَادِث لا نَرَى على هالكٍ عَيْنًا لنا الدَّهرَ تَدْمَع

بنو الحَرْبِ لا نَعْيا بشيءٍ نَقُوله ولا نحن بما جَرّت الحربُ نجْزَع

بنو الحَرْبِ إنْ نَظْفَرْ فلَسْنا بفُحَّش ولا نحنُ مِن أظْفارها نَتوجَّع

وكُنَّا شِهابًا يتَّقي النَّاسُ حَرّه ويَفْرُجُ عنه من يَليه ويَسْفع

شددتَها بالنِّجَافِ، وهو الحَبْلُ، فإن كان أراد الرِّماح، فمعنى قوله: مَنْجُوفَة، أي: مَشْدُودَة مُثَقَّفَة، وإن كان أراد أَسِنَّتَها، فهي أيضًا مَنجُوفَةٌ، من نَجَفْتُ إذا حفرت، لأن تَغلَبَ الرُّمح داخل في الحَدِيدة، فهي مَنْجُوفَةٌ له، وإن كان أراد السيوفَ، فَمَنْجُوفَةٌ، أي: كالمَحْفُورَةِ، لأن مُتُونَها مَدُوسَةٌ مَضْرُوبة بمطَارِقِ الحَدِيد، فهي كالمَحْفُورة.

وقوله:

تَصُوبُ بأبْدَانِ الرِّجَالِ وتارَة تمر بأَغرَاضِ البِصَارِ تَقَعْقَعُ

يقول: تَشُقُّ أبدانَ الرِّجال حتى تبلغ البِصَارَ فَتَقَعْقَعُ فيها، وهي جمع بَصْرَةٍ، وهي حِجَارَةٌ لَيِّنَة، ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة، مثل كَريمة، وكِرام، والبَصيرةُ الدِّرْعُ، وقيل: التُّرْسُ، والبَصِيرةُ أيضًا: طريقةُ الدَّم في الأرْضِ، فإن كانت في الجسَد، فهي جَديَّة، ولا معنى لها في هذا البيت.

---

(١) تقعقع: تضطرب.

(٢) جهام: سحاب لا ماء فيه.

(٣) بيشة: نبات فيه سم.

(٤) الذمّار: كل ما يُحمى ويُحافظ عليه.

فخَرْتَ عليّ ابنَ الزّبعرى وقد سرى　　لكم طَلَبٌ مِن آخر اللّيل مُتْبع
فسَلْ عنك في عُلْيا مَعدٍّ وغيرِها　　منَ الناسَ مَنْ أحزَى مقامًا وأشْنَعَ
ومَنْ هو لم تَتْرك له الحربُ مَفْخرًا　　ومَن حدُّه يوْمَ الكريهة أضْرَع
شَدَدْنا بِحَوْلِ اللهِ والنَّصْرِ شَدَّةً　　عليكم وأطراف الأسِنَّةِ سُرَّع
تَكُرّ القَنا فيكُمْ كأنّ فُروعها　　عَزَ إلى مَزَادِ ماؤُها يَتَهَزَّع
عَمَدْنا إلى أهلِ اللّواء ومن يَطِرْ　　بذِكْر اللّواء فهو في الحَمد أسْرَع
فخانوا وقد أعْطَوْا يَدًا وتخاذَلُوا　　أبى الله إلاّ أمْرَه وهو أصْنع

قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال:

مُجالَدُنا عن جِذْمنا كلّ فخمة

فقال رسولُ الله ﷺ: «أيصلح أن تقول: مجالدنا عن ديننا؟» فقال كعب: نعم؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «فهو أحسن»؛ فقال كعب: مجالدنا عن ديننا.

شعر لابن الزبعرى

قال ابن إسحٰق: وقال عبدَ الله بن الزّبَعْرَى في يوم أُحد:

يا غُرابَ البَيْن أسْمَعْتَ فقُلْ　　إنما تَنْطِق شيئًا قد فُعِلْ

شرح شعر ابن الزبعرى

وقول ابن الزِّبَعْرَى:

يا غُرَابَ البَيْنِ أسْمَعْتَ، فقل　　إنما تَنْطِق شَيئًا قد فُعِل

إقرار الجاهلية بالقدر:

قوله: قد فُعِل: أي: قد فُرغَ منه، وقد كانوا في الجاهلية يقِرُّون بالقَدَرِ، وقال لَبِيدُ في الجاهلية:

إنْ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ　　وبإذن الله رَيْثِي والعَجَلْ
مَن هداه سُبَلَ الخير اهتَدَى　　ناعِمَ البالِ ومَنْ شاء أَضَلْ

وقال راجِزُهُم:

يا أيها اللائمُ لُمْنِي، أو فَذَرْ　　إن كُنْت أَخْطأْتُ فما أَخْطَا القَدَر

إنَّ لـلـخَـيْـر ولـلـشَّـرّ مَـدًى ... وكِــلا وَجْــهٌ وقَــبَــلْ

والـعَـطِـيَّاتُ خِـسَـاسٌ[1] بـيـنـهـم ... وسَــواء قَــبْـر مُـثْـرٍ ومُـقِـلْ

كـلُّ عَـيْـشٍ ونَـعِـيـم زائـلٌ ... وبـنـاتُ الـدّهـر يَـلْعَبْنَ بِـكُـل

أبْـلِـغَـنْ حَـسَّـانَ عـنّـى آيَـةً ... فقَرِيض الشّعْر يَشْفِي ذا الغُلَل

كـم تَـرى بـالـجَـرّ مـن جُـمْـجُـمـة ... وأكُــفٌ قــد أُتِــرَّتْ ورِجَــل

وسَـرَابـيـلَ حِـسـانٍ سُـرِيَـتْ ... عن كُماة أُهْلكوا في المُنْتَزَل

كـم قَـتَـلْـنـا مِـنْ كَـرِيـم سَـيِّـد ... مـاجـدِ الـجَـدّيـن مِـقْـدام بَـطـل

صـادِق الـنَّـجْـدة قَـرْمٍ بـارعٍ ... غير مُلْتاثٍ[2] لَدَى وَقْع الأسَل[3]

فَـسَـلِ الـمِـهْـرَاس مَـنْ سـاكِـنُـه؟ ... بـيـن أقْـحـافٍ وهـامٍ كـالـحَـجَـل

لَـيْـت أشْـيـاخـي بـبـدْر شَـهِـدُوا ... جَـزَعَ الـخَـزْرج مَـنْ وَقْـع الأسَـل

حـيـن حَـكَّـت بـقُـبـاءٍ بَـرْكَـهـا ... واستَحَرّ القَتْل في عبد الأشَل

ثُـمَّ خَـفُّـوا عـنـد ذاكـم رُقَّـصًـا ... رَقَصَ الحَفَّان يعلو في الجَبَل

فـقَـتَـلْـنـا الـضِّـعْـفَ من أشْـرَافـهـمْ ... وعَـدَلْـنـا مَـيـلَ بَـدْرٍ فـاعـتَـدَل

لا أُلُــوم الــنَّــفْــس إلا أنَّــنــا ... لـو كَـرَرْنـا لَـفَـعَـلْـنـا الـمُـفْـتَـعَـل

بـسُـيـوفِ الـهـنْـد تَـعْـلـو هـامَـهـم ... عَـلَـلاً تَـعْـلُـوهـم بـعـد نَـهَـل

وقوله: غَيْرُ مُلْتَاثٍ، هـو مُفْتَعَلٌ من اللَّوْثَةِ كما قال الضَّبِّي:

عـنـد الـحَـفِـيـظَـةِ إنْ ذِي لُـوثَـةٍ لانـا

والمِهْرَاسُ: حَجَرٌ مَنْقُورٌ يمسك الماءَ، فَيُتَوضَّأ منه، شُبِّه بِالمهْرَاسِ الذي هو الهاوُون، ووَهِمَ المُبَرِّدُ، فجعل المهْرَاسَ اسْمًا عَلَمًا لِلْمِهْرَاسِ الذي بِأُحُدٍ خاصَّةً، وإنما هو اسم لكل حَجَرٍ نُقِر فأمْسَك الماءَ. ورَوى ابنُ عُبْدُوسٍ عن مالِكٍ أنه سُئل عَن رَجُلٍ يمر بمِهْراسٍ في أرض فَلاَةٍ كيف يَغْتَسِل منه؟ فقال مالك: هَلاً قلت مَرَّ بغَدِيرٍ، ومَنْ يجعل له مِهْرَاسًا في أرْضٍ فَلاَة؟ فهذا يبيّن لك أن المِهْرَاسِ ليس مخصوصًا بالمِهْرَاسِ، الذي كان بأُحُدٍ، وكذلك وَقَع في غَريبِ الحديث أن النبيّ - ﷺ - مَرَّ بقوم يَتَجاذَوْنَ مِهْرَاسًا أي: يرفَعُونه.

---

(١) خساسٌ: ناقصات.

(٢) ملتاث: بطيء.

(٣) الأسل: الرماح.

ردّ حسّان على ابن الزبعرى

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ رضي الله عنه، قال:

ذهبَتْ يا ابن الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ ... كان منّا الفَضْلُ فيها لو عَدَل
ولقد نِلْتُمْ ونِلْنا منكُمُ ... وكَذاكَ الحربُ أحيانًا دُوَل
نضَعُ الأسْيافَ في أكْتافكم ... حيثُ نَهْوِي عَلَلاً بعد نَهَل
نُخْرِجُ الأصبحَ من أستاهكم ... كسُلاحِ النِّيبِ يأكُلْنَ العَصَل
إذْ تُوَلُّونَ عَلَى أعْقابِكُمْ ... هُرَّبًا من الشِّعْب أشْباه الرَّسَل
إذْ شَدَدْنا شَدَّةً صادِقَةً ... فأجأناكم إلى سَفْحِ الجَبَل
بخَناطِيلَ[1] كأشرافِ المَلاَ ... مَنْ يُلاَقُوه مِنَ النَّاس يُهَلْ
ضاقَ عنّا الشِّعْبُ إذ يَجْزَعُه ... ومَلأْنا الفَرْطَ[2] منه والرّجَل

شعر حسّان يردّ به على ابن الزبعرى

قول حَسَّانٍ يجيبه:

هُرَّبًا في الشِّعْبِ أَشباه الرَّسَلْ

يعني: الغَنَمَ إذا أرسلها الراعي، يقال لها حينئذ: رَسَل.

وقوله: كأشْرَافِ الْمَلا، الأشْرَافُ: جمع شَرَفٍ، وهو الشَّخْصُ، والملا: ما اتَّسَع من الأرض، ويريد بالأشراف هاهُنا أشْخَاصَ الشَّجَرِ وأصولهَا.

وقوله: يُهَلّ، أراد: فيُهَال ثم جزم للشرط، فانحذفت الألفُ لالتقاء الساكنين، وهو من الهَوْل، يقال: هالني الأمر يَهُولني هَوْلاً إذا أَفْزَعَك.

وقوله: وملأنا الفَرْطَ، أراد: الفَرَطَ بتحريك الراء، وهي الأكَمَةُ، وما ارتفع من الأرض، والرَّجَلُ: جمع رَجْلَةٍ، وهو المُطْمَسُ من الأرض، والرَّجْلَة أيضًا في معنى الرِّجْلِ من الجَرَادِ، قال الشاعر:

وتحت نُحورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ

يريد بالحَرْشَفِ جَمَاعَةَ الرُّبَا، وهم صِغَار الجَرَادِ، ضَرَبهم مَثَلاً للرَّجَّالة والرُّمَاةِ، وجمع الفَرَطِ: أَفْرَاطٌ.

---

(١) خناطيل: دواهي.

(٢) الفرط: الصغير.

بِـرجـالٍ لَـسْـتُـم أمْـثـالَـهُـمْ أُيِّـدُوا جِـبْـرِيـلَ نَـصْـرًا فَـنَـزَل
وعَـلَـوْنـا يَـوْمَ بَـدْرٍ بـالـتُّـقَـى طـاعـةِ اللهِ وتَـصْـديـق الـرُّسُـل
وقَـتَـلْـنـا كُـلَّ رأسٍ مِـنْـهُـمُ وقَـتَـلْـنـا كُـلَّ جَـحْـجـاحٍ[1] رِفَـل
وتَـرَكْـنـا فـي قُـرَيْـشٍ عَـوْرَةً يَـوْمَ بَـدْرٍ وأحـادِيـثَ الـمـثَـل
ورَسُـولُ اللهِ حَـقًّـا شـاهِـدٌ يَـوْم بَـدرٍ والـتَّـنـابـيـل الـهُـبُـل
فـي قُـرَيْـشٍ مـن جـمـوع جُـمِّـعُـوا مثل ما يُجمع في الخِضب الهَمَل[2]
نـحـن لا أمـثـالُـكُـمْ وُلْـدَ اسْـتِـهـا نَـحْـضُـرُ الـنـاسَ إذا الـبـأسُ نَـزَل

وقوله: وُلْدَ اسْتِها: كلمةٌ تقولها العربُ عند السَّبِّ، تقول: يا بَنِي اسْتِها، والوُلْد: بمعنى الأولاد. وكتب أهل دِمَشْقَ إلى أهلِ مزَّةَ وهي على فَرْسَخٍ من دِمَشْقَ وكانوا أمسكوا عنهم الماءَ فكتبوا إليهم: من أهل دِمَشْقَ إلى بَنِي اسْتها.

وبعد: فأمَّا إن يُمَسِّينَا الماءُ وإلاَّ صَبَّحَتْكُم الخَيلُ. ذكره الجاحظ[3].

متى يضر حذف حرف الجر؟:

وقوله في المؤمنين: أُيِّدُوا جِبْرِيلَ، أي: أُيِّدُوا بجبْريل، وحُذِف الجارُّ فتعدَّى الفعلُ فنَصَبَ، ولا يَضُرُّ هذا الحذفُ إلا أن يكونَ الفعلُ المتعدِّي بحرفِ جرٍّ مُتَضَمِّنًا لمعنى فعل آخر ناصبٍ، كقولهم: أمرتك الخيرَ أي كلَّفتكَ الخيرَ وألْزَمْتُكَهُ، ولا يستقيم نَهَيْتُك الشرَّ إذ ليس في معنى نَهَيْتُكَ فعلٌ. ناصبٌ وقوله: أُيِّدُوا جبْرَيل، أي: أُصْحِبُوه، ونحو هذا، فحسُنَ حذفُ الباء لهذا.

عـود إلى شعـر حسَّـان:

وقـول حسَّان:

نُـخْـرِجُ الأضْـبَـح مـن اسْـتَـاهِـكُـم

رواه أبو حنيفة: نخرج الأضْيَاحَ، وهو اللبن الممزوج بالماء، وهو في معنى الأضْبَح، لأن الصُّبْحة بياضٌ غير خالص، فجعله وَصْفًا لِلَّبن المَمْذُوقِ المُخْرَج من بُطُونهم.

وقـولـه:

كـسـلاح الـنِّـيـب يـأكـلـن الـعَـصَـلْ

---

(١) جحجاح: بطل كريم.
(٢) الهمل: الماء السائل.
(٣) انظر البيان والتبيين (١/ ٢٠١).

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاريُّ: «وأحاديث المثل» والبيت الذي قبله. وقوله: «في قريش من جموع جَمَّعُوا» عن غير ابن إسحٰق.

شعر كعب في بكاء حمزة وقتلى أُحُد

قال ابن إسحٰق: وقال كعب بن مالك يبكي حَمْزَة بن عبد المطَّلب وقَتْلى أُحُد من المسلمين:

نَشجْتَ[1] وهل لك من مَنْشجِ	وكـنـتَ مـتـى تَـذَّكِـرْ تَـلْـجَـجَ
تَـذَكُّـر قَـوْمٍ أتـانِـي لـهـم	أحـاديـثُ فـي الـزَّمَـن الأعْـوَجَ
فـقَـلْـبُـكَ مـنْ ذِكْـرِهـم خـافـقٌ	منَ الشَّوْقِ والحَزَن المُنْضِجِ[2]
وقَـتْـلاهـم فـي جِـنـانِ الـنَّـعـيم	كـرَامُ الـمَـدَاخـل والـمَـخْـرَج
بِـمـا صَـبَـرُوا تـحـت ظلّ الـلّـواء	لـواء الـرَّسـول بـذي الأضْـوُج
غَـداة أجـابَـتْ بـأسْـيـافـهـا	جـمـيـعًـا بَـنـو الأوْس والـخَـزْرج
وأشْـيـاعُ أحـمـدَ إذْ شـايَـعـوا	عـلـى الـحَـقّ الـنُّـور والـمَـنْـهَـج
فـمَـا بَـرِحُـوا يَـضْـرِبـون الـكُـمـاة	ويَمْضون في القَسْطَل المُرهَج
كـذلـكَ حـتـى دَعـاهُـمْ مَـلـيـك	إلـى جَـنَّـة دَوْحَـةِ الـمَـوْلِـج

العَصَلُ: نبات كالرفلين يُصْلح الإبِلَ إذا أكلته، ويُكثر شربها للماء، وهو من الحَمْضِ، ويَنْبت في السِّباخِ، قاله أبو حنيفة.

شعر كعب بن مالك

وقول كعب بن مالك:

لـواءِ الـرَّسُـولِ بـذي الأضـوُج

الأضوَجُ: جمع ضَوْج، والضَّوْجُ: جانب الوادي.

وقوله: في القَسْطَل المُرْهِج. القَسْطَلُ: الغُبار، وكذلك الرَّهَجُ، وقد شرحنا السلجج فيما مضى، والجمل الأدْعَجُ: يعني الأسود، ومنه الحديث في صفة النبيّ - ﷺ - في عَيْنَيه دَعَجٌ، وفي أشْفارِه وَطَفٌ.

(١) نشجت: بكيتَ.

(٢) المنضج: القديم.

فكُلُّهم ماتَ حُرَّ البَلاء | على مِلَّة الله لم يَخرَج
كحَمْزَةَ لمَّا وَفى صادقًا | بذي هَبَّةٍ صارِمٍ سَلجَج[1]
فلاقاه عَبدُ بَني نَوْفَل | يُبَربِرُ كالجَمَل الأذعَج
فأوْجَره حَربةً كالشِّهاب | تَلَهَّبُ في اللَّهَب المُوهَج
ونُعْمانُ أوْفى بِميثاقِه | وحَنظَلَةُ الخَيْر لم يُحْنَج[2]
عن الحقّ حتى غَدت رُوحُه | إلى مَنزِل فاخرِ الزِّبْرج
أُولئك لا مَنْ ثَوى منكُم | من النَّار في الدَّرْك المُرتَج

وقوله:

وحَنظَلَةُ الخَيْر لم يُحْنَج

أي: لم يُمْله شيءٌ عن الطريق المستقيم يقال: حَنَجْتُ الشيء إذا أمَلْتُه وَعدلته عن وَجْهه، ويقال أيضًا: أحْنَجْتُه فهو مُحْنَجٌ، وسيأتي في الشعر بعد هذا ما يدل عليه.

وقوله:

عن الحقّ حتى غَدَتْ روحُه

أنَّث الرُّوحَ لأنه في معنى النَّفْسِ، وهي لغة مشهورة معروفة. أمر ذُو الرُّمَّةِ عند موته أن يُكْتَبَ على قبره:

يا نازِعَ الرُّوح مِنْ جِسْمِي إذا قُبِضَتْ | وفارِجَ الكَرْب أنْقِذْنِي من النَّارِ

فكان ذلك مكتوبًا على قبره.

وقوله: فاخِرِ الزِّبْرج، أي: فاخرِ الزِّينَة، أي: ظَاهرها.

وقوله: في الدَّرَكِ المُرْتَج، أي: المُغْلَق، يقال: ارْتَجْتُ الباب إذا أَغْلَقْته، وهو من الرِّتاج، قالت جارية من العرب ماتت أُمها، وتزوج أبوها:

ولكن قد أتى مِنْ دُون وِدّي | وبين فؤادِه غلق الرِّتَاجِ
ومَنْ لم يُؤذِه ألَمٌ بِرَأسِي | وما الرِّئْمانُ إلاَّ بالنِّتَاج

ومنه قيل: ارتج على الخطيب، إذا أُغْلِق عليه بابُ القول.

---

(1) سلجج: صارم.
(2) يُحنَج: يميل.

شعر ضرار في الردّ على كعب:

فأجابه ضرار بن الخطّاب الفهريّ، فقال:

أيَـجـزع كَـعْـبٌ لأشْـيـاعـه ... ويَـبْـكـي مـنَ الـزّمَـن الأعْـوَج
عَـجـيـجَ الـمُـذكّـي رأى إلْـفـه ... تَـروّح فـي صـادر مُـحْـنَـج
فَـراح الـرّوايـا وغـادَرْنَـهُ ... يُـعَـجْـعـج قَـسْـرًا ولـم يُـحْـدَج
فـقُـولا لـكَـعْـبٍ يُـثَـنّي الـبُـكـا ... ولـلـنـيء مـن لـحـمـه يَـنْـضَـج
لـمِـصْـرع إخـوانـه فـي مَـكَـرٍّ ... مـن الـخَـيْـل ذي قَـسْـطل مُـرْهَـج
فـيـا لـيـت عَـمْـرًا وأشْـيـاعَـه ... وعُـتـبـة فـي جَـمْـعـنـا الـسَّـوْرج
فَـيَـشْـفُـوا الـنُّـفـوس بـأوْتـارهـا ... بـقَـتْـلَـى أُصـيـبـتْ مـن الـخَـزْرج
وقَـتْـلَـى مـن الأوْس فـي مَـعْـرَكٍ ... أُصـيـبـوا جـمـيـعًـا بـذي الأضْـوُج
ومَـقْـتَـل حـمـزة تَـحْـتَ الْـلـواء ... بِـمُـطَّـرِدٍ، مـازِنٍ، مُـخْـلَـج
وحيـثُ انـثَـنَى مُـصْـعَـب ثـاويًـا ... بـضَـرْبـة ذي هَـبَّـة سَـلْـجَـج
بـأُحُـد وأسْـيـافُـنـا فـيـهـمُ ... تَـلَـهَّـبُ كـالـلَّـهَـب الـمُـوهَـجِ
غَـداة لـقـيـنـاكُـمُ فـي الـحَـدِيـد ... كـأُسْـد الـبَـراح فـلـم تُـغْـنَـج
بـكُـلّ مـجَـلَّـحَـة كـالـعُـقـابِ ... وأجْـرد ذي مَـيْـعَـة مُـسْـرَج
فَـدُسْـنـاهُـم ثَـمّ حـتـى انـثَـنَـوْا ... سـوَى زاهـق الـنَّـفْـس أو مُـحْـرج

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضِرار. وقولُ كعب: «ذي النور والمنهج» عن أبي زيد الأنصاري.

شعر ابن الزبعرى في يوم أحد:

قال ابن إسحٰق: وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى في يوم أُحُد، يبكي القَتلى:

ألا ذَرَفَـت مِـن مُـقْـلَـتَـيـك دُمـوعُ ... وقد بانَ من حَبْل الشَّباب قُطوعُ
وشَـطّ بمَن تَـهْوَى الـمَزارُ وفَرّقت ... نـوَى الـحيّ دارٌ بـالـحَـبيب فَجُوع
ولَـيْس لـما وَلّـى علـى ذِي حَـرارَة ... وإن طـالَ تَـذْرَافُ الـدمـوع رُجـوع
فـذَرْ ذا ولـكـن هـل أتـى أُمَّ مـالـك ... أحاديثُ قَومي والـحديثُ يَـشيـع
ومُـجْـنَـبـنا جُـرْدًا إلـى أهْـل يَـثْـرِبِ ... عَـنـاجـجَ مِـنـهـا مُـتْـلَـد ونَـزيـع

وفي شعر ضرار: من جَمْعِنا السَّوْرَج، وهو فَوْعَلٌ من السِّرَاج يريد المُضِيءَ.

عَشِيَّةَ سِرْنا في لِهامٍ يَقُودنا ... ضَرُورُ الأعادِي لِلصَّدِيق نَفُوعُ
نَشدُّ علَيْنا كلَّ زَغفٍ كأنها ... غَدِيرٌ بضَوْج الوادِيَين نَقيع
فلمَّا رأوْنا خالَطَتْهُم مَهابَةٌ ... وعايَنَهُمْ أمرٌ هُناك فَظيع
ووَدُّوا لو أن الأرض يَنشقُّ ظَهْرُها ... بهم وصَبور القوم ثَمَّ جَزوع
وقد عُرّيت بِيضٌ كأنَّ وَمِيضَها ... حَريق ترَقَّى في الأباء سَرِيع
بأيمانِنا نَعْلو بها كلَّ هامةٍ ... ومِنها سِمام للعدوّ ذَرِيع
فغادَرْنَ قَتْلى الأوْس غاصبةً بهم ... ضِباع وطَيْر يَعتَقين وُقُوع
وجَمْع بني النَّجّار في كلِّ تَلْعة ... بأبدانهم مِنْ وَقْعِهِنّ نَجيع
ولولا عُلُوّ الشِّعْب غادَرْنَ أحمدًا ... ولكنْ عَلا والسَّمْهَرِيُّ شُرُوع
كما غادرتْ في الكرّ حَمْزَةَ ثاوِيًا ... وفي صَدْره ماضِي الشَّباةِ وَقِيع
ونعمان قد غادرْن تحت لوائه ... على لَحْمه طيرٌ يَجُفن وُقوع
بأحْدٍ وأرماحُ الكماة يُرِدْنهم ... كما غالَ أشطانَ الدِّلاءِ نُزُوع

شعر حسّان في الردّ على ابن الزبعرى

فأجابه حسَّان بن ثابت، فقال:

أشاقك من أُمّ الوَليد رُبُوع ... بلاقِعُ ما مِنْ أهلِهِنّ جَميعُ
عَفاهُنّ صَيْفِيُّ الرّياح ووَاكِفٌ ... من الدَّلْوِ رَجّافُ السَّحاب هَمُوعُ
فلَم يَبْقَ إلا مَوْقِدُ النَّار حَوْله ... رواكِد أمْثال الحَمام كُنُوع
فَدَعْ ذِكْرَ دارٍ بدَّدَتْ بين أهلها ... نَوًى لِمَتينات الحِبال قَطُوع
وقُلْ إنْ يَكُن يومٌ بأُحْد يَعُدُّ ... سَفيهٌ فإنَّ الحَقّ سوف يَشِيع
فقد صابرتْ فيه بَنُو الأوس كلهم ... وكان لهم ذِكْرٌ هناك رَفيع
وحامَى بنو النَّجّار فيه وصابَروا ... وما كان منهم في اللِّقاء جَزُوع
أمامَ رسولِ الله لا يَخْذُلونه ... لهم ناصرٌ من ربِّهم وشَفِيع
وفَوْا إذْ كفرتُم يا سَخِينَ بربِّكم ... ولا يَستوي عبدٌ وفَى ومُضِيع

من شعر حسَّان

وفي شعر حسَّان:

وَفَوْا إذْ كَفَرْتُم ياسَخِينَ بِرَبِّكُمْ

بأيدِيهِمْ بِيضٌ إذَا حَمِشَ الوَغَى ... فَلا بُدَّ أنْ يَرْدَى لهنّ صَرِيع
كما غادرتْ في النَّقع عُتبة ثاويًا ... وسَعْدًا صَرِيعًا والوشِيجُ شُروع
وقد غادرتْ تحتَ العَناجة مُسْندًا ... أبيًّا وقد بَلّ القَميص نَجيع
يكُفّ رسولُ الله حيث تَنَصَّبت ... على القَوْم ممَّا قد يُثِرْن نُقُوع
أولَئِك قومٌ سادةٌ من فُروعِكم ... وفي كُلّ قومٍ سادَةٌ وفُروع
بهنّ نُعزّ الله حتى يُعزّنا ... وإن كان أمرٌ ياسَخِينَ فظِيع
فلا تَذْكُروا قَتْلى وحمزة فيهِمُ ... قَتِيلٌ ثَوَى لله وهُو مُطِيع
فإنَّ جِنان الخُلْد مَنْزِلةٌ لهُ ... وأمْرُ الذي يَقْضِي الأمور سَريع
وقتلاكُمُ في النَّار أفضلُ رِزْقهم ... حَمِيمٌ مَعًا في جَوْفِها وضَرِيع

أرَاد سَخِينَةَ، فَرَخَّم وَعَنى قُرَيْشًا لأنها كانت تُلَقَّبِ بذلك [لمداومتهم على ضرب هذا الحساء المتّخذ من الدقيق الذي يُسَمَّى: سخينة]، وفي أشعار ضِرَارٍ في العَيْنِيَّة منها أمْرُها شَاعِ، أراد: شَائِع، فقلبت، كما قال الآخر:

لاثٍ به الأَشَاءُ[1] والعُبْرِيُّ[2]

أراد: لائِث، وكما جاء في الحديث: «لا يَحْتكرُ الطعامَ إلاَّ طَاغٍ»[3] أو بَاغ أو زَاغٍ أراد: زائغ.

وفي شعره القَافِيّ:

رشاشُ الطَّعْنِ والوَرَقِ

الوَرَقِ: ما تعقَّد من الدَّم، قاله ابن دُرَيد وغيرُه، وفيه ما به رَهَقٌ، أي: عَيْبٌ، والمُرَهَّقُ من الرِّجَال المَعِيبُ.

---

(١) الأشاء: صغار النخل.

(٢) العبري: سدر ينبت ضفاف النهر.

(٣) أخرجه مسلم في المساقاة (١٣٠) وأبو داود (٣٤٤٧) والترمذي (١٢٦٧) وابن ماجة (١٢٥٣) وأحمد (٦/ ٤٠٠) بلفظ «لا يحتكر إلا خاطىء».

شعر عمرو بن العاصّ في يوم أُحد:

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرهما لحسَّان وابن الزِّبَعْرَى وقوله: «ماضي الشَّباة، وطير يجفن» عن غير ابن إسحٰق.

وقال ابن إسحٰق: وقال عمرو بن العاصي (في) يوم أُحُد:

خَرَجْنا مِنَ الفَيْفا عَلَيهِمْ كأَنَّنا ... مع الصُّبح من رَضْوَى الحَبيك المُنَطَّق

تمنَّت بنو النَّجَّار جَهْلاً لقاءنا ... لدَى جَنْبَ سَلْعٍ والأمانِيّ تَصْدُق

فمَا راعَهم بالشرّ إلاّ فُجاءة ... كَراديس خَيْل في الأزِقَّة تمْرُق

أرادوا لكَيما يَسْتَبِيحوا قِبابَنا ... ودونِ القِباب اليومَ ضَرْبٌ مُحَرّق

وكانت قِبابًا أومِنت قبلَ ما تَرَى ... إذْ رامَها قَوْم أُبِيحوا وأُخْنِقوا

كأنّ رُؤوس الخَزْرجيِّين غدوةً ... وأيمانهم بالمُشْرِقيَّة بَرْوَق

شعر كعب في الردّ على ابن العاصي:

فأَجابه كَعب بن مالك، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

ألا أبلَغا فِهْرًا على نَأْيِ دَارِها ... وعِنْدهُم مِنْ علْمنا اليومَ مَصْدَقٌ

بأنَّا غَدَاة السَّفْح من بطن يَثْربِ ... صَبَرنا ورَاياتُ المَنيَّة تَخْفِق

صَبرْنا لهُمْ والصَّبْرُ منَّا سَجيَّة ... إذا طارتِ الأبْرامُ نَسْمُوا ونَرْتُق

على عادة تِلْكمْ جَرَيْنا بصَبْرنا ... وقِدْمًا لدَى الغايات نَجْري فنَسْبِق

لَها حَوْمَةٌ لا تُسْتَطاع يَقُودُها ... نَبِيٌّ أتى بالحقّ عَفٌّ مُصَدَّق

ألا هل أتى أفْناء فِهْر بن مالك ... مُقَطَّعُ أطْرَافِ وَهامٌ مُفَلَّق

شعر ضرّار في يوم أُحد:

قال ابن إسحٰق: وقال ضِرار بن الخطَّاب:

إني وجدّك لوْلا مُقْدَمي فَرَسي ... إذْ جالت الخيل بين الجِزْع والقاعِ

ما زال منكم بجَنْب الجَزْع من أُحُدٍ ... أصواتُ هام تَزَاقى أمرُها شاعي

وفارِسٌ قد أصابَ السيفُ مَفرِقَه ... أفلاقُ هامته كَفَرْوَة الراعي

إنـي وجـدّك لا أنـفـك مُـنـتـطِـقًـا بـصـارِمٍ مـثـل لَـوْن الـمِـلْـحِ قَـطَّـاع
عـلـى رِحـالـة مِـلْـواحٍ مُـثـابـرة نحو الصَّريخ إذا ما ثَوَّب الدَّاعي
وما انْتَمَيْتُ إلى خُور ولا كُشُفٍ ولا لِـئـام غـداة الـبَـأْسِ أوْرَاع
بل ضارِبين حَبيك البيض إذ لحِقوا شُـمَّ الـعَـرانِـين عـنـدَ الـمَـوْت لُـذَّاع
شُـمٌّ بـهـالـيـل مسترخٍ حـمـائـلُـهـم يَسْعَون للموت سَعْيًا غير دَعْداع

وقال ضرار بن الخطَّاب أيضًا:

لَـمَّـا أتـتْ مِـن بـنـي كَـعْـب مُـزَيْـنـةٌ والـخَـزْرَجِـيَّـةُ فـيـهـا الـبِـيضُ تَـأْتَـلِـق
وجَـرَّدوا مَـشْـرَفِـيَّـاتٍ مُـهَـنَّـدَةً ورَايـةً كـجَـنـاح الـنَّـسـرِ تَـخْـتَـفِـق
فـقُـلْـت يَـوْمٌ بـأيَّـامٍ ومَـعْـرَكَـةٌ تُنسى لما خَلْفَها ما هُزْهِز الوَرَق
قد عُوّدوا كل يوم أنْ تكون لهم رِيحُ القتالِ وأسْلابُ الذين لَقوا
خيَّرتُ نفسي على ما كان من وَجَل منها وأيْقَنْتُ أنّ المَجْدَ مُسْتَبِق
أكرهتُ مُهْرِيَ حتى خاضَ غَمْرتهم وبَـلَّـه مِـن نَـجِـيـعٍ عـانِـكٍ عَـلَـق
فَظلّ مُهْرِي وسِرْبالي جَسِيدُهما نفخُ العرُوق رِشاشُ الطَّعن والوَرَق
أَيـقَـنْـتُ أنّـي مُـقـيـمٌ فـي دِيـارهُـم حتى يُفارق ما في جَوْفه الحَدَق
لا تَجْزعوا يا بني مَخْزومَ إنّ لكم مِثْلَ المُغِيرةِ فيكم ما به زَهَق
صَبرًا فِدَى لكُمُ أُمّي وما وَلَدَتْ تَعاوَرُوا الضَّرْب حتى يُدْبر الشَّفَق

شعر عمرو في يوم أُحُد

وقال عمرو بن العاصي:

لـمَّـا رأيْـتُ الـحَـربَ يَـنْـ ـزُو شَـرّهـا بـالـرَّضْـفِ نَـزْرَا
وَتـنـاولـت شَـهْـبـاءُ تَـلْـحُـ ـو الـنَّـاس بـالـضَّـرّاء لَـحْـوا
أيـقَـنْـتُ أنّ الـمَـوْتَ حَـقٌّ والـحَـيَـاةُ تَـكُـونُ لَـغْـوا
حَـمَّـلْـتُ أثْـوَابِـي عـلـى عَـتَـدٍ يَـبُـذُّ الـخَـيْـلَ رَهْـوا
سَـلِـسٍ إذَا نُـكِـبْـن فـي الـ ـبَـيْـداءِ يَـعْـلُـو الـطَّـرفَ عُـلْـوا

في شعر عمرو بن العاص

وفي شعر عمرو بن العاصي: يَمْشُون قَطْوًا. القَطْوُ والأَقْطِيطَاءُ: مَشْيُ القَطا.

وإذَا تَنَزّل مَاؤه ... مِنْ عِطْفِهِ يَزداد زَهْوا
رَبِذٍ كَيَعْفُور الصَّريـ ... ـمة رَاعَه الرَّامُون دَحْوا
شَنِجٍ نَسَاهُ ضَابِطٍ ... لِلخَيْلِ إرْخاءَ وعَدْوا
فَفِدًى لَهُمْ أُمّي غَدَا ... ةَ الرَّوْعِ إذْ يَمْشُونَ قَطْوا
سَيْرًا إلى كَبْش الكَتيـ ... ـبة إذْ جَلَتْه الشَّمسُ جَلْوا

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو.

شعر كعب في الردّ على عمرو بن العاصي

قال ابن إسحٰق: فأجابهما كعب بن مالك، فقال:

أبْلِغْ قُريْشًا وخيرُ القَوْل أصدقُه ... والصدقُ عند ذَوِي الألباب مقْبول
أنْ قد قَتَلْنا بقَتْلانا سَرَاتَكم ... أهْلَ الّلواء فَفيما يَكْثُرُ القِيل
ويَوْمَ بدرٍ لَقيناكم لنا مَددٌ ... فيه مع النَّصر مِيكالٌ وجِبْريل
إن تَقْتُلُونا فَدِينُ الحقّ فِطْرتُنا ... والقَتْلُ في الحقّ عند الله تَفْضِيل
وإن تَرَوْا أمرَنا في رأيكم سَفَهًا ... فرأيُ مَنْ خالف الإسْلام تَضْليل
فلا تَمَنَّوا لِقاحَ الحَرْبِ واقْتَعِدوا ... إنّ أخا الحرب أصْدى اللونِ مشغول
إنّ لكم عِنْدَنا ضَرْبًا تَرَاحُ له ... عُرْجُ الضباع له خَذْم رَعابيل
إنَّا بنو الحَرْب نَمْرِيها ونَنْتُجُها ... وعندنا لذَوِي الأضْغان تَنْكِيل
إن يَنْجُ منها ابنُ حَرْب بعدما بلغَتْ ... منه التَّراقِي، وأمرُ الله مَفْعول
فقَد أفادَتْ له حِلمًا ومَوْعِظَةً ... لِمَن يكُونُ له لُبٌّ ومَعْقُول

شعر كعب

وفي شعر كعب: خذْمٌ رَعَابيل. الخَذْم: القطع بالأسنان. ورَعَابِيلُ: قِطَعٌ مُتَمَزِّقَةٌ، يقال: خباء مُرَعْبلٌ، أي: مُتَمَزِّق.

وقوله:

إنَّا بَنُو الحَرْب نَمْرِيها ونَنْتُجُها

مُسْتَعار من مَرَيْتُ الناقة إذا اسْتَدْرَرتَ لَبنهَا، ونَتَجْتَها إذا اسْتَخْرَجْتَ منها وَلَدًا، يقال: نُتِجَت الناقة، ونَتَجَها أهلُها، وأما أَنْتَجَت تُنْتج فإذا دنا نتَاجُها.

ولو هَبَطْتُم ببَطْن السَّيْل كافَحكم ضَرْبٌ بشاكِلة البَطْحاء تَرْعِيل
تَلْقاكُمُ عُصَب حَوْل النَّبيّ لهم مما يُعِدّون للهَيْجا سَرابِيل
من جِذْم غَسَّان مُسْترخٍ حمائلهم لا جُبَناءُ ولا مِيلٌ مَعازِيل
يَمْشُونَ تحت عَمايات القِتال كما تَمشِي المَصاعِبَةُ الأُدْم المَراسِيل
أو مِثْل مَشْي أُسُود الظَّلّ أَلْثَقها يَوْمُ رَذاذٍ مِن الجَوْزاءِ مَشْمول
في كلّ سابغةٍ كالنَّهْي مُحْكَمةٍ قِيامها فَلَج كالسَّيْف بُهْلُول
تردّ حَدّ قِرام النَّبل خاسِئةً ويَرْجِع السيفُ عنها وهو مَفْلُول
ولو قَذَفتم بِسَلْعِ عن ظهُورِكُمُ وللحَياة ودَفْع المَوْتِ تَأْجِيل
ما زال في القَوْم وتْرٌ منكُم أبَدًا تَعْفو السَّلام علَيْه وهو مَطْلول
عَبْد وَحُرٌّ كَريم مُوثِق قَنَصًا شَطْرع المَدينةِ مأسُور ومَقْتُول
كُنَّا نُؤَمل أُخْراكم فأعْجَلَكم مِنَّا فَوارِسُ لا عُزْلٌ ولا مِيل
إذا جَنى فيهم الجاني فقد عَلِموا حَقًّا بأنَّ الذي قَد جَرَّ مَحْمُول
ما نَحنُ لا نحن من إثم مُجاهرةً ولا مَلُومٌ ولا في الغُرم مَخْذُول

شعر حسَّان في أصحاب اللواء

وقال حسَّان بن ثابت، يذكر عدّة أصحاب اللِّواء يوم أُحُد:

ـ قال ابن هشام: هذه أحسن ما قيل ـ.

وقوله:

يَوْمُ رَذاذٍ من الجَوزَاءِ مَشْمُولُ

يريد: من أيّام أنْواء الجَوْزَاءِ، وهو نَوْء الهَقْعَة، أو الهَنْعةِ، وذلك في الشتاء في شهر كانُون الأوّل ومَشْمُولٌ من الرِّيح الشمال.

وقوله: الثَقها من اللَّثَقِ، وهو البَلَلُ والطِّينُ اليسير، والرَّذاذُ معروف، وهو أكثر من الطَّشّ والبَغْشِ، والطَّلُّ نحو منه، أو أقوى منه قليلاً، يقال: أرضٌ مَطْلُولةٌ ومَبْغُوشَةٌ، ولا يقال: مَرْذُوذَةٌ، ولكن يُقال: مُرَذَّةٌ ومُرَذٌّ عليها قاله الخطابي.

أجود ما قال حسّان

وذكر شعر حَسَّان. قال ابن هشام: هذه أجْوَدُ ما قال، وهذه القصيدة التي قالها حَسَّانُ

مَنَع النَّوْمَ بالعَشاء الهُمومُ ... وخَيالٌ إذا تَغُورُ النُّجومُ
مِنْ حَبيب أضافَ قَلْبَك مِنْه ... سَقَم فهو داخِلٌ مَكْتُومُ
يا لَقَوْمي هَلْ يَقْتل المرءَ مثلي ... واهِنُ البَطْش والعِظامِ سَؤوم
لو يَدِبُّ الحَوْلِيّ من ولد الذ ... رّ عليها لأنْدَبَتْها الكُلُوم
شأنُها العِطْر والفِراشُ ويَعْلو ... ها لُجَينٌ ولُؤلؤٌ مَنْظُوم
لَمْ تَفُتْها شمْسُ النَّهارِ بشَيْءٍ ... غيرَ أنّ الشَّبابَ ليسَ يَدُوم
إن خالي خَطِيبُ جابِيةِ الجَوْ ... لاَنِ عند النُّعْمانِ حين يَقُوم
وأنا الصَّقر عند باب ابنِ سَلْمى ... يوم نُعمان في الكُبُولِ سَقِيم
وأبيّ وواقِدٌ أُطْلِقا لي ... يَوْمَ راحا وكَبْلُهُمْ مَخْطوم
ورهَنْتُ اليَدَين عنهم جَميعًا ... كلُّ كَفٍّ جُزء لها مَقْسُوم
وَسَطَتْ نِسْبتي الذّوائبَ منهم ... كلُّ دارٍ فيها أبٌ لي عظيم
وأبي في سُمَيحة القائل الفا ... صِل يوم الْتقَتْ عليه الخُصوم
تلك أفعالُنا وفِعْل الزِّبَعْرَى ... خامِلٌ في صَديقه مَذْمُوم
ربّ حِلْم أضاعَه عَدَم الما ... لِ وجَهْل غطا عليه النَّعيم

ليلاً، ونادى قومه أنا أبو الحُسَام، أنا أبو الوَليد، وهما كُنيَتَان له، ثم أمرهم أن يَرْوُوها عنه قبل النهار، مخَافَةَ أن يَعُوقَه عائقٌ، فَخرَ فيها على ابن الزِّبَعْرَى بِمقَامَاتٍ له عند مُلوك الشام من أبناء جَفْنَة، افْتَكَّ فيها عُناةً من قومه.

وذكر مقام خالد عند النُّعْمان الغساني من آلِ جَفْنَة، وليس بالنُّعْمان بن المُنْذِر، وقال فيها:

رُبَّ حِلْم أضاعه عَدَمُ الما ... لِ وجَهْلٍ غَطَا عليه النعيمُ

غَطَا بتخفيف الطاء أنشده يُونُسُ بن حبيب، وهكذا كان في حاشية الشيخ مذكورًا عن يونس، وغَطَا ارتفع وعلا، وأنشد القُتَبيُّ:

ومِنْ تَعَاجيب خَلْقِ الله غَاطِيَةٌ ... يُعْصى منها مُلاحِيٌّ وغِرْبِيبُ

مُلاَحِيٌّ بتخفيف اللام، ويقال: مُلاَّحِي كما قال:

كعنقود مُلاَّحِيَّةٍ[1] حين نَوَّرا

---

(١) ملاّحِيَة: عنب.

إن دَهْـرًا يَـبُـور فـيـه ذَوُو الـعِـ ... ـلـم لـدَهـرٌ هـو الـعَـتُـوُّ الـزنـيـم

لا تُـسَـبَّـنَّـنـي فَـلَـسْـتَ بِـسِـبِّـى ... إنّ سَـبِّـي مِـن الـرّجـالِ الـكَـريـم

مـا أُبـالـي أنـبَّ بـالـحَـزْنِ تَـيْـسٌ ... أم لـحَـانـي بـظَـهْـر غَـيْـبٍ لَـئـيم

ولِـيَ الـبـأْسَ مـنـكـم إذْ رَحَـلْـتـم ... أسـرةٌ مـن بَـنـي قُـصَـيّ صـمـيـم

تِـسْـعَـةٌ تَـحْـمِـل الـلـوَاء وطـارتْ ... فـي رَعـاع مـن الـقَـنـا مَـخْـزوم

وأقـامُـوا حـتـى أُبِـيـحـوا جَـمِـيـعًـا ... فـي مَـقـام وكُـلُّـهـم مَـذْمُـوم

بـدمِ عـانِـك وكـان حِـفـاظًـا ... أن يُـقـيـمـوا إن الـكـريـم كـريـم

وأقـامُـوا حـتـى أُزيـروا شَـعُـوبًـا ... والـقَـنـا فـي نـحُـورهـم مـخـطـوم

وقُـرَيْـش تَـفِـرّ مِـنّـا لِـواذًا ... أن يُـقِـيـمـوا وخَـفّ منها الـحُـلـوم

لـم تُـطِـق حَـمْـلـه الـعـواتِـقُ مـنـهـم ... إنـمـا يَـحْـمِـل الِّـلـواء الـنُّـجـوم

قال ابن هشام: قال حسَّان هذه القصيدة:

منـع الـنَّـوم بـالـعـشـاء الـهُـمـوم

ليلاً، فدعا قومه، فقال لهم: خَشِيت أن يُدْركني أجَلي قبل أن أصبح، فلا تَرْوُوها عني.

وقال أبو حنيفة: مَن قال مُلاَّحِيَّة بالتشديد شبهه بالمُلاَّح وهو ثمر الأرَاكِ وفيه مُلُوحَةٌ، وقال: والغِرْبِيبُ اسم لنوع من العِنبِ، وليس بنَعْتٍ. قال المؤلّف: وإذا ثبت هذا فلعلك أن تفهم منه معنى قوله سبحانه: ﴿وغَرَابِيبُ سُود﴾ [فاطر: ٢٧]. حين وصف الجُدَدَ، وسُودٌ عِنْدي بَدَلٌ، لا نَعْتٌ، وإنما يتم شرحُ الآية لَمَنْ لحظه من هذا المَطْلِع، فإن أبا حنيفة زعم أن الغِرْبِيبَ إذا أُطلق لفظُه، ولم يقيَّد بشيء موصوف به، فإنما يفهم منه العِنَبُ الذي هذا اسمُه خاصَّة، والله الموفق للصواب وفهم الكتاب.

وذكر فيه حُمَاةَ الّلواء من بني عَبْدِ الدّار، وأنهم صُرِعوا حوله حتى أخذته امرأةٌ منهم وهي عَمْرَةُ بنت علقَمَةَ، فلذلك قال:

لـم تَـطُـقْ حـمـلـه الـعـواتـقُ مـنـهـم ... إنـمـا يـحـمـل الـلـواء الـنّـجُـومُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة للحَجَّاج بن عِلاَطٍ السُّلَمي يمْدح أبا الحسن أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب، ويذكر قَتْله طَلْحة بن أبي طلحة بن عبد العُزى بن عثمان بن عبد الدّار، صاحب لواء المشركين يوم أُحد:

لِلهِ أيُّ مُـذَبِّـب عـن حُـرمـةٍ ... أعْنِي ابنَ فاطمة المُعمَّ المُخْوِلا

سَبقَتْ يَداكَ لَهُ بعاجِلِ طَعْنَةٍ ... تركَتْ طُلَيْحة للجَبِينِ مُجَدّلا

وشَدَدْتَ شَدّة باسل فكَشَفْتهم ... بالجرّ إذْ يَهْوُون أخْوال أخْوَلا

شعر ابن علاط:

وقال في شعر حَجّاج بن عِلاَطٍ يمدح عليًا رضي الله عنه.

لله أيّ مُـذَبّـبِ عـن حُـرمَـةٍ

أَلْفَيْتُ في حاشية الشيخ أبي بَحْرٍ على هذا البيت في حاشية الأصل يعني أصْل أبي الوليد، قال إبراهيم: أيَّ نُصِب لأنه مَدِيحٌ والمديح نَصْبٌ في أيِّ حاليه، فأما ابنُ هشام فَرَفَع أيّ. قال المؤلّف: وهذا الذي ذكره من نَصْبِ أيٍّ على المديح، لا يستقيم إلا أن تُقَدِّر حذفَ المبتدأ قبله، كأنه قال لله أنت لأنه لا يُنْصَبُ على المدح إلاّ بعد جملة تامةٍ، وأما الرفع على أن تجعل خَبره لله: فقبيحٌ لأنها وإن كانت خَبرًا، فأصلُها الاستفهامُ فلها صَدْر الكلام كما كان ذلك في كمْ خَبَرِيَّةً كانت، أو استفهامية، فالتقدير إذًا: لله دَرُّه أيّ مُذَبّبٍ عن حُرْمَةٍ هو، ألا ترى أنه يَقْبُحُ أن يقول: جاءني أيّ فتى، فإن جعلته وصفًا جاريًا على ما قبلها، فقلت: جارتي رَجُلٌ أيُّ رَجُل جاز ذلك، لأنه إذا كان وَصْفًا لم تَلِه العواملُ اللَّفظِيَّةُ، فكأنه لم يخرج عن أصله، إذ المبتدأ لا تليه العواملُ اللفظية.

وقوله: أخْوَل أخْوَلا، أي: متفرقين، ووقع تفسيره في بعض النسخ من قول ابن هشام، وكان أصله من الخَال، وهو الخُيَلاَءُ والكبر، تقول: فلانٌ أَخْوَلُ من فلانٍ، أي: أشَدُّ كِبْرًا منه، واخْتِيالاً، فمعنى قولهم: إذا جاء القومُ أَخْوَلَ أَخْوَلاً، أي: انفرد كُلُّ واحد منهم بنفسه، وازْدَهَاه الخالُ أن يكون تابعًا لغيره، فكلما رأيت أحدًا منهم، قلت: هذا أَخْوَلُ من الآخر، هذا هو الأَصْلُ، ثم كثر حتى استعمل في التَّفرق مثلاً، وإن لم يكن هناك من معنى الخال شَيْءٌ، وقد قيل في أَخْوَل: إنه من تَخَوّلْتُ بالمَوْعِظَة، ونحوها إذا فعلت ذلك شيئًا فشيئًا، وفي الحديث: كان رسولُ الله - ﷺ - يَتَخَوَّلُنا بالموعظة، مخافة السَّآمة علينا[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٧) ومسلم في كتاب صفات المنافقين (٨٢/ ٨٣) والترمذي (٢٨٥٥) وأحمد (١/ ٣٧٧) والحميدي (١٠٧).

شعر حسَّان في قتلى يوم أُحد

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت يَبْكي حَمْزة بن عبد المطَّلب ومن أُصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحُد:

يـا مَـيَّ قُـومـي فـانْـدُبِـنْ ... بـسُـحـيـرَةٍ شَـجْـوَ الـنَّـوَائـح

كـالـحـامِـلات الـوِقْـر[1] بـالـ ... ـثِّـقْـلِ الـمُـلِـحَّـاتِ الـدَّوالـح[2]

الـمُـعْـوِلات الـخَـامِـشـات ... تُ وُجـوه حُـرَّاتٍ صـحـائـح

وكـأنَّ سَـيْـل دُمُـوعـهـا الـ ... ـأنـصـابُ تـخْـضَـبُ بـالـذبـائـح

يَـنْـقُـضْـن أشْـعـارًا لـهـنَّ ... هُـنـاك بـاديـةَ الـمَـسَـائـحْ

وكـأنَّـهـا أذْنـابُ خَـيْـ ... ـلٍ بـالـضُّـحـى شُـمْـسٍ رواسـح

مِـنْ بـيـن مَـشْـزورٍ ومَـجْـ ... ـزُورٍ يُـذَعْـذَع[3] بـالـبَـوارح

يَـبْـكـيـن شَـجْـوًا مُـسْـلـبـا ... تٍ كـدَّحَـتْـهـن الـكَـوَادِح

ولَـقـدْ أصـاب قُـلُـوبَـهـا ... مَـجْـلٌ لـه جُـلَـبٌ قـوارِح

شعر حسَّان الحائي

وذكر شعر حسَّان الحائي وقال فيه:

كـالـحـامِـلاتِ الـوِقْـرِ بـالـ ... ـثِّـقْـلِ الـمُـلِـحَّـاتِ الـدَّوَالِـحْ

الدَّوَالِحُ: جمع دَالحة وهي المُثْقَلَة، وكذلك الدَّلُوحُ من السَّحابِ، وهي المُثْقَلَة بالماء وفيه.

يَـنْـقُـضْـنَ أَشْـعَـارًا لَـهُـنَّ ... هـنـاك بـاديـةَ الـمَـسَـائِـحْ

المسائح: جميع: مَسِيحَة، وهو ما لم يُمْشَط من الشَّعر بدُهْنٍ، ولا شَيْءٍ، والمَسِيحَة أيضًا القِطْعَة من الفِضَّة، والمَسِيحَةُ الفَرَسُ.

وقوله: من بين مَشْرُورٍ، أي: مُفَرَّق، ويقال: شَرَرْتُ المِلحَ إذا فرقته، والمَجْلُ كالجُرْح، تقول: مَجِلَتْ يدي من العمل.

---

(١) الوقر: الحمل الثقيل.

(٢) الدوالح: البطيئات المشي.

(٣) يذعذع: يبدد.

إذْ أقــصَــدِ الــجِــذْثــان مَــنْ … كُــنَّــا نُــرَجِّــي إذْ نُــشَــايــح[1]

أصــحــابَ أُخْــدِ غــالَــهُــم … دهــــرٌ ألــــمّ لــــه جَـــوارِح

مَــنْ كــانَ فــارسَــنــا وَحــا … مِـيـنـا إذا بُـعِـث الـمـسـالـح[2]

يــــا حَــــمْــــزَ، لا والله لا … أنْــســاكَ مــاضِــرّ الـلَّـقـائـح

لــمُــنــاخ أيــتــام وأضْـــ … ـيــافِ وأرْمَــلَــةِ تُــلامــح

ولِــمــا يَــنُــوب الــدَّهــرُ فــي … حَـرْبِ لـحـرْبِ وهـي لافـح[3]

يــا فــارسًــا يــا مِــذرهًــا[4] … يا حَمْزَ قد كُنْتَ المُصامح[5]

عَــنَّــا شَــدِيــداتِ الــخُــطُــو … ب إذا يَــنُــوب لــهــنّ فــادِخْ

ذَكَّــرتَــنــي أسَــد الــرَّســو … ل، وذاكَ مِـذْرَهُـنـا الـمُـنـافِـخْ

عَــنَّــا وكــان يُــعَــدّ إذْ … عُـدّ الـشَّـريـفـون الـجـحـاجـخْ

يَــغْــلــو الــقَــمــاقِــم[6] جَــهْــرةً … سَـبْـطَ الـيَـدَيْـنِ أغـرّ واضِـخْ

لا طـــائِـــشٌ رَعِـــشٌ ولا … ذو عِـلَّـة بـالـحِـمْـل آنِـخْ[7]

بَــحْــرٌ فــلَــيــس يُــغِــبّ جَــا … رًا منه بسَيْبٌ[8] أو مَنادِخْ[9]

وقوله: نُشَائح، أي: نحاذِر، كما قال الآخر:

وشَايَخْتَ قَبْلَ اليَوْمِ إنَّك شِيحُ

وقوله: قد كُنْتَ المُصَامِحَ، وفي الحاشية عند الشيخ المصافح بالفاء في رواية أخرى، وأما المُصَامِح بالميم، فيجوز أن يكون من صَمَحْتُ الشيءِ إذا أذبْتُه، قاله صاحب العين، قال: والصَّمَخمحُ من الرِّجال: الشَّدِيدُ العَصَب، وسِنُّه ما بين الثلاثين إلى الأربعين، والصُّمَاحُ فيما ذكر أبو حنيفة الرِّيحُ المُنْتِنَةُ.

وقوله: سَببٌ أو مَنَادح، يجوز أن يكون جَمْعَ: مَنْدُوحَة، وهي السَّعَةُ، وقياسه: مَنَادِيح بالياء، وحذفُها ضرورة، ويجوز أن يكون من النَّدْح، فيكون مُفَاعِلاً بضم الميم، أي:

---

(١) نشايح: نفادي.
(٢) المسالح: حاملوا السلاح.
(٣) لافح: محرقة.
(٤) يا مدرهًا: يا سيد، يا زعيم.
(٥) المصامح: أي قاطع رؤوس الأبصال.
(٦) القماقم: العدد الكثير.
(٧) آنح: عاجز.
(٨) السيب: مجرى الماء الضيق أو الصغير.
(٩) المنادح: مجرى الماء الكبير أو الواسع.

أوْدَى شَبابُ أولي الحَفا ئظ والثقيلونَ المَراجِحْ
المُطْعِمونَ إذا المَشا تِي ما يُصَفِّقُهُنَّ ناضِحْ
لَحمَ الجِلادِ وفَوْقَهُ من شَحْمِهِ شُطَبٌ شَرائحْ
ليدَافِعُو عنْ جارِهِمْ ما رَام ذو الضّغْنِ المُكاشِحْ[1]
لَهْفي لشُبّانٍ رُزِئْـ ـناهُم كأنهُمُ المَصابِحْ
شُمٌّ، بَطارِقَةٌ، غَطا رِفةٌ، خَضارِمَة، مَسامحْ
المُشْتَرُونَ الحمْد بالْـ ـأمْوَال إنَّ الحَمْد رابح
والجامِزُون[2] بلُجْمِهِم[3] يومًا إذا ما صاح صائح
مَنْ كانَ يُرمى بالنَّوا قِر[4] مِنْ زَمانٍ غيرِ صالح
ما إنْ تَزالُ رِكابُهُ يَرْسِمْنَ في غُبْرٍ صَحاصَح[5]
راحَتْ تَبارَى وهو في رَكْب صُدورُهُمْ رَواشح
حتى تَثُوبَ لَهُ المَعا لي ليسَ من فَوْزِ السَّفائح[6]

مُكَاثِرًا، ويكون بفتح الميم فيكون جمعَ مَنْدَحةٍ مَفْعَلة من الكَثْرَة والسَّعَة، وأما قولُهم: أنا في مَنْدُوحَةٍ من هذا الأمر، فهي مَفْعُولَةٌ من النَّدْح، وَوَهِم أبو عُبَيْد، فجعله من انْدَاحَ بَطْنُه إذا اتَّسَعَ، والنون في مَنْدُوحَةٍ أصلٌ، وهي في انداح زائدة، لأن وزنَه انْفَعَل، والألف في انداحَ أَصْلٌ وهي بدل من واو كأنه مَنْدُوحة الشج، والميم في مَنْدُوحة زائدة، والدال عين الفعل، وهو في انْدَاحَ فاءُ الفعل، ومن هاهُنا قال الخطابي: يا عَجَبًا لابن قُتَيْبَةَ يترك مثل هذا من غَلَطِ أبي عُبيد، ويعنّف في الردّ عليه، فيما لا بَال له من الغَلَطِ.

وقوله: خَضَارِمة: جمع خِضْرَمٍ، وهو الكثير العطاء.

وقوله: يَرْسِمْنَ من الرَّسِيم في السَّيْر، والصَّحَاصِحُ: جمع صَحْصَحٍ، وهي الأرض المَلْساءُ.

وقوله: ليس من فَوْز السَّفَائِح، السَّفائح: جمع سَفِيحَةٍ، وهي كالجُوَالَقِ[7] ونحوه.

---

(١) المكاشح: باطن العداوة والكره.
(٢) الجامزون: المسرعون.
(٣) بلجمهم: من اللجم وهو الكفّ.
(٤) النواقر: الوقّاد.
(٥) صحاصح: ما استوى من الأرض أجرد.
(٦) السفائح: السهولة.
(٧) الجوالق: وعاء من صوف ونحوه.

يـا حَـمْـزَ قـد أوحَـذْتـنـي كـالـعُـود شَـذَّ بـه[1] الـكَـوافِـح[2]
أشْـكـو إلَـيـكَ وفَـوْقـك الـ تُّـرْب الـمُـكَـوَّرُ والـصَّـفـائـح
مـن جَـنْـدَل[3] نُـلْـقـيـه فـو قَـك إذ أجـاد الـضَّـرْح ضـارِح
فـي واسـعٍ يَـحْـشُـونـه بـالـتُّـرْب سَـوَّتْـه الـمَـمـاسِـح
فَـعَـزَاؤُنـا أنَّـا نَـقُـو ل وقَـوْلُـنـا بَـرْحٌ بَـوارِح
مَـن كـان أمْـسَـى وهـو عَـمَّـا أوْقَـع الـحِـدْثـان جـانِـح
فـلـيـأتـنـا فـلْـتَـبْـكِ عَـيْـنـاهُ لِـهَـلْـكـانـا الـنَّـوافِـح[4]
الـقَـائِـلـيـنَ الـفَـاعِـلِـيـن ذَوِي الـسَّـمـاحـة والـمَـمـادِح
مَـنْ لا يَـزَالُ نَـدَى يَـدَيْـهِ لَـه طَـوَال الـدّهْـرِ مـائـح

قال ابن هشام: وأكثر أهلِ العِلْم بالشعر يُنْكرها لحسَّان، وبيته: «المطعمون إذا المشاتي» وبيته: «الجامزون بلُجُمِهم»، وبيته: «من كان يُرْمَى بالنواقر» عن غير ابن إسحٰق.

شعر حسَّان في بكاء حمزة

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا يبكي حَمزة بن عبد المطَّلب:

أتـعـرِفُ الـدارَ عَـفـا رَسْـمُـهـا بـعـدكَ صَـوْبُ الـمُـسْـبِـل الـهـاطِـلِ
بَـيـنَ الـسَّـرادِيـح فـأُدْمـانَـةٍ فَـمَـدْفَـع الـرَّوْحـاء فـي حـائِـل
ساءلتُـهـا عَـن ذاك فـاسـتـعـجَـمَـتْ لـم تَـدْرِ مـا مَـرْجُـوعـةُ الـسَّـائـل؟
دَعْ عـنْـك دارًا قـد عَـفـا رسْـمُـهـا وابـكِ عـلـى حَـمْـزة ذي الـنَّـائـل
الـمـالـىءِ الـشِّـيـزى إذا أعْـصَـفـت غَـبْـراءُ فـي ذي الـشَّـيـمِ الـمَـاحـل
والـتَّـارِكِ الـقِـرْنَ لَـدَى لِـبْـدةٍ يَـعْـثُـر فـي ذي الـخُـرُص الـذَّابِـل

شعر حسَّان اللامي[5]

وقال في القصيدة الّلامِيَّة: ذي الخُرُصِ الذَّابِل، يريد: الرُّمْح، والخُرُصُ سِنَانه

(١) شذَّ به: ابتعد.
(٢) الكوافح: الأعداد.
(٣) جندل: صخر عظيم.
(٤) نوافح: الطيبو الروائح.
(٥) شعر حسان هو اللامي. أي منتهي باللام. وليس حسان هو اللامي.

والـلابـس الـخَـيْـل إذ أجْـحَـمـت | كـالـلَّـيْـث فـي غـابَـتـه الـبـاسِـلِ
أبْـيَـضُ فـي الـذّروة مـن هـاشـمٍ | لـم يَـمـرْ دون الـحَـقّ بـالـبـاطـلِ
مـالَ شَـهِـيـدًا بـيـنَ أسْـيـافـكـم | شُـلَّـت يـدا وحْـشِـيٍّ مِـنْ قـاتـل
أيَّ امــرىء غــادَر فــي أَلَّــة | مَـطْـرورةٍ مـارنَـةِ الـعـامِـل
أظْـلَـمَـتِ الأرضُ لـفِـقْـدانـه | وأسـودّ نُـورُ الـقَـمَـرِ الـنَّـاصِـل
صـلّـى عـلَـيـه الله فـي جَـنَّـةٍ | عـالِـيَـةٍ مُـكْـرَمَـة الـدَّاخِـل
كُـنَّـا نَـرَى حَـمْـزَة حِـرْزًا لَـنـا | فــي كـلّ أمْـر نـابَـنـا نـازل
وكــان فــي الإسْــلام ذا تُــدْرَإٍ | يَـكْـفِـيـك فَـقْـدَ الـقـاعـد الـخـاذِل
لا تَـفْـرَحي يـا هـنْـد واسْـتَـحْـلبي | دَمـعًـا وأذرى عَـبْـرة الـثَّـاكِـل
وأبـكـي عـلـى عُـتْـبـة إذ قَـطَّـه | بـالـسَّـيـف تـحـت الـرَّهـج الـجـائـلِ
إذا خـرّ فـي مـشـيـخـة مـنـكـمُ | مِـنْ كُـلّ عـاتٍ قَـلْـبُـهُ جَـاهِـلِ
أرْدَاهُــمْ حَــمْــزةُ فــي أُسْــرةٍ | يَـمْـشُـون تـحـتَ الـحَـلَـق الـفـاضِـل
غَــدَاةَ جِــبْــريــل وَزِيــرٌ لــه | نِـعْـم وزيـرُ الـفـارسِ الـحـامِـل

وجمعه خُرْصَان. وفيه:

شُـلَّـتَ يَـدَا وَحْـشـيٍّ مِـنْ قَـاتِـلِ

ترك تنوين العلم للضرورة:

ترك التنوين للضرورة لما كان اسْمًا عَلَمًا، والعَلَم قد يُتْرَكُ صَرْفُه كثيرًا، ومنع من ذلك البصْريُون، واحتجّ الكوفيون في إجازته بأن الشاعِرَ قد يحذف الحرف والحرفين نحو قول عَلْقَمَةَ [ابن عَبَدَةَ]:

كـأَنَّ إبْـرِيـقَـهـم ظَـبْـيٌ عـلـى شَـرَفٍ | مِـقَـدَّمٌ بِـسَـبَـا الـكَـتَّـانِ مَـلْـثُـومُ

أي بسبائب، وقول لبيدٍ:

كـالـحَـمَـالِـيـجِ[1] بـأيْـدِي الـتَّـلاَمِ

أي التَّلامَيذ.

وقال ابن السرّاج محتجًا عليهم: ليس التنوينُ من هذا في شَيْءٍ لأنه زائدُ لمَعنًى، وما زيد معنى لا يحذف.

---

(١) الحماليج: منافع الصائغ والحداد.

شعر كعب في بكاء حمزة

وقال كعبُ بن مالك يَبْكي حمزةَ بن عبد المطَّلب:

طَرقتْ هُمُومُك فالرُّقاد مُسهَّدُ	وجزِعت أن سُلخ الشبابُ الأغْيد
ودَعَتْ فؤادَك للهَوى ضَمْريَّةٌ	فهواك غِوْرِيٌّ[1] وصَحْوك مُنْجِد
فدعِ التَّماديَ في الغَوَاية سادِرًا[2]	قد كنتَ في طَلَب الغَواية تُفْنَد
ولقد أتَى لك أنْ تَناهَى طائِعًا	أو تَسْتَفيق إذا نَهاك المُرْشِد
ولقد هُدِدْتُ لفَقْد حَمزة هَدّةً	ظَلَّت بناتُ الجَوْف[3] منها تَرْعَد
ولو أنه فُجِعَت حِرَاء بمثله	لرأيتُ رَأسِيَ صَخْرها يتبدّد
قَرْم تَمَكَّنَ في ذُؤابة هاشم	حيث النُّبوّة والنَّدَى والسُّودَد[4]
والعاقرُ الكُومَ[5] الجِلاد إذا غَدَتْ	ريحٌ يَكادُ الماءُ منها يَجْمُد
والتَّارك القِرْن الكَمِيَّ[6] مُجَدَّلا	يومَ الكَريهة والقَنا يَتَقَصَّد
وتَراهُ يَرْفُلُ في الحَديد كأنَّه	ذو لِبْدةٍ شَثْنُ البراثِن[7] أزْبد
عمُّ النبيّ محمَّدٍ وصَفِيُّه	ورد الحِمامَ فطاب ذاك المَوْرِد
وأتى المَنِيَّةَ مُعْلِمًا في أُسْرةٍ	نَصَروا النبيّ ومنهم المُسْتَشْهَدُ

شعر كعب

وفي شعر كعب:

طرقت هُمُومُك فالرّقَادُ مُسَهَّدٌ

أراد الرُّقاد مُسَهَّدُ صاحبَه، فحذف المضَافَ، وأقامَ المضاف إليه مُقامَه، وهو الضمير المخفوضُ، فصار الضمير مفعولاً لم يُسَمَّ فاعلُه، فاسْتَتَر في المُسَهَّد. ومنه:

وجَزِعْتَ أن سُلِخَ الشَّبَابُ الأَغْيَد

أي: الأغْيَدُ صاحبُه، وهو الناعم.

---

(١) غوريّ: نسبة إلى الغور.
(٢) سادر: غير متيقن.
(٣) الجوف: الطعان.
(٤) السؤدد: السيادة.
(٥) الكوم: الأشراف.
(٦) الكمي: صاحب السلاح.
(٧) البراثن: الأسود.

ولقد إخالُ بذاك هندًا بُشِّرت لتُميتُ داخلَ غصَّة لا تَبرُد

ممَّا صَبحْنا بالعَقَنْقَل[1] قَوْمَها يوْمًا تَغَيَّب فيه عنها الأسْعَد

وببِئْر بَدْرٍ إذ يَردُّ وُجوهَهم جِبْرِيلُ تحت لِوائنا ومُحَمَّد

حتى رأيتُ لَدَى النبيّ سَرَاتَهم قِسْمَيْنِ: يَقْتُل مَن نشاءُ ويطْرد

فأقامَ بالعطَن المُعطَّن منهمُ سَبْعون: عُتْبةُ منهمُ والأسْود

وابنُ المغيرة قد ضَرَبنا ضَرْبةً فوق الوَريد لها رشاشٌ مُزبِد

وأُمَيَّة الجُمَحِيُّ قَوَّمَ مَيْلَه عَضْبٌ بأيْدي المُؤمنين مُهند

فأتاكَ فَلُّ المُشرِكين كأنهُم والخَيْلُ تَثْفِنهم[2] نعامٌ شُرَّد

شَتَّان مَنْ هو في جَهَنَّم ثاويًا أبدًا ومَن هو فِي الجنان مُخلَّد

وقال كعبٌ أيضًا يبكي حمزة:

صَفيَّة قُومي ولا تَعْجزي وبَكّي النِّساءَ على حَمْزَةِ

ولا تَسْأَمي أن تُطيلي البُكا على أسَدِ اللهِ في الهِزَّةِ

فقَد كانَ عِزًّا لِأَيْتامنا ولَيْثَ المَلاحم في البِزَّة

يريد بذاك رِضَا أحمَدِ ورِضْوانَ ذِي العَرْش والعِزَّة

وقوله: والخيل تَثْفِنُهُمْ، أي: تتبع آثارهم، وأصله من ثَفِنَاتِ البَعِير، وهو ما حول الخُفّ منه.

قصيدة كعب الزّائية:

وقول كعب في الشعر الزَّائي:

ولَيْثَ المَلاَحِم في البِزَّةِ

البِزَّةُ: الشارة الحَسَنَة، والبِزَّةُ السلاح أيضًا، وهو من بَزَزتُ الرجلَ، إذا سلبته بزَّتَه، يقال: من عَزَّ بَزَّ، أي: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ، والبُزَابِزُ: الرَّجُلُ الشَّدِيدُ.

---

(١) العقنقل: الواد السحيق.

(٢) تثفنهم: تلقيهم.

شعر كعب في أحد

وقال كعب أيضًا في أُحد:

إنبك عَمْرَ أَبِيك الكَرِيـ ـم أنْ تَسألي عَنْكِ من يَجْتَدينا
فإنْ تسألي ثَمّ لا تُكْذَبي يُخبرك مَنْ قد سألتِ اليَقِينا
بأنا لَيالِيَ ذاتِ العِظا م كِنَّا ثمالاً لِمَنْ يَعْترينا
تَلُوذ البجودُ بأَذْرَائِنا من الضُرّ في أزماتِ السِّنينا
بجَدْوَى فُضول أولِي وُجْدِنا وبالصَّبْرِ والبَذْل في المُعدِمينا
وأبْقَتْ لَنا جَلَمات الحُرو ب ممّن نوازِي لَدُنْ أن بُرِينا
معاطِنَ تَهْوِي إليها الحُقو ق يَحسبها من رآها الفَتينا
نُخَيَّس فيها عِتَاقُ الجما ل صُخمًا دَواجِنَ حُمْرًا وجُونا

نونية كعب

وقال أيضًا في القصيدة النونية:

تَلُوذ البُجُودُ، بأَذْرَائِنا

البُجُود: جمع بَجدٍ، وهم جماعة من الناس، ويُروى النَّجُود بالنون، وهي المرأة المَكْرُوبة. والنَّجُودُ من الإبل: القَويَّةُ وقوله: بأذْرائنا، جمع ذَرًا من قولهم: أنا في ذَرَا فُلانٍ، أي في سِتْرِه، وتقول العرب: ليس في الشجر أذْرَى من السَّلَم، أي: أدفأ ذَرًا منه، لأنه يقال: ما مات أَحَدٌ صَرْدًا قَطُّ في ذَرَا سَلَمَةٍ.

وقوله: جَلَمَاتِ الحُروب. من قولك: جَلَمْتُ الشيءَ، وجَرَشْتُه إذا قطعته، ومنه: الجَلَمَان. وقوله: لَدُنْ أن بُرِينا أَي خُلقْنَا، والباري: الخالق سبحانه، أي هذا حالنا من لَدُنْ خُلقنَا.

وقوله: يحسبها من رآها الفَتِينَا، هي الصخور السُّودُ، سُمِّيت بذلك لأنها تشبه ما فُتِن بالنار، أي: أُحْرِق. وفي التنزيل: ﴿على النار يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] وأصل الفَتْنْ الاخْتبارُ، وإنما قيل: فَتَنْتُ الحديدة بالنار، لأنك تختبر طَيِبَها من خَبيثها.

وقوله: دَوَاجِن[1] حُمْرًا وجُونًا، أي: حُمْرًا وسُودًا، وقوله: جَأْوَاء، أي: كَتِيبَةَ لَوْنُهَا لَوْنُ الحديد.

---

(١) الدواجن: المقيمة.

ودُفَّـاع رَجْـلٍ كَـمَـوْج الـفُـرا	ت يـقْـدُم جَـأْواءَ جـولاً طَـحـونـا
تـرى لـونـهـا مـثـلَ لـون الـنُّـجـو	م رَجْـراجـةً تُـبْـرِق الـنـاظـرِيـنـا
فـإن كـنـتَ عَـن شـأنِـنـا جـاهـلاً	فـسَـلْ عنه ذا العِـلْـم مِـمَّـن يَـلِـينـا
بِـنـا كـيـف نَـفْـعـل إن قَـلَّـصَـتْ	عَـوَانًـا ضَـرُوسًـا عَـضُـوضًـا جَـحـونـا
ألَـسْـنـا نَـشُـدُّ عَـلَـيـهـا الـعِـصَـا	ب حـتـى تَـدُرّ وحـتـى تَـلِـيـنـا
وَيَـــوْمٌ لَـــهُ رَهَـــجٌ دائـــمٌ	شَـديـد الـتَّـهـاوُل حـامـي الأرِيـنـا

وقوله: جُولاً طَحُونًا: الجُولُ: جانِبُ البِئْر.

وقوله: إنْ قَلَّصَتْ[1]، يعني الحرب، ثم وصفها فقال: عَضُوضًا جَحُونًا من العَضّ، وحَجُونًا من حَجَنْتُ العُودَ إذا لويته، وقوله:

ألَـسْـنَـا نَـشُـدُّ عـلـيـهـا الـعَـصـا	بَ حـتـى تَـدُرَّ وحَـتَّـى تَـلِـيـنـا

هذا كله من صِفَةِ الحرب، شبهها بناقةٍ صَعْبَةٍ قَلَّصَتْ، أي صَارَتَ قَلُوصًا، أي: إنا نُذَلِّلُ صَعْبَها، وتلين من ضِرَاسِها. وقوله: ويوم له رَهَجٌ دائم الرهج: الغُبار.

وقوله: شديد التَّهاوُلِ: جمع تَهْوِيلٍ، والتَّهَاوِيلُ: ألوان مختلفة، قال الشاعر [عبد المسيح بن عَسَلَة] يصف روضًا:

وعـازب قـد عـلا الـتَّـهـويـلُ جَـنـبـتَـه	لا تَـنْـفَـعُ الـنُّـعْـلُ فـي رَقْـراقِـه الـحـافِـي

وقوله: حامي الأرِينَا: جمع إرَةٍ، وهو مُسْتَوْقَد النارِ، يجوز أن يكون وَزْنُها عِلَةً من الأوَارِ، وهو الحرّ، فحذفت الهمزة، وهمزت الواو لانكسارها، وجائز أن يكون وزنها فِعَلة من تَأرَّيْتُ بالمكان، لأنهم يَتأرَّوْنَ حَوْلَهَا، وهذا الوجه هو الصحيح، لأنهم جَمَعُوها على إرين مثل سنين، ولا يُجْمَعُ هذا الجمع المسلم كجمع مَنْ يعقل إلا إذا حُذِفَتْ لامُه، وكان مُؤنَّثًا، وكان لامُ الفعل حرفَ عَلَّة، ولم يكن له مذكر كالأمة، إذا اجتمعت فيه هذه الشرُوط الأربعةُ جُمع بالواو والنون في الرفع. والياء والنون في الخفض والنصب، كسِنِين وعِضِين، غير أنهم قد قالوا: رِقين في جمع الرِّقَةِ وهي الوَرِقُ[2] وقد تكلّمنا على سِرّ هذا الجمع وسِرّ أرضين في «نتائج الفكر»[3] بما فيه جَلاءٌ والحمد لله.

---

(١) قلصت: انقبضت.

(٢) الوَرِق: النضة.

(٣) انظره ص (٣١).

طَـويـلٌ شَـديـدُ أُوارِ الـقِـتـا ... ل تَـنـفـي قَـواحِـزُهُ الـمُـقْـرِفـيـنـا

تَـخَـالُ الـكُـمَـاةَ بـأغـراضِـه ... ثِـمـالاً عـلـى لَـذَّةٍ مُـنـزِفـيـنـا

تَـعـاوَرُ أيـمَـانُـهُـم بَـيْـنَـهُـم ... كـؤوسَ الـمنَـايا بـحدّ الـظُّـبِـيـنا

شَـهِـدْنـا كـكُـنَّـا أُولِـي بَـأسِـه ... وتـحـت الـعَـمايـة والـمُـعْـلِـمِـينا

بـخُـرْس الـحَـسِـيسِ حِـسانٍ رِواء ... وبُـصْـرِيَّـة قـد أجْـمَـنَ الـجُـفـونـا

وقـولـه:

كـنـار أبـي حُـبَـاحِـبَ والـظـبـيـنـا

يقال: أبو حُبَاحِب ذُبَابٌ يَلْمَعُ بالليل، وقيل: كان رجلاً لئيمًا لا يرفع ناره خَشْيَةَ الأضياف، ولا يوقِدها إلا ضعيفَةً، وترك صَرْفَه ولم يَخْفِضْ، وهو في موضع الخفض، لما قدَّمناه من أن الاسم إذا تُرِك صَرْفُه ضرورةً أو غير ضرورة، لم يدخله الخفضُ كما لا يدخله التَّنوينُ، لئلا يُشْبِهَ ما يُضيفه المتكلمُ إلى نفسِه، وقال أبو حنيفة: لا أدري ما حُبَاحِبٌ ولا أبو حُبَاحِبٌ، ولا بلغني عن العرب فيه شيءٌ، وقال في الإرَةِ عن قوم حكى قولهم: هو من أَرَيْتُ الشيء إذا علمته، وقال: الأَرْيُ هو عمل النحل وفعلها، ثم سمّي العسل أرْيًا لهذا كما يُسَمَّى مَزْجًا وأنشد [لأبي ذُؤَيبٍ الهُذَلِي]:

وجَاءُوا بِـمَـزْجٍ لـم يَـرَ الـنـاسُ مِـثـلـه ... هـو الـضَّـحْـكُ إلاَّ أنَّـه عَـمَـلُ الـنَّـحْـل

قال: والضَّحْك: الزُّبْدُ الأبيض، وقيل: الثَّغر، وقيل: الطَّلْعُ، وقيل: العَجَب.

وقوله: والظُّبِينَا: جمع ظُبَةٍ، جَمَعَها على هذا الجمع المسلم، لما قَدَّمناه في الأرِين والسِّنين، غير أنه لم يكسِر أوَّل الكلمة كما كُسِرتْ السِّين من سِنِينَ إشْعَارًا بالجمع، لأن ظُبِين لا يُشْبِه أن يكون واحدًا، إذ ليس في الأسماء فُعِيل، وكَسَرُوا أوّل سِنين إيذانًا بأنه جَمْعٌ كي لا يُتَوَهَّمَ أنه اسم على فُعُول، إذ ليس في الأسماء فعُولٌ ولا فِعِيل ولم يبلغ سيبويه أن ظُبَة تجمع على ظُبين، وقد جاء في هذا الشِّعر، وفي غيره كما تراه.

وقوله: قَوَاحِزُه: جمع قاحِزٍ وهو الوَثَّابُ القلِقُ، يقال: قَحَز قَحَزانًا [وقَحْزًا وقُحوزًا]، إذا وَثَب وقَلِقَ. وقوله: بخُرْسِ الحَسِيسِ، يصف السُّيوفَ بالخَرَسِ لوقوعِها في الدم واللحم.

وقوله: حِسانٍ رِوَاء: من الدَّم، وقوله: بُصْرِيَّة: منسوبة إلى بُصْرَى من أرض الشام، كما أن المَشْرَفيَّة مَنْسُوبة إلى مَشَارِفَ من أرضِ الشام، لأنها تُصْنَع فيها.

وقوله: قد أَجِمْنَ الجُفُونَا، أي: كَرِهْنَ المِقَامَ فيها، ومَلَلْنَهُ، ومنه قولُ هِشَامٍ لسَالم بنِ

فَمَا يَنفلِلْنَ وما يَنحَنِين — وما يَنتَهِين إذا ما نُهِينا
كبرْق الخريف بأيْدي الكُماةِ — يُفَجِّعن بالظِّلِّ هامًا سُكُونا
وعَلَّمَنا الضَّربَ آباؤنا — وسَوْف نُعلِّم أيضًا بَنينا
جِلادَ الكُماة وبَذْل التِّلا — دِ عن جُلِّ أحْسابنا ما بَقِينا
إذَا مَرَّ قَرْن كَفَى نَسْلُه — وأوْرَثَهُ بَعْدَهُ آخرِينا
نَشِبُّ وتَهْلِك آباؤنا — وبينا نُربّي بَنينا فنِينا
سألتُ بك ابنَ الزِّبَعْرَى فلم — أُنَبَّأك في القَوْمِ إلا هَجِينا
خَبيثًا تُطيف بك المُنْدِيات — مُقِيمًا على اللُّؤْمِ حينًا فحينا
تبجَّسْت تَهْجو رسول المَلِيـ — ـك قاتلَك الله جِلْفًا لَعِينا
تَقُول الخَنائم تَرْمي به — نَقِيَّ الثِّياب تَقِيًّا أمِينا

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذي يليه والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله: «نشبّ وتهلك آباؤنا» والبيت الذي يليه، والبيت الثالث منه، أبو زيد الأنصاريّ.

قال ابن إسحٰق: وقال كعب بن مالك أيضًا، في يوم أُحد:

سائِلْ قُرَيْشًا غَداة السَّفْح من أُحُدٍ — ماذا لَقِينا وما لاقَوْا مِنَ الهَرَبِ
كُنَّا الأسودَ وكانوا النُّمْر إذا زَحفوا — ما إنْ نُراقِب من آلٍ ولا نَسَبِ
فكَمْ تَركنا بها من سَيِّدٍ بَطلٍ — حامي الذّمار كَرِيم الجَدِّ والحَسَب

عَبْدِ الله: ما طعامُك! قال: الخُبْزُ بالزَّيت، قال: أما تأْجِمُهُمَا؟ قال: إذا أَجِمْتُهمَا تَرَكْتُهما حتى أشْتَهِيهمَا.

وقوله:

وتحت العَمَاية والمُعْلِمينا

بإسقاط الواو من أوّل القَسِيم الثاني وقع في الأصل وفي الحاشية، وتحت العَمَاية بواو العطف وقع في الأصلين، وبها يَكْمُل الوزنُ ولا يجوز إسقاطها إلاّ على مذهب الأخْفَشِ الذي يُجيز الخَرْمَ في أوّل القَسِيم الثاني من البيت، كما يجيزه العَروضِيُّون في أوّل البيت.

وقوله: تطيف بك المُندِيات: أي الأمور الشَّنِيعة.

وقوله: تَبَجَّسْتَ، من تَبَجَّسَ الماءُ، إذا انفجر.

فِينا الرَّسولُ شِهابٌ ثم يَتبعه نورٌ مُضِيءٌ له فَضل على الشُهب
الحَقّ مَنْطِقه والعَدْل سِيرَتُه فمَنْ يُجِبْه إليه يَنجُ من تَبَب
نَجْد المُقدَّم، ماضِي الهَمّ، مُعْتزم حين القُلوب على رجْفٍ من الرُّعُب
يمضِي ويَذْمُرنا عن غير مَعْصية كأنه البدرُ لم يُطْبع على الكذب
بَدَا لَنا فاتَّبعناه نُصدّقه وكذَّبوه فكنَّا أسعدَ العَرب
جالُوا وجُلْنا فما فاؤوا وما رَجعوا ونحن نَثْقِنهم لم نَألُ في الطَّلب
ليس سواءً وشَتَّى بين أمْرِهما حزبُ الإله وأهل الشِّرك والنُّصُب

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «يمضي ويذمرنا» إلى آخرها، أبو زيد الأنصاري.

شعر ابن رواحة في بكاء حمزة:

قالِ ابن إسحٰق: وقال عبدُ الله بن رَوَاحة يَبْكي حمزةَ بن عبد المطَّلب: قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكَعْب بن مالك:

بكَتْ عَيْني وحُقَّ لها بُكاها وما يُغنِي البُكاء ولا العوِيلُ
على أسدِ الإلٰهِ غداةَ قالوا أحَمزةُ ذاكمُ الرجلُ القتيلُ
أُصيب المُسْلمون به جميعًا هُناك وقد أُصِيب به الرَّسول
أبا يَعْلَى لك الأركانُ هُدَّت وأنت الماجدُ البَرُّ الوَصُول
عَليك سلامُ ربِّك في جِنانٍ مُخالِطها نَعيمٌ لا يَزُول
ألا يا هاشمَ الأخيارِ صَبْرًا فكُلُّ فِعالكم حَسَنٌ جَميل
رسولُ الله مُصْطَبِر كريمٌ بأمْرِ الله يَنْطق إذ يَقُول
ألا مَنْ مُبْلِغ عنِّي لُؤَيًّا فبَعد اليَوْمِ دائلةٌ[1] تَدُول
وقَبل اليَوْمِ ما عَرفوا وذاقوا وقائِعَنا بها يُشْفَى الغَلِيل
نَسِيتم ضَرْبنا بقَلِيب بَدْرٍ غداةَ أتاكُمُ المَوْتُ العَجيل
غداةِ ثَوى أبو جَهل صَرِيعًا عليه الطَّير حائمة تَجُول

....

(١) دائلة: منقلب.

وعُتْبةَ وابنُه خَرًّا جميعًا ... وشَيبةُ عضَّه السيفُ الصَّقيل
ومَتركُنا أُمَيَّةَ مُجلَعِبًّا[1] ... وفي حَيزُومه[2] لَدْنٌ نَبيل
وهامَ بَني رَبيعة سائِلُوها ... ففي أسْيافنا مِنها فُلُول
ألا يا هِنْدُ فابكي لا تَمَلِّي ... فأنت الوَالِه العَبْرَى الهَبُول
ألا يا هِنْدُ لا تُبْدِي شِماتًا ... بحَمْزة إنْ عزّكم ذَلِيل

شعر كعب في أُحُد:

قال ابن إسحٰق: وقال كعب بن مالك:

أبْلغ قُرَيْشًا على نَأيِها ... أتَفْخَر مِنا بِما لَم تَلِي
فَخَرْتُم بقَتلى أصابتهُمُ ... فواضلُ من نعَم المُفْضِل
فحَلُّوا جنانًا وأبْقَوا لكم ... أسُودًا تُحامي عَنِ الأشْبُل
تُقاتل عن دينها وَسْطَها ... نَبِيٌّ عَنِ الحَقّ لمْ يَنْكُل
رَمَتْه مَعدٌّ بعُور الكَلام ... ونَبْل العَداوة لا تَأتلي

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لم تلي»، وقوله: «من نعَم المفضل» أبو زيد الأنصاريّ.

شعر ضرار في أُحُد

قال ابن إسحٰق: وقال ضِرَارُ بن الخَطّاب في يوم أُحُد:

ما بالُ عَيْنكَ قد أزْرى بها السُّهُدُ ... كأنّما جالَ في أجْفانها الرَّمَدُ
أمِن فِراق حَبيبٍ كُنتَ تَألَفه ... قد حالَ من دونه الأعداءُ والبُعد
أم ذاك من شَغْب قومٍ لا جَداء بهم ... إذ الحُروب تلظَّت نارُها تَقِد
ما ينْتَهُون عن الغَيّ الذي رَكِبوا ... وما لهم من لُؤَيّ وَيْحهم عَضُد
وقد نَشَدناهُمُ بالله قاطبةً ... فمَا تردّهم الأرحامُ والنُّشَد

شعر ضرار

وقول ضِرَارٍ في قصيدته الدَّاليَّة يَكْبُو في جَدِيَّته، أي: في دمه.

(١) مجلعبًّا: مضطجعًا.
(٢) الحيزوم: وسط الدار.

حتى إذا ما أبَوْا إلا مُحاربةً ... واستَخصدت بيننا الأضْغان والحِقِدُ
سِرْنا إلَيهم بجَيْش في جَوانبه ... قَوانِسُ البَيض والمَخبوكةُ السُّرد
والجُرْدُ تَرفُل بالأبْطال شازِيةً ... كأنَّها حِدَأٌ في سَيْرها تُؤَد
جَيْش يَقُودُهُمْ صَخر ويرأَسهُم ... كأنَّه لَيْثُ غابٍ هاصِرٌ حَرِد
فأَبْرَز الحَين قوْمًا من مَنازلهم ... فكان مِنَّا ومنهم مُلْتَقَى أُحُد
فغُودِرت منهمُ قَتْلى مُجَدَّلة ... كالمَعْز أصردَه بالصَّرْدح البَرد
قَتْلى كرامٌ بنو النجَّار وَسْطهم ... ومُصْعب مِن قَنانا حوله قِصَد
وحَمْزة القَرْم مَضروع تُطيف به ... ثَكْلَى وقد حُزّ منه الأنْف والكَبد
كأنّه حين يكْبُو في جَديَّته ... تحت العِجاجِ وفيه ثَعْلَب جَسِد
حُوارُ نابٍ وقَدْ ولَّى صَحابتُه ... كما تولَّى النَّعام الهارِب الشُّرد
مجِلّحين وَلا يَلْوون قد مُلِئوا ... رُعْبًا، فنَجَّتهم العَوْصاء والكُؤُد
تَبْكي عليهم نِساءٌ لا يعُولَ لهَا ... مِنْ كُلِّ سالِبة أثوابُها قِدَد
وقَدْ ترَكْناهم للطَّيْر ملْحمة ... وللضباع إلى أجْسادهم تَفِد

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لضِرَارٍ.

رجز أبي زعنة يوم أُحد:

قال ابن إسحٰق: وقال أبو زَعْنة بن عبد الله بن عمرو بن عُتبة، أخو بني جُشَم بن الخزرج، يوم أُحد:

أنا أبو زَعْنة يعدو بي الهُزَمْ ... لم تُمنَعِ المَخْزاة إلا بالألَمْ
يحمي الذمّارَ خَزرجيّ من جُشَمْ

وقوله: ثَعْلَبٌ جَسَدٌ، يريد ثَعْلَبَ الرُمْحِ، وجَسِدَ من الجِسَاد وهو الدم.

وقوله: الأضغان والحِقِد، حَرّك القافَ بالكسر ضَرُورةً، ولو وقف على الدال بالسكون، وكان الاسمُ مخفوضًا كان الكسر أحسنَ في الوقف، كما قال: واضْطِفَافًا بالرِّجِلْ، أي: الرِّجْل.

وقوله: العَوْصَاءُ والكُؤُد، يريد الرَّمْلَة العَويصَ مَسْلَكُها، والكُؤُد جمع عَقَبَةٍ كَؤُودٍ وهي الشاقّة.

رجز ينسب لعليّ في يوم أُحُد:

قال ابن إسحاق: وقال عليّ بن أبي طالب ـ قال ابن هشام: قالها رجل من المسُلمين يوم أُحد غير عليّ، فيما ذُكر لي بعضُ أهل العلم بالشعرِ، ولم أر أحدًا منهم يعرفها لعليّ:

لا هُمَّ إنّ الحارث بن الصمّةْ ... كان وفيًّا وبنا ذا ذِمَّةْ
أقْبَل في مَهامهٍ مُهِمَّةْ ... كَليلة ظَلْماءَ مُدْلهِمّة
بين سُيوف ورِماح جَمَّةْ ... يَبْغي رسولَ الله فيما ثَمّة

قال ابن هشام: قوله: «كليلة» عن غير ابن إسحاق.

رجز عكرمة في يوم أُحُد

قال ابن إسحاق: وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أُحد:

كلُّهم يزجره أرْحِبْ هَلا ... ولن يَرَوْه اليومَ إلا مُقْبلا
يَحمل رُمْحًا ورَئيسًا جَحْفلاَ

شعر الأعشى التميمي في بكاء قتلى بني عبد الدار يوم أُحُد:

وقال الأعشى بن زُرارة بن النَّباش التَّميمي. قال ابن هشام: ثم أحد بني أسد بن عمرو بن تَميم ـ يبكي قَتْلى بَني عَبْد الدّار يومَ أُحد:

حِيِّيَ مِنْ حَيّ عليَّ نأيهم ... بنو أبي طَلْحة لا تُصرفُ
يَمُرّ ساقيهم عليهم بها ... وكلُّ ساق لهمُ يَعرف
لا جارُهم يَشْكو ولا ضَيْفُهم ... مِنْ دُونه باب لهم يَصرِف

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى يوم أُحد:

قتَلْنا ابن جَحْش فاغتبطنا بقَتْله ... وحَمْزةَ في فُرْسانه وابن قَوْقل
وأفلَتَنا منهم رجالٌ فَأسْرَعوا ... فلَيتهم عاجُوا ولم نتعجل
أقامُوا لَنا حتى تَعض سُيوفنا ... سَراتهم وكلُّنا غير عزّل

رجز عكرمة

وقول عِكْرِمَةَ: أرْحبْ هَلا، هو من زَجْر الخَيْل، وكذلك هِقِطْ وهِقِطْ وَهَبْ وسقب. وذكر قول نعيم:

وحتى يكون القتلُ فينا وفيهِمُ ويَلْقُوا صَبوحًا شَرّه غير مُنْجَلي

قال ابن هشام: وقوله: «وكلنا» وقوله: «ويلقوا صبوحًا»: عن غير ابن إسحٰق.

شعر صفية في بكاء حمزة:

قال ابن إسحٰق: وقالت صَفِيَّة بنت عبد المطَّلب تبكي أخاها حمزةَ بن عبد المطَّلب:

أسائِلة أصحاب أُحُد مَخافةً بناتُ أبي من أعْجَم وخَبِير

فقال الخَبير إنّ حَمْزة قد ثَوَى وَزيرُ رسولِ الله خيرُ وَزير

دَعاه إلٰهُ الحقّ ذو العرْش دَعوةً إلى جنَّة يحيا بها وسُرور

فذلك ما كُنَّا نرجُي ونَرْتجي لحَمْزة يومَ الحَشْر خير مَصير

فوالله لا أنساك ما هبَّت الصّبا بكاءً وحزنًا مَحْضَري ومَسِيري

على أسد اللهِ الذي كان مِدْرَهًا[1] يَذُود عن الإسْلام كلَّ كَفُور

فيا لَيْت شلْوي[2] عند ذاك وأعْظُمي لدى أضْبُع تعْتادني ونُسور

أقولُ وقد أعْلَى النَّعِيّ عَشيرتي جزى الله خيرًا مِنْ أخٍ ونَصير

قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ أهل العِلْم بالشعر قولها:

بكاء وحُزْنًا مَحْضَري ومسيري

شعر نعم في بكاء شماس

قال ابن إسحٰق: وقالت: نُعم، امرأة شَمَّاس بن عثمان، تبكي شَمَّاسًا، وأُصيب يوم أُحُد:

يا عينُ جودِي بفَيْضٍ غير إبْساسِ[3] على كريم مِن الفِتْيان أبّاسِ

صَعْبِ البَديهَة مَيْمُونِ نَقِيبتُه حَمّالِ ألْوِيَة رَكّاب أفْراس

شعر نعيم

يا عيْنُ جودِي بفيض غَير إبْسَاسِ

(١) مدرهًا: سيدًا. (٢) شلوي: جسدي.

(٣) إبساس: غير قليل.

أقولُ لمَا أتى الناعِي له جَزعًا   أوْدَى الجوادُ وأوْدَى المُطْعم الكاسِي
وقُلْتُ لمَا خَلَت منه مَجالسُه   لا يُبعدِ الله عَنَّا قُرْبَ شَمَّاس

شعر أبي الحكم في تعزية نعم:

فأجابها أخوها، وهو أبو الحَكَم بن سعيد بن يَرْبوع، يعزّيها، فقال:

اقْنَى حياءَك في سِتْرٍ وفي كَرَم   فإنَّما كانَ شَمَّاس مِنَ النَّاس
لا تَقْتُلي النفسَ إذ حانت مَنِيَّته   في طاعةِ الله يومَ الرَّوْع والباس
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبِري   فذَاق يومَئذٍ من كأسِ شَمَّاس

الإبساس: أنْ تَستَدِرَّ لَبَنَ الناقة بأن تَمْسَح ضَرْعَها، وتقول لها: بَسْ بَسْ فاستعارت هذا المعنى للدمْع الفائض بغير تَكلُّفٍ ولا اسْتِدْرارٍ له.

وقولها: صَعْب البَدِيهَة، أي: بَدِيهَتُه لا تُعارَض ولا تُطاق، فكيف رَوِيَّته واحْتِفَالُه.

شعر كعب اللامي:

وفي شعر كعب:

بَكَتْ عَيْني وحق لها بكاها   وما يُغْنِي البُكَاءُ ولا العَوِيلُ

وضع المقصور في مَوْضِعِه، والممدود في موضعه، لأن البُكا مَقْصُور بمعنى الحزن والغم، وإن كان ممدودًا فهو الصُّراخُ، وكذلك قياس الأصوات أن تكون على فُعال، فقوله: حُق لها بُكَاها، أي: حق لها حزنُهَا، لأنه الذي يَحِقُّ دون الُصراخ. ثم قال: وما يُغْني البكاءُ ولا العِويلُ، أي: ليس ينفع الصِّياحُ ولا الصُّراخُ، ولا يُجْدِي على أَحَدٍ، فتنزلت كُل كلِمةٍ مَنْزَلتها.

وقوله: حُقَّ لها، أي: حَقَّ، والأصل: حَقِقَ على فَعِل، فبكاها: فاعِلٌ لا مفعول، وكل فِعْلٍ إذا أردت المبالغة في الأمر ومعنى التَّعجُّب نقلت الضَّمَّةَ من عين الفعل إلى فائه، فتقول: حُسْن زَيْدٌ، أي: حَسُنَ جدًا، فإن لم تُرِدْ معنى التعجب لم يجز إلاّ الضَّمُّ أو التَّسْكِين، تقول: كَبُر زَيْدٌ وكَبْر، ولا تقول: كُبْرَ إلا مع قَصْد التَّعَجُّب. قال الشاعر [الأخطلُ]:

فقلتُ: اقْتُلُوها عنكم بِمزاجِها   وحُبَّ بها مَقْتُولَةً حين تُقْتَل

شعر هند بعد عودتها من أحد:

وقالت هِنْد بنت عُتبة، حين انصرف المشركون عن أُحُد:

رجعتُ وفي نَفْسِي بَلابلُ[1] جَمَّةٌ ... وقد فاتني بعضُ الذي كانَ مَطْلبِي

مِن أصحابِ بدرٍ من قُريش وغيرِهم ... بني هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب

ولكنَّني قد نِلْتُ شيئًا ولم يَكن ... كما كنتُ أرجو في مسيري ومرْكبي

قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ أهل العِلم بالشعر قولَها:

وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي

وبعضهم يُنكرها لهِنْد، والله أعلم[2].

يعني الخمر. وقال آخر: [سهم بن حنظلة الغنوي]:

لم يمنع القومُ مِنِّي ما أَرَدْتُ ولم ... أُعْطِيهُم ما أرادُوا حُسْنَ ذا أَدَبَا

أي حَسُن، وقال آخر:

ألا حُبَّ بالبيت الذي أنت زائرُه

وقال: بالبيت، لأن معناه كمعنى أحْبِبْ بالبيت تَعَجُّبًا. وقول كعبٍ:

أَبَا يَعْلَى لكَ الأركانُ هُدَّتْ

كان حمزة يُكْنَى أبا يَعْلَى بابنه يَعْلَى، ولم يَعِشْ لحمزةَ ولدٌ غيرُه، وأَعْقَبَ يَعْلى خَمْسة من البنين، ثم انقرض عَقِبُهم فيما ذكر مُصْعَبٌ ويُكْنَى حمزةُ أيضًا أبا عُمَارة، وقد تقدم ذكره في المبعَثِ، بهذه الكُنْيةِ، قيل: إن عُمَارَة بنت له كُنِّي بها، وهي التي وقع ذكرها في السُّنَن للدَّارَقطني: أن مَوْلى لحَمْزَة مات، وترك بنتًا فَوَرِثَتْ منه النصفَ، وورثت بنتُ حَمْزةَ النصف الآخر، ولم يُسَمِّها في السنن، ولكن جاء اسمها في كتاب أحكام القرآن لبَكْر بن العَلاء والله أعلم، وقد رُوي أن الولاء كان لها، وأنها كانت المُعتِقَةَ لا حَمْزةَ.

---

(١) بلابل: شكوك.

(٢) اشتملت غزوة أُحد على كثير من الأحكام الفقهية، والحكم العظيمة، والآيات العجيبة أورد الإمام العلاّمة ابن القيم منها الكثير في الزاد. فانظره هناك (٣/ ٢١١ ـ ٢٤٢). رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنّا كل وجمعنا الله وإياه في جنته بفضل منه رحمة ـ دون سابقة عذاب ـ تحت لواء نبينا وقائدنا وأسرتنا ـ محمد ﷺ. وجزاه الله عنّا خير ما جازى نبيًا عن أمته ورسولاً إلى قومه.

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث مقتل خبيب وأصحابه

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زِياد بن عبد الله البَكائي عن محمد بن إسحٰق المُطَّلبي، قال: حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: قَدِم على رسول الله ﷺ بعد أُحد رهطٌ من عضَل والقارة.

نسب عضل والقارة:

قال ابن هشام: عَضَل والقارة، من الهَوْن بن خُزَيمة بن مُدْركة.

قال ابن هشام: ويقال: الهُون، بضم الهاء.

قال ابن إسحٰق: فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلامًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يُفقِّهوننا في الدين، ويُقرِئوننا القرآن، ويُعلِّموننا شرائع الإسلام. فبعث رسولُ

مقتل خبيب وأصحابه(١)

وذكر غَدْرَ عَضَلٍ والقَارَةَ، وهما بَطْنان من بني الهُون، والهُون هم بنو الرِّيش ويَثِيعُ ابْنَيْ الهُونِ بن خُزَيْمَةَ، وقد تقدّم التعريف بمعنى القَارِة، وبالمثَل جَرَى فيهم، والقَارَةُ الحَرَّةُ(٢)، وذكرنا السببَ في تَسْمِيَتهم بها.

وذكر أن أصحابَ خُبَيْبٍ كانوا سِتَّةً، وفي الجامع الصحيح للبخاري أنهم كانوا عَشَرَةً، وهو أصح، والله أعلم.

---

(١) انظر الواقدي (٣٤٤) الطبقات (٢/١/٣٩) تاريخ الطبري (٣/٢٩) البداية (٤/٦٣) المواهب (١/١٣٠) جوامع السيرة لابن حزم (٢١٤) البخاري (٥/١٠٣) أحمد في مسنده (٥/٧٩).

(٢) الحرّة: أرض ذات حجارة سوداء كأنها أحرقت.

الله ﷺ نفرًا ستة من أصحابه، وهم: مرثد بن أبي مرثد الغَنويّ، حليفُ حمزة بن عبد المطَّلب؛ وخالدُ بن البُكير اللَّيثي، حليف بني عَدِيّ بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس؛ وخُبَيب بن عديّ، أخو بني جَحْجَبى بن كُلْفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدَّثِنَّة بن مُعاوية، أخو بني بَياضة بن عمرو بن زُريق بن عبد حارثة بن غضب بن جُشَم بن الخَزْرج؛ وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخَزْرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس.

وأمَّر رسول الله ﷺ على القوم مَرثَد بن أبي مرثد الغَنوي فخرج مع القوم. حتى إذا كانوا على الرَّجيع، ماء لهُذيل بناحية الحِجاز، على صدور الهَدْأة غدرُوا بهم، فاستصرَخوا عليهم هُذيلاً؛ فلم يَرُع القوم، وهم في رِحالهم، إلاَّ الرجالُ بأيديهم السيوف، قد غشُوهم؛ فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوهم، فقالوا لهم: إنا والله ما نُريد قتلَكم، ولكنَّا نُريد أن نُصيب بكم شيئًا من أهل مكّة ولكم عهدُ الله وميثاقُه أن لا نقتلكم.

مقتل مرثد وابن البكير وعاصم:

فأمَّا مَرْثَد بن أبي مرثد، وخالد بن البُكير، وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نَقْبل من مُشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا؛ فقال عاصم بن ثابت:

مـا عِـلَّـتِـي وأنـا جَـلْـدٌ نـابِـلُ ... والـقَـوْسُ فـيـهـا وَتَـرٌ عُـنـابِـلُ

وذكر أسماءَ السِّتَّةِ، وقد نسبهم فيما تقدّم، فأما خُبَيْب فهو من بني جَحْجَبى بن كُلْفة بن عَمْرو بن عَوْف بن مَالِكِ بن الأوس، وزَيْد بن الدَّثِنَّة بن معاوية مَقْلُوبٌ من الثدْنَةِ والثَّدَنُ استِرْخاءُ اللحم.

وذكر فيهم عاصِمَ بن ثَابتٍ وقوله:

مـا عِـلَّـتـي وأنـا جـلـدِ نـابِـلُ ... والـقَـوْسُ فـيـهـا وَتَـرٌ عُـنَـابِـلُ

والعُنَابِلُ: الشديدُ، وكأنه من العَبَالَة، وهي القُوَّة، والنون زائدة، والعَبَالَةُ أيضًا: شجرة صُلْبَةٌ، وفي الخبر أن عَصَا موسى كانت من عَبَالةٍ، وقد رُوي أن عصا موسى كانت من عَيْنِ وَرَقَةِ آس الجَنَّةِ[1]، ويجوز أن يكون مَنْحُوتًا من أصلين: من العَنَنِ والنَّبْلِ، كأنه يُصيب ما عَزَّله بِنَبْله.

---

(١) البحث في عصا يوسف عليه الصلاة والسلام وكيفيتها وطولها ووصفها، علم لا ينفع وجهل لا يضرّ، ولو كان في الأمر خيرًا لجاء وصفها وكيفيتها إلى غير ذلك في القرآن أو على لسان النبي ﷺ في السنة «الصحيحة»، فما وجدت من وصفها في كتب التفسير فارم به.

تَزِلُّ عن صَفحتها المعابِلُ ... الموتُ حَقٌّ والحَياةُ باطِل

وكلُّ ما حَمّ الإلهُ نازلُ ... بالمَرْءِ والمرْءُ إليه آئِل

إن لم أُقاتلكم فأُمّي هابِل

قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضًا:

أبو سُلَيمان وريشُ المُقْعَد ... وضالَةٌ مثل الجَحيمِ المُوقَدِ

إذا النَّواجي افتُرِشْتِ لم أُرْعد ... ومُجْنأ من جلدِ ثَوْرٍ أجْرَدِ

ومُؤمِنٌ بما على محمَّد

وقال عاصم بن ثابت أيضًا:

أبو سُلَيمان ومِثْلي رامَى ... وكان قومي معشرًا كرامَا

وكان عاصم بن ثابت يُكنى: أبا سليمان. ثم قاتل القوْمَ حتى قُتل وقُتل صاحباه.

وذكر قوله: أبو سُلَيْمَان وريشُ المُقْعَد.

قوله: أبو سليمان، أي: أنا أبو سُلَيْمَان قد عُرِفْتُ في الحُروبِ، وعندي نَبْلٌ راشها المُقْعُد، وكان رائِشًا صانعًا. وريشٌ: السَّهْمُ المحمودُ فيه اللُّؤَامُ، وهو أن تكون الرِّيشَةُ بطْنُها إلى ظَهْر الأخرى، واللُّغَابُ يعكس ذلك، أن يكون ظهرُ واحدة إلى ظَهْر الأُخْرى، وهو الظُّهَارُ أيضًا، وهو اللُّؤَام أخِذَ اللأْمُ وهو السهم المَرِيشُ قال امرؤ القيس:

كَرك لأمَينِ على نابِل

وسُئل رُؤْبةُ عن معنى هذا البيت، فقال: حدّثني أبي عن أبيه، قال: حدّثتني عمتي، وكانت في بني دَارِمٍ قالت: سألت امْرَأَ القَيْسِ، وهو يشرب طِلاءً له مع عَلْقَمَةَ بنِ عَبْدَة: ما معنى قولك:

كَرِّكَ لأمَينِ على نابِل

فقال: مررت بنابلٍ وصاحبُه يناوله الرِّيش لُؤَمًا وظُهَارًا، فما رأيت شَيْئًا أسرعَ منه، ولا أحْسَنَ فَشبَّهت به، ذكر هذا أبو حنيفة. وقوله: وضَالةٌ، أي: سِهَامٌ قِدَاحُها من الضَّالِ، وهو السِّدْرُ. قال الشاعر [ذو الرُّمَّة]:

قَطَعْتُ إذَا تَخوَّفت العَوَاطِي ... ضُرُوبَ السِّدْرِ عُبْرِيًا وضَالاَ

حمايـة الدبـر لعاصـم:

فلما قُتِل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسِه، ليبيعوه من سُلافة بنت سَعد بن شُهَيد، وكانت قد نَذَرت حين أصاب ابنيها يوم أُحد: لئن قَدَرت على رأس عاصم لتشربَنّ في

فالعُبْرِيُّ منها ما كان على شُطُوطِ الأنهَارِ، والضّالُ ما كان في البَرِّيَّةِ، والعَواطي هي الماشية تَعْطو أي تَتَنَاوَلُ، وإنما تتناول أطراف الشَّجَرِ في الصيف، فمعناه: قطعتُ هذه الصحراءَ في هذا الوقتِ، وتخوّفت: أي تَنَقَّصْتُ من قوله سبحانه: ﴿أو يأخذَهم على تَخوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]. وذكر أن حُجَيْرَ بنَ أبي إهابٍ هو الذي اشترى خُبَيْبًا، وكان خُبَيْبٌ قد قتل الحارث بن نَوْفَلٍ أخا حُجَيْرٍ لأُمِّه، وقال مَعْمَرُ بنُ راشدٍ: اشترى خُبَيْبًا بنو الحارثِ بن نَوْفَلٍ، لأنه قتل أباهم يوم بدر، والمعنى قريب مما ذكر ابنُ إسحٰق.

وقوله: ماوِيَّة بنت حُجَيْرٍ بالواو، رواه يُونُس بن بكير عن ابن إسحٰق، ورواه غيرُه عن ابن إسحٰق: مارِية بالراء، وبالواو وقع في النسخ العَتيقَةِ من رواية ابنِ هِشَامٍ، كما رواه ابن بَكِيرٍ، وقد تكلّمنا عن اشتقاق هذا الاسم في صدر هذا الكتاب، فأغنى عن إعادته، وذكرنا أن المارِيَة بالتخفيف هي البَقَرَةُ، وبتشديد الياء: القَطَاة المَلْسَاءُ، وأما الغلام الذي أعطته المُدْيَةَ، فقيل: هو أبو عيسى بن الحارث بن عَديٍّ بن نَوْفَلٍ بن عَبْد مَنَافٍ، قاله الزبير: وهو جَدُّ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي حُسَيْنٍ الذي يروي عنه مالكٌ في المَوطَّأ.

وذكر أن أبا مَيْسَرَةَ هو الذي طَعَن خُبَيْبًا في الخَشَبَةِ، وهو أبو مَيْسَرَةَ بن عَوْف بن السَّبَّاق بن عَبْد الدار، والذي طعنه معه عُقْبَةُ بن الحارث يُكَنَّى أبا سَرْوَعَة، ويقال: إن أبا سَرْوَعَةَ وعُقْبَة أخوان أسلما جميعًا ولعُقْبَةَ بنِ الحارث حديثٌ واحد في الرَّضاع، وشَهَادَةِ امرأةٍ واحدةٍ فيه. وحديثُه مشهور في الصِّحَاحِ، فيه أنه قال: تزوجتُ بنت أبي إهاب بن عزيز، فجاءت امرأةٌ، سَوْداءُ، فقالت: إني قد أَرْضَعْتُكما، وذكر الحديث وزاد فيه الدَّارقُطنِيُّ قال: جاءت امرأةٌ سَوْدَاءُ تَسْأَلُ، فلم نُعْطِها شيئًا، فقالت: إني والله أرْضَعْتُكما، فذكر ذلك للنبيّ - ﷺ - وقال: إنها كاذبةٌ يا رسول الله، فقال له عليه السلام: «كيف؟» وقد قيل: فَطَلَّقها، ونكحت ضَرِيبَ بن الحارث، فولدت له أُمَّ قِتَالٍ، وهي امرأةُ جُبَيْرِ بن مُطْعِم، وأُمُّ ابنِه محمد، ونافع ابنا جابر، واسم هذه المرأة التي طلّقها عُقْبَةُ: غُنَيَّةُ، وتُكَنَّى أُمَّ يَحْيىٰ، ذكر اسمها أبو الحسَن الدَّارَقُطْني في المُؤْتلِف والمُخْتَلِف، ولم يذكره أبو عُمَرَ في كتاب النساء، ولا كثير ممن ألّف في الحديث.

وذكر قصّة عاصم خين حَمَتْه الدَّبْرُ. الدَّبْرُ هاهنا: الزَّنَابِيرُ، وأما الدَّبْرُ فصغار الجراد، ومنه يقال: ماء دَبْر قاله أبو حنيفة، قال: وقد يقال للنَّحْل أيضًا: دَبْر بفتح الدَّال واحدتها

قِحْفه الخمر، فمنعته الدَّبْرُ، فلما حالت بيْنه وبينهم الدَّبْرُ قالوا: دعُوه يُمْسِي فتذهب عنه، فنأخذه. فبَعث الله الواديَ، فاحتمل عاصمًا، فذهب به. وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهدًا أن لا يَمَسَّه مشركٌ، ولا يَمَسَّ مُشركًا أبدًا، تَنجُّسًا؛ فكان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول: حين بلغه أن الدَّبْر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نَذَر أن لا يمسَّه مشرك، ولا يمسّ مُشركًا أبدًا في حياته، فمَنعه الله بعد وفاته، كما امتَنع منه في حياته.

مصرع خبيب وابن طارق وابن الدثنة:

وأما زيد بن الدَّثِنَّة وخُبَيب بن عديّ، وعبد الله بن طارق، فلانُوا ورقُّوا ورغبوا في الحياة، فأعْطوا بأيديهم، فأسروهم، ثم خَرجوا إلى مكَّة، ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظَّهران انتزع عبدُ الله بن طارق يده من القِران، ثم أخذ سيفه، واستأْخر عنه القومُ، فَرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقَبْره، رحمه الله، بالظَّهْران؛ وأما خُبيب بن عَديّ وزيد بن الدَّثِنّة فقدموا بهما مكّة.

قال ابن هشام: فباعوهما من قُريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكّة.

دبرة، قال: ويقال له: خَشْرَمٌ، ولا واحد له من لفظه، هذه رواية أبي عُبَيْدٍ عن الأَصْمَعِيّ، ورواية غيره عنه أن واحدته: خَشْرَمَةٌ. والثَّوْلُ جماعة النحل أيضًا، ولا واحد لها، وكذلك النُوبُ واللُوبُ. ومن اللُوبِ: حديث زَبَّان بنِ قَسْوَرٍ، قال: رأيت النبيَّ - ﷺ - وهو نازلٌ بوادي الشوحط فكلّمته، فقلت: يا رسول الله إن معنا لُوبًا لنا - يعني نَحْلاً - كانت في عَيْلَم لنا به طَرْمٌ وشَمَعٌ، فجاء رجل فضرب ميتين فأنتج حيًّا، وكَفَّتَه بالتُّمام، يعني نارًا من زَنْدَيْنِ، ونحسه يعني: دُخْنَه، فطار اللُوبُ هاربًا، ودَلّى مِشْوَارَه في العَيْلَم فاشتار العَسَل، فمضى به، فقال النبيُّ - ﷺ -: «مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ سَرَقَ وَقَوْم، فأضَرَّ بهم، أَفَلاَ تبعتم أَثَره، وعرفتم خَبَره؟» قال: قلت: يا رسول الله إنه دخل في قوم لهم مَنَعَةٌ، وهم جيرانُنا من هُذَيْلٍ، فقال النبي - ﷺ -: «صَبْرَكَ صَبْرَكَ تردُ نهرَ الجَنَّةِ، وإن سَعَتَهُ كما بين اللقيقة والسحيقة يَتَسَبْسَبُ جَرْيًا بعسَلٍ صافٍ من قَذَاه ما تَقَيَّاه لُوبٌ، ولا مَجّه ثُوبٌ»[1]. فالعَيْلَم البئرُ، وأراد بها ها هنا قُبَّة النَّحْلِ أو الخَلِيَّة، وقد يقال لموضع النحل إذا كان صَدْعًا في جَبَل: شِيقٌ، وجمعه: شِيقانٌ، ويقال: لكل دُخَانٍ نُحَاسٌ، ولا يقال: أُيَامٌ إلاَّ لدخان النحل خاصَّة، يقال: آمها يئومُها إذا دَخَّنَهَا، قاله أبو حنيفة.

---

(١) أخرجه الدارقطني (٧٣) في المؤتلف. وقال: حديثه [يعني ابن قيس - أو قيسور]: منكر.

قال ابن إسحٰق: فابتاع خُبيبًا حُجيرُ بن أبي إهَابٍ التميميّ، حليف بنيٍ نوفل، لِعُقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه لقتله بأبيه.

قال ابن هشام: الحارث بن عامر، خال أبي إهاب، وأبو إهاب، أحد بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم، ويقال: أحد بني عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم، من بني تميم.

مثل من وفاء ابن الدثنة للرسول:

قال ابن إسحٰق: وأما زيد بن الدَّثِنَةِ فابتاعه صفْوان بن أُميّة ليقتله بأبيه، أُميَّة بن خَلَفٍ، وبعث به صَفْوانُ بن أُميَّة مع مَوْلى له، يقال له: نِسْطَاس، إلى التَّنْعيم، وأخرجوه من الحَرم ليقتلوه. واجتمعَ رهْطٌ من قُريش، فيهم أبو سُفيان بنُ حَرْب؛ فقال له أبو سُفيان حين قَدِم ليُقتل: أنْشُدُكَ الله يا زيد، أتحبّ أن محمدًا عندنا الآن في مكانك نَضْرِب عنقه، وأنك في أهْلك؟ قال: والله ما أحبّ أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شَوْكَة تُؤذيه، وأنّي جالس في أهلي. قال: يقول أبو سُفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يُحبّ أحدًا كحبّ أصحاب محمدٍ محمدًا؛ ثم قتله نِسطاس، يرحمه الله.

مقتل حجر بن عديّ:

فصل: وذكر أن خُبَيْبًا أول من سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عند القتل. قوله: هذا يَدُلُّ على أنهما سُنَّةٌ جاريةٌ، وكذلك فعلهما حُجْرُ بن عَدِيِّ بن الأدْبَر حين قتله معاويةُ ـ رحمة الله ـ وذلك أن زيادًا كتب من البَصْرِة إلى مُعَاوية يذكر أن حُجْرًا وأصحابه، قد خرجوا على السُّلْطَان، وشَقُّوا عصا المسلمين، ووجَّه مع الكتابِ بك فيه شهادة سبعين رجلاً فيهم الحسَن بن أبي الحسَن البَصريّ وابنُ سيرين والرَّبيعُ بن زِياد وجماعة من عِلْيَةِ التَّابعين ذكرهم الطبري[1] يشهدون بما قال زِيادٌ من خُروج حُجْرِ بن عَدِيّ عليه، وكان حُجْرٌ شديد الإنكار للظلم، غليظًا على الأمراء، وأنكر على زيادٍ أمورًا من الظلم فخرج عليه، ولم يكن قَصْدُه الخروجَ على مُعَاوِيَةَ، فلما حُمِل حُجْر إلى معاوية في خَمْسَةٍ من أصحابه، قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: أو أنا للمؤمنين أمير؟! ثم أمر بقتله، فعند ذلك صَلَّى حُجْرُ الركعتين، ثم لقي معاويةُ عائشةَ بالمدينة، فقالت له: أما اتقيت الله يا مُعَاوِيَةَ في حُجْر بن عدي وأصحابه؟ فقال: أو أنا قَتَلْتُهم، إنما قتلهم من شَهد عليهم، فلما أكثرت عليه، قال لها: دَعِينِي وحُجْرًا

(١) انظر (٥/٢٦٩) ط. دار المعارف المصرية.

مقتل خبيب وحديث دعوته:

وأما خُبَيْبُ بن عديّ، فحدّثني عبدُ الله بنُ أبي نَجيح، أنه حُدّث عن ماوِيَّة، مولاةِ حُجَيْر بن أبي إهَاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان خُبيب عِنْدي، حُبس في بيتي، فلقد اطَّلعت عليه يومًا، وإن في يده لَقِطْفًا من عِنب، مثلِ رأس الرّجُل يأكل منه، وما أعْلم في أرْض الله عنبًا يُؤكل.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبد الله بن أبي نَجيح جميعًا أنها قالت: قال لي حين حَضره القتلُ: ابعثي إليَّ بحَديدة أتطهَّر بها للقتل، قالت: فأعطيتُ غلامًا من الحيّ المُوسى، فقلت: ادخُل بها على هذا الرجل البيتَ؛ قالت: فوالله ما هو إلاّ أن ولَّى الغلام بها إليه، فقلت: ماذا صنعتُ! أصاب والله الرجلُ ثأرَه بقتلِ هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعَمْرك، ما خافت أُمُّك غَدْري حين بَعَثْتك بهذه الحديدة إلَيَّ! ثم خلَّى سبيله.

قال ابن هشام: ويقال: إن الغلام ابنُها.

قال ابن إسحٰق: قال عاصم: ثم خرجوا بخُبَيب، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنعيم ليَصْلُبوه، قال لهم: إن رأيْتم أن تَدَعوني حتى أرْكَعَ ركْعتين فافعلوا؛ قالوا: دُونَكَ فارْكَعْ. فركع ركعتين أتمهما وأحْسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أمَا والله لولا أن تَظُنُّوا أنّي إنما طَوَّلْتُ جَزَعًا من القتل لاستكثرتُ من الصلاة. قال: فكان خُبَيْبُ بنُ عديّ أوَّل من سَنَّ هاتين الرَّكْعَتَيْن عند القَتْل للمُسلِمين. قال: ثم رَفعوه على خَشَبَةٍ، فلما أوثقوه، قال: اللهمّ إنَّا قد بَلَّغنا رسالةَ رسولك، فبلِّغْه الغَدَاةَ ما يُصْنَع بنا؛ ثم قال: اللهمّ أحْصِهم عددًا، واقتُلْهم بَدَدًا ولا تُغادر منهم أحدًا. ثم قتلوه رحمة الله.

فكان معاويةُ بن أبي سُفيان يقول: حضرتُه يومئذ فيمن حضَره مع أبي سُفيان، فلقد رأيتُه يُلقيني إلى الأرض فَرقًا من دعوة خُبَيْبٍ، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دُعي عليه، فاضْطَجَعَ لجِنْبه زالت عنه.

فإني مُلاقيه غدًا على الجادّة[١]، قالت: فأين عَزَبَ[٢] عنك حِلْمُ أبي سُفْيَانَ؟ فقال: حين غاب عني مثلُك من قومي.

---

(١) يعني يوم القيامة.

(٢) عزب: أي غاب.

قال ابن إسحٰق: حدّثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عُقبة بن الحارث، قال سمعته يقول: ما أنا والله قَتلت خبيبًا، لأني كنت أصغرَ من ذلك، ولكنّ أبا مَيْسرة، أخا بني عبد الدار، أخذ الحربةَ فجَعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة، ثم طَعنه بها حتى قتله.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعض أصحابنا، قال: كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه استعمَل سَعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمحيّ على بعض الشام، فكانت تُصيبه غَشيةٌ، وهو بينَ ظَهْرَيِ القوم، فذُكر ذلك لعمر بن الخطّاب، وقيل: إنّ الرجل مُصاب؛ فسأله عمَر في قَدْمةٍ قَدِمها عليه، فقال: يا سعيد، ما هذا الذي يُصيبك؟ فقال: والله يا أميرَ المؤمنين ما بي من بَأس، ولكني كنتُ فيمن حضر خُبيب بن عديّ حين قُتل، وسمعتُ دعوتَه، فوالله ما خطرتْ على قلبي وأنا في مَجلس قطُّ إلا غُشي عليّ، فزادَتْهُ عند عمر خيرًا.

قال ابنُ هشام: أقام خُبيب في أيديهم حتى انقضتْ الأشهر الحرم، ثم قتلوه.

لِـمَ صارت صلاة خبيبٍ سُنَّة؟

وإنما صار فعلُ خُبَيْب سُنَّةً حَسَنَةً. والسُّنَّةُ إنما هي أقوالٌ من النبيِّ - ﷺ - وأفعالٌ وإقرارٌ، لأنه فعلها في حياته عليه السلام، فاستُحْسِنَ ذلك من فعله، واستحسنه المُعَلِّمُون، مع أن الصلاةَ خَيرُ ما خُتم به عملُ العبد، وقد صَلَّى هاتين الركعتين أيضًا زيدُ بن حَارِثَة مَولَى النبيِّ - ﷺ - وذلك في حياته عليه السلام، حدّثنا أبو بكر بن طاهر بن طاهر الإشبيلي، قال: أخبرنا أبو علي الغساني، قال: أخبرنا أبو عُمَرَ النَّمَريّ، قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الوارث بن سُفيان بن جَبْرُون، قال: أخبرنا أبو محمد قاسم بن أَصْبَغ، قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ: أخبرنا ابن مَعِين: أخبرنا قال: أخبرنا يَحْيىٰ بن عبد الله بن بكير المصري، قال: أخبرنا اللَّيْثُ بن سَعْد، قال: بلغني[1] أن زيد بن حارثة اكْتَرَى من رجل بَغْلاً من الطائف اشترط عليه الكَرِيُّ أن يُنْزِله حيث شاء، قال: فمال به إلى خَرِبَةٍ، فقال له: انزل فنزل، فإذا في الخَرِبَةِ قَتْلى كثيرة، قال: فلما أراد أن يقتلَه، قال: دعني أُصَلِّي ركعتين، قال: صَلِّ، فقد صلَّى قبلَك هؤلاء فلم تَنْفَعْهُم صلاتُهم شيئًا، قال: فلما صليتُ أتاني، ليقتلَني، قال: فقلتُ: يا أَرْحَمَ الراحمين، قال: فسمع صوتًا: لا تقتُلْه، قال: فهاب ذلك فخرج يطلب أحدًا، فلم ير شيئًا، فرجع إليَّ، فناديتُ: يا أَرْحَمَ الراحمين، ففعل ذلك

---

(١) انقطاع.

ما نزل في سَرِيّة الرجيع من القرآن

قال: قال ابن إسحٰق: وكان مما نزل من القرآن في تلك السَّرِيَّة، كما حدّثني مولًى لآل زيد بن ثابت، عن عِكْرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس.

قال: قال ابن عباس: أما أصيبت السَّرِيَّة التي كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرَّجيع، قال رجال من المُنافقين: يا ويحَ هؤلاء المَفْتونين الذين هَلَكوا (هكذا)، لا هم قَعدوا في أهليهم، ولا هم أدَّوْا رسالةَ صاحبهم! فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المُنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم، فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ الناسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَياةِ الدُّنيا﴾: أي لما يُظهر من الإسلام بلسانه، ﴿ويُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى ما فِي قَلْبِهِ﴾، وهو مخالف لما يقول بلسانه، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾: أي ذو جِدال إذا كلمك وراجَعك.

ثلاثًا، فإذا أنا بفارس بيده حَرْبَةُ حديد في رأسها شُعْلَةٌ من نارٍ فطعنه بها، فأنفذه من ظَهْره، فوقع ميتًا، ثم قال: لما دعوتَ المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنتُ في السماء السابعة، فلما دعوتَ المرة الثانية يا أرحم الراحمين، كنتُ في السماء الدنيا، فلما دعوتَ المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتُك.

ما أنزل الله من القرآن في حق خبيب وأصحابه

فصل: وذكر ابن إسحٰق ما أنزل الله تعالى في خبر خُبَيْب وأصحابه من قول المنافقين فيهم: ﴿ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُك قولُه في الحياةِ لدنيا ويُشْهِدُ اللَّهَ على ما في قلبه﴾ [البقرة: ٢٠٤] الآية، وأكثر أهل التفسير على خلاف قوله: وأنها نَزَلَتْ في الأَخْنَسِ بن شَرِيقٍ الثَّقَفِي، رواه أبو مالك عن ابن عباس، وقاله مجاهد، وقال ابن الكلبي: كنت بمكّة، فسُئِلْتُ عن هذه الآية فقلت: نزلتْ في الأخنس بن شَرِيق، فسمعني رجلٌ من وَلَدِه، فقال لي: يا هذا إنما أُنْزِلَ القرآنُ على أهلِ مكَّة، فلا تُسَمِّ أحدًا ما دمت فيها، وكذلك قالوا في قوله: ﴿ومِنَ الناس من يَشْرِي نفسَه ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّه﴾ [البقرة: ٢٠٧] نزلت في صُهَيبِ بن سِنَان حين هاجر، وتَرَكَ جميع مَالِه لقُرَيْشٍ ويدَعونه يهاجر بنفسه إلى الله ورسوله، واستشهد ابن هشام على تفسير الألدّ بقول مُهَلْهِل، قال: واسمه امْرُؤ القيس، ويقال: عَدِيٌّ، وقد صرَّح مُهَلْهِلٌ باسم نفسِه في الشعر الذي استشهد به ابن هشام، فقال:

ضَـرَبَـتْ صَـدْرَهـا إلـيَّ وقـالـت   يـا عَـدِيًّـا لـقـد وَقـتـك الأوَاقِـي

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الألدّ: الذي يَشغب، فتشتدّ خصومته؛ وجمعه: لُدّ. وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾. وقال المُهلهل بن ربيعة التَّغلَبيّ، واسمه امرؤ القيس؛ ويقال: عديّ بن ربيعة:

إنّ تـحـتَ الأحـجـاز حَـدًّا ولِـيـنـا   وخَـصِـيـمًـا ألـدَّ ذا مِـغْـلاقِ

ويروى ذا مِغلاق، فيما قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له، وهو الألَنْدَدُ. قال الطِّرمَّاح بن حَكيم الطائيّ يَصِف الحِرْباء:

يُوفِي على جِذْم الجذُول كأنه   خَصْم أبرَّ على الخُصُوم ألَنْدَدُ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: أي خرج من عندك ﴿سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها ويُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ﴾ أي لا يحبُّ عَمله ولا يرْضاه. ﴿وَإِذَا قيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهِ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهادُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

وفيه البيت الذي ذكر ابن هشام:

إن تـحـت الأحْـجَـارِ حـدًّا ولـيـنًـا   وخَـصِـيـمًـا أَلَـدَّ ذا مِـغْـلاَقِ[1]

ويُروى: مِغْلاَق بالغين المعجمة، والمِغلاَقُ: اللسان، وأما المِغْلاَقُ: بالغين مُعْجَمَةً، فالقول الذي يُغْلِق فَمَ الخَصْمِ ويُسكته. وبعده:

حَـيَّـة فـي الـوِجَـارِ أَرْبَـدُ لا يَـنْـ   ـفَـعُ مـنـهـا الـسَّـلِـيمَ نَـفْـثُ الـرَّاقـي

وسمّي مُهَلْهِلاً بقوله:

لـمـا تَـوَقَّـلَ فـي الـكُـرَاعِ هَـجِـيـنُـهـم   هَـلْـهَـلْـتُ أَثـارُ جـابـرًا أو صِـنْـبِـلا[2]

هَلْهَلْتُ: أي كِدْت وقَارَبْتُ، وأما الألَدُّ، فهُو من اللَّدِيدَيْن، وهما جانبا العنق، فالألَدُّ الذي يريغُ الحُجَّةَ من جانب إلى جانب، يقال: تركتَه يَتَلَدَّدُ، وقال الزَّجَّاجُ: الخِصام جَمْع في هذه الآية، ولا يستقيم أن يكون معناه المخاصَمة، لأن أفعَل الذي يراد به التفضيل إنما يكون بعض ما أضيف إليه، تقول: زيد أفصح الناس، ولا تقول: زيد أفصح الكلام.

(١) معلاق: أي ذا لسان جدِل.

(٢) جابر وصنبل: رجلان من تغلب.

يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاء مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بالعِبادِ﴾: أي قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله، والقيام بحقِّه، حتى هلكوا على ذلك، يعني تلك السَّرِيَّة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: يَشْرِي نفسه: يبيع نفسه؛ وشَرَوْا: باعوا. قال يزيد بن رَبيعة بن مُفرِّغ الحِمْيَرِيّ:

وشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي ... من بعد بُرْدٍ كنتُ هامَه

برد: غلام له باعه: وهذا البيت في قصيدة له، وشَرَى أيضًا: اشترى.

قال الشاعر:

فقُلْتُ لَهَا لا تَجْزَعي أُمَّ مالكٍ ... على ابْنَيْك إنْ عَبْدٌ لئيم شَرَاهما

شعر خبيب حين أُريد صلبه:

قال ابن إسحٰق: وكان مما قيل في ذلك من الشعر، قول خُبيب بن عديّ، حين بلغه أن القومَ قد اجتمعوا لصَلْبه.

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له.

لقَدْ جَمَّع الأحْزابُ حَوْلي وألَّبُوا ... قبائلَهم واستَجْمَعوا كلَّ مَجْمِع

وكلُّهم مُبْدي العداوة جاهدٌ ... عَليّ لأني في وِثاقٍ بمَضْبع[1]

وقد جَمَّعوا أبناءَهم ونساءَهم ... وقُرِّبتُ من جذْعٍ طَويل مُمنَّع

إلى الله أشْكو غُرْبتي ثم كُرْبتي ... وما أرْصَد الأحزابُ لي عند مَصرعي

فذا العَرشِ، صَبِّرني على ما يُرادُ بي ... فقد بَضَعوا الحَمى وقد ياسَ مَطمَعي

وذلكَ في ذاتِ الإلٰه وإنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ على أوْصال شلْو مُمزَّع

قال الشيخ الحافظ رضي الله عنه: وهذا الذي قاله حَسَنٌ إن كان ألَدُّ من هذا الباب الذي مُؤنَّثه الفُعْلَى، أما إن كان من باب أفعل الذي مُؤنَّثه فَعْلاَءُ نحو: أخْرَسُ وخَرْساء، فالخِصامُ مصدَرُ خاصمته، وهو ظاهر قول المفسرين، فإنهم فسروه بالشديد الخصومة، فاللَّدَدُ إذًا من صِفَةِ المُخَاصَمَة، وإن وُصِفَ به الرجل مجازًا، ويُقوي هذا قولُه: وخَصِيمًا

(١) مضبع: آلة يُشق بها الجلد.

وقد خَيَّروني الكُفرَ والموتُ دونه وقد هَملتْ عينايَ من غير مَجزع
وما بي حِذَارِ المَوْت، إني لميِّتٌ ولكنْ حِذَاري جَحْم[1] نار مُلَفَّع[2]
فوالله ما أرجُو إذا مِتّ مُسْلِمًا على أيّ جَنْب كان في الله مَصرعي
فَلَسْتُ بِمُبْدٍ للعَدُوّ تَخشُّعًا وَلا جَزعًا إني إلى اللهِ مَرْجِعي

شعر حسَّان في بكاء خبيب

وقال حسَّان بن ثابت يبكي خُبيبًا:

ما بالُ عَيْنيكِ لا تَرْقا مَدَامعُها سحًا على الصَّدْر مثل اللّؤلؤ القَلِق
على خبيبٍ فَتى الفِتْيان قد عَلِموا لا فشِلٍ حينَ تَلْقاه وَلا نَزِق
فاذهب خُبَيبُ جَزاكَ الله طَيِّبة وجَنَّةُ الخُلْدِ عِند الحُور في الرُّفُق
ماذَا تقُولونَ إنْ قالَ النَّبِيّ لكم حينَ المَلائكة الأبْرار في الأُفق
فِيم قَتلتم شَهيدَ الله في رَجلٍ طاغٍ قد أوعث[3] في البُلدان والرُّفَق

قال ابن هشام: ويروى: «الطرق» وتركنا ما بقي منها، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا يبكي خُبيبًا:

يا عين جُودي بدَمْعٍ منكِ منسَكب وأبكي خُبَيبًا مع الفِتْيان لم يَؤُبِ
صَقْرًا توسَّط في الأنصار مَنصِبُه سَمْحَ السجيَّة مَحضًا غير مُؤْتَشِب

أَلَدّ، ولم يُضِفه، ولا قال أَلَدُّ من كذا، فجعله من باب أَصَمّ وأَشَمّ ونحوه، ويقويه أيضًا قولهم في الجمع: قوم لُدٌّ، روت عائشة عن النبيّ - ﷺ - أنه قال: ﴿أبغض الخَلْق إلى الله الخَصِم الألَدُّ﴾[4] وقرأ ابن محيصن ﴿ويَشْهَدُ اللّهُ على ما في قلبه﴾ بفتح الياء والهاء، ورفع الهاء من اسم الله تعالى، أي: ويعلم الله ما في قلبه.

عدس في شعر حسَّان في خبيب

وذكر شِعْرَ حَسَّان في قِصَّة خُبَيْبٍ.

---

(١) جحم: نار قوية.
(٢) ملفع: متوقد.
(٣) أوعث: تعثر عمله.
(٤) أخرجه مسلم والبخاري (٧/١٣٨).

قد هاجَ عَيْني على عِلاّتِ عَبْرتها إذ قِيل نُصَّ إلى جِذْعٍ من الخَشب
يا أيُّها الرَّاكِب الغادِي لِطِيَّتِه أبلغ لدَيْك وَعيدًا ليس بالكَذِب
بني كُهَيْبَةَ أنَّ الحَرْب قد لَقِحتْ مَحْلُوبُهَا الصَّابُ إذْ تُمْرَى لمُحْتَلب
فيها أُسُودُ بَني النَّجّار تَقْدُمُهم شُهْبُ الأسنَّة في مُعْصَوْصَبٍ لَجِبِ

قال ابن هشام: وهذه القصيدةُ مثل التي قَبْلها، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسَّان، وقد تركنا أشياءَ قالها حَسَّان في أمر خُبيب لِما ذَكرتُ.

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا:

لو كانَ في الدّار قَرم ماجدٌ بَطل أَلْوي من القوم صَقْر خالُه أنَسُ
إذن وجدتَ خُبيبًا مجلِسًا فَسِحًا ولم يُشَدّ عليك السِّجنُ والحَرَس
ولم تَسُقْك إلى التَّنْعِيم زِعْنفَة من القبائل منهم من نَفت عُدُسِ
دلُّوك غَدْرًا وهم فيها أولُو خُلُفٍ وأنت ضَيْم لهَا في الدَّار مُحْتَبَس

قال ابن هشام: أنَسٌ: الأصمّ السُّلميّ: خال مُطْعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف. وقوله: «من نفت عُدُسِ» يعني حُجَيْر بن أبي إهاب، ويقال: الأعشى بن زُرارة بن النبَّاش الأسديّ، وكان حليفًا لبني نَوْفل بن عبد مناف.

وقوله فيه:

من القبائِل منهم مَنْ نَفَتْ عُدَسُ

قوله: من نَفَتْ عُدَسُ، يعني: حُجَيْرَ بن أبي إهاب بن عُرَيْن، وهو ينتسب إلى بني عُدَسٍ بن زيد بن عبد الله بن دَارِمِ بن مالك بن حَنْظَلة، ويقال: بل هو من بني رَبِيعَةَ بن مالك بن حَنْظَلَة، ومن هاهنا ذكَرَ نَفيَ بني عُدُسٍ له، من أجْلِ الاختلاف في نسبه. وعُدُسٍ بضم الدال في تميم، وهو هذا، وكل عُدَسٍ في العرب سواه فهو بفتح الدال، وهو من عَدَسَ في الأرض إذا ذَهَب فيها، والله أعلم، فمن المفتوح الدال عُدَسُ بن عُبَيْدٍ في الأنصار، ثم في بني النَّجّار، وهو جد أبي أُمَامَة أسعَد بن زُرَارَة وقد قال بعض النسَّابين في عُدُسٍ بن زَيد بن عبد الله بن دَارِمِ الذي تقدم ذكره: عُدَس بفتح الدال، والأوّل أعرفُ وأَشْهَر.

مَن اجتمعوا لقتل خبيب:

قال ابن إسحٰق: وكان الذين أجلبوا على خُبيب في قَتْله حين قُتل من قُرَيش: عِكْرمة بن أبي جهل، وسَعيد بن عبد الله بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ، والأخنَس بن شَرِيق الثَّقفي، حليف بني زُهْرَة، وعُبَيْدة بن حَكيم بن أُميَّة بن حارثة بن الأوْقص السَّلمِيّ، حليف بني أُميَّة بن عبد شمس، وأُميَّة بن أبي عُتبة، وبنو الحَضْرمي.

شعر حسَّان في هجاء هذيل لقتلهم خبيبًا:

وقال حسَّان أيضًا يهجو هُذَيْلاً فيما صَنَعوا بخُبيب بن عَدِيّ:

أبْلِغْ بني عَمْرٍو بأنّ أخاهُمُ ... شَرَاهُ امْرُؤٌ قد كانَ للغَدْرِ لازِما

شَرَاهُ زُهَيرُ بنُ الأغرّ وجامِع ... وكانا جَميعًا يَرْكَبانِ المَحارِما

أجَرْتُم فلمَّا أن أجَرْتُم غَدَرْتُمُ ... وكُنْتُمْ بأكْنافِ الرَّجيعِ لهَاذِما

فليتَ خُبَيبًا لم تَخُنْهُ أمانَةٌ ... وليتَ خُبَيْبًا كانَ بالقَوْمِ عالِما

قال ابن هشام: زهير بن الأغرّ وجامع: الهُذَلِيَّان اللذان باعا خُبَيبًا.

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا:

إنْ سرّكَ الغدْرُ صِرْفا لا مِزاجَ له ... فأتِ الرَّجيعَ فسَلْ عن دارِ لِحْيان

دعـوة خبيب على قاتليه:

وذكر قولِ خُبَيْب حين رفعوه في الخشبة: اللهم أحْصِهِمْ عَدَدًا، واقْتُلْهُم بَدَدًا، فمن رواه بِددًا بكسر الهاء، فهو مصدر بمعنى التَّبدُّد، أي: ذوي بِدَدٍ. فإن قيل: فهل أجيبت فيهم دعوة خُبيْبٍ، والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مُسْتَجابَةٌ[1]؟

قلنا: أصابت منهم مَنْ سبق في علم الله أن يموتَ كافرًا، ومن أسلم منهم فلم يَعْنِه خُبَيْبٌ ولا قصده بدعائه، ومن قُتل منهم كافرًا بعد هذه الدعوة، فإنما قُتِلوا بَددًا غير مُعَسْكِرين ولا مُجتمعين كاجتماعهم في أُحُدٍ، وقبل ذلك في بدر، وإن كانت الخَنْدَقُ بعد قِصَّة خُبَيْب فقد قتل منهم آحادٌ فيها مُتَبَدِّدُون، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جَمْعٌ ولا معسكر غَزْوا فيه، فنفذت الدعوةُ على صُورتِهَا وفيمن أراد خُبَيْبٌ ـ رحمه الله ـ وحاشا له أن يكره إيمانَهم وإسلامَهم.

---

(١) قال تعالى: ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه﴾.

قَومٌ تواصَوْا بأكْلِ الجارِ بَيْنَهُمْ فالكَلْب والقِرْد الإنسان مِثْلان
لو يَنْطِقُ التَّيسُ يوْمًا قام يَخْطُبهم وكان ذا شَرَف فيهِم وذا شأن

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاريّ قوله:

لو ينطق التَّيس يومًا قام يخطبهم وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شان

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا يهجو هُذيلاً:

سالتْ هُذَيلٌ رسولَ الله فاحشةً ضلَّت هُذيل بما سالت ولم تُصِبِ
سالوا رسولَهُمْ ما ليس مُعْطِيَهُمْ حتى المَمات، وكانوا سُبَّة العَرب
ولَن تَرى لِهُذَيل دَاعِيًا أبدًا يَدْعو لمَكْرُمة عن منزل الحَرب
لقد أرادوا خِلال الفُحْش وَيْحَهُمُ وأن يُحِلُّوا حرامًا كان في الكُتب

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا يهجو هُذَيلاً:

لعمْرِي لقد شانت[1] هُذيل بنَ مُدْرك أحاديثُ كانت في خُبَيبٍ وعاصم
أحادِيثُ لِلحيانٍ صَلَوْا بقَبِيحها ولِحيانُ جَرّامون شرَّ الجرائم
أناسٌ هُم من قومِهم في صَميمِهم بمَنزِلة الزِّمْعان[2] دُبْرَ القَوادِمِ
هُم غَدرُوا يوم الرَّجيع وأسْلَمت أمانتُهم ذا عِفَّة ومَكارم
رسولَ رسولِ الله غدرًا ولم تكُن هُذَيلٌ تَوَقَّى مُنكراتِ المَحارم
فسوف يَرَوْن النَّصرَ يوْمًا عليهِمُ بقَتْل الذي تَحْميه دون الحَرائم
أبابيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دون لَحْمه حَمَت لَحم شَهّادٍ عظامَ المَلاحِم
لَعَلَّ هُذَيلاً أنْ يَرَوْا بِمَصَابه مَصَارعَ قَتْلى أو مَقامًا لِمَاتم
ونُوقِعَ فيهم وقعة ذات صَوْلةٍ يُوافِي بها الرُّكْبانُ أهلَ المَواسم
بأمْرِ رسولِ الله إنَّ رَسولَه رأى رأيَ ذي حَزم بلَحْيانَ عالم
قُبَيِّلةٌ لَيْسَ الوَفاءُ يُهِمُّهم وإنْ ظُلِموا لم يَدْفَعوا كَفَّ ظالم
إذا النَّاسُ حلُّوا بالفَضاء رأيتهم بمَجْرى مَسِيل الماء بين المخارم
مَحَلُّهم دارُ البَوَار ورأيُهم إذا نابَهُم أمْرٌ كرأي البَهائم

(١) شانت: عابت.
(٢) الزمعان: سفلة القوم.

وقال حسَّان بن ثابت يهجو هُذَيلاً:

لَحى الله لِحْيانًا فَلَيْسَتْ دِماؤُهم ... لَنا مِن قَتِيلَيْ غَدْرَةٍ بِوَفاءِ
همو قتلوا يوم الرَّجيع ابنَ حُرَّةٍ ... أخا ثِقَةٍ في وُدّه وصَفاء
فلو قُتِلوا يوْم الرَّجِيع بأسْرهم ... بذِي الدَّبْر ما كانوا له بكِفاء
قَتيلٌ حَمَتْهُ الدَّبرُ بين بُيوتهم ... لدَى أهلِ كُفرٍ ظاهر وجَفاء
فقد قتلتْ لِحْيان أكرَم مِنهُمُ ... وباعُوا خُبَيبًا وَيْلَهم بلِفاء
فأُفّ لِلحْيانِ على كلّ حالةٍ ... على ذِكْرهم في الذّكْر كلّ عفاء
قُبَيْلةٌ بالُّلؤم والغَدْر تَغْتري ... فلم تُمْس يَخْفي لؤمها بخَفاء
فلو قُتلوا لم تُوفِ منه دماؤُهم ... بَلى إنّ قَتْل القاتِليه شِفائي
فالاً أمُت أذْعَر هُذَيلاً بغارَةٍ ... كغادِي الجَهام المُغْتَدِي بإفاء
بأمر رسُول الله والأمْرُ أمْره ... يَبِيتُ لِلحْيانَ الخَنا بِفَناءِ
يُصبِّح قَوْمًا بالرَّجيع كأنهُم ... جِداء شِتاء بِتْنَ غيرَ دِفاء

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا يهجُو هُذَيلاً:

فَلا والله، ما تَدرِي هُذَيلٌ ... أصافِ ماءُ زَمزم أم مَشُوبُ
وَلا لهُمُ إذا اعْتَمَرُوا وَحَجُّوا ... منَ الحِجْرين والمَسْعَى نَصيب
ولكِنَّ الرَّجيع لهُمْ مَحَلّ ... به الُّلؤمُ المُبيَّن والعُيوب
كأنهُم لَدَى الكَنَّات أُصْلاً ... تُيُوس بالحِجَاز لها نَبِيبُ
هُم غَرُّوا بِذمَّتِهم خُبَيْبًا ... فبئسَ العَهْدُ عهدُهم الكَذُوب

قال ابن هشام: آخرها بيتًا عن أبي زيد الأنصاري.

شعر حسَّان في بكاء خبيب وأصحابه

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت يبكي خُبيبًا وأصحابه:

ابن كهيبة في شعر حسَّان

فصل: وذكر أشعارَ حَسَّانٍ في خُبَيْبٍ وأصحابه، وليس فيهم معنى خفي، ولا لفظ غريب وَحْشيٌّ، فيحتاج إلى تفسيره، ولكن في بعضها:

بني كُهَيْبَة أن الحربَ قَدْ لَقِحَتْ

صلّى الإلـهُ على الّذين تَتابَعُوا — يَوْمَ الرَّجيع فأُكْرِموا وأُثيبُوا

رأس السَّريَّة مَرْثَد وأميرهم — وابن البُكَير إمامهم وخُبَيب

وابنٌ لطارقٍ وابن دَثْنَةَ منهمُ — وافاه ثَمّ حِمامُه المَكْتوب

جعل كُهَيْبَة كأنه اسمٌ عَلَمٌ لأُمِّهم، وهذا كما يقال: بَني ضَوْطَرَى وبني الغَبْراء وبني دَرْزَةَ قال الشاعر:

أولادُ دَرْزَةَ أسْلَمُوكَ وَطاروا

وهذا كله اسمٌ لمن يُسَبُّ، وعِبارَةٌ عن السِّفْلَة من الناس، وكُهَيْبَةُ من الكُهْبَةِ، وهي الغُبْرة، وهذا كما قالوا: بني الغَبْراءِ، وأكثر أشعار حَسَّانَ في هذه القصة، قال فيها من هُذَيلٍ، لأنَّهم إخْوَةُ القَارَةِ، والمشاركون لهم في الغَدْر بخُبَيْبٍ وأصحابه، وهُذَيْلٌ وخُزَيْمَة أبناء مُدْرِكَةَ بن إليَاس وعَضَلُ والقَارةُ من بني خُزَيْمَةَ.

حول العلم وضعه من التنوين مع الخفض:

وقوله: وابنٌ لطَارِقٍ، وابن دَثْنَةَ منهم، حذف التنوين كما تقدّم في قوله: شُلّتَ يَدا وَحْشِيّ مِنْ قَاتِلٍ، ولو أنه حين حذف التنوين نَصَبَ، وجعله كالاسم الذي لا ينصرف، وهو في موضع الخفض مفتوحٌ، لكان وَجْهًا وقياسًا صحيحًا، لأن الخفْضَ تابعُ التنوين، فإذا زال التنوينُ زال الخفض، لئلا يلتبس بالمضاف إلى ضمير المتكلِّم، لأن ضمير المتكلم، وإن كان ياءً فقد يحذف، ويكتفي بالكسرة منه، وزوال التنوين في أكثر ما لا ينصرف إنما هو لاستغناءِ الاسم عنه، إذ هو علامَةُ الانفصالِ عن الإضافة، فكل اسْمٍ لا يُتَوَهَّم فيه الإضافةُ لا يحتاج إلى التنوين، لكنه إذا لم يُنَوَّن لم يُخْفَض، لما ذكرناه من التباسِه بالمضاف إلى المتكلم، وقد تقدّم في أشعار أُحُد: كَنَار أبي حُبَاحِبَ والظُّبينا بفتح الباء من حُبَاحِبَ في موضِع الخَفْضِ، وكان حَقُّ كلِّ علَم ألاَّ يُنَوَّنَ؛ لأنه مُسْتَغْنٍ عن الإضافة كما لم يُنَوَّن جميعُ أنواعِ المعارف، ولكنهُ نوَّنَ ما نُوِّن منه للسِّرِّ الذي بيّنّاه في أسرارِ ما لا يَنْصَرف من الأسماء، وقد أملينا في ذلك جُزءًا، ولكن الخَفْضَ في طارقٍ وَوَحْشِيٍّ مَرْوِيٌّ، ووجهه أنه لما كان ضَرُورَةَ شِعْرٍ، ولم يكثر في كلامهم لم يُتْبِعوا الخفضَ فيه التنوين إذ لا يَتَوَهَّمُ إضافتُه إلى المتكلم، إذ لا يقع إلا نادرًا في شعْر، فاللّبس فيه بعيد.

اشتقاق اسم خبيب وهذيل:

وقوله:

وابن البُكَير إمامُهم وخُبَيْبُ

والعاصم المَقْتول عند رَجِيعهم كَسَب المَعالي إنَّه لَكَسُوب
مَنَعَ المُقَادَةَ أن يَنالُوا ظَهْرَه حتى يُجالد إنَّه لنَجِيب

قال ابن هشام: ويروى: حتى يجدّل إنه لنجيب.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكر لحسّان.

قال ابن إسحٰق: فأقام رسولُ الله ﷺ بقيَّةَ شوّال وذا القَعْدة وذا الحِجّة ـ ووَلى تلك الحِجَّة المشركون ـ والمحرم، ثم بعث رسولُ الله ﷺ أصحابَ بئر معونة في صفر، على رأس أربعة أشهر من أُحُد.

أردف حَرْف الرَّوِيِّ بياءِ مَفْتُوح ما قبلها، وقد تقدم القولُ فيه مَرَّتين. وخبيب في اللغة تصغير خِبٍّ، وهو الماكر من الرجال الخداع، ويجوز أن يكون تصغير خاب من الخَبيب، فيكونُ من باب تصغير التَّرْخيم، وهو الذي ينبني على حذف الزَّوائِد، وأما هُذَيْلٌ فقالوا فيه: إنه مُصغَّر تَصْغير التَّرْخيم، لأنه من هَوْذَلَ الرَّجُلُ بِبَوْلِه إذا باعد به، فكأنه تصغيرُ مُهَوذِلٍ على حذف الزوائد، ويجوز أن يكون تصغير هُذْلُولٍ، وهو التَّل الصَّغِير من الرَّمْلِ على تَصْغير الترخيم أيضًا.

سالت بدون همزة:

وقوله:

سالت هُذَيلٌ رسولَ الله فاحِشَة

ليس على تسهيل الهمزة في سالت، ولكنها لغةٌ بدليل قولهم: تَسَايَل القومُ، ولو كان تَسْهيلاً، لكانت الهمزةُ بَيْن بَيْن، ولم يستقم وَزْنُ الشعر بها، لأنها كالمُتَحَرِّكةِ، وقد تقْلَبُ أَلِفًا ساكِنَة كما قالوا: المِنْسَاةَ[1]، ولكنه شيء لا يُقَاس عليه، وإذا كانت سَالَ لغةً في سأل فيلزم أن يكون المضارعُ يَسِيلُ، ولكن قد حكى يونس: سِلْتَ تَسالُ مثل خِفْتَ تَخافُ، هو عنده من ذَوَاتِ الواو، وقال الزجاج: الرجلان يَتَسَايَلاَنِ، وقال النَّحّاس والمُبَرِّدُ: يتساولان، وهو مثل ما حكى يونس.

---

(١) المنساة: أي العصا.

حديث بئر معونة

سبب إرسال بعث بئر معونة:

وكان من حديثهم، كما حدّثني أبي إسحاقُ بن يسار عن المُغيرة بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وعبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، وغيرُه من أهل العلم، قالوا: قدم أبو بَراء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعبُ الأسِنَّةَ على رسول الله ﷺ المدينةَ، فعرض عليه رسولُ الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، فلم يُسلم ولم يَبْعُد من الإسلام، وقال: يا محمد لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فَدَعَوْهم إلى أمرك، رجوتُ أن يَسْتجيبوا لك؛ فقال رسولُ الله ﷺ: إني أخشَى عليهم أهل نجد؛ قال أبو بَراء: أنا لهم جار، فابْعَثْهم فليدْعُوا الناس إلى أمرك.

خبر بئر معونة[1]

قال ابن إسحٰق: وكانوا أربعين رجُلاً، والصحيح أنهم كانوا سَبْعِين، كذا وقع في صحيح البخاري ومسلم[2].

ملاعب الأسنة وإخوته ومعوذ الحكماء:

وذكر أبا بَراءٍ مُلاعِبَ الأَسِنَّة، وأنه أجار أصحابَ بئْر مَعُونَةَ من أهل نَجْدٍ، وهو عامر بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ، سُمِّي مُلاعبَ الأَسِنَّةِ في يوم سُوبانَ، وهو يوم كانت فيه وَقيعةٌ في أيام جَبَلَةَ، وهي أيامُ حَرْبٍ كانت بين قَيْسٍ وتميم، وَجَبَلَةُ اسم لهَضَبَةٍ عالية، وقد تقدمَ طَرَفٌ من هذا الحديث في أوّل الكتاب، وكان سببُ تَسْمِيَتِهِ في يوم سُوبَانَ مُلاعِبَ الأسِنَّةِ أن أخاه الذي يقال له فارِسُ قُرْزُلٍ، وهو طُفَيْلُ بن مالِكٍ، وقد ذكرنا في أوّل الكتاب معنى قُرْزُل، كان أَسْلَمَه في ذلك اليوم، وَفَرَّ فقال شاعر:

فَرَرْتَ وأَسْلَمْتَ ابنَ أُمِّك عَامِرًا ... يُلاعِبُ أطرافَ الوَشِيجِ المُزَعْزِعِ

فسُمِّي مُلاعبَ الأسِنَّة، ومُلاعِب الرِّماح. قال لبيد:

وإنني مُلاَعِبُ الرِّمَاحِ ... ومِدْرَهُ الكَتِيبَةِ الرَّدَاحِ

---

(١) انظر البداية (٧١/٤) تاريخ الطبري (٥٤٥/٢) الواقدي (٣٤٦/١) الكامل (٦٣/٢) النويري (١٣٠/١٧) عيون الأثر (٦١/٢) الطبقات (٣٩/١/٢) الدلائل (٢٣٨/٣) ابن حزم (٢١٧) الاكتفاء (١٤٢/٢) المنتظم (١٩٨/٣) المواهب (١٣٣/١) الزاد (٢٤٦/٣).

(٢) انظر البخاري (٢٩٧/٧ / ٢٩٩) ومسلم في الإمارة (٣١) وأحمد (١٣٧/٣ / ٢١٠ / ٢٧٠ / ٢٨٩).

رجـال البعـث:

فبعث رسولُ الله ﷺ المُنذر بن عَمرو، أخا بني ساعدة، المُعْنِق لِيَمُوت في أربعين رجلاً من أصحابه، من خِيار المسلمين: منهم: الحارثُ بن الصِّمَّة، وحَرام بن مَلْحَان أخو بني عَدِيّ بن النَّجّار، وعُرْوةُ بن أسماء بن الصَّلْتِ السُّلَمي، ونافع بن بُدَيل بن وَرْقَاء الخُزاعيّ، وعامر بن فهيْرة، مولى أبي بكر الصدّيق، في رجال مُسمَّين من خيار المسلمين. فساروا حتى نزلوا ببئر مَعُونة، وهي بين أرض بني عامر وحَرَّة بني سُلَيْم، كلا البَلدين منها قريب، وهي إلى حَرَّةِ بني سُلَيْم أقرب.

عامـر يقتـل صحـابيًا:

فلما نزلُوها بعثوا حَرام بن مَلْحان بكتابِ رسولِ الله ﷺ - إلى عَدُوِّ الله عامرِ بن الطُّفَيْل؛ فلما أتاه لم ينظُر في كتابه حتى عدا على الرجل فقَتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نُخْفِر أبا بَراء، وقد عقد لهم عقدًا وجِوارًا؛ فاستصرخ عليهم قبائلَ من بني سُلَيم من عُصَيَّة ورِعْلٍ وذَكْوان، فأجابوه إلى ذلك، فخَرجوا حتى غَشُوا القَوْمَ، فأحاطوا بهم في رِحالهم، فلما رأوْهم أخذوا سُيوفهم،

وهو عَمُّ لَبيد بن ربيعة، وكانوا إخْوَةً خَمْسَةً: طُفَيْلٌ فارسُ قُرْزُلٍ، وعامِرٌ مُلاَعِبُ الأَسِنَّةِ، ورَبِيعَة المُقْتِرِينَ وهو والد لبيدَ، وعُبَيْدَةُ الوَضَّاح، ومعاويةُ مُعَوِّذُ الحُكَماء وهو الذي يقول:

إذا سَقَط السَّمَاءُ بأرضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ وإن كانوا غِضَابَا

وفي هذا الشعر يقول:

يعوِّذ مثلَها الحُكَماء بعدي ... إذا ما الأمْرُ في الحَدَثَانِ نَابَا

وبهذا البيت سُمِّي مُعَوِّذ الحكماء.

شعر لبيد عن ملاعب وإخوته أمام النعمان:

وإياهم عَنَى لَبِيدُ حين قال بين يدي النُّعْمَان بن المُنْذِرِ:

نَحْنُ بَنِي أُمِّ البَنِينَ الأرْبَعَهْ ... المُطْعِمُون الجَفْنَةَ المُدَعْدَعَهْ

والضَّارِبُون الهامَ تحت الخَيْضَعَهْ ... يا رُبَّ هيْجا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَهْ

ثم ذكر الرَّبِيعَ بن زِيَادٍ [العَبْسِي] فقال:

مَهْلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لاَ تأْكُلْ مَعَه

ثم قاتلوهم حتى قُتِلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلا كعبَ بن زيد، أخا بني دينار بن النجّار، فإنهم تركوه وبه رَمَق، فارتُثّ[1] من بين القَتْلى، فعاش حتى قُتل يوم الخَنْدق شهيدًا، رحمه الله.

ابن أُميَّة والمنذر وموقفهما من القوم بعد علمهما بمقتل أصحابهما:

وكان في سَرْح القوم عَمْرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِي، ورجل من الأنصار، أحد بني عمرو بن عوف.

قال ابن هشام: هو المُنذر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيْحَة بن الجُلاَح.

قال ابن إسحٰق: فلم يُنبئْهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحومُ على العَسْكر، فقلا: والله إن لهذه الطير لشأنًا، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم فِي دِمائهم، وإذا الخيلُ التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أُمَيَّة: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فنُخبره الخبَر، فقال الأنصاري: لكن ما كنتُ لأرغب بنفسي عن مَوْطن قُتل فيه المُنذر بن عمرو، وما كنتُ لتُخبرني عنه الرجال؛ ثم قاتل القومَ حتى قُتل، وأخذوا عمرو بنَ أُميَّة أسيرًا؛ فلما أخبرهم أنه من مُضر، أطلقه عامر بن الطفيل، وجزّ ناصيَته، وأعْتَقه عن رَقَبة زعم أنها كانت على أمه.

إلى آخر الرَّجَز في خَبَر طويل، إنما قال: الأَرْبَعَةَ، وهم خَمْسَةٌ، لأن أباه ربيعة قد كان ماتَ قبل ذلك، لا كما قال بعضُ الناس، وهو قول يُعْزَى إلى الفرّاء أنه قال: إنما قال أربعة، ولم يَقُل خَمسة من أجل القوافي، فيقال له: لا يجوز للشاعر أن يَلْحَن لإقامة وَزْنِ الشِّعر، فكيف بأن يَكْذِبَ لإقامة الوزْنِ، وأعجبُ من هذا أنه استشهد به على تأويلٍ فاسدٍ تأوّله في قوله سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] وقال: أرادَ جنَّةً واحدةً، وجاء بلفظ التَّثْنِيةِ، لتتفقَ رُؤوسَ الآي، أو كلامًا هذا معناه، فَصَمِّي صَمَامْ ما أشنع هذا الكلام، وأبعدَه عن العِلم، وفهم القرآن: وأقلَّ هَيْبَةِ قائلِه من أنْ يَتَبَوَّأَ مَقْعَدَه من النار، فحذار منه حذار. ومما يدلّك أنهم كانوا أَرْبَعَةً حين قال لَبيدُ هذه المقالة أن في الخبر ذِكْرَ يُتْم لَبيد وصِغَر سِنّه، وأن أعمامَه الأربعة اسْتَصْغَرُوه أن يُدْخِلوه معهم على النعمان حين هَمَّهم ما قَاوَلَهُمْ به الربيعُ بن زِيادٍ، فسمعهم لبيدٌ يتحدّثون بذلك، ويَهْتَمُّون له، فسألهم أن يُدْخِلوه معهم على النُّعمانِ، وزعم أنه سَيُفْحِمُه فَتَهاوَنُوا بقوله، حتى اخْتَبَرُوه بأشياءَ مَذْكورةٍ في الخبَر، فبان بهذا كلِّه أنهم كانوا أربعةَ، ولو سكت الجاهلُ لقلَّ الخلافُ والحمدُ لله.

---

(١) ارتثّ: أي رُفع جريحًا.

قتـل العامـريين:

فخرج عمرو بن أُميَّة، حتى إذا كان بالقَرْقرة من صَدْر قَناة[1]، أقبل رجلان من بني عامر.

قال ابن هشام: ثم من بني كلاب، وذكر أبو عمرو المدني أنهما من بَني سُليم.

قال ابن إسحٰق: حتى نزلا معه في ظلٍّ هو فيه. وكان مع العامريين عَقدٌ من رسول الله ﷺ وجِوار، لم يَعلم به عمرو بن أُميَّة، وقد سألهما حين نزلا، ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأمهلهما، حتى إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤرةً من بني عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو بن أُميَّة على رسول الله ﷺ، فأخبره الخَبر، قال رسول الله ﷺ: «لقد قتلتَ قَتيلين، لأَدِيَنَّهما!».

كراهية الرسول عمل أبي براء:

ثم قال رسولُ الله ﷺ: هذا عمل أبي بَراء، قد كنت لهذا كارهًا متخوّفًا. فبلغ ذلك أبا براء، فشقّ عليه إخفارُ عامر إيّاه، وما أصاب أصحابَ رسول الله - ﷺ بسببه وجِواره؛ وكان فيمن أُصيب عامر بن فُهيرة.

ابن فهيرة والسماء

قال ابن إسحٰق: فحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه: أن عامر بن الطُّفيل كان يقول: مَنْ رَجُلٌ مِنهم لمَّا قُتِل رأيته رُفع بين السماء والأرض، حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فُهيرة.

مصير ابن فهيرة

وذكر ابن إسحٰق عن هِشَام بن عُرْوَةَ عن أبيه أن عامر بن الطفَيْلِ قال يومئذ: مَنْ رَجُلٌ لما طَعَنْتُه رُفِع حتى رأيتُ السماءَ من دونه. هذه رواية البَكّائي عن ابن إسحٰق، ورَوَى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك، وقال للنبيّ عليه السلام: مَنْ رَجُل يا محمدُ لما طَعَنْتُه رُفِع إلى السماء؟ فقال: هو عامر بن فُهَيْرة ورَوَى

---

(١) هي قرقرة الكدر: موضع بناحية المعدن قريب من الأرحضية، بينه وبين المدينة ثمانية برد، وقناة واد يأتي من الطائف.

سبب إسلام ابن سلمى:

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني بعض بني جَبَّار بن سَلْمى بن مالك بن جعفر، قال: ـ وكان جَبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسْلم ـ (قال) فكان يقول: إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنتُ رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفَيه، فنظرتُ إلى سِنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فُزْتُ واللهِ! فقلت في نفسي: ما فاز! ألستُ قد قتلتُ الرجل! قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة؛ فقلت: فاز لعَمْرو الله.

شعر حسّان في تحريض بني أبي براء على عامر:

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت يحرّض بني أبي بَراء على عامر بن الطفيل:

بَـنـي أُمّ الـبَـنـيـن ألـم يَـرُعْـكـم ... وأنـتـم مِـن ذَوائـب أهْـل نَـجْـدِ
تَـهَـكُّـمُ عـامِـرٍ بـأبـي بَـرَاءِ ... لِـيُـخْـفِـرَهُ وَمـا خَـطـأٌ كَـعَـمْـدِ
ألا أبْـلِـغْ رَبـيـعـةَ ذا الـمَـسـاعـي ... فَمَا أحدثتَ في الحَدَثان بَعدِي
أبُـوك أبـو الـحُـرُوب أبـو بـراء ... وخـالُـك مـاجـدٌ حَـكَـم بـنُ سَـعْـد

نسب حكم وأم البنين:

قال ابن هشام: حكم بن سعد: منِ القَيْن بن جَسْر؛ وأُمّ البنين: بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة وهي أُم أبي بَراء.

عبد الرَّزَّاقِ وابنُ المُبَارَكِ أن عامر بن فُهَيْرَةَ التُمِسَ في القَتْلَى يومئذ، ففُقِد، فيرَون أن الملائكة رفعته أو دَفَنَتْه.

أمّ البنين الأربعة:

وذكر قول حسّان:

بَـنِـي أُمّ الـبَـنـيـنَ أَلَـمْ يَـرُعْـكُـمْ ... وأنـتـم فـي ذَوائـبِ أَهْـلِ نَـجْـدِ

وهذه أم البنين التي ذكر لبيد في قوله:

نـحـن بَـنِـي أُمّ الـبـنـيـن الأرْبَـعَـةْ

واسمها: لَيْلى بنتُ عامر ـ فيما ذكروا وقد ذكر ابن هشام نسبَها، ولم يذكر اسمَها.

طعن ربيعة لعامر:

قال ابن إسحٰق: فحمل ربيعةُ (بن عامر) بن مالك على عامر بن الطفيل، فطَعنه بالرمح، فوقع في فخذه، فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي بَراء، إن أَمُت فَدمي لعمِّي، فلا يُتْبَعَنَّ به، وإن أعش فسأرى رأيي فيما أُتِيَ إليَّ.

مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له:

وقال أنس بن عبَّاس السُّلَميّ، وكان خال طُعيمة بن عديّ بن نوفل، وقَتل يومئذ نافعَ بن بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعيّ:

تركتُ ابنَ وَرقَاءَ الخُزاعيَّ ثاويًا ... بمُعْتَرَك تَسفِي عليه الأعاصِرُ
ذكرتُ أبا الزَّيَّانِ لما رأيته ... وأيقنت أني عند ذلك ثائر

وأبو الزبَّان: طُعيمة بن عديّ.

وقال عبدُ الله بن رَواحة يبكي نافع بن بُديل بن وَرْقاء:

رَحِم الله نافعَ بن بُديلِ ... رحمةَ المُبتغى ثَواب الجهادِ
صابر صادق وفيّ إذا ما ... أكثرَ القومُ قال قولَ السَّدادِ

شعر حسَّان في بكاء قتلى بئر معونة:

وقال حسَّان بن ثابت يبكي قَتلى بئر معونة، ويخُصُّ المُنذر بن عمرو:

على قَتْلَى مَعونةَ فاستهلِّي ... بدَمْعِ العَيْن سَحًّا غير نَزْرِ
على خَيْلِ الرَّسولِ غداةَ لاقوا ... مَناياهُم ولاقَتْهم بقَدْر

وذكر قول أنس بن عباس السلمي:

تركتُ ابنَ وَرْقاءَ الخُزَاعِيَّ ثاوِيًا ... بمُعْتَرَكٍ تَسْفِي عليه الأعَاصِرُ
ذكرت أبا الزُّبَّانِ لما رأيتُه ... وأيقَنْتُ أني عند ذلك ثائِرُ

الزبّان أو الريّان:

هكذا وقع في النسخة أبا الزبَّانِ، وفي رواية إبراهيم بن سَعْدٍ: أبا الرَّيَّانِ بالراء المهملة، وبالياء أخت الواو، وهكذا ذكره الدَّارَقُطْنيُّ في المُؤْتَلِف والمُخْتَلِف، كما في رواية إبراهيم بن سعد.

أصابهمُ الفَناءُ بعَقْدِ قوم | نُخوّن عَقْدُ حَبْلهم بغَدْر
فيَا لَهْفي لمُنذِر إذْ تولَّى | وأعنَق في منيَّته بصَبْر
وكائنْ قد أُصيب غداة ذاكم | منَ ابْيض ماجدٍ من سرّ عمرو

قال ابن هشام: أنشدني آخرها بيتًا أبو زيد الأنصاري.

شعر كعب في يوم بئر معونة:

وأنشدني لكعب بن مالك في يوم بئر مَعونة، يُعَيِّر بني جعفر بن كلاب:

تركتُم جاركم لبَنِي سُلَيم | مخافةَ حَرْبهم عَجزًا وهُونا
فلو حَبْلاً تناولَ من عُقَيل | لمَدّ بحَبْلها حبلاً مَتِينا
أو القُرَطاءِ ما إن أَسْلَموه | وقِدْما ما وَفوا إذ لا تَفُونا

نسب القرطاء

قال ابن هشام: القُرطاء: قبيلة من هَوازن، ويُروى «من نَفيل» مكان «من عقيل»، وهو الصحيح؛ لأن القُرَطاء من نُفَيل قريب.

القرطاء

وذكر شعر كعب وفيه: أو القُرَطَاء ما إن أسْلَمُوه. القُرَطَاءُ: هم بنو قُرْطٍ وقُرَيْطٍ وقَرِيطٍ، وهم أبْطُنٌ من بني عَامِرٍ ثم من بَني كِلاَبٍ.

شيء منسوخ:

ولما قتل أصحابُ بئر معونة نزل فيهم قرآن، ثم رُفع: أن أبلغوا قَوْمَنا أنْ قد لَقِينا رَبَّنا فَرضِيَ عَنَّا وَرَضِينا عنه، فثبت هذا في الصَّحِيح؛ وليس عليه رَوْنَقُ الإعجاز، فيقال: إنه لم يَنْزِل بهذا النظم، ولكن بِنَظْمٍ مُعْجِزٍ كَنَظْم القُرْآنِ.

فإن قيل: إنه خَبرٌ والخَبَر لا يدخلُه النسخُ، قلنا: لم يُنْسَخ منه الخبرُ، وإنما نُسِخَ منه الحكم، فإنَّ حُكْم القرآن أنْ يُتْلَى في الصَّلاة، وأنْ لا يَمَسَّه إلاّ طاهرٌ، وأن يُكْتَبَ بين اللَّوْحَيْن، وأن يكون تعلُّمه من فُروض الكِفاية، فكل ما نُسِخَ، ورفعت منه هذه الأحكامُ، وإن بقي محفوظًا، فإنه منسوخٌ، فإن تضمن حُكْمًا جاز أنْ يَبْقَى ذلك الحكمُ معمولاً به، وأنكرت ذلك المعتزلةُ، وإن تضمَّن خبرًا بقي ذلك الخبرُ مُصدقًا به، وأحكامُ التلاوة منسوخةٌ

....

عنه، كما قد نزل: «لو أن لابن آدمَ وَادِيَيْن مِن ذَهَبٍ لابْتَغَى لهما ثالثًا، ولا يملأ جَوْفَ ابنِ آدم إلاّ الترابَ، ويتوبُ الله على من تاب»[1].

ويُرْوى: لا يملأ عَيْنَيْ ابن آدمَ، وَفَم ابنِ آدم، كل ذلك في الصحيح، وكذلك رُوي: واديًا من مالٍ أيضًا، فهذا خَبرٌ حَقٌّ، والخبر لا يُنْسخُ، ولكن نُسِخ منه أحكامُ التِّلاوة له، وكانت هذه الآية أعني قوله: لو أنَّ لابن آدمَ في سُورَة يُونُسَ بعد قوله: كأنْ لم تَغْنَ بالأمْسِ كذلك نُفَصِّل الآياتِ لقوم يتفكرون، كذلك قال ابن سلام، وأما الحكم الذي بَقِي، وكان قرآنًا يُتْلَى: «فالشَّيْخُ والشَّيْخَةُ إذا زَنيا، فارجُمُوهُمَا البَتَّة نَكَالاً من الله، ولا تَرْغَبُوا عن آبائِكم، فإن ذلك كُفْرٌ بكم»[2]، فهذا حكمٌ كان نسخُه جائزًا حين نُسِخَ حكمُ التلاوة، وكان جائزًا أن يبْقى حُكْمُ التِّلاَوَةِ، وينسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدّم.

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١١٥) وأحمد (٣/ ١٦٨) والترمذي (٣٧٩٣) وابن ماجة (٤٢٣٥) وابن حبان (٤٨٤ ـ موارد).

(٢) انظر أحمد (٥/ ١٨٣) والبيهقي (٨/ ٢١١) والدارمي (٢/ ١٧٩) والقرطبي في تفسيره (٥/ ٨٩) وفتح الباري (٩/ ٦٥).

أمر إجلاء بني النضير في سنة أربع

بنو النضير يأتمرون بالرسول ﷺ:

قال ابن إسحٰق: ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى بني النَّضير يَسْتعينهم في دِيَة ذينك القَتيلين من بني عامر، اللذين قَتل عمرو بن أُميَّة الضَّمْري، للجوار الذي كان رسولُ الله ﷺ عَقد لهما، كما حدّثني يزيد بن رُومان، وكان بين بني النَّضير وبين بني عامر عَقْد وحِلْف.

فلمَّا أتاهم رسولُ الله ﷺ يَسْتعينهم في دِيَة ذَيْنك القَتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نُعينك على ما أحببْت، مما استَعَنت بنا عليه. ثم خلا بعضُهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه ـ ورسولُ الله ﷺ إلى جَنْب جِدار من بيوتهم قاعد ـ فمَنْ رجلٌ يعلُو على هذا البيت، فيُلْقى عليه صخرةً، فَيريحنا منه؟ فانتدَب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدُهم، فقال: أنا لذلك، فصَعد ليُلْقَى عليه صخرَة كما

غزوة بني النضير وما نزل فيها[1]

ذكر ابن إسحٰق هذه الغزوةَ في هذا الموضِع، وكان ينبغي أن يذكَرها بعد بَدْرٍ، لما روى عقيل بن خَالِد وغيره عن الزُّهري، قال: كانت غَزْوَةُ بني النَّضير بعد بَدْرٍ بسِتَّةِ أشهر.

(١) انظر الواقدي (١/٣٦٣) الطبقات (١/٢/٤٠) تاريخ الطبري (٢/٥٥٠) البداية (٤/٧٤) الكامل (٢/٦٤) الاكتفاء (٢/١٤٦) المنتظم (٣/٢٠٣) ابن حزم (١٨١) عيون الأثر (٢/٦١) السيرة الحلبية (٢/٣٤٤) الشامية (٤/٩) أنساب الأشراف (١/١٦٣) الدرر لابن عبد البر (١٦٤) النويري (١٧/١٣٧). وانظر البخاري (٥/٨٨) الدلائل (٣/١٧٦/ ٣٥٤) الفتح (٧/٣٢٩).

قال، ورسولُ الله ﷺ في نَفَر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعُمر وعليّ، رِضْوان الله عليهم.

الله يُعلم نبيّه بما دبّروا:

فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القومُ، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، فلما استلبث النبيَّ ﷺ أصحابُه، قاموا في طَلبه، فلقُوا رجلاً مُقبلاً من المدينة، فسألوه عنه؛ فقال: «رأيته داخلاً المدينة». فأقبل أصحابُ رسول الله ﷺ، حتى انتهوا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبرَ، بما كانت اليهودُ أرادتْ من الغَدْر به، وأمرَ رسولُ الله ﷺ بالتَّهيؤ لحَرْبهم، والسَّير إليهم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أُمّ مكتوم.

قال ابن إسحٰق: ثم سار النَّاس حتى نزل بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر رَبيع الأوّل، فحاصرهم ستَّ ليال؛ ونزل تحريم الخمر.

حصار الرسول لبني النضير:

قال ابن إسحٰق: فتحصَّنوا منه في الحُصون، فأمر رسولُ الله - ﷺ بقَطْع النَّخيل والتَّحريق فيها، فنادَوْه: أنْ يا محمد، قد كنتَ تَنهى عن الفَساد، وتَعِيبه على مَن صَنَعه، فما بال قَطْع النخل وتحريقها؟

قطـع اللينـة وتأويـله:

وذكر نزولَ رسول الله - ﷺ - ببني النَّضِير، وَسَيْره إليهم حين نَقَضُوا العهدَ الذي كان بينهم وبينه، وهمّوا بقتْلِه، فلما تَحَصَّنوا في حُصُونِهم وحُرِقَ نخلُهم نادَوْه أن يا محمدُ، قد كنتَ تَنْهَى عن الفسادِ وتعيبُه، وذكر الحديثَ. قال أهلُ التأويل: وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيءٌ، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ما قَطَعْتُمْ من لِينَةٍ أو تَركْتمُوها قائمَةً على أُصولها﴾ [الحشر: ٥] الآية. واللينَةُ ألوانُ التَّمرِ ما عدا العَجْوةَ والبَرْنِيّ ففي هذه الآية أن النبيّ - ﷺ - لم يَحرِقْ من نخلِهِمْ إلاّ ما ليس بقُوتٍ للناسِ، وكانوا يَقْتَاتُون العَجْوَةَ، وفي الحديث: «العَجْوَة من الجَنَّةِ»[1]، وثَمَرُها يَغْذُو أحسن غِذَاءٍ، والبَرْنِيُّ أيضًا كذلك. وقال أبو

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٦٦/ ٢٠٦٨) وابن ماجة (٣٥٤٣/ ٣٥٤٥) وأحمد (٢/ ٣٠١ / ٣٠٥) والدارمي (٢/ ٣٣٨).

تحريض الرهط لهم ثم محاولتهم الصلح:

وقد كان رَهْط من بني عَوْف بن الخزرج، منهم (عدوّ الله) عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلول، ووديعة، ومالك بن أبي قَوْقل، وسُوَيد وداعِس، قد بعثوا إلى بني النَّضير: أن اثبتُوا وتمنَّعوا، فإنَّا لن نُسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخْرِجتم خَرَجنا معكم، فتربَّصوا ذلك من نَصْرهم، فلم يَفعلوا، وقَذف الله في قلوبهم الرُّعب، وسألوا رسولَ الله ﷺ أن يُجْليَهم ويكفّ عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحَلْقة، ففعل. فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبلُ، فكان الرجلُ منهم يَهْدِه بيتَه عن نِجَافِ بابِه، فيَضعه على ظَهْر بعيرِه، فينطلق به. فخرَجوا إلى خَيْبَر ومنهم مَن سار إلى الشام.

من هاجر منهم إلى خيبر:

فكان أشرافُهم مَنْ سار منهم إلى خَيبر: سلاّم بن أبي الحُقَيق، وكِنانة بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيق، وحُيَيّ بن أخْطَب. فلما نزلوها دان لهم أهلُها.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الله بن أبي بَكر أنه حُدّث: أنهم استقلُّوا بالنساء والأبناء والأموال، معه الدُّفوف والمزامير، والقِيان يَعْزفن خَلْفهم، وإنّ فيهم لأُمّ عَمْرو صاحبةَ عُرْوة بن الوَرْد العَبْسيّ، التي ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساء بني غِفار، بزُهَاءٍ وفَخْر ما رُئِيَ مثله من حيّ من الناس في زمانهم.

تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين:

وخلَّوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّةً، يضعها حيث يشاء، فقسَّمها رسولُ الله ﷺ على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار. إلاّ أنّ سَهْل بن حُنيف وأبا دُجانة سِماك بن خَرشة ذكرا فَقْرًا، فأعطاهما رسولُ الله ﷺ.

حنيفة: معناه بالفارسية حِمْلٌ مُبارَكٌ، لأن بَرَّ معناه: حِمْلٌ، ونِيّ معناه جَيِّدٌ، أو مُبارَكٌ فَعرَّبته العربُ، وأدخلته في كلامها، وفي حديث وفد عبد القيس أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال لهم، وذَكَر البَرْنِيَّ: إنه من خير تَمْرِكُم، وإنه دواءٌ وليس بِدَاءٍ، رواه منهم مَزِيدَةُ العَصْرِيّ، ففي قوله تعالى: ﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ ولم يقل: من نَخْلَةٍ على العموم: تنبيهٌ على كراهةِ قطع ما يُقْتَاتُ ويَغْذُو من شَجَر العَدُوّ إذا رُجِي أن يصيرَ إلى المسلمين، وقد كان الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنه ـ يوصي الجيوشَ ألاّ يَقْطعُوا شَجَرًا مُثْمِرًا، وأخذ بذلك [أبو عمرو عبد الرحمٰن بن عمرو] الأوْزَاعِيُّ، فإمّا تأوّلوا حديثَ بني النَّضِير، وإما رأوه خَاصًّا للنبيّ عليه السلام، ولم

من أَسلم من بني النضير:

ولم يُسْلم من بني النَّضير إلاّ رجلان: يامينُ بن عُمر، أبو كَعْب بن عمرو بن جِحاش؛ وأبو سعد بن وَهب، أسْلما على أموالهما فأحْرزاها.

تحريض يامين على قتل ابن جحاش:

قال ابن إسحٰق: ـ وقد حدّثني بعض آل يامين: أن رسولَ الله ﷺ قال ليامين: ألم تر ما لقِيتُ من ابن عمِّك، وما هم به من شأني؟ فجعل يامينُ بن عُمير لرجعل جُعْلاً على أن يقتل له عَمرو بن جِحاش، فقَتله فيما يزعمون.

ما نزل في بني النضير من القرآن

ونزل في بني النَّضير سورةُ الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقْمته. وما سلّط عليهم به رسوله ﷺ، وما عمل فيه فيهم، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِم لِأَوَّلِ الحَشْرِ ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وظَنُّوا أَنَّهُم مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فأتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي المُؤْمِنِينَ﴾، وذلك لهَدْمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذا احتملوها. ﴿فاعْتَبِرُوا يا أُولِي الأَبْصارِ وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ﴾ وكان لهم من الله نقمة، ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيا﴾: أي بالسيف، ﴿ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ عذابُ النَّارِ﴾ مع ذلك. ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾. واللينة: ما خالف العجوة من النخل ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي فبأمر الله قُطعت، لم يكن فسادًا، ولكن كان نقْمة من الله ﴿وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ﴾.

يختلفوا أن سورة الحَشْر نزلت في بني النَّضِير، ولا اختلفوا في أموالِهم، لأن المسلمين لم يُوجِفُوا عليها بخَيْل ولا ركَابٍ، وإنما قُذِفَ الرُّعْبُ في قُلوبهم وجَلَوْا عن منازِلهم إلى خَيْبَر، ولم يكن ذلك عن قتالٍ من المسلمين لهم، فقسمها النبيُّ ﷺ ـ بين المهاجرين، ليرفع بذلك مُؤْنَتَهُمْ عن الأنصارِ، إذ كانوا قد ساهَمُوهم في الأموال والدِّيار، غير أنه أعطى أبا دُجَانَة وسَهْلَ بن حُنَيْفٍ لحاجتهما، وقال غير ابن إسحٰق: وأعطى ثلاثة من الأنصارِ، وذكر الحارث بن الصِّمَّة فيهم.

حول أوّل سورة الحشر

وقوله سبحانه: ﴿يُخْرِبُون بُيُوتَهُمْ بأَيْدِيهِمْ وأَيْدِي المؤمنين﴾[الحشر: ٢]. أي: يُخَرِّبُونها من داخلٍ، والمؤمنون من خَارِج، وقيل: معنى بأيديهم بما كَسبت أيديهم مِنْ نَقْضِ العَهْد، وأيدي المؤمنين، أي: بجهادهم.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: اللِّينة: من الألوان، وهي ما لم تكن بَرْنِيَّة ولا عَجْوة من النخل، فيما حدّثنا أبو عُبيدة. قال ذو الرُّمَّة:

كأنّ قُتُودي فوقها عُشُّ طائر ... على لِينَةٍ سَوْقاءَ تَهفو جُنُوبها

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وما أفاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ - قال ابن إسحٰق: يعني من بني النَّضير - ﴿فمَا أَوْجَفتُمْ عَلَيْهِ من خَيْلٍ وَلا رِكابٍ ولكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ على كلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي له خاصة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: أوجفتم: حركتم وأتعبتم في السير. قال تميم بن أُبيّ بن مُقْبِل أحد بني عامر بن صَعْصعة:

مذاويد بالبيض الحَديثِ صِقالها ... عن الرّكب أحيانًا إذا الركبُ أوجَفوا

وهذا البيت في قصيدة له، وهو الوجيف. (و) قال أبو زيد الطائيّ، واسمه حَرْملة بن المُنْذِر:

مُسْنِفاتٌ كأنهنّ قَنا الهنـ ... ـدِ لطُول الوَجيف جَذْبَ المَرُود

وهذا البيت في قصيدة له.

وقوله: (لأوَّلِ الحَشرِ)، رَوى موسى بن عُقْبَةَ أنهم قالوا له: إلى أين تخرج يا محمد؟ قال: إلى الحَشرِ، يعني: أرضَ المَحْشَر، وهي الشَّام، وقيل: إنهم كانوا من بَسْطٍ لم يُصْبُهم جَلاءُ قَبلها، فلذلك قال: لأوَّل الحَشرِ، والحشرُ: الجَلاء، وقيل: إن الحشرَ الثاني، هو حشرُ النار التي تخرج من قَعْر عَدَن فتحشُر الناسَ إلى الموقف، تَبيت معهم، حيث باتوا، وتقيلُ معهم قالُوا، وتأكل مَنْ تَخلَّف، والآية مُتَضَمِّنةٌ لهذه الأقوالِ كُلِّها، ولزائدٍ عليها، فإن قوله: لأوَّل الحَشرِ يُؤْذِن أن ثَمّ حَشرًا آخرَ، فكان هذا الحشرُ والجلاءُ إلى خَيْبَر، ثم أجلاهم عُمَر من خَيْبَر إلى تَيْمَاء وأَرِيحَا، وذلك حين بلغه التَّثَبُّتُ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا يَبْقَين دِينان بأرض العرب»[1].

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٤٦٣).

قال ابن هشام: السِّناف: البِطان. والوجيف (أيضًا): وجيف القلب والكبد، وهو الضَّربان. قال قيس بن الخَطِيم الظَّفَري:

إنَّـا وإن قَـدَّمـوا الـتـي عـلـمُـوا أكْـبـادُنـا مِـنْ وَرائـهـم تَـجِـف

وهذا البيتَ في قصيدة له.

﴿ما أفاءَ اللَّهُ على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَللَّهِ وللرَّسُولِ﴾ ـ قال ابن إسحٰق: ما يُوجِف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وفُتح بالحرب عنوة فللَّه وللرسول ـ ﴿ولِذِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلا يَكُونَ دُولةً بينَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ ومَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ ومَا نهَاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا﴾. يقول: هذا قَسْم آخر فيما أُصيب بالحرب بين المسلمين، على ما وضعه الله عليه.

ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إلى الَّذِينَ نافَقُوا﴾ يعني عبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابه، ومَن كان على مثل أمرهم ﴿يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ﴾: يعني بني النَّضير، إلى قوله: ﴿كمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يعني بني قَيْنقاع. ثم القصّة.. إلى قوله: ﴿كمَثَلِ الشَّيْطانِ إذْ قالَ للإنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنّي أخافُ الله رَبَّ العَالَمِينَ فكانَ عاقبتَهما أنهما في النارِ خالِدَيْنِ فِيهَا وذلكَ جزاءُ الظَّالمينَ﴾.

ما قيل في بني النضير من الشعر:

وكان مما قيل في بَني النَّضير من الشعر قولُ ابن لُقَيْم العَبْسي، ويقال: قاله قيس بن بَحْر بن طَرِيف. قال ابن هشام: قيس بن بحر الأشجعي ـ فقال:

وقوله: ﴿فأتاهم الله من حَيثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢]، يقال: نَزلت في قتْلِ كعب بن الأشْرَفِ.

وقوله تعالى: ﴿ما أفاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِه مِنْ أهلِ القُرى﴾ [الحشر: ٧]. ورُوِي عن مالكٍ أنه قال: هم بنو قُرَيْظَةَ، وأهلُ التأويل على أنها عامَّة في جميع القُرى المُفْتَتَحةِ على المسلمين وإنْ اختلفوا في حُكْمِها، فرأى قوم قَسْمَها كما تُقْسَمَ الغنائمُ، ورأى بعضُهم للإمام أن يَقِفَها، وسيأتي بيانُ هذه المسألة في غَزْوَةِ خَيْبَر إن شاء الله.

أهْلِي فِداءٌ لامرِىءٍ غيرِ هالكٍ | أحَلَّ اليهودَ بالحَسيّ المُزَنَّم[1]
يَقيلون في جَمْر الغَضَاةِ وبُدّلُوا | أُهَيْضِب عُودي بالوَدِيّ المُكمَّم
فإنْ يَكُ ظَنِّي صَادقًا بمُحَمَّدٍ | تَرَوْا خَيْلَه بين الصَّلا[2] ويَرْمرم
يَؤم بهَا عمرَو بن بُهْثة إنهُمْ | عدوّ وما حيّ صديق كمُجْرِم
عليهنّ أبطالٌ مساعيرُ في الوَغَى | يهزّون أطْرافَ الوَشِيج[3] المُقوّم
وكُلَّ رقيق الشَّفرتين مهنَّد | تُوورِثن من أزمان عادٍ وجُرْهم
فمَنْ مُبْلغٌ عنّي قُرَيشًا رِسالةً | فهَلْ بعدهم في المجْدِ من مُتكرَّم
بأنَّ أخاكم فاعلمُنّ محمَّدًا | تَلِيدُ النَّدى بين الحَجون وزَمْزم
فدِينُوا له بالحق تَجْسُم أمُورُكم | وتَسْموا من الدُّنيا إلى كلّ مِعْظَم
نبيّ تلاقَته من الله رحمةٌ | ولا تَسألُوه أمرَ غَيْبٍ مُرَجَّم
فقد كانَ في بَدْرٍ لعَمْرِي عِبْرةٌ | لكم يا قُرَيشًا والقَلِيبِ المُلَمَّمِ
غداةَ أتَى في الخَزرجيَّة عامدًا | إليكم مُطيعًا للعظيم المُكَرَّم

وذكر شِعْر العَبْسِيّ في إجلاء اليهود، فقال:

أحَلَّ اليهودَ بالحَسِيّ المُزَنَّم

يريد: أَحَلَّهم بأرض غُرْبَةٍ، وفي غير عشائِرهم، والزَّنِيمُ والمُزَنَّمُ: الرجلُ يكون في القوم، وليس منهم، أي أنزلهم بمنزلة الحَسِيّ، أي: المُبْعَد الطَّريدُ، وإنما جُعل الطريدُ الذَّلِيلُ حَسِيًّا لأنه عُرْضَةُ الأكْلِ، والحَسِيُّ والحَسْوُ ما يُحْسَى من الطعام حَسْوًا، أي أنه لا يَمْتَنِع على آكل، ويجوز أن يريد بالحَسِيّ معنى الغَذِيّ من الغَنَم، وهو الصَّغِيرُ الضَّعيفُ الذي لا يستطيع الرَّعْي، يقال: بُدِّلوا بالمالِ الدَّثْرِ والإبِلِ الكُوم رُذَالَ المالِ وغِذَاءَ الغَنَم، والمُزَنَّم منه، فهذا وَجْهٌ يحتمل، وقد أكثرتُ التَّقِيرَ عن الحَسِيّ في مَضَانِّهِ من اللغة فلم أجد نَصًّا شافيًا أكثر من قول أبي عَلِيّ: الحَسِيَّةُ، والحَسِيُّ ما يُحْسَى من الطعام، وإذ قد وَجدنَا الغَذِيّ واحد غِذاءِ الغَنَم، فالحَسِيُّ في معناه غيرُ مُمْتنِع أن يقال، والله أعلم. والمُزَنَّم أيضًا: صِغَارُ الإبِلِ، وسائرُ هذا الشعرِ مع ما يعدّه من الأشعار ليس فيه عَوِيصٌ من الغريب، ولا مُسْتَغْلَقٌ من الكلام.

---

(١) المزنم: من دخل في قوم وليس منهم. (٢) الصلا: وسط الظهر.
(٣) الوشيج: الرماح.

مُعانًا بِرُوح القُدُس يُنكي عَدُوّه | رسولاً مِن الرَّحمٰن حَقًّا بَعْلَم
رسولاً مِنَ الرَّحمٰن يَتْلو كِتابَه | فلمَّا أنارَ الحَقُّ لم يتَلَعْثَم
أرى أمرَه يَزْداد في كلّ مَوْطن | عُلُوًّا لأمر حَمَّه اللهُ مُحْكَم

قال ابن هشام: عمرو بن بُهْثة، من غَطَفان. وقوله: «بالحسيّ المزنم» عن غير ابن إسحٰق:

قال ابن إسحٰق: وقال عليّ بن أبي طالب: يذكر إجلاء بني النضير، وقَتْل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رجلٌ من المسلمين غير عليّ بن أبي طالب، فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم بالشِّعر، ولم أر أحدًا منهم يعرفها لعليّ:

عرفتُ ومَنْ يَعْتَدِلْ يَعْرِفِ | وأيْقَنْتُ حَقًّا ولم أصْدِفِ
عَن الكلم المُحْكَم اللاء من | لدى الله ذي الرَّأفة الأرأف
رسائلُ تُدْرَس في المُؤمنين | بهنّ اصطَفَى أحمدَ المُصْطَفى
فأصْبَح أحمدُ فِينا عزيزًا | عزيزَ المقامةِ والمَوْقِف
فيا أيُّها المُوعِدوه سَفاهًا | ولم يأتِ جَوْرًا ولم يَعْنُف
ألَستم تَخافُون أدنى العَذابِ | وما آمِنُ اللهِ كالأَخْوف
وأنْ تُصْرَعوا تحت أسْيافه | كمَصْرع كعبِ أبي الأشرف
غَداة رأى اللهُ طُغْيانه | وأعْرض كالجمَل الأجْنَف[1]
فأنْزَلَ جبريلَ في قَتْله | بِوَحْيٍ إلى عَبْده مُلْطَف

الكاهنان:

وما ذكر من أمر الكاهنين فهما قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ، وفي الحديث: يخرج في الكاهِنَيْن رجل يَدْرُسُ القرآنَ دَرْسًا لم يَدْرُسْه أحدٌ قبله، ولا يَدْرُسُه أحدٌ بعده[2]، فكانوا يَرَوْنَه أنه مُحَمَّد بن كَعْبٍ القَرَظِيّ وهو محمد بن كعب بن عطية، وسيأتي خبرُ جَدِّه عَطِيَّة في بني قُرَيْظَةَ، والكاهِنُ في اللغة بمعنى الكاهِلِ، وهو الذي يقوم بحاجةِ أهلِه، إذا خَلَفَ عليهم، يقال: هو كاهِنُ أبيهِ وكاهِلُه، قاله الهروي، فيحتمل أن يكون سُمِّي الكاهِنَان بهذا.

---

(١) الأجنف: المنحني الظهر.
(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١١) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٤٩٩).

فَـدَسَّ الـرَّسـولُ رسـولاً لـه بـأبـيَـض ذي هَـبَّـة مُـرْهَـف

فَـبـاتَـتْ عَـيُـونٌ لَـهُ مُـعْـوِلاتٍ مـتـى يُـنْـعَ كـعـبٌ لـهَـا تَـذْرِف

وقُـلْـن لأحـمَـد ذَرْنـا قَـلـيـلاً فـإنَّـا مِـنَ الـنَّـوْحِ لـم نَـشْـتَـف

فـخَـلاَّهُـمُ ثـم قـالَ اظْـعَـنُـوا[1] دُحـورًا[2] عـلـى رَغْـم الآنـف[3]

وأجْـلَـى الـنَّـضِـيـرَ إلـى غُـرْبَـةٍ وكـانــوا بــدارِ ذوي زُخْــرف

إلــى أذرِعــاتِ رُدَافَــى وهُــم عــلــى كــلّ ذي دَبَــر أعْـجَـف

فأجابه سَماك اليهوديّ، فقال:

إنْ تَـفْـخَـرُوا فَـهُـوَ فَـخْـرٌ لـكـم بـمَـقْـتـلِ كَـعْـبِ أبـي الأشـرف

غَـداةَ غَـدَوْتُـم عـلـى حَـتْـفـه ولـم يَـأت غـدرًا ولـم يُـخْـلِـف

خروج بني النضير إلى خيبر:

فصل: وذكر ابن إسحٰق خروجَ بني النَّضِير، إلى خيبر، وأنهم استقلّوا بالنساء والأبناء والأموالِ معهم الدفوفُ والمزامير والقِيَانُ يَعْزِفْنَ خَلْفَهم، وإنَّ فيهم لأُمَّ عَمْرِو صاحبة عُرْوَةَ بن الوَرْدِ التي ابتاعوا منه، وكان إحدى نساء بني غِفَار. انتهى كلام ابن إسحٰق، ولم يذكر اسمَها في رواية البَكَّائي عنه، وذكره في غيرها، وهي سَلْمَى، قال الأصْمَعِيُّ: اسمها: لَيْلَى بنت شَعْوَاء، وقال أبو الفرج: هي سَلْمَى أُمُّ وَهْبِ امرأةٌ من كِنَانَة، كانت ناكحًا في مُزَينَةَ، فأغار عليها عُرْوةُ بن الوَرْدِ، فسباها، وذكر الحديث، وقول أبي الفرج إنها من كِنَانَة لا يدفع قول ابن إسحٰق إنها من غِفَار، لأن غِفَارَ من كِنَانَةَ غِفَارُ بن مُلَيْلِ بن ضَمْرَةَ بن لَيْثِ بن بَكْر بن عَبْدِ مَنَاة بن كِنَانَةَ. وعُرْوَةُ بن الوَرْدِ بن زَيْد، ويقال: ابن عَمْرو بن نَاشِب بن هِدْم بن عَوْذ بن غالبِ بن قُطَيْعَة بن عَبْس، فهو عَبْسِيٌّ غَطَفَانِيٌّ قَيْسِيٌّ، لأن عَبْسًا هو ابنُ بَغِيضِ بن رَيْثِ بن غَطَفَانَ قال فيه عبدُ الملك بن مَرْوان: ما يسرني أنَّ أحَدًا من العرب ولدني إلا عُرْوَةُ بن الوَرْدِ لقوله:

أَتَـهْـزَأُ مِـنّـي أنْ سَـمِـنْـتَ، وقـد تَـرَى بِـجِـسْـمِـي مَـسَّ الـحَـقّ والـحَـقُّ جَـاهِـدُ

إنّـي امْـرُؤٌ عـافِـي إنـائِـيَ شِـرْكَـةٌ وأنـت امْـرُؤٌ عـافـي إنـائِـك وَاحِـدُ

أُقَـسِّـم جِـسْـمِـي فـي جُـسُـومٍ كَـثِـيـرةٍ وأحْـسُـو قَـراحَ الـمـاءِ والـمـاءُ بـارِدُ[4]

---

(1) أظعنوا: ارتحلوا.

(2) دحورًا: مهزومين.

(3) الآنف: السابق.

(4) انظر الأمالي للقالي (٢/ ٢٠٤).

فَعَلَّ اللَّيالي وَصَرَفَ الدُّهُور يُديل مِنَ العادِل المُنْصِف
بِقَتْلِ النَّضير وأحْلافِها وعَقْرِ النَّخِيل ولم تُقْطَف
فإنْ لا أمُتْ نَأْتِكُم بالقَنَا وكلّ جُسامٍ مَعًا مَرْهَف
بكفُّ كَمِيٍّ به يَحْتمي متى يَلْق قِرْنًا له يُتْلِف
مَعَ القَوْم صَخْرٌ وأشياعُه إذا غاوَر القَوْمَ لم يَضْعُف
كَلَيْثٍ بِتَرْجِ حمَى غِيلَه أخِي غابةٍ هاصِرٍ أجْوَف

شعر كعب في إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف:

قال ابن إسحٰق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقَتْل كعب بن الأشرف:

لقد خَزِيَتْ بغَدْرتها الحُبُورُ[1] كذاكَ الدّهْرُ ذو صَرْف يَدُورُ
وذلك أنّهم كَفَرُوا بِرَبٍّ عَزيزٍ أمرُه أمرٌ كَبِير
وقد أُوتُوا مَعًا فَهْمًا وَعِلْمًا وجاءَهُمُ مِنَ اللهِ النَّذِير
نذيرٌ صادِقٌ أدّى كِتابًا وآياتٍ مُبيَّنةً تُنير
فقالوا: ما أتَيْتَ بأمرِ صِدْقٍ وأنتَ بِمُنكَر منَّا جَدير
فقال: بَلى لقد أدّيْتُ حَقًّا يُصدّقني به الفَهِمُ الخَبِير
فمن يَتْبعه يُهْدَ لكلّ رُشْدٍ ومن يَكْفر به يُجْزَ الكَفُور
فلما أُشْرِبوا غدرًا وكُفرًا وحاد بِهِمْ عن الحَقّ النُّفور
أرى اللهُ النَّبِيَّ برأيِ صِدْقٍ وكان اللهُ يَحْكُمُ لا يَجُور
فَأيَّده وسَلَّطه عليهم وكان نَصِيرُه نِعْمَ النَّصِير

وكان يقال: مَنْ قال: إن حاتمًا أَسْمَحُ العَرَب، فقد ظلم عُرْوَةَ بن الوَرْدِ، قال أبو الفرج: وكان عُرْوَةُ يَتَرَدَّدُ على بني النَّضِيرَ، فَيَسْتَقْرِضهُمْ إذا احتاج، ويَبيع منهم إذا غَنم، فرأوا عنده سَلْمى، فأعجبتهم، فسألوه أن يبيعها، منهم فأبى فَسَقَوْه الخمر، واحتالوا عليه، حتى ابتاعوها منه، وأشهدوا عليه، وفي ذلك يقول:

سَقَوْنِي الخَمْرَ ثم تَكَنَّفُوني عِدَاةَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ

---

(١) الحبور: جمع حبر، وهو العالم اليهودي.

فغُودِر منهمُ كَعْبٌ صَرِيعًا فذلَّت بعد مَصْرعه النَّضير
على الكَفَّيْن ثَمَّ وقد عَلَتْه بأيْدِينا مُشَهَّرَةٌ ذُكُور
بأمر محمَّدٍ إذ دسَّ لَيْلاً إلى كَعْبٍ أخا كَعْبٍ يَسِير
فمَا كَره فأنْزله بمَكْرٍ ومَحْمُودٌ أخو ثِقَةٍ جَسُور
فتِلكَ بنو النَّضير بدارِ سَوْءٍ أبارَهم[1] بما اجترَمُوا المُبير
غَداةَ أتاهُمُ في الزَّحْفِ رَهْوًا[2] رسولُ الله وَهُوَ بِهِمْ بَصير
وغَسَّانَ الحُماةُ مُوَازِرُوهُ على الأعداء وَهوَ لهُم وَزِير
فقال السِّلم وَيحَكُمُ فَصَدُّوا وحالَفَ أمرَهم كَذِب وزُور
فذاقُوا غِبَّ أمْرِهِمُ وَبالاً لكُلِّ ثَلاثَةٍ مِنْهُمْ بَعير
وأَجْلَوا عامِدِينَ لقَيْنُقاع وغُودر منهمُ نَخْل ودُور

شعر سمَّاك في الردّ على كعب:

فأجابه سمَّاك اليهوديّ، فقال:

أرِقتُ وضافَنِي همّ كَبيرُ بلَيْلٍ غيرُه ليلٌ قَصِيرُ
أرَى الأخبار تُنكِره جميعًا وكلُّهمُ له عِلْم خَبير
وكانوا الدَّارِسين لكلّ عِلْم به التَّوراة تَنطِق والزَّبُور
قَتَلتم سَيِّد الأخبار كَعْبًا وقِدْمًا كانَ يَأمن مَنْ يُجِير

ورُوي أيضًا أن قومها افْتَدَوْها منه، وكان يظن أنها لا تختار عليه أحدًا، ولا تفارقه، فاختارت قومَها، فندم، وكان له منهَا بَنُونَ، فقالت له: والله ما أعلم امرأة من العَرَب أرْخَتْ سِتْرًا على بعلٍ مثلك أغض طرفًا، ولا أنْدَى كفًّا ولا أغْنَى غناء، وإنك لرفيعُ العِمادِ[3]، كثيرُ الرَّمادِ[4]، خَفِيفٌ على ظهور الخيل، ثقيلٌ على مُتُون الأعداء، راضٍ للأهل والجارِ، وما كنت لأوثر عنك أهلِي، لولا أني كنت أسمع بنات عَمِّك يقلن: فعلت أَمَةُ عُزْوَةَ، وقال: أَمَةُ عُزوةَ، فأجِدُ من ذلك الموتَ، والله لا يجامع وَجْهي وَجْه غَطَفَانِيَّة أبدًا، فاسْتَوْصِ بِبَنيكَ

(١) أبارهم: أهلكهم. (٢) رهوًا: يسير سيرًا خفيفًا.
(٣) رفيع العماد: قيل رفيع النسب.
(٤) كثير الرماد: كناية عن الكرم، لكثرة ما يُطبخ في الدار. وانظر حديث أم زرع في البخاري ومسلم وغيرهما.

تَدلَّى نحو محمودٍ أخيه ومحمودٌ سريرته الفُجُور

فغادَره كأنَّ دَمًا نجيعًا يَسيل على مَدارِعه عَبير

فقد وأبيكُم وأبي جميعًا أُصيبتْ إذ أصيبَ به النَّضِير

فإنْ نَسْلَم لكم نترك رِجالاً بكَعْب حَولهُم طَيْرٌ تَدُور

كأنهم عَتائر يومِ عيدٍ تُذَبَّحُ وَهيَ ليس لها نَكير

ببِيضٍ لا تُليقُ لهُنّ عَظمًا صَوافي الحَدِّ أكثرُها ذُكور

كما لاَقيتُم مِن بأسِ صَخْر بأُخْد حيثُ ليس لكم نصير

شعر ابن مرداس في امتداح رجال بني النضير:

وقال عباسُ بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير:

لو أنّ أهلَ الدّار لم يتصدَّعُوا رأيتَ خِلال الدارِ مَلْهى ومَلعبا

فإنَّك عَمْري هل أُريك ظَعائنًا سَلَكْن على رُكن الشَّطاة فَتيأبا

عليهنّ عِينٌ من ظباء تَبالةٍ أوانسُ يُصبِين الحليمَ المُجرَّبا

إذا جاء باغي الخيرِ قُلْنَ فُجاءةً له بوجُوه كالدَّنانير مَرْحبا

وأهلاً فلا مَمْنوع خيرِ طَلَبْتَه ولا أنت تَخْشى عندنا أن تُؤَنَّبا

فلا تحسبنِّي كنت مولى ابن مِشكم سَلامِ ولا مَوْلى حُيَيّ بن أخْطبا

شعر خوّات في الردّ على ابن مرداس:

فأجابه خَوّات بن جُبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال:

تُبَكِّي على قَتْلَى يهودَ وقد ترى مِن الشَّجْو لو تَبْكي أحبَّ وأقْربا

فهَلاَّ على قَتْلَى ببَطْن أُرَيْنِق بكَيْتَ ولم تُعْوِل من الشَّجو مُسْهبا

إذا السِّلْم دارت في صديق رددتَها وفي الدين صَدَّادًا وفي الحَرْب ثَعْلبا

عمدتَ إلى قَدْر لقَوْمِك تَبْتغي لهم شَبَهًا كَيما تَعزّ وتَغْلَبا

خَيْرًا، قال: ثم تزوجها بعده رجلٌ من بني النضير، فسألها أن تُثْنِي عليه في نادي قومه، كما أَثنت على عُرْوةَ، فقالت: اغفِني، فإني لا أَقول إلا ما علمته، فأبى أن يُعْفِيها، فجاءت حتى وقفت على النادي، وهو فيه، فقالت: عِمُوا صَبَاحًا، ثم قالت: إن هذا أَمَرني أنْ أُثْنِي عليه بما علمت فيه، ثم قالت له: والله إن شَمْلَتَكَ لا التِفَاف، وإن شُرْبك لاشْتِفَافٌ، وإن

فإنَّك لمَّا أنْ كَلِفتَ تمدُّحًا | لمن كان عَيبًا مدحُه وتَكَذُّبا
رحَلْتَ بأمرٍ كنتَ أهلاً لمِثْله | ولم تُلْفِ فيهم قائلاً لك مَرْحَبا
فهلاّ إلى قَوْمٍ مُلُوكٍ مدحتَهم | تَبَنَّوْا مِن العزّ المُؤَثَّل مَنْصِبا
إلى مَعْشَرٍ صاروا مُلُوكًا وكُرِّمُوا | ولم يُلْفَ فيهم طالبُ العُرْف مجْدبا
أولئك أحْرى مِن يَهُودَ بمِدْحةٍ | تراهُم وفيهم عِزّة المَجْد تُرْتُبا

شعر ابن مرداس في الردّ على خوّات:

فأجابه عبَّاس بن مرداس السلميّ، فقال:

هجَوْتَ صريحَ الكاهِنَيْن وفيكُم | لهم نِعَمٌ كانت من الدّهر تُرتُبا
أولئك أحْرَى لو بَكَيْتَ عليهمُ | وقومُك لو أدَّوا من الحقّ مُوجَبا
من الشُّكر إنّ الشكر خيرٌ مَغَبَّةً | وأوفقُ فعلاً للذي كان أصْوَبا
فكُنْتَ كمَن أمسَى يُقطِّع رأسه | ليَبْلُغ عزًّا كان فيه مُرَكَّبا
فبَكِّ بني هارون واذكُر فعَالَهُم | وقَتْلَهم للجُوع إذ كنتَ مُجْدِبا
أخوّاتُ أذرِ الدَّمعَ بالدَّمع وابكِهِمْ | وأعْرِض عن المَكْرُوه منهم ونَكِّبا
فإنَّك لو لاقيتَهم في دِيارِهم | لأُلْفيتَ عمّا قد تَقُول مُنَكِّبا
سِراعٌ إلى العَلْيا كرامٌ لَدى الوَغى | يُقال لباغِي الخَيْر أهلاً ومَرْحبا

ضَجْعَتَك لا انجعَاف، وإنك لَتَشْبَع ليلة تُضَافُ، وتنامُ لَيْلَةَ تخافُ، فقال له قومه: قد كنتَ في غِنًى عن هذا، وفيها يقول عُرْوةُ بن الوَرْدِ[1]:

أَرِقْتُ وصُحْبَتي بمضِيقِ عُمْقٍ | لِبَرْقٍ في تِهَامَةَ مُسْتَطِير
إذا قُلْتُ استهلّ على قديد | يحور ربابه حور الكسير
سَقَى سَلْمَى، وأَينَ مَحَلُّ سَلْمَى | إذا حَلَّتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِير
إذا حَلَّتْ بأرضِ بني عَلِيٍّ | وأهلك بين أَمَّرَةٍ وكِيرِ
ذكرتُ منازِلاً من أُمِّ وَهْبٍ | مَحَلَّ الحيِّ أسفل ذي النَّقِير
وآخرُ مَعْهَدٍ من أُمِّ وَهْبٍ | مُعَرَّسُنَا فُوَيْقَ بني النَّضِير

---

(١) انظر الأغاني للأصبهاني (٣/ ٧٥) مع بعض النقص والتغير.

شعر لكعب أو ابن رواحة في الردّ على ابن مرداس:

فأجابه كعب بن مالك، أو عبد الله بن رَواحة، فيما قال ابن هشام، فقال:

لعَمري لقد حَكَّت رَحى الحرب بعدما أطارَتْ لُؤيًا قبلُ شَرْقا ومَغْرِبا

بـقِـيَّـة آل الـكـاهِـنَـيْـن وعِـزَّهـا فـعـادَ ذلـيـلاً بَـعـدمـا كـان أغْـلَـبـا

فـطـاحَ سَـلامٌ وابْـنُ سَـعْـيـة عَـنْـوةً وقـيـدَ ذلـيـلاً لـلـمَـنـايـا ابنُ أَخْـطـبا

وأجْلَـبَ يَبْغِي العزَّ والذلَّ يَبْتغي خِلافَ يَدَيْه ما جَنى حين أجلَبا

كتارك سَهْل الأضِ والحَزنُ هَمَّهُ وقد كان ذا في الناس أَكْدَى وأصعبَا

وشـأسٌ وعَـزّال وقَـد صَـلـيـا بـهـا ومـا غُـيِّـبـا عـن ذاك فـيـمـن تَـغَـيَّـبـا

وعَوفُ بن سَلْمى وابن عَوْف كلاهما وكَعبٌ رئيسُ القوم حان وخُيِّبا

فبُعْدًا وسُحْقًا للنَّضِير ومثلها إن أعـقـبَ فـتْـحٌ أو إنِ الله أعْـقَـبـا

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: ثم غزا رسولُ الله ﷺ بعد بني النَّضير بَني المصْطلق. وسأذكر حديثَهم إن شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن إسحٰق فيه.

وقـالـت: مـا تـشـاء، فـقـلـت: أَلْـهُـو إلـى الإصـبـاح آثِـرَ ذِي أثِـيـرِ

بـآنِـسَـةِ الـحـديـثِ رُضَـابُ فـيـهـا بُـعَـيْـد الـنَّـوْم كـالـعِـنَـبِ الـعَـصِـير

أَطْـغـتُ الآمِـرِيـن بِـصَـرْم سَـلْـمَـى فَـطَـارُوا فـي بـلاد الـيَـسْـتَـعُـورِ

سَـقَـوْنـي الـخَـمْـرَ ثـم تَـكَـنَّـفُـونـي عِـــداةُ الله مـــن كَـــذِبٍ وزُورِ

وقـالـوا لـيـسـت بـعـد فِـدَاءِ سَـلْـمٍ بِـمُـغْـنٍ مـا لَـدَيْـك ولا فَـقِـيـرِ

ولا وأَبِـيـكَ لـو كـالـيـوم أَمْـرِي وَمَـنْ لـك بـالـتَّـدَبُّـرِ فـي الأمـور

إذًا لـمـلـكْـت عِـصْـمَـةَ أُمّ وَهْـبٍ عـلـى مـا كـان من حَسَكِ الصُّدُور

فـيـا لـلـنـاس كـيـف غَلَبْتُ نَفْسِي عـلـى شـيءٍ وَيَـكْـرَهُـه ضَـمِـيـرِي

قوله: السرير موضعٌ في ناحية كِنَانة، وقوله: اليَسْتَعُور: هو موضعٌ قبل حَرَّةِ المدينة، فيه عِضَاهُ من سَمُرٍ وَطَلْح، وقال أبو حنيفة: اليَسْتَعُورُ شجر يُسْتَاكُ به، يَنْبُت بالسَّرَاة، واليَسْتَعُور أيضًا من أسماء الدَّواهي، والياء في اليَسْتَعُورِ أَصْليَّة، فهذا شرح ما أومأ إليه ابن إسحٰق من حديث أُمّ عَمْرو، وإنما هي أُمُّ وَهْبٍ كما تكرر في شعره.

غزوة ذات الرقاع[1] في سنة أربع

قال ابن إسحٰق: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النَّضير شهرَ ربيع الآخر وبعضَ جُمادَى، ثم غزا نجدًا مُحارب وبني ثَعْلبة من غَطفان، واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغِفَارِيّ، ويقال: عثمان بن عفَّان، فيما قال ابن هشام.

لِمَ سمّيت بذات الرّقاع؟:

قال ابن إسحٰق: حتى نزل نَخلاً، وهي غزوة ذات الرّقاع.

قال ابن هشام: وإنما قيل لها: غزوة ذات الرّقاع، لأنهم رقَّعوا فيها راياتهم. ويقال: ذات الرّقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرّقاع.

قال ابن إسحٰق: فلقي بها جمعًا عظيمًا من غَطفان، فتقارب النَّاسُ، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضُهم بعضًا حتى صلّى رسولُ الله ﷺ بالنَاس صلاةَ الخَوْف، ثم انصرف بالناس.

غزوة ذات الرقاع

وسُمِّيَتْ ذات الرِّقَاع، لأنهم رَقعُوا فيها راياتِهم في قول ابن هشام، قال: ويقال ذات الرّقاع شجرةٌ بذلك الموضِع يقال لها: ذات الرِّقاع، وذكر غيرُه أنها أرضٌ فيها بُقَعٌ سُودٌ، وبُقَعٌ بِيضٌ، كأنها مُرَقَّعةٌ بِرِقَاع مختلفة، فسميت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغَزَاة، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري، قال: «خرجنا مع النبيّ - ﷺ - في غَزَاةٍ، ونحن سِتَّةُ نَفَر بيننا بعيرٌ نَعْتَقِبُه، فَنَقِبَتْ أقدامُنا، ونَقِبَتْ قَدَمَاي، وسَقَطَتْ أظفَاري، فكنا نلُفُّ على أرجلِنا الخِرَقَ، فسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذاتِ الرِّقاع، لما كنا نَعْصِبُ من الخِرَقِ على أرجلِنا، فحدّث أبو موسى بهذا، ثم كَرِه ذلك، فقال: ما كنت أصنع بأن أَذْكُرَه، كأنه كَرِه أن يكونَ شَيْئًا من عمله أفشاه»[2].

---

(١) انظر الواقدي (١/ ٣٩٥) الطبري (٢/ ٥٥) البداية والنهاية (٤/٨٣) الطبقات (٢/١/٤١) الكامل (٢/٦٦) الدلائل (٣/٣٦٩) المنتظم (٣/ ٢١٤) النويري (١٧/١٥٨) السيرة الحلبية (٢/ ٣٥٣) ابن حزم (١٨٢) الاكتفاء (٢/ ١٥٢) عيون الأثر (٢/ ٧٢) البخاري (٥/١١٣) ومسلم (١٢/ ١٧ ـ نووي) الزاد (٣/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٣٢٥) ومسلم (٦/ ١٨).

صلاة الخوف

قال ابن هشام: حدّثنا عبد الوارث بن سعيد التَّنوريّ ـ وكان يُكنى: أبا عُبَيدة ـ قال: حدّثنا يونس بن عُبيد، عن الحسن بن أبي الحسن، عن جابر بن عبد الله في صلاة الخَوْف، قال: صلّى رسُول الله ﷺ بطائفة ركعتين ثم سلَّم، وطائفة مُقْبلون على العدوّ. قال: فجاءوا فصلّى بهم ركعتين أُخريين، ثم سلَّم.

قال ابن هشام: وحدّثنا عبد الوارث، قال: حدّثنا أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: صفَّنا رسولُ الله ﷺ صفَّين، فركع بنا جميعًا، ثم سجدَ رسولُ الله ﷺ، وسجد الصفُّ الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلُونهم بأنفسهم، ثم تأخَّر الصفّ الأوّل، وتقدّم الصفّ الآخر حتى قاموا مقامَهم ثم ركع النبيّ ﷺ بهم جميعًا ثم سجد النبيّ ﷺ وسجد الذين يلُونه معه، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون بأنفسهم، فركع النبي ﷺ بهم جميعًا، وسجد كلّ واحد منهما بأنفسهم سَجْدَتين.

صلاة الخوف[1]

فصل: وذكر صلاةَ الخوفِ، وأوردها من طُرُقٍ ثلاثٍ، وهي مَرْوِيَّة بصُوَر مُخْتَلِفَةٍ أكثر مما ذكر. سمعت شيخَنا أبا بكرٍ ـ رحمه الله ـ يقول: فيها سِتَّ عَشْرَةَ روايةٍ، وقد خرج المصنفون أصحَّها، وخرَّج أبو داود منها جُمْلَةً، ثم اختلف الفقهاءُ في التَّرْجِيح، فقال طائفة: يعمل منها بما كان أشبهَ بظاهر القرآن، وقالت طائفة: يُجْتَهدُ في طَلَبِ الآخر منها، فإنه الناسخ لما قبله، وقالت طائفة: يُؤخَذُ بأصَحِّها نقلاً، وأعلاها رُوَاةً، وقالت طائفة ـ وهو مذهب شيخنا: يُؤخَذ بجميعها على حَسَبِ اختلافِ أحوالِ الخَوْفِ، فإذا اشْتَدَّ الخوفُ، أُخِذَ بأَيْسَرِها مُؤْنَةً، فإذا تفاقم الخوفُ صَلُّوا بغير إمامٍ لقبلةٍ أو لغير قبلة، وقد رَوى ابنُ سَلاَّم عن طائفة من السَّلَفِ أن صَلاَةَ الخوف، قد تَؤُولُ إلى أن تكونَ أربَع تكبيراتٍ، وذلك عند مَغْمَغةِ القتال، وسيأتي بقيةُ القول في صلاة الخوف في خَبَر بني قُرَيظَةَ إن شاء الله، ومما تخالف به صلاةُ الخوفِ حُكْم غيرها أنه لا سَهْوَ فيها على إمام، ولا على مأموم رواه الدارقطني بسند ثابت عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا سَهْوَ في صَلاةِ الخَوف»[2].

---

(١) انظر أبو داود (١٢٣٦) بتحقيقي. والنسائي (٣/ ١٧٧) وأحمد (٤/ ٥٩/ ٦٠). والتخريج السابق أيضًا. وانظر الفتح (٦/ ٣٣٥) والزاد (٣/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه الدارقطني (١/ ٣٧٧) بتحقيقي.

قال ابن هشام: حدّثنا عبد الوارث بن سعيد التّنُوري قال: حدّثنا أيوب عن نافع، عن ابن عمر، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلي عدوّهم، فيركع بهم الإمام ويَسْجد بهم، ثم يتأخَّرون فيكونون مما يلي العدوّ، يتقدّم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة، ويسجد بهم، ثم تصلّي كلّ طائف بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة، وصلَّوْا بأنفسهم ركعةً ركعة.

همّ غورث بن الحارث بقتل الرسول:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عمرو بن عُبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله: «أن رجلاً من بني مُحارب، يقال له: غَوْرَث، قال لقومه من غَطَفان ومُحارب: ألا أقتُل لكم محمدًا؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيفُ رسول الله ﷺ في حِجره، فقال: يا محمد، أنْظُر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم ـ وكان مُحَلًّى بفضة، فيما قال ابن هشام ـ قال: فأخذه فاستلَّه، ثم جعل يهزّه، ويَهُم فيَكْبِته الله، ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: «لا، ولا أخاف منك؟» قال: أما تخافني وفي يَدي السَّيف، قال: «لا، يَمنعني الله منك». ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ، فردّه عليه»[1]. قال: فأنزل الله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن رُومان: أنها إنما أنزلت في عَمْرو بن جِحاش، أخي بني النَّضير وما همّ به، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

قصة جمل جابر

قال ابن إسحٰق: وحدّثني وهب بن كَيْسان، عن جابر بن عبد الله، قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى غَزْوة ذات الرّقاع من نخل، على جَمَل لي ضعيف، فلما قفَل

رفع المنصوب

فصل: وذكر حديث جابر حين أبطأ به جملُه فَنَخَسَه النبيُّ ـ ﷺ ـ نَخَساتٍ، فخرج

---

(١) أخرجه مسلم (٥٧٦) وأحمد (٣/ ٣٦٤) والطبري في تاريخه (٢/ ٨٦) وابن سعد في الطبقات (٢/ ١/ ٤٤) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٧٥) وأبو نعيم في الدلائل (١/ ٦٢). مع اختلاف. وإسناد ابن إسحٰق فيه ضعف.

رسولُ الله ﷺ، قال: جعلتِ الرّفاق تمضي، وجعلت أتخلّف، حتى أدركني رسولُ الله ﷺ، فقال: «ما لك يا جابر؟» قال: قلت: يا رسول الله، أبطأني جملي هذا؛ قال: «أنِخه»؛ قال: فأنَخته، وأناخ رسولُ الله ﷺ؛ ثم قال: «أعطني هذه العصا من يدك، أو اقطع لي عصا من شَجرة»؛ قال: ففعلت. قال: فأخذها رسولُ الله ﷺ فنخَسه بها نَخساتٍ، ثم قال: «اركب»، فركبتُ، فخرج والذي بعثه بالحق، يُواهِقُ ناقته مُواهَقَةً.

قال: وتحدّثت مع رسول الله ﷺ، فقال لي: «أتبيعني جملك هذا يا جابر؟» قال: قلت: يا رسول الله، بل أهبَه لك؛ قال: «لا، ولكن بِعْنيه»، قال: قلت: فسُمْنيه يا

يُوَاهِقُ نَاقته مُوَاهَقَةً. المُوَاهَقَةُ كالمُسَابَقَةِ، والمُجَاراة، وأنشد سيبويه لأوْسِ بن حَجَر:

تُـوَاهِـقُ رِجْـلاَهَـا يـداهَـا وَرَأْسُـه   لـهـا قَـتَـبٌ خَـلْـفَ الـحَـقِـيـبَـة رادِفُ

رَفَع يَدَاهَا ورِجْلاَها رفْعَ الفاعل، لأن المواهَقَة، لا تكون إلاّ من اثنين، فكل واحدٍ منهما فاعلٌ في المعنى كما ذكروا في قول الراجز:

قَـدْ سَـالـم الـحَـيَّـاتُ مِـنـه الـقَـدَمَـا   الأفْـعُـوَانَ والـشُّـجَـاع الـشَّـجْـعَـمَـا
[وذات قَـرْنَـيْـن ضَـمُـورًا ضِـرْزِمـا[1]]

هكذا تأوّلَه سِيبَويْهِ، ولعل هذا الشاعر كان من لغته أن يجعل التثنية بالألف في الرَّفع والنَّصب والخَفْضِ كما قال:

تَـزَوَّدَ مِـنَّـا بـيـن أُذْنَـاهُ طَـعْـنَـةً   دَعَـتْـه إلـى هَـابِـي الـتُّـراب عَـقِـيـم

وكما قال الآخر:

قـد بَـلَـغَـا فـي الـمـجـدِ غَـايـتَـاهـا

وهي لغةُ بني الحارث بن كعب، قاله أبو عبيد. وقال النحاس في الكتاب المُقْنع: هي أيضًا لغة لخَثْعَمَ وطيِّىءٍ وأبْطُنٍ من كِنَانَةَ، والبيتُ أعني: تُواهِقُ رِجْلاَهَا يدَاها، هو لأوْسِ بن حَجَرِ الأَسَدِي، وليس مِمَّنْ هذه لغته، فالبيت إذًا على ما قاله سيبويه.

مساومة جابر في جملة وما فيه من الفقه[2]:

وذكَر مُساوَمة النبيّ ﷺ لجابر في الجمل، حتى اشتراه منه بأُوقيَّة، وأنه أعطاه أوّلاً دِرْهمًا، فقال: لا إذًا تَغْبُنُني يا رسول الله؛ فإن كان أعطاه الدِّرْهَمَ مازحًا، فقد كان يَمْزَحُ،

---

(١) الضرزم: المسنة.

(٢) انظر الحديث في البخاري (٣/ ١٣٢).

رسول الله؛ قال: «قد أخذته بدرهم»؛ قال: قلت: لا، إذن، تَغْبِنني يا رسول الله! قال: «فبدرهمين»؛ قال: قلت: لا. قال: فلم يزل يرفع لي رسولُ الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأُوقِيَّة. قال: فقلت: أَفَقَد رضيتَ يا رسولَ الله؟ قال: «نعم»؛ قلت: فهو لك، قال:

ولا يقول إلاّ حقًا، فإذا كان حَقًّا، ففيه من الفِقه إباحَةُ المُكايَسةِ الشَّدِيدَةِ في البَيْعِ، وأن يُعطِي في السِّلْعَة ما لاَ يُشْبِه أن يكون ثَمنًا لها بنَصِّ الحَدِيثِ، وفي دليله أن من اشْتَرَى سِلْعَةً بما لا يُشْبِه أن يَكُونَ لها ثَمنًا، وهو عاقل بصيرٌ، ولم يكن في البيع تَدْلِيسٌ عليه، فهوَ بيْعٌ ماضٍ لا رُجوعَ فيه، ورُوِي من وَجْهٍ صحيح أنه كان يقول له كُلَّما زاد له دِرْهمًا قد أخذته بكذا والله يغفِر لك، فكأنه عليه السلام أراد بإعطائه إيَّاه دِرْهمًا درهمًا أن يَكْثر استغفارُه له، وفي جَمَل جابر هذا أمور من الفِقْه سوى ما ذكرنا، وذلك أن طائفةً من الفُقَهاءِ احتَجُوا به في جواز بيع وشَرْطٍ[1]، لأن النبيَّ - ﷺ - شَرَطَ له ظَهْرَه إلى المدينة، وقالت طائفةٌ: لا يجوز بَيْعٌ وشَرْطٌ، وإن وقع فالشَّرْطُ باطلٌ، والبيع باطل[2]، واحتجّوا بحديثِ عَمْرو بن شُعَيْبٍ عن أبيه شُعَيْبٍ عن جَدِّ أبيه عبد الله بن عَمْرو بن العاصي أن النبيَّ - ﷺ - «نهى عن شَرْطٍ وبَيْع، وعَنْ بَيْعٍ وسَلَفٍ»[3].

شعيب لا يروي عن أبيه وإنما عن جدّه:

وقد رَوى أبو داود هذا الحديث، فقال: عن عمرو بن شُعَيْب عن أبيه شُعَيْبٍ عن أبيه مُحَمَّدِ بن عَبْدِ الله بن عمرو عن أبيه عبد الله بن عَمْرٍو.

وهذه رواية مُسْتَغْرَبَةٌ عند أهلِ الحديث جِدًّا، لأن المعروفَ عندهم أن شُعَيْبًا إنما يروي عن جَدِّه عبدِ الله، لا عن أبيه مُحَمَّدٍ لأن أباه محمدًا مات قبل جَدِّه عبدِ الله، فقف على هذه التنبيهة في هذا الحديث، فَقَلَّ مَنْ تَنَبَّه إليها، وقالوا: حُجَّة في حديثِ جابرٍ لما فيه من الاضْطراب، فقد روي أنه قال: أَفْقِرْنِي ظَهْرَه إلى المدينةِ، ورُوِي أنه قال: اسْتَثْنَيْتُ ظَهْرَه إلى المدينة، وروي أنه قال: شَرَط لي ظَهْرَه، وقال البخاري: الاشتراطُ أكثرُ وأصح، وكذلك اضْطَرَبُوا في الثمن، فقالوا: بِعْتُه منه بأوقِيَّةٍ، وقال بعضهم: بأَرْبَعِ أَوَاقِي، وقال بعضهم: بخَمْسِ أواقي، وقال بعضهم: بِخَمْسَةِ دَنَانِير، وقال بعضهم: بأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ، وقال بعضهم: هو في معنى الأُوقِيَّةِ، وكل هذه الروايات قد ذكرها البخاري، وقال مسلمٌ في بعض رواياته: دِينَارَيْنِ ودِرْهَمَيْن، وقالت طائفةٌ بإبطال الشرط، وجَوازِ البَيْعِ، واحْتَجُوا بحديث بَرِيرَةَ حين

---

(١) وهو مذهب أحمد والبخاري. (٢) وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي.

(٣) «باطل». قاله ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى (١٨/٦٣). وانظر السلسلة الضعيفة للعلاّمة الألباني حفظه الله تعالى وأمتع به (٤٩١).

«قد أخذته». قال: ثم قال: «يا جابر، هل تزوّجتَ بَعْدُ؟» قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أثَيِّبًا أم بِكْرًا؟» قال: قلت: لا، بل ثَيِّبًا؛ قال: «أفلاَ جارِيَةً تُلاعبها وتُلاعِبُك!» قال: قلت: يا رسول الله، إن أبي أُصيب يوم أُحُدٍ وترك بَنَاتٍ له سَبْعًا، فنكَحْتُ امرأةً جامعةً، تجمع رُؤوسَهُنَّ، وتَقُوم عليهنّ؛ قال: «أَصبْتَ إن شاء الله، أما إنَّا لو قد جِئنا صِرَارًا أمَرْنا بجَزُور فنُحرت، وأقمنا عليها يومَنا ذاك، وسمعت بنا، فنَفَضَتْ نمارِقَها» قال: قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نَمارق؛ قال: «إنها ستكون، فإذا أنت قَدِمت فاعمل عملاً كيِّسًا». قال: فلما جِئنا صِرارًا أمر رسولُ الله ﷺ بجَزور فنُحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم؛ فلما أمسَى رسولُ الله ﷺ دخل ودَخلنا، قال: «فحدثتُ المرأة الحديثَ»، وما قال لي رسولُ الله ﷺ قالت: فدُونك، فسمع وطاعة. قال: فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أنختُه على باب رسول الله ﷺ، قال: ثم جلستُ في المسجد قريبًا منه، قال: وخرج رسولُ الله ﷺ، فرأى الجمل، فقال: «ما هذا؟»

باعها أَهلُها من عائِشةَ، واشترطوا الوَلاَءَ فأجاز النبيُّ ﷺ البيعَ وأبطل الشَّرْطَ، واسْتَعْمَلَ مالِكٌ هذه الأحاديثَ أجمَع، فقال: بإبطالِ البَيْعِ والشرطِ على صورةٍ، وبجوازهما على صورة أُخْرَى، وبإبطال الشرطِ وجوازِ البيع على صورةٍ أيضًا، وذلك بيِّنٌ في المسائل لمن تدبرها، وأبين ما توجد مُحْكَمَة الأصولِ مُسْتَثْمَرَة الجَنَا والفُصولِ في كتاب المقدِّماتِ لابنِ رُشْدٍ، فلينظرها هنالك من أرادها(١).

الحكمة من مساومة النبيّ لجابر:

فصل: ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن تَعْلَم قَطْعًا أن النبيَّ - ﷺ - لم يكن يَفْعَلُ شَيْئًا عَبَثًا بل كانت أفعالُه مَقْرُونَةً بالحِكْمَة ومُؤَيَّدَةً بالعِصْمَةِ، فاشتراؤه الجملَ من جابرٍ ثم أعْطَاه الثمن، وزاده عليه زيادةً، ثم رَدَّ الجمل عليه، وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك العَطَاءَ دون مُسَاوَمَةٍ في الجمل، ولا اشْتِراءٍ ولا شَرْطٍ ولا تَوْصيلٍ، فالحِكْمَةُ في ذلك بَدِيعَة جدًا، فلتُنْظَر بعين الاعتبار، وذلك أنه سأله: هل تزوجتَ، ثم قال له: هَلاَّ بِكْرًا، فذكر له مَقْتَلَ أبيه، وما خَلَّف من البناتِ، وقد كان عليه السلامُ قد أخبر جابرًا بأنَّ الله، قد أحيا أباه، وردَّ عليه رُوحَه، وقال: ما تشتهي فأزيدك، فأكَّد عليه السَّلامُ هذا الخبَر بمثل ما يُشْبِهُهُ، فاشترى منه الجملَ، وهو مَطِيَّته، كما اشترى الله تعالى من أبيه، ومن الشُّهَداءِ أنفسهم بثمنٍ هو الجَنَّة، ونفسُ الإنسانِ مَطِيتُه، كما قال عُمَرُ بن عَبْدِ العزيز - رضي الله عنه - إن نفسي

---

(١) انظر بداية المجتهد (٢/ ١٣٢).

قالوا: يا رسول الله، هذا جمل جاء به جابر، قال: «فأين جابر؟» قال: فدُعيتُ له، قال: فقال: «يا ابن أخي خُذ برأس جملك، فهو لك، ودَعا بِلالاً، فقال له: اذهب بجابر، فاعطه أوقِيَّة» قال: فذهبت معه، فأعطاني أُوقِيَّةً، وزادني شيئًا يسيرًا. قال:

مَطِيَّتي، ثم زادهم زِيادَةً فقال: ﴿لِلَّذِين أَحسَنُوا الحُسْنَى وزِيادَة﴾ [يونس: ٢٦]، ثم رَدَّ عليهم أنفسَهم التي اشترى منهم فقال: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية، فأشار عليه السلام باشترائِه الجملَ من جابرٍ وإعطائِه الثمنَ وزِيادتِه على الثمن، ثم رَدَّ الجمل المُشتَرى عليه، أشار بذلك كُلِّه إلى تأكيدِ الخبَر الذي أَخْبَرَ به عن فعل الله تعالى بأبيه، فتشاكل الفعلُ مع الخبر، كما تراه، وحاش لأفعاله أن تخلو من حِكْمَةٍ، بل هي كلها نَاظِرة إلى القرآنِ ومُنتزَعَةٌ منه ﷺ.

سياقه الحديث عن عمرو بن عبيد:

فصل: وحَدَّث عن عَمْرِ عُبَيْد عن الحَسَن عن جَابِرٍ، وذكر حديث غَوْرَثٍ، وقد ذكره البخاري فقال فيه: غَوْرَثُ بن الحارِث، وقد ذَكَره الخَطَّابي، فقال فيه: إنه لما هَمّ بقتلِ النبيّ ـ ﷺ ـ رمي بالزُّلَخةِ فَنَدَر السيفُ من يَدِه، وسقط إلى الأرضِ. الزُّلَّخَةُ: وجع يأخذ في الصُّلْبِ، وأما روايته الحديثَ عن عَمرو بن عُبَيدٍ فأعجبُ شيءٍ سِيَاقَتُه إياه عن عَمْرو بن عُبَيد، وقد رواه الأثْبَاتُ عن جابِر، وعَمْرُو بن عُبَيْدٍ مُتَّفقٌ على وَهَنِ حديثه، وتَرْك الرواية عنه، لما اشْتَهر من بِدعتِه، وسوء نِحْلَتِه، فإنه حُجَّة القَدَرِيَّة، فيما يُسْنِدون إلى الحَسَنِ ـ رضي الله عنه ـ من القول بالقَدَرِ، وقد بَرَّأه الله منه، وكان عندَ اللهِ وجيهًا، وأما عَمْرو بن عُبَيْدِ بن دَأْبٍ، فقد كان عظيمًا في زمانه عالي الرُّتْبَةِ في الوَرَع، حتى افْتتن به، وبمقالته أُمَّةٌ فصاروا قَدَرِيَّةً، وقد نُبِزَ بمذهبه قومٌ من أهلِ الحَدِيث، فلم يَسْقُط حديثُهم، لأنهم لم يجادلوا على مَذْهَبِهم، ولا طَعَنُوا في مُخَالِفيهم من أهل السُّنَّةِ، كما فعل عَمْرو بن عُبَيْدٍ. فَمِمَّن نُبِزَ بالقَدَر ابنُ أبي ذِئْبٍ وَقَتَادةُ وداود بن الحُصَيْن وعبدُ الحميد بن جَعْفَر، وطائفةٌ سواهم من الأَثْبَاتِ في عِلْم الحديثِ، وعمرُو بن عُبَيْدٍ يُكَنَّى أبا عُثْمَانَ وأبوه عُبَيْدُ بنُ دَأْبٍ كان صاحبَ شُرْطَةٍ فيما ذكروا وسمع يَوْمًا نَاسًا في ابنِه هذا خيرُ النَّاسِ ابنُ شَرِّ الناس، فالتفت إليهم، وقال: وما يعجبكم من هذا؟ هو كإبراهيمَ وأنا كآزَر، وكان أبو جعفر المنصور، يقول بعد موت عَمرو بن عُبَيْدٍ: ما بقي أحَدٌ يُسْتَحْيَا منه بعد عَمْرو، وكان يقول:

كُلُّكُم خَاتِل صَيْد كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْد غَيْرَ عَمْرِو بن عُبَيْد

وقد نُبِز ابن إسحٰق بالقَدَرِ أيضًا، وروايتُه عن عَمْرو بن عُبَيْدٍ تُؤَيِّد قول من عزاه إليه، والله أعلم.

فوالله ما زال يَنْمِي عندي، ويُرَى مكانُه من بيتِنا، حتى أُصيب أمسِ فيما أُصيب لنا، يعني يوم الحَرّة».

وقعة الحـرّة وموقف الصحابة منها:

فصل: وذكر قول جابر فوالله ما زال يَنْمِي عندنا، ويُرَى مكانُه من بيتنا حتى أُصيب فيما أُصيب منا يَوْمَ الحَرَّةِ يعني: وَقْعَة الحَرَّةِ التي كانت بالمدينة أيامَ يزيد بن مُعَاوِيةَ على يَدَيْ مُسْلِم بن عُقْبَةَ المُرّي الذي يُسَمِّيه أهلُ المدينة مُسْرِف بن عُقْبَةَ، وكان سببها أن أهلَ المدينة خَلَعُوا يزيدَ بن مُعَاوِيةَ وأخرجوا مَرْوَانَ بن الحَكَم وبَنِي أُمَيَّة، وأَمَّرُوا عليهم عبدِ الله بن حَنظَلة الغَسِيلَ الذي غسَّلت أباه الملائكةِ يوم أُحدٍ، ولم يوافق على هذا الخَلْع أحَدٌ من أكابر الصَّحَابة الذين كانوا فيهم. رَوى البخاري أن عبدَ الله بن عمرَ لما أرجف أهلَ المدينة بيزيدَ دعا بنيه ومَوَاليه، وقال لهم: إنَّا قد بايعنا هذا الرجلَ على بَيْعَةِ الله وبَيْعَة رسوله، وإنه والله لا يبلغني عن أحدٍ منكم أنه خَلَع يَدًا من طاعته إلا كانت الفَيْصَلَ بيني وبينه، ثم لَزِم بيته، ولزم أبو سَعِيد الخُدْرِيّ بيتَه، فدخل عليه في تلك الأيام التي انْتُهِبَتْ المدينةُ فيها، فقيل له: من أنت أيها الشيخ؟ فقال: أنا أبو سعيد الخدري صاحبُ النبيّ - ﷺ - فقالوا له: قد سمعنا خَبَرَك، ولَنِعْمَ ما فعلتَ حين كَفَفْت يدَك، ولَزِمتَ بيتَك، ولكن هاتِ المال، فقال قد أخذه الذين دَخَلُوا قَبْلَكم عليَّ، وما عندي شيء، فقالوا: كَذَبْتَ ونَتَفُوا لِحْيَته، وأخذوا ما وجدوا حتى صُوفَ الفرش، وحتى أخذوا زوجين من حَمَام كان صبيانُه يلعبون بهما. وأما جابرُ بن عبدِ الله الذي كنا بِمَسَاقِ حديثِهِ، فخرج في ذلك اليوم يطوف في أَزِقَّةِ المدينة والبيوتُ تُنْتَهَبُ، وهو أعمى، وهو يَعْثُر في القَتْلى، ويقول: تَعِسَ مَن أخافَ رسولَ الله ﷺ، فقال له قائل: ومَن أخافَ رسولَ الله؟ فقال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن أخاف المدينةَ، فقد أخاف ما بين جَنْبيّ»[1]، فحملوا عليه ليقتلوه، فأجاره منهم مَرْوانُ، وأدخله بيتَه، وقُتِل في ذلك اليوم من وُجوه المهاجرين والأنصار ألفٌ وسَبْعُمِائة، وقُتِل من أخلاط الناس عَشَرةُ آلاف سوى النِساء والصِّبْيانِ، فقد ذكروا أن امرأةً من الأنصار دخل عليها رجلٌ من أهْلِ الشام، وهي تُرْضِعُ صَبِيَّها، وقد أُخذ ما كان عندها، فقال لها: هات الذَّهَبَ، وإلاّ قَتَلْتُكِ، وقَتَلْتُ صَبِيَّك، فقالت: ويحك إن قتلته فأبوه أبو كَبْشَةَ صاحبُ النبيّ - ﷺ - وأنا من النسوة اللاتي بايَعْن رسولَ الله - ﷺ - وما خُنْتُ الله في شيءٍ بايعتُ رسوله عليه، فانْتَفَضَ الصَّبِي من حِجْرِها، وثَدْيُها في فِيه، وضَرَب به الحائطَ حتى انْتَثَر دماغُه في الأرض والمرأةُ تقول: يا بُنَيَّ لو كان عندي شيء نَفْدِيك به، لفديتُك، فما خرج من البيت حتى اسْوَدَّ نصفُ وَجْهِه، وصار مُثْلَةً في الناس.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٤/ ٣٩٣).

ابن ياسر وابن بشر، وقيامهما على حراسة جيش الرسول وما أُصيبا به:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عمي صَدقة بن يَسار، عن عَقيل بن جابر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرّقاع من نخل، فأصاب رجل امرأة رجل من المُشركين، فلما انصرف رسولُ الله ﷺ قافلاً، أتى زَوجُها وكان غائبًا، فلما أُخبر الخبر حَلَف لا ينتهي حتى يُهَرِيق في أصحاب محمد ﷺ دمًا، فخرج يتبع أثَر رسول الله ﷺ، فنزل رسولُ الله ﷺ منزلاً، فقال: «من رَجل يكلؤنا ليلَتنا (هذه)؟» قال: فانتدب رجلٌ من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بفَم الشِّعب». قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابُه قد نزلوا إلى شِعب من الوادي، وهما عمّار بن ياسر وعبّاد بن بِشْر، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحٰق: فلما خرج الرجلان إلى فَم الشِّعب، قال الأنصاريُّ للمهاجريِّ أيَّ اللّيل تحبّ أن أكفيكه: أوّلَه أم آخرَه؟ قال: بل أكفني أوّله، قال: فاضطجع المهاجِرِيّ فنام، وقام الأنصاري يصلّي، قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجلِ عَرَف أنه رَبِيئَةُ القوم. قال: فرمى بسهم فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائمًا، قال: ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه. قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائمًا، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهَبَّ صاحِبَه فقال: اجلس فقد أُثبِتُّ، قال: فوثَبَ، فلما رآهما الرجلُ عرف أن قد نَذِرا به، فهرب، قال: ولما رأى المهاجريَ ما

قال المؤلّف: وأحسَب أن هذه المرأةَ جَدَّةً للصبي، لا أُمًا له، إذْ يبعد في العادةِ أن تبايَع النبيَّ عليه السلام، وتكون يوم الحَرّةِ في سِنٍّ من تُرضِع. والحَرّة التي يُعْرَف بها هذا اليومُ يقال لها: حَرَّة زُهْرَة، وفي الحديث أن النبيَّ - ﷺ - وقف بها، وقال: لَيُقْتَلَنَّ بهذا المكانِ رجالٌ هُمْ خِيَارُ أُمَّتِي بعد أصحابي، ويذكر عن عبد الله بن سَلاَم، أنه قال: لقد وَجَدْتُ صِفَتَها في كتاب يَهُودَ بن يَعْقُوبَ الذي لم يدخله تبديلٌ، وأنه يُقْتل فيها قومٌ صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحُهم على عَوَاتِقِهم، وذكر الحديث. وعُرفَتْ حَرَّة زُهْرَة بقَريةٍ كانت لِبَني زُهْرَةَ قومٍ من اليهودِ، وكانت كبيرةً في الزَّمَان الأوّل، ويقال: كان فيها ثلاثمائة صائغ، ذكر هذا الزبير في فضَائل المدينة له: وكانت هذه الوَقْعَة سَنَةَ ثلاثٍ وستّين، وقد كان يزيدُ بن معاوية قد أعذر إليهم فيما ذكروا، وبذل لهم من العطَاء أضعافَ ما يُعْطِي الناسَ واجتهد في استمالتهمْ إلى الطاعةِ، وتحذيرهم من الخلافِ، ولكن أبى الله إلاّ ما أراد، والله يحكم بين عبادِه فيما كانوا فيه يختلفون: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قد خَلَت لها ما كَسَبتْ ولكم ما كَسَبْتُم ولا تُسْأَلون عما كانوا يَعْلَمُون﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

بالأنصاريّ من الدماءَ، قال: سبحان الله! أفلا أهْبَبْتَنِي أوّل ما رماك؟ قال: كنت في سُورة أقرؤها فلم أُحِبّ أن أقطعها حتى أُنْفِذَها، فلما تابع عليّ الرّمْيَ ركعتُ فأذِنْتك، وأيم الله، لولا أن أُضيّع ثَغْرًا أمَرني رسولُ الله ﷺ بحفظه، لقَطع نفسي قبل أن أقطعَها أو أُنْفِذَها.

قال ابن هشام: ويقال: أنفذها.

رجـوع الرسـول:

قال ابن إسحٰق: ولما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرّقاع، أقام بها بقية جمادَى الأولى وجمادَى الآخرة ورجبًا.

غزوة بدر الآخرة[1] في شعبان سنة أربع

خـروج الرسـول:

قال ابن إسحٰق: ثم خرج في شعبان إلى بَدْر، لميعاد أبي سُفيان، حتى نزله.

استعماله ابن أبيّ على المدينة:

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عبدَ الله بن عبد الله بنَ أُبَيّ ابن سَلول الأنصاريّ.

معنـى الربيئـة:

فصل: وذكر حديث[2] الأنصاريّ والمُهَاجِريّ، وهما عَبّادُ بن بشْرِ، وعَمّارُ بن ياسِرِ، وأن رجلاً من العدوّ رمى الأنصاري بسهم، وهو يصلّي لما علم أنه رَبِيئَةُ القَوْمِ. الرَّبيئَةُ هو الطَّلِيعَة، يقال: رَبأَ على القوم يَرْبأُ فهو رباء وربِيئَةٌ قال الشاعر [الهُذليُّ]:

رَبّـاء شَـمّـاءُ لا يَـأْوِي لِـقُـلّـتِـهـا إلا الـسَّـحَـابُ وإلاّ الأَوْبُ والـسَّـبَـلُ

فَرَبَّاءُ: فَعّالٌ من رَبَا إذا نَظَر من مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، وشَمّاءُ، يريد هَضَبَةً شَمّاءَ، وإنما قالوا: رَبِيئَة بهاء التأنيث، وطليعة؛ لأنهما في معنى العَيْن، والعَيْنُ مؤنّثةٌ، تقول: ثلاث أَعْيُن، وإن كانوا رِجَالاً، يعني الطَّلائِع، لأن الطليعةَ والرَّبِيئَةَ إنما يُرَاد منه عينه الناظرة، كما تقول في ثلاثة أعبد: أَعْتَقْتُ ثلاثَ رِقابٍ، فتؤنّث، لأن الرقبة تَرْجَمَةٌ عن جميع العبد، كما أن العَيْن

---

(١) انظر الطبري (٣/ ٤١) ابن سيّد الناس (٢/ ٥٣) المواهب (٢/ ٩٣) ابن سعد في الطبقات (٢/ ٥٩) الزاد (٣/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة (١٩٨ ـ بتحقيقي) وأحمد (٣/ ٣٤٤).

رجوع أبي سُفيان في رجاله:

قال ابن إسحٰق: فأقام عليه ثمانيَ ليالي ينتظر أبا سُفيان، وخرج أبو سُفيان في أهل مكّة حتى نزل مَجنَّة، من ناحية الظَّهران، وبعض الناس يقول: قد بلغ عُسْفان، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلاّ عام خصيب تَرْعون فيه الشَّجر، وتشربون فيه اللبن، وإنّ عامكم هذا عامُ جذب، وإني راجعٌ، فارجِعوا فرجع الناس. فسَماهم أهْل مكّة جيش السَّويق، يقولون: إنما خرجتم تَشرَبون السَّويق.

الرسول ومخشي الضمري:

وأقام رسولُ الله ﷺ على بَدر ينتظر أبا سُفيان لمِيعاده فأتاه مَخْشِي بن عَمْرو الضَّمْري، وهو الذي كان وادَعه على بني ضَمْرة في غزوة ودّان، فقال: يا محمد، أجئتَ للقاء قُريش على هـذا الماء؟ قال: «نعم، يا أخا بني ضَمْرة، وإن شئتَ مع ذلك رَددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك»، قال: لا والله يا محمد، ما لنا بذلك منك من حاجة.

الذي هو الطَّلِيعَةُ كذلك، ويجوز أن تكونَ الهاءُ في رَبِيئَةٍ وطَلِيعة للمُبالغة، كما هي في عَلاَّمَةٍ ونسَّابةٍ، فعلى الوجه الأوّل تقول: ثَلاَثَ طَلائع، وثلاث ربايَا في جمع رَبِيئةٍ، كما تقول: ثلاث أعْيُنٍ، لأنه بابٌ واحدٌ من التأنيثِ، وإذا كانت الهاء للمبالغة قلت: ثَلاَثَةٌ وأربعةٌ، لأنك تقصد التذكير، لأن هاءَ المبالغة لا توجب تأنيث المُسَمَّى، ولأنها في الصِّفَةِ، والصِّفَةُ بعد الموصوف؛ ولذلك تقول: هذا عَلاَّمَةٌ، ولا تقول: هذه عَلاَّمَةٌ بخلافِ الرَّقَبَةِ والعينِ، لأنك تقول في العبد الذكر: هذه رَقَبَةٌ فاعْتِقْها، وفي العين: هذه طلِيعَة، وهذه عَيْنٌ، وأنت تَعنِي الرجلَ. هذا معنى الفرق بينهما.

فقـه الحـديـث:

وفي هذا الحديثِ من الفِقْهِ صَلاَةَ المَجْرُوح وجُرْحُه يَثْعَبُ دَمًا، كما فعل عمرُ بن الخطَّابِ، وقد ترجم بعضُ المصنفين عليه لموضع هذه الفِقهِ، وفيه مُتَعَلَّقٌ لمن يقول: إن غُسْلَ النَّجَاسَةِ، لا يُعَدُّ في شُروطِ صِحَّةِ الصَّلاة، وفيه من الفِقْهِ أيضًا تعظيمُ حُرْمة الصَّلاَةِ، وأنَّ لِلْمُصَلِّي أنْ يَتَمَادَى عليها، وإن جَرَّ إليه ذلك القتلَ، وتفويت النفس، مع أن التعرّضَ لِفَوَاتِ النفس، لا يَحِلُّ إلاّ في حَال المُحَارَبَةِ، ألا ترى إلى قوله: لولا أنْ أُضَيِّع ثَغْرًا أَمَرَني رسولُ الله ﷺ بحفظِه لقطع نفسي قبل أن أَقْطَعَها أو أُنفِذها، يعني: السورة التي كان يقرؤها.

معبد وشعره في ناقة للرسول هوت

فأقام رسولُ الله ﷺ ينتظر أبا سُفيان، فمرّ به مَعْبَدُ بن أبي مَعْبد الخُزاعي، فقال، وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به.

قد نَفَرَتْ مِن رُفْقَتيْ مُحَمَّدِ وعَجْوَةٍ مِن يَثْرِب كالعَنْجَدِ
تَهْوي على دِين أبيها الأَتْلَد قد جعَلَتْ ماءَ قُدَيْد مَوْعِدي
وماء ضَجْنان لها ضُحى الغَدِ

شعر لابن رواحة أو كعب في بدر:

وقال عبدُ الله بن رَوَاحة في ذلك ـ قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

وَعَدْنا أبا سُفْيانَ بدرًا فلم نَجِدْ لِميعاده صِدْقًا وما كان وَافِيا
فأقْسِم لو وافَيْتَنا فلَقيتنا لأُبْتَ ذَميمًا وافتَقَدْتَ المَوَالِيا
تركْنا به أوْصالَ عُتْبة وابنه وعمرًا أبا جَهْل تركْناه ثاوِيا
عصَيتم رسولَ الله أُفٍّ لدينكم وأمْركم السيىء الذي كان غاوِيا
فإنّي وإن عَنَّفتموني لقائلٌ فِدًى لرسولِ الله أهلِي وماليا
أطَعْناه لم نَعْدلْهُ فينا بغَيْره شِهابًا لنا في ظُلْمة اللّيل هاديا

شعر حسَّان في بدر

وقال حسَّان بن ثابت في ذلك:

دعُوا فَلَجَاتِ الشّام قد حال دُونها جلادٌ كأفواهِ المخاضِ الأوَارِك[1]

حول رجز معبد وشعر حسّان وأبي سُفيان

وذكر قول مَعْبِدِ:

وعجوة من يثرب كالعَنْجَد

العَنْجَدُ: حَبُّ الزَّبِيب، وقد يقال للزبيب نفسِه أيضًا عَنْجَدٌ، وأما العِنب، فيقال: لِعجْمِه: الفِرْصَد. والأَتلدُ: الأقْدَمُ من المال التَّليد.

وأما قول حسّان:

دَعُوا فَلَجاتِ الشّام.......

(١) العوارك: جوانب القوس من مجرى الوتر.

بأيْدي رِجالٍ هاجرُوا نحو ربِّهم وأنـصـارِه حَـقًّـا وأيْـدِي الـمَـلائـك
إذا سَلكْتَ للغَوْر من بَطْنِ عالج فقُولا لـهَـا لـيس الـطَّريق هُنالِك
أقَمْنا على الرَّسِّ النَّزُوع ثَمانِيا بـأرْعَـنَ جَـرَّارٍ عَـريـض الـمَـبـارِك
بكُلِّ كُمَيْت جَوْزُه نِصْف خَلْقه وقُـبٌّ طـوالٍ مُـشْـرفـات الـحَـوَارك
تَرَى العَرْفَج[1] العاميَّ تَذْرِي أُصُوله مَناسِمُ أخْفاف المَطي الرَّواتِك[2]
فإنْ تَلْقَ في تَطْوَافِنا والتماسنا فُراتَ بن حَيَّانٍ يكُنْ رَهنَ هالِك
وإن تَلْقَ قَيْس بن امرىء القَيس بعده يُـزَدْ فـي سـوادٍ لـونـه لـونُ حـالـك
فـأبْـلِـغْ أبـا سُـفْـيـان عَـنِّـي رسـالـةً فإنَّك مِنْ غُرِّ الـرِّجال الـصَّـعـالـك

شعر أبي سُفيان في الردّ على حسّان

فأجابه أبو سُفيان بنُ الحارث بن عبد المطَّلب، فقال:

أحَسَّانِ إنَّا يا ابنَ آكِلةِ الفَغا[3] وجـدِّك نَـغْـتـال الـخُـروق كـذلـكِ
خَرَجْنا وما تَنْجو اليَعافير[4] بَيْنَنا ولـو وألَـتْ مـنَّـا بـشَـدٍّ مُـدَارِك
إذا ما انبعثْنا من مُناخٍ حَسِبْتَهُ مُـدَمَّـن أهـل الـمَـوْسِـم الـمُـتَـعـارك
أقمتَ على الرسّ النَّزوع تُريدنا وتترُكنا في النَّخل عند المَدَارِك
على الزَّرْع تَمْشي خَيْلُنا ورِكابُنا فـمَـا وَطِـئَـتْ ألْـصَـقْـنـه بـالـدَّكـادِك

جمعُ فَلَجٍ، وهو الماء الجاري، سُمِّي فَلَجًا، لأنه قد خَدَّ في الأرْضِ، وفرَّق بين جانبيه مَأْخُوذٌ من فَلَج الأسْنَانِ، أو من الفَلْج وهو القَسْمُ، والفالِجُ مِكْيَالٌ يُقْسَم به، والفَلْجُ والفالِجُ بعيرٌ ذُو سَنامَيْنِ، وهو من هذا الأصل، ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال: الفلجة المزرعة.

وذكر شعـر أبي سُفيـان:

أحَـسَّـانُ إنَّـا يـا ابْـنَ آكـلـة الـفـغـا

الفَغَا: ضرب من التَّمر، ويقال: هي غَبَرَة تَعْلو، البُسْرَ، والغَفَالغة في الفَغَا.

---

(١) العرفج: رمال لا طريق فيها.
(٢) الرواتك: البعير يمشي بطيئًا.
(٣) الفغا: التمر قبل أن ينضج.
(٤) اليعافير: الغزلان.

أقمنا ثلاثًا بين سَلْع وفارع بِجُرْدِ الجِيادِ والمَطِيِّ الرَّوَاتِك

حَسِبتُم جِلاد القَوْم عند قِبابِهم كمأخَذِكم بالعَيْن[1] أرْطالَ آنِك[2]

فلا تبعثِ الخيل الجِياد، وقُلْ لهَا على نحو قولِ المُعْصِم المتماسِك

سَعِدْتم بها وغَيرُكم كان أهلَها فوارسُ من أبناء فِهْرِ بنِ مالك

فإنَّك لا في هجرةٍ إن ذَكَرْتَها ولا حُرُماتِ الدِّينِ أنتَ بناسِك

قال ابن هشام: بقيت منها أبيات تركناها. لقُبح اختلاف قوافيها. وأنشدني أبو زيد الأنصاريّ هذا البيت:

خرجنا وما تنجو اليَعافير بيننا

والبيت الذي بعده لحسَّان بن ثابت في قوله:

دعُوا فَلَجات الشأمِ قد حالَ دونها

وأنشدني له فيها بيته: «فأبلغ أبا سُفيان».

وفيه:

كمأخَذِكُمْ بالعين أرْطَالَ آنك

ألفيت على هذا البيت في حاشيةِ أبي بحرٍ ما هذا نصه: ذكر مُحَمَّدُ بن سَلاَّمٍ في الطبقات له هذا البيت:

حَسِبْتم جِلادَ القَوْم حَوْل بُيُوتكم كأخْذِكم في العين أرْطالَ آنكِ

ووصل به بأن قال: فقال أبو سُفيان بن حَرْبٍ لأبي سُفْيَان بن الحارِثِ: يا ابْنَ أخِي: لم جعلتها آنك إن كانت لَفِضّةً بَيْضاءَ جَيِّدَةً.

وقوله:

سَعِدْتُم بها وغَيْرُكم كان أهلَها

وفي حاشية الشيخ: شَقِيتُم بها وغيرُكم أهلُ ذِكْرِها.

وقوله:

خَرَجْنَا وما تَنْجُو اليَعَافِيرُ بَيْنَنَا

اليعافير: الظِّبَاءُ العُفْر يريد أنهم لكثرة عددهم لا تنجوا منهم اليعافير.

---

(١) العين: أي المال الحاضر.
(٢) آنك: متألم.

غزوة دومة الجندل
في شهر ربيع الأوّل سنة خمس

قال ابن إسحٰق: ثم انصرف رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فأقام من مَقْدم رسولِ الله ﷺ بها أشهرًا حتى مضى ذو الحجّة وولى تلك الحجّة المشركون وهي سنة أربع ثم غزا رسولُ الله ﷺ دُومة الجَنْدل.

قال ابن هشام: في شهر ربيع الأوّل، واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِيّ.

قال ابن إسحٰق: ثم رَجع رسولُ الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يَلْق كيدًا، فأقام بالمدينة بقيَّة سنته.

غزوة دُومَةَ الجَنْدَل[1]

قال أبو عُبَيْدٍ البَكْرِيُّ: سميت دُومَةَ الجَنْدَلِ بدُومي بن إسماعيل، كان نزلها.

(١) انظر الواقدي (١/ ٤٠٢) الطبري (٢/ ٥٦٤) البداية (٤/ ٩٢) الطبقات (٢/ ١/ ٤٤) ابن حزم (١٨٤) النويري (١٧/ ١٦٢) أنساب الأشراف (١/ ١٦٤) المنتظم (٣/ ٢١٥) السيرة الحلبية (٢/ ٣٦٢) الشامية (٤/ ٣٨٤) الدلائل (٣/ ٣٨٩) عيون الأثر (٢/ ٧٥) الزاد (٣/ ٢٥٦) ابن سيّد الناس (٢/ ٥٤) شرح المواهب (٢/ ٩٤ ـ ٩٥).

غزوة الخندق في شوّال سنة خمس

تاريخها:

حدّثنا أبو محمد بن عبد الملك بن هشام: قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحٰق المطّلبي، قال: ثم كانت غزوة الخَنْدق في شوّال سنة خمس.

اليهود تحرّض قريشًا:

فحدّثني يزيد بن رُومان مَوْلى آل الزُّبير بن عُروة بن الزبير، ومَن لا أتَّهم، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك، ومحمد بن كعْب القرظيّ، والزُّهري، وعاصم بن عمر بن

غـزوة الخنـدق[(١)]

وحَفرُ الخَنْدَق لم يَكُن من عَادةِ العَرَب، ولكنه من مَكَايِدِ الفُرْسِ وحُروبها، ولذلك أشار به سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، وأوّلُ مَنْ خَنْدَق الخنادق من مُلُوك الفُرس فيما ذكر الطبري «مِنُوشِهْر بن أبيرج بن أَفْرِيدُون وقد قيل في أفريدون: إنه ابن إسحٰق عليه السلام، وأكثرهم يقول فيه: هو ابن أثْقيَان، وهو أوّل من اتخذ آلة» الرّمْي، وإلى رأس ستين سنةٍ من مُلْكِه بُعِث موسى عليه السلام، وقد تقدّم ذكر الكَمَائِن في الحروب، وأن أوّل من فعلها بُخْتَنَصَّر في قول الطّبري.

(١) انظر البداية (٤/ ٩٢) الطبري (٢/ ٥٦٤) الكامل (٢/ ٧٠) الطبقات (٢/ ١/ ٧٤) الواقدي (٢/ ٤٤٠) إمتاع الأسماع (١/ ٢١٧) المنتظم (٣/ ٢٢٧) الاكتفاء (٢/ ٣٨) عيون الأثر (٢/ ٧٦) الزاد (٣/ ٢٦٩) السيرة الحلبية (٢/ ٤٠١) الشامية (٤/ ٥١٢) النويري (١٧/ ١٦٦) والدلائل (١٣/ ٣٩٢) البخاري (٥/ ١٠٧) ومسلم (١٢/ ١٤٥ ـ نووي).

قَتادة، وعبد الله بن أبي بكر، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدّث ما لا يحدّث به بعض، قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود، منهم: سلاّم بن أبي الحُقَيْقِ النَّضري، وحُييُّ بن أَخْطَب النَّضري، وكِنانة بن أبي الحُقَيْق النَّضَري، وهَوْذَةُ بن قيس الوائلي، وأبو عمَّار الوَائلي، في نفر من بني النَّضير، ونَفَر من بني وائل، وهُم الذين حَزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قَدِموا على قُريش مكّةَ، فدعوهم إلى حَرْب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نَسْتَأْصِلَهُ ـ فقالت لهم قُريش: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، إنكم أهلُ الكتاب الأوّل والعلم بما أصبحنا نَخْتلف فيه نحن ومحمد أفَدِينُنا خيرٌ أم دِينُه؟ قالوا: بل دِينُكم خيرٌ من دينه، وأنتم أولى بالحق (منه) فهُم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لهُ نَصِيرًا﴾... إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: أي النبوّة، ﴿فَقَدْ آتَيْنا آلَ إبرَاهِيم الكِتابَ والحِكْمَة وآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

اليهود تحرّض غطفان:

قال: فلما قالوا ذلك لقُريش، سرَّهم ونَشطوا لما دَعَوْهم إليه، من حَرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتَّعدوا له. ثم خرج أولئك النَّفر من يَهودَ، حتى جاءوا غَطَفَان، من قيس عَيْلاَنَ، فَدَعَوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشًا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

خروج الأحزاب من المشركين

قال ابن إسحٰق: فخرجت قريش، وقائدُها أبو سُفيان بن حَرْب؛ وخرجت غَطَفَان، وقائدها عُيَيْنَةُ بن حِصْنِ بن حُذَيفَةَ بن بَدْرٍ، في بني فَزَارَة؛ والحارث بن عَوْف بن أبي

وذكر تحزيب بني قُرَيْظَةَ الأحزابَ، ونَسَبَ طائفةً من بني النَّضِير، فقال فيهم النَّضَرِيّ، وهكذا تقيد في النسخة العتيقة، وقياسه: النَّضِيريُّ إلا أنْ يكون من باب قولهم: ثَقَفِيٌّ وقُرَشِيٌّ، وهو خارجٌ عن القياس، وإنما يقال: فَعَلِيٌّ في النَّسَب إلى فَعِيلة.

عيينة بن حصن

وذكر قائد غَطَفَان يوم الأحزاب، وهو عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ، واسمه حُذَيْفَةُ، وسُمّي: عُيَيْنَةُ

حارثة المُرّي، في بني مُرَّة؛ ومِسْعر بن رُخَيلة بن نُويرة بن طَريف بن سُحْمَة بن عبد الله بن هِلال بن خُلاوَة بن أشْجع بن رَيْثِ بن غَطفان، فيمن تابعه من قومه من أشْجع.

حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين:

فلما سمع بهم رسولُ الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر، ضَرب الخَنْدَق على المدينة، فعمل فيه رسولُ الله ﷺ تَرْغيبًا للمسلمين في الأجر، وعَمل معه المسلمون فيه، فَدأب فيه ودأبوا. وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين، وجعلوا يُوَرّون بالضّعيف من العمل ويتسلّلون إلى أهليهم بغير عِلْم من رسول الله ﷺ، ولا إذن، وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابته النائبة، من الحاجة التي لا بدّ له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللحوق بحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبةً في الخير، واحتسابًا له.

ما نزل في حق العاملين في الخندق:

فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: ﴿إنّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ ورَسُولِهِ وَإِذَا كانُوا مَعهُ عَلَى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حتى يَسْتأْذِنُوهُ إنَّ الَّذِينَ يَسْتأْذِنُونكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَرَسُولِهِ فإذا اسْتأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾. فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسْبَة والرغبة في الخير، والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

ثم قال تعالى، يعني المنافقين الذين كانوا يتسلّلون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبيّ ﷺ: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولَ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَو يُصِيبَهم عذابٌ أَلِيمٌ﴾.

لِشَتَرٍ كان بِعَيْنِه، وهو الذي قال فيه عليه السلام: «الأحْمَقُ المُطَاعُ»، لأنه كان من الجَرّارِينَ تَتْبَعُه عَشرةُ آلافِ قَنَاةٍ، وهو الذي قال فيه النبيّ ﷺ: «إن شَرَّ الناس من وَدَعَه الناسُ اتّقاء شَرِّه»[1]، وفي رواية أخرى: أنه قال: «إني أُداريه، لأني أخشى أن يُفسِدَ عَلَّي خَلْقًا كثيرًا»، وفي هذا بيان معنى الشَّرّ الذي اتَّقَى منه، وكان دخل على النبيّ ﷺ بِغير إذْنٍ، فلما قال له:

---

(١) أخرجه البخاري (٨/١٦) ومسلم في البرّ والصلة (٧٣) وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٤).

تفسير بعض الغريب:

قال ابن هشام: اللّواذ: الاستتار بالشيء عند الهرب، قال حسَّان بن ثابت:

وقُريش تَفِرُّ مِنّا لِواذاً   أن يُقيموا وخَفّ منها الحُلومُ

وهذا البيت في قصيدة له قد ذكرتها في أشعار يوم أُحُد.

﴿ألا إنَّ لِلّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ قَدْ يَعْلَمُ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ﴾.

قال ابن إسحٰق: من صدق أو كذب.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إلَيْه فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ﴾.

المسلمون يرتجزون في الحفر:

قال ابن إسحٰق: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له جُعَيل، سمّاه رسولُ الله ﷺ: عَمرًا، فقالوا:

سَمَّاه مِنْ بَعد جُعَيْل عَمْرَا   وكان للبائس يومًا ظَهْرَا

فإذا مرّوا «بعَمرو» قال رسولُ لله ﷺ: «عمرًا»، وإذا مرّوا «بظَهْر» قال رسولُ الله ﷺ: «ظهرًا».

الآيات التي ظهرت في حفر الخندق:

قال ابن إسحٰق: وكان في حفر الخندق أحاديثُ بلَغتني، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ، وتحقيق نبوّته، عاين ذلك المسلمون.

فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدّث: أنه اشتدّت عليهم في بعض الخَنْدق كُذْية، فشَكَوها إلى رسول الله - ﷺ - فدعا بإناء من ماء، فتَفل فيه، ثم دعا بما

«أين الإذْنُ»؟ قال: ما استأذنت على مُضَرِيٍّ قبلك، وقال: ما هذه الحُمَيْراءُ معك يا محمد؟ فقال: «هي عائشة بنت أبي بكر»، فقال: طَلِّقْها، وأَنزلُ لك عن أُمّ البنين، في أمور كثيرة تذكر من جفائه، أَسْلَم، ثم ارْتَدّ، وآمن بطُلَيْحَة حينَ تَنبأ وأُخِذ أسيرًا، فأتى به أبو بكر رضي الله عنه أسيرًا، فَمَنَّ عليه، ولم يزل مُظْهِرًا للإسلام على جَفْوَتِه وعُنْجُهيَّته ولُوثَة أعْرابِيَّتِه حتى مات. قال الشاعر:

وإنّي على ما كان من عُنْجُهِيّتي   ولُوثَةِ أعْرابِيَّتي لأَدِيبُ

شاء الله أن يَدْعو به، ثم نَضَح ذلك الماء على تلك الكُدْية، فيقول من حَضرها: فوالذي بَعثه بالحق نبيًا، لانهالت حتى عادت كالكَثيب، لا تردّ فأسًا ولا مِسْحاة.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني سَعيد بن مِينا أنه حُدّث: أن ابنةً لبَشير بن سعد، أخت النعمان بن بشير، قالت: دعتني أُمِّي عَمْرة بنتُ رواحة، فأعطَتني حَفنة من تمر في ثَوبي، ثم قال: أي بُنَيّة، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رَوَاحة بغدائهما، قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررتُ برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي؛ فقال: «تعالى يا بُنيَّة ما هذا معك؟» قالت: فقلت: يا رسول الله، هذا تمر، بعثَتْنِي به أُمي إلى أبي بَشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رَوَاحة يتغدَّيانه؛ قال: «هاتيه»؛ قالت: فصَبَبْته في كفَّيْ رسول الله ﷺ، فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبُسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدّد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: «اصرخ في أهل الخندق: أن هَلُمّ إلى الغداء»، فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعلَ يزيد، حتى صَدر أهل الخَنْدق عنه، وإنه ليسقُط من أطراف الثوب.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني سَعيد بن مينا، عن جابر بن عبد الله، قال: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخَندق، فكانت عندي شُوَيهة، غير جِدّ سَمِينة. قال: فقلت: والله لو صَنَعناها لرسول الله ﷺ؛ قال: فأمرتُ امرأتي، فطحنت لنا شيئًا من شَعير، فصنعت لنا منه خبزًا، وذَبحت تلك الشاة، فشَويناها لرسول الله ﷺ. قال: فلما أمْسَينا وأراد رسولُ الله ﷺ الانصراف عن الخندق ـ قال: وكنا نعمل فيه نهارَنا، فإذا أمْسينا رَجعنا إلى أهالينا ـ قال: قلت: يا رسول الله، إني قد صنعت له شُوَيهة كانت عندنا، وصنعنا معها شيئًا من خبز هذا الشَّعير فأُحبّ أن تَنصرف معي إلى منزلي، وإنما أُريد أن يَنْصَرف معي رسولُ الله ﷺ وحدَه. قال: فلما أن قلت له ذلك قال: نعم، ثم أمر صارخًا فصرَخ: أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله؛ قال: قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! قال: فأقبل رسولُ الله ﷺ، وأقبل الناس معه؛ قال: فجلس وأخرجناها إليه. قال: فبرّك وسمّى (الله)، ثم أكل، وتوارَدها الناس، كلما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناس، حتى صدر أهلُ الخندق عنها.

قال ابن إسحٰق: وحُدّثت عن سَلْمان الفارسيّ، أنه قال: ضربتُ في ناحية من الخندق، فغَلُظت عليّ صخرةٌ، ورسولُ الله ﷺ قريب مني؛ فلما رآني أضرب ورأى شدّة المكان عليّ، نزل فأخذ المِعْول من يدي، فضرب به ضربةً لَمَعَت تحت المِعْول برقةٌ،

وذكر حَفْرَ الخَنْدَق، وأنه عَرَضَتْ له صَخْرةٌ، ووقَع في غيرِ السِّيرَة عَبْلَةٌ وهي الصخرة الصَّمَّاء، وجمعها عَبلات، ويقال لها: العَبْلاءَ والأَعْبَل أيضًا، وهي صخرة بيضاء.

قال: ثم ضرب به ضربة أُخرى، فلَمعت تحته برقة أخرى؛ قال: ثم ضرب به الثالثة، فلَمعت تحته برقة أُخرى. قال: قلت: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت لمَع تحت المِعول وأنت تضرب؟ قال: «أوَقد رأيت ذلك يا سَلْمان»؟ قال: قلت: نعم؛ قال: «أمّا الأوّل فإنّ الله فَتَحَ عليَّ بها اليمن؛ وأمّا الثانية فإنّ الله فتَح عليّ بها الشام والمغرب، وأمّا الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق».

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتّهم عن أبي هُريرة أنه كان يقول، حين فُتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده: افتتحوا ما بدا لكم، فوالذي نفسُ أبي هُريرة بيده، ما افتتحتم من مدينة ولا تَفْتَتِحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطى الله سبحانهُ محمدًا ﷺ مفاتيحَها قبل ذلك.

قال ابن إسحٰق: ولمّا فرغ رسولُ الله ﷺ من الخندق، أقْبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة، بين الجُرُف وزَغَابَة في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومَنْ

البرقـات التي لمعـت:

وذكر أنه لَمَعَتْ له من تلك الصَّخْرةِ برقة بعد برقة، وخَرَّجه النَّسَوِيُّ من طريق البَرَاءِ بن عَازِبٍ بأتَمَّ مما وقع في السيرةِ، قال: لما أمرنا رسولُ الله ﷺ ـ أن نَحْفِر الخَنْدَق عَرَضَ لنا حَجرٌ لا يأخُذُ فيه المَعْوَلُ، فأخذ المِعْوَلَ، وقال: «بسم الله»، فَضَرَبَ ضَرْبةٍ فَكَسَر ثُلُثَ الصَّخْرَةِ، وقال: «الله أكبر أُعطِيتُ مفاتيحَ الشام، والله إني لأُبصِر قصورَها الحُمْرَ من مكان هذا»، قال: ثم ضَربَ أُخْرى، وقال: «بسم الله»، وكسر ثُلثًا آخر، قال: «الله أكبر أُعطِيتُ مفاتيحَ فارِس، والله إني لأُبصِر قَصْرَ المَدَائِنِ الأبيض الآن»، ثم ضرب ثالثة، وقال: «بسم الله»، فقطع الحجَر، وقال: «الله أكبر أُعْطِيتُ مِفاتيح اليَمَنِ، والله إني لأَبْصِرُ باب صَنْعَاءَ [من مكانِيَ هذا الساعة][1]». وقوله: «فأسًا ولا مِسْحَاةً». المِسْحَاةُ: مِفْعَلَةٌ من سَحَوْتَ الطينَ، إذا قَشَرْته، ويقال لحدِّ الفأسِ والمِسْحَاة: الغُرَاب، ولنصلَيهما: الفِعَال بكسر الفاء، قاله أبو عُبَيْدٍ في حديثِ سلمان التَّيْمِيّ عن أبي عُثْمان النَّهْديِّ أنه عليه السلامُ حين ضرب في الخندقِ قال:

بِسْمِ الله وبه بَدِينَا ولو عَبَدْنا غيره شَقينا حَبَّذا رَبًّا وحَبَّذا دِينا

تحقيق اسـم زغـابـة:

وقوله: حتى نزلوا بين الجُرُفِ وزَغَابَة. زَغَابةُ اسمُ موضع بالغين المنْقُوطَةِ والزَّاي

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٣٠٣) وابن أبي شيبة (١٤/٤٢٢) والبيهقي في الدلائل (٣/٤٢١).

تَبِعهم من بَني كِنانة وأهلِ تِهامة، وأقبلَت غَطَفان ومَن تَبِعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذَنَبِ نَقْمَى، إلى جانب أُحد. وخرج رسولُ الله ﷺ والمُسلمون، حتى جعلوا ظُهورهم إلى سَلْع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عَسْكَره، والخَنْدق بينه وبين القوم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابنَ أُمّ مكتوم.

قال ابن إسحٰق: وأمر بالذَّراري والنساءُ فجُعلوا في الآطام.

تحريض حُيي بن أخطب لكعب بن أسد:

وخرج عدوّ الله حُيَيّ بن أَخْطب النَّضريّ، حتى أتى كَعْب بن أسد القُرَظي، صاحب عَقْد بني قُريظة وعَهْدهم، وكان قد وادَع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده؛ فلما سمع كَعْبُ يُحيَىٰ بن أَخْطَبَ أغْلق دونه باب حِصْنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يَفْتَح له، فناداه حُيَيّ: وَيْحَكَ يا كَعْبُ! افتح لي، قال: ويحك يا حُيَيُّ: إنك امرؤ مَشْؤُومٌ، وإني قد عاهدتُ محمدًا، فلستُ بناقضٍ ما بيني وبينه ولم أرَ منه إلا وفاء

المفتوحة: وذكره البَكْري بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زُعَابَةَ بضم الزاي والعين المهملة، وحكي عن الطَّبَرِيّ أنه قال في هذا الحديثِ بين الجُرُفِ والغَابَةِ، واختار هذه الروايةَ وقال: لأن زَغَابَةَ لا تُعْرَفُ. قال المؤلّف: والأعْرَفُ عندي في هذه الروايةِ روايةُ مَنْ قال: زَغَابَةَ بالغَيْنِ المنقوطة، لأن في الحديث المسنَد أنه عليه السلام، قال في ناقةٍ أهداها إليه أَعْرَابِي، فكافأه بسِتّ بَكَراتٍ، فلم يرض، فقال عليه السلام: «أَلاَ تَعْجَبُون لهذا الأعرابي! أَهْدَى إِلَيَّ نَاقةً أعرِفُها بعينها، كما أعرف بعضَ أهلي ذهبت مني يوم زَغَابَةَ، وقد كافأته بسِتٍّ فَسَخِط». الحديث، وقال: «ذَنَبِ نُقْمٍ ونَقَمَى معًا».

يفتـل فـي الذروة والغـارب:

وذكر حُيَيَّ بن أَخْطَب، وما قال لكعب، وأنه لم يَزَلْ يَفْتِل في الذِّرْوَةِ والغَارِبِ. هذا مَثَلٌ، وأصله في البعير، يَسْتَصْعِبُ عليك فتأخذُ القُرَادَ من ذروَته وغَاربِ سِنَامِه، وتَفْتِل هُناك، فَيَجد البعيرُ لَذَّةً فيأنَسُ عند ذلك، فضُرِب هذا الكلامُ مَثَلاً في المُرَاوَضَةِ والمُخَاتَلَةِ، وكذلك جاء في حديثِ ابن الزُّبَيْرِ حين أراد عائشةَ على الخروج إلى البَصْرةِ، فأبت عليه، فجعل يَفْتِل في الذِّرْوَة والغَارِب حتى أجابته. وقال الحطيئة:

لَعَمْرُكَ ما قُرَادُ بني بَغِيضٍ إذا نُزِع القُرادُ بمُسْتَطَاعِ

يريد: أنهم لا يُخْدَعُون ولا يِسْتَذَلُّون.

وصِدْقًا؛ قال: وَيْحَكَ افتح لي أُكَلِّمْكَ؛ قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا تخوّفت على جَشِيشَتِكَ[1] أن آكلَ معها منها، فَأَحْفَظَ الرَّجلَ، ففتح له، فقال: وَيْحَكَ يا كَعْب، جِئْتُكَ بعزِّ الدهر وببَحْر طَام، جئتك بقُريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلْتُهم بمُجْتمع من رُومة، وبغَطَفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمَى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لاَ يَبْرَحُوا حتى نستأصِلَ محمدًا ومن معه. قال: فقال له كعب: جِئْتَني والله بِذُلّ الدهر، وبجَهَامٍ[2] قد هَرَاق مَاءَه، فهو يُرعد ويُبْرِق، ليس فيه شيء، ويحك يا حُييّ! فدَعْني وما أنا عليه، فإني لم أرَ من محمد إلا صِدْقًا ووفاء. فلم يزل حُييّ بكعب يَفْتِله في الذِّرْوَةِ والغارِبِ، حتى سَمَح له، على أن أعْطاه عهدًا من الله وميثاقًا: لئن رجعتْ قريش وغَطفان، ولم يُصيبوا محمدًا أن أدخلَ معك في حصنك حتى يُصيبني ما أصابك. فنقض كَعبُ بن أسد عَهْده، وبَرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

التحرّي عن نقض كعب للعهد

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رسولُ الله ﷺ سعدَ بن معاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيِّد الأوس، وسعدَ بن عُبادة بني دُلَيم، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيِّد الخزرج ومعهما عبدُ الله بن رَواحة، أخو بني الحارث بن الخزرج، وخَوَّات بن جُبير، أخو بني عمرو بن عوف؛ فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقًّا فالْحَنُوا لي لَحْنًا أعرفه، ولا تَفُتُّوا في أعْضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجْهَرُوا به للناس.

اللحـــن[3]

وذكر قول النبيّ - ﷺ - الْحَنوا لي لَحْنًا أَعْرِفُه، ولا تَفُتُّوا في أَعْضَادِ الناس.

الَّلحْنُ: العُدول بالكلام على الوَجْهِ المعْرُوفِ عند الناس إلى وَجْهَ لا يعرفه إلا صاحبُه، كما أن الَّلحْن الذي هو الخطأ عُدولٌ عن الصَّواب المعروف.

---

(١) جشيشتك: طعام يُصنع من القمح. (٢) جهام: سحاب لا ماء فيه.

(٣) لحن: اللام والحاء والنون له بناءان يدل أحدهما على إمالة شيء من جهته، ويدل الآخر على الفطنة والذكاء. فأما اللّحن بسكون الحاء فإمالة الكلام من جهته الصحيحة من العربية يقال: لَحَنَ لحنًا. وهذا عندنا من الكلام المولَّد؛ لأن اللحن محدث، لم يكن من العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة. والأصل الآخر اللَّحَن: وهي الفطنة. يقال: لَحِنَ يَلْحَنُ لحنًا وهو لحن ولاحن. مقاييس اللغة (٢٣٩/٥).

قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخْبث ما بلغهم عنهم، نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: مَن رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فشاتمهم سعدُ بن مُعَاذٍ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حِدّة، فقال له سعدُ بن عُبَادَةَ: دع عنك مُشَاتَمَتَهم، فما بيننا وبينهم أَرْبَى من المُشاتمة. ثم أقبل سَعْدٌ وسعدٌ ومن معهما، إلى رسول الله ﷺ، فسلَّموا عليه، ثم قالوا: عَضَلٌ والقَارَةُ، أي كغدر عَضَل والقارة بأصْحاب الرجيع، خُبَيب وأصحابه، فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين».

قال السيرافي: ما عَرَفتُ حقيقة معنى النَّحْوِ إلاّ من معنى الَّلحْنَ الذي هو ضِدُّه، فإن الَّلحْنَ عدول عن طريقِ الصوابِ، والنَّحو قَصْدٌ إلى الصَّوابِ، وأمَا الَّلحْنُ بفتح الحاء، فأصله من هذا إلاّ أنه إذا لحَنَ لك لِتَفْهَم عنه، ففهمت سُمِّي ذلك الفَهْم لَحَنًا، ثم قيل لكل من فَهِمَ قد لَحِنَ بكسر الحاءِ، وأصله ما ذكرناه من الفَهْم عن اللاحن قال الجاحظ في قول مالك بن أسماء [بن خارجة الفزاري]:

مَـنْـطِـقٌ صـائِـبٌ وتَـلْـحَـنُ أَحْـيَـا ... نًـا وخـيـرُ الـحـديـثِ مـا كـان لَـحْـنَـا

أراد أنَّ الَّلحْنَ الذي هو الخَطأُ قد يُسْتَمْلَحُ، ويُسْتَطَابُ من الجارِية الحديثةِ السِّنِّ، وخُطِّىء الجاحظُ في هذا التأويلِ[1]، وأُخْبِر بما قاله الحجاجُ بن يُوسُفَ لامرأته: هِنْد بنتِ أسْماء بن خَارِجة، حين لَحَنَتْ، فأنكر عليها، اللحنَ فاحتجّت بقول أخيها مالك بن أسماء:

وخَـيْـرُ الـحـديـثِ مـا كـان لَـحـنَـا

فقال لها الحجاجُ: لم يُرِدْ أخوك هذا، إنما أراد الَّلحْنَ الذي هو التَّوْرِيَةُ والألْغَازُ، فسكتت، فلما حُدِّث الجاحظُ بهذا الحديث، قال: لو كان بلغني هذا قبل أن أُؤَلّف كتابَ البيانِ ما قلت في ذلك ما قلت، فقيل له: أفلا تُغَيِّره؟ فقال: كيف وقد سارت به البِغال الشُّهْبُ وأَنْجَدَ في البلادَ وغَار.

وكما قال الجاحظ في معنى تَلْحَن أحيانًا قال ابن قتيبة مثله أو قريبًا منه.

وقوله: يَفُتُّ في أَعْضَادِ الناسِ، أي: يكسِر من قُوَّتهم ويُوهِنُهم، وضرب العَضُدَ مثلاً، والفَتُّ: الكَسْر، وقال: في أعضادهم ولم يقل: يفُتُّ أعضادَهم، لأنه كنايةٌ عن الرُّغب الداخل في القلب، ولم يُرِدْ كَسْرًا حَقِيقيًا، ولا العُضُدَ الذي هو العُضْوُ، وإنما هو عبارة عما يَدْخُل في القلب مِن الوَهَنِ، وهو من أفصح الكلام.

---

(١) انظر البيان والتبيين (١/ ١٤٧/ ٢٢٥).

ظهور نفاق المنافقين واشتداد خوف المسلمين:

وعظم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوفُ، وأتاهم عدوّهم من فَوقهم ومن أسفلَ منهم، حتى ظنّ المؤمنون كلّ ظَنّ، ونَجَم النِّفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعَتِّب بن قُشير، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحَدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

أكان معتب منافقًا؟

قال ابن هشام: وأخبرني من أثق به من أهل العلم: أن مُعتِّب بن قُشير لم يكن من المنافقين، واحتجّ بأنه كان من أهل بدر.

قال ابن إسحٰق: وحتى قال أَوسُ بن قَيْظِيّ، أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله، إن بيوتنا عَوْرة من العدوّ، وذلك عن ملأ من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فَنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة. فأقام رسولُ الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعًا وعشرين ليلة: قريبًا من شَهْر، لم تكن بينهم حرب إلاّ الرِّمِّيا بالنبل والحِصار.

قال ابن هشام: ويقال الرّمْيا.

الهمّ بعقد الصلح مع غطفان

فلما اشتدّ على الناس البلاء، بعث رسولُ الله - ﷺ - كما حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم، عن محمد بن مُسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري - إلى

وذَكر أَوْسَ بن قَيْظِيّ، وهو القائل: ﴿إنّ بُيُوتَنا عَوْرَة﴾[1] وابنه: عَرَابَةُ بن أَوْسٍ كان سَيِّدًا، ولا صُحبَةَ له، وقد قيل: له صحبة، وقد ذكرناه فيمن اسْتُصْغِر يوم أُحُدٍ، وهو الذي يقول فيه الشَّمَّاخ:

إذا مـا رَايَـةٌ رُفِـعَـتْ لـمـجـدٍ ... تَـلَـقَّـاهـا عَـرَابَـةُ بـالـيَـمـيـنِ

ولِعَرَابَةِ أخٌ اسمه: كَبَاثَةُ مذكور في الصحَابة أيضًا.

مصالحة الأحزاب

فصل: وذكر ما هَمَّ به النبيُّ ﷺ مِن مُصَالَحةِ الأحزاب على ثُلُثِ تَمرِ المَدِينَةِ، وفيه من الفقه جوازُ إعطاء المالِ للعَدُوّ، إذا كان فيه نَظَرٌ للمسلمين وحِيَاطَةٌ لهم، وقد ذكر أبو عبيد

(١) سورة الأحزاب آية رقم (١٣).

عُيَيْنَةَ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بذْرٍ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّي، وهما قائدا غَطَفان، فأعطاهما ثُلُثَ ثمار المدينة على أن يَرْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كَتبوا الكِتاب، ولم تقع الشهادةُ ولا عزيمة الصُّلح، إلا المُرَاوضَة في ذلك. فلما أراد رسولُ الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سَعْدِ بن مُعَاذٍ وسَعْدِ بن عُبَادَة، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمرًا نُحبه فنَصنعه، أم شيئًا أمرك الله به، لا بدّ لنا من العمل به، أم شيئًا تصنعه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلاّ لأنني رأيت العَرب قد رَمتْكم عن قَوْس واحدة، وكالبوكم من كلّ جانب، فأردت أن أكْسِر عنكم من شَوْكتهم إليّ أمرِ مّا»؛ فقال له سَعْد بن مُعاذ: يا رسول الله، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعِبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه. وهم لا يَطْمُعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى أو بيعًا، أَفَحين أكْرمنا الله بالإسلام وهدَانا له وأعزّنا بك وبه، نُعْطِيهم أمْوالنا! (والله) ما لنا بهذا مِن حاجة، والله لا نُعْطيهم إلا السَّيف حتى يَحْكم الله بيننا وبينهم؛ قال رسولُ الله ﷺ: «فأنت وذاك». فتناول سعدُ بن مُعاذ الصَّحيفة، فمحا ما فيها من الكِتاب، ثم قال: ليَجْهدوا علينا.

عبور نفر من المشركين الخندق:

قال ابن إسحٰق: فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، وعدوّهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قِتالِ، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عَبْد وُدّ بن أبي قَيس، أخو بني عامر بن لُؤَيّ.

ـ قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عَبد بن أبي قَيس ـ.

قال ابن إسحٰق: وعِكْرمة بن أبي جهل، وهُبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضِرار بن الخطّاب الشاعر ابن مرداس، أخو بني محارب بن فِهر، تلبّسوا للقتال، ثم خرجوا على خَيْلهم، حتى مرّوا بمنازل بني كِنانة، فقالوا: تهيَّئوا يا بني كنانة للحرب، فستَعلمون مَنِ الفُرسان اليوم، ثم أقبلوا تُعْنِق بهم خيلُهم، حتى وقفوا على الخَندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمَكيدة ما كانت العربُ تَكِيدها.

هذا الخبر، وأنه أَمرٌ مَعْمُولٌ به، وذكر أن مُعَاوِيَةَ صالحَ مِلِكَ الرُّومِ على الكَفِّ عن ثُغور الشام بمالٍ دفعه إليه، قيل: كان مائة أَلفِ دينارٍ، وأخذ من الروم رُهُنًا، فغدرت الرومُ، ونقضت الصلحَ، فلم ير معاويةُ قَتْل الرَّهَائِن، وأطلقهم، وقال: وفاءٌ بغدرٍ خيرٌ من غَدْرٍ بغَدْرٍ، قال: وهو مَذْهَبُ الأَوْزَاعِيِّ وأهل الشام ألاّ تُقْتَل الرَّهَائِنُ، وإن غَدَرَ العَدُوُّ.

سلمان وإشارته بحفر الخندق

قال ابن هشام: يقال: إن سَلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ.

وحدّثني بعض أهل العلم: أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سَلمان منّا؛ وقالت الأنصار: سلمان منّا، فقال رسولُ الله ﷺ: «سلمان منّا أهلَ البَيت».

مبارزة عليّ لعمرو بن عبد ودّ

قال ابن إسحٰق: ثم تيمّموا مكانًا ضيِّقًا من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السَّبْخَةِ بين الخَنْدَقِ وسَلْع، وخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثَّغرة التي أَقْحَمُوا منها خَيْلَهم وأقبلت الفُرسان تُعْنِق نحوَهم، وكان عمرو بن عَبْدِ وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يَشْهد يوم أُحد؛ فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِمًا ليُرَى مكانُه. فلما وقف هو وخَيْلُهُ، قال: مَنْ يُبارز؟ فبرز له عليّ بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألاّ

سلمـان منّـا

وذكر قوله عليه السلام: «سَلْمَانُ مِنَّا أهلَ البيت»[1] بالنصب على الاختصاص أو على إضمار أعني، وأما الخفض على البدَل، فلم يره سيبويه جائزًا من ضمير المتكلّم، ولا من ضمير المخاطب، لأنه في غاية البيان، وأجازه الأخفش.

حول مبارزة ابن أُدّ لعليّ

فصل: وذكر خبر عمرو بن أُدّ العامِرِيّ، ومبارَزَته لعليٍّ إلى آخر القصّة، ووقع في مغازي ابن إسحٰق من غير رواية ابن هشام عن البَكّائي فيها زِيَادة حسَنَةٌ، رأيت أن أوردها هُنا تَتْمِيمًا للخبر.

قال ابن إسحٰق: إن عَمْرو بن أُدّ خرج فنادى: هل من مُبارِزٍ؟ فقام عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ وهو مُقنَّعٌ بالحديد، فقال: أنَا له يا نَبِيَّ الله، فقال: «إنه عَمْرو اجلس»، ونادى عَمْرٌو ألاَ رَجُل يؤنّبهُم، ويقول: أين جَنَّتُكُمْ التي تزعمون أنه مَنْ قُتِلَ منكم دَخلَهَا، أفلا تُبْرِزون لي رجلاً، فقام عليٌّ، فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «اجلس إنه عَمْرو»، ثم نادى الثالثة وقال:

ولـقـد بَـحَـحْـتُ مِـن الـنِّـدا ءِ بِـجَـمْـعِـكُـمْ هَـلْ مِـنْ مُـبَـارِزْ؟

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/٥٩٨) والطبراني (٦/ ٢٦١) والطبري في تاريخه (٢/ ٩٢) وابن سعد (٤/ ١/ ٥٩).

يدعوك رجل من قُريش إلى إحدى خَلَّتين إلا أخذتَها منه، قال له: أجَل؛ قال له عليّ: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النِّزال، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أحبّ أن أقتلك، قال له عليّ: لكني والله أحبّ أن أقتلك، فحَمِي عمرو عند ذلك، فاقتحَم عن فرسه، فعَقره، وضَرب وجهه، ثم أقبل على عليّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله عليّ رضي الله عنه. وخرجت خيلهم مُنهزمة، حتى اقتحمت من الخَندق هاربةً.

وَوَقَــفْــتُ إذ جَـبُــنَ الـمُـشَــ ـجِّعُ مَـوْقِـفَ الـقِـرْنِ الـمُـنَـاجِـزْ
وكـــذاك إنـــي لـــم أَزَلْ مُـتَـسَـرِّعًـا قـبـل الـهَـزَاهِـزْ[1]
إن الـشَّـجَـاعَـةَ فـي الـفَـتـى والـجـودَ مِـنْ خَـيْـرِ الـغَـرَائِـزْ

فقالم عليٌّ، فقال يا رسول الله، أنا لَه فقال: «إنه عَمْرو»، فقال: وإن كان عَمْرًا، فأذِن له النبيُّ - ﷺ - فمشى إليه عليٌّ، حتى أتاه وهو يقول:

لا تَـعْـجَـلَــنَّ فـقـد أتـا ك مُـجِـيـبُ صَـوْتِـك غـيـرَ عـاجِـزْ
ذُو نِـيَّـةٍ وبَـصِـيـرَةٍ والـصِّـدْقُ مُـنْـجـي كُـلَّ فـائـزْ
إنــي لأرجـــو أن أقــ ـيـم عـلـيـك نـائِـحـةَ الـجَـنَـائِـزْ
مِـنْ ضَـرْبَـةٍ نَـجْـلاءَ يَـبْـ ـقَـى ذكـرُهـا عـنـد الـهَـزَاهِـزْ

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليّ، قال: ابن عَبْدِ مناف؟ قال: أنا ابنِ أبي طالبٍ، فقال: غَيْرك يا ابن أَخِي مِنْ أَعْمَامِكَ مَنْ هو أَسَنُّ مِنك، فإني أكره أنْ أُهْرِيقَ دَمَك، فقال له عليّ رضي الله عنه: ولكني والله لا أكره أنْ أُهريقَ دَمَك، فغضِب ونَزل فسلَّ سَيْفَه، كأنه شُعْلة نارٍ، ثم أقبل نحو عَلِيٍّ مُغْضَبًا، وذكر أنه كان على فَرَسِه، فقال له عليٌّ: كيف أُقاتلك وأنت على فَرَسِك، ولكن انْزِلْ معي، فنزل عن فَرَسِه، ثم أقبل نحو عليٌّ: واستقبله عليٌّ - رضي الله عنه - بِدَرقتِه، فَضربه عَمْرو فيها فَقَدَّها وأثبت فيها السيفَ، وأصاب رأسَه فشَجَّه، وضربه عليٌّ على حَبْل العاتِق، فسقط، وثار العَجَاجُ، وسمع النبيُّ ﷺ التكبير، فعَرَف أن عليًا - رضي الله عنه - قد قتله، فَثَمَّ يقول عليٌّ رضي الله عنه:

أَعَـلَـيَّ تَـقْـتَـحِـمُ الـفوارسُ هـكَـذا عــنـي وعــنـه أَخِّـرُوا أصـحـابـي
فـالـيوم تَـمْـنَـعُـنـي الـفـرَارَ حَـفِـيظتي ومُـصَـمِّـمٌ فـي الـرأسِ لـيـس بـنَـابـي

---

(١) الهزاهز: الفتن.

قال ابن إسحٰق: وقال عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك:

نَصَرَ الحِجارةَ مِن سَفاهةِ رأيِهِ ... ونَصَرْتُ ربَّ محمَّد بصَوابي

فصَددت حين تَرَكْته متجَدِّلاً[1] ... كالجِذْعِ بين دَكادِكٍ[2] ورَوابي

وعَفَفت عن أثوابه ولو أنَّني ... كنتُ المُقَطَّر بَزَّني أثوَابي

لا تَحْسِبُنَّ الله خاذلَ دِينِه ... ونَبيِّه يا مَعْشَر الأحْزَاب

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشكّ فيها لعليّ بن أبي طالب.

أدى عُمَيْرٌ حين أخْلِص صَقْلَه ... صَافي الحديدةِ يستفيض ثوابي

فغَدَوْتُ ألْتَمِسُ القِرَاعَ بمُرْهَفٍ ... عَضْبٍ مع البَتْراءِ في أقْرَابِ

قال ابنُ عَبْدٍ حين شَدَّ أَلِيَّةً ... وحَلَفْتُ فاستمعوا من الكذَّاب

ألاّ يفِرَّ ولا يُهلِّلَ فالتقى ... رَجُلان يَلْتَقِيان كُلَّ ضِرَابِ[3]

وبعده: نصر الحجارة إلى آخر الأبيات، إلاّ أنه روي: عَبَدَ الحِجَارَةَ، وعَبَدْتُ رَبَّ مُحَمَّد، ورُوي في موضع: ولقد بَحَثْتُ: ولقد عَجِبْتُ، ويروى: فالتقى أسدان يَضْطَرِبَانِ كُلَّ ضِرَابِ، وفيه إنصاف من عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ لقوله: أسدان، ونسبه إلى الشَّجَاعَة والنَّجْدَةِ. وقوله: أدّى عمير إلى قوله: ثوابي، أي: أدّى إليَّ ثوابي، وأحْسَن جزائي حين أخلص صقله، ثم أقبل نحو النبيُّ ﷺ، وهو مُتَهلِّلٌ، فقال له عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: هَلاّ سَلَبْتَهُ دِرْعَه، فإنه ليس في العرب دِرْعٌ خير منها، فقال: إني حين ضربته استقبلني بَسَوْأَته، فاسْتَحْيَيْتُ ابن عمّي أن أسْتَلِبَه، وخرجت خيلُهم مُنْهَزِمَةً، حتى اقتحمت الخندقَ هاربةً، فمن هنا لم يَأْخُذْ عَليٌّ سَلَبَه، وقيل: تنزّه عن أخذها، وقيل: إنهم كانوا في الجاهليّة إذا قتلوا القتيل لا يسلبونه ثيابه.

وقول عَمْرو لعليٍّ: والله ما أحب أن أقْتُلَكَ، زاد فيه غيره: فإن أباك كان لي صديقًا، قال الزبير: كان أبو طالب يُنَادِمُ مُسَافرَ بن أبي عَمْرو، فلما هلك اتّخذ عَمْرو بن وَدٍّ نديمًا، فلذلك قال لعليّ حين بارزه ما قال.

---

(١) متجدّلاً: مرميًا. (٢) دكادك: الأرض الصعبة.

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٢) والبيهقي (٩/ ١٣٢) ومن الدلائل له (٣/ ٤٣٨).

شعر حسّان في عكرمة

قال ابن إسحٰق: وألقى عِكْرِمة بن أبي جهل رُمْحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسّان بن ثابت في ذلك:

فــرَّ وألــقــى لَــنــا رُمْـحَـه لـعَـلَّـك عَـكْـرِمَ لـم تَـفْـعَـل
ووَلَّـيْـتَ تَـعـدو كـعَـدْو الظَّـلـيـم مـا إن تَـجـور عـن الـمَـعْـدِل
ولـم تَـلـق ظَـهْـرَك مُـسْـتـأنِـسًـا كـأن قَـفـاك قَـفـا فُـرْعُـل

قال ابن هشام: الفُرْعُل: صغير الضباع، وهذه الأبيات في أبيات له.

شعار المسلمين يوم الخندق:

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: حمّ، لا يُنصرون.

حديث سعد بن معاذ:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبو ليلى عبد الله بن سَهل بن عبد الرحمٰن بن سهل الأنصاري، أخو بني حارثة: أن عائشة أُمّ المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة. قال: وكانت أُم سعد بن مُعاذ معها في الحصن؛ فقالت عائشة: وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب، فمرّ سعد وعليه درع له مُقلَّصة، قد خرجت منها ذراعه كلُّها، وفي يده حربته يَرْقُل بها ويقول:

لَبِّثْ قليلاً يَشْهَدِ الهَيْجا جَمَل لا بأس بالمَوت إذا حان الأجَل

الفـرعـل

وقول حسّان في عكْرِمَةَ:

كـأن قَـفَـاكَ قَـفـا فُـرْعُـل

الفُرْعُلُ: وَلَد الضَّبع.

وذكر قول سعد:

لَبِّثْ قليلاً يَلْحَقِ الهَيْجا حَمَلْ

هو بيت تمثَّل به عُني به حَمَلَ بن سَعْدَانة بن حَارِثة بن مَعْقِل بن كَعْبِ بن عُلَيْم بن جَنَابِ الكلبِيّ. وقوله: يَرْقَدُ بالحربة أي: يُسرع بها، يقال: ارْقَدَّ وارْمَدَّ بمعنى واحد. قال ذو الرُّمَّة:

يَـرْقَـدُ فـي أَثـر عَـرّاضٍ وتَـتْـبَـعُـه صَـهْـبَاءُ شَـامِـيَّـةٌ عُـثْـنُـونُـها حَـصِـبُ

قال: فقالت له أُمه: الحق: أي بني، فقد والله أخّرت؛ قالت عائشة: فقلت لها: يا أُمّ سعد، والله لوددْت أن دِرْع سعد كانت أَسْبَغ مما هي، قالت: وخِفْتِ عليه حيث أصاب السَّهمُ منه، فرُمِي سعدُ بنُ معاذ بسهم، فقطع منه الأكْحَلُ، رماه كما حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، حِبَّان بن قَيْس بن العَرِقة، أحد بني عامر بن لُؤَيّ، فلما أصابه، قال: خُذْها مني وأنا ابن العَرِقَةِ، فقال له سعد: عَرَّق الله وجهَك في النار، اللهمّ إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، فإنه لا قوم أحبّ إليّ أن أجاهدهم من قومٍ آذَوْا رسولك وكذّبوه وأخرجوه، اللهمّ وإن كنت قد وضعت الحربَ بيننا وبينهم فاجْعله لي شهادة، ولا تُمِتني حتى تُقرّ عيني من بني قُريظة.

مَـن قـاتـل سعـد؟:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني مَنْ لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعدًا يومئذ إلاّ أبو أُسامة الجُشَمي، حليف بني مخزوم.

يعني الريح.

ابن العرقة وأُم سعد:

وابن العَرِقَةِ الذي رَمَى سَعْدًا هو حِبَّانُ بن قَيْسِ بن العَرِقَةِ، والعَرِقَةُ هي قِلاَبَةُ بنت سُعَيْد بن سَعْدِ بن سَهْم [بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي] تُكَنَّى أُمَّ فاطمة، سُمِّيَتْ العَرِقَةُ لطيب ريحها، وهي جَدَّةُ خديجةَ أُمّ أُمِّها هالَةَ، وحبَّانُ هو ابنُ عبدِ مَنَافِ بن مُنْقِذِ بن عَمْرو بن مَعِيصَ بن عامِرِ بن لُؤَيٍّ.

وأُمُّ سَعْد اسمها: كَبْشَةُ بنتُ رافع [بن عبيد].

حـول اهتـزاز العـرش:

وحديث اهتزاز العرش ثابت من وُجوه[1]، وفي بعض ألفاظِه أن جبريلَ عليه السلامُ نَزَل حين ماتَ سعْدٌ مُعْتَجِرًا بعِمَامَةٍ من اسْتَبْرَقٍ، فقال: يا محمد من هذا المَيِّتُ الذي فُتِحَتْ له أبوابُ السماء، واهتزّ له العرشُ؟ وفي حديث آخر: قال عليه السلام: «لقد نزل لموت سَعْدِ بن مُعَاذٍ سبعون أَلْفَ مَلَكٍ ما وطؤوا الأرض قبلها»، ويذكر أن قبرَه وُجد منه رائحةُ المسك، وقال عليه السلام: «لو نجا أحد من ضَغْطَةِ القبر لنجا منها سعد»[2]، وفي كتاب

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٤٤) ومسلم في فضائل الصحابة (١٢٤) وابن ماجة (١٥٨) والبيهقي في الصفات (٣٩٧ ـ بتحقيقي) والحاكم (٣/٢٠٦) وغيرُهم من غيرِهم.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٠/٤٠٦).

وقد قال أبو أُسامة في ذلك شعرًا لعِكرِمة بن أبي جهل:

أعِكْرَمَ هلاً لُمْتني إذْ تقول لي ... فداك بآطام المَدينَة خالدُ

ألستُ الذي ألزمتُ سَعدًا مُرِشَّةً ... لها بين أثناء المَرَافِق عاند

قَضَى نَحْبه منها سُعَيد فَأعْوَلت ... عليه مع الشُّمْط العَذَارَى النَّواهُد

وأنتَ الذي دافعْتَ عنه وقد دَعا ... عُبيدةُ جمعًا منهُم إذ يُكابد

على حين ما هُم جائر عن طَرِيقه ... وآخر مَرْغُوب عن القَصْد قاصد

(والله أعلم أيّ ذلك كان).

قال ابن هشام: ويقال: إن الذي رَمى سعدًا خَفاجة بن عاصم بن حبَّان.

الحديث عن جُبن حسَّان

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه عباد قال:

الدَّلائل أن النبيّ ﷺ جلس على قبر سعد حين وضع فيه، فقال: «سبحان الله لهذا العبد الصالح ضُمَّ في قبره ضَمَّة، ثم فرّج عنه»، وأما ضَغْطةُ القبر التي ذكر في الحديث، فقد رُوي عن عائشة ـ رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، ما انتفعتُ بشيء مُنذُ سمعتك تذكر ضَغْطَة القبر، وضَمَّته [وصوتَ مُنكَرٍ ونكير] فقال: «يا عائشة، إن ضَغْطَة القَبْر على المؤمن أو قال: ضَمَّة القبر على المؤمن كضَمَّةِ الأمّ الشَّفِيقة يَدَيها على رأسِ ابنها، يشكو إليها الصُّدَاعَ، وصوت مُنكر ونَكِير كالكُحْل في العَيْن، ولكن يا عائشةُ وَيْلٌ للشاكّين [في الله] أولئك الذين يُضْغَطُون في قبورهم ضَغْط البَيْضِ على الصَّخْر». ذكره أبو سعيد بن الأعرابيّ في كتاب المعجم[١].

وذكر ابن إسحٰق في رواية [يونس] الشَّيْباني عنه، قال: حدّثني أُميَّةُ بن عبدِ الله، قال: قلت لبعض أهل سعد بن مُعاذٍ: ما بلغكم في هذا، يعني: الضَّمَّةَ التي انْضَمَّها القبرُ عليه؟ قال: كان يُقَصِّر في بعضِ الطُّهُور من البَوْل بعض التَّقْصِير.

أكان حسَّان جبانًا؟

فصل: وذكر حديث حسَّان حين جُعِل في الآطام مع النساء والصِّبيان، وما قالت له صِفيَّةُ في أمر اليهودي حين قتلته، وما قال لها، ومَحْمَلُ هذا الحديث عند الناس على أن

---

(١) أخرجه البيهقي في (٣/ ٣٦١).

كانت صفيَّة بنت عبد المطَّلب في فارع، حِصْن حسَّان بن ثابت؛ قالت: وكان حسَّان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصّبيان، قالت صفيَّة: فمرّ بنا رجلٌ من يهود، فجعل يُطِيفُ بالحِصْن، وقد حاربتْ بنو قُريظة، وقطعت ما بينها وبين رسولِ الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يَدْفع عنّا ورسولُ الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوّهم، لا يَستطيعون أن يَنْصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ. قالت: فقلت: يا حسَّان، إن هذا اليهوديّ كما ترى يُطِيفُ بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يَدُلّ على عَوْرتنا مَنْ وراءنا من يهود، وقد شغِل عنَّا رسولُ الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله؛ قال: يَغْفِر الله لكِ يا ابنة عبد المطَّلب، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا: قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئًا، احتجزت ثم أخذت عَمودًا، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه، فضربتُه بالعَمود حتى تقتله. قالت: فلما فرغت منه، رجعتُ إلى الحِصْن، فقلت: يا حسَّان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يَمْنعني من سلبِهِ إلاّ أنه رَجل؛ قال: ما لي بسَلْبه من حاجة يا ابن عبد المطَّلب.

نعيم يخـذّل المشركين:

قال ابن إسحٰق: وأقام رسولُ الله ﷺ وأصحابه، فيما وصف الله من الخوف والشدّة، لتظاهر عدوّهم عليهم، وإتيانهم إيّاهم من فَوْقهم ومن أسفل منهم.

قال: ثم إن نُعيم بن مَسْعود بن عامر بن أُنيف بن ثعلبة بن قُنْفد بن هِلال بن خَلاوة بن أشْجع بن رَيْث بن غَطفان، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمتُ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرْني بما شِئت، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجلٌ واحد، فخذِّل عنا إن استطعت، فإن الحَرب خدعة»، فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بني قُريظة، وكان لهم نديمًا في الجاهليَّة، فقال: يا بني قُريظة، قد عَرفتم ودّي إياكم، وخاصَّة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتَّهم، فقال لهم: إنّ قريشًا وغَطفَان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تَحوّلوا منه إلى غيره، وإنّ قريشًا وغَطفان قد جاءوا لحرب محمَّد

حَسَّانًا كان جبانًا شديدَ الجبن، وقد دَفَعَ هذا بعضُ العلماء، وأنكره؛ وذلك أنه حديث مُنْقَطِعُ الإسناد، وقال: لو صحّ هذا لَهُجِي به حَسَّانُ، فإنه كان يهاجي الشعراءِ كَضِرارٍ وابن الزِّبَعْرى، وغيرهما، وكان يناقِضُونه ويَرُدُّون عليه، فما عَيَّره أحدٌ منهم بجُبْنٍ، ولا وَسَمَه به، فدلّ هذا على ضعف حديث ابن إسحٰق، وإن صحّ فلعلّ حَسَّانَ أن يكون مُعْتلاً في ذلك اليوم بعِلّةٍ من شُهود القتال، وهذا أولى ما تأوّل عليه، وممن أنكر أن يكون هذا صحيحًا أبو عُمَرَ رحمه الله في كتاب الدُّرر له.

وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقُوا ببلادهم وخلَّوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خَلا بكم، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنًا من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تُناجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قُريشًا، فقال لأبي سُفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عَرفتم ودّي لكم وفِراقي محمدًا، وإنه قد بَلغني أمرٌ قد رأيت عليّ حقًا أن أبلغكموه، نُصْحًا لكم، فاكتموا عَنّي؛ فقالوا: نفعل، قال: تعلَّموا أن معشر يهود قد نَدِموا على ما صَنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أَرسلوا إليه: إنّا قد نَدِمنا على ما فَعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القَبيلتين، من قُريش وغطفان رجالاً مِن أشرافهم فنُعطيكَهم، فتضربَ أعناقهم ثم نكون معك على من بَقِي منهم حتى نَسْتأصلَهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثَ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُنًا من رجالِكم فلا تَدْفعوا إليهم مِنكم رجلاً واحدًا.

ثم خرج حتى أتى غَطفان، فقال: يا معشر غَطفان، إنكم أصْلِي وعَشيرتي، وأحبّ الناس إليّ، ولا أُراكم تتَّهموني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بِتَّهم، قال: فاكتموا عنّي، قالوا: نفعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثلَ ما قال لقريش وحذّرهم ما حذّرهم.

فلما كانت ليلة السَّبت من شوّال سنة خمس، وكان من صُنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سُفيان بن حَرْب ورؤوس غَطفان إلى بني قُريظة عِكْرِمة بن أبي جهل، في نَفر من قُريش وغَطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخفّ والحافر، فاغدُوا للقِتال حتى نُناجز محمدًا، ونَفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو (يوم) لا نعمل فيه شيئًا، وقد كان أحدَث فيه بعضُنا حدَثًا، فأصابه ما لم يخفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نُقاتل معكم محمدًا حتى تُعطونا رُهُنًا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا، فإنا نخشى إن ضَرّستكم الحرب، واشتدّ عليكم القتالَ أن تَنْشمروا إلى بلادكم وتَتْركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسُل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغَطفان: والله إن الذي حدّثكم نُعيم بن مسعود لحقّ، فأرسِلوا بني قُريظة: إنا والله لا نَدفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا، فإن كنتم تُريدون القتال فاخرُجوا فَقاتلوا، فقالت بنو قُريظة، حين انتهت الرسلُ إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نُعيم بن مَسْعود لحَقّ، ما يريد القوم إلا أن يُقاتلوا، فإن

....

رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غيرَ ذلك انشمروا إلى بلادهم. وخلُّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسِلوا إلى قريش وغَطفان: إنّا والله لا نُقاتل معكم محمدًا حتى تُعْطونا رُهُنًا، فأبَوْا عليهم وخذَّل الله بينهم، وبعث الله عليهم الرّيح في ليالٍ شاتِيَة باردة شديدة البرد، فجعلت تَكْفأ قدورَهم، وتطرح أبنيتهم.

تعرّف ما حلّ بالمشركين:

(قال): فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرّق الله من جماعتهم، دعا حُذيفة بن اليّمان، فبَعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلاً.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرَظيّ، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحُذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرأيتم رسولَ الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم، يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهَد، قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحمَلناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلّى رسول الله ﷺ هُوِيًا من اللّيل، ثم التفت إلينا فقال: «مَنْ رَجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشرط له رسولُ الله ﷺ الرّجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنّة؟» فما قام رجُل من القوم، من شدّة الخوف، وشدّة الجوع، وشدّة البرد، فلما لم يقم أحد، دعاني رسولُ الله ﷺ، فلم يكن لي بدّ من القيام حين دَعاني، فقال: «يا حُذيفة، اذهب فادخُل في القوم، فانظُر ماذا يصنعون، ولا تُحْدِثَنّ شيئًا حتى تأتينا». قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجُنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقرّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بناء. فقام أبو سُفيان. فقال: يا معشر قريش: لينظر امرؤ مَنْ جَليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان.

أبو سُفيان ينادي بالرحيل:

ثم قال أبو سُفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصْبَحتم بدار مُقام، لقد هَلك الكُراع والخفّ، وأخْلفتنا بنُو قريظة، وبلَغنا عنهم الذي نَكره، ولَقينا من شدّة الريح ما تَرَوْن، ما تطمئنّ لنا قِدْر، ولا تقوم لنا نار، ولا يَسْتمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جَمله وهو مَعْقول، فَجلس عليه، ثم ضَربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أُطلق عقاله إلاّ وهو قائم، ولولا عَهْد رسولِ الله ﷺ إلي: «أن لا تُحدث شيئًا حتى تأتيني» ثم شئت، لقتلته بسهم.

....

قال حُذيفة: فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو قائم يصلّي في مِرْط لبعض نسائه، مراجل.

قال ابن هشام: المراجل: ضرب من وشي اليمن.

فلما رآني أدخلني إلى رِجليه، وطَرح عليّ طَرَف المرْط، ثم ركع وسجَد، وإني لفِيه، فلما سلَّم أخبرته الخبر، وسمعت غَطفان بما فعَلت قُريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

الانصراف عن الخندق:

قال ابن إسحٰق: ولما أصبح رسولُ الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح.

غزوة بني قريظة في سنة خمس
الأمر الإلـٰهي بحرب بني قريظة

فلما كانت الظُّهر، أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ، كما حدّثني الزّهري، معتجرًا بعمامة من استبرق، على بَغْلة عليها رِحالة، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوَقَدْ وضعتَ السلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم»، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلاّ من طلب القَوم، إن الله عزّ وجلّ يأمرك يا محمد بالمَسيرِ إلى بني قُريظة، فإني عامدٌ إليهم فمزلزل بهم.

فأمر رسولُ الله ﷺ مؤذّنًا، فأذّن في الناس، من كان سامعًا مُطيعًا، فلا يصلّينّ العصرَ إلا ببني قُريظة.

واستعمل على المدينة ابنَ أُم مكتوم، فيما قال ابنُ هشام.

عليٌّ يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة:

قال ابن إسحٰق: وقَدّم رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب برايته إلى بني قُريظة، وابتدرها الناسُ. فسار عليّ بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحُصون سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لَقي رسولَ الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: «لِمَ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟» قال:

نعم يا رسول الله، قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئًا». فلما دنا رسُول الله ﷺ من حُصونهم. قال: «يا إخوان القِرَدة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟» قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً.

جبريل في صورة دحية

ومرَّ رسولُ الله ﷺ بنفَر من أصحابه بالصَّوْرَيْن قبل أن يصل إلى بني قُريظة، فقال: «هل مَرَّ بكم أحد؟» قالوا: يا رسول الله، قد مَرَّ بنا دِحْية بن خَليفة الكلبي، على بَغْلة بيضاء عليها رِحالة، عليها قَطيفة ديباج. فقال رسولُ الله ﷺ: «ذلك جِبْريل، بُعث إلى بني قُريظة يُزَلزل بهم حُصونهم، ويقذف الرعبَ في قلوبهم».

ولما أتى رسولُ الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحِية أموالهم، يقال لها بئر أنا.

قال ابن هشام: بئر آنى.

الحديث عن الصورين ودحية

فصل: وذكر خروج النبيّ ﷺ إلى بني قُرَيْظَة حين مرّ بالصَّوْرَيْن، والصَّوْرُ القِطعة من النخل، فسألهم، فقالوا: مَرَّ بنا دَحْيَةُ بن خَلِيفَة الكَلْبِيُّ. هو: دَحْيَةُ بفتح الدال، ويقال: دِحْيَةُ بكسر الدال أيضًا، والدَّحْيَةُ بلسان اليمن: الرَّئيسُ، وجمعه دِحَاء، وفي مقطوع الأحاديث أن النبيّ - ﷺ - رأى البيتَ المعمورَ يدخله كُلَّ يوم سَبْعُون ألفَ دِحْيَةٍ، تحت يد كُلِّ دِحْيَةٍ سبعون ألف مَلَكٍ، ذكره القُتَبِيُّ، ورواه ابن سُنْجُرٍ في تفسيره مُسْنَدًا إلى عبدِ الله بن الهُذَيْل، رواه عنه أبو التَّيَّاح، وذكر أن حَمَّاد بن سَلَمَة قال لأبي التَّيَّاح حين حدّثه بهذا الحديث: ما الدَّحْيَةُ؟ قال: الرئيس، وأما نَسَبُ دِحْيَةَ فهو ابن خَلِيفَة بن فَرْوَةَ بن فَضَالَةَ بن زَيْد بن امْرِىءِ القَيْس بن الخزرج، والخَزْرَجُ العَظِيمُ البَطْن ابن زَيْد مَنَاةَ بن عامر بن بَكْر بن عامر الأكْبَرِ بن عَوْف بن عُذْرَةَ بن زَيْد اللاَّتِ بن رُقَيْدَةَ بن ثَوْرِ بن كَلْبٍ يُذْكَر من جَمَالِه أنه كان إذا قَدِمَ المَدِينَةَ لم تَبْقَ مُعْصِرٌ، وهي المُرَاهِقَةُ للحَيْضِ ألا خَرَجَت تنظر إليه.

فقه لا يصلّينّ أحدكم العصر إلاّ في بني قريظة

وذكر قوله عليه السلام: «لا يُصَلِّيَنَّ أحدُكم العصرَ إلاّ في بني قُرَيْظَةَ»[1]، فغربت عليهم الشمس قبلها، فصَلُّوا العصرَ بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه،

(١) أخرجه البخاري (٢/١٩) ومسلم في الجهاد (٦٩). والبيهقي (١٠/١١٩).

تلاحق الناس بالرّسول:

قال ابن إسحٰق: وتلاحق به الناس فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلّوا العَصر، لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلّينّ أحدٌ العصرَ إلا ببني قُريظة»، فشغَلهم ما لم يكن منه بدّ في حَرْبهم، وأبَوْا أن يصلُّوا، لقول رسول الله ﷺ: «حتى تأتوا بني قريظة». فصلَّوْا العصر بها، بعد العشاء الآخرة، فما عَابهم الله بذلك في كتابه، ولا عنَّفهم به رسولُ الله ﷺ. حدّثني بهذا الحديث أبي إسحٰقُ بن يسار، عن مَعبد بن كَعْب بن مالك الأنصاري.

الحصار:

(قال): وحاصرهم رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة حتى جَهدهم الحصار، وقذفَ الله في قُلوبهم الرعبَ.

وقد كان حُيَيّ بن أخْطب دخل مع بني قريظة في حصْنهم، حين رجعت عنهم قُريش وغَطفان، وفاءً لكَعْب بن أسد بما كان عاهده عليه.

ولا عنَّفهم به رسولُه ﷺ، وفي هذا من الفِقه أنه لا يُعَابُ على من أخذ بظاهِر حديثٍ أو آيةٍ، فقد صَلَّت منهم طائفةٌ قبل أن تغربَ الشمسُ، وقالوا: لم يُرِدِ النبيُّ - ﷺ - إخراج الصلاة عن وقتها، وإنما أراد الحثَّ والإعجال، فما عُنِّف أحدٌ من الفريقين، وفي هذا دليل على أن كل مُختَلفين في الفروع من المجتهدين مصيب، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصلٌ لهذا الأصل أيضًا، فإنه قال سبحانه: ﴿ففَهَّمْنَاها سُلَيْمانَ وكُلاً آتينا حُكْمًا وعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ولا يستحيل أن يكون الشيءُ صَوَابًا في حقّ إنسانَ وخَطَأً في حَقِّ غيره، فيكون من اجْتَهَدَ في مَسْألة فأدّاه اجتهادُه إلى التحليل مصيبًا في استحلاله، وآخر اجتهد فأدّاه، اجتهادُه ونظره إلى تحريمها، مُصيبًا في تحريمها، وإنما المُحَالُ أن يُحْكم في النازلة بحُكْمَين مُتَضَادَّين في حَقّ شَخْص واحد، وإنما عسر فهمُ هذا الأصل على طائفتين: الظَّاهِريَّة والمُعْتَزلة، أما الظَّاهِريَّةُ فإنهم عَلَّقُوا الأحكام بالنُّصوصِ، فاستحال عندهم أن يكون النصُّ يأتي بحظْرٍ، وإباحَةٍ مَعًا إلا على وَجْه النَّسْخ، وأما المعتزلة، فإنهم عَلَّقوا الأحكامَ بتقبيح العقْلِ وتحسينه، فصار حُسْنُ الفعل عندهم أو قُبْحُه صِفَةَ عَيْن، فاستحال عندهم أن يَتَّصِفَ فعلٌ بالحُسْنِ في حَقّ زَيْدٍ والقبح في حَقّ عَمْرو، كما يستحيل ذلك في الألوان، والأكْوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات، وأما ما عَدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق، فليس الحَظْرُ والإباحة عندهم بصفاتِ أعيانٍ، وإنما هي صفات أحكْام، والحكم

نصيحة كعب بن أسد لقومه:

فلما أيقنوا بأن رسولَ الله ﷺ غير مُنصرف عنهم حتى يُناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثًا، فخُذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نُتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبيَّن لكم أنه لنبيٌّ مُرْسَل، وأنه للذي تَجِدونه في كتابكم، فَتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارقُ حكمَ التَّوراة أبدًا، ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فَهَلُمَّ فلنقتُلْ أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصْلتين السيوفَ، لم نترك وراءَنا ثَقلاً، حتى يَحْكم الله بيننا وبين محمد، فإن نَهْلِك نهلك، ولم نترك وراءَنا فَلا نخشى عليه، وإن نَظهر فلعَمري لنجدنَّ النساء والأبناء، قالوا: نقتُل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليَّ هذه، فإن اللَّيلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلَّنا نُصِيب من محمد وأصحابه غِرّة، قالوا: نُفسد سَبْتنا علينا، ونُحدّث فيه ما لم يحدّث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخْف عليك من المَسخ! قال: ما باتَ رجل منكم منذ ولَدته أُمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا.

قصّـة أبـي لُبابـة

ثم إنهم بعثوا إلى رسولِ الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لُبَابَةَ بن عبدِ المُنْذر، أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حُلفاء الأوس، لنَسْتَشيره في أمرنا، فأَرسله رسولُ الله ﷺ إليهم،

من الله تعالى يَحْكُم بالحظر في النازلة على من أدّاه واجتهادُه إلى الحظر، وكذلك الإباحة والنَّدْبُ والإيجابُ والكَرَاهَةُ، كلُّها صفاتُ أحكامٍ، فكُلُّ مجتهد وافق اجتهادُه وَجْهًا من التأويل، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفَّع به عن حَضِيضِ التقليد إلى هَضَبَةِ النَّظرِ، فهو مُصِيبٌ في اجتهاده مُصِيبٌ للحكم الذي تَعَبَّد به، وإن تعبد غيره في تلك النازلة بعينها بخلافِ ما تَعبَّد هو به، فلا يُعَدُّ في ذلك إلاّ على من لا يعرف الحقائق أو عَدَل به الهوى عن أوْضَح الطَّرائق[1].

حول قصّـة أبي لبابـة

فصل: وذكر أبا لُبَابَةُ واسمه رفَاعَةُ بن عَبْدِ المُنْذِر بن زنبر وقيل: اسمه مُبَشر، وتَوْبَته

---

(١) انظر مزيد بيان بالفتح (٢/ ١٣٠).

فلما رأوه قام إليه الرجال، وجَهَش إليه النساء والصبيان يَبْكون في وجهه، فرقّ لهم، وقالوا له: يا أبا لُبابة! أترى أن ننزل على حُكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حَلقه، إنه الذبح. قال أبو لُبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفتُ أني قد خبتُ الله ورسوله ﷺ، ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه، ولم يأت رسولَ الله ﷺ حتى ارتبطَ في المسجد إلى عَمُود من عُمُده، وقال: لا أبرح من عُمُده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوبَ الله عليّ مما صنعت، وعاهد الله: أن لا أطأ بني قريظة أبدًا، ولا أُرى في بلد خُنْت الله ورسوله فيه أبدًا.

توبة الله على أبي لُبابة

قال ابن هشام: وأنزل الله تعالى في أبي لُبابة، فيما قال سُفيان بن عُيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي قتادة: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونوا اللَّهَ والرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمانَاتِكُمْ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال ابن إسحٰق: فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُه، وكان قد استبطأه، قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له، فأما إذ قد فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقُه من مكانه حتى يَتُوب الله عليه.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيط: أنّ توبة أبي لُبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السَّحَر، وهو في بيتِ أُمّ سَلَمة. (فقالت أُمّ سَلَمة): فسمعتُ رسولَ الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك. قالت: فقلت: ممّ تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله

ورَبْطَه نَفْسَه حتى تاب الله عليه، وذكر فيه أنه أَقْسَم ألاّ يَحُلَّه إلاّ رَسُولُ الله ﷺ، ورَوى حَمَّاد بن سَلَمَةَ عن علي بن زيد عن عَلِيّ بن الحسين أن فاطمة أرادت حَلَّة حين نزلت توبتُه، فقال: قد أَقْسَمْتُ ألاّ يَحُلّني إلاّ رسولُ الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «إن فاطمةَ مُضْغَةٌ مني»[1]، فصلَّى الله عليه، وعلى فاطمةَ، فهذا حديثٌ يَدُلُّ على أن من سَبَّها فقد كَفَر، وأن من صَلَّى عليها، فقد صَلَّى على أبيها - ﷺ - وفيه: أَنزَلَ الله تعالى: ﴿وآخَرُون اعْتَرَفُوا بذنوبهم خَلَطُوا عَمَلاً صالِحًا﴾ [التوبة: ١٠٢] الآية، غير أنَّ المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان، فقال ابن إسحٰق ما ذكره في السِّيرة من إشارته على بني قُرَيْظَة، وقال آخرون: كان من المُخَلَّفين: الذين تَخَلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غَزْوة تَبُوكَ، فنزلت توبةُ الله عليه في هذه الآية.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٣٢٦).

سنُّك؟ قال: «تِيب على أبي لُبابة»، قالت: قلت: أفلا أُبَشِّره يا رسول الله؟ قال: «بلى، إن شئتِ». قال: فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحِجاب، فقالت: يا أبا لُبابة، أبْشِر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليُطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسولُ الله ﷺ هو الذي يُطلقني بيده، فلما مرّ رسول الله ﷺ خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه.

قال ابن هشام: أقام أبو لُبابة مُرتبطًا بالجذع ستَّ ليالٍ، تأتيه امرأته في كلّ وَقْت صلاة، فتحلّه للصلاة، ثم يعود فيَرْتبط بالجِذْع، فيما حدّثني بعض أهل العلم والآية التي نزلت في توْبته قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

لعـلّ وعسـى وليـت:

فإن قيل: ليس في الآية نصٌّ على تَوْبته وتوبة الله عليه أكثر من قوله تعالى: ﴿عسى الله أن يتوبَ عليهم﴾.

فالجواب: أن عسى من الله واجبةٌ وخبرُ صِدْقٍ. فإن قيل: وهو سؤال يجب الاعتناء به: إن القرآن نزل بلسان العرب، وليست عسى في كلام العرب بخبرٍ، ولا تقتضي وجوبًا، فكيف تكون عسى واجبةً في القرآن، وليس بخارج عن كلام العرب؟

وأيضًا: فإن لعلّ تعطي معنى التَّرجِّي، وليست من الله واجبة، فقد قال: ﴿لعلهم يشكرون﴾ فلم يشكروا، وقال: ﴿لعله يتذكر أو يَخْشَى﴾ فلم يتذكر ولم يَخْش، فما الفرق بين لعلّ وعسى حتى صارت عسى واجبة؟.

قلنا: لعلّ تعطي التَّرَجِّي، وذلك الترجي مصروف إلى الخلق، وعسى مثلُها في الترجّي، وتزيد عليها بالمُقَارَبةِ، ولذلك قال: ﴿عسى أن يَبْعَثَك رَبُّك مقامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ومعناه الترجي مع الخبر بالقرب، كأنه قال قرُبَ أن يبعثَك، فالتَّرَجِّي مَصْروفٌ إلى العبد، كما في لعلّ، والخبر عن القرب والمُقاربة مصروفٌ إلى الله تعالى، وخَبَرُه حَقٌّ وَوَعْدُهُ حَتْمٌ، فما تضمنته من الخبر فهو الواجب دون التَّرَجِّي الذي هو محال على الله تعالى ومصروف إلى العبد، وليس في لعلّ منْ تَضَمُّن الخبرِ مثلُ ما في عسى، فمن ثَمَّ كانت عسى واجبةً إذا تكلّم الله بها، ولم تكن كذلك لعلّ.

(١) سورة التوبة آية رقم (١٠٢).

إسلام بعض بني هدل:

قال ابن إسحٰق: ثم إن ثَعْلَبَةَ بنَ سَعْيَةَ، وأَسِيْد بن سَعْيَة، وأَسَد بن عُبَيْد، وهم نفر من بني هَدَلٍ، ليسوا من بني قُريظة ولا النَّضير، نَسَبُهُم فوق ذلك هم بنو عمّ القوم، أسلَمُوا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قُريظة على حُكم رسول الله ﷺ.

عمرو بن سُعدى:

وخرج في تلك اللَّيلة عَمْرو بن سُعْدَى القُرَظي، فمرّ بحَرس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مَسْلمة تلك الليلة، فلما رآه قال: «من هذا؟» قال: أنا عمرو بن سُعْدَى ـ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قُريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبدًا ـ فقال محمد بن مَسْلمة حين عرفه: اللهمّ لا تحرمني إقالة عَثرات الكِرام، ثم خلَّى سبيله. فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلم يُدْر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذُكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: ذاك رجل نجّاه الله بوَفائه. وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثِق بِرُمَّةٍ فيمن أُوثِقَ من بني قُريظة، حين نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رُمَّته مُلْقاة، ولا يُدْرى أين ذهب، فقال رسولُ الله ﷺ فيه تلك المقالة، والله أعلم أيّ ذلك كان.

فإن قيل: فهل يجوز في ليت ما كان في لعلّ من ورودها في كلام الباري سبحانه، على أن يكون التمنّي مَصْرُوفًا إلى العبد، كما كان الترجّي في لعل كذلك؟

قلنا: هذا غير جائز، وإنما جاز ذلك في لعلّ على شرط وصورةٍ، نحو أن يكون قبلها فِعْلٌ، وبعدها فِعْلٌ، والأوّل سَبَبٌ للثاني نحو قوله: ﴿يعظُكم لَعلَّكم تَذكَّرُون﴾ [النحل: ٩٠]، فقال بعض الناس: لعلّ ها هنا بمعنى كَيْ، أي: كي تَذَكَّرُوه، وأنا أقول: لم يذهب منها معنى التَّرَجِّي، لأن الموعظة، مما يُرجى أن تكون سببًا للتذكُّر، فعلى هذه الصورة وردت في القرآن، ونحو قوله أيضًا: ﴿فَلَعَلَّك تاركٌ بعضَ ما يُوحَى إليك وضائقٌ به صَدْرُك﴾ [هود: ١٢] هي هاهنا تَوَقُّعٌ وتخوف، أي: ما أصابك من التكذيب مما يُتَخَوَّف ويُتَوَقَّعُ منه ضِيقُ الصدر، فهذا هو الجائز في لَعَل، وأما أنْ تَرِد في القرآن داخلةً على الابتداء والخبر مثل أن تقول، مُبْتَدِئًا: لعلّ زيدًا يؤمن، فهذا غير جائز، لأن الربَّ سبحانه لا يَتَرَجَّى، وإن صُرِف الترجي إلى حَقّ المخلوق، وموضوعُها في كلام العرب أن يكون المتكلمُ بها لا يستقيم أيضًا إلاّ على الصورة التي قدمنا من كونها بمعنى: كي، ووقوعها بين السَّبَب والمُسبَّب، وإذا ثبت هذا فلا إشكال في ليت أنها لا تكون في كلام الباري سبحانه، لأن التمني مُحَالٌ عليه، والتَّرجي والتَّوَقُّعُ والتَّخَوُّف كذلك، حتى تزيلها عن الموضع الذي يكون معناها فيه للمتكلم بها.

تحَكيم سعد في أمر بني قريظة ورضاء الرسول به

(قال) فلما أصبحوا نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ، فتَواثبتِ الأوْس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخَزرج، وقد فعلتَ في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسولُ الله ﷺ قبل بني قُريظة قد حاصَر بني قَيْنُقاع، وكانوا حُلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبدَ الله بن أُبَيّ ابن سَلُولَ، فَوَهبهم له. فلما كلَّمته الأوس قال رسولُ الله ﷺ: «ألا تَرْضَون يا مَعْشَرَ الأوْسِ أن يَحْكم فيهم رجلٌ منكم؟» قالوا: بلى، قال رسولُ الله ﷺ: «فذاك إلى سعد بن مُعاذ». وكان رسولُ الله ﷺ قد جعل سعد بنَ مُعَاذٍ في خَيْمة لامرأة من أسلَم، يُقال لها: رُفَيدة، في مسجده، كانت تُداوي الجَرْحَى، وتحتسب بنفسها على خِدْمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المُسلمين، وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «اجعلوه في خَيْمة رُفَيدة حتى أعُوده من قريب». فلما حكَّمه رسول الله ﷺ في بني قُريظة، أتاه قومه فحَملوه على حمار قد وطؤوا له بوسادة من أدَم، وكان رجلاً جسيمًا جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسنْ في مواليك، فإن رسول الله ﷺ - إنّما ولاّك ذلك لتُحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: «لقد أنَى لِسَعد أن لا تأخذه في الله لَوْمةُ لائم». فرجع بعضُ من كان معه من قَوْمه إلى دار بني عبد الأشهل، فنَعى لهم رجال بني قُريظة، قبل أن يَصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمع منه. فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسولُ الله ﷺ: «قوموا إلى سيِّدكم» - فأما المُهاجرون من قُريش، فيقولون: إنما أراد رسولُ الله ﷺ الأنصار، وأما الأنصار، فيقولون: قد عمّ بها رسولُ الله ﷺ - فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسولَ الله ﷺ قد وَلاّك أمرَ مواليك لتَحْكم فيهم، فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه، أنّ الحُكم فيهم لَمَا حَكَمْتُ؟ قالوا: نعم، وعلى مَنْ هاهنا، في الناحية التي فيها رسولُ الله ﷺ، وهو مُعرِض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجالُ، وتُقسم الأموال، وتُسْبَى الذراري والنساء.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصمُ بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سَعْد بن مُعاذ، عن عَلْقمة بن وقّاص اللَّيْثي، قال: قال رسولُ الله ﷺ لسعد: «لقد حكمتَ فيهم بحُكم الله من فوق سبعة أرْقِعَةٍ».

من أسماء السماء

فصل: وذكر حكم سعد في بني قُرَيْظَة، وقول النبيّ عليه السلام له: «لقد حكمت فيهم

قال ابن هشام: حدّثني بعضُ من أثقُ به من أهل العلم: أن عليّ بن أبي طالب صاح وهم مُحاصرو بني قُريظة: يا كَتيبة الإيمان، وتقدّم هو والزُّبير بن العوّام، وقال: والله لأذوقنّ ما ذاق حَمْزة أو لأفْتَحَنّ حِصْنَهم، فقالوا: يا محمد، ننزل على حُكم سَعد بنِ مُعاذ.

تنفيذ الحكم في بني قريظة

قال ابن إسحٰق: ثم اسْتُنْزِلُوا، فحبسهم رسولُ الله ﷺ بالمدينة في دار بنت

بحُكم الله من فوق سَبْعَةِ أَرْقِعةٍ»[1]، هكذا في السِّيرة: أرْقِعَةٍ، وفي الصحيح: «من فوق سَبْع سَمٰواتٍ»[2]، والمعنى واحد، لأن الرَّقيع من أسماءِ السماء، لأنها رُقِعت بالنُّجُوم، ومن أسمائها: الجَرْباءُ وبِرْقِع، وفي غير رواية البَكائِيِّ أنه عليه السلام قال في حكم سعد: بذلك: طَرَقَني المَلكُ سَحَرًا.

فوقيّة الله سبحانه:

وفيه من الفقه تعليمُ حسنِ اللفظ إذا تكلّمت بالفَوْق مُخْبِرًا عن الله سبحانه ألا تراه كيف قال: بحكم الله من فَوْقِ سَبْع سمٰواتٍ، ولم يقل: فوق على الظرف، فدلّ على أن الحكم نازلٌ من فَوْق، وهو حكم الله تعالى، وهذا نحو من قوله تعالى: ﴿يَخافُونَ رَبَّهم من فَوْقهم﴾ [النحل: ٥٠]، أي: يخافون عقابًا ينزل من فوقهم، وهو عقابُ رَبِّهم.

فإن قيل: أوليس بجائز أن يخبر عنه سبحانه أنه فوق سَبْع سمٰواتٍ؟ قلنا: ليس في هذه الآية، ولا في هذا الحديث دليل على إطلاق ذلك، فإن جاز فبدليلٍ آخر، وكذلك قول زينب: زَوَّجَنِي الله من نَبِيِّه من فوق سَبْعِ سمٰواتٍ، وإنما معناه: أن تزويجه إيَّاها نزل من فوق سَبْع سمٰواتٍ ولا يبعد في الشرع وصفُه سبحانه بالفوق على المعنى الذي يليق بجلالِه، لا على المعنى الذي يَسْبِق للوَهْم من التَّحْدِيدِ، ولكن لا يُتَلَقّى إطلاقُ ذلك الوصْف مما تقدّم من الآية والحديثين لارتباط حرف الجر بالفعل، حتى صار وَصْفًا له لا وصْفًا للباري سبحانه، وقد أملينا في حديث الأمَةِ التي قال لها: أين الله؟ قالت: في السماء مسألةً بديعةً شافية رافعة لكل لَبْسٍ، والحمد لله.

كيسة

فصل: وذكر حَبْسَ بني قُرَيْظَة في دار بِنتِ الحَدَثِ، كذا وقع في هذا الكتاب،

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/١/٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/٨٢) (٨/٧٢) ومسلم في الجهاد (٦٤/٦٦).

الحارث، امرأة من بني النَّجّار، ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخَندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضَرب أعناقهم في تلك الخنادق، يُخرَج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدوّ الله حُيَيّ بن أَخْطب، وكَعْب بن أسد، رأس القوم، وهم ستّ مائة أو سبع مائة، والمُكثِّر لهم يقول: كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة. وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كَعْب، ما تراه يُصنع بنا؟ قال: أفي كلّ موطن لا تَعْقِلون؟ ألا ترون الداعي لا يَنْزِع، وأنه من ذُهب به منكم لا يَرْجِع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسولُ الله ﷺ.

مقتل حُيَيّ بن أخطب:

وأُتِيَ بحُيَيّ بن أَخْطَبَ عدوّ الله، وعليه حُلَّة له فُقَّاحِيَّة ـ قال ابْن هشام: فُقَّاحِيَّة: ضرب من الوشى ـ قد شقّها عليه من كل ناحية قدر أُنْمُلَةٍ لئلا يُسْلَبها، مجموعةً يداه إلى عُنُقه بحبل. فلما نَظر إلى رسول الله ﷺ، قال: أما والله ما لُمت نفسي في عَدَاوتك،

والصحيح عندهم بنت الحارِث، واسمها: كَيْسَةُ بنت الحارثِ بن كُرَيْز بن حَبِيبِ بن عَبْدِ شَمْس، وكانت تحت مُسَيْلِمَةَ الكذّاب، ثم خلف عليها عبدُ الله بن عامر بن كُرَيْز، وكَيِّسة أُخْرَى مذكورة في النساء، وهي بنت عبد الحميد بن عامر بن كُرَيز، وكَيِّسَةُ بنت أبي بَكْرَةَ، رَوت عن أبيها عن النبيّ ـ ﷺ ـ أنه كان يَنهى عن الحِجَامَة يوم الثلاثاء أَشَدَّ النَّهي، ويقول: «فيه ساعَةٌ لا يَرْقأُ فيها الدَّمُ»[1]: وأما كَيْسَة بسكون الياء، فهي بنت أبي كَثِير تَرْوِي عن أُمِّها عن عائشة في الخمر: «لا طَيَّب الله مَنْ تَطَيَّب بها، ولا شُفِي من اسْتَشْفَى بها»، ذكره البخاري في الأشربة في بعض روايات الكتاب، ووقع اسمُها في السيرة من غير رواية ابن هشام: زَيْنَب بنت الحارث النَّجّارِيَّة، فالله أعلم. وأما كَيْسَةُ بنت الحارث، فهي التي أُنْزِل في دارها وفدُ بني حَنِيفة، وسيأتي ذكرها.

رفيـــدة:

وذكر رُفَيْدَةَ، وهي امرأة من أَسْلم الذي كان سَعْدٌ يُمرَّضُ في خيمتها لم يذكرها أبو عُمَر، وزادها أبو علي الغسّاني في كتاب أبي عُمَرَ، حدّثني بتلك الزوائد أبو بكر بن طاهر عنه، وحدّثني عنه أيضًا عن أبي عمر أنه قال لأبي علي: أَمَانة اللهِ في عُنُقِك، متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة، لم أذكره إلا ألحقتَه في كتابي الذي في الصحابة.

---

(١) «ضعيف». انظر الموضوعات لابن الجوزي (٣/ ٢١١).

ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخذَل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بَأس بأمر الله، كِتابٌ وقَدرٌ ومَلْحَمَة كَتَبها الله على بني إسرائيل، ثم جَلس فضُرِبتْ عنقه.

فقال جَبل بن جَوّال الثّعلبي:

لعَمْرُك ما لامَ ابنُ أخْطَبَ نَفْسَه ... ولكنَّه مَنْ يخْذُل الله يُخْذَلِ

لجاهَد حتى أبلع النَّفس عُذْرَها ... وقَلْقَل يَبْغي العزّ كلَّ مُقَلْقَل

المرأة القتيل من بني قريظة

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عروة بن الزُّبير، عن عائشة أُمّ المؤمنين أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تَحدَّث معي، وتَضحك ظَهْرًا وبَطْنًا، ورسولُ الله ﷺ يقتل رجالها في السُّوق، إذ هَتف هاتفٌ باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك، ما لك؟ قالت: أُقتَل، قلت: ولم؟ قالت: لحدثٍ أحدثته، قالت: فانطلق بها، فضُربت عنقها، فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عَجَبًا منها، طيبَ نفسها، وكثرة ضَحكها، وقد عرفَتْ أنها تُقتل.

غزوة الخندق:

فصل: وذكر في غَزْوَة الخَنْدَقِ ثَعْلَبة بن سَعْيَةَ، وأَسَدَ بن سَعْية، وأُسِيد بن سَعْيَةَ وهم من بني هدل، وقد تكلّمنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب على سَعْيَة وسُعْنَةَ بالنون، وذكرنا الاختلاف في أسيد وأُسَيْد، وذكرنا خبرًا عجيبًا لزَيْد بن سَعْيَة بالياء، ومن قال من النّسّابين هَدْل بسكون الدال في بني هَدْل، فأغنى ذلك عن إعادته.

قتل المرتدّة

وأما حديث المرأة المقتولة من بني قُرَيْظَة، ففيها دليل لمن قال بقتل المُرْتَدَّةِ من النساء، أخذًا بعموم قوله عليه السلام: «مَنْ بَدَّل دينه، فاضْرِبُوا عُنُقَهُ»[1]. وفي هذا الحديث مع العُمُوم قوّة أخرى، وهو تعليق الحكم بالعلّة، وهو التبديل والرِّدَّة، ولا حُجَّةَ مع هذا لِمَنْ زعم من أهل العراق بأن لا تُقتَل المرأةُ لنَهيْه عليه السلام عن قَتْلِ النساء والوِلْدَان، وللاحْتِجَاج للفريقين، وما نزل به كلُّ واحد منهم موطنٌ غير هذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٧٥) والترمذي (١٤٥٨) وأبو داود والنسائي (٧/ ١٠٤) وابن ماجة (٢٥٣٥) وأحمد (١/ ٢١٧).

قال ابن هشام: وهي التي طرحت الرَّحا على خلاَّد بن سُويد، فقتلته.

شـأن الزبير بن بـاطـا

قال ابن إسحٰق: وقد كـان ثابت بن قَيس بن الشَّمَّاس، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزُهْرِي، أتي الزَّبير بن بَاطَا القُرظيّ؛ وكان يُكَنَّى أبا عبد الرحمٰن وكان الزبير قد مَنَّ على ثابت بن قَيس بن شمَّاس في الجاهلية. ذكر لي بعضُ ولد الزَّبير أنه كان منّ عليه يوم بُعاث، أخذه فجزّ ناصيتَه، ثم خلّى سبيله ـ فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمٰن، هل تعرفني؟ قال: وهل يَجْهل مثلي مثلَك، قال: إني قد أردت أن أجْزيك بيدك عِندي، قال: إن الكريم يَجْزي الكريم، ثم أتى ثابتُ ابن قيس رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنه قد كانت للزَّبير عليَّ منَّة، وقد أحببت أن أجْزيه بها، فهبْ لي دَمه، فقال رسولُ الله ﷺ: «هو لك»، فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمَك، فهو لك، قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ قال: فأتى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله، هَبْ لي امرأته وولَده، قال: «هُمْ لك». قال: فأتاه فقال: قد وهب لي رسولُ الله ﷺ أهلَك وولدك، فهم لك، قال: أهلُ بيتٍ بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، مالَه، قال: هو لك. فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسولُ الله ﷺ مالَك، فهو لك، قال: أيْ ثابت، ما فعل الذي كأن وجْهه مرآة صِينيَّة يتراءى فيها عَذَارى الحيّ، كعبُ بن أسد؟ قال: قُتل، قال: فما فعل سيِّد الحاضر والبادي حُيَيّ بن أخْطَب؟ قال: قُتل، قال: فما فعل مُقدمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا فررنا، عَزَّال بن سَمَوأل؟ قال: قُتل، قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قُريظة وبني عَمْرو بن قريظة؟ قال: ذهبوا قُتلوا. قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألْحقْتَنِي بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله قَتْلَة دَلْوٍ ناضِحٍ حتى ألقى الأحبَّة. فقدّمه ثابت، فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بكر الصدّيق قوله: «ألقى الأحبَّة». قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالدًا مخلّدًا.

الزبيـر بـن باطا

فصل: وذكر حديثَ ثابت بن قيس مع الزَّبِير بن باطا، وهو الزَّبِيرُ بفتح الزاي وكَسْرِ الباء جَدُّ الزُّبَيْر بن عبد الرحمٰن المذكور في المُوَطَّأ في كتاب النكاح، واختلف في الزبير بن عبد الرحمٰن، فقيل: الزَّبِيرُ بفتح الزاي وكسر الباء كاسم جده، وقيل: الزُّبَيْر، وهو قول البُخَارِي في التاريخ.

قال ابن هشام: قَبْلَةَ دلو ناضح. وقال زهير بن أبي سُلمى في «قَبْلَةٍ»:

وقـابِـلٍ يَـتَـغَـنّـى كُـلَّـمـا قَـدَرَتْ   عـلـى الـعَـرَاقـي يَـداه قـائـمًـا دَفَـقـا

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: ويُروى: وقابِلٍ يَتَلقّى، يعني قابل الدلو يتناول.

عطيـة القرظـي ورفاعـة

قال ابن إسحٰق: وكان رسولُ الله ﷺ قد أمر بقَتْل كلْ من أَنْبَتَ منهم.

قال ابن إسحٰق: وحدَّثني شُعبة بن الحجَّاج، عن عبد الملك بن عُمير، عن عطية القرظي، قال: كان رسولُ الله ﷺ قد أمر أن يُقتل من بني قُريظة كلّ من أنبت منهم، وكنت غلامًا، فوَجدني لم أُنبت فخَلَّوا سبيلي.

وذكـر فيه قـول الزَّبير:

فـمـا أنـا بـصـابـر لله فَـتْـلَـةَ دلْـوِ نـاضِـح

وقال ابن هشام: إنما هو قَبْلَةَ دَلْوِ بالقاف والباء، وقابلُ الدَّلْوِ هو الذي يأخذها من المُسْتَقَى.

وذكر أبو عُبَيْدٍ الحديثَ في الأقوال على غير ما قالاه جميعًا، فقال: قال الزَّبِيرُ: يا ثابتُ أَلْحِقْنِي بهم، فلست صابرًا عنهم إفْراغَةَ دَلْوٍ.

الإنبات أصل في معرفة البلوغ

وذكر حديث عَطِية القُرَظِيّ، وهو جدُّ مُحمد بن كَعْب القرطي، وذكر أنه لم يكن أَنْبَتَ فَتَرِكَ، ففي هذا أن الإنبَاتَ أَصْلٌ في معرفة البُلوغ إذا جُهلَ الاحْتِلامُ، ولم تُعْرَفْ سِنُوُهُ.

حـلّـة حُيـيّ:

وذكر حُيَـيّ بن أَخْطَبَ حين قُدِّم إلى القتل، وعليه حُلَّةٌ فُقَّاحِيَّة. الحلّة: إزارٌ ورِدَاءٌ، وأصل تسميتها بهذا إذا كان الثوبان جديدين، كما حُلَّ طيُّهُما، فقيل له: حُلَّة لهذا، ثم استمرّ عليه الاسمُ، قاله الخطابي.

وقوله: فُقَّاحِيَّة نُسِبت إلى الفُقَّاحِ، وهو الزَّهْرُ إذا انْشَقَّت أكِمَّتُهُ، وانْضَرَجَتْ بَرَاعِيمُه، وتَفَتَّقَتْ أَخْفِيَتُه، فيقال له حينئذ: فَقَّح وهو فُقَّاحٌ. والقَنَابِعُ أيضًا في معنى البَرَاعِيم، واحدها: قُنْبُعَةٌ، وأما الفِقَاعُ بالعين فهو الفُطْرُ، ويقال له أيضًا: آذانُ الكَمْأَة من كتاب النبات.

قال: وحدّثني أيوب بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبي صَعْصعة أخو بني عديّ بن النجّار: أن سَلْمى بنت قيس، أُم المُنذر، أختَ سليط ابن أخت سليط بن قيس ـ وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، قد صلَّت معه القبلتين، وبايعته بيعةَ النِّساء ـ سألته رفاعةَ بن سَمَوأل القُرظي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذَ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت: يا نبيّ الله، بأبي أنت وأمي، هَبْ لي رِفاعة، فإنه قد زعم أنه سيصلّي ويأكل لحم الجمل، قال: فوهبه لها فاستَحْيته.

الرسول ﷺ يقسم فيء بني قريظة:

قال ابن إسحٰق: ثم إن رسولَ الله ﷺ قسّم أموال بني قريظة ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين، واعلم في ذلك اليوم سُهْمان الخيل وسُهْمان الرجال، وأخرج منها الخُمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سَهمان ولفارسه سهم، وللراجل، من ليس له فرس، سهم. وكانت الخيل يوم بني قُريظة ستة وثلاثين فرسًا، وكان أوّل فَيْءٍ وقعت فيه السُّهمان، وأُخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضَى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنَّة في المغازي.

ويروى أيضًا: حُلَّة شُقَحِيَّةٌ وهو سنح البُسْرِ إذا تلوّن. قاله الخطابي.

ولــكــنــه مَــنْ يَــخْــذُلِ اللهَ يُــخْــذَلِ

بنصب الهاء من اسم الله، ويُصَحِّح هذه الرواية أن في الخبر قول النبيّ ﷺ: ألم يُمَكِّن الله منك؟ فقال: بَلَى، ولقد قَلْقَلْتُ كُلَّ مُقَلْقَل، ولكن من يَخْذُلْكَ يُخذَل، فقوله: يَخْذُلْك كقول الآخر في البيت:

ولــكــنــه مــن يَــخْــذُل الله يُــخْــذَلِ

لأنه إنما نَظَم في البيت كلام حُيَيٍّ.

سلمى بنت أيوب:

وذكر حديثه عن أَيُّوبِ بن عبدِ الرَّحمٰن عن عبد الله بن أبي صَعْصَعَة، وألفيتُ في حاشية الشيخ، قال: وقع في تاريخ البُخَاري أن أيوبَ نفسَه هو المخبر أن سَلْمَى بنت قَيْس هي: سَلْمَى بنت أيُوبِ بن عبد الرحمٰن بن عبد الله وهو الصحيح والله أعلم.

سلمى بنت قيس:

وقوله: عن سَلْمَى بنتِ قيس، هي: سلمى بنتُ قيسِ بن عَمْرو بن عُبَيْدِ بن مالك بن عَمْرو بن عدِيٍّ بن عامر بن غَنْم بن عَدِيٍّ بن النَّجَّارِ.

ثم بعث رسولُ الله ﷺ سَعدَ بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قُريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحًا.

شأن ريحانة:

وكان رسولُ الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافة، إحدى نساء بني عمرو بن قُريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى تُوفِّيَ عنها وهي في مِلْكه، وقد كان رسولُ الله ﷺ عَرَض عليها أن يتزوّجها، ويَضْرب عليها الحجاب، فقالت يا رسول الله، بل تتركني في مِلْكك، فهو أخفّ عليّ وعليك، فتركها. وقد كانت حين سباها قد تعصّت بالإسلام، وأبت إلاّ اليهوديّة، فعزلها رسولُ الله ﷺ، ووَجد في نفسه لذلك من أمرها. فبينا هو مع أصحابه، إذ سمع وقْع نَعلين خَلْفه، فقال: إن هذا لثعلبة بن سَعْية يبشرني بإسلام رَيْحانة، فجاءه فقال يا رسول الله، قد أسْلمت ريحانة، فسرّه ذلك من أمرها.

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة

قال ابن إسحٰق: وأنزل الله تعالى في أمر الخَنْدق، وأمر بني قُريظة من القرآن، القِصّةَ في سورة الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البَلاء، ونِعْمته عليهم، وكِفايته إيّاهم فرّج ذلك عنهم، بعد مقالة مَن قال من أهل النفاق: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحًا وجُنُودًا لَمْ تَرَوْها وكانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

تفسير آيات قرآنية

وقوله تعالى: ﴿وبلغت القلوبُ الحناجر﴾ والقلبُ لا يَنْتَقِل من موضعِه، ولو انتقل إلى الحَنْجَرَة لمات صاحبُه، والله سبحانه لا يقول إلا الحقَّ، ففي هذا دليل على أن التكلمَ بالمجاز على جهة المبالغة فهو حَقٌّ إذا فَهِم المخاطَبُ عنك، وهذا كقوله تعالى: ﴿يريد أن يَنْقَضَّ فأقامَه﴾ [الكهف: ٧٧]، أي مثله كمثل مَنْ يريد أن يَفْعَلَ الفعلَ، ويهم به، فهو من مَجازِ التَّشبيهِ، وكذلك هؤلاء مَثَلُهم فيما بلغهم من الخوفِ والوَهَلِ وضيقِ الصَّدْر كمثل المُنْخَلِع قلبُه من مَوْضعه، وقيل: هو على حذف المضاف. تقديره: بلغ وَجِيفُ القلوبِ الحناجر[1] وأما قوله: ﴿إذ القلوبُ لَدَى الحنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨] فلا معنى لحمله على

---

(١) ويقول العلم الحديث: أن الإنسان إذا بلغ به الخوف بلغة فإن قلبه يتضخّم عن حجمه حتى يكاد يصل إلى حنجرة الخائف. فتأمل.

بَصِيرًا﴾. والجنود قريش وغَطفان وبنو قُريظة، وكانت الجنود التي أرسلَ الله عليهم مع الريح الملائكةَ. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ باللَّهِ الظنونا﴾. فالذين جاءُوهم من فوقهم بنو قُريظة، والذين جاءوهم من أسفلَ منهم قُريش وغَطفان. يقول الله (تبارك و) تعالى: ﴿هُنالِكَ ابتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلزَالاً شَديدًا وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللَّهُ ورَسُولُهُ إلاَّ غُرُورًا﴾ لقول مُعَتِّب بن قُشير إذ يقول ما قال: ﴿وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فارْجِعُوا وَيَسْتأْذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ لقول أوس بن قيظي وَمَنْ كان على رأيه من قومه ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها﴾: أي المدينة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأقطار: الجوانب، وواحدها: قطر، وهي الأقتار، وواحدها: قتر.

قال الفرزدق:

كم من غِنًى فَتح الإلهُ لهم به ... والخيلُ مُقْعية على الأقطارِ

ويُروى: «على الأقتار». وهذا البيت في قصيدة له.

المجاز، لأنه في صفة هول القيامة، والأمر فيه أشدُّ مما تَقَدَّم، لا سِيَّما وقد قال في أخرى: ﴿لا يَرتَدُّ إليهم طَرْفُهُمْ وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾ [إبراهيم: ٤٣]، أي: قد فارق القلبُ الفؤادَ، وبقي فارغًا هَوَاء، وفي هذا دليلٌ على أنَّ القلب غيرُ الفؤاد، كأن الفؤادَ هو غلافُ القلب، ويؤيده قول النبيّ ﷺ في أهل اليمن: «أَلْيَنُ قُلوبًا وأَرَقُّ أفئدةً»[1] مع قوله تعالى: ﴿فوَيْلٌ للقاسيةِ قلوبُهم﴾ [الزمر: ٢٢]. ولم يقل للقاسية أفئدتُهم، والقَسْوةُ ضِدُّ اللين، فتأمله[2].

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم وأحمد (٢/ ٤٨٠).

(٢) ويؤيد أيضًا الفرق بين القلب والفؤاد قوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أُم موسى فارغًا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها﴾ [القصص: ١٠] ففرق تعالى بين القلب والفؤاد في آية واحدة. ولبيان الفرق بينهما بإيجاز أقول: القلب هو هذه المضغة كلها التي إن صلحت صلح لها الجسد كله وإن فسدت ـ والعياذ بالله ـ فسد الجسد كله. أما الفؤاد فهو لُبه وخالصه ومن «فئد» إذا سَخُن واشتعل، فالقلب يتلقى الآيات المرئية والمسموعة والمقروءة فإذا اشتغل بها وتفاعل معها تولّد عن حرارة فيه فكان «فؤادًا». والله أعلى وأعلم ـ انظر أيضًا رسالة الفرق بين القلب والفؤاد للترمذي.

﴿ثم سُئلوا الفتنة﴾: أي الرجوع إلى الشرك ﴿لأَتَوْها وما تَلَبَّثُوا بِها إلاَّ يَسِيرًا وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأدْبارَ وكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً﴾ فهم بنو حارثة، وهم الذين همّوا أن يَفْشلوا يوم أُحُد مع بني سَلِمة حينَ همّتا بالفشل يوم أُحد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدًا، فذكر لهم الذين أعطوا من أنفسهم، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفرارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قليلاً قُلْ مَنْ ذَا الذِي يَعْصِمُكمْ مِنَ اللَّهِ إنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾: أي أهل النفاق ﴿والقائِلِينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ قَلِيلاً﴾: أي إلا دفعًا وتعذيرًا ﴿أَشِحةً عَلَيْكُمْ﴾: أي للضّغن الذي في أنفسهم ﴿فإِذَا جاءَ الخَوْفُ رأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كالذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾: أي إعظامًا له وَفرَقًا منه ﴿فإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: أي في القول بما لا تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حِسْبَة، فهم يهَابون الموتَ هَيْبَةَ من لا يرجون ما بعده.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: سلقوكم: بالغوا فيكم بالكلام، فأحرقوكم وآذَوْكم. تقول العرب: خطيب سَلاّق، وخطيب مِسْلَق ومُسْلاق. قال أعشَى بني قَيْس بن ثعلبة:

فيهم المجدُ والسَّماحةُ والنجـ ... ـدة فيهم والخاطب السلاّقُ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ قُريش وغطفان ﴿وإِنْ يَأْتِ الأحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أنهم بادُونَ فِي الأعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ ولَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إلاَّ قَلِيلاً﴾.

ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللَّهَ واليَوْمَ الآخِرَ﴾: أي لئلا يَرْغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكانٍ هُو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وَعدهُمُ الله من البلاء يختبرهم به، فقال: ﴿ولمّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زَادَهُمْ إلاَّ إيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾: أي صبرًا على البلاء وتسليمًا للقضاء، وتصديقًا للحقّ، لما

وقوله تعالى: ﴿قد يعلم الله المُعَوِّقين منكم﴾ [الأحزاب: ١٨] أي المُخَذِّلين لإخوانهم: فَيُعَوِّقُونَهُمْ بالتَّخْذِيلِ عن الطاعة، لقولهم: هَلُمَّ إلينا. تقول: عاقني الأمرُ عن كذا، وعَوَّقني فلانٌ عن كذا، أي: صرفني عنه.

كان الله تعالى وَعدهم ورسوله ﷺ. ثم قال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾: أي فرغ من عمله، ورجع إلى ربّه، كمن استشهد يوم بَدْر ويوم أُحُد.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: قضى نَحْبه: مات، والنحب: النفس، فيما أخبرني أبو عبيدة، وجمعه: نحوب، قال ذو الرمَّة:

عَشَيَّة فَرَّ الحارِثيُّونَ بَعْدَ ما قَضَى نحبه في مُلْتَقى الخَيل هَوْبَرُ

وهذا البيت في قصيدة له. وهَوْبر: من بني الحارث بن كَعْب، أراد: زيدَ بن هَوْبر. والنحب (أيضًا): النذر قال جَرير بن الخَطَفَى:

بِطِخْفَةَ جالَدْنا المُلوكَ وخَيْلُنا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يقول: على نَذْر كانت نَذَرت أن تَقْتله فقتلته، وهذا البيت في قصيدة له. وبسطام: بسطام بن قَيس بن مسعود الشَّيباني، وهو ابن ذي الجَدّين: حدّثني أبو عبيدة: أنه كان فارس ربيعة بن نزار. وطَخْفَة: موضع بطريق البصرة.

والنحب (أيضًا): الخِطار، وهو: الرهان. قال الفرزدق:

وإذ نَحَبَتْ كَلْبٌ على النَّاس أيُنا على النَّحْب أعطَى للجَزيل وأفضلُ

والنَّحب (أيضًا): البكاء. ومنه قولهم ينتحب. والنحب (أيضًا): الحاجة والهمَّة، تقول: ما لي عندهم نَحْب. قال مالك بن نُوَيرة اليَرْبوعي:

وما لِيَ نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غيرَ أنَّني تَلَمَّست ما تَبغي من الشُّدُن الشُّجْر

وقال نَهار بن تَوْسِعة، أحد بني تيم اللات بن ثَعْلبة بن عُكابة بنِ صعب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن هشام: هؤلاء موال بني حنيفة:

ونَجّى يوسفَ الثقفيَّ رَكَضٌ دِراكٌ بعد ما وَقَع اللِّواءُ

ولو أدرَكْنه لَقَضَينَ نَحْبًا به ولِكُلِّ مُخْطأَةٍ وقاء

والنَّحب (أيضًا): السير الخفيف المَرُّ.

....

قال ابن إسحٰق: ﴿وَمِنهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾: أي ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله تعالى: ﴿وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾: أي ما شكوا وما ترددوا في دينهم، وما استبدلوا به غيره. ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بغَيْظِهِمْ﴾: أي قريشًا وغطفان ﴿لَمْ يَنالُوا خَيْرًا وكَفَى اللَّهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ وكانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾: أي بني قُريظة ﴿من صَياصِيهِمْ﴾، والصياصي: الحصون والآطام التي كانوا فيها.

قال ابن هشام: قال سُحَيم عَبْد بني الحَسْحاس، وبنو الحسحاس من بني أسد بن خُزَيمة:

وأصبحت الثِّيران صَرْعى وأصبحت نساء تَميم يَبْتَدِرْنَ الصَّياصيا

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي (أيضًا): القرون. قال النابغة الجعدي:

وسادَةَ رَهْطِيَ حتى بَقِيـ ـتُ فرْدًا كصِيصَيةِ الأعْضَبِ

يقول: أصاب الموت سَادَة رهطي. وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو داود الإياديّ:

فَذَعَرْنا سُحْم الصَّياصي بأيدِيـ ـهِنّ نَضْحٌ من الكُحَيْل وقار

وذكر الصَّياصي وأنها الحُصُون، واستشهد بقول سُحَيم يصف سَيْلاً:

وأصبحت الثِّيرانُ صَرْعى، وأصبحت نساءُ تَمِيم يَبْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا

وألفيت في حاشية الشيخ أبي بحر رحمه الله على هذا البيت: الصياصي: قُرُون الثيران المذكورة فيه، لأماتوهم ابنُ هشام أنها الحُصُون والآطامُ، يقول: لما أهلك هذا السيلُ النيرانَ وغَرَّقها أصبحت نساءُ تميم يَبْتَدِرْنَ أخذَ قرونها، لِيَنْسِجنَ بها البُجُدَ، وهي: الأكْسِيَةُ، قال: هذا يعقوب عن الأصْمَعِيِّ. ويصحح هذا أنه لا حُصُونَ في بادية الأعراب قال المؤلّف: ويصحح هذا التفسير أيضًا رواية أحمدُ بن داوُد له، فإنه أنشده في كتاب النَّبات له، فقال فيه: يَلْتَقِطْنَ الصَّيَاصِيَا ولم يقل: يبتدرن، وأنشد:

فَذَعَرْنَا سُحْمَ الصَّيَاصِي بأَيْدِيـ ـهِنَّ نَضْحٌ من الكُحَيْلِ وقَارُ

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي أيضًا: الشوك الذي للنسّاجين، فيما أخبرني أبو عُبيدة. وأنشدني لدريد بن الصمّة الجُشَمي، جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن:

نَـظَـرْتُ إلـيـه والـرّمـاح تَـنُـوشُـه كوَقْع الصياصي في النَّسيج المُمَدَّدِ

وهذا البيت في قصيدة له. والصَّياصي (أيضًا): التي تكون في أرْجل الدّيكة ناتئة كأنها القرون الصّغار، والصياصي (أيضًا): الأصول. أخبرني أبو عُبيدة أن العَرب تقول: جَذَّ الله صيصيته: أي أصله.

قال ابن إسحاق: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: أي قتل الرجال، وسبي الذّراري والنساء، ﴿وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وأَمْوالَهُمْ وأَرْضًا لَمْ تَطَئُوها﴾: يعني خَيْبر ﴿وكانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

إكـرام سعـد في مـوتـه

قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بني قُريظة انفجَر بسعد بن مُعاذ جُرحه، فمات منه شهيدًا.

قال ابن إسحاق: حدّثني مُعاذ بن رفاعة الزُّرَقي، قال: حدّثني مَنْ شئت من رجال قومي: أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ حين قُبض سعد بن مُعاذ من جوف الليل معتجرًا بعمامة من استبرق، فقال: يا محمد، من هذا المَيّت الذي فُتحت له أبوابُ السماء، واهتزّ له العرش؟ قال: فقام رسولُ الله ﷺ سريعًا يجرّ ثَوبه إلى سَعد، فوجده قد مات.

الكُحَيْلِ: القَطِرَنُ، والقارُ: الزِّفْتُ، شَبَّه السوادَ الذي في أيديهن بنَضْح من ذلك الكُحَيْلِ والقارِ، يصف بَقر وَحْشٍ، وأنشد لِدُرَيدِ بن الصَّمَّة:

كَوَقْعِ الصَّيَاصِي في النَّسِيج المُمَدَّدِ

وحمله الأَصْمَعِيُّ على ما تقدّم في البيت قبل هذا من أنها القرون التي يُنْسَج بها، لا أنها شَوْكٌ كما قال ابن هشام.

اهـتزاز العـرش

وذكر اهتزازَ العرش، وقد تكلّم الناس في معناه، وظنُّوا أنه مُشْكِلٌ، وقال بعضهم: الاهتزازُ هاهُنا بمعنى الاسْتِبْشَارِ بقدوم رُوحِه، وقال بعضهم: يريد حَمَلة العَرْشِ ومن عنده

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن عَمْرة بنت عبد الرحمٰن قالت: أقبلت عائشة قافلة من مكّة، ومعها أُسيد بن حُضير، فلقيه موتُ امرأة له، فحَزِن عليها بعضَ الحُزن، فقالت له عائشة: يغفر الله لك يا أبا يحيىٰ، أتحزن على امرأة وقد أُصِبْت بابن عمك، وقد اهتزّ له العرش!

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتهم عن الحسن البَصْري، قال: كان سعد رجلاً بادِنًا، فلما حمله الناس وجَدوا له خفَّة، فقال رجالٌ من المنافقين: والله إن كان لبادنًا، وما حملنا من جنازة أخفَّ منه، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «إنّ له حَمَلَةً غيركم، والذي نفسي بيده، لقد اسْتبشرت الملائكة بروح سعد، واهتزّ له العرش»[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني مُعاذ بن رِفاعة، عن محمد بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن الجموح، عن جابر بن عبد الله، قال: لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ، سبَّح رسولُ الله ﷺ، فسبَّح الناس معه، ثم كبَّر فكبَّر الناس معه، فقالوا: يا رسول الله، ممّ سبَّحت؟ قال: «لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره، حتى فرَّجه الله عنه».

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قولُ عائشة: قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر لَضَمَّةً لو كان أحد منها ناجيًا لكان سعدُ بن مُعاذ».

قال ابن إسحٰق: ولسعد يقول رجل من الأنصار:

وما اهتزّ عرش الله من موت هالك ... سمِعْنا به إلاّ لسَعْدِ أبي عَمْرو

من الملائكة، استبعادًا منهم، لأن يَهْتَزَّ العرشُ على الحقيقة، ولا بُعْد فيه، لأنه مَخْلُوقٌ وتجوز عليه الحركة، والهَزَّةُ، ولا يُعْدَلُ عن ظاهر اللفظ، ما وُجد إليه سبيل، وحديثُ اهتزازِ العَرْشِ لموتِ سَعْدٍ صحيحٌ. قال أبو عُمَر: هو ثابت من طُرُقٍ متواترةٍ، وما رُوي من قول البَرَاء بن عازب في معناه: أنه سَرِيرُ سَعْدٍ اهْتَزَّ لم يلتفت إليه العُلَمَاءُ، وقالوا: كانت بين هذين الحَيَّيْنِ من الأنصار ضغائنُ. وفي لفظ الحديث: اهتزّ عرش الرحمٰن، رواه أبو الزُّبَيْر عن جابر يرفعه، ورواه البخاري من طريق الأعْمَشِ عن أبي صالح وأبي سُفيان كلاهما عن جابر، ورواه من الصحابة جماعةٌ غيرُ جابر، منهم أبو سعيد الخُدْرِيُّ، وأُسَيْد بن حُضَيْرٍ، ورُمَيْثَةُ بنت عمرو، ذكر ذلك التِّرْمِذِيُّ. والعجبُ لما رُوي عن مالك رحمه الله من إنكاره

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢/ ٦).

وقالت أُمُّ سعد، حين احتُمل نعشه وهي تبكيه ـ قال ابن هشام ـ وهي كُبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر، وهو خُدْرة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج:

وَيْـلُ أُمِّ سَـعْـدٍ سعـدًا ... صَـرَامـةً وحَـدا
وسُـودَدًا ومـجْـدًا ... وفـارسًـا مُـعَـدا
سُـدّ بـه مَـسَـدًّا ... يَـقُـدُّ هـامًـا قَـدا

يقول رسول الله ﷺ: «كلّ نائحة تَكْذب، إلا نائحةَ سعدِ بن مُعَاذٍ».

شهداء الغزوة:

قال ابن إسحٰق: ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخَندق إلا ستّة نفر.

ومن بني عبد الأشهل: سعدُ بن مُعاذ، وأنس بن أوس بن عَتيك بن عمرو، وعبد الله بن سهل. ثلاثة نفر.

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَلمة: الطُّفيل بن النعمان، وثَعلبة بن غَنمة. رجلان.

ومن بني النَّجار، ثم من بني دينار: كعْبُ بن زيد، أصابه سهم غَرْب، فقتله.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: سَهْمُ غَرْبٍ وسَهْمٌ غَرْبٌ، بإضافة وغير إضافة، وهو الذي لا يُعرف من أين جاء ولا من رَمى به.

قتلى المُشركين:

وقُتل من المشركين ثلاثة نفر.

من بني عبد الدّار بن قُصَيّ: مُنبِّه بن عثمان بن عُبَيد بن السبَّاق بن عبد الدّار، أصابه سهم، فمات منه بمكّة.

قال ابن هشام: هو عثمان بن أُميّة بن منبِّه بن عُبيد بن السبَّاق.

للحديث، وكراهيته للتحدُّث به مع صحّة نقله، وكثرة الرواة له، ولعلّ هذه الرواية لم تصحّ عن مالك والله أعلم.

قال ابن إسحٰق: ومن بني مَخزوم بن يَقَظة: نوْفل بن عبد الله بن المُغيرة، سألوا رسولَ الله ﷺ أن يَبيعهم جَسَده، وكان اقتحم الخندق، فتورَّط فيه، فقُتل، فغَلب المُسلمون على جَسَده. فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا في جَسده ولا بثَمنه، فخلَّى بينهم وبينه»[١].

قال ابن هشام: أعطَوْا رسولَ الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم، فيما بلغني عن الزُّهري.

قال ابن إسحٰق: ومن بني عامر بن لُؤَيّ، ثم من بني مالك بن حِسْل: عمرو بن عَبْد وُد، قتله عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه.

قال ابن هشام: وحدّثني الثقة أنه حدّث عن ابن شهاب الزهريّ أنه قال: قتل عليٌّ بن أبي طالب يومئذ عَمْرو بن عبد ودّ وابنه حِسْل بن عمرو.

قال ابن هشام: ويقال عمرو بن عبد وَد، ويقال: عمرو بن عَبْد.

شهداء المسلمين يوم بني قريظة:

قال ابن إسحٰق: واستشهد يوم بني قُريظة من المسلمين، ثم من بني الحارث بن الخزرج: خلّاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو، طُرحت عليه رحًى، فشَدَخَته شَدْخًا شديدًا، فزعموا أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن له لأجرَ شهيدين»[٢].

ومات أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثان، أخو بني أسد بن خُزيمة، ورسولُ الله ﷺ محاصر بني قُريظة، فدُفن في مَقْبرة بني قُريظة التي يَدْفنون فيها اليوم، وإليه دفَنوا أمواتهم في الإسلام.

البشارة بغزو قريش:

ولما انصرف أهلُ الخَنْدَق عن الخندق، قال رسولُ الله ﷺ فيما بلغني: «لن تَغْزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تَغزونهم»[٣]. فلم تغزهم قُريش بعد ذلك، وكان هو الذي يَغْزوها، حتى فتح الله عليه مكّة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٤١٩). (٢) انظر الطبقات (٣/ ٢/ ٨٢).
(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٤٥٨).

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

شعر ضرار

وقال ضِرار بن الخَطَّاب بن مِرْداس، أخو بني مُحارب بن فِهْر، في يوم الخندق:

ومُشْفِقة تَظُنّ بِنا الظنونا ... وقد قُدْنا عَرَنْدَسة[1] طَحُونا

كأنّ زُهاءها أُحُد إذا ما ... بَدَتْ أرْكانُه للنّاظِرينا

تَرَى الأبدانَ فيها مُسْبغاتٍ ... على الأبطال واليَلَبَ الحَصِينا

فصل في أشعار يوم الخندق

شعر ضرّار

ذكر فيها شِعْرَ ضِرَارِ بن الخَطَّابِ:

على الأبطال واليَلَبِ الحَصِينا

اليَلَبُ: التَرَسَةُ، وقيل: الدَّرَقُ، وقيل: بَيْضَاتٌ ودُرُوعٌ كانت تُتَّخَذُ من جُلود الإبلِ، ويشهد لهذا قولُ حَبيب:

هذه الأَسِنَّةُ والماذِيُّ[2] قد كَثُرا ... فلا الصَّيَاصِي لها قَدْر ولا اليَلَبُ

أي: لا حَاجَة بعد وُجود الدُّرُوعَ المادِيَّة إلى اليَلَبِ، وبعد الأسِنَّة إلى الصياصي، وهي: القُرُونُ، وكانت أسنَّتُهم منها في الجاهلية. قال الشاعر:

يُهَزْهِزُ صَعْدَةً جَرْدَاءَ فيها ... نَقِيعُ السُّمّ أو قَرْن مَحِيقُ

---

(١) عرندسة: حرب طاحنة.

(٢) الماذي: سلاح من حديد.

وجُـرْدًا كـالـقِـداح مُـسَـوَّمـات	نَـؤُمّ بـهـا الـغُـواة الـخـاطِـيـنـا
كـأنـهـمُ إذا صـالُـوا وصُـلْـنـا	بـبـاب الـخَـنْـدَقَـيْـن مُـصـافـحـونـا
أنـاسٌ لا نـرَى فـيـهـم رَشـيـدًا	وقـد قـالـوا ألَـسْـنـا راشـديـنـا
فـأحْـجَـرْنـاهُـم شَـهْـرًا كَـرِيْـتًا[1]	وكـنَّـا فـوتَـهـم كـالـقـاهـريـنـا
مُـزاوحُـهـم ونَـغْـدُو كـلّ يـوم	عـلـيـهـم في الـسلاح مُـدَجَّجـينا
بـأيْـديـنـا صَـوارِمُ مُـرْهَـفـاتٌ	نَـقُـد بـهـا الـمَـفـارق والـشـؤونـا
كـأنّ وَمـيـضَـهـنّ مُـعَـرَّيـات	إذا لاحـت بـأيْـدِي مـصـلّـتـيـنـا
وَميضُ عقيقةٍ[2] لـمَعتْ بلَيلٍ	تـرى فـيـهـا الـعَـقـائـق مـسْـتَـبـيـنـا
فـلَـوْلا خَـنْـدَق كـانـوا لَـدَيـه	لَـدَمَّـرْنـا عـلـيـهـم أجـمَـعـيـنـا
ولـكـن حـالَ دونَـهـمُ وَكـانُـوا	بـه مـنْ خَـوْفـنـا مـتَـعَـوّذيـنـا
فـإنْ نـرحـل فـإنَّـا قـد تـركْـنـا	لَـدَى أبْـيـاتـكـم سَـعْـدًا رَهـيـنـا
إذا جـنّ الـظـلام سـمعتَ نَـوْحَـى	عـلـى سَـعْـدٍ يُـرَجّـعْـن الـحَـنـيـنـا
وسـوفَ نَـزُوركـم عـمَّـا قـريـب	كـمـا زُرْنـاكُـمُ مُـتَـوازِريـنـا
بـجَـمْـعٍ مـن كـنـانـة غـيـر عُـزْلٍ	كـأُسْدِ الـغـابِ قـد حَـمَـتِ الـعَـريـنـا

كعب يرد على ضرار

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سلمة، فقال:

وسـائـلـةٍ تُـسـائـلُ مـا لَـقـيـنـا	ولـو شَـهـدتْ رَأَتْـنـا صـابـريـنـا
صَـبْـرنـا لا نـرَى لِـلّـهِ عَـدْلاً	عَـلـى مـا نَـابَـنـا مُـتَـوَكّـلِـيـنـا
وكـان لـنـا الـنـبـيّ وزيـرَ صَـدْقٍ	بـه نَـعْـلـو الـبَـرِيَّـة أجـمَـعِـيـنـا
نُـقـاتـل مَـعْـشـرًا ظـلَـمـوا وعَـقُّـوا	وكـانُـوا بـالـعـداوة مُـرْصِـديـنـا

شعر كعب

وذكر في شعر كعب:

فـكُـنْـتُـم تـحـتـهـا مُـتَـكَـمّـهـيـنـا

(1) كريتًا: شديدًا.	(2) عقيقة: سهم يُرمى به جهة السماء.

نُعاجِلهم إذا نَهضوا إلينا ... بضَرْب يُعْجِل المُتَسرِّعِينا
تَرانا في فَضَافِضَ[1] سابغاتٍ[2] ... كغُدْران المَلا مُتَسَرْبلينا
وفي أيمانِنا بيضٌ خِفافٌ ... بِها نَشْفِي مِرَاح[3] الشَّاغِبِينا
بباب الخَنْدَقين كأنّ أُسْدًا ... شَوابِكُهُنّ يَحْمِينَ العَرِينا
فوارِسنا إذا بَكَرُوا وراحُوا ... على الأعْدَاءِ شُوسًا[4] مُعلَمِينا
لننْصر أحمدًا والله حتى ... نكونَ عِبادَ صَدْقٍ مُخْلِصينا
ويعلم أهلُ مكّة حين ساروا ... وأحْزَابٌ أتَوْا مُتَحزّبِينا
بأنّ الله ليسَ لهُ شَرِيكٌ ... وأنَّ اللّهَ مَوْلَى المُؤْمِنِينا
فإمَّا تَقْتُلوا سَعْدًا سفاهًا ... فإنَّ الله خيرُ القادرينا
سيُدْخله جِنانًا طَيّباتٍ ... تكونُ مقامةً للصَّالحينا
كما قد رَدَّكُمْ فَلاًّ شَرِيدًا ... بغَيْظِكُمُ خَزَايا خائبِينا
خَزَايا لَمْ تَنالُوا ثَمَّ خَيْرًا ... وكِدْتُم أن تكُونوا دامِرِينا
بِرِيحٍ عاصِفٍ هَبّتْ عليكُمْ ... فكُنْتُمْ تَحتها مُتَكَمِّهينا

شعر ابن الزبعرى:

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى السَّهمي، في يوم الخندق:

حيّ الديارَ محا معارِفَ رَسْمِها ... طُولُ البِلى وتراوحُ الأحْقاب
فكأنما كَتب اليهودُ رُسومَها ... إلاّ الكَنيف ومَعْقِد الأطْناب
قَفْرًا كأنك لم تَكُنْ تَلْهو بها ... في نِعْمَةٍ بأوانسٍ أتْراب
فاتْرك تذكُّر ما مَضَى من عيشةٍ ... ومَحِلَّة خَلْق المَقام يَباب
واذْكُر بلاءَ معاشرَ واشكُرْهُم ... سارُوا بأجمَعهم مِن الأنْصاب

متفعلين من الكَمَهِ وهو العَمَى، والأظهر في الأكْمَهِ أنه الذي يولد أعمى، وقد قيل فيه: إنه الذي لا يُبْصر باللّيل شيئًا، ذكر هذا القول البخاري في التفسير.

---

(١) فضافض: دروع واسعة.
(٢) سابغات: رغيدة.
(٣) المراح: المكان الواسع.
(٤) شوسًا: رافعي الرأس.

أنصاب مكّة عامِدِين ليثرِبِ — في ذي غَياطِلَ[1] جَحْفل جَبْجاب[2]

يَدَع الحُزُونَ مناهِجًا معلومةً — في كُلّ نَشْرٍ ظاهر وشعاب

فيها الجِيادُ شُوازِبٌ[3] مَجْنوبةٌ — قُبُّ[4] البطون لَوَاحق الأقْرَاب

مِن كلّ سَلْهبةٍ[5] وأجْرَد سَلْهَب — كالسَّيِّدِ بادَرَ غَفْلة الرُّقاب

جَيْشٌ عُيَيْنَةُ قاصدٌ بلوائِه — فيه وصَخرٌ قائدُ الأحْزاب

قَرْمان[6] كالبَدْرَيْن أصبَح فيهما — غَيْث الفَقير ومَعْقِل الهُراب

حتى إذا وَردوا المدينة وارتَدَوْا — للمَوْت كلّ مُجَرَّب قَضّاب[7]

شهرًا وعشرًا قاهرين محمدًا — وصِحابُه في الحرْب خير صحَاب

نادوا برحْلتهم صَبيحة قُلْتُمُ — كِدْنا نكون بها مع الخُيّاب

لولا الخَنادِق غادروا من جَمْعهم — قَتْلى لطَيْرٍ سُغّب[8] وذِئاب

حسّان يردّ على ابن الزبعرى

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاري، فقال:

هل رَسم دارسةِ المقام يَبابِ — مُتكلِّم لمحاور بجَواب

قَفْر عَفا رِهَم[9] السَّحاب رُسومه — وهُبُوبُ كلّ مُطِلَّةٍ مِرْباب[10]

ولقد رأيت بها الحلول يزينُهم — بِيضُ الوُجوه ثواقب الأحساب

فَدع الدّيار وذِكْر كلّ خَرِيدة[11] — بَيضاءَ آنسةِ الحديث كَعاب[12]

من شعر حسّان حول أسماء الله

وفيه قوله:

وجُنُودِ رَبِّك سَيِّدِ الأرْباب

---

(١) غياطل: جمع غيطل، الليل شديد الظلمة.

(٢) جبجاب: كثير العدد.

(٣) شوازب: ضامرة ضعيفة.

(٤) قب: دقاق.

(٥) سلهب: فرس جسيم.

(٦) قرمان: سيد عظيم.

(٧) قضاب: شديد القطع.

(٨) سغب: جائعة.

(٩) رهم: مطر خفيف.

(١٠) مرباب: أرض ميّتة.

(١١) خريدة: حسناء.

(١٢) كعاب: ناهدة الثدي.

واشكُ الهُموم إلى الإلٰه وما ترى | من معشر ظَلَموا الرَّسول غضاب
ساروا بأجمعهم إليه وألَّبُوا | أهلَ القُرَى وَبَوادِيَ الأعْراب
جَيْش عُيَينة وابنُ حَرْب فيهمُ | مُتَخَمِّطُون[1] بحلبة الأحزاب
حتى إذا وردُوا المَدِينة وارتَجَوْا | قَتْلَى الرسول ومَغْنَم الأسلاب
وغَدَوْا عَلَيْنا قادرين بأيْدِهم | رُدُّوا بغَيْظِهِمُ على الأعْقاب
بهُبُوب مُعْصِفةٍ[2] تُفَرِّق جَمْعهم | وجُنُودِ رَبِّكَ سيِّدِ الأرْباب
فكَفى الإلٰهُ المُؤْمِنينَ قِتالَهُمْ | وأثابَهُم في الأجْرِ خيرَ ثَواب

فيه شاهد لمن زَعَم أن السَّيِّدَ من أسماء الله، وقد كره أكثر العلماءِ أن يقال في الدعاء: يا سَيِّدي، وأجازه بعضُهم، واحتجّ بحديثٍ ليس إسْنادُه بالقَوِيّ أن النبيّ - ﷺ - قال له رجل: يا سَيِّد، فقال: «السَّيِّد الله»[3].

وأما مذهبُ القاضي في مثل هذا من الأسْماءِ التي يُرَاد بها المدحُ والتعظيمُ فذِكرُ الله به جائز ما لم يَرِدْ نَهْيٌ عنه، أو تُجْمِعُ الأُمَّةُ على تَرْك الدعاء به، كما أجمعوا ألاَّ يُسَمَّى بفقيهٍ، ولا عاقل ولا سَخِيّ، وإن كان في ذلك مدح.

قال المؤلّف: والذي أقول في السيّد: إنه اسمٌ يُعْتَبَر بالإضافة، لأنه في أصل الوضْع بعضُ ما أضيف إليه. تقول: فلان سَيِّدُ قيسٍ، إذا كان واحدًا منهم، ولا يقال: في قَيْسٍ هو سَيِّدُ تميم، لأنه ليس واحدًا منهم، فكذلك لا يقال في الله تعالى: هو سَيِّد الناس، ولا سَيِّد الملائكة، وإنما يقال: رَبُّهم فإذا قلت: سَيِّد الأرباب، وسَيِّد الكُرَماء، جاز، لأن معناه أكرمُ الكرماءِ، وأعظم الأرباب، ثم يُشْتَقُّ له من اسم الرَّبِّ فيوصفُ بالرُّبُوبيَّة ولا يُوصَف بالسُّؤدَدِ، لأنه ليس له على الإطلاق، وقد جاء في شِعْرِ حَسَّانَ الذي يَرْثِي به رسولَ الله ﷺ:

يا ذا الجلالِ وذَا العلا والسُّؤدَدِ

يصف الربَّ، ولكن لا تقوم الحجةُ في إطلاق هذه الأسماء إلاّ أنْ يَسْمَعها الرسولُ عليه السلام فلا يُنْكِرها، كما سَمَع شِعْرَ كعب، فلم يُنْكِرْه، وإنما وصف على الوجه الذي قدّمناه، وعلى المعنى الذي بيّناه.

(١) خمطا: طابت ريحه. (٢) معصفة: ريح شديدة.
(٣) «صحيح». أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) بتحقيقي. وأحمد (٤/ ٢٤). وانظر للمحقق «القول الأسني في تفسير الأسماء الحسنى».

مِن بعد ما قَنطوا[1] ففرّق جمعهم		تَنزيلُ نَصر مليكنا الوهّاب
وأقرَّ عَيْن محمَّدٍ وصِحابِه		وأذلّ كُلَّ مُكَذّبٍ مُرْتاب
عاتِي الفُؤادِ مَوَقَّعٍ ذي رِيبةٍ		في الكُفر ليس بطاهرِ الأثواب
عَلِق الشَّقاءُ بقَلْبه، فَفُؤادُه		في الكُفر آخرُ هذه الأحقابِ

كعب يردّ على ابن الزبعرى

وأجابه كعْب بن مالك أيضًا، فقال:

أبقَى لنا حَدَثُ الحُرُوب بقيةً		من خَيْر نحْلة[2] رَبِّنا الوَهَّابِ
بَيْضاءَ مُشْرفة الذُّرى ومَعاطنًا[3]		حُمَّ الجُذوع غزيرَةَ الأخْلاب
كاللُّوب[4] يُبْذل جَمُّها وحَفِيلُها[5]		للْجارِ وابنِ العَمِّ والمُنْتاب

من شعر كعب

وقول كعب:

بَيْضاءَ مُشْرِفَة الذُّرَى ومَعَاطِنا

يعني: الآطامَ، وقوله: مَعَاطِنا يعني: منابِتَ النَّخْلِ عند الماءِ شَبَّهها بمعاطن الإبل، وهي: مَبَارِكُها عند الماء.

وقوله: حُمَّ الجُذُوعِ، وصَفَها بالحُمَّةِ، وهي: السَّواد، لأنها تضرب إلى السَّوَادِ، من الخُضْرة والنِّعْمة، وشَبَّه ما يُجْتَنَى منها بالحَلَبِ، فقال: غَزِيرَةُ الأخْلاَب.

وقوله: كاللُّوبِ، اللُّوبُ: جَمع لُوبةٍ، واللَّابُ جَمْع لاَبَةٍ وهي: الحَرَّة، يقال: ما بين لابَتَيْها مثل فلان، ولا يقال: ذلك في كُلِّ بلد، فقد قال شَبِيبُ بن شَبِيبَة لرجل نسبه إلى التصحيف في حديث السَّقْطِ: إنه يَظَلُّ مُحْبَنْطِئًا على باب الجنّة، فقال له: شَبيب: بالظّاء منقوطة، فقال الرجل: أخطأت، إنما هو بالطاء. قال الراجز:

إني إذا استنشدت لا أَحْبَنْطِي ولا		أُحِبُّ كَثْرَةَ التَّمَطِّي

---

(١) قنطوا: يئسوا.
(٢) نحلة: مذهب أو ديانة.
(٣) المعاطن: مبارك الإبل.
(٤) اللوب: العطاش.
(٥) حفيل: كثير.

ونَزائِعًا[1] مثل السِّراح نَمَى بها	عَلَفُ الشَّعير وجِزَّة لِلْقضاب[2]
عَرِي الشَّوَى منها وأرْدَفَ نَحْضَها[3]	جُرْدُ المُتون وسائر الآراب[4]
قُودًا[5] تَراح إلى الصِّياح إذ غَدَت	فعل الضِّراء تَرَاحُ للكُلَّاب
وَتحوط سائمَة[6] الدِّيار وتارةً	تُرْدى العَدا وتَثُوبُ بالأسْلاب
حُوشُ[7] الوُحوش مطارة[8] عند الوَغَى	عُبْس اللقاء مُبينة الإنجاب

فقال له شبيب: أَتُلَحِّنني وما بين لابَتَيْها أفصحُ مني، فقال له الرجل: وهذه لَحْنة أُخرى، أَوَ للْبَصْرَة لاَبَتان؟! إنما اللّابَتَان للمدينة والكُوفة.

وقوله: يُبذلُ جَمُّها وحَفِيلُها، أي: الكثير منها، والمُنْتابُ: الزائر مُفْتَعِلٌ من نَابَ يَنُوبُ إذا أَلَمَّ.

وقوله: ونَزَائِعًا مثل السِّرَاج، يعني: الخيل العربية، التي نُزِعَتْ من الأعداء.

وقوله: مثل السِّراج بالجيم، كذا وقع في الأصل، أي: كل واحد منها كالسِّراج، ووقع في الحاشية بالحاءِ، وفسّره فقال: جمع سِرْحَان، وهو الذِّئبُ، وهذا الجمع إنما جاز على تقدير حذف الزائدتين من الاسم وهي الألِفُ والنون، ولو جمعه على لفظه، لقال: سَرَاحين.

وقوله: وَجِزَّة المِقْضَابِ المِقْضابُ: مَزْرَعَةٌ، وجِزَّتُها ما يُجزُّ منها للخَيْل.

وقوله: عرى الشَّوَى منها، يعني: القوائم. والنَّحْضُ: اللحم. والآراب: المفاصِلُ، واحدهما إرْبٌ، وفي الحديث أُمِرْت أن أَسْجُد على سَبْعَةِ آراب.

وقوله: قودًا، أي: طوالَ الأعْناقِ، والضِّراءُ: الكلاب الضَّارِية، وفي الحديث: إن قَيْسًا ضِرَاءُ الله في الأرض، أي: أُسْده الضَّارِيَةُ، والكُلاّب: جمع كالب، وهو صاحِب الكلاب، الذي يصيد بها.

وقوله: عُبْسُ اللقاءِ: جمع عَبُوس.

---

(1) النزائع: الخيل والإبل.

(2) المقضاب: المنجل.

(3) النحض: اللحم الكثير.

(4) الآراب: الحاجات.

(5) قودًا: ممسكًا بقيادتها.

(6) السائمة: الدابة ترعى.

(7) حوش: ساق.

(8) مطارة: سريعة.

عُلِفت على دَعةٍ فصارتْ بُدَّنًا — دُخسَ[1] البَضِيع[2] خَفيفة الأقْصَابِ
يغْدُونَ بالزَّغفِ[3] المُضاعفِ شَكُّهُ — وبمُتْرَصاتٍ[4] في الثِّقافِ[5] صِياب
وصَوارِمٍ نَزَعَ الصَّيَاقِلُ[6] عَلْبهَا[7] — وبكُلِّ أزوع ماجِدِ الأنساب
يصِلُ اليمين بمارِنٍ[8] مُتقاربٍ — وُكِلَتْ وقِيعتُه إلى خَبَّاب[9]
وأغرّ أزْرق في القَناة كأنَّه — في طُخْيةِ[10] الظَّلْماء ضوْءُ شِهاب
وكَتيبةٍ يَنْفي القِرانَ قَتيرِها[11] — وتَرُدّ حَدَّ قَواحذ[12] النُّشَّاب
جَأْوى[13] مُلَمْلَمة كأنّ رماحها — في كُلّ مَجْمَعة ضَرِيمةُ[14] غاب
يأوي إلى ظِلّ اللِّواءِ كأنَّهُ — في صَعْدةِ الخَطّيّ فَيْءُ عُقاب
أعْيَت أبا كَرِبٍ وأعْيَتْ تُبَّعًا — وأبَتْ بَسالَتُها على الأعْراب

وقوله: دُخْسَ البَضِيع. البَضِعُ: اللَّحْمُ المستطيل، والدَّخيسُ من اللحم: الكثير.

وقولُه: خفيفة الأقْصاب، يعني: جمع قُصْبٍ وهو المِعَى ومنه سُمِّي الجزَّار قَصَّابًا، وقوله: يَغْدُون بالزَّغْفِ، أي: بالدروع.

وقوله: شَكُّه: حِلَقه ونَسْجه، وقوله:

وبمُتْرَصاتٍ في الثِّقافِ صِيَابِ

المُتْرَصاتُ: المُحْكَمةُ، يعني: الرماحَ المُثَقَّفَة.

وقوله: نَزَعَ الصَّيَاقِلُ عَلْبها، أي: جُسْأَتَها وخُشُونَةَ دَرْئِها، يقال: عَلِب اللحُم إذا لم يكن رَخْصًا، وعَلِبَ النَّبَات إذا جَسأَ.

وقوله: بمارِنٍ مُتَقَارِبٍ. المازِنُ: اللَّيِّنُ، ووقيعَتُه: صَقْلُه، وخَبَّابُ: اسم صَيْقَلٍ.

وقوله: وأغَرَّ أزْرَقَ، يعني: الرمحَ، وطُخْية الظلماءِ، أي: شدّتها، وطَخَاءُ القَلْب: ظُلْمَتُه، ومنه قوله عليه السلام في السَّفَرْجَلِ: «إنه يذهب بطَخَاءِ القَلْب».

---

(1) دخس: سمينة.
(2) البضيع: اللحم.
(3) الزغف: الدروع الواسعة.
(4) مترصات: الرمح المثقفة.
(5) الثقاف: الرماح.
(6) الصياقل: السيوف.
(7) غلبها: حدها.
(8) المارن: الرمح الصلب.
(9) خباب: الخب المخادع.
(10) طخية: شدة الظلام.
(11) القتير: رؤوس المسامير في الدرع.
(12) القواحذ: السهام الشديدة.
(13) جأوى: غليظة.
(14) ضريمة: عزيمة.

ومَـواعـظ مِـن ربِّـنـا نُـهْـدَى بِـهـا ... بـلِـسـان أزهَـرَ طَـيِّـب الأثْـواب
عُـرضـتْ عـلَـيْـنـا فـاشـتَـهَـيْـنـا ذِكْـرَهـا ... مـن بـعـدمـا عُـرضـتْ عـلـى الأحْـزاب
حِـكَـمًـا يـراهـا الـمُـجْـرِمـون بـزَعْـمِـهـم ... حَـرجًـا ويَـفْـهَـمـهـا ذَوو الألْـبـاب
جـاءت سَـخِـيـنـةُ كـي تُـغـالِـبَ ربَّـهـا ... فَـلَـيُـغْـلَـبَـنَّ مُـغـالِـبُ الـغَـلاّب

قال ابن هشام: حدّثني من أثق به، قال: حدّثني عبد الملك بن يَحيىٰ بن عبَّاد بن عبد الله بن الزّبير، قال: لما قال كَعْب بن مالك:

جـاءت سَـخِـيـنـة كـيْ تُـغـالِـب ربَّـهـا ... فَـلَـيُـغْـلَـبَـنَّ مُـغـالِـبُ الغَلاّب

قال له رسول الله ﷺ: «لقد شكرك الله يا كَعْب على قولك هذا».

قال ابن إسحٰق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

مَن سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ[1] بعضُه ... بعضًا كـمَـعْـمَـعَـة الأباء الـمُـحْـرَقِ

وقـول كـعـب:

جـاءت سَـخِـيـنَـةُ كـي تُـغـالِـبَ ربَّـهـا

كان هذا الاسمُ مما سُمِّيَتْ به قُرَيْشٌ قديمًا، ذكروا أن قُصَيًّا كان إذا ذُبحت ذبيحةٌ أو نُحِرَت نَحِيرةٌ بمكّة أتى بعَجُزِها، فصنع منه خَزيرَةً، وهو لحم يُطْبَخُ بِبُرٍّ فيُطْعَمه الناسَ، فسمّيت قُرَيْشٌ بها سَخِينَة. وقيل: إن العربَ كانوا إذا أسْنَتُوا أكَلُوا الْعِلْهِزَ، وهو الوَبَر والدَّم، وتأكل قريشٌ الخَزيرَة والفَتَّة[2] فنَفِسَتْ عليهم ذلك فلَقَّبُوهم: سَخِينَةً، ولم تكن قريش تَكْرَه هذا اللقبَ، ولو كرهته ما استجاز كعبٌ أن يذكره، ورسولُ الله ـ ﷺ ـ منهم، ولتركه أدبًا مع النبيّ عليه السلامُ، إذ كان قُرَشِيًّا، ولقد استنشد عبدُ الملك بن مَرْوَان ما قاله الهوازِنِيُّ في قريش:

يـا شَـدَّةً مـا شَـدَدْنَـا غَـيْـرَ كـاذبـةٍ ... عـلى سَخِينَة لولا الليلُ والحَرَم

فقال: ما زاد هذا على أن اسْتثنى، ولم يَكْره سماعَ التلقيب بِسَخِينَةٍ، فدلّ هذا على أن هذا اللقبَ لم يكن مكروهًا عندهم، ولا كان فيه تَغْييرٌ لهم بشيء يكْرَه.

شعر آخر لكعب:

وفي شعر كعب أيضًا:

مَـنْ سَـرَّه ضَـرْبٌ يُـمَـعْـمِـعْ بـعـضُـه

---

(١) يمعمع: يقاتل قتالاً شديداً.

(٢) الفتة: التمر الكثير.

فَلْيأْتِ مَأْسَدَةً تُسَنّ سُيوفُها بين المذاد[1] وبين جزع الخَنْدق
دَرِبوا بضَرْبِ المُغْلِمين وأسْلَموا مُهجات أنفُسِهِمْ لِرَبّ المَشْرِق
في عُصْبَةٍ نَصَرَ الإلهُ نَبِيَّه بِهِمُ وكانَ بعَبْدِهِ ذا مَرْفق
في كلّ سابِغَةٍ تَخُطُّ فضولُهَا كالنَّهي هَبَّتْ ريحهُ المُتَرَقْرق
بَيْضاء مُحْكمة كأنْ قَتِيرها حَدَق الجَنادِب[2] ذات شَكّ مُوثَق
جَدْلاء[3] يَحْفِزها نِجادُ مُهَنَّد صافِي الحَديدة صارم ذي رَوْنق

المَغْمَغَةُ: صَوْتُ النار فيما عَظُم وكَثُفَ من الشَّعْرَاء والقَصْبَاءِ ونحوِها، والكَلْحَبَةُ صوتُها فيما دَقَّ كالسِّرَاج ونحوه، والقَطْمَطَةُ: صوتُ الغَليان، وكذلك الغَرْغَرةُ والجَعْجَعَةُ صوت الرحى، والدَّرْدَبَةُ صوت الطبل.

وقوله: الأَباء، هو القصب واحدتها أباءَة، والهمزة الآخرة فيها بدل من ياء، قاله ابن جني، لأنه عنده من الأباية، كأن القصب يأبى على من أراده بِمَضْغٍ أو نحوه، ويشهد لما قاله ابنُ جني قولُ الشاعر [بشر بن أبي خازم]:

يراه الناسُ أَخْضَرَ من بعيد وتمنعه المرارةُ والإباءُ

وقوله: فليأت مَأْسَدَةً، هي: الأرض الكثيرة الأسد، وكذلك المَسْبَعَة الأرض الكثيرة السِّباع، ويجوز أن يكون مأسدة جمع أَسد كما قالوا: مَشْيَخَةَ ومَغْلَجَة، حكى سيبويه مَشْيَخة ومَشْيُوخاء، ومَغْلَجَة ومَغْلُوجاء، وألفيت أيضًا في النبات مَسْلُوماءِ لجماعة السَّلَم ومَشْيُوخَاء للشِّيح بالحاء، المهمَلة، الكثير.

وقوله: تَسُنُّ سُيوفَها، بنصب الفاء، وهو الأصح عند القاضي أبي الوليد، ووقع في الأصل عند أبي بحر: تُسَنُّ سيوفُها بالرفع، ومعنى الرواية الأولى: تَسُن أي: تَصْقِل، ومعنى الرواية الثانية أي: تُسَنُّ للأبطال، ولمن بعدها من الرجال سنَّةَ الجُرْأَةِ والإقْدَام.

وقوله في وصف الدِّرْع:

جَدْلاَءَ يَحْفِزها نِجَادُ مُهَنَّدِ

جدْلاَءَ: من الجَدْلِ، وهو: قُوَّةُ الفَتْلِ، ومنه الأجْدَلُ للصَّقْرِ، وفي هذا البيت دليلٌ على قوّة امتناع الصرف في أَجْدَل، وأنه من باب أَفْعلَ الذي مُؤنَّثه فَعْلاَء، ومَنْ صَرَفه شَبَّهه

---

(١) المذاذ: اسم موضع.
(٢) الجناذب: الجراد.
(٣) جِدلاء: محكمة.

تِلْكم مع التَّقْوى تكون لِباسَنا   يوم الهِياج وكلَّ ساعةِ مَصْدَق
نصِل السُّيوف إذا قَصُرن بخَطْونا   قُدُمًا ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَق
فَترى الجَماجِم ضاحِيًا هاماتُها   بَلْهَ[1] الأكُفَّ كأنَّها لم تُخْلق

بأرنَبْ وأَفْكَل، وهو أضعف الوجهين، وإن كانوا قد قالوا في جمعه: أجادل مثل أَرَانِب فقد قالوا أيضًا: الأجَارِع والأباطح في جمع أَجْرَع وأَبْطَح، ولكنهم لا يَصْرِفُونهما من حيث قالوا في المؤنّث: بَطْحَاء وجَرْعاء، وكذلك القول في أبْرق وبَرْقاء.

وقوله: يَحْفِزُها نِجَادُ مُهَنَّدِ[2]، كقول [أبي قيس] بن الأسْلَتِ في وصف الدِّرع:

أَحْفِزُها عَنِّي بذِي رَوْنَقٍ   أبيضَ مثلِ المَلِحِ قَطَّاع

وذلك أن الدِّرْعَ إذا طالت فُضولُها حَفَزُوها، أي: شَمَّرُوها فَرَبطُوها بِنِجاد السَّيْفِ.

وقوله:

تلكم مع التقوى تكون لباسنا

من أجود الكلام: وأملح الالتفاتات، لأنه قول انتزعه من قول الله تعالى: ﴿ولِبَاسُ التقوى ذلك خير﴾ [الأعراف: ٢٦]. وقال الشاعر:

إنّي كأنّي أرى مَنْ لا وَفاءَ له   ولا أمانةَ وَسْطَ القوم عُرْيَانَا

وموضع الإجادة والإحسان من قول كعب أنه جعل لباسَ الدِّرْعَ تبعًا للباس التَّقوَى، لأن حرف مَعَ تعطي في الكلام أن ما بعده هو المَتْبُوع، وليس بتابع، وقد احتجَّ الصِّدِّيقُ على الأنصار يوم السَّقِيفة بأن قال لهم: أنتم الذين آمنوا، ونحن الصادقون، وإنما أمركم الله أن تكونوا معنا فقال: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩]. والصادقون هم المهاجرون. قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَراء المُهَاجِرين﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هُمُ الصَّادِقون﴾ [الحشر: ٨].

حكم بله وما بعدها:

وقوله: بَلْهَ الأكُفّ، بخفض الأكُفّ هو الوجه، وقد رُوِي بالنصب، لأنه مفعول، أي: دع الأكُفّ، فهذا كما تقول: رُوَيْد زَيْدٍ، ورويد زَيْدَ بلا تنوين مع النصب، وبَلْه كلمةٌ بمعنى

---

(١) بله: تاركه.

(٢) المهنّد: السيد. وبارك الله في ولدنا «مهنّد». آمين.

نَلْقَى العدوّ بفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ تَنْفي الجُموع كقَصْد رَأسِ المَشْرِق

ونُعِد للأعداء كلَّ مُقَلَّص[1] وَرْدٍ ومَحْجولٍ[2] القوائمِ أبْلَق[3]

تَرْدِي بفُرْسانٍ كأنَّ كماتَهم عند الهِياج أُسود طَلّ مُلْثِق[4]

صُدُقٌ يُعاطون الكُماةَ حُتُوفَهم تحت العَماية بالوَشيج[5] المُزْهق[6]

أمَرَ الإلهُ بربطها لعَدُوّه في الحَرْب إنّ الله خَيْرُ مُوَفِّق

لتكونَ غَيْظًا وحَيِّطًا للدّارِ إنْ دَلَفَتْ[7] خُيُول النُّزَّق[8]

ويُعينُنا الله العزيزُ بقُوّة منه وصِدْق الصَّبْر ساعةَ نَلْتقي

ونُطيعُ أمرَ نَبِيِّنا ونُجيبه وإذا دَعا لكَرِيهةٍ لم نُسْبَق

ومتى يُناد إلى الشَّدائِدِ نَأْتِها ومتى نَرَ الحَوْماتِ[9] فيها نُعْنِق

دَعْ، وهي من المصادر المضافة إلى ما بعدها وهي عندي من لفظ البله والتَّباله، وهو من الغَفْلة، لأن من غَفَل عن الشيءِ تركه، ولم يَسْأَل عنه، وكذلك قوله: بَلْه الأكُفِّ، أي: لا تَسْأَل عن الأكُفّ إذا كانت الجماجمُ ضاحية مُقَطَّعَةً، وفي الحديث: يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أُذُنٌ سمعت بَلْه ما أَطْلَعْتُهم عليه»[10].

وقوله: بفَخْمةٍ مَلْمومَةٍ، أي: كَتِيبَةٍ مجموعة. وقوله: كَقَصْد رأسِ المَشْرق، الصحيح فيه: ما رواه ابن هشام عن أبي زيد: كرأس قدس المشرِق، لأن قُدْس جَبَلٌ معروفٌ من ناحية المشرق.

وقوله:

عند الهِياج أُسود طلٍّ مُلْثِق

الطَّلُّ معروف، واللَّثَقُ ما يكون عن الطَّلّ من زَلَقٍ وطِين، والأُسُدُ أجْوَع ما تكون وأجْرَأ في ذلك الحين.

---

(1) مقلص: فرس طويل القوام.
(2) محجول: في قوائمه بياض.
(3) أبلق: أسود فيه بياض.
(4) ملثق: كثير الندى.
(5) وشيج: رماح.
(6) المزهق: الذي يصيب الهدف.
(7) دلفت: دخلت أو تقدمت.
(8) النزق: الصعبة الانقياد.
(9) الحومات: مواضع القتال الشديدة.
(10) أخرجه البخاري (٨/٥١٢ ـ فتح) ومسلم في الجنّة (٢) والترمذي (٣١٩٧) وابن ماجة (٤٣٢٨) وأحمد (٢/٤٣٨) والبيهقي في الصفات (٢٠٨ ـ بتحقيقي).

مَنْ يَتَّبِع قولَ النَبيّ فإنَّه فينا مُطاع الأمْر حقّ مُصَدَّق
فبذاكَ يَنْصرنا ويُظْهر عِزّنا ويُصِيبنا من نَيْل ذلك بِمِرْفَق
إنّ الذين يُكَذّبون محمدًا كَفَروا وضَلوا عن سبيل المتَّقى

قال ابن هشام: أنشدني بيته:

تِلكم مع التَّقْوَى تكون لباسنا

وبيته:

من يتَّبع قول النبيّ

أبو زيد. وأنشدني:

تَنفِي الجموعَ كرأس قُدْس المشرق

قال ابن إسحٰق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

لقَدْ عَلِمَ الأحْزابُ حِينَ تَألَّبوا علَيْنا وراموا دِيننا ما نُوادِعُ
أضامِيم[1] من قَيْس بن عَيْلان أصْفقت وخِنْدف لم يَدْرُوا بما هو وَاقِع

قصيدة كعب العينية:

وقوله في العَيْنِيَّةِ:

أضامِيمُ من قَيسٍ بن عَيْلان أصْفَقَتْ

واحد الأضامِيم: إضْمَامَة، وهو كل شيء مجتمع يُقَال: إضْمَامَةٌ من الناس وإضْمَامَة من كُتُبٍ.

قيس عيلان وقيس كبة:

وقوله: من قَيْسٍ بن عَيْلان، هو المشهور عند أهل النسب، وبعضهم يقول: إن قَيْسًا هو عَيْلاَنُ لا ابنُه، قال: وعرِف قَيْسُ بن عَيْلاَن بفَرَسٍ، كان له يسمى: عَيْلاَنًا، كما عُرِف قَيْسُ كُبَّةَ من بَجِيلَةَ بفَرَسٍ اسمه: كُبَّة، وكان هو وقيسُ عَيْلانُ مُتَجَاوِرَيْنِ، فكان إذا ذُكر أحدهما وقيل: أي القيسين هو، قيل: قيس عيلان أو قيس كُبَّة، وقيل: إن عَيْلاَنَ اسمُ كلبٍ، كان له، وقيل: عَيْلان اسمُ جَبَلٍ وُلِد عنده، وقيل: اسمُ غلام لِمُضَر كان حَضَنَه،

---

(١) أضاميم: جماعة.

يَذُودونَنا عن دينِنا ونَذُودهم عَنِ الكُفْر والرَّحمٰن راءٍ وسامع
إذا غايَظونا[1] في مقامٍ أعانَنا على غَيْظِهم نَصْرٌ من الله واسعُ
وذلك حِفْظ الله فِينا وفَضْله علَيْنا ومن لم يَحْفَظِ الله ضائع
هَدَانا لدين الحَقّ واختاره لَنا ولله فوقَ الصَّانِعِين صَنائع

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

ألا أبْلِغْ قُرَيْشًا أنّ سَلْعًا وما بين العُرَيض إلى الصمّادِ
نَواضِحُ في الحُروبِ مُدَرَّباتٌ وخُوصٍ ثُقِّبت مِن عَهْدِ عاد
رَوَاكِد يَزْخَرُ المُرَّار فيها فَلَيْسَتْ بالجِمامِ ولا الثَّماد

وقيل: كان جوادًا أَتْلَفَ مالَه فأدركه عَيْلَةٌ فسُمِّي عَيْلاَن، ومما يُحْتَجُّ به للقولِ الآخرِ قولُ رُؤْبة[2]:

وقَيْسَ عَيْلاَنَ ومن تَقَيَّسَا

شعر كعب في الخندق:

وقوله في الدالية:

وما بَيْنَ العُرَيْضِ إلى الصِّمادِ

العُرَيْضُ: موضع، والصِّمادُ: جمع صَمْدٍ، وهو ما غلظ من الأرض.

وقوله: نَواضِحُ في الحُروبِ. يعني: حدائق نَخْلٍ تُسْقَى بالنَّضح، وأراد بالخوصِ آبارًا، وإنما جعل البئر خَوصًا لأن العَيْنَ الخَوصاءَ هي الغائرة، وجمعها خُوصٌ. فعيونُ الماء في الآبار كذلك غائرة.

وأنشد أبو عُبَيْد في وصف الإبل:

مُحَبَّسةً بُزْلاً كأن عُيونَها عيونُ الرَّكايا أَنْكَزَتها المَواتِحُ

وقوله: يَزْخَر المُرَّارُ فيها. المُرَّارُ: اسم نهر.

---

(١) غايظونا: أغضبونا.

(٢) وقيل: هو للعجاج.

كـأنّ الـغـابَ والـبَـرْدِيَّ فـيـهـا أَجَشّ إذا تَـبـقّـع لـلـحَـصـاد
ولم نَجعل تجارتَنا اشْتراء الحَمـ ـيـــر لأرض دَوْسٍ أو مُـــراد
بـلادٌ لـم تُـثَـر إلا لـكَـيْـمـا نُـجالـد إنْ بـشِـطـم لـلـجِـلاد
أثـــر سِـكّـة الأنـبـاطِ فـيـهـا فـلـم تَـر مـثْـلَـهـا جَـلَـهـاتِ وَاد

وقـولـه:

كـأن الـغـابَ والـبَـرْدِيَّ فـيـهـا أَجَـشُ إذا تَـبَـقّـع لـلـحَـصَـادِ

يريد: صوتَ حَفِيفِ الريح، كصوت الأَجَشّ، وهو الأبحُ، وقد يوصف النباتُ أيضًا بالغُنَّةِ من أجل حَفِيفِ الريح فيه، فيقال: رَوْضَةٌ غَنَّاء، وقد قيل: إنما ذلك من أجل صوت الذُّبَابِ الذي يكون فيه، قاله أبو حنيفة.

وقوله: تَبَقَّع للحصاد، أي: صارت فيه بُقَعٌ بِيضٌ من اليَبْسِ، يقال للزرع إذا صار كذلك: أزْقَاطٌ، واسْحَامَّ واسْحَارَّ، وإذا أخذ السُّبَلُ الحَبَّ قيل: ألحم وأسْفَى من السَّفَى، وأَشَعَّ من الشُّعاع بفتح الشين وكسرها، وهو السَّفَي، ويقال: أسْبَل الزَّرع من السَّبَل، كما يقال: بَعيرٌ حَظِلٌ وأحظلَ المكانُ من الحَنْظَل، وهي لغة أهلِ الحجازِ، وبنو تميم يقولون: سَبَل، وأما هَمْدانُ فيسمّون السُّنْبُلَ سُبُولاً، والواحدة سَبُولَة فقياس لغتهم أن يقال: أَسْبَلَ، وإنما فَخرَت الأنصارُ في هذا الشعر والذي قبله بنَخْلِها وآطامِها، إشارةً إلى عِزِّها ومَنَعَتِها، وأنها لم تُغْلَب على بِلادها على قديم الدهر، كما أُجْلِيتْ أكثرُ الأعاريبِ عن مَحالها، وأزعجها الخوفُ عن مواطنها، وهذا المعنى أراد حسَّان في قوله:

أَوْلاَدُ جَـفْـنَـةَ حـول قـبـر أبـيـهـم قـبر ابـن مـاريـةَ الـكـريـم الـمُـفْـضِـل

لأن إقامتهم حول قبور آبائهم وأجدادهم دليلٌ على مَنَعَتِهِمْ، وألاَّ مُغالِبَ لهم عَلى ما تخيروه من بقاع الأَرْضِ، وآثروه عند ارتيادهم.

وقـولـه:

أثَـرنَـا سِـكّـة الأنـبـاطِ فـيـهـا

السِّكة: النخل المصطفُ، أي: حَرَثْنَاهَا وَغرسْنَاها، كما تفعل الأنْبَاطُ في أمصارها لا تخاف عليها كَيْدَ كائدٍ، وإيّاها أراد النبيُّ ﷺ بقوله: «خير المال سِكَّةٌ مَأبُورَةٌ». والسِّكَّة أيضًا: السِّنَّةُ، وهي الحديدة التي يَشُقُّ بها الفَدَّانُ الأرضَ، ويقال لها أيضًا: المَانُ، وهو تفسير الأَصْمَعِيّ، وفسّره أبو عُبَيْدٍ على المعنى الآخر، وأنها النَّخْلُ، ويقال أيضًا: أُبِيثَتْ الأرضُ في معنى أُثِيرت، قاله أبو حنيفة، ويروى في الحماسة:

هَـلُـمّ إلـيـهـا قـد أُبِـيـثَـتْ زرُوعـهـا

قَصَرْنا كُلَّ ذي حُضر وطُول		على الغايات مُقْتَدر جواد
أجيبُونا إلى ما نَجْتَدِيكم		من القول المُبَيَّن والسَّداد
وإلا فاصبِرُوا لِجِلاد يَوْمٍ		لكم مِنَّا إلى شَطْر المَداد
نصَبِّحكم بكلّ أخي حُروب		وكلّ مُطَهَّم سَلِس القِياد
وكلّ طِمِرَّة خَفِقٌ حشاها		تَدِفّ دفِيفَ صَفْراءِ الجَراد
وكلّ مُقَلّص الآراب نَهْدٍ		تميم الخَلْق من أُخْرِ وهادي
خُيول لا تُضاعُ إذا أُضِيعتْ		خيولُ النّاس في السَّنة الجَماد
يُنازِعن الأعِنَّة مُصْغِيات		إذا نادَى إلى الفَزَع المُنادي
إذا قالَت لنا النُّذُر استعدُّوا		تَوَكّلْنا على رَبّ العِباد
وقُلْنا لَنْ يُفَرّج ما لَقِينا		سوى ضَرْب القَوانِس والجِهاد
فلم تَر عُصبةً فيمن لَقِينا		مِنَ الأقْوَامِ مِنْ قارٍ وبادِي
أشَدَّ بسالةً منَّا إذا ما		أرَدناه وألْيَنَ في الوِداد
إذا ما نَحْنُ أشْرَجْنا عليها		جِياد الجُدْل في الأُرُب الشِّداد
قَذَفْنا في السَّوابِغِ كلّ صَقْرٍ		كريمٍ غير مُغْتَلِثِ الزِّنادِ

أي: أُثِيرَتْ وفي الغريب المصنف:

وحَقُّ بني شِغَارةَ أنْ يَقُولوا		لِصَخْر الغَيِّ ماذا تَسْتَبِيث

وغَلَطَ أبو عُبَيْد [القاسِمُ بن سَلاّم] فجعل تَسْتَبِيثُ من نَبيثَة البِئْر، وهو ترابها، ولو كان كذلك لقال: تَسْتَنْبِيث بنون قبل الباء.

وقوله: جَلْهَاتِ واد.

الجَلْهَاتُ من الوادي ما كشفت عنه السُّيولُ الشَّعْراء فأبرزته، وهو من الجَلَهِ وهو انْحِسارُ الشَّعرِ عن مُقدّم الرأس.

وقوله: صَفْرَاء الجَرَادِ، وهي: الخَيْفَانَةُ منها، وهي التي أَلْقَتْ سُرُأَها، أي: بَيْضها، وهي: أخَفُّ طَيَرانًا، والكُتفان من الجراد أكبرُ من الخَيْفانِ، وأوّل أمر الجراد دُودٌ، ويقال له: الغمص يلقيه بحرُ اليَمَن، وله علامَةٌ قبل خروجه، وهو بَرْق يلمع من ذلك البَحْر سَبْعَ عَشْرَةَ مرَّةً، فيعلمون بخروج الجَرَادِ، قاله أبو حَنيفة.

وقوله: غير مُغْتَلِثِ الزِّنَادِ.

أشَــمّ كــأنــه أســدٌ عَــبُــوس   غَــداةَ بـدا بـبـطْـنِ الـجـزع غـادي
يُـغَـشّـى هـامَـةَ الـبَـطـل الـمُـذَكّـى   صَـبِيَّ السَّـيْـف مُسْتَرْخي النِّـجاد
لِـنُـظْـهِـر ديـنَـك الـلَّـهـمّ إنَّـا   بِـكَـفِّـكَ فـاهْـدِنـا سُـبُـل الـرَّشـاد

قـال ابـن هـشـام بيتـه:

قَـصَـرْنـا كـلّ ذي حـضـر وطَـوْل

والبيت الذي يتلوه، والبيت الثالث منه، والبيت الرابع منه، وبيته:

أشَــمّ كــأنَّــه أســد عَــبــوس

والبيت الذي يتلوه، عن أبي زيد الأنصاريّ.

مسافع يبكي عمرًا في شعره:

قال ابن إسحٰق: وقال مسافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح يبكي عمرو بن عَبْد وُدّ، ويذكر قَتْل عليّ بن أبي طالب إيّاه:

عـمـرُو بـن عَـبْـدٍ كـان أوّل فـارس   جزع الـمَـذاد وكـان فـارسَ يَـلْـيـل
سَـمْـحُ الـخَـلائِـق مـاجـد ذو مـرَّةٍ   يَـبْـغـي الـقـتـال بِـشِـكـةٍ لـم يَـنْـكُـل
ولـقـد عَـلـمـتـم حيـن وَلَّـوْا عَـنْـكـم   أن ابـنَ عـبـدٍ فـيـهـمُ لـم يَـعْـجَـل
حـتـى تَـكَـنَّـفـه الـكُـمـاةُ وكُـلُّـهـم   يَـبْـغـي مَـقـاتـلـه ولـيـس بـمُـؤتـلـي
ولـقـد تَـكَـنَّـفـت الأسـنَّـة فـارسًـا   بـجـنـوب سَـلْـع غـيرَ نكْـس أمْـيـل
تَـسَـلُ الـنِّـزالَ عـلـيَّ فـارس غـالـبٍ   بـجـنـوبِ سَـلْـع، لَـيْـتـه لـم يـنـزل
فـاذهبْ عـلـيّ فـمـا ظَـفِـرْت بـمِـثْـلـه   فَـخْـرًا ولا لاقـيـتَ مـثـلَ الـمُـعْـضِـل
نَـفْـسِـي الـفـداءُ لـفـارس مـن غـالـبٍ   لاقَـى حِـمـام الـمَـوْت لَـم يَـتَـحَـلْـحَـل
أعـنـي الـذي جَـزَع الـمَـذاد بِـمُـهْـرِهِ   طَـلَـبًـا لـثـأرِ مـعـاشـر لـم يَـخْـذُلُ

مسافع يؤنّب الفرسان الذين كانوا مع عمرو:

وقال مُسافع أيضًا يُؤَنّب فُرسان عَمْرو الذين كانوا معه، فأجْلَوْا عنه وتركوه:

عـمـرو بـن عـبْـد والـجـيـادُ يـقـودُهـا   خَـيْـلٌ تُـقـاد لـه وخـيـلٌ تُـنْـعَـل

الزناد المُعْتَلِثُ: هو الذي لا يدري من أي عُودِ هو، وأصل الاعتلاثِ الاخْتِلاطُ: يقال: عَلَثْتُ الطعامَ إذا خلطت حِنْطةً بشَعِيرٍ، والعُلاثَةُ: الزَّنْدُ الذي لا يُورِي نارًا.

أجْـلَـت فـوارسُـه وغـادر رهْـطَـه — رُكْـنًـا عَـظِـيـمًـا كـان فـيـهـا أوَّل

عَجَبًا وإن أعْجَبْ فقد أبْصَرته — مَـهْـمـا تـسومُ علـيٍ عَمْرًا يَنْـزِل

لا تَـبْـعَـدَنَّ فـقـد أُصِبْتُ بِـقَـتْـلـه — ولَـقيتُ قبل الموت أمرًا يَثْقُل

وهُـبيـرة المَـسْلـوب ولّـى مُـدْبِرًا — عـنـد القِـتـال مـخـافَ أن يُـقْـتَـلُـوا

وضرار كأن البأسُ منه مُحْضَرًا — ولّـى كـمـا ولّـى الّـلـئِـيـمُ الأعْـزَل

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له. وقوله: «عمرًا ينزل» عن غير ابن إسحٰق.

هبيرة يبكي عمرًا ويعتذر من فراره:

قال ابن إسحٰق: وقال هُبيرة بن أبي وَهْب يعتذر من فراره، ويبكي عمرًا، ويذكر قتل عليّ إياه:

لَعَمْري ما وَلَّيتُ ظَهْرِي خمدًا — وأصحابه جُبْنًا ولا خِيفَة القتْلِ

ولكنَّنِي قلَّبت أمْرِي فلم أجد — لسَيْفي غَناءَ إن شربتُ ولا نَبْلي

وقَفْت فلمَّا لم أجِدْ لي مقدَّمًا — صَددتُ كضِرغامٍ هِزَبرٍ أبي شَبْل

ثَنى عِطْفَه عن قِرْنه حين لم يَجِد — مَكَرًّا وقِدْمًا كان ذلك من فِعْلي

فلا تَبْعدن يا عمرو حَيًّا وهالِكًا — وحُقّ لِحُسْن المَدْح مثلُك من مثلي

ولا تَبْعَدَن يا عَمْرو حَيًّا وهالِكًا — فقد بِنْتَ محمود الثَّنا ماجِد الأصْل

فمَنْ لِطرَاد الخَيْل تُقْدَع بالقَنا — ولِلفَخْر يومًا عند قَرْقَرة البُزْل

هُنالك لو كان ابن عبدٍ لَزارَها — وفَرَّجها حَقًّا فَتى غيرُ ما وَغْل

فعَنْك على لا أرى مثلَ موقفٍ — وقَفْت على نَجْدِ المُقدَّم كالفَحْل

فمَا ظَفِرتْ كفَّاك فخرًا بمثاله — أمِنْت به ما عِشْت من زَلَّة النَّعْل

هبيرة يبكي عمرًا في شعره:

قال هُبيرة بن أبي وَهْب يبكي عمرو بن عَبْد ودّ، ويذكر قتْلَ عليّ إياه:

لقد عَلِمْت عُلْيا لُؤَيّ بن غالب — لـفـارسُـهـا عَـمْـرو إذا نـاب نـائـبُ

لَفارسها عَمْرو إذا ما يَسومُه — عـلـيّ وإنّ الـلَّـيـث لا بـدّ طـالِـب

....

عَشِيَّةَ يَدْعوه عليّ وإنَّه | لفارسُها إذ هام عنه الكائب
فيا لهْف نفسي إنَّ عمرًا تركتُه | بيَثْرِب لا زالت هُناك المصائِب

حسَّان يفتخر بقتل عمرو:

وقال حسَّان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبْد وُدّ:

بَقِيَّتكم عَمرو أبَحْناه بالقَنا | بيَثْرِبَ نَحْمِي والحُماة قَليل
ونحن قَتَلْناكم بكلّ مُهنَّد | ونحنُ وُلاة الحَرْب حين نَصُول
ونحن قَتَلْناكم بِبَدْر فأصْبحت | مَعاشِرُكم في الهالكين تَجُول

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكرها لحسَّان.

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا في شأن عَمْرو بن عَبْد وُدّ:

أمْسَى الفَتى عمرو بن عَبْدٍ يَبْتَغي | بجنوب يَثْرِب ثَأْرَه لم يُنْظَرِ
فلقد وَجدتَ سُيوفَنا مشهورةً | ولقد وجدتَ جِيادنا لم تُقْصَر
ولقَدْ لَقيتَ غَداةَ بَدْرٍ عُصْبةً | ضَرَبوكَ ضَرْبًا غيرَ ضرب الحُسَّر
أصْبَحت لا تُدْعَى ليومِ عَظيمةٍ | يا عَمْرو أو لجسيمِ أمْرٍ مُنكَرِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسَّان.

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا:

ألا أبْلِغْ أبا هِدم رسولاً | مُغَلْغَلة تَخُبُّ بها المَطيُّ
أكنتُ وليَّكم في كلْ كُرْهٍ | وغيري في الرَّخاء هو الوَليّ
ومنكم شاهِد ولقد رآني | رُفِعْتُ له كما احْتُمِلْ الصَّبِيّ

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أُمية الدّيلي، ويروى فيها آخرها:

كَبَبْتَ الخزرجيّ على يَدَيْه | وكان شِفاء نفسي الخَزرجيّ

وتُروى أيضًا لأبي أُسامة الجُشميّ.

شعر حسَّان في يوم بني قريظة وبكاء ابن معاذ:

قال ابن إسحـٰق: وقال حسَّان بن ثابت في يوم بني قُريظة يَبْكي سعد بن مُعاذ ويذكر حُكمة فيهم:

لقد سَجَمت[1] من دَمع عَيْنِي عَبرةٌ ... وحُقّ لعَيْنِي أن تفيض على سَعْد

قَتِيل ثَوَى في معركٍ فُجِعتْ بِهِ ... عُيُونٌ ذوارِي الدّمْع دائمةُ الوَجْد

على مِلَّةِ الرّحمـٰن وارثَ جَنَّةٍ ... مع الشُّهداء وَفدها أكرم الوفد

فإن تك قد ودّعتنا وتركتنا ... وأمْسَيْت في غَبراء مُظلمة اللَّحد

فأنت الذي يا سعد أُبْت بمَشهد ... كَرِيم وأثْواب المكارم والحَمْد

بحُكْمك في حَيَّي قُرَيظة بالَّذي ... قَضَى الله فيهم ما قَضَيْت على عَمْد

فوافَق حُكمَ الله حُكمُك فيهمُ ... ولم تعفُ إذ ذُكرتْ ما كان من عهد

فإن كان رَيْبُ الدهر أمْضاك في الألى[2] ... شَرَوْا هذه الدنْيا بجنَّاتها الخُلْد

فنِعْم مَصير الصَّادقين إذا دُعوا ... إلى الله يومًا للوَجاهة والقَصْد

شعر حسَّان في بكاء ابن معاذ وغيره:

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا، يبكي سعد بن مُعاذ، ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يا لقومي هَلْ لَما حُمّ دافِع ... وهل مَا مَضَى من صالح العيش راجعُ

تذكَّرت عَصْرًا قد مضَى فتهافتتْ ... بناتُ الحَشَى وانهلّ مني المَدامع

صَبابة وَجْد ذَكَّرتْنِي أحِبَّةً ... وقَتلى مضَى فيها طُفَيل ورَافع

وسَعْدٌ فأضحوا في الجِنان وأوْحَشت ... منازلهم فالأرض منهم بلاقع[3]

وَفَوْا يَوْمَ بَدْرٍ للرَّسُولِ وفَوْقَهم ... ظِلالُ المَنايا والسُّيوف اللوامع

دَعا فأجابوه بحقّ وكلُّهم ... مُطيع لهُ في كلّ أمْرٍ وسامِع

فمَا نَكَلُوا حتى تَوَلَّوْا جماعةً ... ولا يَقْطَع الآجال إلا المَصارع

....

(١) سجمت: سالت.
(٢) الألى: البشر.
(٣) بلاقع: قفر.

لأنهم يرجون منه شفاعةً إذا لم يكُنْ إلا النَّبِيُّون شافِع
فذلك يا خَيْرَ العِباد بَلاؤُنا إجابَتُنا لله والمَوْت ناقِع
لِنا القَدم الأولى إليك وخَلْفُنا لأوّلنا في مِلَّةِ اللهِ تابِعُ
ونعْلم أنَّ المُلْك لله وَحْدَه وأنّ قَضاء الله لا بدّ واقِع

شعر آخر لحسَّان في يوم بني قريظة:

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا في يوم بني قُريظة:

لقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظة ماساَها وما وَجَدتْ لِذُلّ مِنْ نَصِير
أصابَهُم بَلاءٌ كان فيه سِوى ما قد أصاب بني النَّضير
غَداةَ أتاهُمُ يَهْوى إلَيهم رسولُ اللهِ كالقَمَر المُنير
له خَيْلٌ مُجَنَّبة تَعادَى بفُرْسان عَلَيها كالصُّقُور
تركْناهم وما ظَفِرُوا بِشَيْءٍ دِماؤُهُمُ عليهِمْ كالغَدير
فهم صَرْعى تَحُوم الطيرُ فيهم كذاك يُدان ذو العَند الفجور
فأنذِرْ مثلَها نُصْحًا قُرَيْشًا مِن الرحمٰن إن قَبِلَت نَذيري

وقال حسَّان بن ثابت في بني قُريظة:

لقد لَقِيَتْ قُرَيظةُ ماساَها وحَلّ بحِصْنها ذُلّ ذَلِيل
وسَعْد كان أنذَرهم بنُصح بأنّ إلٰهكم ربّ جَليل
فمَا بَرِحُوا بنَقْضِ العَهْد حتى فَلاهم في بلادهُم الرَّسول
أحاطَ بحِصْنهم مِنَّا صُفُوف له من حَرّ وَقْعتهم صَليل

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا في يوم بني قُريظة:

تَفاقد مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشًا وليس لهم ببَلْدتهم نَصير
هُم أوتوا الكِتاب فَضَيَّعوه وهم عُمْى مِن التَّوْراة بُور[1]

....

(١) بور: هالكين.

كَفَرتم بالقُرآن وقد أتيتُم ... بتَصديق الذي قال النَّذير
فهان على سَراة بَني لُؤَيّ ... حَرِيقٌ بالبُوَيرة مُستطير

شعر أبي سُفيان في الردّ على حسّان:

فأجابه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، فقال:

أدام الله ذلك مِنْ صَنِيع ... وحَرّق في طَرائقها السَّعير
ستَعلم أيُّنا منها بِنُزْهٍ ... وتعلم أيُّ أرضينا تَضِير
فلو كان النَّخيل بها رِكابًا ... لقالوا لا مُقام لكم فسيروا

شعر ابن جوال في الردّ على حسّان:

وأجابه جَبل بن جَوّال الثّعلبي أيضًا، وبكى النَّضير وقُريظة، فقال:

ألا يا سَعْدُ بني مُعاذ ... لما لقِيَتْ قُريظة والنَّضيرُ
لعَمْرِك إنَّ سَعْد بني مُعاذ ... غَداة تَحَمَّلوا لهو الصَّبُور
فأما الخَزرَجيّ أبو حُباب ... فقالَ لقَيْنُقاع لا تَسِيرا
وبُدّلت المَوالي مِنْ حُضَير ... أُسَيْدًا والدّوائرُ قَد تدُور
وأقْفَرتِ البُوَيْرة من سَلام ... وسَعْية وابن أخْطب فهي بُور
وقد كانوا ببَلْدتهم ثِقالاً ... كما ثَقُلت بمَيْطان الصُّخور
فإنْ يَهْلك أبو حَكم سَلام ... فلا رَثُّ السِّلاح ولا دَثُور
وكلّ الكاهنَيْن وكان فيهم ... مع اللِّين الخَضارمة الصُّقُور
وجَدْنا المَجْد قد ثَبتُوا عليه ... بمَجْد لا تُغَيِّبُه البُدور
أقيموا يا سراةَ الأوس فيها ... كأنّكم من المَخْزاة عُور
ترَكتم قِدْركم لا شيءَ فيها ... وقِدْر القَوْم حامِيةٌ تَفُور

....

مقتل سلاّم بن أبي الحقيق[1]

الخزرج يستأذنون في قتل ابن أبي الحقيق:

قال ابن إسحٰق: ولمّا انقضى شأن الخندق، وأمْر بني قُريظة، وكان سلاّم بن أبي الحُقيق، وهو أبو رافع فيمن حَزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوسُ قبل أُحُد قد قَتلت كعبَ بن الأشرف، في عَداوته لرسول الله ﷺ وتَحريضه عليه، استأذنت الخزْرَجُ رسولَ الله ﷺ في قَتْل سلاّم بن أبي الحُقَيْقِ، وهو بخَيْبَر، فأذِن لهم.

التنافس بين الأوس والخزرج في عمل الخير:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن مُسلم بن شهاب الزهري، عن عبد بن كَعْب بن مالك، قال: وكان مما صنع الله به لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار والأوس، والخزرج، كانا يَتَصَاوَلاَنِ مع رسول الله ﷺ تَصَاوُلَ الفَحْلين، لا تصنع الأوسُ شيئًا عن رسول الله ﷺ غَنَاءً إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فَضْلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. قال: فلا ينتهُون حتى يوقعوا مثلها؛ وإذا فعلت الخزرج شيئًا قالت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرجُ: والله لا تذهبون بها فَضْلاً علينا أبدًا؛ قال: فتذاكروا: مَنْ رجلٌ لرسول الله ﷺ في العَدَاوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحُقيق، وهو بخيبر؛ فاستأذنوا رسولَ الله ﷺ في قتله، فأذن لهم.

قصّة الذين خرجوا لقتل ابن أبي الحقيق:

فخرج إليه من الخزْرَج من بني سَلِمة خمسةُ نَفَرٍ: عبد الله بن عَتِيك، ومسعود بن سِنَان، وعبد الله بن أُنَيْسٍ، وأبو قَتَادَة الحارث بن رِبْعِي، وخُزاعي بن أسود، حليف لهم من أسلم. فخرجوا وأمر عليهم رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن عَتِيك، ونهاهم عن أن

مقتل ابن أبي الحقيق

ذكر فيه النفر الخمسة الذين قتلوه، وسمّاهم، وذكر فيهم ابن عُقْبَةَ أَسعدَ بن حَرَام، ولا يُعْرَفُ أحدٌ ذكره غيره.

---

(١) انظر البخاري (٧/ ٢٦٣).

يَقتُلوا وليدًا أو امْرَأَةً، فخرجوا حتى إذا قَدموا خَيْبر، أتَوْا دارَ ابن أبي الحُقَيْقِ ليْلاً، فلم يَدَعوا بيتًا في الدار إلاّ أغْلَقوه على أهْله. وكان في عِلِّيَّةٍ له إليها عَجَلَة قال: فأسْنَدُوا فيها حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا عليه، فخرجتْ إليهم امرأتُه، فقالت: من أنتم؟ قالوا: ناسٌ من العرب نتلمس المِيرَة. قالت: ذاكم صاحبُكم، فأُدْخِلوا عليه، قال: فلما دَخَلْنا عليه، أغلقنا علينا وعليها الحجرةَ، تخوّفًا أن تكون دونه مَحَاوَلَةٌ تحول بيننا وبينه، قالت: فصاحت امرأته، فنوّهت بنا وابْتَدَرْناه؛ وهو على فراشه بأسْيافنا، فوالله ما يدلنا عليه في سَواد اللَّيل إلاّ بياضُه كأنه قُبْطيَّة مُلْقَاةٌ. قال: ولما صاحت بنا امرأتُه، جعل الرجل منّا يرفع عليها سَيْفَه، ثم يذكر نَهْيَ رسول الله ﷺ فيكفّ يدَه، ولولا ذلك لفرغنا منها بلَيْل. قال: فلما ضربناه بأسْيافنا تحامَل عليه عبدُ الله بن أُنَيْسٍ بسَيْفه في بَطْنه حتى أنفذَه، وهو يقول: قَطْني قَطْني: أي حَسْبي حَسْبي. قال: وخرجنا، وكان عبد الله بن عَتيك رجلاً

قطني وقد ونون الوقاية:

وذكر في الحديث: قَطْنِي قَطْنِي، قال معناه: حَسْبي حَسْبي.

قال المؤلّف: وهذه الكلمةُ أصلُها من القَطِّ، وهو القَطْعُ، ثم خُفِّفَتْ وأُجريَتْ مَجْرى الحرف، وكذلك قَدْ بمعنى قَطْ هي أيضًا من القَدِّ، وهو القَطْع طُولاً، والقَطُّ بالطاء هو القطع عَرْضًا، يقال: إن عليًّا ـ رحمه الله ـ كان إذا استعلى الفارسَ قَدَّه، وإذا استَعْرَضه قَطَّه، ولما كان الشيءُ الكافي الذي لا يحتاج معه إلى غيره يدعو إلى قَطْعِ الطَّلَبِ، وتَرْكِ المزيد جعلوا قَدْ وقَطْ تُشْعِر بهذا المعنى، فإذا ذكرت نفسَك قلت: قَدِي وقَطِي، كما تقول: حَسْبِي، وإن شئت أَلْحقْتَ نونًا، فقلت: قَدْنِي، وذلك من أجل سكون آخرها فكَرِهُوا تحريكَه من أجل الياء، كما كرهوا تحريك آخر الفعل، فقالوا: ضَرَبَني، وكذلك كرهوا تحريك آخر ليت فقالوا: لَيْتَنِي، وقد يقولون: لَيْتي وهو قليل، وقالوا: لعَلَّني ولعَلِّي، وقالوا: من لَدُنِّي فأدخلوها على الياء المخفوضة بالظرف كما أدخلوها على الياء المخفوضة بمِنْ وعَنْ، فعلوا هذا وِقَايَةً لأواخر هذا الكَلِم من الخفض وخَصُّوا النون بهذا؛ لأنها إذا كانت تَنْوينًا في آخِر الاسم، آذنت بامتناع الإضَافَةِ، وكذلك في هذه المواطن التي سَمَّينا تُشْعِر بامتناعها من الخفضِ، وتُشْعِر في الفعل والحروف بامتناعها من الإضافة أيضًا، لأنَّ الحرفَ لا يُضَافُ، وكذلك الفعلُ مع أنَّ النونَ من علاماتِ الإضْمَارِ في فعلنا، وفعلنا في ضميرِ المفعولِ، فأما قَدْ وَقطْ فاسمان، وكذلك لَدُنْ، ولكن كرهوا تحريك أواخرها لشبهها بالحروف. فإن قيل: فما مَوْضِعُ نِي من قوله: قَطْنِي؟ قلنا: موضعُها خفضٌ بالإضافة، كما هي في لَدُنِّي. فإن قلت: كيف تكون ضمير المفعول والمنصوبِ في ضَرَبَني وليتَنِي، ثم تقول: إنها في موضع خفض؟ قلنا: الضميرُ في الحقيقة هي الياء وحدها في الخفض

سيىء البصر، قال: فوقع من الدَّرجة فوثِئَتْ يده وَثْئًا شديدًا ـ ويقال: رِجله، فيما قال ابن هشام ـ وحَملناه حتى نأتي به مَنْهَرًا من عيونهم، فندخل فيه. قال: فأوقدوا النيران، واشتدّوا في كلّ وجه يَطلبوننا، قال: حتى إذا يئسوا رَجعوا إلى صاحبهم، فاكتنفوه وهو يَقْضي بينهم. قال: فقلنا: كيف لنا بأنْ نعلم بأنّ عدوّ الله قد مات؟ قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم فانطَلق حتى دَخل في الناس. قال: فوجدتُ امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المِصْباح تنظر في وجهه، وتحدّثهم وتقول: أما والله لقد سمعتُ صُوتَ ابن عَتيك، ثم أكذبتُ نفسي وقلت: أنّى ابن عَتيك بهذه البلاد؟ ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت: فاظ وإلهِ يعود، فما سمعتُ من كلمة كانت ألَذّ إلى نفسي منها. قال: ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدوّ الله، واختلفنا عنده في قتله، كلُّنا يدّعيه. قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «هاتُوا أسيافكم»، قال: فجئْناه بها، فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس: «هذا قَتله، أرى فيه أثر الطعام».

شعر حسَّان في قتل ابن الأشراف وابن أبي الحقيق:

قال ابن إسحٰق: فقال حسَّان بن ثابت وهو يذكر قَتْل كَعْب بن الأشرف، وقتل سلاَّم بن أبي الحُقيق:

لِلهِ دَرُّ عِصابَةٍ لاقيْتَهم ... يا ابنَ الحُقَيق وأنت يا ابن الأشْرف

والنصب، كما أن الكافَ والهاء كذلك، وقد قالوا: منِّي وعنِّي، وهو ضمير خَفْضٍ، وفيه النونُ، وقالوا: ليتي ولعلِّي، وهو ضميرُ نَصْبٍ وليس فيه نون فإن قيل: فما موضع الاسم من الإعراب إذا قلت: قَطِي وقَدِي؟ قلنا: إعرابهما كإعراب حَسْبِي مُبْتَدأ وخبرُه محذوفٌ، وإنما لزم حذفُ خبرِه لما دخله من معنى الأمر، ومن هذا الباب قول جَهنَّم أعاذنا الله منها: قَطِي وعِزَّتِكِ قَطِي، ويروى: قَطْنِي، وذلك بعد قولها: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، فإذا وضعت فيها القدمُ[1]، وزُوِي بعضُها إلى بَعْضٍ، قالت: قَطْني. وقد جمع الشاعر بين اللُّغَتَينِ، فقال:

قَدْنِيَ مِن نَصْرِ الخُبَيْبين قَدِي

---

(١) أي قدم رب العزة سبحانه وتعالى عزّ وجلّ الذي ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ والحديث أخرجه البخاري (٨/ ١٦٨) ومسلم في الجنّة (٣٧/ ٣٨) والترمذي (٣٢٧٢) وأحمد (٣/ ٢٣٤) والبيهقي في الصفات (٣٤٨ ـ بتحقيقي) وابن خزيمة في التوحيد (٩٣ ـ بتحقيقي).

يَسْرون بالبيض الخفاف إلَيْكُم   مَرَحًا كأُسْدٍ في عَرِينٍ مُغْرِفِ
حتى أتَوْكم في محلّ بلادِكم   فَسَقَوْكُمْ حَتْفًا ببِيض ذُفَّف[1]
مُسْتَبْصرين لنَصْر دينِ نَبيِّهم   مُسْتَصغرين لكُلّ أمْرٍ مُجْحِف

قال ابن هشام: قوله: «ذُفَّف»، عن غير ابن إسحٰق.

فهذا ما في قَط التي هي بمعنى حَسْبي، فأما قَطُّ المبنيةُ على الضَّم، فهي ظَرْفٌ لما مضى، وهي تقال بالتخفيف والتثقيل، وهي من القَطِّ أيضًا الذي بمعنى القطع، وفي مقابلتها في المستقبل: عَوْض ما فعلته قَطُّ، ولا أفعله عَوْضُ مثل قَبْلُ وبَعْدُ.

(١) الذفّف: السيوف السريعة الحادّة.

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

عمرو وصحبه عند النجاشي:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيدُ بن أبي حَبيب، عن رَاشد مَوْلى حبيب بن أبي أَوْسٍ الثقفي، عن حَبِيب بن أبي أَوْس الثَّقفي، قال: حدّثني عمرو بن العاص مِن فِيه، قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدق جمعتُ رجالاً من قُريش، كانوا يَرون رأيـي، ويَسْمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمرَ محمد يعلو الأمور عُلُوًّا مُنْكَرًا، وإني قد رأيت أمرًا، فما تَرَوْن فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نَلْحق بالنَّجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدَيْ محمد؛ وإن ظهر قومُنا فنحن مَن قد عَرَفوا، فلن يَأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأيُ. قلت: فاجمعوا لنا ما نهْديه فله، وكان أحبَّ ما يُهدي إليه من أرضنا الأدَمُ. فجمعنا له أدَمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى قَدِمْنا عليه.

إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد رحمة الله عليهما[1]

روينا من طريق أبي بكر الخطيب بإسنادٍ يرفعه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «يقدم عليكم الليلةَ رجلٌ حكيم»[2]، فقدِم عَمْرو بن العاصِ مُهَاجِرًا، ذكر فيه اجتماعَه مع خالد في الطريق

---

(١) انظر ترجمة عمرو في الإصابة (٣/ ٢) الاستيعاب (٢/ ١١٨٤) الطبقات (٤/ ٢٥٤) (٧/ ٤٩٣). وانظر ترجمة خالد بن الوليد رضي الله عنهما في الإصابة (١/ ٤١٣) الاستيعاب (٢/ ٦٠٣) تاريخ الصحابة (٣٤٩) الطبقات (٤/ ٢٥٢) (٧/ ٤٩٤) تهذيب الكمال (٨/ ١٨٧) التهذيب (٣/ ١٢٤).

(٢) أخرجه الخطيب في الموضح (١/ ٣٩).

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عَمْرو بن أُميَّة الضَّمْري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جَعْفَر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أُميَّة الضَّمْري، لو قد دخلتُ على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قُريش أني قد أجْزأت عنها حين قتلت رسولَ محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصْنع، فقال: مرحبًا بصديقي، أهديتَ إليّ من بلادك شيئًا؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا؛ قال: ثم قرّبته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدوّ لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصابَ من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضبَ، ثم مدّ يده فضَرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره، فلو انشقّت لي الأرضُ لدخلت فيها فَرَقًا منه؛ ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظَننت أنك تكره هذا ما سألتكه؛ قال: أتسألني أن أُعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه النّاموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله! قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطِعني واتّبعه، فإنه والله لعَلى الحقّ، وليَظْهَرَنَّ على مَنْ خالَفَهُ، كما ظهر موسى على فِرْعون وجنوده؛ قال: قلت: أفتُبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبَسط يَده، فبايعتُه: على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمتُ أصحابي إسلامي.

اجتماع عمرو مع خالد في الطريق:

ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله ﷺ لأُسلم، فلقيتُ خالد بن الوليد، وذلك قُبيل الفَتْح، وهو مُقْبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سُليمان؟ قال: والله لقد استقام المِيسَمُ، وإن الرجل لنبيّ، أذهبُ والله فأُسلم، فحتى متى؛ قال: قلت: والله ما جئتُ إلا لأُسلم. قال: فقدِمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوتُ، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يُغْفَر لي وأتقدّم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر؛ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «يا عمرو، بايعْ، فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قَبله، وإن الهجرة تَجبُّ ما كان قبلها؛ قال: فبايعته، ثم انصرفت.

قال ابن هشام: ويقال: فإن الإسلام يَحُتُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تَحُتُّ ما كان قبلها.

وقول خالد له: والله لقد استقام المِيسَمُ. من رواه المِيسَمُ بالياء، فهي العَلامة، أي: قد تَبيّن الأمرُ واستقامت الدلالَة، ومن رواه المَنْسَمُ بفتح الميمُ وبالنون، فمعناه: استقام الطريقُ ووجَبَت الهجرة، والمَنْسَمُ مُقَدّم خُفّ البعير، وكُنّي به عن الطريق للتوجه به فيه.

إسلام ابن طلحة[1]:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتهم: أن عثمان بن طلحة بن أبي طَلْحة، كان معهما، حين أسْلما.

وذكر الزُّبَيْرُ خبَر عَمْرِو هذا، وزاد فيه، أن عثمانَ بن طَلْحَةَ بن أبي طَلْحَةَ صَحِبَهُما في تلك الطريق، فلما قَدِموا على النبيّ ﷺ، قال عمرو: وكنت أسَنَّ منهما، فأردت أن أكيدَهما، فَقَدَّمْتُهما قَبْلي للبَيْعَة، فبايعا، واشترطا أن يُغْفَر مِنْ ذَنْبِهما ما تقدَّم، فأضْمَرْت في نفسي أن نُبايعَ على أن يغفر الله من ذنبي ما تقدَّم وما تأخّر، فلما بايعتُ ذكرتُ ما تقدَّم من ذنبي وأُنسِيتُ أن أقول وما تأخّر.

ما قاله الضمري للنجاشي:

وذكر فيه قدوم عَمْرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِي على النَّجَاشيِّ بكتاب النبيّ ﷺ، وكان في الكتاب ما تكلّم به عَمْرو بن أُميَّة، فإنه لما قدم عليه قال له: يا أَصْحَمَةُ إن عليَّ القولَ وعليك الاستماع إنك كأنَّك في الرِّقَّة علينا مِنَّا، وكأنَّا بالثِّقَةِ بك منك لأنّا لم نَظُن بك خَيْرًا قطُّ إلاَّ نِلْنَاه، ولم نَخفْكَ على شَيْءٍ إلاّ أَمِنَّاهُ، وقد أخذنا الحجة عليك مِنْ فيك ألا يُحيل بَيْنَنَا وبيْنَكَ شاهدٌ لا يُرَدُّ، وَقاض لا يجُور، وفي ذلك وَقعُ الحَزِّ وإصَابةُ المَفْصِل، وإلاَّ فأنت في هذا النبيِّ الأُمِّيِّ كاليهودِ في عيسى ابنِ مَرْيم، وقد فرّق النبيّ عليه السلام رسله إلى النّاس فَرَجَاك لما لم يَرْجُهُمْ له، وأَمِنَك على ما خافهم عليه لخيرِ سالفٍ وأجْرٍ يُنْتَظَر، فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبيُّ الأُمِّيُّ الذي ينتظره أهلُ الكتابِ، وأن بِشَارَةَ موسى براكب الحِمَارِ كَبِشَارَة عيسى براكب الجَمَل، وإن العِيَانَ له ليس بأشْفَى من الخبر عنه، ولكن أعْواني من الحَبَشِ قليلٌ فأَنْظِرْني حتى أُكَثِّر الأعوانَ وأُلَيِّن القلوبَ، وسنذكر فيما بعد - إن شاء الله - ما قالته أَرْسَالُ النبيّ - ﷺ - إلى الملوك، وما رَدَّت عليها.

الرسـل إلى الملـوك:

فإن دِحْية كان رسولَه إلى قَيْصَرَ، وخارجة بن حُذَافَةَ كان رسولَه إلى كِسْرَى، وشُجَاعَ بن وَهْبٍ إلى جَبَلَة بن الأيْهَم الغَسَّاني، وسَلِيطَ بن عَمْرو إلى هَوذَةَ بنِ عَلِيٍّ الحنفي صاحبِ اليمامة، والعَلاءَ بن الحَضْرَمِيِّ إلى المنذر بن سَاوِي [مَلِكِ البَحْرَيْن] والمُهَاجِرَ بن أبي أُمَيَّةَ إلى الحارث بن عَبْد كُلاَلٍ، وعَمْرو بن العاصِي إلى الجُلَنْدِي صاحبِ عُمَانَ،

---

(١) انظر ترجمته في الإصابة (١/ ٤٥٨) الاستيعاب (٢/ ٦٨٤) تاريخ الصحابة (٨٧٢) الطبقات (٥/ ٤٤٨) التهذيب (٧/ ١٢٤).

شعر ابن الزبعرى في إسلام ابن طلحة وخالد:

قال ابن إسحٰق: فقال ابن الزِّبَعْرَى السَّهْمي:

أنْشُدُ عُثمان بن طَلْحَة حِلْفَنا ... ومُلْقَى نِعال القَوْم عند المُقبَّل

وما عَقد الآباء مِنْ كُلّ حِلْفه ... وما خالِدٌ مِنْ مِثْلها بمُحَلَّلِ

أمِفتاحَ بيتٍ غيرِ بيتِك تَبْتَغِي ... وما يُبْتَغَى من مَجدِ بيتٍ مُؤَثَّل[1]

فَلا تأمَننَّ خالِدًا بعْد هذه ... وعثمانُ جاء بالدُّهيم[2] المُعَضَّل

وكان فَتح بني قُريظة في ذي القَعدة وصَدْر ذي الحجَّة، وولّى تلك الحجَّة المُشركون.

وحاطِبَ بن أبي بَلْتَعَةَ إلى المُقَوقِسِ صاحبِ مِصْرَ، وعَمْرو بن أُمَيَّة إلى النجاشي كما تقدّم، ولكل واحد منهم كلام قاله، وشعر نَظَمه سنذكره بعد إن شاء الله.

السمهرية:

فصل: وما وقع في أشعار السِّيرَة من ذكر السَّمْهَرِيَّة من الرماح، فمنسوبة إلى سَمْهَرٍ وكان صِنْعًا فيما زعموا يصنع الرِّمَاح، وكانت امرأته رُدَيْنَةُ تبيعها، فقيل للرماح: الرُّدَيْنِيَّة لذلك، وأما الماسِخِيُّ من القَسِيّ فمنسُوبةٌ إلى ماسخَة، واسمهُ نُبَيْشَةُ بن الحارث أحد بني نَضر بن الأَزدِ، وقال الجَعْدِيُّ:

بِعِيسٍ تُعَطِّفُ أَعْنَاقَها ... كما عَطَّفَ المَاسِخِيُّ القِيانَا

وقد تنسب القسي أيضًا إلى زارة وهي امرأة ماسخة. قال صخر الغَيِّ:

سَمْحَةٍ من قِسِيِّ زَارَةَ حَمْـ ... ـرَاءَ هَتُوفٍ عِدادُها[3] غِرَدُ

من كتاب النبات للدِّيْنُورِي، واليَزَنِيَّةُ منسوبةٌ إلى عُبَيْدِ الطَّعَّان، وهو المعروف بِيَزَنَ بن هَمَاذِي، والمَاذِيَّةُ منسوبة إلى مَاذِي بن يافثَ بن نُوحٍ، قاله الطبري، وزعم أنه أوّل من عمل السيوف جم وهو رابع ملوك الأرضِ.

---

(١) مؤثل: أصيل الشرف.

(٢) الدهيم: الأحمق.

(٣) عِدادُها: أي صوتها.

غـزوة بني لحيـان

«بسم الله الرحمٰن الرحيم» قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحٰق المطلبي قال: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة ذا الحجَّة والمحرّم وصفرًا وشهرَيْ ربيع، وخرج في جُمادى الأولى على رأس ستَّة أشهر من فَتْح قُريظة إلى بني لِحْيانَ يَطلب بأصحاب الرَّجيع: خُبيب بن عديّ وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشامَ، ليُصيب من القوْم غِرَّة.

فخرج من المدينة ﷺ، واستَعْمل على المدينة ابنَ أُمّ مكتوم، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحٰق: فسلك على غُراب، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مَحيص، ثم على البَتْراء، ثم صَفَّق ذاتَ اليَسار، فخرج على بِيْن، ثم على صُخَيْرات اليَمام، ثم استقام به الطريقُ على المحجَّة من طريق مكّة، فأغذ السير سريعًا، حتى نزل على غُرَان، وهي منازل بني لِحْيانِ، وغُرَان وادٍ بين آمَج وعُسْفان، إلى بلد يقال له: سايَة، فوجدهم قد حَذِروا وتمنَّعوا في رؤوس الجبال. فلما نَزلها رسولُ الله ﷺ

غزوة بني لحيان(١)

ليس فيها ما يُشْكِل، وفيها من شعر حسَّان:

لَـقُـوا سَـرَعَـانًـا يـمـلأ الـسِّـرْبَ رَوْعُـه

---

(١) انظر البداية (٤/ ٨١) الطبري (٢/ ٥٩٥) الطبقات (٢/ ١/ ٥٦) الاكتفاء (٢/ ٢٠٦) المنتظم (٣/ ٣٤٩) الكامل (٢/ ٧٨) الواقدي (٢/ ٥٣٥) الدلائل (٣/ ٣٦٤) ابن سيّد الناس (٢/ ٨٣) شرح المواهب (٢/ ١٤٦).

وأخْطأة من غِرّتهم ما أراد، قال: «لو أنّا هَبَطنا عُسفان لرأى أهلُ مكَّة أنّا قد جئنا مكّة»، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان، ثم بعث فارسَيْن من أصحابه حتى بلَغا كُراع الغَميم، ثم كرّ وراح رسولُ الله ﷺ قافلاً.

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول حين وجه راجعًا: «آيبون تائبون إن شاء الله لربِّنا حامدون، أعوذ بالله مِنْ وَعْثاء السَّفر، وكآبة المُنْقَلب، وسوء المنْظر في الأهل والمال»[١].

والحديث في غَزْوة بني لِحْيان، عن عاصم بن عمر بن قَتادة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالك؛ فقال كعب بن مالك في غَزْوة بني لِحْيان.

لو أنَّ بني لِحْيانَ كانُوا تَناظَرُوا ... لَقُوا عُصَبًا في دارِهم ذاتَ مَصْدقِ
لقُوا سَرَعانًا يَمْلأ السَّرْبَ رَوْعُه ... أمامَ طَحُونٍ[٢] كالمجَرَّةِ[٣] فَيْلَقِ[٤]

سَرَعَانُ الناس: سُبَّاقُهم، والسَّرْبُ: المال الرّاعي، كأنه جَمْعُ سَارِبٍ، ويقال: هو آمن في سَرْبه إذا لم يُذْعَر، ولا خاف على ماله من الغَارة، ومن قال: في سِرْبه بكسر السين، فهو مَثَلٌ، لأن السِّرْبَ هو القطيع من الوَحْشِ والطير، فمعنى: آمن في سِرْبه، أي: لم يُذْعر هو نفسُه ولا ذُعِر أهلُه، ولهذا المعنى أشار من قال من أهل اللغة: معنى في سربه أي: في نفسه لم يُرِدْ أَنَّ النَّفسَ يقال لها: سِرْبٌ وإنما أراد أنه لم يُذْعَر هو ولا مَنْ مَعَهُ، لا كالآخر الذي تقدّم ذكره، وقيل فيه: آمن في سَرْبه بفتح السين، فكان الواحد آمن في ماله، والآخرُ آمنُ في نفسه، ويقال: في سَرْبه، أي: في طريقه أيضًا.

وقوله:

أمام طَحُونٍ كالمَجَرَّةِ فَيْلَق

يعني: كتيبةً، جعلها كالمَجَرَّةِ لِلمَعَانِ السُّيوفِ والأسِنَّة فيها كالنُّجوم حَولَ المجرة، لأن النجومِ ـ وأكثر ما تكون ـ حولها، وقد قيل: إن المَجَرَّةَ نفسها نجوم صِغَارٌ متَلاصقة، فبياضُ المجرةِ من بياضِ تلك النجوم، وقد رُوي في حديث منقطع: أن المجرةَ التي في السماء هي من لُعَابِ حَيَّةٍ تحتَ العَرْشِ[٥]، وفي حديثِ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ أن النبيَّ ـ ﷺ ـ حين بعثه إلى

---

(١) انظر البخاري (٣/٩) والترمذي (٣٣٤٠/٣٤٤٧) وأبو داود وأحمد (١/٢٥٦) والدارمي (٢/٢٩٠) وابن حبّان (٩٦٩ ـ ٩٧٠ ـ موارد).
(٢) طحون: حرب عظيمة.
(٣) المجرّة: آلة للجز والقطع.
(٤) الفيلق: الجيش العظيم.
(٥) لا صحّة لقصة الحيّة هذه.

ولكنَّهم كانُوا وِبارًا[1] تَتَبَّعَتْ شِعاب حِجازٍ غير ذي مُتَنَفَّق

اليمن قال له: «إنك سَتَقْدم على قوم يَسْأَلُونَك عن المَجَرَّةِ، فقل لهم: هي من عَرَق الأفعى التي تحت العرش»، لكن إسناد هذا الحديث ضعيف عند أهل النقل لا يُعرَّج عليه[2]، ذكره العقيلي، وعن عليٍّ أنها شَرَجُ السماء الذي تنشق منه، وأما قول المُنجِّمِين غير الإسلاميين في معنى المَجرّة، فذكر لهم القاضي في النقض الكبير نحوًا من عَشْرةِ أقوال وأكثر، منها ما يُجَوِّزه العقل، ومنها ما هو شِبْهُ الهَذيَانِ، والله أعلم.

ويجوز أن يكون قولُه كالمجرَّة، أي: أثر هذه الكتيبةِ الطَّحُون كأثر المجرة نَقْشِر ما مَرَّت عليه، وتَكْنسه. والفَيْلَقُ: فَيْعَلٌ من الفِلْقِ وهي الداهية، كأنها تَفلِق القلوبَ، وهي: الفِلْقَةُ أيضًا. قال ابن أحمر:

قد طَرَّقَتْ بِبِكْرِها أُمُّ طَبق فدبروه خَبَرًا ضَخْم العُنُق

فقيل: وما ذاك؟ قال:

مَوْتُ الإمام فِلْقَةٌ من الفِلَق

---

(١) وبارًا: كثير الوبر.

(٢) بل موضوع كما يظهر عليه.

الفهرس

الرَّوْضُ الأُنُف

في تفسير السّيرة النّبويّة لابن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
الخثعمي السُّهيلي
المتوفّى سنة ٥٨١ هـ

ومعه

السّيرة النّبويّة

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفّى سنة ٢١٣هـ

علّق عليه ووضع حواشيه
مجدي بن منصور بن سيد الشورى

تنبيه

وضعنا نصّ السّيرة النبويّة لابن هشام في أعلى الصفحات
ووضعنا أسفل منها نصّ الرّوض الأُنُف
وفصلنا بينهما بخطٍّ

الجزء الرّابع

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة ذي قرَد

ثم قدم رسولُ الله ﷺ المدينة، فلم يُقِم بها إلاّ ليالي قلائلَ، حتى أغار عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بدر الفَزَارِي، في خَيْل من غَطفَان على لِقاحٍ لرسول الله ﷺ بالغابَة، وفيها رجلٌ من بني غِفار وامرأة له، فقَتلوا الرجلَ، واحتملوا المرأة في اللِّقاح.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة وعبد الله بن أبي بكر، ومَنْ لا أتَّهم، عن عبد الله بن كَعب بن مالك، كلٌّ قد حدَّث في غزوة ذي قَرَد بعض الحديث: أنه كان أوّل من نَذَر بهم سَلمة بن عمرو بن الأكْوع الأسْلميّ، غدًا يريد الغابة متوشِّحًا قَوْسه ونَبْله، ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبيد الله معه فَرَس له يقوده، حتى إذا علا ثَنِيَّة الوَدَاع نظرَ إلى بعض خُيُولهم فأشرف في ناحية سَلْع. ثم صرخ: واصباحاه، ثم خرج يَشْتَدّ في آثار القوم، وكان مثل السبع حتى لَحق بالقوْم، فجعَل يَردُّهم بالنَّبل، ويقول: إذا رمى خذها وأنا ابن الأكْوع، اليوم يوم الرُّضَّع، فإذا وُجِّهت الخيلُ نحوه انطلق هاربًا، ثم عارضَهم، فإذا أمكنه الرَّمْي رَمى، ثم قال: خُذْها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرُّضع، قال: فيقول قائلهم: أُوَيْكِعُنا هو أوّل النهار.

غزوة ذي قرد(١)

ويقال فيه: قُرُدُ بضمتين هكذا ألفيتُه مُقَيَّدًا عن أبي علي، والقَرَدُ في اللغة الصوفُ الرَّدِيء، يقال في مثل: عَثَرْتُ على الغَزْل بأخَرَةٍ فلم تَدَعْ بنَجْدٍ قَرِدَةً.

---

(١) انظر البداية (١٧٨/٤) الطبري (٢/ ٦٤٠) الكامل (٢/ ٩٢) المنتظم (٣/ ٢٥١) ابن سيّد الناس (٢/ ٨٤) شرح المواهب (١٤٨/٢/ ١٥٣) ابن حزم (٢٤٢) الطبقات (٢/ ١/ ٦١) الواقدي (٢/ ٥٥٠) الزاد (٢٧٨/٣). وانظر البخاري (٧/ ٣٥٣) ومسلم في الجهاد (١٥٠٦) وأبو داود (٢٧٥٢) وأحمد (٤٨/٤). والغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام.

تسابق الفرسان إلى الرسول ﷺ:

قال: وبلغ رسولَ الله ﷺ صِياحُ ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة: الفَزع الفَزع، فترامت الخيولُ إلى رسول الله ﷺ.

وكان أوّل من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفُرسان: المِقْداد بن عمرو، وهو الذي يُقال له: المِقْداد بن الأسْود، حليف بني زُهرة؛ ثم كان أوّلَ فارس وقَف على رسول الله ﷺ بعد المِقْداد من الأنصار، عبَّاد بن بشر بن وقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء، أحد بني عَبْدِ الأشهل، وسعْد بن زيد، أحد بني كَعْب بن عبد الأشهل، وأُسَيْد بن ظُهَيْر، أخو بني حارثة بن الحارث، يُشكّ فيه، وعُكَّاشة بن مِحْصَن، أخو بني أسَد بن خُزيمة؛ ومُحْرز بن نَضلة، أخو بني أسد بن خُزيمة، وأبو قَتادة الحارث بن رِبعِيّ، أخو بني سَلمة؛ وأبو عَيَّاش، وهو عُبيد بن زيد بن الصَّامت، أخو بني زُريق. فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمَّرَ عليهم سعدَ بن زَيْد فيما بَلَغني، ثم قال: اخرُج في طَلَب القوم، حتى ألْحقك في الناس.

نصيحة الرسول لأبي عياش:

وقد قال رسول الله ﷺ، فيما بلغني عن رجال من بني زُريق، لأبي عيَّاش: «يا أبا عياش، لو أعْطيت هذا الفرس رجلاً، هو أفرس منك فلحق بالقوم؟ قال أبو عيَّاش: فقلت يا رسول الله، أنا أفرس الناس، ثم ضربتُ الفرس، فوالله ما جرَى بي خَمسين ذراعًا حتى طَرحني، فعَجبت أن رسول الله ﷺ يقول: «لو أعطيتَه أفرس منك»، وأنا أقول: أنا أفرس الناس، فزعم رجالٌ من بني زُريق أن رسولَ الله ﷺ أعطَى فرس أبي عيَّاش مُعاذ بن ماعص، أو عائذَ بن ماعص بن قَيس بن خَلَدة، وكان ثامنًا، وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكْوع أحد الثمانية، ويطرح أُسيدَ بن ظُهير، أخا بني حارثة، والله أعلم أيّ ذلك كان. ولم يكن سلمة يومئذ، فارسًا، وقد كان أوّل من لَحق بالقوم على رِجْليه. فخرج الفرسانُ في طلب القوم حتى تلاحقوا.

مقتل محرز بن نضلة:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة: أنّ أوّل فارس لحق بالقوم مُحْرزُ بن نَضْلة، أخو بني أسد بن خُزَيمة ـ وكان يُقال لمحرز: الأخْرَم؛ ويقال له: قُمَير ـ وأن الفزع لما كان جال فرسٌ لمحمود بن مَسْلمة في الحائط، حين سَمِع صاهلة

....

الخيل، وكان فرسًا صَنِيعًا جامًّا، فقال نساءٌ من نِساء بني عبد الأشهل، حين رأين الفرسَ يجول في الحائط بِجِذْع نخل هو مَرْبوط فيه: يا قُمَير، هل لك في أن تركب هذا الفَرسَ؟ فإنه كما ترى، ثم تَلْحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين؟ قال: نعم، فأَعْطَيْنَه إياه. فخرج عليه، فلم يلبث أن بذّ الخيل بجَمَامِه، حتى أدرك القومَ، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال: قِفُوا يا معشر بني اللَّكِيْعة حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أدْباركم من المهاجرين والأنصار. قال: وحمل عليه رجلٌ منهم فقَتله، وجال الفرس، فلم يَقْدر عليه حتى وقف على آرِيِّهِ من بني عَبْد الأشهل، فلم يُقتل من المسلمين غيره.

قال ابن هشام: وقُتل يومئذ من المسلمين مع مُحرز، وَقَّاص بن مُجزّزٍ المُدْلجيّ، فيما ذَكر غير واحد من أهل العلم.

أسماء أفراس المسلمين

قال ابن إسحٰق: وكان اسم فرس محمود: ذا اللِّمَّة.

قال ابن هشام: وكان اسم فرس سَعْد بن زيد: لاحِق، واسم فرس المِقْداد بَعْزَجَة، ويقال: سَبْحَة، واسم فرس عُكَّاشة بن مِحْصن: ذو اللِّمَّة؛ واسم فرس أبي قَتادة: حَزْوة، وفرس عَبَّاد بن بِشْر: لَمَّاع، وفرس أُسَيد بن ظُهير: مَسْنُون، وفرس أبي عَيَّاش: جُلْوة.

أسماء أفراس المسلمين

وذكر ابنُ إسحٰق في هذه الغَزْوَةِ أسماءَ خَيْل جماعةٍ ممَّن حَضرها، فذكر بَعْزَجَةَ فرسَ المِقْدَادَ، والبَعْزَجَةُ: شِدَّةُ جَرْيٍ في مُغَالَبَةٍ كأنه مَنْحُوت من بَعَجَ إذا شق، وعَزَّ، أي: غَلَبَ. وأما سَبْحَة فمن سَبَح إذا علا عُلُوًّا في اتساع، ومنه: سُبْحَان الله، وسُبُحَاتُ الله: عَظمتُه وعلوُّه، لأن الناظر المفكر في [الله] سبحانه يَسْبَح في بَحرٍ لا ساحِل له، وقد ذكرنا في معنى هذه الكلمةِ حقائقَ ودقائقَ أسرارٍ في شَرْح: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِه. وأما حَزْوةُ، فمن حَزَوْتُ الطير إذا زَجَرْتها، أو من حَزَوْتُ الشيء إذا أظهرتُه. قال الشاعر:

تَرَى الأَمْعَزَ المَحْزُوَّ فيه كأنه ... من الحَرِّ واستقبالِه الشَّمْسَ مَسْطَحُ[1]

وجُلْوَةُ من جَلَوْتُ السَّيْفَ، وجَلَوْتُ العَرُوسَ، كأنها تَجْلُو الغَمَّ عن قلب صاحِبها، ومَسْنُون من سَنَنْتُ الحديدةَ إذا صَقَلْتُها.

---

(١) المسطح: ضرب من الحصير.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعضُ من لا أتّهم عن عبد الله بن كَعْب بن مالك: أنّ مُجَزّرًا إنما كان على فَرس لعُكاشة بن مِحْصن، يقال له: الجَناح، فقُتل مُجزّر واستُلبت الجَناح.

قتلى المُشركين:

ولما تلاحقت الخيل قَتل أبو قتادة الحارث بن ربْعي، أخو بني سَلمة، حبيبَ بن عُيينة بن حِصْن، وغشّاه بُرْده، ثم لحق بالناس.

وأقبل رسولُ الله ﷺ في المسلمين.

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة:

قال ابنُ هِشَامِ: واستعمل على المدينة ابن أُمِّ مَكْتوم.

قال ابن إسحٰق: فإذا حَبيب مُسَجًّى ببُرْدِ أبي قَتَادَةَ، فاسترْجع الناسُ وقالوا: قُتِل أبو قَتادة؛ فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأبي قَتادة ولكنه قَتيل لأبي قَتادة، وضَع عليه بُرْدَه، لتَعْرِفوا أنه صاحبه».

سلمة بن الأكوع:

وذكر سَلَمَة بن الأكْوَع، واسم الأكْوَع: سِنَانُ، وخبر سَلَمَةَ في ذلك اليوم أطولُ مما ذكره ابنُ إسحٰق، وأعجب، فإنه استلب وحده في ذَلك اليوم من العَدُوِّ وهو راجِلٌ قبل أن تلحق به الخيلُ ثلاثين بُرْدَةً وثلاثين دَرَقَةً، وقتل منهم بالنَّبْلِ كثيرًا، فكلّما هربوا أدركهم، وكلّما راموه أفلت منهم، وشُهْرَةُ حديثِه تُغني عن سَرْدِه، فإنه في كتاب الحديث المشهورة، وقيل: إن سَلَمَة هذا هو الذي كلّمه الذئبُ، وقيل: إن الذي كلّمه الذئبُ هو أُهْبَانُ بن صَيْفِي وهو حديث مشهور.

شرح اليوم يوم الرّضّع:

وقوله: اليوم يومُ الرُّضّع، يريد يوم اللئام، أي: يوم جُبْنهم، وفي قولهم: لئيم راضع أقوال، ذكرها ابن الأنْبَارِيّ. قيل: الراضع هو الذي رَضَع اللُّؤمَ في ثَدْيَيْ أُمّه أي: غُذِي به، وقيل: هو الذي يَرْضَع ما بين أسنانه يَسْتَكْثِر من الجَشَع بذلك. وشاهدُ هذا القولِ قولُ امرأةٍ من العرب تَذُمُّ رَجُلاً: إنه لأُكَلَةٌ ثُكَلَةٌ يأكل من جَشَعِه خِلَلَه، أي: ما يَتَخَلّلُ بين أسْنَانِه. قال ابن قتيبة: ولم أسمعْ في الجَشَعِ، والحرصِ أبلَغ منَ هذا، ومن قولهم: هو يُثِير الكلابَ من

وأدرك عُكَّاشة بنُ مِحْصن أَوْبارًا وابنه عَمْرو بن أَوْبار، وهما على بَعير واحد، فانتَظَمهما بالرمح فقَتلهما جميعًا، واستَنْقذوا بعضَ اللِّقاح، وسار رسولُ الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرَد، وتلاحق به الناس، فنزل رسولُ الله ﷺ به، وأقام عليه يومًا وليلة؛ وقال له سلمة بن الأكْوع: يا رسول الله، لو سرحْتني في مائة رجل لاستنقذتُ بقيَّة السَّرح، وأخذت بأعْناق القوم؟ فقال له رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني: «إنهم الآن ليغْبَقُون في غَطَفان»[1].

تقسيم الفيء بين المسلمين:

فقَسم رسولُ الله ﷺ في أصحابه في كل مائة رجل جَزُورًا، وأقاموا عليها، ثم رجع رسولُ الله ﷺ قافلاً حتى قَدِم المدينة.

مَرَابِضها، أي: يلتمس تحتها عَظْمًا يَتَعَرَّقُه، وقيل في اللئيم الراضع غير ما ذَكَرْنَاهُ مما هو معروفٌ عند الناس ومَذْكُور في كُتُبِهم.

وقوله: اليوم يَوْمُ الرُّضَّع بالرفع فيهما، وبنصب الأوّل، ورفع الثاني، حكى سِيبَوَيْه: اليومَ يومُك، على أن تجعلَ اليومَ ظرْفًا في موضع خبر للثاني، لأن ظروف الزمان يخبر بها عن زمانٍ مثلِها إذا كان الظرفْ يتَّسِع، ولا يضيق على الثاني، مثل أن تقول: الساعة يومُك، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿فذلكَ يَوْمَئذٍ يومٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩٠] أن يَوْمَئِذٍ ظرفٌ ليوم عسيرٍ، وذلك أن ظروف الزمانِ أحداثٌ، وليست بجُثَثٍ فلا يَمْتَنِعُ فيها مثلُ هذا، كما لا يمتنعُ في سائر الأحداثِ.

وقوله عليه السلام للغِفَارِيَّةِ، واسمها ليلى، ويقال هي امرأة أبي ذَرٍّ حين أخبرته أنها نَذَرَتْ إن الله نَجَّاها، عليها أن تَنْحَرَها، قال: فَتبسَّم رسولُ الله - ﷺ - ثم قال: «بئس ما جَزَيتها أنْ حَمَلَك الله عليها ونَجَّاك بها، ثم تَنْحَرِينَها إنه لا نَذْرَ في مَعْصِيَةِ الله، ولا في ما لا تملِكين»[2]، فيه حُجَّة للشافعي، ومن قال بقوله: إن ما أحرزه العدوُّ من مالٍ إنه لهم بلا ثمن قبل القَسم وبعدَه، لأنه لا يُخْرجه من مِلْكِهِ حَوْزُ العَدُوِّ له، وقال مالك: هو أولى به قبل القَسْم وصاحبُه بعد القسم أولى به بالثمن، وفيه قولان آخران لأهل العراق.

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد (١٣٢). وابن سعد في الطبقات (٢/ ١/ ٥٨ - ٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٥/ ٧٨ - ٧٩) وأحمد (٤/ ٤٢٩/ ٤٣٠) وأخرجه عبد الرزاق (٩٣٩٥) والبغوي في شرح السنّة (١٠/ ٣٢) وسعيد بن منصور في سننه (٢٩٦٧).

امرأة الغفاري وما نذرت مع الرسول

وأقبلت امرأة الغِفاريّ على ناقة من إبل رسولِ الله ﷺ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبرَ، فلما فرغت، قالت: يا رسول الله، إني قد نَذَرت لله أن أنحرها إنْ نجَّاني الله عليها؛ قال: فتبسّم رسول الله ﷺ، ثم قال: «بئس ما جَزَيْتِها أن حملك الله عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها! إنَّه لا نَذْر في مَعْصية الله ولا فيما لا تَمْلكين، إنما هي ناقة من إبلي، فارجعي إلى أهلك على بركة الله».

والحديث عن امرأة الغفاريّ وما قالت، وما قال لها رسول الله ﷺ، عن أبي الزبير المكّيّ، عن الحسن بن أبي الحسن البَصْريّ.

شعر حسَّان في ذي قَرَد

وكان مما قيل من الشِّعر في يوم ذي قَرَد قولُ حسَّان بن ثابت:

لـولا الـذي لاقـتْ ومَـسّ نُـسُـورَهـا ... بـجَـنـوب سـايَـةَ أمسِ فـي الـتَّـقْـوَادِ

حول النذر والطلاق والعتق

وقوله عليه السلام: «إنه لا نذر في مَعْصِيَةِ الله، ولا فيما لا تملكين»، وقوله عليه السلام: «لا نَذْر لأحدٍ فيما لا يملك، ولا طَلاَقَ لأحد فيما لا يملك، ولا عِتْق لأحد فيما لا يملك»[1]، حديثٌ مَرْوِيٌّ من طريق عبدِ الله بن عَمْرو، ومن طريقِ أبي هُرَيْرَة ولكنه لم يخرج في الصحيحين لِعلَلٍ في أسانيده، وقد قال بهذا الحديث أن لا طَلاَقَ قبل المِلْكِ جماعةٌ من الصحابة وفقهاءِ التابعين وفقهاءِ الأمصار، وسواءٌ عندهم عَيَّن امْرَأة، أو لم يُعَيِّن، وإليه مال البخاري رحمه الله، ورواه ابن كِنَانة عن مالك، وابن وَهْب، واحتجّ ابنُ عَبَّاسٍ في هذه المسألة بقوله تعالى: ﴿إذا نكحتم المُؤْمِنَاتِ ثم طَلَّقْتُموهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] قال: فإذًا لا طَلاَق إلاَّ بعد نكاح، وقال شُرَيْكٌ القاضي: النكاحُ عَقْدٌ والطلاقُ حَلٌّ، فلا يكون الحَلّ إلاّ بعد العَقْد.

من شرح شعر حسَّان أعضاء الخيل

وذكـر شعـر حسَّـان:

لـولا الـذي لاقـت ومَـسَّ نُـسُـورَهـا

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٥/ ٣٣٠) والخطيب (٨/ ٤٣٥) والطحاوي في المشكل (١/ ٢٨١) والحاكم (٢/ ٢٠٤) والبيهقي (٧/ ٣١٦) وانظر نصب الراية (٣/ ٢٧٨ ـ بتحقيقي).

لَلَقِينكم يَحمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ[1] حامِي الحَقيقة ماجِدِ الأجْداد

ولَسَرَّ أوْلادَ اللَّقِيطَةِ أنَّنا سِلْمٌ غَدَاةَ فَوارِسِ المِقْداد

كُنَّا ثَمانِيةً وكانُوا جَحْفَلاً[2] لَجِبًا[3] فشُكُّوا بالرِّماح بَدَادِ[4]

يعني: الخيْلَ، والنَّسْر كالنَّواة في باطن الحافِرِ، وفي الفَرَسِ عشرون عضوًا، كلُّ عضو منها يُسَمَّى باسم طائر، فمنها النَّسْرُ والنَّعَامَةُ والهامَةُ والسَّمامَةُ والسَّعْدانةُ وهي الحَمَامَةُ والقَطَاةُ الذُّبَابُ والعُصْفُور والغُراب والصُّرَد والصَّقْرُ والخَرَبُ والنَّاهِضُ، وهو فَرْخ العُقَابِ والخُطَّاب، ذكرَها وبقيتها الأَصْمَعِي، ورَوى فيها شِعْرًا لأبي حَزْرَة جرير، وهو:

وَأَقَبَّ كالسِّرْحان تَمَّ له ما بَيْنَ هامَتِه إلى النَّسْرِ

رَحُبَتْ نَعامتُه وَوُفِّر فَرْخُه وتمكَّن الصُّرَدَانِ في النَّحْرِ

وأَنَافَ بالعُصْفور في سَعَفٍ هامٍ أشَمّ مُوثَّق الجِذْرِ

وازْدَانَ بالدِّيكَيْنِ صَلْصَلُه ونَبَتْ دَجَاجتُه عن الصَّدْرِ

والنَّاهِضَانِ أُمِرَّ جَلْزُهُما فكأنَّما عُثما على كَسْرِ

مُسْحَنفِرَ الجَنْبَيْنِ مُلْتئِم ما بين شِيمته إلى الغُرِّ

وصَفَتْ سُمَانَاهُ وحافِرُه وأديمُهُ ومَنابِتُ الشَّعْر

وَسما الغُرابُ لِمَوْقِعَيْه مَعًا فأُبِينَ بينهُما على قَدْرِ

واكْتَنَّ دون قَبِيحه خُطَّافُه ونأَتْ سَمامتُه على الصَّقْر

وتَقَدَّمت عنه القَطَاةُ له فَنأَتْ بموقِعها عن الحُرِّ

وسما على نِقْوَيْه دون حِدَاتِه خَرَبان بينهما مَدَى الشِّبْرِ

يَدَعُ الرَّضِيمَ إذا جَرَى فِلَقًا بتوائم كمَوَاسِم سُمْرِ

رُكِّبْنَ في مَحْضِ الشَّوَى سَبِطٍ كَفْتِ الوُثُوبِ مُشَدَّدِ الأَسْرِ[5]

بداد وفجار:

وقوله: فشَكُّوا بالرِّمَاح بَدَادِ. بَدَادِ من التَّبَدُّدِ، وهو التفرُّقُ، وهو في موضع نصب غير أنه مَبْنِيٌّ ونصبُه كانتصابِ المصدر، إذا قلت: مَشَيتُ القَهْقَرَى، وقَعَدْتَ القُرْفُصَاء، وكأنه

---

(١) مدجّج: كل فارس معه أسلحته. (٢) الجحفل: الجيش الكبير.

(٣) لجبًا: كثيروا الهتاف. (٤) بداد: متعبين.

(٥) انظر نهاية الأرب (ص ٢٣) العقد الفريد (١/ ٦١) سمط اللآلىء (٢/ ٩١).

كُنَّا مِن القَوْم الذين يَلُونَهم ويُقَدِّمون عِنانَ كُلّ جَواد
كلاّ وربّ الرّاقصات إلى مِنًى يَقْطَعْنَ عُرْض مَخارِم الأطْوَاد
حتى نُبيل الخَيل في عَرَصاتكم[1] ونَؤُوب بالمَلَكاتِ والأوْلاد
رَهْوًا[2] بكُلّ مُقَلَّصٍ[3] وطِمرَّةٍ[4] في كلّ مُعْترك عَطَفن رَوادِي

قال: طُعِنوا الطَّعْنَةَ التي يُقال لها بَدَادِ، وبَدَادِ مثل فَجَارِ من قوله: احْتَمَلَتْ فَجَارِ جعلوه اسمًا عَلَمًا للمصدرِ، كما قالوا: فَحَمَلْتُ بَرَّةَ، فجعل بَرَّةَ عَلَمًا للْبِرِّ، وسِرُّ هذه العَلَمِيَّةِ في هذا الموطنِ أنَّهم أرادوا الفعل الأتَمّ الذي يُسمَّى باسم ذلك الفعلِ حقيقةً، فقد يقول الإنسان: بَرَّ فلانٌ وفَجَرَ أي: قَارَبَ أن يَفْعَلَ ذلك، أو فعلَ منه بعضَه، فإذا قال: فَعَلْتُ بَرَّةَ، فإنما يريد البِرَّ الذي يُسَمَّى بِرًّا على الحقيقةِ، فجاء بالاسم العلَم الذي هو عبارة عن مُسمَّاه حقيقةً، إذ لا يتصوّر هذا الضربُ من المجاز في الأعلام، وكذلك إذا أراد الفجورَ على الحقيقةِ، وأراد رَفْعَ المجازِ سمَّاه، فجاز تحقيقًا للمعنى، أي: مثل هذه الفعلة ينبغي أن تُسَمَّى باسم الفجورِ حقيقةً، وكذلك قالوا في النداء: يا فَسَاقِ ويا فُسَقُ فجاءوا بالصِّيغَة المعروفة العَلِميَّة المعروفة مع النِّداءِ خاصَّة، أي: إن هذا الاسمَ ينبغي أن يكون اسمه الذي يُدْعَى به، إذ الاسْمُ العَلَم أَلْزَمُ لمسَمَّاه من اسم مُشْتَقّ من فِعْل فَعله، لأن الفعلَ لا يَثْبُتُ، والاسم العلَم يَثْبُتُ، فهذا هو مَغْزَاهم في هذه الأسماءِ التي هي على صِيَغ الأعْلاَم في هذه المواطنِ، فتأملها، وقد بسطنا هذه الغرض بَسْطًا شافِيًا في أسرار ما يَنْصَرِفُ، وما لا ينصرف، فَلْتُنْظَر هنالك، فثَمَّ ترى سِرَّ بنائِها على الكسر مع ما يتصل بمعانيها إن شاء الله، وألفَيْتُ في حاشية الشيخ رحمه الله على قوله: فشُكُّوا بالرِّماح فَشُلُّوا باللام الرواية الصحيحة، وحقيقة المعنى، ووقع في الأصلين: فشُكُّوا بالكاف كما في هذا الأصل. إلى هاهنا انتهى كلام الشيخ، والشَّلُّ باللام: الطَّرْدُ، والشَّكُّ بالكاف: الطَّعْنُ كما قال:

شَكَّ الفَرِيصَةَ بالمِدْرَى فأنْفذَهَا [شَكَّ المُبَيْطِر إذ يَشْفِي من العَضَد]

عود إلى شرح شعر حسّان:

وقوله: رَهْوًا أي: مَشْيًا بسكون، ويقال: لمُسْتَنْقع الماء أيضًا رَهْوٌ والرَّهْوُ أسماءُ الكُرْكِيِّ، والرّهْوُ: المِرآةُ الواسعة.

وقوله: روادي، أي: تَرْدِي بفُرْسَانِها، أي: تسرع.

---

(١) عرصاتكم: ساحات دياركم.
(٢) رهوًا: أي بتمهل.
(٣) مقلّص: صفة للناقة.
(٤) طمرّة: صفة للخيل.

أفْـنَـى دوابِـرَهـا ولاحَ مُـتُـونَـهـا يَـومٌ تُـقـاد بـه ويَـوْمُ طِـرَاد[1]
فـكَـذاك إنّ جيـادَنـا مَـلْـبُـونـةٌ[2] والـحـرْبُ مُشْعَـلـة بـريـح غَـواد[3]
وسُيوفنا بيضُ الحَدائد تَجْتلي جُنَنَ[4] الحَدِيد وهامَةَ المُرْتاد
أخَـذَ الإلـٰهُ عـلـيـهـمُ لـحَـرامـه ولـعـزّة الـرحـمـٰن بـالأسْـداد
كـانُـوا بـدارِ نـاعـمـيـن فـبُـدّلُـوا أيّـامَ ذي قَـرَد وُجُـوهَ عِـبـاد

غضب سعد على حسّان ومحاولة حسّان استرضاءه:

قال ابن هشام: فلمّا قالها حسّان غَضِب عَليه سعدُ بن زيد، وحَلف أن لا يكلّمه أبدًا؛ قال: انطلَقَ إلى خَيْلي وفوارسي فجعلها للمقداد! فاعتذر إليه حسّان وقال: والله ما ذاك أردتُ، ولكن الرويّ وافق اسمَ المِقْداد؛ وقال أبياتًا يُرضي بها سعدًا:

إذا أرَدْتُـم الأشَـدّ الـجَـلْـدا أو ذا غَـنـاء فـعَـلَـيـكـم سَـعْـدا
سَـعْـد بـن زَيْـد لا يُـهَـدّ هَـدّا

فلم يقبل منه سعد ولم يُغْن شيئًا.

شعر آخر لحسّان في يوم ذي قَرَد

وقال حسّان بن ثابت في يوم ذي قَرَد:

أظَـنَّ عُـيَـيْـنـة إذْ زارهـا بـأن سوفَ يَـهْـدِم فـيـهـا قُـصـورا
فـأُكْـذِبْـتَ مـا كـنـتَ صَـدَّقـتـه وقُـلـتـم سَـنَـغْـنَـمُ أمْـرًا كَـبـيـرا
فَـعِـفْـتَ الـمَـديـنـة إذْ زُرتـهـا وآنَـسْـت لـلأسْـد فـيـهـا زَئـيـرا
فـوَلَّـوْا صِـرَاعًـا كـشَـدّ الـنَّـعـام ولم يكشفوا عن مُلِطٌّ[5] حَصِيرا

قصيدة أُخرى لحسّان

وقـول حسّـان في خيل عُيَيْنَة:

فَـوَلَّـوْا سِـرَاعًـا كَـشَـدِّ الـنَّـعـا م لـم يَـكْـشِـفُـوا عـن مُـلِـطٌّ حَـصِـيـرا

---

(١) طراد: رماح قصيرة.
(٢) ملبونة: سكرى.
(٣) غواد: مبكرة.
(٤) جنن: تروس.
(٥) ملط: ضبهاء.

أميرٌ علينا رسُولُ المَليك ... أحْبِبْ بذاكَ إلينا أميرا
رسُول نُصَدّقُ ما جاءه ... ويَتْلو كتابًا مُضيئًا مُنِيرا

شعر كعب في يوم ذي قَرَد:

وقال كعب بن مالك في يوم ذِي قَرَد للفوارس:

أتحسَبُ أولادُ اللَّقيطةِ أنّنا ... على الخَيْل لسنا مِثلهم في الفوارِس
وإنّا أُناسٌ لا نرى القَتل سُبّة ... ولا نَنْثني عند الرّماح المَداعس[1]
وإنّا لَنَقْري الضّيف من قَمَع الذُّرا ... ونَضرب رأسَ الأبْلج[2] المَتشاوس[3]
نَرُدّ كُماة المُعْلَمين إذا انتخَوْا ... بضرْب يُسَلّي نَخوة المُتقاعِس
بكُلّ فتًى حامي الحَقيقة ماجِدِ ... كريمٍ كسِرْحان الغَضاة[4] مُخالس[5]
يَذُودون عن أحْسابهِم وتِلادِهِم ... ببِيضٍ تَقُدّ الهَامَ تحت القَوانِس[6]
فسائِلْ بَنِي بَدْر إذا ما لَقِيتَهم ... بِمَا فَعَل الإخْوانُ يَوْمَ التَّمارُس
إذا ما خَرَجتم فاصدُقوا مَن لَقيتُمُ ... ولا تَكْتُموا أخبارَكم في المجالسِ
وقُولُوا زَلَلْنا عن مخالب خادر[7] ... به وَحَرٌ في الصَّدْر ما لم يمارِس

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «وإنّا لنَقْري الضَّيف» أبو زيد.

شعر شدّاد لعيينة:

قال ابن إسحٰق: وقال شدّاد بن عارض الجُشَمي، في يوم ذي قَرَد: لعُيينة بن حِصْن، وكان عُيينة بن حِصْن يُكنى بأبي مالك:

فهلاّ كَرَرْتَ أبا مالك ... وخَيْلُك مُدْبِرة تُقْتَلُ
ذكرتَ الإيابَ إلى عَسْجَر ... وهَيْهات قد بَعُد المُقْفَل

أي: لم يَغْنَمُوا بعيرًا، ولا كَشَفوا عنه حَصِيرًا، يعني: بالحصير ما يَكْنُفُ به حَوْل الإبل من عِيدَان الحَظِيرَةِ، والمُلِطُّ من قولهم: لَطّت الناقةُ، وألَطَّتْ بذَنبِها إذا أدخلته بين رِجْلَيها.

---

(١) مداعس: الرمح يطعن به.
(٢) الأبلج: حسن الوجه.
(٣) المتشارس: البطل.
(٤) العضاة: الشجر الكثير.
(٥) مخالس: شجاع حذر.
(٦) القونس: أعلى بيضة الحديد.
(٧) خادر: أي متحيّر.

وطَـمَّـنـتَ نَـفْـسَـك ذا مَـيْـعـة مِـسَـح الـفَـضـاء إذا يُـرْسَـل

إذَا قَـبَّـضَـتْـه إلـيـك الـشِّـمـا لُ جاشَ كـمـا اضـطـرمَ الـمِـرْجَـل

فـلـمَّـا عَـرَفْـتـم عِـبـادَ الإلــٰـ ـه لـم يَـنْـتَـظـر الآخـرَ الأوّل

عَـرفـتـم فَـوارِس قـد عُـوِّدوا طِـرَاد الـكُـمـاة إذَا أسـهَـلـوا

إذا طَـرَدُوا الـخَـيْـلَ تَـشْـقَـى بـهـم فَـضَـاحًـا وإن يُـطْـرَدوا يَـنْـزِلـوا

فـيَـعْـتَـصِـمُـوا فـي سَـواءِ الـمُـقـا مِ بـالـبِـيض أخْـلَـصـهَـا الـصَّـيْـقَـلُ

غزوة بني المصطلق

قال ابن إسحٰق: فأقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجَبًا ثم غزا بني المُصْطَلِق من خُزاعَة، في شَعْبان سنة ست.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذَرٍّ الغِفاريّ؛ ويقال: نُمَيْلَة بن عبد الله الليثي.

سبب الغـزوة:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبدُ الله بن أبي بكر، ومحمد بن يَحيىٰ بن حَبّان، كلٌّ قد حدّثني بعض حديث بني المُصطلق، قالوا: بلغ رسولَ الله ﷺ أنّ بني المُصْطَلِق يَجْمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جُوَيْرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ؛ فلما سمع رسولُ الله ﷺ بهم خَرج إليهم، حتى لَقيهم على ماءٍ لهم يقال له: المِرَيْسِيع، من ناحية قُدَيد إلى الساحل، فتزاحف الناسُ

غزوة بني المصطلق[(١)]

وهم بَنُو جَذِيمةَ بن كَعْبٍ من خُزَاعَةَ، فَجَذيمةُ هو المُصْطَلِقُ وهو مُفْتَعِلٌ من الصَّلقِ، وهو رَفْعُ الصَّوْت.

وذكر المُرَيْسِيعَ، وهو ماء لخُزَاعَةَ[(٢)]، وهو من قولهم: رَسَعَتْ عينُ الرجل: إذا دَمَعت من فَسَادٍ.

(١) انظر البداية (٤/ ١٥٧) الزاد (٣/ ٢٥٦) الطبري (٢/ ٥٩٣) الطبقات (٢/ ١/ ٤٥) الكامل (٢/ ٨١) الاكتفاء (٢/ ٢١٧) المنتظم (٣/ ٢١٨).

(٢) ماء خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم.

واقتتلوا، فهزَم الله بَني المُصطلق، وقُتل من قُتل منهم، ونَفّل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم عليه.

مقتل ابن صبابة خطأً:

وقد أُصيب رجلٌ من المسلمين من بني كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له: هشام بن صُبَابة، أصابه رجل من الأنصار من رَهْط عُبَادَة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدوّ، فقتله خطأً.

فتنة

فبينا رسولُ الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطّاب أجيرٌ له من بني غِفَارٍ، يقال له: جَهْجاه بن مَسْعود يقود فرسَه، فازدحم جَهْجَاه وسِنَانُ بن وَبَر الجهني، حليف بني عَوْف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصَرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جَهْجاه: يا معشر المهاجرين؛ فغضب عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلُول، وعنده رَهْط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حَدث، فقال: أوَقَد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش إلاّ كما قال الأوّل: سَمِّن كَلْبك يأكُلْك، أما والله لَئن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخْرِجنّ الأعزُّ منها الأذلّ.

وذكر سِنَانَ بن وَبْرَةَ وقال غيره: هو سِنَانُ بن تَميمٍ من جُهَيْنَة بن سَوْد بن أَسْلمُ حليف الأنصار.

تحريم دعوى الجاهلية

وذكر أنه نادى: يا للأَنْصَارِ، ونادى جَهْجَاه الغِفَارِيُّ يا لَلْمُاجِرين، ولم يذكر ما قال النبيّ ﷺ حين سمعهما، وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعهما منهما، قال: «دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ»[1]، يعني: إنها كَلِمَةٌ خبيثة، لأنها من دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، وجعل الله المؤمنين إخْوَةً وحِزْبًا واحدًا، فإنما ينبغي أن تكونَ الدعوةُ يا لَلْمُسْلِمين، فمن دعا في الإسلام بدَعْوى الجاهِلِيَّةِ فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثةُ أقوال: أحدها: أن يُجْلَدَ من استجابَ لها بالسلاحِ خمسين سَوْطًا اقتداءً بأبي موسى الأشْعَرِيِّ في جَلْدِه النابغةَ الجَعْدِيَّ خمسين سوطًا، حين سَمِع: يا لَعَامِرٍ، فأقبل يَشْتَدُّ بعُصْبَةٍ له. والقول الثاني: إن فيها الجلَد دون العَشَرة لنهيه عليه السلام أن

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٢٣) ومسلم في البرّ والصلة (٦٣/ ٦٤) والترمذي (٣٣١٥) وأحمد (٣/ ٣٣٨) والطحاوي في المشكل (٤/ ٢٣٩). وانظر الفتح (٨/ ٦٥٢).

ثم أقبل على مَنْ حَضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحلَلْتموهم بلادكم، وقاسمتوهم أموالكم، أما والله أو أمْسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوّه، فأخبره الخبرَ، وعنده عمرُ بن الخطّاب، فقال: مُرْ به عَبّادَ بن بِشْرٍ فلْيقتله؛ فقال له رسولُ الله ﷺ: «فكيفَ يا عُمَرُ إذا تحدّث الناس أن محمدًا يقْتل أصحابه!» لا ولكن أذّن بالرَّحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسولُ الله ﷺ يرتـ ل فيها، فارتحل الناسُ.

حول فتنة ابن أُبيّ ونفاقه:

وقد مشى عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول إلى رسولِ الله ﷺ، حين بلغه أن زيدَ بن أَرْقَمَ قد بلَّغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلّمت به. ـ وكان في قومه شريفًا عظيمًا ـ فقال: مَنْ حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكونَ الغلامُ قد أوْهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، حَدَبًا على ابن أُبيِّ ابن سَلُولَ، ودَفْعًا عنه.

قال ابن إسحٰق: فلما استقلّ رسولُ الله ﷺ وسار، لقيه أُسَيد بن حُضَيْر فحيَّاه بتحيَّة النبوّة وسلَّم عليه، ثم قال: يا نبيّ الله، والله لقد رُحتَ في ساعة مُنكرة، ما كنتَ تروح في مثلها، فقال له رسول الله ﷺ: «أو ما بلَغَك ما قال صاحبُكم؟» قال: وأيّ صاحبٍ يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أُبَيّ». قال: وما قال؟ قال: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ»، قال: فأنت يا رسول الله والله تُخرجه منها إن شئت، هو والله الذليلُ وأنت العزيز؛ ثم قال: يا رسول الله، ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنّ قومه لَيَنْظمون له الحَرز ليتوّجوه، فإنه لَيرى أنك قد استلبته مُلكًا.

يُجْلَد أحدٌ فوق العشرة إلاَّ في حَدٍّ، والقول الثالثُ: اجتهادُ الإمام في ذلك على حَسَبِ ما يراه مِنْ سَدِّ الذَّريعَةِ وإغلاق باب الشر، إمَّا بالوَعيد، وإمّا بالسّجن، وإمّا بالجلد[1].

فإن قيل: إن النبيّ ﷺ لم يُعاقِب الرجلين حين دَعَوا بها قلنا: قد قال: دَعُوها فإنها منتنة، فقد أكّد النهي، فمن عاد إليها بعد هذا النهي، وبعد وصف النبيّ ﷺ لها بالإنْتانِ وَجَب أن يُؤدَّب، حتى يشم نَتَنَها، كما فعل أبو موسى رحمه الله بالجَعْدِيِّ، فلا معنى لنَتَنَها إلا سوءُ العاقبة فيها والعقوبة عليها.

---

(١) أَلاَ مِن مُجيب ومتدبّر يا أصحاب الطرق «الصوفية» ويا عبّاد القبور والمشايخ.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومَهم ذلك حتى أمسى، وليلتَهم حتى أصبح، وصَدْر يَومهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وَجَدوا مسّ الأرض فوقعوا نِيامًا، وإنما فعل ذلك رسولُ الله ﷺ ليَشغل النَّاس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أُبَيّ.

ثم راح رسُول الله ﷺ بالنَّاس، وسلَك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النَّقيع؛ يقال له: بقعاء. فلما راح رسولُ الله ﷺ هبَّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوّفوها؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تخافوها، فإنما هبَّت لموت عَظيم من عُظماء الكُفَّار». فلمَّا قدموا المدينة وجدوا رِفاعة بن زَيد بن التَّابوت، أحد بني قَيْنقاع، وكان عظيمًا من عُظماء يهود، وكَهْفًا للمُنافقين، مات في ذلك اليوم.

ما نزل في ابن أُبيّ من القرآن:

ونزلت السورة التي ذَكَر الله فيها المنافقين في ابن أُبَيّ ومَنْ كان على مثل أمره، فلما نزلتْ أخذَ رسولُ الله ﷺ بأُذن زَيْد بن أرقم، ثم قال: «هذا الذي أوْفى الله بأُذنه». وبلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبيّ الذي كان من أمر أبيه.

جهجاه:

وأما جَهْجَاهُ فهو ابن مَسْعُودِ بنِ سعد بن حَرَام، وهو الذي رَوى عن النبيّ ﷺ: «المؤمن يأكل في مِعًى واحدٍ، والكافر يأكل في سَبْعة أَمْعَاء»[1]، وهو كان صاحب هذه القصّة فيما رَوى ابن أبي شَيْبَةَ والبزار[2]، وقد قيل أيضًا: إن الرجل الذي قال فيه عليه السلام هذه المقالة، هو ثُمَامَةُ بن أُثال الحنفي، ذكره ابن إسحٰق، وقيل: بل هو أبو بَصْرَة [جَميل بن بَصْرَة] الغِفارِي، قاله أبو عبيد، ومات جَهْجَاه هذا بعد قَتْل عثمان رحمه الله، أخذته الأَكِلَةُ في ركبته فمات منها، وكان قد كسر برُكْبَته عَصَا رسولِ الله ﷺ ـ التي كان يخطُب بها، وذلك أنه انتزعها من عُثْمانَ حين أُخرِج من المسجد، ومُنِع من الصلاة فيه، فكان هو أحد المعيّنين عليه، حتى كسر العصا على رُكبته، فيما ذكروا، فابتُلِي بما ابتُلي به من الأَكِلَةِ. نعوذ بالله من عُقُوبته، ونستجير به من الأهواء المضِلَّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٩٢) ومسلم في الأشربة (١٨٢/ ١٨٤/ ١٨٥) والترمذي (١٨١٨) وابن ماجة (٢٣٥٦/ ٢٣٥٧/ ٢٣٥٨) وأحمد (٢/ ٢١) والدارمي (٢/ ٩٩).

(٢) ابن أبي شيبة (٨/ ١٣٣) والبزار (٣/ ٣٤٦/ ٤٣٠) (١/ ٧٦).

موقف عبد الله من أبيه

قال ابن إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عبد الله أتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتلَ عبد الله بن أُبيّ فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فمُرني به، فأنا أحمِل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرَّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعُني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَيّ يمشي في الناس، فأقتلَه فأقتلَ (رجلاً) مؤمنًا بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله ﷺ: «بل نَترفَّق به، ونُحْسن صُحبته ما بقي معنا».

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدثَ كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويُعنِّفُونه؛ فقال رسول الله ﷺ لعُمر بن الخطَّاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؛ أما والله لو قتلته يوم قلتَ لي اقْتُله، لأرْعِدت له آنف، لو أمرتها اليوم بقَتْلِه لقتلته»؛ قال: قال عمر: قد والله علمتُ لَأمرُ رسول الله ﷺ أعْظم بركة من أمري.

موقف عبد الله الصحابي من أبيه المنافق ودلالته

وذكر مقالةَ عبدِ الله بن أُبيّ، وأن ابنه عبدَ اللهِ بن عَبْد اللهِ استأذن النبيّ ﷺ في قتل أَبيه من أجْلِ تلك المقالة، وفي هذا العلم العظيم والبُرْهَان النَّيِّر من أعلام النُّبُوَّة، فإن العرب كانت أشدَّ خَلْقِ الله حَمِيَّةً وتعصُّبًا، فبلغ الإيمان منهم ونورُ اليقين من قلوبهم إلى أن يَرْغَب الرجلُ منهم في قتل أبيه وولده، تَقَرُّبًا إلى الله، وتَزَلُّفًا إلى رسوله، مع أن الرسولَ ـ عليه السلام ـ أبعدُ الناسِ نَسَبًا منهم، وما تأخَر إسلام قومِه وبني عَمِّه وسَبَق إلى الإيمان به الأباعدُ إلاّ لحكمة عظيمة، إذ لو بادر أهلُه وأَقْرَبُوه إلى الإيمان به، لقيل: قوم أرادوا الفخرَ برجل منهم، وتعصّبوا له، فلمّا بادر إليه الأباعدُ، وقاتلوا على حُبِّه مَنْ كان منهم أو من غيرهم، عُلِمَ أن ذلك عَنْ بَصِيرَةٍ صادقة ويقين قد تَغَلْغَلَ في قلوبهم، ورَهْبَةً من الله أزالت صِفة، قد كانت سَدِكَتْ[1] في نُفُوسِهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالَتها إلاّ الذي فَطَر الفِطْرَة الأولى، وهو القادر على ما يشاء، وأما عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الله، فكان من كُتَّاب النبيّ ـ ﷺ ـ وكان اسمُه حُبَاب، وبه كان يُكَنَّى أبوه، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، مات شهيدًا باليمامة رضي الله عنه، وروى الدَّارَقُطْني مُسْنَدًا أن النبيَّ ـ ﷺ ـ مرّ على جماعةٍ فيهم عبدُ الله بن أُبيٍّ فسلَّم عليهم، ثم ولّى، فقال عبد الله: لقد عَنا ابنُ أَبي كَبْشَةَ في هذه البلادِ، فسمعها ابنه عبدُ الله، فاستأذن النبيّ ﷺ في أن يأتيه برأس أبيه،

---

(١) سدكت: ألزمت.

قدوم مقيس مسلمًا وشعره:

قال ابن إسحاق: وقَدِم مَقْيَس بن صُبَابة من مكَّة مسلمًا، فيما يُظْهِر، فقال: يا رسول الله، جئتك مسلمًا، وجئتك أطلُب دِيَة أخي، قُتل خطأ. فأمر له رسولُ الله ﷺ بديّة أخيه هِشام بن صُبابة؛ فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عَدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكّة مرتدًا؛ فقال في شعر يقوله:

شَفَى النفسَ أن قد مات بالقاع مُسْنَدًا ... تُضَرِّجُ ثَوْبَيْه دماءُ الأخادِع

وكانت هُمومُ النَّفسِ من قبل قَتْله ... تُلِمّ فَتَحْمِينِي وِطَاءَ المَضَاجِع

حَلَلْتُ به وِتْري وأدركتُ ثُؤْرَتي ... وكنتُ إلى الأوْثان أوّل راجع

ثَأرتُ به فِهْرًا[1] وحَمَّلْتُ عَقْلَه ... سَرَاةَ بني النَّجّار أربابَ فارع[2]

وقال مِقيَس بن صُبابة أيضًا:

جلَّلته ضَرْبةً باءت لها وشَلٌ ... من ناقِع الجَوْف يَعلوه ويَنْصَرمُ

فقُلْتُ والمَوْتُ تَغْشاه أسِرّته ... لا تأمَننّ بَني بَكْرٍ إذ ظُلِموا

شعار المسلمين:

قال ابن هشام: وكان شعار المُسلمين يوم بني المُصْطلق: يا منصور، أمِتْ أمِتْ.

قتلى بني المصطلق:

قال ابن إسحٰق: وأُصِيب من بني المُصْطلق يومئذ ناسٌ، وقَتل عليُّ بن أبي طالب منهم رجلَين، مالكًا وابنه، وقَتل عبدُ الرحمٰن بن عوف رجلاً من فُرسانهم، يقال له: أحمر، أو أُحَيمر.

فقال: «لا، ولكن برَّ أباك»[3] وذكر ابنُ إسحٰق في هذا الخبر أن النبيّ ﷺ حين بلغته مقالةُ عبد الله بن أُبي: مَتَنَ الناسُ يومَهم ذلك، ويُروى مَشَى، فأما مَتَن، فقال صاحب العَيْن: يقال: ساروا سَيْرًا مُمَاتِنًا، أي: بعيدًا.

---

(١) فهرًا: تعبًا.
(٢) فارع: أشراف.
(٣) انظر المجمع (١٠٩/١) (٣١٨/٩).

أمر جويرية بنت الحارث

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سَبْيًا كثيرًا، فَشا قَسْمُه في المسلمين؛ وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُوَيْرية بنت الحارث بن أبي ضِرار، زوج رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما قسّم رسولُ الله ﷺ سبايا بني المُصْطلِق، وقعتْ جُويرية بنت الحارث في السّهم لثابت بن قَيْس بن الشَّماس، أو لابن عمّ له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حُلْوَةً مُلاَّحَة، لا يراها أحد إلا أخذت بنَفْسه، فأتت رسولَ الله ﷺ تَسْتعينه في كِتابتها

حول حديث جويرية[1] «ملاحة ومليح»

فصل: وذكر جُوَيْرِيَة بنتَ الحارثِ، ووقوعَها في السَّهْم لثابِتِ بن قَيْسٍ، أو لابْنِ عَمٍّ له، ثم جاءت تستعين في كتابتها، قالت عائشة: وكانت امرأةً حُلْوَةً مُلأَّحَةً. المُلأَّحُ أبلغ من المليح في كلام العرب، وكذلك الوَضَّاء أبلغُ من الوَضِيءِ. والكُبَّارُ كذلك أبلغ من الكَبير، غير أنه لا يوصف الباري سُبْحَانه بهذا اللفظِ، فيقال فيه كُبَّار بمعنى كبير، لأنه على بِنْيَةِ الجَمْع، نحو ضُرَّاب وشهَّاد، فكان لفظُ الكبير ونحوه أبعدَ من الاشتراك، وأدلَّ على الوَحْدَانِيَّةِ، والله أعلم[2].

وأما معنى: المُلأَّحَة، فذهب قومٌ إلى أنها من المُلْحَةِ وهي البياضُ، تقول العربُ: عِنَبٌ مُلاَحِيٌّ والصحيح في معنى المليح، أنه مُسْتَعارٌ من قولهم: طعامٌ مَلِيحٌ إذا كان فيه من المِلْح بقدر ما يُصْلِحه، ولذلك إذا بالغوا في المدح قالوا: مَلِيحٌ قَزِيحٌ، فَملِيحٌ من مَلَحْتُ القِدرَ، وقَزِيحٌ من قَزَحْتُها إذا طيبت نكْهَتَها بالأفاوِية، وهي الأَقْزَاحُ، وبذلك على بُعْد هذا المعنى من البياض قولهم: في الأَسْوَد: مَلِيحٌ، وفي العينين إذا اشتدّ سوادُهما وحُسْنُهما كما جاء في تفسير قوله سبحانه: ﴿وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٢٩]. أنها مَلاَحَةٌ في العينين، وقال الأصْمَعِيُّ: الحُسْنُ في العَيْنَيْن، والجَمَالُ في الأنف، والمَلاَحَةُ في الفَم. وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعلها: إنك لجَمِيلٌ يا أبا صَفْوَانَ، فقال: وكيف وليس عندي رِدَاءُ الجَمال ولا بُرْنُسه ولا عَمُودُه؟ ثم قال: عَمُودُه الطُّولُ، وأنا رَبْعَةٌ، وبُرْنُسه سوَادُ الشعر، وأنا أشْمَطُ، ورِدَاؤه البياضُ، وأنا آدَمُ، ولكن قولي: إنك مَلِيحٌ ظَرِيفٌ. فعلّمها أن المَلاَحَةَ قد تكون من صِفَةِ لآدَمَ، فهي إذًا ليست من معنى البياضِ في شَيْءٍ، وإنما هي ضد المَسَاسَةِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٧) والطبري في تاريخه (٢/ ١١١).
(٢) انظر للمحقق «القول الأسني في تفسير الأسماء الحسنى».

قالت عائشة: فوالله ما هو إلاّ أن رأيتها على باب حُجْرَتي فكَرِهتها، وعَرُفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيتُ، فدخلَتْ عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث بن أبي ضِرارٍ، سيّدِ قومه، وقد أصابني من البَلاَء، ما لم يَخْفَ عليك، فوقعتُ في السّهم لثابت بن قَيس بن الشَّماس، أو لابن عمّ له، فكاتبتُه على نفسي فجئتك أسْتعينك على كِتابتي، قال: «فهل لكِ في خير من ذلك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي عنكِ كتابتكِ وأتزوّجك»؛ قالت: نعم يا رسول الله، قال: «قد فعلت».

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله ﷺ قد تزوّج جُويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أُعْتق بتزويجه إيّاها مائة أهل بيت من بني المُصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها.

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسولُ الله ﷺ من غزوة بني المُصطلِق ومعه جُويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعةً، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسولُ الله المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها،

غيرة نساء النبيّ، والنظر إلى المرأة:

وقول عائشة في جُوَيْرِية: فوالله ما هو إلاّ أن رأيتها على باب حُجْرَتي فكرهتُها. فيه ما كان عليه أزواجُ النبيّ - ﷺ - من الغَيْرَةِ عليه، والعلم بموقِع الجَمالِ منه، كما قد رُوي أنه - عليه السلام - أنه خَطَبَ امرأةً فأرسَلَ عائشةَ لتنظرَ إليها، فلما رجعت إليه قالت: ما رأيت طائلاً، فقال: بلى لقد رأيت: خَالاً قد خَدِّها اقْشَعَرَّتْ منه كلُّ شَعْرَةٍ في جسدك. وأما نظرهُ عليه السلام لجُوَيْرِيَةَ حتى عَرَفَ من حُسْنِها ما عَرَف،فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة، ولو كانت حُرَّةً ما ملأ عينَه منها، لأنه لا يُكْره النظرُ إلى الإماء، وجائز أن يكون نظر إليها، لأنه نوى نكاحَها، كما نظر إلى المرأة التي قالت له: إني قد وَهَبْتُ نَفْسِي لك يا رسولَ الله، فصَعَّد فيها النظر ثم صَوَّب، ثم أنكَحَها من غيره، وقد ثبت عنه عليه السلام الرُّخْصَة في النظر إلى المرأة عند إرادةِ نِكاحِها، وقال لِلْمُغِيرة حين شاوره في نكاح امرأةٍ: «لو نظرت إليها، فإن ذلك أحرَى أن يُؤْدَمَ بينكما»[1]، وقال مثل ذلك لمحمد بن مَسْلَمَةَ حين أراد نِكاح ثُبَيْتَةَ بنت الضَّحَّاكِ، وقد أجازه مالكٌ في إحدى الروايتين عنه ذكرها ابن أبي زَيْد. وفي

---

(١) انظر النسائي (٦/ ٧٧) ومسلم في النكاح (٧٤/ ٧٥).

فغيَّبهما في شِعب من شِعاب العقيق، ثم أتى إلى النبيّ ﷺ وقال: يا محمد، أصبتم ابنتي، وهذا فِداؤها، فقال رسول الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق، في شِعب كذا وكذا؟» فقال الحارث: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنك محمد رسول الله ﷺ، فوالله ما اطلع على ذلك إلاّ الله، فأسلم الحارثُ، وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبلَ إلى النبيّ ﷺ، ودُفِعَت إليه ابنتُه جُوَيْرِيَةُ، فأسلمت، وحسُن إسلامها، فخطبها رسولُ الله ﷺ إلى أبيها، فزوّجه إيّاها، وأصدقها أربعمائة درهم.

ما نزل من القرآن في حق الوليد بن عقبة:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن رُومان: أن رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عقبة بن أبي مُعيط، فلما سمعوا به رَكبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله، ومنعوه ما قِبَلهم من صَدقتهم، فأكثر المسلمون في ذكر غَزْوهم، حتى هَمّ رسولُ الله ﷺ بأن يغزوهم، فبينا هم على ذلك قَدِم وفدُهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك حين

مُسْنَد البزَّار من طريق أبي بَكْرَةَ: «لا حرجَ أن ينظر الرجلُ إلى المرأة إذا أراد تَزَوُّجهَا، وهي لا تَشْعُر»[1] وفي تراجم البُخَاريّ: النظرُ إلى المرأة قبل التزويج، وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة: «أُرِيتُك في المنام يجيء بك الملَكُ في سَرَقَةٍ من حَرِيرٍ، فكُشِفَتْ عن وجهِك، فقال: هذه امرأتُك، فقلت: إن يَكُن من عند الله يُمْضِه»[2]. وهذا استدلال حَسَنٌ. وفي قوله: إن يكُنْ من عند الله سؤالٌ، لأن رؤياه وَحْيٌ، فكيف يَشُكُّ في أنها من عند الله.

والجواب: أنه لم يشك في صحّة الرؤيا، ولكن الرُّؤيا قد تكون على ظاهرِها، وقد تكون لمن هو نظيرُ المرءِ أو سَمِيُّه، فمن هاهنا تَطَرّق الشك ما بين أن تكون على ظاهرِها، أو لها تأويل كذلك، وسمعت شيخَنا يقول في معنى هذا الحديث، ولغيره فيه قول لا أرضاه، فلا يخلو نظرةُ عليه السلام إليها من أحد الأمرين، أو يكون ذلك قبل أن يُضرَبَ الحِجاب، وإلاّ فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ للمؤمنين يَغُضُّوا من أبْصَارِهم﴾ وهو إمام المتّقين وقُدْوَةُ الوَرِعين ﷺ.

---

(١) أخرجه البزار (٢/١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥/٧١) (٧/٦) ومسلم في الفضائل (٧٩) والبيهقي (٧/٨٥).

بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنُكْرِمه، ونؤدّي إليه ما قِبَلنا من الصدقة، فانَشَمَر راجعًا، فبَلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنّا خرجنا إليه لنقتله، ووالله ما جئنا لذلك، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾. . . إلى آخر الآيات. [الحجرات: ٦ ـ ٨].

وقد أقبل رسولُ الله ﷺ من سفره ذلك، كما حدّثني من لا أتّهم عن الزهري، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، حتى إذا كان قريبًا من المدينة، وكانت معه عائشة في سفره ذلك، قال فيها أهل الإفك ما قالوا.

خبر الإفك في غزوة بني المصطلق سنة ست:

قال ابن إسحٰق: حدّثنا الزهري، عن عَلْقَمَةَ بن وقّاص، وعن سَعِيد بن جُبير، وعن عُرْوَةَ بن الزّبير، وعن عُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، قال: كلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث، وبعضُ القوم كان أوْعى له من بعض، وقد جمعت لك الذي حدّثني القوم.

الهدى في السفر مع الزوجات:

قال محمد بن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير، عن أبيه عن عائشة، وعبدُ الله بن أبي بكر، عن عَمْرة بنت عبد الرحمٰن، عن عائشة، عن نفسها، حين قال فيها أهْل الإفك ما قالوا، فكُلٌّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعًا يحدّث بعضهم ما لم يحدّث صاحبه، وكلٌّ كان عنها ثقة، فكلّهم حدّث عنها ما سمع، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نِسائه، فأيَّتهنّ خَرج سهمُها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المُصْطلِق أقْرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سَهْمي عليهنّ معه، فخرج بي رسولُ الله ﷺ.

جـويـريـة:

وأما جويرية فهي بنت الحارث بن أبي ضِرَارِ بن حَبِيب بن عائد بن مالك بن جَذِيمَة، وجَذِيمَةُ المُصْطلِقُ من خُزاعَةَ، كان اسمُها بَرَّة، فسمّاها رسولِ الله ـ ﷺ ـ جُوَيْرِيَةَ، وقد رُوي مثل هذا في حديث مَيْمُونَةَ بنتِ الحارثِ وكذلك زَيْنَب بنت جَحْشٍ، كان اسمُها بَرَّة أيضًا، وزينب بنت أبي سَلَمَة ربيبته عليه السلام، كان اسمُها بَرَّة فسماهُنَّ جُمَع بغير ذلك الاسم، توفيّت جُوَيْرِية في شهر ربيعِ الأوّل سنة سِتٍّ أو خمسٍ وخمسين من الهجرة، وكانت قبل أن تُسْبَى عند مُسَافِعِ بن صَفْوانَ الخُزَاعي.

قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق لم يهجهنّ الَّلحم فيَثْقُلن وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلستُ في هَوْدجي، ثم يأتي القومُ الذين يُرَحِّلون لي ويَحْملونني، فيأخذون بأسفل الهَوْدج، فيرفعونه، فيَضعونه على ظهر البعير، فيشدّونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به. قالت: فلما فَرغ رسولُ الله ﷺ من سفره ذلك، وجَّه قافلاً حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعضَ الليل، ثم أذّن في الناس بالرحيل، فارتحل الناسُ، وخرجتُ لبعض حاجتي، وفي عُنقي عِقْد لي، فيه جَزْع ظَفار، فلما فرغت انسلّ من عُنقي ولا أدري، فلما رجعتُ إلى الرَّحل ذهبتُ ألتمسه في عُنقي، فلم أجده، وقد أخذ الناسُ في الرَّحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدْته، وجاء القوم حلافى، الذين كانوا يُرَحِّلون لي البعير، وقد فَرغوا من راحلته، فأخذوا الهَوْدَج، وهم يظنُّون أني فيه، كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدّوه على البعير، ولم يشكّوا أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به، فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مُجيب، قد انطلق الناس.

قالت: فتَلفَّفت بجلبابي، ثم اضْطَجَعْتُ في مكاني، وعرفت أن لو قد افتُقِدْتُ لرُجِع إليّ. قالت: فوالله إني لَمُضطجعة إذ مرّ بي صَفْوانُ بن المُعطَّل السُّلَمي، وقد كان

حديث الإفك[1]

فيه من الغريب قولُ عائشةَ: والنساءُ يَوْمَئِذٍ لم يُهَيِّجْهُنَّ[2] اللحم فَيَثْقُلْنَ. التَّهْييجُ: انتفاخٌ في الجسم قد يكون من سِمَنٍ، وقد يكون من آفة، قال الأَصْمَعِيُّ أو غيره: هَجَمْتُ على حَيٍّ من العرب بوادٍ خصيبٍ، وإذا ألوانُهم مُصْفَرَّةٌ ووجوهُهم مُهَيَّجَةٌ، فقلت لهم: ما بالُكم؟ واديكم أَخْصَبُ وادٍ، وأنتم لا تُشْبِهُون المخاصب، فقال لي شيخ منهم: إن بلدنا ليست له رِيحٌ، يريد: أن الجبال أحاطت به فلا تُذْهِب الرياحُ وَبَاءَه ولاَ رُمْدَه.

صفوان بن المعطل[3]:

وفيه ذكر صَفْوان بن المُعَطِّلِ بن رُبَيْضَةَ بن خُزَاعِيّ بن مُحَارِبِ بن مُرَّةَ بن فَالج بن

---

(١) انظر حديث الإفك في البخاري (٥/١٩٨/٣٦٨) ومسلم (٢٧٧٠) وأحمد (٦/ ٢٧٢) والترمذي (٣١٧٩) والزاد (٣/ ٢٥٨) وتفسير سورة النور لعبد الأعلى المودودي.

(٢) التهييج: امتلاء الجسم وانتفاخه.

(٣) له ترجمة من الإصابة (٢/ ١٩٠) الاستيعاب (٢/ ١٢٢٣) تاريخ الصحابة (٦٦٤).

تخلَّف عن العسكر لبَعْض حاجته، فلم يبتْ مع الناس، فرأى سَوَادِي، فأقبل حتى وقف عليّ، وقد كان يراني قبل أن يُضرَب علينا الحِجاب، فلما رآني قال: إنَّا لِلَّهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجعُونَ، ظَعِينة رسول الله ﷺ! وأنا متلفِّفة في ثيابي، قال: ما خلَّفك يرحمك الله؟ قالت: فلما كلَّمته، ثم قرّب البعير، فقال: اركبي واستأخر عَنِّي. قالت: فركبتُ، وأخذَ برأس البعير، فانطلق سريعًا، يطلب الناسَ، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدْت حتى أصبحتُ، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا، فارْتَعَجَ العَسْكَرُ، ووالله ما أعْلم بشيء من ذلك.

ذَكْوان بن ثَعْلَبَة بن بُهْثَة بن سُلَيْم السُّلَمِيّ، ثم الذَّكْوانيّ يُكَنَّى أبَا عَمْرو، وكان يكون على سَاقَةِ العَسْكَرِ يلتقط ما يَسْقُط من مَتاع المسلمين، حتى يأتيهم به، ولذلك تَخَلَّف في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا، وقد رُوِي في تخلُّفه سببٌ آخر، وهو أنه كان ثقيلَ النَّوْم لا يستيقظ حتى يَرْتَحِلَ الناسُ. ويَشْهَد لصِحَّةِ هذا حديثُ أبي داود أن امرأةَ صَفْوَان اشتكت به إلى النبيّ - ﷺ - وذكرت أشياءَ منها أنه لا يُصَلِّي الصبحَ، فقال صَفْوانُ: يا رسول الله إني امْرُؤٌ ثقيلُ الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمسُ، فقال له النبيّ عليه السلام: «فإذا استيقظتَ فَصَلِّ» وقد ضَعَّف البزَّارُ حديثَ أبي دَاودِ[1] هذا في مُسْنَدِه. وقُتِل صَفْوانٌ بن المُعَطَّل شهيدًا في خلافة معاوية، واندقَّتْ رِجْلُه يوم قُتِل، فطاعن بها، وهي مُنْكسرة، حتى مات، وذلك بالجزيرة بموضع له شِمْطَاط.

تفسير أسقطوا:

وفيه من غير رواية ابن إسْحَاقَ أنهم دَعَوْا الجاريةَ، فسألوها حتى أسقطوا لها به، يريد: أَفْصَحوا بالأمر، ونَقَّروا عنه، يقال: ساقطته الحديثَ مُسَاقَطَةً وأَسْقَطُوا به، في هذا المعنى قال أبو حَيَّةَ [النُّمَيْرِيّ]:

إذا هُنَّ سَاقَطْنَ الحديث كأنه ... سِقَاطُ حَصَا المَرْجَان من سِلْك نَاظِم

كذا فسّره أبو الحسن بن بطال، وفيما ذكر ابنُ إسحاق من رواية الشيباني عنه، أنهم أداروا الجاريةَ على الحديث، ولم يصرخوا لها حتى فَطِنَتْ بما أرادوا، فقالت: ما أعلم عليها عَيْبًا، الحديث. وأما ضَرْبُ عليٍّ للجارية وهي حُرَّة، ولم تسْتَوْجب ضَرْبًا، ولا استأذن رسولَ الله - ﷺ - في ضربها، فأرى معناه أنه أغلَظ لها بالقول، وتوعَّدها بالضرب، واتَّهمها أن تكونَ خانت الله ورسولَه، فكَتَمَت من الحديث ما لا يسعها كَتْمُهُ مع إدلاله، وأنه كان من

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٥٨ - بتحقيقي) وأحمد (٣/ ٨٠) وأصله في الصحيحين.

ثم قَدِمْنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدة، ولا يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهَى الحديثُ إلى رسول الله ﷺ، وإلى أبَوَيَّ لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيرًا، إلاّ أني قد أنكرتُ من رسول الله ﷺ بعض لُطْفه بي، كنت إذا اشتكيتُ رَحِمني ولَطَفَ بي، فلم يفعل ذلك بي في شكْواي تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندي أُمي تُمَرِّضني ـ قال ابن هشام: وهي أُم رُومَانَ، واسمها زَيْنب بنت عبد دُهْمَان، أحد بني فِرَاسِ بن غَنْم بن مالك بنِ كِنانة ـ قال: كيف تِيكُمْ، لا يزيد على ذلك.

أهلِ البيت، وفي غير حديث ابن إسحٰق قالت الجاريةُ: والله ما أعلم عليها إلاّ ما يعلم الصائغُ على الذَّهَب الأحْمَر.

بـريـرة[1]:

وأما بَريرَةُ فهي مَوْلاةُ عائشة ـ رضي الله عنها ـ التي اشترتها من بني كاهلٍ فأعْتَقَتْها، وخُيِّرت في زَوْجها، وكان عَبْدًا لبني جَحْشٍ. هذه رواية أهل المدينة، وفي رواية أهلِ العراق أنه كان حُرًّا، وهي رواية الأسْوَد بن يزيد عن عائشة، والأولى روايةُ عُرْوَةَ والقاسم بن محمد عن عائشة، وكذلك يقولون بتخْيير الأَمَةِ إذا عُتِقَتْ، وإن كان بعلُها حُرًّا، وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم، فلا يرون تَخْييرها، إلاّ إذا كان زوجُها عبدًا، وعاشت بَريرَةُ حتى رَوى عنها الحديثَ بعضُ التابعين. قال عبدُ الملك بن مَرْوانَ: كنت أجالس بَريرَة قبل أن أَلِيَ هذا الأمر، فتقول لي: يا أبا عبد الملك، إن فيك خصالاً خَلِيقَةً بهذا الأمرِ، فإن وَلِيتَ هذا الأَمْرَ فاتَّقِ الله في الدِّماء، فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إن الرجل ليُحَالُ بينه وبين الجَنَّة بعد أن يَنْظُر إليها بمِحْجَمَةِ دم أراقَها مِنْ مُسْلِم في غير حَقٍّ». والبَريرَةُ واحدة البَرير وهو ثمر الأَراكِ.

أُم رومــان[2]:

وأمَّا أُمّ رُومَانَ، وهي أُمّ عائِشة فَقد مرّ ذكرها في هذا الحديث، وهي زَيْنَبُ بنتُ عامرِ بن عُوَيمرِ بن عَبْدِ شَمْسِ بن دُهْمَانَ، وهي من كِنَانَةَ، واختُلِف في عَمُود نسبِها، ولدت لأبي بكر عائشةَ وعبدَ الرحمٰن، وكانت قبل أبي بكر عند عبدِ الله بن الحارثِ بن سَخْبَرَةَ، فولدت له الطُّفَيْلَ، وتُوفيت أُمّ رومانَ سنةَ سِتٍّ من الهجرة، ونزل النبيّ ـ ﷺ ـ في قبرها،

---

(١) لها ترجمة في الإصابة (٤/ ٢٥١) الطبقات (٨/ ٢٥٦).

(٢) لها ترجمة في الإصابة (٤/ ٤٥٠) الطبقات (٨/ ٢٧٦).

قال ابن إسحٰق: قالت: حتى وَجدتُ في نفسي، فقلت: يا رسول الله، حين رأيتُ ما رأيت من جَفائه لي: لو أذنتَ لي، فانتقلت إلى أُمي، فمرّضتني؟ قال: «لا عليكِ».
قالت: فانتقلتُ إلى أُمي، ولا علْم لي بشيء مما كان، حتى نقِهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قومًا عربًا، لا نتخذ في بُيوتنا هذه الكُنُف التي تتَّخذها الأعاجم، نَعافها ونكرهها، إنما كنَّا نذهب في فُسح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن كلّ ليلة في حوائجهنّ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتي ومعي أُمّ مِسْطح بنت أبي رُهم بن المطَّلب بن عبد مناف، وكانت أُمها بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سَعد بن تيم، خالة أبي بكر الصدّيق رضي عنه؛ قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطها، فقالت: تَعس مِسْطح! ومِسْطَحٌ لَقَبٌ واسمه: عَوْف؛ قالت: قلت: بئس لَعَمْرُ اللهِ ما قلتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قالت: قلت: أو قد كان هذا؟ قالت: نعم والله فقد كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقْضي حاجتي، ورجعت، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيَصْدع كَبدي؛ قالت: وقلت لأُمي: يغفر الله لكِ، تحدّث الناسُ بما تحدّثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئًا! قالت: أي بُنَيَّة، خفِّضي عليك الشأن، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلاّ كثَّرْن وكثَّر الناس عليها.

وقال: «اللهم إنه لم يَخفَ عليك ما لقِيَتْ أُمّ رومان فيك، وفي رسولك» وقال: «مَنْ سَرَّه أن يَنْظُرَ إلى امرأةٍ من الحُوْر العِين، فلينظُرْ إلى أُمّ رُومَان»(١).

وهـم للبخـاري:

ورَوى البخاري حديثًا عن مَسْرُوق، وقال فيه: «سألت أُمَّ رُومَانَ وهي أُمُّ عائشةَ عما قيل فيها» ومَسْروقٌ وُلِد بعد رسول الله ـ ﷺ ـ بلا خلافٍ، فلم يَرَ أُمَّ رُومَانَ قَطُّ، فقيل: إنه وهِم في الحديث، وقيل: بل الحديث صحيح، وهو مُقَدَّم على ما ذكره أهل السِّيرة من مَوْتها في حياة النبيّ ﷺ، وقد تكلّم شيخُنا أبو بكر ـ رحمه الله ـ على هذا الحديث، واعتنى به لإشكالِه، فأوْرَدَه من طُرُقٍ، ففي بعضها: حدّثتني أُمُّ رومان، وفي بعضها عن مَسْرُوقٍ عن أُمّ رومَان مُعَنْعِنًا، قال رحمه الله: والعَنْعَنَةُ أَصَحُّ فيه، وإذا كان الحديثُ مُعَنْعَنًا كان محتملاً،

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٧٧).

قالت: وقد قام رسولُ الله ﷺ في الناس يَخْطبهم ولا أعلَمُ بذلك، فحَمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، ما بَالُ رجال يُؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غيرَ الحقّ، والله ما علمت منهم إلاّ خيرًا ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلاّ خيرًا، وما يَدْخل بيتًا من بيوتي إلاّ وهو معي».

قالت: وكان كُبْر ذلك عند عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُولَ في رجال من الخزرج مع الذي قال مِسْطح وحَمْنَة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصيني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعَصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرًا وأما حَمْنة بنت جَحش، فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تُضادُّني لأخته، فشَقِيَت بذلك.

ولم يلزم فيه ما يلزم في حَدَّثنا، وفي سألت، لأن للراوي أن يقولَ: عن فلان، وإن لم يُدْرِكْهُ وهو كثير في الحديث[١].

تنـاصـبني أو تنـاصـيني:

وقول عائشة: لم تكن امرأة تُنَاصِبُني في المنزِلَةِ عنده غيرها، هكذا في الأصل تُنَاصِبُني، والمعروفُ في الحديث: تُنَاصِيني من المُنَاصَاةِ، وهي المساواة، وأصله من النَّاصية.

---

(١) يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في الزاد (٣/٢٦٦): «ومما وقع في حديث الإفك، أن في بعض طرق البخاري عن أبي وائل عن مسروق قال: سألت أُم رومان عن حديث الإفك فحدّثتني. قال غير واحد: وهنا غلط ظاهر؛ فإن أُم رومان ماتت على عهد رسول الله ﷺ، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها وقال: «من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى هذه» قالوا: لو كان مسروق قَدِمَ المدينة في حياتها وسألها، للقي رسول الله ﷺ وسمع منه، ومسروق إنما قَدِمَ المدينة بعد موتِ رسول الله ﷺ، قالوا: وقد رَوى مسروق عن أم رومان حديثًا غير هذا، فأرسل الرواية عنها، فظنّ بعض الرواة أنه سمع منها، فحمل هذا الحديث على السماع، قالوا: ولعلّ مسروقًا قال: سُئلت أُم رومان، فتصحفت على بعضهم: سألت؛ لأن من الناس من يكتب الهمزة بالألف على كل حال. وقال آخرون: كل هذا لا يرد الرواية الصحيحة التي أدخلها البخاري في صحيحه، وقد قال إبراهيم الحربي وغيره: إن مسروقًا سألها، وله خمس عشرة سنة، ومات وله ثمان وسبعون سنة، وأُم رومان أقدم مَن حدّث عنه، قالوا: وأما حديث موتها من حياة رسول الله ﷺ ونزوله في قبرها فحديث لا يصح وفيه علّتان تمنعان صحته: إحداهما: رواية علي بن زيد بن جدعان له، وهو ضعيف الحديث لا يحتجّ به، والثانية: أنه رواه عن القاسم بن محمد عن النبيّ ﷺ، والقاسم لم يدرك زمن رسول الله ﷺ، فكيف يُقَدم هذا على حديث إسناده كالشمس يرميه البخاري في صحيحه ويقول فيه مسروق: سألت أُم رومان فحدّثتني، وهذا يرد أن يكون اللفظ: سُئلت: وقد قال أبو نعيم في كتاب «معرفة الصحابة»: قد قيل: إن أُم رومان توفيّت في عهد رسول الله ﷺ، وهو وهم» اهـ.

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أُسَيد بن حُضير: يا رسول الله، إن يكونوا من الأوس نَكْفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج، فمُرنا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم، قالت: فقام سَعْد بن عُبادة، وكان قبل ذلكَ يُرَى رجلاً صالحًا، فقال: كذبتَ لعَمْر الله، لا نضرب أعناقَهم، أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلاّ أنَّك قد عَرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا، فقال أُسَيد: كذبت لعَمر الله، ولكنَّك مُنافق تُجادل عن المُنافقين، قالت: وتساور الناس، حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوس والخزرج شرٌّ. ونزل رسولُ الله ﷺ، فدخل عليّ.

شعر حسَّان في العريض بابن المعطل:

وذكر قول حسَّان:

أمسى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا وابن الفُرَيْعَةِ أمسى بَيْضَةَ البَلَدِ

يعني بالجلابيب الغُرَباءَ، وبَيْضَةَ البلد، يعني: منفردًا، وهي كلمة يُتَكلَّم بها في المدح تارةً وفي معنى القُلِّ أُخرى، يقال: فلانٌ بَيْضَة البَلَد، أي: أنه واحدٌ في قومه، عظيم فيهم، وفلان بَيْضَةُ البلَد، يريد: أنه ذليل ليس معه أحد.

وأما قوله:

قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كنتَ صاحبَه

فقد يجوز أن يكون قولُه: مَنْ مبتدأ، وقد ثَكِلتَ أُمُّه في موضع الخبرِ المقدَّم عليه، ويجوز أن يكونَ مَنْ مفعولاً بثَكِلَتْ، وأُضمِر قبل الذِّكر مع اتصال الضمير بالفاعل، فيكون مثل قوله:

جَزَى رَبُّه عني عَدِيَّ بن حَاتمٍ

ومثل قوله:

أَبْقَى اليَوم مَجْدُه مُطْعِمَا

وقد تقدّم القولُ فيه.

وقوله: فَيغْطَئِلُّ، يريد البَحر أي: يَهِيجُ ويَغْتَلِمُ، وأصل هذه الكلمة من الغَيْطَلَةِ، وهي: الظُّلمة، وأصلها: يَغْطَالُّ مثل يَسْوَادُّ، لكنه همز الألِفَ لئلا يجتمع ساكنان، وإن كان اجتماعُهما في مثل هذا الموضع حَسَنًا كقوله تبارك وتعالى: ﴿ولا الضَّالِّين﴾، ولكنهما في الشعر لا يجتمعان إلاّ في عرُوض واحدةٍ، وهي المُتقَارِب، ومع هذا فقد قرأ أيوب بن أبي

(قالت): فدعا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأسامة بن زيد فاستَشارهما، فأمَّا أُسامة فأثنى عليّ خيرًا وقاله، ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرًا، وهذا الكذب والباطل، وأما عليّ فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تَستخلف، وسَل الجارية، فإنها ستصدقك. فدعا رسولُ الله ﷺ بَرِيرَة لَيسألها، قالت: فقام إليها عليّ بن أبي طالب، فضَرَبها ضربًا

تَمِيمَة [كيسان] السَّخْتَيَانيّ ولا الضالين بهمزة مفتوحة وقرأ عَمْرُو بن عُبَيْد: ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُم ولا جَأنٌ﴾ [الرحمٰن: ٥٦] وأنشَد الخطَّابِيّ:

سَقَى مُطغيات المَحْلِ سَكْبًا وديمَةً   عِظَامُ ابنِ لَيْلَى حَيْثُ كان رَمِيمُها
فأصبح منها كلُّ وَادٍ وتَلْعَةٍ   حَدَائِقَ خُضْرًا مُزْهَئِرًا عَمِيمُها

أنشد:

خَاطِمَها زَأَمَّهَا أنْ تَهْرُبَا

فإن قيل: الهمزةُ في هذا كلِّه مفتوحة، وفي قوله: يَغْطَئِلُّ مَكْسُورة، وكذلك في الحديث الصحيح: أسْوَد مُرْبَئِدّ في رواية.

قلنا: إنما كُسرتْ الهمزةُ في مُزْهَئِرٌ ومُرْبَئِدٌ ويَغْطَئِلُّ، بعد أنْ فُتِحَتْ في الماضي، فقيل: اغطَأَلَّ، وأزهأَرَّ، فصار على وزن اطْمَأَنَّ، فجاء اسمُ الفاعل والمستقبلُ على ذلك القياسِ مكسورًا كما يُكسَر في مُطْمَئِنّ.

تفسير العجب:

وقول ثابت لعبد الله بن رَوَاحَةَ: أما أَعْجَبَك ضَرْبَ حسَّانٍ بالسيفِ، معناه: أما جعلك تعجب، تقول: عجبْتُ من الشيء وأعجبني الشيء، إذا كان ذلك العجبُ من مَكْرُوهٍ أو مَحْبوب، وهو عند الناس بمعنى سَرَّني لا غير، وفي الحديث، وكلام العربِ شواهدُ كثيرةٌ على هذا المعنى منها في الكامل فَلأَعْجَبَني أنْ أعجَبه بكاءُ أبيه، وفي حديثٍ ذكره عن عبد الرحمٰن بن حسَّان، وكذلك أنشد:

ألا هُزِئَتْ بنا قرشِيّةٌ يَهْتَزُّ مَنْكِبُه!

تقول لي: ابنُ قَيْسٍ ذا وبعضُ الشَّيْبِ يُعْجِبُها.

وقال كَعْبُ بنُ زُهَيْر:

لو كنتُ أَعْجَبُ من شَيْءٍ لأَعْجَبني   سَعْيُ الفتى، وهو مَخْبُوءٌ له القَدَرُ له

شديدًا، ويقول: اصْدُقِي رسولَ الله ﷺ، قالت: فتقول: والله ما أعلم إلاّ خيرًا، وما كنت أعِيب على عائشة شيئًا، إلاّ أني كنت أعجِن عجيني، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله.

القرآن وبراءة عائشة

قالت: ثم دخل عليّ رسولُ الله ﷺ، وعندي أبواي، وعندي امرأةٌ من الأنصار، وأنا أبْكي، وهي تبْكي معي، فجلس، فحَمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا عائشة، إنه

وقوله عليه السلام: أتَشَوَّهْتَ على قَوْمِي أنْ هداهم الله، معناه: أقَبَّحْتَ ذلك من فِعْلِهم حين سميتَهُم بالجلابيبِ من أجل هِجْرتِهم إلى الله وإلى رسوله؟

بـيـرحــاء:

وقوله: فأعطاه عِوَضًا منها بِيَرحَاءٍ، وذكر بعضُهم أن هذه البئر سُمّيت بيَرَحاءٍ، بزجْر الإبل عنها، وذلك أن الإبلَ يقال لها إذا زُجِرَتْ عن الماء، وقد رَوِيتْ حَاحَا، وهكذا كان الأصيلي يقيده برفع الرَّاء إذا كان الاسم مَرْفوعًا، وبالمدّ، وغير الأصيلي يقول: بَيْرحَاء بالفتح على كل حال وبالقصر يجعله اسمًا واحدًا، وقد حكى عن بعضهم فيه بَيْرحاء، بفتح الباء مع القصر، وفي الصحيح أن أبا طلحة دَفَع بيرحَاءٍ إلى رسول الله - ﷺ - وجعلها صَدَقَةً، فأمره النبيُّ - ﷺ - أن يجعلها في الأقربين، فقسّمها بين أُبَيّ وحَسَّان، وفسّر البخاري وأبو داود القَرابةَ التي بين أبي طلحة وبينهما قالا: فأما حسَّانُ فهو ابن المنذِر بن ثابتِ بن حَرام، وأبو طَلْحة هو زيْد بن سَهْل بن حَرَام، فهذه قرابةٌ قريبةٌ، وأما أُبَيٌّ، فيجتمع معه في الأب السادس، وهو عَمْرو بن مالكِ بنِ النَّجّار، وقد كان أُبَيٌّ غنيًّا، فكيف ترك مَنْ هو أقربُ منه، وخصَّه؟

والوجْهُ في ذلك أن أُبيًّا كان ابن عمَّةِ أبي طَلْحَةَ، وهي صهيلة بنت الأسْوَدِ بن حرام، وهو معروف عند أهل النسب، فمن أجل ذلك النسب خَصَّه بها، لا من أجل النسب الذي ذكرناه فإنه بعيد، وإنما قال له النبيّ ﷺ: «اجعلها في الأقْربين».

حول براءة عائشة

وفي المسنَد من حديث عائشة أنه لما أنزل الله براءتها قام إليها أبو بكر، فقبّل رأسها، فقالت له: هَلاَّ كنت عَذَرْتني، فقال: أيُّ سَماءٍ تُظِلُّني، وأي أرْضٍ تُقِلُّني، إن قلت بما لا أعلم، وكان نزولِ براءةِ عائشةَ - رضي الله عنها - بعد قومهم المدينةَ بسَبْعٍ وثلاثين ليلةً في قول بعض المفسّرين.

قد كان ما قد بَلغك من قول الناس، فاتّقي الله، وإن كنتِ قد قارفتِ سُوءًا، مما يقول الناس فتُوبي إلى الله، فإن الله يقْبل التوبةَ عن عباده، قالت: فوالله ما هو إلاّ أن قال لي ذلك، فَقَلَصَ دمعي، حتى ما أُحسّ منه شيئًا، وانتظرتُ أَبَوَيَّ أن يُجيبا عني رسولَ الله ﷺ، فلم يتكلَّما. قالت: وأيم اللهِ لأنا كنت أَحْقَرُ في نفسي، وأَصْغَر شأنًا من أن يُنْزِل الله فيَّ قرآنًا يُقْرأُ به في المساجد، ويُصَلَّى به، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسولُ الله ﷺ في نومه شيئًا يكذّب به الله عني، لما يعلم من براءتي، أو يُخبر خبرًا، فأمَّا قرآن يَنزل فيّ، فوالله لنَفسي كانت أحقَر عندي من ذلك. قالت: فلما لم أر أبويّ يتكلَّمان، قالت: قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟ قالت: فقالا: والله ما نَدري بماذا نُجيبه، قالت: والله ما أعلم أهلَ بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، قالت: فلما أن اسْتَعْجَمَا عليَّ، استعبرتُ فبكيتُ، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا. والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه بريئة، لأقُولَنَّ ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تُصَدِّقونني. قالت: ثم التمستُ اسمَ يعقوب فما أذكره، فقلت: ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى ما تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. قالت: فوالله ما بَرح رسولُ الله ﷺ مجلسه حتى تغَشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه، فسُجِّي بثوبه ووُضعت له وِسَادَةٌ من أدَم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فَزِعْتُ ولا باليْتُ، قد عَرفت أني بَريئة، وأن الله عزّ وجلّ غيرُ ظالمي، وأمَّا أبواي، فوالذي نفسُ عائشةَ بيده، ما سُرِّي عن رسولِ اللهِ ﷺ حتى ظننتُ لتخرُجَنَّ أنفسُهما، فَرَقًا من أن يأتيَ من الله تحقيقُ ما قال الناس، قالت: ثم سُرِّي عن رسولِ الله - ﷺ - فجَلس، وإنه لَيَتَحَدَّرُ منه مثل الجُمَان في يوم شاتٍ، فجعل يَمْسَح العَرقَ عن جَبينه، ويقولُ: أَبْشري يا عائشة، فقد أنزل الله بَراءتك، قالت: قلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس، فخَطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمِسْطح بن أُثَاثَةَ، وحسَّان بن ثابت، وحَمْنة بنت جحش، وكانوا ممن أفْصح بالفاحشة، فضُرِبوا حدَّهم.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبي إسحاقُ بن يَسار عن بعض رجال بني النَّجّار: أن أبا أيّوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أُمّ أيُّوب: يا أبا أيُّوب، ألا تَسمع ما يقول الناس في

....

عائِشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أمّ أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنتُ لأفعله؛ قال: فعائشة والله خيرٌ منك.

قالت: فلما نزل القرآن بذكر مَنْ قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك، فقال تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ منكم لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَل هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإثْمِ والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١ وما بعدها]، وذلك حسَّان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا.

قال ابن هشام: ويقال: وذلك عبد الله بن أُبيّ وأصحابه.

قال ابن هشام: والذي تولى كِبْرَه عبد الله بن أُبيّ، وقد ذكر ذلك ابن إسحٰق في هذا الحديث قبل هذا. ثم قال تعالى: ﴿لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ والمُؤْمِناتُ بأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: أي: فقالوا كما قال أبو أيُوب وصاحبتُه، ثم قال: ﴿إذْ تَلَقَّوْنَه بأَلْسِنَتِكُمْ وتَقُولُونَ بأَفْوَاهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

فلما نزل هذا في عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكر، وكان ينفقُ على مِسْطح لقرابته وحاجته: والله لا أُنفق على مِسْطح شيئًا أبدًا، ولا أنفعه بنَفْع أبدًا بعد الذي قال لعائشة، وأدْخَل علينا، قالت: فأنزل الله في ذلك ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَى والمَساكِينَ والمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ألا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: يقال: كِبْره وكُبره في الرواية، وأما في القرآن فكِبْره بالكسر.

قال ابن هشام: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم﴾ ولا يألُ أولو الفضل منكم. قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدي:

ألا رُبَّ خَصْم فيك ألْوَى رَدَدْتُه نصيح على تَعْذاله غيرُ مؤْتَل

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ﴾: ولا يحلف أولو الفضل، وهو قول الحَسن بن أبي الحسن البصْري، فيما بلغنا عنه.

....

وفي كتاب الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائهمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦] وهو من الألية، والألية: اليمين. قال حسَّان بن ثابت:

آلَيْتُ ما في جميع الناس مُجتهدًا ... مِنِّي أَلِيَّةَ بِرٍّ غَيرِ إفْنَاد

وهذا البيت في أبيات له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها. فمعنى: أن يؤتوا في هذا المذهب: أن لا يؤتوا، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلّوا﴾ [النساء: ١٧٦] يريد: أن لا تضلوا، ﴿ويُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥] يريد أن لا تقع على الأرض، وقال ابن مَفَرِّغ الحِمْيَرِيّ:

لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ في وَضَح الصُّبْـ ... ـح مُغِيرًا ولا دُعِيتُ يَزِيدا

يوم أُعْطي مَخافَة المَوْت ضَيْمًا ... والمَنايا يَرْصُدْنني أن أحِيدا

يريد: أن لا أحيد، وهذان البيتان في أبيات له.

قال ابن إسحٰق: قالت: فقال أبو بكر: بلى والله، إني لأحبّ أن يغْفِر الله لي، فرَجعَ إلى مِسْطح نَفَقَتَه التي كان يُنفِق عليه، وقال: والله لا أنزِعها منه أبدًا.

ابن المعطل يهمّ بقتل حسَّان

قال ابن إسحٰق: ثم إن صَفوان بن المِعَطَّل اعترض حسَّان بن ثابت بالسَّيف، حين بلغه ما كان يقول فيه، وقد كان حسَّان قال شعرًا مع ذلك يعرّض بابن المعطل فيه وبمن أسْلم من العرب من مُضر، فقال:

أمْسَى الجَلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا ... وابنُ الفُرَيْعة أمْسَى بَيْضة البَلَد

قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كُنتَ صَاحِبَه ... أو كان مُنْتَشِبًا في بُرْثُنِ الأسَد

ما لِقَتِيلي الذي أغْدُو فآخُذُه ... مِنْ دِيَةٍ فِيه يُعطاها وَلا قَوَدِ

ما البَحر حين تَهبّ الرّيح شامية ... فيَغْطَئِلُّ[1] ويَرْمي العُبْرَ بالزَّبَد

يوْمًا بأغلب مني حين تُبْصِرني ... مِلْغَيْظِ[2] أفْرِي كَفَرْي العارِض البَرِد

....

(١) يغطئل: يرتفع.
(٢) ملغيظ: أي من الغيظ.

أَمَّا قُرَيْشٌ فإني لَن أسالِمهم حتى يُنيبوا من الغَيَّات للرّشد
ويتركوا اللاَّتَ والعُزَّى بمَعْزِلَةٍ ويَسْجُدوا كلُّهم للواحد الصَّمد
ويَشْهَدُوا أنَّ ما قالَ الرَّسولُ لهم حَقٌّ ويُوفُوا بعَهْدِ الله والوُكُد

فاعترضه صَفْوان بن المُعَطَّل، فضَربه بالسَّيف، ثم قال: كما حدّثني يعقوب بن عتبة:

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيف عني فإنني غُلام إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن ثابت بن قَيس بن الشَّماس وَثَب على صَفْوان بن المُعطَّل، حين ضَرب حَسَّان، فجمع يَدَيه إلى عُنقه بحبل، ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن رَوَاحَةَ، فقال: ما هذا؟ قال: أما أعجبك ضرب حَسَّانَ بالسَّيف والله ما أراه إلاّ قد قتله، قال له عبد الله بن روَاحة: هل علِم رسولُ الله ﷺ بشيء مما صنعت؟ قال: لا والله، قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل، فأطْلقه، ثم أتَوْا رسولَ الله ﷺ، فذكروا ذلك له، فدعا حسَّان وصفوان بن المُعطَّل، فقال ابن المُعطَّل يا رسول الله: آذاني وهجاني، فاحتملني الغضب، فضربته، فقال رسول الله ﷺ لحسَّان: «أحسن يا حسَّان، أَتَشَوَّهْتَ على قومي أن هداهم الله للإسلام»، ثم قال: «أَحْسِنْ يا حسَّان في الذي أصابك»، قال: هي لك يا رسول الله.

قال ابن هشام: ويقال: أَبعد أن هداكم الله للإسلام.

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن إبراهيم: أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضًا منها بيَرحاءِ، وهي قصر بني حُدَيلة اليوم بالمدينة، وكانت مالاً لأبي طَلْحة بن سَهْل تصدَّق بها على آل رسول الله ﷺ، فأعطاها رسولُ الله ﷺ حَسَّان في ضَرْبته، وأعطاه سِيرين، أَمَة قَبْطيَّة، فولده له عبدَ الرحمٰن بن حسَّان، قالت: وكانت عائشة تقول: لقد سُئل عن ابن المُعطل، فوَجده رجلاً حَصُورًا، ما يأتي النساء، ثم قُتل بعد ذلك شهيدًا.

قال حسَّان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ وتُصبح غرْثَى من لُحوم الغَوافِلِ

شعر حسَّان في مدح عائشة:

وقول حسَّان في عائشة:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِريبَةٍ وتُصْبِح غرْثَى من لُحُومِ الغَوَافِل

عَقِيلَةُ حَيٍّ من لُؤَيِّ بن غالبٍ كِرَام المسَاعي مَجْدُهم غيرُ زائل
مُهَذَّبةٌ قد طَيَّبَ الله خِيمَها وطَهَّرَها مِنْ كُلِّ سُوءٍ وباطِل
فإن كُنتُ قد قلتُ الذي قد زَعمْتُمُ فَلا رفَعتْ سَوْطِي إليَّ أنامِلي
وكيف وَوُدّي ما حَيِيتُ ونُصْرتي لآلِ رسولِ اللهِ زَيْنِ المَحافِل

حَصَانٌ: فَعَالٌ بفتح الحاء يكثر في أوصافِ المؤنث، وفي الأعلام منها، كأنهم قصدوا بتوالي الفَتحَات مُشَاكَلَةَ خِفَّة اللفظ لخِفَّة المعنى، أي: المسَمَّى بهذه الصفاتِ خفيف على النفس، وحَصَان من الحِصْنِ والتَّحَصُّن، وهو الامتناعُ على الرجال من نظرهم إليها، وقالت جارية من العرب لأُمها:

يا أُمَّتا أَبْصَرَنِي راكبٌ يَسِيرُ في مُسْحَنْفِرٍ[1] لاحِبٍ[2]
جَعَلْتُ أَحْثِي الترابَ في وَجْهِه حُصْنًا وأَحْمِي حَوْزَة الغائِبِ

فقالت لها أمها:

الحُصْنُ أَدْنَى لو تآبَيْتِهِ مِنْ حَثْيِك التُّرْبَ على الرَّاكب

ذكر هذه الأبيات أحمدُ بن أبي سَعِيد السِّيرافي في شرح أبياتِ الإيضاح والرَّزَانُ والثَّقَالُ بمعنى واحد، وهي القليلةُ الحركة.

وقوله:

وتُصْبِح غَرْثَى من لُحُوم الغَوَافِل

أي: خَمِيصَة البَطْنِ من لُحُوم الناسِ، أي: اغْتِيَابِهم وضَرَبَ الغَرْثَ مَثَلاً، وهو عدم الطُّعْم وخُلُو الجُوْفِ، وفي التنزيل: ﴿أَيُحِبُّ أحدُكم أن يَأْكُلَ لَحْمَ أخيه مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢] ضرب المثل لأخْذِه في العِرْض بأَكْل اللَّحْم، لأن اللحم سِتْرٌ على العَظْم، والشاتمُ لأخيه كأنه يَقْشِرُ ويَكْشِف ما عليه من سِتْرٍ.

وقال: مَيْتًا، لأن الميتَ لا يُحس، وكذلك الغائبُ لا يَسْمَعُ ما يقول فيه المُغْتابُ، ثم هو في التحريم كأكْل لحم الميْت.

وقوله: من لُحُوم الغَوَافِلِ، يريد: العَفَائِفَ الغافلةُ قلوبُهُنَّ عن الشرّ، كما قال سبحانه: ﴿إن الذين يَرْمُون المُحصَنَاتِ الغافلاتِ المُؤمنات﴾ [النور: ٢٣] جعَلَهُنَّ غافلاتٍ، لأن الذي

---

(١) مسحنفر: أي ممتد.
(٢) لاحب: واسع.

له رَتَب عالٍ على النَّاس كُلِّهِمْ ... تَقاصَرُ عنه سَوْرَة المُتَطَاوِلِ

فإنّ الذي قد قيلَ لَيْس بلائطٍ[1] ... ولكنَّه قَوْلُ امْرِئٍ بِيَ ماحِلِ

قال ابن هشام: بيته: «عقيلة حي» والذي بعده، وبيته: «له رتب عال» عن أبي زَيد الأنصاري.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة: أن امرأة امدحت بنتَ حسَّان بن ثابت عند عائشة، فقالت:

حِصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبة ... وتُصْبح غَرثى من لُحوم الغَوافِلِ

فقالت عائشة: لكن أبوها.

رُمِين به من الشَّرّ لم يَهْمُمْنَ به قَطُّ ولا خَطَر على قُلوبهن، فهُنَّ في غَفْلَةٍ عنه، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف.

وقوله:

له رَتَبٌ عالٍ على الناسِ كُلِّهم

الرَّتَبُ: ما ارتفع من الأرْضِ وعَلاَ، والرَّتَبُ أيضاً: قُوَّةٌ في الشَّيء وغِلَظٌ فيه، والسَّوْرَةُ رُتْبة رفيعة من الشرف مأخوذة اللفظِ من سُور البناء.

وقوله:

فإن الذي قد قيل ليس بلائِطٍ

أي: بلاصق، يقال: ما يَلِيطُ ذلك بفلان، أي: ما يلصق به، ومنه سُمِّي الرِّبا: لِيَاطًا، لأنه أَلْصَقُ بالبَيْع، وليس بِبَيْعٍ. وفي الكتاب الذي كَتب لثقيف: وما كان من دَيْنٍ ليس فيه رَهْنٌ، فإنه لِيَاطٌ مُبرَّأٌ من اللهِ. وسَيأتِي حديثُه مفسَّرًا إن شاء الله.

وقوله في الشِّعر:

فلا رفَعَت سوطي إلَيَّ أناملي

دعاءٌ على نفسِه، وفيه تصديقٌ لمن قال: إن حَسَّان لم يُجْلَدْ في الإفْكِ، ولا خاض

(١) بلائط: بلاحق.

شعر في هجاء حسّان ومسطح:

قال ابن إسحٰق: وقال قائل من المسلمين في ضرب حسّان وأصحابه في فِرْيتهم على عائشة ـ قال ابن هشام: في ضرب حسّان وصاحبيه:

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الذي كان أهلَه ... وحَمْنَةُ إذْ قالوا هَجيرًا ومِسْطَحُ

تعاطَوْا برَجْمِ الغَيْب زوجَ نبيِّهم ... وسَخْطة ذي العَرْش الكَريم فأُترِحوا

فيه، وأنشدوا البيت الذي ذكره ابن إسحٰق:

لَقد ذاق حَسَّانُ الذي كان أهلَه

على خلاف هذا اللفظ:

لَقد ذاق عَبْدُ الله ما كان أَهْلَه ... وحَمْنَةُ إذ قالوا: هجِيرًا ومِسْطَحُ

ما نزل في حق أصحاب الإفك:

وذكر ما أنزلَ الله تعالى في أصحاب الإفْك وقوله تعالى: ﴿إذ تَلَقَّوْنَه بأَلْسِنَتِكم﴾ [النور: ١٥] وكانت عائشةُ ـ رضي الله عنها تقرؤها: إذْ تَلِقُونه بألْسِنَتِكُمْ من الوَلَقِ، وهو استمرارُ اللسان بالكَذِبِ. وأما إقامةُ الحَدِّ عليهم ففيه التَّسْويَةُ بين أفضلِ الناس بعد النبيِّ ـ ﷺ ـ وأدنى الناسِ دَرَجَةً في الإيمان، لا يُزَاد القاذفُ على الثمَّانين، وإن شتم خير الناس بعد رسول الله ﷺ، ولا ينقص منها، فإن قذف قاذفٌ اليومَ إحدى أمهاتِ المؤمنين سوى عائشة، فيتوجه فيه للفقهاء قولان: أحدهما: أنْ يُجلَد ثمانين كما يقتضيه عمومُ التنزيلِ، وكما فعل النبيُّ ـ ﷺ ـ بالذين قَذَفوا أهلَه قبل نزول القرآن ببراءتها، وأما بعد نزول القرآن ببراءتها فيُقتَل قاذفُها قَتْل كُفرٍ، ولا يُصَلَّى عليه، ولا يُورث، لأنه كَذَّب الله تعالى.

والقولُ الثاني في قاذف أُمهاتِ المؤمنين غير عائشة ـ رضي الله عنهن أن يُقْتَل أيضًا، وبه كان يأخذ شيخُنا ـ رحمه الله تعالى ـ ويحتجّ بقوله تعالى: ﴿إن الذين يُؤْذُون الله ورسولَه لَعنَهم الله في الدنيا والآخرة﴾ [الأحزاب: ٥٧] الآية، وإذا قذف أزواجَ النبيّ عليه السلام، فقد سَبَّه. فمن أعظم الإذاية، أن يُقَالَ عن الرَّجُل: قَرْنَان[١] وإذا سُبَّ نبيٌّ بمثل هذا فهو كُفْرٌ صُرَاحٌ وقد قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: خانتا في الطاعة لهما، والإيمان، وما بغت امرأةُ نَبيٍّ قَطُّ، أي: ما زنت.

---

(١) قرنان: أي له قرين يشاركه في زوجه.

وآذَوْا رسـولَ الله فـيـهـا فـجُـلِّـلـوا مَخازِي تَبْقَى عُمِّمُوها وفُضِّحوا
وصُبَّت علَـيهـم مُحْصَدات كأنَّها شآبيبُ قَطْر من ذُرَ المُزْنِ تسْفَح

إهـداء سيرين إلى حسَّـان:

وذكر أن النبيّ - ﷺ - أعطى حَسَّانَ جاريتَه بضربِ صَفْوَانَ بن المُعَطَّلِ له، وهذه الجاريةُ اسمها سيرين بنت شَمْعُون أختُ مارِيَة سُرِّيَّةُ النبيِّ - ﷺ - وهي أُمُ عبدِ الرحمٰن بن حَسَّانَ الشاعر، وكان عَبدُ الرحمٰنِ يَفْخَر بأنه ابن خَالةِ إبراهيم ابن النبيّ ﷺ وقد روت سيرينُ هذه عن النبيّ ﷺ حديثًا قالت: رأى رسولُ الله ﷺ خللاً في قبر إبراهيم ابنِه فأصلحه، وقال: «أن الله يحبّ من العبد إذا عمل عملاً أن يُصْلِحَه»[1].

(١) انظر المجمع (٤/٤٨).

أمر الحديبية في آخر سنة ست، وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو

قال ابن إسحٰق: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوّالاً، وخرج في ذي القعدة معتمرًا، لا يريد حربًا.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُمَيلة بن عبد الله اللَّيثي.

غـزوة الحـديبية(1)

يقال فيها: الحُدَيْبِيَة بالتخفيف، وهو الأعرف عند أهل العربية. قال الخطابي: أهلُ الحديث يقولون: الحُدَيْبِيَّة بالتشديد، والجِعِرَّانَة كذلك، وأهل العربية يقولونهما: بالتخفيف، وقال البكري: أهلُ العراق يشدِّدُون الراءَ والياء في الجِعِرَّانة والحُدَيْبِيَّة، وأهل الحجاز يخففون، وقال أبو جعفر النحاس: سألت كل من لَقِيته ممن أَثِق بعلمه عن الحُدَيْبِيَة، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف(2).

الميقـات والإشعـار:

فصل: وذكر خروج النبيّ - ﷺ - مُعْتَمِرًا إلى مكّة، ولم يذكر في حديثه: من أَيْنَ أحرم، وفي الصحيح من رواية الزُّهْرِيّ أنه أحرم من ذي الحُلَيْفَة، وهو خلاف ما يُروى عن

---

(1) انظر البداية (٤/١٤٦) الطبري (٢/ ٦٢٠) ابن سيّد الناس (٢/ ١١٣) شرح المواهب (٢/ ١٧٩) الطبقات لابن سعد (٢/ ٩٥) الزاد (٣/ ٢٨٦) الكامل (٢/ ٨٦) الاكتفاء (٢/ ٢٢٣) المنتظم (٣/ ٢٦٧) الواقدي (٢/ ٥١٧) أنساب الأشراف (١/ ١٦٩) ابن حزم (٢٤٨) البخاري (٥/ ١٢١).

(2) الحديبية: قرية على تسعة أميال من مكّة. وسمّيت ببئر فيها عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها.

قال ابن إسحٰق: واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قُريش الذي صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب، وخرج رسولُ الله ﷺ بمَن معه من المهاجرين والأنصار من لَحِق به من العرب، وساق معه الهَدْي، وأحرم بالعُمرة ليأمن النَّاسُ من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت ومعظِّمًا له.

قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، عن عُروة بن الزُّبير عن مِسْوَر بن مَخْرمة ومَروان بن الحَكم أنهما حدّثاه قالا: خرجَ رسولُ الله ﷺ عام الحُدَيْبِيَة يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساقَ معه الهَدْيَ سَبعين بَدَنةً، وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كلّ بَدَنَةٍ عن عَشْرة نفر.

وكان جابر بن عبد الله، فيما بلغني، يقول: كنَّا أصحابَ الحُدَيبية أربعَ عشرة مائة[1].

عليٌ رحمه الله من قوله: «إن تمام العُمرة أن تُحْرَم بها من دُوَيْرَة أهلِك»[2]، وهذا من قول عليٍّ مُتَأَوَّلٌ فيمن كان منزلُه من وَرَاءِ الميقاتِ، فهو الذي يُحْرم من دُوَيْرةِ أهلِه، كما يُحْرِمُ أهلُ مكّة من مكّةَ في الحجّ.

وفيه: أنه أَشْعَرَ الهَدْيَ، وهو خلاف قول النَّخعِيِّ وأَهلِ الكوفة في قولهم إن الإشعارَ منسوخٌ بنهيه عن المُثْلَةِ، ويقال لهم: إن النَّهي عن المُثْلَةِ كان بإِثْرِ غَزْوَة أُحُد، فلا يكون الناسخُ متقدّمًا على المنسوخ.

من شرح حديث الحديبية:

وفيه أنهم مَرُّوا بطَرِيقٍ أَجْرَدَ، ومعناه: كثيرُ الحجارةِ، والجَرَدُ: الحَجَرُ.

وفيه أنه بعث عَيْنًا له من خُزَاعَة إلى مكّة، فدلّ على أنه يجوزُ للرجل أن يسافرَ وحده، إذا مسّتْ الحاجةُ إلى ذلك، أو كان في ذلك صَلاحٌ للمسلمين.

وفي البخاري والنَّسَوِيّ أن عَيْنه الذي أرسل جاءه بغَدِير الأشْطَاطِ، والأشْطَاطُ: جَمْع شَطٍّ، وهو السَّنَامُ، قال الراجزُ:

شَطًّا رَمَيْتَ فوقه بِشَطِّ

---

(١) انظر البخاري (٧/ ٣٤١) ومسلم (١٨٥٦) والفتح (٧/ ٣٤١).
(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧١).

قال الزهري: وخرج رسولُ الله ﷺ، حتى إذا كان بعُسْفان لَقِيه بشر بن سُفيان الكَعْبي - قال ابن هشام: ويقال بُسْر - فقال: يا رسول الله هذه قُريش، قد سَمِعت بمَسِيرِكَ، فخرجوا معهم العُوذُ المَطافِيل، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور، وقد نَزلوا بذي طُوَى، يُعاهدون الله لا تَدْخلها عليهم أبدًا، وهذا خالد بن الوليد في خَيْلِهم قد قَدّموها إلى كُراع الغَميم، قال: فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا وَيْحَ قُريش! لقد أكَلتهم الحربُ، ماذا عليهم لو خَلَّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابُوني كان الذي أرادُوا، وإن أظْهَرَنِي الله عليهم دخلوا في الإسلام وافِرين، وإن لم يَفْعلوا قاتَلُوا وبهم قُوّة، فما تَظُنّ قريش، فوالله لا أزال أُجاهِد على الذي بَعثني الله به حتى يُظهرَه الله أو تَنفرد هذه السَّالفة».

وشَطُّ الوادي: أيضًا جانبُه، وبعضهم يقول فيه الأشْظَاظ بالظاء المعجَمة، واسم عينه ذلك بُسْرُ بن سُفيَانَ بن عَمرو بن عُمَيْر الخُزَاعِي، وهو الذي بعثه رسولُ الله ﷺ مع بُدَيْل ابن أُم أَصْرَمَ وهو بُدَيْلَ بن سَلَمَة إلى خزاعة يَسْتَنْفِرُهم إلى قتالِ أهْلِ مكّة عامَ الفَتْح.

وفيه أن قريشًا خرجت ومعها العُوذُ المطَافِيلُ. العُوذُ: جمع عائِذٍ، وهي الناقة التي معها ولدُها، يُريد أنهم خرجوا بذَوَاتِ الألْبَانِ من الإبل، ليتزَوَّدوا ألْبَانَها، ولا يَرْجعوا، حتى يُنَاجِزوا محمدًا وأصحابَه في زعمهم، وإنما قيل للناقة: عائذ، وإن كان الولدُ هو الذي يعوذ بها، لأنها عاطفٌ عليه، كما قالوا: تَجَارَةٌ رابحة، وإن كانت مَرْبُوحًا فيها، لأنها في معنى نَامية وزَاكِية، وكذلك عيشة رَاضِيَة لأنها في معنى صالحة، ومن نحو هذا قوله: ﴿والهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾ [الفتح: ٢٥] وإن كان عاكِفًا، لأنه مَحْبُوسٌ في المعنى، فتحوّل وزنُه في اللفظِ إلى وَزْنِ ما هو في معناه، كما قالوا في المرأة: تُهْرَاقُ الدِّمَاء، وقياسه: تُهْرِيقُ الدِّمَاءَ، ولكنه في معنى: تُسْتَحَاضُ، فَحُوّلَ إلى وزن ما لم يُسَمَّ فاعلُه الدماءُ منصوبة على المفعول كما كانت.

وقوله في بئر الحُدَيْبِيَةَ: إنما يُتبرَّضُ ماؤُهَا تَبَرُّضًا من البَرْضِ، وهو الماء الذي يَقْطُر قَلِيلاً قَلِيلاً، والبارِضُ من النبات الذي كأنه يقطُر من الرِّيِّ والنعمة. قال الشاعر:

رَعَى بارِضَ البُهْمَى[1] جَمِيما وبُسْرَةً … وصَمْعَاءَ حتى آنفتْه[2] نِصالُها

يقال لكل شيء في أوّله: بُسْرة حتى للشمسِ عند طلوعها، وصَمْعَاء: مُتَّجِدَة قد شَوَّكَت، قاله أبو حنيفة.

---

(١) البهمى: ضرب من النبات أخضر، فإذا كبُر فهو: جميم، ثم جمعاء.
(٢) آنفته: اشتكت بأنفها.

الرسول ﷺ يسلك طريقًا غير طريق قريش:

ثم قال: مَنْ رَجُلٌ يَخرج بنا على طَريق غير طَريقهم التي هُمْ بها؟

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر: أن رجلاً من أسْلم قال: أنا يا رسول الله، قال: فسَلك بهم طريقًا وَعْرًا أجْرَل بين شِعاب، فلما خرجوا منه، وقد شقّ ذلك على المُسْلِمين وأفضَوا إلى أرض سَهْلة عند مُنْقَطع الوادي؛ قال رسولُ الله ﷺ للناس: «قُولوا: نَستغفر الله ونَتوب إليه»؛ فقالوا ذلك، فقال: «واللهِ إنها لَلْحِطّة التي عُرِضت على بني إسرائيل». فلم يقولوها.

قال ابنُ شهاب: فأمر رسولُ الله ﷺ الناس فقال: «اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْري الحَمْش، في طريقٍ تُخرجه على ثَنِيَّة المُرَار مَهْبط الحُديبية من أسفل مكّة»؛ قال: فسلك الجيشُ ذلك الطريق، فلما رأت خيلُ قريش قَتَرَة الجيش قد خالَفوا عن طَريقهم، رَجعوا راكضين إلى قُريش، وخرج رسولُ الله ﷺ، حتى إذا سلك، في ثَنِيَّة المُرَارِ برَكت ناقته، فقالت الناس: خَلأَتِ الناقة، قال: «ما خَلأَتْ وما هُوَ لها بخُلُق، ولكنْ حَبسها حابسُ الفِيل عن مكة. لا تَدْعوني قريش اليومَ إلى خُطّة يسألونني فيها صِلَة الرحم إلا أعطيتُهم

وذكر أن رَجُلاً من أسلم سلك بهم طَريقًا وَعْرًا أَجْرَلَ يقال: إن ذلك الرَّجل هو ناجِيَة الأسلمي، وهو سائق بُدْنِه، وهو ناجية بن جُنْدَب، ويقال: فيه ابنُ عُمَيْر، وكان اسمه: ذَكْوَانَ، فسمّاه النبيّ ﷺ: ناجِيَةَ حين نجا من كفّار قريش، وعاش إلى زمن معاويةَ، وأما صاحبُ بُدْنِ رسول الله ﷺ المذكور في حديث آخر في المُوطأ وغيره، فاسمه: ذُؤَيْبُ بن حَلْحَلَةَ بن عَمْرو بن كُلَيْب بن أَصْرَمَ بن عبدِ الله بن قُمَيْر بن حُبْشِيَّةَ ابن سَلُول بن كَعْب بن عَمْرو بن رَبِيعة، وهو لُحَيُّ بنُ حَارِثة جدُّ خُزَاعَةَ، وذُؤَيْبُ هذا هو والدُ قَبِيصَةَ بن ذُؤَيْبِ القاضي صاحبِ عبدِ الملك بن مَرْوَانَ، وعاش ذُؤَيبٌ إلى خِلاَفَةِ معاوية أيضًا.

وذكر في نَسَبِ أسْلَمَ بن أَفْصَى بن أبي حارثة، وهو وهم، وقد أصلحه ابنُ هشام، فقال: هو حارثة يعني ابن ثَعْلَبَةَ بن عَمْرو بن عَامِر بن ماءِ السَّماءِ بن حَارِثَة الغِطْرِيفِ بن امرِىءِ القيس بن ثَعْلَبَةَ بن مازِن بن الأسد، ويحتمل أن يكون ابن إسحٰق لم يَهِمْ فيه، ولكنه نسبه إلى أبي حارثة بن عَمْرو بن عامر، وهو عَمُّ حارثَة بن ثَعْلَبَةَ، وحارثةُ هو أبو الأوْسِ والخَزْرَج.

وذكر قوله عليه السلام: «لا تَدْعُوني قريشٌ اليوم إلى خطَّةٍ»[1]، الحديث، وفي غير

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٤).

إيّاها». ثم قال للناس: «انزِلوا»، قيل له: يا رسول الله: ما بالوادي ماءٌ ننزل عليه، فأخرج سهمًا من كِنانته، فأعطاه رجلاً من أصحابه، فَنزل به في قَلِيب من تلك القُلُب. فغَرزه في جَوْفه، فجاش بالرَّوَاء حتى ضَرب الناس عنه بعَطَن.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني بعضُ أهل العلم عن رجال من أسْلم: أن الذي نزل في القليبِ بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جُندَب بن عُمَير بن يَعْمَر بن دارم بن عَمْرو بن وَائِلَة بن سَهْم بن مازن بن سلامان بن أسْلَم بن أفْصَى بن أبي حارثة، وهو سائق بُدْنِ رسولِ اللهِ ﷺ.

قال ابن هشام: أفْصى بن حارثة.

قال ابن إسحٰق: وقد زعم لي بعضُ أهل العلم: أن البَرَاء بن عازِبٍ كان يقول: أنا الذي نزلت بسَهم رسول الله ﷺ، فالله أعلم أي ذلك كان.

وقد أنشدت أسلم أبياتًا من شعر قالها ناجيةُ، قد ظَننا أنه هو الذي نَزل بالسهم، فزعمت أسلم أن جاريةً من الأنصار أقبلت بدَلْوِها، وناجيةُ في القَلِيب يَمِيح على الناسِ، فقالت:

يـا أيـهـا الـمـائـح دَلْـوي دُونَـكـا ... إنـي رأيـتُ الـنـاسَ يَـحْـمـدُنَـكـا

يُـثْـنـون خـيـرًا ويُـمَـجِّـدُونـكـا

قـال ابـن هـشـام: ويُـروى:

إنـي رأيـت الـنَّـاس يَـمـدحـونـكـا

رواية ابن إسحٰقِ عن الزُّهري أنه قال: «والذي نفْسِي بيده، لا تدعوني قريش»، ولم يقل في الحديث: إن شاء الله، وقد تكلّموا في ذلك فقيل: إنما أسقط الاستثناء، لأنه أمرٌ واجبٌ كان قد أُمر به، ألا تراه يقول في الحديث: «إنما أنا عبدُ الله ورسُوله لن أُخالف أمره، ولن يُضَيِّعني»، وقيل: إن إسقاطَ الاستثناء، إنما هو من الراوي إمَّا نَسِيَه وإمَّا لم يَحْفَظْه.

وفي الحديث: أَوْ تَنفرِدُ هذه السالفةُ. السالفةُ: صَفْحَةُ العُنُقِ، وانفرادُها عبارةٌ عن القتل أو الذبح، وفي الرجز الذي أنشده:

يَـا أيُّـهـا الـمـائـحُ دَلْـوِي دُونَـكَـا

لو قال: دُونَك دَلْوِي لكان الدَّلْوُ في موضع نَصْبٍ على الإغراءِ، فلما قَدَّمها على دُونَك، لم يَجُزْ نصبُها بدونك، ولكنه بفعلٍ آخرَ، كأنه قال: املأ دَلْوِي، فقوله: دُونَكَا أَمْرٌ بعد أَمْرٍ.

قال ابن إسحٰق: فقال ناجية، وهو في القَليب يَميح على الناس:

قد علمت جاريةٌ يمانِيَة ... أني أنا المَائح واسمي ناجِيَة
وطَعنةٍ ذات رَشاش واهِيَة ... طعنتُها عند صدور العادِيَة

فقال الزهري في حديثه: فلما اطمأنّ رسولُ الله ﷺ أتاهُ بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعيّ، في رجال من خُزاعَةَ، فكلَّموه وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يُريد حربًا، وإنما جاء زائرًا للبيت، ومعظِّمًا لحُرمته، ثم قال لهم نحوًا مما قال لبِشْر بن سُفْيان، فرَجعوا إلى قُريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تَعْجلون على محمد، إن محمدًا لم يأت لقتال، وإنما جاء زائرًا هذا البيت، فاتهموهم وجَبَّهوهم وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عَنْوة أبدًا، ولا تحدّث بذلك عنّا العرب.

قال الزهري: وكانت خُزَاعَةُ عَيْبَةَ نُصْح رسول الله ﷺ، مُسْلمُها ومُشْركها، لا يُخْفون عنه شيئًا كان بمكّة.

قال: ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حَفْص بن الأخْيَف، أخا بني عامر بن لؤَيّ، فلما رآه رسول الله ﷺ مُقبلاً قال: «هذا رجلٌ غادِر»[1]، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلّمه، قال له رسولُ الله ﷺ نحوًا مما قال لبُدَيل وأصحابه، فرجع إلى قُريش فأخبرهم بما قال له رسولُ الله ﷺ.

ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن عَلقمة أو ابن زَبَّان، وكان يومئذ سَيِّد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة؛ فلما رآه رسولُ الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتألَّهون، فابعثوا الهَدْي في وَجْهه حتى يراه»، فلما رأى الهَدْي يَسيل عليه من عُرْض الوادي في قلائده، وقد أكل أوْبارَه من طُول الحَبس عن مَحَلِّه، رجع إلى قُرَيْش، ولم يَصِل إلى رسولِ الله ﷺ إعظامًا لما رأى، فقال لهم ذلك. قال: فقالوا له: اجلس، فإنما أنت أعْرابي لا عِلْم لك.

وفيه قوله ﷺ: في الحُلَيسِ: «إن هذا من قوم يتألَّهون»[2]، أي: يُعَظِّمون أمرَ الإله، ومنه قول رؤبة:

سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تَألُّه

أي: من تَنَسُّكٍ وتعظيم لله سبحانه.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٤).
(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ١١٩).

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أن الحُلَيس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قُريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم. أيُصَدُّ عن بيت الله مَنْ جاء مُعَظِّمًا له! والذي نفس الحُلَيس بيده، لتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد. قال: فقالوا له: مَهْ، كفّ عنا يا حُلَيس حتى نأخذَ لأنفسنا ما نرضى به.

قال الزهريّ في حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عُروة بن مَسعُود الثَّقفي؛ فقال: يا معشر قريش، إني قد رأيت ما يلْقى منكم مَنْ بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التَّعنيف وسُوء اللَّفظ، وقد عَرفتم أنكم والدُ وإني وَلد ـ وكان عُروة لسُبَيْعَةَ بنت عبد شمس ـ وقد سمعتُ بالذي نابكم، فجمعتُ من أطاعني من قومي، ثم جِئتكم حتى آسَيْتكم بنفسي، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتَّهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فجلس بين يديه، ثم قال: يا محمد، أَجمعتَ أوْ شَابَ الناس، ثم جِئْتَ بِهم إلى بَيْضَتك لتَفُضّها بهم، إنها قُريش قد خَرجت معها العُوذُ المطافِيل. قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور، يُعاهدون الله لا تَدْخلها عليهم عَنْوة أبدًا وايْم اللهِ، لكأنِّي بهؤلاء قد انكشفوا عَنْك غَدًا. قال: وأبو بكر الصِّدِّيق خَلْف رسول الله ﷺ قاعد؛ فقال: امْصُصْ بَظْر الَّلاتِ، أنحن نَنْكشِف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قُحافة، قال: أما والله لولا يَدٌ

وصف الجمع بالمفرد:

وقول عُرْوَةَ بن مَسْعُودٍ لقريش: قد عَرَفْتُم أنكم والدٌ، أي: كُلُّ واحدٍ منكم كالوَالِدِ، وقيل: معناه أنتم حَيٌّ قد وَلَدَني، لأنه كان لسُبَيْعَةَ بنتِ عَبْدِ شَمْسٍ، وقد يجوز أن يقال في الجماعة: هم لي صَدِيقٌ وَعَدُوٌّ. وفي التنزيل: ﴿وَحَسُن أولئك رَفيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فيُفرَد لأنه صفةٌ لفريق وحزب ويَقْبُحُ أن تقولَ: قومُك ضاحِكٌ أو بَاكٍ، وإنما يحسُن هذا إذا وَصَفْتَ بصديقٍ ورَفيقٍ وَعَدُو لأنها صفة تَصْلُح للفريقِ والحِزْبِ، لأن العَدَاوَةَ والصَّدَاقَةَ صفتان مُتَضادَّتَان، فإذا كان على أحدِهما الفريقُ الواحدُ، كان الآخرُ على ضِدِّها، وكانت قلوبُ أحد الفريقين في تلك الصفةِ على قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ في عُرْف العادة، فحَسُن الإفرادُ، وليس يلزم مثلُ هذا في القيام والقعود ونحوه، حتى يقال: هم قاعدٌ أو قائمٌ كما يقال: هم صَدِيقٌ لما قدّمناه من الاتفاق والاختلافِ. وأما قوله تعالى: ﴿يُخرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: ٦٧]، بلفظ الإفراد، وقال في موضع آخر: ﴿وإذا بَلَغ الأطْفَالُ منكم الحُلُمَ﴾ [النور: ٥٩] فالأحسن في حكم البلاغةِ أن يُعَبَّر عن الأطْفَال الرُّضَع بالطِّفْل في الواحدِ والجميع، لأنهم مع حِدْثَانِ الوِلاَدَةِ كالجِنْسِ الذي يقع على القليل والكثير بلفظ واحد، ألا تَرَى أن بَدْءَ الخلقِ طينٌ، ثم منيٌّ، والمَنِيُّ جنس لا يتميز بعضه مِنْ بَعْضٍ، فلذلك لا

كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها، قال: ثم جعلَ يتَناول لَحْية رسولِ الله ﷺ وهو يكلّمه قال: والمغيرةُ بن شُعْبة واقف على رأس رسول اللهِ ﷺ في الحديد. قال: فجعلَ يقْرَع يَده إذا تناول لِحْيَة رسولِ الله ﷺ، ويقول: اكْفُفْ يدَك عن وَجْه رسولِ الله ﷺ قبلَ أن لا تصلَ إليك، قال: فيقولُ عُرْوَةُ: وَيْحكَ! ما أَفَظَّك وأَغْلَظَك! قال: فتبسّم رسولُ الله ﷺ، فقال له عُروة: مَن هذا يا محمد؟ قال: «هذا ابنُ أخيك المُغيرة بن شُعْبة»، قال: أي غُدَر، وهل غَسَلْتُ سَوْءَتك إلاّ بالأمس.

قال ابن هشام: أراد عُروة بقوله هذا أن المُغيرة بن شُعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك، من ثقيف، فتهايج الحيَّان من ثقيف: بنو مالك رهط المَقتولين، والأحلاف رَهْط المُغيرة، فوَدَى عُروة المقْتولين ثلاثَ عَشرة دِيَةَ، وأصلح ذلك الأمر.

قال ابن إسحٰق: قال الزُّهريُّ: فكلّمه رسولُ الله ﷺ بنَحْوِ مما كلَّم به أصحابَه، وأخْبره أنه لم يأتِ يُريد حَرْبًا.

فقام من عند رسول الله ﷺ، وقد رأى ما يصنع به أصحابُه، لا يتوضأ إلاّ ابتدروا وضوءه، ولا يَبْصق بُصاقًا إلاّ ابْتَدَرُوه، ولا يَسْقط من شَعره شيء إلاّ أخذوه. فرجع إلى قُريش، فقال: يا معشر قُريش، إني قد جِئْت كِسْرى في مُلكه، وقيصر في مُلكه، والنَّجاشيَّ في مُلْكه، وإني والله ما رأيت مَلِكًا في قوم قطّ مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيتُ قومًا لا يُسْلِمونه لشيء أبدًا، فَرَوْا رأيكم.

يُجْمَع، وكذلك الطين، ثم يكون الخلق علقًا، وهو الدم، فيكون ذلك جِنسًا، ثم يخرجهم الله طِفْلاً، أي: جنسًا تاليًا للعَلَق والمَنيّ لا يكاد يَتَميَّزُ بعضُهم من بعضٍ إلاّ عند آبائهم، فإذا كبروا وخالطوا الناس، وعرف الناسُ صُوَرَهم بعْضَهم من بَعْضٍ فصاروا كالرجال والفِتيان، قيل فيهم: حينئذ أطْفَالٌ، كما يقال: رِجَالٌ وفِتْيَان، ولا يُعْتَرَضُ على هذا الأصلِ بالأَجِنَّةِ أنهم مُغَيَّبُون في البُطون، فلم يكونوا كالجنس الظاهر للعيون كالماء والطين والعَلَقِ، وإنما جُمِعَ الجنينُ على أجِنَّةٍ، وحَسُن ذلك فيه، لأنه تَبَعٌ للبَطنِ الذي هو فيه، ويقوى هذا الغرضَ الذي صَمَدْنا إليه في الطفل قولُ رجلٍ من بني مَجَاعَةَ لِعُمَرَ بن عبدِ العَزِيز، وقد سأله: هل بقي من كُهُول بني مَجَاعَةَ أحدٌ؟ قال: نعم، وشَكِيرٌ كثيرٌ، فانظر كيف قال: الكهول وجَمَع، وقال في الصغار: شَكِيرٌ كما تقول: حَشِيشٌ، ونباتٌ، فَتُفْرد، لأنه جِنسٌ واحدٌ، والطِّفْل في معنى الشَّكِير ما داموا رُضَّعًا، حتى يَتَميَّزوا بالأسماءِ والصور عند الناس، فهذا حكمُ البلاغة، ومَساقُ الفَصَاحَةِ فافهَمْه.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعضُ أهل العلم: أن رسول الله ﷺ دعا خِرَاشَ بن أُميَّة الخُزاعي، فبَعثه إلى قُرَيْش بمكّة، وحَمَله على بعير له يقال له الثَّعلب، ليبلِّغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعَقروا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قَتْله، فمَنَعَتْه الأحابيش، فخلَّوا سبيله، حتى أتى رسولَ الله ﷺ.

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني بعضُ من لا أتّهم عن عكْرِمة مولى ابن عبَّاس عن ابن عبَّاس: أن قُرَيشًا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً، وأمروهم أن يُطيفوا بعَسْكر رسول الله ﷺ، ليُصيبوا لهم من أصحابه أحدًا، فأخذوا أخذًا، فأُتِي بهم رسول الله ﷺ، فعَفا عنهم، وخلَّى سبيلهم، وقد كانوا رَمَوْا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنَّبْل.

ثم دعا عمرَ بن الخطَّاب ليبعثه إلى مكّة، فيبلِّغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكّة من بني عديّ بن كَعْب أحد يمنعني، وقد عرفت قُرَيش عَدَاوتي إيَّاها، وغِلْظَتي عليها، ولكني أدلُّك على رجل أَعَزّ بها مني، عثمانَ بن عفَّانَ. فدعا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفَّان، فبَعثه إلى أبي سُفيان وأشراف قريش، يُخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت، ومعظِّمًا لحُرْمته.

قال ابن إسحٰق: فخرج عثمانُ إلى مكّة، فلَقيه أبانُ بن سَعيد بن العاص حين دخَل مكّة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلَّغ رسالةَ رسول الله ﷺ؛ فانطلق عثمانُ حتى أتى أبا سُفيان وعُظماء قريش، فبلَّغهم عن رسول الله ﷺ وما أرسله به؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تَطُوف بالبيت فطُف؛ فقال: ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسولُ الله ﷺ. واحتَبسَتْه قُرَيش عندها، فبلَغ رسولَ الله ﷺ والمسلمين أنّ عثمان بن عفَّان قد قُتل.

وأما قول عُرْوَةَ: جمعت أو شابَ الناس، يريد: أَخْلاَطًا، وكذلك الأَوْبَاشُ.

وقوله في حديث المُغِيرَة: «أما المالُ فلستَ منه في شيءٍ»[1]. فيه مِن الفقه أنَّ أَمْوَالَ المُشْرِكين حرامٌ إذا أَمِنُوك وأمِنْتَهم، وإنما يَحِلُّ بالمُحَارَبَةِ والمُغَالَبَةِ لا عند طمأْنِينَتهمَ إليك وأَمَنَتِهم منك، فإن ذلك هو الغَدْر، وفي هذا المعنى آثار قد مضى بعضُها، وسيأتي بعضُها في غَزْوَةِ خَيْبَرَ وغيرِها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٥٤) وأحمد (٤/ ٣٢٩) والبيهقي في الكبرى (٩/ ١١٣) وفي الدلائل (٤/ ١٠٤) وعبد الرزاق (٩٦٧٨/ ٩٧٢٠).

بيعة الرضوان:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسولَ الله ﷺ، قال حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل: لا نَبْرح حتى نُناجز القوم، فدعا رسولُ الله ﷺ الناسَ إلى البيعة. فكانت بيْعة الرّضْوانِ تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايَعهم رسولُ الله ﷺ على المَوْت، وكان جابرُ بن عبد الله يقول: إن رسولَ الله ﷺ لمْ يُبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفرّ.

فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجَدّ بن قَيْس، أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته. قد ضَبأ إليها، يَستتر بها من الناس. ثم أتى رسولَ الله ﷺ أنّ الذي ذُكر من أمر عثمان باطل.

قال ابن هشام: فذكرَ وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشّعبيّ: أن أوّل من بايع رسول الله ﷺ بيعةَ الرّضوان أبو سِنان الأسدي.

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به عمّن حدّثه بإسْناد له، عن ابن أبي مُلَيْكة عن ابن أبي عمر: أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان، فضَرب بإحدى يديه على الأخرى.

أمر الهدنة:

قال ابن إسحٰق: قال الزهري: ثم بعثتْ قُريش سهَيل بن عمرو، أخا بني عامر بن لُؤَيّ، إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: ائتِ محمدًا فصالِحْه ولا يكن في صُلْحه إلا أن

وفيه: أنهم كانوا يَتَدَلَّكون بنُخَامَة النبيِّ - ﷺ إذا تَنَخَّم. وفي ذلك دليل على طهارة النُّخَامَةِ خِلافًا للنَّخعِيِّ، وما يُرْوَى في ذلك عن سلْمانِ الفارِسِيِّ. وحديث: «إذا تَنَخَّم أحدُكم في الصَّلاةِ»[1] أَبْيَنُ في الحُجّةِ، لأن حديث السيرة يَحْتَمِل الخصوصَ بالنبيِّ ﷺ.

حول المصالحة:

فصل: وذكر مُصَالَحَةَ النبيِّ - ﷺ - لقُريشٍ وشَرْطِهِم أَنْ لاَ يأتيه منهم أحدٌ مِمَّن هو على دينِه إلاَّ ردَّه عليهم، وفي هذا الحديث مصالحةُ المشركين على غير مالٍ يؤخَذ منهم، وذلك جائزٌ إذا كان بالمسلمين ضَعْفٌ، وقد تقدّم مصالحتُهم على مالٍ يعْطُونه في غَزْوَة

---

(١) انظر مسلم في المساجد (٥٣) وأحمد (٢/ ٢٥٠) (٣/ ٥٨/ ٩٣) وابن خزيمة (١٣١١).

يرجَع عنَّا عامة هذا، فوالله لا تحدّث العربُ عنَّا أنه دَخَلَها علينا عَنْوَةً أبدًا. فأتاه سُهيل بن عمرو؛ فلما رآهُ رسولُ الله ﷺ مقبلاً، قال: قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل. فلما انتهى سُهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلَّم فأطال الكلامَ، وتراجَعا ثم جرى بينهما الصلح.

فلما التأم الأمر ولم يَبْق إلاّ الكتابُ، وثَب عمر بن الخطّاب، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعَلام نُعطي الدّنيّة في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم غَرْزه، فإني أشهد أنه رسول الله؛ قال عمر: وأنا أشهد أنه رسولُ الله؛ ثم أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألستَ برسول الله؟ قال: «بلى»، قال: أولَسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أولَيسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»، قال: فعَلام نُعْطي الدَّنِيَّة في ديننا؟ قال: «أنا عبدُ الله ورسوله، لن أخالف أمرَه، ولن يُضَيِّعني!» قال: فكان عُمر يقول: ما زِلت أتصدّق وأصوم وأُصلي وأُعتق، مِن الذي صنعتُ يومئذٍ! مخافَة كلامي الذي تكلَّمت به، حتى رجوتُ أن يكون خيرًا.

الخَندَقِ، واختلِف: هل يجوزُ صُلْحُهم إلى أكثر من عشر سنين؟ فقال بعضهم: يجوز ذلك إذا رآه لإمامُ، وقالت طائفة: لا يُتَجاوَز في صلحهم إلى أكثرَ من عَشر سنين، وحجّتُهم أنَّ حَظرَ الصُّلح هو الأصل بدليل آيةِ القتال، وقد ورد التحديدُ بالعشر في حديث ابن إسحٰق فحصلت الإباحَةُ في هذا المقدارِ مُتَحَقِّقَةً، وبقيت الزيادة على الأصل وهو الحظر، وفيه الصلحُ على أن يُرَدَّ المسلمُ إلى دارِ الكُفرِ، وهذا منسوخ عند أبي حَنيفَة بحديثِ سَرِيَّة خالدٍ حين وجّهه النبيّ - ﷺ - إلى خَثْعَمَ، وفيهم ناسٌ مُسْلِمون فاعْتَصَمُوا بالسُّجود فقتلهم خالدٌ، فوَدَاهُـم النبيُّ - ﷺ - نِصْفَ الدِّيَة، وقال: «أنا بريء من مُسْلِم بَيْن مُشْرِكين»[1]، وقال فقهاء الحجاز: هو جائز، ولكن للخليفة الأكْبَرِ لا لِمَن دونه، وفيه: نَسْخُ السُّنَّةِ بالقرآن على أحدِ القولين، فإن هذا العَهد، كان يقتضي أن لا يأتيه مُسْلِمٌ إلاَّ رَدَّه، فنسخ الله تعالى ذلك في النِّسَاءِ خاصَّةً، فقال عزّ وجلّ: ﴿فإن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ [فلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ]﴾ [الممتحنة: ١٠] هذا على رواية عقيل بن خالد عن الزُّهريِّ، فإنه قال في الحديث: أنْ لا يَأْتيه أحدٌ، وأَحَدٌ يتضمّن الرجال والنساء، والأحسن أن يقال في مثل هذا تَخْصِيصُ عُمُوم لا نَسْخٌ، على أن بعض حُذَّاق الأصُولِّيين قد قال في العموم: إذا عُمِل بمقتضاه في عَصْر

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥ ـ بتحقيقي) والنسائي والترمذي (١٦٠٤) والبيهقي (٨/ ١٣١) وانظر تلخيص الحبير (٤/ ١١٩ ـ بتحقيقي).

عليٌّ يكتب شروط الصلح:

قال: ثم دَعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: اكتبْ: بسم الله الرحمٰن الرحيم، قال: فقال سُهَيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللّهمّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «اكتب باسمك اللهمّ»، فكتبها، ثم قال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسولُ الله سُهَيل بن عمرو»، قال: فقال سُهيل: لو شهدت أنّك رسول الله لم أُقاتلك، ولكن اكتب اسمَك واسم أبيك، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سُهَيل بن عمرو، اصطلحا على وَضع الحرب عن الناس

النبيّ - ﷺ - واعتقد فيه العمومُ، ثم ورد التخصيصُ فهو نَسْخٌ، وهو قول حَسَنٌ، وفي رواية أخرى أن لا يأتيه رجل. فهذا اللفظ لا يتناول النساء. وقالت طائفة: إنما اسْتَجاز النبيُّ - ﷺ - ردَّ المسلمين إليهم في هذا الصلح لقوله عليه السلام: «لا تَدْعُوني قُرَيْشٌ إلى خُطَّةٍ يعظمون فيها الحَرَمَ إلاّ أَجَبْتُهم إليها»، وفي رَدِّ المسلم إلى مكّةَ عِمَارَةُ البيت، وزيادة خَيْر له في الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت، فكان هذا من تعظيم حُرُمَاتِ الله تعالى، فعلى هذا القولِ يكون حُكْمًا مخصوصًا بمكّة، وبالنبيّ ﷺ، ويكون غير جائز لمن بعده كما قال العراقيون.

حكم المهاجرات:

فصل: وذكر قول الله سبحانه: ﴿إذا جاءَكُمُ المؤمناتُ مُهاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١]. هذا عند أهل العلم مخصوصٌ بنساء أهلِ العهد والصلح، وكان الامتحان أن يَسْتَحْلِف المرأة المهاجِرَةَ أنها ما خرجت ناشزًا ولا هاجرت إلاّ لله ولرسوله، فإذا حلفت لم تُرَدَّ ورُدَّ صداقُها إلى بَعْلِها، وإن كانت من غير أَهْلِ العَهْد لم تُسْتَحْلَف، ولم يُرَدَّ صداقُها[١].

وفيه: أن النبيّ ﷺ محا اسمه، وهو رسولُ الله، وكتب: هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله، لأنه قولُ حَقٍّ كلُّه، وظن بعضُ الناس أنه كتب بيده، وفي البخاري أنه كتب، وهو لا يُحْسِن الكتابةَ، فتوهّم أن الله تعالى أطلق يده بالكتابة في تلك الساعة خاصّةً، وقال: هي آيةٌ، فيقال له: كانت تكون آيةً لولا أنها مناقضة لآية أخرى، وهو كونه أُمّيًا لا يكتب، وبكونه أُمّيًا في أمة أُمّيَّةٍ قامت الحجةُ، وأُفْحِم الجاحدُ، وانْحَسَمَتْ الشُّبْهَةُ، فكيف يُطْلِق الله يدَه، لتكونَ آيةً؟ وإنما الآية أن لا يكتبَ والمعجزاتُ يَسْتَحِيلُ أن يَدْفَعَ بعضُها بَعْضًا، وإنما معنى: كتب أي: أمر أن يُكْتَب.

---

(١) انظر تفسير الآية لابن كثير والقرطبي.

عشرَ سنين يَأْمن فيهنّ الناسُ، ويكفُّ بعضُهم عن بعض، على أنه من أتى محمدًا من قُرَيش بغير إذن وليِّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردّوه عليه، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة، وأنه لا إسْلاَل ولا إغْلاَلَ، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقْد محمد وعَهْده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقْد قُرَيش وعهدهم دخل فيه».

وكان الكاتبُ في ذلك اليوم عَلِيّ بنَ أبي طالب، وقد كتب له عِدَّةٌ من أصحابه، منهم عبدُ الله بن الأَرْقَم، وخالدُ بن سعيد، وأخوه أَبَانُ، وزَيْد بن ثابت، وعبدُ الله بن عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلُول، وأُبَيُّ بن كَعْب القاري، وقد كتب له أيضًا في بعضِ الأَوْقَاتِ أبو بكر وعُمَر وعُثْمَانُ رضي الله عنهم، وكتب له كثيرًا معاويةُ بن أبي سُفْيَانَ بعد عام الفتح، وكتب له أيضًا الزّبَيْرُ بن العَوَّام، ومُعَيْقِيبُ بن أبي فَاطِمَة، والمغيرةُ بن شُعْبَةَ، وشُرَحْبِيلُ ابن حَسَنَةَ، وخالدُ بن الوَليد، وعَمْرو بن العاصي، وجُهَيْمُ بن الصَّلْتِ، وعَبْدُ الله بن رَوَاحَةَ، ومحمد بن مَسْلَمَة، وعبدُ الله بن سَعْد بن أبي سَرْحٍ، وحَنْظَلةُ الأُسَيْدِيُّ، وهو حَنْظَلةُ بن الرَّبيع، وفيه يقول الشاعر بعد موته:

إن سَـوَادَ الـعَـيْـنِ أَوْدَى بـه   حُـزْنٌ عـلـى حـنـظَـلَـة الـكـاتـب

والعَلاء بن الحَضْرَمِيُّ، ذكرهم عُمرُ بن شَبَّةَ في كتابِ الكُتَّابِ له.

باسمك اللّهـم:

وأما قولُ سُهَيْلِ بن عَمْرٍو له: ولكن اكْتُبْ: باسمك اللَّهُمَّ، فإنها كلمةٌ كانت قريشٌ تقولها ولقولهم لها سببٌ قد ذكرناه في كتاب التعريف والإِعْلاَم، وأوّل من قالها أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ، ومنه تَعلَّمُوها وتعلّمها هو من رَجُلٍ من الجِنّ في خَبَرٍ طويلٍ ذكره المَسْعُودي وهو الخبر الذي لخّصناه في الكتاب المذكور.

عيـبة مكفـوفة:

فصل: وذكر في الكتابِ: وإنَّ بَيْنَنَا وبَيْنكم عَيْبَةً مَكْفُوفَةً أي: صُدُور مُنْطَوِيَة على ما فيها لا تُبْدِي عَداوة، وضرب العَيْبَة مثلاً، وقال الشاعر:

وكـادَتْ عِـيَـابُ الـوُدّ مِـنَّـا ومِـنـهُـمُ   وإن قـيـلَ أبـنـاءُ الـعـمُـومَـةِ تَـصْـفَـرُ

وقال ﷺ: «الأنصارُ كَرِشِي وَعَيْبتي»[1] فَضَرَبَ العَيْبَةَ مَثَلاً لموضِع السِّرّ، وما يُعْتَدُّ به من وُدّهم. والكَرِشُ وِعَاءٌ يُصْنَع من كَرش البَعِير، يجعل فيه ما يُطبَخ من اللَّحْم، يقال: ما

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٤٣) وأحمد (٣/ ١٥٦) والحميدي (١٢٠١) وانظر فتح الباري (٧/ ١٢١).

خزاعة في عهد محمد، وبنو بكر في عهد قريش:

فتواثبت خُزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعَهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عَقْد قُريش وعَهْدهم، وأنَّك ترجع عنَّا عامَك هذا، فلا تدخل علينا مكّة، وأنه إذا كان عام قابل، خَرَجنا عنك فدَخلْتها بأصحابك، فأقمتَ بها ثلاثًا، معك سلاح الراكب، السُّيوف في القُرُب، لا ندْخلها بغيرها.

جنـدل بن سهـيل

فبينا رسولُ الله ﷺ يكتبَ الكتابَ هو وسُهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يَرْسُف في الحديد، قد انفلتَ إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشُكُّونَ فِي الفَتْح، لرُؤيا رآها رسولُ الله ﷺ، فلما رأوْا ما رأوْا من الصُّلح والرُّجوع، وما تحمل عليه رسولُ الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم، حتى كادوا يهلكون: فلما رأى سُهيل أبا جَنْدل قام إليه فضَربَ وَجْهه، وأخذ بتلبيبه؛ ثم قال: يا محمد؛ قد لَجَّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا؛ قال:

وَجَدت لهذه البَضْعَة فَاكَرِش، أي: إنَّ الكرْشَ قد امتلأ، فلم يَسَعْها فمُه. ويُضرَبُ أيْضًا هذا مَثلاً، كما قال الحجاج: ما وَجَدتُ إلى دَمِ فُلاَنٍ فَاكَرِشٍ.

وقوله: ولا إغلال، هي الخِيَانَةُ، يقال: فُلان مغل الأصْبَع، أي: خائن اليد. قال الشاعر:

حَدَّثْتَ نفسَك بالوَفَاءِ، ولم تَكُنْ   بـالـغَـدْرِ خـائـنـة مـثـل الأُصْـبَـعِ

والإسْلاَلُ: السرقةُ، والخُلْسَةُ ونحوها، وهي السلة. قالوا في المثل: الخَلَّةُ تدعو إلى السَّلَّةِ.

أبو جندل وصاحبه في الخمر

فصل: وذكر خُرُوج أبي جَنْدَلٍ يَرْسُف في الحديد. أبو جندل، هو العاصي بن سُهَيْلٍ، وأما أخوه عبد الله بن سهيل، فكان قد فرّ يوم بدر إلى المُسلمين، فلحق بهم، وشهد بدرًا، والمشاهَد كلَّها، وقتل يوم اليَمَامةِ شهيدًا، وأما أبو جَنْدَلٍ، فاستشهد مع أبيه بالشام في خلافة عُمَر، وهو الذي شَرِب الخمرَ مُتأوِّلاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿ليس على الذين آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ جُنَاحٌ فيما طَعِمُوا [إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعَمِلوا الصَالحاتِ ثم اتَّقَوْا وآمنوا ثم اتَّقَوْا وأحسنوا والله يُحِبُّ المحسنين]﴾ [المائدة: ٩٣] فجلده أبو عُبَيْدَةَ بأمر عُمَرَ وجلد صاحبَه، وهو ضِرار، ثم إن أبا جَنْدَل أشفق من الذَّنْبِ حتى قال: لقد هلكْتُ، فبلغ ذلك عمرَ رضي

«صدقتَ»، فجعل ينتره بتلبيبه، ويجرّه ليردّه إلى قريش، وجعل أبو جَندل يَصْرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأُرَدّ إلى المشركين يَفْتنوني في ديني؟ فزاد ذلك النَّاسَ إلى ما بهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أبا جَندل؛ اصبر واحتَسِبْ فإن الله جاعِلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرَجًا ومَخْرجًا، إنَّا قَد عَقدنا بيننا وبين القوم صُلحًا، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنّا لا نَغْدِر بهم»؛ قال: فوثب عمر بن الخطّاب مع أبي جندل يَمْشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون وإنما دَمُ أحدهم دم كلب. قال: ويُدْني قائم السَّيف منه. قال: يقول عمر: رجوتُ أن يأخذ السَّيفَ فيضرب به أباه، قال: فضَنَّ الرجلُ بأبيه، ونفذت القضيَّة.

الذيـن شهـدوا على الصـلح:

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشْهَد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطّاب، وعبد الرحمٰن بن عَوْف، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو، وسَعد بن أبي وقّاص، ومحمود بن مسلمة، ومِكْرَز بن حَفْص، وهو يومئذ مشرك، وعليّ بن أبي طالب وكتب، وكان هو كاتب الصحيفة.

الله عنه، فكتب إليه: إن الذي زيَّن لك الخطيئة هو الذي حظَر عليك التوبة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰن الرَّحِيم حـمٓ تنزيلُ الكتابِ من الله العزيزِ العليم غافرِ الذَّنْبِ وقابل التَّوْبِ﴾ [غافر: ١ وما بعدها] الآية. وكان شربها معه ضِرارُ بن الخطّاب، وأبو الأزْوَرِ، فلما أمر عمرُ أن يُجْلَدوا، قالوا: دعنا نَلْقَى العَدُوَّ، فإن قُتِلْنَا فذاك، وإلا حَدَدْتُمونا، فقُتِلَ أبو الأَزْوَرِ، وحُدَّ الآخران.

فصل: وذكر قول عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ فَعَلامَ نُعْطَى الدَّنِيَّةَ في دِيننا، هي فَعِيلَةٌ من الدَّنَاءَةِ، وأصلها الهَمْزُ، وفي غير رواية ابن إسحٰق أن النبيَّ ﷺ قال لِعمر: «إني عبدُ الله ولستُ أَعْصِيَه، وهو ناصري»، وأنه أتى أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال له مثل ما قال للنبيّ ﷺ، فجاوبه أبو بكر بمثل ما جاوبه به النبيُّ ﷺ حَرْفًا بِحَرْفٍ، ثم قال له: يا عُمَرُ الزَمْ غَرْزَهُ، فإني أشْهَد أنه رسولُ الله، قال عُمَرُ: وما شَكَكْتُ منذ أَسْلَمْتُ إلاّ تلك الساعةَ، وفي هذا أن المؤمَن قد يَشُكُّ، ثم يُجَدِّدُ النظر في دلائلِ الحقّ فيذهب شَكُّه، وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال: هو شَيْءٌ لا يَسْلَم منه أَحَدٌ، ثم ذكر ابنُ عباس قولَ إبراهيم ـ ﷺ ـ: ﴿ولكن لِيَطْمَئِنَّ قلبي﴾ [البقرة: ٢٦٠] ولولا الخروجُ عما صَمَدْنا[1] إليه في هذا الكتاب لذكرنا ما للعلماء في قول

---

(١) صمدنا: أي قصدنا.

الإحـــلال

قال ابن إسحٰق: وكان رسول الله ﷺ مضطربًا في الحِلّ، وكان يُصلي في الحرم، فلما فرغ من الصُلح قدم إلى هَديه فنحره، ثم جلس فحَلق رأسه، وكان الذي حَلقه، فيما بلغني، في ذلك اليوم خِراش بن أُميَّة بن الفضل الخزاعيُّ، فلما رأى الناسُ أن رسول الله ﷺ قد نَحر وحَلَق تواثبوا يَنحَرون ويَحلِقون.

المحلّقـون والمقصّـرون

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مُجاهد عن ابن عبَّاس، قال:

إبراهيمَ ﷺ: ﴿ولكن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي﴾، وذكرنا النُّكْتَة العُظْمَى في ذلك، ولعلّنا أن نلقى لها موضعًا، فنذكرها. والشَّكُّ الذي ذكره عُمَر وابنُ عباس ما لا يُصرُّ عليه صاحبُه، وإنما هو من باب الوَسْوَسَةِ التي قال فيها عليه السلام مُخْبِرًا عن إبليس: «الحمدُ لله الذي رَدَّ كيده إلى الوَسْوَسَةِ»(١).

موقف أم سلمة في الحديبية

وفي غير رواية ابن إسحٰق من الصحيح أنه عليه السلام دخل على أُمّ سَلَمَة، وشكا إليها ما لقي من الناس حين أَمَرهم أن يَحلِقُوا ويَنحَروا، فلم يَفعَلوا لما بهم من الغَيْظِ، فقالت: يا رسول الله اخْرُجْ إليهم، فلا تكلّمهم، حتى تَحلِقَ وتَنحَر، فإنهم إذا رأوْك قد فعلت ذلك، لم يُخَالِفُوك. ففعَل ﷺ، وفعل الناسُ، وكان الذي حلق رأسَ رسول الله - ﷺ - في ذلك اليوم خِراشُ بن أُمَيَّةَ [بن ربيعة بن الفضل بن منقذ بن عفيف بن كليب بن حُبْشية ابن سَلُول] الخزاعي [ثم الكلبي] وهو الذي كان بعثه رسولُ الله ﷺ يومئذ إلى مكّة فعقروا جَملَه، وأرادوا قتله، فحينئذ بعث إليهم عثمانَ بن عَفَّانَ رضي الله عنه، ففي تَرْكِهِمْ لِلْبِدَارِ دليلٌ على أن الأمرَ ليس على الفَوْرِ، كما ذهب إليه بعضُ الأُصُولِيِّين، وفيه أنهم حَمَلُوا الأمْرَ على غير الوُجُوبِ لقرينَةٍ، وهي أنهم رَأَوْه لم يَحْلِقْ ولم يَنْحَر، ولم يُقَصِّر، فلما رأَوْه قد فعل اعتقدوا وجوبَ الأمر وامْتَثَلُوه. وفيه أيضًا إباحةُ مُشَاوَرَةِ النِّسَاء، وذلك أن النهي عن مُشَاوَرَتِهِنَّ إنما هو عندهم في أمر الوِلاَيَة خاصَّةً، كذلك قال أبو جعفر النحّاس في شرح هذا الحديث.

المقـصّـرون

فصل: وذكر ابنُ إسحٰق استغفارَ النبيّ - ﷺ - لِلمُحَلِّقين ثلاثًا وللمُقَصِّرين مَرّةً واحدةً.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١١٢) وأحمد (١/ ٢٣٥) والطحاوي في المشكل (٢/ ٢٥٢).

حلق رجالٌ يوم الحُديبية، وقَصَّر آخرون. فقال رسولُ الله ﷺ: «يَرْحم الله المحلِّقين»، قالوا: والمُقَصِّرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلِّقين»، قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلِّقين»، قالوا: والمقصِّرين يا رسول الله؟ قال: «والمقصِّرين»، فقالوا: يا رسول الله: فلم ظاهرت الترحيم للمحلِّقين دون المقصِّرين؟ قال: «لم يشكُّوا».

وقال عبد الله بن أبي نَجيح: حدّثني مجاهد، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أهْدى عام الحُدَيبية في هَدياه جملاً لأبي جَهْل، في رأسه بُرَةٌ من فضَّة، يغيظ بذلك المشركين.

نـزول سورة الفتـح:

قال الزهري في حديثه: ثم انصرف رسولُ الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً، حتى إذا كان بين مكّة والمدينة، نزلت سورة الفتح: ﴿إنَّا فَتَحْنا لكَ فَتْحًا مُبينًا لِيَغْفِرَ لَك اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك ومَا تَأَخَّرَ ويُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ويَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقيمًا﴾.

ذكـر البيعـة:

ثم كانت القصَّة فيه وفي أصحابه، حتى انتهى إلى ذكر البيْعة، فقال جلّ ثناؤه: ﴿إنَّ الَّذِينَ يُبايعُونَكَ إنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فإنَّما يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْه اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

ذكـر مـن تخـلّف:

ثم ذكر من تخلَّف عنه من الأعراب، ثم قال: حين استفزّهم للخروج معه فأبطؤوا عليه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ منَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنا أَمْوَالُنا وأَهْلُونا﴾. ثم القصَّة عن خبرهم، حتى انتهى إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إذا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغَانِمَ لِتأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلوا كَلامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا كَذَلِكُمْ قالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾.. ثم القصّة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولي البأس الشديد.

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الله بن أبي نجيح، عَن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: فارس. قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتّهم، عن الزهري أنه قال: أولو البأس الشديد: حنيفةُ مع الكذّاب.

ولم يكن المُقصِّر يَوْمَئِذٍ من أصحابه إلاّ رَجُلَيْنِ، أحدُهما عُثمانُ بن عفَّان، والآخر أبو قَتَادَة الأنْصَارِيّ، كذلك جاء في مُسْنَدِ حديثِ أبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وأثابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها وكانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَعَدَكُم اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ وكفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحاطَ اللَّهُ بِها وكانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرًا﴾.

ذكر كفّ الرسول عن القتال:

ثم ذكر محبِسه وكَفُه إيّاه عن القتال، بعد الظفر منه بهم، يعني النَّفر الذين أصاب منهم وكفَّهم عنه، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وكانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ثم قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُم عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ والْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: المعكوف: المحبوس، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

وكأنّ السُّموط عَكَّفه السِّلـ ـك بعطفي جَيْداء أُمّ غَزَال

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: ﴿وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُم فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بغيرِ عِلْمٍ﴾، والمعرّة: الغرم، أي أن تصيبوا منهم (معرّة) بغير علم فتخرجوا دِيَّته، فإما إثم فلم يَخشه عليهم.

قال ابن هشام: بلغني عن مجاهد أنه قال: نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المُغيرة، وَسَلَمَة بن هشام، وعَيَّاش بن أبي ربيعة، وأبي جَندل بن سُهيل. وأشباههم.

قال ابن إسحٰق: ثم قال تبارك وتعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ﴾ يعني سهيل بن عمرو حين حَمِي أن يكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم، وأن محمدًا رسول الله، ثم قال تعالى: ﴿فأَنْزَلَ اللَّهُ سَكينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وكانوا أحقّ بها وأهلها﴾: أي التوحيد، شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله، وأن محمدًا عبده ورسوله.

....

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِين لاَ تخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا﴾: أي لرؤيا رسولِ الله ﷺ التي رأى، أنه سيدخل مكّة آمنًا لا يخاف؛ يقول: محلِّقين رؤوسكم، ومقصِّرين معه لا تخافون، فعلم من ذلك ما لم تعلموا، فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا، صلح الحديبية.

يقول الزهري: فما فُتح في الإسلام فتح قبلَه كان أعظَم منه، إنما كان القتال حيث التَقى الناس؛ فلما كانت الهُدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضُهم بعضًا، والتقوا، فتفاوضوا في الحديث والمُنازعة، فلم يكلّم أحد بالإسلام يَعْقل شيئًا إلاّ دخل فيه، ولقد دخل في تينك السَّنتين مثلُ مَنْ كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

قال ابن هشام: والدليل على قول الزُّهري أن رسولَ الله ﷺ خرج إلى الحُدَيبية في ألف وأربع مائة، في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكّة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف.

ما جرى عليه أمر
قوم من المستضعفين بعد الصلح

مجيء أبي بصير إلى المدينة وطلب قريش له:

قال ابن إسحٰق: فلمَّا قدِم رسولُ الله ﷺ المدينة أتاه أبو بَصير عُتْبة بن أسِيد بن جارية، وكان ممن حُبس بمكّة، فلما قَدِم رسول الله ﷺ كتب فيه أزْهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرَة، والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثَّقفي إلى رسول الله ﷺ وبعثا رجلاً من بني لُؤَيّ، ومعه مولى لهم، فَقَدِما رسولِ الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس؛ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بَصِيرِ إنا قد أعطينا هؤلاء القومَ ما قد علمتَ، ولا يصلحُ لنا في ديننا الغدرُ، وإن الله جاعلُ لك ولمن معك من المُسْتَضْعَفين فَرَجًا ومخرجًا، فانُطلِق إلى قومك»، قال: يا رسول الله، أتردّني إلى المشركين يَفْتِنونني في ديني؟ قال: «يا أبا بصير، انطلِق، فإنّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المُستَضْعفين فَرَجًا ومخْرجًا».

....

قتل أبي بصير للعامري، ومقالة الرسول في ذلك

فانطلَق معهما، حتى إذا كان بذي الحُلَيفة، جلس إلى جدار، وجلس معه صاحباه، فقال أبو بَصير: أصارمٌ سيفُك هذا يا أخا بني عامر؟ فقال: نعم؛ قال: انظر إليه؟ قال: انظُر، إن شئت. قال: فاسْتَلّه أبو بَصِير، ثم علاه به حتى قتله، وخرج المولى سريعًا حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسولُ الله ﷺ طالعًا، قال: «إن هذا للرجل قد رأى فَزَعاً»، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال: «ويحك! ما لك؟» قال: قَتَل صاحبُكم صاحبي. فوالله ما بَرِح حتى طلَع أبو بَصير مُتَوَشِّحًا بالسَّيف، حتى وقف على رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، وَفَتْ ذِمَّتك، وأدّى الله عنك، أسْلَمتني بيد القوم وقد امتنعتُ بديني أن أُفتن به، أو يُعْبَث بي. قال: فقال رسول الله ﷺ: «ويل أُمِّه مَحَشُّ حرب لو كان معه رجال!».

أبو بصير وزملاؤه في العيص

ثم خرج أبو بَصير حتى نزل العِيصَ، من ناحية ذي المَرْوة، على ساحل البحر، بطريق قُرَيش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المُسْلمين الذين كانوا احتبسوا بمكّة قولُ رسول الله ﷺ لأبي بصير: «وَيْلُ أُمِّه مِحَشّ حَرب لو كان معه رجال!»، فخرجوا إلى أبي بصير بالعِيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً، وكانوا قد ضيَّقوا على قُرَيش، لا يظفرون بأحد منهم إلاّ قتلوه، ولا تَمُرُّ بهم عِيرٌ إلاّ اقتطعوها، حتى كتبت قُريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامها إلاّ آواهم، فلا حاجة لهم بهم. فآواهم رسول الله ﷺ، فقدموا عليه المدينة.

أبـو بصـير

وذكر حديثَ أبي بَصِيرٍ واختلف في اسمِه، فقيل: عُبَيْد بن أَسِيد بن جارِيَةَ، وقيل: عُتْبَة.

وذكر قول النبيِّ ﷺ له حين قَتَل أحدَ الرجلين: وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشُّ حَرْبٍ. وفي الصحيح: «وَيْلُ أُمِّه مِسْعَرُ حَرْبٍ»[1]، يقال: حَشَشْتُ النار، وأرَّثْتُها، وأَذْكَيْتها، وأَثْقَبْتُها وَسَعَّرتها بمعنى واحد، وسُمِّي الأَسْعَر الجُعْفِيُّ أسْعَرَ بقوله:

فلا يَدْعُنِي قَوْمي لِسَعْدِ بن مالِكٍ لَـئِنْ لـم أُسْعِـرْ عـلـيـهـم وأُثْـقِـبِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٥٧) وأبو داود وأحمد (٤/ ٣٣١) والبيهقي في الكبرى (٩/ ٢٢١) وفي الدلائل (٤/ ١٠٧) وعبد الرزاق (٩٧٢٠) والطبري في تاريخه (٢/ ١٢٥).

قال ابن هشام: فلما بلغ سُهَيلِ بن عمرو قتلُ أبي بَصير صاحبَهم العامريّ، أسند

وكان اسمه مَرْثَدَ بن حُمْرَانَ، ومالك في هذا البيت: هو مَذْحِجٌ، وأما لُحُوق أبي بَصِيرَ بسيفِ البحر، ففي رواية مَعْمَرِ عن الزُّهْرِيِّ، أنه كان يُصَلِّي بأصحابه هنالك، حتى لحق بهم أبو جَنْدَل بن سُهَيْلِ فقدّموه، لأنه قُرَشِيٌّ، فلم يزل أصحابُه يكثرون، حتى بلغوا ثَلاثمائةٍ، وكان أبو بصير كثيرًا ما يقول هنالك: الله العَلِيُّ الأكْبَرُ، مَنْ يَنْصُر الله فسوف يُنصَر، فلما جاءهم الفرجُ من الله تعالى، وكلّمت قريشٌ النبيّ ﷺ أن يؤربهم إليه لما ضيقوا عليهم، ورد كتاب النبي ﷺ وأبو بَصِيرٍ في الموت، يجود بنفسه، فأُعْطِي الكتابَ فجعل يقرأه ويُسَرُّ به، حتى قُبِضَ والكتابُ على صَدْرِه، فبُني عليه هناك مسجدٌ يَرْحمه الله[1].

---

(١) قوله: «فبُني عليه هناك مسجد». الفاء هذا ليست للتعقيب، أي بمجرد موته أقاموا على قبره مسجدًا، إذ ليس هذا من هدي الإسلام، بل قد ورد النهي الصحيح الصريح في أربعة عشر حديثًا عن الصلاة في المساجد المقامة على القبور فيقول ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ رواية الحديث ـ «فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خُشي أن يتخذ مسجد» رواه البخاري (٣/١٥٦) ومسلم (٢/٦٧). ويقول ﷺ: «ألا وإنه من كان قبلكم كانوا يتّخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك» رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٨٣). ويقول ﷺ: «وقد ذكرت أم سلمة وأم حبيبة ما رأتا بأرض الحبشة من كنيسة بها تسمى ـ مارية ـ وفيها ما فيها من التصاوير». قال ﷺ معلقًا على هذا الكلام: «أولئك ـ أي النصارى ـ إذا كان فيهم الرجل الصالح ينوا على قبره مسجدًا، ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة». رواه البخاري (١/ ٤١٦) ومسلم (٢/ ٦٦) وغيرها. إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها النهي صريحًا عن بناء المساجد على القبود، أو إدخال القبور في المساجد، وينظر العلماء إلى المساجد التي فيها قبور، فإذا كان القبر بُني أولاً ثم أقيم عليه المسجد هُدم المسجد، والعكس. وقد يقول قائل: كيف لا نصلّي في المساجد التي بها قبور وينهى النبي ﷺ عن ذلك وهو مدفون في مسجده ونحن نصلي في هذا المسجد بل ونتقرّب إلى الله تعالى بالصلاة فيه؟! فيقال له: علينا أولاً أن نعلم كيف دُفن النبيّ ﷺ عند موته وهل أُمر بدفنه قبلُ في مسجده أم لا؟! أعلم أخي في الله: أن النبيّ ﷺ بعد موته اختلف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في موضع دفنه فقائل بنفسه في البقيع وآخر يقول: بل يُدفن بمكّة، حتى قال الصديق رضي الله عنه: «إني سمعت حديثًا من النبيّ ﷺ أنه إذا قَبض نبيّ دُفن مكانه». فقام الصحابة بدفنه حيث قُبض ـ ﷺ ـ بحجرة أُم المؤمنين عائشة. وبقي الأمر كما هو حتى دخلت الحجرة وضُمّت إلى المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين، وذلك لأمور سياسته، ولم يكن قد بقي من الصحابة أحد بالمدينة. وهكذا دخل القبر في المسجد. هذا ويقول النبيّ ﷺ: «أنه لا تشدّ الرحال إلاّ إلى مساجد ثلاثة الحرام والأقصى ومسجده ﷺ، وأن الصلاة في مسجده تعدل ألف صلاة في غيره»، هذا والصلاة في المساجد المقامة على القبور محرّمة في المذاهب الأربعة وعند أهل السنّة والجماعة سلفًا وخلفًا. وانظر مزيد بيان وإيضاح: الصارم المنكي (١٣٦) تاريخ الطبري (٥/ ٢٢٢) وكتاب تحذير الساجد للعلاّمة الألباني حفظه الله =

ظهرَه إلى الكعبة، ثم قال: والله لا أُؤخِّر ظَهْري عن الكَعبة حى يُودَى هذا الرجل، فقال أبو سُفيان بن حرب: والله إن هذا لهو السَّفه، والله لا يُودَى ثلاثًا، فقال في ذلك مَوْهَب بن رياح أبو أُنيس، حليف بني زُهرة:

عـمــرة:

وفي الحديث من غير السيرة أن المسلمين حين حَلَقُوا في ذلك اليوم، وهم بالحِلِّ قَد مُنِعوا أن يَدْخُلوا الحَرَمَ جاءت الريحُ، فاحتملت شُعُورَهم حتى ألقَتْها في الحَرَم، فاسْتَبْشَروا بقبول الله عُمْرَتَهُمْ. ذكره أبو عُمَر.

والعُمْرةُ مُشْتَقَّةٌ من عِمَارَةِ المسجد الحرام وبُنِيَت على فُعْلة، لأنها في معنى قُرْبَة، ووُصْلَة إلى الله تعالى، وليس قول من قال: إنها الزيارة في الُّلغَةِ بَيِّن، ولا في قول الأعشى حُجَّةٌ لهم لأنه مُحْتَمِلُ التَّأويل وهو قوله:

وجَاشَتِ النفسُ لما جاء فَلُّهُمُ ... وراكبٌ جاء من تَثْلِيث مُعْتَمِرُ

قتل أبي بصير للكافر

فصل: ومما يُسْأَلُ عنه في حديث أبي بَصِيرٍ قتلُه الرجلَ الكافرَ، وهو في العهد: أكان ذلك حَرَامًا أم مُبَاحًا له، وظاهرُ الحديثِ رفعُ الحَرَج عنه، لأن النبيَّ - ﷺ - لم يَثْرِبْ، بل مَدَحَه، وقال: «وَيْلُ أُمه مِحَشُّ حَرْبٍ». فإن قيل: وكيف يكون ذلك جائزًا له، وقد حَقَنَ الصلْحُ الدماءَ؟ قلنا: إنما ذلك في حق أبي بَصِير على الخُصوص، لأنه دافع عن نفسِه ودينه، ومَنْ قُتلَ دون دَمِه فهو شَهِيدٌ، وإنما لم يُطالبْهُ رسولُ الله ﷺ - بِدِيَةٍ. ولأن أولياءَ المقتول لم يطالبوه، إمَّا لأنَّهُمْ كانوا قد أسْلَموا، وإما لأن الله شَغَلَهُم عن ذلك، حتى انْتَكَثَ العهدُ، وجاء الفتح.

فإن قيل: فإن النبيَّ ﷺ كان يَدِي مَنْ قُتل خَطأً من أهل الصُّلْح كما وَدَى العامِرِيَّين وغيرهما قلنا: عن هذا جوابان، أحدهما: أن أبا بَصِيرٍ كان قد ردّه إلى المشركين، فصار في حُكْمِهِمْ، ولم يكن في فِئَةِ المُسْلِمين وحِزْبِهِمْ، فيحكم عليه بما يحكم عليهم.

والجواب الثاني: أنه إن كان قَتَلَ عَمْدًا، ولم يكن قَتَلَ خطأً، كما كان قَتْلُ العامريين، وقد قال عُمَر بن الخطَّاب: لا تَعْقِلُ العاقِلَةُ[1] عَمْدًا ولا عَبْدًا [ولا صُلْحًا ولا اعترافًا].

= ونفع به. فقد جمع فأوعى.

(١) العاقلة: الأقارب من جهة الأب.

قال ابن هشام: أبو أُنَيس أشعريّ.

شعر موهب في وَدْي أبي بصير:

أتـانِـي عَـنْ سُـهَـيْـلٍ ذَرْءُ قَـوْلٍ ... فـأيـقـظـنـي ومـا بـيَ مِـنْ رُقـادِ
فـإنْ تَـكُـنِ الـعِـتـابَ تُـرِيـدُ مـنّـي ... فـعـاتِـبْـنـي فـمَـا بـكَ مـن بـعـادي
أتُـوعـدنـي وعـبـدَ مَـنـافَ حَـوْلـي ... بِـمَـخْـزوم ألـهَـفـا مَـنْ تُـعـادي
فـإنْ تـغْـمِـز قَـنـاتـي لا تـجـذنـي ... ضَعيفَ العُود في الكُرَب الشِّداد
أُسـامِـي الأكْـرَمـيـن أبَـا بـقَـوْمـي ... إذا وَطِـيء الـضَّـعَـيـفُ بـهـم أُرادي
هـمُ مَـنَـعـوا الـظَّـواهِـرَ غـيـرَ شَـكّ ... إلـى حـيـثُ الـبَـواطِـنُ فـالـعَـوادي
بـكُـلِّ طِـمِـرّة وبـكُـلِّ نَـهْـدٍ ... سَـوَاهِـمَ قَـدْ طُـويـن مـن الـطِّـراد
لـهـم بـالـخَـيْـف قـد عَـلِـمَـتْ مَـعـد ... رِوَاق الـمَـجْـدِ رُفِّـع بـالـعِـمـاد

ابن الزبعرى يردّ على موهب:

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى، فقال:

وأمْـسَـى مَـوْهَـب كـحِـمـار سَـوْء ... أجـازَ بـبَـلْـدةٍ فـيـهـا يُـنـادِي

من مواقف عمر في الحديبية:

فصل: وقولُ عُمَر للنبيِّ - ﷺ: أَلَمْ تَعِدْنَا أَنَّا تَأْتِي البيتَ، ونطوفُ به؟ فقال: «نعم»، وذكر الحديث. كان النبيُّ - ﷺ - قد أُرِيَ ذلك في مَنامِه، ورُؤْيا الأنبياءِ وَحْيٌ، ثم أنزل الله تعالى: ﴿لقد صَدَقَ الله رَسُولَه الرُّؤيا بالحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧] الآية, ويُسْأَلُ عن قوله: إن شاء الله آمِنين: ما فائدة هذا الاستثناءِ، وهو خَبَرٌ واجبٌ؟ وفي الجواب أقوال: أحدُها: أنه راجعٌ إلى قوله: آمِنين، لا إلى نفس الدُّخولِ، وهذا ضَعِيفٌ، لأن الوعدَ بالأمانِ قد انْدَرَجَ في الوَعْدِ بالدخول.

الثاني: أنه وَعْدٌ على الجملة، والاستثناء راجع إلى التَّفصِيل، إذ لا يَدْرِي كلُّ إنْسَانٍ منهم: هل يعيش إلى ذلك، أم لا، فرجع الشكُّ إلى هذا المعنى، لا إلى الأَمْرِ الموعود به، وقد قيل: إنما هو تعليم للعبادِ أن يقولوا هذه الكلمة، ويستعملونها في كل فعل مُسْتَقْبَلٍ أعني: إن شاء الله[1].

---

(١) وكقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله﴾.

فـإن الـعـبـدَ مِـثـلـك لا يُـنـاوي　　سُـهَـيلاً ضَـلَّ سَـعْـيكَ من تُـعادي
فـأقْـصِـر يـا ابـنَ قَـيْـن الـسُّـوءِ عنـه　　وعَـدِّ عَـن الـمـقـالـة فـي الـبـلاد
ولا تـذكُـر عِـتـاب أبـي يـزيـدٍ　　فـهَـيـهـات الـبُـحـور مـن الـثِّـمـاد

أمـر المُهاجرات بعد الهدنة:

الرسول ﷺ يأبى ردّ أُم كلثوم:

(قال ابن إسحٰق): وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أُمّ كُلْثوم بنت عُقْبة بن أبي مُعَيط في تلك المدة، فخرج أخَوَاها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة، حتى قَدِما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردّها عليهما بالعَهْد الذي بينه وبَين قُريش في الحُديبية، فلم يفعل، أبى الله ذلك.

حول آية المهاجرات المؤمنات:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني الزُّهري، عن عروة بن الزُّبير، قال: دخلتُ عليه وهو يَكْتب كتابًا إلى ابن أبي هُنَيْدَةَ، صاحبِ الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بإيمَانِهِنَّ فإنْ عَلِمْتُمُوهُن مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وآتُوهُمْ ما أَنفَقُوا وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾.

بيعة الشجرة وأوّل من بايع:

فصل: وذكر بَيْعَة الشجرة، وسبَبَها، ولم يذكر أوّلَ من بايع، وذكر الواقدي أن أوّل مَنْ بايع بَيْعَة الرضوان سِنَان بن أبي سِنَانٍ الأَسَدِيّ. وقال موسى بن عُقْبَةَ: أوّل من بَايَع أبو سِنَان، واسمه: وَهْبُ بن مِحْصَن أخي عُكَّاشة بن مِحصن الأسَدِيِّ، وقال الواقدي: كان أبو سِنَانٍ أَسَنَّ من أخيه عُكَّاشة بعشر سنين، شَهِد بدرًا، وتُوُفِّي يوم بني قُرَيظَةَ، ويُروى أنه حين قال للنبيّ ﷺ ابْسُطْ يدك أُبايعك، قال: «عَلاَمَ تُبَايِعُني؟» قال: على ما في نفسك يا رسول الله، وأما سِنَانُ ابنُه، فهو أيضًا بَدْرِيٌّ، مات سنة ثلاثٍ وثلاثين، وأمّا مبايعتُهُمْ رسولَ الله ﷺ تحت الشجرة، وكانوا ألفًا وأربعمائة في إحدى الروايتين عن جَابر وألفًا وخمسمائة في الرواية الأخرى عنه، فبايعوه في قول جابر على أن لا يَفِرُّوا. قال: ولم يبايعوه على الموت. وقال سَلَمَةُ بن الأَكْوَع: بايَعْنا رسولَ الله ﷺ على المَوْتِ، قال الترمذي: وكلا الحديثين صحيحٌ، لأن بعضَهم بَايَع على أن لا يَفِرُّوا، ولم يذكروا الموتَ، وبعضُهم قال: أبايعك على الموت.

- قال ابن هشام: واحدة العَصم: عِصْمة، وهي الحبل والسَّبب. قال: عشي بني قيس بن ثعلبة:

إلى المَرْءِ قَيْسٍ نُطيلُ السُّرَى ونأخذ من كُلِّ حَيٍّ عِصَم

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وَاسْأَلُوا ما أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا ما أَنفقُوا ذَلِكُمْ حُكمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قال: فكتب إليه عُروة بن الزُّبير: إن رسولَ الله ﷺ كان صالح قُرَيشًا يوم الحُدَيبية على أن يردّ عليهم مَنْ جاء بغير إذن وليّه، فلما هاجر النساءُ إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام أبَى الله أنْ يُرْدَدْنَ إلى المُشركين إذا هنّ امتُحِنّ بِمِحْنة الإسلام، فعَرفوا أنهنّ إنما جِئْن رغبة في الإسلام، وأمرَ بردّ صَدُقاتهنّ إليهم إن احتَبَسن عنهم، إن هم ردّوا على المسلمين صداقَ من حُبِسوا عنهم من نسائهم، ذلكم حكم الله يحكم بينكم، والله عليم حكيم، فأمسك رسولُ الله ﷺ النساء وردَّ الرجال، وسأل الذي أمره الله به أن يسأل من صدُقات نساءِ مَن حُبسوا منهنّ، وأن يردّوا عليهم مثل الذي يردّون عليهم، إن هم فعلوا، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسولُ الله ﷺ النساء كما ردّ الرجال، ولولا الهُدنة والعَهد الذي كان بينه وبين قُريش يوم الحُديبية لأمسك النساء، ولم يردُدْ لهنّ صداقًا، وكذلك كان يصنع بمَنْ جاءه من المسلمات قبل العهد.

قال ابن إسحٰق: وسألت الزُّهْري عن هذه الآية، وقول الله عزّ وجلّ فيها: ﴿وإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ فآتوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِثْلَ ما أَنْفَقُوا واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنونَ﴾ فقال: يقول: إن فات أحدًا منكم أهلُه إلى الكفّار، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم، فعوّضوهم في فَيْءٍ إن أصبتموه، فلما نزلت هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ﴾... إلى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾، كان ممن طلّق عمرُ بن الخطّاب، طلّق امرأته

ما قاله أبو جندل:

فصل: ومما قاله أبو جَنْدَلِ بن سُهيل أيّام كونه مع أبي بَصِير بسِيفِ البَحْرِ:

أَبْلغ قُرَيْشًا عن أبي جَنْدَلِ أنا بِذِي المَرْوةِ فالسَّاحِلِ

في مَعْشَرٍ تَخْفُقُ أيْمَانُهم بالبِيضِ فيها والقَنا الذَّابِلِ

يأبَوْنَ أن تَبْقَى لهم رُفْقَةٌ من بعد إسلامِهم الواصِلِ

قُريبة بنت أبي أُميَّة بن المُغيرة، فتزوّجها بعده مُعاوية بن أبي سُفيان وهما على شركهما بمكّة، وأُمّ كلثوم بنت جَرْول أُمّ عبيد الله بن عمر الخُزاعيَّة، فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم، رجل من قومه، وهما على شرْكهما.

بشرى فتح مكّة وتعجيل بعض المسلمين:

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عبيدة: أنّ بعضَ منْ كان مع رسول الله ﷺ قال له لما قدم المدينة: ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكّة آمنًا؟ قال: «بلى، أفقلت لكم مِنْ عامي هذا؟» قالوا: لا، قال: «فهو كما قال لي جبريل عليه السلام».

أو يـجـعـل الله لـهـم مَـخْـرَجًـا ... والـحَـقُّ لا يُـغْـلَـبُ بـالـبـاطـل

فـيَـسْـلَـم الـمـرءُ بـإسْـلاَمِـه ... أو يُـقْـتَـل الـمـرءُ ولـم يـأتـلِ

ذكــر المسير إلى خيبــر

في المحرم سنة سبع

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحٰق المطلبي قال: ثم أقام رسولُ الله ـ ﷺ ـ بالمدينة حين رجَع من الحُدَيْبِيَةِ، ذا الحجّة وبعضَ المحرّم، ووَلِي تلك الحِجَّة المشركون، ثم خرج في بقيَّة المحرَّم إلى خَيبر.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُمَيْلَة بن عبد الله الَّلَيْثي، ودَفع الراية إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت بيضاء.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِي عن أبي الهيثم بن نصر بن دُهْر الأسلمي أنّ أباه حدّثه: أنه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ ـ يقول في مسيره إلى

غـزوة خيبـر[1]

ذكر البَكْرِيُّ أن أرضَ خَيْبَر سُمِّيَتْ باسْم رَجُلٍ من العَمَالِيقِ. نَزَلها وهو خَيْبَرُ بن قَانِية بن مَهْلاَيِلَ، وكذلك قال في الوَطِيح، وهو من حُصونها أنه سُمِّي بالوَطِيحِ بن مازِن، رجلٍ من ثمُودَ ولفظُه مأخوذ من الوَطْح، وهو ما تَعَلَّق بالأظافر، ومخالب الطير من الطين.

---

(١) انظر البداية والنهاية (٤/ ١٨١) الطبري (٣/ ٩) الكامل (٢/ ٩٩) الطبقات (٢/ ١/ ٧٧) المنتظم (٣/ ٢٩٣) الاكتفاء (٢/ ٢٥١) الواقدي (٢/ ٦٣٣) ابن حزم (٢٥٣) أنساب الأشراف (١/ ١٦٩) فتوح البلدان (٢٩) شرح المواهب (١/ ١٧٣) الزاد (٣/ ٣١٦) وانظر البخاري (٥/ ١٣٠).

خَيبر لعامر بن الأكوع، وهو عمّ سَلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم الأكوع سِنان: «انزل يا ابن الأكوع، فخُذ لنا من هَنَاتِك»، قال: فنزلَ يرتجز برسول الله ﷺ، فقال:

واللهِ لـولا الله مـا اهـتـدَيْـنـا ... ولا تَـصَـدَّقْـنـا وَلا صَـلَّـيـنـا
إنَّـا إذا قَـوْمٌ بَـغَـوْا عَـلَـيْـنَـا ... وإن أرادوا فِـتْـنَـةً أبَـيْـنـا
فـأنْـزِلَـنْ سَـكِـيـنَـةً عَـلَـيْـنـا ... وثَـبِّـتِ الأقْـدام إنْ لاقَـيـنـا

شـرح هنـة والحـداء:

وذكر ابن إسحٰق قوله عليه السلام لِسَلَمَة بن الأكْوَع: خُذْ لنا من هَنَاتِك. الهَنَةُ: كناية عن كُلِّ شيء لا تَعْرِف اسمَه، أو تَعرِفُه، فتَكْنِي عنه، وأصلُ الهَنَة: هنهة وَهَنْوة. قال الشاعر:

[أَرَى ابنَ نَزارٍ قد جَفَانِي وقلَّني] ... عـلـى هَـنَـوَاتٍ شـأْنُـهـا مُـتَـتَـابِـعُ

وفي البخاري[1]: أن رَجُلاً قال لابن الأكْوَع: ألا تَنْزِلُ فتُسْمِعُنا من هُنَيْهَاتِك، صَغَّره بالهاء، ولو صغره على لغةٍ من قال: هَنَوَاتٍ، لقال: هُنَيَّاتِك، وإنما أراد - ﷺ - أن يَحْدُو بهم، والإبلُ تُسْتَحَثُّ بالحُدَاءِ، ولا يكون الحُدَاءُ إلاّ بِشِعْرٍ أو رَجَزٍ، وقد ذكرنا أوّلَ من سَنَّ حُدَاء الإبل، وهو مُضَرُ بن نِزَارٍ، والرَّجز شِعْرٌ، وإن لم يكن قَرِيضًا، وقد قيل: ليس بشعر، وإنما هي أشطار أبيات، وإنما الرَّجَزُ الذي هو شِعْرٌ سُداسِيُّ الأجزاءِ، نحو مَقْصورَةِ ابن دُرَيدٍ أو رباعي الأجزاءِ نحو قول الشاعر:

يـا مـر يـا خَـيْـرَ أخٍ ... نَـازَعْـتَ دَرَّ الـحَـلْـمَـهْ

واحتجّ من قال في مَشْطُورِ الرَّجز أنه ليس بِشِعْرٍ أنه قد جرى على لسان النبيّ - ﷺ - وكان لا يجري على لسانه الشعر، وقد رُوي أنه أنشد هذا الرجز الذي قاله ابن الأكوع في هذا الحديث، وقال أيضًا إمَّا مُتَمَثِّلاً وإما مُنْشِئًا:

هـل أَنْـتِ إلاَّ إِصْـبَـعٌ دَمِـيـتِ ... وفـي سَـبِـيـلِ الله مـا لَـقِـيـتِ

وفي هذا الرجز من غير رواية ابن إسحٰق مما وقع في البُخاري وغيره:

فـاغْـفـرْ فِـداء لـك مـا أبْـقَـيْـنـا

---

(١) البخاري (٣٥٦/٧).

فقال رسول الله ﷺ: «يرحمك الله»؛ فقال عمر بن الخطّاب: وَجبت والله يا رسول الله، لو أمْتَعْتنا به! فقُتل يوم خَيبر شهيدًا، وكان قَتْله، فيما بلغني، أنّ سيفه رَجع عليه وهو يُقاتِل، فكلَمه كلْمًا شديدًا، فمات منه؛ فكان المسلمون قد شكُّوا فيه، وقالوا: إنما قتله سلاحُه، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ بن عمرو بن الأكوع رسولَ الله ﷺ عن ذلك، وأخبره بقول الناس، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنه لشهيدٌ»، وصلَّى عليه، فصلّى عليه المسلمون.

ويُروى ما اقْتَفَيْنَا أي: ما تَتَبَعْنَا من الخطايا، من قَفَوْتُ الأثر، واقْتَفَيْتُه. وفي التنزيل: ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وأما قوله: ما أبقينا، أي: ما خَلَّفْنَا مِمَّا اكْتَسَبْنا، أو يكون معناه: ما أَبْقَيْنَا من الذنوب، فلم نُحَقِّقْ التوبةَ منه كما ينبغي.

وقوله: فداءً لك قد قيل: إن الخطابَ للنبيّ ـ ﷺ ـ أي: اغفِر لنا تقصيرَنا في حقّك وطاعتك، إذ لا يتصور أن يُقال لله تبارك وتعالى مثلُ هذا الكلام، وذلك أن معنى قولهم: فداءً لك أي: فداءً لك أنفسُنا وأهلُونا، وحذف الاسم المبتدأ لكثرة دَوْره في الكلام مع العلم به، وإنما يَفْدي الإنسانُ بنفسه مَنْ يجوز عليه الفناءُ.

استعمال الكلمة في غير موضعها:

وأقرب ما قيل فيه من الأقوال إلى الصّواب أنها كلمةٌ يتَرْجَم بها عن مَحَبّة وتعظيم، فجاز أن يخاطَب بها مَنْ لا يجوز في حَقِّه الفداءُ، ولا يجوز عليه الفناءُ قصدًا لإظهار المحبّة والتعظيم له، وإن كان أصلُ الكلمة ما ذكرنا، فَرُبَّ كلمةٍ تُرك أصلُها، واستُعْمِلَتْ في غير ما وُضِعَتْ له أوّلُ، كما جاءوا بلفظ القَسَم في غير موضع القسم، إذا أرادوا تعجّبًا واستعظامًا لأمر، كقوله عليه السلامُ في حديث الأعرابي من رواية إسماعيل بن جعفر: «أَفْلَحَ وأَبِيه إن صَدَق»[1]، ومُحَالٌ أن يَقْصد ﷺ القسمَ بغير الله تبارك وتعالى، لا سِيَّما برجلٍ مات على الكفر، وإنما هو تعجّب من قول الأعرابي، والمتعجَّب منه هو مُسْتَعْظَمٌ، ولفظ القَسَمِ في أصل وضعِه لما يُعَظَّم، فاتُّسِع في اللفظ حتى قيل: على الوجه. وقال الشاعر:

فإن تَكُ لَيْلى اسْتَوْدَعَتْنِي أمانة ... فلا وأَبِي أَعْدَائها لا أَخُونُها

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٨) ومسلم في الإيمان (٨/ ٩) وأبو داود (٣٩٢/ ٣٢٥٢ ـ بتحقيقي) والنسائي (١/ ٢٢٨) وابن خزيمة (٣٠٦) والطحاوي في المشكل (١/ ٣٥٦) وانظر الفتح (١/ ١٠٧).

قال ابن إسحٰق: حدّثني من لا أتّهم، عن عَطاء بن أبي مَرْوان الأسلمي، عن أبيه، عن أبي مُعتِّب بن عمرو: أنّ رسول الله ﷺ لما أشرف على خَيبر قال لأصحابه، وأنا فيهم: «قِفُوا»، ثم قال: «اللهمّ ربّ السمٰواتِ وما أظْلَلن وربّ الأرضين وما أقْلَلْنَ، وربّ الشّياطين وما أضلَلْنَ، وربّ الرّياح وما أذرَين، فإنّا نسألك خيرَ هذه القَرْية وخيرَ أهلها وخيرَ ما فيها، ونعوذُ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها، أقدِموا بسم الله». قال: وكان يقولُها عليه السلام لكلّ قَرْيَةٍ دَخَلَها.

لم يُردْ أن يُقْسِم بأبي أعدائها، ولكنه ضَرْبٌ من التعجُّب، وقد ذهب أكثرُ شرّاح الحديث إلى النسخ في قوله: أفلح وأبيه، قالوا: نَسخَه قوله عليه السلام: «لا تَحْلِفُوا بآبائكم»[1]، وهذا قولٌ لا يصحّ، لأنه لَمْ يثْبُتْ أن النبيَّ ﷺ - كان يَحْلِف قبل النَّسْخ بغير الله، ويُقْسِم بقوم كُفَّارٍ، وما أبعد هذا من شِيمتِه - ﷺ - تالله ما فعل هذا قَط، ولا كان له بخلقٍ. وقال قومٌ: رواية إسماعيل بن جعفر مُصَحَّفَه، وإنما هو أَفْلَح والله إن صدق. وهذا أيضًا مُنكَرٌ من القول، واعتراض على الإثْبَاتِ العُدُول فيما حفِظوا، وقد خرج مسلم في كتاب الزكاة قولَه عليه السلام لرجل سأله: أيُّ الصَّدَقَةِ أفضل؟ فقال: «وأبيك لأُنَبِّئَنَّك أو قال: لأخبِرَنَّك»، وذكر الحديث، وخرج في كتاب البرّ والصِّلَة قوله لرجل سأله: مَنْ أَحَقُّ الناسِ بأن أَبَرَّهُ، أو قال: أَصِلُه؟ فقال: «وأبيك لأُنبِّئُك، صِلْ أُمّك، ثم أباك ثم أدنَاك فأدْنَاك»، فقال في هذه الأحاديث كما ترى وأبيك، فلم يأت إسماعيل بن جعفر إذًا في روايته بِشَيْءٍ إِمْرٍ، ولا بِقَوْلٍ بدعٍ، وقد حمل عليه في روايته رجلٌ من عُلَمَاء بلادنا وعظماءِ مُحَدِّثيها، وغفل - عفا الله عنه - عن الحديثين اللذين تقدّم ذكرهما، وقد خَرَّجهما مُسْلِمُ بنُ الحَجَّاج. وفي تراجم أبي داود في كتاب الإيمان في مصنفه ما يدلّ على أنه كان يذهب إلى قول من قال بالنسخ، وأن القَسَم بالآباء كان جائزًا، والذي ذكرناه ليس من باب الحِلفِ بالآباء كما قدمنا، ولا قال في الحديث: وأبي، وإنما قال: وأبيه، أو وأبيك بالإضافة إلى ضمير المخاطَب أو الغائب، وبهذا الشرط يخرُج عن معنى الحَلِفِ إلى معنى التعجّب الذي ذكرناه.

الإسناد عن عطاء بن أبي مروان:

وذكر ابنُ إسحٰق حديثَه عليه السلام حين أشرف على خَيْبَر، وقال: في إسنادِه عن عَطَاءِ بن [أبي] مَرْوَانَ، وهذا هو الصحيح في هذا الإسناد، لأن عطاء بن أبي مَرْوَان الأسْلَمِيّ معروفٌ في أهل المدينة يكنى أبا مُصْعَب، قاله البخاري في التاريخ، وبعض من

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٥٣) ومسلم في الإيمان (٤) وأبو داود (٣٢٤٨ - بتحقيقي) وابن ماجة (٢١٠١) والنسائي وأحمد (١/١٧).

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم عن أنس بن مالك، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يُغرّ عليهم حتى يُصْبح، فإن سَمِع أذانًا أمسك، وإن لم يسمع أذانًا أغار. فنزلنا خيبر ليلاً، فبات رسولُ الله ﷺ، حتى إذا أصبح لم يَسْمع أذانًا، فركب وركبنا معه، فركبتُ خلف أبي طلحة، وإن قَدَميّ لتمسّ قَدم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عُمَّال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحِيهم ومَكاتِلهم، فلما رأوا رسولَ الله ﷺ والجيشَ، قالوا: محمدٌ والخَمِيسُ معه! فأدبروا هُرَّابًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «الله أكبر، خَرِبَتْ خيبر، إنَّا إذا نَزَلْنَا بساحَةِ قومٍ، فساء صَبَاحُ المُنذَرِين».

قال ابن إسحاق: حدّثنا هارون عن حُميد، عن أنس بمثله.

يَرْوي السيرة يقول في هذا الإسناد عن عَطَاء بن أبي رَبَاحٍ، عن مَرْوَان الأسْلَمي والصحيح ما قَدّمناه.

المكاتل:

فصل: وذكر حديثَ أنَسٍ حين اسْتَقْبَلتهُم عُمَّالُ خَيْبَر بمسَاحِيهم ومَكَاتِلهم المكَاتِل: جمع مَكْتَلٍ وهي القُفَّةُ العظيمة، سُمِّيَتْ بذلك لتَكَتُّلِ الشيءِ فيها، وهو تلاصُقُ بعضِه ببعض، والكُتْلَةُ ومن التمر ونحوه فصيحة، وإن ابْتَذَلَتْها العامَّةُ.

خربت خيبر:

وقول النبيّ ﷺ حين رآهم: «الله أكبر خَرِبَت خَيْبَرُ»[1]. فيه إباحة التَّفَاؤُل وقوةٌ لمن استجاز الرَّجَزَ، وقد قدّمنا في ذلك قَوْلاً مُقْنِعًا، وذلك أنه رأى المَسَاحِيَ والمَكَاتِلَ وهي من آلة الهَدْم، والحفر مع أن لفظ المِسْحاةِ من سَحَوْتُ الأرض إذ قَشَرْتُها، فدلّ ذلك على خَرَابِ البَلْدَةِ التي أشرف عليها، وفي غير رواية ابن هشام قال: حين ذكر المساحي: كانوا يُؤَتُّونَ الماءَ إلى زَرْعهم معناه: يَسُوقُونَ. والأَتِيُّ هي الصافية.

الخميس:

وقولُ اليهود: محمدٌ والخميس، سمي الجيشُ العظيمُ خَمِيسًا، لأن له ساقَةً ومُقَدِّمة، وجناحين وَقَلْبًا، لا من أجلِ تخميس الغنيمة، فإن الخُمُسَ من سُنَّةِ الإسلام، وقد كان الجيشُ يُسَمَّى خَمِيسًا في الجَاهِلِيَّة، وقد ذكرنا الشاهد على ذلك فيما تَقَدَّم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٥٩) ومسلم في الجهاد (١٣٦٥) والترمذي (١٥٥٠) والنسائي (١/ ٢٧٢) وأحمد (٣/ ١٠٢).

قال ابن إسحٰق: وكان رسولُ الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خَيبر سلك على عِصْر فبنى له فيها مَسجد، ثم على الصَّبهاء، ثم أقبل رسولُ الله ﷺ بجَيْشه، حتى نزل بوادٍ يقال له: الرَّجِيع، فنزل بينهم وبين غَطَفَان، ليَحُول بينهم وبين أن يُمِدّوا أهل خيبر، وكانوا لهم مُظاهِرِين على رسولِ الله ﷺ.

فبلغني أنّ غَطفان لَمَّا سَمِعت بمَنْزِل رسولِ الله ﷺ من خَيبر جَمعوا له ثم خرجوا ليُظاهِروا يَهُودَ عليه، حتى إذا ساروا مَنْقَلَةً سمعوا خَلْفهم في أموالهم وأهْلِيهم حسًّا ظَنُّوا أن القَوم قد خالفوا إليهم، فرَجعوا على أعقابهم، فأقاموا في أهلِيهم وأموالهم، وخلَّوا بين رسولِ الله ﷺ وبين خيبر.

وتُدَنَّى رسولُ الله ﷺ الأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتتحها حِصْنًا حِصْنًا، فكان أوّل حُصونهم افتُتح حِصْن ناعم، وعنده قُتل محمود بن مَسْلمة، أُلْقِيَت عليه منه رحًا فقتلته، ثم القَموص، حِصْن بني أبي الحُقيق، وأصاب رسولُ الله ﷺ منهم سَبايا، منهنَّ صَفيَّة بنتُ حيي بنِ أَخْطب، وكانت عندَ كنانَة بن الرَّبيعِ بن أبي الحُقَيق، وبِنْتَي عَمّ لها، فاصطفى رسولُ الله ﷺ صفِيَّة لنفسه.

وكان دِحْيةُ بن خَليفة الكَلْبيّ قد سأل رسولَ الله ﷺ صَفية، فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنَتيْ عمِّها، وفَشَت السَّبايا من خَيْبر في المُسلمين.

ما نهى عنه الرسول ﷺ في خيبر

وأكل المُسلمون لُحوم الحُمر الأهليّة من حُمرها، فقام رسولُ الله ﷺ، فنهى النّاسَ عن أُمور سمَّاها لهم.

تـدنـي الحصـون:

وقوله: يَتَدَنَّى الحصون، أي: يأخذ الأدنى فالأدنى.

حكم أكل لحوم الحمر الأهلية والخيل[1]

وذكر نهيه عليه السلام عن أكل لحوم الحمر الأهلية، وحديثُ جابر أنه نهى عليه السلام يوم خَيْبَر عن أكل لحوم الحُمُر الأَهْلِيَّة، وأَرْخَصَ لهم في لحوم الخيل، أما الحُمُر الأهليةُ فمجْتَمَعٌ على تحريمها إلاّ شيئًا يُرْوَى عن ابنِ عبَّاسٍ وعائشة، وطائفةٍ من التابعين.

(١) انظر البخاري (٧/ ٣٧٠) (٩/ ٥٦٤/ ٥٦٥ ـ فتح).

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبدُ الله بن عمرو بن ضمْرة الفَزاري عن عبد الله بن أبي سَليط، عن أبيه. قال: أتانا نهْيُ رسولِ الله ﷺ عن أكْل لُحوم الحُمُر الإنْسيَّة، والقُدور تَفُور بها، فكَفأناها على وجوهها.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح، عن مَكْحُول: أنَّ رسول الله ﷺ نهاهم يومئذٍ عن أربع: عن إتيان الحَبالَى من السَّبايا، وعن أكل الحِمار الأهلي، وعن أكل كلّ ذي ناب من السباع، وعن بيْع المغانم حتى تُقسم.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني سَلاَّم بن كِرْكِرة، عن عَمْرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، ولم يشْهَد جابر خَيْبر: أن رسولَ الله ﷺ حين نهَى الناس عن أكل لُحوم الحُمر، أذِن لهم في أكل لحوم الخَيْل.

وحُجَّةُ من أباحها قوله تعالى: ﴿قُل لا أَجِدُ فيما أُوحِيَ إليَّ مُحَرَّمًا على طَاعِمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآيةُ وهي مَكّيةٌ، وحديثُ النهي عن الحُمرِ كان بخَيْبر فهو المبين للآيَة، والنَّاسِخُ للإبَاحَةِ، ومن حُجَّتِهم أيضًا قوله ﷺ لرجل استفتاه في أكل الحمار الأهلي، يقال في اسمه: غالب بن أَبْجَر المُزَني: «أطْعِم أهلَك من سَمِين مالِك»[1]، وهو حديثٌ ضعيفٌ لا يُعارَض بمثله حديثُ النهي مع أنه مُحْتَمِلٌ لتأويلين، أحدهما: أن يكون الرجلُ ممن أصابته مَسْغَبَةٌ شديدةٌ، فأرخصَ له فيه، أو يكون ذلك منسوخًا بالتحريم، على أن بعضَ رُوَاةِ الحديث زاد فيه بيانًا، وهو قوله عليه السلام للرجل: «إنما نهيت عن حوالى القَرْيَةِ أو جوالي[2] القرية على اختلافٍ في الرواية، وأما حديثُ جابرٍ في إباحة الخيل، فصحيح ويُعَضِّده حديثُ أسماءَ أنها قالت: ضَحَّيْنا على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ بفرَسٍ. وقال بإباحة لحومِ الخيلِ الشافِعيُّ والليثُ وأبو يُوسُفَ وذهب مالكٌ والأوْزَاعِيُّ إلى كَرَاهَةِ ذلك، وقد رُوِي من طريقِ خالد بن الوليد أنه عليه السلام نهى عن أَكْلِ لُحُوم الحُمُرِ الأَهْلِيَّة والبغالِ والخيلِ، وقد خَرّجه أبـو داود، وحديث الإباحة أَصَحُّ غير أن مالكًا رحمه الله نَزَعَ بآيَةٍ من كتابِ الله، وهي أن الله جلَّ ذِكرُهُ ذكر الأنعام، فقال: ﴿ومنها تأكلون﴾ ثـم ذكر الخيل والبغال والحمير فقال: ﴿لِتَرْكبُوها وزينَةً﴾ هذا انْتِزَاعٌ حَسَنٌ. ووجْه الدليل من الآية أنه قال: ﴿والأنعامَ خَلَقَها لَكُمْ فيها دِفْءٌ ومَنَافِعُ﴾ [النحل: ٥] فذكر الدِّفْء والمنافع والأكل، ثم أفرد

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٠٩ ـ بتحقيقي) بلفظ «حمرك» والبيهقي (٩/ ٣٣٢) وابن سعد (٦/ ٣١) والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٦٥) وابن أبي شيبة (٨/ ٨٧). وانظر الفتح (٩/ ٦٥٦) والزاد (٣/ ٣٤٢).

(٢) الجوالي: دابة تأكل العذرة.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق مولى تُجِيب، عن حنش الصَّنعاني، قال: غزونا مع رُويفع بن ثابت الأنصاري المغرب، فافتتح قرية من قُرى المغرب يقال لها: جَرْبَة، فقام فينا خطيبًا، فقال: يا أيها الناس، إني لا أقول فيكم إلاّ ما سمعت من رسول الله ـ ﷺ ـ يقوله فينا يومَ خيبر، قام فينا رسولُ الله ﷺ فقال: «لا يحلّ لامرئٍ يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقِيَ ماؤه زرعَ غيره، يعني إتيانَ الحبالى من السَّبايا، ولا يحلّ لامرىء يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يُصيب امرأة من السَّبي حتى يستبرئها، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَغْنمًا حتى يُقسم، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابَّة مِنْ فَيْء المسلمين حتى إذا أعْجَفَها رَدَّها فيه، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَلْبس ثوبًا من فَيْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه»[١].

الخيلَ والبغالَ والحميرَ بالذكر، ثم جاء بلاَم العِلَّة والنَّسَبِ، فقال: لتركَبُوها، أي: لهذا سَخَّرتُها لكم، فوجب أنْ لا يَتَعَدَّى ما سُخِّرت له، وأما نَهْيُه يوم خَيْبَرَ عن لُحُوم الجَلاَّلَةِ وعن رُكُوبِها، فهي التي تأكل الجَلَّةَ وهو الرَّوْثُ والبَعْرُ، وفي السُّنَنِ للدارَقُطنِيِّ[٢] أنه عليه السلامُ نهى عن أكل الجَلاَّلَةِ، حتى تُعْلَفَ أربعين يومًا، وهذا نحوٌ مما رُوِي عنه عليه السلام أنه كان لا يأكل الدَّجَاجَ المُخَلاَّةَ، حتى تُقْصَر ثلاثةَ أيَّام. ذكره الهَرَوِيُّ.

الـــورق:

وذكر في الحديث نهيَه عليه الصلاة والسلام عن: «بَيْع الفِضَةِ بالفِضَّةِ[٣]، وإباحَة بَيْعِ الذَّهَب بالوَرِقِ»، فدلّ على أن الوَرِقَ والفِضَّةَ شَيْءٌ واحدٌ، وقد فرّق بينهما أبو عُبَيْدٍ في كتاب الأموال، فقال: الرِّقَةُ والوَرِق ما كان سكَّةً مَضْرُوبَةً، فإن كان حُلِيًّا أو حلْيَةً، أو نُقَرًا[٤] لم يُسَمَّ وَرِقًا، يريد بهذه التفرقة أن لا زَكَاةَ في حُلِيِّ الفِضَّة والذَّهَبِ، لأن النَّبيّ ـ ﷺ ـ حين ذكر الزَّكَاةَ قال: «في الرِّقَةِ الخُمسُ»[٥]، وحين ذكر الرِّبا قال: «الفِضَّةُ بالفِضَّة».

قال المؤلّف: وفي هذا الحديث الذي ذكره ابن إسحٰق، وفي أحاديث سواه قد تتبعتها ما يدلّ على خلافِ ما قال، منها قوله عليه السلام في صفة الحَوْض: «يَصُبُّ فيه مِيزَابَانِ من

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٥٨/٢١٥٩ بتحقيقي) وأحمد (٤/١٠٨) والدارمي (٢/ ٢٥٠).
(٢) الدارقطني (٤/ ٢٨٧ ـ بتحقيقي). (٣) أخرجه النسائي (٧/ ٢٨٠).
(٤) نقرًا: أي مخلوطًا مسبوكًا من ذهب وفضّة.
(٥) أخرجه أبو داود (١٥٦٧ ـ بتحقيقي) بلفظ «في الرقّة ربع العشر».

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يزيدُ بن عَبْدِ الله بن قُسَيْطٍ، أنه حُدِّث عن عُبَادَةَ بن الصامت، قال: نهانا رسولُ الله ﷺ يوم خَيْبَر عن أن نَبيع أو نَبْتاع تِبْر الذّهبِ بالذّهبِ العَيْنِ، وتبر الفضّة بالوَرِق العَيْنِ، وقال: «ابتاعوا تِبْرَ الذهبِ بالورِق العَيْنِ، وتِبْرَ الفِضَّةِ بالذهب العَيْنِ».

قال ابن إسحٰق: ثم جَعَل رسولُ اللهِ ﷺ يَتدَنَّى الحُصُونَ والأموال.

شأن بني سهم:

فحدّثني عبدُ الله بن أبي بَكْر أنه حدّثه بعضُ أَسْلم: أن بني سَهْم من أَسْلم أتَوْا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء؛ فلم يَجِدوا عند رسولِ اللهِ ﷺ شيئًا يُعطيهم إياه؛ فقال: «اللهمّ إنك قد عَرَفت حالَهم وأن لَيْست بهم قوّة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إيّاه، فافتح عليهم أعْظم حُصونها عنهم غناء، وأكثرها طَعامًا ووَدكًا»[1]، فغدا الناسُ ففتح الله عزّ وجلّ حِصْنَ الصَّعْب بن مُعاذ، وما بخَيبر حِصْن كان أكثر طَعامًا ووَدكًا منه.

مقتل مرحب اليهوديّ:

قال ابن إسحٰق: ولمّا افتتح رسولُ الله ﷺ من حُصونهم ما افتتح، وجاز من الأموال ما جاز، انتهوا إلى حِصْنيهم الوَطِيح والسّلالِم، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحًا، فحاصره رسولُ الله ﷺ بضع عشرة ليلة.

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم خيبر، يا منصور، أَمِت أمت.

الجَنَّة أحدُهما [من ذهب والآخر] من وَرِقٍ»[2]، وفي حديث عَرْفَجَةَ حين أُصيب أنفُه يوم الكُلاَب قال: فاتخذتُ أَنْفًا من وَرِقِ الحديث، في شواهد كثيرةٍ تدلّ على أنَّ الفِضَّةَ تُسَمَّى وَرِقًا على أيِّ حال كَانتْ.

وقوله: بالذَّهَبِ العَيْن والورق العَيْن، يريد النقد، لأنَّ الغائبَ تُسَمَّى ضِمَارًا، كما قال، وعَيْنُه كالكَالىء الضِّمَار، وسُمي الحاضر: عَيْنًا لموضع المُعَايَنَةِ، فالعَيْن في الأصلِ مَصْدَرُ عِنْته أَعينُه إذا أبصرتَه بعينك، وسُمّي المفعولُ بالمصدَرِ، ونَحْوٌ منه الصَّيدُ، لأنه مصدر

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ٢٢٣) والطبري في تاريخه (٢/ ١٣٥).

(٢) تقدم. وهو عند مسلم وغيره.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبدُ الله بن سَهل بن عبد الرحمٰن بن سهل، أخو بني حارثة، عن جابر بن عبد الله، قال: خرج مَرْحب اليهوديّ من حِصْنهم، قد جمع سلاحه، يرتجز وهو يقول:

قد عَلِمَتْ خَيبَر أنّي مَرْحَبُ ... شاكي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّب
أَطْعُنُ أَحيانًا وحِينًا أضرِبُ ... إذا الُّليوث أقبَلَتْ تَخَرَّب
إن حِماي للحِمى لا يُقرب

وهو يقول: من يُبارز؟

فأجابه كعب بن مالك، فقال:

قد عَلِمَت خَيبر أني كَعْبُ ... مُفَرِّجُ الغَمَّى جَرِيءٌ صُلْبُ
إذْ شَبَّتِ الحَرْبُ تَلَتها الحَرْبُ ... مَعِي حُسام كالعَقِيق عَضْبُ
نَطَؤكم حتى يَذِلّ الصَّعْب ... نُعْطِي الجَزاءَ أو يَفيءَ النَّهْبُ
بكفٍّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيدٍ الأنصَارِي:

قد عَلِمَتْ خَيبرُ أني كَعْبُ ... وأنَّني مَتى تُشَبُّ الحَرْبُ
ماضٍ على الهَوْل جَرِيءٌ صُلْب ... معي حُسام كالعَقيق عَضْبُ
بكَفٍّ ماضٍ لَيْس فيهِ عَتْبُ ... نَدُكُّكُمْ حتى يَذِلَّ الصَّعْبُ

قال ابن هشام: ومَرْحب من حِمْير.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الله بن سَهْل، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن لهذا؟» قال محمد بن مَسْلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله المَوتور الثائر، قُتل أخي بالأمس؛ فقال «فقم إليه» اللهمّ أعِنْهُ عليه. قال: فلما دنا أحدُهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمْرية من شجر العُشَر فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه، كلّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى بَرز كلُّ واحد منهما

صِدْت أَصِيدُ، وقد جاء في التنزيل: ﴿لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥] فَسمَّاه بالمصدر، ولعلّك أن تلحظ من هذا المطلع معنى العَيْنِ من قوله تعالى: ﴿ولِتُصْنَعَ على عَيْنِي﴾ [طٰه: ٣٩] فقد أمْلَيْنَا فيها، وفي مَسْأَلَة اليدِ مَسْألتيْن لا يُعْدَل بقيمتهما الدنيا بحذافيرِها.

لصاحبه، وصارت بينهما كالرَّجل القائم، ما فيها فَنن، ثم حملَ مَرْحبٌ على محمد بن مَسْلمة، فضربه، فاتَّقاه بالدَّرقة، فوقع سيفه فيها، فعضّت به فأمْسكته، وضربه محمدُ بن مَسْلمة حتى قتله[1].

مقتل ياسر أخي مرحب:

قال ابن إسحٰق: ثم خرج بعد مَرْحب أخوه ياسر، وهو يقول: مَن يبارز؟ فزعم هشام بنُ عروة أن الزّبير بن العوّام خرج إلى ياسر، فقالت أُمه صفيَّة بنت عبد المطَّلب: يقتل ابني يا رسول الله! قال: «بل ابنُك يقتله إن شاء الله». فخرج الزُّبير فالتَقيا، فقتله الزُّبير.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني هشام بنُ عروة: أن الزّبير كان إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لصارمًا عَضْبًا، قال: والله ما كان صارمًا، ولكني أكرهتُه.

متى حـرّم نكـاح المتعة[2]؟

فصل: ومِمَّا يَتَّصِل بحديث النهي عن أكل الحُمُر تنبيهٌ على إشكَال في رواية مالكٍ عن ابن شهابٍ، فإنه قال فيها: نهى النبيُّ ﷺ عن نِكاح المُتْعَةِ يوم خَيْبَر، وعن لُحُوم الحُمُر الأهْلِيَّة، وهذا شيءٌ لا يعرفه أحدٌ من أهلِ السِّيرِ، ورواة الأثرِ، أن المُتْعَةَ حُرِّمَتْ يوم خيبر، وقد رواه ابن عُيَيْنَةَ عن ابن شهابٍ عن عبد الله بن محمد، فقال فيه: إن النبيَّ ﷺ - نهى عن أكل الحُمُر الأهلية عامَ خَيْبَر، وعن المُتْعَةِ، فمعناه على هذا اللفظ: ونَهَى عن المُتْعَةِ بعد ذلك، أو في غير ذلك اليوم، فهو إذًا تقديمٌ وتأخير، وقع في لفظ ابن شهاب، لا في لفظ مالك، لأن مالكًا قد وافقه على لفظه جماعةٌ من رُوَاةِ ابن شِهَابٍ، وقد اخْتُلِفَ في تحريم نِكَاحِ المُتْعَةِ فأغْرَبُ ما رُوي في ذلك روايةُ مَنْ قال: إن ذلك كان في غَزْوةِ تَبُوك، ثم رواية الحسنِ أن ذلك كان في عُمْرَةِ القَضَاءِ، والمشهورُ في تحريم نِكَاحِ المُتْعَةِ روايةُ الربيع بن سَبْرَةَ عن أبيه أن ذلك كَان عامَ الفَتْح. وقد خَرَّجَ مُسلِم الحديث بطوله وفي هذا الحديث أيضًا حديثٌ آخرُ خرجه أبو داود أن تحريمَ نِكَاحِ المُتْعَة كان في حجّة الوداع، ومن قال من الرُّواة كان في غزوة أَوْطَاس، فهو موافِقٌ لمن قال عام الفتح، فتأمَّله والله المُسْتَعَانُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٥) والحاكم (٣/ ٤٣٦).

(٢) حرم نكاح المتعة عام الفتح. انظر مسلم (١٤٠٦) والزاد (٣/ ٣٤٣).

شأن عليّ يوم خيبر:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه سفيان، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، قال: بعث رسولُ الله ﷺ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه برايته، وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام، إلى بعضِ حصون خَيْبر، فقاتل، فرَجع ولم يك فَتْحٌ، وقد جهد؛ ثم بعث الغد عمرَ بن الخطَّاب، فقاتَل، ثم رجع ولم يك فتح، وقد جهد، فقال رسولُ الله ﷺ: «لأعطينّ الرّاية غدًا رجلاً يحبّ الله ورسولَه، يفتح الله على يديه، ليس بفرَّار». قال: يقول سلمة: فدعا رسولُ الله ﷺ عليًّا رضوان الله عليه، وهو أرمد، فتَفَل في عينه، ثم قال: «خُذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتَح الله عليك».

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يَأْنِحُ، يُهَرْوِل هَرْوَلة، وإنا لَخَلْفه نَتْبَعُ أَثَرَه، حتى ركّز رايته في رضْم من حجارة تحت الحِصْن، فاطّلع إليه يهوديٌّ من رأس الحِصْن، فقال: من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب. قال يقول اليهودي: عَلَوتم، وما أُنزل على موسى، أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يَدَيه.

وذكر قوله ـ عليه السلام ـ: «لَأُعْطِيَنَّ الراية غَدًا رَجُلاً يُحبُّ الله ورسوله وَيَفْتَحُ على يَديْه»، وفي غير رواية ابن إسحٰق: «فبات الناسُ يَدُوكُونَ أيُّهم يُعْطَاهَا»[1] ومعناه من الدَّوكَةِ، والدَّوْكَةُ، وهو اخْتِلاطُ الأصْوَاتِ.

عليّ ودعاء الرسول ﷺ:

وذكر أن عَلِيًّا ـ رضي الله عنه ـ انطلق بالرّاية يَأْنِح، وفي غير رواية ابن إسحٰقِ يَؤُجُّ، فمن رواه يَأْنِح، فهو من الأنِيح وهو عُلُوُّ النَّفسِ، يقال: فَرَسٌ أَنْوَحُ من هذا، ويُروى عن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ أنه رأى رجلاً يَأْنِح ببَطْنِه، فقال: ما هذا؟ فقال: بَرَكَةٌ من الله، فقال: بل هو عذابٌ عَذَّبك به. ومن رواه يَؤُجُّ، فمعناه: يُسْرِع، يقال: أَجَّتْ الناقةُ تَؤُجُّ إذا أسرعت في مَشْيِها، وزاد الشَّيْبَانِيُّ عن ابن إسحٰق في هذا الحديث حين ذكر أنَّ عَلِيًّا كان أَرْمَدَ، وأن النبيّ ﷺ ـ تَفَل في عَيْنَيْه فبَرَأَ، قال: «فما وَجِعَتْ عينُه حتى مضى سبيله»، قال: وكان عَلِيٌّ يلبس القَبَاءَ المَحْشُوَّ الثَّخِين في شِدَّةِ الحَرِّ، فلا يُبالي بالحَرِّ، ويلبس الثوبَ الخفيفَ في شِدَّة البَرْد، فلا يُبالي بالبرد، وسُئل عن ذلك فأخبر أن النبيَّ ـ ﷺ ـ دعا له يوم خَيْبَرَ حين رَمَدَتْ عينه أن يَشْفِيه الله، وأن يُجَنِّبه الحرَّ والبردَ، فكان ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٦٥) ومسلم (١٨٠٧) وأحمد (٤/ ٥٢).

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الله بن الحسن، عن بعض أهله، عن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ، قال: خرجنا مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، حين بعثه رسولُ الله ﷺ برايته؛ فلما دَنا من الحِصْن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضَربه رجلٌ من يهود فطاح تُرْسُه من يده، فتناول عليّ عليه السلام بابًا كان عند الحصْن فترَّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نَفَر سبعة معي، أنا ثامنهم، نَجْهد على أن نَقْلب ذلك الباب، فما نقبله.

أمر أبي اليَسَر:

قال ابن إسحاق: وحدّثني بُرَيدة بن سُفْيَان الأَسْلَمِيّ، عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليَسَرِ كَعْب بن عَمْرو، قال: والله إنَّا لمع رسول الله ﷺ بخَيبر ذات عشيَّة، إذ أقبلت غِنم لرجل من يَهود تريد حِصْنهم، ونحن مُحَاصِرُوهم فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رجلٌ يُطعمنا من هذه الغنم»؟ قال أبو اليَسر: فقلت: أنا يا رسول الله؛ قال: فافعل، قال: فخرجت أشتدّ مثل الظّليم، فلما نظَر إليَّ رسولُ الله ﷺ موليًا قال: «اللهمّ أمْتِعنا به»؛ قال: فأدركتُ الغنم وقد دخلت أُولاها الحِصْن فأخذت شاتين من أُخْراها، فاحتضنتهما تحت يديَّ، ثم أقبلت بهما أشتدّ، كأنه ليس معي شيء، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ، فذَبحوهما فأكلوهما، فكان أبو اليَسَرِ من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكًا، فكان إذا حدّث هذا الحديث بكى، ثم قال: «أُمتِعوا بي، لعمري، حتى كنت من آخرهم هُلْكًا».

صفـية أم المـؤمنين

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسولُ الله ﷺ القَمُوصَ، حصنَ بني أبي الحُقَيْقِ، أُتِيَ رسولُ الله ﷺ بصفِية بنت حُييّ بن أخْطَب، وبأخرى معها، فمرّ بهما بلال، وهو الذي

صاحب المغانم وابن مغفل:

فصل: وذكر حديثَ عبدِ الله بن مُغَفّلٍ حين احْتَمَلَ جِرَابَ الشَّحْم، وأراد صاحبُ المغانم أخذَه منه، ولم يذكر اسم صاحبِ المغانم، ورُوي عن ابن وَهْبِ أنه قال: كان على المغانم يوم خَيْبَر أبو اليَسَر كَعبُ بن عَمْرو بن زيد الأنصاري هكذا وجدتُه في بعض كتبِ الفقه مَرْويًا عن ابن وَهْبِ، ولم يتّصل لي به إسناد.

الصفـي والمربـاع

فصل: وَذَكَر صَفِيَّةَ بنتَ حُيَـيٍّ، وأُمُّها بُرْدَةُ بنت سَمَوْأَل، أُخت رِفَاعَةَ بن سَمَوْأل

جاء بهما على قَتلى من قَتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفيَّة صاحت، وصكَّت وَجْهَها وحثَت الترابَ على رأسها؛ فلما رآها رسولُ الله ﷺ قال: «أَغْرِبوا عني هذه الشَّيْطَانَةَ، وأمر بصفِيَّة فحِيزَت خلفه، وألقى عليها رِدَاءَه، فعرف المسلمون أن رسولَ الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه. فقال رسول الله ﷺ لبلال، فيما بلغني حين رأى بتلك اليَهُوديَّة ما رأى: «أُنزَعَتْ منك الرحمةُ يا بِلاَلُ، حين تمرّ بامرأتين على قَتلى رجالهما؟»[1] وكانت صفيَّة قد رأت في المنام وهي عروس بكِنَانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق، أن قمرًا وَقَع في حِجْرِها، فعرضت رُؤياها على زَوْجها، فقال: ما هذا إلاّ أنك تَمَنَّيْن مَلِكَ الحجازِ محمدًا، فلطَم وجهَها لَطْمَةً خضَّر عينها منها. فأتى بها رسولُ الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر.

المذكور في المُوطَّأ، وأنه اصطفاها لنفسه، وفي حديث آخَر عن عائِشَةَ قالت: كانت صَفِيَّةُ من الصَّفِيِّ، والصَّفِيُّ ما يصطفيه أمير الجيش لنفسه قال الشاعر [عبدُ الله بن غَنَمَةَ الضَّبِيُّ يُخاطب بسْطَامَ بنَ قيس]:

لـك الـمِـرْبَـاعُ مـنـهـا والـصَّـفَـايَـا [وحكمك والنشيطة والفُضول]

فالمِربَاعُ رُبْع الغَنِيمة. والصَّفِيُّ ما يُصْطَفَى للرئيس، وكان هذا في الجاهلية، فنُسِخَ المِرْباعُ بالخُمُس وبقي أمرُ الصَّفِيِّ.

مصدر أموال النبيّ ﷺ، وزواجه من صفية:

وكانت أموالُ النبيّ ﷺ من ثلاثةِ أوجُهٍ: من الصَّفِيِّ، والهَدِيَّة تُهْدَى إليه، وهو في بيته لا في الغَزْو من بلاد الحربِ، ومن خُمسِ الخُمُسِ، ورَوى يُونسُ عن إبراهيمَ بن إسماعيل بن مُجَمِّعٍ الأنصارِيِّ، قال: حدّثني عُثمانُ بن كَعْبٍ القُرَظِيُّ، قال: حدّثني رجلٌ من بني النَّضير، كان في حِجْر صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ مِنْ رَهْطِها يقال له: ربيع، عن صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ قالت: ما رأيت أحدًا قَطُّ أحسن خُلُقًا مِنْ رسولِ الله ﷺ، لقد رأيته رَكِبَ بي من خَيْبَر حين أفاءَ الله عليه على ناقته ليلاً فجعلت أَنْعُسُ فيضربُ رأسِي مُؤْخِرَةَ الرَّحْلِ، فَيَمَسُّني بيده، ويقول: «يا هذِهِ مَهْلاً يا ابنَةَ حُيَيٍّ»، حتى إذا جاء الصَّهْبَاء[2]، قال: «أَمَا إني أَعْتذِر إليك يا صَفِيَّةُ مما صنعتُ بقومِك، إنهم قالوا لي: كذا، وقالوا لي: كذا»[3]. وحديثُ

---

(١) أخرجه البغوي (٦/ ٢٠٠). (٢) الصهباء: موضع قبل خيبر.

(٣) أخرجه أبو يعلى بأسانيد ورجال الطريق الأوّل رجال الصحيح، إلاّ أن حميد بن هلال لم يدرك صفية، ومن رجال هذه ربيع ابن أخي صفية ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. قاله الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٥٢).

بقيـة أمـر خيبـر:

وأُتِي رسولُ الله ﷺ بكِنانة بن الربيع، وكان عنده كَنْز بني النَّضير، فسأله عنه، فجحد أن يكون يعرف مكانه، فأتى رسولَ الله ﷺ رجل من يهود، فقال لرسول الله ﷺ: إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخَرِبة كلّ غداة؛ فقال رسولُ الله ﷺ لكنانة: «أرأيت إن وجدناه عندك، أأقتلك؟» قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحُفِرت، فأخرج منها بعض كَنْزهم، ثم سأله عما بقي، فأبى أن يُؤَدّيه، فأمر به رسولُ الله ﷺ الزّبيرَ بن العوّام، فقال: عذّبه حتى تَسْتأصِل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزَنْدٍ في صَدره، حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسولُ الله ﷺ إلى محمد بن مَسْلمة، فضرب عُنقه بأخيه محمود بن مَسْلمة.

صلـح خيبـر:

وحاصر رسولُ الله ﷺ، أهلَ خيبر في حصنيهم الوَطِيح والسلالم، حتى إذا أيْقنوا بالهَلكة، سألوه أن يُسَيِّرهم وأن يحقِن لهم دماءهم، ففعل، وكان رسولُ الله ﷺ قد حاز

اصطِفائه صفيةَ يعارضُه في الظاهر الحديثُ الآخر عن أَنسٍ أنها صارت لدحْية فأخذها منه، وأعطاه سَبْعَةَ أَرْأُسٍ، ويُروى أنه أعطاه بِنْتَي عَمِّها عِوَضًا منها، ويُروى أيضًا أنه قال له: «خُذ رأسًا آخر مكانَها»[1]، ولا مُعَارَضَةَ بين الحديثين، فإنما أخذها من دِحْيَةَ قبل القَسْم: وما عَوَّضه منها ليس على جِهَةِ البَيْع، ولكن على جِهَة النَّفْل والهِبَةِ، والله أعلم. غير أن بعض رُواةِ الحديث في المسنَد الصحيح يقولون فيه: إنه اشترى صَفِيَّة من دِحْيَةَ، وبعضهم يزيد فيه: بعد القَسْم، فالله أعلم أي ذلك كان.

وكان أمر الصَّفِيّ أنه كان عليه السلام إذا غزا في الجيشِ اختار من الغَنِيمَة قبل القَسْمِ رأسًا وضُرب له بسَهْم مع المُسلِمين، فإذا قَعَدَ، ولم يخرج مع الجيش ضُربَ له بِسَهْم، ولم يكن له صَفِيٌّ، ذكره أبو داود، وأَمْرُ الصَّفِيّ بعد الرسول عليه السلام لإمام المسلمين في قول أبي ثَوْرٍ، وخالفه جمهورُ الفقهاء، وقالوا: كان خُصُوصًا للنبيّ عليه السلام.

صـداق صفيـة:

وقوله: أَعْتَقَها، وجَعَل عِتْقَها صَداقَها، هو صَحيحٌ في النقل، وقال به كثير مِن العلماء، ومَنْ لم يَقُلْ به من الفُقهاء تأوَّله خُصوصًا بالنبيّ ﷺ أو منسوخًا، وممَّن لم يَقُلْ به مالكُ بن أَنسٍ، وجماعةٌ سواه لاَ يَرَوْنَ مُجَرَّد العتق يُغْني عن صَداقٍ.

---

(١) انظر البخاري ومسلم السابق.

الأموال كلّها: الشّق ونَطَاةَ والكَتيبة وجميع حصونهم، إلاّ ما كان من ذَيْنك الحِصْنين.

حنـش الصنعـانـي:

وذكر حديثَ حَنَشٍ الصَّنْعَانِي عن رُوَيْفع بن ثابت. هو حَنَشُ بن عَبْدِ الله السَّبَائِي جاء إلى الأندلس مع مُوسى بن نُصَيْر، وهو الذي ابْتَنَى جامِعَ سَرَقُسْطَةَ، وأَسَّسَ جامعَ قُرْطُبَةَ أيضًا، فيما ذكروا، وتوهّم البخاري أنه حَنَشُ بن عَلِيٍّ، وأن الاختلافَ في اسم أبيه، وقد فرّق بينهما عَلِيُّ بن المَدِينِيِّ فقال: حَنَشُ بن عَلِيٍّ السَّبَائِيّ من صَنْعَاء الشَّامِ، ومنها أبو الأشعثِ الصَّنْعَانِي، وحَنَشُ بن عَبْدِ الله السَّبَائِيّ من صَنْعَاء اليَمن، وكلاهما يُروى عن عَلِيٍّ، فمن ههُنا دَخل الوهمُ على البُخَارِي، هكذا ذكر أبو بكر الخَطيب، ويَرْوى عن عليّ أيضًا حنشُ بن رَبيعةَ، وحَنَشُ بن المُعْتَمِر وهما غيرُ هذين.

وطـأ منهـيّ عنـه:

وفيه: أن لا تُوطَأَ حَامِلٌ من السبايا حتى تَضَعَ، وذكر باقي الحديث، وقد ثبت عن النبيّ - ﷺ في حديث آخر أنه نظر إلى أَمَةٍ مُجِحٍّ أي: مُقْرِبٍ، فسأل عن صاحبها، فقيل: إنه يُلِمُّ بها، فقال: «لقد هَمَمتُ أن أَلْعَنه لَعْنةً تدخُل معه في قبره»[1]. وذكره الحديث.

فهذا وجه في معنى قوله: لا يَحلّ لامْرِىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقِي ماؤه زرعَ غيره، معنى إتيان الحَبالَى من السَّبَايا، فإن فعل فالولَدُ مختلف في إلْحَاقه به، فقال مالك والشافعي: لا يُلْحَق به، وقال الليث: يُلْحَق به لقول النبيّ ﷺ: «كيف يَسْتَعْبِدُه، وقد غذّاه في سَمْعِه وبَصَره».

عليٌّ يقتل مرحبًا:

فصل: ومما يتّصل بقصّة مَرْحَبِ اليَهُودِي مع عَلِيِّ بن أبي طالبِ - رضي الله عنه - من غير روايةِ الكِتاب قول علي:

أنـا الـذي سَـمَّـتْـنِـي أُمّـي حَـيْـدَرَة
أَضْـرِب بـالـسَّـيْـفِ رؤوسَ الـكَـفَـرَة
أكـيـلـهـم بـالـصَّـاع كَـيْـلَ الـسَّـنْـدَرَة

أي: أُجْزيهم بالوَفاء، والسَّنْدَرَةُ: شجرةٌ يُصْنَع منها مكاييلُ عِظَامٌ.

---

(١) أخرجه مسلم في النكاح (١٣٩) وأبو داود وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٣٧١).

فلما سَمِع بهم أهلُ فَدَك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يُسَيِّرَهم، وأن يَحْقِنَ دماءهم، ويخلُّوا له الأموال، ففعل. وكان فيمن مَشَى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحيِّصة بن مَسْعود أخو بني حارثة، فلما نزل أهلُ خَيْبر على

حيــدرة:

وفي قوله رضي الله عنه: سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرة ثلاثةُ أقوال، ذكرها قاسم بن ثابت، أحدها: أن اسمَه في الكُتبِ المتقدمةِ أسدٌ، والأسدُ: هو الحَيْدَرَةُ. الثاني: أن أُمَّه فاطمةَ بنت أسدٍ حين ولدته كان أبوه غائبًا، فسمَّته، باسم أبيها أسدٍ، فقدِم أبوه فَسمَّاه عَلِيًّا. الثالث: أنه لُقِّب في صِغَرِه بحَيْدَرَةَ، لأن الحَيْدَرَةَ المُعْتَلِي لَحْمًا مع عِظَم بَطْنٍ، وكذلك كان عليٌّ رضي الله عنه، ولذلك قال بعضُ اللصوص حين فَرَّ من سجنه الذي كان يسمى نافعًا، وقيل فيه: يافع أيضًا بالياء:

ولــو أنــي مَــكَــثْــتُ لــهــم قــلــيــلاً   لَــجَــرُونــي إلــى شَــيْــخٍ بَــطِــيــن

مــن حصــون خيبــر:

وذكر شَقا والنَّطَاةَ وشَقٌّ بالفتح أعْرَفُ عند أهل اللغة كذلك قيّده البكري.

وذكر وادي خاص من أرضِ خَيْبَر. وقال أبو الوليد: إنما هو وادي خَلْصٍ باللام، والأوّل تصحيف. وقال البكري: هو خَلْصٌ باللام وأنشد البكري لخالد بن عامر:

وَإِنَّ بِــخَــلْــصٍ خَــلْــصِ آرَةَ بُــدَّنًــا   نــواعِــمَ كــالغِزْلاَنِ مَرْضَــى عُــيُــونُــهــا

الحــال والمعرفــة لفـظًا:

فصل: وذكر في أشعار خَيْبَر قولَ العَبْسِيّ. وفي آخره:

فَــرَّتْ يَــهُــودُ يــوم ذلــك فــي الــوَغَــا   تــحــت الــعَــجَــاج غَــمَــائِــم الأبْــصَــارِ

وهو بيت مُشْكِلٌ غير أن في بعض النسخ، وهي قليلة عن ابن هشام أنه قال: فَرَّت فَتَحتْ، من قولك: فَرَرْتُ الدَّابة، إذا فَتَحْتَ فاها. وغَمائم الأبصار، هي مفعول فَرَّتْ، وهي جُفون أعينهم، هذا قولٌ، وقد يصح أن يكون فَرَّتْ من الفِرارِ، وغَمائمك الأبصار من صِفَةِ العَجَاج، وهو الغُبار ونَصَبه على الحالِ من العَجَاج، وإن كان لفظُه لفظَ المَعْرِفَة عند من ليس بشَاذٍّ في النحو. ولا ماهرٍ في العربية، وأما عند أهل التحقيق، فهو نكِرة، لأنه لم يرد الغَمَائم حقيقةً وإنما أراد مثل الغَمَائِم، فهو مثل قول امرىء القيس:

بِــمُــنْــجَــرِدٍ قَــيْــدِ الأوَابِــدِ هَــيْــكَــلِ

ذلك، سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُعاملهم في الأموال على النِّصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم، وأعمر لها؛ فصالحهم رسولُ الله ﷺ على النِّصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم؛ فصالحه أهلُ فَدك على مثل ذلك، فكانت خَيْبر فَيْئًا بين المسلمين، وكانت فدكُ خالصةً لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يَجْلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

فَقيدُها هُنا نَكِرَةٌ، لأنه أراد مثل القَيْدِ، ولذلك نَعتَ به مُنجَرِدًا، أو جعله في معنى مُقَيِّد، وكذلك قول عَبْدَة بن الطَّبيب:

تـحـيّـة مـن غـادرتـه غَـرَضَ الـرَّدَى

فغضب غرضًا على الحال: وأصحُ الأقوالِ في قوله سبحانه: ﴿زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١] أنه حالٌ من المُضمَر المَخفُوضِ، لأنه أرادَ التشبيهَ بالزهرةِ من النبات، ومن هذا النحو قولُهم: جاء القومُ الجَمَّاء الغَفِير انتصب على الحال، وفيه الألفُ واللامُ، وهو من باب ما قدّمناه من التشبيه، وذلك أن الجَمَّاءَ هي بَيْضَةُ الحَدِيدِ تُعْرَفُ بالجَمَّاءِ والصَّلْعَاءِ، فإذا جُعِل معها المِغْفَرُ، فهي غَفِيرٌ، فإذا قلت: جاءوا الجَمَّاءَ الغَفِير، فإنما أردت العمومَ والإحاطَة بجميعهم، أي: جاءوا جَيْئَةً تشملهم وتَسْتَوْعِبُهم، كما تُحيط البيضَةُ الغَفِيرُ بالرأس، فلما قصدوا مَعْنى التشبيه دخل الكلامُ الكثيرُ كما تقدّم، وكذلك قولُهم: تَفرَّقُوا أَيْدِي سَبَا، وأَيَادِي سَبَا، أي: مثل أَيْدِي سَبَا، فحَسُنَتْ فيه الحالُ لذلك، والذي قُلْنَاه في معنى الجَمَّاءِ الغَفِير رواه أبو حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ، وكان عَلاَّمَةً بكلام العَرب، ولم يَقَعْ سِيبَوَيْهِ على هذا الغرضِ في معنى الجَمَّاءِ، فجعلها كلمةً شاذَّة عن القياسِ، واعتقد فيها التعريفَ وقرنها بباب وَحْده، وفي باب وَحْده أسرارٌ قد أمليناها في غير هذا الكتاب، ومَسْأَلةُ وَحْدَه تختصّ ببابِ وَحْده، وهذا الذي ذكرنا من التَّنْكِير بسبب التشبيه، إنما يكون إذا شَبَّهْتَ الأوّل باسم مُضَافٍ، وكان التشبيهُ بصفةٍ مُتَعَدِّيةٍ إلى المضاف إليه، كقوله: قَيْدِ الأوَابِدِ، أي: مُقَيِّد الأوابد، ولو قلت: مررت بامرأة القَمر على التشبيه لم يجز، لأن الصفة التي وقع بها التشبيهُ غير مُتَعَدِّية إلى القمر، فهذا شَرْطٌ في هذه المسألة، ومما يحسُن فيه التنكير وهو مضاف إلى معرفةٍ اتفاقُ اللفظين كقوله: له صَوْتٌ صوتَ الحِمَارِ وزَئِيرٌ زئيرَ الأسَدِ، فإن قلت: فما بالُ الجَمَّاء الغفير، جاز فيها الحالُ، وليست بمضافة؟ قلنا: لم تقل العربُ جاء القومُ البَيْضَةَ، فيكون مثل ما قدّمناه من قولك: مررت بهذا القمر، وإنما قالوا: الجَمَّاء الغفير بالصفة الجامعة بينها، وبين ما هي حالٌ منه، وتلك الصفة الجَمَم، وهو الاسْتِوَاءُ والغَفْرُ، وهي التغطية فمعنى الكلام: جاءوا جَيْئَةً مُسْتَوِيَةً لهم، مُوعِبَة لجميعهم، فقَوِي معنى التشبيه بهذا الوصفِ، فدخل التنكِيرُ لذلك، وحَسُن النَّصْبُ على الحال وهي حَال من المجيء.

الشاة المسمومة

فلما اطمأنّ رسولُ الله ﷺ أهدت له زينبُ بنت الحارث، امرأة سلاّم بن مِشْكم، شاةً مَصْلِيَّةً، وقد سألتْ أيّ عُضْو من الشاة أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذّراع، فأكثرت فيها من السمّ، ثم سمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها؛ فلما وضعتها بين يدي رسولِ الله ﷺ، تناول الذّراع، فلاك منها مُضْغة، فلم يُسِغها، ومعه بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرُور، قد أخذ منها كما أخذ رسولُ الله ﷺ؛ فأما بشر فأساغها؛ وأما رسولُ الله ﷺ فَلَفظها، ثم قال: «إن هذا العَظْم ليُخبرني أنه مَسْموم»، ثم دعا بها، فاعترفت، فقال: «ما حملكِ على ذلك؟» قالت: بلغتَ من قَوْمي ما لم يَخْف عليك. فقلت: إن كان مَلِكًا استرحت منه، وإن كان نبيًّا فسيُخْبَرُ، قال: فتجاوزَ عنها رسولُ الله ﷺ؛ ومات بِشْر من أُكْلَتِهِ التي أكل.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني مَروان بن عثمان بن أبي سَعيد بن المُعَلّى، قال: كان رسولُ الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه، ودخلت أُمّ بِشْر بنت البراء بن مَعْرور تَعوده: يا أُمّ بشر، إن هذا الأَوَانَ وجدتُ فيه انقطاع أَبْهَرِي من الأُكْلَة التي أكلت مع أخيك بخَيبر. قال: فإن كان المسلمون لَيرَوْن أنّ رسولَ الله ﷺ مات شهيدًا، مع ما أكرمه الله به من النبوّة.

الشاة المسمومة[1]

فصل: وذكر حديث الشاةِ المَسْمُومَةِ، وأكل بِشْرِ بن البَرَاءِ منها، وفيه: أن الذراعَ كانت تُعْجِبُه، لأنها هادِي الشاةِ، وأبعدُها من الأذى، فلذلك جاء مُفَسَّرًا في هذا اللفظ.

فأمّا المرأةُ التي سَمَّتْه، فقال ابن إسحٰق: صفح عنها، وقد رَوى أبو داود أنه قتلها، ووقع في كتابِ شَرَفِ المُصْطفى، أنه قتلها وصَلَبها، وهي زينب بنت الحارث بن سلام، وقال أبو داود: وهي أُختُ مَرْحَب اليهودي، ورَوى أيضًا مثل ذلك ابن إسحٰق. ووجهُ الجمع بين الروايتين أنه عليه السلام صفح عنها، أَوّلُ لأنه كان ـ ﷺ ـ لا ينتقم لنفسه، فلما مات بِشْرُ بن البَرَاءِ من تلك الأُكْلَة، قتلها، وذلك أن بشرًا لم يزل مُعْتَلاً من تلك الأُكْلَة حتى مات منها بعدَ حوْل، وقال النبيّ ﷺ عند موته: «ما زالت أُكْلَةُ خَيْبَر تُعَادُنِي، فهذا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي»[2] وكان يَنْفثُ منها مثلُ عَجَمِ الزَّبِيب. وتُعَادُنِي، أي: تَعْتَادُنِي المَرَّةَ بعد

---

(١) انظر البخاري (١٠/ ٢٠٩) وأبو داود (٤٥٠٩) والدارمي (١/ ٣) وأحمد (٢/ ٤٥١).
(٢) أخرجه البيهقي (١٠/ ١١) والبخاري (٨/ ٩٩) معلقًا. وأبو داود (٤٥١٠).

رجوع الرسول إلى المدينة:

قال ابن إسحٰق: فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من خَيبرَ انصرف إلى وادي القُرى، فحاصَر أهلَه ليالي، ثم انصرف راجعًا إلى المدينة.

مقتل غلام للرسول ﷺ:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني ثور بن زيد، عن سالم، مولى عبد الله بن مُطيع، عن أبي هريرة، قال: فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خَيبر إلى وادي القُرى نزلنا بها أصيلاً مع مَغْرب الشمس، ومع رسولِ الله ﷺ غلام له أهداه له رِفاعةُ بن زيد الجُذَامِيّ، ثم الضَّبِينيّ.

قال ابن هشام: جُذام، أخو لخم.

قال: فوالله إنه ليضع رَحْل رسولِ الله ﷺ إذ أتاه سَهْم غَرْب فأصابه فقتله، فقلنا: هنيئًا له الجنّةُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «كلاّ، والذي نفس محمد بيده، إنّ شملته الآن لتحترق عليه في النار، كان غَلّها من فيْء المسلمين يوم خَيْبر». قال: فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فأتاه فقال: يا رسول الله، أصبتُ شِراكَيْن لنَعلين لي، قال: فقال: يُقدّ لك مثلهما من النار.

أَمر ابن مغفل والجراب:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتّهم، عن عبد الله بن مُغَفَّل المُزَني، قال: أصبتُ من فَيْء خَيبر جرَابَ شَحْم، فاحتملته على عاتقي إلى رَحْلي وأصحابي. قال: فلقيني

المَرَّةِ، قال الشاعر:

أُلاَقِـي مـن تَـذكُـر آلِ لَـيْـلـى ... كـمـا يَـلْـقى الـسَّـلـيـمُ من الـعِـدَادِ

والأَبهَرُ: عِرقٌ مُستَبْطِن القلب. قال ابن مُقْبِل:

ولِـلْـفُـؤَاد وَجِـيـبٌ تـحـتَ أَبْـهَـرِه ... لَـدْمَ الـوَلِـيـدِ وراءَ الـغَـيْـبِ بـالـحَـجَـرِ

وقد رَوى مَعْمَرُ بن راشدٍ في جامِعِه عن الزُّهْرِيِّ أنه قال: أَسْلَمَتْ فتركها النبيُّ ـ ﷺ ـ قال معمر: هكذا قال الزُّهْرِي: أسلمت، والناس يقولون: قتلها، وأنها لم تُسْلِم، وفي جامع مَعْمَرِ بن رَاشدٍ أيضًا أن أُمَّ بِشرِ بن البَرَاء قالت للنبيِّ ﷺ في المرض الذي مات منه ما تَتَّهِمُ يا رسول الله، فإني لا أتّهم ببشرٍ إلاّ الأُكْلَةَ التي أكلها معك بخيبر، فقال: وأنا لا أتهم بنفسي إلاّ ذلك، فهذا أوانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي.

صاحبُ المَغانم الذي جُعل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلُمَّ هذا نقسمه بين المسلمين، قال: قلت: لا والله لا أُعطيكه، قال: فجعل يُجابذني الجراب. قال: فرآنا رسولُ الله ﷺ ونحن نَصْنع ذلك. قال: فتبسّم رسولُ الله ﷺ ضاحكًا، ثم قال لصاحب المَغانم: لا أبا لك، خلّ بينه وبينه، قال: فأرسله، فانطلقتُ به إلى رَحْلي وأصحابي، فأكَلْناه.

أبو أيوب يحرس الرسول ﷺ ليلة بنائه بصفية

قال ابن إسحٰق: ولمّا أعْرس رسولُ الله ﷺ بصفيَّة، بَخَيْبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جَمّلتها لرسول الله ﷺ، ومَشَّطْتها وأصلحت من أمرها أُم سُليم بنت مِلْحان، أمّ أنس بن مالك. فبات بها رسولُ الله ﷺ في قُبّة له، وبات أبو أيُوب خالد بن زيد، أخو بني النَّجّار متوشِّحًا سيفه، يحرس رسولَ الله ﷺ، ويُطيف بالقُبة، حتى أصبح رسولُ الله ﷺ، فلما رأى مَكانه قال: ما لك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله، خِفْت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلتَ أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثةَ عَهْدٍ بكُفرٍ، فخِفتها عليك. فزعموا أن رسولَ الله ﷺ، قال: «اللّٰهمَّ احفظ أبا أيوب كما بات يَحْفظني».

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الزُّهري، عن سعيد بن المُسيِّب، قال: لما انصرف رسولُ الله ﷺ من خَيْبر، فكان ببعض الطريق، قال من آخر الليل: مَنْ رجل يحفظ علينا الفَجر لعلَّنا ننام؟ قال بِلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك. فنزل رسولُ الله ﷺ، ونزل الناس فناموا، وقام بلالٌ يصلي، فصلّى ما شاء الله عزّ وجلّ أن يصلي ثم استند إلى بعيره، واستقبل الفَجْرَ يَرمُقه، فَغَلَبتُه عينه، فنام، فلم يُوقظهم إلاَّ مَسُّ الشمس، وكان رسولُ الله ﷺ أوّلَ أصحابه هَبّ، فقال: «ماذا صنعتَ بنا يا بلال؟» قال: يا رسول الله، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، قال: «صدقت»، ثم اقتاد رسولُ الله ﷺ بعيره غير كثير، ثم أناخ فتوضأ، وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلّى رسولُ الله ﷺ بالناس، فلما سلَّم أقبل على الناس، فقال: «إذا نَسيتم الصلاة فصلُّوها إذا ذَكَرْتموها»، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾.

....

شعر ابن لُقيم في فتح خيبر:

قال ابن إسحٰق: وكان رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني، قد أعطى ابن لُقَيم العَبسيّ، حين افتتح خَيْبر، ما بها من دَجاجة أو داجن، وكان فَتح خَيبر في صَفر، فقال ابنُ لُقَيْم العَبْسي في خَيبر:

رُمِيتْ نَطَاةِ من الرَّسول بفَيْلَقٍ ... شَهباء ذاتِ مَناكب وفقارِ

واستَيْقنت بالذلّ لما شُيِّعَتْ ... ورجال أسْلَم وسْطها وغِفار

صَبحتْ بني عمرو بن زُرْعة غُدوةً ... والشَّقُّ أظْلَم أهلُه بنَهار

جرّتْ بأبطَحها الذيول فلم تدع ... إلاّ الدَّجاج تَصيح في الأسْحار

ولكلّ حِصْن شاغِل من خَيْلِهم ... مِن عَبْد أشهلَ أو بني النَّجّار

ومُهاجِرين قَد اعْلَمُوا سِماهُمُ ... فوقَ المَغافر لم يَنُوا لفِرار

ولقد عَلِمتُ ليَغْلبنّ محمَّد ... وليَثْوينّ بها إلى أصْفار

فَرّت يَهُودُ يوم ذلك في الوَغَى ... تحت العَجَاج غَمَائِمَ الأبْصَارِ

قال ابن هشام: فرَّت: كشفت، كما تُفرّ الدّابة بالكشف عن أسنانها، يريد كشفت عن جُفون العُيون غمائم الأبصار، يريد الأنصار.

حديث المرأة الغفارية

قال ابن إسحٰق: وشهد خَيبر مع رسول الله ﷺ نِساء من نساء المسلمين، فرَضَخ لهنّ رسولُ الله ﷺ من الفَيْءِ، ولم يضرب لهنّ بسهْم.

حول حديث المرأة الغفارية

فصل: وذكر حديث الغِفَارِية التي شَهِدت خَيْبَر، ولم يُسَمِّها، وقد يقال: اسمُها لَيْلَى، ويقال: هي امرأةُ أبي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ، وقولها: رَضَخَ لي رسولُ الله ـ ﷺ ـ أَصْلُ الرَّضخ أن تَكْسِر من الشَّيْءِ الرَّطْبِ كِسْرَةً فتُعْطِيَها، وأما الرَّضْخُ بالحَاء المهملة، فكَسْرُ اليابس، الصُّلْب، قال الشاعر:

كما تَطَايَر عن مِرْضَاحِه العَجَمْ

قال ابن إسحاق: حدّثني سليمان بن سُحَيم، عن أُمَيَّة بن أبي الصلت، عن امرأة من بني غِفار، قد سمَّاها لي، قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ في نِسْوة من بني غِفارٍ، فقلنا: يا رسولَ الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خَيْبر، فنُداوي الجَرْحى، ونُعِين المسلمين بما استَطعنا، فقال: على بَرَكَةِ الله. قالت: فخرجنا معه، وكنت جارية حَدَثة، فأرْدَفني رسولُ الله ﷺ على حَقيبةِ رَحْله. قالت: فوالله لنزل رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبح وأناخ، ونزلت عن حَقيبة رَحْله، وإذا بها دَمٌ مني، وكانت أوّلَ حَيضة حِضْتُها، قالت: فَتَقبَّضْتُ إلى الناقة واسْتَحْيَيْت، فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما بي ورأى الدم، قال: «ما لكِ؟ لعلك نُفِسْتِ»، قالت: قلت: نعم، قال: «فاصلحي من نفسك، ثم خُذِي إناء من ماء، فاطْرَحي فيه مِلْحًا، ثم اغْسِلي به ما أصاب الحَقيبة من الدم، ثم عودي لمَرْكبك».

قالت: فلما فتح رسولُ الله ﷺ خَيبر، رضَخ لنا مِن الفيء، وأخذ هذه القِلادة التي تَرَيْن في عنقي فأعطانيها، وعلَّقها بيده في عُنقي، فوالله لا تُفارقني أبدًا.

قالت: فكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تُدْفن معها. قالت: وكانت لا تطهَّر من حيضة إلاّ جعلت في طَهُورها مِلْحًا، وأوصت به أن يجعل في غُسلها حين ماتت.

مـن أحـكام المـاء:

وقولها: أمرني أن أجْعَلَ في طَهُورِي مِلْحًا. فيه رَدٌّ على مَنْ زَعَمَ مِن الفقهاء أن المِلْحَ في الماءِ إذا غيَّر طعمَه صيَّره مُضافًا طاهرًا غير مُطَهِّر، وفي هذا الحديث ما يدفع قوله: ومن طريق النظر أن المخالِط للماء إذا غَلَب على أحدِ أوصافه الثلاثة: الطَّعْم، أو اللونِ، أو الرائحة، كان حكمُ الماء كحُكم المُخالِطِ له، فإن كان ظاهرًا غيْرَ مُطَهِّرٍ كان الماءُ به كذلك، وإذا كان لا طاهرًا ولا مُطَهِّرًا كالبَوْل كان الماءُ لمخالطته كذلك، وإن كان المخالِط له طاهرًا مُطَهِّرًا كالترابِ كان الماءُ طاهِرًا مُطَهِّرًا، والمِلْح إن كان ماءً جامدًا، فهو في الأصل طاهر مُطَهِّر، وإن كان معدنيًا تُرَابيًا، فهو كالتراب في مخالطة الماء، فلا معنى لقول من جَعله ناقلاً للماء عن حُكم الطهارة والتطهير، ووقع في رواية يونس في السيرة أن النبيَّ ﷺ اغتسل عامَ الفتح من جَفْنَةٍ فيها ماءٌ وكافور، ومَحْمَلُ هذه الرواية عندي إن صَحَّت على أنه قَصَد بها التطَيُّبَ، وأنه لم يكن مُحْدِثًا، ولأبي حَنِيفَةَ في هذه الرواية مُتَعَلَّقٌ لترخيصه.

شهداء خيبر

قال ابن إسحٰق: وهذه تسمية من استُشهد بخيبر من المسلمين، من قُريش ثم من بني أُميَّة بن عبد شمس، ثم من حلفائهم: ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَةَ بن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْمِ بن دُودان بن أسد، وثَقِيف بن عمرو، ورِفَاعة بن مَسْروح.

ومن بني أسد بن عبد العُزّى: عبد الله بن الهُبَيب، ويقال: ابن الهَبِيب، فيما قال ابنُ هشام، بن أُهَيْبِ بن سُحَيْم بن غِيرَةَ، من بني سعد بن ليث، حليف لبني أسد، وابن أختهم.

ومن الأنصار ثم من بني سلمة: بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور، مات من الشاة التي سُمّ فيها رسولُ الله ﷺ: وفُضَيْل بن النعمان. رجلان.

ومن بني زُرَيق: مسعود بن سَعْد بن قيس بن خَلَدَةَ بن عامر بن زُرَيْق.

ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل: محمود بن مَسْلمة بن خالد بن عديّ بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة.

ومن بني عمرو بن عوف: أبو ضَيَّاح بن ثابت بن النُّعمان بن أُميَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، والحارث بن حاطب؛ وعروة بن مُرّة بن سُراقة، وأَوْسُ بن القائد، وأُنَيْف بن حُبَيْبِ، وثابت بن أَثْلَة، وطلحة.

ومن بني غِفار: عُمارة بن عُقبة، رمى بسهم.

من شهداء خيبر

وذكر فيمن استُشْهد بخَيْبَر: أبا الضَّيَّاح بن ثابت، ولم يُسَمِّه، وقال الطبري: اسمُه النُّعْمَانِ بن ثابت بن النعمان، وقال غيره: اسمُه عُمَيْرٌ.

وذكر فيمن استُشْهِد: عامرَ بن الأَكْوَعِ، وهو الذي رجع عليه سيفُه فقتله، فشكّ الناسُ فيه، فقالوا: قتله سلاحُه، فذُكر ذلك للنبيّ ﷺ، فقال: «إنه جَاهِدٌ مُجَاهِدٌ، وقَلَّ عَرَبِيٌّ مُشَابِهًا مثله»، وفي رواية: مَشَى به مثلَه، ويُروى أيضًا: نَشأَ بها مِثْله، كل هذا يُروَى في الجامِع الصحيح، وهذا اضطرابٌ من رُوَاةِ الكتاب، فمن قال: مشى بها مِثْلَه فالهاء عائدة على المدينة، كما تقول: ليس بين لابَتَيْها مثلُ فلان، يقال: هذا في المدينةِ، وفي الكُوفَةِ، ولا يقال: في بلد ليس حوله لابَتَانِ، أي: حَرَّتان، ويجوز أن تكون الهاءُ عائدةً على الأرضِ، كما قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عليها فَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٦].

ومن أسلم: عامر بن الأكوع، والأسود الراعي، وكان اسمه أسلم.

قال ابن هشام: الأسود الراعي من أهل خَيْبَر.

وممن استُشهد بخَيبر فيما ذكر ابن شهاب الزّهريّ، من بني زهرة: مسعود بن ربيعة، حليف لهم من القارَة.

ومن الأنصار بني عمرو بن عوف: أوس بن قَتادة.

أمر الأسود الراعي في حديث خيبر:

قال ابن إسحٰق: وكان من حديث الأسود الراعي، فيما بلغني: أنه أتى رسولَ الله ﷺ وهو محاصر لبعض حُصون خيبر، ومعه غَنم له، كان فيها أجِيرًا لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام، فعَرضه عليه، فأسلم ـ وكان رسولُ الله ﷺ لا يَحْقِر أحدًا أن يَدْعوه إلى الإسلام، ويعرضه عليه ـ فلما أسلم قال: يا رسول الله، إني كنت أجيرًا لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال: «اضرب في وُجوهها فإنها ستَرْجع إلى ربّها» ـ أو كما قال ـ فقال الأسود: فأخذ حَفْنة من الحصى فرَمى بها في وُجوهها، وقال: «ارجعي إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك أبدًا»، فخرجت مجتمعة كأنّ سائقًا يسوقها، حتى دخلت الحِصْن، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليُقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلّى لله صلاة قطّ، فأُتي به رسولُ الله ﷺ، فوُضع خلفه، وسُجّي بشَمْلَة كانت عليه، فالتفت إليه رسولُ الله ﷺ، ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لِمَ أعرضت عنه؟ قال: «إن معه الآن زَوْجَتيه من الحور العين».

الحال من النكرة:

ومن رواه مُشَابهًا مُفَاعِلاً من الشَّبَه، فهو حالٌ من عَرَبي، والحال من النَّكرة لا بأس به إذا دَلّت على تَصْحِيح مَعْنًى كما جاء في الحديث: فصلَّى خَلْفَه رجالٌ قيامًا. الحَالُ هاهنا مُصحِّحَةٌ لفِقْهِ الحديث، أي: صَلُّوا في هذهِ الحال، ومن احتجّ في الحالِ من النَّكرة بقولهم: وقع أمْرُ فَجْأَةً، فلم يصنع شَيْئًا، لأن فَجْأَةً، ليس حالاً من أمرٍ، إنما هو حالٌ مِن الوقوع، كما تقول: جاءني رجل مَشْيًا، فليس مَشْيًا حالٌ مِنْ رجل، كما توهّموا، وإنما هي حالٌ من المجيء لأن الحال هي صاحبُ الحال، وتنقسم أقسامًا: حالٌ من فاعلٍ كقولك: جاء زيدٌ ماشِيًا، وحال من الفِعْل، كقولك: جاء زيدٌ مَشْيًا ورَكْضًا، وحال من المفعولِ، كقولك: جاءني القومُ جالِسًا، فهي صفة المفعول في وقت وقوع الفعل عليه، أو صفةُ الفاعل في وقت وقوع الفعل منه، أو صِفَةُ الفعل في وقت وقوعه ونعني بالفعل: المصدر.

قال ابن إسحٰق: وأخبرني عبد الله بن أبي نجيح أنه ذُكر له: أن الشهيد إذا ما أُصيب تدلَّت (له) زوْجتاه من الحُور العين، عليه تَنْفُضان التراب عن وجهه، وتقولان: تَرَّب الله وجهَ من ترّبك، وقتلَ مَنْ قتلك.

أمر الحجاج بن علاط السلمي

قال ابن إسحٰق: ولما فُتحت خيبر، كلَّم رسولَ الله ﷺ، الحَجَّاجُ بن عِلاَطٍ السُّلَمِي، ثم البَهْزي، فقال: يا رسول الله، إن لي بمكّةَ مالاً عند صاحبتي أمِّ شَيْبة بنت أبي طَلْحَةَ - وكانت عنده، له منها مُعْرِّض بن الحَجَّاج ومالٌ متفرّق في تجّار أهل مكّة، فأذن لي يا رسول الله، فأذن له، قال: إنه لا بدّ لي يا رسول الله من أن أقول، قال: قل قال الحجَّاج: فخرجتُ حتى إذا قدمت مكّة وجدت بثَنِيَّة البيضاء رجالاً من قريش يتسمَّعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قَرْية الحجاز، رِيفًا ومَنَعة ورجالاً، فهم يتحسَّسون الأخبار، ويسألون الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط - قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي، عنده والله الخبر - أخبرنا يا أبا محمد، فإنه قد بلغنا أنّ القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز، قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسرّكم، قال: فالتَبطوا بجنْبي ناقتي يقولون: إيهِ يا حجاج، قال: قلت: هُزم هزيمة لم يسمعوا بمثلها قطّ، وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قطّ، وأُسر محمد أسرًا، وقالوا: لا نقتله حتى نَبْعث به إلى أهل مكّة، فيقتلوه بين أظهرهم بمَنْ كان أصاب من رِجالهم. قال: فقاموا وصاحوا بمكّة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن

حديث الحجّاج بن علاّط

فصل: وذكر حديث الحجّاج بن عِلاَطِ السُّلَمي: وقد ذكرنا في حديث إسلامه خبرًا عجيبًا اتفق له مع الجِنّ، وهو والد نَصْرِ بن حَجَّاج الذي حلق عمرُ رأسَه، ونفاه من المدينة لما سمع قول المرأة فيه:

أَلاَ سَبِيلَ إلى خَمْرٍ فأشْرَبَها ... أم لا سَبِيلَ إلى نَصْرِ بن حَجَّاج

وهذه المرأة هي الفُرَيْعَةُ بنت هَمَّام، ويقال: إنها أُمُّ الحَجَّاج بن يُوسُفَ، ولذلك قال له عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر: يا ابن المُتَمنِّية، وكان من أحسن الناس لِمَّةً ووَجْهًا، فأتى الشامَ، فنزل على أبي الأَعْوَر السُّلَمِي، فَهَوِيَتْه امرأتُه، وهَوَاها، وفَطَن أبو الأعور لذلك بسبب يطول ذِكْرُه، فابتنى له قُبَّةً في أقصى الحَيِّ، فكان بها، فاشْتَد ضناه بالمرأة، حتى مات كَلَفًا بها، وسُمّي المُضْنَى وضُرِبت به الأمثالُ. وذكر الأَصْبَهَانِيُّ في كتاب الأمثال له خَبَره بطوله.

يُقدم به عليكم، فيُقتل بين أظهُركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكّة وعلى غُرمائي، فإني أُريد أن أَقدم خيبر، فأصيب من فَلّ محمد وأصحابه قبل أن يَسْبقني التجّار إلى ما هنالك.

قال ابن هشام: ويقال: من فيء محمد.

قال ابن إسحٰق: قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأَحَثّ جَمْع سمِعت به. قال: وجئت صاحبتي فقلت، مالي، وقد كان لي عِندها مال موضوع، لعليّ ألحق بخَيْبر، فأُصيبَ من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجّار، قال: فلما سمع العباس بن عبد المطّلب الخَبر، وجاءَه عني، أقبل حتى وقف إلى جَنْبي وأنا في خيمة من خِيام التجار، فقال: يا حجّاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: فقلت: وهل عندك حِفْظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم. قال: قلت: فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء فإني في جَمْع مالي كما ترى، فانصرفْ عني حتى أفرُغ. قال: حتى إذا فرغتُ من جمع كل شيء كان لي بمكّة، وأجمعتُ الخروجَ، لقيت العباسَ، فقلت: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب ثلاثًا، ثم قل ما شئت، قال: أفعل. قلت: فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروسًا على بِنْت مَلِكهم يعني صفيَّة بنت حُييّ، ولقد افتَتح خَيْبر، وانتثل ما فيها، وصارت له ولأصحابه، فقال: ما تقول يا حجّاج؟ قال: قلت: إي والله فاكتم عني، ولقد أسلمتُ وما جئتُ إلاّ لآخذ مالي، فَرَقًا من أن أُغلب عليه، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحبّ، قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لَبس العباس حلّة له، وتحلّق، وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلُّد لحرّ المصيبة، قال: كلاّ، والله الذي حلفتم به، لقد افتتح محمد خَيبر وتُرك عروسًا على بنت مَلِكهم، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحتْ له ولأصحابه، قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مُسْلمًا، فأخذ مالَه، فانطلق ليَلحق بمحمد وأصحابه، فيكون معه. قالوا: يا لعباد

وقوله: الحجّاجُ بن عِلاَطٍ، والعِلاَطُ وَسْمٌ في العنق، ويقال له: العُلْطَة أيضًا، وقوله للنبيّ ﷺ: لا بُدَّ لِي أن أَقُولَ، فقال له: «قل»، يعني التَّكذُّبَ، فأباحه له، لأنه من خُدَعِ الحَرْب، وقال: المُبَرِّد: إنما صوابه: أَتَقَوَّل إذا أردت معنى التَّكذُّب، وأخذ هذا المعنى حبيب فقال:

بحَسْبِ امْرِىءٍ أثنى عليك بأنه ... يقول، وإن أَرْبَى فلا يَتَقَوَّلُ

أي: يقول الحق إذا مدحك، وإن أفرط فليس إفراطُه بتَقَوُّلِ.

الله! انفلت عدوّ الله، أما والله لو عَلمنا لكان لنا وله شأن، قال: ولم يَنْشَبوا أن جاءهم الخبر بذلك.

شعر حسّان عن خيبر:

قال ابن إسحٰق: وكان مما قيل من الشعر في يوم خيبر قول حسّان بن ثابت:

بِئْسَما قاتَلَتْ خَيابر عَمَّا ... جَمَعُوا مِن مَزارع ونخيل

كَرِهُوا المَوْتَ فاسْتُبِيحَ حِماهُم ... وأقَرّوا فِعْلَ اللَّئِيم الذَّليل

أمِنَ المَوْتِ يَهْرِبُونَ فإنَّ الْـ ... ـموت مَوْت الهُزَال غيرُ جميل

حسّان يعتذر عن أيمن

وقال حسّان بن ثابت أيضًا، وهو يعذر أيمَن ابن أُمّ أيمن بن عُبيد، وكان قد تخلّف

تفسير أولى لك:

وذكر غير ابن إسحٰق في حديث حَجّاج أن قُرَيْشًا قالت: حين أَفْلَتَهُمْ: أوْلى له، وهي كلمة معناها: الوعيد، وفي التنزيل: ﴿أَوْلى لك فأَوْلى﴾ [القيامة: ٣٤]، فهي على وزن أَفْعَل، من وَلِي أي: قد وَلِيَه الشَّرُّ، وقال الفارسي: هي اسْمُ عَلم ولذلك لم ينْصَرِفْ، وجدت هذا في بعض مسائِله، ولا تَتَّضِحُ لي العَلَمِيَّةُ في هذه الكلمة، وإنما هو عندي كلامٌ حُذِف منه، والتقدير: الذي تصير إليه من الشرّ أو العقوبة أولى لك، أي: ألزم لك، أي: إنه يَلِيك، وهو أولى لك، ممّا فَرَرْتَ منه، فهو في موضع رفع، ولم ينصرف لأنه وَصْفٌ على وزن أَفْعَل، وقول الفارسي: هو في موضع نَصْبٍ جعله من باب تَبًّا له، غير أنه جعله عَلَمًا لما رآه غير مُنَوَّن.

أم أيمن

فصل: وذكر شِعْرَ حَسَّان في ابن أُمّ أَيْمَنَ، واسم أبيه عُبَيْدٌ، واسم أُمه أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ، وهي أُم أُسَامَة بن زَيْد، يقال لها: أُم الظِّبَاء، قال الواقدي: اسمُها بَرَكَةُ بنت ثَعْلَبة [بن عمرو بن حصن بن مالك بن مسلَمَةَ بن عمرو بن النعمان] وكانت أَمَة لعبدِ الله بن عَبْدِ المطَّلب، وكان النبيُّ ﷺ يقول: «أُمُّ أَيْمَنَ أُمي بعد أُمّي»، ويقال: كانت لآمِنَةَ بنتِ وَهْبٍ أُمّ النبيّ - ﷺ - وهي التي هاجرت على قَدَمَيْها من مَكَّةَ إلى المدينة، وليس معها أحد، وذلك في حَرٍّ شَدِيد، فَعَطِشَتْ، فسمعت حَفِيفًا فوق رأسِها، فالتفتت، فإذا دِلْوٌ قد أُدْلِيَتْ لها من السَّماءِ فشَرِبَتْ منها، فلم تَظْمأ أبدًا، وكانت تَتَعَهَّد الصومَ في حَمارّةِ القَيْظِ، لِتَعْطَشَ فلا

عن خيبر، وهو من بني عوف بن الخزرج، وكانت أُمُه أُمُّ أيمن مولاةَ رسول الله ﷺ، وهي أمّ أُسَامَة بن زيد، فكان أخا أُسامة لأمه:

على حِينَ أن قالَتْ لأيْمَنَ أُمُّهُ   جَبُنْتَ ولم تَشْهَد فوارسَ خَيْبر
وأيْمَنُ لم يجْبُن ولكنَّ مُهْرَه   أضرّ به شُرْبُ المَديدِ المخمَّر
ولولا الذي قد كان من شأن مُهْرِه   لَقاتل فيهم فارسًا غير أعسر
ولكنَّه قد صدّه فعل مُهرِهِ   وما كان منه عندَه غير أيْسَر

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك، وأنشدني:

ولكنَّه قد صَدَّهُ شأنُ مُهْرِهِ   وما كانَ لولا ذاكمُ بمُقَصِّرِ

شعر ناجية في يوم خيبر:

قال ابن إسحٰق: وقال ناجية بن جُنْدب الأسلميّ:

يا لِعبادِ اللهِ فيمَ يُرْغَبُ   ما هُوَ إلا مَأكلٌ ومَشْرَبُ
وجَنَّةٌ فيه نَعيمٌ مُعْجِبُ

وقال ناجية بن جُنْدَب الأسْلَميّ أيضًا:

أنا لِمَنْ أنكَرَني ابنُ جُنْدَبِ   يا رُبَّ قِرْنٍ فِي مَكَرِّي أنكَبِ
طاحَ بمغْدَى أنسُرٍ وثَعْلب

تَغطَشُ وكان النبيّ - ﷺ - يزورها، وكان الخليفتان يَزُورَانِها بعده، وقد رُوِي مثلُ قِصَّتِها عن أُمّ شريك الدَّوْسِيَّة أنها عَطِشَت في سفر فلم تجد ماءَ إلاَّ عند يَهُودِي، وأبى أن يَسْقِيها إلاَّ أن تَدِين بدِينه فأبَتْ إلاّ أن تموتَ عَطشًا، فدُلِّيَتْ لها دِلْوٌ من السماء فشربت، ثم رُفِعَت الدِّلوُ، وهي تنظر. ذكر خبرَها ابنُ إسحٰق في السيرة من غير رواية ابن هشام، وهو أطول مما ذكرناه.

وقول حسَّان:

وأَيْمَنُ لم يَجْبُنْ ولكن مُهْرَه   أَضَرَّ به شُرْبُ المَدِيد المُخَمَّر

المديد: وقع في الأصل، وهو معروف، ولكن ألْفَيْتُ في حاشية الشيخ عن ابن دُرَيْدٍ: المَرِيد براءٍ، والمَرِيسُ أيضًا، وهو تَمْرٌ يُنْقَع ثم يُمْرَس وأنشد:

مُسْنَفَات تُسْقَى ضَيَاحَ المَرِيد

قال ابن هشام: وأنشدني بعض الرواة للشعر قوله: «في مَكَرّي»، و «طاح بمَغْدَى».

شعر كعب في يوم خيبر:

وقال كعب بن مالك في يوم خيبر، فيما ذكر ابن هشام، عن أبي زيد الأنصاري:

ونحن وَرَدْنا خَيبَرًا وفُرُوضَهُ ... بكلّ فَتى عارِي الأشاجِع مِذْوَدِ

جَوادٍ لذي الغايات لا واهنِ القُوَى ... جَريءٍ على الأعْداءِ في كلّ مَشْهَدِ

عظيم رَمادِ القِدْرِ في كلّ شَتْوَةٍ ... ضَرُوبٍ بنصلِ المَشْرَفِيّ المُهَنّد

يَرى القَتْل مَدْحًا إنْ أصابَ شَهادة ... مِنَ اللهِ يَرْجُوها وَفَوْزًا بأحمَد

يَذُود ويحمي عَن ذِمار محمدٍ ... ويدفَعُ عنه باللّسان وباليدِ

وينصُره مِن كلّ أمْرٍ يَريبه ... بجُود بنَفْس دونَ نَفْسِ محمّد

يصدّق بالأنبياء بالغيب مُخْلِصًا ... يريد بذاك الفوزَ والعزَّ في غدِ

أبو أيوب في حراسة النبيّ ﷺ:

وذكر قول النبيّ ﷺ لأبي أيُوبَ حين بات يحرسه: «حَرَسَك الله يا أبا أَيُوبَ، كما بِتَّ تحرس نبيَّه».

قال المؤلّف: فحرسَ الله أبا أَيُوبَ بهذه الدعوةِ، حتى إن الرومَ لَتَحْرُس قَبْرَه، ويَسْتَسْقُون به، ويَسْتَصِحُّون، وذلك أنه غزا مع يَزِيدَ بن مُعَاوِيَةَ سَنَةَ خَمْسين، فلما بلغوا القُسْطَنْطِينَةَ مات أبو أَيُوبَ هنالك، وأوصى يزيد أن يَدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم، فركب المسلمون، ومَشَوْا به حتى إذا لم يجدوا مساغًا، دفنوه، فسألتهم الرومُ عن شأنهم، فأخبروهم أنه كبير من أكابِر الصحابة، فقالت الروم ليزيدَ ما أَحْمَقَك وأَحْمَقَ مَنْ أرسلك أَأَمِنْتَ أن نَنْبِشَه بعدَك، فَنَحْرِق عظامَه، فأقسم لهم يزيد لئن فَعَلوا ذلك لَنَهْدِمَنَّ كُلَّ كَنِيسةٍ بأرض العرب، وَلَنَنبِشَنَّ قبورَهم، فحينئذ حلفوا لهم بدينهم لَيُكَرِّمُنَّ قبْرَه، ولَيَحْرُسُنَّه ما استطاعوا، فروى ابنُ القاسم عن مالك، قال: بلغني أن الرومَ يَسْتَسْقُون بقبرِ أبي أَيُوبِ رحمه الله، فَيُسْقَوْن.

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

قال ابن إسحٰق: وكانت المقاسم على أموال خيبر، على الشَّقّ ونطاةَ والكَتيبَة، فكانت الشَّقُّ ونَطاةُ في سُهمان المسلمين، وكانت الكَتيبَة خُمْسَ الله، وسهم النبيّ ﷺ، وسهم ذوي القُرْبى واليتامى والمساكين، وطُعْمَ أزواج النبيّ ﷺ، وطُعْمَ رجال مشوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فَدَك بالصلح؛ منهم مُحَيِّصَةُ بن مَسْعود، أعطاه رسولُ الله ﷺ ثلاثين وَسَقًا من شعير، وثلاثين وَسقًا من تمر، وقُسمت خيبرُ على أهل الحُدَيبية، مَن شهد خيبر، ومَن غاب عنها، ولم يَغِب عنها إلاّ جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام، فقَسم له رسولُ الله ﷺ كَسَهْم مَنْ حضرها، وكان واديا‌ها، وادي السُّرَيْرة، ووادي خاص، وهما اللذان قُسِمت عليهما خيبر، وكانت نَطاة والشَّقُّ ثمانية عشر سهمًا، نَطاة من ذلك خمسة أسهم، والشَّقِ ثلاثةَ عَشَرَ سهمًا، وقُسِمت الشَّقُّ ونَطاةُ على ألف سهم، وثمانمائة سهم.

مَن قُسّمت عليهم خيبر:

وكانت عِدَّة الذين قُسّمت عليهم خَيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمانمائة سهم، برجالهم وخيلهم، الرجال أربع عشرة مائة والخيل مائتا فارس، فكان لكلّ فرس سهمان، ولفارسه سهم، وكان لكلّ راجل سهم؛ فكان لكل سهم رأسٌ جمِع إليه مائة رجل، فكانت ثمانية عشر سهمًا جُمع.

قال ابن هشام: وفي يوم خَيبر عَرَّب رسولُ الله ﷺ العربيّ من الخيل، وهَجَّن الهجين.

قال ابن إسحٰق: فكان عليّ بن أبي طالب رأسًا، والزّبير بن العوّام، وطلحةُ بن عبيد الله وعُمر بن الخطَّاب، وعبد الرحمٰن بن عوف، وعاصم بن عَديّ، أخو بني العَجْلان، وأُسَيْدُ بن حُضَير، وسهم الحارث بن الخزرج، وسهم ناعم، وسهم بني بَيَاضَةَ، وسهم بني عُبيد، وسهم بني حَزام من بني سَلمة وعُبَيْد السَّهام.

قسم أموال خيبر وأراضيها

أمَّا قَسْم غنائِمها، فلا خِلاَفَ فيه وفي كل مَغْنَم بنَصِّ القرآن كما تقدّم في غَزاة بدر، وأما أَرْضُها، فقسّمها النبيّ ﷺ بين من حَضَرها من أهل الحُدَيْبِيَة وأخرج الخُمْسَ لله ولرسولِه، ولذِي القُرْبى واليَتامى والمساكين وابنِ السبيل، وقد تقدّم الكلام في معنى: لله ولرسوله، وما معنى سَهْم الله، وسَهْمِ الرَّسُولِ، ولولا الخروجُ عمّا صَمَدنا إليه لذكرنا سِرًّا

قال ابن هشام: وإنما قيل له عُبَيْد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر، وهو عُبَيْد بن أوْس، أحدُ بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوْس.

قال ابن إسحٰق: وسهم ساعدة وسهم غِفار وأسْلَم، وسهم النَّجار وسهم حارثة، وسهم أوْس. فكان أوّل سهم خرَج من خَيْبر بنَطاةَ سهم الزبيرِ بن العوّام، وهو الخَوْع وتابعه السُّرَيْر، ثم كان الثاني سهم بَيَاضَة، ثم كان الثالث سهم أُسَيْد، ثم كان الرابع سهم بني الحارث بن الخزرج، ثم كان الخامس سهم ناعم لبني عوف بن الخَزْرج ومُزَينة وشُركائهم، وفيه قُتِل محمود بن مَسْلمة، فهذه نَطاة.

ثم هبطوا إلى الشَّق، فكان أوّل سهم خرج منه سهم عاصم بن عَدِي، أخي بني العَجْلان، ومعه كان سهم رسولِ الله ﷺ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف، ثم سهم ساعدة، ثم سهم النجّار، ثم سهم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، ثم سهم طَلْحة بن عُبيد الله، ثم سهم غِفار وأسْلَم، ثم سهم عمر بن الخطّاب، ثم سهما سَلَمَة بن عُبَيْد وبني حَرام، ثم سهم حارثة، ثم سهم عُبَيْد السهّام، ثم سهم أوْس، وهو سهم اللفيف، جمعت إليه جُهَيْنة ومن حَضر خيبر من سائر العرب، وكان حَذْوَه سَهْمُ رسول الله ﷺ، الذي كان أصابه في سهم عاصم بن عديّ.

بديعًا وفِقْهًا عجيبًا في قوله تعالى: ﴿للّهِ وللرسول ولذِي القربى﴾ باللام، ولم يقل ذلك في اليتامى والمساكين، وقال: وللرسول، وقال في أوّل السورة: ﴿قُلِ الأنْفَالُ لله والرسول﴾ وقال في آية الفَيْءِ ﴿ما أفاء الله على رسوله فللّه وللرسول﴾ ولم يقل: رسوله، وكل هذا لحكمة، وحاشا لله أن يكون حرفٌ من التنزيل خاليًا من حِكمة. وقال أبو عُبَيْدٍ في كتاب الأموال: قسّم النبيّ ﷺ أرضَ خَيْبَر أثلاثًا أثلاثًا، السُّلالِم والوَطِيحَ والكَتِيبَةَ، فإنه تركها لنوائب المسلمين وما يَعْرُوهم، وفي هذا ما يُقَوّي أن الإمام مَخيَّرٌ في أرضِ العَنْوةِ إن شاء قسمها أَخْذًا بقول الله سبحانه: ﴿واعلموا أَنّما غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية فيُجريها مَجْرى الغَنِيمة، وإن شاء وقفها كما فعل عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ أخذًا بقول الله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسولِهِ من أهلِ القُرَى﴾ إلى قوله: ﴿والذين جَاءوا مِنْ بعدهم﴾ فاسْتَوْعَبَتْ آيةُ الفَيْءِ جميعَ المسلمين، ومن يأتي بعدهم، فسمّى آية القرى فَيْئًا وسَمّى الأُخرى غَنِيمةً، فَدَلَّ على افتراقهما في الحكم، كما افترقا في التَّسْمِية، وكما اختلف الفقهاءُ في هذه المسألةِ على أقوال منهم: مَنْ يرى قَسْمَ الأرضِ كما فعل النبيّ ﷺ بخَيْبَر، وهو قول الشافعي، ومنهم من يراها وَقْفًا على المسلمين لبَيْتِ مالهم، ومنهم من يقول بتَخْيير الإمام في ذلك، فكذلك افترق رأيُ

ثم قسَم رسولُ الله ﷺ الكَتِيبة، وهي وادي خاص، بين قرابته وبين نسائه، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها، فقسم رسولُ الله ﷺ لفاطمة ابنته مائتي وَسْق، ولعليّ بنِ أبي طالب مائة وَسْق، ولأُسامةَ بن زيد مائتي وَسْق، وخمسين وسقًا من نوى، ولعائشة أُمّ المؤمنين مائتي وَسْق، ولأبي بكر بن أبي قُحافة مائة وَسْق، ولعَقيل بن أبي طالب مائة وَسْق وأربعين وَسْقًا، ولبني جعفر خمسين وَسْقًا، ولربيعة بن الحارث مائة وَسْق، وللصَّلْت بن مَخْرَمة وابنيه مائة وَسْق، للصَّلْت منها أربعون وَسْقًا، ولأبي نَبِقة خمسين وسقًا ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وَسْقًا، ولقَيْس بن مَخْرَمة ثلاثين وَسْقًا، ولأبي القاسم بن مَخْرَمة أربعين وَسْقًا، ولبنات عُبَيْدة بن الحارث وابنه الحُصَين بن الحارث مائة وَسْق، ولبني عُبيد بن عبد يزيد ستين وَسْقًا، ولابن أَوْس بن مَخْرمة ثلاثين وَسْقًا، ولمِسْطَح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وَسْقًا، ولأُمّ رُمَيْثَة أربعين وَسْقًا، ولنُعَيْم بن هِند ثلاثين وَسْقًا، ولبُحَيْنَة بنت الحارث ثلاثين وَسْقًا، ولعُجَيْر بن عَبد يزيدَ ثلاثين وَسْقًا، ولأُمّ الحَكم ثلاثين وَسْقًا، ولجُمَانَةَ بنت أبي طالب ثلاثين وَسْقًا، ولابن الأرقم خمسين وَسْقًا، ولعبد الرحمٰن بن أبي بكر أربعين وَسْقًا، ولحمْنَة بنت جَحش ثلاثين وَسْقًا، ولأُمّ الزبير أربعين وَسْقًا، ولضُباعة بنت الزُّبير أربعين وَسْقًا، ولابن أبي خُنَيْس ثلاثين وَسْقًا، ولأُمّ طالب أَربعين وَسْقًا، ولأبي بصْرة عشرين وَسْقًا، ولنُمَيلة الكَلْبي خمسين وَسْقًا، ولعبد الله بن وَهْب وابنتيه تسعين وَسْقًا، لابنيه منها أربعين وسقًا، ولأُمّ حبيب بنت جَحْش ثلاثين وَسْقًا، ولمَلْكُو بن عَبْدَة ثلاثين وَسْقًا، ولنسائه ﷺ سبعُ مائة وَسْق.

قال ابن هشام: قمحٌ وشعير وتمر ونَوًى وغير ذلك، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة في بني عبد المطَّلب أكثر، ولهذا أعطاهم أكثر.

الصحابة عند افتتاح البلاد، فكان رأيُ الزُّبَيْرِ القَسْم، فكلّم عَمْرو بن العاصي حين افتتح مصر في قَسْمِها فكتب عَمْرو بذلك إلى عُمَر بن الخطَّاب، فكتب إليه عمر: أنْ دَعْها، ولا تقسّمها، حتى يجاهد منها حَبَل الحَبلَةِ، وقد شرحنا هذه الكلمة في المَبْعَثِ قبل هذا بأجزاء، وكذلك استأمر عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ الصحابةَ في قَسْم أرض السَّواد حين افتُتِحَتْ، فكان رأيُ عَلِيٍّ مع رأي عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أن يَقِفَها، ولا يَقْسِمَها، وأرضُ السَّوادِ أوّلها من تُخُوم المَوْصِلِ مدامِعُ الماء إلى عَبَادَانِ من الساحِل عن يَسَارِ دِجلَة، وفي العَرْضِ من جِبَال حُلْوَانَ إلى القَادِسِيَّةَ مُتَّصِلاً بالعُذَيْبِ من أرضِ العربِ، كذا قال أبو عُبَيْدٍ، وكانت العربُ تقول: دَلَع البَرُّ لِسَانه في السَّواد، لأن الأرضَ القادسيةِ كلسان في البرية داخلٍ في سَوَاد العراق، حكاها الطبري.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خَيبر:

قسم لهنّ مائة وسق وثمانين وَسْقًا، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسةً وثمانين وَسْقًا، ولأسامة بن زيد أربعين وَسْقًا، وللمِقداد بن الأسود خمسةَ عَشر وَسْقًا، ولأُمّ رُمَيْثة خمسة أوْسُق.

شهد عثمانُ بن عَفّان وعباس وكتب.

وصاة الرسول عند موته:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني صالح بن كَيْسان، عن ابن شهاب الزُّهري، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال: لم يُوصِ رسولُ الله ﷺ عند موته إلاّ بثلاث، أوصى للرَّهاويين بجادّ مائة وَسْق من خيبرَ، وللداريين بجادّ مائة وَسْق من خيبر، وللسبائيين، وللأشعريين بجادّ مائة وَسْق من خيبر، وأوصى بتَنْفيذ بعث أُسامة بن زيد بن حارثة، وألاّ يُترك بجزيرة العرب دِينان.

ولما سار عُمَرُ إلى الشام، وكان بالجَابِيةِ شاور فيما افتتح من الشام: أيَقْسِمُها؟ فقال له مُعَاذ: إنّ قِسْمَتَها لم يكن لمن يأتي بَعْدُ من المُسْلِمين شيءٌ، أو نحو هذا، فأخذ بقول مُعاذ، فألحّ عليه بِلاَلٌ في جماعةٍ من أصحابِه، وطلبوا القَسْمَ، فلما أكثروا، قال: اللهم اكْفِني بِلالاً وذَوِيه، فلم يأت الحَولُ، ومنهم على الأرض عَيْنٌ تَطْرِفُ، وكانت أرضُ الشام كُلُّها عَنْوَةً إلا مَدَائِنَها، فإن أَهلَها صالحوا عليها، وكذلك بيتُ المَقْدِسِ فتحها عُمَرُ صُلْحًا بعد أن وَجَّه إليها خالد بن ثابتٍ الفَهْمِيَّ فطلبوا منه الصلح، فكتب بذلك إلى عُمَر، وهو بالجابِيةِ، فقَدِمَها، وقبل صلح أهلِها. وأرضُ السَّوادِ كُلُّها عَنْوَةً إلا الحِيرَة فإن خالد بن الوليد صالح أهلَها، وكذلك أرض بلقيَا[1] أيضًا صُلْحٌ، وأخرى يقال لها: الليس. وأرضُ خُرَاسَان عَنْوَة إلاّ تَرْمِذَ، فإنها قَلْعَةٌ مَنِيعة وقِلاعٌ سواها، وأما أرضُ مِصْرٌ فكان الليث بن سَعْدٍ قد اقْتَنَى بها مالاً وعاب ذلك عليه جماعةٌ منهم يحيىٰ بن أيوب ومالكُ بن أَنَسٍ، لأن أَرضَ العَنْوَة لا تُشْتَرى، وكان الليثُ يَرْوي عن يزيد بن أبي حبيب، أنها فُتِحَتْ صُلْحًا، وكلا الخبرين حَقٌّ لأنها فُتِحَتْ صُلْحًا أوّلُ، ثم انتكثَتْ بعدُ، فأُخِذَتِ عَنْوَةً، فمن ههنا نشأ الخلافُ في أمرِها، قاله أبو عُبَيْدٍ، وقد احتجَ مَنْ قال بالقَسْم في أرضِ العَنْوَة بأن عُمَرَ لم يقف أرضَ السَّوادِ

---

(١) موضع بالنجف دون الكوفة.

أمر فدك في خبر خيبر:

قال ابن إسحٰق: فلما فرَغ رسولُ الله ﷺ من خيبرَ قذف الله الرُّعب في قلوب أهل فَدَك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فَدَك، فقدمت عليه رُسُلُهم بخيبر، أو بالطائف، أو بعدما قَدِم المدينة، فقبل ذلك منهم، فكانت فَدَك لرسولِ الله ﷺ خالصة، لأنه لم يوجَف عليها بخيل ولا ركاب.

تسمية النفر الداريين الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر:

وهم بنو الدار بن هانىء بن حَبيب بن نُمارةَ بن لخم، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام: تميم بن أوس ونُعَيْم بن أوْس أخوه، ويزيد بن قيْس، وعرفة بن مالك، سمّاه رَسُولُ الله ﷺ عبد الرحمٰن.

قال ابن هشام: ويقال: عَزّة بن مالك، وأخوه مُرَّان بن مالك.

قال ابن هشام: مَرْوان بن مالك.

قال ابن إسحٰق: وفاكه بن نُعْمان، وجَبَلة بن مالك، وأبو هِنْد بن بَرّ، وأخوه الطيِّب بن بَرّ، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبد الله.

وغيرها حتى استطابَ نُفُوسَ المُفْتَتِحين لها، وأعطاهم حتى أرضاهم، وَرَوَوْا أن أُم كُرْزٍ البَجَلِيَّةَ سألت سَهْمَ أبيها في أرضِ السَّواد، وأبت أن تتركَه فَيْئًا، حتى أعطاها عُمَرُ راحلةً وقطيفة حَمْراء وثمانين دينارًا، وكذلك رَوَوْا عن جرير بن عبد الله البَجَلِيّ في سَهْمه بأرض العراق نحوًا من هذا، وقال مَنْ يحتج للفريق الآخر: إنمَا تَرضَّى عُمَرُ جريرًا، لأنه كان نَفَله تلك الأرضَ، فكانت مِلْكًا له، حتى مات، وكذلك أُم كُرْز كان سهم أبيها نفلاً أيضًا، جاءت بذلك كلِّه الآثارُ الثابتة والله المستعان.

أبـو نـبـقـة:

وذكر فيمن قَسَم له يوم خَيْبر أبا نَبِقَةَ قسم له خَمْسين وَسْقًا، واسمه: عَلْقَمَةُ بنُ المُطَّلِب، ويقال: عَبْدُ الله بن عَلْقَمَةَ، وقال أبو عُمَر: هو مجهول، وقال ابن الفَرَضِيّ: أبو نَبِقَةَ بن المطَّلب بن عبدِ مَنَافٍ، واسم أبي نَبِقَةَ: عبدُ الله، ومن ولده: محمد بن العَلاءِ بن الحُسَيْن بن عبدِ الله بن أبي نَبِقَةَ، ومن ولده: أبو الحسين المُطَّلِبيّ إمامُ مسجد رسول الله ﷺ، وهو يحيىٰ بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبدِ الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبي نَبقَةَ بن المطَّلب بن عبد مناف.

فكان رسولُ الله ﷺ، كما حدّثني عبد الله بن أبي بكر، يبعث إلى أهل خَيْبر عبدَ الله بن رَواحَة خارصًا بين المسلمين ويهود، فيَخْرُص عليهم، فإذا قالوا: تعدّيت علينا؛ قال: إن شئتم فلكم، وإن شئتم فلنا، فتقول يهود: بهذا قامت السمٰوَاتُ والأرض.

وإنما خَرَص عليهم عبدُ الله بن رَواحَة عامًا واحدًا، ثم أصيب بمُؤْتة يرحمه الله، فكان جبَّار بن صخر بن أُمية ابن خَنْساء، أخو بني سَلمة، هو الذي يخْرُص عليهم بعد عبد الله بن رَواحة.

فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسًا في معاملتهم، حتى عَدَوْا في عَهْد رسولِ الله ﷺ على عبد الله بن سَهل، أخي بني حارثة، فقتلوه، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني الزّهريّ عن سهل بن أبي حَثْمة؛ وحدّثني أيضًا بُشَير بن يَسار، مولى بني حارثة، عن سهل بن أبي حَثْمَة قال: أُصيب عبد الله بن سهل بخَيبر، وكان خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمرًا، فوُجِد في عَين قد كُسِرَت عُنُقُه، ثم طُرح فيها؛ قال: فأخذوه فغيَّبوه، ثم قَدِموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له شأنه، فتقدّم إليه أخوه عبدُ الرحمٰن بن سهل، ومعه ابنا عمّه حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَة ابنا مسعود، وكان عبد الرحمٰن من أحدثهم سنًّا، وكان صاحبَ الدم، وكان ذا قَدم من القوم، فلما تكلَّم قبل ابني عمِّه، قال رسولُ الله ﷺ: «الكُبْرَ الكُبْرَ».

أُم الحكم:

وذكر فيهم أُم الحَكَم، وهي بنت الزُّبَيْر بن عبد المطَّلب أخت ضُبَاعَةَ، هكذا قال: أُم الحكم، والمعروف فيها أنها أُم حَكِيم، وكانت تحت رَبِيعَةَ بنِ الحارثِ، وأما أُمُّ حكم فهي بنتُ أبي سُفيان، وهي من مسلِمة الفَتْحِ، ولولا ذلك لقلت: إن ابن إسحٰقِ إيَّاها أراد، لكنها لم تشهد خَيْبَر، ولا كانت أسلمت بعد.

أُم رمثة وغيرها:

وذكر فيمن قسم له أُمَّ رِمْثَةَ، ولا تُعرف إلاَّ بهذا الخبرِ، وشهودِها فَتْحَ خيبر.

وذكر بُحَيْنَةَ بنتَ الحارثِ. وبُحَيْنَةُ تصغير: بَحْنَة، وهي نخلة معروفة، قاله أبو حنيفة، ولفظُها من البَحُونَةِ، وهي جُلَّةُ التَّمرِ، وهي أُمُّ عَبْدِ الله ابن بُحَيْنَةَ الفقيه، وهو ابنُ مالك بن القِشْبِ الأَزدِيّ.

قال ابن هشام: ويقال: كَبِّرْ كَبِّرْ - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت؛ فتكلَّم حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة، ثم تكلّم هو بعد، فذكروا لرسول الله ﷺ قتلَ صاحبهم؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «أتُسَمُّون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يمينًا فنُسْلِمه إليكم؟» قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم؛ قال: «أفيحلفون بالله خمسين يمينًا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً ثم يبرؤون من دمه؟» قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما فيهم من الكفر أعظمُ من أن يحلفوا على إثم قال: فوداهُ رسولُ الله ﷺ من عنده مائة ناقة.

قال سهل: فوالله ما أنسى بَكْرَةً منها حمراء ضربتني وأنا أحُوزها.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ، عن عبد الرحمٰن بن بُجَيْد بن قَيْظِيٍّ، أخي بني حارثة، قال محمد بن إبراهيم: وأيم الله، ما كان سَهْل بأكثر علمًا منه، ولكنّه كان أسنّ منه؛ وإنه قال له: والله ما هكذا كان الشأن! ولكن سهلاً أوْهَمَ، ما قال رسول الله ﷺ احلفوا على ما لا علم لكم به ولكنه كتب إلى يهود خيبرَ حين كلَّمته الأنصار: إنه قد وُجِدَ قتيل بين أبياتِكم فَدُوه، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلاً. فوداه رسولُ الله ﷺ من عنده.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمٰن بن بُجيد، إلاّ أنه قال في حديثه: دُوهُ أو ائذنوا بحرب. فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً؛ فوداه رسولُ الله ﷺ من عنده.

القسم للنساء من المغنم:

وفي قَسْمِه لهؤلاء النساءِ حُجَّةٌ للأَوْزَاعِي لقوله: إن النساءَ يُقْسَم لَهُنَّ مع الرجال في المغازي، وأكثرُ الفقهاءِ لا يَرون للنساءِ مع الرجالِ قَسْمًا، ولكن يُرْضَخُ لهن من المغنَم أخذًا بحديث أُمِّ عَطِيَّة قالت: كنا نَغْزو مع النبيّ - ﷺ - فنُداوي الجَرْحَى، ونُمرّض المَرْضَى ويُرْضَخُ لنا من المَغْنَمِ.

المصافحة والمعانقة:

فصل: وذكر قدومَ أصحاب السَّفينة من أرض الحَبَشَةِ، وفيهم جَعْفرُ بن أبي طالب، وأن النبيّ ﷺ التزمه وقَبّل بين عينيه، وقد احتجّ بهذا الحديث الثَّوْريُّ على مالِك بن أنس في جواز المُعَانَقةِ، وذهب مالِكٌ إلى أنه خصوص بالنبيّ ﷺ، وما ذهب إليه سُفْيَانُ من حَمْلِ الحديث على عُمومه أظْهَرُ، وقد التزم النبيُّ ﷺ زيدَ بن حارِثَة، حين قَدِم عليه من مكّة.

عمر يُجلي يهود خيبر:

قال ابن إسحٰق: وسألت ابن شهاب الزهريّ: كيف كان إعطاء رسولِ الله ﷺ يهودَ خيبرَ نخلَهم، حين أعطاهم النخل على خَرْجها، أبَتَّ ذلك لهم حتى قُبِض، أَم أعطاهم إيَّاها للضرورة من غير ذلك؟.

فأخبرني ابنُ شِهابٍ: أن رسولَ الله ﷺ افتتح خَيْبر عَنْوَةً بعد القتال، وكانت خيبر مما أفاء الله عزّ وجلّ على رسول الله ﷺ، خَمسها رسولُ الله ﷺ وقَسَمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسولُ الله ﷺ، فقال: «إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمارُها بيننا وبينكم، وأُقِرُّكُم ما أقركم الله»، فقبلوا، فكانوا على ذلك يعملونها. وكان رسولُ الله ﷺ يبعث عبدَ الله بن رَوَاحة، فيقسم ثَمَرَها، ويعدِل عليهم في الخَرْص، فلما توفَّى اللهُ نبيَّه ﷺ، أقرّها أبو بكر رضي الله تعالى عنه، بعد رسولِ الله ﷺ بأيديهم، على المُعاملة التي عاملهم عليها رسولُ الله ﷺ، حتى تُوفي؛ ثم أقرّها عمر رضي الله عنه صَدرًا من إمارته. ثم بلغ عُمَرَ أن رسولَ الله ﷺ قال في وَجَعِه الذي قبضه الله فيه: «لاَ يَجْتمعنَّ بجزيرة العرب دِينان»؛ ففحص عُمَرُ ذلك، حتى بلغه الثَّبْتُ، فأرسل إلى يهودَ، فقال: «إن الله عزّ وجلّ قد أذن في جَلائكم»، قد بلغني أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا يَجْتَمِعَنَّ بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتني به، أُنْفِذْه له، ومن لم يكن عنده عهد

وأما المصافحةُ باليد عند السلام ففيها أحاديثُ منها قوله عليه السلام: «تمام تَحِيَّتُكم المصافحةُ»[1]، ومنها حديثٌ آخر أن أهل اليمن حين قدموا المدينةَ صافَحوا الناس بالسلام، فقال النبيّ ﷺ: «إن أهلَ اليمن قد سَنُّوا لكم المصافحة»، ثم نَدَب إليها بلفظٍ لا أذكره الآن غير أن معناه: تنزل عليها مائة رَحْمَةٍ تسعون منها للبادىء، وعن مالكٍ فيها روايتان: الإباحة والكَرَاهة، ولا أدري ما وَجْه الكراهية في ذلك.

ولد جعفر والنجاشي:

وكان جعفر قد وُلِد له بأرضِ الحَبَشَة محمدٌ وعونٌ وعبدُ الله، وكان النَّجَاشِي قد وُلِد له مولودٌ يوم وُلِد عبدُ الله، فأرسل إلى جَعْفَر يَسْأله: كيف أسميتَ ابنَك؟ فقال: أَسْمَيْتُه عبدَ الله، فسمى النجاشيُّ ابنَه عبدَ الله، وأرضعته أسماءُ بنتُ عُمَيْس امرأةُ جَعْفر مع ابنها عبدِ الله، فكانا يَتَوَاصَلاَن بتلك الأُخُوَّة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٣١) وأحمد (٨/ ٤٣٢) وابن أبي شيبة (٨/ ٤٣٢).

من رسول الله ﷺ من اليهود، فليتجهز للجلاء»، فأجْلَى عُمَرُ من لم يكن عنده عهد من رسولِ الله ﷺ منهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: خرجت أنا والزُّبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قَدِمْنا تفرّقنا في أموالنا، قال: فعُدِيَ عليَّ تحت الليل، وأنا نائم على فراشي، ففُدِعَتْ يدايَ من مِرْفَقَيّ، فلما أصبحت استصرَخَ عليّ صاحباي، فأتَياني فسألاني: من صَنَع هذا بك؟ فقلت: لا أدري؛ قال: فأصلَحا من يَديَّ، ثم قَدِما بي على عمر رضي الله عنه، فقال: هذا عمل يهودَ، ثم قام في الناس خطيبًا فقال: أيّها الناس، إن رسولَ الله ﷺ، كان عامَل يهودَ خيبر على أنا نخرجُهم إذا شئنا، وقد عَدَوا على عبد الله بن عمر، ففَدعوا يديه، كما قد بلغكم، مع عَدْوِهم على الأنصاريّ قبله، لا نشكّ أنهم أصحابه، ليس لنا هناكَ عدوّ غيرهم، فمن كان له مال بخَيبر فليلحق به، فإني مُخرج يهودَ، فأخرجهم.

قسمة عمر لوادي القرى بين المسلمين:

قال ابن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن مَكْنَف، أخي بني حارثة، قال: لمَّا أخرج عمرُ يهودَ من خيبرَ ركب في المهاجرين والأنصار، وخرج معه جبَّار بن صخر بن أميَّة ابن خنساء، أخو بني سَلَمة، وكان خارصَ أهل المدينة وحاسبَهم - ويزيدَ بن ثابت، وهما قَسَما خَيبر بين أهلها، على أصل جماعة السُّهمان، التي كانت عليها.

وكان ما قَسَم عمر بن الخطَّاب من وادي القُرَى؛ لعثمانَ بن عَفَّان خَطَرٌ، ولعبد الرحمٰن بن عوف خَطَرٌ، ولعمرَ بن أبي سَلَمة خَطَرٌ، ولعامر بن أبي ربيعة خَطَرٌ، ولعمرو بن سُراقة خَطَرٌ، ولأشَيْم خَطَر.

قال ابن هشام: ويقال: ولأسلم ولبني جعفر خَطَر، ولمُعَيْقِيب خَطَر، ولعبد الله بن الأرقم خَطَرٌ، ولعبد الله وعُبَيْد الله خَطَرَان، ولابن عبد الله بن جَحْش خَطَر، ولابن

ضبط أجنادين:

وذكر عمرو بن سعيد، وأنه استشهد بأَجْنادِين، هكذا تقيّد في الأصل بكسر الدال وفتح أوّله، وكذا سمعت الشيخَ الحافظ أبا بكر ينطق به، وقيّدناه عن أبي بكر بن طاهر عن أبي علي الغَسَّانِي: إجنادَين بكسر أوّله وفتح الدال. وقال أبو عبيد البكري في كتاب مُعْجَم ما اسْتَعجم: أَجْنَادَيْن بفتح أوّله، وفتح الدال، وقال: كأنه تثنية أَجْناد.

البُكَيْر خَطَرٌ، ولمُعْتمر خَطَر، ولزيد بن ثابت خَطَر، ولأُبيّ بن كَعْب خَطَر، ولمُعاذ ابن عَفْراء خَطَر، ولأبي طلحة وحَسَن خَطَر، ولجبَّار بن صخْر خَطَر، ولجابر بن عبد الله بن رئاب خَطَر، ولمالك بن صَعْصَعة وجابر بن عبد الله بن عَمْرو خَطَر، ولابن حُضَيْر خَطَر، ولابن سَعْد بن مُعاذ خَطَر، ولسَلامة بن سَلامة خَطَر، ولعبد الرحمٰن بن ثابت وأبي شريك خَطَر، ولأبي عَبْس بن جَبر خَطَر، ولمحمَّد بن مَسلمة خَطَر، ولعبادة بن طارق خَطَر.

قال ابن هشام: ويقال: لقتادة.

قال ابن إسحٰق: ولجَبْر بن عَتِيك نِصْفُ خَطَر، ولابني الحارث بن قَيس نصف خَطَر، ولابن حَزَمَةَ والضحّاك خَطَر، فهذا ما بلغنا من أمر خَيبر ووادي القُرَى ومقاسِمِها.

قال ابن هشام: الخَطَر: النَّصيب. يقال: أخْطَرَ لي فلان خَطَرًا.

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة
وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام: وذكر سُفيان بن عُيَينة عن الأجْلح، عن الشَّعْبي: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ يومَ فَتح خَيْبَر، فقَبَّل رسول الله ﷺ بين عَيْنيه، والتزمه وقال: ما أدري بأيِّهما أنا أُسَرُّ: بفتح خَيْبر، أم بقدوم جعفر؟

القادسية ويوم الهرير:

وذكر عَمْرَو بن عثمان التَّيْمِي، وأنه قُتِل بالقادِسِيَّة مع سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ والقادِسِيَّةُ آخرُ أرض العرب، وأوّلُ أرض السَّواد، وفي أيّامِها قُتِلَ رُسْتُم ملكُ الفُرْسِ في يومٍ من أيّامها يُسَمَّى يوم الهَريرِ، وكان قد أقبل بالفِيَلَة، وجموع لم يُسْمَع بمثلها، والمسلمون في عَدَدٍ دون العُشْرِ من عدد المجوس فكان الظَّفرُ للمسلمين، وكان الأمير عليهم سعْدَ بن أبي وقّاص، وخَبَرُها طويلٌ يشتمل على أعاجيبَ من فَتْح الله تعالى على هذه الأُمَّة استقصاها سَيْفُ بن عُمَر في كتاب الفتوح، ثم الطبري بعده، وسُمِّيَتْ القادِسِيَّةُ برجُلٍ من الهَرَةِ، وكان كِسْرَى قد أسكنه بها اسمُه: قادس، وقيل: وسميت بقومٍ نزلوها من قَادِس، وقادِسُ بخُرَاسَانَ، وأما القادِس في لغة العرب فمن أسماء السفينة.

عن بعض القادمين من الحبشة

فصل: وذكر فيمن قدم من أرض الحَبَشَةِ هِشَامَ بن أبي حُذَيْفَة بن المُغِيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، واسم أبي حُذَيفَةَ مُهَشِّم، وذكر الواقديُّ هِشَامًا. هذا فيمن قدم

قال ابن إسحٰق: وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسولُ الله ﷺ إلى النجاشي عمرَو بن أُميَّة الضَّمْري، فحَملهم في سَفينتين، فقَدِم بهم عليه، وهو بخَيبر بعد الحُدَيْبِيَة.

مِن بني هاشم بن عبد مَناف: جعفر بن أبي طالب بن عبد المُطّلب، معه امرأتُه أسْماءُ بنت عُمَيس الخَثْعَمِيَّة، وابنه عبد الله بن جَعفر، وكانت ولدته بأرض الحبشة. قُتل جعفر بمُؤْتة من أرضِ الشام أميرًا لرسول الله ﷺ، رجل.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن سَعيد بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شَمْس، معه امرأته أُمينة بنت خلف بن أسْعد ـ قال ابن هشام: ويقال: هُمَيْنَة بنت خلف ـ وابناه سعيد بن خالد، وأمه بنت خالد، ولدتهما بأرض الحبشة. قُتِل خالد بمَرْج الصُّفَّر في خلافة أبي بكر الصدّيق بأرض الشام؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، معه امرأته فاطمة بنت صَفْوان بن أُميَّة بن مُحَرِّث الكناني، هلكت بأرض الحبشة. قُتل عمرو بأجْنَادِين من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سَعيد بن العاص بن أُميَّة أبو أُحَيحة:

ألا ليتَ شعْري عنك يا عمرو سائلاً ... إذا شَبَّ واشتَدّت يَداه وسُلِّحا
أتتُرُكُ أمْرَ القَوْمِ فيه بَلابِل ... تكشَّف غيظًا كان في الصَّدر مُوجَحا

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سَعيد بن العاص، حين أسْلما وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيْبة، من ناحية الطائف، هلك في مال له بها:

ألا لَيتَ مَيْتًا بالظُّرَيْبةِ شاهدٌ ... لما يَفْتَرِي في الدّين عَمْرو وخالد
أطاعا بِنا أمْرَ النِّساء فأصْبَحا ... يُعِينان مِنْ أعْدائنا مَن نُكايد

من الحبشة غير أنه قال فيه: هاشم، ولم يذكره مُوسى بن عُقْبَة، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة.

وذكر فيمن قدم من الحبشة عبدَ الله بن حُذَافَة، وأنه الذي أرسله النبيّ ﷺ إلى كِسْرى.

وذكر أيضًا سَلِيط بن عَمْرو، وأنه كان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى هَوْذَة بن علي الحَنَفِيّ صاحبِ اليَمَامَةِ.

فأجابه خالد بن سعيد، فقال:

أخي ما أخي لا شاتمٌ أنا عِرْضَه ... ولا هو من سُوء المَقالة مُقْصِرُ
يـقـولُ إذا اشـتـدّت عـلـيـه أُمـورُه ... ألا لَـيْـتَ مَـيْـتًـا بـالـظُّـرَيْـبة يُـنْـشَـر
فدَعْ عَنك مَيْتًا قد مَشَى لسبيلِه ... وأقْبِل على الأدنى الذي هوَ أفْقَر

ومُعَيْقِيب بن أبي فاطمة، خازن عمر بن الخطَّاب على بيت مال المُسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص؛ وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، حليف آل عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

ومن بني أسد بن عبد العُزّى بن قُصَي: الأسود بن نوفل بن خُويلد. رجل.

ومن بني عبد الدّار بن قُصَيّ: جَهْم بن قَيْس بن عبد شُرَحبيل، معه ابناه عمرو بن جَهْم وخُزيمة بن جهم، وكانت معه امرأته أُمّ حَرملة بنت عَبْد الأسود هَلَكَت بأرض الحبشة، وابناه لها. رجل.

ومن بني زُهْرة بن كِلاب: عامر بن أبي وقَّاص، وعُتبة بن مسْعود، حليف لهم من هُذيل. رجلان.

ومن بني تَيم بن مُرّة بن كَعْب: الحارث بن خالد بن صخْر، وقد كانت معه امرأته رَيطة بنت الحارث بن جُبيلة، هَلَكت بأرض الحبشة. رجل.

ومن بني جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عثمان بن رَبيعة بن أُهبان. رجل.

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب، مَحْمِيَّة بن الجَزْء، حليف لهم من بني زُبيد، كان رسولُ الله ﷺ؛ جعله على خُمُس المسلمين. رجل.

ومن بني عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ: مَعْمر بن عبد الله بن نَضْلة. رجل.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ بن غالب: أبو حاطب بن عَمْرو بن عبد شمس؛ ومالك بن ربيعة بن قَيْس بن عبد شمس، معه امرأته عَمْرة بنت السعْدِي بن وَقْدان بن عَبْد شمس. رجلان.

فأما كِسْرى فهو أبْرَوَيْزُ بن هُرْمُزَ بن أَنو شَرْوَانَ، ومَعْنى أَبْرَوَيْزَ المظفَّر فيما ذكر المسعودي، وهو الذي كان غلب الروم؛ فأنزل الله في قصّتهم: ﴿ألم غُلِبَتِ الرُّومُ في أَدْنَى الأرْض﴾ وأدنى الأرض هي بُصْرَى وفِلَسْطِينُ، وأَذْرِعَاتُ من أرضِ الشام، قاله الطبري.

ومن بني الحارث بن فِهْران بن مالك: الحارث بن عَبد قَيْس بن لَقِيط. رجل. وقد كان حُمِل معهم في السَّفينتين نساءٌ من نساء من هلك هنالك من المسلمين.

فهؤلاء الذين حمل النجاشيّ مع عمرو بن أُميَّة الضَّمْري في السَّفينتين، فجميع من قَدِم في السَّفينتين إلى رسولِ الله ﷺ ستةَ عشر رجلاً.

وكان ممَّن هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يقدَم إلا بعد بدر، ولم يَحْمل النجاشي في السَّفينتين إلى رسول الله ﷺ، ومن قدم بعد ذلك، ومن هلك بأرض الحبشة، من مُهاجرة الحبشة:

من بني أُميَّة بن عبد شَمْس بن عبد مَناف: عُبيد الله بن جَحْش بن رِئاب الأُسْدي، أسْد خُزيمة، حليف بَني أُميَّة بن عبد شمس، معه امرأته أُمّ حَبيبة بنت أبي سُفيان، وابنته حَبيبة بنت عبيد الله، وبها كانت تُكنَى أُمّ حَبيبة بنت أبي سفيان، وكان اسمها رَمْلة.

خرج مع المُسلمين مُهاجرًا، فلما قَدِم أرض الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام، ومات هُنالك نصرانيًا، فخَلف رسولُ الله ﷺ على امرأته من بعده أُمّ حَبيبة بنت أبي سُفيان بن حرب.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير، عن عُروة، قال: خرج عُبيد الله بن جَحْش مع المُسلمين مُسْلِمًا، فلما قدم أرضَ الحبشة تعصَّر، قال: فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسولِ الله ﷺ قال: فتّحنا وصأصأتم، أي قد أبْصرنا وأنتمْ تَلْتمسون البصر ولم تُبْصِروا بعد. وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صَأصَأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلاً: أي أنّا قد فَتّحنا أعْيننا فأبْصرنا، ولم تفتحوا أعينكم فتبْصروا، وأنتم تلتمسون ذلك.

قال ابن إسحٰق: وقيس بن عبد الله، رجل من بني أسد بن خُزَيمة، وهو أبو أُميَّة بنت قَيْس التي كانت مع أُمّ حَبيبة؛ وامرأته بركة بنت يَسار، مولاة، أبي سُفيان بن حرب، كانتا ظِئْرَي عُبيد الله بن جحش، وأُمّ حَبيبة بنت أبي سُفيان، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة. رجلان.

من رسل النبيّ إلى الملوك والرؤساء:

وذكر أبو رِفاعَة وَثِيمَةُ بن موسى بن الفُراتِ، قال قَدِم عبدُ الله بن حُذَافَة على كِسْرَى قال: يا مَعْشَرَ الفُرْسِ إنكم عِشْتُم بأحلامكم لعدّة أيامِكم بغير نَبيٍّ، ولا كتاب، ولا تَملُكِ من الأرض إلاّ ما في يديك، وما لا تملك منها أكثر، وقد ملك قبلَك ملوكٌ أهلُ دنيا وأهَلُ

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ: يزيد بن زَمَعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، قُتل يوم حُنين مع رسول الله ﷺ شهيدًا، وعمرو بن أُميَّة بن الحارث بن أسد، هَلك بأرض الحبشة. رجلان.

ومن بني عَبْد الدّار بن قُصيّ: أبو الرُّوم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار؛ وفِراس بن النَّضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عَبْد مناف بن عبد الدّار. رجلان.

ومن بني زُهرة بن كِلابِ بن مُرّة: المُطَّلب بن أزهر بن عبد عَوْف بن عبد (بن) الحارث بن زُهرة، معه امرأته رَمْلة بنت أبي عوف بن ضُبيرة بن سعيد بن سعْد بن سهم، هَلك بأرض الحبشة، ولدت له هنالك عبدَ الله بن المُطَّلب فكان يقال: إن كان لأوّلُ رجل وَرِث أباه في الإسلام رجل.

ومن بني تَيم بن مرة بن كَعب بن لُؤَيّ: عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيم، قُتل بالقادسيَّة مع سعد بن أبي وقَّاص. رجل.

ومن بني مخزوم بن يَقظة بن مُرّة بن كعب: هَبَّار بن سُفيان بن عبد الأسد، قُتل بأجْنادِين من أرض الشام، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه؛ وأخوه عبد الله بن سُفيان، قُتل عام اليَرْموك بالشام، في خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، يشكّ فيه أقتل ثَمّ أم لا؛ وهشام بن أبي حُذيفة بن المُغيرة، ثلاثة نفر.

آخرة، فأخذ أهلُ الآخرةِ بحظهم من الدنيا، وضيَّع أهلُ الدنيا حظَّهم من الآخرةِ، فاختلفوا في سَعْي الدنيا، واسْتَوَوْا في عَدْلِ الآخرة، وقد صَغَّر هذا الأمرَ عندك أنا أتيناك به، وقد والله جاءك من حَيْثُ خِفْتَ، وما تَصْغِيرُك إيَّاه بالذي يدفعه عنك، ولا تكذيبُك به بالذي يُخْرِجك منه، وفي وَقْعَةِ ذي قَار على ذلك دليل، فأخذ الكتابَ فمَزَّقه، ثم قال: لي مُلْكٌ هَنِيءٌ لا أخشى أن أُغْلَبَ عليه، ولا أُشارَك فيه، وقد مَلَكَ فرعونُ بني إسرائيل، ولستم بخير منهم، فما يمنعني أن أَمْلِكَكُم، وأنا خير منه، فأما هذا المُلْكُ، فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب، وأنتم أولئك تَشْبَع بطونُكم، وتأبى عيونُكم، فأمَّا وَقْعَةُ ذِي قَارٍ، فهي بِوَقْعَةِ الشَّام. فانصرف عنه عبدُ الله. وإنما خصّ النبيُّ - ﷺ - عبدَ الله بن حُذَافَة بإرساله إلى كسرى، لأنه كان يتردد عليهم كثيرًا ويختلِفُ إلى بلادهم، وكذلك سَلِيط بن عَمْر وكان يختلف إلى اليمامة، قال وَثِيمة: لما قدم سليطُ بنِ عمرو العامري على هَوْذَة، وكان كسرى قد تَوَّجه، قال: يا هَوْذَةُ إنك سوّدتك أَعْظُمٌ حَائِلَةٌ، وأرواحٌ في النار، وإنما السيدُ من مُتِّع بالإيمانِ ثم زُوِّد التَّقوى، وإن قومًا سَعِدوا برأيك فلا تَشْقَ به، وإني آمرك بخير مأمور به، وأنْهاك عن شَرّ

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعب: حاطب بن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح، وابناه محمد والحارث، معه امرأته فاطمة بنت المُجَلَّل هَلك حاطب هنالك مُسلمًا، فقَدِمت امرأته وابناه، وهي أُمهما، في إحدى السَّفينتين؛ وأخوه حطَّاب بن الحارث، معه امرأته فُكَيهة بنت يَسار هَلك هنالك مُسلمًا، فقَدِمت امرأته فُكَيهة في إحدى السَّفينتين؛ وسُفيان بن مَعمر بن حَبيب، وابناه جُنادة وجابر، وأُمهما معه حَسِنة، وأخوهما لأُمهما شُرَحبيل ابن حَسِنة؛ وهَلك سفيان وهلك ابناه جُنادة وجابر في خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه. ستة نفر.

ومن بَني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَب: عبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عديّ بن سعد بن سَهم الشاعر، هَلك بأرض الحبشة، وقَيْس بن حُذافة بن قَيس بن عديّ بن سعد بن سَهم؛ وأبو قَيْس بن الحارث بن قَيس بن عديّ بن سعد بن سهم، قُتِل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وعبد الله بن حُذافة بن قَيس بن عديّ بن سعد بن سهم، وهو رسولُ (رسولِ) الله ﷺ إلى كسرى، والحارث بن الحارث بن قَيْس بن عديّ، ومعمر بن الحارث بن قيس بن عديّ، وبِشر بن الحارث بن قيس بن عديّ، وأخ له من أُمه، من بني تميم، يقال له سعيد بن عمرو، قُتِل بأجْنادين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وسعيد بن الحارث بن قَيس، قُتل عام اليَرْموك في خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، والسائب بن الحارث بن قيس، جُرح بالطائف

مَنْهِيٌ عنه، آمرك بعبادة الله، وأنهاك عن عبادةِ الشيطان، فإن في عبادةِ الله الجنةَ وفي عبادة الشيطان النارَ، فإن قبلتَ نِلتَ ما رَجَوْتَ، وأَمِنْتَ ما خِفْتَ، وإن أَبَيْتَ فبيننَا وبينك كشفُ الغِطاء، وهول المطلع، فقال هَوْذَةُ: يا سَلِيط سَوَّدَنِي مَنْ لو سَوَّدَكَ شَرُفْتَ به، وقد كان لي رأي اختبر به الأمورَ، ففقدته فموضعه من قلبي هَوَاء، فاجعل لي فُسْحَةً يرجع إليَّ رأيي، فأجيبك به إن شاء الله. قال: ومن شِعْرِ عبدِ الله بن حُذَافَةَ في رسالته إلى كسرى وقدومه عليه:

أبى الله إلاّ أنَّ كَسْرَى فريسةٌ ... لأوَّلِ داعٍ بالعراق مُحَمَّدا
تقاذف في فُحِش الجواب مُصَغَّرًا ... لأمرِ العريب الخَائِضين له الرَّدَى
فقلت له: أَرْوِدْ، فإنك داخل ... من اليوم في البَلْوَى ومُنْتَهَبٌ غَدَا
فأَقْبِلْ وأَدْبِرْ حيث شِئْتَ، فإننا ... لنا المُلْكُ فابْسُط للمُسَالَمة اليَدَا
وإلاّ فأَمْسِكْ قارِعًا سِنَّ نادِمٍ ... أَقَرَّ يذُلُّ الخَرْج أَوْ مُتْ مُوَحِّدا
سَفِهْتَ بِتَمْزِيقِ الكِتابِ، وهذه ... بِتَمْزِيق مُلْكِ الفُرْس يكفي مبددا

مع رسولِ الله ﷺ، وقُتل يوم فِحْل في خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، ويقال: قُتل يوم خَيبر، يُشكّ فيه، وعُمير بن رئاب بن حُذَيفة بن مِهْشم بن سعد بن سهم، قُتل بعَيْن التمر مع خالد بن الوليد، مُنصَرفة من اليمامة، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. أحد عشر رجلاً.

ومن بني عديّ بن كعب بن لُؤَيّ: عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عديّ بن كعب، هَلك بأرض الحبشة، وعديّ بن نَضْلة بن عبد العُزّى بن حُرْثان، هَلك بأرض الحبشة. رجلان.

وقد كان مع عديّ ابنه النُعمان بن عديّ، فقَدِم النعمان مع من قَدِم من المسلمين من أرض الحبشة، فبقي حتى كانت خلافة عمر بن الخطّاب، فاستعمله على مَيْسان، من أرض البَصْرة، فقال أبياتًا من شعر، وهي:

ألا هَلْ أَتَى الحَسْناءَ أنَّ حَليلَها ... بمَيْسان يُسْقَى في زُجاجٍ وحَنْتَم

إذا شِئْتُ غَنَّتْنِي دَهاقِينُ قَرْيةٍ ... ورقَّاصَةٌ تجذُو على كلّ مَنْسِم

فإن كنت نَدْمَانِي فبالأكبر اسقِني ... ولا تَسْقِني بالأصْغَر المُتَثلِّم

لعَلَّ أمِيرَ المُؤمِنينَ يَسُوؤُه ... تَنادُمُنا في الجَوْسَقِ المُتَهَدِّم

وقال هوذة بن علي في شأن سَليط:

أتاني سَليط والحوادثُ جَمَّة ... فقلت لهم: ماذا يقول سَليط؟

فقال التي فيها عَلَيَّ غَضاضَةٌ ... وفيها رَجاءٌ مُطْمِعٌ وقُنُوطُ

فقلت له: غاب الذي كنت أجْتَلِي ... به الأمْرَ عني فالصُّعود هُبُوط

وقد كان لي والله بالغ أمره ... أبا النَّضرِ جَأْشٌ في الأُمُورِ رَبِيطُ

فأَذْهَبَهُ خَوْفُ النبيِّ مُحَمَّدٍ ... فَهَوْذَةُ فَةٌ في الرجال سَقِيط

فأجمع أمري من يَمِين وشَمْأَلِ ... كأني رِدُودٌ للنِّبال لَقِيط

فأذهب ذاك الرأيَ إذ قال قائل ... أتاك رسولٌ للنبيّ خَبِيطُ

رسولُ رسولِ الله راكبُ ناضِح ... عليه من أوْبَارِ الحِجَاز غَبِيط

سكرتَ وَدَبَّتْ في المَفَارِقَ وَسْنَةٌ ... لها نَفَسٌ عالي الفؤاد غَطِيط

أُحاذر منه سَوْرَة هاشِمِيَّةً ... فوارسُها وَسْط الرِّجال عَبِيط

فلا تَعْجَلَنّي يا سَلِيطُ فإننا ... نبادر أمْرًا والقَضَاءُ مُحِيطُ

فلمّا بلغت أبياته عمر، قال: نعم والله، إن ذلك ليسوءني، فمن لقيه فلْيُخبره أني قد عَزَلْته، وعَزَله. فلما قَدِم عليه اعتذر إليه وقال: والله يا أمير المؤمنين، ما صنعت شيئًا ممَّا بلغك أني قلتُه قطّ، ولكني كنت امرأ شاعرًا، وجدت فضلاً من قول، فقلت فيما تقول الشعراء، فقال له عمر: وأيمُ الله، لا تعملُ لي على عمل ما بقيتُ، وقد قلتَ ما قلت.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر: سَلِيط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وهو كان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى هَوْذَةَ بن عليّ الحَنَفي باليمامة. رجل.

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك: عثمان بن عبد غَنم بن زُهير بن أبي شدّاد، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر بن أُميَّة بن ظَرب بن الحارث بن فِهْر، وعِياض بن زُهير بن أبي شدّاد. ثلاثة نفر.

فجميع من تخلَّف عن بَدْر، ولم يَقدم على رسولِ الله ﷺ مكّة، ومن قدِم بعد ذلك، ومن لم يحمل النجاشي في السَّفينتين، أربعة وثلاثون رجلاً.

وهذه تسمية جملة من هَلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة:

من بني عبد شمس بن عبد مناف: عُبيد الله بن جَحْش بن رئاب، حليف بني أُميَّة، مات بها نَصْرانيًا.

ومن بني أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ: عمرو بن أُميَّة بن الحارث بن أسد.

ومن بني جُمح: حاطب بن الحارث، وأخوه حطّاب بن الحارث.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبد الله بن الحارث بن قَيس.

ومن بني عديّ بن كعب بن لُؤَيّ: عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان بن عوف، وعَدِيّ بن نَضْلة. سبعة نفر.

ومن أبنائهم، من بني تَيْم بن مُرّة: موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر. رجل.

وسنذكر بقية إرسال النبيّ ﷺ إلى الملوك، وما قالوا، وما قيل لهم فيما بعد إن شاء الله.

مهاجرات الحبشة:

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء، من قَدِم مِنهنّ ومن هَلك هنالك ستَّ عشرةَ امرأة، سوى بناتهنّ اللاتي وُلدن هنالك، من قَدِم منهنّ ومن هِلك هنالك، ومن خرج به معهنّ حين خَرجن.

من قُريش، من بني هاشم: رُقية بنت رسولِ الله ﷺ.

ومن بني أُميَّة: أمّ حبيبة بنت أبي سُفيان ومعها ابنتُها حَبيبة، خرجت بها من مكّة، ورَجعت بها معها.

ومن بني مخزوم: أُمّ سَلمة بنْت أبي أُميّة، قدمت معها بزينب ابنتها من أبي سَلمة ولدتها هنالك.

ومن بني تَيْم بن مُرّة: رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيلة، هلكت بالطريق، وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك عائشة بنت الحارث وزينب بنت الحارث هَلكن جميعًا، وأخوهنّ موسى بن الحارث، من ماء شربوه في الطريق، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك، فلم يبق من ولدها غيرُها، يقال لها: فاطمة.

ومن بني سَهم بن عمرو: رَمْلة بنت أبي عَوْف بن ضُبيرة.

ومن بني عديّ بن كعب: ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: سودة بنت زَمَعةِ بن قيس، وسهلة بنت سُهَيْل بن عمرو، وابنة المجلِّل، وعمرة بنت السَّعْدي بن وقدان، وأُمّ كُلثوم بنت سُهَيل بن عمرو.

حديث النوم عن الصلاة[1]:

وذكر حديث نوم رسولِ الله ـ ﷺ ـ عن الصلاةَ مَقْفَلَه من خَيْبر، وهذه الرواية أصَحُّ من قول من قال: كان ذلك في غَزَاة حُنَيْنٍ، ومن قال في روايته للحديث كان ذلك عام الحُدَيْبيَة، فليس ذلك بمخالفٍ للرواية الأولى، وأما رواية ابن إسحٰق للحديث عن الزهْرِي عن سَعِيد بن المُسَيّب مُرْسَلاً، فهكذا رواه مالكٌ وأكثرُ أصحاب الزُّهْرِي، ورواه عنه صالح بن أبي الأخْضَرِ، وقال فيه عن أبي هُرَيْرَة: قاله التِّرْمِذِيُّ، وقال أبو داود: قد رواه

---

(١) انظر مسلم (٦٨٠) وأبو داود (٤٣٥/٤٣٦) والترمذي (٣١٦٢) والنسائي (١/ ٢٩٥) وابن ماجة (٦٩٧) ومالك (١/ ١٤).

ومن غرائب العرب: أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان الخَثْعمية، وفاطمة بنت صَفْوان بن أُميَّة بن مُحرِّث الكِنانية، وفُكَيهة بنت يسار، وبركة بنت يسار، وحَسِنة، أُمّ شُرَحبيل ابن حَسنة.

وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة.

ومن بني هاشم: عبدُ الله بنَ جعفر بن أبي طالب.

ومن بني عبد شَمس: محمد بن أبي حُذَيفة، وسعيد بن خالد بن سَعِيد، وأخته أمَة بنت خالَد.

ومن بني مخزوم: زينب بنت أبي سَلمة بن الأسد

ومن بني زهرة: عبد الله بن المُطَّلب بن أزْهر.

ومن بني تَيْم: موسى بن الحارث بن خالد، وأخواته عائشة بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث.

الرجال منهم خمسة: عبد الله بن جَعفر، ومحمد بن أبي حُذَيفة، وسعِيد بن خالد، وعبد الله بن المطَّلب، وموسى بن الحارث.

ومن النساء خمس: أمة بنت خالد، وزينب بنت أبي سَلمة، وعائشة وزينب وفاطمة، بنات الحارث بن خالد بن صخر.

أيضًا عن الزُهْرِي مُسْنَدًا يونسُ بن يزيد ومَعْمَرٌ من طريق أبان العطار عن مَعْمرِ عنه، وكذلك رواه الأوْزَاعِيّ مُسْنَدًا أيضًا، وذكر فيه هو وأبان العَطَّار أنه أذَّن، وأقام في تلك الصلاةِ حين خرج من الوادي، ولم يذكر الأذانَ من رُواة الحديث إلاّ قليل.

عمرة القضاء

في ذي القعدة سنة سبع

قال ابن إسحٰق: فلما رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة من عمير، أقام بها شهري ربيع وجُمادَيَيْن ورجبًا وشعبان ورمضان وشوّالاً، يبعث فيما بين ذلك في غزوه وسراياه ﷺ. ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمرًا عُمرة القضاء، مكان عمرته التي صدّوه عنها.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عُويف بن الأضبط الدّيلي.

ويقال لها عمرة القِصاص، لأنهم صدّوا رسولَ الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ستّ، فاقتصّ رسولُ الله ﷺ منهم، فدخل مكّة في ذي القعدة، في الشهر الحرام الذي صدّوه فيه، من سنة سبع.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله في ذلك: ﴿والحُرُماتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤].

عمرة القضية(١)

ويُروٰى أيضًا: عُمْرَة القضاء، ويقال لها: عُمْرة القِصَاص، وهذا الاسمُ أولى بها لقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الحَرَامُ بالشَّهْرِ الحَرَامِ والحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤] وهذه الآيةُ فيها نزلت، فهذا الاسم أولى بها، وسمّيت عُمْرَة القَضَاءِ، لأن النبيّ ﷺ قاضى قُريشًا عليها، لا

---

(١) انظر البداية (٤/ ٢٢٦) الطبري (٣/ ١٠٠) الطبقات (٢/ ١/ ٨٧) الكامل (٢/ ١٠٦) المنتظم (٣/ ٣٠٤) الاكتفاء (٢/ ٢٧٢) الواقدي (٢/ ٧٣١) أنساب الأشراف (١/ ١٦٩) ابن حزم (٢٦٣) الزاد (٣/ ٣٧٠) وانظر البخاري (٥/ ١٤١).

قال ابن إسحٰق: وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه في عُمرته تلك، وهي سنة سبع، فلما سمع به أهلُ مكّة خرجوا عنه، وتحدّثت قُريش بينها أن محمدًا وأصحابه في عُسرة وجَهد وشدّة.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني من لا أتّهم، عن ابن عبّاس، قال: صَفّوا له عند دار النَّدوة ليَنْظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسولُ الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه، وأخرج عَضُدَه اليمنى، ثم قال: «رحم الله امرأً أراهم اليومَ من نفسه قوّةً»، ثم استلم الرُّكن، وخرج يُهَرْوِلُ ويُهرول أصحابُه معه، حتى إذا واراهُ البيت منهم، واستلم الركنَ اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطوافٍ، ومشى سائرَها. فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم. وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحَيِّ من قُريش للذي بلغه عنهم، حتى إذا حجّ حِجّة الوداع فلزمها، فمضت السنّة بها.

لأنه قَضى العُمرَةَ التي صُدَّ عن البيت فيها، فإنها لم تك فَسَدَت بصدِّهم عن البيت، بل كانت عُمْرةً تامةً مُتقبَّلة، حتى إنهم حين حَلَقُوا رُؤوسَهم بالحِلِّ احتملتها الريحُ فألقَتْها في الحرم، فهي مَعْدُودَةٌ في عُمَرِ النبيّ - ﷺ - وهي أربع: عُمْرَةُ الحُدَيْبِيَة، وعُمْرَةُ القَضاء، وعُمْرة الجِعِرَّانَة، والعمرةُ التي قرنها مع حَجِّه في حجّة الوداع، فهو أصحّ القولين أنه كان قارنًا في تلك الحجّة وكانت إحدى عُمَرِه عليه السلام في شَوَّال كذلك رَوى عُرْوةُ عن عائشة، وأكثر الروايات أنهن كُنَّ كُلُّهن في ذي القعدة إلاّ التي قَرَن مع حجّه، كذلك رَوى الزُّهريُّ، وانفرد مَعْمَرُ عن الزُّهري بأنه عليه السلام كان قارنًا، وأن عُمَره كُنّ أربعًا بعُمْرَة القِران.

وأما حجّاته عليه السلام فقد رَوى التِّرْمِذِيُّ أنه حَجَّ ثَلَاثَ حجّات ثِنْتَين بمكّة، وواحدةً بالمدينة وهي حجّة الوداع[1]، ولا ينبغي أن يُضاف إليه في الحقيقة إلاّ حجّة الوداع، وإن كان حجّ مع الناس إذ كان بمكّة كما رَوى الترمذي، فلم يكن ذلك الحجّ على سَنَّة الحجّ، وكماله، لأنه كان مغلوبًا على أمره، وكان الحجُّ منقولاً عن وقته، كما تقدّم في أوّل الكتاب، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشّمسيّة، ويؤخّرونه في كل سنة أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا، وهذا هو الذي منع النبيّ - ﷺ - أن يَحُجَّ من المدينة، حتى كانت مكّةُ دارَ إسلام، وقد كان أراد أن يحُجَّ مَقْفَله من تَبُوكَ، وذلك بإثرِ فَتْح مكّة بيسيرٍ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحُجُّون، ويطوفون عُراةً فأخَّر الحجّ، حتى نَبَذَ إلى كُلِّ ذي عَهْدٍ عَهْده، وذلك في

---

(١) أخرجه الترمذي (٨١٥) وابن ماجة (٣٠٧٦).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بنُ أبي بكر: أن رسولَ الله ﷺ حين دخل مكّة في تلك العُمرة دخلها وعبدُ الله بنُ رواحة آخِذٌ بخطام ناقته يقول:

خَلُّوا بني الكُفَّار عن سبيلِه خلُّوا فكلُّ الخَير في رسولِهِ
يا ربِّ إني مُؤمنٌ بقِيلهِ أعْرف حَقَّ اللهِ في قَبْولِه

* * *

نحْنُ قَتَلْناكم على تَأْويلِه كمَا قَتَلْناكم على تنزِيلِه
ضَرْبًا يُزيل الهام عن مَقِيلهِ ويُذْهل الخَليل عن خَليلِه

قال ابن هشام:

نحن قتلناكم على تأويله

السنة التاسعة، ثم حجّ في السنة العاشرة بعد امِّحاء رُسُوم الشرك، وانْحِسَام سَير الجاهلية؛ ولذلك قال في حجّة الوداع: «إن الزمانَ قد استدار كَهَيْئَتِه يومَ خَلَق الله السمٰواتِ والأرضَ»[١].

حكم العُمرة:

والعُمْرَةُ واجبةٌ في قول أكثر العلماء، وهو قول ابن عُمَرَ وابن عباس، وقال الشّعْبِيُّ: ليست بواجبة، وذكر عنه أنه كان يقرؤها: ﴿وأتِمُّوا الحَجَّ والعُمْرَةُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] بالرَّفع لا يعطفها على الحَجِّ. وقال عطاء: هي واجبةٌ إلاّ على أهل مكّة، ويكره مالكٌ أن يَعْتَمِر الرجلُ في العام مرارًا، وهو قول الحَسَنِ وابنِ سِيرين، وجمهورُ العلماء على الإباحة في ذلك، وهو قول عليٍّ وابن عباس وعائشةَ والقاسم بن محمد قالوا: يعتمر الرجلُ في العام ما شاء.

تفسير شعر عمّار:

وذكر قول عبدِ الله بن رَوَاحَةَ وهو آخذٌ بِخِطَامِ ناقةِ رسول الله ﷺ:

خَلُّوا بَني الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِه
نحن قَتَلْنَاكُمْ على تأويله كما قَتَلْنَاكُم على تَنْزِيلِه[٢]

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٨٣) ومسلم في القسامة (٢٩) وأبو داود (١٩٤٧ـ بتحقيقي) وأحمد (٥/ ٣٧) والبيهقي (٥/ ١٦٦).
(٢) انظر الفتح (٧/ ٣٨٤).

إلى آخر الأبيات، لعمَّار بن ياسِر في غير هذا اليوم، والدليل على ذلك أن ابنَ رَوَاحةَ إنما أراد المُشركين، والمُشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل، وإنما يُقْتل على التأويل من أقرّ بالتنزيل.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبانُ بن صالح وعبد الله بن أبي نَجيح، عن عطاء بن أبي رباح ومجاهدٍ أبي الحجاج، عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ تزوّج ميمونةَ بنتَ الحارث في سفره ذلك وهو حَرَام، وكان الذي زوَّجه إيَّاها العبَّاس بن عبد المُطَّلب.

قال ابن هشام: وكانت جعلت أمرَها إلى أختِها أُمّ الفَضْل، وكانت أُمُّ الفضل تحت العبَّاس، فجعلت أُمُّ الفضل أمرَها إلى العباس، فزوّجها رسولَ الله ﷺ بمكّة، وأصدَقها عن رسول الله ﷺ أربع مائة درهَم.

قال ابن إسحٰق: فأقام رسولُ الله ﷺ بمكّة ثلاثًا، فأتاه حُوَيْطِبُ بنُ عبد العُزّى بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل، في نفر من قُريش، في اليوم الثالث، وكانت قُرَيش قد وكَّلته بإخراج رسولِ الله ﷺ من مكّة؛ فقالوا له: إنَّه قد انقضى أجلُك، فاخرج عنّا؛ فقال النبيُّ ﷺ: «وما عليك لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، وصنعنا

ويُروى اليوم نَضْرِبْكُمُ على تأويله بسكون الباء، وهو جائز في الضرورة نحو قول امْرِئِ القَيْسِ:

فـالـيـوم أَشْـرَبْ غَـيْـرَ مُـسْـتَـحْـقِـبِ

ولا يبعد أن يكون جائزًا في الكلام إذا اتّصل بضمير الجمع، فقد رُوي عن ابن عَمْرٍو أنه كان يقرأ ﴿يأمُرْكُم ويَنْصُرْكُم﴾ وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر، كما قال ابنُ هشام، قالهما يوم صِفّين، وهو اليوم الذي قُتِل فيه عمارُ، قتله أبو الغادية الفَزَارِيّ وابنُ جَزْءٍ اشتركا فيه.

حكـم الزواج للمحـرم[1]:

فصل: وذكر تزوُّجَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ لميْمُونة بنتِ الحارث الهِلاَلِيّة، وأُمُّها هِنْدُ بنتُ عَوْفٍ الكِنَانِيّة إلى آخر قصّتها، وفيه أن «حُوَيْطِبَ بن عَبْدِ العُزّى، قال للنبيّ ﷺ في اليوم الثالث: أَخْرُجْ عنا، وقد كان أراد أن يَبْتَنِي بميْمُونَةَ في مكّة، ويصنَع لهم طعامًا، فقال له

---

(١) انظر البخاري (٧/ ٣٩٢) ومسلم (١٤١٠) وأبو داود (١٨٤٤) والترمذي (٨٤٢) والنسائي (٥/ ١٩١) وانظر الزاد (٣/ ٣٧٢).

لكم طعامًا فحضرتموه؟» قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فاخرج عنا. فخرج رسولُ الله ﷺ، وخلّف أبا رافع مولاه على ميمونة، أتاه بها بسَرِفٍ، فبنى بها رسولُ الله ﷺ هنالك، ثم انصرف رسولُ الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة.

حُوَيْطِبٌ: لا حاجة لنا بطعامك فاخْرُجْ عنا، فقال له سعد: يا عَاضًا بِبَظْرِ أُمِّه أَرْضُك وأُرْض أُمِّك؟ هي دونه؟! فأسكته النبيُّ ﷺ، وخرج وفاءً لهم بشَرْطِهِمْ، وابْتَنَى بها بِسَرِفٍ، وبسَرِفٍ[1]، كانت وفاتُها رضي الله عنها حين ماتت، وذلك سنة ثَلاَثٍ وستين، وقيل: سَنَة سِتٍّ وستين، وصلّى عليها ابنُ عباس، ويزيدُ بن الأصم، وكلاهما ابنُ أُختٍ لها، ويقال: فيها نزلت: ﴿وامرأةً مُؤمنة إنْ وهَبَتْ نفسَها للنبيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] في أحد الأقوال، وذلك أن الخاطب جاءها، وهي على بَعِيرها، فقالت: البعيرُ وما عليه لرسولِ اللهِ ﷺ. واختلف الناسُ في تزويجه إيَّاها أكان مُحْرِمًا أم حَلاَلاً، فرَوى ابنُ عبَّاس أنه تزوّجها مُحْرِمًا، واحتجّ به أهلُ العِراق في تجويز نكاح المُحْرِمِ، وخالفهم أهلُ الحِجاز، واحتجّوا بنهيه عليه السلام عن أن «يُنْكِح المُحْرِمُ أو يَنْكِح»، وزاد بعضُهم فيه: أو يَخْطُب[2] من رواية مَالِكٍ، وعارضوا حديث ابنِ عَبَّاسٍ بحديث يزيد بن الأصَمّ أن النبيَّ ﷺ تزوّج مَيْمُونَة وهو حَلاَل[3] وخرّج الدَّارَقُطْنِيُّ والتِّرمِذي أيضًا من طريق أبي رافع أن النبيّ ﷺ تزوّج مَيْمُونَةَ، وهو حَلاَلٌ[4]. ورَوى الدَّارَقُطْنِيُّ من طريقٍ ضعيف عن أبي هُرَيْرَة أنه تزوّجها وهو مُحْرم كرواية ابن عباس. وفي مسند البَزَّار من حديث مَسْرُوقٍ وعائشةَ رضي الله عنها، قالت: «تزوّج رسولُ الله ﷺ - وهو مُحْرِمٌ، واحْتَجَمَ، وهو مُحْرِمٌ»[5]، وإن لم تذكر في هذا الحديث مَيْمُونة، فنكاحها أرادت، وهو حديث غريب، وخرج البخاري حديث ابن عباس، ولم يعلّله هو، ولا غيره، ورُوي عن سعيد بن المسيّب أنه قال: غلط ابن عباس أو قال وَهِم، ما تَزَوَّجها النبيّ ﷺ إلاَّ وهو حَلاَلٌ[6]، ولما أجمعوا عن ابن عَبَّاس أن النبيَّ - ﷺ - تزوّجها مُحْرمًا، ولم ينقل عنه أحدٌ من المحدِّثين غير ذلك استغربتُ استغرابًا شديدًا ما رواه الدَّارَقطني في السُّنَنِ من طريق أَبي الأسودِ يتيم عُرْوَةَ، ومن طريق مَطَر الوَرَّاق عن عِكْرِمَةَ عن ابن عَبَّاسٍ أن النبيّ ﷺ تزوَّج مَيْمُونَةَ، وهو حَلاَلٌ، فهذه الروايةُ عنه موافقةٌ لرواية غيره، فقف عليها، فإنها غريبة عن ابن عباس، وقد كان من شيوخِنا رحمهم الله مَنْ يتأوَّل قول ابنِ عبَّاسٍ: تزوّجها مُحْرِمًا، أي:

---

(١) انظر الخبر في الطبقات (٢/ ١٢٠/ ١٢٣) وشرح المواهب (٢/ ٢٥٣).
(٢) أخرجه مسلم (١٤٠٩) وأبو داود (١٨٤١) والترمذي (٨٤٠) والنسائي (٥/ ٢٩٢) وابن ماجة (١٩٦٦).
(٣) أخرجه الترمذي (٨٤١) وأحمد (٦/ ٣٩٣). (٤) أخرجه الدارقطني (٢/ ٣١٣).
(٥) أخرجه البخاري (٢/ ١٦٧).
(٦) أثر سعيد بن المسيّب عند أبي داود (١٨٤٥) بتحقيقي.

قال ابن هشام: فأنزل الله عزّ وجلّ عليه، فيما حدّثني أبو عبيدة: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَه الرُّؤيا بالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقين رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تخافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني خيبر.

في الشهر الحرام، وفي البلد الحرام، وذلك أن ابنَ عباس رجلٌ عربي فصيح، فتكلّم بكلام العرب، ولم يُرِدِ الإحرام بالحجّ، وقد قال الشاعر:

قَتَلوا ابنَ عَفَّان الخَليفَةَ مُحْرِمًا ... ودَعا فلم أرَ مِثْلَه مَخْذُولاَ

وذلك أن قتله كان في أيّام التشريق، والله أعلم أأراد ذلك ابنُ عباس، أو لا.

ذكر غزوة مؤتة

في جمادى الأولى سنة ثمان، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة.

قال ابن إسحٰق: فأقام بها بقيَّة ذي الحجَّة ووَلِيَ تلك الحجَّة المشركون، والمحرّم وصفرًا وشهري ربيع، وبعث في جمادى الأولى بعْثَه إلى الشام الذين أُصيبوا بمُؤتة.

قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسولُ الله ﷺ بعْثَه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيدَ بن حارثة وقال: إنْ أُصيب زيد فجعفرُ بن أبي طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.

فتجهّز الناسُ ثم تَهيَّئُوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجُهم ودَّع الناسُ أُمراءَ رسولِ الله ﷺ وسلَّموا عليهم. فلما ودّع عبدُ الله بنُ رواحة من ودّع من

غـزوة مـؤتـة[1]

وهي مهموزة الواو، وهي قرية من أرض البَلْقَاءِ من الشام، وأما المُوتة بلا هِمْزٍ، فضَرْبٌ من الجُنُونِ، وفي الحديث أن النبيّ - ﷺ - كان يقول في صلاته: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من هِمْزِه ونَفَخِه ونَفْثِه»[2]. وفسّره راوي الحديث، فقال: «نَفْثُه: الشّعرُ، ونفخُه: الكِبْر، وهَمْزُه: المُوتَةُ».

(١) انظر البداية (٤/٢٤١) الطبري (٣/٣٦) الطبقات (١/٢/٩٢) المنتظم (٣/٣١٨) الواقدي (٢/٧٥٥) الاكتفاء (٢/٢٧٥) الواقدي (٢/٧٥٥) الزاد (٣/٣٨١) ابن سيّد الناس (٢/١٥٣) شرح المواهب (٢/٢٦٧) البخاري (٧/٣٩٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٤٤) وابن حبان (٤٤٣ - موارد) وعبد الرزّاق (٢٥٨٩).

أُمراء رسول الله ﷺ بكى؛ فقالوا: ما يُبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أَمَا والله ما بي حُبُّ الدنيا ولا صَبابة بكم، ولكني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ، يذكر فيها النار ﴿وإنْ مِنكُمْ إلاَّ وَارِدُها كانَ على رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فلستُ أدري كيف لي بالصَّدَر بعد الورود، فقال المسلمون: صَحِبَكم الله ودفع عنكم، وردَّكم إلينا صالحين؛ فقال عبدُ الله بن رواحة:

لكنَّني أسألُ الرَّحمـٰنَ مَغْفرةً — وضربة ذات فَرْغٍ تقذفُ الزَّبَدَا

أو طَعْنَةً بيَدَيْ حَرّانَ مُجْهِزَةً — بحَرْبة تُنْفِذ الأحشاءَ والكَبِدا

حتى يُقال إذا مَرُّوا على جَدثي — أرشدَه الله من غازٍ وقد رَشَدَا

قال ابن إسحٰق: ثم إن القوم تهيَّئوا للخروج، فأتى عبدُ الله بن رواحة رسولَ الله ﷺ فودّعه، ثم قال:

فثبَّتَ الله ما آتاك من حَسَنٍ — تَثْبيتَ موسى ونَصْرًا كالذي نُصروا

إني تفرَّستُ فيكَ الخيرَ نافِلةً — الله يعلم أني ثابتُ البَصَر

أنتَ الرَّسُول فمَن يُحرَم نَوافلَه — والوجْهُ منه فقد أزرى به القَدرُ

تفسير ﴿وإن منكم إلاّ واردها﴾:

ذكر في هذه الغزوة قول عبدِ الله بن رَوَاحَةَ حين ذكر قول الله تعالى: ﴿وإنْ منكم إلاَّ وَارِدُها﴾ [مريم: ٧١] فلست أدري كيف لي بالصَّدَرَ بعد الوُرُودِ، وقد تكلّم العلماء فيها بأقوال، منها أن الخطاب متوجِّه إلى الكفّار على الخصوص، واحتجّ قائلوا هذه المقالة بقراءة ابن عباس: وإن منهم إلاّ واردها، وقالت طائفة: الورود هُنا هو الإشراف عليها ومُعَايَنَتها، وحَكَوْا عن العرب: ورَدْتُ الماءَ، فلم أشرب. وقالت طائفة: الورود ههنا هو المُرورُ على الصِّراط، لأنه على مَتْنِ جَهنَّمَ أعاذنا الله منها، ورُوِي أن الله تَبارَك وتَعَالى يجمع الأوَّلين والآخرين فيها، ثم ينادي مناد: خذِي أَصحابَك ودَعِي أصحابي، وقالت طائفة: الورود أن يأخذ العبدُ بخطٍّ منها، وقد يكون ذلك في الدنيا بالحُمِّيَّاتِ، فإن النبيّ ﷺ، قال: «الحُمّى كِيرٌ من جَهنَّم، وهو حَظُّ كل مؤمنٍ من النار»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٢) والبخاري في التاريخ (٧/ ٦٣) والطحاوي في المشكل (٣/ ٦٨) والبيهقي في الآداب (٩٥٠ ـ بتحقيقي). وقيل إن الورود هو: الإشراف فقط وليس الدخول فيها ـ تحلة القسم ـ كما في قوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾. فموسى عليه السلام لم يدخل في الماء أو البئر، وإنما أشرف على ماء مدين..

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات:

أنتَ الرَّسولُ فمَن يُحرَم نوافِلَه والوَجْهَ منهُ فقَد أزْرَى به القَدَرُ
فثبَّت الله ما آتاك مِن حَسَنٍ في المرسلين ونصرًا كالذي نُصِرُوا
إني تفرَّست فيك الخير نافلةً فراسةً خالفتْ فيكَ الذي نظروا

يعني المشركين؛ وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: ثم خرج القومُ، وخرج رسولُ الله ﷺ، حتى إذا ودَّعهم وانصرف عنهم، قال عبد الله بن رواحة:

خَلَفَ السَّلامُ على امْرِىء ودّعته في النَّخْلِ خيرَ مُشَيِّع وخليلِ

ثم مضوا حتى نزلوا مَعان، من أرض الشام، فبلغ الناسُ أن هرقلَ قد نَزل مآب، من أرض البلقاء، في مِائةِ ألف من الرّوم، وانضمّ إليهم من لخم وجُذام والقَيْن وبَهْراء وَبِليّ مائة ألف منهم، عليهم رجل من بليّ ثم أحدُ إرَاشة، يقال له: مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتين يفكّرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسولِ الله ﷺ، فنخبرُه بعدد عدوّنا، فإما أن يمُدّنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له.

قال: فشجَّع الناسَ عبدُ الله بنُ رواحة، وقال: يا قوم، والله إن التي تكرهون، للّتِي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة لا كثرة، ما نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلِقُوا فإنما هي إحْدَى الحُسنيين، إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابنُ رواحة. فمضى الناسُ، فقال عبد الله بن رواحة في مَحْبسهم ذلك:

جلبنا الخَيلَ من أَجَإٍ وفَرْعٍ تُغَرُّ مِن الحَشيش لها العُكُومُ

شرح شعر ابن رواحة:

وذكر شِعر عبدِ الله بن رَواحَةَ وفيه:

تقرّ من الحشيش لها العُكُوم

تقرّ: أي يجمع بعضها إلى بعض، والعُكوم: جمع عِكْم[1].

---

(١) العكوم: ما شُدّ وجمع به.

حَـذَوْنـاهـا مِـنَ الـصَّـوَّان سِبْـتًـا	أزلّ كــأنّ صَـفْـحَـتَـه أدِيـمُ
أقـامَـت لَـيـلَـتَـيْـن عـلـى مَـعَـانٍ	فـأعْـقـبَ بـعـدَ فـتـرتـهـا جُـمُـومُ
فـرُحْـنـا والـجِـيـاد مُـسَـوَّمـات	تَـنَـفَّـسُ فـي مَـنـاخِـرهـا الـسَّـمُـومُ
فَـلا وأبـي مـآبَ لَـنَـأْتِـيَـنْـهـا	وإن كـانـت بـهـا عَـربٌ ورُومُ
فَـعَـبَّـأْنـا أعِـنَّـتَـهـا فَـجـاءَتْ	عَـوابـسَ والـغُـبـارُ لَـهَـا بَـرِيـم
بـذي لَـجَـبٍ[1] كـأنّ الـبَـيْـضَ فـيـه	إذا بَـررتْ قـوانِـسُـهـا[2] الـنُّـجُـومُ
فَـرَاضِـيَـةُ الـمَـعِـيـشَـةِ طَـلَّـقَـتْـهـا	أسـنَّـتـهـا فـتَـنْـكِـحُ أو تَـئِـيـمُ[3]

وفيـه:

مـن الـغـبـار لـهـا بـريـم

البريمُ: خيطٌ تَحتَزِمُ به المرأةُ، والبريم أيضًا: لفيفُ الناسِ، وأخلاطُهم، ويقال: هم بَرِيمَانِ، أي: لَوْنَان مُخْتَلطَان.

وفيـه:

أقـامـتْ لَـيْـلَـتَـيْـنِ عـلـى مَـعَـانِ

قال الشيخ أبو بحر: مُعَان بضم الميم، وجدته في الأصلين، وأصلحه علينا القاضي ـ رحمه الله ـ حين السماع: مَعان بفتح الميم، وهو اسم مَوْضع، وذكره البكري بضم الميم، وقال: هو اسم جَبَلٍ، والمَعان أيضًا: حيث تُحْبَس الخيل والركاب، ويجتمع الناس، ويجوز أن يكون من أَمْعَنْتُ النظر، أو من الماء المَعِين، فيكون وزنُه فَعَالاً، ويجوز أن يكون من العَوْن، فيكون وزنه مَفْعَلا، وقد جَنَّس المَعَرِّي بهذه الكلمة، فقال:

مَـعَـانٌ مـن أَحِـبَّـتِـنـا مَـعَـانُ	تُـجِـيـبُ الـصـاهـلاتِ بـهـا الـقِـيـانِ

وقـولـه:

فَـرَاضِـيـةُ الـمَـعِـيـشَـةِ طَـلَّـقَـتْـهـا

أي: المعيشة المَرْضِيَّة، وبناها على فاعلة، لأن أهلَها راضُون، لأنها في معنى صَالِحة، وقد تقدّم طَرَفٌ من القول في هذا المعنى.

---

(١) لجب: طريق واسع.
(٢) قوانسها: أعلى بيضات الدروع.
(٣) تئيم: تقتل الرجال.

قال ابن هشام: «ويُروى: جلبنا الخيل من آجام قُرح»، وقوله: «فعبأنا أعنّتها» عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: ثم مضى الناسُ، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدِّث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مُرْدِفي على حَقيبةِ رَحْله، فوالله إنه ليسير ليلةً إذا سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أدَّيْتني وحملتِ رَحْلي ... مسيرةَ أربعٍ بعدَ الحِساء

فشأنُك أنعُمٌ وخلاكِ ذمّ ... ولا أرجعْ إلى أهلي ورائي

وجاء المُسلمونَ وغادَروني ... بأرض الشام مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ

وردّك كلُّ ذي نسب قريب ... إلى الرحمٰن مُنْقطعَ الإخاء

هنالك لا أبالي طَلْعَ بَعْلٍ ... ولا نَخْلٍ أسافلُها رِوَاء

وقوله: وخَلاَكَ ذَمٌ، أي: فارقك الذَّمُّ، فلست بأهل له، وقد أحسن في قوله:

فَشأنُكِ أَنْعُمٌ وخَلاَكَ ذَمٌّ

بعد قوله: إذا بَلَّغتِني، وأحسن أيضًا مَن اتَّبعه في هذا المعنى، كقول أبي نُواس:

وإذا المَطِيُّ بنا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا ... فَظُهُورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرَامُ

وكقول الآخر[(١)]:

نَجَوْتِ من حَلٍّ ومن رِحْلَةٍ ... يا نَاقُ إن قَرَّبْتِنِي من قُثَمْ

وقد أساء الشَّمَّاخُ حيث يقول:

إذا بلَّغتِني وحَمَلْتِ رَحْلِي ... عَرَابَةَ فاشْرَقِي بدمِ الوَتِين

ويذكر عن الحَسَنِ بن هَانىءٍ أنه كان يَشْنَؤُه إذ ذكر هذا البيت، وذكر مُهَلْهِلُ بن يَمُوت بن المزرع عن أبي تَمَّامٍ أنه قال: كان الحسن يَشْنَؤُ الشَّمَّاخ، وأنا ألعنُه من أجل قوله هذا.

وقول النبيّ ﷺ للغِفَارِيَّة: بئس ما جَزَيْتِيها يَشُدُّ الغرضَ المُتَقَدِّم، ويشهد لصحّته.

وقوله: مستنهي الثَّوَاء: مُسْتَفْعِل من النِّهاية والانتهاء، أي: حيث انتهى مَثْوَاهُ، ومن رواه: مُشْتَهِيَ الثَّواء، أي: لا أريد رجوعًا.

---

(١) هو داود بن سليم التميمي. انظر الأمالي للقالي (٢/ ١٢٩).

فلما سمعتُهنّ منه بكيت. قال: فخَفَقَني بالدِّرَّةِ، وقال: ما عليك يا لُكَع أن يرزقني الله شهادةً وترجع بين شُعْبتي الرَّحْل!

قال: ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز:

يـا زيـدُ زيـدَ الـيَـعْـمَـلات الـذُّبَّـلِ   تـطـاول الَّـلـيـلُ هُـدِيـتَ فـانـزِلِ

لقـاء الـرّوم:

قال ابن إسحٰق: فمضى الناسُ، حتى إذا كانوا بتُخوم البَلْقاء لقيتْهم جموع هِرَقْل، من الرّوم والعرب، بقرية من قُرى البلقاء يقال لها: مَشارف، ثم دنا العدوّ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناسُ عندها، فتعبَّأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذرة، يقال له: قُطْبة بنُ قَتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عُباية بن مالك.

قال ابن هشام: ويقال: عُبادة بنُ مالك.

وقـولـه:

حَـذَوْنَـاهَـا مـن الـصَّـوَّان سِـبْـتًـا

أي: حَذَوْنَاهَا نِعَالاً من حَدِيد جَعَلَه سِبْتًا لها، مَجَازًا[1]. وصَوَّان من الصَّوْن، أي: يصون حَوافِرَها، أو أخفافها، إن أراد الإبِلَ، فهو فَعَّال من الصَّون، فقد كانوا يَحْذُونَها السَّرِيحَ وهو جلد يصون أخفافَها، وأظهر من هذا أن يكونَ أراد بالصَّوَّان يَبِيس الأرض، أي: لا سِبْتَ له إلاّ ذلك، ووزنه فَعَلان من قولهم: نَخْلَةٌ خَاوية أي: يابسة، وأنشد أبو علي:

قـد أُوبِـيَـتْ كُـلَّ مـاءٍ فَـهْـيَ صَـاوِيَـةٌ   [مهما تُصِبْ أفقًا من بارق تَشِمِ]

ويشهد لمعنى الصَّوَّان هنا قول النابغة الذُّبْيَاني:

يَـرَى وَقْـعُ الـصَّـوَّانِ حَـدَّ نُـسُـورِهـا   [فَـهُـنَّ لِـطـافٌ كـالـصِّـعَـادِ الـذَّوابِـل]

وعينُ الفِعل في صَوَّان ولامِه واو، وأدخَل صاحبُ العين في باب الصاد والواو والياء هذا اللفظ، فقال: صَوِيَ يَصْوِي: إذا يَبِس، ونَخْلَةٌ صاوِيَةٌ، ولو كان مما لامه ياء، لقيل: في صَوَّان صَيَّان، كما قيل: طَيَّان وريَّان، ولكن لما انقلبت الواوُ ياءً من أجلِ الكَسْرة تَوَهَّم الحرفَ من ذَوَاتِ الياء.

---

(١) سبتًا لها: يعني النعال السبتية، وهي نعال تُصنع من الجلد المدبوغ.

مقتـل ابن حارثـة:

قال ابن إسحٰق: ثم التقى الناسُ واقتتلوا، فقاتلَ زيدُ بن حارثة براية رسولِ الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم.

إمارة جعفر ومقتله

ثم أخذها جعفر فقاتل بها. حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء، فَعَقَرها، ثم قاتَل القوم حتى قُتِل. فكان جعفرُ أوّلَ رجل من المسلمين عَقَر في الإسلام.

وحدّثني يحيىٰ بن عبَّاد بن عبد الله بن الزّبير، عن أبيه عبَّاد، قال: حدّثني أبيَ الذي أرضعني، وكان أحد بني مُرّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مُؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحَمَ عن فَرس له شقراءَ، ثم عَقرها ثم قاتَل حتى قُتل وهو يقول:

يـا حبّـذا الـجنّـةُ واقـترابُـهـا ... طَـيِّـبَـةً وبـاردًا شـرابُـهـا
والـرُّومُ رومٌ قـد دَنـا عـذابُـهـا ... كـافـرةٌ بـعـيـدةٌ أنـسـابُـهـا
عـلـيَّ إن لاقـيـتُـهـا ضِـرابُـهـا

وقـول عبـد الله:

هَـلْ أنـت إلاّ نُـطْـفَـةٌ فـي شَـنَّـةِ

النُّطْفَةُ: القليلُ في الماءِ، والشَّنَةُ: السّقَاءُ البالي، فيُوشِكُ أنْ تُهراقَ النُّطْفَةُ، ويَنْخَرِق السّقَاءُ، ضَرَب ذلك مَثَلاً لنفسِه في جَسَدِه.

عقر جعفر فرسه ومقتله

وأما عَقْرُ جَعْفَرٍ فرسَه، ولم يَعِبْ ذلك عليه أحدٌ، فدلّ على جواز ذلك إذا خِيف أن يأخذها العَدُوُّ، فيقاتل عليها المسلمين، فلم يَدخُل هذا في باب النَّهْيِ عن تعذيب البهائم، وقعِلها عَبَثًا غير أن أبا دَاوُدِ خَرَّج هذا الحديثَ، فقال: حدّثنا النُّفَيْلي قال: حدّثنا محمد بن مَسْلَمَةَ عن محمد بن إسحٰق عن ابن عَبَّاد يعني: يحيىٰ بن عَبَّاد عن أبيه عَبَّاد بن عَبْدِ الله بن الزُّبَيْر، قال: حدّثني أبي الذي أَرْضَعَني، وهو أحد بني مُرَّة بن عَوف، وكان في تلك الغَزَاةِ غَزَاةِ مُؤتة، قال: «والله لكأني أنظر إلى جَعْفَرٍ حين اقْتَحَم عَنْ فَرَسٍ له شَقْرَاءَ فَعقَرها، ثم قاتل القومَ حتى قُتِل»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٧٣) والبيهقي في الكبرى (٩/ ٨٧) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١١٨).

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل العلم أن جعفرَ بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطِعت، فأخذه بشماله فقُطعت، فاحتضنه بعَضُدَيه حتى قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنّة يطير بهما حيث شاء. ويقال: إن رجلاً من الرُّوم ضربه يومئذ ضربة، فقطعه بنصفين.

قال أبو داود: وليس هذا الحديثُ بالقوي، وقد جاء فيه نَهْيٌ كثيرٌ عن أصحاب النبيّ ﷺ.

وذكر قول النبيّ ﷺ في جعفر: «فأثابه الله بذلك جَنَاجَين في الجنّة بطير بهما حيث شاء»[1]. ورَوَى عِكْرَمةُ عن ابن عَبَّاس أنَّ النبيّ ﷺ عليه وقال: «دخلتُ الجنّة البارِحَة، فرأيتُ جعفرًا يطير مع الملائكة، وجناحاه مُضَرَّجَان بِالدَّم»[2]. وعن سَعِيد بن المُسَيِّب، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مُثّل لي جَعْفَرٌ وزيدٌ وعبدُ الله بن رَوَاحَة في خيمة من درّ على أَسِرَّةٍ، فرأيت زيدًا وعبدَ الله وفي أعناقِهما صُدُودٌ، ورأيت جعفرًا مستقيمًا. فقيل لي: إنهما حين غَشِيَهُما الموتُ أعرضا بوجوههما، ومضى جعفر، فلم يُعْرض»[3]، وسمع النبيّ - ﷺ - فاطمة حين جاء نعيُ جعفر تقول: واعَمَّاهُ، فقال: على مِثْلِ جَعْفَرٍ، فَلْتَبْكِ البواكي. وكان أبو هريرة يقول: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا بعد رسولِ الله ﷺ أفضلُ من جَعْفَرٍ. وقال عبد الله بن جعفر: كنت إذا سألت عليًّا حاجةً، فمنعني أُقْسِم عليه بحَقِّ جَعْفَرٍ فيعطيني[4].

معنى الجناحين:

ومما ينبغي الوقوفُ عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يَسْبِق إلى الوهم على مثل جَنَاحَيْ الطائِر وريشه، لأن الصورة الآدمية أشرفُ الصُّوَرِ، وأكملُها، وفي قوله عليه السلام: «إن الله خَلَقَ آدمَ على صُورَته»[5] تشريفٌ له عظيمٌ، وحاشا للهِ من التشبيه والتمثيل، ولكنها عبارةٌ عن صِفَةٍ مَلَكيّة وقوة رُوحانية، أُعْطِيَها جعفرُ كما أُعْطِيَتْها الملائكةُ، وقد قال الله تعالى

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢١٠).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٦) والطبراني (٢/ ١٠٦) والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩٥٦٢) عن سعيد بن المسيّب مرسلاً. وفيه ابن جدعان وهو ضعيف.

(٤) من المقرّر في عقيدة المسلم أن من حلف بغير الله فقد أشرك، وعليه فلا يجوز أن يحلف المسلم فيقول مثلاً: بحق فلان عليك، أو بحق ما بيننا من أخوّة وما شابه ذلك، وعليه فلا تصحّ هذه الرواية عن علي أو عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه مسلم في البرّ والصلة (١١٥) وأحمد (٢/ ٢٤٤) والحميدي (١١٢٠). وانظر الفتح (١١/ ٣).

استشهاد جعفر وابن رواحة:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزّبير، عن أبيه عبَّاد قال: حدّثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مُرّة بن عوف، قال: فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحة الراية، ثم تقدّم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردّد بعض التردّد، ثم قال:

أقْسَمْتُ يا نفسُ لَتَنْزِلِنَّهْ ... لَتَنْزِلِنَّ أوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
إن أجْلَبَ الناسُ وشدّوا الرَّنَّهْ ... ما لي أراكِ تَكرهين الجَنَّهْ
قد طالَ ما قد كنتِ مُطمئنهْ ... هل أنتِ إلا نُطْفةٌ في شَنَّهْ

لموسى: ﴿اضْمُمْ يَدَكَ إلى جَنَاحِكَ﴾ [طٰه: ٣٣] فعبّر عن العُضُدِ بالجَنَاحِ توسُّعًا، وليس ثُمَّ طيرانٌ، فكيف بمن أُعْطِي القوةَ على الطيران مع الملائكةِ أَخْلِقْ به إذًا: أن يُوصَفَ بالجناح مع كمَالَ الصورة الآدميّة وتمام الجَوارح البَشَريّة، وقد قال أهلُ العلم في أجنحةِ الملائكةِ ليست كما يُتَوَهَّمُ من أجنحَةِ الطَّيْر، ولكنها صفاتٌ مَلَكِيَّةٌ لا تُفْهَم إلاّ بالمُعَايَنَةِ، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ﴾ [فاطر: ١] فكيف تكون كأجنحة الطَّيْرِ على هذا، ولم يُرَ طائرٌ له ثلاثةُ أجنحةٍ، ولا أربعة، فكيف بستمائة جَنَاح، كما جاء في صِفَة جِبْرِيلَ عليه السلام، فدلّ على أنها صِفَاتٌ لا تَنْضَبطُ كيفيتُها لِلْفِكر، ولاَ وَرَد أيضًا في بيانِها، خبرٌ، فيجب علينا الإيمان بها، ولا يفيدنا علمًا إعْمال الفِكرِ في كَيْفِيَّتها، وكل امرىءٍ قريبٍ من مُعَايَنَةِ ذلك.

فإمّا أنْ يكونَ من الذين «تَتَنَزَّلُ عليهم الملائكةُ أن لا تَخَافُوا ولا تَحْزَنوا وأَبْشِروا بالجنّة التي كنتم توعدون»، وإما أن يكون من الذين تقول لهم الملائكةُ، وهم باسِطوا أيديهم: «أَخْرِجُوا أنفسَكم اليومَ تُجْزَوْنَ عذابَ الهُونِ».

فضل ابن رواحة:

وأما عَبْدُ الله بن رَوَاحَةَ فقد ذكر ابن إسحٰقِ ما ذكر من فضائله.

وذكر قولَه للنبيّ ﷺ:

فثبّت الله ما آتاك من حَسَنٍ ... تثبيت موسى ونَصْرًا كالذي نُصِروا

ورَوى غيره أنه عليه السلام قال له: قل شعرًا تَقْتَضِبُه اقتضابًا، وأنا أنظر إليك، فقال من غير رَوِيَّةٍ:

إني تَفَرَّسْتُ فيك الخيرَ

وقال أيضا:

يا نَفْسُ إلاَّ تُقْتَلي تموتي ... هذا حِمام المَوْت قد صَليتِ

وما تمنَّيتِ فقد أُعْطِيتِ ... إن تفعلي فِعْلهما هُدِيتِ

يريد صاحبيه: زيدًا وجعفرًا؛ ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعَرْق من لحم فقال: شُدّ بهذا صلبَك، فإنك قد لقيتَ في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتَهَس منه نَهْسةً، ثم سمع الحَطْمَة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدّم، فقاتل حتى قُتل.

عمل خالد:

ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بني العَجْلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم، وحاشى بهم، ثم انحاز وانحِيز عنه، حتى انصرف بالناس.

تنبؤ الرسول بما حدث:

قال ابن إسحٰق: ولمَّا أُصيب القوم قال رسولِ الله ﷺ، فيما بلغني: «أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل بها حتى قُتل شهيدًا؛ ثم أخذها جعفرٌ فقاتل بها حتى قُتل شهيدًا»؛ قال: ثم صمت رسولُ الله ﷺ حتى تغيّرت وجوه الأنصار، وظنُّوا أنه قد كان في عَبْدِ الله بن رَوَاحَةَ بعضَ ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبدُ الله بن رواحة، فقاتل بها حتى قُتِل شهيدًا»؛ ثم قال: «لقد رُفِعوا إليّ في الجنَّة، فيما يَرى النائم، على سُرُر من ذهب، فرأيت في سرير عبدِ الله بن رواحة ازْوِرَارًا عن سريري صاحبَيْه، فقلت: عمّ هذا؟ فقيل لي: مَضيا وتردّد عبدُ الله بعض التردّد، ثم مضى».

حزن الرسول على جعفر:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن أُمّ عيسى الخزاعية، عن أُمّ جعفر بنت محمد بن أبي طالب، عن جدّتها أسماء بنت عُميس، قالت: لما أُصِيب جعفرٌ وأصحابُه دخل عليّ رسولُ الله ﷺ، وقد دَبغْتُ أربعين منًا ـ قال ابن هشام: ويُروى:

الأبيات، حتى انتهى إلى قوله:

فثبَّت الله ما آتاكَ من حَسَنِ

فقال له النبيّ ﷺ: «وأنتَ فَثَبَّتَك الله يا ابن رَوَاحَةَ».

أربعين منيئة ـ وعجنت عجيني، وغسلت بنيَّ ودَهنتهم ونظَّفتهم. قالت: فقال لي رسولُ الله ﷺ: «ائتيني ببني جعفر»، قالت: فأتيته بهم، فتشمَّمهم وذَرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمي، ما يُبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم، أُصيبوا هذا اليوم». قالت: فقُمت أصيح، واجتمعتْ إليّ النساء، وخرج رسولُ الله ﷺ إلى أهله، فقال: «لا تُغفِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم»[1].

وحدّثني عبد الرحمٰن بن القاسم بن محمد، عن أبيه، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ، قالت: لما أتى نَعْي جعفر عَرَفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن. قالت: فدخل عليه رجل فقال: يا رسول الله، إن النساء عنَّيْننا وفتنَّنا، قال: «فارجع إليهن فأسْكِتهُن». قالت: فذهب ثم رجع، فقال له مثل ذلك ـ قال: «تقول وربما ضرّ التكلُّف أهله» ـ قالت: قال: فاذهب فأسكِتهُن، فإن أبينَ فاحثُ في أفواههنّ التراب، قالت: وقلت في نفسي: أبعدك الله! فوالله ما تركتَ نفسك وما أنت بمُطيع رسول الله ﷺ قالت: وعرفت أنه لا يقدر على أن يَحْثِي في أفواههن التراب.

قال ابن إسحٰق: وقد كان قُطْبة بن قَتادة العُذْريّ، الذي كان على مَيْمنة المسلمين، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله، فقال قُطبة بن قتادة:

طعنتُ ابنَ رافلةَ بنِ الإرا ... ش برُمح مضَى فيه ثم انحَطَم
ضربْتُ على جيدِهِ ضَرْبَةً ... فمال كما مال غصنُ السَّلَمْ
وسُقْنا نساء بني عمِّه ... غداة رقُوقَيْن[2] سَوْقَ النَّعَمْ

قال ابن هشام: قوله: «ابن الإراش» عن غير ابن إسحٰق.

والبيت الثالث عن خَلاَّد بن قُرة؛ ويقال: مالك بن رافلة.

فضل زيد:

وأما زَيْدٌ فقد تقدّم التعريفُ به وبجُمْلَةٍ من فضائله في أحاديثِ المَبْعَثِ، وحَسْبُك بذكرِ الله له باسمه في القرآن، ولم يُذكر أحدٌ من الصَّحابَةَ باسمِه سواه، وقد بيّنّا النُّكتَة في ذلك في كتاب التَّعْريفِ والأعلام، فَليُنظَر هنالك.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٠) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٣٧٠).
(٢) رقوقين: أي سبايا.

كاهنة حدس:

قال ابن إسحٰق: وقد كانت كاهنةٌ من حَدَس حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً، قد قالت لقومها من حَدَس ـ وقومُها بطن يقال لهم: بنو غَنْم ـ أُنذركم قومًا خُزْرًا ـ ينظرون شَزْرًا، ويقودون الخيل تَتْرى، ويُهرِيقون دمًا عَكْرًا. فأخذوا بقولها، واعتزلوا من بين لخم؛ فلم تزل بعدُ أثري حدَس. وكان الذين صَلُّوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة، بطن من حدَس، فلم يزالوا قليلاً بعدُ. فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً.

كيف تلقى الجيش؟!

قال ابن إسحٰق: فحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزّبير، قال: لما دنوا من حول المدينة تلقّاهم رسولُ الله ﷺ والمسلمون، قال: ولقيهم الصبيانُ يشتدُّون، ورسولُ الله ﷺ مُقبل مع القوم على دابة، فقال: «خذوا الصبيان فأحملوهم، وأعطوني ابنَ جعفر». فأُتِي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه. قال: وجعل الناس يحثُون على الجيش التراب، ويقولون: يا فُرّار، فررتم في سبيل الله؟ قال: فيقول رسولُ الله ﷺ: «ليسوا بالفُرّار، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى».

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض آل الحارث بن هشام: وهم أخواله، عن أُمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ، قال: قالت أُمُّ سَلَمَةَ لامرأةِ سَلَمَةَ بن هشام بن العاص بن المُغِيرة: ما لي لا أرى سَلَمة يحضر الصلاة

رجوع أهل مؤتة

فصل: وذكر رجُوعَ أهلِ مُؤْتَةَ، وما لقُوا من الناس، إذ قالوا لهم: يا فُرَّارُ، فَرَرْتُم في سبيلِ الله، ورواية غير ابنِ إسحٰق أنهم قالوا للنبيّ ـ ﷺ ـ نَحْنُ الفَرَّارُونَ يا رَسولَ الله؟ فقال: «بل أنتم الكرَّارُون»، وقال لهم: «أنا فِئَتُكُمْ»[1]، يريد: أن مَنْ فَرَّ مُتَحَيِّزًا إلى فِئَةِ المسلمين، فلا حَرَجَ عليه، وإنما جاء الوعيد فيمن فَرَّ عن الإمام، ولم يتحيّز إليه، أي: لم يلجأ إلى حَوزَته، فيكون معه، فالمُتَحَيِّزُ مُتَفَيْعِلٌ من الحَوزِ، ولو كان وزنُه مُتَفَعِّلاً، كما يظن بعضُ الناس لقِيل فيه: مُتَحَوِّز. ورُوى أن عُمَرَ رضي الله عنه حين بلغه قتلُ أَبي عُبَيْد بن مَسْعُودٍ وأصحابه في بعض أيَّام القَادِسِيَّة، قال: هلاَّ تَحَيَّزُوا إلينا، فإنَّا فيئة لكل مُسْلِمٍ.

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي (١٧١٦) وأحمد (٢/ ١١١) وابن سعد (٤/ ١/ ١٠٧) وسعيد بن منصور (٢٥٣٩) وانظر الفتح (١١/ ٥٦).

مع رسولِ الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس يا فُرّار، فَرَرْتم في سبيل الله، حتى قعد في بيته فما يخرج.

شعر قيس في الاعتذار عن تقهقر خالد:

قال ابن إسحٰق: وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُخاشاته بالناس وانصرافه بهم، قَيْسُ بن المُسَحَّر اليَعْمري، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس:

فوالله لا تَنْفَكُّ نفسي تلُومني ... على مَوْقفي والخيل قابعةٌ قُبُلُ

وَقَفْتُ بها لا مُسْتَجِيرًا فنافِذًا ... ولا مانِعًا مَنْ كان حُمّ له القَتْل

على أنني آسَيْتُ نَفْسي بخالدٍ ... ألا خالدٌ في القوم لَيْس له مِثْل

وجاشت إليّ النفسُ من نحو جعفر ... بمُؤْتَة إذ لا يَنْفع النابَل النَّبْل

وضَمَّ إلَيْنا حَجْزَتَيْهم كليهِما ... مهاجِرةٌ لا مُشركون ولا عُزْل

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره، أن القوم حاجزوا[1] وكرهوا الموت، وحقَّق انحياز خالد بمن معه.

وذكر ابنُ إسحٰق مُخَاشَاةَ خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة. والمُخَاشَاةُ: المُحَاجَزَةُ، وهي: مُفَاعَلَةٌ من الخَشْيَة، لأنه خشِي على المسلمين لقلّة عددهم، فقد قيل: كان العدو مائتَيْ ألفِ من الرّوم، وخمسين ألفًا من العرب، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين، وفي قول ابن إسحٰق: وكان العدوُّ مائةَ ألفٍ وخمسين ألفًا، وقد قيل: إن المُسلمين لم يبلغ عددُهم في ذلك اليوم ثلاثَةَ آلاف، ومن رواه: حاشى بالحاء المهملة، فهو من الحَشَى، وهي الناحية، وفي رواية قاسم بن أَصْبَغ عن ابن قُتَيْبَةَ في المعارف أنه سُئل عن قوله: حَاشَى بهم، فقال: معناه: انحاز بهم، وشعر قطبة بن قتادة يدلّ على أنه قد كان ثَمّ ظَفَرٌ ومَغْنَمٌ لقوله:

وسُقْنَا نِسَاءَ بني عَمِّه ... غَدَاةَ رَقُوقَيْن سَوْقَ النَّعَم

وفي هذا الشعر أنه قتل رئيسًا منهم وهو مالك بن رافلة، وقد اختلف في ذلك كما ذكر ابن إسحٰق، فقال ابن شِهاب: فأخذ خالدُ الرايةَ حتى فَتَحَ الله على المسلمين، فأخبر أنه قد كان ثَمّ فَتْحٌ، وفي الراية الأخرى حين قيل لهم: يا فُرّارُ، دليلٌ على أنه قد كان ثَمّ مُحَاجَزَةٌ، وتَرْكٌ للقتال، حتى قالوا: نحن الفرّارون، فقال لهم النبيّ ﷺ ما تقدّم، فالله أعلم.

---

(١) حاجزوا: أي نفروا.

قال ابن هشام: فأما الزهري فقال فيما بلغنا عنه: أمَّر المسلمون عليهم خالدَ بن الوليد، ففتح الله عليهم، وكان عليهم حتى قفل إلى النبيّ ﷺ.

شعر حسَّان في بكاء قتلى مؤتة

قال ابن إسحٰق: وكان مما بُكَى به أصحاب مُؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسَّان بن ثابت:

تـأوَّبـنـي لـيـلٌ بـيـثـرب أعْـسَـرُ ... وهَـمّ إذا مـا نَـوَّمَ الـنـاسُ مُـسْـهِـرُ

لذِكرَى حبيبٍ هيَّجتْ لي عَبرَة ... سَفُوحًا وأسبابُ البكاء التَّذَكُّر

بَـلـى إن فـقـدانَ الـحـبـيـبِ بـلـيَّـةٌ ... وكـمْ من كريـم يُبْتَلى ثـم يَصْبر

رأيـتُ خـيـارَ الـمُـؤمـنـيـنَ تَـوَارَدُوا ... شَعُوبَ وخَلْفًا بعدُهمْ يتأخَّر

فـلا يُـبْـعِـدنَّ الله قـتـلـى تَـتـابَـعُـوا ... بمُؤْتةَ منهم ذو الجناحين جَعْفر

وزيـدٌ وعـبـد الله حـيـن تَـتـابَـعُـوا ... جميعًا وأسبابُ المنيَّةِ تَخْطِر

غداةَ مضَوا بالمؤمنين يقودُهم ... إلى الموت ميمونُ النَّقيبة أزْهَر

طعام التعزية وغيرها:

فصل: وذكر أن رسولَ الله - ﷺ - أمر أن يُصْنَع لآلِ جعفرٍ طَعامٌ، فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم، وهذا أصلٌ في طَعام التَّعْزِيَةِ وتُسَمِّيهِ العَرَبُ الوَضِيمَة، كما تُسَمَّى طعام العُرْسِ الوَليمة، وطعام القادم من السفر: النَّقِيعَةَ، وطعام البناء الوَكِيرَة، وكان الطعامُ الذي صُنِعَ لآلِ جَعْفَرٍ فيما ذكر الزبير، في حديث طويل عن عبدِ الله بن جَعْفرٍ قال: فعَمَدَت سَلْمَى مَولاة النبيّ ﷺ إلى شَعِيرٍ، فطحنته، ثم آدَمَتْهُ بزيت، وجعلت عليه فُلْفُلاً، قال عبدُ الله: فأكلت منه، وحبسني النبيُّ ﷺ مع إخوتي في بيته ثلاثة أيّام.

من شعر حسَّان في رثاء جعفر

وذكر قول حَسَّان يَرْثي جَعْفَرًا:

تـأوَّبَـنـي لـيـلٌ بِـيَـثْـرِبَ أعْـسَـرُ

أعسَر: بمعنى: عَسِر، وفي التَّنْزيلِ: ﴿يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨]، وفيه أيضًا: ﴿عَسِير﴾ والمعنى متقارب، فمن قال: عَسُرَ [يعْسُر] قال: عَسِير بالياء، ومن قال: عَسِرَ يَعْسَر، قال في الاسم: عَسِرٌ وأَعْسَر، مثل حَمِقٌ وأَحْمَق.

أغرُّ كضوء البدر من آل هاشم — أبيّ إذا سِيمَ[1] الظُّلامَةَ مِجْسَر
فطاعن حتى مال غير مُوَسَّد — لـمُعتركٍ فيه قَنا مُتَكَسِّر
فصار مَع المُستَشهدِينَ ثَوَابَهُ — جِنانٌ وملتفُّ الحَدائقِ أخْضَر
وكنَّا نرَى في جعفر من محمَّد — وفاءً وأمْرًا حازمًا حين يَأمُر
فما زَال في الإسلام من آل هاشم — دعائمُ عزّ لا يَزُلْن ومَفخَر
هُم جبلُ الإسلامِ والناسُ حولهم — رِضامٌ[2] إلى طَوْدٍ يَروق ويقْهَر
بهاليْلُ منهم جَعْفر وابن أُمِّه — عليٌّ ومنهُم أحمدُ المتخيّر

وفي هذا الشعر قوله:

بَهَالِيلُ منهم: جَعْفَرٌ وابنُ أُمِّه — عَلِيٌّ ومنهم أَحْمَدُ المُتَخَيَّرُ

البهالِيلُ: جَمْعُ بَهْلُولٍ، وهو الوَضيءُ الوجْهِ مع طولٍ.

وقوله: منهم أحمد المتخيّر، فدعا به بعض الناس لما أضاف أحمد المتخيّر إليهم، وليس بعيبٍ؛ لأنها ليست بإضافةِ تعريفٍ، وإنما هو تشريف لهم حيث كان منهم، وإنما ظَهَر العيبُ في قول أبي نواس:

كيف لا يدنيك من أملٍ — مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نفرِه

لأنه ذكر واحدًا، وأضاف إليه، فصار بمنزلة ما عيب على الأعْشَى:

شَتَّان ما يَوْمِي على كُورِها — ويومُ حَيَّانَ أخي جابِر

وكان حَيَّانُ أَسَنَّ من جابر، وأشرَفَ، فغضب على الأعشى حيث عرفه بجابر، واعتذر إليه من أجل الرَّوِيِّ، فلم يقبل عُذْرَه، ووجدت في رسالة المهلهل بن يَمُوت بن المزرع، قال: قال علي بن الأصْفَر، وكان من رُواة أبي نُواسٍ قال: لما عمل أبو نواس:

أيّها المُنْتَابُ على عُفُره

أنشدنيها فلما بلغ قوله:

كيف لا يُدْنيكَ مِنْ أَمَلٍ — مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِه

وقع لي أنه كلام مُسْتَهْجَنٌ في غير موضعه، إذ كان حَقُّ رسولِ الله - ﷺ - أن يُضاف

---

(١) سيم: أثار.
(٢) رضام: صخور عظيمة.

وحمزة والعبَّاس منهُم ومنهمُ عَقِيلٌ وماءُ العود من حيثُ يُعْصَر
بهم تُفْرَج اللّأواءُ[1] في كلّ مَأزِقٍ عماسٍ[2] إذا ما ضاق بالناس مَصدَر
هُمُ أولياءُ الله أنزَل حُكمَه عليهم وفيهم ذا الكتاب المُطهَّر

شعر كعب في بكاء قتلى مؤتة

وقال كعب بن مالك:

نَامَ العُيونُ ودَمعُ عَيْنك يَهمُلُ سَحًّا كما وكَفَ الطِّبابُ المُخْضِلُ

إليه، ولا يُضَاف إلى أحَدٍ، فقلت له: أعرفت عيبَ هذا البيت؟ قال: ما يعيبه إلاّ جاهل بكلام العرب، وإنما أردت أن رَسولَ الله - ﷺ - من القبيل الذي هذا الممدوح مِنْهُ، أما سمعت قول حسَّان بن ثابت شاعرِ دين الإسلام:

وما زال في الإسلام من آلِ هاشم دعائمُ عِزٌّ لا تُرَامُ ومَفْخَرْ
بهَاليلُ منهم جَعْفرٌ وابنُ أُمِّه عَلِيٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرْ

وقوله:

بهم تُفرَجُ اللأواءُ في كل مَأزِق عَمَاس ....

المأزِق: المَضِيقُ من مَضَائِقِ الحرب والخصومة، وهو من أَزَقْتُ الشيءَ إذا ضَيَّقْتُه، وفي قصّة ذي الرُّمَّة، قال: سمعت غلامًا يقول لِغلْمَةٍ، قد أَزِقْتُم هذه الأُوَقَةَ حتى جَعَلْتُموها كالميم، ثم أدخل مَنْجِمَه، يعني: عَقِبَة فيها، فَنَجْنَجَه، حتى أفهَقَها، أي: حَرَّكه حتى وَسِعها. والعَمَاسُ: المظلم، والأعمس: الضعيف البصر، وحُفرة مُعَمَّسة، أي: مُغَطَّاة، قال الشاعر:

فإنك قد غَطَّيتَ أَرْجاءَ هُوَّةٍ مُعَمَّسةٍ لا يُسْتَبَان تُرابُها
بثوبِك في الظَّلماء، ثم دَعَوْتني فجئتُ إليها سَادِرًا لا أهابُها

أنشده ابن الأنبَارِيّ في خبر لزُرَارَةَ بن عُدُسٍ.

حول شعر كعب

وذكر شعر كَعْبٍ وفيه:

سَحًا كما وَكَفَ الطِّبَابُ المُخضِلُ

---

(١) اللأواء: الشدّة. (٢) عماس: مظلم.

في لَيْلة وَرَدَتْ عَليَّ هُمُومُها	طوراً أخِنُّ وتارَةً أتَمَلْمَل
واعْتادني حُزْنٌ فَبِتّ كأنني	ببناتِ نَعْشٍ والسّماكِ مُوَكَّل
وكأنَّما بينَ الجَوانِح والحَشَى	مما تأوّبَني شِهاب مُدْخَل
وجْدًا على النَّفر الذِينَ تَتابَعُوا	يومًا بمُؤْتة أُسْندوا لم يُنْقَلُوا
صَلّى الإلَهُ عَلَيهمُ مِنْ فِتْيَةٍ	وسَقى عِظامهمُ الغَمام المُسْبِل
صَبَروا بمؤتَةَ للإله نُفوسَهُمْ	حَذَرَ الرَّدَى ومخافةً أن يَنْكُلُوا
فمَضوا أمامَ المُسلمين كأنهُمْ	فُنُقٌ[1] عليهنّ الحديد المُرْفَلُ
إذْ يَهْتَدُون بجَعْفرٍ ولوائه	قُدّام أوّلِهِمّ فنِعْمَ الأوّل

الطّبَابُ: جمع طِبَابةٍ، وهي سَيْر بين خَرَزَتَيْن في المَزادَةِ، فإذا كان غير مُحكَم وَكَف منه الماءُ، والطّبابُ أيضًا: جمع طُبَّةٍ، وهي شقة مستطيلةٌ.

وقوله: طَوْرًا أخِنُّ. الخَنِينُ بالخاء المنقوطة حَنِينٌ بِبُكَاءٍ، فإذا كان بالحاء المهمَلة، فليس معه بكاءٌ ولا دَمْعٌ.

الاستقاء للقبور عند العرب:

وقوله:

وَسَقى عظامَهم الغَمامُ المُسْبِل

يردّ قول من قال: إنما استسقت العربُ لقبور أحبتها لِتَخْصَبَ أرضُها فلا يحتاجون إلى الانتقال عنها لمطلب النُّجْعَة في البلاد. وقال قاسم بن ثابت في الدلائل: فهذا كَعْبٌ يَسْتَسْقِي لعظام الشُّهَدَاءِ بمُؤْتَةَ، وليس معهم، وكذلك قول الآخر:

سَقَى مُطْغِيات المَحْلِ جُودًا ودِيمَةً	عظام ابن ليلى حيث كانَ رَميمُها

فقوله: حيث كان رَمِيمُها يدلّ على أنه ليس مُقيمًا معه، وإنما استِسْقاؤهم لأهل القبور استرحامٌ لهم، لأن السَّقْيَ رحمة، وضدّها عذاب.

وقوله: كأنهم فُنُقٌ، جمع: فَنِيق، وهو الفَحْل، كما قال الآخر، وهو طخيم:

مَعِي كل فَضْفَاضِ الرِّداء كأنه	إذا ما سرّت فيه المُدَامُ فَنِيقُ

(١) فنق: أي كأنهم أصحاب راحة ونعيم بعد كرب وشدّة.

حتى تَفَرّجتِ الصُّفوفُ وجَعْفرٌ حيثُ التَقى وغثُ[1] الصُّفوف مجدَّل

فتغيَّر القَمَر المُنير لفَقْده والشمسُ قد كسَفَتْ وكادتْ تَأفِل

قَرْم عَلا بُنْيانُه من هاشمٍ فَرْعًا أشَمَّ وسؤدُدًا ما يُنْقَل

قَوْمٌ بهم عَصَم الإلَـٰهُ عِبادَهُ وعَليهِمُ نَزَل الكِتاب المُنْزَل

فَضَلُوا المعاشِر عِزّة وتكرُّمًا وتَغَمَّدَتْ أحلامُهُمْ من يَجْهَل

لا يُطْلِقون إلى السَّفاهِ حُباهُمُ ويُرَى خَطِيبُهُمُ بحق يَفْصِل

بْيضُ الوجوه تُرَى بُطونُ أكفِّهِمْ تندَى إذا اعتذرَ الزَّمانُ المُمْحِل

وبهَدْيهمْ رضي الإلـٰه لخَلْقِهِ وبجَدّهمْ نُصِرَ النَّبِيُّ المُرْسَل

وقوله:

فتغيَّر القمرُ المنِيرُ لفقده والشمسُ قد كُسِفَتْ وكادت تَأْفِلُ

قوله: حق، لأنه إن كان عنى بالقمر رسولَ الله ﷺ، فجعله ثمرًا، ثم جعله شَمْسًا، فقد كان تغيّر بالحُزْن لفقد جعفر، وإن كان أراد القمرَ نفسَه، فمعنى الكلام ومغزاه حَقٌّ أيضًا، لأن المفهوم منه تعظيمُ الحزن والمصاب، وإذا فهم مَغْزَى الشاعر في كلامه، والمبالغ في الشيء فليس بكَذِبٍ، ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «أما أبو جَهْم فلا يضع عَصَاهُ عن عَاتِقه»[2]، أراد به المبالغة في شِدَّةِ أدبه لأهله، فكلامُه كلُّه حَقٌّ - ﷺ - وكذلك قالوا في مثل قول الشاعر [طُفَيْل الغَنَوِي]:

إذا ما غَضِبْنَا غَضْبَة مُضَرِيَّةً هتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ، أو قَطَرَت دَمًا

قال: إنما أراد فَعَلْنا فِعَلةً شَنِيعَةً عظيمة، فضرب المثلَ بهَتْكِ حِجَابِ الشمس، وفهم مقصده، فلم يكن كَذِبًا، وإنما الكذبُ أنْ يقول: فعلنا، وهم لم يفعلوا، وقتلنا وهم لم يَقْتلوا.

---

(١) الوعث: كل أمر شديد شاق.
(٢) أخرجه مسلم في الطلاق (٣٦/٤٧) وأبو داود والنسائي والترمذي (١١٣٤) ومالك في الموطأ (٥٨١) والشافعي في مسنده (٢٧٤) وأحمد (٦/٤١٢).

شعر حسَّان في بكاء جعفر بن أبي طالب

وقال حسَّان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

ولقد بكيتُ وعَزَّ مُهْلَكُ جَعْفرٍ حَبُّ النَّبيّ على البريَّةِ كُلِّها
ولقد جزِعت وقلت حين نُعِيتَ لي مَنْ للجِلاد لدى العُقاب وظلُّها
بالبيضِ حينَ تُسَلّ من أغمادها ضَرْبًا وإنهالِ الرّماح وعَلِّها
بعدَ ابنِ فاطِمَةَ المُبارك جَعْفَرٍ خَيْرِ البريَّة كلِّها وأجلِّها
رُزْءًا[1] وأكْرَمِها جميعًا مُحْتدًا وأعَزِّها مُتَظَلِّمًا وأذلِّها
للحقّ حين ينوبُ غير تَنَحُّلٍ كَذِبًا وأنْداها يدًا وأقلِّها
فُحشًا وأكثرِها إذا ما يُجتَدَى فَضلاً وأبْذلها نَدَى وأبَلِّها
بالعُرف غيرَ محمَّدٍ لا مثلُه حيٌّ من أحياء البريَّة كلِّها

من شعر حسَّان في رثاء جعفر

وذكر أبيات حَسَّان، وفي بعضها تضمينٌ، نحو قوله: وأَذلّها، ثم قال في أوّل بيت آخر: لِلحَقِّ، وكذلك قال في بيت آخر: وأقلّها، وقال في الذي بعده: فُحْشًا، وهذا يسمّى التَّضمِين.

وذكر قُدَامَةَ في كتاب نَقْدِ الشِّعر أنه عَيْبٌ عند الشُّعَراءِ، ولَعَمْرِي إن فيه مَقَالاً، لأن آخر البيت يوقف عليه، فيوهم الذَّمَّ في مثل قوله: وأذلّها، وكذلك، وأقلّها، وقد غلب الزِّبْرِقَانُ على المُخبَّلِ السَّعْدِيِّ، واسمه: كعبٌ بكلمة قالها المخبَّل أشعر منه، ولكنه لما قال يَهْجُوه:

وأبوك بَدْر كان يَنْتَهِزُ الخُصَى وأبي الجوادُ ربيعةُ بن قِتَال

وَصَل الكلامَ بقوله: وأَبِي، وأدركه بُهْرٌ أو سُعْلَةٌ، فقال له الزِّبْرِقَانُ: فلا بأس إذًا، فضحك من المُخبَّل، وغلب عليه الزِّبْرِقَان، وإذا كان هذا مَعِيبًا في وَسَطِ البيت، فأحْرَى أنْ يُعَابَ في آخره، إذا كان يوهم الذمَّ، ولا يندفع ذلك الوهم إلاّ بالبيت الثاني، فليس هذا من التَّحْصِين على المعاني والتَّوَقِّي للاعتراض.

---

(١) رزءًا: أي مصابًا.

شعر حسَّان في بكاء ابن حارثة وابن رواحة:

وقال حسَّان بن ثابت في يوم مُؤتة يبكي زيدَ بن حارثة وعبد الله بن رواحة:

عينِ جُودي بدَمْعك المَنزورِ ... واذكُري في الرَّخاء أهل القبورِ
واذكُري مُؤتَةً وما كان فيها ... يومَ راحُوا في وقْعة التَّغوير
حين راحوا وغادَرُوا ثَمَّ زَيْد ... نعْمَ مأوى الضَّريكِ[1] والمأسُور
حِبَّ خَير الأنامِ طُرًّا جميعًا ... سَيِّدَ النَّاسِ حُبُّهُ في الصُّدُور
ذاكُم أحمدُ الذي لا سِواهُ ... ذاكَ حُزْني له معًا وسُروري
إن زَيْدًا قد كانَ مِنَّا بأمرٍ ... ليسَ أمْرَ المُكَذِّب المَغرور
ثم جُودي للخَزْرَجيّ بِدَمْع ... سَيِّدًا كانَ ثَمَّ غَيْرَ نَزُورِ
قد أتانا مِن قَتْلِهِمْ ما كفانا ... فبحُزْن نبِيت غير سُرور

وقول حسَّان:

عَيْنُ جُودي بدمْعِك المنْزُورِ

النَّزْرُ: القليل، ولا يحسن ههنا ذكرُ القليل، ولكنه من نَزَرْتُ الرَّجُلَ إذا أَلحَحْتُ عليه، ونَزَرْتُ الشيء إذا استَنْفَدْتُهُ، ومنه قولُ عُمَر ـ رحمه الله ـ نزَرْتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ الأصحّ فيه التَّخْفِيفُ، قال الشاعر:

فَخُذْ عَفْوَ مَنْ تَهْواه لا تَنْزُرَنَّه ... فعند بُلوغ الكَدْرِنقُ المشَارِبِ

وقوله:

يَوْم راحُوا في وَقْعَةِ التَّغْوير

هو مَصْدَرُ غَوَّرت إذا تَوَسَّطَ القائلة من النهار، ويقال أيضًا: أغْوَر فهو مُغْوِرٌ، وفي حديث الإفك: مُغْوِرين في نَحْر الظَّهيرة، وإنما صحّت الواو في مُغْوِر، وفي أَغْوَرَ من هذا، لأن الفعل بُنِي فيه على الزَّوائد، كما يُبنى اسْتَحْوَذَ، وأَغْيَلَت المرأةُ، وليس كذلك أَغَارَ على العَدُوّ، ولا أغارَ الحبلَ.

---

(١) الضريك: الأحمق.

وقال شاعر من المسلمين ممن رجَع من غزوة مُؤتة:

كَفى حزَنًا أني رَجَعْتُ وجَعْفر ... وزَيد وعبدُ الله في رَمْسِ أقْبُر
قَضَوْا نحبَهمْ لما مَضَوْا لسَبيلهم ... وخُلِّفْتُ للبَلْوَى مع المتغَبِّر
ثلاثة رَهط قُدِّمُوا فتقَدَّمُوا ... إلى وِرد مَكْروه من المَوْت أحمر

شهداء مؤتة:

وهذه تسمية من استُشهد يوم مُؤتة:

من قريش، ثم من بني هاشم: جعفرُ بن أبي طالب رضي الله عنه، وزيدٌ بن حارثة رضي الله عنه.

ومن بني عديّ بن كعب: مسعود بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة.

ومن بني مالك بن حِسْل: وَهْب بن سعد بن أبي سَرْح.

ومن الأنصار ثم من بني الحارث بن الخَزْرج: عبد الله بن رواحَة، وعبَّاد بن قَيْس.

ومن بني غَنم بن مالك بن النجّار: الحارث بن النُّعمان بن أساف بن نَضْلة بن عبد بن عوف بن غنم.

ومن بني مازن بن النَّجار: سُراقة بن عمرو بن عطيَّة ابن خنساء.

قال ابن هشام: وممن استُشْهد يوم مُؤتة، فيما ذكر ابن شهاب.

من بني مازن بن النَّجار: أبو كُلَيب وجابر، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مَبذول، وهما لأب وأُم.

ومن بني مالك بن أفصى: عمرو وعامر، ابنا سعد بن الحارث بن عبَّاد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى.

قال ابن هشام: ويقال: أبو كلاب وجابر، ابنا عمرو.

وذكر فيمن استشهد بمُؤتة أبَا كُلَيْبِ بن أبي صَعْصَعَةَ. وقال ابن هشام: فيه أبو كِلاَبٍ، وهو المعروف عندهم، وقال أبو عُمَرَ: لا يعْرفُ في الصحابة أحد يقال له: أبو كُلَيْب.

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكّة
وذكر فتح مكّة في شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحٰق: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بعد بَعْثه إلى مُؤتة جمادى الآخرة ورجبًا.

ثم إن بني بكر بن عبد مَناة بن كنانة عَدَت على خُزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكّة يقال له: الوَتِير، وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخُزاعة أنّ رجلاً من بني الحَضْرمي، واسمه مالك بن عبَّاد ـ وحلْف الحَضْرمي يومئذ إلى الأسود بن رَزْن ـ خرج تاجرًا، فلما توسَّط أرض خزاعة، عَدوا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله، فعَدت بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه، فعدَت خزاعةُ قُبَيل الإسلام على بني الأسود بن رَزْن الدِّيلي ـ وهم مَنْخَرُ بني كنانة وأشرافهم ـ سَلْمى وكُلثوم وذُؤيب ـ فقتلوهم بعرَفة عند أنصاب الحرم.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني رجل من بني الدِّيل، قال: كان بنو الأسود بن رِزْن يُؤْدَوْن في الجاهليّة ديّتين ديّتين، ونُودَى دِيَةً دِيَةً، لفضلهم فينا.

بـدء فتـح مكـة[1]

ذكر في الأسوَد بن رَزْنِ الكنَاني بفتح الرَّاء، وذكر الشيخ الحافظُ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه: رِزْنًا بكسر الرّاء، قال: والرِّزْنُ، نُقْرَةٌ في حجر يمسك الماء، وفي كتاب العين: الرِّزْنُ أَكَمَةٌ تمْسِك الماءَ، والمعنى متقارب، وذكر أن بَني رزن من بني بَكرٍ، وقد قيل فيه: الدُّئِلُ، وقد أشبعنا القول فيه في أوّل الكتاب، وما قاله اللغويون والنَّسّابون، وذكرنا هنالك كُلَّ دِيلِ في العَرَب، وكل دُولِ والحمدُ لله.

---

(١) انظر البداية والنهاية (٤/ ٢٧٨) والطبري (٣/ ٣٨) الطبقات (٢/ ١/ ٩٦) الكامل (٢/ ١١٦) الاكتفاء (٢/ ٢٨٧) الواقدي (٢/ ٧٨) المنتظم (٣/ ٣٢٤) ابن حزم (٢٦٧) شرح المواهب (١/ ١٩١) أنساب الأشراف (١/ ١٧٠) الزاد (٣/ ٣٩٤) والبخاري (٥/ ١٤٥).

قال ابن إسحٰق: فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به. فلما كان صلحُ الحُديبية بين رسول الله ﷺ وبين قُرَيش، كان فيما شرَطوا لرسول الله ﷺ وشرَط لهم، كما حدّثني الزهري، عن عروة بن الزّبير، عن المسوّر بن مَخْرمة ومروان بن الحكم، وغيرهم من علمائنا: أنه من أحبَّ أن يدخل في عَقْد رسولِ الله ﷺ وعَهده فليدخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عَقد قُرَيش وعهدهم فليدخل فيه، فدخلت بنو بكر في عَقد قُريش وعهدهم، ودخلت خُزاعة في عقد رسولِ الله ﷺ وعَهده.

قال ابن إسحٰق: فلما كانت الهُدْنة اغتنمها بنو الدِّيل من بَنِي بَكْرٍ من خُزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منه ثأْرًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رَزْن، فخرج نوفل بن معاوية الدّيلي في بني الدِّيل، وهو يومئذ قائدهم، وليس كلّ بني بكر تابَعه حتى بيَّت خُزاعة وهم على الوَتِير، ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتحاوزوا واقتتلوا، ورفدت بني بكر قريشٌ بالسلام، وقاتل معهم من قُريش مَن قاتل بالليل مستخفيًا، حتى حازوا خُزاعةَ إلى الحَرَم، فلما انتهَوْا إليه، قالت بنو بكر: يا نَوْفل، إنَّا قد دخلنا الحرم، إلٰهكَ إلٰهكَ، فقال: كلمة عظيمة، لا إلٰه له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتَسْرِقون، في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؛ وقد أصابوا منهم ليلة بيَّتوهم بالوَتير رجلاً يقال له منبه، وكان منبه رجلاً مفؤودًا خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، وقال له منبه: يا تميم، انج بنفسك، فأما أنا فوالله إني لميِّت، قتلوني أو تركوني لقد أنبَتَّ فؤادي، وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا مُنَبِّهًا فقتلوه، فلما دخلت خُزاعة مكّة، لجؤوا إلى دار بُدَيل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقال له رافع؛ فقال تميم بن أسَد يعتذر من فراره عن مُنَبّه.

شعر تميم في الاعتذار من فراره عن منبّه

لَـمَّـا رأيـت بَـنـي نُـفَـاثـةَ أقْـبَـلُـوا — يَـغْـشَـوْنَ كُـلَّ وَتِـيـرَةٍ وحِـجَـابِ
صَـخْـرًا وَرَزْنًـا لا عَـرِيـبَ سِـوَاهُـمُ — يُـزجُـونَ كُـلَّ مُـقَـلَّـص خِـنَّـابِ
وذكَـرْتُ ذَحْـلاً عِـنـدَنـا مُـتَـقـادِمًـا — فيما مَضَى مِنْ سالِف الأحْقاب

حـول شعـر تميـم

وذكر شعر تَميم بن أسَد، وفيه:

يُـزجُـونَ كُـلَّ مُـقَـلَّـصٍ خِـنَّـابِ

ونَشَيْتُ ريحَ المَوْتِ مِن تِلْقائهم ... ورهِبْتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَضَّاب
وعرفت أن مَنْ يَثْقَفوهُ يَتْرُكوا ... لَحْمًا لِمُجْرِيَة وشِلْوَ غُرَاب
قوَّمتُ رِجْلاً لا أخافُ عِثارَها ... وطَرَحت بالمَتْن العَراء ثِيابي
ونَجَوْتُ لا يَنجو نَجائي أحْقَبٌ ... عِلْجٌ أقَبُّ مشمَّر الأقْرَاب
تَلْحَى ولو شَهِدَتْ لكان نكيرُها ... بَوْلاً يَبُلّ مَشافرَ القَبْقاب
القَوْمُ أعْلم ما تركْتُ مُنَبَّهًا ... عَن طِيبِ نَفْسٍ فاسألي أصحابي

قال ابن هشام: وتُروى لحبيب بن عبد الله (الأعلم) الهُذلي وبيته: «وذكُرت ذَحْلاً عندنا مُتقادمًا» عن أبي عُبيدة، وقوله: «خناب» و «علج أقبّ مشمَّر الأقراب» عنه أيضًا.

شعر الأخزر في الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن إسحٰق: وقال الأخْزَر بن لُعْط الدّيلي، فيما كان بين كِنانة وخُزاعة في تلك الحرب:

ألا هَلْ أتى قُصْوَى الأحابِيشِ أننا ... رَدَدْنا بني كَعْب بأفْوَق[1] ناصِلِ

الخِنَّابُ: الطويل من الخيل، وقع ذلك في الجَمْهَرَةِ، ويقال: الخِنَّابُ: الواسع المَنْخَرَيْن، والخِنَّابةُ جانبُ الأنف، وفي العين: الخِنَّابُ الرجل الضَّخمُ، وهو الأحمق أيضًا، والمُقَلَّصُ من الخيل المُنْضَمُّ البَطْنِ والقوائم، وإن قلت: المُقَلِّص بكسر اللام، فهو من قَلَصَت الإبلُ إذا شَمَّرَتْ، قاله صاحبُ العين.

وفيه: ظِلُّ عُقَابٍ، وهي الرَّايَةُ، وكان اسمُ رايةِ النبيِّ - ﷺ - العُقَاب، والدليل على أنه يقال لكل راية عُقَابٌ قَوْل قَطَرِي بن الفُجَاءَةِ ويُكْنَى أبا نَعَامَةَ رئيس الخوارج:

يَا رُبَّ ظِلِّ عُقَابٍ قد وَقَيْتُ بها ... مُهْرِي من الشَّمْسِ والأبْطَالُ تَجْتَلِدُ

وفيه: يَبُلُّ مَشَافِرَ القَبْقَابِ، القَبْقَابُ: أراد به الفَرْجَ، والقَبْقَبُ والقَبْقَابُ: البَطْنُ أيضًا.

حول شعر الأخزر

وذكر قولَ الأخزر، وفيه:

قَفَاثُور حَفَّانِ النَّعَام الجَوافِلِ

---

(١) أفوق: عظيم.

حَبَسْناهُمْ في دَارَةِ العَبْدِ رَافِعٍ وعنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِسًا غير طائِلِ

بِدَارِ الذَّلِيلِ الآخِذِ الضَّيْمِ[1] بعدَما شَفَيْنا النُفُوسَ منهُمْ بالمَناصِلِ

حَبَسْنَاهُمْ حتى إذَا طالَ يَوْمُهُمْ نَفَحْنا لهُمْ من كلّ شِعْبٍ بَوابلِ[2]

نُذَبِّحُهُمْ ذَبحَ التُّيُوس كأنَّنا أسودٌ تَبارَى فيهُمْ بالقَوَاصِلِ[3]

هُمْ ظَلَموْنا واعتَدَوْا في مَسِيرِهم وكانُوا لَدى الأنْصاب أوّلَ قاتلِ

كأنهُمْ بالجِزْع إذْ يطرُدونهم قَفَا ثَوْر حَفَّانُ النعام الجَوافلِ[4]

قَفَاثَوْر، يعني: الجَبَل، وقَفَا ظرفٌ للفِعْلِ الذي قبله، وقال: قَفَاثور، ولم ينوّن لأنه اسمٌ عَلَمٌ مع ضرورة الشعر، وقد تكلّمنا على هذا فيما قبل، ولو قال: قَفَاثَوْرَ بنصب الراء، وجعله غير مُنصَرِف، لم يبعد، لأن ما لا تَنْوينَ فيه، وهو غير مُعْرَبٍ بألِفٍ ولام، ولا إضافة، فلا يدخله الخَفضُ لئلاّ يُشبِه ما يُضيقه المتكلّمُ إلى نفسِه، وقَفَاثَوْر بهذا اللفظِ تَقَيَّد في الأصل، وظاهرُ كلام البرقي في شَرْحِ هذا البيت أنه بِفَاثُورَ، لأنه قال: الفاثورُ سَبِيكة الفضَّة، وكأنه شَبَّه المكانَ بالفِضَّةِ لنقائه واسْتِوائه، فإن كانت لروايةُ كما قال، فهو اسمُ موضِعٍ، والفاثُورُ: خِوانٌ من فِضَّةٍ، ويقال: إبريق من فضّة، قيل ذلك في قول جَمِيل:

وصَدْر كفَاثُورِ اللُّجَيْنِ وجِيدُ

وفي قول لَبِيدٍ:

حقائبهُم راحٌ عَتِيقٌ ودَرْمَكٌ ومِسْكٌ وفاثُورِيَّةٌ وسُلاَسِلُ

وكما قال البرقي: ألفيته في نسخ صحيحة سوى نُسْخة الشيخ، وإن صحّ، ما في نسخة الشيخ، فهو كلام حُذِف منه ومعناه: قَفَا فَاثور، وحَسُن حذف الفاء الثانية، كما حسن حَذْف اللاّم الثانية في قولهم: عَلْمَاء بنِي فُلان، لا سِيّما مع ضَرُورة الشعر، وترك الصَّرف، لأنه جعله اسم بُقْعَةٍ، ومن الشاهد على أن فاثُورَ اسمُ بُقْعَةٍ قول لبيد:

ويوم طعنتم فاسْمَعَدَّتْ وُفودكم بأجْمَاد فاثور كريم مُصابر

أي: أنا كريم مصابر، ولذلك قال البكري ولم يذكر فيه اختلافًا، وقال: هو اسم جبل يعني فاثور، وقال ابن مُقْبِل:

حَيٌّ مَحَاضِرُهُمْ شَتَّى وجَمعُهُمْ دَوْمُ الإيَادِ، وفاثُورٌ إذا انْتَجَعُوا

---

(١) الضيم: الظلم.

(٢) وابل: كثير العدد.

(٣) قواصل: سيوف قاطعة.

(٤) الجوافل: الهاربة.

بديل يردّ على الأخزر

فأجابه بُدَيْل بن عبد مَناة بن سَلَمة بن عمرو بن الأجبّ، وكان يقال له: بَديل ابن أُمّ أصرم، فقال:

تَفاقَد قَوْمٌ يَفْخَرُون ولم نَدَعْ … لهم سَيِّدًا يَنْدُوهُمُ غيرَ نافلِ[1]

أمِنْ خِيفَةِ القوم الأُلى تَزدَريهمُ … تُجيز الوَتِير خائفًا غيرَ آيِل

وفي كلّ يَوْمٍ نحنُ نَحْبُو حِباءنا … لعَقْل ولا يُحْبَى لَنا في المَعاقِلِ

ونحن صبَحْنا بالتَّلاعة دارَكُمْ … بأسْيافنا يَسْبِقْنَ لَوْم العَواذل

ونحنُ مَنَعْنا بين بَيْض وعِتْوَدٍ … إلى خَيْف رَضْوَى من مَجَرّ القَنابل

ويَوْمَ الغَميم قد تَكَفَّتَ ساعيًا … عُبَيْسٌ[2] فَجعْناه بجَلْدٍ حُلاحل[3]

أإنْ أجْمَرت في بيتها أمّ بعضكم … بجُعْمُوسِها[4] تَنْزُونَ أنْ لم نُقاتِل

كذبْتُمْ وبيتِ اللهِ ما إنْ قَتَلْتُم … ولكنْ تَركْنا أمْرَكم في بَلابل[5]

وقال لبيد:

وَلَدى النُّعمانِ مني مَوْطِنٌ … بين فاثورِ أفاقٍ فالدَّخَلْ

وحَفَّانُ النَّعام: صِغارُها، وهو مرفوع لأنه خبر كأنَّ.

حول شعر بديل

وذكر شعر بُدَيْل ابن أُم أَصْرِم، وفيه: غير آيل، هو فاعل من آلَ إذا رجع، ولكنه قلب الهمزة التي هي بدل من الواو ياءً، لئلاّ تجتمع همزتان، وكانت الياءُ أولى بها لانكسارها.

وفيه ذكر عُيَيْسٍ، ووقع في بعض روايات الكتاب عُبَيْس بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل.

وفيه:

أإنْ أَجْمَرَتْ في بيتها أُمُّ بعضكم … بجُعْموسِها..........

---

(١) نافل: أي آخذ من الغنائم.
(٢) عبيس: طالح الوجه شجاع. اسم رجل.
(٣) حلاحل: أسياد.
(٤) الجعموس: النخل العذرة.
(٥) بلابل: شدّة الهموم.

قال ابن هشام: قوله: «غير نافل»، وقوله: «إلى خيْف رَضوى» عن غير ابن إسحٰق.

شعر حسّان في الحرب بين كنانة وخزاعة:

قال ابن هشام: وقال حسّان بن ثابت في ذلك:

لَحا الله قومًا لم ندَعْ من سَراتِهم ... لهم أحَدًا يَنْدُوهُمُ غيرَ ناقبِ

أخُضَيّ حِمارٍ ماتَ بالأمْس نَوْفلاً ... متى كنتَ مفلاحًا عدوّ الحقائِبِ

شعر عمرو الخزاعي للرسول يستنصره وردّه عليه

قال ابن إسحٰق: فلما تظاهرت بنو بكر وقُريش على خُزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونَقضوا ما كان بينهم وبين رسولِ الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلُّوا من خُزاعة، وكان في عَقْده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخُزَاعِيُّ، ثم أحد بني كعب، حتى قَدم على رسول الله ﷺ وسلم المدينةَ، وكان ذلك مما هاج فتح مَكّة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظَهْرَانَي الناس، فقال:

يا رَبِّ إني ناشدٌ محمدًا ... حِلفَ أبينا وأبيه الأتلدا[1]

قد كُنتُم وُلْدًا وكُنّا وَالدًا ... ثُمّتَ أسْلَمْنا فلَمْ نَنْزِعْ يدَا

فانْصُر هَداكَ الله نَصْرًا أعتَدا ... وادعُ عِبادَ اللهِ يَأتوا مددا

أي: رَمَتْ به بِسُرْعَةٍ، وهو كِنايةٌ عن ضَرْبٍ من الحَرْثِ يَسْمُجُ وَصْفُه.

حول شعر عمرو بن سالم

وذكر أبيات عمرو بن سالم، وفيها:

قد كُنتُمُ وُلْدًا وكُنّا والدا

يريد: أن بني عَبْدِ مَنَافٍ أُمُّهم من خُزاعَة، وكذلك: قُصَيٌّ أُمُّه: فاطمَة بنت سَعْد الخُزَاعِيَّة، والوُلْد بمعنى الوَلَدِ.

وقوله: ثُمّتَ أسْلَمْنا، هو من السَّلْمِ لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد، غير أنه، قال: رِكّعًا وسُجّدًا، فدلّ على أنه كان فيهم من صَلّى لله، فقُتِل، والله أعلم.

---

(١) الأتلد: صاحب الجاه.

فِـيـهـم رسـولُ الله قـد تـجـرّدا إن سِـيم خَسْـفًا وجهُه تَـرَبَّدَا[1]

في فَيْلق كالبحر يجْري مُزْبِدا إنّ قُـريشًـا أخْـلـفـوك الـمَـوْعِـدا

ونَـقَـضُـوا مِـيـثـاقَك الـمُـوَكَّـدَا وجَـعَـلُـوا لـي فـي كَـدَاءٍ رُصَّـدا

وزَعـمـوا أنْ لـسـتُ أدعُـو أحَـدًا وهُـم أذلّ وأقَـلّ عَـدَدا

هُـمْ بَيَّـتُـونا بـالـوَتِـير[2] هُـجَّـدا[3] وقَـتَـلُـونـا رُكَّـعًـا وسُـجَّـدا

يقول: قُتِلنا وقد أسْلمنا.

قال ابن هشام: ويُروى أيضًا:

فـانـصـر هـداك الله نـصـرًا أيـدا

قال ابن هشام: ويُروى أيضًا:

نـحـن ولـدنـاك فـكـنـت ولـدا

قال ابن إسحٰق: فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم»[4]. ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنَان من السَّماء، فقال: إن هذه السَّحابة لَتَسْتَهِلُّ بنصر بني كعب.

وذكر فيه الوَتِير، وهو اسم ماء معروف في بلاد خُزَاعَة، والوَتِيرُ في اللغة الوَرْدُ الأبيض، وقد يكون منه بَرِّيٌّ، فمحتمل أن يكون هذا الماء سُمّي به، وأما الورد الأحمر فهو الحَوْجَمُ ويقال: للورد كُلِّه جَلٌّ قاله أبو حنيفة، وكأن لفظ الحَوْجَم من الحجمة وهي حُمْرَةٌ في العَيْنين، يقال: منه رجل أَحْجَمُ.

ما قال عمر لأبي سُفيان ومعناه:

وذكر قول عمر رضي الله عنه: فوالله لو لم أجِدْ إلاّ الذَّرّ لجاهدْتُكم به، وهو كلام مفهوم المعنى، وقد تقدّم أن مثل هذا ليس بكذِبٍ، وإن كان الذَّرُّ لا يقاتل به، وكذلك قولُ عُمَرَ في حديث المُوَطَّأ: «والله ليمرّن به ولو على بَطْنِك»[5]، يعني الجَدْوَلَ، وهو من هذا القبيل لا يُعَدُّ كذبًا، لأنه جرى في كلامهم كالمثل.

---

(١) تربّدا: عبس. (٢) الوتير: الأرض البيضاء.

(٣) هجدًا: نائم أو قائم يصلّي.

(٤) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٢٢٢) بإسناد ضعيف.

(٥) مالك في الموطأ (٣٣١).

ابن ورقاء يشكو إلى الرسول بالمدينة:

ثم خرجَ بُدَيل بن ورقاء في نفر من خُزاعة حتى قَدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخْبروه بما أُصيب منهم، وبمُظاهرة قُريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكّة، وقد قال رسولُ الله ﷺ للناس: «كأنكم بأبي سُفيان قد جاءكم ليشُدّ العقْد، ويَزيد في المُدة». ومضى بُدَيل بن ورقاء وأصحابه حتى لقُوا أبا سُفيان بن حرب بعُسْفان، قد بعثته قريش إلى رسولِ الله ﷺ، ليشُدّ العقد، ويَزيد في المُدّة، وقد رَهِبوا الذي صنعوا. فلما لقي أبو سُفيان بُدَيْل بن ورقاء، قال: من أين أقبلت يا بُدَيْل؟ وظنّ أنه قد أتى رسولَ الله ﷺ؛ قال: تَسَيرت في خزاعة في هذا الساحل، وفي بطن هذا الوادي، قال: أَوَ مَا جئت محمدًا؟ قال: لا؛ فلما راح بُدَيْل إلى مكّة، قال أبو سُفيان: لئن جاء بُدَيْل المدينة لقد عَلف بها النَّوى فأتى مَبْرَك راحلته، فأخذ من بَعرها ففتَّه، فرأى فيه النَّوى، فقال: احلف بالله لقد جاء بُديل محمدًا.

أبو سُفيان يحاول المصالحة

ثم خرج أبو سُفيان حتى قَدِم على رسولِ الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أُمّ حَبيبَةَ بنت أبي سُفيان، فلما ذهب ليَجْلِس على فِراش رسولِ الله ﷺ طَوَتْه عنه، فقال: يا بُنيَّة، ما أدري أرغِبْتِ بي عن هذا الفِراش أم رَغِبْتِ به عني؟ قال: بل هو فِراش رسول الله - ﷺ - وأنت رجل مُشْركٌ نَجس، ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسولِ الله ﷺ؛ قال: والله لقد أصابكِ يا بُنيَّة بعدي شَرٌّ. ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلَّمه، فلم يردّ عليه شيئًا، ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلَّمه أن يُكلِّم له رسولَ الله ﷺ؛ فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عُمَرَ بن الخَطَّاب فكلَّمه، فقال: أأنا أشفع لكم إلى رسولِ الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلاّ الذَّر لجاهدتكم به. ثم خرج فدخل عَلَى عليٍّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه، وعنده فاطمة بنتُ رسولِ الله ﷺ ورضي عنها، وعندها حسنُ بن عليّ، غلامٌ يَدِبّ بين يديها، فقال: يا عليّ، إنك أَمَسُّ القوم بي رَحمًا، وإني قد جئت في حاجة، فلا أرجعنّ كما جئت خائبًا، فاشفع لي إلى رسول الله، فقال: وَيْحك يا أبا سُفيان! والله لقد عزَم رسولُ الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلِّمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابْنَةَ مُحمَّد، هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيُجِيرَ بين الناس، فيكون سيِّدَ العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بنيَّ ذاك أن يُجير بين الناس، وما يُجير أحدٌ على رسولِ

شرح قول فاطمة لأبي سُفيان

وذكر قول فاطمة: والله ما بلغ بُنَيَّ أن يُجِيرَ بين الناس، وقد ذكر أبو عبيد هذا مُحْتَجًا

الله ﷺ، قال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدّت عليّ، فانصحني؛ قال: والله ما أعلم لك شيئًا يغني عنك شيئًا، ولكنك سيِّد بني كِنانة، فقُم فأجِرْ بين الناس، ثم الحق بأرضك؛ قال: أوَ تَرى ذلك مُغْنيًا عني شيئًا؟ قال: لا والله، ما أظنُّه، ولكني لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سُفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إني قد أجرتُ بين الناس. ثم ركب بعيرَه فانطلق، فلما قدم على قُريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جِئتُ محمدًا فكلّمته، فوالله ما ردَّ عليَّ شيئًا، ثم جئتُ ابن أبي قُحافةَ، فلم أجد فيه خيرًا، ثم جئتُ ابنَ الخطّاب، فوجدته أدنى العدو.

قال ابن هشام: أعدى العدوّ.

قال ابن إسحٰق: ثم جئت عليًّا فوجدته ألينَ القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعتُه، فوالله ما أدري هل يعني ذلك شيئًا أم لا؟ قالوا: وبِمَ أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت؛ قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك! والله إنْ زاد الرجل على أن لعب بك، فما يُغني عنك ما قلت. قال: لا والله، ما وجدت غيرَ ذلك.

به على من أجاز أمان الصَّبِيّ وجِوَاره، ومن أجاز جِوَار الصَّبِيّ إنما أجازه إذا عَقَلَ الصبي، وكان كالمُراهِق.

وقولها: ولا يُجِير أحدٌ على رسول الله، وقد قال عليه السلام: «يجير على المسلمين أدناهم»[1]، فمعنى هذا ـ والله أعلم ـ كالعَبْدِ ونحوه يجوز جواره، فيما قلَّ، مثل أن يُجير واحدًا من العدو، أو نفرًا يسيرًا، وأمَّا أن يجير على الإمام قَوْمًا يريد الإمامُ غزوَهم وحربَهم، فلا يجوز ذلك عليهم، ولا على الإمام، وهذا هو الذي أرادت فاطمةُ ـ رضي الله عنها ـ والله أعلم، وأما جِوارُ المرأة وتأمينها فجائز عند جماهير الفقهاءِ إلاّ سَحْنُونَ وابن المَاجِشُون، فإنهما قالا: هو موقوف على إجازة الإمام، وقد قال عليه السلام لأُم هانىء: «قد أَجَرْنا مَن أَجَرْتِ يا أُمَّ هانىء»[2]، ورُوي معنى قولهما عن عَمْرو بن العاصي وخالد بن الوليد. وأما جِوارُ العبد، فجائز إلاّ عند أبي حنيفة، وقول النبيّ ﷺ يجير على المسلمين أدناهم يدخل فيه العبد والمرأة.

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١٩٧) والبيهقي (٩/ ٩٥) والطحاوي (٢/ ٩١) والعقيلي (٢/ ٣٤٤).
(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٠٠) ومسلم في المسافرين (٨٢) وأبو داود (٢٧٦٣) وأحمد (٦/ ٣٤١) والدارمي (٢/ ٢٣٥) ومالك (١٥٢) والحاكم (٤/ ٤٥/ ٥٣) وابن الجارود في المنتقى (١٠٥٥) وانظر الفتح (١/ ٤٦٩).

الرسول ﷺ يعدّ لفتح مكّة:

وأمر رسولُ الله ﷺ بالجَهاز، وأمر أهلَه أن يجهّزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرّك بعض جَهاز رسولِ الله ﷺ؛ فقال: أي بُنَيَّة: أأمركم رسولُ الله ﷺ أن تجهِّزوه؟ قالت: نعم، فتجهَّزْ، قال: فأين ترَيْنه يُرِيد؟ قالت: (لا) والله ما أدري. ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكّة، وأمرهم بالجِدّ والتَّهيُّؤ، وقال: اللهمّ خذ العُيون والأخبار عن قُريش حتى نَبغَتها في بلادها. فتجهَّز الناس.

حسَّان يحرّض الناس:

فقال حسَّان بن ثابت يحرّض الناس، ويذكر مُصاب رجال خُزاعة:

عَنانِي ولم أشهَد ببَطْحاء مكَّةٍ ... رِجالُ بني كَعْبٍ تُحَزّ رِقابُها

بأيْدِي رِجالٍ لم يَسُلُّوا سُيوفَهم ... وقَتْلَى كثيرٌ لم تُجَنَّ ثيابُها

ألا ليتَ شعْري هل تنالَنَّ نُصْرتي ... سُهَيل بن عمرو وخْزُها وعُقابُها

وصَفْوانُ عَوْدٌ حَنَّ من شُفرِ استه ... فهذَا أوانُ الحرْب شُدَّ عصَابُها

فَلا تَأمَنَنَّا يا ابن أمّ مُجالد ... إذا احتُلِبت ضَرفًا وأغصَل[1] نابُها

ولا تَجزَعوا منّا فإنْ سيوفَنا ... لهَا وقعَةٌ بالموْت يُفْتَحُ بابُها

قال ابن هشام: قول حسَّان:

بأيدي رجال لم يَسُلُّوا سيوفَهم

يعني قريشًا؛ «وابن أُمّ مجالد» يعني عكّرمة بن أبي جهل.

كتاب حاطب إلى قريش

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُروة بن الزّبير وغيره

حاطب بن أبي بلتعة وما كان في كتابه

فصل: وذكر كتابَ حاطِب إلى قريش، وهو حاطب بن أبي بَلْتَعَة مَوْلَى عبدِ الله بن حميد بن زُهَير بن أسد بن عَبْدِ العُزّى، والبَلْتَعَةُ في اللغة التظرف، قاله أبو عُبَيْد، واسم أبي

(١) أعصل: اشتدّ.

من عُلمائِنا، قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسيرَ إلى مكّة كتب حاطبُ بن أبي بَلْتعة كتابًا إلى قُريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأةً، زعم محمدُ بن جعفر أنها من مُزَيْنَة، وزعم لي غيره أنها سارَة، مولاةٌ لبعض بني عبد المطَّلب، وجعل لها جُعْلاً على أن تبلِّغه قريشًا، فجعلته في رأسها ثم فَتلت عليه قُرونها، ثم خرجت به؛ وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليَّ بن أبي طالب والزُّبَيْر بن العَوَّام رضي الله عنهما، فقال: أدركا امرأة قد كتبَ معها حاطبُ بن أبي بَلْتعة بكتاب إلى قريش، يحذِّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم، فخرجا حتى أدركاها بالخُلَيْفَة، خليقة بني أبي أحمد، فاستنزَلاها، فالتمساه في رَحْلها، فلم يجدا شيئًا، فقال لها عليّ بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كُذِب رسول الله ﷺ ولا كُذِبنا؛ ولتُخرجنّ لنا هذا الكتابَ أو لنكشفَنَّك، فلما رأت الجِدّ منه، قالت: أعرِض؛ فأعرض، فحلَّت قُرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدعته إليه، فأتى به رسولَ الله ﷺ. فدعا رسولُ الله ﷺ حاطبًا، فقال: «يا حاطب، ما حَملك على هذا»؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمنٌ بالله ورسوله، ما غيَّرت ولا بدّلت، ولكني كنت امرأً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهُرهم ولد وأهلٌ، فصانعتهم

بَلْتَعَةَ، عُمْرٌو، وهو لَخمِيٌّ، فيما ذكروا، ومن ذُرِّيته: زيادُ بن عبد الرحمٰن [بن زياد] الأندلُسِيّ الذي رَوى المُوَطَّأ عن مالكٍ، وهو زياد شَبْطُون، وكان قاضي طُلَيْطُلَة، وكان شَبْطُونُ زَوْجًا لأمِّه، فصُرِف به رحمه الله، وقد قيل: إنه كان في الكتابِ أن النبيَّ ﷺ قد توجّه إليكم بجيش كاللَّيل يسير كالسَّيْل، وأُقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه مُنجز له ما وَعدَه، وفي تفسير [يحيىٰ] بن سَلاَّم أنه كان في الكتابِ الذي كتبه حاطبٌ أن النبيَّ محمدًا قد نَفر إمَّا إليكم وإمَّا إلى غيرِكم، فعليكم الحَذَرَ.

تصحيف هشيم لخاخ:

وذكر أن عَلِيَّ بن أبي طالب والزُّبَيْرَ والمِقْدَادَ أدرَكوها بروضة خَاخ بخاءين منقوطتين، وكان هُشَيْمٌ يرويه: حَاج بالحاء والجيم، وهو مما حُفِظ من تَصْحيف هُشَيم، وكذلك كان يَروي: سَدَّادًا من عَوْن [بن أبي شَدَّاد] بفتح السين والمغيرة بن أبي بُرْدَةَ يقول فيه: بَرْزَة بالزاي وفَتْح الباء في تَصْحِيف كثير، وهو مع ذلك ثَبْتٌ مُتَّفَقٌ على عَدَالته، على أن البخاري، قد ذكر عن أبي عَوَانَةَ أيضًا أنه قال فيه: حَاج كما قيل عن هُشَيْم، فالله أعلم، وفي هذا الخبر من رواية الشيباني أن عائشةَ قالت: دخل عليّ أبو بكر وأنا أُغَرْبِل حِنْطَةً لنا، فسألني، وذكر باقي الحديث، وفيه من الفقه أكلُهم للبُرّ، وإن كان أغلبَ أحوالهم أكلُ الشعير، ولا يقال: حِنْطَة إلاّ للبُرّ.

عليهم. فقال عمر بن الخطّاب، يا رسول الله، دَعْني فلأضرب عُنقه، فإن الرجل قد نافق؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «وما يُدريك يا عمر، لعلّ الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر»؛ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غَفرت لكم. فأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ﴾... إلى قوله: ﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لقَوْمِهِمْ إِنَّا بُراءُ منكُمْ ومِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنا بكُمْ وَبَدَا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ والبَغْضَاءُ أَبَدًا حتى تُؤْمِنُوا بالله وَحْدَهُ﴾... إلى آخر القصّة. الممتحنة.

تفسير ﴿تلقون إليهم بالمودّة﴾:

فصل: وذكر قول الله عزَّ وجلَّ في حاطب ﴿تُلْقُونَ إليهم بالمَوَدَّةِ﴾ أي: تَبْذُلونها لهم، ودخولُ الباء وخروجُها عند الفَرَّاء سَوَاءٌ، والباء عند سيبويه لا تُزاد في الواجب، ومعنى الكلام عند طائفةٍ من البصريين: تُلْقون إليهم النَّصيحة بالمودّة، قال النَّحَّاسُ: معناه تُخْبِرُونهم بما يُخْبِرُ به الرجلُ أهل مودّتَه، وهذا التقدير إن نفع في هذا الموضع لم يَنْفَع في مثل قول العرب: ألقى إليه بوسادة أو بثوب، ونحو ذلك، فيقال: إذًا إنَّ ألقيْتَ تنقسم قسمين، أحدهما: أنْ تريدَ وضع الشيء في الأرض، فتقول: : ألقيت السَّوْط من يده، ونحو ذلك، والثاني: أن تريد معنى الرَّمْي بالشيء، فنقول: ألقيت إلى زيد بكذا: أَرمَيْتُه به، وفي الآية إنما هو إلقاءٌ بكتاب، وإرسال به، فعبَّرَ عن ذلك بالمَوَدَّة لأنه من أفعال أهل المودّة، فمن ثَمَّ حَسُنت الباءُ لأنه إرسال بشيءٍ فتأمَّله.

قـتـل الجاسـوس:

وفي الحديث دليلٌ على قَتْلِ الجاسوس، فإن عُمَرَ - رضي الله عنه - قال: دعْني فَلأَضْرِبْ عُنقَه، فقال له النبيُّ ﷺ: «وما يُدريك يا عُمَرُ لعلّ الله اطَّلَعَ إلى أصحابِ بَدْرٍ»[(١)]، الحديث، فعلّق حُكْمَ المنع من قَتْلِه بشهود بَدْرٍ، فدلّ على أن مَنْ فعل مثلَ فِعْله، وليس بِبَدْرِيٍّ أنه يُقتل. زاد البخاري في بعض روايات الحديث، قال: فاغْرُورَقَتْ عينا عُمَرَ - رضي الله عنه - وقال: الله ورسوله أعلم، يعني حين سمعه يقول في أهل بَدْرٍ ما قال، وفي مُسْنَدِ الحَارِث أن حاطبًا قال: يا رسول الله كنتُ عَزِيرًا في قُرَيْش، وكانت أُمّي بين ظَهْرَانيْهم، فأردت أن يحفظوني فيها، أو نحو هذا، ثم فَسَّر العَزِيزَ، وقال: هو الغريب.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢٣٧) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤) وأبو داود (٢٦٥٠ - بتحقيقي) والترمذي (٣٣٠٢) وأحمد (١/ ٨٠).

خـروج الرسـول في رمضـان:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن مُسلم بن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسْعود، عن عبد الله بن عباس، قال: ثم مضى رسولُ الله ﷺ لسَفَره، واستخلف على المدينة أبارُهم، كُلثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خَلف الغفاريّ، وخرج لعَشْر مَضَيْن من رمضان، فصام رسولُ الله ﷺ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكُدَيد، بين عَسْفان وأمَج أفطر.

قال ابن إسحٰق: ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهران في عشرة آلاف من المُسلمين، فسبَّعت سُليم، وبعضهم يقول: ألَّفت سُليم، وألَّفت مُزَيْنَة. وفي كلّ القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المُهاجرون والأنصار، فلم يتخلَّف عنه منهم أحد، فلما نزل رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظهران، وقد عُمِّيَت الأخبار عن قُريش، فلم يأتهم خبرٌ عن رسولِ الله ﷺ، ولا يَدْرون ما هو فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سُفيان بن حَرْب، وحكيم بن حِزام، وبُدَيل بن وَرْقَاء، يتحَسَّسُون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبرًا أو يسمعون به، وقد كان العبَّاس بن عبد المطَّلب لقي رسولَ الله ﷺ ببعض الطريق.

قال ابن هشام: لقيه بالجُحْفة مُهاجرًا بعياله، وقد كان قبل ذلك مُقِيمًا بمكّة على سِقايته، ورسولُ الله ﷺ عنه راضٍ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزُّهري.

قال ابن إسحٰق: وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب وعبد الله بن أبي أُميّة بن المُغيرة قد لقيا رسولَ الله ﷺ أيضًا بنِيق العُقَاب، فيما بين مَكّةَ والمدينة، فالتمسا الدّخول عليه، فكلَّمته أُمّ سَلمَة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمّك وابن عمّتك

عن عبد الله بن أبي أُميّة:

وذكر قول النبيّ - ﷺ - لأُمّ سَلَمَة حين استأذَنَته في أخيها عبدِ الله بن أُمَيّة: وأمّا ابنُ عَمَّتي وصِهْري فهو الذي قال لي بمكّة ما قال، يعني حين قال له: والله لا آمنتُ بك حتى تَتَّخِذَ سُلَّمًا إلى السماء، فَتَعْرُجَ فيه، وأنا أنظرُ ثم تَأتي بصَكٍّ وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن الله قد أرسلك، وقد تقدّمت هذه القصّةُ.

وعبدُ الله بن أبي أُمَيَّة هو أخو أُمّ سَلَمَةَ لأبيها، وأُمه عاتكةُ بنت عبدِ المطَّلب، وأُمُّ سَلَمَة أُمُّها عاتِكَةُ بنتُ جذْل الطِّعَانِ، وهو عامر بن قَيْس الفِرَاسِيّ، واسم أبي أُمَيَّة حُذَيْفَة وكانت عنده أربع عَوَاتِك، قد ذكرنا منهن ههُنا ثِنْتَيْن.

وصِهْرك؛ قال: لا حاجةٍ لي بهما، أما ابن عمّي فهتك عَرضي، وأما ابن عمّتي وصِهْري فهو الذي قال لي بمكّة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سُفيان بُنيٌّ له. فقال: والله ليأذننّ لي أو لآخذنّ بيدي بنيّ هذا، ثم لنذهَبنّ في الأرض حتى نموت عطشًا وجُوعًا؛ فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رقّ لهُما، ثم أذِن لهُما، فدَخلا عليه، فأسلما.

وأنشد أبو سُفيان بن الحارث قوله في إسلامه، واعتذر إليه مما كان مَضى منه، فقال:

لعَمْرُكَ إني يوم أحمِلَ رَايةً	لِتَغْلِبَ خَيلُ اللّاتِ خَيلَ محمَدِ
لكالمُدْلِجِ[1] الحيرانِ أظلَمَ ليلُهُ	فهذا أواني حين أُهْدي وأهتدَى
هداني هادٍ غيرُ نَفسِي ونالَني	مع الله مَنْ طرّدتُ كُلّ مُطَرّد
أَصُدّ وأنأى جاهدًا عن محمد	وأدعى وإن لم أنتسب من محمَّد
هُمُ ما هُمُ مَنْ لم يقُلْ بهَواهُمُ	وإن كان ذا رأيٍ يُلَمْ ويُفَنَّد
أُريد لأرضِيهِم ولستُ بِلائطٍ[2]	مع القوْم ما لم أُهْدَ في كلّ مَقْعد
فقُل لثَقِيفِ لا أُريد قِتالهَا	وقل لثقيفِ تلك: غَيرِيَ أوعِدِي
فما كنت في الجَيْش الذي نال عامرًا	وما كان عن جَرًا لساني ولا يَدِي

عن أبي سُفيان بن الحارث وابنه وقصيدته:

وقول أبي سُفيانَ بن الحارثِ: أو لآخُذَنَّ بيدِ بُنَيّ هذا، ثم لنَذْهَبَنَّ في الأرض. لم يذكر ابن إسحٰق اسمَ ابنِه ذلك، ولعلّه أن يكون جَعْفَرًا، فقد كان إذ ذاك غُلامًا مُدْرِكًا، وشهد مع أبيه حُنَيْنًا، ومات في خلافة معاويةَ، ولا عَقِبَ له.

وذكر الزُّبَيْرُ لأبي سُفْيَانَ ولدًا يُكْنَى أبا الهَيّاج في حديث ذكره لا أدري: أهو جَعْفَرٌ أم غيره، ومات أبو سفيان في خلافَةِ عُمَرَ رضي الله عنه، وقال عند موته: لاَ تَبْكُنَّ عليَّ، فإني لم أنتَطِفْ بخَطِيئَةٍ منذ أسلمت، ومات من ثُؤْلُولٍ حَلَقه الحلاقُ في حَجٍّ فقطعه مع الشعر فَنَزَف منه، وقيل في اسم أبي سُفْيَانَ: المُغِيرة، وقيل: بل المغيرة أخوه، قال القُتَبِيُّ: إخوتُه: المغيرة ونَوْفَلٌ وعَبْدُ شَمْسٍ ورَبيعةُ بنو الحارث بن عَبْدِ المُطَلِب.

(١) مدلج: أي سائر ليلاً.

(٢) لائط: ملعون.

قَبائلُ جاءتْ مِن بِلادٍ بَعيدَةٍ نزائعَ جاءت مِنْ سَهام وسُرْدَد[1]

قال ابن هشام: ويُروى «ودَلّني على الحقّ من طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَّرد».

قال ابن إسحٰق: فزعموا أنه حين أنشد رسولَ الله ﷺ قولَه: «ونالني مع الله مَنْ طَرَّدْت كُلَّ مُطَرَّد» ضرب رسولُ الله ﷺ في صَدْره، وقال: «أنت طَرّدْتني كل مُطَرَّد»[2].

قصّة إسلام أبي سُفيان على يد العباس

فلما نزل رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهران، قال العبَّاس بن عبد المطَّلب، فقلت: واصباح قُرَيش، والله لئن دخل رسولُ الله ﷺ مكّة عَنْوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاكُ قُريش إلى آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة رسولِ الله ﷺ البيضاء، فخرجتُ عليها. قال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعلّي أجد بعضَ الحطَّابة أو صاحبَ لبن أو ذا

وزن فعلـلـل:

وقـولـه:

نَـزَائِـعَ جـاءت مـن سَـهَـامٍ وسُـرْدَد

على وزن فَعَالٍ بفتح الفاء، وسُرْدَد بضم أوّله وإسكان ثانيه هكذا ذكره سيبويه ويعقوب، وبفتح الدال ذكره غيرهما، وهما موضعان من أرض عَكٍّ، وذلك أن سيبويه من أصله أنه ليس في الكلام فُعْلَل بالفتح، وحكاه الكوفيون في جُنْدَب وسُرْدَد، وغيرهما، ولا ينبغي أيضًا على أصل سيبويه أن يمتنعَ الفتحُ في سُرْدَد، لأن إحدى الدالين زائدة من أجل الضعيف، وإنما الذي يمتنع في الأبنية مثل جعفر بضم أوّله وفتح ثانيه، فمثل سُرْدَدَ والسُّودَد والحُوَلّل جمع حائل، وما ذكره بعضهم من طُحْلَب ويُرْفَع وجُؤْذَر، فهو دخيل في الكلام، ولا يُجْعل أصلاً، ولا يمتنع أيضًا جُنْدَب بفتح الدال، لأن النون زائدة.

عـود إلى أبي سُفيان

وكان أبو سُفيَان رَضِيعَ رسول الله ـ ﷺ ـ أرضعتهما حَلِيمةُ، وكان آلف النّاس له قبل النبوّة لا يفارقه، فلما نُبِّىءَ كان أبعدَ النّاس عنه، وأهجاهم له إلى أن أسلم، فكان أَصَحَّ النّاسِ إيمانًا، وألزمَهم له ﷺ، ولأبي سُفيان هذا قال النبيُّ ﷺ: «أنت يا أبا سُفْيَان، كما قيل: كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا»[3]، وقيل: بل قالها لأبي سُفْيَانَ بن حَرْبٍ، والأوّل أصحّ.

---

(١) سردد: دروع.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٢٨).

(٣) الفرا: الحمار الوحش.

حاجة يأتي مكّة، فيُخبرَهم بمكان رسولِ الله ﷺ ليَخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنوة. قال: فوالله إني لأسير عليها، وألتمس ما خرجت له، إذ سمعت كلام أبي سُفيان وبُديل بن ورقاء، وهما يتراجعان وأبو سُفيان يقول: ما رأيت كاللّيلة نيرانًا قطّ ولا عسكرًا قال: يقول بُدَيْل: هذه والله خُزاعة حَمَشَتْها الحرب. قال: يقول أبو سُفيان: خُزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها؛ قال: فعرَفت صوته؛ فقلت: يا أبا حنظلة فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم؛ قال: ما لك؟ فداك أبي وأُمي؛ قال: قلت: وَيْحَك يا أبا سُفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصَباح قُرَيْشٍ والله. قال: فما الحِيلة؟ فداك أبي وأمي؛ قال: قلت والله لئن ظَفر بك ليضربَنَّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسولَ الله ﷺ فأسْتأمنه لك؛ قال: فركب خلفي ورجَع صاحباه؛ قال: فجئت به، كلّما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عمّ رسول الله ﷺ على بغلته، حتّى مررت بنار عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال: من هذا؟ وقام إليّ، فلما رأى أبا سُفيان على عجز الدابة، قال: أبو سُفيان عدوّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد، ثم خرج يَشْتَدُّ نحو رسولِ الله ﷺ، وركضْتُ البغلَة، فسبقته بما تسبق الدابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيء قال: فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسولِ الله ﷺ، ودخل عليه عمرُ، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سُفيان قد أمكن الله منه بغير عَقْد ولا عهد،

وقول بُدَيْل: حمَشَتْهُم الحربُ، يقال: حَمَشْتُ الرجل إذا أغضبْته، وحَمَشْتُ النارَ أيضًا إذا أوقدْتها، ويقال: حَمَسْتُ بالسين.

عن إسلام سُفيان بن حرب:

وذكر عَبْدُ بن حميد في إسْلامَ أبي سُفْيَان بن حَرْبٍ أن العباسَ لما احتمله معه إلى قُبّتِه، فأصبح عنده، رأى النّاس وقد ثاروا إلى ظُهورهم، فقال أبو سُفيَان: يا أبا الفضل ما للنّاس!! أأُمِرُوا فِيَّ بِشَيْءٍ؟ قال: لا، ولكنهم قاموا إلى الصلاة، فأمره العباس فتوضّأ، ثم انطلق به إلى النبيّ ﷺ، فلما دخل عليه السلام في الصلاة كبّر فكبّر الناسُ بتكبيره، ثم ركع فركعوا، ثم رفع فرفعوا، فقال أبو سُفيان: ما رأيت كاليوم طاعَةَ قوم جمعهم من ههُنا وههُنَا، ولا فارِس الأكَارِم، ولا الرّوم ذات القُرُون بأطْوَعَ منهم له، وفي حديثِ عَبْد بن حميد أن أبا سُفيان قال للنبيّ ﷺ، حين عرض عليه الإسلام: كيف أصنع بالعُزّى؟ فسمعه عمرُ رضي الله عنه من وراء القُبّة، فقال له: نَخْرَا عليها، فقال له أبو سُفيان: وَيْحَك يا عمر!! إنك رجل فاحِشٌ دعني مع ابن عَمّي، فإيّاه أُكَلِّم.

فدَعْني فلأضرب عنقه؛ قال: قلت: يا رسول الله، أني قد أجرتُه، ثم جلستُ إلى رسولِ الله ﷺ، فأخذتُ برأسه، فقلت: والله لا يُناجيه الليلةَ دوني رجل؛ فلما أكثر عمر في شأنه، قال: قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من بني عديّ بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف؛ فقال: مهلاً يا عبَّاس، فوالله لإسلامُك يوم أسْلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطَّاب لو أسلم، وما بي إلاّ أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسولِ الله ﷺ من إسلام الخطَّاب لو أسلم، فقال رسولُ الله ﷺ: «اذهب به يا عبَّاس إلى رَحْلك، فإذا أصبحتَ فأتِني بِه»، قال: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غَدَوْتُ به إلى رسولِ الله ﷺ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ، قال: «ويحك يا أبا سُفيان، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أنه لا إلـٰه إلاّ الله؟» قال: بأبي أنت وأُمي ما أحْلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إلـٰه غيره لقد أغنى عني شيئًا بعد، قال: «ويحك يا أبا سُفيان! ألم يأنِ لك أن تعلم أني رسولُ الله؟» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئًا. فقال له العبَّاس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله قبل أن تُضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحقّ، فأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سُفيان رجل يحبّ هذا الفخر، فاجعل له شيئًا، قال: «نعم، من دخل دار أبي سُفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»، فلما ذهبَ لينصرفَ قال رسولُ الله ﷺ: «يا عبَّاس، احبسه بمَضِيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمرّ به جنود الله فيراها». قال: فخرجتُ حتى حبَسْتُه بمضيق الوادي، حيث أمرني رسولُ الله ﷺ أن أحْبِسه.

عـرض الجيـش:

قال: ومرَّت القبائل على راياتها، كلما مرَّت قبيلة قال: يا عبَّاس، مَن هذه؟ فأقول: سُليم، فيقول: ما لي ولسُليم، ثم تمرّ القبيلة فيقول: يا عبَّاس، مَن هؤلاء؟ فأقول: مُزينة، فيقول: ما لي ولمُزينة، حتى نفدت القبائل، ما تمرّ به قبيلة إلاّ يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: ما لي ولبني فلان، حتى مرَّ رسولُ الله ﷺ في كتيبته الخضراء.

وذكر قول أبي سُفْيَان: لقد أصْبَحَ مُلْكُ ابن أخيك الغَدَاةَ عظيمًا، وقول العباس له: إنها النبوة، قال شيخنا أبو بكر رحمه الله: إنما أنكر العباسُ عليه أن ذكر الملك مُجَرَّدًا من النُّبُوَّةِ مع أنه كان في أوّل دخوله في الإسلام، وإلاّ فجائز أن يُسَمَّى مثل هذا مُلْكًا، وإن كان لِنَبِيٍّ فقد قال الله تعالى في داود ﴿وشَدَدْنَا مُلْكَه﴾ [صٓ: ٢٠] وقال سليمان: ﴿وَهَبْ لي

قال ابن هشام: وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.

قال الحارث بن حِلِّزَة اليشكري:

ثـم حُـجْـرا أعـنـي ابـن أُمّ قَـطـامٍ   ولَــهُ فــارِســيَّــة خَــضْــراء

يعني الكتيبة، وهذا البيت في قصيدة له، وقال حسَّان بن ثابت الأنصاري:

لـمَّـا رأى بَـدْرًا تَـسِـيـل جِـلاهُـهُ   بـكـتـيـبـة خـضـراء مِـنْ بَـلْـخَـزْرَج

وهذا البيت في أبيات له قد كتبناها في أشعار يوم بدر.

قال ابن إسحٰق: فيها المهاجرون والأنصار، رضي الله عنهم، لا يرى منهم إلاّ الحَدق من الحديد، فقال: سبحان الله: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار؛ قال: ما لأحد بهؤلاءِ قِبَلٌ ولا طاقة، والله يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيمًا، قال: قلت: يا أبا سُفيان، إنها النبوّة. قال: فنعم إذن.

أبو سُفيان يحذّر أهل مكّة:

قال: قلت: النجاءَ إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سُفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عُتبة، فأخذت بشاربه، فقالت: اقتلُوا الحَمِيتَ الدَّسِم الأحْمَس، قُبِّحَ

مُلْكًا﴾ [صَ: ٣٥] غير أن الكراهية أظهر في تسمية حال النبيّ ﷺ مُلْكًا لما جاء في الحديث أن النبيّ ﷺ خُيِّر بين أن يكون نبيًا عَبْدًا، أو نبيًا مَلِكًا، فالتفت إلى جبريل، فأشار إليه أن تَوَضَعْ، فقال: بل نبيًا عَبْدًا أشبَع يَوْمًا، وأجوع يومًا، وإنكار العبَّاس على أبي سُفيان يقوِّي هذا المعنى، وأمر الخلفاء الأربعة بعده يكره أيضًا أن يُسَمَّى ملكًا، لقوله عليه السلام في حديث آخر: «يكون بعده خُلَفَاء، ثم يكون أمراء، ثم يكون ملوك، ثم جَبَابرة»، ويُروى: ثم يعود الأمر بَزَيْزِيًا، وهو تصحيف، قال الخطابي: إنما هو بِزِّيزَي، أي: قَتْل وسَلْب.

قول هند عن أبي سُفيان:

وقول هندٍ: اقتلوا الحَمِيتَ الدَّسِمَ الأحْمَسَ. الحَمِيتُ: الزقُّ، نسبته إلى الضُّخْم والسِّمَنِ، والأَحْمَسُ أيضًا الذي لا خير عنده، من قولهم: عام أَحْمَسُ إذا لم يكن فيه مَطَرٌ، وزاد عَبْدُ بن حميد في حديثه أنها قالت: يا آل غَالِبٍ اقتلوا الأحْمَقَ، فقال لها أبو سُفيان:

من طَلِيعة قوم! قال: وليكم لا تغرّنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سُفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تُغني عنّا دارُك، قال: ومن أغلَق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

وصول النبيّ ﷺ إلى ذي طوى:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طُوى وقف على راحلته مُعْتَجِرًا بشُقَّة بُرْدٍ حِبَرة حمراء، وإن رسولَ الله ﷺ ليَضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسّ واسطة الرحْل.

إسلام والد أبي بكر

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير، عن أبيه، عن جدّته أسماء بنت أبي بكر، قالت: لمّا وقف رسولُ الله ﷺ بذي طُوى قال أبو قُحافة لابنة من أصغر ولده: أي بنيّة، اظْهَري بي على أبي قبيس، قالت: وقد كُفَّ بصره، قالت: فأشرفت به عليه، فقال: أي بُنيَّة، ماذا تَرَيْنْ؟ قالت: أرى سَوَادًا مجتمعًا، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك مُقبِلاً ومُدْبرًا، قال: أي بُنَيَّة، ذلك

والله لَتُسْلِمِنَّ أو لأَضْرِبَنّ عُنُقَكِ، وفي إسلام أبي سُفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عِدَّتها، ثم اسْتَقَرّا على نكاحِهما وكذلك حَكِيم بن حِزَام مع امرأته حُجَّةٌ للشافِعِيّ، فإنه لم يفرق بين أن تُسْلِم قبلَه، أو يسلم قبلها، ما دامت في العدَّة. وفَرَّق مالكٌ بين المسألتين على ما في المُوَطَّأ وغيرِه.

إسـلام أبي قحافـة

وذكر إسلاَم أبي قُحَافَة، واسمه: عُثْمانُ بن عَامِرٍ، واسم أُمّه: قَيْلَةُ بنت أَذاة.

وقوله لبنت له: وهي أصغر ولدِه، يريدِ والله أعلم أصغر أوْلاَدِه الذين لصُلْبه، وأولادهم، لأن أبا قُحَافةَ لم يعش له ولد ذَكَرٌ إلاّ أبو بكر، ولا تُعْرَفُ له بنت إلاّ أُمّ فَرْوَةَ التي أنكحها أبو بكر رضي الله عنه مِن الأشعث بن قيس، وكانت قَبْلَه تحت تَمِيم الدّارِيّ، فهي هذه التي ذكر ابن إسحٰق والله أعلم. وقد قيل: كانت له بنت أخرى تُسَمّى قُرَيْبَة تَزَوَّجها قَيسُ بن سَعْدِ بن عُبادَةَ، فالمذكورة في حديث أبي قُحافة هي إحدى هاتينِ على هذا، والله أعلم.

الوازع، يعني الذي يأمر الخيل ويتقدّم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، قالت: فقال: قد والله إذن دُفِعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطَّت به، وتلقاه الخيلُ قبل أن يصلَ إلى بيته، قالت: وفي عنق الجارية طَوْقٌ من وَرِق، فتلقَّاها رجل فيقتطعه من عنقها، قالت: فلما دخل رسولُ الله ﷺ مكّة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسولُ الله ﷺ قال: «هلاّ تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟» قال أبو بكر: يا رَسول الله، هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مَسح صدره، ثم قال له: «أَسْلِمْ» فأسلم، قالت: فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثَغَامَةٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «غَيِّرُوا هذا من شَعْرِه»، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي، فلم يُجبه أحد، قالت: فقال: أي أُخَيَّة، احتسبي طوقك، إنّ الأمانة في الناس اليوم لقليل.

وفي الحديث: وكان رأسُه ثَغَامَةً، والثَّغَامُ من نبات الجبال، وهو من الجَنَبَةِ، وأشدّ ما يكون بيَاضًا إذا أمْحلَ، والحَلِيُّ مِثْلُه يُشَبَّه به الشَّيْبُ، قال الراجز:

ولِـمَّـتِـي كـأنّـهـا حَـلِـيَّـة

حكم الخضاب:

وقولُ النبيّ - ﷺ - في شَيْبِ أبي قُحَافَة «غَيِّروا هذا»[1] من شَعْرِه، هو على النَّدْب، لا على الوُجُوب، لما دلّ على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يُغيِّر شَيْبَه، وقد رَوى من طريق أبي هُرَيْرَة أنه خَضَبَ. وقال مَنْ جمع بين الحديثين: إنما كانت شَيْبَاتٍ يَسِيرَةً يغيِّرها بالطِّيب. وقال أَنَسٌ: لم يبلغ النبيّ ﷺ حَدّ الخِضَابِ، وفي البخاري عن عثمان بن مَوْهَب قال: أَرَتْني أم سَلَمَةَ شَعْرًا من شَعْر رسول الله - ﷺ - وفيه أيضًا عن ابن مَوْهَبٍ قال: بعثني أهلي بقدَح إلى أُمّ سَلَمَة، وذكر الحديث: وفيه اطَّلَعْتُ في الجُلْجُل فرأيت شَعَرَاتٍ حُمْرًا، وهذا كَلامٌ مُشْكِلٌ وشرحه في مُسْنَد وَكِيع بن الجَرّاحِ قال: كان جُلْجُلاً من فِضَّة صُنِع صِيوَانًا لشَعَرَاتٍ كانت عندهم من شَعْرِ رسولِ الله ﷺ.

فإن قيل: فهذا يَدُلُّ على أنه كان مَخْضُوبَ الشَّيْب، وقد صحّ من حديث أَنَسٍ وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يَخْضِبَ إنما كانت شَعَرَاتٍ تُعَدُّ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٠٤ بتحقيق) والنسائي (١٣٨/٨) وأبو عوانة (٧٤/٢) والبيهقي في الآداب (٧٢١ ـ بتحقيقي) وأحمد (٣٤٩/٦) وابن حبان (١٧٠٠ ـ موارد).

جيوش المسلمين تدخل مكّة

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح أن رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طُوًى، أمَرَ الزّبير بن العوّام أن يدخل في بعض الناس من كُدًى، وكان الزّبير على المُجَنِّبة اليسرى، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء.

فالجواب: أنه لما تُوُفِّي خَضَبَ مَنْ كان عنده شيءٌ من شَعْرِه تلك الشعرات ليكونَ أبقى لها، كذلك قال الدَّارَقُطْني في أسماء رجال الموطأ له، وكان أبو بكر يَخضِبُ بالحِناء والكَتم، وكان عمر يَخْضِب بالصُّفْرَةِ، وكذلك عُثْمانُ وعبدُ الله بن عُمَرَ، وكان فيهم من يَخْضِبُ بالخِطْرِ، وهو الوَسْمَةُ، وأما الصُّفْرَةُ، فكانت من الوَرْسِ، أو الكُرْكُم وهو الزَّعْفرانُ، والوَرْسُ ينبُت باليَمَنِ يقال لجيِّدِه: بادِرَة الوَرْسِ، ومن أنواعه: العسف والحَبَشِيّ وهو آخره، ويقال منِ الحِنَّاء: حَنَّأَ شَيْبَه ورَقَّنه، وجمع الحِنَّاءَ حِنَّان على غير قياس، قال الشاعر:

ولـقـد أَرُوحُ بِـلِـمَّـةٍ فَـيـنَـانَـةٍ ... سَـوْدَاءَ قـد رُوِيَـتْ مـن الـحِـنَّـان

من كتاب أبي حنيفة، وبعضُ أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحٰق في شَيْب أبي قُحَافَةَ: وجَنِّبوه السَّوادَ، وأكثرُ العلماء على كراهة الخِضَابِ بالسَّواد من أجل هذا الحديث، ومن أجل حديث آخر جاء في الوعيد والنهي لمن خَضَب بالسَّواد، وقيل: أوّل من خَضَب بالسَّوادِ فرْعَوْنُ، وقيل: أوّل من خَضَبَ به من العربِ عبدُ المطَّلب، وتَرَخَّص قومٌ في الخِضَابِ بالسَّوادِ منهم محمد بن عليّ، ورُوي عن عُمَرَ أنه قال: أخْضِبوا بالسواد، فإنه أنْكى للعدوّ، وأحَبُّ للنساء. وقال ابن بَطَّال في الشرح: إذا كان الرجُل كَهلاً لم يبلغ الهرم جاز له الخِضَابُ بالسَّواد، لأن في ذلك ما قال عمر رضي الله عنه من الإرْهَابِ على العَدُوِّ والتحبُّبِ إلى النِّساء، وأما إذا قَوَّس واحدَودَبَّ فحينئذ يُكرَه له السوادُ، كما قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ في أبي قحافة: «غَيِّروا شيبَه، وجَنِّبُوه السوادَ».

كـداء وكـدى

فصل: وذكَر كَدَاء بفتح الكاف والمدّ، وهو بأعلى مَكَّة، وكُدَى وهو من ناحية عَرَفَةَ، وبمكّة موضعٌ ثالث يقال: كُدًا بضم الكاف والقصر، وأنشدوا في كَداء وكُدَىٌ:

أَقْـفَـرَتْ بـعـد عَـبْـد شَـمْـسٍ كَـدَاءُ ... فَـكُـدَيٌّ فـالـرُّكْـنَ والـبَـطْـحـاءُ

والبيتُ لابن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يذكر بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بن عَبْدِ وُدٍّ العامِرِيِّين رَهْط سُهَيْل بن عَمْرو.

المهاجـرون وسعـد

قال ابن إسحٰق: فزعم بعض أهل العلم أن سعدًا حين وُجه داخلاً، قال: اليومُ يومُ المَلْحمة، اليوم تُسْتَحَلّ الحُرمة، فسمعها رجلٌ من المهاجرين ـ قال ابن هشام: هو عمر بن الخطَّاب ـ فقال: يا رسول الله: اسمع ما قال سعد بن عُبادة، ما نأمَن أن يكون له في قُرَيْش صَوْلة، فقال رسولُ الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب: «أدركه، فخُذ الراية منه فكُن أنت الذي تدخُل بها».

موقـف إبراهيـم بكـداء:

وبكَدَاء وَقَفَ إبراهيم عليه السلام حين دعا لذرّيته بالحرَم، كذلك رَوى سَعيد بن جُبَيْر عن ابنِ عَبَّاسٍ، فقال: ﴿فاجْعَلْ أفْئِدَةً من النّاس تَهْوِي إليهم﴾ فاستجيبت دعوتُه، وقيل له: أَذِّن في النّاس بالحَجِّ يأتوك رِجَالاً، ألا تراه يقول: يأتُوك، ولم يقل: يأتُونِي، لأنها استجابة لدعوته، فمن ثَمَّ ـ والله أعلم ـ اسْتَحَبَّ النبيُّ ﷺ إذا أتى لمكّة أن يدخلها مِنْ كَدَاء، لأنه الموضِع الذي دعا فيه إبراهيمُ بأن يجعل أفئدةً من النّاس تَهْوي إليهم.

موقف الرّسول ﷺ من سعد

فصل: وذكر نزْع الرايةِ من سعد حين قال: اليوم يوم المَلْحَمَةِ. وزاد غير ابن إسحٰق في الخبر أن ضِرَارَ بن الخطّابِ قال يومئذ شعرًا حين سمع قول سعدٍ استعطف فيه النبيَّ ﷺ على قريشٍ، وهو من أجود شِعْرٍ له:

يـا نَـبِـيَّ الـهُـدَى إلـيـك لَـجَـا حَـ	ـيُّ قُـرَيْـشٍ، ولاتَ حِـيـن لَـجَـاءِ
حِـيـنَ ضَـاقَـتْ عـلـيـهُـمُ سَـعَـةُ الأرْ	ضِ وَعـادَاهُـم إلـٰـهُ الـسَّـمـاءِ
والْـتَـقَـتْ حَـلْـقـتَـا الـبِـطَـانِ عـلـى الـقَـ	ـوْم ونُـودُوا بـالـصَّـيْـلَـم الـصَّـلْـعَـاءِ
إن سَـعْـدًا يـريـد قـاصِـمَـةَ الـظَّـهْـ	ـر بـأَهْـلِ الـحَـجُـونِ والـبَـطْـحَـاءِ
خَـزْرَجِـيٌّ لـو يَـسْـتَـطِـيـعُ مـن الـغَـيْـ	ـظِ رَمَـانَـا بـالـنَّـسْـرِ والـعَـوَّاءِ
فـلـئـن أَقْـحَـمَ الْـلـواءَ، ونـادى	يـا حُـمَـاةَ الْـلـوَاءِ أهـلَ الْـلـواءِ
لَـتَـكُـونَـنَّ بـالـبِـطَـاحِ قـريـشٌ	بَـقْـعـة الـقَـاعِ فـي أَكُـفِّ الإِمَـاءِ[1]

فحينئذٍ انْتَزَع النبيُّ ﷺ الرايةَ من سَعْد بن عُبَادَةَ فيما ذكروا، والله أعلم، ومدَّ في هذا الشعر العَوَّاء، وأنكر الفارسيّ في بعض كتبه مَدَّها، وقال: لو مدّت لقيل فيها: العَيَّاء، كما

---

(١) انظر المواهب اللدنية (٤/ ٢٩٥).

كيد دخل الجيش مكّة؟:

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه: أن رسولَ الله ﷺ أمر خالد بن الوليد، فدخل من اللِّيط، أسفلَ مكّة، في بعض الناس، وكان خالد على المُجَنِّبَةِ اليُمنى، وفيها أسلمُ وسُلَيم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب. وأقبل أبو عُبيدة بن الجرّاح بالصفّ من المسلمين يَنصبّ لمكّة بين يدَي رسول الله ﷺ، ودخل رسولُ الله ﷺ من أذاخِر، حتى نزل بأعلى مكّة وضُربت له هنالك قُبَّته.

الذين تعرّضوا للمسلمين:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح وعبد الله بن أبي بكر: أن صَفوان بن أُميّة وعِكْرِمة بن أبي جهل وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسًا بالخَندمة ليُقاتلوا، وقد كان حِماس بن قَيْس بن خالد، أخو بني بكر، يُعدّ سلاحًا قبل دُخول رسول الله ﷺ، ويُصلح منه، فقالت له امرأته: لماذا تعِدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: والله إني لأرجو أن أُخْدِمَك بعضَهم، ثم قال:

إن يُقبِلوا اليومَ فما لي عِلَّة هذا سلاحٌ كامِلٌ وألَّه

وذو غِرارين سريع السَّلَّه

ثم شهد الخَندمة مع صَفوان وسُهيل وعِكْرِمة، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد، ناوشوهم شيئًا من قتال، فقتل كُرز بن جابر، أحد بني محارب بن فِهْر، وخُنَيْس بن خالد بن ربيعة بن أَصْرَم، حليف بني مُنقَذ، وكانا في خيل خالد بن الوليد

قيل في: العَلْيَاء، لأنها ليست بصفة كالعَشْوَاء، قال: وإنما هي مَقْصُورة كالشَّرْوَى والنَّجْوَى، وغفل عن وجه ذكره أبو عليّ القالي، فإنه قال: عن مدّ العَوَّاء فهي عنده فَعَّال من عَوَيْت الشَيء إذا لويت طَرَفَه، وهذا حسن جدًا لا سِيَّما، وقد صحّ مدُّها في الشعر الذي تقدّم، وغيره، والأصحّ في معناها: أن العَوَّاء من العُوَّةِ، والعُوَّةُ هي الدُّبُرُ، فكأنهم سَمَّوْها بذلك، لأنها دُبُرُ الأسد من البرُوج.

خنيس بن خالد:

فصل: وذكر خُنَيْسَ بنَ خَالِدٍ، وقولَ ابنِ هِشَامٍ: خُنَيْسُ من خُزَاعَة، لم يختلفوا عن ابن إسحٰق أنه خُنَيْسُ بالخاء المنقوطة والنون، وأكثر من ألّف في المُؤْتلِفِ والمُختَلِف يقول: الصواب فيه: حُبَيْش بالحاء المهملة والباء والشين المنقوطة، وكذلك في حاشية الشيخ عن

فشذّا عنه فسلكا طريقًا غير طريقه فقتلا جميعًا قُتل خُنَيْس بن خالد قبل كُرْز بن جابر، فجعله كُرْز بن جابر بين رجليه، ثم قاتَل عنه حتى قُتل، وهو يَرْتَجِزُ ويقول:

قد علمتْ صَفْراءُ من بني فِهِرْ نَقِيَّةُ الوَجْهِ نقيَّةُ الصَّدِرْ
لأضرِبنَّ اليومَ عن أبي صَخِرْ

قال ابن هشام: وكان خُنيس يُكنى أبا صخْرٍ، قال ابنُ هشام: خُنيس بن خالد، من خُزاعة.

أبي الوليد أن الصوابَ فيه حُبَيْش، وأبوه خَالِد هو الأشْعَر بنُ خُنَيْفٍ، وقد رفعنا نسبَه عند ذكر أم مَعْبَدٍ، لأنها بنتُه، وهو بالشين المنقوطة، وأما الأسْعَرُ بالسين المهملة، فهو الأسْعَرُ الجُعْفِيُّ، واسمه: مَرْثَد بن عِمْرَانَ، وسُمِّي الأسعر لقوله:

فلا يَدْعُنِي قَوْمِي لسَعْدِ بن مَالِكٍ لئن أنا لم أَسْعَرْ عليهم وأُثْقِبِ

يعني بمالك: مَذْحِج.

وذكر الرَّجز الذي لكُرْز:

قد عَلِمَتْ صَفْرَاءُ من بني فِهِرْ

أشار بقوله: صَفْرَاءَ إلى صُفرةِ الخَلُوقِ، وقيل: بل أراد معنى: قول امْرَىء القيس:

كَبِكْرِ مُقَانَاةِ البَيَاضُ بصُفْرَةٍ غَذَاها نَمِيرُ الماء غير مُحَلَّلِ

وكقول الأعشى:

تُرْضيك مِنْ دَلٍّ ومِنْ حُسْنٍ مُخَالِطُه غَرَارَة
حَمْرَاءُ غَذوتُها، وصَفْرَاءُ العَشِيَّةِ كالعَرَارَة

وقوله: من بني فِهِرْ بكسر الهاء، وكذلك الصَّدِرْ في البيت الثاني، وأبو صَخِرٍ هذا على مذهب العَرب في الوقف على ما أَوْسَطُه ساكن، فإنَّ منهم من ينقل حركة لام الفِعْل إلى عَيْن الفِعْل في الوقْفِ، وذلك إذا كان الاسمُ مَرْفوعًا أو مَخْفوضًا، ولا يفعلون ذلك في النَّصْبِ، وعِلَلَهُ مُسْتَقْصاةٌ في النحو.

حول: لماذا وموتمة:

وذكر خَبَر حِمَاسٍ وقولَ امرأتِه له: لماذا تُعِدُّ السلاحَ بإثبات الألِفِ، ولا يجوز حذفُها من أجل تركيب ذا مَعَها، والمعروفُ في ما إذا كانت استفهامًا مجرورة أن تحذف منها الألف، فيقال: لِمَ، وبِمَ، قال ابن السراج: الدليلُ على أن ذا جُعلَتْ مع ما اسمًا واحدًا أنهم اتفقوا على إثبات الألف مع حرف الجر، فيقولون: لماذا فعلت، وبماذا جئت، وهو معنى قول سيبويه.

قال ابن إسحٰق: حدّثني عبد الله بن أبي نَجِيحٍ وعبد الله بن بكر، قالا: وأُصيب من جُهينةَ سَلَمة بن المَيْلاء، من خيل خالد بن الوليد، وأُصيب من المشركين ناسٌ قريبٌ من اثني عشر رجلاً، أو ثَلاثَةَ عَشَرَ رجلاً، ثم انهزموا، فخرج حَماسٌ منهزمًا حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته: أغلقي عليّ بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنَّكِ لو شهدتِ يوم الخَندَمَهْ ... إذ فرّ صَفْوَانُ وفرّ عِكْرِمةْ
وأبو يَزِيدَ قائم كالمُوتَمة ... واستقبلتْهُمْ بالسُّيوف المُسْلِمةْ

حول رجزي حماس:

وقوله:

وذو غِرارَيْنِ سريع السِّلّه

بكسر السين هو الرواية، يريد الحالة من سَلِّ السيف، ومن أراد المصدر فَتَح.

وقوله:

وأبو يزيدَ قائم كالمُؤتِمَة

يريد: المرأةَ لها أيتامُ، والأعرف في مثل هذا مُوتِم مثل مُطْفِل، وجمعها مياتِم، وقال ابن إسحٰق في غير هذه الرواية: المُوْتِمة: الأسطوانة، وهو تفسير غريب، وهو أصحّ من التفسير الأوّل، لأنه تفسير راوي الحديث، فعلى قول ابن إسحٰق هذا يكون لفظ المُوْتِمة من قولهم: وَتَم، وأَتَم إذا ثبت، لأن الأسطوانة تثبت ما عليها، ويقال فيها على هذا مُؤْتِمَةٌ بالهمز، وتجمع مآتم، وموتمة بلا همز، وتجمع: مواتم.

وقوله: وأبو يَزِيدَ بقلب الهمزة من أبو ألفًا ساكنة، فيه حجةٌ لوَرْش [واسمه: عثمان بن سعيد بن عبد الله حيث أبدل الهمزةَ ألفًا ساكِنَةً، وهي متحرّكة، وإنما قياسُها عند النحويين أن تكون بَيْن بَيْن.

ومثل قوله: وأبو يزيد، قول الفرزدق:

فارعَيْ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ المَرْتَع

وإنما هو هَنَأَكَ بالهمز وتسهيلها بَيْن بَيْنَ، فقلبها ألفًا على غير القِياس المعروف في النحو، وكذلك قولُهم في المِنْسَاة، وهي العصا، وأصلها الهمز، لأنها مِفْعَلَة من نَسأتُ، ولكنها في التنزيل كما ترى، وأبو يَزِيدَ الذي عنى في هذا البيت، هو سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو خطيبُ قريشٍ.

يقطعنَ كلّ ساعد وجُمْجُمةْ ضَرْبًا فلا يُسْمَع إلا غَمْغَمَة
لهم نَهِيتُ خَلْفَنا وهَمْهَمة لم تنطِقي في اللّومِ أدْنى كَلِمَة

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قوله: «كالموتَمة» وتُروى للرعاش الهذلي.

شعار المسلمين يوم الفتح:

وكان شِعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة وحُنين والطائف، شعارُ المهاجرين: يا بني عبد الرحمٰن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عُبيد الله.

من أَمَر الرسول بقتلهم:

قال ابن إسحٰق: وكان رسولُ الله ﷺ قد عَهِدَ إلى أُمرائه من المسلمين، حين أَمرهم أن يدخلوا مكّة، أن لا يُقاتلوا إلاّ من قاتلهم، إلاّ أنه قد عَهِد في نفر سمّاهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد، أخو بني عامر بن لؤَيّ.

وقوله: لهم نَهيتٌ: النهيتُ: صوتُ الصَّدْرِ، وأكثر ما توصف به الأُسدُ، قال ابن الأَسْلَت:

كأنهم أسْدٌ لَدَى أَشْبُلِ يَنْهِتْنَ في غِيلٍ وأَجْزَاع

والغَمْغَمَةُ: أصواتٌ غيرُ مفهومة من اختلاطها.

طرف من أحكام أرض مكّة:

ونذكر هاهُنا طَرَفًا من أحكام أرض مَكّةَ، فقد اختلف: هل افتتحها النبيُّ ﷺ عَنْوَة أو صُلْحًا، ليبتني على ذلك الحكم: هل أرضُها مِلْكٌ لأهلها أم لا؟ وذلك أن عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكّة إذا قدم الحاجُّ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمكّة أن يَنْهى أهلَها عن كِرَاء دورها إذا جاء الحاجُّ فإن ذلك لا يحلّ لهم. وقال مالكَ ـ رحمه الله ـ إن كان الناسُ لَيَضرِبُونَ فَسَاطِيطَهُم بدُور مكّةَ لا ينهاهم أحدٌ، ورُوي أن دور مَكّة كانت تُدْعَى السَّوائب، وهذا كُلُّه منتزع من أصلين أحدُهما: قوله تبارك وتعالى: ﴿والمسجدِ الحَرَام الذي جَعَلْناهُ للنّاسِ سَوَاءً العاكِفُ فيه والبَادِ﴾ [الحجّ: ٢٥] وقال ابنُ عُمَر وابنُ عباس: الحرَم كلُّه مسجد، والأصل الثاني: أن النبيَّ ﷺ دخلها عَنْوَةً غير أنه مَنَّ على

وإنما أمر رسولُ الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتدّ مُشركًا راجعًا إلى قُريش، ففرّ إلى عثمان بن عفّان، وكان أخاه للرضاعة، فغَيَّبه حتى أتى به رسولَ الله ﷺ بعد أن اطمأنّ وأهل مكّة، فاستأمن له: فزعموا أن رسولَ الله ﷺ صمت طويلاً، ثم قال: «نعم»؛ فلما انصرف عنه عثمان، قال رسولُ الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: «لقد صمتّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه». فقال رجل من الأنصار: فهلاّ أومأت إليّ يا رسول الله؟ قال: «إنّ النبيّ لا يقتل بالإشارة».

قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاّه عمر بن الخطّاب بعض أعماله، ثم ولاّه عثمان بن عفان بعد عمر.

قال ابن إسحٰق: وعبد الله بن خَطَلٍ، رجل من بني تَيْم بن غالب: إنما أمر بقتله أنه كان مسلمًا، فبعثه رسولُ الله ﷺ مصدِّقًا، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلمًا، فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تَيْسًا، فيصنع له طعامًا، فنام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا، فعدا عليه فقتله، ثم ارتدّ مشركًا.

وكان له قَيْنتان: فَرْتَنَى وصاحبتها وكانتا تغنيّان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر رسولُ الله ﷺ بقتلهما معه.

أهلِها بأنفسهم وأموالهم، ولا يُقاس عليها غيرُها من البلاد، كما ظنّ بعضُ الفقهاء فإنها مخالفة لغيرها من وجهين، أحدهما: ما خصّ الله به نبيَّه، فإنه قال: ﴿قُلِ الأنفالُ لِلَّهِ والرَّسولِ﴾ [الأنفال: ١] والثاني فيما خَصَّ الله تعالى به مكَّةَ فإنه جاء: لا تَحِلُّ غَنَائمُها، ولا تُلْتَقطُ لُقَطَتُها، وهي حرم الله تعالى وأَمْنُهُ، فكيف تكون أرضُها أرضَ خَرَاج، فليس لأحَدٍ افْتَتَحَ بلدًا أن يَسْلُك به سَبِيلَ مكّة، فأرضُها إذًا ودُورُها لأهلِها، ولكن أوجب الله عليهم التوسعةَ على الحجيج إذا قدموها، ولا يأخذوا منهم كِراءً في مساكنها، فهذا حكمُها فلا عليك بعد هذا، فُتِحَتْ عَنْوَةً أو صُلحًا، وإن كانت ظواهرُ الحديث أنها فُتِحَتْ عَنْوَةً.

الهـذلـي القتيـل:

وذكر الهُذَلِيَّ الذي قُتِل، وهو واقف، فقال: أَقَدْ فَعَلْتُمُوها يا مَعْشَر خُزَاعَة، وروى الدَّارَقُطْنِي في السُّنَن أن النبيّ ﷺ قال: «لو كنت قاتلَ مُسْلِم بكافر لقتلت خِرَاشًا بالهُذَلِيّ»[1]، يعني بالهذلي: قاتلَ ابنِ أَثْوَعَ، وخِرَاشٌ هو قَاتِله، وهو من خُزَاعَةَ.

---

(١) أخرجه الدارقطني (٣/ ١٣٧ ـ بتحقيقي) والطبراني في الكبير (١٨/ ١١٠).

والحُوَيرث بن نُقَيذُ بن وهب بن عبد بن قُصَيّ، وكان ممن يؤذيه بمكّة.

قال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطّلب حمل فاطمة وأُمّ كلثوم، ابنتي رسول الله ﷺ من مكّة يريد بهما المدينة، فنخَس بهما الحُوَيرث بن نُقَيذ، فرمى بهما إلى الأرض.

قال ابن إسحٰق: ومِقْيَسُ بن حُبابة [أو ضُبابَة، أو صُبابَة] وإنما أمر رسولُ الله ﷺ بقتله، لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قُريش مُشركًا وسارَة، مولاة لبعض بني عبد المُطَّلب، وعكْرمة بن أبي جهل. وكانت سارة ممن يؤذيه بمكّة، فأما عِكْرِمة فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أُمّ حَكِيم بنتُ الحارثِ بن هشام. فاستأمنت له من رسولِ الله ﷺ، فأمّنه فخرجت في طلبه إلى اليمن، حتى أتت به رسولَ الله ﷺ، فأسلم. وأما عبد الله بن خَطَل، فقتله سعيد بن حُرَيث المخزومي وأبو بَرْزة الأسلمي، اشتركا في دمع؛ وأما مِقْيَسُ بن حُبابة فقتله نُمَيْلة بن عبد الله، رجل من قومه، فقالت أُخت مِقْيَس في قتله:

لعَمْري لقد أخْزَى نُمَيْلة رَهْطَه ... وفَجَّع أضيَافَ الشِّتاء بمِقْيَسِ

فَلِلَّه عينًا مَنْ رأى مِثْلَ مِقْيَسٍ ... إذا النُّفَساء أصبحت لم تُخَرَّس

هل تعيذ الكعبة عاصيًا؟

فصل: وذكر قِصَّة ابن خَطَلٍ، واسمه: عبدُ الله، وقد قيل في اسمه: هِلاَل، وقد قيل: هلال كان أخاه، وكان يقال لهما: الخَطَلاَن، وهما من بني تَيْم بن غَالِبِ بنِ فِهْرٍ، وأن النبيّ ﷺ أمر بقتله، فقُتِل وهو متعلق بأستار الكعبة، ففي هذا أن الكعبةَ لا تُعيذ عاصيًا، ولا تَمْنَع من إقامة حَدٍّ واجب، وأن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دخله كان آمنًا﴾ إنما معناه الخبر عن تعظِيم حُرْمَةَ الحَرَم في الجاهليّة نعمة منه على أهل مكّة، كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البيتَ الحَرَامَ قِيامًا للنّاس﴾ إلى آخر الآية، [المائدة: ٩٧] فكان في ذلك قِوَامٌ للناس، ومصْلحةٌ لذريّة إسماعيلَ - ﷺ - وهم قُطّانُ الحرَم، وإجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام حيث يقول: اجْعَلْ أفْئِدَةً من الناسِ تَهوِي إليهم، وعندما قَتَل النبيُّ ﷺ ابنَ خَطَلٍ قال: «لا يقتل قُرَشِيٌّ صَبْرًا بعد هذا»[1]، كذلك قال يونس في روايته.

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد (٨٨) وأحمد (٣/ ٤١٢) والدارمي (٢/ ١٩٨) والطبراني (٧/ ١٨٨) وابن عساكر في تهذيبه (٦/ ٦٣).

وأما قينتا بن خَطَل فقُتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استُؤمن لها رسولُ الله ﷺ بعد، فأمّنها. وأما سارَة فاستُؤمن لها فأمّنها، ثم بَقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرسًا في زمن عمر بن الخطّاب بالأبطح فقتلها. وأما الحُوَيرث بن نُقَيذ فقتله عليّ بن أبي طالب.

أم هانىء تؤمن رجلين

قال ابن إسحٰق: وحدّثني سعيد بن أبي هِنْد، عن أبي مُرّة، مولى عَقيل بن أبي طالب، أن أُمّ هانىء بنت أبي طالب قالت: لما نزل رسولُ الله ﷺ بأعلى مكّة، فرّ إليّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هُبَيرة بن أبي وَهْب المخزومي، قالت: فدخل عليّ عليُّ بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما بابَ بيتي، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ وهو بأعلى مكّة، فوجدته يغتسل من جَفْنةٍ إنَّ فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشّح به، ثم صلّى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إليّ، فقال: «مرحبًا وأهلاً يا أُمّ هانىء، ما جاء بك؟» فأخبرته خبرَ الرجلين وخبر عليّ، فقال: «قد أجرنا من أجرتِ، وأمّنا من أمّنت، فلا يقتلهما».

صـلاة الفتـح:

فصل: وذكر صَلاَةَ النبيّ ﷺ في بيت أُمّ هانىءٍ، وهي صَلاَةُ الفَتْح، تُعْرَف بذلك عند أهل العلم، وكان الأُمَرَاءُ يصلّونها إذا افتتحوا بلدًا. قال الطبري: صَلَّى سَعْدُ بن أبي وَقَّاصٍ، حين افتتح المدائن، ودخَلَ إيوان كسرى، قال: فصَلَّى فيه صَلاَةَ الفَتح، قال: وهي ثماني رَكَعاتٍ لا يُفْصَل بَيْنَها، ولا تُصَلَّى بإمام، فبين الطبري سُنَّةَ هذهِ الصلاةِ وصِفَتَها، ومن سُنَّتِها أيضًا أن لا يُجْهَر فيها بالقراءة، والأصل ما تقدّم من صلاة النبيّ - ﷺ - في حديث أُمّ هانىء وذلك ضحى[1].

أم هـانـىء

وأُم هانىء اسمها: هِنْدُ تكنى بابنها هانِىءِ بن هُبَيْرَةَ، ولها ابنٌ من هُبَيْرَةَ اسمه يوسُف، وثالث وهو الأكبر اسمه: جَعْدَةَ، وقيل: إيَّاه عَنَتْ في حديث مالِكٍ، زعم ابن أُمي على أنه قاتل رجلاً أَجَرْته فلان بن هُبَيْرَة، وقد قيل في اسم أُمّ هانِىءٍ: فاخِتَة.

---

(١) انظر البخاري (٦/ ١٩٥) ومسلم في المسافرين (٨٢) ومالك (١/ ١٥٢).

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزُهيرُ بن أبي أُميَّة بن المُغيرة.

طـواف الرسـول بالكعبـة:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير، عن عبُيد الله بن عبد الله بن أبي ثَوْر، عن صَفِيَّة بنت شَيْبة، أن رسولَ الله ﷺ لما نزل مكّة، واطمأنّ الناس، خرج حتى جاء البيتَ، فطاف به سبعًا على راحلته، يستلم الركن بمِحْجَن في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمانَ بن طلحة، فأخذ منه مِفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها، فوجد فيها حَمامة من عِيدانٍ، فكَسَرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد اسْتَكَفَّ له الناس في المسجد.

عبد الله بن سعد:

فصل: وذكر عبدَ الله بن سَعْدِ بن أَبي سَرْح أحد بني عامر بن لُؤَيٍّ يُكنى أبا يحيىٰ، وكان كاتبَ النبيّ - ﷺ - ثم ارتدّ ولحق بمكّة، ثم أسلم وحسُن إسلامُه، وعُرف فضلُه وجهادُه، وكان على مَيْمَنَة عمرو بن العاصي حين افتتح مصر، وهو الذي افتتح إفْرِيقِيَّة سنة سَبْع وعِشْرين، وغزا الأساوِدَ من النُّوبَةِ، ثم هادنهم الهُدْنَةَ الباقية إلى اليوم، فلما خالف محمدُ بن أبي حُذَيْفة على عُثمان - رضي الله عنه - اعتزل الفِتْنَةَ، ودعا الله عزّ وجلّ أن يقبضَه، ويجعل وفاتَه بأثرِ صلاةِ الصبح، فصلّى بالنّاس الصبحَ، وكان يسلم تسليمتين عن يمينِهِ، وعن شِماله، فلما سَلَّم التسليمةَ الأولَى عن يمينه، وذهب ليسلِّم الأُخرى، قُبِضت نفسُه، وكانت وفاتُه بعُسْفَان، وهو الذي يقول في حِصَار عثمان:

أرى الأمـر لا يَـزْدَادُ إلاّ تـفَـاقُـمـا ... وأَنْـصَـارُنـا بـالـمَـكَّـتَـيْـن قـلـيـلُ
وأسـلـمـنـا أهْـلُ الـمـدينـة والـهـوى ... إلـى أهـلِ مِـصـر والـذَّلـيـلُ ذَلِـيـلُ

نميلـة:

وأما نُمَيْلَة بن عبدِ الله الذي ذكره ابن إسحٰق فهو ليثي أحد بَنِي كعب بن عامر بن لَيْث، صَحِب رسولَ الله ﷺ، وشهد كثيرًا من مشاهده وغزواته.

عن ابن نقيذ والقينتين:

وأما الحُوَيْرِثُ بن نُقَيْذِ الذي أَمَر بِقتله مع ابن خَطَلٍ، فهو الذي نَخَسِ بزَيْنَبَ بنتِ رسول الله ﷺ حين أدركها، هو وهَبَّارُ بن الأسْود، فسقطت عن دَابَّتِها، وألقت جَنِينَها.

وأما القَيْنَتَان اللّتان أمر بقتلهما، وهما سَارَة وفَرْتَنَى فأسلمت فَرْتَنَى، وآمنت سَارَةُ وعائشة إلى زمن عمر رحمه الله، ثم وَطِئها فَرَسٌ، فقتلها.

خطبته على باب الكعبة

قال ابن إسحٰق: فحدّثني بعض أهل العلم أن رسولَ الله ﷺ قام على باب الكعبة، فقال: «لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزَم الأحزاب وحده، ألا كل مأثُرة أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قَدَمَيَّ هاتين إلاَّ سَدَانة البيت وسِقاية الحاج، ألا وقتيلُ الخطأ شبهِ العمْد بالسَّوْط والعصا، ففيه الديَةُ مُغَلَّظَة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطُونها أولادها. يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نَخْوَةَ الجاهلية، وتعظُّمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكم مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجَعَلْناكم شُعُوبًا وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقاكُمْ﴾» [الحجرات: ١٣]. الآية كلها. ثم قال: «يا معشر قريش، ما تُرَون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

إقرار الرسول عثمان بن طلحة على السدانة:

ثم جلس رسُول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه عليّ بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحِجَابَةَ مع السِّقاية صلّى الله عليك؛ فقال رسولُ

عن الديات في خطبة الرسول ﷺ[1]

فصل: وذكر خطبَةَ النبيّ - ﷺ - وفيها ذِكرُ الدِّيَاتِ، وذكر قتيل الخطأ، وذكر شِبْهِ العَمْد وتغليط الدِّيَة فيه، وهي أن يُقتَل القتيلُ بسَوْطٍ أو عصا، فيموت، وهو مذهب أهل العراق: أنّ لاَ قَوَد في شِبْه العَمْدِ، والمشهور عن الشافعي أن فيه الدِّيَةَ مُغَلَّظَةً أثلاثًا، وليس عند فقهاءِ الحجَازِ إلاّ قَوَدٌ في عَمْدٍ في خَطإٍ تؤخذ أَخْمَاسًا على ما فَسَّر الفقهاءُ. وهو قول الليث، وكذلك قال أهلُ العِراق إن القَوَد لا يكون إلاّ بالسيف، واحتجّوا بأثرٍ يُرْوى عن ابن مَسْعُودٍ مرفوعًا أن لا قَوَدَ إلاّ بحَدِيدَةٍ، وعن عَلِيٍّ مَرْفُوعًا أيضًا: لا قَوَدَ إلاّ بالسيف، ومن طريق أبي هُرَيْرَة لا قَوَد إلاّ بحديدةٍ، وهو يدور على أبي مُعَاذ سُلَيمَان بن أَرْقَم، وهو ضعيف بإجماع، وكذلك حديث ابن مَسْعود يدور على المُعَلَّى بن هِلال، وهو ضعيفٌ مَتْروكُ الحديثِ، وكذلك حديث عَلِيٍّ لا تقوم بإسناده حُجَّةٌ، وحجّة الآخرين في أن القاتل يُقْتَل بما قُتِل به قولُه تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عليكُمْ فاعْتَدُوا عليه بمثل ما اعْتَدى عَلَيْكُم﴾ [البقرة: ١٩٤]، وحديثُ اليهوديّ الذي رَضَخَ رأسَ الجارية على أوْضَاحٍ لها، فأمر النبيّ ﷺ أن يُرْضَخ رأسُه بين حَجَرين.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٤٧) وابن ماجة (٢٦٢٧) وأحمد (٦٥٣٣).

الله ﷺ: «أين عثمان بن طَلحة؟» فدُعِي له، فقال: «هاكَ مِفتاحَك يا عثمان، اليومُ يومُ بِرٍّ ووفاء».

قال ابن هشام: وذكر سُفيان بن عُيَيْنَة أن رسول الله ﷺ قال لعليّ: «إنما أُعطيكم ما تُرْزَؤُون لا ما تَرْزَؤُون».

طمس الصور التي بالبيت:

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح، فرأى فيه صُوَرَ الملائكةِ وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مُصَوَّرًا في يده الأزلامُ يَسْتَقْسِم بها، فقال: «قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام! ﴿ما كانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا وَلَكِنْ كانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] ثم أمر بتلك الصُّوَر كلها فطُمِسَت.

دخول الكعبة والصّلاة فيها

قال ابن هشام: وحدّثني أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة ومعه بلال، ثم خرج رسولُ الله ﷺ وتخلَّف بلال، فدخل عبد الله بن عمر على بلال، فسأله: أين صلّى رسولُ الله ﷺ؟ ولم يسأله كم صلّى، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَل وجهه، وجعلَ الباب قِبَل ظهره، حتى يكون بينه وبين الجدار قَدْر ثلاث أذرع، ثم يصلّي يتوخّى بذلك الموضع الذي قال له بلال.

الصـلاة في الكعبـة

وأما دخوله عليه السلام الكعبةَ وصلاته فيها، فحديث بلالٍ أنه صلّى فيها، وحديثُ ابن عباس أنه لم يُصَلِّ فيها، وأخذ الناسُ بحديث بلال، لأنه أثبت الصلاةَ وابن عباس نفى، وإنما يؤخذ بشهادة المثبِت، لا بشهادة النافي، ومن تأوَّلَ قول بلالٍ أنه صلّى، أي: دعا، فليس بشيء، لأن في حديث عمر أنه صلّى فيها ركعتين، ولكن رواية ابن عباس وروايةَ بلال صحيحتان، لأنه عليه السلام دخلها يوم النَّحْر فلم يصَلِّ، ودخلها من الغد فصلّى، وذلك في حجّة الوداع، وهو حديث مروي عن ابن عمر بإسناد حَسَن، خرّجه الدارقطني[1]، وهو من فوائده.

---

(١) أخرجه الدارقطني.

إسلام عتاب والحارث بن هشام

قال ابن هشام: وحدّثني أن رسول الله ﷺ، دخل الكَعبة عام الفَتح ومعه بلال، فأمره أن يُؤَذِّن، وأبو سُفيان بن حَرب وعَتَّاب بن أَسِيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال: عَتَّابُ بن أسِيدٍ: لقد أكرم الله أَسِيدًا ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لاتَّبعته، فقال أبو سُفيان: لا أقول شيئًا: لو تكلَّمت لأخبرَتْ عني هذه الحصَى، فخرج عليهم النبيّ ﷺ، فقال: «قد علمتُ الذي قُلتم»، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارثُ وعَتَّاب: نَشهد أنَّك رسولُ الله، والله ما اطَّلَع على هذا أَحَدٌ كانَ معَنا، فنقُول: أخْبرك.

خـراش وابـن الأثـوع:

قال ابن إسحٰق: حدّثني سعيد بن أبي سَنْدَرَ الأسلمي، عن رجل من قومه. قال: كان معنا رجل يقال له: أحمر بأسًا، وكان رجلاً شجاعًا، وكان إذا نام غَطَّ غطيطًا مُنكرًا لا يخفى مكانه، فكان إذا بات في حيّه بات مُعْتَنِزًا، فإذا بُيِّت الحيُّ صرخوا يا أحمر، فيثور مثل الأسد، لا يقوم لسبيله شيء. فأقبل غَزِيٌّ من هِذَيل يريدون حاضره، حتى إذا دنوا من الحاضر، قال ابنُ الأَثْوَع الهُذَلي: لا تعجلوا عليَّ حتى أنظر، فإن كان في الحاضر أحمر فلا سَبيل إليهم، فإن له غطيطًا لا يخفى، قال: فاستمع، فلما سمع غطيطه مشى إليه

عن إسلام أبي سُفيان وصاحبيه

فصل: وذكر كَسْرَ الأصنام، وطَمْسَ التَّماثيلِ، ومقالةَ الحارثِ بنِ هِشَامٍ حين اجتمع هو وأبو سُفيان، وعَتَّاب بن أَسِيد، فتكلّموا فأخبرهم النبيُّ ﷺ، كما أخبرهُ جبريلُ عليه السلام بالذي قالوه، فصحّ بذلك يقينهُم وحَسُن إسلامهم، وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر قال: لعن النبيّ ﷺ الحارثَ وأبا سُفيان بن حَرْبٍ وصَفْوَان بن أُمَيَّةَ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْس لك من الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم﴾ الآية [آل عمران: ١٢٨] قال: فتابوا بعدُ، وحَسُن إسلامُهم[١]، وروينا بإسنادٍ مُتَّصِلٍ عن عَبْدِ الله بن أبي بكر، قال: خرج النبيُّ - ﷺ - على أبي سُفْيَانَ، وهو في المسجد، فلما نظر إليه أبو سفيان قال في نفسه: ليت شِعْرِي بأيِّ شيء غلبتني، فأقبل النبيّ ﷺ، حتى ضرب بيده بين كتفيه، وقال: «بالله غلبتك يا أبا سُفيان»، فقال أبو سُفيان: أشهد أنك رسول الله. مِنْ مُسْنَد الحارثِ بن أبي أُسَامَةَ، ورَوى الزَّبَيْرُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٠٤).

حتى وضع السيفَ في صَدْره، ثم تحامل عليه حتى قتله، ثم أغاروا على الحاضر، فصَرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم، فلما كان عام الفتح، وكان الغدُ من يوم الفتح، أتى ابنُ الأثْوَع الهُذلي حتى دخل مكّة ينظر ويسأل عن أمر الناس، وهو على شِرْكه، فرأته خُزاعة، فعَرَفوه، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكّة، يقولون: أأنت قاتل أحمر؟ قال: نعم، أنا قاتل أحمر فَمَه؟ قال: إذْ أقبلَ خِرَاشُ بن أُميَّة مُشتملاً على السَّيف، فقال: هكذا عن الرجُل، ووالله ما نظن إلاّ أنه يريد أن يُفْرِجَ الناسُ عنه. فلما انفَرَجْنا عنه حَمَلَ عليه، فَطَعنه بالسيف في بطنه، فوالله لَكَأَنّي أنظر إليه وحِشْوَتَهِ تَسيل من بطنه، وإن عينيه لَتَرنَّقَانِ في رأسه، وهو يقول: أقد فعلتموها يا مَعْشَرَ خُزاعة؟ حتى انْجَعَفَ فوقع. فقال رسولُ الله ﷺ: «يا معشر خُزَاعَةَ، ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأَدِيَنَّه».

قال ابن إسحـٰق: وحدّثني عبد الرحمـٰن بن حَرْملة الأسْلمي، عن سعيد بن المسيّب، قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ ما صنع خِراش بن أُميّة، قال: إن خِراشًا لقَتَّال، يعيبه بذلك.

بإسناد يرفعه إلى من سمع النبيّ ﷺ يمازح أبا سُفيان في بيت أُم حَبِيبة وأبو سُفيان يقول له: تركتُكَ، فتركتك العربُ، ولم تَنْتَطِحْ بعدها جمَّاءُ ولا قَرْنَاءُ، والنبيّ ﷺ يضحك، ويقول: «أنت تقول هذا يا أبا حَنْظَلَةَ». وقال مجاهد في قوله جلّ وعزّ: ﴿عَسَى اللَّهُ أن يجْعَلَ بينكم وبين الذين عَادَيتُمْ منهم مَوَدَّةً﴾ [الممتحنة: ٧] قال هي معاهدة النبيّ ﷺ لأبي سُفْيَانَ. وقال أهلُ التفسير: رأى النبيّ ﷺ في المنام أَسِيد بن أبي العِيصِ والِيًا على مكّة مسلمًا، فمات على الكُفْرِ، فكانت الرؤيا لولده عَتَّابِ حين أَسْلم، فولاّه رسولُ الله ﷺ مكّة، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ورزقه كل يوم دِرْهَمًا، فقال: «أيّها النّاس أجاعَ الله كَبِدَ مَنْ جاع على دِرْهَم»، الحديث، وقال عند موته: والله ما اكتسبْتُ في ولايتي كلّها إلاّ قميصًا مُعَقَّدًا كَسَوْتُه غلامِي كَيْسَان، وكان قد قال قبل أن يُسْلِم وسمع بلالاً يُؤَذِّن على الكعبة، لقد أكرم الله أُسِيدًا، يعني: أباه أن لا يكونَ سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه، وكانت تحت عَتَّابِ جُوَيْرِيَةُ بنتُ أبي جَهْلِ بن هِشَام، وهي التي خَطَبها عَلِيٌّ عَلَى فاطِمَةَ، فشَقَّ ذلك على فَاطِمَةَ، فقال النبيّ ﷺ: «لا آذن ثم لَا آذن، إن فاطِمَةَ بَضْعَةٌ مني»[1]، الحديث، فقال عَتَّابٌ: أنا أُرِيحُكم منها فتزوّجها، فولدت له عبدَ الرَّحمـٰن المقتول يوم الجمل، يُروى أن عُقَابًا طارت بكَفِّه يوم قُتِل، وفي الكَفِّ خَاتمُه، فطرحتها باليَمَامَةِ في ذلك اليوم، فعُرِفَتْ بالخاتم.

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٩٦) وأحمد (٣٢٦/٤) وابن ماجة (١٩٩٩).

بين أبي شريح وابن سعد:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني سعيد بن أبي سعيد المَقبُريُّ، عن أبي شُرَيح الخُزاعي، قال: لما قدِم عَمْرو بن الزّبير مكّة لقتال أخيه عبد الله بن الزَّبير، جِئته، فقلت له: يا هذا، إنا كنَّا مع رسول الله ﷺ، حين افتتح مكَّة، فلما كان الغد من يوم الفتح عَدَت خُزاعة على رجل من هُذَيل فقَتلوه وهو مُشرك، فقام رسولُ الله ﷺ فينا خطيبًا، فقال: «يا أيّها الناس، إنّ الله حرَّم مكَّة يوم خلَق السَّمٰوات والأرض، فهي حرام من حرام إلى يوم القِيامة، فلا يحِلُّ لامرىء يُؤمِن بالله واليوم الآخر، أنْ يَسفِك فيها دَمًا ولا يَعْضِدَ فيها شجرًا، لم تُحْلَلْ لأحد كان قبلي، ولا تَحِلّ لأحد يكون بعدي، ولم تُحْلَلْ لي إلاّ هذه الساعة، غضبًا على أهلها ألاَ: ثم قد رَجَعَتْ كحُرمتها بالأمس، فَلْيُبَلِّغ الشّاهدُ منكم الغائب، فمن قال لكم: أن رسول الله قاتل فيها، فقولوا: إن الله قد أحلَّها لرسوله، ولم يُحْلِلْها لكم، يا مَعْشَرَ خُزَاعَةَ ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأَدِينَّهُ، فمن قُتِل بعد مَقَامي هذا فأهله بخير النَّظَرَين: إن شاءوا قدَمُ قاتله وإن شاءوا فَعَقْلُهُ». ثم وَدَى رسولُ الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خُزاعة، فقال عمرو لأبي شُريح: انصرف أيها الشيخ، فنحن أعلم بحُرْمتها منك، إنها لا تمنع سافكَ دم، ولا خالعَ طاعة، ولا مانع جِزْية، فقال أبو شُريح: إني كنتُ شاهدًا وكنتَ غائبًا، ولقد أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن يُبَلِّغ شاهدُنا غائبَنا، وقد أبلغتُكَ، فأنت وشأنك.

أوّل من ودى يوم الفتح:

قال ابن هشام: وبلغني أن أوّل قتيل وَدَاه رسولُ الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْدب بن الأكوع، قتلته بنو كعب، فوَدَاهُ بمائة ناقة.

الحنفاء بنت أبي جهل:

وكانت لأبي جَهْلٍ بنتُ أُخرى، يقال لها: الحَنْفَاء كانت تحت سُهَيْل بن عَمْرٍو، يقال: إنها ولدت له ابنه أَنَسًا الذي كان يضعف[1]، وفيه جَرَى المثلُ: أساء سَمْعًا فأساء إجَابَةً ويقال: إنه نظر يومًا إلى رَجُلٍ على ناقةٍ يتبعها خَرُوفٌ فقال: يا أَبَتِ أَذَاكَ الخَرُوفُ من تلك الناقة؟ فقال أبوه: صدقت هِنْدُ بنتُ عُتْبَةَ، وكانت حين خطبها قالت: إن جاءت منه حليلتُه بولد أَحمَقَتْ، وإن أَنْجبَتْ فعَنْ خَطإٍ ما أَنْجبَتْ، وقد قيل في بنت أبي جَهْل: الحَنْفَاء: إن اسمَها صَفِيَّةُ فالله أعلم.

---

(١) أي قليل الذكاء والفطنة.

الأنصار يتخوّفون من بقاء النبيّ ﷺ في مكّة:

قال ابن هشام: وبلغني عن يحيى بن سعيد: أن النبيّ ﷺ حين افتتح مكّة ودخلها، قام على الصفا يدعو الله، وقد أحدقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أتُرَون رسولَ الله ﷺ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فَرغ من دعائه قال: «ماذا قلتم؟» قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النبيّ ﷺ: «مَعاذ الله المَحْيا محياكم، والمَمات مماتكم».

كسر الأصنام:

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ مكّة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبيّ ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلاّ وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلاّ وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلاّ وقع؛ فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام معتبر وعلم ... لمن يرجو الثواب أو العقابا

إسلام الحارث بن هشام:

وقال الحارثُ بن هِشَام، وقد قيل له: ألا تَرَى ما يَصْنَعُ مُحَمَّدٌ من كَسْرِ الآلهة، ونداء هذا العبد الأسود على الكعبةَ فقال: إن كان الله يكره هذا، فسيغيّره، ثم حَسُن إسلامُه رضي الله عنه بعد، وهاجر إلى الشام، فلم يزل جَاهِدًا مُجَاهِدًا، حتى استشهد هنالك رحمه الله.

إسلام بنت أبي جهل:

وأما بنتُ أبي جهل، فقالت حين سمعت الأذان على الكعبة، فلما قال المؤذنُ: أشهد أن مُحَمَّدًا رسولُ الله، قالت: عَمْرِي لقد أكرمك الله ورفع ذِكْرَكَ، فلما سمعت: حَيَّ على الصّلاة، قالت: أمَّا الصَّلاةُ فَسَنُؤَدِّيها، ولكن والله ما تحبّ قلوبُنا مَنْ قَتَلَ الأحبَّةَ، ثم قالت: إن هذا الأمر لَحَقٌّ، وقد كان الملَكُ جاء به أبي، ولكن كَرِه مُخَالَفَة قومِه ودينَ آبائه.

وأما أبو مَحْذُورَةَ الجُمَحِيّ، واسمه: سَلَمَةُ بن مِعْيَر، وقيل: سَمُرةُ، فإنه لما سَمِعَ الأذَانَ، وهو مع فِتْيَةٍ من قُرَيْشٍ خارج مكّة أقبلوا يستهزؤون، ويحكون صوت المؤذن غَيْظًا، فكان أبو مَحْذُورَةَ من أحسنهم صوتًا، فرفع صوته مُسْتهزئًا بالأذان، فسمعه النبيّ ﷺ، فأمر

قصـة إسـلام فضالـة:

قال ابن هشام: وحدّثني أن فضالة بن عمير بن الملوّح الليثي أراد قتل النبيّ ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: «أفضالة؟» قال: نعم فضالة يا رسول الله؛ قال: «ما كانت تحدّث به نفسك؟» قال: لا شيء، كنت أذكر الله،

به فمثل بين يديه، وهو يظنّ أنه مقتول، فمسح النبيُّ ﷺ ناصيتَه وصدره بيده، قال: فامتلأ قلبي والله إيمانًا ويقينًا وعلمت أنه رسولُ الله، فألقى عليه النبيُّ ـ ﷺ ـ الأذانَ، وعلَّمه إيَّاه، وأمره أن يؤذِّن لأهل مكّة، وهو ابن سِتَّ عَشرَةَ سنةً، فكان مُؤذنُهم حتى مات ثم عَقِبُه بعده يتوارثون الأذان كابرًا عن كابر، وفي أبي مَحْذُورة يقول الشاعر:

أَمَـا وَرَبِّ الـكَـعْـبَـةِ الـمَـسْـتُـورة ... ومـا تـلا مُـحَـمَّـدٌ مِـنْ سُـورة
والـنَّـغَـمَـاتِ مـن أبـي مَـحْـذُورَة ... لأَفْـعَـلَـنَّ فـعـلـة مَـذْكُـورَة

هنـد بنـت عتبـة:

وأمَّا هِندُ بنت عُتْبَةَ امرأةُ أبي سُفْيَانَ، فإن مِنْ حَدِيثها يوم الفتح أنها بايعت النبيَّ ﷺ، وهو على الصفا، وعُمَرُ دونه بأعلى العقبة، فجاءت في نِسْوَةٍ من قريش يُبَايِعْنَ على الإسلام، وعُمَرُ يكلّمهن عن رسولِ الله ﷺ، فلما أَخذ عليهن أَنْ لاَ يُشرِكْنَ بالله شيئًا قالت هند: قد علمت أنه لو كان مع الله غيرُه لأغنَى عنَّا، فلما قال: ولا يَسْرِقن قالت: وهل تَسْرِق الحُرَّةُ، لكن يا رسولَ الله أبو سُفْيان رجُلٌ مَسِيكٌ ربما أخذتُ من ماله بغير علمه ما يُصْلِح ولده، فقال النبيّ ﷺ: «خذي ما يكفيكِ وولدكِ بالمعروف»، ثم قال: «إنكِ لأَنْتِ هند؟» قالت: نعم يا رسول الله اعْفُ عنّي، عفا الله عنك، وكان أبو سُفيان حاضرًا، فقال: «أنتِ في حِلٍّ مما أخذتِ»، فلما قال: «ولا يَزْنِينَ»، قالت: وهل تَزْني الحُرَّةُ يا رسولَ الله، فلما قال: «ولا يَعْصِينَك في معروف»، قالت: بأبي أنتَ وأُمّي ما أكرمَك، وأحسنَ ما دَعَوْت إليه، فلما سمعت: «ولا يقتلن أولادَهن»، قالت: والله قد رَبَّيْناهُمْ صِغارًا، حتى قتلتَهم أنتَ وأصحابك ببدر كبارًا، قال: فضحك عُمَرُ من قولها حتى مال[1].

عمرو بن سعيد لا عمرو بن الزّبير:

فصل: وذكر حديثَ أبي شُرَيْح الخُزَاعي، واسمه: خُوَيْلِدُ بن عَمْرو، وقيل: عَمْرو بن خُوَيْلد، وقيل: كعب بن عمرو، وقيل: هانىء بن عَمْرو، قال: لما قَدم عَمْرُو بن الزُّبَيْر

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٨٥) ومسلم في الأقضية (٧) وابن ماجة (٢٢٩٣) وأحمد (٦/ ٣٩).

قال: فضحك النبيّ ﷺ، ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه؛ فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما مَنَّ خلق الله شيءٌ أحبَّ إلي منه. قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدّث إليها، فقالت: هَلُمَّ إلى الحديث، فقلت: لا. وانبعث فَضالة يقول:

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يَأْبَى عَلَيْكَ اللهُ والإسلامُ

لَوْ ما رأيتِ محمّدًا وقَبِيلَه ... بالفتح يومَ تَكَسُّرُ الأصنام

لرأيتِ دينَ أضحى بَيِّنًا ... والشِّرْكُ يغشَى وجهَه الإظلامُ

مكّة لقتال أخيه عبدِ الله بن الزبير بمكّة، هذا وَهْم من ابن هشام، وصوابه: عَمْرُو بن سعيد بن العاصي بن أُمَيَّة، وهو الأشْدَقُ، ويكنى أبا أُمَيَّة، وهو الذي كان يُسمّى لَطِيمَ الشيطان، وكان جَبَّارًا شديد البأس، حتى خافه عبدُ الملك على مكّة، فقتله بحيلةٍ في خبر طويل، ورأى رجل عند موته في المنام قائلاً يقول:

ألاَ يا لَقَومِي لِلسَّفَاهَة والوَهْنِ ... وللعاجزِ المَوْهُونِ والرَّأيِ ذِي الأفَنِ

ولابنِ سَعِيدٍ بَيْنَما هو قائمٌ ... على قَدَمَيْه خَرَّ للوجْهِ والبَطن

رأى الحِصْنَ مَنْجَاةً من الموت فالتجا ... إليه، فزارته المَنِيَّةُ في الحِصْنِ

فقصَّ رؤياه على عبد الملك، فأمره أن يكتُمَها، حتى كان مِنْ قَتْله ما كان، وهو الذي خَطَبَ بالمدينة على مِنْبَرِ رسول الله ﷺ فرَعَف حتى سال الدمُ إلى أسفلِه فعُرِف بذلك معنى حديثه عليه السلام الذي يُرْوى عنه: «كأني بجَبَّارٍ من بني أُمَيَّة يَرْعفُ على مَنْبَري هذا حتى يسيلَ الدم إلى أسفله»[1]، أو كما قال ﷺ، فعُرِف الحديثُ فيه، فالصوابُ إذًا عَمْرو بن سَعِيدٍ لا عَمْرو بن الزبير، وكذلك رواه يونسُ بن بكير عن ابن إسحٰق، وهكذا وقع في الصَّحِيحينْ. ذكر هذا التنبيهَ على ابن هشام أبو عُمَر ـ رحمه الله ـ في كتاب الأجوبة عن المسائل المُسْتَغْرَبة، وهي مسائل من كتاب الجامع للبخاري تكلّم عليها في ذلك الكتاب، وإنما دخل الوهمُ على ابن هشام أو على البَكّائِي في روايته من أجل أن عَمْرو بن الزُّبَيْرِ، كان معاديًا لأخيه عبدِ الله ومُعِينًا لبني أُمَيَّة عليه في تلك الفتنة، والله أعلم.

أُم حكيم بنت الحارث:

فصل: وذكر أُمَّ حَكِيمٍ بنت الحارث، وكانت تحت عِكْرَمَة بن أبي جهل، وأنها اتبعته

---

(١) لا أصل له كما يبدو عليه واضحًا جليًا.

أمـان الرسول لصفوان بن أُميّـة:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني محمد بن جعفر، عن عروة بن الزّبير، قال: خرج صفوان بن أُمية يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عُمَير بن وَهَب يا نبيّ الله إن صفوان بن أُميَّة سيِّدُ قومه، وقد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه في البحر، فأمِّنه، صلّى الله عليك؛ قال: «هو آمن»؛ قال: يا رسول الله، فأعطني آية يعرف بها أمانك؛ فأعطاه

حين فَرَّ من الإسلام، فاسْتأْمَنَتْ له رسول الله ﷺ، واسْتَشْهد عِكْرِمَةُ بالشام، فخطبها يزيدُ بن أبي سُفْيَانَ. وخالدُ بن سعيد، فخطبت إلى خالد، فتزوّجها، فلما أراد البناءَ بها، وجموعُ الرّوم قد احتشدت، قالت له: لو أَمْهَلْتَ حتى يَفُضَّ الله جَمْعَهم، قال: إن نفسي تحدّثني أني أُصاب في جُموعهم، فقالت: دونك، فابْتَنى بها، فلما أصبح التقت الجموعُ وأخذت السيوفُ من كُلِّ فَرِيقٍ مأخذَها فقُتِل خالد، وقاتلت يومئذ أُمُّ حَكِيم، وإن عليها للرَّدْعِ الخَلُوق[1]، وقتلت سبعة من الرّوم بعمود الفُسْطَاطِ بقَنْطَرَة تسمى إلى اليوم بقنطرة أُمّ حَكيم وذلك في غزوة أَجْنَادَيْنِ.

دم ربيعة بن الحارث:

وذكر في خُطْبَة النبيّ ﷺ: «ألا كُلُّ مَأْثُرَة أو دَمٍ أو مَالٍ يُدْعى، فهو تحت قدميَّ هاتين»[2]، وفي بعض روايات الحديثِ: وأوّلُ دمٍ أضعهُ دمُ رَبِيعَةَ بن الحارثِ. كان لربيعةَ ابنٌ قُتِل في الجاهلية اسمُه آدمُ، وقيل: تَمّام، وهو ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، مات في خلافة عُمر رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين.

حول التخيير بين القصاص وبين الدية:

فصل: وذكر في حديث ابن شُرَيْح قوله عليه السلام: «فمن قُتِل بعد مَقَامي هذا، فأَهْلُه بخير النَّظَرَيْن. إن شاءوا فَدَمُ قاتله، وإن شاءوا فَعَقْلُه»[3]، وهو حديث صحيح، وإن اختلفت فيه ألفاظُ الرُّوَاةِ وظاهره على هذه الرواية أنَّ وَليَّ الدَّم، هو المخيَّر إن شاء أَخَذَ الديّة، وهو العَقل، وإن شاء قتل، وقد اختلف الفقهاءُ في فصلٍ من هذه المسألة، وهو أن يختار وليُّ المقتول أخذ الديّة، ويأبى القاتل إلاّ أن يُقْتَصَّ منه، فقالت طائفة بظاهر الحديث: ولا اختيار للقاتل، وقالت طائفةٌ: يقتل القاتل، ولا يُجْبَر على إعطاء المال، وتأوّلوا الحديث، وهي

---

(١) الخلوق: الطيّب. (٢) أخرجه مسلم في الحج (١٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٦٥) ومسلم في الحج (٤٤٧/ ٤٤٥) والترمذي (١٤٠٥) والنسائي (٨/ ٣٨) وأبو داود (٤٥٠٥ ـ بتحقيقي) وابن ماجة (٢٦٢٤) والشافعي في مسنده (٢٤٣).

رسولُ الله ﷺ عِمامَته التي دخل فيها مكّة، فخرج بها عُمير حتى أدركه، وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان فِداكَ أبي وأُمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمانٌ من رسول الله ﷺ قد جئتك به؛ قال: ويحك! اغرُب عني فلا تكلّمني؛ قال: أي صفوان فِدَاكَ أبي وأُمي، أفضلُ النّاس، وأبرُّ الناس، وأحْلم الناس، وخير النّاس، ابن عمّك، عزُّه عزُّك، وشَرفه شرفك، ومُلْكه مُلكك؛ قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذاك وأكرم: فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمَّنْتَني، قال: «صدق»؛ قال: فاجعلني فيه بالخِيار شهرين؛ قال: «أنت بالخيار فيه أربعة أشهر».

قال ابن هشام: وحدّثني رجل من قُريش من أهل العلم أن صفوان قال لِعُمَير: وَيْحَك! اغرُبْ عنّي، فلا تكلّمْني، فإنَّك كذّاب، لِما كان صنع به، وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر.

رواية ابن القاسم، وقال بها طائفةٌ من السَّلَفِ، وقال آخرون بظاهر الحديث، وهو قولُ الشافعيّ، وأشهب، ومَنشأُ الاختلافِ من الاحتمال في قوله تعالى: ﴿فمن عُفِي له مِنْ أخيه شَيْءٌ فاتِّبَاعٌ بالمَعْروفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] فاحتملت الآية عند قوم أن تكون مِنْ واقعةً على وَلِيّ المقتول، ومن أخيه أي: مِنْ وَلِيِّه المقتول، أي: من ديّته، وعُفِي له أي: يُسِّر له شيءٌ من المال، واحتمل أن تكون مِنْ واقعةً على القاتلِ وعُفِي من العَفْو عن الدم، ولا خلاف أن المتَّبعَ بالمعروف، هو وَلِيُّ الدم، وأن المأمورَ بأداء بإحسانٍ هو القاتل، وإذا تدبّرت الآية، عرفت مَنْشَأ الخلاف منها، ولاح من سِيَاقَةِ الكلام أي القولين أولى بالصواب.

وأما ما ذكرت من اختلافِ ألفاظِ النَّقلَةِ في الحديث، فيحصرها سبعةُ ألفاظ:

أحدها: إما أن يَقْتُلَ وإما أن يُفادِي.

والثاني: إما أَنْ يُعْقَل أو يُقَاد.

الثالث: إما أن يَفْدِي وإما أن يُقْتَل.

الرابع: إما أن تُعْطَى الدِّيةُ أو يُقَادَ أهلُ القتيل.

الخامس: إما أن يَعْفُو أو يَقْتُلَ.

السادسُ: يُقْتَل أو يُفَادَى.

السابع: من قَتل مُتعمِّدًا دُفع إلى أولياء المقتول، فإن شاءوا قَتَلُوا وإن شاءوا أخذوا الدِّيَةَ. خرّجه الترمذي. ورواية ابن إسحٰق في السيرة ثامنةٌ، وفي بعض هذه الروايات قوة لرواية ابن القاسم، وفي بعضها قوةٌ لروايةِ أَشْهَبَ فَتَأَمّلها.

إسـلام عكرمـة وصفـوان:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الزهري: أن أُمّ حكيم بنت الحارث بن هشام وفاختة بنت الوليد ـ وكانت فاختة عند صَفْوان بن أُميَّة، وأُمّ حكيم عند عِكْرمة بن أبي جَهل ـ أسلَمَتا؛ فأما أُمّ حكيم فاستأمَنَت رسولَ الله ﷺ لعِكْرِمة فأمَّنه؛ فلحقتْ به باليمن، فجاءت به، فلما أسلم عِكْرِمة وصفوان أقرّهما رسولُ الله ﷺ عندهما على النكاح الأوّل.

إسلام ابن الزبعرى وشعره في ذلك

قال ابن إسحٰق: وحدّثني سعيد بن عبد الرحمٰن بن حسَّان بن ثابت: قال: رمى حسَّانُ ابنَ الزِّبَعْرَى وهو بنجرانَ ببيت واحد ما زاده عليه:

لا تَـعْـدَ مَنْ رَجُلاً أحَلَّك بُغْضُهُ   نـجـرانَ فـي عَـيْـشٍ أحَـذَّ لَـئـيـم

فلما بلغ ذلك ابنَ الزِّبَعْرَى خرج إلى رسولِ الله ﷺ فأسلم، فقال حين أسلم:

يـا رَسُـولَ الـمَـلـيـك إنَّ لِـسـانـي   راتِـقٌ[1] مـا فَـتَـقْـتَ إذْ أنـا بُـورُ

إذْ أباري الشَّيطان في سنن الغَيّ   ومَـنْ مـالَ مَـيْـلَـه مَـثْـبـور[2]

النهي عن اشتمال الصمّاء والاحتباء:

وخطبتُه عليه السلام أطولُ مما ذكره ابنُ هِشَام، وفيها من رواية الشيباني عن ابن إسحٰق: «نَهْيُه عن صيام يومين، وصلاةِ سَاعَتَيْن: يعني طلوعَ الشمس وغروبَها، وأن لا يتوارث أهلُ مِلَّتين، وعن لُبْسَتَيْنِ وطُعْمَتَيْنِ»[3]، وفُسِّرتَا في الحديث، فقال: اللُّبْسَتَان: اشتمَالُ الصَّمَّاءِ، وأن يَحْتَبي الرجلُ وليس بين عَوْرَتِه والسماءِ حِجَابٌ والطُّعْمَتَان: الأكْل بالشِّمَال، وأن يأكُلَ مُنْبَطِحًا على بطنه.

شعر ابن الزبعرى

فصل: وذكر شعرَ ابن الزِّبَعْرى: الزِّبَعْرى: البَعير الأزَبُّ[4] مع قِصَر، وفيه:

راتِــقٌ مــا فَــتَــقْــتُ إذ أنــا بُــور

---

(١) راتق: مصلح. (٢) مثبور: هالك.

(٣) أخرجه أحمد (٢/٤٩٦) والبخاري في تاريخه (٥/٣٢٢) (٦/٤٦٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/١٠٤) وابن ماجة (٣٥٥٩) وانظر النسائي (٧/٢٦١).

(٤) البعير الأزب: كثير الشعر في الوجه.

آمَنَ اللَّحْمُ والعِظامُ لِرَبِّي ثم قَلْبي الشَّهيدُ أنتَ النذير
إنَّني عَنْكَ زاجرٌ ثَمَّ حَيًّا مِنْ لُؤيٍّ وكُلُّهُم مَغْرُورُ

قال ابن إسحٰق: وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى أيضًا حين أسلم:

مَنَعَ الرُّقَادَ بَلابِلٌ وهُمُومُ والليْلُ مُعْتَلِجُ[1] الرُّوَاقِ[2] بَهِيم[3]
مِما أتانِي أنَّ أحْمدَ لامَنِي فِيه فبِتُّ كأنَّني مَحْمُومُ
يا خيرَ مَنْ حملتْ على أوْصالها عَيْرانَةٌ[4] سُرُحُ اليَدَيْنِ غَشُومُ[5]
إني لمُعتذرٌ إلَيكَ مِنَ الذي أسديتُ إذْ أنا في الضَّلال أهِيمُ
أيامَ تَأمُرُني بأغوَى خُطَّةٍ سهْمٌ وتأمُرُني بها مَخْزُومُ
وأمُدُّ أسباب الرَّدَى ويقودُني أمْرُ الغُوَاةِ وأمرُهم مَشْؤومُ
فاليَوْمَ آمَنَ بالنَّبيّ محمَّدٍ قلبي ومخطىء هذه محروم

قوله: فتقت يعني: في الدين، فكل إثْم فَتْقٌ وتَمْزيقٌ، وكل تَوْبَةٍ، رَتْقٌ، ومن أجل ذلك قيل للتوبة: نَصُوحٌ من نَصَحْتُ إذا خِطْته، والنِّصاحُ: الخيطُ، ويشهد لصِحَّة هذا المعنى قولُ إبراهيمَ بن أدْهَمَ:

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بتمزيقِ دينِنا فلا دِينُنا يَبْقَى، ولا ما نُرَقِّع

وقوله: إذ أنا بُور، أي: هالِكٌ، يقال: رجل بُورٌ وبائر، وقوم بُورٌ، وهو جمعُ بائرٍ كان الأصل فيه فُعُل بتحريك الواو، وأما رَجُلٌ بُورٌ، فوزنُه فُعْل بالسكون، لأنه وَصْفٌ بالمَصْدر، ومنه قيل: أرضٌ بُورٌ من البَوارِ، وهو هَلاكُ المَرْعَى ويُبْسُه.

وقولُ ابن الزِّبَعْرَى:

والليلُ مُعْتَلِجُ الرُّوَاقِ بهيم

الاعتلاج: شِدَّةٌ وقوّة، وقد تقدّم شرحُها. والبهيم: الذي ليس فيه لون يخالط لونَه.

وقوله: سُرُحُ اليدين غَشُوم. الغَشُومُ: التي لا تُرَدُّ عن وجهِها، ويروى سَعُومُ، وهي القوية على السير.

---

(١) معتلج: ملتطم.
(٢) الرواق: مقدم الليل.
(٣) بهيم: لا ضوء فيه.
(٤) عيرانة: راحلة.
(٥) غشوم: شجاع مقدام.

مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والدي كلاهما زللي، فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفًا وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق حق وأنك في العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى مستقبل في الصالحين كريم
قَرْمٌ عَلا بُنْيانِهِ مِنْ هاشِمِ فَرْع تمكّن في الذُرَا وأُرُومُ[1]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له.

بقاء هبيرة على كفره وشعره في إسلام زوجه أُم هانىء:

قال ابن إسحٰق: وأما هُبيرة بن أبي وَهْبِ المخزوميُّ فأقام بها حتى مات كافرًا، وكانت عنده أُمّ هانىء بنت أبي طالب، واسمها هِنْد، وقد قال حين بلغه إسلام أُمّ هانىء:

أشاقتكَ هِنْدٌ أمْ أتاكَ سُؤَالُهَا كذاك النَّوى أسْبابُها وانفتالُها
وقد أرَقَتْ في رأس حِصْن ممنَّع بنجرانَ يسري بعد ليلٍ خيالُها
وعاذلةٍ هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومُنِي وتَعْذِلُني باللَّيْلِ ضَلَّ ضَلالُهَا
وتَزْعُمُ أني إنْ أَطَعْتُ عَشِيرتي سأرْدَى وهل يُرْدِينَ إلاَّ زِيالُها
فإني لمِنْ قومٌ إذا جَدَّ جدُّهُم على أيّ حالٍ أصبحَ اليومَ حالها
وإني لحامٍ من وراء عشيرتي إذا كان من تحت العوالي مجالها
وصارت بأيديها السُّيوف كأنّها مخاريقُ وِلْدانٍ ومنها ظِلالُهَا
وإني لأقلَى الحاسِدين وفِعْلَهُمْ على الله رزقي نفسُها وعيالُها
وإنّ كلام المرء في غير كُنْهِهِ لكالنَّبْل تهوي ليس فيها نصالُهَا
فإن كنتِ قد تابعتِ دِينَ محمَّدٍ وعطفتِ الأرحامَ منك حِبالُهَا

....

(١) أروم: أصل.

فكوني على أعلى سَحِيقٍ بهَضْبَة　　مُلَمْلَمَةٍ غِبْراء يَبْسٍ بِلالُهَا

قال ابن إسحٰق: ويُروى:

وقطعت الأرحامَ منك حبالُها

عدّة من شهد فتح مكّة من المسلمين:

قال ابن إسحٰق: وكان جميع من شَهد فتح مكّة من المسلمين عشرة آلاف. ومن بني سُلَيم سبع مائة، ويقول بعضهم: ألف؛ ومن بني غِفار أربع مائة، ومن أسْلَم أربع مائة؛ ومن مُزَيْنة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قُريش والأنصار وحُلفائهم، وطوائف العرب من تَميم وقَيْس وأسد.

شعر حسَّان في فتح مكّة

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسَّان بن ثابت الأنصاري:

عَفَتْ ذاتُ الأصَابِع فالجِوَاءُ[1]　　إلى عَذْرَاء[2] مَنزِلُهَا خلاءُ

ديارٌ من بني الحَسْحَاسِ قَفْرٌ　　تُعَفِّيها الرَّوامسُ[3] والسَّماءُ

وكانَتْ لا يَزَال بها أنِيسٌ　　خِلال مُرُوجِها نَعَمٌ وشَاءُ

حول شعر حسَّان

فصل: وذكر شعر حَسَّان يوم الفتح وأوّله:

عَفَتْ ذاتُ الأصابِع فالجِوَاءُ

ذات الأصابع: موضع بالشام، والجِوَاء كذلك، وبالجِواء كان منزلُ الحارثِ بن أبي شَمِر، وكان حَسَّانُ كثيرًا ما يَرِدُ على مُلوك غَسَّان بالشام يمدحهم، فلذلك يذكر هذه المنازل.

وقوله: إلى عَذْرَاءَ، هي قرية عند دِمَشْقَ، فيها قُتل حُجْرُ بن عَدِيٍّ وأصحابه.

وقوله: نَعَمٌ وشاءُ. النَّعَمُ: الإبلُ، فإذا قيل: أنعام دخل فيها الغَنَم والبَقرُ والإبلُ. والشَّاءُ والشَّوِيُّ: اسمٌ للجميع كالضَّأن والضِّئين والإبْلِ والإبِيل، والمَعْزِ والمَعِيز، وأما الشَّاةُ، فليست من لفظ الشَّاءِ، لأن لام الفعل منها هَاءٌ. وبنو الحَسْحَاسِ: حَيٌّ من بني أَسَدٍ.

---

(١) الجواء: موضع بالشام.　　(٢) موضع قرب دمشق.

(٣) الروامس: القبور.

وقوله: الرَّوامِسُ والسَّمَاءُ، يعني: الريَاح والمطَر. والسماءُ لفظٌ مشترك يقع على المطر، وعلى السماء التي هي السَّقْفُ، ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله:

إذا سَـقَـطَ الـسَّـمـاءُ بـأَرْضِ قَـوْمٍ ... رَعَـيْـنَـاهُ وإن كـانـوا غِـضَـابَـا

لأنه يحتمل أن يُريد مطر السَّمَاء، فحذف المضاف، ولكنِ إنما عرفناه من قولهم في جَمْعِه: سُميٌّ وهم يقولون في جمع السماء: سَمَٰواتٍ وأَسْمِيَةً، فعلمنا أنه اسمٌ مُشْتَرَكٌ بين شَيْئَيْن.

وقوله: ولكنْ مَن لِطَيْفٍ. الطَّيْفُ: مصدر طاف الخيالُ يَطيفُ طَيفًا، ولكن لا يقال للخيّال: هو طَائِفٌ على وزن اسم الفاعل من طَاف، لأنه لا حقيقةَ للخيال، فيرجع الأمر إلى أنه هو الطَّيْفُ، وهو تَوَهُّمٌ وتَخَيُّلٌ، فإن كان شيء له حقيقةٌ قلت فيه: طائف، وفي مَصْدره: طَيْفٌ كما في التنزيل ﴿طائِفٌ من الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وقد قرىء أيضًا طَيْفٌ من الشَّيْطَانِ، لأن غُرورَ الشَّيْطان وأمانيه تُشَبّه بالخيال، وما لا حقيقة له. وأما قولُه: ﴿فَطَافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ [القلم: ١٩] فليس فيه إلاّ اسْمُ الفاعل دون المصدَرِ، لأن الذي طاف عليها له حقيقةٌ، وهو فاعل معروف بالفعل، يقال: إنه جِبْريلُ عليه السلام، فتحصَّل من هذا ثلاثُ مَرَاتِبَ: الخيالُ ولا حقيقةَ له، فلا يُعَبَّر عنه إلاّ بالطَّيْفِ، وحديثُ الشيطان ووَسْوَسَتُه، يقال فيه: طائِفٌ وطَيْفٌ، وكل طائف سوى هذين فهو اسمُ فاعل، لا يُعَبَّر عنه بطَيْفٍ، ولا بطوافٍ فقف على هذه النُّكْتَة فيه.

وقوله:

يــؤرقــنــي إذا ذهــب الــعــشــاء

أي: يسهّرني، فيقال: كيف يُسهّره الطيفُ، والطيفُ حُلُم في المنام؟.

فالجواب: أن الذي يُؤَرّقه لوعةٌ يجدها عند زَوَاله كما قال [حبيب بن أوْس أبو تمام] الطائيّ:

ظَبْـيٌ تَـقَـنَّـصْـتُـه لـمـا نَـصـبْـتُ لـه ... من آخِرِ الَّـلـيْـلِ أَشْـرَاكًا من الـحُـلْـمُ

ثـم انـثَـنـى، وبـنـا مـن ذِكْـره سَـقَـمٌ ... باقٍ، وإن كـان مَـغْـسُـولاً من الـسَّـقَـم

وقد أحسن في قوله من آخر الليل تنبيهًا على أنه سهر لَيلَه كُلَّه، إلاّ ساعةَ جاء الخيالُ من آخره، فكأنه مُسْتَرَقٌ من قَوْلِ حسَّان:

وخـيــال إذا تـــقـــوم الـــنُّـــجُـــومُ

لِشَعْثاء[1] التي قد تَيَّمتْهُ　　فلَيسَ لقلبِهِ منها شِفاءُ
كأنّ خَبيئةً مِن بيت رأس　　يكون مِزاجَها عسلٌ وماءُ
إذا ما الأشْرِباتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا　　فهُنَّ لطيِّب الراحِ الفِداءُ

ونظير قوله: يؤرِّقني، أي: يؤرّقني بزواله عنّي قولُ البُحْتُرِيِّ:

أَلَمَّت بنا بعد الهُدُوِّ فسامحت　　بوَصْلٍ متى تَطْلُبْهُ في الجِدِّ تَمْنَعِ
وَوَلَّت كأن البَيْنَ يَخْلُجُ شَخصَها　　أوان تَوَلَّتْ من حَشَائِي وأَضْلُعي

وقوله:

لِشَعْثَاء التي قد تَيَّمَتْهُ

شَعْثَاء التي يُشبِّب بها حَسَّانُ هي بنت سَلاَّم بن مِشْكم اليَهُودِيّ، ورُوي أنه قال: يا مَعْشَرَ يَهُودَ قد علمتم أن محمدًا نبيٌّ، ولولا أن تُعيَّر بها شَعْثَاءُ ابْنَتِي لَتَبِعْتُه، وقد كانت تحت حَسَّان أيضًا امرأةٌ اسمُها شَعْثَاء بنتُ كاهِنِ الأَسْلَمِيَّة، ولدت له أُمَّ فِراسٍ.

وقوله:

كأنَّ خَبِيئَةً من بيتِ رَأْسٍ

إلى آخره، خبر كأن في هذا البيت محذوفٌ، تقديره: كأن في فيّها خبيئةً، ومثل هذا المحذوف في النَّكِراتِ حَسَنٌ كقوله:

إنَّ مَحَلاً وإنَّ مُرتَحَلاً

أي: إن لنا مَحَلاً، وكقول الآخر:

ولكنَّ زنجيًّا طَويلاً مَشَافِرُه

وفي صحيح البخاري في صفة الدَّجَّالِ: «أعورَ كأن عِنَبَةً طافيةً»[2]، أي: كأن في عينه، وزعم بعضُهم أن بعد هذا البيت بيتًا فيه الخبر وهو:

على أنيابِها أَوْ طَعْمُ غَضّ　　من التُّفَّاحِ هَصَّره اجْتِنَاءُ

وهذا البيت موضوعٌ لا يُشْبِه شعرِ حَسَّان ولا لفظه.

---

(١) شعثاء: بنت سلام بن مشكم اليهوديّ.
(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٧) ومسلم في كتاب الفتن (١٠٥) وأحمد (٣/ ٢٠١).

فَــوَلِّـيــهــا الــمَــلامَــة إن ألَــمْــنــا إذا مـا كـان مَـغْـثٌ[1] أو لَـحـاءُ[2]
ونَـشْـرَبـهـا فـتَـتْـرُكُـنـا مُـلـوكًـا وأُسْـدًا مـا يُـنَـهْـنِـهُـنَـا الْـلـقـاءُ
عَـدِمْـنـا خَـيْـلَـنـا إنْ لَـم تَـرَوْهـا تُـثـيـر الـنـقـعَ[3] مَـوْعِـدُهـا كَـدَاء
يُـنـازِعْـنَ الأعِـنَّـةَ مُـصْـغِـيـات عـلـى أكْـتـافِـهـا الأسَـلُ الـظـمّـاءُ

وقـولـه:

نُـولِّـيـهـا الـمـلامـةَ إن ألَـمْـنَـا

أي: إن أتينا بما نُلاَم عليه صرفنا اللوم إلى الخمر واعتذرنا بالسُّكْر. والمَغْثُ: الضرب باليد، واللِّحَاءُ: المُلاَحَاةُ باللسان، ويرُوى أن حَسَّانًا مرّ بِفِتْيَةٍ يَشْرَبُون الخمرَ في الإسلام، فنهاهم، فقالوا: والله لقد أردنا تركها فُيزَيِّنُها لنا قولُك:

ونَـشْـرَبُـهـا فـتـتـركُـنـا مُـلُـوكَـا

فقال: والله لقد قلتها في الجاهلية وما شَرِبتها منذ أسلمتُ، وكذلك قيل: إن بعضَ هذه القصيدةِ قالها في الجاهلية، وقال آخرها في الإسلام.

معنى التفضيل في شرّكما:

وفيـها يقـول لأبـي سُفيـان:

فَـشَـرُّكُـمَـا لِـخَـيْـرِكُـمـا الـفِـدَاءُ

وفي ظاهرِ اللفظِ بشَاعَةٌ، لأن المعروف أن لا يقال: هو شَرُّهما إلاّ وفي كليْهما شَرٌّ، وكذلك: شَرٌّ مِنك، ولكن سيبويه قال في كتابه: تقول مررت برجل شَرٌّ منك، إذا نقص عن أن يكونَ مِثلَه، وهذا يدفع الشَّنَاعَةَ عن الكلام الأوّل، ونحو منه قوله عليه السلام: «شَرُّ صُفُوفِ الرجال آخرُها»[4] يريد: نُقْصَانَ حَظِّهم عن حَظِّ الأوَّلِ، كما قال سيبويه، ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشرّ والله أعلم.

---

(١) المغث: الضرب باليد. (٢) اللحاء: من ملاحة اللسان.
(٣) النقع: موضع قرب مكّة.
(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٤) وابن حبّان (٣٨٥ ـ موارد) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٨٦) وأبو عوانة (٢/ ٣٧).

تَـظَـلُّ جِـيـادُنـا مُـتَـمَـطِّـراتٍ يـلَـطِّـمُـهـنَّ بـالـخُـمُـرِ الـنِّـسـاءُ
فـإمَّـا تُـعْـرِضُـوا عَـنَّـا اعْـتَـمـرْنـا وكـان الـفَـتـحُ وانـكَـشَـف الـغِـطـاءُ
وإلا فـاصْـبِـرُوا لـجِـلادِ يَـوْمٍ يُـعـيـنُ الله فـيـهِ مَـنْ يَـشـاءُ
وجِـبـريـلٌ رسـولُ الله فِـيـنـا ورُوح الـقُـدْس لـيـس لـه كِـفـاء
وقـال الله: قـد أرْسَـلْـتُ عَـبْـدًا يـقُـولُ الـحَـقَّ إنْ نَـفَـعَ الـبَـلاءُ
شَـهِـدتْ بـه فَـقُـومُـوا صَـدِّقُـوهُ فـقـلـتُـمْ لا نـقـوم ولا نَـشـاءُ
وقـالَ الله قـد سَـيَّـرْتُ جُـنـدًا هُـمُ الأنْـصَـارُ عُـرْضَـتُـهـا الْـلِـقـاءُ
لَـنـا فـي كـلِّ يَـوْمٍ مِـنْ مَـعَـدٍّ سِـبـاب أو قِـتـالٌ أو هِـجـاءُ
فـنـحْـكِـمُ بـالـقَـوَافـي مَـنْ هَـجـانـا ونَـضْـرِب حـيـن تـخْـتَـلـطُ الـدِّمـاءُ
ألا أبْـلِـغْ أبـا سُـفـيـانَ عَـنّـي مُـغَـلْـغَـلَـةً[1] فـقـد بَـرِحَ الـخَـفـاءُ

يـلطـلم أو يـطلـم:

وفيها قوله في صفة الخيل:

يُـلَـطِّـمُـهُـنَّ بـالـخُـمْـرُ الـنِّـسَـاءُ

قال ابن دُرَيْد في الجمهرة: كان الخليلُ رحمه الله يَروي بيت حسَّان يُطَلِّمُهُنَّ بالخُمُرِ، وينكِر يُلَطِّمُهُنَّ ويجعله بمعنى: يُنَفِّضُ النساءُ بخُمُرِهِنَّ ما عليهن من غُبارٍ أو نحو ذلك، وأتْبَعَ بذلك ابنُ دريد قوله: الطَّلمُ ضَرْبُكَ خُبزَة المَلَّةِ بيدك لِتَنْفُضَ ما عليها من الرَّماد، والطُّلْمَة: الخُبْزَةُ، ومنه حديث أبي هُرَيْرَةَ: مَرَرْنا بقوم يُعَالِجُون طُلْمَةً لهم، فَنَفَّرْناهم عنها، فاقتسمناها، فأصابَتْني منها كِسْرةٌ، وكنت أسمع في بلدي أنه مَنْ أكل الخبز سَمِن، فجعلت أنظر في عِطْفِي: هل ظَهَر فِيَّ السِّمَنُ بعد. ومما جاء في الحديث من هذا المعنى أن النبيَّ ﷺ رُؤي يمسح وَجْهَ فَرَسِه بردائه، فقال: عُوتِبْتُ الليلة في الخيل.

وفيـهـا:

ونُـحْـكِـم بـالـقـوافـي مَـنْ هَـجَـانـا

---

(١) مغلغلة: أي رسالة محمولة من بلد إلى بلد.

بـأن سـيـوفُـنـا تَـركـتـكَ عَـبـدًا | وعـبـدُ الـدّار سـادَتُـهـا الإمـاءُ
هَـجَـوْتَ مـحـمَّـدًا وأجَـبتُ عَـنـهُ | وعـنـدَ الله فـي ذَاكَ الـجَـزَاءُ
أتـهْـجُـوهُ ولـسـتَ لـهُ بـكُـفْءٍ | فـشـرُّكـمـا لـخـيـركـمـا الـفِـدَاءُ
هَـجَـوْتَ مُـبـاركًـا بَـرًّا حَـنـيـفًـا | أمِـيـنَ اللهِ شـيـمـتـهُ الـوَفـاءُ
أمَـن يـهـجـو رسـولَ اللهِ مـنـكـمْ | ويـمـدَحُـه ويـنـصـرُه سَـواءُ؟
فـإنَّ أبـي ووالـده وعِـرضـي | لـعـرض مـحـمَّـد مـنـكـم وِقـاءُ
لـسـانـي صـارمٌ لا عـيـبَ فـيـه | وبـحـري لا تُـكـدّره الـدّلاءُ

قال ابن هشام: قالها حسَّان يوم الفتح، ويُروى: «لساني صارم لا عتب فيه» وبلغني عن الزهري أنه قال: لما رأى رسولُ الله ﷺ النِّساء يَلْطِمْن الخيلَ بالخُمرُ تبسّم إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

نُحْكِم: أي نَرُدُّ ونَقْرَعُ، هو من حَكَمَة الدَّابّة، وهو لجامها، ويكون المعنى أيضًا: نُفْحِمُهم ونخرِسُهم، فتكون قوافينا لهم كالحَكَمَاتِ للدَّوابِّ قال زُهَير:

قد أُحْكِمَتْ حَكَمَاتِ القد[1] والأَبَقَا[2]

وفي هذه القصيدةِ: مَوْعِدُها كَدَاءُ، وفي رواية الشيباني: يسيل بها كُدَيٌّ أو كَدَاءُ.

وقد ذكرنا كُدَيًّا وكَدَاءَ، وذكرنا معهما كُدًى، وزاد الشيباني في روايته أبياتًا في هذه القصيدة وهي:

وهـاجـت دُونَ قَـتْـلِ بـنـي لُـؤَيٍّ | جَـذِيـمَـة إن قَـتْـلُـهـم شِـفَـاءُ
وحِـلْـفُ الـحـارثِ بـن أبـي ضِـرَارِ | وحِـلْـفُ قُـرَيْـظَـةٍ فـيـنـا سَـوَاءُ
أولـئـك مَـعْـشَـرٌ ألَـبُـوا عـلـيـنـا | فـفـي أظْـفَـارِنـا مِـنـهـم دِمَـاءُ
سَتُبْصِر كيف نَفْعَل بابنِ حَرْب | بِـمَـوْلاكَ الـذيـن هُـمُ الـرِّدَاءُ

---

(١) القد: السير يُقد من جلد غير مدبوغ.
(٢) الأبق: القنب.

شعر أنس بن زنيم
في الاعتذار إلى الرسول مما قال ابن سالم

قال ابن إسحٰق: وقال أنس بن زُنَيم الدّيلي يعتذر إلى رسولُ الله ﷺ ممن كان قال فيهم عَمرو بن سالم الخزاعي:

أأنـتَ الـذي تُـهْـدي مَـعـدٌّ بـأمـرِه ... بَـلِ الله يَـهْـدِيـهُـمْ وقـالَ لَـك اشْـهَـدِ
وما حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِها ... أبَـرَّ وأَوْفَـى ذِمَّـةً مِـن مُـحَـمَّـد
أحَثَّ على خيرٍ وأسبغَ[1] نائِلا[2] ... إذا راحَ كالسَّيف الصَّقيلِ المُهَنّدِ
وأكْسى لبُرْدِ الخالِ قبلَ ابْتذالِه ... وأعْطى لرأس السَّابق المتجرّد
تـعـلّـمْ رسـولَ اللهِ أنّـكَ مُـدْرِكـي ... وأنّ وَعِـيدًا مِـنك كـالأخذ بـاليـد
تَـعَـلَّـمْ رسُـولَ اللهِ أنّـكَ قـادِرٌ ... على كل صِرْمٍ مُتْهِمين ومُنجد
تعَلَّمْ بأنَّ الرَّكبَ ركْبُ عُوَيْمِر ... هُمُ الكاذبونَ المُخْلفُو كلّ موْعِد
ونَـبَّـوْا رسـولَ الله أنّـي هَـجَـوْتُـه ... فلا حملَت سوطي إليّ إذَنْ يَدِي
سِوى أنني قد قلتُ ويلُ أُمّ فِتْيَةٍ ... أصيبُوا بنحْس لا يطْلق وأسْعُدِ

حول شعر أنس بن سليم

فصل: وذكر شعر أنس بن سليم الدّيلي وفيه:

وأَكْسَى لبُرْدِ الخالِ قبل ابْتِذَالِه

الخالُ: من بُرُود اليَمَن وهو من رَفيع الثياب، وأحسَبه سُمّي بالخال الذي بمعنى الخُيَلاَءِ كما قال زيد بن عَمْرو بن نُفيل: البرَّ أَبْغِي لا الخَال، وفيه:

تَـعَـلّـم رسـولَ الله أنـك مُـدرِكـي ... وأنَّ وَعِـيدًا منـك كـالأَخْذِ بـاليَـدِ

وهذا البيتُ سقط من رواية أبي جَعْفَر بن الورد، كذا ألفيته في حاشية كتاب الشيخ، رحمه الله، ومعناه من أحسن المعاني ينظر إلى قول النابغة:

فـإنك كـالّـلـيْـلِ الـذي هـو مُـدرِكـي ... وإن خِلْتُ أن المُنْتَأى عنك واسع
خَطَاطِيف حُجْنٍ في حِبالٍ مَتِينَةٍ ... تُـمَـدُّ بـهـا أيـدٍ إلـيـك نَـوازِعُ

---

(١) أسبغ: أتم.
(٢) نائلاً: كريم كثير العطاء.

أصَابَهُمْ مَنْ لم يَكُنْ لدِمائِهمْ كِفاءَ فعزتْ عَبْرَتي وتَبلُّدِي
فإنك قَد أخفرْتَ إن كنتَ ساعيًا بعبد بن عبد الله وابنة مَهْود
ذُويب وكُلْثوم وسلْمَى تَتابعوا جميعًا فإلاَّ تدمَع العين أكمَد[1]
وسَلْمى وسَلْمى ليس حَيّ كمِثله وإخوتِهِ وهل مُلوك كأعْبُد؟
فإنيَ لا دِينًا فتَقْت[2] ولا دَمًا هَرَقْتُ تبينْ عالِمَ الحقّ واقْصِد

شعر بديل في الردّ على ابن زنيم:

فأجابه بُدَيْل بن عبد مناف ابن أُمّ أصْرَم، فقال:

بكى أنَسٌ رَزْنًا فأعْوَلَهُ البُكا فَألاَّ عَدِيًّا إذ تُطَلُّ وتُبْعَدُ
بكَيْتَ أبا عَبْسٍ لقُرْب دمائها فتُعذِرَ إذْ لا يوقدُ الحربَ مُوقد
أصابهُم يومَ الخنادِمِ فِتيَة كِرامٌ فسلْ منهم نفيلٌ ومعبَد
هنالك إن تسفَحْ دموعُك لا تُلَم عليهم وإن لم تدمع العينُ فاكمَدُوا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

فالقَسِيمُ الأول كالبيت الأوّل من قول النابغة، والقَسِيمُ الثاني كالبيت الثاني، لكنه أَطْبَعُ منه، وأَوْجَزُ. وقول النابغةِ كالليل فيه من حُسْنِ التشبيه ما ليس في قول الدِّيلي، إلاّ أنه يَسْمُج مثلُ هذا التشبيه في النبيّ ﷺ، لأنه نورٌ وهُدَى، فلا يُشَبَّه بالليل، وإنما حَسُن في قول النابغةِ أن يقول كالَّليْلِ، ولم يَقُلْ كالصُّبْح، لأن الليل تُرْهَبُ غوائِلُه، ويُحْذَر من إدراكه ما لا يُحْذَر من النَّهار، وقد أخذ بعضُ الأندلسيين هذا المعنى، فقال في هربه من ابن عَبَّادٍ:

كأن بلاَدَ الله وهي عَرِيضَةٌ تَشُدُّ بأقصاها عليَّ الأنامِلا
فَأينَ مَفَرُّ المرءِ عنك بنفسِه إذا كان يَطْوي في يديك المَرَاحِلا

وهذا كُلُّه معنى مُنْتَزَعٌ من القدماء. رَوى الطبري أن «مِنُوشِهْرَ بن إيرَجَ بن أَفْريدُون بن أثفِيان» وهو الذي بعث موسى عليه السلام في زمانه أعني زَمَانَ مِنُوشِهْرِ قال حين عقد التاج على رأسه في خطبة له طويلة: «أيها النّاسُ إن الخلقَ للخالِق، وإن الشكر لِلْمُنْعَم، وإن التَّسْلِيمَ للقادر، وإنه لا أَضْعَفَ من مَخْلُوق طالبًا أو مَطلوبًا، ولا أَقوى من طالب طَلِبَتُه في يده، ولا أَعْجَزَ من مطلوب هو في يد طالبه».

---

(١) الكمد: الحزن الشديد.
(٢) فتقت: افترقت.

شعر بجير في يوم الفتح

قال ابن إسحٰق: وقال بُجير بن زهَير بن أبي سُلْمى في يوم الفتح:

نَفى أهلَ الحَبَلَّقِ[1] كُلَّ فَجٍّ مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وبنُو خَفاف

ضَرَبْناهُمْ بمكّة يومَ فَتْحِ النّـ ـبيّ الخيْر بالبِيضِ الخِفاف

صَبَحْناهم بسبْعٍ من سُلَيْم وألفٍ منْ بني عثمان وافِ

نطا أكتافهم ضربًا وطعنًا ورشقًا بالمريشة اللطاف

نرى بين الصفوف لها حفيفًا كما انصاع الفواق[2] من الرصاف

حول شعر بجير بن زهير

وأنشد لبُجَيْرِ بن زُهَيْرٍ:

نَفَى أَهْلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍ مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وبنو خُفَافِ

الحَبَلَّقُ: أرض يسكنها قبائلُ من مُزَيْنَة، وقَيْسٍ: والحَبَلَّقُ: الغَنَمُ، الصِّغَارُ، ولعلّه أراد بقوله: أَهْلَ الحَبَلَّقِ أصحابَ الغَنَم، وبنو عُثْمَان هم مُزَيْنَةُ وهم بنو عُثْمانَ بن لاطِمِ بن أد بن طَابِخَةَ، ومُزَيْنَةُ أُمُّهُمْ بنتُ كَلْب بن وَبَرَةَ بن تَغْلِبَ بن حُلْوَانَ بن الحَافِ بن قُضَاعَةَ، وأختُها: الْحَوْأَبُ التي عُرِفَ بها ماءُ الحَوْأَبِ المذكور في حديثِ عائشةَ، وأصلُ الحَوْأَبِ في اللغة: القَدَحُ الضّخْمُ الواسع، وبنو خُفَافٍ: بَطْنٌ من سُلَيْم، وقوله:

ضَرَبْنَاهُمْ بمكّةَ يوم فَتْحِ النّـ ـبيّ الخَيْر بالبِيضِ الخِفَافِ

في البيت مداخلة وهو انْتِهاءُ القَسِيم الأوّل في بعض كلمةٍ من القَسِيم الثاني، وهو عَيْبٌ عندهم إلاّ في الخَفِيف والهَزج، ومعنى الخَيْرِ أي: ذو الخَيْر، ويجوز أن يريد الخَيِّر فخفف، كما يقال: هَيْن وهَيِّن. وفي التنزيل: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمٰن: ٧٠].

وقوله:

كما انصاع الفُوَاقُ من الرِّصَافِ

أي: ذَهَب، والرِّصَافُ: عُصْبَةٌ تُلْوَى على فوق السَّهم، وأراد بالفواق الفوق، وهو غريب.

---

(١) الحبلق: اسم مكان يسكنه قبائل قيس ومزينة. (٢) الفواق: مشق رأس السهم.

فرحنا والجياد تجول فيهم ... بأرماح مقوّمة الثقاف
فأبنا غانمين بما اشتهينا ... وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا ... مواثقنا على حسن التصافي
وقد سمعوا مقالتنا فهموا ... غداة الروع منا بانصراف

شعر ابن مرداس في فتح مكّة:

قال ابن هشام: وقال ابن مرداس السلمي في فتح مكّة:

منا بمكّة يوم فتح محمد ... ألف تسهيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وأشاهدًا أيامه ... وشعارهم يوم اللقاء مقدّم
في منزل ثبتت به أقدامهم ... ضنك[1] كأن الهام فيه الحنتم[2]
الله مسكنه له وأذلّه ... حكم السيوف لنا وجد مزحم[3]
عود الرياسة شامخ عرنيته[4] ... متطلّع ثغر المكارم خضرم

إسلام عباس بن مرداس

قال ابن هشام: وكان إسلام عباس بن مرداس، فيما حدّثني بعض أهل العلم بالشعر، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده، وهو حجر كان يقال له: ضمار، فلما

وذكر صاحب العين في الفُواقِ صوت الصَّدر، وهو بالهمز في قول ابن الأعرابي، لأنه من ذوات الواو.

عباس بن مرداس والذين حرموا الخمر

وذكر عَبَّاسَ بن مِرْدَاسٍ، ويكنى أبا الفضل، وقيل: أبا الهَيْثم، ومن ذرّيته عبدُ الملك بن حبيب فقيه الأندلس، ونسبه: عَبَّاسُ بن مِرْدَاس بن أبي عَامِرِ بن جَارِيَةَ بن عَبْدِ بن عبَّاس بن رِفَاعَة بن الحارثِ بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم السُّلَمِيّ كان أبوه حاجبًا لحَرْبِ بن أُميَّة، وقتلتهما الجِنُّ في خَبَرِ مَشْهُورٍ[5] وعباس ممن حَرَّم على نفسه الخمر في الجاهلية، وحَرّمها أيضًا على نفسِه قبل الإسلام أبو بكر وعُثمان وعبدُ الرحمٰن بن عَوْفٍ، وقيس بن

---

(١) الضنك: الضين.
(٢) الحنتم: الجرّة الخضراء.
(٣) مزحم: كثير الزحام.
(٤) العرنين: الأنف.
(٥) تقدّم الكلام غير مرّة على خرافة خطف الجنّ للإنس.

حضر مرداس قال لعباس: أي بني، اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرّك، فبينا عباس يومًا عند ضمار، إذ سمع من جوف ضمار مناديًا يقول:

قل للقبائل من سليم كلها ... أودى ضمار وعاش أهل المسجد

إن الذي ورث النبوّة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدي

أودى ضمار وكان يعبد مرة ... قبل الكتاب إلى النبيّ محمد

فحرق عباس ضمار، ولحق بالنبيّ ﷺ فأسلم.

عاصم، وقبل هؤلاء حَرَّمها على نفسِه عبدُ المطَّلب بن هَاشِم وَورَقَةُ بن نَوْفل وعبدُ الله بن جُدْعَان وشَيْبَةُ بن رَبِيعة والوليدُ بن المُغِيرة، ومن قُدماء الجاهلية عامرُ بن الظَّرِب العَدْوانِيّ.

وذكر في سبب إسلام عباس ما سمع من جَوْفِ الصنم الذي كان يعبده، وهو ضِمارِ بكسر الراء وهو مثل حَذَام ورَقَاشِ، ولا يكون مثُل هذا البِناء إلاّ في أسماء المؤنَّثِ، وكانوا يجعلون آلهتَهم إناثًا كاللاَّتِ والعُزَّى ومَنَاة، لاعتقادهم الخبيثِ في الملائكةِ أنها بَنَاتٌ. وفي ضِمَارِ لغةُ أهل الحجاز، وبنى تمِيم البناء على الكسر لا غير من أجل أن آخرَه راءٌ، وما لم يكن في آخرِه راء كحَذَامِ ورَقَاشِ، فهو مَبْنِيٌّ في لغة أهل الحجازِ ومُعْرَبٌ غيرُ مَجْرى في لغة غيرهم كذلك قال سِيبَوَيْه.

وذكر ابن أبي الدنيا في سبب إسلام عباسٍ حديثًا أسنده عن رجالِه عن الزُّهْريّ عن عبد الرحمٰن بن أَنَسٍ السلماني عن عَبَّاسِ بن مِرْدَاسٍ أنه كان في لِقَاحٍ له نِصفَ النَّهارِ، فاطّلعت عليه نَعَامَةٌ بيضاءُ عليها راكب عليه ثِيَابٌ بِيَاضٍ فقال لي: يا عباسَ أَلَم تر أنَّ السَّماءَ كفّت أحراسها، وأن الحَرْبَ جرعَتْ أنفاسَها، وأن الخَيْلَ وضعت أَحْلاَسها، وأن الذي نزل عليه البِرُّ والتُّقَى يومَ الاثنين ليلَةَ الثُّلاثاء صاحب النَّاقةِ القَصْوَاءِ. قال: فخرجت مَرْعُوبًا قد راعني ما رأيتُ، وسعيت، حتى جئت وَثَنًا لي، يقال له: الضِّمار كنا نَعْبُدُه ونُكَلَّم من جَوْفِه، فكنست ما حوله، ثم تمسّحت به، فإذا صائح يصيح من جوفه:

قُل للقبائل من قُرَيْشٍ كُلِّها ... هَلَكَ الضِّمارُ وفاز أهل المَسْجِد

هَلَكَ الضِّمَارُ وكان يُعْبَد مُدَّةً ... قبل الصَّلاَةِ على النَّبيِّ مُحمَّد

إن الذي وَرِث النُّبُوَّة والهُدَى ... بعد ابن مَرْيَم من قُرَيْشٍ مُهْتَدِي

قال: فخرجت مذْعُورًا حتى جئت قومي، فقصصت عليهم القِصّةَ، وأخبرتهم الخبَر فخرجت في ثلاثمائةٍ من قومي من بني جَارِيَةَ إلى النبيّ ﷺ بالمدينة، فدخلنا المسجد، فلما

شعر جعدة في يوم الفتح

قال ابن هشام: وقال جعدة بن عبد الله الخزاعي يوم فتح مكّة:

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل　　لحين له يوم الحديد متاح
أتيحت له من أرضه وسمائه　　لتقتله ليلاً بغير سلاح
ونحن الألى سدّت غزال خيولنا　　ولفتّا سددناه وفجّ طلاح
خطرنا وراء المسلمين بجحفل　　ذوي عضد من خيلنا ورماح

وهذه الأبيات في أبيات له.

شعر بجيد في يوم الفتح:

وقال بجيد بن عمران الخزاعي:

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا　　ركام صحاب الهيدب المتراكب
وهجرتنا في أرضنا عندنا بها　　كتاب أتى من خير ممل وكاتب
ومن أجلنا حلّت بمكّة حرمة　　لندرك ثأرًا بالسيوف القواضب

رآني النبيُّ ﷺ تَبسَّمَ، وقال: «إليَّ يا عباسُ، كيف إسلامك؟» فقصصتُ عليه القصّة، فقال: صدقت، فأسلمت أنا وقومي.

شعر جعدة

فصل: وذكر في شِعْرِ جَعْدَةَ الخُزَاعِيِّ غَزَالَ، وهو اسم طريقٍ غير مصروف، وقال كُثَيِّر في قصيدته المشهورة يذكر غَزَال:

أناديك ما حَجَّ الحَجِيجُ وكَبَّرَتْ　　بِفَيفَا غَزَالٍ رُفْقَةٌ وَأَهَلَّتِ

وكذلك لَفْت اسم موضع، وفي لَفْتٍ يقول مَعْقِلُ بن خُوَيْلِدِ:

لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ وقد بَلَغْنا　　جِبَالَ الجَوْزِ مِنْ بَلَدٍ تَهَامِ
نَزِيعًا مُحْلِبًا من أهل لَفْتٍ　　لِحَيٍّ بين أثْلَةَ والنِّجَامِ

وقد تقدّم هذا البيتُ الأخيرُ في باب الهجرة.

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة
ومسير علي لتلافي خطأ خالد

قال ابن إسحٰق: وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكّة الرسايا تدعو إلى الله عزّ وجلّ، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيًا، ولم يبعثه مقاتلاً، فوطىء بني جذيمة، فأصاب منهم.

قال ابن هشام: وقال عباس بن مرداس السلمي في ذلك:

فإن تك قد أمرت في القوم خالدًا ... وقدمته فإنه قد تقدّما

بجند هداه الله أنت أميره ... نصيب به في الحق من كان أظلما

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حنين، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن عليّ، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكّة داعيًا، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب: سليم بن منصور ومدلج بن مرة، فوطؤوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جَذيمة، قال: لما أمرنا خالدٌ أن نضَع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم: ويلكم يا بني جذيمة! إنه خالد والله! ما بعد وضع السلاح إلاّ الإسار، وما بعد الإسار إلاّ ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبدًا. قال: فأخذه رجال من قومه، فقالوا: يا جحدم، أتريد أن تَسْفِك دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح، ووُضِعَتِ الحَرب وأمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد.

سرية خالد إلى بني جذيمة

وذكر سَرِيَّةَ خالد إلى بني جذيمة، وتعرف بغزوة الغميط، وهو اسم ماء لبني جَذِيمَة.

براءة الرسول ﷺ من عمل خالد:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر محمد بن عليّ، قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك، فكُتِفُوا، ثم عرضهم على السَّيف فقَتل من قَتل منهم؛ فلما انتهى الخبر إلى رسولِ الله ﷺ رفع يديه إلى السماء، ثم قال: «اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد».

وذكر شعر امرأةٍ، اسمها: سَلْمى، وفيه:

ومُرَّةُ حتى يتركوا البَرْكَ ضابحا

البَرْكُ: جماعةُ الإبل، ومَاصَعَ: جَالَد وقاتَل، وضابحًا من الضَّبْح، وهو نَفَسُ الخيْل والإبل إذا عُيِّيت، وفي التنزيل ﴿والعاديات ضَبْحًا﴾ وفي الخبر: من سمع ضَبْحَةً بلَيْلٍ، فلا يَخْرُج مخافَةَ أن يُصيبه شَرٌّ. قال الراجز:

نحن نَطَحْنَاهُم غَدَاةَ الجَمْعَيْنِ

بالضَّابِحَاتِ في غُبَارِ النَّقْعَيْن

نَطْحًا شَدِيدًا لا كَنَطْحِ الطورين

والضَّبْحُ والضَّبْي مصدر ضَبَحَتْ وضَبِيَت أي: شُوِيَتْ وقُلِيَت، قاله أبو حنيفة. قال: والمَضَابي والمَضَابح هو المَقَالِي.

وذكَر تَبَرُّأَ النبيّ ـ ﷺ ـ مما فعل خالدٌ[1]، وهذا نحوٌ مما رُوي عن عُمَرَ حين قال لأبي بَكْر الصدّيق رضي الله عنهما: إن في سيف خالد رهقًا. إن في سيف خالد رَهَقًا فاقْتُلْه، وذلك حين قَتَل مالكَ بن نُوَيْرَةَ، وجعل رأسه تحت قِدْرٍ حتى طُبِخ به[2]، وكان مالك ارتدّ، ثم راجع الإسلام، ولم يظهر ذلك لخالد، وشهد عنده رجلان من الصَّحابة برجوعه إلى الإسلام، فلم يقبلهما، وتزوّج امرأته، فلذلك قال عمر لأبي بكر: اقتله، فقال: لا أفعل لأنه مُتأوِّل، فقال: اعزِله، فقال: لا أَغْمِد سَيْفًا سَلّه الله على المشركين، ولا أَعْزِل واليًا وَلاَّه رسولُ الله ﷺ.

وذكر قول الرجل للمرأة: اسْلَمِي حُبَيْشُ على نَفَدِ العيش النَّفَدُ مصدر نَفِد إذا فَنِي، وهو النَّفَادُ، وحُبَيْشُ مُرَخَّمٌ من حُبَيْشَةَ.

---

(١) أخرج الحديث البخاري في صحيحه (٨/ ٤٥) وابن سعد في الطبقات (٢/ ١٤٧).

(٢) لا صحة لهذا الأثر عن خالد بن الوليد ـ سيف الله المسلول ـ رضي الله عنه وأرضاه وكم من خرافة وادعاءات كاذبة أُلصقت بخالد وبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم، أنه حُدّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رأيتُ كأنّي لَقِمْت لقْمَةً من حَيْس، فالتذذْتُ طَعْمها، فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتها، فأدخل عليّ يده فنزعه؛ فقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: يا رسول الله، هذه سَرِيَّة من سَراياك تبعثها، فيأتيك منها بعض ما تحبّ، ويكون في بعضها اعتراض، فتبعث عليًا فيسهِّله.

قال ابن هشام: وحدّثني أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسولُ الله ﷺ، فأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «هل أنْكَرَ عليه أحد؟» فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعة، فَنَهَمهُ خالد، فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعه، فاشتدّت مراجعتهما؛ فقال عمر بن الخطّاب: أما الأوّل يا رسول الله فابني عبد الله، وأما الآخر فسالم مولى أبي حُذيفة.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال: ثم دعا رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: يا عليّ، أخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك. فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسولَ الله ﷺ، فوَدَى لهمُ الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدني لهم مِيلَغةَ الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وَدَاه، بقيت معه بَقيَّة من المال، فقال لهم عليٌّ رضوان الله عليه حين فَرَغ منهم: هل بقي لكم بقيَّة من دم أو مال لم يُودَ لكم؟ قالوا: لا. قال: فإني أُعطيكم هذه البقيَّة من هذا المال، احتياطًا لرسولِ الله ﷺ، مما يعلم ولا تعلمون، ففعل. ثم رجع إلى رسولِ الله ﷺ فأخبره الخبر فقال: «أصبت وأحسنت». قال: ثم قام رسولُ الله ﷺ فاستقبل القبلة قائمًا شاهرًا يديه، حتى إنه لَيُرى مما تحت مَنْكِبَيه، يقول: «اللهمّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، ثلاث مرّات.

الاعتذار عن خالد:

قال ابن إسحٰق: وقد قال بعض من يعذر خالدًا إنه قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبدُ الله بن حُذافة السَّهميّ، وقال: إنّ رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام.

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدنيّ: لما أتاهم خالد، قالوا: صَبأْنا صَبأْنا.

....

بين خالد وبين ابن عوف:

قال ابن إسحٰق: وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببني جَذِيمة: يا بني جذيمة، ضاع الضرب، قد كنت حذّرتكم ما وقعتم فيه. قد كان بين خالد وبين عبد الرحمٰن بن عوف، فيما بلغني، [1]كلام في ذلك، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف: عمِلت بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنما ثأرت بأبيك. فقال عبد الرحمٰن: كذبت، قد قتلتُ قاتل أبي، ولكنك ثأرتَ بعمّك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شرّ فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «مهلاً يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهبًا ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غَدوَةَ رجل من أصحابي ولا روحته».

بين قريش وبني جذيمة:

وكان الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زُهرة، وعفَّان بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس قد خرجوا تجارًا إلى اليمن، ومع عفَّان ابنه عثمان، ومع عوف ابنه عبد الرحمٰن، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جَذِيمة بن عامر، كان هلك، باليمن، إلى ورثته، فأدّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، ولَقِيهم بأرض بني جَذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه، فقُتِل عوفُ بن عبد عوف، والفاكه بن المُغيرة، ونجا عفَّان بن أبي العاص وابنه عثمان، وأصابوا مال الفاكه بن المُغيرة، ومال عوف بن عبد عوف، فانطلقوا به، وقتل عبد الرحمٰن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، فهمَّت قُريش بغزو بني جَذِيمة، فقالت بنو جذيمة: ما كان مصاب أصحابكم على مَلإٍ منا، إنما عدا عليهم قوم بجهَالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نَعْقل لكم ما كان لكم قبَلَنا من دم أو مال، فقبَلت قريش ذلك، ووضعوا الحرب.

شعر سلمى فيما بين جذيمة وقريش:

وقد قائل من بني جَذيمة، وبعضهم يقول: امرأة يقال لها سَلْمى:

ولولا مقالُ القَوْمِ للقَوْمِ أسلِمُوا ... للاقَت سُلَيْمٌ يومَ ذلكَ ناطحا

لمَاصَعَهُمْ بُسْرٌ وأصحابُ جَحْدَمٍ ... ومُرَّةُ حتى يتركوا البَرْك ضابحا

....

فكائِن تَرى يوم العَميصاء من فَتى		أُصيب ولم يجْرح وقد كان جارحا
ألَظَّتْ بخُطَّابِ الأيَامى وطَلَّقت		غَدَائتذٍ منهُنّ مَن كان ناكحا

قال ابن هشام: قوله: «يُسْر» «وألَظَّتْ بخُطَّاب» عن غير ابن إسحٰق.

شعر ابن مرداس في الردّ على سلمى:

قال ابن إسحٰق: فأجابه عباس بن مرداس، ويقال: بل الجَحَّاف بن حكيم السُّلمي:

دعي عنكِ تَقْوال الضَّلالِ كفى بنا		لكبش الوَغى في اليوم والأمس ناطحا
فخالدُ أولى بالتَّعذُر مِنكُم		غَدَاة علا نَهْجًا من الأمر واضحا
مُعانًا بأمْرِ اللهِ يُزجِي إليكُمُ		سوانحُ لا تكبُو له وبَوَارِحا
نَعَوْا مالكًا بالسَّهْل لَمَّا هبَطْنَهُ		عَوابسَ في كابي الغُبار كوالحا
فإن نَكُ أثكلناكِ سَلْمى فمالكٌ		تركتُمْ عَليْه نائحاتٍ ونائحا

الجحاف يردّ على سلمى:

قال الجَحَّاف بنُ حَكيم السُّلمي:

شَهِدْنَ مَعَ النبيّ مُسَوَّماتٍ		حُنَيْنًا وهي دَامِيَةُ الكِلام
وغَزوة خالد شهدت وجرّت		سنابكَهُنّ بالبَلدِ الحَرَام
نعرض للطِّعان إذَا التَقَيْنا		وجُوهًا لا تُعرَّض للَّطام
ولستُ بِخالعٍ عني ثِيابي		إذَا هَزَّ الكُماة ولا أُرامي
ولكني يَجُولُ المُهْرُ تحتي		إلى العَلَوات بالعضب الحسام

حديث ابن أبي حدرد يوم الفتح

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يعقوبُ بن عُتبةَ بن المُغيرة بن الأخنس، عن الزُّهري، عن ابن أبي حَدْرِدٍ الأسلميّ، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتى من بني جَذِيمة، وهو في سنّي، وقد جُمِعَتْ يداه إلى عُنُقه برُمّة، ونِسوة مجتمعات غيرَ بعيد منه: يا فتى؛ فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرُّمّة، فقائدي إلى هؤلاء

شعر أبي حدرد

وحَلْيَةُ والخَوانقُ: مَوْضِعَانِ، والوَدَائِقُ: جمع ودِيقةٍ، وهو شدّة الحرّ في الظهيرة،

النِّسْوَة حتى أقضِي إليهنّ حاجة، ثم تردّني بعد، فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله لَيسِيرٌ ما طلبت. فأخذت برمّته فقُدته بها، حتى وقف عليهنّ، فقال: اسْلَمى حُبَيْش، على نَفَدِ مِن العيش:

أرَيْتُك إذْ طالَبتُكم فوجَدْتُكمْ	بحَلْيَةَ أو ألْفَيْتُكُمْ بالخَوانِق
ألَمْ يَكُ أهْلاً أن يُنَوَّلَ عاشِقٌ	تكَلَّفَ إدْلاجَ[1] السُّرَى والوَدائقِ[2]
فلا ذنبَ لي قد قلت إذْ أهلُنا مَعا	أثِيبي بوُدّ قبل إحدَى الصَّفائِق
أثيبي بوُدّ قبل أن تَشحَطَ[3] النَّوَى	ويَنأى الأميرُ بالحَبيبِ المُفارِق
فإنّي لا ضَيَّعتُ سِرّ أمانَةٍ	ولا راقَ عَيْني عنك بعدَك رائِق
سَوى أنّ ما نال العشيرة شاغلٌ	عن الوُدّ إلاّ أن يكونَ التّوامُق[4]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكر البيتين الآخِرَيْن منها له.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس، عن الزهري عن ابن أبي حَدْرَدٍ الأسْلمي قالت:

وأنت فحُيِّيت سبعًا وعشرا	وِتْرًا وثمانيًا تَتْرَى

قال: ثم انصرفتُ به، فضُربت عُنُقه.

سميت بذلك من الوَدْق، لأن في ذلك الوقتِ يسيل لعابُ الشمس، وهو ما تراه العينُ كالسَّراب ونحوه، وقال الرَّاجز:

وقام ميزانُ النهار، فاعتدل	وسال للشمس لُعَابٌ فنزل

وقال: الأحول: يقال: وَدَقَ إذا دنا من الأرض، ويقال: هو وادق السرة إذا كانت مائلة إلى جهة الأرض وأنشد:

وادِقًا سُرّاتُها

فعلى هذا تكون الوَدِيقَةُ من وَدَقَتْ الشمسُ إذا دنت من الأُفق، فاشتدّ حَرُّها، والله أعلم.

---

(١) إدلاج: السير بالليل.
(٢) الودائق: شدّة الحر.
(٣) تشحط: تبْعُد.
(٤) التوامق: الأحبّة.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني أبو فِرَاسِ بن أبي سُنْبلة الأسلمي، عن أشياخ منهم، عمن كان حضرها منهم، قالوا: فقامت إليه حين ضُربتْ عُنُقه، فأكبَّت عليه، فما زالت تقبّله حتى ماتت عنده.

شعر جذيمي في الفتح:

قال ابن إسحٰق: وقال رجل من بني جَذيمة:

جزَى الله عنا مُدْلجًا حيث أصبحتْ ... جزاءة بُؤسَى حيث سارتْ وحلَّت
أقامُوا على أقْضَاضنا يَقْسِمُونَها ... وقد نَهِلَتْ فينا الرّماح وعَلَّت
فواللهِ لَوْلا دينُ آل محمَّد ... لقد هربت منهم خيُول فشلَّت
وما ضَرَّهم أن لا يُعينوا كَتِيبة ... كرِجْل جَراد أرسلت فاشْمَعَلَّتِ
فإمَّا ينيبوا أو يثُوبوا لأمْرِهمْ ... فلا نحن نجزيهم بما قد أضَلَّتِ

وهب يردّ على الجذيمي:

فأجابه وهب، رجل من بني ليث، فقال:

دَعَوْنا إلى الإسْلامِ والحَقّ عامرًا ... فمَا ذَنْبُنا في عامِرٍ إذْ تَوَلّتِ
وما ذَنْبنا في عامِرٍ لا أبا لَهُمْ ... لِأَنْ سَفِهَت أحلامُهم ثم ضَلَّتِ

وقال رجل من بني جَذيمة:

ليهنىءْ بني كَعْب مُقَدَّم خالد ... وأصحابِه إذْ صَبَّحتنا الكتائبُ
فلا تِرة يسعَى بها ابن خُوَيْلد ... وقد كنتَ مكفيًّا لوَ أنك غائبُ
فلا قومُنا يَنْهَوْن عنا غُواتَهم ... ولا الداء من يوم الغُميصاءِ ذاهبُ

شعر غلام جذمي هارب أمام خالد:

وقال غلام من بني جَذيمة، وهو يسوق بأُمه وأُختين له وهو هارب بهنّ من جيش خالد:

رَخِّينَ أذْيالَ المُرُوط وارْبَعَن ... مَشْيَ حَيِيَّاتٍ كأنْ لم يُفْزَعَنْ
إن تُمْنَعِ اليومَ نِساءٌ تُمْنَعَنْ

وقوله: فَنَهَمَه خَالِدٌ، أي: زَجَره، ونَجَهَه، ورَوى النّسائِيُّ في قصّة المرأة التي ماتت

ارتجاز بني مساحق حين سمعوا بخالد:

وقال غِلمة من بني جَذِيمة، يقال لهم: بنو مُساحِق، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم:

قد عَلمَتَ صفراءُ بيْضاءُ الإطِلْ ... يَحُوزُها ذُو ثَلَّةٍ وذُو إبِلْ

لأُغْنِيَنَّ اليَوْمَ ما أغْنَى رَجُلْ

وقال الآخر:

قد علمتْ صفراءُ تُلهى العِرْسا ... لا تملأُ الحَيزومَ منها نَهْسَا

لأَضْرِبَنَّ اليَوْمَ ضَرْبًا وغَسَا ... ضَرْبَ المُحِلِّينَ مَخاضًا قُعْسَا

وقال الآخر:

أقْسَمْتُ ما إن خادِرٌ ذو لِبدَة ... شَثْنُ البَنانِ في غَداةٍ بَرْدَة

جَهْمُ المُحيَّا ذو سِبال وَرْدَة ... يُرزِمُ بينَ أيْكةٍ وجَحْدَة

ضارٍ بتأكال الرجالِ وحْدَة ... بأصدقَ الغداةَ مني نَجْدَة

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى:

ثم بعث رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى العُزَّى، وكانت بنَخْلَة، وكانت بيتًا يعظِّمه هذا الحيّ من قُريش وكنانة ومُضَر كلها، وكانت سَدَنتُها وحُجَّابها بني شيبان من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم، فلما سمع صاحبها السُّلْميُ بمسير خالد إليها، علَّق عليها سيفه، وأسْنَد في الجبل الذي هي فيه وهو يقول:

أيا عُزَّ شُدّي شدَّة لا شَوَى لهَا ... على خالدٍ ألْقى القِناع وشمري

يا عُزَّ إنْ لم تقتُلي المرءَ خالدًا ... فبُوئي بإثْمٍ عاجلٍ أو تَنَصَّري

فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

مُكِبَّةً على الرجل المقتول قال: حدّثنا محمد بن عليّ بن حَرْب عن عليْ بن الحسين بن وافد عن أبيه عن يَزيدَ النَّحْوِي عن عِكْرِمَةَ عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ بعث سَرِيَّةً، قال: فغنموا وفيهم رجل، فقال لهم: إني لست منهم، عشقت امرأة فلحقتها، فدعوني أنظر إليها نظرة، ثم اصْنَعُوا بي ما بَدَا لكم، قال: فإذا امرأة طويلة أدْمَاءُ، فقال لها: اسْلِمِي حُبَيْشُ قبل نَفَدِ العَيْشِ، وذكر البيتين الأوّلين من القطعة القافية أوّل هذا الخبر ناقِصي الوزن، وبعدهما قالت: نَعَمَ فَدَيْتُك، فقدَّموه فضَرَبوا عُنُقَه، فجاءت المرأةُ فوقفت عليه، فَشَهَقَتْ شَهْقَةً أو

قال ابن إسحٰق: وحدّثني ابن شهاب الزّهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، قال: أقام رسول الله ﷺ بمكّة بعد فتحها خمْس عشرة ليلة يقصُر الصلاة.

قال ابن إسحٰق: وكان فتح مكّة لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان.

شَهْقَتَيْن، ثم ماتت، فلما قدموا على النبيّ ﷺ أخبروه الخبر، فقال النبيّ ﷺ: «أما كان فيكم رجلٌ رحيم»[1]. خَرَّجه النَّسَوِيُّ في باب قَتْلِ الأسارى من مُصَنَّفِه.

---

(١) أخرجه الطبراني (١١/ ٣٧٠) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١١٨) وانظر الفتح (٨/ ٥٨).

غزوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح

قال ابن إسحٰق: ولما سمعت هوازنُ برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكّة، جمعها مالك بن عوف النَّصْري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلُّها، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلُّها، وسعد بن بكر، وناس من بني هِلال، وهم قليل، ولم يشهدْها من قيس عَيْلان إلاّ هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم، وفي بني جُشَم دُرَيْد بن الصمّة شيخ كبير ليس فيه شيء إلاّ التَّيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخًا مُجَرّبًا، وفي ثقيف سيّدان لهم. في الأحلاف قاربُ بن الأسود بن مسعود بن مُعَتِّب، وفي بني مالك: ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك، وأخوه أحمر بن الحارث، وجِمَاعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْري. فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس

ذكر غزوة حنين(١)

وحُنَيْنٌ الذي عُرِف به الموضعُ هو: حُنَيْنُ بن قَانِية بن مِهْلاَبِل كذا قال البكري، وقد قدمنا أنه قال في خَيْبر مثل هذا أنه ابن قانية، فالله أعلم.

من البلاغة النبوية:

ويقال لها أيضًا: غَزْوَة أوطاس سمّيت بالموضع الذي كانت فيه الوقعة وهو من وَطَسْتُ الشيء وَطْسًا إذا كدرته، وأثّرت فيه. والوَطِيسُ: نُقْرَةٌ في حَجَرٍ توقد حوله النّار، فيطبخ به

---

(١) انظر البداية (٤/ ٣٢٢) الطبري في تاريخه (٣/ ٧١) الطبقات (٢/ ١/ ١٠٨) الكامل (٢/ ١٣٥) المنتظم (٣/ ٣٣١) الاكتفاء (٢/ ٣٢٢) الواقدي (٣/ ٨٨٥) شرح المواهب (١/ ٢٠٨) ابن حزم (٢٨٣) الزاد (٣/ ٤٦٥) ابن سيّد الناس (٢/ ١٨٧) وانظر البخاري (٥/ ١٥٣).

اجتمع إليه الناس، وفيهم دُرَيْدُ بن الصِّمَّة في شِجَارٍ له يُقَاد به، فلما نزل قال: «بأيّ وادٍ

اللحم، والوَطِيسُ التَّنُّور، وفي غزوة أَوْطَاسٍ قال النبيّ ﷺ: «الآن حَمِيَ الوَطِيسُ»[1]، وذلك حين اسْتَعَرَتْ الحربُ، وهي من الكَلِم التي لم يُسْبَق إليها ﷺ، فمنها هذه، ومنها: مات حَتْفَ أنفِه، قالها في فضل مَنْ مات في سبيل الله في حديثٍ رواه عنه عبد الله بن عَتِيكٍ، قال: ابن عتيكٍ: وما سمعت هذه الكلمةَ يعني: حَتْفَ أنفِه من أحدِ العربِ قبله ـ ﷺ ـ ومنها: «لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْن»[2] قالها لأبي عَزَّةَ الجُمَحيّ يوم أُحُدٍ، وقد مضى حديثُه.

ومنها: «لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزَان»[3]، وسيأتي سببهما.

ومنها: قولُه عليه السلام: «يا خَيْلَ اللهِ ارْكَبي»[4]، قالها يوم حُنَيْنٍ أيضًا في حديث خَرَّجه مُسْلِمٌ، وقال الجاحظ في كتاب البَيَانِ[5] عن يُونُس بن حبيبٍ: لم يَبْلُغْنَا من روائع الكلام ما بلغنا عن النبيّ ﷺ، وغُلِّط في هذا الحديث، ونُسِب إلى التَّصْحِيفِ، وإنما قال القائل: ما بلغنا عن البَتِّيّ، يريد عثمان البَتِّيَّ فصَحَّفه الجاحظُ، والنبيّ ـ ﷺ ـ أَجَلُّ من أن يخلط مع غيره من الفُصَحاء، حتى يقال: ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذي بلغنا عن غيرِه، كلامه أجلُّ من ذلك، وأعلى، صلوات الله عليه وسلامه.

ابن الصمة والخنساء:

فصل: وذكر دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّةَ الجُشَمِي أحدَ بني جُشَمِ بن بكْرِ بن هَوَازن، وفيه تقول الخَنْسَاءُ حين خطبها: ما كنت تاركةً بني عمّي، كأنهم صُدورُ الرماح ومرتثة شيخًا من بني جُشَم، وهو دُرَيْد بن الصِّمَّة بن بكر بن عَلْقَمَةَ بن خُزَاعَةَ بن غَزِيَّةَ بن جُشَمِ بن مُعَاوِيَةَ بن بكْرِ بن هَوازِنَ، يكْنى أبا قُرَّةٍ، ويُرْوَى عن ابن إسحٰق من غير رواية زياد يقال: كان يَوْمَئِذٍ ابنَ ستين ومائة، ورَوى أبو صالح كاتبُ الليث عن اللَّيث قال: كان دُرَيْدٌ يومئذ ابن عِشْرين ومائة.

وقولُه: في شِجَارٍ له، الشِّجَارُ: مثلُ الهَوْدج، وفي العين: الشِّجَارُ خَشب الهَوْدَج.

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد (٧٦) وأحمد (١/ ٢٠٧) وعبد الرزاق (٩٧٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٣٨) ومسلم في الزهد (٦٣) وأبو داود (٤٨٦٢ ـ بتحقيقي) وابن ماجة (٣٩٨٢) وأحمد (٢/ ١١٥).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١/ ١٨) والخطيب في تاريخه (١٣/ ٩٩) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٧٥).

(٤) أخرجه مسلم وابن سعد في الطبقات (٢/ ١/ ٥٨) البيهقي في الدلائل (٣/ ١٨٧).

(٥) انظر البيان (٢/ ١٨).

أنتم؟» قالوا: بأوْطاس، قال: «نِعم مَجَالُ الخيل! لا حَزْنٌ ضَرِسٌ، ولا سَهْلٌ دَهِس، ما لي أسمع رُغاء البعير، ونُهَاق الحمير، وبُكاء الصغير، ويُعَار الشَّاءِ؟» قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالَهُم ونساءهم وأبناءهم. قال: «أين مالك؟» قيل: هذا مالك ودُعي له، فقال: «يا مالك، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعدَه من الأيَّام. ما لي أسمع رُغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبُكاء الصغير، ويُعار الشَّاء؟» قال: سُقْت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: «ولِمَ ذاك؟» قال: أردت أن أجعل خَلْف كلّ رجل منهم أهلَه ومالَه، ليُقاتل عنهم، قال: «فَأَنْقَضَ به». ثم قال: راعِيَ ضأنٍ والله! وهل يَرُدُّ المنهزمَ شيءٌ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجل بسيفه ورُمحه، وإن كانت عليك فُضِحْت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلتْ كعبٌ وكِلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: «غاب الحدُّ والجِد، ولو كان يومَ عَلاء ورِفعة لم تغب عنه كعب ولا كِلاب، ولوَدِدْتُ أَنَّكُمْ فعلتم ما فعلتْ كعبٌ وكِلابٌ، فمن شهدَها منكم؟» قالوا: عمرُو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: «ذانَك الجَذَعان من عامر، لا ينفعان ولا يضرّان، يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البَيْضَةِ بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئًا، ارْفَعْهُم إلى مُتمَنَّع بلادهم وعَليا قومهم، ثم الْقَ الصُّبَّاءَ على مُتُون الخيلِ، فإن كانت له لَحق بك مَنْ وراءَك، وإن كانت عليك أَلْفاكَ ذلك قد أحرزْت أهلك ومالك»، قال: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبِرْت وكَبِرَ عَقْلُك. والله لتطيعنَّني يا معشر هوازِن أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السَّيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدُريدِ بن الصمّة فيها ذِكر أو رأي؛ فقالوا: أطعناك؛ فقال دُريد بن الصمّة: هذا يوم لم أشهدْه ولم يفُتْني:

يا لَيْتَنِي فيها جَذَعْ ... أَخُبُّ فيها وأَضَعْ
أَقُودُ وطْفاءَ الزَّمَعْ ... كأنَّها شاةٌ صَدَعْ

قال ابن هشام: أنشدني غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله:

«يا ليتني فيها جَذَعْ»

وقوله: فأَنْقَضَ به، أي: صَوَّت، بلسانه في فَمِه من النَّقِيض، وهو الصوت، وقيل: الإنقاضُ بالإصْبَعِ الوُسْطَى والإبْهَام، كأنه يدفع بهما شيئًا وهو معنى قول البرقي.

وقوله: راعي ضَأن، يُجَهِّله بذلك، كما قال الشاعر:

أَصْبَحْتُ هُزْءَ الرَاعِي الضَّأن أعجبه ... ماذا يُريبُك مِنّي رَاعِيَ الضَّانِ

وقال عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ لرجل: قم فما نَفَعَك صداغَ ولا راعي ضَأْنٍ. والدُّرَيْدُ في اللغة: تصغير أَدْرَد، وهو تصغير الترخيم، والصِّمَّةُ: الشجاع، وجمعه: صِمَمٌ.

قال ابن إسحٰق: ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكْسِروا جُفُون سيوفكم، ثم شُدُّوا شَدَّةَ رجل واحد.

قال: وحدّثني أُميَّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حُدِّث: أنَّ مالك بن عوف بعث عيونًا من رجاله، فأتوْه وقد تفرّقت أوصالُهم، فقال: ويْلَكُمْ! ما شأنُكمْ؟ فقالوا: رأينا رجالاً بِيضًا على خيل بُلق، فوالله ما تماسكنا أن أصَابَنا ما ترى، فوالله ما ردَّه ذلك على وجهه أنْ مَضَى على ما يريد.

قال ابن إسحٰق: ولما سمع بهم نبيّ الله ﷺ بعث إليهم عبدَ الله بن أبي حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم. فانطلق ابن أبي حدرد، فدخل فيهم فأقام فيهم، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطّاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبي حدرد؛ فقال ابن أبي حدرد: «إن اكذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر، فقد كذبت من هو خير مني، فقال عمر: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر».

استعارة أدرع صفوان:

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم، ذكر له أن عند صفوان بن أُميَّة أدراعًا له وسلاحًا، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك، فقال: «يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدوّنا غدًا»، فقال صفوان: أغصبًا يا محمد؟ قال: «بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك»، فقال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا

مالك بن عوف وابن حدرد:

وذكر مَالِكَ بن عَوْف النَّصْرِيّ رئيس المشركين يوم حُنَيْنٍ، وهو مالك بن عَوْفِ بن سَعْد بن ربِيعَةَ بن يَرْبُوعِ بن واثِلَة بن دُهْمَان بن نَصْرِ بن مُعَاوِيَة بن بَكْر بن هَوَازِن النَّصْرِي.

وذكر بعث النبيّ - ﷺ - عبَد الله بن أبي حَدْرَدِ عيْنًا إلى هَوَازِن، وهو عبدُ الله بن سَلاَمَة بن سَعْد، وسَلامةُ هو أبو حَدْرِدِ، وهو من بني هَوَازِن بن أسلم بن أفْصَى بن حَارِثَة، وهم إخوةُ الأوسِ والخَزرَج، أعني بني أَسْلَم بن أَفْصَى، مات عبدُ الله سنة إحدى وسبعين، وهو العام الذي قُتِل فيه مُصْعَبُ بن الزّبَيْرِ. شَهِد ابنُ أبي حَدْرَدِ مع النبيّ - ﷺ - الحُدَيْبِيَةَ، وما بعدها، وفاته ما كان قبل ذلك.

أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها، ففعل. قال: ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكّة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكّة، فكانوا اثني عشر ألفًا، واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميَّة بن عبد شمس «على مكّة أميرًا على من تخلّف عنه من[1] الناس»، ثم مضى رسولُ الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هَوازن.

قصيدة ابن مرداس

فقال عباس بن مِرْداس السُّلَمِيّ:

أصابتِ العامَ رِعْلاً غُولُ قومهمِ ... وَسْطَ البيوت ولَوْنُ الغُول ألوانُ

يا لَهْفَ أُمِّ كِلابٍ إذ تُبَيِّتُهم ... خيلُ ابن هَوْذَة لا تُنْهَى وإنْسانُ

لا تَلْفظُوها وشُدُّوا عَقْدَ ذِمَّتكم ... أنّ ابنَ عمِّكم سعدٌ ودُهْمان

حول قصيدة عباس النونية

وذكر شعر عباس وفيه: أصابَتِ العامَ رِعْلا.

وهي قبيلة من سليم، وفي الحديث: «قَنَتَ رسول الله ﷺ شَهْرين يدعو على رِعْلٍ وذَكْوَانَ وعُصَيَّة»[2]، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة.

وقوله:

خَيْلِ ابن هَوْذَةَ لا تُنْهَى وإنسان

إنسانُ: قبيلة من قَيْس، ثم من بني نَصْر، قاله البرقي، وقيل: هم من بني جُشَم بن بَكْرٍ، ومن بني إنسان: شَيْطَانُ بن مُدْلَجِ صاحب حميدة وهي فَرَسٌ له تَضْرِب بها العربُ المثلَ في الشُّؤم، فيقال أشأم من حميدة، وسبب ذلك خبر يطول، ذكره الأصبهاني في الأمثال.

سعد ودهمان:

وسعدٌ ودُهْمَان ابنا نَصْرِ بن مُعَاوية بن بَكْر، كذا وجدتُه في بعض المُعَلَّقات، والمعروف في قيس: دُهْمَان بن أَشْجَعَ بن رَيْثِ بن غَطَفَان والد نَصْر بن دُهْمان الذي عاش

---

(١) ما بين القوسين ساقط من ط عبد الرحمٰن الوكيل.

(٢) أخرجه النسائي (٢/٢٠٣).

لن تَرْجعوها وإن كانَتْ مُجَلَّلَة ... ما دام في النَّعَم المأخُوذ ألبانُ
شَنْعاء جُلّل من سَوآتها حَضَنٌ ... وسالَ ذو شَوْغَرٍ منها وسُلْوانُ
ليسَتْ بأطْيَبَ مما يَشْتَوِي حَذَفٌ ... إذْ قال: كلُّ شواءِ العَيرِ جُوْفانُ

مائة وتسعين سنة، حتى تقوّم ظهرُه بعد انحناء، واسْوَدَّ شعرُه بعد ابْيِضَاضٍ، فكان أعجوبة في العالم، وقال الشاعر:

لِنَصْرِ بن دُهْمَانَ الهُنَيْدَة عاشها ... وتِسْعِين حَوْلاً ثم قُوِّم فانْصَاتا
وعاد سوادُ الرأسِ بعد ابْيِضَاضِه ... ولكنه من بعد ذلك قد ماتا

وممن ذكر هذا الخبر أبو الحسن الدَّارَقُطْنِي رحمه الله.

وحُنَيْنٌ: اسم جَبَلٍ، ومنه المثل: أَنْجَدَ مَنْ رَأَى حُنَيْنًا.

وقوله: مِمَّا يَشْتَوِي حَذَفٌ. الحَذَفُ: غَنَمٌ سُودٌ صِغارٌ تكون باليمن، وفي الحديث: «سَوُّوا صُفوفكم، لا تَخَلَّلُكم الشياطينُ كأنهَا بَناتُ حَذَفٍ[1] يعني في الصَّفِّ في الصلاة، هكذا قال البرقي في تفسير هذا البيت، والذي أراد الشاعر: إنما هو رَجُلٌ، فلعلَّه كان يسمى بحَذَفٍ، ولحَذَفُ هي الغَنَمُ السُّودُ التي ذكرنا.

وقوله: كُلُّ شِواءِ العَيْرِ جُوفَان.

يقال: إنه شُوي لهُ غُرْمُولُ حِمَارٍ، فأكله في الشِّوَاءِ فوجده أَجْوَفَ، وقيل له: إنه القُنْبُ، أي: وعاءَ القَضِيب، فقال: كُلُّ شِوَاءِ العَيْر جُوفَانُ، فضُرب هذا الكلامُ مَثَلاً، وقيل: كان فَزَارِيٌّ وتَغْلِبِيٌّ وكَلْبِيٌّ اجتمعوا في سَر، وقد اشْتَوَوا حِمَار وَحْشٍ، فغاب الفَزَاري في بعض حاجاتِه، فأكل صاحبه العَيْرَ واخْتَبَآ له غُرْمُولَه، فلما جاء قالا له: هذا خَبْؤنا لك، فجعل يأكل، ولا يُسيغه، فضحكا منه، فاخترط سَيْفَه، وقال: لأقْتُلَنَّكُما إن لم تَأْكُلاه، فأبى أحدُهما فضربَه بالسيف، فأبان رأسَه، وكان اسمُه: مِرْقَمه، فقال صاحبُه طاحَ مِرْقَمَهْ، فقال الفَزارِيّ، وأنت إن لم تَلْقَمهْ أراد: تلْقَمُها، فَطَرح حَرَكَة الهاء على الميم، وحذف الألف كما قد قيل في الحيرة أي رجال به أي بها، وقد عيّرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة:

لا تأمَنَنَّ فَزارِيًا خَلَوْت به ... على قَلُوصِكَ، واكْتُبْها بأَسْيَارِ
لا تَأْمَنَنْه ولا تَأمَنْ بوائقَه ... بعد الذي امْتَلَّ أَيْرَ العَير في النّار
أَطْعَمْتُم الضَّيْفَ غُرْمُولاً مُخَاتَلَةً ... فلا سَقَاكُمْ إلهي الخالقُ البَارِي

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٤).

وفي هوازِنَ قَوْمٌ غيرَ أن بهمْ | داءَ اليمانِي فإن لم يغدِرُوا خانُوا
فيهم أخٌ لو وَفَوْا أو بَرَّ عَهْدُهُمُ | ولو نَهَكْناهُمُ بالطَّعنِ قد لانُوا
أبْلِغْ هوازن أعْلاها وأسفَلها | مِنِّي رسالَةَ نُصح فيه تِبْيانُ
أني أظُنُّ رسولَ اللهِ صابِحَكُمْ | جَيْشًا لَهُ فِي فَضَاءِ الأَرْضِ أركانُ
فيهم أخوكم سُلَيم غيرَ تارِكِكُمْ | والمسلِمُونَ عِبادَ اللهِ غَسَّانُ
وفي عِضَادته اليُمنى بنو أسَدٍ | والأجْرَبان بنو عَبْسٍ وذُبْيان
تكاد تَرْجُف منه الأرض رَهبتَه | وفي مُقَدَّمه أوْس وعُثمانُ

قال ابن إسحٰق: أوْس وعثمان: قَبيلا مُزَيْنَة.

قال ابن هشام: من قوله: «أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها» إلى آخرها، في هذا اليوم، وما قبل ذلك في غير هذا اليوم، وهما مفصولتان، ولكن ابن إسحٰق جعلهما واحدة.

ذات أنـوط:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني ابن شهاب الزّهريّ، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي، عن أبي واقد الليثي، أنَ الحارث بن مالك، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حُنَيْن، قال: وكانت كفَّار قريش ومَنْ سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها: ذات أنْواط، يأتونها كلّ سنة، فيعلِّقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكُفون عليها يومًا. قال: فرأينا ونحن نسير مع

من كتاب الأمثال للأَصْبَهانيّ. فهذا الفَزَارِيُّ هو حَذَفُ المذكور في البيت، والله أعلم.

وقوله:

والأَجْرَبانِ بنو عَبْسٍ وذُبْيانُ

سمّاهما بالأَجْرَبَيْن تشبيهًا بالأجْرَبِ الذي لا يُقْرَبُ، وقال مَجْذُومٌ من العَرَبِ:

بِأَيِّ فِعَالٍ رَبِّ أُوتيتُ ما أَرَى | أظَلُّ كأنّي كُلَّما قُمْتُ أَجْرَبُ

أي: يُفَرُّ مني، وفي الخبر أن عُمَر لما نُهي الناسُ عن مُجالَسَة ضَبِيغ بن عَسَلٍ كان كُلَّما حلَّ موضعًا تفرّق الناسُ عنه كأنه بعيرٌ أَجْرَبُ، ومن رواه الأَجْرُبانُ بضم النون، فهو جائز في كل اثنين مُتَلازِمَيْنِ كالجَلَمَيْن، يقال فيهما: الجَلَمانُ بضم النون، وكذلك القَمَرَانُ، ورُوي أن فاطمةَ ـ رضي الله عنها ـ نادت ابنَيْها في ليلةٍ ظُلْمَةٍ: يا حَسَنَانُ يا حُسَيْنانُ بضم النون، قاله الهروي في الغريبين.

رسول الله ﷺ سِدْرة خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جَنَبات الطَّريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط. قال رسول الله ﷺ: الله أكبر، قلتم، والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجْعَل لَنا إلَـٰهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ إنها السُّنَنُ، لتركُبنَّ سَنَنَ من كانَ قبلَكم»[1].

ثبات الرسول

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمٰن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: لما استقبلْنا واديَ حُنين انحدرنا في وادٍ من أوْدية تِهامة أجوف حَطُوط، إنما ننحدر فيه انحدارًا، قال: وفي عَمايَة الصُّبْح، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادي، فكَمَنُوا لنا في شِعابه وأحنائه ومَضايقه وقد أجمعوا وتهيَّئوا وأعدّوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطّون إلاّ الكتائبُ قد شَدّوا علينا شَدّة رجل واحد، وانْشَمر الناس راجعين، لا يَلْوِي أحدٌ على أحد.

وانحاز رسولُ الله ﷺ ذاتَ اليمين، ثم قال: «أين أيّها الناس؟ هَلُمُّوا إليّ أنا رسولُ الله، أنا محمد بن عبد الله». قال: فلا شيء، حَملَت الإبل بعضُها على بعض، فانطلق الناس، إلاّ أنه قد بقي مع رسولِ الله ﷺ نَفَر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

الذين ثبتوا:

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته عليُّ بن أبي طالب والعباسُ بن عبد المطَّلب، وأبو سفيانَ بن الحارث، وابنُه، والفضلُ بن العباس، وربيعةُ بن الحارث، وأُسامةُ بن زيد، وأيمَنُ بن عُبيد، قُتل يومئذ.

أنا ابن عبد المطّلب

فصل: وذكر قول النبيِّ - ﷺ - أين أيّها النّاس؟! أنا محمد، أنا رسول الله، وفي غير هذه الرواية:

أنا النبيُّ لا كَذِب ... أنا ابنُ عبدِ المطّلب[2]

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢١٨) والطبراني (٣/ ٢٧٥) وعبد الرزّاق (٢٠٧٦٣) والحميدي في مسنده (٨٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٣٧) ومسلم في الجهاد (٧٨ - ٨٠) وأبو داود (٤٨٧) والترمذي (١٦٨٨) وأحمد (١/ ٢٦٤) والدارمي (١/ ١٦٦).

قال ابن هشام: اسم ابن أبي سُفيان بن الحارث جعفر، واسم أبي سُفيان المغيرة، وبعض الناس يَعُدّ فيهم قُثَم بن العباس، ولا يعد ابنَ أبي سُفيان.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمٰن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل، أمام هوازنَ، وهوازن خلفه، إذا أدْرَك طَعَن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتّبَعوه.

الشماتـة بالمسلميـن:

قال ابن إسحٰق: فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جُفاة أهل مكّة الهزيمة، تكلّم رجال منهم بما في أنفسهم من الضّغْن، فقال أبو سُفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإن الأزلام لمَعهُ في كنانته. وصرخ جَبَلَة بن الحنبل - قال ابن هشام: كَلَدةُ بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوانَ بن أُميَّة مشرك في المدَّة التي جعل له رسولُ الله ﷺ: ألا بطل السِّحْرُ اليومَ! فقال له صفوان: اسكتْ فَضَّ الله فاكَ، فوالله لأن يَرُبَّني رجلٌ من قُريش أحبُّ إليَّ من أن يَرُبَّني رجل من هَوازن.

شعر حسَّان في هجاء كلدة:

قال ابن هشام: وقال حسَّان بن ثابت يهجو كَلَدَة:

رأيتُ سَوادًا مِن بَعيد فراعني ... أبو حَنبَلٍ ينزو على أُمّ حَنبَلِ

كأنّ الذي ينزو به فَوْقَ بَطْنِها ... ذراعُ قَلُوص من نِتاج ابن عِزْهِلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أُميَّة، وكان أخا كَلَدَة لأُمّه.

وهو كلام موزون، وقد تقدّم الكلامُ في مثل هذا، وأنه ليس بشعرٍ حتى يقصد به الشعر. وللخطابي في كتاب الأعلام تنبيه على قوله: أنا ابنُ عبدِ المُطّلب، قال: إنما خصّ عبدَ المطّلب بالذكر في هذا المقام، وقد انهزم الناسُ تشبيهًا لنبوّته، وإزالة للشكّ لما اشتهر، وعُرف من رُؤيا عبد المطّلب المبشّرة بالنبيّ ﷺ، وقد تقدّم ذكرها، ولِمَا أنبأت به الأحبارُ والرُّهْبانُ، فكأنه يقول: أنا ذاك، فلا بدّ مما وُعِدْت به لئلاَ يَنْهزموا عنه، ويظنّوا أنه مقتول ومغلوب، فالله أعلم أأراد ذلك رسولُه أم لا.

شيبة يحاول قتل الرسول

قال ابن إسحٰق: وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، أخو بني عبد الدّار. قلت: اليومَ أدركُ ثأري من محمد، وكان أبوه قُتل يوم أُحد، اليوم أقْتُل محمدًا. قال: فأدَرْتُ برسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتى تَغَشّى فؤادي، فلم أطق ذاك، وعلمت أنه ممنوع مني.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعض أهل مكّة، أن رسولَ الله ﷺ قال حين فَصَل من مكّة إلى حُنين، ورأى كثرة من معه من جنود الله: «لن نُغْلَبَ اليوْمَ من قلّةٍ».

قال ابن إسحٰق: وزعم بعض الناس أن رجلاً من بني بكر قالها.

الانتصار بعد الهزيمة:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الزُّهري، عن كَثير بن العبّاس، عن أبيه العبّاس بن عبد المطّلب، قال: إني لَمَع رسولِ الله ﷺ آخِذٌ بحَكَمَة بغلته البيضاءِ قد شَجَرْتُها بها، قال: وكنت امرأ جَسِيمًا شديد الصوت، قال: ورسولُ الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: «أين أيها الناس؟» فلم أَرَ الناس يَلْوُون على شيء، فقال: «يا عباس، اصْرُخْ، يا معشر الأنصار: يا معشر أصحاب السَّمُرَة»، قال: فأجابوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْك! قال: فيذهب الرجل ليثْني بعيرَه، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ دِرْعه، فيقذفها في عنقه؛ ويأخذ سيفه وتُرسَه، ويقتحم عن بعيره، ويخلّي سبيله، فيؤمّ الصوت، حتى ينتهيَ إلى رسولِ الله ﷺ. حتى إذا اجتمع إليه منهم مِائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا، وكانت الدّعوى أوّلَ ما كانت: يا لَلأنْصار. ثم خَلَصَت أخيرًا: يا لَلْخزرَجِ. وكانوا صُبُرًا عند الحرب، فأشرف رسولُ الله ﷺ في ركائبه. فنظر إلى مُجتَلَد القوم وهم يَجْتلدون، فقال: «الآنَ حَمِيَ الوَطِيس».

شيبة ومحاولة قتل الرّسول ﷺ

وذكر قصّة شَيْبَةَ بن عُثمانَ حين أراد قَتلَ النبيّ ﷺ، قال: فجاء شيءٌ حتى تَغَشَّى فؤادي، وقد ذكر هذا الخبر أبو بكر بن أبي خَيْثَمَة في تاريخه، قال شيبة: اليوم آخذ بثاري، فجئت النبيَّ ﷺ مِنْ خلفه، فلما هَمَمْتُ به حَالَ بيني وبينه خَنْدَقٌ من نارٍ وسُورٌ من حديد، قال: فالتفت إليّ النبيُّ - ﷺ - وتَبَسَّم، وعَرَف الذي أردت، فمسح صدري، وذهب عنّي الشّكُّ، أو كما قال، ذهب عنّي بعضُ ألفاظِ الحديث[1].

---

(١) انظر الإصابة (ت ٣٩٤٠).

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمٰن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: بينا ذلك الرجل من هَوازن صاحبُ الراية على جمله يصنع ما يصنع، إذ هوى له عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه عليّ بن أبي طالب من خلفه، فضرب عُرْقُوبَي الجمل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاريّ على الرجل، فضربه ضربة أطَنَّ قَدَمَه بنصف ساقه، فانجعف عن رحله، قال: واجْتَلد الناس، فوالله ما رجَعَتْ راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفَّين عند رسولِ الله ﷺ.

قال: والتفت رسولُ الله ﷺ إلى أبي سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسولِ الله ﷺ، وكان حَسَن الإسلام حين أسلم، وهو آخذ بثَفر بغلته، فقال: «من هذا؟» قال: أنا ابن أُمك يا رسول الله.

رأي أُم سليم

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ التفت، فرأى أُمّ سُلَيم بنت مِلْحان، وكانت مع زوجها أبي طَلْحَةَ وهي حازمة وسطها بِبُرد لها، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جملُ أبي طلحة، وقد خشِيت أن يَعُزَّها الجمل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خِزامته مع الخِطام، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «أمّ سُلَيم؟» قلت: نعم، بأبي أنت وأُمي يا رسول الله، اقتُلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يُقاتلونك، فإنهم لذلك أهل، فقال رسولُ الله ﷺ: «أو يكفي الله يا أُمّ سُلَيم؟» قال: ومعها خِنْجَر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخِنْجَر معكِ يا أُمّ سُلَيم؟ قالت: خِنْجَر أخذته، إنْ دنا منّي أحدٌ من المُشركين بَعَجْته به. قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمعُ يا رسول الله ما تقول أُمّ سُلَيم الرُّمَيْصَاء.

أُم سليم والفرار يوم حنين

وذكر أُمَّ سُلَيْم وهي مليكة بنت مِلْحَانَ، وقال في اسمها رُمَيْلَة، ويقال: سُهَيْلَة، وتعرف بالغُمَيْصَاءِ والرُّمَيْصاءِ لرَمَصٍ كان في عينيها، وأبو طلْحَة بعلُها هو زَيْد بن سَهْلِ بن الأسود بن حَرَامٍ وهو القائل:

أنا أبو طَلْحَةَ، واسمي: زيْد ... وكل يوم في سِلاَحِي صَيْد

وقول أُمّ سُلَيم: يا رسولَ الله اقتُلْ هؤلاءِ الذين ينهزمون عنك.

شعر مالك بن عوف في الهزيمة

قال ابن إسحٰق: وقد كان رسولُ الله ﷺ، حين وَجّه إلى حُنين، قد ضمّ بني سُلَيْم الضحّاك بن سُفْيَانَ الكِلابي، فكانوا إليه ومعه، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يَرْتَجزُ بفرسه:

أقْـدِمْ مُـحـاجُ إنَّـه يـومٌ نُـكُـرْ مِثْلي على مِثْلِكَ يحْمي ويَكُرّ

إذا أُضيعَ الصَّفُّ يَوْمًا والدّبُرْ ثم احزألّتْ[1] زُمَرٌ بعد زُمَرْ

كَتائبٌ يكلُّ فيهنّ البَصَرْ قد أطْعُن الطَّعنة تَقذِي بالسُّبُر[2]

حين يُذَمُّ المُستكينُ المنجَحرْ وأطعنُ النَّجلاءِ[3] تَغوِي وتَهِرْ

إن قيل: كيف فرَّ أصحابُ رسولِ الله ﷺ عنه حتى لم يبقَ معه منهم إلاّ ثمانيةٌ، والفرارُ من الزحف من الكبائر، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل. قلنا: لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلاّ في يوم بدر، وكذلك قال الحسن ونافع مولى عبد الله بن عُمَر وظاهر القرآن يدلّ على هذا، فإنه قال: ﴿ومَن يُوَلِّهم يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ [الأنفال: ١٦] فيومئذ إشارةٌ إلى يوم بدرٍ، ثم نزل التحقيقُ من بعد ذلك في الفارّين يوم أُحُدٍ وهو قوله: ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ [آل عمران: ١٥٥] وكذلك أنزل في يوم حنين: ﴿ويوم حُنَيْنٍ إذ أَعجَبَتْكم كَثْرَتُكم﴾ إلى قوله: ﴿غفور رحيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥] وفي تفسير ابن سلام: وكان الفرارُ من الزحف يَوْمَ بَدْرٍ من الكبائر، وكذلك يكون من الكبائر في مَلْحَمَةِ الرُّوم الكُبْرى، وعند الدَّجّال، وأيضًا فإن المنهزمين عنه عليه السلامُ رجعوا لحينهم، وقاتلوا معه حتى فَتَحَ الله عليهم.

حول رجز مالك

وقول مالك في رَجَزِه:

قد أطعَن الطّعْنَةَ تَقْذِي بالسُّبُر

السُّبُرُ: جمع سابر، وهو الفَتِيلُ الذي يُسْبَر به الجُرْحُ أي: يُخْبَر.

---

(١) احزألّت: اجتمعت.

(٢) السبر: الوجوه الحسنة. وقيل: الفتيل الذي يُسبر به الجرح.

(٣) النجلاء: الواسعة.

لَهَا مِنَ الجوْف رَشاشٌ مُنْهَمِرْ تَفْهَقُ[1] تاراتٍ وحينًا تنفَجِرْ

وثعلبُ العامِلِ فيها مُنْكَسِرْ يا زَيْدُ يا ابن هَمْهَم أيْنَ تفرّ

قد نَفِد الضِّرْسُ وقد طال العُمُرْ قد علم البيضُ الطُّويلاتُ الخُمُرْ

أنّيَ قد أمْثالها غيرُ غَمِر[2] إذْ تُخْرَجُ الحاصنُ من تحت السُّتُرْ

وقال مالك بن عوف أيضًا:

أقْدِمْ مُحَاجُ إنّها الأساوِرَة ولا تَغُرَّنَّكَ رِجْل نادِرة

قال ابن هشام: وهذان البيتان لغير مالك بن عوف في غير هذا اليوم.

وقوله في الرَّجز الآخر:

أقْدِم مُحَاجُ إنها الأسَاوِرَة

وقولُ ابن هشام: هما لغير مالك في غير هذا اليوم، يعني يوم القادسيّة، وكانت الدولةُ فيه للمسلمين على الفُرْس، والأسَاوِرَةُ: مُلُوكُ الفرس، وقُتِل في ذلك اليوم رُسْتُمُ مَلِكُهم دون الملِكِ الأكبر، وكان على المسلمين يومئذ سعْد بن أبي وقّاص، وقد ذكرنا قبل: بم سُمِّيت القادسيّة.

وذكر حديث أبي قَتَادَةَ في سَلَبِ القتيل[3]، قال: فاشتريت بثَمَنِه مَخرفًا فإنه لأَوَّلُ مال اعتقدته، يقال: اعتقدت مالي، أي: اتخذت منه عُقدَةً، كما تقول: نُبْذَة، أو قِطْعة، والأصل فيه من العَقْد، وأن من مَلَك شيئًا عقد عليه، وأنشد أبو علي [الفالي]:

ولما رأيتُ الدَّهرَ أنْحَتْ صُروفُه عَلَيَّ وأوْدَتَ بالذَّخائِرِ والعُقَدْ

حَذَفْتُ فُضُولَ العَيْشِ حتى رَدَدْتُها إلى القُوتِ خَوْفًا أنْ أُجاء إلى أَحَدْ

ويُروى: تأثَّلْتُه، وهي رواية الموَطّأ، ويقال: مَخرَف بفتح الرّاء وكسرها، وأما كسر المِيم فإنما هو للمِخْرَفِ، وهي الآلة التي تُخْتَرَفُ بها التمْرَةُ أي: تُجْتَنَى بفتح الميم معناه البُسْتَان من النخل، هكذا فسّروه، وفسّره الحربي، وأجاد في تفسيره، فقال: المَخْرَفُ: نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر، فما فوق ذلك، فهو بستان أو حديقة، ويقوى ما قاله

---

(١) تفهق: امتلأ. (٢) غمر: غير مجرّب.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١١٢) ومسلم في الجهاد (٤١) وأبو داود (٢٧١٧ ـ بتحقيقي) والترمذي (١٥٦٢) والشافعي في مسنده (٢٢٣) ومالك في الموطأ (٤٥٤) والبيهقي في الكبرى (٦/ ٢٢٠).

من قَتل قتيلاً فله سلبه

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حُدّث عن أبي قتادة الأنصاري قال: وحدّثني من لا أتّهم من أصحابنا، عن نافع مولى بني غِفار أبي محمد عن أبي قتادة، قالا: قال أبو قتادة: رأيتُ يوم حُنَيْن رجلين يقتتلان: مسلمًا ومشركًا، قال: وإذا رجل من المُشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم. قال: فأتيته فضربت يده فقطعتُها، واعتنقني بيده الأخرى، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم. ويُروى: ريح الموت، فيما قال ابن هشام: وكاد يقتُلني، فلولا أن الدم نزفه لقتلني، فسقط، فضربته فقتلته، وأجهضني عنه القتال، ومرّ به رجل من أهل مكّة فسلبه، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم، قال رسولُ الله ﷺ: «من قَتل قتيلاً فله سَلَبُه»، فقلت: يا رسول الله، والله لقد قتلت قتيلاً ذا سَلَب، فأجْهضني عنه القِتال، فما أدري مَن استلبه؟ فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله، وسَلَبُ ذلك القتيل عندي، فأرْضِه عني مِنْ سَلَبه، فقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: لا والله، لا يرضيه منه، تَعْمِد إلى أسَدٍ من أُسْدِ الله، يقاتل عن دين الله، تقاسمه سَلَبه! اردد عليه سَلَب قتيله، فقال رسولُ الله ﷺ: «صدق فاردد عليه سَلَبه». فقال: أبو قتادة: فأخذته منه، فبعته، فاشتريت منه مَخْرَفًا، فإنه لأوّلُ مالٍ اعْتَقَدْتُه.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتّهم، عن أبي سلمة، عن إسحٰق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: لقد استلب أبو طلحة يومَ حُنَين وحدَه عشرين رجلاً.

الحربي ما قاله أبو حنيفة، قال: المَخْرفُ: مثل الخَرُوفَة، والخَرُوفةُ: هي النخلة يخترفُها الرجلُ لنفسه ولعيالِه، وأنشد:

مثل المَخَارِفِ مِنْ خيلان أو هَجَرَا

قال: ويقال للخَرُوفةِ: خَرِيفَةٌ أيضًا.

السلب للقاتل

وفي هذا الحديثِ من الفقه أن السَّلَب للقاتل حُكْمًا شَرْعِيًّا جعل ذلك الإمامُ له، أو لم يجعله، وهو قول الشافعي، وقال مالك: إنما ذلك إلى الإمام له أن يقولَ بعد مَعْمَعةِ الحرب: مَنْ قَتَل قتيلاً فله سَلَبُه، ويكره مالكٌ رحمه الله أن يقول ذلك قبل القِتال لئلاّ يخالِط النيّة غَرَضٌ آخرُ غير احتساب نفسِه لله تعالى، وقد ذكرنا في غَزْوَة بدرٍ في هذه المسألة ما هو أكثر من هذا.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبي إسحٰق بن يَسار، أنه حدّث عن جُبَيْر بن مُطْعِم، قال: لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم، والناس يَقْتَتِلون مثل البِجَادِ الأسْوَد، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مَبْثُوث قد ملأ الوادي، لم أشكّ أنها الملائكة، ثم لم يكن إلاّ هزيمة القوم.

هزيمة المشركين من أهل حنين:

قال ابن إسحٰق: ولما هزم الله المشركين من أهل حُنين، وأمكن رسولَه ﷺ منهم، قالت امرأة من المسلمين:

قد غلبت خَيلُ اللهِ خَيْل اللاَّتِ ... والله أحَقُ بالثَّبَاتِ

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر:

غَلَبْتِ خيْلَ اللهِ خيْلَ اللاَّتِ ... وخَيْلُهُ أحَقُّ بالثَّباتِ

قال ابن إسحٰق: فلما انهزمت هوازن استحَرَّ القتل من ثَقيف في بني مالك، فقُتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، وكانت رايتهم مع ذي الخِمار فلما قُتِل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل.

قال ابن إسحٰق: وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود، قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ قتلُه، قال: «أبعده الله! فإنه كان يُبْغضُ قريشًا».

نـزول الملائكـة

وقول جُبَيْرِ بن مُطْعِم: لقد رأيت مثل البِجَاد، يعني الكِسَاءَ، من النمل مَبْثُوثًا، يعني رآه ينزِل من السماء. قال: لم أَشك أنها الملائكة، وقد قدم ابنُ إسحٰق قول الآخر: رأيت رجالاً بيضًا على خَيْل بُلْقٍ، وكانت الملائكةُ فأراهم الله لذلك الهوازني على صُوَرِ الخيل والرجال ترهيبًا للعدوّ، ورآهم جُبَيْرٌ على صورة النمل المبثوث إشْعَارًا بكثرة عددها، إذ النمل لا يُستطاع عَدُّها مع أن النملَةَ يُضرَب بها المثلُ في القوّة، فيقال: أقوى من النملة، لأنها تحمل ما هو أكبر من جِرْمِها بأضْعَافٍ، وقد قال رجلٌ لبعض الملوك: جعل الله قوّتَك قوّةَ النَّملَةِ، فأنكر عليه، فقال: ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلاّ النَّملة، وهذا المثل قد ذكره الأصْبَهَاني في كتاب الأمثال مَقْرُونًا بهذا الخبر، وقد أُهْلِكَ بالنمل أُمةٌ من الأمم، وهم جُرْهُم.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس. أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانيّ أغرَلُ، قال: فبينا رجل من الأنصار يسلُب قَتْلى ثقيف، إذ كشف العبدَ يسلُبُه، فوجده أغرَلَ. قال: فصاح بأعلى صوته: يا معشر العرب: يعلم الله أنَّ ثقيفًا غُرْل. قال المُغيرة بن شُعبة: فأخذتُ بيده، وخشيت أن تذهب عنا في العرب، فقلتُ: لا تقل ذاك، فَداك أبي وأُمي، إنما هو غلام لنا نصراني. قال: ثم جعلت أكشف له عن القَتلى، وأقول له: ألا تراهم مختّنين كما ترى!

قال ابن إسحٰق: وكانت راية الأحلاف مع قاربِ بن الأسود، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة، وهرب هو وبنو عمّه وقومه من الأحلاف، فلم يُقتل من الأحلاف غيرُ رجلين: رجلٍ من غِيَرَة، يقال له: وهب، وآخر من بني كُبَّة، يقال له: الجُلاح؛ فقال رسولُ الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح: «قُتِل اليوم سيّدُ شباب ثقيف، إلاَّ ما كان من ابن هنيدة، يعني بابن هُنيدة الحارث بن أوَيس.

رائيّـة ابن مـرداس

فقال عبّاس بن مرداس السّلَمي يذكر قارب بن الأسود وفِرَارَه من بني أبيه وذا الخمار وحَبْسه قومَه للموت:

ألا مِـنْ مُـبَـلِّـغٍ غَـيْـلانَ عَـنِّـي	وسَوْفَ ـ إخالُ ـ يأتيه الخَبيرُ
وعُــرْوَةَ إنَّــمَــا أُهْــدِي جَــوَابًــا	وقَـوْلاً غـيـرَ قـولِـكُـمـا يَـسـيـرُ
بـأنَّ مُـحَـمَّـدًا عـبـدٌ رسـول	لـربٍّ لا يَـضِـلُّ ولا يـجُـوزُ
وجـدنـاه نَـبِـيًّـا مـثـل مُـوسَـى	فـكـلّ فَـتَّـى يُـخـايِـرُهُ مـخِـيـر

حول قصيدة ابن مرداس

فصل: وذكر قول عَبَّاس:

وسـوف إخـال يـأتـيـك الـخـبـيـرُ

الفعل المستقبلُ: هو يأتيكَ، وإن كان حرفُ سوف داخلاً على إخال في اللفظ، فإن ما يدلّ عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال:

ومـــا أدري وســـوف إخـــال أدري

وَبِئْسَ الأمْرُ أمْرُ بَنِي قَسِيّ | بَوَجٍّ[1] إذْ تُقُسِّمَتِ الأُمُورُ
أضَاعُوا أمْرَهُمْ ولِكُلّ قَوْمٍ | أمِيرٌ والدَّوائِرُ قد تَدُورُ
فَجِئْنا أُسْدَ غاباتٍ إليهِمْ | جُنودُ اللهِ ضاحيةٍ تَسِيرُ
يؤُمّ الجَمعَ جمعَ بَنِي قَسِيّ | عَلى حَنَقٍ[2] نَكادُ له نَطيرُ
وأُقْسِمُ لو هُمُ مكَثوا لَسِرْنا | إليهِمْ بالجُنود ولم يَغُوروا
فَكُنّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حتى | أبَحْناها وأسْلِمَتِ لنُصُورُ
ويومٌ كانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ | فأقْلَعَ والدِّمَاء به تَمُورُ[3]
مِنَ الأيّامِ لم تَسْمَع كَيَوْمٍ | ولم يَسْمَعْ به قَوْمٌ ذُكُورُ
قَتلْنا في الغُبار بني حُطَيْطٍ | على راياتها والخَيْلُ زُورُ[4]
ولم يك ذو الخِمار رئيسَ قَوْمٍ | لهم عَقْلٌ يُعاقب أو مَكِيرُ[5]
أقامَ بِهِمْ على سَنَنِ المَنايا | وقد بانتْ لِمُبْصِرِها الأُمُورُ
فأفْلَتَ مَنْ نجا منهمْ حَرِيضًا[6] | وقُتِّلَ منهمُ بَشَر كثيرُ
وَلا يُغْنِي الأمُورَ أخُو التَّواني | ولا الغَلِق الصُّرَيِّرَةُ الحَصُورُ
أحانَهُمْ وحانَ وَمَلَّكُوهُ | أُمُورَهُمْ وأفْلَتَتِ الصُّقُورُ
بنو عوف تَمِيح[7] بِهم جِيادٌ | أُهِينَ لها الفَصافِص[8] والشَّعير
فلَوْلا قارِبٌ وبنو أبِيهِ | تُقُسِّمَتِ المزارع والقُصُورُ
ولكنّ الرياسَة عُمِّموها | على يُمْنٍ أشار به المُشِيرُ
أطاعوا قارِبًا ولهم جدود | وأحلام إلى عِزّ تصيرُ
فإنْ يُهْدَوْا إلى الإسْلامِ يُلْفَوْا | أُنوفَ النّاسِ ما سَمَر السَّمِيرُ

وذلك أن إخال في معنى: أظن، وليس يريد أنه يظن فيما يُسْتَقْبل، وإنما يريد أن يَخالَ الآن أنْ سيكون ذلك، وقوله:

فإن يُهْدَوْا إلى الإسلام يُلْقَوا | أُنوفَ النّاسِ ما سَمَر السَّمِيرُ

(١) الوجّ: السرعة.
(٢) الحنق: الغيظ.
(٣) تمور: تسيل.
(٤) زور: مشددة بالأعنة.
(٥) مكير: ذو مكر وفطنة.
(٦) حريضًا: لا يستطيع النهوض.
(٧) تميح: تتمايل.
(٨) الفصافص: ضرب من الأعشاب.

وإن لـم يُـسْـلِـمُـوا فـهُـم أذانٌ — بـحـرب الله لـيـسَ لـهُـمْ نَـصـيـرُ

كـمـا حَـكَّتْ بـنـي سَـعْـدٍ وحَـزْبٌ — بـرَهْـط بـنـي غَـزِيَّـةَ عَـنْـقَـفـيـرُ[1]

كـأنَّ بـنـي مُـعـاويـةَ بْـنِ بَـكْـرٍ — إلـى الإسـلامِ ضـائـنَـةٌ[2] تَـخُـورُ

فـقُـلـنـا أسْـلِـمُـوا إنَّـا أخُـوكُـمْ — وقـد بـرأتْ مِـنَ الإحَـنِ[3] الصُّدورُ

كـأن الـقـومَ إذْ جـاءُوا إلـيـنـا — مِـنَ الـبَـغْـضـاء بـعـد الـسِّـلـم عُـورُ

أنوفَ الناس انتصب على الحال، لأنه نكرة لم يتعرَّف بالإضافة، لأنه لم يرد الأنوفَ بأعيانها، ولكن أشرَافًا، وهذا كقوله:

بِـمُـنْـجَـرِدٍ قَـيْـدِ الأوَابِـدِ

لأنه جعله كالقيد، ومثله ما ذكرناه قَبْلُ في: نصب غمائم الأبصَار، على الحال، وليس هذا من باب ما منعه سيبويه حين قال معترضًا على الخليل: لو قلت مررت بقصير الطويل، تريد: مثل الطويل، لم يجز، والذي أراده الخليل هو ما ذكرناه في غير موضع من استعارةِ الكلمة على جهة التشبيه، نحو قيد الأوابد، وأنوفَ الناس تريد: أشرافهم، فمثل هذا يكون وَصْفًا للنَّكِرَة وحالاً من المعرفة، وقد ألحق بهذا البابِ: له صَوْتٌ صَوْتُ الحمارِ، على الصِّفة، وضعَّفه سيبويه في الحال، وهو في الصفة أقْبَحُ، وإنما ألحقه الخليل بما تنكَّر، وهو مضاف إلى معرفة من أجل تكرّر اللفظ فيه، فحسن لذلك.

وقوله: وأُسْلِمَت النُّصورُ. ذكر البرقي أن النُّصور هاهنا جمع: ناصر، وليس هو عندي كذلك. فإن فاعَلا قَلَّ ما يجمع على فُعُول، وإن جُمَع فليس هو بالقياس المُطْرِدِ، وإنما هم بنو نَصْرٍ من هَوَازِن رَهْطِ مالك بن عَوْف النَّصْرِيّ يقال لهم: النُّصُور، كما يقال لبَنِي المُهَلَّب: المَهَالِبة، ولِبَنِي المُنْذِر: المَنَاذِرة، وكما يقال الأشْعَرُون، وهم بنو أشْعَر بن أُدَد، والتُّوَيْتَاتُ لبني تُوَيْتِ بن أسَد.

جمع أخ وابن:

وقوله: إنا أخوكم، جمع أخًا جمعًا مسلمًا بالواو والنون، ثم حذفت النون للإضافة، كما أنشدوا:

ولـمـا تَـبـيَّـنَّ أصـواتـنـا بَـكَّـيـن — وفَـدَّيْـنَـنَـا بـالأبـيـنـا

---

(١) عنقفير: عجوز داهية. (٢) ضائنة: منقبضة.

(٣) الإحن: العلل.

قال ابن هشام: غَيلان: غَيلان بن سَلَمة الثقفي، وعُروة: عروة بن مسعود الثُّقفي.

مصرع دريد:

قال ابن إسحٰق: ولما انهزم المشركون، أتَوا الطائف ومعهم مالك بن عَوف وعسكر بعضهم بأَوطَاس، وتوجَّه بعضهم نحو نَخْلة، ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلاّ بنو غِيرَةَ من ثقيف، وتبعت خيلُ رسولِ الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا.

فأدرك ربيعة بن رُفَيْع بن أُهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمَّان بن عوف بن امرىء القيس، وكان يقال له ابن الدُّغُنَّة وهي أُمه، فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لَذْعَة فيما قال ابن هشام - دُرَيْد بن الصمّة، فأخذ بخطام جمله وهو يظنّ أنه امرأة، وذلك أنه في شِجَارٍ له، فإذا برجل، فأناخ به، فإذا شيخ كبير، وإذا هو دُرَيْدُ بن الصِّمَّة ولا يعرفه الغلام، فقال له دُرَيد: ما تريد بي؟ قال أقتلك. قال: ومن أنت؟ قال: أنا رَبيعة بن رُفَيْع السُّلَميّ، ثم ضربه بسيفه، فلم يُغْن شيئًا، فقال: بئس ما سَلَّحتك أُمك! خذ سيفي هذا من مؤخَّر الرحل، وكان الرحل في الشِّجار، ثم ضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإن كنت كذلك أضرب الرجال، ثم إذا أتيتَ أُمَّك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْد بن الصِّمَّة، فرُبّ والله يوم قد منعتُ فيه نساءَك. فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشَّف، فإذا عِجانه وبطون فَخِذيه مثل القِرْطاس، من ركوب الخيل أعراء؛ فلما رجع ربيعة إلى أمّه أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أُمّهات لك ثلاثًا.

فقالت عَمْرَةُ بنت دُرَيد في قتْل رَبيعةَ دُريدًا:

لعَمْرُكَ ما خَشيتُ على دُرَيْدٍ	ببَطْن سُمَيرَةٍ جَيْش العَناق
جَزَى عنه الإلٰهُ بني سُلَيْمٍ	وعقَّتْهُمْ بما فَعَلوا عَقاقِ
وأسْقانا إذا قُدْنا إليهم	دِماءَ خِيارهم عند التَّلاقي
فرُبّ عظيمة دافعتَ عنهمْ	وقد بَلَغتْ نفوسُهُم التَّراقي
ورُبَّ كريمَةٍ أعْتقتَ منهُمْ	وأُخرَى قد فكَكْتَ من الوَثاقِ
ورُبَّ مُنَوِهٍ بكَ مِن سُلَيم	أجَبْتَ وقد دَعاكَ بلا رَماقِ

ويجوز أن يكونَ وَضَع الواحدَ موضعَ الجميع، كما تقدّم في قوله: أنتم الولدُ، ونحن الولدُ.

فكانَ جَزاؤُنا منهُمْ عُقُوقًا ... وهَمًّا ماعَ منهُ مُخُّ ساقي

عَفَتْ آثار خَيْلك بعد أيْنٍ ... بذِي بَقَرٍ إلى فَيْفِ النُّهاقِ

وقالت عَمْرة بنت دُرَيد أيضًا:

قالوا قتلنا دُرَيدًا قلتُ قد صَدقوا ... فظلّ دمعِي على السرْبالِ يَنْحدرُ

لَوْلا الّذي قَهرَ الأقْوَامَ كُلَّهُمُ ... رأَت سُلَيْم وكَعْب كيف تأتمِرُ

إذَنْ لصَبَّحهم غِبًّا وظاهِرَةً ... حيثُ استقرّتْ نواهُم جَحْفَلٌ ذَفِر

قال ابن هشام: ويقال اسم الذي قتل دُرَيدًا: عبد الله بن قُنَيْع بن أُهْبان بن ثَعْلبة بن رَبيعة.

مصرع أبي عامر الأشعري:

قال ابن إسحٰق: وبعث رسولُ الله ﷺ في آثار من توجّه قِبَل أوْطاسٍ أبا عامر الأشعري، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم، فناوشوه القتال، فرُمِي أبو عامر بسهم فقُتِل؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشْعريّ، وهو ابن عمه، فقاتلهم، ففتح الله على يديه، وهزمهم. فيزعمون أن سَلمَة بن دُرَيْد هو الذي رَمى أبا عامر الأشعري بسهم، فأصاب ركبته، فقتله، فقال:

إن تَسألوا عنّي فإني سَلَمَة ... ابنُ سَمادِير لِمَنْ تَوَسَّمَة

أضربُ بالسيّف رُؤوس المسْلِمَة

وسمادير: أمه.

حال بني رئاب في المعركة:

واستحرّ القتل من بني نَصْر في بني رِئاب، فزعموا أن عبد الله بن قَيْس ـ وهو الذي يُقال له ابن العَوْراء، وهو أحد بني وَهْب بن رئاب ـ قال: يا رسولَ الله، هلَكت بنو رِئَاب، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «اللهمّ اجْبُر مُصيبَتهم».

موقف قوم مالك بن عوف:

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فَوَارس من قومه، على ثَنِيَّةٍ من الطَّريق، وقال لأصحابه: قِفُوا حتى تمُضِي ضُعَفاؤُكم، وتَلْحق أُخراكم فوقف هناك حتى

....

مضَى مَن كان لَحِق بهم من مُنْهزمة الناس؛ فقال مالك بن عَوْف في ذلك:

ولـولا كَـرَّتـانِ عـلـى مُـحـاجِ | لـضـاق عـلـى الـعَـضـاريـط الـطَّـريـقُ
ولـولا كَـرُّ دُهْـمـانَ بـن نَـصْـر | لـدَى الـنَّـخَـلاتِ مُـنْـدَفَـع الـشَّـديـق
لآبَـتْ جَـعْـفَـرٌ وبـنُـو هِـلال | خَـزَايـا مُـحْـقِـبـيـن عـلـى شُـقُـوق

قال ابن هشام: هذه الأبيات لمالك بن عَوْف في غير هذا اليوم. ومما يدلُّك على ذلك قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة في صَدْر هذا الحديث: ما فعلت كعْب وكلاب؟ فقالوا له: لم يَشْهدها منهم أحد. وجعفرٌ بن كلاب. وقال مالك بن عوف في هذه الأبيات: «لآبَتْ جَعفرٌ وبنو هلال».

قال ابن هشام: وبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثَّنِيَّة، فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ فقالوا: نرى قوْمًا واضعي رِماحهم بين آذان خيلهم، طويلةً بوادُهم؛ فقال: هؤلاء بنو سُلَيم، ولا بأسَ عليكم منهم، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي. ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها، فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ قالوا: نرى قومًا عارضي رِماحهم، أغْفالاً على خيلهم؛ فقال: هؤلاء الأوْس والخزْرَج، ولا بأس عليكم منهم، فلما انتهَوْا إلى أصل الثَّنيَّة سلَكوا طريق بني سُلَيم. ثم طلع فارس؛ فقال لأصحابه: ماذا تَرَوْن؟ قالوا: نرى فارسًا طويل البَادِّ، واضعًا رمحه على عاتقه، عاصبًا رأسه بملاءة حمراء، فقال هذا الزُبير بن العوَّام وأحلِف باللاَّت ليخالطَنَّكم، فاثْبُتوا له. فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّنِيَّة أبصر القوم، فصمَدَ لهم، فلم يزل يُطاعِنهم حتى أزاحهم عنها.

شعر سلمة في فرارة:

قال ابن إسحٰق: وقال سَلَمَة بن دُرَيْد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم:

نَسَّيْتِني ما كنتِ غيرَ مُصابَةٍ | ولقد عرفتِ غَداةَ نَعْف الأظْرُب
أنّى مَنَعْتُكِ والرُّكوبُ مُحبَّبٌ | ومشيْتُ خلفَكِ مثل مشيِ الأنكَب
إذ فـرّ كـلُّ مُـهَـذَّبٍ ذي لِـمَّـةٍ | عَـنْ أُمِّـه وخَـلـيـلـه لـم يَـعْـقـبِ

من وصف الزُّبير:

وقوله في صفة الزّبير: طويل البَادِّ، أي: الفَخِر، والبَدَدُ: تباعُدُ ما بين الفَخِذَيْنِ.

عود إلى حديث مصرع أبي عامر:

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل العلم بالشعر، وحديثه: أن أبا عامرٍ الأشعريّ لقي يوم أوْطاس عشرةَ إخوة من المشركين، فحمل عليه أحدُهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهمّ اشهد عليه، فقتله أبو عامر؛ ثم حمل عليه آخر، فحمل عليه أبو عامر، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهمّ اشهد عليه، فقتله أبو عامر. ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك، حتى قتل تسعة، وبقي العاشر، فحمل على أبي عامر، وحمل عليه أبو عامر، وهو يدعوه إلى الإسلام، ويقول: اللهمّ اشهد عليه؛ فقال الرجل: اللهمّ لا تشهد عليّ، فكفّ عنه أبو عامر، فأفلت؛ ثم أسلم بعدُ فحسُن إسلامه. فكان رسولُ الله ﷺ إذا رآه قال: «هذا شَريدُ أبي عامر» ورمى أبا عامر أخَوانِ: العلاءُ وأوفى ابنا الحارث، من بني جُشَم بن معاوية، فأصاب أحدُهما قلبَه، والآخر رُكبته، فقتلاه ووليَ الناسَ أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلهما، فقال رجل من بني جُشَم بن معاوية يرثيهما:

إنَّ الرَّزِيَّةَ قَتْلُ العَلاءِ ... وأوْفَى جَمِيعًا ولَمْ يُسْنَدَا

هُمَا القاتِلانِ أبا عامِرٍ ... وقد كان ذا هَبَّةٍ أرْبَدَا

هُمَا تَرَكاه لَدَى مَغْرَكٍ ... كأنّ على عِطْفِه مُجْسَدَا

فلم تَرَ في النَّاسِ مِثْلَيْهِما ... أقَلَّ عِثَارًا[1] وأرْمى يَدَا

النهي عن قتل الضعفاء

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعض أصحابنا: أن رسولَ الله ﷺ مرّ يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس مُتَقَصِّفون عليها، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد؛ فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: «أدرِكْ خالدًا، فقل له: إن رسولَ الله ينهاك أن تقْتلَ وَليدًا أو امرأة أو عسيفًا».

من أحكام القتال

وقوله في المرأة المقتولة: أدرِكْ خالِدًا، فقل: إن رسولَ الله ﷺ ينهاك أن تقتل وليدًا، أو امرأةً، أو عَسِيفًا العَسِيفُ: الأجيرُ، وهذا مُنتزَع من كتاب الله تعالى، لأنه يقول: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقَاتِلُونَكم﴾ [البقرة: ١٩٠] فاقتضى دليلُ الخطاب ألاّ تُقْتَل المرأةُ إلاّ أن

(١) العثار: الزلل.

شأن الشيماء وبجاد:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني بعض بني سعد بن بكر: أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «إن قَدَرتم على بِجادٍ، رجل من بني سعد بن بكر، فلا يَفلِتَنّكم»، وكان قد أحدث حَدَثًا، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشَّيماءَ، بنت الحارث بن عبد العُزّى أختَ رسولِ الله ﷺ من الرّضاعة، فعَنُفُوا عليها في السِّياق، فقالت للمسلمين: تعلّموا والله أني لأخت صاحبكم من الرّضاعة؛ فلم يصدّقوها حتى أتَوْا بها إلى رسولِ الله ﷺ.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني يزيد بن عُبيد السَّعديّ، قال: فلما انتُهيَ بها إلى رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله، إني أُختك من الرضاعة؛ قال: «وما علامة ذلك؟» قالت: عَضَّة عضضتنيها في ظهري وأنا مُتَورِّكَتُك؛ قال: فعرف رسولُ الله ﷺ العلامة، فبسط لها

تقاتِلَ، وقد أخطأ من قاس مَسألة المُرْتَدَّةِ على هذا المسألةِ، فإن المرتدَّةَ لا تُسْتَرَقُّ ولا تُسْبَى، كما تُسْبَى نساءُ الحربِ وذَرارِيهم، فتكون مالاً للمسلمين، فنهى عن قَتْلِهِنَّ لذلك.

حكم رفع اليد في الدعاء:

وذكر فيمن استشهد أبا عامر، واسمُه: عُبَيْدُ بن سُلَيم بن حَضّار، وهو عم أبي مُوسى عبدِ الله بن قيس الأشعَرِيّ، وهو الذي اسْتَغْفَر له رسولُ الله - ﷺ - حين قُتِل رافعًا يديه جِدًّا، يقول: «اللَّهُمَّ اغفر لعبيد أبي عامر»[1] ثلاثًا، وفيه من الفقه رفعُ اليدين في الدعاء، وقد كرهه قوم، رَوى عبدُ الله بن عمر أنه رأى قومًا يرفعون أيديهم في الدعاء، فقال: أَوَقَدْ رفعُوها؟ قطعها الله، والله لو كانوا بأعْلَى شاهِقٍ ما ازدادوا من الله بذلك قُرْبًا، وذكر لمالك أن عامرَ بن عبد الله بن الزُّبَيْر كان يدعو بَأثْرِ كلِّ صلاةٍ، ويرفع يديه، فقال: ذلك حَسَنٌ، ولا أرى أن يرفعهما جِدًّا. وحجّة من رأى الرفعَ أحاديثُ منها ما ذكرناه آنفًا، ومنها حديثٌ تقدَّم في سَرِيَّةِ الغُمَيْصَاءِ حين رفعَ النبيُّ - ﷺ - يديه، وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صَنَع خالدُ بن الوليد ثلاثَ مرّات ولكل شيءٍ وجهٌ، فمن كَرِه، فإنما كره الإفراطَ في الرفع كما كره رفعَ الصوت بالدعاء جدًا. قال ﷺ: «أَرْبِعُوا على أنفسِكم، فإنكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائبًا»[2]، وهو معنى قول مالك الذي قدّمناه في رفع اليدين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٤١) ومسلم (١٩٤٤) وانظر الفتح (٨/ ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٦٩) ومسلم في الذكر والدعاء (٤٤) وأحمد (٤/ ٤٠٢) والبيهقي في الصفات (٤٤٤ ـ بتحقيقي) وفي الكبرى (٢/ ١٨٤).

رداءه، فأجلسها عليه، وخيَّرها، وقال: «إن أحْببتِ فعِندِي مُحَبَّةٌ مُكْرَمَة، وإن أحْبَبْتِ أنْ أُمَتِّعَك وترجعي إلى قومك فعلتُ»؛ فقالت: بل تمتِّعُني وتردُّني إلى قومي، فمتَّعها رسولُ الله ﷺ، وردّها إلى قومها. فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلامًا له يقال له مكحول، وجارية، فزوَّجت أحَدُهما الأُخرَى، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية[1].

قال ابن هشام: وأنزل الله عزّ وجلّ في يوم حُنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾... إلى قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾.

شهداء يوم حنين:

قال ابن إسحٰق: وهذه تسمية من استُشْهِد يوم حُنين من المسلمين: من قريش ثم من بني هاشم: أيْمَن بن عُبيد.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: يزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطَّلب بن أسد، جَمَح به فرس له يقال له: الجناح، فقُتل.

ومن الأنصار: سُرَاقَةُ بن الحارث بن عديّ، من بني العَجْلان.

ومن الأشعريين: أبو عامر الأشعري.

الحفنة وشاهت الوجوه:

فصل: ومما ذُكِر في غَزْوةِ حُنَيْن من غير رواية ابن إسحٰق الحَفْنَةُ التي أخذها النبيّ ﷺ من البَطْحَاءِ، وهو على بَغْلَتِه، فرمى بها أوجه الكُفَّارِ، وقال: «شاهت الوجوه»[2]، فانهزموا. والمستقبلُ من شاهت: تَشَاهُ، لأن وزنه فَعِل، وفيه أنَّ البَغْلَة حَضَجَت به إلى الأرض حين أخذ الحَفْنَةَ، ثم قامت به، وفسّروا حَضَجَتْ، أي: ضربت بنفسها إلى الأرضِ، وألصقت بطنَها بالتراب، ومنه الحِضَاجُ، وهو زِقٌّ مملوء قد أُسْنِد إلى شيء، وأُميل إليه، والبَغْلة التي كان عليها يَوْمَئِذٍ هي التي تُسَمَّى البَيْضاءُ، وهي التي أهداها إليه فَرْوَةُ بنُ نُفَاثَةَ، وقد تقدّم ذكر الأخرى، واسمها: دُلْدُلُ وذِكْرُ من أهداها إليه.

نداء أصحاب الشجرة:

وذكر نداءَ العباسِ: يا مَعْشَرَ أصحابِ السَّمُرَةِ، وكان العبَّاسُ صَيِّتًا جَهِيرًا.

---

(١) انظر أسد الغابة (٧٠٤٩) الإصابة (٤/ ٣٣٥).

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد (٨١) وأحمد (١/ ٣٠٣) والدارمي (٢/ ٢٢٠) والحاكم في مستدركه (١/ ١٦٣) (٣/ ١٥٧) وابن منصور (٢٩١٣) وانظر الفتح (٧/ ١٦٩) والطبري في تاريخه (٢/ ٣٤).

سبايا حنين يجمعون:

ثم جُمِعتْ إلى رسولِ الله ﷺ سَبايا حُنَيْن وأموالُها وكان على المغانم مسعودُ بن عمرو الغِفاريّ، وأمر رسولُ الله ﷺ وسلم بالسَّبايا والأموال إلى الجعْرَانة، فحُبِسَتْ بها.

شعر بجير يوم حنين:

وقال بُجَير بن زُهَير بن أبي سُلْمَى في يوم حُنَين:

لـولا الإلـهُ وعَـبْـدُه وَلَّـيْـتُـم ... حين استخفَّ الرُّعبُ كُلَّ جَبانِ

بـالـجِـزع يَـوْمَ حَـبَـا لَـنـا أقْـرانُـنـا ... وسَـوَابِـحٌ يَـكْـبُـونَ لِـلأذقـانِ

مِـنْ بـيـنِ سـاعٍ ثـوْبُـهُ فـي كَـفِّـهِ ... ومـقـطَّـرٍ بـسَـنـابـكٍ ولـبَـانِ

والله أهْـلَـكَـهُـمْ وَفَـرَّقَ جـمْـعَـهُـمْ ... وأذَلَّـهُـمْ بـعِـبـادَةِ الـشَّـيْـطـانِ

قال ابن هشام: ويَرْوِي فيها بعضُ الرُّواة:

إذْ قـامَ عَـمُّ نـبِـيِّـكـم ووَلِـيُّـه ... يـدعُـون: لـكَـتـيـبـةِ الإيـمـانِ

أيـن الـذيـنَ هُـمُ أجـابـوا ربَّـهُـمْ ... يَـوْمَ الـعُـرَيـض وبَـيْـعـة الـرّضـوانِ

شعر لعباس بن مرداس في يوم حنين:

قال ابن إسحٰق: وقال عباس بن مِرداس في يوم حُنَين:

إنـي والـسَّـوابـح يـومَ جَـمْـعٍ ... ومـا يَـتـلـو الـرَّسـولُ من الـكـتـابِ

لـقـد أحـببـتُ مـا لَـقِـيـتْ ثَـقِـيفٌ ... بجَنب الشِّعْب أمسِّ من العذاب

هُـمُ رأسُ الـعـدوّ مـن أهـلِ نَـجْـدٍ ... فـقـتـلُـهُـم ألَـذُّ مِـنَ الـشَّـرَابِ

هَـزَمْـنـا الـجَـمْـعَ جـمـعَ بَـنـي قَـسِـيّ ... وحَـكَّـتْ بَـرْكَـهـا بـبـنـي رِئـاب

وصِـرْمًـا[1] مـن هِـلال غـادرتـهـمْ ... بـأوْطـاس تُـعَـفَّـر بـالـتُّـرَابِ

ولـو لاقَـيْـنَ جـمْـعَ بـنـي كِـلابٍ ... لَـقـامَ نِـسـاؤُهـم والـنَّـقْـع كـابـي

ركَـضْـنـا الـخـيـلَ فـيـهـم بـيـن بُـسّ ... إلـى الأوْرال تَـنْـحِـطُ بـالـنِّـهـابِ

وأصحاب السَّمُرَةِ: هم أصحابُ بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشَّجَرَةِ، وكانت الشجرةُ سَمُرَةً.

---

(١) الصرم: الجماعة.

بـذي لَـجَـبٍ رسـولُ الله فـيـهـم كـتِـيـبـتَـهُ تَـعَـرَّض لـلـضِّـراب

قال ابن هشام: قوله: «تُعَفَّر بالتراب»: عن غير ابن إسحٰق.

ابن عفيّف يردّ على ابن مرداس:

فأجابه عطيّة بن عُفَيِّف النَّصْريّ، فيما حدّثنا ابن هشام، فقال:

أفـاخِـرَةٌ رِفـاعـةُ فـي حُـنَـيْـنٍ وعـبّـاس ابـن رَاضِـعـةِ الـلِّـجـابِ

فـإنَّـكَ والـفِـجَـارَ كـذَاتِ مِـرْطٍ لـرَبَّـتـهـا وتـرفُـلُ فـي الإهـابِ

قال ابن إسحٰق: قال عطية بن عُفَيِّف هذين البيتين لمّا أكثرَ عباسٌ على هَوَازِن في يوم حُنَين ورفاعة من جُهينة.

شعر آخر لعباس بن مرداس:

قال ابن إسحٰق: وقال عبّاس بن مرداس أيضًا:

يـا خـاتـم الـنُّـبَـاءِ إنَّـكَ مُـرْسَـلٌ بـالـحقّ كلُّ هُدى السَّبيل هُداكا

إنَّ الإلَـٰه بـنـى عـلـيـكَ مـحـبَّـةً فـي خَـلْـقِـه ومُـحـمَّـدًا سَـمَّـاكـا

ثُـمَّ الـذيـنَ وَفَـوْا بـمـا عـاهـدتَـهـم جُـنـدٌ بـعَـثْـتَ عـلـيـهـمُ الـضَّـحَّـاكـا

رجُـلاً بـه ذَرَبُ الـسِّـلاح كـأنَّـه لـمـا تَـكَـنَّـفَـه الـعـدُوُّ يَـرَاكـا

يغشى ذوي النَّسَب القَريب وإنما يـبـغـي رِضَـا الرَّحـمـٰن ثـم رِضَـاكـا

أُنـبـيـكَ أنـي قـد رأيـتُ مَـكَـرَّهُ تحتَ العَجاجَةِ[1] يدمَغُ الإشراكا

الضحّاك بن سُفيان:

فصل: وذكر الضَّحَّاكَ بن سُفْيَان الكِلاَبِي، وهو الضَّحَّاكُ بن سُفيَانَ بن عَوْف بن كَعْب بن أبي بكر بن كِلاب الكِلائِيّ، يكنى أبا سعيد، وكان يقوم على رأس النَّبيِّ - ﷺ - مُتوشِّحًا بالسيف، وكان يُعَدُّ وحدَه بمائِة فارِس، وكانت بنو سُلَيْم يوم حُنَيْن تسعمائة، فأمَّره عليهم رسولُ الله ﷺ، وأخبره أنه قد تَمَّمَهُم به ألفًا، وإيّاه أراد عباس بن مِرْدَاسٍ بقوله:

جُـنـدٌ بـعـثـتَ عـلـيـهـم الـضَّـحَّـاكَـا

(١) العجاجة: غبار المعركة.

طَوْرًا يُعانِق باليَدَينِ وتارَةِ يَفْرِي [1] الجماجِمَ صارمًا بتَّاكا
يغشَى به هامَ الكماة [2] ولو ترَى منه الذي عاينتُ كان شِفاكا
وبنو سُلَيم مُغنِقُون أمامه ضَرْبًا وطَعْنًا في العدوّ دِراكا
يَمْشُون تحتَ لِوَائِهِ وكأنَّهُمْ أُسْدُ العرينِ أرَدْنَ ثَمّ عِراكا
ما يَرْتَجُون مِن القَريبِ قرابة إلاَّ لطاعَة ربهم وَهَوَاكا
هذِي مَشاهدُنا التي كانَتْ لَنا مَعْروفةً وَوَلِيُّنا مَوْلاكا

وقال عباس بن مرداس أيضًا:

إمَّا تَرَىْ يا أُمَّ فروةَ خَيْلَنا منها مُعَطَّلة نُقاد وظُلَّعَ
أوْهَى مُقارَعَة الأعادِي دمَّها فيها نَوافذُ مِن جِراحٍ تَنْبَعُ
فلربَّ قائِلَةٍ كَفاها وَقْعُنا أزمَ الحروب فسِرْبُها لا يُفْزَعُ
لا وَفْدَ كالوفْدِ الأُلى عقَدوا لنا سَبَبًا بحَبْلِ محمدٍ لا يُقْطع
وفد أبو قطَنٍ حُزابة منهُمُ وأبو الغُيُوث وواسِعٌ والمِقْنع
والقائد المِئَة التي وفَّى بها تسْعَ المِئين فتمّ ألفٌ أقْرَعُ
جمعتْ بنو عوْف ورهط مُخاشِن ستًّا وأخلب من خُفافٍ أربعُ
فهناك إذْ نُصِرَ النَّبِيُّ بألْفِنا عقدَ النَّبِيّ لنا لوَاءَ يَلْمَعُ
فُزنا برايَتِه وأوْرَثَ عَقْدُه مَجْدَ الحَياة وسُودَدًا لا يُنزَعُ
وغداة نحنُ مَع النَّبيّ جناحُه ببِطاحِ مكَّة والقَنا يَتهزَّعُ
كانَتْ إجابَتُنا لداعي رَبِّنا بالحَقِّ منَّا حاسرٌ ومُقَنَّعُ

وقال البرقي: ليس الضَّحَّاكُ بن سُفيان هذا بالكِلابي، إنما هو الضحَّاك بن سُفْيَان السُّلَمِي.

وذكر من غير رواية البكائي عن ابن إسحٰق نسبَه مرفوعًا إلى بُهْثَةَ بن سُلَيْمٍ، ولم يذكر أبو عُمَر في الصحابة إلاّ الأوّل، وهو الكِلابي، فالله أعلم.

---

(١) يفري: يقطع.
(٢) الكمأة: الأبطال.

فـي كُـلّ سـابِـغَـةٍ تـخَـيَّـر سَـرْدَهـا داودُ إذ نَـسَـج الـحـديـدَ وتُـبَّـعُ

ولَـنـا عـلـى بـثْـري حُـنـيْـن مـوكِـبٌ دَمِـغَ الـنِّـفـاقَ وهَـضـبَـة مـا تُـقْـلَـع

نُـصِـرَ الـنَّـبـيّ بـنـا وكُـنَّـا مَـعْـشَـرًا فـي كُـلّ نـائـبَـةٍ نَـضُـرّ ونَـنْـفَـعَ

ذُدْنـا غـداتَـئـذٍ هـوازنَ بـالـقَـنـا والـخـيْـلُ يـغْـمُـرُها عَـجاجٌ يَـسْـطـعُ

إذْ خـافَ حَـدَّهـم الـنـبيُّ وأسْـنـدوا جـمعًـا تـكـاد الـشَّـمْـسُ مـنه تَـخشعُ

تُـدْعَـى بـنـو جُـشَـم وتُـدعَـى وَسْـطـه أفْـنـاءُ نَـضْـرٍ والأسِـنَّـةُ شُـرَّعُ

حـتـى إذا قـالَ الـرَّسـولُ مُـحَـمَّـدٌ أَبَـنـي سُـلَـيْـم قـد وَفـيْـتُـمْ فـارْفَـعـوا

رُحْـنـا ولـوْلا نـحـنُ أجْـحَـفَ بـأسَـهُـم بـالـمُـؤمـنـيـن وأحْـرَزُوا مـا جَـمَّـعُـوا

وقال عباس بن مرداس أيضًا في يوم حُنَين:

عـفـا مِـجْـدَلٌ مـن أهْـلِـه فَـمُـتـالِـعُ فَـمِـطْـلاَ أرِيـكٍ قـد خَـلا فـالـمـصـانـع

ديـارٌ لـنـا يـا جُـمْـل إذْ جُـلُّ عـيـشِـنـا رخـيٌّ وصـرف الـدار لـلـحَـيّ جـامـعُ

حُـبَـيِّـبَـةٌ ألْـوتْ بـهـا غُـرْبـة الـنَّـوَى لِـبَـيْـنٍ فـهـل مـاض مـن الـعـيـش راجـعُ

فـإن تـبْـتَـغـي الـكُـفَّـارَ غـيـرَ مـلـومـة فـإنـي وزيـرٌ لـلـنَّـبِـيِّ وتـابـع

قصيدة ابن مرداس العينية:

وذكر شِعْرَ عباس بن مِرْدَاسٍ الذي أوّله:

عـفـا مِـجْـدلٌ مـن أهْـلِـه فـمُـتَـالِـعُ

المِجدَلُ: القصر، وهو في هذا البيتِ اسمٌ عَلَمٌ لكان.

وفـيــه: فمِطْلاَ أريكٍ.

المِطْلُ: يُمَدُّ ويُقْصَر، وهي أرض تَعْقِل الرِّجْلَ عن المشي، فقيل: إنها مِفْعَال من الطَّلْيِ وهو الجري يُطْلَى، أي: تُعْقَل رِجْلُه، وقيل: إن المِطْلاَءَ فِعْلاَءُ من مَطَلْتُ إذا مَدَدْتُ، وجمعه: مَطَال في الأمالي[1]:

أمَـا تَـسْـألان الله أن يَـسْـقِـي الـحِـمَـى ألاَ فَـسَـقَـى الله الـحِـمَـى فـالـمَـطَـالِـيَـا

(١) انظر الأمالي (١/ ٢).

دعانا إليهم خَيْرُ وفْد عَلِمتُهم — خُزَيْمَةُ والمَرّار منهُم وواسعُ

فجِئنا بألفٍ من سُلَيْم عليهمُ — لَبُوسٌ لهم من نَسْج داوُدَ رائعُ

نُبايِعُهُ بالأخْشَبَيْنِ وإنَّما — يَدَ اللهِ الأخْشَبَينِ نُبايعُ

فجُسْنا معَ المهْديّ مكَّة عَنْوَةً — بأسْيافنا والنَّقْعُ كابٍ وساطعُ

عَدنيةً والخَيْلُ يَغْشَى مُتونها — حميمٌ وآنٍ من دَمِ الجَوْف ناقع

ويومَ حُنَين حين سارَت هَوازِن — إلينا وضاقتْ بالنُّفوس الأضَالعُ

صَبَرْنا مع الضَّحَّاك لا يستفِزّنا — قِرَاعُ الأعادِي منهُم والوقائعُ

أمامَ رَسولِ اللهِ يَخْفِقُ فوْقَنا — لواءٌ كخُذْرُوف[1] السَّحابة لامعُ

عشيةَ ضحاكُ بنُ سُفيانَ مغتصٍ — بسيفِ رسول اللهِ والموتُ كانعُ[2]

نَذُود أخانا عن أخِينا ولو نَرى — مَصَالاً[3] لكُنَّا الأقْرَبِينَ نتابعُ

ولكن دينَ الله دينُ محمَّدٍ — رضينا به فيه الهُدَى والشَّرائعُ

وفيه:

تَذُود أخانا عن أخِينا، ولو نرى — مَصَالاً لكنَّا الأقْرَبِين نتابع

يريد أنه من بني سُلَيْم، وسُلَيْمٌ من قيس، كما أن هَوَازِن من قَيْسٍ، كلاهما ابن منصور بن عِكْرَمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسٍ، فمعنى البيت: نقاتِل إخوتنا، ونذودهم عن إخوتنا من سُلَيْمٍ، ولو نرى في حكم الدين مَصالاً مَفْعَلاً من الصَّوْلَة، لكنا مع الأقربين هَوَازن:

ولكنَّ دِينَ اللهِ دينُ مُحَمَّدٍ — رضينا به في الهُدَى والشَّرَائِع

وفيه قوله:

دَعَانا إليه خيرُ وَفْدِ عَلِمتُهم — خُزَيْمَةُ والمَدَّارُ منهم وواسِعُ

هؤلاء وفد بني سُلَيْم وفدوا على النبيّ - ﷺ - فأسلموا، ثم دَعَوا قومهم إلى الإسلام، فذكر فيهم المَدَّار السُّلَميَّ، وواسعًا السُّلَمِيَّ، وخُزَيْمَةَ، وهو خُزَيْمَةُ بن جَزِيٍّ أخو حِبَّانَ بن جَزِيٍّ، وكان الدَّارَقُطْنِي يقول فيه: جِزيٌّ بكسر الجيم والزاي.

وفيها:

يدَ الله بينَ الأخْشَبَيْنِ نُبايع

---

(١) خذرف: سريع السير.

(٢) كانع: قريب.

(٣) مصالاً: اختيارًا.

من قول الله تعالى: ﴿إنَّ الذين يُبايعُونَك إنما يُبَايعون الله يَدُ اللهِ فوقَ أيْدِيهم﴾ [الفتح: ١٠] أقامَ يدَ رسولِ الله ﷺ مقام يدِه، كما قال - ﷺ - في الحَجَرِ الأسْوَدِ: «هو يَمِينُ اللهِ في الأرْضِ»[١]، أقامه في المُصَافحة والتَّقْبِيل مَقَامَ يمين المَلِكِ الذي يُصافح بها، لأن الحاجَّ وافدٌ على المَلِكِ الأعْلَى وزائرٌ بيتَه، فجعل تقبيلَه الحَجَر مُصَافَحَةً له، وكما جُعِلت يمينُ السائل الآخذ للصدقة المتقبلة يمينَ الرحمٰن سبحانه تَرْغيبًا في الصَّدَقة، وتبشيرًا بقبولها، وتعظيمًا لحُرمَةِ مَنْ أُعْطِيت له، فإنما أعطاها المتصدِّق لله سبحانه، وإيّاه سُبْحَانَه أَقْرَضَ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ويأخُذُ الصَّدَقاتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] وقال ﷺ: «إنما يضعها في كفِّ الرحمٰن يُرَبِّيها له»[٢] الحديث.

شعر عباس الكافي:

وقول عباس في الشعر الكافي:

إن الإلَـٰه بَـنـى عـلـيـك مَـحـبَّـةً   فـي خـلـقـه ومُـحَـمَّـدًا سَـمَّـاكَـا

معنى دقيق وغرض نبيل وتَفَطُّنٌ لحكمة نَبَوِيَّةٍ قد بيَّنّاها في غير موضع من هذا الكتاب وغيره في تسمية الله تعالى لنبيّه مُحَمَّدًا وأَحْمَد، وأنه اسم لم يكن لأحد من قومه قبله، وأنَّ أُمّه أُمِرَتْ في المنام أن تسمّيه محمدًا، فوافق معنى الاسم صفَةَ المسمَّى به موافقةً تامَّةً قد بينّا شَرْحَها هنالك، ولذلك قال: بَنَى عليكَ محبةً، لأن البناءَ تركيب على أُسٍّ، فأسَّسَ له سبحانه مُقَدِّمَاتٍ لِنُبوَّته منها: تسميتُه بمحمد قبل أن يُولد، ثم لم يزل يدرجه في محامد الأخلاق وما تحبّه القلوب من الشِّيم، حتى بلغ إلى أعلى المحامد مَرْتَبَةً، وتكاملت له المحبةُ من الخالق والخَلِيقة، وظهر معنى اسمِه فيه على الحقيقة، فهو اللَّبِنَةُ التي استتمّ بها البِنَاءُ، كما أخبر عليه السلام، وهذا كلّه معنى بيت عباس، حيث قال: إن الإلَـٰهَ بنى عليك، البيت.

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه (٦/٣٢٨) وابن عدي في الكامل (٢/١٧). وفيه إسحٰق بن بحر الكاهلي متّهم بالكذب والوضع. فالحديث باطل مرفوعًا، ورُوي موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث (٩٧). وفيه إبراهيم الخوزي وهو متروك الحديث. وانظر مزيد فائدة وبيان مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله تعالى وجزاه الله عنّا كل خير (٦/٣٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢/١٣٤) ومسلم وأحمد (٢/٣٣١) والبيهقي في الصفات (٤٢٥ - بتحقيقي).

وقال عباس بن مرداس أيضًا في يوم حُنَيْن:

تَـقَـطَّـعَ بـاقـي وَصْـلِ أمّ مُـؤَمَّـلِ ... بـعـاقـبـة واسـتـبـدَلَـتْ نِـيَّـةً خُـلْـفـا
وقد حَلَفَتْ بالله لا تقطَعُ القُوَى ... فمَا صَدقَت فيه ولا برَّت الحَلْفا
خُفافِيَّة[1] بَطْنُ العَقِيق مَصِيفُها ... وتحتلّ في البادين وَجْرَة[2] فالعُرْفا
فـإنْ تَـتْـبَـعِ الـكُـفَّـارَ أُمُّ مُـؤَمَّـلِ ... فقد زوّدَتْ قلبي على نأيها شَغْفا
وسـوفَ يُـنـبِّـيـهـا الـخَـبـيـرُ بـأنّـنـا ... أبَيْنا ولم نطلُبْ سِوَى رَبِّنا حِلْفا

الـدامـاء والـدأمـاء:

وقوله: في العَيْنِيَّةِ الأُخْرَى يصف الخيل:

أو هـي مَـقَـارَعَـةُ الأعـادي دمُّـهـا

يريد شَحْمَها، يقال: أَدْمِمْ قِدْرَكَ بِوَدَكٍ، ودَمَمْتُ الشيءَ: طَلَيْتُه، ومنه: الدَّامَّاءُ أحد جُحْرَةِ اليَرْبُوعَ، لأنه يَدُم بابه بقِشْرٍ رقيق من الأرض، فلا يراه الصائد، فإذا طُلِب من القاصعاء أو الرَّاهطَاءِ أو النَّافِقاء أو العَانُقاء، وهي الأبواب الأُخر نَطَحَ برأسِه بابَ الدَّامَّاءِ فخرقَه، وأما الدَّأْماء بالتخفيف، فهو البحر وهو فَعْلاَءُ، لأنه يُهْمَزُ فيقال: دَأْمَاء، قاله أبو عبيد.

شعر عبـاس الفـاوي:

وذكر شعر عبّاس الفاوي، وفيه:

بـعـاقِـبَـةٍ واسْـتَـبْـدَلَـتْ نِـيَّـةً خُـلْـفَـا

النيّة: من النوى وهو البُعْد. وخُلْفًا يجوز أن يكون مَفْعُولاً من أجله أي: فعلت ذلك من أجل الخُلْفِ، ويجوز أن يكون مصدرًا مؤكدًا للاسْتبدال، لأن استبدالها به خُلْفٌ منها لما وَعَدته به، ويقوّي هذا البيتَ البيتُ الذي بعده:

وقـد حَـلَـفَـتْ بـالله لا تـقـطـع الـقُـوَى

يعني: قُوَى الحَبْلِ، والحَبْلُ هنا: هو العَهْدُ، ثم قال:

فـمـا صَـدَقَـتْ فيه، ولا بَـرَّتِ الـحَـلْـفَـا

وهذا هو الخُلْفُ المتقدّمُ ذِكْرُه.

---

(١) خفافية: نسبة إلى الخفين.

(٢) وجرة: حفرة تقع فيها الماشية.

وأنَا مَعَ الهَادِي النَّبيّ محَمَّدٍ ... وفَينا ولم يستوفها مَعْشَرٌ ألْفا

بفِتْيان صِدْق من سُلَيم أعِزَّةٍ ... أطاعوا فما يغضُون من أمرِه حَرْفا

خُفافٌ وذَكْوَانُ وعَوْفٌ تَخالهم ... مَصَاعِبَ زافَتْ[1] في طَرُوقَتِها كُلْفا

كأن النَّسيجَ الشهْبَ والبيض مُلْبَسٌ ... أُسُودًا تلاقَتْ في مراصدها غُضْفا[2]

بنا عَزَّ دينُ اللهِ غيرَ تَنَحُّلٍ ... وزِدْنا على الحَيّ الذي معهُ ضِعْفا

بمكَّة إذْ جِئْنا كأنَّ لِوَاءَنا ... عُقابٌ أرَادَتْ بعد تَحْلِيقِها خَطْفا

على شُخَّصِ الأبصار تحسِبُ بينها ... إذا هِيَ جالت في مَرَاوِدِها عَزْفا[3]

غداة وَطِئْنا المُشركين ولم نَجِدْ ... لأمرِ رسولِ اللهِ عَدْلاً ولا صَرْفا

وقوله:

وَفَيْنَا ولم يَسْتَوْفِها مَعْشَرٌ ألْفَا

أي: وفينا ألْفًا ولم يَسْتَوْفها غيرُنا، أي: لم يَسْتَوْفِ هذه العدّةَ غيرُنا من القبائل.

وقوله:

إذا هي جالت في مَرَاودها عَزْفا

يجوز أن يكون جمع مِرْوَدٍ وهو الوَتَد، كما قال الآخرُ يصف طَعْنةً:

ومُسْتَنَّةٍ كاسْتِنَانِ الخرو ... فِ قد قَطَع الحَبْلَ بالمِرْوَدِ

والخروفُ هاهُنا في قول بعضهم: المُهْرُ، وقال آخرون: والفَرَسُ يسمّى خَروفًا، ومعناه عندي في هذا البيت أنها صِفة من خَرَفْتُ الثمرةَ إذا جَنَيْتُها فالفرسُ خَرُوفٌ للشَّجَرِ والنَّبَاتِ، لا نقول: إن الفَرَسَ يُسَمَّى خُرُوفًا في عُرْف اللغة، ولكن خَرُوف في معنى أَكُولٍ، لأنه يَخْرُف، أي: يأكل، فهو صفة لكل من فعل ذلك الفعل من الدَّوَابِّ، ويجوز أن يكون في مراودها جمع مَرَاد، وهو حيث تَرودُ الخيلُ تَذْهَبُ وتَجيء فَمَراد ومَرَاوِد، مثل مَقام ومَقَاوم، ومَنَار ومَنَاوِر.

---

(١) زافت: تمايلت وتبخترت.

(٢) غضفًا: مائلة.

(٣) عزفًا: أصوات الرياح.

بمغتَرك لا يَسْمَع القَوْم وَسْطَه | لَنا زَجمَة إلاّ التَّذامُرَ والنَّقْفا[1]
بِبِيضٍ نُطِيرُ الهامَ عن مُسْتَقَرّها | ونَقْطِفُ أعناقَ الكُماة[2] بها قَطْفا
فكائن تركْنا من قَتِيل ملَحَّبٍ | وأرْمَلَةٍ تَدْعو على بَعْلها لَهْفا
رِضَا الله نَنْوِي لا رضا الناس نبتغي | ولله ما يَبْدُو جميعًا ومَا يخفى

وقال عباس بن مرداس أيضًا:

ما بالُ عَيْنِكَ فيها عائرٌ[3] سَهِرٌ | مثلُ الحَماطةِ[4] أغْضى فوقَها الشُّفُر[5]

وقـولـه:

لـنـا زَجـمَـةٌ إلاّ الـتَّـذامُـرَ والـنَّـقْـفَـا

يقال: ما زَجَمُ زُجْمَةً، أي: ما نَبَس بكلمة، وقَوْسٌ زَجُومٌ، أي: ضعيفة الإرْنَان.

وقوله: إلاّ التَّذَامُرَ، أي: يُذَمِّر بعضُنا بَعْضًا، ويحَرِّضُه على القتل والنَّقْف: كسر الرُّؤوسِ، وناقِفُ الحَنْظَلةِ: كاسِرُها ومُسْتَخْرِجُ ما فيها.

النسب إلى حروف المعجم وتصغيرها:

قال المؤلف: وإنما قلنا في هذه القصيدةِ وفي التي بعدها الغَاوِيَّة والرَّاوِيَّة، لأن النسب إلى حروف المعجَم التي أواخرها أَلِفُ هكَذَا، هو بالواو، قاله أبو عُبَيْدٍ وغيرُه، وفي التصغير تُقْلَبُ ألفُها ياءً، تقول في تصغير باء: بُيَيَّة، وخاء: خُيَيَّة، وما كان آخرهُ حرفًا سالمًا من هذه الحروف قُلِبت ألفُه واوًا في التصغير، فتقول في الذَّالِ: ذُوَيْلَة، وفي الضاد: ضُوَيْدَة، وكذلك قال صاحبُ العين، وقياسُ الواو في النحو أن تُصَغَّر: أُوَيَّة بهمزة [في] أوّلها.

القصيـدة الراويـة:

وقول عباس في القصيدة الراوية:

مِثْلُ الحَمَاطَةِ أَغْضَى فوقها الشُّفُرُ

الحَمَاطَةُ من ورق الشجر: ما فيه خُشُونةٌ وحُرُوشَةٌ وقال أبو حنيفة: الحَمَاطُ: وَرَقُ التِّين الجَبَلِيّ. وقال أيضًا في باب القَطَانِي: الحَمَاطُ: تِبنُ الذُّرَة، إذا ذُرِّيَت، وله أُكَالٌ في

---

(١) النقفا: ضرب السيوف.
(٢) الكماة: الأبطال.
(٣) عائر: فيها قذى.
(٤) الحماطة: حرقة في الحلق.
(٥) الشفر: الشفاه.

عَيْنٌ تأوَّبها مِنْ شَجْوِها أرَق ... فالماءُ يَغْمُرها طَوْرًا ويَنْحَدر

كأنَّه نَظْمُ دُرّ عندَ ناظِمَةٍ ... تَقَطَّع السِّلكُ منه فهو مُنْتَثِرُ

يا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ ترجو مَودَّتَه ... ومَنْ أتى دُونَه الصمَّانُ[1] فالحَفَرُ

دَعْ ما تقدَّم من عهد الشَّباب فقَدْ ... وَلَّى الشَّبابُ وزارَ الشَّيْبُ والزَّعَرُ

واذْكُرْ بلاءَ سُلَيْمٍ في مواطنها ... وفي سُلَيْم لأهْل الفَخْر مُفْتَخر

قَوْمٌ هم نصَرُوا الرَّحمٰن واتَّبعوا ... دِينَ الرّسول وأمرُ النَّاس مُشْتَجِر

لا يَغْرِسونَ فَسِيلَ النَّخل وَسْطَهم ... ولا تخاوَرُ في مَشْتاهُم البَقَر

إلاّ سَوابحَ كالعِقْبانِ مقْرَبةً ... في دارَةٍ حَوْلها الأخْطارُ والعَكَرُ

تَدْعَى خُفافٌ وعَوْفٌ في جوانبها ... وحيُّ ذَكْوانَ لا مِيلٌ ولا ضُجُر

الضَّارِبونَ جُنود الشِّرْك ضاحِيَةً ... ببطْن مكَّة والأرواحُ تَبْتَدِرُ

حتى دَفَعْنا وقَتْلاهُمْ كأنَّهُمْ ... نَخْلٌ بظاهِرَة البَطْحَاءِ مُنْقَعِر

ونحنُ يومَ حُنَين كانَ مشهَدُنا ... للدين عِزًّا وعندَ الله مُدَّخَر

إذ نركبُ المَوْتَ مخضَرًّا بطائِنُه ... والخيْلُ ينجابُ عنها ساطعٌ كَدِر

الجِلْدِ. والعائر: كالشَّيْءِ يتنخَّس في العَين كأنه يَعُورُها، وجعله سَهِرًا، وإنما السَّهِرُ الرجل، لأنه لم يَفْتُرْ عنه، فكأنه قد سَهِر، ولم يَنَمْ، كما قال آخر في وصف بَرْقٍ:

حتى شئاها كليل موهِمًا عمل ... باتت طِرَابًا وبات الليلُ لم يَنَمِ

شئاها: شاقها، يقال: شاه وشاءه بمعنى واحد، أي: شاقه، وأنشد:

ولقد عهدت تشاء بالأظعان

فتأمله فإنه بديع من المعاني.

وقوله: الصَّمَّان والحَفَرُ: هما موضعان، وإليه ينسب أبو داود الحَفَري من أهل الحديث. والعَكَر: جمع عَكَرةٍ، وهي القِطْعَةُ الضَّخمَةُ من المال. وعَكَرةُ اللسانِ أيضًا: أصلُه، وما غلظ منه، وعَكَدَتُه أيضًا بالدال.

---

(١) الصمّان: الصخور الشديدة.

تحت اللِّواء مع الضحاك يقْدُمنا كما مَشَى اللَّيثُ في غاباتِه الخَدِر[1]

في مأزِقٍ من مَجَرّ الحزبِ كَلْكَلُها[2] تكادُ تأفِلُ منه الشَّمْسُ والقَمَر

وقد صَبَرْنا بأوْطاسٍ أسِنَّتَنا للهِ نَنْصُرُ مَنْ شِئْنا ونَنْتَصِرُ

حتى تأوَّبَ أقْوَامٌ منازِلَهم لولا المليكُ ولولا نحنُ ما صَدَرُوا

فمَا تَرى مَعْشَر قَلُّوا ولا كَثُرُوا إلاَّ قَدَ أصْبَحَ مِنَّا فِيهم أثَر

وقال عبَّاس بن مِرْداس أيضًا:

يا أيها الرَّجل الذي تَهْوِي به وجْناهُ[3] مُجْمَرَة المَناسم[4] عِرْمِسُ[5]

إمَّا أتَيْتَ على النَّبِيّ فقُلْ لَهُ حَقًّا عَلَيكَ إذا اطْمَأنَّ المجْلِسُ

يا خيرَ من رَكِبَ المطِيَّ ومنْ مَشَى فوقَ التراب إذا تُعَدُّ الأنْفُسُ

قصيدة عباس السينية:

وقوله في السِّينية:

وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ المناسِم عِرْمِس

وَجْناء: غليظة الوَجنات بارزتها، وذلك يدل على غئور عينيها، وهم يصفون الإبل بغئور العينين عند طُول السفار، ويقال: هي الوَجْنَة في الآدميين، رَجُلٌ مُوجِنٌ وامرأة مُوجِنَةٌ، ولا يقال: وَجْنَاءُ. قاله يعقوب. ومُجْمَرَةُ المناسِم، أي: نكبت مَنَاسِمَها الجمارُ، وهي الحِجارة، والعِرْمِسُ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ، وتُشَبَّه بها الناقة الجَلْدة، وقد يريد بمُجْمَرَةٍ أيضًا أن مناسمَها مجتمعةٌ مُنْضَمَّةٌ، فذلك أقوى لها، وقد حكي أجمرت المرأةُ شَعْرَها إذا ظفرته وأجمر الأمير الجيش أي: حبسه عن القفول قال الشاعر:

مُعَاوِيَ إمَّا أن يُجَهَّز أهلُنا إلينا، وإما أنْ نؤوبَ معاويا

أأَجْمَرْتَنا إجمَار كَسْرَى جُنُودَه ومَنَّيْتَنا حتى نَسِينا الأمانِيَا

(١) الخدر: أجمة الأسد.
(٢) كلكلها: غمارها.
(٣) وجناه: عظيمة الوجنات.
(٤) المناسم: الخدين.
(٥) عرمس: ناقة قوية.

إنا وَفَيْنا بالذي عاهَدْتَنا … والخيلُ تُقْدَعُ[1] بالكُماة وتُضْرَس

إذْ سالَ مِنْ أفناء بُهْثَةَ كُلِّها … جمعٌ تَظَلّ به المخارِمُ[2] تَرْجُس

حتى صَبَحْنا أهلَ مكّة فَيْلَقًا … شَهْبَاءَ يقدُمُها الهُمامُ الأشْوَسُ[3]

من كلِّ أغْلَبَ من سُلَيم فوقَهُ … بيضاءُ مُحْكمَة الدّخال وقَوْنَس[4]

يُروِي القناة إذا تجاسَر في الوَغَى … وتخالُه أسَدًا إذا ما يَعْبِسُ

يَغْشَى الكَتِيبَةَ مُعْلِمًا وبِكَفِّه … عَضْبٌ[5] يَقُدُّ به ولَدْنٌ مِدْعَسُ[6]

وعلى حُنَيْن قد وَفى مِن جمْعِنا … ألْفٌ أُمِدّ به الرَّسُول عَرَنْدَس[7]

كانُوا أمامَ المُؤمِنين دَرِيئَةً … والشَّمْسُ يومئذ عليهم أشمُس

نَمْضِي ويَحْرُسُنا الإلهُ بحِفْظِه … والله ليسَ بضائع من يَحْرُسُ

ولقد حُبِسْنا بالمَناقِب مَحْبِسًا … رَضِيَ الإلهُ بِهِ فَنِعْمَ المحْبِسُ

وغَدَاةَ أوْطاس شَدَدْنا شَدَّةً … كفَتِ العدوّ وقيل منها يا احبِسوا

وقوله:

كانوا أمامَ المؤمنين دَرِيئةً

الدريئة: الحَلْقَة التي يتعلّم عليها الرمي، أي: كانوا كالدَّرِيئَةِ للرِّمَاحِ وقوله:

والشَّمسُ يومئذ عليهم أَشْمَسُ

يريد: لَمَعَانَ الشمسِ، في كل بَيْضَةٍ من بَيْضَاتِ الحديد، والسيوف، كأنها شَمسٌ، وهو معنى صحيح وتشبيه مليح.

وفيها قوله:

والخيلُ تُقرَعُ بالكُماة وتُضرَس

أي: تضرب أضراسُها باللُّجم. تقول: ضَرَسْتُه، أي: ضربت أضراسه، كما تقول: رَأَسْتُه، أي: أَصَبْت رأسَه.

---

(١) تقدع: تدفع.
(٢) المخارم: الطرق الجبلية.
(٣) الأشوس: البطل وجمعها: أشاوس.
(٤) القونس: بيضة الدرع.
(٥) عضب: حديد الرمح.
(٦) مدعس: طعّان.
(٧) عرندس: أسد ضخم.

تَـدْعُـو هـوازِنُ بـالإخـاوة بَـيْـنـنـا ... ثَـدْيٌ تَـمُـدّ بـه هـوازِنُ أيْـبَـسُ

حتـى تَـرَكْـنـا جـمْـعَـهـم وكـأنَّـه ... عَـيْـرٌ تَـعـاقَـبُـه الـسِّـبـاعُ مُـفَـرَّسُ

قال ابن هشام: أنشدني خلفٌ الأحمر قوله: «وقيل منها يا اخْبِسوا».

قال ابن إسحٰق: وقال عباس بن مرداس أيضًا:

نَـصَـرْنـا رسـولَ الله مـن غَـضَـبٍ لـه ... بـألـفِ كَـمِـيّ لا تُـعَـدُّ حَـوَاسِـره

حمَلْنـا لـه فـي عـامِـل الـرّمْـح رايـةً ... يذودُ بها في حَوْمة الموْت ناصرُه

ونحـن خَضَبْناها دَمًا فهْو لَوْنُهـا ... غـداةَ حنين يومَ صفوانُ شاجِرُه

وكـنَّـا عـلـى الإسْـلام مَـيْـمَـنَـةً لـه ... وكـانَ لـنـا عَـقـدُ الْـلـواءِ وشـاهِـرُه

وكُـنَّـا لَـهُ دُون الـجُـنـودِ بِـطـانَـةً ... يُـشـاوِرُنـا فـي أمْـرِه ونُـشـاوره

دعـانـا فـسمَّـانـا الـشِّـعـارَ مُـقَـدَّمَـا ... وكُـنَّـا لـهُ عَـوْنًـا عـلـى مَـن يُـنـاكِـره

جَـزَى الله خَـيرًا مـن نـبيّ مـحـمـدًا ... وأيَّـده بـالـنَّـصْـر والله نـاصِـرُه

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «وكنَّا على الإسلام» إلى آخرها، بعضُ أهل العلم بالشعر، ولم يعرف البيت الذي أوّله:

حـمـلـنـا لـه فـي عـامِـل الـرمْـح رايـة

وأنشدني بعد قولـه:

وكـان لـنـا عَـقْـد الْـلـواء وشـاهـرُه

ونـحـن خـضَـبـنـاه دمًـا فـهـو لـونـه

قال ابن إسحٰق: وقال عباس بن مرداس أيضًا:

مَـنْ مُـبْـلِـغ الأقْـوَام أنَّ مـحـمَّـدًا ... رسولُ الإلٰه راشدٌ حيثُ يَمَّمَا[1]

دَعـا ربَّـه واسـتَـنْـصـر الله وَحْـدَه ... فـأصبَـح قـد وَفَّـى إلـيـه وأنْـعَـمـا

سَـرَيْـنـا وواعـدنـا قُـدَيْـدًا مـحـمـدًا ... يَـؤمّ بـنـا أمـرًا مِـنَ اللهِ مُـحْـكَـمَـا

تمارَوْا[2] بنا في الفَجْر حتى تَبَيَّنوا ... مـعَ الـفَـجـرِ فِـتْـيـانًـا وغـابًـا مُـقَـوْمـا

....

(١) يمما: توجه.

(٢) تماروا: شكوا.

على الخَيْلِ مشدُودًا علينا دُروعُنا ورَجْلاً كدُفَّاع الأتِيّ عرَمرَما[1]

فإنّ سَراة الحيّ إنْ كنتَ سائِلاً سُلَيْمٌ وفيهمْ منهُمُ مَنْ تَسَلَّما

وجنْدٌ مِنَ الأنْصار لا يخذلُونه أطاعوا فمَا يَعْصُونَهُ ما تَكَلَّما

فإن تكُ قد أمَّرتَ في القوْمِ خالِدًا وقدَّمْتَه فإنَّه قدْ تقدّما

بجُنْد هَداهُ الله أنْتَ أميرُه تُصيبُ به في الحقّ من كان أظْلَما

حَلَفْتُ يمينًا برَّةً لِمُحَمَّدٍ فأكْمَلْتُها ألفًا مِن الخَيْل مُلْجَما

وقال نبيّ المُؤْمِنينَ تَقدَّموا وحُبَّ إلينا أن نَكون المُقَدَّما

وبِتْنا بنهْي المُسْتَدير ولم يَكُنْ بنا الخوفُ إلا رَغْبةً وتَحَزّما

أطَعْناكَ حتى أسْلَمَ النَّاسُ كلُّهُم وحتى صَبَحْنا الجمعَ أهلَ يلَمْلَما

يَضِلّ الحِصان الأبلَقُ الوَرْدُ وسْطه ولا يَطمَئنّ الشَّيْخُ حتى يُسَوْما[2]

سَمَوْنا لهُم وِرْد القَطا زَفَّهُ ضُحَى وكلّ تراهُ عن أخيه قَد احْجَما

لدُنْ غُدْوَةً حتى تَرَكْنا عَشِيَّةً حُنَيْنًا وقد سالَتْ دَوافعُه دَما

إذا شئْتَ مِنْ كلّ رأيْتَ طِمِرَّةً[3] وفارسَها يَهْوِي ورُمحًا مُحَطَّمَا

وقد أحْرَزت منَّا هوازنُ سَربَها وحُبَّ إليها أن نَخيبَ ونُحْرَما

قصيدة عباس الميمية:

وقوله: في كلمته المَيمِيَّة: وفيهمْ مِنْهُمُ مَنْ تَسَلَّما.

يريد: وفي سُلَيْم مَنْ اعْتَزى إليهم من حُلَفائهم، فتَسَلَّم بذلك، كما تقول: تَقَيَّس الرجلُ، إذا اعْتَزَى إلى قَيْسٍ. أنشد سِيبوَيْه:

وقَيْس عَيْلانَ ومَنْ تَقَيَّسَا

---

(١) عرمرمًا: جيش كبير.

(٢) يسوما: أي يوسم بعلامة.

(٣) طمرة: الفرس طويل القوائم.

شعر ضمضم في يوم حنين

قال ابن إسحٰق: وقال ضَمْضَم بن الحارث بن جُشَمَ بن عَبْد بن حبيب بن مالك بن عَوْف بن يَقَظة بن عُصَيَّة السُّلَميّ في يوم حُنَين، وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكَم بن خالد بن الشَّرِيد، فقتل به مِحْجَنًا وابن عمّ له، وهما من ثقيف:

نحن جَلَبْنا الخيلَ من غير مَجْلَب ... إلى جُرَشٍ من أهل زيَّان والفَمِ
نُقَتِّلُ أشبالَ الأُسُود ونبتغي ... طَوَاغِيَ كانَتْ قبلَنا لم تُهدم
فإن تَفْخَروا بابن الشَّرِيد فإنَّني ... تركْتُ بوجّ مأتمًا بعدَ مأتم
أباتُهما بابن الشَّرِيد وغَرّه ... جِوارُكُم وكان غيرَ مُذَمَّم
تُصيبُ رجالاً من ثقيف رِماحُنا ... وأسيافُنا يَكْلِمْنَهُمْ كلّ مَكْلَم

وقال ضَمْضَم بن الحارث أيضًا:

أبْلغْ لديكَ ذَوي الحَلائل آيةً ... لا تأْمَنَنَّ الدَّهرَ ذاتَ خِمار
بَعْد التي قالَتْ لجارَة بيْتها ... قد كنتُ لو لَبِثَ الغزيُّ بِدار
لمَّا رأتْ رجلاً تسَفَّع لونَه ... وَغْرُ المَصِيفةِ والعِظام عوارِي
مُشُطَ العِظام تراه آخِرَ لَيْلِه ... مُتَسَرْبِلاً في دِرْعِهِ لِغَوار
إذا لا أزالُ على رِحالةِ نَهْدَةٍ ... جرْداءَ تُلْحِقُ بالنِّجاد إزاري

حول قصيدة ضمضم بن الحارث

وأنشد لضَمْضَم بن الحارثِ، وهو ممن شهد حُنَيْنًا مع المسلمين، وكان ينبغي لأبي عُمَرَ رحمه الله أن يذكره في الصَّحابة، لأنه من شَرْطه، فلم يفعل، وقد أنشد له ابن إسحٰق ما يدلّ على أنه منهم لقوله:

يَوْمًا على أَثَرِ النِّهَابِ وتَارَةً ... كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مع الأنصار

يعني: فرسه، وكذلك لم يذكر أبو عُمَرَ ضَمْضَم بن قَتَادَةَ العُجَلِيّ، وله حديث مشهور في قدومه على النبيّ ﷺ، وذلك أنه قال له: يا رسول الله إني قد تزوجت امرأة فولدت لي غُلامًا أَسْوَد، فقال له النبيّ ـ ﷺ ـ: «هل لك من إبِلٍ»، فقال: نعم[1] والحديثُ مشهور،

---

(١) الحديث. أخرجه البخاري (٧/٦٨) ومسلم (١١٣٧) وأبو داود (٢٢٦٠ ـ بتحقيقي) والترمذي (٢١٢٨) والنسائي (٦/١٧٨) وابن ماجة (٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣) وأحمد (٢/٢٣٩).

يـوْمًـا عـلـى أثَـرِ الـنِّـهـابِ وتـارَةً   كُـتِـيَـبْـتُ مُـجَـاهِـدَةً مـع الأنْـصَـار
وزُهـاءَ كُـلِّ خَـمِـيـلَـةٍ أزْهَـقْـتُـهـا   مَـهَـلاً تَـمَـهَّـلُـه وكـلُّ خَـبـارِ
كـيـمـا أُغَـيِّـر مـا بـهـا مِـنْ حـاجَـة   وتَـــودُّ أنـــي لا أؤُوب فَـــجَـــارِ

رثـاء أبي خراش لابن العجوة

قال ابن هشام: حدّثني أبو عبيدة قال: أُسِر زُهير بن العَجْوَة الهُذَليّ يوم حنين، فكُتِف، فرآه جميل بن مَعْمَر الجُمَحيُّ، فقال له: أأنت الماشي لنا بالمغايظ؟ فضرب عنقه؛ فقال أبو خِراشِ الهُذَليّ يَرْثيه، وكان ابن عمه:

عَجَّفَ أضْيافي جميلُ بن مَعْمَرٍ   بـذي فَـجَـرٍ تـأوِي إلـيـه الأرَامِـلُ
طَويل نِجاد السَّيف ليس بجَيْدر   إذا اهتزّ واسترْخَتْ علَيْه الحَمائلُ
تَـكـادُ يَـدَاهُ تُـسْـلِـمـانِ إزَارَهُ   من الجُودِ لمَّا أذْلَقَتْه الشَّمائلُ
إلى بيْته يأوِي الضَّريكُ إذا شَتا   ومُسْتَنْبِحٌ بالي الدِّرِيسَيْن عائل

غير أنه لم يُسَمَّ باسْمِه في الصحيحين، وسمّي في بَعْضِ المُسْنَدات، وذكره عبد الغني في المُبْهَمَاتِ، وذكر عبدُ الغني في الحديث زيادة حسنة قال: كانت المرأة من بني عِجْلٍ، فقدم المدينةَ عجائزُ من عِجْل، فسُئِلْن عن المرأةِ التي ولدت الغلامَ الأسودَ، فقلن: كان في آبائها رَجُلٌ أسْوَدُ.

شعر أبـي خـراش

وذكر شِعْرَ أبي خَراشٍ، واسمه: خُوَيْلِدُ بن مُرَّةَ شاعر إسلامي مات في خلافةِ عمر رحمه الله: من نَهْشِ حَيَّةٍ نَهَشَتْه، كان سببها أضيافٌ نزلوا به، وخبره بذلك عجيب، وله فيه شعر. والخِرَاشُ: وَسْمُ لإبل يكون من الصَّدْغ إلى الذَّقَن: فقوله:

تـــكـــاد يـــداه تُـــسْـــلِـــمـــان إزارَه   مـن الـجُـوْدِ لـمـا أذْلَـقَـتْـه الـشـمـائـلُ

يريد: أنه من سَخَائه، يريد أن يتجرَّد من إزارِه لسائله، فيُسْلِمه إليه، وألفيت بخطِّ أبي الوليد الوقشي: الجود هاهنا، وعلى هذه الرواية، وبهذه الرُّتبة: السَّخاءُ، وكذلك فسّره الأصْمَعي والطّوسِي، وأمَّا على ما وقع في شِعْرِ الهُذَلِيِّ، وفسّر في الغريب المصنف، فهو الجوعُ وموضعُه في الشعر المذكور يتلو قولَه: تَرَوَّح مَقْرُورًا.

وفي الغريب رداءَه بدل إزاره.

تَـروَّح مَـقْـرُورًا وهـبَّـتْ عـشِـيَّـة ... لـهَـا حَـدَبٌ تـحـتَـثُّـه فـيُـوَائـلُ

فما بالُ أهل الدَّار لم يَتصدّعوا ... وقد بانَ منها اللَّوْذعيُّ الحُلاحِلُ

فـأُقْـسِـم لـو لاقـيـتَـه غـيـرَ مُـوثَـق ... لآبك بالنَّعْف الضُّباعُ الجيائلُ

وإنَّـك لـو وَاجَـهْـتَـه إذ لَـقـيـتَـه ... فـنـازلـتـه أو كـنـتَ مـمَّـن يُـنـازل

لظلَّ جميلٌ أفحشَ القوْم صِرْعَة ... ولكنَّ قِرْنَ الظَّهْر للمَرْءِ شاغل

فـلـيْـسَ كـعَـهْـدِ الـدار يـا أُمّ ثـابـتِ ... ولكنْ أحاطَتْ بالرّقابِ السَّلاسِل

وعاد الفَتى كالشَّيْخ ليس بفاعل ... سوَى الحقّ شيئًا واستراحَ العواذِل

وأصبَـحَ إخْـوَانُ الـصـفـاء كـأنَّـمـا ... أهالَ عليهم جانِبَ التُّرْبِ هائلُ

فـلا تَـحْـسَـبي أنّي نسبتُ لَيالِيًا ... بـمـكَّـةَ إذ لـم نَـغْـدُ عـمَّـا نُـحـاوِلُ

إذِ الـنَّـاس نـاسٌ والـبـلادُ بـغِـرّة ... وإذْ نحن لا تُثني علَيْنا المَداخلُ

وقـولـه:

ولـكـن قِـرْنَ الـظَّـهْـر لـلـمـرء شـاغـل

قِرن بالقاف: جمعه: أقْرَان، ويُروى:

ولـكـن أقـرَانَ الـظـهـورِ مَـقَـاتِـل

مَقاتل: جمع مِقْتَل بكسر الميم، مثل مِخرَبِ من الحرب، أي: من كان قِرْن طهر، فإنه قاتلٌ وغالب.

وقوله يصف الريح:

لـهـا حَـدَبٌ تَـحْـتَـثُّـه فَـيُـوائـل

بالحاء المهملة وقع في الأصل، وقد يسمّى انحدار الماء ونحوه حَدَبًا، فيكون هذا منه، وإلاّ فالخَدَبُ بالخاء المنقوطة أشبهُ بمعنى البيت، لأنهم يقولون: ريح خَدْبَاءُ كان بها خدبًا، وهو الهَوجُ.

ابن عوف يعتذر عن فراره

قال ابن إسحٰق: وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فِراره:

مَنَعَ الرِّفادَ فَمَا أُغمِضُ ساعةً ... نعَمٌ بأجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخَضْرَمُ
سائلْ هوازِنَ هل أضُرُّ عدوَّها ... وأُعِينُ غارِمَها إذا ما يَغْرَمُ
وكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُها بكَتِيبَةٍ ... فِئَتَين منها حاسِرٌ ومُلأمُ
ومُقَدَّمٍ تَعْيا النُّفوسُ لضِيقه ... قَدَّمتُه وشُهُودُ قَومي أعْلَمُ
فَوَرَدْتُه وتَرَكْتُ إخْوَانًا لهُ ... يَرِدُون غَمْرته وغَمْرَتُه الدَّمُ
فإذا انجَلَتْ غمراتُه أوْرَثْنَني ... مَجْدَ الحَياة ومجْدَ غُنْم يُقْسَم
كلَّفتموني ذَنْبَ آل مُحَمَّدٍ ... والله أعلَمُ مَنْ أعَقُّ وأظْلَمُ
وخَذلتمُوني إذ أُقاتلُ واحدًا ... وخَذلتمُوني إذ تُقاتلُ خَثْعَمُ
وإذا بَنَيْت المَجْدَ يهْدم بعضُكم ... لا يَسْتَوِي بانٍ وآخَرُ يَهْدِمُ
وأقَبَّ مِخْماصِ الشتاءِ مُسارِعٍ ... في المَجْد يَنْمي للعُلى مُتَكَرّم
أكْرَهْتُ فِيهِ ألَّةً يَزَنِيَّةً ... سَحْماءَ يَقْدُمُها سِنان سَلْجَم
وتَرَكْتُ حَنَّتَه تَرُدُّ وَليَّه ... وتقولُ ليس على فُلانَةَ مقدمُ
ونصبْتُ نَفْسي للرّماح مُدَجَّجًا ... مثل الدَّرِيئةِ تُسْتَحَلّ وتُشْرَم

هوازني يذكر إسلام قومه:

قال ابن إسحٰق: وقال قائل في هوازن أيضًا، يذكر مسيرَهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه:

أذْكُرْ مسيرَهُم للنَّاس إذ جَمَعُوا ... ومالكٌ فوقَه الراياتُ تَخْتَفِقُ

من شعر مالك بن عوف

وذكر في آخر بيت من شعر مالك بن عوف:

مثلُ الدَّرِيئَة تستحلّ وتشرم

الدريئة: الحلقة التي يتعلّم عليها الطعن، وهو مهموز، وتُسْتَحَلُّ بالحاء المهملة، وقع في الأصل، وفي غيره: تُسْتَخَلُّ بالخاء مُعْجَمَةً، وهو أظهر في المعنى من الخِلاَل، وقد يكون لِتُسْتَحَلَّ وَجْه من الحلّ إذ بعده تُشْرَمُ، وكلاهما قريب في المعنى.

وَمَالِكٌ مَالِكٌ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ ... يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ التَّاجُ يَأْتَلِقُ
حتى لَقُوا الباسَ حينَ الباسُ يقدُمُهم ... عليهمُ البَيْضُ والأبدانُ والدَّرَقُ
فضارَبُوا الناسَ حتى لم يروْا أحَدًا ... حوْلَ النَّبيّ وحتى جَنَّهُ الغَسَقُ
ثُمَّتَ نُزِّلَ جبريلٌ بنَصْرِهِم ... مِنَ السَّماءِ فَمَهْزومٌ ومُعْتَنَقُ
منَّا ولو غيرُ جبريلٍ يُقاتِلُنا ... لمنَّعَتْنا إذَنْ أسيافُنا العُتُقُ
وفاتَنا عُمَرُ الفاروق إذ هُزِمُوا ... بطعنةٍ بلَّ منها سَرْجَه العَلَقُ

جشمية ترثي أخويها:

وقالت امرأة من بني جُشَم ترثي أخوَين لها أُصيبا يوم حنين:

أعَيْنَيَّ جُودَا على مالِكِ ... مَعًا والعلاءِ ولا تَجْمُدَا
هُما القاتِلانِ أبا عامِرٍ ... وقد كان ذَا هَبَّةٍ أرْبدا
هما تركاهُ لدى مُجْسَدٍ ... يَنُوءُ نَزيفًا وما وُسِّدا

أبو ثواب يهجو قريشًا:

وقال أبو ثواب زيدُ بن صُحَار، أحد بني سعد بن بكر:

ألا هل أتاك أنْ غَلَبَتْ قرَيشٌ ... هَوازنَ والخُطوبُ لها شُرُوطُ
وكُنَّا يا قُرَيْش إذا غَضِبْنا ... يجيءُ مِن الغِضاب دم عَبيط
وكُنا يا قُرَيْش إذا غَضِبْنا ... كأنَّ أنوفَنا فيها سَعوط
فأصْبَحْنا تُسَوِّقُنا قُرَيْشٌ ... سِياقَ العِيرِ يحْدُوها النَّبيط
فلا أنا إن سُئلتُ الخَسفَ آبٍ ... ولا أنا أنْ ألينَ لَهُم نَشيط
سَيُنْقلُ لحمُها في كلِّ فَجٍّ ... وتكتَبُ في مسامعها القُطوط

ويُروى «الخطوط»، وهذا البيت في رواية أبي سعد.

قال ابن هشام: ويقال: أبو ثواب زياد بن ثواب. وأنشدني خلَف الأحمر قوله:

يجيءُ من الغضاب دَم عبَيطُ[1]

....

---

(١) عبيط: أي طري.

وآخِرَها بَيْتًا عن غير ابن إسحٰق.

ابن وهب يردّ على ابن أبي ثواب:

قال ابن إسحٰق: فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم، ثم من بني أسيِّد، فقال:

بَشرطِ اللهِ نضربُ مَن لَقينا ... كأفضلِ ما رأيتَ مِن الشُروط
وكنّا يا هوازنُ حينَ نَلْقَى ... نَبُلّ الهامَ من عَلَق عَبِيط
بجَمْعِكُمُ وجمْع بني قَسِيّ ... نَحُكّ البَرْكَ كالوَرَقِ الخَبِيط
أصَبْنا مِنْ سَراتِكُم ومِلْنا ... بقَتلٍ في المُبايِن والخَلِيط
بهِ المُلْتاثُ مُفترِشٌ يَدَيْهِ ... يَمُجُّ الموْتَ كالبَكر النَّحِيط
فإنْ تَكُ قَيْسُ عَيْلانٍ غِضابًا ... فلا يَنفَكُّ يُرْغِمُهُمْ سَعُوطِي

شعر خديج في يوم حنين:

وقال خَدِيج بن العوجاءِ النَّصْري:

لمّا دَنَوْنا مِن حُنَيْنَ ومائِه ... رأيْنا سَوادًا منكرَ اللَّون أخْصَفا
بمَلْمُومَةٍ شَهْباءَ لو قَذَفُوا بها ... شَماريخَ من عُزْوَى إذن عادَ صَفْصَفا
ولو أنّ قَوْمي طاوَعَتْني سَراتُهم ... إذَنْ ما لَقينا العارضَ المُتَكَشِّفا
إذنْ ما لقَينا جُنْدَ آل محمَّد ... ثمَانينَ ألْفًا واسْتَمَدُّوا بخندفا

ذكر غزوة الطائف بعد حنين في سنة ثمان

ولما قَدِم فَلُّ ثقيفِ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها، وصَنعوا الصنائع للقتال.

غـزوة الطائـف(١)

ذكر بعضُ أَهْلِ النَّسَبِ أن الدَّمُونَ بن الصَّدِفِ، واسم الصَّدِفِ: مَلِكُ بن مالِك بن مُرَتِّع بن كِنْدَةَ من حَضْرَمَوْتَ أصاب دَمًا من قومه، فلحق بثَقِيفٍ، فأقام فيهم، وقال لهم: ألا أبني لكم حائطًا يُطِيفُ ببلدِكم، فبناه، فسُمِّي به الطائف، ذكره البكري هكذا قال: وإنما هو الدَّمُون بن عُبَيْدِ بن مالك بن دَهْقَلٍ، وهو من الصَّدِفِ، وله ابنان أدركا النبيَّ - ﷺ - وبايعاه، اسم أحدهما: الهُمَيْل، والآخر: قَبِيصَةُ، ولم يذكرهما أبو عُمَرَ في الصحابة، وذكرهما غيره.

وذكر أن أصل أعنابها أن قَيْس بن مُنَبِّه، وهو ثقيف أصاب دمًا في قومه أيضًا، وهم إيادٌ ففرّ إلى الحجازِ، فمرّ بامرأةٍ يهوديّة فآوته، وأقام عندها زمانًا، ثم انتقل عنها، فأعطته قُضُبًا من الحُبْلَةِ وأمرته أن يغرِسَها في أرض وصفتها له، فأتى بلاد عَدْوَانَ، وهم سكّان الطائف في ذلك الزمان، فمرّ بسُخَيْلَةَ جارية عامر بن الظَّرِبِ العَدْوَانِيّ، وهي ترعى غَنَمًا، فأراد سِبَاءَها، وأخذ الغنم، فقالت له: ألا أدلّك على خير مما هَممْتَ به، اقْصِدْ إلى سيّدي وجاوره فهو أكرم النّاس، فأتاه فزوَّجه من بنْتِه زينبَ بنتِ عامر، فلما جلَت عَدْوَانُ عن الطائف بالحروب التي وقعت بينها أقام قَسِيٌّ، وهو ثَقيفٌ، فمنه تناسَل أهلُ الطائف، وسُمّي: قَسِيًّا بقسوة قلبه حين قَتَل أخاه أو ابن عمّه، وقيل: سُمّي ثَقِيفًا لقولهم فيه: ما أَثْقَفه حين ثَقِفَ عامرًا حتى أَمِنَه وزَوَّجه بنتَه.

---

(١) انظر البداية (٤/ ٣٤٤) الطبري (٣/ ٨٢) الطبقات (٢/ ١/ ١١٤) المنتظم (٣/ ٣٤١) الواقدي (٣/ ٢٢) ابن حزم (٢٩٠) الزاد (٣/ ٤٩٥) والبخاري (٥/ ١٥٦).

ولم يشهد حُنَيْنًا ولا حِصارَ الطَّائف عُروةُ بن مسعود، ولا غَيْلان بن سَلَمة، كانا بجُرَش يتعلّمان صنعة الدَّبَّابات والمَجانيق والضُّبُور.

وذكر بعضُ المفسّرين وجهًا آخر في تسميتها بالطائفِ، فقال في الجنّة التي ذكرها الله سبحانه في سورة «نٓ» حيث يقول: ﴿فطاف عليها طائِفٌ من رَبِّك وهم نائمون﴾ [القلم: ١٩]. قال: كان الطائفَ جبريلُ عليه السلامُ اقتلعها من مَوْضِعِها، فأصبحت كالصَّرِيم، وهو الليل، أصبح موضعُها كذلك، ثم سار بها إلى مكّة، فطاف بها حَوْل البيت، ثم أنزلها حيث الطائف اليوم، فسُمِّيَتْ باسم الطائفِ الذي طاف عليها، وطاف بها، وكانت تلك الجنّة بضَروانَ على فراسِخَ من صَنْعَاءَ، ومن ثَمَّ كان الماءُ والشجرُ بالطائف دون ما حولها من الأَرضِين، وكانت قصّةُ أصحابِ الجنّة بعد عيسى ابن مريم صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلم بيسيرٍ، ذكر هذا الخبَر النقاشُ وغيرُه[١].

فإن قيل: فإذا كان ثقيفٌ هو قَسِيّ بن مُنَبِّهٍ، كما قال ابن إسحٰق وغيرهُ، فكيف قال سيبويه حاكيًا عن العرب: ثقيف بن قَسِيّ، فجعله ابنًا لِقَسِيّ؟

قيل: إنما أراد سيبويه أن الحَيَّ سُمّي ثقيفًا، وهم بنو قَسِيٍّ، كما قالوا: باهلة بن أُعْصُرَ، وإنما هي أُمهم، ولكن سُمِّي الحَيُّ بها، ثم قيل فيه: ابنُ أَعْصُر، كذلك قالوا: ثقيف بن قَسِيّ على هذا، ويُقوّي هذا أن سِيبَوَيْه إنما قال حاكيًا: هؤلاء ثقيف بن قَسِيٍّ.

آلات الحرب المستعملة في الطائف:

فصل: «وذكر تعلّم أهل الطائف صنعة الدبّابات والمجانيق والضبور. الدبّابة: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبّون بها إلى الأسوار لينقبوها، والضبور: مثل رؤوس الأسفاط يتقى بها في الحرب عند الانصراف، وفي العين: الضبر: جلود يغشى بها خشب يتقّى بها في الحرب. وفي الحديث عن الزهري أن الله تبارك وتعالى حين مسخ بني إسرائيل قردة مسخ رمانهم المظ، وبرهم الذرة، وعنبهم الأراك، وجوزهم الضبر، وهو من شجر البرية وله ثمر كالجوز لا نفع فيه، فهذا معنى آخر غير الأوّل، وقال أبو حنيفة في الضبر: إنه كالجوز ينوّر ولا يطعم. قال: ويقال: أظل الظلال: ظل الضبرة وظل التنعيمة، وظل الحجر، قال: وورقها كدار كثيفة، فكان ظلها لذلك ألمى كثيف، وأما المظ الذي تقدّم ذكره في الحديث فهو ورمان البر ينوّر، ولا يثمر، وله جلنار كما للرمان يمتصّ منه المذخ، وهو عسل كثير يشبع من امتصّه حتى يملأ بطنه، ذكره أبو حنيفة من النبات»[٢].

---

(١) أقوال تفتقر إلى الدليل الصحيح ليقوم بها.

(٢) ما بين القوسين ساقط من ط. عبد الرحمٰن الوكيل رحمه الله تعالى.

ثم سار رسولُ الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين؛ فقال كَعْب بن مالك، حين أجمع رسولُ الله ﷺ السيرَ إلى الطائف:

شعر كعب

قَضَيْنا مِنْ تِهامة كلَّ رَيْبٍ ... وخَيْبَرَ ثم أجمَمْنا السُّيوفا
فَلَسْتُ لحاضِنٍ إنْ لم ترَوْها ... بساحة داركم منَّا أُلوفا
ونَنْتَزِعُ العُرُوش ببطن وَجّ ... وتُصبحُ دُوركم منكم خُلُوفا
ويأتيكُمْ لَنا سَرَعانُ خيلٍ ... يُغادر خَلفه جمعًا كَثيفا
إذا نزَلُوا بساحَتِكم سمعتُم ... لها ممَّا أناخ بها رَجيفا
بأيديهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفاتٌ ... يُزِرْنَ المُصْطَلِينَ بها الحُتوفا
كأمْثال العَقائق أخلَصَتْها ... قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضرَبْ كَتِيفا
تخال جَدِيّة الأبْطال فِيها ... غَداةَ الزَّحْف جادِيًا مَدُوفا[1]

وأما المجانيق: فمعروفة وهي أعجمِيّة عربتها العَرَبُ. قال كُرَاعٌ: كُلُّ كلمة فيها جيم وقافٌ، أو جيم وكاف فهي أعجمية، وذلك كالجِوالِق والجولق وجِلّق والكَيْلَجَةُ وهي مِكْيالٌ صغير، والكفجلار وهي المِغْرَفَةُ والقَبْجُ وهو الحَجَل وما كان نحو ذلك، والميم في مِنْجَنِيق أصليّة عند سيبويه والنون زائدة، ولذلك سقطت في الجمع.

حول شعر كعب

وذكر شعر كعب وفيه:

وكم من معشر ألبوا علينا

أي جمعوا، وصميم الجذم مفعول بألبوا، وفيه يصف السيوف:

كأمثال العَقَائِقِ أخْلَصَتْها ... قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضرَبْ كَتِيفا

العقائق: جمع عَقِيقة، وهو البَرْقُ تنعق عنه السحابُ.

وقوله: لم تُضرَبْ كَتِيفًا، جمع كَتِيفة، وهي صحيفة من حديد صغيرة، وأصل الكَتِيف: الضَّيِّقُ من كُلِّ شيء.

---

(١) مدوفًا: خليطًا.

أجِدَّهُمُ أليسَ لهُمْ نَصِيحٌ مِنَ الأقْوَامِ كانَ بنا عَرِيفا
يُخبّرُهُمْ بأنَّا قد جَمَعْنا عِتاقَ الخَيلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفا[1]
وأنَّا قد أتَيْناهُمْ بزَحْفٍ يُحيط بسُورِ حِصْنِهِمُ صُفوفا
رئيسُم النبيُّ وكانَ صُلْبًا نقيَّ القلْبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفا[2]
رشيدَ الأمْرِ ذو حُكْمٍ وعِلْمٍ وحِلْمٍ لم يكن نَزِقًا خَفِيفا
نُطيع نبيَّنا ونطيعُ رَبًّا هو الرَّحمٰن كانَ بنا رَؤُوفا
فإن تُلْقوا إلَيْنا السِّلْمَ نقبل ونجعلْكُمْ لَنا عَضُدًا وَرِيفا
وإن تأبَوْا نُجاهدْكم ونصبرْ ولا يكُ أمرُنا رَعِشًا ضعيفا
نجالِد ما بقينا أو تُنِيبوا إلى الإسلامِ إذْعانًا مُضِيفا
نُجاهدُ لا نُبالي مَنْ لَقِينا أأهلَكْنا التِّلادَ[3] أم الطَّرِيفا[4]
وكم مِنْ مَعْشَرٍ ألَبُوا علَيْنا صميمَ الجِذْمِ[5] منهم والحَلِيفا
أتَوْنا لا يَرَوْنَ لهم كفاءً فجدَّعنا المَسامِعَ والأُنوفا
بكُلِ مهنَّدٍ لَيْنٍ صَقيلٍ يَسوقُهُمْ بها سَوْقًا عَنِيفا
لِأَمْرِ اللهِ والإسْلامِ حتى يقُومَ الدِّين معتَدلاً حَنيفا
وتُنْسى اللاتُ والعُزَّى ووَدّ ونَسْلُبُها القَلائدَ والشُّنُوفا[6]
فأمْسَوْا قد أقَرُّوا واطْمأنُّوا ومَن لا يمتنعْ يقبل خُسُوفا

....

(١) الطروف: النادر المستحسن.
(٢) العزوف: الابتعاد.
(٣) التلاد: المقيم بالمكان قديمًا.
(٤) الطريفا: المقيم بالمكان حديثًا.
(٥) الجذم: القطع.
(٦) الشنوف: ما يعلق بالأذن من حُليّ.

كنانة يردّ على كعب

فأجابه كِنانة بن عبد ياليلَ بن عَمْرو بن عُمير، فقال:

مَنْ كانَ يَبْغينا يُريدُ قِتالَنا ... فإنَّا بدارٍ مَعْلَم لا نَريمُها

وجَدْنا بها الآباءَ مِن قبلِ ما ترَى ... وكانت لَنا أطْوَاؤُها[1] وكُرُومُها

وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ ... فأخْبَرَها ذو رأيها وحَليمُها

وقد عَلِمَتْ إنْ قالتِ الحَقَّ أنَّنا ... إذا ما أبَتْ صُعْرٌ[2] الخُدُود نُقيمُها

نُقَوِّمُها حتى يَلينَ شَرِيسُها ... ويُعْرَفُ للْحَقّ المُبين ظَلُومها

شعر كنانة

وذكر شعر كِنَانَةَ بن عَبْدِ ياليل الثَّقفِي، وفيه:

وكانت لنا أطواؤها وكُرومُها

الأطْواءَ: جمع طَوِيٍّ، وهي البئر، جُمِعتْ على غير قياس تَوَهَّموا سُقوطَ ياءِ فَعِيلٍ منها إذ كانت زائدة.

وفيها:

وقد جَرَّبَتْنَا قبلُ عمرُو بن عامر

إنما قال هذا جوابًا للأنصار، لأنهم بنو حارثةَ بن ثَعْلَبَةَ بن عمرو بن عامر، وعمرٌو وهو مُزَيْقيَاءُ، وعامرٌ هو ماء السماءِ، ولم يُرِدْ أن الأنصارَ جرّبتهم قبل ذلك، وإنما أراد إخوتهم، وهم خُزَاعَةُ لأنهم بنو رَبِيعة بن حارثة بن عَمْرو بن عامر في أحد القولين، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكّة، وقال البَكْرِيُّ في معنى هذا البيت: إنما أَرَادَ بني عَمْرو بن عامر بن صَعْصَعَةَ، وكانوا مُجَاوِرين لِثَقِيفٍ وأُمُّهم عَمْرَةُ بنت عامر بن الظَّرِبِ العَدْوَانِيِّ، وأُختها زينب كانت تحت ثقيف، وأكثر قبائل ثقِيفٍ منها، وكانت ثقَيفٌ قد أنزلت بني عمرو بن عامر في أرضِهم ليعملوا فيها، ويكون لهم النِّصْفُ في الزَّرع والثَّمر، ثم إن ثقيفًا منعتهم ذلك، وتحصّنوا منهم بالحائط الذي بنوه حول حاضرهم، فحاربتهم بنو عَمْرو بن عامر، فلم يَظْفرُوا منهم بشيء، وجَلَوا عن تلك البلادِ، ولذلك يقول كِنَانَةُ:

وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بن عامر

---

(١) أطواؤها: محصولها. وقيل: آبارها. (٢) صعر: أصحاب السلطان.

عَلَينا دِلاصٌ[1] من تُراثِ مُحَرَّق	كلَوْن السماء زَيَّنَتْها نُجومُها
نُرَفِّعُها عنَّا ببيضٍ صَوارِمِ	إذا جُرِّدتْ في غمْرة لا نَشِيمُها

قصيدة شدّاد في المسير إلى الطائف:

قال ابن إسحٰق: وقال شدادُ بن عارض الجُشميّ في مَسير رسول الله ﷺ إلى الطائف:

لا تَنْصُرُوا اللاتَ إن الله مُهْلِكُها	وكيف يُنْصَرُ مَنْ هُوَ ليس ينْتَصِرُ
إن التي حُرِّقت بالسُّدّ فاشتعلَتْ	ولم يُقاتَلْ لَدَى أحْجارها هَدَرُ
إنّ الرسولَ متى ينزلْ بلادَكُمُ	يَظْعَنْ وليس بها من أهلها بَشَرُ

الطريق إلى الطائف:

قال ابن إسحٰق: فسَلك رسولُ الله ﷺ على نَخْلَةَ اليَمانِيَةَ، ثم على قَرْن، ثم على المُلَيح، ثم على بُحْرَةِ الرُّغاءِ مِنْ لِيَّة، فابتنى بها مسجدًا فصلَّى فيه.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عمرو بن شعيب: أنه أقاد يومئذ ببُحْرَةِ الرّغاء، حين نزلها، بدم، وهو أوّل دم أُقيد به في الإسلام، رَجلٌ من بني لَيْث قَتَلَ رجلاً من هُذَيل، فقتله به؛ وأمر رسولُ الله ﷺ، وهو بلِيَّةَ، بحصن مالك بن عوف فهُدِم، ثم سلك في طريق يقال لها: الضَّيْقَة، فلما توجّه فيها رسولُ الله ﷺ سأل عن اسمها، فقال: «ما اسمُ هذه الطريق؟» فقيل له: الضَّيْقة، فقال: «بل هي اليُسْرَى»، ثم خرج منها على نَخْب، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها: الصادرة، قريبًا من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ: «إما أن تخرُج، وإما أن نُخْرِبَ عليك حائطك»؛ فأبى أنْ يخرج، فأمر رسولُ الله ﷺ بإخرابه.

ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى نزل قريبًا من الطائف، فضرب به عسكره، فقُتِل به ناس من أصحابه بالنَّبْل، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف، فكانت النَّبْل تنالُهُم، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم؛ فلما أُصِيب أولئك النَّفر من أصحابه بالنَّبْل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم، فحاصرهم بضعًا وعشرين ليلة.

البيت ذكره البكري في خبر طويل لخصته.

---

(١) دلاص: دروع ليّنة.

قال ابن هشام: ويقال سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَة.

قال ابن إسحٰق: ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أُمُّ سَلَمة بنت أبي أُمَيَّة، ضرب لهما قُبَّتين، ثم صلّى بين القبَّتين. ثم أقامَ، فلما أسلمتْ ثقيف بَنَى على مُصَلَّى رسولِ الله ﷺ عمرو بن أُميَّة بن وهب بن مُعَتِّب بن مالك مسجدًا، وكانت في ذلك المسجد سارية، فيما يَزْعمون، لا تطلع الشمس عليها يومًا من الدهر إلاّ سُمِع لها نَقِيض، فحاصرهم رسولُ الله ﷺ، وقاتلهم قتالاً شديدًا، وترامَوْا بالنَّبْل.

أوّل من رمى بالمنجنيق

قال ابن هشام: ورماهم رسولُ الله ﷺ بالمَنْجنيق. حدّثني من أثق به، أن رسول الله ﷺ أوّل من رَمى في الإسلام بالمَنْجنيق، رَمى أهلَ الطائف.

يوم الشدخة:

قال ابن إسحٰق: حتى إذا كان يومُ الشَّدْخَة عند جدار الطَّائف، دخل نفر من أصحاب رسولِ الله ﷺ تحت دَبَّابَةٍ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَخرِقوه، فأرْسَلتْ عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحْماة بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنَّبْل، فقتَلوا منهم رجالاً، فأمر رسولُ الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف؛ فوقع الناس فيها يقطعون.

أوّل من رمى بالمنجنيق في الجاهلية والإسلام[1]

فصل: وذكر حِصَار الطائف، وأن أوّل من رمى بالمَنْجَنِيقِ في الإسلام النبيُّ ﷺ.

قال المؤلّفُ: وأمّا في الجاهِلِيَّةِ: فيذكر أن جَذِيمَةَ بنَ مالكِ بن فَهْم بن غَنْم بن دَوْس، وهو المعروفُ بالأبْرَشِ أوّلُ من رمى بالمَنْجَنِيق، وكانَ من ملوكِ الطّوائف، وكان يُرعف بالوَضَّاحِ، ويقال له أيضًا: مُنادِم الفَرْقَدَيْنِ، لأنه رَبَأَ بنفسه عن مُنَادمة الناس، فكان إذا شرب نادم الفَرْقَدَيْنِ عُجْبًا بنفسه، ثم نادم بعد ذلك مالكًا وعَقِيلاً اللّذين يقول فيهما مُتَمِّمُ [بن نُوَيْرَةَ يرثي أخاه مالكًا]:

وكُنّا كَنَدْمانَيْ جَذِيمة حِقْبَة ... من الدَّهر حتى قيل لن يَتَصَدَّعا

ويُذْكر أيضًا أنه أوّلُ من أوْقَد الشمع.

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد (٢/١٥٩).

بين أبي سُفيان وثقيف:

وتقدّم أبو سفيانَ بن حَرْب والمُغيرةُ بن شُعْبة إلى الطائف، فناديا ثقيفًا: أنْ أمِّنونا حتى نكلِّمكم، فأمنوهما، فدَعَوْا نساءً من نساء، من قُرَيش وبني كِنانة ليخرجْن إليهما، وهما يخافان عليهنّ السِّباءَ، فأبَينَ، منهنَّ: آمنةُ بنت أبي سُفيان، كانت عند عُرْوَةَ بن مسعود، له منها داوُد بن عُروة.

قال ابن هشام: ويقال إن أُمّ داود ميمونة بنت أبي سُفيان، وكانت عند أبي مُرَّة بن عُرْوة بن مسعود، فولدت له داود بن أبي مُرَّة.

قال ابن إسحٰق: والفِرَاسِيَّةُ بنت سُوَيْد بن عمرو بن ثعلبة، لها عبد الرحمٰن بن قارِب، والفقيمية أُمَيْمَةُ بنت الناسىء أُمَيَّةَ بن قَلْع؛ فلما أبين عليهما، قال لهما ابن الأسود بن مسعود: يا أبا سُفيان ويا مغيرة، ألاَ أدلُّكما على خير مما جئتما له، إن مالَ بني الأسود بن مسعود حيث قد علمتما، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف، نازلاً بوادٍ يقال له: العقيق، إنه ليس بالطائف مال أبْعَدُ رِشاءً، ولا أشدُّ مُؤْنَةً، ولا أبْعَدُ عمارة من مال بني الأسود، وإن محمدًا إن قطعه لم يُعْمَر أبدًا، فكَلِّماه فليأخذْ لنفسه، أو ليدَعْه لله والرَّحم، فإنَّ بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجْهل؛ فزعموا أن رسولَ الله ﷺ تركه لهم.

غيلان بن سلمة:

وذكر حُلِيَّ بادِيَة بنت غَيْلاَن، وهو غَيْلاَنُ بن سَلَمَة الثَّقَفِيّ، وهو الذي أسلم، وعنده عَشر نِسوةٍ، فأمره النبيُّ ﷺ أن يُمْسِك أربعًا، ويُفارق سائرهن[1]، فقال فقهاءُ الحجاز: يختار أربعًا، وقال فقهاءُ العِراقِ: بل يُمْسِك التي تَزَوَّجَ أوّلاً، ثم التي تليها إلى الرابعة، واحتجَّ فقهاءُ الحجازِ بأن النبيّ ﷺ لم يَسْتَفْصِله أيّتهن تَزَوَّجَ أَوَّلُ، وتركُه للاستفصال دليلٌ على أنه مُخَيَّرٌ حتى جعل الأصوليون منهم هذا أصلاً من أصول العموم، فقال أبو المعالي في كتاب البُرْهان: تَرْكُ الاستفصال في حكاياتِ الأحْوَالِ مع الاحتمال يتنزّل منزلةَ العموم في المقال، كحديث غَيْلاَنَ. وغَيْلاَنُ هذا هو الذي قَدِم على كسرى، فسأله أيّ ولده أحبّ إليه؟ فقال غيلان: الغائبُ حتى يَقْدُم، والمريضُ حتى يُفِيق، والصغير حتى يَكْبَر، فقال له كسرى: ما غذاؤُك في بلدك؟ قال: الخبز. قال: هذا عَقْلُ الخبزِ، تفضيلاً لعقله على عقول أهل الوَرِّ،

---

(١) أخرجه حديثه الترمذي والبيهقي (٧/ ١٨١) والشافعي في مسنده (٢٧٤) والبغوي في شرح السنّة (٩/ ٨٩) وابن حبان (١٣٧٨ ـ موارد) ـ انظر تلخيص الحبير للحافظ ابن حجر (٣/ ١٧٠ ـ بتحقيقي).

تفسير أبي بكر لرؤيا الرسول:

وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصدّيق وهو محاصر ثقيفًا: يا أبا بكر، إني رأيت أنّي أُهدِيَتْ لي قَعْبَةٌ مملوءة زبْدًا، فنقرها ديك، فهَراق ما فيها. فقال أبو بكر: ما أظنّ أن تُدرِكَ منهم يومك هذا ما تريد. فقال رسول الله ﷺ: وأنا لا أرى ذلك.

سبب ارتحال المسلمين:

ثم إنّ خُويلة بنت حكيم بن أُميَّة بن حارثة بن الأوقص السُلَمية، وهي امرأة عثمان، قالت: يا رسول الله، أعطني إنْ فتح الله عليك الطائفَ حُلِيّ بادية ابنة غَيْلاَن بن سَلَمة، أو حُلِيَّ الفارعةِ بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثَقيف.

ونسب المبرد هذه الحكايةَ مع كَسْرَى إلى هَوْذَة بن عَلِيّ الحَنَفِيّ، والصحيح عند الإخباريين ما قدّمناه، وكذلك قال أبو الفَرَج.

بادية بنت غيلان:

وأما بادية ابنتُه، فقد قيل فيها: بادِنة بالنون والصحيح بالياء، وكذلك رُوي عن مالك، وهي التي قال فيها هيتُ المخنَّثُ لعبد الله بن أبي أُمَيَّة: إن فَتَح الله عليكم الطائف، فإني أدلّك على بادية بنت غَيْلان، فإنها تُقبِلُ بأربَع وتُدْبر بِثمانٍ، فسمعه النبيُّ ﷺ، فقال: «قاتلك الله لقد أمْعَنْتَ النَّظَر، وقال: لا يدخلنّ هؤلاء عليكن»[1] ثم نفاه إلى روضة خَاخ، فقيل: إنه يموت بها جُوعًا فأذِن له أن يدخل المدينة كل جُمْعةٍ يسأل النّاس، ويُرْوى في الحَديث زيادةٌ لم تقع في الصحيح بعد قوله: وتُدْبر بثَمَانٍ مع ثَغْرٍ كالأُقْحُوَانِ، إن قامت تَثَنَّتْ، وإن قعدت تَبَنَّتْ[2]، وإن تكلّمت تَغَنَّتْ، يعني من الغُنَّةِ، والأصل تَغَنَّنَتْ، فقلبت إحدى النونين ياء، وهي هيفاء، شَمُوع نَجْلاَءُ كما قال قَيْسُ بن الخَطِيم:

بَيْضَاء فَرْعَاء يُسْتَضَاءِ بها	كأنها خُوطُ بَانَةٍ قَصِفُ
تَنْتَرِقُ الطَّرْفَ، وهي لاهِيَةٌ	كأنما شَفَّ وَجْهَهَا نُزفُ
تَنَامُ عن كبر شَأْنِهَا فإذا قَا	مت رُوَيْدًا تكاد تَنْغَرِفُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/١٩٨) والبيهقي في الكبرى (٨/٢٢٣) وفي الدلائل (٥/١٦٠) والحميدي (٢٩٧) وانظر الفتح (٨/٤٣) (١٠/٣٣٣).

(٢) تبنت: أي فرجت رجليها لضخم ركبها.

فذُكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: «وإن كان لم يُؤذن لي في ثقيف يا خُويلة؟» فخرجت خُويلة، فذكرت ذلك لعمر بن الخطَّاب، فدخل على رسولِ الله ﷺ، فقال: ما حديث حدَّثَتْنِيه خُويلة، زعمت أنك قلته؟ قال: «قد قلته»؛ قال: أوَما أُذِن لك فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا». قال: أفلا أُوْذّن بالرحيل؟ قال: «بلى». قال: فأذَّن عُمَرُ بالرَّحيل.

عيينة بن حصن

فلما استقلّ الناسُ نادى سعيد بن عُبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج: ألا إنّ الحيّ مقيم. قال: يقول عُيَيْنَة بن حِصْن: أجل، والله مَجَدَةً كِرامًا، فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عُيَينة، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ، وقد جئت تنصر رسولَ الله ﷺ! فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفًا معكم، ولكني أردت أن يفتح

وفي هذا البيت صَحَّف ابنُ دُرَيْدٍ أعني قولَه: تَغْتَرِقُ، فقال هو بالعين المهملة، حتى هُجِي بذلك، فقيل:

أَلَسْتَ قِدْمًا جعلت تَغْتَرِقُ الـ ... طَّرْفَ بجَهْلٍ مكان تَغْتَرِقُ

وقُلْتَ: كان الخِبَاءُ من أَدَمٍ ... وهو حِبَاءٌ يُهْدَى ويُصْطَدَقُ

وكان صَحَّفَ أيضًا قول مُهَلْهِل، فقال فيه: الخبَاء، وبادية هذه كانت تحت عبدِ الرحمٰن بن عوفٍ، فولدت له جُوَيْرية وهي امرأة المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ.

المخنثون الذين كانوا بالمدينة:

وكان المُخَنَّثُون على عهد رسول الله ﷺ أربعة: هِيتٌ هذا، وهَرِمٌ وماتِع، وإنه، ولم يكونوا يُزَنُّونَ بالفَاحِشَة الكُبرى، وإنما كان تَأْنيثُهم لِينًا في القول وخِضَابًا في الأيدي والأرْجُلِ كخِضَابِ النِّساء، ولعبًا كَلَعِبِهِنَّ، وربما لَعِبَ بعضُهم بالكُرَّج، وفي مراسيل أبي داود أن عُمَرَ بن الخطَّاب رَضِي الله عنه، رأى لاعبًا يلعب بالكُرَّج، فقال: «لولا أني رأيت هذا يُلْعَبُ به على عهدِ النبيّ - ﷺ - لَنَفيْتُه من المدينة»[1].

عيينة

وذكر عُيَيْنَة بن حِصْنٍ، واسمه: حُذَيْفَةَ، وإنما قيل له: عُيَيْنةُ لشَتَرٍ كان بعينه.

---

(١) أخرجه أبو داود في مراسيله (٣٩).

محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أتَّطِئُها، لعلَّها تلد لي رجلاً، فإن ثَقِيفًا قوم مَناكير.

ونزل على رسولِ الله ﷺ في إقامته ممن كان محاصرًا بالطائف عَبِيدٌ، فأسْلَمُوا، فأعتقهم رسولُ الله ﷺ.

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتّهم، عن عبد الله بن مُكَدَّم، عن رجال من ثقيف، قالوا: لمَّا أسلم أهلُ الطائف تكلَّم نفر منهم في أولئك العَبيد، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا، أولئك عُتقاء الله»[1]؛ وكان ممّن تكلَّم فيهم الحارث بن كَلَدَة.

قال ابن هشام: وقد سَمَّى ابن إسحٰقَ من نزل من أولئك العَبيد.

شعـر الضحّـاك وموضوعـه:

قال ابن إسحٰق: وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمَرْوَانَ بن قَيْس الدَّوْسِيّ، وكان قد أسلم، وظاهَرَ رسولَ الله ﷺ على ثقيف، فزعمت ثقيف، وهو الذي تزعم به ثقيف أنها

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

وذكر العبيد الذين نَزَلُوا من الطائف، ولم يُسَمِّهم، ومنهم أبو بَكَرَة نُفَيْع بن مَسْرُوحٍ تَدَلّى من سُور الطائف على بَكَرةٍ، فكنى أبا بَكَرَةٍ، وهو من أفاضل الصحابة، ومات بالبصرة، ومنهم الأزرق، وكان عَبْدًا للحَارِثِ بن كَلَدَة المُتَطَّبِّب، وهو زوج سُمَيَّةَ مَوْلاةِ الحارث أُمِّ زِياد بن أبي سُفْيَانَ، وأمّ سَلَمَةَ بن الأزْرَق، وبنو سَلَمَة بن الأَزْرَقِ، ولهم صِيتٌ وذِكْرٌ بالمدينة، وقد انتسبوا إلى غَسَّان، وغلط ابن قُتَيْبَةَ في المعارف، فجعل سُمَيَّةَ هذه المذكورةَ أُمَّ عَمَّارِ بن ياسرٍ، وجعل سَلَمَةَ بن الأَزْرَقِ أخا عَمَّار بن ياسر لأُمِّه، وقد ذكر أن الأَزْرَق خرج من الطائف، فأسلم وسُمَيَّةُ قد كانت قبل ذلك بزمان قَتلها أبو جَهْل، وهي إذ ذاك تحت ياسِرِ أبي عمار، كما تقدّم في باب المَبْعَثِ، فتبيَّن غلطُ ابن قُتَيْبَةَ ووهمُه، وكذلك قال أبو عُمَر النَّمَرِيّ كما قلت. ومن أولئك العبيد: المُنْبَعِثُ، وكان اسمه المُضْطَجِعَ، فبدَّل النبيُّ ﷺ اسمَه، وكان عَبْدًا لعثمانَ بن عامر بن مُعَتِّبٍ.

ومنهم يُحَنَّسُ النَّبَّال، وكان عَبْدًا لبعضِ آل يَسَارٍ.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٥٩/٥).

من قَيس: أن رسولَ الله ﷺ قال لمروان بن قَيس: «خُذ يا مروان بأهلك أوّلَ رجل من قَيس تلقاه»، فلقي أُبيّ بن مالك القُشَيْريّ، فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله، فقام في ذلك الضَّحَّاك بن سُفيانَ الكِلابي، فكلَّم ثقيفًا حتى أرسلوا أهل مروان، وأطلق لهم أُبيّ بن مالك، فقال الضحّاك بن سُفيان في شي كان بينه وبين أُبيّ بن مالك:

أَتَنسَى بلائي يا أُبَيّ بنَ مالك　　غداة الرسولُ مُعرِضٌ عنك أشْوسُ
يقودك مَرْوان بن قَيْس بحبله　　ذليلاً كما قِيد الذَّلول المُخَيَّسُ
فعادتْ عليكَ من ثَقيفٍ عِصَابَةٌ　　متى يأتهم مُسْتَقْبِسُ الشَّر يُقْبِسوا
فكانُوا هُمُ الموْلى فعادت حُلُومُهُمْ　　عليك وقد كادتْ بك النَّفس تيأسُ

قال ابن هشام: «يُقْبِسُوا» عن غير ابن إسحٰق.

الشهداء في يوم الطائف:

قال ابن إسحٰق: هذه تسمية من استُشْهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائِف:

من قُرَيش، ثم من بني أُميَّة بن عبد شَمْس: سعيد بن سعيد بن العاص بن أُميَّة، وعُرْفُطَة بن جنَّاب، حليفٌ لهم، من الأسْد بن الغَوْث.

قال ابن هشام: ويقال: ابن حُباب.

قال ابن إسحٰق: ومن بني تَيْم بن مُرَّة: عبد الله بن أبي بكر الصدّيق، رُمي بسهم، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومنهم: وَرْدَانُ جَدُّ الفُرَاتِ بن زَيْد بن ورْدَانَ، وكان لعبد الله بن رَبيعَةَ بن خَرَشَةَ، وإبراهيمُ بن جابر، وكان أيضًا لِخَرَشَةَ، وجعل النبيُّ - ﷺ - وَلاَءَ هؤلاءِ العبيدِ لسادَتِهم، حين أسلموا. كل هذا ذكره ابن إسحٰق في غير رواية ابن هشام.

وذكر أبو عمر فيهم نَافِع بن مَسْرُوحٍ، وهو أخو نُفَيْعٍ أبي بَكَرَة، ويقال فيه وفي أخيه ابن الحارث بن كَلَدَة.

وذكر ابنُ سلاَّم فيهم نافعًا مَوْلى غَيْلان بن سلمة الثقفي، وذكر أن ولاءَه رجع إلى غَيْلاَن حين أسلم وأحسبه وَهْمًا من ابن سَلاَّم، أو مِمَّن رواه عنه، وإنما المعروفُ نافع بن غَيْلاَن، والله أعلم.

ومن بني مخزوم: عبد الله بن أبي أُميَّة بن المغيرة، ومن رمْية رُمِيَها يومئذ.

ومن بني عديّ بن كَعْب: عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.

ومن بني سهم بن عمرو: السائب بن الحارث بن قَيْس بن عديّ، وأخوه عبد الله بن الحارث.

ومن بني سعد بن ليث: جُلَيحة بن عبد الله.

واستُشْهد من الأنصار: من بني سَلِمة: ثابت بن الجَذَع.

ومن بني مازن بن النَّجار: الحارث بن سَهْل بن أبي صَعْصعة.

ومن بني ساعدة: المنذر بن عبد الله.

ومن الأوس: رُقَيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوذان بن معاوية.

فجميع من استُشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً، سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث.

قصيدة بجير في حنين والطائف

فلما انصرف رسولُ الله ﷺ عن الطائف بعد القِتال والحِصار، قال بُجَير بن زُهَير بن أبي سُلْمَى يذكر حُنَيْنًا والطائف:

كانت عُلالَة يومَ بطنِ حُنَينِ ... وغداةَ أوْطاسٍ ويومَ الأبرَقِ

من نسب بجير بن زهير:

وذكر شعر بُجَيْر بن زُهَيْر بن أبي سُلْمَى، واسم أبي سُلْمَى: رَبيعةُ، وهو من بني لاطِم بن عُثْمَانَ، وهي مُزَيْنَةُ، عرفوا بأمِّهم، وقد قدمنا أنها بنت كلب بن وَبْرَة، وأن أختها الحَوْأَبُ، وبها سُمّي ماءُ الحَوْأَب، وعُثْمان هو ابن أُدّ بن طابِخة.

حول شعر بجير

وقوله:

كانت عُلالَة يومَ بطنِ حُنَيْنِ

هذا من الإقواء الذي تقدّم ذكرهُ، وهو أن ينقُص حَرْفًا من آخر القَسِيم الأوّل من الكامل، وهو الذي كان الأصْمَعِيُّ يسمّيه المُقْعَد.

جَمَعَتْ باغْواءِ هَوازِنُ جَمْعَها — فتَبَدَّدُوا كالطَّائر المتمزّقِ

لم يَمْنَعُوا مِنَّا مَقامًا وَاحِدًا — إلاّ جِدارَهُمُ وبطنَ الخَنْدَقِ

ولقَدْ تَعَرَّضْنا لكَيما يَخرُجُوا — فتَحَصَّنوا مِنَّا ببابٍ مُغْلَقِ

ترْتَد حَسْرانًا إلى رَجْرَاجَةٍ — شَهْباءَ تَلمَعُ بالمَنايا فَيْلَقِ

مَلْمومَةٍ خَضْرَاءَ لو قَذَفُوا بها — حَضَنًا لظَلّ كأنّه لم يُخْلَقِ

مَشْيَ الضِّراءِ على الهَرَاسِ كأنّنا — قُدُرٌ تَفَرَّقُ في القِياد وتَلْتقي

في كلّ سابغة إذا ما استَحْصَنت — كالنِّهْي هَبَّتْ ريحهُ المترَقْرِقِ

جُدُلٌ تَمَسّ فُضُولهُنّ نعالَنا — مِنْ نَسْجِ داود وآلِ مُحَرّقِ

وقوله: كانت عُلاَلَة. العُلالَة: جَرْيٌ بعد جَرْيٍ، أو قِتَالٌ بعد قِتَالٍ، يريد: أن هَوَازِنَ جمعت جَمْعَها عُلاَلَةً في ذلك اليوم، وحذف التنوين من عُلاَلَة ضرورةً، وأضمر في كانت اسمَها، وهو القصّة، وإن كانت الرِّوايةُ بخفض يوم، فهو أولى من التزام الضَّرُورة القبيحة بالنَّصْب، ولكنْ ألفَيْتُه في النسخة المقيدة، وإذا كانَ اليومُ مخفوضًا بالإضافة جاز في عُلاَلَة أنْ يكون منصوبًا على خبر كان، فيكون اسمُها عائدًا على شيء تقدّم ذكره، ويجوز الرفع في عُلالَة مع إضافتها إلى يوم على أنْ تكون كان تامَّةً مكتفيةً باسم واحدٍ، ويجوز أن تجعَلها اسمًا عَلَمًا للمصدر مثل بَرّة وفجارِ، وينصب يومُ على الظرف كما تقيّد في النُّسخة.

وقوله: ترتدّ حَسْرَانًا، جمع: حَسِير وهو الكَلِيلُ. والرَّجْرَاجة: الكَتِيبةُ الضَّخْمَةُ من الرَّجْرَجَةِ، وهي شِدَّةُ الحركة والاضطراب. وفَيْلَقٌ: من الفِلْقِ، وهي الداهية. والهَرَاسُ: شَوْكٌ معروف والضِّراءُ: الكلاب، وهي إذا مَشَت في الهَرَاسِ ابتغت لأيديها موضعًا، ثم تضع أرجلَها في موضع أيديها، شَبَّه الخيل بها. والقُدُرُ: الوُعول المُسِنَّةُ. والنِّهْيءُ: الغَدِيرُ، سمّي بذلك، لأنه ماء نَهَاهُ ما ارتفع من الأرض عن السَّيَلان فوقف.

وقوله: جُدُلٌ: جمع جَدْلاَء، وهي الشديدة الفَتْلِ، ومن رَوَاه: جَدْلٍ، فمعناه: ذات جَدْلٍ.

وقوله: وآل مُحَرِّقٍ يعني عُمَرَ بن هِنْدٍ ملكَ الحِيرَةِ، وقد تقدّم في أوّل الكتابِ سَبَبُ تَسْمِيته بمُحَرِّقٍ، وفي زمانه وُلِد رسولُ الله ﷺ فيما ذكروا ـ والله أعلم.

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسولُ الله ﷺ حين انصرفَ عن الطائف على دَحْنا حتى نزل الجعْرَانة فيمَنْ معه من الناس، ومعه من هوازن سبيٌ كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظَعَن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عَلَيهم؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثقيفًا وأْتِ بهم»[1].

ثم أتاه وَفْد هوازن بالجعْرانة، وكان مع رسولِ الله ﷺ من سَبْي هوازن ستة آلاف من الذّراريّ والنساء، ومن الإبل والشَّاءِ ما لا يُدْرَى ما عِدَّتُه.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن عمرو: أنّ وفْد هوازِنَ أتَوْا رسولَ الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول، إنا أَصْلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخْف عليك، فامنُن علينا، مَنَّ الله عليك. قال: وقام رجل من هوازنَ، ثم أحدُ بني سعد بن بكر، يُقال له: زُهير، يكنى أبا صُرَد، فقال: يا رسول الله،

دحنا ومسح ظهر آدم

فصل: وذكر انصراف النبيّ ﷺ عن الطائف على دَحْنَا. ودَحْنَا هذه هي التي خُلِق من تُرْبِها آدمُ صلّى الله على نبينا وعليه، وفي الحديث: «إن الله خلق آدم من دَحْنا، ومسح ظَهْرَه بِنَعْمَان الأرَاكِ»[2] رواه ابنُ عبَّاس، وكان مسحُ ظهرِ آدمَ بعد خروجِه من الجنّة باتفاقٍ من الروايات، واختلفت الروايةُ في مسح ظهره، فروي ما تقدّم، وهو أصحّ، ورُوي أن ذلك كان في سماء الدنيا قبل هُبوطه إلى الأرض، وهو قول السدي، وكلتا الروايتين ذكرهما الطبري.

وقوله: حتى نزل الجِعْرَانَةَ، بسكون العين فيها هو أَصح الروايتين، وقد ذكر الخطابي أن كثيرًا من أهل الحديث يشدّدون الراء، وقد ذُكر أن المرأة التي نَقَضت غَزْلَهَا من بعد قُوَّةٍ كانت تُلَقَّب بالجِعْرَانة، واسمها: رَيْطَةُ بنت سَعْد، وأن الموضع يسمّى بها، والله أعلم.

حول قول زهير أبي صرد:

فصل: وذكر زُهَيرًا أبا صُرَدٍ، وقوله للنبيّ ﷺ: ولو أنَّا مَلَحْنَا للحارث بن أبي شَمِرٍ،

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٣٦) ومسلم في الجهاد (١٧٧٨) وأحمد (٣/ ٣٤٣) والترمذي (٣٩٣٧) وابن سعد في الطبقات (٢/ ١٥٩).

(٢) لا صحّة له.

إنما في الحظائر عمَّاتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفُلْنك، ولو أنَّا مَلَحْنا للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذِر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

قال ابن هشام: ويُروى: ولو أنا مالَحْنا الحارث بن أبي شِمر، أو النُّعمان بن المنذِر.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن عمرو، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله، خَيَّرْتَنا بين أموالِنا وأحْسابنا، بل تَرُدُّ إلينا نساءَنا وأبناءَنا، فهو أحبّ إلينا؛ فقال لهم: «أما ما كان لي ولبني عبد المطَّلب فهو لكم، وإذا ما أنا صلَّيت الظُّهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأُعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم»، فلما صلَّى رسولُ الله ﷺ بالناس الظُّهر، قاموا فتكلَّموا بالذي أمرهم به، فقال رسولُ الله ﷺ: «وأما ما كان لي ولبني عبد المطَّلِب فهو لكم». فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. فقال الأقرعُ بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عُيَيْنةُ بن حِصْن: أما أنا وبنو فَزَارَةَ فلا. وقال عباس بن مِرْداس: أما أنا وبنو سُلَيم فلا فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال: يقول عباس بن مِرْداس لبني سُلَيم: وَهَّنْتُمُوني.

أو للنعمان بن المُنْذِرِ، وقد تقدّم في أوّل الكتاب التعريفُ بالحارثِ وبالنعمان، ومَلَحْنا: أرضعنا، والمِلْحُ: الرضاع قال الشاعر:

فـلا يُـبْـعِـدُ الله رَبُّ الـعِـبـا ... دِ والـمِـلْـح مَـا ولَـدَتْ خَـالِـدَة

همُ المطْعِمُو الضَّيفِ شَحْم السَّنَا ... مِ والـكـاسِـرُ والـلـيـلـةِ الـبـارِدَة

وهُـم يَـكْـسِـرون صُـدُورَ الـقَـنـا ... بـالـخَـيْـلِ تُـطْـرَد أو طَـارِدَة

فـإن يـكـن الـمـوتُ أفـنـاهـم ... فـلِـلْـمَـوْتِ مـا تَـلِـد الـوَالِـدة

وأما زُهَيْرٌ الذي ذكره فهو ابن صُرَدٍ يُكْنَى أبا صُرَدٍ، وقيل: أبا جَرْوِلٍ، وكان من رؤساء بني جُشَم، ولم يذكر ابن إسحٰق شعره في النبيّ ﷺ ذلك اليوم في رواية البكائي وذكره في رواية إبراهيم بن سعد عنه وهو:

أُمْنُنْ علـينـا رَسُولَ اللهِ في كَـرَمَ ... فـإنـك الـمرءُ نـرجـوه ونَـنْـتَـظِـر

فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا من تمسَّك منكم بحقه من هذا السبْي فله بكلّ إنسان سِتُّ فرائض، من أوّل سبْي أصيبُه، فرُدُّوا إلى النَّاس أبناءهم ونِساءهم».

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبو وَجْزَة يزيد بن عُبيد السَّعديّ: أن رسولَ الله ﷺ أعطَى عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه جارية، يُقال لها: رَيْطة بنت هِلال بن حَيَّان بن عُمَيرة بن هِلال بن ناصرة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر، وأعطَى عثمان بن عفَّان جارية، يُقال لها: زينب بنت حَيَّان بن عمرو بن حَيَّان، وأعطَى عمرَ بن الخطَّاب جارية، فوهبها لعبد الله بن عُمَر ابنه.

أمنُنْ على بَيْضَةٍ قد عاقها قَدَرٌ	مُمَزَّقٌ شَمْلَها في دَهْرِها غِيَرُ
يا خَيْرَ طِفْلٍ ومَوْلودٍ ومُنْتَخَبٍ	في العالمين إذا ما حُصِّل البشرُ
إن لم تَدارَكْهُم نَعْماءُ تَنْشُرها	يا أرجَحَ النّاس حِلْما حين يُختبر
امنُن على نِسْوَةٍ قد كنت تَرْضَعُها	إذْ فوك تملأه من مَحْضِها الدِّرَرُ
إذ كنتَ طفلاً صَغِيرًا كنتَ تَرْضَعُها	وإذ يزيّنُك ما تأتي وما تَذَرُ
لا تجعلنا كمن شَالت نعامَتُه	واسْتَبْقِ منا منه مَعْشَرٌ زُهُرُ
يا خَيْرَ من مرحت كُمْتُ الجِيَاد به	عند الهِيَاجِ إذا ما اسْتَوْقَدَ الشَّرَرُ
إنَّا لنشكر آلاءَ وإن كُفِرَتْ	وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخَر
إنا نؤمِّل عفوًا منك تُلْبِسُه	هذي البَرِيَّةَ إذ تَعْفو وتَنْتَصر
فاغْفِر عفا الله عما أنت راهِبُه	يومَ القيامة إذ يُهْدَى لك الظَّفَرُ

من أحكام السبايا:

فصل: وذكر رَدَّ السَّبَايَا إلى هَوَازِن، وأنه مَنْ لم تَطِبْ نفسه بالردّ عَوَّضه مما كان بيده، واستطاب نفوس الباقين، وذلك أن المَقاسِمَ كانت قد وقعت فيهم، ولا يجوز للإمام أن يَمُنَّ على الأسرى بعد القَسْم، ويجوز له ذلك قبل المَقَاسِم، كما فعل النبيُّ - ﷺ - بأهل خَيْبَرَ حين مَنَّ عليهم، وتركهم عُمَّالاً للمسلمين في أرضهم التي افْتَتَحُوهَا عَنْوَةً، كذلك قال أبو عُبَيْدٍ، قال: ولا يجوز للإمام أن يَمُنَّ عليهم، فيردَّهم إلى دارِ الحرب، ولكن على أن يؤدوا الجِزْيَةَ، ويكونوا تحت حُكْم المسلمين، قال: والإمام مُخَيَّر في الأسرى بين القتل والفِداء والمَنّ والاسْتِرْقَاق والفِداء بالنفوس لا بالمال كذلك، قال أكثرُ الفقهاء هذا في الرجال، وأما الذَّرَارِي والنِّساء، فليس إلاّ الاسْتِرْقَاق، أو المُفَادَاة بالنفوس دون المال كما تقدّم.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني نافع مولى عبد الله بن عُمَر، عن عبد الله بن عُمَر، قال: بعثتُ بها إلى أخوالي من بني جُمَح، ليُصْلِحُوا لي منها، ويهيِّئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها. قال: فخرجت من المسجد حين فَرَغْتُ، فإذا النَّاس يَشْتَدُّونَ؛ فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: ردّ علينا رسولُ الله ﷺ نساءنا وأبناءَنا؛ فقلت: تلكم صاحبتُكم في بني جُمَح، فاذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها، فأخذوها.

وذكر الجارية التي أُعطِيهَا عبد الله بن عمر، وأنه بعث بها إلى أخواله من بني جُمَح ليُصلحُوا له منها كي يصيبها، وهذا لأنها كانت قد أسلمت، لأنه لا يجوز وَطْءُ وَثَنِيَّةٍ ولا مَجُوسِيَّةٍ بِملْكِ يَمينٍ، ولا بنكاح حتى تُسْلِم، وإن كانت ذاتَ زَوْج، فلا بد أيضًا من اسْتِبْرائها، وأما الكتابيَّات، فلا خلافَ في جوازِ وَطْئهنَّ بمِلْكِ اليمينِ، وقد رُوي عن طائفة من التابعين منهم عَمْرو بن دينار إباحةُ وَطْءِ المجوسية والوثنية بملك اليمين، وقول الله تعالى: ﴿ولا تَنْكِحوا المُشرِكَاتِ حتى يُؤمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] تحريم عام إلاّ ما خَصَّصَتْه آيةُ المائدة من الكتابِيَّاتِ، والنكاحُ يقع على الوطء بالعَقْدِ والمِلْكِ.

حـول سبـي حنين:

وكان سبْيُ حُنَينٍ ستةَ آلاف رأسٍ، وكان النبيُّ - ﷺ - قد وَلَّى أبا سُفيان بن حرب أمرهم، وجعله أمينًا عليهم، قاله الزبير، وفي حديثٍ آخر ذكره الزبير بإسناد حَسَنٍ أن أبا جَهْم بن حُذَيفَةَ العَدَويّ كان على الأنفال يوم حُنَيْن، فجاءه خالدُ بن البَرْصَاءِ، فأخذ من الأنفال زمامَ شَعْرٍ فمانعه أبو جَهْم، فلما تمانعا ضربه أبو جَهْم بالقَوْس فشَجَّهُ مُنَقِّلَةً[1]، فاستعدى عليه خالدٌ رسولَ الله - ﷺ - فقال له: خذ خمسين شاةً ودَعْه، فقال: أَقِدْنِي منه، فقال: خذ مائة، ودَعْه، فقال: أَقِدْنِي منه، فقال: خذ خمسين ومائةً ودعه، وليس لك إلاّ ذلك، ولا أُقِصُّك مِنْ وَالٍ عليك، فقُوِّمت الخَمسُون والمائة بخمسَ عَشْرَةَ فَرِيضَةً من الإبل، فمن هنالك جعلت دِيَةُ المُنَقِّلَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ فَرِيضَةً.

إعطاء المؤلّفة قلوبهم من الغنائم:

فصل: وأما إعطاءُ رسولِ الله - ﷺ المؤلَّفةِ قلوبَهم من غنائم حُنَيْنٍ حتى تكلّمت الأنصارُ في ذلك، وكثرت منهم القالَة، وقالت: يُعْطِي صَنَادِيدَ العَرَبِ ولا يُعْطِينا، وأسيافُنا تَقْطُر من دمائِهم، فللعُلَمَاء في هذه المسألة ثلاثة أقوال: أحدها أنه أعطاهم من خُمْسِ الخُمْسِ، وهذا القول مَرْدُودٌ لأن خُمْسَ الخُمْس مِلْكٌ له ولا كلامَ لأحَدٍ فيه.

---

(١) المنقلة: الشجة أو الضربة التي تنقل العظم.

قال ابن إسحٰق: وأما عُيَيْنَةُ بن حِصْن، فأخذ عجوزًا من عجائز هوازِنَ، وقال حين أخذها: أرى عجوزًا إني لأحسِب لها في الحيّ نسبًا، وعسى أن يعظُم فِدَاؤها فلما ردّ رسولُ الله ﷺ السَّبايا بستّ فرائض، أبى أن يَردَّها، فقال له زُهَير أبو صُرَد: خُذها عنك، فوالله مافُوها ببارِدٍ، ولا ثَدْيُهَا بناهِدٍ، ولا بطنها بوالِدٍ، ولا زوجُها بواجد، ولا دَرُّها بماكِدٍ. فردّها بسِتٍّ فرائضَ حينَ قال له زُهَير ما قال؛ فزعموا أن عُيَيْنَةَ لقِيَ الأقرَع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنك والله ما أَخَذتها بيضاءَ غَريرة، ولا نَصَفا وَثِيرَة.

القول الثاني: أنه أعطاهم من رأس الغَنيمة، وأن ذلك خُصُوصٌ بالنبيّ ﷺ لقوله تبارك وتعالى: ﴿قُل الأنفالُ لله والرّسول﴾ [الأنفال: ١] وهذا القولُ أيضًا يردّه ما تقدّم من نَسْخ هذه الآية، وقد تقدّم الكلامُ عليها في غزوة بدر، غير أن بعضَ العلماء لهذا القول بأن الأنصار لما انهزموا يوم حُنَيْنٍ فأيّد الله رسولَه وأمدَّه بملائكته، فلم يرجعوا حتى كان الفتحُ، ردّ الله تعالى أمرَ المغانم إلى رسوله من أجل ذلك فلم يعطهم منها شيئًا وقال لهم: «ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَر الأنصار أن يذهبَ الناسُ بالشَّاةِ والبَعِير، وتَرْجِعُوا برسول الله إلى رحَالِكم»، فطيَّب نفوسَهم بذلك بعد ما فعل ما أمر به.

والقول الثالث: وهو الذي اختاره أبو عُبَيْدٍ أن إعطاءهم كان من الخُمْس حيث يرى أن فيه مصلحةً للمسلمين.

فصل: ومما لم يذكر ابن إسحٰق يوم حُنَيْن أن خالدَ بن الوليد أثقل بالجراحة يومئذ، فأتاه النبيُّ ﷺ يقول: «مَنْ يَدلُّني على رَحْلِ خالدٍ حتى دُلَّ عليه»، فوجده قد أُسْند إلى مُؤَخّرة رحله، فنفث على جُرْحِه فَبَرِىءَ»[1]، ذكره الكَشّي.

وصف عجوز ابن حصن:

فصل: وذكر عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ، وقولَ زُهَيْر بنِ صُرَدٍ له في العَجُوز التي أخذها: ما فُوها ببَارِدٍ، ولا ثَدْيُها بناهِدٍ، ولا دَرُّها بماكِدٍ، ويقال أيضًا: بناكِدٍ، يريد: ليست بغَزِيرَةِ الدَّرّ، والنُّوقُ النُّكُدُ: الغزيراتُ اللَّبَنِ، وأحسبه من الأضداد، لأنه قد يقال أيضًا نَكِدَ لبنُها إذا نقص، قاله صاحب العين، والصحيح عند أكثرهم أن النُّكْد هي القليلات اللبن من قوله عزّ وجلّ: ﴿لا يَخرُجُ إلاَّ نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨] وأن المُكْدَ بالميم هي الغزيراتُ اللبن، قال ابن سراج، لأنه من مَكَد في المكان إذا أقام فيه، وقد يقال أيضًا: نَكِدَ في معنى مَكدَ، أي: ثَبَت.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٨٨/٣٥١) والحميدي (٨٩٧) والبيهقي في الدلائل (٥/ ١٤٠).

وقال رسولُ الله ﷺ لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال رسولُ الله ﷺ: «أخبروا مالكًا أنه إن أتاني مُسلمًا رددتُ عليه أهلَه وماله، وأعطيته مِائةً من الإبل»(١)، فأُتِيَ مالكٌ بذلك، فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالكٌ خاف ثقيفًا على نفسه أن يَعْلَموا أن رسولَ الله ﷺ قال له ما قال، فيحبسوه، فأمر براحلته فهُيِّئَتْ له، وأمر بفرس له فأُتِيَ به إلى الطائف، فخرج ليلاً، فجلس على فرسه، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبَس، فركبها، فلَحِق برسول الله ﷺ، فأدركه بالجِعْرانة أو بمكّة، فردّ عليه أهلَه وماله، وأعطاه مِائةً من الإبل، وأسلم فحسُن إسلامه؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم:

ما إن رأيتُ ولا سمِعْتُ بمِثْله	في النَّاس كُلِّهم بمثل محمَّدِ
أوْفى وأعطَى للجزيل إذا اجْتُدِي	ومَتى تَشأْ يُخْبركَ عما في غد
وإذا الكَتِيبةُ عرَّدَت أنيابُها	بالسَّمْهَرِي وضَرْب كُلّ مُهَنَّدِ
فكأنَّهُ لَيثٌ على أشْبالِهِ	وسْط الهَباءَةِ خادرٌ في مَرْصَدِ

فاستعمله رسولُ الله ﷺ على من أسْلم من قومه؛ وتلك القبائل: ثُمالَةُ، وسَلِمةُ،

الأقرع بن حابس:

وذكر الأقرعَ بن حابس، وكان من المؤلَّفة قلوبُهم، ثم حَسُن إسلامُه بعد، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين نزلت: ﴿ولِلَّه على النَّاس حِجُّ البيت﴾ [آل عمران: ٩٧] أفي كلِّ عام يا رسول الله؟ قال: «لو قُلْتُها لَوَجَبَتْ»(٢)، وهو الذي قال للنبيّ ﷺ حين أَقْطَعَ أَبْيَضَ بن حَمَّالٍ الماء الذي بمأرِبَ: أتدري ما أقطعتَه يا رسول الله؟ إنما أقطعته الماء العِدَّ، فاسترجعه النبيُّ - ﷺ -(٣) وهو حديث مَشْهُورٌ، غير أنه لم يُسَمِّ قائل هذا الكلام فيه إلاّ الدَّارَقُطْنِي في روايته، وزاد فيه أيضًا: قال أبيض: على أن يكون صَدَقَةً مني يا رسول الله على المسلمين، فقال: «نعم»، وأما نَسَبُ الأقْرَع بن حَابِسٍ، فهو ابن حابِس بن عِقَالِ بن محمد بن سُفْيَان بن مُجَاشعٍ [بن دارِم] التَّمِيمِيّ المُجَاشِعِيّ الدَّارِميّ، وأما عُيَيْنَةُ، فاسمه: حُذَيْفَةُ بن حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَدْرِ الفَزَارِيّ، وقد تقدّم ذكره.

مالك بن عوف:

فصل: وذكر تولية النبيّ ﷺ مالِكَ بن عَوْفٍ على ثُمالَةَ وبني سَلِمَةَ وفَهْم. وثمالة هم

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/١٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في الحجّ (٤١٢) والدارقطني (٢/ ٢٧٩ - بتحقيقي) والحاكم (١/ ٤٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي في الكبرى والدارقطني.

وفَهْم، فكان يُقاتل بهم ثقيفًا، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه، حتى ضيَّق عليهم؛ فقال أبو مِحْجَن بن حَبيب بن عمرو بن عُمَير الثَّقفي:

هـابَـتِ الأعْـدَاءُ جـانِـبَـنـا ... ثُـم تَـغْـزُونـا بـنـو سَـلِـمَـة

وأتـانـا مـالـكٌ بِـهِـم ... نـاقِـضًـا لـلْـعـهْـدِ والـحُـرْمَـة

وأتَـوْنـا فـي مَـنـازِلـنـا ... ولـقـد كـنَّـا أولِـي نَـقِـمَـة

قال ابن إسحٰق: ولما فرغ رسولُ الله ﷺ من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها، ركب، واتَّبعه الناس يقولون: يا رسول الله، أقسِم علينا فَيئَنا من الإبلِ والغنم، حتى ألْجَئوه إلى شجرة، فاختطفت عنه رداءه؛ فقال: أدُّوا عليّ ردائي أيُّها النَّاس، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تِهامَة نَعَما لقسمته عليكم، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جبانًا ولا كذَّابًا، ثم قام إلى جنب بعير. فأخذ وَبَرَة من سَنامه، فجعلها بين أُصْبَعَيْه، ثم رفعها، ثم قال: أيها الناس، والله مالي من فَيْئكم ولا هذه الوبرة إلاّ الخُمُس، والخُمُس مردود عليكم. فأدُّوا الخِياط والمُخْيَط، فإنّ الغُلُولَ يكون على أهله عارًا ونارًا وشَنارًا يوم القيامة. قال: فجاء رجل من الأنصار بكُبَّةٍ من خُيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الكُبَّة أعملُ بها بَرْذَعة بَعيرٍ لي دَبِر؛ فقال: أما نصيبي منها فلك! قال: أمَّا إذ بَلَغَتْ هذا فلا حاجة لي بها، ثم طَرَحها من يده.

بنو أسلم بن أَحْجن أُمُّهم: ثُمالَةُ، وقول أبي مِحْجَنٍ فيه:

هـابـت الأعْـدَاءُ جـانِـبَـنَـا ... ثـم تَـغْـزُونـا بـنـو سَـلِـمَـة

هكذا تقيّد في النسخة بكسر اللام، والمعروف في قبائل قَيْسٍ: سَلَمَةُ بالفتح إلاّ أن يكونوا من الأَزْدِ، فإن ثُمالَة المذكورين مَعَهم حَيٌّ من الأزْدِ وفَهْم من دَوْس، وهم من الأزد أيضًا، وأُمهم: جَدِيلَةُ وهي من غَطَفَان بن قَيْس بن غَيْلان، على أنه لا يُعْرف في الأزد سَلِمَة إلاّ في الأنصار، وهم من الأزد وسَلِمَةُ أيضًا في جُعْفَى هم، وسَلِمَةُ بن عَمْرِو بن ذُهْلِ بن مُرَّانِ بن جُعْفِيّ، وسَلِمَةُ في جُهَيْنَةَ أيضًا سَلِمَةُ بن نَصْر بن غَطَفَان بن قَيْس بن جُهَيْنَةَ وجُعْفِيٌّ من مَذْحِج، وجُهَيْنَةُ من قُضَاعَةَ.

وأما مِحْجَنُ، فاسمُه: مالك بن حَبِيب، وقيل: عبد الله بن حَبِيب بن عَمْرِو بن عُمَيْر بن عَوْف بن عُقْدَةَ بن غِيرَةَ بن عَوْف بن قَيْسٍ الثَّقفي، وقد تقدّم نَسَبُ أَحْجَن عند ذكرنا لَهَب بن أُحْجَن قبل باب المبعث.

وذكر أبا السَّنابِل بن بَعْكَك، واسمه: حَبَّةُ أحد بني عَبْدِ الدّار، وكان شاعرًا وحديثُه مع سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّة حين آمَتْ من زَوْجِها مَذْكُورٌ في الصِّحاحِ.

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلَم، عن أبيه: أن عَقِيل بن أبي طالب دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبة بن ربيعة، وسيفه متلطِّخ دمًا، فقالت: إني قد عرفت أنك قد قتلت، فماذا أصبت من غنائم المشركين؟ فقال: دونكِ هذه الإبرةَ تَخيطينَ بها ثيابَك، فدفعها إليها، فسمعَ مُنادِيَ رسولِ الله ﷺ يقول: «من أخذ شيئًا فليردَّه، حتى الخِياط والمُخْيَط». فرجع عَقيل، فقال: ما أرَى إبرتِك إلاّ قد ذهبت، فأخذها، فألقاها في الغنائم.

قال ابن إسحٰق: وأعطى رسولُ الله ﷺ المؤَلَّفةَ قُلُوبهم، وكانوا أشرافًا من أشراف الناس، يتألَّفهم ويتألَّف بهم قومَهم، فأعطى أبا سفيانَ بن حرب مِائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مِائة بعير، وأعطى حَكيم بن حِزام مِائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلَدة، أخا بني عبد الدّار مائة بعير.

قال ابن هشام: نَصير بن الحارث بن كَلَدة، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضًا.

قال ابن إسحٰق: وأعطى الحارثَ بن هشام مائة بعير، وأعطى سُهَيْل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حُوَيطِب بن عبد العُزَّى بن أبي قَيْس مائة بعيرِ، وأعطى العَلاء بن جارية الثَّقفي، حَليف بني زُهْرة مائة بعير، وأعطى عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير. وأعطى مالك بن عوف النَّصْريّ مائة بعير، وأعطى صفوان بن أميَّة مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المئين.

وأعطى دون المائة رجالاً من قُرَيش، منهم مَخْرَمة بن نوفل الزُّهريّ، وعُمَير بن وهب الجُمَحِيّ، وهشام بن عَمْرو أخو بني عامر بن لُؤَيّ، لا أحفظ ما أعطاهم، وقد عرفت أنها دون المائة، وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنْكَثَةَ بن عامر بن مخزوم خمسينَ من الإبل، وأعطى السَّهمِيّ خمسين من الإبل.

قال ابن هشام: واسمه عديّ بن قيس.

قال ابن إسحٰق: وأعطى عبَّاسَ بن مِرْداس أباعرَ فسَخِطها، فعاتب فيها رسولَ الله ﷺ، فقال عباس بن مِرْداس يُعاتب رسولَ الله ﷺ:

كانَتْ نِهَابًا تَلافَيْتُها ... بكَرّي على المُهْرِ في الأجْرَعِ
وإيقاظِيَ القَوْمَ أنْ يَرْقُدُوا ... إذا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أهْجَعِ
فأصْبَح نَهْبي ونَهْبُ العُبَيْـ ... ـدِ بينَ عُيَيْنَةَ والأقْرَعِ

....

وقد كنتُ في الحربِ ذا تُدْرَإٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيئًا ولَم أُمْنَع
إلاّ أفائِلَ أُعْطِيتُهَا عَديدَ قَوائِمِها الأرْبَع
وما كانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ يفوقانَ شَيْخِيَ في المَجْمَعِ
وما كنتُ دون امرىء منهما ومَنْ تَضَعِ اليَوْمَ لا يُرْفَعِ

قال ابن هشام: أنشدني يونُسُ النَّحوي:

فَمَا كانَ حصْنٌ وَلا حابِسٌ يَفُوقان مِرْداس في المَجْمَعِ

قال ابن إسحٰق: فقال رسولُ الله ﷺ: «اذهبوا به، فاقطعوا عني لسانَه»[1]، فأعطوْه حتى رَضِيَ، فكان ذلك قطعَ لسانه الذي أمر به رسولُ الله ﷺ.

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم: أن عبَّاس بن مرْداس أتى رسولَ الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أنت القائلﷺ:

«فأصبح نَهْبي ونهبُ العُبَيْد بين الأقْرع وعُيَيْنة»؟

فقال أبو بكر الصدّيق: بين عُيينة والأقرع؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «هما واحد»؛ فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: ﴿ومَا عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يَس: ٦٩].

قول النبيّ ﷺ لمرداس:

فصل: وذكر قول النبيّ ﷺ لعباس بن مِرْداسٍ أنت القائل: فأصبح نَهْبي ونَهْبُ العُبَيْدِ بَيْنِ الأَقْرَع وعُيَيْنَةَ[2]؟

فقال أبو بكر الصدّيق: بين عُيَيْنَة والأقْرَع، فقال رسولُ الله ﷺ: «هما واحد»، يعني في المعنى، وأما في الفصاحة، فالذي أُجْرِي على لسانه ﷺ هو الأفصح في تنزيل الكلام وترتيبه، وذلك أن القَبْلِيَّة تكون بالفَضْل نحو قوله تعالى: ﴿من النَّبِيِّين والصِّدِّيقين﴾ [النساء: ٦٩] وتكون بالرُّتبة نحو قوله تعالى حين ذكر اليهود والنصارى، فقدم اليهود لمجاورتهم المدينة، فهم في الرتبة قبل النصارى، وقَبْلِيَّة بالزمان نحو ذكر التَّوْرَاة والإنجيلِ بعدَه ونوحًا وإبراهيم، وقَبْلِيَّة بالسَّبَب، وهو أن يَذْكُر ما هو عِلَّةُ الشيء وسَبَبُ وجوده، ثم يُذْكَر المُسَبَّب بعده، وهو كثير في الكلام مثل أن يَذْكر معصيةً وعقابًا أو طاعةً وثوابًا فالأجود في حكم الفَصَاحَةِ تقديمُ السبب.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٨٣) والطبري في تاريخه (٢/ ١٧٥).
(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٨٣).

قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به من أهل العلم في إسناد له، عن ابن شهاب الزهري، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس، قال: بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم، فأعطاهم يوم الجِعْرانة من غنائم حنَين.

من بني أُميَّة بن عبد شمس: أبو سُفيان بن حرب بن أُميَّة، وطليق بن سُفيان بن أُميَّة، وخالد بن أُسيد بن أبي العِيص بن أُميَّة.

ومن بني عبد الدار بن قصَيّ: شَيْبة بن عثمان بن أبي طَلحة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدّار، وأبو السَّنابل بن بَعْكك بن الحارث بن عَمِيلَةَ بن السَّبَّاق بن عبد الدّار، وعِكْرِمة بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدّار.

ومن بني مخزوم بن يقظة: زُهَير بن أبي أُميَّة بن المُغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسُفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والسَّائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني عديّ بن كَعْب: مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة، وأبو جهَم بن حُذيفة بن غانم.

ومن بني جُمحَ بن عمرو: صفوانُ بن أُميَّة بن خلف، وأُحَيحة بن أُميَّة بن خَلف، وعمير بن وهب بن خَلَف.

ومن بني سَهْم: عديّ بن قيس بن حذافة.

ومن بني عامر بن لؤيّ: حُوَيْطِبْ بن عبد العُزىً بن أبي قَيس بن عبد وُدّ هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب.

ومن أفناء القبائل: من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة: نوفل بن معاوية بن عروة بن صَخْر بن رَزْن بن يَعْمَر بن نُفاثَةَ بن عديّ بن الدِّيل.

القبلية بين الأقـرع وعيينة:

والأقرع وعُيَيْنةُ من باب قَبْليّة المَرْتَبَةِ، وقَبْلِيّة الفَضل، أما قَبْلَيّة الرُّتبة فإنه من خِنْدِفَ، ثم من بني تمِيم، فهو أقرب إلى النبيّ ﷺ من عُيَيْنَةَ، فترتب في الذكر قَبْلَه، وأما قَبْلِيَّةُ الفَضْل، فإن الأقْرَعَ حَسُن إسلامُه وعُيَيْنَةُ لم يزل مَغْدُودًا في أهل الجَفَاءِ حتى ارتَدَّ وآمن بطُلَيْحَة، وأُخِذ، أسِيرًا فجعل الصِّبْيَانُ يقولون له ـ وهو يساق إلى أبي بكر ـ وَيْحَك يا عَدُوَّ

ومن بني قَيْس، ثم من بني عامر بن صعصعة، ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، ولَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

ومن بني عامر بن ربيعة: خالد بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وحرملة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو.

ومن بني نصر بن معاوية: مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع.

ومن بني سُلَيم بن منصور: عباس بن مِرْداس بن أبي عامر، أخو بني الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيم.

ومن بني غطفان، ثم من بني فزارة: عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدر.

ومن بني تميم ثم من بني حنظلة: الأقرعُ بن حابس بن عِقال، من بني مجاشِع بن دارم.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ: أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله، أعطيت عُيَيْنَةَ بن حِصن والأقرعَ بن حابس مِائَةً مِائَةً، وتركت جُمَيْل بن سُرَاقَة الضَّمْري! فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفس محمد بيده لَجُعَيْل بن سُراقة خيرٌ من طِلاَعِ الأرضِ، كُلّهم مثل عُيَيْنة بن حِصْن والأقرع بن حابس، ولكني تألفتهما ليُسْلِما، ووَكَلْتُ جُعَيْل بن سُرَاقَةَ إلى إسلامه»[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبو عُبيدة بن محمد بن عَمَّار بن ياسِرٍ، عن مِقْسَم أبي القاسم، مَوْلَى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتَلِيد بن كلاب اللَّيْثيّ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت، معلِّقًا نعلَه بيده، فقلنا له: هل حَضَرْتَ رسولَ الله ﷺ حين كلّمه التميميّ يومَ حُنَين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني

الله ارتَدَدْتَ بعد إيمانك، فيقول: والله ما كنت آمنت، ثم أسلم في الظاهر، ولم يزل جافيًا أحْمَقَ حتى مات، وبحَسْبِك تَسْمِية النبيِّ ﷺ له: «الأحْمَق المُطاع» ومما يذكر من جَفَائِه أن عَمْرو بن مَعْدِي كَرِب نزلَ به ضيفًا، فقال له عُيَيْنَة: هل لك في الخمر نَتَنَادَمُ عليها؟ فقال عمرو: أَلَيْسَت مُحَرَّمَةً في القرآن؟ فقال عُيَيْنَةُ: إنما قال: فهل أنتم مُنْتَهُون، فقلنا نحن: لا، فَشَربًا.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ١٨٣).

تميم، يقال له: ذو الخُوَيْصِرَة، فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال: يا محمد قد رأيتُ ما صنعتَ في هذا اليوم؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «أجل، فكيف رأيت؟» فقال: لم أرك عَدَلْتَ؛ قال: فغضِب النبيُّ ﷺ، ثم قال: «وَيْحَكَ! إذا لم يكن العَدْلُ عندي، فعند مَنْ يكون؟!» فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله، ألا أقتلُه؟ فقال: «لا، دَعْه فإنه سيكون له شيعةٌ يتعمَّقُون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السَّهْمُ من الرَّمِيَّة، يُنظر في النَّصْل، فلا يوجد شيء، ثم في القِدْح، فلا يوجد شيء، ثم في الفُوقِ، فلا يوجد شيء، سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ».

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن عليّ بن الحسين أو جعفر بمثل حديث أبي عُبيدة، وسماه ذا الخُوَيْصرَة.

شعر حسَّان في جرمان الأنصار

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح، عن أبيه بمثل ذلك.

قال ابن هشام: ولما أعطَى رسولُ الله ﷺ ما أعطَى قريش وقبائلِ العرب، ولم يعطِ الأنصارَ شيئًا، قال حسَّان بن ثابت يعاتبه في ذلك:

حديث ذي الخويصرة[1]:

وذكر حديثَ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيميّ، وما قال فيه النبيُّ عليه السلام وفي شيعته، وقال في حديث آخر: «يَخرُج من ضِئْضِئِه قومٌ تحقرون صلاتَكم إلى صَلاتِهم، وصيامكم إلى صِيَامِهِمْ يَمْرُقُون من الدين كما يَمْرُق السَّهْمُ من الرَّمِيَّة» الحديث، فكان كما قال - ﷺ - وظهر صِدْقُ الحديث في الخوارج، وكان أوّلهم من ضِئْضِئِي ذلك الرجلِ، أي: من أَصْلِه، وكانوا من أهل نَجْدٍ التي قال فيها النبيّ ﷺ: «منها يَطْلع قَرْنُ الشَّيْطَانِ»، فكان بدؤُهم من ذي الخُوَيْصِرَةِ، وكان آيتهم ذو الثُّدَيَّة الذي قَتَله عليٌّ رضي الله عنه، وكانت إحدى يديه كَثَدْيِ المرأة، واسم ذي الثُّدَيَّة نافع، ذكره أبو داود، وغيره يقول اسمه: حُرْقُوص [بن زهير] وقول أبي داود أصحُّ، والله أعلم.

شعر حسَّـان فـي عتابـه ﷺ

وذكر شعـر حسَّـان وفـيـه:

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٢١) ومسلم والبيهقي (٨/ ١٧١).

زادَتْ هُمُومٌ فماءُ العينِ مُنْحَدِرٌ سَحا إذا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَر
وَجْدًا بشَمَّاءَ إذْ شَمَّاءُ بَهْكَنَةٌ هَيْفاءُ لا ذَنَنٌ فيها ولا خَوَر
دَعْ عنك شَمَّاءَ إذ كانت مودّتُها نَزْرًا وشرُّ وَصَالِ الواصِلِ النَّزر
وأْتِ الرَّسول فقُل يا خيرَ مؤتَمَنٍ للمُؤمنين إذا ما عُدّدَ البَشَر
علامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهي نازِحةٌ قُدَّامَ قوم هُمُ آوَوْا وهُمْ نصرُوا
سَمَّاهُمُ الله أنصَارًا بنَصْرِهِم دينَ الهُدَى وعَوَانُ الحرب تسْتَعِرُ
وسارعوا في سبيلِ اللهِ واعترفُوا للنَّائبات وما خامُوا وما ضجِرُوا
والناس ألْبٌ علينا فيك ليس لنا إلاّ السُّيوفَ وأطْراف القَنا وَزَرُ
نجالِدُ النَّاسَ لا نُبْقي على أحَدٍ ولا نُضَيِّعُ ما تُوحِي به السُّوَرُ
ولا تَهِرّ جُناةُ الحَرْب نادِيَنا ونحنُ حين تَلَظَّى نارُهَا سُعُرُ
كما ردَدْنا ببَدْرٍ دون ما طَلَبُوا أهلَ النِّفاق وفينا يُنْزَلُ الظَّفَرُ
ونحن جُنْدُك يوم النَّعْف من أُحُد إذْ حزَّبتْ بطَرًا أحْزابها مُضَر
فمَا وَنِينا وما خِمْنا وما خَبَرُوا مِنَّا عِثارًا وكلّ الناس قد عَثرُوا

قال ابن هشام: حدّثني زياد بن عبد الله، قال: حدّثنا ابن إسحٰق: قال: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لَبِيد، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ، قال: لما أعطى رسولُ الله ﷺ ما أعطَى من تلك العَطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيءٌ، وجَد هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لَقَدْ لَقِي واللهِ رسولُ الله ﷺ قومَه، فدخل عليه سعد بن عُبادة، فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الحيّ من الأنصارِ قد وَجَدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبتَ، قَسَمْت في قومك، وأعطيت عَطَايا عِظامًا في قبائل العرب، ولم يَكُ في هذا الحيِّ من الأنصارِ منها شيء. قال: «فأين أنت مِنْ ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله، ما أنا إلاّ من قومي، قال: «فاجْمَعْ لي قومك في هذه الحظيرة». قال: فخرج سعد، فجمع الأنصارَ في تلك الحَظِيرَةِ قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم،

هَيْفاء لا ذَنَنٌ فيها ولا خَوَرُ

الذَنَنُ: الغَدْرُ والتَّفلُ، والذَّنِينُ المخاط، والذَّنَنُ أيضًا ألاّ ينقطع حَيضُ المرأة، يقال: امرأة ذَنَّاءُ، ولو رُوي بالدال المهملة لكان جَيِّدًا أيضًا، فإن الدَّنَنَ بالدال هو قِصَرُ العُنُقِ وتَطَامُنِها، وهو عَيْبٌ. والبَهْكَنَةُ: الضَّخْمَةُ.

فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصارِ، فأتاهم رسولُ الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ثم قال: «يا مَعْشَرَ الأنصارِ: ما قالَةٌ بلغتني عنكم، وجِدَةٌ وَجَدْتُموها عَلَيَّ في أنفسكم؟ ألم آتِكُم ضُلاَّلاً فهداكم الله، وعَالَةً فأغناهم الله، وأعداءً فألَّف الله بين قلوبكم!» قالوا: بلى، الله ورسوله أَمَنُّ وأفضَلُ، ثم قال: «ألا تُجيبونني يا مَعْشَرَ الأنصار؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المَنُّ والفَضْل. قال ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم، فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنا مُكَذَّبًا فصدَّقناك، ومَخْذُولاً فنصَرْنك، وطريدًا فآوَيْنَاك، وعائلاً فآسَيْنَاك. أَوَجَدْتم يا مَعْشَر الأنصار في أنفسكم في لُعَاعَةٍ من الدّنيا تألَّفْتُ بها قوْمًا ليُسْلِموا، ووكلتكم إلى إسلامِكم، ألا ترضوْن يا معشر الأنصار، أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رِحالكم؟ فوالذي نفسُ محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْبًا وسَلَكت الأنْصارُ شِعْبًا، لسلكْتُ شِعْبَ الأنصار. اللَّهُمَّ ارْحَم الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ، وأبناءَ أبناء الأنصار».

قال: فبكى القوم حتى أَخْضَلُوا لِحاهُمْ، وقالوا: رضينا برسول الله قَسْمًا وحظًا. ثم انصرف رسولُ الله ﷺ، وتفرّقوا.

حول عتاب النبيّ للأنصار:

فصل: وذكر قول النبيّ - ﷺ - للأنصار: «مَا قَالَةٌ بلغتني عنكُم وجِدَةٌ وجدتموها في أنفسكم، هكذا الرواية: جِدَةٌ والمعروف عند أهل اللغة: مَوْجِدَة إذا أردت الغَضَب، وإنما الجِدَةُ في المال.

وقوله عليه السلام: في لُعَاعَةٍ من الدنيا تألّفتُ بها قومًا، ليُسْلِموا. اللُّعَاعَةُ بَقْلَةٌ ناعمة، وهذا نحو من قوله عليه السلام: «المالُ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ»[1]، واللَّعَةُ من هذا المعنى، وهي المرأة المليحة العَفيفة، واللَّعْلَعُ: السَّرَابُ، ولُعَاعُهُ: بَصِيصُه.

جعيل بن سراقة:

وذكر جُعَيْلَ بن سُرَاقَة، وقول النبيّ - ﷺ - فيه: ووكَلْتُ جُعيْل بن سُرَاقَةَ إلى إسلامه. نسب ابنُ إسحٰق جُعَيْلاً إلى ضَمْرَةَ، وهو معدود في غِفَارٍ، لأن غِفارًا، هم بنو مُلَيْل بن ضَمْرَةَ من بني لَيْث بن بَكْر بن عَبْدِ مَنَاةَ بن كِنَانَةَ. وأما حديث التَّمِيمي الذي قال للنبيّ ﷺ

---

(١) أخرجه الطبراني (١٩/ ٣٥٠) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٦٤) والحميدي (٧٤٠) وعبد الرزّاق (٦٩٦٢) بلفظ «الدنيا» وانظر (١١/ ٢٤٦).

عمرة الرسول من الجعرانة واستخلافه عتاب بن أُسيد على مكّة، وحجّ عتاب بالمسلمين سنة ثمان:

اعتمار الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكّة:

قال ابن إسحٰق: ثم خرج رسولُ الله ﷺ من الجِعْرانة معتمرًا، وأمر ببَقايا الفيء فحُبِس بمَجَنَّة، بناحية مَرّ الظَّهْران، فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من عُمْرته انصرف راجعًا إلى المدينة واستخلف عَتَّاب بن أَسِيدٍ على مكّة، وخَلَّف معه مُعاذ بن جَبَل، يفقِّه الناس في الدين، ويعلِّمهم القرآن، واتُّبع رسولُ الله ﷺ ببقايا الفيء.

قال ابن هشام: وبلغني عن زيد بن أسْلم أنه قال: لما استعمل النبيُّ ﷺ عَتَّابَ بن أسيد على مكّة رزقه كلَّ يوم درهمًا، فقام فخطب الناسَ، فقال: أيها الناس، أجاعَ الله كَبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسولُ الله ﷺ درهمًا كلّ يوم، فليست بي حاجة إلى أحد.

وقت العُمرة:

قال ابن إسحٰق: وكانت عُمرة رسول الله ﷺ في ذي القَعْدة، فقدم رسولُ الله ﷺ المدينة في بقيَّة ذي القعدة أو في ذي الحِجَّة.

قال ابن هشام: وقَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة لستّ ليالٍ بقين من ذي القعدة فما زعم أبو عمرو المدني.

حين أُعْطَى المؤلفة قلوبُهم: لم أرك عدلت، فغضب النبيُّ ﷺ، ثم قال: «إذا لم يكن العَدْل عندي، فعند مَنْ يكون؟» وقال أيضًا: «إني أرى قِسْمَةً ما أُريد بها وَجْهُ الله»، فقال ﷺ: «أيأمَنُني الله في السماء، ولا تَأْمَنُوني»، أو كما قال ﷺ، فالرجل هو ذو الخُوَيْصِرَة، كذلك جاء ذكره في الحديث.

ويذكر عن الواقدي أنه قال: هو حُرْقُوصُ بن زُهَيْر السَّعْدي من سَعْدِ تميم، وقد كان لحُرْقُوصٍ هذا مشاهد محمودة في حَرْب العراق مع الفُرس أيّام عُمَر، ثم كان خارجيًا، وفيه يقول نحيبة الخارجي:

حتى أُلاقي في الفِرْدَوْس حُرْقُوصَا

ولذلك قال فيه النبيّ ﷺ: «إنه سيكون من ضِئْضِئِه قوم تحقرون صلاتَكم إلى صلاتهم»، وذكر صفة الخوارج، وليس ذو الخُوَيْصِرَة هذا ذا الثُّدَيَّة الذي قتله عليٌّ بالنَّهْر، وأن ذلك اسمُه نافعٌ، ذكره أبو داود، وكلام الواقدي حكاه ابن الطلاّع في الأحكام له.

قال ابن إسحٰق: وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحُجّ عليه، وحجّ بالمسلمين تلك السنة عَتَّابُ بن أسيد، وهي سنة ثمان، وأقام أهل الطائف على شِرْكِهِمْ وامتناعهم في طائفهم، ما بين ذي القَعدة إذ انصرف رسولُ الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع.

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسولُ الله ﷺ من مُنْصَرَفِه عن الطائف كتب بُجَير بنُ زُهَير بن أبي سُلْمَى إلى أخيه كَعْب بن زُهير يُخبره أن رسولَ الله ﷺ قتل رِجالاً بمكّة، ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شُعراء قريش، ابنُ الزِّبَعْرَى وهُبَيْرَة بن أبي وَهْب، قد هربوا في كلّ وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة، فطِرْ إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحدًا جاءه تائبًا، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض؛ وكان كَعْب بن زُهَير قد قال:

ألا أبْـلِـغـا عَـنّـي بُـجَـيْـرًا رِسـالـةً ... فهل لكَ فيما قلتُ وَيْحكَ هَلْ لَكا؟
فبَيِّن لنا إنْ كنتَ لستَ بفاعِلٍ ... عَـلـى أيِّ شـيءٍ غـيـرِ ذلـك دَلَّـكـا
عـلـى خُـلُـقٍ لـم أُلـفِ يَـوْمًـا أبـالَـهُ ... عَـلَـيْـهِ ومـا تُـلْـفِـي عَـلَـيْـهِ أبًـا لَـكـا
فإن أنتَ لـم تفعلْ فلستُ بآسفٍ ... ولا قـائـل إمَّـا عَـثـرْتَ لَـعًـا لَـكـا[1]
سَـقـاكَ بِـهـا الـمـأمـونُ كـأسًـا رَوِيَّـةً ... فأنهَلكَ[2] المأمونُ منها وعَلَّكا[3]

قال ابن هشام: ويُروى «المأمور». وقوله: «فبين لنا» عن غير ابن إسحٰق.

شعر بجير وكعب ابني زهير

فصل: وذكر قِصَّةَ بُجَيْر بن زُهَير بن أبي سُلْمَى، واسم أبي سُلْمى: ربيعة بن رِيَاح أحد بني مُزَيْنَةَ.

وفي شعر كعب إلى أخيه بجَيْر:

سَـقَـاكَ بـه الـمـأمـونُ كـأسًـا رَوِيَّـةً

ويُروى: المحمودُ في غير رواية ابن إسحٰق، أراد بالمحمود: محمدًا ـ ﷺ ـ وكذلك المأمون والأمين كانت قريشٌ تسمّى بهما النبيَّ ﷺ قبل النبوّة.

---

(١) لعاً لك: كلمة تقال للعاثر، وهي دعاء له أن يقوم.
(٢) النهل: الشرب الأول. (٣) العلك: الشرب الثاني.

وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر وحديثه:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي بُجَيْرًا رسالةً ... فهل لكَ فيما قلتُ بالخَيْف هل لَكا

شَرِبتَ معَ المأمون كأسًا رَوِيَّة ... فأنهلكَ المأمونُ منها وعَلَّكا

وخالفتَ أسبابَ الهُدَى واتَّبعتَه ... على أيّ شيء وَيْبَ غيرِك دَلَّكا

على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمًّا ولا أبًا ... عليه ولم تُدْرِك عليه أخًا لَكا

فإن أنتَ لم تفعل فلستُ بآسف ... ولا قائلٍ إمَّا عَثرْتَ لَعًا لَكا

قال: وبعث بها إلى بُجَير، فلما أتَتْ بُجيرًا كَرِه أن يكتُمَها رسولَ الله ﷺ، فأنشده إيّاها، فقال رسولُ الله ﷺ لما سمع «سقاك بها المأمون». صدق وإنه لكَذوب، أنا المأمون: ولما سمع: «على خُلُق لم تُلْفِ أمًّا ولا أبًا عليه» قال: أجل، لم يُلْف عليه أباه ولا أمّه.

ثم قال بُجَير لكعب:

مَنْ مُبْلِغ كعْبًا فهلْ لكَ في التي ... تلوم عليها باطلاً وهْيَ أحْزَمُ

إلى الله (لا العُزَّى ولا اللاتِ) وحْدَه ... فتنجو إذا كان النَّجاء وتَسلَمُ

لَدَى يَوْم لا ينْجُو وليس بمُفْلِتٍ ... من النَّاس إلاّ طاهرُ القَلْب مُسْلِم

فدينُ زُهير وهو لا شيءَ دينُه ... ودين أبي سُلْمَى عليَّ مُحَرَّم

وقوله لأخيه بُجَيْر:

علَى خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمًّا ولا أبَا ... عليه، ولم تُدرِك عليه أخًا لَكَا

إنما قال ذلك، لأن أُمهما واحدةٌ، وهي كَبْشَةُ بنت عَمَّار السُّحَيْمِيَّة فيما ذكر ابن الأعرابي عن ابن الكَلْبي.

وقوله: إمَّا عَثَرْتَ لَعًا لَكَا، كلمة تقال للعاثر دعاء له بالإقالة، قال الأعشى:

فالتَّعْسُ أدْنَى لَهَا ... مِنْ أنْ يُقَال لَعَا لَها

وأنشد أبو عُبَيْد:

فلا لَعَا لبني فعلان إذ عَثَرُوا

وقول بُجيْر:

وديـن زُهَيْر وهو لا شَيْءَ دينُه

قال ابن إسحٰق: وإنما يقول كعب: «المأمون»، ويقال: «المأمور» في قوله ابن هشام: لقول قريش الذي كانت تقوله لرسول الله ﷺ.

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللاميّة

قال ابن إسحٰق: فلما بلغ كَعْبًا الكتابُ ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به مَنْ كان في حاضره من عَدُوّه، فقالوا: هو مقتول: فلما لم يجد من شيء بُدًّا، قال قصيدته التي يمدح فيها رسولَ الله ﷺ، وذكر فيها خوفَه وإرجاف الوشاة به

روايةٌ مستقيمة، وقد رواه القالي، فقال: وهو لا شيء غيره، وفسَّره على التقديم والتأخير أراد: ودين زهير غيره، وهو لا شيء. ورواية ابن إسحٰق أبعد من الإشكال وأصحّ، والله أعلم.

وكعب هذا من فحول الشعراء هو وأبوه زُهَيْرٌ، وكذلك ابنه عُقْبَةُ بن كَعْبِ بن زُهَيْر يُعْرَف عُقْبَةُ بالمُضرَّب، وابن عُقْبَة العَوَّام شاعرٌ أيضًا، وهو الذي يقول:

ألا لَيْتَ شِعْرِي هل تَغَيَّر بعدَنا ... مَلاَحةُ عَيْنَيْ أُمّ عَمْرٍو وجِيدُها

وهل بَلِيَتْ أثوابُها بعد جِدَّةٍ ... ألاَ حَبَّذَ أخلاقُها وجَدِيدُها

ومما يُسْتَحْسَن ويُسْتَجاد من قول كَعْبٍ:

لو كنت أَعْجَبُ من شَيْءٍ لأعْجَبَني ... سَعْيُ الفَتَى وهو مَخْبُوءٌ له القَدَرُ

يسعى الفتى لأمور ليس يُدْرِكها ... فالنَّفْسُ واحدةٌ والهَمُّ مُنْتَشِرُ

والمرءُ مَا عَاشَ مَمْدودٌ له أَمَلٌ ... لا تنتهي العَيْنُ حتى ينتهي الأثَرُ

وقوله:

إن كنت لا تَرْهَبُ ذَمِّي ... لِمَا تَعْرِف من صَفْحِي عن الجاهِلِ

فاخْشَ سُكُوتِي إذ أنا مُنْصِتٌ ... فيك لِمَسْمُوع خَنَا القائِلِ

فالسَّامعُ الذَّمّ شريكٌ له ... ومُطْعَم المأكُولِ كالآكِلِ

مقالةُ السُّوءِ إلى أهلِها ... أَسْرَع من مُنْحَدر سَائِل

ومَنْ دعا الناس إلى ذَمّه ... ذَمُّوه بالحَقّ وبالباطِل

قصيدة بانت سعاد

وذكر قصيدته:

من عدوّه، ثم خرج حتى قَدِم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جُهينة، كما ذُكر لي، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلّى الصبح، فصلّى مع رسولِ الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: هذا رسولُ الله، فقم إليه فاستأمنه. فذُكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ، حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زُهَير قد جاء ليستأْمِنَ منك تائبًا مُسلمًا، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»؛ قال: أنا يا رسول الله كعب بن زُهَير.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدوَّ الله أضرِب عنقه؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «دعه عنك، فإنه قد جاء تائبًا، نازعًا (عما كان عليه)» فقال: فغضب كعبٌ على هذا الحيّ من الأنصار، لِمَا صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلّم فيه رجل من المهاجرين إلاّ بخير، فقال في قصيدته التي قال حين قَدِم على رسول الله ﷺ:

بـانَـتْ سُـعـادُ فـقَـلْـبي الـيـوْمَ مَـتْـبُـولُ[١]	مُـتَـيَّـمٌ[٢] إثْـرَهـا لـم يُـفْـدَ مَـكْـبُـولُ[٣]
ومـا سُـعـادُ غـداةَ الـبَـيْـن إذْ رَحَـلـوا	إلاّ أغَنُّ[٤] غَضِيضُ[٥] الطَّرْفِ مَكْحول
هَـيْـفـاءُ[٦] مُـقْـبِـلَـةً عَـجْـزَاءُ[٧] مُـدْبِـرَةً	لا يُـشْـتَـكَـى قِـصَـرٌ مـنـهـا ولا طُـولُ
تَجْلو[٨] عوارضَ[٩] ذي ظَلْمٍ[١٠] إذا ابتسمتْ	كـأنَّـه مُـنْـهَـلٌ[١١] بـالـرَّوْح[١٢] مَـعْـلـولُ
شُـجَّـتْ بـذي شَـبَـمٍ من مـاءِ مَـحْـنِـيةٍ[١٣]	صَافٍ بأبطحَ[١٤] أضْحَى وهُوَ مَشْمُولُ[١٥]

بـانَـتْ سُـعَـادُ فـقِـلْـبي الـيـومَ مَـتْـبُـولُ

وفـيها قوله: شُجَّتْ بذي شَبَم.

يعني: الخَمْرَ، وشُجَّت كُسِرت من أعلاها لأنَّ الشَّجَّة لا تكون إلاّ في الرأس، والشَّبَمُ

---

(١) متبول: هالك.
(٢) متيم: أي مُعَبد.
(٣) مكبول: مقيّد.
(٤) أغنّ: الظبي الصغير.
(٥) غضيض: فاتر الطرف.
(٦) هيفاء: ضامرة البطن.
(٧) عجزاء: عظيمة العجيزة.
(٨) تجلو: تصقل.
(٩) العوارض: الأسنان.
(١٠) الظلم: شدّة بريق الأسنان
(١١) منهل: مسقى.
(١٢) الرزح: الخمر.
(١٣) محنية: منتهى الوادي.
(١٤) أبطح: موضع سهل.
(١٥) مشمول: هبّت عليه ريح الشمال.

تَنْفِي الرّياحُ القَذَى عنهُ وأفْرَطَهُ   من صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يَعالِيلُ[1]

فَيَا لهَا خُلَّةً لو أنها صَدَقَتْ   بوَعْدها أوْ لَوَ أنَّ النُصحَ مَقْبولُ

لكنها خُلَّة قَدْ سِيط من دَمِها   فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْديلُ

فمَا تَدومُ على حالٍ تكونُ بها   كما تَلَوّنُ في أثْوابها الغُولُ

وما تَمَسَّك بالعهد الذي زعمت   إلاّ كما يُمْسك الماءَ الغرَابيلُ

فلا يغرَّنْكَ ما مَنَّتْ ومَا وعَدَت   إنّ الأمانيَّ والأحْلامَ تَضْليلُ

البَرْدُ، وأَفْرَطه: أي: مَلأه. والبيض اليَعَالِيلُ: السَّحَابُ، وقيل: جبال ينحدر الماءُ من أعلاها، واليَعَالِيلُ أيضًا: الغُدْرَانُ، واحدُها يَعْلُولٌ؛ لأنه يُعِلُّ الأرضَ بمائه.

وقوله:

يا وَيْحهَا خُلَّةً قد سِيطَ من دَمِها

أي: خِلطَ بلحمها ودمها هذه الأخلاقُ التي وصفها بها من الوَلع وهو الخُلْف، والكذبِ، والمَطْل، يقال: ساط الدمَ والشرابَ إذا ضرب بعضَه ببعض. وقال الشاعر يصف عبدَ الله بن عباس:

صَمُوتٌ إذا ما زَيَّنَ الصَّمْتُ أهلَه   وفَتّاقُ أَبْكَارِ الكَلام المُخَتَّمِ

وَعَى ما حَوَى القرآنُ من كُلِّ حِكْمَةٍ   وسِيطَت له الآدابُ باللَّحْمِ والدمِ

والغُول: التي تَتَراءى بالليل. والسِّعْلاةُ ما تراءى بالنَّهَار من الجنّ، وقد أبطل رسولُ الله ﷺ حكم الغُول حيث قال: «لا عَدْوَى ولا غُولَ»[2]، وليس يعارضُ هذا ما رُوِي من قوله عليه السلام: «إذا تَغَوَّلت الغِيلانُ فارْفَعُوا أصواتكم بالأذان»[3]، وكذلك حديث أبي أيوب مع الغول حين أخذها، لأن قوله عليه السلام: «لا غُولَ إنما أَبْطل به ما كانت الجاهليةُ تتقوله من أخبارِها وخُرافاتِها معها».

---

(١) اليعاليل: الرغوة التي تعلو الماء.

(٢) أخرجه مسلم في السلام (١١٤) وأحمد (٣٢٨/١) وأبو داود (٣٩١٢ ـ بتحقيقي) والبيهقي (١٣٥/٧) وانظر الفتح (١٥٨/١٠).

(٣) «ضعيف». أخرجه أحمد (٣٠٥/٣/ ٣٨٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥١٧) وعبد الرزاق (٩٣٥٢) وأورده الذهبي في الميزان (٦٤٠٤).

كـانـتْ مـواعـيـدُ عُـرقـوبٍ لـهَـا مَـثَـلاً ... ومـا مـواعـيـدُهـا إلاّ الأبـاطِـيـلُ

أرْجـو وآمُـلُ أنْ تَـدْنـو مَـوَدَّتُـهـا ... ومـا إخـالُ لَـدَيْـنـا مِـنْـكِ تَـنْـوِيـلُ

أمْـسَـتْ سُـعـادُ بـأرضٍ لا يُـبـلِّـغـهـا ... إلا الـعِـتـاقُ الـنَّـجِـيـبـاتُ الـمَـراسـيـلُ[1]

ولـن يُـبَـلِّـغَـهـا إلاّ عُـذَافِـرَةٌ[2] ... لـهَـا عـلـى الأيْـنِ[3] إرْقـالٌ وتَـبْـغـيـلُ[4]

من كلّ نَضّاخة[5] الذِّفْرَى[6] إذا عَرِقت ... عُرْضَتُها[7] طامِسُ[8] الأعلام مَجْهُولُ

تـرْمـي الـغُـيُـوبَ بـعَـيْـنَـيْ مُفردٍ لَـهَـقٍ ... إذا تَـوَقَّـدَتِ الـحِـزّانُ والـمِـيـلُ

ضَـخْـمٌ مُـقَـلَّـدهـا فَـعْـمٌ مـقـيَّـدهـا ... في خَلْقِها عن بناتِ الفَحلِ تَفضيلُ

غَـلْـبـاءُ وَجْـنـاءُ عُـلْـكُـومٌ مُـذَكَّـرَة ... فـي دَفِّـهـا سَـعَـةٌ قُـدَّامُـهـا مِـيـلُ

وجِـلْـدُهـا مِـن أطُـومٍ مـا يـؤيِّـسـه ... طِـلْـح بـضَـاحِـيَـة الـمـتْـنَـيْـنِ مَـهْـزُولُ

وقـولـه:

كـانـت مـواعـيـدُ عُـرْقُـوبٍ لـهـا مَـثَـلاً

هو: عُرْقُوبُ بن صَخْر من العَمَالِيق الذين سكنوا يَثْرِبَ، وقيل: بل هو من الأوْسِ والخَزْرَجِ، وقِصَّتُه في إخلاف الوعد مشهورة حين وَعَد أخاه بجَنَا نَخْلةٍ له وَعْدًا من بعد وَعْدٍ، ثم جَذَّها لَيْلاً، ولم يُعْطه شيئًا.

والتَّبْغِيلُ: ضرب من السَّيْر سَرِيع، والحِزَّان جمع حَزْن وهو ما غَلُظ من الأرض. والمِيلُ ما اتّسع منها:

وقوله: ترمي النِّجَادَ، وأنشده أبو علي: تَرْمي الغُيُوبَ، وهو جمع غَيْب، وهو ما غار من الأرض، كما قال ابنُ مِقْبل:

لَـزْمُ الـغُـلاَمِ وَرَاءَ الـغَـيْـبِ بـالـحـجـر

وقـولـه:

حَـرْفٌ أبـوهـا أُخـوهـا مـن مُـهَـجَّـنَـةٍ ... وعَـمُّـهـا خـالُـهـا قَـوْدَاءُ شِـمْـلِـيـلُ

---

(١) المراسيل: السريعة.

(٢) عذافرة: ناقة ضخمة.

(٣) الأين: الإعياء.

(٤) الإرقال والتبغيل: ضربان من السير.

(٥) نضّاخة: يرشح عرقها.

(٦) الذفرى: عظم من أصل الأذن.

(٧) عرضتها: الشيء يُقوى عليه.

(٨) طامس: متغير.

حَـرْف أخُـوهـا أبُـوهـا مِـنْ مُـهَـجَّـنـةٍ وعَـمُّـهـا خـالُـهَـا قَـوْداءُ شِـمْـلـيـلُ

يَـمْـشِـي الـقُـرادُ عـلَـيـهـا ثـم يُـزْلِـقُـهُ مِـنْـهـا لَـبـانٌ وأقْـرَابٌ زَهـالِـيـلُ

عَـيْرانةٌ قُـذِفـتْ بـالـنَّـحض عـن عُـرُضٍ مِـرْفَـقُـهـا عَـنْ بَـنـاتِ الـزَّوْرِ مَـفْـتـولُ

كـأنَّـمَـا فـاتَ عَـيْـنَـيـهـا ومَـذْبَـحـهـا مـن خَـطْـمِـهـا ومِـن الـلَّـحْـيَـيْـنِ بِـرْطـيـل

تـمُـرٌ مـثـلَ عَـسِـيـب الـنَّـخـل ذا خُـصَـلٍ فـي غـارِز لـم تَـخَـوَّنـهُ الأحـالِـيـلُ

قَـنْـوَاءُ فـي حُـرَّتَـيْـهـا لـلْـبَـصِـيـر بِـهـا عِـتْـق مُـبِـيـنٌ وفـي الـخـدَّيْـن تَـسْـهِـيـلُ

تَـخْـدِي عـلـى يَـسَـرَاتٍ وَهْـيَ لاحِـقَـةٌ ذَوَابِـلٍ مَـسُّـهُـنّ الأرضَ تـحـلـيـلُ

سُمْرِ العُجاياتِ[1] يتركْنَ الحصَى زِيَمًا[2] لـم يَـقِـهِـنَّ رُؤُوسَ الأُكْـمِ تَـنْـعِـيـلُ

القَوْدَاءُ: الطَّويلةُ العُنُقِ. والشِمْلِيل: السريعة. والحَرْفُ: الناقة الضامر.

وقوله: من مُهَجَّنَةٍ، أي: من إبل مُهَجَّنَةٍ مُسْتَكْرمة هِجانٍ.

وقوله: أبوها أخوها أي: إنهما من جنس واحد من الكَرَم، وقيل: إنها من فَحْل حَمَلَ على أُمِّه فجاءت بهذه الناقة، فهو أبوها وأخوها، وكانت للناقة التي هي أُمُّ هذه بنت أخرى من الفحل الأكبر، فعَمُّها خالها على هذا، وهو عندهم من أكْرَمِ النتاج، والقول الأوّل ذكره أبو علي القَالي عن أبي سعيد، فالله أعلم.

وقوله: أقْرابٌ زَهَالِيل، أي: خَواصِر مُلْسَ، واحدُها: زُهْلُول والبِرْطِيلُ: حَجَرٌ طَويلٌ، ويقال: للمِعْوَل أيضًا: برْطيلُ.

وقـولـه:

ذَوَابِـل وَقْـعُـهُـنّ الأرضَ تَـحْـلـيـلُ

تحليل، أي: قليلٌ. يقال: ما أقام عندنا إلاّ كتَحْلِيل الأليَّة، وكتَحِلَّة المقسِم، وعليه حمل ابن قُتَيْبة قوله عليه السلام: «لن تمسَّه النارُ إلاّ تَحِلَّة القَسَم»، وغلَّط أبا عبيد حيث فسّره على القَسَم حَقِيقَةً. قال القُتَبيُّ: ليس في الآية قَسَمٌ لأنه قال: ﴿وإنْ مِنْكُم إلاّ وارِدُها﴾ [مريم: ٧١] ولم يُقْسِم. قال الخطابي: هذه غَفْلَةٌ من ابن قُتَيْبَةَ فإن في أوّل الآية: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهم والشياطينَ﴾ وقوله: ﴿وإن منكم إلاّ وَارِدُها﴾ داخلٌ تحت القسم المتقدّم.

---

(١) العجايات: جمع عجاية: وهي عظمة بالحافر. (٢) زيم: منكسر.

كَـأَنَّ أَوْبَ ذِراعَـيـهـا وقـد عَـرِقَـتْ وقـد تَـلـفَّـع بـالـقُـورِ الـعَـسـاقـيـلُ
يَـوْمًـا يـظـلّ بـه الـحِـرْبـاءُ مُـصْـطَـخِـدًا كـأَنَّ ضَـاحِـيَـهُ بـالـشَّـمْـسِ مَـمْـلُـولُ
وقـال لـلـقَـوْمِ حـادِيـهِـمْ وقـد جـعـلـت وُرْقُ الـجَـنـادِبِ يَـرْكُـضْـن الـحَـصـا قِـيـلـوا
شَـدَّ الـنـهـارِ ذرَاعـا عَـيْـطَـلٍ نَـصَـف قـامـت فـجـاوَبـهـا نُـكْـدٌ مَـثـاكِـيـلُ
نَـوَّاحـة رِخْـوَة الـضَّـبْـعـيـن[1] لـيـسَ لـهَـا لَـمَّـا نَـعَـى بِـكْـرهـا الـنَّـاعـون مَـعـقـولُ
تَـفْـرِي الـلُّـبـانَ بـكَـفَّـيْـهـا ومِـدْرَعُـهـا مُـشَـقَّـقٌ عـن تَـراقـيـهـا رَعـابـيـلُ[2]
تَـسْـعَـى الـغُـواة جَـنـابَـيـهـا وقـولُـهـم إنَّـك يـا ابـنَ أبـي سُـلْـمَـى لَـمَـقْـتُـولُ

وقوله: بالقُور العَسَاقِيل. القُورُ: جمع قَارَة، وهي الحِجَارَةُ السُودُ. والعَسَاقِيلُ هنا السَّرابُ، وهذا من المقْلُوب، أراد وقد تَلفَّعَتْ القودُ بالعَسَاقِيل.

وفيها قوله:

تَمْشِي الغُوَاةُ بجَنْبَيْها، أي: بجَنْبَيْ ناقتهِ.

عن القول والقيل إعرابًا ومعنى:

وقوله:

إنـك يـا ابـن أبـي سُـلْـمَـى لـمَـقْـتُـول

ويُرْوى: وقَيْلُهم، وهو أحسن في المعنى، وأولى بالصَّواب؛ لأن القِيلَ هو الكلام المَقُولُ فهو مُبْتَدأ، وقوله: إنك يا ابن أبي سُلْمَى لمَقْتُول: خبرٌ، تقول: إذا سئلت ما قِيلُك؟ قيلي: إن الله واحدٌ، فقولك: إن الله واحدٌ هو القيلُ، والقَوْلُ مصدر كالطَّحن والذَّبح، والقِيلُ اسمٌ لِلْمَقُولِ كالطِّحْن والذِّبح بكسر أوّله، وإنما حَسُنت هذه الروايةُ، لأن القَوْلَ مصدَرٌ فيصير: إنك يا ابن أبي سُلْمَى في موضع المَفعول فيه، فيبقى المبتدأ بلا خَبَر إلاَّ أن تجعل المَقُول هو القَول على المَجار، كما يُسَمَّى المخلوقُ خَلْقًا، وعلى هذا يكون قوله عَزّ وجلّ: ﴿وقيلِه يا رَبِّ﴾ [الزخرف: ٨٨] في مَوْضع البَدَل من القِيل، وكذلك قوله: ﴿إلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا﴾ [الواقعة: ٢٦] مُنْتَصِبٌ بفعل مُضْمَرٍ، فهو في موضع البَدَلِ من قِيلاً وكذلك قوله: ﴿ومَنْ أَصْدَقُ من الله قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢] أي: حديثًا مَقُولاً، ومن هذا البابِ مسألةٌ من النحو ذكرها سِيبَوَيْه، وابن السراج في كتابه، وأخذ الفارسي منهما، أو من ابن السراج، فكثيرًا ما ينقل من كتابه بلفظه غير أنه أفسد هذه المسألة، ولم

---

(١) الضبعين: لحمتا العضدين.
(٢) رعابيل: قطع متفرّقة.

وقـالَ كـلُّ صَـدِيـقٍ كُـنـتُ آمُـلُـه   لا أُلْـهِـيَـنَّـكَ إنـي عـنـكَ مَـشْـغُـولُ
فـقُـلـتُ خَـلُّـوا سَـبـيـلـي لا أبـالـكـمُ   فـكُـلُّ مـا قَـدَّر الـرَّحـمـٰنُ مَـفْـعُـول
كـلُّ ابـنِ أُنـثـى وإن طـالـت سـلامـتُـه   يَـوْمًـا عـلـى آلـةٍ حَـدْبـاء مَـحْـمـولُ
نُـبِّـئْـتُ أنَّ رسـولَ اللهِ أوعَـدنـي   والـعَـفْـو عـنـد رسـولِ اللهِ مـأمُـول
مَـهْـلاً هَـداك الـذي أعْـطـاك نـافِـلَـةَ الـ   ـقـرآن فـيـهـا مَـواعـيـظٌ وتَـفْـصِـيـلُ
لا تـأخُـذَنّـي بـأقْـوَال الـوُشـاة ولَـمْ   أُذنِـب ولـو كَـثُـرتْ فـيَّ الأقـاوِيـلُ
لـقَـد أقُـومُ مَـقـامًـا لـو يـقُـومُ بـه   أرَى وأسـمـعُ مـا لـو يَـسْـمـعُ الـفِـيـلُ
لـظَـلّ يَـرْعَـدُ إلاّ أنْ يـكـون لـه   مِـنَ الـرَّسـول بـإذْنِ اللهِ تَـنْـوِيـلُ
حـتـى وضَـعـتُ يـمـيـنِـي مـا أُنـازِعُـه   فـي كـفِّ ذي نَـقِـمـاتٍ قِـيـلُـه الـقـيـلُ

يفهم ما أراد بها، وذلك أنهما قالا: إذا قلت أوّل ما أقولُ: إني أحمد الله، بكسر الهمزةِ، فهو على الحكاية، فظنّ الفارسيّ أنه يريد على الحكاية بالقَوْل، فجعل إني أحمد الله في موضع المفعول بأقول، فلما بقي له المبتدأ بلا خَبَر تكلَّف له تقديرًا لا يعقل، فقال: تقديرُه أوّل ما أقول: إني أحمد الله موجود أو ثابت، فصار معنى كلامه: إلى أن أوّلَ هذه الكلمة التي هي إني أحمد الله موجودٌ أي: أوّلُ هذه الكلمة مَوْجُودٌ، فآخرها إذًا مَعْدُومٌ، وهذا خُلْفٌ من القَوْل، كما ترى، وقد وافقه ابنُ جِنّي عليه، رأيته في بعض مسائله، قال: قلت لأبي عَليّ لم لا يكون: إني أحمد الله في موضع الخبر، كما تقول: أوّل سورة أقرأها: ﴿إنا أعْطَيْنَاك الكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أو نحو هذا ولا يحتاج إلى حذف خبر، قال: فسكت ولم يجد جوابًا، وإنما معنى هذه المسألة أوّل ما أقول، أي: أوّل القيلِ الذي أقوله إني أحمد الله على حكاية الكلام المَقُول، وهذا الذي أراد سيبويه، وأبو بكر بن السراج، فإن فتحت الهمزة من أنَّ صار معنى الكلام أوّلُ القول لا أوّل القِيل، وكانت ما واقعةً على المصدر، وصار معناه: أوّل قولي الحمدُ إذ الحمدُ قولٌ ولم يُبَيّن مع فتح الهمزة كيف حَمد الله، هل قال: الحمد لله بهذا اللفظ، أو غيره، وعلى كسر الهمزةِ قد بيّن كيف حمد حين افتتح كلامَه، بأنه قال: إني أحمد الله بهذا اللفظ، أو غيره وعلى كسر الهمزةِ قد بيّن كيف حمد حين افتتح كلامَه، بأنه قال: إني أحمد الله بهذا اللفظ لا بلفظ آخر، فقف على هذه المسألة، وتدبرها إعرابًا ومعنى، فقلّ: من أَحْكَمَها وحسْبُك أنَّ الفارسِيَّ لم يفهم عَمَّن قبله، وجاء بالتخليط المتقدِّم، والله المستعان.

فَلَهْوَ أخوفُ عندي إذْ أكلِّمُه ... وقيلَ إنَّكَ مَنسوبٌ ومَسْؤُولُ
مِنْ ضَيْغَمٍ بضَراءِ الأرضِ مخْدَرُهُ ... في بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونهُ غيلُ
يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغامين عيشُهما ... لَحْمٌ من النَّاسِ مَعْفُورٌ خَراديلُ
إذا يُساوِرِ قِرْنًا لا يَحِلّ لهُ ... أن يترُكَ القِرْنَ إلاّ وهو مَفْلُولُ
منه تَظَلّ سِباعُ الجوِّ نافرةً ... ولا تَمشي بواديه الأراجيلُ
ولا يَزَالُ بوَاديهِ أخُو ثِقَةٍ ... مُضَرَّجُ البزِّ والدُّرْسانِ مَأكول
إنّ الرَّسول لنُورٌ يُستَضاءُ به ... مُهَنَّدٌ من سُيوف الله مَسلول
في عُصبةٍ من قُريشٍ قال قائلُهم ... ببَطن مكَّة لمَّا أسلَمُوا زُولُوا
زالُوا فَما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللِّقاء ولا مِيلٌ مَعازِيلُ
شُمُّ العرانينَ أبطالٌ لَبُوسُهم ... من نَسجِ داوُد في الهَيْجا سَرابيلُ
بِيضٌ سَوابغ قد شُكَّت لها حَلَقٌ ... كأنها حَلَقُ القَفْعاءِ مَجدُولُ

عود إلى بانت سعاد:

والخراديل: القِطع من اللحم، وفي الحديث في صفة الصِّراط: فمنهم المُوبَقُ بعَمله، ومنهم المُخَرْدَلُ، أي: تُخَرْدِلُ لَحمَه الكَلاليبُ التي حَوْلَ الصِّرَاط، سمعت شيخَنا الحافظَ أبا بكر رحمه الله يقول: تلك الكَلاَليبُ هي الشَّهوات، لأنها تجذب العبدَ في الدنيا عن الاسْتِقامة على سواءِ الصِّراطِ، فتُمَثَّل له في الآخرة على نحو ذلك.

وقوله: بضَرَاء الأرضِ. الضَّرَاءُ: ما وَارَاك من شَجَرٍ، والخَمَرُ: ما واراك من شَجَرٍ وغيره.

وقوله: بواديه الأراجِيلُ، أي: الرَّجَّالة، قيل: إنه جَمْع الجَمْع، كأنه جَمع الرَّجْلَ، وهم الرَّجَّالة على أرْجُل، ثم جمع أَرْجُلا على أَرَاجِل، وزاد الياء ضَرُورةً. والدِّرْسُ: الثوبُ الخَلَقُ. والقَفْعاءُ: شجرة لها ثمر كأنه حِلَقٌ.

ويُروى أن النّبيَّ - ﷺ - حين أنشده كعب:

إن الرسُولَ لَنُورٌ يُستَضَاءُ به ... مُهَنَّدٌ من سيُوفِ الله مَسْلُولُ

نظر إلى أصحابه كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر.

لـيـسُـوا مَـفـارِيـح إن نـالـت رِمـاحُـهُـم قَـوْمًـا ولـيـسُـوا مـجَـازِيـعًـا إذا نـيـلـوا
يَمْشونَ مَشْيَ الجمال الزُّهْر يَعصِمهم ضَـرْبٌ إذا عَـرَّد الـسُّـودُ الـتَّـنـابِـيـلُ
لا يَـقَـع الـطَّـعْـنُ إلاّ فـي نُـحـورهـمُ وما لَهُم عَن حـيـاض الـمـوت تـهـلـيـل

قال ابن هشام: قال كَعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله ﷺ المدينة وبيته: «حَرْف أخوها أبوها» وبيتُه: «يمشي القُرَاد» وبيته «عَيْرَانةٌ قُذِفَتْ»، وبيته: «تُمِرُّ مثلَ عَسِيبِ النَّخْل»، وبيته: «تَفْرِي اللَّبان» وبيته: «إذا يُساوِرُ قِرْنًا» وبيته: «وَلا يزال بواديه»: عن غير ابن إسحٰق.

استرضاء كعب الأنصار بمدحه إيّاهم:

قال ابن إسحٰق: وقال عاصم بن عُمَر بن قَتَادَة: فلما قال كعْبٌ: «إذا عرَّد السُّودُ التَّنابيل»، وإنما يريدُنا معْشَر الأنصارِ، لِمَا كان صاحبنا صنَعَ به ما صنع، وخصَّ المهاجِرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمِدحته، غضِبَت عليه الأنصار؛ فقال بعد أن أسْلم يَمْدَحُ الأنصار، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ، وموضِعَهُم من اليَمَن:

مَـن سَـرَّهُ كـرمُ الـحـيـاةِ فـلا يـزَلْ في مِقْنَب من صالحي الأنصارِ
ورِثُـوا الـمَـكـارِمَ كـابِـرًا عَـن كـابـرٍ إنَّ الـخِـيـارَ هُـمُ بـنُـو الأخْـيـارِ
الـمُـكْـرِهـيـن الـسَّـمْـهـريُّ بـأذرعٍ كَـسَـوَالِـف الـهِـنـديّ غـيـر قِـصـار
والـنَّـاظِـريـنَ بـأعْـيُـنٍ مُـحْـمَـرَّةٍ كـالـجَـمْـر غـيـر كَـلـيـلـة الأبْـصـارِ

وقـولـه:

لیس لهم عن حياض الموت تَهْليلُ

التهليلُ: أي يَنْكصُ الرجلُ عن الأمر جُبْنًا.

وقـولـه فـي الأنـصـار:

ضَـرَبُـوا عـلـيًّـا يـوم بَـدْرٍ ضَـرْبـةً

بنو علي: هم بنو كِنَانَةَ، يقال لهم: بنو عَليٍّ لما تقدّم ذكره في هذا الكتاب، وأراد: ضربوا قريشًا لأنهم من بني كنانة.

وقوله: إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيل: جمع تِنْبَالٍ وهو القصير، وقوله: عَرَّدَ، أي: هرب. قال الشاعر:

يُـعَـرِّد عـنـه صـحـبُـه وصـديُـقـه ويَـنْـبُـشُ عـنه كـلـبُـه وهـو ضـارِبُـه

والبائعينَ نُفوسَهُم لنبيِّهم | لِلْمَوْتِ يومَ تعانُقٍ وكِرَارِ
والقائدينَ النَّاسَ على أديانِهِمْ | بالمَشْرَفِيّ وبالقَنا الخَطَّار
يتطهَّرُون يَرَوْنَهُ نُسْكًا لهُم | بدِماء مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكُفَّارِ
دَرِبوا كما دَرِبَتْ ببطن خَفِيَّة | غُلْبُ الرقاب من الأسود ضَوارِي
وإذا حَلَلْتَ لِيَمْنَعوك إليهِمُ | أصْبَحْتَ عند مَعاقل الأعفارِ
ضَرَبوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً | دانَتْ لوَقْعَتِها جميعُ نِزَارِ
لو يعلمُ الأقوامُ عِلْمِيَ كلَّه | فيهِمْ لصَدَّقني الذين أمارِي
قومٌ إذا خوَتِ النُّجومُ فإنهم | للطَّارِقين النَّازِلينَ مَقاري
في الغُرُّ مِن غسَّانَ من جُرْثومةٍ | أَعْيَتْ مَحَافِرُها على المِنْقارِ

قال ابن هشام: ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده: «بانتْ سُعادُ فقلبي اليوْم متبول»: لَوْلا ذكرت الأنصار بخير، فإنهم لذلك أهل، فقال كعب هذه الأبيات، وهي في قصيدة له.

علّة السواد في أهل اليمن وشرح بيت لحسَّان:

وجعلهم سُودًا لَمَا خَالطَ أهل اليمن من السُّودان عند غَلَبة الحبَشَةِ على بلادهم، ولذلك قال حسَّان في آل جَفْنَةَ:

أولاد جَفْنَةَ حَوْل قبر أبيهم | بيضُ الوُجوه من الطِّرازِ الأوَّل

يعني بقوله: من الطِّرازِ الأوّل، أن آل جَفْنَةَ كانوا من اليَمَن، ثم اسْتَوْطنُوا الشام بعد سَيْل العَرِم، فلم يخالطهم السُّودان كما خالطوا مَنْ كان من اليمن، من الطِّراز الأوّل الذي كانوا عليه في ألوانهم وأخلاقهم.

وقوله: حول قبر أبيهم، أي: إنهم لعِزِّهم لم يَجْلُوا عن منازلهم قَطّ، ولا فَارقوا قبر أبيهم.

مدح آخر لكعب:

ومما أجاد فيه كعب بن زُهَيْرٍ قوله يمدح النبيَّ ﷺ:

تَخْدِي به الناقةُ الأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا | بالبُرْدِ كالبَدْرِ جَلَّى ليلَةَ الظُّلَم

قال ابن هشام: وذكر لي عن عليّ بن زيد بن جُدْعان أنه قال: أنشد كَعْب بن زُهَير رسولَ الله ﷺ في المسجد:

«بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتْبول»

فَـفِـي عَـطَـافَـيْـه أو أَثْـنَـاءِ بُـرْدَتِـه ... مـا يـعـلـم الله مـن دِيـنٍ ومِـنْ كَـرِم

غزوة تبوك في رجب سنة تسع

التهيـؤ لتبـوك:

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحٰق المطلبي، قال: ثمَّ أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحِجَّة إلى رجب، ثم أمر الناسَ بالتَّهَيُّؤِ لغزو الرّوم وقد ذكر لنا الزهري ويزد بن رُومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمَر بن قتادة، وغيرهـم من علمائنا، كلّ حدث في غزوة تبوكَ ما بلغه عنها، وبعضُ القوم يحدّث ما لا يحدّث بعض: أن رسولَ الله ﷺ أمر أصحابه

غـزوة تبـوك[1]

سُمِّيَتْ بعين تَبُوك، وهي العينُ التي أمر رسولُ الله - ﷺ - الناسَ ألاّ يَمَسُّوا من مائها شَيْئًا، فسبق إليها رجلان، وهي تَبِضُ بشيء من ماءٍ، فجعلا يدخلان فيها سَهْمَيْن ليكثر ماؤُها، فسبَّهما رسولُ الله ﷺ، وقال لهما: «ما زلتُما تبُوكَانِها منذ اليوم»[2] فيما ذكر القتَبيُّ، قال: وبذلك سُمّيت العينُ تَبُوك، والبَوْكُ كالنَّقْشِ والحفر في الشيء، ويقال منه: باكَ الحمارُ الأتانَ يَبُوكها إذا نَزا عليها.

ووقع في السِّيرة: فقال: «مَنْ سَبَقَنا إلى هذا؟» فقيل له: يا رسول الله، فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، وقال الواقدي: فيما ذكر لي، سبقه إليها أربعة من المنافقين مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْر، والحارثُ بن يَزِيد الطَّائِيّ، ووَدِيعَةُ بن ثَابِتٍ، وزَيْدُ بن لُصَيْتٍ.

---

(١) انظر البداية (٥/ ٢) الطبري (٣/ ١٠٠) الطبقات (٢/ ١/ ١١٨) الكامل (٢/ ١٤٩) المنتظم (٣/ ٣٦٢) الواقدي (٣/ ٩٨٩) شرح المواهب (٣/ ٦٢) الزاد (٣/ ٥٢٦) ابن سيّد الناس (٢/ ٢١٥).

(٢) انظر الفتح (٨/ ١١١).

بالتَّهيُّؤ لغزو الرّوم، وذلك في زَمان من عُسْرة الناس، وشِدّة من الحَرّ، وجدْبٍ من البلاد: وحين طابت الثمار، والناس يُحبُّون المُقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشُّخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه؛ وكان رسولُ الله ﷺ قَلَّما يخرج في غزوة إلا كَنّى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يَصْمُدُ له، إلاّ ما كان من غزوة تَبوكَ، فإنه بيَّنها للناس، لِبُعد الشُّقَّة، وشدّة الزمان، وكثرة العدوّ الذي يصْمُد له، ليتأهّب الناس لذلك أُهْبَته، فأمر الناسَ بالجِهاز، وأخبرهم أنه يريد الرّوم.

شأن الجدّ بن قيس:

فقال رسُول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجدّ بن قيس أحد بني سَلِمَة: «يا جَدّ، هل لك العَامَ في جِلاَد بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله، أَوَ تأذَنُ لي ولا تفْتِنِّي؟ فوالله لقد عَرَف قومي أنه ما من رجل بأشدّ عُجْبًا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيتُ نساءَ بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسولُ الله ﷺ وقال: «قد أذنتُ لك». ففي الجَدِّ بن قيس نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنِّي إلاّ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإنَّ جَهَنَّم لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]. أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر، بتخلّفه عن رسولِ الله ﷺ، والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول تعالى: ﴿وَإنَّ جَهنَّمَ لَمِنْ وَرَائِهِ﴾.

المنافقـون المثبطـون:

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تَنْفِروا في الحرّ، زهادة في الجهاد، وشكًّا في الحقّ، وإرجافًا برسولِ الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الحَرّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءَ بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢].

وذكر الجَدَّ بن قَيْسٍ، وقولَ النبيّ ﷺ له: «يا جَدُّ هل لك العَامَ في جِلاَد بني الأصفر»[1]، يقال: إن الرّومَ قيل لهم بنو الأصفر، لأن عيصو بن إسحٰق كان به صُفْرَةٌ، وهو جَدُّهم، وقيل: إن الرُّومَ بن عيصو هو الأصفر، وهو أبوهم، وأُمُّه نَسْمَةُ بنت إسماعيل، وقد ذكرنا في أوّل الكتاب مَنْ وَلَدت من الأمم، وليس كلُّ الرّوم من ولد بني الأصْفَرِ، فإن الرّومَ الأُولَ هم فيما زعموا من ولد يُونَان بن يَافِثِ بن نُوحٍ، والله أعلم بحقائق هذه الأشياء وصحّتها.

---

(١) انظر الترمذي (٣٧٠٢) وأحمد (٥/٦٣).

شعر الضحَّاك في تحريق بيت سويلم:

قال ابن هشام: وحدّثني الثقة عمن حدّثه، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمٰن عن إسحٰق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جدّه، قال: بلغ رسولَ الله ﷺ، أنّ ناسًا من المُنافقين يجتمعون في بيت سُوَيْلِم اليهوديّ، وكان بيته عند جاسومَ، يُثَبِّطونَ النَّاسَ عن رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوكَ، فبعث إليهم النبيُّ ﷺ طلحةَ بن عُبيد الله في نفَر من أصحابه، وأمَرهُ أن يُحَرِّق عليهم بيت سُوَيْلِم، ففعل طلحة. فاقتحَم الضَّحاكُ بنُ خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رجلُه، واقتحم أصحابه، فأفْلَتُوا. فقال الضحاك في ذلك:

كـادَتْ وبَـيْـتِ الله نـارُ مـحـمَّـدِ ... يَشِيطُ بها الضَّحَّاكُ وابنُ أُبَيْرِقِ

وظَلْتُ وقد طبَّقتُ كِبْسَ سُوَيْلـمٍ ... أنوءُ على رجْلي كَسِيرًا ومِرْفَقي

سَلامٌ عـلَـيكـم لا أعـودُ لـمِـثْـلِهـا ... أخاف ومن تَشْمَلْ به النارُ يُحْرَقِ

حـضّ أهل الغنى على النفقة:

قال ابن إسحٰق: ثم إن رسولَ الله ﷺ جَدّ في سفره، وأمَر الناس بالجهاز والانْكِماش، وحضّ أهلَ الغنى على النَّفقة والحُمْلان في سبيل الله، فحَمَل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا، وأنفقَ عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة، لم يُنْفِق أحدٌ مثْلَها.

قال ابن هشام: حدّثني من أثق به: أن عثمان بن عفَّان أنفق في جيش العُسْرَة في غزوة تَبُوك ألف دينار، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهم ارضَ عن عثمان، فإني عنه راضٍ»[1].

قصّة البكّائين والمعذرين والمتخلّفين:

قال ابن إسحٰق: ثم إن رجالاً من المسلمين أتَوْا رسولَ الله ﷺ، وهم البكّاءون، وهم سبعةُ نفَر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عَوْف: سالم بن عُمَير، وعُلْبَة بن زيد، أخو بني حارثة، وأبو ليْلى عبد الرحمٰن بن كَعْب، أخو بني مازن بن النَّجّار،

وذكر يونس بِأثرِ حديث الجَدّ بن قَيْس عن عَبْد الحميد بن بَهْرَامَ عن شَهْر بن حَوْشَبٍ عن عَبْدِ الرحمٰن بن غَنْم أن اليهود أَتَوا النبيّ ﷺ يومًا، فقالوا: يا أبا القاسم إن كنتَ صادقًا أنك نبيّ فالْحَقْ بالشَّام، فإن الشامَ أرضُ المَحشَرِ وأرض الأنبياء، فصدّق

---

(١) انظر البداية (٥/ ٤) والكنز (٣٨٤٢) وجمع الجوامع (٩٧٨٨) والإرواء (١/ ٢٣١).

وعمرو بن حُمام بن الجَموح، أخو بني سَلَمَةَ، وعبد الله بن المغفَّل المُزَنيّ ـ وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله الفَزَاريّ. فاستحملوا رسولَ الله ﷺ، وكانوا أهْلَ حاجة، فقال: «لا أجد ما أحْمِلُكم عليه»، فتولَّوْا وأعينهم تفيض من الدّمع حَزَنًا ألاّ يجدوا ما يُنفِقون.

قال ابن إسحٰق: فبلغني أنَّ ابن يامين بن عُمَيْر بن كَعْب النَّضْري لَقِيَ أبا ليْلى عبد الرحمٰن بن كعب وعبد الله بن مُغَفَّل وهما يبكيان، فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسولَ الله ﷺ ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه؛ فأعطاهما ناضِحًا له، فارتحلاه، وزوّدهما شيئًا من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحٰق: وجاءه المعذّرون من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يَعذِرهم الله تعالى. وقد ذُكر لي أنهم نَفَرٌ من بني غفار.

ثم استَتَبّ برسول الله ﷺ سفره، وأجمَع السيرَ، وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأت بهم النيةُ عن رسول الله ﷺ، حتى تخلّفوا عنه، عن غير شكّ ولا ارتياب: منهم: كعبُ بن مالك بن أبي كعب، أخو بني سَلمة، ومُرارة بن الربيع، أخو بني عمرو بن عوف، وهلالُ بن أُميَّة، أخو بني واقف، وأبو خيثمة، أخو بني سالم بن عوْف. وكانوا نفر صِدق، لا يتّهمون في إسلامهم.

فلما خرج رسولُ الله ﷺ ضرب عسكَرَه على ثَنِيَّة الوداع.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمدَ بن مَسْلَمةَ الأنصاريّ.

وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْديّ عن أبيه: أن رسول الله ﷺ استعمل على المدينة، مَخْرَجه إلى تَبوكَ: سباعَ بن عُرْفُطَة.

المنافقـون المتخلّـفون:

قال ابن إسحٰق: وضرب عبد الله بن أبيّ معه على حِدَة عسكرَه أسفل منه، نحو ذُباب، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين. فلما سار رسولُ الله ﷺ تخلّف عنه عبد الله بن أبيّ، فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرَّيْب.

النبيّ ـ ﷺ ـ ما قالوا فغزا غَزْوَةَ تَبوكَ لا يريد إلاّ الشّامَ، فلما بلغ أنزل الله تعالى عليه آيات مِنْ سُورَة بني إسرائيل بعد ما خُتِمَتْ السورةُ ﴿وإن كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك من الأرض ليُخْرِجُوك منها وإذًا لاَ يَلْبَثُون خلافك﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٦، ٧٧].

إرجاف المنافقين بعليّ:

وخَلّف رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه، على أهْلِه، وأمَرَه بالإقامة فيهم، فأرجَف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلاّ استثقالاً له، وتخفُّفًا منه. فلما قال ذلك المنافقون، أخذ عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو نازل بالجُرْف، فقال: يا نبيّ الله، زَعَم المنافقون أنك إنَّما خلّفتني أنك استَثْقَلْتني وتخففْتَ مني؛ فقال: «كذبوا، ولكنني خَلّفتك لما تركتُ ورائي، فارجع فاخْلُفنِي في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنه لا نبيّ بعدي»، فرجع عليّ إلى المدينة؛ ومَضَى رسولُ الله ﷺ على سفره[1].

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمدُ بن طلحة بن يَزيد بن رُكانة، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول لعلي هذه المقالة.

قال ابن إسحٰق: ثم رجع عليّ إلى المدينة، ومضى رسولُ الله ﷺ على سفره.

قصّة أبي خيثمة:

ثم إنّ أبا خَيثمة رجع بعد أن سار رسولُ الله ﷺ أيامًا إلى أهله في يوم حارّ، فوجَد امرأتين له في عريشين لَهُما في حائِطه، قد رشَّت كلُّ واحدة منهما عريشها، وبرَّدت له فيه ماءً، وهيّأت له فيه طعامًا. فلما دخل، قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسولُ الله ﷺ في الضّحّ والرّيح والحرّ، وأبو خيثمة في ظلّ بارد، وطعام مهيَّأ، وامرأةٍ حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالنَّصَف! ثم قال: والله لا أدخُلُ عريش واحدة منكما حتى ألحَق برسول الله ﷺ، فهيّئا لي زادًا، ففعلتا. ثم قدَّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسولِ الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تَبوك. وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيرُ بن وهب الجمحيّ في الطريق، يطلب رسولَ الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دنَوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنبًا، فلا عليك أن تَخلَّفَ عني حتى آتي رسولَ الله ﷺ، ففعل، حتى إذا دنا من رسولِ الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مُقْبل؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»؛

فأمره بالرجوع إلى المدينة، وقال: فيها مَحْيَاكَ، وفيها مَمَاتُك، ومنها تبعث، ثم قال: ﴿أَقِمِ الصلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ إلى قوله: ﴿مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨، ٧٩] فرجع النبيّ ﷺ

---

(١) انظر البخاري (٨/٨٦) ومسلم (٢٤٠٤).

فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل فسلَّم على رسولِ الله ﷺ؛ فقال له رسولُ الله ﷺ: «أوْلى لكَ يا أبا خيثمة». ثم أخبر رسولَ الله ﷺ الخبر؛ فقال له رسولُ الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير.

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك شعرًا، واسمه مالك بن قَيْس:

لَمَّا رأيتُ النَّاسَ في الدين نافَقُوا أتيتُ التي كانَتْ أعَفَّ وأكْرَما

وبايَعْتُ باليُمْنَى يدي لمُحَمَّد فلم أكتسِب إثْمًا ولم أغْشَ مَحْرَما

تركتُ خضِيبًا في العَريش وصِرمَة صَفايا كِرَامًا بُسْرُها قد تحمَّما

وكنت إذا شكّ المنافقُ أسمَحَتْ إلى الدين نفسي شطرَه حيثُ يمَّما

مرور النبيّ ﷺ بالحجر:

قال ابن إسحٰق: وقد كان رسولُ الله ﷺ حينَ مرّ بالحِجْر نزلها، واستقَى الناسُ من بئرها، فلما راحوا قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَشْرَبُوا من مائها شيئًا، ولا تَتَوَضّؤوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعْلِفُوه الإبلَ، ولا تأكلوا منه شيئًا، ولا يخرُجَنَّ أحد منكم الليلة إلاّ ومعه صاحب له»، ففعل الناس ما أمرهم به رسولُ الله ﷺ، إلاّ أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدُهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنق على مَذْهبه؛ وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح، حتى طرحته بجبلي طيىء. فأخْبِر بذلك رسولِ الله ﷺ، فقال: «ألم أنهكم أن يخرج منكم أحدٌ إلاّ ومعه صاحبه». ثم دعا رسولُ الله ﷺ للّذي أُصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيىء، فإن طيِّئًا أهدته لرسولِ الله ﷺ حين قَدِم المدينة.

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباس بن سَهل بن سعد السَّاعديّ، وقد حدّثني عبدُ الله بن أبي بكر أن قد سمَّى له العبَّاسُ الرجلين، ولكنه استوْدَعه إياهما، فأبى عبد الله أن يسمِّيَهُما لي.

قال ابن هشام: بلغني عن الزهري أنه قال: لما مرّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْر سجَّى ثوبه على وجهه، واستحَثَّ راحلته، ثم قال: «لا تدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلاّ وأنتم باكون، خوفًا أن يُصيبكم مثلُ ما أصابهم».

قال ابن إسحٰق: فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَوْا إلى رسولِ الله ﷺ، فدعا

فأمره جبريلُ، فقال: سَلْ رَبَّك، فإن لكل نبيّ مَسْأَلَةً، وكان جبريلُ عليه السلام له ناصحًا، وكان محمد ﷺ له مُطَيعًا، فقال: ما تأمرني أن أسأل؟ قال: ﴿قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ

رسولُ الله ﷺ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأمطرت حتى ارْتوَى الناس، واحتملوا حاجَتهم من الماء.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال مِن بني عبد الأشهل، قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون النِّفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمّه وفي عشيرته، ثم يَلبسُ بعضهم بعضًا على ذلك. ثم قال محمود: لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه، كان يسير مع رسولِ الله ﷺ حيث سار؛ فلما كان من أمر الناس بالحِجر ما كان، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السَّحابةَ، فأمطَرت حتى ارتَوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويْحَك، هل بعد هذا شيء! قال: سحابةٌ مارَّة.

مقالـة ابـن اللُّصَيـت:

قال ابن إسحٰق: ثم إن رسولَ الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّتْ ناقته، فخرج أصحابُه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يُقال له: عُمارة بن حزم، وكان عَقَبيًا بَدْرِيًا، وهو عمّ بني عمرو بن حزم، وكان في رَحْله زيدُ بن اللُّصَيْتَ القَيْنُقاعي، وكان منافقًا.

قال ابن هشام: ويقال: ابن لُصيب، بالباء.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، قالوا: فقال زيد بن اللُّصَيت، وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسولِ الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبيّ، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسولُ الله ﷺ وعمارة عنده: إن رجلاً قال: هذا محمَّدٌ يخبركم أنه نبيّ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلاّ ما علّمني الله وقد دلّني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شِعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلِقُوا حتى تأتوني بها، فذهبوا، فجاءوا بها. فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لَعجَب من شيء حَدَّثَناه رسولُ الله ﷺ آنفًا، عن مقالة قائل أخبره الله

صِدْقٍ وأخرجني مُخرِج صِدْقٍ واجْعَلْ لي من لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ وهؤلاء نزلن عليه في رَجْعَتِه من تَبُوكَ[1].

---

(١) أخرجه الترمذي.

عنه بكذا وكذا، للذي قال: زيدُ بن لُصَيْت؛ فقال رجل ممن كان في رحل عُمارة ولم يحضُر رسول الله ﷺ: زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي. فأقبل عُمارة على زيد يجافي عُنقه ويقول: إليَّ عباد الله، إنَّ في رحلي لداهيةً وما أشعر، أُخْرُجْ أيْ عدوَّ الله من رحلي، فلا تَصْحبْني.

قال ابن إسحٰق: فزعم بعضُ الناس أن زيدًا تاب بعد ذلك؛ وقال بعض الناس: لم يزل مُتَّهمًا بشَرّ حتى هَلك.

إبطاء أبي ذرّ

ثم مضى رسولُ الله ﷺ سائرًا، فجعل يتخلَّفُ عنه الرجُل، فيقولون: يا رسول الله، تخَلَّف فلان، فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيُلْحِقُه الله تعالى بكم، وإن يَكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخَلَّف أبو ذَرّ، وأبطأ به بعيرُه؛ فقال: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقُه الله بكم، وإن يك غيرُ ذلك فقد أراحكم الله منه»؛ وتلوَّم أبو ذرٌ على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعَه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثَرَ رسولِ الله ﷺ ماشيًا. ونزل رسولُ الله في بعض منازله، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «كُنْ أبا ذر». فلما تأمَّله القومُ قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذَرّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «رحم الله أبا ذرّ يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده».

إيطاء أبي ذرّ

فصل: وذكر أبا ذَرٍّ الغِفَاري، وإبطاءَه. واسمُه: جُنْدُبُ بن جُنَادَةَ، هذا أصحّ ما قيل فيه، وقد قيل فيه: بَريرُ بن عِشْرِقَةَ، وجُنْدُب بن عَبْد الله، وابن السكن أيضًا.

وقول النبيّ ﷺ: «كُنْ أبا ذَرٍّ»[1]، وفي أبي خَيْثَمَةَ: «كن أبا خَيْثَمَةَ»[2]، لفظُه لفظُ الأمر، ومعناه الدعَاءُ، كما تقول: أَسْلِمْ سَلَّمَكَ الله.

إعراب كلمة وحده:

وقوله في أبي ذَرّ: «رحم الله أبا ذَرٍّ يمشي وَحْدَه، ويموت وَحْدَه»[3]، أي: يموت

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٠) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٢٢) والطبري في تاريخه (٢/ ١٧٤) البخاري (٨/ ٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٨٦) ومسلم في التوبة (٥٣) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٢٣) والطبري في تاريخه (٢/ ٢٢) والطبراني في الكبير (٦/ ٣٨) وانظر الفتح (٨/ ١١٩).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٠).

وقال ابن إسحٰق: فحدّثني بُرَيْدَة بن سفيانَ الأسلميّ، عن محمد بن كَعب القُرظي، عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نفى عثمانُ أبا ذرّ إلى الرَّبَذَةِ، وأصابه بها قدَره، لم يكن معه أحدٌ إلاّ امرأتُه وغلامه، فأوصاهما أن اغسلاني وكفِّناني، ثم ضَعاني على قارعة الطَّريق، فأوّل رَكْب يمرّ بكم فقولوا: هذا أبو ذرّ صاحبُ رسولِ الله ﷺ، فأعينونا على دفنِه. فلما مات فعلا ذلك به. ثم وضعاه على قارعة الطريق: وأقبل عبدُ الله بن مسعود في رَهْطٍ من أهل العراق عُمَّار، فلم يَرُعْهم إلاّ بالجنازة على ظهر الطَّريق، قد كادت الإبل تَطؤُها، وقام إليهم الغلام. فقال: هذا أبو ذرّ صاحب رسولِ الله ﷺ، فأعينونا على دفنه. قال: فاستهلّ عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسولُ الله ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبْعَث وِحدك. ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْه، ثم حدّثهم عبد الله بن مسعود حديثه، وما قال له رسولُ الله ﷺ في مسيره إلى تَبوك.

تخذيل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم:

قال ابن إسحٰق: وقد كان رَهْطٌ من المنافقين، منهم وديعة بن ثابت، أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أشجع، حلف لبني سَلمة، يقال له: مُخَشِّن بن حُمَيِّر - قال ابن هشام: ويقال: مَخْشيّ - يُشيرون إلى رسولِ الله ﷺ وهو منطلق إلى تَبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسِبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا! والله لكأنّا بكم غدًا مُقرّنين في الحبال، إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين، فقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر: والله لوَدِدْت أني أقاضيَ على أن يُضرب كل رجل منّا مائة جَلْدَةٍ، وإنّا نَنْفَلِتُ أن يَنْزِل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

وقال رسولُ الله ﷺ - فيما بلغني - لعَمَّار بن ياسر: «أدرك القوم، فإنهم قد احْترِقوا، فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقُل: بلى، قلتم كذا وكذا». فانطلق إليهم عمّار، فقال ذلك لهم: فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها: يا رسول الله، إنما كنّا نخوض ونلعب؛ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]. وقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، وكأن الذي عُفِي عنه في هذه الآية مُخَشِّن بن حُمَيِّر، فتسمى عبد الرحمٰن، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيدًا لا يُعْلَم بمكانه، فقُتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر.

منفردًا، وأكثر ما تستعمل هذه الحالُ لنفي الاشتراك في الفعل نحو كلّمني زيدٌ وحده، أي: منفردًا بهذا الفعل، وإن كان حاضرًا معه غيره، أي: كلّمني خصوصًا، وكذلك لو قلت:

الصلح مع صاحب أيلة:

ولما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى تَبُولَ، أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ، صاحب أيْلة، فصالح رسولَ الله ﷺ، وأعطاه الجِزْية، وأتاه أهل جَرباء وأذْرُح، فأعطوه الجزية، فكتب رسولُ الله ﷺ لهم كتابًا، فهو عندهم.

كتاب الرسول لصاحب أيلة:

فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة:

بسم الله الرحمٰن الرحيم: هذه أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ ومحمدٍ النبيّ رسول الله ﷺ ليُحَنَّةَ بن رُؤبة وأهل أيلة، سُفنهم وسيَّارتهم في البرّ والبحر: لهم ذمَّة الله، وذمَّة محمد النبيّ، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حَدَثًا، فإنه لا يحول ماله دُونَ نفسه، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحلّ أن يُمْنَعوا ماء يَردونه، ولا طريقًا يُريدونه، من برّ أو بحر.

كلّمته من بينهم وَحْدَه، كان معناه خصوصًا كما قرّره سيبويه، وأما الذي في الحديث، فلا يتقدَّر هذا التقدير، لأنه من المحال أن يموت خصوصًا، وإنما معناه: مُنفرِدًا بذاته، أي: على حِدَتِه، كما قال يونُس، فقول يونُسَ صالحٌ في هذا الموطنِ، وتقدير سيبويه له بالخصوص يصلُح أن يُحْمَل عليه في أكثرِ المواطن، وإنما لم يتعرّف وَحْدَه بالإضافة، لأن معناه كمعنى لا غير، ولأنها كلمة تُنبىءُ عن نَفْي وعَدَم، والعَدَمُ ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مُتعرِّفًا مُتعَيِّنًا بالإضافة، وإنما لم يُشْتَق منه فِعْلٌ، وإن كان مصدرًا في الظاهر لما قدّمناه من أنه لفظ ينبىء عن عَدَمٍ ونَفْيٍ، والفعلُ يدلّ على حَدَثٍ وزمانٍ، فكيف يشتقّ من شيء ليس بحدث إنما هو عبارة عن انتفاء الحدَثِ عن كل أحد إلاّ عن زيد، مثلاً إذا قلت: جاءني زيد وَحْدَه، أي: لم يجىء غيره، وإنما يقال: انعدم وانتفى بعد الوجود لا قَبْلَه، لأنه أمر مُتَجَدِّد كالحَدَثِ، وقد أَطْنَبْنا في هذا الغرضِ، وردناه بيانًا في مَسْأَلَة سبحان الله وبحمده وشرحها.

أجأ وسلمى:

فصل: وذكر الرجل الذي طرحته الريح بجبَلَيْ طَيىء، وهما أجأ وسَلْمَى وعُرِف أجأ بأجأ بن عبد الحَيّ كان صُلِب في ذلك الجَبَل، وسَلْمَى صُلِبَتْ في الجَبَلِ الآخر، فعرف بها، وهي سَلْمَى بنت حَامِ فيما ذكر والله أعلم.

أُكَـيـدر

ثم إن رسولَ الله ﷺ دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أُكَيْدِر دُومة، وهو أُكَيْدِر بن عَبْد الملك، رجل من كِنْدة كان ملكًا عليها، وكان نصرانيًّا، فقال رسولُ الله ﷺ لخالد: «إنك ستجده يَصيد البَقَر». فخرج خالد، حتى إذا كان من حِصنه بمنظر العين، وفي ليلة مُقْمِرة صائِفة، وهو على سَطْح له، ومع امرأته، فباتت البقر تَحكّ بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قطّ؟ قال: لا والله! قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد. فنزل فأمر بفرسه، فأُسْرِج له، وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ يقال له: حسَّان. فركب، وخرجوا معه بمطاردهم. فلما خرجوا تلقتهم خيلُ رسولِ الله ﷺ، فأخذته، وقتلوا أخاه؛ وقد كان عليه قبَاء من دِيباجٍ مُخَوَّصٌ بالذَّهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قبَاء أُكيدر حين قدم به على رسولِ الله ﷺ، فجَعَل المسلمون يَلْمِسونه بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسولُ الله ﷺ: «أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمَنَاديل سعد بن مُعاذٍ في الجنّة أحسن من هذا».

أُكيدر والكتاب الذي أُرسل إليه

فصل: وذكر كتابه لأُكَيْدِر دُومَة. ودُومة بضم الدال هي هذه، وعرفت بدُومِي بن إسماعيل فيما ذكروا، وهي دُومةُ الجَنْدَلِ، ودُومة بالضم أُخرَى، وهي عند الحِيرَة، ويقال لما حولها: النَّجَفَ، وأما دَوْمَة بالفَتح فأُخرى مذكورة في أَخْبار الرِّدَّة.

وذكر أنه كتب لأُكَيْدِر دُومَة كتابًا فيه عهدٌ وأمانٌ، قال أبو عبيد: أنا قرأته، أتاني به شيخٌ هنالك في قَضِيم، والقضِيم الصَّحِيفَةُ، وإذا فيه: «بسم الله الرحمٰن الرحيم من مُحَمَّدٍ رسولِ الله لأُكَيْدِر حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد والأصنام مع خالِد بن الوليد سيف الله في دُومَة الجَنْدَلِ وأكنافها، إن لنا الضَّاحِيَةَ من الضَّحْل والبَوْرَ والمَعَامِيَ، وأَغْفَالَ الأرْض والحَلْقَةَ والسِّلاح والحافِرَ والحِصْنَ ولكم الضَّامِنة من النَّخل والمعين من المعْمُور لا تُعْدَلُ سارِحَتُكم، ولا تُعَدُّ فارِدَتُكم ولا يُحْظرُ عليكم النباتُ، تقيمون الصلاةَ لوقتها، وتُؤْتُون الزَّكَاة بحقِّها، عليكم بذلك عهدُ الله والميثاق، ولكم بذلك الصدقُ والوفاءُ. شهد الله، ومَنْ حَضَر من المسلمين» الضَّاحِيَةُ: أطرافُ الأرْضِ، والمَعَامِي: مَجْهُولها، وأغفال الأرض: ما لا أَثَر لهم فيه من عمارة أو نحوها، والضَّامِنة من النَّخْل: ما داخل بَلَدِهم، ولا يُحْظَرُ عليكم النباتُ، أي: لا تُمْنَعون من الرَّعْي حيث شئتم، ولا تُعْدَلُ سارِحَتُكم، أي: لا تُحْشر إلى

قال ابن إسحٰق: ثم إن خالدًا قدم أُكَيْدر على رسولِ الله ﷺ، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية، ثم خلّى سبيله، فرجع إلى قريته، فقال رجل من طيىء: يقال له بُجَيْرُ بن بُجَرَة، يذكر قولَ رسولِ الله ﷺ لخالد: إنك ستجده يَصيد البقَر، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته، لتصديق قول رسول الله ﷺ:

تبارَكَ سائِقُ البقراتِ إني ... رأيْتُ الله يَهْدي كلّ هادِ
فمَن يكُ حائدًا عن ذي تَبوكٍ ... فإنّا قدْ أُمِرْنا بالجهادِ

فأقام رسولُ الله ﷺ بتَبوكَ بضع عشرة ليلة، لم يُجاوزها ثم انصرف قافلاً إلى المدينة.

حديث وادي المشقق ومائه:

وكان في الطريق ماءٌ يخرج من وَشَل، ما يُرْوِي الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة، بواد يُقال له: وادي المُشَقَّق؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «من سَبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئًا حتى نأتِيَه». قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه؛ فلما أتاه رسولُ الله ﷺ وقف عليه، فلم يَر فيه شيئًا. فقال: «من سبقنا إلى هذا الماء؟» فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان؛ فقال: «أولم أنههم أن يستقوا منه شيئًا حتى آتيه!» ثم لعنهم

المُصَدِّق وإنما أَخَذَ منهم بعض هذه الأرضين مع الحَلْقَة، وهي السلاحُ، ولم يَفْعَل ذلك مع أهل الطائف حين جاؤوا تائبين، لأن هؤلاء ظهر عليهم وأخذ مَلِكهم أَسِيرًا، ولكنه أبقى لهم من أموالهم ما تضمَّنه الكتابُ، لأنه لم يقاتلهم، حتى يأخذهم عَنْوَةً كما أخذ خَيْبَر، فلو كان الأمرُ كذلك لكانت أموالُهم كلُّها للمسلمين، وكان له الخيارُ في رقابهم كما تقدّم ولو جاؤوا إليه تائبين أيضًا قبل الخُروج إليهم، كما فَعلت ثَقِيفُ ما أَخَذَ من أموالهم شيئًا.

الكتاب إلى هرقل:

ولم يذكر ابن إسحٰق في غزوة تَبوك ما كان من أمر هرقْلِ، فإن النبيَّ ﷺ ـ كتب إليه من تبوك مع دِحْيَةَ بن خَلِيفَةَ، ونصّه مذكور في الصِّحاح مشهور، فأمَر هِرَقْلُ مُناديًا ينادي: ألا إن هِرَقْلَ قد آمن بمحمد واتَّبعه، فدخلت الأجنادُ في سلاحها، وأطافت بقصره تريد قتله، فأرسل إليهم: إني أردت أن أَخْتَبِرَ صلابَتكم في دينكم، فقد رَضِيت عنكم فَرَضُوا عنه، ثم كتب كتابًا، وأرسله مع دِحْيَة يقول فيه للنبيّ ـ ﷺ ـ إني مُسْلِمٌ، ولكني مَغْلُوبٌ على أمري، وأرسل إليه بهديّة، فلما قرأ النبيُّ ﷺ كتابه، قال: «كذب عدوّ الله ليس بمسلم، بل هو على نَصْرَانِيَّته».

رسولُ الله ﷺ، ودعا عليهم. ثم نزل فوضع يده تحتَ الوشل، فجعل يصبّ في يده ما شاء الله أن يَصُبّ ثم نَضَحه به، ومَسَحه بيده، ودعا رسولُ الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو له، فانخرق من الماء ـ كما يقول من سمعه ـ ما إنّ له حسًّا كحسّ الصواعق، فشرب الناس، واستقوا حاجتهم منه. فقال رسولُ الله ﷺ: «لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعنّ بهذا الوادي، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه».

قيام الرسول على دفن ذي البجادين:

قال: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيْمي، أن عبد الله بن مسعود كان يحدّث، قال: قُمْت من جوف الليل، وأنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوك، قال: فرأيت شُعْلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتَّبعتها أنظر إليها، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البِجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسولُ الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيانه إليه، وهو يقول: أدْنِيا إليّ أخاكما، فدلّياه إليه، فلما هيأه لشِقّه قال: اللهم إني أمسيت راضيًا عنه، فارض عنه. قال: يقولُ عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحُفْرة.

موقفه ﷺ من بعض الهدايا:

وقيل: هديّته، وقسمها بين المسلمين، وكان لا يقبل هديّة مُشرِكٍ مُحَارِب، وإنما قبل هذه لأنها فَيْءٌ للمسلمين، ولذلك قسمها عليهم، ولو أتته في بيته كانت له خالصة، كما كانت هديّة المُقَوْقِس خالصةً له، وقَبلها من المُقَوْقِس؛ لأنه لم يكن مُحاربًا للإسلام، بل كان قد أظهر الميل إلى الدخول في الدين، وقد ردّ هديّة أبي بَراءٍ مُلاَعِبِ الأسِنَّةِ، وكان أهْدَى إليه فَرَسًا، وأرسل إليه: إني قد أصابني وَجَعٌ أحسبه قال: يقال له: الدُّبَيْلَة[1]، فابْعَثْ إليَّ بِشَيْءٍ أتداوى به، فأرسل إليه النبيُّ ـ ﷺ ـ بِعُكَّةِ[2] عَسَلٍ، وأمره أن يَسْتَشْفِيَ به وردَّ عليه هدِيَّته، وقال: «إني نُهيتُ عن زيد المشركين»[3]، وبعضُ أهل الحديث ينسب هذا الخبر لعامر بن الطُّفَيْل عَدُوّ الله، وإنما هو عَمُّه عامرُ بن مَالِكٍ. وقوله عليه السلام عن زَبْدِ[4] المشركين، ولم يقل: عن هديّتهم يدلّ على أنه إنما كره مُلاَيَنَتَهُمْ ومُدَاهَنَتَهُم، إذا كانوا حَرْبًا، لأن الزَّبْدَ مُشْتَقٌ من الزُّبْد، كما أن المُدَاهَنَة مُشْتَقَّةٌ من الدُّهْنِ، فعاد المعنى إلى معنى اللِّين والمُلاَيَنَةِ، ووجود الجِد في حَرْبهم والمُخَاشَنة. وقد رَدَّ هَدِيّة عياضِ بن حَمَّاد

---

(١) الدبيلة: خرّاج يظهر بالجوف. (٢) العكّة: وعاء من جلد.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي (١٥٧٧) والطبراني (١٧/ ٣٦٤) وانظر الفتح (٥/ ٢٣١).

(٤) الزبد: العطاء.

لِمَ سُمّي ذو البجادين؟

قال ابن هشام: وإنما سُمّي ذو البِجادين، لأنه كان ينازع إلى الإسلام، فيمنعه قومه من ذلك، ويُضيقون عليه، حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره، والبِجاد: الكساء الغليظ الجافي، فهَرَب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قريبًا منه، شقّ بجاده باثنين، فاتَّزر بواحد، واشتمل بالآخر ثم أتى رسولَ الله ﷺ، فقيل له: ذو البِجادين لذلك، والبجاد أيضًا: المِسْح، قال ابن هشام: قال امرؤ القَيس:

كأنّ أبانا في عرانين وَدْقه   كبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمّلِ

المُجاشِعي قبل أن يُسلِم، وفيها قال: إني نُهيتُ عن زَبْدِ المشركين. وأهدى إلى أبي سُفيان عَجْوَةً واسْتَهْدَاه أدمًا فأهداه أبو سُفيان وهو على شِرْكه الأدم، وذلك في زمن الهُدْنَةِ التي كانت بينه وبين المسلمين في صُلْح الحُدَيْبِيَةَ، وقد رُوي أن هِرَقْلَ وضع كتاب رسول الله - ﷺ - الذي كتب إليه في قصبَةٍ من ذَهَبٍ تعظيمًا له، وأنهم لم يزالوا يتوارثُونه كابرًا عن كابر في أرفع صِوانٍ، وأَعَزّ مكان حتى كان عند «إذفونش» الذي تَغَلَّب على طُلَيْطُلَةَ، وما أخذ أخذها من بِلاَد الأندلس، ثم كان عند ابن بنته المعروف «بالسليطين» حدّثني بعض أصحابنا أنه حدّثه من سأله رؤيته من قواد أجنادِ المسلمين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد، قال: فأخرجه إليّ فاسْتَعْبَرْتُهُ وأردت تقبيله، وأخذَه بيدي، فمنعني من ذلك صِيانَةً له وضَنًّا به عَلَيَّ. ويقال: هرَقْل وهِرَقِل.

حول قصة البكائين:

فصل: وذكر البَكَّائِين، وذكر فيهم عُلْبَةَ بن زَيْدٍ، وفي رواية يونس أن عُلْبَةَ خرج من الليل فصلّى ما شاء الله، ثم بكى، وقال: «اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغَّبت فيه، ثم لم تَجْعَلْ عندي، ما أتقوّى به مع رسولك، ولم تجعل في يد رسولك ما يَحْمِلني عليه، وإني أتصدّق على كُلّ مُسْلِم بكل مَظْلَمَةٍ أصابني بها في مالٍ أو جسدٍ أو عِرْضٍ» ثم أصبح مع النّاس، وقال النبيّ ﷺ: «أين المُتَصدِّق في هذه الليلة؟» لم يقم أحد، ثم قال: «أين المتصدّق في هذه الليلة فلْيَقُمْ، ولا يَتَزَاهَدُ ما صنع هذه الليلة؟» فقام إليه، فأخبره، فقال النبيّ ﷺ: «أَبْشِرْ فوالذي نفسُ محمد بيدِهِ، لقد كُتِب في الزّكاة المتقبَّلة»[1]. وأما سالم بن عُمَيْرٍ وعبد الله بن المغفَّل، فرآهما يامِينَ بن كَعْبٍ يبكيان، فزوّدهما، وحملهما، فلحقا بالنبيّ ﷺ.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٢١٩) وانظر الإصابة (٢/٤٩٣).

أبو رهم في تبوك:

قال ابن إسحٰق: وذكر ابن شهاب الزهري، عن ابن أُكَيْمَةَ اللَّيثي، عن ابن أخي أبي رُهْم الغِفاري، أنه سمع أبا رُهْم كُلْثومَ بن الحُصَين، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة، يقول: غزَوْتُ مع رسولِ الله ﷺ غزوة تَبُوكَ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبًا من رسولِ الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطَفِقْتُ أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة رسولِ الله ﷺ، فيُفْزِعني دنوّها منه، مخافة أن أصيب رجله في الغَرْزِ، فطفقت أحُوزُ راحلتي عنه، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق، ونحن في بعض الليل، فزاحمتْ راحلتي راحلةَ رسولِ الله ﷺ ورجلُه في الغَرْز، فما استيقظت إلاّ بقوله: «حَسِّ»، فقلتُ: يا رسول الله، استغفر لي. فقال: «سر»، فجعَل رسولُ الله ﷺ يسألني عمَّن تخلَّف عن بني غفار، فأخبره به؛ فقال وهو يسألني: «ما فعل النَّفَر الحُمْر الطِّوال الثِّطاط». فحدَّثته بتخلُّفهم. قال: «فما فعل النَّفر السود الجعاد القصار؟» قال: قلت: والله ما أعرف هؤلاءِ منا. قال: «بلى الذين لهم نَعَم بشَبَكة شَدَخ؛ فتذكَّرتهم في بني غِفار، ولم أذكُرْهُم حتى ذكرتُ أم لهم رهْط من أسلم كانوا حُلفاء فينا»، فقلت: يا رسول الله، أولئك رهْط من أسلم، حلفاء فينا؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «ما منع أحد أولئك حين تخلَّف أن يحمل على بعير من إبله امرأً نشيطًا في سبيل الله؟ إن أعزَّ أهلي عليّ أن يتخلَّف عني المهاجرون من قُريش والأنصارُ وغفارٌ وأسْلَمُ».

معنى كلمة حسّ:

فصل: وقوله خَبَرًا عن أبي رُهْم: أصابت رِجْلي رجلَ رسولِ الله ﷺ ورجلُه في الغَرْز فما استيقظْتُ إلاَّ بقوله: «حَسِّ. الغَرْزُ للرَّحْلِ كالرِّكاب للسَّرْج»، وحَسِّ: كلمةٌ تقولها العربُ عند وجود الألم، وفي الحديث أن طَلْحَةَ لما أصيبت يدُه يوم أُحُدٍ، قال: حَسْ، فقال النبيّ - ﷺ - لو أنه قال: بِسْم الله، يعني مَكَانَ حَسِّ، لدخل الجنَّة، والناسُ ينظرون، أو كَلامًا هذا معناه، وليست حَسِّ باسْم ولا بفِعْلٍ، إنها لا مَوْضِعَ لها من الإعراب، وليست بمنزلة صَهْ، ومَهْ، ورُوَيْد، لأن تلك أسماءُ سُمِّي الفعل بها وإنما حَسِّ صوتٌ كالأنين الذي يُخْرجه المتألم نحو آه، ونحو قول الغُراب: غلَقٍ، وقد ذكرنا قبل في أفٍّ وجهين، أحدهما: أن تكون من باب الأصوات مَبْنِيَّة، كأنه يحكي بها صوت النَّفخ، والثاني أن يكون مَعْرِفَة مثل تَبًّا يُراد به الوَسَخ.

وقوله: السُّودُ الثِّطاط جمع: ثَطٌّ، وهو الذي لا لَحْيَةَ له. قال الشاعر:

كهَامَةِ الشيخ اليَمَانيّ الثَّطّ

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحٰق: ثم أقبل رسولُ الله ﷺ حتى نزل بذي أوان، بلد بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار، وكان أصحابُ مسجد الضِّرار قد كانوا أتَوْه وهو يتجهَّز إلى تَبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنَّا قد بنينا مسجدًا لذي العلَّة والحاجة والليلة المَطيرة والليلة الشاتية، وإنَّا نُحبُّ أن تأتينا، فتصلّي لنا فيه؛ فقال: «إني على جَناح سَفر، وحال شُغل»، أو كما قال ﷺ: «ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلَّيْنا لكم فيه».

فلما نزل بذي أوان، أتاه خبرُ المسجد، فدعا رسولُ الله ﷺ مالكَ بن الدُّخشم أخا بني سالم بن عوف، ومَعْن بن عديّ، أو أخاه عاصم بن عديّ، أخا بني العَجْلان، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه، فاهدماه وحرّقاه. فخرجا سريعَيْن حتى أتَيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدُّخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلي. فدخل إلى أهله، فأخذ سَعفًا من النخل، فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله، فحرّقاه وهدّماه، وتفرّقوا معه عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بينَ المُؤْمِنِينَ﴾ . . . إلى آخر القصّة.

ونحو منه: السِّناط، ومن المحدِّثين مَنْ يرويه: الشِّطَاط، وأحْسَبُه تَصْحِيفًا.

وقوله: شبكة شَدَخٍ: موضعٌ من بلاد غِفَارٍ.

أصحاب مسجد الضرار

فصل: وذكر المنافقين الذين اتخذوا مَسْجِدًا ضِرَارًا.

وذكر فيهم جارية بن عامر، وكان يُعْرَف بحِمَارِ الدار، وهو جارية بن عامر بن مُجَمِّع بن العَطَّاف.

وذكر فيهم ابنَه مُجَمِّعًا، وكان إذ ذاك غلامًا حَدَثًا قد جمع القرآن فقدّموه إمامًا لهم، وهو لا يعلم بشيءٍ من شَأْنِهم، وقد ذكر أن عمر بن الخطّاب في أيَّامه أراد عَزْله عن الإمامة، وقال: أليس بإمام مسجد الضِّرارِ، فأقسم له مُجَمِّع أنه ما علم شيئًا من أمرهم، وما ظنّ إلاّ الخير، فصدّقه عُمَرُ، وأقرّه، وكانت مساجدُ المدينة تسعةً سوى مسجدِ رسول الله - ﷺ - كلّهم يصلّون بأذان بِلالٍ، كذلك قال بكير بن عبد الله الأشَجّ فيما رَوى عنه أبو داود في مَراسِيله، والدَّارَقُطْني في سُنَنِه، فمنها مَسْجِدُ راتِجٍ، ومَسْجد بني عبد الأشْهَل، ومسجد بني عَمْرو بن مَبْذول، ومسجد جُهَيْنَة وأسْلَم، وأحسبه قال: ومسجد بني سَلمة،

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذَام بن خالد، من بني عُبَيْدِ بن زَيْد، أحد بني عَمرو بن عَوْف، ومن داره أُخرج مسجد الشِّقاق، وثَعْلَبَة بن حاطب من بني أُمَيَّة بن زيد، ومُعَتِّب بن قُشَير، من بني ضُبَيْعَةَ بن زيد، وأبو حَبِيبَة بن الأزْعَرِ، من بني ضُبَيْعَة بن زيد، وعَبَّاد بن حُنَيْفٍ، أخو سَهْل بن حُنيف، من بني عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مُجَمِّع بن جارية، وزَيْد بن جارية، ونَبْتَل بن الحارِثِ، من ضُبَيْعَةَ، وبحْزَج، من بني ضُبَيْعَةَ، وبِجَاد بن عثمان، من بني ضُبَيْعَةَ، ووَدِيعَة بن ثابت، وهو من بني أمية بن زيد رهط أبي لُبَابَة بن المُنْذِر.

وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تَبوك معلومةً مسماة: مسجدٌ بتَبُوك، ومسجد بثَنِيَّة مدْرَان، ومسجد بذات الزِّرَابِ، ومسجد بالأَخْضَرِ، ومسجد بذات الخِطْمِيِّ، ومسجد بألاَء، ومسجد بطَرَف البَتْراءَ، من ذنب كَوَاكِب، ومسجد بالشِّق، شِقِّ تارا، ومسجد بذي الجِيفَة، ومسجد بَصَدْر حَوْضَي، ومسجد بالحِجْر، ومسجد بالصَّعِيد، ومسجد بالوادي، اليوم، وادي القُرَى. ومسجد بالرُّقْعة من الشُّقَّة، شِقة بني عُذْرَةَ، ومسجد بذي المَرْوة، ومسجد بالفَيْفاء، ومسجد بذي خُشُبٍ.

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين في غزوة تبوك

وقدم رسولُ الله ﷺ المدينة، وقد كان تخلَّف عنه رهطٌ من المنافقين، وتخلَّف أولئك الرهطَ الثلاثة من المسلمين من غير شكّ ولا نفاق: كعب بن مالك، ومُرارة بن

وسائرها مذكور في السُّنَنِ، وذكر ابن إسحٰق في المساجد التي في الطريق مسجدًا بذي الخِيفَةِ، كذا وقع في كتاب أبي بَحْرٍ بالخاء مُعْجَمَة، ووقع الجِيفَة بالجيم في كتاب قُرِىء على ابن أبي سراج، وابن الإقْلِيلي وأحمد بن خالد.

عن الثلاثة الذين خُلِّفوا[1]

فصل: وذكر الثلاثة الذين خُلِّفوا، ونَهْي الناس عن كلامهم، وإنما اشتدّ غضبُه على مَنْ تَخلَّفَ عنه ونَزَل فيهم من الوعيد ما نَزَل حتى تاب الله على الثلاثة منهم، وإن كان الجهادُ من فُروض الكِفَايَةِ، لا من فروض الأعيانِ، لكنه في حَقِّ الأنْصَار كان فرضَ عَيْنٍ، وعليه بايعوا النبيَّ ﷺ، ألا تَرَهم يقولون يوم الخَنْدَقِ، وهم يَرْتَجِزُون:

نحن الذين بايعوا مُحَمَّدًا ... على الجِهادِ ما بَقِينَا أَبدا

---

(١) انظر البخاري (٨/٨٦) ومسلم في التوبة (٢٧٦٩).

الربيع، وهلال بن أُميَّة؛ فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: «لا تكلِّمُنَّ أحدًا من هؤلاء الثلاثة»، وأتاه من تخلَّف عنه من المنافقين فجعلوا يَحْلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسولُ الله ﷺ ولم يعذِرهم الله ولا رسولُه. واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة.

حديث كعب عن التخلّف:

قال ابن إسحٰق: فذكر الزهريّ محمد بن مسلم بن شهاب، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن أباه عبد الله، وكان قائد أبيه حين أصيب بصرُه، قال: سمعت أبي كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلَّف عن رسولِ الله ﷺ في غزوة تَبوك، وحديث صاحبيه، قال: ما تخلَّفت عن رسولِ الله ﷺ في غزوة غزاها قطُّ، غير أني كنت قد تخلَّفت عنه في غزوة بدر، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسولُه أحدًا تخلّف عنها، وذلك أن رسولَ الله ﷺ إنما خرج يريد عير قريش، حتى جمع الله بينه وبين عدوّه على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسولِ الله ﷺ العقبة، وحين تواثَقْنا على الإسلام، وما أُحبّ أنّ لي بها مشهدَ بدر، وإن كانت غزوةُ بدر هي أذكر في الناس منها. قال: كان من خبري حين تخلَّفتُ عن رسولِ الله ﷺ في غزوة تَبوك أني لم أكن قطُّ أقْوَى ولا أيسر منِي حين تخلَّفت عنه في تلك الغزوة، ووالله ما اجتمعت لي راحلتان قطّ حتى اجتمعتا في تلك الغزوة، وكان رسول الله ﷺ قلّما يُريد غزوةً يغزوها إلاّ ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسولُ الله ﷺ في حرّ شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا، واستقبل غزو عدوّ كثير، فجلّى للناس أمرَهم ليتأهَّبوا لذلك أُهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ، يعني بذلك الديوان، يقول: لا يجمعهم ديوان مكتوب.

قال كعب: فقَلَّ رجلٍ يريد أن يَتَغَيَّبَ إلاّ ظنّ أنه سيخفى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحي من الله، وغزا رسولُ الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأُحِبَّت الظِّلال، فالناس إليها صُعْر؛ فتجهَّز رسول الله ﷺ، وتجهَّز المسلمون معه، وجعلت أغدو لأتجهَّز معهم، فأرجع ولم أقض حاجة، فأقول في نفسي، أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمّر الناس بالجدّ، فأصبح رسولُ الله ﷺ غاديًا، والمسلمون معه، ولم أقضِ من جهازي شيئًا، فقلت: أتجهَّز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت

ومَنْ تخلّف منهم يوم بدر إنما تخلّف، لأنهم خرجوا لأَخْذِ عيرٍ، ولم يظنّوا أنْ سيكون قتالٌ، فكذلك كان تخلّفهم عن رسولِ الله ﷺ في هذه الغَزَاةِ كبيرةً لأنها كالنّكث لِبَيْعَتِهِم، كذلك قال ابن بَطَّال رحمه الله في هذه المسألة: ولا أعرف لها وجهًا غير الذي قال، وأما

بعد أن فصلوا لأتجهّز، فرجعت ولم أقض شيئًا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتَفَرَّط الغزو، فهممتُ أن أرتحل، فأدركهم، وليتني فعلتُ، فلم أفعل، وجعلت إذا خرجت في الناس بعدَ خروج رسول الله ﷺ، فطفتُ فيهم، يحزنني أني لا أرى إلاّ رجلاً مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسولُ الله ﷺ حتى بلغَ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سَلِمة: يا رسول الله، حبسه بُرْداهُ، والنَّظر في عِطْفيه؛ فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما عَلمنا منه إلاّ خيرًا؛ فسكت رسولُ الله ﷺ.

فلما بلغني أن رسولَ الله ﷺ قد توجَّه قافلاً من تبوك، حَضرني بَثي، فجعلت أتذكّر الكَذِب وأقول: بماذا أخرج من سَخْطة رسولِ الله ﷺ غدًا وأستعين على ذلك كلّ ذي رأي من أهلي؛ فلما قِيل إن رسولَ الله ﷺ قد أظلّ قادمًا زاح عنّي الباطلُ، وعرفت أني لا أنجو منه إلاّ بالصدق، فأجمعتُ أن أصدقه، وصبَّح رسولُ الله ﷺ المدينة، وكان إذا قَدِم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلَّفون، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فيقبل منهم رسولُ الله ﷺ علانيَتهم وأَيْمانَهم، ويستغفر لهم، ويَكِل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئتُ فسلّمتُ عليه، فتبسّم تبسّم المُغضَب، ثم قال لي: «تعاله»، فجئت أمشي، حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلَّفك؟ ألم تكن ابتعت ظهرك؟» قال: قلت: إني يا رسول الله، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيت جَدلاً، لكن والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثًا كذِبًا لترضينّ عني، وليُوشكنّ الله أن يُسْخطك عليّ، ولئن حدّثتك حديثًا صِدقًا تَجد عليّ فيه، إني لأرجو عُقْباي من الله فيه، ولا والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلَّفت عنك. فقال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا هذا فقد صدقت فيه، فقُمّ حتى يَقْضي الله فيك»، فقُمت، وثار معي رجالٌ من بني سَلِمة، فاتَّبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنتَ أذنبت ذنبًا قبل هذا، ولقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرت إلى رسولِ الله ﷺ بما

الثلاثة فهم كَعْبُ بن مالك بن أبي كعب، واسم أبي كعب عَمْرُو بن القَيْنِ بن كَعْب بن سَوَاد بن غَنْم بن كَعْبُ بن سَلِمَةَ بن سَعْدِ بن عَلِيّ بن أَسَد بن سَارِدَةَ بن يَزِيدَ بن جُشَم بن الخَزْرَج الأنصاري السُّلَمِي، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمٰن، [وقيل: أبا بشير] أُمه: ليلى بنت زَيْد بن ثَعْلَبَةَ من بني سَلِمَة أيضًا، وهلال بن أُميّة، وهو من بني واقف، ومُرَارَة بن رَبِيعةَ، ويقال: ابن الرَّبيع العُمَرِي الأنصاري من بني عُمَر بن عَوْف.

اعتذر به إليه المخلَّفون، قد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسولِ الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا بي حتى أردتُ أن أرجع إلى رسولِ الله ﷺ، فأُكذّب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا أحد غيري؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل مقالتك، وقيل لهما مثل ما قيل لك؛ قلت: من هما؟ قالوا: مُرارة بن الرَّبيع العَمْري، من بني عمرو بن عوف، وهلال بن (أبي) أُميَّة الواقفي؛ فذكروا لي رجلين صالحين، فيهما أُسوة، فصمَتُّ حين ذكروهما لي، ونهى رسولُ الله ﷺ عن كلامنا أيُّها الثلاثة، من بين من تخلَّف عنه، فاجتَنَبَنَا الناسُ، وتغيَّروا لنا، حتى تنكَّرتْ لي نفسي والأرضُ، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بُيوتهما، وأما أنا فكنتُ أشَبَّ القوم وأجلَدهم، فكنت أخرج، وأشهد الصلوات مع المسلمين، وأطوف بالأسواق، ولا يكلّمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي، هل حَرَّك شَفَتيه بردّ السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلّي قريبًا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفتُّ نحوَه أعْرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المُسلمين، مشَيتُ حتى كوّرت جدار حائط أبي قَتادة. وهو ابن عمّي، وأحبُّ الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلم أني أُحبّ الله ورسوله؟ فسكت. فعدت فناشدته، فسكت عني، فعُدت فناشدته فسكت عني، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، ووثبت فتسوّرت الحائط، ثم غدوت إلى السُّوق، فبينا أنا أمشي بالسُّوق، إذا نَبطيّ يسأل عني من نَبَط الشام، مما قَدِم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلّ على كَعْب بن مالك؟ قال: فجعل الناس يُشيرون له إليّ، حتى جاءني، فدفع إليّ كتابًا من ملك غسان، وكتب كتابًا في سَرَقة من حرير، فإذا فيه: «أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هَوان ولا مَضْيعة، فالحق بنا نُواسِك. قال: قلت حين قرأتها: وهذا من البلاء أيضًا، قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع فيّ رجلٌ من أهل الشرك. قال: فعَمَدتُ بها إلى تَنُّور، فَسَجَرْته بها. فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رَسولِ الله يأتيني، فقال: إن رسولَ الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: قلت: أُطلّقها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تَقْرَبها، وأرسل إليّ صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك،

زاح عني الباطل:

فصل: وذكر قول كعب: زاح عنّي الباطل، يقال: زاح وانزاح: إذا ذَهَب، والمصدر زُيُوحًا وزَيَحانًا، إحداهما عن الأصْمَعي، والأخرى عن الكسائي.

فكوني عندهم حتى يَقْضي الله في هذا الأمر ما هو قاض. قال: وجاءت امرأةُ هلال بن أميّة رسولَ الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أُميَّة شيخٌ كبيرٌ ضائع لا خادم له، أفتكره أن أخدمَه؟ قال: «لا، ولكن لا يَقْرَبنك»؛ قالت: والله يا رسول الله ما به من حَرَكة إليّ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوّفت على بصره. قال: فقال لي بعضُ أهلي: لو استأذنتَ رسولَ الله لامرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أُميَّة أن تخدُمه؛ قال: فقلت: والله لا أستأذنه فيها، ما أدري ما يقول رسولُ الله ﷺ لي في ذلك إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شابّ، قال: فلبثنا بعد ذلك عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة، من حين نَهَى رسولُ الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، ثم صلّيت الصبح، صبح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا، على الحال الذي ذكر الله منّا، قد ضاقت علينا الأرضُ بما رحُبَت، وضاقت عليّ نفسي، وقد كنت ابتنيت خَيْمة في ظهر مبلغ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على فهو سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجدًا، وعرفت أن قد جاء الفَرَج.

قال: وآذن رسولُ الله ﷺ الناسَ بتَوْبة الله علينا حين صلّى الفجر، فذهب الناس يُبشّروننا، وذهب نحو صاحبيّ مبشّرون، وركض رجل إلى فرسًا. وسَعى ساع من أسلم، حتى أوفى على الجبل، فكان الصوت أسرَع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوتَه يبشّرني، نزعت ثوبيّ، فكسوتهما إيَّاه بشارة، والله ما أملك يومئذ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما، ثم انطلقت أتيمّم رسولَ الله ﷺ، وتلقّاني الناس يبشَرونني بالتَّوْبة، يقولون: لِيَهْنِكَ توْبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، ورسولُ الله ﷺ جالس حوله الناسُ، فقام إليّ طلحة بن عُبيد الله، فحيَّاني وهنَّأني، ووالله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيرُه. قال: فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة.

وقوله: فقام إليّ طلحةُ بن عُبَيْد الله يُهَنِّئني، فكان كعبٌ يَرَاها له، فيه: جواز السرور بالقيام إلى الرجل كما سُرَّ كعب بقيام طلحة إليه، وقد قال عليه السلام في خَبَرِ سعد بن مُعاد: «قوموا إلى سيِّدكم»[1]، وقام هو ﷺ إلى قوم، منهم: صَفْوَانُ بن أُمَيَّةَ حين قدم عليه، وإلى عدي بن حاتِم، وإلى زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكّة وغيرهم، وليس هذا بمعارضٍ لحديث معاوية عنه ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن سَرَّه أن يَمْثُل له الرجالُ قِيامًا فَلْيَتَبَوَّأْ

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٨١) ومسلم في الجهاد (٦٤) وأبو داود (٥٢١٥ ـ بتحقيقي) والترمذي (٨٥٦) وأحمد (٣/ ٢٢).

قال كعب: فلما سلَّمتُ على رسولِ الله ﷺ قال لي، ووجهه يَبرُق من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذُ ولدتك أُمُك»، قال: قلت: أَمِن عندك يا رسولَ الله أَم من عند الله؟ قال: «بل من عند الله». قال: وكان رسولُ الله ﷺ إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنَّا نعرف ذلك منه. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي إلى الله عزّ وجلّ أن أنخلع من مالي، صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسولُ الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك». قال: قلت: إني مُمْسك سَهْمي الذي بخيبر؛ وقلت: يا رسول الله، إن الله قد نجَّاني بالصدق، وإن من توبتي إلى الله أن لا أحدِّث إلاّ صدقًا ما حييت، والله ما أعلم أحدًا من الناس أبلاه الله في صِدْق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله ﷺ ذلك أفضلَ مما أبلاني الله، والله ما تعمَّدت من كَذْبة منذ ذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

وأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾... إلى قوله: ﴿وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩].

قال كعب: فوالله ما أنعم الله عليّ نعمةً قطّ بعد أن هداني للإسلام كانت أعظمَ في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ يومئذ، أن لا أكون كذبته، فأهلِك كما هَلك الذين كذبوا، فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد، قال: ﴿سَيَحْلِفُونَ باللَّهِ لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنهُمْ فأَعْرِضُوا عنهم إنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزاءً بِمَا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فإنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فإنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦].

مَقْعَده من النار»[١] ويُروى: يَسْتَجِمّ له الرجالُ؛ لأن هذا الوعيد إنما توجّه للمُتَكَبِّرين، وإلى مَنْ يَغْضَب، أو يَسْخَطُ ألاّ يُقَامَ له، وقد قال بعضُ السَّلَفِ: يقام إلى الولد برًّا به، وإلى الولدِ سُرُورًا به، وصدق هذا القائل، فإن فاطمة رضي الله عنها كانت تقوم إلى أبيها ﷺ برًّا به، وكان هو ﷺ يقوم إليها سُرُورًا بها رضي الله عنها، وكذلك كل قيام أثمره الحبُّ في الله، والسرور بأخيك بنعمة الله، والبرّ بمن يحب بِرَّه في الله تبارك وتعالى، فإنه خارج عن حديث النهي والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٠٠) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٧) وأبو نعيم في تاريخ أصفهان (١/٢١٩).

قال: وكنّا خُلِّفنا أيها الثلاثةُ عن أمر هؤلاء الذين قَبِل منهم رسولُ الله ﷺ، حين حَلفوا له فعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسولُ الله ﷺ أمرَنا، حتى قَضى الله فيه ما قضى، فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾.

وليس الذي ذكر الله من تخْليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيّانا، وإرجائه أمرنا عمن حلَف له، واعتذر إليه، فقبل منه.

أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحٰق: وقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ من تَبوكَ في رمضانِ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفدُ ثقيف.

وكان من حديثهم أن رسولَ الله ﷺ لما انصرف عنهم، اتبع أثره عُروة بن مسعود الثقفي، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسولُ الله ﷺ، كما يتحدّث قومه: إنهم قاتلوك، وعرف رسولُ الله ﷺ أنّ فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم، فقال عروة: يا رسول الله أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم.

قال ابن هشام: ويقال: من أبصارهم.

قال ابن إسحٰق: وكان فيهم كذلك محبَّبًا مطاعًا، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه، لمنزلته فيهم؛ فلما أشرف لهم على عِلِّية له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رمَوْه بالنَّبل من كلّ وجه، فأصابه سهم فقتله. فتزعُم بنو مالك أنه قتله رجلٌ منهم، يُقال له: أوس بن عَوْف، أخو بَني سالم بن مالك، وتزعمُ الأحلاف أنه قتله رجل منهم، من بني عتَّاب بن مالك، يقال له: وهب بن جابر، فقيل

إسلام ثقيف

فيه قول النبيّ ﷺ في عُرْوَةَ بن مَسْعُودٍ حين قُتِل: مثله كمثلِ صاحبِ ياسين في قومه، يحتمل قوله ﷺ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين، الذي قال لقومه: ﴿اتَّبِعوا المرسلين﴾ فقتله قومُه، واسمه حَبِيبُ بن مُرّي، ويحتمل أن يريد صاحب إلْياسَ، وهو الْيَسَعَ، فإن إلياس يقال في اسمه: ياسينِ أيضًا، وقال الطبري: هو إلياس بن يَاسِين، وفيه قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَلامٌ على آلْ ياسِين﴾ [الصافات: ١٣٠] فالله أعلم؛ وقد بينّا في التعريف والإعلام معنى إلياس وإلْيَاسِين وآلِ ياسِين بيانًا شافيًا، وأوضحنا خطأ قول من قال إن إلْياسِين جمع كالأشعَرِين، وضعف قول من قال: إن ياسين هو محمد ﷺ، فلْيُنْظر هنالك.

لعُروة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامةٌ أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلاّ ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسولِ الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم، فدفنوه معهم، فزعموا أن رسولَ الله ﷺ قال فيه: «إن مثلَه في قومه لكَمَثَل صاحب ياسين في قومه».

ثم أقامت ثَقيف بعد قتل عُروة أشهرًا، ثم إنهم ائتَمَرُوا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا.

حدّثني يعقوب بن عُتْبَةَ بن المُغِيرَة بن الأخْنَسِ: أن عَمْرَو بن أُميَّة، أخا بني عِلاَجٍ، كان مُهاجرًا لعبدِ ياليِلَ بن عمرو، الذي بينهما سيىء، وكان عمرو بن أُمَيَّة من أذهَى العرب، فمَشى إلى عبد ياليِلَ بن عمرو، حتى دخل داره، ثم أرسل إليه أن عَمْرَو بن أمية يقول لك: أخْرج إليّ، قال: فقال عبدُ ياليِلَ للرسول: وَيْلك! أعَمْرو أرسلك إليّ؟ قال: نعم، وها هو ذا واقفًا في دارك، فقال: إن هذا الشيء ما كنت أظنُّه، لَعَمْرو كان أمنع في نفسه من ذلك، فخرج إليه، فلما رآه رحَّب به، فقال له عمرو: إنه

زوج عـروة:

وكانت تحت عُرْوَةَ مَيْمُونَةَ بنت أبي سُفيان، فولدت له أبَا مُرَّةَ بن عُرْوَةَ، وبنت أبي مُرَّةَ هي: ليلى امرأة الحسين بن عَلِيّ عليهما السلام ولدت للحُسَيْنِ عَلِيًا الأكبر قتل معه بالطَّفُ[1]، وأما عليٌّ الأصْغَرُ فلم يُقْتَل معه، وأُمُه: أم وَلَدٍ، واسمها سُلافَةُ، وهي بنت كِسْرَى بن يَزْدَجِرْدَ، وأُختُها الغَزَالُ هي أم أبي بَكْرِ بن عبدِ الرحمٰن بن الحارِبِ بن هِشَامٍ.

حول هدم اللات:

فصل: وذكر إسلام ثقيف وعدم طاغِيتهم، وهي الَّلات، وأن المُغِيرَةَ وأبا سُفْيَانَ هما اللذان هَدَمَاها وذكر بعض مَنْ أَلَّف في السِّير أن المغيرة قال لأبي سُفيان حين هدمها: ألا أُضْحِكَكَ من ثقيف؟ فقال: بَلَى، فأخذ المِعْوَلَ، وضرب به اللاتَ ضَرْبة، ثم صاح وخَرَّ على وجهه، فارْتَجَّتْ الطائفُ بالصِّياح سُرورًا بأن الَّلاتَ قد صَرَعَت المغيرةَ، وأقبلوا يقولون: كيف رأيتها يا مُغِيرَةُ دُونَكَهَا إن استَطَعْتَ، ألم تَعْلَم أنها تُهْلك مَنْ عاداها، ويَحَكُمْ ألا تَرَوْنَ ما تَصْنَع؟ فقام المغيرةُ يضحك منهم، ويقول لهم: يا خُبَثَاءُ والله ما قَصَدْتُ إلاّ أَلْهُزَأ بكم، ثم أقبل على هَدْمِها، حتى استَأْصلها، وأقبلت عجائزُ ثَقِيفٍ تَبْكِي حَوْلها، وتقول: أَسْلَمَها الرُّضَّاعُ، إذْ كَرِهُوا المِصَاع، أي: أسلمها الَّلئَامُ حين كَرِهوا القِتال.

---

(١) الطف: موضع بالكوفة.

قد نزل بنا أمر ليستِ معه هِجْرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، قد أسلمت العربُ كلها، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم: فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها، وقال بعضُهم لبعض: أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْب، ولا يخرج منكم أحد إلاّ اقْتُطِع، فاتَمَرُوا بينهم، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسولِ الله ﷺ رجلاً، كما أرسلوا عُرْوَةَ، فكلَّموا عَبْدَ ياليلَ بن عمرو بن عُمير، وكان سنّ عروة بن مسعود، وعرضوا ذلك عليه، فأبى أن يفعل، وخشي أن يُصنع به إذا رجع كما صُنِع بعُرْوَةَ. فقال: لست فاعلاً حتى تُرسلوا معي رجالاً، فأجمعوا أن يبعثُوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتّب، وشُرَحبيل بن غَيلان بن سَلِمة بن معتِّب، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بِشر بن عبد دُهمان، أخا بني يسار، وأوس بن عوف، أخا بني سالم بن عوف ونُمَير بن خَرَشَة بن ربيعة، أخا بني الحارث. فخرج بهم عبدُ ياليل، وهو نَابُ القوم وصاحبُ أمرهم، ولم يخرج بهم إلاّ خشية من مثل ما صُنع بعُرْوَة بن مسعود، لكي يشغل كلّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطه..

فلما دنَوْا من المدينة، ونزلوا قناة أَلْفَوْا بها المُغيرة بن شُعبة، يرعَى في نَوْبَتة رِكابَ أصحاب رسولِ الله ﷺ، وكانت رِعْيتها نُوَبًا على أصحابه ﷺ، فلما رآهم تركَ الركاب عند الثَّقَفيين، وضبر يشتدّ، ليبشّر رسولَ الله ﷺ بقدومهم عليه، فلقيه أبو بكر الصدّيق قبل أن يدخل على رسولِ الله ﷺ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البَيْعة والإسلام، بأن يَشْرُط لهم رسولُ الله ﷺ شُروطًا، ويكتتبوا من رسولِ الله ﷺ كتابًا في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمُغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ، حتى أكون أنا أُحدّثه؛ ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ، فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المُغيرة إلى أصحابه، فرَوّح الظُّهر معهم وعلَّمهم كيف يحيُّون رسولَ الله ﷺ، فلم يفعلوا إلاّ بتحيَّة الجاهلية، ولمَّا قَدِموا على رسولِ الله ﷺ ضرب عليهم قُبّة في ناحية مسجده، كما يزعمون، فكان خالد بن سعيد بن العاص، هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ، حتى اكتتبوا كتابهم. وكان

فقه حديث كتاب النبيّ لثقيف:

فصل: وذكر كتابه ﷺ لثقيف، وذكره أبو عبيد كما ذكره ابن إسحٰق، وذكر فيه شهادة عَلِيٍّ وابنيه الحَسَنِ والحُسَيْنِ، قال: وفيه من الفقه شهادة الصِّبْيَان، وكتابة أسمائهم قبل البُلوغ، وإنما تُقْبَل شهادتُهم إذا أَدَّوْهَا بعد البُلوغ، وفيه من الفِقه أيضًا شهادةُ الابن مع شَهَادَةِ أبيه في عقد واحد.

خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يَطْعمون طعامًا يأتيهم من عند رسولِ الله ﷺ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية، وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسولُ الله ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم حتى سألوا شهرًا واحدًا بعد مَقْدَمهم، فأبى عليهم أن يدَعها شيئًا مسمّى، وإنما يزيدون بذلك فيما يُظهرون أن يَتَسَلَّموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكْرهون أن يُروعوا قومَهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام: فأبى رسولُ الله ﷺ إلاّ أن يبعث أبا سُفيان بن حَرب والمُغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه، وأما الصلاة، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه»، فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها، وإن كانت دناءة.

فلما أسلموا وكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتابَهم، أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أَحدَثهم سنًا، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقُّه في الإسلام وتعلُّم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إني قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلّم القرآن.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي، عن بعض وفدهم. قال: كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من رمضان، بفِطرنا وسَحُورنا من عند رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسَّحور، وإنا لنقول: إنا لنرى الفجر قد طلع، فيقول: قد تركت رسولَ الله ﷺ يتسحَّر، لتأخير السُّحور، ويأتينا بفطرنا، وإنا لنقول: ما نرى الشمس كلّها ذهبت بعد. فيقول: ما جئتكم حتى أكل رسولُ الله ﷺ، ثم يَضع يده في الجَفْنة، فيلتقم منها.

قال ابن هشام: بفَطُورنا وسَحورنا.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني سعيد بن أبي هند، عن مُطَرّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن عثمان بن أبي العاص، قال: كان من آخر ما عهد إليّ رسولُ الله ﷺ حين بعثني

وذكر في الكتاب: وَجًا، وأنهُ حَرَامٌ عِضَاهُهُ وشَجَرُه، يعني حَرَامًا على غير أهله كتحريم المدينةِ ومكّة. وَوَجٌّ هي أرض الطائف، وهي التي جاء فيها الحديثُ: إن آخر وَطأة وطِئها الرَّبُّ بِوَجٍّ، ومعناها عند بعضهم: آخر غَزْوَةٍ وَوَقْعَةٍ كانت بأرض العرب بوَجٍّ، لأنها آخرُ غزَوَاتِه - ﷺ - إلى العرب، وقد قيل في معنى الحديث غير هذا، مما ذكره القُتَبِيُّ، ونحن نضرب عن ذكره، لما فيه من إبهام التشبيه، والله المُسْتَعَانُ.

على ثَقيف أن قال: يا عثمان، تجاوز في الصلاة، واقدُر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبيرَ، والصغير، والضعيف، وذا الحاجة.

قال ابن إسحٰق: فلما فرغوا من أمرهم، وتوجّهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسولُ الله ﷺ أبا سُفيان بن حرب والمغيرةَ بن شعبة، في هدم الطاغية، فخرجا مع القوم، حتى إذا قَدِموا الطائف أراد المُغيرة بن شعبة أن يُقَدّم أبا سُفيان، فأبى ذلك أبو سُفيان عليه، وقال: أدخل أنت على قومك؛ وأقام أبو سفيان بماله بذي الهَدْم؛ فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يَضربها بالمِعول، وقام قومه دونه، بنو مَعَتّب، خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أُصيب عُروة، وخرج نساء ثقيف حُسَّرًا يَبْكين عليها ويقلن:

لتُبْككَينَّ دُفَّاع أسْلَمها الرُّضّاع

لـم يُـحْسِـنـوا الـمِـصـاع

قال ابن هشام: «لَتَبْكَينّ» عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: ويقول أبو سُفيان والمغيرةُ يَضْربها بالفأس: واها لك! آها لك! فلما هدمها المُغيرة، وأخذ مالَها وحُلِيَّها أرسل إلى أبي سُفيان وحلِيها مجموع، ومالها من الذهب والجَزْع.

وقد كان أبو مُلَيح بن عروة وقارِب بن الأسود قَدِما على رسولِ الله ﷺ قبل وفد ثقيف، حين قُتل عروة، يريدان فراق ثقيف، وأن لا يجامعاهم على شيء أبدًا، فأسلما؛ فقال لهما رسولُ الله ﷺ تولّيا منْ شئتما؛ فقالا: نتولى الله ورسوله، فقال رسولُ الله ﷺ: «وخالَكما أبا سُفيان بن حرب»، فقالا: وخالَنا أبا سُفيان بن حرب.

وج:

وقد قيل في وَجٍّ هي الطائفُ نفسُها، وقيل: هو اسمٌ لوادٍ بها، ويَشْهَد لهذا القول قول أُميَّةَ بن الأسْكَرِ:

إذ يَـبْـكـي الـحـمـامُ بـبَـطْـنِ وَجٍّ   عـلـى بـيـضـاتـه بَـكَـيَـا كِـلاَبَـا

وقـال آخـر:

أتُـهْـدِي لـي الـوعـيـدِ بِـبَـطْـنِ وَجٍّ   كـأنّـي لا أراك ولا تَـرَانِـي

وقد ألفيت في نسخة الشيخ وجا بتخفيف الجيم والصواب تشديدها كما تقدّم وقال أُميَّةُ بن أبي الصَّلْتِ:

إن وَجّـا ومـا يـلـي بَـطْـنَ وَجٍّ   دارُ قـومـي بِـرَبْـوَةٍ وزُتُـوقِ

فلما أسلم أهلُ الطائف ووجه رسولُ الله ﷺ أبا سُفيان والمُغيرة إلى هدم الطاغية، سأل رسولَ الله ﷺ أبو مُليح بن عروة أن يَقضي عن أبيه عُروة دَينًا كان عليه من مال الطاغية، فقال له رسولُ الله ﷺ: «نعم»، فقال له قارب بن الأسود، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه، وعروة والأسود أخوان لأب وأُم، فقال رسولُ الله ﷺ: «إن الأسود مات مشركًا». فقال قارب لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، ولكن تَصِل مسلمًا ذا قرابة، يعني نفسه، إنما الدَّين عليّ، وإنما أنا الذي أُطلبُ به، فأمر رسولُ الله ﷺ أبا سُفيان أن يَقْضي دَينَ عُروة والأسود من مال الطاغية، فلما جمع المُغيرة مالها قال لأبي سُفيان: إن رسولَ الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن عُروة والأسود دَينَهما، فقضى عنهما.

وكان كتاب رسولِ الله ﷺ الذي كتب لهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد، النبيّ، رسول الله، إلى المؤمنين: إنّ عِضَاهَ وَجٍّ وصَيْدَه لا يُعْضَدُ، من وُجد يفعل شيئًا من ذلك، فإنه يُجلَد وتُنزَع ثيابه، فإن تعدّى ذلك فإنه يُؤخذ فيبلغ به إلى النبيّ محمد، وإن هذا أمر النبيّ محمد، رسول الله».

وكتب خالد بن سعيد: بأمر الرسول محمد بن عبد الله، فلا يتعدّه أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ.

حجّ أبي بكر بالناس سنة تسع
واختصاص النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه
بتأدية أول براءة عنه وذكر براءة والقصص في تفسيرها

قال ابن إسحٰق: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بقيَّة شهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميرًا على الحجّ من سنة تسع، ليُقيم للمسلمين حجّهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حَجّهم، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين.

وسُمّيت وَجًّا فيما ذكروا بِوَجّ بن عَبْدِ الحَيّ من العَمَالِقَةِ، ويقال: وَجّ، وأَجّ بالهمزة، قاله يعقوب في كتاب الإبدال، وكتابه ﷺ لأهل الطائف أطول مما ذكره ابن إسحٰق بكثير، وقد أورده أبو عبيد بكماله في كتاب الأموال.

إنزال سورة براءة

كان رسولُ الله ﷺ حين قَدِم من تَبُوك، فذكر مُخَالَطَة المشركين للناس في حَجّهم، وتَلْبِيَتَهم بالشِّرْك وطوافَهم عُرَاةً بالبيت، وكانوا يقصدون بذلك أن يَطُوفوا كما وُلِدوا بغير

ونزلت براءة في نقض ما بين رسولِ الله ﷺ وبين المشركين من العهد، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يصَدّ عن البيت أحدٌ جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام. وكان ذلك عهدًا عامًا بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب خصائص، إلى آجال مسماة، فنزلت فيه وفيمن تخلّف من المنافقين عنه في تبوك، وفي قول من قال منهم، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يَسْتَخْفون بغير ما يُظهرون، منهم مَنْ سُمّي لنا، ومنهم مَنْ لم يُسمَّ لنا، فقال عزّ وجلّ: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدْتُم مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ أي لأهل العهد العام من أهل الشرك ﴿فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أنَّكم غيرُ مُعْجِزي اللَّهِ وأنَّ اللَّهَ مُخْزِي الكافِرِينَ وأذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَوْمَ الحجّ الأكْبَرِ أنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾: أي: بعد هذه الحِجَّة ﴿فإن تُبْتُم فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعْلَمُوا أنَّكُمْ غيرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِين كَفَرُوا بعَذَابٍ أليم إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾: أي: العهد الخاصّ إلى الأجل المُسمى ﴿ثُمَّ لَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فأتِمُّوا إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ﴾: يعني الأربعة التي ضَرب لهم أجلاً ﴿فاقْتُلُوا المُشْرِكينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُم كُلَّ مَرْصَدٍ فإنْ تَابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾: أي: من هؤلاء الذين أمرتك بقَتْلهم ﴿اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حتى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّه ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأمَنَهُ ذلكَ بأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾.

الثياب التي أذنبوا فيها، وظَلَموا، فأمْسَك - ﷺ - عن الحَجِّ في ذلك العام، وبعث أبا بكر - رضي الله عنه - بسورة براءةَ لِيَنبِذَ إلى كل ذي عهد عهدَه من المشركين إلاَّ بعضَ بني بَكْر الذين كان لهم عهدٌ إلى أجل خاصٍّ، ثم أردف بعليٍّ رضي الله عنه، فرجع أبو بكر للنبيّ ﷺ، وقال: يا رسول الله هل أُنزِل فيَّ قرآنٌ؟ قال: «لا»، ولكن أردت أن يبلغَ عني مَنْ هو من أَهْل بَيْتي، قال أبو هريرة: فأَمَرَنِي عَلِيٌّ - رضي الله عنه - أنْ أطوفَ في المنازل مِنْ منًى ببَرَاءة، فكنت أصيح حتى صَحَلَ حَلْقي، فقيل له: بم كنت تنادي؟ فقال: بأربع: ألاَّ يدخلَ الجنَّةَ إلاَّ مؤمنٌ، وألاَّ يَحُجَّ بعد هذا العام مُشْرِكٌ، وألاَّ يَطُوفَ بالبيت عُرْيَانٌ، ومن كان له عَهْدٌ، فله أجلُ أربعة أشهر ثم لا عَهْدَ له، وكان المشركون إذا سمعوا النداءَ ببراءَةَ يقولون لعليٍّ: سَتَرَوْنَ بعد الأرْبَعَةِ أَشْهُر، بأنه لا عَهْدَ بيننا وبين ابنِ عَمّك إلاَّ الطَّعْن والضرب، ثم إن النّاسَ في ذلك المدّة رَغِبوا في الإسلام حتى دخلوا فيه طَوْعًا وكَرْهًا، وحجّ رسولُ الله ﷺ في العام القابل، وحَجَّ المسلمون، وقد عاد الدين كلُّه واحدًا لله رَبِّ العالمين.

ثم قال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم في الحرمة، ولا في الشهر الحرام ﴿عَهدَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾، وهي قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عَقد قريش وعهدهم يوم الحديبية، إلى المدّة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فلم يكن نَقَضَها إلاّ هذا الحيّ من قريش؛ وهي الدّيل من بني بكر بن وائل، الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم. فأُمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر إلى مدّته ﴿فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فاستَقِيمُوا لَهُم إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: أي: المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام ﴿لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إلاً وَلا ذِمَّةً﴾.

تفسير ابن هشام لبعض المفردات:

قال ابن هشام: الإلّ: الحِلْف. قال أوس بن حَجَر، أحد بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم:

لـولا بَـنـو مـالـك والإلّ مَـرْقـبـةٌ ومـالـكٌ فـيـهـمُ الآلاء والـشَّـرفُ

وهذا البيت في قصيدة له وجمعه: آلال، قال الشاعر:

فــلا إلّ مــن الآلال بَــيْــنــي وبــيــنــكُــم فَــلا تَــأْلُــنّ جُــهْــدا

والذمَّة: العهد. قال الأجدع بن مالك الهَمْداني، وهو أبو مَسْروق بن الأجدع الفقيه:

وكـان عـلـيـنـا ذمَّـةٌ أن تُـجـاوِزوا من الأرض معْروفًا إلَينا ومُنْكرا

وهذا البيت في ثلاثة أبيات له وجَمْعها: ذِمم.

﴿يُرْضُونَكُم بأَفوَاهِهِمْ وتَأْبى قُلُوبُهُم وأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ اشْتَرَوْا بآياتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاً وَلا ذِمَّةً وأُولَئِكَ هُمُ المُعْتَدُونَ﴾ أي: قد اعتدوا عليكم ﴿فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوْا الزَّكاةَ فإخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ ونُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وأما النداء في أيّام التَّشْرِيفِ بأنها أيامُ أكل وشُرْبٍ، وفي بعض الروايات أكْلٍ وشَرب وبِعَال[1]، فإن الذي أمر أن يُنادي بذلك في أيّام التشريق هو كَعْب بن مالك وأَوْس بن

(١) بعال: أي مباشرة الزوجة.

اختصاص الرسول عليًا بتأدية براءة عنه:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنَيف، عن أبي جعفر محمد بن عليّ رضوان الله عليه، أنه قال: لما نزلت براءة على رسولِ الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكر الصدّيق ليُقيم للناس الحجّ، قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: «لا يؤدّي عني إلاّ رجل من أهل بيتي»، ثم دعا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: «اخرج بهذه القصّة من صدر براءة، وأذّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمِنى: أنه لا يدخل الجنّة كافر، ولا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدّته»، فخرج عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسولِ الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلما رآه أبو بكر بالطريق، قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا. فأقام أبو بكر للناس الحجّ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجّ، التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأذّن في الناس بالذي أمره به رسولُ الله ﷺ، فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنّة كافر، ولا يحجّ بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسولِ الله ﷺ عهد فهو له إلى مدّته، وأجّل الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم، ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلاّ أحد كان له عند رسولِ الله ﷺ عهد إلى مدّة، فهو له إلى مدّته. فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عُريان.

ثم قَدِما على رسولِ الله ﷺ.

قال ابن إسحٰق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام، وأهل المدّة إلى الأجل المسمّى.

ما نزل في الأمر بجهاد المشركين:

قال ابن إسحٰق: ثم أمر الله رسوله ﷺ بجهاد أهل الشرك، ممن نقض من أهل العهد الخاصّ، وَمَن كان من أهل العهد العام، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلاً إلاّ أن يعدوَ فيها عاد منهم، فيقتل بعدائه، فقال: ﴿أَلا تُقاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وهَمُّوا

الحَدَثَانِ، وفي الصحيح أن زَيْد بن مِرْبَعِ ويقال فيه أيضًا: عبد الله بن مِرْبَع كان ممن أُمَر أن يُنادِي بذلك، ورُوي مثل ذلك عن بِشْرِ بن سُحَيْم الغِفَاريّ، وقد رُوي أن حُذَيْفَةَ كان المنادِي بذلك، وعن سعد بن أبي وقّاص أيضًا، وبلال، ذكر بعض ذلك البَزّار في مُسْنَده، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿فإذا انسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ﴾ أنه أراد ذا الحِجَّةِ والمُحرَّم من ذلك العام، وأنه

بإخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتخْشَوْنَهُمْ فاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بأيدِيكُمْ ويُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ أي: من بعد ذلك ﴿عَلَى مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ ولَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا المُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: وليجة: دخيل، وجمعها: ولائج؛ وهو من وَلَجَ يَلِج: أي: دخل يدخل، وفي كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخِياطِ﴾: أي: يدخل، يقول: لم يتخذوا دخيلاً من دونه يُسِرُّون إليه غير ما يظهرون، نحو ما يصنع المنافقون، يُظهرون الإيمان للذين آمنوا ﴿وَإِذَا خَلَوْا إلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إنَّا مَعَكُمْ﴾ قال الشاعر:

واعلم بأنَّك قد جُعِلتَ وليجَةً ساقوا إليك الحَتْف غيرَ مَشُوب

ما نزل في الردّ على قريش بادعائهم عمارة البيت:

قال ابن إسحٰق: ثم ذكر قولَ قريش: إنا أهلُ الحرم، وسُقاة الحاجّ، وعمَّار هذا البيت، فلا أحد أفضل منّا، فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾: أي: إن عمارتكم ليست على ذلك، وإنما يَعْمُر مساجدَ الله أي: من عمرها بحقها ﴿مَنْ آمَنَ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وأقامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ ولَمْ يَخْشَ إلاّ اللَّهَ﴾: أي: فأولئك عُمارها ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أنْ يكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ﴾ وعسى من الله: حقّ.

ثم قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجِّ وعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كمَنْ آمَنَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَجاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾.

جعل ذلك أجَلاً لِمَنْ لا عَهْدَ له من المشركين، ومن كان له عَهْدٌ جُعِل له أربعةُ أشهر أوّلُها يوم النحر من ذلك العام، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ﴾ قيل: أراد حين الحجّ، أي أيّام الموسم كلها، لأن نداء عليّ بن أبي طالب ببراءة كان في تلك الأيّام.

ما نزل في سورة براءة:

فصل: وذكر ابن إسحٰق ما أنزل الله في سورة براءة في غَزْوَة تَبُوك، وأهلُ التفسير يقولون إن آخرها نزل قَبْل أوّلها، فإن أوّل ما نزل منها:

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وثِقَالاً﴾ ثم نزل أوّلُها في نَبْذِ كُلِّ عَهْدٍ إلى صاحبه كما تقدم.

ما نزل في الأمر بقتال المشركين:

ثم القصة عن عدوّهم، حتى انتهى إلى ذكر حنين، وما كان فيه، وتوليهم عن عدوّهم، وما أنزل الله تعالى من نَصْرة بعد تخاذلهم، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا المُشْرِكون نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعدَ عامِهِمْ هذَا وإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وذلك أن الناس قالوا: لتنقطعنّ عنّا الأسواق، فلتهكنّ التجارة، وليذهبنّ ما كنا نصيب فيها من المرافق، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي: من وجه غير ذلك ﴿إِنْ شَاءَ إن اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرونَ﴾: أي: ففي هذا عوض مما تخوّفتم من قَطعِ الأسواق، فعوّضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب، من الجِزْية.

وقوله: ﴿انفِروا خِفَافًا وثِقَالاً﴾ فيه أقوالٌ: قيل معناه: شُبَّانًا وشُيُوخًا، وقيل: أغنياء وفقراء، وقيل أصحاب شُغُلُ وغير ذِي شَغْلٍ، وقيل: رُكْبَانًا ورَجَّالَةً.

عن الأجدع بن مالك:

وأنشد شاهدًا على أَوْضَعُوا خِلاَلَكُم للأجدَع بن مالك والدِ مَسْروق بن الأجدع، وقد غيَّر عُمر رضي الله عنه اسم الأجْدَع، وقال: الأجْدَعُ: اسمُ شيطانٍ، فسمّاه عبدَ الرحمٰن ويُكْنى مَسْروق أبا عائشة.

وقوله في البيت: يصطادك الوَحَدَ، أي: يصطاد بك، وأراد بالوَحِد: الثَّوْر الوَحْشِي.

وقوله: بِشَرِيج بين الشَّدِّ والإيضاع، يقال: هما شريجان، أي: مختلفان، وقبل هذا البيت بأبيات في شعر الأجدع:

أَسَـأَلْـتِـنـي بـركـائِـبـي ورحـالِـهـا ... ونَـسِـيـتِ قَـتْـلَـى فـوارسِ الأَرْبَـاع

وذكره أبو عَليٍّ [القالي] في الأمالي[1]، فقال: وسَأَلْتِني بالواو، وقد خطَّئوه، وقالوا: إنما هو أَسَأَلْتِني. وفوارسُ الأرباع قد سمّاعم أبو علي في الأمالي، وذكر لهم خبرًا.

إعطاء الجزية عن يد:

وذكر قوله تعالى: ﴿حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وهُمْ صَاغِرُون﴾ وقيل فيه أربعةُ أقوال أيضًا:

---

(١) الأمالي للقالي (١/ ٢٣).

ما نزل في أهل الكتابين:

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشرّ والفِرية عليه، حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إنَّ كَثِيرًا مِنَ الأحْبارِ والرُّهْبانِ لَيأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالباطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أليم﴾.

مـا نـزل في النسـيء:

ثم ذكر النسيء، وما كانت العرب أحدَثَت فيه. والنسيء ما كان يُحَلّ ما حرّم الله تعالى من الشهور، ويُحَرِّم مما أحلّ الله منها، فقال: ﴿إنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ والأرْضَ مِنها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾: أي: لا تجعلوا حرامها حلالاً، ولا حلالها حرامًا: أي: كما فعل أهلُ الشرك ﴿إنَّمَا النَّسِيءُ﴾ الذي كانوا يصنعون ﴿زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عامًا ويُحَرِّمُونَهُ عامًا لِيُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّه زُيِّنَ لَهُمْ سوءُ أَعمالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدي القَوْمَ الكافرينَ﴾.

مـا نـزل في تبـوك:

ثم ذكر تبوكَ وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها، وما أعظموا من غزوة الرّوم، حين دعاهم رسولُ الله ﷺ إلى جهادهم، ونِفاقَ من نافق من المنافقين، حين دُعوا إلى ما دُعوا إليه من الجهاد، ثم ما نَعَى عليهم من إحداثهم في الإسلام، فقال تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا مالَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا في سَبِيلِ اللَّهِ أثَّاقَلْتُمْ إِلى الأرْضِ﴾، ثم القصّة إلى

أحدها: أن يؤدّيها الذِّمّيُّ بنفسه، ولا يرسلها مع غيره.

الثاني: أن يُؤَدِّيها قائمًا، والذي يأخذها قاعدًا.

الثالث: أن معناه: عن قَهْرٍ وإذْلاَلٍ.

الرابع: أن معناه عَنَ يَدٍ مِنْكُم، أي: إنعام عليهم بحَقْن دمائهم، وأخْذِ الجِزْيَةِ منهم بَدَلاً من القَتْل، كل هذه الأقوال مذكورة في كتب المفسرين، ولفظ الآية يتناول جميعَ هذه المعاني، والله أعلم.

ومعنى قوله تعالى: في هذه الآية ﴿قاتلوا الذين لا يُؤْمِنُون بالله ولا باليوم الآخِر﴾ وإن كان أهلُ الكتاب يُصدِّقون بالآخِرَة، فمعناه فيما ذكر ابن سَلاَّم أن أهلَ الكتاب لا يقولون بإعادة الأجْسَادِ ويقولون إن الأرْوَاحَ هي التي تُبْعثَ دون الأجساد.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غيرَكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ﴾.

ما نزل في أهل النفاق:

ثم قال تعالى لنبيّه ﷺ، يذكر أهل النفاق: ﴿لَوْ كانَ عَرضًا قريبًا وسَفرًا قاصِدًا لاتَّبَعُوكَ ولكِنْ بَعُدَتْ عَلَيهِمُ الشُّقةُ وَسَيَحْلفون باللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لكاذِبُونَ﴾: أي: إنهم يستطيعون ﴿عَفا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وتَعْلَمَ الكاذِبِينَ﴾... إلى قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زَادُوكُمْ إلاَّ خَبالاً ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: أوضعوا خلالكم: ساروا بين أضعافكم، فالإيضاع: ضرب من السير أسرع من المشي؛ قال الأجدَعُ بن مالك الهَمْداني:

يَضطادك الوحِدَ المُدِلَّ بشأوِه بشَريج بين الشَّدِّ والإيضاع

وهذا البيت في قصيدة له.

عود إلى ما نزل في أهل النفاق:

قال ابن إسحٰق: وكان الذين استأذنوه من ذوي الشرف، فيما بلغني، منهم: عبد الله بنُ أُبَيّ ابن سَلُول، والجَدّ بن قيس؛ وكانوا أشرافًا في قومهم، فثبّطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه، فيفسدوا عليه جنده، وكان في جنده قومٌ أهل محبة لهم، وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه، لشرفهم فيهم. فقال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بالظَّالِمِينَ لَقَدِ ابتَغَوا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: من قبل أن يستأذنوك، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾: أي: ليُخَذّلوا عنك أصحابك ويردّوا عليك أمرك ﴿حتى جاءَ الحَقُّ وظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كارِهُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنِّي ألا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، وكان الذي قال ذلك. فيما سُمّي لنا، الجَدّ بن قيس، أخو بني سَلِمَة، حين دعاه رسولُ الله ﷺ إلى

من المعذرين:

وذكر في المُعذِّرين: خُفَافَ بن إيماء بن رَحْضَةَ، ويقال فيه: رُحْضَة بالضم ابن خربة، وكان له ولأبيه إيماء، ولجده رَحْضَة صحبةٌ. مات خُفَافٌ في خلافة عُمَر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ وكان إمامًا لبني غِفَارٍ.

جهاد الرّوم. ثم كانت القصّة إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ وَمِنهُم مَن يَلْمِزُكَ في الصَّدَقاتِ فإنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوا مِنْها إذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾: أي: إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم.

ما نزل في ذكر أصحاب الصدقات:

ثم بيّن الصدقات لمن هي وسمى أهلها، فقال: ﴿إنَمَا الصَّدَقاتُ للْفُقَراءِ والمَساكِين والعامِلِينَ عَلَيْها والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفِي الرّقابِ والغارِمِينَ وفي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَة مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

ما نزل فيمن آذوا الرسول:

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبيّ ﷺ، فقال: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُل أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وكان الذي يقول تلك المقالة، فيما بلغني، نَبْتَل بن الحارث أخو بني عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه كان يقول: إنما محمد أُذن، مَن حدّثه شيئًا صدّقه. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكم﴾: أي: يسمع الخير ويصدّق به.

ثم قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ باللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أن يُرْضُوهُ إنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَلَئِنْ سألْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إنَّمَا كُنَّا نخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَباللَّهِ وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿إنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعذّبْ طائِفَةً﴾، وكان الذي قال وديعة بن ثابت، أخو بني أُميّة بن زيد، من بني عمرو بن عوف، وكان لذي عُفِيَ عنه، فيما بلغني: مُخَشِّنُ بن حُميّر الأشجعيّ، حليف بني سَلِمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع.

ثم القصّةَ من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ جاهِدِ الكُفّارَ والمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ومَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ يَحْلِفُونَ باللَّهِ ما قالُوا وَلَقَدْ قالُوا كلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِمْ وهَمُّوا بمَا لَمْ يَنالُوا وَما نَقَمُوا إلاَّ أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾... إلى قوله: ﴿مِنْ وَلِيّ وَلا نَصِيرٍ﴾. وكان الذي قال تلك المقالة الجُلاس بن سُويد بن صامت، فرفعها عليه رجلٌ كان في حِجْرة، يقال له: عُمير بن

وذكر ابن عقيل صاحب الصّاع الذي لَمَزَه المنافقون، واسمه جَثْجَاثٌ وقد قيل في صاحب الصّاع إنه رِفاعَة بن سَهْل.

سعد، فأنكرها وحلف بالله ما قالها، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع، وحسُنَت حالُه وتوبته، فيما بلغني.

ثم قال تعالى: ﴿وَمِنهُم مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وكان الذي عاهد الله منهم ثَعلبة بن حاطب، ومِعَتِّب بن قُشير، وهما من بني عمرو بن عوف.

ثم قال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَم مِنهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنهُمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ وكان المطَّوّعون من المؤمنين في الصدقات عبدَ الرحمٰن بن عوف، وعاصمَ بن عديّ أخا بني العجلان، وذلك أن رسولَ الله ﷺ رَغَّب في الصدقة، وحضّ عليها، فقام عبد الرحمٰن بن عوف، فتصدَّق بأربعة آلاف درهم، وقام عاصم بن عديّ، فتصدّق بمائة وَسْق من تمر، فلمزوهما وقالوا: ما هذا إلاّ رياء، وكان الذي تصدّق بجهده أبو عقيل أخو بني أُنيف، أتى بصاع من تمر، فأفرغها في الصدقة، فتضاحكوا به، وقالوا: إن الله لغَنيّ عن صاع أبي عقيل.

ثم ذكر قول بعضهم لبعض، حين أمر رسولُ الله ﷺ بالجهاد وأمر بالسَّير إلى تبوك، على شدّة الحرّ وجدب البلاد، فقال تعالى: ﴿وَقالُوا لا تَنفِرُوا فِي الحَرّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾... إلى قوله: ﴿وَلا تُعجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وأَوْلادُهُمْ﴾.

ما نزل بسبب صلاة النبيّ على ابن أُبيّ:

قال ابن إسحٰق: وحَدّثني الزهري عن عُبيد الله بن عبد الله بن عقبة، عن ابن عباس، قال: سمعتُ عمر بن الخطّاب يقول: لما توفي عبد الله بن أُبَيّ، دُعِيَ رسولُ الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه؛ فلما وقف عليه يُريد الصلاة تحوّلتُ حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أتُصلّي على عدوّ الله عبد بن أُبيّ ابن سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا؟ أعدّد أيامه، ورسول الله ﷺ يتبسّم حتى إذا أكثرت قال: يا عمر أَخِّر عني، إني قد خُيِّرت فاخترت، قد قيل لي: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْلا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غُفر له، لزدت. قال ثم صلّى عليه رسولُ الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فُرِغ

....

منه. قال: فعَجِبت لي ولجُرأتي على رسولِ الله ﷺ ورسوله أعلم. فوالله ما كان إلاّ يسيرًا حتى نزلَت هاتان الآيتان: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنهُمْ ماتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فاسِقُونَ﴾ فما صلّى رسولُ الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى.

ما نزل في المستأذنين:

قال ابن إسحٰق: ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَن آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾، وكان ابن أُبَيّ من أولئك، فنَعَى الله ذلك عليه، وذكره منه، ثم قال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ وَجَاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ... إلى آخر القصّة. وكان المعذّرون، فيما بلغني نفرًا من بني غِفار، منهم خُفافُ بن أيماء بن رَحَضة، ثم كانت القصّة لأهل العُذر، حتى انتهى إلى قوله: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ وهم البكّاءون.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ والخوالف: النساء. ثم ذكر حَلِفهم للمسلمين واعتذارهم، فقال: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾.

ما نزل فيمن نافق من الأعراب:

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربُّصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، فقال: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾: أي: من صدقة أو نفقة في سَبيل الله ﴿مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

ثم ذكر الأعرابَ أهل الإخلاص والإيمان منهم، فقال: ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾.

....

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار:

ثم ذكر السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، وفضّلهم، وما وعدهم الله من حُسن ثوابه إيّاهم، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان، فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ومِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ﴾: أي: لجُّوا فيه، وأبَوْا غيره ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾، والعذاب الذي أوعدها الله تعالى مرّتين، فيما بلغني: غمّهم بما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غَيظ ذلك على غير حِسبة، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها، ثِم العذاب العظيم الذي يُردّون إليه، عذاب النار والخلد فيه. ثم قال تعالى: ﴿وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبهُمْ وإمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم. ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾... الخ. القصّة ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾. ثم كان قصّة الخبر عن تبوك، وما كان فيها إلى آخر السورة.

وكانت براءة تُسمّى في زمان النبيّ ﷺ وبعدَه المبعْثِرة، لما كَشفت من سرائر الناس. وكانت تَبُوكُ آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

شعر حسّان الذي عدّد فيه المغازي

وقال حسّان بن ثابت يُعدّد أيام الأنصار مع النبيّ ﷺ ويذكر مواطنهم معه في أيّام غزوه:

قال ابن هشام: وتُروى لابنه عبد الرحمٰن بن حسّان:

ألَسْتُ خيرَ معدّ كلّها نفرًا ... ومعشرًا إن هُمُ عُمُّوا وإن حُصِلوا

قصيدة حسّان الميمية

فصل: وذكر كلمة حسّان المِيمِيَّة[1] وفيها:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كلِّها نَفَرا

وحَسّانُ ليس من مَعَدٍّ، ولكن أَرَاد: ألست خَيْر النّاس، فأقام مَعَدًّا لكثرتها مقام النَّاسِ.

(١) بل هي اللاميّة، فلعله تصحيف أو سهو.

قَوْم همُ شَهِدوا بدرًا بأجمَعهم ... مع الرسول فما ألَوا[1] وما خَذَلوا
وبايعوه فلم يَنكُثْ به أحَدٌ ... منهم ولم يَكُ في إيمانِهم دَخَلُ[2]
ويومَ صَبَّحهم في الشِّعب من أُحُد ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كحَرّ النَّار مُشْتعلُ
ويوم ذي قَرَد يوْمَ اسْتَثار بهمْ ... على الجِيادِ فمَا خامُوا ومَا نَكلوا
وذا العُشيرة جاسُوها بخَيْلِهمُ ... معَ الرّسول عَليها البَيضُ والأسَلُ[3]
ويوْم وَدّانَ أجْلَوا أهلَه رَقَصًا ... بالخيْلِ حتى نَهانا الحَزْن[4] والجَبَلُ
ولَيْلَةً طلَبُوا فيها عَدُوَّهُمُ ... للهِ والله يَجْزِيَهم بما عَمِلوا
وغَزْوَةً يوْمَ نَجْدٍ ثم كانَ لهُم ... معَ الرَّسولِ بها الأسْلاب والنَّفَلُ
ولَيْلَةً بحُنَيْن جالدُوا معَهُ ... فيها يعَلُّهم[5] بالحَرْب إذ نَهَلوا[6]
وغَزْوَةَ القاع فرَّقنا العدوَّ به ... كما تُفرَّق دون المَشْرب الرَّسَلُ
ويوْمَ بُويَع كانوا أهلَ بَيْعته ... على الجِلاد فآسَوْه وما عَدَلوا
وغَزْوَةَ الفَتْحِ كانوا في سَرِيَّته ... مُرابِطينَ فمَا طاشُوا ومَا عَجِلوا
ويوْمَ خَيْبَر كانوا في كَتِيبَته ... يَمْشون كلُّهم مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ
بالبِيض تَرْعَش في الأيمانِ عارية ... تَعْوَجّ في الضرب أحيانًا وتعتدلُ
ويوْمَ سارَ رَسولُ اللهِ مُحْتَسِبًا ... إلى تَبُوكَ وهم راياتُه الأُوَلُ
وساسةُ الحَرْبِ إن حرْبٌ بدَتْ لهمُ ... حتى بَدا لهمُ الإقْبالُ والقَفَلُ
أُولَئك القَوْمُ أنصارُ النَّبيّ وهمْ ... قَوْمي أصِيرُ إليهم حينَ أتَّصِلُ
ماتوا كِرامًا ولم تُنْكَثْ عُهودُهُم ... وقَتلُهم في سبيلِ اللهِ إذْ قُتلوا

قال ابن هشام عجز آخرها بيتًا عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا:

كُنَّا مُلوكَ النَّاسِ قبلَ مُحَمَّدٍ ... فلمَّا أتى الإسلامَ كان لنا الفَضْلُ

....

(١) آلوا: قصروا.
(٢) الدخل: الشك.
(٣) الأسل: الرماح.
(٤) الحزن: الأرض الصعبة.
(٥) علّهم: سقاهم.
(٦) النهل: الشراب.

وأكـرَمـنـا الله الـذي لـيـسَ غـيـرَهُ إلـه بـأيَّـام مَـضَـتْ مـا لهـا شَـكْـلُ

بـنَـصْـرِ الإلــهِ والـرَّسـولِ ودِيـنـه وألْبَسـنَـاه اسـمًـا مَـضَـى ما لـه مِـثْلُ

أولَئك قَوْمي خيرُ قوّمك بأسْرهم فمَـا عُـدّ من خَـيرِ فقَوْمي له أهْلُ

يَرُبُّون بالمعروف معروف من مضَى وليس عليهم دونَ معْروفهم قفُلُ

إذا اختُبِطوا لم يُفْحِشوا في نديِّهمُ وليس على سُؤَالهم عندهم بُخلُ

وإن حارَبوا أو سالمُوا لم يُشَبَّهوا فحَـرْبـهـم حَـتْـفٌ وسِـلْـمـهـمْ سَـهْـلُ

وجـارُهـم مُـوفٍ بـعَـلْـيـاءَ بـيـتـه له ما ثَـوَى فـينا الكرامةُ والـبـذْلُ

وحـامـلُـهـم مُـوفٍ بـكـلّ حَـمـالـة تـحـمَّـل لا غُـرْمٌ عـلـيـها ولا خَـذْلُ

وقـائـلُـهـمْ بـالـحَـقّ إن قـالَ قـائـلٌ وحِـلْـمـهـمُ عَـوْد وحُـكـمـهـمُ عَـدْلُ

ومـنَّـا أمـيـرُ الـمُـسْـلـمـيـن حَـيـاتَـه ومَـنْ غَـسَّـلَـتْـهُ مِـن جَـنـابَـتـه الـرُّسْـلُ

قال ابن هشام: وقوله: «وألبسناهُ اسمًا» عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: وقال حسَّان بن ثابت أيضًا:

قَــوْمِــي أُولَــئِــكَ إنْ تَــســألِــي كِــرَامٌ إذا الـضَّـيْـفُ يــومًــا ألَــمْ

عِــظَــامُ الــقُــدُورِ لأيْــســارِهــم يَـكُـبُّـونَ فِـيـهـا الـمُـسِـنَّ الـسَّـنِـمْ

يُـؤَاسُـونَ جـارَهُـمْ فـي الـغِـنَـى ويَـحْـمُـونَ مَـوْلاهُـم إنْ ظُـلِـمْ

وفـيـهـا:

ونــاد جِــهــارًا ولا تَــحْــتَــشِــم

وفيها رَدٌّ على من زعم أن الحِشْمَة لا تكون إلاّ بمعنى الغَضَب وأنها مِمَّا يضعها الناسُ غير موضعها، وقد جاء عن ابن عباس: لكل طاعم حِشْمَةٌ، فابْدَؤوه باليمين، وفي الحديث المرفوع: لا يَرْفَعَنَّ أحدُكم يده عن الطعام قبل أَكِيله، فإن ذلك مما يَحْشِمُهُ، وأنشد أبو الفَرَج لمحمد بن يسير، وإن كان ليس مثل حَسَّان في الحجَّة:

فـي انْـقِـبَـاضٍ وحِـشْـمَـةٍ فـإذا جـالـسـتُ أهـل الـوَفَـاءِ والـكَـرَمِ

أرْسَـلـتُ نَـفْـسِـي عـلـى سَـجِـيَّـتِـهـا وقـلـت مـا شـئـت غَـيْـر مُـحْـتَـشِـمِ

فكانوا مُلوكًا بأرضِيهِمُ يُنادُونَ عَضْبًا بأمر غُشُمْ
مُلوكًا على النّاس، لم يُملكُوا منَ الدَّهرِ يومًا كحِلِّ القَسَمْ
فأنْبَوا بعادٍ وأشياعها ثَمُودَ وبَعْضِ بَقايا إرَمْ
بيَثْرِبَ قد شَيَّدوا في النَّخيلِ حُصُونًا ودُجِّنَ فيها النُّعَمْ
نَواضِحَ قد عَلَّمتها اليَهُو دُ (عَلْ) إليك وقَوْلاً هَلُمْ
وفيما اشتَهَوْا مِن عَصِير القِطا ف والعيْشِ رخوًا على غيرهِم
فَسِرْنا إلَيهِمْ بأثقالِنا على كُلِّ فَحْلٍ هِجانٍ قَطِمْ
جَنَبْنا بهِنَّ جِيادَ الخُيُو لِ قد جَلَّلوها جِلال الأدَمْ
فلمَّا أناخُوا بجَنْبيْ صِرَار وشَدّوا السُّرُوجَ بَلى الحُزُم
فمَا راعَهُم غيرُ معْجِ الخُيو لِ والزَّخفُ من خلفهم قد دَهِم
فطارُوا سِراعًا وقد أُفزِعُوا وجِئْنا إليهم كأُسْد الأجَمْ
على كلّ سَلْهبة في الصيّا ن لا يَشتكين نحُولَ السَّأمْ
وكلِّ كُمَيْتٍ مُطار الفُؤادِ أمينِ الفُصوص كمثل الزُّلَمْ
عليها فوَارِسُ قد عُوِّدُوا قِرَاعَ الكُماةِ وضَرْبَ البُهَمْ
مُلوكٌ إذا غَشَمُوا في البِلا د لا يَنْكُلونَ ولكن قُدُمْ
فأُبْنا بساداتِهم والنّساء وأوْلادُهم فيهِمُ تُقْتَسَمُ
وَرِثْنا مَساكِنَهُمْ بَعْدَهم وكُنّا مُلوكًا بِها لَمْ نَرِمْ
فلمَّا أتانا الرَّسُولُ الرَّشِيـ ـد بالحَقّ والنُّور بعدَ الظُّلَمْ
قُلْنا صَدَقْتَ رَسُولَ المَليك هَلُمّ إلَيْنا وفينا أقِمْ
فنَشْهَدَ أنَّكَ عبدُ الإلـ ـه أُرسِلْتَ نُورًا بدينٍ قِيَمْ
فإنا وأوْلادُنا جُنَّةٌ نَقِيكَ وفي مالِنا فاحتكم
فنحنُ أُولئِكَ إن كذّبوك فنادِ نِداءً وَلا تَحْتَشِمْ

وفيها قوله:

وكانوا مُلوكًا، ولم يَملِكوا من الدَّهرِ يومًا كَحِلِّ القَسَمْ

فيه شاهد لما قاله ابن قُتَيْبَةَ في تفسير كحِلَّة القَسَم، وخلافه لأبي عبيد، وقد قدمنا قولهما فيما تقدّم من شرح قصيدة كَعْبِ بن زهير.

وناد بما كُنْتَ أخْفَيْتَهُ ... نداءً جهارًا وَلا تَكْتَتِمْ
فصار الغُواةُ بأسْيافِهم ... إلَيه يظُنُّونَ أن يُخْتَرَمْ
فقُمْنا إلَيْهِمْ بأسْيافِنا ... نُجالِدُ عنه بُغاةَ الأُمَمْ
بكلّ صقيلٍ لهُ مَيْعَةٌ ... رقيقِ الذُّباب عَضوضٍ خَذِمْ
إذا ما يصادِفُ صُمّ العظا ... م لم ينْبُ عنها ولم يَنْثَلِمْ
فذلكَ ما وَرَّثَتْنا القُرو ... مُ مَجْدًا تَلِيدًا وعِزًّا أشَمّ
إذا مَرَّ نَسْلٌ كَفَى نَسْلُه ... وغادرَ نَسْلا إذا ما انْفَصَمْ
فمَا إنْ من النَّاس إلاَّ لَنا ... علَيْه وإن خاص فضلُ النِّعَمْ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته:

فكانُوا مُلُوكًا بأرضِيهم ... يُنادُونَ غُضْبًا بأمر غُشُمْ

وأنشد ابن قُتَيْبَةَ:

إذا عَصَفَتْ ريحٌ فليس بقائم ... بها وَتَدٌ إلاّ تَحِلَّة مُقْسِم

وأنشد أيضًا:

قليلاً كتَخلِيل الأُلَى ثم أصبحت

البيت.

وقوله: وعزًّا أشَمْ، هو كقول العَرَبِ: عِزَّةٌ قَعْسَاء، يريد: شَمَّاءَ، لأن الأقْعَسَ الذي يَخْرج صدرُه ويدخل ظهره، وقد فسّره المُبَرِّد غير هذا التفسير، وبيت حَسَّانٍ يشهد لما قلناه، إنما هو الشَّمَمُ الذي يوصف به ذو العِزَّة، فوصفت العزةُ به مَجازًا.

تفسير سورة النصر:

فصل: وذكر سورة: ﴿إذا جاء نصرُ الله﴾، وتفسيرُه لها في الظاهر خلاف ما ذكره ابن عباس حين سأله عمرُ عن تأويلها، فأخبره أن الله تعالى أعلم فيها نبيَّه عليه السلام بانقضاءِ أجله، فقال له عمر: ما أعلم منها إلاّ ما قلت. وظاهر هذا الكلام يدلّ على ما قاله ابنُ عباس وعمر؛ لأن الله تعالى لم يقل: فاشْكُرْ ربَّك، واحْمِدْه، كما قال ابنُ إسحٰق: إنما قال: ﴿فَسَبِّح بحمد ربِّك واستغفره إنه كان توّابًا﴾، فهذا أمرٌ لنبيِّه عليه السلام بالاستعداد للقاءِ ربِّه تعالى والتوبة إليه، ومعناها الرجوع عَمَّا كان بسبيله مما أرسل به من إظهار الدين، إذ قد فرغ من ذلك، وتم مُرادُه فيه، فصار جوابُ إذا مِنْ قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصرُ الله والفتحُ

وأنشدني:

بيثربَ قد شيَّدوا في النَّخِيل حُصونًا ودُجِّن فيها النَّعَم

وبيته:

«وكلّ كُمَيْت مطار الفُؤاد»

عنه.

ورأيت الناسَ يَدْخُلون في دين الله أَفْوَاجًا﴾ مَحْذُوفًا. وكثيرًا ما يجيءُ في القرآن الجوابُ محذوفًا، والتقدير: ﴿إذا جاء نصرُ الله والفتحُ﴾، فقد انقضى الأَمْرُ، ودنا الأجَلُ، وحان اللقاء، ﴿فسبِّحْ بحمْدِ رَبِّك واسْتَغْفِرْهُ إنه كان توّابًا﴾، ووقع في مُسْنَد البَزَّار مُبَيَّنًا مِنْ قَوْل ابن عَبَّاسٍ فقال فيه: فقد دنا أَجَلُكَ فسبِّح، هذا المعنى هو الذي فهمه ابنُ عباس، وهو حذف جواب إذا، ولمَّا يتَنَبَّهُ لهذه النُّكْتَةِ حُسِب أن جوابَ إذا في قوله سبحانه: فَسَبِّح، كما تقول: إذا جاء رمضانُ فصُمْ، وليس في هذا التأويل من المُشاكَلَةِ لما قبله ما في تأويل ابن عباس فتدبَّرْه، فقد وافقه عليه عُمَرُ رضي الله عنه، وحَسْبُك بهما فَهْمًا لكتابِ الله تبارك وتعالى، فالفاء على قول ابن عباس رابطةٌ للأمر بالفعل المحذوف، وعلى ما ظهر لغيره رابطة لجوابِ الشَّرْطِ الذي في إذا.

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود
ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحٰق: لما افتتح رسولُ الله ﷺ مكّة، وفرغ من تَبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفودُ العرب من كلّ وجه.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أن ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تسمّى سنة الوفود.

انقياد العرب وإسلامهم:

قال ابن إسحٰق: وإنما كانت العرب تَرَبَّص بالإسلام أمرَ هذا الحيّ من قُريش، وأمر رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشًا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا يُنكرون ذلك، وكانت

قدوم الوفود على رسول الله ﷺ

وفد عبد القيس[1]:

من أَصَحِّ ما جاء في هذا الباب حديثُ وفْدِ عَبْدِ القيس، وهم الذين قال لهم رسولُ الله ﷺ: «مَرْحَبًا بالوفدِ غير خَزَايَا ولا نَدَامَى»[2]، وقد تكرّر حديثهم في الصَّحِيحين دون تَسْمِيَةِ أحدٍ منهم، فمنهم أَشَجُّ عبد القيس، وهو المُنْذِر بن عائذٍ، قال له النبيُّ ﷺ: «إن

---

(١) انظر الطبقات (١/٢/٦٤) الطبري (٣/١٣٦) المنتظم (٣/٣٨٢) الزاد (٣/٦٠٥) والبخاري (١/١٢٠) ومسلم في الإيمان (١٧).

(٢) أخرجه البخاري (١/١٢٠) ومسلم في الإيمان (٢٤) وابن خزيمة في صحيحه (٣٠٧) والطبراني في الكبير (١٢/٢٢٥) وانظر الفتح (١/١٢٩).

قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتُتحت مكّة، ودانت له قُريش، ودوَّخها الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقةَ لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال عزّ وجلّ، أفواجًا، يضربون إليه من كلّ وجه، يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿إِذَا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ ورأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دينِ اللَّهِ أفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّابًا﴾: أي: فاحمد الله على ما أظهر من دينك، واستغفره إنه كان توابًا.

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات:

رجـال الوفـد:

فقدمت على رسول الله ﷺ وفُود العرب، فقدّم عليه عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميميّ، في أشراف بني تميم، منهم الأقرع بن حابس التميمي، والزِّبْرِقَان بن بَدْر التميمي، أحد بني سعد، وعمرو بن الأهتم، والحَبْحاب بن يزيد.

فيك خَلَّتَين يحُبُهما اللهِ ورسولُه: الحِلَم والأَناة، ومنهم أبو الوَازع الزَّارع بن عامر وابن أخته مَطَر بن هِلال العَنَزي».

ولما ذكَروا للنبيّ ﷺ أنه ابنُ أختِهم قال: ابن أُخْتِ القوم منهم. ومنهم: ابن أخي الزَّارع، وكان مجنونًا، فجاء به معه ليدعُوَ له النبيُّ - ﷺ - فمسح ظهرَه، ودعا له فبرِىء لحِينِه، وكان شيخًا كبيرًا فكُسِي جَمَالاً وشَبَابًا، حتى كان وَجْهُه وجهَ العذْرَاء، ومنهم الجَهْم بنُ قَثْم لما نهاهم النبيُّ عليه السلام عن الشُرْب في الأوْعِية وحذَّرهم ما يقع في ذلك من الجِراح، وأخبرهم أنهم إذا شربُوا المُنْكر عَمَدَ أحدُهم إلى ابن عَمِّه، فجرحه، وكان فيهم رجل قد جُرِح في ذلك وكان يُخفى جرحه ويكتُمه، وذلك الرجلُ هو جَهْم بن قُثَم، عجبوا من علم النبيّ عليه السلام بذلك، وإشارته إلى ذلك الرجلِ.

ومنهم: أبو خَيْرَةَ الصُّبَاحِي من بني صُبَاحِ بن لُكَيْزِ من حديثه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «اللّهُمَّ اغفِرْ لعبد القَيسْ»[1]، وأنه زَوَّدهم الأرَاكَ يَسْتَاكُون به، ومنهم: مَزيدة العَصْرِي جَدُّ هُودِ بن عبد الله بن سعد بن مَزيدة، وعلى هُود يدور حديثُه في التَّمْر البَرنيّ، وأنه دواء، وليس فيه داء، ومنهم: قَيْس بن النُّعمان ذكره أبو داود في كتاب الأشْرِبة، فهذا ما بلغني من تَسْمِيَة مَنْ وَفَد على النبيّ ﷺ في وَفْدِ عبدِ القيس.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/١٩٨) ومسلم (١٩٤٤) والبيهقي في الدلائل (٥/١٥٣).

شـيء عن الحتـات:

قال ابن هشام: الحتات وهو الذي آخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين مُعاوية بن أبي سُفيان، وكان رسولُ الله ﷺ قد آخَى بين نفَر من أصحابه من المهاجرين؛ بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمـٰن بن عوف، وبين طلحة بن عُبيد الله والزبير بن العوّام، وبين أبي ذَرّ الغِفاري والمِقْداد بن عمرو البَهْراني، وبين معاوية بن أبي سُفيانَ والحُتَات بن يزيد المُجَاشِعي، فمات الحُتات عند معاوية في خلافته، فأخذ معاوية ما ترك وِرَاثَةً بهذه الأخُوّة، فقال الفَرَزْدَقُ لمعاوية:

أبـوكَ وعـمِّـي يـا مـعـاويَ أوْرَثـا ... تُـراثًـا فـيَـحْـتـاز الـتُّـراثَ أقـارِبُـهْ

فـمـا بـالُ مِـيـراثِ الـحُـتـات أكْـلـتَـه ... ومـيـراثِ حـرْبٍ جـامـدٌ لـك ذائِـبُـهْ

وهـذان البيتـان فـي أبيـات لـه.

سائـر رجـال الوفـد:

قال ابن إسحٰق: وفي وفد بني تميم: نُعَيم بن يَزيد، وقَيْس بن الحارث، وقيس بن عاصم، أخو بني سعد، في وفد عظيم من بني تميم.

قال ابن هشام: وعطارد بن حاجب، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، والأقرع بن حابس، أحد بني دارم بن مالك، والحتات بن يزيد، أحد بني دارم بن مالك، والزّبرقان بن بدر، أحد بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وعمرو بن الأهتم، أحد بني مِنْقر بن عُبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وقيس بن عاصم، أحد بني منقر بن عُبيد بن الحارث.

قال ابن إسحٰق: ومعهم عُيينة بن حِصنِ بن حذيفة بن بدرِ الفَزاريُّ، وقد كان الأقرع بن حابس، وعُيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فَتح مكّة وحُنَيْنًا والطائف.

وذكر في الوُفود الحُتَاتَ بنَ يزيدَ وقول الفرزدق لمعاوية فيه:

فـمـا بـالُ مـيـرَاثِ الـحُـتَـاتِ أكـلـتَـه

البيت، وبعده في غير سيرة ابن إسحٰق:

فلو أنَّ هذا كان في غَيْرَ ملككم ... لَبُؤْت بها أو غَصَّ بالماء شَارِبُه

صياحهم بالرسول وكلمة عطارد:

فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسولَ الله ﷺ من وراء حُجراته: أن اخرج إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسولَ الله ﷺ من صِياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخرك، فأْذن لشاعرنا وخَطيبنا، قال: «قد أذنت لخطيبكم فليقل»[١]، فقال عُطارد بن حاجب، فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنّ، وهو أهلُه، الذي جعلنا مُلوكًا، ووهب لنا أموالاً عِظامًا، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عددًا، وأيسره عُدَّة، فمَن مِثلنا في الناس؟ ألسنا برؤُوس الناس وأُولي فضلهم؟ فمن فاخرنا فلْيعدّد مِثْل ما عدّدنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نُعرف بذلك.

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمرٍ أفضلَ من أمرِنا. ثم جلس.

شرح صاحب الحلّة:

وذكر فيهم عطارِد بن حَاجِب بن زُرَارَةَ، وهو صاحب الحُلَّةِ التي قال فيها النبيّ ﷺ: «إنما يلبس هذه الحُلّة مِن لا خَلاقَ له [في الآخرة]»[٢] وقول عمر رضي الله عنه: أتَكْسُوني هذه، وقد قلت في حُلَّةِ عَطَارِد ما قلت، وكان سَبَبُ تلك الحُلَّة أن حاجبَ بن زُرَارَةَ أبا عطارِد كان وفد على كَسْرى ليأخذ منه أمانًا لقومه لِيَقْرُبُوا من رِيفِ العِرَاق لجَدْبِ أصاب بلادَهم، فسأله كِسْرى رَهْنًا لِيَسْتَوْثِقَ بها منهم، فدفع إليه قَوْسَه رَهِينةً فاسْتَحْمَقَه المَلِكُ وضحِك منه، فقيل له: أيّها الملكُ إنهم العربُ لو رَهَنك أحدُهم تِبْنَةً ما أسلمها غَدْرًا فقبلها منه كَسْرَى، فلما أخصبت بلادُهم انتشروا راجعين إليها، وجاء حاجِبٌ يطلب قوسَه، فعند ذلك كساه كَسْرى تلك الحُلَّة التي كانت عند عَطَارد المذكورة في جامع المُوَطَّأ. ذكره ابن قُتَيْبَة في المعَارِف أو معناه، وفي المُوطَّأ أن عُمَرَ رضي الله عنه ـ كسا الحُلَّة أَخًا له مُشْرِكًا بمكّة، قال ابن الحَذَّاء: كان أخاه لأمّه، واسمه: عُثْمَان بن حَكِيم الثَّقَفِيّ، وهو جد سعيد بن المُسَيَّبِ لأمه، هكذا ذكر في تَسْمِية رجَالِ المُوَطَّأ، وغلط من وجهين، أحدهما أنه قال: كان أخا عُمَرَ لأُمّه، وإنما هوَ أخو زيْد بن الخَطَّاب لأُمّه أسماءَ بنت وَهْبِ بن أسَدِ بن

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٤) والبيهقي في الدلائل (٤/ ١٣) وابن عساكر في تهذيبه (١/ ١١٠) (٣/ ٣٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥) ومسلم في اللباس (٩/ ٨٦) وأبو داود (١٠٧٦) والنسائي (٣/ ٩٦) وابن ماجة (٣٥٩١) وأحمد (٢/ ٢٠) ومالك (٩١٧) والبيهقي في الآداب (٦٠٩ ـ بتحقيقي) وانظر الفتح (٢/ ٣٧٣) (٥/ ٢٣٢) (١٠/ ٢٩٦/ ٤١٤).

كلمة ثابت في الردّ على عطارد

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قَيْس بن الشمّاس، أخي بني الحارث بن الخزرج: قم، فأجب الرجل في خطبته. فقام ثابت، فقال: الحمدُ للهِ الذي السمٰواتُ والأرض خَلْقُه، قضَى فيهنّ أمرَه، ووسع كرسيَّه علمُه، ولم يك شيء قطّ إلاّ من فضله، ثم كان من قُدرته أن جعلنا ملوكًا، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسبًا، وأصدقه حديثًا، وأفضله حسبًا، فأنزل عليه كتابَه وأأْتمنَه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرمُ الناس حسبًا، وأحسن النَّاس وجوهًا، وخير الناس فِعالاً. ثم كان أوّل الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاهُ رسولُ الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منه منّا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبدًا، وكان قتله علينا يسيرًا. أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

خُزَيْمَةَ، وأما أُمُّ عُمَرَ فهي حَنْتَمَةُ بنت هاشِم بن المُغِيرَةِ [بن عبد الله بن مخزوم]، والغلط الثاني أنه جعله ثَقِيفيًا وإنما هو سُلَمِيّ وهو عثمان بن حَكِيم بن أُمَيَّة بن مُرَّة بن هلال بن فَالِجَ بن ذَكْوَانِ بن ثَعْلَبَة بن بُهْثَة بن سُلَيم، هكذا نسبه الزبيرُ وبنتُه أُم سعيد، ولدت سعيد بن المسيَّب.

نسب ابن الأهتم:

وذكر فيهم عَمْرو بن الأَهْتَم ونسبَه، واسم الأهتَم: سُمَيُّ بن سِنَانٍ، وهو جد شَبِيب بن شَيْبَةَ وخالد بن صَفْوَان الخَطِيبين البليغين، وسُمِّي سُمَيّ بالأَهْتَم، لأن قَيْسَ بن عَاصِمٍ ضربه فَهَتَم فاه.

عن كرسيّ الله

وذكر خطبة ثابت بن قَيْسٍ، وفيها وسع كُرْسِيَّه علمُه، وفيه رَدٌّ على من قال: الكرسي هو العِلم، وكذلك من قال هو القدرة، لأنه لا توصف القدرةُ والعلمُ بأن العِلم وسعها، وإنما كرسيُّه ما أحاط بالسَّمٰواتِ والأرَضِين، وهو دون العَرْشِ كما جاءت به الآثارُ، فعلمُه سُبْحَانَه قد وَسِع الكُرْسِيَّ بما حواه من دَقَائِق الأشياء وجلائِلها وجُمَلِها وتَفَاصِيلها، وقد قيل: إن الكرسي في القرآن هو العَرشُ، وهو قول الحَسَنِ، وفي هذا الحديث ما يكاد أن يكونُ حُجَّةً لهذا القول، لأنه لم يُرِدْ أن العِلْمَ وسع الكُرْسِيِّ، فما دونه على الخصوص، دون ما فوقه، فجائزٌ أن يريد به العرشَ، وما تحته والله أعلم. فإن صحّت الروايةُ عن ابن عباس أن

شعر الزِّبرِقان في الفخر بقومه

فقام الزِّبْرِقَان بن بَدْر، فقال:

نـحـنُ الـكِـرَامُ فـلا حَـيّ يُـعـادِلُـنـا ... مِنَّا المُلُوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَع

وكَـمْ قَـسَـرْنـا مـنَ الأحـيـاءِ كُـلِّـهـم ... عـنـد الـنِّـهـاب وفـضْـلُ الـعزّ يُـتَّـبَـع

ونحنُ يُطعِم عند القَحْط مُطْعَمنا ... مِـن الـشِّـواء إذا لـم يُـؤنَـس الـقَـزَعُ

بـمـا تَـرَى الـنَّـاسَ تَـأتـيـنـا سُـراتُـهُـم ... مـن كـلّ أرضٍ هُـوِيًّـا ثـم تَـصْـطَـنِـعُ

الكرسِيَّ هو العلم، فَمُؤَوَّلَةٌ، كأنه لم يقصد تفسيرَ لفظ الكُرْسِيِّ، ولكن أشار إلى أن معنى العلم والإحاطة يُفهَم من الآيَةَ، لأن الكُرْسِيَّ الذي هو عند العرب موضع القَدَمين من سَرِيرِ المُلكِ إذا وَسِعَ ما وسع، فقد وسعه علمُ المِلكِ ومُلْكُه وقُدْرَتُه، ونحو هذا، فليس في أن يسع الكُرسِيُّ ما وَسِعه مدحٌ وثَناءٌ على الملك سبحانه، إلاّ مِنْ حيث تَضَمَّنَ سِعَةَ العِلم والمُلْك، وإلاّ فلاَ مَدْح في وَصْفِ الكرسي بالسَّعة، والآية لا مَحَالَة واردةٌ في معرض المدح والتعظيم للعَلِيّ العظِيم الذي لا يَئُودُه حفظُ مخلوقاته كلِّها، وهو الحيّ القَيُّومُ، وقَوَّى الطبري قولَ ابن عباس، واحتجّ له بقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا يَئُوده حفظُهما﴾ وبأن العَرَبَ تسمّي العلماء كَرَاسِيَّ. قال: ومنه سُمّيَتْ الكُرَّاسُ لما تَضَمَّنته وتجمعه من العِلْم، وأنشد:

تَـحُـفُّـهـم بـيـضُ الـوُجـوهِ وعُـصْـبَـةٌ ... كَـرَاسِـيُّ بـالأحْـدَاثِ حـيـنَ تـنُـوبُ

أي: عالمون بالأحداث.

شعـر الزبرقـان

وذكر شعر الزِّبْرِقان، وأن بعضَ الناس يُنْكِر الشعرَ له، وذكر البرقي أن الشعر لِقَيْسِ بن عاصم المنقَرِيّ، وكان الزِّبْرِقَانُ يُرْفَع له بيتٌ من عَمَائِمَ وثيابٍ، ويُنْضَخُ بالزَّعْفَران والطِّيبِ، وكانت بنو تميم تحجّ ذلك البيتَ. قال الشاعر، وهو المُخَبَّل السَّعْدِي، واسمه كَعْبُ بن رَبيعة بن قِتَال:

وأَشْـهَـدَ مـن عَـوْف حُـلُـولاً كَـثِـيـرَةً ... يَـحُـجُّـون سِـبَّ الـزِّبْـرِقَـانِ الـمُـزَعْـفَـرَا

والسِّبُّ: العِمَامَةُ، وأحسبه أشار إلى هذا المعنى بقوله:

بـمـا تَـرَى الـنـاسَ تـأتِـيـنـا سُـرَاتُـهـم

البيت. وليس السُّرَاةُ جمع سَرِى كمَا ظنُّوا، وإنما هو كما تقول ذِرْوَتُهم وسَنَامُهم، وسَرَاةُ كل شيء: أعلاه، وقد أوضحناه فيما مضى من هذا الكتاب، والزِّبْرِقَانُ من أسماء

فنَنْحَر الكُوم عُبْطًا في أرُومَتنا لـلـنـازلـيـن إذا مـا أُنْـزلـوا شَـبـعـوا
فـلا تَـرَانـا إلـى حَـيّ نُـفـاخِـرُهُـم إلا اسْتَفادوا فكانوا الرأسَ يُقْتطعُ
فـمَـنْ يُـفـاخِـرنـا فـي ذاكَ نَـعْـرِفـه فَـيـرجِـعُ الـقَـوْمُ والأخـبـارُ تُـسْـتـمـعُ
إنَّـا أبَـيْـنـا ولا يـأبـى لَـنـا أحَـدٌ إنـا كـذلـكَ عِـنْـدَ الـفَـخْـرِ تـرْتَـفـعُ

قـال ابـن هشـام: ويُـروى:

مـنَّـا الـمُـلـوكُ وفـيـنـا تُـقـسـم الـرِّبَـعُ

ويُــروى:

مِـنْ كـلّ أرْضٍ هَـوَانـا ثُـم نُـتَّـبَـعُ

رواه لي بعض بني تميم، وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها للزبرقان.

شعر حسّان في الردّ على الزبرقان

قال ابن إسحٰق: وكان حَسَّان غائبًا، فبعث إليه رسولُ الله ﷺ. قال حسَّان: جاءني رسولُه، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيبَ شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول:

مَـنَـعْـنـا رسـول الله إذ حـلّ وسْـطَـنـا على أنْـف راضٍ من مَـعَـدّ وراغـمِ
مَـنَـعْـنـاهُ لـمَّـا حَـلَّ بـيـن بُـيُـوتـنـا بـأسْـيـافِـنـا مِـنْ كـلّ بـاغٍ وظـالـمِ
بـبَـيْـتٍ حَـريـدٍ عِـزُّه وثَـرَاؤه بـجابِـيَـةِ الـجَـوْلاَنِ وَسْـطَ الأعـاجِـمِ

القَمَر. قال الشاعر:

تُـضِـيء بـه الـمـنـابِـرُ حـيـنَ يـرْقَـى عـلـيـهـا مِـثْـل ضَـوْءِ الـزِّبْـرِقـانِ

والزِّبْرِقَانُ أيضًا: الخفيفُ العارضين، وكانت له ثلاثةُ أسماء: الزِّبْرِقَانُ والقَمَرُ والحُصَيْن، وثلاثُ كُنًى: أبو العَبَّاس، وأبو شَذْرَةَ، وأبو عَيَّاش، وهو الزِّبْرِقَانُ بن بَدْرِ بن امْرِىءِ القَيْسِ بن خَلَفِ بن بَهْدَلَةَ بن عَوْفِ بن كَعْبِ بن سَعْد بن زَيْدَ مناة بن تَميم.

شعر حسّان في الردّ على الزبرقان في الميمية والعينية

وقـول حسّـان:

بـبـيـتِ حَـريـدٍ عِـزُّه وثَـرَاؤه

هل المجدُ إلاّ السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدَى وجاهُ المُلوكِ واحتمالُ العَظائمِ

قال: فلما انتهيتُ إلى رسولِ الله ﷺ، وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضت في قوله، وقلت على نحو ما قال. قال: فلما فرغ الزِّبْرِقَان، قال رسولُ الله ﷺ لحسَّان بن ثابت: «قُم يا حسَّان، فأجب الرجلَ فيما قال». فقام حسَّان فقال:

إنّ الذَّوائبَ مِنْ فِهْرٍ وإخوتهم قد بَيَّنُوا سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ

يَرْضَى بهم كلُّ من كانت سَريرتُه تَقْوَى الإلهِ وكلَّ الخير يَصْطنِعُ

قَوْمٌ إذا حارَبوا ضرُّوا عدوَّهُمُ أو حاوَلوا النَّفع في أشياعهم نَفعوا

سَجيَّة تلك مِنْهم غيرُ مُحْدثَة إن لخلائق فاعلم شرُّها البِدَعُ

إنْ كان في النَّاس سبَّاقون بعدَهم فكلّ سَبْق لأدنى سبقهم تَبعُ

لا يَرْقع الناس ما أَوْهَت أكفُّهُمُ عند الدّفاع ولا يُوهون ما رَقعوا

يريد: بيتِ شَرَفُهُمْ من غَسَّانَ وهم ملوك الشام، وهم وسط الأعاجم، والبيت الحَرِيدُ: المنفردُ عن البيوت، كما انفردت غَسَّانُ، وانقطعت عن أرض العرب، وكان حسَّان يضرب بلسانه أَرْنَبَةَ أنْفِه هو وابنُه وأبوه وجَدُّه، وكان يقول: لو وضعته يعني لسانَه على حَجَر لَفَلَقه، أو على شَعْرٍ لَحلَقَه، وما يسرّني به مِقْوَلٌ من مَعَدّ.

وقول حسَّان: يخاض إليه السُّمُّ والسَّلَع.

السَّلَعُ: شَجر مر. قال أُمَيَّة [بن أبي الصَّلْت]:

عُشَرٌ ما وفَوْقه سَلَعٌ ما عائِلٌ مَا، وعالت البَيْقُورَا[1]

يريد أنهم كانوا إذا استَسْقَوْا في الجاهلية رَبَطوا السَّلَع والعُشَرَ في أذْنَابِ البَقَر.

وقوله: شَمَعُوا، أي: ضَحِكوا ومَزَحُوا. قال الشاعر [المتنخل الهذلي] يصف الأضياف:

وأبدؤهم بمَشْمَعةٍ وأثْني بجُهْدِي من طَعَامٍ أو بسَاطِ

وفي الحديث: مَنْ تَتَبَّع المشْمَعَة شَمَّعَ الله به. يريد مَنْ ضَحِك مِنَ الناس وأَفْرَطَ في المَزْحِ.

---

(١) البيقورا: اسم جمع للبقر.

إن سابَقوا النَّاس يوْمًا فاز سَبْقُهُمُ   أو وَازنوا أهلَ مجدٍ بالندى مَتَعوا
أعِفَّة ذُكِرَتْ في الوَحْي عفَّتهم   لا يَطْبَعُونَ ولا يُرْدِيهِمُ طَمَعُ
لا يَبْخَلُونَ على جارٍ بفَضْلهم   ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
إذا نَصَبْنا لِحَيٍّ لم نَدِبَّ لَهُمْ   كما يدُبُّ إلى الوَحْشِيَّة الذَّرِعُ
نَسْمُو إذا الحَرْبُ نالَتْنا مَخالِبُها   إذا الزَّعانُفُ مِنْ أظْفارها خَشَعوا
لا يَفْخَرُونَ إذا نالُوا عَدُوَّهم   وإن أُصيبُوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ
كأنهم في الوَغَى والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ   أُسْدٌ بحَلْيَةَ في أرساغها فَدَعُ
خُذْ منهُمُ ما أَتى عَفْوًا إذا غَضِبُوا   ولا يكن هَمُّكَ الأمرَ الذي مَنَعُوا
فإنَّ في حَرْبهم فاتْرُكْ عَداوَتهم   شَرًّا يُخاضُ عليهِ السَّمُّ والسَّلَعُ
أكْرِمْ بقَوْمٍ رسولُ الله شيعَتُهم   إذا تفاوَتَت الأهواءُ والشِّيَعُ
أهدَى لهُم مِدْحتي قلْبٌ يُؤازِرُه   فيما أُحِبّ لسانٌ حائِكٌ صَنَعُ
فإنهم أفضَلُ الأحياءِ كلِّهِم   إن جدَّ بالنَّاس جِدُّ القوْل أو شَمَعوا

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد:

يَرْضَى بها كل مَن كانت سَرِيرَتُه   تقْوَى الإلٰهِ وبالأمر الذي شَرَعوا

شعر آخر للزبرقان:

قال ابن هشام: حدّثني بعضُ أهل العلم بالشعر من بني تميم: أنَّ الزبرقان بن بدر لمَّا قدم عَلى رسولِ الله ﷺ في وفد بني تميم قام فقال:

أتَيْناكَ كيما يعْلَم النَّاسُ فضْلَنا   إذا احتفلوا عند احتضَارِ المواسِمِ
بأنَّا فُرُوعُ النَّاسِ في كل موْطِنٍ   وأنْ ليس في أرضِ الحِجازِ كدارم
وأنا نَذُود المُعلِمِينَ إذا انتَخَوْا   ونضرب رأس الأصْيَدِ المُتفاقِمِ
وأنَّ لَنا المِرْباعَ في كل غارةٍ   نُغِيرُ بنَجْدٍ أو بأرضِ الأعاجِمِ

وقوله:

أو وَازَنُوا أهلَ مَجدٍ بالنَّدَى متَعُوا

أي: ارتفعوا، يقال: متَع النهارُ إذا ارتفع.

شعر آخر لحسّان في الردّ على الزبرقان

فقام حسّان بن ثابت فأجابه، فقال:

هلِ المجْد إلاّ السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدى — وجاهُ المُلوكِ واحتمال العَظائمِ
نَصَرْنا وآوَيْنا النَّبيَّ محَمَّدًا — على أنف راضٍ من مَعَدّ وراغمِ
بحَي حَريدٍ أصْلُهُ وثَراؤه — بجابية الجَوْلانه وَسْط الأعاجمِ
نَصَرْناهُ لما حَلَّ وسْط دِيارِنا — بأسْيافنا منْ كُلّ باغٍ وظالمِ
جَعَلْنا بَنِينا دُونَه وبَناتنا — وطِبْنا لَهُ نَفْسًا بفَيْءِ المغانمِ
ونحن ضرَبْنا النَّاسَ حتى تَتابَعُوا — على دينهِ بالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ
ونحن وَلَدْنا مِن قُرَيش عَظيمَها — ولدنا نبي الخَيْرِ مِن آلِ هاشِمِ
بني دارِمٍ لا تفْخَرُوا إنْ فَخْرَكُمْ — يَعُودُ وَبالاً عندَ ذِكْرِ المَكارِمِ
هَبِلْتُمْ عَلَيْنا تَفْخَرُونَ وأنتُم — لَنا خَوَلٌ ما بينَ ظئْرٍ وخادِمِ
فإنْ كُنتُمْ جِئتم لِحَقْنِ دِمائِكُمْ — وأموالكم أن تُقْسَمُوا في المَقاسِمِ
فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نَدًّا وأسْلِمُوا — وَلا تلْبَسوا زِيًّا كزِي الأعاجِمِ

إسلامهم وتجويز الرسول إيّاهم:

قال ابن إسحٰق: فلما فرغ حسّان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي، إن هذا الرجل لَمُؤَتّى له، لخَطيبُه أخطب من خطيبنا، ولَشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم أسْلموا، وجَوَّزَهُمْ رسولُ الله ﷺ، فأحسن جوائزَهم.

شعر آخر لحسّان في الردّ على الزبرقان

وقول حسّان:

وطِبْنا له أنفسًا بِفَيْءِ المغَانِم

يريد: طِيبَ نفُوسِهم يوم حُنَيْنٍ حين أعطى رسولُ الله ﷺ المؤَلَّفَةَ قلوبُهم، ولم يُعْطِ الأنصار شيئًا.

شعر ابن الأهتم في هجاء قيس لتحقيره إيّاه

كان عمرو بن الأهتم قد خَلَّفه القوم في ظهرهم، وكان أصغَرَهم سِنًّا، فقال قيس بن عاصم، وكان يُبغض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله، إنه قد كان رجل منّا في رحالنا، وهو غلام حَدَث، وأزرى به، فأعطاه رسولُ الله ﷺ مثلَ ما أعطى القوم، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسًا قال ذلك يهجوه:

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتُمُنِي عندَ الرَّسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ
سُدناكُم سُودَدًا رَهْوًا وسُودَدُكُمْ بادٍ نَواجِذُهُ مُقْعٍ على الذَّنَبِ

قال ابن هشام: بقي بيت واحد تركناه، لأنه أقذع فيه.

قال ابن إسحٰق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِين يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَات أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

شرح قول ابن الأهتم لابن عاصم

فصل: وذكر قولَ عمرو بن الأهتَم لقيس بن عاصم:

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْبَاء تَشْتُمُنِي عند النبيّ فلم تَصْدُقْ ولم تُصِب

الهَلْبَاء: فَعْلاَء من الهُلْبِ وهو الخَشِنُ من الشَّعْر، يقال منه: رجل أَهْلَبُ، ومنه قول الشَّعْبِي في مُشْكِلَةٍ نزلت: هلبَاءُ زَبَّاءُ ذَاتُ وَبَرٍ، كأنه أراد بمُفْتَرِش الهَلْبَاءِ، أي: مُفْتَرِشًا لِحْيَتَه، ويجوز أن يريد بمفترش الهَلْبَاءِ، يعني امرأةً. وقيل: الهَلْبَاء، يريد بها هاهنا دُبُرَه، فإن كان عنى امرأةً، فهو نَصْب على النّداء.

ما نزل في وفد تميم من الحجرات:

وذكر ما أنزل الله تبارك وتعالى فيهم في سُورة الحُجُراتِ، وقد كان عُمَرُ وأبو بكر اختلفا في أمر الزِّبْرِقان وعَمْرِو بن الأهْتَم، فأشار أحدُهما بتقديم الزِّبْرقان، وأشار الآخرُ بتقديم عَمْرو بن الأَهْتَم حتى ارتفعت أصواتُهما، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تُقَدِّموا بين يَدَيِ الله ورسوله واتَّقُوا الله﴾ إلى قوله: ﴿لا تَرْفَعُوا أصواتَكم فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ فكان عُمَرُ بعد ذلك إذا كلّم النبيَّ عليه السلام لا يُكلِّمه إلاّ كأخي السِّرَارِ.

إن من البيان لسحرًا:

وفي هذا الوفد جاء الحديث أن رجلين قَدِما من نَجْدٍ فخطبا، فعجب الناسُ لبيانهما،

قصّة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفادة عن بني عامر

بعض رجـال الوفـد:

وقَدِم على رسولِ الله ﷺ وفدُ بني عامر فيهم عامر بن الطُّفيل وأربد بن قَيسْ بن جَزء بن خالد بن جعفر، وجَبَّار بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثةُ رؤساءَ القوم وشياطينَهم.

تدبير عامر للغدر بالرسول:

فقَدِم عامرُ بن الطُّفَيْل عدوُّ الله، على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغدرَ به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن النَّاس قد أسلَموا فأسلم، قال: والله لقد كنتُ آليتُ أن لا أنتهيَ حتى تَتْبع العربُ عَقِبي، أفأنا أتبعُ عَقِبَ هذا الفتى من قُرَيش! ثم قال لأرْبَدَ: إذا قَدِمنا على الرجل، فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلتُ ذلك فاعْله بالسيف، فلما

فقال النبيّ ﷺ: «إن من البيان لَسِحْرًا»[1]، وأدخله مالك في باب ما يُذَمُّ من القولِ، من أجل أن السِّحْرَ مذمومٌ شرْعًا، وغيره يذهب إلى أنه مَدْحٌ لهما بالبيان واستمالَةِ القلوب كالسِّحر، وكان من قولهما. إن عَمْرًا قال للنبيّ ﷺ في الزِّبْرِقَانِ: إنه مُطَاعٌ في أَدْنَيْهِ سَيِّدٌ في عَشِيرته، فقال الزِّبْرِقانُ: لقد حَسَدني يا رسول الله لِشَرَفي، ولقد علم أفضل ممَّا قال. قال: فقال عَمْرو: إنه لَزَمِرُ المُرُوءَة ضَيِّقُ العَطَنِ لئيمُ الخال، فَعَرَف الإنكار في وَجْه رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله رضيتُ فقلتُ أحسَن ما عَلِمتُ، وسَخِطْتُ فقلتُ أقبح ما علمت، ولقد صَدَقْتُ في الأولى وما كَذَبْتُ في الثانية، فحينئذٍ قال النبيّ ﷺ: «إن من البيان لَسِحرًا»، وقوله: لئيم الخال، قيل: إن أُمه كانت من بَاهِلَةَ، قاله ابن ثابت في الدلائل، وقد أُنْكِر هذا عليه، وممن أنكره عليه أبو مَرْوَانَ بن سراج، فالله أعلم، لأن أهل النسب ذكروا أن أُم الزِّبرِقَانِ عُكْلِيَّةٌ من بني أُقَيْش، وعُكْلٌ وإن كانت تجتمع مع تميم في أدِّ بن طَابخَةَ لكنَّ تميمًا أشرفُ منهم، ولا سِيّما بني سَعْدٍ رهْطِ الزِّبْرِقَانِ، فلذلك جعله عَمْرٌو لئيم الخال.

خبر عامر وأربد

فصل: وذكر خبر عامر بن الطفيل وأَرْبَد، وأن أرْبَدَ قال لعامر: ما هَمَمْتُ بقتلِ مُحَمَّدٍ إلاَّ رَأَيتُك بَيْني وبينه أفأقتلك؟! وفي غير رواية ابن إسحٰق: إلاَّ رأيت بيني وبينه

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠١١ ـ ٥٠١٢ ـ بتحقيقي) وأحمد (٤/ ٢٦٣) ومالك (٩٨٦) والحاكم (٣/ ٦١٣) وانظر الفتح (٩/ ٢٠١) (١٠/ ٢٣٧).

قَدِمُوا على رسول الله ﷺ، قال عامر بن الطُّفَيل: يا محمد، خالنِي، قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده». قال: يا محمد خالنِي. وجعل يكلِّمه وينتظر من أَرْبَدُ ما كان أمره به فجعل أرْبد لا يُحيرُ شيئًا، قال: فلما رأى عامرٌ ما يصنع أَرْبَدَ، قال يا محمد خالنِي قال: «لا، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له». فلما أبى عليه رسولُ الله ﷺ قال: أما والله لأمْلأنَّها عليك خَيْلاً ورجالاً، فلما وَلَّى قال رسولُ الله ﷺ: «اللهمّ اكفني عامرَ بن الطُّفَيل». فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامر لأربد: وَيْلَكَ يا أَرْبَدُ أين ما كنتُ أمرأتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك. وأَيْمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبدًا. قال: لا أَبالك! لا تَعْجَل عليّ، والله ما هَمَمْت بالذي أمرتني به من أمره إلاّ دَخَلْتَ بيني وبين الرجل، حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه:

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطُّفَيل الطاعون في عُنُقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني سَلُول، فجعل يقول: يا بني عامر، أغُدَّة كَغُدَّة الإبل، وموتًا في بيت سَلُولِيَّةٍ!

قال ابن هشام: ويقال: أغُدَّةً كغدة الإبل، وموتًا في بيت سلولية.

سُورًا من حديد وكذلك في روايةِ غيرِه، قال عامر: لأَمْلأَنَّها عليك خَيْلاً جُرْدًا، ورجالاً مُرْدًا، ولأربِطَنَّ بكُلِّ نَخْلَةٍ فَرَسًا، فجعل أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ يضرب في رؤوسهما ويقول: اخرُجا أيّها الهِجْرسَانِ، فقال له عامرَ: ومَنْ أنت؟ فقال: أُسَيْدُ بن حُضَير، فقال: أَحُضَيْر بن سِمَاكٍ؟ قال: نعم، قال: أبوك كان خيرًا منك، فقال: بل أنا خيرٌ منك، ومن أبي، لأن أبي كان مُشرِكًا، وأنت مُشْرِكٌ. وذكر سيبويه قول عامر: أُغدَّةً كغُدَّة البَعِير، وموتًا في بيت سَلُولِيَّة، في باب ما يَنْتَصِبُ على إضمار الفعل المتروك إظهارُه، كأنه قال: أُغَدُّ غُدَّةً، والسَّلُولية امرأةٌ منسوبة إلى سَلُول بن صَعْصَعَةَ وهم بنو مُرَّةَ بن صَعْصَعَةَ، وسَلُولُ أُمهم، وهي بنت ذُهْل بن شَيْبَان، وكان عامر بن الطُّفَيْل من بني عامر بن صَعْصَعَةَ، فلذلك اختصّها لقربِ النَّسبِ بينهما، حتى مات في بيتها. وأما أشعارُ لَبيد في أَرْبَدَ ففيها قوله:

تُـطِيـر عَـدَائِـد الأشْـرَاكِ شَـفْـعًـا ... وَوِتْـرًا والـزَّعَـامَـةُ لـلـغُـلَامِ

موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفي عامر:

قال ابن إسحٰق: ثم خرج أصحابه حين وَارَوه، حين قَدِموا أرض بني عامر شاتين، فلما قَدِموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أرْبد؟ قال: لا شيء والله، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوَدِدْتُ أنه عندي الآن فأرمِيه بالنَّبل حتى أقْتُلَهُ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة، فأحْرَقتهما. وكان أربدُ بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأُمِّه.

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، قال: وأنزل الله عزّ وجلّ في عامر وأربد: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنثى وَما تَغِيضُ الأَرْحامَ ومَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]... إلى قوله: ﴿وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

قال: المُعَقِّباتُ: هي من أمر الله يحفظون محمدًا. ثم ذكر أربد وما قتله الله به، فقال: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ﴾ [الرعد: ١٣] إلى قوله: ﴿شَدِيدُ المِحالِ﴾.

شعر لبيد في بكاء أربد:

قال ابن إسحٰق: فقال لبيد يبكي أَرْبَد:

ما إن تُعَدِّي المَنونُ مِنْ أحَدِ	لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلا وَلَدِ
أَخْشَى على أَرْبَدَ الحُتوفَ ولا	أرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأسَدِ
فعَيْنِ هَلاَّ بَكِيتِ أرْبَدَ إذْ	قُمْنا وقامَ النِّساءُ في كَبَدِ
إنْ يَشْغَبُوا لا يُبالِ شَغْبَهُمُ	أوْ يَقصِدُوا في الحُكومِ يَقْتَصِد
حُلْوٌ أرِيبٌ وفي حَلاوَتِهِ	مُرّ لَطِيفُ الأحْشاءِ والكَبِدِ
وعَيْنِ هَلاَّ بَكِيتِ أرْبَدَ إذْ	ألْوَتْ رِياحُ الشِّتاءِ بالعَضَدِ

الزَّعَامَةُ: الرِّياسة، وقيل: أراد بالزَّعَامَةِ هنا بَيْضَةَ السِّلاح، والأَشراكُ: الشُّركاءُ، والعَدَائِدُ: الأَنْصِبَاءُ مأخوذٌ من العَدَدِ، ويقال: إن أَرْبَدَ حين أصابته الصاعقةُ أنزل الله تبارك وتعالى على محمد ﷺ: ﴿ويُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بها مَنْ يَشاءُ﴾ [الرعد: ١٣] يعني أَرْبَدَ والله أعلم. وعامرٌ وأربدُ يجتمعان في جَعْفَرِ بنِ كلابِ بن ربيعةَ بن عامِرٍ، وأُمُّهما واحدةٌ، وسائرُ شعر لبيد في أَرْبَدَ مرغوبٌ عن الاشتغال بشَرحه بناءً على أصلنا المتقدّم، والله وليُّ التوفيق.

وأَصْبَحَتْ لاقِحًا مُصَرَّمَةً حتى تَجَلَّتْ غَوابِرُ المُدَدِ
أَشْجَعُ مِن لَيْثِ غابَةٍ لَحِمٍ ذو نَهْمَةٍ في العُلا ومُنْتَقَدِ
لا تَبْلُغُ العَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِها ليلَةَ تَمْشي الجيادُ كالقِدَدِ
الباعِثُ النَّوْحَ في مآتِمِهِ مثْلَ الظِّباءِ الأبْكارِ بالجَرَدِ
فَجَعني البَرقُ والصَّواعِقُ بالـ ـفارسِ يَوْمَ الكَريهَةِ النَّجُدِ
والحارِبِ الجابرِ الحَريبَ إذَا جاء نَكِيبًا وَإنْ يَعُدْ يَعُدِ
يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤالِ كمَا يُنْبِتُ غَيثُ الرَّبيعِ ذو الرَّصَدِ
كُلُّ بَني حُرَّةٍ مَصِيرُهُمُ قُلٌّ وإنْ أكْثَرَتْ مِنَ العَدَدِ
إنْ يُغْبِطُوا يُهْبَطُوا وَإنْ أُمِرُوا يَوْمًا فَهُمْ للهَلاكِ والنَّفَدِ

قال ابن هشام: بيته: «والحارب الجابر الحريب» عن أبي عُبيدة، وبيته: «يعفو على الجهد»: عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: وقال لبيد أيضًا يبكي أرْبد:

ألا ذَهَبَ المُحافِظُ والمحامي ومَانِعُ ضَيْمِها يومَ الخِصَامِ
وأيْقَنْتُ التَّفَرُّقَ يومَ قالُوا تُقُسِّمَ مالُ أرْبَدَ بالسِّهامِ
تُطِيرُ عَدَائِدَ الأشْرَاكِ شَفْعًا وَوِتْرًا والزَّعامَةُ للغُلامِ
فوَدِّع بالسَّلام أبا حُرَيْزٍ وقَلَّ وَدَاعُ أرْبَدَ بالسَّلامِ
وكُنْتَ إمامَنا ولَنا نِظَامًا وكانَ الجَزْعُ يُحْفَظُ بالنِّظامِ

عن لبيد:

على أنَّ لَبيد رحمه الله قد أسلم وحَسُن إسلامُه، وعاش في الإسْلام ستِّين سَنَةً، لم يقل فيها بيتَ شِعْرٍ، فسأله عمرُ عن تَرْكه الشعر، فقال: ما كنتُ لأقول شِعْرًا بعد أن عَلَّمني الله البقرةَ وآل عِمْرَان، فزاده عُمَرُ في عطائه خمسمائة درهم، من أجل هذا القول، فكان عطاؤه ألفين وخَمْسِمائةٍ، فلما كان معاويةٌ، أراد أن ينقصه من عطائه الخمسمائة، وقال له: ما بَالُ العِلاوَةِ فوق الفَوْدَيْنِ؟ فقال له لبيد: الآن أموت، وتصير لك العِلاوَةُ والفَوْدَانِ، فَرَقَّ له معاويةُ وتركها له، فمات لبيد إثْر ذلك بأيام قليلة، وقد قيل: إنه قال بيتًا واحدًا في الإسلام:

الحمد لله إذ لم يأتِني أَجَلِي حتى اكْتَسَيْتُ من الإسلام سِرْبَالا

وأرْبَـدُ فـارِسُ الـهَـيْـجـا إذَا مـا ... تَـقَـعَّـرَتِ الـمـشـاجِـرُ بـالـفِـئـامِ
إذَا بَـكَـرَ الـنِّـسـاءُ مُـرَدَّفـاتٍ ... حَـوَاسِـرَ لا يُـجِـئْـنَ عـلـى الـخِـدَامِ
فَـوَاءَلَ يَـوْمَ ذلـكَ مَـنْ أتـاهُ ... كـمـا وَأَلَ الـمُـحِـلُّ إلـى الـحَـرَامِ
ويَـحْـمَـدُ قِـدْرَ أرْبَـدَ مَـنْ عَـراهـا ... إذا مـا ذُمَّ أربـابُ الـلِّـحـامِ
وجـارتُـهُ إذَا حَـلَّـتْ لَـدَيْـهِ ... لـهَـا نَـفَـلٌ وحَـظٌّ مِـنْ سَـنـامِ
فـإنْ تَـقْـعُـدْ فـمُـكْـرَمَـةٌ حَـصَـانٌ ... وإنْ تـظْـعَـنْ فـمُـحْـسِـنَـةُ الـكـلامِ
وهـلْ حُـدِّثْـتَ عـن أخَـوَيْـنِ داما ... عـلـى الأيَّـامِ إلاَّ ابْـنَـيْ شَـمَـامِ
وإلاَّ الـفَـرْقَـدَيْـنِ وآلَ نَـعْـشٍ ... خَـوَالـدَ مـا تُـحَـدَّثُ بـانْـهِـدَامِ

قال ابن هشام: وهي في قصيدة له.

قال ابن إسحٰق: وقال لبيد أيضًا يبكي أربد:

انْـعَ الـكَـرِيـمَ لـلـكَـرِيـمِ أرْبَـدَا ... أنْـعَ الـرَّئِـيـسَ والـلَّـطِـيـفَ كَـبِـدَا
يُـحْـذِي ويُـعْـطِـي مـالَـهُ لـيُـحْـمَـدا ... أُدمـا يُـشَـبَّـهْـنَ صُـوَارًا أُيَّـدَا
الـسَّـابِـلَ الـفَـضْـلِ إذا مـا عُـدِّدَا ... ويَـمْـلأُ الـجَـفْـنَـةَ مَـلْـئًـا مَـدَدَا
رِفْـهـا إذا يـأتـي ضَـرِيـكٌ وَرَدَا ... مِثلُ الذي في الغِيل يَقْرُو جُمُدَا
يَـزْدادُ قُـرْبًـا مِـنْـهُـمُ أنْ يُـوعَـدَا ... أوْرَثْـتَـنـا تُـرَاثَ غَـيْـرِ أنْـكَـدَا
غِـبًّـا وَمـالاً طـارِفًـا وَوَلَـدَا ... شَـرْخًـا صُـقُـورًا يـافِـعًـا وأمْـرَدَا

وقال لبيد أيضًا:

لَـنْ تُـفْـنِـيـا خَـيْـرَاتِ أرْ ... بَـدَ فـابْـكِـيـا حـتـى يَـعُـودَا
قُـولاَ هُـوَ الـبَـطَـلُ الـمُـحـا ... مـيَ حِـيـنَ يَـكْـسُـونَ الـحَـديـدَا
وَيَـصُـدُّ عَـنَّـا الـظَّـالِـمـ ... ـيـن إذَا لَـقِـيـنـا الـقَـوْمَ صِـيـدَا

وفد جرش:

فصل: وذكر وَفْدَ جُرَشٍ، وأن خَثْعَم صَوَتْ إليها حين حاصرهم صُرَدُ بن عبد الله، وأنشد:

حتى أتينا حُمَيْرًا في مَصانِعها ... وجَمْع خَثْعَمَ قد صَاغَتْ لها النُّذُرُ

فـاعـتـاقـهُ ربّ الـبَـريّـة إذْ رأى أنْ لا خُـلـودَا
فَـنَـوَى ولَـمْ يُـوجَـع ولَـمْ يُـوصَـبْ وكـانَ هُـوَ الـفَـقِـيـدَا

وقـال لبيد أيـضًا:

يُـذكّـرنـي بـأربـدَ كُـلّ خَـصْـم أَلـدَّ تـخـالُ خُـطّـتـه ضِـرَارَا
إذَا اقْـتَـصَـدُوا فـمُـقْـتَـصِـدٌ كَـريـمٌ وإنْ جـارُوا سَـوَاء الـحَـق جـارَا
ويَـهْـدِي الـقَـوْمَ مُـطّـلـعًـا إذا مـا دَلـيـلُ الـقَـوْمِ بـالـمَـوْمـاة حـارَا

قال ابن هشام: آخرُها بيتًا عن غير ابن إسحٰق.

قال ابن إسحٰق: وقال لبيد أيضًا:

أصبحتُ أمْشِي بعد سَلْمى بن مالك وبعد أبي قَيْس وعُرْوة كالأجَب
إذا ما رأى ظلَّ الغُراب أضجَّهُ حِذارًا على باقي السَّناسن والعَصَبْ

قال ابن هشام: وهذان البيتان في أبيات له.

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدًا عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحٰق: وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم، يُقال له: ضِمَامُ بن ثَعْلَبَة.

ويُرْوَى خُمَيْرًا بالخاء المُعْجَمة، وفي حِمْير حمير الأدْنى، وهو حِمْيَر بن الغَوْثِ بن سَعْد بن عَوْفِ بن عَدِيّ بن مالك بن زَيْد بن زيْد بن شُدَد بن زُرْعَةَ وهو حِمْير الأَصْغرُ بن سَبَأ الأَصْغَرِ بن كَعْب كَهْفِ الظُّلْم بن زَيْد الجمهور بن عَمْرو بن قَيْس بن مُعَاوِية بن جُشَم بن عَبْد شَمْس بن وَائِل بن الغَوْثِ بن حَيْدَان بن قَطَنِ بن عَرِيب بن زُهَيْر بن الهَمْيَسع بن حِمْيَر الأكْبَر وهو العَرَنْججُ، وقال الأَبْرَهِيُّ: وهو من علماء حمير بالنسب وهو منسوب إلى أبرَهة بن الصُّبَاحِ الحِمْيريِّ في حِمْير الأَدْنَى المبدوء بذكره حِمْير، وعلى هذا القول تَصِحُّ رواية الخَاءِ المنقوطة، ومن رواه بالحاء المهملة فهو تصغير حِمْير تصغير التَّرْخيم، والعَرَنْجَجُ في لغةٍ: حِمْير العَتِيق.

حـديث ضمـام

فصل: وذكر حديث ضِمام بن ثَعْلَبَة، وهو الذي قال فيه طَلْحَةُ بن عُبَيْد الله: جاءنا أعرابي من أهل نَجْدٍ ثائر الرأس يُسْمَع دَوِيُّ صوته، ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو

سؤاله الرسول أسئلة ثم إسلامه:

قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن الوليد بن نُويْفِع عن كُريب، مولى عبد الله بن عباس، عن ابن عباس، قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضِمامَ بن ثعلبة وافدًا إلى رسولِ الله ﷺ، فقدم عليه، وأناخ بعيرَه على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسولُ الله ﷺ جالس في أصحابه؛ وكان ضِمَامُ رجلاً جَلْدًا أشعرَ ذا غَديرَتين، فأقبل حتى وقف على رسولِ الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيّكم ابنُ عبد المطَّلب؟ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «أنا ابن عبد المطَّلب». قال: أمحمد؟ قال: «نعم»؛ قال يا ابن عبد المطَّلب، أني سائلك ومُغلِّظ عليك في المسألة، فلا تَجِدَنَّ في نفسك، قال: لا أجد في نفسي، فَسَلْ عمّا بدا لك. قال: أنشدُك الله إلـٰهك وإلـٰه من كان قبلك، وإلـٰه من هو كائن بعدك، آلله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: «اللَّهمَّ نعم»؛ قال: فأنشدك الله إلـٰهك وإلـٰه من كان قبلك، وإلـٰه من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نُشرك به شيئًا، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعْبدون معه؟ قال: «اللهمّ نعم»، قال: فأنشُدك الله إلـٰهك وإلـٰه من كان قبلك، وإلـٰه من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن نصلِّيَ هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللهمّ نعم»؛ قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة. الزكاة والصيام والحجّ وشرائع الإسلام كلها، يَنْشُدُه عند كلّ فريضة منها كما ينشُده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ وسأؤدّي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف إلى بعيره راجعًا. قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «إن صدق ذو العَقِيصتين دخل الجنّة».

يَسأَلُ عن الإسلام، الحديث، رواه مالك في المُوَطَّأ عن عَمِّه عن جَدِّه عن طَلْحَةَ، وقد تَرْجَم عليه أبو داود لما فيه من دُخُول المشرك المسجِدَ[1].

وذكر معه حديث اليَهُودِ حين دَخَلوا المسجدَ، وذكروا أن رجلاً منهم، وامرأةً زَنيا، وقال به الشافعي، وكره مالك دخول الذِّمّي المسجد، وخصّص أبو حنيفة المسجدَ الحرام لقول الله تبارك وتعالى: ﴿إنما المُشْرِكون نَجَسٌ فلا يَقْرَبُوا المسجِدَ﴾ [التوبة: ٢٨] الآية، وتعلق مالكٌ بالعلّة التي نبهت عليها الآية، وهي التَّنْجِيس، فَعَمَّ المساجدَ كُلَّها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٦ ـ ٤٨٧ ـ ٤٨٨) جمعناه.

دعوته قومه للإسلام:

قال: فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قَدِم على قومه، فاجتمعوا إليه فكان أوّل ما تكلّم به أن قال: بئست اللاتُ والعُزى! قالوا: مه يا ضِمام اتّق البَرَص، اتّق الجُذام، اتّق الجُنون! قال: ويلكم! إنهما والله لا يضرَّان ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجلٌ ولا امرأة إلاّ مسلمًا.

قال: يقول عبد الله بن عبَّاس: فمَا سمعنا بوافد قومٍ كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة.

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

قال ابن إسحٰق: وقَدِم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حَنش أخو عبد القَيْس.

قال ابن هشام: الجارود بن بشر بن المُعَلّى في وفد عبد القيس وكان نصرانيًا.

قال ابن إسحٰق: حدّثني من لا أتّهم، عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلَّمه، فعَرَض عليه رسولُ الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، ورغَّبه فيه، فقال: يا محمد، إني قد كنت على دين، وإني تارك دِيني لدينك، أفتضمن لي دَيني؟ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «نعم، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه» قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسولَ الله ﷺ الحُمْلان، فقال: «والله ما عندي ما أحملكم عليه». قال: يا رسولَ الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضَوالّ من ضوالّ الناس: أفنتبلَّغ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا، إيّاك وإيّاها، فإنما تلك حَرَق النار».

حول حديث الجارود

فصل: وذكر الجارودَ العَبْدِيّ، وهو بِشْر بن عَمْرو بن المُعَلّى، يُكنى أبا المُنْذِر، وقال الحاكمُ: يُكنَى أبا غِيَاثٍ وأبا عِتَابٍ، وسُمّي الجَارُودَ، لأنه أغار على قَوْمٍ من بَكْرٍ، فَجَرَّدهم قال الشاعر:

ودُسْنَاهم بالخَيْل من كُلّ جَانِبٍ ... كما جَرَّد الجَارُود بَكْرَ بن وَائِلِ

موقفه من قومه في الردّة:

فخرج من عنده الجارود راجعًا إلى قومه، وكان حسن الإسلام، صُلْبًا على دينه، حتى هَلك وقد أدرك الردَّة، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأوّل مع الغَرُور بن المنذر بن النُّعمان بن المنذر، قام الجارود فتكلَّم، فتشهَّد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام فقال: أيّها الناس، إني أشهد إن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأكفِّر من لم يشهد.

قال ابن هشام: يُروى: وأكفي من لم يشهد.

إسـلام ابن سـاوى:

قال ابن إسحٰق: وقد كان رسولُ الله ﷺ بعثَ العَلاء بن الحَضْرميّ قبل فتح مكّة إلى المنذر بن ساوَى العَبْدي، فأسلم فحَسُن إسلامه ثم هَلك بعد رسولِ الله ﷺ قبل ردّة أهل البَحْرين، والعلاء عنده أميرًا لرسول الله ﷺ على البَحْرين.

قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذّاب

وقَدِم على رسول الله ﷺ وفد بني حَنيفة، فيهم مُسيلمة بن حَبِيب الحنفيّ الكذّاب.

قال ابن هشام: مُسَيلِمة بن ثُمامة، ويكنّى أبا ثمامة.

وذكر في آخر حديث الجارُودِ الغَرُور بن النُّعْمَانِ بن المُنذِر، وكان كِسْرَى حين قَتَل النُّعْمَانَ صَيَّر أمر الحِيرَة إلى هانىء بن قَبِيصَة الشَّيْبَانِي، ولم يبق لآل المُنْذر رَسْمٌ ولا أَمْرٌ يذكَر حتى كانت الرِّدَّة، ومات هانىء بن قَبِيصَة فأظهر أهلُ الرِّدَّة أمر الغَرُور بن النُّعْمان، واسمه: المُنذِر، وإنما سُمّي الغَرُور، لأنه غَرَّ قومَه في تلك الرِّدَّة، أو غَرُّوه واستعانوا به على حَرْبهم فقُتِل هنالك، وزعم وثِيمةُ بن موسى أنه أسلم بعد ارتدَاده، والله أعلم.

وفد بني حنيفة ونسب مسيلمة[1]

فصل: وذكر وَفْدَ بني حَنِيفَةَ، واسمُ حَنِيفَةَ أُثَال بن لُجَيْمْ بن سَعْد بن عَلِي بن بَكْر بن وائل مع مُسَيْلِمَةَ على النبيّ ﷺ، وهو مُسَيْلِمَةُ بن ثُمَامَةَ بن كَبِير بن حُبَيْبِ بن الحارث بن عَبْدِ الحارث بن هِفَّانِ بن ذُهْلِ بن الدُّول بن حَنِيفَة يكنّى أبا ثُمَامَةَ، وقيل: أبا هارون، وكان

---

(١) انظر البداية (٥/ ٤٥) المنتظم (٣/ ٣٨٢) الطبري (٣/ ١٣٧).

ما كان من الرسول لمسيلمة:

قال ابن إسحٰق: فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار، ثم من بني النجّار، فحدّثني بعضُ علمائنا من أهل المدينة: أن بني حنيفة أتت به رسولَ الله ﷺ تستره بالثّياب، ورسولُ الله ﷺ جالس في أصحابه. معه عَسِيب من سَعَف النخل في رأسه خُوصات؛ فلما انتهى إلى رسولِ الله ﷺ؛ وهم يَسترونه بالثّياب، كلّمه وسأله، فقال له رسولُ الله ﷺ: «لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه».

يسمّى بالرَّحمٰن فيما رُوي عن الزُّهري قبل مَوْلد عبدِ الله والدِ رسولِ الله - ﷺ - وقُتِل وهو ابن مائةٍ وخَمْسين سَنَةً، وكانت قُرَيْشٌ حين سمعت بسم الله الرحمٰن الرحيم، قال قائلهم: دق فُوكَ، إنما تَذكُر مُسَيْلِمَة رَحْمَان اليَمامَةِ، وكان الرَّحّال الحَنَفِي، واسمه نَهَار بن عُنفُوَة، والعُنْفُوَةُ يابس الحَلِيّ، وهو نبات، وذكره أبو حنيفة، فقال فيه: عُنْثُوَ بالثاء المثلَّثة، وقال: هو يابس الحَلِيّ، والحَلِيُّ: النَّصِي، وهو نَبْت - قدم في وَفْد اليَمامة على النبيِّ ﷺ فأمن وتعلّم سُوَرًا من القرآن، فرآه النبيُّ - ﷺ - يومًا جالسًا مع رجلين من أصحابه، أحدُهما فُراتُ بن حَيّان، والآخر: أبو هُرَيرَة، فقال: «ضِرْسُ أحدِكم في النار مثلُ أُحُدٍ»[1]، فما زالا خائفين حتى ارْتَدَّ الرَّحّالُ، وآمن بمُسَيْلِمَةَ وشهد زُورًا أن النبيَّ - ﷺ - قد شَرِكَه معه في النُّبُوَّة، ونسب إليه بعضَ ما تعلّم من القرآن، فكان من أقوى أسباب الفِتنة على بَنِي حَنِيفَةَ، وقتله زيدُ بن الخَطّاب يوم اليَمامة، ثم قتل زَيْدَ بن الخطّاب سَلَمةُ بن صُبَيْح الحَنَفيّ، وكان مُسَيْلِمَةُ صاحب نيْرُوجَاتٍ[2] يقال: إنه أوّل من أدخلَ البَيْضَة في القَارُورة، وأوّل من وصل جناح الطائر المَقصُوص، وكان يَدَّعي أنَّ ظَبْيَةً تأتيه من الجَبَل، فيحلب لبنَهَا، وقال رجل من بني حَنِيفَة يرثيه:

لَهَفي عَلَيْكَ أبا ثُمَامَة ... لَهَفي على رُكْني شَمامة

كم آيةٍ لك فيهم ... كالشُّمس تطلع من غَمَامَة

وكَذَب بل كانت آياته مَنْكُوسَةً، تَفَل في بئر قَوْم سألوه ذلك تَبَرُّكًا فَمَلُحَ ماؤُها، ومسح رأسَ صَبِيٍّ فقرِعَ قَرَعًا فاحِشًا، ودعا لرجل في ابنيْن له بالبَرَكَة، فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في البئر، والآخر قد أكله الذئبُ، ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه، فابيَضَّت عيناه.

---

(١) أخرجه مسلم في الجنّة (٤٤) والترمذي (٢٥٧٩) وأحمد (٢/ ٣٣٤) بلفظ: «خرس الكافر في النّار» نعوذ بالله من النّار ومن حرّ النّار.

(٢) ضرب من السحر والدجل.

قال ابن إسحٰق: وقد حدّثني شيخٌ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا. زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسولَ الله ﷺ، وخلَّفوا مُسَيلِمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خَلَّفنا صاحبًا لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسولُ الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: أمَا إنه ليس بشرّكم مكانًا، أي: لحفظه ضَيْعة أصحابه، وذلك الذي يريد رسولُ الله ﷺ.

مؤذنا مسيلمة وسجاح:

واسم مُؤَذِّنه: حُجَيْر، وكان أوّل ما أمر أن يذكر مُسَيْلِمَةُ في الأَذان توقف، فقال له مُحَكَّمُ بن الطُّفَيل: صَرِّح حُجَيْر، فذهبت مثلاً. وأمَّا سَجَاح التي تَنَبَّأت في زمانه وتزوَّجها، فكان مؤذِّنها جَنَبَةُ بن طَارِقٍ، وقال القِتَبِيُّ: اسمه: زُهَيْر بن عَمْرو، وقيل: إن شِبْثَ بن رِبْعِيٍّ أذَّن لها أيضًا، وتُكْنى أُمَّ صادِرٍ، وكان آخرُ أمرها أن أسلمت في زمان عُمَرَ، كل هذا من كتاب الواقدي وغيره. وكان مُحَكَّم بن طُفَيْل الحَنفِيّ، صاحبَ حَرْبه ومُدَبِّر أَمْرِه، وكان أشرفَ منه في حَنِيفَةَ، ويقال فيه: مُحَكَّم ومُحَكِّم، وفيه يقول حسَّان بن ثابت:

يا مُحْكم بن طُفَيْلٍ قد أُتيح لكم ... لِـلَّـهِ دَرُّ أبيـكـم حَـيَّـة الـوَادِي

وقـال أيـضًا:

يَخْبِطـن بـالأَيْـدِي حِياض مُحَكَّـم

امـرأة مسيلمـة:

وقوله ابن إسحٰق: انزلوا، يعني وفدَ بني حَنِيفَةَ بدارِ الحارِثِ. الصواب: بنت الحارِثِ، واسمها: كَيْسَة بنت الحارث بن كُرَيْزِ بن حَبِيب بن عَبْد شمس، وقد تقدّم في غزوة قُرَيْظَة الكلام على كَيْسَة: وكَيْسَةُ بالتخفيف، وأنها كانت امرأة لمُسَيْلِمة قبل ذلك، فلذلك أنزلهم بدارها وكانت تحت مُسَيْلِمَةَ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر، وذكرنا هنالك أن الصوابَ ما قاله ابن إسحٰق أنَّ اسم تلك المرأة زينبُ بنت الحَارِثِ، كذا وقع في رواية يونس عن ابن إسحٰق، والمذكورة هاهنا كَيْسَةُ بنتُ الحارِثِ، وإيَّاه عنى رسولُ الله ﷺ حين خَطَبَ، فقال: أريتُ في يدي سوارين من ذَهَب فكرهتُهما، فنفخت فيهما فطارا فأوَّلْتُهما كذَّابُ اليَمَامَةِ والعَنْسِي، صاحب صنعاء، فأما مُسَيْلِمَة فقتله خالد بن الوليد، وأفنى قومه قَتْلاً وسَبْيًا.

مسعـود العنسـي:

وأما مسعود بن كَعْب العَنْسِي، وعَنْس من مَذْحِج، فاتبعته قبائل من مَذْحِج واليمن

ارتـداده وتنبـؤه:

قال: ثم انصرفوا عن رسولِ الله ﷺ: وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبّأ وتكَذَّب لهم، وقال: إني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معه. وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقلِ لكم حين ذكرتموني له: أما إنه ليس بشرّكم مكانًا؛ ما ذاك إلاّ لما كان يعلم أني قد أُشرِكت في الأمر معه، ثم جعل يَسْجع لهم الأساجيع، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: «لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صِفاق وحَشَى» وأحلّ لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبيّ، فأصْفَقَتْ معه حنيفة على ذلك، فالله أعلم أيُّ ذلك كان.

على أمرِه، وغلب على صَنْعَاءَ، وكان يُقال له ذو الخِمار، ويلقّب: عَيْهَلَة، وكان يَدَّعي أن سَحِيقًا وشَرِيقًا يأتيانه بالوحي، ويقول: هما مَلَكان يتكلّمان على لساني، في خدع كثيرة يُزَخْرِف بها، وهو من وَلَدِ مالك بن عَنسٍ، وبنو عَنسٍ جُشَمٌ وجُشَيْم ومالك وعامر وعَمْرو، وعزيز ومُعاوية وعَتِيكَةُ وشِهَابُ والقِرْيَّة ويَام ومن ولد يام بن عَنسٍ عَمَّار بن ياسر، وأخواه عبد الله وحُوَيْرِثُ ابنا ياسِرِ بن عُمَر بن مالك، قتله فَيْرُوز الدَّيْلَمِي، وقيس بن مَكْشُوحِ ودَاذوَيْهِ رَجُلٌ من الأبناء دَخلوا عليه من سِرْبٍ صنعته لهم امرأةٌ كان قد غَلَب عليها من الأبناء، فوجدوه سَكْرَانَ لا يَعْقِل من الخَمْر، فخبطوه بأسيافهم وهم يقولون:

ضَـلَّ نَـبِـيٌّ مـات وهـوَ سَـكْـرَان ... والـنـاسُ تَـلْـقَـى جُـلَّـهُـمْ كـالـذِّبَّـانْ

الـنـور والـنـار لَـدَيْـهِـم سِـيَّـانْ

ذكره الدَّوْلاَبي، وزاد ابن إسحٰق في رواية يونس عنه أن امرأته سَقَتْه البَنْجَ في شَرَابه تلك الليلةَ، وهي التي احْتَفَرَت السِّرْبَ للدخول عليه، وكان اغْتَصَبها، لأنها كانت من أجمل النساءِ، وكانت مُسْلِمَةً صالحة، وكانت تُحَدِّث عنه أنه لا يغتسل من الجَنَابَة، واسمها المَرْزُبَانَةُ، وفي صورة قَتْله اخْتِلاَفٌ.

وقوله ﷺ: «أُرِيتُ سِوَارَيْن من ذَهَبٍ، فنفختهما فطارا»، قال بعضُ أهل العلم بالتعبير: تَأْوِيل نفخه لهما أنهما بِريحهِ قُتِلا، لأنه لم يغزُهما بنفسه، وتأويل الذهب أنه زُخْرُفٌ، فدلّ لفظُه على زَخْرَفَتِهِما، وكذبهما، ودلّ الإسْوَارَان بلفظهما على مَلِكين لأن الأساورة هم الملوك، ومعناهما على التضييق عليه لكون السِّوار مُضَيّقًا على الذِّراع.

قدوم زيد الخيل في وفد طيىء

إسلامه وموته:

قال ابن إسحٰق: وقَدِم على رسولِ الله ﷺ وفد طيىء، فيهم زيد الخيل، وهو سيّدهم؛ فلما انتهوا إليه كلّموه، وعرض عليهم رسولُ الله ﷺ الإسلام، فأسلموا، فحسُن إسلامهم، وقال رسولُ الله ﷺ، كما حدّثني من لا أتّهم من رجال طيىء؛ ما ذُكِر لي رجلٌ من العرب بفضل، ثم جاءني، إلاّ رأيته دون ما يُقال فيه، إلاّ زيد الخيل: فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه، ثم سمّاه رسولُ الله ﷺ زيدَ الخير، وقطع له فَيْدًا وأرَضِينَ معه، وكتب له بذلك. فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعًا إلى قومه؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «إن يَنْجُ زَيْد من حُمَّى المدينة»، فإنه قال: قد سمّاها رسولُ الله ﷺ باسم غير الحمّى،

زيد الخيل

فصل: وذكر زيد الخيل، وهو زَيْدُ بن مُهَلْهل بنِ زَيْد بن مُنهِبٍ، يكنّى: أبا مُكْنِف الطَّائِيّ، واسم طيىء أُدَدٌ، وقيل له: زَيْدُ الخَيْل لخمس أَفْرَاسٍ، كانت له، لها أسماءٌ أعلام ذهب عني حِفْظُها الآن.

وذكر قوله ﷺ: «إن يَنْجُ زيدٌ من حُمَّى المدينة».

أسماء الحمى:

قال الراوي: ولم يُسَمِّها باسمها الحُمَّى، ولا أُمّ مَلْدَم، سمّاها باسم آخر ذهب عني، والاسم الذي ذهب عن الرَّاوي مِنْ أسماء الحمى، هو أُم كُلْبَة، ذكر لي أن أبا عُبَيْدَة ذكره في مَقاتِل الفرسان، ولم أره، ولكن رأيت البَكْري ذكره في باب أفرده من أسماء البلاد، ولها أيضًا اسمٌ سِوى هذه الأَسْمَاءِ ذكره ابن دُرَيْدِ في الجَمْهَر، قال: سَبَاطِ، من أسماء الحُمَّى على وزن رَقَاشِ، وأما أُم مَلْدَم، فيقال: بالدَّال، وبالذال وبكسر الميم وفتحها، وهو [من] اللدم وهو شدّة الضرب، ويحتمل أن يكون أُم كُلْبَةَ هذا الاسم مُغَيَّرًا من كُلْبَة بضمّ الكاف، والكُلْبَةُ شِدَّة الرِّعْدة، وكُلَبُ البَرْدِ مدائده، فهذه أُم كُلْبَةَ بالهاء، وهي الحُمَّى، وأما أُم كُلْبٍ، فَشَجَرةٌ لها نَوْرٌ حَسَنٌ، وهي إذا حُرِّكت أَنْتَنُ شَيْءٍ، وزعم أبو حنيفة أن الغنم إذا مسَّتها لم تستطع أن تقرب الغنم ليلتها تلك من شِدَّة إنْتانها.

خبر زيد في رواية أخرى:

وذكر في خبر زيد الخيل في رواية أبي علي البَغْدادِيّ ما هذا نَصُّه: خَرَجَ نفر من طيىء يريدون النبيَّ ﷺ بالمدينة وُفودًا، ومعهم زَيْد الخَيْل، ووَزَرِ بن سُدُوسِ النَّبْهَانِيّ وقَبِيصَةُ بن

وغير أُمِّ مَلْدَم، فلم يثبته - فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له: فَردة، أصابه الحُمّى بها فمات، ولما أحسّ زيد بالموت قال:

أَمُرْتَحِلٌ قومي المشارقَ غُدْوَةً ... وأُتْرَكُ في بيت بفَردةَ منجدِ

الأَسْوَدِ بن عامر بن جُوَيْن الجرمِيّ، وهو النصراني، ومالك بن عبد الله بن خَيْبَرِيّ بن أفْلَت بن سلسلة وقُعَيْن بن خُلَيْفِ الطَّرِيفِيّ رجل من جَدِيلة، ثم من بني بَوْلاَن، فعقلوا رواحِلهم بفِنَاءِ المسجد، ودخلوا، فجلسوا قريبًا من النبيّ - ﷺ - حيث يسمعون صوتَه، فلما نظر النبيُّ - ﷺ - إليهم، قال: «إني خَيْرٌ لكم من العُزَّى، ولاتها، ومن الجَمَلِ الأَسْوَدِ الذي تَعْبُدُون من دون الله، ومما حازت مَنَاعِ، من كل ضارٍ غير نَفَّاع، فقام زيد الخيل، فكان من أعظمهم خَلْقًا وأَحْسَنِهم وَجْهًا وشعْرًا، وكان يركب الفرسَ العظيم الطويل فَتَخط رِجْلاه في الأرض كأنه حِمَارٌ، فقال له النبيّ ﷺ - وهو لا يعرفه: «الحمدُ لله الذي أتى بك من سَهْلِك وحَزْنك، وسَهَّل قلبكَ للإيمان»، ثم قبض على يده، فقال: «مَنْ أَنتَ؟» فقال: أنا زَيْدُ الخَيْل بن مُهَلْهِل، وأنا أشهد أن لا إِلَهَ إلاّ الله، وأنك عبد الله ورسوله، فقال له: «بل أنت زَيْدُ الخَيْر»، ثم قال: «يا زيد ما خُبِّرْتُ عن رجل شيئًا قَطّ إلاّ رأيتُه دون ما خُبِّرْتُ عنه غيرك»[1]، فبايَعه، وحسُن إسلامُه، وكتب له كتابًا على ما أراد، وأطعمه قُرًى كثيرةً، منها: فَيْد، وكتب لكل واحدٍ منهم على قومه إلاّ وَزَرَ بن سُدُوسٍ، فقال: إني لأرى رجلاً لَيَمْلِكَنَّ رقابَ العَرَبِ، ولا والله لا يملك رَقَبَتِي عَرَبيٌّ أبدًا، ثم لَحِقَ بالشام، وتَنَصَّر وحلق رأسه، فلما قام زيد من عند النبيّ ﷺ، قال: أي فتى لم تدركه أم كُلْبَةَ، يعني: الحُمَّى، ويقال: بل قال: إن نجا من آجام المدينة، فقال زيد حين انصرف:

أُنِيختْ بآجام المدينة أَرْبَعًا ... وعَشْرًا يُغنِّي فوقها الليلَ طائرُ
فلما قضت أصحابُها كُلَّ بُغْيَةٍ ... وخَطَّ كتابًا في الصحيفة سَاطِر
شَدَدْتُ عليها رَحْلَها وشَلِيلها ... من الدَّرْس والشَّعْرَاء والبَطْن ضامِرُ

الدَّرْسُ: الجَرَبُ. والشَّعْرَاءُ: ذُبَابٌ. قال أبو الحسن المدائني في حديثه: وأهدى زيدٌ لرسول الله ﷺ مَخْذُومًا والرَّسُوب، وكانا سَيْفَيْن لِصَنم بلى الفلس، فلما انصرفوا قال رسول الله ﷺ: «ما قَدِم عليَّ رجلٌ من العَرَبُ يُفَضِّله قومُهُ إلاّ رأيتُه دون ما يقال إلاّ ما كان من

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٩) وابن عساكر في تهذيبه (٦/ ٣٧) وانظر ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ١٢٩).

ألا رُبّ يومٍ لو مَرِضتُ لعادَنِي		عوائدُ من لم يُبْرَ منهنّ يجهَدَ

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كُتبه، التي قطع له رسولُ الله ﷺ، فحرّقتها بالنار.

أمر عديّ بن حاتم:

وأما عديّ بن حاتم فكان يقول، فيما بلغني: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أما أنا فكنت امْرءًا شريفًا، وكنتُ نَصْرانيًا، وكنت أسيرُ في قومي بالمِرْباع، فكنتُ في نفسي على دِين، وكنت مَلكًا في قومي، لما كان يُصنع بي. فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربيّ، وكان راعيًا لإبلي: لا أبالك، أعدِدْ لي من إبلي أجمالاً ذُللاً سمانًا، فاحتبِسْها قريبًا مني، فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذني، ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة، فقال: يا عديّ ما كنت صانعًا إذا غشيتْك خيل محمد، فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد. قال: فقلت: فقرّب إليّ أجمالي، فقرّبها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألْحَق بأهل ديني من النّصارى بالشام فسلكتُ الجَوْشية، ويقال: الحوشية، فيما قال ابن هشام ـ وخلفت بنتًا لحاتم في الحاضر، فلما قَدِمت الشام أقمت بها.

وتُخالفني خيلٌ لرسول الله ﷺ، فتُصيب ابنةَ حاتم، فيمن أصابت، فقُدِم بها على رسولِ الله ﷺ في سبايا من طيىء، وقد بلغ رسولَ الله ﷺ هربي إلى الشام، قال: فجُعِلَتْ بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد، كانت السّبايا يُحْبَسْن فيها، فمرّ بها رسولُ الله ﷺ، فقامت إليه، وكانت امرأة جَزْلة، فقالت: يا رسول الله، هَلك الوالد، وغاب الوافد، فامْنُنْ عليَّ، مَنَّ الله عليك. قال: «وَمَنْ وافدك؟» قالت: عَدِيّ بن حاتم. قال: «الفارّ من الله ورسوله؟» قالت: ثم مضى رسولُ الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مرّ بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئست منه، فأشار إليّ رجل من خلفه أنْ قومي فكلّميه؛ قال: فقمت إليه،

زَيْدِ، فإن يَنْجُ زَيْدٌ من حَمَّى المدينة فَلأَمْرِ مَا هو». وقوله:

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لو مَرِضْتُ لعَادَنِي		عوائدُ من لم يُبْرَ منهن يَجْهَدِ

وبعده:

فليت الَّلواتي عُدْنَنِي لم يَعُدْنَنِي		وليت الَّلواتي غِبْنَ عَنِّي شِهَدِي

فقلت: يا رسولَ الله، هَلك الوالد، وغاب الوافد فامْنُنْ عليَّ، منَّ الله عليك؛ فقال ﷺ: «قد فعلتُ، فلا تعجَلي بخروج حتى تجدِي من قومك من يكون له ثِقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني». فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلمه، فقيل: عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدم ركب من بَليّ أو قُضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتِيَ أخي بالشام. قالت: فجئت رسولَ الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قَدِم رَهْط من قومي، لي فيهم ثِقة وبلاغ. قالت: فكساني رسولُ الله ﷺ، وحَمَلني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قَدِمت الشام.

قال عديّ: فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظَعينة تَصُوب إليَّ تؤمنا، قال: فقلت ابنةُ حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ انسحلت تقول: القاطع الظالم، احتملتَ بأهلِك وولدك، وتركت بقيَّة والدِك عورتَك، قال: قلت: أيْ أُخَيَّة، لا تقولي إلاّ خيرًا، فوالله ما لي من عُذر، لقد صنعتُ ما ذكرت. قال: ثم نزلتْ فأقامت عندي، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة، ماذا تَرَين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تَلْحق به سريعًا، فإن يكن الرجل نبيًا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملِكًا فلن تَذِلّ في عزّ اليمن، وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا الرأي.

إسـلام عـديّ

قال: فخرجتُ حتى أقْدَم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلَّمت عليه، فقال: «مَنِ الرجل؟» فقلت: عديّ بن حاتم؛ فقام رسولُ الله ﷺ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه، إذ لَقيته امرأة ضعيفة كبيرة،

قدوم عديّ بن حاتم(١)

وهو عَدِيُّ بن حاتم بن عَبْد اللهِ بن سَعْد بن حَشْرج بن امْرِىء القَيْس بن عِدَيِّ بن رَبِيعَة بن جَرْوَلِ بن ثُعَلِ بن عَمْرو بن الغَوْثِ بن طيىء يكنى أبا ظريف، وحديث إسلامه صحيحٌ عجيب خَرَّجه الترمذي، وأخته التي ذكر إسلامَها أحسب اسمَها سَفَّانَةَ، لأني وجدت في خبر عن امرأةِ حاتم تذكر فيه من سَخَائِه قالت: فأخذ حاتمٌ عَدِيًّا يُعَلِّله من الجوع، وأخذت أنا سَفَّانَةَ، ولا يعرف لَعِديٍّ ولَدا نقرض عقبُه، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم، ذكره القُتَبِيُّ، ولا يعرف له بنتٌ إلاّ سَفَّانة، فهي إذًا هذه المذكورةُ في السِّيرة والله

---

(١) له ترجمة في الإصابة (٢/ ٤٩٨) الاستيعاب (٣/ ١٧٨١) تاريخ الصحابة (١٠٥١) الطبقات (٦/ ٢٢) التهذيب (٧/ ١٦٦).

فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تُكلِّمه في حاجتها؛ قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك؛ قال: ثم مضى بي رسولُ الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أَدَم مَحْشوَّة ليفًا، فقذفها إليّ؛ فقال: اجلسْ على هذه، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض؛ قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: «إيه يا عدي بن حاتم! ألم تك ركُوسِيًّا؟» قال: قلت: بلى، (قال): «أو لم تكن تسيرُ في قومك بالمِرْباع؟» قال: قلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يكن يَحِل لك في دينك»؛ قال: قلت: أَجَل والله، وقال: وعرفت أنه نبيّ مُرْسَل، يعلم ما يُجْهَل، ثم قال: «لعلّك يا عديّ إنما يَمنعك من دخُولٍ في هذا الدين ما تَرَى من حاجتهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ المالُ أن يَفيض فيهم حتى لا يُوجَد من يأخذه؛ ولعلّك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، فوالله ليُوشِكَنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها (حتى) تزور هذا البيت، لا تخاف؛ ولعلّك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن المُلك والسلطان في غيرهم، وأيْمُ الله ليوشكنّ أن تسمع بالقُصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم»؛ قال: فأسلمت.

وقوع ما وعد به الرسول عديًا:

وكان عديّ يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونَنّ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابلَ قد فُتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت، وأيْمُ الله لتكوننّ الثالثة، ليَفِيضَنّ المالُ حتى لا يُوجد من يأخذه.

قدوم فروة بن مسيك المرادي:

قال ابن إسحٰق: وقَدم فَرْوَةُ بن مُسَيْك المُرادي على رسول الله ﷺ مفارقًا لملوك كِندة، ومباعدًا لهم، إلى رسول الله ﷺ.

وقد كان قُبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة، أصابت فيها همدان من مرادَ ما أرادوا، حتى أثْخَنُوهُمْ في يوم كان يقال له: يوم الرَّدْم، فكان الذي قاد هَمْدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك في ذلك اليوم.

أعلم، وأم حاتم: عِنَبَةُ بنتُ عفيف [بن عمرو بن عبد القيس] كانت من أكرم النّاس وهي التي تقول:

لَعَمْري لَقد ما عَضَّنِي الجوعُ عَضَّةً … فـآلـيـتُ ألاّ أَحْـرِمَ الـدَّهْـرَ جـائـعـا

والسَّفَّانَةُ: الدُّرَّة، وبها كان يُكْنى حاتم.

قال ابن هشام: الذي قاد هِمْدان في ذلك اليوم مالك بن حَرِيم الهَمْداني.

قال ابن إسحٰق: وفي ذلك اليوم يقول فَروة بن مُسيك:

مَـرَرْنـا عـلَـى لُـفـاةَ وهـنَّ خـوص ... يـنـازعـن الأعِـنَّـةَ يَـنْـتَـحِـيـنـا

فـإنْ نَـغْـلِـبْ فـغَـلاَّبـون قِـدْمـا ... وإن نُـغْـلَـب فـغـيـرُ مُـغَـلَّـبـيـنـا

ومـا إن طِـبُّـنـا جُـبْـن ولـكـن ... مَـنـايـانـا وطُـعْـمَـةُ آخَـريـنـا

كَـذاكَ الـدَّهْـر دَوْلـتُـهُ سِـجـالٌ ... تـكُـرُّ صُـروفُـه حِـيـنًـا فـحـيـنـا

فـبَـيـنـا مـا نُـسَـرّ بِـهِ ونَـرْضَـى ... ولـو لُـبِـسَـت غَـضَـارتـه سِنِـيـنـا

إذِ انْـقَـلَـبَـتْ بِـهِ كَـرَّاتُ دَهْـرٍ[1] ... فـألـقـيـتَ الألُـى غُـبـطوا طَـحِـيـنـا

فـمَـنْ يُـغْـبَـطْ بـريْـب الـدَّهـرِ مـنـهـم ... يَـجِـدْ رَيْـبَ الـزَّمـانِ لـه خَـتُـونـا

فَـلَـوْ خَـلَـدَ الـمُـلـوك إذنْ خَـلَـدنـا ... ولـو بـقـي الـكِـرامُ إذْنْ بـقِـيـنـا

فـأفـنـى ذلـك سَـرَواتِ[2] قَـوْمـي ... كـمَـا أفـنـى الـقُـرونَ الأوّلـيـنـا

قال ابن هشام: أوّل بيت منها، وقوله: «فإن نَغلب» عن غير ابن إسحٰق.

قدوم فروة على الرسول وإسلامه:

قال ابن إسحٰق: ولما توجّه فَرْوَةُ بن مُسَيْك إلى رسولِ الله ﷺ مفارقًا لملوك كِندة، قال:

لـمـا رأيتُ مـلوك كِـنْـدَة أعرضَـتْ ... كالرّجل خان الرجلَ عرق نَسائها

قَـرَّبْـتُ راحـلـتـي أؤُمُّ مُـحَـمَّـدًا ... أرْجُـو فَـوَاضِـلَـهـا وحُـسْـن ثَـرائـهـا

قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة:

أرجـو فـواضـلـه وحُـسـن ثـنـائـهـا

قال ابن إسحٰق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال له رسولُ الله ﷺ، فيما بلغني: «يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم؟» قال يا رسول الله: مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومي يوم الرَّدْمِ لا يَسوؤه ذلك! فقال رسولُ الله ﷺ له: «أمَا إن ذلك لم يزد قومَك في الإسلام إلاّ خيرًا».

---

(١) كرّات الدّهر: مرّة بعد مرّة.   (٢) سروات: السادة.

واستعمله النبيّ ﷺ على مراد وزُبَيْد ومَذْحِجَ كلّها، وبعث معه خالدَ بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفّي رسولُ الله ﷺ.

قدوم عمرو بن معد يكرب في أُناس من بني زبيد:

وقَدِم على رسولِ الله ﷺ عمرو بن معد يكرِبَ في أُناس من بني زُبيد، فأسلم؛ وكان عمرو قد قال لقيس بنِ مَكْشُوحٍ المُرَادِيّ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس، إنك سيّدُ قومك، وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له: محمد قد خرج بالحجاز، يقول إنه نبيّ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبيًّا كما يقول فإنه لن يخفى عليك، وإذا لقيناه اتّبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا عِلمه، فأبى عليه قيس ذلك، وسفَّه رأيه، فركب عمرو بن مَعْدِ يكربَ حتى قَدِم على رسول الله ﷺ، فأسلم، وصدَّقه، وآمن به.

فلما بلغ ذلك قيس بنَ مكشوح أوعد عَمْرًا، وتحطَّم عليه، وقال: خالفني وترك رأيي؛ فقال عمرو بن معد يكربَ في ذلك:

أَمَـرْتُـكَ يَـوْمَ ذِي صَـنْـعَـا ... ء أمْـرًا بـادِيًـا رَشَـدُهْ

أَمَـرْتُـك بـاتِّـقـاءِ الـلّـ ... ـهِ والـمَـعْـرُوف تَـتَّـعِـدُه

خَرَجْتَ مِنَ الْمُنَى مثلَ الـ ... ـحُـمَـيِّـر غَـرّه وَتِـدُه

تـمُـنّـانـي عـلـى فَـرَسٍ ... عَـلَـيْـهِ جـالِـسًـا أسَـدُهْ

عَـلـيّ مُـفـاضَـةٌ كـالـنَّـهْـ ... ـي أخْـلَـص مـاءه جَـدَدُهْ

تـردّ الـرُمْـح مُـنْـثَـنـي الـسِّـ ... ـنـان عـوائـرًا قِـصَـدُهْ

فـلـو لاقـيـتَـنـي لَـلـقِـيـ ... ـتَ لَـيْـثًـا فـوقَـه لِـبَـدُهْ

تُـلاقـي شَـنْـبَـثًـا شَـثْـن الْـ ... ـبَـراثِـن نـاشِـزًا كَـتَـدُهْ

يُـسـامـي الـقِـرْنَ إن قِـرْنٌ ... تَـيَـمَّـمـه فَـيَـعْـتَـضِـدُهْ

فـيـأخُـذه فـيـرفـعـهُ ... فـيَـخْـفِـضُـه فـيَـقْـتـصِـدُهْ

فَـيَـدْمَـغُـهُ فـيَـحْـطِـمُـهُ ... فـيَـخْـضِـمـه فَـيـزدردُهْ

ظَـلـوم الـشِّـرك فـيـمـا أحْـ ... ـرزتْ أنْـيـابُـه ويَـدُهْ

....

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة:

أمَـرْتُـكَ يَـوْمَ ذي صَـنْـعـا ... ءَ أمْـرًا بَـيِّـنًـا رَشَـدُهْ
أمَـرْتُـكَ بـاتِّـقـاءِ الـلَّـ ... ـهِ تـأتـيـه وتـتَّـعِـدُهْ
فـكـنـت كـذي الـحُـمَـيِّـرِ غَـرَّ ... رَهُ مـمَّـا بِـهِ وَتِـدُهْ

لم يَعرف سائرها.

ارتداده وشعره في ذلك:

قال ابن إسحٰق: فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيدة وعليهم فروة بن مُسيك. فلما تُوفي رسولُ الله ﷺ ارتدّ عمرو بن معد يكربَ، وقال حين ارتدّ:

وجَـدْنـا مُـلْـك فَـروة شـرَّ مُـلْـك ... حِـمـارًا سـافَ مُـنْـخـرُهُ بـثَـفْـرِ
وكـنـتَ إذا رأيـتَ أبـا عُـمَـيـر ... تـرَى الـحُـوَلاء مـن خَـبَـثٍ وغَـدْر

قال ابن هشام: قوله: «بثفر» عن أبي عُبيدة.

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة:

قال ابن إسحٰق: وقَدِم على رسولِ الله ﷺ الأشعثُ بن قيس في وفد كِندة، فحدّثني الزّهريّ بن شِهاب أنه قَدِم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكبًا من كِندة، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده وقد رَجَّلوا جُمَمَهُم وتكَحَّلوا، وعليهم جُبَبُ الحِبَرة، وقد كفَّفوها بالحَرير، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: «ألم تُسْلِموا؟» قالوا: بَلى، قال: «فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟» قال: فشقوه منها، فألقَوه.

ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله: نحن بنو آكل المُرَارِ، وأنت ابن آكل المُرَارِ، قال: فتبسّم رسولُ الله ﷺ، وقال: ناسِبُوا بهذا النسب العباسَ بن عبد المطّلب، وربيعةَ بن الحارث»، وكان العباس وربيعة رجلين، تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب، فسُئلا ممن هما؟ قالا: نحن بنو آكل المُرارِ، يَتَعَزَّزان بذلك، وذلك أن كِندة كانوا ملوكًا. ثم قال لهم: لا، بل نحن بنو النَّضر بن كنانة، لا نَقْفو أُمَّنا، ولا ننتفي من أَبينا، فقال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يا معشر كندة؟ والله لا أسمع رجلاً يقولها إلاّ ضربته ثمانين.

....

قال ابن هشام: الأشعث بن قَيْس من ولد آكل المُرار من قِبَل النساء، وآكل المُرار: الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن مُعاوية بن ثور بن مُرَتِّع بن معاوية بن كِنْدِيّ، ويقال كِنْدة، وإنما سمّي آكل المُرار، لأن عمرو بن الهَبولة الغسَّاني أغار عليهم، وكان الحارث غائبًا، فغنم وسبى، وكان فيمن سبى أُمُّ أُناس بنت عوف بن مُحَلِّم الشَّيباني، امرأة الحارث بن عمرو، فقالت لعمرو في مسيره: لكأني برجل أدْلَمْ أسود، كأن مشافرَه مشافر بعير آكل مُرَارٍ قد أخذ برقبتك، تعني: الحارث، فسُمّي آكل المُرار، والمُرار: شجر. ثم تبعه الحارث في بني بكر بن وائل، فلحقه، فقتله، واستنقذ امرأته، وما كان أصاب. فقال الحارث بن حِلِّزة اليَشْكُريُّ لعمرو بن المُنذر وهو عمرو بن هند اللخمِيّ:

وأقَدْنَاكَ رَبَّ غَسَّانَ بالمُنْـ ـذِرِ كَرْهًا إذْ لا تُكَال الدِّماء

لأن الحارث الأعرج الغسَّاني قتل المنذرُ أباه، وهذا البيت في قصيدة له. وهذا الحديث أطول مما ذكرت، وإنما منعني من استقصائه ما ذكرت من القَطْع. ويقال: بل آكل المُرار حُجر بن عمرو بن معاوية، وهو صاحب هذا الحديث، وإنما سُمّي آكل المُرار، لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجرًا يقال له: المُرار.

قدوم صرد بن عبد الله الأزديّ[1]:

إسلامه:

قال ابن إسحٰق: وقَدِم على رسولِ الله ﷺ صُردُ بن عبد الله الأزديّ، فأسلم، وحسُن إسلامه، في وفد من الأزد، فأمَّره رسولُ الله ﷺ على من أسلم من قومه. وأمروه أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قِبَل اليمن.

قتاله أهل جرش:

فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسولِ الله ﷺ، حتى نزل بجُرش، وهي يومئذ مدينة معلّقة، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضَوت إليهم خَثْعَم، فدخلوها معهم حين سَمِعوا بسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريبًا من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم إنه رجع عنهم قافلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له: شَكر، ظنّ أهل جُرَش أنه إنما

....

(١) انظر الطبقات (١/ ٢/ ٧١) البداية (٥/ ٨٤) الطبري (٣/ ١٣٠) المنتظم (٣/ ٣٨١).

ولَّى عنهم منهزمًا، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عَطَف عليهم، فقتلهم قتلاً شديدًا.

إخبار الرسول وافدي جرش بما حدث لقومها:

وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسولِ الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران؛ فبينما هما عند رسولِ الله ﷺ عشيَّةً بعد صلاة العصر، إذ قال رسولُ الله ﷺ: «بأيّ بلاد الله شَكْر؟» فقام إليه الجُرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: كَشر؛ وكذلك يسميه أهلُ جُرَش، فقال: «إنه ليس بكُشر، ولكنه شَكْرٌ»؛ قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: «إن بُدْنَ الله لتُنْحر عنده الآن»، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكما! إن رسول الله ﷺ ليَنْعَى لكما قومكما، فقوما إلى رسولِ الله ﷺ، فاسألاه أن يدعوَ الله أن يرفع عن قومكما؛ فقاما إليه، فسألاه ذلك، فقال: اللهمّ ارفع عنهم، فخرجا من عند رسولِ الله ﷺ راجعَيْن إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرَد بن عبد الله، في اليوم الذي قال فيه رسولُ الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

إسلام أهل جرش:

وخرج وفدُ جُرَش حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ، فأسلموا، وحَمَى لهم حِمَى حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس والراحلة وللمثيرة، بقرة الحَرْث، فمن رعاه من الناس فمالهم سُحتٌ. فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد: وكانت خَثْعَم تُصِيب من الأزد في الجاهلية، وكانوا يَعْدُون في الشهر الحرام:

يا غَزْوَةً ما غَزَوْنا غيرَ خائِبَةٍ ... فِيها البِغالُ وفيها الخَيْل والحُمُرُ
حتى أتَيْنا حُمَيْرًا في مَصانعها ... وجَمْعُ خَثْعَمَ قد شاعَتْ لها النُّذُرُ
إذا وضعْتُ غَلِيلاً كنتُ أحمِلهُ ... فمَا أُبالي أدَانُوا بَعدُ أم كَفَرُوا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم:

قدوم رسول ملوك حمير:

وقَدِم على رسولِ الله ﷺ كتابُ ملوك حِمْيَر، مَقْدَمَه من تَبوكَ، ورسولهم إليه بإسلامهم، الحارث بن عبد كُلال، ونُعَيم بن عبد كُلال. والنُّعْمانُ قيلِ ذي رُعين ومَعافرَ

....

وهَمْدان؛ وبعث إليه زُرْعة ذو يَزَنٍ مالَك بن مرّة الرَّهَاوي بإسلامهم، ومُفارقتهم الشرك وأهله.

كتاب الرسول إليهم:

فكتب إليهم رسولُ الله ﷺ:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم: من محمد رسول الله النبيّ، إلى الحارث بن عبد كُلال، وإلى نعيم بن عبد كُلال، وإلى النُّعمان، قَيلِ ذي رُعين ومَعافرَ وهَمْدان. أما بعد ذلكم، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إلٰه إلاّ هو، أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولُكم مُنْقَلَبَنَا من أرض الرّوم، فلقينا بالمدينة، فبلَّغ ما أرسلتم به، وخبَّرنا ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهُداه، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصّلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خُمُس الله، وسهمَ الرسول وصَفيه، وما كُتب على المؤمنين من الصَّدقة من العَقار، عُشر ما سَقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغَرْب نصف العشر: وأن في الإبل الأربعين ابنة لَبون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كلّ خمس من الإبل شاة، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كلّ أربعين من البقر بقرة؛ وفي كلّ ثلاثين من البقر تَبيع، جَذَع أو جذَعة؛ وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة؛ فمن زاد خيرًا فهو خير له، ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه، وظاهر المؤمنين على المشركين، فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله ذمَّة الله وذمَّة رسوله، وإنه من أسلم من يهُوديّ أو نصرانيّ، فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم؛ ومن كان على يهوديّته أو نصرانيَّته، فإنه لا يُرَدّ عنها، وعليه الجزية، على كلّ حال ذكر أو أنثى، حرّ أو عبد، دينارٌ واف، من قيمة المعافر أو عِوَضُه ثيابًا، فمن أدّى ذلك إلى رسولِ الله ﷺ فإن له ذمَّة الله وذمَّة رسوله، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله. أما بعد، فإن رسول الله محمدًا النبيّ أرسل إلى زُرعة ذي يزن أنْ إذا أتاكم رُسُلي فأُوصيكم بهم خيرًا: مُعاذُ بن جَبل، وعبدُ الله بن زيد، ومالكُ بن عُبادة، وعُقبة بن نمر، ومالك بن مُرّة، وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدّقة والجِزْية من مخاليفكم، وأبلِغوها رُسلي، وأن أميرهم مُعاذ بن جبل، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلاّ راضيًا. أما بعد. فإن محمدًا يشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالكَ بن مرّة الرَّهاوي قد حدّثني أنك أسلمتَ من أوّل حمير، وقتلتَ المشركين، فأبْشر بخير وآمرك بحمير خيرًا، ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإنّ رسولَ الله ﷺ هو وليُّ غنيِّكم وفَقيركم، وإن الصدقة لا

....

تحلّ لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يُزَكّى بها على فُقراء المسلمين وابن السبيل، وإن مالكًا قد بلّغ الخبَر، وحفِظ الغَيب، وآمركم به خيرًا، وإني قد أرسلتُ إليكم من صالحي أهلي وأُولي دينهم وأُولي علمهم، وآمرك بهم خيرًا، فإنهم منظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وصيّة الرسول معاذًا حين بعثه إلى اليمن:

بعث الرسول معاذًا على اليمن وشيء من أمره بها:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدّث: أن رسول الله ﷺ حين بَعَث مُعاذًا، أوصاه وعَهِد إليه، ثم قال له: «يَسِّر ولا تعسِّر، وبَشِّر ولا تنفِّر، وإنك ستقدَم على قوم من أهل الكتاب، يَسْألونك ما مِفْتاح الجنّة؛ فقل: شهادة أن لا الله إلاّ الله وحده لا شريك له»، قال: فخرج معاذ، حتى إذا قَدِم اليمن قام بما أمره به رسولُ الله ﷺ، فأتته امرأة من أهل اليمن، فقالت: يا صاحب رسول الله، ما حقُّ زوج المرأة عليها؟ قال: وَيْحَكِ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدّيَ حقّ زوجها، فأجهدي نفسك في أداء حقّه ما استطعت، قالت: والله لئن كنت صاحبَ رسولِ الله ﷺ إنك لتعلم ما حقّ الزوج على المرأة. قال: ويحك! لو رجعت إليه فوجدته تنثعب منخراه قيحًا ودمًا، فمصصت ذلك حتى تُذْهبيه ما أدّيت حقّه.

إسلام فروة بن عمرو الجذامي

إسـلامـــه:

قال ابن إسحٰق: وبعث فروةُ بن عمرو النافرة الجُذامي، ثم النُّفاثي، إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى له بغلةً بيضاء، وكان فروة عاملاً للرُّوم على مَن يَليهم من العرب، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام.

حبس الرّوم له وشعره في محبسه:

فلما بلغ الرّومَ ذلك من إسلامه، طَلَبوه حتى أخذوه، فحَبسوه عندهم، فقال في مَحْبسه ذلك:

طرقتْ سُلَيْمَى مَوهِنًا أصحابي ... والـرُّومُ بـيـن الـبـابِ والـقِـرْوَانِ

حديث فروة «معنى قرو»

وذكر ابن إسحٰق حديث فَرْوَةَ وقوله:

طَرَقتْ سُلَيمى مَوْهِنًا أصحابي ... والـرّوم بـيـن الـبـاب والـقـرْوَان

صَدَّ الخيالُ وساءَهُ ما قد رَأى وهمَمْتُ أنْ أُغْفِي وقد أبْكانِي

لا تَكحَلِنّ العينَ بعدِيَ إثمِدًا سَلْمَى ولا تَدِينَّ للإتْيانِ

ولقَدْ عَلِمْتَ أبا كُبَيْشَةَ أنني وَسْطَ الأعِزّة لا يُحَص لِساني

فلَئِن هَلَكتُ لتَفقِدُنَّ أخاكم ولئن بَقيتُ لتَعْرِفَنّ مَكانِي

ولقد جمَعْتُ أجَلَّ ما جمَع الفتى مِنْ جَوْدَة وشَجاعَة وبَيانِ

فلما أجمَعت الرّوم لصلبه على ماءٍ لهم، يقال له: عَفْراء بفِلَسْطين، قال:

ألا هَل أتى سَلْمَى بأنّ حَلِيلَها على ماء عَفْرا فوق إحدى الرَّواحل

عَلى ناقَةٍ لم يَضْرب الفَحْلُ أُمَّها مُشَذَّبَةٌ أطْرَافُها بالمَناجِلِ

مقتله:

فزعم الزهريُّ بن شهاب، أنهم لما قَدَّموه ليقتلوه. قال:

بَلغْ سَرَاةَ المُسْلِيمنَ بأنّني سَلْمٌ لربّي أعْظُمي ومَقامي

ثم ضربوا عنقه، وصلبوه على ذلك الماء، يرحمه الله تعالى.

القَزْوَانُ: يجوز أن يكون جَمْع قَزْو، وهو حوض الماء مثل صِنْوَان، ويجوز أن يكون جمع: قَرِيٍّ مثل صَلِيب وصُلْبَان. وأصَحُّ ما قيل في القَزْوِ: إنَّه حُوَيْضُ من خَشَبٍ تُسْقى فيه الدَّوَابّ، وتَلِغ فيه الكلابُ، وفي المثل: ما فيها لاَعِي قَزْوٍ، أي: ما في الدارَ حَيَوانٌ، وأراد: بلاعي قزْوٍ، لاعِق قَزْوٍ، وقلب القاف الأولى ياء للتَّضْعيف.

إبدال آخر حرف في اسم الفاعل:

وحَسّنَ ذلك أنه اسم فاعِل، وقد يُبْدلون من آخر حَرْفٍ في اسِمِ الفاعل ياءً، وإن لم يكن ثَمّ تَضْعِيف، كقولهم في الخامس: خَامِيهم، وفي سادسهم سَادِيهم، وكذلك إلى العاشر، ونَحوٌ منه: ما أنشد سِيبَوَيْه.

ولِضَفَادِي جَمِّه نَقَانِقُ

أي: لِضَفَادِع جَمِّه، وأنشد:

مِنَ الثَّعَالِي وَوخزٌ من أرَانِيها

أراد الثعالبَ وأرانِبها، وإذا كان هذا معروفًا فَلاَعِي قَزْوٍ أحقُّ أن يُقْلبَ آخرُه ياءً كراهَةَ اجتماعِ قافَيْن.

إسلام بني الحارث بن كعب على يديّ خالد بن الوليد لما سار إليهم

دعوة خالد الناس إلى الإسلام وإسلامهم[1]

قال ابن إسحٰق: ثم بعث رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنَجران وأمَره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يُقاتلهم ثلاثًا، فإن استجابوا فأقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتِلهم. فخرج خالدٌ حتى قَدِم عليهم، فبعث الرُّكبان يَضربون في كلّ وَجْه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس، أسلموا تسلموا. فأسلم الناسُ، ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلّمهم الإسلام وكتابَ الله وسنَّة نَبيه ﷺ، وبذلك كان أمره رسولُ الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا.

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله ﷺ، من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلاّ هو، أما بعد، يا رسول الله صلّى الله عليك، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم ألاّ أُقاتلهم ثلاثة أيّام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمت فيهم، وقبلت منهم، وعلّمتهم معالمَ الإسلام وكتابَ الله وسنَّة نبيّه، وإن لم يسلموا قاتلتهم. وإني قَدِمت عليهم فدعَوتُهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيّام، كما أَمَرني رسولُ الله ﷺ، وبعثت فيهم رُكبانًا، قالوا: يا بني الحارث، أسلِموا تسلموا، فأسلموا ولم يُقاتلوا، وأنا مُقيم بين أظهرُهم،

وذكر قُدومَ وفد كِنْدَةَ، وفيه قوله عليه السلام: «لا نَقْفُو أُمَّنا، ولاَ نَنْتفِي من أبينا»[2]، وفي هذا ما يدلّ على أن الأشْعَثَ قد أصاب في بعض قوله: نحن وأنت بَنُو آكِل المُرَارِ، وذلك أن في جَدَّات النبيّ ﷺ مَنْ هي من ذلك القَبِيلِ، منهن: دَعْدُ بنت سرير بن ثَعْلَبَةَ بن الحارثِ الكِنْدِيّ المذكور، وهي أُم كِلاَبِ بن مُرَّة، وقيل: بل هي جَدَّةِ كِلابِ أُم أُمه هند، وقد ذكر ابن إسحٰق هِنْدًا هذه، وأنها ولدت كِلاَبًا.

قدوم وفد بني الحارث بن كعب

ذكر فيهم يزيدَ بن عبد المَدَانِ، واسم عَبْدَ المَدَانِ عَمرو بن الدَّيَّانِ، والدَّيَّانُ اسمه: يزيد بن قَطَنِ بن زِيَادِ بن الحارثِ بن مَالِكِ بن رَبِيعة بن كَعْب بن الحارث بن كَعْبِ الحارثي.

---

(١) انظر البداية (٥/ ٨٨) الطبري (٣/ ١٢٦) الطبقات (١/ ٢/ ٧٢) المنتظم (٣/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه الطبراني (٢/ ٣٢١) وانظر الفتح (١٣/ ٢٨٣).

آمُرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلِّمهم معالم الإسلام وسنّة النبيّ ﷺ حتى يكتب إليّ رسولُ الله ﷺ. والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

كتاب الرّسول إلى خالد يأمره بالمجيء:

فكتب إليه رسولُ الله ﷺ:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم: من محمد النبيّ رسول الله إلى خالد بن الوليد. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلاّ هو. أما بعد، فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تُقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إلٰه إلاّ الله، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأن قد هداهم الله بهُداه، فبشِّرهم وأنذرهم، وأقبِلْ وليُقبِلْ معك وفدُهم، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته».

قدوم خالد مع وفدهم على الرّسول:

فأقبل خالد إلى رسولِ الله ﷺ، وأقبل معه وفدُ بني الحارث بن كعب، منهم قيس بن الحُصَين ذي الغُصّة، ويزيد بن عبد المَدان، ويزيد بن المحجَّل، وعبد الله بن قُرد الزيادي؛ وشدّاد بن عبد الله القَناني، وعمرو بن عبد الله الضبَابِي.

وذكر فيهم أيضًا ذا الغُصَّة، واسمه الحُصَيْنُ بن يَزيدَ بن شَدّادِ الحارِثي، وقيل له: ذو الغُصَّة، لغُصَّةٍ كانت في حَلْقِه لا يكاد يَبِين منها، وذكره عُمر بن الخطَّاب يومًا، فقال: لا تُزَاد امرأةٌ في صَدَاقِها على كذا وكذا، ولو كانت بنت ذي الغُصَّة.

وذكر فيهم عَمْرَو بن عبد الله الضِّبَابي، وهو ضِبَابُ بكسر الضاد في بني الحارث بن كعب بن مَذْلِج، وضِبَاب أيضًا في قُرَيْشٍ وهو ابن حُجَيْر بن عَبْد بن مَعِيص بن عامر أخو حَجَرِ بن عَبْد، وفي حَجَرٍ وحُجَيْرٍ يقول الشاعر:

أُنبِئْتُ أَنَّ غُواةً من بني حَجَرٍ ومن حُجَيْرٍ بلا ذَنْبٍ أَرَاغُوني
أَغْنُوا بني حَجَرٍ عنا غُوَاتَكُم ويا حُجَيْرُ إليكم لاَ تُبورُوني

والضِّبَابُ في بني عامر بن صَعْصَعَةَ، وهم ضِبَابٌ ومُضِبٌ وحِسْلٌ وحُسَيْلٌ بنو معاوية بن كِلاَبٍ، وأما الضَّبَابُ بالفَتْح، ففي نسب النابغة الذُّبيانِيّ ضَبَابُ بن يَرْبُوع بن غَيْظٍ، وأما الضُّبَابُ بالضَم فَزَيْدٌ ومنجا ابنا ضُبَابٍ من بني بَكْرٍ، ذكره الدَّارَقُطْني.

حديث وفدهم مع الرسول:

فلما قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ فرآهم، قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟» قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب، فلما وقفوا على رسولِ الله ﷺ سلَّموا عليه، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إلـٰه إلاّ الله؛ قال رسولُ الله ﷺ: «وأنا أشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله وأنّي رسول الله»، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا؟» فسكتوا، فلم يراجِعْه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المَدان: نعم، يا رسول الله، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا، قالهَا أربَع مِرار؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «لو أن خالدًا لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم»؛ فقال يزيد بن عبد المَدان: أما والله ما حَمِدناك ولا حمدنا خالدًا، قال: «فمن حَمِدتم؟» قالوا: حمدنا الله عزّ وجلّ الذي هدانا بك يا رسول الله؛ قال: «صدقتم». ثم قال رسول الله ﷺ: «بِمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟» قالوا: لم نكن نغلب أحدًا؛ قال: «بلى، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم»؛ قالوا: كنا نغلب مَنْ قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نَفْترق، ولا نبدأ أحدًا بظلم؛ قال: «صدقتم»، وأمَّر رسولُ الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيسَ بن الحُصَين.

فرجع وفدُ بني الحارث إلى قومهم في بقيَّة من شوّال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومِهم إلاّ أربعة أشهر، حتى تُوفّيَ رسول الله ﷺ، ورحم وبارك، ورضي وأنعم.

بعث الرّسول عمرو بن حزم بعهده إليهم:

وقد كان رسولُ الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولّى وفدُهم عمرَو بن حزم، ليفقِّههم في الدين، ويعلّمهم السنّة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم، وكتب له كتابًا عهد إليه فيه عَهده، وأمره فيه بأمره. «بسم الله الرحمـٰن الرحيم: هذا بيان من الله ورسوله، يا أيّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، عهد من محمد النبيّ رسول الله لعمرو بن حَزْم، حين بعثه إلى اليمن، أمرَه بتَقْوى الله في أمره كلّه، فإن الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله، وأن يبشّر الناس بالخير، ويأمرهم به، ويُعَلّم الناس القرآن، ويفقّههم فيه، وينهى الناس، فلا يمسّ القرآن إنسان إلاّ وهو

طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم، والذي عليهم، ويلينَ للنَّاس في الحقّ، ويشدّ عليهم في الظّلم، فإن الله كره الظلم، ونَهَى عنه، فقال: ﴿ألا لَعْنَةُ الله على الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ويبشِّر الناس بالجنَّة وبعَملها، ويُنْذِر الناس النارَ وعملَها، ويستألِف الناس حتى يُفَقَّهوا في الدّين، ويعلِّم الناس معالم الحجّ وسنّته وفريضته، وما أمر الله به، والحجّ الأكبر: الحجّ الأكبر، والحجّ الأصغر: هو العُمرة؛ ويَنْهى الناس أن يصلِّي أحدٌ في ثوبٍ واحد صغير، إلاّ أن يكون ثوبًا يثني طرفيه على عاتقيه؛ وينهى الناس أن يحتبى أحد في ثوب واحد يُفْضي بفَرْجه إلى السماء، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه، وينهى إذا كان بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله عزّ وجلّ وحدَه لا شريك له، فمن لم يَدْعُ إلى الله، ودعا إلى القبائل والعشائر فَلْيُقْطَفُوا بالسيف، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله، وأمر بالصّلاة لوقتها، وإتمام الركوع والسجود والخشوع، ويُغَلِّس بالصبح، ويهَجِّر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبرة، والمغرب حين يقبل الليل، لا يؤخّر حتى تبدوَ النجوم في السماء، والعِشاء أوّل الليل، وأمر بالسَّعي إلى الجمعة إذا نودِيَ لها، والغَسْلِ عند الرّوَاح إليها، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُس الله، وما كُتب على المؤمنين في الصَّدقة من العَقار عُشْرُ ما سَقَت العين وسقت السماء، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ نصف العُشر، وفي كلّ عَشر من الإبل شاتان، وفي كلّ عشرين أربع شياه، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تَبيع جَذَع أو جَذَعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيرًا فهو خير له، وأنه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيٍّ إسلامًا خالصًا من نفسه، ودان بدين الإسلام، فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديَّته فإنه لا يُرَدُّ عنها، وعلى كلّ حالم: ذكر أو أنثى، حُرّ أو عبد، دينارٌ وافٍ أو عوَضُه ثيابًا.

فمن أدَّى ذلك فإن له ذمَّة الله وذمَّةَ رسوله، ومن منع ذلك، فإنه عدوّ الله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا، صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته».

....

قدوم رفاعة بن زيد الجذامي

إسلامه وحمله كتاب الرّسول إلى قومه:

وقَدِم على رسول الله ﷺ في هُدنة الحُدَيْبية، قبل خيبر، رِفَاعة بن زَيْد الجُذاميّ ثم الضُّبَيْبِيّ، فأهدى لرسول الله ﷺ غلامًا، وأسلم، فَحَسُن إسلامُه، وكتب له رسولُ الله ﷺ كتابًا إلى قومه. وفي كتاب: «بسم الله الرحمـٰن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله، لرفاعة بن زيد. إني بعثته إلى قومه عامَّة، ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين».

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا، ثم ساروا إلى الحَرّة: حَرَّة الرَّجْلاء. ونزلوها.

قدوم وفد همدان

أسماؤهم وكلمة ابن نمط بين يديّ الرّسول:

قال ابن هشام: وقَدِم وفد هَمدان على رسول الله ﷺ، فيما حدّثني من أثق به، عن عمرو بن عبد الله بن أُذينة العبدي، عن أبي إسحـٰق السَّبيعي، قال: قَدِم وفد هَمْدَان على رسولِ الله - ﷺ - منهم: مالك بن نَمَط، وأبو ثَوْرٍ، وهو ذو المِشْعار، ومالك بن أيفع وضِمَامُ بن مالك السَّلْماني وعَمِيرَةُ بن مالك الخارفيّ، فلَقُوا رسولَ الله ﷺ مَرْجِعَه من تبوك وعليهم مُقَطَّعات الحَبرات. والعمائم العدنية، برحال المَيس على المَهْرِيَّة والأَرْحَبِيَّة ومالك بن نَمَط ورجل آخر يَرْتَجِزَان بالقوم، يقول أحدهما:

هَـمْـدَانُ خَـيْـرُ سُـوقَـةٍ وأقْـيـالْ ... لَـيْسَ لَـهَـا فـي الـعـالَـمِـينَ أمْـثـالْ

مَـحَـلُّـهـا الـهَـضْـب ومـنـهـا الأبطال ... لَـهَـا إطَـابَـاتٌ بِـهَـا وآكَـالْ

وفـود رفـاعـة

فصل: وذكر وفود رفاعة الضبَيْبي، وأنه أهدى لرسول الله ﷺ غلامًا، وذلك الغُلاَم هو الذي يقال له: مِدْعَم، وقع ذكره في الموطأ.

وذكر وفد هَمْدَانَ، ومالك بن نَمَطِ الهَمْدَانِيّ الذي يقال له: ذو المِشْعَارِ، وكُنيَتُه: أبو ثَوْرٍ وقع في النُّسخة، وفي أكثر النُّسَخِ: وأبو ثَوْرٍ بالواو، كأنه غيره، والصواب سقوط الواو، لأنه هو هو، وقد يخرج إثبات الواو على إضمار، هو، كأنه قال: وهو أبو ثور ذُو المِشْعَارِ، وقد ذكره ابن قُتَيْبَةَ، فقال في غريب الحديث: مالك ذو المِشْعَارِ، وذكره أبو عُمَر فقال: هو

ويقول الآخر:

إلَـيْـكَ جـاوَزْنَ سَـوادَ الـرِّيـفِ في هَبَـوات الـصَّـيـفِ والـخَـرِيـفِ
مُـخَـطَّـمـاتٍ بِـحِـبـالِ الـلِّـيـفِ

فقام مالكُ بنُ نَمَطٍ بين يديه، فقال: يا رسول الله نَصِيَّةٌ من هَمْدان، من كلّ حاضِرٍ وبَادٍ، أتَوْك على قُلُصٍ نَوَاج، مُتَّصِلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومةُ لائم، من مِخْلافِ خَارِفٍ ويَام وشَاكرٍ أهلِ السُّود والقُودِ، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا آلِهَاتِ الأنْصَاب عهدهم لا يُنْقَضُ ما أقامت لَعْلَع، وما جرى اليَعْفُور بصُلَّعٍ.

فكتب لهم رسولُ الله ﷺ كتابًا فيه:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا كتابٌ من رسول الله محمد، لِمِخلاف خَارِفٍ وأهل جَنابِ الهَضْب وحِقَافُ الرمل، مع وفدِها ذي المِشْعار مالك بن نَمَط ومَنْ أسلم من قومه، على أنَّ لهم فِراعَها ووِهاطَها، ما أقاموا الصّلاة وآتَوْا الزّكاةَ، يأكلون عِلافَها وَيَرْعون عافِيَها، لهم بذلك عهدُ الله وذِمام رسوله، وشاهِدُهم المُهاجرون والأنصار».

فقال في ذلك مالك بن نَمَطٍ:

ذكرْتُ رَسُولَ الله في فَحْمة الدُّجَى ونـحـنُ بـأعْـلـى رَخـرَحـانَ وصَـلْـدَدِ
وهُـن بِـنـا خُـوصٌ طَـلائـحُ تَـغْـتـلـي بـرُكْـبـانـهـا فـي لاحِـبٍ مُـتـمـدِّدِ

ذُور المِشْعَارِ يكنّى: أبا ثور، وفي الكتاب الذي كتبه له رسولُ اللهِ ﷺ: «هذا كتابٌ من محمد رسول الله إلى مِخْلافِ خارِفٍ ويَام وأهلِ جِنَابِ الهَضْب وحِقاف الرَّمْلِ مع وَافِدِها ذِي المِشْعَارِ مَالِكِ بن نَمَطٍ»، فهذا كله يدلّ على أن الواو في قوله: وأبو ثور ذو المِشْعار لاَ مَعْنَى له.

وقوله: عليهم مُقَطَّعَاتِ الحِبَراتِ: المُقَطَّعاتُ من الثياب في تفسير أبي عُبَيْدٍ، هي القِصار، واحتجّ بحديثِ ابن عباس في صلاة الضحى إذا انْقَطَعَتْ الظِّلالُ، أي: قَصرت، وبقولهم في الأراجيز: مُقَطَّعَات، وخطأه ابنُ قُتَيْبَةَ في هذا التأويلِ، وقال: إنما المُقَطَّعَاتُ الثِّيَابُ المَخِيطَةُ كالقُمُصِ ونحوها، سُمّيت بذلك، لأنها تُقَطَّع وتُفَصَّل ثم تُخَاط، واحتجّ بحديثٍ رواهُ عن بعضِ ولدِ عبدِ الملك بن مَرْوَان، وفيه أنه خرج وعليه مُقَطَّعَاتٌ يجرّها، فقال له شيخٌ من بني أُمَيّة: لقد رأيت أباك، وكان مُشَمِّرًا غير جَرَّارٍ لثيابه، فقال له الفتى: لقد هَمَمْتُ بتقصيرِها، فمنعني قولُ الشاعر في أبيك:

قَصِير الثِّيَابِ فَاحِشٌ عند ضَيْفِهِ لـشـر قـرَيْـشٍ فـي قُـريْـشٍ مُـركَّـبَـا

على كل فَتْلاءِ الذّراعين جَسْرَةٍ — تَمُرّ بنا مَرّ الهَجَفُ الخَفَيْدَدِ
حَلَفْتُ برَبّ الرّاقِصَاتِ إلى مِنًى — صَوادرَ بالرّكبان من هَضْب قَرْدَدِ
بأنّ رسُولَ اللهِ فِينا مُصَدَّقٌ — رسولٌ أتى مِن عِند ذي العَرْش مهتدي
فمَا حَمَلَتْ مِنْ ناقَةٍ فَوْقَ رَحْلِها — أشَدَّ على أعْدائِهِ مِنْ مُحَمَّدِ
وأعْطَى إذا ما طالِبُ العُرْف جاءه — وأمْضَى بحَدّ المَشْرفيّ المهنَّد

ذكر الكذّابين مسلينة الحنفي والأسود العنسيّ:

قال ابن إسحٰق: وقد كان تكلَّم في عهد رسول الله ﷺ الكذّابات مُسَيْلِمة بن حَبيب باليمامة في حنيفة، والأسود بن كعب العَنْسي بصَنعاء.

رؤيا الرّسول فيهما:

قال ابن إسحٰق: حدّثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيط، عن عطاء بن يسّار أو أخيه سليمان بن يسّار، عن أبي سعيد الخُدْريّ، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على مِنْبره، وهو يقول: «أيُّها الناس، إني قد رأيت ليلة القدر، ثم أُنسيتها، ورأيت في ذراعيّ سِوارين من ذهب، فكرِهتهما، فنفختُهما فطارا، فأوَّلْتهما هذين الكذّابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة».

حديث الرّسول عن الدجّالين:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتّهم عن أبي هُريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجّالاً كلهم يدّعي النبوّة»[١].

خروج الأمراء والعمّال على الصدقات:

الأمراء وأسماء العمّال وما تولّوه:

قال ابن إسحٰق: وكان رسولُ الله ﷺ قد بعث أُمراءه وعمّاله على الصدقات، إلى كلّ ما أوطأ الإسلام من البُلْدان، فبعث المهاجرَ بن أبي أُميَّة بن المغيرة إلى صَنعاء،

والظاهرُ في قوله عليهم مُقَطَّعاتِ الحِبَرَاتِ ما قاله ابن قُتَيْبَةَ، ولا معنى لوصْفِها بالقِصَرِ في هذا الموطِنِ. والمَهْريَّة مَنْسُوبَةٌ إلى مَهْرة بن حَيْدَان بن الحَافِ بن قُضَاعَةَ. والأرْحَبِيَّة:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٤ ـ ٤٣٣٥ ـ بتحقيقي) وأحمد (٢/ ٤٥٠) والبغوي في شرح السنة (١٥/ ٤٠).

فخرج عليه العَنْسيّ وهو بها، وبعث زيادة بن لَبيد، أخا بني بَياضَة الأنصاري، إلى حضرَمَوْتَ وعلى صدقاتها؛ وبعث عديّ بن حاتم على طيىء وصدقاتها، وعلى بني أسد، وبعث مالك بن نُويرة ـ قال ابن هشام: اليربوعي ـ على صدقات بني حنظلة، وفرّق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزِّبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضرميّ على البحرين، وبعث عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْران، ليجمع صدقَتهم ويَقْدَم عليه بجِزْيَتِهِمْ.

كتاب مُسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه:

وقد كان مُسَيْلِمة بنْ حبيب، قد كتب إلى رسول الله ﷺ: «من مُسَيْلِمة رسول الله، إلى محمد رسول الله: سلام عليك، أما بعد، فإني قد أُشركت في الأمر معك، وإن لنا نصفَ الأرض، ولقُريش نصف الأرض ولكن قُرَيشًا قوم يَعْتدون.

فقَدِم عليه رسولان له بهذا الكتاب.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني شيخ من أشجع، عن سَلَمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعيّ، عن أبيه نُعيم، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه: «فما تقولان أنتما؟» قالا: نقول كما قال، فقال: «أما والله لولا أن الرُّسل لا تقتل لضربت أعناقكما».

ثم كتب إلى مسَيلمة: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، من حمد رسول الله، إلى مُسيلمة الكذّاب: السلام على من اتّبع الهُدى. أما بعد، الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين».

منسوبة إلى أَرْحَبَ بَطْن من هَمْدَان. ويامٌ هو يامُ بن أُصْبَى، وخَارِفُ بن الحارِث بَطْنَان من هَمْدَانَ يُنْسَب إلى يام: زُبَيْد [بن الحارث بن عبد الكريم] اليَامِيّ المُحَدِّث، وأهل الحديث يقولون فيه: الأيَامِيّ: والفِرَاعُ: ما علا من الأرض. والوِهَاطُ: ما انخفض منها، واحدها: وهْطٌ، ولَعْلَعٌ: اسم جَبَلٍ. والصُّلَّعُ: الأرض الملْساء. والخَفَيْدَدُ: ولد النَّعَامَة. والهِجَفُّ: الضَّخَم.

وذكر حديث عَمْرو بن مَعْدِ يكَرِبَ، وقيسِ بن مَكْشُوح.

وذكر في الشعر:

تُـلاقِ شَـنْـبَـثًـا شَـثْـنَ الـ ـبَـرَاثِـنِ نَـاشِـزًا قَـتَـدَهْ

وذلك في آخر سنة عَشْر.

أَلْفَيْتُ بخط الشَّيْخ أبي بَحر على هذا البيت قال: قال القاضي: لا أعرف شَنْبَثًا الآن، ولعلهُ تلاقِ شَرْ نَبْثًا، وجزم تُلاَقِ لما في قوله:

فلو لاَقَيْتَني من قُوَّة الشَّرْط، فكأنه أراد: إن لاقيتني تُلاَقِ.

حجّة الـوداع

تجهّز الرّسول واستعماله على المدينة أبا دجانة:

قال ابن إسحٰق: فلما دخل على رسولِ الله ﷺ ذو القعدة، تجهَّز للحجّ، وأمر الناس بالجهاز له.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الرحمٰن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ، قالت: خرج رسولُ الله ﷺ إلى الحجّ لخمس ليال بقين من ذي القعدة.

قال ابن هشام: فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي، ويقال: سباع بن عُرْفُطَة الغِفاريّ.

حجة الوداع[1]

ذكر فيها حديث عائشة وقولها: فأهْلَلْنَا بالحَجِّ وما نَذْكر إلا أمْرَ الحَجِّ، وهذا يدل على أنهم أفردوا، وقد بيّن ذلك جابرٌ في حديثه أن رسول الله ﷺ أفرد الحجَّ، وهذا هو الصحيح في حديث جابر، وقد رُوِيَ من طُرُق فيها لِينٌ عن جابر أنه قال قَرَن رسولُ الله ﷺ بين الحَجِّ والعُمْرَة، وطاف لهما طَوَافًا واحدًا، وسعى لهما سَعْيًا واحدًا، رواه الدَّارَقُطْنِي[2]، ورُوي أيضًا أن جابرًا قال: حجّ رسولُ الله ﷺ ثلاثَ حِجَّاتٍ، حِجَّتَيْن قَبْل الهجرة، وحِجَّتُه التي قَرَنَها بعُمْرَتهِ[3]، وأما حديثُ ابن عباس فصحيح، وقال فيه: «طاف رسولُ الله ﷺ عن

(١) انظر البداية (٤/ ٩٩) المنتظم (٤/ ٥).

(٢) أخرجه الدارقطني (٢/ ٢٥٩ ـ بتحقيقي) وأخرجه مسلم من الحجّ (١٨٢) من ابن عمر مرفوعًا.

(٣) أخرجه الترمذي (٨١٥) وابن ماجة (٣٠٧٦).

ما أمر به الرّسول عائشة في حيضها:

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الرحمٰن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: لا يذكر ولا يذكر الناس إلاّ الحَجّ، حتى إذا كان بسَرِف وقد ساق رسولُ الله ﷺ معه الهَدْي وأشرافٌ من أشراف الناس، أمر الناس أن يُحِلّوا بعُمْرَةٍ، إلاّ مَنْ ساق الهَدْي؛ قالت: وحِضْت ذلك اليوم، فدخل عليّ وأنا أبكي، فقال: «ما لك يا عائشة؟ لعلّك نُفِسْتِ؟» قالت: قلت: نعم، والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا السفر؛ فقال: «لا تقولِنَّ ذلك، فإنكِ تَقْضِين كلّ ما يقضي الحاجّ إلاّ أنك لا تطُوفين بالبيت». قالت: ودخل رسولُ الله ﷺ مكّة، فحلّ كُلُّ من كان لا هَدْي معه، وحلّ نساؤه بعُمرة، فلما كان يوم النحر أُتيتُ بلحم بقر كثير، فطُرِح في بيتي، فقلت: ما هذا؟ قالوا: ذبح رسولُ الله ﷺ عن نسائه البقر، حتى إذا كانت ليلة الحَصْبة، بعث بي رسولُ الله ﷺ مع أخي عبد الرحمٰن بن أبي بكر فأعمرني من التَّنعيم، مكان عُمرتي التي فاتتني.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن حَفْصَة بنت عمر، قالت: لما أمر رسولُ الله ﷺ نساءَه أن يُحلِلن بعُمرة، قُلْن: فما يمنعك يا رسول الله أنْ تُحلّ معنا؟ فقال: «إني أهديتُ ولبَّدْت، فلا أُحلّ حتى أنحر هَدْيي».

حجّته وعُمْرَته طوافًا واحدًا»[1]، وقد اختلف عن عَلِيٍّ، فرُوي عنه أنه طاف عنهما طوافين، ولم يختلف عنه أنه كان قارِنًا، وكذلك حديث عمران بن حُصَيْن، في أنه عليه السلام كان قارنًا، وأما حديثُ أنس فصَرَّح فيه بأنه كان قارِنًا، وقال: ما تَعُدُّونا إلاَّ صِبْيَانًا سمعت رسول الله ﷺ يصرخ بهما جميعًا يعني الحجَّ والعُمْرَة[2]، فاختلفت الروايات في إحرام رسولِ الله ﷺ كما تَرى: هل كان مُفْرِدًا أو قَارِنًا، أو مُتَمَتِّعًا، وكلّها صِحَاحٌ إلاّ مَنْ قال: كان مُتَمَتِّعًا، وأراد به أنه أهَلَّ بعُمْرَةٍ، وأما من قال: تَمَتَّع رسولُ الله ـ ﷺ ـ أي: أمر بالتمتع، وفَسْخِ الحَجّ بالعُمْرَةِ، فقد يصحّ هذا التأويلُ، ويصحّ أيضًا أن يُقَالَ: تَمَتَّع إذا قرن، لأن القران ضرْبٌ من المُتْعَةِ لما فيه من إسقَاط أحَدِ السَّفَرَيْن. والذي يرفع الإشكال حديثُ البخاري[3]

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٨٨) والترمذي (٩٤٧). وقد أورد الإمام ابن القيم في الزاد (٢/١٠٧) أكثر من عشرين دليلاً في القرآن فانظره هناك.

(٢) أخرجه مسلم في الحجّ (١٢٣٠) والنسائي (٥/١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣/٣١٠).

موافاة عليّ في قفوله من اليمن رسول الله في الحجّ:

به ما أمر الرسول عليًا من أمور الحجّ:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح: أن رسول الله ﷺ كان بعث عليًا رضي الله عنه إلى نجران، فلقيه بمكّة وقد أحرم، فدخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها، فوجدها قد حلَّت وتهيَّأت، فقال: ما لك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نَحِلّ بعمرة فحللنا. ثم أتى رسول الله ﷺ، فلما فرغ من الخَبر عن سَفره، قال له رسولُ الله ﷺ: «انطلق فطُف بالبيت، وحِلّ كما حَلّ بأصحابك». قال: يا رسول الله إني أهللتُ كما أهللتَ؛ فقال: «ارجع فاحلِلْ كما حلّ أصحابك»؛ قال: يا رسول الله، إني قلت حين أحرمتُ: اللهم إني أُهِلّ بما أهَلّ به نبيُّك وعبدك ورسولك محمد ﷺ؛ قال: «فهل معك من هَدْي؟» قال: لا. فأشركه رسول الله ﷺ في هَدْيه، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ، حتى فرغا من الحجّ، ونحر رسولُ الله ﷺ الهدي عنهما.

أنه أهلّ بالحجّ، فلما كان بالعَقِيق أتاه جبْريلُ، فقال له: إنك بهذا الوادي المبارَكِ، فقل: لَبَّيْكَ بحَجٍّ وعُمْرَةٍ مَعًا، فقد صار قارنًا بعد أن كان مُفرِدًا، وصحّ القولان جميعًا، وأمرهُ لأصحابه أن يَفسَخُوا الحجَّ بالعُمْرَةِ خُصُوصٌ لهم، وليس لغيرهم أن يَفعَلَه، وإنما فعل ذلك ليُذْهِبَ من قُلوبهم أَمْرَ الجَاهِلِيّة في تَحْرِيمهم العُمْرَةَ في أَشْهُر الحَجِّ، فكانوا يرون العُمْرَةَ في أَشْهُر الحَجِّ من أكبر الكبائر، ويقولون: إذا بَرَأَ الدَّبَر[1]، وَعَفَا الأَثَرُ، وانسَلَخَ صَفَرُ حَلَّت العُمْرَةُ لمن اعْتَمَر، ولم يَفسَخ رسولُ الله ﷺ حَجَّه كما فعل أصحابُه، لأنه ساق الهَدْيَ، وقَلَّده، والله سبحانه يقول: ﴿حتى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّه﴾ [البقرة: ١٩٦] وقال حين رأى أصحابه قد شَقَّ عليهم خلافه: لو اسْتَقْبَلْتُ من أَمْرِي ما اسْتَدْبَرْتُ لجعلتها عُمْرَةً، ولَمَا سُقْتُ الهَدْيَ[2]، قال شيخُنا أبو بكر رضي الله عنه: إنما نَدِم على تَرْك ما هو أَسْهَلُ، وأَرْفَقُ، لا على تَرْك ما هو أَفْضَلُ، وأَوْفَقُ، وذلك لما رأى من كَراهة أصحابِه لمخالَفَتِه، ولم يكن ساق الهَدْيَ من أصحابه إلاّ طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ الله، فلم يَحِلَّ حتى نَحَر، وعَليٌّ أيضًا أتى من اليَمَن وساق الهدي فلم يَحِلّ إلاّ بإحْلاَلِ رسول الله ﷺ.

---

(١) الدبر: جرح يكون في ظهر البعير.

(٢) أخرجه البخاري (٢/١٩٦) ومسلم في الحجّ (١٤١١) وأبو داود (١٧٨٤ ـ بتحقيقي) والنسائي (٥/١٤٣) وأحمد (١/٢٥٣).

شكا عليًا جنده إلى الرّسول لانتزاعه عنهم حللاً من بزّ اليمن:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة، قال: لما أقبل عليٌّ رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسولَ الله ﷺ بمكّة، تعجَّل إلى رسول الله ﷺ، واستخلف على جُنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعَمد ذلك الرجل فكَسا كلَّ رجل من القوم حُلَّة من البَزّ الذي كان مع عليّ رضي الله عنه. فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحُلل؛ قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجمَّلوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهيَ به إلى رسولِ الله ﷺ. قال: فانتزع الحُلل من الناس، فردّها في البزِّ، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صُنِع بهم.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني عبد الله بن عبد الرحمٰن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرة عن عَمّته زينب بنت كَعْب، وكانت عند أبي سعيد الخُدْرِيّ، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: اشتكى الناسُ عليًّا رضوانُ الله عليه، فقام رسولُ الله ﷺ فينا خطيبًا، فسمعته يقول: أيّها الناس، لا تشكوا عليًّا، فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يشكي[(١)].

خطبة الرّسول في حجّة الوداع:

قال ابن إسحٰق: ثم مضى رسول الله ﷺ على حجِّه، فأرى الناسَ مناسِكهم، وأعلمهم سُنَن حَجِّهم، وخَطَب الناسَ خُطْبَتَه التي بيَّن فيها ما بَيَّن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلّي لا أَلْقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا، أيّها الناس، إن دماءَكم وأموالَكم عليكم حرام إلى أن تَلْقَوْا رَبَّكم، كحُرْمَة يومِكم هذا، وكحُرْمَةِ شهركم هذا، وإنكم ستَلْقون ربَّكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلَّغت، فمن كان عنده أمانة فَلْيُؤَدِّها إلى من ائْتَمَنَه عليها، وإن كُلَّ رِبًا مَوْضوعٌ، ولكن لكم رُؤوس أموالكم، لا تَظْلِمون ولا تُظلَمون. قضى الله أنه لا رِبَا، وإن رِبا عبَّاس بن عبد المطَّلب موضوع كله، وأن كل دَمٍ كان في الجاهلية موضوع، وإن أوّل

وقوله عليه السلام في خُطْبَةِ الوَدَاع[(٢)]: ورجَبُ مُضرَ الذي بين جُمادَى وشَعْبَان، إنما قال ذلك لأن رَبِيعَةَ كانت تُحرِم في رَمَضَان، وتسمّيه: رَجَبًا من رَجِبْتُ الرجل ورَجَّبْتُه إذا عظّمته، ورَجَبْتُ النَّخْلَةَ إذا دَعَمْتُها، فبيَّن عليه السلام أنه رَجَبُ مُضر لا رَجَبُ رَبيعَة، وأنه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٨٦) والحاكم (٣/ ١٣٤). (٢) انظر البيهقي (٥/ ١٥١).

دمائكم أضع دمُ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب، وكان مُسترضعًا في بني ليث، فقتلته هذيل فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية. أما بعد أيّها الناس، فإن الشيطان قد يَئِس من أن يُعْبد بأرضكم هذه أبدًا، ولكنَّه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رَضي به بما تَحْقِرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم، أيّها الناس: إن النَّسيءَ زِيادَة فِي الكُفر، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحلُّونَهُ عامًا ويُحَرّمُونَهُ عامًا، لِيُوَاطِئُوا عدَّةَ ما حَرَّمَ الله، فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ الله، ويُحَرّمُوا ما أَحَلَّ الله. إن الزَّمان قد استدار كهيئته يوْمَ خلق الله السمٰوات والأرضَ، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حُرُمٌ، ثلاثة متوالية؛ ورَجَب مُضَرَ، الذي بين جُمادَى وشَعْبَان. أما بعد أيّها الناس، فإن لكم على نسائكم حقًّا، ولهنّ عليكم حقًّا، لكم عليهنّ أن لا يوطئن فُرُشَكُمْ أحدًا تكرهونه، وعليهنّ أن لا يأتين بفاحشة مبيِّنة، فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ في المَضاجع وتَضربوهنّ ضرْبًا غير مُبَرِّح، فإن انتهين فلهنّ رزقُهنّ وكُسوتهنّ بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عندكم عَوانٍ لا يملكن لأنفسهنّ شيئًا، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمات الله، فاعقلوا أيّها الناس قَوْلي، فإني قد بلَّغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبدًا، أمرًا بيِّنًا، كتابَ الله وسنَّة نبيه. أيّها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلَّمُن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المُسلمين إخوة، فلا يحلّ لامرىء من أخيه إلاّ ما أعطاه عن طيب نفس منه؛ فلا تظلِمُن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟

فذُكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهم اشهد».

اسم الصارخ بكلام الرّسول وما كان يردّده:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة، ربيعة بن أُميَّة بن خلف. قال: يقول له رسولُ الله ﷺ: «قل يا أيّها الناس، أن رسولَ الله ﷺ يقول: هلا تدرون أيّ شهر هذا؟» فيقول لهم، فيقولون: الشهر الحرام، فيقول: قل لهم: «إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحُرمة شهركم هذا»؛ ثم يقول: قل: «يا أيّها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أيّ بلد هذا؟» قال: فيصرخ به،

الذي بين جُمادَى وشَعْبَان وقد تقدّم تفسيرُ قوله: إن الزَّمَانَ قد استَدَارَ، وتقدّم اسمُ ابن أبي رَبيعة المُسْتَرْضَع في هُذَيْلٍ، وأن اسْمَه آدمُ، وقيل: تَمّام، وكان سَبَبَ قَتْلِه حَرْبٌ كانت بين قبائل هُذَيْلٍ تقاذفوا فيها بالحِجَارة فأصاب الطفلَ حَجَرٌ وهو يَحْبُو بين البُيوت، كذلك ذكر الزُّبَيْر.

قال: فيقولون: البلد الحرام، قال: فيقول: قل لهم: «إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة بلدكم هذا». قال: ثم يقول: قل: «يا أيّها الناس، أن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أيّ يوم هذا؟» قال: فيقوله لهم. فيقولون: يوم الحج الأكبر؛ قال: فيقول: قل لهم: «إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقَوا ربّكم كحُرمة يومكم هذا».

رواية ابن خارجة عمّا سمعه من الرّسول في حجّة الوداع:

قال ابن إسحٰق: حدّثني ليث بن أبي سُلَيم عن شَهْر بن حوشب الأشعري، عن عمرو بن خارجة قال: بعثني عَتَّاب بن أَسِيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة، ورسولُ الله ﷺ واقف بعَرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ، وإن لُغامها ليقع على رأسي، فسمعته وهو يقول: «أيّها الناس، إن الله قد أدّى إلى كلّ ذي حقّ حقّه، وإنه لا تجوز وصيّة لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحَجَر، ومن ادّعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صَرْفًا ولا عدلاً».

بعض تعليم الرّسول في الحجّ:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبدُ الله بن أبي نجيح: أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة، قال: «هذا الموقف، للجَبل الذي هو عليه، وكل عرفة موقف». وقال حين وقف على قُزَح صبيحة المزدلفة: «هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف». ثم لما نحر بالمنحر بِمِنًى قال: «هذا المنحر، وكلّ مِنى منحر». فقضى رسولُ الله ﷺ الحجَّ وقد أراهم مناسكهم وأعلمهم ما فرَض الله عليهم من حجّهم: من الموقف، ورَمي الجِمار، وطواف بالبيت، وما أُحلّ لهم من حجّهم، وما حُرّم عليهم، فكانت حِجة البلاغ، وحجّة الوداع، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحجّ بعدها.

بعث أُسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحٰق: ثم قفل رسولُ الله ﷺ، فأقام بالمدينة بقيَّة ذي الحِجَّة والمحرّم وصفر، وضرب على الناس بعثًا إلى الشام، وأمّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثة مولاه،

بعث أسامة

وأَمّرَ رسولُ الله ﷺ أُسَامَةَ على جَيْشٍ كثيف، وأَمَرَه أن يغيّر على أُبْنى صَبَاحًا، وأن يحرف. وأُبْنَا، هي القريةُ التي عند مُؤْتَةَ حيث قُتِل أبوه زَيْد، ولذلك أمّره على حَدَاثة سِنّه

وأمرَه أنْ يُوطىء الخَيل تخوم البَلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهَّز الناس، وأوعب مع أُسامة بن زيد المهاجرون الأوّلون.

خروج رسول الله إلى الملوك

تذكير الرّسول قومه بما حدث للحواريين حين اختلفوا على عيسى

قال ابن هشام: وقد كان رسولُ الله ﷺ بعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

ليُذْرِكَ ثأره، وطعن في إمارته أهلُ الرَّيْب، فقال رسولُ الله ﷺ: «وايْم الله إنه لَخَلِيقٌ بالإمَارَةِ، وإن كان أبوه لَخَلِيقًا بها»[١]، وإنما طعنوا في إمْرَتِه، لأنَه مَوْلى مع حَدَاثة سِنِّه، لأنه كان إذ ذاك ابنَ ثَمَانِ عَشْرَةَ سنةً، وكان رضي الله عنه أسودَ الجِلْدَةِ، وكان أبوه أبيضَ صافِي البياض، نَزَع في اللون إلى أُمّه بَرَكة، وهي أُم أَيْمَنَ، وقد تقدّم حديثُها، وكان رسولُ الله ﷺ يُحبُّه ويمسح خَشَمَه، وهو صغير بثوبه، وعثر يومًا فأصابه جرح في رأسِه، فجعل رسولُ الله ﷺ يمصّ دمَه ويَمُجُّه، ويقول: «لو كان أُسَامَةُ جَارِيةً لحلَّيْنَاهَا، حتى يُرْغَبَ فتها»[٢]، وكان يسمى الحِبَّ من الحُبِّ.

عـدّة الغـزوات:

وذكر ابن إسحٰق عدّة الغَزَوَات، وهي ست وعشرون، وقال الواقدي: كانت سَبْعًا وعشرين، وإنما جاء الخلاف، لأن غَزْوة خَيْبَر اتّصلت بغَزْوَة وادي القرى، فجعلها بعضُهم غزوةً واحدةً، وأما البعوثُ والسَّرايا فقيل: هي ست وثلاثون كما في الكتاب، وقيل: ثمان وأربعون وهو قول الواقدي، ونسب المسعودي إلى بعضهم أنَّ البُعوثَ والسَّرَايا كانت ستين. قاتل رسولُ الله ﷺ في تِسْع غزوات، وقال الواقدي: قاتل في إحدى عَشْرَة غزوةً، منها الغابة ووادِي القرى والله أعلم.

إرسال رسول الله ﷺ إلى الملوك

الحواريـون

ذكر فيه إرسال عيسى ابن مريم الحَوَارِيِّين، وأصحّ ما قيل في معنى الحَوارِيِّينَ أن

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٩) ومسلم (ص ١٨٨٤) وأحمد (٢/ ٢٠) والبيهقي (٣/ ١٢٨) وانظر الفتح (٧/ ٨٦) (٨/ ١٥٢) (١٣/ ١٧٩).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٣/ ٤١) وابن ماجة (١٩٧٦) وأحمد (٦/ ١٣٩) وابن عساكر (٢/ ٣٩٨).

قال ابن إسحٰق: حدّثني من أثق به عن أبي بكر الهُذَليّ قال: بلغني أنّ رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التي صدّ عنها يوم الحديبية، فقال: «أيّها الناس، إن الله قد بعثني رحمة وكافَّة، فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم»؛ فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: «دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مَبعثًا قريبًا فرَضي وسَلِم، وأما من بعثه مَبعثًا بعيدًا فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتثاقلون وكلّ واحد منهم يتكلّم بلغة الأمَّة التي بُعث إليها»[1].

الحَوَارِيّ هو الخُلْصانُ، أي: الخالصُ الصافي من كل شيء، ومنه الحَواريُّ، والحُور، وقول المفسرين هو: الخُلْصَان كلِمة فَصيحة، أَنشد أبو حنيفة:

خَلِيليَّ خُلصَانِيَّ لم يُبْق حُسُّها من القلب إلاَّ عُوَّذًا سببًا لها

قال: والعُوَّذُ ما لم تُدرِكه الماشية لارتفاعه، أو لأنه بأهداف، فكأنه قد عاذ منها.

معنى المسيح ونهايته:

وأصحّ ما قيل في معنى المسيح على كثرة الأقوال في ذلك أنه الصِّدّيق بلغتهم، ثم عَرَّبَته العربُ. وكان إرسالُ المَسِيح للحواريين بعد ما رُفِع وصُلب الذي شُبِّه به، فجاءت مريمُ الصِّدِّيقة والمرأة التي كانت مَجْنُونةً، فأبرأها المسيحُ، وقعدنا عند الجذع تبكيان، وقد أصاب أُمَّه من الحزن عليه ما لا يعلم علمه إلاّ الله، فأُهبط إليهما، وقال: عَلى مَ تَبْكيان؟ فقالتا: عليك، فقال: إني لم أُقتَل، ولم أُصلَبْ، ولكن الله رفعني وكرّمني، وشَبَّه عليهم في أمري، أبلغا عني الحَوَارِيِّين أمري، أن يَلْقَوْني في مَوْضِع كذا ليلاً، فجاء الحَوَارِيُّون ذلك الموضعَ، فإذا الجبلُ قد اشتعل نورًا لنزوله به، ثم أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينه وعبادة ربّهم، فوجّههم إلى الأمم التي ذكر ابن إسحٰق وغيره، ثم كُسِي كُسْوَة الملائكة، فَعَرَج معهم، فصار مَلَكِيًّا إنسِيًّا سَمَائيًّا أرضيًا[2].

---

(١) فيه مجهول وهو مرسل أيضًا.

(٢) لا صحّة لقصّة كسوة الملائكة وعروجه وكونه أصبح ملكيًا وإنسيًا سمائيًا أرضيًا، بل في هذا مشابهة لقول ـ النصارى عليهم لعائن الله المتتالية ـ أن المسيح نصفه لاهوت ونصفه ناسوت، وانظر في قصّة دفنه وما فيها من كذب. كتاب «مَن دَحرج الحجر» لأحمد ديدان حفظه الله وأمتع به.

....

فصل: وذكر في الأمم: الأُمَّةَ الذين يأكلون الناس، وهم من الأَسَاوِدَةِ فيما ذكره الطبري.

أسطورة زريب:

وذكر في الحَوَارِيِّين زُرَيْب بن بَرْثُمْلِي وهو الذي عاش إلى زمن عُمَرَ وسمع نَضْلَة بن معاوية أذانَه في الجبل فكلّمه، فإذا رجل عظيم الخَلْقِ رأسه كَدُور الرَّحى، فسأل نَضْلَةَ والجيشَ الذين كانوا معه عن رسولُ الله ﷺ، فقالوا: قُبِضَ، وعن أبي بكر، فقالوا: قُبِض، ثم سألهم عن عُمَرَ، فقالوا: هو حَيٌّ، ونحن جيشُه، فقال لهم: «أقرءوه مني السَّلامَ ثم أمرهم أن يبلغوا عنه وصايا كثيرة، وأن يُحَذِّرَ الناسَ من خِصال إذا ظهرت في أُمّة محمدٍ، فقد قرب الأمر، ومنها لبس الحرير، وشرب الخمر، وأن يكتفي الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساء».

وذكر فيها أيضًا المعازِف والقِيَانَ وأشياءَ غير هذه، فقالوا له: مَنْ أنت يرحمك الله؟ فقال زُرَيْبُ بن بَرْثُمْلِي حَوَارِيُّ عيسى ابن مَرْيَمَ عليه السلام دعوتُ الله أن يُحْيِيني، حتى أرى أُمةَ محمد، أو نحو هذا الكلام، وقد أردت الخلوص إلى أُمّة محمد ﷺ، فلم أستطع، حال بيني وبينه الكفار[1].

وذكر الدَّارَقُطْنِي في هذا الحديث من طريق مالك بن أنس مرفوعًا أن عمر قال لنضلة إن لقيته فأَقرِئْهُ مني السلامَ، فإن رسولَ الله ﷺ قال: «إن بذلك الجَبَل وَصِيًّا من أوصياءِ عيسى عليه السلام، والخبر بهذا مشهورٌ عنه»[2]، وفيه طولٌ فاختصرناه، ويقال: إنه الآن حَيٌّ. ومن قال: إن الخَضِر وإلْيَاسَ قد ماتا، فمن أصله أيضًا أن زُرَيْبًا قد مات، لأنهم يحتجُون بالحديث الصحيح: إلى رأس مائة سنةٍ، لا يبقى على الأرضَ ممَّن هو عليها أحدٌ.

---

(١) خرافة لا أصل لها، هذا وقد كان هو أفضل منه بل أفضل الخلق ـ محمد ﷺ ـ فكيف بمن هو دونه، وقيل مثل هذا عن الخضر وأنه لا زال حيًا حتى اليوم وأنه يجتمع في غار حراء مع إلياس وأنه يفعل كذا وكذا. وكل هذا وأكثر إنما هو من وضع زنادقة الصوفية وفعفيلهم..

(٢) مشهور شهرة الباطل والغلال.

أسماء الرسل ومَن أُرسلوا إليهم:

فبعث رسولُ الله ﷺ رسلاً من أصحابه، وكتب معهم كتبًا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام. فبعث دِحْية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، ملك الرّوم؛ وبعث عبدَ الله بن حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ إلى كَسرى، ملك فارس، وبعث عمرو بن أُميَّة الضَّمْري إلى النَّجاشي، ملكْ الحبشة، وبعث حاطبَ بن أبي بَلْتعة إلى المُقَوْقِس، ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السَّهمي إلى جَيْفَر وعَيَّاد ابْنَيْ الجُلُندي الأزدِيَّيْنِ، مَلِكَيْ عُمَان، وبَعث سَلِيط بن عمرو، أحد بني عامر بن لؤي، إلى ثُمامة بن أُثال، وهَوْذَة بن عليّ الحنفيين، مَلكي اليمامة،وبعث العَلاء بن الحَضْرمي إلى المُنْذر بن ساوَىَ العَبْدي، ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شِمْر الغسَّاني، ملك تخوم الشام.

قال ابن هشام: بعث شُجَاعَ بن وهب إلى جَبَلَةَ بن الأَيْهَم الغَسَّاني، وبعث المهاجرَ بن أبي أُميَّة المخزوميّ إلى الحارث بن عبد كُلال الحِمْيَري، ملك اليمن.

قال ابن هشام: أنا نسيت سَلِيطا وثُمامة وهَوْذَة والمنذر.

رسوله إلى النجاشي وقيصر[1]:

فصل: وذكر إرسال عَمْرِو بن أُمَيَّة إلى النَّجَاشِيِّ، وقد قدّمنا ذكر ما قال وما قيل له، وكذلك ذكرنا خَبَر سَلِيط مع هَوْذَةَ[2]، وما قال له، وخبر عبد الله بن حُذَافَةَ مع كِسْرَى[3]، وكلامه معه، ونذكر هنا بقية الإرسال، وكلامهم فمنهم: دِحْيَةُ بن خَلِيفة الكَلْبي، فقَدم دِحْيَةُ على قَيْصرَ، وقد ذكرنا معنى هذا الاسم، أعني اسمَ دِحْيَةَ، واسم قَيْصَر فيما مضى من الكتاب، فلما قدم دحيةُ على قَيْصر، قال له: «يا قَيْصَرُ أرسلني إليك مَنْ هو خَيْرٌ منك، والذي أرسله هو خيرٌ منه ومنك، فاسمه بذُلٍّ، ثم أجب بنُصْحٍ، فإنك إن لم تَذْلِلْ لم تَفْهَم، وإن لم تَنْصَح لم تُنْصِفْ، قال: هات، قال: هل تعلم أكان المسيحُ يُصَلِّي؟ قال: نعم، قال: فإني أدعوك إلى من كان المسيحُ يُصَلِّي له، وأدعوك إلى من دَبَّر خَلْقَ السَّمٰوات والأرض والمسيحَ في بطن أمه، وأدعوك إلى هذا النبيّ الأُمِّيّ الذي بشّر به موسى، وبشّر به عيسى ابن مَرْيم بعده، وعندك من ذلك إثَارَةٌ مِنْ عِلْم تكفي من العِيَانِ وتَشْفِي من الخَبَرِ، فإن أَجَبْتَ

---

(١) انظر كتابه ﷺ إلى النجاشي وقيصر في صحيح مسلم في الجهاد (١٧٧٤) والمنتظم (٣/ ٢٧٥) وأحمد (١/ ٢٦٢).

(٢) انظر ابن سيّد الناس (٢/ ٢٩٩) وشرح المواهب (٣/ ٣٥٥).

(٣) انظر ابن سيّد الناس (٢/ ٢٦٢) وشرح المواهب (٣/ ٣٤٠) وانظر البخاري (٨/ ٩٦).

....

كانت لك الدنيا والآخرةُ، وإلاّ ذهبت عنك الآخرةُ وشُورِكت في الدنيا، واعلَم أنَّ لك ربًّا يَقْصِم الجَبَابِرَةِ، ويغَيِّرُ النِّعم»، فأخذ قيصرُ الكتابَ فوضعه على عينيه ورأسِه وقبّله، ثم قال: أمَا واللهِ ما تركت كتابًا إلاّ وقرأته، ولا عالماً إلاّ سألته، فما رأيت إلاَّ خَيْرًا، فأمْهِلْني حتى أنظر مَنْ كان المسيحُ يُصَلِّي له، فإن أكره أن أُجِيبُك اليومَ بأمْرٍ أرى غَدًا ما هو أحسن منه، فأرْجِعَ عنه، فيُضرَّني ذِلك، ولا ينفعني، أقِمْ حتى أَنظُرَ، فلم يلبث أن أتاه وفاةُ رسولِ الله - ﷺ - وفي غزوة تَبُوكٍ بقيةُ حديث قَيْصَرَ، فانظره هنالك.

رسولـه إلى المقوقـس[1]:

وأما حاطَبٌ فقدم على المُقَوْقِس، واسمه: جُرَيْجٌ بن مِينَاء، فقال له: «إنه قد كان رجُلٌ قبلك يزعم أنه الرَّبُّ الأعلى، فأخذه الله نَكَالَ الآخِرَةِ، والأولى، فانتقم به، ثم انْتَقَم مِنْه، فاعْتَبِرْ بغيرك، ولا يَعْتَبِرْ بك غيرُك، قال: هات، قال: إن ذلك دِينًا لن تَدَعَه إلاَّ لما هو خَيْرٌ منه، وهو الإسلام، الكافي به الله فَقْدَ ما سِوَاهُ. إن هذا النبيَّ - ﷺ - دعا النّاسَ، فكان أشدَّهم عليه قُرَيشٌ، وأعداهم له يَهُودُ، وأقربهم منه النصارى، ولعَمْرِي ما بشَارةُ موسى بعيسى إلاَّ كبشارة عيسى بمحمد - ﷺ - وما دعاؤنا إيَّاكَ إلى القرآن إلاَّ كدعائك أَهْلَ التَّوْرَاةِ إلى الإنجيل، وكُل نَبِيٍّ أدرك قومًا فَهُمْ من أُمَّتِه فالْحَقُّ عليهم أن يُطِيعوه، فأنت ممَّن أدركه هذا النبيُّ، ولسنا نَنْهاكَ عن دين المسيح، ولكن نأمرُك به» قال المُقَوْقِسُ: «إني قد نظرت في أمر هذا النبيِّ، فوجدته لا يأمر بمزْهُودٍ فيه، ولا يَنْهَى إلاّ عن مَرْغُوب عنه، ولم أجده بالساحر الضَّالِّ، ولا الكاهِنِ الكاذب، ووجدت معه آلة النبوّة بإخراج الخَبِءَ والإخبار بالنَّجْوَى، وسأنظر فأهدي للنبيِّ ﷺ أمَّ إبراهيمَ القِبْطِيَّة، واسمها: مَارِيَةُ بنتُ شَمْعُون، وأختها معها، واسمها سِيرِين وهي أُمُّ عَبْدِ الرَّحمٰن بن حَسَّان بن ثَابِتٍ، وغلامًا اسمه مأبُور، وبغلة اسمُها دُلْدُلُ، وكُسْوَة، وقدحًا من قَوَارِيرَ كان يشرب فيه النبيُّ ﷺ، وكاتبه.

رسوله إلى المنذر بن ساوى[2]:

وأما العَلاَء بن الحَضْرمِي، فقدم على المُنْذِر بن سَاوِى فقال له: «يا مُنْذِرُ إنك عظيمُ العقل في الدنيا، فلا تَصْغُرَنَّ عن الآخِرة، إن هذه المَجُوسِيَّة شَر دينٍ ليس فيها تَكَرُّم العرب،

---

(١) انظر ابن سيّد الناس (٢/ ٢٦٥) شرح المواهب (٣/ ٣٤٨) الطبقات (١/ ٢/ ١٦) الطبري (٢/ ٦٤٥) المنتظم (٣/ ٢٧٤).

(٢) انظر ابن سيّد الناس (٢/ ٢٢٦) شرح المواهب (٣/ ٣٥٠).

ولا علم أهلِ الكتاب، يَنْكَحُون ما يُستَحْيَا من نِكاحه، ويأكلون ما يُتَكَرَّم على أكله، ويعبدون في الدنيا نارًا تأكلُهم يوم القِيَامَةِ، ولستَ بعدِيم عَقْلٍ، ولا رأيٍ، فانظُر: هل ينبغي لمن لا يَكْذب أنْ لا تُصدِّقَه، ولمن لا يخونُ أن لا تَأْمَنه، ولمن لا يُخْلِفُ أنْ لا تَثِقَ به، فإن كان هذا هكَذا، فهو هذا النبيُّ الأُمِّيُّ الذي والله لا يستطيع ذُو عَقْلٍ أن يقول: ليت ما أمر به نَهَى عنه، أو ما نَهَى عنه أَمَرَ به، أو لَيتَ زاد في عَفْوِه، أو نقص من عقابه، إن كان ذلك منه على أُمْنِية أهلِ العقل وفِكْر أهلِ البَصَر».

فقال المنذِرُ: قد نظرتُ في هذه الأمرِ الذي في يدي، فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم، فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أُمنية الحياة وراحةُ الموت، ولقد عجبت أَمْسِ، ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يَرُدُّه، وإن من إعْظَامِ مَنْ جاء به أن يُعَظَّم رسولُه، وسأنظر.

مفتاح الجنة[1]:

فصل: ومما وقع في السيرة في حديث العَلاَءِ قولُ النبيّ عليه السلام له: «إذا سُئِلْتَ عن مُفْتَاح الجنّة فقل: مِفْتَاحها، لا إلٰه إلاَّ الله»، وفي البخاري: قيل لوهب: أليس مفتاحُ الجنّة لا إلٰه إلاَّ الله؟ فقال: بلى، ولكن ليس من مِفْتَاح إلاّ وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِح لك، وإلاَّ لم يُفْتَح لك، وفي رواية غيرِهِ: أن ابن عَبَّاس ذكر له قول وَهْبٍ، فقال: صَدَق وهبٌ، وأنا أخبركم عن الأسنان ما هي، فذكر الصّلاة والزكاة وشرائعَ الإسلام.

عمرو الجلندي[2]:

وأما عمرو بن العاصي، فقدم على الجُلُنْدِي، فقال له: يا جُلُنْدِيُّ إنك وإن كنت مِنَّا بعيدًا، فإنك من الله غيرَ بعيد، إن الذي تفرّد بخَلْقِك أَهْلٌ أن تُفْرِده بعبادَتِك، وأن لا تُشْرِك به مَنْ لم يُشْرِكْه فيك، واعلم أنه يُمِيتك الذي أحياك، ويعيدك الذي بَدَأَكَ، فانظر في هذا النبيِّ الأُمِّيِّ الذي جاء بالدنيا والآخرة، فإن كان يريد به أجرًا فامنعه، أو يميل به هَوًى فَدَعْه، ثم أنظرْ فيما يجيء به: هل يُشْبِه ما يجيء به الناسُ، فإن كان يشبهه، فَسَلْه العِيَانَ، وتَخَيَّر عليه في الخبر، وإن كان لا يُشْبِهُه فاقبل ما قال، وخَفْ ما وَعَد، قال الجُلُنْدِيُّ: إنه والله لقد دلّني على هذا النبيِّ الأُمِّيِّ أنه لا يأمر بخير إلاّ كان أَوَّلَ مَن أَخَذَ

---

(١) انظر الخطيب (٨/ ٤٣٥) وابن عساكر (٥/ ٣٣٠) وابن عديّ في الكامل (٤/ ١٣٥٦).
(٢) انظر ابن سيّد الناس (٢/ ٢٦٧) شرح المواهب (٣/ ٣٥٢) الزاد (٣/ ٦٩٣).

به، ولا يَنْهَى عن شَرٍّ إلاّ كان أَوَّلَ تارِكٍ له، وأنه يَغْلِب فلا يَبْطَرُ، ويُغْلَب فلا يَضْجَر وأنه يفي بالعهد، ويُنْجِز الموعود، وأنه لا يزال سِرٌّ قد اطَّلع عليه يُساوي فيه أهلَه، وأشهد أنه نبيّ.

شجاع وجبلة:

وأما شُجَاع بن وَهْبٍ، فقدم على جَبَلَةَ بن الأَيْهَم، وهو جَبَلَةُ بن الأيْهَم بن الحارث بن أبي شِمْرٍ، وجَبَلَة، وهو الذي أسلم ثم تَنَصَّر من أجلِ لَطْمَةٍ حاكم فيها إلى أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح وكان طولُه اثْنَيْ عَشْر شِبْرًا، وكان يمسح برجليه الأرضَ، وهو راكب، فقال له: يا جَبَلَةُ إن قومَك نَقَلُوا هذا النبيَّ الأُمِّيَّ من داره إلى دارهم، يعني: الأنْصَارَ، فآوَوْهُ، ومنعوه، وإن هذا الدينَ الذي أنت عليه ليس بدينِ آبائك، ولكنك ملكتَ الشامَ وجاورت بها الرّومَ، ولو جَاوَرْت كِسْرَى دِنْتَ بدين الفُرْسِ لملِكِ العراق، وقد أقرَّ بهذا النبيِّ الأُمِّيِّ مِنْ أهلِ دينِكَ مَنْ إنْ فَضَّلْناه عليك لم يُغْضِبْك، وإن فَضَّلْناكَ عليه لم يُرْضِكَ، فإن أسلمتَ أطاعتك الشامُ وهابتك الرّومُ، وإن لم يَفْعَلُوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرةُ، وكنت قد استبدلتَ المساجدَ بالبِيَع، والأذانَ بالنّاقوس، والجُمَعَ بالشَّعَانِين[1]، والقِبْلَة بالصَّليب، وكان ما عند الله خير وأبْقَى، فقال له جَبَلَةُ: إني والله لَوَدِدْت أن الناسَ أجمعوا على هذا النبيِّ الأُميّ اجتماعَهم على خَلْق السَّمٰوات والأرض، ولقد سرّني اجتماعُ قومي له، وأعجبني قتلُه أهل الأوثان واليهودِ، واستبقاؤُه النَّصارى، ولقد دعاني قَيْصَرُ إلى قتالِ أصحابه يوم مُؤْتَةَ، فأبيت عليه، فانتدبَ مالكَ بنَ نافِلة من سَعدِ العَشِيرَةِ فقتله الله، ولكني لست أرى حَقًّا ينفعه، ولا باطلاً يَضُرُّه والذي يَمدُّني إليه أقوى من الذي يَخْتَلِجُني عنه، وسأنظر.

المهاجر وابن كلال:

وأما المُهاجِرُ بن أبي أمَيَّة، فقدم على الحارثِ بن عَبْدِ كُلاَلٍ، وقال له: يا حارثُ إنك كنت أوّل مَنْ عَرَضَ عليه النبيّ ﷺ نفسه، فَخُطِّئْت عنه، وأنت أعظمُ الملوك قَدْرًا، فإذا نظرت في غَلَبَة الملوك، فانظر في غالب الملوك، وإذا سرَّك يومُك فَخَفْ غَدَك، وقد كان قبلكَ ملوكٌ ذهبت آثارُها وبقيت أخبارُها، عاشوا طويلاً، أمَّلوا بعيدًا وتَزَوَّدوا قليلاً، منهم من أدركه الموتُ، ومنهم من أكلته النِّقَمُ، وإني أدعوك إلى الرب الذي إن أدرتَ الهُدَى لم

(١) الشعانين: عيد من أعياد النصارى عليهم اللعنة.

يَمنَعْكَ، وإن أرادك لم يَمْنَعه منك أحدٌ، وأدعوك إلى النَّبيِّ الأُمِّيِّ الذي ليس له شيء أحسن مما يأمر به، ولا أقبح مما ينهى عنه، واعلم أن لك رَبًّا يُمِيت الحيَّ ويُحْيي الميّت، ويعلم خائنة الأعين، وما تُخْفِي الصُّدورُ، فقال الحارث: قد كان هذا النبيُّ عَرَض نفسه عليّ فخُطِّئتُ عنه، وكان ذُخْرًا لمن صار إليه، وكان أمرُه أمرًا سَبَق، فحضره اليأسُ وغاب عنه الطَّمَعُ، ولم يكن لي قَرَابة أحتَمِلُه عليها، ولا لي فيه هوى أتبعه له، غير أني أرى أمرًا لم يُوسْوِسْهُ الكذبُ، ولم يسنده الباطلُ. له بَدْءٌ سَار، وعاقِبَةٌ نافِعَةٌ، وسأنظر. ومما قاله دِحْيَةِ بن خَلِيفَةَ في قُدومه على قَيْصَر:

أَلاَ هَلْ أَتَاها على نَأْيِها ... قَدِمْتُ على قَيْصَرِ
فقدرته بصلاة المسيـ ... ـح وكانت من الجَوْهَرِ الأَحْمَرِ
وتدبيرِ ربِّك أَمْرَ السما ... ءِ والأرضِ فأغْضَى ولم يُنْكِرِ
وقلت: تقرّ ببُشْرَى المسيـ ... ـح، فقال: سأنْظُر، قلت: انْظُرِ
فكان يُقِرُّ بأمرِ الرسو ... لِ فمال إلى البَدَل الأَعْوَر
فَشَكَّ وجاشت له نفسُه ... وجاشت نفوسُ بني الأَصفَرِ
على وَضْعِه بيديه الكتا ... بَ على الرَّأس والعَيْنِ والمَنْخِرِ
فأصبح قَيْصَرُ من أمرِه ... بمنزلة الفَرَس الأشْقَرِ

يريد بالفرس الأشْقَر مثلاً للعرب يقولون:

أَشْقَرُ إن يَتَقَدَّمْ ينحر ... وإن يَتَأَخَّر يُعْقَرِ

وقال الشاعر في هذا المعنى:

وهل كنتُ إلاَّ مِثْلَ سَيِّقَهِ العِدا ... إن استَقْدَمَتْ نَحْرٌ، وإنْ جَبَأَتْ عَقْرُ

وفي حديث دِحْيَةَ من رواية الحارث في مُسْنَدِهِ أن رسولَ الله ﷺ ـ قال: «مَنْ يَنْطَلِق بكتابي هذا إلى قَيْصَرَ وله الجنّة»، فقالوا: وإن لم يقتل يا رسول الله؟ قال: «وإن لم يقتل»، فانطلق به رجل يعني دحية»[١]، وذكر الحديث.

---

(١) أخرجه ابن حبّان (١٦٢٨ ـ موارد).

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله:

قال ابن إسحٰق: حدّثني يزيد بن أبي حبيب المصري: أنه وجد كتابًا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم. قال: فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهريّ فعرفه؛ وفيه: أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم: «إن الله بعثني رحمةً وكافَّةً؛ فأدّوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم»، قالوا: وكيف يا رسول الله كان اختلافهم؟ قال: «دعاهم لمثل ما دعوتكم له، فأمّا مَن قَرَّب به فأحبّ وسلّم، وأمّا من بعد به فكره وأبى، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله، فأصبحوا وكلّ رجل منهم يتكلّم بلغة القوم الذين وُجّه إليهم».

أسماء رُسُل عيسى:

قال ابن إسحٰق: وكان مَنْ بعَث عيسى ابن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع، الذين كانوا بعدَهم في الأرض: بُطْرُسُ الحَوارِيُّ، ومعه بُولُس، وكان بولُسُ من الأتباع، ولم يكن من الحواريين، إلى رُومية، وأنْدِرَائِس ومَنْتا إلى الأرض التي يأكل أهلُها الناس، وتُوماس إلى أرض بابل، من أرض المَشرق؛ وفِيلِبّس إلى أرض قَرْطاجَنّة، وهي إفْرِيقيةِ، ويُحَنّسَ إلى إفسوس، قرية الفِتْية، أصحاب الكهف، ويعقُوبُسُ إلى أورَاشَلِمَ، وهي إيْلِيَاءُ، قرية بيت المقدس، وابن ثَلْماءَ إلى الأعرابية، وهي أرض الحِجاز، وسِيمُنَ إلى أرض البَربر، ويهُوذا، ولم يكن من الحواريين، جُعل مكان يُودِس.

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحٰق المُطَّلبي: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، منها غزوة وَدَّان، وهي غَزْوة الأبواء، ثم غزوة بُواط، من ناحية رَضْوَى، ثم غزوة العُشَيْرة، من بطن يَنْبُع، ثم غزوة بدر الأولى، يطلب كُرْزَ بن جابر، ثم غزوة بدر الكبرى، التي قتل الله فيها صَنَادِيدَ قُرَيش، ثم غَزْوة بني سُلَيم، حتى بلغ الكُدْر، ثم غزوة السَّوِيق، يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غَطَفَان، وهي غزوة ذي أمِر، ثم غزوة بَحْران، معدن بالحجاز، ثم غزوة أُحُدٍ، ثم غزوة حَمْراءِ الأسَد؛ ثم غزوة بني

....

النَّضير، ثم غزوة ذات الرّقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخِرة، ثم غزوة دُومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قُرَيْظة، ثم غزوة بني لِحْيان، من هُذَيْل، ثم غزوة ذي قَرَد، ثم غزوة بني المصْطَلِق من خُزَاعة، ثم غزوة الحُدَيْبِية، لا يريد قتالاً، فصدّه المشركون، ثم غزوة خَيبر، ثم عُمْرة القضاء، ثم غزوة الفَتْح، ثم غزوة حُنَين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تَبُوك. قاتل منها في تسع غَزَوات: بدر، وأُحد، والخندق، وقُرَيظة، والمُصْطَلق، وخَيْبر، والفتح وحُنَين، والطائف.

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه ﷺ وسَراياه ثمانيًا وثلاثين، من بين بَعْثٍ وسَرِيّةٍ: غزوةُ عُبَيْدة بن الحارث أسفل من ثَنِيَّة ذي المَرْوَة، ثم غزوة حَمْزة بن عبد المطَّلب ساحل البحر، من ناحية العيص؛ وبعض الناس يقدم غَزْوَة حمزة قبل غزوة عُبَيْدة؛ وغزوةُ سعد بن أبي وقاصٍ الخَرّارَ، وغزوة عبد الله بن جَحْش نَخْلة، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدَة، وغزوة محمد بن مَسْلَمة كَعْبَ بن الأشرف، وغزوة مَرْثَد بن أبي مَرْثَدٍ الغَنَوي الرجيع، وغزوة المُنذِرِ بن عمرٍو بِئْرَ مَعُونة، وغزوة أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرّاحِ ذا القَصَّة، من طريق العراق، وغزوة عمر بن الخَطّاب تُرَبَةَ من أرض بني عامر، وغزوة عليّ بن أبي طالب اليَمَن، وغزوة غالبِ بن عبد الله الكَلْبي، كَلْبِ لَيْث، الكَدِيد، فأصاب بني الملَوّح.

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوّح:

شأن ابن البرصاء:

وكان من حديثها أن يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس، حدّثني عن مُسلم بن عبد الله بن خُبَيْب الجُهَنِيّ، عن المُنْذِرِ، عن جُنْدَبِ بنِ مَكِيثٍ الجُهَنِيّ، قال: بعث رسولُ الله ﷺ غالب بن عبد الله الكَلْبي، كَلْب بن عوف بن لَيْث، في سرية كنت فيها،

غـزوة عمـر[1]

فصل: وذكر غَزْوَةَ عُمَرَ إلى تُرَبَةَ، وهي تُرَبَةُ بفتح الرّاء أرضٌ كانت لخَثْعَم وفيها جاء المثل: صادف بطنُه بَطْنَ تُرَبَةَ، يريدون الشّبَع والخِصْبَ. قال البَكْرِيُّ: وكذلك: عُرَنَةُ بفتح الرّاء يعني التي عند عَرَفَةَ.

---

(١) انظر الطبري (٣/ ٢٢) الطبقات (٢/ ١/ ٨٥) الكامل (٢/ ١٠٦) الواقدي (٢/ ٧٢٢) المنتظم (٣/ ٣٠١).

وأمَره أن يَشُنّ الغارةَ على بني المُلَوّح، وهم بالكَديد، فخرجنا، حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينا الحارث بن مالك، وهو ابن البَرْصاء الليثيّ، فأخذناه، فقال: إني جئت أريد الإسلام، ما خرجت إلاّ إلى رسول الله ﷺ، فقلنا له: إن تكُ مسلمًا فلن يَضيرك رِباطُ ليلة، وإن تكُ على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك، فشددناه رِباطًا، ثم خَلَّفْنا عليه رجلاً من أصحابنا أسود، وقلنا له: إن عازَّك فاحتزّ رأسه.

بلاء ابن مكيث في هذه الغزوة:

قال: ثم سرنا حتى أتينا الكَدِيد عند غروب الشمس، فكنَّا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي رَبيئة لهم، فخرجت حتى آتي تَلاً مُشرفًا على الحاضر، فأسندت فيه، فعلوتُ على رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فوالله إني لمنبطح على التلّ، إذ خرج رجل منهم من خِبائِه، فقال لامرأته: إني لأرى على التلّ سوادًا ما رأيته في أوّل يومي، فانظري إلى أوْعيتك هل تَفْقدين منها شيئًا، لا تكون الكلاب جرَّت بعضها، قال: فنظرتْ، فقالت: لا، والله ما أفقد شيئًا، قال: فناوليني قوسي وسهمين، فناولْته، قال: فأرسل سهمًا، فوالله ما أخطأ جنبي، فأنزِعُه، فأضعه، وثَبَّتُّ مَكاني، قال: ثم أرسل الآخر، فوضعه في مَنْكِبِي، فأنزِعُه فأضعه، وثَبَّتُّ مكاني. فقال لامرأته: لو كان ربيئة لقوم لقد تحرّك، لقد خالطه سَهْماي لا أبالك، إذا أصبحتِ فابتغيهما، فخُذيهما، لا يمْضُغْهما عَليَّ الكلاب. قال: ثم دخل.

نجاء المسلمين بالنعم:

قال: وأمهلْناهم، حتى إذا اطمأنّوا وناموا، وكان في وجه السَّحر شَنَنَّا عليهم الغارةَ، قال: فقتلنا، واستقنا النَّعَم، وخرج صَريخ القوم، فجاءنا دَهم لا قِبَل لنا به، ومضينا بالنَّعَم، ومَرَرْنا بابن البَرْصاء وصاحبه، فاحتملناهما معنا، قال: وأدركنا القوم حتى قربوا منا، قال: فما بيننا وبينهم إلاّ وادي قُدَيد، فأرسل الله الواديَ بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى، من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوّة، ولا يقدر على أن يُجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا، وإنَّا لنسوقُ نَعَمَهُم، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز إلينا، ونحن نَحْدوها سِراعًا، حتى فُتْناهم، فلم يقدِرُوا على طلبنا.

شعار المسلمين في هذه الغزوة:

قال: فقدمنا بها على رسول الله ﷺ.

....

قال ابن إسحٰق: وحدّثني رجل من أسْلَم، عن رجل منهم: أنّ شِعار أصحاب رسولِ الله ﷺ كان تلك اللّيلة: أمِتْ أمِتْ. فقال راجزٌ مِن المسلمين وهو يَحْدُوها:

أبـي أبُـو الـقـاسـم أن تَـعَـزَّبـي في خَـضِـلٍ نَـبـاتُـه مُـغْـلَـوْلِـبِ

صُـفْـرِ أعـالـيـهِ كَـلَـوْن الـمـذْهَـبِ

قال ابن هشام: ويُروى: «كلون الذَّهب».

تمّ خبر الغزاة، وعُدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث.

تعريف بعدّة غـزوات:

قال ابن إسحٰق: وغزوة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بني عبد الله بن سعد من أهل فَدَك، وغزوة أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ أرض بني سُلَيم، أصيب بها هو وأصحابه جميعًا، وغزوة عُكاشة بن مِحْصَن الغَمرة، وغزوة أبي سَلَمَة بن عبد الأسد قَطَنًا، ماء من مياه بني أسد، من ناحية نَجْد، قُتِل بها مسعود بن عُروة، وغزوة محمد بن مَسْلَمَة أخي بني حارثة، القُرَطَاءَ من هَوَازن، وغزوة بَشير بن سَعْد بني مُرَّة بفَدَك، وغزوة بشير بن سعد ناحية خَيبر، وغزوة زيد بن حارثة الجمومَ من أرض بني سُلَيم، وغزوة زيد بن حارثة جُذام، من أرض خُشَيْن.

قال ابن هشام: عن نفسه، والشافعي عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحٰق: من أرض حسْمَى.

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام:

سببـهـا:

قال ابن إسحٰق: وكان من حديثها كما حدّثني من لا أتّهم، عن رجال من جُذام كانوا عُلماء بها، أن رفاعة بن زيد الجُذامي، لما قَدِم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، لم يلبَث أن قَدِم دِحْيَةُ بن خَليفة الكَلْبيُّ من عند قَيْصَر صاحب الرّوم، حين بعثه رسولُ الله ﷺ إليه ومعه تجارة له، حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له: شَنار، أغار على دِحية بن خَليفة الهنيدُ بن عُوص، وابنه عُوْص بن الهُنيد الضُّلَعِيّان. والضُّلَيعُ. بطن من جُذام، فأصابا كلّ شيء كان معه، فبلغ ذلك قومًا من الضبَيْب، رهط رفاعة بن زيد، ممن كان أسلم وأجاب، فنفروا إلى الهُنيد

....

وابنه، فيهم من بني الضُّبيب النُّعمان بن أبي جعال، حتى لقُوهم، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قُرَّة بن أشقر الضَّناوي ثم الضُّلَعيّ، فقال: أنا ابن لُبْنَى، ورمى النُّعمان بن أبي جِعالٍ بسهم، فأصاب رُكبته؛ فقال حين أصابه: خُذها وأنا ابن لُبْنَى، وكانت له أمٌ تُدعى لُبْنَى، وقد كان حسَّان بن مَلَّة الضبَيْبِيّ قد صحب دِحْية بن خليفة قبل ذلك، فعلَّمه أمَّ الكتاب.

قال ابن هشام: ويقال: قُرَّة بن أَشْقَرَ الضَّفاري، وحَيَّان بن مِلَّة.

تمكّن المسلمين من الكفّار:

قال ابن إسحٰق: حدّثني من لا أتّهم، عن رجال من جُذام، قال: فاستنقذوا ما كان في يد الهُنيد وابنه، فردّوه على دِحْية، فخرج دحية، حتى قَدم على رسول الله ﷺ، فأخبره خبره، واستسقاه دم الهُنيد وابنه، فبعث رسولُ الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة، وذلك الذي هاج غزوةَ زيدٍ جُذَامَ، وبعث معه جيشًا، وقد وَجَّهَتْ غَطَفانُ من جُذامَ ووائلٌ ومن كان من سَلامانَ وسعد بن هُذَيمْ، حين جاءهم رفاعة بن زيد، بكتاب رسول الله ﷺ، حتى نزلوا الحَرَّة، حرَّة الرَّجْلاء، ورِفاعة بن زيد بكُراع رِبَة، لم يعلم، ومعه ناس من بني الضُّبَيْب، وسائر بني الضُبَيْب بوادي مَدَان، من ناحية الحَرَّة، مما يسيل مُشَرّقًا، وأقبل جيش زيد بن حارثة الأولاج، فأغار بالماقِص من قِبلِ الحَرة، فجمَعوا ما وجَدوا من مال أو ناس، وقتلوا الهُنَيْد وابنه ورجلين من بني الأجنف.

قال ابن هشام: من بني الأخْنف.

شأن حسَّان وأنيف ابني ملّة:

قال ابن إسحٰق في حديثه: ورجلان من بني الخَصيب. فلما سَمَعتْ بذلك بنو الضُّبَيْب والجيش بفَيْفاءِ مَدَانٍ ركب نفرٌ منهم، وكان فيمن ركب معهم حَسَّان بن مِلَّة، على فرس لسُويد بن زيد، يُقال لها: العَجاجة، وأُنيْف بن مِلَّة على فَرَسٍ لملَّة يقال لها: رِغال، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها: شَمِر، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش، قال أبو زيد وحسَّان لأنيف بن مِلَّة: كُفُّ عَنَّا وانصرِفْ، فإنَّا نَخْشَى لسانك، فوقف عنهما فلم يَبْعدَا منه حتى جعلت فَرَسُه تبحث بيديها وتَوَثَّب، فقال: لأنا أضَنُّ بالرجلين منك بالفَرَسَين، فأرْخَى لها، حتى أدركهما، فقالا له: أما إذا فَعَلْتَ ما فعلتَ فكُفَّ عنَّا لسانَك، ولا تشأمْنا اليومَ، فتواصَوْا أن لا يتكلَّم منهم إلاّ حَسَّان بن مِلَّة، وكانت بينهم كلِمَة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض، إذا أراد أحدهم أن يضرب

بسيفه قال: بُوري أو ثُوري، فلما برَزوا على الجيش، أقبل القوم يبْتدرونهم، فقال لهم حسَّان: إنَّا قومٌ مُسْلمون، وكان أوّل من لقيهم رجل على فَرَس أدهم، فأقبل يسوقهم، فقال أُنيف: بُورِي، فقال حسَّان: مَهْلاً، فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حَسَّان: إنَّا قوم مسلمون، فقال له زيد: فاقرؤوا أُمّ الكتاب، فقرأها حَسَّان، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجَيْش: أن الله قد حَرَّم علينا ثُغْرةَ القوم التي جاءوا منها إلاّ مَن خَترَ.

قدومهم على الرّسول وشعر أبي جعال:

قال ابن إسحٰق: وإذا أخت حَسَّان بن ملّة، وهي امرأة أبي وَبْر بن عَدِيّ بن أُميَّة بن الضُّبَيْب في الأُسارى، فقال له زيد: خُذها، وأخَذَتْ بحَقْوَيْهِ، فقالت أُمّ الفِزْز الضُّلَعِية، أتَنْطَلِقون ببناتكم وتَذَرُون أُمَّهاتِكم؟ فقال أحد بني الخَصيب: إنها بنو الضُّبَيْب وسِحْرُ ألْسِنَتهم سائرَ اليوم، فسَمِعها بعض الجيش، فأخبر بها زيد بن حارثة، فأمر بأُخت حسَّان، ففُكّت يداها من حِقْوَيْهِ، وقال لها: اجلسي مع بنات عمّك حتى يحكم الله فيكنَّ حُكْمَه، فرَجعوا، ونَهَى الجيش أن يَهْبِطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه، فأمْسَوا في أهْلِيهم، واستعتَموا، ذَودًا لسُويد بن زيد، فلما شربوا عَتَمَتَهُمْ، ركبوا إلى رفاعة بن زيد، وكان ممن ركبَ إلى رفاعة بن زيد تلك الليلَة، أبو زيد بن عمرو، وأبو شمّاس بن عمرو، وسويد بن زيد، وبَعْجَةُ بن زيد، وبَرْذع بن زيد، وثعلبة بن زيد، ومُخَرّبة بن عَدِيّ، وأُنَيْفُ بن مِلَّة، وحسَّان بن مِلَّة، حتى صَبحوا رِفاعة بن زيد بكُراعِ رَبَّة، بظهر الحَرّة على بئر هنالك من حرة لَيْلى، فقال له حسَّان بن مِلَّة: إنك لجالس تحْلُب المِعْزَى ونساء جُذام أُسارَى قد غرَّها كتابك الذي جئت به، فدعا رفاعة بن زيد بجمل له، فجعل يشُدّ عليه رحله وهو يقول:

هَـلْ أنـتَ حَـيّ أوْ تُـنـادِي حَـيـا

ثم غدا وهم معه بأُميَّة بن ضَفارة أخي الخَصِيبيّ المقتول، مبكّرين من ظهر الحَرّة، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال؛ فلما دخلوا المدينة، وانتهوا إلى المسجد، نظر إليهم رجل من الناس، فقال: لا تُنيخوا إبلَكمْ، فتُقَطَّعَ أيديهنّ، فنزلوا عنهنّ وهن قيام: فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم، ألاح إليهم بيده: أن تعالَوا من وراء الناس فلما استفتح رِفاعة بن زيد المَنْطِق، قام رجل من الناس فقال: يا رسول الله، إن هؤلاء قوم سَحَرَة، فردَّدَها مرّتين، فقال رفاعة بن زيد: رحم الله من لم يَحْذُنا في يومه هذا إلاّ

....

خيرًا. ثم دفع رفاعة بن زيد كتابَه إلى رسولِ الله ﷺ الذي كان كتبه له. فقال: دونك يا رسول الله قديمًا كتابُه، حديثًا غَدْره فقال رسولُ الله ﷺ: «اقرأه يا غلام، وأعْلِنْ»؛ فلما قرأ كتابه استخبره فأخبروهم الخبر، فقال رسولُ الله ﷺ: «كيف أصنع بالقَتْلى؟» (ثلاث مرّات). فقال رفاعة: أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرّم عليك حلالاً، ولا نُحلِّل لك حَرَمًا، فقال أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حَيًا، ومن قُتِل فهو تحت قَدَمي هذه. فقال له رسول الله ﷺ: «صدق أبو زيد، اركب معهم يا عليّ» فقال له عليّ رضي الله عنه: إن زيدًا لن يُطيعني يا رسول الله، قال: «فخُذ سيفي هذا»، فأعطاه سيفه، فقال عليٌّ: ليس لي يا رسول الله راحلة أركبها، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو، يقال له: مِكْحال، فخرجوا، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبي وَبْر، يُقال لها: الشَّمِر، فأنزلوه عليها، فقال: يا عليّ، ما شأني؟ فقال: ما لهم، عَرَفوه فأخذوه، ثم ساروا فلقُوا الجَيْش بفَيفاء الفَحلتين، فأخذوا ما في أيديهم، حتى كانوا ينزعون لُبَيدَ المرأة من تحت الرحل، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم:

وَعـاذِلـةٍ ولَـمْ تَـعْـذُلْ بِـطِـبٍ ... ولـولا نـحـنُ حُـشَّ بـهـا الـسَّعيرُ
تُـدَافِـعُ فـي الأسـارَى بـابْـنَـتَـيْـهـا ... ولا يُـرْجَـى لـهَـا عِـتْـق يَـسـيـر
ولـو وُكِـلَـت إلـى عُـوصٍ وأوْسٍ ... لـحَـارَ بـهـا عَـن الـعِـتْـق الأُمُـورُ
ولـو شَـهِـدَتْ رَكـائِـبَـنـا بِـمِـصْـرِ ... تُـحـاذِرُ أنْ يُـعَـلَّ بـهـا الـمَـسـيـرُ
وَرَدْنـا مـاءَ يَـثْـرِبَ عَـنْ حِـفـاظٍ ... لِـرَبْـع إنَّـهُ قَـرَب ضَـرِيـرُ
بِـكُـلّ مُـجَـرَّب كـالـسِّـيـد نَـهْـدٍ ... عَـلـى أقْـتـادِ نـاجِـيَـةٍ صَـبُـورُ
فِـدًى لأبـي سُـلَـيْـمَـى كـلُّ جَـيْـش ... بِـيَـثْـرِبَ إذْ تَـنـاطَـحَـتِ الـنُّـحُـورُ
غـداةَ تَـرَى الـمُـجَـرَّب مُـسْـتَـكِـيـنًـا ... خِـلافَ الـقَـوْم هـامَـتُـهُ تَـدُورُ

قال ابن هشام: قوله: ﴿ولا يُرْجَى لها عِتْقٌ يَسيرُ﴾. وقوله: ﴿عن العِتْق الأُمورُ﴾ عن غير ابن إسحٰق.

تمَّت الغَزاة، وعُدنا إلى تفصيل ذكر السَّرايا والبُعوث.

قال ابن إسحٰق: وغزوة زيد بن حارثة أيضًا الطرَفَ من ناحية نَخْل. من طريق العراق.

....

غزوة زيد بن حارثة بني فزارة ومُصاب أُم قرفة:

بعض من أصيب بها:

وغزوةُ زيد بن حارثة أيضًا وادي القُرى، لقَى به بني فَزَارَة، فأُصيبَ بها ناس من أصحابه، وارْتُثَ زيد من بين القتلى، وفيها أصيب وَرد بن عَمْرو بن مَداش، وكان أحدَ بني سعد بن هُذيل، أصابه أحد بني بدر.

قال ابن هشام: سعد بن هُذَيم.

معاودة زيد لهم:

قال ابن إسحٰق: فلما قَدِم زيد بن حارثة آلى أن لا يمسّ رأسه غِسل من جَنابة حتى يغزوَ بني فَزارة؛ فلما اسْتَبَلَّ من جِراحته بعثه رسولُ الله ﷺ إلى بني فزارة في جيش، فقتلهم بوادي القُرى، وأصاب فيهم، وقَتَل قَيْسُ بن المُسحَّر اليَعْمُري مَسْعَدَةَ بن حَكَمَة بن مالك بن حُذَيفة بن بدر، وأُسِرَتْ أُمّ قِرْفَة فاطمةُ بنت رَبيعة بن بدر، كانت عجوزًا كبيرة عند مالك بن حُذَيفة بن بدر، وبنت لها، وعبد الله بن مَسْعَدَة، فأمر زيدُ بن حارثة قَيْسَ بن المسحَّر أن يَقْتُل أُمّ قِرْفة، فقتلها قتلاً عنيفًا؛ ثم قَدِموا على رسولِ الله ﷺ بابنة أُمّ قِرفة، وبابن مَسْعَدَة.

شأن أم قرفة:

وكانت بنت أُمّ قِرْفة لسَلَمة بن عمرو بن الأكوع، كان هو الذي أصابها، وكانت في بيت شَرف من قومها؛ كانت العرب تقول: لو كنتَ أعزّ من أُم قِرْفَة ما زدت. فسألها رسولَ الله ﷺ سَلَمَةُ، فوهبها له، فأهداها لخاله حَزن بن وهب، فولدت له عبد الرحمٰن بن حَزْن.

شعر ابن المسحّر في قتل مسعدة:

فقال قيس بن المسحَّر في قتل مسعدة:

سَعَيْتُ بوَرْدٍ مثل سَعْي ابن أُمِّهِ ... وإني بوَرْدٍ في الحَياةِ لَثائِر
كَرَرْتُ عَلَيْهِ المُهْرَ لَمَّا رأيْتُهُ ... عَلى بَطَلٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ مُغاوِرِ
فَرَكَّبْتُ فِيهِ قَعْضَبِيًا كأنَّهُ ... شِهابٌ بِمَعْراة يُذَكّى لِناظِرِ

....

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام:

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبرَ مرّتين: إحداهما التي أصاب فيها اليسير بن رِزام. قال ابن هشام: ويقال ابن رازم.

مقتـل اليسـير:

وكان من حديث اليُسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسول الله ﷺ، فبعث إليه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن رَواحة في نفرٍ من أصحابه، منهم عبد الله بن أُنَيس، حليف بني سَلِمة، فلما قَدِموا عليه كلّموه، وقَرَّبُوا له، وقالوا له: إنك إن قَدِمت على رسول الله ﷺ استعملك وأمرك، فلم يزالوا به، حتى خرج معهم في نفر من يهود، فحمله عبد الله بن أُنَيس على بعيره، حتى إذا كان بالقَرْقَرَة من خيبر، على ستّة أميال، ندم اليُسير بن رُزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ، ففطَن له عبد الله بن أُنَيس، وهو يريد السَّيف، فاقتحم به ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليُسير بمِخْرش في يده من شوحَط، فأمَّه، ومال كلّ رجل من أصحاب رسولِ الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله، إلاّ رجلاً واحدًا أفلت على رجليه؛ فلما قَدِم عبد الله بن أُنَيس على رسولِ الله ﷺ تفل على شَجَّته، فلم تقِحْ ولم تُؤْذِه.

غزوة ابن عتيك خيبر:

وغزوة عبد الله بن عتيك خَيبر، فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحُقَيق.

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سُفيان بن نبيح الهذلي:

مقتل ابن نبيح:

وغزوة عبد الله بن أُنَيس خالد بن سُفيان بن نُبَيح، بعثه رسولُ الله ﷺ إليه وهو بنخلَة أو بعُرَنة، يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه، فقتله.

قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير، قال: قال عبد الله بن أُنَيس: دعاني رسولُ الله ﷺ، فقال: «إنه قد بلغني أن ابن سُفيان بن نُبيح الهُذَليّ يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بنخلة أو بعُرَنة، فأْته فاقتله». قلت: يا رسول الله، انْعَتْهُ لي حتى أعرفه. قال: «إنك إذا رأيته أذكرك الشَّيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له

....

قُشَعْرِيرة». قال: فخرجت مُتَوَشّحًا سَيْفي، حتى دُفِعْت إليه وهو في ظُعُنٍ يرتاد لهن منزلاً، وحيث كان وقت العصر؛ فلما رأيته وجدت ما قال لي رسولُ الله ﷺ من القُشَعْرِيرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكونَ بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصّلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه، أُومي برأسِي، فلما انتهيت إليه، قال: مَنِ الرَّجُل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك. قال: أَجَل، إني لفي ذلك. قال: فمَشَيْت معه شيئًا، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثم خرجت، وتركت ظعائنه مُنْكَبّات عليه؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني، أفلح الوجه؛ قلت: قد قتلته يا رسول الله. قال: «صدقت».

إهداء الرّسول عصا لابن أنيس:

ثم قام بي، فأدخلني بيته، فأعطاني عَصًا، فقال: أمسِك هذه العصا عندك يا عبدَ الله بن أُنيسْ. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذا العصا؟ قلت: أعطانيها رسولُ الله ﷺ، وأمرني أن أمسكها عندي. قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فَتسألَهُ لِمَ ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العَصَا؟ قال: «آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة. إن أقلّ الناس المُتخصِّرُون يومئذ»، قال: فَقَرنها عبد الله بن أُنَيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أمر بها فضمَّت في كفنه، ثم دُفِنا جميعًا[1].

شعر ابن أُنيس في قتله ابن نبيح:

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن أُنيس في ذلك:

تَرَكْتُ ابن ثَوْرٍ كالحُوَار وحوْلَهُ	نوائحُ تَفْرِي كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ
تَناوَلْتُه والظُّعْنُ خَلْفِي وخَلْفَهُ	بأبْيَضَ مِن ماءِ الحديدِ مُهَند
عَجُومٍ لِهَام الدَّارِعِينَ كأنَّهُ	شِهابُ غَضَى مِن مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ
أقُولُ لهُ والسَّيفُ يَعْجُم رأسَهُ	أنا ابنُ أُنَيس فارِسًا غيرَ قُعْدُدِ
أنا ابن الذي لم يُنْزِلِ الدهر قِدْرَه	رحيبُ فِناءِ الدَّارِ غيرُ مُزَنَّدِ

....

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٩٦) والبيهقي في الدلائل (٤/٤٣).

وقُلْتُ لهُ خُذْها بضَرْبة ماجِدٍ   حَنيف على دين النَّبيّ محمدِ
وكُنْت إذا هَمَّ النَّبيّ بكافِرٍ   سَبَقْتُ إلَيْهِ باللِّسانِ وباليَدِ

تمَّت الغَزاة، وعُدنا إلى خبر البعوث.

غـزوات أُخـر:

قال ابن إسحٰق: وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة مُؤْتَةَ من أرض الشام، فأصيبوا بها جميعًا، وغزوة كَعْب بن عُمير الغِفاري ذاتَ أطلاح، من أرض الشام، أصيب بها هو أصحابه جميعًا. وغزوة عُيَينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ بني العَنْبر من بني تميم.

غزوة عيينة بن حصن بني العنبر من بني تميم:

وعد الرسول عائشة بإعطائها سبيًا منهم لتعتقه:

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم، فأغار عليهم، فأصاب منهم أُناسًا، وسبى منهم أُناسًا.

فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إن عَليَّ رَقَبَةً من ولد إسماعيل. قال: «هذا سَبْيُ بني العَنبر يَقدَم الآن، فنعطيك منهم إنسانًا فتُعتقينه».

بعض من سُبي وبعض من قُتل وشعر سلمى في ذلك:

قال ابن إسحٰق: فلما قُدم بسبيهم على رسول الله ﷺ، ركب فيهم وفد من بني تميم، حتى قَدِم على رسولِ الله ﷺ، منهم رَبيعة بن رُفيع، وسَبْرة بن عمرو، والقَعقاع بن معبد، ووَرْدَان بن مُحْرِز، وقَيس بن عاصم، ومالك بن عمرو، والأقرع بن حابس، وفِراس بن حابس؛ فكلَّموا رسولَ الله ﷺ فيهم، فأعتق بعضًا، وأفْدى بعضًا، وكان ممن قُتل يومئذ من بني العَنبر: عبدُ الله وأخوان له، بنو وهب، وشدَّاد بن فِراس، وحنظلةُ بن دارم، وكان ممن سُبِيَ من نسائهم يومئذ: أسماء بنت مالك، وكاس بنت أرِيّ ونَجْوة بنت نَهد، وجُمَيْعة بنت قَيس، وعَمْرة بنت مَطَر، فقالت في ذلك اليوم سَلْمَى بنت عَتَّاب:

لَعَمري لقد لاقتْ عديُّ بنُ جندَب   من الشرّ مَهْواةً شديدًا كَئودها
تكنَّفَها الأعداءُ من كُلّ جانبٍ   وغُيِّبَ عنها عِزُّها وجُدُودها

....

شعر الفرزدق في ذلك:

قال ابن هشام: وقال الفرزدق في ذلك:

وعندَ رسولِ اللهِ قام ابن حابسٍ ... بخُطَّةِ سَوَّارٍ إلى المَجْدِ حازِمِ

لهُ أطْلَقَ الأسْرَى التي فِي حِبالِهِ ... مُغَلَّلَةً أعناقُها في الشَّكائمِ

كَفَى أمَّهاتِ الخالفينَ عليهمُ ... غلاءَ المُفادِي أو سِهامَ المَقاسِمِ

وهذه الأبيات في قصيدة له. وعديُّ بن جَنْدَب من بني العَنْبر، والعنبر بن عمرو بن تميم.

غزوة غالب بن عبد الله أرض بني مرّة:

مقتل مرداس:

قال ابن إسحٰق: وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي ـ كَلب ليث ـ أرضَ بني مرّة، فأصاب بها مِرْدَاسَ بن نَهِيك، حليفًا لهم من الحُرَقة، من جُهَيْنَةَ، قتله أُسامة بن زيد، ورجلٌ من الأنصار.

قال ابن هشام: الحُرَقة، فيما حدّثني عُبيدة.

قال ابن إسحٰق: وكان من حديثه عن أُسامة بن زيد، قال: أدركته أنا ورجل من الأنصار، فلما شهرنا عليه السلام، قال: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله قال: فلم نَنْزِع عنه حتى قتلناه؛ فلما قَدِمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرَه؛ فقال يا أُسامة: «من لك بلا إلٰه إلاّ الله؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنه إنما قالها تعوّذًا بها من القتل، قال: «فمن لك بها يا أُسامة؟» قال: فوالذي بعثه بالحقّ ما زال يردّدها عليّ حتى لوددت أنّ ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني كنت أَسلمت يومئذ، وأني لم أقتله؛ قال: قلت: أنظرني يا رسول الله، إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إلٰه إلاّ الله أبدًا، قال: «تقول بعدي يا أُسامة»؛ قال: قُلت: بعدك[1].

....

---

(١) أخرجه أبو داود (٦٤٣ ـ بتحقيقي) وأحمد (٥/ ٢٠٧) والبيهقي (٨/ ١١٩) وفي الدلائل له (٤/ ٢٩٧) وأبو عوانة (١/ ٦٧).

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

إرسال عمرو ثم إمداده:

وغزوة عمرو بن العاص ذاتَ السلاسل من أرضِ بني عُذْرة، وكان من حديثه أن رسولَ الله ﷺ بعثه يستنفر العربَ إلى الشام وذلك أن أُمّ العاص بن وائل كانت امرأةً من بَلِيّ. فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يَستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام، يُقال له: السَّلْسَل. وبذلك سمّيت تلك الغزوة، غزوة ذات السلاسل؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسولِ الله ﷺ يستمدّه، فبعث إليه رسولُ الله ﷺ أبا عُبيدة بن الجرّاح في المهاجرين الأوّلين، فيهم أبو بكر وعمر؛ وقال لأبي عُبيدة حين وجّهه: «لا تختلفا»؛ فخرج أبو عُبيدة حتى إذا قَدِم عليه، قال له عمرو: إنما جئتَ مددًا لي، قال أبو عُبيدة: لا، ولكني على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عُبيدة رجلاً ليّنًا سهلاً، هيّنًا عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مدد لي، فقال أبو عُبيدة: يا عمرو، وإن رسول الله ﷺ قال لي: «لا تختلفا، وإنك إن عصيتَني أطعتُك»، قال: فإني الأمير عليك، وأنت مددٌ لي، قال: فدونك. فصلّى عمرو بالناس.

وصيّة أبي بكر رافع بن رافع:

قال: وكان من الحديث في هذه الغزاة، أن رافع بن أبي رافع الطائي، وهو رافع بن عميرة، كان يحدّث فيما بلغني عن نفسه، قال: كنت امرأً نصرانيًا، وسمّيت سَرْجِس، فكنت أدلّ الناس وأهداهم بهذا الرّمل، كنت أدفن الماء في بيض النعام بنواحي

ذكر غزوة ذات السلاسل[1]

والسَّلاَسِلِ: مِيَاهٌ واحدِها سَلْسَل وأن عَمْرَو بن العاصي كان الأميرَ يَوْمَئذ، وكان عليه السلامُ أمره أن يسير إلى بَلِيِّ، وأن أُم أبيه العاصي كانت من بَلِيِّ: واسمُها: سَلْمَى فيما ذكر الزبير، وأما أُم عَمرٍو، فهي لَيْلَى تُلَقّب بالنَّابِغَةِ سُبيَتْ من بني جِلاَّن بن عَنْتَرَةَ بن رَبِيعة.

وذكر في هذه السَّرِيَّة صُحبَةَ رافعِ بنِ أبي رافع لأبي بكر، وهو رافع بن عُمَيْرَةَ ويقال فيه: ابن عُمَيْر، وهو الذي كلّمه الذئبُ، وله شعر مَشْهُورٌ في تَكْلِيم الذِّئْبِ له، وكان الذئبُ قد أغار على غنمه فاتبعه، فقال له الذئب: ألا أدلّك على ما هو خَيْرٌ لك، قد بُعث نبيُّ اللهِ، وهو يَدعو إلى الله، فالْحَقْ به، ففعل ذلك رافعُ وأسلم.

---

(١) انظر الطبقات (٢/١/١٣١) أحمد (١/١٩٦) الزاد (٣/٣٨٦).

الرمل في الجاهلية، ثم أُغير على إبل الناس، فإذا أدخلتها الرملَ غلبتُ عليها، فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه، حتى أمرّ بذلك الماء الذي خَبأت في بيض النعام فأستخرجه، فأشربَ منه، فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فقلت: والله لأختارنّ لنفسي صاحبًا، قال: فصحبت أبا بكر، قال: فكنت معه في رَحْله، قال: وكانت عليه عباءة له فَدَكيّة، فكان إذا نزلنا بسطها، وإذا ركبنا لبسها، ثم شَكَّها عليه بخلال له، قال: وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدّوا كفّارًا: نحن نبايع ذا العَباءة! قال: فلما دنونا من المدينة قافلين، قال: قلت: يا أبا بكر، إنما صحبتك لينفعني الله بك، فانصحني وعلِّمني، قال: لو لم تسألني ذلك لفعلت، قال: آمرك أن توحِّد الله ولا تُشرك به شيئًا، وأن تُقيم الصّلاة، وأن تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ هذا البيت، وتغتسل من الجنابة، ولا تتأمّر على رجل من المسلمين أبدًا. قال: قلت: يا أبا بكر، أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أحدًا أبدًا، وأما الصّلاة فلن أتركَها أبدًا إن شاء الله، وأما الزكاة فإن يكُ لي مال أؤدها إن شاء الله، وأما رمضان فلن أتركه أبدًا إن شاء الله، وأما الحجّ فإن أستطع أحجّ إن شاء الله تعالى، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يَشْرُفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلاّ بها، فلم تنهاني عنها؟ قال: إنك إنما استَجْهدتني لأجْهَدَ لك، وسأخبرك عن ذلك، إن الله عزّ وجلّ بعث محمدًا ﷺ بهذا الدين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعًا وكرهًا، فلما دخلوا فيه كانوا عُواذ الله وجيرانه، وفي ذمّته، فإياك لا تُخفِر الله في جيرانه، فيتبعَك الله في خُفرته، فإن أحدكم يُخْفَر في جاره، فيظلّ ناتئًا عضله، غَضبًا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير، فالله أشدّ غضبًا لجاره قال: ففارقته على ذلك.

قال: فلما قُبض رسولُ الله ﷺ، وأُمِّر أبو بكر على الناس، قال: قَدِمت عليه، فقلت له: يا أبا بكر، ألم تك نهيتَني عن أن أتأمّر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك، قال: فقلت له: فما حملك على أن تلي أمر النّاس؟ قال: لا أجد من ذلك بُدًّا، خشيت على أُمّة محمد ﷺ الفُرقة.

تقسيم عوف الأشجعي الجزور بين قوم:

قال ابن إسحاق: أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حُدّث عن عوف بن مالك

وذكر في حديثه مع أبي بكر أنه أطعمه وعُمَرَ لحم جَزُورٍ، كان قد أخذ منها عَشِيرًا على أن يُجَزِّئها لأهلها، فقام أبو بكر وعمر فَتَقَيَّآ ما أكلا، وقالا: أَتُطْعِمُنَا مثلَ هذا، وذلك،

الأشجعي، قال: كنت في الغَزاة التي بعث فيها رسولُ الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسل، قال: فصَحِبت أبا بكر وعمر، فمررتُ بقوم على جَزْور لهم قد نَحَرُوها، وهم لا يقدرون على أن يُعْضُوها، قال: وكنت امْرأً لَبِقًا جازرًا، قال: فقلت: أتعطونني منها عَشِيرًا على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخذت الشَّفرتين، فجزّأتها مكاني، وأخذت منها جزءًا، فحملته إلى أصحابي، فاطَّبخناه فأكلناه. فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أنّى لك هذا اللحم يا عوف؟ قال: فأخبرتهما خبره، فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيَّآن ما في بطونهما من ذلك؛ قال: فلما قفل الناس من ذلك السفر، كنت أوّل قادم على رسول الله ﷺ، قال: فجئته وهو يصلّي في بيته؛ قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قال: «أعوفُ بن مالك؟» قال: قلت: نعم، بأبي أنت وأمي، قال: «أصاحب الجَزور؟» ولم يزدني رسول الله ﷺ على ذلك شيئًا[1].

والله أعلم أنهما كرها أُجْرة مجهولة، لأن العشير واحدُ الأعْشَار على غير قياس، يقال: بُرْمَةٌ أَعْشَارٌ إذا انْكَسَرَتْ. ويجوز أن يكون العَشِيرُ بمعنى العُشر كالثمين بمعنى الثُّمْن، ولكنه عاملهم عليه قبل إخراج الجَزُور من جلدها، وقبل النظر إليها، أو يَكُونا كرها جِزَارَةَ الجَزَّار على كل حال والله أعلم.

حرقة[2]:

وذكر غزوة غالبِ بن عبد الله وقَتْلِه مِرْدَاسَ بن نَهِيك من الحُرَقَة، وقال ابنُ هشام: الحُرَقَة فيما ذكر أبو عبيدة وقال ابن حَبيب: في يَشْكُر حُرَقَة بن ثَعْلَبة، وحُرَقَة بن مَالِكٍ كلاهما من بني حبيب بن كعب بن يَشْكر، وفي قضاعة: حُرَقَةُ بن جَذِيمة بن نَهْدٍ، وفي تميم حُرَقَةُ بن زَيْدِ بن مالك بن حَنْظَلَةَ، وقال القاضي أبو الوليد: هكَذا وقعت هذه الأسماءُ كلّها بالقاف، وذكرها الدَّارَقُطْنِي كلّها بالفَاء.

أنساب:

وذكر غَزْوَةَ محمد بن مَسْلَمَةَ إلى القُرَطاء[3]، وهم بنو قُرْطٍ وقَرِيط، وقُرَيْطٍ بنو أبي بكر بن كِلَاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وفيه ربيعة بن الهرم ولم أجد من ترجمه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح. قاله الهيثمي في المجمع (٤/ ٩٧).

(٢) انظر الطبقات (٢/ ١/ ٨٦) الكامل (٢/ ١٠٦) الواقدي (٧٢٦) المنتظم (٣/ ٣٠٣).

(٣) انظر البداية (٤/ ١٧٨) الطبقات (٢/ ١/ ٦١) الطبري (٢/ ٦٤١) الكامل (٢/ ٩٢) المنتظم (٣/ ٢٥٤)=

....

وذكر حَيَّان بن مِلَّة، وهو حَسَّان بن مِلَّة، وكذلك قاله في موضع آخر من الكتاب، وهو قول ابن هشام.

وذكر سَعد بن هُذَيم، وإنما هو سعد بن زَيْد بن لَيْث بن سَودِ بن أَسْلُم بنِ الحَافِ بن قُضَاعَةَ، وإنما نُسِب إلى هُذَيم، لأن هذيمًا حَضَنه، وهو عَبْد حبشي.

حديث أم قرفة[1]:

التي جرى فيها المثل: أَمْنَعُ من أُمّ قِرْفَةَ، لأنها كانت يُعَلَّق في بيتها خمسون سَيْفًا [لخمسين فارسًا] كُلُّهم لها ذُو محرم، واسمها فاطمة بنت حُذَيْفَة بن بَدْرِ كُنِّيت بابنها قِرْفَة، قتله النبيُّ عليه السلام فيما ذكر الواقدي.

وذكر أن سائِر بنيها، وهم تِسْعَةٌ قُتِلوا مع طُلَيْحَةَ بن بُزاخَةَ في الرِّدَّةِ وهم حَكَمَةُ وخَرَشَةُ وجَبَلَةُ وشُرَيْكٌ ووالان ورَمْلٌ وحُصَينٌ وذكر باقيهم.

وذكر أن قِرْفَة قُتِلَت يوم بُزَاخَةَ أيضًا، وذكر عن عبد الله بن جعفر أنه أنكر ذلك، وهو الصحيح كما في هذا الكتاب، وذكر الدُّولَابي أن زيدَ بن حارثة حين قتلها ربطها بفرسين، ثم رَكضا بها حتى ماتت، وذلك لسَبِّها رسولَ الله ﷺ. وذكر المرأة التي سألها رسول الله ﷺ من سَلَمَة وهي بنت أُمّ قِرْفَة، وفي مصنف أبي داود، وخرّجه مسلم أيضًا أن النبيَّ ﷺ قال لِسَلَمَة: «هب لي المرأة يا سَلَمَةُ، لله أبوك»، فقال: هي لك يا رسول الله فَفَدَى بها أسيرًا كان في قريش من المسلمين، وهذه الرواية أصح، وأحسن من رواية ابن إسحٰق، فإنه ذكر أن رسول الله ﷺ وَهَبها لخالِه بمكّة، وهو حَزْنُ بن أبي وَهْبِ بن عائذ بن عِمْران بن مَخْزُوم، وفاطمة جدّة النبيّ ﷺ أم أبيه هي بنت عَمْرو بن عائذ، فهذه الخُئُولَة التي ذكر، وقُتل عبد الرحمٰن بن حزم باليمامة شهيدًا، وحَزْن هذا هو جَدُّ سعيد بن المُسَيِّب بن حَزْنِ، ومَسْعَدَةُ الذي ذكر في هذا الحديث أنه قتل هو ابن حَكَمَة بن حُذَيفَة بن بدر، وسَلَمَةُ الذي كانت عنده الجاريةُ، قيل هو سَلَمَةُ بن الأكْوَع، واسم الأكْوَع: سِنَانٌ، وقيل: هو سَلَمَةُ بن سَلَامَةَ بن وَقْشٍ، قاله الزبير.

= الواقدي (٢/ ٥٥١).

(١) انظر خبر سريّة زيد بن حارثة رضي الله عنه في الطبقات (٢/ ١/ ٦٥) الطبري (٢/ ٦٤٢) الكامل (٢/ ٩٤) المنتظم (٣/ ٢٦٠) الواقدي (٢/ ٥٦٤).

ابن الأضبط الأشجعي:

قال ابن إسحٰق: حدّثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط، عن القَعْقاع بن عبد الله بن أبي حَدْرد، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد، قال: بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ إلى إضَم فيّ نفر من المسلمين، فيهم أبو قتادة الحارث بن رِبْعِيّ ومُحَلِّم بن جَثَّامَةَ بن قَيْس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعيّ، على قَعُود له، ومعه مُتَيِّع له ووطْب من لبن. قال: فلما مرّ بنا سلّم علينا بتحيّة الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلِّم بن جَثّامة، فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره وأخذ مُتَيِّعه. قال: فلما قدمنا على رسولِ الله ﷺ وأخبرناه الخبر، نزل فينا: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذ ضَرَبْتُمْ فِي سبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولوا لِمَنْ أَلقَى إِلَيْكُمْ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَياةِ الدُّنيا﴾ [النساء: ٩٤]. . إلى آخر الآية.

قال ابن هشام: قرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ لهذا الحديث.

ابن حابس وابن حصن يختصمان في دمّ ابن الأضبط إلى الرّسول:

قال ابن إسحٰق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: سمعت زياد بن ضُمَيرة بن سعد السُلَميّ يحدّث عن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن جدّه، وكانا شهدا حُنينًا مع رسول الله ﷺ، قال: صلّى بنا رسولُ الله ﷺ الظهر، ثم عمد إلى ظلّ شجرة، فجلس تحتها، وهو بحُنين، فقام إليه الأقرع بن حابس، وعُيَينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر، يختصمان في عامر بن أضبط الأشجعي: عُيينة يطلب بدمّ عامر، وهو يومئذ رئيس

غـزوة أبي حـدرد

وذكر غزوة أبي حَدْرَدٍ، واسمه: سلمة بن عُمَيْر، وقيل: عُبَيْدة بن عامر.

وذكر قَتْل مُحَلِّم بن جَثَّامَةَ، وخبره في غير رواية ابن إسحٰق أن مُحَلِّمَ بن جَثَّامَةَ مات بحمص في إمارة ابن الزُّبَيْر، وأما الذي نَزَلَت فيه الآية: ﴿لِمَنْ أَلْقَى إليكم السَّلَم﴾ [النساء: ٩٤] والاختلاف فيه شديد، فقد قيل: اسمُه فُلَيْت وقيل: وهو مُحَلِّم كما تقدّم، وقيل: نزلت في المِقْدَادِ بن عَمْرو، وقيل: في أُسَامَةَ، وقيل: في أبي الدَّرْدَاءِ، واختلف أيضًا في المَقْتُول فقيل: مِرْداس بن نَهِيك، وقيل: عامر الأَضْبَطِ، والله أعلم. كل هذا مذكور في التفاسير والمسنَدات.

غَطَفَان، والأقرع بن حابس يدفع عن محلِّم بن جَثَّامة، لمكانه من خنْدف، فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ، ونحن نسمع، فسمعنا عُيَينة بن حِصْن وهو يقول: والله يا رسول الله لا أدعه حتى أُذيق نساءه من الحُرْقة مثل ما أذاق نسائي، ورسول الله ﷺ يقول: «بل تأخذون الديّة خمسين في سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا، وهو يأبى عليه»، إذا قام رجلٌ من بني ليث، يقال: له مُكَيثِر، قصير مَجْموع ـ قال ابن هشام: مُكَبتل ـ فقال: والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبهًا في غُرَّة الإسلام إلاّ كغَنم وردت فرُمِيَت أولاها، فنفَرَت أُخراها، أُسنن اليوم، وغَيِّر غدًا. قال: فرفع رسولُ الله ﷺ يدَه. فقال: «بل تأخذون الديّة خمسين في سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا». قال: فقبلوا الديّة. قال: ثم قالوا: أين صاحبكم هذا، يستغفر له رسولُ الله ﷺ؟ قال: فقام رجل آدم ضَرْب طويل، عليه حُلَّة له، قد كان تهيّأ للقتل فيها: حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له: «ما اسمك؟» قال: أنا محلِّم بن جَثَّامة، قال: فرفع رسولُ الله ﷺ يده، ثم قال: «اللهمّ لا تغفر لمحلِّم بن جَثامة» ثلاثًا. قال: فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه. قال: فأما نحن فنقول فيما بيننا: إنا لنرجو أن يكون رسولُ الله ﷺ قد استغفر له، وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ فهذا[1].

موت مُحَلِّم وما حدث له:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتّهم عن الحسن البصريّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ حين جلس بين يديه: «أمَّنْتَه بالله ثم قتلتَه!» ثم قال له المقالة التي قال؛ قال: فوالله ما مكث محلِّم بن جَثَّامة إلاّ سبعًا حتى مات، فلفظته ـ والذي نفس الحسن بيده ـ الأرضُ، ثم عادوا له، فلفظته الأرض، ثم عادوا فلفظته؛ فلما غُلِب قومُه عمدوا إلى صُدَّين، فسطَحوه بينهما ثم رضَمُوا عليه الحجارة حتى وارَوْه. قال: فبلغ رسول الله ﷺ شأنُه، فقال: والله إن الأرض لتطَّابق على من هو شرّ منه، ولكن الله أراد أن يَعِظكم في حُرَم ما بينكم بما أراكم منه[2].

....

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٠٣ ـ بتحقيقي) وأحمد (٦/ ١٠) والبيهقي (٩/ ١١٦) والطبراني في الكبير (٦/ ٥٢).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٩٣٠) والطحاوي في المشكل (٤/ ٢٥٨).

ديـة بـن الأضـبط:

قال ابن إسحٰق: وأخبرنا سالم أبو النَّضْر أنه حُدّث: أن عُيَينة بن حِصْن وقيسًا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم، يا معشر قَيْس، مَنَعتم رسول الله ﷺ، قتيلاً يستصلح به الناس، أفأمنتم أن يلعنكم رسولُ الله ﷺ فيلعَنَكم الله بلعنته، أو أن يغضَبَ الله عليكم بغَضَبه؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتُسْلِمُنَّه إلى رسول الله ﷺ فلَيَصْنَعَنَّ فيه ما أراد، أو لآتِينَّ بخمسين رجلاً من بني تميم يشهدون بالله كلُّهم. لقُتِل صاحبكم كافرًا، ما صلَّى قط، فلأَطُلَنَّ دمه؛ فلما سمعوا ذلك، قبلوا الديَّة.

قال ابن هشام: محلِّم في هذا الحديث كله عن غير ابن إسحٰق، وهو محلم بن جَثَّامة بن قَيْس اللَّيثي.

قال ابن إسحٰق: ملجَّم، فيما حدّثناه زياد عنه.

غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمي:

سـبـبـهـا:

قال ابن إسحٰق: وغزوة ابن أبي حدرد الأسلميّ الغابَة.

وكان من حديثها فيما بلغني، عمّن لا أتّهم، عن ابن أبي حدرد، قال: تزوّجت امرأة من قومي، وأصدقتها مائتي درهم، قال: فجئت رسول الله ﷺ أسْتعينه على نِكاحي؛ فقال: «وكم أصدقت؟» فقلت: مائتي درهم يا رسول الله، قال: «سبحانه الله، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم، والله ما عندي ما أُعينك به»[(١)]. قال: فلبثتُ أيّامًا، وأقبل رجل من بني جُشَم بن معاوية، يقال له: رفاعة بن قَيس، أو قيس بن رفاعة، في بطن جُشم، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة، يريد أن يجمع قَيسًا على حرب رسولِ الله ﷺ، وكان ذا اسم في جُشَم وشرف. قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين، فقال: «اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم». قال: وقدّم لنا شارفًا عجفاء، فحمل عليها أحدُنا، فوالله ما قامت به ضعفًا حتى دَعَمَها الرجالُ من خلفها بأيديهم، حتى استقلّت وما كادت، ثم قال: «تبلّغوا عليها وَاعْتَقِبوها».

....

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤/ ٣٣).

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبي حدرد من فيء استعان به على الزواج:

قال: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْل والسيوف، حتى إذا جئنا قريبًا من الحاضر عُشَيْشِيةً مع غروب الشمس. قال: كمَنْتُ في ناحية، وأمرت صاحبيّ، فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم؛ وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كَبَّرت وشددتُ في ناحية العسكر فكَبِّرا وشُدَّا معي. قال: فوالله إنَّا لكذلك ننتظر غِرَّة القوم، أو أن نُصيب منهم شيئًا. قال: وقد غشينا اللّيل حتى ذهبت فَحْمة العِشاء، وقد كان لهم راع قد سرّح في ذلك البلد، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه قال: فقام صاحبهم ذلك رفاعةُ بن قيس، فأخذ سَيفه، فجعله في عنقه، ثم قال: والله لأتَّبعنَّ أثر راعينا هذا، ولقد أصابه شرّ، فقال له نفر ممَّن معه: والله لا تذهب، نحن نَكْفيك؛ قال: والله لا يذهب إلاّ أنا؛ قالوا: فنحن معك؛ قال: والله لا يتبعني أحد منكم قال: وخرج حتى يمرّ بي. قال: فلما أمكنني نفحته بسهمي، فوضعته في فؤاده. قال: فوالله ما تكلَّم، ووثبت إليه، فاحتززت رأسه. قال: وشددت في ناحية العسكر، وكَبَّرت، وشدّ صاحباي وكَبَّرا. قال: فوالله ما كان إلاّ النجاء ممن فيه، عندك، عندك، بكلّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خفّ معهم من أموالهم. قال: واستقْنا إبلاً عظيمة، وغمًا كثيرةً، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ. قال: وجئت برأسه أحمله معي. قال: فأعانني رسولُ الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرًا في صَداقي، فجمعتُ إليَّ أهلي.

غزوة عبد الرحمـٰن بن عوف إلى دومة الجندل[1]:

شيء من وعظ الرسول لقومه:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني من لا أتّهم عن عَطاء بن أبي رباح، قال: سمعت رجلاً من أهل البصْرة يسأل عبدَ الله بن عمر بن الخطّاب، عن إرسال العِمامة من خلف الرجل إذا اعْتَمّ، قال: فقال عبد الله: سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم: كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وعبد الرحمٰن بن عوف، وابن مسعود، ومُعاذ بن جبل، وحُذيفة بن اليمان، وأبو سعيد

....

(١) انظر البداية (٤/ ٩٢) الطبري (٢/ ٥٦٤) الطبقات (٢/ ١/ ٤٤) الواقدي (١/ ٤٠٢) المنتظم (٣/ ٢١٥) الدلائل (٣/ ٣٨٩) السيرة الحلبية (٢/ ٣٦٢) الشاميّة (٤/ ٤٨٤) أنساب قريش (١/ ١٦٤) ابن حزم (١٨٤) عيون الأثر (٢/ ٧٥) النويري (١٧/ ١٦٢).

الخُدْريّ، وأنا مع رسول الله ﷺ، إذ أقبل فتى من الأنصار، فسلَّم على رسول الله ﷺ، ثم جلس، فقال: يا رسول الله، صلّى الله عليك، أيّ المؤمنين أفضل؟ فقال: «أحسنهم خلقًا»؛ قال: فأيّ المؤمنين أكيس؟ قال «أكثرهم ذكرًا للموت، وأحسنهم استعدادًا له قبل أن ينزل به، أولئك الأكياس»، ثم سكت الفتى، وأقبل علينا رسولُ الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمسُ خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تُدركوهن: إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يُعْلِنوا بها إلاّ ظهر فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن في أسلافهم الذين مَضَوا؛ ولم يَنْقُصُوا المِكيال والميزان إلاّ أُخِذوا بالسنينَ وشدّة المُؤْنة وجَوْر السُّلطان؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلاّ مُنعوا القَطر من السماء، فلولا البهائم ما مُطروا؛ وما نقضوا عهد الله وعَهد رسوله إلاّ سُلِّط عليهم عدوٌ من غيرهم، فأخذ بعضَ ما كان في أيديهم؛ وما لم يَحْكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم»[1].

تأمير ابن عوف واعتمامه:

ثم أمَرَ عبدَ الرحمـٰن بن عوف أن يتجهَّز لسرية بعثه عليها، فأصبح وقد اعتمّ بعمامة من كرابيس سوداء، فأدناه رسولُ الله ﷺ منه، ثم نقضها، ثم عمَّمه بها، وأرسل من خلفه أربعَ أصابع أو نحوًا من ذلك، ثم قال: «هكذا يا ابن عوف فاعتمّ، فإنه أحسن وأعرف»، ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء. فدفعه إليه فحمِد الله تعالى، وصلّى على نفسه، ثم قال: «خذه يا ابن عوف، اغزُوا جميعًا في سبيل الله، فقاتِلوا من كفر بالله، لا تَغُلّوا، ولا تغدِروا، ولا تُمثّلوا، ولا تَقْتُلوا وَليدًا، فهذا عهدُ الله وسيرة نبيِّه فيكم». فأخذ عبد الرحمـٰن بن عوف اللواء.

قال ابن هشام: فخرج إلى دُومة الجندل.

غزوة أبي عبيدة بن الجرّاح إلى سيف البحر:

نفاد الطعام وخبر دابة البحر:

قال ابن إسحـٰق: وحدّثني عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت، عن أبيه، عن جدّه عُبادة بن الصامت، قال: بعث رسولُ الله ﷺ سَرِيَّة إلى سِيف البحر، عليهم أبو

....

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٠١٩) والحاكم (٤/ ٥٤٠) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٣٣).

عُبيدة بن الجرّاح، وزوَّدهم جرابًا من تمر، فجعل بقُوتهم إيّاه، حتى صار إلى أن يعدّه عليهم عددًا. قال: ثم نَفِد التمر، حتى كان يعطي كلَّ رجل منهم كلّ يوم تمرة. قال: فقسَمها يومًا بيننا. قال: فنقصت تمرةٌ عن رجل، فوجدنا فقدَها ذلك اليوم. قال: فلما جَهَدنا الجُوع أخرج الله لنا دابة من البحر، فأصَبْنا من لحمها ووَدَكها، وأقمنا عليها عشرين ليلة، حتى سمنًا وابتللنا، وأخذ أميرنا ضِلَعًا من أضلاعها، فوضعها على طريقه، ثم أمر بأجسم بعير معنا، فحمل عليه أجسم رجل منا. قال: فجلس عليه، قال: فخرج من تحتها وما مسَّت رأسه. قال: فلما قَدِمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها، وسألناه عما صَنعنا في ذلك من أكلنا إيّاه، فقال: رزق رزقكموه الله[١].

بعث عمرو بن أُميّة الضمري لقتال أبي سُفيان بن حرب وما صنع في طريقه:

قدومه مكّة وتعرّف القوم عليه:

قال ابن هشام: ومما لم يذكره ابن إسحٰق من بُعوث رسول الله ﷺ وسَرَاياه بعثُ عمرو بن أُميَّة الضَّمْري، بعثه رسولُ الله ﷺ، فيما حدّثني من أثق به من أهل العلم، بعد مقتل خُبَيْب بن عديّ وأصحابه إلى مكّة، وأمره أن يقتل أبا سُفيان بن حرب، وبعث معه جبّار بن صخر الأنصاريّ فخرجا حتى قَدِما مكّة وحَبسا جمليهما بشِعْب من شِعاب يَأْجَج، ثم دخلا مكّة ليلاً، فقال جَبَّار لعمرو: لو أَنَّا طُفنا بالبيت وصلَّينا ركعتين؟ فقال عمرو: إن القوم إذا تعَشّوا جلسوا بأفنيتهم، فقال: كلاّ، إن شاء الله، فقال عمرو: فطفُنا بالبيت، وصلَّيْنا، ثم خرجنا نُريد أبا سُفيان، فوالله إنا لنمشي بمكّة إذ نظر إليّ رجل من أهل مكّة فعَرفني، فقال عمرو بن أميّة: والله إنْ قَدِمها إلاّ لشرّ، فقلت لصاحبي: النَّجاء، فخرجنا نشتدّ، حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا في طَلبنا، حتى إذا عَلَوْنا الجبل يَئِسوا منّا، فرجعنا، فدَخلنا كَهفًا في الجبل، فبتنا فيه، وقد أخذنا حجارة فرَضمناها دوننا، فلما أصبحنا غَدا رجل من قُرَيش يقود فرسًا له، ويُخلِي عليها، فغَشِيَنا ونحن في الغار، فقلت: إن رآنا صاح بنا، فأُخذْنا فقُتلنا.

قتله أبا سُفيان وهربه:

قال: ومعي خِنجر قد أعددته لأبي سُفيان، فأخرج إليه، فأضربه على ثَدْيه ضربة، وصاحَ صيحةً أسمع أهل مكّة، وأرجِعُ فأدخلُ مكاني، وجاءه الناس يشتدّون وهو بآخر

....

(١) أخرج أحمد (٣/٣١١/٣٧٨) وعبد الرزاق (٨٦٦٨).

رَمَق، فقالوا: من ضربك؟ فقال: عمرو بن أُميَّة، وغلبه الموت، فمات مكانه، ولم يدلُل على مكاننا، فاحتملوه. فقلت لصاحبي، لما أمسَينا: النَّجاء، فخرجنا ليلاً من مكّة نُريد المدينة، فمَررنا بالحَرس وهم يحرسون جِيفة خُبَيب بن عديّ، فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمِشْية عمرو بن أُميَّة، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أُميَّة، قال: فلما حاذَى الخَشبة شدّ عليها، فأخذها فاحتملها، وخرجا شدًّا، وخرجوا وراءه حتى أتى جُرُفًا بمَهْبِط مَسِيل يأجج، فرمى بالخشبة في الجُرْف، فغَيّبه الله عنهم، فلم يقدروا عليه، قال: وقلت لصاحبي: النَّجاءَ النجاءَ، حتى تأتي بعيرَك فتقعدَ عليه، فإني سأشْغَل عنك القومَ، وكان الأنصاريّ لا رُجْلة له.

قتله بكريًا في غار:

قال: ومضيتُ حتى أخرج على ضَجْنان ثم أوَيْت إلى جَبل، فأدخل كَهفًا، فبينا أنا فيه، إذ دخل عليّ شيخ من بني الدِّيل أعور، في غُنَيمة له، فقال: مَنِ الرجل؟ فقلت: من بني بَكر، فمن أنت؟ قال: من بني بكر، فقلت: مَرْحبًا، فاضطجع، ثم رفع عقيرته، فقال:

ولَسْتُ بمُسْلِمَ ما دُمتُ حَيًّا ... ولا دانٍ لدِينِ المُسْلِمِينا

فقلت في نفسي: ستعلم، فأمهلته، حتى إذا نام أخذتُ قوسي، فجعلت سِيَتها في عينه الصَّحيحة، ثم تحامَلت عليه حتى بلغت العظم، ثم خرجت النَّجاء، حتى جئت العَرْج، ثم سلكت رَكُوبَةَ، حتى إذا هبطت النَّقيع إذا رجلان من قُريش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عَيْنًا إلى المدينة ينظران ويتحسَّسَان، فقلت: اسْتَأْسِرَا، فأبَيَا، فأرمي أحدهما بسهم فأقتلُه، واستأسَر الآخرُ، فأُوثقه رباطًا، وقَدِمت به المدينة.

سرية زيد بن حارثة إلى مدين:

بعثه هو وضميرة وقصّة السبي:

قال ابن هشام: وسرية زيد بن حارثة إلى مدين. ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن، عن أُمّه فاطمة ابنة الحسين بن عليّ عليهم رضوان الله، أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين، ومعه ضُمَيرة مولى عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأخ له. قالت: فأصاب سَبْيًا من أهل مِيناء، وهي السواحل، وفيها جُمّاع من الناس، فبيعوا،

ففُرّق بينهم، فخرج رسول الله ﷺ وهم يبكون، فقال: «ما لهم؟» فقيل: يا رسول الله، فُرّق بينهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تبيعوهم إلاّ جميعًا».

قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد.

سرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك:

سبب نفاق أبي عفك:

قال ابن إسحٰق: وغزوة سالم بن عُمير لقتل أبي عَفَك، أحد بني عمرو بن عوف ثم من بني عُبيدة، وكان قد نجم نِفاقُه، حين قتل رسولُ الله ﷺ الحارثَ بن سُوَيد بن صامت، فقال:

لـقـد عِـشـتُ دهـرًا ومَـا إن أرَى ... مِـنَ الـنَّـاسِ دارًا وَلا مَـجْـمَـعـا

أبَــرَّ عُــهُــودًا وأوْفــى لِــمَــنْ ... يُـعـاقـد فـيـهِـمْ إذا مـا دَعـا

مِـنْ أوْلادِ قَـيْـلَـة فـي جَـمْـعِـهـم ... يَـهُـدُّ الـجِـبـالَ ولـم يَـخْـضَـعـا

فَـصَـدَّعـهُـمْ راكِـبٌ جـاءَهـم ... حَـلالٌ حَـرَامٌ لِـشَـتَّـى مَـعـا

فـلَـوْ أنَّ بـالـعِـزّ صَـدَّقْـتُـمُ ... أوِ الـمُـلْـك تـابـعْـتُـمُ تُـبَّـعـا

قتل ابن عمير له وشعر المزيرية:

فقال رسول الله ﷺ: «من لي بهذا الخبيث؟» فخرج سالم بن عُمير، أخو بني عمرو بن عوف، وهو أحد البكَّائين، فقتله، فقالت أمامةُ المُزَيرية في ذلك:

تُـكَـذّبُ دِيـنَ اللهِ والـمَـرْءَ أحْـمَـدَا ... لعمرُ الذي أمْناك أن بِئْس ما يُمنِي

حَباكَ حَنِيفٌ آخِرَ الَّليْلِ طعنَةً ... أبا عَفَكٍ خُذها على كِبَرِ السِّن

غزوة عمير بن عديّ الخطمي لقتل عصماء بنت مروان:

نفاقها وشعرها في ذلك:

وغزوة عُمير بن عديّ الخَطْمي عَصْمَاءَ بنت مَرْوَانَ، وهي من بني أُمَيَّة بن زيد، فلما قُتل أبو عَفَك نافقت، فذكر عبدُ الله بن الحارث بن الفُضيل عن أبيه، قال: وكانت تحت رجل من بني خَطْمة، ويقال له: يزيد بن زيد فقالت تعيب الإسلام وأهلَه:

بـاسْـتِ بـنـي مـالـك والـنَّـبِـيـتِ ... وعَـوْفٍ وبـاسْـتِ بـنـي الـخَـزْرَج

....

أَطَعْتُمْ أتاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُم	فَلا مِنْ مُرادٍ ولا مَذْحِجِ
تُرَجُّونَهُ بعدَ قَتْلِ الرُّؤوسِ	كما يُرْتَجَى مَرَق المُنْضَجِ
ألا أَنِفٌ يَبْتَغِي غِرَّة	فيَقْطَعَ مِنْ أمَلِ المُرْتَجِي

شعر حسَّان في الردّ عليها:

قال: فأجابها حسَّان بن ثابت، فقال:

بنُو وَائِلٍ وبنُو واقِفٍ	وخَطْمَةُ دُونَ بني الخَزْرَجِ
متى ما دَعَتْ سَفَهًا وَيْحَها	بعَوْلَتِها والمَنايا تَجِي
فهَزَّت فتى ماجِدًا عِرْقُه	كَرِيمُ المَداخِلِ والمَخْرجِ
فَضَرَّجها مِنْ نَجِيعِ الدّما	ءِ بعدَ الهُدُوّ فلم يَخرَجِ

خروج الخطمي لقتلها:

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «ألا آخِذٌ لي من ابنة مروان؟» فسَمِعَ ذلك من قول رسول الله ﷺ عُميرُ بن عديّ الخَطْميّ، وهو عنده؛ فلما أمسى من تلك الليلة سَرَى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد قتلتها. فقال: «نصرت الله ورسوله يا عمير»، فقال: هل عليّ شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: «لا يَنْتطح فيها عَنْزان».

شأن بني خطمة:

فرجع عُمَير إلى قومه، وبنو خَطْمة يومئذ كثيرٌ موْجهم في شأن بنت مروان، ولها يومئذ بنون خَمسة رجال، فلما جاءهم عُمير بن عديّ من عند رسول الله ﷺ، قال: يا بني خَطْمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكيدوني جميعًا ثم لا تُنظِرُون. فذلك اليومُ أوّلُ ما عزّ الإسلام في دار بني خَطْمة، وكان يستخفي بإسلامهم فيهم مَن أسلم، وكان أوّلَ مَن أسلم من بني خطمة عُمَير بن عديّ، وهو الذي يُدعى القارىء، وعبد الله بن أوس، بن ثابت، وأسلم، يوم قتلت ابنة مروان، رجال من بني خَطْمة، لما رأوا وخُزيمة من عزّ الإسلام.

....

أسر ثمامة بن أثال الحنفي وإسلامه
والسرية التي أسرت ثمامة بن أثال الحنفي

إسـلامـه:

بلغني عن أبي سعيد المَقْبُري عن أبي هريرة أنه قال: خرجت خيل لرسول الله ﷺ، فأخذتْ رجلاً من بني حَنيفة، لا يشعرون من هو، حتى أتوا به رسول الله ﷺ، فقال: «أتدرون من أخذتم، هذا ثُمَامَةُ بن أُثَالِ الحَنَفِيّ، أحسنوا إسَارَه». ورجع رسولُ الله ﷺ إلى أهله، فقال: «اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه»، وأمر بِلِقْحته أن يُغدَى عليه بها ويُراح، فجعل لا يقع من ثمامة موقعًا ويأتيه رسولُ الله ﷺ فيقول: «أسلم يا ثمامة»، فيقول: إيْها يا محمد، إن تَقتل تَقتل ذا دم، وإن تردّ الفداء فسَل ما شئت، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم قال النبيّ ﷺ يومًا: «أطلقوا ثمامة»، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البَقِيع، فتطهَّر فأحسن طُهُوره، ثم أقبل فَبايع النبيّ ﷺ على الإسلام؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام، فلم ينل منه إلاّ قليلاً، وباللقْحة فلم يُصب من حلابها إلاّ يسيرًا، فعجب المسلمون من ذلك، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «ممّ تعجبون؟ أمِن رجل أكل أوّلَ النهار

ثمامة بن أثـال

وذكر ابن إسحٰق ثُمَامَةَ بن أَثَالِ الحَنَفِيّ وإسْلاَمَه، وقد خرّج أهلُ الحديث حديث إسلامه، وفيه قال للنبيّ ـ ﷺ ـ: «إن تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دَم، وإن تُنعِمْ تُنعِم على شَاكِرٍ، وإن تُرِدِ المالَ تُعطَهُ»، فقال عليه السلام: «اللَّهُمَّ أَكْلَةً من جَزُورٍ أَحَبُّ إليَّ من دم ثُمَامَةَ»، فأطلقه، فتطهّر وأسلم، وحَسُن إسلامُه، ونفع الله به الإسلامَ كثيرًا، وقام بعد وفاة رسولِ الله ﷺ مَقَامًا حَميدًا حين ارتدّت اليمامةُ مع مُسَيْلِمَةَ، وذلك أنه قام فيهم خطيبًا، وقال: يا بني حَنِيفَة أين عَزَبَتْ عقولُكم بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿حم تنزيلُ الكتاب من الله العزيز العليم غافرِ الذَّنب وقابِلِ التَّوْبِ شديدِ العِقاب﴾ أين هذا من يا ضِفْدَعُ نِقِّي كما تَنِقِّينَ لا الشَّرَابَ تُكَدِّرين، ولا المَاءَ تَمْنَعِين[1]، مما كان يَهْذي به مُسَيْلِمَةُ، فأطاعه منهم ثلاثةُ آلافٍ، وانحازوا إلى المسلمين، فَفَتَّ ذلك في أعْضَادِ حَنِيفة. وذكر ابنُ إسحٰق أنه الذي

---

(١) العجب كل العجب أن تبدأ وزارة «الثقافة» في «مصر» الحبيبة بنشر هذيان ودجل وشعوذة مسيلمة الكذّاب تحت عنوان ودعوى «التنوير» فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

في مِعًى كافرٍ، وأكل آخر النهار في مِعًى مسلم! إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء، وإن المسلم يأكل في مِعى واحد.

خروجه إلى مكّة وقصّته مع قريش:

قال ابن هشام: فبلغني أنه خرج مُعتمرًا، حتى إذا كان ببطن مكّة لبّى، فكان أوّل من دخل مكّة يُلَبِّي، فأخذته قريش، فقالوا: لقد اخترت علينا، فلما قدّموه لنضربوا عنقه؛ قال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطَعامكم، فخلُّوه، فقال الحنفيّ في ذلك:

ومِنّا الّذي لَبّى بمَكّةَ مُعْلِنًا   برَغْم أبي سُفيان في الأشهر الحُرُمْ

حُدّثت أنه قال لرسول الله ﷺ، حين أسلم، لقد كان وجهك أبغَض الوجُوه إليّ، ولقد أصبحَ وهو أحبُّ الوجوه إليّ. وقال في الدين والبلاد مثل ذلك.

ثم خرج معتمرًا، فلما قدم مكّة، قالوا: أصَبَوْت يا ثمام؟ فقال: لا، ولكني اتَّبعت خير الدين، دينَ محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبّة من اليمامة حتى يأذن فيها رسولُ الله ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة، فمَنعهم أن يحمِلوا إلى مكّة شيئًا، فكتبوا إلى رسولِ الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامَنا، وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يخلّي بينهم وبين الحَمْل.

قال في النبيُّ ﷺ: «المؤمنُ يأكل في مِعًى واحدٍ [والكافرُ يأكل في سبعة أمعاء]»[1] الحديث، وقال: أبو عُبَيْد هو أبو بَصْرَةَ الغِفَارِي، وفي مسند ابن أبي شَيْبَةَ أنه جَهْجَاه [بن مسعود بن سعد بن حرام] الغِفَارِي، وفي الدلائل أن اسمه نَضْلَة، وقد أملينا في معنى قوله: يأكل في سَبْعَة أَمْعَاء نحوًا من كُرَّاسَةٍ رَدَدْنَا فيه قَوْلَ مَنْ قال: إنه مخصوص برجُلٍ واحدٍ، وبينًا معنى الأَكْلِ والسَّبْعَة الأمعاء، وأن الحديث وَرَدَ على سَبَبٍ خاصٍّ، ولكن معناه عام، وأتينا في ذلك بما فيه شِفَاءٌ والحمد لله، وقوله في رواية البُخاري: ذا دَم رواه أبو داود: ذا ذِمٍّ بالذال المعجَمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٩٢) ومسلم في الأشربة (١٨٢/ ١٨٤/ ١٨٥) والترمذي (١٨١٨) وابن ماجة (٢٣٥٩/٢٣٥٧/٢٣٥٨) وأحمد (٢/ ٢١) والدارمي (٢/ ٩٩) وابن أبي شيبة (٨/ ١٣٣) والطحاوي في المشكل (٢/ ٤٠٧) والحميدي (٦٦٩) وانظر الفتح (٩/ ٥٣٦/ ٥٣٨).

سرية علقمة بن مجزز:

سبب إرسال علقمة:

وبعث رسولُ الله ﷺ عَلقمة بن مُجَزّز.

لما قُتل وقّاص بن مجزّز المُدْلِجِيّ يوم ذي قَرَد، سأل عَلْقمةُ بن مُجَزّز رسولَ الله ﷺ أن يبعثه في آثار القوم، ليدركَ ثأره فيهم.

دعابة ابن حذافة مع جيشه:

فذكر عبدُ العزيز بن محمد، عن محمد بن عمرو ين عَلقمة، عن عمرو بن الحكم بن ثَوْبان، عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: بعث رسولُ الله ﷺ عَلْقمة بن مُجَزّز - قال أبو سعيد الخُدريّ: وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنّا ببعض الطريق، أذِن لطائفة من الجيش، واستعمل عليهم عبدَ الله بن حُذافة السَّهميّ، وكان من أصحاب رسولِ الله ﷺ، وكانت فيه دُعابة، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارًا، ثم قال للقوم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى؛ قال: أفما أنا آمركم بشيء إلاّ فعلتموه؟ قالوا: نعم، قال: فإني أعزم عليكم بحقّي وطاعتي إلاّ تواثبتم في هذه النار؛ قال: فقام بعض القوم يحتجز، حتى ظنّ أنهم واثِبون فيها، فقال لهم: اجلسوا، فإنما كنت أضحك معكم، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قَدِموا عليه، فقال رسولُ الله ﷺ: «من أمركم بمَعْصية منهم فلا تُطيعوه»[1].

ما زاده ابن هشام مما لم يذكره ابن إسحٰق:

وذكر الشيخُ الحافظُ أبو بحر سُفْيَانُ بن العاصي رحمه في هذا الموضع، قال: نقلتُ من حاشية نسخةٍ من كتاب السِّيَر منسوبة بسماع أبي سَعِيد عبد الرحيم بن عَبْد الله بن عَبْد الرحيم وأخوَيْه محمد وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصّه: وجدت بخط أخي قول ابن هشام: هذا مما لم يذكره ابن إسحٰقِ هو غَلَطٌ منه، قد ذكره ابن إسحٰق عن جعفر بن عَمْرو بن أُمَيّة عن عَمْرو بن أُميّة فيما حدث أَسَدٌ عن يحيىٰ بن زَكَرِيَّاءَ عن ابن إسحٰق، والقائلُ في الحاشية: وجدتُ بخط أخِي هو أبو بَكْرِ بن عبد الله بن عبد الرحيم. وفي الكتاب المذكورِ قولُ أبي بكر المذكور في غَزْوةِ الطائف بعد قوله: فولدت له داودَ بن أبي مُرّةَ. إلى هاهُنا انتهى سَمَاعي من أخي، وما بقي من هذا الكتابِ سمعته من ابن هشام نفسه.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١/ ١١٨) وابن حبّان (١٥٥٢ - موارد) وابن ماجة (٢٨٦٣) وابن أبي شيبة (١٢/ ٥٤٣) وابن عساكر (٧/ ٣٥٥) وانظر الفتح (٨/ ٦٠).

وذكر محمد بن طلحة أن عَلقَمة بن مُجَزّز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدًا.

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارًا

شأن يسار:

حدّثني بعضُ أهل العلم، عمَّن حدّثه، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمٰن، قال: أصاب رسولُ الله ﷺ في غزوة محارب وبني ثعلبة عبدًا يقال له: يسار، فجعله رسولُ الله ﷺ في لقاح له كانت ترعى في ناحية الجماء، فقَدِم على رسول الله ﷺ نفر من قَيس كُبّة من بجيلة، فاستوبئوا، وطَلِحوا، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «لو خرجتم إلى اللّقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها»، فخرجوا إليها.

قتل البجليين وتنكيل الرّسول بهم:

فلما صحوا وانطوت بطونهم، عَدَوْا على راعي رسول الله ﷺ يَسار، فذبحوه وغرزوا الشّوك في عينيه، واستاقوا اللّقاح. فبعث رسولُ الله ﷺ في آثارهم كُرْز بن جابر، فلَحِقهم، فأتى بهم رسول الله ﷺ مَرجِعه من غزوة ذي قَرَد، فقطع أيديَهم وأرجلَهم، وسَمَل أعينهم.

غزوة عليّ بن أبي طالب إلى اليمن

وغزوة عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرّتين.

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: بعث رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد في جُند آخر، وقال: «إن التقيتما فالأمير عليّ بن أبي طالب»[1].

عن خبيب بن عديّ:

وذكر سَرِيَّة عَمْرو بن أُميّة وحَلّة لخُبَيْب بن عَدِيٍّ من خَشَبَته التي صُلِب فيها وفي مسند ابن أبي شَيْبَةَ حَسَنَةٌ أنهما حين حَلاّه من الخشبة التَقَمَتْه الأرضُ.

وذكر ابنُ هشام مَقْتَلَ العَصْمَاءِ بنت مَرْوان، وفي خبرها قال ﷺ: لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزَانِ، وكانت تَسُبُّ رسولَ الله ﷺ، فقتلها بعلُها على ذلك، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٥٦).

وقد ذكر ابن إسحٰق بَعْث خالد بن الوليد في حديثه، ولم يذكره في عدّة البعوث والسَّرايا، فينبغي أن تكون العِدّة في قوله: تسعة وثلاثين.

بعث أُسامة بن زيد إلى أرض وهو آخر البعوث:

قال ابن إسحٰق: وبعث رسولُ الله ﷺ أُسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يُوطِىء الخيل تُخوم البلقاء والداروم، من أرض فِلَسطين فتجهَّز الناسُ، وأوعَب مع أُسامة المهاجرين الأوّلون.

قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ.

«اشهَدُوا أنَّ دَمَها هَدَرٌ»[1]. قال الدَّارَقُطْنِيُّ: من هاهنا يقوم أصلُ التَّسْجِيل في الفقه، لأنه قد أشهد على نفسِه بإمضاء الحُكم، ووقع في مُصَنَّف حمادِ بن سَلَمَةَ أنها كانت يهُودِيّة، وكانت تطرح المَحائِضَ في مسجد بني خَطمَةَ، فأهدر رسولُ الله ﷺ دمَها، وقال: «لا يَنتَطِحُ فيها عَنْزَانَ».

---

(١) أخرجه الدارقطني (٣/ ١١٢ ـ بتحقيقي) والبيهقي (٧/ ٦٠) (١٠/ ١٣١).

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

بـدء الشكـوى[1]:

قال ابن إسحٰق: فبينا الناس على ذلك ابتُدىء رسول الله ﷺ بشكواه الذي قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، في ليال بقين من صفر، أو في أوّل شهر ربيع الأوّل، فكان أوّل ما ابتُدِىء به من ذلك، فيما ذُكر لي، أنه خرج إلى بَقيع الغَرْقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتُدىء بوجعه من يومه ذلك.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبدُ الله بن عمر، عن عُبيد بن جُبير، مولى الحكم بن أبي العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مُوَيْهِبة، مولى رسول الله ﷺ، قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: «يا أبا مُوَيْهِبة، إني قد أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلِقْ معي»، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقِطَع الَّليل المظلم، يتبع آخرُها أوَّلها، الآخرة شرّ من الأولى»؛ ثم أقبل عليَّ، فقال: «يا أبا مُوَيْهِبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلدَ فيها، ثم الجنّة، فخيّرت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنّة». قال: فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنّة، قال: «لا والله يا أبا مُوَيهبة، لقد اخترت لقاءَ ربّي والجنّة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وَجَعُه الذي قبضه الله فيه.

---

(١) انظر البداية (٥/٢٢٣) الطبري (٢/٢٢٦) المنتظم (٤/ ١٤) الطبقات لابن سعد (٢/١/٣٦) والحاكم (٣/٥٦) وأحمد (٣/٤٨٩) وأبو نعيم في الحلية (٢/٢٧) والنسائي (١/ ٣٧).

تمريضه في بيت عائشة:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة، عن محمد بن مُسلم الزهريّ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد صُداعًا في رأسي، وأنا أقولُ: وارأساه، فقال: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه». قالت: ثم قال: «وما ضرّكِ لو مُتِّ قبلي، فقمتُ عليك وكفّنتك، وصلّيت عليك ودفنتك؟» قالت: قلت: والله لكأني بك، لو قد فعلتَ ذلك، لقد رجعتَ إلى بيتي، فأعرست فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسّم رسولُ الله ﷺ، وتتامّ به وجعُه، وهو يدور على نسائه حتى استعزّ به وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهنّ في أن يُمرَّض في بيتي، فأذِنَّ له[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١٥٥) وابن ماجة (١٤٦٥) والدارمي (١/ ٣٨) وأحمد (٦/ ٢٢٨) والبيهقي (٣/ ٣٧٨) والطبري في تاريخه (٢/ ٢٢٦) والبداية (٥/ ٢٢٤).

ذكـــر أزواجـــه ﷺ

أمـهـات المـؤمنين:

أسمـاؤهـن:

قال ابن هشام: وكنّ تسعًا: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطّاب، وأُمّ حَبيبة بنت أبي سُفيان بن حرب، وأُمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المُغيرة، وسودة بنت زَمْعَة بن قيس، وزينب بنت جَحْش بن رِئاب، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن، وجُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفيَّة بنت حيـيّ بن أخطب، فيما حدّثني غير واحد من أهل العلم.

زواجـه بخديجـة

وكان جميع من تزوّج رسول الله ﷺ ثلاثَ عَشْرَة: خديجة بنت خُوَيْلِد، وهي أوّل من تزوّج، زوّجه إيّاها أبوها خُوَيلد بن أسد، ويقال: أخوها عمرو بن خويلد، وأصدَقها رسولُ الله ﷺ عشرين بَكْرة، فولدت لرسول الله ﷺ وُلْده كلّهم إلاّ إبراهيم، وكانت قبله

ذكر أزواج النبيّ عليه السلام

خديجة رضي الله عنها

قد تقدّم في مواضع من هذا الكتاب نبذ كافية من التعريف بهن، وذكر هاهنا خديجة، وأنها كانت عند أبي هَالَة، وكانت قَبْلَه عند عَتِيق بن عائِذ، قال ابن أبي خَيْثَمَةَ: ولدتْ لعَتيقٍ عَبْدَ مَنَافٍ، وكان اسمُ أبي هالَة هِندَ بن زُرَارَةِ بن النَّبَّاش وقيل: بل أبو هالة هو زُرَارَةَ، وابنه هند، مات هِنْدُ في طاعون البَصْرَةِ.

عند أبي هالة بن مالك، أحد بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدّار، فولدت له هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة، وكانت قبل أبي هالة عند عُتَيِّق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم، فوَلَدت له عبد الله، وجارية.

قال ابن هشام: جارية من الجواري، تزوّجها صَيفيُّ بن أبي رفاعة.

زواجه بعائشة

وتزوّج رسولُ الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصدّيق بمكّة، وهي بنت سبع سنين، وبنى بها المدينة، وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوّج رسولُ الله ﷺ بكرًا غيرها، زوّجه إيّاها أبوها أبو بكر، وأصدقها رسولُ الله ﷺ أربع مائة درهم.

عن عائشة

ومما نزيده هنا في ذكر عائشة، أنها كانت تُكْنَى أُمَّ عَبْدِ الله، رَوى ابن الأعرابي، في المعجَم حديثًا مرفوعًا أنها أسقطت جَنينًا من رسول الله - ﷺ - فسُمّي: عبدَ الله، فكانت تُكنَى به، وهذا الحديثُ يدور على داود بن المُحبر وهو ضعيف، وأصح منه حديث أبي دَاوُد أن رسولَ الله ﷺ قال لها: «تَكنّي بابن أُختِك عبدِ الله بن الزُّبَيْر»[1]، ويُروَى بابنك عبدِ الله بن الزُّبَيْر، لأنها كانت قد اسْتَوْهَبَتْه من أَبَوَيْه، فكان في حِجْرِها يدعوها، أُمًّا، ذكره ابنُ إسحٰق وغيرُه، وأصحّ ما رُوِي في فضلِها على النساءِ قولُه عليه السلام: «فضلُ عائشة على النساءِ كفضل الثَّرِيد على الطعام»[2]، وأراد الثريدَ باللحم، كذا رواه مَعْمَرٌ في جامعه مُفَسَّرًا عن قتادة، وأَبَان يرفعه، فقال فيه كفضل الثريد باللحم، ووجه التفضيل من هذا الحديثِ أنه قال في حديث آخر: «سَيِّد إدَام الدُّنيا والآخرةِ اللّحْمُ»[3]، مع أن الثَّرِيدَ إذا أُطْلِق لفظُه، فهو ثَرِيد الَّلحم، وأنشد سِيبَوَيْهِ:

إذا مـا الـخُـبْـزُ تَـأْدِمُـه بِـلَـحْـمٍ ... فـذكَ أَمـانَـةَ اللهِ الـثَّـرِيـدُ

خديجة وعائشة ومريم:

ولولا ما تقدّم من الحديث المخصَّصِ لخديجة بالفضل عليها حيثُ قال: والله ما أبدلني الله خيرًا منها، لقلنا بتفضيلها على خديجةَ، وعلى نساء العالمين، وكذلك القول في

---

(١) أخرجه أبو داود (   ) وأحمد (٦/ ١٠٧) والبيهقي (٩/ ٣١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٠) ومسلم في فضائل الصحابة (٨٩) والترمذي (٣٨٨٧).

(٣) أخرجه ابن عبد البرّ في التمهيد (٣/ ٨٦) وانظر الفتح (٩/ ٥٥٦).

زواجه بسودة:

وتزوّج رسولُ الله ﷺ سَودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤَيّ، زوّجه إيّاها سَليط بن عمرو، ويقال: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم.

قال ابن هشام: ابن إسحٰق يخالف هذا الحديث، يذكر أن سَليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت.

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل.

زواجه بزينب بنت جحش

وتزوّج رسولُ الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية. زوّجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش، وأصدقها رسولُ الله ﷺ أربع مائة درهم، وكانت قبله عند زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنها وطَرًا زَوَّجْناكَها﴾.

زواجه بأم سلمة

وتزوّج رسولُ الله ﷺ أُمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة المخزومية، واسمها هند؛ زوّجه إيّاها سَلَمَةُ بن أبي سَلَمَةَ ابنها، وأصدقها رسولُ الله ﷺ فِراشًا حشوه لِيف، وقدحًا

مَرْيَمَ الصِّدِّيقَة، فإنها عند كثير من العلماء نَبِيَّةٌ نَزَل عليها جبريلُ عليه السلام بالوحي، ولا يُفَضِّل على الأنبياء غيرُهم، ومن قال: لم تكن نَبِيَّةً، وجعل قولَه تعالى: ﴿اصطفاكِ على نساء العالمين﴾ [آل عمران: ٤٢] مخصوصًا بعالم زمانها، فمن قوله: إن عائشة وخديجةَ أفضل منها، وكذلك يقولون في سائِر أزواج رسول الله - ﷺ - إنهن أفضلُ نساءِ العالمين، ونزعوا في تصحيح هذا المذهبِ بما يطول ذكره والله أعلم، وفي مسند البزار أن رسول الله ﷺ قال في فاطمة: هي سَيِّدة نساء أهْلِ الجنّة إلاّ مريم.

أم سلمة

وذكر أُم سَلَمة، وأن رسول الله ﷺ أصدقها مِجَشّة، وهي الرَّحي. ومنه سمي الجَشِيش. وذكر مع المِجشّة أشياء لا تعرف قيمتُها، منها جَفْنَة وفِرَاشٌ. وفي مسند البزار

وصَحْفة، ومجشَّة؛ وكانت قبله عند أبي سَلِمة بن عبد الأسد، واسمه عبد الله، فولَدت له سَلِمة وعمر وزينب ورقيَّة.

زواجـه بحفصـة:

وتزوّج رسولُ الله ﷺ حَفصة بنت عمر بن الخطّاب، زوّجه إيّاها أبوها عمر بن الخطَّاب، وأصدقها رسولُ الله ﷺ أربع مائة درهم، وكانتِ قبله عند خُنَيس بن حُذافة السَّهمي.

زواجـه بأُم حبيبة:

وتزوّج رسولُ الله ﷺ أُمّ حَبيبة، واسمها رَملة بنت أبي سُفيان بن حرب، زوّجه إيّاها خالدُ بن سعيد بن العاص، وهما بأرض الحبشة، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربع مائة دينار، وهو الذي كان خطبها على رسول الله ﷺ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسديّ.

زواجـه بجويرية

وتزوّج رسولُ الله ﷺ جُوَيرية بنت الحارث بن أبي ضِرَارِ الخُزاعية، كانت في سبايا بني المُصْطَلِق من خزاعة، فوقعت في السَّهم لثابت بن قيسِ بن الشمَّاس الأنصاريّ، فكاتبها على نفسها، فأتت رسولَ الله ﷺ تَستَعينه في كتابتها، فقال لها: «هل لك في خير من ذلكِ؟» قالت: وما هو؟ قال: «أقضي عنك كتابتك وأتزوّجك؟» فقالت: نعم، فتزوّجها.

ذكر قيمَتها، قال أنس: أصدقَها مَتَاعًا قيمتُه عَشَرَةُ دراهم، قال البزار: ويُروى أربعون درهماً.

جـويـريـة

وذكر جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبي ضُرَارٍ، وكانت قَبْلَه عند مُسَافِعِ بن صَفوانِ الخُزَاعِيِّ وقال: أسلم الحارثُ، وأسلم ابناه، ولم يُسَمِّهمَا، وهما الحارث بن الحارث وعَمْرو بن الحارث، وذكره البخاري.

زينـب بنت جحش

وذكر زينب بنت جَحْشٍ، وأن أخاها أبا أَحْمَدَ هو الذي أنكحها مِنْ رسول الله ـ ﷺ ـ وهذا خلاف ما ثَبَتَ في الحديث أنها كانت تفخر على صَوَاحِبها، وتقول: «زَوَّجَكُن أهلُوكُنَّ

قال ابن هشام: حدّثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البَكائي، عن محمد بن إسحٰق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، عن عائشة.

قال ابن هشام: ويقال: لمّا انصرف رسولُ الله ﷺ من غزوة بني المُصْطَلِق، ومعه جُويرية بنت الحارث، فكان بذات الجيش، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقَدِم رسول الله ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفِداء، فرغب في بعيرين منها، فغيّبهما في شعْب مِن شعاب العقيق، ثم أتى النبيّ ﷺ، فقال: يا محمد، أَصَبْتم ابنتي، وهذا فِداؤها، فقال رسولُ الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غَيَّبت بالعقيق في شِعب كذا وكذا؟» فقال الحارث: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأنك رسول الله، صلّى الله عليك، فوالله ما اطَّلع على ذلك إلاّ الله تعالى، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبيّ ﷺ، ودُفِعت إليه ابنته جُوَيرية، فأسلمت وحسُن إسلامها، وخطبها رسولُ الله ﷺ إلى أبيها، فزوّجه إيّاها، وأصدقها أربع مائة درهم، وكان قبل رسول الله ﷺ عند ابن عمّ لها يقال له: عبد الله.

قال ابن هشام: ويقال اشتراها رسولُ الله ﷺ من ثابت بن قَيْس، فأعتقها وتزوّجها، وأصدقها أربع مائة درهم.

زواجه بصفيّة:

وتزوّج رسولُ الله ﷺ صفيّة بنت حُيي بن أخطب، سباها من خَيبر، فاصطفاها لنفسه، وأولم رسولُ الله ﷺ وليمة، ما فيها شحم ولا لحم، كان سَوِيقًا وتمرًا، وكانت قبله عند كِنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق.

من رسول الله ﷺ وزوّجني ربُّ العالمين من فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ»[1] وفي حديثٍ آخر أنه لما نزلت الآية ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] قام رسولُ الله ﷺ - ﷺ - فدخل عليها بغير إذن ولم يذكر ابن إسحٰق في أزواج رسول الله ﷺ شَرَافِ بنتَ خَليفة أخت دِحْيَةَ بن خَلِيفة الكَلْبي، وذكرها غيرُه، ولم تُقِمْ عندَه إلاّ يَسِيرًا حتى ماتت وكذلك العالية بنت ظَبْيَان [بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب] ذكرها غيره في أزواج رسول الله ﷺ. وكذلك وَسْنَى بنت الصَّلْتِ تزوّجها ثم خَلَّى سبيلَها، ويقال فيها: سنَا بنت أَسْمَاء بنت

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٤٧ ـ فتح) والترمذي (٣٢١٠).

زواجه بميمونة:

وتزوّج رسولُ الله ﷺ مَيْمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَحِير بن هُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، زوّجه إيّاها العباسُ بن عبد المطّلب، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربع مائة درهم، وكانت قبله عند أبي رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤَيّ؛ ويقال: إنها التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ، وذلك أن خِطْبة النبيّ ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

ويقال: إن التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ زينب بنت جحش، ويقال: أُمّ شريك، غزية بنت جابر بن وهب من بني منقذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لؤَي، ويقال: بل هي امرأة من بني سلمة بن لُؤَيّ، فأرجأها رسولُ الله ﷺ.

زواجه زينب بنت خزيمة:

وتزوّج رسولُ الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تُسمّى أُمّ المساكين، لرحمتها إيّاهم، ورقّتها عليهم، زوّجه إيّاها قَبيصة بن عمرو الهلالي، وأصدقها رسولُ الله ﷺ أربع مائة درهم، وكانت قبله عند عُبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب بن عبد مناف، وكانت قبل عُبيدة عند جَهم بن عمرو بن الحارث، وهو ابن عمّها.

عدّتهن وشأن الرسول معهن:

فهؤلاء اللاّتي بنى بهنّ رسولُ الله ﷺ إحدى عشرة، فمات قبله منهنّ ثنتان: خديجة بنت خُوَيلد، وزينب بنت خُزيمة. وتُوفي عن تسع قد ذكرناهن في أوّل هذا الحديث؛ وثنتان لم يدخل بهما: أسماء بنت النعمان الكندية، تزوّجها فوجد بها بياضًا، فمتّعها وردّها إلى أهلها، وعَمرة بنت يزيد الكلابية، وكانت حديثة عهد بكُفر؛ فلما قَدِمت على رسول الله ﷺ، استعاذت من رسول الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «منيعٌ عائذ الله»، فردّها إلى أهلها، ويقال: إن التي استعاذت من رسول الله ﷺ كِندية بنت عمّ

الصَّلْتِ. ومنهن أسماءُ بنت النُّعْمان بن الجَوْن الكِنْدِيَّة اتفقوا على تَزْويج النبيّ ﷺ إيَّاها، واختلفوا، في سبب فراق النبيّ ﷺ لها. وكذلك قيل في: شَرَافِ بنت خَليفة: إنها هلكت قبل أن يدخل بها، فالله أعلم.

لأسماء بنت النعمان، ويقال: إن رسولَ الله ﷺ دعاها، فقالت: إنَّا قوم نُؤتى ولا نأتي؛ فردّها رسولُ الله ﷺ إلى أهلها.

تسمية القرشيّات منهن:

القُرشيّات من أزواج النبيّ ﷺ ستّ: خديجة بنت خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ بن كِلاب بن مرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ؛ وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قُحافة بن عامر بن عمرو بن كعْب بن سَعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب؛ وحفصة بنت عمر بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عديّ بن كَعْب بن لُؤَيّ، وأُمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاّب بن مرّة بن كَعب بن لُؤَيّ؛ وأُمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لُؤَيّ؛ وسودة بنت زَمعة بن قَيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤَيّ.

تسمية العربيّات وغيرهن:

والعربيّات وغيرهنّ سبع: زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مرّة بن كبِير بن غَنم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة؛ ومَيْمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَحير بن هُزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بَكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خصَفة بن قيس بن عَيلان؛ وزينب بنت خزيمة بن

وذكر خَوْلَة، ويقال فيها: خُوَيْلَة، ذُكرت فيمن تزوّجهم النبيّ عليه السلام، ويقال: هي التي وَهَبَتْ نفسَها للنبيّ عليه السلام[1].

وفاة رسول الله ﷺ:

ذكر خروجَه ﷺ في مَرضه إلى المسجدِ، وأن أبا بكر كان الإمامَ، وأن رسولَ الله ﷺ كان يأتمُّ به، وهذا الحديثُ مُرْسَلٌ في السيرة، والمعروف في الصِّحَاح أن أبا بكر كان يُصَلِّي بصلاةِ رسول الله - ﷺ - والناسُ يصلُّون بصَلاةِ أبي بَكْرٍ، ولكن قد رُوِيَ عن أَنَسٍ من طريقٍ مُتَّصِلٍ أن أبا بكر كان الإمام يومئذ، واختلف فيه عن عائشة رضي الله عنها، ورَوى الدَّارَقُطْنِيُّ من طريق المغيرةِ بن شُعْبَة أن رسول الله ﷺ، قال: «ما مات نبيّ حتى يَؤُمَّه رجلٌ

---

(١) انظر الزاد (١/ ١٠٥).

الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وجُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخُزاعية، ثم المُصطلقية، وأسماء بنت النعمان الكندية؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية.

غير العربيـات:

ومن غير العربيّات: صفيّة بنت حُيي بن أخطب، من بني النضير.

تمريض رسول الله في بيتِ عائشة:

مجيئه إلى بيت عائشة:

قال ابن إسحٰق: حدّثني يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة زوج النبيّ ﷺ، قالت: فخرج رسولُ الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله: أحدهما الفضل بن العباس، ورجل آخر، عاصبًا رأسه، تخطّ قدمناه، حتى دخل بيتي.

قال عُبيد الله، فحَدَّثت هذا الحديث عبد الله بن العبّاس، فقال: هل تدري من الرجل الآخر؟ قال: قلت: لا، قال: عليّ بن أبي طالب.

شدّة المرض وصبّ الماء عليه:

ثم غُمر رسولُ الله ﷺ، واشتدّ به وجعه، فقال: «هَرِيقوا عليّ سبع قِرَب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم». قالت: فأقعدناه في مِخْضب لحفصة بنت عمر، ثم صَبَبنا عليه الماء حتى طَفِق يقول: «حسبكم حسبكم».

من أُمّته»[1]، وذكر أبو عُمَرَ هذا الحديث إلاّ أنه ساقه عن رَبِيعة بن أبي عبد الرحمٰن مُرْسَلاً، وقد أسنده البزار أيضًا من طريق ابن الزُّبَيْر عن عمَرَ عن أبي بكر، وفي مراسيل الحسن البصري أن رسولَ الله - ﷺ - مرض عشرة أيّام صلّى أبو بكر بالنّاس تسعة أيّام منها، ثم خرج رسولُ الله ﷺ في اليوم العاشر منها يُهَادِي بين رَجُلَين أُسَامَةَ والفضلِ بن عباس حتى صلّى خَلْف أبي بكر، رواه الدَّارَقُطْنِيُّ، ففي هذا الحديث أنه مَرِض عشرة أيّام، وهو غريب، وفيه أن أحد الرجلين كان أُسَامَةَ، والمعروفُ عن ابن عبّاسٍ أنه كان عليٌّ بن أبي طالب، وفيه صلاتُه عليه السلام خلف أبي بكر.

---

(١) أخرجه ابن عبد البرّ في التمهيد (٦/ ١٤٤).

كلمة للنبيّ واختصاصه أبا بكر بالذكر:

قال ابن إسحاق: وقال الزهري: حدّثني أيوب بن بشير: أن رسول الله ﷺ خرج عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أوّل ما تكلّم به أنه صلّى على أصحاب أُحُد، واستغفر لم، فأكثر الصّلاة عليهم، ثم قال: «إن عبدًا من عباد الله خَيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله». قال: ففهمها أبو بكر، وعَرف أن نفسه يريد، فبَكى وقال: بل نحن نَفْديك بأنفسِنا وأبنائنا، فقال: «على رِسْلك يا أبا بكر»، ثم قال: «انظروا هذه الأبواب اللاّفظة في المسجد، فسدُّوها إلاّ بيتَ أبي بكر، فإني لا أعلم أحدًا كان أفضل في الصحبة عندي يدًا منه»[1].

قال ابن هشام: ويُروى: إلاّ باب أبي بكر.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الرحمٰن بن عبد الله، عن بعض آل أبي سعيد بن المعلَّى: أن رسول الله ﷺ، قال يومئذ في كلامه هذا: «فإني لو كنت متَّخذًا من العباد خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده»[2].

أمر الرّسول بإنفاذ بعث أسامة:

وقال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أُسامة بن زيد، وهو في وجعه، فخرج عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر وقد كان الناس قالوا في إمرة أُسامةَ: أمَّرَ غلامًا حَدَثًا على جِلّة المُهاجرين والأنصار.

فحمِد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: «أيّها الناس، أنفِذوا بعث أُسامة، فلعَمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقًا لها»[3].

....

(١) انظر البخاري (٥/٧٣) والترمذي (٣٦٦٠) والطبري في تاريخه (٢/٢٢٧) والفتح (١/١٦٥) (١٠/٥٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (١ ـ ٥/٧) والترمذي (٣٦٥٩) وابن ماجة (٩٣).

(٣) انظر الطبقات (٢/١/٣٧) (٤/١/٤٧) (٢/٢/٤١) والفتح (٧/٨٧).

قال: ثم نزل رسول الله ﷺ، وانكمش الناسُ في جهازهم، واستعزّ برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أُسامة، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرْفَ، من المدينة على فَرسخ، فضرب به عسكره، وتتامّ إليه الناس، وثقُل رسول الله ﷺ، فأقام أُسامة والناس لينظُروا ما الله قاضٍ في رسول الله ﷺ.

وصية الرسول بالأنصار:

وقال ابن إسحٰق: قال الزهري: وحدّثني عبد الله بن كعب بن مالك: أن رسولَ الله ﷺ قال يوم صلّى واستغفر لأصحاب أُحُد، وذكر من أمرهِمْ ما ذكر مع مقالته يومئذ: «يا معشر المهاجرين، استوصُوا بالأنصار خيرًا، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم كانوا عَيبتي التي أويت إليها، فأحسِنوا إلى مُحْسِنهم، وتجاوَزوا عن مُسيئهم»[1].

قال عبد الله: ثم نزل رسولُ الله ﷺ، فدخل بيته، وتتامّ به وجعُه، حتى غُمِر.

شأن اللدود

قال عبد الله: فاجتمع إليه نساء من نسائه: أُمّ سَلَمة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهنّ أسماء بنت عُمَيْس، وعنده العبَّاس عمُّه، فأجمعوا أن يَلُدُّه، وقال العبّاس: لأَلُدَّنَّه، قال: فلَدُّوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ، قال: «مَن صَنع هذا بي؟» قالوا: يا رسول الله، عمُّك، قال: «هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض»، وأشار نحو أرض الحبشة؛ قال: «ولم فعلتم ذلك؟» فقال عمُّه العبَّاس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنْب فقال: «إن ذلك لداء ما كان الله عزّ وجلّ ليقذفني به، لا يَبْق في البيت أحدٌ إلاَّ لُدَّ إلاّ عَمِّي، فلقد لِدَّت ميمونة وإنها لصائمة»، لقَسم رسول الله ﷺ، عقوبة لهم بما صَنعوا به.

حديث العباس

فصل: وذكر حديث العباس، وأنه قال: لأَلُدَّنَّه، فَلَدُّوه، وحسبوا أن به ذات الجَنْبِ، ففي هذا الحديث أن العباسَ حضره وَلدَّه مَع من لَدَّ. وفي الصحيحين أن رسولَ الله ﷺ قال: «لا يَبْقَيَنَّ أحدٌ بالبيت إلاّ لُدَّ إلاّ عَمِّي العَبَّاس، فإنه لم يَشْهَدْكم»[2]، وهذه أصحُّ من

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٧) ومسلم في السلام (٨٥) والترمذي (٢٠٥٣).

....

رواية ابن إسحٰق وإنما لَدُّوه لأنه عليه السلامُ قد قال في القُسْطِ[1]: فيه سَبْعَةُ أشْفِيَةٍ يُلَدُّ به من ذات الجَنْب، ويُسْعَطُ به من العُذْرَةِ، ولم يذكر الخَمْسَةَ. قال ابنُ شِهَابٍ: فنحن نستعمله في أدْوِيَتِنا كلِّها لعلّنا نصيبُها، واللَّدُود في جانِبِ الفم مِنْ داخلِه يُجعل هناك الدَّواء ويُحَكُّ بالإِصْبَعِ قليلاً.

وقوله: في ذات الجَنْبِ: ذاك داءٌ ما كان الله ليقذِفَني به، وقال في هذا الحديث من رواية الطبري له: أنا أكرم على الله من أن يقذفني بها، وفي رواية أخرى: وهي من الشيطان، وما كان الله ليُسلِّطَها عليّ. وهذا يدلّ على أنها من سَيىءِ الأسقام التي تعوَّذ النبيُّ عليه السلام منها في دعائه حيثُ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجُنُو والجُذَامِ وسيىءِ الأسْقامِ»[2]، وإن كان صاحبُها من الشهداء السَّبْعَة، ولكنه عليه السلام قد تعوّذ من الغَرَقِ والحَرَقِ، مع قوله عليه السلام: «الغريق شَهيد، والحَريق شهيد»[3]. وقد ذكر أن أسماءَ بنت عُمَيْسٍ هي التي لَدَّته فالله أعلم. والوجَع الذي كان بالنبيّ عليه السلام فَلُدَّ هو الوجع الذي يُسَمَّى خَاصِرَةً، وقد جاء ذكره في كتاب النُّذور من المُوَطَّأ، قال فيه: فأصابتني خاصِرَةٌ، قالت عائشة: وكثيرًا ما كان يصيبُ رسول الله ﷺ، الخاصرةُ. قالت: ولا نَهْتدي لاسم الخاصِرَة، ونقول: أخذ رسول الله ﷺ، عِرْقٌ في الكُلْيَة. وفي مُسْنَد الحارث بن أبي أُسامة يرفعه إلى النبيّ عليه السلام، قال: «الخاصِرَةُ عِرْقٌ في الكُلْيَة إذا تحرّك وَجَع صاحبَه دواؤه العَسَلُ بالماء المُحْرَقِ»[4]، وهو حديث يَرويه عبدُ الرحيم بن عَمْرو عن الزُّهْرِي عن عُرْوَةَ، وعبد الرحيم ضعيفٌ مذكور عند المحدّثين في الضعفاء، ولكن قد رَوت عنه جماعةٌ منهم.

وقول أبي بكر رضي الله عنه: هذا يوم بنتِ خَارِجَةَ يا رسولَ الله بنتُ خَارِجَةَ اسمها: حَبِيبَةُ، وقيل: ملكية، وخارجةُ هو ابن زَيْد بن أبي زُهَيْر، وابن خارجة هو زَيْد بن خَارِجَة الذي تكلّم بعد الموت فيما رَوَى ثقاتُ أهلِ الحديثِ لا يختلفون في ذلك، وذلك أنه مات في زمن عُثْمان، فلما سُجِّي عليه سمِعوا جَلْجَلَةً في صَدْرِه، ثم تكلّم، فقال: أَحْمَدُ أَحْمَدُ في الكتابِ الأوّل صدق صدق، وأبو بكر الصِّدِّيق الضَّعِيفُ في نفسِه القَوِيّ في أمر الله في الكتابِ الأوّل، صدق صدق، عُمَر بن الخطّاب، القوِيُّ الأمين في الكتاب الأوّل صدق

---

(١) القسط: ضرب من أنواع البخور طيّب الرائحة.
(٢) أخرجه النسائي (٨/ ٢٧٠) وعبد الرزّاق (١٩٦٣٤).
(٣) انظر مسلم في الإمارة (١٦٥) وأحمد (٢/ ٣١٠).
(٤) أخرجه ابن عديّ في الكامل (٥/ ٧٧٠).

دعاء الرّسول لأُسامة بالإشارة

قال ابن إسحٰق: وحدّثني سعيد بن عُبيد بن السبَّاق، عن محمد بن أُسامة، عن أبيه أُسامة بن زيد، قال: لما ثَقُل رسولُ الله ﷺ هبطتُ وهبط الناس معي إلى المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ، وقد أُصْمِتَ فلا يتكلّم، فجعل يَرْفع يده إلى السماء ثم يَضعها عليّ، فأعرف أنه يدعو لي.

قال ابن إسحٰق: وقال ابن شهاب الزهري: حدّثني عُبيد بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان رسولُ الله ﷺ كثيرًا ما أسمعه يقول: «إن الله لم يقبض نبيًّا حتى يُخيِّره». قالت: فلما حُضر رسولُ الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتُها وهو يقول: «بل الرّفيق الأعلى من الجنة»، قالت: فقتل: إذًا والله لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: إن نبيًّا لم يقبض حتى يُخَيَّر.

صدق، عُثمان بن عَفَّان على مِنهاجهم مضت أربعٌ وبقيت سنتَانَ، أتت الفِتَنُ، وأكل الشديدُ الضعيفَ، وقامت الساعةُ وسيأتيكم خبرُ بئر أَرِيس، وما بئر أَرِيس[1]. قال سعيد بن المُسَيَّب: ثم هلك رجل من بني خَطْمَةَ فسُجِّي بثوبٍ، فسمعوا جَلْجَلَةً في صَدرِه ثم تكلّم، فقال: إن أخا بني الحارث بن الخَزْرَج صدق صدق، وكانت وفاتُه في خلافة عثمان رضي الله عنه وقد عرض مثل هذه القصّة لربيع بن حِراشٍ أخي رِبْعِيّ بن حِرَاشٍ، قال رِبْعِيٌّ: مات أخي فسَجَّيْنَاه، وجلسنا عنده، فبينما نحن كذلك إذ كشف الثوبَ عن وجهه، ثم قال: السلام عليكم، قلنا: سبحان الله!! أَبَعْدَ الموت؟ قال: إني لقيت رَبِّي فتَلقاني برَوْحٍ ورَيْحَانٍ، وربٍّ غَيْر غَضبَان، وكساني ثيابًا خُضرًا من سُنْدُسٍ واسْتَبْرَقٍ؛ أسرعوا بي إلى رسول الله ﷺ ـ فإنه قد أقسم أن لا يبرح حتى آتيَه وأدركه، وإن الأمر أهون ما تذهبون إليه فلا تَغْتَرُّوا، ثُمَّ والله كأنما كانت نفسُه حَصَاةً فأُلْقِيَتْ في طَسْتٍ[2].

آخر كلمة تكلّم بها عليه السلام

فصل: وذكر أن آخر كلمة تكلّم بها عليه السلامُ: اللهم الرفيق الأعلى، وهذا مُنتزع من قوله تبارَك وتعالى: ﴿فأولئك مع الذين أنعَمُ الله عليهم من النّبِيينَ والصّدِّيقين﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وحَسُن أولئك رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فهذا هو الرفيق الأعلى، ولم يقل: الرُّفَقاءُ،

---

(١) بئر أريس: بئر قريبة من مسجد قباء.

(٢) قصة تفتقر إلى الدليل الصحيح الذي يعتضدها ويقوّيها.

صلاة أبي بكر بالنـاس:

قال الزُّهريّ: وحدّثني حمزة بن عبد الله بن عمر، أن عائشة قالت: لما اسْتُعزَّ برسول الله ﷺ قال: «مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس». قالت: قلت: يا نبيّ الله، إن أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن، قال: «مروه فليصلّ بالناس». قالت: فعُدت بمثل قولي، فقال: «إنكن صواحب يوسف فمُروه فليصلّ بالناس»، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلاّ أني كنت أحبّ أن يُصْرَف ذلك عن أبي بكر، وعرفت أن النّاس لا يُحبّون رجُلاً قام مقامه أبدًا، وأن النّاس سيتشاءَمون به في كل حدث كان، فكنت أحب أن يُصْرَف ذلك عن أبي بكر.

لما قدّمناه في هذا الكتاب مما حَسَّن ذلك، مع أن أهل الجنّة يدخلونها على قلبِ رجل واحد، فهذه آخر كلمة تكلّم بها عليه السلام، وهي تتضمن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن، لأنه قال: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم﴾ وهم أصحابُ الصراط المستقيم، وهم أهلُ لا إلٰه إلاّ الله، قال الله تعالى: ﴿اهْدِنا الصِّراط المستقيم صِراطَ الذين أنعمت عليهم﴾ ثم بَيَّن في الآية المتقدّمة مَنْ الذين أنعم الله عليهم فَذَكرهم، وهم الرفيقُ الأعلى الذي ذكرهم رسول الله ـ ﷺ ـ حين خُيِّر فاختار، وبعض الرُّواة يقولُ عن عائشة في هذا الحديث: فأشار بأُصْبُعِه، وقال: في الرفيق، وفي رواية أخرى أنه قال: «اللّهُمَّ الرفيق»[1]، وأشار بالسَّبَّابَة، يريد: التوحيد، فقد دخل بهذه الإشارةِ في عُمُوم قوله عليه السلامُ: «مَنْ كان آخر كلامه لا إلٰه إلاّ الله دخل الجنّة»[2]، ولا شك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنّة، ولو لم يُشِرْ، ولكن ذكرنا هذا لئلاّ يقول القائلُ: لم لَمْ يكن آخر كلامه: لا إلٰه إلاّ الله، وأوّل كلمة تكلّم بها رسول الله وهو مُسْتَرْضِعٌ عند حَلِيمة أن قال: «الله أكبر، رأيتُ ذلك في بعض كتب الواقدي».

وأما آخرُ ما أَوْصَى به عليه السلام بأن قال: «الصلاة وما مَلَكَتْ أيمانُكم حَرَّك لها لسانَه وما يكادُ يبين»[3]، وفي قوله: «مَلَكَتْ أيمانُكم قولان»: قيل: أراد الرِّفْقَ بالمَمْلُوك، وقيل: أراد الزَّكَاةَ، لأنها في القرآن مقرونةٌ بالصّلاة، وهي من مِلْكِ اليمين، قاله الخطابي.

وقول عائشة رضي الله عنها: فمن سَفَهِي وحَدَاثَةِ سنّي أنه قُبِضَ في حِجْرِي فوضعتُ رأسَه على الوِسَادَة، وقمت أَلْتَدِمُ مع النِّساء. الالتِدَامُ: ضَرْبُ الخَدِّ باليَد، ولم يدخل هذا في

---

(١) انظر البخاري (٦/ ١٨) ومسلم (١٨٩٤) وأحمد (٦/ ٨٩).
(٢) أخرجه أبو داود (٣١١٦) وأحمد (٥/ ٢٣٣) والبيهقي في الصفات (٩٩ ـ بتحقيقي).
(٣) أخرجه أبو داود وابن ماجة (١٦٢٥/ ٢٦٩٧/ ٢٦٩٨) وأحمد (٣/ ١١٧).

قال ابن إسحٰق: وقال ابنُ شهاب: حدّثني عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زَمعة بن الأسود بن المُطَّلب بن أسد، قال: لما استُعِزّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين، قال: دعاه بلال إلى الصّلاة، فقال: «مُروا مَنْ يُصلّي بالنّاس». قال: فخرجت فإذا عمر في الناس. وكان أبو بكر غائبًا؛ فقلت: قُم يا عمر فصلّ بالنّاس. قال: فقام، فلما كبّر، سمع رسولُ الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلاً مِجْهَرًا، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون». قال: فبُعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلّى عمر تلك الصّلاة، فصلّى بالناس. قال: قال عبد الله بن زمعة: قال لي عمر: ويحك، ماذا صنعت بي يا ابن زمعة، والله ما ظننت حين أمرتني إلاّ أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صلّيت بالناس. قال: قلتُ: والله ما أمرني رسولُ الله ﷺ بذلك، ولكنّي حين لم أرَ أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصّلاة بالنّاس.

اليوم الذي قبض الله فيه نبيّه

قال ابن إسحٰق: وقال الزهري: حدّثني أنسُ بن مالك: أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله ﷺ، خرج إلى النّاس وهم يصلّون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسولُ الله ﷺ، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحًا به، وتفرّجوا، فأشار إليهم أن اثبتُوا على صلاتكم؛ قال:

التحريم، لأن التحريمَ إنما وقع على الصُّراخ والنُّواح، ولُعِنَتْ الخارِقَةُ والحالِقَة والصَّالِقَةُ وهي الرافعة لصوتها، ولم يذكر اللَّدْم لكنه، وإن لم يذكره، فإنه مكروه في حال المصيبة، وتركه أحمد إلاّ على أَحْمَدَ ﷺ:

فالصَّبْرُ يُحْمَد في المصائِب كُلِّها ... إلاّ عليك فإنه مَذْمُومُ
وقد كان يُدْعَى لابسُ الصَّبْر حازِمًا ... فأصبح يُدْعَى حازِمًا حين يَجْزَعُ

متى تُوفي رسول الله؟

واتفقوا أنه تُوُفّي - ﷺ - يوم الاثْنَيْن إلاّ شيئًا ذكره ابن قُتَيْبَةَ في المعارف: الأَرْبِعَاءِ، قالوا كلهم: وفي ربيع الأوّل، غير أنهم قالوا، أو قال أكثرُهم في الثاني عَشَرَ من ربيع، ولا يصحّ أن يكون تُوفي ﷺ إلاّ في الثاني من الشهر أو الثّالثَ عَشَرَ أو الرّابعَ عَشَرَ أو الخامِسَ عَشَرَ لإجْماع المسلمين على أن وَقْفَةَ عَرَفَةَ في حجّة الوداع كانت يوم الجمعة، وهو التاسع من ذي الحِجَّةِ، فدخل ذو الحجّة يوم الخميس، فكان المحرَّم إما الجمعة وإما السبت، فإن

فتبسّم رسولُ الله ﷺ سرورًا لما رأى من هيئتهم في صلاتهم، وما رأيتُ رسولَ الله ﷺ أحسنَ هَيئة منه تلك الساعة، قال: ثم رجع وانصرف النّاسُ وهم يرون أن رسولَ الله ﷺ قد أفْرق من وجعه، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد: أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصّلاة: «أين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون». فلولا مقالةٌ قالها عمر عند وفاته، لم يشكّ المسلمون أن رسولَ الله ﷺ قد استخلف أبا بكر، ولكنّه قال عند وفاته: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منّي. فعَرف الناسُ أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدًا، وكان عمر غيرَ متَّهم على أبي بكر.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مُليكة، قال: لما كان يوم الاثنين خرج رسولُ الله ﷺ عاصبًا رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلّي بالنّاس، فلما خرج رسولُ الله ﷺ تفرّج النّاس، فعَرف أبو بكر أن النّاس لم يصنعوا ذلك إلاّ لرسول الله ﷺ، فنكص عن مُصَلاّه، فدفع رسولُ الله ﷺ في ظِهره، وقال: «صلّ بالنّاس»، وجلس رسولُ الله ﷺ إلى جنبه، فصلّى قاعدًا عن يمين أبي بكر، فلما فَرغ من الصلاة أقبل على النّاس، فكلّمهم رافعًا صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: «أيّها النّاس، سُعِّرت النّار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإنّي والله ما تَمسّكون عليّ بشيء، إني لم أُحِلّ إلاّ ما أحلّ القرآن، ولم أُحرِّم إلاّ ما حرَّم القرآن».

قال: فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من كلامه، قال له أبو بكر: يا نبيّ الله إني أراك قد أصبحتَ بنعمة من الله وفضل كما نُحبّ، واليوم يوم بنت خارجة، أفآتيها؟ قال: «نعم»، ثم دخل رسولُ الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنح.

كان الجمعة، فقد كان صَفَرُ إمّا السبتُ وإما الأحَدُ، فإن كان السبتُ، فقد كان ربيعٌ الأحَدَ أو الاثنين، وكيفما دارت الحالُ على هذا الحسابِ، فلم يكن الثاني عشر من ربيع يوم الاثنين بوجهٍ، ولا الأربعاء أيضًا كما قال القُتَبِيُّ، وذكر الطبري عن ابن الكلبي وأبي مِخْنَفٍ أنه توفي في الثاني من ربيع الأوّل، وهذا القولُ وإن كان خلافَ أهل الجمهور فإنه لا يبعد أن كانت الثلاثةُ الأشهر التي قبله كلها من تسعة وعشرين، فتدبّره، فإنه صحيح، ولم أر أحدًا تفطّن له، وقد رأيت للخُوارَزْمِي أنه تُوفي عليه السلام في أوّل يومِ من ربيع الأوّل، وهذا أقرب في القياس بما ذكر الطبري عن ابن الكلبي وأبي مِخْنَفٍ.

شأن العباس وعليّ:

قال ابن إسحاق: قال الزهريّ: وحدّثني عبد الله بن كعب بن مالك، عن عبد الله بن عبَّاس، قال: خرج يومئذ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه على النّاس من عند رسول الله ﷺ، فقال له النّاس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسولُ الله ﷺ؟ «قال: أصبح بحمد الله بارئًا، قال: فأخذ العبَّاس بيده، ثم قال: يا عليّ، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ، كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطّلب، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا، أمَرناه فأوصى بنا النّاس. قال: فقال له عليّ: إني والله لا أفعل، والله لئِن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده.

فتُوفّي رسولُ الله ﷺ حين اشتدّ الضُّحاء من ذلك اليوم.

سواك الرّسول قبيل الوفاة

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عتبة، عن الزُهريّ، عن عروة عن عائشة، قال: قالت: رجع إليّ رسولُ الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضْطَجع في حِجْري، فدخل عليَّ رجلٌ من آل أبي بكر، وفي يده سِواك أخضر. قال: فنظر رسولُ الله ﷺ إليه في يده نظرًا عرفت أنه يريده، قالت: فقلت: يا رسول الله، أتحبّ أن أعطيك هذا السّواك؟ قال: «نعم»، قالت: فأخذته فمضغته له حتى ليَّنته، ثم أعطيته إيّاه، قالت: فاستَنَّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسِوَاكٍ قط، ثم وضعه، ووجدت رسول الله ﷺ

السّـواك

فصل: وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها ناولته السّوَاك حين رأته ينظر إليه، فاسْتَاكَ به، وفيه من الفقه: التّنَظُّفُ والتّطَهُّر للموتِ، ولذلك يُستحب الاسْتِحْدَادُ لمن اسْتَشْعَرَ القتل أو الموتَ كما فعل خُبَيْبٌ، لأن الميتَ قادمٌ على ربِّه، كما أن المصلّي مُنَاج لربِّه، فالنظافة من شأنهما، وفي الحديث: «إن الله نظيفٌ يُحِبُّ النظافَةَ»، خَرَّجه التِّرْمِذِيُّ، وإن كان مَعْلُولَ السَّنَدِ، فإن معناه صحيح، وليس النظيفُ من أسماء الربِّ، ولكنه حَسَنٌ في هذا الحديث، لازْدِوَاجِ الكَلَامِ، ولقُرْب معنى النَّظافة من معنى القُدْس، ومن أسمائه سبحانه: القُدُّوسُ، وكان السّواكُ المذكورُ في هذا الحديثِ من عَسِيبِ نَخْلٍ فيما رَوى بعضهم،

يَثْقل في حجري، فذهبت أنظرُ في وجهه، فإذا بصره قد شَخَص، وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنّة»، قالت: فقلت: خُيِّرت فاخترت والذي بعثك بالحقّ. قالت: وقُبض رسولُ الله ﷺ.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد. قال: سمعت عائشة تقول: مات رسولُ الله ﷺ بين سَحْري ونَحْري وفي دَوْلتي، لم أظلم فيه أحَدًا، فمِنْ سَفَهِي وحَدَاثة سِنّي أن رسول الله ﷺ قُبض وهو في حِجري، ثم وضعت رأسَه على وسادة، وقمت ألْتَدم مع النساء، وأضرب وجهي.

والعربُ تَسْتَاكُ بالعَسيبِ[1]، وكان أَحبَّ السِّواك إلى رسولِ الله - ﷺ - صُرُعُ الأَرَاكِ، واحدُها صَرِيعٌ وهو قضيب يَنْطَوي من الأَرَاكَةِ حتى يبلغ الترابَ، فيبقى في ظِلِّها فهو أَلْيَنُ من فَرْعِها.

ومما رُوي من قول عائِشةَ - رضي الله عنها - في معنى قولها: بين سَحْرِي ونَحْرِي، أنها قالت: قبض رسولُ الله ﷺ بين حاقِنَتِي وذَاقِنَتِي، فالحاقِنَةُ الثُّغرَةُ، والذَّاقِنةُ: تحت الذَّقْنِ، ويقال لها: التُّونَةُ أيضًا. ورُوي أيضًا: بين شَجرِي - بالشين والجيم - ونَحْري، وسئل عُمَارَةَ بن عقيل عن معناه، فشبَّك بين أصابع يديه، وضمّها إلى نحره.

وغُسِّل عليه السلام حين قبض من بِئْرٍ لسعد بن خَيْثَمَةَ يقال لها: بئر الغَرْسِ.

كـرامـات ومعجـزات:

فصل: وذكر أنهم كُلِّمُوا حين أرادوا نزع قميصِه للغَسْل، وكلهم سمع الصوتَ، ولم ير الشخصَ، وذلك من كراماته ﷺ، ومن آيات نُبُوَّته بعد الموت، فقد كان له عليه السلام كراماتٌ ومُعْجِزَاتٌ في حياته، وقبل مولده وبعد موته. ومنها ما رواه أبو عُمَر رحمه الله في التمهيد من طُرقٍ صِحَاح: «أن أهل بيته سَمِعوا وهو مُسَجًّى بينهم قائلاً يقول: السلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه يا أهل البيت إن في الله عِوَضًا من كل تالف، وخَلَفًا من كل هالك، وعَزَاءَ من كل مُصِيبة، فاصبروا واحْتَسِبوا، إن الله مع الصابرين، وهو حَسْبُنا، ونعم الوكيل. قال: فكانوا يَرَوْنَ أنه الخَضرُ صلّى الله على نبيّنا وعليه»[2] ومن ذلك أيضًا أن الفضلَ بن عباس كان يُغَسِّله هو وعَلِيٌّ، فجعل الفضلُ وهو يَصُبُّ الماءَ يقول: أَرِحْني أَرِحْنِي، فإني

---

(١) العسيب: جريد النخل.

(٢) تقدّم الكلام على خرافة بقاء الخضر حيًّا حتى وفاة النبيّ ﷺ، ومن باب أولى بقاءه حيًّا حتى اليوم كما يعتقد عوام الصوفيّة.

مقالة عمر بعد وفاة الرّسول

قال ابن إسحٰق: قال الزهري: وحدّثني سعيد بن المسيَّب، عن أبي هريرة، قال: لما تُوفي رسولُ الله ﷺ قام عُمر بن الخطّاب، فقال: إن رجالاً من المُنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد تُوفي، وإن رسولَ الله ﷺ ما مات، ولكنه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات؛ والله ليرجعَنّ رسولُ الله ﷺ كما رجَع موسى، فلَيقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسولَ الله ﷺ مات.

أجد شيئًا يَتنَزَّل على ظَهْري. ومنها أنه عليه السلام لم يظهر منه شيء مما يظهر من الموتى، ولا تغيّرت له رائحةٌ، وقد طال مُكثُه في البيت قبل أن يُدْفَنَ، وكان موتُه في شَهْر أَيْلُولَ، فكان طَيِّبًا حَيًا ومَيّتًا، وإن كان عمُه العباس قد قال لعلي: إن ابن أخي مات لا شَكَّ، وهو من بني آدم يَأْسَنُ كما يَأْسِنون، فوارُوه. وكان مما زاد العباسُ يقينًا بموته عليه السلام أنه كان قَد رأى قبل ذلك بيسيرٍ كأنَّ القمَر رُفِع من الأرض إلى السماء بأشْطَانٍ، فقصَّها على نَبيِّ الله ﷺ، فقال له: «هو ابنُ أخيك». وروَى يونُس بن بَكِير في السِّيرة أن أُم سَلَمَة قالت: وضعتُ يدي على صَدْرِ رسولِ الله - ﷺ - وهو مَيِّتٌ فمرَّت عليّ جُمَعٌ لا آكل ولا أَتَوَضَّأ إلاّ وجدت ريحَ المِسْكِ من يَدي، وفي روايته أيضًا: أن عَليًا نُودي، وهو يُغَسِّله أن ارْفَعْ طَرْفَك إلى السماءِ. وفيها أيضًا أن عليًا والفضل حين انْتَهَيَا في الغسْلِ إلى أسفله سَمِعوا مُناديًا يقول: لا تَكْشِفُوا عَوْرَةَ نَبِيِّكم عليه السلام.

موازنة بين عمر وبين أبي بكر

وأما جَزَعُ عمر رضي الله عنه وقولُه: والله ما مات رسولُ الله ﷺ، ولَيَرْجِعَنَّ كما رَجَع موسى عليه السلام، حتى كَلَّمه أبو بكر رحمه الله، وذكَّره بالآيةِ، فَعَقِر حتى سَقَط إلى الأرض، وما كان من ثَباتِ جَأْشِ أبي بكر وقوّته في ذلك المقام، ففيه ما كان عليه الصِّدِّيقُ رضي الله عنه من شدّة التَّأَلُّهِ، وتعلُّق القلب بالإله، ولذلك قال لهم: مَنْ كان يَعبُد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومَنْ كان يعبد الله، فإن الله حَيٌّ لا يموت. ومن قُوّةِ تألُّهِهِ - رضي الله عنه - حين أجمع أصحابُ رسول الله ﷺ على رَدّ جَيْش أُسَامَةَ حين رأوا الرِّدَّة قَد اسْتَعَرَتْ نارُها، وخافوا على نساءِ المدينة وذَرَارِيها، فقال: والله لو لعبت الكلابُ بخَلاَخِلِ نِسَاءِ المَدِينة، ما رَدَدْتُ جَيْشًا أنفذه رسولُ الله - ﷺ - وكلّمه عمرُ وأبو عُبَيْدَةَ، وسالمٌ مولى أبي حُذَيْفَةَ، وكان أشدَّ شيءٍ عليه أن يُخالِفَ رأيُه رأي سالم، فكلّموه أن يدعَ للعربَ زَكَاةَ ذلك العام تألُّفًا لهم حتى يتمكن له الأمرُ، فقد كان رسولُ الله - ﷺ - يتألَّفُهم، وكلّمه عمر أن

موقف أبي بكر بعد وفاة الرّسول

قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وهو يكلِّم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ورسولُ

يُوَلِّي مكان أُسَامَةَ مَنْ هو أَسَنُّ مِنه، وأجْلدُ، فأخذ بلحْيَةِ عُمَرَ، وقال له: يا ابن الخَطَّابِ أتأمرني أن أكونَ أوّلَ حَالٍّ عَقْدًا عَقَدَه رسولُ الله - ﷺ - والله لأن أَخِرَّ من السماء إلى الأرض، فتَخْطَفني الطيرُ أحبّ إليّ من أن أُمَالِئَكم على هذا الرأي، وقال لهم: والله لو أُفرِدْتُ من جميعكم لقاتلتهم وَحدي حتى تَنفَرِدَ سَالِفتي، ولو منعوني عِقَالاً، لجاهدتُهم عليه، أَوَ في شَكٍّ أنتم، إنَّ وَعْدَ الله لَحَقٌّ. وإن قولَه لَصِدْقٌ، ولَيُظْهِرَنَّ الله هذا الدينَ، ولو كره المشركون. ثم خرج وحده إلى ذي القَصَّةِ[1] حتى اتبعوه، وسمع الصوتَ بين يديه في كل قبيلة ألا إن الخليفةَ قد تَوجَّه إليكم الهَرَبَ الهَرَبَ، حتى اتّصل الصوتُ من يومه ببلاد حِمْيَر، وكذلك في أكثر أحوالِه رضي الله عنه، كان يلوح الفَرْقُ في التَّأَلُّه بينه وبين عُمَرَ رضي الله عنهما، ألا ترى إلى قوله حين قال النبيّ ﷺ: «سمعتُك وأنت تَخْفِضُ مِنْ صوتك» يعني في صلاة الليل، فقال: قد أسمعت مَنْ ناجيت، وقال للفاروق: سمعتك وأنت تَرْفَعُ مِنْ صوتك، فقال: كي أَطْرُدَ الشَّيطَانَ، وأوقظ الوَسْنَانَ. قال عبدُ الكَرِيم بن هَوَازِن القُشَيْري، وذكر هذا الحديثَ: انظروا إلى فَضْلِ الصِّدِّيق على الفَارُوق، هذا في مقام المُجَاهَدَة، وهذا في بِسَاط المُشَاهَدَةِ، وكذلك ما كان منه يوم بَدْر، وقد ذكرنا مقالته للنبيّ عليه السلام ذلك اليوم، وهو معه في العَرِيش، وكذلك في أمر الصَّدَقة حين رَغِب رسولُ الله ﷺ - فيها، فجاء عمر بنِصْفِ ماله، وجاء الصِّدِّيقُ بجميع ماله، فقال له النبيّ عليه السلام: «ما أبقيتَ لأهلِك؟» قال: الله ورسوله[2]، وكذلك فعله في قَسْمِ الفَيْءِ حين سوَّى بين المسلمين، وقال: هم إخْوة، أبوهم الإسلام، فهم في هذا الفَيْءِ أُسْوَةٌ، وأُجُورُ أهل السَّوابِقِ على الله. وفضل عُمَرَ في قَسْم الفَيْء بعضَهم على بعضٍ على حسب سوَابقهم، ثم قال في آخر عُمْرِه: لئن بقيتُ إلى قابِلٍ لأُسَوِّيَنَّ بين الناس، وأراد الرجوع إلى رأي أبي بَكرٍ، ذكره أبو عُبَيْد رضي الله عنه، وعن جميع أصحاب رسول الله - ﷺ -.

ما حدث للصحابة عقب وفاته ﷺ

ومن ذلك ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة أن النبيَّ ﷺ لما

---

(١) مكان على بريد من مكّة.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨) والترمذي (٣٦٧٥) والحاكم (١/ ٤١٤) والبيهقي (٤/ ١٨١) وابن أبي عاصم (٢/ ٥٩٧).

الله ﷺ مُسجًّى في ناحية البيت، عليه بُرْد حِبَرة، فأقبلِ حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم أقبل عليه فقبَّله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما المَوْتَةُ التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لَن تصيبك بعدها مَوْتَةٌ أبدًا. قال: ثم ردّ البُرْد على وجه رسول الله، ثم خرج وعمر يكلِّم الناس، فقال: على رِسْلك يا عمر، أنصِت، فأبى إلاّ أن يتكلَّم، فلما رآه أبو بكر لا يُنصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيّها النّاس، إنه من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد ماتِ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت. قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿وما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَت مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبتُمْ عَلَى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قُبِضَ، وارتفعت الرَّنَّةُ وسجّي رسولَ الله ﷺ الملائكةُ، دُهِش النّاسُ، وطاشت عقولُهم وأُقْحِمُوا، واختلطوا، فمنهم من خُبِلَ، ومنهم من أُصمِتَ، ومنهم من أُقْعِد إلى أرض، فكان عُمَرُ ممن خُبِل وجَعَل يَصيح، ويَحْلف: ما مات رسولُ الله ـ ﷺ ـ وكان مِمَّن أُخْرِس عثمانُ بن عُفَّان حتى جعل يُذْهَبُ به ويُجَاء، ولا يستطيع كلامًا، وكان ممن أُقعِد: عَلِيٌّ، رضي الله عنه، فلم يستطع حَرَاكًا، وأما عَبْدُ الله بن أُنَيسٍ، فأُضْنِي حتى مات كَمَدًا، وبلغ الخبرُ أبا بَكْرٍ رضي الله عنه، وهو بالسُّنحُ، فجاء وعيناه تَهْمُلاَن، وزَفَرَاتُهُ تَتَرَدَّد في صَدْرِه، وغُصَصُه ترتفع كقطع الجِرَّةِ، وهو في ذلك رِضوَانُ الله عليهِ، جَلْدُ العَقْلِ والمَقَالَة، حتى دَخَل على رسولِ الله ـ ﷺ ـ فأكَبَّ عليه، وكشف وجهَه ومَسَحه وقَبَّل جبينَه، وجعل يَبْكِي، ويقول: بأبي أنت وأمِّي طِبْتَ حَيًا ومَيِّتًا، وانقطع لموتِك ما لم يَنْقَطِعْ لموتِ أحدٍ من الأنبياء من النُّبوَّةِ، فعَظُمْتَ عن الصِّفة، وجَلَلْتَ عن البُكاء، وخصصت حتى صِرْتَ مَسْلاَةً، وعممت حتى صِرنا فيك سَوَاء، ولو أن مَوْتَك كان اختيارًا لجُدْنَا لموتِك بالنفوسِ، ولولا أنك نَهَيْتَ عن البُكاء لأنفذنا عليك ماءَ الشؤون، فأما ما لا نستطيع نَفْيَه فَكَمَدٌ وإدْنَافٌ يتحالفان لا يَبْرَحَان، اللهم أبلغه عنا، اذْكُرْنا يا مُحَمَّد عند رَبِّك، ولنَكُنْ مِنْ بالك، فلولا ما خَلَّفتَ من السَّكِينة، لم نَقُم لما خَلَّفْتَ من الوَحْشَةِ، اللهم أبلغ نبيَّك عَنَّا، واحفظه فينا، ثم خرج لما قضى الناسُ غَمَرَاتِهم، وقام خطيبًا فيهم بخُطْبَةٍ جُلُّها الصَّلاةُ على النبيّ محمد ـ ﷺ ـ وقال فيها: أشهد إن لا إله إلاَّ الله وَحْدَه لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتابَ كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديثَ كما حَدَّث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحقُّ المبين، في كلامٍ طويلٍ، ثم قال: أيّها الناسُ مَنْ كَانَ يَعْبُد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حَيٌّ لم يَمُتْ، وأن الله قد تقدّم

قال: فوالله لكأن النّاس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ؛ قال: وأخذها النّاس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم؛ قال: فقال أبو هريرة: قال عمر والله ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر تلاها، فعَقِرت حتى وقعت إلى الأرض ما تَحمِلُني رجلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات.

لكم في أمرِه، فلا تَدَعُوه جزعًا، وأن الله تبارك وتعالى قد اخْتَار لنبيّه عليه السلامُ ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه، وخلّف فيكم كتابَه وسُنّة نبيّه، فمن أخذ بهما عَرَف، ومن فرّق بينهما أَنْكَر: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا كونوا قوَّامِين بالقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥] ولا يَشْغَلَنَّكُمْ الشيطانُ بموت نبيّكم ولا يَلْفِتَنَّكم عن دينِكم، وعاجِلُوا الشيطانَ بالخِزْيِ تُعْجِزوه، ولا تَسْتَنْظِرُوه فَيَلْحَقَ بكم. فلما فرغ من خُطْبَتِه، قال: يا عُمَرُ أأنتَ الذي بلغني عنك أنك تقول على بَابِ نَبِيِّ اللهِ، والذي نفسُ عُمَرَ بيده: ما مات نبيُّ الله، أما عَلِمْتَ أن رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ قال يوم كذا: كَذَا، وكَذا، وقال الله عَزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿إنك مَيِّتٌ وإنهم مَيِّتُون﴾ [الزمر: ٣٠] فقال عمر: والله لَكأنّي لم أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل الآن لِمَا نَزَلَ بنا، أشهد أنَّ الكتابَ كما نزل، وأن الحديث كما حَدَّث، وأن الله تَبَارَك وتَعَالى حَيٌّ لا يموت ﴿إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون﴾ [البقرة: ١٥٦] صلواتُ الله على رسوله، وعند الله نَحْتَسِب رسولَه. وقال عمر فيما كان منه:

لَعَمْرِي لقد أيقَنْتُ أنك مَيِّتٌ ... ولكنما أَبْدَى الذي قلتُه الجَزَع
وقلت يَغِيب الوَحْيُ عنا لفَقْدِه ... كما غاب موسى، ثم يرجع كما رَجَعْ
وكان هَوَايَ أن تطولَ حياتُه ... وليس لحَيٍّ في بَقَا مَيِّتٍ طَمَعْ
فلما كشفنا البُرْدَ عن حُرِّ وَجْهه ... إذا الأمْرُ بالجزع الموهب قد وَقَعْ
فلم تَكُ لي عند المُصِيبة حِيلَةٌ ... أَرُدُّ بها أهلَ الشَّماتَة والقَذَعْ
سِوَى آذَنَ الله في كتابه ... وما آذن الله العِبادَ به يَقَعْ
وقد قلت مِنْ بعد المقالةِ قَوْلةً ... لها في حُلوق الشَّامِتِين به بَشَعْ
ألا إنما كان النبيُّ محمدٌ ... إلى أَجَلٍ وافي به الوقت فانْقَطَعْ
ندين على العلاَّت منا بدينِه ... ونُعطي الذي أعطى، ونَمْنَع ما مَنَعْ
ووَلَّيت مَحزونًا بعين سَخِينَةٍ ... أكَفْكِفُ دَمْعي والفؤادُ قد انْصَدَعَ
وقلت لعيني: كُلّ دَمْعٍ ذَخَرْتِه ... فجُودي به إن الشَّجِيَّ له دُفَعْ

وفي هذا الخبر أنَّ عمر قال: فَعِقِرت إلى الأرض، يعني حين قال له أبو بكر ما قال، يقال: عَقِرَ الرجلُ إذا سَقَط إلى الأرض من قامته، وحكاه يَعْقُوبُ عَفَرَ بالفاء كأنه من العَفَر

أمـر سقيفة بني ساعـدة:

تفـرّق الكلمـة:

قال ابن إسحـٰق: ولـما قُبِض رسولُ الله ﷺ انحاز هذا الحيُّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل عليّ بن أبي طالب والزُّبير بن العوّام وطلحة بن عُبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقيّة المهاجرين إلى أبي بكر، وانحاز معهم أُسَيد بن حُضَير، في بني عبد الأشهل، فأتى آت إلى أبي بكر وعمر، فقال: إن هذا الحيّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة، قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر النّاس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرُهم، ورسولُ الله ﷺ في بيته لم يُفرغ من أمره قد أغلَق دُونه الباب أهلُه. قال عمر: فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، حتى ننظر ما هم عليه.

ابن عوف ومشورته على عمر بشأن بيعة أبي بكر:

قال ابن إسحـٰق: وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار، أن عبد الله بن أبي بكر، حدّثني عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني عبد الرحمـٰن بن عوف قال: وكنت في منزله بمنى أنتظره، وهو عند عمر في آخر حِجّة حجّها عمر، قال: فرجع عبد الرحمـٰن بن عوف من عند عمر، فوجدني في منزله بمنى أنتظره، وكنت أُقرئه القرآن، قال ابن عباس، فقال لي عبد الرحمـٰن بن عوف: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: والله لو قد مات عمر بن الخطّاب لقد بايعت فلانًا، والله ما كانت بَيعة أبي بكر إلاّ فَلْتة فتمَّت. قال: فغضب عمر، فقال: إني إن شاء الله لقائم العشيَّة في النّاس، فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصبوهم أمرهم، قال عبد الرحمـٰن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رِعاع النّاس وغَوغائهم، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك، حين تقوم في النّاس، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطِير بها أولئك عنك كلّ مطير، ولا يعوها، ولا يَضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدَم المدينةَ فإنها دار السُّنة، وتخلص بأهل الثقة وأشراف النّاس فتقول ما قلت بالمدينة متمكّنًا، فيعي أهل الفقه مقالتك، ويضعوها عَلى مواضعها، قال: فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أوّل مَقام أقومه بالمدينة.

وهو التراب، وصَوَّب ابن كيسان الروايتين، وقالت عائشةُ ـ رضي الله عنها تُوفي رسولُ الله ﷺ: فلو نزل بالجِبَال الصُّمّ ما نزل بأبي لهاضَها، ارْتَدّت العربُ واشْرَأَبّ النِّفاقُ، فما

خطبة عمر عند بيعة أبي بكر:

قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجّة، فلما كان يوم الجمعة عجّلت الرّواح حين زالت الشمس، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل جالسًا إلى رُكن المِنبر فجلست حذوه تمسّ رُكبتي ركبته، فلم أنشَب أن خرج عمرُ بن الخطّاب، فلما رأيته مُقبلاً. قلت لسعيد بن زيد: لَيقولنَّ العشيَّة على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف؛ قال: فأنكر عليّ سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذّنون، قام فأثنى على الله بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإني قائل لكم اليوم مقالة قد قُدر لي أن أقولها، ولا أدري لعلّها بين يديّ أجلي، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعيَها فلا يحلُّ لأحد أن يكذّب عليّ؛ إن الله بعث محمدًا، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعُلّمناها ووعيناها، ورجَم رسولُ الله ﷺ ورَجمْنا بعده، فأخشى إن طال بالنّاس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، وإذا قامت البينة، أو كان الحَبل أو الاعتراف؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: ﴿لا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ فإنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَن آبائِكُمْ﴾ ألا إن رسول الله ﷺ قال: «لا تُطروني كما أُطرِي عيسى ابن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله»[1]؛ ثم إنه قد بلغني أن فلانًا قال: والله لو قد مات عمر بن الخطّاب لقد بايعت فلانًا، فلا يغرّن امرأ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فَلْتة فتمّت، وإنها قد كانت كذلك إلاّ أن الله قد وَقى شرّها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بَيْعة له هو ولا الذي بايعه تَغِرَّةً أن يقتلا، إنه كان من خبرنا حين تَوفى الله نبيّه ﷺ أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم في سَقيفة بني ساعدة، وتخلّف عنّا عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوّام ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر:

اختلفوا في نُقْطَةٍ إلا طار أبي بحَظِّها وغَنائِها، ويُروى في بُقْطَةٍ بالباء، قاله الهَرَوِيُّ في الغَريبين، وفسّره باللّمعة، ونحوها، واستشهد بالحديث في النّهي عن بَقْطِ الأرض، وهو أن يُقْطَع شَجَرُها فتتخذَ بُقَعًا للزرع، وبَقْطُها ضَرْبٌ من المُخابَرة قد فسّره.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٤) ومسلم في القدر (٣٤) وأخرجه أحمد (١/ ٢٣) والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٩٧) وانظر الفتح (١٠/ ٤٧٨).

انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم، وقال: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، قالا: فلا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين، اقضوا أمركم. قال: قلت: والله لنأتينّهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزَمَّل فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عُبادة، فقلت: ما له؟ فقالوا: وجِع. فلما جلسنا تشهّد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفَّت دافَّة من قومكم، قال: وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلّم، وقد زوّرت في نفسي مقالة قد أعجبتني، أريد أن أقدمها بين يديّ أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحَدّ، فقال أبو بكر: على رِسْلك يا عمر، فكرهت أن أُغضبه، فتكلّم، وهو كان أعلم مني وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تَزْويري إلاّ قالها في بَديهته، أو مثلها أو أفضل، حتى سكت؛ قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا؛ وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين؛ فبايعوا أيّهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عُبيدة بن الجرّاح، وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئًا مما قاله غيرها، كان والله أن أقدّم فتُضرب عنقي، لا يُقَرّبُني ذلك إلى إثم، أحبّ إليّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر.

قال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها المُحَكَّك وعُذَيْقُها المُرَجَّب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. قال: فكثر اللّغط، وارتفعت الأصوات، حتى تخوّفت الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبَسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عُبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عُبادة: قال: فقلت: قتل الله سعد بن عبادة.

تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر في طريقهما إلى السقيفة:

قال ابن إسحٰق: قال الزهري: أخبرني عُروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لَقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُويم بن ساعدة، والآخر معن بن عديّ، أخو بني العجلان. فأما عويم بن ساعدة، فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ مَنِ الذين قال الله عزّ وجلّ لهم: ﴿فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]؟

....

فقال رسولُ الله ﷺ: «نِعْم المرْء منهم عُوَيم بن ساعدة»[1]؛ وأما مَعْن بن عديّ، فبلغنا أن النّاس بكَوْا على رسول الله ﷺ حين توفّاه الله عزّ وجلّ، وقالوا: والله لَوَدِدْنا أنا متنا قبله، إنا نخشى أن نفتَتن بعده. قال معن بن عديّ: لكني والله ما أحبّ أني متّ قبله حتى أصدّقه ميتًا كما صدّقته حيًّا؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيدًا في خلافة أبي بكر، يوم مُسَيلِمة الكذّاب.

خطبة عمر قبل أبي بكر عند البيعة عامة:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني الزهريّ، قال: حدّثني أنس بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلّم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيّها النّاس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهِدَ إليّ رسولُ الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبّر أمرنا؛ يقول: يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هَدى الله رسوله الله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحِب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في النار، فقوموا فبايعوه، فبايع النّاس أبا بكر بيعة العامّة، بعد بيعة السقيفة.

خطبـة أبـي بكـر:

فتكلّم أبو بكر، فحَمِد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيّها النّاس، فإني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتى أُريح عليه حقّه إن شاء الله، والقويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحقّ منه إن شاء الله، لا يدَعُ قوم الجهاد في سبيل الله إلاّ ضربهم الله بالذُّل، ولا تشيّع الفاحشية في قوم قطُّ إلاّ عَمَّهُمُ الله بالبلاءِ؛ أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني حسين بن عبد الله، عن عكرِمة، عن ابن عبّاس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامِد إلى حاجة له، وفي يده الدرّة وما معه

....

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢/ ٣١).

غيري، قال: وهو يحدّث نفسَه، ويضرب وحشيَّ قدمه بدِرَّتِه، قال: إذا التفت إليّ، فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلتُ حين تُوفي رسولُ الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم؛ قال: فإنه والله، إن كان الذي حملني على ذلك إلاّ أني كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وكَذَٰلكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطا لِتَكُونُوا شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فوالله إن كنت لأظنّ أن رسول الله ﷺ سَيَبْقى في أُمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت.

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه:

من تولّى غسل الرّسول:

قال ابن إسحٰق: فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه، أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر وحُسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا: أن عليّ بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطّلب، والفضل بن العباس وقُثَم بن العباس، وأُسامة بن زيد، وشُقْران مولى رسول الله ﷺ، هم الذين ولُوا غَسْله، وأنّ أوس بن خَوْلِيّ، أحد بني عوف بن الخزرج، قال لعليّ بن أبي طالب: أنشُدُك الله يا عليّ وحظّنا من رسول الله ﷺ، وكان أوس من أصحاب رسولِ الله ﷺ وأهل بدر، قال: ادخل، فدخل فجلس، وحضر غَسْل رسول الله ﷺ، فأسنده عليّ بن أبي طالب إلى صدره، وكان العباس والفضل وقُثم يقلبونه معه وكان أُسامة بن زيد وشُقران مولاه، هما اللذان يصبّان الماء عليه، وعليٌّ يُغَسِّله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصُه يدلّكه به من ورائه، لا يُفضي بيده إلى رسول الله ﷺ، وعلي يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيًّا وميتًا! ولم يُر من رسول الله ﷺ شيء مما يُرَى من الميّت.

كيف غُسل الرّسول؟

قال ابن إسحٰق: وحدّثني يحيىٰ بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبَّاد، عن عائشة، قالت: لما أرادوا غَسْل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه. فقالوا: والله ما ندري، أنُجرّد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرّد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختَلَفوا ألقَى الله عليهم النوم، حتى مأمنهم رجل إلاّ ذقنه في صدره، ثم كلّمهم مُكلِّم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغْسِلوا النبيَّ وعليه ثيابه، قالت: فقاموا إلى

....

رسول الله ﷺ، فغسّلوه وعليه قميصُه، يصبُّون الماء فوق القميص، ويَدْلُكُونه والقميص دون أيديهم.

تكـفين الرّسـول:

قال ابن إسحٰق: فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كُفِّن في ثلاثة أثواب ثوبين صحارِيِّين وبُرْد حَبرة، أُدرج فيها إدراجًا، كما حدّثني جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن الحسين والزهري، عن عليّ بن الحسين.

حـفـر القبـر:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني حسين بن عبد الله عن عكرِمة، عن ابن عباس، قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عبيدة بن الجَرّاح يَضْرَح كحفر أهل مكّة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة، فكان يَلْحد، فدعا العبَّاس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عُبيدة بن الجرّاح، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة. اللّهم خِرْ لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلحَد لرسول الله ﷺ.

دفن الرّسول والصّلاة عليه

فلما فُرِغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وضع في سريره في بيته، وقد كان المُسلمون اختلفوا في دفنه. فقال قائلٌ: ندفنه في مسجده وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قُبِض نبيّ إلاّ دُفن حيث يُقبض»[1]، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي تُوفي عليه، فحُفر له تحته، ثم دخل النّاس على رسول الله ﷺ يُصلُّون عليه أرْسالاً، دخل الرجال، حتى إذا فرغوا أُدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان. ولم يَؤُم النّاسَ على رسول الله ﷺ أحد.

كيف صُلّي على جنازته عليه السلام؟

ذكر ابن إسحٰق وغيرُه أن المسلمين صَلُّوا عَليْه أَفْذَاذًا، لا يَؤُمُّهم أحدٌ، كلما جاءت طَائفةٌ صَلّت عليه، وهذا خصوصٌ به ﷺ، ولا يكون هذا الفعلُ إلاّ عن توقيف، وكذلك رُوِي أنه أَوْصَى بذلك، ذكره الطَّبَرِيُّ مُسْنَدًا، ووجه الفِقْه فيه أن الله تبارك وتعالى افترض

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١٦٢٨) والترمذي (١٠١٨) بنحوه والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٦٠) وانظر الفتح (٥٢٩/١).

ثم دُفن رسولُ الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء.

الصلاةَ عليه بقوله: ﴿صَلُّوا عليه وسَلِّموا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وحكَمُ هذه الصلاة التي تضمنتها الآيةُ ألاَّ تكونَ بإمام، والصلاةُ عليه عند موته داخلةٌ في لفظِ الآيةِ، وهي مُتَناوِلَةٌ لها، وللصلاة عليه على كل حال، وأيضًا فإن الربّ تبارك وتعالى، قد أخبره أنه يُصَلِّي عليه وملائكتُه، فإذا كان الربُّ تعالى هو المصلّي والملائكة قَبْل المؤمنين، وجب أن تكون صلاة المؤمنين تَبَعًا لصلاةِ الملائكةِ، وأن تكون الملائكةُ هم الإمَامَ، والحديث الذي ذكرتُه عن الطَّبَري فيه طولٌ، وقد رَوَاه البَزَّار أيضًا من طريقِ مُرَّة عن ابن مَسْعُود، وفيه أنه حين جمعَ أهلَه في بيتِ عائشةَ - رضي الله عنها - أنهم قالوا: فمن يُصَلِّي عليك يا رسول الله؟ قال: فَهلاً غفر الله لكم وجَزَاكم عن نَبِيِّكم خيرًا، فبكينا وبَكى النبيّ - ﷺ - فقال: «إذا غَسَّلْتُموني، وكَفَّنْتُموني، فَضَعُوني على سَرِيري في بيتي هذا على شَفِير قَبْرِي، ثم اخْرُجُوا عني سَاعةً، فإن أوّل من يصلّي عليّ جَلِيسي وخَلِيلي جبريلُ، ثم مِيكائيلُ، ثم إسْرافيلُ، ثم مَلَكُ الموت مع جنودِه، ثم الملائكةُ بأجمعها، ثم ادخلوا عليَّ فَوْجًا بعد فَوْج، فصلُّوا عليَّ وسَلِّموا، تَسْلِيمًا، ولا تُؤْذُوني بتزْكِيَةٍ، ولا ضَجَّةٍ، ولا رَنَّةٍ، وليبدأ بالصلاة عليّ رجالُ بيتي ثم نساؤهم، وأنتم بعد اقرؤوا أنفسَكم السَّلام مني، ومن غاب من أصحابي فاقرءوه مني السَّلام، ومن تابعكم بعدي على ديني، فاقرءوه مني السلام، فإني أُشهِدكم أني قد سَلَّمت على من تابعني على ديني من اليوم إلى يوم القيامة»، قلت: فمن يُدْخِلك قبرك يا رسولَ الله؟ قال: «أهلي مع ملائكة كثير يرونكم من حيث لا تَرَوْنَهُم»[1].

موته عليه السلام كان خطبًا كالحًا:

فصل: وكان موتُه عليه السلام خَطْبًا كالِحًا، ورُزْءًا لأهل الإسلام فادحًا، كادت تُهَدُّ له الجبال، وتَرْجُفُ الأرضُ، وتَكْسِفُ النَّيِّرَات، لانقطاع خبر السماء، وفَقْد مَنْ لا عِوَضَ منه، مع ما آذن به موتُه - عليه السلام - من الفِتَنِ السُّحْم، والحَوادثِ الوُهُم، والكُرَبِ المُدْلَهِمَّة، والهَزَاهِزِ المُضْلِعة، فلولا ما أنزل الله تبارك وتعالى من السَّكِينة على المؤمنين، وأَسْرَجَ في قلوبهم من نور اليقين، وشرح له صُدورَهم من فَهْم كتابه المبين لانْقَصَمَتْ الظهورُ، وضاقت عن الكُرَبِ الصدورُ، ولعاقهم الجزعُ عن تَدْبير الأمور، فقد كان الشيطان أَطْلَع إليهم رأسَه، ومدّ إلى إغوائهم مطامِعَه، فأوقد نارَ الشَّنآن، ونصب رايةَ الخِلافِ، ولكن أبى الله تبارك وتعالى إلاَّ أن يُتمَّ نورَه، ويعلّي كلمتَه، ويُنْجِزَ موعودَه، فأطفأ نار الرِّدَّةِ، وحَسَم قادَةَ الخِلاَفِ والفِتْنَةَ على يد الصِّدِّيق رضي الله عنه، ولذلك قال أبو هُرَيْرَة: لولا أبو بكر لهلكت أُمةُ

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٠) والطبري في تاريخه (٢/ ٢٢٨).

دفن الرّسول:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني عبد الله بن أبي بكر، عن امرأته فاطمة بنت عُمارة، عن عَمْرة بنت عبد الرحمٰن بن أسعد بن زرارة، عن عائشة رضي الله عنها: جوف الليل من ليلة الأربعاء.

محمد عليه السلام بعد نبيِّها، ولقد كان مَنْ قدم المدينةَ يومَئِذٍ من الناس إذا أشرفوا عليها سمعوا لأهلها ضَجيجًا، وللبكاء في جميع أرجائها عَجيجًا، حتى صَحِلَتْ الحُلُوق، ونُزِفَتْ الدموعُ، وحقّ لهم ذلك، ولمن بعدهم، كما رُوي عن أبي ذُؤَيْب الهُذَلِيّ، واسمه: خُوَيْلِد بن خالد، وقيل: ابن مُحرِّث قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ عليلٌ فاسْتَشْعَرْتُ حُزنًا وبتُّ بأطْوَلِ ليلة لا يَنْجَابُ دَيْجُورُها، ولا يطلع نورُها، فظللت أقاسي طولها، حتى إذا كان قُرْب السَّحَر أَغْفَيْتُ، فهتف بي هاتف، وهو يقول:

خَطْبٌ أَجَلُّ أَنَاخَ بالإسْلَامِ ... بين النَّخِيل ومَعْقِد الآطَام
قُبِض النبيُّ محمدٌ فعيونُنَا ... تُذرِي الدُّمُوعَ عليه بالتَّسْجَامِ

قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومي فَزِعًا، فنظرت إلى السماء، فلم أر إلاّ سَعْد الذَّابح، فتفاءلت به ذبحًا يقع في العَرَب، وعلمت أن النبيّ - ﷺ - قد قُبِض، وهو ميّت من عِلَّتِه، فركبت ناقتي وسرت، فلما أصبحتُ طلبت شيئًا أزْجُرُ به، فعَنَّ لي شَيْهَمٌ، يعني: القُنْفُذَ قد قَبَض على صِلٍّ، يعني: الحيَّة، فهي تَلْتَوي عليه، والشَّيْهَمُ يَقْضَمُها حتى أكلها، فزَجَرْتُ ذلك، وقلت: شَيْهَمٌ شيْءٌ مُهِمٌّ، والتِوَاء الصِّلِّ التِوَاءُ الناس عن الحق على القائم بعد النبيّ ﷺ، ثم أَكْلُ الشَّيْهَم إيَّاها غلبةُ القائم بعده على الأمر. فَحثَثْتُ ناقَتِي، حتى إذا كنتُ بالغَابَة زَجَرْتُ الطائرَ فأخبرني بوفاته، ونَعَب غُرَابٌ سانِحٌ فنطق مثل ذلك، فتعوَّذْتُ بالله من شرِّ ما عَنَّ لي في طريقي، وقدمت المدينةَ ولها ضَجِيجٌ بالبكاء كضَجِيج الحَجيج، إذا أَهلُّوا بالإحْرَام، فقلت: مَهْ؟ فقالوا: قُبِض رسولُ الله ﷺ، فجئت المسجد فوجدته خاليًا، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ، فأصبتُ بابه مُرْتَجًا، وقيل: هو مُسَجًّى فدخلا به أهلُه، فقلت: أين الناسُ؟ فقيل: في سَقِيفَةِ بني ساعِدَة، صاروا إلى الأنصار، فجئت إلى السقيفة فأصبت أبا بَكرٍ وعُمَرَ وأبا عُبَيْدَة بن الجَرَّاحِ وسالمًا وجماعةً من قريش، ورأيت الأنصار فيهم سَعْد بن عُبَادَة، وفيهم شعراؤُهم حسَّانُ بن ثابت وكَعْب بن مالك ومَلأٌ منهم، فآويت إلى قُرَيْش، وتكلّمت الأنصارُ، فأطالوا الخطابَ وأكثروا الصَّوابَ وتكلّم أبو بكر رضي الله عنه، فلِلَّه دَرُّه مِنْ رَجُلٍ لا يُطيل الكلام ويعلم مواضع فصلِ الخِطَاب، والله لقد تكلّم بكلام لا يسمعه سامعٌ إلاّ انْقَادَ له، ومال إليه، ثم تكلّم عُمَرُ، رضي الله عنه، بعده دون كلامِه، ومَدَّ يده، فبايعه وبايَعُوه، ورجع أبو بكر، ورجعت معه. قال أبو ذؤيب: فشهدت الصَّلاةَ على مُحَمَّدٍ ﷺ، وشهدت

من تولّى دفن الرّسول:

وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، والفضل بن عبّاس، وقثم بن عباس، وشُقران مولى رسول الله ﷺ.

دفنَه، ثم أنشد أبو ذُؤَيبٍ يبكي النبيَّ ﷺ:

لـمـا رأيتُ الـنـاسَ في عَـسَلاَنِـهـم ... مـن بـيـن مَـلْـحُـودٍ لـه ومُـضَـرَّحِ

مُـتَـبَـادِريـن لِـشَـرْجَـعٍ بـأَكُـفِّـهِـمْ ... نَـصَّ الـرِّقـابِ لـفـقـد أَبْـيَـضَ أَرْوَحِ

فهناك صرت إلى الهموم، ومَنْ يَبِتْ ... جَـارَ الـهُـمُـوم يـبـيـت غـيـر مُـرَوَّحِ

كَـسَـفَـتْ لـمـصرعه الـنـجـومُ وبَـدْرُها ... وتَـزَعْـزَعَـتْ آطـامُ بَـطْـنِ الأَبْـطَـحِ

وتَـزَعـزَعَـتْ أَجْـبَـالُ يَـثْـرِبَ كـلُّـهـا ... ونـخـيـلُـهـا لـحـلـول خَـطْـبٍ مُـفْـدِحِ

ولـقـد زَجَـرْتُ الـطـيـرَ قـبـل وفـاتـه ... بـمُـصـابـه، وزَجَـرْتُ سـعـد الأَذْبَـحِ

وقال أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب يبكي رسولَ الله ﷺ:

أرِقْـتُ فـبـات لَـيْـلِـي لا يَـزولُ ... دلـيـلُ أخـي الـمـصـيـبـةِ فـيـه طـولُ

وأسْـعَـدَنـي الـبـكـاءُ وذاك فـيـمـا ... أُصِـيـبَ الـمـسـلـمـون بـه قـلـيـلُ

لـقـد عَـظُـمـت مـصـيـبَـتُـنَـا وجَـلَّـت ... عَـشِـيَّـةَ قـيـل: قـد قُـبِـضَ الـرسـولُ

وأضـحـت أرضُـنـا مـمـا عَـرَاهـا ... تـكـاد بـنـا جـوانِـبُـهَـا تَـمِـيـلُ

فـقَـدْنـا الـوَحْـيَ والـتـنـزيـلَ فـيـنـا ... يَـرُوح بـه ويَـغْـدُو جِـبْـرَئِـيـلُ

وذاك أَحَـقُّ مـا سـالـت عـلـيـه ... نـفـوسُ الـنـاس أو كَـرُبـت تَـسِـيـلُ

نـبـيٌّ كـان يـجـلـو الـشَّـكَّ عـنـا ... بـمـا يُـوحَـى إلـيـه ومـا يَـقُـول

ويَـهْـدِيـنـا فـلا نَـخْـشَـى ضـلالا ... عـلـيـنـا والـرسُـولُ لـنـا دَلِـيـلُ

أفـاطِـمُ إنْ جَـزِعْـت فـذاك عـذر ... وإن لـم تَـجْـزَعِـي، ذاكَ الـسَّـبِـيـل

فـقـبـر أبـيـك سَـيِّـدُ كُـلِّ قَـبْـرٍ ... وفـيـه سَـيِّـدُ الـنـاسِ الـرَّسُـولُ

ولما تُوفي رسولُ الله ﷺ ودفن ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ورجعت فاطمة إلى بيتها اجتمع إليها نساؤها، فقالت:

اغْـبَـرَّ آفـاقُ الـسـمـاءِ وكُـوِّرَتْ ... شـمـسُ الـنـهـار وأظـلـم الـعَـصْـرَانِ

فـالأرض مـن بـعـد الـنـبـيِّ كـئـيـبـةٌ ... أَسَـفًـا عـلـيـه كـثـيـرة الـرَّجَـفـان

وقد قال أوس بن خَوْلِي لعليّ بن أبي طالب: يا عليّ، أنشدك الله، وحظّنا من رسول الله ﷺ، فقال له: انزل، فنزل مع القوم وقد كان مولاه شُقران حين وضع رسول الله ﷺ في حُفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها، دفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبدًا.

قال: فدُفنت مع رسول الله ﷺ.

أحدث الناس عهدًا بالرّسول:

وقد كان المُغيرة بن شُعْبة يدَّعي أنه أحدث الناس عهدًا برسول الله ﷺ يقول: أخذت خاتمي، فألقيته في القبر، وقلت: إن خاتمي سقط منّي، وإنما طرحته عمدًا لأمسّ رسول الله ﷺ، فأكون أحدث الناس عهدًا به ﷺ.

قال ابن إسحٰق: فحدّثني أبي إسحٰق بن يسار، عن مِقسم، أُبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال: اعتمرت مع عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته أم

فلْيَبْكِهِ شرقُ البلاد وغربُها	ولْتَبْكِه مُضَرٌ وكُلُّ يَمَان
ولْيَبْكِه الطَّوْدُ المعظمُ جَوُّه	والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتمَ الرُّسْل المبارَك ضَوْؤه	صَلّى عليك مُنَزِّلُ القرآن
[نفسي فداؤك ما لرأسك ماثلاً	ما وسَّدُوك وسادة الوسْنَان]

الاختلاف في كفنه:

فصل: وأما الاختلاف في كفنه عليه السلام كم ثوبًا كان، وفي الذين أدخلوه قبرَه ونزلوا فيه، فكثير، وأصحُ ما رُوي في كفنِه أنه كُفِّن في ثَلاثَةِ أثوابٍ بيضٍ سَحُولِيَّة[1]، وكانت تلك الأثوابُ من كُرْسُفٍ[2]، وكذلك قميصُه عليه السلام كان من قُطْنٍ، ووقع في السيرة من غير رواية البَكّائي أنها كانت إزارًا ورِداء، ولُفَافَةً، وهو موجود في كتب الحديث وفي الشُروحات، وكانت اللَّبِنُ التي نُضِّدَت عليه في قبره تِسْعَ لَبِنَاتٍ.

وذكر ابن إسحٰق فيمن أَلْحَدَه شُقْرَانُ مولاه، واسمه: صالح، وشهد بدرًا، وهو عبد قبل أن يُعْتَق، فلم يُسْهِم له، انقرض عقُبه فلا عَقِبَ له.

---

(١) سحوليّة: نسبة إلى سحول، قرية باليمن. (٢) الكرسف: القطن.

هانىء بنت أبي طالب، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكب له غِسل، فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا حسن، جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا عنه؟ قال: أظنّ المُغيرة بن شُعبة يحدّثكم أنه كان أحدث النّاس عهدًا برسول الله ﷺ. قالوا: أجل، عن ذلك جئنا نسألك؛ قال: كذب، قال: أحدث الناس عهدًا برسول الله ﷺ قُثَم بن عباس.

خميصة الرّسول:

قال ابن إسحٰق: وحدّثني صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عائشة حدّثته، قالت: كان على رسول الله ﷺ خميصة سوداء حين اشتدّ به وجعه، قالت: فهو يضعها مرّة على وجهه، ومرّة يكشفها عنه، ويقول: قاتل الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يَحْذَرُ من ذلك على أُمّته.

قال ابن إسحٰق: وحدّثني صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان آخر ما عهد رسولُ الله ﷺ أن قال: «لا يُترك بجزيرة العرب دينان».

افتتان المسلمين بعد موت الرّسول:

قال ابن إسحٰق: ولما تُوُفّي رسولُ الله ﷺ عَظُمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة، فيما بلغني، تقول: لما تُوفي رسول الله ﷺ ارتدّت العرب، واشرأبّت اليهودية والنّصرانية، ونَجَم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المَطِيرة في الليلة الشّاتية، لفقد نبيّهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكّة لمّا تُوفي رسولُ الله ﷺ همّوا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك حتى خافهم عَتّاب بن أَسِيد، فتوارى، فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إن ذلك لم يَزِد الإسلام إلاّ قوّة، فمن رابنا ضَرَبْنا عُنقه، فتراجع النّاس وكَفُّوا عمّا همُّوا به، وظهر عتّاب بن أَسِيد.

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطّاب: «إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمهُ».

....

شعر حسّان بن ثابت في مرثيته الرّسول:

وقال حسّان بن ثابت يبكي رسولَ الله ﷺ، فيما حدّثنا ابن هشام، عن أبي زيد الأنصاري:

بطَيْبَةَ رَسْمٌ للرَّسُولِ وَمَعهَدُ	مُنِيرٌ وَقد تَعْفُو الرَّسُومُ وَتهْمُدُ
ولا تمتحي الآياتُ من دار حُرْمةٍ	بها منبر الهادِي الذي كانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثارِ وبَاقي مَعالِمِ	ورَبْعٌ لَه فيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ
بِها حُجُراتٌ كانَ ينزِلُ وَسْطَها	مِنَ الله نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعارِفُ لم تُطْمَسْ على العَهْدِ آيها	أتاها البِلَى فالآي منها تَجَدَّدُ
عرفتُ بها رَسْمَ الرَّسُولِ وعَهدَهُ	وقبرًا بها واراهُ في التُّربِ مُلْحِدُ
ظللتُ بها أبكي الرَّسولَ فأسعدتْ	عُيون وَمثلاها مِن الجفْن تُسعدُ
يُذكِّرنَ آلاءَ الرَّسُولِ وَما أرَى	لهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فنَفْسِي تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّها فَقْدُ أحمَد	فظَلَّت لِآلاءِ الرَّسُولِ تُعَدِّد
وَما بَلَغَتْ مِنْ كُلّ أمْرِ عَشيرَهُ	ولكِنْ لنفسِي بَعْدُ ما قد تَوَجَّدُ
أطالَتْ وُقوفًا تَذرِفُ العينَ جُهْدَها	على طَلَلِ الَّذي فيهِ أحمَدُ
فبُورِكْتَ يا قبرِ الرَّسولِ وبُورِكَتْ	بلادٌ ثَوَى فِيها الرَّشِيدُ المُسَدَّدُ
وبُورِكَ لَحْدٌ منكَ ضُمِّن طَيِّبًا	عليه بناءٌ من صَفيحٍ مُنَضَّدُ
تَهيلُ علَيْهِ التُّربَ أيدٍ وأعيُنٍ	علَيهِ وقد غارَتْ بذلكَ أسْعُدُ
لقد غَيَّبوا حلْمًا وَعلْمًا وَرَحْمَةً	عشيَّة عَلَّوْهُ الثَّرَى لا يُوَسَّدُ
وراحُوا بحُزْنٍ ليس فيهِمْ نبيُّهم	وقد وهَنت منهم ظُهور وأعضُد

وذكر ابن إسحٰق مَرَاثِي حَسَّان في النبيّ ﷺ، وليس فيها ما يُشْكل فنشرحُه، وقد رثاه كثيرٌ من الشعراء وغيرهم، وأكثرهم أفحمهم المصابُ عن القول، وأعجزتهم الصِّفَةُ عن التَّأْبِين، ولن يبلغ بالإطناب في مَدْح ولا رثاء في كُنه محاسنه عليه السلام ولا قَدْر مصيبة فقدِه على أهل الإسلام، فصلّى الله عليه وعلى آله صلاةً تَتَّصل مَدَى الليالي والأيام، وأحلَّه أعلى مراتب الرحمة والرضوان والإكرام، وجزاه عنا أفضلَ ما جَزَى به نَبيًّا عن أُمته، ولا خالف بنا عن مِلَّتِه، إنه وَلِيُّ الطَّوْلِ والفَضْل والإنعام، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ، والحمد لله رب العالمين.

يَبكُونَ مَن تبْكي السَّمٰواتُ يوْمهُ ... ومَن قد بكَتهُ الأرضُ فالنّاس أكمَدُ
وَهلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هالِكٍ ... رَزِيَّةَ يَوْمِ ماتَ فيهِ مُحَمَّدُ
تَقطّع فيهِ منزِلُ الوَحْيِ عنهُمُ ... وقد كانَ ذا نُورٍ يغورُ ويُنجِدُ
يدُلّ على الرَّحمٰنِ مَن يَقتَدِي بهِ ... ويُنقِذُ مِن هَوْلِ الخَزَايا ويُرْشِدُ
إمامٌ لهُم يَهْديهِمُ الحَقَّ جاهِدًا ... معلِّم صدْقٍ إن يُطيعوه يُسْعَدُوا
عَفُوٌّ عن الزَّلاتِ يَقبلُ عُذْرَهم ... وإن يُحْسِنوا فاللهُ بالخيرِ أجْوَدُ
وإنْ نابَ أمرٌ لم يقومُوا بحَمْلِهِ ... فمِنْ عِندِه تَيْسِيرُ ما يتشَدَّدُ
فبَيْنا هُمُ في نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُم ... دَليلٌ بهِ نَهجُ الطَّريقَة يُقْصدُ
عزيزٌ عليهِ أن يَجُورُوا عنِ الهُدَى ... حرِيصٌ على أن يَسْتقيموا ويهْتَدوا
عَطُوفٌ عليهم لا يُثَنِّي جَناحَهُ ... إلى كَنَفٍ يَحْنو عليهم ويَمْهَدُ
فبينا هُمُ في ذلكَ النُّورِ إذْ غَدَا ... إلى نُورهم سَهمٌ من الموْتِ مُقْصِدُ
فأصْبَحَ محمُودًا إلى اللهِ رَاجِعًا ... يُبَكِّيهِ حَقّ المُرْسَلاتِ ويُحْمَدُ
وأمسَتْ بلادُ الحُرْم وَحشًا بقاعُها ... لغَيْبة ما كانتْ مِن الوَحْيِ تُعْهدُ
قِفارًا سوَى معْمورَةِ اللَّحدِ ضافَها ... فقيدٌ يُبَكّيه بَلاطٌ وغَرْقدُ
وَمَسْجدهُ فالمُوحشاتُ لفَقْدِه ... خَلاءٌ لَهُ فيهِ مَقامٌ وَمَقْعَدُ
وبالجَمْرة الكُبرَى له ثَمَّ أوْحَشَتْ ... دِيارٌ وعَرَصاتٌ وَربْعٌ ومولِدُ
فبَكى رَسُولَ اللهِ يا عَينُ عَبرَةً ... ولا أعرفنْك الدَّهر دَمعُك يجْمَدُ
وَما لكِ لا تَبْكينَ ذا النِّعمَة التي ... عَلَى النَّاسِ منها سابِغٌ يُتَغَمَّدُ
فجُودِي عليهِ بالدُّموعِ وأعْولي ... لفَقْدِ الذي لا مثلُه الدَّهرَ يُوجَدُ
وما فَقَدَ المَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... ولا مِثْلُه حتى القِيامَة يُفْقَدُ
أعَفَّ وأوْفَى ذِمَّةً بعْدَ ذِمَّةٍ ... وأقْرَبَ منه نائِلاً لا يُنَكَّدُ
وأبْذَلَ منهُ للطَّريفِ وتالِدٍ ... إذا ضَنّ مِعْطاءٌ بما كانَ يُتْلَدُ
وأكْرَم صِيتًا في البُيوتِ إذا انْتَمى ... وأكْرَمَ جَدًّا أبْطَحِيًّا يُسَوَّدُ
وأمنَعَ ذِرْوات وأثْبت في العُلا ... دعائمَ عِزٍّ شاهِقاتٍ تُشَيَّدُ
وأثبتَ فَرْعًا في الفُرُوعِ وَمَنْبَتًا ... وعُودًا غذاهُ المُزْنُ فالعُود أغيدُ

....

رَبّـاه وَلِـيـدًا فـاسـتـتـمَّ تـمَـامُـهُ على أكرَمِ الخيراتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ
تَناهَتْ وَصاةُ المُسْلِمينَ بكَفِّهِ فلا العِلمُ مخبوسٌ ولا الرأيُ يُفْنَدُ
أقـولُ وَلا يُـلْـقَـى لـقَـوْلـيَ عـائِـبٌ مِن النَّاسِ إلاّ عازِبُ العقلِ مُبْعدُ
ولـيـسَ هَـوَايَ نـازِعًـا عَـنْ ثَـنـائِـه لـعلِّي به في جَنَّةِ الخُلْدِ أخْلدُ
معَ المُصْطَفى أرْجو بذاكَ جِوَارهُ وفي نَيْلِ ذاكَ اليَوْمِ أسعى وأجهَدُ

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا، يبكي رسولَ الله ﷺ:

مـا بـالُ عَـيْـنـكَ لا تَـنـامُ كـأنَّـمـا كُـحِلَـتْ مـآقِـيـهـا بـكُـحْلِ الأرْمَدِ
جَزَعًا على المَهْدِيّ أصبَحَ ثاوِيًا يا خيرَ من وَطِىء الحَصَى لا تَبْعَدِ
وَجْهِي يقيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتني غُيِّبْتُ قَبلكَ في بَقيْعِ الغَرْقَدِ
بـأبـي وأمـي مَـنْ شَـهِـدْتُ وَفـاتَـهُ فِي يَوْم الاثنَينِ النَّبِيُّ المُهْتَدي
فـظَـلِـلْـتُ بَـعـدَ وَفـاتِـهِ مُـتَـبَـلِّـدًا مُـتَـلَـدِّدًا يـا لَـيْـتَـنِـي لـم أولَـدِ
أأُقـيـمُ بَـعْـدَكَ بـالـمَـدينَـةِ بـيـنـهُـم يا لَيْتني صُبِّحت سَمَّ الأسْوَدِ
أوْ حَـلَّ أمْـرُ اللهِ فِـيـنـا عـاجِـلاً في رَوْحَةٍ مِن يَوْمِنا أو مِن غَدِ
فَتَقُومُ ساعَتُنا فَنَلْقَى طَيِّبًا مَحْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ المَحْتِدِ
يـا بِـكْـرَ آمِـنَـةَ الـمُـبـارَكَ بِـكْـرُهـا وَلَـدَتْـهُ مُـحْـصَـنَـةٌ بِـسَـعْـد الأسْـعُـدِ
نُـورًا أضـاءَ عـلـى الـبَـرِيَّـة كـلِّـهـا من يُهْدِ للنُّورِ المُبارَكِ يَهْتَدِي
يـا ربِّ فـاجـمَـعْـنـا مَـعًـا وَنَـبِـيَّـنـا فـي جَـنَّـةٍ تَـثْـنـي عُـيُـون الحُـسَّـدِ
فـي جَـنَّـةِ الـفِـرْدَوْسِ فـاكـتُـبـهـا لَـنـا يـاذَا الـجَـلالِ وَذَا الـعُـلا والـسُّـودَدِ
والله أسـمـعِ مـا بَـقِـيـتُ بِـهـالـكٍ إلاّ بَـكَـيْـتُ عـلـى الـنَّـبـيّ مـحـمَّـدِ
يـا وَيْـحَ أنْـصَـارِ الـنَّـبـيّ ورَهْـطِـهِ بَـعْـدَ الـمُـغَـيَّـبِ فـي سَـوَاءِ الـمَـلْـحَـدِ
ضَاقَتْ بالأنْصَارِ البِلادُ فأصْبَحوا سُـودًا وُجُـوهُـهُـمْ كـلَـوْنِ الإثْـمِـدِ
وَلَـقَـدْ وَلَـدْنـاهُ وَفِـيـنـا قَـبْـرُهُ وفُضُـولَ نِـعْـمَـتـه بـنـا لـم نَـجْـحَـدِ
والله أكْـرَمَـنـا بـه وهَـدَى بـهِ أنـصـارَه فـي كُـلِّ سـاعَـةٍ مَـشْـهَـدِ
صَـلَّـى الإلـهُ وَمَـنْ يَـحُـفّ بـعَـرْشِـهِ والـطَّـيِّـبـونَ عـلـى الـمُـبـارَكِ أحـمَـدِ

....

قال ابن إسحٰق: وقال حسّان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ:

نَبَّ المَساكينَ أنَّ الخيرَ فارَقهُمْ ... معَ النَّبيّ تولّى عنهُمُ سَحَرَا
مَن ذا الذي عندَه رَحْلي ورَاحِلتي ... ورزقُ أهلي إذا لم يُؤْنِسوا المَطَرَا
أمْ مَنْ نُعاتِبُ لا نَخْشَى جنادعَه ... إذا الِّلسان عَتا في القَوْلِ أو عَثرَا
كانَ الضّياءَ وكانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ ... بعد الإلٰه وكان السَّمع والبَصَرا
فَلَيْتَنا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمُلْحِدِهِ ... وغَيَّبوهُ وألقَوْا فوْقَهُ المَدَرَا
لم يتركْ الله مِنَّا بَعْدَه أحَدًا ... ولم يَعِشْ بعدَه أُنثى ولا ذكَرَا
ذلَّت رِقابُ بني النَّجّار كلِّهِم ... وكان أمْرًا مِن أمْرِ الله قد قُدِرَا
واقْتُسِمَ الفيءُ دون النَّاس كلِّهِم ... وبدَّدُوه جِهارًا بينهُم هَدَرَا

وقال حسّان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ أيضًا:

آلَيْتُ ما في جميع النَّاسِ مُجتهِدًا ... مِنِّي أليةَ بَرّ غيرَ إفْنادِ
تالله ما حَملَتْ أُنثى ولا وَضَعَتْ ... مثلَ الرَّسُولِ نبيّ الأُمَّة الهَادِي
وَلا بَرَا الله خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِه ... أوْفي بِذِمَّةِ جارٍ أو بميعاد
مِنَ الذي كانَ فِينا يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُبارَكَ الأمْرِ ذا عَدلٍ وإرْشادِ
أمْسَى نساؤك عَطَّلْنَ البيوت فمَا ... يَضرِبْنَ فوق قَفا سِتْرٍ بأوْتادِ
مثلَ الرَّوَاهبِ يَلْبَسْن المباذلَ قد ... أيقَنَّ بالبُؤْسِ بعدَ النّعمَةِ البادي
يا أفضلَ النَّاس إنّي كنتُ في نَهر ... أصبحتُ منه كمثل المُفرَد الصّادي

قال ابن هشام: عجز البيت الأوّل من غير ابن إسحٰق.

«الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات».

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه وحوله وقوّته تحقيق «الروض الأنف» شرح سيرة سيّد ولد آدم وخاتم المرسلين ـ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم تسليمًا كثيرًا. اللهم اغفر لي تقصيري وخطئي وجهلي وكل ذلك عندي، اللهم احشرني والمسلمين تحت لواء صاحب هذه السيرة العطرة الزكيّة ـ محمد ﷺ ـ اللهم اجعله شفيعي في الآخرة يا أرحم الراحمين. آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد إن لا إله إلاّ أنت استغفرك وأتوب إليك. «سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

«بسم الله الرحمٰن الرحيم»

«خاتمة التحقيق»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ثم أما بعد:

قدّمت بين يديك أخي المسلم ـ رحمني الله وإياك ـ سيرة خاتم المرسلين وسيّد ولد آدم ولا فخر ـ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ. وقد قام على طبعها ونشرها عَلَم من أعلام الدعوة في العالم الإسلامي: الأستاذ محمد علي بيضون ـ صاحب دار الكتب العلمية ـ وكم من كتاب إسلامي قدّمه لنا مبتغيًا الأجْر من الله تعالى. وأدعو الله عزّ وجلّ أن يجعل أعمالنا صالحة خالصة لوجهه تعالى وفي ميزان حسناتنا يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا مَن أتى الله بقلب سليم).

والدعوة إلى الله تعالى تكون بالقول تارة، وتكون بالفعل تارة أخرى، وتكون بالتنبيه والتلميح تارة أخرى و(كلٌّ يعمل على شاكلته). ويقول ﷺ: (كلٌّ ميسر لما خلق له) متفق عليه. وقد يكون الفعل أبلغ في وقت من القول، وفي آخر يكون القول أبلغ. قال بعضهم: «فعل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل». ومَن لم يستطع القول أو الفعل فعليه بالدعوة تنبيهًا وتلميحًا وإشارة إلى ما ينفع المسلم في دينه ودنياه وآخرته من عالِم عامل، أو كتاب نافع، وهذا ما يقوم به أصحاب دور النشر الإسلامية و(إنما الأعمال بالنيّات) متفق عليه.

وقد تصدّى للدعوة في زمننا الحاضر دُعاة لبسوا العمائم والمسوح يُلْبِسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون، زيّنوا للناس المنكر وبغّضوا إلى الناس المعروف حتى أصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ولكن الله تعالى يقيض دائمًا لهذه الأمة مَن يبيّن للناس زيف ادّعاءهم ودعواهم، وإن لاقى في ذلك ما يلاقي:

قد عُرِف المنكر واستُنكِر ... المعروف في أيامنا الصعبة
وصار أهل العلم في وهدةٍ ... وصار أهل الجهل في رتبة

فقلت للأبرار أهلِ التقى والدينِ لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت نوبتكم في زمن الغربة[1]

واليوم (الاثنين ١٣ ربيع الأول ـ ٢٩ يولية)[2] تحتفل الأمة الإسلامية بالمولد النبوي الشريف. وهي بدعة صليبية نَحَا فيها المسلمون منحاهم، وقد تقدم في أول الكتاب اختلاف أهل السِّيَر في تاريخ مولده ﷺ.

وفي كل عام يخرج علينا أصحاب العمائم في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة بما يأتِ به الأوّلون، فنسمع من القصص والأحاديث و«الحكايات» المنسوبة كذبًا وبهتانًا وزورًا إلى رسول الله ﷺ ما يشيب له الوليد من هول ما افتروا، وما كان ﷺ في حاجة إلى الكذب له، والكذب له كالكذب عليه ومَن كذب عليه متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النار.

فالحذر الحذر أخي المسلم من دعاة الكذب والتزوير والإفك، وها هي سيرة المصطفى ﷺ بين يديك بيضاء نقية، بيّنت لك الصحيح فيها من الضعيف [أو حاولت] فعضّ عليها وأودِعها قلبك وعقلك وفؤادك.

بقي أن أُشير لك بإيجاز على أكثر القصص والأحاديث انتشارًا بين صفوف الدعاة والعامّة ولا أصل لها. [تقدّم الحديث على أكثرها وبقي القليل منها مما يرد في نص كتاب ابن هشام].

١ ـ إطلاق النبي ﷺ على السنة التي توفي فيها عمّه وزوجه [خديجة]: عام الحزن. لا أصل له.

٢ ـ قول الرسول ﷺ لأسرى قريش: «ما ترون أني فاعل بكم»؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». لا أصل له. وقد تقدّم أنه معضل.

٣ ـ ازدهار أرض حليمة السعدية بعد أن كانت مجدبة يابسة ببركته ﷺ. إسناد القصة ضعيف جدًا. فمداره على محمد بن إسحٰق. وقد تقدم بيان حاله في المقدمة وفي ثنايا الكتاب [للتذكير] وبيان ضعفه.

٤ ـ قصة صعود النبي ﷺ شواهق الجبال مُحاوِلاً التردّي منها، لمّا فتر عنه الوحي، وتبدّى جبريل عليه السلام له في صفحة السماء قائلاً: يا محمد إنك رسول الله حقًا.

---

(١) ابن القيّم (بدائع الفوائد: ٣/ ٢٣٤).
(٢) وكان هذا بقدر الله تعالى.

٥ ـ قصة نسج العنكبوت خيوطه على الغار عند الهجرة، وكذا بناء الحمامتين عشهما على بابه. لا صحة لها.

٦ ـ استقبال الأنصار للنبي ﷺ وإنشادهم: طلع البدر علينا. لا صحة لها.

٧ ـ قول الحباب بن المنذر للنبي ﷺ في غزوة بدر: «أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم أم هو الرأي والمشورة...» تقدم في الكتاب وفيه ابن إسحٰق وقد تقدم بيان ضعفه وفيه مجاهيل مع إرساله.

٨ ـ حديث (ما هممت بشيء مما كانوا في الجاهلية يعملونه غير مرتين...) أخرجه الحاكم بسند ضعيف.

٩ ـ حديث (اللَّهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس..) فيه محمد بن عمر هو الواقدي ـ متروك مع سعة علمه ـ كما تقدم بيان حاله في المقدمة.

١٠ ـ أمره ﷺ من قِبَل جبريل عليه السلام بالهجرة وألاّ ينام في فراشه ـ مداره على ابن إسحٰق. تقدم بيان حاله. وفي بعض طرقه الواقدي وهو كذاب.

١١ ـ حديث (يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني ...) ضعيف.

إلى غير ذلك مما قد بيّنته ونبّهت عليه في ثنايا الكتاب.

بقي أن أقول: إني حاولت جاهدًا أن أقف بك على صحيح السِّيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، موجزًا القول حتى لا أشرد بك عما تقرأه. فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه. أدعو الله عزّ وجلّ أن يكون عملي كله صالحًا ولوجهه الكريم خالصًا وأن ينفعني به (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا مَن أتى الله بقلب سليم). آمين.

وكتبه مجدي بن منصور بن سيّد الشورى
القاهرة. مدينة السلام. في ١٣ ربيع الأول ١٤١٧

الفهرس